المشرق

السنة الرابعة والخمسون — ك ٢ - شباط ١٩٦٠

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم ١٨٦٢ ـ ١٩٤٧ (تابع وتتمة)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

[١٨٦٢] في هذه السنة وضعت الحجرة الاولى في بناية كنيسة اللاتين في حيّ الشيباني وقد جاءتهم الحسنات من الطائفة ١٠،٠٠٠ غرش ومن السلطان عبد العزيز ٢٥،٠٠٠ ومن فرنسة ١٠٠،٠٠٠

(عن سجلات الآباء الفرنسيسكان في حلب)

— وفيها شكر الله ولد جبرا ناقوس اوقف سقفا ت الفقراء السريان الكاثوليك . (غزي ٣ : ٩٨)

[١٨٦٣] نسخ جرجس ميخائيل كيارن كتاب اللاهوت الادبي جزء ٥ ، ٦ ، ٧ ، لكلوديوس يوحنا دي فيرتيريو اسقف بواتيه المتوفى سنة ١٧٣٢ . عربه

القس يعقوب اروطين الراهب الانطوني تحت العنوان « مختصر علم اللاهوت » وهو عدة مجلدات منه ، في المكتبة اليسوعية نسختان في بضعة عشر مجلدات ضخمة كتبت في اواخر القرن الثامن عشر وفي مدرسة الآباء البيض في الصلاحية وفي دير الشرفة وفي بيت الشماس شكري ايوب في حلب وفي بعض اديرة لبنان .

(سباط ٢١٥ وكتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية لشيخو عدد ٦٦٩)

— غرة بنت انطون فارس اوقفت مستغلات لفقراء القس من طائفة الموارنة وغرة بنت جرجي بليط اوقفت مستغلات للروم الكاثوليك وفرنسيس ولد جرجي للارمن الكاثوليك وسوسان بنت مخائيل نصره لفقراء الروم الكاثوليك ومريم بنت نعوم لاذقاني كذلك . (غزي ٣ : ٥٩٧)

[١٨٦٤] اوقف خليل جرجس طيار مستغلات لفقراء الارمن بحلب وكذلك سوسان جبرا سيقان . وكتر بنت يوسف زرزور . ومريم بنت انطانيوس استاذ اوقفتا مستغلات للسريان الكاثوليك . (غزي ٣ : ٥٩٩)

— وفيها اخذ اسود اخوان يسمون في الرحيل من حلب الى مرسيليا . ومثلهم آل ضاهر حوالي تلك الايام . وهؤلاء سوف يحتلون محلاً معتبراً في عالم التجارة فيؤسسون شركة الملاحة المعروفة باسمهم .

— وفيها طبع القس بولس بُليط الارمني في دير الرهبان الفرنسيسكان في اورشليم كتاب رياضة شهر تشرين الثاني للانفس المطهرية وقد استخرجه من اللغة الايطالية الى العربية .

[١٨٦٦] — ١١ ايار — تعهد المطران يوسف مطر بشراء ارض التلل لوقف الموارنة .

— ١٢ ايار — سام المطران يوسف مطر فتح الله انطون غالي كاهناً على كنيسة مار الياس حلب وسماه بولس .

— وفيها كتر بنت عبدالله اوقفت مستغلات لفقراء الروم الكاثوليك ومريم بنت انطانيوس استاد لفقراء طائفة السريان الكاثوليك وكتر بنت حنا بكاز لطائفة الموارنة . (غزي ٣ : ٦٠٠)

[١٨٦٧] مريم بنت يوسف هندي اوقفت مسقفات لفقراء الارمن .
(عزي ٢ : ٦٠١)

[١٨٦٨] الف الخوري يوسف عبديني كتاب «ايضاح مفيد في الصلاة العقلية».
(غراف ٣ : ٢٨١)

[١٨٧٠] — ١٦ شباط — كتب باولاكي حوا الى المطران الماروني من استنبول :« بخصوص المسلوبات ان ناظر الداخلية اوصى الوالي الجديد درويش باشا الذي توجه من كم يوم لحلب ان بوصوله يرسل دفتر كامل المنهوبات وبوقته الدولة تفتكر في طريقة التعويض عن مسلوبات سنة ١٨٥٠ . . . الغاية نحن لسنا مقصرين في الطلب لكن الاوقات صايرة منحوسة لازم صبر » .

[١٨٧٣] وضع الموارنة الحجر الاساسي لكاتدرائية مار الياس في حلب .
(غزي ٢ : ٤٨)

[١٨٧٦] — ١٧ ت ٢ — سام المطران يوسف مطر الشماس يوسف انطون مطر باسم ارسانيوس والشماس جرجس عازار باسم اوغسطينوس .

[١٨٧٧] الخوري بولس عيسى الصايغ اوقف مسقفات للسريان الكاثوليك .
(غزي ٣ : ٦٠٣)

— مريم بنت عبد الله طنوس اوقفت مسقفات للارمن الكاثوليك .

— ميخائيل ولد نصري دب اوقف مسقفات للروم الكاثوليك وكتر بنت نعوم سنكي للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين في جبل كسروان .
(غزي ٢ : ٦٠٢)

[١٨٨٢] — ١٠ شباط — توفي الكاهن الماروني يوسف الكلداني . ولد في حلب في ١٠ اذار ١٨٠٦ سامه كاهناً المطران يوسف مطر في ١٤ ايلول ١٨٥٢ وكان ثالث كاهن بعد اخويه ميخائيل وجبرائيل كلداني واصلهم من كلدان الموصل ترجم له القس (المطران) ميخائيل الخوري الحلبي في كتاب طبع سنة ١٩٠٧ اطرأ فيه فضائله واخصها الاماتة والكفران بالذات والتفاني في خدمة الفقراء .

ورثاه الشعراء ومنهم احد ادباء المسلمين امين الموصلي فقال :

« فرد همام كان مما بين الورى يأوي الفقير ولليتامى يسعف
مذ حلّ في الدنيا مطيعاً ربه وعلى العبادة في الليالي يعكف
يخشى القيامة راجياً ملكوته يتلو الانجيل المسيح ، يعرف
لما رأى الدنيا الدنية كلها قلّا بزول ونور شمس يكسف
طاب الاقالة واستعد بربه فلكم ترى ملكاً يجنح جنف
صعدوا به نحو السماء وقد غدا طرف اليمين جلوسه يتشرف »

(ميخائيل احرس : اطيب المجاني ص ١٦٩)

ومن صورة القس يوسف الكلداني ترى زيّ الكهنة على ايامه في حلب. فلم يتقبعوا القلنسوة الصغيرة كما يتقبعونها اليوم في حلب ولم يتقبعوا الطابية كما في لبنان ولكن الطربوش البني الغامض مع الشرابة ولم يغيروا هذا الزيّ الا في اواخر القرن التاسع عشر.

— ١٤ ايار — توفي المطران يوسف مطر فأبنه في الكاتدرائية المارونية المطران انطونيوس قندلفت السرياني آخذاً بآية ابن السيراخ ٥١ : ٢١ : ٥ « سلكت رجلاي في طريق مستقيم منذ شبابي وحرصت على الخير فلا اخزى » فمدح بالفقيد الحبر الامين في تدبير الرعية والاب الحنون على الفقراء والمساكين مدة ٣٢ سنة.

(راجع قندلفت : شرح قانون الايمان ٣ : ٩٤١ وما بعدها)

ومن آثار المطران يوسف مطر تنظيم المدرسة المارونية فاستحضر لها معلمين قديرين منهم جرجس زوين والخوري موسى كرم والقس انطون معوض والقس اوغسطين عازار وجاء بطبعة تامة الادوات في عام ١٨٥٧ وكانت من اوليات المطابع في الشرق والوحيدة في حلب وانشأ كنيسة مار الياس الكاتدرائية وابتاع لها الارغن بواسطة الخوري بولس غالي. ولدينا مخطوطة مؤرخة في ٢٦ ك ١ ١٨٧٣ فيها حجة احال وفصل ذلك الارغن في صنعه ومراده ونقله من باريس فرسيليا الى حلب مع لوائح النفقات التي اجريت عليه. وقد رأينا افادة في نشر تلك الحجة وما يليها من تعداد الاشياء الكنائسية التي ارسلت الى الطائفة في ذلك العهد فانه يذكرنا بما جاء من امثال ذلك في تاريخ الازمنة للدويهي اذ يعدد الكؤوس والبدلات وسائر ما الى الاواني الطقسية المرسلة من رومة للكرسي البطريركي[1].

(١) راجع تاريخ الازمنة طبعة الاب توتل ص ٢٤٢ و ٢٥١

سي التحف التي تحفظ في البيت ذكرى لمن تعبوا في سبيل الطائفة وتفكهة لمن يطلعون عليها : فضلاً عن الفائدة في تعريف الاسعار في ذلك العهد

صورة حجة الارغن وتحديده وهو ذو ثمانية آلات موسيقية

ان هذا الارغن له موضع للدق بالايدي ذات اربع وخمسون دوسة وموضع آخر للدق بالارجل ذات ثمانية عشر دوسة .

بيان اسماء آلات الموسيقية :

	عدد	
شبابات رخمة	١	Flûte
بوردي	٢	Bourdon
جامب	٣	Gambe
نازارد	٤	Nazard
دوبليت	٥	Doublette
بريستان	٦	Prestant
ترومبيتا	٧	Trompette
صوت سماوي	٨	Voix céleste

ثم ان هذا الارغن مستتر ضمن صندوق جوز مصقول مدهون مزين بالتخاريم واجهته مزينة ايضاً باربع وعشرون شبابة ازدير عالٍ جداً .

بيان وسعة وقدر الارغن :

	متر	عدد
عرضه	«	٣ ، ٤٠
سمكه	«	١ ، ٢٠
علوه	«	٣ ، ٣٠

صورة الكونتراتو :

ان الخواجا ستولس واولاده يلتزمون ان يعملوا الارغن عند غاية شغله بثمن اربعة آلاف فرنك ٤٠٠٠ وبهذا الثمن ذاته يلتزمون ان يرحوه ضمن صناديق ويوصلوه من كرخانتهم الى عند درب حديد باريس ثم ان الاب بولس غالي مشتري الارغن المذكور يلتزم ان يدفع للكرخانجية المذكورين مبلغ اربعة آلاف فرنك ٤٠٠٠ حال وصول الصناديق

الى درب الحديد وان قدسه يلتزم ان يدفع كرا تركيب الارغن بحلب بالشرق ونسمح له ان يناظر كيفية فكه وحزمه في كرخانتنا ونلتزم له بتوضيح كلما يلزم ليصير بذلك صاحب وقوف وخبرة هذه الكوندراتو حررة نسختين ليكون بيد كل واحدٍ منا واحدة.

الامضاء	الامضاء
الخواجات	القس
استولس واولاده	بولس غالي

صورة الابرا

نقول نحن المحررة اسماؤنا ادناه :

بانه قد وصلنا من يد الخواجه كونت ده طوري عن ذمة القس بولس غالي مبلغ اربعة آلاف فرنك ٤٠٠٠ قيمة ورصيد حق الارغن وذلك تحريرا في ٧ تموز سنة ٦٩

الامضاء

استولس واولاده

كومپانية اراغن باريس

بيان قيمة ومصاريف الارغن وكلفة الخواجه مريتان الذي ركبه بحلب بالكنيسة سنة ٦٩

فرنك	
٤٠٠٠	قيمة الارغن نقداً بيد الخواجه استولس كما شروح اعلاه .
٠١٣٧	كرا نقله بدرب الحديد من باريس الى مرسيليا بموجب تذاكر بيدنا من المدبر
٠٠٠٦	كرا خزنية في مرسيليا بموجب تذكرة بيدنا
٠١٥٨٤	كرا نقله في البابور من مرسيليا الى اسكندرونة بموجب بولسة شحن بيدنا من القبطان
٠٠٢٠	بخشيش بكمرك اسكندرونة مجيدي ٣ ونصف فرناوية
٠٠٣٠	كرا فتح الصناديق باسكندرونة وقيمة دق وبسامير
٠٠١٥	قيمة بازابورت الى الخواجا مريتان مركب الارغن
٠٠٠٥	كرا عربية عدد ٣ الواحدة لنقل صناديق عدة شغله والاخرة لركبه من بيته الى البحر
٠٢٣٤	قيمة ورقة بابور في الثالث لسفره
٤٦٠٥٤	المجموع

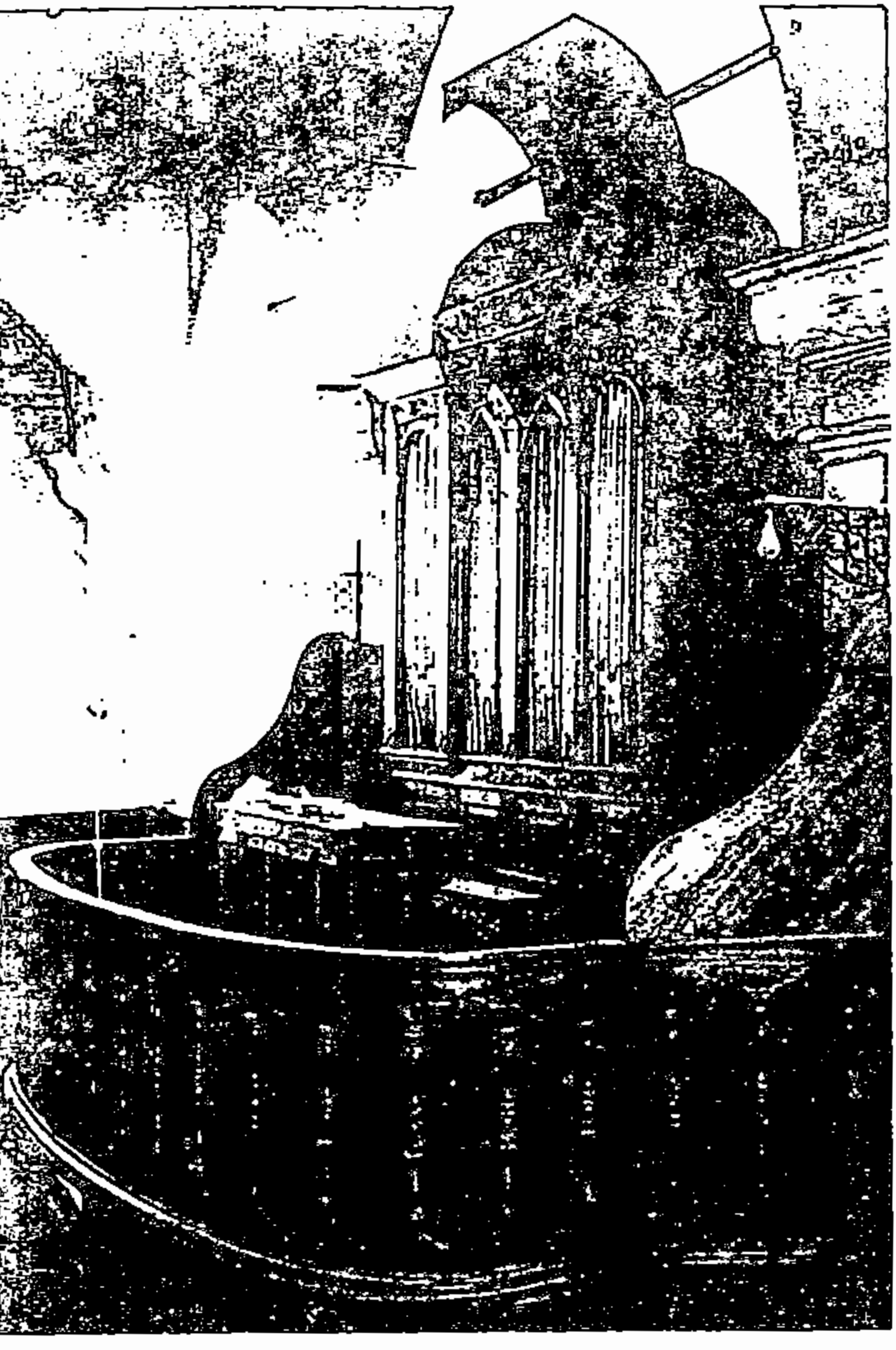

صورة لأرض

فرنك	
٤٦٠٥ <	ما قبله
٠٠٧٨	قيمة اكله وشربه ونبيد ودخان في البابور عن ١٣ يوم
٠٠١٤	نزول ورجوع في الكابه الى ازمير وسيره ومرسين
٠٠٠٣	نزوله من البابور الى اسكندرونة مع صناديقه
٠٠١٢	قيمة اكل وشرب باسكندرونة ٢١ يوم
٠٠٦٠	كرا دابة عدد ٢ لمركوبه من اسكندرونة لحلب وتحميل صناديق عدته
٠٠٠٦	قيمة اكل من اسكندرونة لحلب
٠١٨٥	اجرة ليوم ٣٧ مبداها من ٨ آب يوم سفره من مرسيليا الى تاريخ ١٥ ايلول يوم وصول صناديق الارغن وابتداء تركيبه سعر فرنك ٥ يومياً بموجب الكوندراتو
٠٠٧٥	كرا تركيب الارغن من غير تحديد ايام بموجب الكوندراتو
٠١٠٦	مصروف اقامته بحلب عن ٥٣ يوم
٠٢٦٧	ورقة بابور لاجل رجوعه من حلب الى مرسيليا ودابة عدد ٢ من حلب الى اسكندرونة لركبه وصناديقه
٠٠٠٦	اكل من حلب لاسكندرونة
٠٠٧٨	وفي البابور اكل وشرب ونبيد ودخان عن ١٣ يوم
٠٠٨٠	اجرة ستة عشر يوم ١٦ من حلب لمرسيليا بموجب الكوندراتو
٠٠٠٥	كرا عربية لنقله من البحر الى بيته بمرسيليا مع صناديق عدته . م
٥٥٥٨ <	المجموع

ومن حسن الحظ فيما نحن في كتابة هذا المقال اتصلنا بالسيد ماري كونيغ Koenig صاحب مصانع آلات الموسيقى في فرنسة وقد اقام اشهراً في سنة ١٩٣٤ في جامعة القديس يوسف في بيروت يعتني بتركيب ارغنها الكبير ، وهو من صنعه ، وبتصليحه في سنة ١٩٣٨ وفي سنة ١٩٥٩ فاطلع على الحجة المذكورة بعد ان زار كاتدرائية حلب المارونية وتفقد الارغن فيها فكتب في ذلك مقالاً بالافرنسية يفيد تعريبه . قال :

« ان ارغن حلب (الماروني) ليس عظيماً ولكن ملامسه بصفها الوحيد تجمع سائر ما يُطلب من الارغن التام فضلاً عن ان فيه الصوت المخنخن Nazard وقد وُضع في زمان كانوا قد ابطلوه فهو شاهد لعصر مضى . ويجدر باعتبارنا ان الموازنة في تلك الايام الصعبة

جاؤوا بعمل دل على شجاعتهم في اقدامهم على طلب الجمال في سبيل الفن المسيحي .

وكان آل ستولس Stoltz ملوك صناعة الارغن في باريس في منتصف القرن التاسع عشر وقد بلغوا اعلى درجات الفن بصنعه لكنيسة سان جرمان دي پره وهي من قدميات كنائس باريس . وعرفت ارغنات ستولس بصلابة موادها وقوّة اصواتها .

وهذا الارغن الماروني الحلبي هو من صنع ستولس وكان المتولي حساب النفقات عليه الكونت دي توري de Toury والوسيط في ذلك الاب بولس غالي ومن المحسنين اليه الكونتس دوكلار d'Auclar والكونتس دي لا شاتر « de la Chatre

بيان الاشياء التي تسوقها القس بولس غالي من باريس
بموجب قوايم مطبوعة بالفرنساوي :

فرنك	
٥٥٥٨٤	الارغن المذكور مع مصاريفه كما هو مشروح قبله مفصلاً
٠٢٨٠	شاعدين حفر كسم تربات
٠٠٠٠	ارغن صغير
٠١٨٠	قوالب صور للمطمة لاجل التعليم
٠٢٠٠	بدلات وقمصان حمر
٠٠٦٠	قالب برشان وقصاصاته
٠٠٨٠	مزكاوات فضة وصانية
٠٠٨٠	زورق كبير للقلاية
٠٠٦٠	ثوب جيت فرش للقلاية
٠١٢٠	شالة ترمه
٠٠٦٨	بنش كشمير فرنك ٣٨ وفانالة وصليب صدر
٠٠١٣	جرس جلغ وشمعدان يد وندارات
٠٠٨٣	شال ثوب ٢ فرفتاه للفقرا بالقيصرية والى بنات المدرسة ليوم التثبيت
٠٠٣٠	صورة مريم العذرا اخذها احد الكهنة كحجه
٠٠٤٠	لبات حمر عدد ٢
٠٠١٩	الى التنداشت شالي وغيره
٠٠٠٤	للسكرستيا شبه
٠٠٨٠	الى احد الخوارنة المتوفين الحاصل بالفاقة وذلك سراً
٦٩٦٥٤	

٦٩٦٥ <	ما قبله
٠٠٧٥	ايضاً مرتا الى احدى البيلات الكرام الخاصلين بالفاقه والمربا عن اقرباي
٠٠٢٢ <	ابره بجيديه الى عبداني وعكوي بعد الكبر سنة٧٢بمرف القس برحس وعيره
٠٠٠٩ <	للمذكورين ايضاً
٧٠٧٢ <	المجموع

قاعة اشياء التي نقلها القس بولس غالي من باريس مجاناً وقدمها للكنيسة ايضاً :

عدد	
٠١	كاس قداس وصينية
٠١	شماع زباح
٠٣	غفارات
١٨	بدلات قداس
٠٢	قنديل ومبخرة نحاس
٠٢	ضروعه حمر
٠٦	زهر قص
٠١	ستر هيكل جناز
٠٢	كتان هيكل
٠٢	غطا يت قربان
٠٠	صور للمعلمين في المدارس والتعليم
٠١	سنجق الوردية للكنيسة
٠١	منحة للمدرسة
٠٠	بدلات للمدرسة
٠٩	بطارشين

على ايام المطران بولس حكيم
١٨٨٢ – ١٨٨٨

[١٨٨٢] بعد وفاة المطران يوسف مطر وكل البطريرك بولس مسعد بالنيابة الاسقفية الى الاب لويس حكيم . (١٤ ايار)

اصله من بيت اروتين، عماده في ٢٩ آذار ١٨١٧ . اشتغل في التجارة في طنه . تعلم على الخوري يوسف عبديني . سامه نسيبه المطران بولس اروتين كاهناً في ٦ ايار ١٨٤٩ . استصحبه المطران يوسف مطر في مجمع بكركي ١١ نيسان ١٨٥٦ . سامه اسقفاً على حلب البطريرك بولس مسعد في ١٦ تموز ١٨٨٥

(برنامج اخوية القديس مارون ص ٢١٤ وما بعدها)

وبمناسبة هذه السيامة قال جرمانوس الشمالي :

هي الشهباء في وجد مقيم ... تراعي حذق راعيها الحكيم
نراه فوق منبره كآسي ... يداوي النفس من مضض الكلوم
وديع كالحمام وفي خطاب ... له لفظ ارق من النسيم
يروم سلامة الابناء طرّاً ... ويبدي لهفة الام الرؤوم
بصافي عقله يحاور القضايا ... ويقضي منصفاً بين الخصوم

(نظم اللآلي ص ١٣١–١٣٢)

اليك ما كتبت جريدة التقدم البيروتية :

« لم نعجب من اهتمام اهل الشهباء عموماً والطائفة المارونية خصوصاً بامر انتخاب مطران لهذه الطائفة وسرورهم جميعاً بميل الاكثرية الى الخوري يوسف العلم فانه قدم الى هذه المدينة معتمداً بطريركياً والكلمة مختلفة متباينة الآراء فازال الاختلاف حتى مالت اليه القلوب واستبشرت الطوائف المسيحية بانتخابه مطراناً للموارنة يعلي في الشهباء مقامهم ويؤلف بينهم وبين سائر الناس فاجتمع له في الانتخاب ستة وثلاثون رأياً وكان المنتخبون اربعون – والمأمول ان يعود حضرة الفاضل العلم مطراناً على الطائفة المارونية » .

(التقدم ١٨٨٣ في ٢٧ ك ٢ عدد ١٠)

– وجاء عن جريدة روضة الاسكندرية تحت عنوان : « رد الجواب على رسائل الانتخاب » مقال غايته فسخ انتخاب الخوري يوسف العلم ! ١٨ آذار ١٨٨٣

— فلا حول ولا قوة الا بالله !

وجاء في جريدة لسان الحال (عدد ٤٧٨) :

« باجى واجج طالع ميمون ورد البريد حاملاً المراسيم والرسائل البهية من جانب غبطة بطريرك الطائفة المارونية الكلي الشرف والطوبى الى حضرة الاب الجليل الفاضل القس لويس حكيم بلنه جا الوكالة الجليلة على الطائفة المشار اليها في هذا الجانب . فاستبشرت بورودها الخواطر . . »

[١٨٨٥] وصل المطران بولس حكيم الماروني الى الاسكندرونة وركب العربة الى بيلان وقرب الى حلب بكرة ٢٤ آب . ولقيه بين الاعيان والرؤساء رئيس جند البلدية وامير اصطبل جميل باشا يقود فرساً لركوب الحبر القادم فركبه ودخل البلد في موكب بهيج وقرعت الاجراس فولج الكنيسة والقى خطبة الدعاء للحبر الاعظم وللبطريرك وللسلطان وللوالي واحتفل بتذكار الحبر المرحوم يوسف مطر سالفه . (المصباح عدد ٥٨٣)

وكانت الابرشية الحلبية المارونية محرومة من اسقفها مدة ثلاث سنوات لاسباب دل عليها ما جاء في الصحف آنذاك وهو سعاية بعضهم في الوصول الى الرئاسة. وان في الكلام عن ذلك افادة تزيد اعتبارنا لحكمة الانظمة الكنائسية التي تعهد الى الحبر الاعظم بتعيين مطران الابرشية مباشرة دفعاً للخصام والانشقاق في الطائفة .

— وفيها في ٢٧ ك ١ توفي انطون صقال الشاعر مولده في حلب ١٨٢٤ . درس في مدرسة عين ورقة في لبنان واتقن بها العربية والسريانية . اقام مدة في مالطة يصحح الكتب العربية له كتاب ربط فيه كثيراً من الاغاني بالنوط.
(حمصي : ادباء حلب ٦)

ومن المعروف ان آل صقال ومنهم المحامي البارع فتح الله صقال منشئ مشاريع « الكلمة » والمتعهد بامورها في حلب كانوا من الطائفة المارونية ثم تضت الظروف بان يتحولوا منها الى الطائفة اللاتينية .

[١٨٨٧] — ١٤ شباط — مثل تلامذة مدرسة الموارنة رواية افيجيني واستغرق التمثيل خمس ساعات لا غير. والرواية من قلم الاب اوغسطين عازار.
(المصباح عدد ٦٩١)

.. ٢٩ ك ١ – المطران بولس حكيم ورفيقه الاب انطون دياب شخصا امام لاوون ١٣ في رومة بعية الوفد الماروني الذي زار الحبر الاعظم مقدما له تهنيات وهدايا الطائفة المارونية بمناسبة يوبيله الكهنوتي . (البشير ٩١١)

[١٨٨٨] في ١٩ شباط توفي القس اوغسطينوس عازار الماروني عن ٣٦ عاماً وكان شاعراً .

٢٥ شباط نعي من رومة المطران بولس حكيم الماروني عن احدى وسبعين سنة بالوافدة الصدرية ودفن في لحد المطران امبروسيوس نطين .

٤ ايلول مات جبرائيل سليمان للثانية والستين من عمره وقد اوصى من ماله بقطعة ارض في محلة العزيزية واربعمائة ليرة تنفق على عمارها لسكنى مساكين الطائفة المارونية وثلثمائة ليرة تبذل في سبيل البر عن نفسه (المصباح ٥٣٨)

٢٠ آب – صار في الكاتدرائية المارونية انتخاب المطران الجديد بامر البطريرك بولس مسعد فتفرقت الاصوات على الاسماء التالية للكهنه :

١° ارسانيوس دياب (١٠٣ اصوات)
٢° انطونيوس معوض (١٩ صوتاً)
٣° نقلاوس كيلون (٥ اصوات)

وفي اليوم التالي ارسلت نتيجة الانتخاب الى البطريرك موقعة باسماء الكهنة والشعب . فلم يقبل غبطته ذلك الانتخاب وطلب الوكيل الاسقفي الخوري جرجس منش الحضور اليه . فسافر الخوري المذكور. ولم يرق ذلك بعين بعضهم فاستغاثوا برومة. وبعد ان سافر الخوري جرجس منش وقطع شوطاً من الطريق عاد الى حلب وتأجل تعيين المطران الجديد .

[١٨٩٠] – ١٢ تموز – زار المطران الياس الحويك الماروني في ليفورنة الاسرة المارونية (المركيزية) من آل كبه الحلبيين فتبرعت على يده بثمانية آلاف فرنك للمدرسة المارونية في رومة .

(ب ١٠٢٩ : راجع ما كتبناه سابقاً سنة ١٨٣١ عن آل كوبا)

وجاء في مجلة المشرق في مقال للقس بولس القسطاوي عن الموارنة في ليفورنه (١٩٠٦ ص ٩٢٨) :

« وهنا في ليڤرنو يوجد عائلة مارونية كريمة الاصل ثريه عيه بالمال والاملاك وحامية بالمبادي الدينية الصحيحة هي اسرة كوبه الحلبية المارونية المعروفة هنا بالمركيز دي غنطوز كوبا فهذه قد بلغتها اسباب الاتجار من حلب الى الهند فالى مدينة ليڤرنو مقاماً عالياً بثروة كبيرة حافظت عليها وزادتها واتصلت بالزواج باشراف ايطاليه العظام. ولم تزل مع ذلك محافظة على جنسيتها المارونية والعثمانية ولها التفات كبير الى الطائفة المارونية وقد امدتها في ظروف شتى بمساعدات واحسانات كثيرة».

[١٨٩١] في ٣ تموز رسم المطران يوسف نجم في لبنان القس بولس عصفور والقس يوسف دياب على هيكل القديس ايليا في مدينة حلب

— تأسست في هذه السنة تحت رعاية السادة الاساقفة جمعية التعليم المسيحي في حلب بمسعى الايكونوموس باسيل شماع والابوين هنري اليسوعي وبولس بليط الارمني.

وفيها فُتحت للصلاة كنيسة مار الياس المارونية الكاتدرائية . ولم يرصف صحنها بالبلاط . (غزي ٣ : ٤٨٠)

[١٨٩٢] — ٢٤ تموز — جاء حلب الأبوان فرنسيس الشمالي وبولس نجيم المارونيان واخذا بالقاء عظات الرياضة صباحاً على الكهنة ومساء على الشعب .

— ١٥ آب — اخذ الاب بولس الكلداني بعمار غرفة السكرستيا وغيرها في دائرة كنيسته في حي العزيزية .

— ٦ و٧ ايلول — جرى انتخاب ثلاثة من الكهنة لعرض اسمائهم على البطريرك الماروني ليختار منهم اسقفاً على حلب فنال الاب ارسانيوس دياب ٤٤ صوتاً والاب بولس غالي ٢٦ والاب كيل الفرنسيسكاني ٣٩ .

— ٢١ ايلول — سافر سليم اخرس ليدرس اللاهوت في بيروت عند المطران يوسف الدبس في معهد الحكمة .

— ٧ ك ١ — (روت البشير عدد ١٠٥٠) عن جريدة الفرات عدد ١١٨٤ :

« اطلعت مديرية المعارف على ان المطبعة التي فتحت باسم الطائفة المارونية في محلة الصليبة في حلب يطبع فيها كثير من الكتب والرسائل المتنوعة بدون رخصة رسمية وقد فحصت ادارة البوليس على محل هذه المطبعة فاظهرتها واغلقتها والمادة جارية في الحالة الحاضرة على صاحبها » .

وان هذه المطبعة كان قد اتى بها الى حلب المطران يوسف مطر سنة ١٨٥٦ وهي من اوليات المطابع العربية في العالم . ولم يصدر منهـا رسالة او كتاب مخل بالقوانين .

« نسترحم العفو عنها قريباً نظراً لصدقها واستثارها بخدمة الحكومة السنية » .

على ايام المطران جرمانوس الشمالي

١٨٩٥ - ١٨٩٢

[١٨٩٢] — ٢٦ ك ١ — جـاء في كتاب «برنامج اخوية مار مارون» ليوسف خطار غانم ص ٢٢٨ :

لما ترملت ابرشية حلب دعا المطوب الذكر البطريرك يوحنا الحاج الى دير سيدة بكركي فرنسيس الشمالي ولما فاتحه بامر تسقيفه انطرح على اقدامه قائلاً: يا ابتاه فلتعبر عني هذه الكأس فقال له البطريرك قد التمسها اكبر منك ولم يستجب طلبه ; هل انت طلبت هذا المقام ؟ هل طلبه لك احد الاعيـان ؟ — انت اعلم يا سيدي — اذن هو تدبير الروح القدس فعليك بالاذعان .

ثم سأله كم سنة قضيتها بالرسالة ؟ اجاب نحو ثلاثين سنة . قال بذلت من حياتك معظمها في سبيل الله فهل تريد ان تضنّ عليه باليسير الباقي منها ؟ فاذعن.

وفي اليوم التالي الموافق عيد الميلاد احتفل البطريرك المشار اليه بتسقيفه وسماه باسم جرمانوس تيمناً بذكرى جرمانوس فرحات وحوشب ونحوا سلفائه .

ولم يكن حلبياً . فجاء تعيينه على حلب مخالفاً لما كان الحلبيون يتوقعونه طبقاً لما الفوه في ان يكون مطرانهم من بلدتهم ولكن ما عرفوه عن سابق حياة الشمالي واعماله حببه اليهم .فهو ربيب اسرة مارونية عريقة بالقدم وشجت اصولها في سهيلة احدى قرى كسروان في جبل لبنان فنشأ في جو الحرية المسيحية الصافي وتعلم على الآباء اليسوعيين في عينطورة واكمل دروسه الكهنوتيـة في مدرسة مار عبدا هرهريا وعلّم فيها وانتظم في سلك جمعية المرسلين اللبنانيين في دير الكريم وعمل بالتأليف والوعظ واشتغل في القرى وفي المدن وكان وكيلاً لابرشية بيروت سنة ١٨٨٧ ومرسلاً بطريركياً الى القطر المصري ١٨٩٠ فتعرف

الى الرعايا والى كنائسها وادرك احتياجاتها واختبر الشدائد التي حلت في البلاد على ايام السلطان عبد الحميد في الشمال السوري وفي مذابح الارمن وتفطن الى ما كانت الظروف السياسية امارة به فلم يدخل مدينة حلب بظاهر العظمة كما هو شأن مطارينها عند قدومهم اليها بل جاءها على غفلة ودخل الكنيسة وصلى ودعا الشعب الى الاجتماع فوعظهم وسار من ثم الى دار الاسقفية فرفعت اليه التهاني وتلا الاب بولس عصفور والسيد جرجي ميخائيل عبديني قصيدتين.

(١٨ ك ٢ ب ١٠٥٩)

يذكر صاحب هذا المقال زيارة الشمالي الرعائية الى بيت رزق الله توتل في حي الصليبة. جمع الاولاد حوله وصار يسألهم الاسئلة في التعليم المسيحي ويوصي الاهلين بواجب العناية بتلقينهم افعال الايمان والرجاء والمحبة وترك لهم صورته.

ولا بد انه كان يتصرف مع سائر الناس بهذه الطريقة البسيطة الآخذة بقلب كل انسان باعتبار عمره ومقامه وكان المطران جرمانوس الشمالي معلم العربية سابقاً وقد قبض على ناصيتها شعراً ونثراً ولم يفته ما للقريض من اثر في النفوس اذا ما جاء في وقته. فنظم الشعر لاكتساب قلوب الحكام وللترفيه عن هموم ابنائه في احزانهم او للاشتراك معهم في افراحهم. وهذا ديوان شعره المعنون «نظم اللآلي للحبر الشمالي». نشره القس نيقولاوس كيلون في المطبعة المارونية سنة ١٨٩٥ ترجمان لتلك المواهب الفريدة التي تمتع بها المطران الشاعر فاستخدمها للقيام بوظيفته حق القيام وسنقطف من هذه المجاني زهوراً يعطر اريجها اياماً كانت فيها الديار الحلبية تتشوق الى نسيم يأتيها من اعالي لبنان وقد طالما نظرت اليه موئلاً في ساعات الضيقة ولم تبعده عنها منذ ان امه كبار اتقياء الحلبيين من عهد يوحنا فم الذهب ومار مارون الى عهد حواء وقراألي والصائغ وفرحات.

— ٢٣ نيسان — دعا الحاج عثمان نوري باشا والي حلب المطارين والقناصل والاعيان لعرس ابنته مع محمود بك فقرأ المطران جرمانوس الشمالي قصيدة في التهاني جاء فيها :

لقد عقد الزفاف لنيرين يضم كليها برج اللجين
لمحمود الرضا لياء لاقت ولاق لها كعقد الدرتين

و ... كان الدعاء عبر عرس ... يمد من ... [illegible]
... مفيد عوزحيه وداع اقتران الفرقدين

(١٨٩٣ — ١٣١٠)

(الشالي : نظم اللآلي ص ١٥١).

وهذه الاشعار وامثالها مما نرويه في زمانه كانت تساعد على تأمين السلام الاهلين ايام كانت الفتن مشتعلة نارها في مرعش وعينتاب وغيرها من البلاد المجاورة لحلب .

ويرتاح لها رجال الخير والادباء المسلمون الحلبيون الذين راعوا حقوق الجوار المقدسة مع مواطنيهم المسيحيين واغتنموا كل فرصة سانحة لربط العلاقات الودية معهم وكان قدوم المطران الشالي الشاعر الى حلب مدعاة الى التعارف والتآلف ليس مع الحكام والباشاوات فقط ولكن مع رجال العلم والادب ايضاً فيتبادل مع عطا افندي المدرس الشعر كما يلي :

لله شهم نبيل قد كانت به ... حلو الشمائل ارضيه ويرضيني
مدرس في رياض العلم نزهته ... يجني الفوائد من غض الافانين
آنست من لطفه انساً يؤملني ... تواصل الحب حتى يوم تكفيني
هيهات تكفي عطايا الناس بعضهم ... اما انا فعطاء الله يكفيني

ويجيب المدرس على المطران :

رئيس طائفة المارون في حلب ... جم النضائل ذو حلم وتهذيب
اخلاقه حسنت والنفس منه حلت ... ولم يزل بالوفا والود يوليني
قد يلفظ الدر ان بالنثر فاه وان ... يفه بشعر فعن سحبان يرويني
ارى محبته في القلب ثابتة ... كأن مبداها من يوم تكويني
لا لا اقابل ايناً له سلفت ... هيهات قد حاز سبقاً في الميادين

(الشالي : نظم اللآلي ص ١٦٠)

[١٨٩٤] قدم الى حلب الوالي الجديد حسن باشا وكان ترجمانه انطون خياط .

واغتنم المطران جرمانوس الشالي من قدوم حسن باشا الوالي الجديد فرصة لنظم قصيدة مدحه فيها ومدح السلطان عبد الحميد فجاء كلامه عن الماضي تشجيعاً لما يرجى منه بالمستقبل . قال عن حسن باشا :

يرعى بعين الرضى من احسنوا عملا ... ومن تشكى بعين الحلم يرعاه

— وعن عبد الحميد :

احيا المدارس في العصر الجديد وقد ... كانت دوارس في الشهباء لولاه
لذاك اضحت غمار العلم ناضجةً ... من كل غرس غنٍ في ظل علياه

(الشالي : نظم اللآلي ص ١٦٣)

— وفيها كان المطران جرمانوس الشالي يبذل همة فائقة في احياء الاخويات ويساعده في الوعظ الاب ارسانيوس دياب . (ب ٢١٣٢)

— وفيها اخذوا ببناء السور تحويطة المقابر المسيحية والف المطران جرمانوس الشالي لابوابها التواريخ لتنقش على رتجها[1] :

هذا مكان مودعي الدنيا بما ... فيها وقد تركوا القصور الفاخره
في بابه المرفوع تاريخ له ... منه الدخول الى الديار الآخرة

يا من يمر على الرموس تأملاً ... كم غيبت ممن سموا بمكارم

ثم اسأل المولى ازاحتهم كما ... يرجو المؤرخ منه غيث مراحم

نفوس الراقدين على رجاه ... لها الاخدار في دار السلامه
وهذا منزل الاجساد ارخ ... بتربتها الى يوم القيامة

مسيحيو بني الشهباء جادوا ... وشادوا حصن مقبرة مؤبد
لمن رقدوا طويلاً ارخوه ... بقي بنيانه الذكر المخلد

(الشالي : نظم اللآلي ص ٢٠٠-٢٠١)

— وفي هذه السنة وجهت الرتبة الرابعة الى فترتلو ميخائيل افندي توتل من اعيان حلب لحسن خدمته للحكومة السنية . (ب ١١٢٧)

[١٤٩٥] — ٢٠ ك ٢ — وصل الى حلب المطران افرام الرحماني عن طريق اوروفا . استقبل الزوار في حديقة « الفرخة » لجرجي خياط .

---

١) ومن المعلوم ان هذه المقابر نقلت فيما بعد الى جبل السيدة (الشيخ مقصود) وفككت اسوارها وباد اثرها .

وقال جرمانوس الشمالي عند اقامة المطران افرام الرحماني اسقفاً على السريان في حلب :

« اني راعي الخراف فيذوها ومن يبغ السلامة يخدمه
فاضحت بيعة السريان تزهو بافرام الفتى ربي ادمه »
(ديوان ص ١٣٤)

— توفي الخوري يوسف اسلامبولية عن٧٣عاماً كان من اوائل اكليريكي الشرفة .

— القى المطران جرمانوس الشمالي عظات الرياضة على كهنة السريان .
(ب ١١٧٦)

— صدرت الارادة السنية مرخصةً لراهبات القديس يوسف الظهور بانشاء مستشفى في حلب .
(ب ١١٨٣)

جاء في برنامج الخوية مار مارون ليوسف خطار غانم ص ٢٣٠) :

« بينما كان المطران جرمانوس الشمالي يعظ ذات يوم في الكنيسة شعر بقوة اصابت فكه الايسر مع شلل في القلب فحمل الى غرفته ولزم فراشه وحكم الاطباء بتغيير الهواء فعاد الى لبنان ترويحاً للنفس وكان قد نظم في مديح الحلبيين شعرًا يوم زارهم ثم ابتعد عنهم في ١٨٩٣ ولهذا الشعر وقعه الجميل اليوم والمطران يودع ابرشيته الوداع الذي ليس من بعده تلاق .

نسيم الصبح خذ اذكى تحية من النائين عن حلب البهية
وبلغ آلها منا ثناء يحاكي طيب نفحتها الذكية
اقمنا بينهم [زمناً] سعيداً فانسانا الربوع الوالدية
معابدها تمثل فلك نوح تقيم ضد طوفان البلية
تغص بكثرة العباد فيها يصلون الغداة وفي العشية
يغيثون الفقير وكل راج يبذل من اكفهم الندية »

[١٨٩٥] — ٨ ك ١ — اقام المطران جرمانوس الشمالي للمرة الاخيرة ذبيحة القداس في دير سيدة بكركي يوم عيد الحبل بلا دنس . ثم قصد الى بيروت وما ان وصل الى جونية الا ودعاه الداعي فمات عن سكتة قلبية وكان في « منزل باريس » .

فتحقق ما كان سبق وقاله عن نفسه : « اننا لا نموت الا مسافرين » ونقل الى سهيلة مسقط رأسه .

وكان في ساعة نزاعه يدعو لابرشيته الدعاء الصميم.

ونعي الى الطائفة المارونية في حلب .

— ١٥ ك ١ الاحد — اقيمت حفلة الجناز في الكاتدرائية المارونية في حلب من اجل راحة نفس المطران جرمانوس الشمالي فابنه المطران افرام الرحماني السرياني وقام بخدمة القداس جوق المرتلين من مدرسة الآباء اليسوعيين .

وعرف بحسن سياسته وازالة التنافر بين الناس وفي تقريب الآراء والعواطف وله في ذلك الاقوال المأثورة :

ومن شعره الى سيدة السلام :

« سمعت من العذول بكل نادٍ علامَ انت تنفخ في رماد
تملَّ فلا حياة لمن تنادي ولا تجري السيول على الجماد
فجمع الشمل عاد من المحال

فقلت اذا تعاظمت الخطوب وضاقت عن تحملها القلوب
سيأتي حدها فرج قريب بيدد عن شموس لا يغيب
ضبابًا لم يبدده الشمالي »

وهناك سلسلة شعرية بالحساب الجمل تركها المطران جرمانوس الشمالي فنشرت في ديوانه في المطبعة المارونية في حلب ونقشت على الحجر في الكنائس والمعاهد في لبنان مذكرةً اللبنانيين بمطران حلب خلف حواء وترالي وفرحات ورامية بابصار الحلبيين الى ما وراء الجبال غربًا تعلمهم انهم يمتون الى ديار مار مارون قربى بالدين والثقافة اذا ما قرأوا تواريخ جرمانوس الشمالي على الابنية التالية :

تاريخ المطران يوسف الدبس بالحساب

في السنة

١٨٢٢	بناية كنيسة مار جرجس في دير الحرف
١٨٢٨	« « مار عبدا في السهيلة
١٨٣٣	« « القديس اشعيا في قرطاضة
١٨٣٧	تجديد كنيسة مار الياس في فالوغا
١٨٤٧	بناية كنيسة السيدة في فالوغا
١٨٤٩	« « مار يوسف في كفرسلوان
١٨٥١	« « السيدة في بمريات
١٨٥٥	« « مار جرجس في اهدن
١٨٥٥	« « مار ميخائيل الفتوح
١٨٦٣	تجديد مقام القديس سمعان في عجلتون
١٨٦٤	تجديد رسالة دير الكريم
١٨٦٤	بناية كنيسة مار يعقوب دليتا
١٨٦٥	« « مار يوسف جزين بنفقة المطران يوسف رزق
١٨٦٥	« « السيدة في وطا الجوز
١٨٦٨	« مدرسة ريفون
١٨٧٠	« كنيسة مار مارون في جزين
١٨٧٣	« « مار مارون في بيروت
١٨٧٣	« « سيدة صربين التي انشأها الخوري يوسف حاتم آصاف
١٨٧٣	« مدرسة الحكمة في بيروت
١٨٧٣	« كنيسة سيدة عشقوت
١٨٧٥	« « مار عبدا في بكفيا
١٨٧٧	« « سيدة التين التي اهتم بها عقل شديد
١٨٧٩	« « مار ميخائيل في دياق بنفقة ميخائيل دوناتو
١٨٨٠	« « مار جرجس في معلقة زحلة
١٨٨٣	« مدرسة بتدين من بناء المطران بطرس البستاني
١٨٨٣	« سيدة النجاة القصيبة
١٨٨٤	تجديد دير الناعمة من الاب اغناطيوس شكري

١٨٨٥	بناية كنيسة بعلبك
١٨٨٥	مقام الرسولين بطرس وبولس في عشقوت
١٨٨٦	بناية كنيسة سيدة الثوب في حيفا
١٨٨٨	تصليح كنيسة المشوشة
١٨٨٩	بناية كنيسة مرقورا في كفرزينا
١٨٩٣	« « السيدة في مزرعة حراش .
١٨٩٣	تجديد بناء دير بكركي

[١٨٩٣] على رسم المطران جرمانوس :

ذكر به يرجو الدعاء مؤبداً — جرمانوس الحبر الحقير الصاحب
لم يبقَ غير الرسم من وهن القوى — والروح مني لا محالة ذاهب
فاذاكم الشهباء في تاريخه — تحديكم رسمي لاني غائب

على ايام المطران يوسف دياب

١٨٩٦ - ١٩١٢

ولد يوسف دياب في ١٢ تموز ١٨٤٩ سامه كاهناً المطران يوسف مطر باسم ربانيوس في ١٧ تشرين الثاني ١٨٧٥ واسقفاً البطريرك يوحنا الحاج في ٢٢ آذار ١٨٩٦ في بكركي وسماه يوسف . عني باصلاح المطبعة المارونية وتحسين احوال الوقف وفرش الكنيسة بالبلاط الاصفر وعني باقامة المذبح الكبير في الكنيسة وضرب عليه قبة من حجر على عواميد جميلة تشبه قبة مذبح كنيسة مار بطرس الكبرى في رومة وعهد الى المعلم الياس سبع المعار بنقش تماثيل الانجيليين الاربعة على اطرافها وتمثال المصلوب في اعلاها .

وعني القس جرجس منش بجمع ما تلي من المدائح اكراماً لسيادته في كتاب « شذور الذهب »

وجاء في دفتر وقائع دير الآباء اليسوعيين :

[١٨٩٦] — ٢٠ نيسان — قدم المطران يوسف دياب الى حلب نحو الساعة ١٠،١٥ دخلها في موكب من عربات وفرسان . عند السبيل ازداد عدد الملاقين. وارسل المطارين وفداً ينوب عنهم في الملاقاة . وعند بوابة يعقوب بك سار

المطران في الكنيسة بين الجماهير . وارسل المطران كيرلس جحا موسيقى مدرسة القديس نيقولاوس فعزفت بالنشيد البابوي. والقى المطران الجديد خطاباً في الكنيسة وعد فيه بانه يسير على مثال من سبقه كالمطران يوسف مطر والمطران جرمانوس الشالي وقال انه سيم مطراناً لا للراحة ولكن لخدمة رعيته الروحية والزمنية .

وفيها في ١٢ آب توفي فجأةً القس انطونيوس معوض الماروني مرشد الاخوية سابقاً .

—١ ت ٢ الاحد — رفع المطران يوسف دياب الى درجة برديوط الكاهنين الاب كيلون والاب اسطفان .

[١٨٩٨] — ١٢ تموز — سافر المطران يوسف دياب الى اكبس ليمنح سر التثبيت للموارنة واللاتين هناك .

— ١٥ ك ١ — سام المطران يوسف دياب الشماس سليم اخرس تلميذ مدرسة الحكمة في بيروت وسماه ميخائيل .. وكان قد اقام ثلاثة ايام في دير الآباء اليسوعيين بالرياضة الروحية وكان مرشده الاب ديلمان اليسوعي .

[١٨٩٩] — ٢٣ ك٢ — جناز البطريرك الماروني يوحنا الحاج في الكاتدرائية المارونية احتفل بالقداس الخوري الياس مسابكي أبنه المطران كيرلس جحا والورتبيت يوحنا بليط . (ب ١٣٦٩)

[١٩٠٠] تعين امضوية مجلس المعارف باسيل انطاكي ويوسف اسود من اعضاء مجلس ادارة الولاية . (ب ١٥٤٦)

— احسن السلطان بالنيشان المجيدي الثاني الى المطران يوسف دياب .

— وفاة حبيب اخرس . اجرى له الطبيب الطونيان عملية جراحية لم تنجح كان في طلعة مهنته . (ب ١٥٤٢)

— ٢٤ ت ١ — وفاة انطون اسود عن ٦٧ عاماً . كانوا يرونه يعود من عمله يومياً فيزور الكنيسة زيارة طويلة . (ب ١٥٦٦)

وهو والد الاب نقولا اسود الفرنسيسكاني الماروني « رسول نابولي »

— بمناسبة تذكار المولد الهمايوني افرج عن ١٧ سجيناً اتموا ثلثي مدتهم . (ب ١٥٧٠)

— ٢ ت ٢ — قدم الى حلب الاب كنيدر الكبوشي .

[١٩٠٤] — ١٠ ايلول — وفاة رزق الله توتل عن ٦٥ عاماً . وهو والد محرر هذه الاخبار . اقام مدة في خرطوم السودان — عمل في كارك الاسكندرون تزوج من ميليا نعمة الله سالم كان عضواً مختاراً في محكمة استئناف الجزاء في حلب . كان مثالاً للصبر وللتسليم للعناية الالهية في مرضه الاخير .

(ب ١٦٦٧)

— ١١ ايلول — سافر من حلب الى فريبورغ سويسرا الاب اغناطيوس ماريا اخرس الفرنسيسكاني بعد ان تضى خمسين يوماً بين آله . (ب ١٦٦٦)

— ١٣ ايلول — جاء الاخوة المساريست الى حلب وتسلموا ادارة مدرسة الارمن الكاثوليك .

[١٩٠٨] — ٣٠ ايار — قدم الى حلب المطران يوحنا مراد الماروني ونزل ضيفاً على المطران يوسف دياب . (ب ١٨٦٢)

— اهدى الحبر الاعظم بيوس العاشر وسام القديس غريغوريوس الكبير من من درجة كومندور الى ناظم باشا والى والي حلب وصدرت الارادة السنية لدولته بقبوله وتعليقه . (ب ١٨٦٣)

— قدم الى حلب الاب اغناطيوس اخرس الفرنسيي استاذ اللاهوت النظري في فريبورغ . (ب ١٨٧٠)

[١٩١٢] — ١ ت ١ — وفاة المطران يوسف دياب الماروني. (ب ١٨٩٦)

على ايام المطران ميخائيل اخرس

١٩١٣ - ١٩٤٥

[١٩١٣] في ١٢ ك ٢ اقام المطران يوسف اسطفان رئيس مدرسة عين ورقة والنائب البطريركي الماروني في حلب قداساً منح في نيابته سر التثبيت لمئتين واربع انفس .

— ١٢ شباط — دعي ٧٢ من ابناء الطائفة المارونية في حلب من الاكليروس

واعوا لانتخاب اسقفاً لهم حسب تقاليد الطائفة خلف المطران يوسف دياب فبي الدعوة منهم ٥٤ اي من وصلتهم رقعة الدعوة بوقتها . اما بقية المدعوين الذين اخذوا رقعة الدعوة بعد الوقت المعين فقد رفعوا عريضة الى المقام البطريركي مصادقين على انتخاب الاشخاص الذين حازوا اكثرية الاصوات وهم الاب نقولا انطون اسود الفرنسيسكاني وسيادة المطران يوسف صقر والخوري مخائيل الاخرس.

— ٨ آذار السبت — احتفل في بكركي البطريرك الياس بطرس الحويك بمعاونة ثمانية مطارين من الموارنة والمطران باسيليوس قندلفت السرياني بتسقيف مطران ابرشية حلب الجديد السيد مخائيل اخرس .

— ١٣ آذار — قدم المطران ميخائيل اخرس مع قطار بيروت فجرى له استقبال رائع في حلب .

— وكان للمطران ميخائيل اخرس الفضل في بناية كنيسة سيدة مونليجون للعمال في حي الحميدية وقد تكبد مشقات جسيمة في جمع الحسنات للقيام بهذا المشروع . سمعناه مراراً يصف رحلته الى فرنسة في هذا السبيل . قال: في سنة ١٩١٠سافرت الى اوروبة وزرت بيوس العاشر وانا مزود بكتاب من البطريرك الماروني يبارك فيه مساعي . ووصلت الى فرنسا على امل ان اجد تلبية طلبي ولكن لا ادري لاي سبب ظنوا بي الظنون فسجنت في ابيتال الى ان ظهرت براءتي . وكان المؤمنون قد علموا بامري فرحبوا بي عند خروجي من المحكمة واقت الذبيحة الالهية امامهم في الكاتدرائية وكنت صائماً من ٣٨ ساعة وعدت الى حلب وما مضت عليّ ثلاثة اسابيع الا وقد وصلتني ستة آلاف فرنك (٣٠٠ ليرة افرنسية ذهب) فاخذت ببناء الكنيسة .

[١٩١٤] — ٧ حزيران — دشن المطران ميخائيل اخرس الماروني كنيسة سيدة مونليجون في الحميدية . وفي هذه السنة جدد بناء قبة الكاتدرائية المارونية وغطاها بالملط المسلح وكان العامل فيها احد البنائين البلجيكيين وهو الذي بنى بالملاط المسلح جسر «القبة» عند بستان التاقي ودعي بالقبة لان الذي بناه كان قد بنى غطاء القبة المذكورة اعلاه. وشاع من ثم استعمال الملاط المسلح في حلب وكان غير معروف فيها من قبل .

[١٩١٥] ابعدت الحكومة من حلب تبعة الدول الحلفاء من المرسلين الكاثوليك وغيرهم . ولم يبقَ من اليسوعيين في حلب الا الابوان زورشيتن (سويسراني) ومنصور البستاني واخرجا من ديرهما حيث حط العسكر فيه وفي الكنيسة. ونزل الابوان ضيفين عند المطران ميخائيل اخرس الماروني واخذت المجاعة تنتشر في لبنان. اما في حلب فالقمح موجود لكن الحكارون يحفظونه للسوق السوداء .

[١٩١٦] — ١٤ ك ١ مات في حلب في مستشفى راهبات المحبة الاب منصور البستاني اليسوعي الماروني ضحية تفانيه في خدمة المرضى بالتيفوس . دفنوه بحفلة بسيطة نسبة للظروف ولكن اقام له المطران ميخائيل اخرس في الكاتدرائية جنازًا حافلًا واتبنه احد الكهنة وقال انه مات شهيد غيرته الرسولية .

ولم يبقَ في حلب من الآباء اليسوعيين الا الاب زورشيتن .

[١٨١٧] — ٢٥ آذار — توجه الاب نعمة الله مبارك من لبنان الى حلب اثناء الحرب الكبرى الاولى ، حاملًا معه كمية من المصاغ والنذور ليبيعها ويشتري بثمنها حنطة يوزعها على الفقراء . ويستدين كمية اخرى من المال. لما وصل الى حلب كان بانتظاره في المحطة اسكندر شقيق المطران اخرس. ونزل في القلاية المارونية وكان المطران ميخائيل اخرس سابقًا في مدرسة الحكمة تلميذًا للاب نعمة الله فساعده بهمته وطلب اليه القاء عظات الرياضة على الاكليروس وكان بينهم نيقولاوس القاضي مطران حوران الملكي في حلب .

وفي خلال هذه المدة باع الاب نعمة الله المصاغ بثمانين ليرة عثمانية ذهبًا واستدان من آل اخرس ٦٠٠ ليره ورق تركي ولما وجد اسعار الحنطة في زحلة كما في حلب عاد الى زحلة واشترى ستة قناطير حنطة بثلاث مائة ليرة تركية وحملها الى الساحل للفقراء باسم البطريرك الماروني . (المنارة ٣٠ عدد ١١ و١٢ ص ٤٤٦ وما بعدها)

[١٩٢٦] — ١ آب — القى المطران ميخائيل اخرس الماروني خطابًا بمناسبة « حوادث القوشقجي » قال فيه :

« لقد قام اعداء الدين في حلب ينتحلون لنفسهم اسمًا يتبرأ من اعمالهم واخذوا يذرون الرماد في عيون البسطاء ويصورون لهم ان الرؤساء وجماعة الاكليروس هم اعداء الانسانية ويحرضونهم على اضطهاد الاكليروس تحت اسم عمل الخير ويذيعون النشرات العدائية بحجة انهم يؤسسون كنيسة كاثوليكية مستقلة » .

ورفع المطران ميخائيل اخرس الدعاء لاجل ازالة الحوادث المؤلمة في حلب.
(ب ٣٥٢٠)

— ١٠ ت ١ — كان موعد الاحتفال في رومة بتطويب الاخوة الثلثة فرنسيس وعبد المعطي وروفائيل مسابكي الذين استشهدوا في الشام مع ثمانية من رهبان مار فرنسيس في حادثة الستين. اقام المطران ميخائيل اخرس القداس الاحتفالي ووعظ الاب ابيلا اليسوعي. (ب ٣٥٤٣)

[١٩٢٩] — ١٧ آذار — دشن المطران ميخائيل اخرس الساعة في برج الكاتدرائية المارونية. وقرعت الساعة للمرة الاولى تحية للعذراء، والدة الاله. ونغمتها موقعة على لحن « سلام سلام لك يا مريم » (المجلة البطريركية ص ٢٧٩)

[١٩٣٠] — ١٣ ك٢ — وفاة الخوري اسقفي جرجس منش الماروني على اثر علة في القلب. خدم النفوس وخدم التاريخ الوطني واللغة العربية. عضو المجمع العلمي الدمشقي ورئيس ثان لجمعية عاديات حلب. من آثاره المطبوعة: تقويم المطبعة المارونية. الشارفه الشهيد في الرهبانية الفرنسيسية المعروفة بالثالثية. التحفة الادبية في المجامع المارونية. المستطرفات في حياة المطران جرمانوس فرحات. الحق القانوني عند الموارنة. تقاريظ المطران يوسف دياب في كتاب « شذور الذهب ». (ب ٤٣٠٩)

— ٢٨ ايار — قدم الى حلب المطرانان اغناطيوس مبارك ويوحنا الحاج المارونيان ليساعدا المطران ميخائيل اخرس في تدبير شؤون الطائفة.
(ب ٤٣٥٧)

— ٨ ت ٢ — رقى المطران ميخائيل اخرس الاب اغناطيوس سعد الى رتبة الخوري اسقفي. (المجلة البطريركية ٧)

[١٩٣٢] — ١٨ ايلول — نعي الى حلب الاب اغناطيوس اخرس الفرنسيسكاني شقيق المطران ميخائيل اخرس الماروني. كانت وفاته بحادث سيارة وهو في السفر لزيارة الاراضي المقدسة. وكان رحمه الله من المرسلين الغيور في بلاد المغرب شمالي افريقية. (ب ٤٦٦٦)

— ١ ت ٢ — اقام المطران ميخائيل اخرس قداساً لراحة نفس اخيه الاب اغناطيوس.

[١٩٣٤] — ٢٠ ايار الاحد — يوم فرحات . وعظ المطران اغناطيوس مبارك صباحاً في الكاتدرائية المارونية وازيح الستار عن تمثال فرحات بعد الظهر وحوله الاعلام البابارية والسورية والفرنساوية واللبنانية . وتصدر الحفلة رئيس الجمهورية محمد علي بك العابد والمطران عبد الله خوري ممثل البطريرك الماروني ورئيس الوزارة الشيخ تاج الدين الحسيني وجميع اساقفة الطوائف المسيحية وفريق من اعيان حلب ووفود لبنان . ومن الخطباء تكلم الخوراسقف اغناطيوس سعد رئيس لجنة الاحتفال والاستاذ لويس زياده والمطران اغناطيوس مبارك والاب شانتور اليسوعي والمطران ميخائيل اخرس واخيراً المطران عبد الله خوري ممثل البطريرك الماروني .

هذا يوم فرحات اشتركت فيه الطوائف جميعها ، اشارة الى ان المحتفى به كان للطوائف جميعها ، بل كان للشرق كله ولا يزال علماً للعربية أنى نطق بها شاعرٌ وعلم معلّم . (ب ٢٧٣١)

— نشرت مجلة الشهباء كتاب روائع اليوبيل المئوي الثاني لتخليد ذكرى فرحات.

[١٩٣٤] — ١٤ تموز — في صحف دمشق ان حكومة سورية منحت المطران ميخائيل اخرس الماروني وسام الاستحقاق السوري . (ب ٢٧٤٣)

— ٢٨ تموز — زار حلب المطران انطون عبد الماروني ومنها توجه الى انطاكية واللاذقية . (ب ٢٧٥٤)

— ١٤ ت ١ — دشن المطران ميخائيل اخرس كنيسة الموارنة في مقبرتهم في جبل السيدة . (ب ٢٨٠٧)

[١٩٣٦] — ٥ ت ١ — اقيم في الكاتدرائية المارونية بحلب الاحتفال باليوبيل المئوي الثاني للمجمع الماروني اللبناني المنعقد في دير اللويزة في لبنان سنة ١٩٣٦ . القى فيه الاب روفائيل نخله اليسوعي خطابا ممتعاً جاء فيه بذكر تاريخ الطائفة المارونية ونشأتها في دير مار مارون بقرب عين نهر العاصي بجوار قلعة المضيق وانتشارها في لبنان خاصةً وبيّن كيف انعقد المجمع اللبناني بأمر الكرسي الرسولي وما انتجه من الاعمال الخطيرة لحفظ الايمان الكاثوليكي وكانت من اثاره الرهبانيات ورهبانها ورجال الاكليروس العظام مصابيح القداسة والعلوم .

ونشرت المطبعة المارونية خطاب الاب نخله بكراس عدد صفحاته ٢٨ قطع ٨.
(عن مجلة الشهباء)

[١٩٣٧] — ٢١ نيسان غادر الشهباء الى بيروت وفد من الطائفة المارونية قوامه فتح الله ارسان واسكندر اخرس وعبد الله مظلوم وميشال رفيع برئاسة المطران ميخائيل اخرس لوداع البطريرك عريضة عند سفره الى اوروبا .
(ب ٥٣٠٦)

— ٤ ايار — زار المطران اغناطيوس مبارك حلب واجتمع باعيان المسلمين والقى محاضرة في النادي الكاثوليكي على رحلته الى باريس ممثلاً الشبيبة الكاثوليكية في حفلات يوبيلها . (ب ٥٣١٥)

[١٩٣٨] — ٣٠ ك ٢ — وصل الى حلب المطران اغناطيوس مبارك لاشغال لا تتعدى امور الطائفة المارونية . (ب ٥٤٢٧)

— ٢٩ ك ٢ — اقيمت في حلب حفلة تكريم للمطران ميخائيل اخرس راعي الطائفة المارونية بمناسبة مرور ٢٥ سنة على اسقفيته . ومن الهدايا التي قدمت له عصا ذات قبضة من ذهب ورسم زيتي .

— احتفلت الشهباء بالذكرى الثالثة لوفاة هنانو . خطب سعدالله الجابري وقال في قضية الاقليات :

« ان قضية الطوائف نحن لا ننكرها فمن يعالج داء يجب ان لا ينكره . وهذه القضية نريد ان نعالجها معالجة اساسية فلا ندع هذه الاقليات تتخوف من السير بجانبنا . واني ساعالج كل قضية تتعلق بشؤون الطوائف والاقليات لان هذه الشؤون تتصل باخوان ساعيش انا وانت معهم ان شئنا ام ابينا ويعيشون هم معنا جنباً الى جنب شاؤوا او ابوا » .
(ب ٦٥٦٨)

[١٩٤٠] — ٢١ ك ٢ — اقامت الطوائف الكاثوليكية في الكاتدرائية المارونية برئاسة المطارنة الصلاة من اجل اتحاد الكنائس . والقى الخوراسقف باسيل ايوب السرياني عظة في ذلك الموضوع . (ب ٦٠١٢)

— ١٦ شباط — بمناسبة عيد مار مارون اقام المطران ميخائيل اخرس الذبيحة الالهية من اجل الحلفاء . وتلا الاب جرجس مارديني خطاباً مناسباً للمقام.
(ب ٦٠٢٣)

حزيران زار حلب المطران انطون عبد اسقف طرابلس الماروني .

وفي هذا الشهر القى الخوري نعمة الله مبارك رئيس الرسالة اللبنانية عظات الرياضة على المطارنة والكهنة وعظةً على الشعب في كاتدرائية الروم الكاثوليك.

[١٩٤٢] توفي فتح الله اسود الماروني رئيس شعبتي مصرف لبنان وسورية في حماة ودير الزور وكان ممتازًا باخلاصه وتقواه. (غد ١٦٣٤)

[١٩٤٤] — ١٦ حزيران — علقوا على ابواب الكنائس اعلان الاب بولس كوفرور (Couvreur) رئيس دير الآباء الترابستي في المطرون والزائر الرسولي لابرشية حلب المارونية بوجوب اعيد الاب الياس غالي الى الحالة العلمانية. وحاول بعض الرعاع اغلاق الكنيسة المارونية تمردًا. وحضر المطران انطون عبد من طرابلس لمساعدة المطران ميخائيل اخرس في شؤون الطائفة.

— وفيها قبل الكرسي الرسولي استعفاء المطران ميخائيل اخرس من رئاسة ابرشية حلب. وسافر سيادته الى بكركي.

وقال عنه الاب روفائيل نخله في كتابه اربعة آلاف مثل رقم ١٦١٠ :

« انه كان يقيم القداس طول شهر تشرين الثاني في كنيسة القديس انطونيوس الكبير فتقاطر الى حضوره مئات المؤمنين لاسعاف النفوس المطهرية . ظل بعد سيامته الاسقفية ثابتًا على تلك العادة الحميدة بقدر الامكان ، بل كان يلقي مرارًا عديدة بعد الانجيل عظة مطابقة للظروف على الحاضرين بعد تلاوتهم السبحة وطلبة العذراء لراحة النفوس المطهرية . مع ان قداسه يبدأ حول الساعة الخامسة والنصف صباحًا . ومع شدة البرد والمطر في عدة ايام ، كانت الكنيسة غاصة بالمؤمنين . ذلك الاقبال العجيب قد حثه على بناء كنيسة اكبر من المذكورة ، وسماها باسم سيدة مونتليجون (Montligeon) فتجاوز فيها عدد حاضري قداسه خمسمئة وكثيرًا ما تقدم نحو ثلاثمئة وخمسين منهم كل يوم الى مائدة الخلاص » .

[١٩٤٧] — ٥ شباط — توفي المطران ميخائيل اخرس في بكركي ودفن في كنيستها طبقًا لارادته .

***

الى هنا ينتهي المجلد الرابع من « الوثائق » وهو جزءان يشتملان على الاخبار والوقائع في ايام المطارنة مَن حصلنا عنهم الآثار فنشرناها :

الياس الاهدني	١٦٣٨—١٦٥٩ ،
يوسف الحصروني	١٦٥٩—١٦٦٣ ،
جبرائيل البلوزاني	١٦٦٣—١٧٠٤

ميخائيل البلوزاني	١٧٢٤—١٧٠٤
جرمانوس فرحات	١٧٣٢—١٧٢٥
جبرائيل حوشب	١٧٦١—١٧٣٣
ارسانيوس شكري	١٧٨٦—١٧٦٢
جبرائيل كيدرن	١٨٠٣—١٧٨٧
جرمانوس حوا	١٨٢٧—١٨٠٤
بولس اروتين	١٨٥١—١٨٢٩
يوسف مطر	١٨٨٣—١٨٥١
بولس حكيم	١٨٨٨—١٨٨٥
جرمانوس الشمالي	١٨٩٥—١٨٩٣
يوسف دياب	١٩١٣—١٨٩٦
ميخائيل اخرس	١٩٤٥—١٩١٣

وان ما نشرناه من الإخبار والوقائع المارونية وما اليها تتفاوت مواده اهمية وكية طبقاً لما هو بين يدينا من المخطوطات الممكن نشرها لاننا وقفنا عند حدنا بالتفتيش في اضبارات المطارين المعاصرين الموجودة في خزانة المكتبة المارونية في حلب طبقاً للقوانين المرعية بالّا تنشر الوثائق الطائفية قبل مرور الزمان المضروب عليها . ومن ثم ترى ان ما جاء في كتابنا من ايام المطران بولس حكيم الى آخر عهد المطران ميخائيل اخرس لا يستغرق الا جزء ضئيلًا في اواخر الكتاب بالنسبة الى اوائله ولكن . . .

«ستبدي لك الايام ما كنت جاهلًا   ويأتيك بالاخبار من لم تزود»

وفي درس سوف يتناول الوثائق الخاصة بالملكيين وما اليهم ويومية نعوم البخاش من ١٨٤٠ الى ١٨٧٥ سوف تنشر، ان شاء الله غير ذلك من التعليقات وقد يزيدها قيمة كونها جرت في عصرنا فكتب عنها وكنا لها كشاهد عيان . اما وعدنا في مقدمة هذا الكتاب (١ ، ص ٧) بنشر «الرسالة فيما يتنع منه اهل الصليب» فقد ارجأنا تنفيذه الى وقت آخر .

وفي ذيل المجلد الثاني الذي يظهر على حدة جامعاً المقالات التي نشرت في المشرق عن الاخبار من سنة ١٨٢٩ الى ١٩٤٧ سوف يجد القراء لائحة المصادر التي جاءت في صلب الكتاب مع فهارس اهم اعلامه ومواده .   انتهى

معاني أسماء أعلام للاشخاص

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

في العربية ، كما في سائر اللغات ، آلاف اسماء اعلام للاشخاص ، منها مئات قد طرأ عليها ، على توالي العصور ، من التغييرات ما يجعل معرفة اصلها مستحيلة او شديدة الصعوبة . اما الباقي فمنه ما يتضح معناه ، لانه موصوف او نعت تعرفها عامة الناس . ومنه ما خفي معناه الوحيد او بعض معانيه عن فئة من الادباء ، لكونها مماتة او غير مألوفة ؛ ومن ثم قد حصرنا هذا البحث في مئتين واثنين وعشرين من هذه الاسماء ، خدمةً لمجلة « المشرق » وجمهور قرائها في الخافقين ؛ وقد رتبناها ترتيباً ابجدياً لتسهيل وجود معنى كل منها .

هذا البحث هو الفصل التاسع من كتابنا « غرائب اللغة العربية »، الذي تصدر طبعته الثانية المكمّلة من المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، حول اول آذار القادم . نحو مئة وثلاثين صفحة منه موقوفة على بيان اصل زهاء الفين وثلاثمئة من الكلمات الدخيلة .

ابو العتاهية : ابو الجنون .

ابو العلاء : ابو الغلبة ، الفالوذَج.

ابو فِراس : الاسد .

احمد : افعل تفضيل من حميد او محمود .

ادهم : اسود .

أسامة : اسم علم للاسد .

اشعب : ذو منكبين احدهما بعيد عن الآخر .

أكثم : كبير البطن .

الاثير : جوهر السيف ، المكرّم.

الاحنف : معوجّ الرجل الى الداخل .

الاحوص : الضيّقة زاوية عينيه الخارجية .

الاخطل : طويل الأذنين مسترخيهما ، ذو الخَطَل .

الاخفش : ضيّق العينين ، ضعيف البصر خلقةً .

الازهر : مُشرق الوجه .

الاصمعي: اسم مشتق من الاصمع، وهو الصغير الأذنين، العقل الذكي، السيف القاطع.

الاعشى: السيّئ البصر، المبصر في النهار دون الليل.

الأقيشر: مصغّر الاقشر: من انقشر انفه من فرط الحر، الابرص، الكثير السؤال.

الاهتم: من انكسرت ثناياه من اصولها.

البُحتُري: القصير.

البديع: الحسن، المبتدع.

البطين: الكبير البطن.

التِهامي: من اهل مكة، من اهل جنوب الحجاز.

الجاحظ: الذي عيناه ضخمتان نائتتان.

الجوهري: صانع الجواهر، بائعها.

الحارث: الاسد.

الحريري: صانع الحرير، بائعه.

الحُصَين: مصغّر حِصن: مكان منيع محميّ، سلاح.

الحُطيئة: القصير القبيح الوجه.

الخفّاف: بائع الاخفاف اي الاحذية.

الخنساء: البقرة الوحشية، مؤنث الاخنس وهو ذو الانف العالي الارنبة اي الطرَف.

الخوّاص: بائع الخوص اي ورق النخل.

الدُؤلي: اصلها الدِئلي من دُئل: الذئب، ابن آوى.

الرازي: من اهل الريّ، وهي مدينة من ايران.

الربيع: مطر الربيع، العشب النابت في الربيع.

الرضى: المرضيّ عنه.

الريّان: الاخضر الناعم من غصون الشجر. وجهٌ ريّان: كثير اللحم.

الزبراء: الكبيرة الكاهل، المؤذية.

الزِبرِقان: الخفيف اللحية، القمر.

الزبير: الرجل الظريف.

الزجّاج: صانع الزجاج.

الزرقاء: الخمر، السماء.

السائب: السائر بسرعة (من ساب يسيب).

السُكيت: آخر خيل الحلبة[1].

السِكّيت، السُكَيت: الكثير السكوت.

---

1) الخيل المجموعة للسباق.

السُليك : مصغّر سُلَك : فرخ القطا او الحجل .

السَّمَوأل : الذُباب ، الظل .

الشنفرى : سُمّي هكذا لحدة طبعه . اصل اسمه الشِنفارة : نشاط الناقة وحدتها .

الصابئ : الهاجم ، الخارج من دين الى غيره .

الصعب : الابيّ ، الاسد .

الصفّار : صانع الصُفر اي النحاس .

الصفيّ : الصديق المُخلص .

الطِرماح : الطويل .

الطمّاح : البعيد النظر ، الشريه .

الظاهر : المنتصر .

العجّاج : الصيّاح .

العسّال : الجاني العسل ، الذئب ، المهتز ليناً (نعت للرمح) .

العقّاد : صانع الخيوط والازرار، بائعها .

الفارض : الرجل الضخم ، العالم بالفرائض[1] .

الفارع : الفائق غيره بالجمال .

الفضيل : صاحب الفضيلة .

الماذيّ : العسل .

المبرّد : الذي اصعفه المرض .

المتلمس : الطالب الشيء مرارًا بتكلف .

المثقّب : من ثقّبه الشيب : ظهر عليه .

المضرّس : المصاب بالبلايا ، الذي حنكته الايام .

المعتضدّ : المستعين بغيره .

المقنّع : المتكّس رأسه على الدوام .

المهلّب : من نُتف هُلبه اي شعره ، المهجوّ ، المشتوم .

المهلهل : هلهل في الامر : تأنى. هلهل الثوبَ : نسجه سخيفاً . هلهل الشعر : ارتجله ولم ينقّحه .

المورّق : صانع الورق .

الناشئ : ولد جاوز حد الصغر وشب ، كل ما يظهر او يحدث في الليل .

الناهض : فرخ الطير القادر على الطيران .

النضر : الذهب .

النُعمان : الدم .

الهيثم : الصقر ، فرخ النسر ، فرخ العقاب . شجر من الحمض وهو ذو الملوحة والمرارة من النبات .

---

١) موضوع علم الفرائض قسمة ميراث على اصحابه .

الوليد : المولود ، الصبي ، العبد .
أُمَيّة : تصغير امَة : خادمة ، مملوكة .
انَس : من تأنس به .
انور : افعل تفضيل من نيّر ، جميل .
أوس : عطيّة .
إياس : مصدر آس اي اعطى ، يأس .
باقل : جامع البقل .
بكر : الفتيّ من الجمال .
بهرام : نوع من الرياحين .
تامر : صاحب التمر ، الكثير التمر .
ثعلبة : انثى الثعلب ، الإست .
ثُمامة : نبت ضعيف لا يطول .
جابر : جبر العظم : اصلحه بعد انكساره . جبر الفقيرَ : اغناه .
جاد : باطل .
جُبَير : مصغر جبر : شجاع .
جحدر : قصير .
جُذام : مرض يشبه البرص .
جذيمة : من جذيم : مقطوع .
جرير : زمام دابة .
جسّاس : جاسوس .
جعفر : نهر ، ناقة كثيرة الدر .
جهيزة (اسم مرأة) : الجهيز من الخيل هو الخفيف .
حاتم : اسود ، حاكم ، قاضٍ .
حُذام : بطيء ، كسلان .
حفص : شِبل .
حِفْض : عالم ، جمل ضعيف ، عمود خباء[1] .
حمّاد : كثير الحمد .
حمّد : محمود .
حمزة : اسد ، بقلة في طعمها حمَز[2] .
حُميد : مصغر احمد بالترخيم .
حنبل : قصير وضخم البطن .
حنيفة : من حنيف : مستقيم ، متمسك بدين الاسلام .
حُنين : مصغر جن : نوع من الجن .
حوقل : شيخ .
حيدر : قصير (رجل) ، اسد .
خاقان : ملك .
خالد : مُقيم في مكان ، شيخ ابطأ عنه الشيب .
خديجة : دابة مولودة قبل الاوان او ناقصة الخلق .

١) خيمة من صوف او من وبر الجمال .
٢) لذع اللسان من طعم الخردل او نحوه .

خزيْة : من خزم اللؤلؤ : نظمه .
خطّاب : الكثير الخطاب ، الساعي لعقد خطبة .
خلَف : ولد ، ولد صالح .
دُرَيد : تصغير الترخيم من ادرد : الذاهبة اسنانه .
دعبل : ناقة قوية .
دَعد : جرباء .
ربيعة : روضة ، خوذة من حديد يلبسها الفارس في الحرب .
زُبيدة : نبات ، مصغر زُبدة (من معاني زبدة افضل الشيء) .
زُبير : مصغر زبر : قوي .
زُهير : تصغير الترخيم من ازهر : مُشرق الوجه .
زياد : مصدر زايده : غالبه في الزيادة .
زيد ، زيدان : زيادة .
زينب : شجر حسن المنظر طيب الرائحة .
سالم : بريء من عيب أو آفة .
سِبط : ولد الولد وقد غلب على ولد البنت .
سحبان : سيل يجرف كل ما مرّ به .
سديف : شحم السنام ، قِطَع السنام .
سلمى : اسم نبات .
سُلَيم : تصغير سلم اي سطل ، تصغير الترخيم من اسلم : افعل التفضيل من سالم .
سِنِمّار : لص .
سهل : سهل الوجه : قليل لحمه . سهل الخُلق : ليّنه .
سُوَيد : تصغير الترخيم من اسود .
سيد : سيّد .
شاهين : طير من نوع الصقر .
شدّاد : شدّ : ركض . شدّ على الاعداء : هجم عليهم .
شمَردل : جميل ، الفتيّ الطويل السريع من الجمال وغيرها .
شِهاب : كوكب ، نيزك .
صدوف (اسم امرأة) : امرأة تعرض وجهها للرجل ثم تصدف عنه اي تبتعد .
صفوان : صخر إملس .
صمصامة : سيف لا ينثني .
ضبّة : طلع[1] النخل قبل انفلاقه .
ضِرار : مصدر ضارّه : ضرّه .
ضيغم : جريء ، غضبان ، اسد .

---

١) شيء بشكل نعلين مطبقين ، والشر منضود بينهما .

طارق : الآتي ليلًا ، كوكب الصبح .

طُخَيم: تصغير الترخيم من اطخم: كبش رأسه اسود وسائر جسمه كدِر.

طرَفة : اسم شجر .

طلحة : اسم شجر .

طهَ : معناه في الحبشية « يا رجل » .

ظاهِر الدين : مساعده .

عائشة : حسنة الحال .

عامر : جرو الضبع ، اسم فاعل من عمر اللهَ : عبده

عبّاس : كثير العبوس ، اسد .

عبلة : سمينة .

عُبَيد : مصغر عبد .

عتّاب : كثير العتاب .

عُتبة : منعطف الوادي .

عُثمان : فرخ الحُبارى ، حيّة ، فرخ حيّة .

عجرد : سريع خفيف ، غليظ شديد .

عديّ : جماعة قوم يغدون للقتال

عُرقوب : عصَب غليظ فوق العقب .

عُروة : النفيس من المال ، ما يُعتمد عليه .

عِصام : مستدقّ طرَف الذنَب ، كحل ، عُروة يعلّق بها الوعاء .

عفيرة : دُحروجة[1] الجُعَل[2] .

عفّان : عفنَ في الجبل : صعد .

عُقبة : آخر من بقي من عائلة او قوم ، ما يؤكل من الحلو بعد سائر الطعام ، شيء يُعطى بدلًا من غيره .

عِكرِمة : انثى الحمام .

علقمة : من علقم :نبات الحنظل ، كل شيء مُر .

عليّ : شريف .

عمّار : قوي الايمان ، حليم وقور في كلامه .

عُمَر : معدول عن عامر (ر . عامر) .

عمير : صفيق اي كثيف النسج (ثوب) .

عنترة : ذُبابة .

عَوف : الذي يَنكدّ لعياله ، ضيف ، اسد ، ذئب ، ديك ، نبات طيب الرائحة ، حظ .

عِياض:مصدر عاضه من كذا : اعطاه عوضاً عنه .

عيّاش : بائع العيش اي الخبز ،

١) ما يدحرجه الجعل .

٢) نوع من الخنافس .

صيغة مبالغة من عائش اي عائش في الرفاهية .

غسّان : حِدة الشباب .

غِطريف : سيّد شريف .

فاروق : الذي يفرق بين الامور ، الشديد الفرَق اي الفزع .

فرَزدق : قِطَع العجين ، فُتات الخبز ، الرغيف الساقط في التنور .

فيصل : حاكم ، قاض ، سيف قاطع .

قابوس : رجل جميل الوجه حسن اللون .

قُثَم : معدول عن قاثم : معطاء .

قسّ : صاحب الجمال الذي لا يفارقها .

قطامِ (اسم امرأة) . اصله قطامٌ : صقر .

قَيس : مصدر قاس : تبختر .

كافور : طيب يؤخذ من نبات الكافور .

كالب : صاحب الكلاب .

كعب : شرَف ، مجد .

كلثوم : الكثير لحم الخدين والوجه .

لبيد : طير يلبد في الارض فلا يكاد يطير ، جُوالق صغير ، مِخلاة .

لقيط : مولود منبوذ .

لَيلى : خمر ، نشوة الخمر ، نعت لليلة الشديدة السواد .

مادر : مدر ه : طلاه بالطين .

مازن : مزن شخص : اشرق وجهه .

محمّد : كثير الخصال الحميدة .

مخزوم : خزم اللآلئ : نظمها .

مِسعر : شديد ، مُوقد النار .

مسعود : من ابعده الله تعالى .

مُصعَب : الفحل ، الحصان الذي لم يُركب فصار صعباً .

مُعاوية : كلب ، جرو الثعلب .

معد : غليظ ، الغض من الثمر .

معن : كل ما يُنتفع به .

مغيرة : مستقية (ارض) . غاره : نفعه . غاره بخير : اعطاه اياه .

مُكرَم : سخي .

نُخيف : تصغير الترخيم من نحيف .

نزار : مصدر نزُر شخص : كان قليل الخير .

نضر : ذهب .

نوار (اسم امرأة) : المرأة النافرة من الشك في فضيلتها .

نُواس : نسيج العنكبوت .

نَوف : ارتفاع ، سنام عالٍ .

نَوفل : شاب جميل ، رجل معطاء .

هاشم : حلاّب اللبن الحاذق ، من

فت الخبز وبلّه بالمرق فجعله ثريدًا .

هَبَنَّقَة : من هبنّق : قصير ، احمق .

هشام : سخاء .

همذاني : كثير الكلام ، من اهل همذان وهي مدينة في ايران.

هند : مئة او اكثر من الجمال.

وائل : ملتجئ (من وأل:التجأ).

ورَقة : من ورق : الجمال ، المال من الماشية والدراهم .

وصيف : غلام دون المراهق ، البالغ اوان الخدمة .

الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٦ ، توارى وجهٌ كريم من الوجوه اللبنانية المحسنة الغالية .

وجهٌ صبيح كان يشعُّ بالطهارة والقداسة وتُقرأ على اساريره معاني الرصانة والرزانة والفضل والنبل ، علاهُ الشحوب والاصفرار .

وفي يوم غير منتظر ، ذلك القلب الكبير الزاخر باشرف العواطف واسمى المقاصد الملي. بالغيرة والتضحية في سبيل الله وخدمة الانسانية ، تصاعد خفقانهُ وتعطّلت دورته وخمدت حركته .

في فصل الخريف ، بينما الاشجار تصفرُّ اوراقها وتنتثر ، والينابيع تشحُّ مياهها ويتعالى انينها ، والطيور ترتعش نغماتها ، والرعاة تصمتُ شبَّاباتها ، والطبيعة تتبدَّل روعتها وبهاؤها وقد بدأت تخلع ملابس سنائها حدادًا على قرب زوال بهجة الصيف وروائهِ ومتعة مشهدهِ وبهائهِ . في هذا الفصل الذي ينكمش فيه القلب وتتغيَّر سارحُ العين ، مات العلامة الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري الذي :

« مرّت حروفُ نعيِهِ كخناجرٍ بمسامع الفضلاء والادباء »

ان الخسارة بالخوراسقف ارسانيوس الفاخوري هي عامةٌ شاملة ، لان هذا الرجل نصب نفسه خادماً لربه وللناس على اختلاف مذاهبهم ومقاصدهم ، يجود من قلبهِ وروحهِ وجيبهِ قياماً بسنَّة الدين والانسانية معاً وتنويرًا للاذهان المتخبطة في الدياجي وتخفيفاً لآلام ذوي البؤس والشقاء. عملاً بقول السيد المسيح : كونوا رحومين كما ان اباكم السماوي هو رحوم .

ان حياتهُ سلسلة جهاد وعناد ، فما اشتدَّت عليه وطأة الازمات اشتدَّ عزماً واستدَّ رأياً وصفا جوهرًا وانبرى للتضحية ومصارعة الصعاب بقلبٍ قُدَّ من

الصخر ، ملؤه الايمان والرجاء بالله ، وكان الله معه فلا يخرج من المعمعة الّا غالبًا منصورًا مشكورًا ممجدًا الله عونه وظهيره .

في ولادته

وُلد خليل في منتصف ليل الخامس عشر من ايلول سنة ١٨٨١ في قصبة غزير عاصمة جبل لبنان في عهد الامراء العسّافين والسيفيين (آل سيفا) والشهابيين ، وقاعدة قضاء كسروان في ولاية المتصرفين ، وموطن الامير بشير الشهابي الكبير . والدهُ سليم بن انطون بن سعد بن يوسف الفاخوري ، ووالدتهُ سعدى بنت ابراهيم باخوس وهما مارونيان معروفان بالتديّن والتقوى متحدّران من اسرتين ثريتين لبنانيتين ، فاسرة الفاخوري هي في الاصل من بيروت . وتوطّن الفرع الذي نشأ منه الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري قصبة بعبدا . ولما عُيّن الخوري ارسانيوس الفاخوري الاول الشهير قاضيًا للنصارى انتقل مع اخيه سعد الى غزير مركز القضاء في ذاك الحين .

في مدرسته

درس في معهد الحكمة في بيروت من سنة ١٨٩١—١٨٩٤ وكان من الطلبة النابهين المتميّزين بالذكاء والتقوى وحسن السلوك ، فاستمال الى محبته اساتذته ورفقاءهُ بخصاله هذه الطيبة .

وبعد ان حضر رياضة روحية القاها على الطلبة الواعظ الشهير الخوري يولس الياس العاقوري المرسل اللبناني ، شعر باعماق نفسه بان الله يدعوه الى الكهنوت ، فلبّى صوته تعالى وكاشف والده بالامر فنشّطه وشجّعه وادخله سنة ١٨٩٤ معهد الآباء اليسوعيين الاكليريكي المعروف بمعهد القديس كافاريوس او المدرسة الشرقية الاكليريكية التابعة لجامعة القديس يوسف في بيروت . ومما زاده رغبةً في التقوى والعبادة وسعيًا وراء نيل الكهنوت ، هو ان الامير نجيب شهاب ، جدّ الامير جميل شهاب الذي كان في تلك السنة قائمقام قضاء كسروان ويسكن في الطابق العلوي من داره في غزير ، وكان هذا الامير تقيًا ورعًا مهابًا رصينًا لا يدخل المعبد لسماع القداس الالهي الّا بعد ان يجمع فيه اولاده

وخدمه . وفي كل يوم عند غروب الشمس يتلو سبحة العذراء على شرفة الدار ، فأثر هذا المثل الصالح في قلب خليل تأثيراً بليغاً . ولما علم هذا الامير الجليل بعزم خليل على اقبال الكهنوت، ناداه اذ كان يصلي سبحته متمشياً في شرفة داره كالوف عادته قائلاً له : « يا خليل اصعد الى هنا » واذ اقترب منه ربّتَ له على كتفه وقال : « قد بلغني انك تريد ان تكون اكليريكياً فهل هذا صحيح ؟ » اجابة : نعم مولاي . فقال : « نعم القصد الصالح لقد اخذت الحظ الاوفر اذهب بسلام والله يثبتك في دعوتك » .

صرف خليل في المعهد المشار اليه اثنتي عشرة سنة متفوقاً بدروسه وحسن سيرته مما حدا برؤسائه ان يعهدوا اليه رئاسة اخوية العذراء مريم في هذا المعهد الذي نال فيه الشهادات في دروسه منها الملفنة في اللاهوت النظري ، وسيم كاهناً في ١٨ ايار سنة ١٩٠٦ .

ولنترك له الكلام في مذكراته قال :

« قد سامني كاهناً سيادة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت في كنيسة القديس يوسف في مدرسة الحكمة بتفويض من سيادة المطران يوحنا مراد مطراني الشرعي. وبعد الرسامة عرض عليّ سيادة الدبس ان اتقيد بخدمة ابرشية بيروت احياء لذكر المرحوم عمنا الخوري يوسف الفاخوري — شقيق الخوري ارسانيوس الاول الشهير — فاعتذرت لاسباب صوابية ، وصرفت نحو سنتين في بيتنا في غزير بدون ان اتقيّد بوظيفة رسمية ، لكنني قضيتها بالدرس والمطالعة والقاء التعاليم الدينية في مدارس غزير المجانيّة. واسست البترونآج لاولاد الصنائع والمهن ، فكنت اجمعهم في كل احد وألقنهم التعاليم الدينية ، ووعظت رياضات روحية في صومي ١٩٠٧ و١٩٠٨ في ابرشيتي بعلبك ، وبيروت . وفي ايار سنة ١٩٠٨ عيّنني المرحوم المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت معاوناً في خدمة رعية كاتدرائية القديس جرجس في المدينة المذكورة ، ومسجلاً في ديوان ابرشيته وشملني بعطفه وثقته اذ قال لي يوماً : « انك اصغر كهنة الكاتدرائية سناً واحدثهم في الرسامة، لكنني عينتك لتكون مراقباً اعمال حضرة رئيس الكهنة الخوراسقف بطرس مبارك » .

وبعد مضيّ شهر على تسلمي الوظيفة المذكورة ، سيم حضرة الخوراسقف

انطون عريضه محامي الزواج في الديوان البطريركي ، رئيساً لاساقفة طرابلس (غبطة بطريركنا الحالي) وبما ان سيادتـه هو صديق بيتنا في غزير او في البترون تشرفت بناديه مع المرحوم والدي لنقدم له تهنئتنا ، فطلبني للتقيد بخدمته قائلاً لي : « هل تريد ان تذهب معي الى طرابلس فاضمك الى قلبي وأعينك كاتب اسراري او وكيلي خلفاً لحضرة الخوري يعقوب عوّاد [شقيق المطران اسطفان عوّاد[1] سلف عريضه] فأثر فيَّ هذا الكلام واخذ بمجامع فؤادي ، فاظهرت رضاي وقدمت استعفائي لسيادة المطران بطرس شبلي فعفاني لكن بغير ارتياح قائلاً : « ماذا اجرينا بحقك حتى تتركنا » . ووجّه اليَّ سيادة المطران يوسف نجم النائب البطريركي العام الذي كان ساعدني للحصول على مركزي في بيروت ، العبارات التالية : « اني اعددتك لتكون في بيروت وليس في طرابلس ، واذا كنت تصرّ على التقيد بخدمة الابرشية المذكورة فلا بأس ، انما سوف تلقى كل الاشغال على عاتقك وفي النهاية تخرج صفر اليدين لان خدماتك هناك سوف تلقى نصيب خدماتي وعلى الرغم من ذلك قد نفوني ، ولي فئة من ابناء الجنة تضرب صفحاً عن التصريح باسمائهم » .

وصولنا الى طرابلس

في ٢٨ حزيران سنة ١٩٠٨ وصلنا الى طرابلس بمعية سيادة مطرانها الجديد الذي دخلها بموكب حافل بالجماهير والهيئات الرسمية. قضيت نحو شهر في طرابلس، فتسنى لي ان اتعرّف بجلاله الى اعيان الطائفة الذين طلبوا من سيادته بالحاح ان يُسند اليَّ مركز الوكالة الاسقفية خلفاً للخوري يعقوب عوّاد. عرض عليَّ سيادته هذه الوظيفة فجاوبتـه بالقبول قائلاً : ارادة الرئيس هي ارادة الله فانا اذاً خاضعٌ لها . فأقامني وكيلاً على الابرشية ورئيس كهنة كاتدرائية الملاك ميخائيل .

وفي سنة ١٩٢٢ رقاني الى وظيفة الخوراسقف على مذبح هذه الكاتدرائية، فقضيت في خدمة هذه الابرشية خمساً وعشرين سنة الّا شهرين ويوماً واحداً ، لاني تركتها في ٢٧ نيسان سنة ١٩٣٣ ، وقد سعيت في خلالها ان اخدم الله

[1] وله شقيق آخر في رهبانيتنا اللبنانية هو المرحوم الاب افرام عوّاد .

والكنيسة والطائفة والابرشية ، فناصرتني العناية الالهية ورافقتني في اعمالي وسهلت لي مهمتي . وعندما كانت تحيق بي المصاعب وتكتنفني العقبات وتتلبد الغيوم وتعظم المشاكل وتشتد الماكسات ، كان الله عزّ وجل يبددها امامي ويهوّن عليّ الاشغال ويقودني الى نتيجة مرضية تعود الى مجده تعالى وخير النفوس . وعناية الله هي التي كانت تشملني في كل اعمالي سواء كبرت او صغرت بفضل عضد سيدتنا مريم العذراء . اذ بالرغم من كوني غريباً عن تلك المنطقة لا اهل لي فيها ولا معارف ولا ناصر من ذوي قربى ، وبالرغم من ضعفي وحقارتي رافقني النجاح في اعمالي الروحية والسياسية والاجتماعية ، وقد تمّ فيَّ قول القديس بولس : « قد اختار الله الضعفاء ليخزي الاقوياء وجهّال العالم ليخزي الحكماء » .

ولا يخفى ان المناطق التي تتألف منها ابرشية طرابلس ومدينتها والقرى والزاوية وقسم من الجبّة والضنيّة وعكار والحصن والمدن واللاذقية وحمص وحماة وبلاد العلويين ، وهي مأهولة بطوائف مختلفة من مسلمين وشيعيين وروم ارثوذكس وعلويّين وروم كاثوليك وبروتستنت ، كل ذلك يحرج موقف الرئيس الروحي ويزيده صعوبة بالنظر الى تشابك المصالح واختلاف الاديان والمشارب ، لكنّ الله عزّ وجلّ ذلّل امامي هذه الصعاب دون ان اضعف او اجبن عندما يقضي عليّ الضمير باتمام واجب ما . .

ان الحالة الروحية في رعية كاتدرائية مار مخايل في طرابلس كانت مبللة . ففي صلاة السَّتار من اسبوع الآلام لم يكن يوجد في الكنيسة اكثر من عشرين شخصاً ، حال كون سائر الكنائس في لبنان وسوريا تغصّ بالمؤمنين في مثل هذه المواسم ، فرأيت ان الدواء لهذا الداء هو الرياضات السنوية . وان رياضتي ١٩٠٩ و١٩١٠ لم تثمرا بالرغم من مقدرة الواعظين وغيرتهم ، اذ ان الاقبال عليها كان محدوداً جداً . ففي سنة ١٩١١ دعوت حضرة الخوري بولس [الياس] العاقوري المرسل اللبناني الشهير لاعطاء الرياضة في الرعية المذكورة لكنّه كان ييأس من نجاحها ، فزرت واياه ابناء الطائفة فتحققت نياتنا ، اذ انه في منتصف الاسبوع بدأت الجماهير تتوارد الى الكنيسة حتى ضاقت على رحبها باستيعاب المؤمنين وكلهم من الرجال . وقد تقدّم كلُّ ابناء الرعية من

سري الاعتراف والمناولة ومنذ ذلك الحين تغيرت حالة الرعية وانقلبت من برودة الى حرارة في ممارسة الواجبات الدينية والمواظبة على اقتبال الاسرار المقدسة » .

كلمة مختصرة

اولاً — ان الخور اسقف ارسانيوس الفاخوري سامه كاهناً المطران يوسف الدبس في ١٨ اذار سنة ١٩٠٦ بعد ان تلقى دروسه اولاً في مدرسة الحكمة في بيروت مدة ثلاث سنوات ١٨٩١—١٨٩٤ وأتمها في جامعة القديس يوسف في المدرسة الاكليريكية الشرقية مدة ١٢ سنة ١٨٩٤ — ١٩٠٦ . احتفل بقداسه الاول في كنيسة الجامعة المذكورة في ١٩ اذار سنة ١٩٠٦ الموافق لعيد القديس يوسف بحضور جميع التلامذة والآباء والاساتذة وجمهور من اهله ومواطنيه ومعارفه .

ثانياً — تلقى دروسه من ادبية واكليريكية بنجاح . وفاز بشهادات القبول في الخطابة والفلسفة واللاهوت الادبي والبكالوريا في الخطابة، وشهادات القبول والأذونية والملفنة في اللاهوت النظري .

ثالثاً — عيّنه المطران يوحنا مراد كاتباً لاسراره ومسجلاً في ديوانه بعد مرور ثلاثة اشهر على رسامته .

رابعاً — بعد اعتفائه من الوظيفة المذكورة لاسباب صوابية ، رغب اليه المطران شكرالله خوري رئيس اساقفة صور ان يتسلم نيابة ابرشيته ١٩٠٧ فاعتذر .

خامساً — في السنة الموما اليها عرض عليه القاصد الرسولي في بغداد وظيفة كاتب اسراره فاعتذر بناء على مشورة مرشديه الروحيين المتصفين بالتقوى والعلم قائلين له : « ان طائفتك هي احق من غيرها بخدمتك » .

سادساً — أسس في ١٩٠٧ البترونات ضمَّ فيه شباب عزير وبلغ عددهم نحو ٧٥ شخصاً ، فكان يلقي عليهم الارشادات الروحية والتعاليم الدينية ، فكانوا نواة الشبيبة العزيرية الفتية ومن ابناء اخوية العذراء في دير الآباء اليسوعيين ومن الرعية ايضاً .

سابعاً — سنة ١٩٠٨ اسند اليه المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت خدمة رعية كاتدرائية مار جرجس في بيروت بصفة معاون رئيس كهنتها الخوري بطرس مبارك ، وعينه ايضاً مسجلاً في الديوان .

ثامناً — بعد مرور مدة وجيزة سيم الخوري انطون عريضه مطراناً على ابرشية طرابلس فعرض عليه ملاطفاً ان يتقيد بخدمته فرضي . وعينه في ١٨ تموز سنة ١٩٠٨ رئيس كهنة كاتدرائية الملاك ميخائيل في طرابلس ووكيلاً لابرشيته ونائباً عاماً وعهد اليه القيام باشغال الديوان ومعاطاة شتّى الامور الرسمية في المحاكم .

تاسعاً — في ٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٢ رقّاه سيادته الى رتبة خوري اسقفي على مذبح كاتدرائية ما مخايل .

عاشراً — قام بمهام ادارة ابرشية طرابلس مرّتين : الاولى في اثناء غياب المطران المذكور في رومية وفرنسا وذلك مدة ثلاثة اشهر ابتداء من ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ ، والثانية سنة ١٩٣٢ مدة ١٦ شهراً بعد ان ارتقى سيادته الى السدّة البطريركية .

الحادي عشر — في اول حزيران سنة ١٩٣٣ عيّنه سيادة المطران اغناطيوس مبارك رئيس اساقفة بيروت رئيس ديوانه ولا يزال الديوان البطريركي الماروني يقرّ بدقة وضبط ديوان مطرانية بيروت وصحة احكامه بفضل رئيسه الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري .

الثاني عشر — في ١٨ تموز سنة ١٩٣٤ وكل اليه غبطة البطريرك مكسيموس الصائغ متروبوليت بيروت وجبيل وتوابعها وقتئذٍ الكلي الطوبى النظر والحكم في بعض دعاوى كنسية خاصة بصفة رئيس ديوان .

الثالث عشر — في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٧ اقامه سيادة المطران الياس ريشا رئيس اساقفة بعلبك نائباً عاماً على الابرشية المذكورة ثمّ كاتب اسرار الابرشية العام في اول تموز سنة ١٩٤٩ .

الرابع عشر — نهض باعباء ادارة ابرشية بعلبك مدة غياب المطران ريشا في رومية وذلك في ١٧ نيسان سنة ١٩٣٩ .

الخامس عشر — القى عدة رياضات روحية على كهنة ابرشيتي طرابلس وبعلبك وعلى بعض الرعايا ومواعظ عديدة متفرقة كان لها الوقع الحسن .

السادس عشر — مثل ابرشية بعلبك وسيادة مطرانها المتغيب في رومية في المؤتمر القرباني المقدس في بيروت سنة ١٩٣٩ الذي رئسه نيافة الكردينال اوجين تيسران .

السابع عشر — كتب عدة مقالات دينية في الصحافة كان لها استحسان عام وقد ذكره بها حضرة الآباتي اكاكيوس كوسا مستشار المجمع الشرقي المقدس ، لما زار الخوري ارسانيوس رومية والمجمع الشرقي في شهري تموز وآب سنة ١٩٥٤ ، منها مقالة موضوعها : حقوق وامتيازات الدواوين الكنسية ، كان لها اجمل وقع مما جمل القضاء اللبناني ان يعترف بحقوق هذه الدواوين في ان تصدر تذاكر احضار بحق ليس فقط المتداعين بل الشهود ايضاً ، ذلك حق لم يكن يُعترف به سابقاً . وسأله احد كبار القضاة مهنئاً ان يواصل مثل هذه الابحاث المفيدة ولكن اشغاله المتراكمة حالت دون مواصلة هذه الدروس .

الثامن عشر — في الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ بناء على تصريح سيادة المطران عبدالله نجيم خلف المطران ريشا الشفيي بانه يريد ان يتعاطى الاشغال وحده ، عندئذٍ قدم الخوري ارسانيوس استقالتهُ واعتفى قانونياً من الاشغال والمهام المذكورة واعتزل في دير حضرة الآباء البنديكتان في طرابلس حيث يشغل وظيفة مرشد روحي لتلامذة مدرستهم الذين يناهز عددهم الاربعمئة طالب محاطاً بكل عناية واعتبار واحترام قائماً باعمالٍ روحية بحتة وجد بها مسرة قلبه ، ولذلك رفض قبول عدة وظائف مرموقة شاكراً الله الذي يسّر المجال للاقاة وجهه وخلاص نفسه باكثر استعداد بعد عناء نحو نصف قرن في خدمة ابرشيات الطائفة .

*

وفي ١٨ اذار سنة ١٩٥٦ اقام له حضرة الآباء البنديكتان في ديرهم بطرابلس لبنان حفلة تكريمية بمناسبة يوبيله الذهبي الكهنوتي حضرها جمهور من اعيان الناس على تباين مذاهبهم ومشاربهم تُليت فيها القصائد والخطب .

وقد تنطَّف ومنحه قداسة البابا بيُوس الثاني عشر الغفران الكامل عند ساعة الموت . واصدر فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية مرسوماً باهدائه وسام الارز الوطني من رتبة ضابط بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٩٥٦ . وقد مثَّله في حفلة اليوبيل سعادة محافظ شمالي لبنان الاستاذ حسني الموجه كما مثَّل غبطة السيد البطريرك المفدى سيادة المطران بطرس ديب بحضور صاحبي السيادة المطران انطون عبد والمطران اغناطيوس زياده . وهذه كلمة سعادة المحافظ :

يا صاحب السيادة

يسرُّني وانا الذي عرفتكم منذ نيِّف وعشرين سنة ، ان يعهد اليَّ فخامة رئيس الجمهورية بوصفي محافظاً لشمالي لبنان ، بشرف تمثيله في هذه الحفلة كي اضع على صدركم وسام الارز الوطني من رتبة ضابط تقديراً لجهودكم المشكورة.

ويسرُّني كذلك ان انوه في هذه المناسبة بكلمةٍ موجزة عن سيرة حياتكم المليئة بالفضائل اذ بلغتم في مطلع العمر مرتبة دكتور في اللاهوت وفي الفلسفة .

وتقومون منذ خمسين عاماً بواجباتكم الروحية بصدقٍ واخلاص ، وها انا أُعدِّد المراكز الروحية التي شغلتموها فكنتم في كلٍّ منها تقرِّبون القلوب الى حب الخير وتوجهونها نحو العمل الصالح فكثُر بذلك محبوكم ومقدِّرو فضلكم.

انكم تولَّيتم في سنة ١٩٠٨ مركز النائب العام في مطرانية طرابلس ، ثم ادرتم شؤون الابرشية المشار اليها في الفترة المتراوحة بين سنة ٩٣١ واوائل ٩٣٣ اثر شغورها بارتقاء سيادة مطرانها الى الكرسي البطريركي فكنتم المرجع الوحيد في شؤون المطرانية كافةً ونائباً بطريركيًا ، ثم تولَّيتم رئاسة المحكمة الروحية لابرشية العاصمة (بيروت) خلال سني ٩٣٣—٩٣٧ . وكان كلما دعا الواجب الروحي الى شيء كنتم في مقدِّمة الملبِّين اذ تابعتم رسالتكم الروحية في ابرشية بعلبك فتبوأتم مركز النائب العام فيها منذ سنة ٩٣٨ الى ٩٥٢ .

وفي هذه المراكز السامية كلها تركتم الذكرى العاطرة والاثر الطيِّب ليس في الحقل الروحي فحسب بل في مختلف الاوساط الزمنية ، فكانت تلك الخدمات موضع تقديرٍ واجلال .

فتفضلوا يا صاحب السيادة بقبول اسمى عبارات التهنئة ، راجياً لكم مديد العمر بالاعمال البارّة التي ترضي الله وابناء الوطن العزيز .

طرابلس ١٨ اذار سنة ٩٥٦

محافظ شمالي لبنان

وقد تلطف غبطة بطريركنا المحبوب الكلي الطوبى فارسل اليه الرقيم الآتي :

البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا العزيز الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري الجزيل الاحترام

تلقينا بكل سرور بشرى الاحتفال الذي يعدّه حضرة الآباء البندكتيين بمناسبة يوبيلكم الذهبي الكهنوتي فكان لهذا النبأ السعيد فرصة جديدة نغتنمها للاعراب عن عطفنا وتقديرنا .

قد كنا ولا نزال نرى فيكم مثال الرجل المستقيم والكاهن النشيط ذي الوجدان الحي: سمحت لكم اهليتكم بتولي مصالح عديدة ودفعتكم غيرتكم الى بذل اسمى التضحيات وحملكم وجدانكم الى تقديس اصعب الواجبات . وما كنا لنشك مرّةً بجودة قلبكم وخلوص نيتكم فاستحققتم بذلك الشكر والثناء لاجل الخدم الجلّى التي قمتم بها سحابة نصف جيل .

فعربوناً لعطفنا وتقديراً لفضائلكم واتعابكم نبعث اليكم اليوم ايها الابن العزيز . باحرّ التهاني واطيب الاماني سائلين الله ان يجزل لكم المكافأة ويحفظكم بين اخوانكم وابنائنا اولاد مار بندكتوس الى اطول الاعمار مشمولين ببركته تعالى ورضاه .

عن بكركي في ٥ آذار سنة ١٩٥٦ الحقير
(الختم) بولس بطرس المعوشي
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

ومما لا يخفى ان للاب ارسانيوس الفاخوري في مدينة طرابلس اعمالاً جبّارة في سني الحرب الاولى الكبرى يذكرها له العارفون بالثناء . والاعجاب منها انه كان يحرم نفسه الراحة ليلاً ونهاراً فكنت تراه دائماً جائلاً في طرق المدينة

وشوارعها للتفتيش عن المتشردين والمنكوبين والجائعين والمائتين فكان يقدم لهم الكساء والغذاء جواداً بكل ما تصل اليه يده بسرور وسخاء، ولا يتلكأ عن الحاد المائتين منهم بدون فرق بين طائفة وطائفة فكان احسانه يشمل الجميع على السواء مما احلّه المنزلة الرفيعة في القلوب، فمنهم من ارجعهم الى اهلهم ومنهم من وضعهم في المياتم مهتماً بحالة نفوسهم . يشهد بذلك فضيلة الشيخ كاظم الميقاتي مفتي طرابلس الذي قال بانه كان يرى الخوري ارسانيوس مراراً عديدة يطوف في ساحات مقفرة امام بيت الشيخ يزاسي الهاربين من الجوع الى طرابلس المنتشرين في هذه الساحة فيقضي لهم واجباتهم الدينية . وكان يقوم بهذه المهمة الروحية في معظم شوارع طرابلس غير خائف الامراض المعدية المتفشية بكثرة من تيفوس وجدري وغيرهما . وظل يكافح ويجاهد بمثل هذه الاعمال المضنية بنشاط وتجرّد لا يعرف الكلل ولا الملل حتى أُصيب بداء التيفوس في اواسط شباط سنة ١٩١٨ .

وكان قبل هذه الحرب وفي اثنائها وبعد نهايتها موضوع احترام واعتبار جميع ابناء الطوائف . وله صداقة ومودة واتصال بزعماء المسلمين في طرابلس نذكر منهم عطوفة الشيخ محمد الجسر وسماحة الشيخ ابراهيم السندروسي والشيخ شفيق المولوي والشيخ امين كرامي والشيخ احمد المقدّم والشيخ اسماعيل المقدّم والشيخ عبد الفتّاح الزعبي وغيرهم الذين كانوا يساعدونه ويلبّون مطالبهُ في اغاثة الفقراء وانصاف المظلومين، وكذلك قل عن سائر الحكّام من اتراك وفرنسيين ولبنانيين الذين لم يردّوا له طلباً لثقتهم بفضيلته وحسن طويّته ولرؤيتهم ما كان يصنعه هذا الكاهن الغيور من آثار البرّ والاحسان الشاملة كل ابناء الطوائف والمذاهب .

وكان ذا قلب رقيق فيّاض بالاحساس والشعور يبكي لبكاء اليتامى والايامى ويحدب على المنكوبين المصابين بالمحن والآفات باذلاً جهده للترفيه عنهم واستعادة الطمأنينة الى نفوسهم .

وبالرغم من هذه المهامّ الروحية التي اضطلع بها كان ساعد راعي الابرشية المطران عريضه الايمن فيتعاطى الشؤون السياسية كمراجعات الحكّام في متصرفية جبل لبنان وطرابلس واللاذقية وبيروت التي تتطلبها شؤون الابرشية ، فكان

يذهب الى السراي في طرابلس مرات في اليوم واحيانا في الليل لاجل اشغال ابناء الابرشية وسواهم من سائر الابرشيات حتى قال له احدهم : « يجب ان تخصص لك غرفة في دار الحكومة » وقد تولى ادارة ابرشية طرابلس وحده في سنة ١٩١٠ من نيسان الى تشرين الثاني في غياب سيادة عريضه في بكركي وبيروت لملاحقة بعض قضايا . وايضاً من تشرين الاول سنة ١٩٢٨ الى شباط سنة ١٩٢٩ لما سافر سيادته الى فرنسا لتأسيس معمل الترابة في شكا ، والى رومة لزيارة الاعتاب الرسولية . ومن ٢٤ كانون الاول سنة ١٩٣١ الى ٢٧ نيسان سنة ١٩٣٢ لما ارتقى سيادته الى السدة البطريركية ، وكلل الله تعالى كل مساعيه بالتوفيق والنجاح . وكان محبوباً من جميع ابناء الطوائف بالرغم من بعض اجراءات يتطلبها العدل .

ومن حسناته التي تذكر بالفخر والشكر : هو انه بعد انطواء صفحة الحرب الاولى الكبرى التي نال لبنان القسط الاوفر من بؤسها وشقائها ، اخذ يتقصى اخبار النساء والفتيات والاولاد الذين انتشروا في كل بقعة نائية من بقاع هذا الجبل فراراً من الجوع وقد طوحت بهم الاقدار ومسهم البؤس فاعادهم الى اهلهم متحملاً المشاق والاتعاب وبذل اليد في هذا السبيل يعاونه في هذا الصنيع الخيري ارباب الحكم فينشطون لتلبية رغباته ، فاستحق شكر ذوي هؤلاء المشردين التعسين .

ومن ابرز الصفات الطيبة التي تحلى بها ، الوداعة . ففي اثناء اشتداد الخطوب وتفاقم الكروب وفي غمرة من التعب والارهاق ، كنت تراه رابط الجأش ثبت الجنان « طلق المحيا كالرياض بيشره » ملقياً اتكاله على العناية الالهية التي رافقته في جميع ادوار حياته. ولكنه لم يكن يجبن اذا رأى البطل منصوراً والحق مدحوراً ، فينقضب غضبته وتبرز على جبينه خفايا ثورته ولا يتقاعس ولا يتهامل حتى يرى الحق متربعاً على عرشه ، غير خاش سطوة الاقوياء والمتسلطين لان الضمير كان عنده فوق الجميع .

وكان محترماً مهاباً بعيداً عن الثرثرة والمزاح لا يجرؤ احد في مجلسه ان يتكلم كلمة نابية ، ولا يقول غير الصدق ولا يحكم الا بالصدق ، لا يداري ولا يماري ولا تستفزه رشوة ولا تخيفه غضبة . ومما نعرفه عنه اذا غاب عن

كرسي احدى الابرشيات التي شغل نيابتها ، سرّت حاشيتها وسادها شيء من المرح والفكاهة وفي حال عودته يعود السكون والصمت الى مجراه وينهض كل واحد بعمله وظيفته ويقول الواحد للآخر : « انتبه ان الفاخوري هنا ! »

ومما اشتهر به وعُرف عنهُ ، صحة الوجدان او قل الضمير المستقيم ، لذلك لم يجرؤ احد على ان يطلب منه طلباً لا يسلم باستجابته العقل والضمير . وكان شديد العبادة والتقوى يستعدُّ الاستعداد الوافي لتلاوة الذبيحة الالهية ويشكر بعدها الشكران الكافي وفي خلال النهار يزور القربان الاقدس مرات . ومن عادته ان يعترف يومياً قبل مباشرته الذبيحة . وفي اثناء القائي الرياضيات في ابرشية بعلبك كنت اتردد على الكرسي الاسقفي في عرامون – كسروان – وفي كل يوم يطلب مني ان اسمع اعترافه ولم اكن اجد عليه مادة كافية للحل ، وفي اواخر حياته صرّح هو لمرشد اعترافه في طرابلس على ما اخبر عنه : بانه لم يرتكب في حياته خطيئة مميتة قصدية . الى هذا الحد من الكمال بلغ الخوري ارسانيوس الفاخوري .

وكان يزينه علمٌ وتقوى معاً ، قد اتفقا فيه وتصاحبا ولم يفترقا . وهو متضلعٌ من علم اللاهوت والفلسفة والحق القانوني والتأريخ ، يجيد اللاتينية والعربية والفرنسية واليونانية والسريانية . وله مواعظ ومحاضرات دينية وتآبين وتراجم قيّمة تبرهن على سعة علمه ورسوخ فضيلته . وقد ترفّع عن "الماديات ، شأن الكاهن الحقيقي ، وكل درهم يصل الى يده يوزعه على الفقراء . ورُشح للمطرانية وفاز بسهم كبير من الاصوات في ابرشية طرابلس .

ذكر حضرة العلامة الخور اسقف يوسف صقر رئيس الديوان البطريركي الماروني امامي وامام غيري مراراً قائلاً : ان التقارير والدعاوي التي ترد الى هذا الديوان كان ادقها واضبطها تقارير ودعاوي الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري لانها مفرغة في قالب قانوني دقيق تلمس بين سطورها الصدق وصحة الوجدان والعلم . وكانت تقارير الخوراسقف الياس الزيناتي شبيهة بها من حيث الضبط . وفي معضلات ومشكالات بعض دعاوي الزواج المهمة تعهد بعض الطوائف الكاثوليكية الى الاب الفاخوري الحكم فيها وحلها دلالةً على الثقة بعلمه ووجدانه .

وفاة الخوري الساليزين

ما فتر ولا ونَى ولا انقطع الاب الفاخوري عن الكدّ والجهاد في الحقل الروحي مدة اقامته في دير الآباء البندكتيين في طرابلس وظلّ مثابراً على خطته هذه الفضلى غير عابىء بالمشاق وآلام الشيخوخة حتى سقط كالجندي الباسل في ساحة الشرف والجهاد — من كرسيّ الاعتراف الى القبر — قبضهُ الله تعالى اليه في الثاني عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٦ متزوداً الاسرار الالهية ، وسرى نعيه في طرابلس وفي بعض انحاء لبنان سريان البرق وتقاطر رجال الدين والدنيا الى دار اخوانه الكرام في الفيحاء يشاطرونهم الاسى والاسف على فقده ، وجادت عليه العيون بالعبرات وتصعدت لمصرعه الزفرات وقد فقدت به الطائفة والوطن رجلا عالماً ورعاً تقياً محباً محبوباً خيّراً محسناً طيّب القلب نقيّ الدخلة صحيح الوجدان كثير التفاني والتضحية : قد جاهد جهاد البررة في كرم الرب متاجراً بوزنات سيّده رابحاً الاضعاف فكان العبد الامين العالي الجبين المستحق اكليل المجاهدين . وان لم تشأ الاقدار نصفتهُ ولم يُعصب جبينه بتاج الاحبار فقد كرّمهُ الله بتاج الابرار ! وهل من مقايسة او مقارنة بين الزمني والابديّ ؟

نعاه سيادة المطران انطون عبد واخوان الفقيد ، ومشت طرابلس الفيحاء في جنازته وضمّ مأتمهُ سراة القوم من رجال الدين والدنيا ورئس حفلة الصلاة على جثمانه الطاهر سيادة المطران يوحنا شديد منتدباً عن غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى . وبعد تلاوة الانجيل تلي الرقيم البطريركي الكريم ولفظ سيادة المطران انطون عبد تأبيناً بليغاً مؤثراً ، ثم دُفن الجثمان في كاتدرائية مار مخايل مكفناً بالعبرات ومشيّعاً بارق العبارات . رحمه الله رحمةً واسعة والهم اخوانه الكرام نعمة الصبر والسلوان .

وهذا نص الرقيم البطريركي العالي التالي :

بطريركية انطاكية وسائر المشرق المارونية — لبنان

البركة الرسولية تشمل سيادة اخينا المطران انطون عبد رئيس اساقفة طرابلس وحضرة اولادنا السادة يوسف وبولس ولويس وروكز الفاخوري واخواتهم وعموم آلهم المحترمين .

لقد كان لنعي المأسوف عليه كثيراً ولدنا المرحوم الخوري اسقف ارسانيوس الفاخوري وقع الم في قلبنا الابوي لما كان يتحلى به من علم مقترن بصفات كهنوتية سامية ومزايا رسولية رفيعة دفعت رؤساءه في ابرشية طرابلس وبيروت وبعلبك الى ان يسندوا اليه مناصب كنسية عليا .

ففي ابرشية طرابلس شغل منصب نائب عام خمساً وعشرين سنة كان فيها مثالاً لاداري المحنك الذي عرف أن يكون الوصلة بين الرئيس والمرؤوسين بما أوتيه من فطنة ودراية . وكان مثال الكاهن الغيور بصبره كلًا للكل : للشباب بسهره على طهارة الاخلاق والآداب — وللازواج بتحريضه على المحبة والامانة الزوجية — وللآباء بحثه على تربية البنين تربية دينية وادبية ومدنية — وللبنين بتنبيهه الى واجب الاكرام والطاعة البنوية — وللفقراء بمساعدته وارشاده الى خيرات اسمى بكثير من خيرات هذه الدنيا — وللاغنياء الطامحين الى المجد والملاء بلفته انظارهم الى ابعد بكثير من هذه الامور الزائلة — وللرعايا بتفقده رغم بُعد الشقة ووعورة المسالك — ولجميع الناس على اختلاف طبقاتهم ببشاشته وبشاشته لهم واصغائه الى شكاويهم وقضائه مصالحهم بعطف الوالد ومحبة الاخ ومناداته من على المذبح بالحب والاخاء والحق والعدل والصفح والمغفرة .

وفي ابرشية بيروت وُسدت اليه رئاسة الديوان الاسقفي فكان في وظيفته ذلك القاضي النزيه الذي لا يستلهم في احكامه الّا وحي الضمير والقانون .

وفي ابرشية بعلبك شغل نفس المنصب الذي شغله في ابرشية طرابلس ولم يكن اقل غيرةً واندفاعاً في سبيل النفوس وإعلاء شأن الطائفة وخصوصاً بتعهده الدعوات الاكليريكية بما ينبغي من العطف والرعاية .

وقد قدرت الحكومة اللبنانية علمه وتفانيه فاهدت اليه بمناسبة يوبيله الكهنوتي الذهبي وسام الارز من رتبة ضابط مكافأةً له على خدماته في حقلي الدين والدنيا .

ورغم وقر السنين الى ألا ان يتابع جهاده ورسالته بتوزيع الاسرار فقاجأه الموت وهو في كرسي الاعتراف ومات مردداً بلسان حاله مع الرسول : ان حياتي هي المسيح وان متُّ فذاك ربح لي .

ولهذا فأملنا وطيد بان الله يتقبَّل نفسه اليوم في نعيمه الابدي وينيله جزاء العَمَلَة الصالحين .

وتبياناً لعطفنا وتكريمنا لدفنه اوفدنا سيادة اخينا المطران يوحنا شديد نائبنا السامي الاحترام ليرئس حفلة الصلاة عن نفسه وينقل اليكم والى ذويكم تعازينا الابوية والتعزية الوحيدة لنا ولكم هي ان نرفع اعيننا الى السماء طالبين له الرحمة الواسعة ولكم نعمة الصبر والسلوان .

/ الخقير
بولس بطرس المعوشي (الختم)
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

عن بكركي في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٥٦

بعد مرور بضعة ايام على وفاة الاب الفاخوري أقيم له جناز حافل في كاتدرائية مار يوحنا مرقص في جبيل حضره اخوانه والبعض من معارفه وابناء هذه المدينة قياماً بعاطفة اخلاص وتقدير نحو شقيقه السيد روكز بك الفاخوري قائم مقام جبيل ، وقد خطب في خلاله كاتب هذه السطور الاب انطونيوس شبلي معدداً صفات الراحل الجليل ومعزياً بفقده وطالباً من الله الرحمة لنفسه .

محاضرة في سن المناولة الاولى

القاها المطران ارسانيوس الفاخوري في ٢٠
ك ١ سنة ١٩٥٣ على كهنة ابرشية طرابلس

ان سيدنا يسوع المسيح لاسمه السجود احاط الاولاد الصغار بمحبة خاصة وشملهم بعناية وحنان ابويين لنقاوة قلوبهم فكان يباركهم ويحتضنهم كالام الرؤوف وقد زجر رسله لما حاولوا ابعادهم عنه قائلاً في انجيله الطاهر (دعوا الصبيان يأتون اليّ ولا تمنعوهم — مرقص — فصل ١٠ عدد ١٣ و١٤) وقدمهم مثالاً للمؤمنين ليرثوا الملكوت (لان لمثل هؤلاء ملكوت الله — مرقص — فصل ١٠ عدد ١٤) (الحق اقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي فلا يدخله — مرقص — فصل ١٠ عدد ١٥) اما الاسباب التي تجعلهم مثالاً للمؤمنين فهي الفضائل التي يتصفون بها اي التواضع والسذاجة والطهارة هذه الفضائل التي بدونها يستحيل الحصول على السعادة الابدية على حد قوله عز وجل في انجيل متى فصل ١٨ اعداد ٣ و٤ و٥ (الحق اقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السموات فمن وضع نفسه مثل هذا الصبي فهذا العظيم في ملكوت السموات من قبل صبياً مثل هذا الصبي فذاك هو العظيم في ملكوت السموات ومن قبل صبياً مثل هذا باسمي فاياي يقبل) .

ورد في التقليد ان ذاك الصبي الذي احتضنه السيد المسيح وباركه هو القديس اغناطيوس الكبير الشهيد بطريرك انطاكية الاول فلم يعنه بهذا الكلام شخصياً فقط بل قدمه مثالاً للفتوة التقية على حد قوله تعالى ايضاً (الحق اقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي فلا يدخله) مرقص فصل ١٠ عدد ١٥ .

ولما كان السيد المسيح شديد السهر على اغنامه ونعاجه فلكي يدرأ عنهم اخطار العثار والفساد قد هدد باعظم العقوبات المشككين الذين يتجاسرون على القاء الاولاد في وهدة الخطيئة وهوة الدنس وبانتقام العدل الالهي منهم (من شكك احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فاجدر له لو علق في عنقه حجر الرحى وزج

في لحة البحر ثويل للعالم من الشكوك فانها لا بد من ان تقع الشكوك ولكن الويل لذلك الانسان الذي تقع الشكوك عن يده متى فصل ١٨ عدد ٦ و٧) .

فالكنيسة المقدسة اقتداء بمؤسسها الالهي بذلت اهتماماً خاصاً بالاولاد فشيدت لهم المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العالية وبنت الملاجىء للايتام منهم وامكنة للقطاء الذين حرمتهم الخطيئة من عناية والديهم الذين من شدة الخجل واتقاء العار نبذوهم ورموا بهم على الطرقات والجنات وعلى ابواب المعابد فالتقطهم رجال الاكليروس قانونيون وعلمانيون احبار وكهنة ورهبان وراهبات واحتضنوهم وصاروا لهم آباء وامهات وعملا بهذه شريعة المحبة شيد سيادة المطران انطون عبد الكلي الشرف ميتماً في طرابلس يضم نحو ثمانين ابنة يتيمة بادارة حضرات راهبات العائلة المقدسة اللواتي يهتمن بتثقيفهن على مبادىء الاداب الصحيحة والدين المقدس .

هاكم هذا الحادث الذي يبرهن عن حنان وعطف الراهبات اللواتي يعتنين بالاولاد الذين نبذتهم الطبيعة . في اثناء قيامي باعباء النيابة الاسقفية في ابرشية طرابلس مدة ربع قرن بلغني ان والدة مسيحية مفقودة الاخلاق من طائفة الروم الارثوذكس سلمت ابنتها الطفلة لرجل غير مسيحي فقياماً بالواجب ان لم يكن من باب العدل فمن قبيل المحبة والغيرة استدعيت ذاك الرجل وطالبته بالابنة فابى اولاً تسليمها مدعياً بانه اشتراها من والدتها بليرتين عثمانيتين ذهبيتين او ثلاث فتهددته باللجوء الى الحكومة اذ ان الحكومات قد الغت النخاسة بموجب اتفاقات دولية ان لم يسلمنا اياها فرضخ ومن باب اللياقة نقدته القيمة المذكورة وكانت الابنة نحيفة جداً مصابة بداء الشادوق فسألت حضرة رئيسة راهبات المحبة في طرابلس ان تقبلها مع الاولاد اللقطاء فتمنعت اولاً بداعي مرض الابنة واتقاء انتشاره في الدير عندئذ رجوتها بلسان القديس منصور دي بول وابنت لها الخطأ المحدق بهلاك تلك النفس حينئذ التهبت الغيرة قلب تلك الراهبة الفاضلة فاحتضنت الابنة وادخلتها ديرها ، بوركت المحبة المسيحية التي تشمل البؤساء والمنبوذين من العالم .

اما الغاية التي تتوخاها الكنيسة المقدسة من التضحيات بالاموال الطائلة

وباوقات وصحة وحتى بحياة ابنائها اكليركيين وعلمانيين في سبيل الاولاد فهي تلقنهم العلوم الحقيقية والتعاليم الدينية وتدربهم على الفضيلة وتثقفهم على المبادئ الصحيحة والاداب السليمة والاخلاق الحميدة ولتصونهم من بؤرة الفساد والشكوك.

وبما ان المعلم الالهي اوحى لنا بان الدواء لدرء تلك الاخطار والغذاء الذي يحيي النفوس ويخلق فيها الاتحاد به عز وجل هو سر الاوخارستيا المقدس (انا خبز الحياة انا الخبز الحي الذي نزل من السماء. ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم يوحنا فصل ٦ اعداد ٤٨ و٥١ و٥٢ فالكنيسة كي تمتع الاولاد بنعمة هذا السر وتقربهم من المسيح كانت توزع عليهم المناولة منذ حداثتهم وذلك في الاجيال الاولى من النصرانية وهذا يتضح من الكتب الطقسية القديمة التي كانت توجب مناولة الاطفال بعد عمادهم وبقيت هذه الرسوم نافذة حتى الجيل الثالث عشر ولا يزال الروم الارثوذكس الشرقيون والارمن يحافظون على هذه العادة ولكن حذراً من ان يحق الاطفال الذين لم يفطموا بعد القربانة قد جرت العادة في عدة كنائس منذ العهد الاول للنصرانية ان يعطاهم هذا السر تحت اشكال الخمر فقط وكان هؤلاء يناولون ليس فقط لدى اقتبالهم سر العماد بل ايضاً مراراً بعد تعميدهم.

في بعض الكنائس كان يوزع القربان على الاحداث بعد مناولة الاكليروس وفي غيرها كانوا يناولونهم الاجزاء الصغيرة التي كانت تفضل بعد مناولة البالغين، ان هذه العادة الحميدة قد تلاشت في الكنيسة اللاتينية وعندنا نحن الموارنة اذ ان مجمعنا اللبناني بعد ان ذكر العادة القديمة لمناولة الاطفال منع السير توجيها رعاية جانب الاحترام لهذا السر العظيم وباعتبار عدم ضروريته الخلاصية لهم ورسم بان لا يعطوا الاوخارستيا حتى تحت شكل الخمر الا بعد بلوغهم طور التمييز واقتباسهم بعض معرفة هذا السر (مجمع اللبناني باب ١٢ في سر الاوخارستيا صفحة ١٨٨ عدد ١٣).

وفي سنة ١٢١٥ انعقد المجمع اللاتراني الرابع وسن شريعة جعلها شاملة واذاعها في القانون ٢١ وهذا نصه : (يجب على كل من المؤمنين والمؤمنات بعد بلوغ سن التمييز ان يعترف بخطاياه كلها ولو مرة واحدة في السنة للكاهن

الرسمي ويجتهد بتأدية الكفارة المفروضة عليه حسب ما يستطاع وان يتناول سر الاوخرستيا بالاحترام مرة واحدة على الاقل وذلك في عيد الفصح اللهم اذا كان امتنعه عن هذا التناول الى حين برأي الكاهن لداع معقول) والمجمع التريدنتي العام في الجلسة ١٣ قانون ٩ في المناولة الباب الرابع اثبت القانون اللاتراني وحرم اتباع الرأي المعاكس حيث قال : (من انكر ان على المؤمنين والمؤمنات عموماً وخصوصاً فرضاً بعد بلوغهم سن التمييز وهو التناول في كل سنة في عيد الفصح على الاقل بمقتضى وصية امنا الكنيسة المقدسة فليكن محروماً) لكن هذا المجمع لم يشجب العادة القديمة باعطاء القربان المقدس للاطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد وبما ان طائفتنا العزيزة كانت منذ نشأتها ولا تزال ابنة الكنيسة الرومانية المقدسة متمسكة بدون انفصام بايمانها وخاضعة لشرائعها ووصاياها قد ذكر مجمعنا اللبناني بايضاح ما رسمه المجمعان العامان اللاتراني الرابع والتريدنتي بالزام المؤمنين جميعاً الذين بلغوا طور التمييز بان يعترفوا بخطاياهم على الاقل مرة في السنة ويتناولوا سر الاوخارستيا بالاستعداد اللازم مرة واحدة في الاقل وذلك في عيد الفصح ومن يخالف اللهم اذا كان امتناعه عن اتمام هذه الوصية الى حين برأي الكاهن لداع صوابي يمنع حياً من دخول الكنيسة ويحرم ميتاً من الدفنة المسيحية) المجمع اللبناني الباب ١٢ في سر الاوخارستيا الاقدس صفحة ١٨٧ عدد ١٤ و١٥ .

فيتضح مما فرضته المجامع المقدسة بان على المؤمنين والمؤمنات جميعاً الذين قد بلغوا طور التمييز ان يتناولوا في الاقل مرة في السنة في عيد الفصح انما الصعوبات قائمة في تعيين سن التمييز مما سبب مع الاسف الشديد كثيراً من سوء استعمال وتحديدات مغلوطة .

فقد ارتأى بعضهم ان سن الرشد للاعتراف هو غيره للمناولة فقالوا بانه لاقتبال سر التوبة تكفي عند الولد معرفة الخير من الشر قد تعرّضه الى ارتكاب الخطيئة اما للمناولة فيوجبون عند الولد معرفة اكمل للحقائق الدينية وتأهب اوفر فلذلك قد اختلف في تحديد سن المناولة الاولى وفقاً للعادات المحلية والآراء المتنوعة فجعل في بعض الامكنة السن المقتضى لهذه المناولة بلوغ السنة العاشرة او الثانية عشرة وفي بعضها الرابعة عشرة ونيف وكان يمنع الاولاد

والفتيان من المناولة قبل حصولهم على العمر الذي حددته تلك الامكنة فهذه التدابير الدميمة التي اتخذت بحجة المحافظة على احترام واعتبار هذا السر العظيم قد سببت اضرارا روحية عديدة وخيمة وهي حرمان الاولاد والفتيان من غذاء روحي لابعادهم عن المناولة وانتفاء الغاية السامية والاولى التي توخاها السيد المسيح له المجد من رسمه هذا السر اذ قد جعله قوتاً لنفوس المؤمنين اجمعين وليس لفئة دون الاخرى وعربوناً لخلاصهم وقيامتهم المجيدة على قوله في انجيله الطاهر (انا خبز الحياة هذا هو الخبز النازل من السماء لكي لا يموت كل من يأكل منه انا الخبز الحي الذي نزل من السماء ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم الحق الحق اقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في انفسكم من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الابدية وانا اقيمه في اليوم الاخير من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وانا فيه فالذي يأكلني يحيا بي من يأكل هذا الخبز فانه يعيش الى الابد) يوحنا فصل ٦ اعداد ٤٨ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و٥٤ و٥٥ و٥٧ و٥٨ و٥٩ .

وهذا السر هو ايضاً ترس الطهارة الحصين والعفاف المنيع وحافظ البتولية فابعاد الاولاد عنه يحرمهم ايضاً الاتحاد بالمسيح ينبوع كل نعمة اتحاداً حقيقياً ومن ثم يُعرضون لاخطار روحية جسيمة قد يتعذر عليهم الانتصار عليها لا سيما في عصرنا هذا الذي كثرت فيه اسباب الفساد والعثار اذ انهم يفقدون العون الذي يجدونه في القربان المقدس فيتورطون في شرك الخطية ويخسرون نقاوة نفوسهم وطهارة قلوبهم فيشبهون غرسة انبتتها يد الرب يانعة لكن امتنع سقيها فجفت مائيتها فذبلت ويبست ولم تعد صالحة الا للقطع فترمى في النار (كل شجرة لا تثمر ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار متى فصل ٩ عدد ١٩) .

رام بعضهم منع الاولاد من الاقتراب من سر التوبة وعدم منحهم الحلة السرية قبل مناولتهم الاولى فكم يتوجب الاعراض عن هذه الخطة التي اذا اتبعت تعرض الاولاد للاستمرار في حالة خطايا قد تكون مميتة وهذا شر وبيل يلحق نفوسهم .

وكانت قد تسربت في بعض الاماكن عادة اكثر ذماً وشجباً وهي الامتناع

من تزويد الاولاد المدنفين على الموت القربان المقدس موجبين تجنيزهم وفقاً للرتبة التي تقام للاطفال فيحرمون من اسعاف الكنيسة الروحية ومن الزاد الاخير الذي يعطي الحياة الابدية السعيدة .

فهذه هي الاخطار الروحية التي تصدر عن تلك المبادئ التي لا تستند على اسباب صوابية كما بينا ولا يجوز العمل بها ولا التمسك برأي من يفرضون استمدادات خارقة العادة غير معقولة للاقتراب من المناولة الاولى اذ ان هذا التعليم هو مرذول لانه يستند على مبادئ وساوسية بل جانسنانية لاعتباره سر الاوخارستيا مكافأة فقط وليس ايضاً علاجاً للضعف البشري ولمخالفته لما رسمه المجمع التريدنتي المقدس لان الاوخارستيا هو دواء يقينا الهفوات اليومية ويحفظنا من الخطايا المميتة (جلسة ١٣ باب ٢) وقد جاء قرار الجمعية الرومانية للمجمع الصادر في ٢٦ كانون الاول ١٩٠٥ موضحاً تعليم المجمع التريدنتي المذكور الذي يسمح لكل المؤمنين سواء تقدموا في السن او لا يزالون في سن الصغر ان يقتربوا من المناولة اليومية بشرط ان يكونوا حاصلين في حالة النعمة وان يتقدموا من هذا السر بنية صالحة مستقيمة فمن ثم وبما ان اجزاء الاوخارستيا كانت توزع قديماً على الرضع فليس من داع صوابي ان يشترط استمداد خارق العادة لمناولة الاولاد الصغار الذين بلغوا سن التمييز والذين يعيشون في حالة البرارة والسذاجة لانهم باشد الحاجة الى هذا الغذاء السري ازاء المكايد والاخطار التي تحيق بهم في عصرنا الحاضر .

ان عدم تحديد سن التمييز بوضوح لاقتبال سر التوبة وللمناولة الاولى سبب تباين تلك الآراء المتطرفة والمرذولة لمخالفتها قرار المجمع اللاتراني الرابع الذي يتطلب سناً واحداً للاقتراب من هذين السرين المقدسين اذ انه فرض شريعة واحدة على المؤمنين الذين بلغوا سن التمييز بان يعترفوا ويتناولوا في الاقل مرة واحدة في السنة . فبما ان التمييز المطلوب لاقتبال سر التوبة هو السن الذي يجعل الولد ان يميز بين الخير والشر بحصوله على بعض الرشد كذلك يجب ان يعتبر سن التمييز للمناولة الاولى ما يمكن الولد من التفريق بين القربانة المقدسة والخبز العادي وهذا هو بالذات سن الرشد عند الولد وبهذا المعنى فهم اعظم مفسري المجمع اللاتراني المذكور الحديثين يؤيد ذلك ايضاً تاريخ الكنيسة

الذي يبيننا بان عدة مجامع ومراسيم اسقفية قررت منذ الجيل الثالث عشر بعد انعقاد المجمع اللاتراني بمدة وجيزة ان تعطى المناولة الاولى الاولاد الذين بلغوا السن السابع من عمرهم ، قال القديس توما الأكويني في الخلاصة اللاهوتية القسم الثالث سؤال LXXX

(قد يمكن توزيع هذا السر سر الافخارستيا على الاولاد عندما يبتدئون يتمتعون بشيء من الرشد يجعلهم ان يدركوا بعض العبادة نحوه) وشهادته لا تضاهى وقال شارحاً بهذا الصدد (ان رأيي المسند الى رأي العموم هو انه يجب ان تعطى المناولة للاولاد عندما يحصلون على سن الرشد اية كانت درجة رشدهم حتى اذا كانوا لا يدركون تماماً ما يفعلون) في القديس توما القسم الثالث سؤال LXXX .

ويشرح فازاكاز قول القديس توما كما يأتي (عندما يبلغ الولد سن الرشد يصبح ملزماً بقوة الشريعة الالهية ان يتناول ومن ثم لا تستطيع الكنيسة مطلقاً ان تعفيه) في القديس توما المحاورة C. C. XIV ف ١٧ عدد ٤٣ .

وهذا هو رأي القديس انطونيوس اذ قال (عندما يصبح باستطاعة الولد ان يأتي شراً اي ان يرتكب خطأ مميتاً يصير خاضعاً لوصية الاعتراف ومن ثم لوصية المناولة) القسم الثالث .

فهذا التعليم يستنتج مما اورده المجمع التريدنتي في الجلسة ٢١ قانون ٤ (بان الاحداث ليسوا بحاجة للمناولة ولا يوجب عليهم اقتبال هذا السر قبل ان يبلغوا سن الرشد لانهم في سن الحداثة لا يتمكنون من خسران نعمة الله التي وهبهم اياها) .

فالسبب الوحيد الذي يتذرع به المجمع لعدم احتياج الاحداث للمناولة هو لانهم لا يستطيعون ان يخطأوا في هذا السن ومن ثم يستنتج من قول هذا المجمع بان الاولاد يلزمون باقتبال سر القربان عندما يصبحون معرضين لخسران النعمة بارتكابهم الخطيئة المميتة وقد ورد في اعمال المجمع الروماني المنعقد على عهد بنديكتوس الثالث عشر ما ينطبق تماماً على التعليم المذكور بان وصية المناولة تبدأ عندما يبلغ الاولاد ذكوراً واناثاً سن الرشد الذي يمكنهم بان يميزوا

هذا الغذاء الروحي الذي هو جسد سيدنا يسوع المسيح الحقيقي من الخبز العادي الدنيوي بحيث يتقبلونه بالتقوى والعبادة المطلوبين والتعليم المختص بالذين يجب ان يعطوا المناولة الاولى .

صفحة ١ قد نصّ كتاب التعليم المسيحي الروماني كاتيكسوررومانو بان ليس احد احق من آباء الاولاد ومعلمي اعترافهم من ان يعينوا السن المقتضى لاقتبالهم الاسرار المقدسة فلهم ان يفحصوهم عما اذا كانوا حاصلين على بعض معرفة هذا السر العجيب وهل يرغبون في اقتباله (الجزء الثاني في سر الأوخارستيا عدد ٦٣) .

قد يلخص من هذه الوثائق الدينية الرسمية بان سن الرشد المطلوب لاقتبال سر القربان المقدس هو ما يجعل الولد يميّز هذا الغذاء السماوي من الخبز العادي فيصبح والحالة هذه اهلاً لان يدنو من المائدة المقدسة بتقوى فمن ثم لا يقتضي لذلك معرفة كاملة للحقائق الدينية اذ تكفي معرفة ابتدائية اي بعض المعرفة ولا يلزم كمال سن الرشد بل يكفي بدؤه اي بعضه فبناء عليه ان الكرسي الرسولي المقدس قبح ورذل احياناً عادة تأجيل اعطاء المناولة الاولى للاولاد الى ان يبلغوا سناً انضج ؛ ان الكردينال انطونلي وجه باسم البابا بيوس التاسع السعيد الذكر رسالة لاساقفة فرنسا مؤرخة في ٢ آذار سنة ١٨٦٦ يرذل بوجيها بشدة العادة التي كانت تسربت الى بعض ابرشيات فرنسا بتأجيل مناولة الاولاد الى ان يبلغوا سناً متأخرًا ومعيناً ؛ ان مجمع روان الاقليمي منع اعطاء المناولة الاولى للاولاد قبل ان يبلغوا السن الثانية عشرة ففي ٥ آذار ١٨٥١ صححت جمعية المجمع المقدس هذا القرار وفي ٢٥ آذار ١٩١٠ وجه من ستراسبورغ هذا السؤال لجمعية الاسرار المقدسة (هل يمكن ان تعطى المناولة الاولى للاولاد الذين بلغوا سن الثالثة عشرة او الرابعة عشرة فأجابت هذه الجمعية بأنه يجب ان يتناولوا ذكورًا واناثاً عندما يحصلون على سن التمييز اي سن الرشد) .

ان جمعية الاسرار المقدسة بعد ان اشبعت هذه القضية درساً ولكي تقضي على التدابير والآراء الملومة التي اوردناها في سياق كلامنا ولتسهل للاولاد قبول السيد المسيح له المجد في سر محبته العجيب منذ صغرهم ليتمتعوا بالعيش بحياته

الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري

التي توليهم قوة وعوناً وتدرأ عنهم اخطار الفساد التي تهددهم عقدت اجتماعاً في ١٥ تموز ١٩١٠ واصدرت القرارات الآتية بما يختص بالمناولة الاولى وامرت العمل بموجبها .

اولاً : (ان سن التمييز المقتضى لاقتراب الاولاد من سريّ التوبة والاوخارستيا هو بدء ادراكهم اي عندما يبلغون تقريباً السنة السابعة من اعمارهم او ما يزيد على هذا السن او ايضاً ما ينقص عنه عندئذ يصبحون ملزمين باتمام وصيتي الاعتراف والمناولة) .

ثانياً : (للاعتراف والمناولة للمرة الاولى لا تطلب معرفة الحقائق الدينية شاملة وكاملة لكن يجب على الولد فيما بعد ان يتعلم التعليم المسيحي بكامله وفقاً لدرجة قواه العقلية) .

ثالثاً : (للمناولة الاولى يطلب من الولد تأهباً لقبولها ان يفهم وفقاً لقواه العقلية الحقائق الايمانية الضرورية للخلاص من باب الواسطة وان يميز القربان المقدس من الخبز العادي المادي ليدنو من المائدة المقدسة بالتقوى والعبادة اللتين يقتضيهما سنه) .

رابعاً : (ان شريعة قيام الولد باتمام وصيتي الاعتراف والمناولة تقع خاصة على الاشخاص الموكلين به نعني اهله ومعلم اعترافه واساتذته وكاهن الرعية فعلى الوالد او من ينوب عنه وعلى معلّم اعترافه ان يقرّب الولد للمناولة الاولى) .

خامساً : (فليعنَ كهنة الرعايا بأن يعدّوا مرة او مرتين او مرات متعددة في السنة مناولة عمومية للاولاد وليعلنوا موعدها قبل الوقت وليقبلوا على المائدة المقدسة ليس فقط الاولاد المؤهبين للمناولة الاولى بل ايضاً الاولاد الذين اقتربوا من المائدة المقدسة كما اسلفنا سابقاً برضى اهلهم او معرفهم ولتخصص لهم جميعاً بعض ايام لتثقيفهم وتأهيبهم) .

سادساً : (على الموكلين بعناية الاولاد ان يبذلوا كنانة جهدهم ليتناولوا الاولاد بتواتر كثير وكل يوم اذا امكن وفقاً لرغبة سيدنا يسوع المسيح ولامنا الكنيسة المقدسة وليقوموا بهذا العمل الروحي بالتقوى والعبادة الموافقتين لسنهم

وعلى الذين يتولون العناية بهم ان يتذكروا الواجب الثقيل الملقى على عاتقهم بان يسعوا في ان يحضر الاولاد شروح التعاليم الدينية العمومية واذا كان يتعذر ذلك عليهم فعلى الموكلين بهم بان يجهدوا بان يتلقن الاولاد التعاليم الدينية بطريقة اخرى) .

سابعاً : (اننا نشجب تماماً وكلا عادة اقضا. الاولاد الذين بلغوا سن الرشد عن سر التوبة او عدم منحهم الحلة السرية وعلى الاساقفة المألوفين ان يعنوا بالقضا. على هذه العادة على الاطلاق مستعملين ايضاً الوسائل القانونية) .

ثامناً : (ان عدم اعطا. الزاد الاخير وسر المسحة للاولاد الذين بلغوا سن الرشد وايضاً الاحتفال بدفنهم بحسب رتبة تجنيز الاطفال لهو سوء استعمال مكروه جداً فعلى الاساقفة المألوفين ان يشجبوا بشدة الذين لا يعدلون عن هذا التصرف) .

ان قداسة البابا بيوس العاشر في المقابلة التي اجراها في السابع من شهر آب ١٩١٠ اثبت قرارات اصحاب النيافة كرادلة الجمعية المقدسة هذه بكاملها وامر ان ينشر هذا المرسوم ويعلن واوجب ايضاً على الاساقفة المألوفين جميعهم ان يحيطوا علماً به ليس فقط الكهنة خدام الرعايا والاكليروس بل المؤمنين ايضاً ورسم ان يتلى عليهم كل سنة في عيد الفصح باللغة المتداولة وعلى الاساقفة المألوفين ان يدلوا بمعلوماتهم بما يختص بتنفيذ هذا المرسوم ويضموها في التقرير الذي يرفعونه كل خمس سنوات للكرسي الرسولي عن سائر احوال ابرشياتهم).

لا شأن لكل ما يخالف هذا القرار :

رومية ، عن قصر جمعية الاسرار المقدسة في الثامن من شهر آب سنة ١٩١٠ .

التوقيع	التوقيع
امين السر	الكاردينال فرانا
فيليب جيوستيني	رئيس

حاشية : مصادر هذه المقالة :

الاناجيل المقدسة

المجامع لا سيما مجمعنا اللبناني

اقوال بعض كبار اللاهوتيين

استعنا ايضاً بمجلة الدروس Les Études ١٢٤—عدد ٥ ايلول ١٩١٠

ثانياً : قرار جمعية الاسرار المقدسة الصادر في ١٥ تموز سنة ١٩١٠ المثبت من الكرسي الرسولي في ٧ آب سنة ١٩١٠ المعلن رسمياً في ١٠ آب سنة ١٩١٠ .

كاتبه

الخور اسقف

ارسانيوس الفاخوري

لا مانع من طبع هذه المحاضرة ونشرها

الحقير

(الختم) انطون بطرس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

٢٣ كانون الاول سنة ١٩٥٤

مشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي

٢

المنطق عند ارسطو والغزالي

بقلم الاب فريد جبر اللعازاري

اشرت في المقالة السابقة الى ان ارسطو والغزالي يُعَد كل منهما نموذجاً حياً، مبنى ومعنى، للعقليتين والحضارتين اللتين ينتسبان اليهما في توجيههما التفكيري. اما ارسطو فان احد المؤرخين القدم يقول عنه انه « كان معتدل المزاج حتى التطرف». وهو في شخصيته كما هو في مذهبه الاخلاقي صورة طبق الاصل لذلك المثال الاعلى اليوناني القائم على الدقة والوضوح في كل شيء، وعلى التوازن بين الملكات والانسجام المسترسل بين القوى الروحية والجسدية. واما الغزالي فهو حجة الاسلام يفكر بمقتضى طابعه الفقهي الذي يمتاز بشدة التصاقه بالواقع الوضعي الحسي. وهو يمثل في نفسه امته في اسمى تياراتها وطموحاتها الدينية التي تكيف تصرفاته وموقفه من الحياة. وهو الى ذلك كاتب عربي من الطبقة الاولى يسير في تأليفه على ذلك الاسلوب السمح المنطلق المشرق الذي مهد له ابن المقفع وروضه الجاحظ، والذي اصبح يعد، بسهولته الممتنعة، المثال الاعلى للكتابة العربية التي لا تزيدها متشية وقواعد الصرف والنحو فحسب، بل مسترسلة بتلك العذوبة والطبيعة اللتين تدلان على ان صاحبها ليس فقط يعقل ويفكر بها، انما يحس بها احساساً مبهماً عميقاً يتناول وجدانه برمته. فكأن تلك اللغة ملكت عليه امر شخصيته وجبلته جبلاً بعبقريتها، فصبغت بطابعها الخاص نظرته الى الكون والى الحياة، يلتقطها التقاطاً باللحظة السريعة الخاطفة الحاصرة التي لا يسعها ان تتحقق وتبرز الا بالاشارة والايجاز.

وبعد فانني قلت ايضاً ان انتاج ارسطو الفكري هو اتم وارقى ما وصل اليه المجهود الفكري اليوناني. فبدا مذهبه الفلسفي كاصدق صورة ظهرت فيها العقلية اليونانية على مختلف اتجاهاتها، واشرف بذلك على توجيه تلك العقليـة

وتسديدها زها. ثمانية اجيال بعده، اليه يرجع وحوله يدور المفكرون اليونانيون المتأخرون، سواء اكانوا من انصاره المخالفين له ام من خصومه المتحاملين عليه. ثم ان العقلية اليونانية تلك، مع عبقرية اللغة التي تشحنها وتعبر عنها، لا تزال هي هي في اساس العقلية الغربية الاوروبية التي قامت على صرحها ونشأت عنها. وجميعنا يعلم ان من يريد اليوم ان يقف وقفاً صحيحاً شاملاً على اداب الغرب وفنونه، لا بد له من ان يكون ملماً الماماً وافياً بما انتجه من ادب وفن اليونان اولاً ثم اللاتين الذين اخذوا عنهم ولم يتطوروا بجهودهم الفكري الا تحت عامل المجهود الفكري اليوناني.

واذن فاننا اصبحنا لا بد لنا، في مقالاتنا هنا، من ان نتناول بالتحليل عقليتين خاصتين انحصرتا في منطقتين انسانيتين معينتين، نحن في احداهما: الغرب من ناحية، ولا سيما الغرب المتأثر بالثقافة اليونانية — اللاتينية، والشرق من اخرى، ولا سيما الشرق الاوسط الذي غلبت عليه، منذ اجيال، الثقافة العربية — الاسلامية. الّا انني اعود واقول انني لست اقبل على هذا البحث مسترسلاً في النظريات العامة المألوفة القائمة على الكلام المجمل العام. انا اقبل عليه مستنداً الى التحليل الوضعي المتواضع الذي يعدل عن الخطى الواسعة في البسط والعرض للموضوع، بل يسير سيراً حثيثاً قد يكون فيه شيء من الملل ولكنه لا يلبث ان يسفر عن النتائج الواضحة البعيدة عن التخيلات والتوهمات. فبذلك التحليل الوضعي المتواضع، اقول، اقبل على تلك النظرة الى الحياة التي اشرت اليها سابقاً، كما تمثلت يونانية عند ارسطو، عربية اسلامية عند الغزالي، وهو في نهاية الامر يرجع الى تحديد المعرفة الانسانية وشروطها، الامر الذي لا يتم بالضبط والواقع الّا عن سبيل البحث فيما نعرفه اليوم بعلم المنطق كما عرض له الرجلان اللذان نحن في صددهما. فما هي اذن مؤلفات ارسطو والغزالي في المنطق، وما كان موقف كل منهما من ذلك العلم؟

ليس من احد ليشك ان ارسطو[1] كان اول من وضع لعلم المنطق اسمه،

---

١) انبّه على الفور إلى ان كل ما ورد في هذه المقالات عن ارسطو هي من تذكاراتي العامّة الناتجة عن مطالعاتي عنه وعن هذا الفيلسوف وليس له مصادر معيّنة بالضبط. هذا علاوة عن انه ليس هناك من جديد جدير بان يذكر عن ارسطو. غير انه من اللائق ان يرجع

ولا يبالغ هو اذ يدّعي لنفسه ذلك ويقول انه لم يسبقه اليه احد . فالمنطق هو بوجه عام فن سياق البرهان ، على قوانينه نسير في التفكير والنظر اذا ما اردناهما صحيحين . وليس غرضه البحث في اساليب الخطابة ، انما غرضه درس قوالب الفكر البشري والصور الذهنية بجد ذواتها مستقلة عما تحتوي عليه، اعني بصرف النظر عن علاقتها بالواقع الوجودي ، وتوقيفه على مجرّد تحقيق توافق العقل مع نفسه بتجنب التناقض .

وفي هذا العلم وضع ارسطو سلسلة مؤلفات جمت بعدئذ ، في العهد البيزنطي ، في كتاب واحد كانت له الشهرة الواسعة عند العرب : الاورغانون او الاداة او الآلة . اما تاريخ تأليف هذه الكتب ، فاننا نجهله . انما وردت عند علماء الدين المسيحي في القرون الوسطى تحت الترتيب التالي : قاتيغورياس او المقولات ، باري ارمانياس او العبارة ، انالوطيقا او تحليل القياس ، ابوديقتيقا او انالوطيقا الثاني او البرهان ، توبيقا او الجدل ، سوفسطيقا او المغالطون . هذا مع العلم ان العناوين تلك هي كما وردت في كتاب الفهرست لابن النديم[1] . وظاهر ان ذلك الترتيب هو بالضبط الترتيب الذي يتقيد به لتوزيع مواد المنطق على ابوابه وفصوله في الكتب المدرسية المألوفة. فيبدو الاورغانون بذلك ككل تام له جهازه الكامل : الغرض منه هو درس الدليل الاثباتي البرهاني الذي عنه وحده تنشأ المعرفة العلمية وهي المعرفة بالاسباب ، وهذا هو بالضبط الموضوع الذي يبسط له في كتاب البرهان. الا ان الاثبات لا يتم الا عن سبيل القياس. فمن ثم الدرس المشبع الدقيق المخصص لذلك القياس في كتاب « تحليل القياس ». ثم ان ذلك القياس بدوره يتطلب وجود القضايا التي منها يتألف: فكان درس القضايا غرض كتاب العبارة . واخيراً ان القضية نفسها تتألف من حدود يتناسب كل حد منها واحدى المقولات العشر التي بحسبها يوزع الواقع الوجودي برمته (ومن ثم اشتهار المقولات عند العرب باسم اقسام الوجود ايضاً):فكان البحث في تلك الحدود غرض كتاب المقولات . ثم ان الى جانب القياس

القارىء الذي يريد الاطلاع الواسع على فيلسوفنا إلى كتاب الاستاذ Chevalier *Histoire de la Pensée, La Pensée Antique* : Paris, Flammarion, 1955 : I ، ص ٢٦٨ تابع .

١) طبعة القاهرة صفحة ٣٦٥

البرهاني ، القياس الجدلي . فيعرض له ارسطو في كتاب التوبيقا او الجدل . واخيراً يأتي كتاب السوفسطيقا او المغالطون وفيه يذكر فيلسوفنا المغلطات المختلفة التي يمكن ان تنساب الى فن الاثبات .

ومهما كان من امر ، سواء اسار ارسطو حقاً في تأليف كتبه بمقتضى ذلك الترتيب ام خالفه ، فالذي يهمنا هنا هو انه وضع في تلك الكتب الاسس العامة والقوانين الثابتة لعلم المنطق في ابوابه الثلاثة الكبرى : الصورة الذهنية (Concept) الحكم المنطقي (jugement logique) والبرهان بالقياس (syllogisme) .

ولست ارى من اللائق ان ادخل هنا في تفاصيل الكلام عن هذه المعلومات الثلاث التي الفناها وتعودنا عليها في دروس المنطق بعد ان فهمناها وضبطناها لاذهاننا ، وما كان ذلك بدون عناء يصحبه شيء قوي من الملل والتأفف . وانني ادع جانباً ايضاً البحث في كيف توصل ارسطو الى تحديد تلك المعلومات وتنظيمها بعد ان اخذها ، وهي لا تزال في طورها البدائي ، عن افلاطون وسقراط فاسقط منها ما رأى الحاجة الى اسقاطه واحتفظ بالجانب الذي يصلح ان يدخل كعنصر صحيح في نظره هو . وهذا بحث يختص بتاريخ الفلسفة اليونانية بحد ذاتها ولا يعنينا قليلاً هنا .

انما اريد ان اقف واطيل الوقوف عند العامل الاساسي الذي كان في اصل استنباط ارسطو لعلم المنطق والذي حمله على ان يضع اسس ذلك العلم بالتدريج وبقدر ما كان يتقدم في ابحاثه مع الزمن . فاعود بذلك الى ما سبقت واشرت اليه في المقالة الاولى وهو شدة التصاق ارسطو بالواقع الوجودي واخلاصه لذلك الواقع : عليه يعمل الفكر وفيه يمعن النظر ليحلله ويضبطه للعقل منقاداً في ذلك بدافع الحاجة الى الشرح والتعليل والرغبة فيهما مع الاعتماد على مجرد قوى عقله ومبادئه واساليبه ، بتحرر تام من كل نور يفرض عليه من الخارج مهما كان اصل ذلك النور ، وبصرف النظر عن كل غرض وغاية مهما كان لونها وصبغتها . مما يخولنا ان نعد ارسطو حقاً اول من طرح المسألة الفلسفية مع كل لوازمها ، ووضع اسس الفلسفة بالمعنى الذي ذكرت .

الف ارسطو كتاب المقولات ومعظم كتاب التوبيقا او الجدل قبل ان

يكتشف نظريته في القياس . ثم فطن وتنبه الى قوانين الاثبات والبرهان من وراء تفكيره وتأمله في طلب وايجاد الاسس السليمة الراهنة للمناقشة التي نريدها صحيحة مسفرة عن نتيجة مرضية .

جميعنا يعلم ان سقراط كان قد ألف ان يعرض لفكرته — وهي العبارة عن الفلسفة اليونانية في طورها البدائي — بصورة حوار يدور حول موضوع يتناقش فيه مع خصومه وهم جميعاً من السفسطائيين اللاادريين . فاتى افلاطون وتقلده في الاسلوب وسار به شوطاً بعيداً . فان فكرة الاطارات المنطقية عنده — اعني تقسيم الحدود وترتيبها ، تحديد الاجناس الاولى ، اسناد المسند الى المسند اليه او المحمول الى الحامل — ان فكرة تلك الاطارات ، اقول ، تولدت من الشروط التي كانت تبدو ضرورية للجدال والمناقشة. وبالغ افلاطون في الامر فذهب الى ان الجدال هو الفلسفة بالذات. اما ارسطو فاحله محله لانه يجد ذاته لا يفيد اليقين اذ ان غرضه ليس معرفة الاشياء نفسها بل الاطلاع على آراء الناس في تلك الاشياء. ان تلك المناقشة لا بد لها من ان تسير بنظام حتى تكون صحيحة وتؤدي الى آراء مقبولة . فمن ثم اهتمام فيلسوفنا في تأمين تلك المناقشة المنظمة ، واول ما يبدو له جديراً بالاهتمام من هذا القبيل هي مشكلة المفردات المستخدمة. فمن اللازم ان توضح في بادئ الامر ويذكر المعنى الحق الذى يصطلح عليه فيها حتى يكون للحوار نتيجته المنشودة. ولذلك ترى ان كل كتاب المقولات مخصص لتحديد معاني الالفاظ : فان غرضه تمييز المعاني المختلفة للفظة الواحدة اكثر مما هو تمييز لاقسام الوجود وطبقاته بحدود ذواتها، كما يبدو لاول وهلة .

وهكذا القول عن القضايا . ان ارسطو عندما ذهب الى ان كل قضية تتألف من حامل ومحمول او مسند اليه ومسند ، انه ، اقول ، نبه الى مبدإ نظرى له اهمية عظيمة ليس فقط من حيث المنطق بل ايضاً من حيث المعرفة على وجه الاطلاق ، ولا سيما معرفة ما وراء الطبيعة . ولكن هذا المبدأ لم يستنتجه من تحليل علمي لقوانين العقل البشرى،بل من تحليله للوازم المشكلات الناشئة عن الجدال والمناقشة . وبالفعل فان المناقشة تدور حول السؤال في هل يمكن ان يسند مسند الى مسند اليه او يحمل محمول على حامل (هل يمكن مثلاً

ان يقال ان بطرس وهو الحامل او المسند اليه، انسان وهو المحمول او المسند). فالسفسطائيون ينكرون ذلك ويجعلون الحوار مستحيلاً وبالتالي يلجئون الانسان الى الصمت والعيش معتزلاً بينه وبين نفسه . والشعور بالحاجة الى الحوار هو الذى دفع ارسطو الى ايجاد نظريته في القضية مع كل لوازمها كالبحث في تشابه القضايا او مخالفتها او تناقضها بعضها لبعض .

واخيرًا لم يلبث ارسطو ان رأى ان النتائج الناشئة عن القضايا المسلمة بعد ضبطها على نحو ما سبق ، ان تلك النتائج اذن تنشأ وتُستخرج بضرورة لا علاقة لها بالامر الواقع الذى هو موضوع المناقشة : فان الاستاذ الذى يعرض درسه ، والمجادل الذى يناقش ، والخطيب الذى يحاول ان يقنع ، كل هؤلاء جميعاً يثبتون ما يريدون تأديته ، ويبرهنون عنه بالادلة المنظمة التي لا تختلف بعضها عن بعض من حيث شدة الدلالة وقوة الاقناع وقطع الخصم عن كل جواب مخالف. واسلوبهم في ذلك هو القياس ، اعني تلك الطريقة التي بها يهتدي العقل الى ان يتبين علاقة الاسناد بين محمول وحامل ، عندما لا يمكنه ان يدرك تلك العلاقة ادراكاً مباشرًا ، بل لا بد له من وسيلة هي الوسط . ومن ثم نشأت عند ارسطو فكرة تخصيص درس مستقل لذلك الاستدلال الذى بمقتضاه، اذا ما سلمت امور ، نشأ عنها بعد تسليمها ، وبالضرورة ، امر آخر ، وذلك بمقتضى مجرد تسليمها ليس غير. والدرس ذلك هو هو غرض كتاب تحليل القياس الذى يشتمل على ثلاثة اجزاء : ١) تولد الاقيسة ، ٢) سبل استنباط الاقيسة ونظمها ، ٣) رد كل الاستدلالات والتعليلات الصحيحة الى قالب القياس ..

وبنظرية القياس هذا توصل ارسطو الى ان يبرز منطقه ككل جهازى تام لا نقص فيه ، ما زال الناس على ممر الاجيال يستخدمونه كما هو مدون حتى الآن في مجموعة الكتب المنطقية المعروفة بالاورغانون او الآلة .

وجميعنا يعلم ما كان لتلك المجموعة من اثر ومن انتشار واسع عند المسلمين العرب . اجل كان قد انتظم لديهم علم في فن الادلة يسمونه « فن الادلة » يرجع في اصله الى ضرورة ترتيب علوم الفقه وضبطها ضبطاً عقلياً منطقياً ، وهما ترتيب وضبط تمّاماً خاصة عن يد ابي حنيفة . الا ان دليلهم كان قائمًا ابدًا على اصلين ولا على ثلاثة اصول مثل قياس ارسطو . ثم جاء الفلاسفة

والمعتزلة والاشاعرة ونعرف من هم جميعاً ، وكان من بين الاشاعرة المشهورين الباقلاني والجويني . اما الباقلاني فما فتئ يسير على طرق الادلة القديمة ، واما الجويني فهو اول من فسح المجال ، مع بعض التحذر اللاهم ، لمنطق ارسطو فما عاد يستخدم فقط الدليل القائم على اصلين بل ايضاً القياس الارسطاطاليسي المعروف بالشرطي المنفصل والذي يطلق عليه العرب اسم « السبر والتقسيم »[1].

والجويني استاذ الغزالي ، وهو يبدو في نظر ابن خلدون كالحلقة الفارقة بين القدماء مثل الباقلاني والمحدثين وفي مقدمتهم الغزالي نفسه[1] .

فان الغزالي اولا لا يرى فن المنطق مخصوصاً بارسطو وفلاسفة الاسلام بل يذكّر الناس ان ذلك المنطق هو الاصل الذي يسمى في فن الكلام « كتاب النظر » او « كتاب الجدل » او « مدارك العقول ». الّا انه يعترف بان منطق ارسطو يمتاز على طرق الاستدلال عند المتكلمين بزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات[2] . والظاهر ان الذي استرعى انتباه الغزالي في قياس ارسطو هو ما يسميه ارسطو الوسط ، وهو الحد الذي بظهوره وبروزه تظهر وتبرز النتيجة الناشئة عن المقدمتين واضحة الخطوط والمعالم ، واقعة بالضرورة التامة. ويكون القياس بثلاثة اصول ولا باصلين كما كان الامر عند القدماء . فما كانت ادلتهم لتخلو من الغموض .

وهذا امر يحمل الغزالي على ان يرجع هو ايضاً ، مثل ارسطو ، الى الاستدلالات القديمة ويحاول ردها الى القياس الحالي . فيقول مثلاً في مدخله الى المستصفى : « وعادة الفقهاء انهم يقولون : النبيذ مسكر فكان حراماً قياساً على الخمر. وهذا لا تنقطع المطالبة عنه ما لم يرد الى النظم الذي ذكرناه (اي القياس الحالي) . فان رد الى هذا النظم ولم يكن مسلماً فلا تلزم النتيجة الا

---

١) راجع في الموضوع : Gardet-Anawati, *Introduction à la Théologie Musulmane*, Paris Vrin, 1948, p. 72-73؛ ثم ايضاً ابن خلدون ، المقدمة ، طبعة القاهرة ، صفحة ٣٢٧ وطبعة ده سلان ، ج ٣ ، صفحة ٦١ . ثم محمد عبده ، رسالة التوحيد ، صفحة ١٩ .

٢) راجع تهافت الفلاسفة ، طبعة بويج ، صفحة ١٥-١٦ .

باقامة الدليل حتى يثبت كونه مسكرًا إن نُوزِعَ فيه بالحس والتجربة ، وكون المسكر حرامًا بالخبر وهو قوله صلّى الله عليه وسلم : كل مسكر حرام . وبذلك يبدو القياس حينئذ باجزائه واصوله الثلاثة : المقدمتان والنتيجة ، ويرسل هكذا : ان النبيذ مسكر ، والمسكر حرام ، فالنبيذ حرام »[1].

ولا يكتفي الغزالي بالرجوع هكذا الى ادلة القدماء فقهاء ومتكلمين ، ليردها الى قالب القياس الحلي ، بل يعمد ايضًا ، للعمل نفسه ، الى الآيات القرآنية التي وردت كحجج ، خاصة على لسان الله وانبيائه . مثل ذلك ما يقول في جواب ابرهيم الخليل لنمرود الذي كان يدعي الالهية لنفسه :« ان الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب . فبهت الذي كفر . فعلمت من هذا ان الحجة والبرهان في قول ابرهيم ... ورأيت في هذه الحجة اصلين قد ازدوجا فتولد منهما نتيجة هي المعرفة ، اذ القرآن مبناه على الحذف والايجاز . وكمال صورة هذا الميزان ان تقول : كل من يقدر على اطلاع الشمس فهو الاله . فهذا اصل . والهي هو القادر على الاطلاع وهذا اصل آخر . فلزم من مجموعها ان الالهي هو الاله دونك يا نمرود »[2] .

ومهما كان من امر ، فان الغزالي كما قلت ، يعترف بتفوق منطق ارسطو على علم النظر والادلة الذي يستخدمه الفقهاء والمتكلمون ، وانه ليس فقط يستخدم هو نفسه ذلك المنطق بل ايضًا ، كما ذكرت ، له عدة مؤلفات من مؤلفاته . ولقد اشرت في المقالة السابقة الى السبب الذي حمل الغزالي على وضع تلك الكتب ، ولا بد لي من ان اتناولها هنا باوجز ما يمكن من البحث ، وذلك من مجرد الناحية التي تختص بالموضوع .

وصلنا من الغزالي خمسة مؤلفات في المنطق، ها هي بحسب ترتيب تأليفها : القسم الاول من مقاصد الفلاسفة ، معيار العلوم ، محك النظر في المنطق ، القسطاس المستقيم ، والمدخل الى المستصفى من اصول الدين .

اما مقاصد الفلاسفة فغرض المؤلف منه ان يعرض لآراء الفلسفة كما هي ،

---

(١) المستصفى ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٧ ، صفحة ٢٥ .

(٢) القسطاس المستقيم ، طبعة القاهرة ١٣١٨ ، ١٩٠٠ ، صفحة ٢٩-٣٠ .

واذن فليس يودعه فكرته الشخصية الخاصة، وبذلك ليس لنا فيه كبير فائدة، فندعه جانباً وننتقل بالفور الى معيار العلم .

ولا شك في ان هذا الكتاب من اول ما وضع الغزالي . كتبه قبل مغادرته بغداد . وهو على كل حال ، اول محاولة يعمد اليها المفكر للبحث في علم الادلة مع التقيد بمنطق ارسطو . فان الغزالي في المعيار يسير بمقتضى اصول ذلك المنطق من حيث التبويب ومن حيث الاصطلاحات على نحو ما نقل كل ذلك الى اللغة العربية ، وعلى نحو ما نقله هو بنفسه في كتاب مقاصد الفلاسفة. فبعد مقدمة يتناول فيها الفرق بين المعرفة الحسية والمعرفة العقلية وضرورة التحذر من الاشتباهات التي قد تقع في المعرفة الثانية من الاعتراف القوي اللهم بصحتها مبدئياً ، ينتقل الغزالي الى صميم موضوعه ويقسم القول فيه الى فصول في مقدمات القياس اعني الالفاظ والقضايا ، وفصول في القياس ، وفصول في الحد ، وفصول في اقسام الوجود واحكامه .

اما القياس ، وهو الذي يهمنا هنا ، فيدرسه الغزالي في وجوهه الستة : القياس بحد ذاته وهو اربعة انواع ، ثم الاستقراء والتمثيل وهو الذي يسميه الفقهاء قياساً ، ويسميه المتكلمون رد الغائب الى الشاهد ، ومعناه ان يوجد حكم في جزئي معين واحد فينقل حكمه الى جزئي آخر يشابهه بوجه ما. ومثاله ان تقول « السماء حادث لانه جسم قياساً على النبات والحيوان » . ويراه الغزالي « غير سديد » فيرفضه وينكر على المتكلمين استخدامهم له في مؤلفاتهم[1] . وهكذا القول على الاستقراء وهو ان تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي حتى اذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به. فهو دليل لا يحصل اليقين به ولكن يحصل الظن الذي يكتفى به في الفقهيات ولا في العقليات النظرية التي تقتضي الحكم منقولاً من كلي على جزئي ويكون بذلك القياس الصحيح[2] .

والغزالي ، كما ذكرت ، يعرض لهذا القياس في اقسامه الاربعة : الحملي

١) معيار العلم ، طبعة الكردي في القاهرة ١٩٢٧ ، صفحة ١٠٥ تابع .

٢) معيار العلم ، صفحة ١٠٢ تابع .

المعروف ايضاً بالاقتراني او الجزمي والشرطي المنفصل ويسميه الفقهاء والمتكلمون السبر والتقسيم ، وقياس الخلف وصورته صورة القياس الجملي . الا انه اذا كانت المقدمتان صادقتين سمي قياساً مستقيماً ، وهو المعروف عند الفرنج بالاصطلاح Argument par l'absurde . اما اذا كانت احدى المقدمتين ظاهرة الصدق والاخرى كاذبة او مشكوكاً فيها وانتج نتيجة بينة الكذب ليستدل بها على ان المقدمة كاذبة سمي قياس الخلف ، ذلك لان الخلف هو الكذب المناقض للصدق[1] .

ان القارىء المقبل على معيار العلم ، لا يلبث ان يشعر ببعض القلق اثناء تقدمه في قراءته ، اذ انه يرى نفسه امام نزر جد يسير بالنسبة الى الشيء الكثير الذي كان يمني نفسه به، والذي كان قد وعد به المؤلف ذاته في مستهل كتابه . هذا علاوة على ان الغزالي نفسه يبدو غير مرتاح كل الارتياح الى ما يكتب ويعرض له . ولسوف اتناول كل هذا واحاول تعليله في المقالة المقبلة ، فاكتفي هنا بذكر تصريح مفكرنا ذاته عن عدم اطمئنانه ذلك .

يقول مخاطباً قارئه في خاتمة محك النظر وهو ثالث كتبه في المنطق، اخرجه كوجيز مختصر لهذا الفن : « ان امعنت في تفهم الكتاب ، تشوقت الى مزيد ايضاح في بعض ما اجملته واشتغلت لحكم الحال عن تفصيله . وذلك التفصيل قد اوضحت بعضه كتاب معيار العلم، الا انني لم افش تلك النسخة ولم تتداولها الايدي بعد ، لانها كانت مفتقرة الى مزيد تهذيب وتنقيح بحذف وزيادة وتحريف . وقد دفعت الاقدار دون تهذيبها . فان استأخر الاجل واندفعت العوائق وانصرفت اليه الهمة وانقطعت على عمارته بتهذيب ما يجب ان يهذب صادفت فيه ما اعوزك في هذا الكتاب »[2] .

اننا لا ندري اذا كان كتاب معيار العلم الذي لدينا هو بالضبط تلك النسخة المنقحة المصححة التي يقصدها الغزالي . انما الامر الواضح هو اننا عندما ننتقل الى مطالعة مؤلفاته الاخرى في المنطق نرى فيها ظاهرتين بينتين . اما

١) معيار العلم ، صفحة ٨٥ تابع .
٢) محك النظر في المنطق ، طبعة ، حلبي ، القاهرة ، ١٣٤٢ ه ، صفحة ١٣٣ .

الظاهرة الاولى فهي ان مفكرنا يحصر معظم بحثه في القياس ولا يعود فيسترسل في درس الالفاظ والقضايا والحدود ذلك الاسترسال الذي يذهب اليه في المعيار. هذا فيما يختص بالمحك وبالمدخل الى المستصفى . اما في القسطاس المستقيم فانه يسقط ذلك البحث اسقاطاً تماً . واما القياس ذلك الذي يحتفظ به فانه يقصر نظره منه على الحملي والشرطي المتصل والشرطي المنفصل. فيكون قد اسقط ايضاً من البحث قياس الخلف والاستقراء والتمثيل . ثم ان الظاهرة الثانية فهي ان الغزالي، في تلك المؤلفات الثلاثة — المحك، القسطاس المستقيم، المدخل الى المستصفى—يعدل عن اصطلاحات المنطق الارسطاطاليسي كما كانت قد نقلت الى العربية ، ويستنبط للاقيسة التي يحتفظ بها اسماء اخرى من عند نفسه فيما يقول . فالحملي يصبح اسمه نمط او ميزان التعادل ، والشرطي المتصل يصبح نمط او ميزان التلازم ، والشرطي المنفصل يصبح نمط او ميزان التعاند .

لا شك في ان لكل ذلك علله واسبابه . واكتفي هنا في خاتمة مقالتي بذكر التعليل الذي يدلي به الغزالي نفسه فيما يختص بالظاهرة الثانية . يقول في محك النظر : « عليك بالانس بهذه الالفاظ الغريبة ، فاني اخترعت اكثرها من تلقاء نفسي ، لان الاصطلاحات في هذا الفن ثلاثة : اصطلاح المتكلمين والفقهاء والمنطقيين ولا اؤثر ان اتبع واحداً منهم فيقتصر فهمك عليه ، ولا تفهم اصطلاح الفريقين الآخرين. ولكن استعملت من الالفاظ ما رأيته كالمتداول بين جميعهم واخترعت الفاظاً لم يشتركوا في استعمالها حتى اذا فهمت المعاني بهذه الالفاظ . فما تصادفه في سائر الكتب يمكنك ان ترده اليها وتطلع على مرادهم منها[1] » .

ثم انه يقول في القسطاس المستقيم مخاطباً خصمه الباطني المتوهم الذي يستفهم عن تلك الاصطلاحات التي ذكرت : « اما هذه الاسامي فاني ابتدعتها ، واما الموازين فاني استخرجتها من القرآن ... ولكن بعثني على ابدال كسوتها باسامي اخر غير ما سموها به ما عرفت من ضعف قريحتك وطاعة نفسك الى الاوهام . فاني رأيتك من الاغترار بالظواهر بحيث لو سقيت عسلاً احمر في قارورة حجام لم تطق تناوله لنفور طبعك عن المحجمة وضعف عقلك عن ان يعرفك ان العسل طاهر في اي زجاجة كان[2] » .

١) محك النظر ، صفحة ٣٨-٣٩ . ٢) القسطاس المستقيم، طبعة القاهرة، صفحة ٥٩

هل هذا يعني ان الذين الف كتبه لهم كانوا هم انفسهم على حذر من المنطق الارسطاطاليسي ، يشمئزون منه وينكرونه على اصحابه وينفرون حتى من اصطلاحاته . ام هل ذلك يعني ان هؤلاء الاقوام ضعفاء العقول لا يقرون في درسهم لمنطق ارسطو كما نقله فلاسفة الاسلام على التمييز بين الصالح والطالح ، فيقدم لهم ما يصلحون به فيكسو ذلك الذي يقدمه بكسوة من عند نفسه ؟ كل ذلك جائز . ولكن الامر الواضح هو ان فكرة الغزالي ، فيما يختص بالمنطق الارسطاطاليسي ، ان استقرت وانتظمت بعد معيار العلم ، وسنرى كيف تم ذلك ، فانها في معيار العلم ما كانت لتتركز وتستقر . وكل شيء يدل على ان الغزالي لم يكن ليطمئن اليها حينذاك ، لانه كان يشعر في اعماق نفسه ان منطق ارسطو ، متخذاً بكامله مبنى ومعنى ، كان يفرض عليه هو الغزالي العالم الاسلامي السني ، يفرض عليه اقول ، حالة نفسية وموقفاً من المعرفة والعلم ، ونظرة الى الكون والحياة لم يكن ليمكن ان يفكر بها . وان فكر بها لم يكن ليستطيع ان يقبلها ويرضى بها . وسيتضح كل ذلك في المقالة المقبلة ان شاء الله .

٣

بين تسجيل الواقع وتنظيم العقيدة

نحن دائماً في مشكلة المعرفة كما عرضت للفلاسفة والمفكرين على مر الاجيال . فهي قائمة على طرفين : الانا العارف واللاانا المعروف . والفلاسفة ، من هذه الناحية ، ينقسمون الى لاادريين والى مثاليين والى يقينيين ، واعني بالآخرين هؤلاء الذين يذهبون الى ان المعرفة بامكانها ان توصلنا الى اليقين ، اي الى الاطمئنان الى ان الشيء الذي نعرفه هو هو موجود في حقيقة الواقع ولو كان ليس لنا منه الا مثال في عقلنا . ثم ان من اليقينيين ارسطو والغزالي وعليهما وقفت سلسلة المقالات التي نحن الآن في ثالثها .

ففي المقال الاول اقمت مقارنة بين هاتين الشخصيتين وحاولت ان ابين كيف ان ارسطو توصل بالتدريج الى ان يبني فلسفته من وراء تحليل الواقع الخارجي وبالاعتماد على مجرد قوى العقل بصرف النظر عن كل غرض وغاية دينية كانت ام اخلاقية . اما الغزالي ، فلاسباب تاريخية ، كان هدفه من مؤلفاته دعم التعاليم النبوية المحمدية على ما هي مقبولة في عقيدة اهل السنة . ثم انتقلت في المقال الثاني الى استعراض مؤلفات ارسطو والغزالي في المنطق واجتهدت في ان اظهر ارسطو يستنبط منطقه بعمل فكره على قوانين المناقشة والمحاورة الصحيحة، وهكذا حتى يضع مجموعة المؤلفات تلك المعروفة بالاورغانون، اعني الاداة والآلة ، والتي كان لها الانتشار الواسع عند العرب في القرون الوسطى . وكانت خاتمة هذا العمل وضع قوانين القياس وشروطه . وتقيد الغزالي بذلك المنطق الارسطاطاليسي بحسب ما وصل اليه عن سبيل الترجمة والنقل وكان له فيه عدة مؤلفات نلمس منها تطوراً من حيث نظر حجة الاسلام في المنطق . وهو تطور ظاهر عند استعراضنا لمؤلفات الغزالي التي ذكرتها في هذا الصدد : مقاصد الفلاسفة ، معيار العلم ، محك النظر ، المدخل الى المستصفى والقسطاس المستقيم . ومهما كان من امر فانه يمكنني ان الخص ما قلت حينذاك بما يلي : ان الغزالي بعد محاولته في ان يتقيد بمنطق ارسطو ، ما استطاع اليه سبيلاً ، نراه يعدل عن ذلك التقيد فيما بعد ، ويعمد فقط الى خطوطه العامة ومعالمه

فيقصر نظره ، وذلك ابتداء من المحك ، على درس اقيسة ثلاثة ، ثم يغير الاصطلاحات التي كان قد الفها العرب بعد نقلهم علم المنطق الى لغتهم . واذن فالسؤال قائم لا محال : لماذا هذا التطور وقصر النظر على الاقيسة الثلاثة المذكورة بعد اسقاط الاقيسة الاخرى التي عرض لها مفكرنا في معيار العلم ، ولماذا ذلك التغير في الاصطلاحات .

فلنقف عند تلك الظاهرة الاولى التي اشرت اليها وهي حصر النظر في الاقيسة الثلاثة : الحملي ، الشرطي المتصل ، الشرطي المنفصل syllogisme d'attribution, conditionnel conjonctif (conditionnel disjonctif).

فالقياس الحملي الذي قد يسمى ايضاً قياساً اقترانياً ، وايضاً قياساً جزمياً ، مركب من مقدمتين ، مثل قولنا : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف حديث ، فيلزم منه ان كل جسم محدث . وهو القياس الاساسي الذي اليه ترد الاقيسة الاخرى كلها .

اما الشرطي المتصل ، فهو يتركب من مقدمتين ، احداهما مركبة من قضيتين قرن بها صيغة شرط ، والاخرى حملية واحدة هي المذكورة في المقدمة الاولى بعينها او نقيضها ويقرن بها كلمة الاستثناء . ومثاله ان كان العالم حادثاً فله صانع ، لكنه حادث ، فاذن له صانع .

والشرطي المنفصل اخيراً وهو الذي يسميه الفقهاء والمتكلمون السبر والتقسيم ، ومثاله قولنا : العالم اما قديم واما محدث ، لكنه محدث ، فهو اذن ليس بقديم . فقولنا اما محدث واما قديم مقدمة واحدة ، وقولنا لكنه محدث مقدمة اخرى هي استثناء احدى قضيتي المقدمة الاولى بعينها فانتج نقيض الآخر .

والآن فان الاقيسة الثلاثة هذه ، كل قياس منها مركب من مقدمات تصدر عنها النتائج . والمقدمات بدورها قضايا ، في كل قضية موضوع ومحمول : كل جسم مؤلف محدث ، ان كان العالم حادثاً فله صانع ، العالم اما قديم واما محدث ولكنه محدث وهلم جرا . فبين كل موضوع ومحمول من هذه القضايا علاقة تقوم على نسبة او اسناد الاول الى الآخر . ذلك اننا اذا رجعنا الى

امثلة الغزالي نفسه نرى ان « مؤلف » مسند الى « جسم » و« محدث » الى « مؤلف » ثم الى « العالم » ونرى ايضاً ان وجود الصانع محكوم به على « العالم » الحادث . فما الذي يبرر تلك الاسنادات كلها حتى ينتج عنها المعرفة والعلم التصديقي الذي يهمنا هنا . فالغزالي نفسه يقول ان الذي نريده ليس كل علم « بل العلم التصديقي اي العلم بنسبة ذوات الحقائق بعضها الى بعض بالايجاب او السلب ، ولا كل تصديقي بل التصديقي الصادق في نفسه ، ولا كل صادق بل الصادق اليقيني. فرب شيء في نفسه صادق عند الله وليس يقيناً عند الناظر ، فلا يصلح ان يكون عنده مادة للقياس الذي يطلب به استنتاج اليقين ، ولا كل يقيني بل اليقيني الكلي اعني انه يكون كذلك في كل حال »[1]. فكيف نحصل على هذا اليقين من المقدمات الداخلة هكذا في تركيب القياس ، او بكلام اصح كيف يتم علمنا بتلك المقدمات التي نريدها يقينية حتى تصدر عنها نتائج ضرورية نطمئن الى صحتها ومطابقتها للواقع الوجودي .

ولم يغفل ارسطو هذا السؤال ، لا بل نظريته في القياس باسرها قائمة على الحل الذي وجده لذلك السؤال، محاولاً بذلك ان يتلافى ما فات سقراط استاذ استاذه افلاطون[2]. فسقراط لم يتنبه الى انه من الممكن تأليف قياس بالاعتماد على مقدمات وهمية او كاذبة ويكون ذلك القياس من حيث ظواهر الضرورة والصحة في انتظام ودقة ذلك الذي يستند الى مقدمات صادقة يقينية . حتى ان ارسطو يعرض لكيف يمكن ان يستنتج الحق من مقدمات كاذبة ويبرهن بذلك ان صحة النتيجة لا تكفل ، ولا بحال من الاحوال ، صحة المقدمات التي تبدو كانها صادرة عنها . لا بل ان هناك حالة تكون فيها النتيجة وهمية زائفة بالرغم من الصحة التامة التي نجدها في السياق الكلي للقياس وهي حالة

١) معيار العلم ، طبعة القاهرة ، ١٩٢٧ ، صفحة ١٠٨

٢) اعود واقول انه ليس مرادي هنا اثبات شيء جديد فيما يختص بارسطو او افلاطون او سقراط ، ولست ادّعي ذلك ، بل اكتفي بذكر ما اثبته الاختصاصيون ملخصاً وارد القارئ لاعادة النظر في هذا الموضوع الى الكتاب الذي ذكرته في مقالتي السابقة فهو اليوم اوعب المصادر واحدثها من هذه الناحية :

J. Chevalier, *Histoire de la Pensée*, I. La Pensée Antique, Paris, Flammarion, 1955.

البرهان الدوري كما يقول، حيث يستخدم القائل كمقدمة نتيجة قياس اول كانت مقدمته النتيجة التي يقصد اذ ذاك اثباتها . فالسؤال راجع اذن الى تبرير صحة المقدمات . ان فن القياس يمكن من ربط النتيجة بتلك المقدمات بصورة منتظمة ضرورية، الا انه لا يهدينا الى كيف توجد المقدمات حيث لم تكن هي نفسها نتائج اقيسة سابقة .

وهنا يعترضنا التمييز بين الفنون الثلاثة التي تستخدم ثلاثتها القياس : فن البرهان او الاثبات Apodictique وفن الجدل Dialectique المستخدم في الحوار والمجادلة ، وفن الخطابة Rhétorique . فالجدلي الذي يناقش خصمه والخطيب الذي يحاول اقناع سامعيه ، يعتمدان هما ايضاً على القياس الا انهما قد يستندان اذ ذاك على مقدمات تسلماها من خصومهم ، واضطرهم الى تسليمها اما التقليد او اجماع الامة او الآراء المنتشرة في المجتمع الذي يعيشان فيه، منه يستمدان واليه يوجهان كلامهما . اما الاستاذ فهو يستخدم ايضاً ذلك القياس اذ يعرض لفنه وعلمه الا انه يريد قياسه مبنياً على اسس متينة لا تردد في اصلها ، وعلى مقدمات يقينية لا شك في صحتها . فالقياس الذي يؤدي الى العلم اليقيني او البرهان ، ليس فقط ذلك الذي تكون نتيجته صادرة بانتظام وضرورة عن المقدمات (وهذه ميزة عامة مشتركة بين كل الاقيسة ، برهانية كانت ام جدلية ام خطابية) ، بل ذلك الذي تكون نتيجته ضرورية صادقة ، أعني مطابقة بالفعل لحقيقة الواقع. ومن ثم فان القياس العلمي البرهاني الذي يفيد اليقين يمتاز بطبيعة مقدماته التي يجب ان تكون حقيقية صحيحة يقينية لا شك فيها .

والمقدمات تلك ، قضايا تتألف من حدود او تعريفات ، والحد لا يقتنص بالبرهان كما يقول الغزالي[1] ، ولا يمكن اثباته به عند النزاع لانه ان اثبت بالبرهان افتقر الى حد اوسط آخر ، وهكذا الى اللانهاية . فالبرهان بالقياس يزكي صحة اسناد شيء الى شيء آخر ، اما الحد والتعريف فانه يعبر عن الذات والجوهر ولا يحكم بامر على امر . ففي القضية « كل مؤلف محدث » مثلاً او غيرها من الامثلة التي ذكرت في القياس ، حدان « مؤلف » و « محدث » ،

---

(١) معيار العلم ، صفحة ١٧٦ تابع .

نفترض وجودهما وصدقهما قبل وضع القياس الذي يدخلان فيه . فكيف نحصل عليها ؟

هناك مبدأ لا شك فيه ، وهو ان كل علم لا بد له من علم سابق ينتج عنه . ومن ثم فان الحد او التعريف ، ولو كان اولياً ، فهو ليس بدون اصل ومنبع والمنبع هذا هو الادراك الحسي الذي منه يستخرج الحد عن سبيل ما يسميه ارسطو Ἐπαγωγή وما نعرفه بال Induction في الفرنسية ، وما نشير اليه باللغة العربية بلفظة « استقراء » التي نجدها عند الغزالي نفسه .

فالاستقراء في العرف الارسطاطاليسي هو الانتقال من الفردي الى العامي ، او بكلام اصح وادق هو استخراج المعنى الكلي الضروري من الواقعيات الفردية الجزئية التي يستوعبها ادراكنا الحسي . ومن ثم فان الاستقراء هو الذي يعطي للبرهان القياسي مبادئه ، اذ يعطيه المباشرة التي منها يبتدئ وعنها ينتج ، اعني القضية الكلية الضرورية التي تدخل في القياس كمقدمة يقينية وتؤمن له صحته وقيمته البرهانية . فالقياس قائم على ابراز الوسط ، كما يقول الغزالي ، ولكن الوسط ذلك يدل على حقيقة كلية تنستر وراء كل واقعية جزئية . والانتقال هذا من الجزئي الى الكلي عمل العقل، الذي يدرك في الاشياء الفردية المتوزعة في الوجود، الطبيعة الكلية الضرورية التي تشترك فيما بين تلك الاشياء . فانا ارى زيداً وعمروا ويوسف ويعقوب الخ ... واستنتج واستخرج من ادراكي لهؤلاء الافراد جميعاً معنى او مفهوم الانسان وهو انه حيوان ناطق .

والكلي الضروري هذا يجب ان يفهم في معناه الخاص ولا يؤخذ على معناه المبهم كعام او عادي ، او مثل ما ينظر الى مفهوم اللانهاية في الرياضيات . فالمقصود هنا هو الكلي الناتج عن التجريد الميتافيزيقي والذي يتناول في شموله كل الكائنات او الصور الذهنية التي تكون اذ ذاك غرض البحث والعلم . فالمحمول « محدث » كلي ضروري بمعنى انه يمكن اسناده الى كل « مؤلف » جزئي فردي ، من اية طبقة كان من طبقات الوجود . والحكم بهذا الاسناد ليس فقط نتيجة تسجيل واقع فردي يتجدد ويحدث في حالات وظروف قد تكون كثيرة وقد تكون قليلة — وهذا هو مفهوم العام او العادي بالضبط — . اما تلك العلاقة بين المحمول « محدث » والموضوع « مؤلف » او تلك الذات

او الجوهر الذي ينستر ورا. كل « محدث » وكل « مؤلف » والذي يضبطه الحد للعقل ، كل ذلك انما قد يتم ادراكه بمجرد الاطلاع على حادث واحد ، او واقع واحد ، او شيء واحد. فلكة العقل تنفذ اذ ذاك بنظرها الى اعماق ذلك الشيء الجزئي وتدرك سره الباطن في داخله وصميمه . ولبكال تعريف موفق لذلك الكلي الضروري الذي يهمنا ، والذي هو بالضبط نتيجة الاستقراء الارسطاطاليسي : « هو واحد في كل الامكنة ، وهو بكامله في كل مكان » .

المهم هنا هو ان نميز بين الطبيعة الكلية Nature universelle التي هي نتيجة الاستقراء ، وما يُشتبه بها ، وهو الكلي الجماعي Tout collectif . فالاستقراء الارسطاطاليسي ليس الانتقال من الحكم على بعض الاشياء الى الحكم على كل الاشياء الفردية التي تدخل في مجموعة واحدة او كل جماعي . انما هو ادراك الطبيعة الكلية الضرورية على ما توجد محققة ثابتة في الاشياء الجزئية الفردية ، ولو لم يتم احصاؤها بكاملها . والّا اذا ما اعتبر مجرد ضبط لكل جماعي ، فالاستقراء اما سوفسطائي مغالطي (في حال انه لا يشمل الواقعيات الجزئية) واما لا معنى له ولا فائدة منه (مع الافتراض انه نتيجة لاحصاء ضابط تام) : فالقول ان الناس جميعهم خاضعون للموت ، ليس حينئذ الّا حصر الناس جميعاً واحداً واحداً وفرداً فرداً على انهم خاضعون للموت بعد الاطلاع على ذلك الحكم في كل الناس من اولهم الى آخرهم .

فاذا فعلنا هكذا حكمنا ببطلان الاستقراء وفي الآن نفسه ببطلان القياس الارسطاطاليسي الذي يرتكز عليه . الا ان هذا الاستقراء تبدو اهميته وتظهر جلياً اذا ما انتبهنا الى ان العقل ، في الاستقراء ، ليس عمله ان يحصي الاشياء كلها حتى يحكم على مجموعتها بما حكم على كل منها ، بل ان ذلك العقل انما يدرك في كل شيء فردي جزئي طبيعة او ان شئت فقل حقيقة كلية ضرورية هي قوامه. وهو على يقين ، ذلك العقل ، من ان تلك الطبيعة تتحقق في كل الاشياء الاخرى ، مهما كان عددها من دون ان يكون هنالك حاجة في ان يحصر ذلك العدد . ولذلك فان العبارة الموفقة للدلالة على الاستقراء ونتيجته ليست تلك التي تعتمد على لفظة ترد في صيغة الجمع (كل الناس

خاضعون للموت) ، بل على لفظة مجردة تدل على معنى كلي وطبيعة ضرورية (الانسان خاضع للموت)[1] .

مبدأ ارسطو في المعرفة ان لا علم الا بالكلي الضروري . الا ان ذلك الكلي ليس من مستنبطات العقل ومجرد توليده ، انما يدركه العقل في الاشياء الجزئية الفردية الموجودة في الواقع الوجودي، لا سيما ذلك الذي يتصل بما وراء الطبيعة . ولذلك فان منطق ارسطو ليس فقط بحثاً في مجرد الصور الذهنية كما هي في الفكر ، بل في تلك الصور من حيث انها مرتبطة بالواقع ارتباط الصورة بالاصل ، تحلله وتسجله في العقل ... فاذا كان المنطق في نظره آلة واداة شكلية ، فهي اداة وآلة احدثها لتسهيل تسجيل الواقع وحسن ضبطه ، بعد ادراكه عن سبيل الاستقراء . ولذلك فان منطقه لا يقوم مستقلاً بنفسه، بل مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالاشياء الموجودة كما هي في الواقع . واذا كان قد اهمل ذلك الى حد في كتابه « التحليل الاول » ، فانه يرجع اليه في مؤلفه « التحليل الثاني » ويخصص له المقاطع الطويلة ، ويميز حينئذ بوضوح بين الصورة الذهنية في حد ذاتها كما هي في العقل ، والصورة الذهنية من حيث ارتباطها بالواقع المطلوب منها تسجيله ، فيقدم هذه على تلك باساس انها عليها ترتكز صحة القياس[2] . مما ادى ، فيما بعد ، الى التمييز بين المنطق الاصغر والمنطق الاكبر ، او بكلام اصح وادق ، بين المنطق الصوري والمنطق المادي: فالاول شكلي غرضه تنظيم القياس من الناحية الشكلية فحسب، والثاني اساسي وغرضه البحث في قوام المعرفة اليقينية وشروطها لاستخراج الحقيقة الكلية من الامور الفردية ، تلك الحقيقة التي تدخل في القياس كمادة علم تكون المقدمات بمنزلة صورة لها .

والتمييز هذا بين الصورة والمادة انما لنجده عند الغزالي ايضاً . فهو يقول في المعيار : « قد ذكرنا ان كل مركب فهو متألف من شيئين احدهما كالمادة الجارية منه مجرى الخشب من السرير ، والثاني كالصورة الجارية منه مجرى

(١) راجع في كل ذلك : Jabre, *Notion de Certitude chez Ghazali*, Paris, Vrin, 1958 : p. 45-52 et p. 97 sq. المتن والحواشي

(٢) راجع Jabre, *Notion de Certitude* p. 97, note 2.

صورة السرير من السرير . وقد تكلمنا عن صورة القياس وتركيبه ووجوه تأليفه بما يقنع فلنتكلم في مادته ، ومادته هي العلوم »[1] .

والغزالي مثل ارسطو يسعى وراء العلم الصالح الى ان يكون مادة للقياس الذي يطلب به استنتاج اليقين . فكيف يرى السبيل اليه ؟

ان الصفحات الاولى من المعيار تمدنا بالشيء الكثير من هذه الناحية وتجعلنا نتوقع على ذلك السؤال جواباً يتفق ومبادئ ارسطو في منطقه ، ذلك المنطق الذي يظهر الغزالي انه متقيد به . يقول الغزالي في تلك الصفحات الاولى المشار اليها ان العقل يستدرج الحس والوهم الى امور يساعدانه على دركها من المشاهدات الموافقة للموهوم والمعقول ، ويأخذ منها مقدمات يساعده الوهم عليها ، ثم يرتبها ترتيباً لا ينازع فيه . وهكذا نأخذ من المحسوسات والضروريات الجلية معياراً للنظر حتى اذا نقلناه الى الغوامض لم نشك في صدق ما يلزم منها. وهنا نفكر حالاً بالاستقراء واستخدامه كاداة طبيعية للانتقال من ادراك الجزئي الحسي الى العقلي الكلي : هذا اقل ما تفرضه مبادئ المنطق الارسطاطاليسي .. الا ان الغزالي لا يرضى بهذا الحل . فالاستقراء عنده هو ان تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي ، حتى اذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به. ومثاله في العقليات ان يقول قائل: « فاعل العالم جسم » . فيقال له : لم ؟ فيقول: « تصفحت اصناف الفاعلين من خياط وبناء واسكاف ونجار ونساج ، فوجدت كل واحد منهم جسماً ، فعلمت ان الجسمية حكم ملازم للفاعلية ، فحكمت على كل فاعل به » . فيمضي الغزالي في تفنيد هذا النظر ونتيجة كلامه هو ان الاستقراء هذا او تصفح الجزئيات ، لا يورث يقيناً انما يحرك ظناً ، وربما يقنع اقناعاً يسبق الاعتقاد الى قبوله ويستمر عليه . فهو بذلك قد يصلح في الفقهيات حيث يكتفى بالظن ، اما في العقليات التي تتطلب اليقين فلا. فالاستقراء اذا لم يكن تاماً مستوعباً لم يفد ، وان استوعب دخلت فيه النتيجة المطلوبة وما عدنا في حاجة الى السعي وراءها من تأليف المقدمتين اللتين تنتج عنها[2] .

---

١) معيار العلم ، صفحة ١١٨

٢) معيار العلم ، صفحة ١٠٢ تابع .

ونرجع بذلك الى ما اسلفت من التوضيحات عن الاستقراء الارسطاطاليسي. فهو واستقراء الغزالي على طرفي نقيض : فالاستقراء عند ارسطو ادراك الحقيقة الضرورية الكلية من وراء الجزئيات الحسية ، وهو عند الغزالي تصفح واحصاء جزئيات كثيرة، والحكم من هذه الجزئيات على جزئي واحد. اما القياس الصحيح اللازم فهو الذي يكون فيه الحكم من الكلي على الجزئي . وهذا حق :

ولكن لا يزال السؤال قائماً : ذلك الكلي الذي يصلح وحده ان يكون مادة في المقدمة التي يتألف منها القياس ، ذلك الكلي اقول ، كيف نحصل عليه ؟ اما في المعيار ، فان الغزالي ، بالرغم من كل ما يقول عن المقدمات اليقينية ، لا يتطرق للموضوع ، الا انه يتناوله في المحك والمستصفى ، ولكن فقط لذكر الآراء المختلفة فيه ، ثم ينهي قوله بما يلي : « وقد دارت رؤوسهم وتاهت عقولهم . والعجب انه اول منزل ينفصل به المعقول عن المحسوس اذ من ها هنا يأخذ العقل الانساني في التصرف.. .ومن تحير في اول منزل من منازل تصرف العقل كيف يرجى فلاحه في تصرفاته الغامضة »[1] ؟

لكن هناك وسيلة نستطيع ان نلجأ اليها لنرى كيف يتصور الغزالي ذلك المنطق الذي وضعه ارسطو كاداة لتسجيل الواقع بعد ضبطه .

يقول الغزالي في المعيار : « كما ان الذهب الذي هو مادة الدنيا وله اربعة احوال اعلاها ان يكون ذهباً خالصاً ابريزاً لا غش فيه اصلاً ، والثانيـة ان يكون ذهباً مقارباً لا في غاية رتبته العليا ولا كذلك الذهب الابريز الخالص ، والثالثة ان يكون ذهباً كثير الغش لاختلاط النقرة والنحاس به والرابعة ان لا يكون ذهباً اصلاً بل يكون جنساً على حدة مشبهاً بالذهب ، فكذلك الاعتقادات التي هي مواد الاقيسة قد تكون اعتقاداً مقارباً لليقين مقبولاً عند الكافة في الظاهر ولا يشعر الذهن بامكان نقيضه على الفور بل بدقيق الفكر فيسمى القياس المؤلف منه جدلياً اذ يصلح لمناظرات الخصوم، وقد يكون اعتقاداً بحيث لا يقع به تصديق جزم ولكن غالب ظن وقناعة نفس مع خطور نقيضة بالبال او قبول النفس لنقيضه ان اخطر بالبال وان وقعت الغفلة عنه في اكثر

١) المستصفى ، صفحة ٢٣ . راجع ايضاً Jabre, *Notion de Certitude*, p. 107

الاحوال ويسمى القياس المؤلف منه خطابياً[1] » . . .

ويأتي بعد ذلك الكلام عن القياس الشعري وهو ابعد الاقيسة عن اليقين.

والذي يهمنا هنا ان ننبه اليه هو الاختلاف الواقع ، في هذا المقطع ، بين المشبه والمشبه به . فالمشبه به هو الدينار ورتبته العليا ان يكون من الذهب الخالص الذي هو مادته ، ثم ان المشبه هو القياس . والتشبيه يقتضي ان تكون مادة ذلك القياس، في درجته العليا ، علماً يقيناً صرفاً لا شك فيه بمقابل الذهب الابريز الخالص... في حين اننا نرى الغزالي يجعل تلك المادة الاعتقاد المقارب لليقين ، بل ان مواد الاقيسة كلها هي الاعتقادات فقط . والغزالي يقيم حداً مانعاً بين الاعتقاد والعلم. فالعلم عبارة عن امر جزم لا تردد فيه ولا تجويز ، اما الاعتقاد فمعناه السبق الى احد معتقدي الشاك ، مع الوقوف عليه من غير اخطار نقيضه بالبال ، ومن غير تمكين نقيضه من الحلول في النفس . فهو يقبل التجويز والشك والتردد ، لانه يتم عن سبيل التلقف والتلقين ولا عن بصيرة . ولذلك فان العلم كشف وانشراح صدر، والاعتقاد « عقدة على القلب والعقل ، والعلم عبارة عن انحلال العقد ، وهما مختلفان »[2] .

فان الغزالي اذن ، عندما يحصر مواد الاقيسة بالاعتقادات المقاربة لليقين ، وينفي المعلومات اليقينية عنها ، انه ، اقول ، لا يفعل ذلك عن سهو وهفوة ، انما عن نية وقصد . والبرهان في ذلك ليس فقط ذلك الفرق الذي يجعله بين العلم والاعتقاد على ما ذكرت، بل ايضاً المقارنة بين المقطع السابق من المعيار ، ومقطع يناسبه في كتاب مقاصد الفلاسفة . نعرف ان عالمنا ، في هذا المؤلف ، يعرض لمنطق ارسطو كما هو ، كما عرفه ابن سينا وغيره من فلاسفة العرب الذين اخلصوا النقل عن الفيلسوف اليوناني. ففي مقاصد الفلاسفة يذكر الغزالي بصراحة ، في مقابل صورة الدينار ذات الابريز الخالص المحقق ، المقدمات اليقينية الصادقة التي تشير اليها تلك الصورة[3] . واذن فعندما رجع الى المنطق الارسطاطاليي

---

١) معيار العلم ، صفحة ١١٩–١٢٠

٢) المستصفى ، صفحة ١٧ .

٣) مقاصد الفلاسفة ، طبعة كردي في القاهرة ، ١٣٥٥ ه/ ١٩٣٦ م ، ج ١ ، صفحة ٥٤

في المعيار ، وحاول ان يعرض له بمقتضى مبادئه وعقليته ، اسقط ذكر المقدمات اليقينية وانزل محلها الاعتقادات المقاربة لليقين ، فكان القياس المؤلف منها قياساً جدلياً ويكون ذلك القياس الجدلي ، في رأي الغزالي ، اعلى ما يوصل اليه المنطق في المعرفة ، في حين اننا نجد عند ارسطو ، كما اسلفت ، ذكرًا صريحًا للقياس البرهاني الاثباتي Apodictique الى جانب الخطابي والجدلي .

ومع ذلك فان الغزالي لا يزال يعتقد اعتقادًا جزماً بوجود المقدمات اليقينية وبالقياس البرهاني الاثباتي الذي يتألف منها . وذلك واضح في جواب منه لمعترض يقول : « اليقين عزيز يقل وجوده ، فتقل به المقدمات » . فيجيب الغزالي : « ما يتساعد فيه الوهم والعقل من الحسابيات والهندسيات والحسيات كثير فيكثر فيها مثل هذه اليقينيات ، وكذا المعقولات التي لا تحاذيها الوهميات. فاما العقليات الصرفة المتعلقة بالنظر في الالهيات ففيها بعض مثل هذه اليقينيات ، ولا يبلغ اليقين فيها الى الحد الذي ذكرناه الا بطول ممارسة العقليات وفطام العقل عن الوهميات والحسيات وايناسه بالعقليات المحضة »[1] .

فالكليات الضرورية التي يفكر فيها الغزالي ، والتي يريدها كمقدمات في القياس الصحيح البرهاني الذي يتضمن حكماً من كلي الى جزئي ، هذه الكليات اقول ان هي الا تلك العقليات والنظريات المتعلقة بالالهيات . وهنا فمادة القياس التي هي غرض المنطق المادي عند ارسطو ، لا تعطى عن سبيل الاستقراء كما هو الامر في المنطق الارسطاطاليسي ، بل نجدها هي هي في التعليم الديني كما هو في القرآن ، وكما نراه مدونًا في عقيدة اهل السنة الدينية .

والامر واضح كل الوضوح في كتاب القسطاس المستقيم حيث نرى الغزالي يتخذ ، فيما يختص بوجود الله وازليته واثبات الوحي ، الادلة التي وردت في القرآن فينظمها بمقتضى قوانين الاقيسة الثلاثة التي يذكرها حينئذ باسمائها الجديدة (نمط التلازم ، نمط التعاند ، نمط التعادل) ويرسلها ، تلك الاقيسة ، كنماذج عن القياس البرهاني الصحيح . وهو صحيح لان مادته اتخذت من القرآن ولا من الاستقراء . لا بل ان هذه المادة ليست صحيحة الا الى حد ولا على وجه الاطلاق . فهي صحيحة بالنسبة للناس الذين يوجه الكلام اليهم ، وهذا شأن

١) معيار العلم ، صفحة ١٦٠

كل دليل عند الغزالي[1] . اما معلومات التي تصح ابداً ودوماً والتي تصلح ان تكون في كل حال مادة لمقدمات يقينية للقياس اليقيني ، فهي تلك الالهيات التي تتضمنها العقيدة السنية والتي تناقلتها الاجيال الاسلامية حتى عهد الغزالي . فمن هذه الناحية ، يقسم الغزالي النظريات الى قسمين : قسم يتعلق باصول القواعد ، وقسم يتعلق بالفروع . واصول الايمان ثلاثة : الايمان بالله ورسولـه وباليوم الآخر ، وما عداه فروع . وفي هذا المضمار لا نظر للصحة والصواب بحسب ما يحكم بها العقل ، بل التكفير والتبديع او بالاحرى ان التكفير والتبديع يحلان محل تلك الصحة وذلك الصواب، والعقل يراهما مقياسي الصحة والصواب[2] .

فالغزالي لا يرى المنطق الا بذلك الوجـه . فهو يحتفظ بالمنطق الصوري دون المنطق المادي الذي يطلبه من متضمنات القرآن وعقيدته الدينية . وهو من المنطق الصوري ، لا يستبقي الا الاقيسة الثلاثة الحملي ، الشرطي المتصل ، الشرطي المنفصل ، لان تلك الاقيسة ، بحد ذاتها ، يجب ان تكون مؤلفة من مقدمات تتناول الصور الذهنية العامة الشاملة ، وتتسلسل بعضها عن بعض بطريق الاستدراج والاستنتاج فتصلح بذلك ان تتضمن تلك الالهيات والنظريات التي تحل عند الغزالي محل الكليات الضرورية عند ارسطو . فيمكنه ذلك من ان يعرض تلك العقيدة عرضاً منظماً مرتباً يستسيغه العقل ولو كان عالماً انه لا يزال على مستوى الجدل ، ولم يرتفع الى مستوى البرهان والاثبات .

ولا غرو بعد ذلك ان رأينا الغزالي يعدل عن اصطلاحات المنطق الارسطاطاليسي كما نقله فلاسفة العرب ، ليستنبط اصطلاحات اخرى من عند نفسه، ثم يسقط من ذلك المنطق اشياء ويزيد عليه اشياء اخرى. فتلك الاصطلاحات التي يعدل عنها وتلك الاشياء التي يسقطها كانت تصلح لمنطق ارسطو وهو منطق منفتح على الواقع واشيائه منها يستمد مادته ، ومنطق الغزالي موجه الى التعليم الديني ليعرضه عرضاً يقبله العقل. ان المنطق عند ارسطو يبقى تسجيلاً للواقع ، اما عند الغزالي فهو مستخدم، في ناحيته الصورية ، كاداة لتنظيم العقيدة الدينية .

١) القسطاس المستقيم ، طبعة القاهرة ، صفحة ٣٠، ٤٠

٢) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، طبعة القاهرة ، ١٣٥٣/١٩٣٤ ، صفحة ٩٢
راجع ايضاً Jabre, *Notion de Certitude*, p. 115-116

NOUVEAUX TEXTES LIHYANITES DE PHILBY-BOGUE

par

le P. A. VAN DEN BRANDEN

Au début de l'année 1953, l'explorateur bien connu, H. St. J. B. Philby entreprit un voyage dans le nord de l'Arabie et plus spécialement dans le pays de Midian, accompagné de l'ingénieur américain R. R. Bogue (cf. Philby, H. St. J. B., *The Land of Midian*, London, 1957, p. 4). Ces explorateurs copièrent ensemble plus de 450 inscriptions rupestres dont la majorité appartient au dialecte thamoudéen, d'autres sont sud-arabes, nabatéennes, grecques et et lihyanites. Ces dernières inscriptions font l'objet de cet article. Nous remercions M. Philby qui a bien voulu nous permettre d'éditer ces textes lihyanites. Les 368 inscriptions thamoudéennes seront publiées ailleurs.

Les 29 textes lihyanites que nous publions ici appartiennent paléographiquement à ce qu'on appelle le lihyanite ancien (Cf. Caskel, W., *Lihyan und Lihyanisch*, Köln-Opladen, 1945, p. 33) et peuvent donc dater d'avant le 3e siècle avant J.C. (Cf. Van den Branden, *La chronologie de Dedan et de Lihyan*, dans *BIOR*, XIV(1957), p. 15-16). Il s'agit de petits textes, de graffites. Leur contenu est assez pauvre, mais ils présentent quand même un intérêt philologique et onomastique appréciable.

Nous interprétons d'abord les 6 textes lihyanites contenus dans la collection de Bogue. Les 23 de la collection de Philby, viennent à la suite.

1. — Bogue 4. Le lieu de provenance de cette inscription n'est pas indiqué par l'explorateur. Nous lisons:

علال / قرح — 'l'l / qrḥ
تقط — tqṭ

'Alay'il / Qarâḥ
a tracé (ceci).

Commentaire: — *'l'l* est un nom connu en lih. Jsa. 203, 213 etc. et également en tham. Ph. 266 ah. Le nom signifie «le dieu est élevé», mais il pourrait avoir aussi le sens de 'Aliy est dieu», cf. Van den Branden, A., *La divinité thamoudéenne 'A*, dans *Le Muséon*, LXVII (1954), p. 354. Le nom peut être lu également *'l'b*, «le père est élevé» et il serait donc un nom théophore puisque *'b* est une dénomination divine mettant l'accent sur la qualité de «père» du dieu. Cf. Jamme, A., *Le Panthéon sud arabe préislamique*, dans *Le Muséon*, LX (1947), p. 73-74; — *qrḥ* correspond à l'arabe قرح, «propre, net» et est ici une épithète de *'l'l*; — *tqṭ* est la Ve forme du verbe قط, «couper, graver». Voir Winnett, F. V., *A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions*, Toronto, 1937, p. 13. Ce verbe se rencontre fréquemment en lihyanite, cf. Jsa. 103, 119, 147 etc.

2. — Bogue 58. Ce texte a été copié le 24-2-53 dans le Wady Haudha. C'est une inscription en boustrophédon dont la première ligne est, à une lettre près, complètement effacée. On lit:

. . . . . . ب — . . . . *b*
نـ خن بنا ريصص — *n ḫn bn' ryṣṣ*

. . . . fils
de Ḫawn a construit le parapet de puits.

Commentaire: — *ḫn* est un nom propre connu en tham. Ph. 280 (a); — *bn'* correspond au verbe بنا, «bâtir, construire», verbe connu, cf. tham. HU. 351 etc. et sous la forme *bny* en saf. Csaf. 4654 et en sabéen, CIH. 286; — *ryṣṣ*. Le *y* et le premier *ṣ* sont à intervertir. Le mot correspond à l'arabe رصيص, «serrés l'un contre l'autre», رصّاص, «pierres ajustées jointes formant le parapet autour d'une source ou une citerne». Nous traduisons par «parapet d'un puits».

3. — Bogue 61. Ce texte provient du même endroit que le précédent et a été copié à la même date. En voici l'interprétation:

ودت / لمذ ودت / يشع نسري — *wdt / lmḏ wdt / yš' nsry*

Elle salue / Lamid salue / Yaša' le Nasrite.

Commentaire: — *wdt* est la 3e pers. fém. du verbe ود , «saluer». Ce verbe qui dénote une nuance d'affection, est fréquemment employé dans l'épigraphie du nord. Voir p. ex. en tham. Jsa. 198; Ph. 166 (v) 13 etc.; — *lmḏ* nom propre dont le sens est «regarder qn en face». On le connaît encore actuellement en Algérie sous la forme اللاذي , cf. *Vocabulaire destiné à fixer la transcription en Français des noms indigènes*, Alger, 1891, p. 253. D'après le verbe, ce nom doit être un nom féminin; — *yš'*, nom connu en tham sous la forme de *yš'n* (HU. 135b) et *yš''l* (Ph. 171 (a)4); — *nsry* est le nisbe de *nsr*, nom ethnique connu en safaïtique, cf. Ingholt-Starcky, *Recueil des inscriptions sémitiques de la Palmyrène du Nord-Ouest*, extrait de D. Schlumberger, *La Palmyrène du Nord-Ouest*, Bibl. Arch. et Hist., t. XLIX, Paris, 1951, p. 176, n. 82 et en sud-arabe, Istamboul 76301, cf. *Le Muséon*, LXV (1952), p. 278.

4. — Bogue 62. Texte provenant du même endroit que le précédent et copié à la même date. Il est endommagé au milieu. Nous lisons:

لي (ا)مدو / سيم — *lmly* (/ ') *mdw* / *sym*

Par Mâliy/'Amdû/. Il a mis le troupeau en pâturage.

Commentaire: — *mly*, nom propre connu en tham. BO. 60 et en safaïtique, Csaf. 1654; — *'mdw*. La première lettre est restituée. Ce nom est connu en lih. Jsa. 342. En arabe أمد signifie «colère». Il s'agit d'une épithète de *mly*. Le *w* est la terminaison aramaïsante, cf. Ryckmans, *Noms propres*, I, p. 44.— *sym* est la IIe forme du verbe سام , «laisser aller au pré (les chevaux)».

5. — Bogue 165-166. Ce texte provient des environs de la station Al-Matali. Il est tracé en beaux caractères du lihyanite ancien, mais la présence de deux *h* différents prouve une influence thamoudéenne. Nous lisons:

عبه / ود 'bh / wd

يهر yhr

'Aybah / salue Yahar.

Commentaire: — *'bh* est connu en saf. Csaf. 568; — *wd* est le verbe, cf. notre n. 3; — *yhr* connu comme n. pr. en sab., Ryckmans,

Noms propres, I, p. 111 et ailleurs comme nom de lieu, cf. tham. HU. 529; Csaf. 1025.

6. — Bogue 189. Cette inscription provient de Wady Daghala et a été copiée le 27-2-53. On lit:

يلط نعمة هوهب ذيدد — *ylṭ n'mt h(w)hb ḏydd*

Est resté (ici) Na'amat ha-Wahb, clan de Yadūd.

Commentaire: — *ylṭ* nous semble être l'imparfait du verbe لطى «rester dans un lieu»; — *n'mt*, nom propre bien connu, cf. tham. HU. 453 etc.; saf. Csaf. 1705 et نعمة dans *Vocabulaire*, p. 298; — *whb*, le *w* est restitué, la copie portant un '. Ce nom est très fréquemment cité en épigraphie thamoudéenne et lihyanite, cf. tham. BO. 164 etc., lih. Jsa. 67; — *ydd* est un nom ethnique ici. On le connaît en safaïtique comme nom propre, cf. Csaf. 198.

7. — Ph. 395 (l). Les textes suivants appartiennent à la collection de Philby. Le graffite suivant provient de 'Ain al-Rais (Wady Qaraqar) et a été copié le 18-1-53. Nous lisons:

مص / ة — *mṣ / t* Muṣṣat

مصة — *mṣt*

Commentaire: — Ce graffite est tracé en double. Le second est probablement une correction du premier dans lequel l'auteur a tracé par erreur une barre de séparation entre le *ṣ* et le *t* final. En arabe مُصّة signifie «la meilleure partie». On connaît en saf. le nom *mṣ*, cf. Csaf. 3571.

8. — Ph. 395 (n) provient du même lieu et a été copié à la même date que le graffite précédent. Les lettres sont tracées à l'envers. On lit:

نوسة — *nwst* Nuwâsat

Commentaire: — *nwst* correspond à l'arabe نواسة, «mèche de cheveux pendante». Le nom est nouveau, mais on connait en Algérie les noms propres: نويس et نواس. cf. Vocabulaire, p. 307 et p. 306.

9. — Ph. 395 (o). Double graffite provenant du même lieu que le n. 7 et copié à la même date. On lit:

اصعر تقط — *'ṣ'r tq(ṭ)*

اصم تقط — *''ṣm tqṭ*

'Aṣ'ar a tracé (ceci).

'A'ṣam a tracé (ceci).

Commentaire: — *'ṣ'r*, en arabe أصعر , «qui a la bouche, le visage à travers». Ce nom est nouveau; — *''ṣm*, en arabe أعصم , «qui a le bec et les pieds rouges», également un nom nouveau. Le nom *'ṣm* est connu, cf. Ryckmans, *Noms propres*, I, p. 169; — *tqṭ*, verbe, voir sous n. 1.

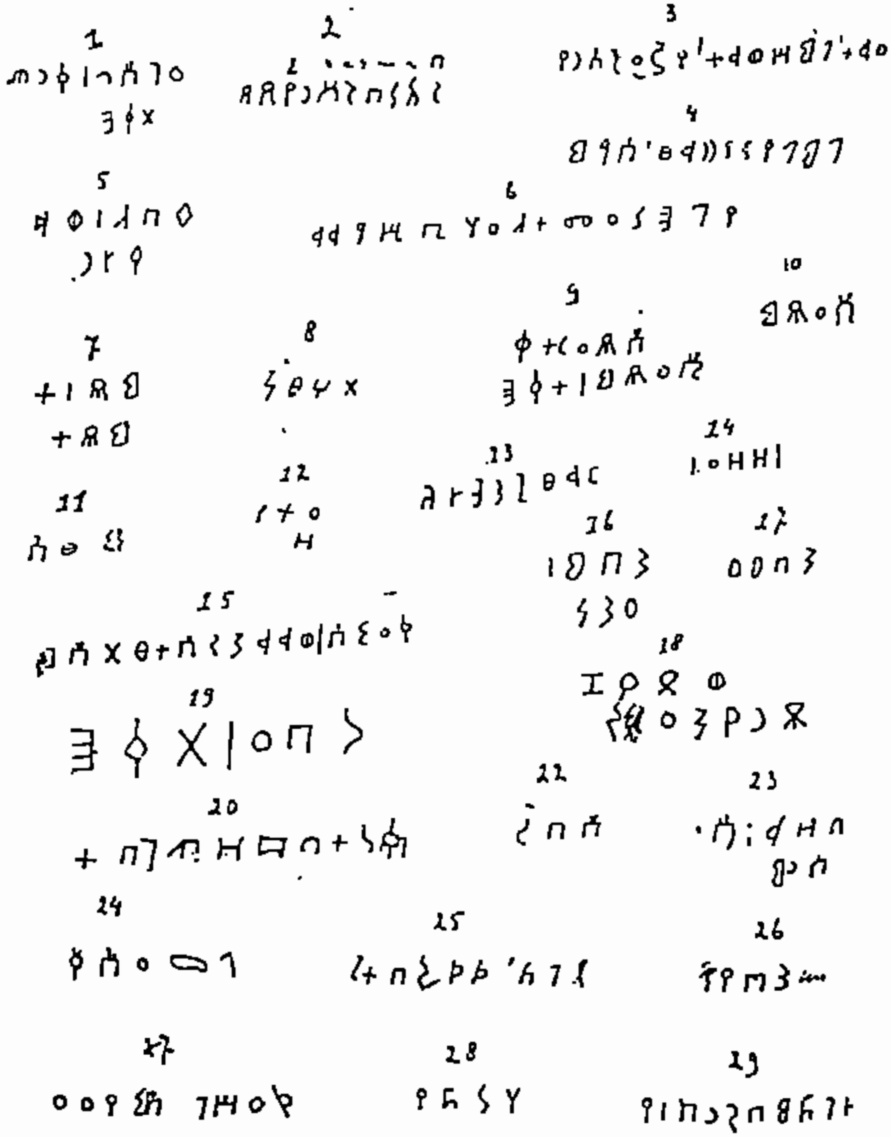

10. — Ph. 395 (p). Également au même endroit et copié à la même date que le n. 7. On lit le nom propre:

اعصم — ''ṣm 'A'ṣam.

Commentaire: — Cf. n. 9.

11. — Ph. 395 (q) provenant du même lieu et copié à la même date que le n. 7. Nous lisons de gauche à droite.

اوم — *'wm* 'Awwam.

Commentaire: — Ce nom est connu en tham. Ph. 160 (n) 35. Voir aussi en saf. le nom théophore *'wm'l* (Csaf. 1370). *'wm* est le nom du temple du dieu sabéen *'Ilumquh* près de Mârib, cf. Jamme, *Panthéon*, p. 65. Il se peut que ce dieu soit désigné ici sous le nom de son temple, procédé bien connu dans l'épigraphie nord — et sud-arabe, cf. Jamme, A., *La religion sud-arabe préislamique*, dans *Histoire des religions de Brillant et Aigrain*, 4, p. 279, note 1.

12. — Ph. 395 (r). Graffite provenant du même lieu et copié à la même date que le n. 7. On lit de gauche à droite:

لتعز — *lt'ẓ* — Par Ta'azz.

Commentaire: — Ce nom propre est connu en saf., cf. Csaf. 5119. Le ẓ se trouve au dessous du '.

13. — Ph. 395 (s) provenant du même endroit et copié à la même date que le n. 7. On lit:

بد ونشت هك — *bd wnšt hk* — Budd et Nâšit Hawk.

Commentaire: — *bd* est un nom connu en tham. HU. 690 et en saf. Csaf. 3339; — *nšt* correspond à l'arabe نشاشة, «gai», nom nouveau mais connu en Algérie sous la forme نشاش, *Vocabulaire*, p. 297; — *hk*, en arabe هوك, «un peu fou», épithète de Nâšit. Voir pour ce nom *Vocabulaire*, p. 197.

14. — Ph. 395 (t) encore du même lieu et copié à la même date que le n. 7. Le nom propre se trouve entre deux barres, et se lit de gauche à droite:

/ عزز / — / 'ẓẓ / — 'Azîz /.

Commentaire: — Nom connu en tham. HU. 790. Voir aussi dans *Vocabulaire*, p. 21.

15. — Ph. 395 (v) a. Du même lieu et copié à la même date que le n. 7. Nous lisons:

قعشا / ودد شناة وثار — *q'š' / wdd šn't wt'r*

Qa'šâ' salue Šanâ't et Tâ'ir.

Commentaire: — *q'š'*, en arabe قعشا , «qui lève et dresse la tête». C'est un nom nouveau. En saf. on le retrouve sous la forme *q'šy* (Csaf. 4439); *-wdd*, est la IIde forme du verbe ود ; cf. n. 3; — *šn't* est connu en minéen, cf. Ryckmans, *Noms propres*, I, p. 210 et en saf. Csaf. 3065; — *t'r*, en arabe ثائر , «qui reprend son occupation», voir le nom ثئر dans *Vocabulaire*, p. 358.

16. — Ph. 427 (d). Texte provenant du Wady Suraiyit et copié le 24-2-53. — On lit:

شبم — *šbm/* — Šabâm/

عشن — *'šn* — (clan de) 'Ašân.

Commentaire: — *šbm* est connu en tham. HU. 251 et en saf. Csaf. 291; — *'šn* est un nom propre de personne en tham. HU. 692, mais est probablement ici un nom ethique. Le procédé est connu en tham. cf. Van den Branden, A., *Les textes thamoudéens de Philby*, vol. II, p. XII et en sud-arabe, cf. Jamme, A., *Pièces épigraphiques de Heid ibn 'Aqil, La nécropole de Timna' (Hagr Kohlān)*, Louvain, 1952, p. 7.

17. — Ph. 427 (e). Provenant du même endroit et copié à la même date que le n. 16. — On lit:

شبمم — *šbmm* — Šibâmum.

Commentaire: — Pour ce nom voir n. 16. Il est muni ici de la mimation. Voir Höfner, M., *Altsüdarabische Grammatik*, Leipzig, 1943, p. 114.

18. — Ph. 427 (f). Du même endroit et copié à la même date que le n. 16. — On lit en boustrophédon de gauche à droite:

زيد و — *zy(d) w*

صرد شعرن — *ṣrd š'rn*

Ziyâd et Ṣarid, (les deux du clan de) Ša'ar.

Commentaire: — *zyd*, nom connu en lih. J.sa.220 et tham. Hard. 222. Le *d* est douteux; — *ṣrd* est connu en saf. Csaf. 3068; — *š'rn*, connu comme nom propre de personne en tham. Jsa. 15. C'est ici le duel du nom ethnique. Voir ce nom de tribu dans Peake, *La Transjordanie et ses tribus*, p. 356.

19. — Ph. 428. Texte provenant du Wady Thana et copié le 24-2-53. Nous lisons:

ربع / تقل — *rb' / tql* — Rabi' a tracé (ceci).

Commentaire: — *rb'*, nom connu en tham. HU. 320 et en saf. Csaf. 23. Voir aussi le nom ربع dans *Vocabulaire*, p. 325; — *tql*, cf. n. 1.

20. — Ph. 436 (a). Texte provenant de Zibliyat et copié le 29-2-53. On lit:

لقنة بمزغل بت — *lqnt bmzġl bt*

Par Qaynat, fils de Muzġil. Il a passé la nuit (ici).

Commentaire: — *qnt*, connu en tham. HU. 593 et en saf. Csaf. 4244: — *mzġl*, correspond au participe IVe forme du verbe زغل, «lacher l'urine ça et là». Le nom est nouveau. On connaît le nom زغي en Algérie, cf. *Vocabulaire*, p. 383; — *bt* correspond à l'arabe بات, «passer la nuit». Le verbe est fréquemment employé dans les différents dialectes nord-arabes. Voir p. ex. Lih. Jsa. 246; tham. HU. 135b; saf. Csaf. 28.

21. — Ph. 438 = Jsa. 83 = Caskel 30. Cette inscription provient de Khuraiba (Dedan) et a été copié par Philby le 26-2-53. Elle correspond à Jsa. 83. Voir la reproduction dans Jaussen-Savignac, *Mission archéologique en Arabie*, Paris, 1920, vol. II, atlas, pl. LXXXV et pl. XCII. Le texte est fortement abimé. Nous lisons en nous rapportant également à la copie de Jaussen-Savignac:

21

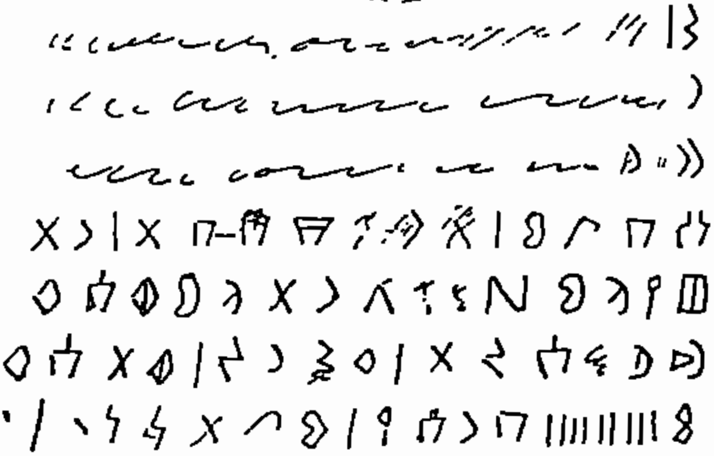

ش / وكل	1	*š / wk(l.* . . . .
مشمش (/ حيو / هدقو / هصل)	2	*mšms (/ḥyw / hdqw / hṣl-)*
من / هذه / ذ (ذر) / لاجلبن	3	*mn / hḏh / ḏn(ḏr) / l'glbn*
ابهم / خرحذغبة / فر	4	*'bhm / ḫrḥḏġbt / fr-*
ضيهم / واخرتم / وسـ	5	*ḍyhm / w'ḫrtm / ws'-*
دهم / سنة / عشرن / وتسع	6	*dhm / snt / 'šrn / wts'*
٢٩ براي / جلتقس	7	Z 8 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 1 Z *br'y gltqs*

1 š / et tout. . . . .
2 mšams / Ḥayû / ont offert / ces deux sta-
3 tues-ci / qu'a vouées à 'Aglibon
4 leur père / Ḫaraḥḏû-Ġâbat / et qu'il leur soit pro-
5 pice / et qu'il les guide / et les ren-
6 de heureux / en l'année / vingt neuf /
7 29 / du règne / de Galatqays /

Commentaire: — 1: *š* est sans doute la fin le d'un nom propre; *kl*, «tout». Le *l* est restitué. Le reste de la ligne est effacée; 2- *mšms* est ce qui reste d'un nom théophore. Il est difficile de le restituer. Caskel l'a complété en *'mšms*, mais ce nom n'est pas connu et nous semble peu vraisemblable du point de vu du sens; — *ḥyw hdqw lṣlmn* est restitué par Caskel d'après le texte lih. Jsa. 82 = Caskel 32. Nous adoptons cette restitution; — *ḥyw* est un nom propre qu'on rencontre dans tous les dialectes arabes, cf. lih. Jsa. 163; déd. Jsa. 332; tham. Ph. 188 (b); sab. CIH. 492, 1; — *hdqw* est la IVe forme du verbe ودق , «approcher» et a le sens de l'hébreu קרב . Il se présente également avec la préformante ' cf. lih. Jsa. 50; 61; 63; — *hṣlmn* est un duel, cf. Höfner, *Altsüdarabische Grammatik*, p. 108 et notre n. 18 = Ph. 427 (f). Caskel, *Lihyan und Lihyanisch*, p. 68 y voit une forme de pluriel archaïsante. *ṣlm* prend le pluriel *'ṣlm* dans les textes épigraphiques du nord et du sud, cf. p. ex. tham. Ph. 178 (s) 7 et en sud-arabe, CIH. 5443; RES. 3990, 5; — 3: *hḏh* est le pronom relatif, cf. Caskel, p. 63;—*ḏnḏr* est restitué par Caskel d'après Jsa. 82. La restitution est exacte, l'estampage de la pl. LXXXV de Jaussen-Savignac permet encore en grande partie cette lecture. Le verbe *nḏr*, «vouer» est fréquemment employé dan l'épigraphie, cf. tham. Ph. 167 (ab); 279 (aw) et en sud-arabe

à la Ve forme *tndr*, CIH. 547 etc.; *'glbn*, nom de la divinité. Voir à ce propos Caskel, p. 45 et Starcky, dans *Histoire des Religions de Brillant et Aigrain*, 4, p. 209; — 4: *'bhm*, «leur père», en arabe أب «père» et *hm*, suff. de la 3e pers. du plur., cf. Caskel, p.63;—*ḫrḥdġbt*, nom théophore. La racine *ḫrḥ* est inconnue;*dġbt* est le nom de la divinité principale des Lihyanites. Le sens du mot est d'après Caskel, p. 44 «der vom/im Dickicht», c-à-d «celui du/ dans le bois fourré» d'après l'arabe غابة , «endroit planté de roseaux ou couvert de buissons». Ġābat est sans doute un nom de lieu comme Šarā' dans le nom divin nabatéen *dšr'*, dieu de la région montagneuse au sud de Pétra, cf. Starcky, *op. cit.*, p. 220. Voir le nom de lieu الغابة dans Al-Hamdânî, *Géographie der arabischen Halbinsel*, éd. Müller, Leiden, 1891, vol. II, p. 84; — 4-5: *frḍyhm*; *f* est la conjonction, cf. Höfner, *Altsüdarabische Grammatik*, p. 171;— *rḍy* correspond à l'arabe رضى , «trouver bon» d'où « agréer, être propice ». Nous traduisons donc: «et qu'il leur soit propice». Winnett, *A Study*, p. 13 rapporte ce mot à la racine *frḍ*, «to grant a long life». Caskel admet cette opinion mais voit plutôt un substantif dans ce mot qu'il rend par «Kelb», (coche). L'expression signifierait «temps de vie» et l'idée serait empruntée à l'Egypte, cf. Caskel, p. 75. Nous pensons que *rḍyhm* est la 3e personne masc. du verbe رضى et رضت *rḍth* de Jsa. 37 = Caskel, 25,2 la 3e pers. sing. fém. «qu'elle (la divinité 'Uzzay) lui soit propice «Cf. BIOR, XIV (195 7.), p. 97; — 5: *'ḫrthm* serait d'après Caskel, p. 76 un substantif d'origine araméenne et signifierait «descendance». Déjà Jouon dans *Orientalia* IV (1935), p. 81 lui avait attribué ce sens. Nous y voyons plutôt la IVe forme du verbe خرت , «être guide habile», d'où à la IVe f. «guider» et traduisons donc l'expression par «qu'il les guide». ' est la préformante de la IVe forme, cf. aussi *'ḫrm* dans lih. Jsa. 64,1 et *'dq* cité plus haut; — 5-6: *s'dhm* se rapporte au verbe سعد , ici à la IIIe forme «aider». Caskel le prend encore comme un substantif et traduit «bonheur»; — 6: *snt 'šrn wts'*, «dans l'an vingt neuf». L'expression ne présente aucune difficulté; — 7: les premiers signes représentent le nombre 29 entre deux signes indicateurs du nombre et qui ont la forme d'un *n*. Le premier signe indique la vingtaine et les barres

droites les unités. Cette manière d'indiquer le chiffre est différente de celle employée en arabie du Sud, cf. Höfner, *Altsdarabische Grammatik* p. 13; — *br'y* «gouvernement», «règne» du verbe رأى, «juger» et رأى, «conseil», cf. Caskel, p. 40; — *gltqs*, nom du roi lihyanite. C'est un nom théophore qui signifie «Qaws frappe». Qaws, «arc» est un dieu édomite (Caskel, p. 47). Il est cité dans la tablette magique phénicienne d'Arslan Tasch, cf. *Mélanges Syriens*, I, p.422, dans la Bible et l'épigraphie araméenne, cf. Koehler Baumgartner, *Lexicon*, ad. *brqws*; *glt*, en arabe جلت, «frapper».

22. — Ph. 439 (c). Graffite provenant de El-Elâ et copié le 26-2-53. On lit:

ابن — *'bn* — 'Abân.

Commentaire: — Le nom est connu en tham. HU. 106 et en saf. Csaf. 1922. Voir aussi le nom *'bnh* dans lih. Jsa. 66.

23. — Ph. 439 (e) provenant du même lieu et copié à la même date que le n. 22. Nous lisons:

بزد / ال — *bzd*,' (1) — Bi-Zayd'i (1)
سرم — *srm* — de Sarûm.

Commentaire: — *bzd'l* est un nom connu en saf. Csaf. 2219. Voir aussi *zdlh* en lih. Jsa. 340. Le *l* est restitué. Les points de séparation entre *zd* et *'l* sont à supprimer, voir plus haut n. 7; — *srm* est un nom de lieu connu, cf. Ryckmans, *Noms propres*, I, p.355.

24. — Ph. 439 (d). Graffite provenant du même endroit et copié à la même date que le n. 22. On lit:

لمعاث — *lm''ṯ* — Par Ma'â'ṯ.

Commentaire: — *m''ṯ* correspond à l'arabe معاث, «passage». C'est un nom nouveau.

25. — Ph. 439 (f). Provenant du même lieu et copié à la même date que le n. 22. Ce texte est incomplet et pourrait bien être dédanite. Nous lisons:

ملك / ددن / بتن — *mlk* / *ddn* · *btn* — ...roi / de Dedan / à Tin.

Commentaire: — *mlk ddn*, cf. déd. Jsa. lih. 138 = Caskel 1. Dedan est le ancien nom de l'actuel El-Elâ dans le Hegâz, cf.: Jaussen-Savignac, *Mission archéologique*, II, p. 284, ville fréquemment mentionnée dans la Bible, cf. Gen. 10,7; 25,3 etc. et dans les

textes thamoudéens cf. Jsa. 260, 386 etc., — *tn* semble bien être un nom de lieu. Voir p. ex. dans Yaqut, *Moshtarik*, éd. Wustenfeld, Gottingue, 1846. p. 119.

26. — Ph. 439 (j). Provenant du même lieu et copié à la même date que le n. 22. Graffite incomplet qu'on lit:

شبي — *šby* — Šabay.

Commentaire: — Ce nom est connu en saf. Csaf. 517.

27. — Ph. 439 (l). Texte encore incomplet provenant du même lieu et copié à la même date que le n. 22. On lit:

. . د عذل بشيع — *d 'dl bšy'* — . . d 'Adil, fils de Šay'a'.

Commentaire: — *'dl*, connu en tham. Ph. 351 (a) etc.; — *šy'*, voir lih. Jsa. 160 et la forme *n'll* dans Csaf. 5221.

28. — Ph. 439 (m). Provenant du même endroit et copié à la même date que le n. 22. On lit:

هنكي — *hnky* — Ha-Nakay.

Commentaire: — *h* est l'article et *nky* correspond à l'arabe نكى, «blesser». *Nakay* est un nom nouveau.

29. — Ph. 439 (k). Du même endroit et copié à la même date que le n. 22. Le texte est précédé d'un *wasm* connu, cf. Van den Branden, *Les inscriptions thamoudéennes*, Louvain, 1950, pl. XX. On lit:

لكم بن ركلي — *lkm bn rkly* — Lakkâm, fils de Râkiliy.

Commentaire: — *lkm* est connu en tham. Ph. 266 (ao) 2. On peut lire aussi *lkm*, «Par Kâm», cf. Bo. 5; — *rkly*, voir le nom *rkl*, lih. Jsa. 141 et en Algérie les noms ركاك , ركال , *Vocabulaire*, p. 330 et p. 329.

Beyrouth le 3-3-59.

A. VAN DEN BRANDEN

ABRÉVIATIONS

BiOR = *Bibliotheca Orientalis*, Leiden.

BO = textes de Bogue inédits.

CIH = *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, vol. IV.

Csaf. = *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, vol. V.

déd. = dédanite.

HU = textes thamoudéens de Huber, numérotation d'après Van den Branden, A., *Les inscriptions thamoudéennes*, Louvain, 1950.

Jsa. = textes de Jaussen-Savignac, *Mission archéologique en Arabie*, 2 vol. et atlas, Paris, 1904-1920.

Kœhler-Baumgartner = *Lexicon in Veteris Tenstamenti Libros*, Leiden, 1953.

lih. = lihyanite.

Mélanges Syriens = *Mélanges Syriens offerts à M. René Dussaud*, Paris, 1939.

Ph. = textes de Philby dans Van den Branden, *Les textes thamoudéens de Philby*, 2 vol., Louvain, 1956.

RES = *Répertoire d'épigraphique sémitique.*

Ryckmans, Noms propres = Ryckmans, G., *Les noms propres sud-sémitiques*, 3 vol., Louvain, 1934-1935.

sab = sabéen.

saf = safaïtique.

tham = thamoudéen.

تعريف عن الكتب

قانون المحاكمات الكنسية

شرحه المثلث الرحمة المطران عبدالله ابي كرم ونشره طبقاً لقانون المحاكمات الحديث الموضوع للكنيسة الشرقية وزاد عليه شروحاً الاب مارون ابي كرم اللبناني

بيروت ، ١٩٥٩-٦٢٦ صفحة

من ذكر المطران ابي كرم عنى العلم والنزاهة في التنقيب والقوة في البرهان الدامغ والصدق في جذب القارئ الى اليقين القوي . كتب وألف وكان ذا همة قعساء لا تلوي كأنه مع صحة نحيلة قدّ من صخر بما ألفه وترجمه ونذكر « قسطاس الاحكام » يقابل فيه بين الحق القانوني والشرع الاسلامي وهو ٣ اجزاء،ثم الكتاب الذي نحن في صدده.نقل وترجم الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه في سبعة مجلدات ، والردود على الخوارج للقديس توما الاكويني ورسالتي البابا لاوون الثالث عشر في الشؤون الاجتماعية وفي الكنيسة والتمدن ونقل الى اللاتينية فلسفة ابن سينا « النجاة ».وله كتاب لا يزال مخطوطاً في علم الاجتماع. وفي هذا كله ما يدل على سعة اطلاعه وعلى اتجاه الفكري العالي الذي لا تزيده الايام الا تأثيرا في قلوب الاحفاد .

قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة اجزاء . في الجزء الاول يتناول القضاء بوجه العموم فيسير المؤلف كالربان الحاذق بين طيات القانون يقلبها ويدرسها ويزولها فيحدد معنى المحاكمات وموضوعها ويدرس الصلاحية العامة للكنيسة وبعد ذلك ينتقل الى مبادئ السلطة والولاية والادعاءات والدفوع . في الجزء الثاني يتناول المؤلف المحاكمة الحقوقية فمن الدعاوى الحقوقية بوجه العموم الى الدعوى الحقوقية امام القاضي الى دعاوى الزواج الى الدعاوى ضد السيامة المقدسة . وفي الجزء الثالث يتناول المحاكمة الجنائية .

ومن هذه الاجزاء الثلاثة يبدو للقارئ والمنقب ان المؤلف توصل الى غايته الاولى وهي شرح قانون اصول المحاكمات الكنسية الغربية الذي اذيع سنة

١٩١٧ . فاتى بعده الاب العالم مارون ابي كرم واتمّ العمل فزاد عليه شروحاً وفقاً لاجتهادات المحاكم والمجالس الكنسية الشرقية المعمول بها اليوم وتعاليق ائمة القانون واجوبة لجنة التفسير الحبريّة وألحق بهذا المؤلف الضخم بقيمته وصفحاته « قانون الاحوال الشخصية » للطوائف المسيحية والطائفة الاسرائيلية في لبنان وعقّبه بجدول لقواعد الناموس بنصيها العربي واللاتيني وبجدول للقوانين الشرقية مع مقابلتها بالقوانين الغربية .

*

هذا هو الكتاب الذي نحن بصدده . فمن دقّة في التبويب الى وضوح في الشرح والتفسير الى غزارة ثقافـة في المقابلات المتمدّدة الى رجوع خصب الى الاصول ودروس ائمة القانون الى قوّة وسلاسة في احقاق اليقين لدى القارئ المطّلع : كلها صفات امتازت بها هذه الصفحات بمفردها وبكاملها التي خطتها يدا عالمين قضيا العمر في البحث ورائدهما الوحيد خدمة المحاكم الدينية واعطائها الاسس الثابتة .

ولكن العدد الكبير من القضاة والمحامين يسرّون كل السرور لظهور هذا الكتاب وفيه ما يساعدهم على فهم الامور الكنسية وقد تأمنت في البلاد المحاكم الدينية وتعرفت اليها الحكومات المتعاقبة وارتاحت اليها العقول بسبب تنظيمها وترتيبها فكان للمحامي ان يعرف ما يجري داخل تلك المحاكم وعلى اي ركائز تثبت وبأي تنظيم تعيش فاتى هذا السفر النفيس يفي بالمرام ويوضح ويفتح الآفاق ويرافق القارئ ولا يتركه يستسلم الى السأم والضجر . وهي صفات في دروس كهذه تضع المؤلف في ذروة .

يستطيع القارئ بواسطة فهارس الكتاب الواسعة ان يتصرّف به ويجني منه المنفعة الكاملة . ولكن كان على الناشر ان يُرفقه بفهرس هجائي فيضيف الى قيمة الكتاب التي لا مجال لنكرانها قيمة استعمال المؤلف بسهولة خاصة لمن لا يسعهم الوقت من التفتيش الطويل . وكان على الناشر ان يحتفظ ايضاً في استعمال المفردات القانونية بترجمة النصّ اللاتيني التي صادقت عليه اللجنة الحبرية اذ في ذلك سهولة لمن يرغب في مطالعة الكتاب فلا يضيع بين مفردات اثبتت وتقرر استعمالها ومفردات يستطيع كل مؤلف ان يستعملها .

اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

في الزواج

بقلم الخوري باخوس الفغالي

دكتور في الحق القانوني · محام روتي · رئيس المحكمة البدائية المارونية في لبنان
منشورات الرابطة الكهنوتية – بيروت ١٩٥٩ – ٦٧٩ صفحة · حجم كبير

ان الكتاب المؤلف تلك القيمة التي تعود لكتب هي عصارة اختبار واطلاع ودرس . ليس هذا الكتاب ابن يومه فقد قضى حضرة الاب الفغالي السنين الطويلة في التنقيب والتمحيص ، في رئاسة المحاكم الدينية وفي المرافعة ، فجمع بين العلم والحياة ، جمع بين التطبيق والنظريات وأتى كتابه هذا تفسيرا وعرضا ، وافيا شروط الكتب العلمية الصحيحة .

تتبع المؤلف القانون الذي تحتكم اليه شريعة الزواج الشرقية المعمول بها منذ ٢ ايار ١٩٤٩ فسار امينا يقابل بين الشرعين الغربي والشرقي ويبين النقط الضرورية كي يتنبه اليها من يهمهم الامر عند تزاوج ابناء الطائفة اللاتينية بابناء الطوائف الشرقية. وعاد دوما في سيره الى احكام الروتا ، المحكمة الكنسية العليا ، واجتهاداتها وأجوبة لجنة تفسير القانون فوضح كل ما يجب ايضاحه فاتى المؤلف كثير الفائدة لمن يتوقون الى معرفة ما ترتكز اليه الكنيسة في احكامها وبخاصة الى معرفة الشريعة التي تربط الى الابد من يعقدون زواجا شرعيا لا انفصام فيه .

ليس من السهل بشيء أن يكتب كتاب قانون فعلى المؤلف ان يفسر وفي تفسيره ان يعود الى المراجع الامينة التي قد جربها الزمن فوجدها لا تتزحزح فيرتكز اليها وبعد ذلك ان يذكر اراء غيرها قد تكون من الصحة بشيء. ولذلك فيتطلب كتاب القانون وتفسيره من المؤلف ان تكون معلوماته واسعة وعلمه ثاقبا وتحرياته جريئة فيعرض وينتخب ولا يهاب الا ضميره حتى اذا ما اضطر الى ابداء رأي في مسألة ما برهن عن تلك الجرأة المنبثقة من اعماق الضمير . وهذا ما تراه في هذا الكتاب الذي نحن بصدده . فمن خلال الايجاز الذي اراد المؤلف ان يختبئ وراءه نرى علما متدفقا واصالة في الرأي وجرأة في

الانتساب الى هذا او ذاك من المفسرين الذين سبقوه. وكل ذلك بأسلوب سهل شيّق قريب المنال .

هذا ما يُطلب من كتاب قانون. ولكن متى عثرنا على وضوح في التبويب وعلى تدقيق في التعبير ربما اضنك المؤلف في التفتيش عنه ولغتنا العربية لا تزال تفتقر الى مثل تلك التعابير، متى عثرنا على فهارس منظمة ولو كانت موجزة، هجائية وغيرها، ثبت لنا ان الكتاب ثمرة شهية يقطفها من يريد بسهولة. ولذا فللعاملين في حقل القانون نقول ان بين ايديهم كتاباً يرجعون اليه براحة بال ويستقون من معينه اصدق ما قيل في شريعة الزواج . اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

المحاماة علم ودرس وفن

بقلم المحامي ميشال شبلي

مقدمة بقلم الاستاذ جورج فيلبيدس نقيب المحامين

مطبعة صادر ١٩٥٩ — ٦٤ صفحة

ان المحاماة بين المهن الحرة هي المهنة التي تطلب استعمال الحرية وتبني المسؤوليات الجسام امام الضمير الواعي الحكَم . فهي خدمة للبشر وهي أمل للمظلوم . ولكم كانت على ممرّ الاجيال تحصر في المرافعة البليغة وفي النكتة اللاذعة القاضية حتى على صحة الرأي وصدق القضية .

ولقد احسن المؤلف في جمع ما رآه نافعاً للتكلم عن المحاماة كعلم—وهو واسع ، ودرس — وهو مضن، وفنّ — وهو شائق يتضمن، كي يكون كاملاً ، فنوناً يستعيرها مما ابتدعه العقل البشري واقرّه من فصاحة وطلاقة وشعر وتاريخ الى ما هنالك مما يستعين به لتوضيح الحقّ ولدعم البرهان .

رسالة المحامي رسالة شريفة سامية . رسالة خدمة وأمل . رسالة اجتماعية تستلهم « الله ملهم الشرائع والقوانين » . ا. ع. خ.

HUMBERT BOUESSE, o.p. — *Le Sacerdoce Chrétien.* — Desclee de Brouwer. — Bruges. 1957 — 288 pp.

يقسم المؤلف كتابه هذا الى خمسة فصول . يعطي في الاول منها نظرة شاملة على كهنوت المسيح وينتقل بعد ذلك فيدرسه قبل الوحي الالهي ثم في

العهد القديم وفي العهد الجديد ومنه يتفرغ الى درس كهنوت الاسقف وكهنوت الكاهن وكهنوت القديسين الملكي . في كل هذه الفصول عودة الى الكتب المقدسة والى القديس توما الاكويني وهذا ما يعطي الكتاب قوة البرهان ودقة البحث. ولكننا كنا نود ان نرى بين سطور هذا المؤلف القيم فكرة اوضح عمّا يطبعه السر في نفس الكاهن وصلة ذلك بكهنوت المسيح وكيف ذلك . هناك غموض كان على المؤلف ان يحل رموزه مـا استطاع — ولكن والحالة هذه ففي هذا الكتاب جهد وبحث يستقر المؤلف عليهما . ا. ع. خ.

Histoire Universelle des Missions Catholiques, publiées sous la direction de Mgr S. Delacroix. — I : Les Missions des origines au XVI[e] s. — II : Les Missions modernes (17[e] et 18[e] s.). — III : Les Missions contemporaines (1800-1957) — IV : L'Église Catholique en face du monde non chrétien. — Avec un grand nombre de collaborateurs.— 365 pp., 394 pp., 414 pp., 379. — avec des pl. en couleurs, en noir, des cartes ou plans. — Librairie Grund—Paris, Edition de l'Acanthe, Monaco, 1957, 1958.

فتوحات كلها تلك الارساليات ولا فتوحات القراة فانها المحبة التي سارت بهم تحمل اولئك الابطال على هجر الوطن واقتحام الصعاب كي تصل البشارة الحقيقية الصحيحة الى من يظلون في ظلماتٍ ودياجير . وما تاريـخ تلك الارساليات الا قسم من تاريخ يكتبه القديسون من خلال اعمال بشريةٍ ان تصل الى نتيجة مثمرة لولا النعمة العلوية التي تساند وتهدي. وما تاريخ تلك الارساليات ايضاً الا قسم من تاريخ السياسة والتمدن والثقافة والنظم الداخلية. وكل ذلك قد تجدد ونُفحت فيه روح جديدة ونظرة ثاقبة مجددة منذ اربعين سنة . وقد حملت على هذا التجديد ايضاً وصول البلاد النائية الى تكريس سلطة دينية من ظهرانيهم وهذا ما اثار سير الارساليات في هذه الحقبة الاخيرة . ولهذا فاننا نجلّ عملاً كهذا الذي قام به المونسنيور دلاكروا بمساندة دار النشر الأكانت . ولذا ايضاً نفهم كيف ان من قدّم للمجلدين الاول والثاني هو نيافة الكردينال شلسو كوستانتيني الذي خبر واحبّ تلك البلاد البعيدة وشهد وصولها الى تثبيت تلك السلطة الروحية المنبعثة من اعماق اشواقها للسير نحو النور الكامل بواسطة ابناء منها ورسل من اولادها .

تعمل في هذا الدراسات مؤلفون عديدون اتصفوا بسعة العلم ودقة البحث ورحابة الصدر فاتى هذا الكتاب الواسع الارجاء سفرًا ثميناً لا يجوز لمن يريد ان يُبدي حكماً على الارساليات الماضية والحاضرة ان يتغافله .

ولقد ضمّت الى الكتاب صور عديدة تَرينا الرسل اولئك في اعمالهم او في حياتهم بين الشعوب التي احبّوها فخدموهـا حتى الموت وكلها تعطي نورًا ساطعاً على الحقبات المدروسة وعلى البيئات المختلفة وعلى ما تصدّى للمرسلين من عقبات وعلى ما اكتشفوه من قيم ومن جمال-وعلى ما احتفظوا به فجعلوا الحقيقة المسيحية تهضمه وتتفهّمه .

ومن خلال هذا كله تتراءى لنا عظمة تلك المركة الفعّالة التي قامت بها الكنيسة على ممرّ الاجيال وقد رسخت اقدامها في العالم في دم شهدائها وقديسيها. تتراءى لنا عظمة تلك المركة المثمرة التي برهنت وتبرهن كل يوم لا على صلابة الكنيسة وهي من الله ولكن على مرونتها في تفهم مشاكل الساعة واعطاء المشاكل الحلّ الوافي الصادق ، ساعية دوماً لا في الاجبار القسري ولكن في الخدمة الناجمة المحبية .

وعلى القارئ ان يختار الحقبة التي يهمّه امرهـا من البشارة التي حُملت للسلافيين او من طريقة الرسالة التي ابتدعها ريمون لول او من جدية العمل لدى الاسبان والبرتغاليين الى ما هنالك من تطور في العقلية الارسالية في الجيل الماضي وهكذا دواليك. ففي كل تلك المراحل يجد الدرس الوافي مع الوثائق الدامغة والآفاق المفتوحة لتوسع اكبر ولتنقيب مستمرّ . ا. ع. خ.

القمر الفتي

بقلم رابندرانات طاغور

تعريب ايوب موسى فلوح

من منشورات الينبوع ١٩٥٩ — ٨٧ صفحة حجم صغير

لا يسبر غور روح الطفل الّا من حفظ لنفسـه تلك الفتوّة المتأصلة في الطهر وعذوبة النظر وحب السكون والركون الى الطبيعة والاعماق . ولن يفهم تلك النفس الّا من شبّ بعيدًا عن سفسطات الحياة وخزعبلاتها فحفظ لعقله حدسه

الاول ولقلبه ولعه بالسذاجة التي لا يوازيها زخرف مادي ولا تقنية تصرع القيم ولا تقيمها .

ونحن الآن بصدد هذا الكتاب للشاعر الهندي طاغور الذي اجتهد المعرّب ان يلج الى اعماق تفكيره فنجح واعطانا كتاباً فيه نبرة الطفل بطل هذه الاناشيد الاربعين ، ذلك الطفل الذي رمته الالوهة في حضن الام فيحن الى وطنه السماوي ويفتش دوماً عن الانفلات مع بني جنسه وعمره للوصول الى الشاطئ الآخر . وما ذلك الحنين الا العودة الى سطور خطتها يد الطبيعة في قلب الطفل فيقرأها ويتفهمها ويرى من خلالها اصله العلوي فيهيم به ويودّ لو يعود اليه دون بطء .

ويستسلم القارئ الى افكار الشاعر واستشاراته والى لغة المعرّب او بالحري الى افكار الشاعر التي صارت افكار المعرّب فيرى هناك سحراً يخطفه ويسير به الى اجواء لم يكن قد آنسها او انه قد نسيها وتصير هذه الاناشيد كوسيلة لتطهير باطني يعود به من خلال عمر طويل الى استكشاف الايام الاولى التي يعود اليها ويجد فيها حناناً وعطفاً وأخوة مع الطبيعة يبكي على ضياعها . وبينما هو كذلك يشعر بموسيقى عذبة تسمعه اياها أصابع الطفل الساحرة فيسترخي الى احلام وذكريات تريحه من شقاء الساعة وآلامها وقد نبض قلبه لنبضات قلب الطفل ذلك بين الموسيقى العذبة المتعددة الاوتار .

في هذا كله فلسفة وجمال،فيه خاصة طهر وسذاجة ارادها الشاعر للتخلص من عصر مادي طغت فيه المادة على اقدس الحريات وصاح ينثر كلامه درراً داعياً الشعوب والافراد الى العودة الى الطفولة البريئة فيجد ان فيها سبب التآخي والابتعاد عن البغض والضغينة اذ في هذه السذاجة وذلك الطهر تصفى العيون ويستقيم القلب ويتصالح الانسان مع نفسه التي هجرها للانغماس في المادة مع العالم الذي لا يراه الا عدواً وخصماً جشعاً .

هي هذه امثولة الكتاب وكأني بالمعرّب يجتهد كلما خطت يده كلمة في ابراز ما خبأته نفس الشاعر الطفلة يجرّب ان يعيش ما يطلبه الشاعر وينجح. واي ترجمة لا تطلب الولوج الى فكرة المؤلف الاصيل وهيهات ان ينجح المترجم.

وكن المعرّب في كتابنا هذا جعلنا ننسى النصّ الاصلي اذ توصل ان يسحرنا بكلمته وبروحه وبصدق أمنيته . ولذا فاننا نعود وسنعود اليه فنجد نفسنا قد عبّر عنها وفيها في اعماق طموحها واصل اشواقها .

« اسعى وراء تسليات غالية الثمن واجمع الذهب والفضة ، انت تلعب مسروراً بكل ما يقع عليه نظرك وانا اصرف قواي ووقتي باحثاً عن اشياء لن أدركها ، على قاربي الواهي ، احاول ان اقطع بحر الرغبات ويفوتني ان شغلي نفسه ليس سوى لعبة » .
ا. عبده خليفه اليسوعي

Carlo Gasbarri. — *Medioriente.* — Parme (Italia) — 1959, 383 pp.

عجالة خطّتها يد حكيمة واعية . فان المؤلف وقد عودته المقالات الواسعة الارجاء التي يكتبها في الاوسرفاتوره رومانو لترافقه وكأنه معنا هنا لا نتركه ولا يتركنا فقد نزور معه وبشوق طالع كل تلك الاماكنة التي حفظها التاريخ وحفظ فيها ذكريات الماضي محفورة على صخورها وعلى قلوب سكانها . فمن تركيا وتاريخها الحافل بالآثار البيزنطية والآثار المسيحية القديمة ووجهها الحديث الى لبنان وصورته الفريدة في هذا العالم المتوسطي ، ملتقى الحضارات والثقافات وعاصرها ومكوّن ثروة لا تثمن ، الى مصر حافظة الآثار القديمة فخرها واساس مجدها والمتطلعة الى المستقبل بعين يقظة ، الى سوريا مع ما حفظته فيها بطون الارض من ثروة دفينة تعود رويداً الى عالم النور ، الى العراق حيث تجتمع السماء والارض في ديانات شيطانية وديانات الهية وارض آدم ، الى الهند المترامية الاطراف والثرية بكل ما خلفه الجمال فيها ، الى غوا المدينة الساحرة الفاتنة .

هذا هو الكتاب وهذه ثروته . بلغة بسيطة رشيقة ، وبتصوير دقيق ومعرفة تاريخ صحيح وفيه التباس ، يوقظنا المؤلف ويجعلنا لا نفتر في سلوك تلك الطريق التي سلكها . ففي سفرتنا هذه ثمرة نقطفها من معلومات عن حضارات اندثرت وعن ثقافات تتكوّن وتتأصل .
ا. عبده خليفه اليسوعي

طريقة جديدة للتهجئة والكتابة في اللغة العربية

بقلم عبد المجيد التاجي الفاروقي

لندن ١٩٥٩ — ٨١ صفحة

في هذه المحاولة — التي لا تتصف اصلاً بميزة التجديد — اجتهاد يشكر عليه المؤلف فانه أعاد للحركات قيمتها من فتحة وكسرة وضمّة بالالف والياء والواو ولكننا لا نرى من داع للعودة الى هذه الطريقة وفيها ما فيها من صعوبات كبيرة . نشعر مع المؤلف بضرورة وجود طريقة تسهّل قراءة اللغة العربية وتسهّلها لدرجة يستطيع بها القارئ العربي والغربي من الوقوف على قيمة الكلمة الصرفية والنحوية دون ان يتردد بين قراآت مختلفة . ولكننا نود ايضاً ان نحفظ للقراءة سلاسة ورونق .

قامت محاولات عديدة للتخفيف من صعوبة التهجئة والقراءة وقد باءت كلها بالفشل فالصرف والنحو يظلّان على حالها ألم يجد المجمع العلمي طريقة توحّد لكل الناطقين بالضاد درس العربية وكتابتها . وهيهات ان تتوحّد الكلمة في مثل هذا الشأن . ونحن على صفحات هذه المجلة قد دللنا مرّات الى وجوب ذلك . فالى من يهمهم الامر نتوجه ونلفت نظرهم الى كتاب الاستاذ الفاروقي والى ضرورة الانكباب على درس طريقة واحدة يأخذ بها كل البلاد الناطقة بالعربية ويساعدهم بتوطيد دعائمها المستشرقون الذين يفتشون دوماً عن سبيل للخروج من صعوبات تقوم امامهم بمثابة رموز يضيقون الوقت في حلها .

ا. ع. خ.

Adel Ismail. — *Histoire du Liban du 17e s. à nos jours.* — Tome IV : Redressement et Déclin du féodalisme libanais (1840-1861). — Librairie du Foyer — Beyrouth-Liban 1958. — 418 pp.

يقوم المؤلف بخدمة جلّى لتاريخ لبنان . فقد آلى على نفسه ان ينقّب عن الوثائق الأُنف كي يفهم تفاعل الشواعر واسرار التطور وغوامض هذا البلد الفريد من نوعه بين بلدان البحر الابيض .

ففي هذا المجلد الرابع قد جمع المؤلف كل ما كان بوسعه لدرس ثورة سنة الاربعين، لدرس اسبابها وتطورها. فبعد ان يلقي نظرة ثاقبة على سياسة الباب العالي وعلى موقف الدول الغربية يتوسع بتحليل الهيجان الذي ادى الى الثورة المومأ اليها. وبعد ذلك ينتقل الى درس الفترة التي تسلط فيها بشير القاسم وبعدها الى الخلافات القائمة، سياسية ودينية بين الدروز والموارنة والى موقف فرنسا وانكلترا من هذا النفور الذي قد يحدث يوماً انفجاراً يهدد وحدة البلاد.

والمؤلف ينتقل بعد هذا الى حكم عمر باشا والى القائمقاميات وما تخللها من حوادث مؤلمة. الى ان يصل الى المعركة بين الدروز والموارنة سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٥. وبعد ذلك يُدخلنا المؤلف في فترة الاقطاعية ونفور الفلاحين منها الى ان يوجّه انوار الوثائق الى مجزرة سنة الستين والى تدخّل الدولة الغربية وتغيير القائمقاميات والغاء الاقطاعية.

هذه فترة عشرين سنة قد جرّب المؤلف ان يحللها ويدرسها على ضوء الوثائق التي حفر فيها التاريخ معالمه يوماً بعد يوم. ولقد توصل باسلوب رشيق ووضعية مستحبة وضرورية في علم التاريخ ان يجذب القارئ الى مطالعة كتابه ويعيد مطالعته اذ يجد فيه ثبتاً ثرياً لمجموعة الكتب التي طرقت الموضوع واشبعته درساً. وهذا ما يقوّي يقيننا بأنّ المؤلف تنحّى عن كل ميل في درسه التاريخ.

ا. ع. خ.

من المشرق الى المغرب

بقلم عارف تامر

دار الكتاب اللبناني – ١٩٥٩ – ١٣٦ صفحة. حجم وسط

باسلوب شائق سهل ومشوّق يتابع المؤلف سرد روايته ويجذب القارئ الى مطالعتها دون بطء. فله ما له من سرّ الاغراء في التدقيق في الحوادث وفي الجمع بين التاريخ الحقيقي والقصة. فينتقل القارئ من فترة الى فترة وهو لا يشعر بملل ويعيش في ذلك الجو المضطرب القلق، في جو الحرب والثورة الذي ينوي المؤلف خلقه. والمؤلف هو هو في اسلوبه القصصي منذ ان بدأ، لتدريب

القارئ الذي يملّ من مطالعة التاريخ بابراز التاريخ بحلة قصصية قريبة المنال. ففي «على ابواب الموت» كما سنرى، يشعر المطالع بحنكة ودقة يراهما هنا وكأني بالمؤلف اتصف بهاتين الميزتين منذ الابتداء. ويثابر عليهما وهو على ازدياد فيهما.

ففي هذه القصة التي نحن بصددها يمثل المؤلف عهد الامام الفاطمي محمد المهدي وهو الذي كان قد ترك سلمية سوريا الى المغرب سنة ٢٨٨ ﻫ واسس الخلافة الفاطمية التي قد مهد الطريق له فيها الداعي الاكبر ابو عبدالله الشيعي. وجلس على اريكة الخلافة هذه الى ان نقلها الى مصر حفيده الامام المعز الفاطمي سنة ٣٥٨ ﻫ .

يتخلل هذا التاريخ الواضح فصول عن القرامطة وطريقتهم وقد تعرف عن المؤلف انه كتب الكثير فيهم فجاءت هنا فصوله مختصرة ولكنها متممة لمن ينتبه. وكل ذلك في سهولة الاسلوب ودقة المؤرخ ولذا نود ان يتابع المؤلف تآليفه هذه وهي كنز للمكتبة التاريخية. ا. ع. خ.

Wilfred Cantwell Smith. — *Islam in Modern History.* In-8° de XII-318 pp. avec un index. — Princeton University Press. 1957.

ان المؤلف وهو مدير الدروس الاسلامية في جامعة مكجيل يحاول — دون ادعاء النبوءة — التفتيش في عجاج العالم الحالي عن درجة النشوء التي توصل اليها المجتمع الاسلامي وارث تقليد ديني فريد من نوعه .

رغم مشهد هذا التاريخ الفاتن نرى بان ترقي التمدن الغربي اوجد عند المسلمين توترا بين الديانة والحادث يفرض عليهم التساؤل كيف يمكن معاً وضع الثقة في الحياة والثبات على الثقة بالاسلام والحالة هي ان طريقة الحياة هذه — وهم يعتبرونها تدبيراً آلهياً — هي المسؤولة عن تأخرهم نظراً الى غيرهم .

يختلف الجواب على ذلك باختلاف الاجناس والبلاد ويوحي بشتى فصول هذا البحث : اننا نجد الى اليوم عند العرب صبابة ماضي دولة الخلفاء العظيمة وعندهم خصوصاً تظهر ازمة الارتباك اشدّ ألماً واصعب تحملاً واننا نجد هذه السنين الاخيرة في مقدمة اصحاب النفوذ رجال السياسة اكثر من نُخب العلم والدين كما كان ذلك في بدء القرن عقب ازدهار الآداب العربية .

لجأ الاتراك لحلّ المشكل الى العلمانية اي فصل الدين من الدولة ويصعب توفيق هذا الحل مع الاسلام الذي هو جوهرياً حكم الهي .

اما الباكستان فجرّب اتخاذ الحكم الالهي لكن الاستاذ سميث لا يوقن كثيراً بان لهذا الاختبار حظاً كبيراً بالنجاح .

من خاتمة المؤلف نستنتج خصوصاً بانه يجب على الغرب ان يعامل كل مسلم ومجموع الشعوب الاسلامية كأمثال له بكل احترام فاننا نحن ايضاً نجابه مشكل تقهقر الفكرة الدينية ازاء التقدم المادي ويتحتم علينا حلها متفقين مع كل القوى الروحية .

هنري شارل اليسوعي

G. Tchalenko : *Villages antiques de la Syrie du Nord. Le massif du Bélus à l'époque romaine.* (Institut fr. d'arch. de Beyrouth, Bibl. arch. et hist., L) — In-4°, I, Texte, XVIII-442 pp., II. Atlas, 16 pp. 262 pl. dont 10 dépliants. — Paris, Geuthner. 1953.

هذا المؤلف الكبير يدرس بجزئه الاعظم « المدن البائدة » في سوريا العليا . الاسم « سلسلة بيلوس » (النص يسميها احياناً « السلسلة الكلسية ») يذكر في اول الامر مجموع جبال كثيفة متصلة . انه لمختلف جداً منظر هذه السلاسل الصغيرة الممتدة من جبل سمعان الى جبل الزاوية مارّة قرب « كليكس بيلو ». وتحدّ هذا المجموع تشابه هيئة تركيبه الارضي وامكانياته الاقتصادية: قمم كلسية تندر خلالها الاراضي القابلة الفلاحة وفي اسفل الجبال سهول خصبة . فيما يخص الامور الحربية سلسلة الجبال هذه الممتدة من الشمال الى الجنوب هي سور لانطاكية ازاء العدوّ الدائم الفرثي ثم الفارسي الساساني . مؤلف الكتاب قضى سنين عديدة في هذه البلدان وتبحّث خرائبها واصلحها جزئياً وقد باحث السيدين لتوس وسيرينغ بخصوصها وهو حاذق في وصف الآثار وادراك تقدم البلاد في تتابع الاجيال وتأليفه يختص معاً بالجغرافيا وعلم الآثار والتاريخ . ثم ان رسومه مع تصاويره توضحه خير ايضاح .

اول ما يجتذب الانتباه الرسوم الآثارية وهي تتعلق احياناً بآثار ومواقع لم يكن معروفاً منها الا الاسماء . فتكوّن اذن زيادة جديدة على رسوم دي فوغوي وبتلر والاب ماترن وعلى القائمة الجغرافية للكتابات القديمة اليونانية واللاتينية في

سوريا . نشاهد مواقع تامة : باموكة وكركبزي وبنيبو وتقل : كأنها حية . كنائس وابنية لم تكن قبلًا موضوع درس كاف صارت اهلًا للاهتمام بها : نقدر ان نذكر كنيسة الحصن في البـارة (رسم ١٧١٠٠٠) وفي معز خرائب شتى اكتشفناها والاب ماترن وانا سنة ١٩٣٧ . ومنبر « بيما » الكنائس السورية كان المؤلف مع السيد لسوس قد نشرا فيه بحثاً بمقالة « المنابر السورية » في «الكراريس الآثارية» «Cahiers archeologiques» (٥ : ١٩٥١) ومنذ الجيل الخامس ومرارًا عديدة يأتي ذكره وكذالك ذكر « الحجـاب » الذي سبق الايكونوستاز (ص ٣٣٣) نذكر اخيرًا بحث هندسة الابنية الرهبانية بخصوص الثمانين ديرًا الموجودة هناك (ص ١٥٣ — رسم ١٥٣ ، ١٥٢) وبحث في الجدال بخصوص المشاكل التي يضمها هيكل قلعة سمعان العظيم .

بخصوص بناء هذا الهيكل تقدمة باللغة السريانية بتاريخ ٤٩٢—٤٩١ في كنيسة القديس فوقاس في بسوفان — وهي القرية الاقرب الى قلعة سمعان — تعطينا الحد الادنى . في هذه الكنيسة الصغيرة نلاحظ عمل قومين من الفعلة اشتغلوا في المعبد الكبير ولم يقدروا ان يباشروا عملًا آخر الا بعد الانتهاء من عملهم فيه . وما عدا ذلك الشروع بعمل جسيم كهذا حيث استعجلوا بالبناء واستعملوا فعلة جاؤوا بهم من بعيد لا يمكن ان يكون الا مشروعاً ملكياً . بنيان معبد للشهداء عظيم اكراماً لقديس سوري كثير الخطوة عنـد شعوب الاقاليم الشرقية والشهرة في المملكة كلها قد يكون ثمرة فكرة عمدت اليه كواسطة لاخماد الفتن التي كانت تفرق بشدة المسيحيين خصوصاً في سوريا . هذا المشروع يتفق تمامـاً مع روح السلام (الهينوتيكون) . يظهر اذن ان نسبة مباشرته الى القيصر زينون وسياسته امر صائب . بانتظار رأي نهائي نقدر ان نعطي تاريخاً للبدء بالمشروع تقريباً واسبق ما يكون سنة ٤٧٦ عندمـا ثبت زينون سلطانه بسحق ثورة بازيليك (ص ٢٣١) .

وقد واجه المؤلف مسألة سقف المثمن الزوايا (ص ٢٦٠—٢٧٦) فكانت الواسطة لحلها كنيسة متصلة بحل المعمودية المختص بقلعة سمعان (وقد بُنيت هذه الكنيسة بعد المعبد الكبير)فانها تدل على الطريقة المتخذة فيه :بنيان متوسط بين

الارض والدروة بدعائم او اعمدة يكون قد حمل الإطار الاعلى بقطر دائرة اصغر ولا بد من قطر قاعدة المثمن الزوايا .

هذه المعلومات الوجيزة التي قدمناها للقارئ تدلنا جزئياً على قيمة هـذا الكتاب وصفا وفنيا : انه يحتوي هذا كله لكنه باهميته غير ذلك .

هو خصوصاً كتاب جغرافيّ الانسان وتريخ محليّ .

كيف كان الناس يعيشون في « السلسلة الكلسية » على ارض جدبة وكيف نقدر ان نفهم ازدهار مصايف وكنائس في الجيلين الرابع والخامس نقف اليوم منذهلين امام خرائبها . يلزمنا اولًا ان نلاحظ هذا وهو ان السهول التي تمتد في اسفل الجبال في دانا وسرمدا وقاتورا كانت تقدر ان تعيش من زرائـع الحبوب اما المحالّ الاخرى فلم يكن لها الا تربية الزيتون . في الجيلين الرابع والخامس اعطت هذه التربية الرفاهية للملاكين الصغار الذين كانت « مصايفهم المصغرة » تحتوي كل منها معصرتها وهي مرتفعة على ذرى التلف . نجد في الكتاب وصفاً فنياً لاستثمارها حسبا تدل عليه الآثار الباقية (ص٣٦١—٣٧٣) وفيه ايضاً تركيب آلات المعصر (ص ٣٦٨) . تقاطر القطلة الغرباء — (وهم لا شك « الميتويكوي Μέτοικοι الذين تعرفنا بهم حسبا نظن في الكتابات (I G L S Y R IV, 1597 ‘ 1870)— كان علامة ابتداء الشغل المعظم الذي يتطلبه الاقتطاف ثم حالا بعده المعصر . فيا يتبقى من الوقت للاعتناء بالاشجار لم يكن ضرورياً شغل دائم كان حينئذ للفلاح وقت كاف لبناء مسكنه وفي الجيل الخامس لتشييد كنيسته ولا بد انه كان هو نفسه ماهرًا في نحت الحجارة . وهكذا نفهم رفاهية حياة هؤلاء الناس مثلما كان ه. س. بتلر وبعده الاب ماترن قد بيّناه .

تكلمنا فيا سبق عن زمن الاستثمار الثاني وكان لا بد ان يسبقه زمن اول لغرس بساتين الزيتون وهذا الغرس يتطلب للمباشرة به مصاريف لم يكن الزارع يقدر على دفعها وهو يعيش من عمله اليومي فان شجرة الزيتون لا تعطي غلتها الا عشر سنين بعد غرسها . يكون اذن الذين باشروا بغرس هذه البساتين اصحاب الاملاك في الاجيال الاول والثاني والثالث ولا يبقى اليوم عنهم أثر الا التُرب المظيمة وقد كان هؤلاء من القدماء في الجندية الرومانيين من سلالة

الاعيان السلوقيين وزّعت عليهم الاراضي فاستوطنوها في دانا وسرمدا وقاتورا ومعز . يرتأي المؤلف ان تحوّل هذه « الاملاك الكبيرة » (ولم تكن هنا بالحقيقة الا متوسطة المساحة) الى ممتلكات صغيرة لم يتم الا شيئاً فشيئاً . لا شك ان الملاكين الاولين اضطروا لاستثمار اراضيهم الى الاكراء لمدة طويلة « emphytensis » او بالاحرى الى نوع من العقود موجود الى اليوم « المغارسة »: بموجب هذا العقد كانوا يسلمون الى زارع ارضا على شرط ان يغرس فيها شجرا وبشرط انه بعد زمان محدّد اي بعد انقضاء عدد من السنين يُقسم الملك بين المستثمر وصاحب الارض . هكذا كانت الطبقة العاملة ترتقي شيئاً فشيئاً .

لم ينتج الخراب من ابادة اشجار التلال تدريجاً ولا من اتلاف بساتين الزيتون على يد الفرس (ص ٤٣١) لكنه نتج من خراب المدن مدة « احتلال الفرس الذي دام اربع عشرة سنة (بين ٦٠٣ و٦٣٠) وقطع المواصلات مع البلاد التي كان سكان الجبال ينقلون اليها زيتهم .هذا ما بعثر اقتصاداً مؤسساً على وحدة الزراعة اضمحل لعدم وجود طريقة للترويج .

ما عدا هذه المعلومات العمومية المهمة يوجد في الكتاب ملاحظات متفرقة هي اهل لِتُذكَر — بين الاديرة العديدة يجب تميز اديرة افاميا وهي اكثر تحصناً من الاديرة التي كانت تنتسب الى « دير تليدا الكبير » وكانت اقل تحصناً اكثر احتلالها بامور سكان البلد (ص ١٧٨ ..) — نعرف هياكل المزارات لا من بُرجَي واجهتها لكن خصوصاً من حجزة اقيمت بين هذين البرجين او على رواق متقدم . من هذا الرواق كان يمكن القاء خطاب على الجموع (ص ٣٢ و ١٧٢) — يظهر انه لم يكن الا كنيسة واحدة فيها منبر لكل محل (ص ٣٥٥) — « اديرة العموديين في البلد الذين نعرفهم من النصوص او من الآثار كانت في كيار وقرزحيل وقلعة سمان وكفردريان وتريب وارحاب وكفرمحول وتُقاد (ص ١٧١ نمره ٢) — الجزء الثالث الذي سيحتوي على تفسير الكتابات التي اعطيت صورتها على الصفائح (من ١٤٢ الى ١٥١) سوف يعطينا معلومات اخرى . من الآن نلاحظ « حدود الولايات الربعية » الشبيهة بحدود بطانيا والدمشقية وقد وضعها سنة ٢٩٨ بين القرى المكلف بمسح الاراضي وكذلك التحديدات التي تظهر بخطوط متوازية في تصاوير مناظر الطائرات

(ص ١٣٠ صفيحة ١٦٩ ب) والتي تُرى على الارض مرسومة بخطوط مستطيلة مستقيمة من رخام : انها آثار تقسيم اراضٍ تُركت بعد نكبة ثم وُزّعت على حراثين جدد .

ر. موترو اليسوعي

The Excavations at Dura-Europos, Final Report VIII. Part I, The Synagogue, by Carl H. Kraeling. Gr. in-4°, XVIII-402 pp., 78 pl. dont 30 en couleurs, 124 fig., 12 plans, New-Haven, Yale University Press, London, Geoffrey Cumberlege, Oxford University Press, 1956.

سيبقى اكتشاف مجمع دورة حادثاً من اعظم حوادث الجيل العشرين الآثارية وقد جرت بخصوصها بحوث عديدة (منها بحوث روبير دومنيل دوبويسون وروستوفزف وسوكنيك) . لحسن الحظ قد تمّ وصف هذا المجموع وقد فُسّر تفسيرًا صحيحاً صريحاً صائباً .

*

في الجزء الاول الوصفي يميّز الاستاذ كريلين ثلاث مراحل مرّت بها الابنية التي منها « قاعة المجمع » . انها كانت اولاً مسكناً خاصاً ولربما كانت فندقاً ينزل فيها اليهود المارّون وقد تم بناؤها بين سنة ٥٠ و ١٠٠ من تاريخنا في ايام يُمن دورا العظيم (فانها رغماً عن استيلاء الفرثيين عليها استفادت من مماطاتها مع سوريا الرومانية في عهد الانطوانيين) . قاعة المعبد التي هُيّئت فيها (بين سنة ١٦٥ و ٢٠٠ بعد المسيح — ص ٣٢٧) تذكر بنظامها في عرضها رسم القاعات « cellae » الشرقية كما نراها مثلاً في معبد « بيل » في تدمر. في وسط جدار القاعة الغربي تظهر مشكاة التوراة . هذا التنظيم لن يتغير عند ابتداء حالة المجمع الثانية بتناظرها الكتابية المصورة على الجدران نحو سنة ٢٥٠ (على كل حال قبل سنة ٢٦٠ بقليل وهي سنة الخراب) .

رسوم اربعة تدلّ على تنظيم تصاوير المجمع الثاني وتتابعها . ثماني وسبعون صفيحة تشرح وصف هذه التصاوير بتدقيق وثلاثون من هذه الصفائح ملوّنة . لكن منظر هذه الالواح المصورة التي نجدها مرتبة احسن ترتيب ومقترنة بعضها في متحف دمشق ليس كافياً ليغني عن شرح المشاهد . وقد حاوله المؤلف . فانها جزئياً تذوب متقطعة . ويباحث المؤلف في شتى الافتراضات بصددها بهدوء . المنظر المبتكر الذي يعرضه المؤلف قد يكون الرسم الذي

في المجمع الاول كان يطلو مشكاة التوراة (صحيفة ٢٤) . رسم خفيف على « سلوفان » اخذه م. بيرسون (صحيفة ١٧) يُغني عن الرسوم التي نُشرت من قبل نرى فيه صورة شجرة الحياة التي تُثبت وليمة المسيح في فردوس عدن (ص ٦٢—٦٥) .

الكتابات والرسوم الجدارية درسها س. س. توري (الارامية) س. ب. ويلس (اليونانية) برنار جيجر (الايرانية — المتوسطة) وهذا الاخير يعطي— للكتابات التي كانت تُعتبر الى اليوم بهلوية — تأويل جديدة وطيدة جدًا ويُهمل قرآت باليارو المستعجلة وتخمينات ألتم الظنية . في النمرة ٤٤ التي توصل الى قراءتها وشرحها عندنا مشهد كتبة ايرانيين — ومن المحتمل ان يكونوا من ذوي الرتب في الدولة الساسانية — يزورون مجمع اليهود بصحبة « زنـدق » (شخص من وجوه القوم) من جماعة اليهود (ص٢٩٧— ٣٠٠و٣٠٣— ٣٠٤).

*

لتاريخ دورا وتاريخ الفن فائدة كثيرة في أثر كهذا . الاستاذ كريلنغ قد كرس لهذا التأويل مئة واحدى وثمانين صفحة (ص٢٢١—٤٠٢) .

يبدأ برواية تاريخ جماعة دورا اليهودية فانها تظهر منذ زمن احتلال الفرثيين يديرهـا صموئيل بن يدعيا « شيخ اليهود » اي « قديمهم » والحاكم . بحسب « الرسوم » الايرانية— حيث يلاحظ جيجر لا عمل محرور واحد او اثنين لكن عمل « ديبيفار » اي « كتبة » موظفين — قد اطّلع الساسانيون على محلّ العبادة وارتضوا بـه عند احتلالهم المدينة دون قتال (حسب روستوفزف : في سنة ٢٥٣) .

والنتائج الخاصة بالفن هي اعظم اهمية .

نعلم عِظَم انذهال الاختصاصيين عندمـا التقوا بمُجمّل تصويري يهودي منظّم بجميع اجزائه في وسط القرن الثالث من تاريخنا . الم تحرّم الشريعة الموسوية والتقاليد كل رسم للكائنات الحية وللانسان خصوصاً وهل يجب ان نعتبر رؤساء جماعة دورا كمبتدعين اثّر فيهم محيطهم الوثني . على هذا الـؤال نجيب دلائل على تخفيف نهي التصاوير في الجيل الثالث (ص ٣٤٠ — ٣٤٦)

وخصوصاً تركيب وتتابع المواضيع المنتقاة لزينة البناء. تدل على ذلك من تلقاء نفسها : كما لاحظنا ذلك ،وضوع الرسم المركزي في حالة مجمعهم الاولى هو رمزي وعن المسيح وفي الحالة الثانية تحفظ ،شكاة التوراة المقام الاشرف وفوقها يتصدر الملك المسيح من بيت داود يحيط به روساء القبائل الاثنتين عشرة . المشاهد المرسومة هي كما كتابية تذكر الوعد لموسى وعون يهوي ضد الاعداء نكث الشعب اليهودي للعهود ومعاقبته والخلاصة ليس ما يخالف دين اليهود وتقاليدهم.» فلا شك انه لم يكن اتفاقاً عارضاً لا غير ان راب حكيم جماعات بابل اليهودية الشهير ومعاصر المجمع اقتصر على تدقيق جهة الفائدة التاريخية عنها واظهر كذلك تأثراً من اشخاص ماضي اسرائيل العظام – وبين هؤلاء خصوصاً موسى وداود وسليمان – ولجأ الى طريقة المجادة لا لكي يتكلم بالرموز الكن لكي يسد الحلال في « الحديث » وشرح الرموز التي يحتويه (ص ٣٥٨ ويُحيل الى باشر : ص٨ – ١٦) (Agada der babylonischen amoraer)

في الصفحات السابقة الاستاذ كريلنغ يهمل آراء ج سونْ باعتبارها تابعة لقياس موهوم (Hebrew Union College Annual,XX, 1947) وهيَ تزعم بان اللوائح الثلاث هي « الاكاليل الثلاثة » للتقاليد اليهودية وهو يهمل كذلك رأي ر. ريشتزر – برنشتين (Proced. Amer Acad. for Jewish Research XXI (١٩٤١ ص ٨٥ – ١٠٣) فانه يعتمد على رموز مُثبتاً في كل اين « الموضوع الخاص بالمسيح » .

ما عدا ذلك فوق هذه الرسوم الصغيرة « الفريدة المشهد » والرمزية. (وهي تشبه التصاوير المسيحية في الدياميس) – التي اكتُشفت في المجمع اليهودي الاول رُسمت نحو سنة ٢٥٠ تصاوير جدارية كبيرة زينة مُتصلة « لِدَور من السنين » « روائية » . في مهرجان أُقيم سنة ١٩٥٤ في شيكاغو كان الموضوع: « بحث في الفن القديم » اعطتنا خلاصته « مجلة الآثار القديمة » الاميركية : (American Journal of Archeology LXI, I, 1957) في دورا اللهجة هي تاريخية محضة لا روحانية كما تتوهما اطروحة ادوين غودنو العمومية .

فنّ المزخرفين واساليبهم هي إجمالًا فن واساليب الشرق الادنى في الجيل الثالث . عن قوائم الرسوم المستعملة في دورا اخذ لا ثلاثة مصورين لكن –

حسب رأي مارسل اوبير – معلم وتلاميذه الثلاثة (ص ٣٨٢) .

اما مصدر هذه المشاهد الكتابية العديدة المتنوعة فيجب التفتيش عنه في النقوش التي تزين اهمّ الكتب المقدسة اي في سلسلة مجاميع عبرية مزوّقة . لكن من الممكن ان صناع دورا لم يأخذوا مباشرة عن هذه المصادر. نموذجات اقرب اليهم مرسومة على جدران كان بامكانهم ان يجدوها في المجامع اليهودية الزاهرة في امارات سوريا العليا كان حكامها في الجيل الاول من تاريخنا احلافاً لآل هيرودس. نعرف بانه يوجد في ارسيس في فريجيا كتبة تذكر بان متوظفي مجمع يهودي اهتموا بان تُصوَّر الجدران (ص ٩٧ – نمرة ٢٦٤ — .Monum) As. M. Ant., VI, 1939

ففي مسألة اخيرة مسألة العلائق بين فنّ التصوير اليهودي في الجيل الثالث وفن الديماميس المسيحية . ان فن الديماميس التصويري يقتبس مواضيعه من العهد القديم وهو فنّ رمزي كفن المجمع اليهودي الاول في دورا . يلزم انتظار الجيل الخامس لنجد على الآثار المسيحية موضوعاً تاريخياً مجانساً للذي نجده في تصاوير المجمع اليهودي الثاني . فن التصوير الديماميسي نفسه على فرض انه اخذ عن النماذج اليهودية فقد اخذ لا عن الشرق الادنى لكن عن الاسكندرية فان الشرق الادنى يتبع « صكادة » مختلفة (كما في تمثيل اجتياز البحر الاحمر من قبَل شعب « يحمل السلاح » (ص ٨٠ ... نمرة ٢٣٧ و٤٠٠). اننا لا نتوصل الى فهم شيء بخصوص هذه النماذج الشرقية الا بمطالعة كتاب « الاوكتوتوك » الذي سوف يبرزه بالطبع ك. ويتزمن .

هذه هي رحابة المسائل واخيراً الافتراضات التي نتّبع خلالها اتّباع الدليل الامين الدكتور كارل ه. كريلنغ .

ر. موترد اليسوعي

الليل ــ الصباح

تأليف الاب يوحنا ماتيوس اليسوعي

الاستاذ في المعهد البابوي للدروس الشرقية – رومه – ١٩٥٩–٥١٠ صفحات حجم كبير

الكتاب وصف مدقق لاوقات الليل والصباح في الفرض الكلداني الحالي من بدء السنة الطقسية ، زمن البشارة الى الميلاد والفصح والعنصرة والصيف وتكريس الكنيسة . يصف المؤلف ويشرح هذه الاوقات بنظامها الحالي في الطقس الكلداني – المدعو ايضاً الطقس النسطوري او السرياني الشرقي – ولم يشأ المؤلف ان يجعل من كتابه كتاب تاريخ او كتاب مقابلات مع بقية الطقوس الشرقية بل جاء اولاً على وصف وتفصيل اوقات الليل والصباح كما هي اليوم في المخطوطات المستعملة في الكنائس او في الكتب المطبوعة .

هذا لا يعني ان الكتاب هو وصف محض للفرض الكلداني بنوع عام ولاوقات الليل والصباح بنوع خاص بل زاد المؤلف على الوصف مقطوعات عديدة من الفرض استشهد بها فجعل القارئ يدخل في جو هذا الطقس القديم الحامل جهاد الايام وغنى الاجيال الاولى للكنيسة .

وقد جاء الكتاب مشبعاً بالحواشي والهوامش والاشارات التي تزيد على المئات والتي لكل منها فائدة وفي كل منها كشف جديد او مقابلة مع بقية الطقوس الشرقية .

ويشعر القارئ ان المؤلف مطلع على سائر الطقوس الشرقية وانه زار الشرق وقضى مدة في ارض هذه الطقوس يشهدها بعينه ولا يشكل على ما قيل هذا لا يعني انه لم يطلع على ما كتب عن الطقوس في الغرب وخاصة باللغة الالمانية .

كتاب غني بالفوائد ، مشبع بالاحكام السليمة . يزيده غنى أنه فريد من نوعه في الطقوس الشرقية المجهولة .

ان الطقوس هي لسان الكنيسة . ولكل طقس اسلوب في التعبير عن

محبة الله للبشر ولكن للطقوس الشرقية جمال خاص في الاسلوب لا يزال مطوياً. ومن الطقوس الشرقية الغنية والمجهولة ، هذه الطقوس السريانية الشرقية القديمة بعهدها والتي بينها وبين طقوس اليهود وطقوس الكنيسة الاولى اكثر من شبه .

والكتاب التي اتحفنا به حضرة الاب ماتيوس – والذي نتمنى ان يظهر مثله كل عشرين سنة كتاب – لهو من هـذه المؤلفات التي تكشف جمال الطقوس السريانية .

وان كان لنا من امنية فهي ان يتابع المؤلف عمله فيكتب للشرقيين عن طقوسهم – وقد وضع كتاب باللغة الافرنسية لهذه الغاية – فيستنير الشرق بكتب الغرب ويستفيد الغرب من جمال طقوس الشرق . ا. ب. ج.

على ابواب الموت

بقلم عارف تامر

حريصا – لبنان ١٩٥٩ – ١٦٩ صفحة

بقوة برهان صحيحة يحيي المؤلف تاريخ الماضي ونشعر كاننا من اتراب من يروحون ويجيئون في هذه القصة التاريخية . يلح الكاتب على التاريخ القديم ، وخاصة التاريخ الديني ونرى تفتح الدين الاسمعيلي مع كل الصعوبات والمضايقات التي عاناها وظفر بها . ونتبع المؤلف الفصل تلو الآخر بدون عناء ولا جزع : لا بل نتبعه بحرارة من يعيش تاريخ فترة ، وكأنه شاهد عيان ، وهذا ما يدلنا على ان للمؤلف مخيلة واسعة الارجاء وشعورًا دقيقاً . ولكن القصة تجد ذاتها تتطلب حيوية كانت توافق المجادلات الدينيـة وكان الدعاة الاسمعيليون يدخلون المعركة بقوة وجسارة ويسيرون بها الى الظفر . وخاصة تحت سلطة الخلفاء الفاطميين ، تلك السلطة التي كانت ولا شك انتصرت على السلطة العباسية بواسطة المؤيد لو لم يخن بعض الوزراء .

في سرد القصة نشعر دوماً من خلال الاسطر بقدرة المؤلف التاريخيـة ولا نقرأ سطرًا الا وثقتنا بالمؤلف تزداد وتنمو . فهو القائد الماهر .

نتمنى على المؤلف ان يكمل سيره في القصة فانه وان لم يفتح باباً جديدًا

في الادب فقد وصل فيه بادئ ذي بدء الى ذروة . وعلينا ان نلج هذا الباب. ففي تاريخ الاسماعيلية امور لم تكشف بعد وهي ضرورية لفهم مخبآت الماضي . واذا ما اتت هذه الوثائق مدعومة باسلوب يقربها للقلب ويرطب من نشافها محسناً تتبع . ا . ع . خ

اعيان الشيعة ، الجزءان الاربعون والواحد والاربعون

بقلم محسن الامين

صيدا – مطبعة العرفان ١٩٥٧ – بيروت مطبعة الانصاف ١٩٥٨

يجمع المؤلف من تراث الوالد وينشر وبذلك يتحف المكتبة العربية بعصارة دماغ رجل وقف حياته على الخدمة . وهذه المجلدات العديدة لهي دائرة معارف صحيحة جمعت فيها كل الاسماء البارزة في الشيعة .

كنا فيما مضى مدحنا الاجزاء السابقة . واننا نجد في هذين الجزءين الصفات التي ميزت الاجزاء الاولى : وضعية الوصف ، وثائق عديدة . غزارة تصوير ، كلها جمعها المؤلف ليغني بها هذه المكتبة الشيعية ورجالها . ا.ع.خ

الفروسية العربية

بقلم الزعيم جوزف سمان

دار المكشوف ١٩٥٩ ، بيروت ، ٩٣ صفحة

ان الكلام اذا قلّ دلّ . وفصول هذا الكتيب ملأى حنكة ودراية جمع فيها المؤلف ما قاله العرب عن الفروسية فنجح . وعند قراءة هذا الكتاب يشعر القارئ بالنبل والكرامة التي كان يتصف بها اولئك الفرسان في تلك الايام ويشعر ايضاً بان تلك الفروسية لن يعيشها الا من كان لا يزال قريباً بعد من البدائيات والاميال الفطرية . ا . ع . خ

اقتصاديات السودان

بقلم محمد محمود الصياد

معهد الدراسات العربية العالية ، مصر ، ١٩٥٤ ، ٢٨٧ صفحة

نقطة كانت قد اهملت الى الآن في تأريخ السودان وهي النقطة الاقتصادية .

فاتي المؤلف ليسد هذه الثغرة . ولكنه لا يريد ان يتحفنا بنظريات . يدرس هذا البلد على ما هو من ثروة حيوانية ، زراعية ، تجارية ويفتش عن الرحلة الممكنة مع سائر بلدان العالم .

درس فيه من الصبر والجلد والدقة ولقد رافقت الدرس خرائط وميزانيات عديدة هي البرهان القاطع عما لاقته الاقتصاديات السودانية من صعوبات ومن حواجز في تطورها . وهذه الاقتصاديات درسها في إطار النفسانية السودانية وفي إطار الظروف الانسانية . فتراها تخرج بدائية من اللاشيء لتصل الى توسيع هو اليوم نقطة رهن علاقات السودان بسائر البلدان التي تريد او تتبع تطوره او بالحري تعاكسه .

ا.ع.خ

محاضرات في تاريخ ليبيا، من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال

بقلم الدكتور نقولا زياده

معهد الدراسات العربية العالية ، المطبعة الكمالية ، مصر ، ١٩٥٨ ، ٢٦٦ صفحة

تأسست وحدة ليبية ترتكز دعائمها على تحالف فيدرالي . هذا هو وجه ليبيا الصحيح من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال وهذا ما اراد المؤلف ان يقوله لنا .

ففي محاضراته هذه درس نفسانية الليبين وتاريخ بلدهم الذي يبدو لنا قريباً وبعيداً في الوقت عينه وبعد ذلك انكب على تفهم العائلة المالكة وعلى الصلات التي غذتها ايطالية مع هذا البلد .

من الصعب في محاضرات قلائل ان يعطي المؤلف كل ما يؤول لفهم تاريخ بلد كهذا . ولكن الدكتور زياده لم يبخل علينا بوثائق عديدة وبدروس دقيقة في هذا المضمار . تصحبه في طريق صعبة ووعرة ، طريق المعارك والظفر النهائي ، طريق الاستقلال والحرية وبهذا نكون اتبعنا سير وطن رفض ان يموت .

ا . ع . خ

محاضرات في المجتمعات الدولية الاقليمية

بقلم الدكتور محمد حافظ غانم

دراسة قانونية لانظمة التكتل الدولي الحديث ، معهد الدراسات العليا ، مصر ١٩٥٨ ، ١٤٠ صفحة

ان المؤلف ، بعد ان دقق في مفهوم المجتمع والتكاتف الاجتماعي ، بعد ان

ثبت تطوير مفهوم البيئة الاجتماعية وبين الآفاق الواسعة التي نحوها توجهت ، نحو تكاتف لا اعضاء افراد فحسب ولكن نحو تكاتف دول وبلـدان ، ان المؤلف يدرس بتدقيق معنى المنظمة الدولية وكيفية تنظيمها ، معنى التضامن الدولي والتخلف الاقتصادي والثورات الاجتماعية.

في فصول متتالية يدرس المؤلف كيف تكوّنت مفاهيم الفدرالية والوحـدة والاتحادية ويعطينا ثبتاً للعدد العديد من الوحدات القائمة اليوم.

صورة واسعة الأرجاء. فبلد الانسان ليس اليوم وطنه فحسب ولكن العالم. وفي هذا الخير والضمانة والخطر ايضاً . لكن البشرية جمعاء مجذوبة بتيار يدل على انها تفقه اكثر فاكثر قوة التضامن والتضافر في خدمة موحدة .

ا . ع . خ

بلاد اليمن ـ ماضيها وحاضرها

بقلم الدكتور احمد فخري

معهد الدراسات العربية العالية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ٢٦٥ صفحة

غاية المؤلف ان يبعث حية ثقافة كان لها مجد وعز . درس اليمن جغرافياً فمثل لنا تطور هذه البلاد خطوة خطوة لتحقيق وطن . وبعد ذلك انتقـل الى درس دستوره وتطوره. وبعد ذلك يعطينا ما ينتجه هذا البلد وما يكوّن ثروته. ولقد حفر على الحجر ذكر هذه الثروات العقلية والانسانية في اثريات يهمّ عالم اليوم ان يتفهمها ليفهما غيره . ولذا فقد بُحثت مدينة صنعاء ومأرب وغيرهما مع ما هنالك من تقاليد ميزتها . ولقد القى المؤلف نظرة على اليمن بعد ظهور الاسلام واحاطنا علماً بكلّ المعاهـدات التي أقامها مع البلدان العديدة طلباً للانفلات على العالم والحفظ حقوقه .

دراسة سريعة ولكنها وضيّة وكافية لتعطي فكرة عن هذا البلد الذي لم يدخل اسمه في التاريخ.

ا . ع . خ

المشرق

السنة الرابعة والخمسون آذار – نيسان ١٩٦٠

مختار من كتاب اللهو والملاهي

لابن خرداذبه[1]

نشره عن نسخة يتيمة الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

كان للمستشرقين اليد الطولى في بعث الموسيقى العربية بمقالاتهم ونشر نصوص العصور الوسطى فاطلعوا العالم المثقف على ثروة دفينة بينت ما كان لعلماء الموسيقى في تلك العصور من فلاسفة وادباء من الاهتمام العالي بتنظيم الايقاع وضبط الاوزان وحفظ ما ترامى اليهم من امور طبيعية التقطوها ودونوها .

وكان اول هؤلاء المستشرقين كيسوتر[2] الذي برهن في كتابه « موسيقى العرب » بواسطة دساتين العود القديم ان العرب استعملوا «بُعد ثلاثية الماجور الطبيعية، اساس السلم الموسيقي العصري»[3] . وتلاه الاب كولنجت اليسوعي

1) في المخطوط خرزادبه وهذا غلط .

2) Kiesewetter: *La musique des Arabes*, 1841

3) راجع الموسيقى العربية في اصل الفن الموسيقي الغربي بقلم وديع صبرا، بيروت ١٩٤٥ ص ٩ .

في مقالين نشرهما في Journal asiatique [١] وكارا ده ڤو [٢] ورودولف ديرلانجه مترجم وشارح مؤلفات علماء الموسيقى في القرون الوسطى [٣].

بين المؤلفين الذين اتت على ذكرهم الدروس الآنفة الذكر ابن خرداذبه وقد نوّه ابن النديم بكتبه وتآليفه وخصه بكتاب اللهو والملاهي [٤] الذي اعطى منه المسعودي في مروج الذهب مقاطع طويلة تتفق والمخطوط الذي نحن بصدده وتارة تفترق عنه ان في الترتيب وان في استعمال المفردات [٥].

ولكن لم يقع احد الى يومنا القائم على كتاب اللهو والملاهي. انما ذكر يوسف اليان سركيس في حاشية درسه عن ابن خرداذبه ما يلي: «عند الاديب، حبيب افندي زيات كتاب مخطوط اسمه «مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبه» [٦]. ولقد ردد فارمر القول نفسه في سياق كلامه على المؤلف [٧]، ولم يزد مترجم كتاب فارمر (The Sources of Arabian Music) شيئاً على الاصل فقال: «كتاب اللهو والملاهي - خط: مكتبة حبيب افندي الزيات بالاسكندرية» [٨].

ويقول مؤلف المقال عن ابن خرداذبه في دائرة المعارف، «لعلّ هذا التأليف (الذي يذكره المسعودي) هو كتاب اللهو والملاهي. فان كلمة «لعلّ» تضمحل عندما نقابل مخطوطنا بما ذكره المسعودي من المقاطع [٩].

١) *Etudes sur la Musique arabe*, par le P. M. Collangettes, in *Journal Asiatique* (10e série) vol. 4, 1904, pp. 365-422 et vol. VII-VIII, 1906, pp. 149-190

٢) *Les Penseurs de l'Islam*, Paris 1921-1923, II, IV

٣) Baron Rodolphe d'Erlanger : *la Musique arabe*, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner. 1930.

٤) راجع الفهرست طبعة فلوچل، مصر، ١٣٤٨ هـ. ص ١٤٩.

٥) راجع مروج الذهب طبعة باربيه ده مينار المجلد ٨ الفصل ١٢٢ ص ٨٨ وما يليها. وقد قابلنا النصين ونذكر المسعودي بحرف م.

٦) راجع معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٩٢٨ ص ٩٢.

٧) H. G. Farmer: *A History of Arabian Music to the XIIIth Century*, London 1929, p. 170: « Only the second of these Works has been preserved to-day, and a solitary exemplar is in the library of Ḥabib afandi al-Zayyāt of Alexandria».

٨) مصادر الموسيقى العربية تأليف هنري جورج فارمر ترجمة الدكتور حسين نصار، مصر، ص ٥٧.

٩) فؤاد افرام البستاني: دائرة المعارف، المجلد الثاني، بيروت ١٩٥٨ ص ٤٨٩ -

لقد ذكر ابن خرداذبه العدد الكبير من مؤلفي تواريخ الادب عند كلامهم على التاريخ والجغرافيــة نخص منهم المستشرقين كليمان هوار[1] وبروكلمن[2] وبلاشر[3] وفي كل منهم اشارة الى عقلية المؤلف والى مدى تأثيره في من تبعه من المؤرخين والجغرافيين فمنهم من مدح سعة اطلاعه ومنهم من انتقد سذاجته في قبول الاخبار وروايتها دون تمحيص ولكنهم كلهم يكبرون فيه الكاتب الذي اظهر حماسة كبرى في التنقيب عن المصادر وفي توسيع الآفاق.

***

ولكن الدروس التي عملت على ضبط تاريخ الموسيقى العربية وعلى اظهار مدى تأثيرها على الموسيقى الغربية قد استقت من مؤلفات ابن خرداذبه الكثير من الاراء والعديد من الملاحظات . مع ان الفارابي وغيره من فلاسفة الفن الموسيقي قد اورثوا العصور الطالعة كل ما يبتغيه المشتاق من مبادئ واختبارات موسيقية . ولقد خدم رودولف ديرلنجه بنشره مؤلفات هؤلاء الفلاسفة والموسيقيين تاريخ الموسيقى خدمة جلى[4] .

٤٩٠ . يذكر القال ان المخطوطة موجودة عند حبيب زيات .

لقد جمع عباس العزاوي المقاطع كلها المقتطفة في مروج الذهب من كتاب اللهو والملاهي وسردها كملحق ثان للمؤلف « الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان من سنة ٦٥٦ ه / ١٢٥٨ م الى سنة ٩٤١ ه / ١٥٣٤ م . طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد ١٣٧٠ ه / ١٩٥١ م . ص ٩١-١٠١ .

(١ Clément Huart : *Littérature arabe*, p. 295

(٢ C. Brockelman : *Geschichte der arabischen Literatur*, vol. I p. 258 (nouvelle édition), p. 225 (ancienne édition) . Suppl. I. p. 404 et Suppl. III p. 622

(٣ R. Blachère : *Extraits des principaux Géographes arabes du Moyen-Age*, Paris-Beyrouth 1932, pp. 21 -22

(٤ نذكر هنا بعض تلك الدروس :

The Muslim World t. 6 (1916) pp. 347 - 356, article de Gairdner : *the* source and choracter of oriental Music.

Le Monde Oriental, I (1906) pp. 184-221, art . de Mitjana : *L'orientalisme musical et la musique arabe.*

ولد ابن خرداذبه سنة ٢١١ هـ / ٨٢٥ م وتوفي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢م حسب ما يقوله حاجي خليفة ويقول بلاشر سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م .

هو ابو القاسم عبيدالله بن عبد الله بن احمد بن خرداذبه الخراساني . كان جدّه مجوسيًا واسلم على يد البرامكة . كان شديد الميل الى المطالعة والدرس وتوسيع افاقه الثقافية . اتصل باسحق بن ابرهيم الموصلي واخذ عنه فن الموسيقى واصول الادب . شغل منصب صاحب البريد والخبر بناحية الجبل بفارس. ادخله المعتمد في صداقته فصار نديمه وتوصّل عن هذه الطريق الى محفوظات ووثائق هامة استقى منها معلومات قيمة اودعها كتابه الجغرافي كتاب المسالك والممالك وصار هذا الكتاب مصدرًا نقل عنه ابن الفقيه وابن حوقل والمقدسي والجيهاني وياقوت وابن خلدون . وقد نشر Barbier de Meynard هذا المؤلف في المجلة الاسيوية سنة ١٨٦٥ وادخله de Goeje في مكتبة الجغرافية العربية ونشره في المجلد السادس منها[1] . ضمّنه المؤلف احصاء جباية المملكة العباسية في اواسط القرن الثالث للهجرة[2] .

***

ان المخطوط الذي نحن بصدده والذي يخصّ مكتبة المرحوم حبيب زيات التي صارت في قبضتنا اليوم لفي حالة جيّدة لولا الرطوبة التي خفت بعض الكلمات وجعلت خطّه المتقن بكامله يميل الى الزوال . ورقه اصفر ، علوه ٢٠ سنتيمترًا وعرضه ١٣ س. وفي الصفحة من ١٣ الى ١٥ سطرًا . لا نعرف سنة نسخه ولم يطلعنا الناسخ على اسمه فبتنا نعتقد ان المخطوط هذا يعود الى الجيل الخامس عشر او قبله .

Revue africaine, 94 (1950), pp. 298-356, article de Sautin : *la musique antique dans le monde oriental. La musique arabe .*

Archeion, cf. *archivio di storia della scienza*, 14 (1932) pp, 420-424 cf. l'art. de Stern : *Le Congrès de musique arabe du Caire et l'histoire de la Musique arabe.*

Ibla, 14 (1950) pp. 269-278. art. de Zerrouki : *la musique occidentale et la musique arabe.*

١) Bibl. Geogr. arab. VI, Leiden 1889

٢) راجع *Encylopédie de l'Islam*, art. de C. von Arendonk p. 422

نجد في هذا المخطوط بعض الاغلاط النحوية وبعض الاوزان المختلة وبعض الالفاظ التي لا تزال غامضة فابقيناها على علاتها كما واننا سنترك فسحة بيضاء لكلمات ثلاث نأبى عن ذكرها في هذه المجلة وهذا المقام .

في مجلة الرسالة المصرية ١٠ (١٩٤٣) ص ٣٢٥ و ٣٥٣ و٤١٣ درس مسهب ودقيق بتنقيبه والتفتيش عن المصادر الاولى عن ابن خرداذبه للاستاذ كوركيس عواد . ولقد عجبنا عندما رأيناه يسرد اسماء كتب المؤلف دون ان يأتي على ذكر اسم مخطوطنا ، او ان ينوه بوجوده ولربما اعتقد اذاك انه بين الذين ضاعوا ولكن سركيس وفارمر وغيرهما كانوا قد اكدوا منذ سنة١٩٢٨ ، كما قدمنا، انه لا يزال في مكتبة حبيب زيات .

ومهما يكن من امر فاننا نقدم على نشر هذا المخطوط اليتيم وفيه فائدة جلى لهواة الادب وللمستشرقين خاصة عن تريخ وتطور الفن الموسيقي عند العرب . ولقد كتب ابن خرداذبه مقاله هذا بالعربية ولا نعلم ان كان له هناك مؤلفات بالفارسية ولم يصلنا من التواريخ ذكر لها . اما في المخطوط الذي ننشره استشهد المؤلف في موطن واحد بشعر فارسي .

مختار من كتاب اللهو والملاهي[1]

تصنيف ابن خرزادبه[2]

[١] بسم الله الرحمن الرحيم .

وصلي الله على سيدنا محمد وآله اجمعين .

روي عن محمّد بن حاطب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فصل ما بين الحلال والحرام الصوت وضرب الدف . وعن عايشه قالت دخل ابو بكر رضي الله عنه وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث . فقال ابو بكر بزمور الشيطان في بيت رسول الله وذلك يوم عيد. فقال النبي صلي الله عليه وسلم يابا بكر ان لكل قوم عيدًا وهـذا عيدنا . وعن الشعبي قال مرّ رسول الله صلي الله عليه وسلم باصحاب الدنكله وهم يلعبون فقال خذوا يا بني ارفده حتي تعلم اليهود والنصارى ان في ديننا فسحه فاخذوا يلعبون ويقولون ابو القسم الطيب ابو القاسم الطيب فجاء عُمر فلما رأوه تذاعروا . وعن عكرمة قال ختن عبدالله [٢] بن عباس بنيه فامرني فاستاجرت له لاعبين باربعة دراهم . وقال اسحق سال الرشيد ابرهيم بن سعد الزهري عن من بالمدينة يطاب تحريم الغنا فقال من قنّعه الله بخزيه . فقال بلى مالك بن انس فقال شهادتي عليه انه سمع مالكاً في عرس ابن حنظلة يغني :

سليمى اجمعت بينا فاين تقولـه أينا

وعن عطا قال لا باس بالغنا والحداء للمجرم . وذكر الغنا فشدد فيه عمرو ابن عبيد ورخص فيه بن جريج فقال عمرو ان الله يقول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فاخبرني من يكتبه لصاحب اليمين ام صاحب الشمال . قال ابن جريج لا يكتبه واحد منها لانه لغو ليس بحسنة فيكتبها صاحب اليمين

١) يُقرأ على الجهة الشمالية من صفحة العنوان : من فضل الله التي سنة ٩٣٣ . من كتب الفقير اليه تعالى ابرهيم عيى الشامي . غفر الله له سنة ١٠٨٥ .

٢) هكذا كتب الناسخ وهو غلط . والصحيح خرداذبه كما قدّمنا .

ولا بينة فيكتبها صاحب الشمال . والرخص في الغنا كثيرة ولولا مخافة التطويل لاتيت على ذلك . ومعرفة الاغاني احد الفلسفة الاربعة وهي حدود المنطق ومعرفة الطب [٣] وعلم النجوم والموسيقى وهو الالحان. وكانت الاوايل تعظم هذا الشأن فدخل على الاسكندر رجل موسيقي فاظهر اكرامه فقال له جلساؤه كيف اكرمت هذا هذه الكرامة. فقال ليس الرجل اكرمت ولكن الموسيقية اكرمت . وقال الاسكندر من فهم اللحون استغنا عن ساير اللذات . وقالت الفلاسفة ان النغم والاغاني فضيلة شريفة كانت خفيت على المنطق ليست في قدرته فلم يقو على اخراجها . فاخرجتها النفس الحاناً فلما ظهرت سرّت بها وعشقتها وطربت لها . وقالت الحكماء الموسيقي يدرّج ابنا الفلاسفة ويسوقهم الى ساير العلوم لان باطنه لهو العقول وظاهره لهو الحواس . وجعل الله كل حاسة تتعب بحركتها غير السمع فانه خصّه الله بورود الصوت عليه من غير حركة ولا مونة فالوم الامور للنفس سماع النغم الحسان المازج لاوتار العيدان .

[٤] فضل الغنا على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرو على السقم والدينار على الدرهم . وفضل العود على جميع الملاهي كفضل الانسان المميّز على ساير الحيوان . واول من اتخذ العود لمك بن متوشيل[1] ابن محويل ابن عبرد بن خنوخ بن قينان ابن آدم. كان له ابناً يحبه حباً شديداً فمات فعلقه بشجرة وقال انظر اليه ابداً فتقطعت اوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والاصابع فاخذ خشباً فرقّقه والزقه فجعل صورة العود كالفخذ وعنقه كالساق والبنجك كالقدم والملاوي كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود . قال الحدوي :

---

١ في الهامش متوشيل. يذكر المسعودي في مروج الذهب طبعة Barbier de Meynard المجلد ٨ ص ٨٨–٨٩ هذا المقطع على المنوال التالي : ٥ اول من اتخذ العود لمك بن متوشلخ ابن محويل بن عباد بن خنوخ بن قاين بن آدم وذلك انه كان له ابن يحبه حباً شديداً فمات فعلقه بشجرة فتقطعت اوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والاصابع فاخذ خشباً فرققه والصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم والملاوي كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود قال الحمدوني :

وناطق بلسان لا ضمير له	كانه فخذ نيطت على قدم

ونَاطقٍ بلسانٍ لا ضمير لهُ كأنه فَخِذ نيطت إلى قدم
يُبدي ضمير سواه في الحديث كما يُبدي ضمير سواه منطق القلم

وعمل[١] توبل ابن لمك الطبول والدفنة[٢]. وعملت صلا[٣] ابنت [ه] لمك المعازف. ثم عمل[٤] قوم لوط الطنابير يستميلون بها الغلمان. ثم اتخذ الرعا[٥] والاكراد انواعاً[٦] مما يصفر به. كانت[٧] اغنامهم اذا تفرقت صفروا لها فاجتمعت. ثم سوّت الفلاسفة العود[٨]. قال فيذرس[٩] الرومي جُعلت الاوتار الاربعة[١٠] بازاء الطبايع الاربعة[١١] فجعل الزير بازاء المرّة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبمّ بازاء[١٢] السودا. فالزير للخنصر والمثني للبنصر ووزنه ضعف وزن الزير[١٣] والمثلث للوسطي ووزنه ضعفا وزن الزير والبمّ للسبابة ووزنه ثلثه اضعاف وزن الزير. واتخذت[١٤] الفرس الناي للعود والزُنامي للطنبور والسرناي للطبل والمستج للصنج[١٥]. وكان غنا الفرس بالميدان والصنوج

١) م اتخذ
٢) م الدفوف
٣) م ضلال
٤) م اتخذ
٥) ولربما هي الرعاة كما يقول المسعودي.
٦) م نوعاً
٧) م فكانت
٨) هنا يقلب المسعودي المقاطع ويضع الواحد قبل الثاني.
٩) هكذا ظهر هذا الاسم بيّناً في مخطوطنا. انما يذكره المسعودي بالصورة التالية فندروس ويعلّق الناشر على هذا فيقول: لربّما هو ثودروس. ولكن مهما اخترنا من هذه الصور الثلاث فاننا نظل في حيرة تجاه هذا الاسم.
١٠) م اربعة
١١) يحذف المسعودي هذه الكلمة.
١٢) يزيد المسعودي كلمة المرّة.
١٣) يحذف المسعودي هذه الجملة.
١٤) م اتخذ
١٥) يقول المسعودي: اتخذ الفرس الناي للعود والدياني للطنبور والسرياني للطبل والسنج للصنج. والجملة كما اوردها الناسخ في مخطوطنا واضحة المعالم.

وهي لهم وهم النغم والايقاعات والمقاطع والكروف وهي ثمانية . بندستان ثم بهار وهو افصحها ثم ابرين وهو اكثرهـا استعمالا لسفلي الاوتار ثم ابرينه وهو اجمعها لمحاسن [٦] النغم واكثرها تصعدًا وتحدرا من طبقة الى طبقـة ثم ماذرواسبان[1] وهو اثقلها واشدها تأنياً وخروجاً من نغمة الى اخرى. ثم شـم[2] وهو المختلس بالاصابع المثقل ثم القبه وهو المحثوث بالادراج ، المستدير في معاطف الحانه ثم اسبراس وهو المدرج الموقوف على نغمه[3] . وكانت الملوك تنام على الغنا ليسري السرور في عروقها قال الشاعر :

وغناء سمة تعللنـا حتى تنام تناوم العجم

وقال كسرى العود اجل الملاهي ووددت اني افتديت اصلاحه بمائة الف درهم .

وللفرس الونج وعليه سبعة اوتار وايقاعه يشبه ايقاع الصنج وبه كان غنا اهل خراسان وما والاها .

وكان غنا اهل الري وطبرستان والديلم بالطنابير . وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهي .

وكان غنا النبط والجرامقة بالفندورات[4] وايقاعها يشبه [٧] ايقاع الطنابير.

وكان اكبر مغن للفرس ايام كسرى ابرويز بهلبذ وكان مروزياً ضارباً بالعود حاذقاً فايقاً يغني بكلام موزون يركب له الالحان وكان اذا حدث ما يجبن الكتاب واصحاب الاخبار عن انهايه الي الملك اعلموه فغني فيه وضرب عليه ضرباً يسكن من الغضب. وكان ما غناه من هذا الضرب ومن اصواته المعروفة في المديح وفي التهنية وما اشبه ذلك خمسة وسبعون صوتاً منها صوته .

عما زيارة قيصر وخاقـان كسرى ابرويز
قيصر ماه مانذ وخاقان خرشيـد

١) م مادارورستان .
٢) م سيم.
٣) يقول المسعودي : وحويبران (غير منقوطة) وهو المدرج الموقوف على نغمة .
٤) النيروارات .

اي قيصر يشبه القمر وخاقان الشمس
ان من خداي ارما ندكا مقاران
اي الذي هو مولاي يشبه الغيم المتمكن
كخاهـذ ماه بوشد كخاهذ بخرشيد
[٨] اي اذا شاء غطا القمر واذا شاء الشمس

وكان له مع غنايه ظرف وادب فطرب ابرويز في ليلة باردة فدعا به وعنده سيرين فقال له اشتقت اليك واحببت ان اقطع بك ليلتي فشربا وغنا حتي سكر بهلبذ وخرج ليبول فسقط عند اصل سدره فنام فقال ابرويز لسيرين قد ابطا ضيفنا وخرج فرآه نايمًا فطرح عليه جزرسيمور كان عليه فلما كان وجه الصبح قال ابرويز لسيرين ما ترين حال ضيفنا. قالت الملك اعلم. قال اراه هبّ من نومه فراي ثوبي عليه فعرفه فأجله فنزعه ونزع قباه فبسطه ووضع ثوبي عليه وكفر قايمًا عنده. فقالت سيرين ان كان هكذا فالملك ينظر بنور الله. قال قومي فقاما فوجداه كذلك فامر له بمال واقطعه براز الروز وقطايعاً بالريّ. ثم مرّ ابرويز في طريق فرأى غلاماً فارسيًا يقال له شركاس معه بقرة عليها سماد وهو يغني فاعجبه حسن خلقه [٩] فضمه الى بهلبذ وامره بتعليمه الغنا فحذق وفاقه فحسده بهلبذ فقتله. ودعا به ابرويز فقال هو عليل ثم بلغه خبره فقال لبهلبذ ابا حسد صدرك ونغل جوفك الّا قتله وقد علمت اني كنت استريح منك اليه ومنه اليك فذهبت بشطر طربي. وامر بالقايه تحت الفيله. فقال ايها الملك اذا قتلت انا شطر طربك وقتلتني فقتلت انت الشطر الاخر اليست تكون جنايتك على طربك اكثر من جنايتي. فقال كسري ما دله علي هذا الكلام الا ما جعل الله له من المدة وامر بتخليته وبقي بهلبذ بعد كسرا دهرًا.

وللروم من الملاهي الارغن وعليه ستة عشر وترًا وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين والشلياني[1] وله اربعة وعشرون وترا وتفسيره الف

١) الشلياني : يقول المسعودي السلبان وفي تعليق الناشر ربما سيلبان ولكن أهذه الآلة المطربة من وجود عند اليونان والبيزنطيين؟

صوت . ولهم اللورا وهي الرباب وهو[1] من خشب وله[2] خمسة اوتار ولهم القيثارة ولها اثنا عشر وترًا [١٠] ولهم الصلنج من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصنعة .

وللهند الكركله[3] وهي وتر واحد يمدّ على قرعة فيقوم مقام العود والصنج. وكان الحدا في العرب قبل الغنا . روي ان مضر بن نزار خرج في مال له فوجد غلامه قد تفرقت عنه الابل فشد عليه فضربه على يده بعصاً فعدا الغلام وهو يصيح وايداه وايداه . فسمعت الابل صوته فتعطّفت عليه فقال مُضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان مما تجتمع عليه الابل . فاشتق حينئذٍ الحدا هادياً هادياً على قوله وايداه وايداه. فكان الحدا اول السماع والترجيع في العرب . ثم اشتق الغنا من الحدا . جاب ابن عبد الله الكلبي فغنا النصب ونحن[4] نسا العرب على موتاهن[5] ولم أرَ أمة بعد الفرس والروم اولع بالملاهي ولا اطرب[6] من العرب وكان غناهم النصب ثلثة اجناس الركباني والسناد الثقيل والهزج الخفيف . فاول من غنا من العرب العاربة[7] [١١] الجرادتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعوية بن بكر العملقي وكانت العرب تسمي القينة الكرينة والعود المزمر[8] . قال لبيد :

اغلي السباء بكل ادكن عاتقٍ أو جونةٍ قُدحت وفُض ختامها
بصبوح صافيةٍ وجذب كرينةٍ بموترٍ تأتا له ابهامها

ثم غني جُذيمة الخزاعي ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن عامر وكان من احسن الناس صوتاً فسمي المصطلق وهو الحسن الخلق في كلام

---

١) هي عند المسعودي
٢) لها « «
٣) يقول ناشر المروج في تعليقه ص ١٨ ؛ انما كيكله وهو ما يعادل الآلة الهندية gongolah ويقول المسعودي الكنكلة .
٤) نحن عند المسعودي
٥) موتاها « «
٦) والطرب « «
٧) العرب عند المسعودي
٨) المزهر « «

العرب غنا النصب . ثم غنا بعده ربيعة وهو ضبيس الخزاعي ابن حزام بن جيشه بن سلول بن كعب بن عمرو بن عامر . ثم غنا زمام بن خطام الكلبي الـذي يقول فيه الصمه القشيري :

دعوت زماماً للهوا فاجابني   واي فتاً للّهو بعـد زمام

واول من اتخذ القيان من العرب اهل يثرب اخذوا ذلك من بقايا عاد . ولم تكن قريش تعرف من الغنا الا النصب حتى [١٢] قام النضر بن الحرث ابن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي العراق فتعلم بالحيرة ضرب العود وغنا العبادين فقدم مكة فعلّم اهلها فاتخذوا القيان .

والغنا من اكبر اللذات واسرّ للنفس من جميع الشهوات يرق الذهن ويلين العريكة ويهيج النفس ويسرها ويشجع الجبان[١] ويسخي البخيل ويحيي القلب ويزيد في العقل ويفتح في الراي وله مع النبيذ تعاون على الحزن الماد[٢] للبـدن يحدثان له نشاطاً ويفرجان للكرب. والغنا على الانفراد يفعل ذلك . قال عبدالله ابن جعفر ان للطرب لاريحية لو لقيت عندها لابليت ولو سالت لاعطيت . قال الحطية جنبوني الغنا فانه رقيه الزنا . قال الشاعر :

(الكامل) لا تبعثن الي همومك ان ثوت   غير المدام ونغمة الاوتار[٣]

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه اي غامض ومكنون كشف وعلي اي دفين[٤] ومكتوم دل والي اي علم وفضيلة سبق [١٣] فذاك نشيج[٥] وحده وقريع دهره . قال جالينوس يحتاج السمع ان يرق بالصوت المونق كما يحتاج البدن الي اعتدال الطبايع. والغنا غذا السمع كما ان الطعام غذا البدن فقد

١) القلب عند المسعودي : يورد المسعودي بعض مقاطع مخطوطتنا في بعض مقاطع تاريخه ولكنه مرّة يطيل الكلام ومرة يختصره بالنسبة الى مخطوطتنا.

٢) هكذا الكلمة في مخطوطتنا . وعند المسعودي الهادم .

٣) عند المسعودي :

لا تبعثن على همومك اذ ثوت   غير المدام ونغمـة الاوتار

٤) فتق عند المسعودي

٥) نسيج « «

ترى اهل الصناعات الـذين يكدّون برًا وبحرًا اذا خافوا الملالة والفتور ترنموا وشغلوا انفسهم بذلك عن الم التعب . وترا الشجعا وابنا الحروب قـد احتالوا بنفخ انواع البوقات وقرعوا الطبول لتهون عليهم الشدايد . وترا اهل العبادة والرهبانية يبكون على خطاياهم بالالحان الشجية يسترجون الي ذلك .

وقد حدث الوليد بن سلمة عن ابن جريج عن عطا عن عبيد بن عمير الليثي قال : كانت لداود النبي عليه السلام معزفة فكان اذا اراد ان يبكي ضرب بها فردد صوته فبكا وابكا . وحدث يحيي بن العلا عن عبدالحميد بن عبدالرحمن عن بن عباس قال : كان داود يقرا الزبور ثلثين صوتًا يطرب منهن المحموم وكان اذا كان [١٤] اخر الليل فاراد ان يبكي نفسه لم يبق حوله دابة ولا وحش بكا لبكايه . ورووا انه كان يزمر بزمارة عند ملك بني اسرائيل فيسكن ما كان به من الخبل والمسّ . وترا الطفل يرتاح للغنا ويستبدل ببكايه ضحكًا . وترا الابل يحدوا بها الحادي فتمعن في سيرها . وترا الراعي يرفع يراعه فتجد الشآ في رعيها وتصفر الفرسان في المشارع فتجد الدواب في شربها . قال الشاعر :

(المجتث)
اليوم يوم بكور علي تمام السرور
ويوم عزف قيان مثل التماثيل حور
ولا تكاد جياد تروا بغير صُفير

وقال ابو نواس .

(الوافر) وجدت الذ عارية الليالي قرانَ النغم بالوتر الصحيح[1]
ومسمعه اذا ماشيت غنت متى كان الخيام بذي طلوح

[١٥] ومن الطير النواطق التي توقع الخطاطيف والفواخت والهزاردستان فانه خاصة يدنوا من الضرب والزمر والملهين . واعجب من هذا اتخاذ اهل البطايح حظاير القصب في الما وتركهن لها ابوابًا وصمودهم ينادون السمك يدعونها الي

١) في الهامش الفصيح .

تلك الخظير ويعدونها مرعاً وعنف وكفا عن الاضرار والصيد تجتمع الي ذلك الصوت حتى تملي الحظاير .

وذكرت الهند ان الفيل اذا اخذ امتنع من العلف والشرب وبكا حنيناً الى الوطن والالاف فتعزيه الشعرا وتغنيه المغنون الالحان الشجيّة الملهية حتى تطيب نفسه ويعتاف ويشرب .

وذكروا ان اهل الرومية اذا ثقل عندهم المريض وضعف اسمعوه الالحانا وضرباً وقالوا ان ذلك يخفف وجعه ويُقوّيه . وكان الاسكندر لا يشرب الشراب الا بالملاج وكان اذا التأث عليه الرأي في بعض الحروب أمر بتحريك الارغين فاذا مضت نفسه في الفطرة [١٦] وتوجه له الراي ضرب بعموده ترساً بين يديه فيمسك الموسيقار وهو المغني .

وسمع ارسطاطاليس موسيقار يضرب بالقيثارة ضرباً يميّز به الفضايل من الرذايل فقال متى كانت الطبيعة تهدي لهذا لولا النفس . وكان الفيثاغورس اذا جلس علي الشراب قال للموسيقار حاسب النفس علي المقادير وناجها باشكالها ولا تحفل بالطبيعة .

وكان جالينوس يحضر مجالس الالهاء والطرب فقيل له لم تحضرها وليست من شانك قال لاعرف مزاج القوا والطبايع في حال مستمع ومنظر ومجس . وكان هرمس المثلث بالحكمة اذا جلس علي الشراب قال للموسيقار اطلق النفس من رباطها .

وخرج ارفارس ومعه تلميذه فسمع صوت القيثارة فقال لتلميذه امض بنا الي هذا لعلّنا نفيد منه صورة شريفة فلما قربا منه سمعا صوتاً ندياً وتأليفاً غير متفق فقال ارفارس : يزعم اهل الكهانة [١٧] والزجر ان صوت البومة يدل على موت انسان فان كان ما قالوا حقًّا فصوت هذا يدل علي موت البومة .

وقد وصف الغنا قوم من اهل زماننا فقال يحيى ابن خالد بن برمك : الغنا ما اطرب[١] فارقصك او اشجاك[٢] فابكاك وما سوا ذلك فبلاء وهمّ . وكان

١) م اطربك
٢) م يقلب موضع الكلمتين ويقول وابكاك فاشجاك . عند هذا تتوقف المقابلة بين

بين ابن جامع وابرهيم الموصلي اختلاف شديد في الغنا قال بن جامع لابرهيم يوماً بين يدي الرشيد: ان خبرتني اي الغنا احسن فاني فاعله. فقال: احسنه ما اشبه النوح. قال: صدقت ووافقه في هذه الصفة. وقال اسحق ابن ابرهيم الغنا القديم مثل الوشي يجمع الاصفر والاحمر والاخضر وساير الالوان وبينها بون بعيد التفاوت. وقال الطرب على ثلثة اوجه طرب محرك مستخف وذلك اذا كان شعر الغنا في الشوق او نعت الشراب وان ذكر احد من الندامى ان في الدنيا لذة هي اكثر من هذا فلا تصدقه. وجدت له هذا الصوت:

(الخفيف)

اصلح الناس (؟) كأنه قفرا غير مغنا معارف ورسوم
(**) امامه من حسن ذاك الصفا والتنعيم
(ثقيل الثاني)[1]

حابل ابي دهبل: مكي وكان غلاماً لابي دهبل الجمحي له هذا الصوت والناس ينسبونه الى مالك:

(الطويل)

تطاول هذا الليل لا يتبلّج واعيت غواشي زفرتي ما تفرّج
ابيت بهم لا انام كأنما احـ ـلال ضلوعي جمرة تتوهّج
لابي دهبل (ثقيل الثاني)

ما نقله المسعودي وكتابنا. انما نجد عند المسعودي نصوصاً اخرى هي لابن خرداذبه لم نعثر على ما يوازيها في مخطوطنا.

١) نقل المسعودي عن ابن خرداذبه ما يلي وما لا نجده في مخطوطنا: «الثقيل الاول نقرة ثلاثة ثلاثة. اثنان ثقيلتان بطيئتان. ثم نقرة واحدة. وخفيف ثقيل الثاني نقرة اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة، واثنتان مزدوجتان. وخفيف الرمل نقرة اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة. والهزج نقرة واحدة واحدة مستويتان ممسكة. وخفيف الهزج نقرة واحدة واحدة متساويتان في نسق واحد اخف قدراً من الهزج». راجع كتاب المحامي عباس العزاوي، ص ٩٨.

ونقرأ ايضاً ص ١٠٠: «فجملة الايقاع في الرقص ثمانية اجناس: الخفيف، والهزج، والرمل، وخفيف الرمل، وخفيف الثقيل الثاني، وثقيله، وخفيف الرمل الاول وثقيله».

ابو الخز : مولي سكينة بنت الحسين كان ظريفاً ودخل عليه اعرابي فكسر ثيابه وحملها فصاح ابو الخز بابي ما اسمك قال نافع فقال نفع والله لغيري. وجدت له هذا الصوت وقد شارك فيه مالك وغيره :

(الرمل)

كل قوم صيغة من تبرهم   وبني عبد مناف من ذهب
[١٩] انما عبد مناف جوهر   زين الجوهر عبد المطلب

للفضل ابن عتبة   خفيف ثقيل الاول

الوليد بن يزيد : بن عبد الملك ابن مروان وكان يزيد ابوه فتى من بني امية والوليد خليعهم وكان شاعرًا يغني . قال اسحق ولم يكن للغنا في اول الزمان قدرا انما كانت تعلمه السودا والصفرا حتى ولي الوليد بن يزيد فرغب فيه الناس (فيه) فعلموه الحسان واعرقوا فيه ففي ايامه بلغ الغنا غايته .

عبدالله بن معاوية الباهلي : كان مع قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان وكان منزله بالري . وجدتُ له هذا الصوت :

فلما دبت الصهبا[1] فينا   وغرّد صاحبي وخلا الوساد
شربنا من فؤاد الدن حتى   تركنا الدنّ ليس له فؤاد

ثم كانت الطبقة الثانية وقد ادركوا دولة بني العباس منهم سياط واسمه عبدالله ابن وهب مكي مولي لخزاعه احد المحسنين [٢٠] مع حسن . وكان راوية يونس وهو علم ابرهيم الموصلي ولابرهيم فيه هذا الشعر والغنا :

(الخفيف)

ما سمعنا منه له من غناء[2]   لا شجاني وعاد لي وسواسي

١) والاصح الصهباء.
٢) زدنا على هذا الصدر « من غنا » .

ما ابالي اذا سمعت غناء[1] لسياط ما فاتني الرواسي[2]
غنني ياسياط قد ذهب اللي ل غناء[1] يطير منه نعاسي

يعني عباس مولي بني رواس ابن كلاب والغنا في هذا البيت الاخير لسياط ولم يعمر طويلا . وغنا ابرهيم الموصلي صوتا لسياط فقال له ابنه لمن هذا فقال هذا والله لمن لو عاش ما وجد ابوك الخبز. وكان في صوت ابرهيم انقطاع. وجدت لسياط اربعة وعشرين صوتاً منها :

(الكامل)

وكأن من زهر الخزامي والندا والاقحوان عليه ربطة ممرس
فاذا يريم ذبابه اصغا لها يوماً بسمع خائف متوجس
ثقيل الاول

زيد الانصاري : مدني وهو الذي يقول فيه رثي اشعب عبد الله [٢١] بن مصعب الزبيري :

(السريع)

اذا تمززت صراحته كمثل ريح المسك او اطيب
ثم تغنا لي باهزاجه زيد اخو الانصار او اشعب
زيد اخو الانصار ذاك الذي يعرفه مطرب من يطرب
حسبت اني ملك جالس حفت به الاملاك والموكب
وما ابالي واله الهوي اشرق العالم ام غربوا
خفيف الرمل

١) الاصح غناء
٢) والاصح والرواسي .

وجدت له سبعة اصوات منها :

(الخفيف) يا شبيه الغزال رد فؤادي   وارث للعاشق الطويل السهاد

اشعب ابو العلا بن جبير : مدني مولي لعبدالله ابن الزبير وامه حمده مولاة لاسما ابنت ابي بكر كانت تغري بين ازواج النبي عليه السلم وكانت بغت فخلقت وضربت وطيف بها علي جمل تنادي من رأني فلا يزنين. فاشرفت عليها امرأة فقالت يا فاعله نهانا [٢٢] الله فلسنا ندعه وتريدين ان ندعه بقولك وانت مخلوقة مجلودة يطاف بك .

وكان اشعب نشا في حجر عايشة ابنت عثمان وكان مصعب ابن الزبير قتل جبيرًا لخروجه مع المختار ابي عبيد فقال اشعب: نشأت انا وابو الزياد في حجر عايشة بنت عثمان فلم يزل يعلوا واسفل حتي بلغنا هذه المنزلة واسلمتني في البز فسألتني بعد سنة ابن بلغت فقلت : قد تعلمت نصف العمل وبقي نصفه . قالت : وكيف . قلت : قد تعلمت النشر وبقي الطي . فخرج اشعب ظريفًا منددًا وكان من اطمع الناس . فقيل له ما بلغ من طمعك. قال اري دخان جاري فاثرد انا وما سار انسان انسانا الا ظننته يهب لي شيئًا . وقالت صديقة لي يوما يا اشعب هب لي خاتمك اذكرك به قلت اذكريني بالمنع . وساوم بقوس بندق. فقال صاحبها : بدينار. فقال : والله لو كانت اذا رميت عنها طايرًا خر مشويًا بين رغيفين حواري لم اشترها بدينار . ثم نسك اشعب [٢٣] وعرا. فقيل له قد لقيت الفقها فلو تحدثت. قال : نعم حدثني عكرمه قال خُلتان لا تجتمعان في مومن نسي عكرمه واحده ونسيت الاخرا. قال اشعب كنت يوم قتل عثمان غلامًا اسقي الناس الماء وبقي الي ان اتي به الربيع في خلافة المهدي . وجدت له اصواتا منها :

(المتقارب)

الا ناد جيراننا نقصد   نقضّ اللبانة او نمهد
كأن علي كبدي جمرة   حذارًا من البين ما تبرد

محمد بن الابجر : وجدتُ له هذا الصوت :

وفي الحي من يهوا هوانا ويلتهي واخر قد ابدا الكآبة مغضب
ونحن اناس عودنا عود نبعه اذا نسب الجّبان بكر وتغلب

محمد بن الصامه : مدني ليثي وكان بارد المجلس فغنا في مجلس فيه محرم فقال المحموم دعنا نعرق . وبعث رجل غلامه الي السوق فقال اشتر لي خمسة ارطال ثلج فلقي ابن الصامه فادخله على مولاه فقال: قالبت خمسة ارطال وهذا حمل . وكان موسي [٢٤] بن الصامه والصامه ابوه وامه فرعه مغنيان وكان اهل المدينة يسمونه بين دفتي المصحف . وجدت له في كتاب اسحق ودنانير ثلثة اصوات منها :

(الرمل)

قد تمنى معشر في دارهم من عقار وسوام وذهبْ
وتمنيت سليمي انهـا بنت عمرو من لها ميم العربْ

خفيف ثقيل الاول

للفضل بن عتبه .

ثم كانت الطبقة الرابعة .

صباح الخيّاط :

وجدت له ثمانية اصوات منها هذا الصوت :

(البسيط)

يا قلب ويحك لا تذهب بك الخرق ان الاولي كنت تهواهم قد انطلقوا
ما بالهم لم يبالوا اذ هجرتهمُ وانت من بينهم قد كدت تحترق

لابن قيس الرقيات خفيف ثقيل الاول

عزور : كوفي . وجدت له هذا الصوت :

[٢٥] (البسيط)

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طرباً زدت الفؤاد على ما عنده نصبا
ربع تبدل ممن كان يسكنه عفر الظباء وظلمانا به عصبا

ثقيل الاول

محمد بعجه : كوفي . وجدت له اربعة اصوات منه :

(الخفيف)

ما جرت خطرة على القلب مني منك الّا استترت من اصحابي
من دموع تجري فان كنت وحدي خالياً اسعدت دموعي انتحابي

للسيد ثقيل الاول

سليمن : اخو جمعه : مدني . وجدت له صوتين احدهما :

(الطويل)

فلما بدا جرمانها الصيف لم يكن على مناخ السوء ضربة لازب
فلما تراجعنا الحديث سالتها منَ الحي قالت معشر من محارب

للقطامي تقيل الاول

ابن حودره : مكي . وجدت له في كتاب اسحق وعمر اربعة وعشرين صوتاً منها هذا الصوت :

لعب الحب بقلبي فاشقنا ومن العينين نومي قد نفا
[٢٦] كدر العيش نجران التي كدرت عيشي وقد كان صفا

تقيل الثاني

الدلال : مدني. اسمه نافذ وكنيته ابو زيد وكان مخنثاً جميلاً بربرياً مولي لبني فهر وكان ينقر بالدف وكان ممن خصاه بن حزم الانصاري بامر سليمن ابن عبد الملك فقال هـذا الختان الاكبر . وكان سليمان غيورًا فسمع ليله وجارية عنده عليها حلي ومعصفر في ليلة بدر هذا الصوت من سعيد الابلي :

محجوبة سمعت صوتي فأرّقها　　من اخر الليل لما ملّها السهر

بدني على فخذها من ذي معصفرها　　والحلي دان علي لبّاتها خصر

لم يحجب الصوت احراس ولا غلق　　فدمعها لطرّوف العين ينحدر

في ليلة البدر ما يدري معانيها　　او وجهها عنده ابهـا ام القمر

لو خليت لمشت نحوي علي قدم　　يكاد من رقـه للمشي ينفطر

فتفهم سليمن الشعر وظن انه يغني في جاريته فبعث في طلبه فاتي به[٢٧] فامر حجاما فخصاه وكتب الى المدينة في اخصا المخنثين المغنين ثم ندم على اخصا الرجل فامر له بعشرة الف درهم فابا ان يقبلها فأضعفها له فلم يقبل فلم يزل يزيده حتى بلغ الي مايه الف درهم فابا ان يقبل . فانتثرت لحية الفتى . فقال الله انك اذهبت جمالي وقطعت نسلي وافسدت دنياي لا والله اذا افسد عليك اخرتك فخصي الدلال وبرد الفؤاد ونوّمه الضحا وطريقـه وكانوا يغنون ويلعبون في الاعراس . وجدت له في كتاب ابرهيم تسعة عشر صوتا وفي كتاب يونس صوتاً واحدًا شارك فيه مالك وهو :

(الهزج)

لمن ربع بذات الجيـ　　ـش امسا دارساً خلقا

كلفت بهم غداة غدٍ　　ومرّت عيسهم خرقا

لعبد الرحمن بن حسان　　ثقيل الاول ولمالك فيه خفيف الرمل

طريفه ابن الشوتري : مدني مولي الانصار ممن خُصي وقال اعادوا علينـا الختان وقد ذكره اسمعيل بن بشار حين هجا لحاتم عن :

[٢٨] (الوافر)

ولا الدلال ولا طويس ولابن الشوتري ولا الفريض
لاخت النخل خنث يحيى ولاحا ضوا كما يحي تحيضُ

فندا بو زيد : مولى عايشة بنت سعيد بن ابي وقاص مدني احد المخنثين وكان يجمع بين الرجال والنسا فقيل له ويلك تقود وقد فضحت نفسك . قال انما هو رغيف طيب وعرق سمين وقدح نبيذ صافي وترول (×) عن استي فلا ابالي في است من وقع . وله يقول بن قيس الرقيات وغناه بن جديده وملك :

(الخفيف)

قل لفند يشيّع الاظعانا طال ما سرّ عيننا وكفانا
زودتنا رقيّة الاحزانا يوم جازت حمولها السكرانا

وفند الذي يضرب به المثل في الابطا لان عايشه ارسلته ياتي بنار وهو يعدوا فتبدد الجمر فقالت تعست العجلة يا فند . فقال الشاعر :

(الرمل)

ما رأينا لغراب مثلًا اذ بعثناه يجي بالمشمله
غير فند ارسلوه قابساً فثوا حولًا وسبّ المعجلة

[٢٩] وجدت له اربعة اصوات منها :

بشّر الظبي والغراب بسعدي مرحباً بالذي يقول الغراب
ارجعي فاقرأي السلم عليها ثم رُدي جوابنا يا رباب
لابن قيس

سجيه : مخنث . له الكامل :

يا عمرو شيخك وهو ذو شرفٍ يحمي الذمار ويكرم الصّهرا

اقسمت ما اجبت حبكم لا ثيباً خلقت ولا بكرا
لابي ذهيل خفيف ثقيل الاول

شيبب : مخنث . له الخفيف :

يا جواري الحي عدننيه حجبوا عني مملبيه
قربوا عوداً وباطية فبذا ادركت حاجتيه
لعفان ثقيل الثاني

صعتر : مخنث . له الكامل:

(الكامل)

رفع الصدود يمينه فوجا بها انف الوصال
[٣٠] صرخ الوصال وقال مه يا صاح جينا للقتال

صالح بن زهير الخزاعي : مخنث مدني . دخل علي رجل قد ركتب في بيته ادم الف حوا فقال له لم كتبت هذا قال حتي لا يدخل علينا ابليس . قال يا احمق دخل علي ادم وحوا . الجنة فاخرجها منها ؟ لا يدخل علي كتاب بفحمة . وصعد جبلاً فاعيا وسقط كالمغشي عليه تعباً . فقال يا جبل ما اصنع بك يكفيك يوم تكون الجبال كالعهن المنفوش . وجدتُ له في كتاب اسحق هذا الصوت :

(الرجز[1])

يا خليلي آبني سهدي لم تنم عيني ولم تكد
فشرابي لا اسيغ ولا اشتكي ما بي الى احد
للفارعة اخت حسان رمل وفيه اخر

١) عندنا ليس الرجز ولكن المديد .

القيان الظرفاء

سيرين : جارية حسان بن ثابت وهي اخت ماريه ضاريه وهي ام عبدالرحمن ابن حسان. روي عبدالله ابن سعد عن يونس عن الي ادريس [٣١] عن عكرمة عن بن عباس قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بحسان ابن ثابت وقد رش . فنا فاطمة ومعه اصحابه سماطان وجارية له يقال لها سيرين معها مزهرها يختلف به بين السماطين بين القوم ويغنيهم. فلما مرّ النبي عليه السّلام لم يامرهم ولم ينهاهم فانتهى اليهم وهي تقول في غنايها المقتضب :

(المقتضب)

هل علي ويحكما ان لهوتُ من حَرَجِ

فتبسم النبي عليه السّلام وقال لا حرج إن شاء الله .

قيان جبلة بن الايهم الغسّاني :

وكن عشر قينات خمس منهن يغنين بالعيدان بالرومية وخمس يغنين بغنا اهل الحيرة احداهن اليه اياس ابن قبيصة الطاي . لحن اغاني منها :

(الكامل)

لله درّ عصابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الاول
يغشون حتي ما تهر كلابهم لا يسئلون عن السواد المقبل

لحسان ثقيل الاول

[٣٢] عزة الميلا : وكانت مدنية للانصار وكانت تميل في مشيتها . فسميت الميلا وكانت من احسن الناس وجهاً وغنا وضرباً بعود ومعزفة وكانت مطبوعة على صنعة الغنا مؤلفة له كما قدم نشيط، وتعلم منه شايب خاثر وغنيا لقيت عزة نفسها . فالفت الحاناً عجيبة . فهي اول من فتن اهل المدينة بالغنا وكان طويس بها معجباً وكانت عفيفة مع ذلك . وكان عبدالله بن جعفر وابن ابي عتيق ياتيان منزلها وتغنيهما. وكان ابن سريج يزورها من مكة فتعلم منها وطويس لا يفارقها

وكذلك ابن محرز . وجدت لها في كتاب ابرهيم خمسة اصوات وفي كتاب اسحق تسعة عشر صوتاً وفي كتاب يونس صوتاً واحداً شاركت فيه بن محرز وهو الخفيف :

(الخفيف)

انظر نهاراً باب جاق هل تونس دون البلقا من احد
لا اخدش الخدش بالنديم ولا يخشي نديمي اذا انتشيت يدي
ابصرت سلمي ودونها جبال الثلج عليه السحاب كالقدد
لحسان رمل وفيه لحن لابن محرز

[٣٣] جميله : ام عمرو مدنية مولاه لبني سليم زوجها مولى لبني الحرث وكانت من اجمل النسا واكثرهم ادباً . فاما الغنا فناهيك انها اتت معبداً ومالكاً وابن عايشة وحبابه وملامه وخليده وربيحه الشماسيّة جارية قليح ابن شماس مولى العباس ابن عبد المطلب وعقيلة العقيقية . فاجمع اهل العلم بالغنا انها كانت اعلم الخلق بالغنا لا يدعى احد من المكيين والمدنيين مقاربتها فيه . وكانت ضاربة . قالت جميلة اشتهيت الغنا لان شايب خاثر كان جارا لنا فكنت اسمعه فغنيت فيجا غناي احسن من غنايه . وقال يونس ما غنت جميلة احد قط الا في منزلها . وفيها يقول عبد الرحمن ابن ارطاه المحاربي وغناه ملك :

(المتقارب)

فان الدلال وحسن الغنا ء وسط بيوت بني الخزرج
تكلم جميلة زين النسا اذا هي بردانَ للمخرج
ثقيل الثاني

وكان لعبدالله بن جعفر راي في الغنا فمر بباب قوم عندهم جارية تغني :

[٣٤] قل للكرام ببابنا يلجوا ما في التصاب علي الفتى حرج

فدخل عليهم فرحبوا به وقاموا اليه وقالوا لـه جعلنا فداك كيف دخلت بغير اذن . فقال قد اذنتم لي : غنت الجارية قل للكرام ببابنا يلجوا .

سلامه : جارية ابي نفاع. وجدت لها في كتاب يونس هذا الصوت :

(الخفيف)

من اقلب يجول بين التراقي مستخف يتوق كل متاق
حذرًا ان تبين دار سليمى اذ يصيح الداعي لها بفراق

خفيف الرمل

سلامه القس : جارية يزيد بن عبدالملك، مدنية. كانت لسهل ابن عبد الرحمن ابن عوف فاشتراها يزيد باربعة الف دينار. والقس هو عبد الرحمن ابن عبدالله ابن ابي عاد الجشمي العابد. كان يقال له القس لعبادته. ففتن بها ونُسبت اليه وفيها يقول القس :

(البسيط) قد لامني فيك اقوام اجالسهم فما ابالي اطار اللوم ام وقعا

وفيها يقول ابن قيس الرقيات. وغناه مالك :

([٣٥] الطويل)

لقد فتنت ريا وسلامة القسا فلم تتركا للقسي عقلًا ولا نفسا

ريا : اخت سلامه. وجدت لها هذا الصوت :

(الكامل)

اسلام هل لمتيَّم تنويل ام قد صرمت وغال وصلك غول
لا تصرفي عني دلالك انه حسن لدي وان بخلت جميل

للاحوص خفيف ثقيل الاول

حبّابه : جارية يزيد بن الوليد بن عبدالملك، مدنية. كانت لابن مينا. فاعطاه بها يزيد قبل خلافته خمسة الف دينار ثم كره مشراها ثم اشتُريت له في خلافته فحظيت عنده وبلغت ما لم تبلغه جارية وشغل بها عن كل شي. فعاتبه مسلمه ابن عبد الملك وقال فعل هذا بعقب عمر بن عبد العزيز فاقصر فبعثت حبابه الى الاحوص ان قل شعرًا ترده به الي ما كان عليه فقال :

الا لا تلمهُ اليوم ان يتبلـدا فقـد غُلب المحزون ان يتجلدا
فا العيش الا ما تلـذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفنّـدا

[٣٦] وبعثت الى سعيد ان غنه فغناه. فوجدته في كتاب يونس ثقيل الاول وفي كتاب اسحق رمل . واحتالت حتي اسمعته اياه فقال لعن الله مسلمه. وعاد الي ما كان عليه مما وجمع المغنين . فحدثني الزبير بن بكار عن محمد بن مسلمه عن ماقيه. قال حدثني رجل من اهل ذي حسب قال صدرت الي ذي حسب فلما كنت بحيض اذا قبة على جمـازة واذاً حول القبة بشر كثير واذا صوت عود وغنا جارية لم اسمع طلاله خلقها لاحد قط وهي تغني :

سلكوا بطن محيض ثم ولوا اجموناً اورثوني حين ولوا طول حزن وانيدنا

ثم امرت لمن سار تحت قبتها بالف درهم. فقلت من هذه قالوا حبابة جارية يزيد بن عبد الملك .

سعدة : احد المحسنات القدما . لها :

(البسيط)

قد ارسلوا كي يعزوني فقلت لهم كيف العزاءُ وقد سارت بها الرفق
[٣٧] استهدت الريم عينيه فجادلها بمقلتيه ولم يترك لها عنق

لوضاح اليمن . رمل

جارية امراة بن ابي عتيق مدنية. لما بشر مولاتها عاتكه بنت عبد الرحمن المخزومية في ابن ابي عتيق :

(الكامل)

ذهب الاله بما نعيش به وقمرت لبك ايما قمر
انفقت مالك غير محتشم في[1](مع) كل زانية وفي الخمر

1) في المخطوط تحيير القارئ بين في ومع . اخترنا في .

فبلغ بن عتيق الشعر فلقي عبد الله بن عمر فانشده اياه . وقال ما ترى يابا عبد الرحمن في انسان هجاني بهذا الشعر . فقال: ارى ان تعفوا عنه وتصفح. فقال: اما والله ابن لقيته (×) فوضع بن عمر يده على وجهه . وقال : انا لله امـا تستحي من هذا . ثم التقيا بعد فاعرض عنه بن عمر . فقال: يابا عبدالرحمن لقيت ذلك الانسان (×) والله فصدق ابن عمر فدنا منه بن ابي عتيق فقال انها امراتي فقام ابن عمر فقبل وجهه .

[٣٨] الطبقة الثانية :

يونس الكاتب: ابو سليمن ابن سليمان ابن كرد بن شهريار من ولد هرمز الجري. مدني مولى لعمرو بن الزبير. وكان ابوه فقيهاً وقد ادرك يونس الاربعة ابن سريج والغريض ومعبد وابن محرز وكان من كتاب الديوان بالمدينـة وكان شاعرًا ولم يكن في غلمان معبد احذق منه وفيه يقول ابو سعود بن خلد :

يا يونس الكاتب يا يونس   طاب لنا اليوم بك المجلس
ان المغنين اذا ما هم   جاؤك حتى بهم الملبس
تنشر ديباجاً واشباهـه   وهم اذا ما نشروا كربسوا

وبلغ عمرًا طويلًا زاد على الثمانين . ذكر سعيد بن هرمز عن عبد العزيز ابن ابي سلمه العمري قال: رأيت يونس الكاتب وقد انقطع صوته يُعلم جواريه باشاره بيده فيفهمن عنه ما يريد كانه يلقي عليهن بلسانه. وكان ببغداد وغنا ما وجدت له في كتابه ما غناه مفردًا وشارك فيه [٣٩] ثلثة وتسعين صوتاً وكان مرتجلا وهو دون الغنا. فكان الذي جمع ديوانه ثمانية وثلثين مغني ومغنية من الطبقة الاولى والثانية غناهم ثمان ماية وخمسة وعشرين صوتاً لم ينسبها الى اجناسها لانهم لم يكونوا يعرفون هذه الاجناس التي لقبها ابرهيم الموصلي على انه قـد ترك من القدما من لم يذكره في كتابه واول صوت ليونس في كتابه :

استملت ابن عمر محتاجا لحاجة ... لها عتيق

لو شئت ابن ... ارسل

جارية امراة ابن ابي عتيق مدنية لحاجة مولاتها عاتكة بنت عبد

الرحمن المخزومية في ابن ابي عتيق

الكامل

ذهب الاله بما تعيش به وقمرت لبك ايما قمر

انفقت مالك غير محتشم في كل زانية وفي الخمر

فلقي ابن ابي عتيق عبد الله بن عمر فانشده اياه وقال ما ترى

يا ابا عبد الرحمن في انسان هجاني بهذا الشعر فقال ارى ان تعفو

عنه وتصفح فقال اما والله لئن لقيته لانيكنه فوضع ابن عمر يده

على وجهه وقال انا لله اما تستحيي من هذا ه ثم لقيه بعد

فاعرض عنه ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن لقيت ذلك الانسان

فنكته والله فصعق ابن عمر فدنا منه ابن ابي عتيق فقال انها

لمراتي فقام ابن عمر فقبل وجهه

صفحة من كتاب اللهو والملاهي

(السريع)

يا دار ماوى بذي الخبايل فالشط من دمدن فالقايل
صم سداها وعفارتها واستعجمت عن منطق السايل
قد قرت العينان من وايل امس ومن زيد ومن كامل
حلت لي الخمر وكنت امرءا عن شربها في شغل شاغل

لامرئ القيس ابن حجر — خفيف ثقيل الاول

ويونس صاحب الاصوات الزيانب في زينب بنت عكرمه بن عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام المخزومي والاشعار فيها لابن دهيمه المزني وهي :

(الطويل)

تصابيت ام هاجت لك الشوق زينب وكيف تصابي المرء والراس اشيب

ثقيل الثاني

[١٠] وله :

زينب ردي وصالي واسمعي مني مقالي

(الرمل) وله :

انما زينب همي بأبي تلك وامي

(الرمل)

فلما قال بابي تلك وامي غضبت فاحتجبت عن بن دهيمه وعن يونس. وله :

(الكامل)

اقصدت زينب قلبي بعدما ذهب الباطل عني والغزل

وله :

قولا لزينب لو رأيت تشوقي لك واشتياقي

خفيف الرمل

وله :

وجـد الفؤاد بزينب وجدًا شديدًا متعبا
السريع . ثقيل الاول

[٤١] يا زينب الحسناء يا زينب يا اكرم الناس اذا نسبتُ
ثقيل الاول

. انما زينب المنيّ وهي الهم والهوى
الخفيف رمل

قل للذي يلجا على زينب المنى تعلقه مما ضمنت عشير
(الطويل)

وفيها يقول اللاحقي :

يوم تبدي لنا قبيلة عن جيـ ـد اثيل تزينـه الاطواق
وشنيب كالاقحوان جلاه الطـل فيه عذوبة واتساق
لاعشي قيس ثقيل الاول

الابجر غلام ابن سريج واسمه عبيـد بن القسر ابو طيبة ولقبه الحساس مكي مرصع مولي لبني ليث وكان يتيا لعطا بن ابي رباح ولم يكن بمكه احد اطر ولا [٤٢] احسن هيئة من الابجر. كانت حلته بماية دينار وفرسه بماية دينار وكان احسن الناس خلقاً وكان يقف بين المازمين ويرفع صوته ويغني. فيقف الناس حتي يدق بعضهم بعضاً. وخرج ليلة سبع من ذي الحجة فجلس علي قريب من النعيم ومرّ به عسكر الوليد بن يزيد وفيه قباب وخيل تجنب وفيها فرس يجنب فاندفع فغنّي :

عرفت ديار الحي خالية قفرا كان بها لما توهمتها سطرا
. الطويل خفيف الرمل

فصاح به صائح ويحك اعد الصوت. قال لا والله الا بالفرس المجنب واربع مايه دينار فاستوصف منزله وبعث اليه من عد بذلك مع تخت بثياب وشي وعيده ثم صار اليه . ومات بمصر . ووجدت [٩٣] له خمسة وثلثين صوتاً . وفي كتاب يونس ما غناه مفرداً وشارك فيه احد عشر صوتاً . منها :

سالني الناس اين يعمد بهذا قلت ياتي في الدار قوماً سريا
ما قطعت البلاد اسموا ولا امـ ـت الا اليك يا زكريا

لموسى بن ابرهيم بن طلحه خفيف ثقيل الاول

مدار : مخنث مكي مولي لبني مخزوم وجدت له في كتاب ابرهيم خمسة عشر صوتا وفي كتاب يونس ما غناه مفرداً وشارك فيه عشرة اصوات منها :

(الطويل)

راتني خضيب الراس شمرت مئزري وقد عهدتني اسود الراس مسبلا
امالت كساء الخز عن حر وجهها وادنت علي الخدين برداً مهلهلا
حطوطاً الى اللذات اجررت مئزري كاجرارك الحبل الجواد المجدلا

للمرجي الدهاني ثقيل الثاني

بن صاحب الوضو : واسمه محمد ابو عبدالله مدني مولى [٩٤] ابي بكر كان اقرب الناس من اهل زمانه . ووجدت له في كتاب ابرهيم وكتاب يونس صوتين احدهما :

(الطويل)

خطاطيف جحن[1] في حبال متينة تمدّ بها أيدٍ اليك نوازع

1) هكذا في الروائع وفي مخطوطنا حجى .

فان كنت لا ذا الضغن عني مكذباً فلا حلفي يوماً على البر نافع[1]
للنابغة الذبياني خفيف ثقيل الثاني

سنان الكاتب: مدني. وجدت له في كتاب يونس ما غناه مفردًا وشارك فيه ثمانية عشر صوتاً. وكان قدم المدينة تاجر يبيع الخُمر فباعها خلا السواد منها. وكان صديقاً للدارمي الشاعر وكان الدارمي قد تاب من الشعر والغنا. فقال له فاني ساحتال لك. فقال شعرًا وسأل سنان ان يغني فيه ففعل وهو:

(الكامل)

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا صنعت براهب متعبّد
[١٥] قد كان شمّر للصلاة ازاره حتى عرضت له بباب المسجد
للدارمي ثقيل الاول

فلم تبق بالمدينة ظريفة إلّا طلبت خمارًا اسودًا فباع التاجر الخُمر وانصرف ورجع الدارمي الى التنسك.

عمر الوادي: هو عمر بن داورد بن راذان مولي عمرو بن عثمان بن عفّان من اهل وادي القُري وهو من بلاد المدينة على خمسة ايام مما يلي الشام وكان مهندساً ولم يكن يضرب بالعود وكان مع الوليد ابن يزيد يشاهد معبدًا ومالك عنده وكان الوليد يُسمّيه جامع لذتي ومحيي طربي وكان يغني باشعار الوليد وبقي الى خلافة بني العباس. وجدت له ثلثة وخمسين صوتاً. وفي كتاب يونس مع صوت شارك فيه ستة اصوات. فمن غنايه الخفيف:

---

١) ذكر فؤاد افرام البستاني هذا البيت قبل البيت السابق في الروائع ٣٠ ص ١٩ وذكره هكذا:

فان كنتُ لا ذو الضغن عني مكذّبٌ ولا حلفي على البراءة نافع

([١٦] الخفيف)

سليمي يسلم سلمي   كنت للقلب عذابا
سليمي ابنة عمي   برد الليل وطابا
ايا واش وشا بي   املاءي فاه شرابا
ريقها في الصبح مسك   باشرت عذبا رضابا

للوليد بن يزيد

حنين ابن بلوع : ابو الاسود الحيري وكان نصرانيا جمالاً يكري الابل عبادي وقيل انه من بني الحرث ابن كعب وهو الذي يقول وغناه له :

(السريع[1])

انا حنين ومنزلي النجف   وما نديمي الا الفتى النصف
اعرف بالطاس وسط باطية   مترعة تارة واغترف
من قهوة باكر التجار بها   بنت يهود قرارها الخزف
فالعيش غض ومنزلي خصب   لم تغرني سقوة ولا عنف

لحنين   خفيف ثقيل الاول

[١٧] وحرّم خالد بن عبدالله القسري الغنا. فاذن للناس يوماً فدخل عليه حنين فقال اصلح الله الامير. كانت لي صناعة كنت انفق على عيالي منها فحرمتها . قال وما صناعتك فكشف عن عوده . فقال له غن فحرك اوتاره وغنا :

(الخفيف)

ايها الشامت المعيّر بالدهـ   ـر انت المبرّأ والموفور

١) وهذا البحر هو المنسرح لا السريع .

ام لديك العهد الوثيق من الايـــام ام انت جاهل مغرور
اين كسرى خير الملوك انو شر وان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الملوك كرام الـ أرض لم يبق منهم مذكور
لعدي بن يزيد

فبكا خالد وقال قد اذنت لك فلا تجالس عربيدًا ولا سفيهاً فكان حنين اذا دُعي قال افيكم سفيه او عربيد. فاذا قيل له لا دخل اليهم. [١٨] وجدت له احد وثلثين صوتاً وفي كتاب يونس ما غناه مفردًا وشارك فيه خمسة عشر صوتاً. منها المتقارب :

أأنكرت من بعد عرفانكا منازل كانت بجيرانكا
منازل بيضا كانت تكون لسرّ هواك واعلانكا
ثقيل الاول

دحمان الاشقر: ودحمان لقب واسمه عبدالرحمن ابو عمرو مدني لبني ليث كنانه. وكان ابوه جمالًا وكان يضرب بالعود وكان يحج ويغزوا كل عام وكان معدلا شهد عنه عبد العزيز بن المطلب بن حنطب المخزومي على عراقي فعدّله. فقال العراقي : انه دحمان. فقال اعرفه ولو لم اعرفه لسألت عنه. فقال انه مغني يعلم الجواري الغنا فقال : غفر الله [١٩] لك وايّنا لا يتغنّا ودحمان الذي يقول ما رأينا باطلًا قط اشبه بالحق من الغنا. ومرّ يوماً وعليه ردًا طريف. فقيل له : بكم اخذت هذا الردا فقال : بنا ضر جيرانتا . وقال الشاعر :

اذا مــا هزج الواد ي او ثقل دحمان
سمعت الشدو من هذا ومن هذا بميزان
فهذا سيّــد الانس وهذا سيّد الجان

وقال فيه اعشى بني سليم :

قل لذي اللهو في الافاق كلهم اعطوا المقادة اهل الفضل دحمانا

قرماً من البزل جرجارًا يحطمكم كما يحطم ليث الغاب اقرانا
كنت فحولا فصرتم يوم حلبتكم لما انبرا لكم دحمان خصيانا
بل ابلغوه عن الاعشى مقالتـه اعشى سليم ابي عمرو سليمانا
قولوا يقول ابو عمرو لصحبته يا ليت دحمان قبل الموت غنّانا

[٥٠] وبقي الي ايام الرشيد ومات بالانوا سنة اثنين وثمانين ومايه. وجدت له في كتاب ابرهيم ماتين واحد وثمانين صوتًا. وفي كتاب يونس صوتاً واحدا شارك فيه الغريض :

ابا كره في الظاعنين رميم ولم تشف متبول الفؤاد سقيم
وقالت لاتراب لها شبه الدما يبكين شجوا والدموع سجوم
لجرير رمل وفيه للغريض

زكير بن يزيد: وجدت له في كتاب ابرهيم سبعة اصوات وفي كتاب يونس صوتًا واحدًا وهو الطويل :

تأوبني هم مخـل فاسهدا فبت كاني بت للحزن ارمدا
اراعي نجوم التاليات كانني اخو جه او مدنف بات مسهدا

خالد المروق مولي الانصار مدني. وجدت له في كتاب ابرهيم عشرين صوتًا وفي كتاب يونس [٥١] صوتًا واحدًا وهو :

(السريع)

زمّ الخليط الجمال فانجردوا بل ليت شعري لاية قصدوا
الغور اهوي بمن كانت به او نحو نجد اظنهم عمدوا

هشام ابن المرية وهي أمهُ . مدني مولي مخزوم قد ادرك القدما وغنا معهم وكان حاذقاً عالماً باهل الحجاز ظريفاً . وجدت له في كتاب يونس صوتين شارك فيها احدهما هذا :

(الطويل)

قان تك من شيبان الي فانني لابيض عجلي عريض المفارق
وكيف بذكري ام هرون بعدما خبطن بايديهن رمل الشقايق
على عهد ذي القرنين وابني محرق وابن ابي قابوس ملك المشارق

لنزيل بن الفرج

الدارمي واسمه سعيد : مكي . وكان شاعرًا ظريفًا مبذرًا . له اغاني جياد ولدمال حسان واهزاج ملاح [٥٢] كان له غلام يحبه فقال له مرة لوددت ان اطلق مثل الطلاق فاقر عينك بواحدة . وجدت له في كتاب ابرهيم ستة عشر صوتاً وفي كتاب يونس هذا الصوت :

(البسيط[1])

يا من لهم امسي يورقني حتي مضي شطر ليله الجهني
عني ولم ادر انها حضرت كذاك من كان شجوه شجني

الشعر له رمل

ابن نجاد الاعمى . وجدت له في كتاب ابرهيم وكتاب يونس هذا الصوت وشارك فيه يونس :

(الكامل)

ولقد رضيت بعيشنا اذ نحن بين عواتق

١) هذا البحر هو المنسرح ولا البسيط .

الان ابصرت الهُـدا وعلا المشيب مفارقي

لابن عازر الطاي

قيل واسمه يحي: مكي. وكان عبدًا للعبلات [٥٣] مواليات الغريض وكان معه في وقته وكان [×] . وجدت له في كتاب ابرهيم خمسة اصوات وفي كتاب يونس هذا الصوت شارك فيه عبدالله الهذلي :

(البسيط)

اعتادها حزنها بل عاودت سهدا من ذكر هذا الذي لا يثقلني ابدا

ابن ابي قباحة عبد الرحمن بن عوف الزهرى كان يذهب مذهب بن سريج وكان متطرف ويحكي وكان يوقع بقضيب وكان من احفظ الناس لغنا معبد. وجدت له في كتاب ابرهيم صوتين احدهما :

(الوافر)

اتهجر من تحب بغير ذنب اسأت اذًا وكنت له ظلومُ

تورقني الهموم وانت خاوٍا لعمرك ما تورقك الهمومُ

المحاربيه

الافرك من اهل وادي القرى لقب بالافرك لعرج [٥٤] كان به وكان مليحاً محاكياً له :

ان لم يكن علق الهوي بفواده فلقد اخذت من الهوا نصيب

فعلمت ان اشد كل مصيبة نزلت علي احد فراق حبيب

الدجاني واسمه عاصم من ولد ابي دجانه الانصارى (×) شاعرًا مليح الرقص خفيف الحركات. له :

دارت عليه فزادت في شمايله لين القضيب ولحظ الشادن الفرد

مشته لماء تمشت في مفاصله   لعب الرياح بغصن البانه الخضد

وقد قال بعض الفلاسفة المتقدمين ان من عرضت له آفة في حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغنا فتركه متشاغلا[1] لان من عاده من لا يعرف العلم معاداه اهله ومعاداته. كذلك من نظر الي الربيع واصباغ انواره فلم يبتهج لذلك كان عديم حسّ او سقيم نفس.

وكانت [٥٥] الفرس تقول من لم يكره السماع الحسن والصوت المطرب الا مصر علي المأتم حسود للناس فاذا اتفق غنا حسن روجه حسن كان ذلك زايدا في طربك. الا تري ان الغنا من فم جارية حسناء كانها خرطت من درة بيضاء او ياقوتة حمراء تغنيك من فم عناك ثقيله بشعر عكاشه بن عبد الصمد المغني لعبيد الصواب:

سقيا لمجلسنا الذي كتابه   يوم الخميس عشيّة اجابا

في مجلس مطرت سماده سقفه   ثمر النعيم تخاله زريابا

من كف جارية كان بنانها   من فضة قد طرفت عنابا

(خفيف الرمل)

وكان يمناها اذا نطقت به   القت علي يدها اليسار حسابا

احبّ اليك من غنا من فم شيخ مثل دارا الفارسي ملتف اللحية لث العارضين مفلج الاسنان مصفر الوجه بشعر ورقا بن زهير الكردم:

(الطويل)

[٥٦] رايت زهيراً تحت كلكل خالد   فاقبلت اسعي كالعجول ابادر

خفيف ثقيل الاول

وقال غواره الخياط في ابي اسمي وكان من اهل هذه الطبقة:

(الوافر)

كأن ابا السمي اذا تغنا   يحاكي عاطساً في عين شمس

١) يذكر المسعودي هذا النص كما يلي: من عرضت ... ومن غلظ جسمه كره سماع الغناء فتشاغل عنه وعابه وذمه. راجع النزاوي ص ٩٨

يلوك بلحنه طورًا وطورًا كان بلحنه ضربان ضرس

وقال اسحق بن ابرهيم الموصلي في ملاحظ جارية محسنة :

(الطويل)

سأشرب ما دامت تغني ملاحظ وان كان لي في الشيب عن ذاك واعظ

وفي بعض هذا القول مني مساءة وغيظ شديد للمغنين غايظ

ملاحظ غنينا بعيشك وليكن عليك لما استحسنته منك حافظ

فاقسم ما غنا غناءك حافظ مجيد ولم يلفظ كلفظك لافظ

قال اسحق بن ابراهيم الموصلي الايقاع من الغنا بمنزله العروض [٥٧] من الشعر وابرهيم الموصلي اوضح الايقاع ولقبه بالقابه وهو ثمانية اجناس.

ثقيل الاول وخفيفه وثقيل الثاني وخفيفه وهو الماخوري والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه . وقال اسحق الايقاع هو الوزن ومعنى اوقع اي وزن ولم يوقع اي خرج من الوزن والخروج ابطأ عن الوزن او سرعة. وقال فند الرومي قول القايل هذا الصوت داخل في الوتر وخارج من الوتر فانما يعني بذلك انه داخل في العدد وخارج منه لان من الخلوق ما هو مضطرب لا يقبل مقادير الاعداد والذي لا بد للمغني منه اربعة النغم والايقاع والقسمة والتأليف . وقال [٥٨] (x) لارسطاطاليس ربما رأيت الرجل يحرك نحو الموسيقار بالاعضا التي يتحرك بها الموسيقار. افلا ارى بينها فرقاً ولا خلافاً ولا تتقدم هذا حركة هذا. وقال اسحق المغني الحاذق من تمكن من انفاسه ولطف في اختلاسه وتفرع في اجناسه . ويحتاج المغني الي اربع خصال اثنتان له واثنتان عليه . فاما اللتان له فحسن الخلق وجودة الطبع . فاما هذا فما لا حيله لمخلوق في اكتسابه . واما اللتان عليه فالادا والرواية . فان في طاقته ان ياتي بهذين .

تم المختار بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم وشرف وكرم .

تحقيق في سن الرازي عند بدء اشتغاله بالطب

للدكتور البير زكي اسكندر

مما لا شك فيه ان المؤرخين أجمعوا على الاشادة بالرازي الطبيب ، فقال ابن النديم : إن ابا بكر محمد بن زكريا الرازي كان « أوحد دهره وفريد عصره»[1]، وذكر ابن القفطي انه « طبيب الاسلام غير منازع»[2] ، وسماه ابن ابي اصيبعة « جالينوس العرب »[3] .

وغرضنا في هذا البحث تقيم سن الرازي عند بدء اشتغاله بالطب — تلك الحقيقة التي أغفلها بعض الكتّاب ، وجانب بعضهم التوفيق فتنكب طريق الصواب .

يقول البيروني ان الرازي وُلد في الري في غرة شعبان سنة احدى وخمسين ومائتين ، وانه توفي بها في الخامس من شعبان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وكان قد بلغ من العمر اثنتين وستين سنة قمرية وخمسة ايام ، او ستين سنة شمسية وشهرين ويوماً واحداً[4] . هذا ولم نعثر في كتب الرازي على أية نصوص تؤيد ما ذكره البيروني عن تاريخ مولد الرازي ، ولكن هناك اشارات متفرقة الى مدينة الري ، فمثلاً منها ان الرازي دوّن في كتاب الخواص ملاحظات شاهدها في مسقط رأسه ، قال :

« قد رأيت بالري حجراً اشبه شيء بالنارجيل ، فيه ثقب وعليه ليف وفي جوفه متحرك كما يتحرك النارجيل في جوفها . قال إرسطاطاليس في كتاب الحيوان الناطق : إنّ هذا الحجر ان علقته على المرأة سهّل ولادتها بلا وجع البتة»[5] .

ولكنه من العسير ان نقرر متى كتب الرازي كتاب الخواص ، وهل دوّن هذه الملاحظات بالري او ببلد آخر ؟

---

١) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢ .
٢) ابن القفطي ص ٢٧١ س ١٤ .
٣) ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ٣١ .
٤) البيروني ص ٤ - ٦ .
٥) مخطوط أ ورق ١٣٢ وجه س ٦ — ٨ .

وفي مخطوط بمكتبة بودليانا باكسفورد يوجد دليل واضح على ان الرازي درس الطب في شبابه في بيمارستان بغداد[١] . ومن المحتمل أن يكون قد طال مقامه بمدينة السلام، فقد طالعنا الرازي بانه لا بد للطبيب من اكتساب الخبرة بالمران العملي في مدن مزدحمة، حيث تنتشر الامراض ويعمل الكثير من الاطباء . يقول الرازي في محنة الطبيب، في كتابه الطب المنصوري :

فان كان قد[٢] أطال (الطبيب)[أ] صحبة هؤلاء القوم[أ] (أي المتكلمين والمناظرين)، واكتسب منهم حظاً من القوة على البحث والنظر،[ب] فينبغي ان ينظر هل هو[٣] ممن يفهم ما يقرأ[٤]، او بالضد ؟

واذا كان ممن يقرأ الكتب ويفهمها[ب]، فينبغي ان ينظر هل شاهد المرضى وتلبهم[٥]، وهل كان ذلك[٦] منه في المواضع المشهورة بكثرة[٧] الاطباء والمرضى أم لا[٨] ؟ »

وان كنا لا ندري شيئاً عن طول مكث الرازي ببغداد، الا انه من المعقول ان نقترح ان مقامه كان طويلاً في عاصمة العالم الاسلامي في ذلك الوقت. اذ ان النص المخطوطي الذي عثرنا عليه يفيد انه تعلم الطب في حداثته ببغداد، ويشير المؤرخون ايضاً الى انه عاد الى مسقط رأسه : الري، طبيباً حاكما، ثم ليصبح كبيراً لاطباء بيمارستان الري الجديد[٩] . والمعروف ان ابا صالح منصور

١) انظر هذا المقال ص ١٦٤ .
٢) قد : ساقطة من د س ٣ .
(أ – أ) صحبتهم : جـ س ٦ .
(ب – ب) ساقطة من جـ س ٧ .
٣) أهو : ب س ١٣ .
٤) عما يقرو : ب س ١٣ .
٥) او قتبهم : جـ س ٧ .
٦) ذلك : جـ س ٨ .
٧) بكثرة من : ب س ١٥ .
٨) مخطوط ب ورق ٩٩ ظهر س ١٢ — ١٠٠ وجه س ١ ،
مخطوط جـ ورق ٣٩ ظهر س ٦ — ٨ ،
مخطوط د ص ١٢١ س ٣ — ٦ .
٩) ابن القفطي ص٢٧١ س٢١ — ص ٢٧٢ س٥ ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٣١٠ س٢٢

ابن ابسحق بن احمد بن اسد كان حاكماً للري في ذلك الوقت[١] (٢٩٠—٢٩٦هـ/ ٩٠٢—٩٠٨ م) . ودليلنا على ان الرازي كان مقيماً بالري حينذاك مأخوذ من صدر احد كتبه : كتاب الطب الروحاني، حيث يقول المؤلف انه بعد عودته من بغداد ألف هذا الكتاب وأهداه الى الحاكم الذي اهدى له كتابه : الطب المنصوري[٢] . وعلى ذلك فمن المحتمل ان يكون الرازي قد عاد من بغداد الى الرى بعد ان اكتسب خبرة كافية ومرانا كثيراً يؤهلانه للقيام باعباء اكبر منصب طبي في الرى ، وقد كانت سنه على الارجح بين السابعة والثلاثين ، والثالثة والاربعين حينما كان كبيراً لاطباء مارستان الرى[٣] ، ونعلم ايضاً انه دبر مارستان بغداد بعد ذلك بزمان[٤] . ولو اننا نجهل مدة اقامته الثانية في بغداد ، الا انه قيل ان الرازي عاد ثانية الى الرى وأصيب بماء نزل في عينيه أفقده البصر[٥] ، وقضى نحبه هناك .

دليل على ان الرازي شغل بدراسة الطب في باكورة حياته ببغداد :

(أ) ما قاله المؤرخون :

لقد قال المؤرخون ان الرازي ترك الرى وقصد بغداد حينما كان يناهز الثلاثين او الاربعين . وأكدوا انه عكف على دراسة الطب في تلك السن المتأخرة[٦]

---

١) انظر ياقوت جـ ٢ ص ٩٠١ س ١٥—١٨ — الذي عين ابا صالح حاكماً للري، هو ابن عمه احمد بن اسمعيل بن احمد بن أسد بن سامان ، ثاني ملوك البيت الساماني .

راجع : E. G. Browne, *Revised translation of the Chahar Maqala of Nizami —i-— 'Arudi of Samarqand*; Gibb Memorial Series, vol. XI, 2, London, 1921, p. 150.

٢) رسائل فلسفية ص ١٥ .

انظر كذلك مقال مايرهوف في *Islamic Culture*, XV (1941) 47

٣) هذا اذا قبلنا تاريخ مولد الرازي الذي حدده البيروني (٢٥٠ هـ / ٨٦٥ م) . في هذا ما يؤيد رأينا في ان الرازي قد درس الطب في حداثته ، لا كما يقول المؤرخون : «انه تعلمه وقد كبر» .

٤) ابن القفطي ص ٢٧١ س ٢١ ، ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٣١٠ س ٢٢—٢٣ ، طبقات الامم ص ٥٣ .

٥) الفهرست ص ٢٩٩ س ١٠ ، البيروني ص ٦ ، ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٣١٤ س ٩ ، ابن خلكان جـ ٤ ص ٢٤٥ .

٦) ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٣٠٩ س ١٧ .

بعد دراسات طويلة في الموسيقى والكيمياء والعلوم الطبيعية[1] . ولكنا رغم ذلك سنقدم الدليل على ان الرازي اهتم بجمع المعلومات الطبية وهو صغير السن. وقد يؤدي ذلك الدليل الى قبول تاريخي مولد وفاة الرازي اللذين حددهما البيروني[2] ، فان بعض العلماء قد تشككوا في صحة هذين متذرعين بكثرة الكتب وغزارة المادة الطبية التي تركها الرازي ، وانه من غير المعقول ان يكون قد انجز هذه الاعمال وقد بدأ في دراسة الطب متأخراً في سن الثلاثين او الاربعين ، ثم انه توفي في سن مبكرة[3] .

(ب) ما ورد في نص مخطوط Marsh 537

في خزانة مكتبة بودليانا باكسفورد ، يوجد ملخص لعدة وصفات وعلاجات يسميها الرازي « تجارب المارستان » ، ومكتوب ايضاً ان ذلك الملخص « مما كتبه الرازي في حداثته ببغداد » . وفي هذا القول ما يخالف الرأي الذي أجمع عليه بشأن السن التي بدأ فيها الرازي يتعلم الطب . ويتضح من قراءة ذلك النص بساطة المادة الطبية وبدائيتها ، وانه لم يكن للرازي في كتابتها اي جهد واضح ، ولا شخصية المبتكر ، وذلك بخلاف طريقته التي اشتهر بها في التأليف من نقد ما ينقله والتعقيب عليه . وانما نشاطه في هذا الملخص لا يعدو النقل والتجميع مما يؤيد حداثة عهده بالطب . والى القارئ النص الذي عثرنا عليه :

« تجارب المارستان »

« مما كتبه محمد بن زكريا ببغداد في حداثته :

طبيخ الزوفا يسقون لسعال اليابس ، والربو ، وعلل الصدر : فان كان البطن يابساً جعلوا فيه لبّ الخيار شنبر ، وان كان ليناً مفرطاً حذروه منه وسقوا بدله

انظر كذلك : J. Freind. *The History of Physick from the time of Galen to the beginning of the sixteenth century*, London, 1726, II, 45.

١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٤٥ ، الصفدي ج ٣ ص ٧٦ ، ابو الفدا ج ٢ ص ٣٤٦ .
انظر كذلك : L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe*, Paris, 1876, I, 337

٢) انظر هذا المقال ص ١٦١ .

٣) انظر مقال روسكا في *Archeion*, V (1924) 345

لعوق البزر . والمتحيان يسقون مقلين[١] اذا كان معه سعال ، وان اشتد الامر في الربو والسعال سقوا لبن الآتن .

حب الشيطرج يسهل قليلا يسقونه لاسخان البدن وتنقية المفاصل .

حب الايارج يسقونه للرأس والعين ، فاذا كان البول منصبغا سقوا بدله طبيخ الاهليج او حبه ، فان كان مع ذلك في الصدر خشونة سقوا مطبوخا[٢] ليس فيه شيء يقبض . ماء الشعير يسقون مع سكر كثير للذي طبيعته شديدة اليبس ، والمعتدل بسكر معتدل ، ولمن جاوز الاعتدال وحده . والذي به مغص ونفخه، ويتوقع ذلك، يحتاج الى ماء الشعير – يسقونه ماء سويق الشعير المطبوخ كيلا ينفخ و(ذلك) بعد ان يضربوا[٣] ضربا جيدا ويجعلوا[٤] معه صمغ مقل[٥] . ويجعلون اذا كان الاستطلاق مفرطا جريش مقل[٦] . وان كان مع ذلك الحر مفرطا جعلوا معه الخشخاش ، لا سيما فيمن لا ينام البتة ، ويسقون للمسلول الذي به حمى دائمة لا تفارقه الا انها تشتد عليه اذا أطعم بعده بساعة ، ماء الشعير . ويسهلون ايضا طبيعة من يحتاج الى ذلك وفي حلقه خشونة باقراص البنفسج ، او حبه ، او لعوق البنفسج المسهلة قدر ثلاث ملاعق .

حب الاصطمخيقون يسقون لمن به وجع في الصلب واحتاج الى نفظ[٧] و(كان)مع ذلك بارد المزاج فان كان مفرطا[٨] بارد المزاج جعلوا فيه حب منتن نصف شربه . التمرى لريح غليظة وقولنج بارد ، او شهر بارثان[٩] .

وقرص الطباشير يذهب بحمى قريبة العهد ، وممسك لمن يختلف وليس فيه دم وخراطة ، ولمن به دم وخراطة مع سفوف الطين ، ولمن به نفخة كثيرة مع استطلاق ، مع قميحة حب الرمان .

ويفصدون الباسليق من وجع الصدر اذا كان الكبد قوية ، ويجذبون الدم الى خلاف الموضع .

---

١) مقلينا : س ٣ .
٢) مطبوخ : س ٧ .
٣) أن يضربون : س ١٠
٤) ويجعلون : س ١٠ .
٥) مقلو : س ١٠ .
٦) جاروش مقلوا : س ١١
٧) نفض : س ١٥ .
٨) مفرط : س ١٦ .
٩) باران : س ١٧ .

ولعرق النسا لا يفصدون حتى ينقوا البدن بالقيء كي لا تحدث الزمانة للكثرة ما ينجذب الخلط الى ذلك الموضع .

وللسقطة يفصدون على المكان .

ولاحتباس البول يحقنون بحقنة ملينة ويسقون بنادق البزور .

ولاحتباس الطبيعة يسقون أدوية القولنج ويجلسون في الابزن ، ١٨٢ وجه ليحل الثقل ، ويحقنون على قدر ما يرون من صعوبة العلة وسهولتها ، ويتدرجون من الحقن اللينة الى الحارة قليلاً قليلاً اذا اضطروا اليه ولم تجب الطبيعة ولا تنحل .

حب المقل يسقون للبواسير . ويضمدون بأضمدة ، ويحقنون من تادى به الحلقة بعد شهرين .

قال ابو العباس :

ان المسلول الذي به حمى باطنة قد علقت بالاعضاء الاصلية ، فمنفعته في ماء الشعير والابزن ، فيدلكون بالدهن .

لا يطعمون العليل يوم حماه قبل النوبة خاصة، ويطعم بعد النوبة اذا استنقت العروق من الحمى ، وان لم تستنق[1] العروق سقوه ماء الشعير لانه لا يستحيل ، مرطب ، ومبرد الاعضاء الاصلية[2] . »

(ج) مقارنة بين مذكرات الرازي في حداثته ، واسلوبه في كتبه بعد ان اكتسب خبرة ومرانا .

كان للرازي مذكرات خاصة نُشرت بعد وفاته وسميت «الحاوي». وان اول ما يسترعي انتباه القارئ لهذه المذكرات هو المقتطفات العديدة التي اقتبسها المؤلف من عدد غير قليل من الكتب الطبية القديمة ، وفي هذا دليل كاف على سعة اطلاعه وعلى ان خزائن الكتب ببغداد كانت عامرة بتراجم لكتب يونانية ، وهندية ، وسريانية[3] . وفي كتابة هذه المذكرات الخاصة دأب الرازي

١) تستنقي : س ٧ .
٢) مخطوط ه ورق ١٨١ ظهر س ١ — ١٨٢ س ٧ .
٣) انظر ايضاً فهرست كتب جالينوس التي ترجمها حنين بن اسحق العبادي وتلاميذه .

على ذكر اسم كل مؤلف او مؤلَّف يستعير منه او ينقل عنه وكان الرازي حريصاً على ان يعقب على كثير مما ينقله عن آخرين ، مبدياً رأيه الخاص بقبول أو رفض ما كتبه عنهم ، او باضافة ما يراه ناقصاً ، او بتلخيص ما نقله . وتتميز مذكرات الرازي بانه كثيرا ما يبنى آراءه الخاصة على تجاربه ومشاهداته. ولكي يميز بين آرائه الخاصة وآراء الآخرين ، نجده يكتب ما يخصّه مسبوقاً بكلمة « لي » ، وأما في النص السابق في مخطوط Marsh 537 فلا نجد كلمة «لي» اطلاقاً ، وبدلاً منها يستعمل الكاتب باضطراد «واو الجماعة» ، وربما اراد بذلك الاشارة الى اطباء المارستان ، او الى مؤلفي ذلك الكتاب الذي كان يقتبس منه الوصفات والعلاجات .

واني اذكر مثالا واحدًا للمقارنة بين ما كتبه الرازي في حداثته ببغداد « في علاج السقطة » وبين كتابته في نفس الموضوع في احدى مؤلفاته حيث تتضح خبرته : كتب الرازي في حداثته انهم «للسقطة يفصدون على المكان»[1] . وفي كتاب الطب المنصوري ، وهو كتاب ذو طابع علمي ممتاز مما حدا باوربا اللاتينية الى ترجمته واستعماله مرجعاً في كلياتها الطبية الى نهاية القرن السادس عشر[2] يقول المؤلف : « في السقطة والضربة على الرأس ، وسائر البدن » .

«اذا حدث سقطة او ضربة عن دابة او غير ذلك ، فان الاجود ان يفصد العليل من ساعته من الجانب المخالف ، ويجتنب اللحم والشراب خاصة ، ويطلى الموضع ويضمد بالمقوية . فان كانت السقطة على الرأس ، فليفصد العرق المسمى القيفال ، ثم يوضع على الرأس خل ممزوج مع الدهن ورد ثلثة امثاله ، وماء ورد يشرب صرفه ، ويطلى[3] به ، ويسقى العليل ماء الشعير ويقتصر به عليه غدوة وعشية ثلثة ايام ، حتى يؤمن »[4] .

---

١) راجع مقال براجستراسر : *Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, XVII* (1925).

وراجع مقال مايرهوف في : *Isis*. VIII (1926) 670-701.

٢) مخطوط د ورق ١٨١ ظهر س ٢٢

٣) انظر : D. Cambell, *Arabian Medicine*, London, 1926, II, 67-68 ; C. Elgood, *A Medical History of Persia and Eastern Caliphate*, Cambridge, 1951 pp. 201; 208.

٤) يطلى : مخطوط د ص ١٦٥ س ١٨ . ٤) مخطوط د ص ١٦٥ س ١٦–١٨ .

الملاحظة :

من منطوق أسلوب النص السابق نفهم ان الرازي كان في حداثته طالب طب ، او طبيباً محدثاً يمارس او يتمرن في بيمارستان بغداد ، ويجمع المعلومات لاستعماله الخاص ، محاولاً الالمام بالعلاجات الناجعة والوصفات الشافية التي كان يستعملها ذوو الخبرة من اطباء البيمارستان ، ويظهر أنه انتخب هذه العلاجات والوصفات من كتاب كان في متناول أطباء المارستان ، وربما كان اسم ذلك الكتاب – على ما يظهر – « تجارب المارستان »[1] .

ويتضح من قراءة هذا المقال خطأ آراء المؤرخين في سن الرازي عند بدء اشتغاله بالطب ، ولعل قراءة المخطوطات المبعثرة في شتى مكاتب العالم تهدينا الى بعض ما نجهله عن سيرة الرازي .

الرموز :

أ – مخطوط طب ١٤١ دار الكتب المصرية .
ب – مخطوط Or. 1701 مكتبة الجامعة بكيمبردج .
ج – مخطوط Or. 1512 مكتبة الجامعة بكيمبردج .
د – مخطوط ١٢٠٥ ب مكتبة البلدية بالاسكندرية .
هـ – مخطوط Marsh 537 مكتبة بودليانا باكسفورد .

---

١) مثلاً قد ألف داود بن ابي البيان (القرن السابع الهجري) كتاباً اسمه « الدستور البيمارستاني » .

انظر : P. Sbath, *Ad-Dustur al-Bimaristani*, le formulaire des hopitaux d'Ibn abi — L — Bayan, médecin du Bimaristan an - Nacery au Caire au XIIIe siècle, bull. de l'Inst. d'Egypte, t. XV. Le Caire. 1933, pp. 13-87 .

ولكننا لم نعثر في كتاب حاجي خليفـه ، ولا في غيره من المراجع على كتاب اسمه « تجارب المارستان » ، هذا وان الرازي دون في كل باب في مذكراته الخاصة المعروفة باسم الحاوي وصفات علاجية نقلاً عن « تجارب المارستان » .

مثلاً راجع : كتاب الحاوي في الطب ، طبعة حيدر آباد سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ، ج ١ ص ٢١٠ س ٧ ، ج ٢ ص ٨١ س ١٨ .

وصف المخطوطات

طب ١٤١ دار الكتب المصرية :

خواص الاشياء : من ١١٩ ظهر الى ١٣٧ وجه ٢٠×١٢ سم (١٥ × ٩ ½) ٢١ سطرًا ، الثالث من ربيع الاول سنة ٩١٣ (في ورق ١١٨ ظهر) ، نسخي واضح ، بعض الورق تالف وبعضه في غير موضعه فالورق ١٣٢ هو أصلا ١٢٣ والورق ١٢٣ أصله ١٣٢ .

Or. 1701 مكتبة الجامعة بكيمبردج :

المنصوري : ٢٧٥ ورقة ٢٢ × ١٢ ½ سم (١٥×٧) ، ١٥ سطرًا ، محرم سنة ١١٥٩ (في ورق ٢٧٥ ظهر) ، عشر مقالات ، نسخي جميل ، مستورد من حضرموت (في ورق ١ وجه) ، ١٣٦٧م . تاريخ تمليك (يظهر في ورق ٢٧٥ ظهر).

Or. 1512 مكتبة الجامعة بكيمبردج

المنصوري : ٣٠٠ ورقة ، ٢٧×١٩ سم (٢١ ½ × ١٥ ، ٢١ × ١٤ ½) ، ٢٥—٢٧ سطرًا ثم ١٥—١٩ سطرًا ، ربيع الآخر سنة ٥٧٩ (في ورق ٢٠٠ وجه) ، عشر مقالات ، نسخي واضح ، ناسخان ، الاول ورق ١—٣٩ ثم ١٦٩ وجه—٢٠٠ وجه ، والثاني ورق ٤٠ وجه ١٦٨ ظهر ، بين الورقتين ١٨ و ١٩ يوجد الورق ٤١ الى ٤٨ مقلوبا .

١٢٠٠ ب مكتبة البلدية بالاسكندرية :

المنصوري : ١٦٩ ورقة ، ٢٩×٢٢ ½ (٢٠ ½×١٤) ، ١٨ سطرًا ، الثلاثاء ٢٣ من رجب سنة ٨٩١ (في صفحة ٣٣٤) ، عشر مقالات ، نسخي واضح ، نسخ في بلدة الاذرنة من بلاد اليونان على يد المتطبب المازندراني حسام بن أشمس الدين الخطيبي الحسيني المعروف باسم سيد خطابي المنجم .

Marsh 537 مكتبة بودليانا باكسفورد :

عدة كتب منها الاقراباذين للرازي من ١٥٨ وجه س ٥ الى ١٨١ وجه

س ٢٢ وتجارب المارستان للرازي من ١٨١ ظهر س ١ الى ١٨٢ وجه س ٧ ، ١٦×٢٣ (١١½×١٨½) ، ٢٣ سطرا ، غير مؤرخ ونسخ على الاغلب في القرن السابع الهجري ، الخط نسخي جميل .

المراجع العربية والارقام

ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء طبعة بولاق ١٨٨٢-١٨٨٤ .

ابن خلكان : وفيات الاعيان طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ .

ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ليبسك سنة ١٩٠٣ .

ابن النديم : الفهرست ، ليبسك سنة ١٨٧١ .

ابو الفداء : ريسك (عربي ولاتيني) ، اكسفورد سنة ١٧٩٠ الجزء ٢ .

البيروني : رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازي - كراوس باريس سنة ١٩٣٦ .

البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ، دمشق سنة ١٩٤٦ .

رسائل فلسفة : كراوس القاهرة سنة ١٩٣٩ .

الصفدي : ديدرنغ ، دمشق سنة ١٩٥٣ .

طبقات الامم : الاب شيخو ، بيروت سنة ١٩١٢ .

ياقوت فستنفلد ، ليبسك ، ١٨٦٦—١٨٧٠ .

الفلسفة الماركسية في بردتها الاصلية

بقلم الياس صقر †

عرف البشر لبضع سنوات خلت ، فضلاً عن النظام الديمقراطي النظامين الفاشي – النازي والشيوعي ولم يكونوا ليألفوهما في الماضي الا في ظروف استثنائية – أمّا اليوم بعد ان قضت الحرب الاخيرة على الفاشية النازية فلم يبقَ قائماً غير النظامين الديمقراطي والشيوعي .

ومن المعلوم ان الديمقراطية تستند في قيامها الى مبادئ حقوق الانسان : الحرية والاخاء والمساواة حيال القانونين المدني والجزائي . اما الشيوعية فتقوم دعائمها على تعاليم كارل ماركس الفلسفية والاقتصادية .

ولا شك في ان الانظمة المعمول بها لم توضع في حيّز التنفيذ الواقعي الا بعد ان مرّت بمراحل نظرية عدة كانت بمثابة نقطة انطلاق لها فلذلك من المستحيل فهم تعاليم كارل ماركس فهماً صحيحاً ما لم نعرف تعريفاً واضحاً الناحية العملية التي الخاز اليها ونظرية التطور التاريخية التي اعتنقها ودان بها .

ولم يصل هذا العالم الى وضع اسس عملية لتعاليمه الا بعد ان تقلب تقلبات شتى افضت الى نضوجه فعمق درس علم « الموجبات السياسية » والخيز وضع فلسفة المستقبل ونشر كتابيه « الاسرة المقدسة » سنة ١٨٤٤ و«نظرية فورباخ» سنة ١٨٤٥ .

ولا يغيب عمن يدرس مؤلفات ماركس انه كان في كتابة «الاسرة المقدسة» غير ذلك الطالب الذي كان يرى في استاذه هيكل Hegel المثال الاعلى اله ليحله في المكان الارفع .

اجل بعد ان كان ماركس من اشد انصار الفيلسوف المثالي هيكل اعتنق تعاليم فورباخ واتخذها نبراساً له في بحوثه الفلسفية النظرية وقال في صدد ذلك « لقد اكمل فورباخ نظرية هيكل وبحث الانسان الصحيح ابن الطبيعة».

(المنتخبات ص ١٤٨)

وبعد ان درس ثورة عام ٨٩ وملابساتها والعوامل التي كانت سبباً في اضرام لهيبها وضع كتابه «بؤس الفلسفة» رداً على الفيلسوف الفرنسي برودهون .

المفهوم التاريخي الماركسي
من كنت الى ماركس

قبل العهد المسيحي كان الفلاسفة الوثنيون يجهلون تاريخ الانسانية العام وكانوا اذا ارادوا تدوين تاريخ امة غير التي ينتمون اليها يشحنونه بشتى الخرافات والاساطير الوهمية فلذلك لم تكن معلوماتهم في هذا الباب غير معلومات سطحية لا يؤبه لها ولاسيما اذا لم تتناول تاريخ القومية التي يمتون اليها .

اما المسيحية فوحدت بتعاليمها المفهوم التاريخي وجعلته انسانياً عاماً وذلك بعد ان عرفت قضية خلق الانسان وتكوينه ومصيره بعد مماته .

والدين الاسلامي عرّف ايضاً وحدة اصل البشر «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» — «ان الله قد اذهب بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم لان الناس من آدم وآدم من تراب واكرمهم عند الله اتقاهم» .

ولئن عرفت التعاليم المسيحية وحدة اصل البشر ولم تخص بها كتلة معينة من الناس فانها قد اوجدت بذلك المفهوم التاريخي الصحيح، اما في القرن الثامن عشر فظهرت بوادر فلسفة جديدة حصرت كل همها بان تبعد هذا المفهوم عن التعاليم المسيحية .

وتعرّض روسو في كلمته على : عدم المساواة بين البشر لهذا الامر وجاراه في ذلك كنت الذي قال في هذا الشأن : «في سبيل تشييد هيئة انسانية جديدة سنادها العقل الناضج كل النضوج لا بدّ للبشر من بذل مجهودات جبارة مستمرة يشترك فيها معهم ابناؤهم وحفدتهم . »

وقال في مكان آخر : «الانسان حر ان يعمل ما يريد فان كان عمله مقيداً بالداعي الادبي الذي يفرض الواجبات فانه قد فعل ما يجب عليه فعله لان العقل لا يأمر بالمستحيل — لا يتاح للبشر الارتقاء في معارج مصيرهم المقرر الا بواسطة

مجهودات مستمرة يبذلونها . اما اذا اتفق لهم ان توقفوا عن اطراد سيرهم هذا فان ما خطوه الى الامام لن يعود بكامله الى الوراء . . .

وقد كان اشد صراحة من ذلك في قوله : « مفروض في الطبيعة الانسانية العاقلة استمرار تقدمها في معارج كمالها فذلك كل سرّ تطورها فهي لا تخضع لسنة التحول والتبدل على عكس التاريخ الانساني الذي انجز مجتمعه انجازاً تدريجياً فكان ذلك من اخص خصائصه . . .

والخلاصة اراد كنت ان يقول « ليست الطبيعة الانسانية واقعاً تاريخياً وانما الواقع التاريخي هو كل امر ممكن اقامه :

« Anthropologie in pragmatischer Hinsicht »

ومن اقوال فورباخ ان الانسان هو الذي ابتدع الله ولم يكشف فيه الا صورة نفسه واذا ما اطلق عليه بعض الصفات فليست الا صفاته . فلا وجود لغير الانسان على الارض ولغير عمله . اما ميزته الطبيعية التاريخية فمشتركة بين عموم البشر ولا تني عن اطراد سيرها الى الامام بشعورها الذاتي .

واذا كان فورباخ قد نبذ فكرة وجود الاله وجحد بها جحوداً كاملاً فانه لم يقل بتحول طبيعة الانسان ولا بتطورها بل خصها بشعور ذاتي فقط جعله ميزتها التاريخية .

ميزة الانسان التاريخية في نظر ماركس

لا ريب في ان ماركس تبنى في البدء تعاليم فورباخ وهيكل ومن ثم نقضها برمتها اذ جعل الانسان واقعاً تاريخياً راهناً مبدؤه الارض ونهايته فيها وهو ليس في عرفه الا شخصاً تاريخياً فقط . ولقد ارتكب فورباخ اشد ضروب الضلال في نكرانه الخالق فناقض نفسه بنفسه اذ قال : « يكن البشر في صدورهم وجداناً مشتركاً » لان قوله هذا يستوجب حتماً فرض وجود خالق ليسن لهم القواعد الاخلاقية ويعين لهم الغاية منها ومن وجودها .

وزعم ماركس ان الافكار القائمة في رؤوس البشر والوجدان المكنون في قرارة انفسهم وايمانهم بوجود خالق ليست الا اوهاماً ابتدعتها مخيلاتهم لا تقابلها حقيقة من حقائق الوجود الانساني الطبيعي ولا من الوقائع التاريخية الراهنة

فيجب ان تتبخر لتندثر من امام نور الامور الراهنة المحسوسة .

لقد كان ماركس اشد تعصباً في هذه الناحية من فورباخ الذي تخيّل وجود الانسان وليد شروط واوضاع حيوية مقرّرة افرغته في القالب الذي تراه فيه ليخضع لسنة التحول والتغير كلما تبدلت شروطه المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتقلب التاريخي وبتطور المجتمعات الانسانية تطوراً مستمراً .

ففي عرف كنت الانسان مخلوق عاقل يسعى بل. ارادته الى بلوغ درجة الكمال . ومن رأي فورباخ ان الانسان كان خالقاً في البدء. وبفضل استمرار وعيه الذاتي هدّم الالوهية . اما ماركس فنظر الى البشر كمخلوقات يستحيل تجريدهم من وضعهم الاجتماعي الراهن حتى اذا لم نأخذ بعين الاعتبار شروطهم هذه استحال علينا ادراك ماهيتها .

ولا سبيل للشك في ان تصوراً على هذه الشاكلة لذو نتائج خطيرة جداً الخطورة اذ بالاستناد الى هذا الزعم لن تكون الافكار والوجدان والحقائق المطلقة والبدهيات نفسها الا تفسيراً للوضع الاجتماعي الحاضر اقتصر دورها على مماشاة الحركة الاجتماعية فقط لتشاركها في تبدلها وتغيرها ولو كان ذلك موقتاً.

وانصرف ماركس الى حصر مجهوداته بالبحث عن حياة المجتمع الراسمالي الراهنة وعن كيفية تطورها فقال: يهمنا قبل كل شي. معرفة تفسير الحقيقة الراهنة لا التلهي بالمباحثات اللاهوتية التي لا تجدي نفعاً كما يفعل « اليسار الهيكلي » فعلينا ان نفقه كيف تتطور الهيئة الاجتماعية لنستغني عن المفاهيم التي اوجدتها الاديان .

وما كاد ماركس ينحاز الى الناحية الاقتصادية حتى نال الهيئة الاجتماعية بنقده الحادّ اللاذع وجعل الاقتصاد السياسي علماً استمد قواعده ونواميسه من التطور التاريخي فانكبّ على درس نشأة الاقتصاد الراسمالي وكيفية تكوينه التي اعتبرها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالظروف الزمانية ولم تستند احكامه التي ادلى بها للتدليل على شوائب النظام الراسمالي الى مثل اسمى ولا الى القوانين الادبية وانما حصر اهتمامه بدرس ماهية الراسمالية والعوامل التي كان لها فعلها في تكوينها وتطورها ونموّها والمستقبل المظلم الذي ينتظرها لتندثر وتصبح اثراً بعد عين .

والذي يلفت النظر في دراسته معايب النظام الراسمالي الاسهاب الذي اسهبه في وصف الحياة الاقتصادية في غضون تطورات الآلة « التكنيك » لانها عنوان الانسان الحقيقي في سيطرته على الطبيعة فنعت التاجر الصغير والفارق في الحياة الاقتصادية القائمة بانها من خصوم التقدم الاقتصادي وقد عميا عن مزاياه الصناعية — ومن اقواله في هذا الباب : لا بدّ من ان يقضي « تطور ادوات الانتاج » يوماً على الاقتصاد الراسمالي ومن واجبنا الا نتغافل عن اهتبال هذه السانحة الثورية وان نكون على اهبة الاستعداد لها فبذلك نكون من الواعين المدركين لاننا توقفنا الساعة التي تقضي بها الالة على النظام الراسمالي وعرفنا كيف نستخدمها في سبيل ايجاد عالم جديد ، وليس ما نتحلى به من وعي في الواقع الا من نتائج التطور التاريخي .

وقصارى الكلام ان ماركس لم يحد قيد شعرة عن هيكل واثما عكس نظريته فاتخذ الاعمال الراهنة قاعدة لتعاليمه ومقياساً لاحكامه التي جاء فيها : لا بدّ يوماً ان يحلّ محل المجتمعات ذات الطبقات مجتمع شيوعي خالٍ من كل مثال روحي ، لان الشيوعية حدث يفرض نفسه فرضاً وهي ليست الا التطور الراهن الذي يلفي وضعنا القائم .

واردف معرفاً الشيوعية فقال : ان انسان المجتمع الجديد لن يكون له حاجة الى الاله وسوف يستغني بكل سهولة عنه لان الانسان ملحد بطبيعته وبعيد عن كل فكرة تربطه بالاله تلك الفكرة الملتوية التي قال بها فورباخ وباكونين .

نظرية التطور الماركسية

استمدت ميزة الانسان التاريخية مبدأها « من نظرية التطور الحديثة » التي اوشكت ان تسيّر جميع العلوم تحت رايتها في غضون القرن التاسع عشر :

وملخص هذه النظرية : المادة الخام اصل كل حياة على الارض وحياة الانسان نفسها ليست الا وليدة تفاعلها الالي عبر الادهار السالفة . واذا كان النوع الانساني قد ارتقى في سلم النشوء اكثر من ارتقاء الحيوان الذي استمد منبته منه فذلك بسبب افعاله الاجتماعية ، وليست الفوارق التي تميزه عن الحيوان الا بنت بيئته الاجتماعية ، وما عقله الا نتاج حياته التي توالت فيها اعماله قروناً طويلة

وازمنة لا حصر لها. اما ما يتحلى به من معرفة يستطيع بواسطتها فهم أمور شتى نفسية وتاريخية فمها يكن مبلغ رقيها ومهما يكن لها من شأن لن تكون الا مادية، لان العقل هو الذي اوجد ذاته في كل فترة من الفترات. اما من يود البحث عن اصل « المعرفة لدى البشر وعن معلوماتهم عامة » ومن يرغب في التنقيب عن منشأ الفكر الانساني فذلك برهان لا يدحض على جهلها نتائج التطور الاجتماعي التي لم يسبب وجودها الا نشاط البشر التقدمي الاجتماعي.

ومن جملة اقواله في هذا الشأن: «يتميز الانسان عن الحيوان بوجدانه ودينه» وفي الواقع ان البشر لا يبدأون بتمييز انفسهم عن البهائم الا متى شرعوا بانتاج وسائل معيشتهم على « شرط » ان يساعدهم على ذلك تركيب جسومهم الطبيعي.

والظاهر ان ماركس لقد تجنب في قوله على « شرط » (bedingt) صعوبة جدية تناقض كل المناقضة نظريته التطورية وتدحضها.

والذين لم تقنعهم آراء ماركس يتساءلون اصحيح ان ما يقوم به الحيوان من اعمال وما يأتيه الانسان من افعال يخضعان لنظام تطور محتوم ام انها يجريان وفقاً لنظام آخر؟

وهل يغيب عنا البون الشاسع القائم بين افعال الانسان الاجتماعية واعمال الحيوان الغريزية؟ ومما جاء من جملة اقواله في كتابه رأس المال: عمل الانسان ليس الا حلقة من سلسلة نمو دماغه الطويلة التي حول بواسطتها الطبيعة المحيقة به كما حول بواسطة شعوره الملازم لماتيه طبيعته الخاصة فالانسان ابن المستقبل.

والذي ينعم الروية قليلاً في اقواله هذه التي فاسف بها افعال الانسان الاجتماعية واعمال الحيوان الغريزية لا يستطيع ان يرى فيها غير ضرب من ضروب التلاعب بالكلام او تمويهاً كان القصد منه المخادعة لا خدمة الحقيقة.

ومن جملة ضروب الاختلاق التي اشار اليها بين عمل الحيوان الغريزي وافعال الانسان الاجتماعي ان من خصائص الثانية ان يسبقها تصميم فاعلها قبل شروعه بها مما يحمل على الاعتقاد ان العنكبوت والنحلة لا يسبق عملها تصميم—وربما تناسى ان الانسان لا تني ارادته عن السهر على افعاله لينجزها وفق الخطة التي رسمها لها. ونوع العمل في عرف ماركس ليس الا نتيجة تطور مستمر، بيد ان الحقيقة التي لا يأتيها الباطل تدحض كل الدحض زعمه هذا، لان الفرق بين شكل

عمــل الانسان والحيوان هو من حيث الكم ، على حين ان العمل الغريزي لن يرتقي ابدًا عما هو عليه . اما عمل ذي الوجدان فيطرد تحسنه دائمًا ولا ينفك عن مواصلة ارتقائه حتى يبلغ درجة الاتقان اي درجة العمل المنظم تنظيماً علمياً.

ولقد دلل الاختبار على ان العنكبوت كانت منذ البدء تنسج بيتهـا على وتيرة واحدة ولم تتقدم قط في صنعها عما كانت عليه مما يبرهن على ان بين عملها وعمل الانسـان هوة عظيمة تفصلها عنه .

ومها عمق الباحثون قضية وجود الانسـان العاقل ومها قلبوها على وجوههـا لن يرضيهم ابدًا الحل الماركسي لها . اجل لقد اخفق ماركس في المقام الذي قدّر لنفسه الفوز فيه .

التاريخ

عرّف هيكل Hegel التاريخ بقوله : انه تحقيق المفهوم العقلي بواسطة قواه نفسها ، اما ماركس فناقضه قائلًا : ليس هذا المفهوم الّا احـدى نتائج تطور الحركة التاريخية .

واوضح تطور حركة التاريخ فقال : ان منشأهــا مردّه الى نضال الانسـان ضد المادّة اذ لم يكن بمقدوره الاستغناء عن استغلال الطبيعة ليسد حاجاتـه الاساسية التي لا يستطيع الحياة بدونها ، فكان من جرّاء ذلك اضطرار البشر الى تنظيم علاقاتهم بعضهم ببعض في غضون نضالهم فنجم عن علاقاتهم هذه الفترات التاريخية التي اخذ بعضها برقاب بعض ، وانتقل الانسان من وضعه الاجتماعي الاول الى وضع جديد في مجتمع اشد تطورًا من الماضي ، وليس انصرافه الى التخصص باتقان اعماله وما تمايز طبقاته في الواقع الّا من جرّاء نضاله اولًا ضد المادة ، ولا شك في ان مجتمعاً جديدًا سينبثق من تطور الانتاج الانساني الجديد ولكنه سيكون مجتمعاً لا تفاوت بين طبقاته .

وهذه الآراء على ما فيها من حيرة لا تحملنا ابدًا على اكبار صاحبها لنضعه في عداد المبدعين وذلك اذا ما اخذنا بعين الاعتبار العوامل الكثيرة والمؤثرات العديدة وما كان من فعل وردات فعل في ترقي الانسانية وتطورها .

ولقد اعترف هذا الفيلسوف نفسه صراحة ببقية العوامل والمؤثرات في تحويل

الاوضاع الاجتماعية حتى بات من المستحيل ان نتبيّن منها عاملاً معنياً واحداً بالاستطاعة القول انه قد كان اساس فلسفته التاريخية. وذلك اذا ما صرفنا النظر عن مبدإ نضال الانسانية في سبيل الحفاظ على بقائها !

ومن الخطأ الذي ما بعده خطأ الاعتقاد ان هذا النضال الدائم « هو مجموع المؤثرات والعوامل برمّتها » لان الاختبار اوضح لنا ان الانسان مضطر كل حين الى تأمين حاجاته الضرورية ولا سيما في بادئ امره فعلاقات البشر بعضهم ببعض المسببة عن الانتاج ليست الا صلاتهم الاجتماعية التي نشأت في احد عصور التاريخ منبثقة من ارتباط عمل الانسان الاول بالعالم المادي « الارض » .

ومما يغنينا عن التدليل على خطل هذه الآراء اعتراف صاحب كتاب راس المال نفسه في مستهل مؤلفه « نقد السياسة الاقتصادية » الذي جاء فيه : لقد كان تطور الانسان الحقيقي في البدء في ايجاد حياته الاجتماعية ايجاداً نجم عنه حكماً تنظيم علائقه تنظيماً قائماً على الانتاج فقط .

ولا سبيل للانكار ان البشر ليسوا احراراً في كل شأن من شؤونهم ولكنهم مثلوا وما برحوا يمثلون في فلسفة الانسان التاريخية دوراً لن يستطيع تمثيله غيرهم . وذلك لانهم يعيشون عيشة اجتماعية ويشتركون في مناضلة الطبيعة .

وعلى رغم تخيّل ماركس هذه الحقيقة تخيّلاً ضيقاً مشوّشاً فانه لم ينظر فيها الا من نافذة واحدة . لانه قال بدون غمغمة او جمجمة : الانسانية هي الاله .

وقد قال في هذا الشأن ايضاً : لو استقرأنا استقراء كافياً كيف كان بنيان المجتمعات على تعدادها وتنوّعها، ولو بحثنا عن كيفية نشوء مفاهيمنا العقلية التي يعجز فكر البشر عن ابتداعها مهما كان نوعها لرأيناها جميعاً وليدة العلاقات الأجتماعية وهي التي نظّمت بدورها العمل المادّي لان وجود الانسان كان قبل شعوره كما كان وجدانه وحياته الراهنة قبل ظهور الطبقات المتطورة التي بالاستطاعة الاستغناء عنها .

هذا بكلمة موجزة مجمل المفهوم الماركسي المادي او نقطة الدائرة للفلسفة الماركسية .

وانّنا لا نعدو جادة الصواب اذا قلنا ان هـذه الفلسفة ليست سرّاً من الاسرار بل جلّ ما يقال فيها انها «المادية التاريخية» لانها عللت التاريخ بالاستناد الى حاجات البشر المادية وعلاقاتهم بالمادة « الطبيعة » بصفة كونهم اجتماعيين على حين ان المادة ليست غير وسيلة من وسائل اشباع الرغائب او حاجز يقف في وجه المرء ليصدّه عن بلوغه ما تتوق اليه نفسه .

ومهما يكن من امر من المستحيل الاقتناع بتعريف للانسان على هـذه الشاكلة بحيث يصبح عقله بموجب هذا التعريف من غير مخلوقات الله ولا يبقى بينه وبين مبدعه الحقيقي صلة وينتفي الارتباط بين قواه العقلية ومفاهيمها ويغدو بدون هدف يصبو اليه ويكون في آنٍ واحد خالقاً العالم المادي المحيط به ووليده اي انه يكون خالقاً ومخلوقاً في الوقت نفسه .

ومن جملة اقوال هذا الفيلسوف : الانسان شغفٌ بالمستقبل ورغوب فيه لا بسبب فكرة الخلود او بسبب مثل اسمى وانما لكونه يماشي وجهة التطور في مجراها . وانكر ماركس الروابط التي تصل بين الارادة والقوة والواجبات التي لم يستطع كنت تجاهلها ، فجعل النواميس الادبية وليدة عوامل التطور العلمي فقط . وقال فيها انها عرضة للتبديل والتغيير ولا تصلح ان تكون مقياساً صحيحاً لافعال البشر مما يوهم ان الانسان مرغم على الاعتراف بوجود التناقض حتى بين البدهيات الاولية ليرى الصيف والشتاء في آنٍ واحد على سطح واحد وليقدس ما نبذه في امسه ويبارك ما لعنه في يومه .

ولقد توخى هذا العالم من وراء اقواله التي اتحفنا بعجرها وبجرها ايجاد فلسفة جديدة تحتّم في النهاية قيام مجتمع شيوعي خالٍ من الطبقات بسبب نضال طبقاته بعضها ضد بعض .

ولئن كان شعور الناس منبثقاً من اوضاعهم الاجتماعية الراهنة وناجماً عن مقدار تمركز امتهم الاقتصادي ووليد حياتهم العملية ألا سبيل اتجاههم هذا ، فمن الحيف ان ينفي ماركس في تفسيره التاريخ تفسيراً مادياً ، وجود مثل اسمى للانسان فيظل في مجاعة روحية دائمة ، ومن الحيف ايضاً ان يجحد بكل مبدإ ليكوّن منهجاً فلسفياً لا محل فيه للارادة الانسانية بعد ان جعل الانسان اداة ليس الا .

المعرفة

بالاستناد الى مبادئ الفلسفة الماركسية لا نرى سبيلاً يخولنا تفسير ماهية وجدان الانسان ، هذا الوجدان الذي نقه نواميس التطور ودأب فيها محللاً.

واذا ما تقيدنا بمبادئه افهل نستميح لنفسنا العذر ونتساءل كيف استطاع هو نفسه ان يستثمر مبلغ قواه النفسية التفكيرية .

والظاهر ان ماركس تفادياً عن ان يُسأل سؤالاً على هذه الشاكلة استدرك قائلاً : ان الاعمال التي جرت في الماضي نسميها المآتي التاريخية ليست الا عبارة عن كيفية تطور المفاهيم الروحية ، ومن المستحيل ان يفهم فيلسوف كيف جرت تاماً لانها لا تتصل اتصالاً مباشراً بشعوره وهي ليست معروفة الا عن طريقة الاستدلال التي لا تمكن البشر ابداً من تعيين ماهيتها بمنتهى الضبط والدقة.

ومن اقواله ايضاً : ان جميع التطورات التي تمت في الازمنة التاريخية قد اشترك فيها تفكير الانسان وشعوره .

ولئن اعتبر التطور التاريخي وحده صالحاً للدرس والبحث فمن المستحيل علينا بعد ان اشرك فيه تفكير الانسان وشعوره ان نسلم بوجود معرفة وضعية في المعنى التاريخي المعروف .

ولئن كان تفكير الانسان وشعوره يشتركان في كل تطور فهل يكونان غير حلقة من حلقات سلسلة التطور واطراد تقدمه ؟

ولئن اشترك تفكير الانسان وشعوره بكل تطور فهل تبقى قيمة للعلوم التي لن تكون الا نوى كامنة في خاطر التاريخ ؟ وهل تكون الطبيعة نفسها غير نتيجة من نتائج العلم ؟ وهل باستطاعتنا ان نعتبر وجودها راهناً اكثر من وجود الانسانية ؟ لانها كانت—وفق هذا الزعم—وليدة احدى الفترات التاريخية.

وعلى كل فلو كان تعريف الانسان على هذه الشاكلة صحيحاً ، لكان لا بدّ لمفاهيمه ووجدانه ان يتبدلا تبديلاً سريعاً جد السرعة اذ لا حدّ فاصل بين الانسان ومعرفته !

ولا مجال للشك في ان الفلسفة الماركسية تؤول حكماً الى انكار الخالق والجحود بحقيقة وجود الانسان ونبذ صحة مفاهيمه الراهنة واعتبارها وهما من

الاوهام وخرافة من الخرافات لتكون كالمذهب الفلسفي القائل : ان جميع الاجناس لم يكن لها وجود وانما كانت موجودة اسماؤها .

والواقع ان النظريات الماركسية قد انقلبت الى فلسفة الذرائع Pragmatisme التي وضع اركانها وليم جيمس ، بيد ان هذا الاخير نقد ذرائع ماركس نقداً حاداً ونعتها بانها خالية من المنطق وبعيدة عن التاريخ مستشهداً على صحة نقده بفلسفة الذرائع نفسها وبالمنطق والتاريخ معاً .

واصدق دليل على مبلغ تأثر ماركس بنظريات فورباخ هو ركوبه متن الشطط في بعض نقاطه الفلسفية كما يؤخذ مما علقه على هذا الفيلسوف في تفسير قضاياه الاحدى عشرة . واليك مؤدى احداها :

من واجب العقل ان يقيم البرهان الاختباري على تفكيره ، اما معرفتنا انه اذا كان في مقدور الفكر ان يسلم بوجود حقيقة غير حقيقة العقل المنبثق منه فليست من القضايا التاريخية ، فكل جدل او مشادة حول صحة فكرة او بطلانها لن يكونا الا عقيمين اذا لم يستندا الى التجربة والاختبار .

ويؤخذ من منطوق الفلسفة الماركسية : انه ليس ثمة من نظرية صحيحة لكل زمان ومكان وان ما كان صالحاً من النظريات في احدى الفترات التاريخية لن يكون صالحاً في غيرها .

ورأى ماركس ان الحقيقة التي لا يأتيها الباطل هي التحول الدائم في كل الشؤون عبر جميع العصور فدعا صراحة وبدون مواربة الى الاخذ بهذا الواقع التاريخي قائلاً : اذا كان ثمت بعض المثاليات المستندة الى الاختبار فقد اوجدها الشعور المحدود والقوة لانه من نتائج التطور المحتومة وان لم يساهم فيه الا مساهمة ضئيلة .

اجل ان الشعور لعاجز عن خلق عالم جديد وان ادرك ان الضرورة القصوى تقضي بايجاده . ولئن اجهد ماركس نفسه لوضع فلسفته فلانه اراد ان يعرب عن نزوح الانسانية الى قيام مجتمع شيوعي نزوحاً لن تقوى اية عقبات كانت على الحيلولة دون بلوغ البشر هذه المرحلة في تطورهم التقدمي .

ولقد اعتقد هيكل ان فلسفته كانت وليدة الافتقار الشديد اليها ، ويعتقد معتقد التعاليم الماركسية ان الضرورة قضت بوجودهم في فترة معينة من فترات التطور التاريخية ، وانه من المستحيل عليهم تقديس مثل اسمى لا يقضي بالموت

على التفاوت الطبقي وليد الميول الاجتماعية، وانه لم يستطع احد تعليل التطور الاجتماعي تعليلاً صحيحاً الا فلسفة ماركس لانها دلت على خطأ علم الاقتصاد السياسي «البورجوازي» واقامت البرهان على شوائبه وفساده لكونه من صنع طبقة محكوم عليها بالاندثار .

الانسان

بماذا تستطيع التعاليم الماركسية ان تجيب على من يريد ان ينتهج طريقاً سوياً لحياته ؟

من المؤكد انها تجيبه، انك رجل اجتماعي قد بلغت درجة معينة من درجات تطورك، ولا تستطيع ان تكون على غير ما انت عليه، لانك عاجز عن اختيار طبقة غير طبقتك، فواجبك العمل، وانك لتعمل وفق ما تفرضه عليك اوضاعك التاريخية التي تعيش فيها .

وبالاستناد الى منطق الامور لا يستطيع من استمسك بتعاليم الفلسفة المركسية ان تكون له اهداف معينة سواء اكانت سياسية ام غير سياسية !

ولا نقول قولاً هراء بتأكيدنا ان المبادئ الماركسية لا تسمح لنا ان ننظر الى حياة الانسان كما هي لانها تفرض النتيجة محتومة، ومجرد فرضها هذا يرغمنا على انكار الشخصية ! وهل يرجى ان تصل النظريات الماركسية الى غير هذه النتيجة ؟ وما الانسان في عرف صاحب كتاب رأس المال الا شخص اجتماعي لا يستطيع عملاً غير ما يوجبه عليه مجتمعه ! بحيث تزول شخصيته وتنسخ فرديته !

ولئن كان الانسان اجتماعياً بحكم الواقع فان اعماله لا تصدر الا عن مستقر بعيد جد البعد عن مجتمعه. انها لتنبثق من حريته وهما اساس اختياراته !

اجل ان جميع النظريات الفلسفية المركسية تنكر على الانسان حياته الثانية وتضرب عنها صفحاً تاماً « اذا كان الموت يمحو آثار الانسان بجملتها فالعزاء الوحيد الذي يخفف عن كاهله شدة وطأة المنية هو استمرار المجتمع » .

والخلاصة ان جميع المبادئ والنظريات الفلسفية والسياسية التي تحول دون ممارسة الانسان طريقه علينا ان نناهضها تلافياً لعقباتها غير المحمودة كما ينبغي

لنا الابتعاد عن الاخذ باي تعليم كان يمنع المرء عن التعرف الى الانسان الذي يتمتع بكل مواهبه وقواه .

الخلاصة

قد يخيل الى القارئ بعد اطلاعه على ما اشرنا اليه من مآخذ اخذها العلماء على الفلسفة الماركسية اننا نروم ان نتجاهل قيمتها والخدمات الجلى التي قدمتها للعلم فنبخسها حقها .

ولا ندعي ادعاء فارغاً في قولنا ان للفلسفة الماركسية محاسن كثيرة من الحيف ان نسدل عليها ستاراً ، فهي التي اهتمت لدرس ميزة الانسان التاريخية اهتماماً لم نشهده صريحاً كل الصراحة في نظريات كنت الفلسفية . اما قضية اصل الانسان ومنشئه فلا يسمح لنا المقام بالتوسع فيها لان مثل هذا الدرس لتضيق عن استيعاب بحثه كبريات المجلدات ومع ذلك لا يسعنا الا التأكيد ان حاجات الانسان الضرورية التي لم يستطع قط الاستغناء عنها : هي غير وحدة اصله الراهنة .

وليس في مقدورنا ان ننكر على ماركس صحة نظره في اشارته الى خطل المثالية وان حصر نظره هذا بناحية واحدة وهي حقيقة وجود الانسان وحقيقة حاجاته لكونها وضعيين راهنين متناسياً ان البشر لا يحيون بخبزهم اليومي فقط وان كان من اول النعم التي يتمنون الحصول عليها .

والحافز الذي يحدونا الى تعريف الانسان تعريفاً ابتر « بانه شخص مفكر فقط » لنغفل منه النفس المكنونة في جسده ليس الا حافز الكبرياء .

ولئن استشعرنا ان في صدورنا محوراً نفسياً وفي قرارة كل منا مستقراً سرياً نلتقي فيه مع خالقنا فلن ننقص من قيمة فلسفة ماركس الواقعية ولن نقصر في مشاطرته رأيه .

نعم ان الانسان مفتقر الى الاكل والشرب والنوم ، ومن واجبه ان يعمل لتأمين احتياجاته هذه لانها حقوقه الطبيعية . ولكن من اشد ما يبعث على الاسف هو ان نقصر تعريف مثله السامي على انه التنازع القائم بين افراده في سبيل لقمة خبزهم اليومي — وايم الحق ان تعريف مثل البشر السامي على هذه الشاكلة هو تعريف مجرم .

وان كانت النفس افضل من الجسد ، وان كانت غايتنا الاخيرة غاية روحية فمن واجبنا الا نهمل الحياة المادية ، لان الكنيسة نفسها القائلة بالبعث بعد الموت لم تمتهن الجسد وانما تؤكد اشتراكه بالسعادة مع النفس في الحياة الاخرى .

وجميع الاديان اشتراكية قد جعلت غاية الانسان الاخيرة السعادة ومع ذلك لم تهمل الالتفات الى الحياة الارضية . « ان لجسمك عليك حقاً » . . . اعمل لدنياك الابدية كانك تعيش ابداً ولاخرتك كانك تموت غداً » . . .

وقد يكون للناسك مل‍ء الحق بان يرغب في حياة التقشف ويزهد بالامور الزائلة . اما الاثرياء واما كبار الساسة الذين يرغبون في استغلال غيرهم لتزيد رفاهيتهم وثرواتهم ! فما نستطيع ان نقول فيهم عندما ينظرون الى طلبات جمهرة العملة نظرة « جافة مادية » ويحاولون بكل ما اوتوا من ذريعة التغاضي عن حقوقهم الطبيعية التي وهبها لهم الله تعالى ؟

وفي مثل هذا المقام من يكون منهم اشد تكالباً على المادة؟ اهم البؤساء المساكين ؟ ام الاثرياء الكبار ؟

واذا ما قامت العقبات المادية الكؤود في وجه المملقين البؤساء . وحجبت عن بصائرهم نور الحقائق السامية الالهية ! فهل يقع الذنب على عواتقهم فقط ؟

نعم من اول واجبات المجتمع ان يسهر على تأمين ولو ابسط درجات الحياة الراقية لاعضائه ، اما اذا كان الفقر شرطاً في بعض الظروف من شروط السعادة فانه على الغالب مجلبة لمعظم الشرور والمحن !

ولا يساورنَّ القراء انَّنا انحزنا في بحثنا تارة ذات اليمين وطوراً ذات اليسار فناصرنا حيناً الماركسية على خصومها وآزرنا حيناً شمار الاثرياء ضد منافسيهم — فوايم الحق — وذلك في المعنى الفلسفي فقط — لان رائدنا الانصاف .

واستمساك النظريات الماركسية بالامور الوضعية الراهنة واغماضها العين على كل حقيقة اخرى يستوجب من التعاليم الادبية الاخلاقية ان تتلخص من هذه الحقائق القليلة قضية شاملة تنظر الى الانسان نظرة كاملة فلا تهمل الجسد لتهتم للنفس فقط ولا النفس لتنصرف الى الاهتمام للجسد وحده .

وما تعريف الدين المسيحي للانسان على هذه الشاكلة الا قاعدة فلسفية اركانها المحبة والعدل. ولئن كانت فلسفة ماركس قد دعت الى تقديس الانسانية

وتمجيدها وجعلتها الهاً فما دعوتها هذه الا دعوة مبتورة ملتوية لان صاحب كتاب راس المال وضع قناعاً كثيفاً على الناحية الروحية لكي لا يرى الا الجهة المادية وحدها .

وفي سبيل تلافي هذا الضلال الماركسي الشائن يقضي علينا الواجب بان نرفع الانسانية الى درجة ارقى من التي فيها .

وقصارى القول ان تمجيد ماركس الانسانية قد لفت النظر الى المعضلات الاجتماعية التي نجمت عن التقدم الصناعي ولا سيما بعد ان خطت الالة «التكنيك» خطوات جبارة الى الامام وسببت تفاوتاً بيناً بين اوضاع الطبقات تفاوتاً قد يؤدي بالبشر اذا لم يتلافوا عقباته — الى ويلات وكوارث لا قبل لهم باحتمالها .

ما هو المنطق المادي، وكيف عكس ماركس مثالية هيكل

لا بد لنا في سبيل ادراك نظرية كارل ماركس الفلسفية من ان نعرض الى الآراء التي اعتمدها واستنبط منها منهجه الخاص الذي اطلق عليه فيما بعد المنطق المادي الماركسي .

لقد كان المجلس ساعد ماركس الايمن صريحاً كل الصراحة في اجابته على السؤالين التاليين :

الاول : لماذا تدعى الماركسية بالاجتماعية العلمية ؟

الثاني : لماذا تفضي الماركسية حتماً و«اوتوماتيكياً» الى الشيوعية ؟

فقال : ان الاجتماعية العصرية هي انعكاس ظاهرتين اقتصاديتين على العقول :

الاولى نضال الطبقات المسيطر على المجتمع والثانية الفوضى السائدة على الانتاج. والماركسية التي توصلت الى الاتيان بالبرهان العلمي على قيام هذا النضال المحتم بين الطبقات هي علم ، اما سان سيمون وفوريه ووان فقد اخفقوا في ظنهم وان سموا لوضع قواعد الانتاج الرأسمالي المؤدية حكماً الى ارجاع جميع وسائل الانتاج والملكية الخاصة الى الاشتراك .

بعد ان انعم كارل ماركس النظر في كتب الفلاسفة الانكليز وبخاصة

كتب باكون[1] وهوبس[2] ولوك[3] توصل الى تحديد فكرته الخاصة والى فهم المادية التاريخية ، فطالعته اقوال باكون جعلته راسخ العقيدة ان علم الفيزياء القائم على المشاهدات الحسية هو العلم الوحيد واقنعته اقوال هوبس ان الحواس هي مصدر معارف الانسان جميعها من تصور وافكار : فهي اشباح العالم المادي المجرد من اشكاله المحسوسة تبعاً للظروف » ماركس في معتقده وبراهين لوك على صحة هذه النظرية في كتابه المسمى (Essai sur l'origine de l'entendement)

ولقد افسحت آراء هؤلاء الفلاسفة واقوالهم المجال امام كارل ماركس لتبني هذه النظرية وتسميتها بالمادية .

ومن اقواله بعد استناده الى هذه الآراء—اذا كانت المادة قد سبقت الروح فالروح قد اتخذت قالب هذه المادة لان الحركة الطبيعية تقضي على الروح بالتحريك والتاريخ الفكري خاضع لتاريخ العالم المادي ولهذا السبب كانت حاجة الجماعة المادية الى النضال في سبيل احراز حاجتها . اما جميع المفاهيم التي نظنها من ثمرة تخيلاتنا الخاصة فليست في الواقع الا انعكاس التأثير الاقتصادي فينا .

ومن اقواله ايضاً في هذا الصدد « ان التأثير المادي والتطورات والافكار والنماذج الروحية لغة الحياة الصحيحة تبدو جميعها صادرة عن احتمالات مادية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالشعور المادي ... »

ومما لا شك فيه ان اقوال ماركس هذه لعلى طرفي نقيض من الفلسفة الالمانية التي تود ان تبدأ من المكان الارفع لتصل الى الارض على حين ان ماركس ومفسري اقواله يرومون البدء باعمال البشر وبفعاليتهم الحيوية مما حدا بهم الى تفسير انتشار الانعكاسات والاهواء الفكرية ذات المثل العليا بهذه الفعالية الحيوية — اي بسعي الناس جميعهم لتحقيق امور معيشتهم لا اكثر ولا اقل . وقد قال ماركس في منتخباته كاليار (ص ٩٠) « ان الشعور لا يحدد الحياة بل الحياة هي التي تقرره وتضع حدوده » .

---

١) فيلسوف انكليزي واحد موجدي الطريقة الاختبارية .
٢) فيلسوف انكليزي من الماديين .
٣) فيلسوف انكليزي مشهور .

ومما جاء في اقواله ايضاً « اذا كانت الجماعة التي تعيش في وسطها هي التي تخلق مداركنا العقلية والاخلاقية والفنية والدينية والسياسية فجميع عثراتنا وخطيئاتنا الاجتماعية ناجمة عن نقائص هيئتنا الاجتماعية ومن المتناقضات التي تحز فؤادها ، فالشعور الشخصي وهم وخداع وشعورنا هو شعور جماعتنا وفي قلب هذه الجماعة لنا شعور آخر اولي هو شعور طبقتنا » .

هذه هي المادية التي تبنتها الماركسية واوغلت فيها حتى وصلت الى المادية التاريخية ولذلك قال انجلس « ان استيعاب التاريخ استيعاباً صحيحاً يقوم في البحث عن المبدإ الاساسي وعن الدافع الفعال الذي حدا البشر في جميع مآتيهم الى العمل على انماء الهيئة الاجتماعية الاقتصادي والى تحويل وسائل الانتاج والتبادل والى تقسيم المجتمع البشري الى طبقات بعضها ينحر بعضاً » انجلس في كتابه الاجتماعية الوهمية والاجتماعية العلمية ص ٢٣٠)

واقتبس ماركس طريقة تعليل التاريخ عن هيكل الذي اعتمد المنطق في تحليل الامور التاريخية :

ويستند بحث هيكل عن الحقيقة الى استخدام القياس المنطقي الذي حدّده بقوله « في سبيل انتساق الفكر لا بدّ من حدود منطقية ثلاثة الاول قوة الادراك والثاني المقدرة على المقارنة بين النظرية والنظرية المناقضة لها والثالث استنباط النتيجة التي تتألف من هاتين النظريتين فالنتيجة ليست اذاً الا احتكاك مبدأين او قضيتين يستنبط منها حد ثالث يتألف منهما» ومن اقواله في هذا الشأن « ان اعمال البشر مها بلغت من التعقيد ومها ظننا انها اعمال بديهية لانه يأتيها من دون شعور حتى يخالها لا تفتقر الى تفكير لا تخرج عن ان تكون خاضعة لنظر العقل الفلسفي فيها » « تبدو الحياة كلها كانها سائرة في طريق التطور الى الامام او كأنها نتيجة من نتائج الاعمال التي توالت فيها او لما ينعكس عنها من ردّات افعال سواء أفي بقاء هذه الحياة ام في زوالها وفي تقدمها وفي انحطاطها على الرغم من جميع الظاهرات الخاضعة لانظمة من الواجب تحديدها » .

هذه هي الطريق التي خطها هيكل سار فيها كارل ماركس بعد ان جرّد القضايا المنطقية من وجهاتها المثالية .

وقول ماركس الذي شجب به آراء هيكل ومؤداه « ان الفيلسوف البرليني

HSMY-SMY' ET RHY 'QBT-BT 'QB' DANS LES TEXTES DE SAFA ET DE HATRA

par

le P. A. VAN DEN BRANDEN

Les textes safaïtiques nous mettent en présence de certaines expressions qui jusqu'à présent ne nous semblent pas encore avoir reçu une interprétation exacte. Il s'agit des expressions *hsmy* et *rhy 'qbt* qu'on rencontre dans une douzaine de textes. Si ces trois mots se trouvent parfois dans une seule phrase où ils constituent une seule expression, il arrive aussi de les rencontrer dans des phrases différentes où ne figure que le seul mot *hsmy* ou la seule formule *rhy 'qbt.*

Ainsi Csaf. 1927 et 4305 portent la formule entière précédée d'un verbe: *wnẓr hsmy brhy 'qbt* (1).

Dans Csaf. 1926 et 329 on lit seulement: *wtẓr hsmy* comme dans LittmSyr. 528 et 529: *wnẓr hsmy* (2).

Dans Csaf. 3752 cette expression est complétée par un autre verbe: *wnẓr hsmy fwny.*

Deux autres verbes la précèdent dans Csaf. 2076: *f(n)s wtnfr hsmy bhdr*. Par contre, dans Csaf. 892 et 1993 le mot *hsmy* est précédé par le verbe *ḫrṣ.*

Dans deux autres textes on ne trouve que la seconde partie de la formule. Il en est ainsi dans Csaf. 3818 qui porte: *wṯlg bhdr brhy 'qbt* et dans LittmSyr. 834 où on lit: *wṯlg fhdr brhy 'qbt.*

Quel est le contenu de ces inscriptions? A ne considérer que les différentes traductions proposées par les spécialistes, la réponse s'avère loin d'être facile. Ces traductions, en effet, ne s'accordent pas. La difficulté de trouver les mots correspondants en arabe

classique en est probablement la cause principale. Mais il nous semble aussi qu'on a par trop négligé le contexte historique. Comme on le verra, l'expression se réfère à une coutume funéraire bien connue, pratiquée par les Safaites comme par tous les arabes préislamiques du Nord.

Voyons d'abord les traductions proposées par les différents auteurs. Ainsi G. Ryckmans traduit Csaf. 1927 et 4305: «et attendit Samîtam ad lacunam 'Aqabat». Le Safaïte, auteur du texte, communiquerait qu'il a guetté un certain Samite, personnage indiqué seulement par son nom gentilice et qui se trouverait près d'un lac appelé 'Aqabat. De même Csaf. 1926 et 329: «et attendit Samîtam» où manque le nom de lieu.

Une tout autre traduction de ces mêmes textes Csaf. 1927 et 4305 est proposée par Mlle Pirenne (3). Elle rend cette phrase: «et il a porté son regard vers le Samite dans le séjour spatieux de la vie finale». Pour cet auteur, *hsmy* serait un nom d'un dieu et *rhy 'qbt* une expression désignant le monde futur, la vie après la mort (4). L'auteur du texte safaïtique aurait donc jeté un regard sur ce dieu qui vit dans l'au-delà. Ce texte prouverait la croyance des Arabes safaïtes à la survie de l'âme à l'instar des citadins de Hatra et de Hiérapolis (5).

L'expression *wnẓr hsmy* de Littm Syr. 528 et 529 est traduite par Enno Littmann: «and he looked at the sky» et DM. 282 = Csaf. 3725 (cf. ad Littm Syr. 528): «and he looked at the sky and sojourned». L'auteur avoue toutefois de ne pas bien comprendre de quoi il s'agit exactement et propose plusieurs solutions (6). Ryckmans rend ce dernier texte: «et attendit Samîtam. Et depressus fuit».

Csaf. 2076 est traduit par l'auteur du Corpus: «Et abiit et fugatus est Samîta prope hanc locum(?)» et ailleurs: «et il s'en alla, et *hsmy* fut mis en fuite en ce lieu» (7).

Quant à Csaf. 892 et 1993 on en trouve la traduction habituelle: «et attendit Samîtam»; «et il guetta le Samite» (8).

Voyons maintenant les deux inscriptions dans lesquelles se trouvent la formule *rhy 'qbt* dans un autre contexte. Csaf. 3818 porte: *wṯlg bhdr brhy 'qbt* que Ryckmans a traduit: «et ninxit

in hoc loco ad lacunam 'Aqabat» et Mlle Pirenne: «et il a acquis la quiétude en ce lieu dans le séjour spatieux de la vie finale» (9). Pour le premier auteur il s'agit simplement d'une constatation atmosphérique, pour le second de la vie bienheureuse dans l'autre monde.

Il reste enfin le texte de LittmSyr. 834. Cette inscription a été assez mal copiée de sorte que Littmann a pensé pouvoir la lire en la corrigeant: *lwṣl (bn) fhd b(n) br' (bn) 'qbt*, qu'il traduit: «By Wâṣil (b) Fahid b. Bara' (b) 'Uqbat». Toutefois l'auteur propose ailleurs (10) la lecture *ṯlg* pour le premier mot. La restitution n'est pas exacte. Nous lisons: *wṯlg fhdr brhy 'qbt* et l'inscription correspond donc à Csaf. 3818 à l'exception du mot *fhdr* ce qui ne change rien au sens. Le *l* devant le *w* prouve que ce texte est incomplet.

Que penser de ces traductions? Nous sommes d'avis qu'on est loin de ce qu'ils signifient en réalité. L'auteur du *Corpus* comme aussi le prof. Littmann maintiennent leurs traductions dans le sens général du contenu des textes safaïtiques. Mlle Pirenne, par contre, dépasse largement, par son interprétation religieuse, tout ce que nous savons de la religion des Arabes safaïtes telle qu'elle se dégage de l'ensemble des textes dont l'interprétation est certaine. Évidemment, ce n'est pas une raison pour considérer l'interprétation de cet auteur comme fautive à priori.

Examinons donc de plus près ces inscriptions. Le verbe *nẓr* et sa Ve f. *tẓr* (*tnẓr*) ne présentent guère de difficulté. Ils signifient «regarder», sens sur lequel tous les auteurs sont d'accord. Ajoutons que dans les textes safaïtiques ce verbe s'emploie toujours en relation avec un objet concret (11). D'après le prof. Ryckmans (12) il impliquerait une idée d'hostilité. C'est à notre avis plutôt un sentiment de crainte, de malaise.

Avec le mot *hsmy* on rencontre la première difficulté. Le *h* est à l'avis de tous, l'article, mais que signifie *smy*? Nous avons vu que d'après le professeur de Louvain *smy* serait un nom gentilice indiquant un membre de la tribu Sam (13). Pour Littmann le mot signifierait «ciel» d'après l'arabe سما . Mlle Pirenne y voit

le dieu Keresasp-Sâm-Sâmam-Saman, mentionné dans les textes pehlevis et qu'on rencontre également dans les textes de Hatra sous la forme *SMY'*. Elle rejoint plus ou moins la thèse de Ryckmans en affirmant que *SMY'* est un gentilice mais formé du nom divin Sâm (ancêtre de Keresasp) et du *Y* signe nisbe sémitique. *SMY'* est donc d'après cet auteur un mot sémitisé (14).

Pour prouver sa thèse, Mlle Pirenne a recours aux textes de Hatra qui mentionnent un dieu *SMY'DY BT 'QB'*, expression qui correspondrait formellement et presque matériellement à la formule safaïtique *'hsmy brhy 'qbt* (15). On pourrait toutefois objecter que si la ressemblance matérielle de ces deux expressions est en effet frappante, il faudrait encore pouvoir prouver que leur contenu est le même. Or il ne faut pas oublier que nous sommes ici dans deux mondes différents: à Hatra chez des citadins hellénisés et chez les Safaïtes parmi les bédouins du désert, deux civilisations qui s'opposent. Le contexte des inscriptions de Hatra prouve bien que *SMY'* doit être considéré comme un dieu (16), mais il en est tout autre dans les textes safaïtiques où le contexte ne suggère d'aucune façon que *hsmy* doit s'entendre d'une divinité. Comme il ne peut y être question d'identifier la divinité *ḏsmy* des textes sud-arabes (17) à partir de la seule ressemblance de son nom avec *SMY'* hatréen, ainsi *hsmy* safaïtique, malgré la correspondance consonnantique du nom, n'implique pas l'identité avec *SMY'*. L'épithète *BT 'QB'* du dieu hatréen et qui correspond de fait à l'expression *rhy 'qbt* des inscriptions safaïtiques n'y fait rien, ces expressions n'ayant pas le sens que l'auteur pense pouvoir leur donner.

S'il semble bien impossible d'expliquer l'étymologie du nom *SMY'* à partir de l'araméen (18), il n'en est pas de même pour *smy* des textes arabes safaïtiques. La racine arabe *smy* signifie «être haut, élevé» et n'implique pas nécessairement l'idée de «ciel» comme Ryckmans l'a déjà signalé (19). Le mot arabe *smw* indique une élévation, une hauteur quelconque. Or *hsmy* est ici complément direct du verbe *nẓr*. On traduira donc matériellement: «et il a regardé «la hauteur»». Mais quelle est cette hauteur? C'est Csaf. 3753

= DM.282 qui va nous donner, indirectement il est vrai, une réponse. Dans cette inscription on dit que le Safaïte «a jeté un regard sur la «hauteur» et s'est troublé» (littéralement: il est devenu faible, en arabe *nwy*, IId f.). Par conséquent, le geste de regarder cette «hauteur» donne des sentiments de tristesse. Or nous savons par LittmSyr. 258 que la vue des monuments funéraires engendre chez l'observateur un sentiment de tristesse. On y lit, en effet: *ḫr bmḫh br'y ḏkr*, «il faiblit en son intérieur à la vue du monument funéraire» (19 bis). Plusieurs autres inscriptions (cf. LittmSyr.234; 243 ; 344; Csaf. 657; 1833; 3867 etc.) nous disent également que ces mêmes sentiments sont provoqués par le geste de la pose d'une pierre sur le tombeau des défunts. Cette «hauteur» n'est donc autre que le tertre funéraire, fait d'un amoncellement de pierres sur la tombe (20). *smy* signifie «tertre funéraire», le «cairn» comme disent les Anglais.

Csaf. 2076 prend alors un sent fort clair. Ryckmans a traduit ce passage: «et il s'en alla, et *hsmy* (le Samite) fut mis en fuite en ce lieu» (21). Le texte dit qu'un Safaïte a posé une pierre pour Ṣ. et R et continue: *fr'l wm(v)t f(n)s wtnfr hsmy* ce qui est traduit: «et transfixus est, et mortuus est. Et abiit etc.» On ne voit pas très bien ce que cela signifie dans ce contexte. Nous traduisons: «et il perdit la raison et faiblit (syriac ܡܚܠ , defecit) et s'en alla et abandonna le tertre funéraire». Nous pensons que *hsmy* est ici encore complément direct. Ryckmans rend le verbe *tnfr* (Ve f.) par «être mis en fuite», mais le sens exact de la Ve forme est «se mettre (ou se trouver) dans la situation où le verbe de la seconde forme place son complément direct» ou bien «excercer l'action sur soi-même ou dans son propre intérêt» (22) et par conséquent *tnfr* doit être traduit par «abandonner».

Csaf. 329 est encore plus explicite. *hsmy* se trouve dans le contexte suivant: *wwfd hgdl fmḥ wtnẓr hsmy* ce qui est traduit dans le *Corpus*: «et advenit Ha-Gadil. Et beneficium(?) Et attendit Samitam» Nous pensons que *gdl* est un substantif, en arabe جدل , «tombeau» et *mḥ* un verbe, en arabe ماح , chanceler» et nous traduisons: «et il vint au tombeau et il chancela et il jeta un regard sur le tertre funéraire».

Les textes Csaf. 892 et 1993 peuvent être une confirmation de notre interprétation du mot *hsmy*. Dans ces inscriptions le verbe *nẓr* est remplacé par le verbe *ḫrṣ*. En safaïtique ce verbe a généralement le sens de *nẓr* (cf. LittmSyr. 210; 212; Csaf. 3062; 58, etc.) (23), mais en arabe il a également le sens de «arranger, réparer» et même «faire une digue». Alors il n'est pas impossible qu'on doive traduire notre expression: «et il a fait (ou réparé) le tertre funéraire». Le contexte ne s'y oppose pas. Il nous semble que ce sens est clairement attesté dans LittmSyr. 660. Ce texte porte: *wḫrṣ mbny rǵy*, «et il a fait (ou réparé) les constructions de pierres». Littmann a rendu cette inscription: «and he was on the look-out from the structures of rocks», mais *mbny* correspond à notre avis à l'arabe مباني . Il s'agit de la construction du tertre funéraire comme dans LittmSyr. 683: *wbny hṣwy*, «et il construit le tombeau» où *ṣwy* signifie «pierres». Cf. encore *wṣl ḏ hṣwy*, «cette structure, le tombeau», dans LittmSyr. 684.

L'expression *brhy 'qbt* spécifie encore davantage le sens de *hsmy*. *rhy* est traduit «lacunam», «fossé», par le prof. Ryckmans qui se base sur l'arabe رهو , «terrain spatieux encaissé», ce qui suggère bien l'idée d'un fossé mais aussi d'une fosse. Par contre, Mlle Pirenne rend ce mot par «séjour spatieux (ou aisé) de la vie» (24) et se rapporte à l'adjectif *rāhy* qui signifie «large, aisé» d'où le sens secondaire «tranquille, perpétuel, assuré pour toujours (état ou vie)».

On ne voit pas bien comment l'auteur arrive à partir de cet adjectif au sens de «séjour spatieux (ou aisé) de la vie». Si *r'h* (pour *r'hy*) signifie bien «tranquille, aisé» applicable à un état ou une vie, l'idée de «séjour» y est complètement étrangère. Visiblement l'auteur a été influencée par son interprétation de l'expression *BT 'QB'* du texte hatréen, qui, comme elle l'affirme, peut être une locution abstraite comparable à *BT 'WLMW* «maison d'éternité» de l'Eccl. 12/5 où on lit: «car l'homme s'en va vers la maison de son éternité», et dans laquelle expression *BT* aurait le sens général de «demeure» et *'WLM* celui d'«éternité» au sens abstrait du mot (25). Mais est-ce là bien une interprétation exacte

de ce texte biblique? Le sens général de *BT* est souvent modifié, restreint par le mot qui le détermine et c'est ainsi que les exégètes nous disent que l'expression *BT 'WLMW* est un simple euphémisme pour «tombeau» (26). D'ailleurs, faut-il s'attendre à l'idée d'une demeure éternelle au sens abstrait du mot, c.à.d. à une vie éternelle chez l'auteur des «Vanité des Vanités» qui nous conseille si fortement de jouir des biens de ce monde parce qu'on ne doit pas s'attendre à autre chose (cf. 5 17-19; 6/2; 3/22; 2/24; 3/13; 9/7-10; 11/7 etc.)? Évidemment, le mort «habite» dans son tombeau, c'est une vieille idée sémitique, mais y séjourne-t-il autrement qu'en tant que mort?

Le mot *'qbt* spécifie *rhy*, «fosse». Il ne doit pas être lu comme nom propre, comme Mlle Pirenne l'a bien vu. Pour elle, ce mot doit se lire *'āqabat* et signifierait: «résultat, terme, bonne fin et récompense éternelle» (27). Nous pensons que ces significations-là constituent plutôt le sens secondaire du mot arabe *'uqb* (28). En réalité il faut lire *'āqibat*, «fin, terme, issue, résultat», comme l'araméen *'iqba'* signifie «fin, résultat» (29). On traduira donc *rhy 'qbt* par «fosse de la fin» et l'araméen *BT 'QB'* par «maison de la fin», deux expressions équivalentes et qui sont un euphémisme pour «tombeau» (30). L'expression en soi ne comprend aucune idée de survie, pas plus que le contexte safaïtique n'en suggère. Nous traduisons donc *wnẓr hsmy brhy 'qbt*, «et il a jeté un regard sur le tertre funéraire sur le tombeau».

Notre interprétation est encore confirmée par Csaf. 3818 et LittmSyr. 843. Dans ces textes on lit: *wṯlg bhdr* (*ou fhdr*) *brhy 'qbt*. Avec Mlle Pirenne nous lisons *ṯaliga*, «être tranquille, jouir du repos» au lieu de *ṯalaga*, «neiger» proposé par le prof. Ryckmans. La traduction «et il a acquis la quiétude dans ce lieu, dans le séjour spatieux de la vie finale», avancée par Mlle Pirenne et qui indiquerait un séjour bienheureux dans l'autre monde, ne nous semble pas devoir être retenue. Le verbe *ṯlg* étant un verbe d'état ne peut être traduit par «acquérir la quiétude». Nous traduisons: «et il est au repos dans ce lieu, dans le tombeau». C'est bien dans ce lieu, dans ce tombeau que repose le mort et non ailleurs. On comprend alors les demandes de paix et de repos adressées au dieu dans ces

inscriptions (cf. Csaf. 1925 [illegible] 1927; 2076).

Nous penrons donc que le mot *hsmy* des textes safaïtiques et qui désigne le tertre funéraire construit sur les tombeaux, ne peut être assimilé à *SMY'* des inscriptions de Hatra où ce mot est à ne pas en douter le nom d'une divinité en rapport avec les morts. Aucun de ces textes safaïtiques ne nous permet d'attribuer aux Safaïtes la croyance à la vie future, *rhy 'qbt* étant une simple circonlocution de «tombeau». S'il est vrai que les Safaites comme d'ailleurs tous les Arabes préislamiques honoraient leurs morts en construisant un tertre funéraire sur leurs tombeaux et en accomplissant à l'occasion le geste de la pose d'une pierre sur les sépultures, rien ne nous suggère de voir ces gestes inspirés par la croyance à la vie éternelle.

Nous avons dit plus haut qu'il semble bien impossible d'expliquer le nom divin *SMY'* à partir d'une racine araméenne. Pour trouver la solution étymologique Ingholt a eu recours à une racine arabe; Mlle Pirenne y voit un nom divin iranien sémitisé; M. Dussaud pense que le nom semeion est basé sur le nom divin Simia et pour Caquot ce terme signifie simplement «enseigne» basé sur l'hébreu *sima* (31).

Nous sommes convaincu que la solution, comme d'ailleurs celle de tout le problème du dieu *SMY'*, est indiquée par le texte de Lucien de Samosate (32). Il nous est difficile de souscrire à l'affirmation de Mlle Pirenne selon laquelle Lucien «n'a évidemment rien compris à ce qu'il voyait et il a été mal renseigné» (33). Les nouvelles découvertes de Hatra nous semblent prouver qu'il a raison sur tous les points qu'il avance. Il nous dit:

1: qu'à Hiérapolis il se dresse entre les statues d'or de Zeus (Hadad) et de Héra (Atargatis) une image qui n'est pas une statue. Et il spécifie:

2: que cela n'a pas de forme propre, c.à.d. n'est pas uniforme dans sa représentation,

3: que, par contre, cela porte les caractéristiques des autres divinités, c.à.d. les symboles,

4: que les habitants eux-mêmes l'appellent «semeion», enseigne, signe,

5: que ce dieu n'a pas de nom propre et qu'on ne connait rien de son origine; ni de sa forme, c.à.d. de sa représentation humaine. Tout cela est très exact:

ad 1: Lucien vise «l'emblème» dont nous avons maintenant plusieurs exemples. Il figure sur les monnaies, comme dans le temple, entre Hadad et Atargatis.

ad 2: cet emblème n'a pas de représentation uniforme. Il y en a de différentes. Les planches *a* et *b* de l'article de Mlle Pirenne (34) en reproduisent déjà deux différents; un autre, d'après le texte de Lucien, portait une colombe sur le sommet; celui qui accompagne le texte n. 3 de Hatra représente les planètes dans l'ordre chaldéen (35). Et il a dû y avoir d'autres.

ad 3: il porte les caractéristiques, les symboles, des autres dieux. La colombe suggère Sémiramis, le serpent Asclépios.

ad 4: on l'appelle «semeion», signe. C'est bien un enseigne romain que suggère cette image.

ad 5: il n'a pas de nom propre. Lucien vise le dieu représenté par cet enseigne. Semeion n'est pas un nom propre. Puis on ne connaît pas son origine, ni sa forme. C'est donc un dieu inconnu qui laisse non seulement sa personnalité dans l'ignorance, mais encore sa représentation corporelle. C'est dire donc qu'au temps de Lucien, il n'y avait pas de statues de ce dieu, ou du moins il n'en était pas au courant.

Toutes ces indications nous permettent de résoudre le problème de *SMY'*. Disons d'abord que l'idée d'un dieu inconnu n'est pas étrangère aux Grecs. Les Actes des Apôtres 17/23 nous disent qu'il y avait à Athènes un autel dédié au *theos agnôstos*. On lui rendait un culte quoiqu'on ne sût rien de sa personnalité. D'autre part le nom semeion renvoie également aux Grecs. Donc dans le monde hellénisé on conçoit qu'il puisse y avoir un dieu inconnu, et Lucien nous l'affirme.

Les Sémites, même hellénisés, avaient beaucoup moins de tendance à l'abstraction que les Grecs. On conçoit qu'ils aient pu sentir le besoin de donner un nom à ce dieu; pour eux les choses n'existent que par leur nom. Il est alors tout naturel de les voir se baser sur l'indication grecque semeion, d'où le nom Simi rap-

porté par le Pseudo-Méliton et Simios, probablement une hellénisation du nom sémitisé Simi. Et c'est ainsi que sous cette forme ce dieu est rentré dans la nomenclature. Or orthographiquement Simi correspond exactement à *SMY* des textes de Hatra et par le texte n. 3 nous savons qu'il est représenté par le *semeion* qui figure à côté d'un aigle, probablement le symbole de Zeus-Hadad, invoqué dans ce même texte sous le nom *MRN*, «notre Seigneur». *SMY* n'est donc autre chose qu'une forme sémitisée du grec *semeion*, ici pris comme nom propre.

Quelle est la nature de ce dieu? Lucien de Samosate nous dit que c'est un dieu mystérieux qui n'a pas de nom et dont on ne connaît pas l'origine ni la forme. Cela évidemment laisse la porte ouverte à toutes sortes de spéculations. Et l'auteur nous dit qu'on en a fait déjà à son époque. Ce dieu mystérieux dont on ne connaît rien, sinon qu'il est représenté par le semeion, avait grandement intrigué les fidèles, comme il intrigue encore les savants modernes. On s'est efforcé de l'identifier à l'un ou l'autre dieu connu, et même, les nouvelles découvertes en font foi, de le représenter sous une forme humaine d'après les caractéristiques qu'on a cru pouvoir lui attribuer à partir d'une identification possible, basée sur ce que Lucien appelle «les caractéristiques des autres divinités», visant les symboles qu'accompagnent le *semeion*. Examinons donc ces quelques identifications que les textes nous signalent.

Ainsi il existait une légende selon laquelle Simios serait un beau jeune homme qui s'est uni à Derkéto (Atargatis) et dont il il aurait eu une fille, nommée Sémiramis (autre nom pour Simia) (36). Or justement, nous retrouvons sur un monument ce beau jeune homme (planche *c* de l'article de Mlle Pirenne) avec le semeion à côté de lui. On conçoit alors qu'on ait pu voir dans ce *semeion* une représentation de Simia. D'autre part, ce *semeion* portait parfois, d'après le témoignage de Lucien, une colombe sur son sommet. Or les Hatréens ont certainement connu la légende de l'enfant Sémiramis nourrie par des colombes et qui s'éelva à l'occasion au ciel sous l'aspect d'une colombe.

Une autre légende, rapportée par Lucien et le Pseudo-Méliton, met Simi en rapport avec le déluge. La cérémonie de

l'hydrophorie l'honorait sous cet aspect. On comprend donc que certains ont pu l'identifier au dieu Deucalion, le Noé grec.

On l'a encore identifié à Dionysos, le Bacchus romain. On ne voit pas bien pour quelles raisons. Ces «phallus» dans le temple ne sont peut-être pas étrangers à cet essai d'identification. Le beau jeune homme au torse nu et à la couronne de fleurs sur la tête a pu suggérer la même idée à un observateur superficiel.

D'autres l'ont identifié à Asclépios. Probablement encore à cause de certaines symboles propres à ce dieu. On sait qu'on possède de lui «une statue d'or et d'ivoire, ouvrage de Trasymède de Paros, le représentant sous la figure d'un homme assis sur un trône, ayant un bâton dans une main, et appuyant l'autre sur la tête d'un serpent, avec un chien couché près de lui» (37). L'image du beau jeune homme qui porte un bâton dans la main et qui a un chien couché près de lui, a pu se prêter pour quelques uns à cette interprétation.

Nous savons par l'inscription n. 3 de Hatra que *SMY'* est mis en rapport avec le tombeau. C'est un autre résultat de cet essai d'identification. Nous sommes loin du dieu de l'hydrophorie. Le culte des morts évoque dans l'esprit grec ou hellénisé l'image des enfers et de son veilleur Cerbère. Simi sera alors considéré comme une sorte de Pluton à l'air sévère et tenant le Cerbère en liasse. Voir la planche *a* de l'article de Mlle Pirenne.

Ces essais d'identification ne doivent pas nous étonner. St. Paul devant l'autel du dieu inconnu d'Athènes, identifie celui-ci au vrai Dieu. Il ne faisait pas autre chose que ce qu'ont fait les Hatréens et les Hiérapolitains devant le semeion. Mais ces différentes interprétations, ces différents rôles qu'on a attribués à Simi-SMY' ainsi que les différents cultes par lesquels fut honoré ce dieu caché sous l'emblème du semeion, prouvent bien que les fidèles de l'époque n'avaient pas réussi à découvrir la vraie personnalité de ce dieu. Aurions nous plus de chance que les anciens? Mlle Pirenne le pense. Pour elle *SMY'* est le dieu iranien Keresasp et la religion de Hatra et d'Hiérapolis est le produit d'un syncrétisme mazdéo-chaldéen. Les monuments et les textes sont interprétés d'après ces

idées. Nous pensons avoir établi que les monuments peuvent s'expliquer par le climat hellénisé de ces régions et les textes par les idées sémitiques. Toutefois il sera difficile de nier une certaine influence perse, signalée d'ailleurs par des sources différentes et qui est surtout sensible dans les costumes de certains personnages. La présence de Perses à Hatra et à Hiéropolis peut se concevoir, ces deux villes étant de grands centres cosmopolites. Mais attribuer à ces gens une influence religieuse qui a mené à la substitution complète de la vieille religion cananéenne hellénisée nous semble peu probable. Nous savons par Dion Cassius que Hatra était une ville dédiée au dieu soleil et les monnaies le confirment. Maintenant les textes y ajoutent leur témoignage (38). Que ces gens d'Iran aient pu accentuer et traduire en leurs propres termes certaines idées religieuses qu'ils avaient en commun avec les autochtones, cela est possible, probable même, mais leur attribuer une influence qui a eu pour effet le bouleversement complet de la vieille religion, nous semble à l'encontre des témoignages des auteurs, des monuments et des textes. Le fait que *SMY'* hatréen est associé au culte du tombeau implique, il est vrai, une cetraine croyance à la survie. Mais cette croyance peut s'expliquer par le milieu hellénisé. Elle ne nous semble pas dépasser les idées communément admises dans ce monde.

Beyrouth, le 19 *mars* 1960 A. VAN DEN BRANDEN

(1) *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, Paris quinta. *Inscriptiones saracenicas continens.* Tomis I, Fasc. 1: *Inscriptiones safaiticae*. Paris. 1951, par G. Ryckmans.

(2) LittmSyr — *Syria, Publications of the Princeton University Archeaoligical Expedition to Syria in* 1904-5 and 1909. Section C. *Safaitic Inscriptions* by Enno Littmann. Leyden, 1943.

(3) Pirenne, J., *BETH 'AQBA' temple, nappe d'eau ou vie future?* dans *Bulletin du groupe linguistique d'études chamito-sémitiques* VII (1957), p. 114. (abrév *Glecs*).

(4) Pirenne, J., *La religion d'Hiéropolis de Syrie au début de notre ère*, dans *Sacra Pagina*, (Bibliothèque Ephemeridum Theologicarum Lovaniensium, vol. XII-XIII), Paris-Gembloux, 1959, p. 296 et *Glecs*, p. 114.

(5) Pirenne, *Religion*, p. 294.

(6) Littmann, *Syria*, p. 137. Cf. aussi Ryckmans, C., *Le ciel et la terre dans les inscriptions safaïtiques*, dans *Mélanges Robert*, Paris, 1957, p. 362.

(7) Ryckmans, *Le ciel et la terre*, p. 361.

(8) Ryckmans, *Le ciel et la terre*, p. 363.

(9) Pirenne, p. 114.

(10) Littmann, *Syria*, p. 355.

(11) Cf. LittmSyr. 1263; 656; Csaf. 420; 2967 etc.

(12) Ryckmans, *Le ciel et la terre*. p. 360.

(13) Ryckmans. *Le ciel et la terre*, p. 360 et p. 362.

(14) Pirenne, *Religion*, p. 296.

(15) Pirenne, *Glecs*, p. 113- 114.

(16) Pirenne, *Religion*, p. 293.

(17) Mll Pirenne a proposé l'identité du dieu sud-arabe *dsmy* et *dy Smy* de Hatra (*Le Muséon*, LXIX (1956), p. 206; cf. aussi Ryckmans, G., *Heaven and Earth in the South Arabian Inscriptions*, dans *Journal of Semitic Studies*, III (1958), p. 226) mais semble bien avoir abandonné cette idée actuellement.

(18) Pirenne, *Religion*, p. 293.

(19) Ryckmans, *Le ciel et la terre*. p. 361.

(19bis) Ce texte a été traduit par Littmann: «he hurled his lance at the sight of a sharp sword». L'auteur signale toutefois dans son commentaire que l'interprétation des mots *ḫr* et *dkr* est plutôt hypothétique et au lieu de lire *bmḫh* il lit *rmḥh*, «his lance». Nous voyons dans le mot *ḫr* le verbe arabe خار, «être faible, débile, faiblir» et dans *bmḫh* la préposition *b*, le substantif arabe مخ «le cœur même, la part la plus pure (d'une chose)» et le *h* pronom possessif. Voir en ugaritique *mḫ rišk*, «the brains of thy head», cf. Gordon, *Ugaritic Manual*. III, p. 287 qui renvoie à מח, مخ, مخ et *muḫḫu*. Pour *dkr*, cf. l'araméen *DKYR* dans les inscriptions de Starcky-Ingholt op. cit.) et *muḫḫu*. Pour *dkr*, cf. l'araméen *DKYR* dans les inscriptions de Starcky-Ingholt, *op. cit.* Cf. aussi en Phénicien, CIS, I, 116 : *mṣbt skr bḥym*, « stèle commémorative parmi les vivants » et Oum el-Awamid : *skr 'š y(t)n' l'b 'šl*, « monument commémoratif qu'a érigé à son père » (*Bulletin du Musée de Beyrouth*, XIII (1956), p. 52)

(20) Cf. Dussaud, R.-Macler, F., *Voyage archéologique au Safâ et dans le Djebel ed-Drûz*, Paris, 1901, p. 24.

(21) Ryckmans, *Le ciel et la terre*, p. 361.

(22) Gaudefroy-Demombynes-Blachère. *Grammaire de l'arabe classique*, Paris. p. 60.

(23) Ryckmans, *Le ciel et la terre*. p. 362.

(24) Pirenne, *Glecs*, p. 114 et *Religion*. p. 294.

(25) Pirenne, *Glecs*, p. 113 et *Religion*. p. 294.

(26) Cf. Koehler-Baumgartner, *Lexicon in Veteris Testamenti Libros*, Leiden, 1953 ad *byt*. Cf. aussi en Phénicien, CIS, I. 124,1: *ḥkdr bt 'lm qbr*, « chambre de la vie éternelle, tombeau.»

Les deux autres textes que l'auteur cite à l'appui de sa thèse ne nous semblent pas prouver davantage. C'est d'abord un texte provenant de Doura et qui relate

qu'un hatreen a fait une offrande «pour sa vie éternelle» à la divinité Šamš (*'L HYWHY L'LM*). Ce texte est bilingue et le grec traduit cette expression par *sôtêrias*. Ce mot ne signifie pas nécessairement «salut» dans le sens de «vie éternelle» Dans une inscription grecque trouvée à Namara et datant du second siècle de notre ère on lit: *uper sôtêrias kai neikês Loukiou Arêliou Kom(m)odou Kaiseros...*» (cf. Dussaud-Macler, *Voyage archéologique*, p. 149). Il ne s'agit pas là d'une vie éternelle, mais d'un bien concret, la vie terrestre en général. Et c'est également le sens du mot araméen *HYW*. Nombreux sont les textes araméens qui contiennent l'expression *'L HYWHY* (cf. n. 19 de Hatra et dans la Palmyrène, Starcky-Ingholt, n. 7; 8; 43, cf. Ingholt-Starcky, *Recueil des Inscriptions sémitiques de la Palmyrène du Nord-Ouest*, Extrait de D. Schlumberger, *La Palmyrène du Nord-Ouest*, Bibl. Arch. et Hist., t. XLIX, Paris, 1924). Dans ces textes *L'LM* indique toujours une durée indéterminée, «pour toujours» et est généralement employé en relation avec le verbe «se souvenir» (cf. Starcky-Ingholt, n. 2ter, 8 etc.). Le second texte invoqué est le n. 50 de Hatra. Deux fidèles demandent à la triade de se souvenir d'eux *'K' D MŠKN*, «là où est la demeure». *MŠKN* est souvent employé dans les textes phéniciens (cf. CIS, I, 3/3, 8; 46/2; 1206; Tabnit 8) où il a le sens de «tombeau». L'inscription CIS. 46 est intéressant pour le problème qui nous concerne ici. On lit: *mṣbt lmbḥyy yṭn't 'l mškn nḥty l'lm*, «stèle que j'ai érigée durant ma vie sur la «demeure» de mon repos, pour toujours».

(27) Pirenne, *Glecs*, p. 114.

(28) Voir le dictionnaire de *Kazimirsky*.

(29) Cf. Dalman, *Aramäisch-Neuhebräisches Handwörterbuch*, Göttingen, 1938, ad vocem. Le dictionnaire de Yastrow indique que le sens «future world, future» appartient à la littérature homilétique juive.

(30) Le vocabulaire safaïtique possède plusieurs mots pour «tombeau». Voir Littmann, *Syria*, p. X.

(31) Cf. Pirenne, *Religion*, p. 291; 293; 295; 296.

(32) Cf. *The Syrian Goddess, being a translation of Lucian's «De Dea Syria»*, éd. J. Garstang, London, 1913, p. 73.

(33) Pirenne, *Religion*, p. 290.

(34) Cf. Pirenne, *Religion*, planche ad p. 293.

(36) Cf. Dussaud, R., *Les religions des Hittites et des Hourrites, des Phéniciens et des Syriens*, dans *Mana, Introduction à l'Histoire des Religions*, I, Paris, 1945, p. 394.

(36) Pirenne, *Religion*, p. 293.

(37) Commelin, P., *Nouvelle mythologie grecque et romaine*, Paris, (sans date), p. 210.

(38) Cf. *Sumer*, IX (1951), p. 170-184; *Syria*, XXIX (1952), p. 89-118; XXX (1953), p. 234-246.

عليها المؤلف، او في الحذاقة التامة في ضبط المعاني . هذه هي الصفات التي نجدها في النشرة التي نحن في صددها . ولقد قضى الناشر الاشهر الطوال ساهرا منقباً لا تفوته شاردة ولا تثنيه عن عمله صعوبة فاتحفنا بكتاب له من الوجهة التاريخية قيمة لا تقدّر، وزاده بعلمه وسعة اطلاعه قيمة جلى نشكره عليها اذ لم يكن بالسهل دائماً ضبط القراءات فعانى ما عاناه واتى كتابه تحفة علمية صافية بكل ما ذكره في الحواشي من وثائق تزيد تاريخ الهمداني نورًا .

ففي مقدّمة وجيزة الى حدّ الاقتضاب اعطانا الناشر كل ما نحن بحاجة اليه للاطلاع على وصف المخطوطة الخارجي وعلى مصادر التكملة وموارد اخبارها وعلى صاحبها وعلى قيمتها بين الاصول وعلى اساليب التأليف ، وكوّن منها مجموعة معلومات ضرورية ، وافية بالمرام وعلى القارئ ان يعود اليها كلّما اعترضته مشاكل في مطالعة الكتاب .

كان هذا المؤلف ظهر تباعاً في هذه المجلة وكانت المجلات الاوروبية تثني على ناشره وعلى طريقته العلمية في التحقيق وكان المستشرقون يتابعون النشرات تلو النشرات . وقد شملت التكملة من الايام المقتدرية الى البيعة الامامية المستظهرة لله اذ فيها الايضاحات الكافية لما غمض من تاريخ تلك الحقبة من الزمن واذ تكلم مؤرخون كثيرون عن هذه التكملة دون ان يقدم احد على نشرها .

ولقد أدّى الناشر الخدمة الجلّى باهداء هذا السفر النفيس الى العلماء . وانه لقد سهّل عليهم مطالعته بما ضمّنه من فهارس قيمة وعديدة فلن يتذمّر احد من صعوبة كشف ما بين دفتي الكتاب من ثروة اسماء اعلام واسماء اماكن وبلدان، وسنين واشهر وايام ملأى بالحوادث ، ورتب والقاب واعمال وضرائب، واعضاء وامراض وادوية وآلات حربية ، واواني واقمشة والبسة ، وعلم الفلك ، واطعمة واسماء حيوانات وآلات موسيقى واسماء نباتات وعلوم وفنون الى ما هنالك من تفرّعات تحصر مواد الكتاب في صفحات تسهّل على القارئ العودة الى الاساس.

هذا مع العلم ان كلّ هذه التدقيقات تضفي على الكتاب ثوباً جميلاً وحلة تقرّبه الى القارئ . وعناء الناشر لراحة القارئ هي سبب نجاح امنيّة حبيب زيات الذي يكنّ له الاستاذ كنعان الاحترام والمحبة الصافية وتلك الامنية كانت في نشر التكملة في المشرق بصورة علمية لا مأخذ عليها .

ا . ع . خ

الاوضاع التشريعية في الدول العربية ، ماضيها وحاضرها

بقلم المحامي صبحي المحمصاني

دار العلم للملايين – الطبعة الاولى – بيروت ١٩٥٧ ، ٥٠٠ صفحة قطع كبير

ان القانون هو القاعدة التي تنظم علاقات الافراد والمجتمعات مراعية اوضاعهم واحوالهم الاقتصادية ومعتقداتهم الدينية والفلسفية فهي اذن خلاصة عادات ومذاهب وصورة حياة الافراد في المجتمع .

بيد ان مهمة القانون لم تقف عند هذا الحد بل انها تتجاوزه الى توجيه الفرد نحو حياة افضل في مجتمع يرتع بالسلام ويسوده العدل .

ان دراسة الشرائع هي من الامور التي تلقي نوراً ساطعاً على حالة الشعوب وحضاراتها ومستواها الاقتصادي واسباب جمودها وعوامل نهضتها وتقدمها .

فاذا ما شئنا دراسة احوال البلاد العربية ومقياس تطورها فلا يكفي ان نرجع الى تاريخها السياسي وجغرافيتها الطبيعية والاقتصادية بل لا بد من الرجوع الى بحث مختلف العادات والشرائع التي سادت شعوبها ونظمت احوالها منذ العصر الجاهلي الى الفتح الاسلامي ثم الى العهد العثماني ومنه حتى يومنا هذا .

ولدينا مؤلف جمع هذه الشرائع التي سادت البلدان العربية في مختلف عصورها ومراحلها وضعه القانوني الكبير الاستاذ صبحي محمصاني بعنوان :

« الاوضاع التشريعية في الدول العربية »

« ماضيها وحاضرها »

وقد ظهر هذا المؤلف في وقت تسلطت فيه الانوار على الشرق العربي، هذه البقعة الخصبة من المعمور مهد الديانات وملتقى الحضارات الغنية بتراثها الروحي وبثروتها المادية .

لقد استهل المؤلف كتابه بمقدمة اتى فيها على مركز الشرائع في المجتمع ودرجة تأثره به تأثيرها على تطوره ثم استعرض في القسم الاول الاوضاع التشريعية القديمة وهي اوضاع عرفية جاهلية ثم احكام الشريعة الاسلامية وبعدها القوانين العثمانية التي كانت مزيجاً من الشرع الاسلامي ومن القوانين الاوروبية المصرية واخصها قوانين فرنسا .

وفي القسم الثاني تناول الشرائع التي طبقت في لبنان وسورية والاردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن قديماً وحديثاً .

وجال في القسم الثالث والاخير جولات موفقة في كيفية تطور الشرائع والقوانين وتفاعل الماضي والحاضر ومبلغ تأثرها بالبيئة والعادات والدين ثم انتقل الى نواحي التأثير الغربي في التشريع وتطرق في الخاتمة الى بحث نظرية العقد ومصادر الالتزام غير العقدي واثاره وانتقاله وسقوطه .

فيمكننا القول ان مؤلف الاستاذ محمصاني هو عبارة عن دائرة معارف مختصرة للحقوق في بعض البلدان العربية جمعت الى التاريخ والفلسفة القوانين الوضعية النافذة حالياً في تلك البلدان . عمل جبار لا بد ان يكون قد استلزم جهودا ومطالعات لكتب الفقه والتاريخ والادب العربي لا يقدم عليها الا من كان شغوفاً بالعلم تواقاً الى المعرفة – وهذا شأن الاستاذ محمصاني الذي نفض غبار الماضي والنسيان عن عوائد عربية قديمة وارانا اياها بقالب عصري ولغة سهلة صحيحة ولغة واضحة رشيقة .

ان من يتصفح هذا الكتاب النفيس يرى ان المؤلف هو امين على اسلامه ومنفتح على الافكار والنظريات العصرية لانه يفقه حقيقة المبدأ الشرعي القائل : « لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان .

البير فرحات
رئيس محكمة استئناف بيروت

كتاب الوصايا والهبات والارث

بقلم الاستاذ ادمون كسبار

مطبعة الجهاد – بيروت ، ١٩٥٩ – ٤٣٨ صفحة حجم كبير

نشر الاستاذ ادمون كسبار ، نقيب المحامين في بيروت سابقاً ، كتاباً قانونياً قيماً في « الوصايا والهبات والارث » ، والشيء الذي يجمع بين المواضيع الثلاثة هو كونها طرقاً ثلاث لانتقال الاموال الى الغير بدون مقابل .

واذا كانت الهبات تخضع لنظام قانوني موحد لجميع اللبنانيين منصوص عليه في قانون الموجبات والعقود ، فالوصايا والارث هي من المواضيع الشائكة في لبنان نظراً لاختلاف النصوص التي ترعاها باختلاف الطوائف .

والفضل للمؤلف في انه عالج في كتاب واحد هذه النصوص على اختلافها محللًا وشارحاً على ضوء خبرته الواسعة والمراجع الطبية والفقهية والقانونية.

وهكذا بحث في باب الوصايا بوصية كل من المسلم السني والمسلم الشيعي والدرزي وغير المحمديين ورجال الاكليروس .

وكذلك فعل بشأن الارث .

وتجدر الملاحظة ان المؤلف احاط بقانون الارث الجديد لغير المحمديين الصادر بتاريخ ٢٣ حزيران سنة ٩٥٩ الذي يشكل ثورة على القواعد الحنفية التي كانت مرعية منذ زمن بعيد في ارث غير المحمديين .

واهم اوجه هذه الثورة ، المساواة بين الذكر والانثى في استحقاق وتوزيع الارث ، اعتماد حق الخلفية (La représentation) لصالح بعض الورثة ، اعطاء الولد الشرعي ، بشروط معينة ، الحق في ارث من اعترف به ، حتى ولو نافس بذلك ولدًا شرعياً .

المحامي فيليب خيرالله

Bichara Tabbah — *Droit politique et humanisme.* Librairie Pichon et Durand Auzias — Paris 1955, 329 pp.

ان الفكرة المحورية التي يقوم عليها كتاب المؤلف في الحق السياسي والانسانية تهدف من جهة الى المدافعة عن هذا الحق تجاه النظريات والتصرفات التي تجعله عادة في خدمة المصالح ، ومن جهة اخرى الى ربطه بحق الانسان الطبيعي وما يفرضه من التزامات وجب احترامها والعمل بموجبها . ان الحق السياسي الذي لا يرتكز على الحق الطبيعي، اي على ما تقتضيه الطبيعة الانسانية في حياتها الشخصية والاجتماعية لتكتمل ، ان مثل هذا الحق لا يستحق ان تنسب اليه « الانسانية » لانه يعمل ضدها . وعلى هذا الاساس ، يرى الاستاذ طباع بان الشيوعية والوجودية مثلًا ، من وراء مفهومها المغلوط او الناقص للطبيعة الانسانية وبالتالي للحق الطبيعي ، هما بعكس ما تزعمان لنفسها من انسانية ، اما لانها لا تحترمان الشخص وحريته وحقوقه الاولية، واما لانها تتركان الانسان امام ذاته دون ما يعتمد عليه .

وينطلق المؤلف من المبادئ الاساسية التي يتكون منها الحق الطبيعي ،

فيعالج على نورها علاقة المجتمع باعضائه ومنزلة الخير العام من خير الافراد منتهياً الى علاقة الدول فيا بينها والى مشكلة السلام .

فالكتاب كما لا يخفى ، جامع لشتى القضايا التي تهم الانسان المعاصر ، غني بالكثير مما يوجد في التاريخ وله علاقة بهذه القضايا ، فجمع ما جاء عند الاغريق واليهود والمسيحيين والمسلمين مثلاً حول القضايا المعنية .

ومما يجدر بالذكر هو ان المؤلف استطاع ان يجمع في كتابه صفات رجل القانون والفكر فاستفاد المؤلف ، من القانوني ، ميزة العملية والوضوح ، ومن المفكر ، الرد بالامور الى اسبابها البعيدة. وقد ظهر فيه الطابع التدريسي جلياً ، ان يبدأ المؤلف بتحديد قضية يعمل فيا بعد على اثباتها ، فكان ان جاء تكوين الكتاب سهل المرام . ولا نغالي كثيراً اذا قلنا ان المؤلف قد صنف فهرست للقضايا التي عالج ، جاءت فيها استشهادات كثيرة ، اضفت على الكتاب حلة ثرية تساعد القارئ في سبر غور القضايا التي تطرق اليها المؤلف .

ومن مدح المؤلف مدح النزاهة في التنقيب والصراحة في المجادلة والامانة في اعلان فكرة الخصم فيأتي الكتاب مريحاً للخاطر ، مقنعاً للعقل صادقاً . هي صفات قلّ ما نجدها في كتاب حيث الاخلاق تتكاتف مع العلم لخدمة القارئ.

ح . م

الفيلسوف

بقلم محمد السباعي ويوسف السباعي — مقدمة : طه حسين

الناشر : الشركة العربية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٥٧ ، ٤١٢ صفحة حجم وسط

انقطع الفيلسوف حسن افندي حتى الثلاثين من عمره الى الفلسفة ، فجمع المجلدات الضخمة وقرأ اكبر فلاسفة العالم ولكنه توقف خاصة عند «شوبنهور» فانتقد « ارادته العمياء الصماء » . وكانت الفلسفة همّه الوحيد الأوحد . وكان ايمانه بها قوياً ؛ فهو يندب قلة الفلاسفة في عصرنا وينتقد الطلاب الجامعيين المتخرجين من اشهر جامعات العالم الاوروبية والذين خرجوا منها كما دخلوا غير انهم ازدادوا كبرياء وصلفاً وقلة حياء . برعوا في كل شيء وخاصة في الفنون الخلاعية ما عدا الفلسفة فطلقوها وطلقتهم وبقوا منها براء . اما هو

ـه عـكس فقد ولدت معه الملكة الفلسفية ولم تتركه فانقطع عن كل شيء، عن الجاه والمال والغنى والاملاك الا عن الفلسفة .

احب الناس جميعاً الصالحين منهم والمجرمين لان الانسان في جوهره صالح، وان كان هناك مجرمون . فلأن ظروف الحياة قست عليهم وجعلتهم كذلك، فأدت بهم الى الجرائم . ولو وجدنا نحن في ظروفهم لربما كنا شراً منهم .

مات عم الفيلسوف وترك له بعض الثروة فاراد ان يستبدل منزله الحقير الوضيع ببيت آخر يليق به . بعد التفتيش وقع خادمه « عم محمد الطيب » على بيت محتشم في احدى شوارع القاهرة الآهلة . فانتقل الفيلسوف وخادمه اليه وقرر ان يكتب هناك « تاريخ الفلسفة الحديثة » .

هناك تعرف حسن افندي الى احدى فتيات الحيّ — واسمها ليلى — فسلبت عقله وذهبت بملكته الفلسفيّة وخلبته لاول نظرة — دون كلام — فصرعته معدوم الارادة والحكم والجرأة والشجاعة . فاعتبر حياته قبل ذلك كلا شيء.. هو يحب الفتاة وهي تحبه ايضاً. فاق مجنون ليلى في الجنون فأصبح شغله الشاغل مراقبتها فيسير امامها وورائها وبجانبها الى المدرسة يرافقها حتى محطة الترام .. فتذهب وتعود وهو كما هو لا يحادثها ولا يكلمها بل بالعكس يحاول ان يمتنع من النظر اليها. بقي على ذلك مدة طويلة حتى طلب اخيراً من خادمه التوسط بينه وبينها . فرفض هذا واصر في الرفض كلما ألحّ معلمه في الطلب .

يئس الفيلسوف من حياته واراد الانتحار في النيل . ولكنه وهو على ضفاف النهر اذ انجلت له الطبيعة بابهى مظاهرها وسحر جمالها فكشف له سر الوجود . « امتزجت روحه بالطبيعة فصار جزءاً منها » (ص ٣٣٦) « احست وانا في احضان الطبيعة من النشاط والخفة ما لم أحسه قط من قبل» (ص٣٣٨). امتزاج بالعناصر الطبيعية — الحلال فيها ، هلاك ، صيرورته جزءاً منها .. ينقلب الى الينبوع الذي انبثق من معينه قبل خروجه الى الدار الفانية هدف المصائب والمضار وشرك الردى وقرارة الاكدار » (ص ٣٤٨) « بالموت يندمج الانسان بالطبيعة ويصبح قطعة منها بل يصبح هو نفسه الطبيعة واذ ذاك يعيش عيشة اسنى واسمى . . .

راجع خاصة (ص ٣٤٧–٣٥١) حيث يتكلم « حرفياً » عن الروح الكلي،

الروح الشامل ... وكلّ ما عوّدنا عليه نعيمه في كتبه .

عاد الفيلسوف دون ان يلقي بنفسه في النيل وعاد خادمه فتوسط بينه وبين محبوبته فجمع بينهما ...

ففي سرد الحوادث اسلوب شيّق ووحدة موضوع وثروة المفردات التي تبهر . كان على المؤلف ان يصغي قليلاً في تطوير القصة الى السكوت الداخلي الذي يتصاعد من قلب اشكلت عليه الدنيا ليفهم حسن الفهم مصيره الحقيقي.

نجيب حلو

محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي

بقلم الدكتور محمد اسعد طلس

معهد الدراسات العربية العالية – مطبعة الرسالة – مصر ، ١٩٥٨ – ٨٥ صفحة

يتتبع المؤلف مراحل حياة الشيخ المجدد فتظهر لنا شخصية فذة بذكائها ووضوح اعمالها . فلقد فاق باكرًا لما يتطلبه منه بناء وطن ، فاستعمل ذكاءه في خدمة الصحافة اولاً وبعد ذلك بالقاء نظرة الفيلسوف الاجتماعي، فنظرة الشارع الكاتب. فاتسعت ثقافته ونال بمعرفته اللغات كل ما تقدّمه له الثقافات الغربية فنهل منها واستفاد وزادت ثروته رونقاً .

رائد المؤلف في هذه المحاضرات ان يعطي لشبيبة اليوم مثل "الشجاعة السياسية" ، مثل الاستقامة والخدمة والجلد عاشه رجال كالمغربي وقد خلقوا في الجيل التاسع عشر تيار تجديد اعاد الى البلاد العربية تحسس وجودها وكيانها الذاتي .

ا. ع. خ

رفات اجنحة

بقلم ايلي موشي

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ، ١٩٥٨ – ١٢٦ صفحة

الاسلوب هو الرجل . ففي هذه الرفات يعطي المؤلف صورة صادقة عن نفسه : وضوح ، لباقة ، دقة في النظر والتصوير ، احترام كلي امام الخليقة والكون . كل هذه الصفات وغيرها نجدها في هذا الكتاب تجعلنا نتابع السير

في قراءته من الدفء الى الدقة دون عناء فيحملنـا المؤلف الى اجواء حلم ، الى اجواء غير زمنية . وهذا ما يجعلنا نقرّ بان الرجل الذي خطت يراعه هذه الصفات لغنيّ بثروة روحية يعرضها علينا وفيها اختبار شخصي وكأنه يستحي من اعطائها لنا .

نتمنّى على الكاتب الصديق ان يتابع سيره في حقل رسخت فيه قدماه وان يتحفنا بما في القلب والعاطفة والعقل من شواعر وتفكير .

ا . ع . خ

ديوان ابي نواس الحسن ابن هانئ الحكمي

بتحقيق ايفالد فاغنر — الجزء الاول

القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م - ٣٦٣ صفحة حجم كبير

ديوان ابي نواس كان يتطلب نشرة علمية . فها هي يتحفنا بها المستشرق فاغنر .

في الديوان صورة صادقة لحياة الشاعر : اطباعه ، اشغاله ، اعداؤه ، ندماؤه ، افراحه واحزانه . لقد ضمّن ابو نواس شعره الشيء العظيم من نفسه في تقلّباتها المتعدّدة . ولذا فالفضل في هذه النشرة يعود الى الدكتور شاده الذي جمع الوثائق كلها . لكن الفضل الكبير يعود الى الدكتور فاغنر الذي قابل المخطوطات واختار القراءة الحسنة وقد ضمّن كتابه هذا العدد الكبير من الحواشي واحتفظ بتفسير الاصبهاني . كل هذه الصفات تزاد تلك التي لا يستهان بها : وهي ان الدكتور فاغنر تحمل مشقات البتّ بين القصائد الاصيلة وغيرها المحرفة اذ ان ابا نواس لم يكن قد جمع ديوانه .

لا نجد في هذا المجلد الاول سوى الاجزاء الخمسة الاولى من تفسير الاصبهاني والطريقة التي اتبعها الناشر توضح تماماً موقف المؤلف بوضوحها وجلائها . انما كنا نودّ ان نجد بين الحواشي ايضاحات لغوية وشروحاً ضرورية . فكان الناشر بعمله هذا قد ادّى خدمة للمستشرقين ولكل من سيستعملون هذه النشره كاساس لدروس عتيدة متفحّصين ما احدثه ابو نواس في الشعر ومنوّهين الى الاساليب الجديدة التي اخترعتها مدرسة التجديد هذه . اننا لفي انتظار المجلد الثاني .

ا . ع . خ

النسب وآثاره

بقلم الدكتور محمد يوسف موسى

معهد الدراسات العربية العالية ، المطبعة العالمية ، مصر ١٩٥٨ ، ١٦٥ صفحة

في هذه المحاضرات ، يعطينا المؤلف بصورة مقتضبـة ، موجز ما القاه من محاضرات عن مشكلة عزيزة في الفقة الاسلامي : الا وهي النسب .

فيدرس المؤلف المواضيع المختلفة التي لها علاقة بالموضوع. وكان لنا هكذا ما يقرّه الاسلام في امر الرضاعة والولاية والنفقات ولقد زاد المؤلف نظرة الى الشارع على هذه الامور الاولية . وتُفتح امامنا افاق واسعة عن المدارس الفقهية العديدة . ا. ع. خ

محاضرات عن الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الاسلامي الحديث

بقلم الدكتور جمال الدين الشيّال

الجزء الاول : الهند والجزيرة العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، مطبعة نهضة مصر ، ١٩٥٧ ، ٩٠ صفحة

لا ينفكّ يتجدد فينا التوق الى التعرّف الى وجود التدخّـل الاداري في الدين . فكل رئيس دولة انتصر وحكم باسمه يشعر بنزعة قوية الى ان يجمع في نفسـه الصلاحيات المدنية والدينية كرئيس اعلى يسيطر على كل شيء . ففي معتقده انه هكذا يوّحد وهو في الواقع يفرّق . فهو لاهوتي خفيف الثقافة وان لم يكن قليل الايمان، فانه بصورة اعتباطية يفتش عن تغير عقيدة وعن تبديلها . وهذا ما يهدينا اليه المؤلف في هذه المحاضرات عن الحركات الاصلاحية في الشرق الاسلامي الحديث .

الايجاز ، دقة ، صفتان تميّزان هذه المحاضرات . فالمؤلف يصف لنا ما اعترى الهند والجزيرة العربية من هزّات عميقة عندما ظهر اولئك المجدّدون الـذين خلطوا في معتقدهم القرآن وما اخذوه بغزارة من الفرق والملل الهندية وما ذلك المزيج الّا اهانة للاسلام وللهند . ولكنه ضمّ بعض الخلفاء والتابعين .

تقرأ هذه المحاضرات بشغف . ا. ع. خ

محاضرات عن مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية

بقلم الدكتور فاضل حسين

معهد الدراسات العربية العالية – مطبعة نهضة مصر ، ١٩٥٨ – ٧١ صفحة

ان ما توصل اليه المؤلف من نتائج مدعومة ببراهين في درسه هذا ليقنع القارئ . ان مؤتمر لوزان كان النقطة النهائية للمسألة الشرقية وللامتيازات. وفي هاتين النقطتين تحرّر الشرق من تدخل الغرب السياسي المباشر . وانا لنشعر بحرارة ايمان المؤلف وبفرحه عند وصوله الى النتائج المذكورة . ولكن هذا الفرح يظل نسبياً، كما يقول . اذ المعاهدة شيء وتطبيقها في حذافيرها شيء آخر .

اما الوثائق العديدة التي يذكرها المؤلف تبرهن عن صدق نية الشرق والغرب في تطبيق المعاهدة المذكورة . ا. ع. خ

S. de Dietrich. *Hommes libres.* — Ed. Delachaux et Niestlé. — Neuchâtel 1957 — 122 pp.

اتصف المؤلف بروحه المسيحية الصحيحة وبتطبيقها في تفهم الكتاب المقدس . ففي كتابه هذا الذي نحن بصدده يحاول تحديد الحرية وتطور مفهومها عند الشعوب القديمة الى ان توصّل الى الكتب المقدّسة وقام بدراسة ضافية عن المحررين الكبار الذين عند اسرائيل، اولئك الذين جدّدوا وساروا بشعبهم الى المسيح المحرّر الوحيد الحقيقي . فدرس وجه نوح وابراهيم خاصة. ووجه المسيح الذي خلصنا من الخطيئة وهو التحرير الذي يعتق من الدنيا ليملئ من الله . اذ النفس تظل تحت ربقة العبودية ما لم تستسلم لله .

نجد في شرح وتعليقات المؤلف الكثير من الاراء والافكار المفيدة ونتمنى عليه ان يتحفنا بغير هذا من الكتب . ا. ع. خ

Charles Brütsch. *L'Apocalypse.* — Ed. Delachaux et Niestlé. — Neuchâtel. 1957 — 92 pp.

كلما ضيقت الاضطهادات على الكنيسة حياة الدنيا فانها تعود لترى وجه ذلك المنتصر الذي وعدها بالانتصار والذي هو المنتصر على الموت والخطيئة ، اساس حياتها الباطنية .

اجتهد العدد الكبير من المفسّرين لالقاء نظرة صافية على رؤيا يوحنا هذه وتضاربت الآراء في التفسير فنهم من رأى فيها تصويراً دقيقاً للازمنة الاخيرة ومنهم من وجد فيها تلك الحضرة الالهية في تقلّب الايام وصعوباتها . ولذا فان تفسير المؤلف يدخل بين كل هذه الكتب ويعطينا عجالة عمّا قيل . وينتهي هو الى القول بان الرؤيا ليوحنا وبانها رمز للشجاعة المسيحية بين اضطراب الزمن وتأرجح الاحداث .

ا. ع. خ

FRANK MICHAELI, *Le Livre de la Genèse, ch. 1 à 11.* — Ed. Delachaux et Niestlé — Neuchâtel, 1957 — 108 pp.

دخلت كلمة الله في التاريخ وعبثاً يحاول المفسّر ان يفصلها عن جوّها فهي وان كانت كلمة الله ولها القيمة المطلقة فلقد لفظها الله بنبيّه في التاريخ والزمن وعلى المفسّر ان يعيدها لجوّها الاصيل ويستخلص، بعد ان يشرحها ، معناها الديني واللاهوتي . فكلمة الله حياة وهي تلك الحياة التي على الانسان ان يستقيها من ينبوعها .

ان مؤلف هذا الكتيب قد ضمّنه عصارة روح وصدق تفسير مع الدقة المتوخاة في تفسير الكتاب . وإنه في شرح الاحد عشر فصلاً من سفر التكوين قد برهن على سعة علم وآفاق منفلتة . ولقد عاد الى التاريخ والى العلم والى تطوّر المفاهيم الكتابية المديدة فتوصّل الى تصوير افكار الكاتب بما فيها من الروح الدينية والمعنى الروحي وان كانت في شكلها ومبناها تشبه الامثال الوثنية . فالجوّ الذي اليه نُقلت بدّلها واعطاها معنى لم يكن لها من قبل . هذا هو المبدأ الذي عليه يرتكز المؤلف في تفسير الفصول المذكورة من سفر التكوين وهو المبدأ الوحيد الذي يصلح في مثل هذا المقام كي لا يضلّ القارئ سواء السبيل.

ولم يخف المؤلف من مجادلة بعض الآراء التي قيلت قبله، وحسبنا ، فلقد نجح غالباً في ابداء رأيه الخاصّ ودحض ما سبق .

ا. ع. خ

OSCAR CULLMANN ; *Catholiques et Protestants* — Un projet de solidarité chrétienne — Bibl. théologique Delachaux et Niestlé — p. 1958, 70 pp.

ليست حسنة الكتاب الوحيدة ان يتعرّض المؤلف بنزاهة ووضوح لمشكل المقابلة بين المؤمنين الكاثوليك والبروتستنت . فانه يحلّل نفسانية الفئتين دون

اجحاف لجماعة الذين ليسوا من طرفه . ونشعر بألم المؤلف امام هذا الانفصال والتفرقة بين إخوة ما زالت تتحجّر يوماً بعد يوم .

وما ارتآه من مساعدات يؤديها البروتستنت للكاثوليك وهؤلاء لأولئك ، مع إنه ليس الطريقة الوحيدة لتسهيل هذه المقابلة بين الفئتين ، فانها لتساعد على ملاشاة الاحكام الجائرة التي يغذّيها اخوة ضدّ بعضهم وعلى خلق الجوّ الملائم للصلاة التي وحدها تستطيع ان تنال من الله ان تتمّ ارادة المسيح : ليكونوا واحداً .

ا . ع . خ

Karl Barth: *La preuve de l'existence de Dieu* — Bibl. théologique. Delachaux et Niestlé, 1958-157 pp.

قام المؤلف بدرسه هذا وفي القلب شغف بشكل لم تتوقف عن خوضه اقلام الكتاب منذ ان اعطى أنسلم برهانه عن وجود الله . فان هذا البرهان قد اعتبره الكثيرون خارجاً عن جادّة الحقّ . ولذا فاتى المؤلف يدافع عنه ويذود عن صاحبه . فيفنّد من حمل عليه وبينهم جونيلو وتوما الاكويني نفسه . وفي رأي المؤلف انها لم يفها فكرة انسلم ولا الحيثيات التي حملته على ابداء رأي كهذا . ولقد زادنا المؤلف ايضاحاً فاتى على مناهضة من سيقولون انه وجد في فكرة انسلم رأياً شخصياً . ولكن بارت يعطي البرهان الأنسلمي حقه اذ ردّه الى الجوّ الذي فيه قاله صاحبه ، وذلك الجوّ هو جوّ الايمان الصرف . اذ ان العقل لا يستطيع ان يوضح برهاناً كهذا . وفي مساندة رأيه يأتينا المؤلف بنصوص ووثائق توضح فكرته وتحمل على التيقّن منها . ولقد صرف بارت المشقة الكبيرة في التفتيش عن هذه المآخذ وكلها توطّد دعائم رأيه فصرف في التنقيب صبراً عظيماً ، صبر العالم اللاهوتي الذي لا يفتأ يعيش في الدفاع عن اشكالية هي من صلب حياته .

ولكن اذا كان لنا ان نجادل المؤلف في تفسيره فكرة انسلم نقول مع الكنيسة الكاثوليكية ان باستطاعة العقل البشري ان يصل الى الله وان يؤكد ذلك الوجود بالبراهين ، والايمان يفتح الآفاق ويوطّد دعائم ما وجده العقل بقواه الذاتية . فالعقل يوجه ، يصوب النظر على الله . انما في الوقت الحاضر الذي نعيش فيه وتعيش فيه الطبيعة البشرية فان الصعوبات التي تعتري الانسان في

التفتيش عن الله عديدة والايمان وحده حجة لمعرفة لا تتبدل ولا تتزحزح .

ا. ع. خ

Norbert Hugedé : *La Métaphore du miroir dans les Epitres de saint Paul aux Corinthiens.* — Bibl. théologique Delachaux et Niestlé. 1957., 190 pp.

اجتهد المؤلف ، ونجح في مسعاه ، بان يبيّن فكرة بولس الرسول عندما استعمل صورة المرآة للتعبير عن صلات الانسان بالله في هذه الحياة فانه لن يصل هنا الى مرأى الله مباشرة . فمعرفة الله معرفة غير مباشرة وتظل غير كاملة الى ان يصل الانسان الى الخلاص فعند ذلك يرى الله بدون وسيط ، وجهاً لوجه هذا هو الخلاص وهذا هو الرجاء الذي يحمله بولس لبني الانسان .

ولكنّ هذه الافكار عبّر عنها الرسول بكلام رآه البعض كلاماً انتحله عن الفلسفة اليونانية وغيرهم سمع من خلاله صدى صوت الله للانبياء . ونحن عند هذا الرأي الاخير مع المؤلف . فبولس ليس بفيلسوف وليس بلاهوتي . هو نبي يحمل الى العالم بشارة الخلاص . فلا يترك العنان لعقله كي يجمع المنطق يبلور وحدة بين آراء ويعرضها كفلسفة كاملة ، انما بولس رجل الله يعرض علينا اسرار الله ويسلّمنا ما استلمه هو من الله . لا يستعمل طرق الحكمة البشرية والمنطق البشري ولكنه يختبئ وراء البشارة الالهية . يعرض فكرته لا كفكرة شخصية ولكن كفكرة المسيح بالذات. وهذا ما يعطي كلامه قوّة وسلطاناً.

واذا اردنا ان نذكر ما اخذه عن الفلسفة اليونانية فلا اكثر من تعابير ملأها فكرة دينية لم تكن قد اعتادت عليها وهذا ما يجعلنا نفتّش عن اسباب تأثرات بولس في العهد القديم الذي منه استقى وعلى نهجه ترّبى .

ولذا فاننا نغبط المؤلف على ما اتحفنا به : فكرته لا تطبّق على بولس فحسب ولكن على الانجيليين الاربعة وعلى مؤلفي الرسائل. ا. ع. خ

Ed. Thurneysen: *Doctrine de la cure d'âme.* — Bibl. Théologique — Delachaux et Niestlé. 1957. - 256 pp.

حسناً صنع المؤلف في كلامه على ترويض النفس فاتى على ذكر كلام الله . انما يلحّ كثيراً على الخطيئة التي تفصلنا عن الله وعلى الغفران الذي ليس بغفران صحيح اذ ان الخطيئة تظلّ . ولذا فان المؤلف يتأرجح من اول

كتابه الى آخره بين موقفين : نعمة لله الكريمة والخطيئة التي هي خيانة الانسان . وبعد ذلك فان المؤلف بعد ان يدرس اسس ترويض النفس وكثبة ذلك الترويض، والتمارين الضرورية لحفظه ولنموه بعد ان يلح على دور الكنيسة (التي يعتبرها جماعة القديسين) يحمل على المؤلفين الذين ليسوا على رأيه : فانه يقول ويردد انّ ترويض النفس نتيجة النعمة فيتناول الانسان : وما دور الانسان نفسه فيه اذ انه يرفض ان يكون لنفسانية الانسان دوراً ان في سماع كلام الله او في تحقيقه في الحياة. ويصل هكذا الى النيل من قيمة القديس اغناطيوس مع انه يمدح كتابه : التمارين الروحية ، الا انه يعيب عليه فكرته البشرية في الروحيات ويؤكد ان اغناطيوس تجاهل النعمة والكنيسة والله : والحالة هذه فعلى أيّ امر اذاً تكلّم اغناطيوس. فكتاب اغناطيوس ماؤه الكلام عن النعمة والكنيسة والله ، وهو مؤسس بديهيًا على الله . وجه المسيح يحتلّ فيه الصدارة والانجيل يصحب المريد طوال ثلاثة «اسابيع» من الرياضة . وفي هذا الكتاب ثروة وثروة روحية خاصة . وعلى القارئ ان يستثمرها . ا. ع. خ

Jean Cadier : *Calvin.* — Coll . Labor et Fides 1958 — 185 pp.

يد حاذق عالم رسمت صورة كلفن وأعادت لذلك الوجه القاسي ملامح لطف وعطف . فيه تتجلى قوة الله الذي ظفر به .

يدقق المؤلف في حياة ذلك الجندي المضطربة . ولكن ليس لنا ان نفتّش في هذه الفصول عن حياة منسقة فان المؤلف اراد ان يذكر بعض الاحداث وسنيها لان فيها رمزًا وحيوية . ولذا فان القارئ ليعبر الى القسم الثاني من المؤلف حيث تُدرس نفسانية كلفن الدينية والاجتماعية ، تلك النفسانية التي منها تتغذى الى يومنا القائم الثورة الدينية التي اتسمت باسمه . ونقرّ بان الفصل الذي يدرس فيه المؤلف تقوى كلفن لهو الاحسن بين فصول هذا الكتاب واننا لنسرّ عندما نستخلص من اضطرابات العصر والزمن والحياة الفردية والعامة خطوط تنير وجهاً كانت الاحداث قد اسدلت عليه ستار المعركة القاسية.

كتاب يُقرأ بسهولة وشغف مع ما علينا ان نضع في التفكير من فروق بين ما يقوله كلفن وما تقوله الفلسفة المسيحية في الحرية والنعمة والخلاص .

ا. ع. خ

Karl Barth: *l'humanité de Dieu* — Labor et Fides, Genève, 1956, 56 pp.

افكار صائبة عن انسانية الله يبديها اللاهوتي الكبير كارل بارت . ومنها يتوصل الى افكار تتعلق بكلمة الله والكنيسة وصلات الانسان بالله . وفي هذا كله يقرّ المؤلف بانه يصلح بعض ما قاله في الماضي عن هذه المواضيع كلها.

فان طبيعة الله الانسانية تدخل في الالوهية ، وتصير واجبة الوجود لله . وكلمة الله بشارة هي . واللاهوت لا يستند الى التشابه الايماني يصير الطريق الحقيقي الثابت لفهم بعض الشيء من الله . والكنيسة تصير في عرف المؤلف تلك الجماعة التي تشهد في الدنيا لنعمة الله التي ظهرت بالمسيح . في كل هذا حقيقة غير كاملة . نعم الكنيسة هي التي تشهد في العالم لنعمة الله . ولكنها ايضاً جسد المسيح وتؤلف معه وحدة ووحدة لا تنفصم . واللاهوت هو الطريق الذي يساعدنا على التفكير المنطقي بالله وباسرار الحياة الالهية ، له قيمة علمية صادقة وله طريقته الخاصة . اما كلمة الله ليست بشارة ووعظاً فحسب ، بل هي حياة الله ، حياة النفوس ، تحكم عقلنا وتوجه حياتنا . ولذا فلا يصح ان نهمل هيئة الكلمة العقلية المنطقية : اذ في هذا الاهمال خسارة حيوية الايمان وقوته التفكيرية والعقائدية . انما في هذا يتبع بارت فكرة كالفن الاصلية .

وعندما يقول المؤلف ان الطبيعة البشرية في الله هي داخلية بالنسبة للالوهية الا يضع في الله ضرورة لا تقبلها العقيدة الكاثوليكية . ان الالوهية او بالحري ان الله – الكلمة اراد بحرية مطلقة الاتحاد بالبشرية ليخلصها . وارادته تلك لم تكن مجبرة البتة . انما رأى في ازليته ان الانسان قد يخطأ فأراد ان يخلصه ويعيد المكالمة معه ، تلك المكالمة التي هي نتيجة النعمة والتي كان الانسان قد ابطلها . وفي هذا الكتاب يعيد بارت الكرة مرات في كلامه على صلات الله بالبشرية . لا نستطيع ان نقول هذا فان الصلات تصعد الى الله ولا العكس . وفي هذا القول طريقة بشرية تطبقها على الله وعلينا ان نطهر تفكيرنا فنتجنبه عند كلامنا على الله .

ا. ع. خ

K. Barth: *Commentaire de l'Epitre aux Philippiens.* — Ed. Labor et Fides — Genève, s. d.

دقة المفسر الكتابي ، اتزان اللاهوتي ، وضوح العبارة ، كلها صفات نجدها

في تفسير كارل بارت لرسالة بولس الى اهل فيلبي . التجأ المؤلف الى الذهني الفم كرائده في هذا الكتاب . ونرى من خلال هذه السطور روحاً نيّرة ملؤها الحياة، وخاصة في المواضيع تلك التي فيها يتكلم الرسول عن انكسار المسيح وهبوطه . لم يبالغ المؤلف ولكنه بدا لنا حصيفاً وبعيداً عن التهيّج في الافكار .

ا. ع. خ

K. Barth: *petit commentaire de l'Epitre aux Romains* — Ed. Labor et Fides — 1956 — 170 pp.

يعطينا المؤلف هنا ملخصاً للتفسير الواسع الذي كتبه في رسالة بولس الى الرومانيين . وهذه الرسالة هي المؤلف البولسي الذي نشر بين طياته بتركيب متقن وبتسلسل واضح والذي يحتوي على قانون الايمان بصورة تدريسية ثابتة . ولقد اراد المؤلف خاصة استخراج فكرة بولس عن التحرير الروحي بواسطة المسيح يسوع ؟ فلمن يتعلق بالمسيح لا دينونة ولكن الحياة . وفي هذا تكملة لفكرة الانجيل البشارة الوحيدة الصادقة وفيها موت الانسان وتبريره ، مصالحته مع الله وتقديسه .

اخذ المؤلف يتتبع خطوة خطوة فكرة بولس في تفسير دقيق وتوصل بهذا الى ان يدخلنا في الآفاق البولسية ورائده لا الدقة فقط في التأويل ولكن ان يدخلنا في تلك الروح التي تنبض من خلال الكلمات والتي توصلنا توّاً بالروح القدس .

ا. ع. خ

Pierre Maury : *La Prédestination.* — Labor et Fides, Genève,— 1957 - 62 pp.

لا شك في ان المؤلف اراد في درسه هذا المشكل العويص الذي تضاربت في فهمه الآراء ان يُلقي عليه نوراً جديداً .

تضاربت الآراء في فهم هذا المشكل وتاريخ العقيدة يبيّن لنا جلياً كم من الغلط ارتُكب في ما يتعلق به . فالبعض احبوا ان يوحّدوا بين عمل الله وعمل الانسان فصار الله في مساندة الانسان في حياته واعماله ذلك الذي يضايقه ويستولي على حريته في تطوّرها الزمني . والبعض الآخر يتأرجح دوماً بين الايجاب والسلب ولا قرار لهم . والمؤلف يستند الى الكتاب المقدس ويوصلنا

الى القمم العالية، الى المحبة وعطف الله والآخرة المتممة التي فيها نستطيع ان نتكلم على اختيار الله لخليقته. ولقد جرّب في تجديد التفكير في النقط الصعبة التي اثارت في كلفن الاضطراب والجزع وسار بين طيات العهد القديم والعهد الجديد ووضع صلة وثيقة بين اختيار الافراد والمسيح الاله. ففي المسيح الاله قد اختارنا الآب وبالنسبة اليه فقط سيدينا في الآخرة.

تجاه هذا التفكير نرى اهمية دور الكنيسة حيث النعمة وحيث المقابلة مع المسيح. فبواسطتها يصير اختيار الافراد اذ فيها وحدها يظهر المسيح.

اختيار الله حرّ. لان مصدره المحبة. وعلى الانسان ان يستقي من هذه المحبة كي لا يموت جزعاً وخوفاً.

يحارب المؤلف عقيدة الاستحقاق. فليست العقيدة الكاثوليكية كما يعتقد. فالاستحقاق في العقيدة هذه داخل النعمة، داخل الحياة الالهية التي تسري في اعضاء الانسان وليس ابداً مستقلاً عنها.

ان هذا المؤلف لجدير بان يُقرأ وبأن يُعطي القارئ التوق الى الاستفادة منه.

ا. ع. خ

Second supplementary Catalogue of arabic printed Book in the British Museum — Compiled by Alexander s. Fulton, *D. Litt.* and Martin Lings, Ph. D. — London : Published by the Trustees of the British Museum, 1959. — 1131 pp. in 8°.

في عصرنا القائم توق الى المعرفة وعجلة في التنقيب كأن روح العلم دخلت دور الاكتشافات والبحث حاملة العلماء والمنقبين على النشر. ولكن تلك العجلة تتطلب تسهيلات منها هذه اللوائح التي تعرض كل ما تحتوي مكتبة ما من كتب ومخطوطات فيرتاح المنقب الى هذا ويستطيع ان يوجه درسه التوجيه الذي يرتضي.

وهذه اللوائح التي يُتحفنا بها البريتش موزيوم في طبعة ملؤها الذوق والاتقان وهي تابعة للوائح سابقة تحمل الينا اولاً اسماء مؤلفي الكتب المطبوعة المحفوظة فيه وثانياً اسماء الكتب حسب حروف المعجم. وثالثاً اسماء الكتب تلك حسب المواضيع المطروقة. ولذا فان هذه اللوائح التي تتبع في القسم الاول اسم المؤلف فاسم الكتاب فسنة طبعه فعدد صفحاته فحجمه، لتهدي المنقب الى

نتائج خيّرة في دروسه . وقد قارب عدد الكتب الخمسة آلاف وكلّها من المخطوطات المطبوعة او من الدروس القيّمة التي فصّلها ناشر هذه اللوائح واحد وسبعين فصلًا يلجأ اليها الدارس بسهولة .

ولذا فاننا نُثني الثناء كله على الناشرين للخدمة الجلّى التي يقدّمانها لرواد العلم .

ا. ع. خ

Ibn Khaldun: *Os Prolegómenos ou Filosofia Social.* — Tradução integral e direta do arabe de José Khoury, membro de Instituto Brasileiro de filosofia e Angelise Biernenbach Khoury : São Paulo — Tomo primeiro, 1958, 568 pp. Tomo segundo, 1959, 443 pp.

بعد ترجمة مقدّمة ابن خلدون باشراف ورنزتال المستشرق المعروف ، ها ترجمة اخرى باللغة البرتغالية انصاع المترجم لالحاحات السلطات فنشرها دون تردّد وفي هذه النشرة خدمة للعلم ومفتاح امين لمعرفة فلسفة ابن خلدون التاريخية والاجتماعية في تلك البلاد الشاسعة التي أراد المترجم ان يعرّفها بفكرة ناضجة ، لم تُسبق الى الآن في هذا الميدان . فأتت ترجمته وافية كاملة .

ليس لنا في هذا المقام ان نقول ما للمقدمة من فضل وقيمة . وقد قيل ما يجب ان يقال في هذا المضار وقد نوّهنا عن هذا كله في كتابنا شفاء السائل لتهذيب المسائل ، انما علينا ان ننبه القارئ الى الثروة التي ضمّنها المترجم نشرته : فمن لغة صافية، الى وثائق اتت في الحواشي الى ثبت لبعض الاصطلاحات الى ما هناك ممّا يُشيع النشرة روحاً علمية وامانة في التأويل .

وانّا لنشكر للمترجم خدمته هذه . وفقه الله الى متابعة السير لخير العلم في بلاد هي متفتحة دوماً على كل مصدر ثقافي وعلمي .

ا. ع. خ.

Le Coran. — Traduit de l'arabe par Régis Blachère, avec Notes, Glossaire et Index. — Ed. Besson et Chantemerle. Paris, 1957.

لم يكن لترجمات القرآن التي ظهرت الى الآن الحظّ الذي ناله ترجمة الاستاذ بلاشر . فانه ، قبل ان يباشر بالترجمة، جرّب ان يخلق ذلك الجوّ الجغرافي ، جو البيئة ، والجوّ التاريخي والنفساني والديني الذي عاش فيه محمّد . وزاد على كل ذلك درس الجوّ اللغوي . فاعطانا مقدمة طويلة فيها المعلومات الضافية التي تساعد على فهم كتاب المسلمين الديني . وما صنعه هكذا الاستاذ بلاشر كان

ضروريا اذ انه توخى الدقة في الترجمة ولا دقة بدون كل هذه الدروس التمهيدية .

كان بلاشر قد اعطى ترجمة اولى بعد هذه المقدمة، ولم يتبع فيها تصنيف السور المعمول به عند المسلمين ولكنه طبّق تصنيف المستشرقين .

ولكنه في هذه الترجمة التي نحن بصددها عاد فاتخذ التصنيف الاول وحسناً صنع . وبما انه في المقدمة ميّز بصواب الفرق الالهامي الموجود بين السور، فنتبع هذا التصنيف بسهولة عظمى .

ولقد ابتعد المترجم عن الترجمات التي سبقته، حتى وعن ترجمة كزمرسكي اذ انه اراد ان يعطينا ترجمة علمية لا توسيعاً شعريًا . فانه في ترجمته يعود الى الاصول اللغوية والألسنية ويعطي القارئ الوسائل التي تؤهله ان يفهم قيمة الكلمات العربية وما يوازيها في الافرنسية . وما قد وضعه المترجم بين هلالين، عندما صعب عليه ان يعطي كلمة واحدة لكلمة عربية واحدة، يساعدنا على التقرب من فكرة محمد في اصلها .

ولكني اودّ هنا ان أقف مع المترجم عند ترجمة بعض الكلمات . فعندما يقول بالافرنسية (amour) فاي معنى يعطي هذه الكلمة او اية كلمة عربية تترجم هكذا ؟ والكلمة العربية ألها معنى محبة الله للانسان ؟ لا نجد في القرآن الا نصاً واحداً يعطينا هذا المعنى وهو في السورة الخامسة الآية ٥٩ . ومها يكن من امر فان ترجمة بلاشر لتعدّ احسن ما ظهر الى الآن من ترجمات القرآن .

وازيد فاقول ان الطريقة المتبعة في الفهارس التي تطلعنا على تطوّر فكرة محمّد ورسالته، ان ما صنعه المترجم من جمع الافكار الرئيسية وما ابداه من تدقيق في بعض الاصطلاحات، كل هذا يزيد الترجمة قيمة .

واني لأهنئ دار النشر بوسون للاعتناء الفائق في اخراج هذه الترجمة : فالورق والطبع والحرف، كل هذا يعني الاناقة والذوق والفنّ والعزم على اظهار كتاب المسلمين الديني في ابهى حلة . وما ذلك، على رأينا، الا عامل من عوامل التقارب بين الشرق والغرب . ترجمة دقيقة تحترم الفكرة، واخراج متقن .

ا . ع . خ

FRANCESCO GABRIELI, — *Storici arabi delle Crociate* (*Scrittori di Storia. Collezione diretta da Federico Chabod*, 6). — Einaudi 1957 ; pp. XXX-V×334.

ليس من السهل أن تنشر مختارات من مؤرخي الصليبية المسلمين اذ لا تجد واحدًا منهم اهتمَّ بتاريخ علاقات الفرنج بالعالم الاسلامي من بدء الاتصالات الى آخرها . فلا نجد بين هؤلاء سوى محرّري حوادث لا مؤرّخين . فالحوادث عندهم تُساوى ولا فرق بين حرب يتطاحن فيها الاعداء وبين ظهور الجراد في منطقة ما . وبين ذكر الحوادث كان بعض محرّري الحوادث هؤلاء يأتون على ذكر الامير او الخليفة ويمدحونه ولا سبب لذلك سوى المنفعة الادبية والمالية .

ولذا فمن اراد ان يختار من سرد تلك الحوادث شيئاً عليه ان يُبقي لتلك المختارات وحدة التاريخ . فان الاستاذ كبريالي قد نجح هنا وسعة اطلاعاته وعمق تفكيره جعلاه يسرد هذه المختارات وهي تنبض حيويّة . فان فسَّر بعض الحوادث وعلّق عليها ، جرّب أن يحدّد شخصية هذا او ذاك ممّن يذكرهم المؤرّخون، واعطى ترجمة دقيقة وزاد عليها الحواشي الثرية بالمعلومات العديدة ، وكل هـذا يضفي على هذه الترجمة نورًا وكمالًا . وما ذلك الّا لان الاستاذ كبريالي استقى الكثير من الثقافة ، الدينية والتاريخية والسياسية والاجتماعية . واستقى من معرفته لنفسانية القارئ ليحفظه دون ملل . ولذا فنوّع المختارات وتوصّل في الترجمة الى أن يحتفظ بقوة الاسلوب ، بسلاسة الكلمة ، بجهلة العاطفة كما في المقطع الذي فيه يُخبرنا المؤرّخ عن فتح اورشليم . صفات تجعل من هذه الترجمة كتاباً يُقرأ ومنه يتوصل القارئ الى فائدة حقيقية .

ولقد اختار كبريالي نصوصاً فيها الميلُ الحربي او الاخلاقي او النفساني او ذلك التدفق الشهواني ان في ابن الاثير او في عماد الدين او في ابن واصل .

مع هؤلاء يُكتب التاريخ اذ اراد كبريالي ان يُسمنا ما يفكر المؤرّخون المسلمون بالحملات الصليبية وحسناً صنع كي يبدو لنا ما لا نعرفه الّا من خلال تفكير المؤرخين المسيحيين .

ا. ع. خ

PHILIPPE MAURY : *Evangelisation et Politique*. — 1957, 166 pp. — JOHANNES HAME : *Le combat de l'Eglise dans l'Allemagne de l'Est*, s. d. 62 pp. — HELMUT GOLLWITZER : *les Chrétiens et les Armes atomiques*, 1958, 99 pp. — JOSEPH CHAMBON : *Le Protestantisme français jusqu'à la Révolution française*, 1958, 149 pp. — Tous aux Editions « Labor et Fides », Genève, Suisse.

تتوخى دار النشر « لابور وفيدس » (عمل وايمان) من نشرات متعددة ان تطلع الرأي العام على الفكرة المسيحية فيما يتعلق بمشاكل الساعة فالدين والتاريخ والسياسة ، كل مشاكل الحياة،تخضع لتفكير مسيحي، وهي تتطلب حلاً عاجلاً ومفيداً .

فكتاب فيليب موري يلقي نظرة على مشكل السياسة ويرفض للكنيسة — حسب التقليد البروتستنطي — ان تتدخل فيها وتميرها اهمية . على الكنيسة ان تتعلق بمشاكل الخلاص . وهذا حسن.عليها ان تهيئ الانسان لمشاكل الآخرة المتيدة . وهذا حسن ، ايضاً . ولكننا نبتعد عن فكرة المؤلف عندما يرفض الكنيسة ان تعتني بالانسان حيث تجده وفي المشاكل التي تعتريه دون ان تخاف من ان تراه يعتزكل اهتمامه لمشاكل دنيوية . نعم لربما في التاريخ تدخلت الكنيسة في السياسة اكثر مما يلزم . ولكن أمِنَ الحقّ ان يأخذ المؤلف على الكنيسة الكاثوليكية انها انحازت الى الارضيات ؟ فنقول انها لو لم تعمل هكذا لكانت ابتعدت عن فكرة المسيح مؤسسها فان الارضيات يجتازها الانسان كوسيلة في سيره الى الله والسياسة التي تتجاذب الانسان كل يوم ، عليه ان يلقي عليها نور الايمان الذي تنيره به الكنيسة وبه تربي وجدانه .

ففي كتاب موري افكار حسنة ولكنها مبتورة ومرات مجحفة .

ونرى في كتاب هامل نقداً لاذعاً ضد كنيسة المانية لانها لم تدن عاجلاً الاسلحة الذرية . نعم حسناً صنع المؤلف ان يغضب ، فحياة البشرية متعلقة باستعمال هذه الاسلحة . وهو يتكلم عن الكنيسة الكاثوليكية وتداخلاتها .

نجد في هذا الكتاب قوة برهان وصدق يقين عندما يسرد علينا البراهين الدامغة لادانة هذه الاسلحة التي تبقي البشرية في خوف ورعدة كبيرة .

ولذا فكتاب هامل هو دعوة الى الشهادة للايمان.يذكر مني المانيا الصمبة وينهي كتابه بقوله ان الله ينتظر منا ان نموت لاجله ولحماية العقيدة .

اما كتاب شامبون فهو من ارقى الكتب البروتستنتية الحديثة .. فالمؤلف يعطي الحوادث حياة ويجعلنا نعيش مع الابطال الذين كوّنوا التاريخ وكأنّا معهم.

فلقد عمل المؤلف بوجدان كلي (ولكنه مرّات يتعدّى حقوقه ليبدي آراء واحكاماً ونقدًا) . فهو ذلك المؤرّخ الذي عاد الى الاصول الاولية واستخرج منها ما يُفيد ، الذي عرف أن يوجّه كتابه العلمي الى العلماء والى كل مثقّف . أحيا حركة الهوجنو وجعلنا نلمس الحرارة في الشهادة للايمان الذي يتطلّب الموت .. . ملحمة مجيدة ومؤلمة على السواء ، احياها المؤلّف في ٢٠٠ صفحة .

يُقرأ هذا الكتاب بدون عناء . فانه جمع لدقة العالم ، ذوق الرجل المثقف وجاذبية المؤمن . انما على من يثقف به ان يتحاشى الاحكام التي ابداها وكان عليه ان يعرضها دون ان يحكم .

ا . ع . خ

المشرق

السنة الرابعة والخمسون — ايار – حزيران ١٩٦٠

مشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي

٤

بين الحكيم اليوناني والنبي السامي (*)

بقلم الاب فريد جبر اللعازري

ان آخر ما انتهيت اليه في مقالي السابق هو ان ارسطو وضع منطقه على مرحلتين : مرحلة اولى وهي قائمة على استخراج المعلومات من الواقع الوجودي المحيط بنا وذلك عن سبيل الاستقراء على نحو ما حددت ، ومرحلة ثانية وهي تنظم هـذه المعلومات وضبطها بانية . فتبدو تلك المعلومات واضحة للعقل تعرض آنئذ ملتحمة بعضها ببعض ناتجة بعضها عن بعض .

فالمنطق في هذه المرحلة شكلي صوري بمعنى انه مجرد اساليب وطرق وضعت لعرض معلومات تسلمها العقل وليس عليه حينئذ ان ينظر فيها ويحكم على صحتها، بل ان يرى علاقاتها بعضها ببعض حتى يرتب فيما بينها صادقة كانت ام كاذبة . فالمنطق الصوري بالنسبة الى تلك المعلومات الموفرة له هكذا ، يبدو كأنه قالب

تصب فيه ليس الا اكثر . اما ذلك التمييز بين الصالح والطالح في تلك المعلومات، بين الصادق والكاذب منها ، فهو راجع الى المنطق المادي الذي عن سبيله يمكن الحصول على تلك المواد التي تكون اولا صوراً ذهنية منتزعة من صميم الواقع ، ثم تحول الى قضايا ، ثم الى مقدمات تدخل في تأليف الاقيسة ، بعد ان يكون العقل قد حكم على انها يقينية ، حقيقية ، اعني انها هي هي في حقيقة الواقع وتدل عليه على مثل ما يجدها الانسان العالم في نفسه بعد ان انتزعها ، عن سبيل الاستقراء ، من ذلك الواقع المستقل عنه .

اما الغزالي ، فنراه ، بعد ان تقيد بمنطق ارسطو ، يسقط تلك المرحلة الاولى منه ، وهي مرحلة استخراج المعلومات التي تؤدي الى المنطق المادي ، ليحتفظ بالمرحلة الثانية وهي مرحلة مجرد تنظيم المعلومات وترتيبها وهي المرحلة التي تشكل المنطق الصوري . ذلك لانه لم ير نفسه في حاجة الى السعي وراء تلك المعلومات التي في نظره تأتيه عن غير سبيل الاستقراء : فهي موجودة امامه ، يتسلمها تسلماً ، وليس لعقله ان يعمل فيها تمحيصاً وتمييزاً ، بل يعتقد اعتقاداً جزماً بانها على ما هي تصلح وحدها ان تدخل كمواد للمقدمات اليقينية . ولذلك قلنا ان المنطق عند ارسطو هو قبل كل شيء تسجيل للواقع ، اما عند الغزالي فهو تنظيم العقيدة ليس غير . ذلك ان ارسطو يرى ان منطقه في اصوله واسسه مرتبط ارتباطاً محكماً لا انفصام فيه بالواقع الوجودي ، ولا سيما الواقع الميتافيزيقي المستتر وراء الظواهر الطبيعية ، فلا يقف العقل في عمله عند الطور الاخير ، وهو طور ترتيب المعلومات ، بل يتجاوزه الى انتزاع تلك المعلومات على ما هي من صميم الواقع . فتكون الحقيقة ليس فقط توافق ما في الفكر بعضه مع بعض ، بل توافق ذلك ما في الفكر مع الاشياء التي يحاول الفكر معرفتها . وبذلك يبتدئ المنطق ، وهو بذلك نقطة انطلاق علم ما وراء الطبيعة كما قيل . اما عند الغزالي ، فالامور التي يجدها الفكر في نفسه ، والتي تأتيه عن سبيل التعليم والتلقين ، هي هي في حد ذاتها ، بصرف النظر عن ارتباطها بالواقع ، حقيقية ، يقينية . وليس للعقل الا ان يقصر نظره عليها حتى يفهمها ويرتب فيما بينها ، ويعرضها في صورة مقبولة مقنعة . وعند هذا الحد يقف عمل العقل وتنتهي حدود المنطق .

كل هذا يذكرني باحد المعارف من المعاصرين الفرنسيين في جامعة السوربون، وهو لا ديني، يقول في اجتماع كان بيننا: «لو عاش المسيح في المحيط اليوناني لكان حكيماً، ولكنه وجد في بيئة سامية فتصوره الناس نبياً». وليس غرضي هنا ان اقف عند مناقشة ذلك القول، بل اذكره للاشارة الى الفوارق التي تميز العقليتين اللتين ينتسب اليها كل من المفكرين اللذين نحن في البحث عنهما الآن: ارسطو من ناحية والغزالي من الناحية الاخرى. فالاول حكيم يرجع في آرائه الى مجرد ما تملي عليه حكمته. والثاني مرتبط بدين سامي الاصل والمنشأ، متقيد بعقائد دينيـة يراها كشرح واف وصورة طبق الاصل لكل ما وجد وما يوجد في الحاضر وفي المستقبل، وهي عقائد يفرضها عليه نبي سامي يتبعه كما يتبع الناشئ معلماً معصوماً عن الخطأ في تعليمه، ولا يتم الحصول على الحقيقة الا عن سبيل التقيد بذلك التعلم.

وما معنى الحكمة هنا؟ لا يعنى بها ذلك الموقف العملي من الامور والحياة الذي يقابله الحمق والغباوة، او بكلام اصح ليست الحكمة تلك الفضيله الادبية الاخلاقية التي تجعل صاحبها انساناً وقوراً متزناً، يسير في امره على وعي وهدوء واطمئنان وثقـة وصبر واناة. بل ان كل ذلك الذي نراه اليوم في الحكمة لم يكن آنذاك إلا من نتائجها: فالمرء لم يكن متحلياً بكل تلك الصفات إلا لانه كان حكيماً. فالحكمة بمعناها الفني الخاص هي المعرفة وهي الفلسفة كما كان يفهمها اليونان وكما لا يزال الغربيون يعرفونها، وكما اصبح الناطقون بالعربية ينظرون اليها اليوم. فان الفلسفة اول ما عرفت وسميت، عرفت وسميت باسم الحكمة، وكانت تبدو آنذاك كالعلم الذي يجمع ويوحد ويؤلف بين العلوم جميعها. فان معرفة الاسباب كلها، قريبة وبعيدة، معرفة الطبيعة ومصير الكون والانسان، وجود الله في السما. وعنايته عز وجل على الارض، تنظيم المدن والاوطان، تسيير الحياة انسانية وكونية عـلى اختلاف وجوهها، كل هذه امور كان الحكيم يعرضها على نفسه ويحاول لها حلًا. وذلك النظر الواحد الذي من شأنه ان ينفذ الى صميم الاشيا. واعماقها ليهتدي الى اسرارها، هو الحكمة بعينها. وهو نظر فيه ألوان من الاوصاف والميزات: فيه الهدو. والتروي والاصالة والكآبة، وهو ينساب انسياباً بصاحبه فيما فيه

ونيا حوله، وهو يرتفع بذلك الصاحب الى اعالي السماء، وذلك الصاحب يتبع نظره دوماً، ويحس ويذكر ويتملكه العجب لما يرى ويحس، وهو ابداً متيقظ، ينتفض في احضان اللانهاية كتائه شريد يجهل نفسه وغير نفسه ويحاول ان يتلمس الطريق لنفسه ولغيره ... هذا هو الحكيم.

والمعنى ذلك اننا نجده للفظة حتى في الجيل السابع عشر. فديكارت مثلاً ينبه اليه اذ يقول: « لا نعني بالحكمة التروي في الامور، انما هي المعرفة الكاملة لكل ما في استطاعة الانسان ان يعرفه، سواء أكان لتسيير حياته ام كان لحفظ صحته ام كان للاختراع في كل الفنون». ويعود ليبنيتز الى هذا التعريف ويوضح فيه ويفصل عنه في كتيب له عن الحكمة ألفه وهو لا يزال شاباً: « الحكمة هي المعرفة الكاملة لمبادئ العلوم كلها، ولكيفية تطبيقها واستخدامها. فانها علم الحكم الصحيح والتفكير الصحيح، وعلم استنباط الحقائق المجهولة، وعلم تذكر ما كنا نعرفه في حينه واوانه.»[1]

ومهما كان من امر، فان لفظة الحكمة في العرف الفلسفي المطروق، لها معنى خاص قوي. فهي تدل على نوع من المعرفة هي اشبه شيء بالتأمل وتكون عن سبيل الفيض والملابسة من الداخل. فكأنك تحس بالمعلوم احساساً وتأتي عليه من كل جوانبه وتشعر بانك تحبه فتتذوقه تذوقاً وتمتلئ منه امتلاء، فيتجلى فيك ذلك المعلوم بكامله دفعة واحدة وكأنه نور يتلألأ فيك. وهذا ما لا يسعها ان تؤمنه المعرفة التي تتم عن سبيل الجدل، معتمدة على العقل المشغول « بالعرض والجوهر» كما يقول الغزالي[2]. والحكمة بهذا المعنى، تأتيك وهي فيها مبادئ العلوم جميعها، وهي في الآن نفسه معرفة وميل، فتدرك انت ذات الشيء الجزئي الموجود امامك بحدس نافذ لا يخطئ ولا يزيغ بنوع ملابسة وتجانس واتحاد بين العالم والمعلوم.

هذه هي الحكمة، ومن يعرف عن سبيل الحكمة فهو الحكيم. واذا كانت هذه اللفظة « حكيم» اصبحت اليوم لا تدل على كل ذلك الذي اسلفنا، فلا بد من ان نرجع لها ذلك المعنى عندما نراها مستخدمة للدلالة على امور

١) انظر المبادئ « Principes »، المقدمة، ٢ .
٢) احياء، القاهرة، طبعة حلبي، ١٩٣٣، ج ٤، ص ١٠٠ .

الفكر في عصور الفلسفة الاولى ولا سيما عند اليونان . فالحكيم آنذاك ، لم يكن فقط المثال الاعلى للانسان فيما يختص بالاخلاقيات ، بل هو المثال الاعلى على على وجه الاطلاق ، الانسان الكامل في كل شيء : هو القاضي الوحيد ، والخطيب الوحيد ، والعالم الوحيد في كل علم وكل فن حتى في الفنون الصناعية . وهو في الان نفسه السيد الوحيد والفاضل الوحيد والحر الوحيد والجميل الوحيد . وهو بحكمته فوق الناس جميعهم ولا يقاس تصرفه الى القوانين المفروضة في تصرف غيره من الناس : هو فوق الخير والشر وهو الذي يحكم بين الخير والشر . والحكيم يسير في كل ذلك على هدوء واطمئنان وترو واتزان في حركاته وسكناته ، من دون تفخيم في كلامه وتضخم في مواقفه ، بل كانسان ينصرف الى ما ينهض له وهو على بصيرة من امره ويقين من مصيره .

اما محور الحكمة وغرض الحكيم في مسعاه ، فكانا مشكلة المعرفة ومشكلة العمل . غاية الاولى فهم الكون والواقع وهي نظرية ، وغاية الثانية فهم العمل الانساني وتنظيمه وتقنينه وهي عملية . ونرى هاتين المشكلتين توجهان اهتمام من عرفوا بحكماء اليونان السبعة الذين عاشوا في أواخر الجيل السابع واوائل الجيل السادس قبل المسيح . وهم في حقيقة الامر الفلاسفة الاول عند اليونان . فالفيلسوف ، في الاصل اليوناني ، هو محب الفلسفة ، والفلسفة هي حب الحكمة ، واللفظتان — حكمة وفلسفة — مترادفتان اذ ان معناها واحد ، كما نرى من تحديد غرض الحكمة ، الا ان اللفظة فلسفة φιλοσοφία حلت محل مرادفتها منذ فيثاغوروس في الجيل السادس قبل المسيح ، وهو كان يرى ان الحكمة تليق بالآلهة واما الانسان فلا يليق به ان يكون حكيماً في تمام الوضع ، بل ان يكون فيلسوفاً اي محباً للحكمة .

هذا وان هؤلاء الحكماء السبعة ، واشهرهم سولون ، يبدون كمشرعين واخلاقيين ، يسنون القوانين السياسية والادبية (وكلتا الناحيتين واحدة آنذاك) خاصة عندما كان مواطنوهم يستشيرونهم في صعوباتهم ومآزقهم . وسولون مشهور بالدستور الذي وضعه لاثينا . اما ما وصلنا من هؤلاء الحكماء او الفلاسفة الاول ان هو الا بعض حكم وامثال في الامور والحياة . والظاهر ان البعض منهم كانوا محصلين علماً واسعاً بالنسبة الى عصرهم ، وكانوا علماء بالمعنى العام .

فتاليس مثلاً امتـاز بعلوماته في الرياضيات (وهو الذي وضع النظرية الهندسية المعروفة باسمه) وفي علم النجوم وعلم الجو والانواء .

ثم يأتي العهد الثاني للفلسفة اليونانية ويفصل بين غرضي الحكمة النظري والعملي وينصرف الحكماء الى الغرض الاول دون الثاني . وكان تضارب الآراء وتخالفها ، وكان السوفسطائيون ، وهم ، كما تدل عليه اللفظة في معناها الوضعي ، حكماء في اول الامر ، غرضهم فهم الكون ، قبل ان يدل باسمهم الى المعنى الذي نعرفهم به اليوم ، اي اللاادارين الذين يشكون في كل شيء ويعتقدون بتكافؤ الادلة واستحالة اليقين .

ويليهم سقراط الذي انزل الفلسفة اليونانية « من السماء الى الارض » على حد قول شيشرون[1] ، وهو يعني بذلك انه حول انتباه الفلاسفة والحكماء عن مشكلة فهم الكون ، وهي المشكلة النظرية ، الى مشكلات العمل الانساني ، وهي المشكلة العملية ، محاولاً ان يبني الاخلاقيات على اسس عقلية .

وهكذا ما زالت الحكمة والفلسفة اليونانية على اهتزاز وتراوح متواصلين بين هذين القطبين حتى اتيح لها ان تجد نقطة التوازن لها في مذهبي اعظم فلاسفة اليونان ، افلاطون وارسطو اللذين اوصلا الفكر اليوناني الى اوج عزه . فكلاهما يجمع في تآلف محكم بين حكماء العهد الثاني عن الكون ، ونظريات استاذهما في المعلومات الاخلاقية .

والذي يهمنا ان نقف عنده هنا ، هو ان كل هذا العمل الفكري ما كان ليعتمد على وحي او على تعليم يتسلمه من الخارج بل كل من هؤلاء الفلاسفة او الحكماء يتسلم علمه عمن سبقه ثم ينقد ذلك العلم ويمحص فيه ويطلق لعقله الحرية التامة في التصرف فيه حتى يخرج منه ومن مبادئه وهو محول الى مذهب غير المذهب الاول . فسقراط يأخذ عن فلاسفة الطبيعة في العهد الثاني ويتطور فيما يأخذ بعد ان ينقده وينقحه مستهدياً بمجرد عقله وقواه . وهكذا يفعل افلاطون بالنسبة الى سقراط ، وهكذا يفعل ايضاً ارسطو بالنسبة الى افلاطون . يفعل هكذا وهو يقول : « نعم الصديق افلاطون ولكن الحق فوقه » .

(1) راجع Tusculanæ disputationes ، مقطع ٥ ، ٦ .

وهو في سعيه وراء الحق لا يعتمد الا على عقله ، مطمئناً اليه واثقاً منه لا يقف عند غرض او غاية ، دينية كانت ام اخلاقية ام سياسية ، يسير ولا وكد له الا تبين الحق وادراكه . ونظريته في الاستقراء خير الدليل على ثقته تلك من عقله اذ انه على يقين تام لا يخالطه الريب من ان تلك القوانين وتلك الكليات الضرورية التي يستخرجها عقله عن سبيل الاستقراء هي الحقيقة المطلقة الدائمة التي تستتر وراء الظواهر الحسية النسبية الزائلة فتكون اليوم وتختفي غداً . ولا يعني ذلك انه ضم الى رأيه كل من اتى بعده من مفكري اليونان . فان نظرته الفلسفية ما كانت دون خلل واضطراب حتى في اصلها واساسها ، اعني في تلك الصورة الذهنية التي اتخذها كمبدأ لعلمه واساس لمذهبه . فهو يقول: « لا علم الا بالكلي الضروري ولا وجود الا للجزئي الفردي » . فنجيبه : « واذن فاما ان المعرفة لا تصل بالواقع الوجودي كما هو ، او اما ان الجزئي الفردي اي الشيء الموجود في الواقع ليس غرض العلم » . ولا شك في ان ارسطو وجد حلًا للاعتراض ذلك غير انه حل لم يكن ليقنع الجميع . وبالفعل فانه كان بعده مذهب الرواقيين الزينونيين ، ثم مذهب الافلاطونية الحديثة وكلا المذهبين استفاد منه ، فتقيد ببعض مبادئه وعدل عن البعض الآخر . هذا على الرغم من ان مذهبه الفلسفي ، كما سبقت وذكرت في مقالي الاول ، يبدو في خطوطه ومعالمه اشد المذاهب الفلسفية موافقة للعقل البشري فيما يختص بعلم المنطق وعلم ما وراء الطبيعة . ولكن هذا هو شأن الحكمة والفلسفة اليونانية ، وهذا ايضاً هو شأن الفلسفة الغربية والى حد بعيد شأن الفلسفة كما نعرفها اليوم :

هي اولًا في تحول دائم مستمر . فالمذاهب تتوالى بعضها وراء بعض ولا يسعنا ان نحكم على اية مسألة في ان البحث تم فيها بل تبقى مفتوحة الى الاراء الجديدة والنظر الجديد . وهذا راجع الى ان تلك الفلسفة والحكمة جد مدينة الى جانب العامل الشخصي الذاتي فيها . فهي تتقلب من مذهب الى مذهب لان المذهب يضيق بها فلا تعود تطيقه . وقيمة تلك المذاهب ونصيبها من الصحة ، وخصبها في انتاج الافكار الجديدة ، كل ذلك متوقف على عبقرية الفيلسوف او الحكيم الذي منه تستمد قوته وبه تحيا . ثم ان ذلك الحكيم

انسان يدعو غيره من الناس الى ان يشاركوه في نظره الى الامور والحياة . وهو في دعوته تلك يطلب من المدعوين لا ان يؤمنوا به بل ان ينظروا الى مذهبه ويحكموا فيه عقولهم ويكونوا حكماء كما كان هو حكيماً . ذلك لان الحكمة ، بالمعنى الذي حددته وبطبيعة حالها ، تنظر الى الامور والحياة من ناحية الانسان ومن حيث علاقاتها به : هي مجهود يبذل في تبيين وتوضيح ما هو انساني آدمي في الكون والجوامد . ولا يعني ذلك ان الفلسفة ان هي الا مجموعة آراء تتوالى على توالي العصور . فان تطورها التاريخي شديد الارتباط بتطور الحياة الروحية في الانسانية ، وبما ان ذلك التطور لا يخلو من مفترقات وتحولات تكشف عن واقعيات اساسية ما كان للانسان عهد بها من قبل ، فكذلك تهدي تلك المفترقات البحث الفلسفي الى طرق جديدة . فالحكيم يتبين تلك الطرق بنظره وحكمته التي هي ابداً ودوماً التطلع الى الامور والحياة على مختلف وجوهها واطوارها لتحديد موقف الانسان منها في عصره وزمانه ، معتمداً ابداً ودوماً ، على مجرد عقله وقواه ، من دون الاستعانة بتعليم يلقى اليه من الخارج او وحي يهبط عليه من عل .

ذلك هو الحكيم وتلك هي الحكمة في العرف اليوناني . وبهذا المعنى كان ارسطو حكيماً لا بل من اعظم الحكماء ، وكان مذهبه الفلسفي وليد حكمة لا يزال الكثير من المفكرين يتقيدون بمعالمها وخطوطها العامة ولو كانوا لا يرون بها في كل امر جديد يعرض لهم .

والغزالي هو ايضاً يعرف الحكمة ويستخدم اللفظة في مختلف معانيها . يعرفها اولاً في معناها كفضيلة ، ولكنها فضيلة تنتسب الى الفكر والعقل اكثر مما تمت الى الارادة والاخلاق ولو كان يحصيها كفضيلة اخلاقية . فالحكمة عنده «رأس الاخلاق الحسنة يسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثاً وجربزة ويسمى تفريطها بلهاً . والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة ويعني بالحكمة اذ ذاك حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية[1]». الا ان الحكمة هي ذلك لانها قبل ذلك عبرة ينتعش بها العقل

(١) احياء ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

ويحيا بها الانسان . فالله يفتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر[1]، وان من الشعر لحكمة[2] . ومن هذه الناحية فان « كل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم انما تأتي عن طريق الكشف والالهام »[3] . فالحكمة بهذا المعنى هي العلم والمعرفة اي « الاحاطة المجردة بنظام الامور ومعانيها الدقيقة والجلية والحكم عليها بانها كيف ينبغي ان تكون حتى تتم الغاية المطلوبة بها »[4]. وقد درس الغزالي علم الحكمة بهذا المعنى في نيسابور على استاذه الجويني[5].

نعم قد يميز بين علوم الانبياء والاولياء من ناحية وعلوم العلماء من الناحية الاخرى . فالفرق هو ان العلم هناك يأتي عن سبيل الكشف والالهام من داخل القلب ، من الباب المفتح الى عالم الملكوت ، اي عالم اللوح المحفوظ عند الله ، وعلم الحكمة يأتي عن طريق العلم العادية ، من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك والشهادة الحسية[6].

الا ان هذا التمييز لا يعني شيئاً . فالحكمة هي ايضاً ، تأتي كما رأينا ، عن سبيل ما يسميه الغزالي الكشف والالهام[7]. ومهما كان من امر، فان العلوم جميعها ، في رأيه ، « لا يمكن الحصول عليها الا عن سبيل التذكر . فكانها مضمنة في غريزة العقل ولكن تظهر في الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود »[8]. والمذكر هو النبي على كل حال وفي كل علم ، لان كل علم داخل في العلم الاكبر الاوسع الذي هو الحكمة ، تلك الحكمة التي ترجع في مبدئها

١) احياء ، ج ٣، ص ٢١٧.
٢) احياء ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .
٣) احياء ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
٤) اقتصاد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، بدون تاريخ ، ص ٧٦ .
٥) طبقات الشافعية ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، بدون تاريخ ، ص ١٠٣ . وايضاً
JABRE. *La Vie et les œuvres de Ghazali, reconsidérées à la lumière des Ṭabuqât de Subki* in mIDEO. Le Caire, 1945, N° 1, ص ٧٩–٨١ .
٦) احياء ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
٧) احياء ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
٨) احياء ، ج ١ ، ص ٧٧ .

واول ورودها الى الوحي[1] . فالعلم يأتي من الله الذي يوحيه الى ملاك الذي يوحيه الى نبي الذي يلقيه على بني البشر . وهذا ثابت في كل علم، حتى في تلك العلوم التي الفنا اليوم ان نعدها من مستنبطات مجرد العقل ، عن سبيل ما اعتدنا ايضاً ان نسميه الاستقراء[2] .

فعلم الحساب مثلاً ، ان معلمه تعلم اكثر مما يعلّم وان استقلّ باستنباط ترتيب البعض . وكذا القول في معلم المعلم الى ان ينتهي مبدأ العلم الحسابي الى نبي من الانبياء مؤيد بالوحي والمعجزة ، ولكن بعد افاضة الله علم الحساب فيما بين الخلق استغني في تعلمه عن معلم معصوم . فكذلك العلوم العقلية النظرية ولا فرق »[3].

هذا في العلوم الحسابية والهندسية التي تبدو على انهما اشد العلوم وابعدها تجرداً من الواقع الحسي المادي . اما ما نسميه اليوم العلوم الطبيعية مثل علم النجوم والطب فهي ايضاً من خواص النبوة . فان « من يبحث عنهما يعلم بالضرورة انها لا تدرك الا بالهام الهي وتوفيق من جهة الله تعالى ، ولا سبيل اليها بالتجربة . فمن الاحكام التجومية ما لا يقع الا في كل الف سنة ، فكيف ينال ذلك بالتجربة ؟ وكذلك خواص الادوية . فان ادوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصة فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين اخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصة النبوة على خواص الاشياء »[4].

قد لا يكون هذا رأي غير الغزالي من بين العلماء المسلمين ، والظاهر ان هذا ليس رأي ابن سينا وغيره من فلاسفة العرب . الا انني هنا احلل رأي الغزالي ليس غير ، وهذا الرأي واضح في مؤلفاته ، صريح في الكثير من تصريحاته .

---

١) مشكاة الأنوار ، في الجواهر الغوالي ، القاهرة ، ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ١١٧ .

٢) انظر *Jabre, Notion de la Certitude chez Ghazali*، ص ٩٩—١٠٠ ، ١٣٧-١٣٨ .

٣) انظر *Jabre, Notion de la Certitude chez Ghazali* ، ص. ١٣٥ — ١٣٦ . وايضاً المستظهري عند Goldziher, *Streitschrift des Ghazali gegen die Batinijja Sekte*, Leiden, Brill. 1916, ص ٣٣-٣٤ .

٤) المنقذ من الضلال ، طبع دمشق ، ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ١٣٨-١٣٩ .

واذا كان الامر هكذا في ذلك القسط من الحكمة الذي نعده اليوم من العلوم العقليـة المحضة ، فهو اشد ايضاً فيما يختص بالنظريات الصرفة المتعلقة بالالهيات . ففي هذا المضمار خاصة تقوم نظرية التذكر بدورها المهم . وانـنـا نعرف ان المعقول في رأي الغزالي ، وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها على مرتبة واحدة ، بل بعضها تـكون عندها كأنهـا حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمه بان الشيء الواحد لا يـكون قديماً حديثاً الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات والجائزات والمستحيلات ، ومنها مـا لا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز اعطافه ويستوري زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات - وانما ينبهه كلام الحكماء . فعند اشراق نور الحكمة يصير الانسـان مبصراً بالفعل بعد ان كان مبصراً بالقوة . واعظم الحكمة كلام الله . ومن جمـلة كلامه القرآن خاصة ، فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار[1]

والقرآن ليس فقط جزءا من الحكمة بـل هو كل الحكمة والحكمة الصحيحة . هو البحر المحيط ومنه يتشعب علم الاولين والاخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط انهارها وجداولها . ويعلل الغزالي ذلك بان « العلوم التي عددها وما لم يعدها ليست اوائلها خارجة عن القرآن اذ انهـا جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى ، وهو بحر افعاله التي يدل عليها القرآن كما يدل على ذاته وصفاته . ومن علم هذه الافعال مثلاً الشفاء والمرض وتقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلها بحسبان ، وسير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار وتكور احدهما على الآخر ، وتشريح الاعضاء من الانسان ظاهراً وباطناً وعددها وانواعها وحكمتها ومنافعها . ووراء هذه العلوم علوم اخرى غامضة يغفل عن طلبها اكثر الخلق وربما لا يفهمونها ان سمعوها من العالم بها . ولو ذهبت تفصل ما يدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الافعال لأطالت . ولا تمكن الاشارة الا الى مجامعها . والكفاية في الامر هي ان تقول ان من جملة معرفة الله معرفة افعاله . فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل . فما لك

١) مشكاة الانوار ، في الجواهر الغوالي ، القاهرة ، ١٩٣٤/١٣٥٣ ، ص ١١٧ .

الا ان تفتكر في القرآن وتلتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الاولين والآخرين[1]».

ولذلك يرى الغزالي نفسه قادرًا على تعليم غرائب العلوم ، فيستخرج لك من القرآن مفاتيح العلوم كلها ، كما انه استخرج من نفس القرآن ، في القسطاس المستقيم ، موازين العلوم كلها لانشعابها جميعها منه . الا ان الغزالي يكتفي بالاشارة والتلميح الى كل ذلك ليقف ويطيل الوقوف عند الامر الوحيد الذي يهمه وهو امر العلوم الدينية التي لا بد للعالم من ان يكون حاصلًا على اصولها حتى يتيسر له سلوك الطريق والسفر الى الله . وهذه العلوم الدينية ان هي الا تلك العقليات الصرفة المتعلقة بالنظر في الالهيات : فيها بعض اليقينيات ولكن لا يبلغ اليقين فيها حده الا بطول ممارسة العقليات وفطام العقل عن الوهميات والخياليات وايناسه بالعقليات المحضة . وكلما كان النظر فيها اكثر والجد في طلبها اتم كانت المعارف فيها الى حد اليقين التام اقرب . ثم من طالت ممارسته وحصلت له ملكة بتلك المعارف لا يقدر على افحام الخصم فيه ولا يقدر على تنزيل المسترشد منزلة نفسه بمجرد ذكر ما عنده الا بان يرشده الى ان يسلك مسلكه في ممارسة العلوم وطول التأمل حتى يصل الى ما وصل اليه ان كان صحيح الحدس ، ثاقب العقل ، صافي الذكاء[2]. وهذا هو بالضبط تحديد العلم الذي يتم عن سبيل الحكمة كما رأينا ، ولكن هذا التحديد يتناول الحكمة من الناحية الذاتية اعني من ناحية الانسان العالم ولا من الناحية الموضوعية اعني من ناحية الشيء المعلوم . فهذه النظريات التي يجدها العالم في نفسه ، هي في نظره يقينية لا شك فيها ولكنه لم يحصلها بعقله وبقواه ، انما يتسلمها تسلمًا عن النبي ثم يتأمل فيها حتى يألفها وتصبح عالمه الداخلي ويدركها تفصيلًا بالتحقيق والذوق وتصير حالًا ملابسًا له . ولكنه ، على كل حال ، يتسلمها من النبي اولًا وعليه مبدئيًا ان يقبلها ويحاول فهمها . فليست «الكيفية والكمية والماهية مثلًا مما تتسع له القوى البشرية ، وقد وردت بها الانبياء المؤيدون

١) جواهر القرآن ، القاهرة ١٣٥٢/١٩٣٣ ، ص ٢٦-٢٨ .

٢) في كل ذلك تجد المراجع الى مؤلفات الغزالي ، ولا سيما القسطاس والميار ، مذكورة عند JABRE, *Notion de la Certitude chez Ghazali* ، ص ١٠٣-١٠٤ .

بالمعجزات فيجب قبولها منهم »[1]... « فالامور الربوبية المستترة وراء الطبيعة لا يستولي على كنهها العقل ولا مندوحة فيها عن تقليد الرسل واتباعهم »[2]، انما « فائدة العقل وتصرفه ان يشهد للنبوة بالتصديق، ولنفسه بالعجز عن درك ما لا يدرك الا بعين النبوة ويأخذ بايدينا ويسلمنا الى تلك العين تسليم العميان الى القائدين، وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين. والى هاهنا مجرى العقل ومخطاه، وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهم ما يلقيه الطبيب اليه »[3].

لست اقف هنا موقف الناقد المفند انما غرضي ان اعرض لفكرة وابسطها كما هي. ولا شك في ان ما بين موقف ارسطو والغزالي من المعرفة وجوه تقارب وتشابه. فالحكيم هناك هو الهادي العالم العارف بالامور، وهو الوقور المتزن في حركاته وسكناته، وهكذا النبي عند الغزالي. والحكمة هي هي عند الغزالي، كما هي عند ارسطو، الاطلاع على الامور ونظامها. الا ان ما بين الموقفين فرقاً اساسياً وهو ان عند ارسطو تم ذلك الفصل بين الانا واللاانا، بين العالم والمعلوم الذي يعد كأساس الفلسفة والحكمة، واما عند الغزالي فذلك الفصل قائم ايضاً ولكنه لا يتم عن سبيل العقل وقواه بالاعتماد على الاستقراء بل عن سبيل الوحي وتسلم العلم من نبي. ولا شك ايضاً في ان هناك مذاهب فلسفية قائمة على اساس التصديق والايمان ولا على مجرد نظر العقل وقوته، ولكنها بنيت على اصول غير اصل النبوة والنظر بعينها، فتطورت واندفعت في تيارات غير التي يسوق اليها تفكير الغزالي. ففي المقال المقبل سأحاول ان ابين، ان شاء الله، كيف ان الغزالي توجه ذلك التوجيه وسار ذلك السير ليس فقط تحت تأثير عقيدته الدينية، بل ان لغته العربية نفسها كأنها ارغمته ارغاماً، في منطقه ونظره الى المعرفة والعلم، على ان يتبرأ من ارسطو الحكيم اليوناني ويخلص الولاء للنبي العربي السامي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب.

---

١) تهافت الفلاسفة، طبعة بويج، ١٩٢٧، ص ١٢٢.

٢) تهافت الفلاسفة، الطبعة نفسها، ص ١٢١.

٣) المنقذ من الضلال، طبعة دمشق، ١٩٣٤/١٣٥٣، ص ١٤٦–١٤٧.

٥

بين نظرة العقل وتصديق الخبر

كل ما ذكرته حتى الآن في مقالاتي السابقة ان هو الّا تسجيل للفوارق التي التي رأيناها تميز بين ارسطو والغزالي في موقفهما من المنطق خاصة والمعرفة والعلم على وجه عام . فالمنطق عند ارسطو هو صوري ومادي في الآن نفسه وهو بذلك يبدو على انه مرتبط بالواقع ارتباطاً محكماً لا انفصام فيه ، لا وكد له ولا غاية الا تسجيل ذاك الواقع قبل ضبطه وتنظيمه بالقضايا والاحكام والاقيسة. اما عند الغزالي فذلك المنطق آلة شكلية صورية ليس غير ، احدثت لتنظيم معلومات يتسلمها عن غير سبيل الاستخراج من الواقع ، ليس للعقل فيها الا ان يفهمها حتى ينظم فيما بينها ويعرضها بشكل متسلسل مرتب يسهل حفظها ويظهر حسن انسجامها بعضها مع بعض . وذلك راجع الى ان ارسطو يقبل على مشكلة المعرفة والعلم كحكيم مثل غيره من حكماء اليونان ليطلع على الامور والحياة بمجرد عقله هو وقواه ، معتمداً على ذلك العقل فقط للتمييز بين الصحيح والكاذب ، وللمضي الى اعمق مـا يستتر وراء الظواهر الطبيعية من معلومات كلية ضرورية وقوانين مطردة عامة لا تقوم تلك الظواهر الجزئية الحسية الا بها . وهو اذ يدعو غيره الى ان يشاركه في نظره الى الامور والحياه يطلب منهم ان يقفوا منها نفس الموقف الذي وقفه هو ، اعني ان يعودوا هم ايضاً الى مجرد عقولهم وقواها ، ويحكموها فيما يعرض عليهم ويتبينوا هم بانفسهم الصحيح والكاذب منها بدون اعتماد على اية سلطة كانت تؤثر على حكمهم وتوجه ادراكهم ، فيكون ذلك الادراك منطلقاً حرًا من كل قيد ، لا يخضع لغرض او لغاية ، مستقلًا بنفسه تمام الاستقلال .

واما الغزالي فهو ايضاً يرى ان المعرفة هي الحكمة وهي تتم عن ذلك السبيل الذي يشير اليه ارسطو ، الا ان الحكيم الاكبر لا بل الحكيم الوحيد عنده هو النبي . فالنبي يطلع على الامور ويدركها ولكن ليس بنفسه بل عن سبيل الوحي اعني عن سبيل تعليم يأتيه من عند الله براسطة ملاك. والتعليم ذلك

بعد كاملاً ليس قابلاً للتغيير ، وهو التعليم الحق لا بـد للناس تابعين ومتبوعين من ان يتقيدوا به . فالتقيد به هو الحق ، والانحراف عنه هو الباطل ، وكل ما يخطر على العقل من معلومات ، هو صحيح او كاذب بقدر ما يتفق وذلك التعليم او يخالفه ، لا سيما اذا كان من تلك النظريات التي تتعلق بالالهيات اعني بعلم ما وراء الطبيعة .

ذلك هو موقف ارسطو ، وذلـك هو موقف الغزالي من مشكلة العلم والمعرفة ، كما يبدو لنا من تحليل فكرتها ومذهبها . الا اننـا هنا يعترضنا سؤال ولا بد من ان يعترض : لماذا ذلك الموقف عند ارسطو ولماذا يختلف عنه موقف الغزالي في الاساس ، مع ان الغزالي يبدو ، في اول امره ، متقيداً به ناقلاً له . غرضي من هذا المقال ان اجيب على ذلك السؤال . ولا بد لي من الاعتراف حالاً بان عملي الآن سيكون نظرياً محضاً ، استنتاجياً ، يقوم اذن على افتراضات واستنتاجات قد تقبل وقـد ترد ، وليس تسجيل واقع ثابت مقرر يستطيع الجميع ان يدركوه ، مع العلم انها افتراضات واستنتاجات تستند الى الظواهر التي سجلتها سابقاً فيما يختص بالفوارق التي تميز ارسطو عن الغزالي او العكس بالعكس في موقفها من مشكلتي المنطق والمعرفة . وانني لأرى هذه الفوارق راجعة ، في اصلها واساسها ، الى العقليتين اللتين ينتسب اليها ارسطو من ناحية والغزالي من الاخرى . اما فيما يختص بارسطو فانني سأكتفي بتحليـل العقلية اليونانية بالنسبة الى المعرفة ، واما فيما يختص بالغزالي فانني سأسمح لنفسي بان اقف واطيل الوقوف ، في تحديد عقليته وموقفه من الموضوع الذي يهمنا ، عند عامل اللغة العربية في تفكيره . تلك اللغة التي بها يفكر الغزالي ويكتب ويؤلف ، والتي كان لها فيما ارى ، التأثير البعيد في عبقريته ونظرته الى الامور والحياة .

اما فيما يختص بالعقلية اليونانية ، فما لنـا الا وان نتبع تطورات التفكير الذي ادى الى المعرفة الفلسفية ، وهي ، في الصيغة التي تقوم عليها اليوم ، راجع في اصل نشأته الى التفكير اليوناني .

ذلك ان الشعور بالواقع الوجودي المستتر وراء الظواهر الحسيـة ، او ان شئت فقل الشعور بالبعد بين ما نرى وبين ما هو موجود في الحق والواقع ،

ذلك الشعور هو الذي يسير بحث الانسان ويوجهه . وهو العامل الداخلي الذي يدفع الانسان الى العلم والمعرفة . والشعور هذا ليس من خواص الفلسفة وميزات الحكماء ، بل هو الذي يقوّم العقل الانساني في حد ذاته ، وهو الذي يميز ذلك العقل في اساسه ويجعل الانسان يقف من الامور والحياة موقفاً يختلف اساسياً عن مواقف الحيوان مهما كان تطور ذلك الحيوان وتقدمه في الحيوانية . فذلك الشعور لا يظهر الا مع العقل دائماً ، فيوجد فيه الاندفاع والميل الى المعرفة ، ويزعجه الى البحث والسعي وراءها ، وآثاره موجودة في كل زمان ومكان مهما صعدنا في ماضي الانسانية ومهما نزلنا في طبقات الشعوب والامم التي توالت على وجه الارض . عند الجميع بدائيين ومتمدنين ، نرى ان العقل مسير بالمبادئ التي بها تسير الاشياء والامور : فهو يتطلب النظام ويفترضه افتراضاً ، وهو يحكم بان تلك الاشياء لا تكون هكذا على ما تقع وتتفق ان تقع ، وبان الطبيعة لا تعمل ولا تنبسط باطلاً دون غرض وغاية ، وبان كل شيء يتعلق بسبب او حكمة تحدد وجوده وقيمته ، ولو كنا لا ندرك ذلك السبب وتلك الحكمة او كانت تلك الحكمة ابعد من ان يمكننا ان ننالها فتبقى سراً بالنسبة الينا . وبمقتضى هذه المبادئ يكون التوافق فيما بين العقل الانساني والحكمة التي تستتر في الاشياء وتقومها ، مما دفع وليم جامس ان يعرّف الانسان بانه « حيوان ما ورائي » ميتافيزيقي اعني حيواناً يتميز عن غيره من الحيوانات بان يسعى دوماً في ان يتجاوز بادراكه الظواهر الطبيعية الزائلة ليدرك ما وراءها من امور ابدية دائمة وقوانين مطردة لا تفنى ولا تزول .

الا ان ذلك العمل ، ذلك الادراك للامور لا يتم الا عندما يتمكن الانسان من ان يميز بين نفسه وبين ذلك الذي يدركه ، بين الأنا وبين اللاأنا ، فيعود الى نفسه في حين انه يعرف ويعلم ويدرك الكيان الخاص لتلك النفس وميزاتها ثم يقبل معها وبها على المعلوم الذي استقرّ فيها مثاله ، فينحني على ذلك المعلوم وينظر فيه ويتمعن ويحلله ويصفيه من كل الشوائب التي اختلطت به ، حتى يقيمه هكذا نصب عينيه ، كما هو في حد ذاته معزولاً عن كل عنصر غريب عنه ، فيأمن الغلط والخطأ عندما يحكم عليه بانه هذا الشيء او ذلك . وهو عمل لا يتم عند البدائي لان البدائي لا يستطيع الرجوع الى نفسه حتى انه ولا

يفكر به . فهو يعمد الى الامعان في معلومه والمثال الذي اخذه عنه، ولا يحلله، بل يكتفي بادراكه والاندفاع العفوي وراء ذلك الادراك كما يحس به ويشعر. وهناك امر آخر ايضاً وهو ان الانسان في عمله التحليلي هذا ، اذا شئنا اللهم ان يؤدي تفكيره الى ما نعرفه بالفلسفة اليوم ، يجب الّا يعتمد الا على مجرد عقله وقواه . فهو هو ، بعقله وبعقله فقط يقبل على ذلك المعلوم او بالاحرى المثال الذي استقر في نفسه من ذلك المعلوم ، فينظر فيه ويحلله الى عناصره الخاصة به ، فلا يستند على سلطة فوقه او وراءه تدعمه ، اليها يرجع حتى يطمئن الى صحة معرفته وعلمه ، لا سلطة الله ، ولا سلطة ملاك ولا سلطة نبي . هو العقل الذي ينظر ، وهو الذي يحكم وهو الذي يرى لنفسه الصلاحية في الحكم الذي لا مرد له لانه يرى نفسه المقياس الاخير الذي اليه كل شيء يرد ويقاس . فلا يرتاح الانسان الى معرفته وعلمه لان احداً غيره قال له ان تلك المعرفة وذلك العلم صحيح فآمن بذلك القول وصدقه ، بل لأن عقله رأى ان ذلك الامر الذي ادركه وعرفه هو هكذا وهو لا يمكن ان يكون الا هكذا .

وبذلك يتم الفصل بين الأنا واللاأنا ، بين العالم والمعلوم ، مجردين عن كل ما ليس منهما : العقل من ناحية ، وهو ملكة المعرفة ، بمجرد قواه ، بدون استناد إلى سلطة او قياس يدعمه ويرجع اليه ، ومن الناحية الاخرى المعلوم او مثاله مصفى من كل عنصر غريب عنه ، ينظر اليه بعد التجرد من كل ميل وغرض وغاية . واذا تم ذلك كان التفكير الفلسفي وابتدأت الفلسفة ان تسير وتتجه الى ما شاء الله ان تتجه .

فهذا ارسطو يأخذ عن افلاطون وسقراط اللذان اخذا عن مفكري اليونان الاول . فمبدؤه هو مبدأ افلاطون وسقراط وهو ان غرض المعرفة الصور الذهنية المجردة المنتزعة من الواقع الحي . ثم ان هذه المعرفة يقينية فيما يختص بالمعلومات العامة والكليات الضرورية . وهذه لا وجود لها الا في الجزئيات المادية وبتلك الجزئيات . فهي في الواقع الحي ونحن نستخرجها عن طريق الاستقراء . هذا وان معرفة العلم الكلي ، اذا صح استقراؤنا له ، تمكننا من استنتاج الشيء الجزئي الفرد . واذن فالعلم برهاني اعني انه قائم على البرهان الذي هو مقياس اليقين في نهاية الامر . ولكن هل يكون البرهان ابدًا ودومًا ضروريًا لا بد

منه ؟ هو قياس متركز على مقومات مقررة ثابتة ، لا بد وان تكون في نهاية الامر غنية عن البرهان ، اذ نرجع بها ، بحلقات متتالية الى ادراك مبادئ العقل الاولى واساسها مبدأ التناقض ومزة هذه المبادئ هي انها لا تتطلب البرهان لانها غنية عنه . فهي تعرف بيقين اقوى من اليقين الخاص بالمعلومات المستنتجة : هي منبع اليقين ، ومصدرها ، والاستنتاج ليس الا الواسطة التي نصل بها الى ذلك اليقين . ثم ان الملكة التي تدرك تلك المبادئ هي العقل وهو في نظر ارسطو معصوم عن الخطأ ، هو هو بحد ذاته .

ونظرية ارسطو هذه خير جواب على موقف اللاأدريين الذين يذهبون الى انه من المستحيل ان نثبت كل شيء او نبرهن عنه : وهذا حق . الا ان تلك النظرية تفترض افتراضاً ما هو في اساس موقف اللاأدرين ذلك ، وهو ان المعرفة ممكنة والعلم ممكن . يقول ارسطو، اذا كان لا بد لنا من اثبات كل شيء والبرهان عنه ، فالعلم والمعرفة امر مستحيل . ويجيبه اللاأدري : « لا غرو ولا عجب ، فانني انكر امكانية العلم والمعرفة وانت ترد انكاري بافتراضك ما انكره كمبدأ ضروري لا بد منه ، وامر يجب ان يسلم حتماً به » . فالذي في اساس نظرية ارسطو كلها نهائياً ، هو ان اليقين ممكن ولا بد من ان يكون ممكناً . انه يرى ان عصمة العقل عن الخطأ امر مقرر ثابت ثبات الواقع الذي لا يخطئ ولا يزيغ ، فلا يرد ولا ينكر ، وهو هو بالضبط ، الحد الذي لا بد من ان يصل اليه كل من يريد ان يقاوم اللاأدرية بمجرد الاعتماد على العقل .

ولكن هل هذا يعني الايمان بالعقل والتصديق به ؟ كلا بل يعني ثقة العقل بنفسه والاطمئنان الى انه مقياس الامور ومدركها ، والارتياح الى صحة نظرته الى الاشياء . فكما اننا نعرف وجود الاشياء بالنظرة الحسية فكذلك نعرف اسباب تلك الاشياء وحقائقها المستترة وراءها بنظرة عقلية لا حاجة لها الى سند ترد اليه للاطمئنان الى اليقين من ذلك الذي نعرفه : لا ايمان ولا تصديق ، بل نظرة خاطفة تدرك وتستقر وتثبت . ونظرة العقل هذه تعرف اليوم في الفلسفة الغربية ، او بالاحرى في الفلسفة على وجه الاطلاق ، بلفظة : Evidence التي لا مقابل لها في اللغة العربية ، كما سنرى فيما بعد . ولربما كان ارسطو يعمل ويفكر بمقتضى مفهوم تلك اللفظة لانها لا توجد عنده ، على الاقل بالمعنى الخاص الذي

نفهمه عليها الآن . واول من استخدمه انصار المذهب الفلسفي الاختياري[1] ، اعني مذهب اولئك الذين كانوا يرون ان الفلسفة الصحيحة هي اختيار الآراء المستحسنة من المذاهب الفلسفية المختلفة السابقة ، وهو مذهب يأتي ، تاريخياً ، بعد مذهب ارسطاطاليس ، ومذهب اللا أدرية البيروني ، واليه ينتسب نوعاً ما شيشرون الذي كثيراً ما يستخدم تلك اللفظة (Evidence) في مؤلفاته الفلسفية . اما مفهوم تلك اللفظة فكان ولا يزال يسير بمقتضاه كل مفكري اليونان وكل المفكرين المتقيدين بمبادئ اليونان الفكرية ، اعني كل المفكرين الغربيين حتى يومنا هذا ، والمفكرين العرب اليوم . قلت ان السير بمقتضى ذلك المفهوم كان عفوياً في بادئ امره ، ولم يدرك ادراكاً صحيحاً واضحاً واعياً الا في القرون الوسطى المسيحية ، عن يد توما الاكويني الذي ، كما نعرف ، تقيد بمبادئ ارسطو الفلسفية وتطور بها بعد ان اخضعها وليّنها لتتلاءم والعقائد الدينية المسيحية . يقول القديس توما ان « نظرة العقل التي نحن في صددها لا تتم ولا يتم اليقين من صحتها الا بعد رجوع كامل من العقل الى نفسه . فالعقل يدرك الامور باندفاعه العفوي ، ثم يعود الى ادراكه ذلك ، ليس فقط ليدرك ذلك الادراك ويعرفه ، بل ليرى علاقته هو العقل مع الشيء الذي يدركه . ولا يتم العمل ذلك إلا بمعرفة حقيقة عملية الادراك وطبيعتها ، وحقيقة عملية الادراك هذه لا يحصل عليها الا بعد معرفة الملكة العارفة نفسها ، وهي العقل الذي من طبيعته ان يتكيف بتكييف الاشياء والامور ، ويلابسها من الداخل حتى يدركها ويعرفها »[2] . وبذلك يعرف العقل الاشياء بالعود الى نفسه وبنظرته الى نفسه وهو في حال كون هيئته هيئة الاشياء ، كما يقول الغزالي[3] ولكن لغاية اخرى وبمعنى آخر . وبكلام مختصر فان العقل يدرك مندفعاً بغريزته ، ثم يشعر بالادراك فيرجع الى نفسه ويرى نفسه مدركاً ومتخللاً ملابساً بالشيء المدرك في الآن نفسه . ففي حين يعرف نفسه يعرف ايضاً الشيء الذي يدركه . وبنظرة العقل الخاطفة يتم في العقل الحكم على المعلوم بانه صحيح او خطأ ، وحينئذ

١) تعريب للفظة الفرنسية Eclectisme التي عربت ايضاً باللفظة « انتقائية » .
٢) القديس توما الاكويني ، « في الحقيقة » سؤال اول ، فصل ٩ .
٣) احياء ، ج ٣ ص ٢٥٧ .

يكون اليقين او عدم اليقين . ولا حقيقة للقياس غير ذلك : لا سلطة خارجة عن العقل تفرض عليه المعلوم فرضاً ولا نبي يتسلّم تسليماً من ملاك ولا اله يوحي بذلك التعليم[1].

ونظرة العقل هذه تكون باطنة مباشرة عفوية (Intrinsèque) عندما يرى العقل هو بنفسه العلاقة بين المحمول والموضوع ، بين المسند والمسند اليه في الاسناد ، وذلك بمجرد ادراك معنى الالفاظ المستخدمة كما هو الامر مثلاً في العلاقة بين مفهوم لفظة « عـالم » ومفهوم لفظة « حادث » في القضية : « العالم حادث » . وهذه النظرة المباشرة الباطنة تقع في ادراك المبادئ الاولى للعقل وفي المعلومات والقوانين والكليات الضرورية المستخرجة من الجزئي الحسي عن سبيل الاستقراء . وتكون نظرة العقل هذه غير مباشرة وغير باطنة (Extrinsèque) عندما لا تقع على المعلوم بحد ذاته ولكن على ظروف خارجة عنه تجعلنا نتيقن من صحته ونطمئن اليها ، ولكن تلك الظروف واقعة ، مبدئياً ، تحت نظرة العقل المباشرة . وهذا هو الامر فيما يختص بالحوادث التاريخية المنقولة الينا والتي نرتاح الى صحتها بعد تدقيق النظر بالظروف التي ساعدت على نقلها .

وعلى كل حال فنظرة العقل المباشرة هي في اساس المعرفة والعلم عند ارسطو كما في الفكر اليوناني . وبمقتضى تلك النظرة يتم اليقين . فكأن العقل يدخل بها دخولاً ويلج ولجاً في المعلوم الذي كانه ينشق على نفسه وينفتح امام العقل آنئذ ليكشف له عن اسراره وعوالمه . ويجب الّا نجسم ذلك الدخول ونشخصه ونتصوره على شكل مادي كدخولنا في باب غرفة او بيت مثلاً . بل هو تداخل مشترك بين العقل والمعلوم واشبه شيء به هو تداخل النور بالنور . او بكلام اصح ان ذلك التداخل والتمازج يتمّ بين العقل العالم والمثال الذي يحصل فيه من الشيء المعلوم ، فيصبحان كأنهما واحد . والتوضيح هذا واجب لتمييز المعرفة التي تتم عن سبيل نظرة العقل على نحو ما عرضته عن المعرفة كما يراها افلوطين وهي تداخل تام او بالاحرى اتحاد تام بين العالم والمعلوم نفسه .

---

(١) انظر JABRE, *Notion de la Certitude chez Ghazali* ، ص ١٣٧–١٣٨ .

ولا عجب ، فان افلوطين يمثل آخر طور وصل اليه الفكر اليوناني القائم على نظرة العقل التي تلج به الى اعماق المعلوم الملابس له بمثاله من الداخل . ونظرة العقل هذه هي العقل الذي ينظر او بالاحرى الذي استحال نظراً . ومن ثم فلماذا ذلك المثال الذي ينتصب كحجاب ، كحاجز بين العالم والمعلوم وهما من جنس بعضها اذ الحكمة في الاشياء هي انعكاس للعقل الذي في الانسان . وبما ان الامر كذلك فلماذا لا تتم المعرفة عن سبيل التداخل التام بين العقل العالم والشيء المعلوم فيتمازجان ويتحدان الاتحاد التام مع كل ما يستلزم من شروط وعناصر بها يتم ويقوم . فيكون حينئذ الفناء الافلوطيني (Extase) الذي هو غير فناء الغزالي : -

***

فالفناء عند الغزالي ليس اضمحلال العالم وغيابه في المعلوم بالمعنى الوضعي ، انما هو فناء العالم عن نفسه واحواله ، ببطلان شعوره بها بمعنى انه يتناساها ولا يبقى له التفات اليها لاشتغاله بالمعلوم وتركز كل انتباهه على ذلك المعلوم ، الذي لا ينفتح امامه ليدخل فيه ، انما يبقى مغلقاً على نفسه يحاط ويدبر من الخارج[1]. فلا يقف العقل منه موقفاً ايجابياً ، فيجده هو بنفسه ويطلع عليه ويقبل عليه بالتنقيب والبحث والتحليل والتمييز فيه بين الصالح والطالح ، بين الكاذب والصحيح . انما موقف العقل من ذلك المعلوم سلبي محض يتسلمه تسلماً بعد ان ينبه اليه وليس له بعد ذلك الا ان يرتب فيما بين اجزائه وعناصره بقدر ما يتبين ، من الخارج دوماً ، بين تلك العناصر والاجزاء من علاقات تربطها بعضها ببعض . ولقد قدمت ، دعماً لذلك ، في المقال السابق خاصة ، الشواهد الكافية من تصريحات الغزالي في الحصول على العلم والمعرفة حتى في العلوم التي نعتبرها اليوم عقلية محضة ولا نرى فيها للنبوة لا ناقة ولا جمل . بقي علي ان ابين كيف ان اللغة العربية التي يستخدمها ، وهي اللغة العربية القديمة الصحيحة التي لا شوب فيها ولا غبار عليها ، هي هي التي كانت تحكم عليه بذلك الموقف الذي نراه عنده من المعرفة والعلم .

١) انظر في ذلك المقال في مجلة *Studia Islamica* ، ملزمة ٦ ، ١٩٥٦ : JABRE,
L'Extase de Plotin et le Fanā' de Ghazali .

فان هذه اللغة مبنية ليس على جملة منطقية (Phrase logique) وحكم منطقي (Jugement logique) كما هو الامر في اللغة اليونانية واللغات الاوروبية التي نشأت منها وتأثرت بصرفها ونحوها في نشأتها وتطورها . فان جملة كهذه تحليلية تتطلب التحليل بحد ذاتها وتفرضه فرضاً على العقل بمجرد اعتراضها له ، فتحمله بطبيعة الحال ان يقف من الامور والاشياء ومعرفته لها موقفاً ايجابياً ، موقف العالم الذي يريد ان يجد اكثر مما يريد ان يفهم . اما الجملة العربية فهي تأليفيه قائمة على التصديق . والتصديق ، في الوضع العربي ، هو بالضبط فعل العقل وعمله بحد ذاته ، وهو مبني ، في نهاية الامر على الايمان ، على ثقة العالم بالغير ، مع الافتراض بان ذلك الغير ينقل اليه خبراً او يطلعه على حادث او يرويه قصة . والامر ذلك ثابت ينطبق ، بدون تمييز ، على ما نعرفه اليوم بالمبادئ او المعلومات العقلية — مثل : الاثنان والاثنان اربعة — ، وعلى حادث اطلعنا عليه نحن بانفسنا — مثل : المطر نازل — ، وعلى خبر سمعناه وارتحنا الى صحته — مثل : وجود مكة وهجرة محمد الى المدينة في سنة ٦٢٢ مسيحية . كل هذه المعلومات التي نحصل عليها اما بما هو معروف بنظرة العقل (Evidence) عند الاجانب ، اما بالاعتماد على غير انفسنا ، كل هذه المعلومات اقول تقبل ويسلم بها على انها داخلة تحت حكم التصديق ، الذي ، اعود واقول ، هو عمل العقل المحض الذي لا دخل فيه لتأثير الارادة وعملها . ففي حد ذاته ، ان التصديق هو ادراك عقلي محض لواقع جزئي مفرد ، هو الحكم الذي به يعبر العالم عن توافق ما في عقله مع الواقع الوجودي او بالاحرى مع الحق[1] .

ذلك ان الناشئ العربي ، لا يكاد يطلع على صرفه ونحوه الا ويلقن ان الجملة خبرية وانشائية . ولندع الآن الجملة الانشائية اذ لا فائدة منها في العلم والمعرفة لانها ليست لتطلعنا على الواقع ولتعبر عن وجود الاشياء كما هي ، انما اوجدت للطلب والتمني والترجي . اما الجملة الخبرية فهي التي تصرف الى التقاط الواقع وينسبك فيها الكلام الذي يفيد معنى ويفيد علماً ومعرفة ، ولكن لا تفيد ذلك الا عن سبيل الخبر ، بطبيعة حالها وحدها . فكأننا في اللغة العربية ،

(١) انظر JADRE, *Notion de la Certitude* ، ص ٢٨٢ وتابع .

كل علم على وجه الاطلاق يستفاد من الغير عن سبيل الخبر ، مهما كان عرض ذلك العلم سواء أكان مبدأ اوليًا يجده العقل في نفسه ، او معرفة مكتسبة يستنبطها من الواقع الحسي ، او حادثًا تاريخيًا يطلع عليه بالشواهد التاريخية ، او نظريات تتعلق بالالهيات ، كما رأينا . والعربي الذي لم يطلع على لغات اجنبية ، ولا سيما على لغات تقرب ، في عبقريتها ، من اللغة اليونانية ، لا يسعه الا وان يتصرف بمقتضى المركب النفسي الذي تولده فيه عبقرية لغته على نحو ما تتشكل وتتكيف امامه في تلك الجملة الخبرية .

فعبقرية هذه اللغة تفرض على صاحبها ، ابدًا ودومًا ، موقفًا سلبيًا من العلم والمعرفة فلا يخطر في باله ، بطبيعة الحال ، ذلك الموقف الايجابي الذي يحمل العالم على ان يقبل ، هو بنفسه ، على الشيء المعلوم ، فيدقق فيه وينقده ، ويصفيه ، ويحلله الى عناصره ، كأنما معرفته له تبتدئ فيه هو نفسه وليس من عالم قبله اقبل على ذلك المعلوم ثم ترعاه ثم سلمه اياه . هو يتسلم كل شيء عن سبيل الخبر .

والخبر ابدًا مغلق على نفسه ، لا يتطلع عليه من الداخل ، ولا يقف عليه العقل حتى ينفتح امامه ويكشف له بواطنه . كل شيء ، كل علم قائم على التصديق ، على ادراك ذلك الشيء من الخارج ، كواقع جزئي فردي ، على الاحاطة به ، ومن ثم العبارة : احاط به علمًا .

ولذلك نرى انه ليس للفظة الفرنسية (Evidence) مقابل في اللغة العربية . وهو امر حاولت ان اجد له حلًا مع اللغوي المشهور الاستاذ بلاشير ، فما لبث ان وافقني على رأيي ذلك . واظن ان لفظة « ادراك » اقرب لفظة في لغتنا الى مدلول (Evidence) مع العلم ان الادراك يقال في كل علم سواء أكان اوليًا - عفويًا ، ام نظريًا مكتسبًا . هذا علاوة على ان اللفظة تلك « ادراك » تدل ايضًا قبل كل شيء على الالتحاق بالشيء والتقاطه فيقال « لحق به فادركه » ، وهي ابدًا تفيد الاحاطة بالمعلوم من الخارج وليس النفاذ فيه الى داخله وصميمه . نعم اعرف ان اساتذة الفلسفة اليوم ، الذين يعلمون الفلسفة باللغة العربية والذين الفوا كتبًا في المنطق ، عربوا لفظة (Evidence) بلفظة « بداهة » او « بديهية » . الا ان البداهة لا تفيد ذلك الاقبال الايجابي على العلم والمعرفة ، ذلك الاستقلال

عند العالم من المعلوم مهما كان مصدره ومنشؤه ، وهو قبل كل شيء مدلول لفظة (Evidence) . انما البداهة تفيد سرعة فهم التعليم والمعلوم بعد قبولها ، فتولد بذلك عند العالم موقفاً سلبياً في اساسه . هذا علاوة على ان اللفظة هذه ، مثل لفظة الادراك ، تطبق على العلوم الاولية الضرورية والعلوم المكتسبة ، بدون تمييز . اما فيما يختص بالفئة الاولى من العلوم يقول الغزالي : « لا يحتاج الانسان فيها الا الى ذهن ترتسم فيها المفردات ، والى قوة مفكرة تنسب بعض هذه المفردات الى البعض ، فينتهض العقل على البديهة الى التصديق او التكذيب »[1]. ويقول في الفئة الثانية ، ومنها العلوم المختصة بطرق المجادلة والادلة : « فنحن ايضاً نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة او هيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة ، حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال ، كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال »[2]. ولذلك عدلت الى تعريب (Evidence) بالعبارة « نظرة العقل » .

لا شك ان مدلول الـ (Evidence) فيه شيء من السلبية الموجودة في الفهم . فان العقل عندما يقبل على المعلوم بمقتضى ذلك المدلول يفهم المعلوم وهذا طبيعي، ولكنه لا يحاول فهمه الا بعد ان يكون قد قبله هو بنفسه وتيقن من صحته . اما عند الغزالي فعمل العقل هو مجرد الفهم ليس غير . تأخذ الشيء عمن يعلمك اياه ، وتقبله فتعرفه ثم ينتهي بك التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد اخرى الى اليقين الضروري بان استاذك ما غلط . هذا في العلوم الحسابية وغيرها من العلوم التي تسهل على العقل . اما في النظريات الصرفة التي تتعلق بالالهيات التي لا يقوى على تعليمها الا النبي ، والتي هي بالضبط موضوع علم ما وراء الطبيعة عند ارسطو ، فالامر فيها اشد[3]. ولقد ذكرت في المقال السابق ان فائدة العقل هنا

١) المستصفى ، القاهرة ، ١٩٣٧/١٣٥٦ ، ج ١ ، ص ٢٩ .

٢) احياء ، ج ١ ، ص ٨٦ ؛ وايضاً اقتصاد ، القاهرة ، المكتبة التجارية (بدون تاريخ) ، ص ٥٢ ، ٦٥ .

٣) المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق ١٩٣٣/١٣٥٢ ، ص ١٤٠ – ١٤٢ . انظر ايضاً Jabre, *Notion de la Certitude* ، ص ١٠٣ حيث تجد المراجع الى مؤلفات الغزالي كالمعيار والقسطاس .

ان يشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما لا يدرك الا بعين النبوة ، فيأخذ بايدينا ويسلمنا الى تلك العين تسليم العميان الى القائدين ... وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهم ما يلقيه النبي اليه[١]. ويكون ذلك التفهم على درجات : الاولى منها الاعتقاد ثم العلم ثم المعرفة بالذوق . فبالاعتقاد يقبل التعليم قبولاً ويسلم بصحته مبدئياً ، وبالعلم يدعم ذلك التعليم بالادلة والبرهانات الجدلية التي من شأنها لا ان ترسخه في النفس وتحكمه فيها ، بل ان تميلها اليه وتحببه اليها فتجذبه ، ثم تأتي المعرفة بالذوق « وتكون بادراك المعلوم تفصيلاً بالتحقيق والذوق بان يصيرا حالاً ملابساً للعالم فيكمل ويكون بذلك كالباطن بالاضافة الى درجة العلم التي كانت من قبل » . ولكن ذلك العلم ، هو هو في المعرفة بالذوق كما هو في الاعتقاد ، يتقبله صاحبه تقبلاً ولا يجده هو بنفسه وبمجرد عقله وقواه[٢] .

وموقف الغزالي ذلك السلبي من العلم والمعرفة ليس اوضح دلالة عليه من الصورة التي يعمد اليها ليصف كيف يتم العلم وهي صورة المرآة . يقول : « لكل معلوم حقيقة ، ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها . وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور : وكذلك ههنا ثلاثة امور : القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه . فالعالم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة »[٣] .

ولنلاحظ هنا حالاً ان هذه الحقائق او امثلة المعلومات لا تأتي على العقل من الواقع الحسي بل تطبع هكذا وتنبسط على مرآة القلب بالانعكاس عن « اللوح المحفوظ الذي يوجد فيه كل ما قدر الله ان يتم منذ ابتداء العالم حتى انقضائه[٤] » . وكل ذلك يهبط على الملاك ثم من الملاك ينعكس على عقل النبي والنبي يسلمه للانسان العادي فيقبله هذا ويحفظه ويتأمل فيه . فالعقل دوماً في

١) المقال السابق ، ص ٦–٧ .
٢) انظر في كل ذلك JADRE, *Notion de la Certitude* ، ص ١٢٨ وتابع .
٣) احياء ، ج ٣ ، ص ١١ .
٤) احياء ، ج ٣ ، ص ١٦ .

موقف سلبي ، موقف القبول من المعلوم الذي يدرك من وراء التعليم . فلا غرو بعد ذلك ان كان الغزالي لا يثق للاستقراء الارسطاطاليسي معنى ، اذ ان ذلك الاستقراء يفترض في العقل موقفاً ايجابياً من الامور والحياة بمقتضاه يقبل عليها العالم بجسارة وثقة قوية من نفسه حتى ينتزع من تلك الامور والحياة تلك الكليات الضرورية وتلك القوانين المطردة التي تستتر وراء الجزئيات الفردية الحسية . اعود واقول انه لا بد ، آنئذ ، من ان يفترض في المعلوم ان ينفتح وينكشف امام العقل حتى يستطيع العقل ان ينتزع منه كل هذا الذي ينتزعه . اما عند الغزالي فيُفرض المعلوم فرضاً على العقل . ويعرض عليه مغلقاً فلا ينفذ الى صميمه ليرى من الداخل ما يربطه بغيره ولذلك يبقى الاستقراء عند مفكرنا احصاء جزئيات فردية تضاف الى جزئيات فردية ليس غير ، فلا يمكن ان ينتقل منها بالحكم على الكليات ، التي يدركها العقل ، هي ايضاً ، على نحو ما يدرك الجزئيات . وهكذا القول ايضاً عن تلك المبادئ الاولية او العلوم الضرورية التي يقف ويطيل الوقوف عندها في صفحات المنقذ الاولى ، مثل علم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً معاً . فهذه العلوم ضرورية بمعنى ان العالم لا يدري من اين حصلت وكيف حصلت ... ويجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطوراً عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من اين حصل له اعني لا يدري له سبباً قريباً والا فليس يخفى عليه ان الله هو الذي خلقه وهداه . والصبي الذي يشتمل قلبه على تلك العلوم الضرورية تكون عنده العلوم النظرية غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة . فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد .

وقصارى الكلام فان تلك العلوم الاولية الضرورية يتم ادراكها على نحو ما يتم ادراك الفردي ، ولكن بصورة عفوية مباشرة . وهي لا تعرض للعقل مفتوحة منكشفة لينظر فيها ويتخذها كبدأ لتفكيره وللحصول على المعلومات الاخرى المكتسبة . بل انها تطفو على وجه ضميره الواعي كعلوم ضرورية لا بد من اليقين منها فيتعوَّد العقل على تلك الضرورة التي لا بد من ان يتصف بها التعليم

الصادر عن النبي . فهذا التعليم ليس ضرورياً في بادى الامر ، انما يصبح ضرورياً بالتذكر والمتابعة ، فيدركه حينئذٍ العقل ويقبله على نحو ما يدرك ويقبل العلوم الاولى الضرورية ، التي يصبح ادراكها بذلك كأنه اختبار سابق للضرورة التي بها يتقف التعليم الصادر عن النبي[1].

وبعد . هل يمكن ان يعد كل ذلك طعناً في تفكير الغزالي وفي موقفه من العلم والمعرفة . كلا ثم كلا . اردت فقط ان اقول ان الغزالي عند اقباله على نظريات ارسطو في المنطق والعلم والمعرفة ، اقبل عليها بلغته العربية المحضة على ما تتصف به تلك اللغة بعبقرية تصفها بطابع خاص يميزها عن غيرها . فهي تأليفية لا تحمل الانسان الذي يتكلمها على التحليل بطبيعة الحال ، وهي تفرض المعلوم فرضاً على العالم فتحدد عنده موقفاً سلبياً . وهي تنافى وما تستتبعه نظارة العقل في اللغة اليونانية من امكانية في استخراج الكليات الضرورية التي تعم كل مكان وكل زمان ، فتدرك تلك الكليات ، بمقتضاها ، كما تدرك الجزئيات الفردية . وكل ذلك لا ضير فيه ان كان قد ابعد الغزالي عن فلسفة ارسطو فهي ليست الحق بنفسه . فالرأي كل الرأي ، ان نقبل على تلك اللغة ونقف في استخدامها ، الموقف الذي وقفه الغزالي : فلربما ساقنا ذلك ، ولا بد من ان يسوقنا ، الى ابتكار اتجاهات جديدة وتيارات غير مألوفة للفلسفة فيما يختص بالعلم والمعرفة والشعور الديني . واريد هنا ايضاً ان انبه الى شيء تنبه اليه المطلعون على الآداب الغربية . فهم بعد قراءتهم لتلك الآداب ، يرون ان فيها قيمة انسانية تجعلها مستحبة في كل عصر وكل مصر . ذلك لانهم يقوّمون تلك القيمة الانسانية بغير المقوّمات التي تصلح ان تطبق على الادب العربي . فاللغة العربية تأليفية ولا تساعد على الاستقراء ، وهو الاستقراء الذي يحمل الانسان على ان يدخل في المعلوم ويحلله ويرى فيه ما هو ثابت مقبول عند كل انسان مهما كان مكانه وزمانه . اما اللغة العربية فهي تلتقط المعلوم على نحو ما يلتقط الجزئي الفردي ويدرك . ولذلك يبقى ذلك المعلوم كأنه مقيد بالحس والواقع ، متصل به اتصالاً وثيقاً . وهذا له التأثير البعيد على الصورة الادبية

١) راجع في كل ذلك JADRE, *Notion de la Certitude* ، ص ٢٣٠ وتابع حيث تجد المراجع إلى مؤلفات الغزالي .

اجمالًا والصورة الشعرية بنوع خاص . فان المقطوعات الادبية العربية ، لمجرد سبكها في اللغة العربية وهي لغة تأليفية ، لا تحضر امامك على الفور في قيمتها الانسانية القائمة عادة في الآداب الغربية على الخيالات والانفعالات الاصيلة العميقة التي تكون وليدة التنقيب والتحليل . فان هذه المقطوعات اول ما تبدو لك فيهواتف واصداء تسمعها الاذان ، وبصور حسية تراها العين . والشاعر العربي يعمد الى هذه وتلك ليرمز رمزًا الى الجو الذي يضطرب فيه وجدانه . واذا انت فهمت رموزه ، فكأنه يتناولك ويرمي بك رمياً الى ذلك الجو ثم يحبسك فيه بوحدة الروى والقافية . وكأن الصورة الشعرية ، في المقطوعة العربية ، لالتصاقها بالحياة المادية ، الحسية ، وهي التقاط جزئي فردي في حد ذاتها ، كأن تلك الصورة اقول لا تزال اسيرة الاطـار الحـي ، محصورة فيه. فتبدو ململمة منقبضة بعضها على بعض . فهي ان وصلت اليك هكذا وصدمتك وايقظت فيك شيئاً وعرفت كيف تدبرها كشفت لك عن لبابها فوقفت امامها كأنك ما كنت تتوقع هذا الشيء الجديد الطريف الذي تجده فيها .

اما الصورة الشعرية في الآداب الغربية التي نشأت كلها عن الادب اليوناني فكأنها تحت عمل التحليل وانفتاح العلوم ، حطمت ذلك الاطار الحـي بعد اشباع الخيال بتفكير منعش بالعاطفة المتطورة المسيرة بالعقل . وكأنها قد تم لها ذلك في الشعر اليوناني نفسه . فتبدو لنا بعد هذا كله ، لا ململمة منقبضة ، بل منبسطة انبساط الفكرة المطمئنة من نفسها ، واسعة الخطى ، تتمدد في نفوسنا بمثل ما تتمدد موجة البحر الوادعة الهادئة على الساحل الرملي الصافي المنقى ، فيرى فيها كل انسان ما يلائم عقليته في الزمان والمكان اللذين يعيش فيهما .

فهل كل هذا الذي اسلفت وعرضت له مجرد آراء ونظريات قد تقبل وقد ترد ، فيما يختص بالتصديق وعبقرية لغة الضاد التي وجهت تفكير الغزالي وارغمته ارغاماً ، بمقتضى تلك العبقرية ، على ان يتبرأ من ارسطو ونظرياته في العلم والمعرفة والنظر الى الامور والحياة ؟ لا اظن . فاننا في درس الفكر العربي المتأثر بالفكر اليوناني نرى ان الموقف الذي نلاحظه عند الغزالي يعود ويتجدد عند غيره وسيتضح لنا ذلك اتضاحاً وافياً عندما نتبين ، في المقال المقبل ، كيف دخلت الفلسفة اليونانية وكيف سبكت في فلسفة الاشراق .

٦

فلسفة اليونان في فلسفة الاشراق

انني اذ انتهي الى مقالي السادس والاخير ، لا ارى بدّا من ان ارجع الى ما ذكرته في مقالاتي السابقة ، فيما يختص بموقف الغزالي وارسطو من المنطق خاصة والمعرفة والعلم على وجه عام ، فاعرض للفوارق بين نظر المفكرين على نحو ما يلي :

ان المنطق عند ارسطو هو صوري ومادي في الآن نفسه وهو بذلك يبدو على انه مرتبط بالواقع ارتباطاً محكماً لا انفصام فيه ، لا غاية منه الا تسجيل ذلك الواقع قبل ضبطه وتنظيمه بالقضايا والاحكام والاقيسة. اما عند الغزالي فذلك المنطق آلة شكلية صورية ليس غير ، احدثت لتنظيم معلومات يتسلمها عن غير سبيل الاستخراج من الواقع ، ليس للعقل ان يجدها بل ان يفهمها حتى ينظم فيما بينها ويعرضها بشكل متسلسل مرتب يسهل حفظهـا ويظهر حسن انتظامها بعضها مع بعض . وذلك راجع الى ان ارسطو يقبل على مشكلة المعرفة والعلم كحكيم مثل غيره من حكماء اليونان ليطلع على الامور والحياة بمجرد عقله هو وقواه معتمداً عـلى ذلك العقل فقط للتمييز بين الصحيح والكاذب ، وللمضي الى اعمق ما يستتر وراء الظواهر الطبيعية من معلومات كلية ضرورية وقوانين مطردة عامة لا تقوم تلك الظواهر الجزئية الحسية الا بها . وهو اذ يدعو غيره الى ان يشاركوه في نظره الى الامور والحياة يطلب منهم ان يقفوا منها نفس الموقف الذي وقفه هو ، اعني ان يعودوا ، هم ايضاً الى مجرد عقولهم وقواها ، ويحكّموها فيما يعرض عليهـا ، ويتبيّنوا هم بانفسهم الصحيح والكاذب منها بدون اعتماد على اية سلطة كانت تؤثر على حكمهم وتوجه ادراكهم ، فيكون ذلك الادراك منطلقاً حرّا من كل قيد ، لا يخضع لغرض او لغاية ، مستقلا بنفسه تمام الاستقلال .

واما الغزالي فهو ايضاً يرى ان المعرفة هي الحكمة ، وهي تتم عن ذلك السبيل الذي يشير اليه ارسطو ، الا ان الحكيم الاكبر لا بل الحكيم الوحيد عنده هو النبي . فالنبي يطلع عـلى الامور ويدركها ولكن ليس بنفسه بل

بواسطه الوحي اعني بواسطة تعليم يأتيه من قبل الله عن يد ملاك. والتعليم ذلك يعد كاملًا ليس قابلًا للتغيير ، وهو التعليم الحق لا بد للناس ، تابعين ومتبوعين ، من ان يتقيدوا به . فالتقيد ذلك هو الحق والانحراف عنه هو الباطل ، وكل ما يخطر على العقل من معلومات ، هو صحيح او كاذب بقدر ما يتفق وذلك التعليم او يخالفه ، لا سيما اذا كان من تلك النظريات التي تتعلق بالالهيات اعني ما وراء الطبيعة .

لقد حاولت في مقالاتي السابقة ان ابين ان هذه الفوارق التي سجلناها بين ارسطو والغزالي فيما يختص بموضوعنا ، راجعة في اصلها واسبابها الى العقليتين اللتين ينتسب اليهما ارسطو من ناحية والغزالي من الاخرى . اما ارسطو فهو يقبل على المعلوم بما سميته نظرة العقل وهي العبارة التي اراها اشد من غيرها استيفاء لمعنى اللفظة الفرنسية :(— Evidence) . قال : (Evidence) هي فهم المعلوم ولكن بعد اقبال العالم بنفسه عليه اقبالًا مباشرًا ليحلله الى اجزائه وعناصره ويبحث عن الحق فيه ليتبينه ويميزه عن الباطل . ويتطلب ذلك من العالم موقفًا ايجابيًا من المعرفة والعلم مع الافتراض ان المعلوم ينفتح انفتاحًا امامه فيلج فيه ويحاول ان ينفذ الى اعمق خفاياه. اما الغزالي فعبقرية اللغة العربية الخالصة التي يستخدمها تفرض عليه موقفًا غير هذا الموقف . فالمعلوم بمقتضى هذه اللغة يعرض على العالم عرضًا ضمن جملة خبرية تصدق او تكذب ، وتتم المعرفة ابدًا ودومًا عن طريق تصديق خبر يبقى ، مهما كان نوعه وغرضه ، مغلقًا على نفسه لا مجال فيه للتحليل مما يفرض على العالم موقفًا سلبيًا قائمًا على مجرد الفهم والاقتناع بما يعرض ويبدو. واعيد واقول انه ربما لم يكن ذلك الموقف موقف ابن سينا والفلاسفة المسلمين ، بل ربما لم يكن موقف العلماء المسلمين جميعًا. الا انه ، في الواقع ، موقف الغزالي على نحو ما يظهر من كتبه ومؤلفاته .

الا انه الى جانب ذلك السبب السيكولوجي الذي نجده في اصل الفوارق بين ارسطو والغزالي سبب آخر تاريخي لا يمكننا ان نلم به الماماً وافيًا ما لم نلق نظرة عامة على ما كان من مصير الفلسفة اليونانية فيما نعرفه بفلسفة او حكمة الاشراق .

هذا وان اول ما يجدر بنا ان نذكر هنا هو اننا حتى هذه المدة الاخيرة

كنا نجهل تلك الفلسفة جهلاً شبه تام . واذا كنا لنستطيع اليوم ان ندعي الاطلاع على بعض الشيء منها فالفضل راجع الى لوييس وخاصة الى ايفانوف وكوربين اللذين وقفا حياتها على البحث في اصولها وموادها ونشر الدراسات المتعمقة عنها . واوضح تحديد نراه لها هو تعليق قطب الدين شيرازي على لفظة «اشراق» نفسها اول ما وردت في كتاب الشهروردي «حكمة الاشراق». «فحكمة الاشراق هي الحكمة المؤسسة على الاشراق الذي هو الكشف، او حكمة المشارقة الذين هم اهل فارس، وهو ايضاً يرجع الى الاول لان حكمتهم اشراقية اعني راجعة الى المعرفة بالكشف والذوق. وقد نسبت الى الاشراق لانه ظهور الانوار العقلية ولمعانها على الانفس الكاملة عن التجرد عن المواد الجسمية . وكان اعتماد الفارسيين في الحكمة على الذوق والكشف، وكذا ايضاً قدماء اليونان خلا ارسطاطاليس وشيعته . فان اعتمادهم على البحث والقياس »[1] .

وهذا التعريف يحصر لنا حكمة الاشراق ضمن الحدود التي تميزها عن الفلسفة في معناها الخاص ولا سيما تلك التي اصطبغت بالمذهب الارسطاطاليسي في اتجاهاتها وتطوراتها . ثم انه يدلنا على الاصول التاريخية التي بها تتصل وعنها تتسلسل، مما يسوقنا الى كلام وجيز عن مكانة النبوة منها .

اما فيما يختص بالحكمة الاشراقية في حد ذاتها، فالحكمة هنا ليست ذلك الموقف العملي من الامور والحياة الذي يظهر بالهدوء والتروي القائمين على بعد النظر وعمق التأمل او بكلام اصح ليست تلك الحكمة هذه الفضيلة الادبية الاخلاقية التي تجعل صاحبها انساناً وقوراً متزناً يسير من امره على وعي وهدوء واطمئنان وثقة وجهد واناة . بل كل ذلك الذي نراه اليوم في الحكمة لم يكن آنذاك الا من نتائجها . فالمرء لم يكن متحلياً بكل هذه الصفات الا لانه كان حكيماً، اي مطلعاً على الامور والاشياء . فالحكمة بهذا المعنى هي بحقيقة الواقع العلم النظري بحد ذاته . ويرى الاشراقيون ان العلوم تنقسم الى

١) انظر «مجموعة دوم مصنفات شيخ اشراق شهاب الدين يحيى سهروردي در حكمت الهي» بقلم كربين طهران ١٩٥٢/١٣٣١، صفحة ٢٩٨

قسمين : ذوقية كشفية وبحثية نظرية . فالقسم الثاني يعني به « معاينة المعاني والمجردات بفكر وبحث ونظم دليل قياسي او نصب تعريف حدّي او رسمي » ، كل ذلك الذي يتولد عنه الاستقراء بالمعنى الارسطاطاليسي المشهور . اما القسم الاول فيعني به « معاينة تلك المعاني والمجردات مكافحة ، بمجاهدة روحية تجعل العلم يفيض عليك بانوار اشراقية متتالية متفاوتة بسلب النفس عن البدن ، فتتبيّن المعلومات مطلقة تشاهد تجردها وتشاهد ما فوقها من العناية الالهية »[1] . ولا يعني ذلك نبذ العلوم المستمدة من البحث والفكر واستنكارها ، بل تعتبر كطور تمهيدي لا بد منه للوصول الى حكمة الاشراق في معناها التام . فهي تعرف ايضاً بحكمة التاله بمعنى لفظة θεοσοφία عند اليونان ، اي الحكمة القائمة على تذوق الله ، وصاحبها هو الحكيم الالهي او المتأله θεόσοφος . فبر يؤلف ، في نفسه ، بين العلم النظري الفلسفي في اعلى درجاته وبين تجربة نظرية هي ايضاً وحيدة في نوعها ، من شأنها وطبيعتها ان تحول العالم بكامله الى مرآة مجلوة ناصعة تنعكس فيها لتضرمها الانوار المشرقة الصافية التي هي ملائكة قائمة بانفسها تفيض منها الاشراقات على نفوس الناس. فالحكيم المتأله ليس فقط الصوفي الذي يحاول التجرد عن حواسه ليصل الى المعرفة التجريبية الروحية عن سبيل الكشف من دون استعداد علمي فلسفي سابق ، شأن الكثيرين من المتصوفين الذين ليس عندهم ثقافة فلسفية مثل الحلاج والبسطامي ، وهو ايضاً ليس فيلسوفاً يكتفي بعلمه النظري عادلاً عن العمل بذلك العلم وتحقيقه في نفسه ، شأن الكثيرين ممن يدّعون الفلسفة . فالحكمة الاشراقية هي النظر الى كل شيء في الله وبالله ، هي سلوك سبيل الله ، ومعرفة الانسان نفسه اذ يتذوق الله وكأنه يتحول اليه ، مما دفع بعض الاشراقيين الى ان يقولوا : ان ابن سينا والفارابي لم يكن لهما بتلك الحكمة عهد ، ولم يفقها لتلك الحكمة معنى[2] .

ولذلك نرى السهروردي شيخ اتباع المشرقيين يحدد ، في كتابه حكمة

١) المرجع نفسه ، صفحة ٥ .

٢) في كل ذلك انظر المقدمة الفرنسية التي وضعها المستشرق كوربين للمرجع السابق ، في الفرنسية صفحة ٣ وتابع وخاصة صفحة ٢١-٢٢

الاشراق مراتب الحكماء وطبقاتهم . فهنالك الحكيم الالهي المتوغل في التاله العديم البحث، ثم يأتي الحكيم البحاث العديم التاله وفوق الاثنين الحكيم الالهي المتوغل في التاله والبحث . وثمة حكماء متألهون بين بين، اما متوغلون في التاله متوسطون في البحث ، واما متوسطون في التاله متوغلون في البحث. وان اتفق في الوقت نفسه متوغل في التاله والبحث فله الرئاسة وهو خليفة الله ولا رئاسة في ارض الله للباحث المتوغل في البحث ولم يتوغل في التاله. اما المتوغل في التاله وحسب فهو احق من الباحث فحسب[1] .

والسهروردي ليس فقط شيخ اتباع المشرقيين ، بل هو ذلك لانه محيي رسوم حكماء الفرس في قواعد النور والظلمة ، وهذا يسوقنا الى الوقوف بعض الشيء عند الاصول التاريخية التي تتصل بها فلسفة الاشراق المعروفة ايضاً بعلم الانوار . فان اصحابها لا يعدون انفسهم مقطوعين هكذا لا تاريخ لهم ، بل يرون انهم افراد عائلة روحية واسعة لها ممثلون في كل امة ولا سيما عند الفرس واليونان .

فالثقافة الفارسية هي اول مرجع يذكره الاشراقيون لحكمتهم القائمة على المعرفة بالتأويل اي الانتقال من الرمز وهو الشيء الحسي الظاهر الى المرموز اليه وهو الموجود الحقيقي المستتر وراء الظواهر . فكأن التأويل هو رد الشيء الى ما هو مبدؤه واوله . ومعروف ان النور والظلمة عند الفرس هما المبدآن الاساسيان للامور . فعلى الرمز تبتني قاعدة اهل الشرق ، وهم حكماء الفرس القائلون باصلين احدهما نور والآخر ظلمة ، لانه رمز على الوجوب والامكان . فالنور قائم مقام الوجود الواجب والظلمة قائمة مقام الوجود الممكن . ولا شك في ان الاشراقيين ، وهم موحدون ، اضطروا في ان يحدثوا تبديلات جوهرية في مذهب الثانوية المزدكية ليستطيعوا ان يصلوا بتأويلهم الى مفهومي الواجب والممكن من دون ان يثبتوا الكثرة في الواحد فيجعلون المبدأ الاول اثنين احدهما نور والآخر ظلمة. لان قاعدتهم ليست قاعدة كفرة المجوس والحاد ماني وما يفضي الى الشرك بالله . الا ان هذا هو الامر الواقع ، وهم يذكرون اول

[1] كتاب حكمة الاشراق ، طبعة كوربين ، باريس ١٩٥٢ ، صفحة ١١-١٢

مـا يذكرون ، اسلافهم من المفكرين الفرس مثل جاماسف تلميذ زردشت وفرشادشير وبزرجمهر ومن قبلهم مثل الملك كيومرث وطهمورث وافريدون وكيخسرو وزردشت من الملوك الافاضل والانبياء الاماثل على حد قول قطب الدين شيرازي. والسهروردي يعد محيي رسومهم لانه ظفر باطراف من حكمهم ورءاها موافقة للامور الكشفية الشهودية فاستحسنها وكملها[1] .

وهذا لا يعني ان المشرقيين عدلوا عن الفلسفة اليونانيـة بل انهم حاولوا الجمع والتأليف بينها وبين التفكير الفارسي. فهم يعدون ايضاً من اسلافهم عند اليونان افلاطون وهو امام الحكمة ورئيسها « وصاحب الابد والنور » ، ثم هرمس والد الحكماء، وهو النبي ادريس عند العرب، ثم انباذقلس وفيثاغورس وغيرهما من حكماء اليونان الاول . اما المعلم الاول ارسطاطاليس ، وان كان كبير القدر عظيم الشان بعيد الغور تام النظر ، فلا يجوز المبالغة فيه على وجه يفضي الى الازدراء باستاذيه ، ومن جملتهم جماعة من اهل السفارة والشارعين مثل هرمس واسقلينوس[2] .

هذا الكلام للسهروردي يحدد فيه موقفه من ارسطو . فهو يحترمه ويتقيد به ولكن الى حد ، لان مذهبه بحثي نظري يعتمد على مجرد العقل والفكر والاستقراء وما ينتج عن ذلك من نظم دليل قياسي او نصب تعريف حدّي او رسمي وهي كلها امور يعدها الاشراقيون ، كما ذكرت ، كتمهيدات ليس غير للحصول على الحكمة الالهية او حكمة التاله . وهذه الحكمة ، اعود واقول، جمع وتأليف بين الفلسفة النظرية الارسطاطاليـة وتحقيق لتلك الفلسفة في شخص العالم نفسه بوجه انه يصبح بعلمه وكانه الله نفسه تتوحد فيه الامور والاشياء .وبذلك تبدو الحكمة الاشراقية على وجهها الاتمّ في اصولها التاريخية : هي تأليف بين حكمة اليونان وحكمة الفرس ، وتتخلل هاتين الحكمتين عناصر حكمية بابلية ومصرية ، وهندية ، وصينية بوذية الا ان الطابع الشامل الاقوى الذي يفرض على الكل صبغته وتوجيهه هو الطابع الفارسي . ثم ان

---

١) انظر المرجع نفسه في المقدمة صفحة ٢٤ تابع ثم في النص صفحة ١١ ، ٣٠١-٣٠٢

٢) المرجع نفسه في النص صفحة ١٠-١١ .واسقلينوس هو اسقليبوس (صفحة٣٠٤)

تلك العناصر كلها تتوحد وتتألف ضمن نزعة تصوفية وميل الى المعرفة والعلم عن سبيل الكشف والذوق والتجربة الروحية التي هي التأله[1] . ولذلك نرى السهروردي يقول في آخر مقدمة كتابه : « حكمة الاشراق » : كتابنا هذا لطالبي التألـه (- Expérience théosophianique) والبحث (Dialectique philosophique) وليس للباحث الذي لم يتأله او لم يطلب التأله فيه نصيب . ولا نباحث في هذا الكتاب ورموزه الا مع المجتهد المتأله او الطالب للتأله . واقل درجات قارئ هذا الكتاب ان يكون قد ورد عليـه البارق الالهي (Fulguration divine) ، وصار وروده ملكة له . فمن اراد البحث وحده فعليه بطريقة المشائين فانها حسنة للبحث وحده محكمة وليس لنا معه كلام ومباحثة في القواعد الاشراقية ، بل الاشراقيون لا ينتظم امرهم دون سوانح نورية[2] . فارسطو نعم ، نعم الاستاذ ، ولكن لا يجوز المبالغة فيه على وجه يفضي الى الازراء باساتذيـه ، ومن جملتهم جماعـة من « اهل السفارة والشارعين[3] » .

من هم اهل السفارة والشارعون هؤلاء ؟ يقول الشارح لكتاب حكمة الاشراق « انهم اهل الكتب الالهيـة المنزلة من السماء ، وارباب النبوات ، والشارعون للنواميس . واغاثاذيموس وهرمس واسقلينوس منهم ، كما انهم منهم ايضاً الحكماء المشهورون القدماء جميعهم . فهم جميعاً من عظماء الانبياء واهل النواميس واصحاب الوحي ، ولهم النصيب الاوفر من الحكمة . فبقوة الوحي والاتصال العقلي قدروا على تدوين الحكمة واظهار الفلسفة اذ ان مبدأ الفلسفة مأخوذ عن الشارعين الفاضلين الجامعين للفضائل النبوية والحكمة الفلسفية[4] » .

وننتهي بذلك من درس فلسفة الاشراق الى النقطة الهامـة فيما يختص بالموضوع الذي نعالجه الا وهي الحصول على العلم عن سبيل النبوة . وللاشراقيين

---

١) المرجع نفسه ، المقدمة الفرنسية ، صفحة ٢٢–٢٤ ، حاشية ٤٩

٢) المرجع نفسه ، النص ، صفحة ١٢–١٣

٣) المرجع نفسه ، النص ، صفحة ١١

٤) المرجع نفسه ، النص ، صفحة ٣٠٤–٣٠٥

في الامر نظرية نجدها عند الاسماعيلية والتعليمية على وجه عام . وهي ان مضمون الرسالة النبوية يكون عند المقربين في الملأ الاعلى. فاول الانبياء المرسلين هو العقل الاول ، وآخرهم اعني خاتم الرسالة النبوية والانبياء هو العقل الاخير ، رب النوع الانساني ، ملاك الانسانية الذي اسمه ايضاً العقل الفعّال او الروح القدس. فعلى الانسان العالم ان يتحد به، ويتم له ذلك بعد التجرد عن الحواس، بالتأويل ، اعني بالرجوع بنفسه الى اولها ومبدئها[1] . واذا تم له ذلك الاتحاد نوعاً ما ، اصبح الانسان العالم قائماً مقام ملاك الانسانية المشار اليه ، حالاً محله. ومهما كثر عدد هؤلاء الناس العالمين الذين حققوا ذلك الشرط وتوصلوا الى ذلك الحد من العلم والمعرفة كانوا جميعاً انبياء، وكان كل منهم « خاتم الانبياء ». وبذلك ليس محمد وحده نبياً وخاتم الانبياء ، بل ان تلك الميزة التي يتمتع بها يمكن ان تحصل لكل حكيم مثاله توصّل ، بتجرده عن حواسه وبارتفاعه بنفسه ، الى الملأ الاعلى فاتحد بالروح القدس الموحي الاعلى ، معلم التأويل . فهرمس، وحكماء اليونان، وافلاطون وسقراط وارسطو بقدر ما يتجاوز الحكمة البحثية ، ثم جاماسب ، زردشت ، بزرجمهر عند الفرس ، والسهروردي اخيراً شيخ المشرقيين المتبوع، كل هؤلاء الحكماء المتألهين انبياء. وائمة ازمنتهم يقومون بحجج الله ويؤدونها الى اهلها عند الاحتياج، بهم وبامثالهم ، ولو كانوا مستترين اليوم ، يدوم نظام العالم ويتصل فيض الباري[2] .

هذه هي حكمة الاشراق ، حكمة ذوقية ، تألهية ، بالمعنى الذي ذكرت ، تجمع بين الفلسفة اليونانية ولا سيما القديم منها والافلاطونية الحديثة وتيارات الفرس الفكرية التي تصبغها نهائياً بصبغتها ، وهي في نهاية الامر تستمد موادها ليس من الاستقراء والبحث الفكري ، بل من انوار النبوة عن سبيل التأويل.

١) انظر كوربين في مقدمته الفرنسية لكتاب ناصر خسرو « جامع الحكمتين » ، باريس وطهران ١٩٥٣ ، صفحة ٦٥ تابع

٢) لكل هذا المقطع انظر «رسالة شق القمر» في الفارسية في مجموعة فرع المخطوطات الايرانية ، مخطوط ٣٩ ، ورقة ١٥–٢٠ ، انظر تحليلاً لهذه الرسالة عند كوربين ، مجموعة دوّم مصنفات شيخ اشراق الخ . . . الكتاب المذكور في الحاشية رقم ١ ، المقدمة الفرنسية ، صفحة ٥٣–٥٤

الا ان هذه الحكمة ، انما تناولناها بالتحليل وهي قائمة بحد ذاتها ، كمذهب فلسفي مستقل مكتمل ، منتظمة الاصول منسجمة العناصر . ولقد ننتهي الى شيء اوضح واقرب الى تفكير الغزالي اذا ما تتبعنا تلك العناصر في محاولة مفكري الباطنية التعليمية في التأليف بين حكمتهم الالهية وفلسفة اليونان ، كما هو الامر عند احد مشاهيرهم مثلاً ، وهو ناصر خسرو في كتابه جامع الحكمتين .

واول ما يبدو لنا هنا هو ان الوجه الذي كان مفكرو الباطنيين يتصورون عليه الفلسفة اليونانية ليس ذلك الذي نتصورها عليه اذ نعلّمها او ندرسها في جامعاتنا اليوم ، اعني تلك الفلسفة التي تعتمد على مجرد العقل وقواه والتي تتقيد على اقل تقدير بمعالم المذهب الارسطاطاليسي وخطوطه العامة ان كانت تنفصل عنه في التفاصيل . فالفلسفة اليونانية كانت تبدو للمفكرين الباطنية على نحو ما نراها معروضة في رسائل اخوان الصفا او كتب فلاسفة الاشراق . فالحكمة اليونانية القديمة تبدو لهؤلاء جميعاً كحكمة نبوية ، تلقاها الناس عن الانبياء . هم يرونها من وراء اطار الفيثاغورية الحديثة ، ومذهب انبذقلس كما دخل في التلفيق اليوناني — الفارسي ، او ايضاً من وراء افلاطونية حديثة هي الى خلفاء افلوطين اقرب منها الى افلوطين نفسه ، وهي ، على هذا الوجه كانت قد استطاعت ان تبدو مع شيء من مذهب ارسطو عن سبيل الثيولوجيا المشهورة المنسوبة زورا الى ذلك الفيلسوف . فهي هذه الناحية من الفلسفة اليونانية التي يجب ان نفكر بها عندما نتكلم عن محاولة حكماء الباطنيين في ان يؤلفوا بينها وبين حكمتهم . فالحكيم اليوناني بهذا المعنى عند الباطنيين مثله عند السهروردي شيخ الاشراقيين . والباطنيون يحصون بين الحكماء الالهيين القدماء او اهل الحكمة الالهية فيثاغوروس ، وانبذقلس ، وسقراط ، وافلاطون وحتى ارسطو ، ويعتبرون ان تأله هؤلاء المفكرين اليونان خولهم رسالة تشبه رسالة الانبياء ، اذ انهم مرسلون لينبهوا النفوس ويوقظوها من سبات اللاوعي والجهل[1] .

---

(١) انظر في ذلك كوربين في مقدمته الفرنسية لكتاب ناصر خسرو « جامع الحكمتين » ، باريس وطهران ١٩٥٣ ، صفحة ٥٣ تابع .

ولكن اذا كانت حكمة التأله هي هي عند الاشراقيين وعند الباطنيين ، واذا كانت الفئتان تستخدم التأويل لفهم الامور ، فان الفئة الثانية ، اعني الباطنيين ، كانت لا تهدف فقط الى غاية نظرية محضة وانتاج مذهب فلسفي قائم بذاته ، بل كانت تسعى ايضاً ، معتمدة على تلك الحكمة الالهية ، الى غاية عملية ، الى تحقيق نظام اجتماعي ، ونشر دين منزل مقيد بنص موحى به ، عليه يقع التأويل وبه يتقيد . والباطنيون يرجعون الى ذلك النص والى تأويله بمقتضى اساليب واسس متواطأ عليها ، اذ يفندون من آراء حكماء اليونان ما لا ينسجم في محاولتهم في التأليف والجمع بين فلسفة اليونان وحكمتهم . فانهم يرون ، من هذه الناحية ، « ان الفلاسفة والمتقدمين منهم وان كانوا فضلاء في زمانهم ، فقد استمر عليهم سلطان الخطأ في كثير مما تكلموا عليه من العقليات. ولو كانوا في مدة الاسلام ورأوا ينابيع البركات كيف هي فائضة من بيت الوحي بحقائق الامور على ما عليه الدعوة العلوية[1] لكانوا مع اجتهادهم لانفسهم ينصفون وعن انفسهم كثيراً من اعتقادهم فيما غاب عن الجواب يقفون ، ولكانوا اثار من جعل الله له نوراً في غوامض الامور يقتفون[2]. فانهم في ازمانهم اتبعوا اراءهم وعقولهم فيما نحوه مالوا ، فصار كل منهم في اعتقاده الى ما تدل عليه مصنفاته على ما عليه اهل الظاهر في الملة الحنفية حين اعتمدوا على عقولهم في سلوك مسالك الديانة . فاختلفت آراؤهم . وبين اولئك تفاضل . فمنهم من اصابته اكثر ومنهم من خطؤه اكثر[3] » .

ومع ذلك فان الباطنيين ، مع يقينهم من انهم على الصواب لانتسابهم الى بيت الوحي واخذهم العلم عن الامام المعصوم عن الخطأ ، ان الباطنيين اقول لا ينبذون آراء هؤلاء الفلاسفة اليونان برمتها بل يحاولون التأليف بين حكمتهم القريبة الى حكمة الاشراق وبين حكمة اليونان على قدر ما هي تألهية بالمعنى

١) التي اليها ينتسب العلويون .

٢) انظر قرآن ٦ : ١٢٢ ، ٣٦ : ٤٠ الخ .

٣) حميد كرماني ، كتاب الرياض ، باب ١ ، فصل ٣٨ ، مخطوط . راجع تحليل هذا الكتاب عند ايفانوف ، في كتابه *Studies in early Ismailisen* ، ليدن ١٩٥٢ ، صفحة ١٣٠ تابع .

الذي شرحت سابقاً ، ولا يعدون اصحابها من اهل الجاهلية الوثنيين . ثم انهم مع علمهم التوافقي هذا بين الحكمتين ينحون باللائمة المرة على هؤلاء الظاهريين، اهل التفسير والتقليد ، فقهاء دين الاسلام ، امة الحشويين الذين يقفون عند ظاهر النص المنزل ولا يحاولون ان ينفذوا الى باطنه عن سبيل التأويل . الا انهم لا يقفون من طرف التنزيل الموقف التحرري الذي يقفه فلاسفة الاشراق. فانهم يرون انه بدون التأويل ليس التنزيل الا نصاً جامداً لا حياة فيه ، والخضوع له رق لا يحتمل — ولكنه بدون تنزيل ، يبقى التأويل معلقاً لا سند له . فلا سبيل بعد ذلك الى التأليف بين الحكمة التألهية الباطنية وآراء الفلاسفة الذين ينكرون وجود النبوة ، او الذين لا شبه قط بينهم وبين الانبياء . فالظاهر وحده ، نعم ، هو قشر لا نفع فيه ولا معنى له ، ولكن بدون النص الظاهر لا يكون ثمة وعاء يودع فيه الباطن او حجاب يتستر وراءه فيستخرج بعد ذلك بالتأويل[1] .

وليس غرضي هنا ان ادخل في تفاصيل التأويلات التي يذهب اليها الباطنية في اعتمادهم على ظاهر نص الكتاب المنزل . فخلاصة ما يمكن القول فيها الآن هي انها تنافي العقيدة السنية في الكثير من نواحيها . انما ذكرت هذه الاصطلاحات ومكانتها من محاولة المفكرين الباطنيين في التوفيق بين حكمتهم وفلسفة اليونان ، لانها اساسية اولاً ، ثم لانها تسوقني الى امر مهم جداً يختص بموضوع جملة محاضراتنا ، الا وهو امر النبوة .

اذا كان هنالك تنزيل لا بد منه ، فمن الطبيعي ان يكون ثمة نبي لا بد منه ايضاً ، لمعرفة الامور والحقائق . وناصر خسرو ، في كتابه « جامع الحكمتين »، ينحي باللائمة المرة على الطبيب الرازي في استنكاره لوجود النبوة وحملاته عليها[2] . فان الحكمة الباطنية من شأنها ان تؤمن الخلاص ، خلاص النفس من الحواس ، عن سبيل التأله المستند على التأويل . ولكن لا تكتفي

---

١) راجع في كل ذلك كوربين ، المقدمة الفرنسية لكتاب ناصر خسرو « جامع الحكمتين » ، صفحة ٦٥ تابع .

٢) المرجع نفسه ، صفحة ١٢٩ وتابع .

لذلك معرفة الادلة العقلية وترتيبها ، وعمل الاقيسة التامة وسبكها . ولاحداث العلم لا بد من صدمة ، وهذه الصدمة لا يقوى العقل الفلسفي على احداثها بجد ذاته وبجرد قواه لان العقل ذلك لا يمكنه ان يقنع النفس على ان تتجرد من حواسها وان تتخلص من عالم الدنيا الذي قد تراه نعيمها . فالنفس ان تنتبه وتنهض وتقوم الا باصطدامها بحرف التنزيل، وحينئذ تتم ولادتها الدينية الروحانية، ثم تتطور وتكتمل اذ تنفذ عن سبيل التأويل الى باطن ذلك الحرف او النص الظاهر[1] .

لا شك في ان فكرة النبي عند الباطنية لا تتفق تمام الاتفاق مع فكرة النبي عند اهل السنة. الا ان الامر الواقع هو انهم يرون انه لا بد منه للحصول على العلم والمعرفة وهم يتميزون ايضاً عن الاشراقيين بانهم يرون ان محمداً هو هو النبي الاعظم وخاتم الانبياء . ويتصورون على انه ، في ايصال الوحي الى الناس ، هو الاصل الناطق اعني الذي ينطق بالتنزيل فينقله الى الوحي فينقله هذا بدوره الى الامام الذي يصبح بعد ذلك المعلم المعصوم عن الخطأ ، وهو الذي يكون صاحب التأويل الصحيح الذي يهدي الناس الى بواطن الامور وحقائقها المستترة وراء حرف التنزيل. وكل ذلك داخل في فلسفة نظرية محكمة وليس فقط نظاماً عملياً اجتماعياً وسياسياً او بالاحرى ان ذلك النظام الاجتماعي السياسي القائم على ضرورة وجود الامام مرتبط ارتباطاً محكماً بتلك الفلسفة النظرية لا بل انه المبدأ الاساسي فيها ، مبدأ الامامة اي تسلم العلم والمعرفة عن سبيل امام معصوم عن الخطأ لا بد من التقيد بتعليمه للوصول الى الحق واليقين.

ويمكننا الآن ان نعلل بتمام المعنى كل هذه الفوارق التي سجلناها بين الغزالي وارسطو في موقفهما من المنطق خاصة والعلم والمعرفة بصورة عامة . اجل ان الغزالي كان عالماً اسلامياً سنياً شديد التقيد بعقيدته الدينية. فما كان ليمكنه ان يتبع ارسطو في تحرره الفكري ويترك لعقله المجال في ان يسير كل مسير في حقل العقليات والنظريات. فلا يعتمد على مجرد العقل وقواه ليتبين الحق من الباطل بل يرجع دوماً الى مجموعة النظريات التي تؤلف عقيدته فيأخذ ما وافقها وينبذ ما خالفها .

١) المرجع نفسه ، صفحة ١٤١ وتابع .

ثم ان الغزالي ما كان ليفقه للاستقراء الارسطاطاليسي معنى لانه كان يرى ان العلم لا يأتيه عن سبيل مجرد العقل بل عن سبيل التلقي من نبي وصل اليه العلم بالوحي المأخوذ عن ملاك . وكانت لغته ، بعبقريتها ، لا تفسح له المجال للاعتماد على ذلك الإستقراء . لان الاستقراء يتطلب نظرة العقل Evidence التي تنفذ الى صميم الشيء المعلوم وتفتحه وتلج فيه وتحلله الى كل عناصره ، لترى ما يستتر وراء الجزئيات الحسية من قوانين وكليات عقلية ضرورية ابدية .

الا اننا ، فوق كل ذلك ، نعرف ان الغزالي ألف كل مؤلفاته وهو يفكر بنظريات الباطنية في العلوم والمعرفة . فاخذ هذه النظريات وجردها من معناها الباطني ونفحها بمعنى سني . فهو ايضاً ، مثل الباطنيين يقول بالباطن والظاهر والتأويل ولكنه على غير الوجه الذي يراه الباطنيون . والباطنيون يستندون الى الفلسفة اليونانية نعم ، ولكن مثل الاشراقيين ، او لانهم اشراقيون لا يستندون الى تلك الفلسفة البحثية الفكرية التي وضعها ارسطاطاليس بل الى الفلسفة التي هي حكمة ذوقية قبل كل شيء . فان تقيدت بمنطق ارسطو فذلك لترتيب نظرياتها ومعلوماتها ليس غير ، وتمهيداً للوصول الى الحكمة التألهية التي تعد كالغرض والغاية . وتلك الحكمة التألهية لا تنال ولا تتم الا عن سبيل التقيد بنبي يصله العلم عن سبيل الوحي . فلذلك كله لم يأخذ الغزالي عن ارسطو الا المنطق الصوري واسقط المنطق المادي ، ثم كان جاهلاً لوضع الاستقراء ، واخيرا كان متبرئاً من الحكيم اليوناني ارسطو ومخلصاً الولاء للنبي العربي السامي محمد خاتم الأنبياء .

رسالة في التصوف (تابع)

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

الفصل الحادي عشر : في بيان السعادة والشقاوة

اعلم ان الناس لا يخلوا من هذين القسمين او احدهما فاذا تبدّلت حسناته واخلاصه تُبدّلُ جهة شقاوته الى السعادة اي تُبدّل النفسانية الى الروحانية واذا اتبع هواه انعكس الامر واذا استوى الجنبتان فالرجاء على الخير كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فزاد في الحسنة دون السيئة ووُضع الميزان لاجلها اي السعيد والشقي لان مَن تبدّل من النفسانية الى الروحانية بالكلية فلا حاجة الى الميزان له فهو يدخل الجنة بغير حساب ومن ترجح حسناته يدخل الجنة بلا عذاب كما قال الله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عشية راضية ومن ترجح سيئاته يُعذّب بقدر جنايته ثم يخرج من النار ان كان له ايمان ويدخل الجنة ومرادنا من السعادة والشقاوة ان الحسنات والسيئات تُبدل احديها بالاخرى كما قال النبي صلعم السعيد قد يشقى والشقي قد يَسعد فاذا غلبت السيئات يكون من اهل النار واذا تاب وعمل صالحاً تتبدّل شقاوته الى السعادة وامّا المقدّر في الازل من السعادة والشقاوة لكلّ واحد كما قال عليه الصلوة والسلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي شقيّ في بطن امه فليس فيه لاحد بحثٌ لانه من سرّ القدَر ولا يجوز لاحد ان يحتجّ بسر القدَر كما قال صاحب التفسير البخاري رحمه الله تعالى ان كثيرًا من الاسرار يُعلَم ولا يُتكلَّم به كسرّ القدَر فان ابليس احال امره على سرّ القدَر فلُعن بذلك وان آدم عليه السلام اضاف عصيانه الى نفسه فافلح ورُحمَ وفي مناجاة بعض العارفين: الهي انت قدّرت وانت اردت وانت خلقت المعصية في نفسي. فهتف به هاتف: يا عبدي هذا شرط العبودية. فعاد وقال انا اخطأت وانا اذنبت وانا ظلمت نفسي. فعاد الهاتف وقال: انا غفرت وانا عفوت وانا رحمت وقد اوّلوا ان المراد من الآدم في الحديث مجموع العناصر التي تتولد منها القوى البشرية فالتراب والماء مظهر السعادة لانها مُحيان ومُنبتان العلم والايمان والتواضع في القلب. وامّا جزء النار

والريح فبالعكس لانها محرقان ومميتان فسبحان من جمع بين هذه الاضداد في جسم واحد . سئل يحيي بن معاذ رحمه الله تعالى بمَ عرفت الله تعالى قال بجمع الاضداد وذلك لان الانسان نسخة امّ الكتاب ومرآة الحقّ جلالًا وجمالًا جامعَ الكونين ويُسمّى كونًا جامعًا عالمًا اكبر لان الله تعالى قال : انا خلقت بيدي اي يدى القهر واللطف لانه لا بُدَّ للمرآة من جهتين جهة الكثافة واللطافة فيكون مظهر الاسم الجامع بخلاف سائر الاشياء. فانها خُلقت بيد واحدة اي بصفة واحدة إمّا صفة اللطف فقط كالملائكة فهم مظاهر اسم السُبّوح واما صفة القهر فقط كابليس وذرّياته فهم مظهر اسم الجبّار . ولذلك تجبّر وتكبّر عن السجدة لآدم عليه السلام. فالانسان جامع لجميع الخُواص من الكون عُلوًّا وسفلًا. فالانبياء معصومون والاولياء ليسوا معصومين وقيل محفوظون بعد كمال الولاية قال شقيق البلخي رحمه الله تعالى علامة السعادة خمسة لين القلب وكثرة البكاء والزهد في الدنيا وقصر الامل وكثرة الحياء . وعلامة الشقاوة خمسة قسوة القلب وجمود العين والرغبة في الدنيا وطول الامل وقلّة الحياء. وقال عليه الصلوة والسلام علامة السعيد اربعة اذا أوتمن عدَل واذا عاهد وَفى واذا حدّث صدق واذا خاصم لم يفجر. وعلامة الشقي اربعة اذا أوتمن خان واذا عاهد خالف واذا حدّث كذب واذا خاصم فجر ولا يعفو ومن عفا واصلح فاجرُه على الله. واعلم انّ تبدُّل السعادة الى الشقاوة او عكسه يكون بالتربية كما قال عليه الصلوة والسلام كلّ مولودٍ يولد على فطرة الاسلام ولكن ابواه يهوّدانه او ينصّرانه او يمجّسانه يدُلّ على ان في كل احد قابلية السعادة والشقاوة فلا يجوز ان يُقال ان هذا سعيدٌ محض او شقيّ محض بل يقال لسعيدٌ اذا غلبت حسناته وكذا عكسه. ومن قال غير هذا فقد ضلّ كالقدرية قعدوا عن العمل الصالح وقالوا لا فائدة في العمل فانه لا يغيّر القدر وهذا ضلال لانهم اعتقدوا ان دخول الجنّة بلا عملٍ وتوبة ودخول النار بلا معصية وهذا خلاف النصوص لانّ الله تعالى وعد الجنّة لاهل الصالحات والنار لاهل المعاصي والشرك والكفر كما قال الله تبارك وتعالى مَن عمل صالحًا فلنفسه ومن اساء فعليها. وقال تعالى اليوم تُجزى كلّ نفس بما كسبت وقال تعالى وان ليس الانسان الّا ما سعى وانّ سعيه سوف يُرى ثم يُجزاه الجزاء الاوفى .

الفصل الثاني عشر : في بيان الفقراء

انّما سُمّوا صوفية. قال بعضهم لانهم كانوا يلبسون الصوف. وقال بعضهم لانهم صفّوا قلوبهم مما سوى الله تعالى. وقال بعضهم لانهم قائمون يوم القيمة في الصف الاول وهو عالمُ القربة لان العالم اربعة عالم المُلك وعالم الملكوت والجبروت واللاهوت وهو عالم الحقيقة وكذا الارواح اربعة روح جسماني وروح السرّ وروح سلطاني والرابع الروح القدسي. وكذا التجلّيات اربعة تجلّي الاثار وتجلّي الافعال وتجلّي الصفات وتجلّي الذات وكذا العقل اربعة الاول عقل المعاني والثاني عقل المعادي والثالث عقل الروحاني والرابع العقل الكلّي وهذه العوالم المذكورة والعلوم الاربعة والارواح الاربعة والتجليات الاربعة والعقول الاربعة المذكورات اهل. فبعض الناس مقيّدون بالعلم الاول وبالروح الاوّل وبالعالم الاول وبالتجلي الاول وبالعقل الاول وبعضهم مقيّدون بالثواني وبعضهم مقيّدون بالثوالث. وبعضهم مقيّدون بالغفلة عن حقيقة الامر واهل الحقّ والعناية من الفقراء العارفين الكمّل نفذوا من كلّها ووصلوا الى الحقيقة والقربة ولم يتقيّدوا بشيء سوى الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام وهما حرامان على اهل الله تعالى اي الدنيا والآخرة. وفي الحديث القدسي محبّتي محبة الفقراء. وقال عليه الصلوة والسلام الفقر فخري والمراد من الفقر الفنا. بالله تعالى بحيث لا يبقى في نفسه لنفسه شيء ولا يكون في قلبه غير الله تعالى وغير حبّه كما قال تعالى ما وسعني ارضي ولا سمائي بل وسعني قلبُ عبدي المؤمن اي المؤمن الذي صفا قلبه من صفات البشرية وخلا من الاغيار فوسعَ الحق في قلبه بالانعكاس. وقال ابو يزيد رحمه الله تعالى لو ان العرش وما حواه في زاوية من زوايا قلب العارف ما احسّ به. فمن احبّ هؤلاء المحبّين فهو سعيم في الآخرة وعلامة حبهم حبّ محبتهم وطريقتهم والاشتياق الى الله تعالى ولقائه كما قال في الحديث القدسي خطاباً لداود عليه السلام طال شوق الابرار الى لقائي واني اشد شوقاً اليهم. واما لباسهم. فهو على ثلثة اوجه صوف الغنم للمبتدئ وصوف الغنم للمتوسط وصدق المِرْعز للمنتهي وهو صوف المربّع. قال صاحب تفسير المجمع : يليق كلّ خشن من الملبس والمطعم والمشرب لانهم اهل الابتداء ويليق بالعرفاء

الواصلين كل لين منها والظاهر عنوان الباطن فعمل المبتدئ متلوّن بالالوان الذميمة القبيحة والحميدة ومخلوط وعمل المتوسط متلوّن بالالوان الحميدة مثل انوار الشريعة والطريقة والمعرفة فلباسهم كذلك مثل البياض والزرقة والخضرة وعملُ المنتهي خالٍ عن الالوان مثل نور الشمس . فنورها لا يفيد الالوان مثل السّواد لا يقبل الالوان وهو علامة الفنا. وهو نقاب نور معرفتهم كما انّ الليل نقابٌ نورَ الشمس. وقد قال الله تعالى وجعلنا الليل لباساً فيه اشارة لطيفة لمن له لبّ وايضاً اهل القربة في الدنيا سجن وغربة وغمّ وغصّة ومحنة وظلمة وشدّة كما قال عليه الصلوة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر فيليق بالظلمة لباس الظلمة وقد صحّ ان النبي صلعم لبس الاسود وتعمّم بعمامة سوداء. وهذا لباس البلاء موكلٌ بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالأمثل . وقال صلعم المخلصون على خطر عظيم وهذا كلّه من صفة الفقراء والفناء. وفي الخبر الفقراء سود الوجه في الدارين معناه لا يقبل الالوان والسواد بمنزلة خالٍ في وجه جميل يزيده جمالاً وملاحةً فاذا نظر اهل القربة الى جمال الله تعالى فبعد ذلك لا يقبل نور اعينهم غير الله تعالى ولا ينظرون الى ما سوى الله تعالى بالمحبّة بل يكون محبوبُهم ومطلوبُهم هو الله تعالى في الدارين لا يقصدون غيره تعالى لان الله تعالى خلق الانسان لمعرفته وصلته فالواجب على الانسان ان يطلُب ما خُلق لاجله في الدارين كيلا يضيع عمره بما لا يعنيه .

الفصل الثالث عشر : في بيان الطهارة

وهي على نوعين طهارة الظاهر بماء الشريعة وطهارة الباطن بالتوبة والتصفية من المعاني الدنية وبسلوك الطريقة فاذا نُقض وضوء الشريعة يجب تجديد الوضوء بالماء كما ورد من جدّد الوضوء جدّد الله ايمانه. واذا نُقض وضوء الباطن بالافعال الذميمة والاخلاق الدنية الردية وهي كالكبر والعجب والحقد والحسد والغيبة والنميمة والبهتان والكذب والخيانة مثل الخيانة بالعينين واليدين والرجلين والاذنين كما قال النبي صلعم العينان تزنيان الحديث فتجديد التوبة بالاخلاص عن هذه الامور المفسدات وتجديد الانابة بالندم والاستغفار يقمعها من الباطن وينبغي للعارف ان يحفظ توبته من هذه الآفات لتكون صلوته تامة كما قال

الله تعالى هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ. فوضوء الظاهر وصلاته موقتة كل يوم وليلة لخمس صلوات بخلاف الوضوء في الباطن فانه وصلاته مؤبد في العمر في كل يوم وليلة وكل حين متصل .

الفصل الرابع عشر : في بيان صلوات الشريعة والطريقة .

اما صلوة الشريعة فقد عُلمت بهذه الآية : حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى والمراد اركان الجوارح الظاهرية بحركات جسمانية مثل القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود والصوت والالفاظ . واما صلوة الطريقة فهي صلوة القلب مؤبد . وقد عُلمت بهذه الآية بقوله تعالى والصلوة الوسطى اي صلوة القلب لان القلب خُلق في وسط الجسد بين اليمين والشمال وبين العُلوي النوراني والسُفلي الظلماني وبين السعادة والشقاوة كما قال عليه الصلوة والسلام : ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. والمراد من الاصبعين صفة القهر واللطف فبهذه الآية والحديث يُعلَمُ ان الاصل صلوة القلب فاذا غفل القلب عن صلوته فسدت صلوته وصلوة جوارحه كما قال عليه الصلوة والسلام لا صلوة الّا بحضور القلب المراد منه نفي ثواب الصلوة وفضيلتها لا نفي جوازها مطلقاً كما قال عليه الصلوة والسلام ان في جسد ابن بني آدم لمضغة اذا صلُحت صلُح الجسد كلّه واذا فسدت فسد الجسد كلّه الا وهي القلب وصلوة الشريعة ان يُصلي هذه الصلوات بالجملة متوجهاً للكعبة تابعاً للامام . واما صلوة الطريقة فهي مؤبدة في عمره ومسجدها القلب وجماعتها اجتماع القوى الباطنية على الاشتغال باسماء التوحيد وإمامها الشوق في الفؤاد وقبلتها حضرة الاحدية وجمال الصمدية وهي القبلة الحقيقة والقلب والروح مشغول بهذه الصلاة على الدوام وهو لا ينام ولا يموت بل مشغول في النوم واليقظة بذلك بلا صوت ولا قيام ولا قعود فهو مخاطب بقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ومتابع للنبي صلعم. ففي تفسير القاضي هنا هذا اشارة الى حال العارف وانتقاله من حالة الغيبة الى الحضور. ولذلك قال النبي صلعم الانبياء والاولياء يُصلّون في قبورهم اي مشغولون بالله تعالى ومناجاته لحياة قلوبهم . فاذا اجتمعت صلاة الشريعة والطريقة ظاهرًا وباطناً فقد تمت صلاته فله اجر عظيم في الدرجة والقُربة فيكون عابدًا في الظاهر عارفاً في الباطن. واذا لم

تحصل صلاة الطريقة لحياة القلب فهو ناقص فيكون اجره من الدرجة لا من القربة.

الفصل الخامس عشر : في بيان طهارة المعرفة

في عالم التجريد على نوعين: طهارة معرفة الصفات وطهارة معرفة الذات. فطهارة معرفة الصفات لا تحصل الّا بالتلقين وتصفية مرآة القلب بالاسماء من النقوش البشرية والحيوانية فيُصفي القلب ويحصل له بذلك النظر بعين القلب من عكس جمال الله تعالى. والمؤمن مرآة المؤمن. وكما ورد العالم ينقش والعارف يصقل فاذا اتمّ التصفية بملازمة الاسماء حصّل معرفة الصفات بمشاهدتها في مرآة القلب. واما طهارة معرفة الذات في السر لا تحصل الا بملازمة اسماء التوحيد الثلاثة الاخيرة من الاسماء الاثني عشر في عين السرّ بنور التوحيد . فاذا تجلّت انوار الذات ذابت البشرية وفنيت بالكليّة. فهذا مقام الاستهلاك وفناء الفناء. وهذا التجلي يمحو جميع الانوار كما قال الله تعالى كل شيء هالك الّا وجهه فيبقى الرّوح القدس بنور القدس ناظرًا اليه ناظرًا به ومنه ومعه وفيه وله بلا كيف ولا تشبيه لان الله تعالى ليس كمثله شيء. فيبقى النور المطلق ولا يمكن الاخبار عما وراء ذلك لانه عالم المحو لا يبقى ثمّة عقل يُخبرُ عنه ولا محرم غير الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام لا يسعني فيه ملكٌ مقرّب ولا نبيٌ مرسل وهذا عالم التجريد من غير الله تعالى كما قيل تجرّد تصل والمراد من التجرد فناء كل الصفات البشرية فيبقى في عالمه بصفة الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام تخلقوا باخلاق الله تعالى والله الموفق .

الفصل السادس عشر : في بيان زكاة الشريعة والطريقة

فزكاة الشريعة ان يُعطى من كسب الدنيا الى اهل الزكاة . واما زكاة الطريقة فهي ان يُعطى من كسب الاخرة كلّه في سبيل الله تعالى الى فقراء الدين والمساكين الاخروية . والزكاة تسمى صدقة لان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان تصل الى يد الفقراء . والمراد منه قبول من الله تعالى لها وزكاة الطريقة مؤبدة وهي ان يُعطى ثواب كسب الاخرة للعاصين لرضاء الله تعالى فيغفرُ الله لهم وذلك مثل ثواب الصلوة والزكاة والصوم والحج وثواب التسبيح

والتهليل وتلاوة القرآن والسخاء وغير ذلك من الحسنات ولا يُبقي لنفسه شيئاً من ثواب حسناته ويبقى مفلساً. فانه تعالى يُحبّ السخاوة والافلاس والمفلس في امان الله تعالى في الدارين. فالعبد وما في يده كان لمولاه. فاذا كان يوم القيامة اعطاه الله تعالى بكل حسنة عشر امثالها كما قال الله تعالى من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة. والمراد من القرض ان يُعطي ما له من الحسنات في سبيل الله احتساباً لوجه الله تعالى شفقةً بلا منّة ولا طلب عوض في الدنيا وهذا من قِسم الانفاق في سبيل الله تعالى. قال الله تعالى: لن تنالوا البرّ حتى تُنفقوا مما تحبّون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم.

الفصل السابع عشر: في بيان صوم الشريعة والطريقة

فصوم الشريعة ان يُمسك عن المأكولات والمشروبات وعن وِقاع النساء نهاراً وغير ذلك. واما صوم الطريقة فهو ان يمسك جميع اعضائه عن المحرَّمات والمناهي والذمايم مثل الغيبة والاعجاب والكبر والبخل والحسد والحقد والنميمة والبهتان والكذب وغير ذلك ظهراً وباطناً. فكل ما يُبطل صوم الطريقة فهو ناقص اجراً وصوم الشريعة مؤقت وصوم الطريقة مؤبد في جميع عمره. قال صلعم: رُبّ صائم ليس له من صومه الا العطش والجوع ولذلك قيل كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم اي يمسك اعضائه من الآثام وايذاء الناس بالجوارح كما قال الله تعالى في حديث قدسي: الصوم لي وانا أجزيْ به. وقال عليه الصلوة والسلام للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند الرؤية. قال اهل الشريعة المراد من الافطار الاكل عند غروب الشمس ومن رؤية الهلال في ليله العيد. وقال اهل الطريقة الافطار عند دخول الجنة بالاكل مما فيها من النعيم وفرحة عند الرؤية اي عند لقاء الله تعالى يوم القيامة بنظر السرّ معاينةً. واما صوم الحقيقة فهو امساك الفؤاد عن محبّة ما سوى الله تعالى وامساك السر عن محبة مشاهدة غير الله تعالى كما ورد: الانسان سرّي وانا سرّه والسرّ من نور الله تعالى فلا يمسك غير الله تعالى وليس له سواه محبوب ولا مرغوب ولا مطلوب في الدنيا والآخرة فاذا وقعت فيه محبة غير الله تعالى فسد صوم الحقيقة. واما قضاؤه فان يرجع الى محبة الله تعالى ولقائه وجزاء هذا الصوم لقاء الله تعالى في الآخرة؛

كما قال الله تعالى: الصوم لي وانا اجزي به وهو النظر الى الجمال القديم الازلي.

الفصل الثامن عشر: في بيان الحج

وهو على نوعين: حج الشريعة وحج الطريقة. فاما حج الشريعة فهو ان يحج الى بيت الله تعالى بالشرائط والاركان حتى يحصل الحج وثوابه لان الله تعالى امر باتمام الحج بقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله فمن شرايط حج الشريعة الاحرام اولاً ثم دخول مكة ثم طواف القدوم ثم الوقوف بعرفة ثم وقوف المزدلفة ثم ذبح الاضحية في منى ثم حلق الرأس ثم دخول الحرم ثم طواف بالبيت سبعة اشواط ثم ان يشرب من ماء زمزم ثم ان يصلي ركعتي الطواف في مقام ابراهيم عليه السلام ثم ترك محرمات الاحرام من الصيد وقطع شجر الحرم ونحو ذلك فجزاء هذا الحج العتق من الجحيم والامنُ من قهر الله تعالى كما قال الله تعالى ومن دخله كان آمناً ثم طواف الوداع ثم الرجوع الى وطنه. واما حج الطريقة فزاده وراحلته الميل اولاً الى صاحب التلقين ثم ملازمة الذكر باللسان وملاحظة معناه بالقلب حتى تحصل حياته ثم الاشتغال بذكر الباطن ليصفوّ بملازمة اسماء الصفات فتطهر كعبة السر بانوار صفات الجمال كما امر الله تعالى ابرهيم واسماعيل عليهما الصلوة والسلام بتطهير الكعبة المشرفة بقوله تعالى واوحينا الى ابرهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين. فكعبة الظاهر تطهيرها لاجل الطائفين من الخلق وكعبة الباطن تطهيرها لنظر الخالق فما اجدر هذه بالتطهير مما سواه تعالى ثم خرج بنور الروح القدس ثم دخل كعبة القلب ثم طاف طواف القدوم بملازمة الاسم الثاني ثم ذهب الى عرفات القلب وهو موضع المناجاة فوقف بها بملازمة الاسم الثالث والرابع ثم ذهب الى مُزدلفة الفؤاد وجمع بين الاسم السادس والخامس ثم ذهب الى منى السرّ وهي ما بين الحرمين فوقف بينهما ثم ذبح النفس المطمئنة بملازمة الاسم السابع لانه اسم الفناء الثاني ورفع حجاب الكفر كما قال عليه الصلوة والسلام الكفر والايمان مقامان ما وراء العرش وهما حجابان بين العبد وبين الله تعالى احدهما اسود وهو الجلالية والثاني ابيض وهو الجمالية. ثم حلق رأس الروح من صفات البشرية بملازمة الاسم الثامن ثم دخل حرم السر بملازمة الاسم التاسع ثم وصل الحدوثية العاكفين فيتكف في بساط القربة

والانس بلازمة الاسم العاشر ثم رأى جمال الصمدية بلا كيف ولا شبيه ثم طاف سبعة اشواط بلازمة الاسم الحادي عشر وهي ستة من اسماء الفروع ثم يشرب من يد القدرة كما قال الله تعالى وسقاهم ربهم شراباً طهورًا بقدح الاسم الثاني عشر ثم يرفع الوجه الباقي فينظر بنوره الى وجه الله تعالى . وهذا معنى قوله . اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يعني كلام الله تعالى بلا واسطة الحروف والاصوات ولا خطر على قلب بشر يعني ذوق الرؤية والخطاب ثم حلّل ما حرّم الله تعالى عليه بتبديل السيئات الى الحسنات بتكرار اسماء التوحيد كما قال الله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملًا صالحًا فاولئك يبدل سيئاتهم حسنات. وقال عليه الصلوة والسلام اذا احب الله عبدًا لم يضره ذنب والمعنى اذا احب الله العبد وفّقه للتوبة فيتوب فلا يضره الذي صدر منه قبل التوبة . وقال النبي صلعم ما من شيء احب الى الله تعالى من شاب تائب ثم العتق من التصرفات النفسانية ثم الامن من الحزن والخوف كما قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفضله وكرمه ثم طواف الوداع بتكرار الاسماء كلها ثم الرجوع الى وطنه الاصلي في عالم القدس في احسن التقويم بلازمة الاثني عشر ويتعلّق بعالم اليقين . وهذه التاويلات في دائرة اللسان والعقل . واما ما وراء ذلك فلا يمكن الاخبار عنه لانه لا تدركه الافهام والاذهان ولا يسعه الا الخواص كما قال عليه الصلوة والسلام : ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بامر الله تعالى فاذا نطقوا به انكره اهل الغرّة والعارف يقول ما دونه والعالم يقول ما فوقه فان علم العارف سرّ الله تعالى ولا يعلمه غير الله تعالى فانه يعلم السرّ واخفى الله لا اله الّا هو له الاسماء الحسنى . وقال تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه الّا بما شاء .

الفصل التاسع عشر : في بيان الوجد والصفاء

قال الله تعالى : تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية . وقال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله الآية . وكما ورد جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن لا وجد له لا دين له . قال الجنيد البغدادي الوجد

مصافاة الباطن فتُنتج وارداً من الله تعالى يورث او حزناً . الوجدُ على نوعين : وجد الجسمانية النفسانية ووجد الروحانية الرحمانية . فوجد النفسانية ان يتواجد بقوة الجسم بغير قوة الجذبة الغالبة الروحانية مثل الرياء والسمعة والشهرة كما ورد الشهوة آفة . وهذا القسم كله باطل لان اختياره غير مطلوب ولا مسلوب ولا تجوز الموافقة لمثل هذا الوجد . واما وجد الروحانية وهو ان تقوى الروحانية بقوة الجذبة مثل قراءة القرآن بصوت حسن او شعر موزون او ذكر مؤثر فلا يبقى للجسم حركة ولا اختيار وهذا الوجد الرحماني تستحبّ موافقته واليه الاشارة بقوله تعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الآية وكذا اصوات العشاق والطيور والحان القراني . ففي كل ذلك قوة للروح ولا مدخل للنفس والشيطان في مثل هذا الوجد لان الشيطان في الظلمانية النفسانية ولا تصرّفَ له في النورانيات الروحانية فانه يذوب منها كما يذوب الملح في الماء كما في الحديث . ففي قراءة القرآن واشعار الحكمة والمحبة والعشق والاصوات الحزينة قوت نوراني للروح . فالواجب ان يصل النور الى النور وهو الروح كما قال الله تعالى والطيّبات للطيّبين . واما اذا كان الوجد شيطانياً ونفسانياً لا يكون فيه نور بل ظلمانياً وكفراً وضلالاً والظلماني يصل الى الظلماني وهو النفس فيقوى به لانه من جنسه وشبه الشيء فيجذب اليه كما قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين وليس للروح فيها قوة . فحركات الوجد نوعان : اختيارية كحركات الانسان الصحيح ليس في جسده ألم ولا مرض . فهذه الحركات للواجد غير مشروعة كما مرّ . والثاني الحركات الاضطرارية وهي التي تحصل بسبب آخر مثل قوة الروح فلا تقدر النفس على منعه لان هذه الحركات غالبة على الحركات الجسمانية مثل حركات المُحمى عليه لان الحمى اذا غلبت عجزت النفس عن تحمّلها فلا اختيار لها حينئذٍ . فالواجد اذا غلبت عليه الحركات الروحانية يكون الوجد حقيقياً وروحانياً ورحمانياً . والوجد والسماع آلة محركة لما في قلوب العشاق والعارفين . والوجد قوت لارواح المحبين ومقوّي الطالبين كما ورد : ان السماع لقوم فرضٌ ولقوم سنّة ولقوم بدعة . الفرض للخواص والسنة للمحبين والبدعة للغافلين . وكما ورد : من لم يتحرك عند السماع فليس منا حتى قيل من لم يحركه السماع بشعاره والربيع بازهاره والعود باوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وهو ناقص عن الجمال

والطيور بل وعن سائر البهائم فان جميعها يتأثر بالنغمات الموزونة . فالجمال بالحدو يحصل لها الطرب والهيام وتقطع المسافة الطويلة في المدة القليلة. ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته. والوجد الى عشرة اوجه بعضها جلّي يظهر اثره في حركات الجسم وبعضها خفي لا يظهر اثره في الجسد كميل القلب الى ذكر الله تعالى وقراءة القرآن العظيم بالصوت الحسن ومنها البكاء والتألم ومنها الحزن والخوف ومنها التأسف والحيرة وتولّد عند ذكر الله تعالى ومنها التحيّر والنفرة ومنها التغيّرة في الظاهر والباطن ومنها الطلب والشوق ومنها الحرارة والمرض والعرق عند ذكر الله تعالى وغير ذلك من الواردات الرحمانيّة.

الفصل العشرون : في بيان الخلوة والعزلة

وهي على وجهين ظاهرة وباطنة . فالخلوة الظاهرة عزل نفسه وحبس بدنه عن الناس لئلا يُؤذى الناس بالاخلاق الذميمة ولتترك النفس مألوفاتها وتحبس حواسّها الظّاهرة لفتح الحواس الباطنة بنيّة الاخلاص. والموت ودخول القبر وتكون نيّته في ذلك رضى الله تعالى ودفع شرّ نفسه عن المسلمين كما قال صلعم من سلم المسلمون من لسانه ويده. وقال عليه الصلوة والسلام من حُسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فيكفّ لسانه عما لا يعنيه وكذلك بقيّة الجوارح كما قال عليه الصلوة والسلام سلامة الانسان من قبل اللسان وملامة الانسان من قبل اللسان وكفّ عينيه من الخيانة والنظر الحرام. قال تعالى: ما يلفظ من قول الّا لديه رقيب عتيد . وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وكذلك في رجليه واذنيه . قال عليه الصلوة والسلام العينان تزنيان والاذنان تزنيان واليدان تزنيان والفرج يصدّق ذلك او يكذبه ويحصل من كل زنى من هذه الاعضاء شخص قبيح في صورة الاسود يقوم معه يوم القيامة ويقعد معه في قبره ويشهد عليه عند الله تعالى ويأخذ صاحبه فيعذّبه في النار فاذا تاب وحبس نفسه كما قال الله تعالى ونهى النفس عن الهدى وتُبدلُ صورته الى صورة امرد مليح من غلمان الجنة وينجو من الشر وكأن الخلوة وحصنه من المعاصي فيبقى عمله صالحًا ويكون محسنًا كما قال الله تعالى ان الله لا يُضيع اجر المحسنين. وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملًا صالحًا ولا يُشرك بعبادة ربه

احداً، اي يكون خالياً عن ما سوى الله تعالى . واما الخلوة الباطنة فهي ان لا يدخل في قلبه شيئاً من التفكرات النفسانية والشيطانية مثل محبة المأكولات والمشروبات والملبوسات ومثل محبة الاهل والعيال والحيوانات والريا والسمعة ومثل ذلك من الصفات الذميمة كما ورد : الشهوة آفة وكلٌّ يتمناها والخمول راحة وكلٌّ يتوقاها ولا يدخل في قلبه شيئاً من الكبر والعجب والبخل والحسد والغيبة والنميمة والحقد والقهر والغضب وغير ذلك من الذمايم : فاذا دخل في قلب المختلي شيء من هذه الذمايم فسدت خلوته وقلبه وما في قلبه من الاعمال الصالحة والاحسان فيبقى القلب بلا منفعة كما قال تعالى : ان الله لا يُصلح عمل المفسدين وكل من في قلبه شيء من هذه المفسدات فهو من المفسدين وان كان في الظاهر في صورة المصلحين كما قال عليه الصلوة والسلام الغضب يُفسد الايمان كما يفسد الخلّ العسل . وقال عليه الصلوة والسلام الكبر والعجب يفسد الايمان . وقال عليه الصلوة والسلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . وقال عليه الصلوة والسلام الغيبة اشد من الزنا . وقال عليه الصلوة والسلام : الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها . وقال عليه الصلوة والسلام البخيل لا يدخل الجنة ولو كان زاهداً عابداً . وقال عليه الصلوة والسلام الريا شرك خفي . وقال عليه الصلوة والسلام النمّام لا يدخل الجنة وغير ذلك من الاحاديث الواردة والاخلاق الذميمة فهذا محلّ الاحتياط والمقصود اولاً من التصوّف تصفية القلب منها قمع هوى النفس وقلعه من اصله يحصل بالخلوة والرياضة والصمت وملازمة الذكر بالارادة والمحبة والتوبة والاخلاص والاعتقاد الصحيح الذي سالكاً على آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن المشايخ والعلماء العاملين بعلمهم رحمهم الله تعالى فاذا حُبس المؤمن الموحد في الخلوة بالتوبة والتلقين وحافظ على هذه الشروط المذكورة خلّص الله عمله وعلمه وقلبه ولين جلده وقلبه وطهّره ولسانه وجمع حواسه في الظاهر والباطن ورفع عمله الى حضرته وسمع دعاءه اي قبله كما يقال : سمع الله لمن حمده اي قبل الله تعالى ثناءه ودعاءه ونداءه وتضرّعه واناله غرضه من القربة والدرجة كما قال الله تعالى : اليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه والمراد من الطيّب الخالص وحفظ لسانه من اللغو لكونه آلة لذكر الله تعالى وتوحيده كما قال الله تعالى قد

افلح المؤمنون هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الآية: فيرفع الله العلم والعمل والعامل الى رحمته وقربته ودرجاته بالمغفرة والرضوان واذا حصلت هذه المراتب للخلوة كان قلبه كالبحر لا يتغيّر كما ورد : كن بحرًا لا يتغيّر فيموت وبريات النفسانية كما غرق فرعون وآله في اليمّ فتكون سفينة الشريعة جارية عليه وتكون الروح القدسية غائصة الى قعره فيصل الى درّ الحقيقة ويُخرج من مكنون لؤلؤ المعرفة ومرجان اللطايف كما قال الله تعالى يخرج منها اللؤلؤ والمرجان لان هذا البحر حصل من مجمع بحري الظاهر والباطن فلا يمكث فيه الفساد في القلب لا يغيّره وتكون توبته ناصحة وعمله نافعاً صالحاً لا يميل الى المعاصي ويكون السهو والنسيان معفوًا بالاستغفار والندم.

الفصل الحادي والعشرون : في بيان اوراد الخلوة

وينبغي ان يجلس في الخلوة صايماً ان استطاع ويصلي الصلوات الخمس في الجماعة باوقاتها لان الصلوة الواحدة مع الجماعة افضل من سبعين صلاة بغير جماعة مع سننها وشرايطها واركانها على التعديل ويصلي اثني عشرة ركعة بعد نصف الليل او ثلثة بنيّة التهجّد كما قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لسك ويصلي ركعتين بنيّة الاشراق بعد طلوع الشمس وركعتين بعده بنيّة الاستعاذة بالمعوذتين وركعتين بعده بنيّة الاستخارة وستّ ركعات بعدها بنيّة الضحى وركعتين بنيّة كفّارة البول يقرأ في كل ركعة انا اعطيناك الكوثر سبع مرات بعد الفاتحة فاذا صلى ذلك كفّر ذنوب البول ونجا من عذاب القبر . كما قال عليه الصلوة والسلام : انتزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه . ويصلي اربع ركعات بنية صلوة التسبيح يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة بعدها ويقول بعد القراءة في القيام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم يركع ويقول في الركوع عشر مرات ثم يقول قائماً ويقول في الاعتدال ايضاً عشر مرات ثم يقول في السجدة الاولى ايضاً عشر مرات ثم يرفع رأسه ويقول بين السجدتين عشر مرات ايضاً ويقول في السجدة الثانية عشر مرات ويقول في قيام الركعة الثانية قبل قراءة الفاتحة خمس عشرة مرة وهكذا يفعل في الركعة الثانية والثالثة والرابعة ويصلي هذه الصلوة كما ذكر في كل يوم او ليلة مرة ان

استطاع . والا ففي كل اسبوع مرة والا ففي كل شهر مرة والا ففي كل سنة مرة والا ففي عمره مرة قال النبي صلعم لعمه العباس رضي الله عنه ما معناه يا عم الا احبوك الا امنحك الا اتحفك الا اهديك. وذكر له هذه الصلوة وقال له ما ذكرتم ذكر ثوابها بانه ذنوبه كلها وان كانت اكبر من عدد الرمال وعدد نجوم السماء وعدد الاشياء كلها ثم يقرأ دعاء السيفي كل يوم مرة او مرتين ويقرأ من القرآن في كل يوم مقدار مايتي آية كما وردتم يذكر الله تعالى ذكرا كثيرا اما جهرا ان كان من اهل الجهر او خفية تضرعا وخيفة ان كان من اهل الخفية ومقام الخفية بعد حيوة القلب ونطقه بلسان السر. كما قال الله تعالى واذكروه كما هديكم الى مراتب ذكركم في مقام وادب يعرفه اهله ويقرا.. قل هو الله احد كل يوم مائة مرة ويصلي على النبي صلعم مائة مرة ويقول استغفر الله واتوب اليه مائة مرة ايضا ثم ان استطاع زاد ما شاء من النوافل والتلاوات وما تقدم والله المعين .

الفصل الثاني والعشرون : في بيان الواقعات في النوم والسنة

قال الله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . قال تعالى عن يوسف عليه السلام اني رأيت احد عشر كوكبا الآية . وقال النبي صلعم لم يبق بعد النبوة الا المبشرات يراها المؤمن او ترى له والمراد منها الرؤيا الصالحة لما قال صلعم الرؤيا الصالحة جزؤ من ستة واربعين جزءا من النبوة . وقال عليه الصلوة والسلام من راني في المنام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي اي يتابعني بنور الشريعة والطريقة وعلم المعرفة وبنور الحقيقة والبصيرة . كما قال الله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فلا يتمثل الشيطان بهذه الانوار اللطيفة كلها . قال صاحب المظهر : هذا ليس لاختصاص النبي صلعم بل لا يتمثل بكل ما هو مظهر الرحمة واللطف والهداية كجميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام والاولياء والملائكة عليهم السلام والكعبة والشمس والقمر والسحاب الابيض والمصحف وامثال ذلك لان الشيطان يظهر القهر والجلال فلا يظهر الا في صورة اسم المضل فمن كان يظهر الاسم الهادي كيف يظهر بصورته فان الضد لا يظهر بصورة الضد لما بينهما من التنافر والتباين وليتميز الحق والباطل كما قال الله تعالى كذلك يضرب الحق والباطل. وقال الله تعالى. ليميز الله الخبيث

من الطيّب: واما تمثيله في صورة الربوبية فانما هو من جهة اسم المظل فقط كما مرّ ولا يظهر في صورة اسم الجامع القديم لما فيه من معنى الهداية واللطف والرحمة وفيه كلام يطول شرحه. وقوله تعالى على بصيرة: انا ومن اتبعني اشارة الى الوارث الكامل المرشد اي الارشاد بعدي لمن له بصيرة باطنية مثل بصيرتي من وجهٍ. والمراد منه الولاية الكاملة كما اشار اليه في آية اخرى وليًّا مرشدًا ثم الرؤيا على نوعين احدهما افاقي خارج او نفساني وكل واحد منهما على نوعين فالنفساني الداخل اما من الاخلاق الحميدة او الذميمة. فالحميدة مثل رؤية الجنان ونعيمها والحور والقصور والغلمان والصحراء السهلة والنور الابيض مثل الشمس والقمر والنجوم وما اشبه ذلك. وكل ذلك يتعلّق بالقلب. واما ما يتعلّق بالنفس المطمئنة منه الصفة الحميدة نحو مأكول اللحم من الحيوانات الشرعيــة والطيور لان معيشة المطمئنة في الجنة تكون من هذه الانواع كشوي الغنم والطيور واما البقر فانه اتى من الجنة لادم عليه السلام لاجل الزراعة في الدنيا. واما الابل فانها منها ايضًا كالبقر لانها من (×) الكمية الظاهرة والباطنة. واما الخيل فانها ايضاً منها لانها آلة الجهاد (××) وذلك للآخرة. وفي الحديث ان الغنم (×) من عل الجنة (×××) الجنة والبقر من زعفرانها والخيل من ريحها والحمير من حجارتها لاجل مصلحة ادم عليه السلام وذرّيته لكسب فوائد الاخرة في الدنيا. واما ما يتعلّق منها بالروح فهو مثل الشاب الامرد والانوار الالهية لان اهل الجنة على هذه الصورة كما قال عليه الصلوة والسلام: اهل الجنة جرد مرد مكحّلون وورد. رأيت ربي على صورة شاب امرد. وقال بعضهم المراد من مثل هذا تجلي الحق بصفة الربوبية على مرآة الروح وهو الذي يسمّونه بطفل المعاني لانه مربٍّ للجسد ووسيلة بينه وبين الرب. قال علي كرم الله وجهه: لولا المربي لما عرفت ربي. وهذا المربي الباطني انما يحصل بسبب تربية مربٍّ ظاهر بالتلقين فالانبياء والاولياء يربّون القالب وتربية القلوب ما يحصل من تربيتهم من القاء روح آخر كما مرّ وطلب المرشد لاجل هذا الروح الذي به يحيي القلب ويعرف به ربه فافهمْ. قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى: يجوز ان يُرى الرب عزّ وجل في المنام على صورة جميلة اخروية على التأويل المذكور. قال لانّ هذا المربي يخلقه الله تعالى على قدر استعداد الرأي مناسبة لا على حقيقته الذاتية لانه تعالى

منزّه عن الصورة بذاته وكذا رؤية النبي صلعم على هذا القياس يجوز ان يُرى على صورة مختلفة على قدر مناسبة الرائي ولا يرى الحقيقة المحمّدية الا الوارث الكامل في علمه وعمله وحاله وبصيرته ظاهرًا وباطناً. وكذا قال في شرح مسلم: تجوز رؤية الله تعالى في صورة البشرية النورانية على التأويل المذكور . وكذا القياس في تجلي كل صفة (+++) كما تجلى لموسى عليه الصلوة والسلام في صورة النار (×××) وكانت تلك النار نورًا لكن سمّيت (××) عليه السلام وطلبه لا كان اذ ذاك في طلب النار ذلك الوقت وليس الانسان ادنى مرتبة من (×) فلا عجب ان يتجلى بصفة من صفاته في الحقيقة الانسانية دون الحيوانية كما تجلى لكثير من الاولياء كابي يزيد حيث قال: سبحاني ما أعظم شاني. وكالجنيد حيث قال: ليس في جبّتي سوى الله تعالى . ونحو ذلك . وفي هذا المقام لطائف عجيبة لاهل التصوّف يطول شرحها ثم في التربية لا بدّ من المناسبة جزماً فالمبتدى في اول امره لا مناسبة بينه وبين الله تعالى ولا بين نبيّه صلعم فاحتاج لا محالة الى تربية الوليّ اولًا لان بينهما مناسبة من جهة البشرية كما للنبي صلعم حال حياته. فلو كان النبي صلعم في الحياة الدنيوية لما احتاج احد الى غيره عليه وسلّم . واما حيث انتقل الى الآخرة انقطع من صفة التعلّق ووصل الى محض التجرد وكذلك الاوليا اذا انتقلوا الى الاخرة لا يوصل ارشادهم الى المقصود فافهم. فلم يبقَ للمبتدى معهم مناسبة . واما الولي فله مناسبة به لان له جهتي التعلقيّة والتجردية من جهة الوارثية الكاملة فيتولّى بالولاية النبويّة ويتصرّف بها في الخلق فافهم. فان ما وراء ذلك سرًا عميقاً يدركه اهله . قال الله تعالى فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين . واما تربية الارواح فالروح الجسمانية مربٍّ في الجسم والروح الروان مربٍّ في القلب والروح السلطاني في الفؤاد والروح القدسي في السرّ وهي الواسطة بينه وبين الحق ومترجم من الحق تعالى الى الحق لانه اهل الله تعالى ومحرمهُ . واماّ الرؤية التي هي من الاخلاق الذميمة من صفات الامارة واللوّامة الملهمة فهي ان يرى السباع كالنمر والاسد والدب والذيب والكلب والخنزير ومثل الارنب والثعلب والهرة والفهد ومثل الحية والعقرب والزنبور وغير ذلك من الموذيات فهذه هي الصفات الذميمة التي يجب الاحتراز منها وتجب اماطتها من طريق الروح . فاما النمر فهو من صفة العجب والكبر

على الناس والاسد صفة الكبر والتحظم على الخلق. واما الدب فهو صفة الغضب والغلبة على التحت والذيب صفة آكل الحرام والشبهات من بين والكلب من صفة حب الدنيا والهر لاجلها والخنزير من صفة الحقد والحسد والحرص والشهوة والارنب صفة الحيلة والمكر في المعاملة الدنيوية والثعلب منه ايضاً لكن في الارنب الغا غالبة والفهد الفر الجاحل وحب الرياسة والعز والهرة صفة البخل والنفاق والحية صفة الايذاء باللسان كالشتم والغيبة والنميمة والكذب والطمع والعقرب من صفة الفخر واللمز والهمز والنميمة والزنبور من صفة ايذاء الخلق باللسان خفية. وقد تدل الحية على العداوة مع الناس واذا رأى السالك يحارب مع هذه المؤذيات ولم يغلب عليها بعد فليجتهد في العبادة والذكر حتى يغلب عليها ويقهرها وينفيها ويبدلها الى صورة البشرية. فان قهرها وقتلها بالكلية فهو تكفير السيئات في قول الله تعالى في حق بعض التائبين: كفّر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم. وان رأى انها تبدّلت الى الصورة الانسانية فهو معنى تبديل السيئات الى كما قال الله تعالى في حق بعض التائبين : الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فقد خلص منها فينبغي ان لا يأمن منها بعد ذلك لانه اذا وجدت النفس قوة من جناية العصيان تقوّت وغلبت على المطمئنة ولذلك امر الله تعالى ان يجتنب العبد من المناهي في جميع الاوقات في الدنيا وقد يرى ذات النفس الأمارة على صورة الكفار واللوّامة على صورة اليهود والملهمة على صورة النصارى وكذا في صور المبتدعة .

الفصل الثالث عشر : في بيان اهل التصوّف

وهم اثنا عشر فرقة احدها سنية اعمالهم واقوالهم موافقة للشريعة والطريقة جميعاً وهم اهل السنة والجماعة فيدخلون الجنة بعضهم بلا حساب ولا عذاب وبعضهم بحساب يسير وعذاب قليل فيخرجون من جهنم ويدخلون الجنة ولا يخلدون في النار كالكافر والمنافقين والبواقي بدعيون ضالون . فمنهم الحلوية والحالية والاوليائية والشمراخية والحورية والاباحية والحبّية والمتكاسلة والمتجاهلة والواقفية والالهامية . فاما مذهب الحلوية فانهم يقولون ان النظر الى

الوجه الجميل من النساء والامرد حلال وفيه صفة الحق فيرقصون ويدعون التقبيل والمعانقة وهذا كفر محض . واما الحالية فانهم يقولون الرقص وضرب اليدين حلال ويقولون للشيخ حالة لا يتبع فيها الشرع وهذا بدعة قبيحة ليست في سنة رسول الله صلعم . واما الاوليائية فانهم يقولون اذا وصل العبد الى مرتبة الاولياء سقط عنه تكليف الشرع. ويقولون الولي افضل من النبي وهذا كفر: واما الشمراخية فانهم يقولون الصحبة قديمة وبها يسقط الامر والنهي ويحلون الدف والطنبور وباقي الملاهي ولا حلال ولا حرام بينهم من جهة النساء. ودمهم مباح . واما الحبتية فانهم يقولون: اذا وصل العبد الى درجة المحبة يسقط عنه التكاليف ولا يسترون عوراتهم . واما الحورية فانهم كالحالية لكن يدعون وطوء الحور في حالاتهم فاذا افاقوا اغتسلوا . واما الاباحية فيتركون الامر بالمعروف ويبيحون المناكر والمحرمات والفروج. واما المتكاسلة فيتركون الكسب ويسئلون من الابواب . واما المتجاهلة فيلبسون لباس الفساق . واما الواقفية فانهم يقولون : لا يعرف الله غير الله تعالى . واما الالهامية فيتركون العلم وينهون عن التدريس ويتابعون الحكما. ويقولون القرآن حجاب والاشعار قرآن الطريقة فمن تشبه بقوم فهو منهم. كما قال ذلك النبي صلعم. وقال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار . وفي فقه الباطن ان الصحابة رضي الله عنهم اجمعين كانوا اهل الجذبة بقوة صحبة النبي صلعم ثم انتشرت تلك الجذبات من آخر الخلفاء علي كرم الله وجهه الى مشايخ الطريقة ثم تشعب منهم سلاسل كثيرة حتى ضعفت وانقطعت عن كثير منهم فبقى منهم رسميون في صورة الشيخية بلا معنى ثم تشعب منهم اهل البدع فانتسب بعضهم الى قلندر وبعضهم الى حيدر وبعضهم الى ادهم والى غيرهم ممن يطول ذكرهم وشرحهم ثم في هذا الزمان اهل الفقر والارشاد اقل من القليل ويعلم اهل الحق منهم بشاهدين احدهما ظاهر والآخر باطن . فالظاهر موافقة الشريعة ونهياً كاملًا . والباطن ان يكون سلوكه بمشاهدة البصر والبصيرة فيرى من يقتدى به وهو النبي صلعم فتكون روحانية النبي صلعم واسطة بينه وبين الله تعالى او جسمانيته في محله. فان الشيطان لا يتمثل به صلعم فتكون منه الى المريد السالك فلا يكون على العمياء. وههنا دقايق في التميز يدركها اهلها .

الفصل الرابع والعشرون : في بيان الخاتمة

ينبغي للسالك ان يكون فطناً :

ان لله عبادًا فطنا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا انها ليست لحيّ وطنا
جعلوها اللجّة واتخذوا صالح الاعمال منها سفنا

فيكون ناظرًا الى خواتم الامور متفكرًا وادبارها ولا يتغيّر بظاهر جلاوة الاحوال. فقد قال اهل التصوف ان الساكتة الى الاحوال تنقل عن محلّها . قال الله تعالى: فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون. وقال النبي صلعم في الحديث القدسي يا محمد بشّر المؤمنين باني غفور وانذر الصدّيقين باني غيور فان كرامات الاولياء واحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج بخلاف معجزات الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانها مأمونة من ذلك ابدًا وقد قيل: خوف الخاتمة سبب النجاة من سوء. قال الحسن البصري ان اولياء الله بالخوف ارتفعوا فينبغي ان يكون الخوف غالباً لئلا تخدعه البشرية فتقطع سبيله من حيث لا يشعر. قالوا يكون الخوف في الصحة غالباً ويكون الرجاء في مرض الموت غالباً . قال عليه الصلوة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاستويا. واماً في حالة النزع فينبغي ان يكون رجاءه في فضل الله تعالى اغلب كما قال عليه الصلوة والسلام لا يموتنّ احدكم الا وهو يحسن الظنّ بالله تعالى؛ يعني يتفكر في سعة رحمته وغلبتها على غضبه ويتفكر في استغنائه انه تعالى ارحم الراحمين فيفرّ من قهره الى لطفه ومنه اليه راجعاً متذللًا متضرّعاً متملقاً معتذرا معترفاً بما اقترف من الذنوب مقبلًا على باب الله متوقعاً فيض الطافه وعفوه عن ذنوبه انه هو البرّ الرحيم والجواد الكريم. اللهمّ يا هادي الضالين ويا راحم المذنبين علمك كاف عن المقال وكرمك وافر على السؤال صلّ على سيدنا ونبينا محمّد وآله وصحبه بالنوال واغفر لنا ولوالدينا والمسلمين اجمعين .

ارز لبنان في هيكل سليمان

بقلم المونسنيور بطرس روفائيل

ان كتبة الاسفار الالهية يمجدون الارز ملك الاشجار فكثيراً ما يذكرون اسمه في اشعارهم ونثرهم . وقــد جاء الارز لكثرة ذكره في الكتاب موصوفاً بهيئته وخواصه واصله .

اين منبته : الجواب في الكتاب المقدس: منبت الارز هو لبنان . الصدّيق مثل ارز لبنان ينمو . وهو مجد لبنان وزينته[1] .

كيف هي هيئته : يجيب النبي حزقيال اذ يقول : الارزة شجرة بهيجة الاغصان غبياء الظل ، شاهقة القوام . ناصيتها بارزة بين اغصان ملتفة . رائحة خشبه قوية ذكية . الارزة جميلة في عظمتها وفي طول اغصانها وكل شيء في جنة الله لا يماثلها في بهجته . في اغصانها تعشش جميع الطيور وتحت فروعها تلد جميع وحوش الصحراء[2] .

من زرعه : يجيب النبي داوود اذ قال : هو الرب ولهذا تدعى باسمه : ارز الله . وهو يسقيها اشجار الله ارز لبنان التي غرسها[3] .

وقد لعب الارز في سياسة الاجيال الغابرة دوراً مهماً . فكان وجوده في لبنان مدّعاة لطمع الدول القديمة المتمدنة في استملاك ارض فينيقية وجبالها اللبنانية او السيادة عليها . وهكذا صنع الكلدانيون والاشوريون والمصريون وغيرهم كثيرون . كانوا بعد ان يبتاعوا لهم من اخشاب الارز والسرو والشربين والسنديان في لبنان وفينيقية يطمحون الى غزو تلك البقاع الغنية بغاباتها ومصانعها وتجارتها .

وكانت عادة مألوفة عند الاقدمين كالاشوريين والمصريين والفرس ، عادة معروفة من جميع الامم المتنورة ان من اراد البنايات الخالدة والقصور الشاهقة

١) داود مزمور ٩٢، ١٢ — اشعيا ١٤ : ٨—٣٠ : ٢—٦٠ : ١٣ .

٢) حزقيال ٣١ : ٣، ٧، ٨—٣٠ : ٦

٣) داوود مزمور ٨٠ : ١١—١٠٤ : ١٦ .

والهياكل الفخمة ، لا بد له من استعمال خشب ارز لبنان . ولذلك لبث لبنان مدة الوف من السنين مطمح انظار جميع الشعوب .

ونحو القرن العاشر قبل المسيح كانت مملكة بني اسرائيل قد اتسعت اتساعاً لم تعرفه قط مدى اجيال حياتها . فكانت حدودها تمتد من حدود مصر الى حدود بلاد الكلدان ومن شاطئ البحر الاحمر الى جبل لبنان ومع ذلك لم يكن بعد لتلك البلد عاصمة. فلما مسح داود ملكاً على شعب اسرائيل اخذ على عاتقه تشييد عاصمة . فاسس اورشليم التي هي اليوم مدينة القدس.

فحارب اليبوسيين وفتح عنوة مدينتهم اورشليم واتخذها عاصمة له واراد ان يجعلها جميلة عظيمة غنية وكان يعلم حق العلم ان رعاياه تجهل فنون الهندسة والنقش فالتجأ الى جاره حيرام ملك صور . فارسل اليه ملك صور بخشب الارز ومهندسين ونقاشين اقاموا البيوت الجميلة والبنايات الشاخة فسقفوها بالارز وشدوا مصاريع الابواب بالواح من الارز . وبنوا للملك داوود قصراً لا مثيل له . في ذلك القصر كان يضرب بالقيثارة بينما كانت امرأته ابنة شاول تستهزئ به ساخرة محتقرة ، وهناك ارتكب خطيئته وبكى وتاب . هناك ايضاً كتب المزامير البديعة وضمنها اسمى عواطف الايمان والرجاء. واصدق علامة التوبة والندامة .

ولما انجزت تلك البناية الملكية سرّ داوود كل سرور وقال لناثان النبي مفتخراً : ها انا مقيم في بيت من الارز . فاجابه ناتان: اصنع كل ما في نفسك لان الله معك .

وبعد ان استقر مقام داوود في قصره الفخيم صار كلام الله الى ناتان قائلاً: اذهب وقل لداوود عبدي: هكذا يقول الرب لا تبني لي انت بيتاً للسكنى. اني لم اسكن بيتاً مذ يوم اخرجت اسرائيل الى هذا اليوم ولكني كنت من خيمة الى خيمة ومن مظلة الى مظلة .

فكلم ناتان داود بهذا الكلام وهذه الرؤيا. فداخل داود حينئذ وخز الضمير اد رأى ان لا بيت للرب الاله بينما كان للآلهة الكاذبة عند جيرانه المصريين والفينيقيين هياكل وبيوت شاهقة ، غنية ، عظيمة ، مشهورة .

فعزم على اقامة هيكل يكون بيتاً لاله اسرائيل ، يكون بيت قرار

لتابوت عهد الرب ولموطئ قدمي الرب اله اسرائيل . فاقام نحاتين ينحتوا حجارة مربعة للبناء. وجهز حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الابواب ونحاساً كثيراً يفوت الوزن وخشب ارز لا يحصى لان اهل صور وصيدا احضروا خشب ارز بكثرة الى داود .

لكن تحقيق الفكرة كان على عاتق سليمان لان داوود كان شاخ واتت ساعة وفاته فاحضر ابنه واعطاه رسم الرواق وبيوته وخزائنه وغرفه ومخادعه الداخلية وجميع المخادع حوله وخزائن بيت الله وخزائن الاقداس .

ولما جلس سليمان على عرش ابيه باشر بالعمل وزاد على مواد البناء زيادة كبيرة حتى انه جعل الفضة في اورشليم مثل الحجارة وجعل خشب الارز مثل الجميز الذي في الصحارى كثرة[1] .

ولما كان يعرف مثل ابيه ان شعب اسرائيل قليل المهارة في الفنون الجميلة وتشييد البنايات اضطر سليمان ان يلتجئ الى اجانب يخرجون الى حيز العمل فكرته. وكان داوود ابوه سبق فدعا الفينيقيين الى بناء قصره وعاصمته. فارسل اليه صديقه حيرام ملك صور بنجارين وبنائين ومواد البناء. فعمد سليمان الحكيم على تكليف اهل فينيقية سيما وان دلائل حذاقتهم كانت ظاهرة . فان هياكل آلهة فينيقية كانت معروفة وبالاخص هياكلهم في بيبلوس وهي جبيل حالياً ، وفي افقا وفي صور كانت اشهر من نار على علم .

ولم تنسوا بعد ويلات الحرب الكبرى العالمية التي اجرت الدماء انهراً ولا مبالغة في هذا القول .

لم تنسوا ما حل بلبناننا العزيز وجبالنا وسهولنا من المصائب . تلك الحرب قد خربت بلادنا خراباً فاقفرت الارض ويتمت من بقي من الاولاد وهدت اركان العيال وجعلت الضياع العامرة قبوراً دفن فيها سكانها عشرات مئات بل الوفاً الوفاً . لم تنسوا ذلك .

ففي تلك الايام السوداء قام اولاد لبنان المتخلفون في بلاد المهجر مذعورين ونشطوا الى مساعدة ذويهم الذين يهلكون في لبنان جوعاً وضنكاً وهماً وفاقة

١) سفر الملوك الثالث فصل ١٠ عدد ٢٧

وظلماً . ارسلوا الاعانات افراداً وجماعات . نشروا الكتابات مستصرخين ، حبروا المقالات مستغيثين ، الفوا الجمعيات مستعطين ليسدوا رمق من هم في لبنان المحبوب هدف سهام الظلم والتعصب .

وبين تلك الجمعيات جمعية عرفت في الولايات المتحدة باسم جمعية بنات لبنان اعضاؤها سيدات وكريمات مواطنينا الكرام. ففي سنة ١٩١٧ تأسس في مدينة بوفالو في الولايات المتحدة فرع لهذه الجمعية غايتها مساعدة من يتضور جوعاً في لبنان . فيوماً ما كانت سيدة لبنانية وابنتها تتحدثان عن جمعية بنات لبنان امام اسرائيلي كريم معتبر واسمه المستر شوستر . فاستوضحها الرجل عن غاية الجمعية ولما عرفها قدم مبلغاً من المال قائلاً : نحن يا سيدتي مدينون بهيا كل سليمان لارز لبنان . فعلينا جميعاً ان نهتم بخلاص الارز وبلاد الارز واولاد الارز .

لعمري قد اصاب هذا الاسرائيلي الكريم في كلامه كل الاصابة وصدق فيما قال . اذ لا مبالغة اذا اكدنا ان هيكل سليمان اعجوبة زمانه ومعجزة العهد القديم قد كان عمل ابناء فينيقية ابناء لبنان .

فالفينيقيون هم هم قد قدموا كل ما يلزم لاقامة هذا الهيكل .

فينيقياً كان المهندس الذي اشرف على الاعمال كلها .

فينيقيين كان الصاغة والنقاشون والبناؤون ونحاتو الحجارة .

من فينيقية جلبت اكثر المواد للبناء وفي اولها خشب الارز الذي كان له النصيب الاكبر في قيام الهيكل وزينته .

فعباد عشتروت وبعل ، الفينيقيون ، هم الذين شيدوا وزينوا هيكل الاله الحق . فارسل سليمان ملك اسرائيل الى حيرام ملك صور وصديق ابيه برسالة قائلاً :

« كما فعلت مع داوود ابي وارسلت له ارزاً ليبني له بيتاً يسكن فيه تفعل معي . فاني ابني بيتاً لاسم الرب الهي لاقدسه له واحرق امامه بخوراً عطراً . والبيت الذي انا ابنيه بيت عظيم لان الهنا عظيم فوق جميع الالهة . فمن يستطيع ان يبني له بيتاً والسماوات وسماوات السموات لا تسعه ، ومن انا حتى ابني له بيتاً الا لاسجد له . فالآن ارسل لي رجلاً حاذقاً يعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والارجوان ماهراً في النقش . . . وارسل لي اخشاب ارز وسرو وصندل من لبنان لاني اعلم ان عبيدك حاذقون بقطع الخشب من لبنان

وهؤلاء عبيدي مع عبيدك فليجهزوا لي بكثرة لان البيت الذي ابنيه عظيم عجيب . وانا اعطي القطاعين الذين يقطعون الخشب عشرين الف كرّ من الحنطة طعاماً لعبيدك وعشرين الف كرّ من الشعير وعشرين الف بث من الخمر وعشرين الف بث من الزيت ».

وكان الكر يوازي تقريباً اربعمائة ليتر والبث اربعين ليتراً !

فقرأ حيرام ملك صور رسالة سليمان فوجد الشروط موافقة كثيراً . فاجابه وهو وثني يعبد بعل وعشتروت قائلاً :

« مبارك الرب اله اسرائيل صانع السماوات والارض الذي رزق داوود الملك ابناً حكيماً صاحب معرفة وفهم ليبني بيتاً للرب . والآن فقد وجهت رجلاً ماهراً صاحب فهم حيرام ابوه رجل من صور وهو خبير بعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر والخشب والارجوان وصناعة كل نقش واختراع كل شيء يلقى اليه . والآن فالحنطة والشعير والزيت والخمر ما تكلم عنه سيدي يرسله لعبيده ونحن نقطع الخشب من لبنان بحسب كل حاجتك ونرسله اليك على اطواف في بحر يافا وانت تصعده الى اورشليم » .

واصحب حيرام ملك صور رئيس العمل بعدد عديد من المهندسين والنقاشين والنحاتين والنجارين والبنائين والرسامين .

وسخّر الملك سليمان من كل اسرائيل وكان المسخرون ثلاثين الف رجل . وكان يرسل منهم الى لبنان عشرة آلاف في الشهر مناوبة فيكونون في لبنان شهراً وفي بيوتهم شهرين . وكان سبعون الف رجل يحملون الاثقال وينقلون الاخشاب من يافا الى اورشليم وثمانون الف رجل يقطعون الحجارة في جهات جبيل وحوالي اورشليم وثلاثة آلاف وست مئة يناظرون ويأمرون على القوم الذين يعملون العمل .

لا تستغربوا ذلك التسخير لالوف من العملة لاقامة مشروع من المشاريع العمومية . فهذا كان مألوفاً في الايام القديمة .

ان المؤرخ هيرودوت يخبر انه سُخر لتشييد هرم خيوبس العظيم في مصر مائة الف عامل يتناوبون في الشغل مرة في كل ثلاثة اشهر وذلك مدة عشرين سنة.

وفي مؤلفات لينورمان الاثري الشهير صورة يُرى فيها مئات من العبيد مربوطين ببعضهم بحبال قوية يجرون على بكرات او دواليب من خشب (rouleaux) وبواسطة آلة رافعة (levier) ثورًا مجنحًا عظيماً من الحجر .

ولم تكن النفقات لمثل ذلك التسخير باهظة ، فأجرة العامل كانت تكفي بالكد والجهد قوت عائلته، تلك الاجرة كانت تقوم في اغلب الاحيان بشيء من القمح او من بعض الحبوب وبشيء من الزيت والخمر .

وكان الاسياد والاغنياء لا يعتبرون العبيد من جنس آدم وحوا بل يعدونهم آلات للعمل لا نفس لهم ولا عقل بل اكثر من ذلك لا لحم فيهم ولا دم . وكانت فكرة سائدة عند الاسياد وهي ان الانسان له ظهر ولا يطيع ولا يتحرك الا اذا شعر بضرب العصا المؤلم . هي العصا خصوصاً التي شيدت في مصر الاهرام، وفي صور هيكل بعل العجيب وفي اثينا قلعتها المذهلة وفي بعلبك البنايات الفريدة بعظمتها وفخامتها . هي العصا ايضاً التي ساعدت على تشييد هيكل اورشليم .

فسخر سليمان الشعب الذين بقوا من الاموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين لم يكونوا من بني اسرائيل . فضرب عليهم تسخير عبوديته لاشغال الهيكل .

ولما شخص حيرام المهندس ومن معه بين يدي سليمان استلم رسم الهيكل من الملك وشرع بالعمل . وامر الملك سليمان ان يقلعوا حجارة كبيرة ثمينة لتأسيس الهيكل بالحجارة المنحوتة . فكان العملة يستخرجون الحجارة ويقطعونها . واما امر نحتها وتنظيمها فكان موكولًا الى اهل جبيل وكانت جبيل مدينة فينيقية لبنانية مشهورة بحذاقة بنائيها ونقاشيها . فكانت الحجارة تنقل الى مكان البناء تامة كاملة ولم تكن تسمع مطرقة ولا نشر ولا شيء من آلات الحديد عند البناء .

ودامت الاعمال الاعدادية للبناء ثلاث سنين . وشرع بالبنيان في السنة الرابعة للملك سليمان ولم ينجز العمل الا بعد سبع سنين وكان ذلك في السنة الاربع مائة والسبع وثمانين لخروج بني اسرائيل ونحو الف سنة قبل ميلاد مخلص العالم سيدنا يسوع المسيح .

وكان قياس الهيكل الذي بناه الملك سليمان للرب ستين ذراعاً طولا وعشرين عرضاً وثلاثين علواً والرواق امام هيكل البيت عشرين ذراعاً . وبنى على جوانب الهيكل طوابق ثلاثة وصنع غرفات على محيط الهيكل لخدمة الهيكل واثاثه وللكهنة .

وسقف الهيكل كله بالواح من الارز . وفرش الطوابق المحيطة بالهيكل بخشب الارز . وبنى الدار ثلاثة صفوف من الحجارة المنحوتة وصفًا من الواح ارز .

وداخل الهيكل فرش ارضه بالواح السرو وجدرانه بالواح الارز . وكان على الجدران ارز منقوش على شكل زهور متفتحة ويقول الكتاب المقدس ان ان داخل الهيكل كان كله ارزًا فلم يكن يُرى حجر[1] .

وقدس الاقداس اي بيت تابوت العهد حيث كان لا يدخل رئيس الكهنة الا مرة واحدة في السنة كان طوله عشرين ذراعاً وعرضه عشرين ذراعاً بني بالواح الارز وغشاه سليمان بذهب خالص وصنع مذبحاً من الارز تجاه قدس الاقداس وغشاه بذهب وهذا هو مذبح البخور .

حيرام الفينيقي هو الذي انجز مع معاونيه الفينيقيين ما طلبه سليمان واخرج الى حيز الوجود ما كان رسمه داوود الملك في ما يختص ببناء هيكل الرب .

وكان حيرام حسب قول الكتاب المقدس رجلًا ممتلئاً حكمة ومعرفة في عمل كل صنعة من النحاس فاشرف ليس فقط على اقامة البناء ونقشه بل ايضاً على صنع اثاث الهيكل[2] .

فبنى في سهل نهر الاردن مصانع لصب النحاس وسبكه . فرسم عمودي نحاس طول العمود الواحد ثماني عشرة ذراعاً وصنع تاجين من نحاس مسبوك ليضعها على أرؤس العمودين سمك كل منها خمس اذرع . ونصب العمودين في رواق الهيكل .

وصنع البحر النحاسي مستديرًا قطره من شفة الى شفة عشر اذرع وفي وسعه ان يحتوي على الاقل على اربعين الف ليترًا من الماء . وكان قائمًا على اثني عشر ثورًا من نحاس .

---

١) سفر الملوك الثالث الفصل السادس عدد ١٨ .

٢) « « « السابع عدد ١٦ .

وصنع المتسلات المشرة والقواعد والقدور والجاروف من النحاس المجلو .

وصنع جميع ادوات بيت الرب المذبح من الذهب والمائدة التي عليها خبز التقدمة من الذهب والمنائر من ذهب خالص خمساً عن اليمين وخمساً عن الشمال والازهار والسروج من الذهب والطسوت والمقاريض والجامات والصحون والمجامر من ذهب خالص والمفاصل لمصاريع قدس الاقداس ولمصاريع الهيكل من ذهب.

وهكذا نجز الفينيقيون اجداد اللبنانيين اليوم كل الاعمال التي ارادها سليمان في بيت الرب .

وكانت نفقات الهيكل على سليمان باهظة .

ان بعض الكتبة المؤرخين قد غالوا في تقدير اكلاف بناء الهيكل واثمان اثاثه ولا اعلم على اي مرجع يستندون في ذكر مجموع المدفوعات بالتدقيق .

قال احدهم : قد جاء في تعديل المؤرخ فيلاليالندرس ان قيمة وزنات الفضة والنحاس التي صرفها سليمان لبناء هيكله بلغت ٦،٨٧٩،٨٢٢،٠٠٠ ليرة انكليزية وقيمة ما انفقه على الجواهر التي زين بها الهيكل المذكور لا يقل عن القيمة المذكورة وثمن الاواني الذهبية كما ذكره يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير بلغت قيمتها ١٤٠ الف وزنة التي تبلغ من النقود الاميركية ٥٧٥،٢٩٦،٢٠٣ ريالات وقيمة ما صرفه لعمل الاواني الفضية يبلغ ٦٤٩،٣٤٤،٠٠٠ ليرة انكليزية . وقيمة ملابس الكهنة والمرتلين ٣،٠١٠،٠٠٠ ليرة انكليزية وبلغ ثمن الابواق ٢٠٠،٠٠٠ ليرة انكليزية فاذا اضفنا على المبالغ المتقدم ذكرها اجور الفعلة الذين كانوا يشتغلون في هذا الهيكل مع بقية المواد التي استعملت في بنائه لبلغت قيمتها مبالغ وافرة يندهش منها كل قارئ وقد ثبت انه اشتغل مدة سبع سنوات عشرة آلاف عامل لقطع اشجار الارز من لبنان وستين الف حمال لنقلها الى ميناء يافا ومنها الى اورشليم وثمانين الف نحات وثلاثمائة مناظر واذا عدلنا قيمة المواهب التي وهبها سليمان لهؤلاء العملة ما عدا اجورهم لبلغت ٦،٧٣٣،٩٩٧ ليرة انكليزية واذا فرضنا ان كلًّا منهم كان يأخذ اجرة شلينين في النهار الواحد لبلغت قيمة اجورهم مدة بناء الهيكل ٦٣،٨٧٧،٠٨٨ ليرة انكليزية وبتعديل آخر وجد صرف على بنائه ٢٩٤،٥٣٣،٧٠٠ ليرة انكليزية فيكون كلفة بنائه ١٧٤،٤٢٤،٤٣١،٦٨١ ليرة انكليزية » .

كان حيرام ملك صور قد امد سليمان بخشب ارز وسرو وبذهب على حسب طلبه وكان سليمان يرسل اليه لقاء ذلك بحبوب وخمر وزيت وبعد عشرين سنة خلت من اتمام الهيكل كان سليمان لا يزال مديناً لحيرام ملك صور بمائة وعشرين قنطارًا من الذهب[1] . ولتصفية الحساب اعطى سليمان لحيرام عشرين مدينة في الجليل بقرب عكا . فخرج حيرام من صور لينظر الى المدن التي اعطاها له سليمان فلم تحسن في عينيه فقال : ما هذه المدن التي اعطيتني يا اخي وسماها ارض كابول اي في كلامنا الدارج ارض زبالة .

فهذا البناء المقدس ثمرة شغل لا يقدر ونفقات لا تحصى ولا تعد . وقد بقي قائمًا نحو اربعمائة وسبع عشرة سنة اي الى سنة خمسمائة وسبع وثمانين قبل ميلاد المسيح وفي تلك السنة وفد نبوكدنصر ملك بابل صوركل جيوشه على اورشليم ونزل عليها وحصرها واعمل السيف في بني اسرائيل والذين نجوا من السيف جلاهم الى بابل حيث صاروا عبيدًا له ولبنيه .

واعمدة النحاس التي في الهيكل والقواعد وبحر النحاس الذي في الهيكل كسرها الكلدانيون وحملوا نحاسها الى بابل عاصمتهم . والقدور والمجارف . الجامات والصحون وجميع ادوات النحاس التي كان بنو اسرائيل يخدمون بها اخذها الكلدانيون . والمجامر والمقاريض ما كان منها ذهبًا فالذهب وما كان فضة فالفضة اخذها الكلدانيون .

وهدم نبوكدنصر اسوار اورشليم واحرق جميع بيوت اورشليم واحرق ايضاً هيكل الرب ولما كان خشب الارز والسرو كثيرًا في داخل الهيكل وفي خارجه في سقفه وجدرانه وارضه التهبت النار الهيكل حالًا وسريعاً واصبحت اورشليم قفرًا لان شعب اسرائيل سيق الى المنفى .

وفي سنة خمسمائة وست وثلاثين اي بعد احدى وخمسين سنة من حصار نبوكدنصر اطلق كورش ملك فارس في مملكته كلها نداء وكتابات قائلًا : جميع ممالك الارض قد اعطانيها الرب اله السماوات واوصاني ان ابني له بيتاً في اورشليم في بلاد يهوذا فمن كان منكم من شعبه فليصعد الى اورشليم وكل

[1] كان وزن القنطار ٤٣ كيلوغرامًا ونصف على التقريب .

من بقي من بني اسرائيل في احد المواضع حيث هو متغرب فليهدده اهل موضعه بالفضة والذهب والمال والبهائم فضلاً عما يتطوعون به لهياكل الرب في اورشليم.

ثم اخرج الملك كورش آنية بيت الرب التي كان قد اخرجها نبوكدنصر من اورشليم ووضعها في بيت آلهته ، اخرجها كورش ملك فارس وسلمها لرئيس بني اسرائيل .

واراد كورش ان يبني الهيكل بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصف من خشب الارز والنفقة تكون من بيت ماله ومن مال الملك من خراج عبر نهر الاردن تعطى النفقة معجلة لليهود واشيوخ اليهود لئلا يتعطلوا[١] .

فقام كل من في بلاد بابل من الاسرائيليين المنفيين والتفوا حول زربابل احد رؤساء الشعب وهو من ذرية داوود ورجعوا الى اورشليم وشرعوا حالاً بالعمل . واما زربابل كي يضمن نجاح المشروع التجأ بعد استئذان كورش الى الفينيقيين ليشيدوا الهيكل ثانية واتفق مع سكان صور وصيدا على العمل وكان بنو اسرائيل يعطوه فضة للنحاتين والنجارين وطعاماً وشراباً وزيتاً لاهل صور وصيدا ليأتوا بخشب الارز من لبنان الى يافا . وكانت توضع اسس الهيكل بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصف من خشب الارز . وبدئ بالعمل سنة ٥٣٥ لكنه ما عتم ان اوقف بسبب وشايات رفعت الى ملك فارس وفي سنة ٥٢٠ على عهد الملك داريوس استؤنف العمل ولم ينجز الا في سنة ٥١٦ قبل ميلاد مخلص البشر . وفي هذا الهيكل الثاني كان لخشب الارز نصيب عظيم في تشييد الجدران والسقوف . وكان الهيكل كله في داخله مزيناً بخشب الارز المنقوش حتى ان زكريا النبي يسمي هذا الهيكل لبنان لكثرة ما فيه من خشب الارز لما قال : افتح ابوابك يا لبنان وتأكل النار ارزك[٢].

وهذه المرة ايضاً اقام الفينيقيون عباد بعل وعشتروت بارزهم وحجارتهم للاله الحق هذا الهيكل الثاني الذي سيجلس فيه من هو اكبر من سليمان اعني فادي العالم ومخلصه .

١) سفر عزرا الاول الفصل الرابع عدد ٦ و٨ والفصل الاول عدد ١–٥
٢) سفر زكريا الفصل ١١ عدد ١

وبسبب دخول فادي العالم يقول الله عن هذا الهيكل الثاني بفم النبي:

اني ازلزل جميع الامم وياتي مشتهى جميع الامم فاملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود. وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاول قال رب الجنود. وفي هذا الموضع اعطي السلام يقول رب الجنود[1].

ان اسكندر الكبير قد زار هذا الهيكل الثاني وذبح فيه الذبائح للاله الحق. وبعد الاسكندر جاء الملك انطيوكس ودنس الهيكل وابطل الصلاة فيه للاله الحق واقام على مذبح المحرقات مذبحاً صغيراً مخصصاً للاصنام. واخذ مذبح الذهب ومنارة النور مع جميع ادواتها ومائدة التقدمة والمساكب والجامات ومجامر الذهب والحجاب والاكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل وحطمها جميعاً واخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة واخذ ما وجد من الكنوز المكنونة اخذ الجميع وانصرف الى ارضه[2].

وفي السنة الثالثة والستين قبل ميلاد مخلص البشر استولى بومبيوس (Pompée) الروماني على اورشليم واتى الى الهيكل ودخل وحاشيته حتى قدس الاقداس انما لم يمدّ يداً الى كنوز الهيكل ولا الى ادواته. وفي اليوم التالي امر فطهر الهيكل وقدمت فيه المحرقات لكن كراسوس وهو قائد روماني ايضاً دنس ما كان احترمه بومبيوس ووضع يده على الكنوز التي كانت العائلات الاسرائيلية قد ودعتها في الهيكل.

ولما توج هيرودوس في رومية ملكاً على اليهودية رجع الى اورشليم ومعه الجنود الرومانية وحاصر المدينة فالتجأ انطيكون خصمه مع اليهود انصاره الى جبل موريا. وبعد حصار دام خمسة اشهر سلمت المدينة. فالجنود الرومانية نهبوا الهيكل وانتهكوه واحدثوا اضراراً فيه انما لم يخربوه فبقي هذا الهيكل قائماً نحو ٤٩٩ سنة اي ٨٢ سنة اكثر من الهيكل الاول هيكل سليمان.

وكان هيرودوس هذا قد شيد هياكل عديدة باسم القيصر عاهل رومية وساعد اهل جزيرة رودس الوثنيين على اقامة هيكل لأبولون فاراد ان يرضي الشعب الاسرائيلي فرمم هيكل زربابل وزينه احسن تزيين بدون ان يلمسه

١) نبوّة حجاي الفصل الثاني عدد ٧-١٠

٢) سفر المكابيين الاول الفصل الاول عدد ٢٣ و٢٤

بل انه كبره ووسعه ولم تبطل فيه الخدمة الالهية في إثناء ذلك .

واستخدم الملك هيرودوس عشرة آلاف رجل لهذا المشروع وعلم نحو الف رجل من الكهنة واللاويين مهنة نحت الحجارة ونقش الخشب ليجددوا قدس الاقداس حيث يتعذر الدخول على العملة العلمانيين .

وكان لاهل فينيقية ولبنان نصيب يذكر في تجديد البناء . وأدخل الارز في الهيكل بكميات عظيمة .

وكانت الحجارة ذات حجم جسيم وكان قياس البعض يبلغ اربعين ذراعاً طولاً وقد تكون تلك الحجارة التي تكلم عنها مخلص البشر يسوع وقال: انه لن يبقى منها حجر على حجر .

وذكر متى الانجيلي ذلك قال : وبينما كان يسوع خارجاً من الهيكل تقدم اليه تلاميذه . يرونه بناء الهيكل . اما هو فقال لهم : اترون هذه البنايات ؟ الحق الحق اقول لكم انه لا يترك حجر على حجر الا سينقض .

وكان سقف الهيكل كله من خشب الارز المنقوش .

وكانت الجدران قائمة بثلاثة صفوف من الحجارة وصف من خشب الارز وكان داخل الهيكل وقدس الاقداس مغطى كله كما كان هيكل سليمان بخشب الارز المنقوش .

ففي هذا الهيكل قُدم يسوع مخلص العالم الى ابيه السماوي وقُدم عنه زوج يمام . وفي هذا الهيكل كان يأتي مع امه ومار يوسف للاحتفال بالاعياد وفي هذا الهيكل علم وهو في الثانية عشرة من عمره وجلس بين العلماء يجادلهم وفي هذا الهيكل في سني بشارته كان يصلي مع تلاميذه . وفي هذا الهيكل غضب وطرد من الاروقة الباعين والصيارفة وقال لهم : قد كتب بيتي بيت الصلوة يدعى وانتم تجعلونه مغارة للصوص .

ولما ملك هيرودوس المعروف باغريبا الثاني احب ان يزيد في علو الهيكل عشرين ذراعاً ليبلغ علوه ١٢٠ ذراعاً فيساوي علو هيكل سليمان ولهذا الغرض قد اتى بخشب لبنان من ارز وسرو وقد انفق في سبيل ذلك مبالغ جسيمة الا ان الحرب اشتعلت نارها بين اليهود والرومان فاستخدم هذا الخشب لاعمال الدفاع .

فخرب البناء خراباً تماً وذلك بعد ترميمه بسبع وسبعين سنة . ففي سنة السبعين بعد ميلاد المخلص تمرّد اليهود وثار ثائرهم على الرومان فاستولوا على حصن انطونيا وذبحوا حاميته . وكانت من الجنود الرومانيين . فهاجمهم طيطوس القائد الروماني بفرقة وكان السيد المسيح قد سبق وقال لتلاميذه : متى رأيتم الجيوش تحيط باورشليم وتحاصرها فاعلموا حينئذ ان يوم خرابها قد قرب. فالذين يكونون في اليهودية فليهربوا الى الجبال والذين يكونون في المدينة فليخرجوا منها والذين يكونون في الحقول فلا يخالجهم فكر الرجوع الى المدينة .

فتذكر المسيحيون نبوة سيدهم وانتبهوا اليها فتركوا اورشليم على منظر من الجنود الرومانيين وفي مقدمتهم اسقفهم سمعان وهربوا الي الجبال فيما وراء الاردن الى ان تمت النبوات على المدينة الجاحدة .

وبعد ان طال أمر الحصار ضربت المجاعة والامراض اطنابها في اورشليم فدخل طيطوس وجنوده المدينة وارتكبوا فيها كل فظاعـة فخربوا واحرقوا كل شيء وكل من كان يقع من اليهود بين ايديهم كان يذبح ذبحاً بدون شفقة ولا رحمة . اما طيطوس كان يريد ان يخلص الهيكل من الخراب مهما كلفه الامر لان الهيكل كان من اجمل وافخم بنايات السلطنة الرومانية. فاصدر امره والح في وجوب ملاحظة الهيكل وحفظه من كل ضرر لكن جندياً رومانياً طلب ان يرفعوه الى علو احدى النوافذ وكان كأنه مدفوع بقوة الهية فرمى جمرة مشتعلة في احدى الغرف الملاصقة للهيكل فانتشرت النـار سريعاً فعرف طيطوس القائد بذلك فاسرع واتى على عجلته واصدر امره بالكلام والاشارات ان اطفئوا النار فتعامى الجنود كي لا ينظروا اشاراتـه وتصامّوا كي لا يسمعوا كلامه بل اخذوا يزيدون نشاطاً ويحثون بعضهم على اسعار النار واضرامها في البناء فما عتم ان سقط البناء ولما كان خشب الارز كثيراً فيـه على الجدران كلها وفي السقوف وبين صفوف الحجارة التهمت النـار كل شيء بسرعة .

وبعد ان تم الانتصار لطيطوس اتت الشعوب المجاورة تقدم له مع التهاني اكاليل الغار والزهور فاجاب القائد الظافر الوفود: اني لم اكن الا آلة للانتقام الالهي . وبعد هذا بسنين اقام ادريانوس الامبراطور الروماني في مكان الهيكل

بناية وضع فيها تمثاله وتمثال جوبيتر كبير الالهة عند الرومانيين فجاء قسطنطين الكبير فامر بهدمها ولما تبوأ العرش بعده جوليانوس الملقب بالجاحد اراد ان يجدد بناء الهيكل فشمر عن ساعد الجد ووضع في تحقيق فكرته كل نشاطه ونفوذه وكنوزه فكان يخال ان النجاح مضمون لان المشروع قد صادف عضدًا وتنشيطاً ومساعدة من كل جهة : الامبراطور في رومية وحاكم اليهودية والشعب : العلم والقوة والغنى . ولم يكن يعاكس المشروع الا امر واحد : نبوة يسوع الناصري . لم يكن لتلك النبوة اعتبار في عيني جوليانوس بل انه سيسعى في تكذيب تلك النبوة .

فشرع الجميع بالعمل بنشاط وحماسة : الرجال والنساء والاولاد وكان جوليانوس يحرض اليهود على العمل فاراد كل منهم ان يكون له حجر في ذلك الهيكل .

لكن خاب ظنهم وهبط مسعاهم وباطلًا كان ادعاؤهم . فبينما كان اليبوس رئيس نظار الاشغال يحرك على العمل بهمة لا تعرف الملل بمساعدة حاكم اليهودية اذ خرج من اسس البناء ريح نارية مرعبة التهمت مرارًا العملة وجعلت ذلك المكان قفرًا . وبهذا النوع أُهمل المشروع تماماً . وغلب جوليانوس الجاحد على امره . كان يسوع الناصري قد قال : الحق الحق اقول لكم ان يبقى في هذا البناء حجر على حجر[1] . قد صدقت نبوته . وما يريده الله لا يقاومه البشر .

هذا ما كان من فضل الارز في بناء هيكل اورشليم ومن فضل الفينيقيين واللبنانيين في امر تشييده .

ما هي نتيجة كلامنا ؟ النتيجة هي دعوتي اياكم الى العمل . ان الوطن لا يزال في مهده فيحتاج الى قوى لينمو ويتقدم ويُثمر . على كل منا ان يأتي بحجر لبنيان الوطن : المفكر والكاتب والمتمول والتاجر والزراع والعامل، على الجميع ان يتضامنوا كل فيما يخصه على اخصاب الارض والعقل والارادة.

الى العمل ! الى العمل !

الى الوراء الدسائس والنميمة والانشقاق والمالقة والتزلف .

(1 Ammien Marcellin XXII, 1

الى العمل ! وهذا العمل هو تتميم الواجب . والواجب على كل لبناني ان ينفخ في وطنه الجديد الحياة ويوجد فيه النظام والسمة . وهذا لا يكون الا بشروط الحرية وبالشغل المتواصل في داخلية البلاد لا في خارجها، وبالاتحاد . فالاتحاد يرفعنا ويعظمنا كما ان انقساماتنا وانشقاقاتنا قد اضعفتنا وسقطت بنا الى درجة الخمول والحسد والنميمة. ورابعاً بالتضحية لان من المحال ان يكون وطن الا بتضحية المصلحة الافرادية وتفضيل المصلحة العمومية عليها .

وفي مثل هذه الحالة كيف يجب ان تكون الارزة في عيني كل لبناني ؟ يجب ان تكون الارزة موضوع حبه وموضوع احترامه، يجب ان تكون الارزة موضوع حب لانها رمز عن الوطن . يجب ان تكون الارزة موضوع الاحترام لانها قد نظرت كل الشعوب التي لمست ارضنا المحبوبة وكانت شاهداً عيانياً على حياة اجدادنا ومجدهم وعظمتهم وشاهداً ايضاً على وقائعهم وعذاباتهم واستشهادهم.

ثم ان الارزة هي العلم يحملها كل لبناني وهو رافع رأسه ومن اجلها يرقص قلبه طرباً عندما يراها تخفق على قمم الجبال وواجهات المساكن ومن اجلها يضحي ان اضطرت الاحوال خيراته وحياته .

الارزة شاهد على الماضي ستكون شاهدة على الحاضر والمستقبل .

الارزة على راية محاطة بلونين احمر وابيض. هذا هو العلم . والابيض هو ثلج الجبال الخالد، هو نقاوة مبادئ العدل والايمان والامانة التي فيها تربى اللبنانيون. والاحمر هو الارجوان الذي كان له الفضل الكبير في شهرة فينيقية وغناها . الاحمر هو الدم الذي اهرقه مدى الاجيال اجدادنا ليصونوا حقوقهم وتعاليدهم . الاحمر ما يجب ان نتوقعه من القتال وما نقبله من التضحيات لرفع الوطن الى صف البلدان الاكثر تمدناً وعلماً .

امام هذا العلم كل لبناني ايًا كان ومن اي معتقد كان يحني رأسه اكراماً . وان مات ففي طيات هذا العلم يرقد رقاده الاخير .

الارزة يجب ان تكون بيننا علامة الالتئام والتعارف ، يجب ان تكون صورتها محفورة في اثاث البيوت وامتعتها . مطرزة على وجوه الطاولات والموائد مرسومة على صورة القاعات ، وعلى كتب التلامذة والطلبة ، معلقة على صدور الرجال، مترلة في قلائد السيدات .

على كل قرية من لبنان ان تزرع في مساحتها العمومية الارزة، فهي تكون شجرة التذكار، شجرة الحياة الجديدة، شجرة الحرية. ففي ظلّها يلعب الصغار ويراجع الشيوخ في اذهانهم الايام الماضية ويسبر الشبان غور الايام المستقبلة.

وبهذا الشكل يكون هذا الرمز قريباً من كل يد ترغب في لمسه ومن كل عين تتمنى ان تراه.

بهذا الشكل يعيش لبنان المثال ومز الارزة في كل ناحية وفي كل وقت في عقول اولاده وفي قلوبهم.

ولنتأكد ان الامة التي في حياتها لا تنسى ماضيها وفي كل خطوة تنظر الى مستقبلها ستخدم بامانة حتى الموت. تضحي حتى الحياة وتقود تاريخها الى اوج المجد والشرف. واخيرًا يجب ان تكون الارزة شعارًا للبنانيين. يجب ان يكونوا كالارزة، كالارزة بغير فساد في ايمانهم ومعتقدهم، كالارزة غير متزعزعين في تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم وبالرجاء بمستقبل جميل زاهر، كالارزة يقاومون كل عاصفة وجبهتهم. فبالاتحاد والاتحاد وحده تحطم كل قوة.

وثائق تاريخية عن حلب

٥

اخبار السريان وما اليهم اخذاً عن يومية نعوم البخاش

١٨٤٠ — ١٨٧٥ وغيرها من المخطوطات

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

تمهيد

كنت ولداً لم يتجاوز عمري التسع سنوات وكنت اقرأ العربية في مدرسة الروم الكاثوليك الصغرى المختصة في حلب « لدقدق الصفار » وكان معلمنا جورج مخلوطة يقضي ساعات التدريس متربعاً على الدوشك في كرسي خشبي واسع ، متكئاً على ساعديه يميل اذناً متغافلة تسمع الاولاد فيتناوبون على يمينه وعلى يساره بقراءة الامثولة اما في كتاب نخب الملح واما في مجاني الادب . وكان المجاني في طليعة دخوله المدرسة يجذب اعيننا بلونه الاحمر الارجواني فنحمله معنا الى البيت فتغلفه الوالدة بقماش جميل من « عندها » ونفتحه ونقرأ من شعره في السهرة على الوالدين وعلى الحاضرين فيعجبون بالقارئ وبالقراءة ويثنون على جامع الكتاب . وظهرت مجلة المشرق بعدئذ بقليل واخذ الاب لويس شيخو ينشر فيها ما دثر من آثار الاقدمين والمحدثين .

وكان يدخل على معلمنا في المدرسة احد الادباء من الكهنة او من اهالي التلاميذ فيقوم المعلم ويخلي له موضعه ويحادثه ونحن نصغي الى الحديث لا باذن متغافلة ولكن بانتباه متقطع بين قرصة يقرصها احدنا رفيقه وسطر يتمتمه « وعيطة يأكلها » من الاستاذ اذا ارتفعت الاصوات وتعالت ضجتها .

وجاء احد الاولاد يوماً ومعه دفتر مستطيل القطع اصفر اللون فعرضه على المعلم كما كنا نعرض عليه من حين الى حين تحفة او شيئاً مستغرباً فيلتهي به فينظر الينا نظرة الرضى فنغتبط ويغبطنا رفاقنا على ما تتمتع به من الالتفات. واخذ المعلم جورج الدفتر المستطيل وقلّبه وقال : هذا دفتر نعوم البخاش . وقرأ

منه اخبارًا اشكالاً والواناً ومنها ما راق الحاضرين سماعه ومنها ما ساءهم لان للحديث شؤوناً واسباب الخلل في الكتاب بيّنة وفيه من اخبار الناس ما يُضحك وفيه ما يُبكي وفيه من ذكرى الحوادث ما يدعو الى الذم وفيه ما يستوجب الاستحسان . وفيه ما يستحق الذكر وفيه ما لا قيمة له ولا افادة في ذكره .

وروى احد الحاضرين عن كاهن من الكهنة،ولا اخاله الا الخوري ميخائيل شحود رحمه الله ، فقال هذا الكتاب مخطوط سيستخفّ به الناس الى ان يأتي احد الآباء اليسوعيين فيعالجه وينشره .

ومضى على ذلك العهد نحو الاربعين عاماً والتلميذ الصغير نشأ وصار يسوعيًا ودخل سن الكهولة ووقعت يده على مخطوط نعوم البخاش فعالجه وزاد عليه بما وُفّق اليه من التعليقات عن حلب وتاريخها ونشره في مجلة المشرق ثم في هذا الكتاب .

المقدمة

عنوان المخطوط ووصفه

هذا الكتاب ناقص في اوله وفي آخره . فليس عليه عنوان ولا اسم المؤلف. لكن فحواه وخطّه يهدينا الى معرفة اصله . فهو الدفتر الذي جمع فيه المعلم نعوم البخّاش الحلبي حوادث ايامه ، اذ كان ، في منتصف القرن الماضي ، يعلم الاحداث في الشهباء . ومن اجل ذلك سمّيناه يوميّة .

طول الكتاب ٢٠ سنتيمترًا ، وعرضه زهاء ١٠ . وهو مقروض عند اطرافه وصفحاته مقسومة الى اعمدة ثلاثة .

وفي كل عمود جزءان : الاعلى ، وهو متوّج بالتواريخ ، وفيه العدد الدالّ على الاسبوع في مرتبته السنوية الكنائسية اخذًا من عيد الفصح فما بعد،والعدد الآخذ بحساب بدء السنة الليتورجية عند السريان اي في اول احد من تشرين الاول ومن ثم ذكر الاعياد المهمة الواقعة في الاسبوع . ويتبع ذلك لائحة التلاميذ مسلسلة على عمود في يمينه رُقم عدد الاولاد من اسرة واحدة ، وفي يساره عدد الاسابيع التي واظب فيها التلميذ المذكور ، في اسابيع كذا اخذًا من

عيد الفصح فما بعد . وايام تموز وآب وايلول فيها الاحصائيات كما في سائر ايام السنة مما افاد انهم لم يصرفوا فيها الاولاد للعطلة المدرسية ، شأننا اليوم .

اما جزء العمود الاسفل ففيه ذكر وقائع حلب محررة باختصار يوماً فيوماً، واسبوعاً فاسبوعاً، وشهراً فشهراً، وسنة فسنة ولا ترتيب في المواد سوى مراتب وقوعها بالزمان . فيسردها البخاش مبتدأ الاسبوع بالاحد اوله ، ويذهب بها الى غاية السبت ، اذ يؤرخ اليوم والشهر من السنة الميلادية الغربية والشرقية ومن السنة الهجرية . وقد يعود عند وداعه الاسبوع فيتذكر ما فاته ذكره في يومه فيدونه . وربما اكتظت المواد فضاق بها العمود ، ففاضت على الهوامش وتعسّرت قراءتها لدقة خطها . لكنها على الاجمال واضحة بالبلّور المكبّر .

اما الورق المستعمل في الكتابة فعادي . وقد يأخذك العجب لحسن حفظه بالرغم من عشرات السنوات تداولته فيها يدا المعلم البخاش ، ثم ايدي الناس الى ان بلغ الينا . فيشهد لصاحبه بالحبر والعناية البليغة .

وربما كان جزؤه الناقص خفياً الى اليوم في بعض الخزائن او الدكاكين في حلب ، كما ظلّ هذا المخطوط خفياً الى ان اقتنته المكتبة الشرقية من الشيخ الترمذي بائع العاديات في حلب . عسى ان نشرنا هذا يستفزّ همة من يكون بين يديهم باقي اليومية فيحفظونها او يودعونها من يحفظها من الضياع الى ان يتسنى نشرها لناشر فتأتي تكملةً لما نطبعه منها .

***

ظهرت هذه المقدمة في المشرق ١٩٣٩–١٩٤٠ واسعفنا الحظ وفي السنة ١٩٥٨ وقعنا في حانوت السيد باسيل خوام « ما وراء البحارة » في ساحة فرحات في حلب على اوراق مبعثرة ودفاتر مهملة وبلمحة العين رأينا بينها ثلاثة دفاتر من يومية البخاش فاقتنيناها للمكتبة الشرقية ولست ادري هل سبق الدفتر الاول غيره لانه كتب في السنة الثالثة عشرة من افتتاح المكتب كما قال نعوم البخاش في ٤ تشرين الاول ١٨٤٠ ولعل « السابق » ضاع او لعل المعلم لم يبتدئ بتدوين الوقائع الا بعد مرور ثلاثة عشر عاماً على تعليمه وربما افادنا المستقبل عن حقيقة الامر اذا وفقنا الى تحصيل المفقود كما وفقنا في تحصيل الدفاتر الثلاثة التي اخذنا بنشرها .

وفي الامر الواقع فاليومية التي بين يدينا مدونة كما يلي في اربعة دفاتر :

الاول يشمل الحوادث بين ١٨٤٠ و١٨٤٦ .

الثاني بين ١٨٤٦ و١٨٥٥ .

الثالث بين ١٨٥٥ و١٨٦٦ .

الرابع بين ١٨٦٦ و ١٨٧٥ .

وقد نشرنا في سنة ١٩٤٠ الدفتر الثالث بعد ان ظهر تباعاً في مجلة المشرق وطبعناه على حدة .

ونفدت طبعته فرأينا ان نعيد فيها النظر ونصلحها بين زيادة ونقصان وننشرها للمرة الثانية تلبية لمن يطلبونها وتكملة لما اعددناه للطبع فسوف تقع بعد الدفتر الاول والثاني وقبل الرابع . وبذلك تأتي الاخبار متسلسلة على مدى ٣٥ سنة .

وكان نعوم البخاش من طائفة السريان الكاثوليك فيروي اخبارهم ولا سيما اخبار رجال الاكليروس منهم ولذلك عنونّا الكتاب « باخبار السريان» لكنه لم يهمل شأن سائر الطوائف فيذكرها ايضاً في اليومية فنشرناها كانها « الى السريان » كما نشرنا سابقاً منظومة الشيخ وفاء الرفاعي عن المسلمين وما اليهم في « اولياء حلب » (١٩٤١) و«دفتر اخوية عزبان الارمن وما اليهم» (١٩٥٠) و«اخبار الموارنة وما اليهم » (١٩٥٨–١٩٥٩) وفيها مع ما يمتاز كل كتاب منها بطائفة خاصة من الحلبيين تعليات وفوائد عامة تتصل بتلك الطائفة وتؤدي مادة لا يستهان بها في اثبات « الوثائق التاريخية عن حلب » وعن اهلها من مسيحيين ومسلمين .

وغربلنا محتويات اليومية تفادياً من تكرار ما لا فائدة منه مثلاً « يكون معلوم » فهذه العبارة تأتي عشرات المرار فلم نورها الا بعد حين وحين . ولم ننشر اسماء التلامذة الّا في بدء الكتاب تسهيلًا لقراءة اول عمود منها في صورة المخطوط ، ولكن رأينا افادة في نشرها في آخر كل سنة كما دوّنها البخاش اخذاً بالاسبوع من العيد الكبير وفيه رقم حضور التلميذ على مدار السنة . فنعلم منه مواظبة التلميذ المذكور على كذا عدد من الاسابيع ذلك ما لا تخفى اهميته على الاسر الحلبية .

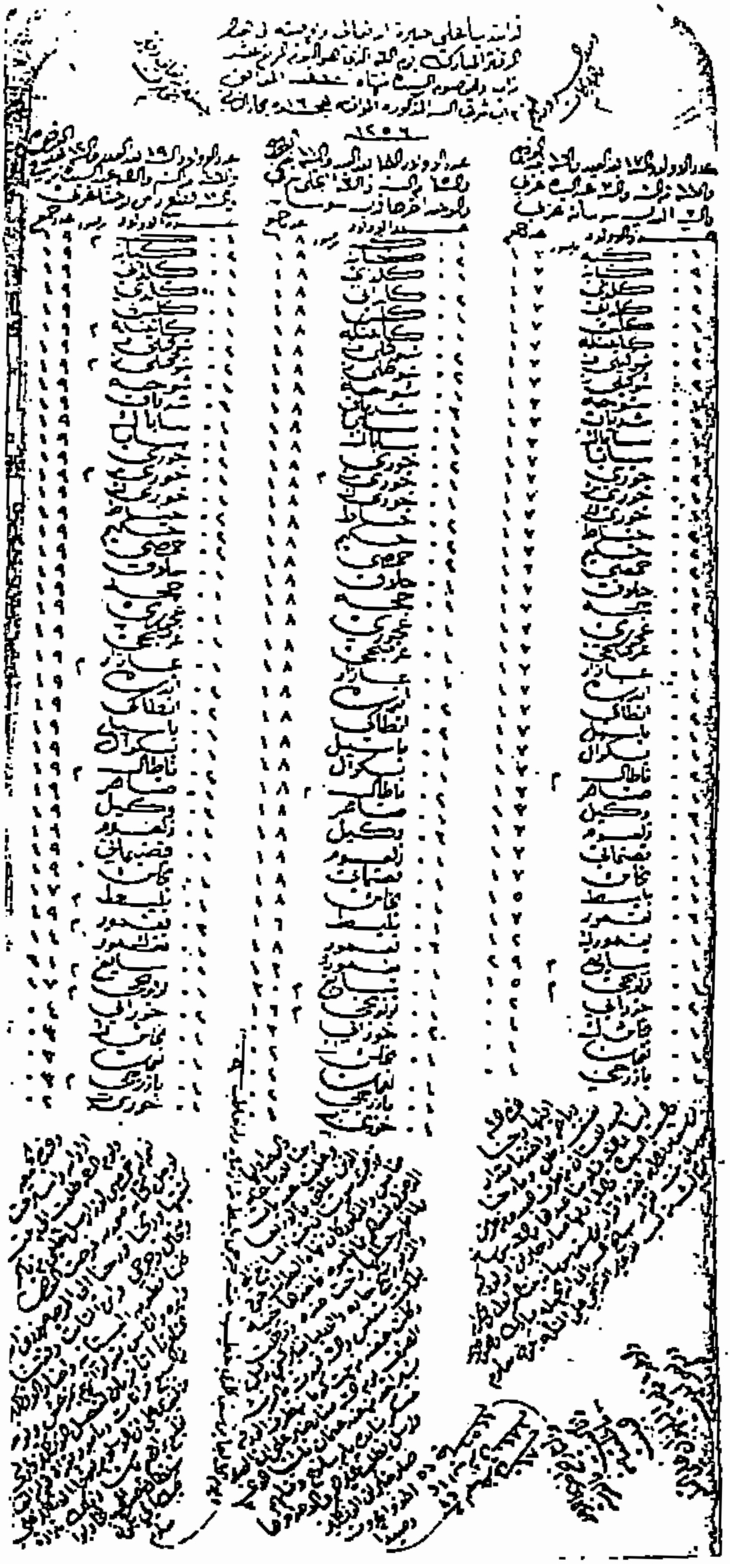

صفحة الأولى من الدفتر الأول

وان في « اليومية » الشيء غير اليسير من ثرثرات الرجل المولع بالصيد على نهر القويق والحريص على الا يفوته تعداد السمكات وثقلها وكميتها ومواضع صيدها فيأتي بالكلام عليها تكراراً مملاً فاكتفينا بروايتها من حين الى حين . وسوف نعالج امرها بدراسة اجمالية في ذيل الكتاب تشمل مع ترجمة المؤلف النظرات في الحياة الدينية والاجتماعية الحلبية في زمانه .

وان التواريخ محررة بالسنة الميلادية الغربية والشرقية وبالسنة الهجرية بالشهر واليوم . فاذا كان التاريخ لحدث مسيحي كاثوليكي ذكرت السنة الميلادية الغربية واذا كان للروم ذكرت السنة الميلادية الشرقية واذا كان لواقع مرجعه لحساب الحكومة ككرا. البيت ذكرت السنة الهجرية. وقد تقع التواريخ على غير نظام طوراً في اول الاسبوع وطوراً في خلاله فضبطناها تسهيلاً لسياق الحوادث على مرور الايام .

وان الاخبار مدونة عمودياً اسبوعاً باسبوع كما ترى في صورة الصفحة الاولى من المخطوط وكل صفحة منه تسع ثلاثة اسابيع فاشرنا الى الاسابيع في صفحاتها وعليها الرقم المفيد عنها . مثلاً : [٦'] معناه الصفحة ٦ في الاسبوع الاول — [١٧''] معناه الصفحة ١٧ في الاسبوع الثاني الخ .

وفي الغالب ايام الاسبوع يشار اليها برقمها اخذاً من الاحد: الـ١ اي الاحد ... الـ٤ اي الاربعا ... الـ٧ اي السبت فافدنا عنها بالارقام .

وتركنا لغة اليومية وعباراتها والفاظها الحلبية على علّاتها وسوف تؤدي مادة للكلام في آخر الكتاب على اللغة العامية وخاصةً على اللغة الحلبية .

ورصعنا المتن بالحواشي اينما رأينا في الامر افادة .

وكثر ما يساعد قاموس برتلمي على تفسير الالفاظ فدللنا عليه بحرف (ب)

A. Barthélemy : *Dictionnaire Arabe-Français. Dialectes de Syrie* : Alep, Damas, Liban, Jérusalem. Paris, 1935.

الدفتر الاول

قد ابتدينا على خيرة[1] الله تعالى وتوفيقه في هذا الدفتر المبارك يوم ٦١ الذي هو اليوم الرابع عشر من آب وهو صوم السيدة منتهاه سنة ١٨٤٠ الموافق ٢ آب شرقي السنة المذكورة الموافقه هجره ١٦ جماد الثاني سنة ١٢٥٦ .

جعله الله تعالى دفتر الخيرات ومدر السرور والنعم والبركات .

[٦'] — عدد الاولاد [الاحد] ١٧ بعد العيد [الكبير] و١٠ بعد المنصرة و٤٤من السنة [الطقسية السريانية بدؤها الاحد الاول من ت ١[١]٧عيد السيدة غربي و[١]٣ القديسة سوسانه غربي .

عدد الاولاد		عدد جمع
١[2]— كبه	مرصود	١٧
٢ — كبابه		١٧
١ — كازي		١٧
٣ — كلداني		١٧
١ — كلش		١٧
١ — كاتبنكه		١٧
٢ — شوكتلي ف		١٧
٣ — شوكتلي ن		١٧
١ — ستوحه		١٧
٤ — شدياق		١٧
١ — ساباك		١٧
١ — سابا		١٧

١) على خيرة الله : اي على ما يلهمني الله ان اختاره من الاخبار والحوادث لتدوينها دون غيرها (ب) .

٢) حاشية الارقام السابقة للاعلام معناها عدد الاولاد من الاسرة . مثلاً ١ كبة اي ولد واحد من بيت كبة . وتجاهها عدد الجمع التي حضر فيها التلميذ الدرس فيتقاضى المعلم اجرته عليها و « مرصود » دليل على ان للدفتر فصلاً سبق ذكرت فيه الاسايم ولم نحصل عليه .

٢ – خوري	١٧
١ – خوري ش	١٧
١ – خوري ك	١٧
٢ – خياط	١٧
٢ – حكيم	١٧
٢ – حمصي	١٧
١ – حلاق	١٧
٢ – حجه	١٧
١ – عجوري	١٧
١ – عرقتنجي	١٧
١ – عازار	١٧
٢ – اندريه	١٧
٢ – انطاكي	١٧
١ – باسيل	١٧
١ – بسكوال	١٧
٢ – ناطال	١٧
١ – ضاهر	١٧
٣ – وكيل	١٧
١ – زلزوم	١٧
١ – قضباني	١٧
١ – بخاش	١٧
١ – بليط	١٥
٣ – بندور	١٧
١ – بندور ك	١٢
١ – سايغ	٢٩
١ – تونونجي	١٥
٢ – خوردالي	٢
١ – بخاش ك	١
١ – تيان	١
١ – بازرجي	١

١٨٤٠ م، ١٢٥٦ هـ

هذه [الجمعة] الا ١ [الاحد] اولها ، رحنا دباغه[1] واخذنا مقدار نصر رطل وما رحنا لبعيد للبستان من طرف السيد ومن طرف لوسيا .

— والا ٢ فيلومينا عيدها .

— والا ٣ سوسان .

— والسبت السيدة .

— والا ١ اولها صار خبر ان اولاد كبه[2] يوسف ونصرالله اخذوا قرار يوسف : سوسان بنت الدلال ونصرالله : سوسان بنت نعمةالله صباغ السرياني . لله يجعله مباركاً . وهو الاحد الثالث من لعب المزعبر[3] الفرنجي على التله . يكون معلوم .

---

١) الدباغه بستان يمر به نهر القويق جنوبي حلب . وفيه تدبغ الجلود .

٢) يوسف غنطوز كبه وجيه الطائفة المارونية في حلب . راجع اخباره في « وثائق تاريخية عن حلب » ٢ – « اخبار الموارنة وما اليهم » في سنة ١٨٣٦ – والكرسي الرسولي يقدر له اتعابه ويلقبه بكفالير وما اسهل ما ينقلب اسم « كبه » العربي الى « كوبا » فيوقع احدهم في تحريره الى البطريرك يوسف الخازن تهنئة عند جلوسه في ١ ت ١ ١٨٤٥ « فتح‌الله مركيز دي غنطوز كوبا وكيل المجمع المقدس » .

وآل كبه معروفون في يومنا في رومة وفي ليفرنا ومنهم الاب روفائيل كبه اليسوعي . المولود في ٣ اذار ١٩٠٥ والذي دخل الرهبانية اليسوعية في ٢٧ ك ٢ ١٩٢١ وسيم كاهناً في ٢٥ تموز ١٩٣٤ وهو يشتغل في الشؤون الاجتماعية حالاً في رومة ١٩٥٨ .

راجع : غانم (يوسف خطار) ، برنامج اخوية القديس مارون . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ في ترجمة المطران يوسف دياب ، ص ٧٢ وص ١٣٤ وفيها ترجمة المطران روفائيل كوبا اسقف ليفورنا المولود في حلب ١٧٧٣ كاهن نحو ١٧٩٣ مطران ١٨٣٣ توفي ١٨٦٠ .

٣) المزعبر او البهلونجي ، والتلة كانت جزءاً من « التلل » قرية من « الصليبة » بغرب ولم يبقَ لها اثر في يومنا . وكانت اولاد المدارس تقصد اليها للنزه ، قرب «ارض المشقة» .

[٦أ] – الاحد تزوجت سوبان بنت (م) الى (م[1]) المذكور كان نهاه البطرك عن الدخول لعندهم فما قلعوه فاخذها خفية ولما ظهر حبلها راحت عنده وتكللت والمذكور شيخ حارة .

– والاربعا تغير كيفي وقبل ليلة كنت متعنس .

– واله قعدت بالفرشه وكانت خضه من بيت كربا من طرف الورق الصراف .

– يوم السبت صار خبر على ان الامير بشير[2] اخذ من عند عثمان باشا الاي ٣ عسكر بناء بده يلم سلاح وقفلهم [ردهم] وارسل يطلب غيرهم والاحد آخرها صار خبر ان الانكليز اخذوا بيروت وصيدا :

في ٢٣ آب ١٨٤٠

[٦ب] – وهذه الجمعة اراد الله واسترحت .

– ويوم اله طلعت الى بيت نعمةالله حمصي لانه ارسل خلفي من باكر لاجل كتابة صمدية[3] . فرحت العصر كتبتها . وركبنا ورحنا الى المرجه : رزق الله وميخائيل وجرجي وابن الثابت . وقفنا كلنا فطومه البستانية . واخبار الانكليز دايره والناس يقولون انهم بيرعش . ويوم الثلاثا اتى فرمانو لقنصل الانكليز واري Warry من السبع قرانات (؟) ومامور بقراءة قدام القاضي والمفدى [المفتي] على ان الاسلام يعينوا الانكليز على تقليع براهيم باشا وذلك بارادة

١) اهملنا ذكر الاسم تورعاً لان آله احياء يرزقون .

٢) هو الامير بشير الثاني « الكبير » وسوف يتسلم للانكليز عن قريب . وبعد ان احتل المصريون سورية من ١٨٣١ الى ١٨٤٠ اكرهوا على اخلائها . فيكتب نعوم البخاش الاخبار والبلاد تعود الى حكم بني عثمان – ولم يتم ذلك الانقلاب الا بوقائع حربية اسهبت كتب التاريخ في وصفها ويتصدى لها نعوم البخاش تصدياً لا يخلو من الفائدة للسند التاريخي .

٣) الصمدية قد تكون طاقة عليها لوح من الخشب فوق الباب او الشباك ويكتب عليه الشعر . والى يومنا الكثير من امثال ذلك في بيوت حلب القديمة (اطلب ب في مادة صمض) .

سلطان عبد المجيد فجاوبوا بك اني (حسن) يكون معلوم[1] .

— ويوم الا ٤ اجا يوسف كلزي خطيب بنت جرجي بليط من ازمير وله خاطب سنة ٩ .

[٧'] الا ١ اولها . قبل الاحد كان عيد قطع رأس يوحنا غربي . طلعنا يوم الا ٦ مساء عند فطومه وتمينا السبت والاحد .

الا ٢ نزلنا مساء وانا نزلت من بكره .

— فتحت المكتب . وكان خبر الانكليز شايع وهذه الجمعة ذكروا ان الفرنساوي صار مع محمد علي ومراده يأخذ اسلامبول والمذكور ومحمد على التحموا على الملوك عبد المجيد والنمسا والمسكوب والانكليز وبروسيا ومزمعين يتداكشوا (يتقاتلوا) ومهما يجري نذكره فيما بعد .

— وهذا الاحد كان السادس من لعب المزعبر على التله ويوم ٣ و ٤ صار معالجه بيني وبين الخواجا نعمةالله شوكتلي من جهة اولاده يكون معلوم .

وهذه الا ٣ [كذا] الحقة بطلت وصار الرطل ٨٠٠ درهم حقتين ونزلنا الا ٢

---

١) راجع فيليب الخازن . المحررات السياسية المجلد الاول ص ٣١ . ولامنس تاريخ سورية ٢ ص ١٦٧ وما كتبناه في « مختصر تاريخ سورية ولبنان » ص ١١٤ (بيروت في ١٩٣٨) اذ اضحى مصير سورية في ايدي رجال السياسة بعد انتصار ابراهيم باشا في نصيبين فرغبت فرنسة في تأييد ابراهيم باشا ابن محمد علي الكبير ولم تطق انكلترة ان ترى المصريين قائمين على ضفاف الفرات رابضين على طريق الهند فاتفقت مع بروسية والنمسا وروسية وعقدت معاهدة في لوندره (١٥ تموز ١٨٤٠) والزمت محمد علي ان يبارح بمرحلة عشرة ايام الولايات السورية . وجاءت مراكبهم وضربت مدينة بيروت ١١ — ١٤ ايلول ١٨٤٠ وكان الامير بشير قاسم شهاب قد خرج مع اللبنانيين على ابراهيم باشا فاقاموه حاكماً على الجبل مكافأة له ونُفي الامير بشير الكبير الى مالطة .

وكان ابراهيم باشا قد اظهر في سورية عامة وفي حلب خاصة تساهلاً مع المسيحيين وفتح لهم ابواب المجالس الادارية وكان منهم حنا وجرمانوس بحري الدمشقي وسعى لالغاء العادات المحتقرة بشأن المسيحيين فلما انسحب ابراهيم من سورية حدث الاضطهاد كما وصفه نعوم البخاش .

من البستان واختي كرزه رمدت[1] الله يشفيها .

[٧^١] — الحد عرس الياس بن اليان حمصي فسفسي عديل تدوري انطاكي . رحنا مع بيت كوبا الى المويجي . صلوا الوردية ورجعوا كلهم .

وهذه الجمعة طلع الخبر ان الفرنساوي ما يتحشم[2] محمد علي وان الفرنساوية فرقه ٣[3] يكون معلوم ومن الحكم طلع الخبر ان كل من حكى في هذه المصلحة يروح للومان سنة ٤ ومن لعب المزعبر ٧ يكون معلوم .

— يوم الـ ٦ جبنا فستق رطل ٧ لان الحقة بطلت واختي رمدانه .

[٧^٢] — الاحد رحنا القطانه وكان بجنينة الخصرم شريك جبرا بازرجي ونسوانه وطالعنا سمك مقدار اوقية ٣ . وقبضت حق حوش في زقاق الاربعين بظهر المدار ساكنتها خالتي مريم بنت الزحلان بالف ٢٠٢٠ ودفعت غرش ٣٠ فروغ لواحد كان قصده شراتها و٣٠ بالمحكمة لاجل الحجة .

— والاثنين رحت القطانه كان عيد الصليب وما جبت سوى وقيه ١ . الثلاثا قعد عندنا حبيب ابن شكر .

— في ١٥ ايلول عربي سنة ١٨٤٠ في ١٩ رجب ١٢٥١ .

والله طالت فرخ انكليزي من الشيخ طاها درهم ١٠٠ يكون معلوم . واختي رمدانه .

وهذا الاحد هو الثامن من لعب المزعبر اي البهلوان على التلة والنباية وبده

---

١) الرق قد يكون سببه النوم تحت السماء اذا ما سقط الندى على الجفون مع الغبراء التي لا تخلو منها حلب .

٢) لم يدافع عن محمد علي . وكانت اذ ذاك حلب بين نارين : نار العثمانيين العائدين اليها ونار المصريين الخارجين منها وما على الاهالي الّا السكوت وفيه السلامة !

٣) هذا وفيما يليه في الاسبوع القادم عن « فرق » الفرنساوي تنويه بما جاء عن شارل لويس نابوليون بونابرت الذي حاول اعلان ذاته امبراطورًا في بولونيا وخلع الملك لويس فيليب في سنة ١٩٤٠ .

يلعب بعده احدات ارخص من اول ٥٠[1] الآن ٣٢ . وصار خبر ان ملك فرنسا قلعوه وان بيروت خربها الانكليزي والدكش عمال لان الفرنساوي فرقه تريد مشيخه وفرقه تريد بوناباتره وفرقه مـا تريد الملك القايم بروسهم — اشتريت الحوش وكتبتها باسم اختي كزه ولكن هي رزقي .

[٨ا] — الاحد اولها طرحت مرأة انطون عزوز بتوم وكان نقشت بنت الياس شامي الى انطون راجي اخو خوري الياس الموراني عديل الى بطرس اينـا . وولدت مرأة سالم بنت جبرا اسيون واتت بصبي [هو حبيب وسيولد له من وسيل حمصي الخوري جرجس سالم وفؤاد سالم ابو جان المحامي] .

والسبت رحت عند المطران [بولس اروتين] واستكريت الحوش كل سنة ١٠٠٠ بدهليز بيت القعدة .

— في ٢٦ رجب ١٢٥٦ في ٢٠ ايلول غربي ١٨٤٠ جعلها الله مباركة .

والسبت الاول من لعب المزعبر — مشورة بطرس خوري الى بنت يوسف متري — واجا بدروس كلزي من عينتاب وكان صراف .

[٨ب] — والاحد اولها رحت القطانه وكسرت بالوع ٣ وما جبت شي. ومساء رحنا ظهر القناية مع خواجا كوبا ركب .

— ١٨٤٠ ٢٧ ايلول .

— والاحـد كانت مشورة ميخائيل بن نعمة الله حمصي الى بنت انطون عجوري . والاحد ولدت مرأة جرجي صاجاتي الساعة ٣ من النهار والساعة ٩ من الليل ولدت مرأة نيقوغوص شاه وكيلي واتوا الاتنين بصبيان—والاثنين كانوا بيت كوبا من بكره للسا في بستان العجمي وكان معهم الحلبي (النوباتي ؟).

— واله سافر الاي من حلب والامور مشوشه من طرف الانكليز وبراهيم باشا .

— والاحد اولها في ١٥ ايلول ١٨٤٠ شرقي في ١ شعبان ١٢٥٦ .

١) اي في بدء ظهوره في حلب كان الاقبال عليه عظيماً فيتقاضى ٥٠ (باره ؟) وبعد ان قل عدد المتفرجين خفض قيمة الدخول للملاهي فصارت ٣٢ .

وطلب الله ابراهيم باشا من حلب ١٥٠٠ جبل ورأسهم عبد الله بك بابنسي وكل واحد بالشهر ١٠٠ غرش بارادتهم وقال ينكتبوا وفيما بعد عفاهم من النظام اذا قدر وملك[1] لا يأخذهم نظام والـ٢ من لعب البهاوان المزعبر ... والاحد اولها مات ابن انطون الزعير نعمة الله الله يرحمه

[٨٢] – الاحد اولها رحنا للصيد الى الدغيل وكان بازوجي ونصر الله خوري بن شكر الله خوري ونهارها طالعت مقدار اوقيه ٢ سمك والاحد ٣ من لعب البهاوان على التله والله تمشينا كنا معزومين بيت الوكيل وكان مريم بنت الشوحه زيارتها عند اختها عزمتها وعزمتنا .

والله اجا الويين من مرعش وراحو للأوردي والخياله لا زالوا مطلوبين للان والله ارسل الخديوي محمد علي وعرف الحكام ان يقولوا للقناصل الذين سلاطينهم ضده ان يسافروا او يتركوا القنصلية ويبقوا وكذلك الحمايات ويصيروا رعايا[2] او يسافروا وماذا يجري نذكر ..

– والـ٦ ٩ في تشرين اول غربي وهي انتهاء السنة ١٣ لافتتاحي المكتب .

– وابتدا الـ١٤ في ٢٧ ايلول شرقي ١٨٤٠ في شعبان ٣ سنة ١٢٥٦ .

ربنا يحييها لامثالها والله كان كليل بنت ميشيل ادلايت الى برتاليس الفرنساوي .

[٩١] – الاحد اولها كان تقشة بنت الشوحه مريم اخت مرأة الوكيل الياس الى نصرالله مراش . والاحد اولها رحنا الى القطانه وما جبت سوى

---

١) وكان ابراهيم باشا على اهبة الرحيل من سورية . وكان قد اعتاد الطاعة العمياء من الفلاح المصري فلم يدرك عناد الحلبي واصراره على المقاومة فحاول لم الرديف بالاكتتاب والتطوع لا بالاجبار . والملك او الملكي نقيض العسكري .

٢) اي ان يتخلوا عن جنسيتهم ويدخلوا في حكم الحكومة كمصريين او عثمانيين . في ايام الحرب بين تركية واليونان ١٨٩٦ شهدنا في حلب رجال الشرطة الاتراك يقفون عند حانوت رجل حلبي يوناني الجنسية ويخطرونه اما بالتخلي عن جنسيته اليونانية واما بالرحيل حالاً لساعته ولا يتركون له الفسحة لتدبير اموره قبل السفر . واذا تخلى عن جنسيته اضطروه الى دفع ما تأخر عليه من الجزية .

وقية ١ او اوقيه ٢ وااه مار اسيا رحنا القطانة وجبت مثل يوم الاحد ...

— اا٦ فرضوا كسر الخراج الادنى ٥ والوسطي ١٠ والاعلى ٢٠ يكون معلوم .

— ويوم الخميس اجا الاي هواري [غير نظامي] وراح الى الاردي لعند ابراهيم باشا . وسافر قونصل الانكليز ومعه يوسف كرونلي الى اسكندرونه وتجار الانكليز احتموا عند غير قناصر مثل الجلو والفرنساوي كيس وغيرهما.

— والثلاثا قلبنا سقف المربع[1] وقو القمالة الى آخر الجمعة والنجارين يوم[1].

— في ١٢ ت ا ١٨٤٠ غربي في ٣٠ ايلول ١٨٤٠ شرقي في ١٦ رمضان ١٢٥٦ .

[٩] — الاحد كانت نقشة بنت انطون عجوري الى ميخائيل ابن مقدسي نعمة الله حمصي . وما لعب البلبوان هذا الاحد . وصار خبر ان الموسكوب وصل الى ارفه وعن الاردي ان اهل الجبل [الدروز ?] قتلوا من عسكر ابراهيم باشا مقدار ثلاثين الف. وانهزم براهيم للشام وكان سليمان باشا موجود في اللاذقية ومعه اربع الايات فضايقوه عسكر الانكليز والجبل والعصلي فانهزم وما قدر يجر الطواب فسد القاله بمسار حديد غليظ حتى لا يضربهم العدو بطوابهم. واخذوا مني ومن والدي عشرين غرش كسر الخراج كل واحد ١٠ يكون معلوم[2] . وفي قول ان الجبال مثل اللجا وجبال نابلوس والدروس (كذا) والنصيريه قايمين على ابراهيم باشا كلهم والتاريخ .

— الاحد اولها في ١٨ ت اول سنة ١٨٤٠ غربي في ٥ ت اول شرقي ١٨٤٠ وكان المطال عند اليهود في ٢١ شعبان ١٢٥٦ هجره .

١) اي انهم ترعوا «الزريقة» ورمموا خراب السطح واصلحوه لكي يمنعوا الوكف. ولم يستعملوا المحدلة قط في حلب كما في لبنان وكانوا يفرشون على التراب نوعاً من الطين المصنوع من قصر الملّ (ب) والقنب والكلس وهذا يسمونه الزريقة ولا ينش لماء المطر .

٢) اقلبها تنقرأها اعتراف — وكذلك يأتي في الدفتر هاوانم اقلبها فتقرأها متاولة . دلنا على حل هذا اللغز المرحوم قسطاكي حمصي .

٣) في جمع مال الخراج كانت الطائفة مكلفة بمبلغ مناسب لعدد افرادها . وكان الغني يحمل الفقير . فيظهر من كلام البخاش ان والده وهو دفعا الكسر عن فقراء الطائفة .

[٩] — الاحد رحنا الدعة وجبنا مقدار اوقيـة ١٢ سمك وكان معنا بازرجي .

— الاثنين رحت وحدي الى جبل النهر والقبار والريحاوي .

— والاحد اولها لعب المزعبر وطير شي. مثل القبة[1] في السماء وحد ما قطع من التلة التي عند بستان الكلاب لحد قلعة حلب وقعت ؟ شي. كثير كويس ما شفناه بحلب يكون معلوم . ونصرالله حوا مريض ومخطر .

والجمعة صار خبر ان الكلاسة والوراقه وهديك الاطراف[2] تفضي لان الاوردي مزمع ان ينتصب قدام القشلة التي عند جسر السعدياتة وماذا يجري نذكره .

— والاثنين كان اول رمضان . وولدت مرأة صولا بنت عزوز وجابت بنت .

— ٢٨ ت ١ ١٨٤٠ .

— السبت اجا الاي الطوبجية وايضاً الاي صواري وبياده ونظـام وغيرهم وقوا ينتقلوا الى نصف الليل وبقيوا بحلب. وهذا الاسبوع اجا ميخائيل عجوري للمكتب وكان نافر عن المجئ فأجا .

[١٠] — الاحد رحت الشابندر .

— والاربعاء فضوا القواسير [القيصريات] في الصليبة ونزل الاي نظـام في الصليبة وكان سببها قال حمزه بك ان كسر الخراج يعطوه الكبار فما فعلوا امره فنكاية نزل الكدخدان بالصليبة والناس موهومين كثير من طرف براهيم باشا .

---

١) قد تكون القبة من الورق على كم البالون وشأنها معروف يملؤونها من الدخـان ويضعون في اسفلها عند الفتحة اسفنجة مبتلة بالزيت فتصلح وقوداً وتأتي بحرارة تدفع القبة في الهواء . ولكن الخطر كل الخطر من سقوطها في المواضع التي يمكن ان تضرم بها النار .

٢) اي ان سكان تلك الاحياء استوحشوا جيرة العسكر فتركوا بيوتهم وجاؤوا الى غير مواضع . والكلاّسة اسم الحي عن سكانه الذين يشتغلون بالكلس . والورّاقة هم الذين يورّقون الحيطان اي يطلونها شوع من الغبار الابيض الناعم وهذه « الورقة » تمتاز بها البنايات الحلبية دون سائر البلاد .

— والجمعة راح الشبل العريان[1] ومعه طواب الى العمق لان الكراد نزلوا نهبوا العمق واخذوا ١٥٠٠ جاموز ابراهيم باشا ونهبوا البدار فارسل ينهبهم . والمزعبر لاجل انه داير القبة التي ذكرناها سابقاً فارادوا يسركاوه فشغموا به فابطل اللعب . وقالوا نزل القبة بالقلعة قصده يحرق الجبخانه ويخرب حلب هذا كان السبب .

— والاحد اولها كان عرس بطرس خوري الى بنت يوسف متري وولدت مرأة رفول مشاطي واتت ببنت وصار خبر ان العسكر يعمل قشلة في الشترية بحلب .

ـ والخميس في الليل دبحوا ابن الدنبتني ومرته في الليل والذي ذبح ونهب مسكوه : بن عبود العيد مسلم . وتوهموا النـاس ذنوا بالعسكر وخصوصاً الصليبة بقيوا مرعوبين وفضيت ارفه وسرعش وعينتاب وكتر من العسكر والجميع بحلب ولما دخل من ادنه وترسوس وكلك بوغازي ممر طابيات مقدار ٢٠ كل طابية عود خشب ١٠٠٠ وموجوده داخلهم الجبخانه فعطا النار خربهم وقتلوا نفر وافر من نظام مقدار ٣٠٠ .

والفعول (الفعلة) خلصوا من عندي هذه الجمعة والسبت .

ومكلفين الطابيات[2] مقدار ١٦٠٠٠ او ١٧٠٠٠ كيس ودعك العار الذي حواليهم والنظام الذي قتل كان مريض وعليل فاحاطه بالطابيات وعطا النار فاتوا[3] .

— في ٢٦ ت ١ ش في ٧ ت ت غ ١٨٤٠ في ١٣ رمضان ١٢٥٦ .

[١٠'] — الاحد توفي نصرالله حوا . والاحد رحنا القطانة وجبت مقدار اوقيه ٤ سمك[4] .

١) شبلي العريان احد زعماء الدروز وقائدهم في محاربة المصريين

٢) الطابية البرج المدور [ب] .

٣) عوض ان يعتنوا بالمرضى والجرحى . . . اجهزوا عليهم عادة بربرية قبل تأسيس جمعية الصليب الاحمر .

٤) من ملح اليومية وفكاهاتها ومما يزيد قيمتها في تصوير الوقائع ان البخاش يجمع في عمود واحد اخباراً خطيرة تاريخية يتخللها نكتات او خبريات لا تأتي في نظر المؤرخ الآ

— والاحد صار خبر ان الالايات جميعها طالبها ابراهيم باشا وبدها تروح وبدها تفضي البلاد . وبتنا ليلة اوشم النومات .

— والاثنين صاروا يبيعوا حنطة الباشا شنبل ٤٠ كان ٦٠ والعسكر بدا يبيع مقتناه وبده يرحل .

— والثلاثا كذالك .

— والاربعا صار خبر من ابراهيم باشا من والده ان الفرنساوي معه فضربوا طواب زينة وما بقي يروح العسكر وكفوا عن بيع الحنطة .

— والخميس بدوا يبيعوا منها بالسعر المذكور ٤٠ وصار جفلة نهارها بحلب وطربقوا (ب) الخانات وكان سببها ان كدع (جدع او تبضاي) من النظام هبش ثوب جيث من دكان من الدكاكين فركضوا خلفه وركضوا الناس من غير علم . ناس يقولوا زلزلة . ناس العسكر عمال ينهب . وناس كثير رعبيه. فانهزموا ودخلوا الخانات وسكروا البواب هذا هو الباعث للجفلة كان. واكثر الناس ارتعبوا يكون معلوم .

— والاربعا اجا متسلم لكلز عصلي فطردوه اهل البلد وقالوا ناس ان ابن شريف متسلم حلب صار من قبل العصلي وقاعد بالجسر ومنتظر رواح المصري حتى يدخل بحلب ومعه مقدار ٢٥٠ نفر .

— والاحد اولها كان ١٤ رمضان ٥٦ وال ١ من تشرين الثاني ١٨٦٠ غربي و١٩ تشرين اول شرقي ١٨٦٠ .

— والسبت رحل العسكر وبدي يشحط الى الشام نسا ورجال واولاد وطواب والايات ولبش وغير ذلك واهل البلد الاسلام تطربنوا وبدوا يتوعدوا النصاره بشي مهول والناس مرعوبين ومنهم راحوا ناموا بالمدينة[1] ونقلوا ,ليش

كحبة الرمل بين حجر البناء ولكن لها مكانتها ولا نستنكف عن ذكرها من حين الى حين عنوانًا لاسلوب المؤلف الدمِث الحُيل ولا ادري هل يوجد ما يباريه مثلها في الاداب العربية . . . وغيرها . . .

١) المدينة هي في عرف الحلبيين المنطقة التي تشمل الخانات وما اليها من الاسواق. هذه الخانات موجودة الى يومنا وهي كالحصون بابوابها الغليظة وابنيتها المسوّرة . والى يومنا عليها حراس يغلقون تلك الابواب في الليل .

وفي النهـار صاحوا يغما[1] بالصرايا وبالقشلات وايضاً بالشيخ ابو بكر وبصراية ابراهيم باشا . وصاروا يبيعوا اللبش . والشون [مخازن المون] نهبهم العسكر يغما وصاروا يبيعوا التفنكه بغرش واحد والمطره (اي وعاء من جلد للماء في السفر) بعشرة بارات وبعشرون باره والتاسومه الواحـدة بغرشين والنحاس والملبس بالحنا (او بالجنا ?) انباع حتى باعوا الجميع وجلد الجاموس بسعر ٣٠٠ غرش انباع بعشرين غرش . والمسا اخذوا علايف خبز وشعير ودراهم وقاصدين الرواح الاحد يكون معلوم وليلتها الناس مرعوبين كثير .

[في سنة ١٩٤٠ كان محرر هذه الاسطر يدور في اسواق حلب مع فريق من العسكر الافرنسي ليفرجهم على البلد . ودخلنا سوق البيمارستان وفيه الاقمشة والسلع معروضة للبيع . وما ان رأى احد الباعة قدوم العسكر الاوانج واخذ يلم بضاعته ليحميها من « اليغما » ظنّاً بإنّ العسكر سوف ينهبها كما كان يجري على الايام التي نحن نكتب عنها . وان تكن دقيقة الا وتغلق السوق وتمتد الجفلة الى سائر اسواق « المدينة » . ولكن اشرنا بهدوء الى صاحب البضاعة ان ليس عليه خطر ولا على بضاعته فهدأ وسكنت السوق وابتاع العسكر ما شاؤا ان يبتاعوه ذكرى لمرورهم في الشهباء يحملونه الى بلادهم من امثال ذلك « التواسيم الحمر والطرابيش الحمر » . ووقفوا عند الحلوجي وابتاعوا كل منهم سقاطة بقلاوى . . .]

– اولها الاحد ١٥ ت ثاني ١٨٤٠ في ٢١ رمضان .

راح عسكر مصري نسا ورجال والايات بيادة ومزرحين (مسرحين) وصواري ووردبان (حرس) وطوبجية والى الظهر فضيت البلد ما بقي ولا واحد

– يغما هو صراخ الجند اذا دعوا الى النهب اي لكل انسان ما تقع عليه يده يأخذه ولا عتاب عليه ومال اليغما كالغنيمة في الغزو عند اهل البادية ونقيض « المدينة » « الصائح » وهي الاحياء وما اليها في الجديدة خاصة . سميت بالصائح لان الباعة يصيحون فيها ويناودون فيما يعرضون بضائعهم للبيع .

١) وشيء من ذلك حدث في غاية الحرب الكونية الاولى عند انسحاب الاتراك من البلاد السورية والحلفاء يطاردونهم .

وكذلك في حلب سنة ١٩٤٠–١٩٤٥ عند انسحاب القوات الافرنسية منها في اواخر الحرب الكونية الثانية اذ بيعت البارودة او التفنك وذخيرتها بسعر بخس جداً . وضبت النشلة في السويات التي خلت من الحرس بين خروج جيش فيشي ودخول جيش الانكليز والافرنسيين الاحرار .

حتى الكتبة القبط من غير الحلبية ذهبوا وعرب هتاري وصار سكته بجاب وصاروا اهل البلد ينهبوا من القشلات تفنكات وبارود ورصاص ولبش عسكر وكل واحد من الاسلام يأخذ تفنكتين وثلاث ومنهم ٢٠ ومنهم ٣٠ ومنهم بوقته يدكوا ويضربوا وصار الكل يضربوا تفنك وارتعبوا اهل البلد والبعض ذهبوا الى الخانات يناموا وورموا النصارى بيد الاسلام وبقوا يرجفوا قصب (كالقصب) وعبد الله بابنسي ثم متسلم من طرف الافرنج ومن طرف بن شريف . وجرمانوس بجري سافر وحريه عند بيت الياهو [بيچوتو] القنصل وتاجر نصري وشكر الله سافروا وطول النهار والليل عمال ضارب تفنك ورز الرصاص في الاذان والاتنين والثلاثاء والاربعاء بهدلوا النصارى بهدله منظومه البعض يضربوهم البعض يتهددوهم البعض يرموا لفاتهم في الارض ولفات المصريه[1] صاروا طارات من خوفهم وكل ليلة يصير وخف يتسلحوا ويدوروا بالليل وعبدالله بابنسي ايضاً يتسلح ويدور كل البلد ونحن كل ساعة برعبة شكل .

— يوم الخميس اجا بن شريف متسلم حلب يوسف آغا ساعة ٧ من النهار (باعتبار الساعة العربية اي ٧ بعد طلوع الشمس) وبعد مجيه طلع خبر ان يزينوا البلد سبع ايام وسبع ليالي هذا غلق[2] تساوي فالباري تعالى دبر شلفوها بعد عيد رمضان يكون معلوم .

— ويوم الجمعة ولدت مرأة نصرالله خوري واتت ببنت الساعة ٢ من النهار .

[١١'] — ١٨٤٠ — ٢٣ ت ٢ — الاحد ما طلعت من البيت من خوفي لان تم قلب لفات وتشقيق مناديل للنصاره .

— الاثنين الجمعة التي قبلها دخلوا بعض الاسلام الى كنيسة السريان وتزلوا

١) الطارة آلة من الآلات الطرب كالطنبور المنبر يُضرب عليه .

٢) الغلق التساوي في حصر المعنى هو ملتقى الخطوط التسمة في عقدة سقف القبو وفي المعنى المجاز كما هنا « كالة المراب » (ب في مادة تسع) .

قنديل فضة فارسلوا (السريان) خاف قنصل الروام[1] فارسل كم نفر من عنده فضربوا الاسلام واخذوهم لعند القنصل والقنصل ارسلهم للشام فحبسهم عنده وجاب البطرك قلق (حرس) ثمانية انفار من عند المتسلم تمو ينطروا الكنيسة ثلاثة ايام وبعده دشرهم .

— الثلاثا كان الوقفة .

— الاربعا عيد رمضان عيدوه بكل هنا الاسلام وفي العيد ونبوا كم واحد من الكبار الذين اتوا يعايدوهم وخرفلوهم(؟) ومن الجملة شيخ الشورنجي وبن شيخ القامتليه وايضاً بن بيازيد وغيرهم والبلد كنت عن اول واحسن وصار خبر ان جايه ثلاثة باشاوات موجودين في عنتاب وعمال يكتبوا نظام والاسلام ريحوا شي قليل ومعهم مقدار ثلاثون الف منهم ١٢ الف نظام والباقي باشي بوزق .

والاربعا مات يوسف فتال الساعاتي .

— والاحد كنت معزوم بيت المجوري للغدا صار خبر ان ابراهيم باشا بعت طلب الجبخانة الموجودة بحلب فارسلوا يقولوا له ما عندنا مثال ارسل دواب لترسل لك اياها وتمت باقية في حلب وان ارسلوها بعد نعرف عنها . وكان عيد سيدة النجاة بواسطة عيدها الباري تعالى كف غضبه عن مدينة حلب بشفاعتها وان هذه السيدة هي محامية حلب وعلى هذه النية علقوها في كنيسة السريان .

— والاثنين ولدت مرأة فتح الله عرقتنجي وجابت صبي .

[١١'] — ١٨٤٠ — ٢٩ ت ٢ — الاحد عيد عمران سيدة النجاة فارتمسا هلوانم (اقلبها فتأتي اعتراف ومناولة) .

---

١) ان دار مطرانية (او بطريركية) الاروام او « القنافة » تقع تجاه دار مطرانية السريان وكنيستهم عن بعد بضعة امتار فلا عجب في ان يستنجد السريان باخوتهم الاروام على الاشقياء الذين اخترقوا حرمة المعبد وترلوا القنديل الفضة . ودار القنصل الاروام غير بعيدة عن الحي .

المطران روفائيل بن كوبا الحلبي الماروني

اسقف ليكورنا (اخذاً عن [illegible])

اجا زخريا باشا[١] سر عسكر عصملي ومعه الاي ثمانية واحد ركاب والسبت قبله اجا مثله عدد نفر وضربوا له طواب . وطالع دلال امن وامان ولا احد يتعارض احد وهذا كل يوم من بعد رواح المصري الى الآن يطلع كل يوم دلال واثنين ان لا احد يقارش احد ولا يتاود على احد .

— ويوم الاثنين راحوا يسلموا عليه الاعيان وراح البابنسي المتسلم ويوسف آغا ابن شريف حكمدار حلب فتصدر البابنسي ولبسه كوكوله (نوع طربوش) مزركشة مقدار ٨٠ مثقال قصب وسماه بابنسي بك متسلم حلب فلبسها وضرب تمني وتبل اذياله وقلع بن شريف يكون معلوم .

ولم تزل البهدله في النصاره من السيدة [جمع سيد] الى الآن .

— والاحد رحنا بستان العويجي وكان مطر وانا جبت فرخ براق واحد مقدار درهم ١٥ وكان معي بازرجي لان اخاف اطلع وحدي . والبرباره نظمناها بيتنا والاسلام كل من له على احد عمال الان يستبد فيه اضعاف وما احد عمال يقصر من قتل وضرب وتبليص .

— ويوم الخميس ليلة البربارة ايضاً دخلوا اسلام الى الكنيسة وشلحوا لفاتهم ودخلوا بتاديل لكي لا يعرفوا وضربوا القندلفت وضربهم وارسلوا خلف يسقي تنصر الروام فانهزموا[٢] .

[١١ '] ١٨٤٠ — ٦ ك ١ — الاحد اجا اسعد باشا باشة حلب ونهارها راح

---

١) احمد زخريا باشا من كبار قواد الجيش العثماني . عهد اليه بتابعة الجنود المصرية ويرد النظام الى البلاد في حالة الفوضى التي تحدث في انقلاب الحكم . راجع الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا . تولى جمعها وضبط قراءتها ووضع فهارسها الدكتور اسد رستم بيروت — المجلد الخامس: الاوراق السياسية لسنة ١٢٥٦ هـ . التي نحن في صددها . ص ٢٢٨-٢٣١ وفيها يوصي القواد والاعيان بالعودة الى طاعة السلطان و ص ٢٥٨-٢٥٩ بالاعتناء «بملاحظة الفقراء والضعفاء» . ١٨ شوال ١٢٥٩ وجاء في الاصول ص٢٦٥-٢٦٧ ذكر « خيانة شريف باشا » فهل يكون بينه وبين ابن الشريف علاقة ؟ والله اعلم !

٢) ان المسيحيين في القرى لباسهم كلباس المسلمين فيضعون على رأسهم المطاطة والعقال . واذا دخلوا الكنيسة يترعون العقال احتراماً ولا يبقى على رأسهم الا المطاطة او المنديل . . . فيظهر من كلام البخاش ان الذين دخلوا الكنيسة هم مسلمون تنكروا بزي المسيحيين فعرفهم القندلفت وطردهم . . .

مقدار ٨٠٠ واحد بيادق الى حماه وبراهيم باشا للان باقي بالشام ما راح .

— والاربعا كان مرفع الميلاد ونهارها انترع كيف اختي والمسا فصدناها وثاني يوم صح كيفها .

— ويوم الخميس قتلوا بنت توما مرأة السايغ وكانت بين نفسين رفسوها برجلهم على بطنها طرحت ولدين وماتت والذي ضربها مسكوه وماذا يصير نعرف عنه .

— ويوم الاربعا اجا ابن الكزونلي يوسف من بيروت وصار حماية[1] انكليز لانه تسركل مع القونصل فهادوه مكافاة حماية وناس يقولوا مثل ما راح مثلها اجا (اي انه لم ينل حق الحماية) .

[١٢'] — ١٨٤٠ اا ١ ١٣ كانون الاول — الثلاثا انهزمت العربارة عند بيت عجوري فتح الله وكان فرنسيس ومرته وميخاييل صادر. وانبسطنا .

— الجمعة تقاتلت انا وبقلاوه[2] وضربته بيت الكبابه كف ونقره بالقليون لاجل انه ضرب ولد من اولادي الذين بالمكتب وكان معي بالدرب ونحن خارجين من رياضة الميلاد .

— والاحد اولها ضربوا طواب ان صالح بين براهيم باشا والعصملي ان يتركوه بمصر واسكندرية .

— والجمعة صار ضرب طواب بسبب المادة المذكورة .

— والسبت صار ضرب طواب وما عندنا خبر المادة وهي الزينة التي ذكرناها سابقاً انقضت بضرب طواب ايام عده ٧ .

[١٢'] — الاربعا سكر الياس [٠٠٠] الموراني وضربوه العسكر بباب

١) في ذلك العهد الى الغاء الامتيازات الاجنبية في الحرب الكونية الاولى كان للتناصل في السلطنة العثمانية امتيازات لهم ولتراجمتهم وللذين يلوذون بحمايتهم . . . منها انهم كانوا في الدعاوي ينضون للمتحاكمين لا في المحكمة العثمانية ولكن في دار القنصلية .

٢) مَنْ هذا بقلاوه ؟ — قد يكون الاسم مستعاراً لشخص لم يرد البخاش ان يدون اسمه الدفتر . النكتة جديرة بالذكر فانها دليل على مكانة معلم المدرسة في البيئة الحلبية وعلى غيرته وسطوته . والنقرة بالقليون ؟ . . . من المعلوم ان كان القليون له قصبة طويلة في تلك الايام فاستعملها البخاش كالعصا ؟

الفرج رايضاً ودوه للصرايا وايضاً ضربوا الذي خلصه كاميلو بالفرد رصاص ما طلع . والفرنجي كان الذي خلصه حكيم ساكن بالشرعوس.

[١٢'] — ١ ك٢ — ١٢٥٦هـ. ١٨٤١م الجمعة رأس السنة غربي .

— ماتت مريم بنت ديدكوس سميان وكان برد صارم واخـذت خبر من الخواجا الجلو ان بلاد فرنسا كبر النهر او البحر واخذ نفر ماله عدة آلافات من الشعب مع بيوتهم واموالهم واعيالهم وبمصر زاد النيل زود عن معتاده شبر ٨ وجرك القطن والرز والمزروعات كلها يكون معلوم .

[١٣'] — ويوم الـ٦ ليل السبت في الليل ماتت بنت الخواجا عبدالله دلال وكان بطرس خوري طلع من الحبس لان المـذكور طلب منه اسعد باشا باشة حلب ان يشغل له طاقات صولي وتعوقوا بدفع الدراهم له حتى يقدم هو الصوالي وهو تعوق بالتقديم فلذلك نزل الباشا يتفرج على الشغل بالقيسرية فما رأى شغل غير اربع اصابع وكان مضا أيام ١٥ فارسل خلفه حبسه وبعده طلع وجاز عنـه شغل الطاقات(الصايات). وهذه الجمعة طلعت من الخفا[1] من بعد رواح ابراهيم باشا الى الجديدة. وبيت المزعبر على التلة هذه الجمعة خربوه وباعوه وكان واحد للدب وواحد لاجل الميخانة لانهم كانوا يبيعوا عرق وعنبرية ومشروبات ميخانه. وزرقوه رنظموا له بلور مثل بيوت الصايح .

[١٣'] — ١٨٤١ الاحد ١٠ ك ٢ — الـ ٤ مبتدا سنة جديدة شرقي واله رحنا للشابندر وطالعنا في العجين وفي العلق . والاربعا كانت اختي كرزه متعشية بيت الكوبا وسهرت ورحت جبتها .

— الخميس كان فوتة عروس بيت البازرجي بنت الشامي مرة اخو الخوري. وانبسطنا كثير للساعة ٨ عصمليه والاحد اولها خطبة بنت ميخائيل بازرجي الى ابن نصري شماس ورحت لفوتت العروس وحدي واهلي انعزموا ومـا راحوا والاحد كنت سهران بيت المقسي نعمة الله حمصي وكان بيت المجوري ليلتها عندهم سهرانين .

١) قد يكون البخاش لازم بيته في حي الصليبة (؟) او ما وراء الهارة ؟ وذلك الحي بينه وبين « الجديدة» بوابة الياسمين ولا يفرقه عن الجديدة الا ثلاثمئة او اربعمئة متر . . . فكان الناس يخافون قطعها لئلا ينالهم الاذى في وقت الفتن التي جاء ذكرها سابقاً .

ـ والجمعة نظم الباشا الى الميان بهدلة لان الاسلام كانوا عمال يبهدلو النصارى وقلب لفات وغير اشيا[1] اتعرفوا ان النصارى مزقنين ومولانا السلطان لولا يريد النصارى بملكه كان نفاهم ومن الان وصاعد وهو الحالف من فمه والله العظيم ان بعد اليوم صار بهدله للنصاره قبل ما اطلع من حق الذي بهدل يطلع من حقكم انتم قبلا وبعده يطلع من حق الذي جرت على يده ومن الان وصاعد ديروا بالكم ان يصير بهدله او كسرتام للنصاره يكون معلوم . والباشا اسعد باشا .

[١٣ت] – اجا خبر مطران روفائيل بن كوبا[2] في ليكورنو وكنت معزوم عندهم وكان مشوي دج دجاجة قرنبيط .

– ويوم الاحد اجا فرامين للباشا اسعد باشا وصيروا [البابنبي] المتسلم قبجي باشي يكون معلوم والباشا لبس الاعيان كوكولات وايضاً المتسلم وضربوا طواب الخميس اجا قونلوس الانكليز واري وهذا كان براهيم باشا سركله والآن رجع بقوته عظيمة وسحب له الباشا يدك (ابهة) يساوي١٢ الف برخته[3] وقواسه ونظام للاقابه وضرب له طواب عدد ٧[4] . واراد الباشا يساوي له

١) منها اذا التقى المسلم بالنصراني قال له طورق اي انزل في الطاروق حيث تجرى المياه القذرة في الازقة . والى اليوم عدد غير قليل من الجهال يبصقون على الارض اذا مر امامهم احد المسيحيين في البلد والاولاد يمكرون رؤوسهم . ولا تسأل عن الشتائم التي تنهال على الصليب وغير ذلك – وهذه البهدلات لا يرضى بها رجال الدين الاسلام المتنورون ولكن لم يستطيعوا الى يومنا ان يمنعوا العامة عنها . والمعلم المسيحي في مدرسة المعارف في حلب يسمع الولد المسلم يخاطب رفيقه المسلم ويقول : معلمنا كافر ! ويبلغ الكلام الى آذان المدير المسلم فعوض ان يؤنب الصغار يعذرهم ويقول للمعلم المسيحي اذا احتج لدى الادارة عما سمعه مشينا في حق دينه :« شو عرفهم هدول ولاد ! » ومنها نرى في صيدا سائق السيارة المسلم اذا رد بقية العملة الى الزبون المسيحي وهذا اراد ان يقبضها اخذ المسلم يد المسيحي وتركها تحت يده وقبضه عن يد وهم صاغرون . (شاهد عيان)

٢) راجع سابقاً [٦ا] حاشية ٣

٣) الرخت او السرج المزركش .

٤) في هذه الوثيقة وفي غيرها مما ننشره بعدها نرى المكانة التي احرزها قنصل انكلترة عند الباشا ولا عجب لما كان لانكلترة من النفوذ وهي التي كانت بطليعة الدول التي ردت للسلطان سطوته وناصرته على محمد علي عزيز مصر والجأت ابراهيم باشا والمصريين الى النزوح عن سورية .

فنطزية اكثر فكان نهاره ماتت بنت عديله بنت كذلك فمن شأنها ما راد ان يساوي فنطزية يكون معلوم . وبنت الدلال كانت مريضة وفرقت لقدام احسن من قبل . وبهذا الوقت كثران الجدري والحرسان .

[١٤¹] والاحد قعد عندي بن حنا رعد والاحد اولها رحنا وبازرجي للقطانة وما اخذنا سوى فرخ ٥ درهم ورجعنا للشابندر جبت مقدار اوقية واحدة وبعده جبنا من القبار وجبل النهر قطع ١٠٠ درهم .

وال ٦ مار انطونيوس والناس مخبرين بوبا وكثير الناس اخذينه بذهنهم يكون معلوم .

ونظموا بيت دير اروتين عزيه الى ميشيل حمصي عزيه منظومة بنوبتها يكون معلوم .

وبنت الدلال طابت هذه الجمعة .

[١٤²] ال ٣ صمان الشيخ رحت بيت الجاو واخذت تفنكه ورحت للباشاليات (او بستان الباشا ؟ في الميدان وجبت دج ٢ . (ب غريف)

البطرك رسم نعمة الله بن اخوه قسيس وسماه روفائيل والمذكور بن فتح الله جروه . وانطون الجد حكيمي مريض ومثقل بالمرض .

[١٤³] بارض الجمعة اروح صبحية مساوية الى القبار .

[١٥¹] ١٨٤١ ١٣ شباط — الاحد . كان صمان الشيخ شرقي وكنت معزوم بيت الوكيل انا واهلي يوم الاثنين ايضاً والثلاثا يكون معلوم .

— الخميس كان السكارى فتحت (المدرسة) لان عندنا نجار من اجل الدرابزون .

— الجمعة رحنا من بعد الظهر للمسا الاولاد قاطبة [للنزه] .

— السبت رحت مع الاولاد بعد الظهر واخذت التفنكة وضربت دج واحد . ونهارها بعد الظهر وقع بسكوال عجوري من قدام خان بيت الناقوز

من القافمة[1] الى اسفل والحمد لله ما يموت . وقعة ملعونة واستقام بالمدينة (لان بيت الناقوز كان في المدينة لا في الصائح) في الارض بالفرشه وامه وابوه عنده.

[١٥'] — ١٨٤١ ٢ شباط — الاحد اولها كان المرفع الكبير .

— الاثنين ان شاء الله سنة مباركة وهو اول يوم من الصوم الاربعيني.

وصار خبر ان بيت الفارحي[2] في الشام خدموا عند المصلي باشت الشام والقنصل الانكليز ما اراد فارسل قال للباشا فما اراد يسلك كلام القنصل فبعد ايام عدة ١٥ جاب له العزله من اسلامبول يكون معلوم .

— السبت ملو فرام رحنا عين التل ووالدي وقضياتي وبنا وجبنا مقدار نصف رطل سمك من النهر . وبنت كوبا يوم الجمعة نزل نزله عليها ورمدت يكون معلوم .

يوم الاحد اولها فارتما (اعترفت) .

[١٥'] الاحد اولها — رحنا الى الشابندر وما جبنا شيء سوى ربع وقية وكان مطر . وفي ارض الجمعة تروح صبحية الى الشابندر والناعوره ناخذ فراخ كلود وكرسين وبرميد قطع من ١٠٠ الى ٤٠ درهم ويكون معلوم بعجين .

[١٦'] ١٨٤١ ١ آذار الاحد .

— الثلاثا اربعين شاهد .

— الاحد رحنا الى الميدان وكان نهارها حاكم المستقرضات ونهارها ما قطع المطر ونحن مخبايين بالطاعون الذي على درب الخلاص (اي على نهايته) .

الاثنين اخذت تتون رطل ٣ سعر ٦٦ غرش يكون معلوم مشروب المنا .

[١٦'] ١٨٤١ ١٩ آذار .

— الجمعة بسكوال طلع للزقاق وزلقطوا له(هو الذي كان وقع من القافمة).

---

١) الطاقة التي يأتي منها الهواء او النور وتكون في سقف الاقية وتُغطى بلوحة من حجر او من حديد « مقفع » .

٢) الفارحي اسرة يهودية عرفت في حلب . ومنها في بيروت فارحي صاحب الصيدلية وهو من وجهاء الطائفة الاسرائيلية ووكيل جمعيتها الخيرية .

الثلاثا بديو الاولاد بالمقامات عازار وكبابه ورفقاتهم ونصري بادي بالمزامير.

[١٦ب] ١٨٤١ ٢٥ اذار الخميس اجا دفتر دار من اسلامبول .

[١٧أ] ١٨٤١ ٢٠ اذار — الاثنين انوجد قتيل بين تلات الزبل بالشارقة والحكم عمال يفتش عليه وماذا صار نذكره فيما بعد و(في) الريحاوي عبدالله بك [البابنسي] المتسلم عمال يعمر قصره وصار له ايام يكون معلوم .

— الثلاثا المسا تغير كيف بن كوبا انطوناكي وشرطوه من نقرته واذانه وصار له هزة الخيط (ب Convulsions infantiles) وبين الاولاد [وعددهم٥٩] باتوا عرسنين شدياق وخوري س وحمصي وحجه ووكيل وبخاش ويعمور وحبيب وجبامي ورعد .

[١٧ب] عدد الاولاد الـ ٥٩ بعد العيد والـ٤٦ بعد العنصرة والـ ٢٧ بعد السنة والـ ٧ من الصوم والـ ٣ بشارة شرقي — ٣ ، كبه ٥١ ٢٠ كبابه ٥١—١ ، كلي ٥١—١ ، كنداني٥١—٢) ، شركتلي٥١—٢ ، شوكتلي ٥١—١ ، شوحه ٥١—٣ ، شدياق ٥١—١ ، سابا ٥١—١ ساباك ٥١—٢ ، خوري ٥١—١ ، خوري س٥١—١ ، خوري ك ٥١—١ ، حكيم ٥١ — ٢ ، حمصي ٥١—١ ، حلاق ٥١—١ حجه ٥١—٢ ، عجوري ٥١—١ ، عازار ٥١—٣ ، انطاكي ٥١—٢ ، اندليبه ٥١—٢ ، ناطال ٥١—١ ، بسكوال ٥١ ١ ، باسيل ٥١—١ ، ضاهر ٥١—٣ ، وكيل ٥١—١ ، زلعوم ٥١—١ ، قضياني ٥١—١ ، نحاس ٥١—٢ ، يعمور ٥١ ١ ، حبيب ٣١—٣ ، جبامي ٢٧—٢ تركاني ٢٢—٢ ، نعمة الله انطاكي ٢١—١ ، بازرجي ١٨—١ ، حنا بدره ١٨—١ ، رعد ١١— ١ ، نصري عجوري ٧—١ ، اديب ١٥—١ ، بخاش ك ٢٨ . م

[ان الرقم السابق الاسم ينبئ عن الولد من الاسرة والرقم التابع الاسم يفيد عن عدد اسابيع حضوره في المدرسة . مثلاً من بيت كبه حضر ولدان على مدى واحد وخمسين اسبوعاً .

١٨٤١ ٢٧ آذار يوم الجمعة طلعت المحرمية وضاجت البلد وبعده راح قونصل الانكليز عند الباشا ورفعها ، وبنت كوبا رمداتة وما طابت .

[١٧ب] — الاربعا اجا ابن السقال يسا ابن الوريث .

[١٨أ] ١٨٤١ ١٨ نيسان — الاحد الجديد . نهارها رحت للصيد الى كرم مصري ضيعت بيت القداحة مزركشة وكيس الترتون شال وكيس الصيد وكان هولا الضايعين نشل من نسوان كانوا موجودين جنبي ونهارها كان موجود (في) بيت عازار ابن قونصل الانكليز باركر واخته ومرته ، عزيمه . وبنت رعد كانت مشلة على اثر الحرسان . طابت يوم الاثنين .

– والجمعة كان عيد مار جرجس درت عيدت يكون معلوم.

[١٨] ١٨٤١ ٢٧ نيسان – الثلاثا وقع رزق الله عجوري في النهر في بستان العويجي وارتميت انا وهو وبعده طالعناه وكان نعوم عبجي شده من يده وشلحناه والبسناه غير ثياب.ووديناه البيت .

– والخميس صار مطر وافر[1] وطافوا بيت عزوز وصولا وبازرجي وبليط وشكر ودخلت الميه الى الحواش والاقبوة والمغاير والحباب وشربنا للرعبة ثلاث ايام ترياق[2] من بنت الحجوري وكان الاحد اولها عرس لبنت الياس قسيس . وزكريا باشا اجا طلب وعمال يجمع عسكر ومراده التوجه الى ارفه لان المذكوره اهلها سبوا حريم النصاره ويدعوا عاصين فراحوا يضربوهم ويطيعوهم وماذا يجري نذكره بعد يكون معلوم .

[١٨] – الاحد راح فتح الله قرالي الى صيد السمنه (طير) وهو عمال يصطاد ضرب سمنه (ب Caille) صاب ابنه يوسف الكبير ووقتها وقع بالارض قتيل مات والمسا دفنوه وعمره مقدار ١٣ سنة الله يرحمه .

وزكريا باشا سافر لاورفا والناس يقولوا لاسلامبول لكي يحامي لان الانكليز صاروا مع المصري وتركوا العصلي فان كان ذلك كذلك فنعرف بعده عنه ماذا يذكر .

والجمعة اجا فتح الله باسيل من ازمير وفرج الله بن فرقوعه موصلي من بيروت يزور ويرجع لانه بخدامة ابن الحموي في البلاد ولابس افرنجي (السترة والبنطلون لا القنباز) .

١) لم يكن في البلد مجاري لتصريف المياه الا مجاري «الطاروق» الضيقة . فاذا انسد الطاروق طغت المياه وفاضت على البيوت والمغر وقطعت الطرق .

٢) شراب الرعبة (ترياق) يداوي من الخوف كانت تختص به احدى العائلات ولها فيه سرها . ومن الذين اختصوا في صنع ترياق دواء الرعبة السيدة «زعفران» كان بينها في «الكتاب» في اواخر القرن ١٩ . فتأخذ شيء من ماء الورد وتضعه في الماء مع شيء من الرمل الاحمر وتسقيه وصفة لا بد من ممارستها على ايام معدودة وتتقاضى على كل مرة تقدم فيها شراب الرعبة شيئاً من الدريهمات .وقال بعضهم انها كانت تمزج الشراب بالبول . . . ! خفية ثم تسقيه المريض بمرض الرعبة . وليس الامر بعيداً عن الحقيقة اذا ما فتحنا باب الخرافات من امثال ذلك .

[١٩'] — الخميس مات ميخائيل شدياق المصري واتوا الزوار من مار جرجس وسافروا يوسف بن انطون تيناوي ونصري نعمة الله الطونجي الى البلاد .

[١٩'] — السبت سافر الياس فرقوعه الى انطاكية من طرف الكمرك والخميس اجا عسكر صواري ونزلوا بالميدان مقدار . والاحد كان عرس ابن رعد الى بنت البويجي وابن رعد اخو القسيس واناس يسموهم بيت كبريته والسبت ولدت مرأه رزق الله جبامي وجابت بنت في ٢٣ ايار ١٨٤٠ .

[١٩'] —اولها الاحد اجا فتح الله خياط من قبرص وكانوا صيتوا عليه انه مات.

— والثلثا سلمت عليه وعزموني المسا للنوبة ورقصوني بالليل وانا ما لي عادة ارقص بل من اجل صهرهم فتح الله ششمان حتى ما يعمل فقه يكون معلوم.

[٢٠'] — الاحد اولها رحنا عند فطومه[البستانية]وحاج طاها في بستان وادي جهنم ومعنا بازرجي وكوسا واولاده ووالدي ونصرالله خوري ونهارها جبنا مقدار كل واحد انا وبازرجي مقدار رطل انكليز وبابوج بياض يكون معلوم . والسبت تغير كيفي ووقعت بالفرشة والجمعة الثانية بعد المنصرة كنت مريض ما طلعت من البيت اصلي وارجع . الا ٤ الحمد لله صح كيفي . ومرض معي نصرالله حكيم وللان مريض وخربط وهذه الا ٧ جابوا له لويس حكيم افرنجي والاحد اولها ماتت مرأة الطنبة وايضاً مرأة برغود المصفي النبيذ واناس يسموه ابن ايوب . والا ٢ ماتت مرأة شكرالله خوري كتر بنت الصبجي الله يرحمها .

[٢٠'] ١٨٤١ ٦ حزيران—اولها الاحد رحنا عند فطومه(البستانية) كانا بستان وادي جهنم (الجورة الواسعة الواقعة شرقي بستان التاقي بشمال- غير بعيدة عن السبيل وهو في شمالها بغرب) . وكان عرس ابن الكبابه الى بنت جنبرت .

— الجمعة المسا مات الخيلو دوربكلو ١٢ حزيران قونسل جنرال دولة اسبانيا الله يرحمه واجوا تفرجوا بيت كوبا وبيت الوكيل وبيت نيقرغوص شاه وكيل وصارت دفنته فرجه . كل من قال انا قسيس وبطرك ومطران وقونسل طلعوا وراه .

١٨٤١ — ١٣ حزيران الاحد — الخميس عيد ميلاد يوحنا رحنا جنينة الشيخ ومعنا عمي وكتير انبسطنا يكون معلوم . وبنت كوبا ما طابت .

[٢٠[٣]] الـ ٦ الجمعة الاولى — والسبت بعده الاحد كان خطبة بنت مدول إحتي غره الى بن الجاموس وانا واختي انعزمنا ما رحنا — واجا الياس ضاهر من العجم سلمت عليه — والـ ٧ اجانا قفتين من عند قطومه كرز ومشمش وتفاح احمر وحامي.

[٢١[١]] — الخميس توفي يوحنا باسيل زوج بنت غزاله واجا خبر شكر الله بخاش من الشام بن موسى بخاش.

[٢١[٢]] — الجمعة كانت فطومة امرأة طاها البستاني مريضة ماتت ودفنوها والـ ٣ اخذت مقدار اوقية ٣ فرخين الواحد انكليزي والثاني تقل .

١٨٤١ ١ آب — الاحد رحت للناعورة .

الخميس ١ آب اجا خبر ابن الحمصي اخو المقدسي نعمة الله حمصي ميخائيل في البلاد. والثلاثا ماتت بنت سالمة مرأة جرجي كبابه والاحد آخرها مار الياس شرقي.

في ٢٠ تموز شرقي ١٨٤١ في ١ آب غربي ١٨٤١ في ٢٠ جماد ثاني ١٢٥٧ .

[٢٢[١]] — الجمعة ٦ آب كان عيدي (التجلي : نعمة الله) فارتما هلواتم .

— والاحد اجا الفونس دوربنكلو من السويديه — والاحد اولها كان مرفع السيدة . ونحن ما صمنا بل صمنا مع الروم والاحد آخرها اتت ببنت مرأة نعمة الله غزال . وبنت كوبا ما طابت .

[٢٢[٢]] — السبت اجت بعمي وستّه الياس لوسيا بنت زلوم مرأة جرجي زلوم بكرها في ١٩ جماد ثاني ١٢٥٦ في ٣ آب غربي ١٨٤١ الاحد اجا نقولا اليان من السفر .

— الاثنين باكر نصف الليل سافروا نعوم شركتلي وابنه نصر الله وابن اخوه يوسف وابن فرقوعه ميخائيل الى مصر .

— الاحد قعد عندي اولاد بليط وايضاً فتور ابن بطرس قرالي في ٨ آب غربي ١٨٤١ .

— الخميس رفعنا مع الروم لان اغلب اولادنا روم .

[٢٢[٣]] — السبت مساء سافر تقل الجبل[1] راح خوري جرجس صمب ومعه اولاد

١) يعني به جبل لبنان . والمدرسة هي اكليريكية الشرفة .

للمدرسة ابن القصار وابن اسلامبولي وسافر ايضاً نعوم قسيس ومرأته واولاده وابن التاجر وكتير اناس وابن باسيل ويوسف رباط لانه تقل كبير يكون معلوم.

– السبت سافر القاضي الى اسلامبول .

[٢٣'] – يوم الجمعة كان عيد السيدة شرقي وانا عيدت مع الروم لاني صمت معهم ويوم العيد تغديت باذنجان محشي ومـا. تغير كيفي ومرضت ونزل المرض على بيضتي وورمت . وانفصدت السبت مساء والاحد ما صليت .

– الجمعة ٢١ بعد العيد ما فتحت سكرت ولاجل اني سكرت (المدرسة) طلع من عندي اولاد الشدياق وابن بيره وكان هذه الجمعة سكر شدياق عبدالله وعدا عن الكار (اي ترك التعلم) .

الاربعا (١٢ حزيران) مات جننار[1] الذي كان طالع ورا الجيلو لما توفي شاكك ريش بالبرنيطة انكليزي . وصار لـه موته مثل الجيلو وانظم . وانا كنت مريض واجوا ناس تفرجوا من عندنا . راحوا بيت كوبا الى بستان المفدي . والجمعة ٢٢ بعد الفصح فتحت واجوا عندي اولاد عزوز اثنين.والاحد كان نقشت بنت اختي مدول كتر الى ابن الجامرس.

[٢٣'] – اجاني سليقه[2] من بيت كلداني وخوري وزلزوم ورعد – ومدام برتاليس جابت صبي ومدام جكاردي بنت في هذه الجمعة .

– الاحد انعزمت بيت العجوري بقصر الريحاوي وكان بطرس اينـا قرألي وتوما عجوري وبيتهم وفتح الله عجوري وبيتهم وفرنسيس عجوري وبيتهم وبيت بطرس قرألي وشكر الله قرألي وكان البستان صلحه مع المتسلم البابنسي لان قبل ليلة كانوا موجودين بالقصر والقصر للمتسلم اجا دشرهم وبعده عزمهم يكون معلوم .

---

١) لا يعرف عنه البخاش الا انه شك ريش بالبرنيطة وانه انكليزي . وكانت جنازته حافلة . ويكون بيت البخاش مطل على شارع التلل الذي تمر به الجنازات .

٢) في ايلول كانوا يسلقون القمح بكمية وافرة ويفرشونه على الاسطحة لينشف ثم يطحنونه برغلاً لمؤونة الشتاء . وكان الناس يتهادون « السليقة » بالسكر والافاويه .

[٢٣^٣] — الجمعة الساعة ٨ عصملي سافر نصر الله كبه الى ليكورنا لعند عمه حنا كوبا ومع كوبا راح ايضاً شدياق عبد الله الجبلي (معلم مدرسة الموارنة ؟).

[٢٤^١] — الجمعة اجا نعوم خياط من قبرص .

[٢٤^٢] — السبت انتهاء السنة ١٤ لافتتاحي المكتب وابتداء ١٥ الاحد اجوا نعوم وبيدروس اجير بنت كوبا الذين راحوا يوصلوا نصر الله كوبا ونزلوه بالمركب واجوا . في ٩ تشرين الاول غربي في ٢٧ ايلول شرقي ١٨٤١ في ٢٤ شعبان ١٢٥٧ اسلامية ربنا يحيينا لامثالها .

[٢٤^٣] — الاربعا صار خواجه عبد الله دلال حماية باش ترجمان النمسا . والثلاثا فلك ابنته من باسيلي بن الخواجا جرمانوس بحري (مدير مالية ابراهيم باشا).

EL, DIEU UNIQUE DES ANCIENS SÉMITES[1]

par

l'abbé Jean Starcky

Les anciens Sémites n'adoraient-ils qu'un seul Dieu? C'est une question de première importance pour l'histoire religieuse du Proche-Orient, et d'une façon plus particulière pour le sens à donner à la Révélation abrahamique. Le dieu des patriarches, El ou Elôhim, et le dieu du prophète de l'Islam, Allāh, ne sont-ils que d'anciennes divinités sémitiques érigées en dieu unique, ou sommes-nous en présence de Dieu lui-même, nommé El, par les premiers Sémites, puis Elôhīm ou Allāh par leurs descendants restés nomades? Le problème a reçu des solutions variées, d'autant qu'il était souvent posé différemment: les premiers Sémites étaient-ils capables d'avoir la notion d'un dieu unique? Oui, disait Renan, parce que les peuples pasteurs, de par le cadre et le mode de leur vie, sont plus aptes que les civilisés à se faire une idée simple du divin qui les enveloppe de toutes parts. Dieu serait en somme la conclusion d'une démarche philosophique. Pour nous, nous ne préjugerons pas du pouvoir d'abstraction des anciens Sémites, et nous considérerons Dieu comme l'Etre personnel, toujours présent

(1) Il y a douze ans le Machriq publiait notre article sur *Le monothéisme des Sémites*, présenté en arabe par M. Doumith, depuis Son Excellence Monseigneur Doumith, Archevêque maronite de Sarba (nº d'Avril-Juin 1948). Le texte français à la base de cet article a paru dans la revue libanaise *Charbel*, avec une addition, dans les nº de Mars et d'Avril 1958. La présente étude en est une refonte, nécessitée par l'apport incessant de matériaux nouveaux, en particulier pour la période qui précède Abraham.

de quelque façon à la conscience de l'homme. Cependant, les faits que nous allons rassembler convergent vers un hénothéisme primitif des Sémites, quelque soit le jugement qu'on porte sur la nature ou l'existence de Dieu.

LE CADRE HISTORIQUE.

Par anciens Sémites nous comprenons à la fois les Protosémites et la population ancienne de chacun des rameaux sémitiques venus se fixer au pourtour du désert syro-arabe. Le vocable quelque peu barbare de Protosémites désigne les ancêtres des Accadiens, des Cananéens et des Himyarites, alors qu'ils formaient encore un groupe nomade dans le désert syro-arabe. Ceci nous fait remonter au-delà de l'an 3000, date approximative de l'entrée des Sémites sur la scène de l'histoire et du début de la civilisation dite du Bronze (3000 à 1200). Au IVe millénaire, nous sommes encore dans la protohistoire, où la technique est certes déjà développée, mais où l'écriture n'est pas encore venu enregistrer les faits économiques et religieux, ou les événements historiques. Cette phase dite chalcolithique est elle-même précédée de la phase néolithique et prénéolithique (peut-être de 9000 à 4000): la dernière glaciation est alors révolue et les inondations qui ont suivi la fonte des neiges ne sont plus qu'un souvenir, dont les divers récits du Déluge nous ont d'ailleurs transmis un écho authentique. La vie pastorale et bientôt agricole peut se déployer librement. Au cours de cette période, à une date impossible à fixer, un groupe nomade s'affirme, qui se réclame de l'ancêtre Sem fils de Noé. Avec ses frères Cham et Japhet, il assure le repeuplement de la Terre après le Déluge (Genèse 9, 18 et 10, 32).

Cette division tripartite se retrouve dans celle des savants: Sémites, Chamites et Indo-Européens. Mais en fait, ils abandonnent, pour les subdivisions ethniques, la classification biblique, car la leur repose surtout sur le critère linguistique. Ainsi ils restituent à Sem les Cananéens que le «tableau des peuples» de Genèse 10 attribue à Cham. Cette unité linguistique des Sémites se double, comme nous le verrons, d'une réelle unité religieuse,

mais elle ne préjuge pas de l'unité de race. Par Sémites, nous entendrons, nous aussi, les peuples qui parlaient une langue sémitique: la première attestée est l'accadien, aussi appelée assyro-babylonien.. Ce rameau oriental ou mésopotamien est le plus facile à étudier, vu sa relative unité à travers l'histoire et l'abondance de la documentation cunéiforme. Le groupe occidental, ou ouest-sémitique, est double: en Syrie, Phénicie et Palestine, apparaissent successivement l'ugaritique (XVe s.) (1), le phénicien, l'araméen, l'hébreu, etc. tandis que dans la péninsule arabique se manifesteront les dialectes arabes méridionaux (sabéen, himyarite, minéen, qatabanite), septentrionaux (dédanite, thamoudéen, safaïtique) et centraux (arabe proprement dit, premier texte daté: 328 ap. J.C.).

Du point de vue archéologique, c.à.d. de la civilisation, on groupe volontiers sous le nom de Cananéens les Sémites du Nord-Ouest; de même nous continuerons à appeler Himyarites les Arabes du Sud (2). Mais l'emploi des trois termes Accadiens, Cananéens et Himyarites ne doit pas nous faire oublier un fait capital: tant que les Sémites restent nomades, leur langue et leur religion n'évoluent que lentement, si bien qu'à leur première phase de sédentarisation, les différentes peuplades présentent des traits communs, malgré les siècles qui séparent entre elles ces vagues successives. Même une fois fixées dans le croissant fertile, elles conservent, plus ou moins sclérosés, des éléments fort archaïques de leur panthéon, de leur culte et de leurs mythes. Cela est surtout vrai des Himyarites, relativement isolés des influences extérieures qui ont considérablement modifié les croyances des autres Sémites. C'est à travers ces

(1) L'ugaritique n'est plus considéré comme une variété de phénicien, mais comme un dialecte ouest-sémitique à part, cf. C. H. Gordon, *Ugaritic Manual*, Rome, 1955, p. 123. Au second millénaire, l'ouest-sémitique septentrional gardait encore une réelle unité et le fractionnement en araméen et cananéen (ce dernier terme comprenant l'hébreu et le phénicien) n'était pas encore consommé (cf. S. Moscati, *Il semitico di nord-ouest*, *Studi Orientalistici in onore di G. Levi Della Vida*, II, Rome, 1956, p. 202-221).

(2) A l'imitation des auteurs arabes et classiques, ces derniers usant du terme *Homérites*. En fait le dialecte le plus ancien et le plus important est le sabéen, attesté à partir du VIIIe siècle avant notre ère.

vestiges que nous devons saisir ce que fut la religion des Protosémites et de leurs descendants nomades jusqu'à la veille de l'Islam. En lui-même, l'objet de notre étude nous échappe donc largement, car il appartient à la para-histoire aussi bien qu'à la préhistoire. De plus, nous nous limiterons au panthéon, et n'essaierons pas de tirer parti des rites et des mythes, ou encore des codes de lois. L'aspect moral du monothéisme des premiers Sémites s'en trouverait sans doute éclairé, mais notre propos est plus modeste: étudier les données actuelles qui convergent vers la thèse ainsi définie il y a plus d'un demi siècle par le Père Lagrange: El, le dieu commun, primitif et très probablement unique des Sémites (1). Nous donnons d'abord quelques précisions sur le mot EL.

LE MOT EL ET SES FORMES DÉRIVÉES

Dans les langues sémitiques le mot «dieu» se présente sous deux formes principales: *il* et *ilāh*. La première est habituelle en accadien (avec ou sans désinence; *ilum, ilu, il*), en ugaritique et en phénicien, et elle n'est pas rare en hébreu (*el*). La seconde, où l'allongement répond sans doute à un besoin d'emphase, est normale en araméen et en arabe, ainsi qu'en hébreu pour le pluriel (*elôhîm*); sporadiquement on rencontre aussi le singulier dans la bible (*elôah*). Le phénicien connaît un augmentatif différent: *elôn*, aussi attesté, du moins au pluriel, à Ugarit. On aura noté que la première voyelle de ces formes est tantôt *i*, tantôt *e* (fermé ou ouvert). Il ne s'agit là que de réalisations phonétiques variées d'une même forme, tirée de la racine *'wl, être en avant.*

Avant de justifier cette étymologie, énumérons les emplois de *il, ilāh* comme nom propre: *Il* ou *El* chez tous les peuples sémitiques, au moins dans les anthroponymes, *Ilāh* peut-être déjà à Ugarit, *Elôah* dans le livre de Job et dans quelques autres passages de la Bible, *Ilāh, Lāh* ou *Lāhay* dans les inscriptions nord-arabiques, *Allāh* (c.à d. *Ilāh* précédé de l'article *al*) chez les Arabes à la veille de l'Islam. Une forme analogue à *Ilāh*, sinon identique, est *Ilā*:

(1) *Etudes sur les religions sémitiques*, 2e éd. 1905, p. 70.

elle est bien attestée par les anthroponymes dès la première dynastie babylonienne et donc antérieure au pluriel *Elôhim*.

Elôhim est un pluriel de majesté, employé dans la Bible, tantôt comme nom propre, tantôt comme nom commun. En phénicien on a de même *elim*. et une fois Ilāy., nom propre. Il est possible qu'à Ugarit *'lm* et *'lhm* (forme rare) désignent dans quelques textes les divinités *Elīm* et *Elôhīm*. En accadien enfin, *ilāni*, pluriel de *ilm* doit parfois se traduire par «dieu» au singulier.

Quelle est l'étymologie de *El*? Il est très probable qu'il faille y voir une forme stative, c.à d. participiale, de la racine *'wl*, qui a donné dans les diverses langues sémitiques des mots dont le dénominateur commun est «être en avant»: accadien *awêlu, homme libre, noble*; arabe *awwal, premier* et *āla, gouverner*; *êl, chef* dans quelques passages bibliques (1). De même des noms qui désignent le chef du troupeau, bélier, bouc, cerf, etc., sous les formes *ayal, ayil, iyal*, et cela dans toutes les langues sémitiques. Enfin, en hébreu surtout, une série de mots pour les grands arbres comme le chêne, si notables dans un paysage sans vraie forêt: *elôn, elah* et le pluriel *êlim*, ainsi que les formes redoublées *allah* et *allôn*. Le sens étymologique de *El* est donc *Premier* (2).

Ainsi, la divinité est conçue à l'image du *Chef*, ce qui nous renvoie à un contexte sociologique, en fait celui de la tribu conduite par son *cheikh*. Le nom de *El* rentre dans la série des autres dénominations divines empruntées par les Sémites au vocabulaire familial: *père, parent, mère*, etc. (3). Notons que le mot *el* entendu au sens de chef suggère par lui-même que la divinité tutélaire du groupe ethnique était unique, à l'instar de son «cheikh». Une autre considération nous engage à conclure à l'hénothéisme

(1) Écrit avec le *e* long, Exode 15, 15; Ezéchiel 17, 13; 31, 11; 32, 21. Cf. notre article *Le nom divin El, Archiv. Orientální*, XVII, 1949, p. 384.

(2) Pour les autres étymologies proposées, voir le ch. II de la monographie de M. H. Pope, *El in the Ugaritic Texts*, Leyde, 1955. Le fait que *il* en accadien ou *el* en hébreu soit généralement écrit avec une voyelle brève s'explique suffisamment par la forme grammaticale du mot, cf. hébreu *'ed, témoin*, de la racine *'wd* (W. F. Albright, *Journ. of Bibl. Lit.*, 1956, p. 256).

(3) Voir notre article sur *Le nom divin El*, p. 383 et 386.

des premiers Sémites: dès la plus haute époque le mot *il* ou *ilum* est attesté comme nom commun aussi bien que comme nom propre: *dieu* et *El*. Il n'y avait donc pas de vocable spécial pour «dieu», comme chez les Sumériens par exemple, où DINGIR était le nom commun, tandis que AN, que les Accadiens adopteront sous la forme *Anum* ou *Anu*, représentait la divinité suprême, très analogue à El. Rappelons cependant que les Sumériens écrivaient AN et DINGIR par le même signe en forme d'étoile. En accadien, il se lisait *El* ou *ilum*.

Très tôt, le mot El aura été employé par les Sémites pour désigner les divinités des autres groupes humains, devenant ainsi nom commun et même déterminatif, comme DINGIR en sumérien. Le déterminatif était écrit devant le nom, mais on ne le prononçait pas: DINGIR e-lum, (*le dieu*) *Elum*. Dans les transcriptions, on le note par un d en exposant: ^{d}Elum.

D'un point de vue philosophique le nom d'espèce «dieu» est une «pseudo-idée», comme celle de néant par exemple. Dieu est unique ou n'est pas. Dans le monde sémitique, on ne l'a sans doute pas saisi clairement avant l'Exil, où le Deutéro-Isaïe exprime ainsi l'unité divine: «avant moi, aucun dieu ne fut formé et il n'y en aura pas après moi» (43, 10). ou encore: «Je suis le premier et le dernier; moi excepté, il n'y a pas de dieux» (44, 6). Le prophète il est vrai, appelle Dieu de son nom propre Yahweh, mais ses définitions conviendraient parfaitement au mot El, lequel connote étymologiquement la priorité.

Nous allons considérer successivement les trois domaines sémitiques évoqués plus haut, en commençant par le plus ancien ou du moins le premier attesté, celui de la Mésopotamie.

ACCADIENS ET AMURRITES

C'est au milieu du XXIIIe siècle que Sargon, un fonctionnaire sémitique de la cour de Kish, s'empare du pouvoir à Uruk, l'Erek de Genèse 10, 10, et fonde une nouvelle capitale, Akkad, nommée au même verset de la Genèse; une fois maître des villes sumériennes, il pousse des pointes dans toutes les directions, et jusqu'à la Méditerranée. Mais dès avant l'hégémonie

des Sémites en Mésopotamie, ceux-ci y apparaissent mêlés aux Sumériens, dont ils emploient l'écriture mi-idéographique, mi-syllabique pour consigner les premiers textes écrits en sémitique — on dit *accadien* bien qu'Akkad n'ait pas encore été fondée — et consistant en dédicaces et bornes de propriété. Des noms propres de frappe sémitique ont également été relevés en assez grand nombre dans les textes sumériens. (1)

Epoque présargonique. — C'est précisément dans une liste sumérienne de dieux, trouvée à Shuruppak et rédigée au milieu du troisième millénaire, qu'on a relevé le nom de El: «^{d}e-lum». (2) Seul le dieu lunaire Sin est aussi anciennement attesté, et encore est-ce sous une forme sumérienne, ZU.EN ou EN.ZU (=Maître de Savoir?). Ces deux idéogrammes, il est vrai, se lisaient *Sin*, qui qui est probablement un nom sémitique. Vers la fin de l'époque présargonique se multiplient également les mentions d'Ištar, c.à d. la planète Vénus, tantôt considérée comme un dieu, tantôt comme une déesse. La divinité solaire, appelée simplement Soleil, *šamšum* en accadien, apparait seulement dans quelques anthroponymes sémitiques; le nom divin y est d'ailleurs écrit avec l'idéogramme UTU, celui de la divinité sumérienne correspondante. Quand on aura ajouté quelques autres personnifications d'éléments naturels, comme les dieux *Feu* ou *Fleuve*, on aura fait le tour du panthéon des Sémites présargoniques.

L'onomastique, comme nous allons le voir, montre que El y occupait le premier rang (3). Les épithètes qu'il reçoit dans

(1) Surtout par I. J. Gelb, *Glossary of Old Akkadian*, Chicago, 1957, cf. *Old Akkadian Writing and Grammar*, Chicago, 1952. Cette double synthèse du matériel linguistique de l'ancien accadien (présargonique, sargonique, Ur III) est à la base de notre aperçu et avait permis à J. Bottéro de tracer une suggestive esquisse à laquelle nous sommes également redevable ici (*Les divinités sémitiques anciennes en Mésopotamie*, dans le recueil de S. Moscati intitulé *Le antiche divinità semitiche*, Rome, 1958, cf. notre recension, *Rev. Bibl.*, 1960, sous presse).

(2) A. Deimel, *Schultexte aus Fara*, Leipzig, 1923, p. 5, mais identifié par Gelb (*Old Akkadian*.... p. 5 et *Glossar*... p. 35) et par J. Bottéro, *op. cit.*, p. 39, cf. *Rev. Bibl.*, 1960, notre recension.

(3) J. Bottéro, *op. cit.*, p. 38 s. et I. J. Gelb, *Old Akkadian*..., p.8: le dieu Il était probablement la divinité principale des Sémites à l'époque présargonique.

ces anthroponymes ne le rattachent à aucun élément du cosmos, alors que Sin et Ištar, les seuls dieux importants après El, représentent clairement des astres divinisés, dont le manque de personnalité est encore souligné, du moins chez Ištar, par l'alternance du masculin et du féminin (cf. Vénus et Lucifer). A un autre point de vue, le culte de l'astre de la nuit et de celui du matin est fort instructif: il confirme l'origine nomade de ces Sémites installés dans les villes sumériennes.

Dans une demi-douzaine d'anthroponymes présargoniques, *El* apparaît sous la forme *il*: ra-bi-il, *El est grand*, iš-dup-il (1), *El a sauvé*. L'absence de la désinence *um* est considéré comme un archaïsme, car elle caractérise des groupes de mots qui font partie du fonds de la langue: certains noms propres, la plupart des noms de mois, etc. *Il* ou *El* (la prononciation de la voyelle pouvait varier) est donc un nom qui remonte aux origines de l'accadien (2).

Plus souvent le nom divin est écrit avec désinence: iš-me-i-lum (3), Ismael (c.à d. *El a entendu*), ra-bí-i-lum, *El est grand*, ur-^{d}e-lum, *l'homme du (dieu) Elum*. Dans ce dernier anthroponyme, il faut noter l'emploi du déterminatif, généralement absent devant notre nom divin. Cette absence se constate aussi pour le nom d'Ištar. Avec d'autres noms de dieux, le déterminatif divin est facultatif. On ne saurait donc s'autoriser du manque de déterminatif pour traduire un nom comme iš-me-i-lum par «le dieu (que j'ai choisi comme mon protecteur) m'a écouté». Ce sens est possible plus tard, lorsque le souvenir de El sera pratiquement effacé en Mésopotamie, mais jusqu'à la première dynastie babylonienne inclusivement, ce n'est pas le cas, et le parallélisme de ra-bí-il et

---

(1) C.àd. Išṭup-El. Le syllabaire sumérien ne rend pas toutes les nuances du consonnantisme sémitique et plusieurs des noms transcrits syllabiquement ci-dessous sont à lire en conséquence.

(2) I.J. Gelb, *Old Akkadian...*, p. 186ss.

(3) Un même signe peut avoir plusieurs valeurs et inversement plusieurs signes différents peuvent noter la même valeur phonétique. Dans la transcription on distingue ces signes par des accents et des chiffres. Pour i, vu sa fréquence, nous transcrivons i.

ra-bi-i-lum invite à les entendre de El. Pour dire «mon dieu», il existe d'ailleurs la forme à pronom suffixe, ainsi dans le nom présargonique i-gu-i-li, *mon dieu s'est montré ferme.* L'emploi de *ilum* comme nom commun est encore attesté par des anthroponymes comme il-su-ma-lik, *son dieu est un conseiller* (ou: le dieu *Malik est son dieu*) (1).

Epoque sargonique et post-sargonique. — Sous Sargon et ses dix successeurs (2242-2056) (2) les inscriptions royales et les textes économiques deviennent plus nombreux et on en a trouvé même en Assyrie. Les dieux sumériens entrent dans le panthéon accadien. Le dieu El n'est nommé nulle part, mais l'onomastique, plus conservatrice que le culte, continue à lui donner la première place. La forme *il* devient rare, mais *ilum* est fréquent, et encore plus nombreux sont les anthroponymes où la graphie syllabique est remplacé par l'idéogramme DINGIR, à lire *El/Il* ou *Ilum* (on le transcrit conventionnellement par El). Parmi eux, relevons i-li-DINGIR, *El est mon dieu*, et i-lu-DINGIR, *El est dieu.* Il est peu probable que ce dernier nom soit à entendre au sens monothéiste, car à la même époque, on rencontre des anthroponymes comme i-lu-ME-ir, (le dieu) *Mêr est dieu.* Nous sommes donc en plein polythéisme, mais celui-ci allait de pair avec l'imposition de noms en El à nombre d'enfants accadiens. On ne saurait y voir une simple routine, car ces noms sont variés et faciles à comprendre, et le père de famille les donnait donc en connaissance de cause. Ils marquent la reconnaissance à El ou exaltent sa grandeur. D'autres, d'un type courant, soulignent l'appartenance à El: šu-e-lum et šu-e-li (où *eli* est le génitif), *celui de El.*

On pourrait citer d'autres cas où la religion personnelle

(1) Le mot *malik, conseiller* (ou peut-être *prince*, cf. le sens de roi en arabe et en hébreu) se retrouve dans le nom sargonique Ea-malik, *le dieu Ea est un conseiller.* Mais déjà dans l'anthroponyme présargonique PU.ŠA-^{d}ma-lik, l'épithète est devenue nom divin, peut-être de Ea, dieu de la divination.

(2) Avant les Sargonides, la chronologie reste conjecturale. Nos dates sont empruntées à P. Van der Meer, *The Chronology of Ancient Asia and Egypt*, 2e éd., Leyde 1955. Certains auteurs estiment qu'elles sont quelque peu trop basses.

ne se confond pas avec la religion officielle. Il est d'ailleurs probable que El ait reçu un culte officiel sous le nom de Anum, le dieu sumérien auquel il avait été plus ou moins identifié. Anum, dont le temple dans l'antique Uruk était célèbre et se maintiendra jusqu'en pleine époque séleucide, a fort bien pu être le dieu unique des ancêtres des Sumériens. En tous cas, il occupe le premier rang dans leur panthéon; aucune statue et aucun relief ne le représente plastiquement, son nom signifie *le très Haut, le Céleste* et son idéogramme, comme nous l'avons dit, est aussi utilisé pour signifier le mot «dieu». Le mot El étant le plus souvent écrit DINGIR dans les anthroponymes sargoniques (et postérieurs), l'équivalence des deux noms divins était en quelque sorte matérialisée pour ceux qui savaient lire.

Un nom comme «Celui d'El» est à rapprocher d'autres emplois de šu (*celui de*), où ce pronom vise un petit-fils (un tel qui est *celui d'*un tel) ou même l'appartenance à une tribu. Nous sommes donc ramenés à un contexte sociologique où la famille et la tribu jouent encore un rôle essentiel. C'est dans cette perspective qu'on a interprété à juste titre un certain nombre d'anthroponymes où apparaissent les mots *père, oncle maternel* (le rôle de ce dernier est connu dans la vie tribale), *frère*, etc. Un nom comme a-ḫu-su-nu, *Leur frère*, doit sans doute s'entendre du nouveau né (remplaçant peut-être un frère mort), mais a-ḫu-DINGIR (ou a-ḫu-i-lum) signifie presque sûrement *El est un frère* ou *Le Frère* (divin) *est dieu*, ce qui, nous le verrons, revient au même. Ce type onomastique, rare à l'époque présargonique, se multiplie à partir de notre époque: a-pù-i-lum (ou a-pù-DINGIR, etc.), *El est un père* ou *le Père est dieu*. DINGIR-a-ma, *El est un oncle* (*paternel*) ou *l'Oncle est dieu*, da-da-i-lum (présargonique), *El est un ami* ou l'*Ami est dieu* (1).

(16) Le sudarabique *dād* et l'hébreu *dōd* signifient *oncle*; le safaïque *dād* semble bien être «grand père» (G. Ryckmans, *Rev. Bibl.*, 1951, p. 384ss). Mais des noms comme aba-dādi (voir plus bas) ne s'accorde guère avec ces sens. Il est vrai qu'on connaît des noms comme Abum-Ḫalum, *le* (dieu) *Père est un oncle* (*maternel*), cf. Theo Bauer, *Die Ostkanaanäer*, Leipzig, 1926, p. 61 (en note, il propose: *l'oncle est père* du nouveau-né, son vrai père venant de mourir).

Ailleurs la présence d'un suffixe facilite la traduction: a-bu-li, *le Père est mon dieu*, a-bi-i-li, *mon Père est mon dieu*, a-bi-DINGIR-su, *mon Père est son dieu* (ici c'est le père de l'enfant qui parle, alors que le nom précédent est mis dans la bouche de l'enfant), DINGIR-su-a-ḫa, *le Frère est son dieu*, etc. Certains entendent ces noms d'un défunt divinisé que remplacerait et honorerait le nouveau-né, ainsi le père dirait: *le frère* (mort) *est son dieu* (du nouveau né) (1). C'est peu vraisemblable, surtout à haute époque. En effet, le déterminatif divin qu'on rencontre occasionnellement dans ce genre de noms ne favorise pas cette thèse: ainsi pù-^{d}a-bi, *Parole du* (*dieu*) *Père.*

La divinité invoquée par ces appellations est probablement El, qui, à titre de «cheikh», de patriarche divin, recevait tout naturellement le nom de Père, d'Oncle, de Frère. Pour l'accadien ancien, l'ordre des mots est normalement sujet-attribut. En conséquence DINGIR-a-ba, DINGIR-a-ḫa, DINGIR-a-ma, DINGIR-da-ti sont à traduire *El est père, frère, oncle, mon ami*, tandis que a-ba-DINGIR, a-pù-i-lum, a-hu-DINGIR, signifient *le Père est dieu, le Frère est dieu.* Dans le premier cas, ces appellations ne sont encore que des épithètes de El, dans le second, Père et Frère sont déjà des sortes de noms propres, substituts du nom divin. Mais on ne peut trop presser cet argument grammatical, car on trouve parfois l'ordre inverse, attribut-sujet, comme dans l'anthroponyme déjà cité: i-li-DINGIR, *El est mon dieu*, et sans suffixe après l'épithète, a-ba-da-di, *mon* (divin) *Ami est un père.* S'il est rare que les anthroponymes qualifient ainsi d'autres dieux que El, il ne faut pas oublier que la formule *mon dieu* ou *mon maître* peut se dire de n'importe quelle divinité, voire d'un supérieur humain: *devant le dieu Enlil son père*, ou lettre *à un tel, mon maître et père.* Cependant, pour que les appellations familiales ne soient pas autant d'énigmes pour ceux qui ignoraient quel dieu avait été choisi comme père ou frère (qu'on songe à un nom comme *Mon-Père-est-son-dieu*), il est plus naturel d'y voir des substituts du nom qui s'inscrit en tête de cette série

(1) J. J. Stamm, *Die Akkadische Namengebung*, Leipzig, 1939 (=*Mitteil der V. A. Ges.*, 44), passim.

«sociale» El. Nous la retrouverons d'ailleurs, et encore plus développée, chez les Amurrites et chez les Arabes (1).

Avant d'examiner le cas complexe des Amurrites, caractérisons en quelques mots la période *postsargonique*, illustrée par la troisième dynastie d'Ur (2044-1936). Les Accadiens restent les maîtres et dans l'ancien pays de Sumer lui-même les anthroponymes de frappe sémitique augmentent sans cesse. Mais les souverains d'Ur, qui reconstituèrent à leur profit l'empire des Sargonides, remirent en honneur la langue et les coutumes sumériennes. Ils vouèrent aussi un culte spécial au dieu lunaire d'Ur, appelé Nanna en sumérien, mais qui apparaît sous la forme [d]EN.ZU, c.àd. Sin, dans les trois derniers noms royaux: Bur-Sin, Šu-Sin, Ibbi-Sin. Cette primauté de Sin explique aussi des noms tels que [d]EN.ZU-a-bu-um (ou -abu-šu), (*le dieu*) *Sin est* (*son*) *père* (cf. [d]EN.ZU-il-šu), que nous n'avons pas rencontré à l'époque antérieure. Mais Sin n'absorbe pas encore les autres appellations, telle que '*amm* (oncle paternel), qui deviendra l'un de ses noms en Arabie du Sud. D'ailleurs les noms du type Abum-ilum restent nombreux et on notera a-bi-e-lum et a-bi-DINGIR, dont la traduction la plus naturelle est *El est mon père*. La prononciation *el* se retrouve dans plusieurs autres anthroponymes, comme DINGIR-é-il, *El est dieu*, qui est suivi de l'ethnique MAR.TU, c.à d. *amurrite*. Indice significatif, car les noms en El ou Il vont reprendre la première place lorsque la vague amurrite emportera définitivement les royaumes suméro-accadiens d'Assyrie et de Babylonie.

(*à suivre*)

(1) Pour les Amurrites, cf. E. Dhorme, *L'évolution religieuse d'Israël*, I, p. 313-319, et déjà Theo Bauer, *op.cit.*, p.61, et surtout M.Noth, *Die Israelitischen Personnennamen im Rahmen der gemeinsemitischen Namengebung*, Stuttgart, 1928, p. 66-82 (le rapport de ces noms de parenté avec El, dieu unique de la grande famille qu'est la tribu, est bien mis en évidence).

تعريف عن الكتب

من ذخائر التراث الفلسفي الفكري :

« كتاب اساس التأويل »

[يعتزم الاستاذ عارف تامر ان يدفع في الايام القريبة الى الطبع كتاب « اساس التأويل » للداعي الاجل الفقيه النعمان بن حيون المغربي التميمي قاضي قضاة الدولة الفاطمية. وقد شاء كعادته ان يخص المشرق بهذا المقال عن الكتاب ومؤلفه وموضوعه ومعنى التأويل الباطني عند الاسماعيلية] .

ترددت كثيراً قبل ان اقدم على دفع كتاب اساس التأويل الى الطبع ، وما ذلك الّا لرغبتي التامة بالابقاء عليه في كهف « التقية » مدة اطول ، بين مجموعة المخطوطات الاسماعيلية التي لم يحن وقت نشرها وتعميمها بعد ، هـذا ومن جهة اخرى ، فلاعتقادي بان المعلومات التي يجب الحصول عليها عن موضوع الكتاب لم تستكمل بعد ، كما وان هنالك مخطوطات اخرى من الضرورة الملحة ان تسبقه للنشر ، فهي بالرغم من انها دونه بالرتبة ، الّا انها تقود اليه وتعتبر مفتاح بابه ، او المدخل الى فسحاته .

والآن فكلما خطرت ببالي كلمة « تأويل » التي نحن في صدد التحدث عنها ، فلا يتراءى لي الّا « اساس التأويل » وحده ، لانه الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الاسماعيلية الذي يعالج موضوعاً معيناً هو « التأويل » والسفر النفيس الذي يمثل الفكرة الاساسية لهذا العلم تمثيلاً متزنـاً معقولاً ، عارضاً الموضوع عرضاً دقيقاً مفصلاً ، ملقياً الاضواء على فقراته ومواده ، ومقرباً اياه للاذهان :

لقد كان التأويل في عهد الدعوة الاسماعيلية المبكرة ، وفي ابان ازدهارها ، الموضوع الاساسي لكل فكرة فلسفية باطنية ، والشجرة التي نمت وترعرعت ثم تفرع منها الكثير من الاعضاء ، او بلغة اصح الاساس الذي تركزت عليهم دعائم هذه الدعوة الفكرية ، والغذاء الذي مون الفلسفة الباطنية بالحكم والمنطق

والبيان . ولاجل هذا كله اعتبر كتاب « اساس التأويل » لدى الاسماعيليين من الكتب الثمينة والذخائر الغالية التي تقضي تعاليمهم العقائدية بالمحافظة على سريتها وكتمان تعاليمها ، والسهر على منع تسرب موادهـا لمن هم من غير الاسماعيليين ، وكل هذا يعتبر سر العقيدة ومفتاح باب الدعوة ، مضافاً الى ذلك ان في الكتاب تأويلاً لقصص الانبياء التي وردت بالكتب السماوية الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن ، فكل هذا كان يشكل موضوعـاً تقضي العقيدة بالمحافظة على اسراره التامة مما يخرج عن نطاق المفهوم العام لدى طبقات العامة الذين لم ينالوا من الثقافة الّا القشور .

قد يكون من الواضح ان « التأويل » بمعنـاه الواقعي لدى الاسماعيليين يختلف عن « التفسير » بمعناه الصحيح لدى عامة الفرق الاسلامية الاخرى ، فالتفسير معناه جلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القارئ ، فاذا سئلنا مثلاً ما هو تفسير كلمة شجرة ؟ اجبنا : انهـا نبتة تغرس صغيرة ، ثم تنمو فيتفرع منها جذوع واغصان ينبت عليها ورق اخضر ، وفي الربيع تحمل ازهاراً لا تلبث بعد ذلك حتى تعقد ثمراً طيباً ... الخ . اما اذا قلنا ما هو تأويل كلمة شجرة ؟ فنجيب:بان ذلك يتبع رأي المسؤول المباشر عن التأويل، فقد يقول انها حجرة ، او بقرة ، او صخرة ، او غير ذلك مما يجب ان يتلاءم مع الحقيقة والواقع والعقل ، ولا يكون غريبـاً عن التصديق ولا بعيداً عن الفكر . اذن فالتأويل هو باطن المعنى ، او رمزه ، او جوهره ، وهو حقيقة مستترة وراء لفظة لا تدل عليها ، ومن هنا اعطى الاسماعيليون صلاحية التفسير « للناطق » ووهبوا صلاحية التأويل « للامام » ، فالاول اعتبروه يمثل الشريعة والاحكام والفقه والقانون الظاهر ، والثاني يمثل الحقيقـة والتأويل والفلسفة والباطن .

ومهما يكن من امر فلا بد من القول ايضاً بان التنزيل اختصّ به الناطق في حياته وهو علم الظاهر واحكام الشريعة كما قلنا ، والعلم المصرح بتعلمه وتبنيه واعتناقه لطبقات العامة ، كما ان الامام او « الاساس » ، وكلمة اساس تطلق على كل امام يعاصر الناطق ، فمسؤول عن الباطن والتأويل والحقيقـة ومرموزاتها وتعاليمها السرية التي لا يمكن الافصاح عنها الّا لحدود الدعوة

المخلصين الذين ترفعوا في مراتبها ومناصبها وهم طبقات « الخاصة » .

لهذه الاسباب ترى ان كتابي « اساس التأويل » و « دعائم الاسلام » وكلاهما من وضع « النعمان بن حيون » يمثلان فكرتين واتجاهين مرتبطين تمام الارتباط بعضها البعض، واعني بهما الباطن والظاهر، فالاول اعتبر اساساً للفلسفة الباطنية ، والثاني اساساً للفقه والشريعة ، وقد رواه الامام « جعفر بن محمد » الصادق عن جده الرسول الناطق محمد باعتباره المسؤول المباشر عن الشريعة واحكام الظاهر والتنزيل كما قلنا . وكل هذا يعطي الدليل القاطع على اهمية الكتاب ويبرهن عن ان الدراسات الاسماعيلية الباطنية كانت على درجات ، وان مراتبها مقسمة الى صفوف ، لا بد للمستجيب من الدخول اليها ، واجتياز حلقاتها .

ونعود الى صلب الموضوع مكررين القول بان الصعوبة بمكان استيعاب نصوص الفلسفة الاسماعيلية والوصول الى نهايتها وفهم تعابيرها ومرموزاتها وما ترمي اليه اذا لم يمر القارئ بنصوص بدائية ، ولا شك ان « اساس التأويل » من النصوص التي يجب ان تدرس بامعان ، وان يتفهم ما تذخر بـه . ومن الامور التي يجب ايضاً ان لا تخفى على الباحثين والمهتمين ان « النعمان بن حيون » قد وضع كتباً عديدة في الفقه والقانون والاحكام والتاريخ وفي علم التأويل الذي يعتبر المدخل الى الفلسفة ، ولكننا لم نلاحظ انه وضع كتباً في الفلسفة نفسها ، ولا ندري فيما اذا كان قد خطر عليه ذلك ، لان المعروف لدينا ان « جعفر بن منصور اليمن » كان المسؤول المباشر عنها في تلك الفترة والمأذون الوحيد بعرضها والكتابة عنها والمناقشة فيها ، ولكن كل هذا لا يمنعنا من القول بان النعمان يعتبر من الادمغة المفكرة الكبرى التي وضعت ركائز الفكر في الدولة الفاطمية . اجل .. وليس غريباً اذا قلنا ، ولا مغالاة اذا اعلنا ان الاسماعيليين كان لهم قصب السبق في ميدان الفكر ، فهم قد اغنوا المكتبة الاسلامية بالانتاج العلمي الضخم قبل وجود الدولة الفاطمية ولكن مع كل اسف ضاع ذلك التراث الثمين ، ولم تبق الايام منه بين ايدينا الا رسائل اخوان الصفاء وحدها . وهناك شيء آخر جدير بالانتباه ، ويأخذ قسم طويل من تفكيرنا ، هو موضوع المؤلفات الاسماعيلية التي وضعت قبل الدولة

الفاطمية . فما لا شك فيه ان انظمة التأويل والقوانين الفلسفية كانت تسود مجتمعهم العقائدي في تلك الفترة ، فأين ذهبت تلك الثمرات الفكرية ، وما هي اسماء واضعيها ؟

قد يكون الجواب على هذا السؤال من الصعوبة بمكان ، لانه في الواقع لم تبق لنا تلك العصور السالفة المتقلبة المشحونة بالاحداث اي اثر من آثار الاسماعيليين سوى رسائل اخوان الصفاء كما قلنا، ومن المرجح ان تلك الآثار قد دثرت في مركز الدعوة (سلمية – سوريا) اثناء غارات العباسيين والقرامطة والقبائل الاخرى، ولهذا فان المعلومات عن الشاعر « عبد السلام بن رغبان » – ديك الجن » وعن المتنبي وعن المعري كانت قليلة فلم تنر الطريق امام الباحثين ولم تروِ غليل المهتمين .

ومهما يكن من امر بلا بد لنا من الاشارة الى القصة التي رواها « جعفر الحاجب » بسيرته التي نشرها المستشرق ايفانوف – W. Ivanow عن محمد المهدي – عبيد الله – مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، عن تعرض بعض اللصوص اليه وهو في طريقه من سلمية الى المغرب وسلبهم منه مجموعة الكتب النفيسة التي كان قد حملها معه من المشرق ، ثم عودة الامام « القائم » الفاطمي الى المكان ذاته عندما استتب للفاطميين الامر في المغرب واسترجاعه الكتب ، وهذا يدل على ان المجموعة التي انتقاها وحملها وآثرها وفضلها على الذهب والفضة والاحجار الكريمة ذات قيمة كبرى ، ولا يخامرني الشك بانها تحتوي على نظام العقائد الباطنية وعلى قواعد الفلسفة والتأويل .

كنا قلنا بالامس ونعود فنردد ما قلناه اليوم بان القرنين الثالث والرابع الهجريين هما من ازهر العهود بالنسبة للعالمين العربي والاسلامي ، ففيهما قد ازدهرت الدعوة الاسماعيلية ازدهاراً فكرياً شاملاً ، فبرز حلبة العلم دعاة اسماعيليون تحرروا من كل المؤثرات والقيود والتبعات ، فعملوا على نقل الكثير من علوم الفرس والهند واليونان بعد ان شرحوها وكيفوها وهذبوها ووضعوا في اسسها النظريات المبتكرة مرتبة ومطبقة تطبيقاً جاء ملائماً للقواعد الاسلامية وللعقل وذلك بطريق النقل، وكل هذا جرى في عهد الدعوة الاسماعيلية المبكر، وعندما كانوا يعتمدون على مباحث العلم والجدل والمناظرات التي كانت تنتشر

بسرعة كلية في جميع انحاء العالم ، وهذا بالاضافة الى اعتمادهم على التمسك بظاهر الشريعة وتكاليفها وموجباتها واحكامها تمسكاً واقعياً يحتم عليهم ان لا يتسامحوا بتركها واهمالها مع اضافة الرغبة الدينية الملحة بالتمسك في العبادة العلمية الباطنية الى جانبها .

ومما لا شك فيه ان البويهيين والحمدانيين قد رفعوا لواء الثقافة والادب عالياً في المشرق ، كما ان الامويين قد ساهموا مساهمة فعالة ببناء النهضة العلمية في الاندلس ، ولكن كل هذا لا يعادل جزءاً صغيراً مما ساهم به الفاطميون في هذا المجال ، وخاصةً في عهد الامام « المعزّ لدين الله » الذي يمتاز التاريخ عصره بانه من ازهر العصور التي مرّت على الاسلام ، فالمعزّ الفاطمي كان على جانب عظيم من التفهم وبعد النظر والحرص على بعث النهضة العلمية في ارجاء دولته الشاسعة ، لذلك لم يكن غريباً علينا اذا رأيناه يساهم بنفسه ويشترك مع راعيه الاجل النعمان فيضمان كتابين اعتبرا اساساً لكل علم وفقه وفلسفة ، فالاول جاء اساساً للشرع الظاهر او ما تسمى العبادة العملية وهو (دعائم الاسلام) والثاني جاء اساساً للفلسفة الباطنية والعبادة العلمية وهو (اساس التأويل) ، وكما جاء الاول اساساً للشريعة والاحكام والجسم ، فكذلك جاء الثاني اساساً للحقيقة الفلسفية وللروح .

اجل . . . ساهم الامام المعزّ لدين الله في انعاش الدولة الفاطمية في المجال الفكري ، ونهض بالناحية العلمية نهوضاً جباراً لم يسبقه اليه احد من الائمة الفاطميين سواء السابقين أواللاحقين ، ففي عصره وصلت الثقافة الى الذروة والى المستوى الرفيع واصبح سوق الادب رائجاً والقاهرة المعزّية كعبة يؤمها العلماء والادباء والفلاسفة والطلاب والمتجيبين للانتهال من ينابيعها الدافقة بشتى العلوم والفنون ، فالمعزّ في هذا المضمار قد تفوق على منافسيه علماً وادباً كما تفوق عليهم سياسياً وحربياً ، واننا اذا عرفنا ان المعزّ نفسه كان من المثقفين ثقافة عالية وانه نال قسطاً وافراً من العلوم ادركنا السبب ، فهو بالاضافة الى معرفته لاكثر اللغات السائدة في عصره كاللاتينية والايطالية والاسبانية وقد قيل انه تعلمها لرغبته بافتتاح بلدانهم وضمها اليه ، ثم الصقلية والبربرية والسودانية وقد تعلمها بالنظر لوجود العدد الكبير من الضباط والجنود في عداد جيوشهم ، اذن فبالاضافة

الى كل هذا كان من المتضلعين في الشعر والادب كما رواه عنه المؤرخون، وها هو المقريزي وغيره من المؤرخين يحدثون بان مكتبته كانت تذخر بالكتب النادرة النفيسة ، وانه كان من المغرمين بعقد المجالس العلمية والاستماع الى مناظرات العلماء وتشجيعهم وتوفير الاموال لهم كما انه كان يشرف على المؤلفين ويتناول مؤلفاتهم بالتغيير والتبديل .

هذا ومن الجدير بالذكر ان « النعمان بن حيون » مؤلف كتاب « اساس التأويل » من مواليد المغرب ومن اسرة تنتسب الى قبيلة بني تميم العربية ، ولم نرَ في سيرة حياته اي ذكر لتاريخ ولادته ولكن عرف انه توفي في القاهرة سنة ٣٦٣ ه بعهد امامة المعز لدين الله الفاطمي ، والنعمان يعتبر بحق اب اسرة خدمت العلم خدمات جلى وادت للدعوة الاسماعيلية كل ما يمكن تأديته من الخدمات العلمية ، وان انتاجها الغزير في هذا المجال كان ذا اثر على مجرى التفكير العام وعلى الحياة العقلية ليس في القطر المصري بحسب بل في كافة الممالك الاسلامية . ومن الانصاف القول انه اشهر فقيه نشأ في الاسماعيلية منذ فجر الاسلام بل ومن اكثرهم انتاجاً واغزرهم مادةً واخصبهم قريحة وانتجهم للكتب الفقهية وللبحوث القانونية والشرعية . خدم الامام « محمد المهدي — عبيد الله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب في اواخر سني حياته ، ثم تولى بعهد « القائم » الفاطمي شؤون القضاء في طرابلس الغرب، وفي عهد الامام «المنصور» عيّن قاضياً « للمنصورية » وله في نواديها العلمية ومساجدها المجالس الادبية والمحاضرات التي كانت تستهوي افئدة الراغبين وطالبي العلم، وحينما جاء الامام المعز لدين الله الى مصر اصطحبه واسرته معه ، وغرضه ان تستفيد الدولة منه في مصر كما استفادت في المغرب ، ولكننا ونحن في معرض الحديث عن النعمان لا بد ان نتساءل عن انتاجه في المغرب ؟ وهل اصابه ما اصاب غيره فضاع في زوايا الازمنة ؟

واخيرا لا بد من الرجوع للموضوع الرئيسي « التأويل » والقول :

بان هذا النوع من العلم عمل الاسماعيليون على تعميمه بين طبقات المسلمين بجذر شديد وفي الواقع هو نتيجة لعالمهم الاساسي ونظامهم الفكري، لان الدين كان بنظرهم ان يتوصل الانسان بالتمرين المستمر والترقي من درجة الى

اخرى حتى يصل اخيراً الى معرفة منازل الكون التي قطعتها العوالم المسكونة بعد ان انفصلت عن المبدع المتعالي اي عن الفكر المطلق الغير مجسم او العقل الاول او النور الاعلى او القوة المطلقة او القلم الكاتب او السابق بالوجود المرسل من نفسه الانوار في المنزلة الثانية او للعقل العام الثاني او النفس الكلية العالمية، وهذان الاصلان هما اللذان يحدثان بعد ان تتميز العقول الانسانية وعقول الانبياء والائمة والخاصة، اما طبقات العامة فليس لهم عقول مميزة بل (هم من المعدمين) طالما انهم لم ينهلوا من المعرفة او لم ينتقلوا الى المنزلة الثانية بواسطة التنوير والإرشاد، ولهذا التعليم درجات عديدة اذا ما سار فيها الانسان بلغ الدرجة القصوى من الكمال العقلي والادبي اللذان هما الغرض الاسمى في حياة الانسان، ولبلوغ هذه الغاية يجب العمل على انماء القوى العقلية ثم السيرة الطيبة والحياة الادبية الموافقة لمطالب العقل السليم ولنظرية التطور الفكري التي تقود الى الاعتقاد بالانسان الكامل او الحكيم المتجرد .

ونظام التأويل هذا كان ينمو ويقود الى هذه النظرية، لان الاسماعيليين اولوا الشرائع الدينية والآيات القرآنية تأويلاً باطنياً يختلف عن ظواهرها ولكنه جاء موافقاً للعقل السليم ومطابقاً له وبالوقت ذاته لم ينبذوا الشرائع المنزلة ولم ينكروا ما جاء به القرآن والكتب السماوية الاخرى ولكنهم اولوها واعترفوا انهم في غنى عن موجباتها وانهم يعلمون ما قصد الله منها لانهم من الذين فتح الله بصائرهم بالعلوم ورقاهم في مراتب دعوة عالم الدين التي هي ممثول عالم المبدعات والموجودات .

ومن هنا يمكننا الحكم بان الاسماعيليين لا يعملون بالتفسير الظاهري فحسب بل يؤولون الشرائع والاحكام والقرآن تأويلاً باطنياً مأخوذاً عن مصدر ثقة يعتبر بنظرهم ممثول العقل الكلي، اذن فبامكاننا ان نسميهم « العقليين » او اهل العقل «Rationalistes» الذين لا يركزون عقائدهم الا على هذه القواعد.

ومهما يكن من امر فامامنا القرآن الكريم فهو يوضح لنا بان العقيدة التي جاء بها الإسلام لا تتنافى مع العقل كما انه لا ينبغي لها ان تتنافى معه، او ان تكون غير تامة اذا لم تنسجم معه، فالدين الاسلامي منذ نشأته دين عقلي، واذا تصفحنا آيات القرآن وحللنا ما جاء فيها على ضوء العقل والمنطق والواقع

علمنا ان الانسان عليه ان يفكر ويتدبر وان ينظر ويتأمل وان يعتبر ويستنبط ، فالاسلام نظام عالمي عام يوجه الانسان في الحياة ويساعده على ان يحصل لنفسه وللجماعة الانسانية على اسمى درجة من الكمال الانساني في الروح والخلق والمادة والعقل ، كما ان المعرفة في الاسلام جعلت شرطاً للايمان. فمن اعتقد من غير فهم ومعرفة لم يكن خيراً ، والاعتقاد الصحيح الحق هو الذي ينشأ عن دليل وعن فهم واختيار ، كما اننا نستطيع ان نقول : ان الاسلام ثورة على الجمود العقلي وحرب على الرجعية والتعصب والانكماش. فهو قد اعطى الحرية للانطلاق من القيود والاغلال ، كما انه اطلق حرية الرأي والفكر ، واصلها المنزلة الرفيعة والمكانة العالية، واحاطها بسياج من العناية والرعاية وبنى العقيدة الاسلامية على الحجة والدليل لا على الاكراه والتقليد الاعمى، ونوه بالعقل واراده على اليقظة وطالبه بالتنبه ولم يسهل للشخص ليكون آلة صماء يقبل كل ما يقال له دون ان يحكم عقله . والاسلام ايضاً جاء محرراً للعقول البشرية من قيود التقليد مفسحاً المجال امامها للسير في سبيل هدايتها في جو واسع من الحرية مقيماً العقل السليم حكماً فاصلاً بينه وبين مخالفيه وخاصة عند البحث والدرس والمناقشة. ولقد اراد بذلك ايقاظ العقل وتنبيهه الى اداء مهمته وتنمية القوى العقلية والفكرية للسير في مجال الاعتداد بالنفس والاستقلال بالرأي والانطلاق نحو حرية التفكير .

هذا عرض موجز لموضوع « التأويل » كما جاء في كتاب (اساس التأويل) للنعمان بن حيون التميمي، تناولناه من جميع نواحيه آخذين من معلوماتنا الاسماعيلية القدر الكافي، واضعين نصب اعيننا قانون الدعوة الاسماعيلية وحدها الذي نعتبره المصدر الوحيد الذي يرشد الباحثين الى الدقائق والغمضات .

عارف تامر

ورقة من مخطوط كتاب «ختم الأولياء» نسخة ولي الدين رقم ١٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة

مؤلف كتاب « ختم الاولياء » ، الـذي نقدمه للنشر لاول مرة ، هو ابو عبدالله محمد بن علي[1] بن الحسن[2] — أو الحسين[3] — بن بشر ، الملقب بالحكيم[4]

١) ترجم له في تاريخ بغداد ١١ : ٣٧٣ (٦٣٣٦) .

٢) هكذا هو مذكور في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧ — وطبقات الشافعية ٢ : ٢٠ — والحلية ١٠ : ٢٣٥ — وطبقات الصوفية ٢١٦ .

٣) انظر ماسنيون L. T. ص ٢٨٨ — و G. A. L. I, P. 216 ومقدمة نوادر الاصول .

٤) لماذا انفرد الترمذي من بين شيوخ الصوفية بهذا اللقب ؟ ألأنه كان « على معرفة بتركيب الجسم مما يدل على انه درس الطب » (راجع المقدمة على كتاب الرياضة وأدب النفس ، التي وضعها آربري وعلي حسن عبد القادر ص ١٣ ط . القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ .). أو لانه « كان حريصاً على ان يجمع » في حياته وفي تآليفه « بين الناحية الروحية القديمة للثقافة الاسلامية وبين المنهج العقلي الذي جدّ في عصره» (انظر مقدمة كتاب الحقيقة الآدمية للترمذي ، نشر عبد المحسن الحسيني ص ٧ ، مجلة كلية الاداب ، جامعة فاروق الاول (اسكندرية) مجلد ٣ سنة ١٩٤٦) . او لان الترمذي « كان اول مسلم بدت لديه براعم الافكار الفلسفة الاغريقية . . . فكان بالتالي الممهد لمذهب العرفان (La gnose) في التصوف الاسلامي » (راجع L. T. ص ٢٩٣) . ونحن نرى ان لقب الحكيم اسند الى الترمذي خاصة لان التعاليم الصوفية قد خطت على يديه خطوة حاسمة في سيرها الموفق المطرد . فهي عنده لم تعد مجرد احوال نفسية ينفعل لها الصوفي في جلوته ، او مشاعر ذاتية يحس بها في خلوته ، بل حقائق موضوعية لها كيانها المستقل وعالمها الخاص . و « حكمة » الترمذي في تصرفه تبدو في هذا التحليل البارع لطبيعة النفس الانسانية ، وفي هذا التصوير الرائع لمناهج السلوك الروحي ، واخيرا في هذا التمييز الحاسم بين أنماط الحكمة ودرجات المعرفة . وقد شرح الترمذي هذه المعاني جميعاً في شتى كتبه ورسائله ومسائله وبصورة خاصة في كتاب « علم الاولياء » و« كتاب الحكمة » و«اثبات علل الشريعة » و«ختم الاولياء».

الترمذي نسبةً الى مدينة «ترمذ[٥]» مسقط رأسه، حيث قضى بها الشطر الاكبر من عمره ولفظ انفاسه الاخيرة فيها[٦]. وُلد شيخنا في اوائل القرن الثالث للهجرة وتوفي في أواخرها على أصح تقدير. وان كنا لا نعلم تماماً تاريخ نشأته ومماته، وبالتالي مقدار سنيّ معاشه[٧].

إن الخطوط العامة والرئيسية لشخصية الترمذي لا تزال مجهولة لنا، وما نعرفه عن حياته ينقصه الدقة ويشوبه الغموض والابهام. وجميع ما لدينا من مصادر، في الوقت الحاضر، لا تفي بحاجتنا في هذا الصدد[٧ا]. فهي على وفرتها لا تعدو ذكر اسماء بعض شيوخه واصحابه، وقصة نفيه من ترمذ الى بلخ، ونبأ رحلته

---

٥) بخصوص مدينة ترمذ واهميتها في الاسلام وما قبله، راجع مقالة دائرة المعارف الاسلامية، والمصادر التي ذكرت في ذيل المقالة، المجلد الرابع ص ٨٣٦ – ٨٣٨ (الطبعة الفرنسية).

٦) مكان وفاة الترمذي لا يزال معروفاً حتى الآن في خرائب ترمذ القديمة. يقول بارتولد: «ونجد بين الابنية في اطلال المدينة القديمة لترمذ ضريح الولي ابي عبدالله محمد بن علي الترمذي، وهو من المرمر الابيض». راجع: Barthold, *Turkestan down to the Mongol invasion* (Tr. H. A. R. Gibb) p. 75—76 ودائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع ص٨٣٧

٧) يقول الذهبي انه عاش ٨٠ سنة (تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧) – وابن حجر ٩٠ سنة (لسان الميزان ٥ : ٣١٠) – وفريد الدين العطار ١١٥ سنة ؟ (تذكرة الاولياء ٢ : ٩١). اما عن تاريخ وفاته فيرى دارا شكوه وحاجي خليفة ان ذلك كان سنة ٢٥٥ (سفينة الاولياء ورقة ٨٦ا، نسخة المكتب الهندي رقم ٦٤٧ – وكشف الظنون، تحقيق فلوجل ٤ : ١٥٥). ولكن هذا التاريخ يعارض بما يذكره الترمذي عن نفسه في بدو الشأن كما سنراه بعد (انظر ص ٤٠٩) ويعارض ايضاً بما يذكره السبكي والذهبي من ان الترمذي قد رحل الى نيسابور سنة ٢٨٥ (طبقات الشافعي ٢ : ٢٠ – تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧). ويذكر ابن حجر العسقلاني (لسان الميزان ٥ : ٣٠٨) ان الانباري سمع منه سنة ٣١٨ ولعل هذا مما دعا بعض المؤرخين المحدثين من الغربيين الى اعتبار وفاة الترمذي سنة ٣٢٠ (GAL.I,P.216) ويرى الاستاذ ماسنيون ان وفاته كانت ٢٨٥ (L. T. P. 286).

٧ا) راجع مصادر حياته التي اثبتناها في بحثنا عن مؤلفات الترمذي الذي نشر في Mélanges Massignon مجلد ٣ : ٤١٨ وراجع ايضاً مقدمة «بيان الفرق بين الصدر...» للدكتور نقولا هير ص ٥–١٠.

الى نيسابور وتحديثه فيها . وهذا كله ، مع اعترافنا بقيمته ، لا يشبع رغبة الباحث في استجلاء معالم شخصية فذة كشخصية الحكيم الترمذي ، ولا يصور الأثر البليغ الذي أبقاه في الاوساط العلمية والروحية هذا المفكر الاسلامي العظيم .

ولعل أكمل وثيقة في هذا الميدان هي تلك الصورة الانسانية الجامعة ، التي خلد فيها ذكرى الحكيم الترمذي ، شاعر الفرس العبقري فريد الدين العطار في كتابه الشهير « تذكرة الاولياء »[٨] . فقد أبرز العطار ، في مصنفه الخالد، شخصية الترمذي محاطة بهالة من النور والصفاء والقداسة ؛ وعرض امام انظارنا ملامح جذابة لحياة شيخنا الوقور ؛ وجمع لنا مواد طريفة ، شيقة عن دراسته وتربيته وسلوكه وبيئته العائلية الجميلة . بيد ان خيال الشاعر المجنح ، لدى وصفه الاشياء وتأريخه لها ، يعجز دون متابعته او اللحاق به راصد حركات الزمان ومؤرخ الوقائع المادية . . .

ومع ذلك ، فلنستمع الى شاعر الفرس وهو يقص علينا نبأ تعلم الترمذي الفتى ، باسلوبه الانساني المؤثر وبطريقته الخاصة :

« كان الشيخ الترمذي قد عقد النية في اول امره على الرحلة لطلب العلم
« في رفقة اثنين من إخوانه . وفي اثناء ذلك مرضت أمه . فقالت له : يا بني ،
« إني امرأة ضعيفة ، لا عائل لي ولا معين يمينني ، وانك المتولي لامري ، فالى
« من تكلني وتذهب ؟ فنالت هذه الكلمات من نفسه وعدل عن الرحلة .
« ومضى زميلاه في سبيلها .

« ثم مضى على ذلك بعض الوقت . فبينما كان في احدى المقابر يبكي
« بكاءاً شديداً ويقول : ها أنذا قد بقيت جاهلاً مهملاً ، وسيرجع أصحابي
« وقد حصلوا على العلم — إذا به يرى أمامه ، فجأة ، شيخاً مشرق الوجه .
« فسأله الشيخ عن سر بكائه ، فأفضى اليه (الفتى) بحاله . فقال له الشيخ :
« ألا أعلمك في كل يوم شيئاً من العلم ، فلا يمر عليك كثير وقت حتى تسبق
« أخوانك . فأجابه (الفتى) الى ذلك .

---

٨) تذكرة الاولياء ، تحقيق نكلسون (لندن وليدن ١٩٠٥–١٩٠٧) جزء ٢ : ٩١–٩٩

« واستمر الشيخ على تعليمه كل يوم . ومضت على ذلك اعوام . ثم عرف « (الترمذي) بعد ذلك أن الشيخ هو الخضر ، عليه السلام ! وأنه انما حصل « على هذا ببركة دعاء أمه(١) ! . . »

***

اذا كانت تعوزنا حقاً المصادر التاريخية النقدية للاحاطة بحياة الترمذي وفهم طريقته وابراز جوانب شخصيته ، فان شيخنا نفسه — لحسن الحظ — قد ترك بخط يده اثراً هاماً عن تربيته الروحية ونشأته العلمية . وسيكون هذا الاثر الفريد ، بطبيعة الحال ، عمدتنا في تأريخ حياة الترمذي ومعرفة العوامل المؤثرة في سلوكه ونهجه ما دامت تنقصنا المصادر الاخرى . وقد ذكر شيخ ترمذ ، في رسالته هذه ، طائفة من الاحداث والانباء لا نجدها في الكتب العديدة التي خصصت له . وهذه الرسالة — كما قلنا — بقلم الترمذي نفسه . فهي اذن في غاية الاهمية بالنسبة لموضوعنا ، وتهمنا في الواقع لاكثر من سبب او معنى: انها أقدم وثيقة تاريخية تتصل مباشرة بحياة حكيم خراسان ؛ كما هي ايضاً اقدم نص نعرفه عن حياة رجل من رجال الفكر الاسلامي ، مكتوب بخط يده .

ولكن يجب ان لا نغلو كثيراً في تقديرنا لهذا الاثر التاريخي الخاص . فهو ، على أهميته، وجيز جداً ، مقتضب جداً ، « يعج » بالاحلام والرؤى ولا ينقع غلة الصادي تماماً . ان صفحاته لا تتجاوز كثيراً ، من الوجهة المادية ، عدد الاصابع ؛ وموضوعاته لا تعدو ذكر رحلة الشيخ الى مكة وتوبته لدى « الملتزم » وخروجه عن جميع ما يملك من متاع الدنيا ورياضته والرؤى التي رآها أو رئيت له . كل ذلك يمر سريعاً كالبرق الخاطف .

ومهما يكن في الامر ، فقد روى حكيم خراسان في هذه الرسالة، باسلوب مؤثر حقاً ، قصة اضطهاده واتهام معاصريه له بالبدعة وادّعاء النبوة ... ولعله يشير بذلك الى اصداء افكاره عن النبوة والولاية ، التي بثها في كثير من كتبه ورسائله وخاصة في كتاب « ختم الأولياء » . كما ابقى لنا صفحات ،

---

٩) المصدر السابق ص ٩١-٩٢ .

لا تزال طرية غضة ، لم يجف مدادها بعد ، عن اثر زوجـه الكريمة في حياته الروحية وعن اخلاصها وتفانيها وعبير التقوى والطهارة الذي يتضوّع منها .

من اجل ذلك كله ، ارتأينا اثبات هذه الوثيقة التاريخية بالنصّ الكامل في صدر هذا البحث .

عنوان هذه الرسالة :« بدوّ شأن ابي عبدالله محمد الحكيم الترمذي ، رحمه الله ! » ويظهر ان هذه التسمية من وضع أحد اتباع الشيخ او اصحابه . ولا يوجد لهذا النص في الوقت الحاضر ، على ما نعلم ، سوى نسخة واحدة محفوظة في مكتبة اسماعيل صائب ، بأنقرة ، تحت رقم ١٥٧١ : ٢٠٩ب — ٢١٨أ ؛ وهي ضمن مجموعة كلها للحكيم الترمذي وبتاريخ ٥٤٣ للهجرة [10] .

***

(١٠) انظر وصفنا لهذا المخطوط في « L'œuvre de Tirmidhi, » in *Mélanges Massignon*, Tome III p. 425—26.

نص رسالة

بدوّ شان ابي عبد الله

محمد (بن عليّ) الحكيم الترمذي

رحمه الله (تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

[٢٠٩ب] ١) قال ابو عبد الله :

كان بدو شاني ان الله – تبارك اسمه – قيّض لي شيخي ، رحمة الله عليه ، من لدن بلغت من السنّ ثمانيا . يحملني على تعلم العلم ويعلمني ويحثني عليه ويدئب ذلك في المنشط والمكره . حتى صار ذلك لي عادة وعوضاً عن اللعب في وقت صباي . فجمع لي في حداثتي علم الآثار وعلم الرأي . حتى اذا قارب سني سبعاً وعشرين أو نحوه ، وقع عليّ حرص الخروج الى بيت الله الحرام [٢١٠آ] فتهيأ لي الخروج . فوقفت[10] بالعراق طالباً للحديث ، وخرجت الى البصرة[11] . فخرجت منها الى مكة في رجب . فقدمت مكة في بقية شعبان . فرزق الله المقام بها الى وقت الحج . وفتح لي باب الدعاء عند الملتزم في كل ليلة سحراً . ووقع على قلبي تصحيح التوبة والخروج مما دق وجل ، وحججت . فرجعت وقد أصبت قلبي .

وسألته عند الملتزم[12] ، في تلك الاوقات : ان يصلحني ويزهدني في الدنيا ويرزقني حفظ كتابه . وكنت لا اهتدي لشيء من الحاجات غير هذا .

---

١٠) الاصل فوقدت .

١١) مدينة اسلامية بنيت على انقاض Vahishtabad Ardashir الفارسية . انشأها عتبة بن غزوان سنة ١٧ للهجرة بأمر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهي احدى عواصم الفكر الاسلامي القديم . راجع مقالة المستشرق الفاضل Pellat في دائرة المعارف الاسلامية ، النشرة الفرنسية ، الطبعة الثانية مجلد ١ : ١١١٧–١١١٩ والمصادر العديدة التي الحقها بمقالته القيمة . راجع ايضاً كتاب صورة الارض لابن حوقل ١ : ٢٣٥–٢٣٨ (نشرة Kramers – ليدن سنة ١٩٣٨) و (The Lands of the Eastern Caliphate) (ص ٤٤–٤٥ G. Le Strange) ومعجم البلدان ١ : ٦٦١–٦٦٣)

١٢) باب الكعبة الشريفة الملاصق للحجر الاسود .

٢) فرجعت، وقد ألقى عليّ حرص حفظ القرآن[١٣] في طريقي . فاخذت صدرًا منه في الطريق ، فلما وصلت الى الوطن يسّر (الله) عليّ ذلك بمنه حتى فرغت منه . فأقامني ذلك بالليل ؛ فكنت لا أمل من قراءته[١٤]. حتى انه كان ليقيمني ذلك الى الصباح . ووجدت حلاوته .

فأخذت اتتبع من الكتب محامد الرب ، تبارك اسمه ! والتقاط محاسن الكلام ، من طريق العظات ومما يستعان به على أمر الآخرة . واسترشد في البلاد فلا أجد[١٥] من يرشدني الطريق ، او يعظني بشيء اتقوى[١٦] به ، وأنا كالمتحير لا أدري اي شيء يراد لي . إلا أني أخذت في الصوم والصلاة . فلم ازل كذلك حتى وقع في مسامعي كلام اهل المعرفة؛ ووقع اليّ كتاب الانطاكي[١٧] فنظرت فيه ، فاهتديت لشيء من رياضة النفس . فاخذت فيها ، فأعانني الله . والهمت منع الشهوات نفسي ؛ حتى صرت كأني أعلم على قلبي الشيء بعد الشيء؛ حتى ربما كنت [٢٠ ب] أمنع نفسي الماء[١٨] البارد، واتورع عن شرب ماء الانهار . فاقول : لعلّ هذا الماء جرى في موضع بغير حق . فكنت اشرب من البير ، او من الوادي الكبير .

ووقع عليّ حب الخلوة في المنزل والخروج الى الصحراء . فكنت اطوف في تلك الخربات والنواويس[١٩] ، حول الكورة . فلم يزل ذلك دأبي . وطلبت

---

١٣) الاصل : التحفظ للقرآن .

١٤) « : قرآنه .

١٥) « : فلا احد .

١٦) « اتقوا .

١٧) هناك صوفيان اثنان يذكرهما السلمي في طبقاته بهذا اللقب : احمد بن عاصم الانطاكي ، من اقران بشر بن الحارث والسري والمحاسبي (طبقات الصوفية ١٣٦) ؛ وعبدالله ابن خُبَيق بن سابق الانطاكي ، صاحب يوسف بن اسباط وعلى طريقة الثوري (طبقات الصوفية ١٤١) . وانظر ايضاً .Rec ص ١٢-١٤ . ويبدو ان المقصود هنا هو احمد بن عاصم والكتاب المشار لعله « علوم المعاملات » راجع حلية الاولياء مخطوط ليدن رقم ٨٩٢ : ١٧٢ ا — ١٧٢ ب .

١٨) الاصل : ما .

١٩) مفردها ناووس — ولها معنيان : ١° متاع على هيئة صندوق ، من حجر او خشب

اصحاب صدق يمينونني[٢٠] على ذلك فمر علي[٢٠']، فاعتصمت بهذه الخربات والخلوات.

٣) فبينما أنا على هذه الحال، اذ رأيت، فيما يرى النائم، كأني أرى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دخل المسجد[٣] الجامع في كورتنا. فأدخل على اثره فألزم اقتفا.[١] اثره. فما زال يمشي حتى دخل المقصورة، وأنا على أثره، ومن القرب منه، حتى كأن أكاد الترق بظهره واضع خطاي على ذلك الموضع الذي يخطو (عليه)، حتى دخلت المقصورة.

فرقي المنبر، فرقيت على اثره. كلما رقى درجة رقيت على اثره، حتى اذا استوى على أعلاها درجة قعد عليها فقعدت عند الدرجة الثانية من مجلسه عند قدميه[٢٢]، ويميني الى وجهه ووجهي (الى) الابواب التي تلي السوق، وشمالي[٢٣] الى الناس. فانتبهت من منامي وانا على تلك الحال.

٤) ثم من بعد ذلك بمدة يسيرة، بينا أنا ذات ليلة أصلي فثقلت فوضعت رأسي في مصلاي جنب فراشي، إذ رأيت صحرا(.) عظيمة[٢٤]، لا أدري اي مكان هو. فارى مجلساً عظيماً، وصدراً مهيئاً لذلك المجلس. وحجلة[٢٥] مضروبة. لا أقدر على صفة تلك الثياب وذلك الستر.

او مدن، تودع فيه الموتى – ٢ الخلاء او المكان الذي توجد فيه مقابر الاموات. والمعنى الثاني هو المراد في هذا الوطن.

٢٠) الاصل: يمينوني.

٢٠') « : لي. – ٣) الاصل مسجد.

٢١) « : قفاه.

٢٢) نفس المشهد الروحي « في عالم حقائق المثال في حضرة الجلال » كما يقول الشيخ الاكبر – يصفه ابن عربي في مكاشفته القلبية واجتماعه بالنبي عليه الصلاة والسلام: «... وحصلت في موضع وقوفه ... وبسط لي على الدرجة التي انا فيها ... حتى لا اباشر الموضع الذي باشره، صلى الله عليه وسلم، بقدميه تنزيهاً له وتشريفاً وتنبيهاً لنا ... ان المقام الذي شاهده من ربه لا يشاهده الورثة ..» (فتوحات ١: ٢–٣).

٢٣) الاصل: وشمال.

٢٤) « : عظيما.

٢٥) الحَجَلة (وجمعها حَجَل وحجال) من معانيها، المناسبة لهذا المقام: حجرة تزين بالثياب والاسرة والستور.

فكأنه يقال لي : انه يذهب بك الى ربك . فادخل تلك الحجب [٢١١] فلا[٢٥أ] أرى[٢٥ب] شخصاً ولا صورة[٢٥ج]. الا انه وقع في قلبي أني لما دخلت وقع عليّ الفزع في ذلك الحجاب. فأيقنت في منامي بالوقوف بين يديه . فما لبثت ان رأيت نفسي خارجاً من الحجب، بالقرب من باب الحجاب، واقفاً وأنا أقول : عفا عني ! وأجد نفسي قد سكن من الفزع .

٥) فدام لي شأن رياضة النفس ، من تجنب[٢٦] الشهوات ، وقعود[٢٧] في البيت على عزلة من الخلق، وطول مجرى من الدعاء . فانفتح له شيء بعد شيء . ووجدت في قلبي قوة وانتباهاً . وطلبت من يعينني . فكان يكون لنا اجتماع بالليالي : نتناظر ونتذاكر وندعو[٢٨] ونتضرع بالاسحار .

فأصابتني غموم من طريق البهتان والسعايات، وحمل[٢٩] ذلك[٣٠] على غير محمله . وكثرت القالة ، وهان ذلك كله عليّ . وسلط عليّ اشباه ممن ينتحلون[٣١] العلم : يؤذونني ويرمونني بالهوى والبدعة ويبهتون. وأنا في طريقي ، ليلاً ونهاراً ، دؤوباً دؤوباً[٣٢] .

حتى اشتد البلاء ، وسار الامر الى ان سعى بي الي والى « بلخ »[٣٣أ] .

٢٥أ) الاصل : فلا.
٢٥ب) « : ار .
٢٥ج) « + : فكأنه يقال لي انه يذهب بك الى ربك .
٢٦) « : تجنب .
٢٧) « : وقعودا .
٢٨) « : وندعوا .
٢٩) « : وحل .
٣٠) « : بي .
٣١) « : ينتحل .
٣٢) « : دوبا دوبا.
٣٣أ) لعل والي بلخ الذي يشير اليه شيخنا هو يعقوب بن ليث أو عمرو بن ليث . والمعروف تاريخياً : ان ولاة بلخ في عهد العباسيين كانوا جميعاً امراء منحدرين من ختل (راجع اراتشهر ص ٣٠١) . وكان احد هؤلاء الامراء – داود بن عباس البانيجوري – قد طرده يعقوب بن ليث عام ٢٥٦ للهجرة . وفي سنة ٢٨٦ اسر اسماعيل بن احمد عمرو بن ليث . ومن ذلك الحين انتقلت المدينة الى حكم السامانيين . (راجع دائرة المعارف الاسلامية ، النشرة الفرنسية ، طبعة ثانية ١ : ١٠٣٢) .

وورد البلا(ء) من عنده، من يبحث عن هذا الامر. ورفع اليه ان ههنا[٣٢ب] من يتكلم في الحب، ويفسد الناس، ويبتدع، ويدّعي النبوة[٣٣] ! وتقوّلوا عليّ ما لم يخطر قط ببالي . حتى صرت الى «بلخ»[٣٤] . وكتب عليّ قباله أن لا أتكلم[٣٥] في الحب !

٦) وكان ذلك من الله – تبارك اسمه ! – سبباً في تطهيري : فان الغموم تطهر القلب . وذكرت قول داود، صلى الله عليه وسلم، انه قال : « يا رب، امرتني ان اطهّر بدني بالصوم والصلاة ؛ فبمَ، أطهر قلبي ؟ – قال : [٢١ب] بالغموم والهموم، يا داود ! »[٣٦] .

فتواترت عليّ الغموم، حتى وجدت سبيلاً الى تذليل نفسي . فكنت اراودها على امور قبل ذلك، من طريق الذلة، فتنفر ولا تطاوعني . مثل ركوب الحمار في السوق، والمشي حافياً في الطرق[٣٧]، (ولبس) الثياب الدون، وحمل شيء مما يحمله العبيد والفقراء . فيشتدّ عليّ ذلك. فلما اصابتني[٣٨] هذه المقالة والغموم – ذه(بت) بِشِرّة[٣٩] نفسي . فحملت عليها هذه الاشياء، فذلّت وأطاعت، حتى وصل الى قلبي حلاوة تلك الذلة .

٣٢ب) الاصل ها هنا .

٣٣) لعل شيخنا يشير بذلك الى آرائه الخاصة بالولاية وصلتها بالنبوة التي اودعها في رسائله المتعددة وخاصة في كتابه « ختم الاولياء » و«علم الاولياء » . وهي اراء لم تفهم على وجهها، كما يقول السلمي، من قبل معاصريه . (طبقات الشافعية ٢ : ٢٠) .

٣٤) بلخ مدينة مشهورة في العصور القديمة والعصور الوسطى في اقليم خراسان . كانت سابقاً القصبة السياسية لولاية خراسان ثم اصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طُخارستان . وفي العصر الحاضر، بلخ هي بلدة صغيرة تابعة لافغانستان، على الطرف الشمالي منها . فتحت المدينة في عهد الاسلام اولاً من قبل الاحنف بن قيس (سنة ٣٢ للهجرة) ثم اعاد فتحها قيس بن الهيثم (او عبدالرحمن بن سمرة) عام ٤٣ . انظر وصف المدينة واهميتها في مختلف عصورها في دائرة المعارف الاسلامية (النشرة الفرنسية، طبعة ثانية ١ : ١٠٣١–١٠٣٣) .

٣٥) الاصل : يتكلم .

٣٦) هذا الحديث روى في كتاب حقيقة الآدمية للترمذي نفسه ص ٤١ ط. الحسيني .

٣٧) الاصل : الطرق .

٣٨) « : اصابني .

٣٩) « : شده .

٧) فبينا انا كذلك، اذ اجتمعنا ليلة على الذكر، في ضيافة لأخ من اخواننا. فلما مضى من الليل ما شاء الله، رجعت الى المنزل. فانفتح قلبي في الطريق فتحاً لا اقدر أن اصفه. وكأنه وقع في قلبي (ش)ي. طابت (له) نفسي والتذت به. وفرحت حتى مررت. فما استقبلني شيء هبته. حتى ان الكلاب ينبحن[39] في وجهي. فآنس[40] لنباحهن من لذة وجدت في قل(بي). (حتى بدا) له ان السما(ء) بكواكبها وقمرها صارت[41] الى قرب الارض. وانا(فيما) بين ذلك أدعو ربي. ووجدت كأن قلبي نصب فيه شيء. فاذا وجدت تلك الحلاوة، التوي[41أ]، وتقبض بطني، والتوى[41ب] بعضه على بعض، من شدة اللـذة، واعتصر. وانتشرت في صلبي وعروقي تلك الحلاوة. وكان يخيل إليّ ان قربي من مكان قربَ العرش[42]!

فما زال ذلك دأبي كل ليلة الى الصباح: اسهر ولا اجد نوماً. فقوي قلبي على ذلك. وانا متحير، لا ادري ما هـذا. الا اني ازددت قوة ونشاطاً فيما كنت فيه.

٨) وهاجت ببلاد فتنة[43]، وانتقاض[44] امر، حتى هرب جميع من كانوا

٣٩) الاصل: ينحن.
٤٠) « : فانست.
٤١) « : صار.
٤١أ) « : التوا.
٤١ب) « : والتوا.

٤٢) عديدة هي الوثائق، في الآداب الصوفية، التي تكشف لنا عن هـذه الظاهرة الروحية التي تعتري سالك الطريق في ترقيه المنوي. انظر التحليل البارع لهذه الظاهرة، من الوجهة النفسية والروحية في بحث الاستاذ الكبير قربان:
Confessions extatiques de Mîr Dâmad, in Mélanges L. Massignon, I. 331—378).

٤٣أ) ربما يشير شيخنا الى ثورة يعقوب بن ليث ضد والي بلخ في ذلك الحين، داود ابن عباس البانيجوري عام ٢٥٦ للهجرة. انظر تعليق رقم ١/٣ ص٣٩٥. والواقع ان الثورات والفتن كانت لا تنقطع في هذه المنطقة سواء في عهد الامويين او العباسيين. راجع دائرة المعارف الاسلامية ١: ١٠٣١—١٠٣٢ (الطبعة الثانية، النشرة الفرنسية).

٤٤) الاصل: وانتقاص.

يؤذونني[٤٤] ويشنعون[٤٥] عليّ في البلاد . وابتلوا بالفتنة ، ووقعوا في [٢١٢ ا] التربة ، وخلت[٤٦] البلاد منهم ..

فبينا انا كذلك ، إذ قالت لي أهلي : اني رأيت في المنام كأنّ قائماً في الهواء[٤٧] ، خارجاً من الدار ، في السكة ، في صورة رجل شاب ، جعد ، عليه ثياب بياض ، له[٤٨] نعلان. ويناديني في الهواء[٤٨ا]. وانا في الصفة بجذائه[٤٩] : أين زوجك ؟ قلت : خرج . قال : قولي له ان الامير يأمرك ان تعدل. ثم مرّ

٩) فلم يأت على هذا مدة ، حتى اجتمع الناس ببابي ، (من) مشايخ البلد من غير ان اشعر بهم . وقرعوا الباب ، فخرجت اليهم . فكلموني في القعود لهم . — وقد كان هؤلاء الاشكال[٥٠] ، قد قبحوا أمري عند العامة قبحاً كنت أتوهم أنهم السّقم اكثرهم ، لما كانوا يذيعون ، هؤلاء ، عليّ من الكلام القبيح . ويشنعون امري ويرمونني بالبدعة؛ من غير أن يكون ذلك من شأني، او توهمته قط .

فما زا(لوا) يكلمونني[٥١] في ذلك حتى أجبتهم الى القعود . فذكرت لهم من الكلام شيئاً كأنه يغترف من البحر . فأخذت[٥٢] مني القلوب مأخذاً. . . (؟)[٥٢ا] واجتمع الناس ، فلم تحتمل[٥٣] داري ذلك ، وامتلأت[٥٤] السكة والمسجد .

---

٤٤) الاصل : من كان يوذيني .
٤٥) « : ويشنع .
٤٦) « : وخلا .
٤٧) « : الهوى .
٤٨) « : وعليه .
٤٨ا) « : الهوى .
٤٩) « : بجذاء:
٥٠) الاشكال ، مفردها شَكَل ونجمع على شُكُول ايضاً ولهذه اللفظة معان كثيرة منها : القناع المصنوع للوجه ولعل الشيخ اطلقها هنا مجازاً على اهل الرياء والنفاق . وهذه اللفظة تجري كثيراً على لسان الترمذي في كتبه ورسائله .
٥١) الاصل : يكلموني .
٥٢) « : فأخذ .
٥٢ا) « بعد كلمة مأخذا : سيأ .
٥٣) « : يحتمل .
٥٤) الاصل : وامتلت .

فلم يزالوا بي حتى مدّوني (جرّوني)الى مسجد . . (؟)[٥٤]. وذهبت تلك الاكاذيب والاقاويل الباطلة . ووقع الناس في التوبة ، وظهرت التلامذة . واقبلت الرياسة والفتن ، بلوى من الله لعبده .

ورجع اولئك الاشكال الى البلاد، بعد ما قويتُ وكثرت التلامذة واخذت القلوب مواعظي . وتبيّن لهم ان هذا كان منهم بغياً وحسداً . فلم ينفـذ لهم بعد ذلك قول وأيسوا . [٢٠٢ب] وقبل ذلـك ، كانوا صيّروا السلطان والبلاد عليّ بحالٍ لا أجترئ أن أطلع رأسي . فأبى[٥٤ب] الله الا ان يبطل كيدهم .

١٠) فتتابعت عليّ الرؤي (الاصل : الرويا)من أهلي ، كل ذلك بقرب الصبح. ترى الرؤيا بعد الرؤيا ، كأنها رسالة . ولم يكن يحتاج الى عبارتها[٥٤ج] لبيانها ووضوح تأويلها . وكان فيما رأت ان قالت :

رأيت حوضاً كبيراً في موضع لا أعرفه . وما(ء) الحوض صافٍ[٥٥] كما(ء) العين . فيظهر على ذلك الحوض (في) رأس الما(ء) ، عناقيد عنب ، بيض كلها. وانا واختيَ[٥٦] قعود على رأس ذلك الحوض[٥٧] ، نأخذ من ذلك العنب فنأكله، واقدامنا متدلية في الحوض ، موضوعة[٥٨] على ظهر الما(ء) ، لا ترسب ولا تغيب.

فأقول لاختي الصغرى : نحن نأكل من هذا العنب كما ترين[٥٩] ، فمن يرسل هذا الينا ؟— فا(ذا)برجل مقبل[٦٠] ، جعد ، وقد تعمم بعمامة بيضا(ء)، وقد أرخى شعره من خلف العمامة ، وعليه ثياب بياض. فيقول لي : لمن مثل هذا الحوض ، ومثل هذا العنب ؟ — ثم يأخذ بيدي ، فيثبتني فيقول لي ، بعزل منها[٦١] :

---

٥٤ ا) الاصل : مسجد الحماس .

٥٤ب) « : فابا .

٥٤ج) اي الى تفسيرها وحل رموزها .

٥٥) : صافي لي

٥٦) « : واختي

٥٧) « : الحو .

٥٨) « : واضعة .

٥٩) « : ترى .

٦٠) « : رجلا مقبلا عليه ، ويمكن قراءة الجملة : فأ(رى) رجلًا مقبلًا . . .

٦١) « : منهم .

قولي[٦٢] لمحمد بن علي ان لا يقرأ[٦٣] ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة[٦٤]﴾ حتى يتم الآية . لا يوزن بهذا (الميزان) دقيق ولا خبز . وانما يوزن بهذا كلام هذا — ويشير الى لسانه ويوزن بهذا[٦٥] هذ(ا) وهذا — ويشير الى يديه وقدميه. انت لا تعلمين[٦٦] ان افضل الكلام سكرًا كسكر الخمر إذا شرب !

فأقول له : أحب ان تقول لي من أنتم ؟ فيقول : انا من الملائكة ، ونحن نسبح في الارض ، ونتزل [٢١٣ ا] بيت المقدس . ورأيت بيده اليمنى آسًا[٦٧] اخضر رطبًا[٦٨] ، وبيده الاخرى رياحين. فهو يكلمني وذاك بيده. فيقول: نحن نسبح في الارض ، فنذهب الى العُبّاد. فنضع هذه الرياحين على قلوب العُبّاد حتى يقوموا بهذا الى عبادة الله ؛ وبهذا الآس ، على قلوب الصدّيقين والموقنين حتى يعلموا الصدق بهذا . وهذه الرياحين في الصيف هكذا . والآس لا يتغير في صيف ولا شتاء . فقولي لمحمد بن علي : انت لا ترضى ان يكون لك مذان ؟ — يشير الى الآس والى الرياحين .

ثم قال : ان الله قادر على ان يرفع للمتقين تقواهم، الى موضع لا يحتاجون (فيه) الى ان يتقوا . ولكن جعل هذا عليهم حتى يعلموا التقوى .

قولي له : طهّر بيتك . فأقول: ان لي اولادًا صغارًا ولا اضبط تطهير بيتي. فيقول لي : ليس من البول اعني . انما أعني من هذا — ويشير الى لسانه .

فاقول له : فَلِمَ لا تقول له انت بنفسك ؟ قال : أنا لا اقول له ، من أجل أنه ليس بكبير من الامور وليس بقليل: هذا من الناس قليل ومنه كبير[٦٨ا] . ولماذا[٦٩] يعمل مثل هذا ؟ ثم يحرك يده التي فيها الآس ، فيقول: من أجل أن

---

٦٢) الاصل : قل
٦٣) « : نقرا .
٦٤) سورة ٢١ : ٤٧ .
٦٥) الاصل : هد .
٦٦) « : نعلم .
٦٧) الاصل : آس .
٦٨) « : رطب .
٦٨ا) « : لبير .
٦٩) « : ولماذي .

هذا منه بعيد . ثم يخرج من الآخر ، الـذي في يده من الدستجة[٧٠] . بعضه فيناولني .

قلت : هذا أمسكه لنفسي أو أدفعه اليه[٧٠] ؟ فيضحك ، فتبـدو اسنانه كانها اللؤلؤ . فيقول: خذي هذا ؛ فان هذين اللذين بيدي ، انا أجيء بها إليه. وهذا بينكما . وأنتما جميعاً في مكان واحد .

وقولي له : لكن هـذا [٢١٣] آخر موعظتي له[٧١] والسلام عليك ا — ثم يقول : ان الله يعطيكم — معشر الاخوات — روضـة ، لم يعطها[٧٢] لكم بعبادة صوم ولا صلاة . انما يعطيكم بصلاح قلوبكم وبانكم تحبون الخير ولا ترضون الـو(.) — بالاعجمية : بذي نيسنديد ودوست دارينذيكي[٧٣] .

فأقول له : لِمَ لا تقول هذا بين يدي اختيّ ؟ قال: إنها ليستا توازيانك[٧٤] ولا تعدلانك[٧٥] . ثم يقول : السلام عليكم ! ويمضي . فانتبهت .

١١) ثم رأت مرة اخرى : كأنها في البيت الكبير الذي في دارنا. وفيه[٧٦] سرر منجدة بالابريسم[٧٧] . واحدى السرر الى جانب المسجد الذي في البيت . فانظر . فاذا شجرة تطلع بجنب السرير ، في قبلة المسجد . فطلعت قامة رجل. فاذا هي كخشبة يابسة ؛ وعليها اغصان كاغصان النخل . كالاوتاد ، شبه البرادة[٧٨] . فبدت أغصان في أصلها[٧٩] ، قدر خمسة او نحوه ، خضرة رطبة .

---

٧٠) لفظة اصلها فارسي (تصغير : دَسْتَهْ) وتجمع على دساتيج وتطلق على طاقة الزهر او باقة البقل او حزمة الحشب .

٧٠) الاصل : اليك .

٧١) « : له .

٧٢) « : يعطيكم .

٧٣) « : نبنذيذ ودوست ددار بذنيكي .

٧٤) « : توازيك .

٧٥) « : تعدلاك .

٧٦) « : وفيها .

٧٧) إبريسَم او إبْرِيسَم اصلها الفارسي ابرشيم : ضرب من الحرير .

٧٨) البُرادة هي ما تساقط من الحديد عند مرور المبرد عليه . وهذا المعنى غير واضح في هذه الجملة .

٧٩) الاصل : اصله .

فلما بلغت وسط هذه الشجرة اليابسة ، إمتدت هـذه الشجرة طولًا في السماء ، قدر ثلاث قامات . وتبعثها[٨٠] الاغصان حتى بدت وسطها ، فبدت من هذه الاغصان عناقيد رطب .

فأقول في منامي : هذه الشجرة لي . وليس لاحد من هنا[٨١] الى اسفلها — أعني مكة — مثل هذه الشجرة . فأدنو[٨١'] منها ، فيجيئني كلام من أصلها ، ولا أرى احدا . فانظر الى اصل الشجرة . فاذا هو قـد نبت في الصخرة . وهي صخرة كبيرة ، قد اخذت قدر نصف البيت . واذا الشجرة قد نبتت من وسط الصخرة ، والى جانبها صخرة كبيرة منفردة كحوض . واذا عين تنبع من اصل هذه الشجرة وتستنقع [٢١٦] في الصخرة المنقورة . وذلك الماء صافٍ[٨٢] يشبه ماء القضبان في صفائه[٨٣] .

فأسمع قائلًا من قرب الشجرة ، يقول لي : تضمنين ان تحفظي هذه الشجرة حتى لا تصل[٨٣] يد احد الى هذه ؟ — فان هذه الشجرة لك ؛ كان اصلها في الرمل والتراب ، فمن كثرة ما اصابتها[٨٤] الايدي تسفلت ثمرتها في الارض فذهبت ويبست . ولكن نحن القينا الصخرة حولها ، ووكلنا بها طيرًا لنجعل ثمر[٨٤'] هذه الشجرة تحتها . فانظري ! فأرى طيرًا اخضر كالحمامة في القدر . فأبصره[٨٥] على غصن من اغصان الشجرة ، ليس من الاغصان التي بدت من اسفلها رطبة ، ولكن من الاغصان اليابسة ، حيث[٨٦] انتهى اليها رؤوس الاغصان الرطبة . فيطير من غصن الى غصن ، فيعلو . فكلما وقع على غصن يابس ، شبه الوتد ، اخضر ورطب وتدلت منه عناقيد رطب .

---

٨٠) الاصل : وتبعته
٨١) « : هذا .
٨١') « : فادنوا .
٨٢) « : صافي
٨٣') « : صفائه .
٨٣) « : يصل .
٨٤) « : اصابته .
٨٤') « : ثمره .
٨٥) « : فابصرها .
٨٦) الاصل : من حيث .

فيقال لي: ان كنت تقدرين ان تحفظي هذه الشجرة حتى يطير الى اعلاها[٨٧] فتصير خضراء كلها[٨٨] والا أقام[٨٨ا] ههنا في الوسط. فاقول: بلى، احفظها — ولا أرى احدًا اكلمه — فيطير هذا الطائر الى اعلاها، غصناً غصناً، فيخضر كله. فلما بلغ رأس الشجرة، قلت متعجبة: لا إله الا الله! اين هؤلاء[٨٨ب] الخلق لا يرون هذه الشجرة ولا يصلون اليها؟ فينطق هذا الطائر من اعلاها فيقول: لا إله الا الله! فأردت ان اتناول منها رطبة، فيقول لي القائل: لا، حتى يبلغ نضجه. وانتبهت.

١٢) ثم رأت مرة أخرى كانها نائمة معي على السطح. قالت: فاسمع حديثاً من البستان. [٢١٤ب] قالت: فاسترجع كالمصاب. واقول: هؤلاء أضيافنا تركناهم! اذهب فاطعمهم. قالت: فأصير الى جانب السطح لانزل. فينحط جانب السطح فيلزق بالارض فاستوى على الارض. فاذا رجلان قاعدان في هيئة[٨٩]. فأدنو فاعتذر اليهما. فينهان. فيقول احدهما: قولي لصاحبك، ما اشتغالك بهذا الفرزد[٨٩ا] — يعني الحشيش — ؟ عليك بتقوية الضعفاء وان تكون ظهرًا لهم.

وقولي له: انت وتد من اوتاد الارض، تمسك طائفة من الارض. فأقول: من أنت؟ فيقول: محمد — احمد[٩٠] وهذا عيسى. — قال: وقولي له: انك تقول: يا ملك يا قدوس، ارحمنا! فتقدس انت. فان كل ارض تقدس عليها[٩١] تشتد وتقوى. وكل ارض لا تقدس عليها[٩١ا] تضعف وتهون. وقولي له: اعطيناك معموره، ﴿ والبيت المعمور[٩٢] ﴾ فاحسن اليها[٩٣]. وانتبهت.

١٣) ثم رأت، ليلة اربع وعشرين من رمضان، كأنها تسمع صوتي من

---

٨٧) الاصل: اعلاه.
٨٨) « : اخضر كله.
٨٨ا) « : أقامت.
٨٨ب) « : هذا.
٨٩) « : هيه.
٨٩ا) الفُرْزُدْ والفَرْزَدَه بالفارسية: المضرة.
٩٠) الاصل: محمد واحمد.
٩١) « : عليه.
٩١ا) « : عليه.
٩٢) سورة ٥٢: ٤.
٩٣) الاصل: اليها.

بعد ، على هيئة لم تسمع الآذان بثلها[٩٤] فأتبع الصوت . فأدفع الى باب قصر ، فاراه ممتلئاً نوراً . فأدخل . فاذا المسجد مرتفع ، يعلو الخلق والبنا. . واذا انت قائم ، مستقبل القبلة ؛ في شبه محراب تصلي[٩٥] ، والنور قد أحاط بك . فأقول : ان هذا الصوت يكفي الناس ويبلغ . وهو قد اخذ نفسه من الناس.

١٤) ثم رأى ابو داود الخياط ، كانه يرى ناساً قد اجتمعوا الى مدرجة ، شبه سلم[٩٦] رفيع ، الى سور ذاهب في السماء طولاً . فأذهب. فارى زحاماً عند السلم . [٣١٥] فأريد أن أرتقي ، فيقال لي : انك لا تصعد حتى تأتي بجواز . وهناك واقف يمنع .

فقلت في نفسي : وأنى لي الجواز ؟ قال : فاجد في يدي رقعة فاناوله فيخلي عن الطريق . فارتقى الى سور كبير ، وأرى عليه ناساً قليلاً . ومن وراء السور بحر ، ومن وراء البحر فضاء واسع عظيم ، يحار فيه البصر[٩٧] .

فاقول لهؤلاء الذين على السور : من أنتم ؟ وما تصنعون[٩٨] هينا؟ فيقولون: ذاك محمد بن علي ، في ذاك الفضا(ء) ، من ورا(ء) البحر . فانظر ، كما ينظر الى الهلال ، حتى ابصرت من بعد[٩٩] بحمد . فأمسح[٩٩'] عيني وأنظر ، وامسح وانظر . واذا هؤلاء القوم يجبنون عن هذا البحر . قال : فارمي بنفسي من ذلك السور في ذلك البحر . فما كان باسرع من ان خرجت الى ذلك الجانب. فاسير حتى اصير اليك . فاذا انت قاعد في ذلك الفضا(ء) . قد لففت رأسك في طالسانك[١٠٠] . فتعجبت[١٠١] من مصيري اليك في ذلك الموضع . فانتبهت .

٩٤) الاصل : بثله .
٩٥) « : يصلي .
٩٦) « : سلم .
٩٧) « : من .
٩٨) + « : وما تصنعون .
٩٩) « : البعد .
٩٩') « : أمسح .
١٠٠) طالسان وطيلسان، يجمع على طيالسة، من اصل فارسي: تالشان وهو قماش مصنوع من صوف الماعز او وبر الجمال ويستعمل لغطاء الرأس والكتفين. وتقول العرب : ابن الطيلسان ويعنون بذلك من هو غير عربي ! لان الطيلسان في الواقع كان يحمله الفرس والترك القضاة والعلماء منهم بصورة خاصة) .
١٠١) الاصل : فتعجب .

١٥) ثم رأى لي احمد بن جبريل البزاز[١٠٢] فيما حكى لي، فقال: كأني اراك تطوف ببيت الله الحرام. وقد خرج من اعلا حيطان البيت شبه رف، كالجناح، دون السطح بقليل، قدر ذراعين أو نحوه. فأنت تطوف على ذلك الرف. وقد علوت حائط البيت، فقد جاوز وسطك، فصار أعلا من البيت، ذاهباً في الهوا.[١٠٣]، تطوف بالبيت على تلك الحالة. فانتبهت متعجباً.

١٦) ثم رأى محمد بن نجم الخشاب، فقال: رايت كأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، واقف[١٠٤] [٥٢ب] في نور يصلي، ومحمد بن علي خلف قفاه يصلي بصلاته معه.

١٧ ثم اشتغلت، في سنة من هذه السنين، بتقدير شأن الزوال، وتعلم تلك الحسابات، من امر البروج والأصطرلاب[١٠٥]، فأمعنت فيه. فرئي[١٠٦] لي في المنام، كأن[١٠٧] قائلا يقول له: قل لابن علي، ليس هذا الذي أنت فيه، من شرطك ولا مذهبك، فاجتنبه! قال: فامتلأت[١٠٨] خوفاً ورعباً مما رأيت من هيبة[١٠٩] ذلك القائل. وأراه في صورة شيخ ابيض الرأس واللحية، طيب الريح، حسن الوجه، أتوهم انه ملك.

فقال: قل لابن علي، ألق هذا! فاني لا آمن ان يكون هذا حجاباً بينك وبين رب العزة. فالله، الله في نفسك في هذا الخلق! فانك لست باذنيد[١١٠]، انما انت أمة[١١٠أ]. فاخبره بهذا ولا تدع نصيحة الله في خلقه.

---

١٠٢) الاصل: البذاذ.
١٠٣) « : الهوى.
١٠٤) « : واقفا.
١٠٥) الاصطرلاب، او الاسترلاب، من اصل يوناني ἀστρολάβος او ἀστρολάβον (ὄργανον). وتطلق هذه اللفظة على مجموعة من الالات التي تستخدم في علم الفلك لغايات نظرية او عملية.
١٠٦) الاصل: فرى.
١٠٧) « : كان.
١٠٨) « : فامتلى.
١٠٩) « : هيه.
١١٠) « : باذيك ومعنى «باذنيد» بالفارسية: شيء حقير، امر تافه لا يساوي شيئاً.
١١٠أ) « : امه.

١٨) ثم رأت أهلي كأنّا نائمان[111] في فراش واحد. فجاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فدخل فراشنا معنا.

١٩) ثم رأت مرة اخرى، كأنه جا(ء) فدخل منزلنا. قالت: ففرحت[112]. فأردت ان أقبل قدميه، فمنعني. وناولني يده فقبلتها. فلم أدرِ ما أسأله[112أ]. وكان يعتريني في إحدى عينيّ هذه الحمرة. فقلت: يا رسول الله، ان احدى عيني يعتريها[113] رياح الحمرة. فقال: اذا كان ذاك، فضعي يدك عليها وقولي: «لا اله الا الله، وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير». ثم انتبهت. فما اعتراني بعد ذلك فقلتها الا سكن.

٢٠) ثم رأت أهلي. كأنها عند «درب سكيبا». قالت: فانظر الى الجبانة من بعيد. فيمتد بصري، حتى كاني انظر جوّ «داود آباد». فارى من الخلق [٢١٦أ] عددًا لا يحصى[114]. كأنه صار كله ممتلئًا[114أ] خلقاً. وارى الاشجار والجدر ممتلئة كلها[115] من بني آدم، كالطير على رؤوس الاشجار. فأقول: ما هذا؟ فيقال لي: ان الامير نزل بغتةً. ولم يعلم به احد. ومنذ اثنى[116] عشر يوماً، كانت تمر[117] جنوده ونحن لا نشعر، حتى امتلأت[118] الدنيا.

قالت: وأنظر الى هذا الخلق قد اصفرّت الوانهم، وجفّت شفاههم، ويبس ريقهم من الهول والفزع. قالت: فأرى كأنك[118أ] تدخل عليّ وتخلع ثيابك، وتدعو بما(ء)، فتدنو الى شَبَهٍ[119]، ارى فيه ما(ءا)، فتغتسل وتتزر بازار

١١١) الاصل: نائمين.
١١٢) « : ففر.
١١٢أ) « : أسله.
١١٣) « : يتريني.
١١٤) « : لا يحصا.
١١٤أ) « : ممتليا.
١١٥) الاصل: كلهم.
١١٦) « : اثنا.
١١٧) « : يمر.
١١٨) « : امتلت.
١١٨أ) « : كانك.
١١٩) «الشَّبَه والشِّبْه، ضرب من النحاس الاحمر: يُقال كُوز شَبَه وشِبْه.

وتأخذ رداءً ، وعليك نعلان. قالت : فأقول لك ما تصنع ؟ فتقول :ألا ترين[١١٩أ] الى هذا (الامر) العجب ؟ وما يريد هذا الامير ؟

قالت : وأرى الخلق كلهم سكوت[١١٩ب] ، قد دهشوا من الفزع . كانه لا يعرف بعضهم بعضاً وكانهم غربا.[١١٩ج] من الفزع. واراك ساكتاً مطمئناً ليس بك فزع. فتقول لي : ألا ترين[١١٩د] الى هذا (الامر) العجب ؟ ان الامير يريد من جميع اهل الدنيا اربعين نفساً ليكلمهم . فأقول لك : الا تخرج انت . فتقول: سبحان الله. جهان همى تُوا بنگرند[١٢٠] — بالفارسية — ويقولون: ان أعاننا محمد ابن عليّ ، والا هلكنا .

— وانه يجمع من اهل الدنيا كلهم هؤلاء الاربعين . وان لم اكن فيهم ، لاتم بهم الاربعين ، فسد هذا الخلق . ولكن اي شيء يعرفني للامير ؟ ومتى يعرفني ؟ انما يراد ان اتم الاربعين[١٢١] بنفسي ، فانه لا يوجد تمام الاربعين وان الخبر[١٢١'] ان الامير جاء بالترك على هؤلاء..

قالت : فالبس قميصاً ابيض وطالساناً[١٢٢] ابيض ونعلين وأمضي[١٢٣] قالت . [٢١٦ب] فيخيل اليّ في المنام ، انك لمـا انتيت الى الامير رأيت[١٢٤] الخلق راجعين زحفاً مع الترك ، والترك لا يضربونهم[١٢٥] وقد انسلى[١٢٦] عنهم ما كنت ارى بهم من الفزع . فأقول . وانا واقفة عند رأس الدرب : هل فيكم احـد من أولئك الاربعين ؟ فيقول له واحد منهم : بأولئـك الاربعين نجونا . فيقول آخر : نحن نجونا بمحمد بن عليّ . قالت : فأبكي . فيقال: مِمّ تبكين ؟ فانا نجونا به . قالت ، فاقول : انا لا ابكي من أجل انه يقع موقع سوء. ولكن ابكي من اجل قلبه الرحيم : كيف ينظر الى وجه السيف ؟ ويخيّل اليّ في ذلك الوقت ان هؤلاء الاربعين تضرب اعناقهم ؟ فلذلك أبكي .

١١٩أ) الاصل : ترى.
١١٩ب) « : سكوتا.
١١٩ج) « : غربا.
١١٩د) « : ترى .
١٢٠) اي: العالم (الناس) ينظرون اليك .
١٢١) الاصل : اربعين .
١٢١') الاصل : الخبر
١٢٢) انظر تعليق رقم ١٠٠ المتقدم
١٢٣) الاصل : ومضى.
١٢٤) « : ارى .
١٢٥) « : يضربهم .
١٢٦) انسلا .

قالت : فارجع الى البيت. فلما بلغت باب الدار ، التفتُ فاراك قد جئت. ويخيل اليّ انه قد مضى ليلة – وهذا الغد – من يوم ذهبت . قالت ، فاقول : الحمد لله ! كيف نجوت ؟ فتقول لي انت، بيدك هكذا بالفارسية : باش كاش[١٢٧]! حتى أقول لك . – قالت : واراك في بياض، وطولك قدر قامة رجليه طويلين ؟ وكأن[١٢٧أ] وجنتيك قد احمرتا وهما تبرقان بروقاً ؟ وعلى جبهتك وحاجبيك شبه الغبار . قالت : فانظر ، فاذا هو ليس بغبار ولكنه من الهول والفزع صار بذلك الحال .

قالت ، فاقول لك: كيف نجوت ؟ – قالت ، فتقول: الا ترين[١٢٧ب] كيف انا اول الاربعين ، واياي عرف ، واياي اخذ . واخذ مني هذا الموضع – وتشير الى صدرك – ، فزلزلني زلزلة ، ظننت ان جميع اعضائي تتناثر كلها . فقال لي – بالفارسية[١٢٨] : [٢١٧ أ] .

قالت ، فأقول لك : رأيت الامير ؟ رأيت الامير ؟ فتقول : لا ، ولكن انتهيت الى باب قبة، وعلى باب الامير حجلة مضروبة . فرأيت الامير كأنه[١٢٨أ] اخرج يداً من تلك القبة . فاخذ مني هذا الموضع فزلزلني وقال لي هذا . ثم وجهنا الى حظيرة وكأني[١٢٨ب] ارى تلك الحظيرة شبه مقصورة العيد في الجبانة. فقال : اذهبوا بهؤلاء الاربعين الى تلك الحظيرة ، فاحبسوهم هناك قياماً . ولا تدعوهم يقعدون .

فبعث بي معهم الى تلك الحظيرة . واشار الى الذين معي في العدد : ان ابعثوا هذا الى الصلاة . – قالت : فدخلت الحظيرة معهم ثم بعثت الى الصلاة. وكأنه[١٢٨ج] اختير من اهل الدنيا هؤلاء. فررت على جند الامير وعلى الترك، فلم

١٢٧) اي : يا ليته كان !
١٢٧أ) الاصل : وكان .
١٢٧ب) « : ترى .
١٢٨) « هكذا : « ايراوى (الصواب : امير توى = انت امير) كحدنرا كامي لونه برارنه وافر سرجهان بوى (الصواب: توى = انت رئيس العالم) كهن شباه من اسلس تدرود » . والجملة على هذا النحو غير مفهومة .
١٢٨أ) الاصل : كانه.
١٢٨ب) « : وكاني . ١٢٨ج) الاصل : كانه .

يضر بي احد . والآن علمت ان للاسير في رأيا[١٢٩]، وانه جمع هذا الجمع كله من اجلي ، لاخرج انا وهؤلاء التسعة والثلاثون وإياي اراد بذلك . — قالت ، فاقول لك : فخذ نفسك الآن . فتقول : قد نجوت انا من نفسي ! فتصعد الى المسجد . — قالت : فاراك قائماً على ظهر الجميع . قالت[١٢٩أ] . فانتبهت .

٢١) ثم رأت لسنتين[١٢٩ب] او ثلاث ؟ وذلك يوم السبت ضحى[١٣٠] لعشر بقين من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين[١٣٠أ] .

٢٢) ثم رأت رؤيا أخرى وهي بالفارسية . وفي آخرها قالت : فانتبهت[١٣٠ب] .

٢٣ فوقع عليها حرص الاستماع الى الموعظة وطلب الحقوق (٢١٧ ب) من نفسها . فاول ما ابتدى لها من تحقيق رؤياها ، انها كانت في البستان قاعدة ، وذلك لثلاث بقين من ذي القعدة ، بعد ما رأت هذه الرؤيا ، بنحو من خمسة ايام او ستة اذ وقع على قلبها : « يا نور كل شيء وهداه ! انت الذي فلق الظلمات نوره » .

قالت : فوجدت كأن شيئاً[١٣٠ج] دخل صدري ، فدار حول قلبي فأحاط به وامتلأ الصدر الى الحلق ، حتى صرت شبه المخنوق من امتلائه . وله حرارة وحرقات على القلب . فتزينت الاشياء[١٣١] كلها لي . فما وقع بصري على ارض ولا سما(ء) وخلق ، من الخلق ، الا رأيته بخلاف ما كنت اراه ، من الزينة والبهجة والحلاوة .

٢٤) ثم وقع على قلبي كلمة بالفارسية : نكيني[١٣١أ] من ترا داذم[١٣٢] .

---

١٢٩) الاصل : راى .

١٢٩أ) « : قال .

١٢٩ب) « : بسنتين .

١٣٠) « : ضحوه .

١٣٠أ) لا يذكر المخطوط هنا موضوع الرؤيا التي رأتها زوج الحكيم الترمذي ولا مضمونها .

١٣٠ب) هكذا في اصل المخطوط من غير زيادة .

١٣٠ج) الاصل : سيا .

١٣١) « : الاسيا .

١٣١أ) « : بكيي .

١٣٢) اي : وهبتك خاتما .

فامتلأت فرحاً وطيب نفس ونشاط. فاخبرتني بذلك. فلما كان اليوم[١٣٣] الثاني، قالت: وقع على قلبي «انا اعطيناك ثلاثة اشياء، ووقع الكلام بالفارسية: سه چيز[١٣٣ا] ترا داذم جلال من (و) عظمة من وبهاء من[١٣٤]». واضا(ء) لي من فوقي فدام هكذا فوق رأسي في الهواء[١٣٤ا] كما كنت رأيته في المنام. فترآى[١٣٤ب] في ذلك الضوء علم الجلال وعلم العظمة وعلم البهاء.

فامأ الجلال فاني رأيت كأن[١٣٤ج] البيت (الاصل: بيت) يتحرك (الاصل: بتحرك) ايذون (الاصل: ايـذور) چيزي همى بيود (الاصل: بتوز)، وجنبش خلق همه ازوى، وعظمه پرى (الاصل: مري) (و) همه چيزها ازوى، وبها (و) سرا (ى) همه چيزها (ازوى تخست فرا(آ) سمانها وبذم او كنده .... تافروذ[١٣٥].

٢٥) ثم وقع على قلبها، اليوم[١٣٥ا] الثالث: ترادادم علم أولين وآخرين[١٣٦] [٢١٨ا] فدام بها هذا حتى نطقت بعلم اسماء الله. فكان يفتح لها في كل يوم اسم (الاصل: اسما) ويبدو[١٣٦ا] ذلك الضو(ء) على قلبها وينكشف لها باطن ذلك. حتى كان يوم الجمعة، في ايام العشرة، حضرت[١٣٧] المجلس. فذكرت انه وقع عليها اسم «اللطيف».

***

١٣٣) الاصل: يوم.
١٣٣ا) « : جين.
١٣٤) اي: انا اعطيناك ثلاثة اشياء: جلالي، وعظمتي، وقدري.
١٣٤ا) الاصل: الهوى.
١٣٤ب) « : فترايا.
١٣٤ج) « : كاني.
١٣٥) اي: كأن البيت يتحرك، ويوجد فيه شيء تحرك الخلق كلهم به؛ وعظمة الملك وكل شيء منه وجاء كل شيء وقيمته فيه. ولقد رأيت بديا تلك النار منتشرة في السموات ... الى اسفل.
١٣٥ا) الاصل: يوم.
١٣٦) اي: وهبتك علم الاولين والآخرين.
١٣٦ا) الاصل: ويبدوا.
١٣٧) « : جهزت.

لدى الرجوع الى المصادر القديمة والحديثة الخاصة بشيوخ الحكيم الترمذي الذي تلقى عنهم رواية الحديث وعلوم الشريعة والطريقة، نستطيع ان نجرد الثبت الآتي باسماء مربيه ومرشديه . وهذا الثبت وان لم يكن شاملا لجميع اساتذة الترمذي ومعلميه، الا انه من غير شك، يلقي امامنا كثيرا من الاضواء عن الحياة العلمية لشيخ خراسان ويعيننا الى امد بعيد على تقديره حق قدره بالنسبة الى عصره وبيئته :

١) الحسن بن علي الترمذي، والده حيث تلقى منه الحديث ورواه عنه[١٣٨] .
٢) الجارود بن معاذ السلمي الترمذي[١٣٩] .
٣) صالح بن عبدالله الترمذي[١٤٠] .
٤) صالح بن محمد الترمذي[١٤١] .
٥) علي بن حجر السعدي[١٤٢] .
٦) سفيان بن وكيع[١٤٣] .
٧) الحسن بن عمر بن شقيق البلخي[١٤٤] .
٨) يحيى بن موسى[١٤٥] .
٩) عتبة بن عبدالله المروزي[١٤٦] .
١٠) عباد بن يعقوب الرواجني[١٤٧] .

١٣٨) روى الترمذي عن ابيه الحديث وذكر في كثير من كتبه ولا سيما في كتاب ختم الاولياء حيث نجد له اكثر من رواية عنه كما سيأتي فيما بعد .
١٣٩) انظر ترجمته في التعليق الآتي رقم ٢١٣ (نص) .
١٤٠) انظر الميزان ترجمة رقم ٣٧٦٩ وطبقات الشافعية ٢ : ٢٠، وتاريخ بغداد ٩ : ٣١٥ والخلاصة ١٦٥ .
١٤١) انظر الميزان ترجمة رقم ٣٧٦٩ وتاريخ بغداد ٩ : ٣٣٠ وطبقات الشافعية ٢ : ٢٠ .
١٤٢) راجع طبقات الشافعية ٢ : ٢٠ .
١٤٣) « « « « ٢٢
١٤٤) راجع تاريخ بغداد ٧ : ٣٥٥ وتذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧ .
١٤٥) راجع تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧ .
١٤٦) « « « «
١٤٧) « « « «

١١) قتيبة بن سعيد الثقفي البلخي[١٤٨] .
١٢) عيسى بن احمد العسقلاني[١٤٩] .
١٣) احمد بن خضرويه البلخي[١٥٠] .
١٤) ابو تراب النخشبي[١٥١] .
١٥) يحيى بن معاذ الرازي[١٥٢] .
١٦) يعقوب الدورقي[١٥٣] .
١٧) يعقوب بن ابي شيبه[١٥٤] .
١٨) يحيى الجلاء[١٥٥] .

***

هذا ، واذا تتبعنا من ناحية اخرى ، سلسلة المحدثين الذين ذكرهم في كتاب « ختم الاولياء » خاصة وروى عنهم الحديث ، نجدهم على النحو الآتي[١٥٥ ١] .

١) فهو يروي عن الجارود[١٥٦] ، عن النضر بن شميل[١٥٧] ، عن هشام الدستوائي[١٥٨] ، عن حماد[١٥٩] .

٢) « « « عن سفيان بن عيينة[١٦٠] ، عن عمر بن دينار[١٦١] ، عن ابي عباس[١٦٢] .

---

١٤٨) شذرات ٢ : ٩٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٦٤
١٤٩) « ٢ : ١٥٤
١٥٠) طبقات الصوفية ٢١٧
١٥١) « « « ؛ الرسالة القشيرة ٢٠ ؛ حلية الاولياء ١٠ : ٢٢٠
١٥٢) تذكرة الاولياء ٢ : ٩١ — ٩٩
١٥٣) طبقات الشافعية ٢ : ٢٠ — تاريخ بغداد ١٤ : ٢٢٧
١٥٤) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٨١
١٥٥) طبقات الصوفية ٢١٧
١٥٥ ١) وسيعثر القارئ بلا شك في هذه السلسلة باسماء جديدة عن المحدثين روى عنهم الترمذي ولم يرد لهم ذكر في المصدر السابق .
١٥٦) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢١٣ (نص)
١٥٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢١٤ (نص) ١٦٠) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢٣٥ (نص)
١٥٨) « « « « ٢١٥ « ١٦١) « « « « ٢٣٦ «
١٥٩) « « « « ٢١٦ « ١٦٢) « « « « ٢٣٧ «

٣) وهو يروي عن الجارود ، عن الفضل بن موسى ، عن زكريا بن زائدة، عن سعد بن ابراهيم، عن ابي سلمة .

٤) عن عبد الجبار (بن العلاء)، عن ابن عجلان[١٦٣]، عن سعد بن ابراهيم، عن ابي سلمة ، عن عائشة .

٥) عن ابن ابي بكر العمري، عن ابي بكر بن ابي ادريس، عن محمد بن عبد الرحمن عن نافع[١٦٤] ، عن ابن عمر .

٦) عن سليمان بن نصر ، عن المقري ، عن حيويه[١٦٥] ، عن شريح[١٦٦] .

٧) عن حفص بن عمر ، عن محمد بن بشر العبدي[١٦٧] ، عن عمر بن اسد التيمي ، عن يحيى بن كثير[١٦٨] ، عن ابي سلمة ، عن ابي هريرة .

٨) عن علي بن الحسن (ابيه) ، عن الجاني ، عن صفوان بن ابي[٧] الصهبا.[١٦٩] ، عن بكر بن عتيق، عن سالم بن[١٧٠] عبد الله، عن ابيه (عبدالله بن عمر) عن عمر بن الخطاب .

٩) عن ابن ابي ميسرة ، عن اسماعيل بن عيسى بن سورة[١٧١] ، عن عبدالله ابن الحسين، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن ابي عثمان النهدي[١٧٢] ، عن عمر بن الخطاب .

١٠) عن بشر بن هلال الصواف، عن جعفر بن سليمان[١٧٣] الضبعي الاشجعي، عن هارون الاعور ، عن عبدالله بن شقيق ، عن عائشة .

١١) عن يعقوب بن ابي شيبة[١٧٤] ، عن بشر بن الحارث[١٧٥] ، عن سعيد بن عمر بن مرة ، عن عبدالله بن سلمة[١٧٦] .

---

١٦٣) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢٤٩(نص)
١٦٤) « « « « ٢٥١ «
١٦٥) « « « « ٢٥٥ «
١٦٦) « « « « ٢٥٦ «
١٦٧) « « « « ٢٧٤ «
١٦٨) « « « « ٢٧٥ «
١٦٩) « « « « ٢٧٧ «

١٧٠) انظر تعليق ما يأتي رقم ٢٧٨(نص)
١٧١) « « « « ٣١٨ «
١٧٢) « « « « ٣١٩ «
١٧٣) « « « « ٣٢١ «
١٧٤) « « « « ٣٣١ «
١٧٥) « « « « ٣٣٢ «
١٧٦) « « « « ٣٣٣ «

١٢) عن ابيه ، عن اسمعيل بن صبيح اليشكري ، عن صباح بن واقد الانصاري ، عن سعيد بن طريف ، عن عكرمة[١٧٧] ، عن ابن عباس .

١٣) عن ابيه ، عن يحيى بن ابراهيم ، عن عبد الواحد بن زيد[١٧٨] ، عن راشد (مولى عثمان) عن عثمان بن عفان .

١٤) عن سفيان بن وكيع ، عن جميع بن عمر العجلي .

١٥) عن الحسن[١٧٩] بن عمر ، عن شقيق البلخي ، عن سليمان بن طريف ، عن مكحول[١٨٠] ، عن ابي الدردا .

١٦) عن الفضل بن محمد ، عن ابراهيم بن الوليد ، عن عبد الملك[١٨١] بن عمر ، عن ابي يونس[١٨٢] (مولى ابن هريرة) ، عن عبد الرحمن بن سمرة[١٨٣] .

١٧) عن عمر بن عمر ، عن محمد السري[١٨٤] ، عن السويد[١٨٥] ، عن عيسى بن موسى الغساني ، عن ابي حازم[١٨٦] ، عن سهل بن سعد[١٨٧] .

١٨) عن ابيه ، عن محمد بن الحسن[١٨٨] ، عن ابن المبارك[١٨٩] ، عن ابن ابي لهيعة[١٩٠] .

١٩) عن ابيه ، عن اسماعيل بن سلمة ، عن عبدالله بن وهب المصري[١٩١] ، عن ليث بن سعد[١٩٢] ، عن ابي عجلان .

٢٠) عن المؤمل بن هشام ، عن اسماعيل[١٩٣] بن ابراهيم ، عن غالب القطان[١٩٤] ، عن ابي بكر بن[١٩٥] عبدالله المزني .

٢١) عن الحسن بن سوار ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن[١٩٦] .

---

١٧٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٣٥٣ (نص) ١٨٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٤٠٩ (نص)
١٧٨) « « « « ٣٩٦ « ١٨٨) « « « « ٤١٢ «
١٧٩) « « « « ٣٩٧ « ١٨٩) « « « « ٤١٣ «
١٨٠) « « « « ٣٩٨ « ١٩٠) « « « « ٤١٤ «
١٨١) « « « « ٣٩٩ « ١٩١) « « « « ٤١٥ «
١٨٢) « « « « ٤٠٠ « ١٩٢) « « « « ٤١٦ «
١٨٣) « « « « ٤٠١ « ١٩٣) « « « « ٤٣٦ «
١٨٤) « « « « ٤٠٦ « ١٩٤) « « « « ٤٣٧ «
١٨٥) « « « « ٤٠٧ « ١٩٥) « « « « ٤٣٨ «
١٨٦) « « « « ٤٠٨ « ١٩٦) « « « « ٤٣٩ «

٢٢) عن رزق‌الله بن موسى البصري، عن معن بن عيسى[١٩٧] عن مالك[١٩٨]، عن صفوان بن حكيم، عن عطاء بن يسار[١٩٩]، عن ابي سعيد الخدري .

***

اما اتباع الشيخ الحكيم الترمذي ومريدوه، الذين اخذوا عنه واذاعوا تعاليمه، فقدرهم بحسب ما حفظ التاريخ اسماءهم لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة الا قليلا !

وهم :

١) ابو محمد يحيى بن منصور القاضي، من محدثي نيسابور[٢٠٠] .

٢) منصور بن عبدالله بن خالد الهروي[٢٠١]

٣) الحسن بن علي الجوزجاني[٢٠٢] .

٤) احمد بن محمد بن عيسى[٢٠٣] .

٥) ابو بكر بن الوراق[٢٠٤] .

٦) ابو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم[٢٠٥] .

***

ويبدو واضحاً من هذا الثبت ان حظ شيخنا من الاتباع والمريدين كان ضئيلا لا يتناسب تماماً وجلال قدره وعظيم خطره . والواقع اننا لا نستطيع

---

١٩٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٤٤٣ (نص)

١٩٨) « « « « ٤٤٤ «

١٩٩) « « « « ٤٤٥ «

٢٠٠) راجع ترجمته في شذرات الذهب ٣ : ٩ — حلية ١٠ : ٢٢٠

٢٠١) « « في تاريخ بغداد ١٣ : ٨٤

٢٠٢) « « في طبقات الصوفية ٢٤٦–٢٤٨ والحلية ١٠ : ٣٥٠ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٤

٢٠٣) « « « « « ٢٤٩ — ٢٥٣ وصفة الصفوة ٢ : ٢٢٣ وتاريخ بغداد ٥ : ٦٠ وطبقات الشعراني ١ : ١١٥

٢٠٤) راجع ترجمته في طبقات الصوفية ٢٢١ — ٢٢٧ والحلية ١٠ : ٢٣٥ — ٢٣٧ ونتائج الافكار القدسية ١ : ١٦٦–١٦٧ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٦ وصفة الصفوة ٤ : ١٢٩ والرسالة القشيرية ٢٩

٢٠٥) راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ١٥٠

تحديد اثره فيمن كان بعده من الصوفية وتأثيرهم عن طريق تلامذته ومريديه فحسب . وانما يتجلى تأثير حكيم ترمذ في البيئة العلمية الاسلامية بوساطة كتبه ورسائله العديدة التي حفظ الزمن القسم الاعظم منها لحسن الحظ[٢٠٦] . وان بقاء اكثر مؤلفات الشيخ الترمذي في دور المكاتب، ان في الشرق او في الغرب، لدليل بارز على عناية العلماء البالغة به وشيوعها في الاوساط الاسلامية المختلفة .

فابن عربي، شيخ الصوفية الاكبر، يردد كثيراً اسم حكيم ترمذ وافكاره في جملة من تآليفه . وقد عقد فصلاً طويلاً من فصول الفتوحات شارحاً فيها اسئلة الحكيم الروحانية التي اودعها في « ختم الاولياء » . وقد كان ابن عربي من قبل قد جرد كتاباً مستقلاً لنفس الموضوع وهو : « الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم » .

ومن قبل ابن عربي، الشيخ ضياء الدين عمار بن محمد بن عمار البدليسي، المتوفي سنة ٥٩٠ للهجرة، كان في كتابه « بهجة الطائفة بالله العارفة » قد استفاد كثيراً من « ختم الاولياء » للحكيم الترمذي، لا سيا في الفصول الاخيرة من تأليفه[٢٠٧] . وكذلك حجة الاسلام، الامام الغزالي، قد اقتبس من كتاب « الاكياس والمغترين » في آخر الربع الثالث من الاحياء عند كلامه على ذم الغرور[٢٠٨] . « وابن القيم الجوزية ينقل فقراً من كتاب « الفروق » لشيخ ترمذ في كتابه : « الروح »[٢٠٩] .

ومؤلفات الحكيم الترمذي تصور الوان الثقافة الاسلامية السائدة في عصره خير تصوير ؛ فقد وقف صاحبها كل نشاطه العلمي والفكري على علمي الحديث والتفسير ومناهج السلوك وحكمة الشريعة والرد على بعض الفرق الضالة وتمتاز آثاره كلها بالنضوج والوضوح وعمق التجربة الروحية والعلمية في آن معا . وان

٢٠٦) انظر L. Massignon, L. T. p. 264.

٢٠٧) « بهجة الطائفة بالله العارفة » مخطوط برلين رقم ٢٨٤٣ : ١ - ٤٦ ب والمواضع التي يكثر فيها النقل من « ختم الاولياء » هي : ٣٤ب - ٣٤ب، ٤٤ب، ٤٥ ; ٤٦ .

٢٠٨) راجع نيقولا هير: مقدمة كتاب الفرق بين الصدر والقلب، ١٢، ط . القاهرة (الحلبي) سنة ١٩٥٨

٢٠٩) كتاب الروح ص٣٨٢-٣٢٦ (ط. حيدر آباد سنة ١٣٥٧) (راجع نيقولا هير مقدمة كتاب الفرق بين الصدر والقلب ص ١٢) .

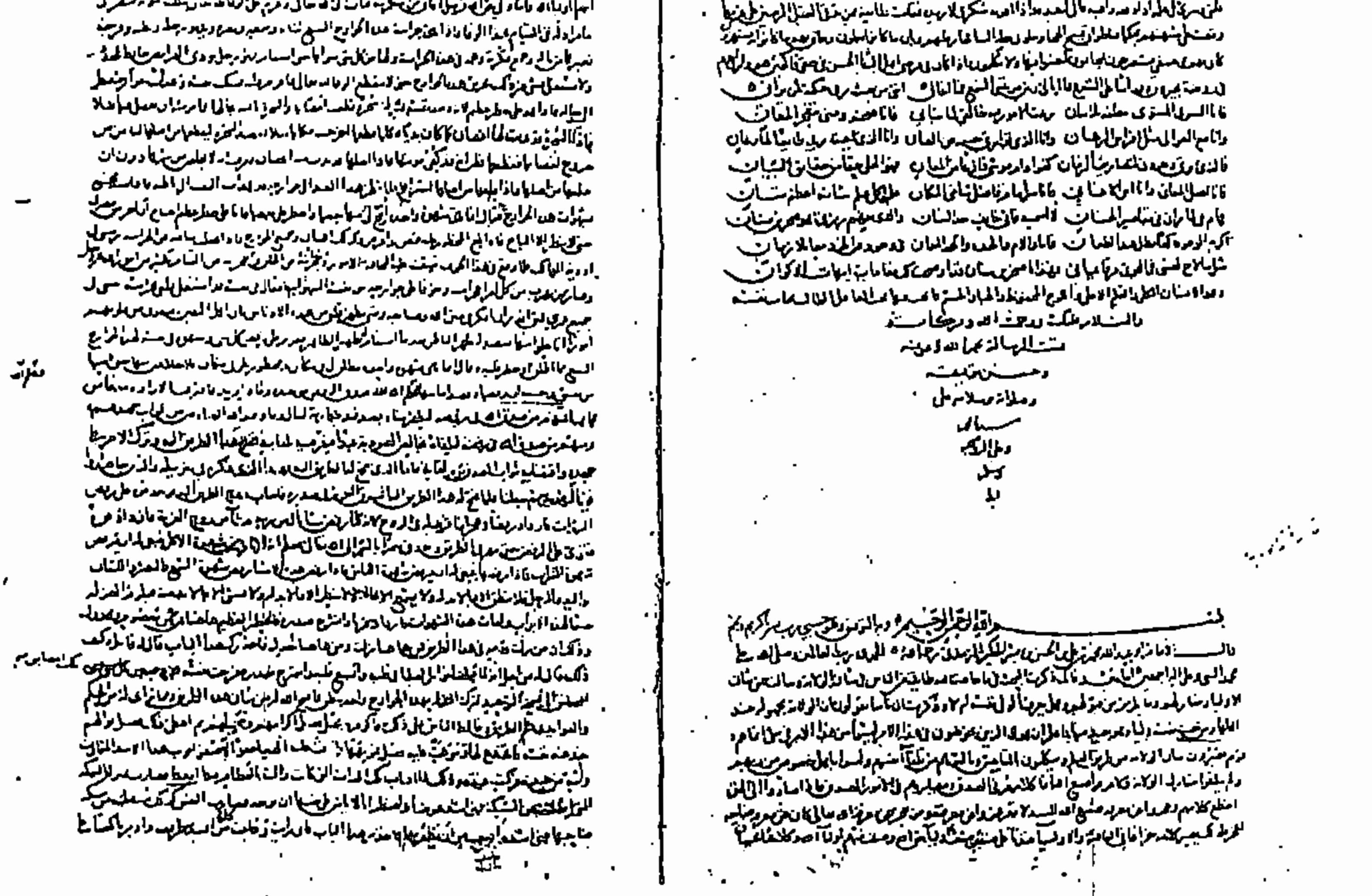
بسم الله الرحمن الرحيم

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ورقة من مخطوط كتاب « ختم الأولياء » نسخة الفاتح رقم ٣٢٢.

كثيراً من انتاج شيخ خراسان يبدو في صورة مسائل ورسائل سأله خلالها اصحابه واتباعه عن مشاكل نفسية واجتماعية عرضت لهم ويطلبون منه حلّاً لها. وعلى هذا، تعتبر مؤلفات الترمذي، في هذا الميدان، وثيقة هامة لفهم بعض جوانب ذلك العصر من الناحية النفسية والاجتماعية والفكرية[٢١٠].

هذا، وقد كنا اقمنا فهرساً عاماً لمصنفات الحكيم الترمذي، الموجود منها والمفقود، منذ ثلاث سنين تقريباً[٢١١]. ولكن في خلال هذه الفترة، جدت لنا بعض الوثائق استطعنا بها ان نضيف الى الفهرس القديم اسماء جديدة عن مؤلفات شيخ ترمذ. وها هي نتائج بحثنا نضعها امام انظار المهتمين بالدراسات الصوفية عامة، وبالترمذي خاصة :

١) تحليل مجموعة ليبزيج رقم ٢١٢ (القسم العربي D. C. 339)

الرسالة الاولى : ورقة رقم ١ب – ٣ب

عنوان : مسألة جهد النفس حجاب المنة .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي رحمة الله عليه . جهد النفس حجاب المنة وجهد القلب هتك حجاب المنة . . .

٢١٠) انظر مثلاً جوابه الى ابي عثمان النيسابوري (احد كبار شيوخ الملامتية في عصره) وهو ينصحه في الكف عن الاستغراق في تتبع عيوب النفس لان ذلك يحجبه عما هو اهم، وهو المقصود الاعظم للصوفي : معرفة الله سبحانه (جواب كتاب من الري، مخطوط الظاهرية رقم ١٠٦ تصوف ١٠٩) . – وكذلك اجابته في نفس الموضوع الى محمد بن الفضل (من مشايخ بلخ الصوفيين) (مخطوط ليبزيج رقم ٢١٢–٦٦ب) . راجع ايضاً جوابه المفصل على المسائل التي وردت اليه من سرخس وفيها عرض لمشاكل مختلفة من الناحية الفقهية والنفسية والروحية مخطوط ليبزيج ٢١٢ / ٦٩أ–٨٨ب) الخ . . .

٢١١) نشر هذا البحث في (*Mélanges L. Massignon* III, pp. 411-480) سنة ١٩٥٧ . وقد نشر المستشرق الفاضل الاستاذ نتولا هير سنة ١٩٥٨ في مقدمة تحقيقه لكتاب « بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » للحكيم الترمذي ثبتاً بمؤلفات الحكيم الترمذي يحسن الرجوع اليه .

نهاية : ... فاذا رجع من عنده رجع بعهد الولاية ، فهو امير الدين وله ملك الدين[٢١٢] .

الرسالة الثانية : ورقة رقم ٣ب — ٥ا

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : قال له قايل : نرى صنفين في هذا الدين ينتحلون الفقه وعلم الرأي وصنف ينتحلون الحديث ونلاحظها فيرى ...

نهاية : ... واهل الحديث كثر تردد هذه الاخبار على اسماعهم فخلصت الى النفوس ... فذلتها وقمتها ، وان لم يقصدوا لها ، فرئي (الاصل : فرى) اثر ذلك وبركته عليهم[٢١٣] .

الرسالة الثالثة : ورقة رقم ٥ا — ٥ب

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : قوله (تعالى) ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ فالدعاء بالحكمة ان يدعوهم بلا علاقة . والعلاقة ان يدعوهم مقتدرًا على ان يقبلوه ...

نهاية : ... فانما قيل وعظ ، أي اثار تلك الاشياء عن نومها حتى انتبهت

٢١٢) العنوان الذي ذكره الناسخ لمجموع هذه الرسائل والمسائل ، في ظهر الكتاب هو : « الدر المكنون في اسئلة ما كان وما يكون . جمع الشيخ الاستاذ العارف المرشد الفقيه الصوفي ابي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي ... » . اما في الورقة الاولى ب فيوجد على رأسها هذا العنوان : « كتاب المسايل المكنونة » بخط الناسخ الاصلي ايضًا . ولا ريب ان هذين العنوانين هما من وضع الناسخ نفسه ولا يدلان على شيء من حقيقة او مضمون محتويات المجموع . وفي هذه الرسالة او المسألة الاولى يبين الحكيم الترمذي الفرق بين مجهود النفس ومجهود القلب وحجب النفس وحجب القلب ايضًا .

٢١٣) يميز الشيخ في هذه المسألة بين رجال الحديث ورجال الفقه ويوجه النقد اللاذع لهؤلاء الاخيرين . فاصحاب ابي حنيفة قد جمعوا في زمانه علوم الاحكام في اكثر من الف جلد ... وليس فيها شيء من ذكر المعاد « وصفة الجنة والنار وصفة الموت والبرزخ وما فيه من الاهوال ... اي ان الفقهاء قد ابتعدوا عن القصد الاعظم لحكمة الدين . »

وقويت واشتدت. والنعظ هو ثوران الشهوة من النفس حتى تنتشر... والوعظ ثوران هذه الاشياء التي وصفنا[٢١٤].

الرسالة الرابعة : ورقة رقم ٥ب — ٦أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ ثم استثنى فقال : ﴿الا اصحاب اليمين﴾ فهذا كسب النفس . فتصير النفس رهينة عند الحق لانها خلقت للعبودة بالحق ...

نهاية : ... لان ولد آدم وضعت المعرفة عندهم امانة فصاروا كلهم رهين الامانة . فلا يفكهم الا جوده[٢١٥].

الرسالة الخامسة : ورقة رقم ٦أ — ٦ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) ﴿سبح اسم ربك﴾ أمره ان يسبح ذلك الاسم الذي للرب، وهو الاسم المكنون المخزون ...

نهاية : ... «واسألك بعزتك التي اشتققتها من اسمك المخزون الذي لم يطلع عليه حجابك فخلقت به خلقك» . وحجابه : ملك الرحمة وملك العظمة وملك الجلال وملك الجمال وملك البهاء وملك البهجة وملك السلطان فهؤلاء ، الحجاب[٢١٦].

الرسالة السادسة : ورقة ٦ب — ٧ب

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : الخشية من العلم بالله والخوف من المشاهدة. الخشية ممزوجة والمشاهدة منصوصة ...

---

٢١٤) تفسير آية ١٢٥ من سورة النحل (١٦) وفيها تحليل لمعاني الحكمة والموعظة من الوجهة اللغوية والصوفية .

٢١٥) تفسير آية٣٨ من سورة المدثر(٧٤) ويلاحظ ان الشيخ هنا يرى ان تحرير النفس هو بالمعرفة والشهادة (التوحيد) .

٣) يفسر الشيخ هنا آية «سبح اسم ربك الاعلى» من سورة الاعلى (٨٧) وآية «اقرأ باسم ربك الذي خلق» من سورة العلق ٩٦) ويرى الشيخ ان اسم «الرب هو الاسم

نهاية : ... فمثل صاحب الخشية كمن رأى اثر مخالب الاسد على الطريق . ومثل الخائف كمن شاهد الاسد ولقيه واقفاً على الطريق . وهو قوله تعالى :﴿ ان ربك لبالمرصاد ﴾[٢١٧] .

الرسالة السابعة : ورقة رقم ٧ب — ٨أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : نظر يوماً الى المقابر . فقال : قدمتم على الله بلا اله الا الله ؟ طاب مقدمكم ! ...

نهاية : ... « كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم »[٢١٨] .

الرسالة الثامنة : ورقة رقم ٨أ — ٨ب

عنوان : مسألة اخرى :

بداية : قال وجدت الروح متمكناً في جميع الجسد من القرن الى القدم الى الظفر ...

نهاية : ... فأيد الله الانبياء والاولياء بهذا الحب حتى صفت لهم العبودة وجروا في ميدان المشيئة على الجود والسماحة وبذل النفس وهشاشة الروح وبشاشة القلب[٢١٩] .

الرسالة التاسعة : ورقة رقم ٨ب — ٩أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : جعل الله هذا الآدمي اميراً على الدنيا بما فيها ليغذو بدنه بها وجعل قلبه اميراً على جوارحه وجعل معرفته اميراً على قلبه ...

المكنون المخزون . وهو يقابل « البادشاه » الملك وهو الذي به يتحقق الخلق والايجاد .

٢١٧) اصحاب الخشية هم اهل العلم بالله اما اصحاب الخوف فهم ارباب المشاهدة . فمثل الاوائل ، « كمثل رجل في نهر . . . ومثل الآخرين كمثل رجل في بحر . . . » فالمشاهدة تصهر النفس وتميت فيها الشهوات فيصبح « القلب اجرد ازهر يتلألأ بنور الله » .

٢١٨) تأملات في المقابر وبيان لاهل « لا اله الا الله » ولغير اهلها .

٢١٩) تحليل لطبيعة الروح وصلاتها مع النفس والقلب .

نهاية : ... وثمرة الولاية الملكة في دار ملكه لانه صالح لدار المملكة . ومن جار في امارته عزل عن الامارة وغاب عن دار المملكة. والجور يودي الى الخروج حتى يصير خارجياً من الخوارج(٢٢٠) .

الرسالة العاشرة : ورقة رقم ٩أ — ١٣ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال رحمه الله : خلق الله هذا الادمي وخلق في جوفه بضعة من لحم سماه قلباً، لتقلبه، وجعله اميرا على الجوارح ووضع في القلب معرفته...

نهاية : ... فانك اذا تركت مشيئتك في الامور فانما تترك الشهوات . فاذا فعلت ذلك جاءتك المكاره وضقت بها ذرعاً والتوت النفس وترددت. حتى اذا بلغت المنتهى وذابت عنك المشيئات وهانت عليك المكاره فعندها فابشر وتوقع اقبـال الله عليك بالكرامة فانه كريم رحيم ودود(٢٢١) .

الرسالة الحادية عشر : ورقة رقم ١٣ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : وجدنا الهوى مهيج للشهوات والعقل مهيج للعلوم والمعرفة ...

نهاية : ... فاذا سد مجاري الهوى كانت الشهوات هيجانها لاحقاً بالمعرفـة وحلاوتها بحلاوة الحب، مختلطة(٢٢٢) .

الرسالة الثانية عشر : ورقة رقم ١٣ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : الحمد لله الذي وضع فيك من الاشياء التي اختارهـا ووقعت خيرته عليها : مثل العقل والعلم والحفظ ...

٢٢٠) مكانة الانسان في العالم ومنزلته عند الله . جذور فكرة «الانسان الكامل» في التصوف الاسلامي .

٢٢١) تحليل لبنية الانسانية ومقوماتها الطبيعية والنفسية: القلب، العقل ، الروح، النفس، وبيان لمكانة الانسان في العالم ومنزلته عند الله .

٢٢٢) وصف ، في بضعة سطور، لمظاهر الشهوة وعواملها في الانسان .

نهاية : ... ويثيبه غداً على تلك المحاسن « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً[٢٢٣] .

الرسالة الثالثة عشر ورقة رقم ١٣ب

عنوان : مسألة .

بداية : « المهيمن » ينفي المحدودية والكيفية عن قلوب الموحدين ويطرد وساوسها .

نهاية :[٢٢٤]

الرسالة الرابعة عشر : ورقة رقم ١٣ب — ١٤أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله تعالى: ﴿ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ ينبئك ان الساقط عن الله يحتاج الى من يشفع له...

نهاية : ... ألا ترى انه قال في الآية « جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » فعند ذلك يجد الله فاذا وجده وجده «توابا رحيماً»[٢٢٥] .

الرسالة الخامسة عشر : ورقة رقم ١٤أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : انما تعظم الامور عن اهلها بمعرفتهم باقدارها . وانما يعرف اقدارها من عرف جواهرها . وانما يعرف جواهرها من خلص الى اصولها ...

نهاية : ...وهذا شأن الصديقين في الامور والاصفياء اهل البناء واليقظة[٢٢٦] .

---

٢٢٣) يبدو ان هذه المسألة الصغيرة هي خطاب الى شخص ، غير معرف .وفيها يوضح الشيخ جنود المعرفة في القلب الانساني : العقل والعلم والحفظ والذهن والفهم والفطنة .

٢٢٤) سطر واحد يقتصر فيه على ذكر خاص اثر الاسم الالهي : « المهيمن » .

٢٢٥) تفسير آية ٦٤ من سورة المائدة (٤) وفيها يبين ان شفاعة الرسول انما هي للساقطين ، حتى يردهم الى مقامهم .

٢٢٦) الرجوع بكل شيء الى اصله ، الذي منه ابتدأ ، هو شأن الصديقين .

الرسالة السادسة عشر : ورقة رقم ١٤ا — ١٤ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : الميراث ، على تقدير مفعال ، مأخوذ من الرثة وهي ما ضمها البيت وجمعها بعد تفرقها . ولذلك سمى الوارث وارثاً ...

نهاية : ... وقوله (عليه السلام) : «لا نورث ما تركناه صدقة» اي لا نورث كما يرث الناس بعضهم بعضاً . لانا لا نملك الاشياء كما يملكون : انا نملكه لله وليس للنفس فيه دعوى[٢٢٧] .

الرسالة السابعة عشر : ورقة رقم ١٤ب — ١٥ا

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : مظهر القلوب ومجمعها عند اسم «الله» . ثم صدروا من عند المجمع بشهوات النفس . فاما الموحدون فاغاثهم بنور المعرفة حتى وحدوه...

نهاية : ... ثم حال بين قلوبهم وبين نفوسهم . لان القلوب في القبضة فلا تقدر النفس ان تعمل شيئاً . ثم لا يزال يؤدبه ربه ويميت من نفسه . تلك الشهوات حتى تستقر وينقاد القلب[٢٢٨] .

الرسالة الثامنة عشر : ورقة رقم ١٥ا

عنوان : مسألة :

بداية : قال : وجدت للصابر ست خصال ، في كل امر يجد عليه صبراً . اولها محبة الله ...

نهاية : ... والسادسة بشرى بانه من المهتدين . وذلك قوله : «اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون[٢٢٩] .

٢٢٧) تفسير معنى الارث من الوجهة اللغوية والصوفية . وتفسير معنى الملك بالنسبة للعامة وبالنسبة للاولياء والانبياء . وتفسير معنى الحديث الشريف : «لا نملك ما تركناه صدقة» .

٢٢٨) بنور المعرفة الذي هو نور التوحيد زالت من قلوب الموحدين شهوة الشرك . — السائرون الى الله بقلوبهم حلوا عقد نفوسهم شهوة شهوة . — المجذوبون (اهل المشيئة) جذب الله قلوبهم اليه ثم اخذها من نفوسهم .

٢٢٩) جزاء الصابر على صبره : محبة الله ، حظوة الله ، كرامة الله ، صلوات الرب ، رحمة الرب ، البشرى .

الرسالة التاسعة عشر : ورقة رقم ١٥ أ — ١٥ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال ، رحمة الله عليه : العبد خرج من اسمه « الله » واثما اخرجه للعبودة واذا قال : « بسم الله » تفرغ من الاشياء ورجع الى الوهيته يتحصن بها . . .

نهاية : . . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان يوماً لا ازداد فيه علماً يقربني الى الله لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم[230] » .

الرسالة العشرون ورقة : رقم ١٥ ب — ١٧ ب

عنوان : كتب الامام ابو عبد الله ، رحمة الله عليه ، الى محمد بن الفضل جواب كتابه .

بداية : فأما ما ذكرت ، اكرمك الله ، من المصايب : فمصايب النفس كائنة ولكنها تهون في جنب مصايب القلوب وان من اعظم مصايب القلوب حجبها عن الله . . .

نهاية : . . . فخرجوا من الدنيا عطاشاً . . . لانهم عجزوا عن احتماله ايام الدنيا من اجل النفوس والهوى والعدو . جعلنا الله واياك من اهل ذكره والسعادة به . آمين ! (يا) رب العالمين[231] .

---

٢٣٠) اهل اليقظة بالنسبة الى عبوديتهم امام الله على صنفين ، ١ : المؤدي للفرائض والحافظ لجوارح ؛ ٢ : ومن جاوز هذا كله واحكمه ثم امعن في ازدياد العلم بالله .

٢٣١) « محمد بن الفضل البلخي » اصله من بلخ ولكنه اخرج منها فدخل سمرقند ونزلها ومات فيها سنة ٣١٩ للهجرة . صحب احمد بن خضرويه وغيره من المشايخ وهو من اجلة مشايخ خراسان ولم يكن ابو عثمان (الحيري النيسابوري احد شيوخ الملامتية الكبار في وقته) يميل الى احد ميله اليه (طبقات الصوفية ٢١٢) . والترمذي في رسالته هذه يبين للشيخ ابن الفضل ان مصائب النفس تهون في جنب مصائب القلب . وان اعظم مصائب القلب الانحجاب عن الله سبحانه وان المحجوب عن الله لا تنتهي آلامه لا في الدنيا ولا في الآخرة . راجع ترجمة الفضل بن محمد البلخي في الحلية ١٠ : ٢٣٢ وصفة الصفوة ٤ : ١٣٨ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٦ والرسالة القشيرية ٢٧ ومعجم البلدان ١ : ٧١٣ ؛ ٢ : ٧٢١ ؛ ٣ : ٢١٠

الرسالة الحادية والعشرون : ورقة رقم ١٧ب — ١٨أ

عنوان : المسألة اخرى .

بداية : قال : وجدنا قوله عليه السلام : « انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا قالها العبد ضحك الرب » كذلك روى لنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم . . .

نهاية : . . . والضحك هو انفتاح الشي. . فكأنه يؤدي ان ضحكه (= الله تعالى) انفتاح الرأفة حتى يدخل في متوسطها فتغمره الرأفة وتكتنفه. فعندها صار في كنف الله واذا صار في كنفه وقع في المأمن[٢٢٢] .

الرسالة الثانية والعشرون :ورقة رقم ١٨أ — ١٩أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : وجدنا « الحمد » كلمة جامعة شاملة يخرج العبد بها الى الله من اثقال عطاياه ومننه . . .

نهاية : فصار حمدك بين يدي عظمتك عش حمد اوليائك واحبابك. ثم جعلت لاعين افئدتهم طريقاً الى ذالك العش ليحمدوك فيه فيقر حمدهم وحمدك. فهذا منتهاه[٢٢٣] .

الرسالة الثالثة والعشرون:ورقة رقم ١٩أ — ١٩ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال رحمة الله عليه : أعطى الله الآدميين معرفته فقبلوها ثم اعترضهم فعرضوا عليه القبول فقبل قبول الموحدين ولم يقبل قبول من سواهم. . .

نهاية : . . . فالذين الذين قلوبهم خالية من تلك المحبة فلذلك اتبعوه بحرته ودعائه وقدر على استفزازهم[٢٢٤] .

وشذرات الذهب ٢: ٢٨٢ ومرآة الجنان ٢: ٢٧٨ والمنتظم ٦: ٢٣٩ ونتائج الافكار القدسية ١: ١٥٥-١٥٧ وسير اعلام النبلاء ٩: ٢٧٦أ—٢٧٧أ وطبقات الصوفية ٢١٢-٢١٦

٢٢٢) الرأفة الالهية حجاب بين ذنوب العباد وعظمة رب الارباب ولولاها لاحرقتهم انوار العظمة تلو الذنوب .

٢٢٣) يشرح الشيخ في هذا الفصل معنى الحمد في مقابلة افضال الرب.

٢٢٤) ثبات الموحدين على التوحيد الاصلي "الذي هو دين الحنيفية الصرف" انما هو بفضيلة المحبة .

الرسالة الرابعة والعشرون : ورقة رقم ١٩ب — ٢٠ب

عنوان : واجاب عبدالله رحمة الله عليه بعض اخوانه في كتابه كتبه اليه.

بداية : أما ما ذكرت من منة الله علينا بهذا العلم الذي وسمه علينا فان للعلم شرة وفترة ...

نهاية : ... وكذلك عادة المحبين: اوفرهم حظاً من الحب اظهرهم جوداً[٢٣٥].

الرسالة الخامسة والعشرون : ورقة رقم ٢٠ب — ٢١أ

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : قوله (تعالى) : ﴿لا تدركه الابصار﴾ فانما ذكر الابصار ولم يذكر سائر الاعضاء، كقوله : لا تلمسه الايدي . . . لان البصر فيه حياة الروح . . . فهو أحد وأقوى من سائر الاعضاء...

نهاية : ... و«الهاء» هو الهوية فانما ينظر العباد الى الصفات فامّا «هو» فلا يدرك في الدنيا ولا في الآخرة[٢٣٦].

الرسالة السادسة والعشرون : ورقة رقم ٢١أ — ٢١ب

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : قال رحمه الله: الوقوف بباب الجنة لعمال الله والوقوف بباب الله ل(اهل) قبول مشيئات الله ...

نهاية : ... ليقووا على قبول حكم الله منقادين مهتشين سروراً وطيب نفس به[٢٣٧].

---

٢٣٥) رسالة الى بعض اخوان الشيخ، لم يعرف صاحبها. يذكر فيها الحكيم الترمذي قدر العالم بالله ويبين قضية داود عليه السلام ويرد على بعض الاخبار المنسوبة اليه.

٢٣٦) تفسير آية ١٠٣ من سورة الانعام (٦). ويبين الشيخ هنا ان مسألة جواز رؤية الله في الآخرة وعدمها لا تعلق لها بهذه الآية الكريمة.

٢٣٧) باب الجنة تؤدي اليه العبادات والطاعات، وباب الله يؤدي اليه اخلاص العبودية لوجهه الكريم. الاولون، على نحو ما، ارقاء والآخرون، احرار طلقاء.

الرسالة السابعة والعشرون : ورقة رقم ٢١ أ

عنوان : —

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : تسبيح نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، سبحان الله فقط ...

نهاية : وتسبيح سائر الانبياء ، عليهم السلام ، مداخل في الاشياء[٢٣٨] .

الرسالة الثامنة والعشرون : ورقة رقم ٢١ ب

عنوان : —

بداية : قال : نظرت ما الذي وجد المؤمنون من ربهم حتى استقرت قلوبهم ...

نهاية : ... ثم قيدها بالحب وقيد النفس بحلاوة الحب وبهـا(.) العقل حتى ثبتت[٢٣٩] .

الرسالة التاسعة والعشرون : ورقة رقم ٢١ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (عليه السلام) : « من وافق من اخيه المسلم شهوة غفر له » ...

نهاية : ... فالشأن في هذا الامر هل صيّر نفسه فارغاً حين انقضت الحاجة[٢٤٠] .

الرسالة الثلاثون : ورقة رقم ٢١ ب — ١١ أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : « ولو انهم آمنوا واتقوا لتوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » ...

نهاية : ... لانهم شروا انفسهم بالتقوى فتبروا من نفوسهم ورفعوا البال منها فنالوا المنى (الاصل : المنا) واولئك السحرة شروا نفوسهم

---

٢٣٨) جمع كلمات فقط في التمييز بين تسبيح النبي محمد ، عليه الصلاة والسلام ، الذي هو تسبيح صاف ، وتسبيح سائر الانبياء ، حيث هو مداخل في الاشياء كما يقول شيخنا .

٢٣٩) « ان الله أحيا القلوب بنور الحياة ثم ابدا لهم من عظمته حتى امتلأت القلوب واستقرت » فذلك استقرار قلوبهم على الايمان به .

٢٤٠) جمع كلمات في شرح حديث شريف : « من وافق من اخيه المسلم شهوة غفر له » .

بالسحر فنالوا المنى[٢٤١] (المنا) .

الرسالة الحادية والثلاثون : ورقة رقم ٣٢ أ — ٣٢ ب .

عنوان : مسألة اخرى :

بداية : سورة البقرة في اولها نعت المؤمنين ثم نعت المنافقين ثم نعت الكافرين ...

نهاية : ... ومن ذهب الى ان « ام الكتاب » فهو كذلك ايضاً : هو في الذكر اولاً ثم ههنا[٢٤٢] (الاصل : ها هنا) .

الرسالة الثانية والثلاثون : ورقة رقم ٣٣ أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾ فلم يقل : من ذاك ...

نهاية : ... يعلمك ان صاحب الدعاء يحتاج الى ان يصل الى الباب فيقرعه ليدعو من قرب[٢٤٣] .

الرسالة الثالثة والثلاثون : ورقة رقم ٣٣ أ — ٣٣ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قوله (عليه السلام) « سبحان من تنفس كل حي بروحه » فالروح بدو الاشياء ...

نهاية : ... فالخلق خرجوا من عند « القدوس » مقدسين فتدنسوا بالآفات. فاذا قدسوه بقيت الزينة، التي من القدس، بالوفا(.) منهم مع الادناس. ولولا ذلك لتهافتت الزينة عنهم وذهبت زينة الاشياء وحسنها[٢٤٤] .

٢٤١) تفسير آية ١٠٣ من سورة البقرة (٢) . — تحليل تنافي حالة السحر في الساحر والكفر في الكافر والايمان في المؤمن .

٢٤٢) عرض موجز لموضوعات سورة البقرة العامة . خصوصية هذه الامة بالنسبة لسائر الامم .

٢٤٣) تفسير موجز لبعض آية سورة الكرسي : « من ذا الذي يشفع » (آية ٢٥٥ سورة البقرة : ٢) .

٢٤٤) شرح موجز لبعض الاحاديث الشريفة الخاصة بالتسبيح : « سبحان من تنفس كل

الرسالة الرابعة والثلاثون : ورقة رقم ٢٣ب

عنوان : مسألة .
بداية : قوله (تعالى) :﴿ انك كادح الى ربك كدحاً ﴾ ...
نهاية : ... وكذلك المعصية بقدح قلبه نفسه حتى يورى ظله المعصية[٢٤٥].

الرسالة الخامسة والثلاثون : ورقة رقم ٢٣ب — ٢٤أ

عنوان : مسألة .
بداية : قوله (تعالى) :﴿ خلقنا الانسان في كبد ﴾ ...
نهاية : ... فالكبادة من الانسان ان يكابد الاشياء بفضل القوة حتى يغلب ويملك ويقهر[٢٤٦] .

الرسالة السادسة والثلاثون : ورقة رقم ٢٤أ

عنوان : مسألة اخرى .
بداية : قوله تعالى :« افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه » ...
نهاية : ... ثم أَمْلهم فقال :« والله غفور رحيم »[٢٤٧] .

الرسالة السابعة والثلاثون : ورقة رقم ٢٤أ — ٢٤ب

عنوان : مسألة اخرى .
بداية : قوله (تعالى) :« واذا جاءك الذي يؤمنون بآياتنا ... »
نهاية : ... « ثم تاب من بعده واصلح» اي اصلح ما افسد« فانه غفور رحيم » اي فعول للمغفرة[٢٤٨] .

الرسالة الثامنة والثلاثون : ورقة رقم ٢٤ب — ٢٥أ

عنوان : مسألة اخرى .

حي بروحه » « سبحان من حياة كل شيء بتسبيحه » « سبحان من بقاء كل شيء بتقديسه».
٢٤٥) تفسير معنى الكدح الوارد في آية ٦ سورة ٨٤ (الانشقاق) راجع الفهرس العام رقم ٦٦ (R. G. n° 66)
٢٤٦) تفسير معنى كَبَد الوارد في آية ٤ سورة ٩٠ (البَلَد) .
٢٤٧) تفسير آية ٧٤ من سورة المائده (٥) .
٢٤٨) تفسير آية ٥٤ من سورة الانعام (٦) .

بداية : قال : علامة حب الرجل لعبد من عبيده ان يولي كل واحد منهم عملاً من وراء ويقول لذلك العبد : تول (الاصل :تولى) خدمتي حتى تكون بين يدي ..

نهاية : ... فكل حركات المؤمن (الاصل : المؤمنين) اذا كان لله فهو خدمة فاذا كان لنفسه فقد صار خادم نفسه فاذا كانت حركاته معصية فقد صار خادم عدوه[٢٤٩] .

الرسالة التاسعة والثلاثون : ورقة رقم ٢٥ أ

عنوان : مسألة أخرى.

بداية : ليس شيء في الدنيا أحلا ولا أشها من «الكام» – بالاعجمية – وهي تشبه النفس ...

نهاية : ... فان صفا(ء) المعرفة في ترك المشيئات والارادات . فهو الراضي عن الله « رضي الله عنهم ورضوا عنه » وأعد له رضوانه الاكبر في الفردوس الاعلى[٢٥٠] .

الرسالة الاربعون : ورقة رقم ٢٥ أ – ٢٥ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : نظرت في الفرق بين الهدية والهبة فوجدت ان الله ، تبارك اسمه ، ذكر في التنزيل هبة الاولاد ...

---

٢٤٩) جرى شيخنا في هذا الفصل ان الله « اخرج سائر الخلق ، ما عدا الانسان ، من القدرة فولاهم عمل السخرة واخرج الآدميين من باب الحب فولاهم الخدمة ليكونوا بين يديه ووضع فيهم الشهوة ابتلاءاً لينظر : من يميل منهم عن حلاوة المحبة الى حلاوة الشهوة وعن الفرح بالحب الى الفرح بالهوى ... » انظر الفهرس العام رقم ٦٠ (R. G. n° 60).

٢٥٠) اذا لم يذق الانسان حلاوة الحب الالهي فان شهوات النفس ومحبة الدنيا ستتولى عليه بلا ريب :

كانت لقلبي اهواء موزعة فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائي

هكذا يقول موله الحب الالهي ، الحلاج الكبير - وهذا الفصل القصير يدور حول هذه المسألة الهامة . — ويلاحظ ان كلمة « كام » الفارسية ، معناها الشهوات والملذات الجسدية . وقد استعملها الترمذي في مقابل «النفس» ؛ وهو يقصد بذلك ، مع سائر الصوفية ، « النفس الامارة بالسوء » و«النفس الشهوانية » .

نهاية : ... وما كان من لحم ودم وعرق فمن ما(ء) المرأة وهب تلك الخلقة للام . واما الهدية فهو مدك اليه بشيئته[٢٥١] .

الرسالة الحادية والاربعون : ورقة رقم ٣٥ب — ٣٦أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : المعرفة والعلم والعقل والفهم والذهن والحفظ هي (الاصل : هم) اشياء وضعت في الآدمي ...

نهاية : ... فمن مال عن الشهوات والهوى والعدو الى الله رشد . ومن مال عن الله الى الشهوات والهوى والعدو غوى وشقى وخاب[٢٥٢] .

الرسالة الثانية والاربعون : ورقة رقم ٣٦أ — ٣٧أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : اصل خروج الآدمي من باب الفرح ، ولي خلقه بيده لانه خلقه على صورته ...

نهاية : ... واكرم الله محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، من الفرح الغالب بالعصمة والثبات . فهذا اقوى[٢٥٣] .

الرسالة الثالثة والاربعون : ورقة رقم : ٣٧أ — ٣٧ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿ قل : من يكلؤكم (الاصل : يكلاوكم) بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ ...

نهاية : ... فاكنس هذه الارض ونجاستها وقامتها بالتسبيح حتى تطهر ارضي . فلذلك قيل : تسبيح تنزيه[٢٥٤] .

---

٢٥١) الفرق اللغوي بين الهبة والهدية واستعمالها في القرآن الكريم .

٢٥٢) يشرح الشيخ في هذا الفصل القصير كيف يصعد العمل من العبد الى الله وكيف يقبله الله منه .

٢٥٣) تحليل نفساني لطبيعة الفرح واثرها في الانسان في حياته النفسية والروحية . يميز الشيخ هنا بين نوعين من الفرح الصوفي : الفرح بالله والفرح بفضله ورحمته .

٢٥٤) تفسير بعض مفردات آية ٤٢ من سورة الانبياء (٢١) ، وتفسير آية ٣٧ من نفس السورة الكريمة وتفسير آية ٩٧ من سورة الحجر (١٥) .

الرسالة الرابعة والاربعون : ورقة رقم ٢٧ب

عنوان : مسالة اخرى .

بداية : روى في الحديث انه لا يبقى في الجنة من القرآن الا سورة طه ويس ...

نهاية : ... فاعطيت بنو اسرائيل الحرف الذي افتتح به سورة طه وهي الرحمة وافتتح السورة الاخرى (يس) بالياء وهو الفرح .. فامة بني اسرائيل مرحومة وهذه الامة ، محبوبة[٢٥٥] .

الرسالة الخامسة والاربعون : ورقة رقم ٢٧ب — ٢٩

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : « وان الى ربك المنتهى » « فالرب » اسم الملك فالى ما هنا منتهى القلوب ، وهو الظاهر وليس وراءه مذهب ...

نهاية : ... فانما عظمت هذه العقوبة لانهم فرحوا وصرفوا ذلك الفرح الى حظ العدو الذي اعطى لبلوى الآدميين[٢٥٦] .

الرسالة السادسة والاربعون : ورقة رقم ٢٩أ

عنوان : مسالة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : « عالم الغيب والشهادة . » فالغيب ما بطن في الذات والشهادة ما ظهر من الملك ...

نهاية : ... فالقائمون بالتسبيح والتقديس ، من معدن طهارات القلوب ، هم

٢٥٥) يفسر الشيخ هنا هذا الحديث بان « عامة اهل الجنة هم من الامة المحمدية واليهود » فسورة « طه » رمز لبني اسرائيل وسورة « يس » رمز لامة محمد عليه الصلاة والسلام !

٢٥٦) يفسر الشيخ هنا آية ٤٣ من سورة الطور (٥٣) وآية ٥٤ من سورة طه (٢٠) ويشرح معاني الرشد والغي وحديث : « ما احل الله شيئاً احب اليه من النكاح وما أحلَّ شيئاً ابغض اليه من الطلاق » .

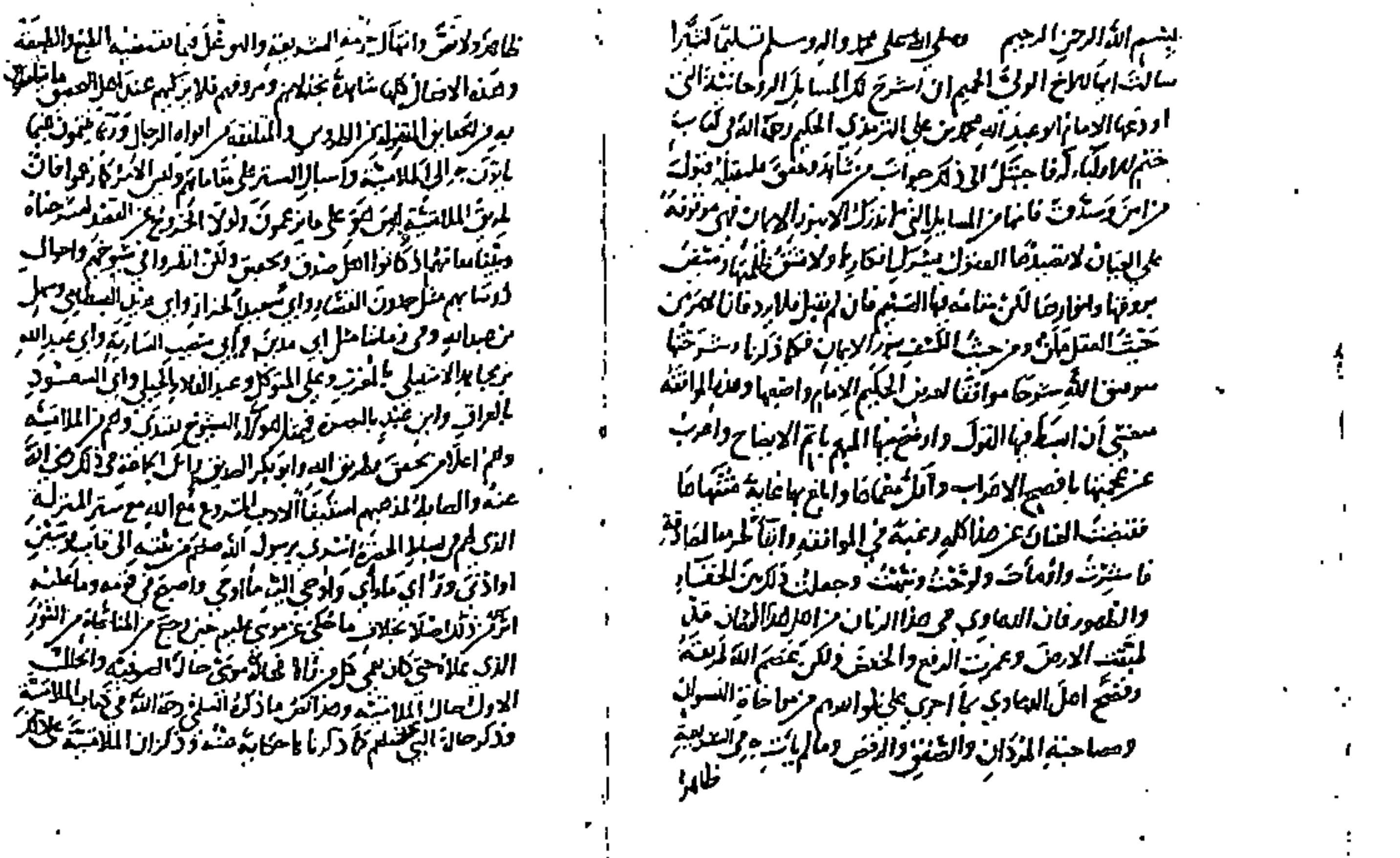

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا
سألت أيها الأخ الولي الحميم أن أشرح لك المسائل الروحانية التي
أودعها الإمام أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم رحمه الله في كتاب
ختم الأولياء كما جنح إلى ذلك جواب من شاهد وحقق ملتقيا بقوله
من أمر [illegible] فإنها من المسائل التي لا تدرك إلا بنور الإيمان فهي موقوفة
على العيان لا تقيدها العقول [illegible] إنكارها ولا [illegible]
بعوقها وأنوارها لكن [illegible] فيها التسليم فإن لم يقبل فلا يرد فإن الأمر من
حيث العقل [illegible] ومن حيث الكشف بنور الإيمان فكما ذكرنا وشرحنا
[illegible] الله شرحا موافقا لغرض الحكيم الإمام واضعها وعلى الموافقة
معنى أن أبسط فيها القول وأوضح فيها المبهم بأتم الإيضاح وأعرب
عن [illegible] بأفصح الإعراب وآتي [illegible] وأبلغ بها غاية منتهاها
فقبضت العنان عن هذا كله رغبة في الموافقة وإنما [illegible] العادة
فأشرت وأومأت ولوحت ونبهت وجعلت ذلك من الحجاب
والظهور فإن الهادي [illegible] من أهل هذا الشأن [illegible]
[illegible] الأرض وعرفت الرفع والخفض ولكن عصم الله [illegible]
وفتح أهل الهادي بما أجرى على [illegible] من مواخاة [illegible]
ومصاحبة [illegible] والشفقة والرفض وما لم يأت به في الشريعة
ظاهرا

ظاهرا ولا نص وأنها خارجة من الشريعة والتوغل فيما تقتضيه [illegible]
وهذه الأحوال كلها شاهدة بخذلانهم ومروقهم فلا يركبهم عند أهل العمق ما يلبسون
به من [illegible] المتقول عن [illegible] والمتلقفة من أفواه الرجال وربما ينتمون فيها
وينسبون إلى الملامتية وأسباب الستر على مقاماتهم وليس الأمر كما زعموا فإن
طريق الملامتية أشرف وأعلى مما يزعمون ولولا الخروج عن القصد لشرحناه
وبيناه إذ كانوا أهل صدق وتحقيق ولكن انظروا في شيوخهم وأحوال
[illegible] مثل حمدون القصار وأبي سعيد الخراز وأبي يزيد البسطامي وسهل
بن عبد الله ومن زماننا مثل أبي مدين وأبي شعيب [illegible] وأبي عبد الله
[illegible] الإشبيلي بالمغرب وعلي المتوكل وعبد [illegible] الجبلي وأبي السعود
بالعراق وابن [illegible] باليمن فهؤلاء الشيوخ [illegible] وهم من الملامتية
وهم أعلام محققون بطريق الله وأبو بكر الصديق رأس الطائفة في ذلك رضي الله
عنه والصحابة مذهبهم استعمال الأدب المتورع مع الله مع ستر المنزلة
الذي لم [illegible] أسرى برسول الله صلعم من [illegible] إلى [illegible]
أو أدنى [illegible] ما رأى وأوحى إليه ما أوحى وأصبح في قومه وما [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] ما حكي عن موسى عليه [illegible] من المناجاة [illegible]
الذي [illegible] حالة الصوفية والخلق
الأول حال الملامتية وهذا أكثر ما ذكره السلمي رحمه الله في كتاب الملامتية
وذكر حالة النبي صلعم كما ذكرنا ما حكاه عنه وذكر أن الملامتية على [illegible]

ورقة من مخطوط كتاب « الجواب المستقيم » لابن عربي ، نسخة بايزيد رقم ٣٧٥٠

ائمة (الاصل : امم) الخلق في التسبيح والتقديس وبهم تقوم الارض وتدوم النعم على اهلها[٢٥٧] .

الرسالة السابعة والاربعون : ورقة رقم ٢٩ب — ٣٣أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : القوة في العروق لان القوة مع الدم وفي الدم . . .

نهاية : . . . أفضل الشهداء عند الله الذين يلقون في الصف الاول فلا يلفتون (الاصل : ملتفون) وجوههم حتى يقتلوا اولئك يتليطون في الغرف العلى من الجنة يضحك اليهم الرب ان ربك اذا ضحك الى قوم فلا حساب عليهم[٢٥٨] » .

الرسالة الثامنة والاربعون : ورقة رقم ٣٣أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : الرسل اعلام الخلق ، والخلق كالجند يؤمون العلم فمن شذ عن العلم اسره العدو . . .

نهاية : . . . فبذلك خرجا (سليمان وعيسى عليهما السلام) من الحالتين محمودين وأعين هذا بما فتح له وأعين الآخر بما فتح له[٢٥٩] .

---

٢٥٧) تفسير هذه الآية الكريمة التي تكرر ذكرها في سور القرآن الكريم : « عالم الغيب الشهادة » (١٣ : ١٠ — ٣٢ : ٦ — ٥٩ : ٢٢ ....)

٢٥٨) الجملة الاولى من هذه المسألة لا علاقة لها بسائر موضوع الفصل. تفسير آخر آية من سورة الفتح (آية ٢٩ سورة رقم ٤٨) وتفسير آية ٢٠٧ من سورة البقرة (٢) وآية ١٧٠ من سورة آل عمران (٣) . — في هذا الفصل يذكر الترمذي اسم كتاب غير معروف له وهو كتاب الارادات . (ورقة ٣٣أ سطر ١٠) ولكن صورة الصيغة التي اورد فيها ذكر هذا الكتاب لا توضح اذا كان الكتاب له او لغيره : « قال له قائل : ارأيت ان تشرح لنا هذه الاصناف — قال : هذا مشروح في كتاب الارادات » .

٢٥٩) يذكر هنا الشيخ مثل سليمان ومثل عيسى عليهما السلام : الاول علم للاغنياء وعنده يوجد الشكر والثاني علم للفقراء ولديه الصبر . الاول فتح الله عليه باب الرأفة ، والثاني فتح الله عليه باب طهارة القدس .

الرسالة التاسعة والاربعون : ورقة رقم ٣٣ا — ٣٥ب

عنوان : قال : من هم الذين (الاصل: من الـذين هم الذين) اعطوا السراج والقسط ...

نهاية : ... « ... ما (الاصل: اما) من رجل يخلف ذرية من بعده يعبدون الله الا جعل الله له مثل اجورهم ما عبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة »[٢٦٠] .

الرسالة الخمسون : ورقة رقم ٣٥ب — ٣٦ا .

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : نظر الى طائر مثل الموضع على وتد لا ينشط ولا يطرب فدام على ذلك شهراً ...

نهاية : ... فاذا دعوت بعد ذلك فابطأت (الاصل : فابطت) فانت معذور كما عذر الله نبيه[٢٦١] .

الرسالة الحادية والخمسون : ورقة رقم ٣٦ا — ٣٦ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : امر الله ، تبارك اسمه ، بالجهاد فصار الجهاد على ضربين مجاهدة العدو بالسيف ومجاهدة الهوى والنفس بسيف ترك المشيئة ...

نهاية : ... وقال في جهاد النفس: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[٢٦٢] ».

الرسالة الثانية والخمسون : ورقة رقم ٣٦ب — ٣٧ا

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : جملة المودة ان الله تعالى خلق اجسادنا قوالب (الاصل: قوالبا)

---

٢٦٠) في هذا الفصل يشرح الشيخ امراء الدين وملوك العالم: «الذين علموا العلوم الباطنة فلم يملكهم العالم بل هم ملكوا العلم » . ويشرح الفاظ التشهد : التحيات الطيبات » . ويفسر قوله تعالى: « يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور»(سورة الشورى٤٢: ٤٩) .

٢٦١) مقارنة جميلة ومؤثرة بين فرح صاحب الطير بتغريد طيره وفرح الرب بتلاوة عبده القرآن ! وتفسير آية: « ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً » (٥ سورة المائدة ٣٢)

٢٦٢) بيان وجيز لنوعي الجهاد : الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر.

ليضع فيها ما يبرزه العبد بحركاته بتلك الحياة التي في روحه ونفسه...

نهاية : ... فلم يزل يحشو (الاصل : يحشوا) قلبه وصدره وجوارحه بما اعطى في قلبه وصدره ، حتى صار زكياً مرضياً . فالزكاوة من الحشوة (الاصل : الحشية) التي احتشا(ها)[٢٦٣] .

الرسالة الثالثة والخمسون : ورقة رقم ٣٧ب — ٣٨أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : خلق الله على فؤاد الآدمي عينين واذنين ثم منّ على من شاء منهم بنور الحياة ...

نهاية : ... قال : ومن ربائب الانبياء ؟ قال : قوم اختصهم الله واصطفاهم وغذاهم بما غذّى (الاصل : غذا) به الانبياء . فهم الربائب . فكأنهم تربوا في حجور الانبياء . فعندهم علم القالب . فمن رأى (الاصل : را) نفسه في القالب فانما يرى ذلك بنور الله الاعظم الذي في الباطنية ، فبذلك النور رأى نقش اسمه يوم المقادير[٢٦٤] .

الرسالة الرابعة والخمسون : ورقة رقم ٣٨أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : ان الله ، تبارك (الاصل : تبرك) اسمه ، ابرز للعباد محبة ورأفة ورحمة ووضعها عنده ليجريها الى العباد ...

---

٢٦٣) وصف لتركيب الانسان جسياً ونفسياً وتردد عواطفه بين الخير والشر. ولنستمع اليه : « الروح سماوي وفيه الحياة . والنفس ارضية وفيها الحياة . ووضع الله في القلب المعرفة وفي الصدر علم المعرفة، وفي الراس عقل المعرفة، وفي الناصية المقدور . وجعل الذهن والفهم والفطنة من جنود العقل . ووضع في النفس الشهوة وجعل قايدها وسائقها الهوى . . . فمن عرف هذا (وعمل به) فقد اصاب رأس الحبل الذي يؤديه الى الله وانكشف له الغطاء عند الداء . . . »

٢٦٤) هذه المسألة تتناول موضوعين منفصلين : ١° الكلام على عيني القلب الباطنتين ؛ ٢° وتفسير هذه الآية الواردة كثيراً في القرآن الكريم: «يا ايها الذين آمنوا آمنوا...» وهنا يتكلم الشيخ على نوعين من الشرح : « شرحنا في الجليل وشرحنا في الدقيق اللطيف» (الشرح الظاهر والشرح الباطن) .

نهاية : فمن ها هنا قال علماؤنا : ان الماء الجاري اذا وقعت فيه نجاسة فهو على يقين ان تلك النجاسة ممتزجة بالماء وهي (الاصل :وهو) جزء من اجزائه . ولكن الاجزاء الطاهرة قد غلبت على الجزء النجس[٢٦٥].

الرسالة الخامسة والخمسون : ورقة رقم ٣٨ أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : اذا كانت اشغال الدنيا يأخذك بعضها من بعض ، وقد عاينت، فما ظنك بمن يأخذه اشغال الدنيا عن آخرة لم يعانيها ...

نهاية : فاذا كان هذا هكذا ، فما ظنك بمن يأخذه اشغال الدنيا عن رب لا لا يراه ولا يدرك ولا كيفية له . اللهم ارحمنا[٢٦٦] .

الرسالة السادسة والخمسون . ورقة رقم ٣٨ أ — ٣٩ ب

عنوان . مسألة اخرى .

بداية : قال : اول عبادة الرب العلم . فاذا علمت عرفت . فاذا عرفت عبدت . وجميع العلم في الحروف ولا يظهر الا بالحروف ...

نهاية : ... فهذه كلمة تسدد له الى ربه حتى يقبل الحسنة ويستر السيئة فذلك قوله :« يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم[٢٦٧] » .

---

٢٦٥) يشرح الشيخ في الجزء الاول من هذه المسالة التعارض بين مطالب القلب والنفس وكيف يتدخل الفضل الالهي برحمته ورأفته وعبته ليحقق الوئام بينها وفي النهاية السلام للكائن الانساني . وفي الجزء الاخير يقارن بين قوله تعالى : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (آية ١٨ سورة الانبياء — ٢١) وبين قول فقهاء الحنفية ان الماء لا يتنجس بالنجاسة التي تخالطه ما دام جارياً .

٢٦٦) تأملات في بضع سطور عن اشغال الدنيا واعاقتها عما هو اهم من اشغال الآخرة ومرضاة الرب سبحانه !

٢٦٧) الشطر الاول من المسألة يبين فيه الشيخ ان العلم كله في الحروف وان علم الحروف هو علم الاولياء وفي الشطر الثاني والاخير يفسر آية : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ... (آية ٧٠ سورة الاحزاب = رقم ٣٣) .

الرسالة السابعة والخمسون : ورقة رقم ٦٢ب — ٦٣ب

عنوان : —

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانا وجدنا مكر النفس في الكليتين وكياسة المعرفة في الفؤاد . فبكياسة المعرفة يعرف مكر النفس وكياسة المعرفة من اسمه (تعالى) « الحي » ومكر النفس من حدة الهوى. . .

نهاية : . . . فان اردت ان اشير لك الى من كان من السلف بهذه المنزلة، اشرت لك الى ابي بكر وعمر وعلي وعثمان ثم في التابعين نفر منهم ثم لا يزال يخلفهم من بعدهم طبقة على اثر أخرى في هذه الامة كلهم صديقون حكماء علماء الله وامناؤه وخلفاء الارض بهم تقوم الارض[٢٦٨].

الرسالة الثانية والخمسون : ورقه رقم ٦٣ب — ٦٤ا

عنوان : مسألة في تربية المعرفة .

بداية : حدثنا الجارود بن معاذ قال : حدثنا علي بن الوليد العبسي قال : حدثنا بقية بن الوليد عن الحكم بن عبد الله عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه : « ان يوماً لا ازداد فيه علماً يقربني الى الله لا بورك لي في طلوع شمس ذاك اليوم » . . .

نهاية : . . . وروى لنا عن وهب بن منبه انه وجد في التوراة انه لما فرغ الله من خلقه اثنى على نفسه ثم قال : ما خلقت الخلق لحاجة كانت بي اليه ولكن لابين قدرتي ولاعرف به الناظرين نفسي ولينظر الناظرون في مملكتي (الاصل : ملكتي) وتدبير حكمتي ولتدين الخلائق كلها لعزتي وليسبح الخلق كله بحمدي ولتعنو (الاصل : ولتعنا) الوجوه كلها لوجهي[٢٦٩] .

٢٦٨) رسالة مختصرة يبين فيها الشيخ الصراع النفسي بين النفس والفؤاد اي بين الهوى والمعرفة . ولعل هذه الرسالة الغفل من العنوان هي كتاب مكر النفس انظر فهرست السام (R. G.) رقم ٣٩

٢٦٩) أهمية المعرفة في الطريق الروحي والحياة مع الله سبحانه !

الرسالة التاسعة والخمسون : ورقة رقم ٦٤أ — ٦٥ب

عنوان : مسألة في درجات المرض .

بداية : قال حدثنا عبدالله بن ابي زياد القطراني قال حدثنا سيار عن جعفر ابن سليمان قال سمعت مالك (الاصل : ملك) بن دينار يقول : « تزينوا للمرض على الرحمن ، رحمكم الله » . . .

نهاية : . . . « فاذا اشرف احدهم على اهل الجنان أضاء حسنه اهل الجنان كما تضيء الشمس اهل الدنيا » فانما تضيء الجنان من نور ما تزينوا به في الدنيا(٢٧٠) .

الرسالة الستون : ورقة رقم ٦٥ب — ٦٦أ

عنوان : مسألة في حظ النفس من العلوم .

بداية : قال ، رحمة الله عليه : وجدنا ان النظر في الاحاديث فيما تقبله النفس المريدة للخير . . .

نهاية : . . . حتى يتأدب ويتخلق بأخلاق الملك حتى يصلح لخدمته فاذا صلح لخدمته (بياض بالاصل) هذه الاصناف من العلوم التي ذكرنا(٢٧١) .

الرسالة الحادية والستون : ورقة رقم ٦٦أ — ٦٦ب

عنوان : مسألة في تفسير السفلة .

بداية : قال : السفلة الذي رأى ما له من المعرفة يقال بالاعجمية فرومانه . فاعطى الله الموحدين معرفة التوحيد فذاك رأس مال الموحدين . . .

نهاية : . . . وليس في قلبه صداقة ولا ودادة لانه رأى (الاصل : را) منه الوفا والصدق فامنه وتهاون في الباطن وفي قلبه غش ودغل فلا

٢٧٠) اعمال العبد في الدنيا وخواطره ومعارفه هي كسوة وزينة في الآخرة : فهناك زينة الشهوات ، وزينة الطاعات ، ولباس المعرفة الذي هو زينة الحق وحده . وصاحبها هو صاحب الحظ الاوفر من الله . . .

٢٧١) ينتقد هنا شيخنا ، عرضاً ، احوال المتفقهة في زمانه : « لان نفوسهم ابدًا في ذلك القيل والقال وتخاليط النفوس . . . »

تصدقه . وكذلك فيما بينه وبين ربه : قل خوفه وقل حياؤه[٢٧٢] .

الرسالة الثانية والستون : ورقة رقم ٤٦ب — ٥١أ

عنوان : مسألة في الذكر ودرجاته .

بداية : قال : الذكر غذا(ء) المعرفة والمعرفة حلوة نزهة والقلب وعا(ؤ)ها فخزانتها والصدر ساحة والمعرفة ذات شعب . . .

نهاية : . . . ثم اخبرك ما ثوابه العاجل ، فقال : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » فصلاته ان يدعو لكم اي يسأل (الاصل : يسل) لكم بنفسه من نفسه ليخرجكم من ظلمات النفس الى نوره[٢٧٣] .

الرسالة الثالثة والستون : ورقة رقم ٥١ب — ٥٣ب

عنوان : مسألة في شأن العقل والهوى .

بداية : قال : (ا)لقلب مالك للجوارح واميرعليها فاذا ملكته المعرفة والعقل استقام واذا ملكه الهوى والنفس مال عن الله . . .

نهاية : . . . المحبوب والمكروه كله واحد عنده كما استوت هذه السفينة في حدور النهر وصعوده . الا انه في حال حدوره تجري بريح وبغير ريح وفي حال صعوده لا تجري الا بريح[٢٧٤] .

الرسالة الرابعة والستون : ورقة رقم ٥٣ب — ٥٤أ

عنوان : مسألة اخرى .

---

٢٧٢) « السَّفِلَة السقاط من الناس . يقال هو من السفلة ولا يقال هو سفلة لان هذه اللفظة جمع وبعض العرب يقول : « هو من سفلة الناس » والترمذي يبين هنا موقف هذا النمط من البشر تجاه المعرفة وتجاه التوحيد .

٢٧٣) تحليل عميق من الوجهة النفسية والروحية لحقيقة الذكر واصناف الذاكرين وفيه كثير من الاحاديث الشريفة المتعلقة بهذه المسألة الهامة .

٢٧٤) وصف بسيكلوجي لمقومات الانسان النفسية في حياته المعنوية: النفس ، العقل ، القلب ، المعرفة ، الهوى . . .

بداية : قال : حدثنا يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا ابن ابي فديك عن معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الاسلمي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » . . .

نهاية : . . . وقال في تنزيله : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » وقال : « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله » . انتهى بحمد الله والصلاة (الاصل : والصلوة) على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الى يوم الدين[٢٧٥] .

الرسالة الخامسة والستون : ورقة رقم ٥٤ب — ٥٥أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : وجدت المشيئة أميراً على الصفات (في الاصل : — والملك) السبعة فالامير يأذن للاشياء في المملكة . واخرج الله المملكة من باب القدرة . . .

نهاية : . . . فمن اجل ذلك ، وقعت المجاهدة على المنيبين المهتدين وسقطت المجاهدة عن المجتبين . فوجدناه قد جمع جميع اموره في المشيئة ووضع في العباد مشيئة احوال النفس لينظر من يراقب مشيئته ولا يلتفت الى مشيئة نفسه فيؤثر مشيئاته على مشيئة نفسه . فهو العبد الصادق في قوله : عرفت ربي . وهذا منتهى العبودة عندنا[٢٧٦] .

الرسالة السادسة والستون : ورقة رقم ٥٥أ — ٥٧أ

عنوان : مسألة

بداية : شيء محتجب لا يدرك تناوله مساً ولا رؤية ولا ذوقاً (الاصل : ذوقة)

---

٢٧٥) بحث مختصر عن فضائل الصوم . اخر هذه المسألة يوافق اخر مجموعة من المسائل للحكيم الترمذي محفوظة في معهد المخطوطات العربية للجامعة العربية بعنوان المسائل المكنونة . انظر الفهرس العام .R. G رقم ٥٤

٢٧٦) بحث في معنى المشيئة الالهية وهيمنتها على سائر الصفات والاشياء . تقسيم اهل الله الى المجتبين = اهل المشيئة ؛ ومهتدين منيبين = اهل الهداية .

ولا شبأ (الاصل : شمة) ولا حسًّا (الاصل : حسة) فما حيلة علمك به حتى تعلمه ...

نهاية : ... فالحق قد اخذ بجامع نفسه وألوهة الرب قد اخذت جميع قلبه . فهذا عبد يؤدي المودة صدقاً . وذلك قوله : « افمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه »[٢٧٧] .

الرسالة السابعة والستون : ورقة رقم ٥٧ب — ٥٨أ

عنوان : مسألة لاهل مراتب القيامة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله اهل مراتب الدين لهم ألوية واهل التخليط لا مراتب ولا ألوية لانهم لم يقيموا على خصلة من خصال الدين فهم اهل اشتغال بالنفس والدنيا واهل اقتراف ...

نهاية : ... ثم صاروا على مراتبهم في الكفر ؛ ولهم ألوية لانهم سبعة اجزاء ، لكل باب منهم جزء (الاصل :جزو) مقسوم جزء للكفر وهو الغفلة وجزء للشرك وجزء للشك وجزء للرغبة وجزء للرهبة وجزء للشهوة وجزء للغضب . فلكل جزء لواء . انتهت بحمد الله ومنه[٢٧٨] .

الرسالة الثامنة والستون : ورقة رقم ٥٨ب — ٦٠أ

عنوان : مسألة في بيان خدعة النفس في شأن العطاء .

بداية : قال ابو عبدالله : رحمة الله عليه : ان النفس دعيت الى الله ، تبارك (الاصل : تبرك) اسمه فلم تجد حلاوة ولا لذة لتلك الدعوة فامتنعت من الاجابة من اجل حاضر شهواتها ولذاتها في الدنيا ...

نهاية : ... فهذا المسكين نال هذه الحلاوة من نور العطاء . فاخذ ينبسط

٢٧٧) الحق معلوم من حيث الصفات مجهول من حيث الذات . - عبنا القاب . —الولي حقاً .

٢٧٨) لعل العنوان الصحيح : مراتب الناس يوم القيامة . في نظر شيخنا سيكون الناس تحت لوائين عامين ورئيسين : لواء التوحيد وحامله خاتم المرسلين وكل الموحدين منضوون تحته ؛ ولواء الشرك وحامله ابليس وكل المشركين والكافرين منضوون دونه . يتكلم هنا باختصار عن ختم الاولياء . — راجع الفهرس العام .(R. G.) رقم ٦٧

ويتسع في مجالسة الخلق وفتح له من الكلام مفتحاً وترآى (الاصل : ترايا) له بذلك النور اشياء لم يكن يبصرها قبل ذلك . فهو في هذا ، والنفس في ناحيتها ... ختلاً ومخادعة في دنياها من الثناء والتبع والرياسة . فلم يلتفت الا وقد سلب العطاء وافتقد النور وبقي مع حظ النفس . انتهت بحمد الله ومنته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم[٢٧٩] .

الرسالة التاسعة والستون : ورقة رقم ٦٠ب — ٦٣أ

عنوان : تفسير قوله عز وجل : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » .

بداية : قوله : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » ؛ فاما قوله : « الاول والآخر » فانه تبارك اسمه ، كان ولا شيء ، لم يزل كذلك ...

نهاية : ... ومعنى قول زهير : انت اذا تهيأت الأمر مضيت له[٢٨٠] .

الرسالة السبعون : ورقة رقم ٦٣أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : من كان معرضاً عن الله تعالى فخدمه العبيد ...

نهاية : ... وعلم اليقين مشاهدة الامور ومتابعتها (الاصل : ومتابعة) وعين اليقين مطالعة الحق ومشاهدته . تمت[٢٨١] .

الرسالة الحادية والسبعون : ورقة رقم ٦٣أ — ٦٥ب

عنوان : مسألة في قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله .

بداية : قال الامام ابو عبدالله محمد بن علي الترمذي ، رحمة الله عليه : حدثنا الجارود بن معاذ في قوله « نية المؤمن خير من عمله » يعني ان المؤمن ينوي الخير وان لم يقدر له العمل فقد نوى خيراً ...

٢٧٩) تحليل لخداع النفس في استجابتها لاسرافها وفي تلقيها لعطائه وفي تمويهها على القلب .
٢٨٠) تفسير الآية الثالثة من سورة الحديد (٥٧) .
٢٨١) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٨٤ .

نهاية : ... والنية بلا عمل يكتب حسنة واحدة والعمل بلا نية لا يكتب شيء . تمت المسألة .

الرسالة الثانية والسبعون : ورقة رقم ٦٥ ب

عنوان : مسألة في الجهاد .

بداية : قال : الجهاد على انواع اربعة : جهاد في سبيل الله ، عز وجل ، بمقاتلة اعدائه ، وجهاد فيما بينه وبين نفسه ...

نهاية : ... وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذ منها زادًا لمعاده ومرمة لمعاشه ولا يأخذ منها ما يضره في عقباه .

الرسالة الثالثة والسبعون : ورقة رقم ٦٥ ب — ٦٦ ا

عنوان : مسألة في الفرق بين العلم والفقه .

بداية : الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على غيره والعلم هو تجلي الاشياء له بنفسها ...

نهاية : ... لان الله تعالى عالم بتجلي الاشياء له لا بالاستدلال . ويجوز وصفه ، تعالى ، بالحكمة .

الرسالة الرابعة والسبعون : ورقة رقم ٦٦ ا — ٦٦ ب

عنوان : رسالة ابي عبدالله محمد بن علي الترمذي ، رحمه الله ، الى محمد بن الفضل ، رحمه الله

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلم . سلام عليك ورحمة الله وبركاته وادام الله لك العافية والسلامة وزاد في نعمه عندك ... وصل كتابك ابقاك الله تعالى وفهمته . فاما ما ذكرت من معرفة النفس وقلة امانتها .

نهاية : ... فاحب ان تنتبه فقد جاءت الحقايق وذهبت الشكوك من الانتباه والناس في غفلة والهلاك لمن استقبل امر الله بالمناصبة . فانا حذر لهذا الباب فاحذرك لشفقتي عليك ونصحي لك . واسأل الله تعالى توفيقك

ورشدك . والسلام عليك ورحمة الله تعالى وعلى اخواننا من قبلك . تم الكتاب والرسالة بحمد الله وصلى الله على محمد وآله[٢٨٢].

الرسالة الخامسة والسبعون : ورقة رقم ٦٩ أ — ٨٨ أ

عنوان : المسائل التي سأله اهل سرخس عنها .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله ، اما بعد فقد فهمت مسايلك وما سألت من شأن المريد وما الذي ينفع ويضره في سيره . . .

نهاية : . . . واذا التجأ الى قوته والى ما اعطى من العالم كان قد ترك الطريق فخذل. قال الله تعالى: «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم» . تمت اجوبة المسائل بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما[؟].

الرسالة السادسة والسبعون : ورقة رقم ٨٨ ب — ٩٩ ب

عنوان : مسألة في الايمان والاسلام والاحسان .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم ،قال الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن علي ابن الحسن الترمذي رحمة الله عليه ، مسألة في الايمان والاسلام والاحسان الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله سألتني عما وقع فيه الناس من الاختلاف في الايمان ومحله من ابن آدم وانما اتوا ذلك من قلة افهامهم . . .

---

٢٨٢) يبين الشيخ في رسالته هذه نوعين من معرفة النفس احدهما صحيح والاخر سقيم. فمن رام معرفتها من قبل الصدق فذهب يقابل الصدق بالكذب لم يكن ينجو من سقم معرفة النفس . . .

واجع التعليق المتقدم الخاص بمحمد بن الفضل البلخي ، رقم ٢٣١ .

٢٨٣) راجع الفهرس العام .G. R رقم ٥ و٢٣ و٦٦ وقسم الاستدراكات رقم ٦ . في هذه الرسالة يذكر الشيخ من اسماء كتبه : كتاب رياضة النفس (٧٥ ب) وكتاب سيرة الاولياء (٧٥ ب) وكتاب الاصول (هل هو نوادر الاصول ؟) (٨١ أ)

نهاية : ... واقبـل على ربه فعاين من سلطانه وعظمته ما تلاشت نفسه عنده واقبل على ربه فقرت عينـه وطاب عيشه وضاق صدره وبرم بالحياة شوقاً الى الله تعالى ... فهذا تفسير الايمان والاسلام والاحسان الذي سأل عنهن جبريل ، صلى الله عليه وسلم . تمت المسألة بعن الله وعونه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين[٢٨٤] .

الرسالة السابعة والسبعون : ورقة رقم ٩٩ب — ١٠٠ب

عنوان : —

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :« الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية ...

نهاية : ... ثم يطمع بعد هذا ان ينال منازل الوسايل فيكون بين يديه ولا يدري بين يدي من هو الا الاسم والحروف التي ينطق بها ؟ هيهات ! هيهات ![٢٨٥] ..

الرسالة الثامنة والسبعون : ورقة رقم ١٠٠ب — ١٠٣أ

عنوان : مسائل التعبير .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : هل رأيت القادح يقدح زنده فيوري ناراً يتوقد منها ...

نهاية : ... فأفاض عليك مجرى الماء لزرع الدنيا كما فعل بالاعداء الكفار

---

(٢٨٤) — في الفهرس العام .R. G رقم ٩٧ رسالة بعنوان: شرح قوله ما الايمان والاسلام والاحسان وهي جزء من هذه المسألة ولكن نهايتها تختلف عن نهاية الرسالة الحاضرة.

(٢٨٥) بحث عن الصبر واطواره المختلفة وصلته بشهوات النفس واهوائها . يتكلم الشيخ هنا عن درجات الوسايل ومشيئة الوصول الى الحق . — راجع الفهرس العام .R. G رقم ٩٨ . ويلاحظ هنا ان الرسالة التي في الفهرس العام عنوانها : شرح قوله ما الايمان والاسلام والاحسان (رقم ٩٧) تنتهي بنفس النهاية التي لهذه المسألة . والظاهر ان هذه المسألة (مسألة الصبر) قد ادرجت في ضمن الرسالة ولم يشر اليها الناسخ.

وصرف عنك مجرى مساوىء الآخرة حتى تبقى حيرانًا تعمه في الضلالات والطغيان . انتهت مسائل التعبير بمنة الله ورحمته[٢٨٦] .

الرسالة التاسعة والسبعون : ورقة رقم ١٠٣ أ — ١٠٤ أ

عنوان : مسألة في النية .

بداية : قال ابو عبدالله محمد بن علي ، الحكيم الترمذي ، رحمة الله عليه : حدثنا صالح بن محمد حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن انس بن مالك ، رضي الله عنه ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، قال يوماً : هل تدرون ما المؤمن ؟ . . .

نهاية : . . . وهذا عنده محال بعد ان استقام قلبه عبودة وكان بين يديه في درجة القربة . فهذا دائم له في كل حال[٢٨٧] .

الرسالة الثمانون : ورقة رقم ١٠٤ أ — ١٠٧ ب

عنوان : مسألة في ذكر المنفردين .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدنا الذكر على ضربين (الاصل : ذكر) ان تذكر هويته بلا كيف فتغرق فيه الدنيا والآخرة . . .

نهاية : . . . وقال تعالى : « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم»[٢٨٨] .

الرسالة الحادية والثمانون : ورقة رقم ١٠٧ ب — ١١٣ أ

عنوان : مسألة في وصف المنفردين .

بداية : سألت عن رجل يعبد الله تعالى على طلب الثواب والفرار من العقاب . . .

٢٨٦) مجموعة من المواعظ والعبر . انظر الفهرس العام .R. G رقم ٦٦
وهذه الرسالة قد نشرها A. J. Arberry بعنوان : « Notes on a Tirmidhi Manuscript » in Rivista degli Studi Orientali, XVIII (1940),315-327

٢٨٧) انظر الفهرس العام .R. G رقم ١٩ ورقم ٥١ .

٢٨٨) « « « « « ٦٩ ؛ قارن هذه الرسالة ايضاً بالرسالة المتقدمة رقم (٦٣) : مسألة في الذكر ودرجاته تعليق رقم ٢٧٣

نهاية : ... فلم يكن للاشياء دونه سلطان على شغلي عنه لانه قد اخذه ربه فبسلطانه نفذ(؟)في الاشياء ويمتنع (؟) من الاشياء ان تشغله[٢٨٩].

الرسالة الثانية والثمانون : ورقة رقم ١١٣ أ — ١١٩ أ

عنوان : مسألة في الشكر والصبر .

بداية : قال الامام عبدالله ، رحمة الله عليه : سألت ، رحمك الله ، عن منزلة الشكر والصبر ...

نهاية : ... فدلّ ان هذا الامر الجليل انما هو في النار. والزناد والحجر ليس لها ذلك الشأن . فهذا شأن الشكر والصبر وصورتيها[٢٩٠] .

الرسالة الثالثة والثمانون : ورقة رقم ١١٩ أ — ١٢٠ أ

عنوان : مسألة اخرى سئل عن عبدين .

بداية : سئل عن عبدين احدهما في نعمة والآخر في الشدة ...

نهاية : ... وهل يضنّ به الا وهناك في الباطن ، شيء ليس لغيره من الحظ والأثرة[٢٩١] .

الرسالة الرابعة والثمانون : ورقة رقم ١٢٠ أ — ١٢١ ب

عنوان : مسألة قال الله :« والله يعلم منقلبكم » :

بداية : قال الله :« والله يعلم متقلبكم ومثواكم » ...

نهاية : ... فاذا خرجوا منه فتح على قلوبهم روح المفاوضة في مجالسه[٢٩٢].

---

٢٨٩) انظر الفهرس العام (.R. G) رقم ٥٤

٢٩٠) « « « « « « ٥٣ ولكن نسخة اسعد افندي لها نهاية تختلف عن نهاية هذه النسخة .

٢٩١) انظر الفهرس العام .R. G رقم٥٦في هذه المسألة يذكر الشيخ اسم كتاب:العلل من كتبه .

٢٩٢) تفسير جزء من آية ١٩ من سورة محمد ، صلى الله عليه وسلم(٤٧)وانظر الفهرس العام .R. G رقم ٥٨

الرسالة الخامسة والثمانون: ورقة رقم ١٢٤ — ١٢٥

عنوان : مسالة في التقوى .

بداية : قال، رحمة الله عليه : التقوى على خمسة انواع : تقوى الله عز وجل وتقوى الرب وتقوى اليوم وتقوى النار وتقوى الارحام ...

نهاية : ... فمن بلغ هذه المرتبة فقد صحت معاملته وصحت معرفته . وقد روى عن ابي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم : « احب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً » . هذا ما وجدت من هذه المسألة .

الرسالة السادسة والثمانون : ورقة رقم ١٢٥ — ١٢٦

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : اسست الدنيا على العبودية والآخرة على الحرية ...

نهاية : ... وبالتجلي تحولت الشهوة منية والهوى ميلاً . فالمنية الشوق والميل السقوط بين يديه عبداً[٢٩٣] .

الرسالة السابعة والثمانون : ورقة رقم ١٢٦ — ١٢٧

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمة الله عليه : وجدنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال: فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم... »

نهاية : ... فعندهـا خلص لك « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » لانك تكلمت بها على الصدق والوفا[٢٩٤] .

الرسالة الثامنة والثمانون : ورقة رقم ١٢٧

عنوان : مسألة .

بداية : قال له قايل : ما علامة حب الرجل لعبد من عبيده ؟ ...

نهاية : ... واذا كانت لنفسه فقد صار خادماً لنفسه[٢٩٥] .

٢٩٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٥٩

٢٩٤) « « « « ٦١

٢٩٥) هذه المسألة اختصار للرسالة الثالثة والثلاثين المتقدمة . راجع ايضاً الفهرس العام .R. G رقم ٦٠

من ذلك الفعل ومنه عينه إلى ترك له ونحو تركك إياه في
أوقات الوظائف وكل خميس وكل عيد ونيروز ومهرجان
وفي ترك يوم وتقسيمه جفا عليم للخلق ومنه الله الخلق [illegible]
للباه ودناه للشيب وكشف عن لومها ومنا عنها فانه
بعد هذا العلم لان يكفيك سوء [illegible] ويعلم كتاب
الله ويتبعه بآدابه ويعينه على [illegible] فإذا أحسنت
[illegible] ومعونتك وبذل معونتك [illegible] الله
سبحانه بالحق وجانبا [illegible] الله ان
انتهى بحمد الله ومنه وصلى الله على خيرته
من خلقه محمد وآله وسلم تسليما

بدو شأن أبي عبد الله محمد الحكيم
الترمذي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبد الله كان بدو شأني أن الله تبارك اسمه قيض
لي شيخا رحمة الله عليه من لدن بلغت من السن ثمانيا يحملني
على تعلم العلم ويعلمني ويحثني عليه ويدأب ذلك في المنشط
والمكره حتى صار ذلك لي عادة وعوضا عن اللعب في وقت صباي
فجمع لي في حداثتي علم الآثار وعلم الرأي حتى إذا قاربت
سبعا وعشرين أو نحوها وقع علي حرص الخروج إلى بيت الله الحرام

فتهيأ لي الخروج فوقفت بالعراق على الحديث وخرجت إلى البصرة
وخرجت منها إلى مكة في رجب فقدمت مكة في شعبان
فرزقني الله القيام بها إلى وقت الحج وفتح لي باب الدعاء في الملتزم
في كل ليلة [illegible] ووقع على قلبي تصحيح التوبة والخروج مما دق وجل
وجل فرجعت وقد أصبت قلبي وسألته عند الملتزم في تلك الليالي
أن يصلحني ويزهدني في الدنيا ويرزقني حفظ كتابه وكنت
لا أهتدي لشيء من الحاجات غيرهما فرجعت وقد ألقي علي حرص
الحفظ للقرآن في طريقي فأخذت في حفظه في الطريق فلما وصلت
إلى الوطن تفرغت على ذلك بعينه حتى حفظته وأنا منذ ذلك
بالليل لا أمل من تلاوته حتى أنه كان ليستمر بي ذلك إلى
الصباح ووجدت حلاوته فأخذت أتتبع من الكتب علم
الرب تبارك اسمه والتقاط محاسن الكلام من طريق العظات
وما بين أيدي أهل الأمر ولم أجد مرشدا في البلاد فلا أحد من
يرشدني الطريق أو يعلمني الذي أتقرب به وأنا كالمتحير لا
أدري أي شيء يراد بي إلا أني أخذت في الصوم والصلاة فلم
أزل كذلك حتى وقع بيدي مما مع كلام أهل المعرفة ووقع
إلي كتاب الأنطاكي فنظرت فيه فاهتديت لشيء من رياضة
النفس فأخذت فيها فأعانني الله وألهمت منع الشهوات
تنبهت حتى صرت كأني أعلم على تدبير الشيء [illegible]

ورقة من مخطوطة رسالة «بدو شأن الحكيم الترمذي» [illegible]

الرسالة التاسعة والثانون : ورقة رقم ١٢٧ا — ١٢٧ب

عنوان : فايدة عزيزة وجيزة :

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمة الله عليه : مررت بباب رجل كان صنع الي معروفاً ...

نهاية : ... سبحان الله ! ما اربح معاملة هذا الرب الكريم ! [٢٩٦] .

الرسالة التسعون : ورقة رقم ١٢٧ب — ١٢٩ا

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمة الله عليه : فاقرب الناس من الرسل واوفرهم حظاً من القرآن من احتظى من نور الالوهية ومن نور الكسوة ...

نهاية : ... فانهم لما فعلوا ذلك، تحببوا وكرموا على مولاهم وتبحبحوا في ساحته بين يديه ... فبهم تقوم الارض وعين الله ترعاهم[٢٩٧] .

الرسالة الحادية والتسعون : ورقة رقم ١٢٩ا — ١٣٠ب

عنوان : كتاب من الريّ .

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمه الله : سلام عليك ورحمة الله ! وصل كتابك . وذكرت « اني مشتاق الى رؤيتك المزيرة » ...

نهاية : ... وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : « البسوا نعالكم فانها جمالكم »[٢٩٨] .

الرسالة الثانية والتسعون: ورقة رقم ١٣٠ب — ١٣١ب

عنوان : مسألة اخرى في الادب .

٢٩٦) انظر الفهرس العام .R. G رقم ١١

٢٩٧) « « « « « ٦٣

٢٩٨) « « « « « ٦٣ — ويبدو ان هذه الرسالة موجهة الى ابي عثمان سعيد بن اسماعيل الحيري النيسابوري، احد كبار الملامتية في وقته راجع L. T. 288 . في هذه الرسالة يذكر الشيخ كتاباً من كتبه: « كتاب سيرة الاولياء ورقة ١٣٠ا سطر ٨

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمه الله : سألت عن الادب في الدين ما هو؟ وكيف يكون ؟ ...

نهاية : ... فاذا كنت كذلك ، فانت اديب . فهذا ادب الدين[٢٩٩] .

الرسالة الثالثة والتسعون : ورقة رقم ١٣١ب — ١٣٢أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : اما ما ذكرت من قولك اذا قوي لم يحتج الى اذن في الامور وان الاربعين الذين يسمون البدلاء لا يعملون الا باذن ...

نهاية ... لا يصعد عمله الى الله تعالى مع حظوظ النفس ؛ فهذه خيانة في مقامه . فهو محجوب عن ذلك المقام لخيانته . والاقوياء قد جاوزوا هذه الحظوظ وخرجوا من رق النفوس[٣٠٠] .

الرسالة الرابعة والتسعون : ورقة رقم ١٣٢أ

عنوان : مسألة نبيلة شريفة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : جاءتني امرأة مستفتية فقالت ان امرأة مات ولدها فامتنعت من فراش زوجها لحال المصيبة ...

نهاية : ... فكلما مانعت الحق من نفسك فكانك اخترت الباطل فتحصي (الاصل : فتحطى) على اختيارك[٣٠١] .

الرسالة الخامسة والتسعون : ورقة رقم ١٣٢ب

عنوان : مسألة .

بداية : قيل له : ان ابا سليمان ذكر عنه انه قال : من اخبرك انه صار الى الله تعالى بغير ترك الشهوات فوصل فلا تصدقه ...

---

٢٩٩) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٥٧
٣٠٠) « « « « « ٦٤
٣٠١) « « « « « ٥٥

نهاية : ... فكيف يصل الى الله تعالى من كان خادماً للهوى والنفس الامارة بالسوء[٣٠٢] ...

الرسالة السادسة والثمون : ورقة رقم ١٣٢ب — ١٣٣ا

عنوان : —

بداية : وعد الله الصابرين على المصايب ما وعدهم من الصلاة والهدى والرحمة ...

نهاية : ... فالعارف خازن من خزان الله تعالى والصادق خازن من خزان النفس يخزن لها كي لا تفتقر . والعارف يتناول عن الله ويمسك لله ويعطى لله[٣٠٣] .

الرسالة السابعة والثمون : ورقة رقم ١٣٣ا — ١٣٤ا

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله، رحمة الله عليه : ان اردت ان تكون لله ولياً موافقاً له في امور فاوّل الاشياء منازلها ...

نهاية : ... ومن لم يصفح ولم يتخلق بخلق الله تعالى فهو من اللئام[٣٠٤] .

الرسالة الثامنة والثمون : ورقة رقم ١٤٣ا — ١٣٤ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمة الله عليه : ان قوله لا اله الا الله مبنية على اربعة اركان فمن جاء بها يوم القيامة على هذه الاركان الاربعة جاء بها قائمة ...

---

٣٠٢) ابو سليمان هذا، الوارد ذكره في صدر المسألة، لعله ابو سليمان الداراني= عبدالله ابن عطية احد كبار صوفية الشام في وقته، والمتوفى عام ٢١٥ للهجرة . انظر ترجمته في طبقات الصوفية ٧٥–٨٢ . — ما يخص هذه الرسالة انظر الفهرس العام فانها مذكورة فيه R. G. رقم ٦٣

٣٠٣) موضوع هذه المسألة غير منسق : فالافكار يتداخل بعضها في بعض من غير ارتباط . وآخرها يشبه خاتمة الرسالة التي رقمها في الفهرس العام R. G. رقم ٦٦

٣٠٤) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام « « ٦٥

نهاية : ... رمى الله به في اسرع من الطرفة والبرقة ، على حسب بطائـه (الاصل : بطايه) في الوفا بهذه الخصال في دار الدنيا وتقصيره فيها ببطائه وتزل قدمه[٣٠٥].

الرسالة التاسعة والتسعون : ورقة رقم ١٣٤ب — ١٣٥أ

عنوان : مسألة في شأن الرزق .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدنا من سكنت قلوبهم على الرزق من اجل يقظتهم ...

نهاية : ... فاتصاله (= العارف) بخالقه اكثر من اتصال هذا الولد (بابويه) واعن يقع اتصال الولد (بابويه) من اتصال العبد بمولاه اذا مكّن له بين يديه[٣٠٦].

الرسالة المائة : ورقة رقم ١٣٥أ — ١٣٥ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا العبد ذا صورة وجثة ...

نهاية : ... « قال الا ادلكم على من هو اشد منه ؟ رجل غلب اربعة انفس عند الصراع فصرعهم . فقالوا من هم يا رسول الله ؟ قال : رجل سفه عليه فحلم فغلب نفسه وشيطانه ونفس صاحبه وشيطانه » او كما قال[٣٠٧].

الرسالة الحادية ومائة : ورقة رقم ١٣٥ب — ١٣٧ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وغاية التواضع ان يترك الاختيار في كل وقت وامر وحال...

نهاية : ... وعند الموت حباهم وبشرهم ورفع عنهم جهد الموت وكربه ويدخلون الجنة بغير حساب[٣٠٨] .

---

٣٠٥) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام R. G. رقم ٦٧
٣٠٦) « « « « « « « « ٥٢
٣٠٧) « « « « « « « « ٦٨
٣٠٨) « « « « « « « « ٦٩

الرسالة الثانية ومائة : ورقة رقم ١٣٧ب — ١٣٨ا

عنوان : مسألة في الدنيا .

بداية : قال : من طلب الدنيا فاته الآخرة ومن طلب الآخرة فاته الدنيا ومن طلب الله تعالى وجدهما (الاصل : ووجدهما) . . .

نهاية : . . . كالطير الحذر لا يأمن ولا يستقر يخاف ان يؤخذ . فهذا لا يأمن ولا يستقر قلبه مخافة ان يأخذه[٣٠٩] .

الرسالة الثالثة ومائة : ورقة رقم

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا العبد المسيء لا يطلقه مولاه ما دام مطلعاً على قلبه انه يريد الرجوع الى وطنه الاصلي الذي سبي منه . . .

نهاية : . . . وقلوبهم بين يدي خالقهم قد فارقوا الهوى وهربوا حتى استقروا هناك عنده[٣١٠] .

الرسالة الرابعة ومائة : ورقة رقم ١٣٨ب

عنوان : مسألة .

بداية : رأينا المتقي اذا دخل بيتاً فرأى هناك سوء مذهب وقلة رعة وفضولاً وتخليطاً نفر من ذلك البيت . . .

نهاية : . . . فكيف يطمع الذي يرى في قلبه التخليط والادناس ان يقر فيه الخوف والحكمة والهدى[٣١١] .

الرسالة الخامسة ومائة : ورقة رقم ١٣٩ا — ١٤٠ا

عنوان : مسألة .

بداية : سئل ما علامة قبول التوبة ؟ قال : ان يفتح عليك باباً من الطاعة لم يكن لك قبل ذلك . . .

(٣٠٩) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام .R. G رقم ٥٠
(٣١٠ « « « « « « « ٧٠
(٣١١ « « « « « « « ٧١

نهاية : ... قول الله : « فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات »[٣١٢].

الرسالة السادسة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ أ

عنوان : مسألة .

بداية : ما وجدنا ذكر التقوى في التنزيل الا في اربعة مواضع...

نهاية : ... وتقوى الارحام هو ان تتقى القطيعة فيقطعك الله عز وجل[٣١٣].

الرسالة السابعة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ أ — ١٤٠ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وتلوت هذه الآية يوماً في شأن النساء حيث قال الله تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع»...

نهاية : ... فلا تطلب انت منها ذلك اذا اطاعتك في نفسها بذلاً وانقياداً لامرك . وصلى الله على محمد وآله[٣١٤].

الرسالة الثامنة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ ب — ١٤١ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ، وكتب الى ابي عثمان سعيد النيسابوري، رحمه الله، جواب كتابه: سلام عليك ورحمة الله وبركاته ! اما بعد : فان هذه النفوس مبناها على سبع (الاصل : السبع) : على الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والشك والشرك والغفلة...

نهاية : ... « فاعلم انه لا اله الا الله ! » فاقتضاه علم هذا كله (الاصل : الكله) وقد كان علم قبل ذلك منه ما علم . ولم يزل صلى الله عليه وسلم يزداد علماً الى ان فارق الدنيا[٣١٥].

(٣١٢) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام R. G. رقم ٦٥

(٣١٣) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٧٣

(٣١٤) « « « « « « ٧٤

(٣١٥) « « « « « « ٧٥ . — وابو عثمان النيسابوري الذي وجه اليه الحكيم الترمذي رسالته هذه هو سعيد بن اسماعيل الحيري النيسابوري ، احد كبار الملامتية

الرسالة التاسعة ومائة : ورقة رقم ١٤١ ب — ١٤٢ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا شأن القلب انه ملك والجوارح جنوده واعوانه . . .

نهاية : . . . الى ان لا يبقى منه شيء من جنس التراب فيصفو ويصلح لضرب الدراهم. ثم يدنى القلب من الوعظ فينجح فيه الذكر ويتعظ[٣١٦] .

الرسالة العاشرة ومائة : ورقة رقم ١٤٢ أ — ١٤٢ ب

عنوان : مسألة .

بداية . قال : لو ان رجلا له ديوان له مال فيه على ناس . . .

نهاية : . . . ام بموافقته ورفع الضرب عنه . فكذلك عندنا ونحن عبيده[٣١٧] .

. الرسالة الحادية عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٢ ب — ١٤٣ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال : نظرنا في تأويل حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم: «من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة » . . .

نهاية : . . . دخل في ذلك السلام والبركة وناله من خيرها وسعتها[٣١٨] .

الرسالة الثانية عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٣ أ — ١٤٣ ب

عنوان : مسألة .

في وقته » صحب يحي بن معاذ الرازي وشاه بن شجاع الكرماني وابا حفص ، الذي عنه اخذ الطريقة » توفي سنة ٢٩٨ للهجرة انظر ترجمته فى طبقات الصوفية ١٧٠ — ١٧٥ والحلية ١٠ : ٢٤٤—٢٤٦ وصفة الصفوة ٤: ٨٥—٨٨ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٢ والرسالة ٢٥ ومرآة الجنان ٢ : ٢٣٦ والمنتظم ٦ : ١٠٦ ووفيات الاعيان ١ : ٢٥٥ وتاريخ بغداد ٩ : ٩٩—١٠٢ والانساب ١٨٦ والبداية والنهاية ١١ : ١١٥

(٣١٦) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٧٦

(٣١٧) « « « « « ٧٧

(٣١٨) « « « « « ٧٨

بداية : قال : يعطي عبدة الطار ويفتح له من قربه ما لو داوم على ذلك لم يحتمله ...

نهاية : ... فاذهب الآن فانتشر في طاعتي حتى تشترى هذه الوليمة وانا اعلم بما يصلحك[٣١٩].

الرسالة الثالثة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٣ب — ١٤٤أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله، رحمة الله عليه : اول داء في النفس الجهل ثم حب الاشياء ...

نهاية : ... والقائم محصوله ربه، تبارك وتعالى[٣٢٠]!

الرسالة الرابعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٤أ

عنوان : مسألة .

بداية : ان النفس اذا استقامت دعت الخلق الى الصدق ...

نهاية : ... نسأل الله ان يمينا واياكم من دواهيها[٣٢١].

الرسالة الخامسة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٤أ — ١٤٦

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمه الله: ان الله تبارك وتعالى، خلق العرش فما دونه الى الثرى، وحشاه (الاصل : وحشاها) خلقاً ودعاهم اجمعين الى قول :« لا اله الا الله ؟ » ...

نهاية : ... حتى جبريل، عليه السلام، رأس الامناء. والمقربين، وعدتهم ويوم الزيارة قائدهم مع لواء الحمد الى الله تبارك وتعالى - وسائر الخلق بادوا وذهبوا لانهم خلقوا لبني آدم سخرة ومنفعة[٣٢٢].

---

٣١٩) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٧٩
٣٢٠) « « « « « ٨٠
٣٢١) « « « « « ٨١
٣٢٢) « « « « « ٨٢

الرسالة السادسة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٦ أ — ١٤٦ ب

عنوان : مسألة في المجذوبين .

بداية : قول الله سبحانه وتعالى : « الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » . . .

نهاية : . . . واهل الجباية مَنّ عليهم والمِنّة على قدر الشأن . والانبياء والرسل ، عليهم السلام ، اجتباهم وجذبهم[٣٢٣] .

الرسالة السابعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٦ ب — ١٤٧ أ

عنوان : مسألة .

بداية : سئل عن قول الله سبحانه وتعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً . . . » . . .

نهاية : . . . ايطمع ان يقف قلبه بين يدي الله تعالى وهو جنب ؟ هذا لا يكون[٣٢٤] !

الرسالة الثامنة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٧ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قيل له : لا تزال تكرر في دعائك : « استرنا واجبرنا » . . .

نهاية : . . . من هناك تصرخ اليه : « ان استرنا واجبرنا »[٣٢٥] .

الرسالة التاسعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٧ أ — ١٤٨ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدت الناظر الى خلقه على ثلاثة اصناف . . .

نهاية : . . . كان فعله اذا خرج من اختياره ومشيئته أحلا عنده من فعل

---

٣٢٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٨٤
٣٢٤) « « « « « « ٨٥
٣٢٥) « « « « « « ٨٦

العبد لنفسه . آخر المسائل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[٣٢٦] .

الرسالة العشرون ومائة : ورقة رقم ١٦٨ب — ١٦١أ .

عنوان : المسائل المُفَة .

بداية : قال ابو عبدالله محمد بن علي ، رحمة الله عليه : واما المسائل المفة فمن ذلك قوله : ان الوالد مطلق اليه في مال الولد اذا احتاج اليه...

نهاية : ... وشغله انفاقه في نباته عن التهني بشكره وشغله مصايبها بفوتها عن مصايب ذنوبه وعيوبه . همته نفسه . وامامه هواه . وهو في سهو عنه لا يتفكر فيا خلق له ولا لماذا خلق والى ما صار امره وعاقبته. تمت المسايل المفة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين وسلم اجمعين. آمين آمين ، رب العالمين[٣٢٧] .

الرسالة الحادية والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٦١أ — ١٦٣ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : سَبى (الاصل : سبا) الله قلوب الموحدين بنور الهداية ثم الزمهم العبودة بالامر والنهي بعد ذلك ...

نهاية : ... فيترك ما وجب له من العبودة ويبهما لهم ويتقهم ويرحمهم

(٣٢٦) انظر الفهرس العام .K. G رقم ٨٧

(٣٢٧) عرض لمجموعة من المسائل الفقهية، من ابواب متفرقة، حيث لا يراعي فيها مجرد النظر الفقهي الى الحل والحرمة من الناحية الظاهرية بل النظر الصوفي من الناحية الباطنية اي من حيث النية وقصد وجه الله الكريم في كل مسألة . — في هذه الرسالة يذكر الترمذي اسم كتاب من كتبه وهو كتاب الفروق (ورقة ١٥٦أ سطر ١٢) . هذا ، وقد كنا ذكرنا عنوان هذه المسائل في الفهرس العام .R. G رقم ٦٣ « المسائل النَفَسِّة » اتباعاً لما ذكره على حسن عبد القادر في مقدمته لكتاب الرياضة وادب النفس (ص ١٩) ولكن العنوان الحقيقي هو ما اثبتناه هنا بعد الرجوع الى النص نفسه . كما ان هذه التسمية « المَفَة » تتمشى مع سياق المسائل فهي في الواقع ، كما ذكرنا، عرض لبعض الامور الفقهية التي يجب ان يتفقه عنها المرء .

بصدق الباطن (حيث) كانوا لا يلتفتون الى إله كغيره فيشركون به.
تمت المسألة بمنة الله وعونه[٣٢٨].

الرسالة الثانية والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٦٣ب — ١٩٤ب

عنوان : —

بداية : وسألتم عن الاسم والمسمى. فالاسم للمسمى منه بدا واليه يعود.
وسألتم من فعل الخالق وفعل المخلوق. فما خفي على الخلق فهو فعل الخالق ...

نهاية : ... فقال : « انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » الآية[٣٢٩].

الرسالة الثالثة والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٩٠أ — ٢٠٧ب

عنوان : —

بداية : في قوله تعالى : « ما لها من فواق » قال : تلك نفخة الفزع بأمر الله تعالى ان يطولها وعدها ...

نهاية : ... ثم اقبل على اهل الجنان بذلك الفرح الذي كان في البدء. ودعاهم الى زيارته وذكره ، الى آخره. اختصرنا ذلك[٣٣٠].

---

٣٢٨) بحث عن التوحيد ودرجات الموحدين. — في هذا البحث يذكر المصنف اسم كتاب من كتبه : « كتاب الرياضة » ، ورقة ١٦٣أ (اخر سطر).

٣٢٩) مجموعة من الاجوبة على اسئلة ذات موضوعات مختلفة ، وكلها بغير عنوان. — في بعض هذه الاجوبة يذكر الشيخ شيئاً عن حياته الشخصية ، فيقول : « وقد بلغ سني خمساً وستين سنة وما احتلمت قط لا على حلال ولا على حرام. وقد ولد لي ستة اولاد » (ورقة ١٦٨أ سطر ٦ و ٧).

٣٣٠) تفسير مجموعة متفرقة من الآيات القرآنية الكريمة. — يذكر المصنف في ورقة ٢٠٥ ب سطر ٦ كتاباً له بعنوان : كتاب الاولياء فيقول : « وقد شرحنا هذا في كتاب الاولياء ... » فهل هو سيرة الاولياء او ختم الاولياء او علم الاولياء ؟

الرسالة الرابعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٧ب — ٢٠٨ا

عنوان : مسألة في الانسان .

بداية : قال ابو عبدالله، رحمة الله عليه : ان الانسان مطبوع على سبعة اخلاق ...

نهاية : ... » ... وذلك جزاء من تزكى « اي تطهر من الاسباب وهي هذه الاخلاق السبعة، ان شاء الله[٢٣١] .

الرسالة الخامسة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٨ا

عنوان : صفة الهوى ..

بداية : سئل، رحمه الله، عن الهوى ما هو ؟ قال : جوهره النفس. فان ابن آدم خلق من التراب . فكان الهوى هو عنصره ...

نهاية : ... ومنه قيل : الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي .

الرسالة السادسة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٨ب — ٢١٠ب

عنوان : في الولاية والتقوى .

بداية : قال ابو عبدالله رحمة الله عليه : الولاية على وجهين . ولاية يخرج بها من العداوة وهي ولاية التوحيد ...

نهاية : ... فمن أعرض عن الدنيا اقام الزهد . ومن اعرض عن النفس اقام العبودة والولاية .

الرسالة السابعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢١٠ب — ٢١٢ب

عنوان : في قصة عزير عليه السلام .

بداية : قال ابو عبدالله، رحمة الله عليه، في قوله عز وجل : » فلما تبين له « اي تبين له كيف يحيي الموتى ...

نهاية : ... فلما كان من النفوس ما كان دخل النقص في الطمأنينة والنقص في الوفا بتسليم النفس ووقع الحساب والوزن والحبس الطويل في العرصة .

٢٣١) وصف تفاني لترعات الانسان السافلة وكيف يمكن التبري عنها .

الرسالة الثامنة والعشرون ومائة . ورقة رقم ٢٢١ب — ٢٢٢

عنوان : ما ذكر في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير .

بداية : قال رحمه الله : الفرق بين التسبيح والتقديس ان التقديس لآلائه والتسبيح لأسمائه ...

نهاية : ... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس بين اهل الجنة وبين ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » .

الرسالة التاسعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٢٢ب — ٢٢٥ب

عنوان : مسألة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم !

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : حدثنا صالح بن محمد وسفيان بن وكيع قالا حدثنا جرير عن زيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت « ان الله وملائكته يصلون على النبي .. »

نهاية : ... لا يقال « صلى الله عليه » لاحد الا النبي صلى الله عليه وسلم فسكت جعفر[٢٢٣] .

الرسالة الثلاثون ومائة : ورقة رقم ٢٢٦أ — ٢٢٧ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه . كان الله تبارك وتعالى ولا شيء ثم أبدا من ملكه ما أبدا ثم أبدا خلقه ...

---

٢٢٣) يقول ناسخ هذا المجموع ، وهو كله بخط واحد ، ما نصه : « وهذا اخر ما حصل عندي من مسايل الشيخ الامام الحكيم . وكتبه الفقير الى رحمة ربه محمد بن هبة الله ابن محمد بن ابي جراد في سادس ربيع الاول من سنة احدى عشر وستماية وهو يسأل الله المغفرة له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله » . — هذا ، وقد جاء في معجم الادباء لياقوت ما يلي : « ان عم كمال الدين بن العديم ، وهو جمال الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله ، كان احد الاولياء العباد وارباب الرياضة والاجتهاد وقد شغف بتصانيف ابي عبدالله محمد بن علي بن الحكيم (؟) الترمذي فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخط يده (انظر معجم الادباء ٦ : ٢٢-٢٤ ط . مرجليوث) .

نهاية : ... فحصل من كلامنا ان الله خلق العرش فما دونه الى الثرى لهذا المؤمن واصطفاه لنفسه . والله الموفق . تمت .

الرسالة الحادية والثلاثون ومائة : ورقة رقم ٣٢٧

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وسألتم عن لذة العبادة من أيّ شيء تتشعب ...

نهاية : ... « قال : ما الاحسان ؟ قال : ان تعبد الله كأنك تراه . قال : صدقت » .

٢) تحليل مجموعة ولي الدين (اسطنبول) رقم ٧٧٠

الرسالة الاولى : ورقة رقم ١ب – ٧ب

عنوان : شفاء العلل .

بداية : بسم الله .. وبه نستعين قال ابو عبد الله محمد بن علي ، رحمه الله : ان كلمة « لا اله الا الله » لازمة للخلق الاعتقاد لها قلباً والاعتراف بها نطقاً والوفاء بها فعلاً ...

نهاية : ... وهم كلهم اهل صدق واخلاص . فانظر اين موقع هؤلاء في صدقهم واخلاصهم من هؤلاء الادعياء (الاصل : الاطباء) عبيد (الاصل : عند) المال (الاصل : الملك) [٣٣٣] .

الرسالة الثانية : رقم ورقة ٨ب – ٢٧١

عنوان : منازل القربة .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم. قال : اول منازل القربة (الاصل : القمر) الايمان بالله فهذه قربة العامة ...

نهاية : ... لأنا لا نملك الاشياء كما يملكون : انما نملكه لله وليس للنفس فيه دعوى[٣٣٤] .

---

٣٣٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٩٩

٣٣٤) يذكر الشيخ في هذه الرسالة جملة من المسائل التي مرت سابقاً مفردة وهي : الميراث

الرسالة الثالثة : ورقة رقم ٢٧أ — ٢٢

عنوان : انواع العلوم .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانك سألتني ، رحمك الله ! ان ابين الك انواع العلوم وكم نوع هي وما عواقبهـا . فالعلم عندنا ثلاثة انواع . نوع منها الحلال والحرام ونوع ثان الحكمة ونوع ثالث المعرفة ...

نهاية : ... وكل شيء يوجد بنفسه. والله تعالى انما يعرف ويوجد بآياته وخلقه وتدبيره . وآيات القرآن كلها دالة على ما وصفنـا . والحمد لله رب العالمين[٢٢٥] .

الرسالة الرابعة : ورقة رقم ٢٧أ — ٢٢ب

عنوان : اثبات العلل .

بداية : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانك سألتني عما (الاصل : عن ما) اختلف الناس فيه من اثبات العلل في الامر والنهي . . .

نهاية : ... ترقى (الاصل : ترقا) ان يزيل شيئاً من جسده عن شعره حتى لا يحرم الفداء والكرامة من الله تعالى . تم كتاب العلـل بحمد الله ومنه[٢٢٦] .

الرسالة الخامسة : ورقة رقم ٨٣ب — ٨٧أ

عنوان : الرد على الرافضة .

(الرسالة السادسة عشر مجموع ليبزيج) ، الخشية والعلم (الرسالة السادسة من المجموعة) ، الروح (الرسالة الثامنة) ، القلب (الرسالة العاشرة) ، البر (الرسالة السابعة والسبعون) ، الشكر (الرسالة الثانية والثانون) ، التقوى (الرسالة الخامسة والثانون) .

٢٢٥) في هذه الرسالة يذكر الشيخ مسألتين ذكرنا سابقاً في مجموع ليبزيغ مفردتين: ١ : حديث « لا يغفر الذنوب الا انت » (الرسالة الحادية والعشرون) ؛ ٢ : الله وظن القلوب (الرسالة السابعة عشر) .

٢٢٦) انظر الفهرس العام R. G. رقم٣١ . ويلاحظ ان الجملة الاخيرة من الكتاب : تم كتاب العلل . . . هي بخط مخالف للاصل . في هذا الكتاب يذكر المصنف اسماء كتب

بداية : بسم الله .. اعوذ بوجهه الكريم وبكلماته التامات من شر الشيطان الرجيم ... من كلام محمد بن علي الترمذي ، رحمه الله ، في كتاب الرد على الرافضة. قال: بعد ذكر خلافة الائمة الاربعة على الترتيب...

نهاية : ... وماذا اجازهم ابو بكر ، رضي الله عنه . وما دعاهم الى ما صنعوا واي غرض كان لهم في ذلك[٢٢٧] .

الرسالة السادسة : ورقة رقم ٨٧ا — ٩٠ا

عنوان : مسألة في الايمان والاحسان والاسلام .

بداية : بسم الله .. مسألة في الايمان.. .قال ابو عبدالله محمد بن علي الترمذي الحكيم ، رحمه الله : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله. سألتني عما وقع فيه الناس من الاختلاف في الايمان ومحله من الآدمي...

نهاية : ... لا اله الا أنت . اغثني يا مغيث . يا مغيث اغثني. يا مغيث[٢٢٨].

الرسالة السابعة : ورقة رقم ٩٠ا — ١٢٧ب

عنوان : ختم الاولياء .

بداية : بسم الله .. الحمد لله هو اهله والصلاة على محمد رسوله وآله وصحبه وسلم . قال ابو عبدالله بن علي الترمذي ، رحمه الله ، اما بعد : فانك ذكرت البحث فيما خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية ...

نهاية : ... فقال : « وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » وسماها في التنزيل « صديقة » . والحمد لله من رب العالمين[٢٢٩] ...

الآتية: كتاب صفة القلوب ومنازلها (ورقة ٣٦ا ، ٧٢ا) وانظر الفهرس العام R. G. رقم ١٩) وكتاب الحج (ورقة ٤٣ا ، وانظر الفهرس العام R. G. رقم ٢٥) وكتاب علم الاولياء (ورقة ٤٣ا ، ٤٦ب ، ٤٧ا ، ٤٨ا وانظر الفهرس العام R. G. رقم ٣٢) .

(٢٢٧) الكتاب هنا غير تام :

(٢٢٨) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٩٧

(٢٢٩) « « « « « ٣٦

الرسالة الثامنة : ورقة رقم ١٢٨ب — ١٧٧

عنوان : علل العبادات .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي رفع السماء بلا عمد مأسوس وسطح الارض على وجه ماء محبوس. وارتدها بالجبل المرسوس نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهده ونؤمن به ونتوكل عليه ونشهد ان لا اله الا الله . . . باب لاي علة امر العباد بالسواك ولاي علة صار سنة عليهم . . . قال ابو عبدالله محمد الترمذي ، رحمه الله : اعلم ان العبد اذا قام في الصلاة يقرأ لا يزال الملك يدنو منه . . .

نهاية : . . . فهذا بمنزلة ملك قد هيأ لعبيده عرساً وفي ذلك العرس ألوان الاطعمة وألوان الاشربة حتى يصدرهم من عنده وقد تملوا من الطعام شبعاً : أشبعهم وارواهم . فقد كان العبيد نالهم القحط والجوع والظمأ فأصدرهم من عنده وقد تملوا من الطعام شبعاً وتضلعوا من الاشربة ريا الى ان يأتي قحط آخر فينالهم من الجوع والظمأ . فهذا دأبهم ايام الحياة(٣٦٠) .

الرسالة التاسعة : ورقة رقم ١٧٧ب — ١٨٣ب

عنوان : (مسألة في كيفية خلق الانسان) .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : ان الله تبارك اسمه خلق ابن آدم من هذه الارض . . .

٣٦٠) بحث مفصل عن حكمة شرعية الصلاة والوضوء وما يتعلق بها . يعتمد الشيخ في ابحاثه على السنة واثار السلف . — العنوان الذي وضعناه لهذا الكتاب لا يوجد في الاصل . ويوجد لهذا الكتاب نسخة اخرى في دار الكتب المصرية رقم ١٢٥ مجاميع ٢٦٨أ—٢١٣ب . والعنوان هناك : « كتاب كيفية الصلاة والسواك والاغتسال والوضوء واصل ذلك وسببه على التمام والكمال » وهذا العنوان مذكور على غلاف الكتاب بخط الناسخ الاصلي . ولكن يوجد على الغلاف ايضاً عنوان آخر ، بخط جديد : « العلل للحكيم الترمذي » . والواقع ان موضوع الكتاب ، كما ذكرنا ، هو بيان علة اركان الوضوء والصلاة وسننها وآدابها وما يتعلق بها . هذا والمعروف ان للمؤلف كتابين : كتاب اثبات العلل ، وكتاب علل

نهاية : ... فلما لم يتقدمه في التواضع احد، لم يتقدمه في الامن احد: لحظه (الاصل: بحظه) الوافر وعقله الكامل ونفسه الكريمة وطبعه المستوى.

الرسالة العاشرة: ورقة رقم ١٨٢ب — ١٨٣ب

عنوان : باب في شأن النية.

بداية : حدثنا صالح بن عبدالله حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً هل تدرون من المؤمن ؟ ...

نهاية : ... وهذا عنده محال بعد ان استقام قلبه لله عبودة وقام بين يديه[٢٤١].

الرسالة الحادية عشر : ورقة رقم ١٨٣ب — ١٨٤أ

عنوان : : باب في الرزق.

بداية : قال ابو عبدالله . رحمه الله : ووجدنا ان المتنبهين سكنت قلوبهم على الرزق ...

نهاية : ... فاتصاله بخالقه اكثر من اتصال العبد بمولاه اذا مكن له بين يديه[٢٤٢]

الرسالة الثانية عشر : ورقة رقم ١٨٤أ — ١٨٨ب

عنوان : باب في بيان المفردين.

بداية : قال ابو عبدالله . رحمه الله: سألت عن رجل يعبد طلب الثواب والقرار من العقاب ...

نهاية : ... لانه قد اخذه ربه فسلطانه يغلب الاشياء ويمنع الاشياء ان تشغله[٢٤٣].

العبادة او العبادات، او الشريعة . وموضوع كل الكتابين مختلف عن الآخر تماماً. ويجب ان يلاحظ هنا ان نسخة دار الكتب يختلف آخرها عن اخر هذه النسخة. انظر الفهرس العام .G .R رقم ٣١

٢٤١) انظر ما تقدم الرسالة التاسعة والسبعين من مجموع ليتربيج والفهرس العام .G .R رقم ٥١

٢٤٢) « « « السادسة والثمين « « « « « « « « ٥٣

٢٤٣) « « « الحادية والثمانين « « « « « « « « ٥٤

الرسالة الثالثة عشر : ورقة رقم ١٨٨ب — ١٩٠أ

عنوان : باب في تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » .

بداية : قال ابو عبدالله . رحمه الله : وسألتم عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فهذا حديث الكوفيين...

نهاية : ... وكيف قام بذلك في زمان معاوية وتركه في زمان ابي بكر وعمر ، رضي الله عنهم وعن جميع اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم !(٢٤٤) ...

الرسالة الرابعة عشر : ورقة رقم ١٩٠ب — ١٩١أ

عنوان : باب في تفاوت المعرفة والايمان والتوحيد .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : فالمعرفة اذا عرف الله بقلبه واطمأنّ اليه ...

نهاية : .. يقبضهم على فراشه (فراشهم ؟) ويقسم لهم اجور الشهدا...

الرسالة الخامسة عشر : ورقة رقم ١٩١أ — ١٩١ب

عنوان : باب آخر في الصفات .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن قوله : « العظمة ازاري والكبرياء ردائي والرحمة قميصي » ...

نهاية : ... ويعضون على ايديهم ندماً وحسرة، والمفتونون المشبهون الزائغون عن الله تعالى اولئك المعجم (الاصل : العم) البهم(٢٤٥) .

---

(٢٤٤) مذهب الشيخ في هذا الحديث انه غير مقبول لانه جاء عن طريق المتعصبين لاهل البيت . ولكنه يرى مزيد فضل لاهل البيت ، رضي الله عنهم ، « انهم غير واقعين في الاهواء وهم حيث كانوا من بلدان المسلمين تراهم المتقدمين خلقاً وادباً وسماحة وتديناً وكل مكرمة وخلق من معاني الاخلاق موجودة فيهم ... ففضلهم بيّن وحفظ رعايتهم على المسلمين واجبة اما التفقه في الدين والدخول في نوازل الناس وفتياهم فانهم بمعزل ؛ يرى امر الامة في هذا » .

(٢٤٥) مذهب الشيخ في الصفات المنسوبة الى الله تعالى، في بعض الآيات القرآنية والاحاديث الثابتة والتي يوهم ظاهرها تشبيه الحق المنزه بالخلق المقيد هو وسط بين غلو التشبيه والتعطيل:

الرسالة السادسة عشر : ورقة رقم ١٩١ب — ١٩٢أ

عنوان : باب في قول الله ، تبارك وتعالى : « من رجا غير فضلي وخاف غير عدلي فليطلب رباً سواي » .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن قوله ، عز وجل ، من رجا ... والموحدون كلهم لا يرجون الا فضله ولا يخافون الا عدله ...

نهاية : ... انه اتاه سائل فاعطاه درهماً ثم أتاه مرة أخرى فمنعه . فقال : « الله اعطاك والله منعك » !

الرسالة السابعة عشر : ورقة رقم ١٩٢ب — ١٩٣أ

عنوان : باب في لذة الطاعة من اي شيء تتشعب .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن لذة العبادة من اي شيء تتشعب ...

نهاية : ... « قال : ما الاحسان ؟ قال : ان تعبد الله كأنك تراه . قال : صدقت ! »[٣٦٦] .

الرسالة الثامنة عشر : ورقة رقم ١٩٣أ — ١٩٣ب

عنوان : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألت عن قول عيسى ، صلوات الله وسلامه عليه : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » فان الله تعالى خلق الدنيا مرفقاً للعباد ليقووا بها على العبودية ...

نهاية : ... فالمودة اذا رسخت وامتلت النفس منها زهدت (الاصل : وهدت) عن كل شيء سواه وغرقت (الاصل : وعرقت) هذه اللذات في تلك اللذات .

وأدوا المرفة حقها . فان حقها قبولها . فليس بالله حاجة الى التزول ولا الى الضحك . انما هذا كرمه وجوده جاء به على الاحباب . فبهذا يعيشون في سجن الدنيا حتى يصيروا اليه يوم القيامة . فتصير هذه الاشياء كلها معاينة . وهناك يخسر المبطلون ! »

٣٦٦) أنظر ما تقدم ، مجموع ليبزيج ، الرسالة الحادية والثلاثين ومائة.

الرسالة التاسعة عشر : ورقة رقم ١٩٣ب

عنوان : باب في حقيقة بسم الله .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسالتم عن حقيقة بسم الله . فان الدنيا لها سم لانها شهوات ملهية عن الله. فبسم الله يؤخذ السم حتى لا يضر وهو ترياق الدنيا . . .

نهاية : . . . فحقيقة بسم الله لمن وصل الى الالوهة وحقيقة الحمد لله لمن وصل الى عش (الاصل: عشر) الحمد بين يديه : الى حمده الذي حمد به نفسه من قبل ان يحمده احد من خلقه.

الرسالة العشرون : ورقة رقم ١٩٣ب — ١٩٤ا

عنوان : باب في الحمد .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : قوله : « الحمد لله » كلمة وافرة اذا قالها منتبهاً متيقظاً وذلك ان هذه كلمة خرجت مخرج المعرفة . . .

نهاية : . . . فانما يملأ الميزان من كلمة اذا قالها ، على ما وصفت . يشير بقلبه الى ذلك .

الرسالة الحادية والعشرون : ورقة رقم ١٩٤ا

عنوان : باب في السواد الاعظم .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألت عن قوله : « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » . . .

نهاية : . . . واعلموا ، رحمكم الله ! ان لكل فعل درجات : فادناها ان توحده بقلبك أعلاها أن لا تركن لاحد سواه .

الرسالة الثانية والعشرون : ورقة رقم ١٩٤ب

عنوان : باب في صفة المؤمن .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وان ابن آدم مطبوع على سبع وهي : الغفلة والشك والشرك والرغبة والرهبة والشهوة والغضب . . .

نهاية : . . . ولا يغضب الا في ذات الله ولله ولا يحتمل شهوته الا بذكر الله . تم بحمد الله وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين واصحابه رضي الله عنهم (٢٤٧) .

الرسالة الثالثة والعشرون : ورقة رقم ١٩٦ب — ٢٠٠أ

عنوان : —

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . عونك وتوفيقك في عونك ، يا ذا الجلال والاكرام ! الحمد لله الاول القديم والآخر الدايم العظيم . . . اما بعد : فان الله ، تبارك اسمه ! خلق هذا الآدمي من تراب ثم من نطفة ثم صوّره في بطن امه . . .

نهاية : . . . الا تسمع الى قوله ، عز وجل : « يا داود ان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها محجوبة عني » (٢٤٨) .

(يتبع)

---

٢٤٧) هذا الباب هو جزء من الفصل الاخير من كتاب الرياضة للمصنف وانظر ما تقدم ايضاً مجموع ليزيج الرسالة الثامنة ومائة والرسالة الرابعة والعشرون ومائة .

٢٤٨) هذه الرسالة لا عنوان لها ولا ذكر للمؤلف بها . وموضوعها شرح معاني الاسماء الدالة على الوحي الالهي : القرآن ، الكتاب ، المبين ، الهدى الرحمة الخ . . .

الرازي ومحنة الطبيب

تحقيق الدكتور ا. ز. اسكندر

الباب الاول

اولاً : التعريف بالرازي

أجمع المؤرخون على الإشادة بالرازي الطبيب، فقال ابن النديم : إنّ أبا بكر محمد بن زكريا الرازي كان « أوحد دهره، وفريد عصره[1] »، وذكر ابن القفطي أنّه « طبيب المسلمين غير مدافع »[2]، وسمّاه ابن أبي أصيبعة « جالينوس العرب »[3]. وقد ترك لنا هذا الطبيب الفيلسوف كتاباً في سيرته[4]، وآخر عن مؤلفاته[5]، ولكن لم يُعثر حتى الآن على مخطوطات لهذين الكتابين، وهما في حكم المفقودين.

ويبدو أن الكثير مما كتبه مؤرخو الرازي غير موثوق به، فتاريخ ميلاده ووفاته غير محققين[6]، وأما مصادر تأريخ حياته فإنّها تعتمد على روايات متأخرين، لا على مصدر معاصر، كما فعل ابن النديم نقلاً عن فلانٍ عن فلان، وهذا نص عبارته :

« قال لي محمد بن الحسن الوراق : قال لي رجل من اهل الريّ — شيخ

١) الفهرست ص ٢٩٩ س ٣

٢) ابن القفطي ص ٢٧١ س ١٤

٣) ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ٣١

٤) نفس المصدر ج ١ ص ٣٢١ س ١٣

٥) الفهرست ص ٢٩٩ س ٣٠-٣١، ص ٣٠٢ س ١٩ ؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ٩

٦) ابن القفطي ص ٢٧٢ س ١-٣ ؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣١٤ س ١٠-١٣؛ ياقوت بلدان ج ٢ ص ٨٩٨ س ١٨ — ٢٠ ؛ ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٥ ؛ حاجي خليفة ج ١ ص ٥٧٧، ٦٢٨ ؛ ج ٢ ص ١٨٦٢ ؛ الصفدي ج ٣ ص ٧٦

كبير — سألته عن الرازي ، فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسفطاً ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ أخر. وكان يجيئ الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه — فإن كان عندهم علم ؛ وإلّا تعداهم إلى غيرهم — فإن أصابوا ، وإلا تكلم الرازي في ذلك »[1].

وقد قيل إنّ مولد الرازي كان في الريّ[2] ، ومنها اشتق اسمه . والريّ مدينة قديمة[3] تقع بالقرب من طهران[4] ، عاصمة إيران في الوقت الحاضر. وكان الرازي منذ صباه مولعاً بالغناء ، ماهرًا في الموسيقى وكان يعزف العود بمهارة ، ولكنه لما التحى وجهه قال :

« كل غناء يخرج بين شارب ولحية لا يستظرف »[5] .

وكان الرازي في شبابه مكباً على دراسة الادب[6] ، وكتابة الشعر[7] ، ودراسة الفلسفة ، ومن المحتمل أنّ معلمه فيها هو البلخي[8] ، أما اسم أستاذه في الطب فغير معلوم على وجه التحقيق[9] ، وقد بيّنا في مقال سابق لنا أنّ الرازي

١) الفهرست ص ٢٩٩ س ٤—٧

٢) البيروني ص ٤ ؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ١٦

٣) راجع دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ١١٠٥-١١٠٨

٤) كانت مدينة الريّ واقعة في الركن الشمالي الايسر من مديرية الجبال ، وقد كانت أم العواصم الاربعة في هذه المديرية . أنظر G. Le Strange, *The Lands of Eastern Caliphate*, Cambridge, 1905, p. 214 .

٥) ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٤ س ٥

٦) ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣١٩ س ١٨

٧) نفس المرجع ج ١ ص ٣١٥ س ١٩—٢٠

٨) جدير بالذكر ان احد كتب الرازي الطبية موسوم بانه : « في العلة التي من اجلها يعرض الزكام لابي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد ». انظر نفس المرجع ص ٣١٩ س ١٩—٢٠

٩) يذكر المؤرخون اسم الطبري. انظر نفس المرجع ج ١ ص ٣٠٩ س ١٠ ؛ الصفدي ج ٣ ص ٧٦ س ١٠—١١ ؛ ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٥ س ٩ ؛ راجع مقالات :

J. Rusk, « Über den gegenwärtigen stand der Râzi Forschung, » *Archeon* formerly Archivo di storia della Scienza, v (1924) 345; M.Meyerhof, «'Alī at-Ṭabarī's «Paradise of Wisdom», one of the oldest Arabic compendiums of medicine», *Isis*, XVI (1931) 10 .

درس الطب في حداثتـه ببغداد – وفي ذلك ما يخالف آراء مؤرخي الرازي القدامى والمحدثين[1] .

ومن الواضح ان الرازي وقف كذلك جزءا كبيرًا من وقته على دراسة الكيمياء[2] ، فقد ذكر البيروني واحدًا وعشرين من مؤلفاته في الصنعة[3] ، وقد طرق فيها بابًا جديدًا فكان اول من استخدم المستحضرات الكيميائيـة في العلاجات الطبية[4] – وربما كانت الكيمياء ايضًا احد موارد رزقه ، فمن قوله : « انا لا اسمي فيلسوفًا الا من كان قد علم صنعة الكيمياء ، لانه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس ، وتنزّه عما في أيديهم ولم يحتج إليهم »[5] .

وربما قصد من قوله هذا أنّ الفيلسوف الذي لا يملك موردًا للرزق[6] له أن يحترف الصنعة[7] حتى يعتمد في كسب عيشه على نفسه ، فيحتفظ بحرية الرأي.

١) راجع مقالنا في مجلة المشرق جـ ٢ سنة ١٩٦٠ ص ١٦٨–١٧٧

٢) كان الرازي من المتحمسين لدراسة الكيمياء ، فمن كتبه : شرف الصناعة (البيروني ص ١٩ (رقم ١٥٧) ؛ الفهرست ص ٣٥٨ س ١٠) ؛ في أنّ صناعة الكيمياء إلى الوجوب أقرب منها إلى الامتناع (الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٨–٣٠٠ س ١ ؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ١٨–٢٧٤ س ١) .

وقد كتب في« الرد على الكندي في إدخاله صناعة الكيمياء في الممتنع» (ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٦ س ١٢–١٣). وقد يكون هذا الكتاب ردًا على رسالة الكندي : « في التنبيه على خدع الكيميائيين » ، (الفهرست ص ٢٦١ س ٨ ؛ ابن القفطي ص ٣٧٥ س ١٧) ، ورسالته « في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم » (الفهرست ص ٢٦١ س ١٦–١٧ ؛ ابن القفطي ص ٣٧٦ س ٦ – ٧ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢١٣ س ٣٣ – ٢١٤ س ١) .

٣) البيروني ص ١٩–٢٠ وراجع مقالتي روسكا :

«Al-Bīrūnī als Quelle für das Leben und die Schriften al-Rāzī's», *Isis*, V (1923) 47 ; « Die Alchemie ar-Rāzī's», *Der Islam*, XII (1935) 281-319.

٤) J. Freind, *The History of Physick from the time of Galen to the beginning of the sixteenth century*, London, 1726, II, 59.

٥) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٣ س ٢٥–٢٧

٦) في أحد كتبه يذكر الرازي « المتفلسف من أولاد الملوك » . انظر رسائل فلسفية ص ١٠٦ س ١٧

٧) المقصود بالصنعة الكيمياء ، وهي استحالة المعادن الخسيسة إلى معدني الذهب والفضة . فهل كان الرازي يؤمن بالكيمياء على هذا النحو ؟ أو ينبغي الشك في الرواية المذكورة .

وقد كان حكم فلاسفة العصر الوسيط على كتبه الفلسفية قاسياً[1] ؛ أما علماء العصر الحديث فقد أفاضوا في مدحها[2] : واتهمه الأقدمون بالكفر والزندقة[3] ، لأنه قد انتقد الأنبياء[4] ، وتشكك في معجزاتهم[5] ، ولم يحاول التوفيق بين ما قد يظهر من اختلاف بين الدين والفلسفة[6] .

ويقول البيروني عن الرازي إنه « كان دائم الدرس شديداً لاتباعه ، يضع سراجه في مشكاة على حائط يواجهه، مسنداً كتابه إليه كما إذا غلبه النعاس

١) طبقات الامم ص ٥٢-٥٣، ابن ابي اصيبعة ج١ ص ٣١٠ - س ٢٥-٢٧، وراجع: E.G. Browne, *Arabian Medicine*. Cambridge, 1921, p. 44.

٢) راجع مقال: M. Meyerhof, «The Philosophy of the Physician Ar-Rāzī», *Islamic Culture*, XV (1941) 45.

٣) رسائل فلسفية ص ٢٩٢-٢٩٥

٤) نفس المصدر ص ٤٥ س ١-٤ . راجع الترجمة الانجليزية : A.J. Arberry. *The Spiritual Physick of Rhazes*, translated from the Arabic, London, 1950, pp. 47-48.

٥) يشير المؤرخون إلى الكتب الآتية وينسبونها للرازي :

« فيما يرد به إظهار ما يدعى من عيوب الانبياء» (الفهرست ص ٣٠١ س١٩)؛ «كتاب ما يدعى من عيوب الاولياء » (ابن القفطي ص ٢٧٦ س ٢-٣) ؛

« فيما يرومه من إظهار ما يدعى من عيوب الاولياء » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٠ س ١٦-١٧) . ويضيف ابن أبي أصيبعة (س ١٧-٢١) أنّ « هذا الكتاب إنْ كان قد ألّف والله أعلم، فربما أن بعض الاشرار المعادين للرازي قد ألّفه ونسبه إليه ليسيء من يرى ذلك الكتاب أو يسمع به الظن بالرازي، وإلّا فالرازي أجلّ من أن يحاول هذا الامر وأن يصنّف في هذا المعنى . وحتى أن بعض من يذم الرازي بل يكفره كعلي بن رضوان المصري وغيره يسمون ذلك الكتاب كتاب الرازي في « مخاريق الانبياء » .

ويعطي البيروني (ص ٢٠ رقم ١٧٣-١٧٤) اسم الكتابين الآتيين تحت عنوان كفريات : « في النبوّات ، ويدْعى نقض الاديان » ؛ « في حيل المتنبين ، ويدعى مخاريق الانبياء » .

٦) راجع مقال: M. Meyerhof, «The Philosophy of the Physician, Ar-Rāzī», *Islamic Culture*, op. cit., p. 49.

سقط الكتاب من يده ، فأيقظه ليعود إلى ما هو عليه »[١] . ومات الرازي في سن الستين تاركاً ثروة علمية طائلة، فبلغت مؤلفاته ما يقرب من المائتي كتاب في شتى الفنون كالطب ، والطبيعيات ، والمنطق ، والرياضيات ، والفلسفة ، والكيمياء وغيرها[٢] . ونكتفي بذكر كلمة عابرة عن مؤلفاته الطبية التي تربو في عددها على المائة كتاب .

تبين لنا من دراسة كتب الرازي أنه ألف موسوعة طبية أطلق عليها اسم « الجامع » . وقد استغرق تأليف ذلك الكتاب — كما يقول الرازي — خمس عشرة سنة ، واصل فيها المؤلف العمل الليل بالنهار ، مما أدى إلى ضعف بصره وإصابته بمرض عضال في يده اليمنى ، فمنعه ذلك من القراءة والكتابة، ولكنه استمر في الدرس والتحصيل بمساعدة تلاميذه المخلصين الذين تطوعوا للقراءة عليه ، والكتابة له[٣] .

وكتاب الجامع يخالف كل الاختلاف شبيهه في الإسم : كتاب «الحاوي». وكان يظن أن « الجامع » ، و« الحاوي » اسمان مترادفان لكتاب واحد[٤] . والواقع يتكون كتاب « الجامع » من اثنى عشر جزءا . ولم نعثر — إلى الآن — إلا على جزءين فقط من أجزاء هذا الكتاب ، محفوظين في مخطوط بمكتبة بودليانا[٥] . اما « الحاوي » فهو مذكرات الرازي الخاصة التي جمعها تلامذته بعد وفاته وتم إصدارها في خمسة وعشرين جزءا[٦] . وهذه المذكرات

١) البيروني ص ٥ س ٤–٦

٢) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٠ — ص ٣٠١ س ٢٤ ثم ص ٣٥٨ س ٦ — ١٣ ؛ البيروني ص ٦–٢١ ؛ ابن القفطي ص ٢٧٢ س ٨ — ١٦ ثم ص ٢٧٣ س ٩ — ص ٢٧٧ س ٧ ؛ ابن أبي أصيبعة ص ٣١٥ س ١٤ — ص ٣٢١ س ٢٠

٣) رسائل فلسفية ص ١١٠ س ٧–١٥

٤) مثلًا انظر الفهرست ص ٣٠٠ س ٤ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٥) ، ابن القفطي ص ٢٧٤ س ٢–٣

٥) مخطوط Bod Or. 561

« كتاب صيدنة الطب » (ورق ١ وجه إلى ورق ١٩ وجه س ٢) .

« كتاب المكاييل والموازين » (ورق ١٩ وجه س ٣ — ورق ١٢٥ وجه س ١٣) .

٦) اعتمدنا في حصر عدد اجزاء « الحاوي » على الطبعات اللاتينية (بركسيا سنة

حافلة بالنقد العلمي لكتب الاطباء الذين سبقوه . وإنّ مؤرخي الطب يحيون هذه الشجاعة العلمية في الرازي ، ويقدرون اعتداده برأيه . ففي القرن الرابع الهجري ، كانت كتب بقراط وجالينوس دستورًا يؤمن به الاطباء ، فكانت كلمة « قال بقراط » أو « قال جالينوس » كافية لقبول القول دون البحث فيه ، أو التشكك في صحته . ولما اكتشف علماء الغرب ما جاء في مذكرات « الحاوي » من علوم مفيدة ، أقبلوا على ترجمتها إلى اللغة اللاتينية ، فأتم ترجمتها الطبيب فرج بن سالم في جزيرة صقلية سنة ١٢٧٩ م بناء على طلب الملك شارل من سلالة أنجو Charles of Anjou واستغرقت الترجمة جل حياة المترجم[1] . وطُبع هذا الكتاب أكثر من مرة ، فنها طبعة « بركسيا سنة ١٤٨٦ »، وطبعتا « البندقية سنة ١٥٠٦ ، وسنة ١٥٤٢ »[2] .

اما كتاب « الجدري والحصبة » فيعتبره العلماء أنفس الكتب الطبية التي صنفها العرب[3] ، وتُرجم هذا الكتاب إلى لغات عديدة وظهرت له طبعات كثيرة : فهناك ترجمة يونانية طُبعت سنة ١٥٤٨ ، وطبعات عديدة لاتينية في سنة ١٤٩٨، ١٥٢٩، ١٥٤٤، ١٥٤٩، ١٥٥٥، ١٧٤٧، ١٧٨١، وظهرت ترجمة فرنسية سنة ١٧٦٢ وأخرى انجليزية سنة ١٨٤٨ وظهرت طبعة عربيــة في لندن سنة ١٧٦٦[4] .

وكان لكتابه « المنصوري في الطب » شهرة فائقة ، وتُرجم ايضاً إلى اللغة

١٤٨٦ ؛ البندقية سنة ١٥٠٦) . هذا ولم يُعمل حصر شامل حتى الآن لاجزاء الحاوي المبعثرة في شتى مكاتب العالم ؛ وقد بدأت دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن في نشر أجزاء هذا الكتاب لاول مرة باللغة العربية في سنة ١٩٥٥ ، وظهر حتى الآن ثمانية اجزاء فقط .

(١) انظر : A. Castiglioni, *A History of Mediciene*, Translated by : E. B. Krumbhaar, 2 nd. ed., London, 1947, p. 268 .

(٢) انظر : D. Campbell, *Arabian Medicine*, London, 1926,I,69.

(٣) انظر : M. Neuburger, *History of Medicine*. Translated by E. Playfair, London, 1910, I, 362.

(٤) انظر : D. Campbell, op. cit., I, 70.

اللاتينية (١٤٨١، ١٤٩٧، ١٥١٠، ١٥٤٤)[١]. والجزء التاسع من هذا الكتاب Nonus Almansoris — وهو عن الحميات — كان يدخل في صلب المنهاج في في جامعات أوربا ؛ فمثلاً كان عميد كلية الطب بجامعة مونبلييه يحاضر في سنة ١٥٥٨ من هذا الكتاب[٢]. وللرازي كتاب ذو قيمة عالية هو كتاب « تقسيم العلل » ، وهو لازم لكل من اشتغل بترجمة الاصطلاحات الطبية القديمة ، فهو بمثابة قاموس طبي ، وتوجد منه ثلاثة مخطوطات[٣]. وإليكم أسماء بعض كتبه التي تدل على خبرته الواسعة بشؤون الطب :

كتاب : الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس[٤] ؛ كتاب : في الأسباب المميلة لقلوب الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم[٥] ؛ كتاب في التلطف في إيصال المريض إلى بعض شهواته[٦] ؛ كتاب في العلة التي يسنم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وإن كان حاذقاً[٧] ؛ كتاب في أن الطبيب الحاذق

---

١) نفس المرجع ص ٦٨

٢) انظر : C. Elgood, *A Medical History of Persia and Eastern Caliphate*, Cambridge, 1951, p. 208.

٣) مخطوط المتحف البريطاني رقم Add. 5932 ؛ مخطوط الازهر رقم ٧٣ طب ؛ مخطوط البندقية – انظر :

Assemani, Catal. dei Codd. Mss. Orient. della Bibliot. Naniana, II, 238.

وجاء ذكر ذلك الكتاب في مراجع :

الفهرست ص ٣٠٠ س ٢٣ ؛ البيروني ص ٧ (رقم ٩) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ١٧ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٦ س ٢٣

٤) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٧ ؛ البيروني ص ١٣ (رقم ٨٨) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ١٢ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٦ س ١٠

٥) الفهرست ص ٣٠٠ س ١٤–١٥ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٤) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ٥–٦ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٧ س ٩

٦) الفهرست ص ٣٠١ س ٧ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٣) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٥ س ٨ – ٩

٧) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٠–١١ ؛ ابن أبي أصيبعة ص ٣١٩ س ٨–٩

ليس هو من قدر على إبراء جميع الملل فانّ ذلك ليس في الوسع[1] ؛ رسالة في العلة التي من أجلها صار ينجح جهال الأطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الامراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك[2] .

ثانياً : أهمية كتاب محنة الطبيب

يظهر أنّ الطب في أيام بقراط كان مقصوراً على عائلة أسقليبيوس[3] وكان بقراط أول من أوصى بتعليم الطب للغرباء[4] .

ونعلم أنه نشأت مع بناء مدينة الإسكندرية (٣٣٢ — ٣٣١ ق . م) مدرسة للطب ، وتمتعت هذه المدرسة بسمعة طيبة ، فكان يؤمها طلاب العلم من كل صوب ، فتخرج منها جالينوس ، واشتهر فيها علماء مثل هيروفيلوس Herophilus الذي يعتبر أعظم علماء التشريح في العصور القديمة ، وإراسطراطس Erasistratus مؤسس علم وظائف الاعضاء[5] . وإن كنا لا نعرف إلّا القليل عن المنهاج الدراسي في مدرسة الاسكندرية[6] ، إلّا أننا لا نعلم اي شيء عن طريقة تأهيل الاطباء فيها .

ولما نشطت حركة الترجمة في مدينة جنديسابور على أيدي النساطرة مثل سرجيوس الرأس عيني ثم حنين بن إسحق ، وابنه إسحق ، وابن أخيه حبيش

---

١) الفهرست ص ٣٠٢ س ١١–١٣ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٣) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٩ س ١١–١٤

٢) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٥–١٦ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٦) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٤ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٩ س ١٥–١٦

٣) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٥ س ١

٤) نفس المرجع ص ٢٤ س ٢٦–٢٩

٥) انظر : A. J. Brook, *Greek Medicine*, London and Torento, 1929, pp. 22, 14; G. Sarton, *Introduction to the History of Science*, Baltimore, 1953, I, 159.

٦) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٦ س ١ – ص ١٠٨ س ١٢

ابن الحسن ، وعيسى بن يحيى ، واصطفن بن باسيل ، وثابت بن قرة ، ويوسف ابن خوري وغيرهم — لما نشطت حركة الترجمة صار التراث اليوناني في متناول الاطباء السريانيين والعرب ، فأقبلوا على جمع نسخ من تراجم الكتب الطبية المشهورة لبقراط ، وجالينوس ، وروفس ، وأركيغانس ، واورياسيوس ، وأطيس الآمدي ، واسكندر الترالي وأهرن القس ، وبولس الأغنيطي ، وغيرهم[1].

وراجت صناعة النسخ حتى أن بعض الكتبة كانوا ينسبون الكتب التي ينسخونها إلى أطباء مشهورين أملا في رواجها وبيعها بأثمان غالية . وكان لأطباء جنديسابور فضل على النهضة الطبية في الوطن العربي ؛ إلا أنهم كانوا أطباء متغطرسين ، يميلون إلى قصر مهنة الطب على أبناء مدينتهم ، ومثالنا في ذلك كبرياء يوحنا بن ماسويه الذي رفض أن يعلم حنين بن إسحق لأنه من أبناء الصيارفة ومن أهل مدينة الحيرة ، وليس من جنديسابور[2] ، مما اضطر حنينا إلى الهجرة إلى بلاد اليونان فتعلم اللغة ، وأتقنها كأحد أبنائها ، ثم درس المخطوطات اليونانية ، فصار طبيباً ماهراً وعميداً للمترجمين في عصره .

وبالرغم من أن نفراً من أساطين الطب في القرون الأولى بعد الميلاد وفي العصر الوسيط قد اهتموا بكيفية امتحان الطبيب ؛ فمثلا قد ألف في هذا المعنى كل من جالينوس[3] ، ويوحنا بن ماسويه[4] ، وحنين بن إسحق العبادي[5] ، وأبو بكر الرازي[6] ؛ إلا أن الصورة التي وصلتنا عن كيفية أداء ذلك الامتحان

١) تظهر جميع هذه الاسماء ، مع أسماء كثيرة لاطباء آخرين ، في مذكرات الرازي الخاصة المعروفة بـ « الحاوي » .

٢) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٨٥ س ٦-١٣

٣) الفهرست ص ٢٩١ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٣ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٠٠ س ٩

٤) الفهرست ص ٢٩٦ س ٣ ؛ ابن القفطي ص ٣٨١ س ٨ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٨٣ س ١٢-١٣

٥) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٩٩ س ٢٨

٦) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٧ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٦) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٥ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٩ س ٢٠-٢١

غير جادة ومشوهة . فابن القفطي يروي في ذلك أنه « في سنة تسع عشرة وثلاثمائة اتصل بالمقتدر أنّ رجلًا من الأطباء غلط على رجل فمات . فأمر أبا بطيحة[1] محتسبة بمنع جميع الأطباء ، إلّا من امتحنه « سنان » ، وكتب له رقعة بما يطلق له التصرّف فيه من الصناعة. وأمر سنانا[2] بامتحانهم وأنْ يطلق لكل واحد منهم ما يصلح أنْ يتصرف فيه من الصناعة ، وبلغ عددهم في الجانبين من بغداد ثمانمائة ونيفا وستين رجلًا ، سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة ، وسوى من كان في خدمة السلطان. ومن طريف ما جرى في امتحان الأطباء. أنه أحضر إلى سنان رجل مليح البزّة والهيئة ذو هيبة ووقار ، فأكرمه سنان على موجب منظره ، ورفعه ، وصار إذا جرى أمر التفت إليه ، ولم يزل كذلك حتى انقضى شغله في ذلك اليوم ، ثم التفت إليه « سنان » فقال : قد اشتهيت أنْ أسمع من الشيخ شيئاً أحفظ عنه ، وأنْ يذكر شيخه في الصناعة . فأخرج الشيخ من كمه قرطاساً فيه دنانير صالحة ، ووضعها بين يدي سنان وقال : ما أُحسن أنْ أكتب ولا أقرأ ، ولا قرأت شيئاً جملة ، ولي عيال ، ومعاشي دار دائرة ، وأسألك أنْ لا تقطعه عني. فضحك سنان وقال : على شريطة أنك لا تهجم على مريض بما لم تعلم ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل إلّا لما قرب من الأمراض . قال الشيخ : هذا مذهبي مذ كنت ؛ ما تعديت السكنجبين والجلاب ، وانصرف . فلما كان من غد أُحضر إليه غلام شاب حسن البزّة مليح الوجه ذكيّ فنظر إليه سنان وقال له :

على من قرأت ؟

قال : على أبي ،

قال : ومن أبوك ؟

قال : الشيخ الذي كان عندك بالأمس .

قال : نِعْم الشيخ — وأنت على مذهبه ؟

---

١) يذكر ابن أبي أصيبعة اسم « ابراهيم بن احمد بن بطحا » (ج ١ ص ٢٢٢ س ١٩)

٢) هو « سنان بن ثابت » (توفي في غرة ذي القعدة سنة ٣٣١) . انظر الفهرست ص ٣٠٢ س ٢٠–٢٣ ؛ ابن القفطي ص ١٩٠ س ١٧–١٩١ س ١ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٢١ س ٢–٣

قال : نعم .

قال : لا تتجاوزه ، وانصرف مصاحباً»[1].

وقد ترجم بعض علماء الغرب هذا القول على أنه صورة لطريقة تأهيل الاطباء في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[2]. لذلك كان واجباً علينا لنُلم بالقيم الطبية التي كان يراها اطباء ذلك العصر لازمة لكل من أراد أن يمارس الطب . ويسرنا أن نذكر أننا عثرنا بين ثنايا المخطوطات على نص ذي قيمة علمية نادرة لكتاب « محنة الطبيب » للرازي ، ونبادر بنشره لأول مرة في هذا الكتاب، لا سيما وأن مكتباتنا تفتقر إلى هذا النوع من التأليف. فلم نر واحداً من العلماء قد قام بتحقيق ونشر أي كتاب من كتب أسلافنا في المحنة . ومما يرفع من شأن كتاب الرازي في « محنة الطبيب » أنه يشتمل على مقتطفات من كتب جالينوس ، ويوحنا بن ماسويه في هذا الفن .

إن المستوى الذي كان يتطلبه الرازي لرفع شأن مهنة الطب يلقي ضوءاً ساطعاً على كفايته العلمية الخاصة ، وعلى مقدرة الاطباء في عصره بوجه عام ، وينفي أيضاً تلك الصورة المشوهة التي كتبها ابن القفطي عن كيفية إجراء الامتحان .

ثالثاً : المخطوطات وطريقة تحقيق النص

تنقسم المخطوطات التي اخترنا منها النصوص لمادة هذا الكتاب إلى قسمين: مخطوطات كتاب « المنصوري في الطب » للرازي ، ومخطوطات كتاب « محنة الطبيب » . اما مخطوطات كتاب « المنصوري » فكثيرة متعددة ، ومبعثرة في دور الكتب بأنحاء العالم ، فمنها مثلاً المخطوطان رقم or. 1701 ; or. 1512 بمكتبة الجامعة بكيمبردج، والمخطوطان رقم Marsh 248; Hunt. Donat. 31. بمكتبة بودليانا بأكسفورد ، والمخطوط ١٢٠٥ ب بمكتبة البلدية بالاسكندرية،

١) ابن القفطي ص ١٩١ س ٣-١٢٩ س ٣

٢) نكتفي بالاشارة إلى ترجمة E. G. Browne, *Arabian Medicine*, op. cit., pp. 40-41.

والمخطوط ١٢٩ طب تيمورية بدار الكتب المصرية ، والمخطوطات الموصلية رقم ١٥٩ بالمكتبة الاحمدية ، ورقم ١٢١ بالمكتبة الحسينية ، ورقم ١٧٧ بمكتبة يحيى باشا. وقد انتخبنا من هذا الكتاب نصين لهما اتصال وثيق بمحنة الطبيب؛ فالنص الاول « في مخاريق المشائين » — أي أدعياء الطب ، يظهر في نهاية المقال السابع من الكتاب « المنصوري » ، والثاني مقال موجز « في محنة الطبيب » - يختم به الرازي الجزء الرابع من الكتاب نفسه . واعتمدنا في تحقيق هذين النصين على اربعة مخطوطات or. 1512 ، or. 1701، ١٢٩ طب تيمورية، و ١٢٠٥ ب الاسكندرية ، وذلك بعد ان قررنا استبعاد المخطوط رقم Marsh 248 لرداءته ، ولعدم احتوائه إلاّ على جزء من الكتاب — من المقال السابع إلى العاشر — والمخطوط Hunt. Donat. 31 لانه لا يحوي إلّا أجزاء من المقال السابع .

والمخطوط رقم or. 1512 هو أقدم المخطوطات التي اعتمدنا عليها ، فتاريخه يصعد الى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، ومما يزيد في قيمة المخطوط ١٢٠٥ ب الاسكندرية أنّ ناسخه طبيب، ولكننا لم نتخذ اي مخطوط اساساً لتحقيق النصين ، بل آثرنا في نشرنا هذا طريقة النص المختار ، فقارنا بين القراءات المختلفة واخترنا الكلمات التي تؤدي الى استقامة المعنى ، واثبتنا الكلمات المختلفة عن النص المختار في الهامش .

اما نص كتاب « محنة الطبيب » للرازي فقد حققناه من مخطوطين اثنين : احدهما في مكتبة بودليانا بأكسفورد رقم Bod. or. 561 ، وقد عثرنا على هذا النص ضمن المذكرات الخاصة للرازي المشهورة باسم « الحاوي في الطب ». ويظهر أنّ ذلك النص كان بمثابة مسودات لكتاب « محنة الطبيب » — ذلك الكتاب الذي لم نجد واحداً من فهارس المخطوطات بمكتبات العالم قد أشار إلى أية مخطوطات له .

والذي حدا بنا إلى هذا الاقتراح أنّ الرازي يبدأ في كتابه عن « محنة الطبيب » — على ما يظهر في ذلك النص — بجمع مقتطفات من كتب الاطباء الاقدمين والمعاصرين له — ثم يثبت بعد ذلك رأيه الخاص في المحنة ، ويختم الكتاب بمقتطفات من كتب لبقراط . وليس في سياق النص أي نظام

رتيب يدل على أنّ الكتاب كامل ومعد للنشر ؛ بل إنّ فيه جملا تفيد بأن الكتاب لم يكمل التأليف ، ولم يصل به كاتبه إلى المستوى الذي يرتضيه.
فمثلاً يقول في وصف المقالة الاولى لكتاب « أيام البحران » لجالينوس :
« واستمن بهذه المقالة ، فانّ فيها اشياء يجب أن يُستهان بها »[1]. وكذلك
~~غراه يمدد في صورة مذكرات خاصة عنونت لما تبقى من كتاب «محنة الطبيب».~~
لجالينوس ؛ يمدد نقطاً لم يرد كتابتها في هذه المذكرات الخاصة ، واكتفى بالتنويه عنها ، فيقول: باقي « محنة الطبيب » : خلقه ، وزيه ، وسائر ما يحتاج إليه الطبيب وان يكون عليه ، وسيرته في معاملته للناس[2].

كما أنه لا توجد مقدمة تفيد بالغرض من تأليف الكتاب ، ولا خاتمة توضح أنّ المؤلف قد انتهى من إثبات ما قصد ذكره ؛ وذلك يخالف ما نعرفه عن طريقة الرازي في تواليفه العديدة ، وما يتضح من قراءة مخطوطات كتبه التي وصلتنا . اما المخطوط الثاني رقم Add. 3516 بمكتبة الجامعة بكيمبردج ، فلم نعثر فيه سوى على رأي الرازى في المحنة ، دون أى ثبت لآراء الاطباء الآخرين. وهذا المخطوط يحوي عدداً من الكتب الطبية للرازى ، فمنها كتاب « القولنج » ، وكتاب « البـاه » ، وكتاب « اوجاع المفاصل » ، وينتهي المخطوط بكتاب « محنة الطبيب » .

ولما كان كتاب جالينوس « في المحنة التي يُعرف بها أفاضل الاطباء » — وهو المخطوط المحفوظ بمكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ٣٨١٣ ج — مرجعاً اقتبس منه الرازى مقتطفات في كتابه « في محنة الطبيب وتعيينه » ، رأينا ان نرد النصوص التي اقتبسها الرازى الى اصولها في كتاب جالينوس ، واثبتنا ذلك في ذيل الكتاب ، ص (٥١٤—٥١٧).

وفي تحقيق نص « محنة الطبيب » اتبعنا ايضاً طريقة النص المختار، وذلك في تحقيق جزء النص الذى يشتمل على كلام الرازى .

والنسخ التي كانت تحت أيدينا وقت تحقيق النصوص هي النسخ التالية ، وقد رمزنا إليها بحروف :

---

١) ص ٥٠٤ فيا يلي .
٢) ص ٥٠٦ فيا يلي .

كتاب « المنصوري في الطب » :

أ – Or. 1512، مكتبة الجامعة بكيمبردج ،
ب – Or. 1701، مكتبة الجامعة بكيمبردج ،
ج – تيمورية ١٢٩ طب، دار الكتب المصرية ،
د – ١٢٠٥ ب ، مكتبة البلدية بالاسكندرية .

كتاب « محنة الطبيب » :

هـ – Bod. Or. 561 ، مكتبة بودليانا بأكسفورد ،
و – Add. 3516 ، مكتبة الجامعة بكيمبردج .

وصف المخطوطات

أ – Or. 1512 :

٢٠٠ ورقة ؛ ٢٧ × ١٩ سم (٢١ ½ × ١٥) ، (٢١ × ١٢ ½) ؛ ٢٥–٢٧ سطرًا ثم ١٥–١٩ سطرًا ؛ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ (في ورق ٢٠٠ وجه) ؛ عشر مقالات؛ ناسخان : الاول ورق ١ – ٣٩ ثم ورق ١٩٦ وجه – ٢٠٠ ظهر ، والثاني ورق ٤٠ وجه – ١٦٨ ظهر ؛ بين ورقتي ١٨، ١٩ توجد الاوراق ٤١–٤٨ مقلوبة الوضع .

ب – Or. 1701 :

٢٧٥ ورقة ؛ ٢٢ × ١٣ ½ (١٥ × ٧) ؛ ١٥ سطرًا ؛ محرم سنة ١١٥٩ (في ورق ٢٧٥ ظهر) ؛ عشر مقالات ، نسخي جميل؛ مستورد من حضرموت (في ورق ١ وجه)؛ ١٣٦٧ هـ تاريخ تمليك (في ورق ٢٧٥ ظهر) .

ج – ١٢٩ طب تيمورية :

١٦٨ ورقة ؛ ١٩ ½ × ١٥ (١٥ ½ × ١٠) ؛ ٢٣ سطرًا ؛ اواخر شعبان سنة ١١٤٧ (في ص ٢٢٦) ؛ عشر مقالات ؛ نسخي ؛ الترقيم صفحات وليس أوراقًا .

د – ١٢٠٥ ب الاسكندرية :

١٦٧ ورقة؛ ٢٩ × ٢٢ ½ (٢٠ ½ × ١٤)؛ ١٨ سطرًا؛ الثلاثاء ٢٣ من رجب سنة ٨٩١؛ عشر مقالات ؛ نسخة المتطبب المازندراني حسام بن أشمس الدين المطبي الحسيني المعروف باسم سيد خطابي المنجم في بلدة الازرقة من بلاد اليونان .

هـ — Bod. Or. 561 :

فيه جزءان من كتاب الجامع للرازي وهما : كتاب حل الرموز ، وكتاب المكاييل والموازين ، ثم كتاب محنة الطبيب للرازي ، ثم أجزاء من مذكرات الرازي الخاصة المساة « الحاوي » . ٢٧٢ ورقة ؛ ٢٥ ١/٢ × ١٨ (١٩ × ١٢.٥) ؛ ١٩ سطرًا ؛ غير مؤرخ . وعلى الارجح يصعد تاريخه الى القرن الثامن الهجري ، تاريخ تمليك ١٠٧٧ هـ (يظهر في ورق ١ وجه) ؛ غير منقوط والخط واضح ؛ تاريخ التمليك بقلم سليمان بن يوسف الحسين .

و — Add. 3516 :

مجموعة من كتب الرازي ضمن مجموعة طبية . يقع كتاب « محنة الطبيب » في ورق ٢٢٦ وجه – ورق ٢٢٥ ظهر . ٢٦ × ١٩ (٢١ + ١٠ ١/٢) ؛ ٢٥ سطرًا ؛ غير مؤرخ ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري .

مخطوط رقم ٣٨١٣ ج — مكتبة البلدية بالاسكندرية :

فيه كتاب جالينوس « في المحنة التي يُعرف بها افاضل الاطباء » ؛ ترقيم انجليزي من ١ الى ١٦ ، ثم ترقيم عربي من ١ الى ٤٤ ؛ الترقيم صفحات وليس ورق ؛ ٢٢ + ١٦ (١٥ ١/٢ + ٩ ١/٢) ؛ ١٨ سطرًا . (ما عدا ص ٣ ترقيم انجليزي فيها ١٩ سطرًا) ؛ ٢٦ آيار سنة ١٧٥١ م ؛ الخط نسخي واضح ؛ المخطوط مصحح بخط الناسخ نفسه ، وفيها شطب .

الباب الثاني

أدعياء الطب في وقت الرازي

قبل أن نقدم للقارئ نصّ كتاب « محنة الطبيب » ، نمهد له بنبذة ونقدم نصاً من أحد كتب الرازي يبيّن العقبات التي كان يلقاها كلُّ مَنْ مارس صناعة الطب عن جدارة واستحقاق في ذلك الوقت. ننشر هذا النص عن أدعياء الطب باللغة العربية لاول مرّة ، ولو أنّه قد سبق نشر ترجمة له باللغة الانجليزية ، منقولة عن التراجم اللاتينية[1] . ويحوي ذلك النص معلومات طريفة عن الدخلاء.

(١) انظر : J. Freind, *The History of Physick*, op. cit., II, 65-69; W. A. Greenhill, *A Treatise on the Small-Pox and Measles*, The Sydenham Society, London. 1848, pp. 80-82.

على مهنة الطب ، ويظهر من رواتها أنّ الطبيب الحاذق قد عانى الامرّين من أدعياء الطب في العصر الوسيط ، وقت انعدام أية رقابة تنظم وترعى أحوال الطبيب والمريض على السواء . وقد كانت ظروف التطبيب قاسية ، فكان من العسير على الطبيب أنْ يسلك دائمًا الطريق الذي يراه صوابًا في العلاج . ولا بدّ أنّ انتشار أدعياء الطب — الذين كانوا يوهمون المرضى بقدرتهم على شفائهم في الحال بانتزاع أسباب المرض من ابدانهم — كان مما يعقد المهنة ويعرقل أعمال الطبيب ويزيدها صعوبة. وقد استغل هؤلاء الافاقون جهل المرضى وأوهموهم بقدرتهم في العلاج بما كانوا يقومون به من اساليب الدجل ، مظهرين بذلك مواهب خدّاعة . وقد كان العامة — والحال كذلك — يؤمنون بامكان البرء العاجل ، وربما رأى الرازي تأليف كتابه : « برء الساعة »[1] ، ليظهر مواهبه في هذا الميدان ، وليبيّن للعامة أنّ عددًا من الامراض — وليست كلها — يمكن برؤها في ساعات . هذا وكان جهل العامة عاملًا — إلى حد ما — في تحديد طريق العلاج الذي يسلكه الطبيب. ففي قصة من قصص المرضى اعترف الرازي بأنه امتنع عن فصد مريض كان على شفا الموت لعدم وجود طبيب آخر وقت العلاج ليزيده في ضرورة الفصد[2] ، في حضور جمهور من أقارب ذلك المريض وأصدقائه . ويقول الرازي في هذه القصة إنّه في اليوم الثالث من أيام المرض تردد عن فصد المريض ، ثم إنّه خدش أنفه من الداخل ، ليسيل قليل من الدم ، وذلك خوفًا من بطش ذلك الجمع الكبير الذي كان ملتفًا حول المريض.[3] ويكرر الرازي انه حينما تدهورت صحة المريض لم يجرؤ على خدش الانف

---

١) نشر هذا الكتاب ب. جيج في مجلة المشرق عدد ٩ سنة ١٩٠٣ ص ٣٩٥–٤٠٢ . انظر ايضًا :

P. Guiges, «La guérison en une heure de Rhazès», *Janus Archives Internationales pour l'Histoire de la Médecine et la Géographie Médicale*, 1903, pp. 363-70 ; 411-18 ; id., «La guérison en une heure de Rhazès», texte arabe avec notes, Beyrouth. 1903.

٢) انظر مخطوط Marsh 156 مكتبة بودليانا بأكسفورد ورق ٢٤٠ ظهر س ١٣

٣) نفس المصدر ورق ٢٤٠ ظهر س ٥

خوفاً من « العامة والرعاع »[1] . ويصرّح بأن العلاج الوحيد السليم العاقبة الذي كان ممكناً أنْ يطرقه ، لم يكن إلّا سقي العليل ماء الشعير[2] . ولولا أقارب المريض وأصدقاؤه المجتمون حوله ، لتمكن الرازي من علاج المريض بالطريق الذي يراه صواباً ، وربما نجاه من الهلاك . ولكن الرازي في اختياره طريق العلاج كان دون شك يحاول جهده تفادي العواقب الوخيمة التي قد تنجم عن موت المريض بين يديه .

وفي النص التالي ، وهو مأخوذ من كتاب « المنصوري في الطب »[3] ، يبرز لنا المؤلف صورة حيّة لانواع من حيل أدعياء الطب في زمانه ، فنراه يحذر العامة من هؤلاء المحتالين الذين يضرون المرضى بعلاجاتهم الخاطئة ، ولا يأتون إلّا الحيل والألاعيب . ويكشف عن عدد غير قليل من حيلهم الكثيرة ، مؤملاً أنْ يضيء الطريق ، ومحذرًا من الوقوع في حبائل هؤلاء الدجالين ، والى القارئ مقال الرازي في حيل أدعياء الطب .

« في مخاريق المشاتين »[4]

«إنّ مخاريق[5] هؤلاء[6] كثيرة ، يضيق عن ذكرها كتابنا هذا[7] بأسره ،

١) نفس المصدر ورق ٢٤٠ ظهر س ١١–١٢

٢) يمكن الاطلاع على هذه القصة ، وعلى ترجمة انجليزية في مقال :
M. Meyerhof, «Thirty-Three Clinical Observations by Rhazes (circa 900 A.D.)», *Isis*, XIII (1935) 321 foll.

٣) جاء ذكر هذا الكتاب في كل من : الفهرست ص ٣٠٠ س ٣ – ٤ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٨) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ١–٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٧ س ١٧

٤) مخاريق المشاتين : مخاريق البايتن آ ؛ مخاريق الماثين ب؛ مخاريق المايين ج ؛ مخاريق المشاتين في هذا د .

تعليق : المشاتين ، أي أدعياء الطب .

انظر : R. Dozy, Supplément aux Dictionnaires Arabes, deuxième éd., Leide et Paris, 1927, II, 594.

وراجع أيضاً : Zeitschrift für die kunde des Morgenlandes, XX,506 - 7.

٥) مخاريق : مخاريق ج .

٦) هؤلاء : هاولى أ ؛ هاولاء د .   ٧) هذا : ساقطة من ج .

وجرأتهم[١] واستحلالهم[٢] تعذيب[٣] الناس[٤] باطلًا في الغاية التي لا وراءها غاية[٥]. فان منهم من يزعم[٦] أنه يبرئ[٧] من الصرع ، بأن يشق وسط[٨] الرأس شقاً صليباً[٩] ، ثم[١٠] يخرج[١١] أشياء قد أعدها معه ، يوهم بخفته وتمويهه[١٢] أنه[١٣] أخرجها من ذلك الشق . ومنهم من يوهم أنه يخرج من الانف سام أبرص ، فيدخل في أنف[١٤] المعالج الشقي خلالة[١٥] أو حديدة ، ويحكه[١٦] حتى يدميه ، ثم يشيل من هناك أشياء قد أعدها[١٧] معه على شكل هذه الدابة ، متخذة[١٨] من عروق[١٩] الكبد[٢٠] . ومنهم من يوهم أنه يرفع البياض من العين رفعاً[٢١] ،

١) جرأتهم : جرمهم ج ؛ كونهم د .
٢) استحلالهم : استحلاهم د .
٣) تعذيب : تعذيباً د .
٤) الناس : ساقطة من ب ؛ لناس د .
٥) لا وراءها غاية : لا وراء لها ب ، ج ؛ لا وراء لها ولا منتهى د .
٦) يزعم : زعم ج .
٧) يبرئ : يبرأ د .
٨) وسط : وسط يافوخ د .
٩) صليباً : اصلياً ج ؛ ثم صليباً د .
١٠) ثم : ثم انه أ .
١١) يخرج : ساقطة من د .
١٢) تمويهه : تمويره ب ؛ تموره ج ، ساقطة من د .
١٣) أنه : أنه إنما أ ، د ؛ ساقطة من ج .
١٤) أنف : الانف أ .
١٥) خلالة : ذلك أو يدخل خلالة ب .
١٦) ويحكه : يحكه أ .
١٧) أشياء قد أعدها : شيئاً قد أعده د .
١٨) متخذة : متخذ ج ، متخذاً د .
١٩) عروق : عرق ج .
٢٠) الكبد : الكبد أو الرية ب .
٢١) رفعاً : رفعا مريبا وقلعا ب ؛ رفعا شديدا د .

فيدخل في العين حديدة ينكأها[1] ، ثم يدس[2] فيها غشاء رقيقاً ، ويخرجه من هناك . ومنهم من يوهم أنه يمص الماء من الاذن[3] ، فيضع عليها أنبوبة[4] ، ويرسل من فمه[5] شيئاً فيها[6] ، ثم يمصه[7] . ومنهم من يدس الدود المتولد[8] في الجبن في الاذن ، وفي[9] أصول الاضراس ، ثم يخرجه[10] من هناك . ومنهم من يوهم أنه يخرج الضفدع من تحت اللسان ، فيجرج ويشق[11] هناك شقاً ثم يدس فيه غدة و[12] يخرجها منه[13] . وأما[14] دسهم العظام في القروح[15] وتركهم لها فيها أياماً[16] ، فما أكثر ما يفعلونه[17] وربما أخرجوا من المثانة حصاة ويدبرون هناك أخرى ، ويوهمون أنهم يخرجونها من هناك[18] . وربما لم يستيقنوا[19] عند

١) ينكأها : سكاها ب ؛ وينكأها جـ .

٢) يدس : يدخل ويدس جـ .

٣) يمص الماء من الاذن : يمص من الاذن الماء جـ ، د .

٤) أنبوبة : أنبوبا أ .

٥) من فمه : من فيه جـ ؛ ساقطة من د .

٦) شيئاً فيها : فيها شيئا ب ؛ شيئا جـ ، د .

٧) يمصه : يتمصه د .

٨) المتولد : المتوالد جـ .

٩) في : ساقطة من د .

١٠) يخرجه : يخرجها جـ .

١١) فيجرح ويشق : فيشق أ ، د .

١٢) غدة و : عددة و جـ ، غدة ثم د

١٣) منه : منها ب .

١٤) أما : فأما ب ، د .

١٥) القروح : الجرحات والقروح د

١٦) فيها اياما : فيه جـ .

١٧) ما يفعلونه : ما يفعلون ذلك أ .

١٨) وربما . . . هناك : وربما أخرجوا حصاة ونورد (كذا) بأخرى يوهمون انهم اخرجوها من هناك ب ؛ وربما اخرجوا حصاة يوهمون انهم اخرجوها من هناك جـ ؛ وربما اخرجوا حصاة بوزن واحدة واخرى يوهمون انهم اخرجوها من هناك د .

١٩) لم يستيقنوا : لم يستحقوا ب ، جـ .

جس[١] المثانة ، أنّ فيها حصاة ، فأقدموا[٢] على شقها جرأة[٣] واستحلالًا وقلة مبالاة[٤] ، ثم يدخلون الاصبع من[٥] الشق ، فان أصابو[٦] حصاة أخرجوها[٧] ، وإنْ لم يكن هناك حصاة دسوا فيها حصاة[٨] ثم أخرجوها . وأما قطعهم لحم المقعدة على أنّ فيها بواسير[٩] ، فشيء لا يزالون يفعلونه ، ويولدون على الناس بذلك[١٠] قروحاً ونواصير[١١] بالحقيقة . ومنهم من يزعم[١٢] أنه يخرج الخام[١٣] من الذكر أو من مواضع أخر[١٤] من الجسد فيشرط الموضع[١٥] أو يضع على رأس الذكر أنبوبة[١٦] ، أو على ذلك الموضع[١٧] ثم يمصها مرات[١٨] ويرسل[١٩] من

---

١) جس : جسهم ج .
٢) فأقدموا : فيقدمون أ .
٣) جرأة : جرة أ ؛ جراءة ب ؛ جرءة ج .
٤) مبالاة : مبالات ج ؛ أمانة د .
٥) من : في ج ، د .
٦) أصابوا : أصابوا هناك أ .
٧) أخرجوها : وأخرجوها منه د .
٨) دسوا فيها حصاة : دسوا حصاة أ ؛ دفنوا حصاة ج ؛ سروا فيها حصاة د .
٩) بواسير : بواسيرا أ .
١٠) ويولدون على الناس بذلك : ويولدون بذلك على الناس ب ؛ ويولدون على الناس ج ؛ ويتولدون على الناس بذلك د .
١١) نواصير : بواسير ب .
١٢) يزعم : يوهم ب .
١٣) الخام : المادة : أ.
١٤) من الذكر أو من مواضع أخر : من الورك والذكر ومن مواضع أخر أ ؛ من الذكر ومن مواضع أخر ج ؛ من الذكر ومن موضع آخر د .
١٥) فيشرط الموضع : مشرط الورك أ ؛ فيشرط ب .
١٦) أو يضع . . . أنبوبة : أو يضع عليه أو على رأس الذكر أنبوبة أ .
١٧) أو على ذلك الموضع : ساقطة من أ .
١٨) مرات : ساقطة من ب .
١٩) ويرسل : ثم يرسل ب ، ج.

فه[1] فيها[2] شيئاً ، ويصبه[3] من هناك في الطست . ومنهم من يزعم[4] أنه يجمع الداء[5] إلى[6] موضع واحد[7] من الجسد ثم يخرجه[8] من هناك ، فيدلك ذلك الموضع بالكيكج[9] ، فيهيج فيه[10] حكة شديدة ، ثم يسأل[11] أجره على إخراجه[12] ذلك الداء من ذلك الموضع[13] ، وإذا أعطاه[14] مسحه[15] بالدهن سكنت الحكة[16] . ومنهم من يوهم[17] ان الانسان قد سقي الشعر والزجاج فيأخذ ريشة ويقيئه بها[18] ويدس[19] ذلك في حلقه ثم يخرجه منه ، إلى أشياء كثيرة[20] من هذا الجنس يعملونها[21] ، يعظم ضرورها على الناس[22] وربما اتلفوهم

---

١) فه : فيه ج .
٢) فيها : ساقطة من أ .
٣) يصبه : يصب ج .
٤) يزعم : يوهم د .
٥) الداء : الدواء د .
٦) الى : في ب .
٧) واحد : ساقطة من ب .
٨) ثم يخرجه : ثم يخرج ب .
٩) ذلك الموضع بالكيكج : به الموضع بالكيكج ج .
١٠) فيه : به ج.
١١) يسأل : يسئل أ ، ج.
١٢) اخراجه : اخراجه زعم ج .
١٣) ذلك . . . الموضع : زعم من ذلك الموضع د .
١٤) واذا أعطاه : واذا أعطا أ ؛ فاذا أعطيه ب ؛ واذا أخذ أجرته ج .
١٥) مسحه : مسح عليه ج .
١٦) سكنت الحكة : فسكنت حركته أ؛ فسكن الحكة ب؛ فتكن الحكة ج.
١٧) من يوهم : ساقطة من ب.
١٨) ويقيئه بها : ويقيئه أ ، ب ، ج
١٩) يدس : يدخل أ .
٢٠) يخرجه . . . كثيرة : يخرج منه اشياء كثيرة أ ، ج .
٢١) يعملونها : يفعلونها .
٢٢) يعظم . . . الناس : وربما عظم ضررها على الناس ب .

بها[1]، واثا تخفى[2] على العقلاء اذا استرسلوا في ايديهم[3]، وتهاونوا، ولم يظنوا بهم سوءا[4] ولم يتهموهم[5]، فأما إذا استقصى تفقدهم بأعين كثيرة[6] متهمة لهم، ظهر كذبهم وبان باطلهم[7] وليس ينبغي أن يؤخذ[8] من الادوية التي يعطونها[9]، فانها[10] قد أتلفت خلقاً كثيراً »[11].

الباب الثالث

صفات الطبيب الفاضل، ومحنة الطبيب

لم يكتف الرازي بكشف حيل المخادعين،بل كتب مقالات ليبني الاسس التي بها يميز بين أفاضل الاطباء وأخسائهم. واراد ايضاً ان يضع القواعد الثابتة ويحدد المستوى العلمي الذي يتعين على الطبيب بلوغه قبل ممارسته الطب، كما انه لم يغفل ذكر صفات الطبيب الفاضل الذي يليق بأعلى المناصب الطبية، كادارة المستشفيات الكبيرة، ورسم السياسة الطبية.

١) وربما أتلفوهم بها : فأتلفوهم ب ؛ وربما أتلفوهم بهذا ج ؛ أتلفوا أتلفوا بها د .
٢) تخفى : بهنا أ .
٣) في أيديهم : ساقطة من ب، ج، د .
٤) سوءا : شرا أ، د ؛ سواء ب :
٥) يتهموهم : يتوهموهم ج ؛ يتهموا آراءهم د .
٦) كثيرة : كثير ب .
٧) متهمة ... باطلهم : متهمة لهم ظهر على كذبهم وتمويههم ب ؛ راكنين اليهم وحدهم متهمين وظهر لهم كذبهم وتمويههم ج ؛ متهمة لهم ظهر على كذبهم د .
٨) أن يؤخذ : أن يسترسل في أيديهم ولا يؤخذ أ .
٩) يعطونها : ينطسونها ج .
١٠) فانها : لانها د .
١١) مخطوط أ : ٩٦ ظهر س ٦–٩٧ ظهر س ١٠ ؛
مخطوط ب : ١٥٧ وجه س ٨–١٥٨ وجه س ١١ ؛
مخطوط ج : ص ١٩٣ س ١–١٩٤ س ٥ ؛
مخطوط د : ص ١٩٥ س ١٥–١٩٧ س ٥ .

أولًا : مقال مختصر في محنة الطبيب

في كتاب « المنصوري » يعالج الرازي موضوع محنــة الطبيب بشيء من الإيجاز ، فنجده يمتدح الطبيب المستغرق في مهنته الذي يقرأ الكتب ويداوم على الاطلاع ، ويمتدح الطبيب الذي يقرأ في وقت الفراغ ايضاً. ثم يحدد مستوى عقلياً لاختيار من يليق بدراسة الطب فيجب أنْ يتوفر لطالب الطب ان يقرأ الكتب ويفهم مكنوناتها ، واما الذين لا يفهمون مـا يطالعونه فلم يبلغوا المستوى الذي يؤهلهم لدراسة الطب .

ويجب أنْ يكون الطبيب قادرًا على البحث في الكتب ، دائم الاتصال بالفلاسفة والمفكرين. وكل هذه الصفات لازمة حتى يتمكن الطبيب من الجزء النظري في الطب — والجزء النظري هو الاساس ، لا في مهنة الطب وحدها بل في جميع المهن على حد سواء . والطبيب الفاضل هو الذي يكون مبرّزًا في كلا الجزئين النظري والعملي. وقد يمكن التسامح مع الطبيب اذا كان مقصرا في الجزء العملي ، ولكنه يقول: ان من عدم تعاليم الاطباء الأولين ولم يعرف ما جاء في كتبهم ما استحق ان يمارس الطب — لان في دراسة كتب الاقدمين تحصيل لمجهودات ألوف من الاطباء اجتهدوا ألوفاً من السنين ، فيصبح الطبيب كأنه قد عمّر كل تلك السنين وسمى كل تالك السمايات. ويعود الرازي فيؤكد ان ممارسة الصنعة هي خير معين لاكتساب الخبرة والمهارة ويثق في خبرة الطبيب الذي يعالج المرضى في المدن الكبيرة المزدحمة بالسكان والموبوءة بالامراض . ولا يغفل في مقـاله الجانب الانساني من الطب ، فيمتدح الطبيب الذي يسعد بتخفيف آلام المرضى .

والآتي نص مقال الرازي في محنة الطبيب ، كما وصفها في كتابــه المنصوري ، ننشره باللغة العربية لاول مرّة ، ونشير الى انه سبق ترجمته الى الانجليزية عن اللغة اللاتينية[1].

(1 انظر : J. Friend. *The History of Physick*, op. cit., II, 60-64 ; W. A. Greenhill, 'A *Treatise on the Small-pox and Measles*', op. cit., pp. 78-80.

« في محنة الطبيب »

«ينبغي أن يُنظر فيماذا[١] أفنى[٢] الطبيب[٣] ما مضى من زمانه[٤]، وما همته اذا انفرد[٥] وخلا[٦]. فان كان أفنى[٧] دهره بتصفح كتب الأطباء والطبيعيين، وكانت[٨] همته اذا خلا[٩] النظر فيها، فليحسن الظن به[١٠]؛ وان[١١] كان انما أفنى ما مضى من عمره[١٢] في شيء غير ما ذكرنا[١٣]، وكانت همته اذا خلا[١٤] الاشتغال باللهو والشراب ونحو ذلك[١٥]، فليسئ الظن به[١٦]. ومَن كان يدمن النظر في الكتب[١٧]، فينبغي ايضاً أن يُنظر في[١٨] مقدار عقله وفطنته، وهل[١٩]

١) فيماذا : في ماذا ب د ؛ فيما اذا جـ .
٢) أفنى : أفنا ب، د .
٣) الطبيب : المتطبب د .
٤) ما مضى من زمانه : ماضي زمانه ب، د ؛ أيامه جـ .
٥) انفرد : تفرد جـ .
٦) وخلا : وحده د .
٧) فان كان أفنى : فان أفنا د .
٨) كانت : كان أ .
٩) خلا : خلى ب .
١٠) الظن به : به الظن جـ .
١١) وان : فان جـ .
١٢) ما مضى من عمره : عمره أ ؛ ما مضى عمره ب .
١٣) في شيء غير ما ذكرنا : في غير ذلك أ .
١٤) خلا : الا أن اذا خلى ب ؛ اذا أخلا النظر فيها و جـ ؛ الآن اذا خلا د .
١٥) نحو ذلك : نحوها ب ؛ نحوهما جـ، د .
١٦) فليسئ الظن به : فليساء الظن به أ ؛ فليساء الظن ب ؛ فليسوء به الظن جـ، د .
١٧) يدمن . . . الكتب : منهم ينظر في الكتب أ .
١٨) في : الى أ .
١٩) وهل : هل ب .

جالس المتكلمين والمتناظرين[1] ، وهل له قوة في البحث والنظر أم لا[2] . فان كان قد أطال صحبة هؤلاء القوم[3] ، واكتسب[4] منهم حظًا من القوة على البحث والنظر[5] ، فينبغي ان يُنظر أهو ممن يفهم ما يقرأ أو بالضد[6] ؛ واذا كان ممن يقرأ الكتب ويفهمها[7] ، فينبغي أن يُنظر هل شاهد المرضى[8] وقلّبهم ، وهل كان ذلك[9] منه في المواضع المشهورة بكثرة الأطباء[10] (١٠٠ وجه) والمرضى ، أم لا ؟ فمن اجتمعت له هاتان الخلتان[11] ، فهو فاضل[12] ؛ فأما من نقصته[13] احداهما[14] ، فلأن يكون النقصان في المشاهدة خير[15] بعد ان لا[16]

١) المتناظرين : الناظرين ب ؛ المناظرين ج .

٢) وهل له ... أم لا : وهل له نظر في كتب المتفلسفين وهل له قوة في البحث والنظر أم لا ب ؛ وهل قوله في البحث والنظر أم لا ج .

٣) فان كان ... القوم : فان كان قد أطال صحبتهم أ ؛ فان كان قد أطال صحبته هؤلاء القوم ب ؛ وان كان قد طالت صحبته هؤلاء القوم ج ؛ فان كان أطال صحبة هؤلاء القوم د .

٤) واكتسب : فاكتسب أ ؛ واكتسبه د .

٥) والنظر : ساقطة من ج .

٦) أهو ممن ... أو بالضد : ساقطة من أ ؛
أهو ممن يفهم مما يقرو أو بالضد ب ؛
هل هو من يفهم ما يقرأ أو بالضد ج ؛
هل هو ممن يفهم ما يقرأ أو بالضد د .

٧) واذا كان ... ويفهمها : ساقطة من أ ؛ فاذا كن مما يقرأ الكتب ويفهمها ج .

٨) و : أو أ .

٩) ذلك : ذاك ب ، د .

١٠) بكثرة الاطباء : بكثرة من الاطباء ب .

١١) الخلتان : الخصلتان ب .

١٢) فهو فاضل : فهو عالم فاضل أ .

١٣) نقصته : يقصد ج .

١٤) احداهما : احدهن أ ؛ احدهما ب ، د .

١٥) فلأن ... خير : فلأن يكون النقصان في المشاهدة أ ؛ فلا يكون النقصان في المشاهدة د

١٦) ان لا : الا ج .

يكون لها عديما البتة[١] بل يكون معه صدر منها أصلح من أن يكون عادما لما في كتب الاوائل من العلم[٢] . الا ان بقليل[٣] المشاهدة والنظر يبلغ من[٤] قد عرف ما في الكتب[٥] وتصورها ما لا يبلغ كثير[٦] ممن[٧] لم يعرف ما في[٨] الكتب ولم يتصورها[٩] . فأما[١٠] من تعاطى[١١] هذه الصناعة ، وكان[١٢] أميا أو عاميا ؛ لا يفهم الكلام ولم يجالس أهله ، فلا[١٣] ينبغي أن يوثق[١٤] بمعرفته ، بل لا ينبغي[١٥] أن يظن أن[١٦] عنده خيرا[١٧] ، لان هذه صناعة لا يمكن الانسان

---

١) لها عديما البتة : عديما البتة ب ؛ عديما لها البتة د .

٢) بل يكون . . . العلم : بل معه منها صدر صالح من ان يكون في تعلم ما في كتب الاوائل ب ؛ يكون عديما لما في كتب الاوائل من العلم ج ، بل معه منها صدر أصلح من ان يكون ممن يعلم مما في كتب الاوائل د .

٣) الا ان بقليل : لان قليل أ ، ج ، لان بقليل د .

٤) من : عن أ ، لمن د .

٥) الكتب : كتب الاوائل ج .

٦) كثير : بكثيرها من العلم ب ، بكثيرة د .

٧) ممن : من ب ، ج ، د .

٨) ما في : ساقطة من أ .

٩) (ولم يكن حاله في نفسه هذه حال لكنه قد يستحب ممن حالته هذه صحبة طويلة وان كان تعليمه في المواضع المشهورة بكثرة الاطباء والامراض) : زائدة في د .

١٠) فأما : وأما أ .

١١) تعاطى : كان متعاطى ب ، ج ؛ كان من تعاطى د .

١٢) وكان : ساقطة من ب ، ج ، د .

١٣) فلا : ولا ذ .

١٤) يوثق : يوفق ج .

١٥) لا ينبغي : ساقطة من أ .

١٦) ان : ساقطة من ب .

١٧) خيرا : خير ب ، خير البتة د .

الواحد[1] اذا لم يحتذ[2] فيها على مثال من[3] تقدمه ان يلحق فيها[4] كثير شيء، ولو أفنى جميع عمره فيها[5]، لان مقدارها أطول من مقدار عمر[6] الانسان بكثير[7]. وليست[8] هذه الصناعة فقط، بل جل[9] الصناعات كذلك، وانما[10] أدرك من أدرك[11] من هذه الصناعة[12] الى هذه الغاية، في ألوف من السنين[13]، ألوف[14]، من الرجال، فاذا اقتدى المقتدي آثرهم[15]، صار دركهم كلهم له[16] في زمان قصير[17]، وصار كمن قد عمّر تلك السنين[18] وعنى بتلك[19] الغايات.

١) الانسان الواحد : الواحد من الناس أ .

٢) يحتذ : يتحد يحتذ ب ؛ يحتذي ج ؛ يمكن يجد فيها د .

٣) على مثال من : أثرا من ب ، أثر من ج ، د .

٤) فيها : منها ب ، ج .

٥) أفنى . . . فيها : أفنى فيها جميع عمره ج .

٦) عمر : عمره ج .

٧) بكثير : كثيرا ج ، د .

٨) وليست : وليس أ ، ب ، د .

٩) جل : كل د .

١٠) انما : أنا ج .

١١) أدرك من أدرك : أدرك ج .

١٢) الصناعة : الصناعات ج .

١٣) في . . السنين : في ألوف الوف سنين ب ؛ في الوف السنين ج ؛ في ألوف من سنين د .

١٤) ألوف : الوفا د .

١٥) فاذا . . . أثرهم : ساقطة من ب ؛ فاذا اقتفى المقتفي أثرهم ج ؛ فاذا اقتفا المقتفي أثرهم د .

١٦) صار . . . له : صار قد أدركهم كلهم أ ؛ ساقطة من ب ؛ فصار دركهم كلهم له د .

١٧) في زمان قصير : ساقطة من ب .

١٨) وصار . . السنين : ساقطة من ب ؛ وصار كمن عمر تلك السنين من ألوف الرجال ج .

١٩) بتلك : تلك أ ، ج ، د .

وان هو لم ينظر في ذكورهم[١] ، فكم عساه[٢] يمكنه[٣] ان يشاهد[٤] في عمره ؟ وكم مقدار ما تبلغ تجربته واستخراجه ، ولو كان أذكى الناس وأشدهم عناية بهذا الباب[٥] . على ان من لم ينظر في الكتب ، ولم يفهم[٦] صورة العالم في نفسه قبل مشاهدتها ، فهو وان شاهدها[٧] (١٠٠ ظهر) مرات كثيرة ، أغفلها ومر بها صفحاً ولم يعرفها البتة[٨] »[٩] .

ثانياً : نص كتاب « محنة الطبيب وتعيينه » : أحد كتب الرازي التي كانت في حكم المفقودة .

يسهب الرازي في وصف محنة الطبيب ، فيبتدئ بجمع مقتطفات من بعض كتب جالينوس ، ككتاب « محنة الطبيب »[١٠] ، وكتاب « أنّ الطبيب الفاضل

١) وان .. ذكورهم : وان لم يكن ينظر في ذكر كتبهم ب ؛ وان لم ينظر في ذكرهم جـ ؛ وان لم ينظر في ذكورهم د .

٢) عساه : عسى جـ ، عسى تراه د .

٣) يمكنه : تراه يمكن ب ؛ جـ ، يمكن د .

٤) يشاهد : يشاهده د .

٥) ولو ... الباب : ولو كان من أعقل الناس وأذكاهم ب ؛ ولو كان من أغنيا الناس وأذكاهم جـ ، د .

٦) يفهم : تفهم جـ ؛ تفع د .

٧) فهو ... شاهدها : وهو ان يشاهدها د .

٨) أغفلها ... البتة : كمن لم يعرفها البتة أ ؛ أغفلها ومرت بها صفحاً ولم يعرفها البتة ب .

٩) مخطوط أ : ٣٩ وجه س ٢٥–٣٩ ظهر س ٢٦ ؛
مخطوط ب : ٩٩ ظهر س ٥–١٠٠ ظهر س ١ ؛
مخطوط جـ : ص ١٢١ س ٦ – ص ١٢٢ س ٥ ؛
مخطوط د : ص ١٢٠ س ١٥ – ص ١٢٢ س ٦ .

١٠) هذا الكتاب محفوظ في مخطوط بمكتبة البلدية بالاسكندرية (رقم ٣٨١٣ ج) . وجاء ذكر هذا الكتاب في : الفهرست ص ٢٩١ س ٦ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٣ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٠٠ س ٩ ؛

يجب ان يكون فيلسوفاً » ، وكتاب « أجزاء الطب »[١] ، وكتاب « أيام البحران »[٢] ، ثم ينقل فقرات من كتاب بقراط « في الطب القديم »[٤] ، ومن كتب اليهودي (أي ماسرجويه) ، ويوحنا بن ماسويه ويختتم هذه المقتطفات مبدياً رأيه الخاص حيث يتفق مع جالينوس في تحديد خطوات الامتحان، مبتدئاً بالجزء النظري ، ومتبوعاً بامتحان في الجزء العملي ، اذا نجح الطالب في الجزء النظري، أما من يرسب في هذا الجزء فلا داعي لاكمال امتحانه العملي. ويكتب الرازي مقتبساً من جالينوس أسماء بعض المواد التي يُمتحن فيها الطالب ، فيذكر علوم الفلك ، والتشريح ، وتشريح الاحياء ، والصيدنة ، ولكنه حينما يسجل رأيه الخاص يرى أن الصيدنة من المواد التي يجمل بالطبيب الالمام بها وقراءتها وقت الفراغ ، ولا يمكن اعتبارهـا جزءاً من اجزاء الطب . ويشير الى ان الطبيب يمكنه ان يمارس مهنته، حتى ولو جَهِل صفات الادوية وخواص الاعشاب؛ واما معرفته بأفعال هذه في الجسم ، فأمر لازم لا بد منه ، وجزء لا يتجزأ من المنهاج الطبي. ويقدم بعد ذلك طائفة من الاسئلة التي يرى أن ينهج الممتحنون على منوالها ، ويهاجم أسئلة تافهة مؤكداً أنَّ الممتحنين أنفسهم لن يقدروا على اجابتها ، ولو أنهم أسهبوا في كتبهم في ذكر أمثال هذه الأمور التي لا نفع ولا طائل وراءها ؛ فمثلاً يقول : لماذا يُسأل الطالب في التمييز بالنبض بين الذكور والاناث ، او بين الصبيان والرجال والنساء والخصيان ؟ ولماذا يُسأل الطالب في التمييز بين أبوال الحيوانات والمياه المشابهة لها لوناً ؟ ان التمييز بين هذه يكون بحاسة الذوق أو الشم، وعادة لا يشم الطبيب البول ولا يتذوقه. فكيف

---

١) الفهرست ص ٢٩١ س ٣ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٠ ؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٩٩ س ٣٩

٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٩٧ س ٥

٣) الفهرست ص ٢٨٩ س ٣٨ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٩٣ س ١٧

٤) حقق النص اليوناني مع ترجمة انجليزية لهذا الكتاب :

W.H.S. Jones, *Hippocrates, with an English translation*, The Loeb Classical Library. London and New York, 1923, I, 12-63.

نلومه ان هو أخطأ في الحكم بينها ، معتمدا على حاسة البصر ؟ ان مهنة الطبيب ترمي الى ما هو أشرف من هذه الامور الرخيصة . والاسئلة الهامة عن البول تتلخص في الحكم على انواع العلل من مظاهر الابوال المختلفة كانواع الرسوب ، وأصناف قوام البول ، وألوان البول ، وشفوفته أو عكارته ، وما تدل عليه كل واحدة من هذه من الاستدلال على الاعضاء المصابة. ومن المهم ان يكون الطبيب عارفاً بالبول : ما هو ؟ ومن أين يأتي ؟ وكيف يتلون ؟ وأما في النبض فيجب أن يكون الطبيب ملماً تام الالمام بخصائص النبض الطبيعي، فيميز بين النبض الضعيف والقوي ، ويعرف الصلب من اللين . ويعتبر الرازي أمثال هذه الاسئلة في البول والنبض عاملاً محدداً في منح الاجازة الطبية — ثم ان هناك أسئلة اخرى في النبض من الاجابة عليها يظهر فضل الطبيب وامتيازه، ومدى خبرته العملية . ويوصي الرازي بضرورة الامتحان في علامات الامراض المتشابهة التي كثيراً ما يختلط على الطبيب تشخيصها ، كمرض القولنج وأوجاع الكلي ، ثم ذات الجنب وذات الرئة ، ثم الاسهال الناتج عن مرض الكبد والاسهال الذي سببه قروح الامعاء ، واصناف نفث الدم ، وهلم جرا. ويوصي بالامتحان في نظريات الامزجة والاخلاط . وكطبيب اكلينيكي محنك لا يغفل امتحان الطبيب في انواع الحميات البسيطة والمركبة ، وفي اصناف الحميات، وفي علامات الامراض ، وفي هيئة الاعضاء في حالات الصحة والتغيرات التي تطرأ عليها في الامراض، وفي أزمان الامراض ، وفي البحران وأيامه ، وفي تدبير المريض وطريقة تغذيته. ويصرح بأن علاج المريض بالادوية والعقاقير مع تجنب اجراء الجراحات ، اذا أمكن ، لدليل على فضل الطبيب وعلمه .

ويميز الرازي في كتابه طريقة امتحان أصحاب القياس من طريقة امتحان أصحاب التجربة ؛ فيقرر أن امتحان اصحاب القياس يجب أن يكون بتدقيق أكثر من الناحية النظرية ، وليشتمل على اسئلة في الجدل والكلام والحجاج ، وعلى أسئلة في المنطق وفي العلوم الطبيعية . وعلى ذلك فالرازي يرى تشييد صرح الطب على اساس متين من الفلسفة الاستقرائية ، فيسبق علماء الغرب في هذا المضمار بقرون عديدة[1] .

---

(١) قد عزا علماء الغرب لبيكون شرف استخدام الفلسفة الاستقرائية (Inductive philosophy)

واما اذا لم تجتمع المؤهلات المختارة لشخص واحد ، فيقترح الرازي بأن يُعَيّن لرسم سياسة الطب في المارستان طبيبان ، أحدهما طبيب قياس ، والآخر طبيب تجربـة . ثم يضيف أن القرارات التي تتخذ في شئون الطب يجب ان تكون نتيجة لاتفاق توصياتهما ؛ واما اذا اختلفا في موضوع ما ، فتعرض نقط الخلاف على لجنة من الاطباء اصحاب التجربة ، وتقبل قرارات هذه اللجنة اذا اتخذت بالاجماع . ويعتقد أن أصحاب القياس والنظريات قد يكونون معرضين للخطأ اكثر من اصحاب التجربة . ويؤازر الرازي أصحاب التجارب حينما يقرر تعيين أحدهم اذا اضطر الى تعيين طبيب واحد ، ولم تتوفر الصفات المطلوبة في طبيب القياس .

ويعدد الرازي صفات الطبيب الذي يراه نموذجياً ، وفي قوله ما يشعر بأنه كان – عن غير وعي – يتكلم عن صفاته الخاصة كطبيب . يقول الرازي: « وهذا الرجل هو الطبيب الفاضل ، ولا يكاد يخفى أمره ، لانه يرى دائماً نصباً تعباً في النظر والبحث تارة ، وفي مزاولة العمل أخرى ، ولا يهمه شيء غيره ، ولا يلتذ الا به ، ولا يقوم من أغراض الدنيا عنده مقام ما آثره ومال اليه[1] » .

والى القارئ نص كتاب محنة الطبيب للرازي ننشره لاول مرّة ، ورأى الرازي في المحنة محقق من مخطوطين .

في دراسة العلوم الى العالم الانجليزي فرانسيس باكون (القرن السابع عشر الميلادي) ، وفي الحقيقة يرجع هذا الشرف الى جالينوس الذي سبقه بما يقرب من ألفين من السنين .

انظر : F. Adams, *The Seven Books of Paulus Aegineta, Translated from the Greek ; with a commentary*, The Sydenham Society, London, 1844, I, p. XI.

(1) ص ٥١٠–٥١١ فيما يلي .

« في محنة الطبيب وتعيينه »

من « محنة الطبيب » .

« قال: الاعمال التي يُمتحن بها ، متى رأيت الطبيب يبرئ بالادوية الادواء التي تُعالج بعلاج الحديد ، مثل الخُراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير ، (٢١١ وجه) واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد ، والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تعرى[1] من اللحم . فمتى أجاد[2] الطبيب جميع هذه ، ولا يحتاج في شيء منها الى البط والقطع، إلا أن يدعو[3] الى ذلك ضرورة شديدة ، احمد معرفته . واحمد ايضاً من يعالج بالادوية الظفرة ، والجرب ، والبَرَدة ، والماء ، والبَرَد ، والنواصير ، والشعر ، وزيادة لحم الاماق ونقصانه . واحمد من يحلل المِدّة ، ويسكن النتوء في العين حتى يرجع . ومن يبرئ داء الفيل ، ويفتت الحجارة ، ويحلل الحجارة التي في المفاصل ويمنع تولدها ، ومن يبرئ الوجع الصلب الجاسي في المفاصل ، والقروح السرطانية ، والوسواس ، والنواصير ، والقروح الردية ، والنِقرس ، وعرق النسا ، والصرع ، والفالج ، والاسترخاء ، والصداع المسمى بيضة ، والشقيقة ، والسُدد ، والمِدّة المحتبسة في فضاء الصدر ، والربو ، ونفث الدم عن الرئة ، وزلق الامعاء وقروحها ، والدُبيلات ، والاورام الكائنة في الاحشاء . فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ جميع هذه بالادوية والتدبير .

قال :

والطبيب الحاذق يقدر أن يعالج بدواء واحد عللاً كثيرة ، فانه يمكنه ان يبرئ بالمرداسنج القروح ، وان ينبت به اللحم ، وان يُدمل به ، بأن يخلط شيئاً بعد شيء، في حال بعد حال. ويمكنه اذا لم يجد أدوية في القرى والعساكر،

---

١) تعرى : يتعرى .
٢) أجاد : حان .
٣) يدعو : يدعوا .

أن يستبدل بها أشياء هينة موجودة ، فلا ينبغي ان يحمد اذا برئ على يديه أمراض ردية (فقط).

الرابعة من السابعة – « أبيديميا » .

قال :

ينبغي أن يكون الطبيب نظيفاً في بدنه ، ووجهه ، وشعره ، وسائر أعضائه ، وتكون ثيابه نظيفة .

اليهودي – المقالة . (٢١١ ظهر) .

قال :

ينبغي ان يكون الطبيب باشا ، حسن المنطق ، طلقا ، ولا يكون عبوسا ، ولا عجولا متهورا ، ولا شرها إلى المال ، ويكون له البيان ، وهيئته[١] حسنة في خلقته[٢] وزينته . ويكون كهلا في السن ، رحيما بالمرضى ، متحننا عليهم ، حافظا لسر يطلع عليه ، فان قصد انسانا بأو سقاه دواء حضره .

المقالة الاولى من « أيام البحران » – في آخرها قال :

من قرأ كتب بقراط ولم يخدم أفضل ممن خدم ولم يقرأ[٣] كتب بقراط.

وقال :

انه لما عالج الحيألة ، وهو ابن ثمانية عشر ، لام مولاه على ذلك الملك ؛ فقال مولاه :

رأيت ما أفناه هذا الشاب من عمره في الإكباب على صنعته ، اكثر مما أفناه أولئك المشايخ ، وانه لما عالجهم ، برئ على يديه من لم يبرأ[٤] على يدي أولئك[٥] .

١) هيئته : هيه .
٢) خلقته : حلقه .
٣) يقرأ : يقر .
٤) يبرأ : يبر .
٥) رأيت ... أولئك :
« اني رأيت الايام التي أفناها هذا الرجل في التعلم أكثر من الايام التي أفناها غيره من المشايخ الاطباء في تعلم هذا العلم » .
ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٨٠ س ١٩–٢٠

وقال في الرابعة من السادسة :

ينبغي ان لا يكون الطبيب فظا غليظا حتى يبغضه المريض ، ولا يكون ملقا خدوما حتى يتهاون به ؛ لكن يكون له من الجلالة في عين المريض ما لا ينقصه[1] ، ويساعده في بعض الاحوال طالبا لمساعدته والتقرب من قلبه ، حتى يصير بين الحالتين .

واستعن بهذه المقالة ، فان فيها اشياء يجب أن يستعان بها .

من « محنة الاطباء »

قال :

قد يمكن ان يتعلم الانسان هذه[2] الصناعة ، ثم لا يرتاض فيها على ما ينبغي ؛ أعني تعاهد[3] خدمة المرضى ، فيقصر عمّا يبلغه المرتاض ؛ واما من لم يتعلمها[4] ، أعني من الكتب[5] ، فليس يمكنه ان يرتاض في تعرّف ذلك في المرضى ، وأما من قرأ ذلك فخليق ان يصيب الاوقات التي ينبغي ان يستعمل فيها كل واحد من هذه .

قال : (٢١٢ وجه)

واسأله[6] أين ذكر بقراط وغيره الاشياء التي تدل على تقدمة المعرفة وصواب العلاج ، فان ذكرها فاسأله[7] عن مخالفة القدماء بعضهم لبعض ، وموافقتهم .

قال :

فأول ما تسأله[8] عنه التشريح ، ومنافع الاعضاء ، وهل عنده علم بالقياس ، وحسن فهم ، ودراية في معرفة كتب القدماء ؟ فان لم يكن عنده ذلك ، فليس بك حاجة الى امتحانه في المرضى ؛ وان كان عالما بهذه الاشياء ، فأكل

١) ينقصه : يبغضه .
٢) هذه : لهذه .
٣) تعاهد : يتعاهد .
٤) يتعلمها : يستعملها .
٥) الكتب : الكتب فيه .
٦) اسأله : اسله .
٧) فاسأله : فاسله .
٨) ما تسأله : متى يسله .

امتحانه[1] حينئذ في المرضى ، فتى رأيته يدري ، ففي الادوية[2] .

لي :

قد حقق جالينوس ها هنا ، وقدم الجزء النظري ، وزعم أنه لا يكون طبيباً إلّا به .

من كتابه « في أن الطبيب الفاضل فيلسوف » .

قال :

ويحتاج الطبيب أن يعرف الهندسة ، والنجوم ، وإلّا لم يعرف تقسيم[3] الأزمنة ، وحال البلدان . ويحتاج ان يعرف المنطق ، وإلّا لم يُحسن أن يُقَسِّمَ أجناس الامراض الى انواعها ، ولا يعرف صواب من أصاب ، وخطأ من أخطأ مما[4] قد تريد به من مختلفين . ويحتاج ان يعرف تَقْدِمَةَ المعرفة ، ويحتاج ان يكون متكلماً حسن العبارة ، وينبغي أن يكون دَرِباً بكتب بقراط ، فهماً بها .

قال :

وليس يمنع من عُني في اي زمان كان ان يصير أفضل من بقراط ، ولا يمكن (ذلك إلا بـ) ان يتدرب ، بهذه الصناعة المرّضة[5] بالسهرات .

وقال : ان بقراط ...[6]

من « اجزاء الطب » .

قال :

لا يمكن ان تعالج علاج صواب حتى تعرف تركيب البدن ، وذلك يُعرف من التشريح ، ويُعرف من البحران وايامه ، والمزاج ، والاسطقسات ، ومنافع

---

١) فاكمل امتحانه : فامتحنا كماله.
٢) ففي الادوية : بالادوية.
٣) تقسيم : بسم .
٤) مما : مم .
٥) المرضة : المرض .
٦) غير واضح وشكله : طلبه اردشير بن مابكان .

الاعضاء ، وتشريح الاحياء[1] ، (٢١٢ ظهر) والقوى الطبيعية ، وهذه كلها مقدمة للشفاء .

بقراط من كتابه « في الطب القديم » .

قال :

يحتاج الطبيب الى تعلّم طويل ، وطلب حثيث ، حتى لا يكون خطوه[2] الا يسيرا ، وانّا لنمدح الطبيب القليل الخطأ ، لان الصواب في هذا العلم عسر اصابته .

من « محنة الطبيب » .

قال :

انظر أولا بماذا أفنى عمره ، إما بقراءة كتب[3] الطب والتجربـة ، أو بالاشتغال بغير ذلك ، وما حاله فيما الآن ، وهل يشتغل[4] اذا خلا بالقراءة ، او التجارب ، وكيف همته وحبه لذلك . (فان كان) انما يميل[5] اذا خلا الى اللهو والشرب ، فلا تعبأ بامتحانه .

قال :

ومحنته بالكلام ، يحتاج ان يكون المُمتحِنُ له دَرِباً ، عالمـا بالكلام والحجاج ، فأما امتحانه بالعمل فيُهيأ لمن لم يكن كذلك .

باقي « محنة الطبيب » : خلقه[6] ، وزيه ، وسائر ما يحتاج اليه الطبيب وان[7] يكون عليه ، وسيرته في معاملته للناس .

مخطوط (هـ) ورق ٢١٢ ظهر س ١٢ ؛

(و) ورق ٢٢٤ وجه س ٥ .

---

١) الاحياء : الاحياء والمزاج

٢) خطوه : خطاوه .

٣) بقراءة كتب : لقراءة لكتب .

٤) يشتغل : يعمل .

٥) من يميل : يميل .

٦) خلقه : وخلقه .

٧) وان : ان .

قال محمد بن زكريا[1] :

لست أرى أن الإغراق في وصف محنة الطبيب، كما وصفه قوم كثير، نافع للمتحن ولا الممتحن . وذلك ان الذي يروم من الطبيب ان يبيّن له بالنبض بين[2] الرجال والنساء، والخصيان، والصبيان، قد طلب امرا غير ممكن في الاكثر، وجاوز الحد الذي يحتاج الى معرفتــه الطبيب في امر النبْض . وانا اعلم يقينا انه لو[3] امتُحِن ابن ماسويه، الكاتب هذا في كتابه لهذه[4] المحنة لكان[5] حيرته فيها اشد واكثر من حيرة الاعمى في التفرقة[6] بين الاشياء التي تُدْرَك بآلة البصر . وجملة (ما) اقول[7] : ان هذا شيء لا يصغي اليه عاقل بتة، وليس في صناعة الطب[8] — ولو استُغْرِقَتْ كَمَلاً بتقدار طاقة الانسان — ذلك على تحقيق البتة، اللهم الّا بحدس (٢١٣ وجــه) ضعيف لا يجوز لمثقف[9] ان يطلق به لسانا او يعقد عليه ضميرا. فانك قد تجد نساء كثيرات[10]، نبضهن[11] اعظم من نبض رجال كثيرين، وكذلك تجد خصيانا في مثل هذه الحال . واما[12] نبض الصبيان، فانه لا يحتــاج ان يُعَرّف، اذ[13] كان جس ابدانهم ليس[14] يخفى على ذي حاسّة، فذكره فضول من[15] هذا القول، وهَذَر لا يحتاج اليه، ولا ينفع[16] بجثه. وكذلك[17] ارى ان الممتحن للطبيب بالتفرقة بين[18] ما. الانسان وبعض المياه التي[19] شبهت به، جاهل : وذلك ان الطبيب

١) قال محمد بن زكريا : محنة الطبيب لابن زكريا و .

٢) بين : الفرق بين و .

٣) لو : ان و .

٤) لهذه : بهذه و .

٥) لكان : كانت و .

٦) التفرقة : التفريق و .

٧) اقول : قول و .

٨) وجملة (ما) اقول . . . الطب ساقطة من ه .

٩) لمثقف : لمتوقي و .

١٠) كثيرات : كثير ه ، كثيرين و .

١١) نبضهن : نبضهم ه ، و .

١٢) واما : فأما و .

١٣) اذ : اذا ه .

١٤) ليس : لا و .

١٥) فضول من : فضل من فضول و .

١٦) ينفع : نفع ه ، و .

١٧) وكذلك : فلذلك ه ، ولذلك و .

١٨) بالتفرقة بين : بين التفرقة بين و .

١٩) التي : الذي قد و .

ينظر في[1] الماء — في الاكثر — الى اللون ، والقوام[2] ، وما ينحل منه[3] بحس البصر . ولا يذوقه ولا يشمه في الاكثر ، فاذا شبه عليه في الباب الذي منه ينظر فقد[4] برئ من اللائمة[5] . وليس في غاية هذا العلم ايضاً[6] التفرقة بين البول من جميع الاشياء المشبهة له[7] نظراً ، وأرى[8] الذين كتبوا في التفرقة بين هذه[9] ، وراموا ان يثبتوا[10] ذلك ويحددوه ، جهال بهذه الصناعة . والذي يحتاج ان يمتحن به الطبيب من النبض ، ان يفرق بين القوى والصلب ، وبين الصغير والعظيم[11] ، وبين الضعيف والقوي[12] ، وبين المستوى والمختلف ، وان يحس بالتغايير العظام التي تحدث[13] . ويمكنه ان يحفظ صورة النبض الطبيعي مما[14] قد اكثر (٢٢٤ ظهر) جسه في نفسه[15] ، ويخبر عن تغيره ، اذا حدث فيه تغير عظيم .

فهذا قدر لا بد منه ، ولا يكون طبيبا البتة الّا به[16] ، وله[17] بعد من الفضل فيه ابواب كثيرة ، وينبغي ان يمتحن فيه[18] رجل عالم بالنبض . واما في الماء ، فان[19] يكون عارفا بالرسوب وانواعه[20] ، والقوام والالوان ، وعلى ماذا تدل في الاكثر — مما قد علم بالتجربة والقياس ، (٢١٣ ظهر) نحو العلم[21] بأن[22] مياه الفاسدي المزاج على الاكثر وسخة غليظة ، مشبهة لمياه[23]

١) في : من و .
٢) في الاكثر . . . القوام : في اكثر الامر الى لونه وقوامه و .
٣) ينحل منه : يتخيل به و .
٤) فقد : قد و .
٥) اللائمة : الملامة و .
٦) ايضاً : ساقطة من و .
٧) له : ساقطة من ه .
٨) ارى : ان ه .
٩) هذه : هذا ه .
١٠) يثبتوا : يبينوا و .
١١) العظيم : الصغيرة ولعلها الضعيف .
١٢) وبين الضعيف والقوي : ساقطة من ه .
١٣) تحدث : تحس وتحدث و .
١٤) مما : مم ه .
١٥) جسه في نفسه : جس نبضه في نفسه و .
١٦) ولا يكون . . . الا به : ولا طبيب فيه الا به و .
١٧) وله : ولا و .
١٨) فيه : منه ه ، و .
١٩) فان : فانه ه .
٢٠) بالرسوب وانواعه : بانواع الرسوب و .
٢١) نحو العلم : ساقطة من و .
٢٢) بأن : ان و .
٢٣) لمياه : بأمواه و .

الحبالى. وان الماء الابيض الرقيق دال على عدم النضج في الاكثر، وقد يكون له اسباب غير هذه. وان الرسوب منه ما يدل على الكلى، كالرمل الاحمر وقطع اللحم، ومنه ما يدل على المثانة، كالخراز في الماء.[1] ومنه ما يدل على حركة[2] كالمدة، ومنه ما يدل على خلط نيء كالرسوب الخامي : وفي التفرقة بين المدة والخام[3]، والرسوب[4] المنذر بطول المرض وسلامته، والمنذر بالخير والشر. وكذلك[5] تسل في القوام، واللون، والطعم، والريح. وعن البول : ما هو ؟ ومما ينفصل ؟[6] ومن اين يأخذ الصبغ ؟[7] ونحو ذلك مما يبقى[8] في هذا الامر من المسألة، فان هذا مقدار لا يكون طبيبا البتة[9] الا به، وله بعد فضل علم كثير، على مقداره يكون فضله في صناعته؛ اللهم الا ان ينتحل صناعة التجربة فقط. فان هذا ينبغي ان يسأل عما[10] يدل عليه وينتفع[11] به — دون سائر الاسباب.

واما[12] من انتحل القياس، فأول ما ينبغي ان يمتحن به — هل له معرفة بالكلام والحجاج، وما له وعليه، واين مبلغه من ذلك، فانه على قدر ذلك تكون قوته في التعلق[13] بالطب[14] القياسي.

١) الماء : المثانة و.
٢) حركة : شكله غير واضح في و، وقد يكون جودة.
٣) اي الرسوب الخامي.
٤) الرسوب : المصوف (كذا) و.
٥) وكذلك : ساقطة من و.
٦) مما : من ماذا و.
٧) الصبغ : ذلك الصبغ و.
٨) يبقى : بقي و.
٩) البتة : ساقطة من و.
١٠) يسأل عما : يسئل عما ه؛ يسأل عنه على ماذا و.
١١) ينتفع : يتبع و.
١٢) واما : فأما و.
١٣) التعلق : الملق ه.
١٤) بالطب : في الطب و.

واكثر ما ارى ان يُمتَحَنَ به الطبيب في الحميات ، والامراض الحادة ، والبحارين[١] وايامها ، ويسأل كيف يفرق[٢] بين انواع الحمى من اول دورها ، وكيف يميز امركبة ، فانه على[٣] قدر عنايته بذلك يكون فضله ومعرفته .

وجملة كافية ، اقول : انه ينبغي ان يوثق في الاكثر ؛ اما من يعمل على طريق التجارب ، فاكثرهم[٤] تجربة واطولهم خدمة وزمانا في الصناعة . ولا يقتصر (٢١٤ وجه) على طول الزمان فقط ، لانه يمكن ان يبلغ في الزمان القليل الذكي المجرب[٥] ، او ببعض السمايات[٦] ، ما لا يتهيأ بلوغه في الزمان الطويل ، المعروف[٧] بكثرة معاناة العلاج[٨] والمرضى ، المؤثر بزؤم على الاكتساب .

واما من يزعم انه طبيب قياس ، فاعلاهم رتبة[٩] في الكلام ، والجدل ، والمنطق ، والطبيعيات ، والتعليم[١٠] . ولا[١١] يقتصر منه على ذلك وحده ، بل يكون له مع هذا[١٢] دربة ، واحتيال كثير ، ومراعاة للمرضى[١٣] ، وخدمة كثيرة[١٤] ، حتى لا يقصر عن احد من المجربين فيما ظهر[١٥] بالتجربة ، ويفضلهم بالقياس . (٢٢٥ وجه) .

وهذا الرجل هو الطبيب الفاضل ، ولا يكاد يخفى امره لانه يرى دائما نصبا تعبا في النظر والبحث تارة ، وفي مزاولة العمل اخرى[١٦] . ولا يهمه[١٧] شيء

١) البحارين : البراهين و .
٢) يفرق : يميز و .
٣) فانه على : فانه يدل على ه .
٤) فاكثرهم : فعلى اكثرهم و .
٥) المجرب : المحدث و .
٦) السمايات : السادت و .
٧) المعروف : ساقطة من و .
٨) العلاج : ساقطة من و .
٩) رتبة : مرتبة و .
١٠) التعليم : التعاليم و .
١١) ولا : لا و .
١٢) هذا : ذلك و .
١٣) مراعاة للمرضى : مزاولة المرضى و .
١٤) كثيرة : كثير و .
١٥) فيما ظهر : مما استظهر و .
١٦) في النظر . . . العمل اخرى : في المداواة ومزاولة المرض تارة وتارة في البحث والنظر و .
١٧) يهمه : يهمه و .

غيره ، ولا يلتذ الا به ، ولا يقوم شيء من اغراض الدنيا عنده[1] مقام ما قد آثره ومال اليه . فان لم يجتمع هذا لرجل واحد بعينه[2] فينبغي للمعنى بأمر الطب ان يجمع رجلين: احدهما فاضل في الفن العلمي من الطب ، والآخر كثير الدربة والتجربة ، ويصدر عن اجتماعها في اكثر الامر . فان اختلفا في شيء ، فليعرض ما اختلفا فيه على كثير من اصحاب التجارب . فان اجمعوا جميعاً على مخالفة صاحب[3] النظر = قبل منهم ، فان الشكوك المغلطة تقع على الاكثر في الفن العلمي النظري[4] ، اكثر منه في التجربة[5] . فان لم يتهيأ له الا احد هذين الرجلين ، فليختر[6] المجرب ، فانه اكثر نفعا في صناعة الطب من العاري عن الخدمة والتجربة البتة[7] .

وليمتحن بمعرفة صور العلل ، والتفريق بين بعضها وبعض[8] . مثال ذلك ان يفرق بين وجع الكلي و[9] (٢١٤ ظهر) وجع القولون[10] ، وذات الجنب من[11] ذات الرئة ، والاختلاف الذي من الكبد من[11] قروح الامعاء ، وبول الدم والمدة[12]، ومنها[13] الذي من الاعالي من[14] الذي من الاسافل ، والفرق بين ضروب الدم الخارج من الفم بعضها من بعض ، ونحو ذلك[15] .

والتمييز بين الخراجات بعضها من بعض ، والردية[16] المزمنة والسريعة البرء[17] ، وما قد حصل منها فيها[18] شيء ، وما[19] لم يحصل ، وأي نوع هو

---

١) عنده : بعده و .
٢) بعينه : ساقطة من و .
٣) صاحب : ساقطة من و .
٤) النظري : ساقطة من و .
٥) اكثر منه في التجربة : دون التجربة و .
٦) فليختر : فليختار و .
٧) البتة : بتة و .
٨) بين بعضها وبعض : بعضها من بعض هـ .
٩) و : من هـ .
١٠) القولون : القولنج و .
١١) من : و في و .
١٢) الدم والمدة : المدة والدم و .
١٣) منها : مشيها و .
١٤) من : و في و .
١٥) ونحو ذلك : ونحو ذلك من التمييز و .
١٦) الردية : ساقطة من و .
١٧) البرء : البرو هـ
١٨) منها فيها : فيها منها و .
١٩) ما : من و .

الحاصل فيها ، والتفرقة بين أشكال[١] الاعضاء الطبيعية ، والاشكال الذابلة والوهنة ؛ فانه لا يكون طبيبا البتة[٢] ، حتى يكون صوابه في هذه اكثر من خطئه[٣] كثيرا[٣] . وعلى قلة خطئه[٤] ، كذلك يكون فضله . ثم ليسأل[٥] عن دلائل الامزاج[٦] امزاج الناس وامزاج الاعضاء ؛ وعن طبائع الادوية والاغذية[٧] ، فان التوسع في ذلك دال على فضله ؛ وبالضد . وكذلك فليمتحن في المعرفة بازمان[٨] الامراض ، وتغيير العلاج في زمان زمان ، وبحسب نوع نوع ، فان[٩] هذا مما لا يسعه ان يكون طبيبا الا بمعرفته .

فأما امتحانه بمعرفة العقاقير ، فأرى[١٠] انها[١١] محنة ضعيفة ، وذلك ان هذه الصناعة هي بالصيدناني اولى منها بالطبيب ، الا ان تقصر معرفته بالكثير الاستعمال منها فيدل على قلة علمه ، ومزاولته ، ودربته[١٢] . فأما المطالبة بمعرفة الغريب والنادر منها ، والفرق بين الجيد والرديء منها[١٣] ، فليس ذلك خاصا[١٤] بصناعته. ويمكن ان يكون طبيبا فاضلا مقصرا عن كثير من خلال[١٥] العقاقير في هذا الباب . وعليه ان يعرف حمى يوم من اولها في اكثر الامر ، وينذر بأنها لا تعود ، ويدخل اصحابها[١٦] الحمام ، ويأذن لهم في الغذاء ، والتصرف . ويعرف ويصيب في اكثر زمان الامراض والبحارين (٢١٥ وجه) ليمكنه ان يجعل الغذاء[١٧] بحسبه .

وان يبرئ الطبيب[١٨] بالادوية ما يعالج (٢٢٥ ظهر) بالحديد ، دليل على

---

١) بين اشكال : بأشكال ه.
٢) البتة : بتة و .
٣) خطئه : خطائه ه ، و .
٣) كثيرا : ساقطة من و .
٤) ليسأل : ليسئل ه ؛ يسأل و .
٥) دلائل الامزاج : الدلائل على الامزاج و .
٦) الادوية والاغذية : الاغذية والادوية و .
٧) بأزمان : في ازمان و .
٨) فان : في و .
٩) فأرى : فاني ارى و .
١٠) انها : انه و .
١١) الا ان ... ومزاولته : ساقطة من و .
١٢) منها : ساقطة من و .
١٣) خاصا : خاص ه ، و .
١٤) خلال : غير واضح في ه وشكله خلاوي .
١٥) اصحابها : اصحابها الى و .
١٦) والتصرف ... يجعل الغذاء : ساقطة من و .
١٧) الطبيب ... : ساقطة من و .

فضله[1] ، وكذلك اذا ابرأ[2] الادواء الغليظة ، مثل داء[3] الفيل ، والحجارة في الكلي والمثانة[4] ، والاورام الصلبة في المفاصل[5] ، والدوالي ، والنواصير[6] — من غير كي[7] — فذلك دليل على نفاذ معرفته بالادوية ، وفضله في العلاج[8].

مخطوط (ه) ورق ٢١٥ وجه س ٥ ؛

(و) ورق ٢٢٥ ظهر س ٢ .

من « ايمان بقراط » .

الشكل الذي يحتاج ان يكون عليه الطبيب :

ينبغي ان تكون الفرج بين اصابعه واسعة ، وابهامه تقابل السبابة .

« أبيديميا » — قال .

اذا كان طبيب يطعم العليل ، ولا يشعر حتى تبتدئ بـه النوبة — فهو جاهل .

كذلك اذا ابتدأت بعده بزمان قليل ، او زمان لم يقدره.

« أبيديميا » — قال :

العلل التي ظاهرها مهول ، وباطنها هيّن ، يتضمنوا برءها[9] ؛ وبالضد .

قال :

واياكم وافشاء اسرار الاعلاء اذا وقفتم عليها ، فقد هلك لها جماعة من الاطباء . »[10]

١) دليل على فضله : ساقطة من و .
٢) أبرأ : برأ و .
٣) داء : ساقطة من و .
٤) في الكلي والمثانة : ساقطة من و .
٥) في المفاصل : ساقطة من و .
٦) والنواصير : ساقطة من و .
٧) كي : لي ه .
٨) في العلاج : بالعلاج و .
٩) برءها : بروءها ه .
١٠) ه ورق ٢١٠ ظهر س ١٧ — ورق ٢١٥ وجه س ١١ ؛
و ورق ٢٢٤ وجه س ٥ — ورق ٢٢٥ ظهر س ٢ .

مقارنة بعض النصوص التي جاءت في كتاب الرازي بنصوص وردت في كتاب جالينوس

محنة الطبيب للرازي	كتاب جالينوس في المحنة التي يُعرف بها أفاضل الأطباء . مخطوط ٣٨١٣ج – مكتبة البلدية بالاسكندرية
قال : الاعمال التي يُمتحن بها متى رأيت الطبيب يبرئ بالادوية الادواء التي تُعالج بعلاج الحديد؛ مثل الخراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير ، واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد ، والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تعرى من اللحم. فمتى أجاد الطبيب جميع هذه ، ولا يحتاج في شيء منها الى البط والقطع ، إلا ان يدعو الى ذلك ضرورة شديدة ، فاحمد معرفته. واحمد ايضاً من يعالج بالادوية الظفرة ، والجرب ، والبردة ، والماء ، والبَرَد ، والنواصير ، والشر ، وزيادة لحم الاماق ونقصانه . واحمد من يحلل المدة ، ويسكن النتوء في العين حتى يرجع .	فأقول : انك ان رأيت طبيباً يبرئ بالادوية الادواء التي يبرؤها المعالجون بالحديد بالقطع ، فعدّ ذلك منه على ان له علماً ، ورويّة ، ودربة ، وحذقاً . والذي يعالجه المعالجون بالحديد هي الخراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير ، واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد ، والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تعرى من اللحم وتتسخ ، فلا ينبت عليها اللحم. فمتى رأيت طبيباً يبرئ جميع هذه الادواء بالادوية ، ولا يحتاج الى القطع الا ان تدعوه الى ذلك ضرورة شديدة ، فاحمد منه معرفته بالادوية . واحمد ايضاً من رأيته يبرئ بالادوية وحدها من ادواء العين ما يعالجه غيره بالقطع : مثل الظفرة ، والجرب ، والسبل ، والبَرَد ، والماء ، والقرب ، والنواصير ، والشر ، وزيادة لحم الماقين ونقصانه . واحمد ايضاً من رأيته قد حلل من العين مدّة محتقنة فيها بسرعة .
ص ٥٠٢ فيما سبق .	صفحة ٢٩ س ٦ — ١٨

ومن يبرئ داء الفيل ، ويفتت الحجارة ، ويحلل الحجارة التي في المفاصل ويمنع تولدها ، ومن يبرئ الوجع الصلب الجاسي في المفاصل .

ص ٥٠٢ فيما سبق .

واحد أيضاً في معرفة الادوية ، من رأيته يبرئ بها داء الفيل ، أو رأيته يفتت بالادوية الحجارة التي تتولد في المثانة ، او في الكلى ، أو يمنع من تولد الحجارة في المفاصل أو يحللها اذا تولدت ، واحد أيضاً من رأيته يقدر أن يبرئ الورم الصلب الجاسي في المفاصل كان ، أو في الاحشاء ، أو في العضل .

ص ٣٠ س ٣ – ٧

. . . والقروح السرطانية ، والوسواس ، والنواصير ، والقروح الردية ، والنقرس ، وعرق النسا ، والصرع ، والفالج ، والاسترخاء ، والصداع المسمى بيضة ، والشقيقة ، والسدد ، والمدة المحتبسة في فضاء الصدر ، والربو ، ونفث الدم عن الرئة ، وزلق الامعاء وقروحها ، والدبيلات ، والاورام الكائنة في الاحشاء . فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ جميع هذه بالادوية والتدبير .

ص ٥٠٢ فيما سبق .

ويجب عليه أيضاً أن يبرئ بالادوية مع التدبير النقرس ، ووجع النسا ، ووجع المفاصل ، ما دام لم يتولد فيها حجارة ، والصرع ، والفالج ، والاسترخاء ، والجنون العارض من السوداء والصفراء المحترقة ، والصداع الدائم المشتمل على الرأس كله ، والشقيقة ، والسدد ، والمدة المحتبسة فيما بين الصدر والرئة ، والربو ، ونفث الدم ، وزلق الامعاء ، والقرحة التي تكون في الامعاء ، أو في غير الامعاء من الجوف ، والدبيلات ، والاورام التي تكون في الاحشاء ، والتي تكون في الثديين ، فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ هذه الادواء كلها بالادوية مع التدبير .

ص ٣٠ س ١٧ – ٣١ س ٨

والطبيب الحاذق يقدر ان يعالج بدواء واحد عللاً كثيرة ، فانه يمكنه ان يبرئ بالمرداسنج القروح ، وان ينبت به اللحم ، وان يُدمل به ، بأن يخلط شيئاً بعد شيء ، في حال بعد حال .

ص ٥٠٢ فيما سبق .

يقدر المستعمل الدواء الواحد المفرد كالمرداسنج ، والاسفيداج ، ان يلزق به الجراحات ، ويدمل به ما يحتاج الى الاندمال ، وينقي به القروح العظيمة النور ، والنواصير ، ويسكن به عادية القروح التي معها أورام أو صلابة .

ص ٣٦ س ٩ – ١٣

قال :

قد يمكن ان يتعلم الانسان هذه الصناعة ، ثم لا يرتاض فيها على ما ينبغي؛ اعني نشاهد خدمة المرضى ، فيقصّر عما يبلغه المرتاض ؛ واما من لم يتعلمها ، اعني من الكتب ، فليس يمكنه ان يرتاض في تعرّف ذلك في المرضى ، واما من قرأ ذلك فخليق ان يصيب الاوقات التي ينبغي ان يستعمل فيها كل واحد من هذه .

ص ٥٠٤ فيما سبق .

وقد يكون ان يتعلم المتعلم هذا العلم ، ثم يتكاسل ، ويتهاون بالارتياض فيه ، والاستعمال له ، فيقصّر عما يبلغه من قد ارتاض فيه ؛ فاما من لم يتعلمه البتة، فليس يمكن ان يرتاض فيه . فان من لم يتعلم في المثل ما قال أبقراط من ان اوجاع العين يسكنها شرب الشراب الصرف ، او الحمام ، أو التكميد ، أو الفصد، أو الدواء المسهل ، فكيف يمكنه أن يرتاض عند نفس العمل، في الوقت الذي يحتاج فيه الى كل واحد من هذه الاشياء ؟

فاما من قد علم هذا من أبقراط ، فهو خليق بأن يجد الوقت الذي يصلح فيه كل واحد منها .

ص ١٠ (ترقيم انجليزي) س ٣–٩

وقال :

انه لما عالج المثّالة ، وهو ابن ثمانية عشر، لام مولاه على ذلك الملك ؛ فقال مولاه :

رأيت ما أفناه هذا الشاب من عمره في الاكباب على صنعته ، أكثر مما أفناه أولئك المشايخ ، وانه لما عالجهم ، بريء على يديه من لم يبرأ على يدي أولئك .

ص ٥٠٣ فيما سبق .

قال :

اني رأيت الايام التي[1] أفناها هذا الرجل في التعلم أكثر من الايام التي[1] أفناها غيره من المشايخ الاطباء في تعلم هذا العلم .

ص ٢١ س ٧–٩

قال :

انظر اولاً بماذا أفنى عمره ، اما بقراءة كتب الطب والتجربة ، او بالاشتغال بغير ذلك ، وما حاله فيها الآن ، وهل يشتغل اذا خلا بالقراءة، أو التجارب ، وكيف همه وحبه

فأقول : ان من أراد أن يميّز بين الطبيب الفاضل والاخس ، فينبغي ان ينظر اولا – من أمر ذلك الذي يريد ان يمتحنه – في اي شيء أفنى أكثر عمره .

أفي قراءة الكتب ومداواة المرضى ؟ أم

---

١) التي : الذي .

لذلك . فان كان انما يميل اذا خلا الى اللهو والشرب ، فلا تبأ بامتحانه .

ص ٥٠٦ فيما سبق .

في لزوم أبواب الاغنياء ، والتطواف عليهم ، والاسفار معهم ؟ فان وجده يغفل جميع هذه الاشياء ، فليست به حاجة الى ان يمتحنه ، لانه لا يجد عنده شيئاً اكثر مما عند الشعوذي ، والبواب ، أو النديم .

ص ٢٨ س ٥–١١

قال :

فأول ما تسأله عنه التشريح ، ومنافع الاعضاء ، وهل عنده علم بالقياس ، وحسن فهم ، ودراية في معرفة كتب القدماء ؟ فان لم يكن عنده ذلك ، فليس بك حاجة الى امتحانه في المرضى ، وان كان عالماً بهذه الاشياء ، فأكمل امتحانه حينئذ في المرضى ، فمتى رأيته يدري ، نفي الادوية .

ص ٥٠٤–٥٠٥ فيما سبق .

ويكون اول ما تمتحنه به ان تنظر هل عنده معرفة ودربة ثابتة بأمر التشريح ؟ ثم من بعد ذلك بأن تنظر هل يعلم ما فعل كل واحد من الاعضاء ومنافعه ؟ ثم انظر هل عنده طريق علم قياسي من أمر الاغذية ، وسائر التدبير ، والادوية[1] ؟

وقد ينبغي ايضاً ان يظهر لك منه فهم كتب القدماء من الاطباء ، وانه قد عني بحفظها ، فان هو لم يعن بحفظها ، ولم يظهر لك من دربة ، وحذق بجميع ما وصفت ، فليس حاجة الى ان تمتحن قوله وفعله في المرضى .

فان ظهرت لك منه قوة صالحة في هذه الاشياء التي وصفت ، فعند ذلك ينبغي ان تمتحن قوله وفعله في المرضى .

ص ٢٨ س ١٣–٢٩ س ٣

1) الادية .

فهرس الاصطلاحات

Diarrhoea, stools	اختلاف
Drugs, medicines:	أدوية :
Nature of	طبائع
Periods of diseases	أزمان الأمراض
Asthenia, lack or loss of strength and energy	الاسترخاء
Elements	الاسطقسات
Inner canthus, inner corner of the eye	الآماق (م مأق)
Acute dieseases	الأمراض الحادة
Critical days	أيام البحران
Crisis (p. Crises)	بحران (ج بحارين)
Chalazion, hail stone in the lid, a small tumour of the eyelid formed by the distension of a gland with secretion.	البَرَد ، البَرَدَة
Incision	بط
Haemorrhoids, piles	براسير
Urine:	بول ، ماء :
Colurless	أبيض
Furfuracious	الخراز
Haematuria	الدم
Sedimentation	رسوب
Thin	رقيق
Consistency of	قوام
Pyoid	المدّة
Leucoma of the cornea	البياض في العين
Headacke	البيضة
Empiricism	التجربة (علم)
Treatment, regimen	التدبير
Anatomy	التشريح
Vivisection	تشريح الأحياء
Necrosis of bones	تعرّي (عظام)
Mortification	تعفن (مواضع من البدن)
Prognosis	تقدمة المعرفة
Scab of the lid, trachoma	جرب (العين)

Disputations	الحجاج والكلام
Stones	الحجارة ، حصى
Itching	الحكة
Fever:	الحمى :
Composite attack	مركبة
Ephemeral	يوم
Abscess	الخراج
	الخراز (أنظر بول)
Humour (unconcocted)	خلط نيئ
Scrofula	الخنازيرة
Elephantiasis	داء الفيل
Cystic tumour	الدُبيلة
Oil	الدهن
Varicose veins	الدوالي
Pleurisy	ذات الجنب
Pneumonia	ذات الرئة
Penis, male organ	الذكر
Asthma	الربو
	الرسوب (أنظر بول)
Lientery	زلق الأمعاء
Venomous snake, large lizard	سام أبرص
Obstruction	السُدد
Soft tumour	السلع ، سِلْعَة
Trichiasis, ingrowing eyelashes	الشعر
Migraine, hemicrania	الشقيقة
Epilepsy	الصرع
Ranula (below the tongue)	الضفدع تحت اللسان
Naturalists	الطبيعيون
Pterygium	الظفرة
Sciatica	عرق النسا
Drugs	العقاقير (م . عقار)
Therapeutics	علاج
Surgery, operative treatment	علاج الحديد ، عمل اليد
Gland	غدة
Hemiplegia	الفالج

Ulcer:	القرحة (ج قروح) :
Malignant	ردية
Cancerous	سرطانية
	القوام (انظر ماء)
Reasoning:	القياس :
Dogmatist	طبيب ، من انتحل القياس
Crowfoot	الكيكج
	الكلام (أنظر حجاج)
Cautery	كي
Flesh:	لحم :
Formation of cicatrix	إدمال
Proliferation of	إنبات
Uvula	اللهاة
Tonsil	اللوزة
Cataract	الماء
	ماء (أنظر بول)
Bladder	المثانة
	المدّة :
Pus: Empyema	المدّة محتبسة في فضاء الصدر
Litharge	المرداسنج
Temperament:	المزاج :
Corrupt	فاسد
Chronic	مزمن
Joint	مفصل (ج مفاصل)
Seat	مقعدة
Uses of organs, physiology	منافع الأعضاء
Fistula	ناصور (ج نواصير)
Pulse:	النبض :
Small	صغير
Hard	صلب
Weak	ضعيف
Large	عظيم
Strong	قوي
Irregular	مختلف
Regular	مستوي

Proptosis of the eyeball	نتوء العين
Astrology	النجوم (علم)
Coction	النضج
Blood expectorations from the lungs	نفث الدم عن الرئة
Gout	النقرس
Paroxysm	نوبة المرض
Pains of the Kidneys, nephritis	وجع الكلي
Colitis	وجع القولون
Inflammation:	ورم :
Bowels (swelling of)	في الأحشاء
Fontanel	وسط الرأس
Melancholy, mental depression due to black bile	وسواس

أسماء الكتب التي وردت في الكتاب

صفحة

أبيديميا (بقراط) ٥٠٣؛ ٥١٢
أجزاء الطب (جالينوس) ٤٩٩؛ ٥٠٥
الاسباب المميلة لقلوب الناس عن أفاضل الاطباء إلى أخسائهم (الرازي) ٤٧٧
أوجاع المفاصل (الرازي) ٤٨٣
أيام البحران (جالينوس) ٤٨٣؛ ٥٠٢
أيمان بقراط ٥١٣

ب

الباه (الرازي) ٤٨٣
برء الساعة (الرازي) ٤٨٦

ت

تقسيم العلل (الرازي) ٤٧٧
التلطف في إيصال المريض إلى بعض شهواته (الرازي) ٤٧٧

صفحة

ج

الجامع (الرازي) ٤٧٥
الجدري والحصبة (الرازي) ٤٧٦

ح

الحاوي (مذكرات الرازي الخاصة) ٤٧٥؛ ٤٧٦

ش

الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس (الرازي) ٤٧٧

ط

الطب القديم (بقراط) ٥٠٦
الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل فإنّ ذلك ليس في الوسع (الرازي) ٤٧٧
الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً (جالينوس) ٤٩٨؛ ٥٠٠

ع

العلة التي من أجلها صار ينجح جهال الاطباء

صفحة

والمرام والنساء في المدن في علاج بعض الامراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك (الرازي) ٤٧٨

في العلة التي يذم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وإن كان حاذقاً (الرازي) ٤٧٧

ق

القولنج (الرازي) ٤٨٣

صفحة

م

محنة الطبيب (ابن ماسويه) ٤٧٩

محنة الطبيب (جالينوس) ٥٠٢؛٤٨٣.

محنة الطبيب (حنين بن اسحق) ٤٧٩

محنة الطبيب (الرازي) ٤٨٣؛٤٨٩

المنصوري في الطب (الرازي) ٤٨١؛٤٧٦

المراجع العربية

ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء طبعة بولاق ١٨٨٢—١٨٨٤

ابن خلكان ، وفيات الاعيان طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩

ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ، ليبسك سنة ١٩٠٣

ابن النديم ، الفهرست ، ليبسك سنة ١٨٧١

البيروني ، رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي — كراوس باريس سنة ١٩٣٦

حاجي خليفة ، كشف الظنون طبعة اسطنبول سنة ١٣٦٠ — ١٣٦٢ ه / ١٩٤١ — ١٩٤٣ م

رسائل فلسفية ، كراوس القاهرة سنة ١٩٣٩

الصفدي ، ديدرنغ ، دمشق سنة ١٩٥٣

طبقات الامم ، الاب شيخو ، بيروت سنة ١٩١٢

ياقوت فستنفلد ، ليبسك سنة ١٨٦٦—١٨٧٠

الآثار المطويّة

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

نشرنا في مجلة « المشرق » السنة الماضية، ضمّةً من كتابات قديمة ثمينة تحت عنوان « الآثار المطوية » كانت مخبوءة في الزوايا والكهوف، مغلقةً بين الستائر والسجوف، فقيّض الله لنا حظاً فظفرنا بالكثير منها، وقد :

برزت مبرقعةً فقلتُ لها أسفري حتى تكوني فتنةً للناظر

فنضونا عنها الحجاب ونفضنا عن ثيابها غبار السنين الخالية واطلقناها من الخفاء الى الضيا. فتهادت بابهى مطارفها كالحسناء الحالية، ولم ينل من نضرتها الشحوب والاكداد، ولا دنا منها الهزال في هذه الابعاد، وقد كشف عنها النور ما خبأته الظلمة من محاسن ومنافع. وحسبها فخرًا انها لستْ إقبالًا عليها وارتياحاً اليها، فجمعنا الجزء الاول منها في كتابٍ منفرد تسهيلًا لطالعتها متسلسلةً متساوقةً، فما صدف عنها السامع ولا ضاق دونها صدرُ المطالع مما حمل جِلّةً من اصدقائنا الى طلب المزيد من نشر مثل هذه الآثار المطوية القيّمة فنزلنا عند رغبتهم وعدنا الى دفاترنا واوراقنا نتصفحها ونقلبها وننتقي منها ما هو جديرٌ بالاعتبار خليقٌ بالانتشار، مواصلين اصدار الجزء الثاني من هذه الآثار. وعلى الله تعالى الاتكال في كل حال .

مخطوطة الرئة للشيخ جهجاه الدحداح

في سنة ١٩٤٥ ألقيتُ رياضةً روحيّةً على تلامذة مدرسة مار عبدا هرهريا. وفي ذات يوم رأيتُ رجلًا جالساً عند احد مداخل المدرسة وامامه صفٌ من

الكتب معروضة للبيع ، فتقدمتُ فاذا الرجل من عرامون كسروان ، وقلّبتُ الكتب وانتقيت منها مخطوطةً اثريّةً ابتعتها منه، وقد سمّاها كاتبها «السفينة» لانها مستطيلة وجامعة أشياء وأشياء ، وان انشاءها على طريقة السجع .

طول هذه المخطوطة ١٥ سنتمترًا بعرض ١٠ سنتمترات ، في ١٥٩ صفحة مجلّدة بجلد اسود ، منسوخة علـى ورق جيد بخط عربي ، بحبر اسود ، واماً العناوين فبالحبر الاحمر جا. في اواخر هذه المخطوطة صفحة ١٤١ ما هو بحرفه:

« علّقه بيده الحقيرة جهجاه الدحداح وهو مختفي اي مهزوم من حاكم الوقت . تحريرًا في ١٣ كانون اول سنة ١٨٢٨ الثانية وعشرين وثمانماية والف بناية المجلة صح صح . واما كتابة الاحمر بعد الرجوع للبيت كتبناها » .

اما كيف حصل الشيخ جهجاه على هذه المراسلات والمراسيم التي جمعها في مخطوطته « السفينة » وهي تنبئ بانها مأخوذة من دار حكم الامير بشير شهاب الكبير. ويقول الشيخ فريد الدحداح حفيد خطار بن جهجاه : ان جهجاه كان خصماً للامير بشير وانه لم يدخل في خدمته . لذلك يرجّح عندنا اماً انه نقلها عن مخطوطة كانت بيد احد أصدقائه او اقاربه ، واما انه استقاها من احد كتبة ديوان الامير بشير فنسخها وهو فارٌّ من وجهه حتى اذا عاد الى بيته عنون مواضيعها بالحبر الاحمر الذي لم يكن ينقله معه وهو شريدٌ مهزوم .

ان الشيخ جهجاه هو من قرية — عرامون كسروان — ابن الشيخ حنـا الدحداح على ما ذكر الخوري منصور الحتّوني[1] . وافادنا حضرة الشيخ رشيد ميشال الدحداح — كفور كسروان — عن لسان الشيخ فريد الدحداح ابن سليم المؤرخ المعروف ابن خطار ابن الشيخ جهجاه الدحداح ان لجهجاه ثلاثـة اخوة كبيرهم : منصور ولويس وعرب. وان فاعور وحنا اللذين يخاطبهما جهجاه في هذه المخطوطة ، هما ابناء شقيقه لويس ، اعتبرهما كابناء له . ولم يكن لجهجاه سوى ولدٍ واحد اسمه خطار . مات جهجاه في قبّ الياس وليس له من املاكٍ هناك انما كان قائد حملةٍ حربية مؤلفة من ثلاثمئة شخص هاجم بها عسكر ابراهيم باشا المصري الذي والاهُ وعاونه، الامير بشير الشهابي الكبير في الحرب.

١) كتاب المقاطعة الكسروانية ، الطبعة الاولى ، صفحة ٢٧٨

وكان جهجاه مع الكسروانيين الذين نازلوا الامير بشير وابراهيم باشا في القتال.

وقد ركب الشيخ جهجاه على رأس ثلاثمئة فارس الى دار الشيخ بشير جنبلاط في المختارة لاسعافه في مقاتلة عسكر الامير بشير. وعندما انتصر رجال الامير على رجال الشيخ بشير، فرّ عندئذ الشيخ بشير جنبلاط والشيخ مرعي واخوه الشيخ بشير الدحداح وابن عمهما الشيخ جهجاه قاصدين حوران، ففاجأهم عسكر الشام في ايام ذلك الشتاء القاسية، فسلّم الشيخ بشير جنبلاط نفسه للعسكر فشنقه عبدالله باشا بناء على امر محمد علي والي مصر. واما الشيخان مرعي وجهجاه فاخترقا العسكر ومزّقا صفوفه وتاها في البراري والكهوف، ثم توجّها الى حلب الشهباء وانتهيا الى حمص وقد طاردهما الامير بشير شهاب الكبير وضيّق عليهما حتى انهزما من شرّ سطوته ونقمته.

قال مؤرخ حياة الشيخ مرعي الدحداح: «ان الشيخ جهجاه وُلد ١٧٩٠ وتوفي سنة ١٨٤٠ في قب الياس ودُفن في كنيستها. وكان قويًا جبارًا وفارسًا مغوارًا له وقائع عديدة مشهورة، وهو والد الشيخ خطار الذي لم يزل حيًا والذي قد تقلّب في مناصب حكومة متصرفية لبنان نحو ثلاثين سنة[1]».

ويظهر ان الشيخ جهجاه سافر الى مرسيليا. ويقول الشيخ رشيد الدحداح نقلًا عن الشيخ فريد المذكور: ان سفره كان بصحبة ابنة عم الشيخ مرعي واولادها.

وهاك ما سطّر الشيخ جهجاه في مخطوطته صفحة ١١٢ عن سفره الى مرسيليا:

«انه في تاريخ سنة الف وثمانماية واربعه وثلاثين كان سفرنا الى محروسة مرسيليا صحبة اختنا. وكان قيامنا من البيت نهار الثلاثة (الثلاثاء) في شهر نوار. وكان وصولنا الى محروسة مرسيليا نهار الاربعه (الاربعاء) الواقع في تسعة تموز سنة ١٨٣٤ م الموافقة للهجره سنة ١٢٥٠».

---

(١) عليك بترجمة مرعي الدحداح لواضعها نعمةالله اسحق الدحداح وقد طبعها على حدة، ونحن اثبتناها في كتابنا «تاريخ احمد باشا الجزار» صفحة ٢٥٣ وفي صفحة ٢٦٧ تجد كلمة عن الشيخ جهجاه. وطالع «نبذة خطية قديمة في تاريخ المشايخ آل الدحداح» مجلة الورود شباط ١٩٥٠ وكتابنا «تاريخ احمد باشا الجزار» صفحة ٢٨٩ وحاشية صفحة ٢٩٥

• وكتب عن رجوعه الى الوطن في صفحة ١٤٣ من مخطوطته ما يلي :

« وكان رجوعنا من محروسة مرسيليا نهار الخميس الواقع بعشرين شهر آب يكون جملة اقامتنا بمرسيليا شهرين والباقي على الطريق . استفمنا من بيروت الى مرسيليا ثمانية واربعين يوم . ومن مرسيليا الى قبرص عدد ٢٧ يوم ومن قبرص الى بيروت عدد ٣ يوم . هذا كان كل السفر من الشرق للغرب ومن الغرب للشرق في نهاية سنة الاربعة وثلاثين وثمانماية والف سنة ١٨٣٤ . وكان طلوعنا الى مينا قبرص نهار الاثنين الواقع في اربعة عشر ايلول ضهرية النهار سنة ١٨٣٤ » .

وصرّح الشيخ جهجاه كما رأيت، انه كتب هذه المخطوطة المسمّاة «السفينة» وهو شريد طريد مختفٍ من وجه الحاكم الامير بشير الشهابي الكبير حتى اذا زالت الفتنة واستقرت السكينة، عاد الى بيته فعنون وقتئذٍ مواضيع «سفينته» بالحبر الاحمر وهو يردد بلسان حاله مع الشاعر :

وانّي لأغضي مقلتيّ على الاذى وألبسُ ثوب الصبر ابيض ابلجا
وانّي لأدعو الله والامرُ ضيّقٌ عليَّ فما ينفك ان يتفرّجا
وكم من فتًى ضاقت عليه وجوهُهُ اصاب لها في دعوة الله مخرجا

وكتب الشيخ جهجاه في موضعٍ آخر من هذه « السفينة » ما يلي بالحرف الواحد :

« خدمة ترابك يا خطّار برضا الله اربح واكسب من متاعب النفس والجسم . اياك تبتلي بخدمة الحكّام صح .
وكتابتي هذه السفينة لكي تتقوى بالعربي يا خطّار وتتعلم قواعد الخط من بعض اوجه لان معرفة الشيء احسن من عدم معرفته . خذ من هذه السفينة قواعد الخط ولا تتحيّر وانما انظر للاجود بخطها وامتلكه و لا يلذ لك بعض ترخرفات الخطوط هذه القاعدة ما لها وجود » .

هذا ما اوصى به الشيخ جهجاه ابنه خطار ولا ينبئك او يخبرك مثل خبير، فانه رأى خدمة الارض مع طمأنينة نفسٍ أدر ربحاً واكثر استدراراً لصفاء البال وهناء العيش من خدمة الحكام التي من ورائها متاعب النفس والجسم . وقوله لابنه : « اياك ان تبتلي بخدمة الحكام » لما فيها من المشقة

والنصب، وتحذيراً له لئلا يغريه الطمع ليهمل ادارة بيته واوراقه وينضم الى حواشي الحكام طمعاً بالجاه او بالمال. ويرغبه في اخذ قواعد الخط عن هذه « السفينة » التي كتبها له للاقتباس منها لانه على يقين من جودة خطها، ولا يدهش للخط المزخرف لان حسن قاعدة خط والده لا وجود لها . وبالحقيقة ان خط الشيخ جبجاه هو جميل متناسق الحروف صحيح التركيب .

ليقتنع المرء بما قسمه الله له من الرزق واختار له من المهن كسباً لمعاشه ومعاش اسرته، واسعد الناس من قنع بماله، واشقاهم من طمع بما لغيره، والقناعة كنزٌ لا يفنى، فانه لا يحتاج عندئذ الى طلب المزيد من الثروة. وعدم الاحتياج هو الغنى، واكتفاء المرء بما عنده هو اعظم حالات الرفاهية. قال ابو النواس :

ان الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ   ولو أنهُ عاري المناكب حافِ
ما كل ما فوق البسيطة كافياً   فاذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافِ

وهاك ما اوصى به الشيخ جبجاه ابنه في آخر هذه المخطوطة، ووصيته ان يتمسك بالايمان والتقوى والعبادة ويبتعد عن الكذب المشين بالرجال . قال :

« ... ودائماً يكون عندك الافتكار ان هذه الدنيا زائلة وفي كل مساعيك يكون (ليكن) الله امامك لكي تتوقّى من فخاخ عدوّ الخير خزاه الله . واياك والكذب لانه مشين بالرجال ... »

يستشف من هذا الكلام ان الشيخ جبجاه « رجلٌ سليمٌ مستقيم يتقي الله ويجانب الشرّ » (ايوب ١ : ٨) وذو نفس ابيّة تعدُّ الكذب منقصةً وعيباً، ومن الصلحاء المتمسكين بدينهم، العزوفين عن الدنيا العاملين للآخرة، لم يبطره مجدُ اسرته ولا شجاعة قلبه ولا وفرة ماله، او تصرفهُ ايامُ محنته عن عبادة ربه وتنسيه الآخرة . انه لم يلتفت الى كل ذلك . ونراه يسهر على تربية ابنائه على خشية الرب، باذلاً لهم النصائح منبهاً الى المخاطر والمزالق موصياً بخوف الله اولاً لئلا يقعوا في فخاخ ابليس، لان السقي بعد الغرس والتربية قبل الدرس. وقد نهاهم عن الكذب الذي يبين انه اكره شيء اليه حتى خصّه بالذكر

والاجتناب وهو من صفات النفوس الخسيسة المتعيشة من وراء اللؤم والدناءة، وغير لائق بابناء كرام الاصل . قال الشاعر :

ما احسن الصدق في الدنيا لقائلهِ   وأقبح الكذب عند اللهِ والناسِ

وقال ايضاً :

الصدقُ في اقوالنا أقوى لنا   والكذبُ في افعالنا أفعى لنا

سُئل ارسطاطاليس : ماذا يستفيد الكاذبون من الكذب ؟ فقال بعدم تصديق الناس لهم اذا صدقوا . وكأن الشيخ جرجاه بلسان حاله يقول لابنه ما قاله الشاعر :

كن مع الله ترَ الله معك   واترك الهمَّ وحاذر طمعك
لا ترجّي من سواهُ املاً   انما يسقيك من قد زرعك

***

وكتب في محلٍ آخر :

« كتاب مجموع يفيد من ابتلى بداء التعتير بخدمة الحكّام »

وجاء ايضاً :

« خدمة الحكّام ما جا خير يا فاعور وان خدمت لا سمح الله اياك تأمن لان زوال الحكم قريب . والحاكم الموجود وانت خادمه خاف منه » .

وكتب ايضاً في محلٍ آخر :

« اياك يا فاعور من خدمة الحكّام ولا تبدي بشيء يكون ضد الحاكم حتى تبقى مرتاح انت واخوتك حنا وخطار ».

وكتب ايضاً :

« خدمة الحكام لها ثلاث خصال . اولاً يعدم صاحبها الراحة بهذه الدنيا . ثانياً يعادي جميع الخلق . ثالثاً دائماً تحت المخاوف والآخرة جهنم لا محال . وهذا كافي » .

وكتب ايضاً :

« افهم يا خطار كيف يشبّهون (الحكام) المدتم (الخادم) الى الكلب يشبّهوه ».

المجمع الاقليمي

الذي عقده في جبل لبنان السيد السامي الاحترام

بطريرك طائفة السريان الموارنة الانطاكي

ورؤساء اساقفتها واساقفتها واكليروسها العالمي والقانوني

بموازرة السيد الفائق الاحترام

يوسف سمعان السمعاني

قاصد الكرسي الرسولي

في الثلاثين من حزيران والاول والثاني من شهر تموز سنة ١٧٣٦ للعهد الحبر الاعظم

اكليمنس الثاني عشر

ترجمه عن النسخة اللاتينية المطبوعة في رومية بمطبعة انتشار الايمان المقدس سنة ١٨٢٠

المطران يوسف نجم

مطران عكا النائب البطريركي

طبع في مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٠

PHOTOLITH. IMP. CATH. BEYROUTH

تزويق من خط علاء يوسف علام

من تكرار هذه التنبيهات تارةً لماعور وحنا ولدي خبيه لويس وتارةً لولده خطار لئلا يغتروا فيخدموا الحكام وقد ذاق منهم الامرّين ، فاذا بُلي احدهم او احد اقاربه بخدمة الحكام كتب لهم هذا المجموع للاستفادة منه مبنًى ومعنًى ودربةً في الكتابة تحاشياً للسقوط في زلل الكلام وهناك السخط والملام .

***

اذا غرق الحاكم في لجّة من اللذائذ والمناعم وتكاثرت في صناديقه الحُور وأطربت أُذنه رنة الدنانير ودانت له رقاب العباد وكثر حوله الخدم والحشم لعبت الغطرسة في رأسه ونشأت فيه الجوارح الطوامح والجوانح الجوامح وعتا وقسى وتكبّر وظن انه ظلُّ الله على الارض والناس عنده كلا شيء ، وما خدمه سوى كلابٍ تقتات من فتات موائده كأنها محرومةٌ من كل احساس وشعور ، ولا غرابة اذا عوملت معاملة السوائم ، لذلك يجب ان تُحتقر ولا يُلتفت اليها كأن هؤلاء الناس ليسوا بشراً وليس لهم ادنى حق باحدى الكرامات لانهم خدَمٌ والخادم عندهم شبيهٌ بالكلب وقد خبر الشيخ جهجاه الامور بنفسه فما رأى خدمةً اكثر ذلّاً ومضاضةً من خدمة الحكام انصاف الالهة .

ما اكثر سخف الذين يهوون الالتصاق بالحكام طمعاً بالمجد او بالدرهم . فانهم يظنون انهم باقترابهم منهم قد طاولوا الجوزاء وسجدت لهم الأبهة وأكرمهم الناس وخافوهم ، وسرّوا لو صدفوا من اساتذتهم الاحتقار بدل الاعتبار والدرهم عوض الاهانة ، ولكنّ ذوي النفوس الكريمة تأبى السكوت على الذل والاستنامة في احضان المكاسب عند بذل ماء الوجه .

ان الانسان مهما عانى من ضنك العيش ومذلّة الفقر وعنت الدهر ، فكل ذلك اخفُّ عليه من حمل اعباء خدمة الحكّام والمسلطين ، لان الهمّ والقلق يلازمانه ويعيش مضعضع الفكر فريسة الاضطراب والارتباك ورهين الهواجس والبلابل ، فاقد الراحة والسكون ، يضطر ان يفعل ما يخالف ضميره ويلحق الاذى بالناس فضلًا عن الخوف الذي لا يبرح قلبه ، لانه لا يعرف في اي وقتٍ يتبدل الرضى بالغضب وتنقلب نعمة الحاكم الى نقمة ، فلأقل كلمة ينقلها واشٍ

او حسود زورًا وبهتانًا ، يستشيط هذا المتسلّط غضبًا وبدون فحص او تروٍ ينزل بخادمه اشد عقاب غير ذاكرٍ له شيئًا من الخدمات والحسنات، لذلك ينهى الشيخ جهجاه ولده ولديْ اخيه فاعور وحنا عن خدمة الحكام ليظلوا آمني السرب متمتعين بطمأنينة البال في هذه الحياة وبالسعادة في دار الخلود . قال الكتاب المقدس : « تباعد عمَّن له سلطان على القتل فلا تجري في خاطرك مخافة الموت ، وان دنوت منه فلا تُجرم لئلا يذهب بحياتك . اعلم انك تتخطى بين الفخاخ وتمشي على متارس المدن » (سيراخ ٩ — ٢٠) ويذكّر الشيخ جهجاه ابنه بسرعة زوال الحياة لئلا تنشب رجله في المصايد والمكائد ، وان زوال الحكم قريب عملًا بقول الكتاب : « ان العزَّ ليس بدائم ولا التاج الى جيلٍ فجيل » (امثال ٢٧ : ٢٤) .

ولو انصف الحكام والمسلّطون لمّا قسوا وطغوا وتجبّروا وعبثوا بالعدل وبالرعية ولمّا سيطرت عليهم الانانية وامعنوا في القسوة والظلم ، وقد قال الشاعر :

لا تظلمنَّ اذا ما كنت مقتدرًا فالظلمُ آخرهُ يأتيك بالنَدَمِ
نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

ولو فكّروا لادركوا ان العرش الذي يحتلونه ستتزعزع قوائمه، وان السيطرة والعظمة ستنقلب الى سخريةٍ وهوان وسيمرّ عليها الزمان ويمحها بكفّ النسيان وتعفّي آثارها الايام ، وسيأتي زمنٌ يقول الناس عنها انها : « اضمحلت وصارت كعفى البيدر في الصيف فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان » (دانيال ٢ : ٣١ — ٤٥) وسيعودون الى الاندماج في عامة الشعب الذي يستهزئ بهم لانهم هزأوا به ويتمّ فيهم قول القائل :

كانوا ملوك وصاروا ناس آه من غدرات الزمان -

ولو فطنوا وتأملوا لما رعوا وجمحوا ، ولا بطروا وشمخوا . ليصبر المتألمون، انه عمّا قليل سيتلاشى حكم هؤلاء الخارجين على العدل وتحلّ بهم المحن والآفات فتنسيهم تلك الغضبات والغطرسات . قال الشاعر .

تحكموا واستطالوا في تحكمهم ... وعن قليل. كأنّ الحكمَ لم يكنِ
لو انصفوا أُنصفوا لكن بغوا فبغى ... عليهم الدهرُ بالآفات والمحنِ
فأصبحوا ولسانُ الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولا عتبٌ على الزمنِ

* *

وكتب الشيخ جهجاه في «سفينته» ما يلي :

«اسمع يا فاعور فاذا تعلّمت الخط يا فاعور الناس تعوزك ما انت تعوز الناس واقلّه يتضمن مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق . وتعلّم حسابات الهندي وعلّم اخوتك حتا وخطار ولا تتركهم بلا علم لان الانسان بلا علم حمار ناطق . اياك تهمل معرفة الخط».

ان الشيخ جهجاه يحث الشباب على الاخذ بالعلم لاكتساب التثقيف والتنوير لان الجهل فقر والعلم غنى ، ويكفي ان يُرفع قدر العلم الصحيح لانه يهذب النفس ويكملها ويحملها على التقوى . قال ابن سيناء :

هذّب النفسَ بالعلوم لترقى ... فترى الكلَّ وهيَ للكلِّ بيتُ
انها كالزجاج والعقلُ فيها ... كسراجٍ وحكمةُ الله زيتُ
فاذا اشرقت فانـك حيٌّ ... واذا اظلمت فانـك ميتُ

ويرغب اليهم ان يتعلموا الخطَّ : قال الشاعر :

تعلّم قوام الخطّ يا ذا التأدبِ ... فما الخطُّ الّا زينةُ المتأدبِ

وللخط رفعة ومكانة في ذلك العصر لان الكتّاب والقرّاء كانوا قلائل ، يستخدمهم الحكام والامراء للكتابة في دواوينهم ، وقدر الكاتب مرموق بلاحظة الرضى والارتياح ولا سيما اذا كان بارعاً بالخط . والخط البديع متعةٌ للعين وفرحةٌ للقلب . وكان الخطُّ مهنةً يعتاش صاحبهُ منها ولم تكن اجرة الكاتب بقليلةٍ ، لذلك نرى الشيخ جهجاه يقول : «اسمع يا فاعور فاذا تعلّمت الخط يا فاعور الناس تعوزك ما انت تعوز الناس واقلّهُ يتضمن مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق ...»

وما ان الشيخ مرعي الدحداح تعيّن اولاً كاتباً عند الامراء ابناء الامير يوسف شهاب وكان ينسخ الكتب ويبيعها حتى في ذهابه الى مرسيليا نسخ

كتاب « بحث المطالب » وهو على ظهر الباخرة. وقد اهدى كنيسة عرامون – كسروان – كتاب شحيم وكتاب سنكسار بخطّه السرياني[1]

وهذا الشيخ فارس الشدياق صاحب جريدة « الجوائب » في الاستانة ، باشر اولاً بنسخ الكتب الكنسية والطبية وكان خطه جميلاً في القلمين العربي والسرياني . ولما شاعت براعته في النسخ تعيّن كاتباً عند الامير حيدر شهاب صاحب كتاب « الغرر الحسان » في تاريخ لبنان . وقد قال : « كان اهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليه . فعندهم ان من يكتب خطاً حسناً هو الذي أفق بين اقرانه بالفضل[2] » .

---

١) قد عثرنا في تنورين (بلاد البترون) عند المرحوم الخوري نعمةالله كرم الحصروني على كتاب انجيل ضخم خطي منسوخ بالحرف السرياني – الكرشوني – بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر . وفيه عدة تواقيع : لمار بطرس ، والاحد ، وتقديس البيعة ، والملائكة ، والسيدة والرسل ، والشهداء ، والموتى والمعترفين والابرار والصديقين . . . الخ خط الشيخ رعي نادر الدحداح انتهى من كتابته في ١ شباط سنة ١٨٠٤ مسيحية . راجع كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » حاشية صفحة ٢٥٦

وذكرت مجلّة « الرابطة الكهنوتية » في خلال مقال لحضرة الخوري افرام الشالي في « النوافير المارونية » السنة الحادية عشرة ، العدد ٥ ، ايار سنة ١٩٦٠ صفحة ١٢٠ : نسخة خطية لهذا الانجيل جاء في آخرها ما هو بحرفه : « تم تحريره على يد العبد الخاطي رعي بن نادر الدحداح في ١٣ من شهر شباط سنة ١٨٠٣ مسيحية . . . وكان ذلك في ايام رئاسة مار يوسف التيّان بطريرك الانطاكي وسائر المشرق» ترى ترجمة حياة الشيخ رعي الدحداح في كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزّار » صفحة ٢٥٢–٢٨٧

٢) كتاب « الساق على الساق في ما هو الفارياق » صفحة ١٧ و٣٤ ، طبعة باريس ١٨٥٥

لدى حضرة الصديق الاستاذ يوسف ابرهيم يزبك نسخة خطية من كتاب « الخطب البيعية » التي تتلى في مساء الاحاد والاعياد وصباحها نقلها من اللسان السرياني الى اللسان العربي القس جبرايل فرحات الحلبي الراهب اللبناني (المطران جرمانوس) بخط فارس بن يوسف الشدياق ، بالحرف السرياني – الكرشوني – الملفوظ بالعربي . وكان تمام تحريره ومقابلته في كانون الثاني في قرية الحدث في ساحل بيروت سنة ١٨٢٥ مسيحية (راجع كتابنا « الشدياق واليازجي » صفحة ١٤٠ و٣٢٠ و٣٢١) .

وفي مكتبتنا نسخة خطية من كتاب « الخطب البيعية » هذا بالحرف السرياني الكرشوني

وكانت المطابع قديماً نادرة، فقامت مقامها أيدي النساخ بنسخ كتب التعليم للمدارس، وكتب الطقوس للكنائس وهي التي صانت لنا الكتب الغالية من التلف والاندثار. وقد وضع كمال الدين الحلبي كتاباً خاصاً في الخط العربي.

وجاء: «ان الاتراك يتقنون الخطوط كالثلث والنسخ والرقعة والتوقيع لدرجة ما بعدها اتقان حتى انه ليمكن اعتبار هذه الخطوط من الفنون الجميلة كالرسم والتصوير لما فيها من الحسن والابداع. وكان السلطان محمود الثاني خطاطاً كبيراً، ومعظم الالواح الجميلة الموجودة في جامع السليمانية بخطه، ومنها ما هو بخط معلمه ولكن المطلع على الخطين لا يسعه الا ان يقول:

يخطّطُ مولانا خطوط ابن مقلةٍ ويَنظمها نظمَ اللآلئ في السلك
فهذا عليه رونقُ الخطّ وحدهُ وهذا عليه رونقُ الخطّ والملك[1]

***

وتهافت اللبنانيون على اتقان الخط، ومن كان خطه جميلاً تباهى به مفتخراً وكان حديث بني قومه. وممن برعوا في الخط حنا ابي صعب، وابراهيم يزبك —

بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر على ورق حجج سميك، خطّ منصور بن يوسف الشدياق وقد كتب فيه بضع ورقات شقيقه فارس (احمد فارس فيما بعد) جاء في آخره بالحرف العربي ما هو بحرفه:

«تم هذا الكتاب المبارك على يد العبد الفقير الى ربه تعالى الذي ليس يستحق ان يذكر اسمه لكن لاجل الذكر الصالح منصور ابن يوسف الشدياق وقد اسعفه اخيه فارس ببعض اوراق. وكان ذلك في ايام سيدنا وفخر ملّتنا المارونية ماري يوحنا الحلو البطريرك في ١٤ نيسان سنة ١٨٢١ والمجد لله سرمدياً امين» وخط منصور بالسرياني بديع لا يقلّ جمالاً عن خط اخيه فارس الشدياق ولا يفترق الخطّان.

وعلى ظهر هذه الورقة المدوّن في آخرها اسم الناسخ هذه الكتابة بالسريانية وتفسيرها بالعربية بخط ثلث وهي:

«كما يفرح النوتي بوصل سفينته الى الميناء، هكذا يفرح ويسرّ الكاتب في السطر الاخير».

١) القسم الثالث من مقال «القسطنطينية» لامين الغريّب، جريدة «الحارس» بيروت، في ٢٧ شباط سنة ١٩١٤

والد الاديب الكبير يوسف ابراهيم يزبك حدث بيروت – وابراهيم خليل الجر والد الدكتور خليل الجر – بحشوش – اما الذي بزّهم ونال شهرةً متأنقةً بالخط فهو علّام حنا علّام – كفور كسروان – مفخرة الاوائل والاواخر ، وقد فاق بجودة الخطّ على استاذه حنا بك ابي صعب الشاعر والخطّاط الشهير . وكانت تتسابق المدارس الكبرى على طلب علّام لتعليم الخط فيها . ودفاتره الخطية المطبوعة اشهر من نار على علَم وقد اكتسحت جميع الدول العربية ، وتفرّد علّام باشراق خطه ونعومته فاصبح متعةً للعين وبهجةً القلب . وكان يتقاضى اجرة السطر الواحد – نسخة تعليم لغير تلامذته – ليرة فرنسية ، وكان الاقبال عليه عظيماً ، والذي يحصل على نسخة من خط علّام يحتفظ بها كاثمن الذخائر . وُلد علّام سنة ١٨٤٥ وتوفي سنة ١٩١٠ وقد رثاه الادباء والشعراء مستكبرين الخطب فيه . ونكتفي باثبات تاريخين لوفاته الاول للشيخ عبدالله البستاني والثاني للاستاذ بولس زين :

تاريخ الشيخ عبدالله البستاني

تبكي ابنَ مقلةَ مقلةٌ سفَّاحةٌ دمعاً يروّي تربةً بسجامهِ
وعليه تلتاعُ الطروسُ لانها فقدت بديع الوشي من اقلامهِ
يا آل علّامٍ اصاب مصابكم كلَّ القلوب بنافذات سهامهِ
قد ساءَ خطب فقيدكم طلّابهُ وتوارثوا الحسرات بعد حِمامهِ
عهدي بكلّ هاتفاً بجريفهِ ابلِ دموعك حافظاً لذمامهِ
ذرْ كل ذي لينٍ على تاريخهِ يرثي فريد الخُطّ مع علّامهِ

سنة ١٩١٠

تاريخ بولس زين

كلّ حيٍّ مصيرهُ الموت لكن ليس كلٌّ ذكراهُ يطوي الحِمامُ
ان في الرمس كابن مقلةَ خطاً فاق حتى دانت لـهُ الاقلامُ
ايّ نادٍ ومعهدٍ لم يزنهُ فلتخلّد آثارهُ الايامُ

مات والخطبُ ارّخوهُ جليلا عَلَمُ الخطّ شيخــهُ علامُ

سنة ١٩١٠

ولعلّام روايات ونوادر ولطائف بشأن الخط واننا ننشر على الزنكغراف مثالًا من خطه[1] .

وبعد ما ذُكِرَ لا نستغرب اذا كان الشيخ جهجاه الدحداح يحضُّ ابنه وابني اخيه على تعلُّم الخط . وقد حان لنا ان نبدأ بنشر مقتطفات من المراسلات من مخطوطته ونبذات تاريخية ، نستدلُّ منها على كيفية المراسلة في تلك الايام وكيف يُكتب لاصحاب المقامات مما يكشف عما كان الحكام من الفخفخة والمجد في ذاك الزمان. وقد تركنا هذه المكاتيب على سجيّتها وصبغتها الاصلية بدون تغيير كلمة او عبارة فيها وقد وضعنا لها ارقاماً معلّقين مــا حضرنا من الحواشي . وها اننا نبدأ بالرسالة الاولى من المخطوطة[2] :

١

تعزّي (تعزية) من الحاكم الى المشايخ الحمادية

الى جناب حضرة الاخوان العزاز المشايخ بيت فلان المكرمــين حفظهم الله تعالى :

اولًا مزيد الاشواق الى مشاهدة خوتكم في كل خير وعافية والثاني بلغنا توفي المرحوم والدكم الى رحمة الله تعالى فقد حصل لنا غلت (كذا) كلّي من كون الذي ينكدكم لم نخلو من كدره بما ان صداقتكم عندنا اكيده ولكن

١) عليك بمقالنا « علّام حنا علّام في مجلة « الورود » البيروتية ، الجزء الثامن ، شهر نيسان سنة ١٩٥٣

٢) عند الاستاذ يوسف عماد كتاب انشاء مكاتيب بالخط السرياني الكرشوني المنقوط بالعربي عنوانهُ : « مكتفي ارباب الانشاء ومطفي التهــاب الاحباء» « كنوز الافادة في الترجمات المتادة » « الترجمات الجارية ما بين الكتّاب من خطــاب وجواب واعتذار وعتاب » .

وجاء في آخره : « النّفه بيده الفانية الشدياق اسعـد الكفوري الحوري سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) » .

امر الله لا يُرَد وله بخلقه تصاريف تُجل عن التعريف . ان شاء الله يكون خاتمة احزانكم .

محب مخلص

٢

مكتوب تهنئي (تهنئة) كما ترى

غب لثم الانامل الطاهره والتماس الادعية البارة وعرض حال الاشواق بلسان الفراق وتعداد تلوة المحبة من فؤاد مكلوم الوحشة ومخلص الدعا بدوام بقاكم وسمو شان ارتقايكم في كل خير وسرور . وحظر بالتهاني موفور ، هذا وان جاز بروض الخاطر الابرّ بنسيم سوالاً عن حال ولدكم فاننا من كرم الله ذي الجود وببركة دعاكم الخيرية حايزين عميم الصحة والعافية متوسلين لله تعالى بدوامها على قدسكم وليس بنا سوى الاشواق بلهيب الفراق للثم اناملكم . وبينما انا اكابد صبابة الوجد،وتعلل الفؤاد بما يرد من بشاير السرور السارة باليوم والغد ، واذ بابرك طالع ، حميد المطالع وردة (وردت) الينا بشاير السرور ، تهادي احاديث الطرب الموفور، فانجلت الصدور من مفرحات بشرها الفاخر، وتعطرت الحواس من نفحات طيبها الزاهي الزاهر ، وذلك فيما جادت العناية الصمدانية والمواهب الربانية ، بارتقاكم الى الدرجة الاسقفية ، والتقليدات الرسولية ، فيا لله من مكارم هذه الاجابة ، وحسن هذه الاصابة ، التي ابدت لنا موانح المسرّة بتسليم القوس باريه، والسهم راميه، فلا ريب ان بذلك بهجة الارواح ، ومعدن الفلاح والصلاح، كيف لا وسيادتكم علَم الوقار،بل والانا (والاناء) المختار، ولقد يقتضي لنا بان نبني ذواتنا بهذه المنية الاسما، (الاسمى) والبهجة الكبرا ، (الكبرى) فلا برحتم سيادتكم مقلدين عصا الرياسة ، مكللين بتاج السيادة، ومورديكم من الفضل والندا (والندى) وفية زامية، وحظوظكم من الرياسة وافية ، رافلين في حلل الصحة والسلامة والاعتدال ، على ممر الايام والليال .

والآن لايضاح ما حلَّ بنا من السرور ، باشراق هذه البشرة (البشرى) السامية ، بادرنا بترقيم عريضة الخلوص موشحة بالتهاني ، ونيل الاماني ، وبها

نفتقد الخاطر الانور ، راجين بها دوام امدادنا ببشاير صحتكم المأثورة، بدالة ذاتكم المبرورة ، فيما يلزم من الخدم ، والمهام ، فهو رهين الاعلام ، وفي كل وقت نومل من رأفتكم الابوية دوام مواردنا بالادعية الخيرية. واقبل اياديكم وادام الله بقاكم .

٣

اقران

غب وفرت (وفرة) اشواق وافيه ، خارجه من خالص الفواد والطويه ، بمشاهدة نور طلعتكم البهيه ، على كل خير ، وفيما نحن مترقبون وفود الاعلام ، ومتشوقون لاستنشاق نسمات الاخبار التي بها يشفى عليل الوجد والهيام . اذا في ابهج اوان ، وطالع سعيد الاقتران ، قد تشنفت الاسماع ، وترنمت الالسن بما يزوي حرّ صدا الوجد والتياع (والالتياع) ، وذلك بان كوكب اقبال سعادته لمع وشرّف هذه النواحي وبيت الدين بجده ضاء[1] وسطع فلهج القلب واللسان بازدياد ادا (اداء) الدعا للملك المنان ، لفوز سعادته العليه بالسرور والانشراح ، وبلوغ الحظ الماثور بالتوفيق والنجاح ، فنسال الباري الكريم جلّ جلاله، وعم نواله، بدوام بقا (بقاء) سعادته مدا (مدى) الايام والاعصار ، ويجعل اقمار سعد دولته مضيه بها الازمان والادهار ، ويسبغ على معالم مجده اثواب الرفاهيه وهداوة البال ، مدا الاعوام ما لاحت الاصباح وتوالت الليال .

وكذلك قد بزغت نجوم البشاير والحبور ، وامتلت القلوب من الافراح والسرور ، باشراق الكوكب السعيد ، والابدر الاغر الحميد ، الذي بضيايه ازهرت ربوع المجد والثنا ، وازدادت الارض بحلوله عليها عزًا وبهجةً وهنا ، فهو الامير الجديد ، ونجل السادة والسيد المجيد ، من جُعلَت له العلا مهدًا ، وتلالات به المكارم فرحاً وحمدًا ، فاسدينا لله العلي الدعوات الصافيه ، بدوام بقا (بقاء) سعادة افندينا جدّه[2] ليره جدًا ، وان يزداد به ولوالده والاعمام

١) يريد به الامير بشير الشهابي الكبير الذي كان غائباً وعاد الى مريته بتدين .

٢) يستفاد من كلام كاتب هذه الرسالة، انه وُلد لاحد اولاد الامير بشير الكبير ولد وهو يرحب بمولده ويتخلّص الى الدعاء لله تعالى باطالة عمر جدّه .

والاخون اسيادنا عزاً ومجداً ، فنساله تعالى ان يمد باعمار تلك الاقمار الزواهر ، ونرى لجميع افنديّاتنا امراء كراماً ، ويا حبذا اوليك الاكابر ، ودايماً صلة الاعلام .

٤

في ما جاءَ من باب التهاني

ثمّ انه قد بلغنا خبر تاهلكم فحصلنا من قبل ذلك على محظوظية، ودعونا لكم بالتوفيق والبركات الوفيه ، فان شا الله تعالى يكون اقتران مبارك حميد البداية ، سعيد النهاية ، ولنقل مع الشاعر :

قتهنّ (فتهنّأ) في عرسٍ وعرسٍ انها بالخصب ليّا والبها راحيل

بل تجدونها مجلّلة باوصاف الخضوع واصناف التكريم ، كساره المباركة مع ابراهيم ، ويكون تزيينها ليس فقط بالحلل الفاخره ، بـل بالتواضع وباقي الاداب العاطره ، ويكون دخولها الى منزلكم للبركات واجزل الخيرات ، ومنذ الآن ، وفي كل الاحيان ، تكونون موفقين الاحوال ، مبلّغي الامال ، بما يرضي عزة ذي الجلال المتعال ، دمتم بحراسته مدى الاجيال .

٥

في الاستفقاده

انه لقد بلغنا عنكم خبرٌ كدّر منا الفكر ، واعمى البصر ، وهو انه حاصل لكم تشويش مزاج ، وانكم من قِبَله بغاية الضيم والانزعاج . فيـا ايها الحبيب النجيب ان اكل ما يروق البال ، هو المطابقة لمشيّة المولى المتعال ، واقتبال كلما يفتقدنا به في السرّآ . والضرّآ ، وفي كل حال فنساله بجميه الذي اشفى حماة بطرس من الحمّى ، ان يوليكم منحة الشفاء والصحة العظمى ، وان يخولكم الآن صبراً ، ثم عافية واجراً ، نومل تعرفونا عن كيفية حالكم لعل بعد ذلك اصبتم حالاً احسن ، ورزقتم من لدنه تعالى اوفى المنن ، بالسلامة من هذه المحن ، ومهما كان لازماً لكم في هذا الجانب من الاشغال ، عرفونا

عنه وان شاء الله تبادر اليه بلا اهمال ولا امهال ، اولاكم مولاكم غاية الشفاء ، واصبتم من لدنه رحمةً والطافاً .

٦

في ما جاء من باب التهاني بمولود اتى

ثم نهنئ جنابكم بما حزتموه من لدن نعم المولى المنان ، بايجاد هذا النجل السيد المنصان ، ونسأله تعالى كما منّ بمولوده ، يجود عليكم بحفظ وجوده ، ويبقيه لكم محروساً من كافة الاخطار ، وموقياً من كافة الاضرار ، ويكون لكم من خير الانجال النجباء ، واظرف الاولاد الادباء ، وتفرحون منه ومن انجال الانجال ، وجنابكم بكل رياضة واعتدال ، والآن تهنيةً لجنابكم بهذه النعمة الوافره ، والموهبة الفاخره ، ثم ايضاحاً لما حصل لنا من السرور ، وكمال المحظوظية والحبور ، بادرنا برقم هذه السطور ، نترجوا ان تعرفونا عن صحتكم وصحته كما هو المأثور ، فيما بدا من المصالح بهذه الجهات ، رهين الاشارة والتحريرات ، ودام بقاكم بدوام الخيرات والمسرات .

٧

الجواب

وذكرتم تهنونا بالولد الذي اتجد لنا من كرمه تعالى فنسأله تعالى ان يهنيكم بالامور الصالحه ، والاعمال الناجحه ، ويوليكم من لدنه غاية التوفيق والنجاح ، لنفرح منكم عن قريب وانتم بغاية السعود والانشراح ، ومما ذكرتموه عما حصل لجنابكم من السرور والحبور ، فلا برحتم بها مدى الادهار ، فمؤكدٌ عند اخيكم وفور مودتكم الصادقه ، وعطوفة غيرتكم الفايقه ، والآن اشعارًا بوصول كتابكم الكريم ، بادرنا بتحرير هذا الترقيم .

٨

ترجمة من مشايخ البلاد والامراء للاغوات المعلومين

الجناب الاكرم الاجل الماجد المحترم ، كريم الخلال والشيم ، عميم الافضال

والكرم ، همام العالي الهمم ، والريبال المصور الاشهم ، الحاج فلان اغا الافخم ، دام بسوابغ النعم .

غب اتحاف اضعاف التحيات البهيه الفاخره ، واسداء اشذى التسليمات الزكية العاطره ، واهداء الطف سلام يروق عن الزلال صفاء ، ويفوق على النسيم بلطفه خفاء ، ويفاوح نفحات الرند والخزام زكاء وعبوقا ، ويضارع مطلع البدر التام بهاء وشروقاً ، واشواق يكاد ان يفنى المداد ، ويداهم القرطاس والقصب النفاد ، ولا يحصى لها تعداد ، ولا توصف كما يراد ، وقال بعضهم واجاد :

ولو ان امياه البحار محابرٌ وكل نباتٍ في البسيطة اقلامُ
ولو ان ما بين الثريا الى الثرى قراطيس والكتّاب عربٌ واعجامُ
وراموا بان يحصوا اشتياقي اليكمْ لما وصفوا معشار عُشر الذي راموا

ووجد حل في الفؤاد ، فاضرم بالجفون نيران السهاد ، الى مشاهدة بهي ، ذلك المطلع الشهي ، لا برح من لدن رب العالمين الكريم ، مرموقاً بعين الرضى والتكريم ، مجملًا بالبشر والافراح ، ما لاح بدرٌ وضاء مصباح .

اما بعد فالداعي الى ترقيم شقة الوداد ، وتاليف حروف ورسالة الالفة والاتحاد ، فهو السؤال عن الخاطر الكريم العاطر ، ولطف المزاج الفاخر ، ان شاء الله تكونوا حايزين غاية المسرات ، معمومين بجزيل السرور والخيرات ، نرجو في كل حين ان تجودوا علينا بشرفات التطمين مع ما جدّ من المهمات ، رهين الاشارات ، وادام لله تعالى لوجودكم دوام البقاء ، ولسعد سعودكم سمو الارتقاء .

٩

غيره جواب

الجناب العالي ، كوكب المجد المتلالي ، الريبال المصور اللوذعي ، والندب الهمام الالمعي ، الاديب الكامل ، والنجيب الفاضل ، غرة جبهة الزمان ، وعين

انس الاوان ، فخر الاعيان الفضلا . وذخر الاقران النبلا ، الاجل المحترم ، اغا عالي شان المحتشم ، دام بقاه.

غب تبليغ بليغ الغرام ، الذي تنبو عن رقمه مواضي الاقلام ، واهداء ازكى هيام ، يفاوح نفحات الخزام ، ووجد لا يرام ، وشوق مقرون بواجب الاكرام والاحترام ، مع تأده (تأدية) فروض الاحتشام ، اللايق بسامي المقام ، صانه الملك السلام ، محفوفاً بسوابغ الانعام ، مدة كرور الاعوام .

ثم انه في اسعد الاحيان واظرفها ، واحمد الازمان والطفها ، ورد الكتاب اللذيذ الخطاب ، وفهمنا فحواه المزيز المستطاب ، وما ابديتموه من العتاب ، الذي هو ذاب الاحباب ، ونسيمة الاصحاب ، قد صار قرين الافكار ، ولم نبرح نتردد به الليل والنهار ، والآن تقريراً للنيرة الرايقة ، والفكرة الحاذقة (الحاذقة) عما كان سبب هذه الامور ، اقتضى ترقيم هذه السطور ، وهو انه كذا كذا ، فالمامول نشر طي هذا الكتاب بطوية صالحه ، وان تجرّوا على ما يخال لكم من القصور ذيل المسامحه ، ولا برحتم جنابكم بدوام الحبور والانشراح ، رافلين باسنى حلل السرور والافراح ، ونرجو في كافة الفرص والاحيان ، ان تواصلونا بكرايم الاطمئنان ، مع ما بدا من المهام ، رهين الاشارة والاعلام ، ودام بقاكم .

المحب المخلص مختوم

١٠

جواب من حاكم جبل لمتسلم طرابلوس

هذا وفيما نحن نلهج بمحاسن مآثر الجناب الحميده . ونعطر المجالس بترديد تذكار السجايا الفريده . واذ بابرك اوان . وابهج طالع سعيد الاقتران . قد ورد علينا طرس جنابكم الكريم . وفهمنا فحواه الوسيم . وحمدنا من يجب لعزته الحمد اذ خولنا الاطمينان على صحة المزاج الفاخر. وعدالة الطبع الباهر. وبه من خلوص الحب ولطافة الاخلاق تفضلتم بالسوال عن الحال فنسأله تعالى ان لا يغرب عنا انوار وداد الجناب . ويحفظ لنا وجودكم الكريم مصاناً من كافة الاوصاب . فمن نحونا لله عظيم المنة حين ترقيم شقة الثناء راقين مراتب الصحة فلا زلتم بدوامها مع مزيد الوفاء والاقبال .

ثم وما قد بزغ من انوار القريحه عـلى وجه العتاب يحجب الرسايل . فلمخاصتكم من خاص باعظم دلايل . وذلك بما ان صورتكم المانوسة مطبوعة في صحيفة الفؤاد نستكفي بها عن تواتر الرسايل وان طال البعاد. وما ابديتموه تلطفاً من الاعتذار بعدم تمام المرام بتضاعف ارسال الاساير لسعادة اخيكم سلطانم الوالد الأفخم[1]. فلا ريب ان هذا من بحر الحب الوافر من حيث لا يخفى كريم علومكم ان سعادته دائماً يثني الثناء الجميل. وحاصل لديه محظوظيه قديمه وحديثاً (وحديثة) من خلوص الوداد الجزيل . والآن قد زدتمونا منة فوق منة بما تفضلتم بارساله اي جرى[2] (كذا) الاساير التي خصصتمونا بها . اجزل الله على جنابكم الخيرات . ولا زالت كافة اوقاتكم محفوفة بكمل الانشراح والمسرات . والآن تشكراً من الافضال وانقياداً للخاطر الكريم اقتضى ترقيم الوكة الموده وغاية المأثور دوام اتحافنا بورود الرسايل المسرّه مع كل ما يلزم ويبدو من المهام . فهو رهين الاعلام .

١١

مرسوم شريف من سعادة صاحب السعادة الصدر الاعظم صالح باشا
الى جناب الشيخ بشير (جنبلاط) في سنة ١٢٣٧ (٢٨ ايلول سنة ١٨٢١)

فهذا كتابنا الى قدوة المشاير والقبايل شيخ المشايخ شيخ بشير زيد قدره.

حررنا موثقاً من عواطف بابنا العالي فهو ان المعلوم من جميع الناس ان المبغوض المغضوب عبدالله باشا الوالي في ايالة الصيدا سابق قد نال قبل هذا من محض عواطف الدولة العليه السلطانية بالرتبة العاليه الوزارة في ريعان شبابه وحصل الامتياز بين امثاله (امثاله) واترابه ولكنه لا يعلم قدر ما أُعطي من تلك النعم الجليله والمنح الجزيله حيث خرج بكفران جبلته عن دايرة الانقياد وتجاسر بالبغي والفساد وان حذرناه (حذّرناه) عمّا فيه من الافعال الشنيعه فنزّ وصرّ في حركاته الرديه حتى اطال تدمين كلمه وتجاوز الى ارجاء الشام الشريف وبسط يديّ غضبه وتعديه بمرتبات الحاج المنيف وتصدّا (وتصدى الى) كذا وكذا بانواع الفعل السخيف والطور العنيف فلزم ازالة وجوده لاراحة العباد

[1] نظن ان هذا الجواب هو من الامير امين نجل الامير بشير الشهابي الكبير .
[2] ربما كانت جرايات ' ضرب من الخبز يعيّن للعسكر وللامراء .

وازاحة الفساد عن البلاد فسوف يشاهده سوءا جزا عمله ان شاء الله تعالى بلا امتداد لكن المقصود من كتابنا هذا انه قد كان قبل هذا معلوماً عند الدولة العلية ولا سيما الآن بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الوالي بايالة الشهبا سابق والوالي بايالة صيدا حالًا ان المغضوب المرقوم عبدالله باشا قد اغتلك (كذا) من قبل بصورة الحق كاشاعة الحوادث بتوجيه الشام وامارات الحاج لمهدته . ولكن حقيقة الامر ظهرة (ظهرت) عندك بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الوالي بايالة الشهبا سابق والوالي بايالة صيدا حالًا ان المغضوب المرقوم قد بغى وطغى بان حضرة سلطاننا سلطان الاعظم مالك رقاب الامم . مد الله ظلال مراحمه واحسانه على العالم . لقد اراد ازالة خبث وجوده عن الورى فاعرضتو (فاعرضتُ) ونويت عنه واطلعت واعتصت بكلام الوزير المشار اليه حتى ارسلت ولدك وتقاً (وتقاً) الى جناب الوالي بايالة الشام الشريف الصدر الاسبق درويش محمد باشا دام اجلاله وهو ابقاك في مشيختك فانك لقد اظهرة (اظهرت) بذلك الوجد في هذا الخصوص ما يجب عليك وعلى قومك واستجلب الخير والسلامة في حقك لان الظاهر عند الدولة العليه انت عمدة قومك وقدوة عشيرتك تعلم وتتقن ما يقتضي لك ولاتباعك من اطاعة اوامر السلطانيه بحيث منذ كنت شيخاً على قومك ولم يسمع منك الى هذا الان الا خدامة المرضيه فلذلك عفى (عفت) عنك الدولة العليه ما وقع منك بالخطا في بعض الاحوال الذي يتضمن الاتباع الى المغضوب المرقوم قبل الوقوف بكيفية ارادة حضرة السلطانية.

فالآن ارسلنا اليك هذه الورقه المخصوصة ليترل على قلبك سكناً ويحصل امناً حسناً فاذا عرفت الكيفية بوصول هذه الرقيمة فعليك الاستقامة والتبات (والثبات) في مقام الانقياد والاطاعات والامتثال لكلما ورد اليك من طرف الوزير المشار اليه الوالي بايالة صيدا . وابرز الخدمه والصداقه في مصلحة عكا فان الخير والسلامه والاخرة والاولى انما يكون باطاعة السلطان والخليفة الدوران الذي افاض على العالمين البر والاحسان وملا (وملأ) بانوار جلالة شانه الكون والمكان. فطوبى لمن استظل بظلال شوكته العلية واتبع برضايه الاعلى فيما امر ونهى . والسلام على من استمع القول واهتدى .

١٢

في عوايد الكتابة الى السيد البطريرك

ايها الاب الاقدس

غب لثم ثرى اقدام قدسكم الاطهار والتماس صالح ادعيتكم في مقاطع الليل والنهار مع رفع الدعا بدوام بقا قدسكم وتأييد ايام رياستكم. نعرض انه في اشرف زمان والطف اوان تشرفنا بورود المرسوم الشريف وفهمنا فحواه السامي المنيف وجميع ما رسمتموه بـه صار معلوم ولدكم وان شاء الله بحسب امركم العالي نبادر بقضا المصلحة الفلانية حسب المطلوب. والآن اقتضى اعراضه اشعاراً بوفود مرسومكم الشريف وابتغاً عدم هجرنا من فيوضات الخاطر المنيف وان لا نُنسى من الدعوات الخيريه ونكرر لثم الانامل المقدسة السنيه .

ولد غبطتكم فلان

النيشان

يتشرف بلثم انامل قدس الاب الاقدس ماري يوسف بطرس البطريرك الانطاكي وساير المشرق الكلي الطوبى دام برّه .

١٣

صورة كتابه من جناب ولد حاكم الدير الى بطرك الروم

ثم الكتابه على طرحية ورق سفول (مصقول)

جناب حضرة المحب الاعز الاكرم والصديق المحتشم البطرك ميتوديوس المكرم دام محفوظاً .

غب اهدا زواهر الموده العاطره وجواهر المحبـة الفاخره ومزيد الاشواق الوافره لمشاهدتكم بكل خير وعافيه انه بابرك ساعه ورد لنا تحريركم وسرنا علم صحتكم وما ذكرتموه بقي بعلومنـا وعرض دعاكم المرسل لسعادة سلطانم الوالد الماجد الافخم وصل وقدمناه ليديه الكرام . وواصل من لدنه جواب بفحواه السامي كفايه . ونرغب دوام ورود اخبار صحتكم بما يلزم .

محبكم امين ش

١) الكتابة هي من الامير امين ابن الامير بشير شهاب الكبير حاكم دير القمر .

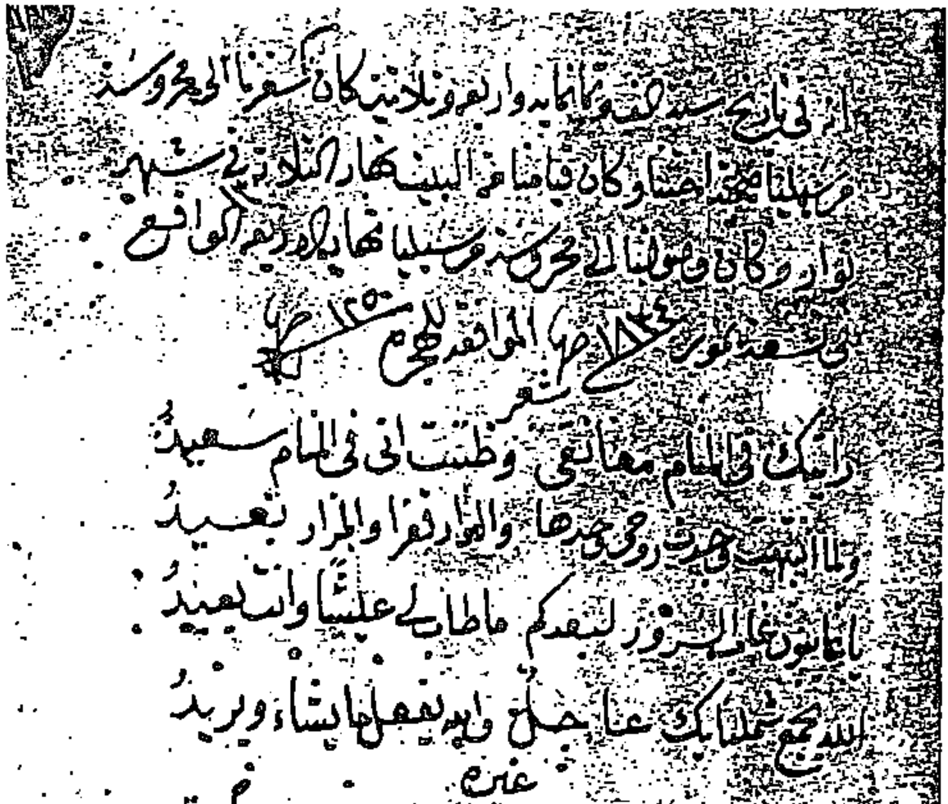

صفحة من مخطوطة « السفينة »

١٤

ترجمة الى القاضي والمفتي

الى جناب قدوة العلما. المحققين . وعمدة البلغا المدققين . اقضى قضاة المسلمين . المحفوف بوقاية رب العالمين . سعادة مولانا فلان افندي المحترم. دام بمزيد الفخر والنعم .

غب لثم ايادي (ايدي) سعادتكم الكرام. وتأدية الدعا لله تعالى بدوام بقاكم للدوام . كلما وجب ولاق لسامي المقام من الاهابة والتوفير والاحتشام. نعرض بين ايديكم ان الداعي الى تدبيج صحيفة الدعا فهو افتحاص انشراح الخاطر العاطر . ولطف المزاج السليم الفاخر . ان شا الله تكونون بدوام الرفاهية والرياضة. مع سبوغ الانعام المفاضة. رافلين بوشاح العز والفخر والافراح. ثم ان جاز من خاز ارق الخصال . بالسوال عن الاحوال. فانا من كرم وجود . واجب الوجود . حين رقم هذه السطور . بغاية الاعتدال المأثور . مقيمون على وظيفة الدعا والتوسل للمهيمن الاحد بجير الشفعا بدوام بقاكم بالسرور . وغلبة الجذل والحبور . مع صفا البال . وزوال البلبال . وتمام الاقبال . نرجو تشرفونا بكلما توفق من الاحيان . بمواصلة مراسيم الاطمينان . معما بدا من الخدم والمهام . فسعياً على الرأس قبل الاقدام . وادام الله بالاقبال سعد سعودكم . واشرق في ابراج الجلال شمس وجودكم .

١٥

من وزير للمشايخ

افتخار المشايخ الكرام حاوي المحامد العظام محسوبنا الشيخ فلان زيد قدره.

غب التحية والتسليم بمراسم الاعزاز والتكريم . المبدي اليكم انه كذا كذا فبوصوله واطلاعكم على مضمونه بادروا حالًا بالمطلوب من دون تاخير ولا تقصير اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد . السيد عبدالله والي صيدا

١٦

اعراض

نعرض ليس خافي مسامعكم الشريفه احوال هذه السنه والضعف الحاصلين به والحال الشديد الذي يرثى (يرثى) له. ومعلوم عند الجميع قد حصلنا باحتياج

لا يوجب ومن كوننا عبيد رق لسعادتـه وجنابكم حاشا الشيم الملوكيه ان تسمح جنابكم اننا بايام دولتكم السعيده نحصل على هذه الحال . فزيادة رجانا بمراحمكم الاصفيه ومكارمكم الحاتيه تهجمنا بهذا الاعراض لدى المسامع الشريفه املاً بوفور شهامتكم الملوكيه تفيض هممكم العليـه وتترجو مراحم سعادته ايده الله في عبيدكم باصدار الحلم بما تفيض مراحمه العليه لنعيش به ونستمر بما هو واجب علينا تقديم وضيفة (وظيفة) الدعا الخيري للملك الجبار بدوام دولته الزاهره مدا الادهار ويخلد لنا وجود جنابكم سالماً من ساير الاضرار.

١٧

انشاء لبعضهم

ابهى وافضل واشرف ما سجعت وانشت اطيار منابر الاغصان على قدود افنان الاشجار بالحان نشايد فِقَر الاوزان الشجيّه واشهى واكمل واظرف مـا نسجت ووشت ابكار خداير الاذهان من برود معاني النثار ببنان خرايد غرر البيان السنيه . وازهى واجمل والطف ما نظمت ورقشت افكار ضماير الانسان من عقود جمان الاشعار بلسان فوايد درر التبيان الوضيّه .

شعر

سلامٌ يفوق المسك والند نفحةً تضمَّن شوقـاً ليس يحصرهُ الحدُّ
يبلّغ ممن ذاب شوقـاً وحرقةً لمن ليس يحصي فضله الحـدّ والعدُّ

وورد على هوامش هذه الصفحة ٣٣ ما يلي بالحرف الواحد :

« هذه السفينه الى قاعور الدحداح ما لاحد بها تعلّق اصلاً » .

« خدمة نوناتك يا خطار برضا الله اربح واكسب من متاعب النفس والجسم . اياك تبتلي بخدمة الحكّام[1] » « صح » .

« وكتابتي هذه السفينه لكي تتقوى بالعربي يا خطار وتتعلم قواعد الخط من بعض اوجه كان لانّ معرفة الشيء احسن من عدم معرفته . خذ من هذه السفينة قواعد الخط ولا تنحَز وانما انظر للاجود بخطها واسلكه ولا يلذ لك بعض ترخرفات من الخطوط وهذه القاعده ما لها وجود » .

« كتاب مجموع يفيد من ابتلا (ابتلى) بكار التعتير بخدمة الحكّام » . (يتبع)

---

(١) من الغريب ان الشيخ خطار لم يعمل بحسب وصايا ابيه المتكررة ' فقد تقلّب بعدة وظائف في متصرفية جبل لبنان مدة ثلاثين سنة على ما مرّ بك .

كتاب تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

اعتنى مؤلف هذا الكتاب بالدروس اللغوية وصار من كبار اهل اللغة . لم يجدّد ولكنه أخذ عن التبريزي . فألّف كتاباً تروق القارئ لما فيها من معلومات دقيقة ومن تحليل ينمّ عن عقل ثاقب متين . عاش في القرن الخامس للهجرة وأهدى للقارئ كتباً ثلاثة هي شرح ادب الكاتب والمعرّب والتكملة التي ننشرها اليوم . مات في بغداد في اواسط القرن السادس للهجرة .

كان المستشرقون المهتمون بامور اللغة السباقون لنشر كتب الجواليقي مؤلف هذه التكملة . فنشر ساخو في ليبسك المعرّب من الكلام الاعجمي سنة ١٨٦٧ ونشر دارنبرج كتاب التكملة هذه في مجلة المانية Morgenlandforschung في ليبسك ايضاً سنة ١٨٧٥ .

ولما كانت لهذه التكملة قيمة عظيمة في درس بعض الكلمات العربية واستعمالها المخطئ لدى الناطقين بالضاد ، ولما كانت النشرة الاولى لم تمدّ بين الايدي للتداول والمنفعة ، فقد قررنا أنْ نُعيد طبعها . وفي ذلك فائدة .

لقد توافرت المعلومات عن الجواليقي في الانباري ٢٧٣ وفي ابن خلكان ٢ – ١٨٧ وفي روضات الجنات ٤–١١٣ وفي بغية الدعاء ٤٠١ فقد قيل فيه كل ما يُستطاع (راجع معجم مركيس ص ٧١٩) .

تأليف الشيخ الاجلّ الامام ابي منصور موهوب بن احمد محمد بن الخضر الجواليقي رحمه الله . رواية الشيخ الامام مهذب الدين ابي الحسن عليّ بن عبد الرحمن السلمي عن رواية الشيخ الامام العلّامة ابي محمد عبدالله بن بري .

قال الشيخ الامام ابو منصور الجواليقي : هذه حروف الفيت العامة تخطئ فيها فاحببت التنبيه عليها لاني لم ارها او ٣ كثرها في الكتب المؤلفة فيما تلحن فيه العامة . فمنها ما يضعه الناس غير موضعه . أو يقصرونه على مخصوص وهو شائع . ومنها ما يقلبونه ويزيلونه عن جهته ومنها ما يُنقص ويزاد فيه وتبدل بعض حركاته او بعض حروفه بغيرها واعتمدت الفصيح من اللغات دون غيره . فان ورد شيء مما منعته في بعض النوادر فطّرح لقلّته ورداءته. فقد أُخبرت عن الفرّاء انه قال : واعلم ان كثيراً ما نهيتك عن الكلام به منه شاذّ اللغات ومستكره الكلام لو تسمت باجازته لرخصت لك ان تقول رأيت رجلان ولقلت

اردت عن تقول ذاك . ولكن وضعنا ما يتكلم به اهل الحجاز وما يختاره فصحآء اهل الامصار فلا يلتفت الى من قال يجوز فانّا قد سمعناه . الّا انّا نجيز للاعرابي الذي لا يتخيّر ولا نجيز لاهل الحضر والفصاحة ان يقولوا السلام عليكم ولا جئت من عَنْدِك واشباهه مما لا نحصيه من القبيح المرفوض وما توفيقي الّا بالله .

فما تضعه العامة غير موضعه قولهم فيا بين صلاة الفجر الى الظهر . فعلت البارحة كذا وكذا . وذلك غلط والصواب ان تقول فعلت الليلة كذا الى الظهر . وتقول بعد ذلك فعلته البارحة الى آخر اليوم، والصباح عند العرب من نصف الليل الآخر الى الزوال، ثم المساء الى آخر نصف الليل الاول . كذلك روي لي عن ثعلب رحمه الله. ومما يشهد بصحة ذلك ما روي عن النبيّ انه قال: من فاته شيء من ورده او قال جزأيه من الليل فقرأه ما بين صلاة الفجر الى الظهر فكأنه قرأه من ليلته . وقال صلعم ذات ليلة في دعآئه فحتى اذًا او طاعون. فلما اصبح قال له انسان من اهله يا رسول الله لقد سمعتك الليلة تدعو بدعاء . وعنه (صلعم) انه كان اذا قعد بعد صلاة الغداة يقول هل رأى احد منكم الليلة رؤيا . وقال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال خبّرني بارجى عمل عملته منفعة في الاسلام فانّي سمعت الليلة خشف نعليك بين يديّ في الجنّة .

ومن ذلك قولهم بعد الغروب فعلت اليوم كذا وكذا وذلك غلط، والصواب ان تقول فعلته امس الاحدث لان مقدار اليوم من طلوع الشمس الى غروبها . فاذا غربت الشمس فقد ذهب اليوم ومضى. قال الشيخ ابو محمد بن مبرّي قول العامة هو الصحيح عندي وذلك ان امس في الايام بمنزلة البارحة في الليالي وكذلك غد في الايام نظير القابلة في الليالي . فامس لليوم الذي قبل يومك والبارحة لليلة التي قبل ليلتك . وغد لليوم الذي بعد يومك ٠ والقابلة لليلة التي بعد ليلتك واذا ثبت انه لا يقال في اول اليوم عند انقضاء الليلة رأيته البارحة بل يقال رأيته الليلة لكون الليلة الثانية لم تأتِ بعد. فكذلك لا يجوز ان تقول في اول الليلة عند انقضاء اليوم رأيته امس بل تقول رأيته اليوم لكون اليوم الثاني لم يأتِ بعد . وانما جاز ان تقول بعد نصف النهار رأيته البارحة لكون ذلك الوقت قد دخل في حد مسآء الليلة الثانيــة كما يجوز لك ان تقول بعد

(١٦)

مرسوم شريف من سعادة صاحب السعادة الصدر الاعظم صالح
باشا المتوجه الى جناب الشيخ بشير في سنة ١٢٩٤ فهذا كتابنا الى قدوة
عشائر والقبايل شيخ المشايخ شيخ بشير زيد قدره
حرر لكم موثقا من عواطف باشا الكمالي فمن ان المعلوم من جميع الناس
ان المرحوم المغفور عبد الله باشا الوالي في ايالة الصيدا سابقا
قد نال قبل هذا من محض عواطف الدولة العلية السلطانية
بالرتبة العالية الوزارة في ريعان شبابه وحصل الامتياز بين
امثاله واقرانه ولكنه لا يعلم قدر ما اعطي من تلك النعم
الجليلة والمنح الجزيلة حيث خرج بكفران جميلته عن دائرة الانقياد
وتجاسر بالبغي والفساد وان هددناه عما فيه من الافعال الشنيعة
تمرد في حركاته الردية حتى اطال قدمه كلها وتجاوز الى
ارجاء الشام الشريف وبسط يدي غضبه وتهديده بمرتبات الحاج المنيف
وتصدى كذا وكذا بانواع الفعل السخيف والطور الضعيف فلزم
ازالة وجوده لازالة الفساد وازاحة الفساد عن البلاد فسوف
تشاهده سوء جزاء عمله ان شاء الله بلا امتداد لكن المقصود من
كتابنا هذا انه قد كان قبل هذا معلوما عند الدولة العلية
ولا سيما الان بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا والي حلب
سابقا ووالي طرابلس ايضا حالا ان المغضوب المرقوم

صفحة من خط شيخ جهينة الدحداح في تحويله صفحة ؟ السابقة

مُضي النصف من الليل رأيته امس لكون ذلك الوقت دخل في حدّ الصبح لليوم الثاني .

ومن ذلك قولهم الايام البيض وصفاً للايام والايام كلهـا بيض وهو غلط والصواب ان يقال ايام البيض اي ايام الليالي البيض لان البيض وصف لها دون الايام فتحذف الموصوف وهو الليالي وتقيم الصفة مقامهـا وهو البيض وتضيف الايام اليها والليالي البيض الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة. وسمّيت بيضاً لطلوع القمر من اولها الى آخرها . والعرب تسمّي كلّ ثلث من ليـالي الشهر باسم فتقول ثلاث غرر وغرّة كلّ شيء اوّله وثلث نفل لانها زيادة على الغرر. وثلث تُسع لان آخر ايامها التاسع. وثلاث عُشر لان اول ايامها العاشر . وثلاث بيض لانها تبيض بطلوع القمر من اولها الى آخرهـا . وثلاث دُرع لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها . وثلاث ظُلَم لاظلامها . وثلاث حنادس لسوادها . وثلاث دآدي لانها بقايا . وثلاث محاق لامّحاق القمر او الشهر .

ومن ذلك قولهم في الدعاء نعوذ بالله من طوارق الليل وطوارق النهار وهو غلط لان الطروق الاتيان بالليل خاصّة ولهذا سمّي النجم طارقاً . قال الله تعالى والسماء والطارق. والصواب ان يقال نعوذ بالله من طوارق الليل وجوارح النهار. لان ابا زيد حكى عن العرب : جرحته نهارًا وطرقته ليلًا . قال الله تعالى : وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار .

قال ابن بري . الذي تقوله العامة نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار وهذا جائز ان تقدر الثاني على خلاف تقدير الاول كقول الشاعر انشده ثعلب .

تراه كأنّ الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه امسى له وفر

وقال آخر :

يا ليت زوجك قد غدا متقلّدًا سيفاً ورمحـاً

فالثاني من هذه الاشياء يحمل على ما يوافق معناه . وقال الراعي :

« يزججن الحواجب والعيونا »

والتزجيج لا يكون في العين ومن ذلك العام والسنة لا تفرق عوام الناس

بينهما ويضعون احدهما موضع الآخر. فيقولون لمن سافر في وقت من السنة الى مثله اي وقت كان سافر عاماً وذلك غلط والصواب ما أُخبرت به عن محمد بن يحيى رحمه الله انه قال السنة من اي يوم عددتها فهي سنة . والعام لا يكون الّا شتاء وصيفاً. وليس السنة والعام مشتقين من شيء. فاذا عددنا من اليوم الى مثله فهو سنة يدخل فيه نصف الشتاء. ونصف الصيف . والعام لا يكون الّا صيفاً وشتاء ومن الاول يقع الربع والربع والنصف والنصف اذا حلف لا يكلمه عاماً لا يدخل بعضه في بعض انما هو الشتاء. والصيف والعام اخصّ من السنة . فعلى هذا تقول كل عام سنة وليس كل سنة عاماً .

قال ابن بري : العام والسنة والحول والحجة عند العرب بمعنى . قال الله سبحانه بل لبثت مئة عام . وقال الربيع : اذا عاش الفتى مئتين عاماً .

وقال الآخر :

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها   وتسعين حولًا ثم قوم فانصاتا

وقالت اخت طرفة :

عددنا له ستاً وعشرين حجّة   فلما توفاها استوى سيداً ضخماً

ومن ذلك قولهم : تواترت كتبي اليك يعنون اتصلت من غير انقطاع فيضعون التواتر في موضع الاتصال وذلك غلط. انما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه وهو تفاعل من الوتر وهو الفرد . يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين هنيهة . قال الله تعالى : ثم ارسلنا رسلنا تترى اصلها وترى من المواترة فابدلت التاء من الواو ومعناه منقطعة متفاوتة لان بين كل نبيين دهراً طويلًا . وقال ابو هريرة : لا بأس بقضاء رمضان تترى اي منقطعاً . فاذا قيل واتر فلان كتبه فالمعنى تبعها وبين كل كتابين فترة .

قال ابن بري : التواتر مجيء الشيء بعضه في اثر بعض وترًا وترًا. ومواترة الصوم ان يصوم يوماً واحداً ويفطر بعده يوماً او يومين فيأتي به وترًا وترًا . وكذلك قوله سبحانه ثم ارسلنا رسلنا تترى اي ارسلنا بعضها في اثر بعض وترًا وترًا. وكذلك قول ابي هريرة لا بأس بقضاء رمضان تترى اي لا بأس عليك

ان تصومه وترا وترا فالوتر يعني الافراد .

ومن ذلك قولهم : هذه قدور برام يعنون بالبرام الحجارة وذلك خطأ انما البرام جمع برمة وهي القدر من الحجارة كما تقول حُلة وحِلال وعلبة وعلاب . والصواب ان تقول برام الحجارة او تقول برام فيعلم انها من حجارة لان البرمة لا تكون من غير الحجر وتجمع البرمة على البرام والبُرْم والبُرَم . قال طرفة :

القت اليك بكلّ ارملة شعثاء تحمل منقع البُرْم

وقال آخر قال ابن بري هو النابغة : والبائعات بشطي نخلة البُرَما

قال ابن بري صدره : ليست من السود اعقاباً اذا انصرفت. وقال ايضاً على هذه الكلمة لا تمتنع اضافة القدور الى البرام لكون البرام مختصة بالحجارة والقدور عامة تكون من الحجارة والحديد والنحاس . واذا كان للشي اسمان جاز اضافة الاعمّ الى الاخصّ نحو حبل الوريد وحبّ الحصيد وعرق النسا وعرقا الابيض وصلاة الاولى ومسجد الجامع . ولا تلتفتْ الى من قال انه اراد صلاة الساعة الاولى ومسجد اليوم الجامع .

ومن ذلك قولهم : فلان ظريف يعنون انه حسن اللباس لبقه ويخصونه به وليس كذلك انما الظرف في اللسان والجسم . أخبرت عن الحسن بن علي عن الخزاز عن ابي عمر عن ثعلب قال : الظريف يكون حسن الوجْه وحسن اللسان . الظرف في المنطق والجسم ولا يكون في اللباس قال ابن الاعرابي : فلان عفيف الطرف نقيّ الظرف . قوله نقيّ الظرف يعني البدن. وقال عمر : اذا كان اللصّ ظريفاً لم يقطع معناه، اذا كان بليغاً جيّد الكلام احتجّ على نفسه بما يسقط عنه الحدّ والفعل من هذه الكلمة ظَرُف يظرُف ظرفاً فهو ظريف والجمع الظرفاء. ولا يوصف بذلك السيد ولا الشيخ . وانما يوصف به الفتيان الازوال والفتيات الزولات . قال ابن الاعرابي : الظرف في اللسان والحلاوة في العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف . وقال محمد بن يزيد : الظريف مشتقّ من الظرف وهو الوعاء، كأنه جعل الظريف وعاء للادب ومكارم الاخلاق . ومن ذلك قولهم للنبيذ عُصارة وانما العُصارة ما تحلّب من الشيء المعصور وكل شيء عُصر ماؤه فهو عصير والماء عُصارة . قال امرؤ القيس :

كأنّ دماء الهاديات ‹بنحره› عُصارة حنّاء بشيب مُرَجّل

وقال آخر :

انّ المذاري قد خلطن بلمّتي عصارة حنّاء معاً وصبيب

وقال آخر انشدنيه ابن بندار عن ابن رزمة عن ابي سعيد عن ابن دُريد. قال ابن بري البيت لابي قيس الاسلت .

والعود يُعصر ماؤه والكلّ عيدانٍ عُصارة.

وقال جرير :

انت ابن برزة منسوباً الى لجاءٍ عند العصارة والعيدان تُعتصر

وقال ايضاً يهجو الفرزدق :

لحى الله ماءً من عروق خبيثة سائباً جاء منها مُخمَرا
فما كان من فحلين شرُّ عصارة وألأم من حوض الحمار وكيمرا

قال ابن بريّ الصحيح في انشاد هذا البيت :

فما كان من فحلين شرّ عصارة والأم من حوق الحمار وكيمرا

اراد بالفحلين اباه وجدّه . وحوق الحمار وكيمرا لقبان لهما . ووجد بخط السكري حوض الحمار . حوض الحمار لقب كان لغالب وكيمرا اشتقّه من الكمرة . وقال ايضاً يهجو التيم :

يا تيم خالط خبث ماءِ ابيكم يا تيم خبثَ عصارة الارحام

ولا يلتفت الى ما سواه .

قال ابن بري قوله ولا يلتفت الى ما سواه يريد قول من جعل العصارة تنطلق على الماء وعلى الثفل كما ذكره الجوهري وغيره . ولا تكون الحجّة في ذلك ان باب الفعالة ان يكون لما يبقى ويفضل مثل الحثالة والنفاية والجرامة والكرادة .

ومن ذلك السوقة يذهب عوام الناس الى انهم اهل السوق وذلك خطأ.

انما السوقة عند العرب من ليس بملك تاجرًا كان أو غير تاجر بمنزلة الرعية التي يسوسها الملوك وسمّوا سوقة لان الملك يسوقهم فينساقون له ويصرّفهم على مراده . يُقال للواحد سوقة وللاثنين سوقة وربما جُمع سُوَقًا . قال زهير :

يطلب شأو امرأين قدما حسنا   نالا الملوك وبذّا هذه السُّوَقا

وقال ايضاً :

يا جار لا أرمين منكم بداهية   لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وقالت حرقة بنت النعمان :

بينا نسوس الناس والامر أمرنا   اذا نحن فيهم سوقة نتنصّف

فاما اهل السوق فالواحد منهم سوقي والجماعة سوقيّون. ومن ذلك اليقطين يذهب العامة الى انه القرع خاصة وليس كذلك انما اليقطين كل شجر انبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساق مثل القرع والقثاء والبطيخ ونحو ذلك . وقال سعيد بن جبير كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فهو يقطين. ابن بري : قال المعرّي يقال فيه قَرْع وقرَع والتحريك افصح . وأنشد :

بئس ادام الرجل المقلّ   ثريدة بقرَع وخلّ

ومن ذلك قول المتكلمين في صفة الله تعالى الذات قال ابن برهان وذلك جهل منهم ولا يصحّ اطلاق هذا في اسم الله تعالى لان اسماءه جلت عظمته لا يصحّ فيها الحاق تاء التأنيث ولهذا امتنع ان يقال فيه علامة وان كان اعلم العالمين . فذات بمعنى صاحبة تأنيث قولك ذو الذي بمعنى صاحب . وقولهم الصفات الذاتية جهل منهم ايضاً لان النسب الى ذات ذوي كما ان النسب الى ذو ذوَويّ. اخبرنا بذلك ابو زكريا. وكذلك قولهم المحسوسات اي المعلومات خطأ ايضاً والصواب ان يُقال المحسات لانه يقال احسست الشيء وحسست به . فاما المحسوسات فمعناها في اللغة المقتولات يقال حسّه اذا قتله . وكذلك قول العامة حسّ في معنى سمع ووجد غلط . العرب تقول احسّ اذا وجد. فاما حسّ فقتل وحسّ الدابة بالمحسّة وحسّ النار اذا ردّها بالعصا على خبز الملّة وحسّ اللحم اذا وضعه على الحجر . ابن بريّ : كثيرًا ما يستعمل هذه اللفظة

ابو عليّ الفارسي وابو عمران الصقلي على جلالتها في العلم. فيقولون كل محسوس معلوم وليس كل معلوم محسوساً ويجوزهم ذلك اما ان يحملوه على باب احمَهُ الله فهو محموم واسعده فهو مسعود واما ان يكون على جهة الاتباع لملوم كما جاء في الحديث ارجعن مأزورات غير مأجورات.

ومن ذلك الخِرْوَع تذهب العامة الى انه نبت بعينه ويفتحون خاءه فيخطئون في لفظه ومعناه . وانما الخِروع كل نبت يثني اي نبت كان ولهذا قيل للمرأة اللينة الجسد خِرْوِع . ومنه حديث ابي سعيد الخُدري : لو سمع احدكم خفطة القبر لخرع اي انكسر وضعُف وليس في كلام العرب شيء على فِعْوَل بكسر الفاء الا حرفان خِرْوع وعِتْوَد وهو اسم واد أو موضع ابن بري : قال ابو سعيد هو اسم دويبة .

ومن ذلك البقل تذهب العامة الى انه ما يأكله الناس خاصة دون البهائم من النبات الناجم الذي لا تحتاج في اكله الى طبخ وليس كذلك انما البقل العشب وما ينبت الربيع مما تأكله البهائم والناس . قال الشاعر . ابن بري : هو للحارث بن دوس الديادي :

قوم اذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل

وقال آخر ابن بري : هو عامر بن جوين الطائي .

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرضَ البقل ابقالها

وقال زهير :

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى اذا انبت البقل

وقال ابو دؤاد :

مثلُ عير الفلاة صملكه البقل مشيح باربع عسراتِ

ابن برى : مثلِ عيرِ الفلاة بالخفض وكذلك مشيحٍ بالخفض . ويروى بالنصب على انه حال من العير ومن خفض ابدله منه وقبلهُ :

يأمون كالبرج صادقة العدو لا تشتكي من البخصات

يقال منه بقلت الارض وابقلت لغتان فصيحتان اذا انبتت البقل وابتقلت الابل وتبقلت اذا رعته . قال ابو النجم يصف الابل :

تبقّلت في اوّل التبقّل بـين رماحَي مالك ونهشل

والفرق بين البقل ودق الشجر انّ البقل اذا رُعي لم يبقَ له ساق والشجر تبقى له سوق وان دقت .

وكذلك يجعلون الحشيش ضرباً من رطب العشب وانما الحشيش يابس العشب كله ولا يقع على شيء من الرطب . ورُطب العشب يُدعى الرُطب بضم الراء والخلا جميعاً والكلأ يجمعها .

ومن ذلك الصلَف فتذهب العامة الى انه التيه والذي حكاه اهل اللغة في الصلَف انه قلة الخير. يقال امرأة قليلة الخير لا تحظى عند زوجها وقد صلفت صلفاً اذا لم تحظَ عنـده . ورجل صَلِف اي قليل الخير . ومن امثالهم ربّ صلَف تحت الراعدة .

ومن ذلك البهانة تذهب العامة الى انها ذمّ ويعنون بها المرأة البلهاء. وليس كذلك انما البهانة صفة تمدح بها المرأة . يقال امرأة بهانة اذا كانت ضاحكة مهللة وقيل هي الطيّبة الرائحة الحسنة الخُلق السمحة لزوجها. وقال ابن الاعرابي في قول الشاعر . ابن بري : هوغامان بن كعب بن عمرو . وقال ابو العباس هوعامان بعين غير معجمة وذكر غيره انها معجمة .

ألا قالت بهانِ ولم تأبق نعمتَ ولا يليق بك النعيم

اراد بهانة . وتأبق تأثم بن بري : وقيل تأبق تبعد مأخوذ من إباق العبد اي لم تفِرّ. وقال ابو الحسن عليّ بن سليمان ليس بهان محذوفاً من بهانة لانه ليس كل ما يحذف منه شيء يجب ان يبنى وكل ما بُني من هذا على فعال فهو معدول عن فاعلة فبهانِ معدولة عن باهنة وهي ان تصير بهانة فهذا الوجه الذي لا يكون غيره وان لم يخصه ابن الاعرابي وبعده .

بنون وهجمة كأشاء بُسّ صفايا كثّةُ الأوبار كومُ
اذا اصطكت بضيق حجرتاها تلاقي العسجديّة واللطيمُ

ومن ذلك المُتفتية تذهب العامة الى انها الفاجرة وليس الامر كذلك . انما المتفتية الفتاة المراهقة يقال تفتَّت الجارية اذا راهقت فخدِّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان . وقد فتيت تفتية . يقال لفلانة بنت قد تفتّت امي تشبهت بالفتيات وهي اصغرهنّ . ويقال للجارية الحدثة فتاة وللغلام فتى . قال القتبيّ ليس الفتى بمعنى الشابّ والحدث وانما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال. ابن بري : المشهور في قولهم تفتت المرأة تشبّهت بالفتيات وتفتى الشيخ تشبّه بالفتيان فليست المتفتية التي بمعنى خدرت. انما يقال في ذلك فُتيت على ما لم يسمّ فاعله.

ومن ذلك قولهم للكثير الاشغال مربوب وذلك قلب للكلام والوجه ان يقال رابّ فاما المربوب فهو المُصلَح المربّى . قال الشاعر ابن بري : هو سلامة بن جندل :

يعطي دواء قفيّ السَّكن مربوب

ويقال سقاء مربوب اذا مُتِّن بالرُّبّ . يقال ربّ فلان ولده يربّبه ربًّا وربّ ضيعته يربّها ربًّا اذا اتمّها واصلحها فهو ربّ ورابّ . قال الشاعر :

يُربّ الذي يأتي من العرف انه   اذا سئل المعروف زاد وتمّما

والرب ينقسم ثلثة اقسام ربّ مالك يُقال هو رب الدابّة ورب الدار وكل من ملك شيئاً فهو ربه . ورب سيّد مطاع . قال الله تعالى فيسقي ربه خمراً اي سيّده. ورب مصلح يقال ربّ الشيء اذا اصلحه ولا يكاد يقال الرب بالألف واللام لغير الله. وكذلك قولهم لساقي الماء شارب هو قلب للكلام انما المستقى الشارب وصاحب الماء الساقي. ومثله قولهم لضرب من المشموم الشمّام والشمّامة فيجعلونه للمفعول . وانما الشمّام والشمّامة بناء للفاعل للمبالغة ولا يكون للمفعول . ابن بري : لو ورد سماع بالشمّامة لكان مقبولاً لانّ فعّالة ومفعالاً قد جاء بمعنى المفعول كقولهم زرّاعة للارض التي يزرع فيها . وزمّارة القصبة التي يزمّر بها. وقالوا دار محلال ومظعان للتي يُحلّ فيها كثيراً ويظعن عنها كثيراً. وقالوا ناقة مخلاء للتي خليت وولدها .

ومن ذلك الغلام والجارية يذهب عوام الناس الى انها العبد والأمة خاصة.

وليس كذلك . انما الغلام والجارية الصغيران وقيل الغلام الطارّ الشارب. ويقال للجارية غلامة ايضاً . قال الشاعر هو اوس بن غلفاء الهجيمي: تهان لها الغلامة والغلام. صدره . مركّضة صريحيّ ابوها . وقبله :

اعان على مراس الحرب زغف مضاعفة لها خلق تُؤامُ
ومطّرد الكعوب ومشرفيّ من الأولى مضاربه حسامُ

وقد يقال ايضاً للكهل غلام . قالت الاخيلية تمدح الحجاج : غلام اذا هزّ القناة سقاها. صدره : شفاها من الداء المقام الذي بها . وكان قولهم للطفل غلام على معنى التفاؤل اي سيصير غلاماً وهو فعال من الغلمة وهي شدّة النكاح. وقالت امرأة ترقص بنتاً لها :

وما عليّ ان تكوني جارية حتى اذا ما بلغت ثمانيه
زوجتها عتبة او معاوية اختان صدق ومهور غاليه

وقال آخر :

جارية اعظمها اجمّها قد سمّنتها بالسويق امها

وقال الشاعر :

جوارٍ تحلين اللطاط يزينها ببرايج احوافٍ من الأَدَم الصرف

اللِطاط جمع لطّ وهو قلادة من حنظل . والاحواف جمع حَوف وهو شبيه بالمئزر يتخذ للصبيان من ادم يشق من اسافله ليمكن المشي فيه .

ومن ذلك الدُبر تذهب العامة الى انه الاست خاصة وليس كذلك . دُبر كل شيء خلاف قُبله بضم الدال ما خلا قولهم جعل فلان قولك دَبرَ اذنه اي خلف اذنه فانه بفتح الدال . قال الله تعالى سيهزم الجميع ويولون الدُبر. وقال عزّ اسمه :وادبار السجود. قال:والليل اذا دَبر . وكذلك يجعلون الحجر اسماً لها خاصة وانما الجُحر كل ما تحتفره في الارض من الدواب ما لم يكن من عظام الخلق نحو حجر اليربوع والثعلب والارنب وشبه ذلك .

ومن ذلك النميم بالذال المعجمة يضعه الناس في موضع الدسيم بالدال غير

المعجمة فيقولون فلان ذميم اي قمي حقير والصواب ان يقال دميم فان كان سيئ الخُلق قيل ذميم . يقال من الاول رجل دميم وامرأة دميمة من نساء دمائم ودِمام وما كنت يا رجل دميماً . ولقد دممت بعدي تدمّ دمامة واشتقاقه من الدِمّة وهي النملة والقملة الصغيرة والدمامة بالدال مهملة في الخَلق والذمامة بالذال معجمة في الخُلق . يقال منه ذم الرجل يذُم ذمًّا وهو اللؤم في الاساءة . ومن ذلك الانتفاخ بالخاء . يضعه الناس موضع الانتفاج بالجيم ولكل واحدة منها موضع يوضع فيه . فاما الانتفاخ بالخاء فعظم الجنبين الحادث عنه علة . او أكل أو شرب . والانتفاج بالجيم عِظَم الجنبين خِلقة من غير علة . يقال رجل منتفج بجنبين وفرس منتفج بجنبين قال الشاعر (هو لابي النجم) .

منتفج الجوف عظيم كلكله

فمدحه بذلك ولو قال بالخاء لكان ذمًّا . ويقال انتفجت الارنب اذا اقشعرت وكل شيء اجفأل فقد تنفج . ومن ذلك التحليق تذهب العامة الى انه رمي الشيء من عُلو الى سفل فيقولون حلقت الشيء اذا القيته وذلك غلط انما التحليق عند العرب الارتفاع في الهواء . يقال حلق الطائر في كبد السماء اذا استدار وارتفع في طيرانه وحلق النجم اذا ارتفع . قال ابن الزبير الاسدي :

رُبّ فهل طام وردت وقد خوى نجم وحلّق في السماء نجوم

وفي الحديث فحلق ببصره الى السماء اي رفع البصر الى السماء كما يحلق الطائر اذا ارتفع في الهواء . ومنه الحالق بجبل المشرف . وقال النابغة في حلق الطائر :

اذا ما التقى الجمعان حلّق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

وانما سمي تحليقاً لان الطائر يطلع فيدور في طلوعه كما تستدير الحلقة . ومن ذلك اليتيم تذهب العامة الى انه الصبيّ الذي مات ابوه او امه وليس كذلك انما اليتيم من الناس الذي مات ابوه خاصة ومن البهائم الذي ماتت امه . فاليتيم من الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام . فاذا بلغ الصبي زال عنه اسم اليتيم . يقال من يتم يتيم يُتماً ويَتماً وايتمه الله وجمع اليتيم يتامى وايتام وكل

منفرد عند العرب يتيم ويتيمة وقيل اصل اليتم الغفلة وبه سمّي اليتيم يتيماً لانه يُتغافل عن برّه. والمرأة تدعى يتيمة ما لم تزوج فاذا تزوجت زال عنها اسم اليتم. وقيل : المرأة لا يزول عنها اسم اليتم ابدًا . وقال ابو عمرو اليتم الابطاء. ومنه اخذ اليتيم لان البرّ يبطيء عنه. اليتيم الذي يموت ابوه والعجيّ الذي تموت امه واللطيم الذي يموت ابواه وذكر ابن خالويه ان اليتم في الطير من قبل الاب والام لان كل واحد منهما يزقّ فرخه . ومن ذلك المثقال يظنّه الناس وزن دينار لا غير ولا كما يظنون . مثقال كل شيء وزنه وكل وزن يسمّى مثقالًا وان كان وزن الف . قال عزّ وجلّ : وان كان مثقال حبّة من خردل . قال ابو حاتم وسألت الاصمعي عن صنجة الميزان فقال فارسي ولا ادري كيف اقول ولكني اقول مثقال فاذا قلت للرجل ناولني مثقالًا فاعطاك صنجة الف او صنجة حبّة كان ممتثلًا . ومن ذلك تنحس النصارى اذا اكلوا اللحم قبل صومهم وذلك غلط في اللفظ وقلب للمعنى الى ضدّه. اما اللفظ فانه يقال تنحّس النصارى بالحاء. واما المعنى فانه يقال لهم ذلك اذ تركوا اكل اللحم . ولا يقال لهم ذلك اذا اكلوه. قال ابن دريد هو عربيّ معروف لتركهم اكل الحيوان . قال ولا ادري ما اصله. ويقال تنحّس تجوّع كما يقال توحّش وكأنه مأخوذ منه كأنهم تجوّعوا من اللحم .

ومن ذلك قولهم: فلان حسن الشمائل اذا كان حسن التثنّي والتعطّف في المشي. وانما الشمائل الخلائق عند العرب واحدها شمال والنحويون يذهبون الى ان شمالًا يكون واحدًا وجمعاً. قال الشاعر هو عبد يغوث بن وقاص :

ألم تعلما انّ الملامة نفعها   قليل وما لومي اخي من شماليا

يريد من خُلقي . ومن ذلك قولهم للشيء اذا كرهوا ريحه وما ازفره وانما الكلام ان يقال ما اذفره بالذال المعجمة والذفر حدّة ريح الشيء الطيب والشيء الخبيث الريح. قال الشاعر في خبث الريح: هو لنافع بن لقيط الاسدي:

ومولّى انضجت كيّة راسه   وتركته ذفرًا كريح الجورب

وقال الراعي وذكر ابلًا قد رعت العشب وزهره فلما صدرت عن الماء.

نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيّبة . فقال تلك فارة الابل :

لها فارة ذفراء كل عشيّة كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

فاما الزَّفر فهو الحمل والزِفر الحِمل وليس من هذا في شيء. والزفر والزفير ان يملأ الرجل صدره غمًّا ثم يزفر به وهو من شديد الانين وقبيحه .

ومن ذلك الحليل تضعه العامة موضع الاحليل ويعنون به الذكر وهو غلط انما الحليل الزوج والحليلة المرأة وسمّيا بذلك لانهما يحلّان في موضع واحد او لان كل واحد يحالّ صاحبه اي ينازله او لان كل واحد منهما يحلّ ازار صاحبه. واما الاحليل فهو ثقب الذكر الذي يخرج منه البول وجمعه الاحاليل. والاحاليل ايضاً مخرج اللبن من طُبي الناقة وغيرها . ومن ذلك قول الناس فلان يتأثم ويتحنث يذهبون الى ان معناه يقع في الحنث والاثم وليس كما ذهبوا اليه. وانما معنى يتحنث اي يفعل فعلاً يخرج به من الحنث وهو الاثم. يقال هو يتحنث اي يتعبد . قال ابن الاعرابيّ وللعرب الفاظ تخالف معانيها الفاظها . يقولون فلان يتنجّس اذا فعل فعلاً يخرج به من النجاسة . وكذلك يتأثم ويتحرّج اذا فعل فعلًا يخرج به من الاثم والحرج . ومن ذلك الخُنان يضعه الناس موضع الحنك فيقولون ختنه اذا ضرب حنكه. كما يقولون حنّكهُ وانما الخنان داء يأخذ الابل في مناخرها تموت منه وهو في الابل مثل الزكام في الناس . والخنان ايضاً داء يأخذ الناس . قال الشاعر وهو جرير :

واشفي من تخلج كلّ جنّ واكوى الناظرَين من الخُنان

والخنان ايضاً داء يأخذ الطير في رؤوسها يقال طائر مخنون . ومن ذلك أمّا وإمّا لا يفرقون بينهما والفرق بينهما ان التي تفصل بها الجمل وتجاب بالفاء مفتوحة الهمزة تقول امّا زيد فعاقل واماّ عمرو فعالم . والتي تكون للشك او التخيير مكسورة الهمزة تقول إمّا زيدًا وإمّا عمرًا. وخذ إمّا هذا وإمّا ذاك. ومن ذلك الضُروط تذهب العامة الى انه الذي يحدث اذا جامع وليس كذلك انما الضروط والضُرُط الذي يحدمك بطعام بطنه وهم الضاريط والضارطة . وقال الاصمعيّ هم الاجراء. وانشد :

اذاك خيرٌ ايّها العضارط

وقال طفيل يعني نفسه :

وراحلة وصت عضروط ربّها . بها والذي تحتي ليُدفَع انكب

يريد انه كان على راحلة يجنب فرسه فلما دنا منه القتال ركب الفرس ووصّى التابع بالراحلة وانكب يعني الفرس الذي تحته قد تحرف للعدو ولما لحقه من الزمع. فاما الذي يحدث عند الجماع فهو العَذيوط . ومن ذلك التابل والابزار يفرق عوام الناس بينهما والعرب لا تفرق بينهما التابل والابزار والقزح والقِزح والفحا والفحاة كله بمعنى واحد. يقال توبلت القدر وفحيتها وقزحتها اذا القيت فيها الابزار والأبزار بفتح الهمزة وليس بجمع وهو فارسي معرب وبعضهم يكسر الهمزة . ويقولون للخارج من الحمام طاب حمامك وليس لذلك معنى وانما الكلام طاب حميمك وانت شئت قلت طابت حمتك اي طاب عرقك لان عرق الصحيح طيب وعرق السقيم خبيث. ويقولون اقطعه من حيث رق بالقاف وكلام العرب اقطعه من حيث رك اي من حيث ضعف . ومن ذلك قولهم قد زاف الوقت اذا قرب وهو خطأ والصواب ان يقال قد ازف الوقت وكل شيء اقترب فقد ازف أزفاً قال الله تعالى أزفت الآزفة اي دنت القيامة فاما زاف فتستعمل في الحمامة اذا نشرت جناحيها وذنبها على الأرض . وزافت المرأة في مشيها كانها تستدير . وزاف الجمل في مشيه زيفاناً وهو سرعة في تمايل. ومن ذلك العروس تذهب العامة الى انه يقع على المرأة خاصة دون الرجل وليس كذلك بل يقال رجل عروس وامرأة عروس ولا يستيان عروسين الا ايام البناء. قال الشاعر : وهذا عروسا باليمامة خالد . صدره :ارضى بأنا لا تجف دماؤنا. ومن امثالهم: كاد العروس يكون اميراً . ويقال لها عروسان في كل وقت . ~~قال الراجز: انجب عرس جبلا وعرس. الراجز هو العجاج والذي~~ في رجزه: انجب عرس جبلا اي خلاقا . وقبله :

بين ابن مروان قريع الانس وابنة عباس قريع العبس

ومما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بعض حركاته او بعض حروفه بغيره يقولون قرأت الحواميم وذلك خطأ ليس من كلام العرب والصواب ان يقال قرأت

آل حم . وفي حديث عبدالله بن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات. ومرّ رجل بابي الدرداء وهو يبني مسجداً فقال ابنيه لآل حم. وقال الكميت :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

اذا صارت حم اسماً للسورة فلا انكار على من قال . قرأت حم وذكرته حاميم . قال الاشتر :

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلّا تلا حاميم قبل التقدم

وقال رؤبة :

أو كتبا بيّن من حاميا قد علمت ابناء ابراهيا

وكذلك لا يمتنع ان يقول قرأت الحواميم . انشد ابو عبيدة :

حلفت بالسبع اللواتي طوّلت وبمئين بعدها قد أمّيت
وبمثان ثنيت وكررت وبالطواسين التي قد ثلثت
وبالحواميم اللواتي سبعت وبالمفصل اللواتي فصلت

فاما قول الكميت: وجدنا لكم في آل حم، فانه اراد بالآل ايات السورة التي اسمها حم . ويقولون امر مهول وانما هو هائل يقال هالني الشيء يهولني هولاً اذا افزعك فهو هائل والهول المخافة من الامر لا تدري على ما تهجم عليه. الذي حكاه اهل اللغة عن العامة انهم يقولون يوم مهول ورجل مذهول العقل وصوابه هائل وذاهل وكذلك يقولون مبغوض ومتعوب وصوابه مبغض ومتعب . ويقولون أفٍّ منه وأفَّ وأفُّ وأفٍ وأفّاً وأف وأُفّي مضاف وأفّة وافّاً بالألف ولا تقل أفي باليا. فانه غلط (الصواب ان يقال أُفّي ممال على وزن فُعلي وليس مضافاً الى ياء المتكلم كما ذكر.ومعنى افّ النتن والتضجر واصلها نفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد وللمكان تريد ازالة الاذى عنه فقيلت لكل مستثقل . وتقول هوشت الشيء اذا خلطته ومنه اخذ اسم ابي المهوش الشاعر . ولا تقل شوشته فقد اجمع اهل اللغة ان التشويش لا اصل

له في اللغة العربية وانه من كلام المولّدين وخطأوا الليث فيه . وهو ابو رياح لهذا الذي يلعب به الصبيان وتديره الريح ولا تقل بُرياح . وكذلك يقولون للقرد بوزنةٌ وانما هو ابو زنّا، وهي كنيته. ويقال له ايضاً: ابو زنة وتقول لمرسل الحمام زجّال باللام والزجل ارسال الحمام الهادي من مزجل بعيد ولا تقل زجّان فانه خطأ . ويقال للقناة الجوفاء المخروبة بالعقب يرمى فيها سهام صغار تنفخ نفخاً فلا تكاد تخطي سَبَطانة. ولا يقال زربطانة كما تقول العامة . وهي السُتَيْرِيّة لضرب من السفن بالياء. وهي منسوبة الى رجل يقال له سمير اظنه كان بالبصرة وهو اول من عملها فنُسبت اليه ولا تقل سُمارية فانه خطأ . والضَبَنطَى شيء يُفزّع به الصبيان ولا تقل الضَبْطَع . قال الراجز هو منظور الزبيري .

وزوجها زَوَنْزَكٌ زُوَنْزا يفزّع ان فزّع بالضبنطا

ويقولون لمن ينسبونه الى السرقة هو برجاص اللص وانما هو بُرجان بالنون وهو فضيل بن بُرجان. ويقال فضل احد بني عطارد من بني سعد وكان مولى لبني امرئ القيس وكانت له صاحبان يقال لهما سهم وبسام فقتلهم مالك بن المنذر بن الجارود وصلب بن برجان بعد ما قتله في مقبرة العتيك وكان الذي تولى ذلك شعيب بن الحجاب واخذ اللصوص المشهرين بالبصرة فقتلهم فقال خلف بن خليفة :

إن كنت لم تسألي سهماً وصاحبه عن مالك فاسألي فضل بن برجان
يخبرك عنه الذي أوفى على شرف حتى اناف على دور وبنيان

ويقولون قد جئت الى عندك وهو خطأ يقال جئت من عنده ولا يقال جئت الى عنده لان عند لا تدخل عليها من حروف الجرّ غير من وحدها . ويقولون الكُولة وانما هي الجبولاّ بالجيم والمد واشتقاقها من الجُبل . ويقولون كبلت الشيء اذا خلطته والمعروف لبكت وبكلت وربكت اذا خلطت فاما كبلت فمعناه قيّدت. يقال كبلته كبلاً والكَبْل القيد . ويقولون افعل كذا إمّا لي والصواب إمّا لا واصله ان لا يكن ذلك الامر فافعل هذا وما زائدة انشدني ابو زكريا رحمه الله :

امرعت الارض لو ان مالا لو ان نوقاً لك او جمالا
أو ثلة من غنم إمّا لا

كذا تكتب إمّا لى باليا. وهي لا أُميلت فألفها بين اليا. والالف والفتحة قبلها بين اليا. والكسرة. ويقولون فعلت ستي وقالت ستي والصواب ان يقال سيدتي لانه تأنيث السيد. وقرأت بخط ابي الحسن عليّ بن محمد الكوفي: حدثني عبدالله بن عمّار الطحيني قال: حدثني الزغل قال رأيت ابن الاعرابي في منزلنا فقالت عجوز لنا ستي تقول كذا وكذا فقال ابن الاعرابي ان كان من السؤدد فسيدتي وان كان من المدد فستي لا اعرف في اللغة لستي معنى وقد تأوله ابن الانباري فقال . يريدون يا ستّ جهاتي وهو تأول بعيد مخالف للمراد . ويقولون حطب زَجل وانما هو جزل وهو الغليظ من الحطب وقيل اليابس. قال الشاعر :

ولكن بهذاك اليفاع فاوقدي بجزل اذا اوقدت لا بضرام

والضرام والشخت ضدّه ثم كثر الجزل في كلامهم حتى صار كل ما كثر جزلًا فقالوا اعطوه عطاء جزلًا واجزلت للرجل وجزل لي من ماله . ويقولون في جمع المكوك مكاك وانما المكاكي جمع مكّا. وهو طائر يسقط في الرياض ويمكو اي يصفر والصواب ان يقال في جمع المكوك مكاكيك . ويقولون لما يدفع بين السلامة والعيب في السلعة هَرش وقد هرّش السلعة وانما هو أَرْش وقد أرشت الثوب وسُمّي أرشًا لان المبتاع للثوب على انه صحيح اذا وقف منه على خرق او عيب وقع بينه وبين البائع ارش اي خصومة من قولك ارّشت بينهما اذا اغريت احدهما بالآخر فسُمّي ما نقص العيب الثوب ارشاً اذا كان سبباً للارش . ويقولون انا مُوئِس من خيرك والصواب ان يقال انا يائس من خيرك يقال يئست وأيست لُغتان. ويقولون هذا الاناء من الخزف يتطيّر فيه صاغرة بالغين وانما هو صاخرة: صاخرة فاعلة من الصخر. ويقولون لدويبة اصغر من الضبّ الورن بالنون وانما هو الورل باللام وجمعها الورلان وهي احد الاحرف التي اجتمعت فيها الراء واللام ولم تجتمع الراء واللام في شيء من لغة العرب الّا في احرف يسيرة هذا احدها وارل وهو جبل معروف وغرلة وهي القلفة وجَرَل وهي الحجارة المجتمعة . ويقولون السُكَرّجة بفتح الراء والكاف وانما هي الأسكُرُجة بضمها

وبالهمزة وهي اعجمية معرّبة ومعناها بالفارسية مقرب الحلّ .

ويقولون الهاون والصواب ان يقال الهاوُون بواوين على مثال فاعول لانه ليس في كلام العرب كلمة على فاعَل وهو اسم موضع العين منها واو. ابن بري: قد حكى ابن قتيبة والجوهري انه يقال هاوَن . وزعم الجوهري ان اصله هاوُون فحذفت الواو الثانية تخفيفاً وفتحت الواو التي قبلها لانه ليس في الكلام فاعُل فأمّا من انكر هاونا لكون فاعَل لم تجيء العين منه واو فان انكاره عجيب . وذلك انه قد ثبت في الكلام فاعَل ولا يلزمنا ان تكون العين منه واوا او غيرها من حروف المعجم على انه لو كان في كلامهم مثل هاوَن وكان المسموع هاوونا لم يعدل به الى هاوَن كما لا يعدل بقارون الى قارَن وان كان في كلامهم فاعَل . ويقولون الدستك وانما هو الدستج وهما اعجميان معرّبان ايضاً .

ويقولون لضرب من الثياب يتخذ من صوف مِنطَر والصواب مِمطَر وهو مِفعل من المطر كأنهم ارادوا انه يلبس فيه . ويقولون ما وَملت فيك كذا وانما الكلام ما أمّلت . ويقولون الميْضَة لموضع الطهارة وانما هي الميضأة وهو يتوضأ منه او فيه . ويقولون لاجل ذنب زمكاة والصواب ان يقال الزِمِكّى والزِمِجّى . ويقولون لما ينذر بين يدي الأسد فزوانل وانما هو فرانق وهو سبع يصيح بين يديه كأنه ينذر به الناس ويقال انه شبيه بابن آوى يقال له فرانق الاسد ويقال انه الوعوع وهو اعجمي معرّب . ويقولون لضرب من الحلواء المعقودة والصواب ان يقال العقَدة . ويقولون في جمع قرية قرايا وانما جمع قرية قُرى لا غير وهو جمع نادر لان جمع فعلة من الواو والياء يجيء على فِعال فيكون ممدودا مثل ركوة ورِكا. وشكوة وشكاء وقشوة وقشاء ولم يسمع في شيء من جمع هذا القصر الا كوة وكوى وقرية وقُرى . وقال بعضهم هو جمع قرية بكسر القاف لغة يمانية ككِسوة وكُسى وقد رُدّ عليه وقالوا القرية بفتح القاف لا غير والنسبة الى القرى قرويّ . ويقولون الانبوبة والانبابيب في جمعها وهذا لفظ بشع وبناء منكر وانما الكلام الانبوبة والانابيب كالأعجوبة والاعاجيب . ويقولون لهذا النبات الاصفر المجتث الذي يتعلق باطراف الشوك الاكشوث وانما هو الكشوث والكشوثا . وجاء على فعولاء ممدودا

الديرق.. قال رؤبة : لولا ديرقاة استه لم يبطغ اي لم يتلطخ وجلولا. وصرورا. وهما بالمدّ بلدان . وكشوثا. وبزر قطوناء بالمدّ وقد يقصران. قال الشاعر :

هو الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظلّ ولا شجر

وقد جاء الحروقاء للحراقة التي يقدح بها النار والجبولاء للعصيدة وسبوحاء موضع والمعروف رواية البيت : هو الكشوث فلا ظل ولا ثمر . ويقولون لفم المزادة العَزَلة وانما هي العزلاء . ويقولون للجبة من الصوف زُرْنبانِقة وانما هي زُرْمانِقة وهي عبرانية وقد تكلمت بها العرب وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود ان موسى لما اتى فرعون اتاه وعليه زُرمانقة . ويقولون الهِثق والصواب الهِذْق . ويقولون للخيوط المعقدة كُداد وكلام العرب جُدّاد . قال الاعشى يصف الخمّار :

اضاء مظلّته بالسراج والليل غامر جُدّادها

ويقولون لبَثْرة تخرج في جفن العين الكُدْكد وذلك غلط والصواب الجُدْجد بجيمين هذه لغة تميم وربيعة تسميه القمع . قال سُوَيد بن ابي كاهل :

صافي اللون وطرفاً ساجياً اكحل العينين ما فيه قمَعْ

وقال الاعشى : وطرفاً لم يكن قيِمًا . ويقولون للذي يستصيح به على ابواب الملوك مِنْيار بالياء والصواب ان يقال مِنْوار لانه مأخوذ من النور او من النار وكلاهما من الواو ولو بنيت مِفعالاً من النوال والقول لقلت منوال ومقوال بالواو ولم يُقلَهْ بالياء .ويقولون على فلان حُلاس والكلام احلاس كأخلاق وهي جمع حلس وهو مـا بسط تحت حرّ الثياب. وفي الحديث كن حلس بيتك . والحلس للبعير كساء رقيق يكون تحت البرذعة. ويقولون للسائل شحاث بالثاء وانما هو شحّاذ بالذال وهو السائل الملحّ في مسئلته من قولك : شحذ الصيقل السيف اذا الحّ عليه بالتحديد، وشفرة مشحوذة. قالت عائشة بنت عبد المدان:

حُدِّثت بشرًا وما صدّقت ما زعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
انحى على ودجي ابنيّ مرهفة مشحوذة وكذاك الاثم يُقترف

والصيقل شاحذ وشحّاذ والملحّ في المسئلة مشبّه به . ويقولون فلان يتاطع علينا باللام والصواب يتنطّع بالنون والمتنطّع المتعمق في كلامه . ومنه حديث ابن مسعود رحمه الله اياكم والتنطّع واشتقاقه من نِطع الفم وهو اعلاه حيث يحنك الصبي . ويقولون فلان بدن من الابدان وليس للبدن ههنا موضع . وانما هو بدل من الابدال وهم المبرّزون في الصلاح وسُمّوا ابدالًا لانه اذا مات منهم واحد ابدل الله مكانه آخر والواحد بِدْل وبَدَل وبديل . ويقولون قد قرفشه اذا اخذه وانما هو قد قرفصه ومعناه شدّ يديه الى رجليه ثم اخذه كما تفعل اللصوص وهم القرافصة . ويقولون لضرب من السمك الكنعت بالتاء وهو الكنعد بالدال . قال جرير يهجو آل المهلب :

كانوا اذا جعلوا حيرهم بصلًا ثم اشتووا مالحًا منه كنعد جدفوا

ويقولون للصغار نشوٌ بالواو وانما هم النشأ والنشْء بالهمز . ويقولون للموضع الذي يجفف فيه التمر والثمرة مِشطاح بشين معجمة وزيادة الف وهو خطأ فاحش والصواب مِسطح بسين غير معجمة على وزن مِفعل ومثله المِربَد والجرين وهما لاهل نجد ومثله للطعام البيدر لاهل العراق والاندر لاهل الشام واهل البصرة يسمون المربد الجُوطان والجوخان فارسيّ معرّب . ويقولون للشيء الذي يذيب فيه الصاغة ونحوهم من الصناع البوتقة . وقال الخليل هي البُوطة : المعروف في هذه اللفظة البوطقة . ويقولون نحنا فعلنا ذلك يريدون نحن فعلنا ذلك وهي الكُنة قبيحة . ويقولون لرؤوس الحليّ وما تكسّر منه خشر بالراء وهو خطأ والصواب خشل باللام . قال ذو الرمّة :

وساقت بيس القُلْقُلانِ كأنما هو الخشل اعرافُ الرياح الزعازعُ

صوابه الزعازعِ بالخفض واول القصيدة :

خليليّ عوجا عوجةً ناقتيكما على طلل بين القلاتِ وشارعِ

ومن روى كأنه نوى الخشل اراد بالخشل المُقْل .

ويقولون بصل العُنصُر بالراء وانما هو العنصل باللام وهو بصل بري يسل منه عنصلان وهو شديد الحموضة قال امرؤ القيس :

كأن السباع فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى انابيش عنصل

ويقولون جاء فلان يطحل وانما هو يطخرُ اذا تنفس نفساً عالياً . ويقولون المرزنكوش وهو خطأ والصواب المرزجوش . والشهدانك والصواب الشهدانج . وجلست عونا والصواب هونا . ويقولون خرمش وجهه وانما هو خمشه . ويقولون للتأفف قد كذف وهو يكذف وانما يقال جذف الرجل وهو يجذف تجديفاً بالجيم اذا استقلّ ما اعطاه الله وكفر النعمة يقال لا تجدف بايام الله . وفي الحديث شرّ الحديث التجديف . قال الشاعر : انشده ابو عبيد :

ولكني مضيت ولم أجذف وكان الصبر عادة أولينا

ويقولون هوَلي فعلوا ذلك وانما هو هؤلاء بالمدّ وان شئت قصرت. ويقولون المدق القصار الكوذين والكلام الكذينق. قال الشاعر :

قامة الفصعل الضئيل وكفّ خنصراها كذينقا قصار

ويقولون للريح زيقا وكلام العرب الصيق وهو الغبار ايضاً. قال الشاعر :

من رأي يومنا ويوم بني التيم اذا التفّ صيقه بدمه

ويقولون هذا الشيء مُبَرْطَح والكلام مفلطح يقال درهم مُفلطح ونعل مفلطحة وكذلك قرص مفلطح اذا بسط . ومرّ الحسن البصري على باب ابن هبيرة وعليه القراء فسلم ثم قال ما لكم جلوساً قد احفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم وقصرتم اكمامكم وفلطحتم نعالكم اما والله لو زهدتم في ما عند الملوك لرغبوا في ما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم فضحتم القرّاء فضحكم الله . وقال رجل من بني الحرث بن كعب يصف حيّة :

جاءت لمازمه عزيز ورأسه كالقرص فلطح من طحين شعير

ويقولون في جمع خيشوم وهو الانف مخاشم والصواب خياشيم وخياشيم الجبال انوفها ويقولون التسيل بالسين وانما هو بالصاد ويسمّى قصيلاً بالقصل وهو القطع فعيل في معنى مفعول يقال قصلت الشيء اقصله قصلاً اذا قطعته ويقال سيف

مِقْصَل وقصّال اذا كان قطاعاً . ويقولون لدابّــة كثيرة الارجل دُخان الأذن بالنون ويذهبون الى تشبيه بالدخان ولا معنى لذلك وانما هو دخال الأذن فعّال من الدخول اي انه يدخل الاذن كثيرًا وتسمى هذه الدابّــة الحريش بالياء على وزن حريص . ويقولون لضرب من النبت الشابابك وهو بالقاف . ويقولون البوتنك وهو الفوتنج وهذا معربان والفوتنج بالعربية يُسمّى الحَبَق . ويقولون سامة غالة والصواب غالية ومنه سُمّي هذا الضرب من الطيب غالية فيما حكى المفضل بن سلمه ان معاوية بن ابي سفيان شمّها من عبدالله بن جعفر بن ابي طالب فاستطابها. فسأله عنها فوصفها له فقال هذه غالية فسُمّيت غالية وهــذه الحكاية ضعيفة لما روي عن عائشة انها كانت تطيّب النبي بالغالية اذا اراد ان يحرم. وعنها انها قالت كنت اغلّل لحية النبيّ بالغالية ثم يُحرم فدلّ على ان الغالية كانت معروفة قبل ذلك . ويقولون للخشبة التي في رأسها حجنة عُرقافة وقد عرقفت الشيء. وانما هي عقّافة وقد عقفت الشيء أعقفه عقفًا بمعنى عطفته فانعقف. ويقولون فلان مقرّى بكذا والصواب مغرى بكذا . وقد غري به ولا يقال مقرى وقد أُغري به وغرّي به وعبك به وعبق به وسدِك به ولكِن به ولزم به وأُلزم به ولَكِد به وأُغرم به.وأُولع به واذا لم يفارقه ويقولون نبيّــة وانما يقال نفية بالفاء. وهي سفرة تعمل من الخوص وعن زيــد بن اسلم يصنع لنا نفيَين يشرّر عليها الاقط . ويقولون في كنية الثعلب ابو الحسين وانما هو ابو الحصين. ويقولون فلان قذيف الجسم. والصواب قضيف الجسم وجارية قضيفة وقد قضُف قضفًا وقَضَفًا وقضافة وهو النحيف خلقة لا من هزال . ويقولون لطش الكتاب اذا محاه وانما يقال طلسْه اذا محوته لتفســد خطّه فاذا انعمت محوه قلت طرسته . ويقال للصحيفة اذا مُحيت طِلس وطِرس وفي الحديث ان النبيّ امر بطلس الصورة التي في الكعبة اي بطمسها ويقولون مــا بفلان خماسة يذهبون الى الخسة وانما الكلام ما به خصاصة اي حاجة واصله من الخصاص وهو الفرج وكل خلل أو خرق يكون في منزل او باب او سحاب أو برقع فهو خصاص والواحدة خصاصة . ويقول بعض المتحذلقين الإبِط بكسر الباء والصواب الإبْط بسكون الباء. ولم يأتِ في الكلام شيء عــلى فِعِل الا إبِل واطِل وحِبِر وهي صفرة الاسنان. وفي الصفات امرأة بِلِز وهي السمينة وأتان

بد تلد كل عام وقيل التي أتى عليها الدهر. المعروف في كلامهم اتان إبدٌ في كل عام تلدُ موقوف كما ترى. ويقولون للامير من الروم القُمس والصواب القومسُ كذا تكلّمت به العرب وهي رومية معرّبة. قال الشاعر وهو المتلمس :

فملت اني قد رميت بنتجل إن قيل صار من ال دَوْلَن تومسُ

ويقال ان القومس يكون تحت يده نيف وثلاثون رجلًا . ويقولون المهندز بالزاي وهو المهندس بالسين لا غير وهو مشتق من الهنداز فصيرت الزاي سيناً لانه ليس في كلام العرب زاي بعد الدال والإسم الهندسة .. ويقولون لما يلقى من الشجر خشب التشنيح والصواب ان يقال خشب التشديخ يقال شدخت القصن ونحوه اذا كسرته ويقال له ايضاً الشدان وقد حكي عن ابي عمرو انه قال شنخ نخله اذا نزع عنه سُلّاه . ويقولون قد مزّج العنبُ اذا بلغ والصواب مجّج بجيين والمجج بلوغ العنب . وفي الحديث لاتبع العنب حتى يظهر مججه وقال ابن عباس لا يباع العنب حتى يجج . ويقولون الصدى في الصدّق وهو عيد للفرس يوقدون فيه النار ليلًا. ويقولون للذي لا غيْرة له على اهله القَرْطَبان وهو مغيّر عن وجهه وانما هو الكلبتان. روى ثعلب عن ابي نصر عن الاصمعي قال: الكلبتان مأخوذ من الكلب وهو القياده والتا. والنون زائدتان قال وهذه اللفظة وهي القديمة عن العرب وغيرتها العامّة الاولى فقالت القلطبان قال وجاءت عامّة سُفلى فغيّرت على الاولى فقالت القرطبان. قال ابن خالويه يقال الكلتبان والقرطبان والقلطبان والديبوث والديّوث والصقّار والقرقضنة والمِجلَز والعزوُر والقُنذُع والقُنذُع والمُحصّل والمحصلة والطمز والطسْعُ والبُكاكة . ويقولون هجل بقلبي كذا وهو بالسين . ويقولون شيمْت راحة الشي. الشي. والصواب رائحته فاما الراحة فراحة اليد والرفاهية. ويقولون لولاك والجيّد لولا انت قال: الله تعالى: لولا انتم لكنّا مؤمنين . ويقولون الحارص والخرص بالصاد وهما جميعاً بالسين وقانصة الطائر بالصاد وهم يقولون بالسين . ويقولون سَيلان السكين بفتح السين والياء. والصواب السِّيلان بكسر السين واسكان الياء.. وانشد ابو عمرو :

ولن اصالحكم ما دام لي فرس واشتدّ قبضاً على السِّيلان إبهامي

ويقولون في الدعاء للمريض مسح الله ما بك وكان النضر يقول الصواب مصح الله ما بك بالصاد اي اذهبه . وغيره يجيز مسح وروى ابن الكوفي فيما قرأته بخطه عن محمد بن حاتم المؤدب قال مرض النضر بن شميل فدخل عليه الناس يعودونه فقال له رجل من القوم. مسح الله ما بك. فقال له النضر بن شميل لا تقل مسح وقل مصح الله ما بك الم تسمع قول الاعشى في قصيدته الحائية :

واذا الخمرة فيها ازبدت أفل الازباد فيها فمصح

قال الرجل لا بأس السين قد تعاقب الصاد فتقوم مقامها. فقال النضر فينبغي ان يقول لمن كان اسمه سليمان يا صليمان. وتقول قال رصول الله. ثم قال النضر لا تكون الصاد مع السين الا في اربعة مواضع. اذا كانت مع الطاء والخاء والقاف والغين. تقول في الطاء سطر وصطر وفي الخاء صخر وسخر وفي القاف صقب وسقب وفي الغين صدغ وسدغ . قال الشيخ ابو منصور رحمه الله فاذا عدمت هذه الاربعة الاحرف السين لم يجز ذلك. لا يجوز ان تقول خضر وخسر ولا قضب وقسب ولا طرس وطرص ولا غسل وغصل . لم يذكر الهروي في كتابه الغريبين الّا السين فقط وقال معناه غسلك وطهرك من الذنوب وهو الصحيح ويقوي ما قاله ان مصح لا يتعدى الّا بالهمزة او الباء. فكان يجب اذا كان بالصاد ان يقال مصح الله بما بك أو امصح الله ما بك . ويقولون الحلي وانما هو الحَلْيُ وجمعه الحُلِيّ كثدي وثديّ فاما الحليّ فهو يبيس النصيّ . ويقولون رجل اثط وانما هو ثط . قال الشاعر، هو ابو النجم العجلي، كلحية الشيخ اليماني الثط، صوابه كهامة الشيخ لانه يصف كعب جارية بالسمن والاملاس وأول الابيات :

علقتُ خَوْذًا من بنات الزُّطِّ ذات جهاز مضغط ماطِّ
رابي المجسِّ جيّد المخطِّ كأنما قُطَّ على مقطِّ
اذا بدا منه الذي يغطي كان تحت ثوبها المنعطِّ
شطار ميت فوقه بشطِّ لم ينز في البطن ولم ينحطِّ
فيه شفاء من اذى التمطي كهامة الشيخ اليماني الثطِّ

ويقولون ديار براقع للخيالة وانما البراقع جمع برقع وهو ما تجعله المرأة على

وجهها والصواب بلاقع . وفي الحديث اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع . قال رؤبة : فاصبحت ديارهم بلاقعا ويقولون للجوالق الصغير كزكه وانما هو الكرز ومنه المثل يا ربَّ شدٍّ في الكرز .يا رب شدٍّ في الكرز يضرب مثلًا للامر الخفيّ يعلم منه خير واصله ان رجلًا نتج فرساً مُهرًا فأخذه وشدَّه في الكرز فلقيه رجل فقال هذا المثل . ويقولون التِفار وهو اليفار بالياء على وزن تِفعال. ويقولون القشيش بالقاف وهو الكشيش. قال الشاعر، هو ابو المُنطِش الحنفي ويقال ابو القَطَيش :

كأنَّ الثآليل في وجهها اذا سفرت بدد الكشش

ويقولون في اللغة العبرانية العمرانية وانما يقال بالباء .قال الشاعر، هو الشماخ :

كما اختطَّ عبرانيـة بيمينه بتيماء حَبرٌ ثمَّ عرَّض اسطرا

والعبرانيّة معدولة عن السريانية . ويقولون للامر الفظيع هذه رِدّة والصواب هذه إدّةٌ اي داهية . ويقولون للجاسوس ذو الأُذينتين وانما يجب ان يقال ذو العينتين ويقولون الشاة تشترّ والصواب تجترّ واسم ما تدفعه من كرشها الى فيها الجِرّة وفي المثل مـا اختلفت الدِرّة والجِرّة واختلافهما ان الدرّة تسفل والجرّة تعلو . ويقولون حيُّ الشاة والكلام حياؤها ممدود . ويقولون في موضع وَيْ التي يكنى بها عن الويل واشتّ وهو خلف من الكلام ومثله من كلامهم المحال الغثّ قولهم جئت في القاك يريدون حتى القاك وجيَه يريدون جيء به . وقولهم مدريك يريدون ما يدريك وقولهم المِسد يريدون المسجد وقولهم الايذ في اليد . وقولهم ضربه بالعُصى يريدون العِصِيّ وقولهم في موضع ايضاً هَمْ وفي موضع حَسْبَ بسْ وغير ذلك من الكلام الظاهر الفساد الذي يُرغب عن ذكره . وتقول هي تستد بالتاء. واذربجـان وهي الشأم بوزن رأس مهموز والبراستق والجلنار والفَرْوند للبرَنْند وهي الفاختة واشتقاقها من الفخت. وهو ظل القمر وهو الوَعِل والنير والاعرابي ولا تقل العرابي . وهي المِنطَقة ولا تقل المنتقة وتقول ايش. فعلت بالتنوين واصله ايّ شي. فعلت. ومما يكسر والعامّة تفتحه أو تضمه. هو الشِطْرَنج بكسر الشين على وزن فِعلّل كجردحل. المعروف عند اهل اللغة الشَطْرنج بفتح الشين يقولون هي لعبـة الشطْرنج ولا.

يجب ما قاله من كسر الشين لتكون على امثلة كلام العرب وانما كان يجب ما قاله لو كانت العرب تصرف كل ما عرّبته من الفاظ العجم الى امثلتها. فاما اذا وجدنا في كلامهم اسماء كثيرة مما عربوه مخالفة لاوزان كلامهم فلا وجه لما ذكره وذلك نحو الآجرّ والفِرِند والجُرْبُز ونحو ابراهيم واسمعيل وبهرام وشقراق . وقال سيبويه في المعرّب من كلام العجم ربما الحقته العرب بابنية كلامهم وربما لم يلحقوه بابنيتهم. وليس في كلام العرب شيء على فَعْلَل بفتح الفاء. وهو المِرِّيخ للنجم بكسر الميم ولا يفتح والتِّنِّين بكسر اوله والخِنْزير كذلك والجِراحات بالكسر وكذلك الشِفار الذي نهي عنه والوتِد بكسر التاء . وهي القِنِّينة بكسر القاف . وتقول سألتك بالله الا فعلت . وهي السِّنُّون بكسر السين. وفلان تِلميذ فلان . وهي الغِرارة والبِلَّوْرة بكسر الباء وفتح اللام وهو المِرْبد بكسر الميم وفتح الباء . وهي الشِقوة وجِرم الشمس ومِسلِخ الحيّة . وهي الوِقاية بكسر الواو : وهي الشِحْنة بكسر الشين ولا تفتح وهو اسم للرابطة من الخيل في البلد لضبط اهله من اولياء السلطان وليس باسم للامير او القائد كما تذهب اليه العامة والنسبة اليه شِحْني وشحنية ولا تقل سحنكية ولا شحنية وهذه الكلمة عربيّة صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخيل اذا ملأته بها. والفُلك المشحون اي المملوء . وهي السِقاية والبِرطيل للرشوة بكسر الباء وكذلك كل ما كان على فِعليل نحو زِحليل وهو اثار تزَحّج الصِّبيان وشِمليل وهم اخوة زيد بكسر الهمزة وهي المِصيصة بكسر الميم وهو الزِرنيخ بكسر الزاي وشِراع السفينة . وهم في خِصب وهو المِأصر بكسر الصاد وفتحها خطأ ومعنى المأصر في اللغة الموضع الحابس من قولهم أصرت فلاناً على الشيء آصِره أصراً اذا حبسته عليه وعطفته. ذكر الجوهري انها المَصيصة بفتح الميم وتخفيف الصاد وهو اسم موضع بالشام فيكون النسب اليه على هذا مَصيصي .

وما يُفتح والعامة تكسره هو الرَّيحان والامير والاكار وبَيعم النجار وهو الخلخال وهي السّمة والضَيعة . وهو الدَّيْزَج بفتح الدال والعَناق بالفتح فاما العِناق فمصدر عانق وهو الوَداع والصَّولج وهو الحِمَّص وقد تكسر وهو الكثير والكبير بالفتح ولا يكسر انما يكسر اول فعيل اذا كان ثانيه حرفاً من حروف الحلق نحو شعير ورغيف وبهيمة وسعيد وما اشبه ذلك وهو القَيْرَوان

بفتح القاف. قال ابن دريد القَيروان للجيش بفتح الواو. والقيرُوان للقافلة بضمّها وقال ابن خالويه القيروان العُباد والجيش والقافلة وانشد للجعديّ :

وغادية سومَ الجَراد شهدتها   لها قَيرَوان خلفها متنكب

وهو السّكران والجَناح والنَضارة والنَجدة وفي عين فلان حَوَرٌ وهي الابار وهو الاحاق وكِرمان وهو الخَشخاش هذا الحبّ المعروف بالفتح وهو عربيّ صحيح وهو الجبن وهي القَصعة وتقول للمرأة تعاليْ بفتح اللام وفلان يشتهي كذا بفتح التا. وهي المنارة بفتح الميم وهذا نادر لانه من الآلة ومثله في الشذوذ المنقَل الخُف بفتح الميم والمَنقبة حديدة يثقب بها البيطار وهي المكنَة بفتح النون ولا تكسر وهو كَسلان ولا تقل كِسلان وهي الشجر بفتح الشين ولا تكسر وهي تَكريت وهو السّبي ولا تقل السِّبي وهي الأَباة والاربَعون بفتح البا. ولا تكسر والمَجلس بفتح الميم وليس في الكلام مِفعِل إلّا منخِر ومنتِن ومغيرة والشَن القربة الخَلَق اليابسة وكل وعاء أخلق من أدَم وجفّ فهوشَنّ بالفتح ولا تقل شِنّ فليس بشي.. ومما جاء مفتوحاً والعامة تضمّه هو الكَولان والمَصطكا بفتح الميم. الكَولان نبت وهو البرديّ وقال ابن ولاد المصطكاً بالمدّ فيما حكاه الفراء . قال عليّ بن حمزة هذا اغلط منه ومن الفراء والوجه المُصطَكى بضمّ الميم والقصر وانشد للاغلب : تقذف عيناه بمثل المُصطكى . وهي سَروج بفتح السين ولا تضمّ وقتله صَبرًا . وهو السَفرجل بفتح السين ولا يضمّ وهي الزَرافة بفتح الزاي لهذه الدابة التي جمعت فيهـا خِلَق شتى مأخوذة من قولهم للجمع من الناس زَرافة وهو الوَجه بفتح الواو والعامّة تضمّها وهو الجَوزاب . وتقول هو مَرميّ ومَطويّ ومَقصيّ ومَسبيّ وكذلك كل ما اشبهه بفتح الميم وضمّها خطأ . واذا نسبت الى حيّ من الانصار يقـال لهم بنو الحُبلى قلت حُبَليّ بفتح البا. ولا تقل حُبليّ وفلان التَيمليّ بفتح الميم اذا نسبته الى تيم اللات كما تقول عبدريّ في النسب الى عبد الدار وعبشميّ في النسب الى عبد شمس . وهو النَقوع والبَخور والزَعفران بفتح الفا. ولا تضم وهو التَور للخادم والعامة تقول تُور بالضمّ وهو خطأ والزَوش العبد اللئيم والعامة تقول زُوش . وهي سَوداء لهذه القرية بفتح السين وهي الجَنوب للريح بفتح الجيم ولا تقل الجُنوب

انما الجُنُوب جمع جُنُب وهو السَموم ولا تقل السُموم الّا في جمع سُمّ وهو ابو دُلَف على مثال عمَر ولا تقل دُلَف وهي المَزُون اسم عمان وفلان مَزونيّ ولا تقل المُزُون. ذكر الجوهري انه المُزُون بضم الميم وذكر في آخر الفصل عن بعضهم انهم كانوا ملاحين في زمن كسرى. وهذه يهود ومجوس بفتح اولها ولا تضمّ وهو البَورق لهذا الذي يلقى في العجين ولا تقل بُورق بضمها لانه ليس في الكلام فوعل بضمّ الفا. وكل ما جا. على فَوعل فهو مفتوح الفا. نحو جَورب ورَوشن وكَوسج ورَوزن وما اشبه ذلك. وممّا جا. مضموماً والعامّــة تفتحه أو تكسره

هو المُشان بضم الميم. المُشان رطب الى السواد دقيق وفي المثل: بعلّة الوَرَشان تأكل رُطَب المُشان. وحُواق القوم بالضمّ ولا تفتح ومُعاوية بضمّ الميم ولا يفتح وهو البُهار بالضمّ. قال الشاعر، هو البُريمة الهذلي، كعير الشام يحملن البُهارا. البيت بكماله:

بمرتجز كأنّ على ذُراه — ركاب الشام يحملن البُهارا .

وهو المُطبق بضم الميم للحبس لانه أُطبق على مَن فيــه ولون من الصبغ أسودُ يقال له حُماحم بالضمّ والنسبة اليه حُماحمي بالضمّ ولا تقل حَماحمي — وتقول قرأت السبع الطُوَال ولا تقل الطِوال انما الطِوَل الحبل . قال الشاعر:

سكته بعدما طالت نَامتُه بسُورة الطور لمّا فاتني الطُوَل

وهو كُلثوم بضم الكاف والمُصران بضمّ الميم ولا يُكسر وهو جمع مصير وليس براحد كما تذهب اليه العامّة وهو الجُوَالِق بضم الجيم ولا تفتح في الواحد انما يفتح في الجمع ومثله حُلاحِل وقُلاقِل وقَلاقِل والكُمنة بالضم وهو ورم في الاجفان وغلَظ وقيل قَرَع في المآقي رتين جَرَب وحُمرة تبقى في العين من رَمَد يُسا. علاجه وهي الأُسطُوانة بضم الهمزة والطا. ولا تكسران ووزنها أُفعُوالة وكان الاخفش يقول هي فُعلُوانة وقيل أُفعُلانة وتقول اصابه ذُبَاح وهو تحزّز وتشقق بين اصابع الصبيان من التراب بالضم ولا يفتح. وممّا يشدّد والعوام تخففه

يقولون مئة ونَيف وانما هو ونَيّف بالتشديد ولا يجوز تخفيفه كما يخفف مَيْت لامرين احدهما انه قلّ استعماله والآخر ان هذا لا يقاس. وهي المَرَقّية بفتح الميم وتشديد القاف لانها منسوبة الى المرقّ احد مراقّ البطن ولا تقل مراقية. وهو الثِّبتّ بتشديد التاء ولا يجوز تخفيفها . وهو الجــاز لضرب من الحيّات

وانصكية بتشديد الياء . والخطمي بالتشديد والدوابّ بتشديد الباء . ولا تخفّف وكذلك دوّيبة وهو هوامّ الارض بتشديد الميم ، الواحدة هامّة وسمّيت بذلك من الهميم وهو الدبيب . والسلّاق عيد النصارى بتشديد اللام ولا تقل السُلاق.
ومما يخفّف والعامّة تشدّده هو الهُن بالتخفيف ولا يشدّد . وهي مَلطية وسَلَمية وقسطنطينية بتخفيف الياء فيهنّ . وهي الدية بتخفيف الياء . والخُرفات بتخفيف الراء . وهي المحارة بتخفيف الحاء . ولا يشدّد وقُرَيات بتخفيف اليـاء . وهو ابو نُواس بضمّ النون وتخفيف الواو ولا تقل نُوّاس وذو نواس ايضاً مالك من ملوك حِميَر وهو الحِرُ بالتخفيف واصله حِرحٌ وجمعه احراح. قال الفرزدق :

اني اقود جمـلًا ممراحا ذا قبّـة مملوءة أحراحا

وهي قُوَارة القميص بضمّ القاف والتخفيف ولا تقل قوّارة وكذلك قياس كلّ ما كان فضالة كالقُصاصة والقُراضة والنُحاتة . وتقول هذه عُقدة مسترخية وفلان مجدور وقد جُدر بالتخفيف ولا يقال جُدّر بالتشديد وهو مُجدّر هذا اجماع منهم وهي المئة ولا تقل مِيّة والرئة ولا تقل ريّة وفراشة القفل ولا تقل فرّاشة يقال لكل رقيق من عظم أو حديد فراشة ومنه فراش الرأس عظـام رقاق الواحدة فراشة . قال النابغة : ويتبعها منها فراش الحواجب . صدره :

يطير فُضاضاً بينها كل قونس

والفراشة ايضاً الماء القليل . وهي السُلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء . الواحد سُلامى ولا تقل السُلاميّات . وهو القُلاع من ادواء الفم بالتخفيف ولا يشدّد وعلى هذا البناء جميع الادواء كالصُداع والسُعـال والزُكام .
ومما جاء ساكناً والعامّة تحرّكه هي البَكْرة التي يستقى عليهـا بالاسكان وهو الأثْل بسكون الثاء . وهي الحَدْبة وهو الإبط والثَلْي والمُرْي . قال الجوهري هو المُرّيّ منسوب الى المرارة وانشد : وعندها المُرّيّ والكامَخُ وهو عامرُ الشعبي . ومما جاء محرّكاً والعامـة تسكّنه هي النَعَرة لواحدة النُعَر وهو الذباب الذي يدخل في انف الحمار ولا تقل نعْرة . وتقول قد ردّها جَذَعة بالفتح ولا تقل جَذْعة ومعناه انه ردّها الى اوّل ما ابتدئ بها . وهي الضَبُع ولا تقل الضَبْع انما الضَبْع العَضُد وهم نخبة القوم وكلب بن وَبَرة. ومما تصحّف

فيه العوام يقولون للرجل اذا نسبوه الى الجهل والبلادة عليه لحية التيتل بتائين انما هو الثيتل بثاء وتاء وهو الوعل ويقولون عند الوجع اخّ بالخاء المعجمة وكلام العرب أحّ بالحاء وليس الخاء من كلام العرب وانما هي لغة العجم ولمأ اشتدّ امر شبيب على الحجاج وحصره في القصر أمر غلاماً شجاعاً فلبس ثياب الحجاج وسلاحه وركب فرسه وصاح في الجند فجمعهم وخرج. فقال الناس: قد خرج الحجاج فاقبل شبيب ثم قال ابن الحجاج فأومأوا اليه فحمل حتى خلص اليه فضرب بالعمود فلما احسّ بوقعه قال اخ بالخاء. فانصرف شبيب وقال قبحك الله يا ابن امّ الحجاج اتقي الموت بالعبيد وقتل العبد . ويقولون فلان مُتشتّع بالشين وهو خطأ وانما هو مُتَسَتّع بالسين غير معجمة من قولهم خطيب مِسْتع تبجّحه وكثرة كلامه وتقول قد تفل عليه يتفُل بالتاء. ولا تقل ثفل ويقولون لقوس السحاب قوس قدّح وهو تصحيف قبيح والصواب قوس قُزَح واختلف العلماء في تفسيره فرُوي عن ابن عباس انه قال لا تقولوا قوس قُزَح فان قُزَح اسم شيطان ولكن قولوا قوسُ الله وقيل القُزَح الطرائق التي فيها الواحدة قُزحة فمن جعله اسم شيطان لم يصرفه لانه كعُمَر ومن قال هو جمع قُزْحة وهي خطوط من صفرة وحمرة وخضرة صرف ويقال قزح اسم ملك موكّل به وقيل قزح اسم جبل بالمزدلفة رُؤي عليه فنُسب اليه . قال السكري كان يظهر من وراء الجبل فيرى نصفه كأنه قوس فسمّوه قوس قزح. وهو الجنين للطفل ما دام في بطن امه ولا تقل الجنيّ . وتقول لعب الصبيان جدبدبى وهي لعبة لهم والعامة تجعل مكان الباء الاولى نوناً ومكان الثانية لاماً وهو خطأ .قال الراجز ، هو لسالم بن دارة يهجوا بن نافع الفزاريّ :

جدبدبى جدبدبى يا صبيان ان بني فزارة بن ذُبيان
قد طرقت ناقتهم بانسان مشيأ اعجب بخلق الرحمان

..ومما جاء بالسين وهم يقولونه بالشين هو سجار التنور وقد سجرته بالسين ولا يقال بالشين وهو السلجم بالسين ولا تقل شلجم ولا ثلجم وفي المثل تسألني برامتين سلجماً وبعده :

لو أنها تسأل شيئاً أمّما جاء به الكريّ او تجشّما

قال ابو حنيفة السلجم معرب واصله بالشين والعرب لا تتكلم به الّا

بالسين غير المعجمة. وهي السجيّة بالسين وتقول لاصحاب المتاع الاسيام بالسين والعامة تقول الاشيام بالشين وتقول هو الكُردوس والجمع كراديس بالسين المهملة لا غير والعامة تقوله بالشين وهو خطأ والكراديس رؤوس العظام وقيل كل عظم تام ضخم كردوس وفي صفة النبيّ انه كان ضخم الكراديس. وتقول للحبل مرس بالسين وفتح الراء. ولا تقل مَرش انما المَرش كالخَدْش . ومما جاء بالذال وهم يقولونه بالدال هو الجُرَذ بالذال المعجم ولا يقال الجرد والذقن بفتح الذال والقاف ولا يقال دِقن كما تقول العامة والناجذ اقصى الاضراس يقال فلان منجّذ اذا احكم الامور ولا يقال بالدال . والاذاذ لضرب من التبر بالذال ولا يقال بالدال والزُمرُّذ والشِرْذِمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء بالذال ولا تقل شِرْدِمة ولا تقل شِردَة فانه خطأ وبين الرجلين ذَحل اي حقد وعداوة بالذال والعامة تقول دَحل بالدال وهو الطبرزذ بالذال ولا يقال بالدال . ومما جاء بالدال وهو يقولونه بالذال . هم الدُعّار للخبثاء المتلصصين بالدال مأخوذ من العود الدَعِر وهو الذي يؤذي بكثرة دُخانه. قال ابن مقبل :

باتت خواجل ليلى يلتمسنَ لها جزل الجذا غير خوّار ولا دَعِرِ

فان ذهب بهم الى معنى الفزع جاز ان يقال بالذال. وتقول كذب العادلون بالله بالدال اي المشركون الذين يعدلون بالله تعالى غيره ولا تقل العاذلون. يقال عدل الكافر بالله عدولًا. قال الله عزّ وجلّ: وهم بربهم يعدلون . وهو جُرذان الفرس لقضيبه بالدال ولا تقل جُرذان. ومما جاء ممدودًا والعامة تقصره كداء وجراء جبلان بمكة ممدودان والقباء ممدود وهو عربي صحيح وسمّي قباء لاجتماع اطرافه وكل شيء جمعته باصابعك فقد قبرته قبوًا والملحاء من البعير ما تحت سنامه بالمدّ وايلياء بيت المقدس ولا تقل ايليا. قال الفرزدق: وبيت باعلى ايلياء مشرّف. صدره: وبيتان بيت الله نحن ولاته. واللوبياء بالمد والصِحناء والصحناة ممدودان وبزر قُطُوناء بالمدّ وقد تقصر والصَبغاء للقضيب الشآمي مفتوح الصاد والنشا. والكرَوْيا. كَرَوِياء كان يجب على قياس نظائرهما ان يقال كَرِيّا لان الواو والياء اذا اجتمعتا وسبق الاول منها بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وقد شذّ من هذا ضَيْوَن وحَيْوَة وحَيْوَان وعوية ولم يذكروا فيها كَرَوِيا.

والمشهور فيها عند اهل اللغة كَرويا. مثل تَيمياء وكَرويا بالقصر مثل زكريا. وعاشورا ولم يجئ على فاعولاء في كلام العرب الا عاشوراء والضاروراء والساروراء والسرّاء والدالولاء الدالة وخابوراء موضـع وهي القرياء وكربلاء وسُلاّ النخل شوكه، الواحدة سُلاّة، كل ذلك ممدود وهي الصحراء ولا تقل الصحراة بالهاء. وقرقيسياء، هي مدينة بالجزيرة، وسيراء موضع والرهاء مدينة. ومن الافعال التي غيرت العامة ماضيها ومستقبلها . فَعَلْتُ : عقَل الغلام يعقِل ورجَع الشيء يرجِع وجَهَد الرجل يجهَد ودرى اي علِم يدري وفرق بـين المشتبهين يفرق ورجف الشيء يرجُف وشخص البصر يشخَص وقبض الشيء يقبِضه وبهرني الامر يبهرني فهو باهر اذا غلبك وسحت اسبح وسقَل الشيء يسقِل ونزع الميت ينزِع وعناني الشيء يعنيني وسَلِمَ يسلَم ولا تقل سَلِمَ انما يقال سُلِمَ الرجل بمعنى لُدِغَ وقد ردمت الباب والشيء اذا سددته فهو مردوم ولا تقل مُردَم ولا اردمته. وسبَق الفرس يسبِق وبـذَل الشيء يبذُله ولهث يلهث وشهَق يَشهَقُ وغربت الشمس تغرُبُ ومرن على العمل يمرُنُ وخلَص الشيء يخلُصُ وسهوتُ عن كذا ولا تقل سهيت وقرض الفار يقرض. قال ابن دريد وليس في الكلام يقرُض البتة ونحل جسمه ينحَل وما شعرت بكذا. هوى الشيء يهوي وعرض يعرِض وضبط الشيء يضبطـه . ومن فعُل تقول صلُب الشيء وضعُف وسهُل وقرُب وحسُنَ وقبُحَ وعتُق وكثُر ورخُص السعر وحمُض الخل وظرُف الرجل كل هذا الباب تخطي فيه العامة فتتكلم به على ما لم يسمَّ فاعله ولا تكاد تلفظ به ويقولون ايضاً في ضَرِس ضُرِس وفي رَبِع رُبع وفي بَين بين . ومما جاء على أفعل تقول أروحت الجيفة ولا تقل راحت وقد أعوزني الشيء ولا تقل عازني وأشفقت من كذا ولا تقل شفقت واباد الله الشيء ولا تقل باده واخزاه الله يخزيه ولا تقل خزاه الا بمعنى ساسهُ وقد احسنت الشيء ولا تقل حسنة وقد أريته كذا أريه ولا تقل أوريته وأمسكت الشيء ولا تقل مسكته . واصحّ الله بذلك ولا تقل صحّ الله وأثبتُ الشيء فهو مُثبَت ولا تقل مثبوت . وأفسدته فهو مُفسَد وانقعته فهو مُنقَع واصلحته فهو مُصلَح . وقد اردت ذاك ولا تقل ردته . وقد افاق من علته . فهذا ما تيسر اثباته من مغفل خطئهم .

واتفق الفراغ يوم الثلثاء في العشر الاوسط من شوّال سنة ٥٨٧ من نسخه.

كتاب المعجم في تحليل أعلام الاماكن

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

هو من وضع المغفور له سيدي الوالد الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق ، والمعجم هذا مرتب على الأبجدية ومن توطئة خطها المؤلف سنة ١٩٠٢ في شهر آب قوله : « ولعت منذ شبابي بعلم الاشتقاق وتحليل اسماء الأشخاص والأماكن لمعرفة أسباب التسمية وما كان يستلفت انظار الذين يطلقون الاسماء بحسب قرائن الاحوال وما يتجلى لهم من المظاهر والشؤون المناسبة للمسميات فلهذا ألممت قليلاً بالسريانية والعبرية والقبطية والحبشية والكلدانية والتركية والفارسية ونحوهما وبلغات الافرنج كاللاتينية واليونانية والانكليزية والافرنسية والايطالية ونحوها واقتنيت لها معجمات قواميس لتساعدني على المعاني المرادة ودرست علم العاديات ونحوها مما يتعلق بالعبادات القديمة (الميثولوجية) وراجعت المعالم (دوائر المعارف) والتواريخ وما اكتشف من الآثار الى غير ذلك مع مراجعة الجغرافيات والرحلات وصححت بعضها مما سبق اليه الوهم وأخذ على مظاهره دون تعمق في البحث ومراجعات الى أشباه ذلك من المؤثرات على التاريخ وشؤونه فجمعت هذا الكتاب في تحليل الأماكن كما جمعت كتاباً آخر في تحليل اسماء الاشخاص وهو معجم ورتبت ذلك على الهجائية تسهيلاً للمراجعة فلعله ينفع مطالعيه وعساهم يسترون خطاءي والحمد لله على كل حال » .

وبهذا دلالة على المعجم وفائدته العلمية والثقافية وطول أناة مؤلفه وتحقيقه وتدقيقه .

رياض معلوف — زحله

حرف الالف

آبل كاميم — قرية في شرق الأردن بمعنى — روضة الكروم .
آبل شطيم — روضة السنطا أي الأقاقيه — آبل محولة روضة الرقص —

آبل مصرايم مناحة المصريين .
آبل ليسانياس وهي سوق وادي بردى .
آت ميدان — ميدان الخيل بالإستانة .
آستانه (تركية) بمعنى العتبة .
آق سراي — (وفي ابن خلدون وابن بطوطــة) اقصراي بمعنى القصر الأبيض مدينة في بلاد الروم .
آق شهر — معناها المدينة البيضاء اشتهرت بالورد الأبيض وهي في بلاد الروم .
آمد — ديار بكر يسميها الأتراك — آميده — وقره آمد أي آمد السوداء لسواد حجارتها .
آون — عبرانية بمعنى العدم أو البطل ولعلها (أوْن) بمصر سماهــا اليونان هليو بوليس أي مدينة الشمس وبقعة — آون — السهول بين اللبنانيين أي بعلبك والبقاع .
آياس — فرضة في بر الأناضول اشتهرت بانتصار الاسكندر على داريوس الفارسي سنة ٣٣٣ فسميت نيكو بوليس أي مدينة النصر واسمهــا القديم — آسوى — واياتسو واسمها الآن — آياس .
ادرنه — الأناضول — نسبت الى ادريانوس الروماني واسمها (ادريانو بوليس) باليونانية .
آيدين — مدينة في آسية الصغرى وهي ولاية مركزها ازمير آيدين تركية بمعنى (ضياء القمر) وهي ايضاً اسم — اكوزول حصــار — أي الحصن الظريف .
إبتانوميذه — اسم يونانية بمعنى المقاطعات السبع التي كان يطلق قديماً على مصر الوسطى وهي سبع مقاطعات بين الصعيد والبحيرة .
ارخبيل — مجموع جزر معناها (راس البحر) ويقال ارشبيل وخرطبيل يونانيــة مركبة من (أرخي) بمعنى معظم (وبيلغوس) بمعنى بحر ويسمى بحر جزائر الروم وبحر سفيد . واسم التركي (آق دكز) أي البحر الأبيض . ويسمى بحر ايجيوس .

استنبول — أو — اسطنبول = منحوتة من كلمات يونانية هي (إس) و (تِنْ) و (بُولِين) أي إلى المدينة . وتسمى (اسطرومبول) أي مدينة الاسلام أو هي تحريف هذا الاسم المذكور ومن اسمائها دار السعادة ودار السلام (البيزنطية) وتسمى (بالقسطنطينية) نسبةً الى قسطنطين الملك .

حاشية : للبحث صلة وهذا بعض ما جاء في حرف — الالف — من هذا المعجم العام في تعليل أعلام الاماكن .

الشعر الصيني

لرياض معلوف – زحلة لبنان

منذ الزمن البعيد والشعر في الصين له منزلته أي في عهد (تشيو) في القرن الثاني عشر قبل عصرنا. ولم يبق من هذه الحضارة التي تعود الى الجيل الثامن والعشرين قبل الميلاد سوى بعض خرافات وأسماء، ومما يتضح لنا ان مناخ البلاد وخطة بناء آثارها لم تترك دلائل حساسة كما هي الحال في مصر وبلاد الكلدان.

وأول كتاب الصين هو (كنفوشيوس) و (لوتزه) فالاول والثاني عاشا في الجيل السادس قبل الميلاد. (فكنفوشيوس) لم يكن شاعراً فيلسوفاً وله كتاب (طريق الخلال الحميدة) وهو مؤلف شعري فيه تأملات وابتهالات تتصل بالحقائق الروحية عن طريق النغم والصورة الشعريين وهذا النموذج حي من هذا الشعر المفوق بسحر الشرق:

الطريق التي نسلكها
ليست الطريق الابدية!
والإسم الذي نسمي به
ليس الإسم الخالد . .
والغير مسمى هو سبب وجود السماء والأرض!
والمسمى هو أب كل البشر
اذن هذا هو الخالد دون رغبته، والمكتشف الروح!
والرغبة الأبدية التي تكتشف الحدود
وهاتان المعرفتان هما بمعنى واحد
وإن اختلف اسمها
وهذه وتلك تسميان السر – سر السر . . .
باب كل روح!

. وله ايضاً هذه القصيدة العميقة المغزى بعنوان : العلم الأسمى .

دون ان أمرّ بالباب أعرف العالم
ودون ان افتح الشباك استكشف طريق السما. !
والذاهب كلما ابتعد كلما عجز عن الفهم !
هكذا العاقل يتقدم دون أن يمشي
ودون أن يرى يعرف الاسماء .
ودون ان يهتم ينجح !

وكنفوشيوس رغم انه لم يكن شاعرًا فانه كان مولعاً بالعزف على القيثار وبالغناء مع تلامذته وتبّاعه حيث قال عنه أحد هؤلاء انـه كان يهوى الشعر وله مؤلف مشهور (شوكنغ) أو كتـاب الأشعار . ونظم بعض شعره في امتداح أباطرة الصين وأنشده في قصورهم :

ويزعم كنفوشيوس وتلاميذه ان ملكاً قديماً قبل عهد الإهانة التي ألحقها القيصر بفارس اسمه (ليبريوس) الذي أجبره على الرقص له .

وهذه الأبيات التالية بعنوان الراقص مصداقة لما تقول :

انني سأرقص وأرقص
غير مبالٍ ... الآن في منتصف النهار
انني اقفز وانطلق !
قامتي عالية منتصبة !
وفي قصر الملك أنا أرقص ...
أنا قوي مثل النمر
أطوي الجلد ... مثل قطعة النسيج
ويدي اليسرى تحمل الشبّابة
والثانية ريشة الديك !

وعلى ما يظهر ان الشعر الصيني وزنه كالوزن الشعري الفرنجي على التقطيع نفسه وبعضه على الايقاع ما بين مقطعين على طريقة المزامير بعد ذلك تتكمل

القصيدة بالنثر الشعري الحر المطلق ويسمى — المجنون -- لانه على السجية الإيقاعية وعلى هوى الإلهام !

وشاهدنا على ذلك الشاعر (كويوهيون) الذي عاش في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد وكان وزيراً عند الأمير وأسر في ناحية نائية من الصين حيث قضى وقته في جمع بعض الاعتقادات وتعاطى كذلك السحر والشعوذة ثم يئس من الحياة ورمى بنفسه في النهر وحتى الآن يعيّدون في الصين لهذا الانتحار الغريب في اليوم الخامس من الشهر الخامس من كل سنة. وهذه هي قصيدته البديعة — جنيّة الجبل

من الذي أراه في قلب الجبل
حيث يتيه النظر وترتسم البسمة !
هل تتطلب انت المزلة التلقائي معك .
أجرُّ أمامي الحيوانات المفترسة
المرتبطة بها عربتي المصنوعة من أغصان الزيزفون والورد
وأضع عصبةً وغطاء لرأسي من الزهر
وأقتطع غصناً معطرًا لأفكاري !
ومسكني غابة القصب التي تحجب عني السماء !
الطريق صعبة أسير فيها وحيدة . . .
فتظللني الغيوم . . .

وينتهي هكذا بقوله :

الهواء يدور ويعصف
والأشجار تصفر
انني أفكر بك وحيدةً في حزني !

وفي معهد (طانغ) في العصر الثامن والتاسع كان الملوك يرعون الآداب والفنون وخاصةً الشعر . وكذلك في عهد الامبراطور (منغ) الذي سمي قديماً بعد مماته تحت اسم (هيون تسنغ) أو الجدّ الساحر وكان هو ايضاً شاعراً وعطف

على زمرةٍ من الشعراء. أدخلهم في حاشيــة قصره مثل : (ليوتنغ تشو) و (ليتباه) وهو أشهرهم جميعــاً و (ونغ واي) الذي كان معروفاً ايضاً و (تشنغ كيان ودتوفو) و (منغ هوجن) ومن قول هذا الاخير وفيه السحر الكلامي :

سعادة الأرواح السماوية تشغل تفكيري
وصوت الارغن محفور على قلبي !

ومما شك فيه ان الشعر الصيني تأثر إلى حدٍ بعيــد بالآداب الانكليزية والأميركية وابتدأت الآن في عصرنا هذا نهضة شعرية وثابتة ودليلنا على ذلك بعض مقاطع للشاعرة (سيه بنغ سن) في الأمومة :

— في السماء وفي قلبي تهب العاصفة !
وما لي مأوى إلا في قلبكِ ...

ومن لطيف قولها في الطفولة :

ايتها الطفولة !
يا حقيقة الحلم
وحلم الحقيقة !
ايتها الذكرى الممزوجة بالدموع والابتسامات !

ومما وصفت به الأوقيانوس واجادت :

أيها الأوقيانوس أأنتَ نجمة دون نور ..
أم وردة بلا رائحة ؟
في كل هنيهةٍ تصطدم أمواج أفكاري
بصدى أمواجكَ الجبّارة !

الى ما هنالك من قطع أخاذة تدعو الى عمق التفكير ويتضح لنا بذلك ان الشعر الصيني راقٍ وساحرٍ وفيه الكثير من الطلاسم الإيحائية والرموز والصور التي تُذهل وتدهش ! وعلى ما نرى ان الشعر انبعث الى العــالم كله من الشرقين الأدنى والأقصى وهكذا اعمَّ الخافقين .

الموسيقي الأعمى !

أناميل يشيع بها الضياء
وتلعبُ باللحون كما تشاء
كأنَّ بها من الحدقات عشراً
فكل يدٍ بها خمس سواء
وحطَّ بكل أنملةٍ هزار
يزقزق ثم يحجبه الفضاء !
فآنا كالربيع نمى هديراً
لطيفاً ثم يعقبه الشتاء ...
فتمتمة وهمهمة وهمسٌ
كما جمع الحبيبين اللقاء
وأعمى في تفننه بصيرٌ
يلحن مثلما توحي السماء !
شبيه الطير تفقأ مقلتاه
ليقضي العمر يشغله الغناء ...
ولا يدري بما في الأفق يجري
أطلَّ الصبح أو هبط المساء !

رياض معلوف

البطريرك مخايل فاضل ونسبه

بقلم المونسنيور يوسف زياده (✝)

لقد تضاربت الآراء بشأن البطريرك مخايل فاضل هل هو الخوري مخايل القرطباوي الذي حضر المجمع اللبناني كلاهوتي وذكره هذا المجمع في (ص٢٦) من الترجمة العربية هكذا :

« الخوري مخايل القرطبي » .

وذكره في (ص ٣٠) هكذا :

« مخايل من قرطبة تلميذ المدرسة المارونية وخوري بيروت » .

والذي وقع امضاءه في (ص ٥٥٨) هكذا :

« مخايل القرطبي تلميذ مدرسة الموارنة برومية سابقاً وخادم كنيسة بيروت ».

ام انه غير ذلك ؟

فذهب القس اغوسطين سالم الى ان البطريرك فاضل هو نفسه الخوري مخايل القرطباوي واجتهد في اثبات ذلك[1] .

ولما كان البعض يدعون العكس رأينا ، مع قصر الباع ، ان نبحث هذا الامر ليس لجلبة فخر ، وكسب اجر بل لمجرد جلاء حقيقة .

١ : ان الخوري لويس الهاشم صاحب تاريخ العاقورا اتى على ذكر الخوري مخايل القرطباوي خادم رعية بيروت بما نصه[2] :

« انحدرت عائلة السخن من حصيا الجرد الى قرطبا واستوطنتها واشادت كنيسة مار الياس ونمت نمواً كبيراً حتى بلغت الآن نصف البلدة عدداً وهي ذات فروع عديدة تنحدر من ثلاثة فروع كبيرة وهي بيت غصيبة وبيت عزيز وبيت سابا ثم من هذه الاسرة نشأ قديماً العلامة الخوري مخايل القرطباوي خوري بيروت » .

ولكنه لما تكلم عن البطريرك مخايل فاضل وضع عنواناً ضخماً :

« البطريرك ميخائيل فاضل البيروتي مولداً والعاقوري اصلاً » .

---

١) خواطر الجنان سنة ١٩٣٩ ص ١٤٦

٢) تاريخ العاقورا سنة ١٩٣٠ ص ٣٥٩

واكتفى بقوله :

«تأدب المترجم به في رومة العظمى وخرج منها خطيباً فقيهاً مدققاً وكان من طبعه سياسياً محنكاً وتضلع من الفقه الحنفي حتى اصبحت فتاويه دستوراً للقضاة ونظاماً للحكام فاتخذه البطريرك سمعان عواد كاتباً لاسراره وكان يوكل اليه كل امر هام ففي حزيران سنة ١٧٥٠ انتدبه فاحصاً رهبانية هندية بكركي »[1] .

غير انه لم يذكر تاريخ مولده ولا تاريخ ذهابه الى رومة ولا تاريخ رجوعه منها مما يدل على انه كبعض الكتبة يكتفي بالمسموع والمنقول ، او ان جل همه ان يجعله من الماقورا .

٢ : وكتب الاب ابراهيم حرفوش في مجلة المنارة ما يلي :

« ورد في مفكرة البطريرك بولس مسعد : «رجع غبريال فاضل من رومية في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ وفي ١٣ تموز سنة ١٧٤٠ رسمه كاهناً البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي ارسله الى عكا لاجل عمار الكنيسة ورسمه بردوطاً على كنيسة عكا المطران جبرايل عواد وفي ٢ ت ١ سنة ١٧٥٣ استدعاه البطريرك سمعان عواد الى بيروت فعمّر كنيسة بيروت مبتدئاً في ٢٥ حزيران سنة ١٧٥٤ وانتهى منها سنة ١٧٥٥ وتسلم دير حراش في اول ايلول سنة ١٧٥٨ لحد سنة ١٧٦٣ التي بها ارتسم مطراناً على بيروت ووكيلاً على الكرسي البطريركي من البطريرك طوبيا الخازن في كنيسة بيروت[2] » .

٣ : وقال المرحوم الخوري اسطفان بشعلاني :

« وُلد غبريال فاضل في بيروت حوالي سنة ١٧١٠ على الاصح وارسل الى رومة العظمى حيث تلقى العلوم والمعارف وعاد الى الشرق في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ وفي ٢١ تموز من هذه السنة رسمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن كاهناً وارسله الى عكا فانشأ في هذه المدينة كنيسة ومركزاً لائقاً بطائفته التي سعى بجمع شتاتها بعد التعب والجهد وقد رقاه المطران جبرايل عواد سنة ١٧٥٣ الى رتبة برديوط ، ولكن السلطة الكنسية اعادته الى بيروت حيث شرع بتجديد كنيستها المؤسسة على اسم القديس جرجس وذلك سنة ١٧٥٥ ثم اقيم رئيساً على دير حراش سنة ١٧٥٩ وفي ١١ حزيران سنة ١٧٦٣ رقاه البطريرك طوبيا الخازن الى المقام الاسقفي . . . واخيراً انتخب بطريركاً على الموارنة في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣ وترك به القضاء المحتوم في ١٧ ايار سنة ١٧٩٥ » .

١) ص ٢٢٨ ، وما يلي .
٢) المنارة سنة ١٩٣٦ ص ٢٥٨

وارجع القارئ الى مجلة المنارة التي استند اليها في هذه الرواية في سنتها[1] ص٢٥٨.

وبعد ان ذكر الخوري مخايل القرطباوي الذي ارسل الى رومة سنة ١٦٩١ ورجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ وصار كاهناً على رعية بيروت وحضر المجمع اللبناني، لا نعرف كيف توصل الى النتيجة التالية :

« مما يحق ان الخوري مخايل فاضل البيروتي العاقوري هو غير الخوري مخايل القرطباوي خادم بيروت . . . لكن القس غسطين لغاية في النفس خلط الاثنين معاً فغيّر وحرّف ووصل بينهما بسلسلة انسابه العربية المزعومة وخلق منهما شخصاً عجيباً بلغ من العمر اكثر من ١١٥ سنة وجعل يوسف اسكندر ومخايل فاضل ومخايل القرطباوي من بيت السخني اسرته[2] . . »

ونحن نجيب :

اولاً : اننا لنعجب من تحامل الخوري بشعلاني على القس غسطين لاننا لم نجد اثراً « للتغيير والتحريف » المنسوب اليه، فهل لان الخوري المذكور كان يكتب احياناً اجاز لنفسه اعتقاد من يكتب لاول مرة ببساطة واخلاص نية لظنه اياه عاجزاً عن الجواب !

اما القس غسطين فكان جل استناده في كلامه عن البطريرك فاضل الى الرسالة التي وجهها اليه القس مبارك صقر الانطوني وسنأتي على نشرها في آخر هذا الدرس .

ثانياً : ورد في الروايات السابقة عن مخايل فاضل ما لا اساس له كقوله الخوري لويس الماشم انه كان كاتب اسرار البطريرك سمعان عواد — فهو لم يكن حيناً كذلك، كما سيتبين من الوثائق، وان كان هذا البطريرك يعهد اليه بامور هامة كفحص الخلاف بين الرهبان وزيارة مؤسسة هندية زيارة قانونية — وورد فيها من التباين ما يدل على انها لا تستند الى مستند راهن : فالاب حرفوش يجعل رسامة فاضل كاهناً في ١٣ تموز سنة ١٧٤٠ والبشعلاني يجعلها في ٢١ تموز من تلك السنة كما يجعل استلامه دير حراش في سنة ١٧٥٩ بدلاً من سنة ١٧٥٨، على قول الاب حرفوش — فاين الحقيقة والى اي المصادر يستند الكاتبان ومن نصدق منهما ؟

1) تاريخ الامراء المارونية — المشرق — اذار نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١١
2) في المحل المذكور ص ٢١٢

ثالثاً : لم يذكر احد منها ولا الخوري لويس اغاشه اسم والد الخوري مخايل القرطباوي وجده تهرباً من الحقيقة لانهم لو ارادوا التقصي وقول الحق لوجدوا ان اسم ابيه هو موسى واسم جده هو فاضل فكتبوا كأن لا اب له ولا جد حتى يجعلوا الخوري مخايل فاضل غير الخوري مخايل القرطباوي الذي يرجع نسبه الى مالك الفيث فقدم الماقورا[1] .

رابعاً : لم يرسل الى رومة تلميذ باسم مخايل فاضل بل باسم مخايل القرطباوي .

فقد ذكر تاريخ تلامذة المدرسة المارونية في رومة :

في سنة ١٦٩١ وصلوا الى المدرسة خمس تلاميذ صحبة القس بطرس مبارك الغوسطاوي . . .

والخامس مخايل القرطباني وهذا من بعد ما خلص من الفلسفة واللاهوت رجع الى بلاده وبسبب انه كان رجلاً عالماً وعابداً كل ارفاقه كانوا راضين منه وشاكرين جداً .

(المنارة ١٩٣٦ ص ١٩)

. . . وفي سنة ١٦٩٤ ربانية جاء الى المدرسة واحد يسمى يوسف ابن جرجس الماروني وهذا من بعد ما خلص علم الفلسفة كان ناوياً ان يصير يسوعي مثل اخيه ولكن عادت تغيرت الاحوال ورجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ صحبة الشماس مخايل القرطباني الذي كان رفيقه في المدرسة .

(المنارة-١٩٣٦ ص ٢٠)

ولدى مراجعة اسماء تلامذة المدرسة المذكورة الذين ذكرهم البطريرك الدويهي في نبذة خاصة نشرها الاب لويس شيخو (في كتابه « الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية » سنة ١٩٢٣) واسماء التلامذة الذين ذكرهم المونسنيور نعمة الله عراد نقلاً عن المخطوط ١١٠ سرياني من مكتبة الفاتيكان حتى سنة ١٧٢٠ .

(المنارة سنة ١٩٣٥ و ١٩٣٦)

ومن ذكروا فيما بعد ، يتبين انه لا يوجد اسم « مخايل فاضل » بين تلامذة

---

١) تاريخ الماقورا ص ٢٢٨ ونبذة تاريخية للقس يوسف اسكندر القرطباوي نشرت في خواطر الجنان للقس غسطين سالم ١٩٣٩ ص ١٢٧ وما يلي .

رومة. فلا نعرف كيف جعل بعضهم هذا الاسم مستقلاً عن اسم الخوري مخايل القرطباني، الثابت ارسالة الى رومة ورجوعه منهـا وكان خوري رعية بيروت وحضر المجمع اللبناني، ولا كيف اخترعوا تاريخ رجوعه من رومة»دون تاريخ ارساله اليها، مع ان تلامذة رومة مذكورون باسمائهم فرداً فرداً مع تاريخ ارسالهم واحياناً مع تاريخ رجوعهم الى الوطن.

خامساً: ان الخوري بشملاني، كالاب حرفوش الذي استند اليه، لم يذكر تاريخ ارسال مخايل فاضل الى رومة لانه لم يرسل في التاريخ الذي يتفق مع تاريخ رجوعه المحدث او المفترض سنة ١٧٤٠ بل ارسل قبل ذلك سنة ١٦٩١. الا ان البشملاني قد اخذ عن الاب حرفوش ان مخايل فاضل رجع من رومة في ٢٤ حزيران سنة ١٧٤٠ ولكي يوفق لكلامه مع هذا التاريخ افترض له تاريخ ولادة فقال انه «ولد في بيروت حوالي سنة ١٧١٠ على الاصح». فما هو هذا الاصح واين هو تاريخ الولادة ومن ارسل فاضل الى رومة حتى رجع سنة ١٧٤٠؟، فكلامه ليس الا على التقدير والتخمين لان لا مستند له.

اما قول الاب حرفوش انه رجع من رومة سنة ١٧٤٠ بناء على مفكرة البطريرك مسعد فلا اساس له، ولا نظن ان البطريرك المذكور كتب ذلك ولا مستند لديه عليه بل اراد ان يكتب عن الخوري مخايل القرطباوي الثابت ارساله الى رومة ورجوعه منها، وقد حصل غلط في هذا التاريخ اما من البطريرك كاتب المفكرة (التي لم نعثر عليها بعد جدّ التفتيش) على عجل واما من ناقلها الاب حرفوش، لان الذي رجع من رومة هو الخوري مخايل (فاضل) القرطباوي في ١٤ حزيران سنة ١٧٠٤. وقد اخطأ الناسخ بوضع الصفر قبل ٤ فصارت سنة ١٧٠٤ سنة ١٧٤٠ وصار ١٤ حزيران ٢٤ حزيران، وذلك ثابت من جواب الاب حرفوش للقس غسطين عن سبب هذا الغلط فنسبه حرفوش الى البطريرك، والاصح انه من حرفوش، كما كان يحدث له احياناً لتسرع في الكتابة. ومن ذكر شهر حزيران عينه دليل على الغلط في السنة.

وهكذا قد انهار الاساس الذي بنى عليه البشملاني في نظريته في الموضوع. وسترى نص الجواب في آخر هذه المقالة.

اما سبب الغلط في ذكر رسامة فاضل سنة ١٧٤٠ فهو ان البطريرك يوسف

الخازن رقاه في تلك السنة الى رتبة برديوط وارسله الى عكا، كما سيجي. في رسالة القس مبارك حقر للقس غسطين سالم،فحصل الخلط بين تاريخ الشرقية الى البرديوطية وبين تاريخ الرسامة الكهنوتية .

فما تقدم يتضح انه لم يرسل الى رومة تلميذ باسم مخايل فاضل بل ان حامل هذا الاسم هو نفسه الخوري مخايل القرطباني، الذي كان يوقع امضاءه اولاً منسوباً الى بلدته قرطبا . ثم عاد ينسب ذاته الى جده فاضل،وهذا غير مستغرب اذ ترى ان اكثر التلامذة المرسلين الى مدرسة رومة كانوا ينسبون الى قريتهم دون ذكر نسبهم العائلي ، كعادة تلك الايام — او كان يوقع امضائه هكذا « الخوري مخايل خادم مار جرجس بيروت سنة ١٧٤٤ » بدون ذكر قريته او جده حتى بعد رسامته التي يذعون حصرها سنة ١٧٤٠ ، على ما سترى قريباً — فهل هذا مخايل ثالث مستقل عن الاثنين السابقين ؟ وكيف غفل المعترضون عن هذا الاستنتاج ؟

سادساً : ومما يزيد هذه النتيجة تأكيداً ما كان عليه الخوري مخايل فاضل من العلم والشهرة والدور الذي لعبه في احوال الطائفة :

١ : فلقد ذكرنا ما وصفه به الخوري لويس الهاشم .

٢ : وترى في تاريخ الرهبنة اللبنانية المارونية للاب لويس بليبل (المطبوع سنة ١٩٢٤) توقيع « الخوري مخايل خادم مار جرجس بيروت » على فتوى صادرة سنة ١٧٤٤ منه ومن بعض اساقفة ورؤساء رهبانيات الفرنج بخصوص خلاف الرهبان والبطريرك سمعان عواد (٢٠٢ ص ٤٦) .

وترى في ص ٥١ فتوى ، بخصوص خلاف الرهبان،من بعض الرهبان اللاتين، مذيلة هكذا :

« انا مخايل فاضل مرسل رسولي وقفت على اسباب ودعاوي الفريقين من الرهبان اللبنانيين من خصوص مجمعهم العام ورأيت كما احكم بالرب بان الحق لهم كما ذكر اعلاه » .

وفي ص ٧٤ جواب من « الحقير مخايل فاضل مرسل رسولي » الى الرئيس العام الاب يواكيم حاقلاني» الذي كان قد طلب ليستشيره في امر المجمع الرهباني المنوي عقده وبه يعتذر فاضل عن الحضور ويوصي الرئيس العام بان يعقد المجمع في حينه ويترجى البطريرك سمعان « بان يحضره باقنومه بموجب الحكم الرسولي

ومن ما شاء ، يحق لاحد الروساء دونه ان يدخل الى محكمكم او يتداخل بأموركم لانه ضد القوانين الرهبانية والفرائض الكنائسية » .

حرر في قرية حباع في ٢٦ ت ١ سنة ١٧٤٧

وفي ص ١٦٣–١٦٥ براءة رسولية تاريخها ٧ ايلول سنة ١٧٥٤ مترجمة عن الاصل بقلم الخوري مخايل فاضل المرسل .

وله ترجمات تحارير وبراءات أخر من الكرسي الرسولي (ص ٢٠٤–٢٢٢) وغير ذلك ...

ومن المهام المعتبرة التي اسندت اليه ما جاء في « الاصول التاريخية » :

« منذ بدأت ثورة المرسلين الاجانب على هندية والبطريرك سمعان عواد واحبار الطائفة المارونيه انتدب صاحب الغبطة الخوري مخايل فاضل الملفان في اللاهوت زائراً بطريركياً الى دير بكركي ليتفقد شؤون مؤسسته وراهباته ورهبانه ويرفع خلاصة زيارته الى البطريرك لينظر فيها » .

الاصول التاريخية للاب بولس مسعد والشيخ نسيب وهيبه الخازن ص ٣٧١ المجلد ١ الجزء ٦) .

وقد اتم الخوري مخايل مهمته بكل نشاط في حزيران سنة ١٧٥٠ وسطر رسالة مطولة في الموضوع تبتدئ هكذا :

« من الفقير والحقير اليه تعالى نفساً وجسماً مخايل فاضل بنعمة الله القس الانطاكي خادم اسرار سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح بغير استحقاق ورسول بيته المقدسة الرومانية الى جميع الرؤساء والآباء المكرمين » .

وفي آخر الرسالة تثبيتها من البطريرك سمعان باعلام جاء فيه :

لقد وقفنا على هذه الرسالة ولدنا العزيز وقاصدنا الخوري مخايل فاضل المكرم ... ولثبات ذلك اثبتناها بسلطاننا وسجلناها باسمنا وختمنا » .

تحريراً في غرة شهر اب سنة ١٧٥٠ وهي السنة السابعة لبطريركيتنا .

✝ ارحم يا فضل الافاضل عبدك مخايل فاضل

الخوري مخايل فاضل ملفان لاهوتي ومرسل رسولي وقاصد وفاحص من قبل السيد البطريرك الكلي الاحترام عفى عنه تعالى » .

(الاصول التاريخية ص ٣٦٠–٣٧٨)

وقال صاحب مختصر تاريخ لبنان :

« وقام بعد البطريرك يوسف اسطفان البطريرك مخايل فاضل من بيروت ولزود عليه نكن بكوكب الشرق » (ص ١٠٩) .

اما قوله من بيروت ، فلانه كان خوري بيروت ثم مطرانها .

هذا وان كل ما ذكر عن الخوري مخايل فاضل وما اطلق عليه من الالقاب لا ينطبق الا على الخوري مخايل القرطباوي الذي جاء عنه في تريخ تلامذة مدرسة رومة :

« ويثبت انه كان رجلًا عالمًا وعابدًا كل ارفاقه كانوا راضين منه وشاكرين جدا » .

والذي حضر المجمع اللبناني كاحد اللاهوتيين المثبتين في الطائفة ، ولو لم ينتسب اولًا الى جده فاضل .

سابعاً :« وان بقي من ريب في الامر عند البعض فالبرهان القاطع هو في ما كتبه البطريرك مخايل عن نفسه ونسبه في كتابه « كمال الاشتمال في الاماكن والميال » .

ذلك وغير خاف علينا ما كتبه الخوري البشلاني (المشرق عدد آذار — نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١٢) :« ان هذا الكتاب هو كالغول والعنقاء والخل الوفي » اي لا وجود له — ولكن هذا قول احتياطي لا مستند له ، وهل يكفي ان يكون صادرًا بدون سند عن الكاهن المذكور ، او نقلًا عن الاستاذ عيسى المعلوف كما يدعي ، حتى يعتبر كحقيقة راهنة . فقد اسند زعمه الى انه لا يوجد اثر لهذا الكتاب لا في دير حراش حيث كان مؤلفه ولا في خزائن البطريركية حيث نقلت مخطوطات هذا الدير » . فهل هناك شيء من المنطق وهل عدم وجود كتاب في دير او في خزانة برهان على ان هذا الكتاب غير موجود ، وهل ضياع كتاب برهان على انه لم يوجد اصلًا ، وكم من كتب مفيدة مفقودة ؟ بيد انه يوجد من مطلع هذا الكتاب ونسخه او اخذ عنه ، فها ان المرحوم القس مبارك جعر الانطوني ، وهو معروف بالفهم والرصانة يقول صراحة انه نقل الكتاب على دفاتر عنده ، كما جاء في رسالة منه الى القس غسطين سالم عن انطوش حوش حالا بتاريخ ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ (نشرت بالطبع في بالطبع في « خواطر الجنان » للقس غسطين المذكور في ص ١٤٦ — ١٥١) قال :

« ابدي وصل الينا عرير تحريركم الذي به تطلبون مب أفادة عن حياة السيد الذكر العلامة البطريرك عايل فاضل الخ افيدكم عنه باختصار نقلًا عن كتابه « كمال الاشتمال في الاماكن والميال » ص ١٨٤ الذي نسخته على دفاتر محفوظة عندي في مكتبتي التي في اطوش مار يوسف زحلة ، يوم كنت مقيماً في دير مار اشعيا بمبدات سنة ١٩١٣ ، اذا تذكرتم ذلك ، وكان هذا الكتاب المخطوط في الحرف الكرشوني موجودًا في مكتبة الدير المذكور . . . »

فهذا الاب يصف الكتاب كرجل مدقق ويذكر محتوياته. . . ومنها خلاف فاضل مع البطريرك يوسف اسطفان مع ابرشية بيروت وعرائض عديدة بهذا الشأن ، ونسب البطريرك . وخبر موته الذي كتبه القس نوهرا ضو مرشد راهبات دير حراش ، وهو يصرّح بانه نسخه ويذكر سنة النسخ ، ويذكر القس غسطين باقامته اذ ذاك بدير مار اشعيا — فهل يجوز لاحد ان يشك في ما كتبه هذا الراهب الفاضل المتزن ، في وقت لم يكن ليظن ان الاب بشملاني سينكر وجود الكتاب الذي كان بين يديه ، وقد كتب ولا دافع له ، ايًا ما كان الى اختراع مثل هذا الامر الذي ذكره بكل بساطة ونزاهة .

ولكن ما لا يجوز لاحد قد جاز للمعترض ! — ومما يزيد في غرابة هذا القرن انه طالع في « خواطر الجنان » الذي ذكره وانتقده ، رسالة القس مبارك المنشورة فيه فكان عليه ان ينقض لكلام الكاتب بالبرهان السديد قبل ان يقول ان كتاب « كمال الاشتمال » خرافة — وان نعجب لشيء فلجرأة بعض الذين يقيسون نفوسهم عفوًا معلمين واعية للبشرية ، ولله في خلقه شؤون !

هذا ، وان ما ورد في رسالة القس مبارك من التفاصيل والظروف الدقيقة عن نسب وحياة البطريرك المذكور ، نقلًا عن « كمال الاشتمال » لا يمكن ان يستنبطه احد اياً من كان ولا ان يعرفه الا البطريرك نفسه .

وفوق ذلك فان المعترض يقول ايضاً في مقالته السابقة الذكر :

« وذكر تلميذنا القدم الاستاذ ايل حبشي تاريخ فاضل في كتابه « جهاد لبنان » ص ٣٤٨ قال : انه اعتمد في روايته عن اصل اسرته « البيت الاشقر » على اوراق دير مار اشعيا وعلى تاريخ فاضل المذكور وسألناه عن هذا التاريخ فاخبرنا ان والده انشأ نبذة عن اسرته نقلًا عن كتاب « كمال الاشتمال » من الصفحة ١١٨ » .

فهل الاستاذ حبشي او والده الذي اخذ نسب اسرته من الكتاب المذكور

من ص ١١٨ لا يصلح شاهداً على وجود هذا الكتاب، وان لم يُعثر عليه فيما بعد في دير حراش ولا في خزانة بكركي، وهل شهادة القس مبارك والاستاذ حبشي غير كافية للاثبات، مع العلم انه على فم اثنين او ثلاثة تقوم كل شهادة — وكيف بعد هذا جاز للاب بشلاني ان يقول ان هناك خرافة!.

هذا وقد سألنا الاستاذ حبشي عن رأيه في ما جاء عنه وعن والده بشأن كتاب « كمال الاشتمال » فاجابنا بتاريخ ٢١ ايلول سنة ١٩٥٧ مؤكداً وجود الكتاب ومستغرباً كل الاستغراب ما ادعاه اعتباطاً البشلاني وعيسى المعلوف وسننشر الجواب في آخر مقالتنا هذه.

اما اذا كان المعترض قد استغرب، كما ذكر، ان يعيش البطريرك المذكور ١٦٥ سنة فذهب الى ما ذهب اليه بدون سند، فهذا الحادث غير مستحيل وغير مستغرب، اذ كم كان يعرف هو وكم نعرف نحن وغيرنا من الذين تجاوز عمرهم مائة سنة: فالخوزي لويس الهاشم قد ذكر عن المطران جرجس خيرالله اسطفان مطران العاقورا ما يلي:

« استأثر الله به في ٩ كانون الثاني سنة ١٧٢٣ وله من العمر مائة وخمس سنوات ».
(تاريخ العاقورا ص ٢٢٦)

وذكر ايضاً في كلامه عن اسرة جمعه في منجز عكار:

« وكان منها الخوري مخايل ملحم الذي عمَّر نحواً من ١١٥ سنة وكان خادماً قرية منجز ». (المحل المذكور ص ٣١٩)

وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٥٢٤:

« وقضى نحبه ايضاً البطريرك شمعون بن داود المعروف بابن حسان الحدثي وكان عمره نيفاً وعشرين سنة ». (طبعة شرتوني ص ١٥٦)

ثم الم تذكر صحف العالم ان اناساً عاشوا ما فوق ١٢٥، في الهند مثلاً وفي روسيا. وقد ذكرت الصحف حديثاً ومنها « الجريدة » في العدد ١٤٣٤ بيروت ٢٧/٨/٩٥٧ ما يلي:

« معمّر ١٥٦ سنة يموت من الجوع في البرازيل: أعلن في سان بولو ان مانويل رودريغو كرتيو الذي كان يحتفظ بشهادة ميلاد تثبت انه ولد في اول اوكتبر سنة ١٨٠١ قد وُجد اليوم ميتاً في الغرفة التي يقطنها، وقال قريب للسنيور كرتيو ان عمره ١٥٦ سنة وانه مات من الجوع ».

وإذا كان الله قد منّ على البطريرك فاضل بعمر مديد ، ذنبه هو وما شأننا نحن ؟

وعلى كل ففي كتاب « كمال الاشتمال » كتابة من القس توهرا ضو مرشد راهبات دير حراش الذي مات البطريرك بين يديه تفاصيل موته « عن عجز طبيعي في سن ١١٢ سنة على ما سترى في رسالة القس مبارك صقر ، وفيها الجواب الشافي وفصل الخطاب في الموضوع.

ولا يسعنا ان ننهي هذا المقال ولا نبين ما كان للمطران مخايل فاضل من الايادي البيضاء على ابرشية بيروت : فلقد سبقنا وذكرنا تجديده لكنيسه بيروت القديمة — ثم انه في ٢٥ نيسان سنة ١٧٩٠ انشأ وقفية من املاكه في بيروت اي سبعة اقبية معقودة بالحجارة وبيت صغير ودارة صغيرة على كنيسة مار جرجس لاجل قيام مدرسة لعلم الاولاد — ومما جاء في صك الوقف ما يلي :

« وكري المعلم ومعاشه من الاجار المذكور الصامد ولاجل ذلك لا يطلب المعلم من الاولاد ولا من اهاليهم شيئاً لاجل علمهم بل بكل اجتهاد يعلمهم القراءة والكتابة سريانياً وعربياً ومخافة الله والتعليم المسيحي . . . واذا كان المعلم كاهناً لا نسمح له بان يتعاطى في خدمة الرعية ويفارق المدرسة . . . ولا نسمح ولا نأذن بالرب ابداً بان الوقف المذكور يباع او يرهن او يتغير باي نوع كان بل يمكث وقفاً سالماً ، مؤبداً لاجل قيام وثبات المدرسة المذكورة . . . »

(السجل البطريركي ٣ ص ١٠-١١ ومجلة المنارة سنة ١٩٣٩ ص ٢٧٠-٢٧٣)

وبهذا القدر كفاية .

رسالة القس مبارك صقر للقس غسطين سالم

حضرة الجليل الفاضل والمؤرخ النقيب القس اغوسطين سالم السخن القرطباوي الجزيل الاحترام .

بعد تقبيل يديكم بمزيد الشوق والاحترام وطلب دعاكم الصالح . . . ابدي وصل الينا عزيز تحريركم وبه تطلبون منا الافادة عن حياة السيد الذكر العلامة البطريرك مخايل فاضل .

افيدكم عنه باختصار نقلاً عن كتابه كمال الاشتمال في الاماكن والميال ص ١٨٩ الذي نسخته على دفاتر محفوظة عندي في مكتبتي التي في انطوش مار

يوسف زحلة .. يوم كنت مقيماً في دير مار اشعيا بعبدات سنة ١٩١٣ اذا تذكرتم ذلك . وكان هذا الكتاب المخطوط في الحرف الكرشوني موجوداً في مكتبة الدير المذكور .

ان البطريرك مخايل فاضل مؤلف كتاب كال الاشتال في الاماكن والعيال هو ابن الشيخ موسى بن فاضل السخني القرطباوي العاقوري الاصل الذي مات في قرطبا في ١٩ شباط سنة ١٦٩٤ ب م ابن جرجس بن مخايل بن اسعد بن مالك اليمني مقدم العاقورا ابن ابي الغيث بن عبدالله بن غيث بن يزيد بن سالم ابن صادق بن شبل ابن غصية بن جهجاه بن دياب العاقوري بن زيد الخ . . .

تزوج والده الشيخ موسى بن فاضل منيرة بنت انطونيوس بن الشيخ عزيز السخني القرطباوي بن نصرالله العاقوري قرابته في ٩ كانون الثاني سنة ١٦٣٤ ب م وولد مخايل في قرطبا في ٣ آذار سنة ١٦٨٣ ب م[1] . وارسله السعيد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الى مدرسة رومية مع القس بطرس مبارك الغوسطاوي في ١٥ ايلول سنة ١٦٩١ ب م وكان عمره ثمان سنوات ومن رفقائه الى مدرسة رومية بشاره البشراني وسركيس الحجري الاهدني وعبد الله البشراني وجرجس من ارده وكان ذلك بواسطة ابن عمه القس يوسف ابن الشيخ اسكندر السخني القرطباوي الذي كان يازجي عند غبطته ومكث مخايل في مدرسة رومية ١٣ سنة . وبعد ان درس قواعد اللغة العربية والافرنسية و(اللاتينية) والفقه والفلسفة واللاهوت النظري والادبي الخ. . .

رجع الى بيروت ووصل اليها في ١٤ حزيران سنة ١٧٠٤ ب م ثم ذهب من بيروت الى دير سيدة قنوبين لكي يزور قبر ابن عمه المرحوم القس يوسف الذي مات بالطاعون في ٢٠ ايار سنة ١٦٩٣ ب م فامسكه السعيد الذكر البطريرك جبرايل البلوزاوي عنده وعينه كاتباً لاسراره ولما توفي هذا البطريرك

١) اما زواج والده في سنة ١٦٣٤ فيمكن ان يكون مغلوطاً فيه بالنسبة الى تاريخ ولادته في سنة ١٦٨٣ اذ تكون الولادة ٤٩ سنة بعد الزواج – وبما ان المخطوط الذي اخذ عنه القس مبارك مكتوب بالكرشوني وبالتالي تاريخ الزواج فقد يكون قرأ حرف اللام الذي يوازي ٣٠ بحساب الجمل بدلاً من حرف العين الذي يوازي ٧٠ لانها متشابهان ولا فرق بينها الا ان حرف العين اقصر من حرف اللام فكتب ١٦٣٤ = احلد بدلاً من ١٦٧٤ = احعد والله اعلم .

في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٠٥ ب م وخلفه السعيد الذكر البطريرك يعقوب عواد الحصروني عزله من وظيفته ورجع الشماس مخايل فاضل المذكور الى بيروت واقام في بيت والده الشيخ موسى ...

ثم عينه الامير بشير الشهابي الاول مدبر الامير حيدر الشهابي قاضي شرع في صيدا في ٢١ كانون الاول سنة ١٧٠٦ ب م وفي ٢٥ من نيسان سنة ١٧١٠ ب م رسمه كاهناً السعيد الذكر البطريرك يوسف مبارك الريفوني على مذبح كنيسة مار جرجس بيروت وعينه خوري رعية فيها وكان الخوري مخايل فاضل . اول المخاصمين للبطريرك يعقوب عواد الحصروني في حطه وعزله عن الكرسي البطريركي وكان يستعين باقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه وباهالي الماقورة على امضاء وختم العرائض التي ارسلت على يده الى رومية في حط وعزل البطريرك يعقوب عواد الحصروني وتثبيت البطريرك يوسف مبارك الريفوني في الكرسي البطريركي الخ ...

فكانوا اقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي الماقورة الحزب القيسي لا يلبون طلبه ورغبته الخ ...

وهنا كتب الخوري مخايل فاضل . في كتابه كال الاشمال في الاماكن والميال بعض جمل مجحفة في حق اقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي الماقورا ... معناها انه لا يريد بعد ان ينتسب اليهم ولا يتردد اليهم الخ ...

هذا وفي ١٣ من ايلول سنة ١٧٤٠ ب م رقاه السعيد الذكر البطريرك يوسف ضرغام الخازن الى درجة برديوط على دير مار شليطا مقبس وفي ٢١ من ايلول من السنة المذكورة ارسله غبطته الى مدينة عكا وهناك شرع في الرسالة وعمّر فيها كنيسة على اسم القديس مارون وعمّر قوبيا انطوس على نفقة السعيد الذكر البطريرك المشار اليه وضمّ الطائفة الى طقسها الماروني بعد ان تشتت في الطقس اللاتيني وكابد من قبل ذلك اضطهادات وسجوناً واتعاباً شاقة والله نجاه من جميعها وبعد ان نظم الطائفة هناك ورتب الكنيسة المذكورة في كافة ما يلزمها ... طلبه من عكا السعيد الذكر البطريرك سمعان عواد الحصروني وكافة مشايخ عائلة اده انسبائه وكافة اعيان بيروت خطاً وختماً فحضر حالاً وكان ذلك في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٧٤٤ ب م لاجل فحص

اسباب الخلاف الحاصل بين الرهبان الحلبيين والرهبان البلديين اللبنانيين الخ . . ولاجل خدمة الرعية في بيروت وتوسيع كنيسة مار جرجس في بيروت، وفي سنة ١٧٥٤ تنصر الامير حيدر الشهابي على يده في بيروت وفي مدته جدد عمار كنيسة مار جرجس ببيروت بمساعدة الشيخ منصور والشيخ بطرس من ابناء اده اقاربه في النسب ونظم لها هذا التاريخ التالي ووضعه جنب بابها الشمالي من داخل الكنيسة المذكورة برضاهم ورضى المطران يوحنا اسطفان الخ . . .

وهو يد المولى ببيروت اشادت كنيسة جرجس الشهم المناضل
وقد تمت فارخها بكدٍّ بكاهنها مخايل وابن فاضل

سنة ١٧٦١ ب م

وفي ١١ من حزيران سنة١٧٦٢ رقاه السعيد الذكر البطريرك طوبيا الخازن الى اسقفية بيروت وكان ذلك في كنيسة مار جرجس بيروت الجديدة بحضور المطران جرمانوس صقر الحلبي والمطران ارسانيوس الحلبي الخ . . وشعب غفير من الاكليروس والعوام وجعله نائباً للكرسي البطريركي ووكيلاً على دير مار يوحنا حراش وشرع سيادته في تهذيب وترتيب هذا الدير في الامور الروحية والجسدية حتى انه اغناه بعمله وسيرته الصالحة وفضائله السامية . وكانت الناس تأتي اليه من كل جهة لتسمع وعظه . . .

وقد خلص انفس عديدة من اسر الشيطان ورد كثيرين الى الايمان وعتدهم وانفق عليهم اموالاً وافرة وربح نفوسهم حباً بالله . . . وفي سنة ١٧٨١ تسلم تدبير ابرشية بيروت ولهذا التسلم شرح مسهب وعرائض عديدة في كتابه كمال الاشتال في الاماكن والميال بين المطران مخايل فاضل . .. وبين البطريرك يوسف اسطفان مرسلة من المطران مخايل فاضل . . . الى رومية بخصوص ابرشية بيروت الخ . . .

وفي كتابه كمال الاشتال المذكور نسب اسرته وقد اخذته قبلاً من مقدمة كتاب وفيق الواعظ لابن عمه المرحوم القس يوسف بن الشيخ اسكندر السخني. نسيكم واذا كان من لزوم له افدني حتى انسخه عن دفاتري وارسله لكم. وافيدكم ايضاً عما جاء في كتاب كمال الاشتال المذكور بخط القس نوهرا ضو مرشد راهبات دير مار يوحنا حراش والحرف الكرشوني :

صح ان غبطة سيدنا وتاج روسنا البطرك محايل فاضل قرطبالي صار معه قصر نظر وقلة سمع وضعف جسم زايد كثير وقطع الاكل خالص وكان صار عمره ميه واتمعشر سنة وفي اليوم السابع عشر من شهر ايار سنة الف وسبعماية وخمس وتسعين ميلادية توفي بدون مرض من قلة الاكل وقبل موته الله يرحمه مشحته انا واعترف عندي وتناول القربان المقدس وبقي يقول يا يسوع ويا عذرا مريم تسلموا روحي حتى سلّم الروح عند العصر.

وثالث يوم عند العصر صار دفنه قرب كنيسة الدير وترك على ايدي الدير الفين قرش حسنة قداديس عن نفسه والف وخمساية قرش طالمته الله يرحمه ويرزقنا بركة صلاته.

كاتبه

القس توما خو مرشد الاخوية

اتركوا عبارة موت السعيد الذكر البطريرك مخايل فاضل السخني . على علاتها ...

هذا ما لزم بشأنه باختصار كلي مع كل خدمة تلزمكم ... ولكن اني اوجه اليكم شديد الملامة لاجل ارسالكم لنا الدراهم مكافأة عن ذلك رفقكم الله في انجاز تاريخ وطننا قرطبا .

عن انطوش حوش حالا في ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ ب م .

اخوكم

القس مبارك حنا صفر من الدوار الانطونياني

في (خواطر الجنان ص ١٤٩ وما يلي) .

جواب الاستاذ اميل حبشي للخور اسقف يوسف زيادة .

الليالي — مجلة التاريخ العربي.

بيت شباب في ٢١ ايلول سنة ١٩٥٧

صاحبها : اميل حبشي الاشقر

(بعد الترحمة)

هذا جوابي الان عما سألتم :

يقول المرحوم البشعلاني في مقاله الـذي نشر في المشرق « وقد جرى على الالسنة ذكر هذه المخطوطة « كتاب الاشتمال » الى آخره » فلماذا جرى ذكرها على هذه الالسنة ، واي شيء حمل الناس مع التحدث بامرهـا وهي لا وجود لها ؟ . . . وقال :

« ذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي . . » نعم ذكرت ذلـك ، وانا مؤمن بان « كتاب الاشتمال » بعيد كل البعد عن الخرافة بدليل ان المرحوم ابي – الكاتب والشاعر – لم يكن – غبياً – . . عندما نقل عنه ما نقل ، ولم يخترع النبذة التي اخذهـا عنه اختراعاً وانما نقلها عن مخطوطة المطران فاضل – وهي محفوظة عندي بخطه في دفتر صغير – واما اني فتشت عن الكتاب في دير حراش وفي بكركي فلم اجده ، فهذا صحيح ولكن عـدم العثور عليه في الديرين لا يجيز نعيمي المعلوف ان يقول انه « كالغول والعنقاء والخل الوفي». فاذا كان البشعلاني والمعلوف لم يجداه ولم يضعا ايديهما عليه ، فقد وجده قبلها يوسف حبشي ، وهو من ادباء جيله ، منذ اكثر من ستين سنة ، والقس مبارك صقر الذي رآه واخذ عنه في دير مار اشعيا منذ اربع واربعين سنة اي سنـة ١٩١٣ ، افليس من الجائز ان يمدّ لصوص الادب ايديهم الى كتاب له قيمته ليضموه الى كتبهم ، ثم يجيء آخرون فيأخذونه كما أخذ من قبل ، ولكثرة ما تناوره القوم وتداولوه ، او سرقوه ، ضاع واختفى اثره ؟ ؟

. لقد رآه المرحوم والدي في حراش ، ثم رآه القس الانطوني ، بعد زمن ليس بالقصير في مار اشعيا افليس وجوده في الديرين ، في زمانين مختلفين ، دليلاً على ان كلمـة المعلوف والبشعلاني تقدير خاطئ ، او نبرة كاذبة . واية قيمة لكلمة جوفاء ، لا تستند الى دليل ، يرسلها صاحبها في ساعة ذهول . او ساعة غرور حكماً لا اخذ فيه ولا رد ! ؟ كأنه المرجع الذي تضعف عنه الحجة وتعوت في جانبه الجدل ! ! افلا ترى ايها الاب المحترم ان في استنتاج البشعلاني والمعلوف تكذيباً لرجلين معتبرين رأيا كتاب الاشتمال بـالعيون ولمساه بالايدي . ان في هذا الاستنتاج الشيء الكثير من الجهل وقلة الذوق .

واقبلوا يا سيدي احترام ولدكم

اميل حبشي

جواب الخوري ابرهيم حرفوش للقس غسطين سالم .

حضرة الجليل الاب اغوسطين سالم الجزيل الاحترام :

بعد تأدية واجب الاعتبار الى حضرتكم نبدي وصلنا تحريركم بشأن مخايل فاضل . .

انه رجع من رومية في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ سنداً لرواية البطريرك بولس مسعد فهي مغلوطة كما جاء في مجلة المنارة السنة السابعة العدد الاول كانون الثاني سنة ١٩٣٦ في صفحة ٢٥٨ . وعليه افيدكم ان مخايل فاضل رجع الى بيروت في ١٦ حزيران سنة ١٧٠٤ من رومية . هذا وقد وردت روايات عديدة عن البطريرك بولس مسعد مغلوطة منها ما ورد في المنارة في السنة السادسة في عدد ايلول وتشرين الاول سنة ١٩٣٥ ص ٦٦٤ عن مجمع ضيعة موسى المنعقد في هيكل مورت مورا سنة ١٥٩٨ وان ضيعة موسى هذه في بلاد عكار سنداً لرواية البطريرك بولس مسعد فهي غير صحيحة ايضاً لان ضيعة موسى وهيكل مورت مورا الموجود للآن هما بين بقرقا وكفرصغاب .

فتنبه هذا ما لزم بشأنه مع كل خدمة تلزمكم وفقكم الله في انجاز تاريخكم وطبعه .

في بكركي في ١٦ شباط سنة ١٩٣٦

مستمد دعاكم

الخوري ابرهيم حرفوش

من فرائد الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

سنة ١٩٥٧ اصدرت المطبعة الكاثوليكية في بيروت كتابنا « جولة في آداب العالم »، الحاوي مئة وثمانين قطعة من خمسين لغة، منها قصيدتان تمثلان العربية الفصحى، ومئة وستة وسبعون تعريباً لاجمل القصائد التي قرأناها في اشهر السن اوربة وغيرها، وتعريب قطعتين نثريتين فقط.

قد رتّبنا تلك المنتخبات، التي هي نفثات اقلام مئة وواحد واربعين من نوابغ ادباء الخافقين، وفقاً لطوائف لغاتها الاصلية. ثم خطر ببالنا ان نتخذ من هذه المجموعة الوحيدة من نوعها في لسان الضاد، مادة جديدة لبضع مقالات ننشرها في « المشرق ».

في هذه المقالة الاولى نقدم للقراء عدداً غير يسير من فرائد الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية، وهي الفرنسية، البروفنسية التي يتكلم بها كثير من اهالي اقليم بروفنسة في جنوب فرنسة، الاسبانية، الكاتالونية لغة اهالي اقليم كاتلونية في جنوب اسبانية الشرقي، البرتغالية، الايطالية، الرومنشية لسان بعض ولايات سويسرة، الرومانية لغة رومانية.

قد رتّبنا تلك الفرائد على حسب انواع الشعر الغنائي، بغضّ النظر عن اختلاف لغاتها الاصلية، واضفنا بغاية الايجاز شرحاً لكل نوع منها، وملخصاً لموضوع كل قصيدة، مع ايجاد التلاحم المنطقي في سرد كل ذلك.

من البديهي ان الموضوع الاسمى للقريض الغنائي هو الله تعالى، الكائن الاسمى، الذي هو وحده لازم الوجود، وقد اخرج من العدم ما يكاد لا يُحصى من الكائنات الروحية والمادية والجامعة بين الروح والمادة، بقدرته الخالقة العاجز عن سبر غورها اعظم الفلاسفة والمفكرين، وهو مع ذلك احن على كل فرد من البشر من الامهات على اولادهن، فلا يساوي مجموع حب كلهن قطرة واحدة من بحر حبه غير المحدود.

قد وصف حنا ملندث ڤلدس Meléndez Valdés (١٧٥٤–١٨١٧) حضور

الله في كل مكان . يرى ضياءه في الشمس ، عظمته في الجبل الشامخ ومياه اليم العميق ، بشاشته في الربيع ذي الزهور الفرحة والمطور المنعشة . يراه ايضاً في احقر خلائقه : في النسيم المداعب لاوراق الشجر ، في الحشرة التي لا يمكننا سوى المجهر من معاينة ضآلتها الشديدة، وفي الذرّة التي عجزت حتى الآن اعجب آلات الرصد عن اراءتنا اياها . وفي الختام يتذلل امام الاله الذي ضاقت عن احتواء عظمته رحابة الكون الرائعة لقول اكبر الفلكيين ، وهو مع ذلك مصغٍ على الدوام ، بحنو ابوي لامتناهٍ ، الى مليارات الاصوات المتصاعدة نحو عرشه الخفي من عالمي الانسان والحيوان، ويتوسل اليه ألا يحتقر نداءه المتواضع، بل يلبّيه ويقوّي عيني صاحبه ليرى في كل خليقة صورة زهيدة الكمال مُبدعها الفائق كل ادراك ، ويضرم فؤاده بنار الحب الاخويّ النزيه لجميع البشر :

« حينما ادرتُ العينين قلقاً ، بترق نشيط ، شعرتُ بحضورك نفسي المدهوشة ، ايها الاله العظيم . هناك انت مالئاً الكون الفائق الرحابة ، تحت السماء العالية التي تجلس فيها مستتراً بالضياء، وفي الآن ذاته تُظهر مجدك الذي لا يعبّر عنه . العُشبة الوضيعة التي ادوسها ، الجبل الذي يرتفع مغطى بثلج دائم ويخفي اصله العميق في المهواة ، النسيم الذي يعبث بين الاوراق مخشخشاً بريشه الخفيف ، الشمس التي تنعش الكون مضطرمة في درة الجلد الشامخة ، تصيح لي بانك تسطع في لهيب الشمس ، وتعبر من الغرب الى مطلع الفجر ، بجناح طائر ، فوق الريح السريعة، وان الجبل الشاهق يقدم لله عرشاً في قمته المكسوة بالثلج ، وان العُشبة تنمو وتزهر بنسك الحي !

عظمتك الفائقة تملأ كل شيء ، يا رب ، بل اكثر من ذلك ، من الحشرة التي لا تُرى الى الفيل، من الذرّة الى المذنَّب اللامع . انت تعطي الظلام الدامس غطاء رأسه الادكن ، والصباحَ الفرح ستره الرقيق ، صابغاً آثاره بلوني الذهب والاحمري[1] . وحين ينزل الربيع الى العالم الفسيح ، تضحك بشوشاً بين زهوره الجذلة ، وانتشقك في عطوره اللذيذة . وعندما يزيد القيظ القائظ الملتهب اشتعالاً بنيرانه المكتنبة ، تحرك في طياتك السنابل الملأى وتخفف حرارتها الشديدة .

(1) الشديد الحمرة .

واذا ركضتُ عندئذ الى الغابة الظليلة • فانت في ظلها ، وهناك تكثر البرودة الخفيفة اللذيذة فرجاً رقيقاً لروحي التعبة ؛ ومهابةٌ ورعة تهيج صدري ؛ ويصيح بي صوت : « هو ساكن في هذا الصمت السرّي ؛ فاسجد له متواضعاً » !

بيد اني اجدك في الآن ذاته في مياه البحر العميق ؛ تنادي الرياح وتسلمها الى غضبه الشديد ، او تسكنه اذا حسُن لديك . في كل مكان القاك واشعر بك عادم الحد ، في المرج المزدان بالزهور ، وفي الستر الساطع الذي يكسو به السماء ليلك المظلم . فانك اله الذرّة واله الشمس والدودة الصغيرة الثاوية في الوحل الحقير ، والملاك الطاهر العابد لضياء مجدك . فتسمع اناشيدهم على السواء ، وتسمع صوتي الذليل وثناء أنثى الحجل الهادئة وزئير الاسد الهائل ، وتغيث الكل باريحيتك في كل مكان ، ايها الاله الفائق العظمة والحاضر على الدوام . آه ! اصغ الى ابن في صلاته الحارة . اصغ اليه بحلم وانظر الى كياني الزائل ؛ فلتكن خطاي لائقة بحضورك ، ولترَ عيناي الوهيتك في كل موضع ! افعم فؤادي بنار سماوية تشمل مثلك جميع الكائنات ، ولاحبك في كونك ، يا اله المحبة ! كلنا ابناؤك ؛ التتري اللبرني[1] ، الهندي الخشن ، الافريقي المشهب ، هو انسان ، هو صورتك وهو اخي !»

قد عالج اسكندر إركولانو Herculano (١٨١٠-١٨٧٧) البرتغالي ذلك الموضوع ذاته ، اي حضور الله في كل مكان ، على سبيل الايجاز ، معظماً قدرة الخالق الجبار ، التي تهز البر واطواده ، البحر ولججه ، بل الجلد وملايات اجرامه ، التي كرتنا الارضية كحبة تراب بازائها . ثم ينبه الانسان ، ولا سيما الخاطئ ، لعجزه المطلق عن تجنب نظر مولاه :

« ما اعظم الهي ! الى اي حد تصل قدرته الفائقة ! قد خفض السموات ونزل واطئاً ضباباً كثيفاً ، وطار محلقاً على اجنحة الكاروبيم الساطعة ، وعلى اعاصير من الريح الشديدة قد دار حول العالم . امام نظر المولى تهتز الارض ، والبحور المرتعبة تصيح الى الامكنة البعيدة ، والجبال الملموسة بيده ترشح الدخان . اذا فكر في الكون ، فها هو ظاهر امام وجه الصمد ؛ واذا اراد ، فتح الجلد أجوافه وفتحت جهنم اجوافها .

١) الساكن في لبونية ، وهي بلد واقع في شمال اسوج .

ايها الانسان ، اذا استطعت ، فاختبئ هنيهة عن عيني الرب : انظر اين تجد محلّا يبقى مُعفى من نظره ! اصعد الى السموات ، إجتز البحر ، اطلب المهواة ؛ هناك تجد الملك ؛ لا محالة ؛ هو يقودك ولا بد ان تسندك هناك عينه ! إنزل الى ظلام الليل وحاول ان ترتدي بردائه . . . لكن الدجى ليست دجى له ، وليس الليل دامساً .

يوم الغضب الشديد سوف تحاول سدى الهرب من امام الاله القوي ، حين يدفع حانقاً من قوسه المائلة سهماً يثوي فيه الموت . بيد ان من يخافه ينام هادئاً في يومه الاخير ، حين ينشقّ في القبر ستر اوهام الحياة » .

اوجانيوس ده أُتشوا Ochoa (١٨١٥–١٨٧٢) الاسباني يرى في البحر صورة من اروع الصور لجمال الله وعظمته ، ومن جهة اخرى مثالًا مؤثرًا لمواصف النفس البشرية وسكناتها المتعاقبة على الدوام ، ولعجز عقلنا المحدود ، مع فرط محاولاته الناهكة وثوراته الجنونية ، عن التعمق في فهم كنه خالقه ، وعن مقاومة ارادته الضابطة كل ازمّة الكون :

« ايتها الخليقة الفائقة السمو ، يا بحر ، انت ، ايها الرمز الكبير والغامض للعقل الفائق كل العقول وحالة البشر ، هذا الهياج الابدي ، الذي تقضي عليك ان تحيا فيه ، هو ايضاً حالة قلبنا الدائمة . نحن ايضاً ، معشر الناس ، ذوو عواصف وسكنات ، ورغم انوفنا نطيع ارادات سامية . نحن ايضاً نريد في بعض الاحيان هدم الحد الذي اقامه الكائن الاعلى امام عقلنا المتشامخ ، كما تريد ، ايها البحر ، حين تمتعض بسبب سجنك ، تجاوز الرمل الذي يحد اطرافك . سيان نحن في الجنون . سيان في القحة ، والعقاب الاكيد لكلينا لا يُحدث الاصلاح فقط .

ايها البحر الشبيه بالزمان في تعذر مقاومته ، والمماثل لله في امتناع سبر غوره ، تارةً شديد الهدوء وطوراً شديد الغضب ، ايها البحر المقيم لانظارنا اتحاد الجمال والرحابة التي لا تقاس ، المباهي باظهار قدرتك ، كأنها اله ، اني لاحني امامك جبيني ؛ بل ربما عبدتك ، لو لم تكن روحي قد عبدت من قبلُ الكائن القادر على كل شيء . هو وحده يفوقك في اجتذاب مخيلتي اليه ، وليس غير تأملي فيه يرقيني اكثر من تأملي فيك ! على اني ، يا رب ، لا ادهش البتة من قدرتك غير المحدودة بقدر دهشي منها ، اذا غصت في مشاهدة البحر الذي

وهبتَه الوجود، البحر هنا، وفي السماء الشمس، لانهما مثل جبارين توأمين، سلطانا كل الخلائق!»

الفونس ده لامرتين Lamartine (١٧٩٠–١٨٦٩) الفرنسي يرى في جدار متداع، وهو الأثر الوحيد الباقي من صيدون القديمة — وكانت قبل ميلاد المسيح، في مقدمة مدن الفينيقيين الفائضة بالحياة والجمال والقدرة — رمزاً جلياً لازلية الله، التي لا ماضي فيها ولا مستقبل، بل حاضر دائم بدون ادنى تغير:

«انزلنا مرساتنا الى وحل قعر البحر، حيث كانت صيدون[1] القديمة، في جوار رأس[2] واسع التقوس، تجمع في غابر الزمان، تحت ارصفتها الساحلية المصنوعة بالخشب، اشرعتها، كأنها فراخ نسور بمثل عددها، راجعة الى وكرها.

الدهر لم يُبق من دمارها العظيم الا جداراً منهدماً يقي السفن من الامواج، وهو راقد في طرف خليج شديد الصغر، ورملاً ينير القمر بياضه. وزبداً يغسل قارب صياد.

ما اشد ما تُدهشنا وتثور بنا ابديتك، يا اله الازمان، اذ نتفقد شعباً في رمال، والضجة الوحيدة لمملكة بعيدة الحدود، نزلنا فيها ليلاً، هي — اواه! — وقع مقذاف زورق!»

حنا ده داووش de Deus (١٨٣٠–١٨٩٦) البرتغالي يكشف لنا في بضعة ابيات ملتهبة افتتانه وهيامه بالله وحده، وانه يراه في كل شيء مع خفائه، بل يشعر بنكهته اللذيذة كلما تنشق الهواء:

«من الذي اجتذبني فجعلني مقطوع النفس. مدهوشاً ولهان... ولمن ينبغي ان اقول بخلاصة القول اني لا أفتن بشيء سواه، ولست بقلبي مُلك شخص غيره؟ اذا نزلت الى الوادي او تسلقت المنحدر الوعر فمن الذي اطلبه وبمن تُرى افكر؟ هو تذكارك ذو الافق العظيم الرحابة، الذي افعم نفسي بافتتان دائم!

تتبعني على الدوام، وانا لا اتوق الا اليك! اراك في كل شيء، والارض والسماء تخفيانك! لم اشاهدك البتة، ولا ازال ازيد اعجاباً بك! لم يُحِب قط

١) اسم مدينة صيدا القديمة.
٢) بالمعنى الجغرافي.

وشيخا. ورأيت في حضنه طفلاً ضعيفاً محدداً، برعماً شاحباً لم يهتز قط في الصحراء على خرير نسيم لطيف! رأيته مندى دون انقطاع بالبكاء اللاذع، وحزيناً لقبلة الموت المقوسة .

فصرخت، وقد رفعت نظري الغضبان الى العلاء بشكاوى خافتة: «يا رب، أترى صحيح انك تبخل بحبك على اولئك الاطفال الضعاف، انت العالم بألمها وشقائها، انت المغذي الازهار والطيور»؟

وعند نقر الشيخ آلته ثانية، كانت اصواتها العادمة الايقاع تتساقط على فؤادي شبه قطرات مرتجفة، وليست اصواتاً مبهمة، بل اكثر من ذلك: زفرات وشهقات وتشكيات! لا ادري اي روح خفية سامية، اي عبقرية صانعة الاعاجيب استطاعت انتزاع كلام رقيق من الآلة الغليظة، فكان يخيّل لي ان نفساً منفية في قعرها تنوح مخذولة! وبتأثير لحنها الحزين، ذلك الندى من الالم، كان قلبي العطشان ينفتح، والعاطفة تستيقظ في الوقت ذاته .

ما اعجبكِ، ايتها العناية الحكيمة! اذا احللت الكرب على الشقي المحتوم عليه بالموت، فقد حثثت غيره على الرحمة المقدسة لكي يحب الانسان السعيد الانسان الباكي، فتخرج الى حيز العمل شريعتك المعزية .

يا رب، اني اباركك، ونفسي تضطرم في حبها لك! بعدما تركتُ للمتسول حسنة زهيدة من مالي الناقص، عظّمتها دمعة نازلة من عينيه الساكنتين العادمتي الحياة. وبصدر فرح واصلت السير على دربي ظافراً مفتخراً مسروراً، وفي تلك الهنيهة كان اعظم ملوك الارض قد غبطني على السلام المجهول الثاوي في باطني!»

بعد الله تعالى، مصدر كل كيان وجمال، لا موضوع اجدر بالشعر الغنائي من الفضيلة التي وحدها تطبع على ابن العدم والتراب شبهاً فتاناً لخالقه القيّوم .

تاودورس ده بنفيل Banville (١٨٢٣—١٨٩١) الفرنسي يحث طفلاً رضيعاً من معارفه على الفضيلة، فيذكره اننا آتون من السماء ومن النور، ويحذره عن عبادة عجل الذهب، ويتمنى له ان يقرأ في كتاب الرقيع الصامت شيئاً، ولو يسيراً، من كمالات مؤلفه القدير، فيتعلم بتسبيحه وحبه والتشبه بقداسته، مبادئ لغة الوطن السماوي الموقوفة الى الابد على تمجيد الكائن الاسمى :

« ايها الطفل الذي تضحك شفتك وتزهر طريفة مثل تويج(١) فاغم ، وانت تبدي حتى الآن على خدك النضير لوني الشمس والوردة ! في هذه الايام المزرولة بالذهب ، التي لا تزال تشبه فيها كل الاشياء الجميلة ، الشاعر الشيخ يبارك طفولتك والعش اللذيذ الذي تبسط فيه نفسك جناحيها .

اواه ! بعد قليل ، ايها الملك الصغير ، ستغدو كبيراً ! فتذكر سناءنا الاصلي . قل بصوت عالي الاسماء الالهية ، وتذكر اننا آتون من السماء ومن النور . لا اتمنى لك ان تطأ كل شيء تحت خطاك بكبرياء وحشية ، او تكون احد اولئك المجانين الذين يؤسسون على الذهب ونقود السو(٢) الضخمة غنائم البخيل ، بل ان تنظر الى السماء . فلتكن حدقتك قادرة على قراءة الكتاب الصامت(٣) ، ولتنفتح اذنك ، وهي منقادة للاغاني ، امام اصوات القيثار الغامضة المعاني !

ايها الطفل المرزوز بين ذراعي امك ، سوف تعلم ان الانسان قد حتم عليه ان يعيش في هذه الغبراء على ارض منفى ، حيث لا ادري اي رصاص حقير يمسك نفسنا اسيرة ، ضمن هذا الافق المكدر — آه ! — الويل للمنفي الذي ذاكرته الذابلة عاجزة عن تذكر لغة الوطن ، وهو عاجز عن التكلم بها ! لكن السماء ، في حال ضجرنا ، ليست مفقودة عن الذي يريدها ويترجم بها ، وهو ، مع كل شرورنا ، لا يزال يتمتم بلفظ الكلمات الالهية الاصل .

إملأ عقلك بلون السماء اللازوردي ، واحفظه رزيناً طاهراً ؛ واياك ان يكون قلبك الجدير على الدوام بعدم اللوم ، اكثر تدنساً من ريش التم(٤) يوماً من الايام . تذكر دار النعيم ، ايها القلب العزيز ؛ اقول الك ذلك ، وانت لا يفسدك وحل ارضي ، وبينما جبينك الصغير لا يزال جبين ملاك » .

انما جوهر الفضيلة حب الله ثم حب الانسان قريبنا ، لانه مخلوق على صورة الله ومفدي بدم ابنه الوحيد . والحال ان من اعجب واعم مجالي حبنا لابنا.

---

١) مجموع ورق الزهرة الملون .

٢) تعريب الكلمة son الفرنسية ، وهي قطعة نقد ثقيلة ، قيمتها جزء من عشرين من الفرنك .

٣) معنى الكتاب الصامت هو السماء .

٤) طير مائي شبيه بالاوز واطول منه عنقاً .

جنسنا ، هيام الام باولادها . الكاهن جاسنتو ڤرداكر Jacinto Verdaguer (١٨٤٥–١٩٠٢) يصف لنا ذاك الهيام المقدس الذي لا يزال مضطرماً في قلب والدة ، انتزعه ابنها المتوحش من صدرها ، ليجود به على معشوقته الطاغية ، نزولاً عند رغبتها الفاحشة :

« ذلك الابن الشرير قال يوماً لبنت طالحة هـذا القول : « انت التي هي اسطع نجمة من نجوم حياتي ، قولي : ماذا تطلبين مني ؟ سآتيك ، اذا اردت ، باكبر كنز من بيت ابي ؛ سآتيك ، اذا شئت ، بجواهر امي » . فأجابت : اعطني قلبها .

الابن الشرير وجد والدته نائمة ، وهي تحلم بلا انقطاع ، وذلـك الحلم الشديد العذوبة الذي تحلمه ليلاً ونهاراً ، هي الآن حالمة اياه . ففتح صدرهـا وانتزع بخنجر فؤادها الحنون ، فؤادها الذي يحيا كحمامة بيضاء من حبها الوالدي . سمعه خافقاً ، وهو حامل اياه في عينه مثـل مصباح من ذهب ؛ آه من يسمعك ، يا قلب امي ، شاعراً بحب لطيف لي !

بينما كان سائراً بعجلة في طلب حبيبته ، وقع عند الرتاج ، وكان قلب امه يقول له : « يا بنيّ ، هل اصابك اذى » ؟

السيدا كارت Almeida Garett (١٧٩٩ — ١٨٥٤) البرتغالي مصيب بقوله ان الجمال الاسمى صادر عن الحب ، وان الامم التي تُذبل زهرة شبابهـا ، بل تُفني ايام حياتها لخير اولادها ، هي اجمل اعمال الله :

« من الحب يصدر الجمال كما يصدر اللهيب من الضياء ، هذا ناموس الطبيعة . اتريدين ان تكوني جميلة ؟ فأحبي . الاشكال الفاتنة تستطيع الريشة تصويرها على النسيج ، والمنقش يعرف كيف يمثلها نقشاً ، والازميل كيف يصنع التمثال الحسن من اصلب حجر . ولكن اهذا جمال ؟ لا ، بل ظرافة فقط .

بابتسامها بين الآلام للولد الذي تعبده قبل ان تراه ، كما يبتسم الفجر باكياً في الزهور التي على وشك النشأة ، الأم هي اجمل اعمال الله ! أيشك في حبها ؟ اطهر ما في نار السموات يشعل فيها هذا اللهيب ذا النور البلوري - هو النور الالهي الذي لم يتغير قط ؛ هو الضياء ، هو الجمال في الطهارة الكاملة ، لان الله قد اوجده ! »

انطون كرشبو Crespo (١٨٤٦—١٨٨٣) البرتغالي يصف بخيالات مبتكرة فرط هيام امه العجوز به ، كأنه خيرها الوحيد على الارض ، وسهرها الروحي الدائم عليه ، من وراء البحور ، لينام نوماً هنيئاً بعد اشغال النهار المتعبة وحوادثه المحزنة :

« لشخص ما انا الزنبقة بين الاشواك[1] ، لي ملامح المسيح الفائقة الجمال ! لشخص ما انا الحياة ونور العينين ؟ واذا كانت الارض موجودة ، فلأني موجود.

ذلك الشخص الذي يفضل على تغريد الطير المشقي صوتي الخشن ، ليس انت ، يا ملاكي المتبرد كالصنم[2] ، وليس واحداً منكم ، يا اصدقائي !

حين احني رأسي وانسطح للنوم في صميم الليل ، وانا مكتئب حزين تعب ، ذلك الشخص يبسط جناحيه في سريري ، فينقضي نومي هنيئاً معطراً .

فلتنزل بركات الله وابلاً على التي تبكي عليّ وراء البحور ! ذلك الشخص هو فجر ايامي الساطع ؟ هو انت ، ايتها العجوز اللطيفة ، يا والدتي ! »

— الولد لا يستطيع ان يمحض والدته حباً يساوي حبها له. فيجب عليه ان يبذل اقصى الجهد ليقتدي بها في روح التضحية الدائمة . وقد ابدع ادمون ده اميتشيس Amicis (١٨٤٦—١٩٠٨) الايطالي في وصف توقه الى ذلك التشبه النبيل :

« الزمان لا يمحو الجمال دائماً ، ولا تذهب دائماً بنضارته الدموع والهموم ؟ فان امي بنت ستين عاماً ، وبقدر ما أطيل النظر اليها ، يزيد جمالها في نظري ! ليس لها التفاتة او ضحكة او كلمة او عمل لا تؤثر في قلبي تأثيراً لطيفاً .

آه ! لو كنت مصوراً ، لقضيت كل حياتي في رسم صورتها ! اود لو اني اصورها حين تخفض محياها ، لكي اقبل ضفيرتها البيضاء ، او حين تخفي تألمها وراء ابتسامة ، وهي مريضة ضانية . على اني ، لو استجيبت في السماء صلاة من صلواتي ، لما طلبت ريشة روفائيل الأربيني[3] الفتانة ، لكي اتوج محياها الوسيم بهالة من المجد . لا ، بل اتمنى ان استطيع إبدال حياتي من حياتها ومنحها

١) الكلمة البرتغالية تدل على نوع من الشوك لم نجد له اسماً في العربية .

٢) ربما لمح الشاعر بهذه الكلمة الى زوجته او بنته .

٣) روفائيل سنتي Santi (١٤٨٣—١٥٢٠) ، المصور الايطالي النابغة ، كانت مدينة أربينو مسقط رأسه .

كل قوى شبابي ، فارى نفسي شيخاً ، واراها متجددة الشباب بفضل تضحيتي !»

على الاخ البكر ان يحذو حذو والديه في تناسي مصالحه الشخصية للسعي الحثيث وراء خير اخوته واخواته ، بحيث يكون سنداً وطيداً لهم بعد وفاة ابويهم . إسمعوا النصائح السامية التي يزوّد بها ڤيكتور ده لپراد Laprade (١٨١٢—١٨٨٣) الفرنسي ابنه البكر :

« ها انت قوي ويافع وعلى وشك دخول الشباب ؛ فتلقَّن ارشادي الاخير وتعلَّم كُنه حق بكريتك . لكي تعرفه بكل شدة مقتضياته ، لا تحتاج الى كتاب ضخم ، فان ذلك الحق مسجّل في قلبك . . . قلبك هو الشريعة الواجب عليك العمل بها . ولكي تزيد فهماً لذلك ، اقرأ في قلبك مع ابيك ، امام صور جدودنا هذه ، التي ارجو ان تساعدنا .

كما فعل والدي ، ان بكراً نزيهاً من اصلنا يبدي افتخاره ورضاه بكونه يشغل الموضع الاخشن . الثقل والخطر ومقاومة النصيب المضاد مختصة بهُ ؛ وله الافتخار بحماية الاخت الكبيرة والاخ الصغير . ما ادّخره من الدراهم هو المال المشترك الذي يأخذ منه جميع محبوبيه ، وهو يزيد حصة كل منهم بجميع ما يطرحه عن ذاته . فيرى بفضل جهوده ، وهو مقتفٍ آثار ابيه ، كل الاخوة علماء واقوياء ، وكل الاخوات رزينات وجميلات .

هو الذي في كل فصل من السنة يجهز البيت بلوازم جميع الاعياد ، فيكثر فيه الزهور ودواوين الشعراء . خلاصة القول انه يشتغل ليلاً ونهاراً ، غير مكترث لذلك ، فان الآخرين يتنعمون . اليس هو الاب في نوبته ؟ اذا شاخ ، فان الاطفال ينمون . من الوظيفة التي جعله فيها الاله اللطيف ، لا يحيد ساعة واحدة ؛ فهو يجابه الاعداء فيها ، بل يموت فيها اذا تحتم عليه ان يموت . حين يعوز القطيع الراعي الغائب — اواه ! — وربما توفي ، فمثله الكلب الصالح ، يموت بعد سيده في سبيل النجدة والحماية .

هكذا ، حين يتوفاني الله ، تعلم كل العلم الحصة المتاحة لك في ميراثنا الزهيد والمختصة بك من دون قسمة . سوف يسند صغارنا ، بيد انه ينبغي لي ان أولد فيك ثانيةً . السهر والكفاح والتألم لاجلهم ، ذلك ، يا ابني ، هو حق بكريتك ! »

الجد يجب احفاده برقة و تحنو في الغالب من الافراط في غض النظر عن عيوبهم والصبر على ملاهيهم الصاخبة، بل يحلو له جداً ان يشاطرهم اياهما، متوهماً انه يستميد شيئاً من هدوء طفولته وسعادتها المحضة، بعد اضطرابات حياته الطويلة وكروبها. لقد اجاد ڤيتال آثا Vital Aza (١٨٥١—١٩١٢) الاسباني كل الاجادة في وصف ذلك الحب الحار الفتور المتنازل، وهو يحادث غنياً اعزب من معارفه :

« اؤكد لك يا پسكال (Pascal)، انه ليس على الانسان سوى الرضى بنصيبه؛ من يستطيع التزوج ولا يتزوج، فعمله سيئ جداً. ترى ما هي حالتك؛ اي خيبات! باوغ الانسان الستين من عمره، وهو ممراض واعزب! ان يكون شخص غني مثلك جالساً على هذه التكأة ولا يتمتع بسوى محبة خادمة بيت كثيرة الدمدمة! وحين تمرض مرضاً ثقيلاً، يأتي هنا للعناية بك اولاد اخوتك، وهم يتمنون ان تموت! اتدعي ان حالك حسن جداً؟ فلنسلم بذلك؛ هذا ذوقك وقد قُضي الامر، لكن لي غير رأيك في هذا الشأن. هذه الاثرة وخيمة العواقب؛ فليمش اعزب من شاء؛ اما انا، فبدون عائلة كنت قد مُت من زمن بعيد، يا پسكال. اشاهد افراحي كاملة حين ارى ذاتي، وانا قاعد في منزلي، محاطاً باولادي واحفادي. فخر شيخوختي: عشرة احفاد! جمهور! انت لا تعرفهم؛ العشرة فاتنون. شقر مثل الكاروبيم، اصحاء، ولاولئك الاطفال الصغار خدود وربلات سيقان... وما اشد شهوتهم للطعام! أهم طائشون؟ كلا! يمكن ان يجاريهم غيرهم بالجمال، ولكن من المحال ان يفوقوهم.

يوجد واحد فقط منهم، پيپه (Pepe)؛ هذا التاعس الصغير اعرج وافطس الانف، واحدى عينيه حولاء، لكنه اكثر علماً من ليپه (Lepe). حين يأتي اليّ برجله العرجاء ويلاطفني هذا الملعون، ينال من جده كل ما يشتهيه. من البديهي، في الحقيقة، انهم، مع كونهم موضوع ملاطفة شديدة، اطفال مجتهدون جداً، ذوو علم فاحش، اكثر جداً من علمي. اصغرهم، مريم، اوفر بمعرفة للجغرافية من الذي ابتكرها. وايم الحق؛ هي استاذة، فتجعلني في مواقف حرجة! احفاد اليوم اولئك، اصحاب الثقافة الواسعة، هم عفاريت! اتصدق ان

تلك الصغيرة قد سألتني البارحة اين الكونغو، فلم اعرف كيف اجيبها. فأغربت الخبيثة في الضحك وقالت: «هو، لا جرم، في افريقية». فأجبتها: «اذلك صحيح؟ فلاحظي جهلي؛ قد ظننت انه في الصين». ومن ثم، فلكي اتجنب امثال تلك الحماقة، اقول لهم: «اذا اردتم ان تبقوا معي، فلننبذ العلم ولنشرع في اللعب! اعفوني من هذه الاحاديث التي ليست من شؤوني؛ فلنُعرض عن الجغرافية ولنترك الرياضيات. ما درسته قد نسيته، ومع معرفتي ان علمي زهيد، لا احتاج في سني الى معرفة شيء اكثر مما اعلمه، فلنلعب فوراً»!

وحين اصبح هذه الصيحة، تبدأ بلبلة هائلة، فما من طنفسة تقوى على احتمالها. احدهم يصعد على تحت، والآخر يثب فوقي، واسمع «جدي» من هنا و«جدي» من هناك... وما اكثر الركض في الدهاليز!

— اتركض انت ايضاً؟

— اولادي يقولون اني شرٌ من صغار الاطفال! انا هكذا، ولا انكر الامر. لا ادري اعملي حسن ام سيء، لكني اخاف لك، يا بسكال، بان هذا اللعب يفتنني. فاضحك وسمّني طفلاً، إهزأ بظاهر خرفي... انت الشديد الاثرة، غير جدير بذلك النوع من المودة. انت لا تستطيع فهم الحب؛ ماذا تدرك من ذلك؟ اتعرف ما هي قبلة من حفيد؟ هيهات ان تعلم ذلك! هي السعادة المشتهاة، هي جوهر الحب، هي اعظم ملاطفة، هي شيء يمنح الحياة: هي ما لم تشعر به قط! هي رؤية سماء في العالم! انا التمس من الله امراً واحداً بتوق حار، وهو ان ارى ذاتي محاطاً باحفادي، اعزاء روحي، حتى اموت بسلام، حين يدعوني الى جواره.»

حب الوطن ما هو سوى مظهر من مظاهر الحب المتبادل بين اهل بلد واحد، جمعتهم منذ قرون عديدة، في الغالب، وحدة الاصل واللغة والشرائع والعادات، تحت سلطة حكومة واحدة. ذلك الحب الشريف الذي اسمه الوطنية، يثير في قلوب ذويه مقاومة الاجنبي المحتل بلادهم بقوة الاسلحة او بواسطة اخرى، والواطئ حقوق استقلالهم، فيحث المواطنين على بذل النفس والنفيس لكسر نير الاستعباد، ولو اقتضى ذلك خوض غمار حرب ضروس. لويس مركنيني (١٨٢١—١٨٧٢) الايطالي قد دعا كل مواطنيه، بلهجة تذكّر انفجار

البراكين ، الى توحيد قوائهم لطرد النمسيين المحتلين قسماً كبيراً من شمال قطرهم، فلبّوا نداءه ونصرهم الله تعالى على اسيادهم الطغاة :

« القبور منفتحة والموتى ناهضون ، وشهداؤنا قد قاموا كلهم ، والسيوف في قبضتهم ، واكاليل الغار على شعر رأسهم ، ولهيب ايطاليـة واسمها في قلبهم ! نحن آتون ، نحن آتون ! فقومي ايتها الزُمر الفتيّة ! لتنتصب في الريح راياتنا في كل مكان ! ليقُم جميعكم بالحسام ، ليقم جميعكم بالنار ، ليقم جميعكم بنار ايطالية في القلب ! أخرج من ايطالية ، اخرج فقد حان خروجـك ، اخرج من ايطالية ، اخرج ، ايها الاجنبي !

بلد الزهور والالحان والقصائد فليصر ثانيةً ، كما كان ، بلد الاسلحـة ! لقد كبلوا ايدينا بثة كبل ، ومع ذلك لا تزال تعرف كيف تهز سيوف معركة لنيانو[1] . العصا الالمانية لا تقمع ايطالية ، وسلالات رومية لا تنمو تحت النير! منذ الآن لا تقبل ايطالية اجانب وطغاة ، فقد دامت خدمتها لهم اعواماً مفرطة الكثر . أخرج من ايطالية ، اخرج قد حان خروجـك ! اخرج من ايطالية ، اخرج ، ايها الاجنبي !

بيوت ايطالية مصنوعة لنا ، وهناك على ضفاف الطونة[2] بيت قومك. انك تُتلف حقولنا وتسرق خبزنا ، ونحن نريد ان يكون ابناؤنا لنا. جبال الالب وبحران هي حدود ايطالية ، وبمركبة النار[3] نقطع جبال الأبنين، والآن ننصب علمنا في كل مكان بعدما دُمرت كل علامة للحدود القديمة. اخرج من ايطالية، اخرج فقد حان خروجك ، أخرج من ايطالية ، اخرج ، ايها الاجنبي !

فلتكن الالسنة خرساء والاذرع متأهبة ، ولنُدر وجهنـا الى العدو فقط ، وعن قريب يذهب الاجنبي وراء الجبال ، اذا توحدت فكرة ايطالية بأسرها. لا يكفي الظفر القائم بغنائم همجية، بل لتوصَد ابواب ايطالية في وجه اللصوص ! ان اقوام ايطالية كلها قوم واحد ، ومدنها المئة هي جميعها مدينـة واحدة !

١) لنيانو (Legnano) مدينة في ولاية ميلانو ، وقد انتصر اهاليها في جوارها على امبراطور المانية فردريك الاول سنة ١١٧٦ .

٢) اسم نهر كبير في النمسـة .

٣) يعني الشاعر القطار .

اخرج من ايطالية ، فقد حان خروجك ! اخرج من ايطاليـة ، اخرج ، ايها الاجنبي ! »

الحب المتبادل بين جميع بني آدم مع اختلاف اديانهم وجنسياتهم ومصالحهم ، هو شبه ملاط يصل ويوحد مئات ملايين حجارة بناء المجتمع ، فيجعلها صرحاً راسياً شامخاً ، لا يقوى على دكه تباين الآراء والاميال ، ولا تنازع الخيرات . فلولا ذلك الاخاء الصادق ، المتجلي في التعاون الدائم ، لافضى حتماً تخاذل البشر وتحاربهم الى هلاك جميعهم . لقد عبّر ارمان سولي برودوم Armand Sully Prudhomme (١٨٣٩—١٩٠٧) الفرنسي عن كل ذلك تعبيراً جامعاً بين الايجاز والاعجاز :

« الفلّاح قال لي في منام : « إصنع خبزك ، فاني لن اقوتك منـذ الآن ، فحك الارض وازرع » . الحائك قال لي : « اصنع ثيابك انت ذاتك » . والبناء قال لي : « خذ المالج بيدك » . وفي حالة انفرادي ، بعدما خـذلني جميع البشر الذين كنت اجرّ ورائي ، في كل مكان ، وقرّ لعنتهم المستحيل تسكينها ، كلما تضرعت الى السماء طالباً منها رحمة فائقة ، وجدت اسوداً واقفة على طريقي . »

ثم فتحت عينيّ مرتاباً في حقيقة الفجر ، فاذا رفقاء جُسُر يصفرون على سلّمهم ، والانوال تدوي ، والحقول تُزرع . فعرفت اني سعيـد ، وان في العالم الذي نسكنه . لا يوجد من يسوغ له الافتخار باستغنائه عن الناس ، ومن ذلك اليوم هويتهم كلهم . »

قد ذكرنا انواع الحب النبيل الذي اجاد وصفها بعض الشعراء المفلقين ، وقد ادركوا ذلك الشأو البعيـد من الاجادة في وصف الموت ، وايم الحق ان الموت ليس ختام حياتنا الزائلة فقط ، بل يجب ان يكون للصالح الانتقال من الحب الارضي الطاهر المتألم الى الحب السماوي الابدي السعادة ، وللطالح الانتقال من بغض الله والانسان ، المصحوب ببعض الملذات السافلة ، الى ذلـك البغض عينه مؤبداً في نار جهنم . ذلك الفرق العظيم يهون علينا فهم تمتع ربوات من الخطأة بانواع الخيرات الارضية المحضة ، كما اوضح نحنا ملندث فلدس Meléndez Valdés (١٧٥٤—١٨١٧) ، في « فلاح الاشرار » :

« في بحبوحة مجده كان الخاطئ يقول هذا القول : « عبثاً يستطيع الرب مد يده الضعيفة الى حظي ، فان جبيني يرتفع الى الغيوم ويحتجب في السماء . اين الصديق واين وعود الاله الذي يترنم متواضعاً ؟ بمرة خبزه وعسل طعامي وشوك فراشه ؛ اي ثمر انتجه بفضيلته الباطلة ؟ فلنكد على حياته مكيدة ، وليستأصل ابنائي بالسلاح بيوته واراضيه ، وليحملوا مجدي الباذخ الى اقصى العصور ! فان اسم الصلاح كالسحابة ، يتلاشى عند الموت ؛ اما اسم الرجل القدير فيزداد سناؤه شيئاً فشيئاً ويرتقي الى الكواكب ، فلنسقط ، فلنسقط في فخاخي سذاجة الصديق !

تكلم وانا عابر ؛ ولكنني حين ادرت وجهي لأرى هامته، لم اجد مقره ! »

الحمام رهيب على كل حال ، ولا سيما موت آلاف النواتي الذين قضوا غرقى في لجج البحر المظلمة ، بعيدين عن عائلاتهم ، بحيث لا يبقى لهم اثر بعد عين . ذلك ما صوره فيكتور اوكو Hugo (١٨٠٢—١٨٨٥) الفرنسي ، بمخيلته القديرة وشعوره الرقيق ، تصويراً في « الليل على المحيط » :

« آه ! كم من النواتي ، كم من الربابنة المنطلقين بفرح لاسفار بعيدة ، قد فنوا ضمن هذا الافق الحزين ! كم منهم قد زالوا — ويحاً للنصيب القاسي المشؤوم ! — في بحر بلا قعر ، في ليلة بلا قمر ، وهم مدفونون الى الابد تحت المحيط الاعمى ! كم من اصحاب السفن الموتى مع نواتيهم ! فان العاصفة قد انتزعت من حياتهم جميع الصفحات ، وبنفخة واحدة قد نثرت كل شيء على الامواج ! لن يعرف احد خاتمتهم المنحطّة في اللجة ، فان كل موجة ، وهي عابرة ، قد حملت غنيمة ؛ احداها خطفت الزورق ، والاخرى البحارين !

لا يعرف احد نصيبك، ايتها الرؤوس المفقودة ! انك ترتقين مجتازة المسافات المظلمة ، وصادمة بجباهك الميتة صخوراً طافية مجهولة . آه ! كم من الوالدين الذين لم يبق لهم سوى توق واحد ، قد ماتوا منتظرين كل يوم ، على الساحل الرملي ، من لم يعودوا من اولادهم !

يسأل الناس : « اين هم ؟ أهم ملوك في جزيرة من الجزائر ؟ هل غادرونا ليحلوا في شاطئ اخصب » ؟ ثم يُدفن تذكاركم عينه ، الجسم يضيع في الماء ، والاسم في الذاكرة ، والدهر الذي يسكب على كل دُجية دجية اشد سواداً .

قد القى على المحيط المظلم النسيان المظلم ! عن قريب يكون شبحكم قد زال عن عيون كل الناس ؟ اليس لاحدهم قاربه ، وللآخر محراثه ؟ اراملكم وحدهن ذوات الجباه البيضا، التعبات من انتظاركم طول تلك الليالي التي العاصفة ظافرة فيها ، سوف يواصلن الكلام عنكم ، وهن يحركن رماد موقدهن وقلبهن ! وفي الختام ، اذ يكون القبر قد اطبق جفونهن ، لن يعرف اسماءكم شيء من الاشيا، ، حتى حجر وضع في المقبرة الضيقة التي يجيبنا فيها الصدى ، حتى صفصاف اخضر تتساقط اوراقه في الخريف ، حتى الاغنية الساذجة العادمة التنوع في نغمتها ، التي يغنيها متسول في زاوية جسر قديم !

اين التوائي الغرقى في الليالي الدامسة ؟ يا امواج ، كم تعرفين من الروايات المحزنة جداً ، ايتها الامواج العميقة التي ترهبها الامهات الجاثيات ! انت تتناقلينها حين ركوبك مياه المد[1] ، وذلك هو سبب تلك الاصوات اليائسة الصادرة عنك في المسا، ، عندما تأتين الينا . »

مها كانت اهوال الموت ، فهو رقاد طويل تليه قيامة جميع البشر لنعيم او عذاب ابديين . وقد عبّر تعبيراً فتاناً عن هذه الحقيقة المشتركة بين مئات الاديان ارمان سولي پرودوم Sully Prudhomme في « العيون » :

« زرقاء او سوداء — وكلها محبوبة ، كلها جميلة — عيون لا تحصى قد رأت الفجر . الآن هي راقدة في قعر اللحود ، والشمس لا تزال تطلع ! الليالي ، وهي احلى من النهُر ، قد فتنت عيوناً لا تحصى ، مع ذلك تسطع النجوم على الدوام ، والعيون قد امتلأت ظلاماً !

آه ! ان تكون قد فقدت النظر ؟ لا ، لا ، ذلك غير ممكن قد لفتت نظرها في مكان ما ، الى ما يدعى غير المنظور ! وكما ان الكواكب المائلة[2] تغادرنا ، وهي باقية في السما، ، كذلك الاحداق لها مغاربها ، ولكن لا يصح لنا تموت . زرقاء او سوداء — وكلها محبوبة ، كلها جميلة — العيون المفتحة لا تزال بصيرة في ما وراء القبور ، وهي مفترحة على فجر عظيم ! »

طوبى ، بل الف طوبى للانسان الصالح ، الذي يجابه الموت غير هيّاب ، لانه

---

١) المد هنا بمعنى ارتفاع مياه البحر في اوقات مطردة .

٢) المنحدرة الى مغاربها .

يسلم نفسه الطاهرة بين يدي ... الرحمن ، ويرجو رجاء اكيداً ان يقوم من دُجى قبره ، في آخر الاجيال ، بجمع ما تشتت من شمل عائلته ، في دار الحياة الابدية السعيدة . لقد اوضح ذلك الرجاء المعزي لارن ده برلوك بروسي de Berluc - Perussis (١٨٣٥-١٩٠٢) الفرنسي في قصيدته البروفنسية «لاجل قبره» :

« ايها العالم ، إنني في خلوتي المظلمة ! حسبي ان يضحك شعاع صيفي على الحائط المجاور لقبري ، وان يأتي من حين الى آخر غناء زيز او ثغاء كبش ، فيتوصاني بعذوبة في رقادي الطويل . حسبي ان يمدح اهل محل قبري ، عند مرورهم بي ، اسم والديَّ المسنين الزاهر ، قائلين عني : « هو ابناً كان صالحاً مستقيماً ، وسنحفظ ذكر ذلك البيت » . حسبي ، حين تجيء احياناً في الظلام بنتي النقية الجبين الى قبري لاجل الصلاة ، ان تمزج دمعة بالماء المقدس . سانتظرك بسلام ، يا يوم الفرح الابدي ، الذي فيه ، مع جدودي واولادي ، ابني داراً عائلية جديدة في السماء . »

اكثر الناس اشد حرصاً على اطالة حياتهم وابعاد شبح الموت المرعب ، منهم على الاستعداد للتراحل لمتة صالحة . اما الانسان الحكيم ، فيتخذ من ادنى الحوادث عبرة تذكره على الدوام انه سائر حتماً بخطى سريعة الى الموت القهار ، وان اسمه لا بد ان يغوص في لجة النسيان قبل انقضاء عصر واحد على وفاته . لقد عبّر تعبيراً شديد الابتكار عن تلك الحقيقة المذلة لكبريائنا ، بطرس ده الركون Alarcon (١٨٣٣-١٨٩١) الاسباني ، في قصيدته المشهورة « عند تناول صورتي » :

« عند رؤيتك ، ايتها الصورة الرزينة ، واصلةً الى بيتي اليوم بسنّي وبوجهي ، لا ادري اي حزن مبهم اشعر به حين اقول : « هكذا انا الآن » .

ربما فكرت ان غداً ، حين لا يبقى فيك سوى آثار من عمري الزاهر ، سوف تقول شيخوختي المتكبرة لابنائي : « هكذا كنت » !

ربما فكرت ان يوماً من الايام ، عندما يريد الله ان يدعوني ، سوف تطلب صحبتك زوجتي هذه الفاتنة لتقول : « هكذا كان » !

ربما فكرت انه من الممكن الا يعرفك احد بعد اعوام عديدة ، فيقول عند مشاهدتك غريب لغرباء آخرين : « من ترى هو » ?

ربما فكرت ان احد البشر ، وقد اجتذبه ما فيك من الالوان والثياب ، يشتريك قائلًا : « هذا الشخص الوجيه لم يوجد حتماً » !

وربما فكرت في الختام انك ، انت ذاتك ، وقد انكرتِ الجميل بين اختلاف الآراء الشديد ، تأسفين لكونك صورة الركون مجهول . »

في كل عصر ومصر قد عُني الشعراء الغنائيون اخص العناية بوصف احوال النفس البشرية ، غير السابق ذكرها لان نفسنا قد خلقها الله تعالى على صورته ، وجعلها ملكة الكون المادي اجمع وحلقة الاتصال الحية بين عالم الارواح المحضة وعالم الحيوانات والنباتات والجمادات . بما ان القصائد الرائعة على هذا الموضوع تُحصى بالمئات ، نكتفي بذكر ثلاث منها . كِرّا جونكيرو Guerra Junqueiro (١٨٥٠–١٩٢٣) البرتغالي يصف لنا بعاطفة ابوية مضطرمة وبخيالات مبتكرة ، الضياء والفرح الفائضين على نفسه من ابتسام بُنيّته :

يا بنتي ، حين تبسمين ، تتزين الدار بضياء سماوي ، فان الفرح في الطفولة هو كالجناح في الطير ، والعطر في الزهرة . واهاً للابتهاج الذهبي ، للطهارة المقدسة الموجودتين في ابتسام الطفل !

اذ تضحك شفتك ، تُنشد روحي كل قصيدة نيسان[1] ! عند رؤيتي هذا الابتسام ، يا بُنيّة ، أحدّ اليك نظري ، وتنفذ السماء اللازوردية الى باطن نفسي ، وبصحبتها حمامات طائرة !

انا الشمس المنازعة ، وانت ، يا ملاكي الاشقر ، الشمس الصاعدة ، فاغمريني بالنور ! تبسمي وانثري مسحوق الذهب على ردائي المصنوع بالظلام !

جبرائيل دَنُنْتْسيو d'Annunzio (١٨٦٣–١٩٣٨) الايطالي يبيّن لنا تقدم روحه في التواضع والشجاعة واللطف والشفقة ، بعد انتقالها من الشباب المفرط الاثرة والطيش الى الكهولة الرزينة :

« ايها الشباب ، اوّاه ! يذبل اكليلك على جبيني ! اشعر بثقل وطأة حمل الحياة على جبيني المخفوض ، بعدما كانت وافرة السرور ! لكن روحي زادت طيبةً في قلبي كالثمر الناضج . بتواضعها وشجاعتها تقدر على التسليم وعلى المقاومة . ان جُرحت ، فهي لا تنوح ؛ تفهم كثيراً وتغفر كثيراً . انقضت

[1]) يعني الشاعر بهذه الكلمة الربيع ومحاسنه الفاتنة .

اسحارك الاخيرة القصيرة ، ايها الشباب ؟ سكتت الشواطئ حيث زال الدُردور المرعد . اسمع الآن رنة جديدة ، ارى ضياء جديداً ؛ ارى في عيون اخوتي دموعاً شديدة السخونة ، اسمع صدور اخوتي لاهثة ! »

ارتور كَراف (Graf) (١٨٤٨—١٩١٣) الايطالي يصف لنا شدة تأثير لحن حقير حزين ، سمعه من الشارع ليلة من الليالي ، وهو على فراشه ، فخُيّل له انه نحيب نفس جرّحها العذاب واليأس :

« الم تسمع قط ليلاً ، وانت راقد في سريرك ، معلّق بين النوم واليقظة ، في ساعة متأخرة ، الم تسمع قط في الليل ، عن بُعد ، نحيب الارغن[1] في الشارع؟ نحيب بطيء الى حد الاتعاب ، نغمة رخيمة ، تبكي وتتوسل ، نغمة مسموعة كثيراً منذ الطفولة وغير منسية البتة من ذلك الزمان . هي نبرات حقيرة عالية ، فيها شيء من البح والتقطع ، شاذة عن الاصول بعض الشذوذ ، لكنها تنحب في الظلام وعن بعد ، شديدة التوجع ، شديدة اليأس ! اما تذكرت وقتئذ الايام الماضية او ضحكة امك المقدسة او حباً فقدته ، فثمرت بوابل من الدموع ينزل من عينيك وبشفرة تطعن قلبك ؟ » .

الفونس توزور Tuor (١٨٧١—١٩٠٤) السويسري يصور لنا في قصيدته الرومنشية « الزارع » افكار الفلاح وعواطفه ، حين يُلقي البذور على الحقل ، وهو في غير مأمن من كوارث الطبيعة ولا من مفاجآت الموت :

« إشرح لي لماذا يخطو خُطاه الرجل الذي يزرع هناك ، وهو ذو شفتين شاحبتين مرتجفتين ؟ لماذا هذا المحيا الرزين الجليل ، كأن صاحبه يفكر على الدوام في اسرار ؟

ترى كيف يزرع وترى كيف يمرّ على الاتلام ، من هنا وهناك ، بهم اليم . ترى كيف يرفع وترى كيف يخفض رأسه الى السماء والارض . انه يفكر بخوف ونفور شديد في الثلوج والجراد والصقيع والبَرَد ، فيطلب توصية المولى بحقله ، وهو يُمسكُ في يده القبّة المرتمشة ؟

هو نفسه قد عالج ذلك الحقل بالف تعب ، ولكن أترى يتمتع هو نفسه بشغل يده ؟ ربما كان غيرُه من يحصدون ويجمعون السنابل ويدرسون الحنطة

[1] يعني الارغن الميكانيكي الذي تسمع الحانه بادارة مقبضه .

ويذرونها ويستعملونها ! حين الحصاد لا يوجد من يسأل عن خطى الرجل ومشاقه. وربما كان راقداً مستريحاً تحت الارض الآكلة لجسمه والماحية لاسمه !

إشرح لي لماذا يخطو خطاه الرجل الـذي يزرع هناك ، وهو ذو شفتين شاحبتين مرتجفتين ؟ لماذا هذا المحيا الرزين الجليل ، كأن صاحبه يفكر على الدوام في اسرار ؟»

كثير من نوابغ الشعراء الغنائيين قد إنسوا الطبيعة غير الناطقة ، ولا سيما النباتات وبعض الجمادات كالنجوم والبحار والرياح ، اعني انهم قد اعاروها نفوساً بشرية ، لما شاهدوه من وجوه الشبه العديدة بينها وبين احوال الانسان الجسدية والروحية .

فيكتور اوكو Hugo يناجي اشجار الغابة ، بل بقعها الجرداء ومجاري مياه الامطار ، مناجاة العاشق الولهان ، فيبوح لها باسرار نفسه ، ويتمنى من صميم فؤاده ان يرقد في ظلها رقاده الاخير :

« يا اشجار الغابة ، تعرفين روحي . عامة الناس تمدح او تقدح على هوى الحساد ؛ اما انت ، فانك تعرفيني . كثيراً ما رأيتني وحدي في اعماقك ناظراً وحالماً . تعلمين ان الحجر الذي تركض عليه خنفسة ، ان قطرة الماء الوضيعة الساقطة من زهرة الى زهرة ، ان غيماً او قصبة ، تشغلني نهاراً كاملاً ، التأمل يفعم قلبي حباً . رأيتني الف مرة ، في الوادي المظلم ، استفهم همساً اغصانيك الخافقة ، بتلك الالفاظ التي يقولها العقل للطبيعة ، وبنظرة واحدة ، اواصل في آن واحد ، وانا متأمل خافض الجبين ، غائص بنظري في العشب الكثيف ، استقصاء ذرة واستقصاء العالم ! ايتها الاشجار ، قد رأيتني اهرب من الانسان واطلب الله منتبهاً لاصواتك ، التي لكل منها بعض الحديث .

ايتها الاوراق المرتعشة في طرف الغصون ، ايتها العشاش التي تنثر منها الريح الارياش البيض ، ايتها البقع الجرداء في وسط الغابة ، ايتها الاودية الصغيرة الخضراء ، ايتها القفار المظلمة اللطيفة ، انك تعلمين اني هادئ نقي مثلك . عبادتي تصاعد الى الله تصاعد عطورك الى السماء ، وانا ممتلئ خوراً شبه امتلائك صمتاً . عبثاً يفيض البغض مرته على اسمي ، فاني ، على الدوام ، — استشهدك

على ذلك ، ايتها الغابات التي نحبها السماء — على الدوام قد مجدت بعيداً عن كل خاطر مر ، ولا يزال قلبي كما صاغته لي امي .

يا اشجار هذه الغابات الكبيرة ، الدائمة الخفقان ، اني اهواك ! وانت ، ايها الجلبلاب الثابت على عتبة المغاور الصماء ، يا مجاري مياه الامطار التي يجمع بين تلك الينابيع ، ايتها الادغال التي ينهبها العصافير ، اولئك الندامى الفرحون . كلما كنتُ بينك ، يا اشجار تلك الغابات الكبيرة ، في كل ما يحيط بي ويخفيني في آن واحد . في خلوتك التي الج فيها باطن روحي ، اشعر بكائن عظيم يصغي اليّ ويهواني !

ولذلك ، ايتها الغابات المقدسة التي يتجلى فيها الله بنفسه ، ايتها الاشجار الورعة ، ايتها السنديانات ، يا نبتات الطحلب ، ايتها الغابة ، ايتها الغابة ، في ظلك وفي خفائك ، تحت اغصانك الجليلة المعتزلة ، اريد ستر قبري المجهول . واريد الرقاد يوم رقادي الاخير . »

يوسف سلكاس Selgas (١٨٢٤–١٨٨٢) الاسباني يصف لنا تعزية سروة ناظرة الى السماء اصفصافة تذمرت من احزانها الدائمة ، وغبطت الكائنات التي لا تشوب افراحها شائبة :

« اذ كان المساء الكئيب الهادئ يلبس مرة اخرى رداءه الخفي على ابواب الليل المظلم ، بعد مغادرته المرج والغابة الظريفة ، كانت صفصافة ناحلة تترجح لتخفيف كربها الدائم ، وقد سمعت وهي تتذمر عند نسمة الريح ، بصوت رخيم ، مفعم بالزفرات :« لقد ولدت حزينة ، ولكن تسكن في العالم كائنات سعيدة تجهل الالم الكارب والبكاء المستتر والحزن » ! قالت ذلك ونثرت اغصانها على الارض ، فاجابتها سروة ناظرة الى السماء « آه ! طوبى للذين يبكون على الغبراء » ! »

شرل لكونت ده ليل Leconte de Lisle (١٨١٨ — ١٨٩٤) يقارن فؤاده المصاب بمرض روحي عضال ، افقده الحياة واللهيب والصوت ، بقلب الشمس الغاربة الجريح ، فيغبطها لكونها تموت في المساء ، وتولد ثانية في الصباح التالي :

« ريح الخريف المائلة لزمزمات البحار ، تلك الريح الملأى بانواع الوداع

الاحتفالي وبشكاوى مجهولة، تهز على طول الشوارع ذات الاشجار، الايك الضخم المحمّر بدمك، ايتها الشمس. الورق طائر بين السُحب بشكل الاعاصير، وتُرى اوكار كبيرة مائلة الى النوم عند قرب المساء، مصبوغة بالارجوان في طرف الغصون العارية. متذبذبةً في نهر قاتم الحمرة.

إنزل، ايها الكوكب المجيد، ينبوع النهار ومصباحه! ان مجدك سائل من جرحك بهيئة شلالات من الذهب، كما ينحدر من صدر قدير حب فائق. موتنّ فانك تولد ثانيةً، ورجاء ذلك اكيد. ولكن من يعيد الحياة واللهيب والصوت الى قلب قد تمزق آخر تمزق ؟ ».

قد بلغنا اقصى حدود مقالة صالحة للنشر في مجلة يجب تنويع مواضيعها، يرضي طبقات من القرّاء المختلفي الاذواق والاميال. على كل حال نرجو ان ان تكون منها لجميعهم فائدة وتفكهة، اولًا لجدة موضوعها، فان «المشرق» لم ينشر شيئاً عليه في حياته الطويلة، ثم لان شعرنا الغنائي الممتاز لا يزال، على رأينا، في نشأته، وهو في مجموعه قليل المادة، زهيد الابتكار في الخيالات والتعابير. فلا بد لنا من تعريب كثير من بدائع ذلك الشعر عند نوابغ اصحابه الغربيين، لنقتبس منهم شيئاً من غزارة مواضيعهم وقدرة مخيلاتهم، فضلًا عن عمق الافكار ونُبل العواطف.

رد المفتري عن الطعن في الششتري

رضي الله عنه

لعبد الغني النابلسي

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تصدير

لا يخفى على القارئ، ما للنابلسي من المؤلفات التي ضمّت في صفحاتها من التحليلات العميقة والدروس النفسانيّة والاطلاقات العقلية وهو في كلّها يسمو إلى اجواء عالية تجعل من المؤلّف مصدرًا وسيّدًا في تلك الابواب التي طرقها وفي السبل التي فتحها .

اشتهر النابلسي خاصّة في علم التصوّف . واذا نذكر له مؤلّفًا صدر اخيرًا كسب به الشهرة الراسخة وهو « الفتح الرباني والفيض الرحماني » (نشرة الاب انطونيوس شبلي) لا ضمل مؤلفات عديدة اخرى في العلم نفسه . وهذا المؤلف الصغير الذي نحن بصدده يلفت نظر القارئ، الى التفسير الروحاني للخمرة التي كانت منذ القدم عند المتصوفين رمزًا للمزّة الالهية الفيّاضة حسب التقليد في هذا الباب . ولقد نشرنا في هذه المجلّة لثلاث سنوات خلت كتاب دعوة النفوس واظهرنا اذاك ما للخمرة من الفاعلية على عقلية الصوفي وعلى تأويلاته الروحانية . ولذا فاق النابلسي يدافع عن الششتري ولكنه لم يُطلعنا في هذا المؤلف على سعة معارفه وسعة اطلاعه كما ترى ذلك في الفتح الربّاني وهو يعترف بذلك اذ انه لم يقض الّا نصف يوم في تأليف هذه الرسالة . ولكننا نشعر أن كلامه كلّه يستند الى بحر يزخر بالمعلومات والمعارف .

وجدنا مؤلّفنا هذا مجموعًا الى مخطوط ابن خرداذبه «مختار من كتاب اللهو والملاهي» وهو من مكتبة السيد الذكر حبيب زيّات . محفوظًا بخط نسخي جليّ ومكتوبًا بحبر احمر تارة وبحبر اخضر تارة اخرى . في سطره نسع كلمات وفي صفحته ١٧ سطرًا .

لا يتميّز هذا المخطوط بتجديد المفردات الصوفية أو بغناها . انما فيه من طريقة النابلسي ما يفيدنا الكثير عن عقليته وانّ اخطأ الناسخ مرّات في ترتيب الكلمات وكتابتها .

وللقارئ، الكريم فائدة من مطالعة هذا المؤلّف .

[١] بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . اما بعد فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير عبد الغني ابن النابلسي الدمشقي الحنفي خادم كلام السادات وحامل نعال الفقراء ارباب السيادات . طلب مني بعض الاخوان كتابة شيء من فيض الملك المنان بطريق الشرح لعقيدة العارف بالله تعالى الششتري تلميذ الشيخ العارف الكامل عبد الحق ابن سبعين قدس الله روحهم ، ونور ضريحها على وجه البيان لمعنى تلك الاشارة والتبيان في تحقيق هاتيك العبارة فاجبته الى ذلك مستمداً من امداد القدير الملك . وسميته رد المفتري عن الطعن في الششتري . والله ولي الهداية والتوفيق وبيده ازمة التحقيق .

مقدمة

اعلم يا اخي في رضاعة ثدي الاسلام والتربيـة في حجر الاذعان للدين المحمدي والاستسلام [٢] ان الله تعالى يقول فيما انزل على نبيه خير الانام ان الدين عند الله الاسلام . وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم . قال : اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي. قالوا نعبد الاهك والاه ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الاها واحداً ونحن له مسلمون . وقال تعالى : ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانيـاً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . وقال تعالى : وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا الى غير ذلك . نعلم من هذا ان الانبياء والمرسلين عليهم السلام كانوا كلهم على دين الاسلام الذي هو [٣] دين الله تعالى في السموات والارض ولا دين الا هو .. ثم ان الله تعالى بعد موت الانبيا والمرسلين عليهم السلام وانقراض عمرهم جعل الله تعالى في هذه الامة المحمدية اوليا. في كل زمان هم ورثة الانبيـاء الماضين في العلوم الالهية والحقايق العرفانية لا فيما يدخله النسخ والتبديل والتغيير من الشرائع العملية والاحكام التكليفية . قال الشيخ الاكبر محي الدين ابن

العربي قدس الله سره : الاولياء على عدد الانبياء فلا بد ان يكون في كل عصر ماية الف ولي واربعة وعشرون الف ولي لا يزيدون ولا ينقصون لكل نبي ولي . انتهى كلامه . ولا شك ان هذا جعله الله تعالى جبرا لهذه الامة حيث ختمت فيها النبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعد نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الورثة من العلماء بالله تعالى موجودون في كل وقت الى يوم القيامة والورثة تحققوا بمشارب النبيين والمرسلين عليهم السلام فكان الانبياء والمرسلين كلهم عليهم السلام لا يفارقون هذه الامة بامداداتهم في كل حين فكل زمان من الازمنة الماضية كان فيه نبي يخدم امر الله تعالى لاهل ذلك الزمان بالارشاد والتعليم والهداية . وهذه الامة كل زمان فيهم ورثة جميع الانبياء والمرسلين يخدمون امر الله تعالى لاهل ذلك الزمان بخدمة النبيين طاعة وعبادة لرب العالمين ولا بد ان يروا من الاذي مثل ما رأت الانبياء قبلهم من اهل العناد والكفر ويصبروا كما صبروا ولكن اختفي الامر عند غير اهله والتبس احوال الاولياء الصادقين على الاجانب منهم الجاهلين والعصابة الغافلين من كثرة الافتقار وقلة الاعتقاد وسوء النيات وخبث الطويات ولنا من النظم في ذلك من المواليات قولنا :

يا منكرين الكم في ناركم كيات نياتكم صيرت اعمالكم حيات
انتم عميتم عن المنشور في الصيات والكل بالله والاعمال بالنيات

[٥] ولا شك انا معاشر المسلمين نحن الاولي والاحق بجماعة الانبياء والمرسلين دون انتساب غيرنا اليهم من جميع طوايف الكافرين قال تعالى : ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا . ففي الاولياء ادمي محمدي ونوحي محمدي وادريسي محمدي وابراهيمي محمدي وموسوي محمدي وعيسوي محمدي وهكذا الى آخر الانبياء المذكورين في القرآن وغير المذكورين فيه كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ومنهم المحمدي الجامع لجميع مشارب النبيين كلهم . ويقال في خاتم الولاية المحمدية وهو في كل زمان واحد لا يتعدد يكون خاتماً لاولياء زمانه على قلب خاتم النبيين . فان كان التجلي الالهي عليه في الحقيقة العيسوية المحمدية كان لسانه في

ذلك المشرب لساناً سريانياً يعني [٦] غير متبين المعنى وكتابه المنزل على صدره بمكة الالهام لا بوحي النبوة كتاباً سريانياً ومعنى انجيلياً فهو الولي المسلم المؤمن المحسن اسلاماً وايماناً واحساناً عيسوياً محمدياً وحكمته روحانية وهو على ما هو عليه في هذه الملة الاسلامية المحمدية من الاعمال والطاعات والاعتقادات والاحوال ولكن الصبغة مثل تلك الصبغة العيسوية في دين محمد صلى الله عليه وسلم وكثير من الاوليا. يكون لهم هذا المشرب في جميع اوقاتهم او في بعض الاوقات كالجمدي الجامع. فان له هذا المشرب في وقت دون وقت وقد كانت حقيقة عيسى عليه السلام في بني اسرايل تقرر احكام التوراة في الاعمال الظاهرة وتبين اسرار الانجيل فيما لا يدخله نسخ من الاسرار الباطنة . وكان اصطلاح ذلك بتلك اللغة السريانية حيث هو لسان بني اسرايل كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشا. [٧] ويهدي من يشا. . فلما نقل الانجيل الى اللغة العربية عربوا تلك المقامات السريانية الانجيلية فسموها بالدير والراهب والطريق والشماس والقسيس والخمر والكاس والكنيسة . ولم يكن هذا اللفظ في الانجيل ولكنه هناك بالفاظ غير هذه الالفاظ وهي اسما. الاسرار الالهية واحوال ربانية عرفانية اذا كان فيها العبد يسمى بتلك الاسما. كما ان في شريعتنا يسمى العبد مومناً ويسمى مسلماً ويسمى سالكاً ومريد اتيامه باحوال باطنية الالهية ومطيعاً ويسمى عابدا ويسمى راكعاً وساجداً اذا اتى باعمال مخصوصة وافعال معروفة واذا ترك الاكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الثاني الى الليل ناوياً العبادة ويسمى صايماً واذا قصد مكة محرماً يسمى حاجاً ومعتمرًا وهذا في امثال ذلك فيسمى شماساً لشهوده شمس الازل ويسمى بطريقاً لخدمته كبرا. ملته ويسمى راهباً لخوفه حقيقة القيام عليه ويسمى قسيساً لتحققه بمعرفة الاعظم ويطلق الخمر على معاني التجليات الالهية اذا تحقق بها العبد ويطلق الكاس على الصورة النفسانية اذا تحققت بالمتجلي الحق لها [٨] منها وتسمى الكنيسة اذا كنستها السالكون عن نجاسات الاغيار وطهرتها عن لوث التصرف والاختيار بالقوة والاقتدار وهكذا الامر في هذه الاصطلاحات الانجيلية والمقامات الالهية والعبارات السريانية .

ولما عبرت بهذه الالفاظ وادعت طايفة النصارى القيام بها والظهور بحقائقها

وهم كافرون بالله تعالى وبجميع الانبياء. وان زعموا انهم مومنون ببعض الانبياء كعيسى عليه السلام على دعواهم . فان محمداً صلى الله عليه وسلم نسخ جميع تلك الاديان وما نسخه لها الا من حيث الاعمال الشرعية كما ذكرنا . واما في العقايد فانه لا يدخل النسخ ومن كفر فان الله تعالى لا يهديه الى الحق . قال تعالى : ان الله لا يهدي القوم الكافرين . وقال تعالى : ومن يومن بالله يهد قلبه . فعند ذلك غار الحق تعالى على مشرب عيسى عليه السلام ان يدعيه من هو فيه من الكافرين [٩] فكان هــذا من جملة الحكم والاسرار في جعل الاولياء في هذه الامة على عدد مشارب جميع الانبياء عليهم السلام في كل زمان. فجعل سبحانه اولياء عيسويين محمديين يتملون اصطلاحات الانجيل الحق الذي هو كتاب عيسى عليه السلام فيتزل على قلوبهم بالالهام لا بوحي النبوة لئلا تضيع تلك الحقايق وتنقطع حاتيك الرقايق . قال تعالى واورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية . وليس ببعيد نزول الكتب ثانياً بالالهام على قلوب الورثة كما نزلت اولاً بالوحي على قلوب الانبياء عليهم السلام ونقل عن ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه وقد كان وارثا محمدياً جامعاً انه قد نزل القرآن على صدره بالالهام فالهمه الله تعالى جميع القرآن من غير قرأة على احد فقالوا ما مات حتى استظهر القرآن اية اية .

وقال الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنــه في الفتوحات المكية في الباب التاسع والعشرين وثلاثماية [١٠] نزل القرآن على قلب محمد صلعم ثم لا يزال يتزل على امته الى يوم القيامة . فنزوله في القلوب جديد لا يبالي فهو الوحي الدايم فللرسول صلوات الله عليه الاولية في ذلك التبليغ الى الاسماع من البشر انتهى .

وكان الششتري رضي الله عنه من اصحاب هذا المقام وقد استعمل في نظمه اصطلاحات الانجيل وسلك هاتيك المسالك العيسوية الربانية وهو محمدي ولكنه محمدي عيسوي في هذا المشرب المذكور وكلمته عربية محمدية لانها كلمة الاهية ولكنها في هذا المشرب سريانيــة عيسوية محمدية كما كانت كلمة عيسى عليه السلام كلمة الاهية سريانية لا عربية .

قال تعالى : وكلمة القاها الى مريم وروح منه . وقال تعالى : ذلك عيسى

ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. فاخبر سبحانه ان الامتراء حاصل في هذه الكلمة السريانية العيسوية فاذا تكلم بها المحمدي من المشرب العيسوي ظهرت [١١] سريانية كما كانت لانه تعالى لا مبدل لكلماته. والتبديل من النفوس والاوليا. خارجون عن احكام النفوس فهم تحت احكام ربهم. قال تعالى: ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الناس وبما كنتم تدرسون اي لا نفسانيين والنصارى الذين كفروا كانوا نفسانيين لا ربانيين فحرفوا الكلم عن مواضعه ولهذا لما جاءهم ما عرفوا كفروا به والذي جاءهم محمد صلعم فانه جاءهم بحقايق اناجيلهم وزيادة فكفروا وانكروا وسلكوا بنفوسهم وهم جاهلون ضالون مضلون. والششتري رضي الله عنه كان ربانياً مسلماً محمدياً عيسوياً والمسلمون اولى بعيسى ابن مريم من النصارى لانهم كافرون بما كان عليه من الحق وان جهلوا وعاندوا والمسلمون مومنون به وبما جاء به من الحق وسينزل في آخر الزمان يقاتلهم على ملتنا هذه ويلزمهم بها ويكذبهم [١٢] فيما افتروا عليه ويقتلهم ويسلموا او يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويبطل الجزية كما ورد في الاخبار الصحيحة فتحقق يا اخي في هذه المقدمة تفهم ما سنذكره بطريق الاجمال في معنى هذه القصيدة المذكورة وتنحل لك ان شاء الله اشكالات كثيرة في كلام اهل الله تعالى من المحققين والله الهادي الى حقيقة الحق المبين.

المقصد والبيان

اما معنى هذه القصيدة فانها لا تحصى لكثرة تشعب الحقايق وتداخل الاشارات. ولكن نحن نشير الى طرف من ذلك يسير بوجه اجمالي من فتوح الوقت وفيض هذه الساعة وامدادها من الجناب الاقدس. قال رضي الله عنه:

تادب بباب الدير واخلع به النعلا وسلّم على الرهبان واختلط بهم رحلا[١]

يعني اذا دخلت يا ايها السالك في طريق الله تعالى على المشرب العيسوي المحمدي فاكثر الادب مع الحق تعالى في باب دير الازل وهو الحضرة [١٣]

١) تقرأ في هامش هذه المنخة: بلغ مقابلة.

الالهية الديمومية الابدية التي يشهدها العارف بعد محو الزمان والمكان والغيبة عن جميع الاكوان وخلع النعل ترك الصورة النفسانية المنوية والحسية والسلام على الرهبان اعطاء الامان للقوم الواقفين في مقام الخوف والرهبة من سطوات القهر الالهي فلا ينكر عليهم حالاً من احوالهم ولا قولاً من اقوالهم ويحترمهم على كل حال .

وعظم به القسيس ان شئت خطوة   وكبر به الشماس ان شئت ان تملا

به اي بالدير يعني كن مبجلا مكرماً صاحب هذا المشرب العيسوي المحمدي اذا دخلت عليه ولا يخطر لك سواه فيه كما ورد في الخبر الشيخ في جماعته كالنبي في امته فمن انكره في حال من الاحوال فقد كفر بشربه ومقامه ومثله . والشماس وهو دون القسيس في هذا المشرب العيسوي المحمدي. فهو يتراءى انوار تجلياته في خلواته وجلواته .

[١٤] ودونك اصوات الشماميس فاستمع   لالحانهم واحذرك ان يسلبوا العقلا

اي استمع لكلام العارفين السالكين من افواههم في شرح مواجيدهم وحقائقهم وبيان اذواقهم التي هم مستطربون بها واحذر منهم ان يسلبوك عن حالك ويخرجوك عن معقولك فتصير مجذوباً معهم فيهم .

بدت فيه اقمار شموس طوالع   يطوفون بالصلبان فاحذرك ان تبلا

فيه اي في الدير اقمار شموس اي هم من حيث نفوسهم اقمار ومن حيث ارواحهم شموس وصور اجسامهم المصلوبة بالرياضة الشرعية بعد قتلها بالمجاهدة الالهية في الطريقة المرضية كما ورد عن رابعة العدوية رضي الله عنها انها كانت من كثرة المجاهدة كالشن البالي اي المحراب العتيق والقربة البالية .

وایاك ان تسمع لهن بحكمة   واياك ان تجمع لهن بك الشملا
فان كان هذا الشرط وفيت عهده   ولم تنقض منه عهوداً ولا قولا
[١٥] دعوك بقسيس وسموك راهباً   وابدوا لك الاسرار واستحسنوا الفعلا
واعطوك مفتاح الكنيسة والتي   بها صورت عيسى رهابينهم شكلا

يعني احذر ان تسمع حكمة هؤلاء العارفين تعمل بها على مقدار ما سمعتها فانك ما سمعتها كما هي عندهم وانت لا تعرفها فتعمل بها لانها سريانية محمدية وانت عربي محمدياً . فان علمت بهذا الشرط وامنت بكلامهم على حسب ما يعرفون واصطبرت عليهم حتى فتح عليك بها من نفسك على يدهم ولم تتأول عليهم شيئاً مما رأيت ولم تنكر واستطعت معهم صبراً صرت كاملاً في مقامهم هذا ومشربهم العيسوي المحمدي وسموك بما هم يسمون به بعضهم واظهروا لك اسرارهم واعطوك مفتاح كيفية الدخول في مداخلهم واتهموك الصور التي في نفوسهم تظهر لهم فيها الحقيقة الالهية فينزهونها بحكم ليس كمثله شيء ويشبهونها بحكم وهو السميع البصير وهو التشبيه الشرعي [١٦] الذي ورد بالمعنى الذي يعلمه الله تعالى. وقد ذكر تعالى فيه انه سبحانه له وجه بقوله اينما تولوا فثمّ وجه الله . وله يد بقوله: يد الله فوق ايديهم الى امثال ذلك والتنزيه لازم في جميع ذلك . ومثل هذا المتشابه ورد في الانجيل ايضاً على حسب تلك المشارب العيسوية : .

نعم كلما قد قلته لي سمعته ولا ابتغي في ذاك ردًا ولا ميلا
ولما اتيت الدير امسيت سيدًا واصبحت من زهدي اجذبه الذيلا
سالت عن الخمار اين محله فهل حال حالي للوصول به ام لا

ثم اخبر الناظم قدس الله سرّه انه قبل ما ذكر الشروط وعمل بها في ايام سلوكه وانه جاء الى دير الازل متادباً حتى صار من الكاملين رضي الله عنه ثم سال عن الخمار اي الذي يسقي الخمرة الالهية في ذلك الدير وهو شخصه الذي سلك على يده او به تعالى من قوله سبحانه :

وسقاهم ربهم شراباً طهوراً .

فقال وراسي والمسيح ومريم ودين ولو بالدير تبذله بدلا
[١٧]فقلت ازيد التبر للدر قال لا ولو كان ذاك التبر تكتاله كيلا
فقلت له اعطيك خفي ومصحفي واعطيك عكازًا قطعت بها السبلا
وهاك حرمداني وهاتيك شيلتي وهادستبندي والكشكيل والنعلا

وها سر مفهومي وعود اراكتي وقنديـل محرابي انادمه ليلا
فقال شرابي عز عمله وصفتـه وخمرتنا مما ذكرت لها اغلا
فقلت له دع عنك تعظيم وصفها فخمرتكم اغلا وحرقتنا اعلا
على اننا فيـها رأينا شيوخنا وفيها اخذنا عن مشايخنا شغلا
وفيها لنـا المذال لاموا فاعذلوا واذ اننا من لبسها نترك المذلا

ثم اخبر قدس الله سره ان شيخه اقسم له من جهة هـذا المقام العيسوي المحمدي وهذا المشرب الانجيلي السرياني براسه اي رياسته في هذا التحقيق وبالمسيح وهو روحه المنفوخ في جسده الانساني من حيث انه من امر الله تعالى وبريمه وهي النفس الكلية المسماة باللوح المحفوظ في شرعتنا المحمدية كما سمي الروح المذكور بالقلم الاعلى واقسم له بالدين ايضاً وهو مشربه الخاص انه لا يكون ما اراد ولو يبذل الدر وهو جميع ما يعرفه [١٨ب] من العلوم التي استخرجها من بحار الكتاب والسنة يجب فهمه فينبغي من علومه كلها واخبر انه قال له ان يذل على ذلك التبر وهو الذهب فهو اكمل المعادن ولا يكمل معدن عبد الّا بالتخلق به في الرزانة والصبر من غـير تغير فيذهب ذلك العبد عن نفسه بالكلية ويفنى عن كل شيء . ثم انه زاد فقال له اعطينك خفي وهو صورته الظاهرة ومصحفي وهو صورته الباطنة والعكاز وهو نفسـه المشار اليها بقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي الاية . والحرمدان الجراب وهو القوة المحافظة في موخر الدماغ والشملة تصغير شملة وهي القوة المخيلة في مقدم الدماغ والدستبند وهو الزنار وهو القوة المفكرة في وسط الدمـاغ . والكشيكيل تصغير كشكول وهو قلبه الذي يتناول به ما يقيته من حضرة الغيب والنعل وهو عيشه [١٩] الذي يمشي به في الناس يعني انه يخرج عن جميع ذلك فلا يقوم فيه بنفسه ويفنى عن حظوظ نفسه في الخير والشر فلا يريد الدنيا ولا الآخرة وانما يريد وجه الله تعالى في حق الانصار يريدون وجه الله . وقال في غيرهم منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وسر مفهومه مقدار ما فهم في جبلة من معرفة ربه . فانه اعرض عنه عند وصوله الى شيخه وعود الاركة هو المسـول وهو الذكر باللسان على مقتضى ما تامره به نفسه اعرض عنه

ايضاً يرشده شيخه الى ذكر آخر يلقنه له وقنديل المحراب ايضاً هو قراءة القراءة مع الغفلة والجهل تزكيا ايضاً حتى لا يدخل تحت تربية نفسه الامارة بالسوء. كما قال بعضهم لئن يكون المريد تحت حكم هرة خير له من ان يكون تحت حكم نفسه الامارة بالسوء. وشرابه مشروبه وهو خمرته التي هي المعاني الالهية والتجليات الربانية واخبر انه لقي[٢٠] شيوخاً قبل شيخه ذلك ورأى منهم وصف ذلك ولكنه اخذ منهم الاشتغال بالاعمال الظاهرة من غير سلوك باطني. واخبر ان الجهلين لاموه على ما هو في صدده من طلب هذا الكمال كما هو عادتهم في كل عصر مع الرجال اصحاب الفضايل والاحوال .

فلما طلبناها وهمنا بحبها تركنا لها الاوطان والمال والاهلا
فقال له ان شئت لبس عبيتي تطهر لها بالطهر واصحب لها اهلا
وبدل لها تلك الملابس كلها ومزق لها الزنار واهجر لها الشكلا
فقال نعم اني شغفت بحبها ساجعلها بيني وبينكم وصلا
فدونك خمري قد اجتك بها وناولنيها من اباريقها تجلا
فقلت له ما هذه الراح مقصدي ولا ابتغي من رآكم هذه نيلا
ولكنها راح تقادم عمرها فما وصفها قبل ولا عرفت قبلا
تدل بان الله لا رب غيره وان رسول الله افضلهم رسلا
عليه صلاة الله ما لاح بارق وما دام ذكر بني الورى يتلا

ثم اخبر انه قال شيخه المذكور انه طلب هذه الخمرة وهام بحبها وزهد في كل ما سواها حتى [٢١] قال له شيخه البس عبيتي تعتبر عبارة وهي حلته التي هو لابسها من المعارف الالهية والحقايق التوحيدية وامره بان يتطهر لها بالخروج عن الاغيار ومحبة الفقراء واهل هذه الطريقة الاخيار وانه يبدل الازل في حال الغفلة فيخرج عما كان يعتاده من الاخلاق الذميمة ويقطع زنار الافكار ويهجر اصحاب العلوم الرسمية من القاصرين اهل الانتقاد والانكار ثم اخبر انه ناوله الخمرة الالهية في اباريق اي كشف له من صورة تجلياتها ومعاني ظهوراتها بالعبارات النطقية والاشارات اللفظية ثم اخبر انه قال له ما هذه العبارات

مقصدي ولا معرفة هذا الكلام الذي قاله لي مرادي وانما مرادي ان اذوق ما في نفسي هذه الحقايق وتحقق بها ذاتي وتصير لي مشرب بلا الى استمسائك واوهم مجرد معانيها ثم اخبر ان خرقته المقصودة له هو كشفه عن الحضرة القدسية [٢٢] التي ليس لها قبل ولا تتصف بالقبلية لشيء اصلا التي تعطي التحقق لمن كشف عنها بالاسم الله وبالتوحيد الذي وقى اليماني الكشفي وتعريفه بالحقيقة المحمدية وتمشي به في المقامات الجامعة عن صدق وعيان وتحقق واستيقان .

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . وقال تعالى: من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومــا بدلوا تبديلا وللششتري رضي الله عنه من موشح له في ديوانه قوله :

لا تقل يا بني كلمه الا ان كنت صادق

ولو بسطنا الكلام لطال هذا الامر واستعذب الناظرون مذاق هذا الخمر ولكن في هذا المقدار كفاية وحسب المصنف عــلى مقصوده . قال المصنف رضي الله عنه حررنا بالعجلة في اقل من نصف نهار والله يقول الحق وهو [٢٣] يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل . تمت من فيض فضل الله عــلى مداد قلم الحقير عبد الغني ابن النابلسي يوم الاحد الخامس والعشرين من جماده الاول سنة ستة وتسعين والف والحمد لله وحده .

وقد تم تحرير هذه النسخة يوم الخميس خامس عشر من شهر
ذي الحجة الحرام سنة ثلاثة ومئة والف . تم

صدر اخيراً

في مجموعة

نصوص ودروس

كتاب
الفتح الرباني والفيض الرحماني

لعبد الغني النابلسي

حققه وقدم له

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

وقابل التحقيق بين نسختي عين تراز واستانبول

ونشر في المقدمة بعض القصائد الغير معروفة للنابلسي

المشرق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة

مؤلف كتاب « ختم الاولياء » ، الـذي نقدمه للنشر لاول مرة ، هو ابو عبدالله محمد بن علي[1] بن الحسن[2] — أو الحسين[3] — بن بشر ، الملقب بالحكيم[4]

١) ترجم له في تاريخ بغداد ١١ : ٣٧٣ (٦٢٣٦) .

٢) هكذا هو مذكور في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧ — وطبقات الشافعيـة ٢ : ٢٠ — والحلية ١٠ : ٢٣٥ — وطبقات الصوفية ٢١٦ .

٣) انظر ماسنيون L. T. ص ٢٨٨ — و G. A. L. I, P. 216 ومقدمـة نوادر الاصول .

٤) لماذا انفرد الترمذي من بين شيوخ الصوفية بهذا اللقب ؟ ألأنه كان « على معرفـة بتركيب الجسم مما يدل على انه درس الطب » (راجع المقدمة على كتاب الرياضـة وأدب النفس ، التي وضعها آربري وعلي حسن عبد القادر ص ١٣ ط . القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ .). أو لانه « كان حريصاً على ان يجمع » في حياته وفي تآليفه « بين الناحية الروحية القديمة للثقافة الاسلامية وبين المنهج العقلي الذي جدّ في عصره» (انظر مقدمة كتاب الحقيقة الآدمية للترمذي ، نشر عبد المحسن الحسيني ص ٧ ، مجلة كلية الاداب ، جامعـة فاروق الاول (اسكندرية) مجلد ٣ سنة ١٩٤٦) . او لان الترمذي « كان اول مسلم بدت لديـه براعم الافكار الفلسفة الاغريقية . . . فكان بالتالي الممهد لمذهب العرفان (La gnose) في التصوف الاسلامي » (راجع L. T. ص ٢٩٣) . ونحن نرى ان لقب الحكيم اسند الى الترمذي خاصة لان التعاليم الصوفية قد خطت على يديه خطوة حاسمة في سيرها الموفق المطرد . فهي عنده لم تعد مجرد احوال نفسية ينفعل لها الصوفي في جلوته ، او مشاعر ذاتية يحسّ بها في خلوته ، بل حقائق موضوعية لها كيانها المستقل وعالمها الخاص . و « حكمـة » الترمذي في تصوفه تبدو في هذا التحليل البارع لطبيعة النفس الانسانية ، وفي هذا التصوير الرائع لمناهج السلوك الروحي ، واخيرا في هذا التمييز الحاسم بين أنماط الحكمـة ودرجات المعرفة . وقد شرح الترمذي هذه المعاني جميعاً في شتى كتبه ورسائله ومسائله وبصورة خاصة في كتاب « علم الاولياء » و« كتاب الحكمـة » و«اثبات علل الشريعة » و«ختم الاولياء».

الترمذي نسبةً الى مدينة «ترمذ[٥]» مسقط رأسه، حيث قضى بهـا الشطر الاكبر من عمره ولفظ انفاسه الاخيرة فيها[٦]. وُلد شيخنـا في اوائل القرن الثالث للهجرة وتوفي في أواخرها على أصح تقدير. وان كنـا لا نعلم تماماً تاريخ نشأته ومماته، وبالتالي مقدار سنيّ معاشه[٧].

إن الخطوط العامة والرئيسية لشخصية الترمذي لا تزال مجهولة لنا، ومـا نعرفه عن حياته ينقصه الدقة ويشوبه الغموض والابهام. وجميع ما لدينا من مصادر، في الوقت الحاضر، لا تفي بحاجتنا في هذا الصدد[٧ا]. فهي على وفرتها لا تعدو ذكر اسماء بعض شيوخه واصحابه، وقصة نفيه من ترمذ الى بلخ، ونبأ رحلته

٥) بخصوص مدينة ترمذ واهميتها في الاسلام وما قبله، راجع مقالة دائرة المعارف الاسلامية، والمصادر التي ذكرت في ذيل المقالة، المجلد الرابع ص ٨٣٦ – ٨٣٨ (الطبعة الفرنسية).

٦) مكان وفاة الترمذي لا يزال معروفاً حتى الآن في خرائب ترمذ القديمة. يقول بارتولد: «ونجد بين الابنية في اطلال المدينة القديمة لترمذ ضريح الولي ابي عبدالله محمد بن علي الترمذي، وهو من المرمر الابيض». راجع: Barthold, *Turkestan down to the Mongol invasion* (Tr. H. A. R. Gibb) p. 75—76 ودائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع ص ٨٣٧

٧) يقول الذهبي انه عاش ٨٠ سنة (تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧) – وابن حجر ٩٠ سنة (لسان الميزان ٥ : ٣١٠) – وفريد الدين العطار ١١٥ سنة ؟ (تذكرة الاولياء ٢ : ٩١). اما عن تاريخ وفاته فيرى دار اشكوه وحاجي خليفة ان ذلك كان سنة ٢٥٥ (سفينة الاولياء ورقة ٨٦ا، نسخة المكتب الهندي رقم ٦٤٧ – وكشف الظنون، تحقيق فلوجل ٤ : ١٥٥). ولكن هذا التاريخ يعارض بما يذكره الترمذي عن نفسه في بدو الشأن كما سنراه بعد (انظر ص ٤٠٩) ويعارض ايضاً بما يذكره السبكي والذهبي من ان الترمذي قد رحل الى نيسابور سنة ٢٨٥ (طبقات الشافعي ٢ : ٢٠ – تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧). ويذكر ابن حجر العسقلاني (لسان الميزان ٥ : ٣٠٨) ان الانباري سمع منه سنة ٣١٨ ولعل هذا مما دعا بعض المؤرخين المحدثين من الغربيين الى اعتبار وفاة الترمذي سنة ٣٢٠ (GAL.I,P.216) ويرى الاستاذ ماسنيون ان وفاته كانت ٢٨٥ (L. T. P. 286).

٧ا) راجع مصادر حياته التي اثبتناها في بحثنا عن مؤلفات الترمذي الذي نشر في Mélanges Massignon مجلد ٣ : ٤١٨ وراجع ايضاً مقدمة «بيان الفرق بين الصدر...» للدكتور نقولا هير ص ٥–١٠.

الى نيسابور وتحديثه فيها . وهذا كله ، مع اعترافنا بقيمته ، لا يشبع رغبة الباحث في استجلاء معالم شخصية فذة كشخصية الحكيم الترمذي ، ولا يصور الأثر البليغ الذي أبقاه في الاوساط العلمية والروحية هذا المفكر الاسلامي العظيم .

ولعل أكمل وثيقة في هذا الميدان هي تلك الصورة الانسانية الجامعة ، التي خلد فيها ذكرى الحكيم الترمذي ، شاعر الفرس العبقري فريد الدين العطار في كتابه الشهير « تذكرة الاولياء »[٨] . فقد أبرز العطار ، في مصنفه الخالد ، شخصية الترمذي محاطة بهالة من النور والصفاء والقداسة ؛ وعرض امام انظارنا ملامح جذابة لحياة شيخنا الوقور ؛ وجمع لنا مواد طريفة ، شيقة عن دراسته وتربيته وسلوكه وبيئته العائلية الجميلة . بيد ان خيال الشاعر المجنح ، لدى وصفه الاشياء وتأريخه لها ، يعجز دون متابعته او اللحاق به راصد حركات الزمان ومؤرخ الوقائع المادية . . .

ومع ذلك ، فلنستمع الى شاعر الفرس وهو يقص علينا نبأ تعلم الترمذي الفتى ، باسلوبه الانساني المؤثر وبطريقته الخاصة :

« كان الشيخ الترمذي قد عقد النية في اول امره على الرحلة لطلب العلم
« في رفقة اثنين من إخوانه . وفي اثناء ذلك مرضت أمه . فقالت له : يا بني ،
« إني امرأة ضعيفة ، لا عائل لي ولا معين يمينني ، وانك المتولي لامري ، فالى
« من تكلني وتذهب ؟ فنالت هذه الكلمات من نفسه وعدل عن الرحلة .
« ومضى زميلاه في سبيلها .

« ثم مضى على ذلك بعض الوقت . فبينما كان في احدى المقابر يبكي
« بكاءاً شديداً ويقول : ها أنذا قد بقيت جاهلاً مهملاً ، وسيرجع أصحابي
« وقد حصلوا على العلم — إذا به يرى أمامه ، فجأةً ، شيخاً مشرق الوجه .
« فسأله الشيخ عن سر بكائه ، فأفضى اليه (الفتى) بحاله . فقال له الشيخ :
« ألا أعلمك في كل يوم شيئاً من العلم ، فلا يمر عليك كثير وقت حتى تسبق
« أخوانك . فأجابه (الفتى) الى ذلك .

---

٨) تذكرة الاولياء ، تحقيق نكلسون (لندن وليدن ١٩٠٥–١٩٠٧) جزء ٢ : ٩١–٩٩

« واستمر الشيخ على تعليمه كل يوم . ومضت على ذلك اعوام . ثم عرف
« (الترمذي) بعد ذلك أن الشيخ هو الخضر ، عليه السلام ! وأنه انما حصل
« على هذا ببركة دعاء أمه[1] ! . . »

***

اذا كانت تعوزنا حقاً المصادر التاريخية النقدية للاحاطة بحياة الترمذي وفهم طريقته وابراز جوانب شخصيته ، فان شيخنا نفسه — لحسن الحظ — قد ترك بخط يده اثراً هاماً عن تربيته الروحية ونشأته العلمية . وسيكون هذا الاثر الفريد ، بطبيعة الحال ، عمدتنا في تأريخ حياة الترمذي ومعرفة العوامل المؤثرة في سلوكه ونهجه ما دامت تنقصنا المصادر الاخرى . وقد ذكر شيخ ترمذ ، في رسالته هذه ، طائفة من الاحداث والانباء لا نجدها في الكتب العديدة التي خصصت له . وهذه الرسالة — كما قلنا — بقلم الترمذي نفسه . فهي اذن في غاية الاهمية بالنسبة لموضوعنا ، وتهمنا في الواقع لاكثر من سبب او معنى: انها أقدم وثيقة تاريخية تتصل مباشرة بحياة حكيم خراسان ؛ كما هي ايضاً اقدم نص نعرفه عن حياة رجل من رجال الفكر الاسلامي ، مكتوب بخط يده .

ولكن يجب ان لا نغلو كثيراً في تقديرنا لهذا الاثر التاريخي الخاص . فهو ، على أهميته، وجيز جداً ، مقتضب جداً ، « يعج » بالاحلام والرؤى ولا ينقع غلة الصادي تماماً . ان صفحاته لا تتجاوز كثيراً ، من الوجهة المادية ، عدد الاصابع ؛ وموضوعاته لا تعدو ذكر رحلة الشيخ الى مكة وتوبته لدى « الملتزم » وخروجه عن جميع ما يملك من متاع الدنيا ورياضته والرؤى التي رآها أو رئيت له . كل ذلك يمر سريعاً كالبرق الخاطف .

ومهما يكن في الامر ، فقد روى حكيم خراسان في هذه الرسالة، باسلوب مؤثر حقاً ، قصة اضطهاده واتهام معاصريه له بالبدعة وادّعاء النبوة ... ولعله يشير بذلك الى اصداء افكاره عن النبوة والولاية ، التي بثها في كثير من كتبه ورسائله وخاصة في كتاب « ختم الأولياء » . كما ابقى لنا صفحات ،

---

٩) المصدر السابق ص ٩١-٩٢ .

لا تزال طرية غضة ، لم يجف مدادها بعد ، عن اثر زوجـه الكريمة في حياته الروحية وعن اخلاصها وتفانيها وعبير التقوى والطهارة الذي يتضوّع منها .

من اجل ذلك كله ، ارتأينا اثبات هذه الوثيقة التاريخية بالنصّ الكامل في صدر هذا البحث .

عنوان هذه الرسالة : « بدوّ شأن ابي عبدالله محمد الحكيم الترمذي ، رحمه الله ! » ويظهر ان هذه التسمية من وضع أحد اتباع الشيخ او اصحابه . ولا يوجد لهذا النص في الوقت الحاضر ، على ما نعلم ، سوى نسخة واحدة محفوظة في مكتبة اسماعيل صائب ، بأنقرة ، تحت رقم ١٥٧١ : ٢٠٩ب — ٢١٨أ ؛ وهي ضمن مجموعة كلها للحكيم الترمذي وبتاريخ ٥٤٣ للهجرة (١) .

***

(١) انظر وصفنا لهذا المخطوط في « L'œuvre de Tirmidhi, » in *Mélanges Massignon*, Tome III p. 425—26.

نص رسالة
بدوّ شان ابي عبد الله
محمد (بن عليّ) الحكيم الترمذي
رحمه الله (تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

[٢٠٩ ب] ١) قال ابو عبد الله :

كان بدو شاني ان الله – تبارك اسمه – قيّض لي شيخي ، رحمة الله عليه ، من لدن بلغت من السنّ ثمانيا . يحملني على تعلم العلم ويعلمني ويحثني عليه ويدئب ذلك في المنشط والمكره . حتى صار ذلك لي عادة وعوضاً عن الملعب في وقت صباي . فجمع لي في حداثتي علم الآثار وعلم الرأي . حتى اذا قارب سني سبعاً وعشرين أو نحوه ، وقع عليّ حرص الخروج الى بيت الله الحرام [٢١٠ أ] فتهيأ لي الخروج . فوقفت[10] بالعراق طالباً للحديث ؛ وخرجت الى البصرة[11]. فخرجت منها الى مكة في رجب . فقدمت مكة في بقية شعبان . فرزق الله المقام بها الى وقت الحج . وفتح لي باب الدعاء عند الملتزم في كل ليلة سحراً . ووقع على قلبي تصحيح التوبة والخروج مما دق وجل ؛ وحججت . فرجعت وقد أصبت قلبي .

وسألته عند الملتزم[12] ، في تلك الاوقات : ان يصلحني ويزهدني في الدنيا ويرزقني حفظ كتابه . وكنت لا اهتدي لشيء من الحاجات غير هذا .

---

١٠) الاصل فوقفت .

١١) مدينة اسلامية ، بنيت على انقاض Vahishtābād Ardashīr الفارسية . انشأها عتبة بن غزوان سنة ١٧ للهجرة بأمر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهي احدى عواصم الفكر الاسلامي القديم . راجع مقالة المستشرق الفاضل Pellat في دائرة المعارف الاسلامية ، النشرة الفرنسية ، الطبعة الثانية مجلد ١ : ١١١٧–١١١٩ والمصادر العديدة التي الحقها بمقالته القيمة . راجع ايضاً كتاب صورة الارض لابن حوقل ١ : ٢٣٥–٢٣٨ (نشرة Kramers – ليدن سنة ١٩٣٨) و (The Lands of the Eastern Caliphate) (ص ٤٤–٤٥ G. Le Strange) ومعجم البلدان ١ : ٦٦١–٦٦٣)

١٢) باب الكعبة الشريفة الملاصق للحجر الاسود .

٢) فرجعت، وقد ألقى عليّ حرص حفظ القرآن[١٣] في طريقي . فاخذت صدرًا منه في الطريق ، فلما وصلت الى الوطن يسّر (الله) عليّ ذلـك بمنه حتى فرغت منه . فأقامني ذلك بالليل ؛ فكنت لا أمل من قراءته[١٤] . حتى انه كان ليقيمني ذلك الى الصباح . ووجدت حلاوته .

فأخذت اتتبع من الكتب محامد الرب ، تبارك اسمه ! والتقاط محاسن الكلام ، من طريق العظات ومما يستعان به على أمر الآخرة . واسترشد في البلاد فلا أجـد[١٥] من يرشدني الطريق ، او يعظني بشيء اتقوى[١٦] به ، وأنا كالمتحير لا أدري اي شيء يراد لي . إلا أني أخذت في الصوم والصلاة. فلم ازل كذلك حتى وقع في مسامعي كلام اهل المعرفة؛ ووقع اليّ كتاب الانطاكي[١٧] فنظرت فيه ، فاهتديت لشيء من رياضة النفس . فاخذت فيها ، فأعانني الله . والهمت منع الشهوات نفسي ؛ حتى صرت كاني أعلم على قلبي الشيء بعد الشيء؛ حتى ربما كنت [٢٠ب] أمنع نفسي الماء[١٨] البارد، واتورع عن شرب ماء الانهار . فاقول : لعلّ هذا الماء جرى في موضع بغير حق . فكنت لشرب من البير ، او من الوادي الكبير .

ووقع عليّ حب الخلوة في المنزل والخروج الى الصحراء . فكنت اطرف في تلك الخربات والنواويس[١٩] ، حول الكورة . فلم يزل ذلك دأبي . وطلبت

---

١٣) الاصل : التحفظ للقرآن.

١٤) « : قرآنه .

١٥) « : فلا احد .

١٦) « اتقوا .

١٧) هناك صوفيان اثنان يذكرهما السلمي في طبقاته بهذا اللقب : احمد بن عاصم الانطاكي ، من اقران بشر بن الحارث والسريّ والمحاسبي (طبقات الصوفية ١٣٦) ؛ وعبدالله ابن خُبيق بن سابق الانطاكي. صاحب يوسف بن اسباط وعلى طريقة الثوري(طبقات الصوفية ١٤١). وانظر ايضاً .Rec ص ١٢-١٤ . ويبدو ان المقصود هنا هو احمد بن عاصم والكتاب المشار اليه « علوم المعاملات » راجع حلية الاولياء مخطوط ليدن رقم ٨٩٢ : ١٧٢ ا — ١٧٢ ب .

١٨) الاصل : ما .

١٩) مفردها ناووس — ولها معنيان : ١ً متاع على هيئة صندوق ، من حجر او خشب

اصحاب صدق يمينونني[٢٠] على ذلك فمزّ علي[٢٠'] فاعتصمت بهذه الخربات والخلوات.

٣) فبينما أنا على هذه الحال، اذ رأيت، فيما يرى النائم، كأني أرى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دخل المسجد[٣] الجامع في كورتنا. فأدخل على اثره فألزم اقتفا.[١] اثره. فما زال يمشي حتى دخل المقصورة، وأنا على أثره، ومن القرب منه، حتى كأن أكاد الترق بظهره واضع خطاي على ذلك الموضع الذي يخطو (عليه)، حتى دخلت المقصورة.

فرقي المنبر، فرقيت على اثره. كلما رقى درجة رقيت على اثره؟ حتى اذا استوى على أعلاها درجة قعد عليها فقعدت عند الدرجة الثانية من مجلسه عند قدميه[٢٢]، ويميني الى وجهه ووجهي (الى) الابواب التي تلي السوق، وشمالي[٢٣] الى الناس. فانتبهت من منامي وانا على تلك الحال.

٤) ثم من بعد ذلك بمدة يسيرة، بينا أنا ذات ليلة أصلي فثقلت فوضعت رأسي في مصلاي جنب فراشي، إذ رأيت صحرا(ء) عظيمة[٢٤]، لا أدري اي مكان هو. فارى مجلساً عظيماً، وصدراً مهيئاً لذلك المجلس. وحَجَلة[٢٥] مضروبة. لا أقدر على صفة تلك الثياب وذلك الستر.

او مدن، تودع فيه الموتى – ٢ً الخلاء او المكان الذي توجد فيه مقابر الاموات. والمعنى الثاني هو المراد في هذا الوطن.

٢٠) الاصل: يمينوني.

٢٠') « : لي. – ٣) الاصل مسجد.

٢١) « : قفاه.

٢٢) نفس المشهد الروحي « في عالم حقائق المثال في حضرة الجلال » كما يقول الشيخ الاكبر – يصفه ابن عربي في مكاشفته القلبية واجتماعه بالنبي عليه الصلاة والسلام: « . . . وحصلت في موضع وقوفه . . . وبسط لي على الدرجة التي انا فيها . . . حتى لا اباشر الموضع الذي باشره، صلى الله عليه وسلم، بقدميه تنزيهاً له وتشريفاً وتنبيهاً لنا . . . ان المقام الذي شاهده من ربه لا يشاهده الورثة . . » (فتوحات ١: ٢–٣).

٢٣) الاصل: وشال.

٢٤) « : عظيا.

٢٥) الحَجَلة (وجمعها حَجَل وحجال) من معانيها، المناسبة لهذا المقام: حجرة تزين بالثياب والاسرة والستور.

فكأنه يقال لي : انه يذهب بك الى ربك . فادخل تلك الحجب [٢١١] فلا[٢٥]ا أرى[٢٥]ب شخصاً ولا صورة[٢٥]ج. الا انه وقع في قلبي أني لما دخلت وقع عليّ الفزع في ذلك الحجاب. فأيقنت في منامي بالوقوف بين يديه . فما لبثت ان رأيت نفسي خارجاً من الحجب ، بالقرب من باب الحجاب ، واقفاً وأنا أقول : عفا عني ! وأجد نفسي قد سكن من الفزع .

٥) فدام لي شأن رياضة النفس ، من تجنب[٢٦] الشهوات ، وقعود[٢٧] في البيت على عزلة من الخلق ،وطول مجرى من الدعاء . فانفتح له شيء بعد شيء . ووجدت في قلبي قوة وانتباهاً . وطلبت من يعينني . فكان يكون لنا اجتماع بالليالي : نتناظر ونتذاكر وندعو[٢٨] ونتضرع بالاسحار .

فأصابتني غموم من طريق البهتان والسعايات،وحمل[٢٩] ذلك[٣٠] على غير محمله . وك(ثر)ت القالة ، وهان ذلك كله عليّ . وسلط عليّ اشباه ممن ينتحلون[٣١] العلم : يؤذونني ويرمونني بالهوى والبدعة ويبهتون. وأنا في طريقي ، ليلاً ونهاراً ، دؤوباً دؤوباً[٣٢] .

حتى اشتد البلا(ء) ، وسار الامر الى ان سعى بي اليّ والى « بلخ »[٣٣]ا .

٢٥ا) الاصل : فلا.
٢٥ب) « : ار .
٢٥ج) « + : فكأنه يقال لي انه يذهب بك الى ربك .
٢٦) « : تجيب .
٢٧) « : وقعودا .
٢٨) « : وندعوا .
٢٩) « : وحل .
٣٠) « : بق .
٣١) « : ينتحل .
٣٢) « : دوبا دوبا.
٣٣ا) لعل والي بلخ الذي يشير اليه شيخنا هو يعقوب بن ليث أو عمرو بن ليث . والمعروف تاريخياً : ان ولاة بلخ في عهد العباسيين كانوا جميعاً امراء منحدرين من خُتَّل (راجع ماوراء النهر ص ٢٠١) . وكان احد هؤلاء الامراء — داود بن عباس البانيجوري — قد طرده يعقوب بن ليث عام ٢٥٦ للهجرة . وفي سنة ٢٨٦ اسر اسماعيل بن احمد عمرو بن ليث . ومن ذلك الحين انتقلت المدينة الى حكم السامانيين . (راجع دائرة المعارف الاسلامية ، النشرة الفرنسية ، طبعة ثانية ١ : ١٠٣٢) .

وورد البلا(ء) من عنده، من يبحث عن هذا الامر. ورفع اليه ان هنا[٣٢ب] من يتكلم في الحب، ويفسد الناس، ويبتدع، ويدعي النبوة[٣٣]! وتقولوا عليّ ما لم يخطر قط ببالي. حتى صرت الى «بلخ»[٣٤]. وكتب عليّ قباله أن لا أتكلم[٣٥] في الحب!

٦) وكان ذلك من الله – تبارك اسمه! – سبباً في تطهيري: فان الغموم تطهر القلب. وذكرت قول داود، صلى الله عليه وسلم، انه قال: «يا رب، امرتني ان اطهر بدني بالصوم والصلاة؛ فبم، أطهر قلبي؟ – قال: [٢١ب] بالغموم والهموم، يا داود![٣٦]».

فتواترت عليّ الغموم، حتى وجدت سبيلاً الى تذليل نفسي. فكنت اراودها على امور قبل ذلك، من طريق الذلة، فتنفر ولا تطاوعني. مثل ركوب الحمار في السوق، والمشي حافياً في الطرق[٣٧]، (ولبس) الثياب الدون، وحمل شيء مما يحمله العبيد والفقراء. فيشتد عليّ ذلك. فلما اصابتني[٣٨] هذه المقالة والغموم – ذه(بت) بشرة[٣٩] نفسي. فحملت عليها هذه الاشياء، فذلت وأطاعت، حتى وصل الى قلبي حلاوة تلك الذلة.

٣٢ب) الاصل ها هنا.

٣٣) لعل شيخنا يشير بذلك الى آرائه الخاصة بالولاية وصلتها بالنبوة التي اودعها في رسائله المتعددة وخاصة في كتابه «ختم الاولياء» و«علم الاولياء». وهي اراء لم تفهم على وجهها، كما يقول السلمي، من قبل معاصريه. (طبقات الشافعية ٢ : ٢٠).

٣٤) بلخ مدينة مشهورة في العصور القديمة والعصور الوسطى في اقليم خراسان. كانت سابقاً القصبة السياسية لولاية خراسان ثم اصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان. وفي العصر الحاضر، بلخ هي بلدة صغيرة تابعة لافغانستان، على الطرف الشمالي منها. فتحت المدينة في عهد الاسلام اولاً من قبل الاحنف بن قيس (سنة ٣٢ للهجرة) ثم اعاد فتحها قيس بن الهيثم (او عبدالرحمن بن سمرة) عام ٤٣. انظر وصف المدينة واهميتها في مختلف عصورها في دائرة المعارف الاسلامية (النشرة الفرنسية، طبعة ثانية ١ : ١٠٣١–١٠٣٢).

٣٥) الاصل: يتكلم.

٣٦) هذا الحديث روى في كتاب حقيقة الآدمية للترمذي نفسه ص ٤١ ط. الحسيني.

٣٧) الاصل: الطرق.

٣٨) « : اصابني.

٣٩) « : شده.

٧) فبينا انا كذلك ، اذ اجتمعنا ليلة على الذكر ، في ضيافة لأخ من اخواننا . فلما مضى من الليل ما شاء الله ، رجعت الى المنزل . فانفتح قلبي في الطريق فتحاً لا اقدر أن اصفه . وكأنه وقع في قلبي (شـ)يء طابت (له) نفسي والتذت به . وفرحت حتى مررت . فما استقبلني شيء هبته . حتى ان الكلاب ينبحن[٣٩] في وجهي . فآنس[٤٠] لنباحهن من لذة وجدت في قا(بي) . (حتى بدا) له ان السما(ء) بكواكبها وقمرها صارت[٤١] الى قرب الارض. وانا(فيما) بين ذلك أدعو ربي . ووجدت كأن قلبي نصب فيه شيء . فاذا وجدت تلك الحلاوة ، التوي[٤١أ] وتقبض بطني ، والتوى[٤١ب] بعضه على بعض ، من شدة اللـذة ، واعتصر . وانتشرت في صلبي وعروقي تلك الحلاوة . وكان يخيل إليّ ان قربي من مكان قربَ العرش[٤٢] !

فما زال ذلك دأبي كل ليلة الى الصباح : اسهر ولا اجد نوماً . فقوي قلبي على ذلك . وانا متحير ، لا ادري ما هـذا . الا اني ازددت قوة ونشاطاً فيما كنت فيه .

٨) وهاجت ببلاد فتنة[٤٣] وانتقاض[٤٣] امر ، حتى هرب جميع من كانوا

---

٣٩) الاصل : ينحن .
٤٠) « : فانست .
٤١) « : صار .
٤١أ) « : التوا .
٤١ب) « : والتوا .
٤٢) عديدة هي الوثائق ، في الآداب الصوفية ، التي تكشف لنا عن هـذه الظاهرة الروحية التي تعتري سالك الطريق في ترقيه المنوي . انظر التحليل البارع لهذه الظاهرة ، من الوجهة النفسية والروحية في بحث الاستاذ الكبير قربان :
Confessions extatiques de Mîr Dâmad, in Mélanges L. Massignon, I. 331—378) .
٤٣أ) ربما يشير شيخنا الى ثورة يعقوب بن ليث ضد والي بلخ في ذلك الحين ، داود ابن عباس البانيجوري عام ٢٥٦ للهجرة . انظر تعليق رقم ١/٣ ص٣٩٥ . والواقع ان الثورات والفتن كانت لا تنقطع في هذه المنطقة سواء في عهد الامويين او العباسيين . راجع دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٠٣١–١٠٣٢ (الطبعة الثانية ، النشرة الفرنسية) .
٤٣) الاصل : وانتقاص .

يؤذونني[٤٤] ويشنعون[٤٥] عليّ في البلاد . وابتلوا بالفتنة ، ووقعوا في [٢١٢ ا] الغربة ، وخلت[٤٦] البلاد منهم ..

فبينا انا كذلك ، إذ قالت لي أهلي : اني رأيت في المنام كأنّ قائماً في الهواء[٤٧] ، خارجاً من الدار ، في السكة ، في صورة رجل شاب ، جعد ، عليه ثياب بياض ، له[٤٨] نعلان. ويناديني في الهواء[٤٨ا]. وانا في الصفة بحذائه[٤٩]: أين أين زوجك ؟ قلت : خرج . قال : قولي له ان الامير يأمرك ان تعدل. ثم مرّ

٩) فلم يأت على هذا مدة ، حتى اجتمع الناس ببابي ، (من) مشايخ البلد من غير ان اشعر بهم . وقرعوا الباب ، فخرجت اليهم . فكلموني في القعود لهم . — وقد كان هؤلاء الاشكال[٥٠] ، قد قبحوا أمري عند العامة قبحاً كنت أتوهم أنهم السّقَم اكثرهم ، لما كانوا يذيعون ، هؤلاء ، عليّ من الكلام القبيح . ويشنعون امري ويرمونني بالبدعة؛ من غير أن يكون ذلك من شأني، او توهمته قط .

فما زا(لوا) يكلمونني[٥١] في ذلك حتى أجبتهم الى القعود . فذكرت لهم من الكلام شيئاً كانه يغترف من البحر . فأخذت[٥٢] مني القلوب مأخذاً . . . (؟)[٥٢ا] واجتمع الناس ، فلم تحتمل[٥٣] داري ذلك ، وامتلأت[٥٤] السكة والمسجد .

٤٤) الاصل : من كان يوذيني .
٤٥) « : ويشنع .
٤٦) « : وخلا .
٤٧) « : الهوى .
٤٨) « : وعليه .
٤٨ا) « : الهوى .
٤٩) « : بحذاء:
٥٠) الاشكال ، مفردها شَكَل ونجمع على شُكُول ايضاً ولهذه اللفظة معان كثيرة منها : القناع المصنوع للوجه ولعل الشيخ اطلقها هنا مجازاً على اهل الرياء والنفاق . وهذه اللفظة تجري كثيراً على لسان الترمذي في كتبه ورسائله .
٥١) الاصل : يكلموني .
٥٢) « : فأخذ .
٥٢ا) « بعد كلمة مأخذا : سيأ .
٥٣) « : يحتمل .
٥٤) الاصل : وامتلت .

فلم يزالوا بي حتى مدوني (جرّوني)الى مسجد...(؟)[٥٢]. وذهبت تلك الاكاذيب والاقاويل الباطلة. ووقع الناس في التوبة، وظهرت التلامذة. واقبلت الرياسة والفتن، بلوى من الله لعبده.

ورجع اولئك الاشكال الى البلاد، بعد ما قويتُ وكثرت التلامذة واخذت القلوب مواعظي. وتبيّن لهم ان هذا كان منهم بغياً وحسداً. فلم ينفذ لهم بعد ذلك قول وأيسوا. [٢٠٣ ب] وقبل ذالك، كانوا صيّروا السلطان والبلاد عليّ بحالٍ لا أجترئ أن أطلع رأسي. فأبى[٥٢ب] الله الا ان يبطل كيدهم.

١٠) فتتابعت عليّ الرؤي (الاصل: الرويا) من أهلي، كل ذلك بقرب الصبح. ترى الرؤيا بعد الرؤيا، كأنها رسالة. ولم يكن يحتاج الى عبارتها[٥٤] لبيانها ووضوح تأويلها. وكان فيما رأت ان قالت:

رأيت حوضاً كبيراً في موضع لا أعرفه. وما(ء) الحوض صافٍ[٥٥] كما(ء) العين. فيظهر على ذلك الحوض (في) رأس الما(ء)، عناقيد عنب، بيض كلها. وانا واختي[٥٦] قعود على رأس ذلك الحوض[٥٧]، نأخذ من ذلك العنب فنأكله، واقدامنا متدلية في الحوض، موضوعة[٥٨] على ظهر الما(ء)، لا ترسب ولا تغيب.

فأقول لاختي الصغرى: نحن نأكل من هذا العنب كما ترين[٥٩]، فمن يرسل هذا الينا؟ — فا(ذا) برجل مقبل[٦٠]، جعد، وقد تعمم بعمامة بيضا(ء)، وقد أرخى شعره من خلف العمامة، وعليه ثياب بياض. فيقول لي: لمن مثلُ هذا الحوض، ومثل هذا العنب؟ — ثم يأخذ بيدي، فيقيمني فيقول لي، بمعزل منها[٦١]:

---

٥٢) الاصل: مسجد الحماس.
٥٢ب) « : فابا.
٥٤) اي الى تفسيرها وحل رموزها.
٥٥) : صافي لي
٥٦) « : واختي
٥٧) « : الحو.
٥٨) « : واضعة.
٥٩) « : ترى.
٦٠) « : رجلا مقبلا عليه، ويمكن قراءة الجملة: فأ(رى) رجلًا مقبلًا...
٦١) « : منهم.

قولي[٦٢] لمحمد بن علي ان لا يقرأ[٦٣] ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة[٦٤]﴾ حتى يتم الآية . لا يوزن بهذا (الميزان) دقيق ولا خبز . وانما يوزن بهذا كلام هذا – ويشير الى لسانه ويوزن بهذا[٦٥] هذا) وهذا – ويشير الى يديه وقدميه . انت لا تعلمين[٦٦] ان افضل الكلام سكرًا كسكر الخمر إذا شرب !

فأقول له : أحب ان تقول لي من أنتم ؟ فيقول : انا من الملائكة ، ونحن نسبح في الارض ، وننزل [٢١٣ ا] بيت المقدس . ورأيت بيده اليمنى آسًا[٦٧] اخضر رطبًا[٦٨] ، وبيده الاخرى رياحين . فهو يكلمني وذاك بيده . فيقول : نحن نسبح في الارض ، فنذهب الى العُبّاد . فنضع هذه الرياحين على قلوب العُبّاد حتى يقوموا بهذا الى عبادة الله ؛ وبهذا الآس ، على قلوب الصدّيقين والموقنين حتى يعلموا الصدق بهذا . وهذه الرياحين في الصيف هكذا . والآس لا يتغير في صيف ولا شتاء . فقولي لمحمد بن علي : انت لا ترضى ان يكون لك هذان ؟ – يشير الى الآس والى الرياحين .

ثم قال : ان الله قادر على ان يرفع للمتقين تقواهم ، الى موضع لا يحتاجون (فيه) الى ان يتقوا . ولكن جعل هذا عليهم حتى يعلموا التقوى .

قولي له : طهر بيتك . فأقول : ان لي اولادًا صغارًا ولا اضبط تطهير بيتي . فيقول لي : ليس من البول اعني . انما أعني من هذا – ويشير الى لسانه .

فاقول له : فلِمَ لا تقول له انت بنفسك ؟ قال : أنا لا اقول له ، من أجل أنه ليس بكبير من الامور وليس بقليل : هذا من الناس قليل ومنه كبير[٦٨ا] . ولماذا[٦٩] يعمل مثل هذا ؟ ثم يحرك يده التي فيها الآس ، فيقول : من أجل أن

---

٦٢) الاصل : قل
٦٣) « : نقرا .
٦٤) سورة ٢١ : ٤٧ .
٦٥) الاصل : هد .
٦٦) « : نعلم .
٦٧) الاصل : آس .
٦٨) « : رطب .
٦٨ا) « : لبير .
٦٩) « : ولماذي .

هذا منه بعيد . ثم يخرج من الآخر ، الـذي في يده من الدستجة[٧٠] . بعضه فيناولني .

قلت : هذا أمسكه لنفسي أو أدفعه اليه[٧٠] ؟ فيضحك ، فتبـدو اسنانه كانها اللؤلؤ . فيقول: خذي هذا ؛ فان هذين اللذين بيدي ، انا أجيء بهما إليه. وهذا بينكما . وأنتما جميعاً في مكان واحد .

وقولي له : لكن هـذا [٣/٢] آخر موعظتي له[٧١] والسلام عليك ! — ثم يقول : ان الله يعطيكم — معشر الاخوات — روضة ، لم يعطها[٧٢] لكم بعبادة صوم ولا صلاة . انما يعطيكم بصلاح قلوبكم وبانكم تحبون الخير ولا ترضون السو(ء) — بالاعجمية : بذي نپسنديد ودوست داريذنيكي[٧٣].

فأقول له : لِمَ لا تقول هذا بين يدي اختيَ ؟ قال: إنها ليستا توازيانك[٧٤] ولا تعدلانك[٧٥] . ثم يقول : السلام عليكم ! ويمضي . فانتبهت .

١١) ثم رأت مرة اخرى : كأنها في البيت الكبير الذي في دارنا. وفيه[٧٦] سرر منجدة بالابريسم[٧٧] . واحدى السرر الى جانب المسجد الذي في البيت . فانظر . فاذا شجرة تطلع بجنب السرير ، في قبلة المسجد . فطلعت قامة رجل. فاذا هي كخشبة يابسة ؛ وعليها اغصان كاغصان النخل . كالاوتاد ، شبه البرادة[٧٨] . فبدت أغصان في أصلها[٧٩] ، قدر خمسة او نحوه ، مخضرة رطبة .

٧٠) لفظة اصلها فارسي (تصغير : دَسْتَهْ) وتجمع على دساتيج وتطلق على طاقة الزهر او باقة البقل او حزمة العشب .

٧٠) الاصل : اليك .

٧١) « : له .

٧٢) « : يعطيكم .

٧٣) « : نپنذيذ ودوست ددار بذنيكي .

٧٤) « : توازيك .

٧٥) « : تعدلاك .

٧٦) « : وفيها .

٧٧) إبريسَم او إبْرِيسم اصلها الفارسي ابرشيم : ضرب من الحرير .

٧٨) البُرادة هي ما تساقط من الحديد عند مرور المبرد عليه . وهذا المعنى غير واضح في هذه الجملة .

٧٩) الاصل : اصله .

فلما بلغت وسط هذه الشجرة اليابسة ، إمتدت هـذه الشجرة طولًا في السماء ، قدر ثلاث قامات . وتبعتها[٨٠] الاغصان حتى بدت وسطها ، فبدت من هذه الاغصان عناقيد رطب .

فأقول في منامي : هذه الشجرة لي . وليس لاحد من هنا[٨١] الى اسفلها — أعني مكة — مثل هذه الشجرة . فأدنو[٨١أ] منها ، فيجيئني كلام من أصلها ، ولا أرى احدا . فانظر الى اصل الشجرة . فاذا هو قـد نبت في الصخرة . وهي صخرة كبيرة ، قد اخذت قدر نصف البيت . واذا الشجرة قد نبتت من وسط الصخرة ، والى جانبها صخرة كبيرة منفردة كحوض . واذا عين تنبع من اصل هذه الشجرة وتستنقع [٢١٠أ] في الصخرة المنقورة . وذلك الماء صافٍ[٨٢] يشبه ماء القضبان في صفائه[٨٣] .

فأسمع قائلًا من قرب الشجرة ، يقول لي : تضمنين ان تحفظي هذه الشجرة حتى لا تصل[٨٣] يد احد الى هذه ؟ — فان هذه الشجرة لك ؛ كان اصلها في الرمل والتراب ، فمن كثرة ما اصابتها[٨٤] الايدي تسفلت ثمرتها في الارض فذهبت ويبست . ولكن نحن القينا الصخرة حولها ، ووكلنا بها طيرًا لنجعل ثمر[٨٤أ] هذه الشجرة تحتها . فانظري ! فأرى طيرًا اخضر كالحمامة في القدر . فأبصره[٨٥] على غصن من اغصان الشجرة ، ليس من الاغصان التي بدت من اسفلها رطبة ، ولكن من الاغصان اليابسة ، حيث[٨٦] انتهى اليها رؤوس الاغصان الرطبة . فيطير من غصن الى غصن ، فيعلو . فكلما وقع على غصن يابس ، شبه الوتد ، اخضر ورطب وتدلت منه عناقيد رطب .

---

٨٠) الاصل : وتبعته

٨١) « : هذا .

٨١أ) « : فادنوا .

٨٢) « : صافي

٨٣أ) « : صفايه .

٨٣) « : يصل .

٨٤) « : اصابته .

٨٤أ) « : ثمره .

٨٥) « : فابصرها .

٨٦) الاصل : من حيث .

فيقال لي: ان كنت تقدرين ان تحفظي هذه الشجرة حتى يطير الى اعلاها[٨٧] فتصير خضراء كلها[٨٨] والا أقام[٨٨ا] ههنا في الوسط. فاقول: بلى، احفظها — ولا أرى احدًا اكلمه — فيطير هذا الطائر الى اعلاها، غصناً غصناً، فيخضر كله. فلما بلغ رأس الشجرة، قلت متعجبة: لا إله الا الله! اين هؤلاء[٨٨ب] الخلق لا يرون هذه الشجرة ولا يصلون اليها؟ فينطق هذا الطائر من اعلاها فيقول: لا إله الا الله! فأردت ان اتناول منها رطبة، فيقول لي القائل: لا، حتى يبلغ نضجه. وانتبهت.

١٢) ثم رأت مرة أخرى كانها نائمة معي على السطح. قالت: فاسمع حديثاً من البستان. [٢١٤ ب] قالت: فاسترجع كالمصاب. واقول: هؤلاء أضيافنا تركناهم! اذهب فاطعمهم. قالت: فأصير الى جانب السطح لانزل. فينحط جانب السطح فيلزق بالارض فاستوى على الارض. فاذا رجلان قاعدان في هيبة[٨٩]. فأدنو فاعتذر اليهما. فينهان. فيقول احدهما: قولي لصاحبك، ما اشتغالك بهذا الفرزد[٨٩ا] — يعني الحشيش — ؟ عليك بتقوية الضعفاء. وان تكون ظهرًا لهم.

وقولي له: انت وتد من اوتاد الارض، تمسك طائفة من الارض. فأقول: من أنت؟ فيقول: محمد — احمد[٩٠] وهذا عيسى. — قال: وقولي له: انك تقول: يا ملك يا قدوس، ارحمنا! فتقدس انت. فان كل ارض تقدس عليها[٩١] تشتد وتقوى. وكل ارض لا تقدس عليها[٩١ا] تضعف وتهون. وقولي له: اعطيناك معموره، ﴿ والبيت المعمور[٩٢] ﴾ فاحسن اليها[٩٣]. وانتبهت.

١٣) ثم رأت، ليلة اربع وعشرين من رمضان، كأنها تسمع صوتي من

---

٨٧) الاصل: اعلاه.

٨٨) « : اخضر كله.

٨٨ا) « : أقامت.

٨٨ب) « : هدا.

٨٩) « : هيه.

٨٩ا) الفُرْزَدْ والفَرَزْدَه بالفارسية: المضرة.

٩٠) الاصل: محمد واحمد.

٩١) « : عليه.

٩١ا) « : عليه.

٩٢) سورة ٥٢ : ٤.

٩٣) الاصل: اليها.

بعد ، على هيئة لم تسمع الآذان بثلها[٩٤] فأتبع الصوت . فأدفع الى باب قصر ، فاراه ممتلئاً نوراً . فأدخل . فاذا المسجد مرتفع ، يعلو الخلق والبناء . واذا انت قائم ، مستقبل القبلة ؛ في شبه محراب تصلي[٩٥] ، والنور قد أحاط بك . فأقول : ان هذا الصوت يكفي الناس ويبلغ . وهو قد اخذ نفسه من الناس.

١٤) ثم رأى ابو داود الخياط ، كأنه يرى ناساً قد اجتمعوا الى مدرجة ، شبه سلم[٩٦] رفيع ، الى سور ذاهب في السماء طولاً . فأذهب. فارى زحاماً عند السلم . [٢١٥ب] فأريد أن ارتقي ، فيقال لي : انك لا تصعد حتى تأتي بجواز . وهناك واقف يمنع .

فقلت في نفسي : وأنى لي الجواز ؟ قال : فاجد في يدي رقعة فاناوله فيخلي عن الطريق . فارتقى الى سور كبير ، وأرى عليه ناساً قليلاً . ومن وراء السور بحر ، ومن وراء البحر فضاء واسع عظيم ، يحار فيه البصر[٩٧] .

فاقول لهؤلاء الذين على السور : من أنتم ؟ وما تصنعون[٩٨] هينا؟ فيقولون: ذاك محمد بن علي ، في ذاك الفضا(ء) ، من ورا(ء) البحر . فانظر ، كما ينظر الى الهلال ، حتى ابصرت من بعد[٩٩] بجهد . فأمسح[٩٩'] عيني وأنظر ، وامسح وانظر . واذا هؤلاء القوم يجبنون عن هذا البحر . قال : فارمي بنفسي من ذلك السور في ذلك البحر . فما كان باسرع من ان خرجت الى ذلك الجانب. فاسير حتى اصير اليك . فاذا انت قاعد في ذلك الفضا(ء) . قد لففت رأسك في طالسانك[١٠٠] . فتعجبت[١٠١] من مصيري اليك في ذلك الموضع . فانتبهت .

٩٤) الاصل : بثله .
٩٥) « : يصلي .
٩٦) « : سلم .
٩٧) « : من .
٩٨) + « : وما يصنعون .
٩٩) « : البعد .
٩٩') « : أمسح .
١٠٠) طالسان وطيلسان، يجمع على طيالسة، من اصل فارسي: تالشان وهو قماش مصنوع من صوف الماعز او وبر الجمال ويستعمل لغطاء الرأس والكتفين. وتقول العرب : ابن الطيلسان ويعنون بذلك من هو غير عربي ! لان الطيلسان في الواقع كان يحمله الفرس والترك القضاة والعلماء منهم بصورة خاصة) .
١٠١) الاصل : فتعجب .

١٥) ثم رأى لي احمد بن جبريل البزاز[١٠٢] فيما حكى لي، فقال : كأني اراك تطوف ببيت الله الحرام . وقد خرج من اعلا حيطان البيت شبه رف، كالجناح، دون السطح بقليل، قدر ذراعين او نحوه . فأنت تطوف على ذلك الرف . وقد علوت حائط البيت، فقد جاوز وسطك، فصار أعلا من البيت، ذاهباً في الهوا.[١٠٣]، تطوف بالبيت على تلك الحالة . فانتبهت متعجباً.

١٦) ثم رأى محمد بن نجم الخشاب، فقال : رايت كأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، واقف[١٠٤] [٥٦ب] في نور يصلي، ومحمد بن علي خلف قفاه يصلي بصلاته معه .

١٧ ثم اشتغلت، في سنة من هذه السنين، بتقدير شأن الزوال، وتعلم تلك الحسابات، من امر البروج والأصطرلاب[١٠٥]، فأمعنت فيه . فرئي[١٠٦] لي في المنام، كأن[١٠٧] قائلاً يقول له: قل لابن عليّ، ليس هذا الذي أنت فيه، من شرطك ولا مذهبك؛ فاجتنبه ! قال : فامتلأت[١٠٨] خوفاً ورعباً مما رأيت من هيبة[١٠٩] ذلك القائل . وأراه في صورة شيخ ابيض الرأس واللحية، طيب الريح، حسن الوجه، أتوهم انه ملك .

فقال: قل لابن عليّ، ألق هذا ! فاني لا آمن ان يكون هذا حجاباً بينك وبين رب العزة . فالله، الله في نفسك في هذا الخلق ! فانك لست باذنيد[١١٠]، انما انت أمة[١١٠أ] . فاخبره بهذا ولا تدع نصيحة الله في خلقه .

---

١٠٢) الاصل : البذاذ .

١٠٣) « : الهوى .

١٠٤) « : واقفا .

١٠٥) الاصطرلاب، او الاسترلاب، من اصل يوناني ἀστρολάβος او ἀστρολάβον (ὄργανον) . وتطلق هذه اللفظة على مجموعة من الالات التي تستخدم في علم الفلك لغايات نظرية او عملية .

١٠٦) الاصل : فرى .

١٠٧) « : كان .

١٠٨) « : فامتلى .

١٠٩) « : هيه .

١١٠) « : باذيك ومعنى باذنيده بالفارسية : شيء حقير، امر تافه لا يساوي شيئاً .

١١٠أ) « : امه .

١٨) ثم رأت أهلي كأنّا نائمان[111] في فراش واحد. فجاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فدخل فراشنا معنا.

١٩) ثم رأت مرة اخرى، كأنه جاء فدخل منزلنا. قالت: ففرحت[112]. فأردت ان أقبل قدميه، فمنعني. وناولني يده فقبلتها. فلم أدرِ ما أسأله[112أ]. وكان يعتريني في إحدى عينيّ هذه الحمرة. فقلت: يا رسول الله، ان احدى عيني يعتريها[113] رياح الحمرة. فقال: اذا كان ذاك، فضعي يدك عليها وقولي: «لا اله الا الله، وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير». ثم انتبهت. فما اعتراني بعد ذلك فقلتها الا سكن.

٢٠) ثم رأت أهلي. كأنها عند «درب سكيا». قالت: فانظر الى الجبانة من بعيد. فيمتد بصري، حتى كأني انظر جوّ «داود آباد». فارى من الخلق [٢١٦أ] عددًا لا يحصى[114]. كأنه صار كله ممتلئًا[114أ] خلقًا. وارى الاشجار والجدر ممتلئة كلها[115] من بني آدم، كالطير على رؤوس الاشجار. فأقول: ما هذا؟ فيقال لي: ان الامير نزل بغتةً. ولم يعلم به احد. ومنذ اثنى[116] عشر يومًا، كانت تمر[117] جنوده ونحن لا نشعر، حتى امتلأت[118] الدنيا.

قالت: وأنظر الى هذا الخلق قد اصفرّت الوانهم، وجفّت شفاههم، وييس ريقهم من الهول والفزع. قالت: فأرى كأنك[118أ] تدخل عليّ وتخلع ثيابك، وتدعو بماء، فتدنو الى شَبَهٍ[119]، ارى فيه ماءً، فتغتسل وتتزر بازار

١١١) الاصل: نائمين.
١١٢) « : فقر.
١١٢أ) « : أسله.
١١٣) « : يتريني.
١١٤) « : لا يحصا.
١١٤أ) « : ممتليا.
١١٥) الاصل: كلهم.
١١٦) « : اثنا.
١١٧) « : يمر.
١١٨) « : امتلت.
١١٨أ) « : كانك.
١١٩) «الشَّبَه والشِّبْه» ضرب من النحاس الاحمر: يُقال كُوز شَبَه وشِبْه.

وتأخذ رداءاً، وعليك نعلان. قالت: فأقول لك ما تصنع؟ فتقول: ألا ترين[١١٩أ] الى هذا (الامر) العجب؟ وما يريد هذا الامير؟

قالت: وأرى الخلق كلهم سكوت[١١٩ب]، قد دهشوا من الفزع. كأنه لا يعرف بعضهم بعضاً، وكانهم غربا.[١١٩ج] من الفزع. واراك ساكتاً مطمئناً، ليس بك فزع. فتقول لي: ألا ترين[١١٩د] الى هذا (الامر) العجب؟ ان الامير يريد من جميع اهل الدنيا اربعين نفساً ليكلمهم. فأقول لك: الا تخرج انت. فتقول: سبحان الله. جهان همى تُوا نِگَرنَد[١٢٠] — بالفارسية — ويقولون: ان أعاننا محمد ابن علي، والا هلكنا.

— وانه يجمع من اهل الدنيا كلهم هؤلاء الاربعين. وان لم اكن فيهم، لاتم بهم الاربعين، فسد هذا الخلق. ولكن اي شيء يعرفني للامير؟ ومتى يعرفني؟ انما يراد ان اتم الاربعين[١٢١] بنفسي، فانه لا يوجد تمام الاربعين وان الخبر[١٢١أ] ان الامير جاء بالترك على هؤلاء.

قالت: فالبس قميصاً ابيض وطالساناً[١٢٢] ابيض ونعلين وأمضي[١٢٣] قالت. [٢١٦ب] فيخيل اليّ في المنام، انك لما انتيت الى الامير رأيت[١٢٤] الخلق راجعين زحفاً مع الترك، والترك لا يضربونهم[١٢٥] وقد انسلى[١٢٦] عنهم ما كنت ارى بهم من الفزع. فأقول. وانا واقفة عند رأس الدرب: هل فيكم احد من أولئك الاربعين؟ فيقول له واحد منهم: بأولئك الاربعين نجونا. فيقول آخر: نحن نجونا بمحمد بن عليّ. قالت: فأبكي. فيقال: مِمّ تبكين؟ فانا نجونا به. قالت، فاقول: انا لا ابكي من أجل انه يقع موقع سوء. ولكن ابكي من اجل قلبه الرحيم: كيف ينظر الى وجه السيف؟ ويخيّل اليّ في ذلك الوقت ان هؤلاء الاربعين تضرب اعناقيم؛ فلذلك أبكي.

١١٩أ) الاصل: ترى.
١١٩ب) « : سكوتا.
١١٩ج) « : عربا.
١١٩د) « : ترى.
١٢٠) اي: العالم (الناس) ينظرون اليك.
١٢١) الاصل: اربين.
١٢١أ) الاصل: الخبر
١٢٢) انظر تعليق رقم ١٠٠ المتقدم
١٢٣) الاصل: ومضى.
١٢٤) « : ارى.
١٢٥) « : يضربهم.
١٢٦) انسلا.

قالت : فارجع الى البيت. فلما بلغت باب الدار ، التفت فاراك قد جئت. ويخيل اليّ انه قد مضى ليلة – وهذا الغد – من يوم ذهبت . قالت ، فاقول : الحمد لله ! كيف نجوت ؟ فتقول لي انت، بيدك هكذا بالفارسية : باش كاش[١٢٧] ! حتى أقول لك . – قالت : واراك في بياض، وطولك قدر قامة رجليه طويلين ؛ وكأن[١٢٧أ] وجنتيك قد احمرتا وهما تبرقان بروقاً ؛ وعلى جبهتك وحاجبيك شبه الغبار . قالت : فانظر ، فاذا هو ليس بغبار ولكنه من الهول والفزع صار بذلك الحال .

قالت ، فاقول لك : كيف نجوت ؟ – قالت ، فتقول : الا ترين[١٢٧ب] كيف انا اول الاربعين ، واياي عرف ، واياي اخذ . واخذ مني هذا الموضع – وتشير الى صدرك – ، فزلزلني زلزلة ، ظننت ان جميع اعضائي تتناثر كلها . فقال لي – بالفارسية[١٢٨] : [٢١٧ أ] .

قالت ، فأقول لك : رأيت الامير ؟ رأيت الامير ؟ فتقول : لا ، ولكن انتهيت الى باب قبة، وعلى باب الامير حجلة مضروبة . فرأيت الامير كأنه[١٢٨أ] اخرج يداً من تلك القبة . فاخذ مني هذا الموضع فزلزلني وقال لي هذا . ثم وجهنا الى حظيرة وكأني[١٢٨ب] ارى تلك الحظيرة شبه مقصورة العيد في الجبانة. فقال : اذهبوا بهؤلاء الاربعين الى تلك الحظيرة ، فاحبسوهم هناك قياماً . ولا تدعوهم يقعدون .

فبعث بي معهم الى تلك الحظيرة . واشار الى الذين معي في العدد : ان ابعثوا هذا الى الصلاة . – قالت : فدخلت الحظيرة معهم ثم بعثت الى الصلاة. وكأنه[١٢٨ج] اختير من اهل الدنيا هؤلاء. فررت على جند الامير وعلى الترك، فلم

---

١٢٧) اي : يا ليته كان !

١٢٧أ) الاصل : وكان .

١٢٧ب) « : ترى .

١٢٨) « هكذا : « ايرتوى (الصواب : امير توى = انت امير) كحدنرا كامي لونه برارنه وافر سرجهان نوى (الصواب: نوى = انت رئيس العالم) كهن شباه من اسلس تدرود » . والجملة على هذا النحو غير مفهومة .

١٢٨أ) الاصل : كانه.

١٢٨ب) « : وكاني .

١٢٨ج) الاصل : كانه .

يضرّ بي احد . والآن علمت ان للاسير بي رأيا[١٢٩]، وانه جمع هذا الجمع كله من اجلي ، لاخرج انا وهؤلاء التسعة والثلاثون واياي اراد بذلك . — قالت ، فاقول لك : فخذ نفسك الآن . فتقول : قد نجوت انا من نفسي ! فتصعد الى المسجد . — قالت : فاراك قائماً على ظهر الجميع . قالت[١٢٩ أ] . فانتبهت .

٢١) ثم رأت لسنتين[١٢٩ ب] او ثلاث ، وذلك يوم السبت ضحى[١٣٠] لعشر بقين من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين[١٣٠ أ] .

٢٢) ثم رأت رؤيا أخرى وهي بالفارسية . وفي آخرها قالت : فانتبهت[١٣٠ ب] .

٢٣ فوقع عليها حرص الاستماع الى الموعظة وطلب الحقوق (٢١٧ ب) من نفسها . فاول ما ابتدى لها من تحقيق رؤياها ، انها كانت في البستان قاعدة ، وذلك لثلاث بقين من ذي القعدة ، بعد ما رأت هذه الرؤيا ، بنحو من خمسة ايام او ستة اذ وقع على قلبها : « يا نور كل شيء وهداه ! انت الذي فلق الظلمات نوره » .

قالت : فوجدت كأن شيئاً[١٣٠ ج] دخل صدري ، فدار حول قلبي فأحاط به وامتلأ الصدر الى الحلق ، حتى صرت شبه المخنوق من امتلائه . وله حرارة وحرقات على القلب . فتزينت الاشياء[١٣١] كلها لي . فما وقع بصري على ارض ولا سماء ، وخلق ، من الخلق ، الا رأيته بخلاف ما كنت اراه ، من الزينة والبهجة والحلاوة .

٢٤) ثم وقع على قلبي كلمة بالفارسية : تكيني[١٣١ أ] من ترا داذم[١٣٢] .

---

١٢٩) الاصل : راى .
١٢٩ أ) « : قال .
١٢٩ ب) « : بسنتين .
١٣٠) « : ضحوه .
١٣٠ أ) لا يذكر المخطوط هنا موضوع الرؤيا التي رأتها زوج الحكيم الترمذي ولا مضمونها .
١٣٠ ب) هكذا في اصل المخطوط من غير زيادة .
١٣٠ ج) الاصل : سيا .
١٣١) « : الاسا .
١٣١ أ) « : بكيي .
١٣٢) اي : وهبتك خاتما .

فامتلأت فرحاً وطيب نفس ونشاط. فاخبرتني بذلك. فلما كان اليوم[١٣٣] الثاني، قالت: وقع على قلبي «انا اعطيناك ثلاثة اشياء، ووقع الكلام بالفارسية: سه چيز[١٣٣أ] ترا داذم جلال من (و) عظمة من وبهاء من[١٣٤]». وأضاء(.) لي من فوقي فدام هكذا فوق رأسي في الهواء[١٣٤أ] كما كنت رأيته في المنام. فتراءى[١٣٤ب] في ذلك الضوء علم الجلال وعلم العظمة وعلم البهاء.

فاما الجلال فاني رأيت كأن[١٣٤ج] البيت (الاصل: بيت) يتحرك (الاصل: بتحرك) ايذون (الاصل: ايـذور) چيزي همى بيود (الاصل: بتوز)، وجنبش خلق همه ازوى، وعظمه پرى (الاصل: مري) (و) همه چيزها ازوى، وبها (و) سرا (ى) همه چيزها (ازوى تخست فرا(آ) سمانها ويذم او كنده .... تافروذ[١٣٥].

٢٥) ثم وقع على قلبها، اليوم[١٣٥أ] الثالث: ترا داذم علم أولين وآخرين[١٣٦] [٢١٨أ] فدام بها هذا حتى نطقت بعلم اسماء الله. فكان يفتح لها في كل يوم اسم (الاصل: اسما) ويبدو[١٣٦أ] ذلك الضوء(.) على قلبها وينكشف لها باطن ذلك. حتى كان يوم الجمعة، في ايام العشرة، حضرت[١٣٧] المجلس. فذكرت انه وقع عليها اسم «اللطيف».

***

---

١٣٣) الاصل: يوم.

١٣٣أ) « : چيز.

١٣٤) اي: انا اعطيناك ثلاثة اشياء: جلالي، وعظمتي، وقدري.

١٣٤أ) الاصل: الهوى.

١٣٤ب) « : فترايا.

١٣٤ج) « : كأني.

١٣٥) اي: كأن البيت يتحرك، ويوجد فيه شيء تحرك الخلق كلهم به؛ وعظمة الملك وكل شيء منه وجاء كل شيء وقيمته فيه. ولقد رأيت بديا تلك النار منتشرة في السموات... الى اسفل.

١٣٥أ) الاصل: يوم.

١٣٦) اي: وهبتك علم الاولين والآخرين.

١٣٦أ) الاصل: ويبدوا.

١٣٧) « : جهزت.

لدى الرجوع الى المصادر القديمة والحديثة الخاصة بشيوخ الحكيم الترمذي الذي تلقى عنهم رواية الحديث وعلوم الشريعة والطريقــة ، نستطيع ان نجرد الثبت الآتي باسماء مربيه ومرشديه . وهذا الثبت وان لم يكن شاملاً لجميع اساتذة الترمذي ومعلميه ، الا انه من غير شك، يلقي امامنا كثيراً من الاضواء عن الحياة العلمية لشيخ خراسان ويعيننا الى امد بعيد على تقديره حق قــدره بالنسبه الى عصره وبيئته :

١) الحسن بن علي الترمذي، والده حيث تلقى منه الحديث ورواه عنه[١٣٨] .
٢) الجارود بن معاذ السلمي الترمذي[١٣٩] .
٣) صالح بن عبدالله الترمذي[١٤٠] .
٤) صالح بن محمد الترمذي[١٤١] .
٥) علي بن حجر السّعدي[١٤٢] .
٦) سفيان بن وكيع[١٤٣] .
٧) الحسن بن عمر بن شقيق البلخي[١٤٤] .
٨) يحيى بن موسى[١٤٥] .
٩) عتبة بن عبدالله المروزي[١٤٦] .
١٠) عباد بن يعقوب الرواجني[١٤٧] .

---

١٣٨) روى الترمذي عن ابيه الحديث وذكر في كثير من كتبه ولا سيما في كتاب ختم الاولياء حيث نجد له اكثة من رواية عنه كما سيأتي فيما بعد .
١٣٩) انظر ترجمته في التعليق الآتي رقم ٢١٣ (نص) .
١٤٠) انظر الميزان ترجمة رقم ٣٧٦٩ وطبقات الشافعية ٢ : ٢٠، وتاريخ بغداد ٩ : ٣١٥ والخلاصة ١٦٥ .
١٤١) انظر الميزان ترجمة، رقم٣٧٦٩ وتاريخ بغداد٩ : ٣٣٠ وطبقات الشافعية٢ : ٢٠ .
١٤٢) راجع طبقات الشافعية ٢ : ٢٠ .
١٤٣) « « « « ٢٢
١٤٤) راجع تاريخ بغداد ٧ : ٣٥٥ وتذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧ .
١٤٥) راجع تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٧ .
١٤٦) « « « «
١٤٧) « « « «

١١) قتيبة بن سعيد الثقفي البلخي[١٤٨] .

١٢) عيسى بن احمد العسقلاني[١٤٩] .

١٣) احمد بن بخضرويه البلخي[١٥٠] .

١٤) ابو تراب النخشبي[١٥١] .

١٥) يحيى بن معاذ الرازي[١٥٢] .

١٦) يعقوب الدورقي[١٥٣] .

١٧) يعقوب بن ابي شيبه[١٥٤] .

١٨) يحيى الجلا.[١٥٥] .

***

هذا ، واذا تتبعنا من ناحية اخرى ، سلسلة المحدثين الذين ذكرهم في كتاب « ختم الاولياء » خاصة وروى عنهم الحديث ، نجدهم على النحو الآتي[١٥٥ ا] .

١) فهو يروي عن الجارود[١٥٦]، عن النضر بن شميل[١٥٧]، عن هشام الدستوائي[١٥٨]، عن حماد[١٥٩] .

٢) « « « عن سفيان بن عيينة[١٦٠]، عن عمر بن دينار[١٦١]، عن ابي عباس[١٦٢] .

---

١٤٨) شذرات ٢ : ٩٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٦٤

١٤٩) « ٢ : ١٥٤

١٥٠) طبقات الصوفية ٢١٧

١٥١) « « « ؛ الرسالة القشيرة ٢٠ ؛ حلية الاولياء ١٠ : ٢٢٠

١٥٢) تذكرة الاولياء ٢ : ٩١ — ٩٩

١٥٣) طبقات الشافعية ٢ : ٢٠ — تاريخ بغداد ١٤ : ٢٢٧

١٥٤) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٨١

١٥٥) طبقات الصوفية ٢١٧

١٥٥ ا) وسيجد القارئ بلا شك في هذه السلسلة باسماء جديدة عن المحدثين روى عنهم الترمذي ولم يرد لهم ذكر في المصدر السابق .

١٥٦) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢١٣ (نص)

١٥٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢١٤ (نص)

١٥٨) « « « « ٢١٥ «

١٥٩) « « « « ٢١٦ «

١٦٠) انظر ما يأتي تعليق رقم ٢٣٥ (نص)

١٦١) « « « « ٢٣٦ «

١٦٢) « « « « ٢٣٧ «

٣) وهو يروي عن الجارود، عن الفضل بن موسى، عن زكريا بن زائدة، عن سعد بن ابراهيم، عن ابي سلمة .

٤) عن عبد الجبار (بن العلاء)، عن ابن عجلان[١٦٣]، عن سعد بن ابراهيم، عن ابي سلمة، عن عائشة .

٥) عن ابن ابي بكر العمري، عن ابي بكر بن ابي ادريس، عن محمد بن عبد الرحمن عن نافع[١٦٤]، عن ابن عمر .

٦) عن سليمان بن نصر، عن المقري، عن حيويه[١٦٥]، عن شريح[١٦٦] .

٧) عن حفص بن عمر، عن محمد بن بشر العبدي[١٦٧]، عن عمر بن اسد التيمي، عن يحيى بن كثير[١٦٨]، عن ابي سلمة، عن ابي هريرة .

٨) عن علي بن الحسن (ابيه)، عن الجماني، عن صفوان بن ابي[٧] الصهبا.[١٦٩]، عن بكر بن عتيق، عن سالم بن[١٧٠] عبد الله، عن ابيه (عبدالله بن عمر) عن عمر بن الخطاب .

٩) عن ابن ابي ميسرة، عن اسماعيل بن عيسى بن سورة[١٧١]، عن عبدالله ابن الحسين، عن سعيد بن إياس الجريري، عن ابي عثمان النهدي[١٧٢]، عن عمر بن الخطاب .

١٠) عن بشر بن هلال الصواف، عن جعفر بن سليمان[١٧٣] الضبعي الاشجعي، عن هارون الاعور، عن عبدالله بن شقيق، عن عائشة .

١١) عن يعقوب بن ابي شيبة[١٧٤]، عن بشر بن الحارث[١٧٥]، عن سعيد بن عمر بن مرة، عن عبدالله بن سلمة[١٧٦] .

---

١٦٣)	انظر ما يأتي تعليق رقم ٢٤٩(نص)					١٧٠)	انظر تعليق ما يأتي رقم ٢٧٨(نص)				
١٦٤)	«	«	«	« ٢٥١	«	١٧١)	«	«	«	« ٣١٨	«
١٦٥)	«	«	«	« ٢٥٥	«	١٧٢)	«	«	«	« ٣١٩	«
١٦٦)	«	«	«	« ٢٥٦	«	١٧٣)	«	«	«	« ٣٢١	«
١٦٧)	«	«	«	« ٢٧٤	«	١٧٤)	«	«	«	« ٣٣١	«
١٦٨)	«	«	«	« ٢٧٥	«	١٧٥)	«	«	«	« ٣٣٢	«
١٦٩)	«	«	«	« ٢٧٧	«	١٧٦)	«	«	«	« ٣٣٣	«

١٢) عن ابيه، عن اسمعيل بن صبيح اليشكري، عن صباح بن واقد الانصاري، عن سعيد بن طريف، عن عكرمة[١٧٧]، عن ابن عباس.

١٣) عن ابيه، عن يحيى بن ابراهيم، عن عبد الواحد بن زيد[١٧٨]، عن راشد (مولى عثمان)، عن عثمان بن عفان.

١٤) عن سفيان بن وكيع، عن جميع بن عمر العجلي.

١٥) عن الحسن[١٧٩] بن عمر، عن شقيق البلخي، عن سليمان بن طريف، عن مكحول[١٨٠]، عن ابي الدردا.

١٦) عن الفضل بن محمد، عن ابراهيم بن الوليد، عن عبد الملك[١٨١] بن عمر، عن ابي يونس[١٨٢] (مولى ابن هريرة)، عن عبد الرحمن بن سمرة[١٨٣].

١٧) عن عمر بن عمر، عن محمد السري[١٨٤]، عن السويد[١٨٥]، عن عيسى بن موسى الغساني، عن ابي حازم[١٨٦]، عن سهل بن سعد[١٨٧].

١٨) عن ابيه، عن محمد بن الحسن[١٨٨]، عن ابن المبارك[١٨٩]، عن ابن ابي لهيعة[١٩٠].

١٩) عن ابيه، عن اسماعيل بن سلمة، عن عبدالله بن وهب المصري[١٩١]، عن ليث بن سعد[١٩٢]، عن ابي عجلان.

٢٠) عن المؤمل بن هشام، عن اسماعيل[١٩٣] بن ابراهيم، عن غالب القطان[١٩٤]، عن ابي بكر بن[١٩٥] عبدالله المزني.

٢١) عن الحسن بن سوار، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن[١٩٦].

---

١٧٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٣٥٣ (نص)   ١٨٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٤٠٩ (نص)
١٧٨ « « « « ٣٦٩ «   ١٨٨ « « « « ٤١٢ «
١٧٩ « « « « ٣٩٧ «   ١٨٩ « « « « ٤١٣ «
١٨٠ « « « « ٣٩٨ «   ١٩٠ « « « « ٤١٤ «
١٨١ « « « « ٣٩٩ «   ١٩١ « « « « ٤١٥ «
١٨٢ « « « « ٤٠٠ «   ١٩٢ « « « « ٤١٦ «
١٨٣ « « « « ٤٠١ «   ١٩٣ « « « « ٤٣٦ «
١٨٤ « « « « ٤٠٦ «   ١٩٤ « « « « ٤٣٧ «
١٨٥ « « « « ٤٠٧ «   ١٩٥ « « « « ٤٣٨ «
١٨٦ « « « « ٤٠٨ «   ١٩٦ « « « « ٤٣٩ «

٢٢) عن رزق‌الله بن موسى البصري، عن معن بن عيسى[197] عن مالك[198] عن صفوان بن حكيم، عن عطاء بن يسار[199]، عن ابن سعيد الخدري.

***

اما اتباع الشيخ الحكيم الترمذي ومريدوه، الذين اخذوا عنه واذاعوا تعاليمه، فقدرهم بحسب ما حفظ التاريخ اسماءهم لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة الا قليلًا!

وهم:

١) ابو محمد يحيى بن منصور القاضي، من محدثي نيسابور[200].
٢) منصور بن عبدالله بن خالد الهروي[201]
٣) الحسن بن علي الجوزجاني[202].
٤) احمد بن محمد بن عيسى[203].
٥) ابو بكر بن الوراق[204].
٦) ابو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم[205].

***

ويبدو واضحاً من هذا الثبت ان حظ شيخنا من الاتباع والمريدين كان ضئيلًا لا يتناسب تماماً وجلال قدره وعظيم خطره. والواقع اننا لا نستطيع

١٩٧) انظر ما يأتي تعليق رقم ٤٤٣ (نص)
١٩٨) « « « « ٤٤٤ «
١٩٩) « « « « ٤٤٥ «
٢٠٠) راجع ترجمته في شذرات الذهب ٣ : ٩ — حلية ١٠ : ٢٢٠
٢٠١) « « في تاريخ بغداد ١٣ : ٨٤
٢٠٢) « « في طبقات الصوفية ٢٤٦—٢٤٨ والحلية ١٠ : ٢٣٠ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٤
٢٠٣) « « « « « « ٢٤٩ — ٢٥٣ وصفة الصفوة ٢ : ٢٢٣ وتاريخ بغداد ٥ : ٦٠ وطبقات الشعراني ١ : ١١٥
٢٠٤) راجع ترجمته في طبقات الصوفية ٢٢١ — ٢٢٧ والحلية ١٠ : ٢٣٥ — ٢٣٧ ونتائج الافكار القدسية ١ : ١٦٦—١٦٧ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٦ وصفة الصفوة ٤ : ١٢٩ والرسالة القشيرية ٣٩
٢٠٥) راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ١٥٠

تحديد اثره فيمن كان بعده من الصوفية وتأثرهم عن طريق تلامذته ومريديه فحسب . وانما يتجلى تأثير حكيم ترمذ في البيئة العلمية الاسلامية بوساطة كتبه ورسائله العديدة التي حفظ الزمن القسم الاعظم منها لحسن الحظ[٢٠٦] . وان بقاء اكثر مؤلفات الشيخ الترمذي في دور المكاتب، ان في الشرق او في الغرب، لدليل بارز على عناية العلماء البالغة به وشيوعها في الاوساط الاسلامية المختلفة .

فابن عربي، شيخ الصوفية الاكبر، يردد كثيراً اسم حكيم ترمذ وافكاره في جملة من تآليفه . وقد عقد فصلاً طويلاً من فصول الفتوحات شارحاً فيها اسئلة الحكيم الروحانية التي اودعها في « ختم الاولياء » . وقد كان ابن عربي من قبل قد جرد كتاباً مستقلاً لنفس الموضوع وهو : « الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم » .

ومن قبل ابن عربي، الشيخ ضياء الدين عمار بن محمد بن عمار البدليسي، المتوفي سنة ٥٩٠ للهجرة، كان في كتابه « بهجة الطائفة بالله العارفة » قد استفاد كثيراً من « ختم الاولياء » للحكيم الترمذي، لا سيا في الفصول الاخيرة من تأليفه[٢٠٧] . وكذلك حجة الاسلام، الامام الغزالي، قد اقتبس من كتاب « الاكياس والمغترين » في آخر الربع الثالث من الاحياء عند كلامه على ذم الغرور[٢٠٨]. « وابن القيم الجوزية ينقل فقراً من كتاب « الفروق » لشيخ ترمذ في كتابه : « الروح »[٢٠٩].

ومؤلفات الحكيم الترمذي تصور الوان الثقافة الاسلامية السائدة في عصره خير تصوير ؛ فقد وقف صاحبها كل نشاطه العلمي والفكري على علمي الحديث والتفسير ومناهج السلوك وحكمة الشريعة والرد على بعض الفرق الضالة وتمتاز آثاره كلها بالنضوج والوضوح وعمق التجربة الروحية والعلمية في آن معا . وان

---

٢٠٦) انظر L. Massignon, L. T. p. 264.

٢٠٧) « بهجة الطائفة بالله العارفة » مخطوط برلين رقم ٢٨٤٣ : ١ - ٤٦ ب والمواضع التي يكثر فيها النقل من « ختم الاولياء » هي : ٢٤ب - ٢٣ ب، ٤٤ ب، ٤٥ ؛ ١٤٦ .

٢٠٨) راجع نيقولا هير، مقدمة كتاب الفرق بين الصدر والقلب، ١٢، ط . القاهرة (الحلبي) سنة ١٩٥٨

٢٠٩) كتاب الروح ص٣٨٣-٣٢٦ (ط . حيدر آباد سنة ١٣٥٧) (راجع نيقولا هير مقدمة كتاب الفرق بين الصدر والقلب ص ١٢) .

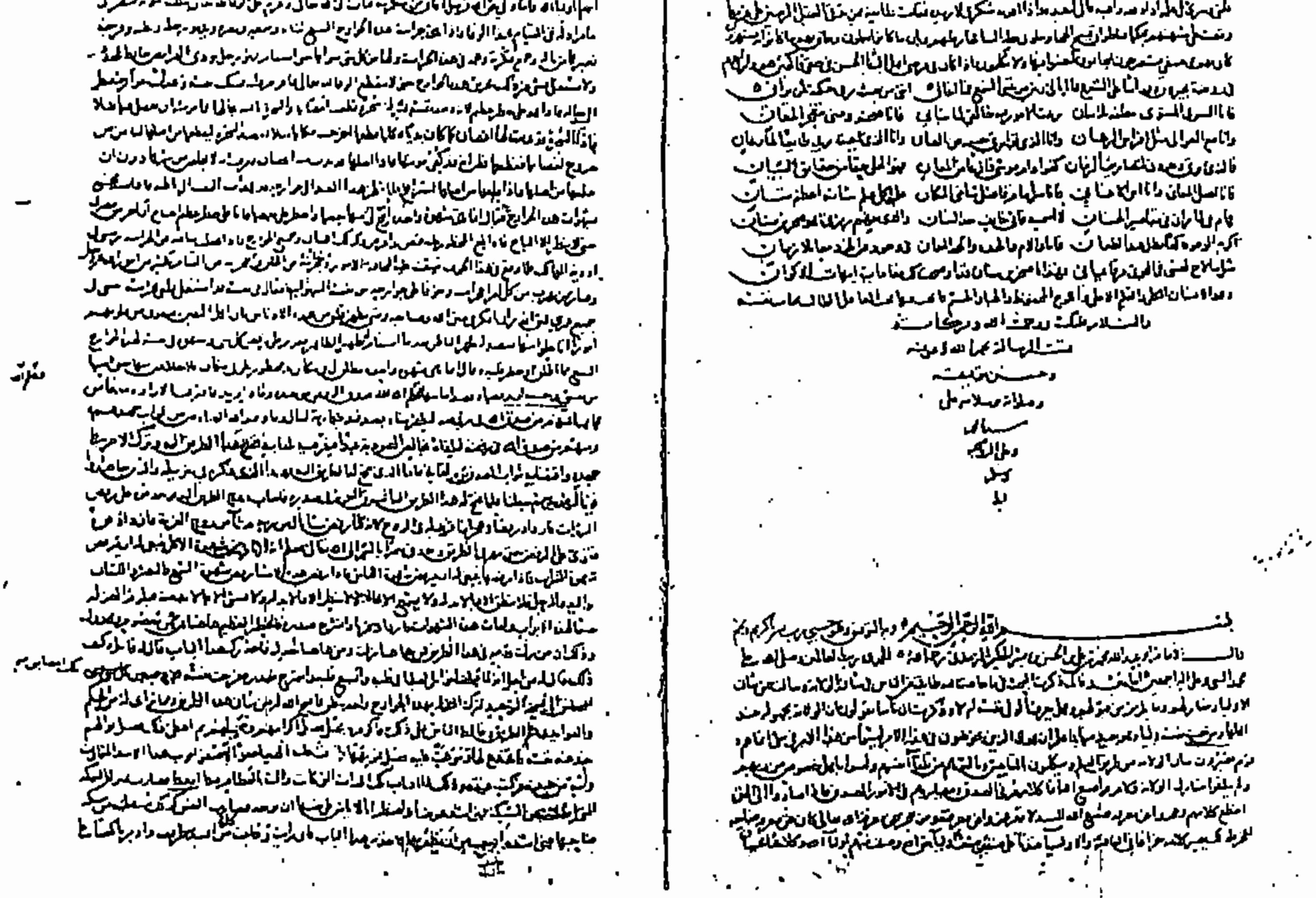

ورقة من مخطوط كتاب « ختم الأولياء » نسخة الشيخ رقم ٢٢٢٤

كثيرًا من انتاج شيخ خراسان يبدو في صورة مسائل ورسائل سأله خلالها اصحابه واتباعه عن مشاكل نفسية واجتماعية عرضت لهم ويطلبون منه حلًّا لها. وعلى هذا، تعتبر مؤلفات الترمذي، في هذا الميدان، وثيقة هامة لفهم بعض جوانب ذلك العصر من الناحية النفسية والاجتماعية والفكرية[٢١٠].

هذا، وقد كتبنا فهرساً عاماً لمصنفات الحكيم الترمذي، الموجود منها والمفقود، منذ ثلاث سنين تقريباً[٢١١]. ولكن في خلال هذه الفترة، جدت لنا بعض الوثائق استطعنا بها ان نضيف الى الفهرس القديم اسماء جديدة عن مؤلفات شيخ ترمذ. وها هي نتائج بحثنا نضعها امام انظار المهتمين بالدراسات الصوفية عامة، وبالترمذي خاصة :

١) تحليل مجموعة ليبزيج رقم ٢١٢ (القسم العربي D. C. 339)

الرسالة الاولى : ورقة رقم ١ب — ٣ب

عنوان : مسألة جهد النفس حجاب المنة .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي رحمة الله عليه . جهد النفس حجاب المنة وجهد القلب هتك حجاب المنة . . .

---

٢١٠) انظر مثلًا جوابه الى ابي عثمان النيسابوري (احد كبار شيوخ الملامتية في عصره) وهو ينصحه في الكف عن الاستغراق في تتبع عيوب النفس لان ذلك يحجبه عما هو اهم، وهو المقصود الاعظم للصوفي : معرفة الله سبحانه (جواب كتاب من الري، مخطوط الظاهرية رقم ١٠٦ تصوف ١٠٩) . — وكذلك اجابته في نفس الموضوع الى محمد بن الفضل (من مشايخ بلخ الصوفيين) (مخطوط ليبزيج رقم ٢١٢–٦٦ب) . راجع ايضاً جوابه المفصل على المسائل التي وردت اليه من سرخس وفيها عرض لمشاكل مختلفة من الناحية الفقهية والنفسية والروحية مخطوط ليبزيج ٢١٢ / ٦٩ا—٨٨ب) الخ . . .

٢١١) نشر هذا البحث في (*Mélanges L. Massignon* III, pp. 411-480) سنة ١٩٥٧ . وقد نشر المستشرق الفاضل الاستاذ نقولا هير سنة ١٩٥٨ في مقدمة تحقيقه لكتاب « بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » للحكيم الترمذي ثبتاً بمؤلفات الحكيم الترمذي يحسن الرجوع اليه .

نهاية : ... فاذا رجع من عنده رجع بعهد الولاية ، فهو امير الدين وله ملك الدين[٢١٢] .

الرسالة الثانية : ورقة رقم ٣ب — ٥أ

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : قال له قايل : نرى صنفين في هذا الدين ينتحلون الفقه وعلم الرأي وصنف ينتحلون الحديث ونلاحظها فيرى ...

نهاية : ... واهل الحديث كثر تردد هذه الاخبار على اسماعهم فخلصت الى النفوس ... فذلتها وقعتها ، وان لم يقصدوا لها ، فرئي (الاصل : فرى) اثر ذلك وبركته عليهم[٢١٣] .

الرسالة الثالثة : ورقة رقم ٥أ — ٥ب

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : قوله (تعالى) ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ فالدعاء بالحكمة ان يدعوهم بلا علاقة . والعلاقة ان يدعوهم مقتدرا على ان يقبلوه ...

نهاية : ... فانما قيل وعظ ، أي اثار تلك الاشياء عن نومها حتى انتبهت

٢١٢) العنوان الذي ذكره الناسخ لمجموع هذه الرسائل والمسائل ، في ظهر الكتاب هو : « الدر المكنون في اسئلة ما كان وما يكون . جمع الشيخ الاستاذ العارف المرشد الفقيه الصوفي ابي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي ... » . اما في الورقة الاولى ب فيوجد على رأسها هذا العنوان : « كتاب المسايل المكنونة » بخط الناسخ الاصلي ايضاً . ولا ريب ان هذين العنوانين هما من وضع الناسخ نفسه ولا يدلان على شيء من حقيقة او مضمون محتويات المجموع . وفي هذه الرسالة او المسألة الاولى يبين الحكيم الترمذي الفرق بين جهود النفس وجهود القلب وحجب النفس وحجب القلب ايضاً .

٢١٣) يميز الشيخ في هذه المسألة بين رجال الحديث ورجال الفقه ويوجه النقد اللاذع لهؤلاء الاخيرين . فاصحاب ابي حنيفة قد جمعوا في زمانه علوم الاحكام في اكثر من الف جلد ... وليس فيها شيء من ذكر المعاد « وصفة الجنة والنار وصفة الموت والبرزخ وما فيه من الاهوال ... اي ان الفقهاء قد ابتعدوا عن القصد الاعظم لحكمة الدين . »

وقويت واشتدت. والنعظ هو ثوران الشهوة من النفس حتى تنتشر... والوعظ ثوران هذه الاشياء التي وصفنا[٢١٤] .

الرسالة الرابعة : ورقة رقم ٥ب — ٦أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ ثم استثنى فقال : ﴿ الا اصحاب اليمين ﴾ فهذا كسب النفس . فتصير النفس رهينة عند الحق لانها خلقت للعبودة بالحق ...

نهاية : ... لان ولد آدم وضعت المعرفة عندهم امانة فصاروا كلهم رهين الامانة . فلا يفكهم الا جوده[٢١٥] .

الرسالة الخامسة : ورقة رقم ٦أ — ٦ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) ﴿ سبح اسم ربك ﴾ أمره ان يسبح ذلك الاسم الذي للرب، وهو الاسم المكنون المخزون ...

نهاية : ... « واسألك بعزتك التي اشتققتها من اسمك المخزون الذي لم يطلع عليه حجابك فخلقت به خلقك » . وحجابه : ملك الرحمة وملك العظمة وملك الجلال وملك الجمال وملك البهاء وملك البهجة وملك السلطان فهؤلاء ، الحجاب[٢١٦] .

الرسالة السادسة : ورقة ٦ب — ٧ب

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : الخشية من العلم بالله والخوف من المشاهدة. الخشية ممزوجة والمشاهدة منصوصة ...

---

٢١٤) تفسير آية ١٢٥ من سورة النحل (١٦) وفيها تحليل لمعاني الحكمة والموعظة من الوجهة اللغوية والصوفية .

٢١٥) تفسير آية ٣٨ من سورة المدثر (٧٤) ويلاحظ ان الشيخ هنا يرى ان تحرير النفس هو بالمعرفة والشهادة (التوحيد) .

٣) يفسر الشيخ هنا آية « سبح اسم ربك الاعلى » من سورة الاعلى (٨٧) وآية « اقرأ باسم ربك الذي خلق » من سورة العلق ٩٦) ويرى الشيخ ان اسم « الرب هو الاسم

نهاية : ... فمثل صاحب الخشية كمن رأى اثر مخالب الاسد على الطريق . ومثل الخايف كمن شاهد الاسد ولقيه واقفاً على الطريق . وهو قوله تعالى :﴿ ان ربك لبالمرصاد ﴾[٢١٧] .

الرسالة السابعة : ورقة رقم ٧ب — ٨أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : نظر يوماً الى المقابر . فقال : قدمتم على الله بلا اله الا الله ؟ طاب مقدمكم ! ...

نهاية : ... « كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم »[٢١٨] .

الرسالة الثامنة : ورقة رقم ٨أ — ٨ب

عنوان : مسألة اخرى :

بداية : قال وجدت الروح متمكناً في جميع الجسد من القرن الى القدم الى الظفر ...

نهاية : ... فأيد الله الانبياء والاولياء بهذا الحب حتى صفت لهم العبودة وجروا في ميدان المشيئة على الجود والسماحة وبذل النفس وهشاشة الروح وبشاشة القلب[٢١٩] .

الرسالة التاسعة : ورقة رقم ٨ب — ٩أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : جعل الله هذا الآدمي اميراً على الدنيا بما فيها ليغذو بدنه بها وجعل قلبه اميراً على جوارحه وجعل معرفته اميراً على قلبه ...

المكنون المخزون . وهو يقابل « البادشاه » الملك وهو الذي به يتحقق الخلق والايجاد .

٢١٧) اصحاب الخشية هم اهل العلم بالله اما اصحاب الخوف فهم ارباب المشاهدة . فمثل الاوائل ، « كمثل رجل في نهر . . . ومثل الآخرين كمثل رجل في بحر . . . » فالمشاهدة تصهر النفس وتميت فيها الشهوات فيصبح « القلب اجرد ازهر يتلألأ بنور الله » .

٢١٨) تأملات في المقابر وبيان لاهل « لا اله الا الله » ولغير اهلها .

٢١٩) تحليل لطبيعة الروح وصلاتها مع النفس والقلب .

نهاية : ... وثمرة الولاية الملكة في دار ملكه لانه صالح لدار المملكة . ومن جار في امارته عزل عن الامارة وغاب عن دار المملكة. والجور يودي الى الخروج حتى يصير خارجياً من الخوارج[٢٢٠] .

الرسالة العاشرة : ورقة رقم ٩أ — ١٣ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال رحمه الله : خلق الله هذا الادمي وخلق في جوفه بضعة من لحم سماه قلباً، لتقلبه، وجعله اميرًا على الجوارح ووضع في القلب معرفته...

نهاية : ... فانك اذا تركت مشيئتك في الامور فانما تترك الشهوات . فاذا فعلت ذلك جاءتك المكاره وضقت بها ذرعاً والتوت النفس وترددت. حتى اذا بلغت المنتهى وذابت عنك المشيئات وهانت عليك المكاره فعندها فابشر وتوقع اقبال الله عليك بالكرامة فانه كريم رحيم ودود[٢٢١] .

الرسالة الحادية عشر : ورقة رقم ١٣ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : وجدنا الهوى مهيج للشهوات والعقل مهيج للعلوم والمعرفة ...

نهاية : ... فاذا سد مجاري الهوى كانت الشهوات هيجانها لاحقاً بالمعرفة وحلاوتها بحلاوة الحب، مختلطة[٢٢٢] .

الرسالة الثانية عشر : ورقة رقم ١٣ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : الحمد لله الذي وضع فيك من الاشياء التي اختارها ووقعت خيرته عليها : مثل العقل والعلم والحفظ ...

---

٢٢٠) مكانة الانسان في العالم ومنزلته عند الله . جذور فكرة «الانسان الكامل» في التصوف الاسلامي .

٢٢١) تحليل لبنية الانسانية ومقوماتها الطبيعية والنفسية: القلب، العقل ، الروح، النفس، وبيان لمكانة الانسان في العالم ومنزلته عند الله .

٢٢٢) وصف ، في بضعة سطور، لمظاهر الشهوة وعواملها في الانسان .

نهاية : ... ويثيبه غداً على تلك المحاسن « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً»[223] .

الرسالة الثالثة عشر ورقة رقم ١٣ب

عنوان : مسألة .

بداية : « المهيمن » ينفي المحدودية والكيفية عن قلوب الموحدين ويطرد وساوسها .

نهاية :[224]

الرسالة الرابعة عشر : ورقة رقم ١٣ب — ١٤أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله تعالى:﴿ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ ينبئك ان الساقط عن الله يحتاج الى من يشفع له...

نهاية : ... ألا ترى انه قال في الآية « جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » فعند ذلك يجد الله فاذا وجده وجده «توابا رحيماً»[225] .

الرسالة الخامسة عشر : ورقة رقم ١٤أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : انما تعظم الامور عن اهلها بمعرفتهم باقدارها . وانما يعرف اقدارها من عرف جواهرها . وانما يعرف جواهرها من خلص الى اصولها ...

نهاية : ...وهذا شأن الصديقين في الامور والاصفياء اهل البناء واليقظة[226] .

---

٢٢٣) يبدو ان هذه المسألة الصغيرة هي خطاب الى شخص ، غير معرف . وفيها يوضح الشيخ جنود المعرفة في القلب الانساني : العقل والعلم والحفظ والذهن والفهم والفطنة .

٢٢٤) سطر واحد يقتصر فيه على تحو خاص اثر الاسم الالهي : « المهيمن » .

٢٢٥) تفسير آية ٦٤ من سورة المائدة(٤)وفيها يبين ان شفاعة الرسول انما هي للساقطين ، حتي يردهم الى مقامهم .

٢٢٦) الرجوع بكل شيء الى اصله ، الذي منه ابتدأ ، هو شأن الصديقين .

الرسالة السادسة عشر : ورقة رقم ١٤ا — ١٤ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : الميراث ، على تقدير مفعال ، مأخوذ من الرثة وهي ما ضمها البيت وجمعها بعد تفرقها . ولذلك سمي الوارث وارثاً ...

نهاية : ... وقوله (عليه السلام) : «لا نورث ما تركناه صدقة» اي لا نورث كما يرث الناس بعضهم بعضاً . لانا لا نملك الاشياء كما يملكون : انما نملكه لله وليس للنفس فيه دعوى[٢٢٧] .

الرسالة السابعة عشر : ورقة رقم ١٤ب — ١٥ا

عنوان : مسألة اخرى.

بداية : مظهر القلوب ومجمعها عند اسم « الله » . ثم صدروا من عند المجمع بشهوات النفس . فاما الموحدون فاغاثهم بنور المعرفة حتى وحدوه ...

نهاية : ... ثم حال بين قلوبهم وبين نفوسهم . لان القلوب في القبضة فلا تقدر النفس ان تعمل شيئاً . ثم لا يزال يؤدّبه ربه ويميت من نفسه . تلك الشهوات حتى تستقر وينقاد القلب[٢٢٨] .

الرسالة الثامنة عشر : ورقة رقم ١٥ا

عنوان : مسألة :

بداية : قال : وجدت للصابر ست خصال ، في كل امر يجد عليه صبراً . اولها محبة الله ...

نهاية : ... والسادسة بشرى بانه من المهتدين . وذلك قوله : « اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون[٢٢٩] .

---

٢٢٧) تفسير معنى الارث من الوجهة اللغوية والصوفية . وتفسير معنى الملك بالنسبة للعامة وبالنسبة للاولياء والانبياء . وتفسير معنى الحديث الشريف : « لا نملك ما تركناه صدقة» .

٢٢٨) بنور المعرفة الذي هو نور التوحيد زالت من قلوب الموحدين شهوة الشرك . — السائرون الى الله بقلوبهم حلوا عقد نفوسهم شهوة شهوة . — المجذوبون (اهل المشيئة) جذب الله قلوبهم اليه ثم اخذها من نفوسهم .

٢٢٩) جزاء الصابر على صبره : محبة الله ، حظوة الله ، كرامة الله ، صلوات الرب ، رحمة الرب ، البشرى .

الرسالة التاسعة عشر : ورقة رقم ١٥ أ — ١٥ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال، رحمة الله عليه : العبد خرج من اسمه « الله » واثا اخرجه للعبودة واذا قال : « بسم الله » تفرغ من الاشياء ورجع الى الوحيته يتحصن بها . . .

نهاية : . . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان يوماً لا ازداد فيه علماً يقربني الى الله لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم[٢٣٠] » .

الرسالة العشرون ورقة : رقم ١٥ ب — ١٧ ب

عنوان : كتب الامام ابو عبد الله ، رحمة الله عليه ، الى محمد بن الفضل جواب كتابه .

بداية : فأما ما ذكرت ، اكرمك الله ، من المصايب : فمصايب النفس كائنة ولكنها تهون في جنب مصايب القلوب وان من اعظم مصايب القلوب حجبها عن الله . . .

نهاية : . . . فخرجوا من الدنيا عطاشاً . . . لانهم عجزوا عن احتماله ايام الدنيا من اجل النفوس والهوى والعدو . جعلنا الله واياك من اهل ذكره والسعادة به . آمين ! (يا) رب العالمين[٢٣١] .

٢٣٠) اهل اليقظة بالنسبة الى عبوديتهم امام الله على صنفين ، ١ : المؤدي للفرائض والحافظ للجوارح ؛ ٢ : ومن جاوز هذا كله واحكمه ثم امعن في ازدياد العلم بالله .

٢٣١) « محمد بن الفضل البلخي » اصله من بلخ ولكنه اخرج منها فدخل سمرقند ونزلها ومات فيها سنة ٣١٩ للهجرة . صحب احمد بن خضرويه وغيره من المشايخ وهو من اجلة مشايخ خراسان ولم يكن ابو عثمان (الحيري النيسابوري احد شيوخ الملامتية الكبار في وقته) يميل الى احد ميله اليه (طبقات الصوفية ٢١٢) . والترمذي في رسالته هذه يبين للشيخ ابن الفضل ان مصائب النفس تهون في جنب مصائب القلب . وان اعظم مصائب القلب الاحتجاب عن الله سبحانه وان المحجوب عن الله لا تنتهي آلامه لا في الدنيا ولا في الآخرة . راجع ترجمة الفضل بن محمد البلخي في الحلية ١٠ : ٢٣٢ وصفة الصفوة ٤ : ١٣٨ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٦ والرسالة القشيرية ٢٧ ومعجم البلدان ١ : ٧١٣ ؛ ٢ : ٧٢١ ؛ ٣ : ٢١٠

الرسالة الحادية والعشرون : ورقة رقم ١٧ب — ١٨أ

عنوان : المسألة اخرى .

بداية : قال : وجدنا قوله عليه السلام : « انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا قالها العبد ضحك الرب » كذلك روى لنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم . . .

نهاية : . . . والضحك هو انفتاح الشي.. فكأنه يؤدي ان ضحكه (= الله تعالى) انفتاح الرأفة حتى يدخل في متوسطها فتغمره الرأفة وتكتنفه. فعندها صار في كنف الله واذا صار في كنفه وقع في المأمن[٢٢٢] .

الرسالة الثانية والعشرون :ورقة رقم ١٨أ — ١٩أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : وجدنا « الحمد » كلمة جامعة شاملة يخرج العبد بها الى الله من اثقال عطاياه ومننه . . .

نهاية : فصار حمدك بين يدي عظمتك عش حمد اوليائك واحبابك. ثم جعلت لاعين افئدتهم طريقاً الى ذلك العش ليحمدوك فيه فيقر حمدهم وحمدك. فهذا منتهاه[٢٢٣] .

الرسالة الثالثة والعشرون :ورقة رقم ١٩أ — ١٩ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال رحمة الله عليه : أعطى الله الآدميين معرفته فقبلوها ثم اعترضهم فعرضوا عليه القبول فقبل قبول الموحدين ولم يقبل قبول من سواهم. . .

نهاية : . . . فالتاوين الذين قلوبهم خالية من تلك المحبة فلذلك اتبعوه بحرته ودعائه وقدر على استفزازهم[٢٢٤] .

وشذرات الذهب ٢:٢٨٢ ومرآة الجنان ٢:٢٧٨ والمنتظم ٦:٢٣٩ ونتائج الافكار القدسية ١:١٥٥-١٥٧ وسير اعلام النبلاء ٩:٢٧٦أ—٢٧٧أ وطبقات الصوفية ٢١٢-٢١٦

٢٢٢) الرأفة الالهية حجاب بين ذنوب العباد وعظمة رب الارباب ولولاها لاحرقتهم انوار العظمة تلو الذنوب .

٢٢٣) يشرح الشيخ في هذا الفصل معنى الحمد في مقابلة افضال الرب.

٢٢٤) ثبات الموحدين على التوحيد الاصلي الذي هو دين الحنيفية الصرف انما هو بفضيلة المحبة .

الرسالة الرابعة والعشرون : ورقة رقم ١٩ب — ٢٠ب

عنوان : واجاب عبدالله رحمة الله عليه بعض اخوانه في كتابه كتبه اليه.

بداية : أما ما ذكرت من منة الله علينا بهـذا العلم الذي وسمه علينا فان للعلم شرة وفترة ...

نهاية : ... وكذلك عادة المحبين : اوفرهم حظاً من الحب اظهرهم جوداً[٢٣٥].

الرسالة الخامسة والعشرون : ورقة رقم ٢٠ب — ٢١أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿ لا تدركه الابصار ﴾ فانما ذكر الابصار ولم يذكر سائر الاعضاء ، كقوله : لا تلمسه الايدي . . . لان البصر فيه حياة الروح . . . فهو أحد وأقوى من سائر الاعضاء . . .

نهاية : ... و«الهاء» هو الهوية فانما ينظر العباد الى الصفات فامّا «هو» فلا يدرك في الدنيا ولا في الآخرة[٢٣٦] .

الرسالة السادسة والعشرون : ورقة رقم ٢١أ — ٢١ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال رحمه الله : الوقوف بباب الجنة لعمال الله والوقوف بباب الله لـ(اهل) قبول مشيئات الله ...

نهاية : ... ليقووا على قبول حكم الله منقادين مهتشين سروراً وطيب نفس به[٢٣٧] .

---

٢٣٥) رسالة الى بعض اخوان الشيخ ، لم يعرف صاحبها . يذكر فيها الحكيم الترمذي قدر العالم بالله ويبين قضية داود عليه السلام ويرد على بعض الاخبار المنسوبة اليه .

٢٣٦) تفسير آية ١٠٣ من سورة الانعام (٦) . ويبين الشيخ هنا ان مسألة جواز رؤية الله في الآخرة وعدمها لا تعلق لها بهذه الآية الكريمة .

٢٣٧) باب الجنة تؤدي اليه العبادات والطاعات ، وباب الله يؤدي اليه اخلاص العبودية لوجهه الكريم . الاولون ، على نحو ما ، ارقاء والآخرون ، احرار طلقاء .

الرسالة السابعة والعشرون : ورقة رقم ٢١أ

عنوان : —

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : تسبيح نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، سبحان الله فقط ...

نهاية : وتسبيح سائر الانبياء ، عليهم السلام ، مداخل في الاشياء[٢٣٨] .

الرسالة الثامنة والعشرون : ورقة رقم ٢١ب

عنوان : —

بداية : قال :نظرت ما الذي وجد المؤمنون من ربهم حتى استقرت قلوبهم ...

نهاية : ... ثم قيدها بالحب وقيد النفس بحلاوة الحب وبهـا(.) العقل حتى ثبتت[٢٣٩] .

الرسالة التاسعة والعشرون : ورقة رقم ٢١ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (عليه السلام) :«من وافق من اخيه المسلم شهوة غفر له»...

نهاية : ...فالشأن في هذا الامر هل صيّر نفسه فارغاً حين انقضت الحاجة[٢٤٠].

الرسالة الثلاثون : ورقة رقم ٢١ب — ١١أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : «ولو انهم آمنوا واتقوا لتوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون»...

نهاية : ... لانهم شروا انفسهم بالتقوى فتبروا من نفوسهم ورفعوا البال منها فنالوا المنى (الاصل : المنا) واولئك السحرة شروا نفوسهم

---

٢٣٨) جمع كلمات فقط في التمييز بين تسبيح النبي محمد ، عليه الصلاة والسلام ، الذي هو تسبيح صاف ، وتسبيح سائر الانبياء ، حيث هو مداخل في الاشياء كما يقول شيخنا .

٢٣٩) « ان الله أحيا القلوب بنور الحياة ثم ابدا لهم من عظمته حتى امتلأت القلوب واستقرت » فذلك استقرار قلوبهم على الايمان به .

٢٤٠) جمع كلمات في شرح حديث شريف :«من وافق من اخيه المسلم شهوة غفر له».

بالسحر فنالوا المنى[٢٤١] (المنا) .

الرسالة الحادية والثلاثون : ورقة رقم ٣٢ أ — ٣٢ ب

عنوان : مسألة اخرى :

بداية : سورة البقرة في اولها نعت المؤمنين ثم نعت المنافقين ثم نعت الكافرين . . .

نهاية : . . . ومن ذهب الى ان « ام الكتاب » فهو كذلك ايضاً : هو في الذكر اولاً ثم ههنا[٢٤٢] (الاصل : ها هنا) .

الرسالة الثانية والثلاثون : ورقة رقم ٣٣ أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾ فلم يقل : من ذاك . . .

نهاية : . . . يعلمك ان صاحب الدعاء يحتاج الى ان يصل الى الباب فيقرعه ليدعو من قرب[٢٤٣] .

الرسالة الثالثة والثلاثون : ورقة رقم ٣٣ أ — ٣٣ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قوله (عليه السلام) « سبحان من تنفس كل حي بروحه » فالروح بدو الاشياء . . .

نهاية : . . . فالخلق خرجوا من عند « القدوس » مقدسين فتدنسوا بالآفات. فاذا قدسوه بقيت الزينة، التي من القدس، بالوفا(.) منهم مع الادناس. ولولا ذلك لتهافتت الزينة عنهم وذهبت زينة الاشياء وحسنها[٢٤٤] .

---

٢٤١) تفسير آية ١٠٣ من سورة البقرة (٢) . — تحليل تنافي حالة السحر في الساحر والكفر في الكافر والايمان في المؤمن .

٢٤٢) عرض موجز لموضوعات سورة البقرة العامة . خصوصية هذه الامة بالنسبة لسائر الامم .

٢٤٣) تفسير موجز لبعض آية سورة الكرسي : « من ذا الذي يشفع » (آية ٢٥٥ سورة البقرة : ٢) .

٢٤٤) شرح موجز لبعض الاحاديث الشريفة الخاصة بالتسبيح : « سبحان من تنفس كل

الرسالة الرابعة والثلاثون : ورقة رقم ٢٣ب

عنوان : مسألة .
بداية : قوله (تعالى) :﴿ انك كادح الى ربك كدحاً ﴾ ...
نهاية : ... وكذلك المصية يقدح قلبه نفسه حتى يورى ظله المصية[٢٤٥].

الرسالة الخامسة والثلاثون : ورقة رقم ٢٣ب — ٢٤أ

عنوان : مسألة .
بداية : قوله (تعالى) :﴿ خلقنا الانسان في كبد ﴾ ...
نهاية : ... فالكبادة من الانسان ان يكابد الاشياء بفضل القوة حتى يغلب ويملك ويقهر[٢٤٦] .

الرسالة السادسة والثلاثون : ورقة رقم ٢٤أ

عنوان : مسألة اخرى .
بداية : قوله تعالى :« افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه » ...
نهاية : ... ثم أتمهم فقال :« والله غفور رحيم»[٢٤٧] .

الرسالة السابعة والثلاثون : ورقة رقم ٢٤أ — ٢٤ب

عنوان : مسألة اخرى .
بداية : قوله (تعالى) :« واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ... »
نهاية : ... « ثم تاب من بعده واصلح» اي اصلح ما افسد« فانه غفور رحيم » اي فعول للمغفرة[٢٤٨] .

الرسالة الثامنة والثلاثون : ورقة رقم ٢٤ب — ٢٥أ

عنوان : مسألة اخرى .

حي بروحه » « سبحان من حياة كل شيء بتسبيحه » « سبحان من بقاء كل شيء بتقديسه».
٢٤٥) تفسير معنى الكدح الوارد في آية ٦ سورة ٨٤ (الانشقاق) راجع الفهرس العام رقم ٦٦ (R. G. n° 66)
٢٤٦) تفسير معنى كَبَد الوارد في آية ٤ سورة ٩٠ (البلد) .
٢٤٧) تفسير آية ٧ من سورة المائده (٥) .
٢٤٨) تفسير آية ٥٤ من سورة الانعام (٦) .

بداية : قال : علامة حب الرجل لعبد من عبيده ان يولي كل واحد منهم عملا من ورا. ويقول لذلك العبد : تول (الاصل :تولى) خدمتي حتى تكون بين يدي ..

نهاية : ... فكل حركات المؤمن (الاصل : المؤمنين) اذا كان لله فهو خدمة واذا كان لنفسه فقد صار خادم نفسه فاذا كانت حركاته معصية فقد صار خادم عدوه[٢٤٩] .

الرسالة التاسعة والثلاثون : ورقة رقم ٢٥ أ

عنوان : مسألة أخرى.

بداية : ليس شيء في الدنيا أحلا ولا أشها من «الكام» — بالاعجمية — وهي تشبه النفس ...

نهاية : ... فان صفا(ء) المعرفة في ترك المشيئات والارادات . فهو الراضي عن الله « رضي الله عنهم ورضوا عنه » وأعد لـه رضوانه الاكبر في الفردوس الاعلى[٢٥٠] .

الرسالة الاربعون : ورقة رقم ٢٥ أ — ٢٥ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : نظرت في الفرق بين الهدية والهبة فوجدت ان الله ، تبارك اسمه ، ذكر في التنزيل هبة الاولاد ...

---

٢٤٩) جرى شيخنا في هذا الفصل ان الله « اخرج سائر الخلق ، ما عدا الانسان ، من القدرة فولاهم عمل السخرة واخرج الآدميين من باب الحب فولاهم الخدمة ليكونوا بين يديه ووضع فيهم الشهوة ابتلاء؛ لينظر : من يميل منهم عن حلاوة المحبة الى حلاوة الشهوة وعن الفرح بالحب الى الفرح بالهوى . . . » انظر الفهرس العام رقم ٦٠ (R. G. n° 60).

٢٥٠) اذا لم يذق الانسان حلاوة الحب الالهي فان شهوات النفس ومحبة الدنيا ستتولى عليه بلا ريب :

كانت لقلبي اهواء موزعة ... فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائي

هكذا يقول موله الحب الالهي ، الحلاج الكبير - وهذا الفصل القصير يدور حول هذه المسألة الهامة . — ويلاحظ ان كلمة « كام » الفارسية ، معناها الشهوات والملذات الجسدية . وقد استعملها الترمذي في مقابل «النفس» ؛ وهو يقصد بذلك ، مع سائر الصوفية ، « النفس الامارة بالسوء » و«النفس الشهوانية » .

نهاية : ... وما كان من لحم ودم وعرق فمن ما(ء) المرأة وهب تلك الخلقة للام . واما الهدية فهو مدك اليه بشيئته[٢٥١] .

الرسالة الحادية والاربعون : ورقة رقم ٣٥ب — ٣٦أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : المعرفة والعلم والعقل والفهم والذهن والحفظ هي (الاصل : هم) اشياء وضعت في الآدمي ...

نهاية : ... فمن مال عن الشهوات والهوى والعدوّ الى الله رشد . ومن مال عن الله الى الشهوات والهوى والعدو غوى وشقي وخاب[٢٥٢] .

الرسالة الثانية والاربعون : ورقة رقم ٣٦أ — ٣٧أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : اصل خروج الآدمي من باب الفرح ، ولي خلقه بيده لانه خلقه على صورته ...

نهاية : ... واكرم الله محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، من الفرح الغالب بالعصمة والثبات . فهذا اقوى[٢٥٣] .

الرسالة الثالثة والاربعون : ورقة رقم : ٣٧أ — ٣٧ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) : ﴿ قل : من يكلؤكم (الاصل : يكلاوكم) بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ ...

نهاية : ... فاكنس هذه الارض ونجاستها وقامتها بالتسبيح حتى تطهر ارضي . فلذلك قيل : تسبيح تنزيه[٢٥٤] .

---

٢٥١) الفرق اللغوي بين الهبة والهدية واستعمالها في القرآن الكريم .

٢٥٢) يشرح الشيخ في هذا الفصل القصير كيف يصعد العمل من العبد الى الله وكيف يقبله الله منه .

٢٥٣) تحليل نفساني لطبيعة الفرح واثرها في الانسان في حياته النفسية والروحية . يميز الشيخ هنا بين نوعين من الفرح الصوفي : الفرح بالله والفرح بفضله ورحمته .

٢٥٤) تفسير بعض مفردات آية ٤٢ من سورة الانبياء (٢١) ، وتفسير آية ٣٧ من نفس السورة الكريمة وتفسير آية ٩٧ من سورة الحجر (١٥) .

الرسالة الرابعة والاربعون : ورقة رقم ٣٧ ب

عنوان : مسالة اخرى .

بداية : روى في الحديث انه لا يبقى في الجنة من القرآن الا سورة طه ويس ...

نهاية : ... فاعطيت بنو اسرائيل الخوف الذي افتتح به سورة طه وهي الرحمة وافتتح السورة الاخرى (يس) بالياء وهو الفرح .. فامة بني اسرائيل مرحومة وهذه الامة ، محبوبة[٢٥٥] .

الرسالة الخامسة والاربعون : ورقة رقم ٣٧ ب — ٢٩

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) :« وان الى ربك المنتهى » « فالرب » اسم الملك فالى ما هنا منتهى القلوب ، وهو الظاهر وليس وراءه مذهب ...

نهاية : ... فانما عظمت هذه العقوبة لانهم فرحوا وصرفوا ذلك الفرح الى حظ العدو الذي اعطى لبلوى الآدميين[٢٥٦] .

الرسالة السادسة والاربعون : ورقة رقم ٢٩ أ

عنوان : مسالة اخرى .

بداية : قوله (تعالى) :« عالم الغيب والشهادة . » فالغيب ما بطن في الذات والشهادة ما ظهر من الملك ...

نهاية : ... فالقائمون بالتسبيح والتقديس ، من معدن طهارات القلوب ، هم

٢٥٥) يفسر الشيخ هنا هذا الحديث بان« عامة اهل الجنة هم من الامة المحمدية واليهود به« سورة « طه » رمز لبني اسرائيل وسورة « يس » رمز لامة محمد عليه الصلاة والسلام !

٢٥٦) يفسر الشيخ هنا آية ٤٣ من سورة الطور(٥٣) وآية٥٤من سورة طه(٢٠)ويشرح معاني الرشد والغي وحديث:« ما احلّ الله شيئاً احب اليه من النكاح وما أحلّ شيئاً ابغض اليه من الطلاق » .

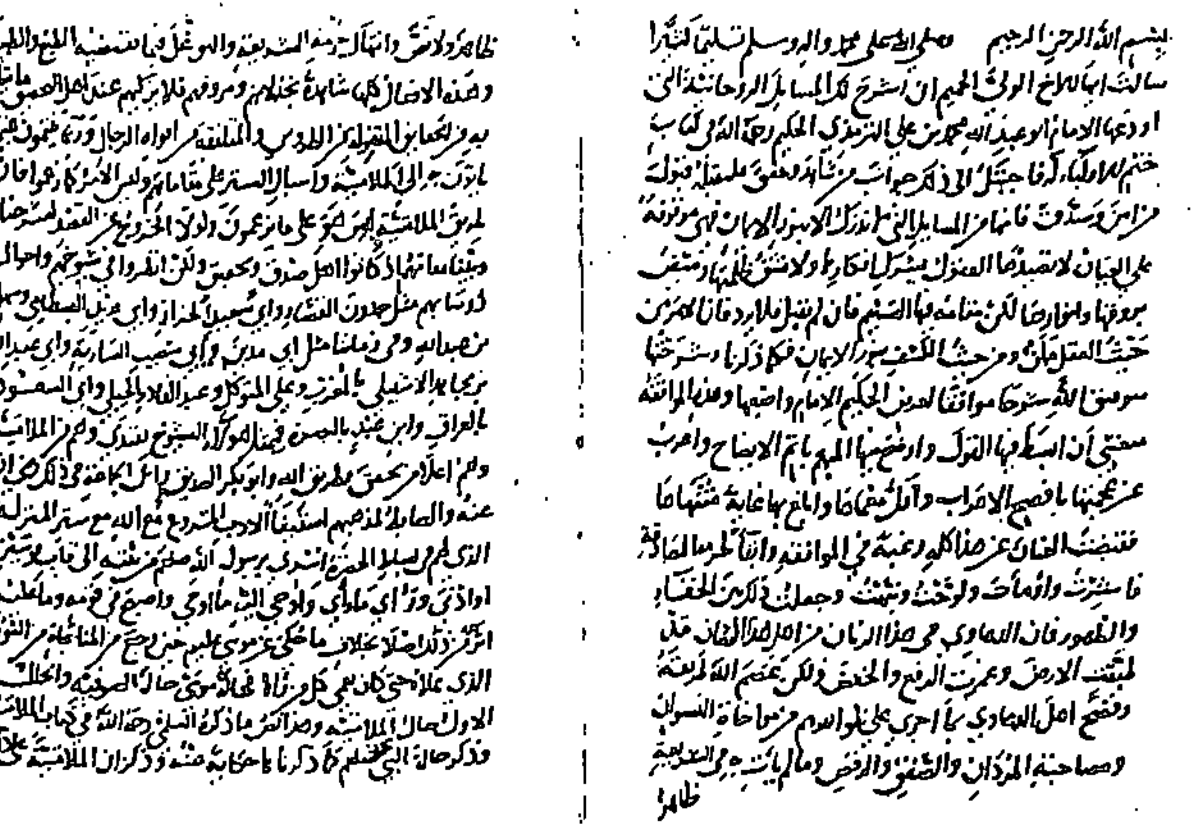
بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا
سألت أيها الأخ الولي الحميم أن أشرح لك المسائل الروحانية التي
أودعها الإمام أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم رحمه الله في كتاب
ختم الأولياء لكنها جنحت إلى أن أذكر جوابات من شاهد وتحقق ملحقة بقولك
فإن من سد فإنها من المسائل التي لا تدرك إلا بسر الإيمان فهي موقوفة
على العيان لا تقيدها العقول يشترك إنكارها ولا أنتظر فلذلك مثلها
بعرفها والمعارضة لكن مثامنة فيها التسليم فإن لم تقبل فلا ترد فإن الأمر من
حيث المعقول ومن حيث الكشف بسر الإيمان فكما ذكرنا وشرحنا
سر من الله سبحانه موافقا لمراد الحكيم الإمام واضعها ومنها الموافقة
معنى أن أبسط فيها القول وأوضح المبهم بأتم الإيضاح وأعرب
عن مجملها بأفصح الإعراب وآتي منها ما والحق بها غاية منتهاها
فتنضت العبارة عن هذا كله رغبة في الموافقة وأنا أطرها الفاقة
فاستخرت وانهمكت ولزحت ونشطت وجعلت ذلك بين الخفاء
والظهور فإن التعادي في هذا الزمان من أهل هذا الشأن قد
لبست الأرض وعمرت الرفع والخفض ولكن عصم الله لمريته
ونفع أهل التعادي بما أجري على ألسنة من مراعاة التسول
ومصاحبة المرداني والشفوق والرفض وما لم يأت به من الشريعة
ظاهرا

ظاهرا ولا شك وانهماكهم في الشريعة والتوغل فيما تستحقه اللمعة واللمحة
وهذه الأصناف كلها شاهدة بجهلهم ومروقهم فلا تركهم عند أهل الحق ما تلو
به في الغابر المتقولين اللدني والملتفقة من أفواه الرجال وربما يظنون فيها
ما يرجع إلى الملامتية وأصحاب الستر على مقاماتهم وليس الأمر كما زعموا فإن
لطريق الملامتية أهل حق على ما زعمون ولولا الخروج عن القصد لشرحناه
وبينا ما تمادى كانوا أهل صدق وتحقيق ولكن انظروا في شيوخهم وأحوال
كونها بهم مثل حمدون القصار وأبي سعيد الخراز وأبي يزيد البسطامي وسهل
بن عبد الله ومن زماننا مثل أبي مدين وأبي شعيب السارية وأبي عبد الله
بن مجاهد الإشبيلي بالمغرب وعلي المتوكل وعبد القادر الجيلي وأبي السعود
بالعراق وابن جنيد بالحسن فهؤلاء الشيوخ لا تدرك دعوى الملامتية
ولهم أعلام تحقيق بطريق الله وأبو بكر الصديق رأس الطائفة في ذلك رضي الله
عنه والطائفة لمذهبهم استنباط الأدب المتردع مع الله مع ستر المنزلة
الذي لم يسلك المحترز أشرف برسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى غاية
أو أدنى ورأى ما رأى وأوحي إليه ما أوحي وأصبح في قومه وما علمه
أكثر ذلك أصلا علانية ما حكي عن موسى عليه حين رجع من المناجاة من النور
الذي علاه حتى كان يعمي كل من رآه فعلى موسى حال الصحو والحال
الأول حال الملامتية وهذا أكثر ما ذكره السلمي رحمه الله في كتاب الملامتية
وذكر حال النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا حكايته عنه وذكر أن الملامتية على أكثر

ورقة من مخطوط كتاب « الجواب المستقيم لابن عربي » نسخة بايزيد رقم ٣٧٥٠

ائمة (الاصل : امم) الخلق في التسبيح والتقديس وبهم تقوم الارض وتدوم النعم على اهلها[٢٥٧].

الرسالة السابعة والاربعون : ورقة رقم ٢٩ أ — ٣٢ ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : القوة في العروق لان القوة مع الدم وفي الدم ...

نهاية : ... أفضل الشهداء عند الله الذين يلقون في الصف الاول فلا يلفتون (الاصل : ملتفون) وجوههم حتى يقتلوا اولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة يضحك اليهم الرب ان ربك اذا ضحك الى قوم فلا حساب عليهم[٢٥٨]».

الرسالة الثامنة والاربعون : ورقة رقم ٣٣ أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : الرسل اعلام الخلق ، والخلق كالجند يؤمّون العَلَم فمن شذ عن العَلَم اسره العدو ...

نهاية : ... فبذلك خرجا (سليمان وعيسى عليهما السلام) من الحالتين محمودين وأعين هذا بما فتح له وأعين الآخر بما فتح له[٢٥٩].

٢٥٧) تفسير هذه الآية الكريمة التي تكرر ذكرها في سور القرآن الكريم : «عالم الغيب الشهادة» (١٣ : ١٠ — ٦ : ٣٢ — ٥٩ : ٢٢ .....)

٢٥٨) الجملة الاولى من هذه المسألة لا علاقة لها بسائر موضوع الفصل. تفسير آخر آية من سورة الفتح (آية ٢٩ سورة رقم ٤٨) وتفسير آية ٢٠٧ من سورة البقرة (٢) وآية ١٧٠ من سورة آل عمران (٣) . — في هذا الفصل يذكر الترمذي اسم كتاب غير معروف له وهو كتاب الارادات . (ورقة ٣٢ أ سطر ١٠) ولكن صورة الصيغة التي اورد فيها ذكر هذا الكتاب لا توضح اذا كان الكتاب له او لغيره : «قال له قائل : ارأيت ان تشرح لنا هذه الاصناف — قال : هذا مشروح في كتاب الارادات» .

٢٥٩) يذكر هنا الشيخ مثل سليمان ومثل عيسى عليهما السلام : الاول علَم للاغنياء وعنده يوجد الشكر والثاني علَم للفقراء ولديه الصبر . الاول فتح الله عليه باب الرأفة ، والثاني فتح الله عليه باب طهارة القدس .

الرسالة التاسعة والاربعون : ورقة رقم ٣٤أ — ٣٥ب

عنوان : قال : من هم الذين (الاصل: من الـذين هم الذين) اعطوا السراج والقسط ...

نهاية : ... « ... ما (الاصل: اما) من رجل يخلف ذرية من بعده يعبدون الله الا جعـل الله له مثل اجورهم ما عبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة »[٢٦٠] .

الرسالة الخمسون : ورقة رقم ٣٥ب — ٣٦أ .

عنوان : مسألة أخرى .

بداية : نظر الى طائر مثل الموضع على وتد لا ينشط ولا يطرب فدام على ذلك شهراً ...

نهاية : ... فاذا دعوت بعد ذلك فابطأت (الاصل : فابطت) فانت معذور كما عذر الله نبيه[٢٦١] .

الرسالة الحادية والخمسون : ورقة رقم ٣٦أ — ٣٦ب

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : امر الله ، تبارك اسمه ، بالجهاد فصار الجهاد على ضربين مجاهدة العدو بالسيف ومجاهدة الهوى والنفس بسيف ترك المشيئة ...

نهاية : ... وقال في جهاد النفس: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[٢٦٢] ».

الرسالة الثانية والخمسون : ورقة رقم ٣٦ب — ٣٧أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : جملة العبودة ان الله تعالى خلق اجسادنا قوالب (الاصل: قوالبا)

---

٢٦٠) في هذا الفصل يشرح الشيخ امراء الدين وملوك العالم: «الذين علموا العلوم الباطنة فلم يلكهم العالم بل هم ملكوا العلم » . ويشرح الفاظ التشهد : التحيـات الطيبات » . ويفسر قوله تعالى: « يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور»(سورة الشورى٤٢: ٤٩) .

٢٦١) مقارنة جميلة ومؤثرة بين فرح صاحب الطير بتغريد طيره وفرح الرب بتلاوة عبده القرآن ! وتفسير آية: « ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً » (٥ سورة المائدة ٣٥)

٢٦٢) بيان وجيز لنوعي الجهاد : الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر.

ليضع فيها ما يبرزه العبد بحركاته بتلك الحياة التي في روحه ونفسه . . .

نهاية : . . . فلم يزل يحشو (الاصل : يحشوا) قلبه وصدره وجوارحه بما اعطى في قلبه وصدره ، حتى صار زكياً مرضياً . فالزكاوة من الحشوة (الاصل : الحشية) التي احتشا(ها)[٢٦٣] .

الرسالة الثالثة والخمسون : ورقة رقم ١/٣٧ — ١/٣٨

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : خلق الله على فؤاد الآدمي عينين واذنين ثم منّ على من شاء منهم بنور الحياة . . .

نهاية : . . . قال : ومن ربائب الانبياء ؟ قال : قوم اختصهم الله واصطفاهم وغذاهم بما غذّى (الاصل : غذا) به الانبياء . فهم الربائب . فكأنهم تربوا في حجور الانبياء . فعندهم علم القالب . فمن رأى (الاصل : را) نفسه في القالب فانما يرى ذلك بنور الله الاعظم الذي في الباطنية ، فبذلك النور رأى نقش اسمه يوم المقادير[٢٦٤] .

الرسالة الرابعة والخمسون : ورقة رقم ١/٣٨

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : ان الله ، تبارك (الاصل : تبرك) اسمه ، ابرز للعباد محبة ورأفة ورحمة ووضعها عنده ليجريها الى العباد . . .

---

٢٦٣) وصف لتركيب الانسان جسياً ونفسياً وتردد عواطفه بين الخير والشر. ولنستمع اليه : « الروح ساوي وفيه الحياة . والنفس ارضية وفيها الحياة . ووضع الله في القلب المعرفة وفي الصدر علم المعرفة، وفي الراس عقل المعرفة، وفي الناصية المقدور . وجعل الذهن والفهم والفطنة من جنود العقل . ووضع في النفس الشهوة وجعل قايدها وسائقها الهوى . . . فمن عرف هذا (وعمل به) فقد اصاب رأس الحبل الذي يؤديه الى الله وانكشف له الغطاء عند الداء . . . »

٢٦٤) هذه المسألة تتناول موضوعين منفصلين : ١ْ الكلام على عيني القلب الباطنتين ؛ ٢ْ وتفسير هذه الآية الواردة كثيراً في القرآن الكريم: «يا ايها الذين آمنوا آمنوا . . .» وهنا يتكلم الشيخ على نوعين من الشرح : « شرحنا في الجليل وشرحنا في الدقيق اللطيف» (الشرح الظاهر والشرح الباطن) .

نهاية : فمن ها هنا قال علماؤنا : ان الماء الجاري اذا وقعت فيه نجاسة فهو على يقين ان تلك النجاسة ممتزجة بالماء وهي (الاصل :وهو) جزء من اجزائه . ولكن الاجزاء الطاهرة قد غلبت على الجزء النجس[٢٦٥].

الرسالة الخامسة والخمسون : ورقة رقم ٣٨ أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : قال : اذا كانت اشغال الدنيا يأخذك بعضها من بعض ، وقد عاينت، فما ظنك بمن يأخذه اشغال الدنيا عن آخرة لم يعانيها ...

نهاية : فاذا كان هذا هكذا ، فما ظنك بمن يأخذه اشغال الدنيا عن رب لا لا يراه ولا يدرك ولا كيفية له . اللهم ارحمنا[٢٦٦] .

الرسالة السادسة والخمسون . ورقة رقم ٣٨ أ — ٣٩ ب

عنوان . مسألة اخرى .

بداية : قال : اول عبادة الرب العلم . فاذا علمت عرفت . فاذا عرفت عبدت . وجميع العلم في الحروف ولا يظهر الا بالحروف ...

نهاية : ... فهذه كلمة تسدد له الى ربه حتى يقبل الحسنة ويستر السيئة فذلك قوله :« يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم[٢٦٧] » .

---

٢٦٥) يشرح الشيخ في الجزء الاول من هذه المسالة التعارض بين مطالب القلب والنفس وكيف يتدخل الفعل الالهي برحمته ورأفته وحبه ليحقق الوئام بينهما وفي النهاية السلام للكائن الانساني . وفي الجزء الاخير يقارن بين قوله تعالى : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (آية ١٨ سورة الانبياء — ٢١) وبين قول فقهاء الحنفية ان الماء لا يتنجس بالنجاسة التي تخالطه ما دام جارياً .

٢٦٦) تأملات في بضع سطور عن اشغال الدنيا واعاقتها عما هو اهم من اشغال الآخرة ومرضاة الرب سبحانه !

٢٦٧) السطر الاول من المسألة يبين فيه الشيخ ان العلم كله في الحروف وان علم الحروف هو علم الاولياء وفي السطر الثاني والاخير يفسر آية : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ... (آية ٧٠ سورة الاحزاب = رقم ٣٣) .

الرسالة السابعة والخمسون : ورقة رقم ٣٩ب — ٤٢ب

عنوان : —

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانا وجدنا مكر النفس في الكليتين وكياسة المعرفة في الفؤاد . فبكياسة المعرفة يعرف مكر النفس وكياسة المعرفة من اسمه (تعالى) « الحي » ومكر النفس من حدة الهوى . . .

نهاية : . . . فان اردت ان اشير لك الى من كان من السلف بهذه المنزلة، اشرت لك الى ابي بكر وعمر وعلي وعثمان ثم في التابعين نفر منهم ثم لا يزال يخلفهم من بعدهم طبقة على اثر أخرى في هذه الامة كلهم صديقون حكماء علماء الله وامناؤه وخلفاء الارض بهم تقوم الارض[٢٦٨] .

الرسالة الثانية والخمسون : ورقه رقم ٤٢ب — ٤٤أ

عنوان : مسألة في تربية المعرفة .

بداية : حدثنا الجارود بن معاذ قال : حدثنا علي بن الوليد العبسي قال : حدثنا بقية بن الوليد عن الحكم بن عبد الله عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه : « ان يوماً لا ازداد فيه علماً يقربني الى الله لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » . . .

نهاية : . . . وروى لنا عن وهب بن منبه انه وجد في التوراة انه لما فرغ الله من خلقه اثنى على نفسه ثم قال : ما خلقت الخلق لحاجة كانت بي اليه ولكن لابين قدرتي ولاعرف به الناظرين نفسي ولينظر الناظرون في مملكتي (الاصل : ملكتي) وتدبير حكمتي ولتدين الخلائق كلها لعزتي وليسبح الخلق كله بحمدي ولتعنو (الاصل : ولتعنا) الوجوه كلها لوجهي[٢٦١] .

---

٢٦٨) رسالة مختصرة يبين فيها الشيخ الصراع النفسي بين النفس والفؤاد اي بين الهوى والمعرفة . ولعل هذه الرسالة الغفل من العنوان هي كتاب مكر النفس انظر فهرست الشام (.R. G)رقم ٣٩ ٢٦٩) أهمية المعرفة في الطريق الروحي والحياة مع الله سبحانه !

الرسالة التاسعة والخمسون : ورقة رقم ٦٤/أ — ٦٥/ب

عنوان : مسألة في درجات المرض .

بداية : قال حدثنا عبدالله بن ابي زياد القطراني قال حدثنا سيار عن جعفر ابن سليمان قال سمعت مالك (الاصل : ملك) بن دينار يقول : « تزينوا للمرض على الرحمن ، رحمكم الله » ...

نهاية : ... « فاذا اشرف احدهم على اهل الجنان أضاء حسنه اهل الجنان كما تضيء الشمس اهل الدنيا » فانما تضيء الجنان من نور ما تزينوا به في الدنيا[٢٧٠] .

الرسالة الستون : ورقة رقم ٦٥/ب — ٦٦/أ

عنوان : مسألة في حظ النفس من العلوم .

بداية : قال ، رحمة الله عليه : وجدنا ان النظر في الاحاديث فيما تقبله النفس المريدة للخير ...

نهاية : ... حتى يتأدب ويتخلق بأخلاق الملك حتى يصلح لخدمته فاذا صلح لخدمته (بياض بالاصل) هذه الاصناف من العلوم التي ذكرنا[٢٧١] .

الرسالة الحادية والستون : ورقة رقم ٦٦/أ — ٦٦/ب

عنوان : مسألة في تفسير السفلة .

بداية : قال : السفلة الذي رأى ما له من المعرفة يقال بالاعجمية فرومانه . فاعطى الله الموحدين معرفة التوحيد فذاك رأس مال الموحدين ...

نهاية : ... وليس في قلبه صداقة ولا ودادة لانه رأى (الاصل : را) منه الوفا والصدق فامنه وتهاون في الباطن وفي قلبه غش ودغل فلا

٢٧٠) اعمال العبد في الدنيا وخواطره ومعارفه هي كسوة وزينة في الآخرة : فهناك زينة الشهوات ، وزينة الطاعات ، ولباس المعرفة الذي هو زينة الحق وحده . وصاحبها هو صاحب الحظ الاوفر من الله ...

٢٧١) ينتقد هنا شيخنا ، عرضاً ، احوال المتفقهة في زمانه : « لان نفوسهم ابدًا في ذلك القيل والقال وتخاليط النفوس ... »

تصدقه . وكذلك فيما بينه وبين ربه : قل خوفه وقل حياؤه[٢٧٢].

الرسالة الثانية والستون : ورقة رقم ٤٦ب — ٥١أ

عنوان : مسألة في الذكر ودرجاته .

بداية : قال : الذكر غذا(ء) المعرفة والمعرفة حلوة نزهة والقلب وعا(و)ها فخزانتها والصدر ساحة والمعرفة ذات شعب ...

نهاية : ... ثم اخبرك ما ثوابه العاجل ، فقال : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » فصلاته ان يدعو لكم اي يسأل (الاصل : يسل) لكم بنفسه من نفسه ليخرجكم من ظلمات النفس الى نوره[٢٧٣] .

الرسالة الثالثة والستون : ورقة رقم ٥١ب — ٥٣ب

عنوان : مسألة في شأن العقل والهوى .

بداية : قال : (ا)لقلب مالك للجوارح واميرعليها فاذا ملكه المعرفة والعقل استقام واذا ملكه الهوى والنفس مال عن الله ...

نهاية : ... المحبوب والمكروه كله واحد عنده كما استوت هذه السفينة في حدور النهر وصعوده . الا انه في حال حدوره تجري بريح وبغير ريح وفي حال صعوده لا تجري الا بريح[٢٧٤] .

الرسالة الرابعة والستون : ورقة رقم ٥٣ب — ٥٤أ

عنوان : مسألة اخرى .

---

٢٧٢) « السَّفِلَة السقاط من الناس . يقال هو من السفلة ولا يقال هو سفلة لان هذه اللفظة جمع وبعض العرب يقول : « هو من سفلة الناس » والترمذي يبين هنا موقف هذا النمط من البشر تجاه المعرفة وتجاه التوحيد .

٢٧٣) تحليل عميق من الوجهة النفسية والروحية لحقيقة الذكر واصناف الذاكرين وفيه كثير من الاحاديث الشريفة المتعلقة بهذه المسألة الهامة .

٢٧٤) وصف بسيكلوجي لمقومات الانسان النفسية في حياته المعنوية: النفس ، العقل ، القلب ، المعرفة ، الهوى ...

بداية : قال : حدثنا يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا ابن ابي فديك عن معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الاسلمي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » . . .

نهاية : ... وقال في تنزيله : «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » وقال : « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله » . انتهى بحمد الله والصلاة (الاصل : والصلوة) على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الى يوم الدين[٢٧٥] .

الرسالة الخامسة والستون : ورقة رقم ٥٤ب — ٥٥أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : وجدت المشيئة أميراً على الصفات (في الاصل : — والملك) السبعة فالامير يأذن للاشياء في المملكة . واخرج الله المملكة من باب القدرة . . .

نهاية : ... فمن اجل ذلك ، وقعت المجاهدة على المنيبين المهتدين وسقطت المجاهدة عن المجتبين . فوجدناه قد جمع جميع اموره في المشيئة ووضع في العباد مشيئة احوال النفس لينظر من يراقب مشيئته ولا يلتفت الى مشيئة نفسه فيؤثر مشيئاته على مشيئة نفسه . فهو العبد الصادق في قوله : عرفت ربي . وهذا منتهى العبودة عندنا[٢٧٦] .

الرسالة السادسة والستون : ورقة رقم ٥٥أ — ٥٧

عنوان : مسألة

بداية : شيء محتجب لا يدرك تناوله مساً ولا رؤية ولا ذوقاً (الاصل: ذوقة)

---

٢٧٥) بحث مختصر عن فضائل الصوم . اخر هذه المسألة يوافق اخر مجموعة من المسائل للحكيم الترمذي محفوظة في معهد المخطوطات العربية للجامعة العربية بعنوان المسائل المكنونة . انظر الفهرس العام .R. G رقم ٤٥

٢٧٦) بحث في معنى المشيئة الالهية وهيمنتها على سائر الصفات والاشياء . تقسيم اهل الله الى مجتبين = اهل المشيئة ؛ ومهتدين منيبين = اهل الهداية .

ولا شبأ (الاصل : شبة) ولا حسًا (الاصل: حسة) فما حيلة علمك به حتى تعلمه ...

نهاية : ... فالحق قد اخذ بجامع نفسه وألوهة الرب قد اخذت جميع قلبه. فهذا عبد يؤدي المودة صدقاً . وذلك قوله : « افمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه »[٢٧٧] .

الرسالة السابعة والستون : ورقة رقم ٥٧ب — ٥٨أ

عنوان : مسألة لاهل مراتب القيامة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله اهل مراتب الدين لهم ألوية واهل التخليط لا مراتب ولا ألوية لانهم لم يقيموا على خصلة من خصال الدين فهم اهل اشتغال بالنفس والدنيا واهل اقتراف ...

نهاية : ... ثم صاروا على مراتبهم في الكفر ؛ ولهم ألوية لانهم سبعة اجزاء لكل باب منهم جزء (الاصل:جزو) مقسوم جزء للكفر وهو الغفلة وجزء للشرك وجزء للشك وجزء للرغبة وجزء للرهبة وجزء للشهوة وجزء للغضب . فلكل جزء لواء. انتهت بحمد الله ومنه[٢٧٨].

الرسالة الثامنة والستون : ورقة رقم ٥٨ب — ٦٠أ

عنوان : مسألة في بيان خدعة النفس في شأن العطاء .

بداية : قال ابو عبدالله : رحمة الله عليه : ان النفس دعيت الى الله ، تبارك (الاصل : تبرك) اسمه فلم تجد حلاوة ولا لذة لتلك الدعوة فامتنعت من الاجابة من اجل حاضر شهواتها ولذاتها في الدنيا ...

نهاية : ... فهذا المسكين نال هذه الحلاوة من نور العطاء . فاخذ ينبسط

٢٧٧) الحق معلوم من حيث الصفات مجهول من حيث الذات . - عينا القلب . — الولي حقاً .

٢٧٨) لعل العنوان الصحيح: مراتب الناس يوم القيامة . في نظر شيخنا سيكون الناس تحت لوائين عامين ورئيسين : لواء التوحيد وحامله خاتم المرسلين وكل الموحدين منضوون تحته ؛ ولواء الشرك وحامله ابليس وكل المشركين والكافرين منضوون دونه . يتكلم هنا باختصار عن ختم الاولياء . — راجع الفهرس العام (R. G.) رقم ٦٧

ويتسع في مجالسة الخلق وفتح له من الكلام مفتحاً وترآى (الاصل : ترايا) له بذلك النور اشياء لم يكن يحصرها قبل ذلك . فهو في هذا ، والنفس في ناحيتها ... ختلا ومخادعة في دنياها من الثناء والتبع والرياسة . فلم يلتفت الا وقد سلب الغطاء . وافتقد النور وبقي مع حظ النفس . انتهت بحمد الله ومنته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم[٢٧٩] .

الرسالة التاسعة والستون : ورقة رقم ٦٠ب — ٦٣أ

عنوان : تفسير قوله عز وجل : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » .

بداية : قوله : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » ؛ فاما قوله : « الاول والآخر » فانه تبارك اسمه ، كان ولا شيء ، لم يزل كذلك ...

نهاية : ... ومعنى قول زهير : انت اذا تهيأت الأمر مضيت له[٢٨٠] .

الرسالة السبعون : ورقة رقم ٦٣أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : من كان معرضاً عن الله تعالى فخدمه العبيد ...

نهاية : ... وعلم اليقين مشاهدة الامور ومتابعتها (الاصل : ومتابعة) وعين اليقين مطالعة الحق ومشاهدته . تمت[٢٨١] .

الرسالة الحادية والسبعون : ورقة رقم ٦٣أ — ٦٥ب

عنوان : مسألة في قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله .

بداية : قال الامام ابو عبدالله محمد بن علي الترمذي ، رحمة الله عليه : حدثنا الجارود بن معاذ في قوله « نية المؤمن خير من عمله » يعني ان المؤمن ينوي الخير وان لم يقدر له العمل فقد نوى خيراً ...

---

٢٧٩) تحليل لخداع النفس في استجابتها لامراضها وفي تلقيها لعطائه وفي تمويهها على القلب .
٢٨٠) تفسير الآية الثالثة من سورة الحديد (٥٧) .
٢٨١) انظر الفهرس العام R. G. رقم ٨٤ .

نهاية : ... والنية بلا عمل يكتب حسنة واحدة والعمل بلا نية لا يكتب شيء . تمت المسألة .

الرسالة الثانية والسبعون : ورقة رقم ٦٥ ب

عنوان : مسألة في الجهاد .

بداية : قال : الجهاد على انواع اربعة : جهاد في سبيل الله ، عز وجل، بمقاتلة اعدائه ، وجهاد فيما بينه وبين نفسه ...

نهاية : ...وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذ منها زادًا لمعاده ومرمة لمعاشه ولا يأخذ منها ما يضره في عقباه .

الرسالة الثالثة والسبعون : ورقة رقم ٦٥ ب — ٦٦ ا

عنوان : مسألة في الفرق بين العلم والفقه .

بداية : الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على غيره والعلم هو تجلي الاشياء له بنفسها ...

نهاية : ... لان الله تعالى عالم بتجلي الاشياء له لا بالاستدلال . ويجوز وصفه ، تعالى ، بالحكمة .

الرسالة الرابعة والسبعون : ورقة رقم ٦٦ ا — ٦٦ ب

عنوان : رسالة ابي عبدالله محمد بن علي الترمذي ، رحمه الله ، الى محمد بن الفضل ، رحمه الله

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلم . سلام عليك ورحمة الله وبركاته وادام الله لك العافية والسلامة وزاد في نعمه عندك ... وصل كتابك ابقاك الله تعالى وفهمته . فاما ما ذكرت من معرفة النفس وقلة اماتتها .

نهاية : ... فاحب ان تنتبه فقد جاءت الحقايق وذهبت الشكوك من الانتباه والناس في غفلة والهلاك لمن استقبل امر الله بالمناصبة . فانا حذر لهذا الباب فاحذرك لشفقتي عليك ونصحي لك . واسأل الله تعالى توفيقك

ورشدك . والسلام عليك ورحمة الله تعالى وعلى اخواننا من قبلك .
تم الكتاب والرسالة بحمد الله وصلى الله على محمد وآله[282] .

الرسالة الخامسة والسبعون : ورقة رقم ٦٩ أ — ٨٨ أ

عنوان : المسائل التي سأله اهل سرخس عنها .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله ، اما بعد فقد فهمت مسايلك وما سألت من شأن المريد وما الذي ينفع ويضره في سيره . . .

نهاية : . . . واذا التجأ الى قوته والى ما اعطى من العالم كان قد ترك الطريق فخذل. قال الله تعالى: «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم» . تمت اجوبة المسائل بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما[283] .

الرسالة السادسة والسبعون : ورقة رقم ٨٨ ب — ٩٩

عنوان : مسألة في الايمان والاسلام والاحسان .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم ،قال الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن علي ابن الحسن الترمذي رحمة الله عليه ، مسألة في الايمان والاسلام والاحسان الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله سألتني عما وقع فيه الناس من الاختلاف في الايمان ومحله من ابن آدم وانما اتوا ذلك من قلة افهامهم . . .

---

٢٨٢) يبين الشيخ في رسالته هذه نوعين من معرفة النفس احدهما صحيح والاخر سقيم. فمن رام معرفتها من قبل الصدق فذهب يقابل الصدق بالكذب لم يكن ينجو من سقم معرفة النفس . . .

راجع التعليق المتقدم الخاص بمحمد بن الفضل البلخي ، رقم ٢٣١ .

٢٨٣) راجع الفهرس العام .G. R. رقم ٥ و٢٣ و٦٦ وقسم الاستدراكات رقم ٦ . في هذه الرسالة يذكر الشيخ من اسماء كتبه : كتاب رياضة النفس (٧٥ ب) وكتاب سيرة الاولياء (٧٥ ب) وكتاب الاصول (هل هو نوادر الاصول ؟) (٨١ أ)

نهاية : ... واقبــل على ربه فعاين من سلطانه وعظمته ما تلاشت نفسه عنده واقبل على ربه فقرت عينــه وطاب عيشه وضاق صدره وبرم بالحياة شوقاً الى الله تعالى ... فهذا تفسير الايمان والاسلام والاحسان الذي سأل عنهن جبريل ، صلى الله عليه وسلم . تمت المسألة بمن الله وعونه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين[٢٨٤] .

الرسالة السابعة والسبعون : ورقة رقم ٩٩ب — ١٠٠ب

عنوان : —

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :« الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية ...

نهاية : ... ثم يطمع بعد هذا ان ينال منــازل الوسايل فيكون بين يديه ولا يــدري بين يدي من هو الا الاسم والحروف التي ينطق بها ؟ هيهات ! هيهات ![٢٨٥] ..

الرسالة الثامنة والسبعون : ورقة رقم ١٠٠ب — ١٠٣أ

عنوان : مسائل التعبير .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : هل رأيت القادح يقدح زنده فيوري ناراً يتوقد منها ...

نهاية : ... فأفاض عليك مجرى الماء لزرع الدنيا كما فعل بالاعداء الكفار

---

٢٨٤) في الفهرس العام .R. G رقم ٩٧ رسالة بعنوان: شرح قوله ما الايمان والاسلام والاحسان وهي جزء من هذه المسألة ولكن نهايتها تختلف عن نهاية الرسالة الحاضرة .

٢٨٥) بحث عن الصبر واطواره المختلفة وصلته بشهوات النفس واهوائها . يتكلم الشيخ هنا عن درجات الوسايل ومشيئة الوصول الى الحق . — راجع الفهرس العام .R. G رقم ٤٨ . ويلاحظ هنا ان الرسالة التي في الفهرس العام عنوانها : شرح قولــه ما الايمان والاسلام والاحسان (رقم ٩٧) تنتهي بنفس النهاية التي لهذه المسألة . والظاهر ان هــذه المسألة (مسألة الصبر) قد ادرجت في ضمن الرسالة ولم يشر اليها الناسخ .

وصرف عنك مجرى مساء ورح الآخرة حتى تبقى حيرانا تعمه في الضلالات والطغيان . انتهت مسائل التعبير بمنة الله ورحمته[٢٨٦] .

الرسالة التاسعة والسبعون : ورقة رقم ١٠٣ أ — ١٠٤ أ

عنوان : مسألة في النية .

بداية : قال ابو عبدالله محمد بن علي ، الحكيم الترمذي ، رحمة الله عليه : حدثنا صالح بن محمد حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن انس بن مالك ، رضي الله عنه ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، قال يوماً : هل تدرون ما المؤمن ؟ . . .

نهاية : . . . وهذا عنده محال بعد ان استقام قلبه عبودة وكان بين يديه في درجة القربة . فهذا دائم له في كل حال[٢٨٧] .

الرسالة الثمانون : ورقة رقم ١٠٤ أ — ١٠٧ ب

عنوان : مسألة في ذكر المنفردين .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدنا الذكر على ضربين (الاصل : ذكر) ان تذكر هويته بلا كيف فتغرق فيه الدنيا والآخرة . . .

نهاية : . . . وقال تعالى : « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم »[٢٨٨] .

الرسالة الحادية والثمانون : ورقة رقم ١٠٧ ب — ١١٣ أ

عنوان : مسألة في وصف المنفردين .

بداية : سألت عن رجل يعبد الله تعالى على طلب الثواب والفرار من العقاب . . .

٢٨٦) مجموعة من المواعظ والعبر . انظر الفهرس العام .R. G رقم ٦٦

وهذه الرسالة قد نشرها A. J. Arberry بعنوان : « Notes on a Tirmidhi Manuscript » in Rivista degli Studi Orientali, XVIII (1940),315-327

٢٨٧) انظر الفهرس العام .R. G رقم ١٩ ورقم ٥١ .

٢٨٨) « « « « « « ٦٩ ؛ قارن هذه الرسالة ايضاً بالرسالة المتقدمة رقم (٦٣) : مسألة في الذكر ودرجاته تعليق رقم ٢٧٣

نهاية : ... فلم يكن للاشياء دونه سلطان على شغلي عنه لانه قد اخذه ربه فبسلطانه نفذ(؟)في الاشياء ويمتنع (؟) من الاشياء ان تشغله[٢٨٩].

الرسالة الثانية والثمانون : ورقة رقم ١١٣ — ١١٩

عنوان : مسألة في الشكر والصبر.

بداية : قال الامام عبدالله، رحمة الله عليه : سألت، رحمك الله، عن منزلة الشكر والصبر...

نهاية : ... فدلّ ان هذا الامر الجليل انما هو في النار. والزناد والحجر ليس لها ذلك الشأن. فهذا شأن الشكر والصبر وصورتيهما[٢٩٠].

الرسالة الثالثة والثمانون : ورقة رقم ١١٩ — ١٢٠

عنوان : مسألة اخرى سئل عن عبدين.

بداية : سئل عن عبدين احدهما في نعمة والآخر في الشدة...

نهاية : ... وهل يضنّ به الا وهناك في الباطن، شيء ليس لغيره من الحظ والأثرة[٢٩١].

الرسالة الرابعة والثمانون : ورقة رقم ١٢٠ — ١٢١

عنوان : مسألة قال الله : «والله يعلم منقلبكم» :

بداية : قال الله : «والله يعلم متقلبكم ومثواكم»...

نهاية : ... فاذا خرجوا منه فتح على قلوبهم روح المفاوضة في مجالسه[٢٩٢].

---

٢٨٩) انظر الفهرس العام (R. G.) رقم ٥٤

٢٩٠) « « « « « « ٥٣ ولكن نسخة اسعد افندي لها غاية تختلف عن غاية هذه النسخة.

٢٩١) انظر الفهرس العام R. G. رقم٥٦في هذه المسألة يذكر الشيخ اسم كتاب:العلل من كتبه.

٢٩٢) تفسير جزء من آية ١٩ من سورة محمد، صلى الله عليه وسلم(٤٧)وانظر الفهرس العام R. G. رقم ٥٨

الرسالة الخامسة والثمانون: ورقة رقم ١٢٤ب — ١٢٥أ

عنوان : مسألة في التقوى .

بداية : قال، رحمة الله عليه : التقوى على خمسة انواع : تقوى الله عز وجل وتقوى الرب وتقوى اليوم وتقوى النار وتقوى الارحام . . .

نهاية : . . . فمن بلغ هذه المرتبة فقد صحت معاملته وصحت معرفته . وقد روى عن ابي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم : « احب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً » . هذا ما وجدت من هذه المسألة .

الرسالة السادسة والثمانون : ورقة رقم ١٢٥ب — ١٢٦أ

عنوان : مسألة اخرى .

بداية : اسست الدنيا على العبودية والآخرة على الحرية . . .

نهاية : . . . وبالتجلي تحولت الشهوة منية والهوى ميلاً . فالمنية الشوق والميل السقوط بين يديه عبداً[٢٩٣] .

الرسالة السابعة والثمانون : ورقة رقم ١٢٦ب — ١٢٧أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمة الله عليه : وجدنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال : فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم . . . »

نهاية : . . . فعندهـا خلص لك « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » لانك تكلمت بها على الصدق والوفا[٢٩٤] .

الرسالة الثامنة والثمانون : ورقة رقم ١٢٧أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال له قايل : ما علامة حب الرجل لعبد من عبيده ؟ . . .

نهاية : . . . واذا كانت لنفسه فقد صار خادماً لنفسه[٢٩٥] .

٢٩٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٥٩

٢٩٤) « « « « رقم ٦١

٢٩٥) هذه المسألة اختصار للرسالة الثالثة والثلاثين المتقدمة . راجع ايضاً الفهرس العام .R. G رقم ٦٠

من ذلك العقد ومد عينيه الى ذلك له وصوبتك اياه في
اوقات الوظايف وكل خميس وكل عيد ونيروز ومهرجان
وفي كل يوم وتقسيم حقا عليم للخلق وعند الله الملوق وسفاله
للباه ودناه للنفس وكشف عن لومها ومنا عتها فانه
بعد هذا العلم لان يكفيك مونه سبك ومعلم كتاب
الله ربيته بادبه ويعينه على معاشه فاذا احسنت
منه معرفتك وبذل مونتك لنفسك مونتك ليثني الله ظالما
سقتنا بالحق ونجانا منك انعم الله لي

انتهى بحمد الله ومنه وصلى الله على خيرة
من خلقه محمد وآله وسلم تسليما

بدو شان ابي عبد الله محمد الحكيم
الترمذي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو عبد الله كان بدو شاني ان الله تبارك اسمه قيض
لي شيخي رحمه الله عليه من لدن بلغت من السن ثمانيا يحملني
على تعلم العلم ويعلمني ويحثني عليه ويدئب ذلك في المنشط
والمكره حتى صار ذلك لي عادة وعوضا عن اللعب في وقت صباي
فجمع لي في حداثتي علم الاثار وعلم الراي حتى اذا قاربت
سبعا وعشرين او نحوها وقع عليه من الخروج الى بيت الله الحرام

فهيا لي الخروج فوقعت بالعراق فالبا فحديث وخرجت الى البصرة
فخرجت منها الى مكة في رجب فقدمت مكة في بقية شعبان
فرزق الله المقام بها الى وقت الحج وفتح لي باب الدعا عند الملتزم
في كل ليلة عن امر وقع على قلبي تصحيح التوبة والخروج مما دق وجل
ثم رجعت وقد اصبت قلبي وسالته عند الملتزم في ذلك الا
ان يصلحني ويزهدني في الدنيا ويرزقني حفظ كتابه وكنت
لا اهتدي لشي من الحاجات مثل هذا فرجعت وقد القي علي حرص
التحفظ للقران في طريقي فاخذت في حفظ منه في الطريق فلما وصلت
الى الوطن تفرغت على ذلك بعينه حتى فرغت منه فابتليت منذ ذلك
بالليل فكنت لا اتسلى من تلاوته حتى انه كان ليتيمني ذلك الى
الصباح ووجدت حلاوته فاخذت ابتغي من الكتب عامل
الرب تبارك اسمه والتقاط محاسن الكلام من طريق العظات
وما تنبه على امر الاخرة وليس بشدني البلاد فلا احد من
يرشدني الى الطريق او يعظني اي اي انتفع به وانا كالمتحير لا
ادري اي شي يراد لي الا انني اخذت في الصوم والصلاة فلم
ازل كذلك حتى وقع بيدي مما عني كلام اهل المعرفة ووقع
الي كتاب الانطاكي فنظرت فيه فاهتديت لشي من رياضة
النفس فاخذت فيها فاعانني الله والهمت منع الشهوات
ننفسي حتى مرت كاني الهم على تدبير النفس فجهد النفس حتى ربما كنت

الرسالة التاسعة والثمانون : ورقة رقم ١٢٧ا — ١٢٧ب

عنوان : فايدة عزيزة وجيزة :

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : مررت بباب رجل كان صنع اليّ معروفاً ...

نهاية : ... سبحان الله ! ما اربح معاملة هذا الرب الكريم ! (٢٩٦) .

الرسالة التسعون : ورقة رقم ١٢٧ب — ١٢٩ا

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : فاقرب الناس من الرسل واوفرهم حظاً من القرآن من احتظى من نور الالوهية ومن نور الكسوة ...

نهاية : ... فانهم لما فعلوا ذلك ، تحببوا وكرموا على مولاهم وتبحبحوا في ساحته بين يديه ... فبهم تقوم الارض وعين الله ترعاهم (٢٩٧) .

الرسالة الحادية والتسعون : ورقة رقم ١٢٩ا — ١٣٠ب

عنوان : كتاب من الريّ .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمه الله : سلام عليك ورحمة الله ! وصل كتابك . وذكرت « اني مشتاق الى رؤيتك المزيزة » ...

نهاية : ... وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « البسوا نعالكم فانها جمالكم » (٢٩٨) .

الرسالة الثانية والتسعون: ورقة رقم ١٣٠ب — ١٣١ب

عنوان : مسألة اخرى في الادب .

---

٢٩٦) انظر الفهرس العام R. G. رقم ١١

٢٩٧) « « « « « ٦٣

٢٩٨) « « « « « ٦٣ — ويبدو ان هذه الرسالة موجهة الى ابي عثمان سعيد بن اسماعيل الحيري النيسابوري، احد كبار الملامتية في وقته راجع L. T. 288 . في هذه الرسالة يذكر الشيخ كتاباً من كتبه: « كتاب سيرة الاولياء ورقة ١٣٠ا سطر ٨

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمه الله : سألت عن الادب في الدين ما هو؟ وكيف يكون؟ ...

نهاية : ... فاذا كنت كذلك ، فانت اديب . فهذا ادب الدين[٢٩٩] .

الرسالة الثالثة والتسعون : ورقة رقم ١٣١ ب — ١٣٢ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : اما ما ذكرت من قولك اذا قوي لم يحتج الى اذن في الامور وان الاربعين الذين يسمون البدلاء لا يعملون الا باذن ...

نهاية ... لا يصعد عمله الى الله تعالى مع حظوظ النفس ؛ فهذه خيانة في مقامه . فهو محجوب عن ذلك المقام لخيانته . والاقوياء قد جاوزوا هذه الحظوظ وخرجوا من رق النفوس[٣٠٠] .

الرسالة الرابعة والتسعون : ورقة رقم ١٣٢ أ

عنوان : مسألة نبيلة شريفة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : جاءتني امرأة مستفتية فقالت ان امرأة مات ولدها فامتنعت من فراش زوجها لحال المصيبة ...

نهاية : ... فكلما مانعت الحق من نفسك فكانك اخترت الباطل فتعصى (الاصل : فتعطى) على اختيارك[٣٠١] .

الرسالة الخامسة والتسعون : ورقة رقم ١٣٢ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قيل له : ان ابا سليمان ذكر عنه انه قال : من اخبرك انه صار الى الله تعالى بغير ترك الشهوات فوصل فلا تصدقه ...

---

٢٩٩) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٥٧

٣٠٠) « « « « « ٦٤

٣٠١) « « « « « ٥٥

نهاية : ... فكيف يصل الى الله تعالى من كان خادماً للهوى والنفس الامارة بالسوء[٣٠٢] ...

الرسالة السادسة والثمون : ورقة رقم ١٣٢ب – ١٣٣ا

عنوان : –

بداية : وعد الله الصابرين على المصايب ما وعدهم من الصلاة والهدى والرحمة ... .

نهاية : ... فالعارف خازن من خزان الله تعالى والصادق خازن من خزان النفس يخزن لها كي لا تفتقر . والعارف يتناول عن الله ويمسك لله ويعطى لله[٣٠٣] .

الرسالة السابعة والثمون : ورقة رقم ١٣٣ا – ١٣٤ا

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله، رحمة الله عليه : ان اردت ان تكون لله ولياً موافقاً له في امور فاوّل الاشيا، منازلها ... .

نهاية : ... ومن لم يصفح ولم يتخلق بخلق الله تعالى فهو من اللئام[٣٠٤] .

الرسالة الثامنة والثمون : ورقة رقم ١٣٤ا – ١٣٤ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله، رحمة الله عليه : ان قوله لا اله الا الله مبنية على اربعة اركان فمن جاء بها يوم القيامة على هذه الاركان الاربعة جاء بها قائمة ... .

٣٠٢) ابو سليمان هذا، الوارد ذكره في صدر المسألة، لعله ابو سليمان الداراني= عبدالله ابن عطية احد كبار صوفية الشام في وقته، والمتوفى عام ٢١٥ للهجرة . انظر ترجمته في طبقات الصوفية ٧٥–٨٢ . – ما يخص هذه الرسالة انظر الفهرس العام فانها مذكورة فيه R. G. رقم ٦٣

٣٠٣) موضوع هذه المسألة غير منسق : فالافكار بتداخل بعضها في بعض من غير ارتباط . وآخرها يشبه خاتمة الرسالة التي رقمها في الفهرس العام R. G. رقم ٦٦

٣٠٤) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام « « ٦٥

نهاية : ... رمى الله به في اسرع من الطرفة والبرقة ، على حسب بطائه (الاصل : بطايه) في الونا بهذه الخصال في دار الدنيا وتقصيره فيها ببطائه وزل قدمه[٣٠٥] .

الرسالة التاسعة والتسعون : ورقة رقم ١٣٤ب — ١٣٥أ

عنوان : مسألة في شأن الرزق .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدنا من سكنت قلوبهم على الرزق من اجل يقظتهم ...

نهاية : ... فاتصاله (= العارف) بخالقه اكثر من اتصال هذا الولد (بابويه) واين يقع اتصال الولد (بابويه) من اتصال العبد بمولاه اذا مكّن له بين يديه[٣٠٦] .

الرسالة المائة : ورقة رقم ١٣٥أ — ١٣٥ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا العبد ذا صورة وجثة ...

نهاية : ... « قال الا ادلكم على من هو اشد منه ؟ رجل غلب اربعة انفس عند الصراع فصرعهم . فقالوا من هم يا رسول الله ؟ قال : رجل سفه عليه فحلم فغلب نفسه وشيطانه ونفس صاحبه وشيطانه » او كما قال[٣٠٧] .

الرسالة الحادية ومائة : ورقة رقم ١٣٥ب — ١٣٧ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وغاية التواضع ان يترك الاختيار في كل وقت وامر وحال...

نهاية : ... وعند الموت حباهم وبشرهم ورفع عنهم جهد الموت وكربه ويدخلون الجنة بغير حساب[٣٠٨] .

---

٣٠٥) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام .R. G رقم ٦٧
٣٠٦) « « « « « « « « ٥٢
٣٠٧) « « « « « « « « ٦٨
٣٠٨) « « « « « « « « ٦٩

الرسالة الثانية ومائة : ورقة رقم ١٣٧ب — ١٣٨أ

عنوان : مسألة في الدنيا .

بداية : قال : من طلب الدنيا فاتته الآخرة ومن طلب الآخرة فاتته الدنيا ومن طلب الله تعالى وجدهما (الاصل : ووجدهما) . . .

نهاية : . . . كالطير الحذر لا يأمن ولا يستقر يخاف ان يؤخذ . فهذا لا يأمن ولا يستقر قلبه مخافة ان يأخذه(٣٠٩) .

الرسالة الثالثة ومائة : ورقة رقم

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا العبد المسيء لا يطلقه مولاه ما دام مطلعاً على قلبه انه يريد الرجوع الى وطنه الاصلي الذي سبي منه . . .

نهاية : . . . وقلوبهم بين يدي خالقهم قد فارقوا الهوى وهربوا حتى استقروا هناك عنده(٣١٠) .

الرسالة الرابعة ومائة : ورقة رقم ١٣٨ب

عنوان : مسألة .

بداية : رأينا المتقي اذا دخل بيتاً فرأى هناك سوء مذهب وقلة رعة وفضولاً وتخليطاً نفر من ذلك البيت . . .

نهاية : . . . فكيف يطمع الذي يرى في قلبه التخليط والادناس ان يقر فيه الخوف والحكمة والهدى(٣١١) .

الرسالة الخامسة ومائة : ورقة رقم ١٣٩أ — ١٤٠أ

عنوان : مسألة .

بداية : سئل ما علامة قبول التوبة ؟ قال : ان يفتح عليك باباً من الطاعة لم يكن لك قبل ذلك . . .

(٣٠٩) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام R. G. رقم ٥٠
(٣١٠) « « « « « « « رقم ٧٠
(٣١١) « « « « « « « رقم ٧١

نهاية : ... قول الله : « فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات »[٣١٢].

الرسالة السادسة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ أ

عنوان : مسألة .

بداية : ما وجدنا ذكر التقوى في التنزيل الا في اربعة مواضع...

نهاية : ... وتقوى الارحام هو ان تتقي القطيعة فيقطعك الله عز وجل[٣١٣].

الرسالة السابعة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ أ — ١٤٠ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وتلوت هذه الآية يوماً في شأن النساء حيث قال الله تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع »...

نهاية : ... فلا تطلب انت منها ذلك اذا اطاعتك في نفسها بذلاً وانقياداً لامرك . وصلى الله على محمد وآله[٣١٤].

الرسالة الثامنة ومائة : ورقة رقم ١٤٠ ب — ١٤١ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ، وكتب الى ابي عثمان سعيد النيسابوري، رحمه الله، جواب كتابه: سلام عليك ورحمة الله وبركاته ! اما بعد : فان هذه النفوس مبناها على سبع (الاصل : السبع) : على الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والشك والشرك والغفلة...

نهاية : ... « فاعلم انه لا اله الا الله ! » فاقتضاه علم هذا كله (الاصل : الكله) وقد كان علم قبل ذلك منه ما علم . ولم يزل صلى الله عليه وسلم يزداد علماً الى ان فارق الدنيا[٣١٥].

(٣١٢) هذه المسألة مذكورة في الفهرس العام .R. G رقم ٦٥

(٣١٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٧٣

(٣١٤) « « « « « « ٧٤

(٣١٥) « « « « « « ٧٥ . — وابو عثمان النيسابوري الذي وجه اليه الحكيم الترمذي رسالته هذه هو سعيد بن اسماعيل الحيري النيسابوري ، احد كبار الملامتية

الرسالة التاسعة ومائة : ورقة رقم ١٤١ب — ١٤٢أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وجدنا شأن القلب انه ملك والجوارح جنوده واعوانه . . .

نهاية : . . . الى ان لا يبقى منه شيء من جنس التراب فيصفو ويصلح لضرب الدراهم. ثم يدنى القلب من الوعظ فينجح فيه الذكر ويتعظ[٣١٦].

الرسالة العاشرة ومائة : ورقة رقم ١٤٢أ — ١٤٢ب

عنوان : مسألة .

بداية . قال : لو ان رجلاً له ديوان له مال فيه على ناس . . .

نهاية : . . . ام بموافقته ورفع الضرب عنه . فكذلك عندنا ونحن عبيده[٣١٧].

. الرسالة الحادية عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٢ب — ١٤٣أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال : نظرنا في تأويل حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم: «من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة» . . .

نهاية : . . . دخل في ذلك السلام والبركة وناله من خيرها وسعتها[٣١٨].

الرسالة الثانية عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٣أ — ١٤٣ب

عنوان : مسألة .

في وقته « صحب يحي بن معاذ الرازي وشاه بن شجاع الكرماني وابا حفص ، الذي عنه اخذ الطريقة » توفي سنة ٢٩٨ للهجرة انظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٧٠ — ١٧٥ والحلية ١٠ : ٢٤٤—٢٤٦ وصفة الصفوة ٤ : ٨٥—٨٨ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٢ والرسالة ٢٥ ومرآة الجنان ٢ : ٢٣٦ والمنتظم ٦ : ١٠٦ ووفيات الاعيان ١ : ٢٥٥ وتاريخ بغداد ٩ : ٩٩—١٠٢ والانساب ١٨٦ والبداية والنهاية ١١ : ١١٥

(٣١٦) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٧٦

(٣١٧) « « « « « « ٧٧

(٣١٨) « « « « « « ٧٨

بداية : قال : يعطي عبدة العطار ويفتح له من قربه ما لو داوم على ذلك لم يحتمله . . .

نهاية : . . . فاذهب الآن فانتشر في طاعتي حتى تستمرئ هذه الوليمة وانا اعلم بما يصلحك[٣١٩] .

الرسالة الثالثة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٣ ب — ١٤٤ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : اول داء في النفس الجهل ثم حب الاشياء . . .

نهاية : . . . والقائم بحصوله ربه ، تبارك وتعالى[٣٢٠] !

الرسالة الرابعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٤ أ

عنوان : مسألة .

بداية : ان النفس اذا استقامت دعت الخلق الى الصدق . . .

نهاية : . . . نسأل الله ان يمينا وإياكم من دواهيها[٣٢١] .

الرسالة الخامسة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٤ أ — ١٤٦ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قال الامام ابو عبدالله ، رحمه الله : ان الله تبارك وتعالى ، خلق العرش فما دونه الى الثرى ، وحشاه (الاصل : وحشاها) خلقاً ودعاهم اجمعين الى قول : « لا اله الا الله ؟ » . . .

نهاية : . . . حتى جبريل ، عليه السلام ، رأس الامناء والمقربين ، وبعثهم ويوم الزيارة قائدهم مع لواء الحمد الى الله تبارك وتعالى - وسائر الخلق بادوا وذهبوا لانهم خلقوا لبني آدم سخرة ومنفعة[٣٢٢] .

٣١٩) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٧٩
٣٢٠) « « « « « ٨٠
٣٢١) « « « « « ٨١
٣٢٢) « « « « « ٨٢

الرسالة السادسة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٦ أ — ١٤٦ ب

عنوان : مسألة في المجذوبين .

بداية : قول الله سبحانه وتعالى : « الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » . . .

نهاية : . . . واهل الجباية مَنٌ عليهم والمِنّة على قدر الشأن. والانبياء والرسل ، عليهم السلام ، اجتباهم وجذبهم[٣٢٣] .

الرسالة السابعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٦ ب — ١٤٧ أ

عنوان : مسألة .

بداية : سئل عن قول الله سبحانه وتعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً . . . » . . .

نهاية : . . . ايطمع ان يقف قلبه بين يدي الله تعالى وهو جنب ؟ هذا لا يكون[٣٢٤] !

الرسالة الثامنة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٧ أ

عنوان : مسألة .

بداية : قيل له : لا تزال تكرر في دعائك : « استرنا واجبرنا . . .

نهاية : . . . من هناك نصرخ اليه : « ان استرنا واجبرنا »[٣٢٥] .

الرسالة التاسعة عشر ومائة : ورقة رقم ١٤٧ أ — ١٤٨ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : وجدت الناظر الى خلقه على ثلاثة اصناف . . .

نهاية : . . . كان فعله اذا خرج من اختياره ومشيئته أحلا عنده من فعل

٣٢٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٨٤
٣٢٤) « « « « « ٨٥
٣٢٥) « « « « « ٨٦

العبد لنفسه . آخر المسائل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[٣٢٦] .

الرسالة العشرون ومائة : ورقة رقم ١٥٨ب — ١٦١أ .

عنوان : المسائل العَفَّة .

بداية : قال ابو عبدالله محمد بن علي ، رحمة الله عليه : واما المسائل العفة فمن ذلك قوله : ان الوالد مطلق اليه في مال الولد اذا احتاج اليه...

نهاية : ... وشغله انفاقه في نباته عن التهني بشكره وشغله مصايبها بفوتها عن مصايب ذنوبه وعيوبه . همته نفسه . وامامه هواه . وهو في سهو عنه لا يتفكر فيما خلق له ولا لماذا خلق والى ما صار امره وعاقبته. تمت المسايل العفة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين وسلم اجمعين.آمين آمين ، رب العالمين[٣٢٧] .

الرسالة الحادية والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٦١أ — ١٦٣ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : سَبى (الاصل : سبا) الله قلوب الموحدين بنور الهداية ثم الزمهم العبودة بالامر والنهي بعد ذلك ...

نهاية : ... فيترك ما وجب له من العبودة ويبهيا لهم ويتقهم ويرحمهم

٣٢٦) انظر الفهرس العام .K. G رقم ٨٧

٣٢٧) عرض لمجموعة من المسائل الفقهية ، من ابواب متفرقة ، حيث لا يراعي فيها مجرد النظر الفقهي الى الحل والحرمة من الناحية الظاهرية بل النظر الصوفي من الناحية الباطنية اي من حيث النية وقصد وجه الله الكريم في كل مسألة . — في هذه الرسالة يذكر الترمذي اسم كتاب من كتبه وهو كتاب الفروق (ورقة ١٥٦أ سطر ١٢) . هذا ، وقد كنا ذكرنا عنوان هذه المسائل في الفهرس العام .R. G رقم ٦٣ « المسائل النَفَّة » اتباعاً لما ذكره على حسن عبد القادر في مقدمته لكتاب الرياضة وادب النفس (ص ١٦) ولكن العنوان الحقيقي هو ما اثبتناه هنا بعد الرجوع الى النص نفسه . كما ان هذه التسمية « العَفَّة » تتمشى مع سياق المسائل فهي في الواقع ، كما ذكرنا ، عرض لبعض الامور الفقهية التي يجب ان يتعفف عنها المرء .

بصدق الباطن (حيث) كانوا لا يلتفتون الى إله كغيره فيشركون به .
تمت المسألة بمنة الله وعونه[٣٢٨] .

الرسالة الثانية والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٦٣ب — ١٩٤ب

عنوان : —

بداية : وسألتم عن الاسم والمسمى . فالاسم للمسمى منه بدا واليه يعود . وسألتم من فعل الخالق وفعل المخلوق . فما خفي على الخلق فهو فعل الخالق ...

نهاية : ... فقال :« انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » الآية[٣٢٩] .

الرسالة الثالثة والعشرون ومائة : ورقة رقم ١٩٠أ — ٢٠٧ب

عنوان : —

بداية : في قوله تعالى : « ما لها من فواق » قال : تلك نفخة الفزع بأمر الله تعالى ان يطولها وعدها ...

نهاية : ... ثم اقبل على اهل الجنان بذلك الفرح الذي كان في البد. ودعاهم الى زيارته وذكره ، الى آخره . اختصرنا ذلك[٣٣٠] .

---

٣٢٨) بحث عن التوحيد ودرجات الموحدين. — في هذا البحث يذكر المصنف اسم كتاب من كتبه :« كتاب الرياضة » ، ورقة ١٦٣أ (اخر سطر) .

٣٢٩) مجموعة من الاجوبة على اسئلة ذات موضوعات مختلفة ، وكلها بغير عنوان. — في بعض هذه الاجوبة يذكر الشيخ شيئاً عن حياته الشخصية ، فيقول :« وقد بلغ سني خمساً وستين سنة وما احتلمت قط لا على حلال ولا على حرام . وقد ولد لي ستة اولاد » (ورقة ١٦٨أ سطر ٦ و ٧) .

٣٣٠) تفسير مجموعة متفرقة من الآيات القرآنية الكريمة . — يذكر المصنف في ورقة ٢٠٥ ب سطر ٦ كتاباً له بعنوان : كتاب الاولياء فيقول :« وقد شرحنا هذا في كتاب الاولياء ... » فهل هو سيرة الاولياء او ختم الاولياء او علم الاولياء ؟

الرسالة الرابعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٧ب — ٢٠٨أ

عنوان : مسألة في الانسان .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : ان الانسان مطبوع على سبعة اخلاق ...

نهاية : ... « ... وذلك جزاء من تزكى » اي تطهر من الاسباب وهي هذه الاخلاق السبعة ، ان شاء الله[231] .

الرسالة الخامسة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٨أ

عنوان : صفة الهوى ..

بداية : سئل ، رحمه الله ، عن الهوى ما هو ؟ قال : جوهره النفس . فان ابن آدم خلق من التراب . فكان الهوى هو عنصره ...

نهاية : ... ومنه قيل : الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي .

الرسالة السادسة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٠٨ب — ٢١٠أ

عنوان : في الولاية والتقوى .

بداية : قال ابو عبدالله رحمة الله عليه : الولاية على وجهين . ولاية يخرج بها من العداوة وهي ولاية التوحيد ...

نهاية : ... فمن أعرض عن الدنيا اقام الزهد . ومن اعرض عن النفس اقام العبودة والولاية .

الرسالة السابعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢١٠ب — ٢١٢أ

عنوان : في قصة عزير عليه السلام .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه ، في قوله عز وجل : « فلما تبين له » اي تبين له كيف يحيي الموتى ...

نهاية : ... فلما كان من النفوس ما كان دخل النقص في الطمأنينة والنقص في الوفا بتسليم النفس ووقع الحساب والوزن والحس الطويل في العرصة .

---

٢٣١) وصف تفاني لنزعات الانسان السافلة وكيف يمكن التبري عنها .

الرسالة الثامنة والعشرون ومائة . ورقة رقم ٢٢١ب — ٢٢٢

عنوان : ما ذكر في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير .

بداية : قال رحمه الله : الفرق بين التسبيح والتقديس ان التقديس لآلائه والتسبيح لأسمائه ...

نهاية : ... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس بين اهل الجنة وبين ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن » .

الرسالة التاسعة والعشرون ومائة : ورقة رقم ٢٢٢ب — ٢٢٥

عنوان : مسألة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم !

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله عليه : حدثنا صالح بن محمد وسفيان بن وكيع قالا حدثنا جرير عن زيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت « ان الله وملائكته يصلون على النبي .. »

نهاية : ... لا يقال « صلى الله عليه » لاحد الا النبي صلى الله عليه وسلم فسكت جعفر[٢٢٢] .

الرسالة الثلاثون ومائة : ورقة رقم ٢٢٦أ — ٢٢٧ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال ابو عبد الله ، رحمة الله عليه . كان الله تبارك وتعالى ولا شيء ثم أبدا من ملكه ما أبدا ثم أبدا خلقه ...

---

٢٢٢) يقول ناسخ هذا المجموع ، وهو كله بخط واحد ، ما نصه : « وهذا اخر ما حصل عندي من مسايل الشيخ الامام الحكيم . وكتبه الفقير الى رحمة ربه محمد بن هبة الله ابن محمد بن ابي جراد في سادس ربيع الاول من سنة احدى عشر وستمائة وهو يسأل الله المغفرة له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله » . — هذا ، وقد جاء في معجم الادباء لياقوت ما يلي : « ان عم كمال الدين بن العديم ، وهو جمال الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله ، كان احد الاولياء العباد وارباب الرياضة والاجتهاد وقد شغف بتصانيف ابي عبدالله محمد بن علي بن الحكيم (؟) الترمذي فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخط يده (انظر معجم الادباء ٦ : ٢٣-٢٤ ط . مرجليوث) .

نهاية : ... فحصل من كلامنا ان الله خلق العرش فما دونه الى الثرى لهذا المؤمن واصطفاه لنفسه . والله الموفق . تمت .

الرسالة الحادية والثلاثون ومائة : ورقة رقم ٢٢٧ ب

عنوان : مسألة .

بداية : قال : وسألتم عن لذة العبادة من أيّ شيء تتشعب ...

نهاية : ... « قال : ما الاحسان ؟ قال : ان تعبد الله كأنك تراه . قال : صدقت » .

٢) تحليل مجموعة ولي الدين (اسطنبول) رقم ٧٧٠

الرسالة الاولى : ورقة رقم ١ ب — ٧ ب

عنوان : شفاء العلل .

بداية : بسم الله .. وبه نستعين قال ابو عبد الله محمد بن علي ، رحمه الله : ان كلمة « لا اله الا الله » لازمة للخلق الاعتقاد لها قلباً والاعتراف بها نطقاً والوفاء بها فعلاً ...

نهاية : ... وهم كلهم اهل صدق واخلاص . فانظر اين موقع هؤلاء في صدقهم واخلاصهم من هؤلاء الادعيا.(الاصل : الاطبا.)عبيد (الاصل : عند) المال (الاصل : الملك) [٣٣٣] .

الرسالة الثانية : رقم ورقة ٨ ب — ٢٧ ١

عنوان : منازل القربة .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم. قال : اول منازل القربة (الاصل : القمر) الايمان بالله فهذه قربة العامة ...

نهاية : ... لأنا لا نملك الاشياء كما يملكون : انما نملكه لله وليس للنفس فيه دعوى[٣٣٤] .

٣٣٣) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٩٩

٣٣٤) يذكر الشيخ في هذه الرسالة جملة من المسائل التي مرت سابقاً مفردة وهي : الميراث

الرسالة الثالثة : ورقة رقم ٢٧ أ — ٢٣

عنوان : انواع العلوم .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمة الله : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانك سألتني ، رحمك الله ! ان ابين لك انواع العلوم وكم نوع هي وما عواقبهـا . فالعلم عندنا ثلاثة انواع . نوع منها الحلال والحرام ونوع ثان الحكمة ونوع ثالث المعرفة ...

نهاية : ... وكل شيء يوجد بنفسه . والله تعالى انما يعرف ويوجد بآياته وخلقه وتدبيره . وآيات القرآن كلها دالة على ما وصفنـا . والحمد لله رب العالمين[٣٢٥] .

الرسالة الرابعة : ورقة رقم ٢٧ أ — ٢٣ ب

عنوان : اثبات العلل .

بداية : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد : فانك سألتني عما (الاصل : عن ما) اختلف الناس فيه من اثبات العلل في الامر والنهي . . .

نهاية : ... ترقى (الاصل : توقا) ان يزيل شيئاً من جسده عن شعره حتى لا يحرم الفداء والكرامة من الله تعالى . تم كتاب العلـل بحمد الله ومنه[٣٢٦] .

الرسالة الخامسة : ورقة رقم ٨٣ ب — ٨٧ أ

عنوان : الرد على الرافضة .

(الرسالة السادسة عشر مجموع ليبزيج) ، الخشية والعلم (الرسالة السادسة من المجموعة) ، الروح (الرسالة الثامنة) ، القلب (الرسالة العاشرة) ، البر (الرسالة السابعة والسبعون) ، الشكر (الرسالة الثانية والثانون) ، التقوى (الرسالة الخامسة والثانون) .

٣٢٥) في هذه الرسالة يذكر الشيخ مسألتين ذكرنا سابقاً في مجموع ليبزيج مفردتين : ١ : حديث « لا يغفر الذنوب الا انت » (الرسالة الحادية والعشرون) ؛ ٢ : الله وطن القلوب (الرسالة السابعة عشر) .

٣٢٦) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٣١ . ويلاحظ ان الجملة الاخيرة من الكتاب : تم كتاب العلل . . . هي بخط مخالف للاصل . في هذا الكتاب يذكر المصنف اسماء كتب

بداية : بسم الله .. اعوذ بوجهه الكريم وبكلماته التامات من شر الشيطان الرجيم ... من كلام محمد بن علي الترمذي ، رحمه الله ، في كتاب الرد على الرافضة. قال: بعد ذكر خلافة الائمة الاربعة على الترتيب...

نهاية : ... وماذا اجازهم ابو بكر ، رضي الله عنه . وما دعاهم الى ما صنعوا واي غرض كان لهم في ذلك[٢٢٧] .

الرسالة السادسة : ورقة رقم ٨٧ا — ٩٠ا

عنوان : مسألة في الايمان والاحسان والاسلام .

بداية : بسم الله .. مسألة في الايمان... قال ابو عبدالله محمد بن علي الترمذي الحكيم ، رحمه الله : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . سألتني عما وقع فيه الناس من الاختلاف في الايمان ومحله من الآدمي...

نهاية : ... لا اله الا أنت . اغثني يا مغيث . يا مغيث اغثني. يا مغيث[٢٢٨] .

الرسالة السابعة : ورقة رقم ٩٠ا — ١٢٧ب

عنوان : ختم الاولياء .

بداية : بسم الله .. الحمد لله هو اهله والصلاة على محمد رسوله وآله وصحبه وسلم . قال ابو عبدالله بن علي الترمذي ، رحمه الله ، اما بعد : فانك ذكرت البحث فيما خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية ...

نهاية : ... فقال : « وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » وسماها في التنزيل « صديقة » . والحمد لله من رب العالمين[٢٢٩] ...

الآتية : كتاب صفة القلوب ومنازلها (ورقة ٦٣ا - ٧٢ا وانظر الفهرس العام .R. G رقم ١٩) وكتاب الحج (ورقة ٦٣ا ، وانظر الفهرس العام .R. G رقم ٢٥) وكتاب علم الاولياء (ورقة ٢٣ا ، ٢٦ب ، ٢٧ا ، ٢٨ا وانظر الفهرس العام .R. G رقم ٣٢) .

(٢٢٧) الكتاب هنا غير تام :

(٢٢٨) انظر الفهرس العام .R. G رقم ٩٧

(٢٢٩) « « « « « ٣٦

الرسالة الثامنة : ورقة رقم ١٢٨ب — ١٧٧ب

عنوان : علل العبادات .

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي رفع السماء بلا عمد مأسوس وسطح الارض على وجه ماء محبوس. وارتدها بالجبل المرسوس نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه ونشهد ان لا اله الا الله . . . باب لاي علة امر العباد بالسواك ولاي علة صار سنة عليهم . . . قال ابو عبدالله محمد الترمذي ، رحمه الله : اعلم ان العبد اذا قام في الصلاة يقرأ لا يزال الملك يدنو منه . . .

نهاية : . . . فهذا بمنزلة ملك قد هيأ لعبيده عرساً وفي ذلك العرس ألوان الاطعمة وألوان الاشربة حتى يصدرهم من عنده وقد تملوا من الطعام شبعاً : أشبعهم وارواهم . فقد كان العبيد نالهم القحط والجوع والظمأ فأصدرهم من عنده وقد تملوا من الطعام شبعاً وتضلعوا من الاشربة ريا الى ان يأتي قحط آخر فينالهم من الجوع والظمأ . فهذا دأبهم ايام الحياة[٢٤٠].

الرسالة التاسعة : ورقة رقم ١٧٧ب — ١٨٣ب

عنوان : (مسألة في كيفية خلق الانسان) .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : ان الله تبارك اسمه خلق ابن آدم من هذه الارض . . .

---

٢٤٠) بحث مفصل عن حكمة شرعية الصلاة والوضوء وما يتعلق بها . يعتمد الشيخ في ابحاثه على السنة واثار السلف . — العنوان الذي وضعناه لهذا الكتاب لا يوجد في الاصل. ويوجد لهذا الكتاب نسخة اخرى في دار الكتب المصرية رقم ١٢٥ مجاميع ٢٦٨أ—٢١٢ب . والعنوان هناك : « كتاب كيفية الصلاة والسواك والاغتسال والوضوء واصل ذلك وسببه على التمام والكمال » وهذا العنوان مذكور على غلاف الكتاب بخط الناسخ الاصلي . ولكن يوجد على الغلاف ايضاً عنوان آخر ، بخط جديد : « العلل للحكيم الترمذي » . والواقع ان موضوع الكتاب ، كما ذكرنا ، هو بيان علة اركان الوضوء والصلاة ومنها وآدابها وما يتعلق بها . هذا والمعروف ان للمؤلف كتابين : كتاب اثبات العلل ، وكتاب علل

نهاية : ... فلما لم يتقدمه في التواضع احد، لم يتقدمه في الامن احد: لحظه (الاصل: بحظه) الوافر وعقله الكامل ونفسه الكريمة وطبعه المستوى.

الرسالة العاشرة : ورقة رقم ١٨٣ب — ١٨٣ب

عنوان : باب في شأن النية .

بداية : حدثنا صالح بن عبدالله حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً هل تدرون من المؤمن ? ...

نهاية : ...وهذا عنده محال بعد ان استقام قلبه لله عبودة وقام بين يديه[٢٤١] .

الرسالة الحادية عشر : ورقة رقم ١٨٣ب — ١٨٤أ

عنوان : : باب في الرزق .

بداية : قال ابو عبدالله . رحمه الله : ووجدنا ان المتنبهين سكنت قلوبهم على الرزق ...

نهاية : ... فاتصاله بخالقه اكثر من اتصال العبد بمولاه اذا مكن له بين يديه[٢٤٢]

الرسالة الثانية عشر : ورقة رقم ١٨٤أ — ١٨٨ب

عنوان : باب في بيان المفردين .

بداية : قال ابو عبدالله . رحمه الله: سألت عن رجل يعبد طلب الثواب والقرار من العقاب ...

نهاية : ...لانه قد اخذه ربه فسلطانه يغلب الاشياء ويمنع الاشياء ان تشغله[٢٤٣] .

العبادة او العبادات، او الشريعة . وموضوع كل الكتابين مختلف عن الآخر تماماً. ويجب ان يلاحظ هنا ان نسخة دار الكتب يختلف آخرها عن اخر هذه النسخة. انظر الفهرس العام .R. G رقم ٣١

٢٤١) انظر ما تقدم الرسالة التاسعة والسبعين من مجموع ليتربيج والفهرس العام .R. G رقم ٥١

٢٤٢) « « « السادسة والثمين « « « « « « « « ٥٣

٢٤٣) « « « الحادية والثمانين « « « « « « « « ٥٤

الرسالة الثالثة عشر : ورقة رقم ١٨٨ب — ١٩٠أ

عنوان : باب في تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » .

بداية : قال ابو عبدالله . رحمه الله : وسألتم عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فهذا حديث الكوفيين...

نهاية : ... وكيف قام بذلك في زمان معاوية وتركه في زمان ابي بكر وعمر ، رضي الله عنهم وعن جميع اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! [٢٤٤] ...

الرسالة الرابعة عشر : ورقة رقم ١٩٠ب — ١٩١أ

عنوان : باب في تفاوت المعرفة والايمان والتوحيد .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : فالمعرفة اذا عرف الله بقلبه واطمأنّ اليه ...

نهاية : .. يقبضهم على فراشه (فراشهم ؟) ويقسم لهم اجور الشهدا...

الرسالة الخامسة عشر : ورقة رقم ١٩١أ — ١٩١ب

عنوان : باب آخر في الصفات .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن قوله : « العظمة ازاري والكبرياء ردائي والرحمة قميصي » ...

نهاية : ... ويعضون على ايديهم ندماً وحسرة، والمفتونون المشبهون الزائغون عن الله تعالى اولئك العجم (الاصل : العم) البهم [٢٤٥] .

---

(٢٤٤) مذهب الشيخ في هذا الحديث انه غير مقبول لانه جاء عن طريق المتعصبين لاهل البيت . ولكنه يرى مزيد فضل لاهل البيت ، رضي الله عنهم ، « انهم غير واقعين في في الاهواء وهم حيث كانوا من بلدان المسلمين تراهم المتقدمين خلقاً وادباً وسماحة وتديناً وكل مكرمة وخلق من معاني الاخلاق موجودة فيهم ... ففضلهم بيّن وحفظ رعايتهم على المسلمين واجبة اما التفقه في الدين والدخول في نوازل الناس وفتياهم فانهم بمعزل ؛ يرى امر الامة في هذا » .

(٢٤٥) مذهب الشيخ في الصفات المنسوبة الى الله تعالى، في بعض الآيات القرآنية والاحاديث الثابتة والتي يوهم ظاهرها تشبيه الحق المنزه بالخلق المقيد هو وسط بين غلو التشبيه والتعطيل:

الرسالة السادسة عشر : ورقة رقم ١٩١ب — ١٩٢أ

عنوان : باب في قول الله ، تبارك وتعالى : « من رجا غير فضلي وخاف غير عدلي فليطلب ربًا سواي » .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن قوله ، عز وجل ، من رجا . . والموحدون كلهم لا يرجون الا فضله ولا يخافون الا عدله . . .

نهاية : . . . انه اتاه سائل فاعطاه درهماً ثم أتاه مرة أخرى فمنعه . فقال : « الله اعطاك والله منعك » !

الرسالة السابعة عشر : ورقة رقم ١٩٢ب — ١٩٣أ

عنوان : باب في لذة الطاعة من اي شيء تتشعب .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن لذة العبادة من اي شيء تتشعب . . .

نهاية : . . . « قال : ما الاحسان ؟ قال : ان تعبد الله كأنك تراه . قال : صدقت ! »[٣٦٦] .

الرسالة الثامنة عشر : ورقة رقم ١٩٣أ — ١٩٣ب

عنوان : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألت عن قول عيسى ، صلوات الله وسلامه عليه : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » فان الله تعالى خلق الدنيا مرفقاً للعباد ليقووا بها على العبودية . . .

نهاية : . . . فالمودة اذا رسخت وامتلت النفس منها زهدت (الاصل : وهدت) عن كل شيء سواه وغرقت (الاصل : وعرقت) هذه اللذات في تلك اللذات .

وأدوا المرقة حقها . فان حقها قبولها . فليس بالله حاجة الى التزول ولا الى الضحك . انما هذا كرمه وجوده جاد به على الاحباب . فبهذا يعيشون في سجن الدنيا حتى يصيروا اليه يوم القيامة . فتصير هذه الاشياء كلها معاينة . وهناك يخسر المبطلون ! »

(٣٦٦) انظر ما تقدم ، مجموع ليبزيج ؛ الرسالة الحادية والثلاثين ومائة .

الرسالة التاسعة عشر : ورقة رقم ١٩٣ب

عنوان : باب في حقيقة بسم الله .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألتم عن حقيقة بسم الله . فان الدنيا لها سم لانها شهوات ملهية عن الله. فبسم الله يؤخذ السم حتى لا يضر وهو ترياق الدنيا . . .

نهاية : . . . فحقيقة بسم الله لمن وصل الى الالوهة وحقيقة الحمد لله لمن وصل الى عشّ (الاصل : عشر) الحمد بين يديه : الى حمده الذي حمد به نفسه من قبل ان يحمده احد من خلقه.

الرسالة العشرون : ورقة رقم ١٩٣ب — ١٩٤أ

عنوان : باب في الحمد .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : قوله : « الحمد لله » كلمة وافرة اذا قالها منتبهاً متيقظاً وذلك ان هذه كلمة خرجت مخرج المعرفة . . .

نهاية : . . . فانما يملأ الميزان من كلمة اذا قالها ، على ما وصفت . يشير بقلبه الى ذلك .

الرسالة الحادية والعشرون : ورقة رقم ١٩٤أ

عنوان : باب في السواد الاعظم .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وسألت عن قوله : « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » . . .

نهاية : . . . واعلموا ، رحمكم الله ! ان لكل فعل درجات : فادناها ان توحده بقلبك أعلاها أن لا تركن لاحد سواه .

الرسالة الثانية والعشرون : ورقة رقم ١٩٤ب

عنوان : باب في صفة المؤمن .

بداية : قال ابو عبدالله ، رحمه الله : وان ابن آدم مطبوع على سبع وهي : الغفلة والشك والشرك والرغبة والرهبة والشهوة والغضب . . .

نهاية : ... ولا يغضب الا في ذات الله ولله ولا يحتمل شهوته الا بذكر الله . تمّ بحمد الله وصلواته على سيدنا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين واصحابه رضي الله عنهم(٢٤٧) .

الرسالة الثالثة والعشرون : ورقة رقم ١٩٤ب — ٢٠٠أ

عنوان : —

بداية : بسم الله الرحمن الرحيم . عونك وتوفيقك في عونك ، يا ذا الجلال والاكرام ! الحمد لله الاول القديم والآخر الدايم العظيم... اما بعد: فان الله ، تبارك اسمه ! خلق هذا الآدمي من تراب ثم من نطفة ثم صوّره في بطن امه . . .

نهاية : ... الا تسمع الى قوله ، عز وجل : « يا داود ان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها محجوبة عني » (٢٤٨) .

(يتبع)

---

٢٤٧) هذا الباب هو جزء من الفصل الاخير من كتاب الرياضة للمصنف وانظر ما تقدم ايضاً مجموع ليزيج الرسالة الثامنة ومائة والرسالة الرابعة والعشرون ومائة .

٢٤٨) هذه الرسالة لا عنوان لها ولا ذكر للمؤلف بها . وموضوعها شرح معاني الاسماء الدالة على الوحي الالهي : القرآن ، الكتاب ، المبين ، الهدى الرحمة الخ . . .

الرازي ومحنة الطبيب

تحقيق الدكتور ا. ز. اسكندر

الباب الاول

اولًا : التعريف بالرازي

أجمع المؤرخون على الإشادة بالرازي الطبيب ، فقال ابن النديم : إنّ أبا بكر محمد بن زكريا الرازي كان « أوحد دهره ، وفريد عصره[1] » ، وذكر ابن القفطي أنّه « طبيب المسلمين غير مدافع »[2] ، وسمّاه ابن أبي أصيبعة « جالينوس العرب »[3]. وقد ترك لنا هذا الطبيب الفيلسوف كتاباً في سيرته[4] ، وآخر عن مؤلفاته[5] ، ولكن لم يُعثر حتى الآن على مخطوطات لهذين الكتابين ، وهما في حكم المفقودين .

ويبدو أن الكثير مما كتبه مؤرخو الرازي غير موثوق به ، فتاريخ ميلاده ووفاته غير محققين[6] ، وأما مصادر تأريخ حياته فإنّها تعتمد على روايات متأخرين ، لا على مصدر معاصر ، كما فعل ابن النديم نقلًا عن فلانٍ عن فلان ، وهذا نص عبارته :

« قال لي محمد بن الحسن الوراق : قال لي رجل من اهل الريّ — شيخ

١) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢

٢) ابن القفطي ص ٢٧١ س ١٤

٣) ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ٣١

٤) نفس المصدر ج ١ ص ٣٢١ س ١٣

٥) الفهرست ص ٢٩٩ س ٣٠—٣١ ، ص ٣٠٢ س ١٩ ؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ٩

٦) ابن القفطي ص ٢٧٢ س ١—٣ ؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣١٤ س ١٠—١٣ ؛ ياقوت بلدان ج ٢ ص ٨٩٨ س ١٨ — ٣٠ ؛ ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٥ ؛ حاجي خليفة ج ١ ص ٥٧٧ ، ٦٢٨ ؛ ج ٢ ص ١٨٦٢ ؛ الصفدي ج ٣ ص ٧٦

كبير – سألته عن الرازي ، فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسفطاً ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ أخر . وكان يجيئ الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه – فإن كان عندهم علم ؛ وإلا تعداهم إلى غيرهم – فإن أصابوا ، وإلا تكلم الرازي في ذلك »[١] .

وقد قيل إنّ مولد الرازي كان في الريّ[٢] ، ومنها اشتق اسمه . والريّ مدينة قديمة[٣] تقع بالقرب من طهران[٤] ، عاصمة إيران في الوقت الحاضر. وكان الرازي منذ صباه مولعاً بالغناء ، ماهرًا في الموسيقى وكان يعزف العود بمهارة ، ولكنه لما التحى وجهه قال :

« كل غناء يخرج بين شارب ولحية لا يستظرف »[٥] .

وكان الرازي في شبابه مكباً على دراسة الادب[٦] ، وكتابة الشعر[٧] ، ودراسة الفلسفة ، ومن المحتمل أنّ معلمه فيها هو البلخي[٨] ، أما اسم أستاذه في الطب فغير معلوم على وجه التحقيق[٩] ، وقد بيّنا في مقال سابق لنا أنّ الرازي

١) الفهرست ص ٢٩٩ س ٤—٧

٢) البيروني ص ٤ ؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ١٦

٣) راجع دائرة المعارف الاسلامية ج٣ ص ١١٠٥-١١٠٨

٤) كانت مدينة الريّ واقعة في الركن الشمالي الايسر من مديرية الجبال ، وقد كانت أم العواصم الاربعة في هذه المديرية . أنظر G. Le Strange, *The Lands of Eastern Caliphate*, Cambridge, 1905, p. 214 .

٥) ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٤ س ٥

٦) ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٣١٩ س ١٨

٧) نفس المرجع ج ١ ص ٣١٥ س ١٩—٢٠

٨) جدير بالذكر ان احد كتب الرازي الطبية موسوم بانه : « في العلة التي من اجلها يعرض الزكام لابي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد » . انظر نفس المرجع ص٣١٩ س ١٩—٢٠

٩) يذكر المؤرخون اسم الطبري . انظر نفس المرجع ج ١ ص ٣٠٩ س ١٠ ؛ الصفدي ج ٣ ص ٧٦ س ١٠—١١ ؛ ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٥ س ٩ ؛ راجع مقالات :

J. Rusk, « Über den gegenwärtigen stand der Râzi Forschung, » *Archeon* formerly Archivo di storia della Scienza, v (1924) 345; M.Meyerhof,«'Alī aṭ-Ṭabarī's «Paradise of Wisdom», one of the oldest Arabic compendiums of medicine», *Isis*, XVI (1931) 10 .

درس الطب في حداثتـه ببغداد — وفي ذلك ما يخالف آراء مؤرخي الرازي القدامى والمحدثين[١].

ومن الواضح ان الرازي وقف كذلك جزءا كبيرًا من وقته على دراسة الكيمياء[٢]، فقد ذكر البيروني واحدًا وعشرين من مؤلفاته في الصنعة[٣]، وقد طرق فيها بابًا جديدًا فكان اول من استخدم المستحضرات الكيميائيـة في العلاجات الطبية[٤] — وربما كانت الكيمياء ايضاً احد موارد رزقه، فمن قوله: « انا لا اسمي فيلسوفًا الا من كان قد علم صنعة الكيمياء، لأنه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس، وتنزّه عما في أيديهم ولم يحتج إليهم »[٥].

وربما قصد من قوله هذا أنّ الفيلسوف الذي لا يملك موردًا للرزق[٦] له أن يحترف الصنعة[٧] حتى يعتمد في كسب عيشه على نفسه، فيحتفظ بحرية الرأي.

١) راجع مقالنا في مجلة المشرق ج ٢ سنة ١٩٦٠ ص ١٦٨—١٧٧

٢) كان الرازي من المتحمسين لدراسة الكيمياء، فمن كتبه: شرف الصناعة (البيروني ص ١٩ (رقم ١٥٧)؛ الفهرست ص ٣٥٨ س ١٠)؛ في أنّ صناعة الكيمياء إلى الوجوب أقرب منها إلى الامتناع (الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٨—٣٠٠ س ١؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ١٨—٢٧٤ س ١).

وقد كتب في « الرد على الكندي في إدخاله صناعة الكيمياء في الممتنع » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٦ س ١٢—١٣). وقد يكون هذا الكتاب ردًا على رسالة الكندي: « في التنبيه على خدع الكيميائيين »، (الفهرست ص ٢٦١ س ٨؛ ابن القفطي ص ٣٧٥ س ١٧)، ورسالته « في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم » (الفهرست ص ٢٦١ س ١٦—١٧؛ ابن القفطي ص ٣٧٦ س ٦ — ٧؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢١٣ س ٣٣ — ٢١٤ س ١).

٣) البيروني ص ١٩—٢٠ وراجع مقالتي روسكا:

«Al-Bīrūnī als Quelle für das Leben und die Schriften al-Rāzī's», *Isis*, V (1923) 47; « Die Alchemie ar-Rāzī's», *Der Islam*, XII (1935) 281-319.

٤) J. Freind, *The History of Physick from the time of Galen to the beginning of the sixteenth century*, London, 1726, II, 59.

٥) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٣ س ٢٥—٢٧

٦) في أحد كتبه يذكر الرازي « المتفلسف من أولاد الملوك ». انظر رسائل فلسفية ص ١٠٦ س ١٧

٧) المقصود بالصنعة الكيمياء، وهي استحالة المعادن الخسيسة إلى معدني الذهب والفضة. فهل كان الرازي يؤمن بالكيمياء على هذا النحو؟ أو ينبغي الشك في الرواية المذكورة.

وقد كان حكم فلاسفة العصر الوسيط على كتبه الفلسفية قاسياً[1] ؛ اما علماء العصر الحديث فقد أفاضوا في مدحها[2] : واتهمه الأقدمون بالكفر والزندقة[3] ، لأنه قد انتقد الأنبياء[4] ، وتشكك في معجزاتهم[5] ، ولم يحاول التوفيق بين ما قد يظهر من اختلاف بين الدين والفلسفة[6] .

ويقول البيروني عن الرازي إنه « كان دائم الدرس شديداً لاتباعه ، يضع سراجه في مشكاة على حائط يواجهه، مسنداً كتابه إليه كما إذا غلبه النعاس

١) طبقات الامم ص ٥٢-٥٣، ابن ابي اصيبعة ج١ ص ٣١٠ - س ٣٥-٣٧، وراجع: E.G. Browne, *Arabian Medicine*. Cambridge, 1921, p. 44.

٢) راجع مقال: M. Meyerhof, «The Philosophy of the Physician Ar-Rāzī», *Islamic Culture*, XV (1941) 45.

٣) رسائل فلسفية ص ٢٩٢-٢٩٥

٤) نفس المصدر ص ٤٥ س ١-٤ . راجع الترجمة الانجليزية : A.J. Arberry, *The Spiritual Physick of Rhazes*, translated from the Arabic, London, 1950, pp. 47-48.

٥) يشير المؤرخون إلى الكتب الآتية وينسبونها للرازي :

« فيما يرد به إظهار ما يدعى من عيوب الانبياء» (الفهرست ص ٣٠١ س١٩)؛ «كتاب ما يدعى من عيوب الاولياء » (ابن القفطي ص ٢٧٦ س ٢-٣) ؛

« فيما يرومه من إظهار ما يدعى من عيوب الاولياء » (ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٢٠ س ١٦-١٧) . ويضيف ابن أبي أصيبعة (س ١٧-٢١) أنّ « هذا الكتاب إن كان قد ألّف والله أعلم، فربما أن بعض الاشرار المعادين للرازي قد ألّفه ونسبه إليه ليسيء من يرى ذلك الكتاب أو يسمع به الظن بالرازي، وإلّا فالرازي أجلّ من أن يحاول هذا الامر وأن يصنّف في هذا المعنى . وحتى أن بعض من يذم الرازي بل يكفره كعلي بن رضوان المصري وغيره يسمون ذلك الكتاب كتاب الرازي في « مخاريق الانبياء » .

ويعطي البيروني (ص ٢٠ رقم ١٧٣-١٧٤) اسم الكتابين الآتيين تحت عنوان كفريات: « في النبوات ، ويدعى نقض الاديان » ؛ « في حيل المتنبين ، ويدعى مخاريق الانبياء » .

٦) راجع مقال: M. Meyerhof, «The Philosophy of the Physician, Ar-Rāzī», *Islamic Culture*, op. cit., p. 49.

سقط الكتاب من يده ، فأيقظه ليعود إلى ما هو عليه »[1] . ومات الرازي في سن الستين تاركاً ثروة علمية طائلة، فبلغت مؤلفاته ما يقرب من المائتي كتاب في شتى الفنون كالطب ، والطبيعيات ، والمنطق ، والرياضيات ، والفلسفة ، والكيمياء وغيرها[2] . ونكتفي بذكر كلمة عابرة عن مؤلفاته الطبية التي تربو في عددها على المائة كتاب .

تبين لنا من دراسة كتب الرازي أنه ألف موسوعة طبية أطلق عليها اسم « الجامع » . وقد استغرق تأليف ذلك الكتاب — كما يقول الرازي — خمس عشرة سنة ، واصل فيها المؤلف العمل الليل بالنهار ، مما أدى إلى ضعف بصره وإصابته بمرض عضال في يده اليمنى ، فمنعه ذلك من القراءة والكتابة، ولكنه استمر في الدرس والتحصيل بمساعدة تلاميذه المخلصين الذين تطوعوا للقراءة عليه ، والكتابة له[3] .

وكتاب الجامع يخالف كل الاختلاف شبيهه في الإسم : كتاب «الحاوي». وكان يُظن أنّ « الجامع » ، و« الحاوي » اسمان مترادفان لكتاب واحد[4] . والواقع يتكوّن كتاب « الجامع » من اثني عشر جزءاً . ولم نعثر — إلى الآن — إلّا على جزءين فقط من أجزاء هذا الكتاب ، محفوظين في مخطوط بمكتبة بودليانا[5] . اما « الحاوي » فهو مذكرات الرازي الخاصة التي جمعها تلامذته بعد وفاته وتم إصدارها في خمسة وعشرين جزءاً[6] . وهذه المذكرات

---

١) البيروني ص ٥ س ٤–٦

٢) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٠ — ص ٣٠١ س ٢٤ ثم ص ٣٥٨ س ٦ — ١٣ ؛ البيروني ص ٦–٢١ ؛ ابن القفطي ص ٢٧٢ س ٨ — ١٦ ثم ص ٢٧٣ س ٩ — ص ٢٧٧ س ٧ ؛ ابن أبي أصيبعة ص ٣١٥ س ١٤ — ص ٣٢١ س ٢٠

٣) رسائل فلسفية ص ١١٠ س ٧–١٥

٤) مثلًا انظر الفهرست ص ٣٠٠ س ٤ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٥) ، ابن القفطي ص ٢٧٤ س ٢–٣

٥) مخطوط Bod Or. 561

« كتاب صيدنة الطب » (ورق ١ وجه إلى ورق ١٩ وجه س ٢) .

« كتاب المكاييل والموازين » (ورق ١٩ وجه س ٣ — ورق ١٢٥ وجه س ١٣) .

٦) اعتمدنا في حصر عدد اجزاء « الحاوي » على الطبعات اللاتينية (بركيا سنة

حافلة بالنقد العلمي لكتب الاطباء الذين سبقوه . وإنّ مؤرخي الطب يحيون هذه الشجاعة العلمية في الرازي ، ويقدرون اعتداده برأيه . ففي القرن الرابع الهجري ، كانت كتب بقراط وجالينوس دستورًا يؤمن به الاطباء ، فكانت كلمة « قال بقراط » أو « قال جالينوس » كافية لقبول القول دون البحث فيه ، أو التشكك في صحته . ولما اكتشف علماء الغرب ما جاء في مذكرات « الحاوي » من علوم مفيدة ، أقبلوا على ترجمتها إلى اللغة اللاتينية ، فأتم ترجمتها الطبيب فرج بن سالم في جزيرة صقلية سنة١٢٧٩ م بناء على طلب الملك شارل من سلالة أنجو Charles of Anjou واستغرقت الترجمة جل حياة المترجم[1] . وطبع هذا الكتاب أكثر من مرة ، فنها طبعة « بركسيا سنة ١٤٨٦ » وطبعتا « البندقية سنة ١٥٠٦ ، وسنة ١٥٤٢ »[2] .

اما كتاب « الجدري والحصبة » فيعتبره العلماء أنفس الكتب الطبية التي صنفها العرب[3] ، وتُرجم هذا الكتاب إلى لغات عديدة وظهرت له طبعات كثيرة : فهناك ترجمة يونانية طُبعت سنة ١٥٤٨ ، وطبعات عديدة لاتينية في سنة ١٤٩٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٥ ، ١٧٤٧ ، ١٧٨١ ، وظهرت ترجمة فرنسية سنة ١٧٦٢ وأخرى انجليزية سنة ١٨٤٨ وظهرت طبعة عربية في لندن سنة ١٧٦٦[4] .

وكان لكتابه « المنصوري في الطب » شهرة فائقة ، وتُرجم ايضاً إلى اللغة

١٤٨٦ ؛ البندقية سنة ١٥٠٦) . هذا ولم يُعمل حصر شامل حتى الآن لاجزاء الحاوي المبعثرة في شتى مكاتب العالم ؛ وقد بدأت دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن في نشر أجزاء هذا الكتاب لاول مرة باللغة العربية في سنة ١٩٥٥ ، وظهر حتى الآن ثمانية اجزاء فقط .

(١) انظر : A. Castiglioni, *A History of Mediciene*, Translated by : E. B. Krumbhaar, 2 nd. ed., London, 1947, p. 268 .

(٢) انظر : D. Campbell, *Arabian Medicine*, London, 1926,I,69.

(٣) انظر : M. Neuburger, *History of Medicine*. Translated by E. Playfair, London, 1910, I, 362.

(٤) انظر : D. Campbell, op. cit., I, 70.

اللاتينية (١٤٨١، ١٤٩٧، ١٥١٠، ١٥٤٤)[1]. والجزء التاسع من هذا الكتاب Nonus Almansoris — وهو عن الحميات — كان يدخل في صلب المنهاج في في جامعات أوربا ؛ فمثلاً كان عميد كلية الطب بجامعة مونبلييه يحاضر في سنة ١٥٥٨ من هذا الكتاب[2]. وللرازي كتاب ذو قيمة عالية هو كتاب « تقسيم العلل » وهو لازم لكل من اشتغل بترجمة الاصطلاحات الطبية القديمة ، فهو بمثابة قاموس طبي ، وتوجد منه ثلاثة مخطوطات[3]. وإليكم أسماء بعض كتبه التي تدل على خبرته الواسعة بشؤون الطب :

كتاب : الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس[4] ؛ كتاب : في الأسباب المميلة لقلوب الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم[5] ؛ كتاب في التلطف في إيصال المريض إلى بعض شهواته[6] ؛ كتاب في العلة التي يذم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وإن كان حاذقاً[7] ؛ كتاب في أن الطبيب الحاذق

---

١) نفس المرجع ص ٦٨

٢) انظر : C. Elgood, *A Medical History of Persia and Eastern Caliphate*, Cambridge, 1951, p. 208.

٣) مخطوط المتحف البريطاني رقم Add. 5932 ؛ مخطوط الازهر رقم ٧٣ طب ؛ مخطوط البندقية – انظر :

Assemani, Catal. dei Codd. Mss. Orient. della Bibliot. Naniana, II, 238.

وجاء ذكر ذلك الكتاب في مراجع :

الفهرست ص ٣٠٠ س ٢٣ ؛ البيروني ص ٧ (رقم ٩) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ١٧ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٦ س ٢٣

٤) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢٧ ؛ البيروني ص ١٣ (رقم ٨٨) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٣ س ١٧ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٦ س ١٠

٥) الفهرست ص ٣٠٠ س ١٤–١٥ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٤) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ٥–٦ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٧ س ٤

٦) الفهرست ص ٣٠١ س ٧ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٣) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٥ س ٨ – ٩

٧) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٠–١١ ؛ ابن أبي أصيبعة ص ٣١٩ س ٨–٩

ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل فان ذلك ليس في الوسع[١] ؛ رسالة في العلة التي من أجلها صار ينجح جهال الأطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الامراض أكثر من العلماء ؛ وعذر الطبيب في ذلك[٢] .

ثانياً : أهمية كتاب محنة الطبيب

يظهر أنّ الطب في أيام بقراط كان مقصوراً على عائلة أسقليبيوس[٣] وكان بقراط أول من أوصى بتعليم الطب للغرباء[٤].

ونعلم أنه نشأت مع بناء مدينة الإسكندرية (٣٣٢ — ٣٣١ ق . م) مدرسة للطب ، وتمتعت هذه المدرسة بسمعة طيبة ، فكان يؤمها طلاب العلم من كل صوب ، فتخرج منها جالينوس ، واشتهر فيها علماء مثل هيروفيلوس Herophilus الذي يعتبر أعظم علماء التشريح في العصور القديمة، وإراسطراطس Erasistratus مؤسس علم وظائف الاعضاء[٥] . وإن كنا لا نعرف إلّا القليل عن المنهاج الدراسي في مدرسة الاسكندرية[٦] ، إلّا أننا لا نعلم اي شيء عن طريقة تأهيل الاطباء فيها .

ولما نشطت حركة الترجمة في مدينة جنديسابور على أيدي النساطرة مثل سرجيوس الرأس عيني ثم حنين بن إسحق ، وابنه إسحق ، وابن أخيه حبيش

١) الفهرست ص ٣٠٢ س ١١—١٣ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٣) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٩ س ١١—١٤

٢) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٥—١٦ ؛ البيروني ص ١٠ (رقم ٥٦) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٤ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٩ س ١٥—١٦

٣) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٥ س ١

٤) نفس المرجع ص ٢٤ س ٢٦—٢٩

٥) انظر : A. J. Brook, *Greek Medicine*, London and Torento, 1929, pp. 22, 14;
G. Sarton, *Introduction to the History of Science*, Baltimore, 1953, I, 159.

٦) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٦ س ١ — ص ١٠٨ س ١٢

ابن الحسن ، وعيسى بن يحيى ، واصطفن بن باسيل ، وثابت بن قرة ، ويوسف ابن خوري وغيرهم — لما نشطت حركة الترجمة صار التراث اليوناني في متناول الأطباء السريانيين والعرب ، فأقبلوا على جمع نسخ من تراجم الكتب الطبية المشهورة لبقراط ، وجالينوس ، وروفس ، وأركيغانس ، واورياسيوس ، وأطيس الآمدي ، واسكندر الترالي وأهرن القس ، وبولس الأغنيطي ، وغيرهم[1].

وراجت صناعة النسخ حتى أن بعض الكتبة كانوا ينسبون الكتب التي ينسخونها إلى أطباء مشهورين أملاً في رواجها وبيعها بأثمان غالية . وكان لأطباء جنديسابور فضل على النهضة الطبية في الوطن العربي؛ إلا أنهم كانوا أطباء متغطرسين ، يميلون إلى قصر مهنة الطب على أبناء مدينتهم ، ومثالنا في ذلك كبرياء يوحنا بن ماسويه الذي رفض أن يعلم حنين بن إسحق لأنه من أبناء الصيارفة ومن أهل مدينة الحيرة ، وليس من جنديسابور[2] ، مما اضطر حنينا إلى الهجرة إلى بلاد اليونان فتعلم اللغة ، وأتقنها كأحد أبنائها ، ثم درس المخطوطات اليونانية ، فصار طبيباً ماهراً وعميداً للمترجمين في عصره .

وبالرغم من أن نفراً من أساطين الطب في القرون الأولى بعد الميلاد وفي العصر الوسيط قد اهتموا بكيفية امتحان الطبيب؛ فمثلاً قد ألف في هذا المعنى كل من جالينوس[3] ، ويوحنا بن ماسويه[4] ، وحنين بن إسحق العبادي[5] ، وأبو بكر الرازي[6] ؛ إلا أن الصورة التي وصلتنا عن كيفية أداء ذلك الامتحان

١) تظهر جميع هذه الاسماء ، مع أسماء كثيرة لاطباء آخرين ، في مذكرات الرازي الخاصة المعروفة بـ « الحاوي » .

٢) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٨٥ س ٦-١٣

٣) الفهرست ص ٢٩١ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٣ ؛ ابن أبي أصيبعه جـ ١ ص ١٠٠ س ٩

٤) الفهرست ص ٢٩٦ س ٣ ؛ ابن القفطي ص ٣٨١ س ٨ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٨٣ س ١٢-١٣

٥) ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٩٩ س ٢٨

٦) الفهرست ص ٣٠٢ س ١٧ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٦) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٧ س ٥ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٣١٩ س ٢٠-٢١

غير جادة ومشوهة . فابن القفطي يروي في ذلك أنه « في سنة تسع عشرة وثلاثمائة اتصل بالمقتدر أن رجلاً من الأطباء غلط على رجل فمات . فأمر أبا بطيحة[1] محتسبة بمنع جميع الأطباء ، إلّا من امتحنه « سنان » ، وكتب له رقعة بما يطلق له التصرّف فيه من الصناعة. وأمر سناناً[2] بامتحانهم وأن يطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه من الصناعة ، وبلغ عددهم في الجانبين من بغداد ثمانمائة ونيفاً وستين رجلاً ، سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة ، وسوى من كان في خدمة السلطان. ومن طريف ما جرى في امتحان الأطباء. أنه أحضر إلى سنان رجل مليح البزّة والهيئة ذو هيبة ووقار ، فأكرمه سنان على موجب منظره ، ورفعه ، وصار إذا جرى أمر التفت إليه ، ولم يزل كذلك حتى انقضى شغله في ذلك اليوم ، ثم التفت إليه « سنان » فقال : قد اشتهيت أن أسمع من الشيخ شيئاً أحفظ عنه ، وأن يذكر شيخه في الصناعة . فأخرج الشيخ من كمه قرطاساً فيه دنانير صالحة ، ووضعها بين يدي سنان وقال : ما أُحسن أن أكتب ولا أقرأ ، ولا قرأت شيئاً جملة ، ولي عيال ، ومعاشي دار دائرة ، وأسألك أن لا تقطعه عني. فضحك سنان وقال : على شريطة أنك لا تهجم على مريض بما لم تعلم ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل إلّا لما قرب من الأمراض . قال الشيخ : هذا مذهبي مذ كنت ؛ ما تعديت السكنجبين والجلاب ، وانصرف . فلما كان من غد أُحضر إليه غلام شاب حسن البزّة مليح الوجه ذكيّ فنظر إليه سنان وقال له :

على من قرأت ؟

قال : على أبي ،

قال : ومن أبوك ؟

قال : الشيخ الذي كان عندك بالأمس .

قال : نِعْم الشيخ — وأنت على مذهبه ؟

---

١) يذكر ابن أبي أصيبعة اسم « ابراهيم بن احمد بن بطحا » (جـ ١ ص ٢٢٢ س ١٩)

٢) هو « سنان بن ثابت » (توفي في غرة ذي القعدة سنة ٣٣١) . انظر الفهرست ص ٣٠٢ س ٢٠—٢٣ ؛ ابن القفطي ص ١٩٠ س ١٧—١٩١ س ١ ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٢١ س ٢—٣

قال : نعم .

قال : لا تتجاوزه ، وانصرف مصاحباً»[1].

وقد ترجم بعض علماء الغرب هذا القول على أنه صورة لطريقة تأهيل الاطباء في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[2]. لذلك كان واجباً علينا لنلم بالقيم الطبية التي كان يراها اطباء ذلك العصر لازمة لكل من أراد أن يمارس الطب . ويسرنا أن نذكر أننا عثرنا بين ثنايا المخطوطات على نص ذي قيمة علمية نادرة لكتاب « محنة الطبيب » للرازي ، ونبادر بنشره لأول مرة في هذا الكتاب، لا سيما وأن مكتباتنا تفتقر إلى هذا النوع من التأليف. فلم نر واحداً من العلماء قد قام بتحقيق ونشر أي كتاب من كتب أسلافنا في المحنة . ومما يرفع من شأن كتاب الرازي في « محنة الطبيب » أنه يشتمل على مقتطفات من كتب جالينوس ، ويوحنا بن ماسويه في هذا الفن .

إن المستوى الذي كان يتطلبه الرازي لرفع شأن مهنة الطب يلقي ضوءاً ساطعاً على كفايته العلمية الخاصة ، وعلى مقدرة الاطباء في عصره بوجه عام ، وينفي أيضاً تلك الصورة المشوهة التي كتبها ابن القفطي عن كيفية إجراء الامتحان .

ثالثاً : المخطوطات وطريقة تحقيق النص

تنقسم المخطوطات التي اخترنا منها النصوص لمادة هذا الكتاب إلى قسمين: مخطوطات كتاب « المنصوري في الطب » للرازي ، ومخطوطات كتاب « محنة الطبيب » . اما مخطوطات كتاب « المنصوري » فكثيرة متعددة ، ومبعثرة في دور الكتب بأنحاء العالم ، فمنها مثلاً المخطوطان رقم or. 1701 ; or. 1512 بمكتبة الجامعة بكيمبردج، والمخطوطان رقم Marsh 248; Hunt. Donat. 31. بمكتبة بودليانا بأكسفورد ، والمخطوط ١٢٠٥ ب بمكتبة البلدية بالاسكندرية،

---

١) ابن القفطي ص ١٩١ س ٣–١٢٩ س ٣

٢) نكتفي بالاشارة إلى ترجمة E. G. Browne, *Arabian Medicine*, op. cit., pp. 40-41.

والمخطوط ١٢٩ طب تيمورية بدار الكتب المصرية ، والمخطوطات الموصلية رقم ١٥٩ بالمكتبة الاحمدية ، ورقم ١٢١ بالمكتبة الحسينية ، ورقم ١٧٧ بمكتبة يحيي باشا. وقد انتخبنا من هذا الكتاب نصين لهما اتصال وثيق بمحنة الطبيب؛ فالنص الاول « في مخاريق المشاتين » — أي أدعياء الطب ، يظهر في نهاية المقال السابع من الكتاب « المنصوري » ، والثاني مقال موجز « في محنة الطبيب » - يختتم به الرازى الجزء الرابع من الكتاب نفسه . واعتمدنا في تحقيق هذين النصين على اربعة مخطوطات or. 1512 ، or. 1701 ، ١٢٩ طب تيمورية، و ١٢٠٥ ب الاسكندرية ، وذلك بعد ان قررنا استبعاد المخطوط رقم Marsh 248 لرداءته ، ولعدم احتوائه إلّا على جزء من الكتاب — من المقال السابع إلى العاشر — والمخطوط Hunt. Donat. 31 لانه لا يحوي إلّا أجزاء من المقال السابع .

والمخطوط رقم or. 1512 هو أقدم المخطوطات التي اعتمدنا عليها ، فتاريخه يصعد الى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، ومما يزيد في قيمة المخطوط ١٢٠٥ ب الاسكندرية أنّ ناسخه طبيب، ولكننا لم نتخذ اي مخطوط اساساً لتحقيق النصين ، بل آثرنا في نشرنا هذا طريقة النص المختار ، فقارنا بين القراءات المختلفة واخترنا الكلمات التي تؤدي الى استقامة المعنى ، واثبتنا الكلمات المختلفة عن النص المختار في الهامش .

اما نص كتاب « محنة الطبيب » للرازي فقد حققناه من مخطوطين اثنين : احدهما في مكتبة بودليانا بأكسفورد رقم Bod. or. 561 ، وقد عثرنا على هذا النص ضمن المذكرات الخاصة للرازي المشهورة باسم « الحاوي في الطب ». ويظهر أنّ ذلك النص كان بمثابة مسودات لكتاب « محنة الطبيب » — ذلك الكتاب الذي لم نجد واحدًا من فهارس المخطوطات بمكتبات العالم قد أشار إلى أية مخطوطات له .

والذي حدا بنا إلى هذا الاقتراح أنّ الرازي يبدأ في كتابه عن « محنة الطبيب » — على ما يظهر في ذلك النص — بجمع مقتطفات من كتب الاطباء الاقدمين والمعاصرين له — ثم يثبت بعد ذلك رأيه الخاص في المحنة ، ويختم الكتاب بمقتطفات من كتب لبقراط . وليس في سياق النص أي نظام

رتيب يدل على أنّ الكتاب كامل ومعد للنشر ؛ بل إنّ فيه جملاً تفيد بأن الكتاب لم يكتمل التأليف ، ولم يصل به كاتبه إلى المستوى الذي يرتضيه. فمثلاً يقول في وصف المقالة الاولى لكتاب « أيام البحران » لجالينوس :

« واستمن بهذه المقالة ، فانّ فيها اشياء يجب أن يُستعان بها »[1]. وكذلك

~~نراه يبدو في صورة مذكرات خاصة عنونت لما تبقى من كتاب «محنة الطبيب».~~

جالينوس ؛ يورد نقطاً لم يرد كتابتها في هذه المذكرات الخاصة ، واكتفى بالتنويه عنها ، فيقول: باقي « محنة الطبيب » : خلقه ، وزيه ، وسائر ما يحتاج إليه الطبيب وان يكون عليه ، وسيرته في معاملته للناس[2] .

كما أنه لا توجد مقدمة تفيد بالغرض من تأليف الكتاب ، ولا خاتمة توضح أنّ المؤلف قد انتهى من إثبات ما قصد ذكره ؛ وذلك يخالف ما نعرفه عن طريقة الرازي في تواليفه العديدة ، وما يتضح من قراءة مخطوطات كتبه التي وصلتنا . اما المخطوط الثاني رقم Add. 3516 بمكتبة الجامعة بكيمبردج ، فلم نعثر فيه سوى على رأي الرازى في المحنة ، دون أي ثبت لآراء الاطباء الآخرين. وهذا المخطوط يحوي عدداً من الكتب الطبية للرازى ، فمنها كتاب « القولنج » ، وكتاب « الباه » ، وكتاب « اوجاع المفاصل » ، وينتهي المخطوط بكتاب « محنة الطبيب » .

ولما كان كتاب جالينوس « في المحنة التي يُعرف بها أفاضل الاطباء » — وهو المخطوط المحفوظ بمكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ٣٨١٣ ج — مرجعاً اقتبس منه الرازى مقتطفات في كتابه « في محنة الطبيب وتعيينه » ، رأينا ان نرد النصوص التي اقتبسها الرازى الى اصولها في كتاب جالينوس ، واثبتنا ذلك في ذيل الكتاب ، ص (٥١٤—٥١٧).

وفي تحقيق نص « محنة الطبيب » اتبعنا ايضاً طريقة النص المختار، وذلك في تحقيق جزء النص الذى يشتمل على كلام الرازى .

والنسخ التي كانت تحت أيدينا وقت تحقيق النصوص هي النسخ التالية ، وقد رمزنا إليها بحروف : ،

---

١) ص ٥٠٤ فما يلي .

٢) ص ٥٠٦ فما يلي .

كتاب « المنصوري في الطب » :

أ – Or. 1512 ، مكتبة الجامعة بكيمبردج ،
ب – Or. 1701 ، مكتبة الجامعة بكيمبردج ،
ج – تيمورية ١٢٩ طب ، دار الكتب المصرية ،
د – ١٢٠٥ ب ، مكتبة البلدية بالاسكندرية .

كتاب « محنة الطبيب » :

ه – Bod. Or. 561 ، مكتبة بودليانا بأكسفورد ،
و – Add. 3516 ، مكتبة الجامعة بكيمبردج .

وصف المخطوطات

أ – Or. 1512 :

٢٠٠ ورقة ؛ ٢٧ × ١٩ سم (٢١ ½ × ١٥) ، (٢١ × ١٤ ½) ؛ ٢٥–٢٧ سطرًا ثم ١٥–١٩ سطرًا ؛ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ (في ورق ٢٠٠ وجه) ؛ عشر مقالات ؛ ناسخان : الاول ورق ١ – ٣٩ ثم ورق ١٩٦ وجه – ٢٠٠ ظهر ، والثاني ورق ٤٠ وجه – ١٦٨ ظهر ؛ بين ورقتي ١٨ ، ١٩ توجد الاوراق ٤١–٤٨ مقلوبة الوضع .

ب – Or. 1701 :

٢٧٥ ورقة ؛ ٢٢ × ١٣ ½ (١٥ × ٧) ؛ ١٥ سطرًا ؛ محرم سنة ١١٥٩ (في ورق ٢٧٥ ظهر) ؛ عشر مقالات ، نسخي جميل ؛ مستورد من حضرموت (في ورق ١ وجه) ؛ ١٣٦٧ ه تاريخ تمليك (في ورق ٢٧٥ ظهر) .

ج – ١٢٩ طب تيمورية :

١٦٨ ورقة ؛ ١٩ ½ × ١٥ (١٥ ½ × ١٠) ؛ ٢٣ سطرًا ؛ اواخر شعبان سنة ١١٤٧ (في ص ٣٣٦) ؛ عشر مقالات ؛ نسخي ؛ الترقيم صفحات وليس أوراقًا .

د – ١٢٠٥ ب الاسكندرية :

١٦٧ ورقة ؛ ٢٩ × ٢٢ ½ (٢٠ ½ × ١٤) ؛ ١٨ سطرًا ؛ الثلاثاء ٢٣ من رجب سنة ٨٩١ ؛ عشر مقالات ؛ نسخة المتطبب المازندراني حسام بن أشمس الدين المطبي الحسيني المعروف باسم سيد خطابي المنجم في بلدة الازرنة من بلاد اليونان .

هـ — Bod. Or. 561 :

فيه جزءان من كتاب الجامع للرازي وهما : كتاب حل الرموز ، وكتاب المكاييل والموازين ، ثم كتاب محنة الطبيب للرازي ، ثم أجزاء من مذكرات الرازي الخاصة المسماة « الحاوي » . ٢٧٢ ورقة ؛ ٢٥ ½ × ١٨ (١٩ × ١٢.٠) ؛ ١٩ سطراً ؛ غير مؤرخ . وعلى الارجح يصعد تاريخه الى القرن الثامن الهجري ، تاريخ تمليك ١٠٧٧ هـ (يظهر في ورق ١ وجه) ؛ غير منقوط والخط واضح ؛ تاريخ التمليك بقلم سليمان بن يوسف الحسين .

و — Add. 3516 :

مجموعة من كتب الرازي ضمن مجموعة طبية . يقع كتاب « محنة الطبيب » في ورق ٢٢٦ وجه — ورق ٢٢٥ ظهر . ٢٦ × ١٩ (٢١ + ½ ١٥) ؛ ٢٥ سطراً ؛ غير مؤرخ ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري .

مخطوط رقم ٣٨١٣ ج — مكتبة البلدية بالاسكندرية :

فيه كتاب جالينوس « في المحنة التي يُعرف بها افاضل الاطباء » ؛ ترقيم انجليزي من ١ الى ١٦ ، ثم ترقيم عربي من ١ الى ٤٤ ؛ الترقيم صفحات وليس ورق ؛ ٢٣ + ١٦ (½١٥+½ ٩) ؛ ١٨ سطراً . (ما عدا ص ٣ ترقيم انجليزي فيها ١٩ سطراً) ؛ ٢٦ آيار سنة ١٧٥١ م ؛ الخط نسخي واضح ؛ المخطوط مصحح بخط الناسخ نفسه ، وفيها شطب .

الباب الثاني

أدعياء الطب في وقت الرازي

قبل أن نقدم للقارئ نصّ كتاب « محنة الطبيب » ، نمهد له بنبذة ونقدم نصاً من أحد كتب الرازي يبيّن العقبات التي كان يلقاها كلُّ مَنْ مارس صناعة الطب عن جدارة واستحقاق في ذلك الوقت. ننشر هذا النص عن أدعياء الطب باللغة العربية لاول مرّة ، ولو أنه قد سبق نشر ترجمة له باللغة الانجليزية ، منقولة عن التراجم اللاتينية[1] . ويحوي ذلك النص معلومات طريفة عن الدخلا.

(١) انظر : J. Freind, *The History of Physick*, op. cit., II, 65-69 ; W. A. Greenhill, *A Treatise on the Small-Pox and Measles*, The Sydenham Society, London. 1848, pp. 80-82.

على مهنة الطب ، ويظهر من رواياتها أنّ الطبيب الحاذق قد عانى الأمرّين من أدعياء الطب في العصر الوسيط ، وقت انعدام أية رقابة تنظم وترعى أحوال الطبيب والمريض على السواء . وقد كانت ظروف التطبيب قاسية ، فكان من العسير على الطبيب أنْ يسلك دائمًا الطريق الذي يراه صوابًا في العلاج . ولا بدّ أنّ انتشار أدعياء الطب — الذين كانوا يوهمون المرضى بقدرتهم على شفائهم في الحال بانتزاع أسباب المرض من ابدانهم — كان مما يعقد المهنة ويعرقل أعمال الطبيب ويزيدها صعوبة. وقد استغل هؤلاء الافاقون جهل المرضى وأوهموهم بقدرتهم في العلاج بما كانوا يقومون به من اساليب الدجل ، مظهرين بذلك مواهب خدّاعة . وقد كان العامة — والحال كذلك — يؤمنون بامكان البرء العاجل ، وربما رأى الرازي تأليف كتابه : « برء الساعة »[1] ، ليظهر مواهبه في هذا الميدان ، وليبيّن للعامة أنّ عددًا من الامراض — وليست كلها — يمكن برؤها في ساعات . هذا وكان جهل العامة عاملًا — إلى حد ما — في تحديد طريق العلاج الذي يسلكه الطبيب، ففي قصة من قصص المرضى اعترف الرازي بأنه امتنع عن فصد مريض كان على شفا الموت لعدم وجود طبيب آخر وقت العلاج ليؤيده في ضرورة الفصد[2] ، في حضور جمهور من أقارب ذلك المريض وأصدقائه . ويقول الرازي في هذه القصة إنّه في اليوم الثالث من أيام المرض تردد عن فصد المريض ، ثم إنّه خدش أنفه من الداخل ، ليسيل قليل من الدم ، وذلك خوفًا من بطش ذلك الجمع الكبير الذي كان ملتفًا حول المريض.[3] ويكرر الرازي انه حينما تدهورت صحة المريض لم يجرؤ على خدش الانف

١) نشر هذا الكتاب ب. جيج في مجلة المشرق عدد ٩ سنة ١٩٠٣ ص ٣٩٥–٤٠٢ . انظر ايضاً :

P. Guiges, «La guérison en une heure de Rhazès», *Janus Archives Internationales pour l'Hisioire de la Médecine et la Géographie Médicale*, 1903, pp. 363-70 ; 411-18 ; id., «La guérison en une heure de Rhazès», texte arabe avec notes, Beyrouth. 1903.

٢) انظر مخطوط Marsh 156 مكتبة بودليانا باكسفورد ورق ٢٤٠ ظهر س ١٢

٣) نفس المصدر ورق ٢٤٠ ظهر س ٥

خوفاً من « العامة والرعاع »[١] . ويصرّح بأن العلاج الوحيد السليم العاقبة الذي كان ممكناً أنْ يطرقه ، لم يكن إلّا سقي العليل ماء الشعير[٢] . ولولا أقارب المريض وأصدقاؤه المجتمعون حوله ، لتمكّن الرازي من علاج المريض بالطريق الذي يراه صواباً ، وربّما نجّاه من الهلاك . ولكن الرازي في اختياره طريق العلاج كان دون شك يحاول جهده تفادي العواقب الوخيمة التي قد تنجم عن موت المريض بين يديه .

وفي النص التالي ، وهو مأخوذ من كتاب « المنصوري في الطب »[٣] ، يبرز لنا المؤلف صورة حيّة لانواع من حيل أدعياء الطب في زمانه ، فنراه يحذر العامة من هؤلاء المحتالين الذين يضرون المرضى بعلاجاتهم الخاطئة ، ولا يأتون إلّا الحيل والألاعيب . ويكشف عن عدد غير قليل من حيلهم الكثيرة ، مؤملا أنْ يضيء الطريق ، ومحذرًا من الوقوع في حبائل هؤلاء الدجالين ، والى القارئ مقال الرازي في حيل أدعياء الطب .

« في مخاريق المشائين »[٤]

«إنّ مخاريق[٥] هؤلاء[٦] كثيرة ، يضيق عن ذكرها كتابنا هذا[٧] بأسره ،

---

١) نفس المصدر ورق ٢٤٠ ظهر س ١١–١٢

٢) يمكن الاطلاع على هذه القصة ، وعلى ترجمة انجليزية في مقال :
M. Meyerhof, «Thirty-Three Clinical Observations by Rhazes (circa 900 A.D.)», *Isis*, XIII (1935) 321 foll.

٣) جاء ذكر هذا الكتاب في كل من : الفهرست ص ٣٠٠ س ٣ – ٤ ؛ البيروني ص ٦ (رقم ٨) ؛ ابن القفطي ص ٢٧٤ س ١–٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣١٧ س ١٧

٤) مخاريق المشائين : مخاريق البايين أ ؛ مخاريق الماثين ب؛ مخاريق المابين ج ؛ مخاريق المشائين في هذا د .

تعليق : المشائين ، أي أدعياء الطب .

انظر : R. Dozy, Supplément aux Dictionnaires Arabes, deuxième éd., Leide et Paris, 1927, II, 594.

وراجع ايضاً : Zeitschrift für die kunde des Morgenlandes, XX,506 - 7.

٥) مخاريق : مخاريق ج .

٦) هؤلاء : هاولى أ ؛ هاولاء د . ٧) هذا : ساقطة من ج .

وجرأتهم[١] واستحلالهم[٢] تعذيب[٣] الناس[٤] باطلاً في الغاية التي لا وراءها غاية[٥]. فان منهم من يزعم[٦] أنه يبرئ[٧] من الصرع ، بأن يشق وسط[٨] الرأس شقاً صليبياً[٩] ، ثم[١٠] يخرج[١١] أشياء قد أعدها معه ، يوهم بخفته وتمويهه[١٢] أنه[١٣] أخرجها من ذلك الشق . ومنهم من يوهم أنه يخرج من الانف سام أبرص ، فيدخل في أنف[١٤] المعالج الشقي خلالة[١٥] أو حديدة ، ويحكه[١٦] حتى يدميه ، ثم يشيل من هناك أشياء قد أعدها[١٧] معه على شكل هذه الدابة ، متخذة[١٨] من عروق[١٩] الكبد[٢٠] . ومنهم من يوهم أنه يرفع البياض من العين رفعاً[٢١] ،

١) جرأتهم : جرءتهم جـ ؛ كونهم د .
٢) استحلالهم : استحلاهم د .
٣) تعذيب : تعذيباً د .
٤) الناس : ساقطة من ب ؛ للناس د .
٥) لا وراءها غاية : لا وراء لها ب ، جـ ؛ لا وراء لها ولا منتهى د .
٦) يزعم : زعم جـ .
٧) يبرئ : يبرأ د .
٨) وسط : وسط يافوخ د .
٩) صليبياً : اصلياً جـ ؛ ثم صليباً د .
١٠) ثم : ثم انه أ .
١١) يخرج : ساقطة من د .
١٢) تمويهه : تمويره ب ؛ تموره جـ ، ساقطة من د .
١٣) أنه : أنه إنما أ ، د ؛ ساقطة من جـ .
١٤) أنف : الانف أ .
١٥) خلالة : ذلك أو يدخل خلالة ب .
١٦) ويحكه : يحكه أ .
١٧) أشياء قد أعدها : شيئاً قد أعده د .
١٨) متخذة : متخذ جـ ، متخذاً د .
١٩) عروق : عرق جـ .
٢٠) الكبد : الكبد أو الرية ب .
٢١) رفعا : رفعا مريعا وقلع ب ؛ رفعا شديدا د .

فيدخل في العين حديدة ينكأها[١] ، ثم يدس[٢] فيها غشاء رقيقاً ، ويخرجه من هناك . ومنهم من يوهم أنه يمص الماء من الاذن[٣] ، فيضع عليها أنبوبة[٤] ، ويرسل من فمه[٥] شيئاً فيها[٦] ، ثم يمصه[٧] . ومنهم من يدس الدود المتولد[٨] في الجبن في الاذن ، وفي[٩] أصول الاضراس ، ثم يخرجه[١٠] من هناك . ومنهم من يوهم أنه يخرج الضفدع من تحت اللسان ، فيجرح ويشق[١١] هناك شقاً ثم يدس فيه غدة و[١٢] يخرجها منه[١٣] . وأما[١٤] دسهم العظام في القروح[١٥] وتركهم لها فيها أياماً[١٦] ، فما أكثر ما يفعلونه[١٧] وربما أخرجوا من المثانة حصاة ويدبرون هناك أخرى ، ويوهمون أنهم يخرجونها من هناك[١٨] . وربما لم يستيقنوا[١٩] عند

١) ينكأها : سكاها ب ؛ وينكأها ج .

٢) يدس : يدخل ويدس ج .

٣) يمص الماء من الاذن : يمص من الاذن الماء ج ، د .

٤) أنبوبة : أنبوبا أ .

٥) من فمه : من فيه ج ؛ ساقطة من د .

٦) شيئاً فيها : فيها شيئا ب ؛ شيئا ج ، د .

٧) يمصه : يمتصه د .

٨) المتولد : المتوالد ج .

٩) في : ساقطة من د .

١٠) يخرجه : يخرجها ج .

١١) فيجرح ويشق : فيشق أ ، د .

١٢) غدة و : عددة و ج ، غدة ثم د

١٣) منه : منها ب .

١٤) أما : فأما ب ، د .

١٥) القروح : الجرحات والقروح د

١٦) فيها اياما : فيه ج .

١٧) ما يفعلونه : ما يفعلون ذلك أ .

١٨) وربما . . . هناك : وربما أخرجوا حصاة ونورد (كذا) بأخرى يوهمون انهم اخرجوها من هناك ب ؛ وربما اخرجوا حصاة يوهمون انهم اخرجوها من هناك ج ؛ وربما اخرجوا حصاة بوزن واحدة واخرى يوهمون انهم اخرجوها من هناك د .

١٩) لم يستيقنوا : لم يستحنوا ب ، ج .

جس[١] المثانة ، أنّ فيها حصاة ، فأقدموا[٢] على شقها جرأة[٣] واستحلالًا وقلة مبالاة[٤] ، ثم يدخلون الاصبع من[٥] الشق ، فان أصابو[٦] حصاة أخرجوها[٧] ، وإنْ لم يكن هناك حصاة دسوا فيها حصاة[٨] ثم أخرجوها . وأما قطعهم لحم المقعدة على أنّ فيها بواسير[٩] ، فشيء لا يزالون يفعلونه ، ويولدون على الناس بذلك[١٠] قروحاً ونواصير[١١] بالحقيقة . ومنهم من يزعم[١٢] أنه يخرج الخام[١٣] من الذكر أو من مواضع أخر[١٤] من الجسد فيشرّط الموضع[١٥] أو يضع على رأس الذكر أنبوبة[١٦] ، أو على ذلك الموضع[١٧] ثم يمصها مرات[١٨] ويرسل[١٩] من

---

١) جس : جسهم ج .

٢) فأقدموا : فيقدمون أ .

٣) جرأة : جرة أ ؛ جراءة ب ؛ جرءة ج .

٤) مبالاة : مبالات ج ؛ أمانة د .

٥) من : في ج ، د .

٦) أصابوا : أصابوا هناك أ .

٧) أخرجوها : وأخرجوها منه د .

٨) دسوا فيها حصاة : دسوا حصاة أ ؛ دفنوا حصاة ج ؛ سروا فيها حصاة د .

٩) بواسير : بواسيرا أ .

١٠) ويولدون على الناس بذلك : ويولدون بذلك على الناس ب ؛ ويولدون على الناس ج ؛ ويتولدون على الناس بذلك د .

١١) نواصير : بواسير ب .

١٢) يزعم : يوهم ب .

١٣) الخام : المائة : أ.

١٤) من الذكر أو من مواضع أخر : من الورك والذكر ومن مواضع أخر أ ؛ من الذكر ومن مواضع أخر ج ؛ من الذكر ومن موضع آخر د .

١٥) فيشرط الموضع : مشرط الورك أ ؛ فيشرط ب .

١٦) أو يضع ... أنبوبة : أو يضع عليه أو على رأس الذكر أنبوبة أ .

١٧) أو على ذلك الموضع : ساقطة من أ .

١٨) مرات : ساقطة من ب .

١٩) ويرسل : ثم يرسل ب ، ج.

فه[1] فيها[2] شيئاً ، ويصبه[3] من هناك في الطست . ومنهم من يزعم[4] أنه يجمع الداء[5] إلى[6] موضع واحد[7] من الجسد ثم يخرجه[8] من هناك ، فيدلك ذلك الموضع بالكيكح[9] ، فيهيج فيه[10] حكة شديدة ، ثم يسأل[11] أجره على إخراجه[12] ذلك الداء من ذلك الموضع[13] ، وإذا أعطاه[14] مسحه[15] بالدهن سكنت الحكة[16] . ومنهم من يوهم[17] ان الانسان قد سقي الشعر والزجاج فيأخذ ريشة ويقيئه بها[18] ويدس[19] ذلك في حلقه ثم يخرجه منه ، إلى أشياء كثيرة[20] من هذا الجنس يعملونها[21] ، يعظم ضرورها على الناس[22] وربما اتلفوهم

---

١) فه : فيه ج .
٢) فيها : ساقطة من أ .
٣) يصبه : يصب ج .
٤) يزعم : يوهم د .
٥) الداء : الدواء د .
٦) الى : في ب .
٧) واحد : ساقطة من ب .
٨) ثم يخرجه : ثم يخرج ب .
٩) ذلك الموضع بالكيكح : به الموضع بالكيكح ج .
١٠) فيه : به ج.
١١) يسأل : يسئل أ ، ج.
١٢) اخراجه : اخراجه زعم ج .
١٣) ذلك . . . الموضع : زعم من ذلك الموضع د .
١٤) واذا أعطاه : واذا أعطا أ ؛ فاذا أعطيه ب ؛ واذا أخذ أجرته ج .
١٥) مسحه : مسح عليه ج .
١٦) سكنت الحكة : فسكنت حركته أ ؛ فسكن الحكة ب ؛ فتكن الحكة ج .
١٧) من يوهم : ساقطة من ب.
١٨) ويقيئه بها : ويقيئه أ ، ب ، ج
١٩) يدس : يدخل أ .
٢٠) يخرجه . . . كثيرة : يخرج منه اشياء كثيرة أ ، ج .
٢١) يعملونها : يفعلونها .
٢٢) يعظم . . . الناس : وربما عظم ضررها على الناس ب .

بها[1]، واثنا تخفى[2] على العقلاء اذا استرسلوا في ايديهم[3]، وتهاونوا، ولم يظنوا بهم سوءا[4] ولم يتهموهم[5]، فأما إذا استقصى تفقدهم بأعين كثيرة[6] متهمة لهم، ظهر كذبهم وبان باطلهم[7] وليس ينبغي أن يؤخذ[8] من الادوية التي يعطونها[9]، فانها[10] قد أتلفت خلقاً كثيراً»[11].

الباب الثالث

صفات الطبيب الفاضل، ومحنة الطبيب

لم يكتف الرازي بكشف حيل المخادعين، بل كتب مقالات ليبني الاسس التي بها يميز بين أفاضل الاطباء وأخسائهم. واراد ايضاً ان يضع القواعد الثابتة ويحدد المستوى العلمي الذي يتعين على الطبيب بلوغه قبل ممارسته الطب، كما انه لم يغفل ذكر صفات الطبيب الفاضل الذي يليق بأعلى المناصب الطبية، كادارة المستشفيات الكبيرة، ورسم السياسة الطبية.

---

١) وربما أتلفوهم بها : فأتلفوهم ب ؛ وربما أتلفوهم جداً ج ؛ أتلفوا أتلفوا بها د .

٢) تخفى : بهنا أ .

٣) في أيديهم : ساقطة من ب، ج، د .

٤) سوءا : شرا أ، د ؛ سواء ب :

٥) يتهموهم : يتوهموهم ج ؛ يتهموا آراءهم د .

٦) كثيرة : كثير ب .

٧) متهمة ... باطلهم : متهمة لهم ظهر على كذبهم وتمويههم ب ؛ راكنين اليهم وحدهم متهمين وظهر لهم كذبهم وتمويههم ج ؛ متهمة لهم ظهر على كذبهم د .

٨) أنْ يؤخذ : أنْ يسترسل في أيديهم ولا يؤخذ أ .

٩) يعطونها : ينطمونها ج .

١٠) فانها : لانها د .

١١) مخطوط أ : ٩٦ ظهر س ٦–٩٧ ظهر س ١٠ ؛
مخطوط ب : ١٥٧ وجه س ٨–١٥٨ وجه س ١١ ؛
مخطوط ج : ص ١٩٣ س ١–١٩٤ س ٥ ؛
مخطوط د : ص ١٩٥ س ١٥–١٩٧ س ٥ .

أولاً : مقال مختصر في محنة الطبيب

في كتاب « المنصوري » يعالج الرازي موضوع محنـة الطبيب بشيء من الإيجاز ، فنجده يمتدح الطبيب المستغرق في مهنته الذي يقرأ الكتب ويداوم على الاطلاع ، ويمتدح الطبيب الذي يقرأ في وقت الفراغ ايضاً. ثم يحدد مستوى عقلياً لاختيار من يليق بدراسة الطب فيجب أنْ يتوفر لطالب الطب ان يقرأ الكتب ويفهم مكنوناتها ، واما الذين لا يفهمون مـا يطالعونه فلم يبلغوا المستوى الذي يؤهلهم لدراسة الطب .

ويجب أنْ يكون الطبيب قادراً على البحث في الكتب ، دائم الاتصال بالفلاسفة والمفكرين. وكل هذه الصفات لازمة حتى يتمكن الطبيب من الجزء النظري في الطب — والجزء النظري هو الاساس ، لا في مهنة الطب وحدها بل في جميع المهن على حد سواء . والطبيب الفاضل هو الذي يكون مبرّزاً في كلا الجزئين النظري والعملي. وقد يمكن التسامح مع الطبيب اذا كان مقصراً في الجزء العملي ، ولكنه يقول: ان من عدم تعاليم الاطباء الأولين ولم يعرف ما جاء في كتبهم ما استحق ان يمارس الطب — لان في دراسة كتب الاقدمين تحصيل لمجهودات ألوف من الاطباء اجتهدوا ألوفاً من السنين ، فيصبح الطبيب كأنه قد عمّر كل تلك السنين وسمي كل تالك السمايات. ويعود الرازي فيؤكد ان ممارسة الصنعة هي خير معين لاكتساب الخبرة والمهارة ويثق في خبرة الطبيب الذي يعالج المرضى في المدن الكبيرة المزدحمة بالسكان والموبوءة بالامراض . ولا يغفل في مقـاله الجانب الانساني من الطب ، فيمتدح الطبيب الذي يسعد بتخفيف آلام المرضى .

والآتي نص مقال الرازي في محنة الطبيب ، كما وصفها في كتابه المنصوري ، ننشره باللغة العربية لاول مرّة ، ونشير الى انه سبق ترجمته الى الانجليزية عن اللغة اللاتينية[1].

---

(1) انظر : J. Friend. *The History of Physick*, op. cit., II, 60-64 ; W. A. Greenhill, 'A *Treatise on the Small-pox and Measles*', op. cit., pp. 78-80.

« في محنة الطبيب »

« ينبغي أن يُنظر فيماذا[١] أفنى[٢] الطبيب[٣] ما مضى من زمانه[٤]، وما همته اذا انفرد[٥] وخلا[٦] . فان كان أفنى[٧] دهره بتصفح كتب الأطباء والطبيعيين، وكانت[٨] همته اذا خلا[٩] النظر فيها، فليحسن الظن به[١٠] ؛ وان[١١] كان انما أفنى ما مضى من عمره[١٢] في شيء غير ما ذكرنا[١٣]، وكانت همته اذا خلا[١٤] الاشتغال باللهو والشراب ونحو ذلك[١٥]، فليسئ الظن به[١٦] . ومَن كان يدمن النظر في الكتب[١٧]، فينبغي ايضاً أن يُنظر في[١٨] مقدار عقله وفطنتـه، وهل[١٩]

١) فيماذا : في ماذا ب د ؛ فيما اذا جـ .
٢) أفنى : أفنا ب ، د .
٣) الطبيب : المتطبب د .
٤) ما مضى من زمانه : ماضي زمانه ب ، د ؛ أيامه جـ .
٥) انفرد : تفرد جـ .
٦) وخلا : وحده د .
٧) فان كان أفنى : فان أفنا د .
٨) كانت : كان أ .
٩) خلا : خلي ب .
١٠) الظن به : به الظن جـ .
١١) وان : فان جـ .
١٢) ما مضى من عمره : عمره أ ؛ ما مضى عمره ب .
١٣) في شيء غير ما ذكرنا : في غير ذلك أ .
١٤) خلا : الا أن اذا خلي ب ؛ اذا أخلا النظر فيها و جـ ؛ الآن اذا خلا د .
١٥) نحو ذلك : نحوها ب ؛ نحوهما جـ ، د .
١٦) فليسئ الظن به : فليساء الظن به أ ؛ فليساء الظن ب ؛ فليسوء به الظن جـ ، د .
١٧) يدمن . . . الكتب : منهم ينظر في الكتب أ .
١٨) في : الى أ .
١٩) وهل : هل ب .

جالس المتكلمين والمتناظرين[١] ، وهل له قوة في البحث والنظر أم لا[٢] . فان كان قد أطال صحبة هؤلاء القوم[٣] ، واكتسب[٤] منهم حظًا من القوة على البحث والنظر[٥] ، فينبغي ان يُنظر أهو ممن يفهم ما يقرأ أو بالضد[٦] ؛ واذا كان ممن يقرأ الكتب ويفهمها[٧] ، فينبغي أن يُنظر هل شاهد المرضى[٨] وقلّبهم ، وهل كان ذلك[٩] منه في المواضع المشهورة بكثرة الأطباء[١٠] (١٠٠ وجه) والمرضى ، أم لا ؟ فمن اجتمعت له هاتان الخلتان[١١] ، فهو فاضل[١٢] ؛ فأما من نقصته[١٣] احداهما[١٤] ، ولأن يكون النقصان في المشاهدة خير[١٥] بعد ان لا[١٦]

١) المتناظرين : الناظرين ب ؛ المناظرين ج .

٢) وهل له ... أم لا : وهل له نظر في كتب المتفلسفين وهل له قوة في البحث والنظر أم لا ب ؛ وهل قوله في البحث والنظر أم لا ج .

٣) فان كان ... القوم : فان كان قد أطال صحبتهم أ ؛ فان كان قد أطال صحبته هؤلاء القوم ب ؛ وان كان قد طالت صحبته هؤلاء القوم ج ؛ فان كان أطال صحبة هؤلاء القوم د .

٤) واكتسب : فاكتسب أ ؛ واكتسبه د .

٥) والنظر : ساقطة من ج .

٦) أهو ممن ... أو بالضد : ساقطة من أ ؛
أهو ممن يفهم مما يقرو أو بالضد ب ؛
هل هو من يفهم ما يقرأ أو بالضد ج ؛
هل هو ممن يفهم ما يقرأ أو بالضد د .

٧) واذا كان ... ويفهمها : ساقطة من أ ؛ فاذا كان مما يقرأ الكتب ويفهمها ج .

٨) و : أو أ .

٩) ذلك : ذاك ب ، د .

١٠) بكثرة الاطباء : بكثرة من الاطباء ب .

١١) الخلتان : الخصلتان ب .

١٢) فهو فاضل : فهو عالم فاضل أ .

١٣) نقصته : يقصد ج .

١٤) احداهما : احديهن أ ؛ احديها ب ، د .

١٥) فلأن ... خير : فلأن يكون النقصان في المشاهدة أ ؛ فلا يكون النقصان في المشاهدة د

١٦) ان لا : الا ج .

يكون لها عديما البتة[١] بل يكون معه صدر منها أصلح من أن يكون عادما لما في كتب الاوائل من العلم[٢] . الا ان بقليل[٣] المشاهدة والنظر يبلغ من[٤] قد عرف ما في الكتب[٥] وتصورها ما لا يبلغ كثير[٦] ممن[٧] لم يعرف ما في[٨] الكتب ولم يتصورها[٩] . فأما[١٠] من تعاطى[١١] هذه الصناعة ، وكان[١٢] أميا أو عاميا ؛ لا يفهم الكلام ولم يجالس أهله ، فلا[١٣] ينبغي أن يوثق[١٤] بمعرفته ، بل لا ينبغي[١٥] أن يظن أن[١٦] عنده خيرا[١٧] ، لان هذه صناعة لا يمكن الانسان

١) لها عديما البتة : عديما البتة ب ؛ عديما لها البتة د .

٢) بل يكون . . . العلم : بل معه منها صدر صالح من ان يكون في تعلم ما في كتب الاوائل ب ؛ يكون عديما لما في كتب الاوائل من العلم ج ، بل معه منها صدر أصلح من ان يكون ممن يعلم مما في كتب الاوائل د .

٣) الا ان بقليل : لان قليل أ ، ج ، لان بقليل د .

٤) من : عن أ ، لمن د .

٥) الكتب : كتب الاوائل ج .

٦) كثير : بكثيرها من العلم ب ، بكثيرة د .

٧) ممن : من ب ، ج ، د .

٨) ما في : ساقطة من أ .

٩) (ولم يكن حاله في نفسه هذه حال لكنه قد يستحب ممن حالته هذه صحبة طويلة وان كان تعليمه في المواضع المشهورة بكثرة الاطباء والامراض) : زائدة في د .

١٠) فأما : وأما أ .

١١) تعاطى : كان متعاطي ب ، ج ؛ كان من تعاطى د .

١٢) وكان : ساقطة من ب ، ج ، د .

١٣) فلا : ولا ذ .

١٤) يوثق : يوفق ج .

١٥) لا ينبغي : ساقطة من أ .

١٦) ان : ساقطة من ب .

١٧) خيرا : خير ب ، خير البتة د .

الواحد[١] اذا لم يحتذ[٢] فيها على مثال من تقدمه[٣] ان يلحق فيها[٤] كثير شيء، ولو أفنى جميع عمره فيها[٥]، لان مقدارها أطول من مقدار عمر[٦] الانسان بكثير[٧]. وليست[٨] هذه الصناعة فقط، بل جل[٩] الصناعات كذلك، وانما[١٠] أدرك من أدرك[١١] من هذه الصناعة[١٢] الى هذه الغاية، في ألوف من السنين[١٣]، ألوف[١٤]، من الرجال، فاذا اقتدى المقتدي أثرهم[١٥]، صار دركهم كلهم له[١٦] في زمان قصير[١٧]، وصار كمن قد عمّر تلك السنين[١٨]، وعنى بتلك[١٩] العنايات.

١) الانسان الواحد : الواحد من الناس أ .
٢) يحتذ : يتحد يحتذ ب ؛ يحتذي ج ؛ يمكن يجد فيها د .
٣) على مثال من : أثرا من ب، أثر من ج، د .
٤) فيها : منها ب، ج .
٥) أفنى . . . فيها : أفنى فيها جميع عمره ج .
٦) عمر : عمره ج .
٧) بكثير : كثيرا ج، د .
٨) وليست : وليس أ، ب، د.
٩) جل : كل د.
١٠) انما : أنا ج .
١١) أدرك من أدرك : أدرك ج .
١٢) الصناعة : الصناعات ج .
١٣) في . . السنين : في ألوف الوف سنين ب ؛ في الوف السنين ج ؛ في ألوف من سنين د .
١٤) ألوف : الوفا د .
١٥) فاذا . . . أثرهم : ساقطة من ب ؛ فاذا اقتفى المقتفي أثرهم ج ؛ فاذا اقتفا المقتفي أثرهم د .
١٦) صار . . . له : صار قد أدركهم كلهم أ ؛ ساقطة من ب ؛ فصار دركهم كلهم له د .
١٧) في زمان قصير : ساقطة من ب .
١٨) وصار . . السنين : ساقطة من ب ؛ وصار كمن عمر تلك السنين من ألوف الرجال ج .
١٩) بتلك : تلك أ، ج، د .

وان هو لم ينظر في ذكورهم[١] ، فكم عساه[٢] يمكنه[٣] ان يشاهد[٤] في عمره ؟ وكم مقدار ما تبلغ تجربته واستخراجه ، ولو كان أذكى الناس وأشدهم عناية بهذا الباب[٥] . على ان من لم ينظر في الكتب ، ولم يفهم[٦] صورة العالم في نفسه قبل مشاهدتها ، فهو وان شاهدها[٧] (١٠٠ ظهر) مرات كثيرة ، أغفلها ومر بها صفحاً ولم يعرفها البتة[٨] »[٩] .

ثانياً : نص كتاب « محنة الطبيب وتعيينه » : أحد كتب الرازي التي كانت في حكم المفقودة .

يسهب الرازي في وصف محنة الطبيب ، فيبتدئ بجمع مقتطفات من بعض كتب جالينوس ، ككتاب « محنة الطبيب »[١٠] ، وكتاب « أنّ الطبيب الفاضل

١) وان . . ذكورهم : وان لم يكن ينظر في ذكر كتبهم ب ؛ وان لم ينظر في ذكرهم ج ؛ وان لم ينظر في ذكورهم د .

٢) عساه : عسى ج ، عسى تراه د .

٣) يمكنه : تراه يمكن ب ؛ ج ، يمكن د .

٤) يشاهد : يشاهده د .

٥) ولو . . . الباب : ولو كان من أعقل الناس وأذكاهم ب ؛ ولو كان من أغنا الناس وأذكاهم ج ، د .

٦) يفهم : نفهم ج ؛ نفع د .

٧) فهو . . . شاهدها : وهو ان يشاهدها د .

٨) أغفلها . . . البتة : كمن لم يعرفها البتة أ ؛ أغفلها ومرت بها صفحاً ولم يعرفها البتة ب .

٩) مخطوط أ : ٣٩ وجه س ٢٥–٣٩ ظهر س ٢٦ ؛
مخطوط ب : ٩٩ ظهر س ٥–١٠٠ ظهر س ١ ؛
مخطوط ج : ص ١٢١ س ٤ – ص ١٢٢ س ٥ ؛
مخطوط د : ص ١٢٠ س ١٥ – ص ١٢٢ س ٤ .

١٠) هذا الكتاب محفوظ في مخطوط بمكتبة البلدية بالاسكندرية (رقم ٣٨١٣ ج) . وجاء ذكر هذا الكتاب في : الفهرست ص ٢٩١ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٠ س ٩ ؛

يجب ان يكون فيلسوفاً » ، وكتاب « أجزاء الطب »[1] ، وكتاب « أيام البحران »[2] ، ثم ينقل فقرات من كتاب بقراط « في الطب القديم »[4] ، ومن كتب اليهودي (أي ماسرجويه) ، ويوحنا بن ماسويه ويختم هذه المقتطفات مبدياً رأيه الخاص حيث يتفق مع جالينوس في تحديد خطوات الامتحان،مبتدئاً بالجزء النظري ، ومتبوعاً بامتحان في الجزء العملي ، اذا نجح الطالب في الجزء النظري،أما من يرسب في هذا الجزء فلا داعي لاكمال امتحانه العملي. ويكتب الرازي مقتبساً من جالينوس أسماء بعض المواد التي يُمتحن فيها الطالب ، فيذكر علوم الفلك ، والتشريح ، وتشريح الاحياء ، والصيدنة ، ولكنه حينما يسجل رأيه الخاص يرى أن الصيدنة من المواد التي يجمل بالطبيب الالمام بها وقراءتها وقت الفراغ ، ولا يمكن اعتبارهــا جزءاً من اجزاء الطب . ويشير الى ان الطبيب يمكنه ان يمارس مهنته،حتى ولو جَهِل صفات الادوية وخواص الاعشاب؛ واما معرفته بأفعال هذه في الجسم ، فأمر لازم لا بد منه ، وجزء لا يتجزأ من المنهاج الطبي. ويقدم بعد ذلك طائفة من الاسئلة التي يرى أن ينهج الممتحنون على منوالها ، ويهاجم أسئلة تافهة مؤكداً أنّ الممتحنين أنفسهم لن يقدروا على اجابتها ، ولو أنهم أسهبوا في كتبهم في ذكر أمثال هذه الأمور التي لا نفع ولا طائل وراءها ؛ فمثلاً يقول : لماذا يُسأل الطالب في التمييز بالنبض بين الذكور والاناث ، او بين الصبيان والرجال والنساء والخصيان ؟ ولماذا يُسأل الطالب في التمييز بين أبوال الحيوانات والمياه المشابهة لها لوناً ؟ ان التمييز بين هذه يكون بحاسة الذوق أو الشم، وعادة لا يشم الطبيب البول ولا يتذوقه. فكيف

---

١) الفهرست ص ٢٩١ س ٣ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٠ ؛ ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٩٩ س ٢٩

٢) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٩٧ س ٥

٣) الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٨ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٩٣ س ١٧

٤) حقق النص اليوناني مع ترجمة انجليزية لهذا الكتاب :

W.H.S. Jones, *Hippocrates, with an English translation*, The Loeb Classical Library. London and New York, 1923, I, 12-63.

نلومه ان هو أخطأ في الحكم بينها ، معتمداً على حاسة البصر ؟ ان مهنة الطبيب ترمي الى ما هو أشرف من هذه الامور الرخيصة . والاسئلة الهامة عن البول تتلخص في الحكم على انواع العلل من مظاهر الابوال المختلفة كانواع الرسوب ، وأصناف قوام البول ، وألوان البول ، وشفوفته أو عكارته ، وما تدل عليه كل واحدة من هذه من الاستدلال على الاعضاء المصابة. ومن المهم ان يكون الطبيب عارفاً بالبول : ما هو ؟ ومن أين يأتي ؟ وكيف يتلون ؟ وأما في النبض فيجب أن يكون الطبيب ملماً تام الالمام بخصائص النبض الطبيعي، فيميز بين النبض الضعيف والقوي ، ويعرف الصلب من اللين . ويعتبر الرازي أمثال هذه الاسئلة في البول والنبض عاملاً محدداً في منح الاجازة الطبية — ثم ان هناك أسئلة اخرى في النبض من الاجابة عليها يظهر فضل الطبيب وامتيازه، ومدى خبرته العملية . ويوصي الرازي بضرورة الامتحان في علامات الامراض المتشابهة التي كثيراً ما يختلط على الطبيب تشخيصها ، كمرض القولنج وأوجاع الكلي ، ثم ذات الجنب وذات الرئة ، ثم الاسهال الناتج عن مرض الكبد والاسهال الذي سببه قروح الامعاء ، واصناف نفث الدم ، وهلم جرا. ويوصي بالامتحان في نظريات الامزجة والاخلاط . وكطبيب اكلينيكي محنك لا يغفل امتحان الطبيب في انواع الحميات البسيطة والمركبة ، وفي اصناف الحميات، وفي علامات الامراض ، وفي هيئة الاعضاء في حالات الصحة والتغييرات التي تطرأ عليها في الامراض، وفي أزمان الامراض ، وفي البحران وأيامه ، وفي تدبير المريض وطريقة تغذيته. ويصرح بأن علاج المريض بالادوية والعقاقير مع تجنب اجراء الجراحات ، اذا أمكن ، لدليل على فضل الطبيب وعلمه .

ويميز الرازي في كتابه طريقة امتحان أصحاب القياس من طريقة امتحان أصحاب التجربة ؛ فيقرر أن امتحان اصحاب القياس يجب أن يكون بتدقيق أكثر من الناحية النظرية ، وليشتمل على اسئلة في الجدل والكلام والحجاج ، وعلى أسئلة في المنطق وفي العلوم الطبيعية . وعلى ذلك فالرازي يرى تشييد صرح الطب على اساس متين من الفلسفة الاستقرائية ، فيسبق علماء الغرب في هذا المضمار بقرون عديدة[1] .

(١) قد عزا علماء الغرب شرف استخدام الفلسفة الاستقرائية (Inductive philosophy)

واما اذا لم تجتمع المؤهلات المختارة لشخص واحد ، فيقترح الرازي بأن يُعيّن لرسم سياسة الطب في المارستان طبيبان ، أحدهما طبيب قياس ، والآخر طبيب تجربة . ثم يضيف أن القرارات التي تتخذ في شئون الطب يجب ان تكون نتيجة لاتفاق توصياتهما ؛ واما اذا اختلفا في موضوع ما ، فتعرض نقط الخلاف على لجنة من الاطباء اصحاب التجربة ، وتقبل قرارات هذه اللجنة اذا اتخذت بالاجماع . ويعتقد أن أصحاب القياس والنظريات قد يكونون معرضين للخطأ اكثر من اصحاب التجربة . ويؤازر الرازي أصحاب التجارب حينما يقرر تعيين أحدهم اذا اضطر الى تعيين طبيب واحد ، ولم تتوفر الصفات المطلوبة في طبيب القياس .

ويعدد الرازي صفات الطبيب الذي يراه نموذجياً ، وفي قوله ما يشعر بأنه كان — عن غير وعي — يتكلم عن صفاته الخاصة كطبيب . يقول الرازي : « وهذا الرجل هو الطبيب الفاضل ، ولا يكاد يخفى أمره ، لانه يرى دائماً نصباً تعباً في النظر والبحث تارة ، وفي مزاولة العمل أخرى ، ولا يهمه شيء غيره ، ولا يلتذ الا به ، ولا يقوم من أغراض الدنيا عنده مقام ما آثره ومال اليه[1] » .

والى القارئ نص كتاب محنة الطبيب للرازي ننشره لاول مرّة ، ورأى الرازي في المحنة محقق من مخطوطين .

في دراسة العلوم الى العالم الانجليزي فرانسيس باكون (القرن السابع عشر الميلادي) ، وفي الحقيقة يرجع هذا الشرف الى جالينوس الذي سبقه بما يقرب من ألفين من السنين .

انظر : F. Adams, *The Seven Books of Paulus Aegineta, Translated from the Greek ; with a commentary*, The Sydenham Society, London, 1844, I, p. XI.

(١) ص ٥١٠–٥١١ فيما يلي .

« في محنة الطبيب وتعيينه »

من « محنة الطبيب » .

« قال: الاعمال التي يُمتحن بها ، متى رأيت الطبيب يبرئ بالادوية الادواء التي تُعالج بعلاج الحديد ، مثل الخُراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير، (٢١١ وجه) واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد ، والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تعرى[1] من اللحم . فمتى أجاد[2] الطبيب جميع هذه ، ولا يحتاج في شيء منها الى البط والقطع، إلا أن يدعو[3] الى ذلك ضرورة شديدة ، احمد معرفته . واحمد ايضاً من يعالج بالادوية الظفرة ، والجرب ، والبَرَدة ، والماء ، والبَرَد ، والنواصير ، والشعر ، وزيادة لحم الاماق ونقصانه . واحمد من يحلّل المِدّة ، ويسكن النتوء في العين حتى يرجع . ومن يبرئ داء الفيل، ويفتت الحجارة ، ويحلل الحجارة التي في المفاصل ويمنع تولدها ، ومن يبرئ الوجع الصلب الجاسي في المفاصل ، والقروح السرطانية ، والوسواس ، والنواصير، والقروح الردية ، والنِقرس ، وعرق النسا ، والصرع ، والفالج ، والاسترخاء ، والصداع المسمى بيضة ، والشقيقة ، والسُدد ، والمِدّة المحتبسة في فضاء الصدر ، والربو ، ونفث الدم عن الرئة ، وزلق الامعاء وقروحها ، والدُبيلات ، والاورام الكائنة في الاحشاء . فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ جميع هذه بالادوية والتدبير .

قال :

والطبيب الحاذق يقدر أن يعالج بدواء واحد عللاً كثيرة ، فانه يمكنه ان يبرئ بالمرداسنج القروح ، وان ينبت به اللحم ، وان يُدمل به ، بأن يخلط شيئاً بعد شيء، في حال بعد حال. ويمكنه اذا لم يجد أدوية في القرى والعساكر،

١) تعرى : يتعدى .

٢) أجاد : حان .

٣) يدعو : يدعوا .

أن يستبدل بها أشياء هينة موجودة ، فلا ينبغي ان يحمد اذا برئ على يديه أمراض ردية (فقط).

الرابعة من السابعة — « أبيديميا » .

قال :

ينبغي أن يكون الطبيب نظيفاً في بدنه ، ووجهه ، وشعره ، وسائر أعضائه ، وتكون ثيابه نظيفة .

اليهودي — المقالة . (٢١١ ظهر) .

قال :

ينبغي ان يكون الطبيب باشا ، حسن المنطق ، طلقا ، ولا يكون عبوسا ، ولا عجولا متهورا ، ولا شرها إلى المال ، ويكون له البيان ، وهيئته[١] حسنة في خلقته[٢] وزينته . ويكون كهلا في السن ، رحيما بالمرضى ، متحننا عليهم ، حافظا لسر يطلع عليه ، فان قصد انسانا أو سقاه دواء حضره .

المقالة الاولى من « أيام البحران » — في آخرها قال :

من قرأ كتب بقراط ولم يخدم أفضل ممن خدم ولم يقرأ[٣] كتب بقراط.

وقال :

انه لما عالج الخيالة ، وهو ابن ثمانية عشر ، لام مولاه على ذلك الملك ؛ فقال مولاه :

رأيت ما أفناه هذا الشاب من عمره في الإكباب على صنعته ، اكثر مما أفناه أولئك المشايخ ، وانه لما عالجهم ، برئ على يديه من لم يبرأ[٤] على يدي أولئك[٥] .

---

١) هيئته : هيه .
٢) خلقته : حلفه .
٣) يقرأ : يقر .
٤) يبرأ : يبر .
٥) رأيت ... أولئك :
« اني رأيت الايام التي أفناها هذا الرجل في التعلم أكثر من الايام التي أفناها غيره من المشايخ الاطباء في تعلم هذا العلم » .
ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٨٠ س ١٩–٢٠

وقال في الرابعة من السادسة :

ينبغي ان لا يكون الطبيب فظا غليظا حتى يبغضه المريض ، ولا يكون ملقا خدوما حتى يتهاون به ؛ لكن يكون له من الجلالة في عين المريض ما لا ينقصه[١] ، ويساعده في بعض الاحوال طالبا لمساعدته والتقرب من قلبه ، حتى يصير بين الحالتين .

واستعن بهذه المقالة ، فان فيها اشياء يجب أن يستعان بها .

من « محنة الاطباء »

قال :

قد يمكن ان يتعلم الانسان هذه[٢] الصناعة ، ثم لا يرتاض فيها على ما ينبغي ؛ أعني تعاهد[٣] خدمة المرضى ، فيقصّر عمّا يبلغه المرتاض ؛ واما من لم يتعلمها[٤] ، أعني من الكتب[٥] ، فليس يمكنه ان يرتاض في تعرّف ذلك في المرضى ، وأما من قرأ ذلك فخليق ان يصيب الاوقات التي ينبغي ان يستعمل فيها كل واحد من هذه .

قال : (٢١٢ وجه)

واسأله[٦] أين ذكر بقراط وغيره الاشياء التي تدل على تقدمة المعرفة وصواب العلاج ، فان ذكرها فاسأله[٧] عن مخالفة القدماء بعضهم لبعض ، وموافقتهم .

قال :

فأول ما تسأله[٨] عنه التشريح ، ومنافع الاعضاء ، وهل عنده علم بالقياس، وحسن فهم ، ودراية في معرفة كتب القدماء ؟ فان لم يكن عنده ذلك ، فليس بك حاجة الى امتحانه في المرضى ؛ وان كان عالما بهذه الاشياء ، فأكل

١) ينقصه : يبغضه .
٢) هذه : لهذه .
٣) تعاهد : يتعاهد .
٤) يتعلمها : يستعملها .
٥) الكتب : الكتب فيه .
٦) اسأله : اسله .
٧) فاسأله : فاسله .
٨) ما تسأله : متى يسله .

امتحانه[١] حينئذ في المرضى ، فتى رأيته يدري ، ففي الادوية[٢] .

لي :

قد حقق جالينوس ها هنا ، وقدم الجزء النظري ، وزعم أنه لا يكون طبيباً إلّا به .

من كتابه « في أن الطبيب الفاضل فيلسوف » .

قال :

ويحتاج الطبيب أن يعرف الهندسة ، والنجوم ، وإلّا لم يعرف تقسيم[٣] الأزمنة ، وحال البلدان . ويحتاج ان يعرف المنطق ، وإلّا لم يُحسن أن يُقَسِّمَ أجناس الامراض الى انواعها ، ولا يعرف صواب من أصاب ، وخطأ من أخطأ مما[٤] قد تريد به من مختلفين . ويحتاج ان يعرف تَقْدِمَةَ المعرفة ، ويحتاج ان يكون متكلماً حسن العبارة ، وينبغي أن يكون دَرِباً بكتب بقراط ، فَهِماً بها .

قال :

وليس يمنع من عُني في اي زمان كان ان يصير أفضل من بقراط ، ولا يمكن (ذلك إلا بـ) ان يتدرب ، بهذه الصناعة المرضة[٥] بالسهرات .

وقال : ان بقراط . . .[٦]

من « اجزاء الطب » .

قال :

لا يمكن ان تعالج علاج صواب حتى تعرف تركيب البدن ، وذلك يُعرف من التشريح ، ويُعرف من البحران وايامه ، والمزاج ، والاسطقسات ، ومنافع

١) فاكمل امتحانه : فامتحنا كماله.
٢) ففي الادوية : بالادوية.
٣) تقسيم : بم .
٤) مما : مم .
٥) المرضة : المرض .
٦) غير واضح وشكله : طلبه اردشير بن مابكان .

الاعضاء ، وتشريح الاحياء[1] ، (٢١٣ ظهر) والقوى الطبيعية ، وهذه كلها مقدمة للشفاء .

بقراط من كتابه « في الطب القديم » .

قال :

يحتاج الطبيب الى تعلّم طويل ، وطلب حثيث ، حتى لا يكون خطوه[2] الا يسيرا ، وانّا لنمدح الطبيب القليل الخطأ ، لان الصواب في هذا العلم عسر اصابته .

من « محنة الطبيب » .

قال :

انظر أولا بماذا أفنى عمره ، إما بقراءة كتب[3] الطب والتجربة ، أو بالاشتغال بغير ذلك ، وما حاله فيما الآن ، وهل يشتغل[4] اذا خلا بالقراءة ، او التجارب ، وكيف همته وحبه لذلك . (فان كان) انما يميل[5] اذا خلا الى اللهو والشرب ، فلا تعبأ بامتحانه .

قال :

ومحنته بالكلام ، يحتاج ان يكون المُمْتَحِنُ له دَرِباً ، عالما بالكلام والحجاج ، فأما امتحانه بالعمل فهيّناً لمن لم يكن كذلك .

باقي « محنة الطبيب » : خلقه[6] ، وزيه ، وسائر ما يحتاج اليه الطبيب وان[7] يكون عليه ، وسيرته في معاملته للناس .

مخطوط (هـ) ورق ٢١٢ ظهر س ١٢ ؛

(و) ورق ٢٢٤ وجه س ٥ .

---

١) الاحياء : الاحياء والمزاج
٢) خطوه : خطاوه .
٣) بقراءة كتب : لقراءة لكتب .
٤) يشتغل : يعمل .
٥) من يميل : يميل .
٦) خلقه : وخلقه .
٧) وان : ان .

قال محمد بن زكريا[١] :

لست أرى أن الإغراق في وصف محنة الطبيب، كما وصفه قوم كثير، نافع للممتحن ولا الممتحن . وذلك ان الذي يروم من الطبيب ان يبيّن له بالنبض بين[٢] الرجال والنساء ، والخصيان ، والصبيان ، قد طلب امرا غير ممكن في الاكثر ، وجاوز الحد الذي يحتاج الى معرفتـه الطبيب في امر النبض . وانا اعلم يقينا انه لو[٣] امتُحن ابن ماسويه ، الكاتب هذا في كتابه لهذه[٤] المحنة لكان[٥] حيرته فيها اشد واكثر من حيرة الاعمى في التفرقة[٦] بين الاشياء التي تُدرَك بآلة البصر . وجملة (ما) اقول[٧] : ان هذا شيء لا يصغي اليه عاقل بتة ، وليس في صناعة الطب[٨] — ولو استُغرقت كَمَلًا بمقدار طاقة الانسان — ذلك على تحقيق البتة ، اللهم الّا بحدس (٢١٣ وجـه) ضعيف لا يجوز لمتقف[٩] ان يطلق به لسانا او يعقد عليه ضميرا . فانك قد تجد نساء كثيرات[١٠]، نبضهن[١١] اعظم من نبض رجال كثيرين، وكذلك تجد خصيانًا في مثل هذه الحال . واما[١٢] نبض الصبيان ، فانه لا يحتـاج ان يُعرَف ، اذ[١٣] كان جس ابدانهم ليس[١٤] يخفي على ذي حاسة ، فذكره فضول من[١٥] هذا القول ، وهذر لا يحتاج اليه ، ولا ينفع[١٦] بحثه . وكذلك[١٧] ارى ان الممتحن للطبيب بالتفرقة بين[١٨] ما . الانسان وبعض المياه التي[١٩] شبهت به ، جاهل : وذلك ان الطبيب

---

١) قال محمد بن زكريا : محنة الطبيب لابن زكريا و .
٢) بين : الفرق بين و .
٣) لو : ان و .
٤) لهذه : بهذه و .
٥) لكان : كانت و .
٦) التفرقة : التفريق و .
٧) اقول : قول و .
٨) وجملة (ما) اقول . . . الطب ساقطة من ه .
٩) لمتقف : لمتوقي و .
١٠) كثيرات : كثير ه ، كثيرين و .
١١) نبضهن : نبضهم ه ، و .
١٢) واما : فأما و .
١٣) اذ : اذا ه .
١٤) ليس : لا و .
١٥) فضول من : فضل من فضول و .
١٦) ينفع : نفع ه ، و .
١٧) وكذلك : فلذلك ه ، ولذلك و .
١٨) بالتفرقة بين : بين التفرقة بين و .
١٩) التي : الذي قد و .

ينظر في[1] الماء — في الاكثر — الى اللون ، والقوام[2] ، وما ينحل منه[3] بحس البصر . ولا يذوقه ولا يشمه في الاكثر ، فاذا شبه عليه في الباب الذي منه ينظر فقد[4] برئ من اللائمـة[5] . وليس في غاية هذا العلم ايضاً[6] التفرقة بين البول من جميع الاشياء المشبهة له[7] نظراً ، وأرى[8] الذين كتبوا في التفرقة بين هذه[9] ، وراموا ان يثبتوا[10] ذلك ويحددوه ، جهال بهذه الصناعة . والذي يحتاج ان يمتحن به الطبيب من النبض ، ان يفرق بين القوى والصلب ، وبين الصغير والعظيم[11] ، وبين الضعيف والقوي[12] ، وبين المستوى والمختلف ، وان يحس بالتغاير العظام التي تحدث[13] . ويمكنـه ان يحفظ صورة النبض الطبيعي مما[14] قد اكثر (٢٢٤ ظهر) جسه في نفسـه[15] ، ويخبر عن تغيره ، اذا حدث فيه تغير عظيم .

فهذا قدر لا بد منه ، ولا يكون طبيبا البتة الّا به[16] ، وله[17] بعد من الفضل فيه ابواب كثيرة ، وينبغي ان يمتحن فيه[18] رجل عالم بالنبض . واما في الماء ، فان[19] يكون عارفا بالرسوب وانواعه[20] ، والقوام والالوان ، وعلى ماذا تدل في الاكثر — مما قد علم بالتجربـة والقياس ، (٢١٣ ظهر) نحو العلم[21] بأن[22] مياه الفاسدي المزاج على الاكثر وسخة غليظة ، مشبهة لمياه[23]

١) في : من و .
٢) في الاكثر . . . القوام : في اكثر الامر الى لونه وقوامه و .
٣) ينحل منه : يتخيل به و .
٤) فقد : قد و .
٥) اللائمة : الملامة و .
٦) ايضاً : ساقطة من و .
٧) له : ساقطة من ه .
٨) ارى : ان ه .
٩) هذه : هذا ه .
١٠) يثبتوا : يبينوا و .
١١) العظيم : الصغير ، ولعلها الضعيف .
١٢) وبين الضعيف والقوي : ساقطة من ه .
١٣) تحدث : تحس وتحدث و .
١٤) مما : مم ه .
١٥) جسه في نفسه : جس نبضه في نفسه و .
١٦) ولا يكون . . . الا به : ولا طبيب فيه الا به و .
١٧) وله : ولا و .
١٨) فيه : منه ه ، و .
١٩) فان : فانه ه .
٢٠) بالرسوب وانواعه : بانواع الرسوب و .
٢١) نحو العلم : ساقطة من و .
٢٢) بأن : ان و .
٢٣) لمياه : بأمواه و .

الحبالى. وان الماء الابيض الرقيق دال على عدم النضج في الاكثر ، وقد يكون له اسباب غير هذه. وان الرسوب منه ما يدل على الكلى ، كالرمل الاحمر وقطع اللحم ، ومنه ما يدل على المثانة ، كالخراز في الماء[1] ، ومنه ما يدل على حركة[2] كالمِدّة ، ومنه ما يدل على خلط نيّ كالرسوب الخامي : وفي التفرقة بين المِدّة والخام[3] ، والرسوب[4] المنذر بطول المرض وسلامته ، والمنذر بالخير والشر . وكذلك[5] تسل في القوام ، واللون ، والطعم ، والريح. وعن البول : ما هو ؟ ومما ينفصل ؟[6] ومن اين يأخذ الصبغ ؟[7] ونحو ذلك مما يبقى[8] في هذا الامر من المسألة ، فان هذا مقدار لا يكون طبيبا البتة[9] الّا به ، وله بعد فضل علم كثير ، على مقداره يكون فضله في صناعته ؛ اللهم الّا ان ينتحل صناعة التجربة فقط. فان هذا ينبغي ان يسأل عمّا[10] يدل عليه وينتفع[11] به — دون سائر الاسباب .

واما[12] من انتحل القياس ، فأول ما ينبغي ان يمتحن به — هل له معرفة بالكلام والحجاج ، وما له وعليه ، واين مبلغه من ذلك ، فانه على قدر ذلك تكون قوته في التعلق[13] بالطب[14] القياسي .

---

١) الماء : المثانة و .
٢) حركة : شكله غير واضح في و ، وقد يكون جودة .
٣) اي الرسوب الخامي .
٤) الرسوب : المصوف (كذا) و .
٥) وكذلك : ساقطة من و .
٦) مما : من ماذا و .
٧) الصبغ : ذلك الصبغ و .
٨) يبقى : بقى و .
٩) البتة : ساقطة من و .
١٠) يسأل عمّا : يسئل عما ه ؛ يسأل عنه على ماذا و .
١١) ينتفع : يتبع و .
١٢) واما : فأما و .
١٣) التعلق : الملق ه .
١٤) بالطب : في الطب و .

واكثر ما ارى ان يُمتحنَ به الطبيب في الحميات ، والامراض الحادة ، والبحارين[١] وايامها ، ويسأل كيف يفرق[٢] بين انواع الحمى من اول دورها ، وكيف يميز امركبة ، فانه على[٣] قدر عنايته بذلك يكون فضله ومعرفته .

وجملة كافية ، اقول : انه ينبغي ان يوثق في الاكثر ؛ اما من يعمل على طريق التجارب ، فاكثرهم[٤] تجربة واطولهم خدمة وزمانا في الصناعة . ولا يقتصر (٢١٤ وجه) على طول الزمان فقط ، لانه يمكن ان يبلغ في الزمان القليل الذكي المجرب[٥] ، او ببعض السعايات[٦] ، ما لا يتهيأ بلوغه في الزمان الطويل ، المعروف[٧] بكثرة معاناة العلاج[٨] والمرضى ، المؤثر برؤهم على الاكتساب .

واما من يزعم انه طبيب قياس ، فاعلاهم رتبة[٩] في الكلام ، والجدل ، والمنطق ، والطبيعيات ، والتعليم[١٠] . ولا[١١] يقتصر منه على ذلك وحده ، بل يكون له مع هذا[١٢] دربة ، واحتيال كثير ، ومراعاة للمرضى[١٣] ، وخدمة كثيرة[١٤] ، حتى لا يقصر عن احد من المجربين فيما ظهر[١٥] بالتجربة ، ويفضلهم بالقياس . (٢٢٥ وجه) .

وهذا الرجل هو الطبيب الفاضل ، ولا يكاد يخفى امره لانه يرى دائما نصبا تعبا في النظر والبحث تارة ، وفي مزاولة العمل اخرى[١٦] . ولا يهمه[١٧] شيء

١) البحارين : البراهين و .
٢) يفرق : يميز و .
٣) فانه على : فانه يدل على ه .
٤) فاكثرهم : فعلى اكثرهم و .
٥) المجرب : المحدث و .
٦) السعايات : السعادت و .
٧) المعروف : ساقطة من و .
٨) العلاج : ساقطة من و .
٩) رتبة : مرتبة و .
١٠) التعليم : التعاليم و .
١١) ولا : لا و .
١٢) هذا : ذلك و .
١٣) مراعاة للمرضى : مزاولة المرضى و .
١٤) كثيرة : كثير و .
١٥) فيما ظهر : مما استظهر و .
١٦) في النظر . . . العمل اخرى : في المداواة ومزاولة المرض تارة وتارة في البحث والنظر و .
١٧) يهمه : يهمه و .

غيره ، ولا يلتذ الا به ، ولا يقوم شيء من اغراض الدنيا عنده[1] مقام ما قد آثره ومال اليه . فان لم يجتمع هذا لرجل واحــد بعينه[2] فينبغي للمعنى بأمر الطب ان يجمع رجلين: احدهما فاضل في الفن العلمي من الطب ، والآخر كثير الدربة والتجربة ، ويصدر عن اجتماعها في اكثر الامر . فان اختلفا في شيء ، فليعرض ما اختلفا فيه على كثير من اصحاب التجارب . فان اجمعوا جميعاً على ~~مخالفة صاحب~~[3] النظر = قبل منهم ، فان الشكوك المغلطة تقع على الاكثر في الفن العلمي النظري[4] ، اكثر منه في التجربة[5] . فان لم يتهيأ له الا احد هذين الرجلين ، فليختر[6] المجرب ، فانه اكثر نفعا في صناعة الطب من العاري عن الخدمة والتجربة البتة[7] .

وليمتحن بمعرفة صور العلل ، والتفريق بين بعضها وبعض[8] . مثال ذلك ان يفرق بين وجع الكلي و[9] (٢١٤ ظهر) وجع القولون[10] ، وذات الجنب من[11] ذات الرئة ، والاختلاف الذي من الكبد من[11] قروح الامعاء ، وبول الدم والمدة[12] ،ومنها[13] الذي من الاعالي من[14] الذي من الاسافل ، والفرق بين ضروب الدم الخارج من الفم بعضها من بعض ، ونحو ذلك[15] .

والتمييز بين الخراجات بعضها من بعض ، والردية[16] المزمنــة والسريعة البرء[17] ، وما قد حصل منها فيها[18] شيء ، وما[19] لم يحصل ، ولاي نوع هو

---

١) عنده : بعده و .
٢) بعينه : ساقطة من و .
٣) صاحب : ساقطة من و .
٤) النظري : ساقطة من و .
٥) اكثر منه في التجربة : دون التجربة و .
٦) فليختر : فليختار و .
٧) البتة : بتة و .
٨) بين بعضها وبعض : بعضها من بعض هـ .
٩) و : من هـ .
١٠) القولون : القولنج و .
١١) من : و في و .
١٢) الدم والمدة : المدة والدم و .
١٣) منها : مشبها و .
١٤) من : و في و .
١٥) ونحو ذلك : ونحو ذلك من التمييز و .
١٦) الردية : ساقطة من و .
١٧) البرء : البرو هـ
١٨) منها فيها : فيها منها و .
١٩) ما : من و .

الحاصل فيها ، والتفرقة بين أشكال[١] الاعضاء الطبيعية ، والاشكال الذابلة والوهنة ؛ فانه لا يكون طبيبا البتة[٢] ، حتى يكون صوابه في هذه اكثر من خطئه[٣] كثيرا[٣] . وعلى قلة خطئه[٤] ، كذلك يكون فضله . ثم ليسأل[٥] عن دلائل الامزاج[٦] امزاج الناس وامزاج الاعضاء ؛ وعن طبائع الادوية والاغذية[٧] ، فان التوسع في ذلك دال على فضله ؛ وبالضد . وكذلك فليمتحن في المعرفة بأزمان[٨] الامراض ، وتغيير العلاج في زمان زمان ، وبحسب نوع نوع ، فإن[٩] هذا مما لا يسعه ان يكون طبيبا الّا بمعرفته .

فأما امتحانه بمعرفة العقاقير ، فأرى[١٠] انها[١١] محنة ضعيفة ، وذلك ان هذه الصناعة هي بالصيدناني اولى منها بالطبيب ، الّا ان تقصر معرفته بالكثير الاستعمال منها فيدل على قلة علمه ، ومزاولته ، ودربته[١٢] . فأما المطالبة بمعرفة الغريب والنادر منها ، والفرق بين الجيد والرديء منها[١٣] ، فليس ذلك خاصا[١٤] بصناعته . ويمكن ان يكون طبيبا فاضلا مقصرا عن كثير من خلال[١٥] العقاقير في هذا الباب . وعليه ان يعرف حمى يوم من اولها في اكثر الامر ، وينذر بأنها لا تعود ، ويدخل اصحابها[١٦] الحمام ، ويأذن لهم في الغذاء ، والتصرف . ويعرف ويصيب في اكثر زمان الامراض والبحارين (٢١٥ وجه) ليمكنه ان يجمل الغذاء[١٧] بحسبه .

وان يبرئ الطبيب[١٨] بالادوية ما يعالج (٢٢٥ ظهر) بالحديد ، دليل على

١) بين اشكال : بأشكال ه.
٢) البتة : بتة و .
٣) خطئه : خطائه ه ، و .
٣) كثيرا : ساقطة من و .
٤) ليسأل : ليسئل ه ؛ يسأل و .
٥) دلائل الامزاج : الدلائل على الامزاج و .
٦) الادوية والاغذية : الاغذية والادوية و .
٧) بأزمان : في ازمان و .
٨) فان : في و .
٩) فأرى : فاني ارى و .
١٠) انها : انه و .
١١) الا ان . . . ومزاولته : ساقطة من و .
١٢) منها : ساقطة من و .
١٣) خاصا : خاص ه ، و .
١٤) خلال : غير واضح في ه وشكله خلاوي .
١٥) اصحابها : اصحابها الى و .
١٦) والتصرف . . . يجمل الغذاء : ساقطة من و .
١٧) الطبيب . . . : ساقطة من و .

فضله[1] ، وكذلك اذا ابرأ[2] الادواء الغليظة ، مثل داء[3] الفيل ، والحجارة في الكلي والمثانة[4] ، والاورام الصلبة في المفاصل[5] ، والدوالي ، والنواصير[6] — من غير كي[7] — فذلك دليل على نفاذ معرفته بالادوية ، وفضله في العلاج[8].

مخطوط (ه) ورق ٢١٥ وجه س ٥ ؛
(و) ورق ٢٢٥ ظهر س ٢ .

من « ايمان بقراط » .

الشكل الذي يحتاج ان يكون عليه الطبيب :

ينبغي ان تكون الفرج بين اصابعه واسعة ، وابهامه تقابل السبابة .

« أبيديميا » — قال .

اذا كان طبيب يطعم العليل ، ولا يشعر حتى تبتدئ بـه النوبة — فهو جاهل .

كذلك اذا ابتدأت بعده بزمان قليل ، او زمان لم يقدره .

« أبيديميا » — قال :

العلل التي ظاهرها مهول ، وباطنها هين ، فتضمنوا برءها[9] ؛ وبالضد .

قال :

واياكم وافشاء اسرار الاعلاء اذا وقفتم عليها ، فقد هلك لهـا جماعة من الاطباء . »[10]

---

١) دليل على فضله : ساقطة من و .
٢) أبرأ : برأ و .
٣) داء : ساقطة من و .
٤) في الكلي والمثانة : ساقطة من و .
٥) في المفاصل : ساقطة من و .
٦) والنواصير : ساقطة من و .
٧) كي : لي ه .
٨) في العلاج : بالعلاج و .
٩) برءها : برؤها ه .
١٠) ه ورق ٢١٠ ظهر س ١٧ — ورق ٢١٥ وجه س ١١ ؛
و ورق ٢٢٤ وجه س ٥ — ورق ٢٢٥ ظهر س ٢ .

مقارنة بعض النصوص التي جاءت في كتاب الرازي بنصوص وردت في كتاب جالينوس

محنة الطبيب للرازي	كتاب جالينوس في المحنة التي يُعرف بها أفاضل الأطباء . مخطوط ٣٨١٣ج – مكتبة البلدية بالاسكندرية
قال : الاعمال التي يُمتحن بها متى رأيت الطبيب يبرئ بالادوية الادواء التي تُعالج بعلاج الحديد؛ مثل الخراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير ، واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد ، والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تعرى من اللحم . فمتى أجاد الطبيب جميع هذه ، ولا يحتاج في شيء منها الى البط والقطع ، إلا ان يدعو الى ذلك ضرورة شديدة ، فاحمد معرفته . واحمد ايضاً من يعالج بالادوية الظفرة ، والجرب ، والبردة ، والماء ، والبَرَد ، والنواصير ، والشر ، وزيادة لحم الاماق ونقصانه . واحمد من يحلل المدة ، ويسكن النتوء في العين حتى يرجع .	فأقول : انك ان رأيت طبيباً يبرئ بالادوية الادواء التي يبرؤها المعالجون بالحديد بالقطع ، فخذ ذلك منه على ان له علماً ، وروية ، ودربة ، وحذقاً . والذي يعالجه المعالجون بالحديد هي الخراجات ، والدُبيلات ، واللوزتين ، والخنازير ، واللهاة الغليظة ، والسلع ، والغدد ، والمواضع التي تعفن من البدن ، والعظام التي تعرى من اللحم وتتسخ ، فلا ينبت عليها اللحم . فمتى رأيت طبيباً يبرئ جميع هذه الادواء بالادوية ، ولا يحتاج الى القطع الا ان تدعوه الى ذلك ضرورة شديدة ، فاحمد منه معرفته بالادوية . واحمد ايضاً من رأيته يبرئ بالادوية وحدها من ادواء العين ما يعالجه غيره بالقطع : مثل الظفرة ، والجرب ، والسبل ، والبَرَد ، والماء ، والغرب ، والنواصير ، والشر ، وزيادة لحم الماقين ونقصانه . واحمد ايضاً من رأيته قد حلل من العين مدّة محتقنة فيها بسرعة .
ص ٥٠٢ فيما سبق .	صفحة ٢٩ س ٦ – ١٨

ومن يبرئ داء الفيل ، ويفتت الحجارة ، ويحلل الحجارة التي في المفاصل ويمنع تولدها ، ومن يبرئ الوجع الصلب الجاسي في المفاصل .

ص ٥٠٢ فيما سبق .

واحمد ايضاً في معرفة الادوية ، من رأيته يبرئ بها داء الفيل ، أو رأيته يفتت بالادوية الحجارة التي تتولد في المثانة ، او في الكلي ، أو يمنع من تولد الحجارة في المفاصل أو يحللها اذا تولدت ، واحمد أيضاً من رأيته يقدر أن يبرئ الورم الصلب الجاسي في المفاصل كان ، أو في الاحشاء ، أو في العضل .

ص ٣٠ س ٣ – ٧

... والقروح السرطانية ، والوسواس ، والنواصير ، والقروح الردية ، والنقرس ، وعرق النسا ، والصرع ، والفالج ، والاسترخاء ، والصداع المسمى بيضة ، والشقيقة ، والسدد ، والمدة المحتبسة في فضاء الصدر ، والربو ، ونفث الدم عن الرئة ، وزلق الامعاء وقروحها ، والدبيلات ، والاورام الكائنة في الاحشاء . فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ جميع هذه بالادوية والتدبير .

ص ٥٠٢ فيما سبق .

ويجب عليه أيضاً أن يبرئ بالادوية مع التدبير النقرس ، ووجع النسا ، ووجع المفاصل ، ما دام لم يتولد فيها حجارة ، والصرع ، والفالج ، والاسترخاء ، والجنون العارض من السوداء والصفراء المحترقة ، والصداع الدائم المشتمل على الرأس كله ، والشقيقة ، والسدد ، والمدة المحتبسة فيما بين الصدر والرئة ، والربو ، ونفث الدم ، وزلق الامعاء ، والقرحة التي تكون في الامعاء ، أو في غير الامعاء من الجوف ، والدبيلات ، والاورام التي تكون في الاحشاء ، والتي تكون في الثديين ، فان الطبيب الحاذق يقدر ان يبرئ هذه الادواء كلها بالادوية مع التدبير .

ص ٣٠ س ١٧ – ٣١ س ٨

والطبيب الحاذق يقدر ان يعالج بدواء واحد عللاً كثيرة ، فانه يمكنه ان يبرئ بالمرداسنج القروح ، وان ينبت به اللحم ، وان يدمل به ، بأن يخلط شيئاً بعد شيء ، في حال بعد حال .

ص ٥٠٢ فيما سبق .

يقدر المتمل الدواء الواحد المفرد كالمرداسنج ، والاسفيداج ، ان يلزق به الجراحات ، ويدمل به ما يحتاج الى الاندمال ، وينقي به القروح الطيبة النور ، والنواصير ، ويسكن به عادية القروح التي معها أورام أو صلابة .

ص ٣٦ س ٩ – ١٣

قال :

قد يمكن ان يتعلم الانسان هذه الصناعة ، ثم لا يرتاض فيها على ما ينبغي؛ اعني تعاهد خدمة المرضى ، فيقصّر عما يبلغه المرتاض ؛ واما من لم يتعلمها ، اعني من الكتب ، فليس يمكنه ان يرتاض في تعرّف ذلك في المرضى ، واما من قرأ ذلك فخليق ان يصيب الاوقات التي ينبغي ان يستعمل فيها كل واحد من هذه .

ص ٥٠٤ فيما سبق .

وقد يكون ان يتعلم المتعلم هذا العلم ، ثم يتكاسل ، ويتهاون بالارتياض فيه ، والاستعمال له ، فيقصّر عما يبلغه من قد ارتاض فيه ؛ فاما من لم يتعلمه البتة، فليس يمكن ان يرتاض فيه . فان من لم يتعلم في المثل ما قال أبقراط من ان اوجاع العين يسكنها شرب الشراب الصرف ، او الحمام ، أو التكميد ، أو الفصد ، أو الدواء المسهل ، فكيف يمكنه أن يرتاض عند نفس العمل ، في الوقت الذي يحتاج فيه الى كل واحد من هذه الاشياء ؟

فاما من قد علم هذا من أبقراط ، فهو خليق بأن يجد الوقت الذي يصلح فيه كل واحد منها .

ص ١٠ (ترقيم انجليزي) س ٣-٩

وقال :

انه لما عالج المتألّة ، وهو ابن ثمانية عشر ، لام مولاه على ذلك الملك ؛ فقال مولاه :

رأيت ما أفناه هذا الشاب من عمره في الاكباب على صنعته ، اكثر مما أفناه أولئك المشايخ ، وانه لما عالجهم ، بريء على يديه من لم يبرأ على يدي أولئك .

ص ٥٠٣ فيما سبق .

قال :

اني رأيت الايام التي(١) أفناها هذا الرجل في التعليم اكثر من الايام التي(١) أفناها غيره من المشايخ الاطباء في تعلم هذا العلم .

ص ٢١ س ٧-٩

قال :

انظر اولاً بماذا أفنى عمره ، اما بقراءة كتب الطب والتجربة ، او بالاشتغال بغير ذلك ، وما حاله فيها الآن ، وهل يشتغل اذا خلا بالقراءة ، أو التجارب ، وكيف همته وحبه

فأقول : ان من أراد أن يميّز بين الطبيب الفاضل والاخس ، فينبغي ان ينظر اولا – من أمر ذلك الذي يريد ان يمتحنه – في اي شيء أفنى اكثر عمره .

أفي قراءة الكتب ومداواة المرضى ؟ أم

١) التي : الذي .

لذلك . فان كان انما يميل اذا خلا الى اللهو والشرب ، فلا تبأ بامتحانه .

ص٥٠٦ فيما سبق .

في لزوم أبواب الاغنياء ، والتطواف عليهم ، والاسفار معهم ؟ فان وجده يفعل جميع هذه الاشياء ، فليست به حاجة الى ان يمتحنه ، لانه لا يجد عنده شيئاً اكثر مما عند الشعوذي ، والبواب ، أو النديم .

ص٢٨ س ٥–١١

قال :

فأول ما تسأله عنه التشريح ، ومنافع الاعضاء ، وهل عنده علم بالقياس ، وحسن فهم ، ودراية في معرفة كتب القدماء ؟ فان لم يكن عنده ذلك ، فليس بك حاجة الى امتحانه في المرضى ، وان كان عالماً بهذه الاشياء ، فأكمل امتحانه حينئذ في المرضى ، فتى رأيته يدري ، نفي الادوية .

ص٥٠٤–٥٠٥ فيما سبق .

ويكون اول ما تمتحنه به ان تنظر هل عنده معرفة ودربة ثابتة بأمر التشريح ؟ ثم من بعد ذلك بأن تنظر هل يعلم ما فعل كل واحد من الاعضاء ومنافعه ؟ ثم انظر هل عنده طريق علم قياسي من أمر الاغذية ، وسائر التدبير ، والادوية[1] ؟

وقد ينبغي ايضاً ان يظهر لك منه فهم كتب القدماء من الاطباء ، وانه قد عني بحفظها ، فان هو لم يُعن بحفظها ، ولم يظهر لك من دربة ، وحذق بجميع ما وصفت ، فليس حاجة الى ان تمتحن قوله وفعله في المرضى .

فان ظهرت لك منه قوة صالحة في هذه الاشياء التي وصفت ، فعند ذلك ينبغي ان تمتحن قوله وفعله في المرضى .

ص٢٨ س ١٣–٢٩ س ٣

---

١) الادية .

فهرس الاصطلاحات

Diarrhoea, stools	اختلاف
Drugs, medicines:	أدوية :
Nature of	طبائع
Periods of diseases	أزمان الأمراض
Asthenia, lack or loss of strength and energy	الاسترخاء
Elements	الاسطقسات
Inner canthus, inner corner of the eye	الأماق (م مأق)
Acute dieseases	الأمراض الحادة
Critical days	أيام البحران
Crisis (p. Crises)	بحران (ج بحارين)
Chalazion, hail stone in the lid, a small tumour of the eyelid formed by the distension of a gland with secretion.	البَرَد ، البَرَدَة
Incision	بط
Haemorrhoids, piles	بواسير
Urine:	بول ، ماء :
Colurless	أبيض
Furfuracious	الحزاز
Haematuria	الدم
Sedimentation	رسوب
Thin	رقيق
Consistency of	قوام
Pyoid	المدّة
Leucoma of the cornea	البياض في العين
Headacke	البيضة
Empiricism	التجربة (علم)
Treatment, regimen	التدبير
Anatomy	التشريح
Vivisection	تشريح الأحياء
Necrosis of bones	تعرّي (عظام)
Mortification	تعفن (مواضع من البدن)
Prognosis	تقدمة المعرفة
Scab of the lid, trachoma	جرب (العين)

Disputations	الحجاج والكلام
Stones	الحجارة ، حصى
Itching	الحكة
Fever:	الحمى :
Composite attack	مركبة
Ephemeral	يوم
Abscess	الخراج
	الخراز (أنظر بول)
Humour (unconcocted)	خلط نيء
Scrofula	الخنزيرة
Elephantiasis	داء الفيل
Cystic tumour	الدُبيلة
Oil	الدهن
Varicose veins	الدوالي
Pleurisy	ذات الجنب
Pneumonia	ذات الرئة
Penis, male organ	الذكر
Asthma	الربو
	الرسوب (أنظر بول)
Lientery	زلق الأمعاء
Venomous snake, large lizard	سام أبرص
Obstruction	السُدد
Soft tumour	السلع ، سِلْعَة
Trichiasis, ingrowing eyelashes	الشَعر
Migraine, hemicrania	الشقيقة
Epilepsy	الصرع
Ranula (below the tongue)	الضفدع تحت اللسان
Naturalists	الطبيعيون
Pterygium	الظفرة
Sciatica	عرق النسا
Drugs	العقاقير (م . عقار)
Therapeutics	علاج
Surgery, operative treatment	علاج الحديد ، عمل اليد
Gland	غدة
Hemiplegia	الفالج

Ulcer:	القرحة (ج قروح) :
Malignant	ردية
Cancerous	سرطانية
	القوام (انظر ماء)
Reasoning:	القياس :
Dogmatist	طبيب ، من انتحل القياس
Crowfoot	الكيكج
	الكلام (أنظر حجاج)
Cautery	كيّ
Flesh:	لحم :
Formation of cicatrix	إدمال
Proliferation of	إنبات
Uvula	اللهاة
Tonsil	اللوزة
Cataract	الماء
	ماء (أنظر بول)
Bladder	المثانة
	المدّة :
Pus: Empyema	المدّة محتبسة في فضاء الصدر
Litharge	المرداسنج
Temperament:	المزاج :
Corrupt	فاسد
Chronic	مزمن
Joint	مفصل (ج مفاصل)
Seat	مقعدة
Uses of organs, physiology	منافع الأعضاء
Fistula	ناصور (ج نواصير)
Pulse:	النبض :
Small	صغير
Hard	صلب
Weak	ضعيف
Large	عظيم
Strong	قوي
Irregular	مختلف
Regular	مستوي

نتوء العين	Proptosis of the eyeball
النجوم (علم)	Astrology
النضج	Coction
نفث الدم عن الرئة	Blood expectorations from the lungs
النقرس	Gout
نوبة المرض	Paroxysm
وجع الكلي	Pains of the Kidneys, nephritis
وجع القولون	Colitis
ورم :	Inflammation:
في الأحشاء	Bowels (swelling of)
وسط الرأس	Fontanel
وسواس	Melancholy, mental depression due to black bile

أسماء الكتب التي وردت في الكتاب

صفحة

أيديميا (بقراط) ٥٠٣؛٥١٣
أجزاء الطب (جالينوس) ٤٩٩؛٥٠٥
الاسباب المميلة لقلوب الناس عن أفاضل الاطباء إلى أخسائهم (الرازي) ٤٧٧
أوجاع المفاصل (الرازي) ٤٨٣
أيام البحران (جالينوس) ٤٨٣؛٥٠٣
أيمان بقراط ٥١٣

ب

الباه (الرازي) ٤٨٣
برء الساعة (الرازي) ٤٨٦

ت

تقسيم العلل (الرازي) ٤٧٧
التلطف في إيصال المريض إلى بعض شهواته (الرازي) ٤٧٧

صفحة

ج

الجامع (الرازي) ٤٧٥
الجدري والحصبة (الرازي) ٤٧٦

ح

الحاوي (مذكرات الرازي الخاصة) ٤٧٥؛٤٧٦

ش

الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس (الرازي) ٤٧٧

ط

الطب القديم (بقراط) ٥٠٦
الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل فإنّ ذلك ليس في الوسع (الرازي) ٤٧٧
الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً (جالينوس) ٤٩٨؛٥٠٥

ع

العلة التي من أجلها صار ينجح جهال الاطباء

صفحة		صفحة	
	والمرام والنساء في المدن في علاج بعض الامراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك (الرازي)	٤٧٨	
	في العلة التي بذم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وإن كان حاذقاً (الرازي)	٤٧٧	
	ق		
	الفولنج (الرازي)	٤٨٣	
	م		
	محنة الطبيب (ابن ماسويه)	٤٧٩	
	محنة الطبيب (جالينوس)	٤٨٣؛٥٠٢	
	محنة الطبيب (حنين بن اسحق)	٤٧٩	
	محنة الطبيب (الرازي)	٤٨٩؛٤٨٣	
	المنصوري في الطب (الرازي)	٤٧٦؛٤٨١	

المراجع العربية

ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء طبعة بولاق ١٨٨٢–١٨٨٤
ابن خلكان ، وفيات الاعيان طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩
ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ، ليبسك سنة ١٩٠٣
ابن النديم ، الفهرست ، ليبسك سنة ١٨٧١
البيروني ، رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي – كراوس باريس سنة ١٩٣٦
حاجي خليفة ، كشف الظنون طبعة اسطنبول سنة ١٣٦٠ – ١٣٦٢ ﻫ / ١٩٤١ – ١٩٤٣ م
رسائل فلسفية ، كراوس القاهرة سنة ١٩٣٩
الصفدي ، ديدرنغ ، دمشق سنة ١٩٥٣
طبقات الامم ، الاب شيخو ، بيروت سنة ١٩١٢
ياقوت فستنفلد ، ليبسك سنة ١٨٦٦–١٨٧٠

الآثار المطويّة

الجزء الثاني

بقلم
الاب انطونيوس شبلي اللبناني

نشرنا في مجلة « المشرق » السنة الماضية ، ضمّةً من كتابات قديمة ثمينة تحت عنوان « الآثار المطوية » كانت مخبوءة في الزوايا والكهوف ، مغلقةً بين الستائر والسجوف ، فقيّض الله لنا حظاً فظفرنا بالكثير منها ، وقد :

برزت مبرقعةً فقلتُ لها أسفري حتى تكوني فتنةً للناظر

فنضونا عنها الحجاب ونفضنا عن ثيابها غبار السنين الخالية واطلقناها من الخفاء الى الضيا. فتهادت بابهى مطارفها كالحسناء الحالية، ولم ينل من نضرتها الشحوب والاكداد ، ولا دنا منها الهزال في هذه الابعاد ، وقد كشف عنها النور ما خبّأته الظلمة من محاسن ومنافع . وحسبها فخرًا انها لستْ اقبالًا عليها وارتياحاً اليها ، فجمعنا الجزء الاول منها في كتابٍ منفرد تسهيلًا لطالبتها متسلسلةً متساوقةً ، فما صدف عنها السامع ولا ضاق دونها صدرُ المطالع ممّا حمل جلّةً من اصدقائنا الى طلب المزيد من نشر مثل هذه الآثار المطوية القيّمة فنزلنا عند رغبتهم وعدنا الى دفاترنا واوراقنا نتصفحها ونقلّبها وننتقي منها ما هو جديرٌ بالاعتبار خليقٌ بالانتشار، مواصلين اصدار الجزء الثاني من هذه الآثار. وعلى الله تعالى الاتكال في كل حال .

مخطوطة الرئّة للشيخ جهجاه الدحداح

في سنة ١٩٤٥ القيتُ رياضةً روحيّةً على تلامذة مدرسة مار عبدا هرهريا. وفي ذات يوم رأيتُ رجلًا جالساً عند احد مداخل المدرسة وامامه حفٌ من

الكتب معروضة للبيع ، فتقدمتُ فاذا الرجل من عرامون كسروان ، وقلبتُ الكتب وانتقيت منها مخطوطةً اثريّةً ابتعتها منه، وقد سمّاها كاتبها «السفينة» لانها مستطيلة وجامعة أشياء وأشياء ، وان انشاءها على طريقة السجع .

طول هذه المخطوطة ١٥ سنتمترًا بعرض ١٠ سنتمترات ، في ١٥٩ صفحة مجلّدة بجلد اسود ، منسوخة على ورق جيد بخط عربي ، بحبر اسود ، واماً العناوين فبالحبر الاحمر جاء في اواخر هذه المخطوطة صفحة ١٤١ ما هو بحرفه:

« علّقه بيده الحقيرة جهجاه الدحداح وهو مختفي اي مهزوم من حاكم الوقت . تحريرًا في ١٢ كانون اول سنة ١٨٢٨ الثانية وعشرين وثمانماية والف بنهاية المجلة صح صح . واما كتابة الاحمر بعد الرجوع للبيت كتبناها » .

اما كيف حصل الشيخ جهجاه على هذه المراسلات والمراسيم التي جمعها في مخطوطته « السفينة » وهي تنبئ بانها مأخوذة من دار حكم الامير بشير شهاب الكبير. ويقول الشيخ فريد الدحداح حفيد خطار بن جهجاه : ان جهجاه كان خصماً للامير بشير وانه لم يدخل في خدمته . لذلك يرجّح عندنا اماً انه نقلها عن مخطوطة كانت بيد احد أصدقائه او اقاربه ، واما انه استقاها من احد كتبة ديوان الامير بشير فنسخها وهو فارٌّ من وجهه حتى اذا عاد الى بيته عنون مواضيعها بالحبر الاحمر الذي لم يكن ينقله معه وهو شريدٌ مهزوم .

ان الشيخ جهجاه هو من قرية — عرامون كسروان — ابن الشيخ حنا الدحداح على ما ذكر الخوري منصور الحتّوني[1] . وافادنا حضرة الشيخ رشيد ميشال الدحداح — كفور كسروان — عن لسان الشيخ فريد الدحداح ابن سليم المؤرخ المعروف ابن خطار ابن الشيخ جهجاه الدحداح ان لجهجاه ثلاثة اخوة كبيرهم : منصور ولويس وعرب. وان فاعور وحنا اللذين يخاطبها جهجاه في هذه المخطوطة ، هما ابناء شقيقه لويس ، اعتبرهما كابناء له . ولم يكن لجهجاه سوى ولدٍ واحد اسمه خطار . مات جهجاه في قبّ الياس وليس له من املاكٍ هناك انما كان قائد حملةٍ حربية مؤلفة من ثلاثمئة شخص هاجم بها عسكر ابراهيم باشا المصري الذي والاهُ وعاونه، الامير بشير الشهابي الكبير في الحرب.

١) كتاب المقاطعة الكسروانية ، الطبعة الاولى ، صفحة ٢٧٨

وكان جهجاه مع الكسروانيين الذين نازلوا الامير بشير وابراهيم باشا في القتال.

وقد ركب الشيخ جهجاه على رأس ثلاثمئة فارس الى دار الشيخ بشير جنبلاط في المختارة لاسعافه في مقاتلة عسكر الامير بشير. وعندما انتصر رجال الامير على رجال الشيخ بشير ، فرّ عندئذ الشيخ بشير جنبلاط والشيخ مرعي واخوه الشيخ بشير الدحداح وابن عمهما الشيخ جهجاه قاصدين حوران ، ففاجأهم عسكر الشام في ايام ذلك الشتاء القاسية ، فسلّم الشيخ بشير جنبلاط نفسه للعسكر فشنقه عبدالله باشا بناء على امر محمد علي والي مصر . واما الشيخان مرعي وجهجاه فاخترقا العسكر ومزّقا صفوفه وتاها في البراري والكهوف، ثم توجّها الى حلب الشهباء وانتهيا الى حمص وقد طاردهما الامير بشير شهاب الكبير وضيّق عليهما حتى انهزما من شرّ سطوته ونقمته .

قال مؤرخ حياة الشيخ مرعي الدحداح : « ان الشيخ جهجاه وُلد ١٧٩٠ وتوفي سنة ١٨١٠ في قب الياس ودُفن في كنيستها . وكان قويًا جبارًا وفارسًا مغوارًا له وقائع عديدة مشهورة ، وهو والد الشيخ خطار الذي لم يزل حيًا والذي قد تقلّب في مناصب حكومة متصرفية لبنان نحو ثلاثين سنة[1] » .

ويظهر ان الشيخ جهجاه سافر الى مرسيليا . ويقول الشيخ رشيد الدحداح نقلًا عن الشيخ فريد المذكور : ان سفره كان بصحبة ابنة عمّ الشيخ مرعي واولادها .

وهاك ما سطّر الشيخ جهجاه في مخطوطته صفحة ١١٢ عن سفره الى مرسيليا :

« انه في تاريخ سنة الف وثمانماية واربعه وثلاثين كان سفرنا الى عروسة مرسيليا صحبة اختنا . وكان قيامنا من البيت نهار الثلاثة (الثلاثاء) في شهر نوار . وكان وصولنا الى عروسة مرسيليا نهار الاربعه (الاربعاء) الواقع في تسعة تموز سنة ١٨٣٤ م الموافقة للهجره سنة ١٢٥٠ » .

---

(1) عليك بترجمة مرعي الدحداح لواضعها نعمةالله اسحق الدحداح وقد طبعها على حدة، ونحن اثبتناها في كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » صفحة ٢٥٣ وفي صفحة ٢٦٧ تجد كلمة عن الشيخ جهجاه . وطالع « نبذة خطية قديمة في تاريخ المشايخ آل الدحداح » مجلة الورود شباط ١٩٥٠ وكتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » صفحة ٢٨٩ وحاشية صفحة ٢٩٥

- وكتب عن رجوعه الى الوطن في صفحة ١٤٣ من مخطوطته ما يلي :

« وكان رجوعنا من محروسة مرسيليا نهار الخميس الواقع بعشرين شهر آب يكون جملة اقامتنا بمرسيليا شهرين والباقي على الطريق . استغفنا من بيروت الى مرسيليا ثمانية واربعين يوم . ومن مرسيليا الى قبرص عدد ٢٧ يوم ومن قبرص الى بيروت عدد ٣ يوم . هذا كان كل السفر من الشرق للغرب ومن الغرب للشرق في نهاية سنة الاربعة وثلاثين وثمانماية والف سنة ١٨٣٤ . وكان طلوعنا الى مينا قبرص نهار الاثنين الواقع في اربعة عشر ايلول ضهرية النهار سنة ١٨٣٤ » .

وصرّح الشيخ جهجاه كما رأيت، انه كتب هذه المخطوطة المسمّاة «السفينة» وهو شريد طريد مختفٍ من وجه الحاكم الامير بشير الشهابي الكبير حتى اذا زالت الفتنة واستقرت السكينة، عاد الى بيته فعنون وقتئذٍ مواضيع «سفينته» بالحبر الاحمر وهو يردد بلسان حاله مع الشاعر :

واني لأغضي مقلتيَّ على الاذى وألبسُ ثوب الصبر ابيض ابلجا
واني لأدعو الله والامرُ ضيّقٌ عليَّ فما ينفك ان يتفرّجا
وكم من فتًى ضاقت عليه وجوهُهُ اصاب لها في دعوة الله مخرجا

وكتب الشيخ جهجاه في موضعٍ آخر من هذه « السفينة » ما يلي بالحرف الواحد :

« خدمة ترابك يا خطّار برضا الله اربح واكسب من متاعب النفس والجسم . اياك تبتلي بخدمة الحكّام صح .

وكتابتي هذه السفينة لكي تتقوى بالعربي يا خطّار وتتعلم قواعد الخط من بعض اوجه لان معرفة الشيء احسن من عدم معرفته . خذ من هذه السفينة قواعد الخط ولا تتحيّر وانما انظر للاجود بخطها واتملكه و لا يلذ لك بعض ترخرفات الخطوط هذه القاعدة ما لها وجود » .

هذا ما اوصى به الشيخ جهجاه ابنه خطار ولا ينبئك او يحذرك مثل خبير، فانه رأى خدمة الارض مع طمأنينة نفسٍ أدر ربحاً واكثر استدراراً لصفاء البال وهناء العيش من خدمة الحكام التي من ورائها متاعب النفس والجسم . وقوله لابنه : « اياك ان تبتلي بخدمة الحكام » لما فيها من المشقة

والنصب، وتحذيراً له لئلا يغريه الطمع ليهمل ادارة بيته واورزاقه وينضم الى حواشي الحكام طمعاً بالجاه او بالمال. ويرغبه في اخذ قواعد الخط عن هذه « السفينة » التي كتبها له للاقتباس منها لانه على يقين من جودة خطها، ولا يدهش للخط المزخرف لان حسن قاعدة خط والده لا وجود لها. وبالحقيقة ان خط الشيخ جهجاه هو جميل متناسق الحروف صحيح التركيب.

ليقتنع المرء بما قسمه الله له من الرزق واختار له من المهن كسباً لمعاشه ومعاش اسرته، واسعد الناس من قنع بماله، واشقاهم مع طمع بما لغيره، والقناعة كنزٌ لا يفنى، فانه لا يحتاج عندئذ الى طلب المزيد من الثروة. وعدم الاحتياج هو الغنى، واكتفاء المرء بما عنده هو اعظم حالات الرفاهية. قال ابو النواس :

ان الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسه ولو انهُ عاري المناكب حافِ
ما كل ما فوق البسيطة كافياً فاذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافِ

وهاك ما اوصى به الشيخ جهجاه ابنه في آخر هذه المخطوطة، ووصيته ان يتمسك بالايمان والتقوى والعبادة ويبتعد عن الكذب المشين بالرجال. قال :

« ... ودائماً يكون عندك الافتكار ان هذه الدنيا زائلة وفي كل مساعيك يكون (ليكن) الله امامك لكي تتوقى من فخاخ عدوّ الخير خزاه الله. واياك والكذب لانه مشين بالرجال ... »

يستشف من هذا الكلام ان الشيخ جهجاه « رجلٌ سليمٌ مستقيم يتقي الله ويجانب الشرّ » (ايوب ١ : ٨) وذو نفس ابيّة تعدُّ الكذب منقصةً وعيباً، ومن الصلحاء المتمسكين بدينهم، العزوفين عن الدنيا العاملين للآخرة، لم يبطره مجدُ اسرته ولا شجاعة قلبه ولا وفرة ماله، او تصرفهُ ايامُ محنته عن عبادة ربه وتنسيه الآخرة. انه لم يلتفت الى كل ذلك. ونراه يسهر على تربية ابنائه على خشية الرب، باذلاً لهم النصائح منبهاً الى المخاطر والمزالق موصياً بخوف الله اولاً لئلا يقعوا في فخاخ ابليس، لان السقي بعد الغرس والتربية قبل الدرس. وقد نهاهم عن الكذب الذي يبين انه اكره شيء اليه حتى خصّه بالذكر

والاجتناب وهو من صفات النفوس الخسيسة المتعيشة من وراء اللؤم والدناءة ، وغير لائق بابناء كرام الاصل . قال الشاعر :

ما احسن الصدق في الدنيا لقائلهِ وأقبح الكذب عند اللهِ والناسِ

وقال ايضاً :

الصدقُ في اقوالنا أقوى لنا والكذبُ في افعالنا أفعى لنا

سُئل ارسطاطاليس : ماذا يستفيد الكاذبون من الكذب ؟ فقال بعدم تصديق الناس لهم اذا صدقوا . وكأن الشيخ جرجاه بلسان حاله يقول لابنه ما قاله الشاعر :

كن مع الله ترَ الله معك واترك الهمَّ وحاذر طمعك
لا ترجي من سواهُ املًا انما يسقيك من قد زرعك

***

وكتب في محلٍّ آخر :

« كتاب مجموع يفيد من ابتلى بداء التعتير بخدمة الحكّام »

وجاء ايضاً :

« خدمة الحكّام ما بها خير يا فاعور وان خدمت لا سمح الله اياك تأمن لان زوال الحكم قريب . والحاكم الموجود وانت خادمه خاف منه » .

وكتب ايضاً في محلٍّ آخر :

« اياك يا فاعور من خدمة الحكّام ولا تبدي بشيء يكون ضدّ الحاكم حتى تبقى مرتاح انت واخوتك حنا وخطار ».

وكتب ايضاً :

« خدمة الحكام لها ثلاث خصال . اولاً يعدم صاحبها الراحة بهذه الدنيا . ثانياً يعادي جميع الخلق . ثالثاً دائماً تحت المخاوف والآخرة جهنم لا محال . وهذا كافي » .

وكتب ايضاً :

« انهم يا خطار كيف يشبّهون (الحكام) المخدّم (الخادم) الى الكلب يشبّهوه ».

المجمع الاقليمي

الذي عقده في جبل لبنان السيد السامي الاحترام

بطريرك طائفة السريان الموارنة الانطاكي

ورؤساء اساقفتها واساقفتها واكليروسها العالمي والقانوني

بموازرة السيد الفائق الاحترام

يوسف سمعان السمعاني

قاصد الكرسي الرسولي

في الثلاثين من شهر ايلول والاول والثاني من شهر تشرين الاول سنة ١٧٣٦ للعهد الحبر الاعظم

اكليمنضس الثاني عشر

ترجمه عن النسخة اللاتينية المطبوعة في رومية بمطبعة انتشار الايمان المقدس سنة ١٨٢٠

المطران يوسف نجم

مطران عكا النائب البطريركي

طبع في مطبعة الارز في جونيه سنة ١٩٠٠

PHOTOLITH. IMP. CATH. BEYROUTH

تصوير عن خط علاء يوسف علام

من تكرار هذه التنبيهات تارةً لماعور وجنة ولدي خبيه لويس وتارةً لولده خطار لئلا يغتروا فيخدموا الحكام وقد ذاق منهم الامرّين ، فاذا بُلي احدهم او احد اقاربه بخدمة الحكام كتب لهم هذا المجموع للاستفادة منه مبنًى ومعنًى ودربةً في الكتابة تحاشياً للسقوط في زلل الكلام وهناك السخط والملام .

***

اذا غرق الحاكم في لجة من اللذائذ والمناعم وتكاثرت في صناديقه الحُمر وأطربت أذنه رنة الدنانير ودانت له رقاب العباد وكثر حوله الخدم والحشم لعبت الغطرسة في رأسه ونشأت فيه الجوارح الطوامح والجوانح الجوامح وعتا وقسى وتكبّر وظن انه ظلُّ الله على الارض والناس عنده كلا شيء ، وما خدمه سوى كلابٍ تقتات من فتات موائده كأنها محرومةٌ من كل احساس وشعور ، ولا غرابة اذا عوملت معاملة السوائم ، لذلك يجب ان تُحتقر ولا يُلتفت اليها كأن هؤلاء الناس ليسوا بشراً وليس لهم ادنى حق باحدى الكرامات لانهم خدَمٌ والخادم عندهم شبيهٌ بالكلب وقد خبر الشيخ جهجاه الامور بنفسه فما رأى خدمةً اكثر ذلّاً ومضاضةً من خدمة الحكام انصاف الالهة .

ما اكثر سخف الذين يهوون الالتصاق بالحكام طمعاً بالمجد او بالدرهم . فانهم يظنون انهم باقترابهم منهم قد طاولوا الجوزاء وسجدت لهم الابهة وأكرمهم الناس وخافوهم ، وسرّوا لو صدقوا من اساتذتهم الاحتقار بدل الاعتبار والدرهم عوض الاهانة ، ولكنَّ ذوي النفوس الكريمة تأبى السكوت على الذل والاستنامة في احضان المكاسب عند بذل ماء الوجه .

ان الانسان مهما عانى من ضنك العيش ومذلّة الفقر وعنت الدهر ، فكل ذلك اخفُّ عليه من حمل اعباء خدمة الحكّام والمسلطين ، لان الهمّ والقلق يلازمانه ويعيش مضعضع الفكر فريسة الاضطراب والارتباك ورهين الهواجس والبلابل ، فاقد الراحة والسكون ، يضطر ان يفعل ما يخالف ضميره ويلحق الاذى بالناس فضلًا عن الخوف الذي لا يبرح قلبه ، لانه لا يعرف في اي وقتٍ يتبدل الرضى بالغضب وتنقلب نعمة الحاكم الى نقمة ، فلأقل كلمة ينقلها واشٍ

او حسود زورًا وبهتانًا ، يستشيط هذا المتسلط غضبًا وبدون فحص او تروٍ ينزل بخادمه اشد عقاب غير ذاكرٍ له شيئًا من الخدمات والحسنات، لذلك ينهى الشيخ جهجاه ولده ولدي اخيه فاعور وحنا عن خدمة الحكام ليظلوا آمني السرب متمتعين بطمأنينة البال في هذه الحياة وبالسعادة في دار الخلود . قال الكتاب المقدس : « تباعد عمّن له سلطان على القتل فلا تجري في خاطرك مخافة الموت ، وان دنوت منه فلا تُجرم لئلا يذهب بحياتك. اعلم انك تتخطى بين الفخاخ وتمشي على متارس المدن » (سيراخ ٩ — ٢٠) ويذكّر الشيخ جهجاه ابنه بسرعة زوال الحياة لئلا تنشب رجله في المصايد والمكائد ، وان زوال الحكم قريب عملًا بقول الكتاب : « ان العزّ ليس بدائم ولا التاج الى جيلٍ فجيل » (امثال ٢٧ : ٢٤) .

ولو انصف الحكام والمتسلطون لمّا قسوا وطغوا وتجبّروا وعثوا بالعدل وبالرعية ولمّا سيطرت عليهم الانانية وامعنوا في القسوة والظلم ، وقد قال الشاعر :

لا تظلمنّ اذا ما كنت مقتدرًا فالظلمُ آخرهُ يأتيك بالندمِ
نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

ولو فكّروا لادركوا ان العرش الذي يمتلونه ستتزعزع قوائمه، وان السيطرة والعظمة ستنقلب الى سخريةٍ وهوان وسيمرّ عليها الزمان ويمحها بكفّ النسيان وتعفّي آثارها الايام ، وسيأتي زمنٌ يقول الناس عنها انها : « اضمحلت وصارت كعفى البيدر في الصيف فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان » (دانيال ٢ : ٣١ — ٤٥) وسيعودون الى الاندماج في عامة الشعب الذي يستهزئ بهم لانهم هزأوا به ويتمّ فيهم قول القائل :

كانوا ملوك وصاروا ناس آه من غدرات الزمان

ولو فطنوا وتأملوا لما رعوا وجمحوا ، ولا بطروا وشمخوا . ليصبر المتألمون، انه عمّا قليل سيتلاشى حكم هؤلاء الخارجين على العدل وتحلّ بهم المحن والآفات فتنسيهم تلك الغضبات والغطرسات . قال الشاعر .

تحكموا واستطالوا في تحكمهم   وعن قليل. كأنَّ الحكمَ لم يكن
لو انصفوا أُنصفوا لكن بغوا فبغى   عليهم الدهرُ بالآفات والمحن
فأصبحوا ولسانُ الحال ينشدهم   هذا بذاك ولا عتبٌ على الزمن

* *

وكتب الشيخ جهجاه في « سفينته » ما يلي :

« اسمع يا فاعور فاذا تعلّمت الخط يا فاعور الناس تعوزك ما انت تعوز الناس واقله يتضمن مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق . وتعلّم حسابات الهندي وعلّم اخوتك حنا وخطار ولا تتركهم بلا علم لان الانسان بلا علم حمار ناطق. اياك تهمل معرفة الخط ».

ان الشيخ جهجاه يحث الشباب على الاخذ بالعلم لاكتساب التثقيف والتنوير لان الجهل فقر والعلم غنى ، ويكفي ان يُرفع قدر العلم الصحيح لانه يهذب النفس ويكملها ويحملها على التقوى . قال ابن سيناء :

هذّب النفس بالعلوم لترقى   فترى الكلَّ وهيَ للكلّ بيتُ
انها كالزجاج والعقلُ فيها   كسراجٍ وحكمةُ الله زيتُ
فاذا اشرقت فانك حيٌّ   واذا اظلمت فانك ميتُ

ويرغب اليهم ان يتعلموا الخطُّ : قال الشاعر :

تعلّم قوام الخطِّ يا ذا التأدبِ   فما الخطُّ الّا زينةُ المتأدبِ

وللخط رفعة ومكانة في ذلك العصر لان الكتّاب والقرّاء كانوا قلائل ، يستخدمهم الحكام والامراء للكتابة في دواوينهم ، وقدر الكاتب مرموق بلاحظة الرضى والارتياح ولا سيا اذا كان بارعاً بالخط . والخط البديع متعةٌ للعين وفرحةٌ للقلب . وكان الخطُّ مهنةً يعتاش صاحبهُ منها ولم تكن اجرة الكاتب بقليلة ، لذلك نرى الشيخ جهجاه يقول : « اسمع يا فاعور فاذا تعلّمت الخط يا فاعور الناس تعوزك ما انت تعوز الناس واقلهُ يتضمن مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق ... »

وها ان الشيخ مرعي الدحداح تعيّن اولًا كاتباً عند الامراء ابناء الامير يوسف شهاب وكان ينسخ الكتب ويبيعها حتى في ذهابه الى مرسيليا نسخ

كتاب « بحث المطالب » وهو على ظهر الباخرة. وقد اهدى كنيسة عرامون–كسروان – كتاب شحيم وكتاب سنكسار بخطه السرياني[1]

وهذا الشيخ فارس الشدياق صاحب جريدة « الجوائب » في الاستانة ، باشر اولاً بنسخ الكتب الكنسية والطبية وكان خطه جميلاً في القلمين العربي والسرياني . ولما شاعت براعته في النسخ تعيّن كاتباً عند الامير حيدر شهاب صاحب كتاب « الغرر الحسان » في تاريخ لبنان . وقد قال : « كان اهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليد . فعندهم ان من يكتب خطاً حسناً هو الذي أفوق بين اقرانه بالفضل[2] » .

---

١) قد عثرنا في تنورين (بلاد البترون) عند المرحوم الخوري نعمةالله كرم الحصروني على كتاب انجيل ضخم خطي منسوخ بالحرف السرياني – الكرشوني – بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر . وفيه عدة تواقيع : لمار بطرس ، والاحد ، وتقديس البيعة ، والملائكة ، والسيدة والرسل ، والشهداء ، والموتى والمعترفين والابرار والصديقين . . . الخ خط الشيخ رعي نادر الدحداح انتهى من كتابته في ١ شباط سنة ١٨٠٤ مسيحية . راجع كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » حاشية صفحة ٢٥٦

وذكرت مجلّة « الرابطة الكهنوتية » في خلال مقال لحضرة الخوري افرام الشالي في « النوافير المارونية » السنة الحادية عشرة ، العدد ٥ ، ايار سنة ١٩٦٠ صفحة ١٢٠ : نسخة خطية لهذا الانجيل جاء في آخرها ما هو بحرفه : « تم تحريره على يد العبد الخاطي رعي بن نادر الدحداح في ١٣ من شهر شباط سنة ١٨٠٣ مسيحية . . . وكان ذلك في ايام رئاسة مار يوسف التيّان بطريرك الانطاكي وسائر المشرق» ترى ترجمة حياة الشيخ رعي الدحداح في كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزّار » صفحة ٢٥٣–٢٨٧

٢) كتاب « الساق على الساق في ما هو الفارياق » صفحة ١٧ و ٣٤ ، طبعة باريس ١٨٥٥

لدى حضرة الصديق الاستاذ يوسف ابرهيم يزبك نسخة خطية من كتاب « الخطب البيعية » التي تتلى في مساء الآحاد والاعياد وصباحها نقلها من اللسان السرياني الى اللسان العربي القس جبرايل فرحات الحلبي الراهب اللبناني (المطران جرمانوس) بخط فارس بن يوسف الشدياق ، بالحرف السرياني – الكرشوني – الملفوظ بالعربي . وكان تمام تحريره ومقابلته في كانون الثاني في قرية الحدث في ساحل بيروت سنة ١٨٢٥ مسيحية (راجع كتابنا « الشدياق واليازجي » صفحة ١٤٠ و ٣٢٠ و ٣٢١) .

وفي مكتبتنا نسخة خطية من كتاب « الخطب البيعية » هذا بالحرف السرياني الكرشوني

وكانت المطابع قديماً نادرة، فقامت مقامها أيدي النساخ بنسخ كتب التعليم للمدارس، وكتب الطقوس للكنائس وهي التي صانت لنا الكتب الغالية من التلف والاندثار. وقد وضع كمال الدين الحلبي كتاباً خاصاً في الخط العربي.

وجاء: «ان الاتراك يتقنون الخطوط كالثلث والنسخ والرقعة والترقيع لدرجة ما بعدها اتقان حتى انه ليمكن اعتبار هذه الخطوط من الفنون الجميلة كالرسم والتصوير لما فيها من الحسن والابداع. وكان السلطان محمود الثاني خطاطاً كبيراً، ومعظم الالواح الجميلة الموجودة في جامع السليمانية بخطه، ومنها ما هو بخط معلمه ولكن المطلع على الخطين لا يسعه الا ان يقول:

يخطّطُ مولانا خطوط ابن مقلةٍ ويَنظمها نظمَ اللآلئ في السلك
فهذا عليهِ رونقُ الخطّ وحده وهذا عليهِ رونقُ الخطِّ والملك[1]

***

وتهافت اللبنانيون على اتقان الخط، ومن كان خطه جميلاً تباهى به مفتخراً وكان حديث بني قومه. وممن برعوا في الخط حنا ابي صعب، وابراهيم يزبك —

بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر على ورق حجج سميك، خط منصور بن يوسف الشدياق وقد كتب فيه بضع ورقات شقيقه فارس (احمد فارس فيما بعد) جاء في آخره بالحرف العربي ما هو بحرفه:

«تم هذا الكتاب المبارك على يد العبد الفقير الى ربه تعالى الذي ليس يستحق ان يذكر اسمه لكن لاجل الذكر الصالح منصور ابن يوسف الشدياق وقد اسعفه اخيه فارس ببعض اوراق. وكان ذلك في ايام سيدنا وفخر ملّتنا المارونية مار يوحنا الحلو البطريرك في ١٤ نيسان سنة ١٨٢١ والمجد لله سرمدياً امين» وخط منصور بالسرياني بديع لا يقلّ جمالاً من خط اخيه فارس الشدياق ولا يفترق الخطّان.

وعلى ظهر هذه الورقة المدوّن في آخرها اسم الناسخ هذه الكتابة بالسريانية وتفسيرها بالعربية بخط ثلث وهي:

«كما يفرح النوتي بوصل سفينته الى الميناء، هكذا يفرح ويسرّ الكاتب في السطر الاخير».

(١) القسم الثالث من مقال «القسطنطينية» لامين الغريّب، جريدة «الحارس» بيروت، في ٢٧ شباط سنة ١٩١٤

والد الاديب الكبير يوسف ابراهيم يزبك حدث بيروت – وابراهيم خليل الجر والد الدكتور خليل الجر – بحشوش – اما الذي بزّهم ونال شهرةً متأنقة بالخط فهو علّام حنا علّام – كفور كسروان – مفخرة الاوائل والاواخر ، وقد فاق بجودة الخطّ على استاذه حنا بك ابي صعب الشاعر والخطّاط الشهير . وكانت تتسابق المدارس الكبرى على طلب علّام لتعليم الخط فيها . ودفاتره الخطية المطبوعة اشهر من نارٍ على عَلَمٍ وقد اكتسحت جميع الدول العربية ، وتفرّد علّام باشراق خطه ونعومته فاصبح متعةً للعين وبهجةً القلب . وكان يتقاضى اجرة السطر الواحد – نسخة تعليم لغير تلامذته – ليرة فرنسية ، وكان الاقبال عليه عظيماً ، والذي يحصل على نسخة من خط علّام يحتفظ بها كاثمن الذخائر . وُلد علّام سنة ١٨٤٥ وتوفي سنة ١٩١٠ وقد رثاه الادباء والشعراء مستكبرين الخطب فيه . ونكتفي باثبات تاريخين لوفاته الاول للشيخ عبدالله البستاني والثاني للاستاذ بولس زين :

تاريخ الشيخ عبدالله البستاني

تبكي ابنَ مقلةَ مقلةٌ سفّاحةٌ دمعاً يروّي تربهُ بسجامهِ
وعليهِ تلتاعُ الطروسُ لانها فقدت بديعِ الوشي من اقلامهِ
يا آل علّامٍ اصاب مصابكم كلّ القلوب بنافذات سهامهِ
قد ساءَ خطب فقيدكم طلّابهُ وتوارثوا الحسرات بعد حِمامهِ
عهدي بكلّ هاتفاً بجريفهِ ابلِ دموعك حافظاً لذمامهِ
ذرْ كل ذي لَسِنٍ على تاريخهِ يرثي فريد الخُطّ مع علّامهِ

سنة ١٩١٠

تاريخ بولس زين

كلّ حيٍّ مصيرهُ الموت لكن ليس كلٌّ ذكراهُ يطوي الحِمامُ
ان في الرمس كابن مقلةَ خطاً فاق حتى دانت لـهُ الاقلامُ
ايّ نادٍ ومعهدٍ لم يزنهُ فلتخلد آثارهُ الايامُ

مات والخطبُ ارّخوهُ جليلا عَلَمُ الخطّ شيخـهُ علامُ

سنة ١٩١٠

ولعلّام روايات ونوادر ولطائف بشأن الخط واننا ننشر على الزنكغراف مثالًا من خطه[1] .

وبعد ما ذُكِرَ لا نستغرب اذا كان الشيخ جهجاه الدحداح يحضُّ ابنه وابني اخيه على تعلّم الخط . وقد حان لنا ان نبدأ بنشر مقتطفات من المراسلات من مخطوطته ونبذات تاريخية ، نستدلُّ منها على كيفية المراسلة في تلك الايام وكيف يُكتب لاصحاب المقامات مما يكشف عما كان الحكام من الفخفخة والمجد في ذاك الزمان. وقد تركنا هذه المكاتيب على سجيّتها وصيغتها الاصلية بدون تغيير كلمة او عبارة فيها وقد وضعنا لها ارقاماً معلّقين مـا حضرنا من الحواشي . وها اننا نبدأ بالرسالة الاولى من المخطوطة[2] :

١

تعزّي (تعزية) من الحاكم الى المشايخ الحمادية

الى جناب حضرة الاخوان العزاز المشايخ بيت فلان المكرمـين حفظهم الله تعالى :

اولًا مزيد الاشواق الى مشاهدة خوتكم في كل خير وعافية والثاني بلغنا توفي المرحوم والدكم الى رحمة الله تعالى فقد حصل لنا غلت (كذا) كلّي من كون الذي ينكدكم لم نخلو من كدره بما ان صداقتكم عندنا اكيده ولكن

١) عليك بمقالنا « علّام حنا علّام في مجلة « الورود » البيروتية ، الجزء الثامن ، شهر نيسان سنة ١٩٥٣

٢) عند الاستاذ يوسف عماد كتاب انشاء مكاتيب بالخط السرياني الكرشوني المنقوط بالعربي عنوانهُ : « مكتفي ارباب الانشاء ومطفي التهـاب الاحباء» « كنوز الافادة في الترجمات المنادة » « الترجمات الجارية ما بين الكتّاب من خطـاب وجواب واعتذار وعتاب » .

وجاء في آخره : « الّفه بيده الفانية الشدياق اسعـد الكفوري الخوري سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) » .

امر الله لا يُرَد وله بخلقه تصاريف تُجل عن التعريف . ان شاء الله يكون خاتمة احزانكم .

محب مخلص

٢

مكتوب تهنئة (تهنئة) كما ترى

غب لثم الانامل الطاهره والتماس الادعية البارة وعرض حال الاشواق بلسان الفراق وتعداد تلوة المحبة من فؤاد مكلوم الوحشة ومخلص الدعا بدوام بقاكم وسمو شان ارتقايكم في كل خير وسرور . وحظ بالتهاني موفور ، هذا وان جاز بروض الخاطر الابرّ بنسيم سوالاً عن حال ولدكم فاننا من كرم الله ذي الجود وبركة دعاكم الخيرية حايزين عميم الصحة والعافية متوسلين لله تعالى بدوامها على قدسكم وليس بنا سوى الاشواق بلهيب الفراق للثم اناملكم . وبينما انا اكابد صبابة الوجد وتعلل الفؤاد بما يرد من بشاير السرور السارة باليوم والغد ، واذ بابرك طالع ، حميد المطالع وردة (وردت) الينا بشاير السرور ، تهادي احاديث الطرب الموفور ، فانجلت الصدور من مفرحات بشرها الفاخر ، وتعطرت الحواس من نفحات طيبها الزاهي الزاهر ، وذلك فيما جادت العناية الصمدانية والمواهب الربانية ، بارتقاكم الى الدرجة الاسقفية ، والتقليدات الرسولية ، فيا لله من مكارم هذه الاجابة ، وحسن هذه الاصابة ، التي ابدت لنا موانح المسرّة بتسليم القوس باريه ، والسهم راميه ، فلا ريب ان بذلك بهجة الارواح ، ومعدن الفلاح والصلاح ، كيف لا وسيادتكم علم الوقار ، بل والاناء (والاناء) المختار ، ولقد يقتضي لنا بان نهني ذواتنا بهذه المنية الاسما ، (الاسمى) والبهجة الكبرا ، (الكبرى) فلا برحتم سيادتكم مقلدين عصا الرياسة ، مكللين بتاج السيادة ، وموردكم من الفضل والندا (والندى) رقية زاهية ، وحظوظكم من الرياسة وافية ، رافلين في حلل الصحة والسلامة والاعتدال ، على ممر الايام والليال .

والآن لايضاح ما حلّ بنا من السرور ، باشراق هذه البشرة (البشرى) السامية ، بادرنا بترقيم عريضة الخلوص موشحة بالتهاني ، ونيل الاماني ، وبها

نفتقد الخاطر الانور ، راجين بها دوام امدادنا ببشاير صحتكم المأثورة، بمدالة ذاتكم المبرورة ، فيما يلزم من الخدم ، والمهام ، فهو رهين الاعلام ، وفي كل وقت نومل من رأفتكم الابوية، دوام مواردنا بالادعية الخيرية. واقبل اياديكم وادام الله بقاكم .

٣

اقران

غب وفرت (وفرة) اشواق وافيه ، خارجه من خالص الفواد والطويه ، بمشاهدة نور طلعتكم البهيه ، على كل خير ، وفيما نحن مترقبون وفود الاعلام ، ومتشوقون لاستنشاق نسمات الاخبار التي بها يشفى عليل الوجد والهيام . اذا في ابهج اوان ، وطالع سعيد الاقتران ، قد تشنفت الاسماع ، وترنمت الالسن بما يروي حرّ صدا الوجد والتياع (والالتياع) ، وذلك بان كوكب اقبال سعادته لمع وشرّف هذه النواحي وبيت الدين بجده ضاء[1] وسطع فلهج القلب واللسان بازدياد ادا (اداء) الدعا للملك المنان ، لفوز سعادته العليه بالسرور والانشراح ، وبلوغ الحظ المأثور بالتوفيق والنجاح ، فنسال الباري الكريم جلّ جلاله، وعم نواله، بدوام بقا (بقاء) سعادته مدا (مدى) الايام والاعصار ، ويجعل اقمار سعد دولته مضيه بها الازمان والادهار ، ويسبغ على معالم مجده اثواب الرفاهيه وهداوة البال ، مدا الاعوام ما لاحت الاصباح وتوالت الليال .

وكذلك قد بزغت نجوم البشاير والحبور ، وامتلت القلوب من الافراح والسرور ، باشراق الكوكب السعيد ، والابدر الاغر الحميد ، الذي بضيايه ازهرت ربوع المجد والثنا ، وازدادت الارض بحلوله عليها عزًا وبهجةً وهنا ، فهو الامير الجديد ، ونجل السادة والسيد المجيد ، من جُعِلَتْ له العلا مهدًا ، وتلالت به المكارم فرحاً وحمدًا ، فاسدينا لله العلم الدعوات الصافيه ، بدوام بقا (بقاء) سعادة افندينا جدّه[2] ليزه جدًّا ، وان يزداد به ولوالده والاعمام

١) يريد به الامير بشير الشهابي الكبير الذي كان غائباً وعاد الى مريته بتدين .

٢) يستفاد من كلام كاتب هذه الرسالة، انه وُلد لاحد اولاد الامير بشير الكبير ولد وهو يرحب بمولده ويتخلّص الى الدعاء لله تعالى باطالة عمر جدّه .

والاخوت اسيادنا عزاً ومجداً ، فنساله تعالى ان يمد باعمار تلك الاقمار الزواهر ، ونرى لجميع افنديانتا امراء كراماً ، ويا حبذا اوليك الاكابر ، ودايماً صلة الاعلام .

٤

في ما جاءَ من باب التهاني

ثمَّ انه قد بلغنا خبر تاهلكم فحصلنا من قبل ذلك على محظوظية ، ودعونا لكم بالتوفيق والبركات الوفيه ، فان شا الله تعالى يكون اقتران مبارك حميد البداية ، سعيد النهاية ، ولنقل مع الشاعر :

قتهنَّ (فتهنا) في عرس وعرس انها بالخصب ليّأ والبها راحيل

بل تجدونها مجلّلةً باوصاف الخضوع واصناف التكريم ، كساره المباركة مع ابراهيم ، ويكون تزيينها ليس فقط بالحلل الفاخره ، بل بالتواضع وباقي الاداب العاطره ، ويكون دخولها الى منزلكم للبركات واجزل الخيرات ، ومنذ الآن ، وفي كل الاحيان ، تكونون موفقين الاحوال ، مبلّغي الامال ، بما يرضي عزة ذي الجلال المتعال ، دمتم بحراسته مدى الاجيال .

٥

في الاستفقاده

انه لقد بلغنا عنكم خبرٌ كدّر منا الفكر ، واعمى البصر ، وهو انه حاصل لكم تشويش مزاج ، وانكم من قِبَله بغاية الضيم والانزعاج . فيا ايها الحبيب النجيب ان اكمل ما يروّق البال ، هو المطابقة لمشيئة المولى المتعال ، واقتبال كلما يفتقدنا به في السرّاء والضرّاء ، وفي كل حال فنساله بمجيبه الذي اشفى حماة بطرس من الحمّى ، ان يوليكم منحة الشفاء والصحة العظمى ، وان يخولكم الآن صبراً ، ثم عافية واجراً ، نومل تعرفونا عن كيفية حالكم لعل بعد ذلك اصبتم حالًا احسن ، ورزقتم من لدنه تعالى اوفى المنن ، بالسلامة من هذه المحن ، ومهما كان لازماً لكم في هذا الجانب من الاشغال ، عرفونا

عنه وان شاء الله تبادر اليه بلا اهمال ولا امهال ، اولاكم مولاكم غاية الشفاء ، واصبتم من لدنه رحمة واطفا .

٦

في ما جاء من باب التهاني بمولود اتى

ثم نهنئي جنابكم بما حزتموه من لدن نعم المولى المنان ، بايجاد هذا النجل السيد المنصان ، ونسأله تعالى كما منّ بمولوده ، يجود عليكم بحفظ وجوده ، ويبقيه لكم محروساً من كافة الاخطار ، وموقياً من كافة الاضرار ، ويكون لكم من خير الانجال النجباء ، واظرف الاولاد الادباء ، وتفرحون منه ومن انجال الانجال ، وجنابكم بكل رياضة واعتدال ، والآن تهنية لجنابكم بهذه النعمة الوافره ، والموهبة الفاخره ، ثم ايضاحاً لما حصل لنا من السرور ، وكمال المحظوظية والحبور ، بادرنا برقم هذه السطور ، نترجوا ان تعرفونا عن صحتكم وصحته كما هو المأثور ، فيما بدا من المصالح بهذه الجهات ، رهين الاشارة والتحريرات ، ودام بقاكم بدوام الخيرات والمسرات .

٧

الجواب

وذكرتم تهنونا بالولد الذي اتجد لنا من كرمه تعالى فنسأله تعالى ان يهنيكم بالامور الصالحه ، والاعمال الناجحه ، ويوليكم من لدنه غاية التوفيق والنجاح ، لنفرح منكم عن قريب وانتم بغاية السعود والانشراح ، ومما ذكرتموه عما حصل لجنابكم من السرور والحبور ، فلا برحتم بها مدى الادهار ، فمؤكد عند اخيكم وفور مودتكم الصادقه ، وعطوفة غيرتكم الفايقه ، والآن اشعاراً بوصول كتابكم الكريم ، بادرنا بتحرير هذا الترقيم .

٨

ترجمة من مشايخ البلاد والامراء للاغوات المعلومين

الجناب الاكرم الاجل الماجد المحترم ، كريم الخلال والشيم ، عميم الافضال

والكرم ، همام العالي الهمم ، والريبال الهصور الاشهم ، الحاج فلان اغا الافخم ، دام بسوابغ النعم .

غب اتحاف اضعاف التحيات البهيه الفاخره ، واسداء اشذى التسليمات الزكية العاطره ، واهداء الطف سلام يروق عن الزلال صفاء ، ويفوق على النسيم بلطفه خفاء ، ويفاوح نفحات الرند والخزام زكاء وعبوقاً ، ويضارع مطلع البدر التام بهاء وشروقاً ، واشواق يكاد ان يفني المداد ، ويدائم القرطاس والقصب النفاد ، ولا يحصى لها تعداد ، ولا توصف كما يراد ، وقال بعضهم واجاد :

ولو ان امياه البحار محابرٌ وكل نباتٍ في البسيطة اقلامُ
ولو ان ما بين الثريا الى الثرى قراطيس والكتاب عربٌ واعجامُ
وراموا بان يحصوا اشتياقي اليكمْ لما وصفوا معشار عُشر الذي راموا

ووجد حل في الفؤاد ، فاضرم بالجفون نيران السهاد ، الى مشاهدة بهي ، ذلك المطلع الشهي ، لا برح من لدن رب العالمين الكريم ، مرموقاً بعين الرضى والتكريم ، مجملاً بالبشر والافراح ، ما لاح بدرٌ وضاء مصباح .

اما بعد فالداعي الى ترقيم شقة الوداد ، وتاليف حروف ورسالة الالفة والاتحاد ، فهو السؤال عن الخاطر الكريم العاطر ، ولطف المزاج الفاخر ، ان شاء الله تكونوا حائزين غاية المسرات ، معمومين بجزيل السرور والخيرات ، نرجو في كل حين ان تجودوا علينا بشرفات التطمين مع ما جدّ من المهمات ، رهين الاشارات ، وادام لله تعالى لوجودكم دوام البقاء ، ولسعد سعودكم سمو الارتقاء .

٩

غيره جواب

الجناب العالي ، كوكب المجد المتلالي ، الريبال الهصور اللوذعي ، والندب الهمام الالمعي ، الاديب الكامل ، والنجيب الفاضل ، غرة جبهة الزمان ، وعين

انس الاوان ، فخر الاعيان الفضلاء . وذخر الاقران النبلاء ، الاجل المحترم ، اغا عالي شان المحتشم ، دام بقاه .

غب تبليغ بليغ الغرام ، الذي تنبو عن رقمه مواضي الاقلام ، واهداء ازكى هيام ، يفاوح نفحات الخزام ، ووجد لا يرام ، وشوق مقرون بواجب الاكرام والاحترام ، مع تأده (تأدية) فروض الاحتشام ، اللايق بسامي المقام ، صانه الملك السلام ، محفوفاً بسوابغ الانعام ، مدة كرور الاعوام .

ثم انه في اسعد الاحيان واظرفها ، واحمد الازمان والطفها ، ورد الكتاب اللذيذ الخطاب ، وفهمنا فحواه المزيز المستطاب ، وما ابديتموه من العتاب ، الذي هو دأب الاحباب ، ونسيمة الاصحاب ، قد صار قرين الافكار ، ولم نبرح نتردد به الليل والنهار ، والآن تقريراً للنيرة الرايقة ، والفكرة الحادقة (الحاذقة) عما كان سبب هذه الامور ، اقتضى ترقيم هذه السطور ، وهو انه كذا كذا ، فالمامول نشر طي هذا الكتاب بطوية صالحه ، وان تجروا على ما يخال لكم من القصور ذيل المسامحه ، ولا برحتم جنابكم بدوام الحبور والانشراح ، رافلين باسنى حلل السرور والافراح ، ونرجو في كافة الفرص والاحيان ، ان تواصلونا بكرايم الاطمئنان ، مع ما بدا من المهام ، رهين الاشارة والاعلام ، ودام بقاكم .

المحب المخاص مطلوم

١٠

جواب من حاكم جبل لمتسلم طرابلوس

هذا وفيما نحن نلهج بمحاسن مآثر الجناب الحميده . ونعطر المجالس بتردد تذكار السجايا الفريده . واذ بابرك اوان . وابهج طالع سعيد الاقتران . قد ورد علينا طرس جنابكم الكريم . وفهمنا فحواه الوسيم . وحمدنا من يجب لعزته الحمد اذ خولنا الاطمينان على صحة المزاج الفاخر . وعدالة الطبع الباهر . وبه من خلوص الحب ولطافة الاخلاق تفضلتم بالسوال عن الحال فنسأله تعالى ان لا يغرب عنا انوار وداد الجناب . ويحفظ لنا وجودكم الكريم مصاناً من كافة الاوصاب . فمن نحوتا لله عظيم المنة حين ترقيم شقة الثناء . راقين مراتب الصحة فلا زلتم بدوامها مع مزيد الوفاء والاقبال .

ثم وما قد بزغ من انوار القريحه على وجه العتاب يحجب الرسايل . فلمخلصتكم من خلاص باعظم دلايل . وذلك بما ان صورتكم المانوسة مطبوعة في صحيفة الفؤاد نستكفي بها عن تواتر الرسايل وان طال البعاد. وما ابديتموه تلطفاً من الاعتذار بعدم تمام المرام بتضاعف ارسال الاساير لسعادة اخيكم سلطانم الوالد الأفخم[1]. فلا ريب ان هذا من بحر الحب الوافر من حيث لا يخفى كريم علومكم ان سعادته دائماً يثني الثناء الجميل. وحاصل لديه محظوظيه قديمه وحديثاً (وحديثة) من خلوص الوداد الجزيل . والآن قد زدتمونا منة فوق منة بما تفضلتم بارساله اي جرى[2] (كذا) الاساير التي خصصتمونا بها . اجزل الله على جنابكم الخيرات . ولا زالت كافة اوقاتكم محفوفة بكمل الانشراح والمسرات . والآن تشكراً من الافضال وانقياداً للخاطر الكريم اقتضى ترقيم الوكة الموده وغاية المأثور دوام اتحافنا بورود الرسايل المسرّه مع كل ما يلزم ويبدو من المهام . فهو رهين الاعلام .

١١

مرسوم شريف من سعادة صاحب السعادة الصدر الاعظم صالح باشا
الى جناب الشيخ بشير (جنبلاط) في سنة ١٢٣٧ (٢٨ ايلول سنة ١٨٢١)

فهذا كتابنا الى قدوة المشاير والقبايل شيخ المشايخ شيخ بشير زيد قدره.

حررنا موثقاً من عواطف بابنا العالي فهو ان المعلوم من جميع الناس ان المبغوض المغضوب عبدالله باشا الوالي في ايالة الصيدا سابق قد نال قبل هذا من محض عواطف الدولة العليه السلطانية بالرتبة العاليه الوزارة في ريعان شبابه وحصل الامتياز بين اماثله (امثاله) واترابه ولكنه لا يعلم قدر ما أعطي من تلك النعم الجليله والمنح الجزيله حيث خرج بكفران جبلته عن دايرة الانقياد وتجاسر بالبغي والفساد وان حذرناه (حذّرناه) عمّا فيه من الافعال الشنيعه فنزّ وصرّ في حركاته الرديه حتى اطال تدمين كلمه وتجاوز الى ارجاء الشام الشريف وبسط يديّ غضبه وتعديه بمرتبات الحاج المنيف وتصدّا (وتصدى الى) كذا وكذا بانواع الفعل السخيف والطور العنيف فلزم ازالة وجوده لاراحة العباد

١) نظن ان هذا الجواب هو من الامير امين نجل الامير بشير الشهابي الكبير .
٢) ربما كانت جرايات ' ضرب من الخبز يعيّن للعسكر وللامراء .

وازاحة الفساد عن البلاد فسوف يشاهده سوءا جزا عمله ان شاء الله تعالى بلا امتداد لكن المقصود من كتابنا هذا انه قد كان قبل هذا معلوماً عند الدولة العلية ولا سيما الآن بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الوالي بايالة الشهبا سابق والوالي بايالة صيدا حالًا ان المغضوب المرقوم عبدالله باشا قد اغتلك (كذا) من قبل بصورة الحق كاشاعة الحوادث بتوجيه الشام وامارات الحاج لمدته . ولكن حقيقة الامر ظهرة (ظهرت) عندك بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الوالي بايالة الشهبا سابق والوالي بايالة صيدا حالًا ان المغضوب المرقوم قد بغى وطغى بان حضرة سلطاننا سلطان الاعظم مالك رقاب الامم . مد الله ظلال مراحمه واحسانه على العالم . لقد اراد ازالة خبث وجوده عن الورى فاعرضتو (فاعرضتُ) ونويت عنه واطلعت واعتصت بكلام الوزير المشار اليه حتى ارسلت ولدك وتقاً (وتقياً) الى جناب الوالي بايالة الشام الشريف الصدر الاسبق درويش محمد باشا دام اجلاله وهو ابقاك في مشيختك فانك لقد اظهرة (اظهرت) بذلك الوجد في هذا الخصوص ما يجب عليك وعلى قومك واستجلب الخير والسلامة في حقك لان الظاهر عند الدولة العليه انت عمدة قومك وقدوة عشيرتك تعلم وتتقن ما يقتضي لك ولاتباعك من اطاعة اوامر السلطانيه بحيث منذ كنت شيخاً على قومك ولم يسمع منك الى هذا الان الا خدامة المرضيه فلذلك عفى (عفت) عنك الدولة العليه ما وقع منك بالخطا في بعض الاحوال الذي يتضمن الاتباع الى المغضوب المرقوم قبل الوقوف بكيفية ارادة حضرة السلطانية.

فالآن ارسلنا اليك هذه الورقه المخصوصة ليتزل على قلبك سكناً ويحصل امناً حسناً فاذا عرفت الكيفية بوصول هذه الرقيمة فعليك الاستقامة والتبات (والثبات) في مقام الانقياد والاطاعات والامتثال لكلما ورد اليك من طرف الوزير المشار اليه الوالي بايالة صيدا . وابرز الخدمه والصداقه في مصلحة عكا فان الخير والسلامه والاخرة والاولى انما يكون باطاعة السلطان والخليفة الدوران الذي افاض على العالمين البر والاحسان وملا (وملأ) بانوار جلالة شانه الكون والمكان. فطوبى لمن استظل بظلال شوكته العلية واتبع برضايه الاعلى فيما امر ونهى . والسلام على من استمع القول واهتدى .

١٢

في عوايد الكتابة الى السيد البطريرك

ايها الاب الاقدس

بعد لثم ثرى اقدام قدسكم الاطهار والتماس صالح ادعيتكم في مقاطع الليل والنهار مع رفع الدعا بدوام بقا قدسكم وتأييد ايام رياستكم. نعرض انه في اشرف زمان والطف اوان تشرفنا بورود المرسوم الشريف وفهمنا فحواه السامي المنيف وجميع ما رسمتموه بـه صار معلوم ولدكم وان شاء الله بحسب امركم العالي نبادر بقضا المصلحة الفلانية حسب المطلوب. والآن اقتضى اعرافه اشعاراً بوفود مرسومكم الشريف وابتغاء عدم هجرنا من فيوضات الخاطر المنيف وان لا ننسى من الدعوات الخيريه ونكرر لثم الانامل المقدسه السنيه .

ولد غبطتكم فلان

العنوان

يتشرف بلثم انامل قدس الاب الاقدس ماري يوسف بطرس البطريرك الانطاكي وساير المشرق الكلي الطوبى دام برّه .

١٣

صورة كتابه من جناب ولد حاكم الدير الى بطرك الروم

ثم الكتابه على طرحية ورق سفول (مصقول)

جناب حضرة المحب الاعز الاكرم والصديق المحتشم البطرك ميتوديوس المكرم دام محفوظاً .

غب اهدا زواهر الموده العاطره وجواهر المحبـة الفاخره ومزيد الاشواق الوافره لمشاهدتكم بكل خير وعافيه انه بابرك ساعه ورد لنا تحريركم وسرنا علم صحتكم وما ذكرتموه بقي بعلومنـا وعرض دعاكم المرسل لسعادة سلطانم الوالد الماجد الافخم وصل وقدمناه ليديه الكرام . وواصل من لدنه جواب بفحواه السامي كفايه . ونرغب دوام ورود اخبار صحتكم بما يلزم .

محبكم امين ش

١) الكتابة هي من الامير امين ابن الامير بشير شهاب الكبير حاكم دير القمر .

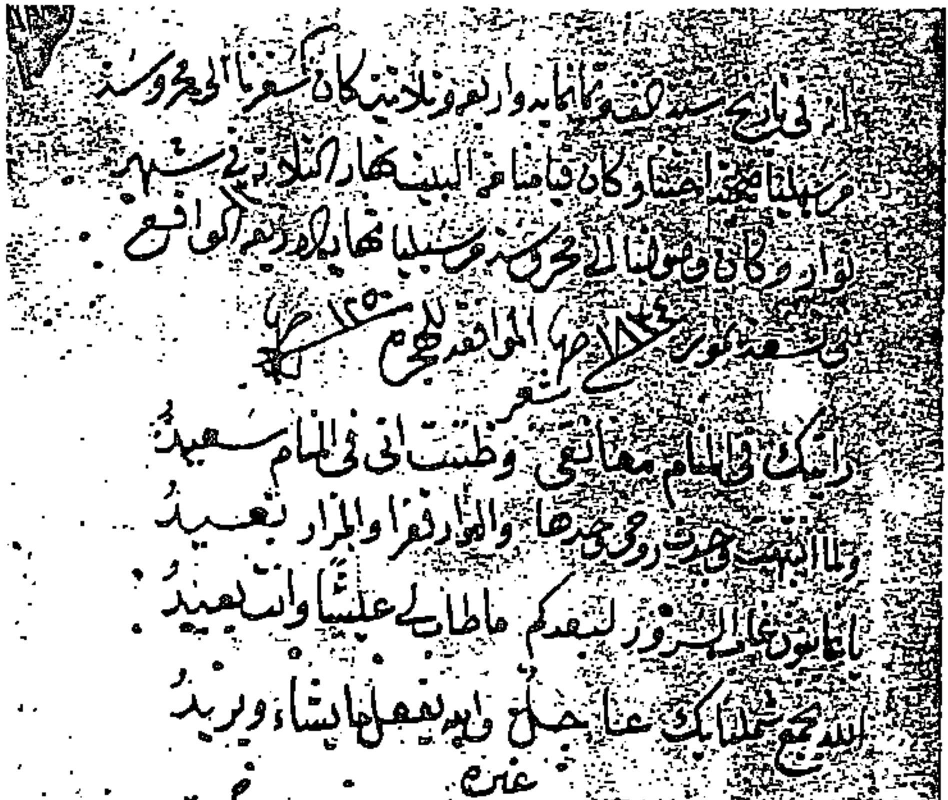
شعر

رأيتك في المنام معانقي وظننت أني في المنام سعيدُ

ولما انتبهت وجدت روحي عندها والدار قفرا والمزار بعيدُ

يا غائبين عن السرور لبعدكم ما طاب لي عيش وأنت بعيدُ

الله يجمع شملنا بك عاجلا والله يفعل ما يشاء ويريدُ

غيره

خلت الرباع من الرجال وتفرقت فيها البيادق

يعلو الغراب على العقاب واصطاد فرخ البوم باشق

ويسابق عرج الحمير فقلت من عدم السوابق

ويقطب لابنة الزمان واضحى الوطواط ناطق

وتكسب دوس البزاة واصطاد فرخ البوم باشق

صفحة من مخطوطة « السفينة »

١٤

ترجمة الى القاضي والمفتي

الى جناب قدوة العلما. المحققين . وعمدة البلغا المدققين . اقضى قضاة المسلمين . المحفوف بوقاية رب العالمين . سعادة مولانا فلان افندي المحترم. دام بمزيد الفخر والنعم .

غب لثم ايادي (ايدي) سعادتكم الكرام. وتأدية الدعا لله تعالى بدوام بقاكم للدوام . كلما وجب ولاق لسامي المقام من الاهابة والتوقير والاحتشام. نعرض بين ايديكم ان الداعي الى تدبيج صحيفة الدعا فهو افتحاص انشراح الخاطر العاطر . ولطف المزاج السليم الفاخر . ان شاء الله تكونون بدوام الرفاهية والرياضة. مع سبوغ الانعام المفاضة. رافلين بوشاح العز والفخر والافراح. ثم ان جاز من خاز ارق الحنال . بالسوال عن الاحوال. فانا من كرم وجود . واجب الوجود . حين رقم هذه السطور . بغاية الاعتدال المأثور . مقيمون على وظيفة الدعا والتوسل للمهيمن الاحد بجبر الشفا بدوام بقاكم بالسرور . وغلبة الجذل والحبور . مع صفا البال . وزوال البلبال . وتمام الاقبال . نرجو تشرفونا بكلما توفق من الاحيان . بمواصلة مراسيم الاطمينان . معما بدا من الخدم والمهام . فسعياً على الرأس قبل الاقدام . وادام الله بالاقبال سعد سعودكم . واشرق في ابراج الجلال شمس وجودكم .

١٥

من وزير للمشايخ

افتخار المشايخ الكرام حاوي المحامد الفخام محسوبنا الشيخ فلان زيد قدره.

غب التحية والتسليم بمراسم الاعزاز والتكريم . المبدي اليكم انه كذا كذا فبوصوله واطلاعكم على مضمونه بادروا حالاً بالمطلوب من دون تاخير ولا تقصير اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد . السيد عبدالله والي صيدا

١٦

اعراض

نعرض ليس خافي مسامعكم الشريفة احوال هذه السنة والضعف الحاصلين به والحال الشديد الذي يرثى (يرثى) له. ومعلوم عند الجميع قد حصلنا باحتياج

لا يوجد ومن كوننا عبيد رق لسعادتـــه وجنابكم حاشا الشيم الملوكيه ان تسمحو جنابكم اننا بايام دولتكم السعيده نحصل على هذه الحال . فزيادة رجانا براحمكم الاصفيه ومكارمكم الحاتيه تهجسنا بهذا الاعراض لدى المسامع الشريفه املًا بوفور شهامتكم الملوكيه تفيض هممكم العليــه وتترجو مراحم سعادته ايده الله في عبيدكم باصدار الجلم بما تفيض مراحمه العليه لنعيش به ونستمر بما هو واجب علينا تقديم وضيفة (وظيفة) الدعا الخيري للملك الجبار بدوام دولته الزاهره مدا الادهار ويخلد لنا وجود جنابكم سالمًا من ساير الاضرار.

١٧

انشاء لبعضهم

ابهى وافضل واشرف ما سجعت وانشت اطيار منابر الاغصان على قدود افنان الاشجار بالحان نشايد فِقَر الاوزان الشجيّه واشهى واكمل واظرف مـا نسجت ووشّت ابكار خداير الاذهان من برود معاني النثار ببنان خرايد غرر البيان السنيه. وازهى واجمل والطف ما نظمت ورقشت افكار ضماير الانسان من عقود جمان الاشعار بلسان فوايد درر التبيان الرضيّه .

شعر

سلامٌ يفوق المسك والند نفحةً تضمَّن شوقـاً ليس يحصره الحدُّ
يبلّغ ممن ذاب شوقـاً وحرقةً لمن ليس يحصي فضله الحـدّ والعدُّ

وورد على هوامش هذه الصفحة ٣٣ ما يلي بالحرف الواحد :

« هذه السفينه الى فاعور الدحداح ما لاحد بها تعلّق اصلًا » .

« خدمة نوبانك يا خطار برضا الله اربح واكسب من متاعب النفس والجسم . اياك تبتلي بخدمة الحكّام[1] « صح » .

« وكتابتي هذه السفينه لكي تتقوى بالعربي يا خطار وتتعلم قواعد الخط من بعض اوجه كان لان معرفة الشيء احسن من عدم معرفته . خذ من هذه السفينة قواعد الخط ولا تغيّر وانما انظر للاجود بخطها واسلكه ولا يلذ لك بعض ترخرفات من الخطوط وهذه القاعده ما لها وجود » .

« كتاب مجموع يفيد من ابتلا (ابتلى) بكار التعتير بخدمة الحكّام » . (يتبع)

---

(1) من الغريب ان الشيخ خطار لم يعمل بحسب وصايا ابيه المتكررة ؛ فقد تقلّب بعدة وظائف في متصرفية جبل لبنان مدة ثلاثين سنة على ما مرّ بك .

كتاب تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

اعتنى مؤلف هذا الكتاب بالدروس اللغوية وصار من كبار اهل اللغة. لم يجدّد ولكنه أخذ عن التبريزي . فألّف كتاباً تروق القارئ لما فيها من معلومات دقيقة ومن تحليل ينمّ عن عقل ثاقب متين . عاش في القرن الخامس للهجرة وأهدى للقارئ كتباً ثلاثة هي شرح ادب الكاتب والمعرّب والتكملة التي ننشرها اليوم . مات في بغداد في اواسط القرن السادس للهجرة .

كان المستشرقون المهتمون بامور اللغة السابقون لنشر كتب الجواليقي مؤلف هذه التكملة . فنشر ساخو في ليبسك المعرّب من الكلام الاعجمي سنة ١٨٦٧ ونشر دارنبرج كتاب التكملة هذه في مجلة المانية Morgenlandforschung في ليبسك ايضاً سنة ١٨٧٥ .

ولما كانت لهذه التكملة قيمة عظيمة في درس بعض الكلمات العربية واستعمالها المخطئ لدى الناطقين بالضاد ، ولما كانت النشرة الاولى لم تمدّ بين الايدي للتداول والمنفعة ، فقد قررنا أنْ نُعيد طبعها . وفي ذلك فائدة .

لقد توافرت المعلومات عن الجواليقي في الانباري ٢٧٣ وفي ابن خلكان ٢ – ١٨٧ وفي روضات الجنّات ٤–١١٣ وفي بغية الدعاء ٤٠١ فقد قيل فيه كل ما يُستطاع (راجع معجم مركيس ص ٧١٩) .

تأليف الشيخ الاجلّ الامام ابي منصور موهوب بن احمد محمد بن الخضر الجواليقي رحمه الله . رواية الشيخ الامام مهذب الدين ابي الحسن عليّ بن عبد الرحمن السلمي عن رواية الشيخ الامام العلّامة ابي محمد عبدالله بن بري .

قال الشيخ الامام ابو منصور الجواليقي : هذه حروف الفيت العامة تخطئ فيها فاحببت التنبيه عليها لاني لم ارها او ٣ كثرها في الكتب المؤلّفة فيما تلحن فيه العامة . فمنها ما يضعه الناس غير موضعه . أو يقصرونه على مخصوص وهو شائع . ومنها ما يقلبونه ويزيلونه عن جهته ومنها ما يُنقص ويزاد فيه وتبدل بعض حركاته او بعض حروفه بغيرها واعتمدت الفصيح من اللغات دون غيره . فان ورد شيء مما منعته في بعض النوادر فطرح لقلته ورداءته. فقد أُخبرت عن الفرّاء انه قال : واعلم ان كثيراً ما نهيتك عن الكلام به منه شاذّ اللغات ومستكره الكلام لو تسمت باجازته لرخصت لك ان تقول رأيت رجلان ولقلت

اردت عن تقول ذاك . ولكن وضعنا ما يتكلم به اهل الحجاز وما يختاره فصحآء اهل الامصار فلا يلتفت الى من قال يجوز فانّا قد سمعناه . الّا انّا نجيز للاعرابي الذي لا يتخيّر ولا نجيز لاهل الحضر والفصاحة ان يقولوا السلام عليكم ولا جئت من عَندِك واشباهه مما لا نحصيه من القبيح المرفوض وما توفيقي الّا بالله .

فما تضعه العامة غير موضعه قولهم فيا بين صلاة الفجر الى الظهر . فعلت البارحة كذا وكذا . وذلك غلط والصواب ان تقول فعلت الليلة كذا الى الظهر . وتقول بعد ذلك فعلته البارحة الى آخر اليوم، والصباح عند العرب من نصف الليل الآخر الى الزوال، ثم المساء الى آخر نصف الليل الاول . كذلك روي لي عن ثعلب رحمه الله. ومما يشهد بصحة ذلك ما روي عن النبيّ انه قال: من فاته شيء من ورده او قال جزأيه من الليل فقرأه ما بين صلاة الفجر الى الظهر فكأنه قرأه من ليلته . وقال صلعم ذات ليلة في دعآئه فحتى اذًا او طاعون. فلما اصبح قال له انسان من اهله يا رسول الله لقد سمعتك الليلة تدعو بدعاء . وعنه (صلعم) انه كان اذا قعد بعد صلاة الغداة يقول هل رأى احد منكم الليلة رؤيا . وقال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال خبّرني بارجى عمل عملته منفعة في الاسلام فانّي سمعت الليلة خشف نعليك بين يديّ في الجنة .

ومن ذلك قولهم بعد الغروب فعلت اليوم كذا وكذا وذلك غلط، والصواب ان تقول فعلته امس الاحدث لان مقدار اليوم من طلوع الشمس الى غروبها . فاذا غربت الشمس فقد ذهب اليوم ومضى. قال الشيخ ابو محمد بن برّي قول العامة هو الصحيح عندي وذلك ان امس في الايام بمنزلة البارحة في الليالي وكذلك غد في الايام نظير القابلة في الليالي . فامس لليوم الذي قبل يومك والبارحة لليلة التي قبل ليلتك . وغد لليوم الذي بعد يومك • والقابلة لليلة التي بعد ليلتك واذا ثبت انه لا يقال في اول اليوم عند انقضاء الليلة رأيته البارحة بل يقال رأيته الليلة لكون الليلة الثانية لم تأتِ بعد. فكذلك لا يجوز ان تقول في اول الليلة عند انقضاء اليوم رأيته امس بل تقول رأيته اليوم لكون اليوم الثاني لم يأتِ بعد . وانما جاز ان تقول بعد نصف النهار رأيته البارحة لكون ذلك الوقت قد دخل في حد مسآء الليلة الثانية كما يجوز لك ان تقول بعد

مرسوم شريف بعث سعادة صاحب السعادة الصدر الأعظم صالح
باشا المتوجه إلى قبائل نجد بشير في ١٣٢٤ كلمة نحن كتابنا إلى قدوة
عشاير والقبايل شيخ المشايخ شيخ بشير زيد قدره
حررنا مونقام عواطف باباشا كمالي فهو أن المعلوم في جميع الناس
إن المبغوض المغضوب عبدالله باشا الكرالي في ايالة البصرة سابقا
قد نال قبل هذا في محض عواطف الدولة العلية السلطانية
بالرتبة لحاكم الوزارة في ريعان شبابه وحصل الامتياز بين
امثاله واقرانه ولكنه لم يعلم قدر ما أعطي في تلك النعم
الجليلة والمنح الجزيلة حيث خرج بكفران جبلته في دائرة الانقياد
وتجاسر بالبغي والفساد وان هددناه عما فيه من الافعال الشنيعة
فقد ومضى في حركاته المردية حتى أطلق قدميه كلها وتجاوز الى
ارجاف عشائر الشريف وبسط يدي غضب وتهديد بمرتبات الحاج المنيف
وتصدى كذا وكذا بأنواع الفضل السخيف والطور العنيف فلزم
ازالة وجوده لازالة الفساد وازاحة الفساد في البلاد فسوف
يشاهده سوء جزاء عمله ان شاء الله بلا امتداد لكن المقصود من
كتابنا هذا انه قد كان قبل هذا معلوما عند الدولة العلية
ولا سيما الآن بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الكرالي بالكناية
سابقا والكرالي بالبصرة حالا ان المغضوب المرقوم

صفحة من خط شيخ جهجه الدحداح في خزينة سعادة الشيخية

مُضي النصف من الليل رأيته امس لكون ذلك الوقت دخل في حدّ الصبح لليوم الثاني .

ومن ذلك قولهم الايام البيض وصفاً للايام والايام كلهــا بيض وهو غلط والصواب ان يقال ايام البيض اي ايام الليالي البيض لان البيض وصف لها دون الايام فتحذف الموصوف وهو الليالي وتقيم الصفة مقامهــا وهو البيض وتضيف الايام اليها والليالي البيض الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة. وسمّت بيضاً لطلوع القمر من اولها الى آخرها . والعرب تسمّي كلّ ثلث من ليــالي الشهر باسم فتقول ثلاث غرر وغرّة كلّ شيء اوّله وثلث نفل لانها زيادة على الغرر. وثلث تُسع لان آخر ايامها التاسع. وثلاث عُشر لان اول ايامها العاشر . وثلاث بيض لانها تبيض بطلوع القمر من اولها الى آخرهــا . وثلاث دُرع لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها . وثلاث ظُلَم لاظلامها . وثلاث حنادس لسوادها . وثلاث دآدي لانها بقايا . وثلاث محاق لانمحاق القمر او الشهر .

ومن ذلك قولهم في الدعاء نعوذ بالله من طوارق الليل وطوارق النهار وهو غلط لان الطروق الاتيان بالليل خاصّة ولهذا سمّي النجم طارقاً . قال الله تعالى والسماء والطارق. والصواب ان يقال نعوذ بالله من طوارق الليل وجوارح النهار. لان ابا زيد حكى عن العرب : جرحته نهاراً وطرقته ليلاً . قال الله تعالى : وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار .

قال ابن بري . الذي تقوله العامة نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار وهذا جائز ان تقدر الثاني على خلاف تقدير الاول كقول الشاعر انشده ثعلب .

تراه كأنّ الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه اسى له وفر

وقال آخر :

يا ليت زوجك قد غدا متقلّداً سيفاً ورمحــاً

فالثاني من هذه الاشياء يحمل على ما يوافق معناه . وقال الراعي :

« يزججن الحواجب والعيونا »

والتزجيج لا يكون في العين ومن ذلك العام والسنة لا تفرق عوام الناس

بينهما ويضعون احدهما موضع الآخر. فيقولون لمن سافر في وقت من السنة الى مثله اي وقت كان سافر عاماً وذلك غلط والصواب ما أخبرت به عن محمد بن يحيى رحمه الله انه قال السنة من اي يوم عددتها فهي سنة . والعام لا يكون الّا شتاء وصيفاً. وليس السنة والعام مشتقين من شي. فاذا عددنا من اليوم الى مثله فهو سنة يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف . والعام لا يكون الّا صيفاً وشتاء ومن الاول يقع الربع والربع والنصف والنصف اذا حلف لا يكلمه عاماً لا يدخل بعضه في بعض انما هو الشتاء والصيف والعام اخصّ من السنة . فعلى هذا تقول كل عام سنة وليس كل سنة عاماً .

قال ابن بري : العام والسنة والحول والحجة عند العرب بمعنى . قال الله سبحانه بل لبثت مئة عام . وقال الربيع : اذا عاش الفتى مئتين عاماً .

وقال الآخر :

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين حولًا ثم قوم فارضانا

وقالت اخت طرفة :

عددنا له ستاً وعشرين حجّة فلما توفاها استوى سيّداً ضخماً

ومن ذلك قولهم : تواترت كتبي اليك يعنون اتصلت من غير انقطاع فيضعون التواتر في موضع الاتصال وذلك غلط . انما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه وهو تفاعل من الوتر وهو الفرد . يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين هنيهة . قال الله تعالى : ثم ارسلنا رسلنا تترى اصلها وترى من المواترة فابدلت التاء من الواو ومعناه منقطعة متفاوتة لان بين كل نبيين دهراً طويلًا . وقال ابو هريرة : لا بأس بقضاء رمضان تترى اي منقطعاً . فاذا قيل واتر فلان كتبه فالمعنى تبعها وبين كل كتابين فترة .

قال ابن بري : التواتر مجيء الشيء بعضه في اثر بعض وترًا وترًا. ومواترة الصوم ان يصوم يوماً واحداً ويفطر بعده يوماً او يومين فيأتي به وترًا وترًا . وكذلك قوله سبحانه ثم ارسلنا رسلنا تترى اي ارسلنا بعضها في اثر بعض وترًا وترًا. وكذلك قول ابي هريرة لا بأس بقضاء رمضان تترى اي لا بأس عليك

ان تصومه وترا وترا فالوتر يعني الافراد .

ومن ذلك قولهم : هذه قدور برام يعنون بالبرام الحجارة وذلك خطأ انما البرام جمع برمة وهي القدر من الحجارة كما تقول حُلة وحلال وعلبة وعلاب . والصواب ان تقول برام الحجارة او تقول برام فيعلم انها من حجارة لان البرمة لا تكون من غير الحجر وتجمع البرمة على البرام والبُرْم والبُرَم . قال طرفة :

القت اليك بكلّ ارملة شعثاء تحمل منقع البُرْم

وقال آخر قال ابن بري هو النابغة : والبائعات بشطي نخلة البُرَما

قال ابن بري صدره : ليست من السود اعقاباً اذا انصرفت. وقال ايضاً على هذه الكلمة لا تمتنع اضافة القدور الى البرام لكون البرام مختصة بالحجارة والقدور عامة تكون من الحجارة والحديد والنحاس . واذا كان للشي اسمان جاز اضافة الاعمّ الى الاخصّ نحو حبل الوريد وحبّ الحصيد وعرق النسا وعرقا الابيض وصلاة الاولى ومسجد الجامع . ولا تلتفتّ الى من قال انه اراد صلاة الساعة الاولى ومسجد اليوم الجامع .

ومن ذلك قولهم : فلان ظريف يعنون انه حسن اللباس لبقه ويخصونه به وليس كذلك انما الظرف في اللسان والجسم . أخبرت عن الحسن بن علي عن الخزاز عن ابي عمر عن ثعلب قال : الظريف يكون حسن الوجْه وحسن اللسان . الظرف في المنطق والجسم ولا يكون في اللباس قال ابن الاعرابي : فلان عفيف الطرف نقيّ الظرف . قوله نقيّ الظرف يعني البدن. وقال عمر : اذا كان اللصّ ظريفاً لم يقطع معناه، اذا كان بليغاً جيّد الكلام احتجّ على نفسه بما يسقط عنه الحدّ والفعل من هذه الكلمة ظرُف يظرُف ظرفاً فهو ظريف والجمع الظرفاء. ولا يوصف بذلك السيد ولا الشيخ . وانما يوصف به الفتيان الازوال والفتيات الزولات . قال ابن الاعرابي : الظرف في اللسان والحلاوة في العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف . وقال محمد بن يزيد : الظريف مشتقّ من الظرف وهو الوعاء، كأنه جعل الظريف وعاء للادب ومكارم الاخلاق . ومن ذلك قولهم للتبحير عُصارة وانما العُصارة ما تحلّب من الشيء المعصور وكل شيء عُصر ماؤه فهو عصير والماء عُصارة . قال امرؤ القيس :

كأنّ دمآء الهاديات بنحره عُصارة حنّاء بشيب مُرَجَّل

وقال آخر :

انّ المذارى قدْ خلطن بلّمتي عصارة حنّاء معاً وصبيب

وقال آخر انشدنيه ابن بندار عن ابن رزمة عن ابي سعيد عن ابن دُريد. قال ابن بري البيت لابي قيس الاسلت .

والعود يُعصر ماؤه ولكلّ عيدانٍ عُصارة.

وقال جرير :

انت ابن برزة منسوباً الى لجاٍ عند العصارة والعيدان تُعتَصر

وقال ايضاً يهجو الفرزدق :

لحى الله ماءً من عروق خبيثة سالباء جاء منها مختَّرا
فما كان من فحلين شرُّ عصارة وألأم من حوض الحمار وكيمرا

قال ابن بريّ الصحيح في انشاد هذا البيت :

فما كان من فحلين شرَّ عصارة والأم من حوق الحمار وكيمرا

اراد بالفحلين اباه وجدّه . وحوق الحمار وكيمرا لقبان لها . ووجد بخط السكري حوض الحمار . حوض الحمار لقب كان لغالب وكيمرا اشتقّه من الكمرة . وقال ايضاً يهجو التيم :

يا تيم خالط خبث ماء ابيكم يا تيم خبثَ عصارة الارحام

ولا يلتفت الى ما سواه .

قال ابن بري قوله ولا يلتفت الى ما سواه يريد قول من جعل العصارة تنطلق على الماء وعلى الثفل كما ذكره الجوهري وغيره . ولا تكون الحجّة في ذلك ان باب الفعالة ان يكون لما يبقى ويفضل مثل الحثالة والنفاية والجرامة والكرادة .

ومن ذلك السوقة يذهب عوام الناس الى انهم اهل السوق وذلك خطأ.

انّما السوقة عند العرب من ليس بملك تاجرًا كان أو غير تاجر بمنزلة الرعيّة التي يسوسها الملوك وسمّوا سوقة لانّ الملك يسوقهم فينساقون له ويصرّفهم على مراده . يُقال للواحد سوقة وللاثنين سوقة وربّما جُمع سُوَقًا . قال زهير :

يطلب شأو امرأين قدّما حسنا   نالا الملوك وبذّا هذه السُّوَقا

وقال ايضاً :

يا جار لا أُرمين منكم بداهية   لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وقالت حرقة بنت النعمان :

بينا نسوس الناس والامر أمرنا   اذا نحن فيهم سوقة نتنصّف

فاما اهل السوق فالواحد منهم سوقي والجماعة سوقيّون. ومن ذلك اليقطين يذهب العامة الى انه القرع خاصة وليس كذلك انما اليقطين كل شجر انبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساق مثل القرع والقثاء والبطيخ ونحو ذلك . وقال سعيد بن جبير كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فهو يقطين. ابن بري : قال المعرّي يقال فيه قرْع وقرَع والتحريك افصح . وأنشد :

بئس ادام الرجل المقلّ   ثريدة بقرَع وخلّ

ومن ذلك قول المتكلمين في صفة الله تعالى الذات قال ابن برهان وذلك جهل منهم ولا يصحّ اطلاق هذا في اسم الله تعالى لان اسماءه جلّت عظمته لا يصحّ فيها الحاق تاء التأنيث ولهذا امتنع ان يقال فيه علامة وان كان اعلم العالمين . فذات بمعنى صاحبة تأنيث قولك ذو الذي بمعنى صاحب . وقولهم الصفات الذاتية جهل منهم ايضاً لان النسب الى ذات ذوي كما ان النسب الى ذو ذَوَويّ. اخبرنا بذلك ابو زكريا. وكذلك قولهم المحسوسات اي المعلومات خطأ ايضاً والصواب ان يُقال المحسّات لانه يقال احسست الشيء. وحسست به . فاما المحسوسات فمعناها في اللغة المقتولات يقال حسّه اذا قتله . وكذلك قول العامة حسّ في معنى سمع ووجد غلط . العرب تقول احسّ اذا وجد. فاما حسّ فقتل وحسّ الدابّة بالمحسّة وحسّ النار اذا ردّها بالعصا على خبز الملّة وحسّ اللحم اذا وضعه على الحجر . ابن بريّ : كثيرًا ما يستعمل هذه اللفظة

ابو عليّ الفارسي وابو عمران الصقلي على جلالتهما في العلم. فيقولون كل محسوس معلوم وليس كل معلوم محسوساً وتجويزهم ذلك اما ان يحملوه على باب احمّهُ الله فهو محموم واسعده فهو مسعود واما ان يكون على جهة الاتباع لملوم كما جاء في الحديث ارجعن مأزورات غير مأجورات.

ومن ذلك الخِروَع تذهب العامة الى انه نبت بعينه ويفتحون خاءه فيخطئون في لفظه ومعناه . وانما الخِروع كل نبت يثني اي نبت كان ولهذا قيل للمرأة الليّنة الجسد خِرْبِع . ومنه حديث ابي سعيد الخُدري : لو سمع احدكم خفطة القير لخرع اي انكسر وضعُف وليس في كلام العرب شيء على فِعْوَل بكسر الفاء الا حرفان خِرْوع وعِتْوَد وهو اسم واد أو موضع ابن بري : قال ابو سعيد هو اسم دويبة .

ومن ذلك البقل تذهب العامة الى انه ما يأكله الناس خاصة دون البهائم من النبات الناجم الذي لا تحتاج في اكله الى طبخ وليس كذلك انما البقل العشب وما ينبت الربيع مما تأكله البهائم والناس . قال الشاعر . ابن بري : هو للخارث بن دوس الديادي :

قوم اذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل

وقال آخر ابن بري : هو عامر بن جوين الطائي .

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرضَ البقل ابقالها

وقال زهير :

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى اذا انبت البقل

وقال ابو دؤاد :

مثلُ عير الفلاة صملكه البقل مشيح باربع عمراتِ

ابن برى : مثلِ عيرِ الفلاة بالخفض وكذلك مشيحٍ بالخفض . ويروى بالنصب على انه حال من العير ومن خفض ابدله منه وقبلهُ :

يأمون كالبرج صادقة العدو لا تشتكي من البخصات

يقال منه بقلت الارض وابقلت لغتان فصيحتان اذا انبتت البقل وابتقلت الابل وتبقلت اذا رعته . قال ابو النجم يصف الابل :

تبقّلت في اوّل التبقّل بين رماحَيْ مالك ونهشل

والفرق بين البقل ودق الشجر انّ البقل اذا رُعي لم يبقَ له ساق والشجر تبقى له سوق وان دقت .

وكذلك يجعلون الحشيش ضرباً من رطب العشب وانما الحشيش يابس العشب كله ولا يقع على شيء من الرطب . ورُطب العشب يُدعى الرُطب بضم الراء والخلا جميعاً والكلأ يجمعها .

ومن ذلك الصلَف فتذهب العامة الى انه التيه والذي حكاه اهل اللغة في الصلَف انه قلّة الخير. يقال امرأة قليلة الخير لا تحظى عند زوجها وقد صلفت صلَفاً اذا لم تحظَ عنده . ورجل صَلِف اي قليل الخير . ومن امثالهم ربّ صلَف تحت الراعدة .

ومن ذلك البهانة تذهب العامة الى انها ذمّ ويعنون بها المرأة البلهاء. وليس كذلك انما البهانة صفة تمدح بها المرأة . يقال امرأة بهانة اذا كانت ضاحكة مهلة وقيل هي الطيّبة الرائحة الحسنة الخُلق السمحة لزوجها. وقال ابن الاعرابي في قول الشاعر . ابن بري : هوغامان بن كعب بن عمرو . وقال ابو العباس هوعامان بعين غير معجمة وذكر غيره انها معجمة .

ألا قالت بهانِ ولم تأبَق نعمتَ ولا يليق بك النعيم

اراد بهانة . وتأبق تأثم بن بري : وقيل تأبق تبعد مأخوذ من إباق العبد اي لم تفرّ. وقال ابو الحسن عليّ بن سليمان ليس بهان محذوفاً من بهانة لانه ليس كل ما يحذف منه شيء يجب ان يبنى وكل ما بُني من هذا على فعال فهو معدول عن فاعلة فبهانِ معدولة عن باهنة وهي ان تصير بهانة فهذا الوجه الذي لا يكون غيره وان لم يحصه ابن الاعرابي وبعده .

بنون وهجمة كأشاء بُسّ صفايا كثّةُ الأوبار كومُ
اذا اصطكت بضيق حجرتاها تلاقي العسجديّة واللطيمُ

ومن ذلك المُتفتية تذهب العامة الى انها الفاجرة وليس الامر كذلك . انما المتفتية الفتاة المراهقة يقال تفتّت الجارية اذا راهقت فخدّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان . وقد فتيت تفتية . يقال لفلانة بنت قـد تفتّت امي تشبهت بالفتيات وهي اصغرهنّ . ويقال للجارية الحدثة فتاة وللغلام فتى . قال القتبيّ ليس الفتى بمعنى الشابّ والحدث وانما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال ابن بري : المشهور في قولهم تفتت المرأة تشبّهت بالفتيات وتفتى الشيخ تشبّه بالفتيان فليست المتفتية التي بمعنى خدرت. انما يقال في ذلك فُتيت على ما لم يسمّ فاعله.

ومن ذلك قولهم للكثير الاشغال مربوب وذلك قلب للكلام والوجه ان يقال رابّ فاما المربوب فهو المُصلَح المربّى . قال الشاعر ابن بري : هو سلامة بن جندل :

يعطي دواء قفيّ السَكن مربوب

ويقال سقاء مربوب اذا متّن بالرُبّ . يقال ربّ فلان ولده يربّـه ربًّا وربّ ضيعته يربّها ربًّا اذا اتمّها واصلحها فهو ربّ ورابّ . قال الشاعر :

يُربّ الذي يأتي من العرف انه اذا سئل المعروف زاد وتمّما

والرب ينقسم ثلثة اقسام ربّ مالك يُقال هو رب الدابّة ورب الدار وكل من ملك شيئاً فهو ربه . وربّ سيّد مطاع . قال الله تعالى فيسقي ربه خمرًا اي سيّده. وربّ مصلح يقال ربّ الشيء اذا اصلحه ولا يكاد يقال الرب بالألف واللام لغير الله. وكذلك قولهم لساقي الماء شارب هو قلب للكلام انما المسقى الشارب وصاحب الماء الساقي. ومثله قولهم لضرب من المشموم الشمّام والشمّامة فيجعلونه للمفعول . وانما الشمّام والشمّامة بناء للفاعل للمبالغة ولا يكون للمفعول. ابن بري : لو ورد سماع بالشمّامة لكان مقبولًا لانّ فعّالة ومفعالًا قد جاء بمعنى المفعول كقولهم زرّاعة للارض التي يزرع فيها . وزمّارة القصبة التي يزمّر بها. وقالوا دار محلال ومظعان للتي يُحلّ فيها كثيرًا ويظعن عنها كثيرًا. وقالوا ناقة مخلاء للتي خليت وولدها .

ومن ذلك الغلام والجارية يذهب عوام الناس الى انها العبد والأمة خاصة.

وليس كذلك . انما الغلام والجارية الصغيران وقيل الغلام الطارّ الشارب. ويقال للجارية غلامة ايضاً . قال الشاعر هو اوس بن غلفاء الهجيمي: تهان لها الغلامة والغلام. صدره . مركّضة صريحيّ ابوها . وقبله :

اعان على مراس الحرب زغف مضاعفة لها خلق تُؤامُ
ومطّرد الكعوب ومشرفيّ من الأولى مضاربه حسامُ

وقد يقال ايضاً للكهل غلام . قالت الاخيلية تمدح الحجاج : غلام اذا هزّ القناةَ سقاها. صدره : شفاها من الداء المقام الذي بها . وكان قولهم للطفل غلام على معنى التفاؤل اي سيصير غلاماً وهو فعال من الغلمة وهي شدّة النكاح. وقالت امرأة ترقص بنتاً لها :

وما عليّ ان تكوني جارية حتى اذا ما بلغت ثمانيه
زوجتها عتبة او معاوية اختان صدق ومهور غاليه

وقال آخر :

جارية اعظمها اجمّها قد سمّنتها بالسويق امها

وقال الشاعر :

جوارٍ تحلين اللطاط يزينها ببرايج احوافٍ من الأَدَم الصرف

اللطاط جمع لطّ وهو قلادة من حنظل . والاحواف جمع حَوف وهو شبه بالمئزر يتخذ للصبيان من ادم يشق من اسافله ليمكن المشي فيه .

ومن ذلك الدُبر تذهب العامة الى انه الاست خاصة وليس كذلك . دُبر كل شيء خلاف قُبله بضم الدال ما خلا قولهم جعل فلان قولك دَبرَ اذنه اي خلف اذنه فانه بفتح الدال . قال الله تعالى سيهزم الجميع ويولون الدُبر. وقال عزّ اسمه :وادبار السجود. قال:والليل اذا دَبر . وكذلك يجعلون الجحر اسماً لها خاصة وانما الجُحر كل ما تحتفره في الارض من الدواب ما لم يكن من عظام الخلق نحو جحر اليربوع والثعلب والارنب وشبه ذلك .

ومن ذلك النميم بالذال المعجمة يضعه الناس في موضع الدسيم بالدال غير

المعجمة فيقولون فلان ذميم اي قميٌ حقير والصواب ان يقال دميم فان كان سيءْ الخُلق قيل ذميم . يقال من الاول رجل دميم وامرأة دميمة من نساء دمائم ودِمام وما كنت يا رجل دميماً. ولقد دممت بمدي تدَمّ دمامة واشتقاقه من الدِمّة وهي النملة والقملة الصغيرة والدمامة بالدال مهملة في الخَلق والذمامة بالذال معجمة في الخُلق. يقال منه ذم الرجل يذُم ذماً وهو اللؤم في الاساءة . ومن ذلك الانتفاخ بالخاء. يضعه الناس موضع الانتفاج بالجيم ولكل واحدة منها موضع يوضع فيه. فاما الانتفاخ بالخاء. فعظم الجنبين الحادث عنه علة. او أكل أو شرب . والانتفاج بالجيم عِظَم الجنبين خِلقة من غير علة. يقال رجل منتفج بجنبين وفرس منتفج بجنبين قال الشاعر (هو لابي النجم) .

منتفج الجوف عظيم كلكله

فمدحه بذلك ولو قال بالخاء لكان ذماً . ويقال انتفجت الارنب اذا اقشعرت وكل شيء اجفألّ فقد تنفج. ومن ذلك التحليق تذهب العامة الى انه رمي الشيء من عُلو الى سفل فيقولون حلقت الشيء اذا القيته وذلك غلط انما التحليق عند العرب الارتفاع في الهواء يقال حلق الطائر في كبد السماء اذا استدار وارتفع في طيرانه وحلق النجم اذا ارتفع . قال ابن الزبير الاسدي :

رُبَّ فهل طام وردت وقد خوى نجم وحلق في السماء نجوم

وفي الحديث فحلق ببصره الى السماء اي رفع البصر الى السماء كما يحلق الطائر اذا ارتفع في الهواء . ومنه الحالق بجبل المشرف . وقال النابغة في حلق الطائر :

اذا ما التقى الجمعان حلّق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

وانما سمي تحليقاً لان الطائر يطلع فيدور في طلوعه كما تستدير الحلقة. ومن ذلك اليتيم تذهب العامة الى انه الصبيّ الذي مات ابوه او امه وليس كذلك انما اليتيم من الناس الذي مات ابوه خاصة ومن البهائم الذي ماتت امه. فاليتيم من الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام. فاذا بلغ الصبي زال عنه اسم اليتيم. يقال من يتم يتيم يُتماً ويَتماً وايتمه الله وجمع اليتيم يتامى وايتام وكل

منفرد عند العرب يتيم ويتيمة وقيل اصل اليتم الغفلة وبه سمي اليتيم يتيماً لانه يُتغافل عن برّه. والمرأة تدعى يتيمة ما لم تزوج فاذا تزوجت زال عنها اسم اليتم. وقيل : المرأة لا يزول عنها اسم اليتم ابدًا . وقال ابو عمرو اليتم الابطاء. ومنه اخذ اليتيم لان البرّ يبطئ عنه. اليتيم الذي يموت ابوه والعجيّ الذي تموت امه واللطيم الذي يموت ابواه وذكر ابن خالويه ان اليتم في الطير من قبل الاب والام لان كل واحد منهما يزقّ فرخه . ومن ذلك المثقال يظنه الناس وزن دينار لا غير ولا كما يظنون . مثقال كل شيء وزنه وكل وزن يسمى مثقالاً وان كان وزن الف . قال عزّ وجلّ : وان كان مثقال حبّة من خردل . قال ابو حاتم وسألت الاصمعي عن صنجة الميزان فقال فارسي ولا ادري كيف اقول ولكني اقول مثقال فاذا قلت للرجل ناولني مثقالاً فاعطاك صنجة الف او صنجة حبّة كان ممتثلاً . ومن ذلك تنهس النصارى اذا اكلوا اللحم قبل صومهم وذلك غلط في اللفظ وقلب للمعنى الى ضدّه. اما اللفظ فانه يقال تنحّس النصارى بالحاء. واما المعنى فانه يقال لهم ذلك اذ تركوا اكل اللحم . ولا يقال لهم ذلك اذا اكلوه. قال ابن دريد هو عربيّ معروف لتركهم اكل الحيوان . قال ولا ادري ما اصله. ويقال تنحّس تجوّع كما يقال توحّش وكأنه مأخوذ منه كأنهم تجوّعوا من اللحم .

ومن ذلك قولهم: فلان حسن الشمائل اذا كان حسن التثنّي والتعطّف في المشي. وانما الشمائل الخلائق عند العرب واحدها شمال والنحويون يذهبون الى ان شمالاً يكون واحدًا وجمعاً. قال الشاعر هو عبد يغوث بن وقاص :

ألم تعلما انّ الملامة نفعها قليل وما لومي اخي من شماليا

يريد من خُلُقي . ومن ذلك قولهم للشيء اذا كرهوا ريحه وما ازفره وانما الكلام ان يقال ما اذفره بالذال المعجمة والذفر حدّة ريح الشيء الطيب والشيء الخبيث الريح. قال الشاعر في خبث الريح: هو لنافع بن لقيط الاسدي:

ومؤلق انضجت كيّة راسه وتركته ذفرًا كريح الجورب

وقال الراعي وذكر ابلاً قد رعت العشب وزهره فلما صدرت عن الماء.

نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيّبة . فقال تلك فارة الابل :

لها فارة ذفراء كل عشيّة كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

فاما الزَفر فهو الحَمل والزِفر الحِمل وليس من هذا في شيء. والزفر والزفير ان يملأ الرجل صدره غمّاً ثم يزفر به وهو من شديد الانين وقبيحه .

ومن ذلك الحليل تضعه العامة موضع الاحليل ويعنون به الذكر وهو غلط انما الحليل الزوج والحليلة المرأة وسمّيا بذلك لانهما يحلّان في موضع واحد او لان كل واحد يحالّ صاحبه اي ينازله او لان كل واحد منهما يحلّ ازار صاحبه. واما الاحليل فهو ثقب الذكر الذي يخرج منه البول وجمعه الاحاليل. والاحاليل ايضاً مخرج اللبن من طُبي الناقة وغيرها . ومن ذلك قول الناس فلان يتأثم ويتحنث يذهبون الى ان معناه يقع في الحنث والاثم وليس كما ذهبوا اليه. وانما معنى يتحنث اي يفعل فعلاً يخرج به من الحنث وهو الاثم. يقال هو يتحنث اي يتعبد . قال ابن الاعرابيّ وللعرب الفاظ تخالف معانيها الفاظها . يقولون فلان يتنجّس اذا فعل فعلاً يخرج به من النجاسة . وكذلك يتأثم ويتحرّج اذا فعل فعلاً يخرج به من الاثم والحرج . ومن ذلك الخُنان يضعه الناس بموضع الحنك فيقولون خنّنه اذا خرب حنكه. كما يقولون حنّكهُ وانما الخنان داء يأخذ الابل في مناخرها تموت منه وهو في الابل مثل الزكام في الناس . والخنان ايضاً داء يأخذ الناس . قال الشاعر وهو جرير :

واشفي من تخلج كلّ جنّ واكوي الناظرَين من الخُنان

والخنان ايضاً داء يأخذ الطير في رؤوسها يقال طائر مخنون . ومن ذلك أمّا وإمّا لا يفرقون بينهما والفرق بينهما ان التي تفصل بها الجمل وتجاب بالفاء مفتوحة الهمزة تقول اما زيد فعاقل واماّ عمرو فعالم . والتي تكون للشك او التخيير مكسورة الهمزة تقول إمّا زيداً وإمّا عمرًا. وخذ إمّا هذا وإمّا ذاك. ومن ذلك العُضروط تذهب العامة الى انه الذي يحدث اذا جامع وليس كذلك انما العضروط والعُضرُط الذي يخدمك بطعام بطنه وهم العضاريط والعضارطة . وقال الاصمعيّ هم الاجراء وانشد :

اذاك خيرٌ ايّها العضارط

وقال طفيل يعني نفسه :

وراحلة وصت عضروط ربّها . بها والذي تحتي ليُدفَع انكب

يريد انه كان على راحلة يجنب فرسه فلما دنا منه القتال ركب الفرس ووصّى التابع بالراحلة وانكب يعني الفرس الذي تحته قد تحرف للعدو ولما لحقه من الرمح. فاما الذي يحدث عند الجماع فهو العَذيوط . ومن ذلك التابل والابزار يفرق عوام الناس بينهما والعرب لا تفرق بينهما التابل والابزار والقزح والقِزْح والفحا والفحاة كله بمعنى واحد . يقال توبلت القدر وفحيتها وقزحتها اذا القيت فيها الابزار والأبزار بفتح الهمزة وليس بجمع وهو فارسي معرب وبعضهم يكسر الهمزة . ويقولون للخارج من الحمام طاب حمامك وليس لذلك معنى وانما الكلام طاب حميمك وانت شئت قلت طابت حمتك اي طاب عرقك لان عرق الصحيح طيب وعرق السقيم خبيث . ويقولون اقطعه من حيث رق بالقاف وكلام العرب اقطعه من حيث رك اي من حيث ضعف . ومن ذلك قولهم قد زاف الوقت اذا قرب وهو خطأ والصواب ان يقال قد ازف الوقت وكل شيء اقترب فقد ازف أزفاً قال الله تعالى أزفت الآزفة اي دنت القيامة فاما زاف فتستعمل في الحمامة اذا نشرت جناحيها وذنبها على الأرض . وزافت المرأة في مشيها كانها تستدير . وزاف الجمل في مشيه زيفاناً وهو سرعة في تمايل . ومن ذلك العروس تذهب العامة الى انه يقع على المرأة خاصة دون الرجل وليس كذلك بل يقال رجل عروس وامرأة عروس ولا يستيان عروسين الا ايام البناء. قال الشاعر : وهذا عروسا باليمامة خالد . صدره :ارضى بأنا لا تجف دماؤنا. ومن امثالهم : كاد العروس يكون اميراً . ويقال لها عروسان في كل وقت . قال الراجز : الحجب عرس جبلا وعرس. الراجز هو العجاج والذي في رجزه: الحجب عرس جبلا اي خلاقا . وقبله :

بين ابن مروان قريع الانس وابنة عباس قريع العبس

ومما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بعض حركاته او بعض حروفه بغيره يقولون قرأت الحواميم وذلك خطأ ليس من كلام العرب والصواب ان يقال قرأت

آل حم . وفي حديث عبدالله بن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات . ومرّ رجل بابي الدرداء وهو يبني مسجداً فقال ابنيه لآل حم . وقال الكميت :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

اذا صارت حم اسماً للسورة فلا انكار على من قال . قرأت حم وذكرته حاميم . قال الاشتر :

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلّا تلا حاميم قبل التقدم

وقال رؤبة :

أو كتبا بيّن من حاميا قد علمت ابناء ابراهيما

وكذلك لا يمتنع ان يقول قرأت الحواميم . انشد ابو عبيدة :

حلفت بالسبع اللواتي طوّلت وبمئين بعدها قد أُمّيت
وبمثان ثنيت وكررت وبالطواسين التي قد ثلثت
وبالحواميم اللواتي سبعت وبالمفصل اللواتي فصلت

فاما قول الكميت: وجدنا لكم في آل حم، فانه اراد بالآل ايات السورة التي اسمها حم . ويقولون امر مهول وانما هو هائل يقال هالني الشيء يهولني هولاً اذا افزعك فهو هائل والهول المخافة من الامر لا تدري على ما تهجم عليه . الذي حكاه اهل اللغة عن العامة انهم يقولون يوم مهول ورجل مذهول العقل وصوابه هائل وذاهل وكذلك يقولون مبغوض ومتعوب وصوابه مبغض ومتعب . ويقولون أفٍّ منه وأفُّ وأفَّ وأفًّا وأف وأُفّي مضاف وأفة وافاً بالألف ولا تقل أُفي باليا . فانه غلط (الصواب ان يقال أُفي ممال على وزن فُعلى وليس مضافاً الى ياء المتكلم كما ذكر . ومعنى افّ النتن والتضجر واصلها نفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد وللمكان تريد ازالة الاذى عنه فقيلت لكل مستثقل . وتقول هوشت الشيء اذا خلطته ومنه اخذ اسم ابي المهوش الشاعر . ولا تقل شوشته فقد اجمع اهل اللغة ان التشويش لا اصل

له في اللغة العربية وانه من كلام المولدين وخطأوا الليث فيه . وهو ابو رياح لهذا الذي يلعب به الصبيان وتديره الريح ولا تقل بُرياح. وكذلك يقولون للقرد بوزنةُ وانما هو ابو زنّة، وهي كنيته. ويقال له ايضاً: ابو زنة وتقول لمرسل الحمام زجّال باللام والزجل ارسال الحمام الهادي من مزجل بعيد ولا تقل زجّان فانه خطأ . ويقال للقناة الجوفاء المثقوبة بالعقب يرمى فيها سهام صغار تنفخ نفخاً فلا تكاد تخطئ سَبَطانة. ولا يقال زربطانة كما تقول العامة . وهي الشَّتْرِيّة لضرب من السفن بالياء. وهي منسوبة الى رجل يقال له سميع اظنه كان بالبصرة وهو اول من عملها فنُسبت اليه ولا تقل شبّارية فانه خطأ . والضَّبَنْطَى شيء يُفزَّع به الصبيان ولا تقل الضَّبَطَّع . قال الراجز هو منظور الزبيري .

وزوجها زَوَنْزَك زَوَنْزا يفزَع ان فزع بالضبنطا

ويقولون لمن ينسبونه الى السرقة هو برجاص اللص وانما هو بُرْجان بالنون وهو فضيل بن بُرْجان. ويقال فضل احد بني عطارد من بني سعد وكان مولى لبني امرئ القيس وكان له صاحبان يقال لهما سهم وبسام فقتلهم مالك بن المنذر بن الجارود وصلب بن برجان بعد ما قتله في مقبرة القتيك وكان الذي تولى ذلك شعيب بن الحجاب واخذ اللصوص المشهرين بالبصرة فقتلهم فقال خلف بن خليفة :

إن كنتِ لم تسألي سهماً وصاحبه عن مالك فاسألي فضل بن برجان
يخبرك عنه الذي أوفى على شرف حتى اناف على دور وبنيان

ويقولون قد جئت الى عندك وهو خطأ يقال جئت من عنده ولا يقال جئت الى عنده لان عند لا تدخل عليها من حروف الجرّ غير من وحدها . ويقولون الكُرولة وانما هي الجبولاء بالجيم والمد واشتقاقها من الجَبْل . ويقولون كبلت الشيء اذا خلطته والمعروف لبكت وبكلت وربكت اذا خلطت فاما كبلت فمعناه قيدت. يقال كبلته كبلاً والكبل القيد . ويقولون افعل كذا إمّا لي والصواب إمّا لا واصله ان لا يكن ذلك الامر فافعل هذا وما زائدة انشدني ابو زكريا رحمه الله :

امرعت الارض لو ان مالا   لو ان نوقاً لك او جمالا

او ثلة من غنم إمّا لا

كذا تكتب إمّا لى باليا. وهي لا أُميلت فألفها بين اليا. والالف والفتحة قبلها بين اليا. والكسرة. ويقولون فعلت ستي وقالت ستي والصواب ان يقال سيدتي لانه تأنيث السيّد. وقرأت بخط ابي الحسن عليّ بن محمد الكوفي: حدثني عبدالله بن عمّار الطحيني قال: حدثني الزغل قال رأيت ابن الاعرابي في منزلنا فقالت عجوز لنا ستي تقول كذا وكذا فقال ابن الاعرابي ان كان من السؤدد فسيّدتي وان كان من المدد فستي لا اعرف في اللغة لستي معنى وقد تأوّله ابن الانباري فقال. يريدون يا ستّ جهاتي وهو تأول بعيد مخالف للمراد. ويقولون حطب زَجل وانما هو جزل وهو الغليظ من الحطب وقيل اليابس. قال الشاعر:

ولكن بهذاك اليفاع فاوقدي   بجزل اذا اوقدت لا بضرام

والضرام والشخت ضدّه ثم كثر الجزل في كلامهم حتى صار كل ما كثر جزلًا فقالوا اعطوه عطاء جزلًا واجزلت للرجل وجزل لي من ماله. ويقولون في جمع المكوك مكاكك وانما المكاكي جمع مكّا. وهو طائر يسقط في الرياض ويمكو اي يصفر والصواب ان يقال في جمع المكوك مكاكيك. ويقولون لما يدفع بين السلامة والعيب في السلعة هَرْش وقد هرّش السلعة وانما هو أرْش وقد أرشت الثوب وسُمّي أرْشاً لان المبتاع للثوب على انه صحيح اذا وقف منه على خرق او عيب وقع بينه وبين البائع ارش اي خصومة من قولك ارّشت بينهما اذا اغريت احدهما بالآخر فسُمّي ما نقص العيب الثوب ارشاً اذا كان سبباً للارش. ويقولون انا مُوئِس من خيرك والصواب ان يقال انا يائس من خيرك يقال يئست وأيست لغتان. ويقولون هذا الاناء من الخزف يتطفّر فيه صاغرة بالغين وانما هو صاخرة: صاخرة فاعلة من الصخر. ويقولون لدويّبة اصغر من الضبّ الورن بالنون وانما هو الورل باللام وجمعها الورلان وهي احد الاحرف التي اجتمعت فيها الراء واللام ولم تجتمع الراء واللام في شيء من لغة العرب الاّ في احرف يسيرة هذا احدها وارل وهو جبل معروف وغرلة وهي القلفة وجَرَل وهي الحجارة المجتمعة. ويقولون السُكرَجة بفتح الراء والكاف وانما هي الأسكُرُجة بضمها

وبالهمزة وهي اعجمية معربة ومعناها بالفارسية مقرب الحلّ .

ويقولون الهاون والصواب ان يقال الهاوون بواوين على مثال فاعول لانه ليس في كلام العرب كلمة على فاعَل وهو اسم موضع العين منها واو. ابن بري: قد حكى ابن قتيبة والجوهري انه يقال هاوَن . وزعم الجوهري ان اصله هاوُون فحذفت الواو الثانية تخفيفاً وفتحت الواو التي قبلها لانه ليس في الكلام فاعُل فأما من انكر هاوَنا لكون فاعَل لم تجيء العين منه واو فان انكاره عجب . وذلك انه قد ثبت في الكلام فاعَل ولا يلزمنا ان تكون العين منه واوا او غيرها من حروف المعجم على انه لو كان في كلامهم مثل هاوَن وكان المسموع هاوُونا لم يعدل به الى هاوَن كما لا يعدل بقارون الى قارَن وان كان في كلامهم فاعَل . ويقولون الدَّستك وانما هو الدستج وهما اعجميان معربان ايضاً .

ويقولون لضرب من الثياب يتخذ من صوف مِنطَر والصواب ممطر وهو مِفعل من المطر كأنهم ارادوا انه يلبس فيه . ويقولون ما ومّلت فيك كذا وانما الكلام ما أمّلت . ويقولون الميْضة لموضع الطهارة وانما هي الميضأة وهو يتوضأ منه او فيه . ويقولون لاجل ذنب زمكّاة والصواب ان يقال الزمكّى والزمجّى . ويقولون لما ينذر بين يدي الأسد فزوانك وانما هو فرانق وهو سبع يصيح بين يديه كأنه ينذر به الناس ويقال انه شبيه بابن آوى يقال له فرانق الاسد ويقال انه الوعوع وهو اعجمي معرّب . ويقولون لضرب من الحلوا المعقودة والصواب ان يقال العقدة . ويقولون في جمع قرية قرايا وانما جمع قرية قُرى لا غير وهو جمع نادر لان جمع فعلة من الواو والياء يجيء على فعال فيكون ممدوداً مثل ركوة وركا. وشكوة وشكا. وقشوة وقشاء ولم يسمع في شيء من جمع هذا القصر الا كوة وكوى وقرية وقُرى . وقال بعضهم هو جمع قرية بكسر القاف لغة يمانية ككِسوَة وكُسى وقد رُدّ عليه وقالوا القرية بفتح القاف لا غير والنسبة الى القرى قرويّ. ويقولون الانبوبة والانابيب في جمعها وهذا لفظ بشع وبناء منكر وانما الكلام الانبوبة والانابيب كالأعجوبة والاعاجيب. ويقولون لهذا النبات الاصفر المجتثّ الذي يتعلق باطراف الشوك الاكشوث وانما هو الكشوث والكشوثا. وبناه على فعولاء ممدودا

الديرقا. قال رؤبة: لولا ديرقاء استه لم يبطغ اي لم يتلطخ وجلولا. وصرورا. وهما بالمدّ بلدان . وكشوثا. ونزر قطوناء بالمدّ وقد يقصران. قال الشاعر :

هو الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظلّ ولا شجر

وقد جاء الحروقاء للحراقة التي يقدح بها النار والجبولاء للعصيدة وسنوحاء موضع والمعروف رواية البيت : هو الكشوث فلا ظل ولا ثمر . ويقولون لفم المزادة العَزلة وانما هي العزلاء . ويقولون للجبة من الصوف زُرْنبانِقة وانما هي زُرْمانِقة وهي عبرانية وقد تكلمت بها العرب وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود ان موسى لما اتى فرعون اتاه وعليه زُرمانقة . ويقولون الهِنّق والصواب الهِذق . ويقولون للخيوط المعقدة كُداد وكلام العرب جُدّاد . قال الاعشى يصف الخمّار :

اضاء مظلّته بالسراج والليل غامر جُدّادها

ويقولون لبَثْرة تخرج في جفن العين الكُدْكد وذلك غلط والصواب الجُدْجد بجيمين هذه لغة تميم وربيعة تسميه القمع . قال سُويد بن ابي كاهل :

صافي اللون وطرفاً ساجياً اكحل العينين ما فيه قَمَعْ

وقال الاعشى : وطرفاً لم يكن قمِعاً . ويقولون للذي يستصبح به على ابواب الملوك مِنْيار بالياء . والصواب ان يقال مِنوار لانه مأخوذ من النور او من النار وكلاهما من الواو ولو بنيت مِفعالاً من النوال والقول لقلت منوال ومقوال بالواو ولم يُقلهُ بالياء . ويقولون على فلان حُلاس والكلام احلاس كأخلاق وهي جمع حلس وهو ما يبسط تحت حرّ الثياب. وفي الحديث كن حلس بيتك . والحلس للبعير كساء رقيق يكون تحت البرذعة. ويقولون للسائل شحاث بالثاء. وانما هو شحّاذ بالذال وهو السائل الملحّ في مسئلته من قولك : شحذ الصيقل السيف اذا الحّ عليه بالتحديد، وشفرة مشحوذة. قالت عائشة بنت عبد المدان :

حُدّثت بشراً وما صدّقت ما زعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
انحى على ودجي ابنيّ مرهفة مشحوذة وكذاك الأثم يُقترف

والصيقل شاحذ وشحّاذ والملحّ في المسئلة مشبّه به . ويقولون فلان يتاطع علينا باللام والصواب يتطّع بالنون والمتنطّع المتعمق في كلامه. ومنه حديث ابن مسعود رحمه الله اياكم والتنطّع واشتقاقه من نِطع الفم وهو اعلاه حيث يحنك الصبي . ويقولون فلان بدن من الابدان وليس للبدن مهنا موضع . وانما هو بدل من الابدال وهم المبرّزون في الصلاح وسُمّوا ابدالًا لانه اذا مات منهم واحد ابدل الله مكانه آخر والواحد بِدل وبَدَل وبديل . ويقولون قد قرفشه اذا اخذه وانما هو قد قرفصه ومعناه شدّ يديه الى رجليه ثم اخذه كما تفعل اللصوص وهم القرافصة . ويقولون لضرب من السمك الكنعت بالتاء وهو الكنعد بالدال . قال جرير يهجو آل المهلب :

كانوا اذا جعلوا حيرهم بصلًا ثم اشتووا مالحًا منه كنعد جدفوا

ويقولون للصغار نشو بالواو وانما هم النشأ والنشء بالهمز . ويقولون للموضع الذي يجفف فيه التمر والثمرة مِشطاح بشين معجمة وزيادة الف وهو خطأ فاحش والصواب مِسطح بسين غير معجمة على وزن مِفعل ومثله المِربَد والجرين وهما لاهل نجد ومثله للطعام البيدر لاهل العراق والانـدر لاهل الشام واهل البصرة يسمون المربد الجوطان والجوخان فارسيّ معرّب . ويقولون للشيء الذي يذيب فيه الصاغة ونحوهم من الصناع البوتقة. وقال الخليل هي البوطة: المعروف في هذه اللفظة البوطقة. ويقولون نحنا فعلنا ذلك يريدون نحن فعلنا ذلك وهي الكُنة قبيحة . ويقولون لرؤوس الحلي وما تكسّر منه خشر بالراء وهو خطأ والصواب خشل باللام . قال ذو الرمّة :

وساقت بنهى القُلّتَلانِ كأنما هو الخشل اعرافُ الرياح الزعازعُ

صوابه الزعازعِ بالخفض واول القصيدة :

خليليّ عوجا عوجةً ناقتيكما على طلل بين القلات وشارعِ

ومن روى كأنه نوى الخشل اراد بالخشل المُقل .

ويقولون بصل العُنصُر بالراء وانما هو العنصل باللام وهو بصل برّي يسل منه عنصلان وهو شديد الحموضة قال امرؤ القيس :

كأن السباع فيه غرقى عشية بارجائه القصوى انابيش عنصل

ويقولون جاء فلان يطحل وانما هو يطخر اذا تنفس نفساً عالياً . ويقولون المرزنكوش وهو خطأ والصواب المرزجوش . والشهدانك والصواب الشهدانج . وجلست عونا والصواب ههنا . ويقولون خرمش وجهه وانما هو خمشه . ويقولون للتأفف قد كدَّف وهو يكدف وانما يقال تجدف الرجل وهو يجدف تجديفاً بالجيم اذا استقل ما اعطاه الله وكفر النعمة يقال لا تجدف بايام الله . وفي الحديث شرّ الحديث التجديف . قال الشاعر انشده ابو عبيد :

ولكني مضيت ولم أجدف وكان الصبر عادة أولينا

ويقولون هَوْلَي فعلوا ذلك وانما هو هؤلاء بالمد وان شئت قصرت. ويقولون المُدُق القصار الكوذين والكلام الكُذَيْنَق. قال الشاعر :

قامة الفُصُل الضئيل وكف خِنْصَراها كُذَيْنَقا قصار

ويقولون للريح زيقا وكلام العرب الصيق وهو الغبار ايضاً. قال الشاعر :

من رأى يومنا ويوم بني التيم اذا التف صيقه بدمه

ويقولون هذا الشيء مُبَرْطَح والكلام مفلطح يقال درهم مُفلطح ونعل مفلطحة وكذلك قرص مفلطح اذا بسط . ومرّ الحسن البصري على باب ابن هبيرة وعليه القرّاء فسلم ثم قال ما لكم جلوساً قد احفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم وقصرتم اكمامكم وفلطحتم نعالكم اما والله لو زهدتم في ما عند الملوك لرغبوا في ما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم فضحتم القرّاء فضحكم الله . وقال رجل من بني الحرث بن كعب يصف حيّة :

جاءت لمازمه عزيز ورأسه كالقرص فلطح من طحين شعير

ويقولون في جمع خيشوم وهو الانف مخاشم والصواب خياشيم وخياشيم الجبال انوفها ويقولون التسيل بالسين وانما هو بالصاد ويسمى قصيلاً بالقصل وهو القطع فعيل في معنى مفعول يقال قصلت الشيء اقصله قصلاً اذا قطعته ويقال سيف

بمقَصّل وقصّال اذا كان قطاعاً . ويقولون لدابّـــة كثيرة الارجل دُخان الأذن بالنون ويذهبون الى تشبيه بالدخان ولا معنى لذلك وانما هو دخال الأذن فعال من الدخول اي انه يدخل الأذن كثيراً وتسمى هذه الدابّـة الحريش بالياء على وزن حريص . ويقولون لضرب من النبت الشابابك وهو بالقاف . ويقولون البوتنك وهو الفوتنج وهذا معربان والفوتنج بالعربية يُسمّى الحَبَق . ويقولون سامة غالة والصواب غالية ومنه سُمّي هذا الضرب من الطيب غالية فيما حكى المفضل بن سلمه ان معاوية بن ابي سفيان شمّها من عبدالله بن جعفر بن ابي طالب فاستطابها. فسأله عنها فوصفها له فقال هذه غالية فسُمّيت غالية وهـذه الحكاية ضعيفة لما روي عن عائشة انها كانت تطيّب النبي بالغالية اذا اراد ان يحرم. وعنها انها قالت كنت اغلّل لحية النبيّ بالغالية ثم يُحرم فدلّ على ان الغالية كانت معروفة قبل ذلك . ويقولون للخشبة التي في رأسها حجنة عُرقافة وقد عرقفت الشيء. وانما هي عقّافة وقد عقفت الشيء أعقِفُه عقفاً بمعنى عطفته فانعقف. ويقولون فلان مقرّى بكذا والصواب مغرى بكذا . وقد غري به ولا يقال مقرًى وقد أُغري به وغرّي به وعبك به وعبق به وسدِك بِهِ ولكِيَ به ولزم به وألزم به ولكِد به وأغرم به.وأولع به واذا لم يفارقه ويقولون نبيّـة وانما يقال نفية بالفاء. وهي سفرة لقمل من الخوص وعن زيـد بن اسلم يصنع لنا نفيَتين يشرّر عليها الاقط . ويقولون في كنية الثعلب ابو الحسين وانما هو ابو الحصين. ويقولون فلان قذيف الجسم. والصواب قضيف الجسم وجارية قضيفة وقد قضُف قضفاً وقَضَفاً وقضافة وهو النحيف خلقة لا من هزال . ويقولون لطش الكتاب اذا محاه وانما يقال طلسْتُه اذا محوتهُ لتفسد خطّه فاذا انعمتَ محوه قلت طرسته . ويقال للصحيفة اذا مُحيَت طِلس وطِرْس وفي الحديث ان النبيّ امر بطلس الصورة التي في الكعبة اي بطمسها ويقولون مـا بفلان خماسة يذهبون الى الخسة وانما الكلام ما به خصاصة اي حاجة واصله من الخصاص وهو الفرج وكل خلل أو خرق يكون في منزل او باب او سحاب أو برقع فهو خصاص والواحدة خصاصة . ويقول بعض المتحذلقين الإبِط بكسر الباء والصواب الإبْط بسكون الباء. ولم يأتِ في الكلام شيء عـلى فِعِل الا إبِل وإطِل وحِبِر وهي صفرة الاسنان. وفي الصفات امرأة بِلِز وهي السمينة وأتان

يد تلد كل عام وقيل التي أتى عليها الدهر. المعروف في كلامهم اتان إبدٌ في كل عام تلدُ موقوف كما ترى. ويقولون للامير من الروم القُمس والصواب القومسُ كذا تكلّمت به العرب وهي رومية معرّبة. قال الشاعر وهو المتلمس :

فعلت اني قد رميت بنتجل إن قيل صار مَن ال دَوْلَمن قومسُ

ويقال ان القومس يكون تحت يده نيف وثلثون رجلًا . ويقولون المهندز بالزاي وهو المهندس بالسين لا غير وهو مشتق من الهنداز فصيرت الزاي سيناً لانه ليس في كلام العرب زاي بعد الدال والإسم الهندسة .. ويقولون لما يلقى من الشجر خشب التشنيج والصواب ان يقال خشب التشديخ يقال شدخت القصن ونحوه اذا كسرته ويقال له ايضاً الشدان وقد حكي عن ابي عمرو انه قال شنغ نخله اذا نزع عنه سُلّاه . ويقولون قد مزّج العنبُ اذا بلغ والصواب مجّج بجيسين والمجج بلوغ العنب . وفي الحديث لاتبع العنب حتى يظهر مججه وقال ابن عباس لا يباع العنب حتى يمجج . ويقولون الصدى في الصدَق وهو عيد للفرس يوقدون فيه النار ليلًا. ويقولون للذي لا غَيْرة له على اهله القَرْطَبان وهو مغيّر عن وجهه وانما هو الكلبتان. روى ثعلبٌ عن ابي نصر عن الاصمعيّ قال: الكلبتان مأخوذ من الكلب وهو القياده والتا. والنون زائدتان قال وهذه اللفظة وهي القديمة عن العرب وغيرتها العامّة الاولى فقالت القلطبان قال وجاءت عامّة سُفلى فغيّرت على الاولى فقالت القرطبان. قال ابن خالويه يقال الكلتبان والقرطبان والقلطبان والديبوث والمموث والصقّار والقرقضنة والمِجلَز والغزوُر والقُنذُع والقُنذُع والمُحصّل والمحصلة والطمز والطَسْعُ والبُكاكة . ويقولون هجل بقلبي كذا وهو بالسين . ويقولون شِيمْتُ راحة الشيء الشيء والصواب رائحته فاما الراحة فراحة اليد والرفاهية. ويقولون لولاك والجيّد لولا انت قال الله تعالى: لولا انتم لكنّا مؤمنين . ويقولون الحارص والخرص بالصاد وهما جميعاً بالسين وقانصة الطائر بالصاد وهم يقولون بالسين . ويقولون سَيلان السكين بفتح السين والياء. والصواب السِيلان بكسر السين واسكان الياء.. وانشد ابو عمرو :

ولن اصالحكم ما دام لي فرس واشتدّ قبضاً على السِيلان إبهامي

ويقولون في الدعاء للمريض مسح الله ما بك وكان النضر يقول الصواب مصح الله ما بك بالصاد اي اذهبه . وغيره يجيز مسح وروى ابن الكوفي فيما قرأته بخطه عن محمد بن حاتم المؤدب قال مرض النضر بن شميل فدخل عليه الناس يعودونه فقال له رجل من القوم. مسح الله ما بك. فقال له النضر بن شميل لا تقل مسح وقل مصح الله ما بك الم تسمع قول الاعشى في قصيدته الحائية :

واذا الخمرة فيها ازبدت أفل الازباد فيها فمصح

قال الرجل لا بأس السين قد تعاقب الصاد فتقوم مقامها. فقال النضر فينبغي ان يقول لمن كان اسمه سليمان يا صليمان. ويقول قال رصول الله. ثم قال النضر لا تكون الصاد مع السين الا في اربعة مواضع. اذا كانت مع الطاء. والخاء. والقاف والغين. تقول في الطاء. سطر وصطر وفي الخاء. صخر وسخر وفي القاف صقب وسقب وفي الغين صدغ وسدغ . قال الشيخ ابو منصور رحمه الله فاذا عدمت هذه الاربعة الاحرف السين لم يجز ذلك. لا يجوز ان تقول خصر وخسر ولا قضب وقسب ولا طرس وطرص ولا غسل وغصل . لم يذكر الهروي في كتابه الغريبين الّا السين فقط وقال معناه غسلك وطهرك من الذنوب وهو الصحيح ويقوي ما قاله ان مصح لا يتعدى الّا بالهمزة او الباء. فكان يجب اذا كان بالصاد ان يقال مصح الله بما بك أو امصح الله ما بك . ويقولون الحلي وانما هو الحَلْيُ وجمعه الحُلِيّ كثديٍ وثديّ فاما الحليّ فهو يبيس النصيّ . ويقولون رجل اثط وانما هو ثط . قال الشاعر، هو ابو النجم العجلي، كلحية الشيخ اليماني الثط، صوابه كهامة الشيخ لانه يصف كعب جارية بالسمن والاملاس واول الابيات :

علقتُ خَوْذًا من نبات الرُّطِ ذات جهاز مضغط ملطِّ
رابي المجسّ جيّد المخطِّ كأنما قُطّ على مقطِّ
اذا بدا منه الذي يغطّي كان تحت ثوبها المنعطِّ
شطار ميت فوقه بشطِّ لم ينز في البطن ولم ينحطِّ
فيه شفاء من اذى التمطّي كهامة الشيخ اليماني الثطِّ

ويقولون ديار براقع للخيالة وانما البراقع جمع برقع وهو ما تجعله المرأة على

وجهها والصواب بلاقع . وفي الحديث اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع . قال رؤبة : فاصبحت ديارهم بلاقعا ويقولون للجوالق الصغير كزكه وانما هو الكرز ومنه المثل يا ربَّ شدٍّ في الكرز .يا رب شدٍّ في الكرز يضرب مثلًا للامر الخفيّ يعلم منه خير واصله ان رجلًا نتج فرساً مُهرًا فأخذه وشدَّه في الكرز فلقيه رجل فقال هذا المثل . ويقولون التِفار وهو اليِفار بالياء على وزن تِفعال. ويقولون القِشِيش بالقاف وهو الكِشِيش. قال الشاعر، هو ابو المُنَطِّش الحنفي ويقال ابو القَطِّيش :

كأنَّ الثآليل في وجهها اذا سفرت بددُ الكشمش

ويقولون في اللغة العبرانية العمرانية وانما يقال بالباء.قال الشاعر، هو الشماخ:

كما اختطَّ عبرانيــة بيمينه بتيماء حَبْرٌ ثمَّ عرَّض اسطرا

والعبرانيّة معدولة عن السريانية . ويقولون للامر الفظيع هذه رِدَّة والصواب هذه إدَّة اي داهية . ويقولون للجاسوس ذو الاُذينتين وانما يجب ان يقــال ذو العيينتين ويقولون الشاة تشترّ والصواب تجترّ واسم ما تدفعه من كرشها الى فيها الجِرَّة وفي المثل مــا اختلفت الدِرَّة والجِرَّة واختلافها ان الدرَّة تسفل والجرَّة تعلو . ويقولون حيَّ الشاة والكلام حياؤها ممدود . ويقولون في موضع وَيْ التي يكنى بها عن الويل واشْتَ وهو خلف من الكلام ومثله من كلامهم المحال الغثّ قولهم جئت فيَّ القاك يريدون حتى القاك وجيَه يريدون جيء به . وقولهم مدريك يريدون ما يدريك وقولهم المِسد يريــدون المسجد وقولهم الايذ في اليد . وقولهم ضربه بالعُصى يريدون العِصِيّ وقولهم في موضع ايضاً هَمْ وفي موضع حَسْبَ بَسْ وغير ذلك من الكلام الظاهر الفساد الذي يُرغب عن ذكره . وتقول هي تَــشد بالتاء. واذربجــان وهي الشأم بوزن رأس مهموز والبراستق والجلنار والفَرْوَند للبرَنْد وهي الفاختة واشتقاقها من الفخت. وهو ظل القمر وهو الوَعِل والنِير والاعرابي ولا تقل العرابي . وهي المنطَّقة ولا تقل المنتقة وتقول ايش. فعلت بالتنوين واصله ايَّ شيء فعلت. ومما يكسر والعامّة تفتحه أو تضمه.هو الشِطْرَنج بكسر الشين على وزن فِعلّل كجِردحل. المعروف عند اهل اللغة الشَطْرنج بفتح الشين يقولون هي لعبـة الشَطْرنج ولا.

يجب ما قاله من كسر الشين لتكون على امثلة كلام العرب وانما كان يجب ما قاله لو كانت العرب تصرف كل ما عرّبته من الفاظ العجم الى امثلتها. فاما اذا وجدنا في كلامهم اسماء كثيرة مما عربوه مخالفة لاوزان كلامهم فلا وجه لما ذكره وذلك نحو الآجرّ والفِرِند والجُربُز ونحو ابراهيم واسمعيل وبهرام وشقراق . وقال سيبويه في المعرّب من كلام العجم ربما الحقته العرب بابنية كلامهم وربما لم يلحقوه بابنيتهم. وليس في كلام العرب شيء على فَعلَل بفتح الفاء. وهو المِريخ للنجم بكسر الميم ولا يفتح والتِنين بكسر اوله والخِنزير كذلك والجِراحات بالكسر وكذلك الشِفار الذي نهي عنه والوتِد بكسر التاء • وهي القِنينة بكسر القاف . وتقول سألتك باللّه الا فعلت . وهي السِنون بكسر السين. وفلان تِلميذ فلان . وهي الغِرارة والبِلّورة بكسر الباء وفتح اللام وهو المِربد بكسر الميم وفتح الباء . وهي الشِقوة وجِرم الشمس ومِلِيخ الحيّة . وهي الوِقاية بكسر الواو : وهي الشِحْنة بكسر الشين ولا تفتح وهو اسم للرابطة من الخيل في البلد لضبط اهله من اولياء السلطان وليس باسم للامير او القائد كما تذهب اليه العامّة والنسبة اليه شِحْني وشحنية ولا تقل سحنكية ولا شحنية وهذه الكلمة عربيّة صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخيل اذا ملأته بها. والفُلك المشحون اي المملوء . وهي البِداية والبِرطيل للرشوة بكسر الباء وكذلك كل ما كان على فِعليل نحو زِحليل وهو اثار تزحلق الصِبيان وشِمليل وهم اخوة زيد بكسر الهمزة وهي المِصيصة بكسر الميم وهو الزِرنيخ بكسر الزاي وشِراع السفينة . وهم في خِصب وهو المأصِر بكسر الصاد وفتحها خطأ ومعنى المأصِر في اللغة الموضع الحابس من قولهم أصرت فلاناً على الشيء آصِرهُ أصراً اذا حبسته عليه وعطفته. ذكر الجوهري انها المَصيصة بفتح الميم وتخفيف الصاد وهو اسم موضع بالشام فيكون النسب اليه على هذا مَصيصي .

وما يُفتح والعامة تكسره هو الرَيحان والامير والاكار وبَيرم النجار وهو الخلخال وهي السَمة والضَيعة . وهو الدَيْزج بفتح الدال والعَناق بالفتح فاما العِناق فمصدر عانق وهو الوَداع والصَولج وهو الجَصّ وقد تكسر وهو الكَثير والكَبير بالفتح ولا يكسر انما يكسر اول فعيل اذا كان ثانية حرفاً من حروف الحلق نحو شعير ورغيف وبهيمة وسعيد وما اشبه ذلك وهو القَيْروان

بفتح القاف. قال ابن دريد القيروان للجيش بفتح الواء والقيرُوان للقافلة بضمّها وقال ابن خالويه القيروان المُباد والجيش والقافلة وانشد للجعديّ :

وغادية سومَ الجَراد شهدتها لها قَيْرَوان خلفها متنكب

وهو السكران والجَناح والنَضارة والنَجدة وفي عين فلان حَوَرٌ وهي الابار وهو اللحاق وكِرمان وهو الخَشخاش هذا الحبّ المعروف بالفتح وهو عربيّ صحيح وهو الجَبن وهي القَصعة وتقول للمرأة تعاليْ بفتح اللام وفلان يشتهي كذا بفتح التا. وهي المَنارة بفتح الميم وهذا نادر لانه من الآلة ومثله في الشذوذ المَنقَل الخُف بفتح الميم والمَنقبة حديدة يثقب بها البيطار وهي المَكنَة بفتح النون ولا تكسر وهو كَسلان ولا تقل كِسلان وهي الشجر بفتح الشين ولا تكسر وهي تَكريت وهو السّبي ولا تقل السِبي وهي الأَهاة والاربَعون بفتح البا. ولا تكسر والمَجلِس بفتح الميم وليس في الكلام مِفعِل إلّا منخِر ومنتِن ومغيرة والشَن القربة الخَلق اليابسة وكل وعاء أخلق من أدَم وجفّ فهوشَنّ بالفتح ولا تقل شِنّ فليس بشي.. ومما جاء مفتوحاً والعامّة تضمّه هو الكَوْلان والمَصطكا بفتح الميم. الكَوْلان نبت وهو البرديّ وقال ابن ولاد المصطكاَ بالمدّ فيما حكاه الفراء . قال عليّ بن حمزة هذا اغلط منه ومن الفراء والوجه المُصطكى بضمّ الميم والقصر وانشد للاغلب : تقذف عيناه بعلك المُصطكى . وهي سَروج بفتح السين ولا تضمّ وقتله صَبرًا . وهو السَفرجل بفتح السين ولا يضمّ وهي الزَرافة بفتح الزاي لهذه الدابة التي جمعت فيها خِلَق شتى مأخوذة من قولهم للجمع من الناس زَرافة وهو الوَجه بفتح الواو والعامّة تضمّها وهو الجَوزاب . وتقول هو مَرميّ ومَطويّ ومَقضيّ ومسبيّ وكذلك كل ما اشبهه بفتح الميم وضمّها خطأ . واذا نسبت الى حيّ من الانصار يقال لهم بنو الحُبلى قلت حُبَليّ بفتح البا. ولا تقل حُبليّ وفلان التيمليّ بفتح الميم اذا نسبته الى تيم اللات كما تقول عبدريّ في النسب الى عبد الدار وعبشميّ في النسب الى عبد شمس . وهو النَقوع والبَخور والزَعفران بفتح الفا. ولا تضم وهو التَور للخادم والعامة تقول تُور بالضمّ وهو خطأ والزَوش العبد اللئيم والعامة تقول زُوش . وهي سَوداء لهذه القرية بفتح السين وهي الجَنوب للريح بفتح الجيم ولا تقل الجُنوب

انما الجُنُوب جمع جُنُب وهو السَموم ولا تقل السُموم الّا في جمع سُمّ وهو ابو دُلَف على مثال عمَر ولا تقل دُلْف وهي المَزُون امان وفلان مَزونيّ ولا تقل المُزُون. ذكر الجوهري انه المُزُون بضم الميم وذكر في آخر الفصل عن بعضهم انهم كانوا ملاحين في زمن كسرى. وهذه يهود ومجوس بفتح اولها ولا تضمّ وهو البَورق لهذا الذي يلقى في العجين ولا تقل بُورق بضمها لانه ليس في الكلام فوعل بضمّ الفاء. وكل ما جاء على فَوْعل فهو مفتوح الفاء. نحو جَورب ورَوشن وكَوسج ورَوزن وما اشبه ذلك. ومّما جاء مضموماً والعامّة تفتحه أو تكسره

هو المُشان بضم الميم. المُشان رطب الى السواد دقيق وفي المثل :بعلّة الوَرَشان تأكل رُطَب المُشان. وحُوَاق القوم بالضمّ ولا تفتح ومُعاوية بضمّ الميْم ولا يفتح وهو البُهار بالضمّ. قال الشاعر،هو البُريمة الهذلي، كعير الشام يحملن البُهارا. البيت بكماله :

يمرتجزٍ كأنّ على ذُراه — ركاب الشام يحملن البُهارا .

وهو المُطبق بضم الميم للحبس لانه أُطبق على مَن فيه ولون من الضبع أسودُ يقال له حُماحم بالضمّ والنسبة اليه حُماحميّ بالضمّ ولا تقل حَماحمي — وتقول قرأت السبع الطُوَال ولا تقل الطِوال انما الطِوَل الحبل . قال الشاعر:

سكته بعدما طالت نَامتُه   بسُورة الطور لمّا فاتني الطُوَل

وهو كُلثوم بضم الكاف والمُصران بضمّ الميم ولا يُكسر وهو جمع مصير وليس براحد كما تذهب اليه العامّة وهو الجُوَالِق بضم الجيم ولا تفتح في الواحد انما يفتح في الجمع ومثله حُلاحِل وقُلاقِل وقَلاقِل والكُمنة بالضم وهو ورم في الاجفان وغلَظ وقيل قَرْع في المآقي رقيق جَرِب وحُمرة تبقى في العين من رَمَد يسا. علاجه وهي الأُسطُوانة بضم الهمزة والطاء. ولا تكسران ووزنها أُفعُوالة وكان الاخفش يقول هي فُعْلوانة وقيل أُفعُلانة وتقول اصابه ذُبَاح وهو تحزّز وتشقق بين اصابع الصبيان من التراب بالضم ولا يفتح. ومّما يشدّد والعوام تخففه

يقولون مئة ونَيف وانما هو ونَيّف بالتشديد ولا يجوز تخفيفه كما يخفف مَيّت لامرين احدهما انه قلّ استعماله والآخر ان هذا لا يقاس. وهي المَرَقِيّة بفتح الميم وتشديد القاف لانها منسوبة الى المرقّ احد مراقّ البطن ولا تقل مراقِية. وهو الثَبتّ بتشديد التاء ولا يجوز تخفيفها . وهو الجبار لضرب من الحيّات

وانص كية بتشديد ليا. والخطمي بالتشديد والدوانب بتشديد البا. ولا تخفف وكذلك دوية وهو هوام الارض بتشديد الميم ، الواحدة هامة وسميت بذلك من الحميم وهو الدبيب. والسلاق عيد النصارى بتشديد اللام ولا تقل السلاق. ومما يخفف والعامة تشدده هو الهُن بالتخفيف ولا يشدد. وهي ملطية وسلمية وقسطنطينية بتخفيف اليا. فيبنى. وهي الدية بتخفيف اليا. والخُرفات بتخفيف الرا. وهي المحارة بتخفيف الحا. ولا يشدد وقُريات بتخفيف اليا. وهو ابو نُواس بضم النون وتخفيف الواو ولا تقل نُوّاس وذو نواس ايضاً مالك من ملوك حِمْيرَ وهو الحِرُ بالتخفيف واصله حرح وجمعه احراح. قال الفرزدق :

اني اقود جملًا ممراحا ذا قبة مملوءة أحراحا

وهي قُوارة القميص بضم القاف والتخفيف ولا تقل قوّارة وكذلك قياس كلّ ما كان فضالة كالقُصاصة والقُراضة والنُحاتة . وتقول هذه عُقدة مسترخية وفلان مجدور وقد جُدر بالتخفيف ولا يقال جُدّر بالتشديد وهو مُجدّر هذا اجماع منهم وهي المئة ولا تقل مئّة والرئة ولا تقل رئّة وفراشة القفل ولا تقل فرّاشة يقال لكل رقيق من عظم أو حديد فراشة ومنه فراش الرأس عظام رقاق الواحدة فراشة . قال النابغة : ويتبعها منها فراش الحواجب . صدره :

يطير فُضاضاً بينها كل قونس

والفراشة ايضاً الماء القليل . وهي السُلاميات بفتح الميم وتخفيف اليا . الواحد سُلامى ولا تقل السُلاميّات . وهو القُلاع من ادواء الفم بالتخفيف ولا يشدد وعلى هذا البناء جميع الادواء كالصُداع والسُعال والزُكام . ومما جاء ساكناً والعامة تحركه هي البَكْرة التي يستقى عليها بالاسكان وهو الأثْل بسكون الثاء. وهي الحَدْبة وهو الإبْط والثَدْي والمُرِي . قال الجوهري هو المُرّيّ منسوب الى المرارة وانشد : وعندها المُرّيّ والكامَخُ وهو عامرٌ الشعبي . ومما جاء محركاً والعامة تسكنه هي النُعَرة لواحدة النُعَر وهو الذباب الذي يدخل في انف الحمار ولا تقل نعْرة . وتقول قد ردّها جَذَعة بالفتح ولا تقل جَذْعة ومعناه انه ردّها الى اول ما ابتدئ بها . وهي الضُبَع ولا تقل الضَبْع انما الضَبْع العَضُد وهم نخبة القوم وكلب بن وَبرة. ومما تصحف

فيه العوام يقولون للرجل اذا نسبوه الى الجهل والبلادة عليه لحية التيتل بتائين انما هو الثيتل بثاء وتاء وهو الوعل ويقولون عند الوجع اخّ بالخاء المعجمة وكلام العرب أحّ بالحاء وليس الخاء من كلام العرب وانما هي لغة العجم ولمأ اشتدّ امر شبيب على الحجاج وحصره في القصر أمر غلاماً شجاعاً فلبس ثياب الحجاج وسلاحه وركب فرسه وصاح في الجند فجمعهم وخرج. فقال الناس: قد خرج الحجاج فاقيل شبيب ثم قال ابن الحجاج فأومأوا اليه فحمل حتى خلص اليه فضرب بالعمود فلما احسّ بوقعه قال اخ بالخاء فانصرف شبيب وقال قبحك الله يا ابن امّ الحجاج اتتقي الموت بالعبيد وقتل العبد . ويقولون فلان مُتشبّع بالشين وهو خطأ وانما هو مُتسبّع بالسين غير معجمة من قولهم خطيب مِسقع تبجحه وكثرة كلامه وتقول قد تفل عليه يتفُل بالتاء. ولا تقل ثفل ويقولون لقوس السحاب قوس قدَح وهو تصحيف قبيح والصواب قوس قُزَح واختلف العلماء في تفسيره فرُوي عن ابن عباس انه قال لا تقولوا قوس قُزَح فان قُزَح اسم شيطان ولكن قولوا قوسُ الله وقيل القُزَح الطرائق التي فيها الواحدة قُزحة فمن جعله اسم شيطان لم يصرفه لانه كعُمَر ومن قال هو جمع قُزحة وهي خطوط من صفرة وحمرة وخضرة صرف ويقال قزح اسم ملك موكّل به وقيل قزح اسم جبل بالمزدلفة رُؤي عليه فنُسب اليه . قال السكري كان يظهر من وراء الجبل فيرى نصفه كأنه قوس فسمّوه قوس قزح. وهو الجنين للطفل ما دام في بطن امه ولا تقل الجنيّ . وتقول لعب الصبيان جدبدبي وهي لعبة لهم والعامة تجعل مكان الباء الاولى نوناً ومكان الثانية لاماً وهو خطأ .قال الراجز ، هو لسالم بن دارة يهجوا بن نافع الفزاريّ :

جدبدبي جدبدبي يا صبيان   انّ بني فزارة بن ذُبيان
قد طرقت ناقتهم بانسان   مشيّاء اعجب بخلق الرحمان

..ومما جاء بالسين وهم يقولونه بالشين هو سجار التنور وقد سجرته بالسين ولا يقال بالشين وهو السلجم بالسين ولا تقل شلجم ولا ثلجم وفي المثل تسألني برامتين سلجماً وبعده :

لو أنها تسأل شيئاً أمّما   جاء به الكريّ او تجشّما

قال ابو حنيفة السلجم معرب واصله بالشين والعرب لا تتكلم بـه الّا

بالسين غير المعجمة. وهي السجيّة بالسين وتقول لاصحاب المتاع الاسيام بالسين والعامــة تقول الاشيام بالشين وتقول هو الكُردوس والجمع كراديس بالسين المهملة لا غير والعامة تقوله بالشين وهو خطأ والكراديس رؤوس العظام وقيل كل عظم تام ضخم كردوس وفي صفة النبيّ انه كان ضخم الكراديس. وتقول للحبل مرس بالسين وفتح الراء. ولا تقل مَرش انما المَرش كالخَدْش. وممَّا جاء بالذال وهم يقولونه بالدال هو الجُرَذ بالذال المعجم ولا يقال الجرد والذقن بفتح الذال والقاف ولا يقال دِقن كما تقول العامة والناجذ اقصى الاضراس يقال فلان منجّذ اذا احكم الامور ولا يقال بالدال. والاذاذ لضرب من التمر بالذال ولا يقال بالدال والزُمرّذ والشِرذِمة الطائفة من الناس والقطعة من الشي. بالذال ولا تقل شِرذِمة ولا تقل شِردَمة فانه خطأ وبــين الرجلين ذَحل اي حقد وعداوة بالذال والعامة تقول دَحل بالدال وهو الطبرزذ بالذال ولا يقــال بالدال. ومما جاء بالدال وهو يقولونه بالذال. هم الدُعــار للخبثاء المتلصصين بالدال مأخوذ من العود الدَعِر وهو الذي يؤذي بكثرة دُخانه. قال ابن مقبل :

باتت خواجل ليلى يلتمــن لها جزل الجذا غير خوّار ولا دَعِرِ

فان ذهب بهم الى معنى الفزع جاز ان يقال بالذال. وتقول كذب العادلون بالله بالدال اي المشركون الذين يعدلون بالله تعالى غيره ولا تقل العاذلون. يقال عدل الكافر بالله عدولًا. قال الله عزّ وجلّ: وهم بربهم يعدلون. وهو جُرذان الفرس لقضيبه بالدال ولا تقل جُرذان. ومما جاء ممدودًا والعامة تقصره كداء وجراء جبلان بمكة ممدودان والقباء ممدود وهو عربي صحيح وسُمّي قباء لاجتماع اطرافه وكل شيء جمعته باصابعك فقد قبرته قبوًا والملحاء من البعير ما تحت سنامه بالمدّ وايلياء بيت المقدس ولا تقل ايليا. قال الفرزدق: وبيت باعلى ايلياء مشرّف. صدره: وبيتان بيت الله نحن ولاته. واللوبياء بالمد والصِحناء والصحناة ممدودان وبزر قُطُوناء بالمدّ وقد تقصر والصَبناء للقضيب الشآمي مفتوح الصاد والنشا. والكرُوِياء. كَرَوِياء كان يجب على قياس نظائرهــا ان يقال كَرِيا لان الواو والياء اذا اجتمعتا وسبق الاول منهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وقد شذّ من هذا ضَيوَن وحَيوة وحَيوَان وعوية ولم يذكروا فيهــا كَرَوِيا.

والمشهور فيها عند اهل اللغة كَرِويا. مثل تَيْمِياء. وكَرِويّا بالقصر مثل زكريّا. وعاشورا ولم يجئ على فاعولاء في كلام العرب الا عاشوراء والضاروراء والساروراء. السرّاء والدالولاء الدالة وخابوراء موضع وهي القرياء وكربلاء وسُلاّ النخل شوكه، الواحدة سُلاّة، كل ذلك ممدود وهي الصحراء. ولا تقل الصحراة بالهاء. وقرقيسياء، هي مدينة بالجزيرة، وسعيراء موضع والرهاء مدينة. ومن الافعال التي غيّرت العامة ماضيها ومستقبلها. فَعَلْتُ : عقل الغلام يعقِل ورجع الشيء يرجع وجهد الرجل يجهَد ودرى اي علم يدري وفرق بين المشتبهين يفرِق ورجف الشيء يرجُف وشخص البصر يشخَص وقبض الشيء يقبِضه وبهرني الامر يبهرني فهو باهر اذا غلبك وصحت استبح وسفل الشيء يسفل ونزع الميت ينزِع وعناني الشيء يعنيني وسَلِمَ يسلَم ولا تقل سَلِمَ انما يقال سُلِمَ الرجل بمعنى لُدِغ وقد ردمت الباب والشيء اذا سددته فهو مردوم ولا تقل مُرْدَم ولا اردمته. وسبق الفرس يسبِق وبذل الشيء يبذُله ولهث يلهث وشهق يشهَق وغربت الشمس تغرُبُ ومرن على الحِيل يمرُن وخلص الشيء يخلُصُ وسهوتُ عن كذا ولا تقل سهيت وقرض الفار يقرِض. قال ابن دريد وليس في الكلام يقرُض البتة ونحل جسمه ينحَل وما شعرت بكذا. هوى الشيء يهوي وعرض يعرِض وضبط الشيء يضبطه. ومن فعُل تقول صلُب الشيء وضعُف وسهُل وقرُب وحسُن وقبُح وعتُق وكثُر ورخُص السعر وحمُض الخلّ وظرُف الرجل: كل هذا الباب تخطئ فيه العامة فتتكلم به على ما لم يسمّ فاعله ولا تكاد تلفظ به ويقولون ايضاً في ضَرِس ضُرِس وفي رَبِع رُبِع وفي سِين بِين. ومما جاء على أفعل تقول أروحت الجيفة ولا تقل راحت وقد أعوزني الشيء. ولا تقل عازني وأشفقت من كذا ولا تقل شفقت واباد الله الشيء. ولا تقل باده واخزاه الله يخزيه ولا تقل خزاه الا بمعنى ساسَهُ وقد احسنت الشيء. ولا تقل حسنة وقد أريته كذا أريه ولا تقل أوريته وأمسكت الشيء. ولا تقل مسكته. واصح الله بذلك ولا تقل صح الله وأثبتُ الشيء فهو مُثْبَت ولا تقل مثبوت. وأفسدته فهو مُفْسَد وانقمته فهو مُنقَم واصلحته فهو مُصلَح. وقد اردت ذاك ولا تقل ردته. وقد افاق من علته. فهذا ما تيسر اثباته من مغفل خطئهم.

واتفق الفراغ يوم الثلثاء في العشر الاوسط من شوال سنة ٥٨٧ من نسخه.

كتاب المعجم في تحليل أعلام الاماكن

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

هو من وضع المغفور له سيدي الوالد الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق ، والمعجم هذا مرتب على الأبجدية ومن توطئة خطها المؤلف سنة ١٩٠٢ في شهر آب قوله : « ولعت منذ شبابي بعلم الاشتقاق وتحليل اسماء الأشخاص والأماكن لمعرفة أسباب التسمية وما كان يستلفت انظار الذين يطلقون الاسماء بحسب قرائن الاحوال وما يتجلى لهم من المظاهر والشؤون المناسبة للمسميات فلهذا ألممت قليلاً بالسريانية والعبرية والقبطية والحبشية والكلدانية والتركية والفارسية ونحوهما وبلغات الافرنج كاللاتينية واليونانية والانكليزية والافرنسية والايطالية ونحوها واقتنيت لها معجمات قواميس لتساعدني على المعاني المرادة ودرست علم العاديات ونحوها مما يتعلق بالعبادات القديمة (الميثولوجية) وراجعت المعالم (دوائر المعارف) والتواريخ وما اكتشف من الآثار الى غير ذلك مع مراجعة الجغرافيات والرحلات وصححت بعضها مما سبق اليه الوهم وأخذ على مظاهره دون تعمق في البحث ومراجعات الى أشباه ذلك من المؤثرات على التاريخ وشؤونه فجمعت هذا الكتاب في تحليل الأماكن كما جمعت كتاباً آخر في تحليل اسماء الاشخاص وهو معجم ورتبت ذلك على الهجائية تسهيلاً للمراجعة فلعله ينفع مطالعيه وعساهم يسترون خطاءي والحمد لله على كل حال » .

وبهذا دلالة على المعجم وفائدته العلمية والثقافية وطول أناة مؤلفه وتحقيقه وتدقيقه .

رياض معلوف — زحله

حرف الالف

آبل كاميم — قرية في شرق الأردن بمعنى — روضة الكروم .
آبل شطيم — روضة السنطا أي الأقاقيه — آبل محولة روضة الرقص —

آبل مصرايم مناحة المصريين .
آبل ليسانياس وهي سوق وادي بردى .
آت ميدان — ميدان الخيل بالإستانة .
آستانه (تركية) بمعنى العتبة .
آق سراي — (وفي ابن خلدون وابن بطوطة) اقصراي بمعنى القصر الأبيض مدينة في بلاد الروم .
آق شهر — معناها المدينة البيضاء اشتهرت بالورد الأبيض وهي في بلاد الروم .
آبد — ديار بكر يسميها الأتراك — آميده — وقره آيد أي آمد السوداء لسواد حجارتها .
آون — عبرانية بمعنى العدم أو البطل ولعلها (أوّن) بمصر سماهـا اليونان هليو بوليس أي مدينة الشمس وبقعة — آون — السهول بين اللبنانيين أي بعلبك والبقاع .
آياس — فرضة في بر الأناضول اشتهرت بانتصار الاسكندر على داريوس الفارسي سنة ٣٣٣ فسميت نيكو بوليس أي مدينة النصر واسمها القديم — آسوى — واياسو واسمها الآن — آياس .
ادرنه — الأناضول — نسبت الى ادريانوس الروماني واسمها (ادريانو بوليس) باليونانية .
آيدين — مدينة في آسية الصغرى وهي ولاية مركزها ازمير آيدين تركية بمعنى (ضياء القمر) وهي ايضاً اسم — الكوزول حصار — أي الحصن الظريف .
إبتانوميذه — اسم يونانية بمعنى المقاطعات السبع التي كان يطلق قديماً على مصر الوسطى وهي سبع مقاطعات بين الصعيد والبحيرة .
ارخبيل — مجموع جزر معناها (راس البحر) ويقال ارشيبل وخرطبيل يونانيــة مركبة من (أرخي) بمعنى معظم (وبيلغوس) بمعنى بحر ويسمى بحر جزائر الروم وبحر سفيد . واسم التركي (آق دكز) أي البحر الأبيض . ويسمى بحر الجيوس .

استنبول – أو – اسطنبول = منحوتة من كلمات يونانية هي (إس) و (تِنْ) و (بُولين) أي إلى المدينة . وتسمى (اسطرومبول) أي مدينة الاسلام أو هي تحريف هذا الاسم المذكور ومن اسمائها دار السعادة ودار السلام (البيزنطية) وتسمى (بالقسطنطينية) نسبةً الى قسطنطين الملك .

حاشية : للبحث صلة وهذا بعض ما جاء في حرف – الالف – من هذا المعجم العام في تعليل أعلام الاماكن .

الشعر الصيني

رياض معلوف – زحله لبنان

منذ الزمن البعيد والشعر في الصين له منزلته أي في عهد (تشيو) في القرن الثاني عشر قبل عصرنا . ولم يبق من هذه الحضارة التي تعود الى الجيل الثامن والعشرين قبل الميلاد سوى بعض خرافات وأسماء ، ومما يتضح لنا ان مناخ البلاد وخطة بناء آثارها لم تترك دلائل حساسة كما هي الحال في مصر وبلاد الكلدان .

وأول كتاب الدين هو (كنفوشيوس) و (لوتزه) فالاول والثاني عاشا في الجيل السادس قبل الميلاد . (فكنفوشيوس) لم يكن شاعرا فيلسوفا وله كتاب (طريق الجلال الحميدة) وهو مؤلف شعري فيه تأملات وابتهالات تتصل بالحقائق الروحية عن طريق النغم والصورة الشعريين وهذا انموذج حي من هذا الشعر المفوف بسحر الشرق :

الطريق التي نسلكها
ليست الطريق الابدية !
والإسم الذي نسمي به
ليس الإسم الخالد . .
والغير مسمى هو سبب وجود السماء والأرض !
والمسمى هو أب كل البشر
اذن هذا هو الخالد دون رغبته ، والمكتشف الروح !
والرغبة الأبدية التي تكتشف الحدود
وهاتان المعرفتان هما بمعنى واحد
وإن اختلف اسمها
وهذه وتلك تسميان السر – سر السر . . .
باب كل روح !

. وله ايضاً هذه القصيدة العميقة المغزى بعنوان : العلم الأسمى .

دون ان أمرَّ بالباب أعرف العالم
ودون ان افتح الشباك استكشف طريق السماء !
والذاهب كلما ابتعد كلما عجز عن الفهم !
هكذا العاقل يتقدم دون أن يمشي
ودون أن يرى يعرف الاسماء .
ودون ان يهتم ينجح !

وكنفوشيوس رغم انه لم يكن شاعرًا فانه كان مولعاً بالعزف على القيثار وبالغناء مع تلامذته وتباعه حيث قال عنه أحد هؤلاء انــه كان يهوى الشعر وله مؤلف مشهور (شوكنغ) أو كتــاب الأشعار . ونظم بعض شعره في امتداح أباطرة الصين وأنشده في قصورهم :

ويزعم كنفوشيوس وتلاميذه ان ملكاً قديماً قبل عهد الإهانة التي ألحقها القيصر بفارس اسمه (ليبريوس) الذي أجبره على الرقص له .

وهذه الأبيات التالية بعنوان الراقص مصداقة لما تقول :

انني سأرقص وأرقص
غير مبالٍ ... الآن في منتصف النهار
انني اقفز وانطلق !
قامتي عالية منتصبة !
وفي قصر الملك أنا أرقص ...
أنا قوي مثل النمر
أطوي الجلد ... مثل قطعة النسيج
ويدي اليسرى تحمل الشبابة
والثانية ريشة الديك !

وعلى ما يظهر ان الشعر الصيني وزنه كالوزن الشعري الفرنجي على التقطيع نفسه وبعضه على الايقاع ما بين مقطعين على طريقة المزامير بعد ذلك تتكمل

القصيدة بالنثر الشعري الحر المطلق ويسمى — المجنون -- لانه على السجية الإيقاعية وعلى هوى الإلهام !

وشاهدنا على ذلك الشاعر (كويويون) الذي عاش في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد وكان وزيراً عند الأمير وأسر في ناحية نائية من الصين حيث قضى وقته في جمع بعض الاعتقادات وتعاطى كذلك السحر والشعوذة ثم يئس من الحياة ورمى بنفسه في النهر وحتى الآن يعيّدون في الصين لهذا الانتحار الغريب في اليوم الخامس من الشهر الخامس من كل سنة. وهذه هي قصيدته البديعة — جنيّة الجبل

من الذي أراه في قلب الجبل
حيث يتيه النظر وترتسم البسمة !
هل تتطلب انت العزلة التلقائي معك .
أجرُّ أمامي الحيوانات المفترسة
المرتبطة بها عربتي المصنوعة من أغصان الزيزفون والورد
وأضع عصبةً وغطاء لرأسي من الزهر
وأقتطع غصناً معطراً لأفكاري !
ومسكني غابة القصب التي تحجب عني السماء !
الطريق صعبة أسير فيها وحيدة . . .
فتظللني الغيوم . . .

وينتهي هكذا بقوله :

الهواء يدور ويعصف
والأشجار تصفر
انني أفكر بك وحيدةً في حزني !

وفي معهد (طانغ) في العصر الثامن والتاسع كان الملوك يرعون الآداب والفنون وخاصةً الشعر . وكذلك في عهد الامبراطور (منغ) الذي سمي قديماً بعد مماته تحت اسم (هيون تسنغ) أو الجدّ الساحر وكان هو ايضاً شاعراً وعطف

على زمرة من الشعراء. أدخلهم في حاشية قصره مثل : (ليوتنغ تشو) و (ليتاه) وهو أشهرهم جميعاً و (ونغ واي) الذي كان معروفاً ايضاً و (تشنغ كيان ودتوفو) و (منغ هوجن) ومن قول هذا الاخير وفيه السحر الكلامي :

سعادة الأرواح السماوية تشغل تفكيري
وصوت الارغن محفور على قلبي !

ومما شك فيه ان الشعر الصيني تأثر إلى حد بعيد بالآداب الانكليزية والأميركية وابتدأت الآن في عصرنا هذا نهضة شعرية وثابة ودليلنا على ذلك بعض مقاطع للشاعرة (سيه بنغ سن) في الأمومة :

— في السماء وفي قلبي تهب العاصفة !
وما لي مأوى إلا في قلبك ...

ومن لطيف قولها في الطفولة :

ايتها الطفولة !
يا حقيقة الحلم
وحلم الحقيقة !
ايتها الذكرى الممزوجة بالدموع والابتسامات !

ومما وصفت به الأوقيانوس واجادت :

أيها الأوقيانوس أأنتَ نجمة دون نور ..
أم وردة بلا رائحة ؟
في كل هنيهة تصطدم أمواج أفكاري
بصدى أمواجكَ الجبارة !

الى ما هنالك من قطع أخاذة تدعو الى عمق التفكير ويتضح لنا بذلك ان الشعر الصيني راقٍ وساحر وفيه الكثير من الطلاسم الإحائية والرموز والصور التي تُذهل وتدهش ! وعلى ما نرى ان الشعر انبعث الى العالم كله من الشرقين الأدنى والأقصى وهكذا اعمَّ الخافقين .

الموسيقي الأعمى!

أناميل يشيع بها الضياءُ
وتلعبُ باللحون كما تشاءُ
كأنّ بها من الحدقات عشراً
فكل يدٍ بها خمس سواءُ
وحطّ بكلِ أنملةٍ هزار
يزقزق ثم يحجبه الفضاءُ!
فآنا كالربيع نمى هديراً
لطيفاً ثم يعقبه الشتاءُ...
فتمتمة وهمهمة وهمسٌ
كما جمع الحبيبين اللقاءُ
وأعمى في تفننه بصيرٌ
يلحن مثلما توحي السماءُ!
شبيه الطير تفقأ مقلتاه
ليقضي العمر يشغله الغناءُ...
ولا يدري بما في الأفق يجري
أطلّ الصبح أو هبط المساءُ!

رياض معلوف

البطريرك مخايل فاضل ونسبه

بقلم المونسنيور يوسف زياده (✝)

لقد تضاربت الآراء بشأن البطريرك مخايل فاضل هل هو الخوري مخايل القرطباوي الذي حضر المجمع اللبناني كلاهوتي وذكره هذا المجمع في (ص٢٦) من الترجمة العربية هكذا :

« الخوري مخايل القرطبي » .

وذكره في (ص ٣٠) هكذا :

« مخايل من قرطبة تلميذ المدرسة المارونية وخوري بيروت » .

والذي وقع امضاءه في (ص ٥٥٨) هكذا :

« مخايل القرطبي تلميذ مدرسة الموارنة برومية سابقاً وخادم كنيسة بيروت » .

ام انه غير ذلك ؟

فذهب القس اغوسطين سالم الى ان البطريرك فاضل هو نفسه الخوري مخايل القرطباوي واجتهد في اثبات ذلك[1] .

ولما كان البعض يدعون العكس رأينا ، مع قصر الباع ، ان نبحث هذا الامر ليس لجلبة فخر ، وكسب اجر بل لمجرد جلاء حقيقة .

١ : ان الخوري لويس الهاشم صاحب تاريخ العاقورا اتى على ذكر الخوري مخايل القرطباوي خادم رعية بيروت بما نصه[2] :

« انحدرت عائلة السخن من حصيا الجرد الى قرطبا واستوطنتها واشادت كنيسة مار الياس ونمت نمواً كبيراً حتى بلغت الآن نصف البلدة عدداً وهي ذات فروع عديدة تنحدر من ثلاثة فروع كبيرة وهي بيت غصيبة وبيت عزيز وبيت سابا ثم من هذه الثمرة نشأ قديماً العلامة الخوري مخايل القرطباوي خوري ببيروت » .

ولكنه لما تكلم عن البطريرك مخايل فاضل وضع عنواناً ضخماً :

« البطريرك ميخائيل فاضل البيروتي مولداً والعاقوري اصلاً » .

---

١) خواطر الجنان سنة ١٩٣٩ ص ١٤٦

٢) تاريخ العاقورا سنة ١٩٣٠ ص ٣٥٩

واكتفى بقوله :

«تأدب المترجم به في رومة العظمى وخرج منها خطيباً فقيهاً مدققاً وكان من طبعه سياسياً محنكاً وتضلع من الفقه الحنفي حتى اصبحت فتاويه دستوراً للقضاة ونظاماً للحكام فاتخذه البطريرك سمعان عواد كاتباً لاسراره وكان يوكل اليه كل امر هام ففي حزيران سنة ١٧٥٠ انتدبه فاحصاً زهبانية هندية بكركي»[1] .

غير انه لم يذكر تاريخ مولده ولا تاريخ ذهابه الى رومة ولا تاريخ رجوعه منها مما يدل على انه كبعض الكتبة يكتفي بالمسموع والمنقول ، او ان جل همه ان يجعله من الماقورا .

٢ : وكتب الاب ابراهيم حرفوش في مجلة المنارة ما يلي :

«ورد في مفكرة البطريرك بولس مسعد : «رجع غابريل فاضل بن رومية في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ وفي ١٣ تموز سنة ١٧٤٠ رسمه كاهناً البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي ارسله الى عكا لاجل عمار الكنيسة ورسمه بردوطاً على كنيسة عكا المطران جبرايل عواد وفي ٢ ت ١ سنة ١٧٥٣ استدعاه البطريرك سمعان عواد الى بيروت فعمّر كنيسة بيروت مبتدئاً في ٢٥ حزيران سنة ١٧٥٤ وانتهى منها سنة ١٧٥٥ وتسلم دير حراش في اول ايلول سنة ١٧٥٨ لحد سنة ١٧٦٢ التي بها ارتسم مطراناً على بيروت ووكيلاً على الكرسي البطريركي من البطريرك طوبيا الخازن في كنيسة بيروت»[2] .

٣ : وقال المرحوم الخوري اسطفان بشعلاني :

«وُلد غابريل فاضل في بيروت حوالي سنة ١٧١٠ على الاصح وارسل الى رومة العظمى حيث تلقى العلوم والمعارف وعاد الى الشرق في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ وفي ٢١ تموز من هذه السنة رسمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن كاهناً وارسله الى عكا فانشأ في هذه المدينة كنيسة ومركزاً لائقاً بطائفته التي سعى بجمع شتاتها بعد التعب والجهد وقد رقاه المطران جبرايل عواد سنة ١٧٥٣ الى رتبة برديوط ، ولكن السلطة الكنسية اعادته الى بيروت حيث شرع بتجديد كنيستها المؤسسة على اسم القديس جرجس وذلك سنة ١٧٥٥ ثم اقيم رئيساً على دير حراش سنة ١٧٥٩ وفي ١١ حزيران سنة ١٧٦٣ رقاه البطريرك طوبيا الخازن الى المقام الاسقفي . . . واخيراً انتخب بطريركاً على الموارنة في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣ وترل به القضاء المحتوم في ١٧ ايار سنة ١٧٩٥ » .

---

١) ص ٢٢٨ ، وما يلي .

٢) المنارة سنة ١٩٣٦ ص ٢٥٨

وارجع القارئ الى مجلة المنارة التي استند اليها في هذه الرواية في سنتها[1] ص٢٥٨.

وبعد ان ذكر الخوري مخايل القرطباوي الذي ارسل الى رومة سنة ١٦٩١ ورجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ وصار كاهناً على رعية بيروت وحضر المجمع اللبناني، لا نعرف كيف توصل الى النتيجة التالية :

« مما يحق ان الخوري مخايل فاضل البيروتي الفاقوري هو غير الخوري مخايل القرطباوي خادم بيروت . . . لكن القس غسطين لغاية في النفس خلط الاثنين معاً فغيّر وحرّف ووصل بينهما بسلسلة انسابه العربية المزعومة وخلق منهما شخصاً عجيباً بلغ من العمر اكثر من ١١٥ سنة وجعل يوسف اسكندر ومخايل فاضل ومخايل القرطباوي من بيت السخني اسرته[2] . . »

ونحن نجيب :

اولاً : اننا لنعجب من تحامل الخوري بشعلاني على القس غسطين لاننا لم نجد اثراً « للتغيير والتحريف » المنسوب اليه، فهل لان الخوري المذكور كان يكتب احياناً اجاز لنفسه اعتقاد من يكتب لاول مرة ببساطة واخلاص نية لظنه اياه عاجزاً عن الجواب !

اما القس غسطين فكان جل استناده في كلامه عن البطريرك فاضل الى الرسالة التي وجهها اليه القس مبارك صقر الانطوني وسنأتي على نشرها في آخر هذا الدرس .

ثانياً : ورد في الروايات السابقة عن مخايل فاضل ما لا اساس له كقوله الخوري لويس الماشم انه كان كاتب اسرار البطريرك سمعان عواد — فهو لم يكن حيناً كذلك، كما سيتبين من الوثائق، وان كان هذا البطريرك يعهد اليه بامور هامة كفحص الخلاف بين الرهبان وزيارة مؤسسة هندية زيارة قانونية — وورد فيها من التباين ما يدل على انها لا تستند الى مستند راهن : فالاب حرفوش يجعل رسامة فاضل كاهناً في ١٣ تموز سنة ١٧٤٠ والبشعلاني يجعلها في ٢١ تموز من تلك السنة كما يجعل استلامه دير حراش في سنة ١٧٥٩ بدلاً من سنة ١٩٥٨، على قول الاب حرفوش — فاين الحقيقة والى اي المصادر يستند الكاتبان ومن نصدق منهما ؟

---

١) تاريخ الامر المارونية — المشرق — اذار نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١١

٢) في المحل المذكور ص ٢١٢

ثالثاً : لم يذكر احد منهما ولا الخوري لويس اغاشه اسم والد الخوري مخايل القرطباوي وجده تهرباً من الحقيقة لانهم لو ارادوا التقصي وقول الحق لوجدوا ان اسم ابيه هو موسى واسم جده هو فاضل فكتبوا كأن لا اب له ولا جد حتى يجعلوا الخوري مخايل فاضل غير الخوري مخايل القرطباوي الذي يرجع نسبه الى مالك الفيث فقدم الماقورا[1] .

رابعاً : لم يرسل الى رومة تلميذ باسم مخايل فاضل بل باسم مخايل القرطباوي .

فقد ذكر تاريخ تلامذة المدرسة المارونية في رومة :

في سنة ١٦٩١ وصلوا الى المدرسة خمس تلاميذ صحبة القس بطرس مبارك الغوسطاوي . . .

والخامس مخايل القرطباني وهذا من بعد ما خلص من الفلسفة واللاهوت رجع الى بلاده وبسبب انه كان رجلاً عالماً وعابداً كل ارفاقه كانوا راضين منه وشاكرين جداً .

(المنارة ١٩٣٦ ص ١٩)

. . . وفي سنة ١٦٩٤ ربانية جاء الى المدرسة واحد يسمى يوسف ابن جرجس الماروني وهذا من بعد ما خلص علم الفلسفة كان ناوياً ان يصير يسوعي مثل اخيه ولكن عادت تغيرت الاحوال ورجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ صحبة الشماس مخايل القرطباني الذي كان رفيقه في المدرسة .

(المنارة-١٩٣٦ ص ٢٠)

ولدى مراجعة اسماء تلامذة المدرسة المذكورة الذين ذكرهم البطريرك الدويهي في نبذة خاصة نشرها الاب لويس شيخو (في كتابه « الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية » سنة ١٩٢٣) واسماء التلامذة الذين ذكرهم المونسنيور نعمةالله عراد نقلاً عن المخطوط ١١٠ سرياني من مكتبة الفاتيكان حتى سنة ١٧٢٠ .

(المنارة سنة ١٩٣٥ و ١٩٣٦)

ومن ذكروا فيما بعد ، يتبين انه لا يوجد اسم « مخايل فاضل » بين تلامذة

---

١) تاريخ الماقورا ص ٢٢٨ ونبذة تاريخية للقس يوسف اسكندر القرطباوي نشرت في خواطر الجنان للقس غنطين سالم ١٩٣٩ ص ١٢٧ وما يلي .

رومة . فلا نعرف كيف جعل بعضهم هذا الاسم مستقلاً عن اسم الخوري مخايل القرطباني ، الثابت ارسالة الى رومة ورجوعه منهـا وكان خوري رعية بيروت وحضر المجمع اللبناني ، ولا كيف اخترعوا تاريخ رجوعه من رومة" دون تاريخ ارساله اليها ، مع ان تلامذة رومة مـذكورون باسمائهم فرداً فرداً مع تاريخ ارسالهم واحياناً مع تاريخ رجوعهم الى الوطن .

خامساً : ان الخوري بشعلاني ، كالاب حرفوش الذي استند اليه ، لم يذكر تاريخ ارسال مخايل فاضل الى رومة لانه لم يرسل في التاريخ الذي يتفق مع تاريخ رجوعه المحدث او المفترض سنة ١٧٤٠ بل ارسل قبل ذلك سنة ١٦٩١ . الا ان البشعلاني قد اخذ عن الاب حرفوش ان مخايل فاضل رجع من رومة في ٢٤ حزيران سنة ١٧٤٠ ولكي يوفق لكلامه مع هذا التاريخ افترض له تاريخ ولادة فقال انه « ولد في بيروت حوالي سنة ١٧١٠ على الاصح » . فما هو هذا الاصح واين هو تاريخ الولادة ومن ارسل فاضل الى رومة حتى رجع سنة ١٧٤٠ ؟ ، فكلامه ليس الا على التقدير والتخمين لان لا مستند له .

اما قول الاب حرفوش انه رجع من رومة سنة ١٧٤٠ بناء على مفكرة البطريرك مسعد فلا اساس له ، ولا نظن ان البطريرك المذكور كتب ذلك ولا مستند لديه عليه بل اراد ان يكتب عن الخوري مخـايل القرطباوي الثابت ارساله الى رومة ورجوعه منها ، وقد حصل غلط في هذا التاريخ اما من البطريرك كاتب المفكرة (التي لم نعثر عليها بعد جدّ التفتيش) على عجل واما من ناقلها الاب حرفوش ، لان الذي رجع من رومة هو الخوري مخايل (فاضل) القرطباوي في ١٤ حزيران سنة ١٧٠٤ . وقد اخطأ الناسخ بوضع الصفر قبل ٤ فصارت سنة ١٧٠٤ سنة ١٧٤٠ وصار ١٤ حزيران ٢٤ حزيران ، وذلك ثابت من جواب الاب حرفوش للقس غسطين عن سبب هذا الغلط فنسبه حرفوش الى البطريرك ، والاصح انه من حرفوش ، كما كان يحدث له احياناً لتسرع في الكتابة . ومن ذكر شهر حزيران عينه دليل على الغلط في السنة .

وهكذا قد انهار الاساس الذي بنى عليه البشعلاني في نظريته في الموضوع. وسترى نص الجواب في آخر هذه المقالة .

اما سبب الغلط في ذكر رسامة فاضل سنة ١٧٤٠ فهو ان البطريرك يوسف

الخازن رقاه في تلك السنة الى رتبة برديوط وارسله الى عكا» كما سيجي.
في رسالة القس مبارك حقر للقس غسطين سالم، فحصل الخلط بين تاريخ الشرقية الى البرديوطية وبين تاريخ الرسامة الكهنوتية .

فما تقدم يتتج انه لم يرسل الى رومة تلميذ باسم مخايل فاضل بل ان حامل هذا الاسم هو نفسه الخوري مخايل القرطباني، الذي كان يوقع امضاءه اولاً منسوباً الى بلدته قرطبا . ثم عاد ينسب ذاته الى جده فاضل، وهذا غير مستغرب اذ نرى ان اكثر التلامذة المرسلين الى مدرسة رومة كانوا ينسبون الى قريتهم دون ذكر نسبهم العائلي ، كعادة تلك الايام — او كان يوقع امضائه هكذا « الخوري مخايل خادم مار جرجس بيروت سنة ١٧٤٤ » بدون ذكر قريته او جده حتى بعد رسامته التي يدعون حصولها سنة ١٧٤٠ ، على ما سترى قريباً — فهل هذا مخايل ثالث مستقل عن الاثنين السابقين ؟ وكيف غفل المعترضون عن هذا الاستنتاج ؟

سادساً : ومما يزيد هذه النتيجة تأكيداً ما كان عليه الخوري مخايل فاضل من العلم والشهرة والدور الذي لعبه في احوال الطائفة :

١ : فلقد ذكرنا ما وصفه به الخوري لويس الهاشم .

٢ : ونرى في تاريخ الرهبنة اللبنانية المارونية للاب لويس بليبل (المطبوع سنة ١٩٢٤) توقيع « الخوري مخايل خادم مار جرجس بيروت » على فتوى صادرة سنة ١٧٤٤ منه ومن بعض اساقفة ورؤساء رهبانيات الفرنج بخصوص خلاف الرهبان والبطريرك سمعان عواد (٢٠٢ ص ٤٦) .

ونرى في ص ٥١ فتوى ، بخصوص خلاف الرهبان، من بعض الرهبان اللاتين، مذيلة هكذا :

« انا مخايل فاضل مرسل رسولي وقفت على اسباب ودعاوي الفريقين من الرهبان اللبنانيين من خصوص بجمعهم العام ورأيت كما احكم بالرب بان الحق لهم كما ذكر اعلاه » .

وفي ص ٧٤ جواب من « الحقير مخايل فاضل مرسل رسولي » الى الرئيس العام الاب يواكيم حاقلاني» الذي كان قد طلب ليستشيره في امر المجمع الرهباني المنوي عقده وبه يعتذر فاضل عن الحضور ويوصي الرئيس العام بان يعقد المجمع في حينه ويترجى البطريرك سمعان « بان يحضره باقنومه بموجب الحكم الرسولي

ومن ما شاء . يحق لاحد الرؤساء دونه ان يدخل الى محكمكم او يتداخل بأموركم لانه ضد القوانين الرهبانية والفرائض الكنائسية » .

حرر في قرية حباع في ٢٦ ت ١ سنة ١٧٤٧

وفي ص ١٦٣–١٦٥ براءة رسولية تاريخها ٧ ايلول سنة ١٧٥٤ مترجمة عن الاصل بقلم الخوري مخايل فاضل المرسل .

وله ترجمات تحارير وبراءات أخر من الكرسي الرسولي (ص ٢٠٤–٢٢٢) وغير ذلك . . .

ومن المهام المعتبرة التي اسندت اليه ما جاء في « الاصول التاريخية » :

« منذ بدأت ثورة المرسلين الاجانب على هندية والبطريرك سمعان عواد واحبار الطائفة المارونيه انتدب صاحب الغبطة الخوري مخايل فاضل الملفان في اللاهوت زائراً بطريركياً الى دير بكركي ليتفقد شؤون مؤسسته وراهباته ورهبانه ويرفع خلاصة زيارته الى البطريرك لينظر فيها » .

الاصول التاريخية للاب بولس مسعد والشيخ نسيب وهيبه الخازن ص ٣٧١ المجلد ١ الجزء ٤) .

وقد اتم الخوري مخايل مهمته بكل نشاط في حزيران سنة ١٧٥٠ وسطر رسالة مطولة في الموضوع تبتدئ هكذا :

« من الفقير والحقير اليه تعالى نفساً وجسماً مخايل فاضل بنعمة الله القس الانطاكي خادم اسرار سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح بغير استحقاق ورسول بيته المقدسة الرومانية الى جميع الرؤساء والآباء المكرمين » .

وفي آخر الرسالة تثبيتها من البطريرك سمعان باعلام جاء فيه :

لقد وقفنا على هذه الرسالة ولدنا العزيز وقاصدنا الخوري مخايل فاضل المكرم . . . ولثبات ذلك اثبتناها بسلطاننا وسجلناها باسمنا وختمنا » .

تحريراً في غرة شهر اب سنة ١٧٥٠ وهي السنة السابعة لبطريركيتنا .

✝ ارحم يا فضل الافاضل عبدك مخايل فاضل

الخوري مخايل فاضل ملفان لاهوتي ومرسل رسولي وقاصد وفاحص من قبل السيد البطريرك الكلي الاحترام عفي عنه تعالى » .

(الاصول التاريخية ص ٣٦٠–٣٧٨)

وقال صاحب مختصر تاريخ لبنان :

« وقام بعد البطريرك يوسف اسطفان البطريرك مخايل فاضل من بيروت ولزود عليه نكن بكوكب الشرق » (ص ١٠٩) .

اما قوله من بيروت ، فلانه كان خوري بيروت ثم مطرانها .

هذا وان كل ما ذكر عن الخوري مخايل فاضل وما اطلق عليه من الالقاب لا ينطبق الا على الخوري مخايل القرطباوي الذي جاء عنه في تريخ تلامذة مدرسة رومة :

« ويثبت انه كان رجلاً عالماً وعابداً كل ارفاقه كانوا راضين منه وشاكرين جداً » .

والذي حضر المجمع اللبناني كاحد اللاهوتيين المتيزين في الطائفة ، ولو لم ينتسب اولاً الى جده فاضل .

سابعاً :« وان بقي من ريب في الامر عند البعض فالبرهان القاطع هو في ما كتبه البطريرك مخايل عن نفسه ونسبه في كتابه « كمال الاشتمال في الاماكن والعيال » .

ذلك وغير خاف علينا ما كتبه الخوري البشعلاني (المشرق عدد آذار — نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١٢) : « ان هذا الكتاب هو كالغول والعنقاء والخل الوفي » اي لا وجود له — ولكن هذا قول احتياطي لا مستند له ، وهل يكفي ان يكون صادراً بدون سند عن الكاهن المذكور ، او نقلاً عن الاستاذ عيسى المعلوف كما يدعي ، حتى يعتبر كحقيقة راهنة . فقد اسند زعمه الى انه لا يوجد اثر لهذا الكتاب لا في دير حراش حيث كان مؤلفه ولا في خزائن البطريركية حيث نقلت مخطوطات هذا الدير » . فهل هناك شيء من المنطق وهل عدم وجود كتاب في دير او في خزانة برهان على ان هذا الكتاب غير موجود ، وهل ضياع كتاب برهان على انه لم يوجد اصلاً ، وكم من كتب مفيدة مفقودة ؟ بيد انه يوجد من مطلع هذا الكتاب ونسخه او اخذ عنه ، فها ان المرحوم القس مبارك جعفر الانطوني ، وهو معروف بالفهم والرصانة يقول صراحة انه نقل الكتاب على دفاتر عنده ، كما جاء في رسالة منه الى القس غسطين سالم عن انطوش حوش حالا بتاريخ ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ (نشرت بالطبع في بالطبع في « خواطر الجنان » للقس غسطين المذكور في ص ١٤٦ — ١٥١) قال :

« ابدي وصل الينا عزيز تحريركم الذي به تطلبون مني افادة عن حياة السعيد الذكر العلامة البطريرك عايل فاضل الخ افيدكم عنه باختصار نقلًا عن كتابه « كمال الاشتمال في الاماكن والعيال » ص ١٨٤ الذي نسخته على دفاتر مخصوصة عندي في مكتبتي التي في اطوش مار يوسف زحلة ، يوم كنت مقيماً في دير مار اشعيا بمبدات سنة ١٩١٣ ، اذا تذكرتم ذلك ، وكان هذا الكتاب المخطوط في الحرف الكرشوني موجودًا في مكتبة الدير المذكور . . . »

فهذا الاب يصف الكتاب كرجل مدقق ويذكر محتوياته... ومنها خلاف فاضل مع البطريرك يوسف اسطفان مع ابرشية بيروت وعرائض عديدة بهذا الشأن ، ونسب البطريرك . وخبر موته الذي كتبه القس توهرا ضو مرشد راهبات دير حراش ، وهو يصرّح بانه نسخه ويذكر سنة النسخ ، ويذكر القس غسطين باقامته اذ ذاك بدير مار اشعيا — فهل يجوز لاحد ان يشك في ما كتبه هذا الراهب الفاضل المتزن ، في وقت لم يكن ليظن ان الاب بشملاني سينكر وجود الكتاب الذي كان بين يديه ، وقد كتب ولا دافع له ، ايًا ما كان الى اختراع مثل هذا الامر الذي ذكره بكل بساطة ونزاهة .

ولكن ما لا يجوز لاحد قد جاز للمعترض ! — ومما يزيد في غرابة هذا القرن انه طالع في « خواطر الجنان » الذي ذكره وانتقده ، رسالة القس مبارك المنشورة فيه فكان عليه ان ينقض لكلام الكاتب بالبرهان السديد قبل ان يقول ان كتاب « كمال الاشتمال » خرافة — وان نعجب لشيء فلجرأة بعض الذين يقيسون نفوسهم عفوًا معلمين واعية للبشرية ، ولله في خلقه شؤون !

هذا ، وان ما ورد في رسالة القس مبارك من التفاصيل والظروف الدقيقة عن نسب وحياة البطريرك المذكور ، نقلًا عن « كمال ألاشتمال » لا يمكن ان يستنبطه احد ايًا من كان ولا ان يعرفه الا البطريرك نفسه .

وفوق ذلك فان المعترض يقول ايضاً في مقالته السابقة الذكر :

« وذكر تلميذنا القديم الاستاذ ايل حبشي تاريخ فاضل في كتابه « جهاد لبنان » ص ٣٤٨ قال : انه اعتمد في روايته عن اصل اسرته « البيت الاشقر » على اوراق دير مار اشعيا وعلى تاريخ فاضل المذكور وسألناه عن هذا التاريخ فاخبرنا ان والده انشأ نبذة عن اسرته نقلًا عن كتاب « كمال الاشتمال » من الصفحة ١١٨ » .

فهل الاستاذ حبشي او والده الذي اخذ نسب اسرته من الكتاب المذكور

من ص ١١٨ لا يصلح شاهداً على وجود هذا الكتاب ، وان لم يُعثر عليه فيما بعد في دير حراش ولا في خزانة بكركي ، وهل شهادة القس مبارك والاستاذ حبشي غير كافية للاثبات ، مع العلم انه على فم اثنين او ثلاثة تقوم كل شهادة — وكيف بعد هذا جاز للاب بشلاني ان يقول ان هناك خرافة ! .

هذا وقد سألنا الاستاذ حبشي عن رأيه في ما جاء عنه وعن والده بشأن كتاب « كمال الاشتمال » فاجابنا بتاريخ ٢١ ايلول سنة ١٩٥٧ مؤكداً وجود الكتاب ومستغرباً كل الاستغراب ما ادعاه اعتباطاً البشلاني وعيسى المعلوف وسننشر الجواب في آخر مقالتنا هذه .

اما اذا كان المعترض قد استغرب ، كما ذكر ، ان يعيش البطريرك المذكور ١٦٥ سنة فذهب الى ما ذهب اليه بدون سند ، فهذا الحادث غير مستحيل وغير مستغرب ، اذ كم كان يعرف هو وكم نعرف نحن وغيرنا من الذين تجاوز عمرهم مائة سنة : فالخوزي لويس الهاشم قد ذكر عن المطران جرجس خيرالله اسطفان مطران العاقورا ما يلي :

« استأثر الله به في ٩ كانون الثاني سنة ١٧٢٣ وله من العمر مائة وخمس سنوات » .
(تاريخ العاقورا ص ٢٢٦)

وذكر ايضاً في كلامه عن اسرة جمعه في منجز عكار :

« وكان منها الخوري مخايل ملحم الذي عمّر نحواً من ١١٥ سنة وكان خادماً قرية منجز » . (المحل المذكور ص ٣١٩)

وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٥٢٤ :

« وقضى نحبه ايضاً البطريرك شمعون بن داود المعروف بابن حسان الحدثي وكان عمره نيفاً وعشرين سنة » . (طبعة شرتوني ص ١٥٦)

ثم الم تذكر صحف العالم ان اناساً عاشوا ما فوق ١٢٥ ، في الهند مثلاً وفي روسيا . وقد ذكرت الصحف حديثاً ومنها « الجريدة » في العدد ١٤٣٤ بيروت ٢٧/٨/٩٥٧ ما يلي :

« معمّر ١٥٦ سنة يموت من الجوع في البرازيل : أعلن في سان بولو ان مانويل رودريجو كرتهو الذي كان يحتفظ بشهادة ميلاد تثبت انه ولد في اول اوكتبر سنة ١٨٠١ قد وُجد اليوم ميتاً في الغرفة التي يقطنها ، وقال قريب للسنيور كرتهو ان عمره ١٥٦ سنة وانه مات من الجوع » .

واذا كان الله قد منّ على البطريرك فاضل بعمر مديد ، ذنبه هو وما شأننا نحن ؟

وعلى كل ففي كتاب « كمال الاشتمال » كتابة من القس توهرا ضو مرشد راهبات دير حراش الذي مات البطريرك بين يديه تفاصيل موته « عن عجز طبيعي في سن ١١٢ سنة على ما سترى في رسالة القس مبارك صقر ، وفيها الجواب الشافي وفصل الخطاب في الموضوع.

ولا يسعنا ان ننهي هذا المقال ولا نبين ما كان للمطران مخايل فاضل من الايادي البيضاء على ابرشية بيروت: فلقد سبقنا وذكرنا تجديده لكنيسه بيروت القديمة — ثم انه في ٢٥ نيسان سنة ١٧٩٠ انشأ وقفية من املاكه في بيروت اي سبعة اقبية معقودة بالحجارة وبيت صغير ودارة صغيرة على كنيسة مار جرجس لاجل قيام مدرسة لعلم الاولاد — ومما جاء في صك الوقف ما يلي :

« وكري المعلم ومعاشه من الاجار المذكور الصامد ولاجل ذلك لا يطلب المعلم من الاولاد ولا من اهاليهم شيئاً لاجل علمهم بل بكل اجتهاد يعلمهم القراءة والكتابة سريانياً وعربياً ومخافة الله والتعليم المسيحي . . . واذا كان المعلم كاهناً لا نسمح له بان يتعاطى في خدمة الرعية ويفارق المدرسة . . . ولا نسمح ولا نأذن بالرب ابداً بان الوقف المذكور يباع او يرهن او يتغير باي نوع كان بل يمكث وقفاً سالماً ، مؤبداً لاجل قيام وثبات المدرسة المذكورة . . . »

(السجل البطريركي ٣ ص ١٠—١١ ومجلة المنارة سنة ١٩٣٦ ص ٢٧٠-٢٧٣)

وبهذا القدر كفاية .

رسالة القس مبارك صقر للقس غسطين سالم

حضرة الجليل الفاضل والمؤرخ النقيب القس اغوسطين سالم السخن القرطباوي الجزيل الاحترام .

بعد تقبيل يديكم بمزيد الشوق والاحترام وطلب دعاكم الصالح . . . ابدي وصل الينا عزيز تحريركم وبه تطلبون منا الافادة عن حياة السعيد الذكر العلامة البطريرك مخايل فاضل .

افيدكم عنه باختصار نقلاً عن كتابه كمال الاشتمال في الاماكن والميال ص ١٨٤ الذي نسخته على دفاتر محفوظة عندي في مكتبتي التي في انطوش مار

يوسف زحلة . . يوم كنت مقيماً في دير مار اشعيا ببعبدات سنة ١٩١٣ اذا تذكرتم ذلك . وكان هذا الكتاب المخطوط في الحرف الكرشوني موجوداً في مكتبة الدير المذكور .

ان البطريرك مخايل فاضل مؤلف كتاب كمال الاشتمال في الاماكن والعيال هو ابن الشيخ موسى بن فاضل السخني القرطباوي العاقوري الاصل الذي مات في قرطبا في ١٩ شباط سنة ١٦٩٤ ب م ابن جرجس بن مخايل بن اسعد بن مالك اليمني مقدم العاقورا ابن ابي الغيث بن عبدالله بن غيث بن يزيد بن سالم ابن صادق بن شبل ابن غصية بن جهجاه بن دياب العاقوري بن زيد الخ . . .

تزوج والده الشيخ موسى بن فاضل منيرة بنت انطونيوس بن الشيخ عزيز السخني القرطباوي بن نصرالله العاقوري قرابته في ٩ كانون الثاني سنة ١٦٣٤ ب م وولد مخايل في قرطبا في ٣ آذار سنة ١٦٨٣ ب م[1] . وارسله السعيد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الى مدرسة رومية مع القس بطرس مبارك الغوسطاوي في ١٥ ايلول سنة ١٦٩١ ب م وكان عمره ثمان سنوات ومن رفقائه الى مدرسة رومية بشاره البشراني وسركيس الحجري الاهدني وعبد الله البشراني وجرجس من ارده وكان ذلك بواسطة ابن عمه القس يوسف ابن الشيخ اسكندر السخني القرطباوي الذي كان يازجي عند غبطته ومكث مخايل في مدرسة رومية ١٣ سنة . وبعد ان درس قواعد اللغة العربية والافرنسية و(اللاتينية) والفقه والفلسفة واللاهوت النظري والادبي الخ . . .

رجع الى بيروت ووصل اليها في ١٤ حزيران سنة ١٧٠٤ ب م ثم ذهب من بيروت الى دير سيدة قنوبين لكي يزور قبر ابن عمه المرحوم القس يوسف . الذي مات بالطاعون في ٢٠ ايار سنة ١٦٩٣ ب م فامسكه السعيد الذكر البطريرك جبرايل البلوزاوي عنده وعينه كاتباً لاسراره ولما توفي هذا البطريرك

---

١) اما زواج والده في سنة ١٦٣٤ فيمكن ان يكون مغلوطاً فيه بالنسبة الى تاريخ ولادته في سنة ١٦٨٣ اذ تكون الولادة ٤٩ سنة بعد الزواج – وبما ان المخطوط الذي اخذ عنه القس مبارك مكتوب بالكرشوني وبالتالي تاريخ الزواج فقد يكون قرأ حرف اللام الذي يوازي ٣٠ بحساب الجمل بدلاً من حرف العين الذي يوازي ٧٠ لانها متشابهان ولا فرق بينها الا ان حرف العين اقصر من حرف اللام فكتب ١٦٣٤ = اصلد بدلاً من ١٦٧٤ = اصعد والله اعلم .

في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٠٥ ب م وخلفه السعيد الذكر البطريرك يعقوب عواد الحصروني عزله من وظيفته ورجع الشماس مخايل فاضل المذكور الى بيروت واقام في بيت والده الشيخ موسى ...

ثم عينه الامير بشير الشهابي الاول مدبر الامير حيدر الشهابي قاضي شرع في صيدا في ٢١ كانون الاول سنة ١٧٠٦ ب م وفي ٢٥ من نيسان سنة ١٧١٠ ب م رسمه كاهناً السعيد الذكر البطريرك يوسف مبارك الريفوني على مذبح كنيسة مار جرجس بيروت وعينه خوري رعية فيها وكان الخوري مخايل فاضل . اول المخاصمين للبطريرك يعقوب عواد الحصروني في حطه وعزله عن الكرسي البطريركي وكان يستعين باقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه وباهالي الماقورة على امضاء وختم العرائض التي ارسلت على يده الى رومية في حط وعزل البطريرك يعقوب عواد الحصروني وتثبيت البطريرك يوسف مبارك الريفوني في الكرسي البطريركي الخ . . .

فكانوا اقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي الماقورة الحزب القيسي لا يلبون طلبه ورغبته الخ . . .

وهنا كتب الخوري مخايل فاضل . . في كتابه كال الاشمال في الاماكن والميال بعض جمل مجحفة في حق اقاربه بيت السخن واسر قرطبا انسبائه واهالي الماقورا . . . معناها انه لا يريد بعد ان ينتسب اليهم ولا يتردد اليهم الخ . . .

هذا وفي ١٣ من ايلول سنة ١٧٤٠ ب م رقاه السعيد الذكر البطريرك يوسف ضرغام الخازن الى درجة برديوط على دير مار شليطا مقبس وفي ٢١ من ايلول من السنة المذكورة ارسله غبطته الى مدينة عكا وهناك شرع في الرسالة وعمّر فيها كنيسة على اسم القديس مارون وعمّر قوبيا انطوس على نفقة السعيد الذكر البطريرك المشار اليه وضمّ الطائفة الى طقسها الماروني بعد ان تشتت في الطقس اللاتيني وكابد من قبل ذلك اضطهادات وسجوناً واتعاباً شاقة والله نجاه من جميعها وبعد ان نظم الطائفة هناك ورتب الكنيسة المذكورة في كافة ما يلزمها . . . طلبه من عكا السعيد الذكر البطريرك سمعان عواد الحصروني وكافة مشايخ عائلة اده انسبائه وكافة اعيان بيروت خطاً وختماً فحضر حالاً وكان ذلك في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٧٤٤ ب م لاجل فحص

اسباب الخلاف الحاصل بين الرهبان الحلبيين والرهبان البلديين اللبنانيين الخ . . ولاجل خدمة الرعية في بيروت وتوسيع كنيسة مار جرجس في بيروت ، وفي سنة ١٧٥٤ تنصر الامير حيدر الشهابي على يده في بيروت وفي مدته جدّد عمار كنيسة مار جرجس بيروت بمساعدة الشيخ منصور والشيخ بطرس من ابناء اده اقاربه في النسب ونظم لها هذا التاريخ التالي ووضعه جنب بابها الشمالي من داخل الكنيسة المذكورة برضاهم ورضى المطران يوحنا اسطفان الخ . . .

وهو يد المولى ببيروت اشادت كنيسة جرجس الشهم الفاضل
وقد تمّت فارخها بكدّ بكاهنها مخايل وابن فاضل

سنة ١٧٦١ ب م

وفي ١١ من حزيران سنة ١٧٦٢ رقاه السعيد الذكر البطريرك طوبيا الخازن الى اسقفية بيروت وكان ذلك في كنيسة مار جرجس بيروت الجديدة بحضور المطران جرمانوس صقر الحلبي والمطران ارسانيوس الحلبي الخ . . وشعب غفير من الاكليروس والعوام وجعله نائباً للكرسي البطريركي ووكيلاً على دير مار يوحنا حراش وشرع سيادته في تهذيب وترتيب هذا الدير في الامور الروحية والجسدية حتى انه اغناه بعمله وسيرته الصالحة وفضائله السامية . وكانت الناس تأتي اليه من كل جهة لتسمع وعظه . . .

وقد خلص انفس عديدة من اسر الشيطان وردّ كثيرين الى الايمان وعمدهم وانفق عليهم اموالاً وافرة وربح نفوسهم حباً بالله . . . وفي سنة ١٧٨١ تسلم تدبير ابرشية بيروت ولهذا التسلم شرح مسهب وعرائض عديدة في كتابه كمال الاشتال في الاماكن والعيال بين المطران مخايل فاضل . .. وبين البطريرك يوسف اسطفان مرسلة من المطران مخايل فاضل . . . الى رومية بخصوص ابرشية بيروت الخ . . .

وفي كتابه كمال الاشتال المذكور نسب اسرته وقد اخذته قبلاً من مقدمة كتاب وفيّ الواعظ لابن عمه المرحوم القس يوسف بن الشيخ اسكندر السخني. نسيكم واذا كان من لزوم له افدني حتى انسخه عن دفاتري وارسله لكم. وافيدكم ايضاً عما جاء في كتاب كمال الاشتال المذكور بخط القس نوهرا ضر مرشد راهبات دير مار يوحنا حراش والحرف الكرشوني :

صح ان غبطة سيدنا وتاج روسنا البطرك محايل فاضل قرطبالي صار معه قصر نظر وقلة سمع وضعف جسم زايد كثير وقطع الاكل خالص وكان صار عمره مية واتنعشر سنة وفي اليوم السابع عشر من شهر ايار سنة الف وسبعماية وخمس وتسعين ميلادية توفي بدون مرض من قلة الاكل وقبل موته الله يرحمه مشحته انا واعترف عندي وتناول القربان المقدس وبقي يقول يا يسوع ويا عذرا مريم تسلموا روحي حتى سلّم الروح عند العصر.

وثالث يوم عند العصر صار دفنه قرب كنيسة الدير وترك على ايدي الدير الفين قرش حسنة قداديس عن نفسه والف وخمساية قرش طالمته الله يرحمه ويرزقنا بركة صلاته.

كاتبه

القس توما ضو مرشد الاخوية

اتركوا عبارة موت السعيد الذكر البطريرك مخايل فاضل السخني . على علاتها . . .

هذا ما لزم بشأنه باختصار كلي مع كل خدمة تلزمكم . . . ولكن اني اوجه اليكم شديد الملامة لاجل ارسالكم لنا الدراهم مكافأة عن ذلك رفقكم الله في انجاز تاريخ وطننا قرطبا .

عن انطوش حوش حالا في ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ ب م .

اخوكم

القس مبارك حنا صقر من الدوار الانطونياني

في (خواطر الجنان ص ١٤٩ وما يلي) .

جواب الاستاذ اميل حبشي للخور اسقف يوسف زيادة .

الليالي — مجلة التاريخ العربي.

بيت شباب في ٢١ ايلول سنة ١٩٥٧

صاحبها : اميل حبشي الاشقر

(بعد الترجمة)

هذا جوابي الان عما سألتم :

يقول المرحوم البشعلاني في مقاله الـذي نشر في المشرق « وقد جرى على الالسنة ذكر هذه المخطوطة « كتاب الاشتمال » الى آخره » فلماذا جرى ذكرها على هذه الالسنة ، واي شيء حمل الناس مع التحدث بامرهـا وهي لا وجود لها ؟ . . . وقال : –

« ذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي . . » نعم ذكرت ذلـك ، وانا مؤمن بان « كتاب الاشتمال » بعيد كل البعد عن الخرافة بدليل ان المرحوم ابي – الكاتب والشاعر – لم يكن – غبياً – . . عندما نقل عنه ما نقل ، ولم يخترع النبذة التي اخذهـا عنه اختراعاً وانما نقلها عن مخطوطة المطران فاضل – وهي محفوظة عندي بخطه في دفتر صغير – واما اني فتشت عن الكتاب في دير حراش وفي بكركي فلم اجده ، فهذا صحيح ولكن عـدم العثور عليه في الديرين لا يجيز لسيمي المعلوف ان يقول انه « كالغول والعنقاء والخل الوفي » . فاذا كان البشعلاني والمعلوف لم يجداه ولم يضعا ايديهما عليه ، فقد وجده قبلها يوسف حبشي ، وهو من ادباء جيله ، منذ اكثر من ستين سنة ، والقس مبارك صقر الذي رآه واخذ عنه في دير مار اشعيا منذ اربع واربعين سنة اي سنـة ١٩١٣ ، افليس من الجائز ان يمدّ لصوص الادب ايديهم الى كتاب له قيمته ليضموه الى كتبهم ، ثم يجيء آخرون فيأخذونه كما أخذ من قبل ، ولكثرة ما تداوره القوم وتداولوه ، او سرقوه ، ضاع واختفى اثره ؟ ؟

. لقد رآه المرحوم والدي في حراش ، ثم رآه القس الانطوني ، بعد زمن ليس بالقصير في مار اشعيا افليس وجوده في الديرين ، في زمانين مختلفين ، دليلاً على ان كلمـة المعلوف والبشعلاني تقدير خاطئ ، او نبوءة كاذبة . واية قيمة لكلمة جوفاء ، لا تستند الى دليل ، يرسلها صاحبها في ساعة ذهول . او ساعة غرور حكماً لا اخذ فيه ولا رد ! ؟ كأنه المرجع الذي تضعف عنه الحجة ويعوت في جانبه الجدل ! ! افلا ترى ايها الاب المحترم ان في استنتاج البشعلاني والمعلوف تكذيباً لرجلين معتبرين رأيا كتاب الاشتمال بـالعيون ولمساه بالايدي . ان في هذا الاستنتاج الشيء الكثير من الجهل وقلة الذوق .

واقبلوا يا سيدي احترام ولدكم

اميل حبشي

جواب الخوري ابرهيم حرفوش للقس غسطين سالم .

حضرة الجليل الاب اغوسطين سالم الجزيل الاحترام :

بعد تأدية واجب الاعتبار الى حضرتكم نبدي وصلنا تحريركم بشأن مخايل فاضل . .

انه رجع من رومية في ٢٦ حزيران سنة ١٧٤٠ سندًا لرواية البطريرك بولس مسعد فهي مغلوطة كما جاء في مجلة المنارة السنة السابعة العدد الاول كانون الثاني سنة ١٩٣٦ في صفحة ٢٥٨ . وعليه انبئكم ان مخايل فاضل رجع الى بيروت في ١٦ حزيران سنة ١٧٠٤ من رومية . هذا وقد وردت روايات عديدة عن البطريرك بولس مسعد مغلوطة منها ما ورد في المنارة في السنة السادسة في عدد ايلول وتشرين الاول سنة ١٩٣٥ ص ٦٦٤ عن مجمع ضيعة موسى المنعقد في هيكل مورت مورا سنة ١٥٩٨ وان ضيعة موسى هذه في بلاد عكار سندًا لرواية البطريرك بولس مسعد فهي غير صحيحة ايضًا لان ضيعة موسى وهيكل مورت مورا الموجود للآن ما بين بقرقا وكفرصغاب .

فتنبه هذا ما لزم بشأنه مع كل خدمة تلزمكم وفقكم الله في انجاز تاريخكم وطبعه .

في بكركي في ١٦ شباط سنة ١٩٣٦

مستمد دعاكم

الخوري ابرهيم حرفوش

من فرائد الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

سنة ١٩٥٧ اصدرت المطبعة الكاثوليكية في بيروت كتابنا « جولة في آداب العالم » ، الحاوي مئة وثمانين قطعة من خمسين لغة ، منها قصيدتان تمثلان العربية الفصحى ، ومئة وستة وسبعون تعريباً لاجمل القصائد التي قرأناها في اشهر السن اوربة وغيرها ، وتعريب قطعتين نثريتين فقط .

قد رتّبنا تلك المنتخبات ، التي هي نفثات اقلام مئة وواحد واربعين من نوابغ ادباء الخافقين ، وفقاً لطوائف لغاتها الاصلية . ثم خطر ببالنا ان نتخذ من هذه المجموعة الوحيدة من نوعها في لسان الضاد ، مادة جديدة لبضع مقالات ننشرها في « المشرق » .

في هذه المقالة الاولى نقدم للقراء عدداً غير يسير من فرائد الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية ، وهي الفرنسية ، البروفنسية التي يتكلم بها كثير من اهالي اقليم بروفنسة في جنوب فرنسة ، الاسبانية ، الكاتالونية لغة اهالي اقليم كاتالونية في جنوب اسبانية الشرقي ، البرتغالية ، الايطالية ، الرومنشية لسان بعض ولايات سويسرة ، الرومانية لغة رومانية .

قد رتبنا تلك الفرائد على حسب انواع الشعر الغنائي ، بغض النظر عن اختلاف لغاتها الاصلية ، واضفنا بغاية الايجاز شرحاً لكل نوع منها ، وملخصاً لموضوع كل قصيدة ، مع ايجاد التلاحم المنطقي في سرد كل ذلك .

من البديهي ان الموضوع الاسمى للقريض الغنائي هو الله تعالى ، الكائن الاسمى ، الذي هو وحده لازم الوجود ، وقد اخرج من العدم ما يكاد لا يُحصى من الكائنات الروحية والمادية والجامعة بين الروح والمادة ، بقدرته الخالقة العاجز عن سبر غورها اعظم الفلاسفة والمفكرين ، وهو مع ذلك احن على كل فرد من البشر من الامهات على اولادهن ، فلا يساوي مجموع حب كلهن قطرة واحدة من بحر حبه غير المحدود .

قد وصف حنا ملندث ڤلدس Meléndez Valdés (١٧٥٤—١٨١٧) حضور

الله في كل مكان . يرى ضياءه في الشمس ، عظمته في الجبل الشامخ ومياه اليمّ العميق ، بشاشته في الربيع ذي الزهور الفرحة والمطور المنعشة . يراه ايضاً في احقر خلائقه : في النسيم المداعب لاوراق الشجر ، في الحشرة التي لا يمكننا سوى المجهر من بماينة ضآلتها الشديدة ، وفي الذرّة التي عجزت حتى الآن اعجب آلات الرصد عن اراءتنا اياها وفي الختام يتذلل امام الاله الذي ضاقت عن احتواء عظمته رحابة الكون الرائعة لقول اكبر الفلكيين ، وهو مع ذلك مصغٍ على الدوام ، بحنو ابوي لامتناهٍ ، الى مليارات الاصوات المتصاعدة نحو عرشه الخفي من عالمي الانسان والحيوان ، ويتوسل اليه ألا يحتقر نداءه المتواضع ، بل يلبّيه ويقوّي عيني صاحبه ليرى في كل خليقة صورة زهيدة الكمال مُبدعها الفائق كل ادراك ، ويضرم فؤاده بنار الحب الاخويّ النزيه لجميع البشر :

« حيثما اديرتُ العينين قلقاً ، بترقب نشيط ، شعرتُ بحضورك نفسي المدهوشة ، ايها الاله العظيم . هناك انت مالئاً الكون الفائق الرحابة ، تحت السماء العالية التي تجلس فيها مستتراً بالضياء ، وفي الآن ذاته تُظهر مجدك الذي لا يعبّر عنه . العُشبة الوضيعة التي ادوسها ، الجبل الذي يرتفع مغطى بثلج دائم ويخفي اصله العميق في المهواة ، النسيم الذي يعبث بين الاوراق مخشخشاً بريشه الخفيف ، الشمس التي تنعش الكون مضطرمة في دوة الجلَد الشاهقة ، تصيح لي بانك تسطع في لهيب الشمس ، وتعبر من الغرب الى مطلع الفجر ، بجناح طائر ، فوق الريح السريعة ، وان الجبل الشاهق يقدم لله عرشاً في قمته المكسوة بالثلج ، وان العُشبة تنمو وتزهر بنسك الحي !

عظمتك الفائقة تملأ كل شيء ، يا رب ، بل اكثر من ذلك ، من الحشرة التي لا تُرى الى الفيل ، من الذرّة الى المذنّب اللامع . انت تعطي الظلام الدامس غطاء رأسه الادكن ، والصباحَ الفرح ستره الرقيق ، صابغاً آثاره بلوني الذهب والاحمري[١] . وحين ينزل الربيع الى العالم الفسيح ، تضحك بشوشاً بين زهوره الجذلة ، وانتشقك في عطوره اللذيذة . وعندما يزيد القيظ القائظ الملتهب اشتعالاً بنيرانه المكتنبة ، تحرك في طيراتك السنابل الملأى وتخفف حرارتها الشديدة .

١) الشديد الحمرة .

واذا ركضتُ عندئذ الى الغابة الظليلة ، فانت في ظلها ، وهناك تكثر البرودة الخفيفة اللذيذة فرجاً رقيقاً لروحي التعبة ؛ ومهابة ورعة تهيج صدري ؛ ويصيح بي صوت : « هو ساكن في هذا الصمت السرّي ؛ فاسجد له متواضعاً » !

بيد اني اجدك في الآن ذاته في مياه البحر العميق ؛ تنادي الرياح وتسلمها الى غضبه الشديد ، او تسكنه اذا حسُن لديك . في كل مكان القاك واشعر بك عادم الحد ، في المرج المزدان بالزهور ، وفي الستر الساطع الذي يكسو به السماء ليلك المظلم . فانك اله الذرّة واله الشمس والدودة الصغيرة الثاوية في الوحل الحقير ، والملاك الطاهر العابد لضياء مجدك . فتسمع اناشيدهم على السواء ، وتسمع صوتي الذليل وثناء . أنثى الحمل الهادئة وزئير الاسد الهائل ، وتثبت الكل بارمجيتك في كل مكان ، ايها الاله الفائق العظمة والحاضر على الدوام . آه ! اصغ الى ابن في صلاته الحارة . اصغ اليه بحلم وانظر الى كياني الزائل ؛ فلتكن خطاي لائقة بحضورك ، ولترَ عيناي الوهيتك في كل موضع ! افعم فؤادي بنار سماوية تشمل مثلك جميع الكائنات ، ولاحبك في كونك ، يا اله المحبة ! كلنا ابناؤك ؛ التتري اللبرني[1] ، الهندي الخشن ، الافريقي المشعّب ، هو انسان ، هو صورتك وهو اخي !»

قد عالج اسكندر إركولانو Herculano (١٨١٠-١٨٧٧) البرتغالي ذلك الموضوع ذاته ، اي حضور الله في كل مكان ، على سبيل الايجاز ، معظماً قدرة الخالق الجبار ، التي تهز البر واطواده ، البحر ولججه ، بل الجلد وملايارات اجرامه ، التي كرتنا الارضية كحبة تراب بازائها . ثم ينبه الانسان ، ولا سيما الخاطئ ، لعجزه المطلق عن تجنب نظر مولاه :

« ما اعظم الهي ! الى اي حد تصل قدرته الفائقة ! قد خفض السموات ونزل واطئاً ضباباً كثيفاً ، وطار محلقاً على اجنحة الكاروبيم الساطعة ، وعلى اعاصير من الريح الشديدة قد دار حول العالم . امام نظر المولى تهتز الارض ، والبحور المرتعبة تصيح الى الامكنة البعيدة ، والجبال الملموسة بيده ترشق الدخان . اذا فكر في الكون ، فها هو ظاهر امام وجه الصمد ؛ واذا اراد ، فتح الجلد أجوافه وفتحت جهنم اجوافها .

١) الساكن في لبونية ، وهي بلد واقع في شمال اسوج .

ايها الانسان ، اذا استطعت ، فاختفِ هنيهة عن عيني الرب : انظر اين تجد محلاً يبقى مُعفى من نظره ! اصعد الى السموات ، إجتز البحر ، اطلب الهواة ؛ هناك تجد الملك ؛ لا محالة ؛ هو يقودك ولا بد ان تسندك هناك عينه ! إنزل الى ظلام الليل وحاول ان ترتدي بردائه . . . لكن الدجى ليست دجى له ، وليس الليل دامساً .

يوم الغضب الشديد سوف تحاول سدى الهرب من امام الاله القوي ، حين يدفع حانقاً من قوسه المائلة سهماً يثوي فيه الموت . بيد ان من يخافه ينام هادئاً في يومه الاخير ، حين ينشقّ في القبر ستر اوهام الحياة » .

اوجانيوس ده أُتشوا Ochoa (١٨١٥–١٨٧٢)الاسباني يرى في البحر صورة من اروع الصور لجمال الله وعظمته،ومن جهة اخرى مثالاً مؤثراً امواصف النفس البشرية وسكناتها المتعاقبة على الدوام،ولعجز عقلنا المحدود ، مع فرط محاولاته الناهكة وثوراته الجنونية ، عن التعمق في فهم كنه خالقه ، وعن مقاومة ارادته الضابطة كل ازمّة الكون :

« ايتها الخليقة الفائقة السمو ، يا بحر ، انت ، ايها الرمز الكبير والغامض للعقل الفائق كل العقول وحالة البشر ، هذا الهياج الابدي ، الذي تقضي عليك ان تحيا فيه ، هو ايضاً حالة قلبنا الدائمة. نحن ايضاً ، معشر الناس ، ذوو عواصف وسكنات ، ورغم انوفنا نطيع ارادات سامية. نحن ايضاً نريد في بعض الاحيان هدم الحد الذي اقامه الكائن الاعلى امام عقلنا المتشامخ، كما تريد ، ايها البحر، حين تمتعض بسبب سجنك ، تجاوز الرمل الذي يحد اطرافك . سيّان نحن في الجنون . سيان في القحة ، والعقاب الاكيد لكلينا لا يُحدث الاصلاح فقط .

ايها البحر الشبيه بالزمان في تعذر مقاومته ، والمماثل لله في امتناع سبر غوره ، تارةً شديد الهدوء وطوراً شديد الغضب ، ايها البحر المقيم لانظارنا اتحاد الجمال والرحابة التي لا تقاس ، المباهي باظهار قدرتك ، كأنها اله ، اني لاحني امامك جبيني ؛ بل ربما عبدتك ، لو لم تكن روحي قد عبدت من قبلُ الكائن القادر على كل شيء . هو وحده يفوقك في اجتذاب مخيلتي اليه، وليس غير تأملي فيه يرقيني اكثر من تأملي فيك ! على اني ، يا رب ، لا ادهش البتة من قدرتك غير المحدودة بقدر دهشي منها ، اذا غصت في مشاهدة البحر الذي

وهبته الوجود ، البحر هنا ، وفي السماء الشمس ، لانهما مثل جبارين توأمين ، سلطانا كل الخلائق ! »

الفونس ده لامرتين Lamartine (١٧٩٠—١٨٦٩) الفرنسي يرى في جدار متداع ، وهو الاثر الوحيد الباقي من صيدون القديمة — وكانت قبل ميلاد المسيح ، في مقدمة مدن الفينيقيين الفائضة بالحياة والجمال والقدرة — رمزاً جلياً لازلية الله ، التي لا ماضي فيها ولا مستقبل ، بل حاضر دائم بدون ادنى تغير :

« انزلنا مرساتنا الى وحل قعر البحر ، حيث كانت صيدون[1] القديمة ، في جوار رأس[2] واسع التقوس ، تجمع في غابر الزمان ، تحت ارصفتها الساحلية المصنوعة بالحجب ، اشرعتها ، كأنها فراخ نسور بمثل عددها ، راجعة الى وكرها .

الدهر لم يبق من دمارها العظيم الا جداراً متهدماً يقي السفن من الامواج ، وهو راقد في طرف خليج شديد الصغر ، ورملاً ينير القمر بياضه . وزبداً يغسل قارب صياد .

ما اشد ما تدهشنا وتثور بنا ابديتك ، يا اله الازمان ، اذ نتفقد شعباً في رمال ، والقصة الوحيدة لمملكة بعيدة الحدود ، نزلنا فيها ليلاً ، هي — اواه ! — وقع مقذاف زورق ! »

حنا ده داووش de Deus (١٨٣٠—١٨٩٦) البرتغالي يكشف لنا في بضعة ابيات ملتهبة افتتانه وهيامه بالله وحده ، وانه يراه في كل شيء مع خفائه ، بل يشعر بنكهته اللذيذة كلما تنشق الهواء :

« من الذي اجتذبني فجعلني مقطوع النفس . مدهوشاً ولهان . . . ولمن ينبغي ان اقول بخلاصة القول اني لا افتتن بشيء سواه ، ولست بقلبي ملك شخص غيره ؟ اذا نزلت الى الوادي او تسلقت المنحدر الوعر فمن الذي اطلبه وبمن ترى افكر ؟ هو تذكارك ذو الافق العظيم الرحابة ، الذي افعم نفسي بافتتان دائم !

تتبعني على الدوام ، وانا لا اتوق الا اليك ! اراك في كل شيء ، والارض والسماء تخفيانك ! لم اشاهدك البتة ، ولا ازال ازيد اعجاباً بك ! لم يجب قط

١) اسم مدينة صيدا القديمة .
٢) بالمعنى الجغرافي .

وشيخاً. ورأيت في حضنه طفلاً ضعيفاً محدداً، برعماً شاحباً لم يهتز قط في الصحراء على خرير نسيم لطيف ! رأيته مندى دون انقطاع بالبكاء اللاذع، وحزيناً لقبلة الموت المقوسة .

فصرخت ، وقد رفعت نظري الغضبان الى العلاء بشكاوى خافتة : « يا رب ، أترى صحيح انك تبخل بحبك على اولئك الاطفال الضعاف، انت العالم بألمها وشقائها ، انت المغذي الازهار والطيور » ؟

وعند نقر الشيخ آلته ثانيةً ، كانت اصواتها العادمة الايقاع تتساقط على فؤادي شبه قطرات مرتجفة ، وليست اصواتاً مبهمة ، بل اكثر من ذلك : زفرات وشهقات وتشكيات ! لا ادري اي روح خفية سامية ، اي عبقرية صانعة الاعاجيب استطاعت انتزاع كلام رقيق من الآلة الغليظة ، فكان يخيّل لي ان نفساً منفية في قعرها تنوح مخذولة ! وبتأثير لحنها الحزين ، ذلك الندى من الالم ، كان قلبي العطشان ينفتح ، والعاطفة تستيقظ في الوقت ذاته .

ما اعجبكِ ، ايتها العناية الحكيمة ! اذا احللت الكرب على الشقي المحتوم عليه بالموت ، فقد حثثت غيرة على الرحمة المقدسة لكي يحب الانسان السعيد الانسان الباكي ، فتخرج الى حيّز العمل شريعتك المعزية .

يا رب ، اني اباركك ، ونفسي تضطرم في حبها لك ! بعدما تركتُ للمتسول حسنة زهيدة من مالي الناقص ، عظّمتها دمعة نازلة من عينيه الساكنتين العادمتي الحياة . وبصدر فرح واصلت السير على دربي ظافراً مفتخراً مسروراً، وفي تلك الهنيهة كان اعظم ملوك الارض قد غبطني على السلام المجهول الثاوي في باطني !»

بعد الله تعالى ، مصدر كل كيان وجمال ، لا موضوع اجدر بالشعر الغنائي من الفضيلة التي وحدها تطبع على ابن العدم والتراب شبهاً فتاناً لخالقه القيّوم .

تاودورس ده بنفيل Banville (١٨٢٣—١٨٩١) الفرنسي يحث طفلاً رضيعاً من معارفه على الفضيلة ، فيذكّره اننا آتون من السماء ومن النور ، ويحذّره عن عبادة عجل الذهب ، ويتمنى له ان يقرأ في كتاب الرقيع الصامت شيئاً ، ولو يسيراً ، من كمالات مؤلفه القدير ، فيتعلم بتسبيحه وحبه والتشبه بقداسته ، مبادئ لغة الوطن السماوي الموقوفة الى الابد على تمجيد الكائن الاسمى :

« ايها الطفل الذي تضحك شفتك وتزهر طرينة مثل تويج[1] فاغم ، وانت تبدي حتى الآن على خدك النضير لوني الشمس والوردة ! في هذه الايام المزروقة بالذهب ، التي لا تزال تشبه فيها كل الاشياء الجميلة ، الشاعر الشيخ يبارك طفولتك والمش اللذيذ الذي تبسط فيه نفسك جناحيها .

اواه ! بعد قليل ، ايها الملك الصغير ، ستغدو كبيراً ! فتذكر سناءنا الاصلي . قل بصوت عالٍ الاسماء الالهية ، وتذكر اننا آتون من السماء ومن النور . لا اتمنى لك ان تطأ كل شيء تحت خطاك بكبرياء وحشية ، او تكون احد اولئك المجانين الذين يؤسسون على الذهب ونقود السو[2] الضخمة غنائم البخيل ، بل ان تنظر الى السماء . فلتكن حدقتك قادرة على قراءة الكتاب الصامت[3] ، ولتنفتح اذنك ، وهي منقادة للاغاني ، امام اصوات القيثار الغامضة المعاني !

ايها الطفل المزروز بين ذراعي امك ، سوف تعلم ان الانسان قد حُتم عليه ان يعيش في هذه الغبراء على ارض منفى ، حيث لا ادري اي رصاص حقير يمسك نفسنا اسيرة ضمن هذا الافق المكدّر — آه ! — الويل للمنفي الذي ذاكرته الذابلة عاجزة عن تذكر لغة الوطن ، وهو عاجز عن التكلم بها ! لكن السماء ، في حال ضجرنا ، ليست مفقودة عن الذي يريدها ويترنم بها ، وهو ، مع كل شرورنا ، لا يزال يتمتم بلفظ الكلمات الالهية الاصل .

إملأ عقلك بلون السماء اللازوردي ، واحفظه رزيناً طاهراً ؛ واياك ان يكون قلبك الجدير على الدوام بعدم اللوم ، اكثر تدنساً من ريش التم[4] يوماً من الايام . تذكر دار النعيم ، ايها القلب العزيز ؛ اقول لك ذلك ، وانت لا يفسدك وحل ارضي ، وبينما جبينك الصغير لا يزال جبين ملاك ».

انما جوهر الفضيلة حب الله ثم حب الانسان قريبنا ، لانه مخلوق على صورة الله ومفدي بدم ابنه الوحيد . والحال ان من اعجب واعم مجالي حبنا لابناء

١) مجموع ورق الزهرة الملون .

٢) تعريب الكلمة son الفرنسية ، وهي قطعة نقد ثقيلة ، قيمتها جزء من عشرين من الفرنك .

٣) معنى الكتاب الصامت هو السماء .

٤) طير مائي شبيه بالاوز واطول منه عنقاً .

جنـنا ، هيام الام باولادها . الكاهن جاسنتو ڤرداكر Jacinto Verdaguer (١٨٤٥–١٩٠٢) يصف لنا ذاك الهيام المقدس الذي لا يزال مضطرماً في قلب والدة ، انتزعه ابنها المتوحش من صدرها ، ليجود به على معشوقته الطاغيـة ، نزولاً عند رغبتها الفاحشة :

« ذلك الابن الشرير قال يوماً لبنت طالحة هـذا القول : « انت التي هي اسطع نجمة من نجوم حياتي ، قولي : ماذا تطلبين مني ؟ سآتيك ، اذا اردت ، باكبر كنز من بيت ابي ؛ سآتيك ، اذا شئت ، بجواهر امي » . فأجابت : اعطني قلبها .

الابن الشرير وجد والدته نائمة ، وهي تحلم بلا انقطاع ، وذلـك الحلم الشديد العذوبة الذي تحلمه ليلاً ونهاراً ، هي الآن حالمة اياه . ففتح صدرهـا وانتزع بخنجر فؤادها الحنون ، فؤادها الذي يحيا كحمامة بيضاء من حبها الوالدي. سمعه خافقاً . وهو حامل اياه في عينه مثـل مصباح من ذهب ؛ آه من يسمك ، يا قلب امي ، شاعراً بحب لطيف لي !

بينما كان سائراً بعجلة في طلب حبيبته ، وقع عند الرتاج ، وكان قلب امه يقول له : « يا بنيَّ ، هل اصابك اذى » ؟

السيدا كارت Almeida Garett (١٧٩٩ — ١٨٥٤) البرتغالي مصيب بقوله ان الجمال الاسمى صادر عن الحب ، وان الامم التي تُذبل زهرة شبابهـا ، بل تُفني ايام حياتها لخير اولادها ، هي اجمل اعمال الله :

« من الحب يصدر الجمال كما يصدر اللهيب من الضياء ؛ هذا ناموس الطبيعة. اتريدين ان تكوني جميلة ؟ فأحبي . الاشكال الفاتنة تستطيع الريشة تصويرها على النسيج ، والمنقش يعرف كيف يمثلها نقشاً ، والازميل كيف يصنع التمثال الحسن من اصلب حجر . ولكن اهذا جمال ؟ لا ، بل ظرافة فقط .

بابتسامها بين الآلام للولد الذي تعبده قبل ان تراه ، كما يبتسم الفجر باكياً في الزهور التي على وشك النشأة ، الأم هي اجمل اعمال الله ! أيُشك في حبها ؟ اطهر ما في نار السموات يشعل فيها هذا اللهيب ذا النور البلوري - هو النور الالهي الذي لم يتغير قط ؛ هو الضياء ، هو الجمال في الطهارة الكاملة ، لان الله قد اوجده ! »

انطون كرشبو Crespo (١٨٤٦—١٨٨٣) البرتغالي يصف بخيالات مبتكرة فرط هيام امه العجوز به ، كأنه خيرها الوحيد على الارض ، وسهرها الروحي الدائم عليه ، من وراء البحور ، لينام نوماً هنيئاً بعد اشغال النهار المتعبة وحوادثه المحزنة :

« لشخص ما انا الزنبقة بين الاشواك[1] ، لي ملامح المسيح الفائقة الجمال ! لشخص ما انا الحياة ونور العينين ؛ واذا كانت الارض موجودة ، فلاني موجود.

ذلك الشخص الذي يفضل على تغريد الطير المشقي صوتي الخشن ، ليس انت ، يا ملاكي المتبرد كالصنم[2] ، وليس واحداً منكم ، يا اصدقائي !

حين احني رأسي وانسطح للنوم في صميم الليل ، وانا مكتئب حزين تعب ، ذلك الشخص يبسط جناحيه في سريري ، فينقضي نومي هنيئاً معطّراً .

فلتنزل بركات الله وابلاً على التي تبكي عليّ وراء البحور ! ذلك الشخص هو فجر ايامي الساطع ؛ هو انت ، ايتها العجوز اللطيفة ، يا والدتي ! »

— الولد لا يستطيع ان يمحض والدته حباً يساوي حبها له. فيجب عليه ان يبذل اقصى الجهد ليقتدي بها في روح التضحية الدائمة . وقد ابدع ادمون ده اميتشيس Amicis (١٨٤٦—١٩٠٨) الايطالي في وصف توقه الى ذلك التشبه النبيل :

« الزمان لا يمحو الجمال دائماً ، ولا تذهب دائماً بنضارته الدموع والهموم ؛ كان امي بنت ستين عاماً ، وبقدر ما أطيل النظر اليها ، يزيد جمالها في نظري ! ليس لها التفاتة او ضحكة او كلمة او عمل لا تؤثر في قلبي تأثيراً لطيفاً . آه ! لو كنت مصوراً ، لقضيت كل حياتي في رسم صورتها ! اود لو اني اصورها حين تخفض محياها ، لكي اقبل ضفيرتها البيضاء ، او حين تخفي تألمها وراء ابتسامة ، وهي مريضة ضانية . على اني ، لو استجيبت في السماء صلاة من صلواتي ، لما طلبت ريشة روفائيل الأربيني[3] الفتانة ، لكي اتوّج محياها الوسيم بهالة من المجد. لا ، بل اتمنى ان استطيع إبدال حياتي من حياتها ومنحها

---

١) الكلمة البرتغالية تدل على نوع من الشوك لم نجد له اسماً في العربية .

٢) ربما لمح الشاعر بهذه الكلمة الى زوجته او بنته .

٣) روفائيل سنتي Santi (١٤٨٣—١٥٢٠) ، المصور الايطالي النابغة ، كانت مدينة أربينو مسقط رأسه .

كل قوى شبابي ، فارى نفسي شيخاً ، واراها متجددة الشباب بفضل تضحيتي !»

على الاخ البكر ان يحذر حذو والديه في تناسي مصالحه الشخصية للسعي الحثيث وراء خير اخوته واخواته ، بحيث يكون سندًا وطيدًا لهم بعد وفاة ابويهم. إسمعوا النصائح السامية التي يزوّد بها ڤيكتور ده لپراد Laprade (١٨١٢—١٨٨٣) الفرنسي ابنه البكر :

« ها انت قوي ويافع وعلى وشك دخول الشباب ؛ فتلقّن ارشادي الاخير وتعلّم كُنه حق بكريتك . لكي تعرفه بكل شدة مقتضياته ، لا تحتاج الى كتاب ضخم ، فان ذلك الحق مسجّل في قلبك . . . قلبك هو الشريعة الواجب عليك العمل بها . ولكي تزيد فهماً لذلك ، اقرأ في قلبك مع ابيك ، امام صور جدودنا هذه ، التي ارجو ان تساعدنا .

كما فعل والدي ، ان بكراً تزيهاً من اصلنا بيدي افتخاره ورضاه بكونه يشغل الموضع الاخشن . الثقل والخطر ومقاومة النصيب المضاد مختصة بهُ ؛ وله الافتخار بحماية الاخت الكبيرة والاخ الصغير . ما ادخره من الدراهم هو المال المشترك الذي يأخذ منه جميع محبوبيه ، وهو يزيد حصة كل منهم بجميع ما يطرحه عن ذاته . فيرى بفضل جهوده ، وهو مقتفٍ آثار ابيه ، كل الاخوة علماء واقوياء ، وكل الاخوات رزينات وجميلات .

هو الذي في كل فصل من السنة يجهز البيت بلوازم جميع الاعياد ، فيكثر فيه الزهور ودواوين الشعراء . خلاصة القول انه يشتغل ليلًا ونهارًا ، غير مكترث لذلك ، فان الآخرين يتنعمون . اليس هو الاب في نوبته ؟ اذا شاخ ، فان الاطفال ينمون . من الوظيفة التي جعله فيها الاله اللطيف ، لا يحيد ساعة واحدة ؛ فهو يجابه الاعداء فيها ، بل يموت فيها اذا تحتم عليه ان يموت . حين يعوز القطيع الراعي الغائب — اواه ! — وربّما توفي ، فمثله الكلب الصالح ، يموت بعد سيده في سبيل النجدة والحماية .

هكذا ، حين يتوفاني الله ، تعلم كل العلم الحصة المتاحة لك في ميراثنا الزهيد والمختصة بك من دون قسمة . سوف يسند صغارنا ، بيد انه ينبغي لي ان أولد فيك ثانيةً . السهر والكفاح والتألم لاجلهم ، ذلك ، يا ابني ، هو حق بكريتك ! »

الجد يجب امفاده برقة و تحير في الغالب من الافراط في غض النظر عن عيوبهم والصبر على ملاهيهم الصاخبة ، بل يحلو له جداً ان يشاطرهم اياهما ، متوهماً انه يستميد شيئاً من هدوء طفولته وسعادتها المحضة ، بعد اضطرابات حياته الطويلة وكروبها. لقد اجاد ڤيتال آثا Vital Aza (١٨٥١—١٩١٢) الاسباني كل الاجادة في وصف ذلك الحب الحار الفتور المتنازل، وهو يحادث غنياً اعزب من معارفه :

« اؤكد لك يا پسكال (Pascal) ، انه ليس على الانسان سوى الرضى بنصيبه ، من يستطيع التزوج ولا يتزوج ، فعله سيء جداً . ترى ما هي حالتك ؟ اي خيبات ! باوغ الانسان الستين من عمره ، وهو ممراض واعزب ! ان يكون شخص غني مثلك جالساً على هذه التكأة ولا يتمتع بسوى محبة خادمة بيت كثيرة الدمدمة ! وحين تمرض مرضاً ثقيلاً ، يأتي هنا للعناية بك اولاد اخوتك ، وهم يتمنون ان تموت ! اتدعي ان حالك حسن جداً ؟ فلنسلم بذلك ، هذا ذوقك وقد قضي الامر ، لكن لي غير رأيك في هذا الشأن . هذه الاثرة وخيمة العواقب ، فليعش اعزب من شاء ، اما انا ، فبدون عائلة كنت قد مت من زمن بعيد ، يا پسكال . اشاهد افراحي كاملة حين ارى ذاتي ، وانا قاعد في منزلي ، محاطاً باولادي واحفادي . فخر شيخوختي : عشرة احفاد ! جمهور ! انت لا تعرفهم ، العشرة فاتنون . شقر مثل الكاروبيم ، اصحاء ، ولاولئك الاطفال الصغار خدود وربلات سيقان ... وما اشد شهوتهم للطعام ! أهم طائشون ? كلا ! يمكن ان يجاريهم غيرهم بالجمال ، ولكن من المحال ان يفوقوهم .

يوجد واحد فقط منهم ، پيپه (Pepe) ، هذا التاعس الصغير اعرج وافطس الانف ، واحدى عينيه حولاء ، لكنه اكثر علماً من ليپه (Lepe) . حين يأتي اليّ برجله العرجاء ويلاطفني هذا الملعون ، ينال من جده كل ما يشتهيه . من البديهي ، في الحقيقة ، انهم ، مع كونهم موضوع ملاطفة شديدة ، اطفال مجتهدون جداً ، ذوو علم فاحش ، اكثر جداً من علمي . اصغرهم ، مريم ، اوفر بمعرفة للجغرافية من الذي ابتكرها . وايم الحق ، هي استاذة ، فتجعلني في مواقف حرجة ! احفاد اليوم اولئك ، اصحاب الثقافة الواسعة ، هم عفاريت ! اتصدق ان

تلك الصغيرة قد سألتني البارحة اين الكونغو، فلم اعرف كيف اجيبها. فأغربت الخبيثة في الضحك وقالت: «هو، لا جرم، في افريقية». فأجبتها: «اذلك صحيح؟ فلاحظي جهلي؛ قد ظننت انه في الصين». ومن ثم، فلكي اتجنب امثال تلك الحماقة، اقول لهم: «اذا اردتم ان تبقوا معي، فلننبذ العلم ولنشرع في اللعب! اعفوني من هذه الاحاديث التي ليست من شؤوني؛ فلنعرض عن الجغرافية ولنترك الرياضيات. ما درسته قد نسيته، ومع معرفتي ان علمي زهيد، لا احتاج في سني الى معرفة شيء اكثر مما اعلمه، فلنلعب فوراً»!

وحين اصبح هذه الصيحة، تبدأ بلبلة هائلة، فما من طنفسة تقوى على احتمالها. احدهم يصعد على تحت، والآخر يثب فوقي، واسمع «جدي» من هنا و«جدي» من هناك... وما اكثر الركض في الدهاليز!

— اتركض انت ايضاً؟

— اولادي يقولون اني شرٌّ من صغار الاطفال! انا هكذا، ولا انكر الامر. لا ادري اعملي حسن ام سيء، لكني اخاف لك، يا پسكال، بان هذا اللعب يفتنني. فاضحك وسمّني طفلاً، إهزأ بمظاهر خرفي... انت الشديد الاثرة، غير جدير بذلك النوع من المودة. انت لا تستطيع فهم الحب؛ ماذا تدرك من ذلك؟ اتعرف ما هي قبلة من حفيد؟ هيهات ان تعلم ذلك! هي السعادة المشتهاة، هي جوهر الحب، هي اعظم ملاطفة، هي شيء يمنح الحياة، هي ما لم تشعر به قط! هي رؤية سماء في العالم! انا التمس من الله امراً واحداً بتوق حار، وهو ان ارى ذاتي محاطاً باحفادي، اعزاء روحي، حتى اموت بسلام، حين يدعوني الى جواره.»

حب الوطن ما هو سوى مظهر من مظاهر الحب المتبادل بين اهل بلد واحد، جمعتهم منذ قرون عديدة، في الغالب، وحدة الاصل واللغة والشرائع والعادات، تحت سلطة حكومة واحدة. ذلك الحب الشريف الذي اسمه الوطنية، يثير في قلوب ذويه مقاومة الاجنبي المحتل بلادهم بقوة الاسلحة او بواسطة اخرى، والواطئ حقوق استقلالهم، فيحث المواطنين على بذل النفس والنفيس لكسر نير الاستعباد، ولو اقتضى ذلك خوض غمار حرب ضروس. ـ لويس مركنيني (١٨٢١-١٨٧٢) الايطالي قد دعا كل مواطنيه، بلهجة تذكّر انفجار

البراكين ، الى توحيد قوائم لطرد النمسيين المحتلين قسماً كبيراً من شمال قطرهم، فلبّوا نداءه ونصرهم الله تعالى على اسيادهم الطغاة :

« القبور منفتحة والموتى ناهضون ، وشهداؤنا قد قاموا كلهم ، والسيوف في قبضتهم ، واكاليل الغار على شعر رأسهم ، ولهيب ايطاليـة واسمها في قلبهم ! نحن آتون ، نحن آتون ! فقومي ايتها الزُمر الفتيّة ! لتنتصب في الريح راياتنا في كل مكان ! ليقُم جميعكم بالحسام ، ليقم جميعكم بالنار ، ليقم جميعكم بنار ايطالية في القلب ! أخرج من ايطالية ، اخرج فقد حان خروجـك ، اخرج من ايطالية ، اخرج ، ايها الاجنبي !

بلد الزهور والالحان والقصائد فليصر ثانيةً ، كما كان ، بلد الاسلحـة ! لقد كبلوا ايدينا بثة كبل ، ومع ذلك لا تزال تعرف كيف تهز سيوف معركة لنيانو[1] . العصا الالمانية لا تقمع ايطالية ، وسلالات رومية لا تنمو تحت النير! منذ الآن لا تقبل ايطالية اجانب وطغاة ، فقد دامت خدمتها لهم اعواماً مفرطة الكثر . أخرج من ايطالية ، اخرج قد حان خروجـك ! اخرج من ايطالية ، اخرج ، ايها الاجنبي !

بيوت ايطالية مصنوعة لنا ، وهناك على ضفاف الطونة[2] بيت قومك . انك تُتلف حقولنا وتسرق خبزنا ، ونحن نريد ان يكون ابناؤنا لنا . جبال الالب وبحران هي حدود ايطالية ، وبمركبة النار[3] نقطع جبال الأبنين، والآن ننصب علَمنا في كل مكان بعدما دُمرت كل علامة للحدود القديمة . اخرج من ايطالية، اخرج فقد حان خروجك ، أخرج من ايطالية ، اخرج ، ايها الاجنبي !

فلتكن الالسنة خرساء والاذرع متأهبة ، ولنُدر وجهنـا الى العدو فقط ، وعن قريب يذهب الاجنبي وراء الجبال ، اذا توحدت فكرة ايطالية بأسرها . لا يكفي الظفر القائم بغنائم همجية ، بل لتوصد ابواب ايطالية في وجه اللصوص ! ان اقوام ايطالية كلها قوم واحد ، ومدنها المئة هي جميعها مدينـة واحدة !

---

١) لنيانو (Legnano) مدينة في ولاية ميلانو ، وقد انتصر اهلها في جوارهـا على امبراطور المانية فردريك الاول سنة ١١٧٦ .

٢) اسم نهر كبير في النمسـة .

٣) يعني الشاعر القطار .

اخرج من ايطالية ، فقد حان بخروجك ! اخرج من ايطاليـة ، اخرج ، ايها الاجنبي ! »

الحب المتبادل بين جميع بني آدم،مع اختلاف اديانهم وجنسياتهم ومصالحهم، هو شبه ملاط يصل ويوحد مئات ملايين حجارة بناء المجتمع ، فيجعلها صرحاً راسياً شامخاً ، لا يقوى على دكه تباين الآراء والاميال ، ولا تنازع الخيرات . فلولا ذلك الاخاء الصادق ، المتجلي في التعاون الدائم ، لافضى حتماً تخـاذل البشر وتحاربهم الى هلاك جميعهم . لقد عبّر ارمان سولي بروددم Armand Sully Prudhomme (١٨٣٩—١٩٠٧) الفرنسي عن كل ذلك تعبيراً جامعاً بين الايجاز والاعجاز :

« الفلّاح قال لي في منام : « إصنع خبزك ، فاني لن اقوتك منـذ الآن ، فحكّ الارض وازرع » . الحائك قال لي : « اصنع ثيابك انت ذاتك » . والبناء قال لي : « خذ المالج بيدك » . وفي حالة انفرادي ، بعدما خـذلني جميع البشر الذين كنت اجرّ ورائي ، في كل مكان ، وقرّ لعنتهم المستحيل تسكينهـا ، كلما تضرعت الى السماء طالباً منها رحمة فائقة ، وجدت اسوداً واقفـة على طريقي . »

ثم فتحت عينيّ مرتاباً في حقيقـة الفجر ، فاذا رفقاء جُسُر يصفرون على سلّمهم ، والانوال تدوي ، والحقول تُزرع . فعرفت اني سعيـد ، وان في العالم الذي نسكنه . لا يوجد من يسوغ له الافتخار باستغنائه عن النـاس ، ومن ذلك اليوم هويتهم كلهم . »

قد ذكرنا انواع الحب النبيل الذي اجاد وصفها بعض الشعراء المفلقين ، وقد ادركوا ذلك الشأو البعيـد من الاجادة في وصف الموت ، وايم الحق ان الموت ليس ختام حياتنا الزائلة فقط ، بل يجب ان يكون للصالح الانتقال من الحب الارضي الطاهر المتألم الى الحب السماوي الابدي السعادة، وللطالح الانتقال من بغض الله والانسان ، المصحوب ببعض الملذات السافلة ، الى ذلـك البغض عينه مؤبداً في نار جهنم . ذلك الفرق العظيم يهون علينا فهم تمتع ربوات من الخطأة بانواع الخيرات الارضية المحضة ، كما اوضح ذلك ملندث قلدس Meléndez Valdés (١٧٥٤—١٨١٧) ، في « فلاح الاشرار » :

« في بحبوحة مجده كان الخاطئ يقول هذا القول : « عبثاً يستطيع الرب مد يده الضعيفة الى حظي ، فان جبيني يرتفع الى الغيوم ويحتجب في السماء . اين الصدّيق واين وعود الاله الذي يترنم متواضعاً ؟ بمرةٍ خبزه وعسلٌ طعامي وشوكٌ فراشه ؛ اي ثمر انتجه بفضيلته الباطلة ؟ فلنكد على حياته مكيدة ، وليستأصل ابنائي بالسلاح بيوته واراضيه ، وليحملوا مجدي الباذخ الى اقصى العصور ! فان اسم الصلاح كالسحابة ، يتلاشى عند الموت ؛ اما اسم الرجل القدير فيزداد سناؤه شيئاً فشيئاً ويرتقي الى الكواكب ، فلتسقط ، فلتسقط في فخاخي سناجة الصدّيق !

تكلم وانا عابر ؛ ولكنني حين ادرت وجهي لأرى هامته، لم اجد مقره ! »

الحِمام رهيب على كل حال ، ولا سيما موت آلاف النواتي الذين قضوا غرقى في لجج البحر المظلمة ، بعيدين عن عائلاتهم ، بحيث لا يبقى لهم اثر بعد عين . ذلك ما صوّره ڤيكتور اوكو Hugo (١٨٠٢–١٨٨٥) الفرنسي ، بمخيلته القديرة وشعوره الرقيق ، تصويراً في « الليل على المحيط » :

« آه ! كم من النواتي ، كم من الربابنة المنطلقين بفرح لاسفار بعيدة ، قد فنوا ضمن هذا الافق الحزين ! كم منهم قد زالوا – ويحاً للنصيب القاسي المشؤوم ! – في بحر بلا قعر ، في ليلة بلا قمر ، وهم مدفونون الى الابد تحت المحيط الاعمى ! كم من اصحاب السفن الموتى مع نواتيهم ! فان العاصفة قد انتزعت من حياتهم جميع الصفحات ، وبنفخة واحدة قد نثرت كل شيء على الامواج ! لن يعرف احد خاتمتهم المنطّسة في اللجة ، فان كل موجة ، وهي عابرة ، قد حملت غنيمة ؛ احداها خطفت الزورق ، والاخرى البحارين !

لا يعرف احد نصيبك ، ايتها الرؤوس المفقودة ! انك ترتقين مجتازة المسافات المظلمة ، وصادمةً بجباهك الميتة صخوراً طافية مجهولة . آه ! كم من الوالدين الذين لم يبقَ لهم سوى توق واحد ، قد ماتوا منتظرين كل يوم ، على الساحل الرملي ، من لم يعودوا من اولادهم !

يسأل الناس : « اين هم ؟ أهم ملوك في جزيرة من الجزائر ؟ هل غادرونا ليحلوا في شاطئ اخصب » ؟ ثم يُدفن تذكاركم عينه ، الجسم يضيع في الماء ، والاسم في الذاكرة ، والدهر الذي يسكب على كل دُجية دجيةً اشد سواداً .

قد القى على المحيط المظلم النسيان المظلم ! عن قريب يكون شبحكم قد زال عن عيون كل الناس ؟ اليس لاحدهم قاربه ، وللآخر محراثه ؟ ارامكم وحدهن ذوات الجباه البيضاء ، التعبات من انتظاركم طول تلك الليالي التي العاصفة ظافرة فيها ، سوف يواصلن الكلام عنكم ، وهن يحركن رماد موقدهن وقلبهن ! وفي الختام ، اذ يكون القبر قد اطبق جفونهن ، لن يعرف اسماءكم شيء من الاشياء ، حتى حجر وضع في المقبرة الضيقة التي يجيبنا فيها الصدى ، حتى صفصاف اخضر تتساقط اوراقه في الخريف ، حتى الاغنية الساذجة العادمة التنوع في نغمتها ، التي يغنيها متسول في زاوية جسر قديم !

اين التواقي الغرقى في الليالي الدامسة ؟ يا امواج ، كم تعرفين من الروايات المحزنة جداً ، ايتها الامواج العميقة التي ترهبها الامهات الجاثيات ! انت تتناقلينها حين ركوبك مياه المد[1] ، وذلك هو سبب تلك الاصوات اليائسة الصادرة عنك في المساء ، عندما تأتين الينا . »

مها كانت اهوال الموت ، فهو رقاد طويل تليه قيامة جميع البشر لنعيم او عذاب ابديين . وقد عبّر تعبيراً فتّاناً عن هذه الحقيقة المشتركة بين مئات الاديان، ارمان سولي پرودوم Sully Prudhomme في « العيون » :

« زرقاء او سوداء — وكلها محبوبة ، كلها جميلة — عيون لا تحصى قد رأت الفجر . الآن هي راقدة في قعر اللحود ، والشمس لا تزال تطلع ! الليالي ، وهي احلى من النهُر ، قد فتنت عيوناً لا تحصى ، مع ذلك تسطع النجوم على الدوام ، والعيون قد امتلأت ظلاماً !

آه ! ان تكون قد فقدت النظر ؟ لا ، لا ، ذلك غير ممكن قد لفتت نظرها في مكان ما ، الى ما يدعى غير المنظور ! وكما ان الكواكب المائلة[2] تغادرنا ، وهي باقية في السماء ، كذلك الاحداق لها مغاربها ، ولكن لا يصح لها تموت . زرقاء او سوداء — وكلها محبوبة ، كلها جميلة — العيون المفتحة لا تزال بصيرة في ما وراء القبور ، وهي مفترحة على فجر عظيم ! »

طوبى ، بل الف طوبى للانسان الصالح ، الذي يجابه الموت غير هياب ، لانه

١) المد هنا بمعنى ارتفاع مياه البحر في اوقات مطردة .
٢) المنحدرة الى مغاربها .

يسلّم نفسه الطاهرة بين يدي مرده الرحمن ، ويرجو رجاء اكيداً ان يقوم من دُجى قبره ، في آخر الاجيال ، بجمع ما تشتت من شمل عائلته ، في دار الحياة الابدية السعيدة . لقد اوضح ذلك الرجاء المعزي لارن ده برلوك پروسي de Berlue - Perussis (١٨٣٥-١٩٠٢)الفرنسي في قصيدته البروفنسية «لاجل قبره» :

« ايها العالم ، إنني في خلوتي المظلمة ! حسبي ان يضحك شعاع صيفي على الحائط المجاور لقبري ، وان يأتي من حين الى آخر غناء زيز او ثغاء كبش ، فيتوصاني بعذوبة في رقادي الطويل . حسبي ان يمدح اهل محل قبري ، عند مرورهم بي ، اسم والديّ المسنين الزاهر ، قائلين عني : « هو ايضاً كان صالحاً مستقيماً ، وسنحفظ ذكر ذلك البيت » . حسبي ، حين تجيء احياناً في الظلام بنتي النقية الجبين الى قبري لاجل الصلاة ، ان تمزج دمعة بالماء المقدس . سانتظرك بسلام ، يا يوم الفرح الابدي ، الذي فيه ، مع جدودي واولادي ، ابني داراً عائلية جديدة في السماء . »

اكثر الناس اشد حرصاً على اطالة حياتهم وابعاد شبح الموت المرعب ، منهم على الاستعداد المتواصل لميتة صالحة . اما الانسان الحكيم ، فيتخذ من ادنى الحوادث عبرة تذكره على الدوام انه سائر حتماً بخطى سريعة الى الموت القهار ، وان اسمه لا بد ان يغوص في لجة النسيان قبل انقضاء عصر واحد على وفاته . لقد عبّر تعبيراً شديد الابتكار عن تلك الحقيقة المذلّة لكبريائنا بطرس ده الركون Alarcon (١٨٣٣-١٨٩١) الاسباني ، في قصيدته المشهورة « عند تناول صورتي » :

« عند رؤيتك ، ايتها الصورة الرزينة ، واصلةً الى بيتي اليوم بسنّي وبوجهي ، لا ادري اي حزن مبهم اشعر به حين اقول : « هكذا انا الآن » .

ربما فكرت ان غداً ، حين لا يبقى فيك سوى آثار من عمري الزاهر ، سوف تقول شيخوختي المتكبرة لابنائي : « هكذا كنت » !

ربما فكرت ان يوماً من الايام ، عندما يريد الله ان يدعوني ، سوف تطلب صحبتك زوجتي هذه الفاتنة لتقول : « هكذا كان » !

ربما فكرت انه من الممكن الا يعرفك احد بعد اعوام عديدة ، فيقول عند مشاهدتك غريب لغرباء آخرين : « من ترى هو » ؟

ربما فكرت ان احد البشر ، وقد اجتذبه ما فيك من الالوان والثياب ، يشتريك قائلًا : « هذا الشخص الوجيه لم يوجد حتماً » !

وربما فكرت في الختام انك ، انت ذاتك ، وقد انكرتِ الجميل بين اختلاف الآراء الشديد ، تأسفين لكونك صورة الركون مجهول . »

في كل عصر ومصر قد عُني الشعراء الغنائيون اخص العناية بوصف احوال النفس البشرية ، غير السابق ذكرها لان نفسنا قد خلقها الله تعالى على صورته ، وجعلها ملكة الكون المادي اجمع وحلقة الاتصال الحية بين عالم الارواح المحضة وعالم الحيوانات والنباتات والجمادات . بما ان القصائد الرائعة على هذا الموضوع تُحصى بالمئات ، نكتفي بذكر ثلاث منها . كِرّا جونكيرو Guerra Junqueiro (١٨٥٠–١٩٢٣) البرتغالي يصف لنا بعاطفة ابوية مضطرمة وبخيالات مبتكرة ، الضياء والفرح الفائضين على نفسه من ابتسام بُنيّته :

يا بنتي ، حين تبسمين ، تتزين الدار بضياء سماوي ، فان الفرح في الطفولة هو كالجناح في الطير ، والعطر في الزهرة . واهاً للابتهاج الذهبي ، للطهارة المقدسة الموجودتين في ابتسام الطفل !

اذ تضحك شفتك ، تُنشد روحي كل قصيدة نيسان[1] ! عند رؤيتي هذا الابتسام ، يا بُنيّة ، أحدّ اليك نظري ، وتنفذ السماء اللازوردية الى باطن نفسي ، وبصحبتها حمامات طائرة !

انا الشمس المنازعة ، وانت ، يا ملاكي الاشقر ، الشمس الصاعدة ، فاغمريني بالنور ! تبسمي وانثري مسحوق الذهب على ردائي المصنوع بالظلام !

جبرائيل دنُنْتسيو d'Annunzio (١٨٦٣–١٩٣٨) الايطالي يبيّن لنا تقدم روحه في التواضع والشجاعة واللطف والشفقة ، بعد انتقالها من الشباب المفرط الاثرة والطيش الى الكهولة الرزينة :

« ايها الشباب ، اوّاه ! يذبل اكليلك على جبيني ! اشعر بثقل وطأة حمل الحياة على جبيني المخفوض ، بعدما كانت وافرة السرور ! لكن روحي زادت طيبةً في قلبي كالثمر الناضج . بتواضعها وشجاعتها تقدر على التسليم وعلى المقاومة . ان جُرحت ، فهي لا تنوح ؛ تفهم كثيراً وتغفر كثيراً . انقضت

١) يعني الشاعر بهذه الكلمة الربيع ومحاسنه الفاتنة .

اسحارك الاخيرة القصيرة ، ايها الشباب ؛ سكتت الشواطئ حيث زال الدردور المرعد . اسمع الآن رنة جديدة ، ارى ضياء جديداً ؛ ارى في عيون اخوتي دموعاً شديدة السخونة ، اسمع صدور اخوتي لاهثة ! »

ارتور كراف Graf (١٨٤٨–١٩١٣) الايطالي يصف لنا شدة تأثير لحن حقير حزين ، سمعه من الشارع ليلة من الليالي ، وهو على فراشه ، فخيّل له انه نحيب نفس جرّحها العذاب واليأس :

« الم تسمع قط ليلاً ، وانت راقد في سريرك ، معلّق بين النوم واليقظة ، في ساعة متأخرة ، الم تسمع قط في الليل ، عن بُعد ، نحيب الارغن[1] في الشارع؟ نحيب بطيء الى حد الاتعاب ، نغمة رخيمة ، تبكي وتتوسل ، نغمة مسموعة كثيراً منذ الطفولة وغير منسية البتة من ذلك الزمان . هي نبرات حقيرة عالية ، فيها شيء من البح والتقطع ، شاذة عن الاصول بعض الشذوذ ، لكنها تنحب في الظلام وعن بعد ، شديدة التوجع ، شديدة اليأس ! اما تذكرت وقتئذ الايام الماضية او ضحكة امك المقدسة او حباً فقدته ، فثمرت بوابل من الدموع يتزل من عينيك وبشفرة تطعن قلبك ؟ » .

الفونس توزور Tuor (١٨٧١–١٩٠٤) السويسري يصور لنا في قصيدته الرومنشية « الزارع » افكار الفلّاح وعواطفه ، حين يُلقي البذور على الحقل ، وهو في غير مأمن من كوارث الطبيعة ولا من مفاجآت الموت :

« إشرح لي لماذا يخطو خُطاه الرجل الذي يزرع هناك ، وهو ذو شفتين شاحبتين مرتجفتين ؟ لماذا هذا المحيا الرزين الجليل ، كأن صاحبه يفكر على الدوام في اسرار ؟

ترى كيف يزرع وترى كيف يمرّ على الاتلام ، من هنا وهناك ، بهم اليم . ترى كيف يرفع وترى كيف يخفض رأسه الى السماء والارض . انه يفكر بخوف ونفور شديد في الثلوج والجراد والصقيع والبَرَد ، فيطيل توصية المولى بحقله ، وهو يُمسكُ في يده القبّة المرتمشة ؟

هو نفسه قد عالج ذلك الحقل بالف تعب ، ولكن اترى يتمتع هو نفسه بشغل يده ؟ ربما كان غيرُه من يحصدون ويجمعون السنابل ويدرسون الحنطة

(١) يعني الارغن الميكانيكي الذي تسمع الحانه بادارة مقبضه .

ويذرونها ويستعملونها ! حين الحصاد لا يوجد من يسأل عن خطى الرجل ومشاقه. وربما كان راقدًا مستريحًا تحت الارض الآكلة لجسمه والماحية لاسمه !

إشرح لي لماذا يخطو خطاه الرجل الـذي يزرع هناك ، وهو ذو شفتين شاحبتين مرتجفتين ? لماذا هذا المحيّا الرزين الجليل ، كأن صاحبه يفكر على الدوام في اسرار ?»

كثير من نوابغ الشعراء الغنائيين قد إنسوا الطبيعة غير الناطقة ، ولا سيما النباتات وبعض الجمادات كالنجوم والبحار والرياح ، اعني انهم قد اعاروها نفوسًا بشرية ، لما شاهدوه من وجوه الشبه العديدة بينها وبين احوال الانسان الجسدية والروحية .

ڤيكتور اوكو Hugo يناجي اشجار الغابة ، بل بُقعها الجرداء ومجاري مياه الامطار ، مناجاة العاشق الولهان ، فيبوح لها باسرار نفسه ، ويتمنى من صميم فؤاده ان يرقد في ظلها رقاده الاخير :

« يا اشجار الغابة ، تعرفين روحي . عامة الناس تمدح او تقدح على هوى الحساد ؛ اما انت ، فانك تعرفينني . كثيرًا ما رأيتني وحدي في اعماقك ناظرًا وحالمًا . تعلمين ان الحجر الذي تركض عليه خنفسة ، ان قطرة الماء الوضيعة الساقطة من زهرة الى زهرة ، ان غيمًا او قصبة ، تشغلني نهارًا كاملًا ، التأمل يفعم قلبي حبًا . رأيتني الف مرة ، في الوادي المظلم ، استفهم همسًا اغصانيك الخافقة ، بتلك الالفاظ التي يقولها العقل للطبيعة ، وبنظرة واحدة ، اواصل في آن واحد ، وانا متأمل خافض الجبين ، غـائص بنظري في العشب الكثيف ، استقصاء ذرة واستقصاء العالم ! ايتها الاشجار ، قد رأيتني اهرب من الانسان واطلب الله منتبهًا لاصواتك ، التي لكل منها بعض الحديث .

ايتها الاوراق المرتعشة في طرف الغصون ، ايتها العشاش التي تنثر منها الريح الارياش البيض ، ايتها البقع الجرداء في وسط الغابة ، ايتها الاودية الصغيرة الخضراء ، ايتها القفار المظلمة اللطيفة ، انك تعلمين اني هادئ نقي مثلك . عبادتي تتصاعد الى الله تصاعد عطورك الى السماء ، وانا ممتلئ خورًا شبه امتلائك حبًا . عبثًا يفيض البغض مرّته على اسمي ، فاني ، على الدوام ، — استشيرك

على ذلك ، ايتها الغابات التي تحبها الـ... — على الدوام قد حييت بعيدا عن كل خاطر مر ، ولا يزال قلبي كما صاغته لي امي .

يا اشجار هذه الغابات الكبيرة ، الدائمة الخفقان ، اني اهواك ! وانت ، ايها الجلبلاب الثابت على عتبة المغاور الصماء ، يا مجاري مياه الامطار التي يسمع دبيب تلك الينابيع ، ايتها الادغال التي ينهبها العصافير ، اولئك الندامى الفرحون . كلما كنتُ بينك ، يا اشجار تلك الغابات الكبيرة ، في كل ما يحيط بي ويخفيني في آن واحد . في خلوتك التي الج فيها باطن روحي ، اشعر بكائن عظيم يصغي اليّ ويهواني !

ولذلك ، ايتها الغابات المقدسة التي يتجلى فيها الله بنفسه ، ايتها الاشجار الورعة ، ايتها السنديانات ، يا نبتات الطحلب ، ايتها الغابة ، ايتها الغابة ، في ظلك وفي خفائك ، تحت اغصانك الجليلة المعتزلة ، اريد ستر قبري المجهول . واريد الرقاد يوم رقادي الاخير . »

يوسف سلكاس Selgas (١٨٢٤–١٨٨٢) الاسباني يصف لنا تعزية سروة ناظرة الى السماء ، صفصافة تذمرت من احزانها الدائمة ، وغبطت الكائنات التي لا تشوب افراحها شائبة :

« اذ كان المساء الكئيب الهادئ يلبس مرة اخرى رداءه الخفي على ابواب الليل المظلم ، بعد مغادرته المرج والغابة الظريفة ، كانت صفصافة ناحلة تترجح لتخفيف كربها الدائم ، وقد سمعت وهي تتذمر عند نسمة الريح ، بصوت رخيم ، مفعم بالزفرات : « لقد وُلدت حزينة ، ولكن تسكن في العالم كائنات سعيدة تجهل الالم الكارب والبكاء المستتر والحزن » ! قالت ذلك ونثرت اغصانها على الارض ، فاجابتها سروة ناظرة الى السماء « آه ! طوبى للذين يبكون على الغبراء » ! »

شرل لكونت ده ليل Leconte de Lisle (١٨١٨ — ١٨٩٤) يقارن فؤاده المصاب بمرض روحي عضال ، افقده الحياة واللهيب والصوت ، بقلب الشمس الغاربة الجريح ، فيغبطها لكونها تموت في المساء ، وتولد ثانية في الصباح التالي :

« ريح الخريف المائلة لزمزمات البحار ، تلك الريح الملأى بانواع الوداع

الاحتفالي وبشكاوى مجهولة ، تهز على طول الشوارع ذات الاشجار ، الايك الضخم المحمّر بدمك ، ايتها الشمس . الورق طائر بين السُحب بشكل الاعاصير ، وتُرى اوكار كبيرة مائلة الى النوم عند قرب المساء ، مصبوغة بالارجوان في طرف الغصون العارية . متذبذبةً في نهر قاتم الحمرة .

إنزل ، ايها الكوكب المجيد ، ينبوع النهار ومصباحه ! ان مجدك سائل من جرحك بهيئة شلالات من الذهب ، كما ينحدر من صدر قدير حب فائق . موتنّ فانك تولد ثانيةً ، ورجاء ذلك اكيد . ولكن من يعيد الحياة واللهيب والصوت الى قلب قد تمزق آخر تمزق ؟ » .

قد بلغنا اقصى حدود مقالة صالحة للنشر في مجلة يجب تنويع مواضيعها ، برضى طبقات من القرّاء المختلفي الاذواق والاميال . على كل حال نرجو ان ان تكون منها لجميعهم فائدة وتفكهة ، اولًا لجدة موضوعها ، فان « المشرق » لم ينشر شيئاً عليه في حياته الطويلة ، ثم لان شعرنا الغنائي الممتاز لا يزال ، على رأينا ، في نشأته ، وهو في مجموعه قليل المادة ، زهيد الابتكار في الخيالات والتعابير . فلا بد لنا من تعريب كثير من بدائع ذلك الشعر عند نوابغ اصحابه الغربيين ، لنقتبس منهم شيئاً من غزارة مواضيعهم وقدرة مخيلاتهم ، فضلًا عن عمق الافكار ونُبل العواطف .

رد المفتري عن الطعن في الششتري

رضي الله عنه

لعبد الغني النابلسي

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تصدير

لا يخفى على القارئ ما للنابلسي من المؤلّفات التي ضمّت في صفحاتها من التحليلات العميقة والدروس الفنانيّة والاطلاقات العقلية وهو في كلّها يسمو إلى اجواء عالية تجعل من المؤلّف مصدرًا وسينًا في تلك الابواب التي طرقها وفي السبل التي فتحها .

اشتهر النابلسي خاصّة في علم التصوّف . واننا نذكر له مؤلّفًا صدر اخيرًا كسب به الشهرة الواسعة وهو « الفتح الرباني والفيض الرحماني » (نشرة الاب انطونيوس شبلي) لا فضل مؤلفات عديدة اخرى في العلم نفسه . وهذا المؤلف الصغير الذي نحن بصدده يلفت نظر القارئ الى التفسير الروحاني للخمرة التي كانت منذ القدم عند المتصوفين رمزًا للنزعة الالهية الفيّاضة حسب التقليد في هذا الباب . ولقد نشرنا في هذه المجلّة لثلاث سنوات خلت كتاب دعوة النفوس واظهرنا اذاك ما للخمرة من الفاعلية على عقلية الصوفي وعلى تأويلاته الروحانية . ولذا فاق النابلسي يدافع عن الششتري ولكنه لم يُطلعنا في هذا المؤلف على سعة معارفه وسعة اطلاعه كما ترى ذلك في الفتح الربّاني وهو يعترف بذلك اذ انه لم يقضِ الّا نصف يوم في تأليف هذه الرسالة . ولكننا نشعر أن كلامه كلّه يستند الى بحر يزخر بالمعلومات والمعارف .

وجدنا مؤلّفنا هذا مجموعًا الى مخطوط ابن خرداذبه «مختار من كتاب اللهو والملاهي» وهو من مكتبة السيد الذكر حبيب زيّات . محفوظًا بخط نسخي جليّ ومكتوبًا بحبر احمر تارة وبحبر اخضر تارة اخرى . في سطره تسع كلمات وفي صفحته ١٧ سطرًا .

لا يتميّز هذا المخطوط بتجديد المفردات الصوفية أو بغناها . انما فيه من طريقة النابلسي ما يفيدنا الكثير عن عقليته وانّ اخطأ الناسخ مرّات في ترتيب الكلمات وكتابتها .

وللقارئ الكريم فائدة من مطالعة هذا المؤلّف .

[١] بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . اما بعد فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير عبد الغني ابن النابلسي الدمشقي الحنفي خادم كلام السادات وحامل نعال الفقراء ارباب السيادات . طلب مني بعض الاخوان كتابة شيء من فيض الملك المنان بطريق الشرح لعقيدة العارف بالله تعالى الششتري تلميذ الشيخ العارف الكامل عبد الحق ابن سبعين قدس الله روحهم ونور ضريحها على وجه البيان لمعنى تلك الاشارة والتبيان في تحقيق هاتيك العبارة فاجبته الى ذلك مستمداً من امداد القدير الملك . وسميته رد المفتري عن الطعن في الششتري . والله ولي الهداية والتوفيق وبيده ازمة التحقيق .

مقدمة

اعلم يا اخي في رضاعة ثدي الاسلام والتربيــة في حجر الاذعان للدين المحمدي والاستسلام [٢] ان الله تعالى يقول فيما انزل على نبيه خير الانام ان الدين عند الله الاسلام . وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم . قال : اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي. قالوا نعبد الاهك والاه ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الاها واحداً ونحن له مسلمون . وقال تعالى : ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانيــاً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . وقال تعالى : وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا الى غير ذلك . نعلم من هذا ان الانبياء والمرسلين عليهم السلام كانوا كلهم على دين الاسلام الذي هو [٣] دين الله تعالى في السموات والارض ولا دين الا هو ..

ثم ان الله تعالى بعد موت الانبيا والمرسلين عليهم السلام وانقراض عمرهم جعل الله تعالى في هذه الامة المحمدية اوليا. في كل زمان هم ورثة الانبيــاء الماضين في العلوم الالهية والحقائق العرفانية لا فيما يدخله النسخ والتبديل والتغيير من الشرائع العملية والاحكام التكليفية . قال الشيخ الاكبر محي الدين ابن

العربي قدس الله سره : الاولياء على عدد الانبياء فلا بد ان يكون في كل عصر مائة الف ولي واربعة وعشرون الف ولي لا يزيدون ولا ينقصون لكل نبي ولي . انتهى كلامه . ولا شك ان هذا جعله الله تعالى جبرا لهذه الامة حيث ختمت فيها النبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعد نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الورثة من العلماء بالله تعالى موجودون في كل وقت الى يوم القيامة والورثة تحققوا بمشارب النبيين والمرسلين عليهم السلام فكان الانبياء والمرسلين كلهم عليهم السلام لا يفارقون هذه الامة بامداداتهم في كل حين فكل زمان من الازمنة الماضية كان فيه نبي يخدم امر الله تعالى لاهل ذلك الزمان بالارشاد والتعليم والهداية . وهذه الامة كل زمان فيهم ورثة جميع الانبياء والمرسلين يخدمون امر الله تعالى لاهل ذلك الزمان بخدمة النبيين طاعة وعبادة لرب العالمين ولا بد ان يروا من الاذى مثل ما رأت الانبياء قبلهم من اهل العناد والكفر ويصبروا كما صبروا ولكن اختفي الامر عند غير اهله والتبس احوال الاولياء الصادقين على الاجانب منهم الجاهلين والعصابة الغافلين من كثرة الافتقار وقلة الاعتقاد وسوء النيات وخبث الطويات ولنا من النظم في ذلك من المواليات قولنا :

يا منكرين الكم في ناركم كيات نياتكم صيرت اعمالكم حيات
انتم عميتم عن المنشور في الصيات والكل بالله والاعمال بالنيات

[٥] ولا شك انا معاشر المسلمين نحن الاولي والاحق بجماعة الانبياء والمرسلين دون انتساب غيرنا اليهم من جميع طوايف الكافرين قال تعالى : ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا . ففي الاولياء ادمي محمدي ونوحي محمدي وادريسي محمدي وابراهيمي محمدي وموسوي محمدي وعيسوي محمدي وهكذا الى آخر الانبياء المذكورين في القرآن وغير المذكورين فيه كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ومنهم المحمدي الجامع لجميع مشارب النبيين كلهم . ويقال في خاتم الولاية المحمدية وهو في كل زمان واحد لا يتعدد يكون خاتما لاولياء زمانه على قلب خاتم النبيين . فان كان التجلي الالهي عليه في الحقيقة العيسوية المحمدية كان لسانه في

ذلك المشرب لساناً سريانياً يعني [٦] غير متبين المعنى وكتابه المنزل على صدره بمكة الالهام لا بوحي النبوة كتاباً سريانياً ومتني انجيلياً فهو الولي المسلم المؤمن المحسن اسلاماً وايماناً واحساناً عيسوياً محمدياً وحكمته روحانية وهو على ما هو عليه في هذه الملة الاسلامية المحمدية من الاعمال والطاعات والاعتقادات والاحوال ولكن الصبغة مثل تلك الصبغة العيسوية في دين محمد صلى الله عليه وسلم وكثير من الاوليا. يكون لهم هذا المشرب في جميع اوقاتهم او في بعض الاوقات كالمحمدي الجامع. فان له هذا المشرب في وقت دون وقت وقد كانت حقيقة عيسى عليه السلام في بني اسرايل تقرر احكام التوراة في الاعمال الظاهرة وتبين اسرار الانجيل فيما لا يدخله نسخ من الاسرار الباطنة . وكان اصطلاح ذلك بتلك اللغة السريانية حيث هو لسان بني اسرايل كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشا. [٧] ويهدي من يشا. فلما نقل الانجيل الى اللغة العربية عربوا تلك المقامات السريانية الانجيلية فسموها بالدير والراهب والطريق والشماس والقسيس والخمر والكاس والكنيسة . ولم يكن هذا اللفظ في الانجيل ولكنه هناك بالفاظ غير هذه الالفاظ وهي اسما. الاسرار الالهية واحوال ربانية عرفانية اذا كان فيها العبد يسمى بتلك الاسما. كما ان في شريعتنا يسمى العبد مومناً ويسمى مسلماً ويسمى سالكاً ومريد اتيامه باحوال باطنية الالهية ومطيعاً ويسمى عابدا ويسمى راكعاً وساجداً اذا اتى باعمال مخصوصة وافعال معروفة واذا ترك الاكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الثاني الى الليل ناوياً العبادة ويسمى صايماً واذا قصد مكة محرماً يسمى حاجاً ومعتمرًا وهذا في امثال ذلك فيسمى شماساً لشهوده شمس الازل ويسمى بطريقاً لخدمته كبرا. ملته ويسمى راهباً لخوفه حقيقة القيام عليه ويسمى قسيساً لتحققه بمعرفة الاعظم ويطلق الخمر على معاني التجليات الالهية اذا تحقق بها العبد ويطلق الكاس على الصورة النفسانية اذا تحققت بالمتجلي الحق لها [٨] منها وتسمى الكنيسة اذا كنستها السالكون عن نجاسات الاغيار وطهرتها عن لوث التصرف والاختيار بالقوة والاقتدار وهكذا الامر في هذه الاصطلاحات الانجيلية والمقامات الالهية والعبارات السريانية .

ولما عبرت بهذه الالفاظ وادعت طايفة النصارى القيام بها والظهور بحقائقها

وهم كافرون بالله تعالى وبجميع الانبياء. وان زعموا انهم مومنون ببعض الانبياء كعيسى عليه السلام على دعواهم . فان محمداً صلى الله عليه وسلم نسخ جميع تلك الاديان وما نسخه لها الا من حيث الاعمال الشرعية كما ذكرنا . واما في العقايد فانه لا يدخل النسخ ومن كفر فان الله تعالى لا يهديه الى الحق . قال تعالى : ان الله لا يهدي القوم الكافرين . وقال تعالى : ومن يومن بالله يهد قلبه . فعند ذلك غار الحق تعالى على مشرب عيسى عليه السلام ان يدعيه من هو فيه من الكافرين [٩] فكان هــذا من جملة الحكم والاسرار في جعل الاولياء في هذه الامة على عدد مشارب جميع الانبياء عليهم السلام في كل زمان. فجعل سبحانه اولياء عيسويين محمديين يتعلمون اصطلاحات الانجيل الحق الذي هو كتاب عيسى عليه السلام فيتزل على قلوبهم بالالهام لا بوحي النبوة ليلا تضيع تلك الحقايق وتنقطع جاتيك الرقايق . قال تعالى واورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية . وليس ببعيد نزول الكتب ثانياً بالالهام على قلوب الورثة كما نزلت اولاً بالوحي على قلوب الانبياء عليهم السلام ونقل عن ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه وقد كان وارثا محمدياً جامعاً انه قد نزل القرآن على صدره بالالهام فالهمه الله تعالى جميع القرآن من غير قرأة على احد فقالوا ما مات حتى استظهر القرآن اية اية .

وقال الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنــه في الفتوحات المكية في الباب التاسع والعشرين وثلاثماية [١٠] نزل القرآن علي قلب محمد صلعم ثم لا يزال ينزل على امته الى يوم القيامة . فنزوله في القلوب جديد لا يبالي فهو الوحي الدايم فللرسول صلوات الله عليه الاوليــة في ذلك التبليغ الى الاسماع من البشر انتهى .

وكان الششتري رضي الله عنه من اصحاب هذا المقام وقد استعمل في نظمه اصطلاحات الانجيل وسلك هاتيك المسالك العيسوية الربانية وهو محمدي ولكنه محمدي عيسوي في هذا المشرب المذكور وكلمته عربية محمدية لانها كلمة الاهية ولكنها في هذا المشرب سريانيــة عيسوية محمدية كما كانت كلمة عيسى عليه السلام كلمة الاهية سريانية لا عربية .

قال تعالى : وكلمة القاها الى مريم وروح منه . وقال تعالى : ذلك عيسى

ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. فاخبر سبحانه ان الامتراء حاصل في هذه الكلمة السريانية العيسوية فاذا تكلم بها المحمدي من المشرب العيسوي ظهرت [١١] سريانية كما كانت لانه تعالى لا مبدل لكلماته . والتبديل من النفوس والاوليا. خارجون عن احكام النفوس فهم تحت احكام ربهم . قال تعالى : ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الناس وبما كنتم تدرسون اي لا نفسانيين والنصارى الذين كفروا كانوا نفسانيين لا ربانيين فحرفوا الكلم عن مواضعه ولهذا لما جاءهم ما عرفوا كفروا به والذي جاءهم محمد صلعم فانه جاءهم بحقايق اناجيلهم وزيادة فكفروا وانكروا وسلكوا بنفوسهم وهم جاهلون ضالون مضلون. والششتري رضي الله عنه كان ربانياً مسلماً محمدياً عيسوياً والمسلمون اولى بعيسى ابن مريم من النصارى لانهم كافرون بما كان عليه من الحق وان جهلوا وعاندوا والمسلمون مومنون به وبما جاء بـه من الحق وسينزل في آخر الزمان يقاتلهم على ملتنا هذه ويلزمهم بها ويكذبهم [١٢] فيما افتروا عليه ويقتلهم ويسلموا او يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويبطل الجزية كما ورد في الاخبار الصحيحة فتحقق يا اخي في هذه المقدمة تفهم ما سنذكره بطريق الاجمال في معنى هذه القصيدة المذكورة وتنحل لك ان شاء الله اشكالات كثيرة في كلام اهل الله تعالى من المحققين والله الهادي الى حقيقة الحق المبين .

المقصد والبيان

اما معنى هذه القصيدة فانها لا تحصى لكثرة تشعب الحقايق وتداخل الاشارات . ولكن نحن نشير الى طرف من ذلك يسير بوجه اجمالي من فتوح الوقت وفيض هذه الساعة وامدادها من الجناب الاقدس . قال رضي الله عنه :

تادب بباب الدير واخلع به النعلا   وسلّم على الرهبان واختلط بهم رحلا[1]

يعني اذا دخلت يا ايها السالك في طريق الله تعالى على المشرب العيسوي المحمدي فاكثر الادب مع الحق تعالى في باب دير الازل وهو الحضرة [١٣]

[1] نقرأ في هامش هذه المنخة : بلغ مقابلة .

الالهية الديمومية الابدية التي يشهدها العارف بعد محو الزمان والمكان والغيبة عن جميع الاكوان وخلع النعل ترك الصورة النفسانية المنوية والحسية والسلام على الرهبان اعطاء الامان للقوم الواقفين في مقام الخوف والرهبة من صطوات القهر الالهي فلا ينكر عليهم حالا من احوالهم ولا قولا من اقوالهم ويحترمهم على كل حال .

وعظم به القسيس ان شيت خطوة وكبر به الشماس ان شيت ان تملا

به اي بالدير يعني كن مبجلا مكرماً صاحب هذه المشرب العيسوي المحمدي اذا دخلت عليه ولا يخطر لك سواء فيه كما ورد في الخبر الشيخ في جماعته كالنبي في امته فمن انكره في حال من الاحوال فقد كفر بشربه ومقامه ومثله . والشماس وهو دون القسيس في هذا المشرب العيسوي المحمدي فهو يتراى انوار تجلياته في خلواته وجلواته .

[١٤] ودونك اصوات الشماميس فاستمع لالحانهم واحذرك ان يسلبوا العقلا

اي استمع لكلام العارفين السالكين من افواههم في شرح مواجيدهم وحقائقهم وبيان اذواقهم التي هم مستطربون بها واحذر منهم ان يسلبوك عن حالك ويخرجوك عن معقولك فتصير مجذوباً معهم فيهم .

بدت فيه اقمار شموس طوالع يطوفون بالصلبان فاحذرك ان تبلا

فيه اي في الدير اقمار شموس اي هم من حيث نفوسهم اقمار ومن حيث ارواحهم شموس وصور اجسامهم المحاوبة بالرياضة الشرعية بعد قتلها بالمجاهدة الالهية في الطريقة المرضية كما ورد عن رابعة العدوية رضي الله عنها انها كانت من كثرة المجاهدة كالشن البالي اي المحراب العتيق والقربة اليابسة .

وایاك ان تسمع لهن بحكمة وایاك ان تجمع لهن بك الشملا
فان كان هذا الشرط وفيت عهده ولم تنتقض منه عهودا ولا قولا
[١٥] دعوك بقسيس وسموك راهباً وابدوا لك الاسرار واستحسنوا الفعلا
واعطوك مفتاح الكنيسة والتي بها صورت عيسى رهابينهم شكلا

يعني احذر ان تسمع حكمة هؤلاء العارفين تعمل بها على مقدار ما سمعتها فانك ما سمعتها كما هي عندهم وانت لا تعرفها فتعمل بها لانها سريانية محمدية وانت عربي محمدياً . فان علمت بهذا الشرط وامنت بكلامهم على حسب ما يعرفون واصطبرت عليهم حتى فتح عليك بها من نفسك على يدهم ولم تتأول عليهم شيئاً مما رأيت ولم تنكر واستطعت معهم صبراً صرت كاملاً في مقامهم هذا ومشربهم العيسوي المحمدي وسموك بما هم يسمون به بعضهم واظهروا لك اسرارهم واعطوك مفتاح كيفية الدخول في مداخلهم وافهموك الصور التي في نفوسهم تظهر لهم فيها الحقيقة الالهية فينزهونها بحكم ليس كمثله شيء ويشبهونها بحكم وهو السميع البصير وهو التشبيه الشرعي [١٦] الذي ورد بالمعنى الذي يعلمه الله تعالى. وقد ذكر تعالى فيه انه سبحانه له وجه بقوله اينما تولوا فثمّ وجه الله . وله يد بقوله: يد الله فوق ايديهم الى امثال ذلك والتنزيه لازم في جميع ذلك . ومثل هذا المتشابه ورد في الانجيل ايضاً على حسب تلك المشارب العيسوية : .

نعم كلما قد قلته لي سمعته ولا ابتغي في ذاك ردّاً ولا ميلا
ولما اتيت الدير امسيت سيداً واصبحت من زهدي اجذبه الذيلا
سالت عن الخمار اين محله فهل حال حالي للوصول به ام لا

ثم اخبر الناظم قدس الله سرّه انه قبل ما ذكر الشروط وعمل بها في ايام سلوكه وانه جاء الى دير الازل متادباً حتى صار من الكاملين رضي الله عنه ثم سال عن الخمار اي الذي يسقي الخمرة الالهية في ذلك الدير وهو شخصه الذي سلك على يده او به تعالى من قوله سبحانه :

وسقاهم ربهم شراباً طهوراً .

فقال وراسي والمسيح ومريم ودين ولو بالدير تبذله بدلا
[١٧]فقلت ازيد التبر للدر قال لا ولو كان ذاك التبر تكتاله كيلا
فقلت له اعطيك خفي ومصحفي واعطيك عكازاً قطعت بها السبلا
وهاك حرمداني وهاتيك شيلتي وهادستبندي والكشكيل والنعلا

وها سر مفهومي وعود اراكتي   وقنديل محرابي انادمه ليلا
فقال شرابي عز عمله وصفته   وخمرتنا مما ذكرت لها اغلا
فقلت له دع عنك تعظيم وصفها   فخمرتكم اغلا وحرقتنا اعلا
على اننا فيها رأينا شيوخنا   وفيها اخذنا عن مشايخنا شغلا
وفيا لنا المذال لاموا فاعذلوا   واذ اننا من لبسها نترك المذلا

ثم اخبر قدس الله سره ان شيخه اقسم له من جهة هذا المقام العيسوي المحمدي وهذا المشرب الانجيلي السرياني براسه اي رياسته في هذا التحقيق وبالمسيح وهو روحه المنفوخ في جسده الانساني من حيث انه من امر الله تعالى وبمريم وهي النفس الكلية المسماة باللوح المحفوظ في شرعتنا المحمدية كما سمي الروح المذكور بالقلم الاعلى واقسم له بالدين ايضاً وهو مشربه الخاص انه لا يكون ما اراد ولو يبذل الدر وهو جميع ما يعرفه [١٨ب] من العلوم التي استخرجها من بحار الكتاب والسنة يجب فهمه فينبغي من علومه كلها واخبر انه قال له ان يبذل على ذلك التبر وهو الذهب فهو اكمل المعادن ولا يكمل معدن عبد الّا بالتخلق به في الرزانة والصبر من غير تغير فيذهب ذلك العبد عن نفسه بالكلية ويفني عن كل شيء . ثم انه زاد فقال له اعطيك خفي وهو صورته الظاهرة ومصحفي وهو صورته الباطنة والعكاز وهو نفسه المشار اليها بقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي الاية. والجرمدان الجراب وهو القوة المحافظة في موخر الدماغ والشملة تصغير شملة وهي القوة المخيلة في مقدم الدماغ والدستبند وهو الزنار وهو القوة المفكرة في وسط الدماغ . والكشكيل تصغير كشكول وهو قلبه الذي يتناول به ما بقيته من حضرة الغيب والنعل وهو عيشه [١٩] الذي يمشي به في الناس يعني انه يخرج عن جميع ذلك فلا يقوم فيه بنفسه ويفني عن حظوظ نفسه في الخير والشر فلا يريد الدنيا ولا الآخرة وانما يريد وجه الله تعالى في حق الانصار يريدون وجه الله . وقال في غيرهم منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وسر مفهومه مقدار ما فهم في جبلة من معرفة ربه . فانه اعرض عنه عند وصوله الى شيخه وعود الاراكة هو المسؤول وهو الذكر باللسان على مقتضي ما تامره به نفسه اعرض عنه

ايضاً يُرشده شيخه الى ذكر آخر يلقنه له وقنديل المحراب ايضاً هو قراة القراة مع الغفلة والجهل تركها ايضاً حتى لا يدخل تحت تربية نفسه الامارة بالسوء. كما قال بعضهم لئن يكون المريد تحت حكم هرة خير له من ان يكون تحت حكم نفسه الامارة بالسوء. وشرابه مشروبه وهو خمرته التي هي المعاني الالهية والتجليات الربانية واخبر انه لقي[٢٠] شيوخاً قبل شيخه ذلك ورأى منهم وصف ذلك ولكنه اخذ منهم الاشتغال بالاعمال الظاهرة من غير سلوك باطني. واخبر ان الجهلين لاموه على ما هو في صدده من طلب هذا الكمال كما هو عادتهم في كل عصر مع الرجال اصحاب الفضايل والاحوال .

فلما طلبناها وهمنا بحبها تركنا لها الاوطان والمال والاهلا
فقال له ان شئت لبس عبيتي تطهر لها بالطهر واصحب لها اهلا
وبدل لها تلك الملابس كلها ومزق لها الزنار واهجر لها الشكلا
فقال نعم اني شغفت بحبها ساجعلها بيني وبينكم وصلا
فدونك خمري قد اجتك بها وناولينها من اباريقها تجلا
فقلت له ما هذه الراح مقصدي ولا ابتغي من رآكم هذه نيلا
ولكنها راح تقادم عمرها فما وصفها قبل ولا عرفت قبلا
تدل بان الله لا رب غيره وان رسول الله افضلهم رسلا
عليه صلاة الله ما لاح بارق وما دام ذكر بني الورى يتلا

ثم اخبر انه قال شيخه المذكور انه طلب هذه الخمرة وهام بحبها وزهد في كل ما سواها حتى [٢١] قال له شيخه البس عبيتي تعبير عبارة وهي حلته التي هو لابسها من المعارف الالهية والحقايق التوحيدية وامره بان يتطهر لها بالخروج عن الاغيار وصحبة الفقراء واهل هذه الطريقة الاخيار وانه يبدل الازل في حال الغفلة فيخرج عما كان يعتاده من الاخلاق الذميمة ويقطع زنار الافكار ويهجر اصحاب العلوم الرسمية من القاصرين اهل الانتقاد والانكار ثم اخبر انه ناوله الخمرة الالهية في اباريق اي كشف له من صورة تجلياتها ومعاني ظهوراتها بالعبارات النطقية والاشارات اللفظية ثم اخبر انه قال له ما هذه العبارات

مقصدي ولا معرفة هذا الكلام الذي قاله لي مرادي وانما مرادي ان اذوق بما في نفسي هذه الحقايق وتحقق بها ذاتي وتصير لي مشرب بالا الى اسمهاء منك واوهم مجرد معانيها ثم اخبر ان خرقته المقصودة اه هو كشفه عن الحضرة القدسية [٢٢] التي ليس لها قبل ولا تتصف بالقبلية لشيء اصلا التي تعطي التحقق لمن كشف عنها بالاسم الله وبالتوحيد الذي وقى اليماني الكشفي وتعريفه بالحقيقة المحمدية وتمشي به في المقامات الجامعة عن صدق وعيان وتحقق واستيقان .

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . وقال تعالى: من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر ومـا بدلوا تبديلا وللششتري رضي الله عنه من موشح له في ديوانه قوله :

لا تقل يا بني كلمه الا ان كنت صادق

ولو بسطنا الكلام لطال هذا الامر واستعذب الناظرون مذاق هذا الخمر ولكن في هذا المقدار كفاية وحسب المصنف عـلى مقصوده . قال المصنف رضي الله عنه حررنا بالعجالة في اقل من نصف نهار والله يقول الحق وهو [٢٣] يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل . تمت من فيض فضل الله عـلى مداد قلم الحقير عبد الغني ابن النابلسي يوم الاحد الخامس والعشرين من جماده الاول سنة ستة وتسعين والف والحمد لله وحده .

وقد تم تحرير هذه النسخة يوم الخميس خامس عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاثة ومئة والف . تم

صدر أخيراً

في مجموعة

نصوص ودروس

كتاب

الفتح الرباني والفيض الرحماني

لعبد الغني النابلسي

حققه وقدّم له

الأب انطونيوس شبلي اللبناني

وقابل تحقيقه بين نسختي عين تراز واستانبول

ونشر في المقدمة بعض القصائد الغير معروفة للنابلسي

المشرق

السنة الرابعة والخمسون — ت ٣ – ك ١ ١٩٦٠

الآثار المطويّة (تابع)

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

١٨

مرسوم(1)

الى حضرة الاخوان الغزاز المشايخ بيت الدحداح المكرمين حفظهم الله تعالى .

اولًا مزيد الاشواق الى مشاهدتكم في كل خير وعافيه . وبعده نخبر

---

(1) ان هذا المرسوم من الامير امين ابن الامير بشير شهاب الكبير .

ذكر في صفحة ٥٢٨ من جزئي «المشرق» تموز – ت ١ من هذه السنة «نموذج من خط علام يوسف علام» والصواب نن «خط علام حنا علّام» .

خوتكم انه قد بلغنا زيادة التكاليف والخساير اللاحقة اهلي لفتوح من دون وجه يرضي الله ولنا . اقتضى لما عرفناهم خاطرنا بان لا يكون لهم تعلق الا بنا واي من له منهم ماده ام دعوى يعرضها لدينا ونحن نأمر بأجراها (باجرائها) بما يطابق الحق . وكذلك بلغنا ان البعض من خوتكم مقيمين بالسكن وفاتحين دكاكين بالمحلات المذكوره وبحين الاستوفا (الاستيفاء) تستدوا منهم ارزاق . ومن المعلوم انه هذا شي مما يزيد عليهم التكاليف والخساير .المرغوب اذا كان منكم اناس مقيمين بالمحلات المذكوره حالا يرجعوا فيستقيموا بمحلاتهم واذا كان لهم دين يعرضوا لدينا عنه لنأمر بحصوله لهم بحق الله تعالى والذي يتعجز (يعجز) عن الوفا من بعد التحقيق لدينا عجزه يتقسط عليه حسب امكانه . وقد آمرنا بعد تاريخ امرنا هذا الذي صدر لهم اي من استد ارزاق نامر بضبطها فيقتضي من خوتكم لا يكون لكم معهم معارشة في شي (شيء مطلقاً) . والذي يكون له ماده يعرضها ونحن نأمر بتمشيها بما يطابق الحق وان علمنا ان احد قارش ماده او له ملفا (ملفى) بالمحلات المذكوره ام كلفهم مصرية الفرد يكون سبب تغليت خاطرنا عليه . واما اذا كان لكم انعامات من المرحومين اسلافنا نأمر لكم بها تبقوا بوقتها تاخذوهـا بامرنا واي من خالف ذلك لا يلوم نفسه ولا تقطعوا اخباركم عنا سنة ١٨٢٨ سنة ١٢٤٤ .

محب مخلص
امين ش

١٩
اعراض

سعادة الوالد الماجد حاوي صنوف المكارم والمحامد سني الهمم كريم الشيم سلطانم الامير المعظم ادام الله وجوده الشريف[1] .

غب قبلة الراحات الكرام بفرط التوقير والاحترام وبث الدعا المستدام بدوام بقاكم وسمو ارتقاكم للدوام . المعروض فهو لاجل الاستفسار عن رفاهية

(1) ان هذا الاعراض موجه الى سعادة الامير بشير شهاب الكبير من الامير سعد الدين شهاب .

الخاطر العاطر والافتحاص عن كال انشراح سعادتكم ثم قبله قدمنا معروض للسامع الشريفه والآن الذي جد واصل عزيزنا الشيخ جرجس البريس يعرضه لنادي سعادتكم ونرجو الاستفهام عمّا يقدم اعراضه والتبصر بما يوافق لهـذه المصلحه كما هو دأب سعادتكم وغاية رجانا. لا يلوح بالفكر الشريف الّا بتوجهات انظار دولتكم مقدمين دمنا بهذه الخدامه المتقلدين بها سعادتكم وملتزمين بها على كافة الاحوال ونزود عن افتدانا (كذا) نسعى ونكدّ بكل نشاط ان شاء الله وغب اعراضه تحققوا لدى سعادتكم الكيفيه موضحاً. هذا ونرجو بان لا ننزح من دايرة الرضى الشريف واطال الله بقاكم .

٧ ن سنة ٢٥٦ (١٨٤٠ م)

ولدكم

سعد الدين ش

٢٠

اعراض

عالي الجناب فسيح الرحاب الملاذ المستطاب حميد الشيم سلطانم دام بقاه[1]

غب تقديم الدعوات الخيرية لدوام العز وخلود النعم . نعرض انـه صار متقدم منا جملة معروضات بطلب دراهم لاجل ماىرة (ميرة) عسكر وكذلك لم عاد موجود شعير بهذا الطرف لسبب ضبط الاغلال في البقاع وبلاد بعلبك. وفي الجبل لا يوجد قطعيا من سعادتكم باصدار الامر بكمية الذي يتحسن حتى نوجه ضهر (دواب) لاجل مثاله واحضاره لهذا الطرف لكونه بغاية اللزوم للعسكر مع علم ابراحنا من الضمير المنير والله تعالى يحفظ لنا شريف وجودكم وطال بقاكم .

٨ ن سنة ٥٦	الداعي سلمان ش	الداعي ملحم ش

(١) هذا الاعراض مؤرخ في ٨ نيسان سنة١٨٥٦وموجّه من الاميرين سلمان شهاب وملحم شهاب الى الامير بشير شهاب الكبير . وفي الكتابة الى الامير بشير يتركون فسحة بيضاء على جانبي كلمة « سلطانم » زيادةً في التعظيم والاجلال .

٢١

اعراض

الجناب الاكرم والمقام الافخم حميد المزايا كريم الشيم سلطانم امـير جليل الشان المفخم ادام الله تعالى بقاه[1] .

غب تقديم واجبات الاحتشام بفرط التوقير ولوازم الاحترام ومزيد الدعا الوافر المستدام بدوام بقاكم وسمو ارتقاكم ما دامة (دامت) الايام . المعروض غب الدعا الواجب المفروض هو انه بحسب الواجب عـلى ذمة الداعي السعي لاجل التشرف برحاب سعادتكم وتقديم رسوم التهاني لدولتكم فيما انعم به الباري وجاد من عواطفه على هيكل شخص سعادتكم الفريد وبالاخص حيث الداعي بنوع خصوصي مندرج بالانتما والانحساب على دولتكم مستعدًا بكل وقت للقيام والفوز بما تآمروا (تأمروا) فيه سعادتكم. فقد اقتضى ان نوجه لتقبيل الايدي محسوبكم ولدنا تامر لينوب عن الداعي باَدا (باداء) رسوم الواجبات اذ انه بعد (ان) حظونا بلثم الاعتاب الشريفه السر عسكريه بمعسكر بيروت عند عودنا من مامورية المحافظه بجهات الناقوره وبلاد صفد صحبة سعادة وليّ النعم جقمس باشا ريس الرجال المفخم. فقد اومرنا بالرجوع لمحافظة البلاد وتفوض بعهدتنا متسلمية جبل هونيه وساحل قانا حكومة اجدادنا واهلنا وتسربلنا بالخلعه البهيه وما ذلك الّا بانفاس ورضى سعادتكم الذي نرجو دوام شمولنا فيه بكل وقتٍ وآن واي خدمةٍ تلزم فالداعي لها عـلى اثبت قدم . وارجو عدم هجري من الخاطر الكريم افندم .

٢١ ن سنة ٢٥٦ (١٨٤٠)

الداعي القديم
حسين الملك

١) وهذا الاعراض مقدم ايضاً الى الامير بشير شهاب الكبير .

٢٢
اعراض[1]

قرة النعم عليّ الهمم حميد الشيم مستخدم السيف والقلم حاتمي الكرم الدستور الوقور المعظم والليث الجسور المفخم افندم سلطانم حرس الله وجوده الشريف .

غب لثم اذيال السعادة والاجلال وبسط اكف التضرع والابتهال الى الله سبحانه الكريم المتعال بدوام دولة سعادتكم الزاهره وتأييد مهابة صولتكم القاهره ما توالت الاجيال . عرض حال عبدكم انه بهذا الاثنى (الاثناء) قد ورد لنا كتاب من رقيق دولتكم وعبد سعادتكم سيدي الوالد يتضمن فحواه انه بعد الاتكال على وحدانيته تعالى بمدد انفاس سديرة سعادتكم الطاهره وبسيف صولة عنايتكم القاهره قد نهض بالعسكر من الركاب الشريف للاوردي المنصور ومأمون (كذا وربما كانت : وتأمر) عبدكم في ارسال جانب عسكر قوي البأس من عبيد سعادتكم ورجال دولتكم اهالي الجبل بناء على ارهاب ورعب الملتجيين لقلعة سانور بشهرة ازدحام عساكر دولتكم الزاهره لادخال اعناقهم بنير الطاعة قبل ساعه . وكان يود ويرتقب هذا العبد الرقيق بان يسير بذلك لحوزة الشرف بلثم الاذيال ولادا، بعض ما يجب من الخدمات المفروضه لحد اهراق دمه بخدمة بابكم السعيد ليفي مـا يقابل جزء من نعمتكم المغمور بها ولكنه حيث سبق الامر المطاع بتربصه تحت لوآ، الانظار الاكسيريه بهذه الاطراف فتحاشا الخلاف اقتضى اننا موجهين عبد سعادتكم ابن عمنا الامير عبدالله بجانب عسكر مجمل من رجال دولتكم للاوردي المنصور وبحسب توجهه ان تمرّج بحر الحلم والمراحم بالاذن له ليتشرف بلثم الاذيال ويحوز الحظ والافتخار حينما يكون ملحوظاً بالنظر الاكسيري . وعبدكم هذا ما زال منتبهاً على اثبت قدم لانفاد (لانفاذ) ما يؤمر (يؤمر) به .

---

١) هذا الاعراض موجّه من الامير امين ابن الامير بشير شهاب الكبير .

ونسأله تعالى جل شأنه بان يديم بنود واعلام دولتكم خافقةً في اوج الظفر والسعود مع عدم طردي من دايرة الرضى المنيف وادام لله بقاكم للدوام افندم.

بنده

امين ش

٢٣

في ما جاء من باب التهاني بمولود اتى

غب اهداء درر تحيات من الفواد واداء (واداء) غرر تسليمات تنبي عن الوداد وتباريح اشواق يزيدها البعاد لمشاهدة نور محيا انا له بالمرصاد والباعث لتحريره هو ايضاح ما حصل عندنا من الاستيحاش يوم الفراق ووسيلة الاغتنام كتابٌ هو بعض من التلاق . ثم انه في يوم مبارك قد بلغنا ما سر النواظر وشرح الالباب والخواطر وذلك بان حضرة الملك العلام قد جاد على جنابكم بغلام فحمداً لجلاله تعالى وشكراً حيث املانا بهذه النعمة سروراً وبشراً فجعله الرحيم الرحمن من سعداً. الثلمان مشمولاً بالسلامه والنجابه مقروناً بالتوفيق للعز والاصابه وحياه الله وحياكم ربأ بعزكم ونعماكم فتنظرونه شيخاً كهلاً بكل فضل منها . والان لاجل التهاني ونيل الاماني سطرنا سطور الهنا والسرور من محب بهذه الامنية مسرور نرغب لحين الاجتماع عدم قصم الاعلام السارة مع ما يبدو وادام بقاكم .

الداعي

بطرس كرامه

٢٤

شعر لبعضهم

عبادة جاهلٍ من غير علمٍ ... كقرطاس يكون بلا كتابِ
ومن طلب الجوائز من بخيلٍ ... كمن طلب الطعام من الكلابِ
ومن يطلب من الدنيا وفاء ... كمن يرجو الشراب من الترابِ

غيره

ومن طلب العلوم بغير درسٍ ... سيدركها اذا شاب الغرابُ

غيره

اراك تشمُّ الخلَّ في زمن الوبا لتدفع عنك الموت بالخلّ يا خلي
فان كان ربُّ العرش بالموت قد قضى تموتُ بهِ رغماً وانفك بالخلّ

غيره

رأيتُ الشرَّ في الدنيا كثيراً واكثرهُ يكون من النساء
انا اوصيك لا تركن لانثى ولو قالت نزلتُ من السماء
في هذه الصفحة ٣٤ كتب الشيخ جهجاه هذه العبارة :

« هذه سفينة خطار الدحداح ما لاحد بها قارش »

٢٥

صورة مرسوم من طرابلس شام من لدن وليّ النعم الحاج حسين باشا والي طرابلس

صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى مشايخ واختياريه ووجوه واهالي مقاطعات جبيل وجبّة بشرّي والزاويه والبترون وتلتين الكوره والقاطع والهرمل وتوابعهم بوجه العموم يحيطون علماً .

نعرّفكم بانه بهذه السنه المباركه من ابتدا مادة سنة ثمانيه وثلاثين ومايتين والف (١٨٢٢ م) قد وجّهنا التزام المقاطعات المذكورة (المذكوره) الى عهدة افتخار الامراء الكرام مراجع الكبراء الفخام ولدنا الاكرم الامير عباس الشهابي المكرم بموجب الشرطنامه الذي بيده وماذون من طرفنا بالضبط والربط والخروج من حق كل متعدي وقبض وتسليم الاموال الميريه والمقننات والمتادات كجاري القوانين والرسوم الجاريه . فبناء على ذلك اصدرنا هذا البيولردي من ديوان طرابلس شام وبشبرغية الجرده ومحاصيله لادقية العرب عن يد رافعه قدوة الاماثل والاقران بوصوله ووقوفكم على مضمونه تعلموا ان التزام المقاطعات المذكوره مفوض الى الامير المومى اليه تكونوا له منقادين ويكون مرفوع المقام مسموع الكلام ولا احد يتطلع له من خلاف فيما به الهار والصالح وتبادروا باداء وتسليم الاموال الميريه والمرتبات المتادة ليده وتسموا وتهتموا

بمهار محلاتكم ومبادرة اشغالكم واعمالكم على وجه الراحه . وان شاء الله هذه السنه ابرك السنين والاعوام والكافة تشاهدوا الحمايه والصيانه وبسط جناح الرافه من كل الوجوه . اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد ، في ٢٧ ب سنة ١٢٣٨ (١٨٢٢ م) .

٢٦

غيره :

نعرض انه قد تشرفنا بمرسوم شريف من لدن سعادته[1] نصره الله . مشعر فحواه السامي المنيف اللوم على عبد بابه هذا من قبل الشكايه التي انعرضت لمسامعه الشريفه من حضرة اخونا الشيخ فلان واننا تهددنا تابع حضرته وتكلمنا بحقه كلام بجاسرة واننا نقتصر عن ذلك والحال ان المساده معروضه الى المسامع اللطيفة بخلاف الواقع بل كان كلا منا مع تابعه بنوع المعروف واللطافه والتهتيب (والعتاب) وان لنا تحت يده هل شريك الفقير ما كان الأمل انه يحطله قرض دون كافة امثاله لكون امر سعادته العالي ان القرض يتاخذ (يؤخذ) من اصحاب المقدور والعاجزين لا يتخصص بشي . فهذا كان كلامنا فقط ما فيه زياده عن ذلك فما كنا نعلم كيف تحتن عنده ينسبنا الى ما يزعل الخاطر العاطر علينا لان نحن وعزيز حياتكم اننا نريد الموت ولا نقبل انزعال خاطره الشريف . ولنا الرجا اننا نموت في ايام دولة سعادته الزاهره برضا الخاطر الملوكي كما مات والدنا بخدامة بابه السعيد لاننا من بعد الله عبيد رق لسعادته وعزيز نعمته واحسانه . وقبل وبعد ليس لنا ملجا سوى عواطف مراحمه الكريمه بوجود غيرتكم نترجا حضرتكم بوقت انشراح تنوبوا عني لثم الانامل الفخام وتبسطوا الاعراض ليديه الكرام . ورجاي من وفور حلمه العميم انشراح الخاطر ولا يتصادق على عبيده اعراض من دون فحص ولا يدعينا (يدعنا) بايام دولته السعيده تتخجل من احد ومع وفور غيرتكم لا يلزم اطالة ودمتم .

---

١) الامير بشير شهاب الكبير .

٢٧

عبره[١]

مفاخر ملتهم اختياريه ورعايا مقاطعة الفتوح تبع جبيل بوجه العموم تحيطون علماً .

المنهي اليكم هو انه بتاريخه ورد لنا مرسوم شريف من ديوان سعادة افندينا وليّ النعم حفظه الله تعالى يتضمن فحواه المنيف حين ظهر وتحقق لدى عواطفه زيادة الجبايات التي كانت تحصل عليكم من الامير بشير الشهابي ومن الجبل وكان يتحصل منكم المال خمسة اموال مع الجزيه ومن ذلك حصل عليكم غدر كلي. وسعادته ايده الله من طبعه الكريم لا يسمح بالتعدي على الرعايا وطمع الحام (كذا) لزم ان سعادته فك التزام بلاد جبيل وتوابعها من حكم الجبل وابقاها بكيسه خاصه كونها مالكانة سعادته ما لاحد بها قارش. وقد فرض لعهدتنا العاجزه على رابطه مريحه للرعايا بارباط مال الميري ومال الجزيه فقط من غير تكلف الى تكاليف شاقه. فبناء عليه حسب امر سعادته العليه حررنا لكم هذا حال وصوله ووقوفكم على مضمونه حالاً توجهوا من كل قرية اثنين معتمدين ويحضروا لطرفنا ويجيبوا معهم دفاتر الديوس ودفاتر المحصول الذي من جناب الامير والذي من الصراف ودفاتر الجزيه اي الروسيه وجميع المحصول والمداخيل من كلي وجزئي كل قريه بقريتها ومن كل مزرعه بزرعتها لكي جميع ذلك يتحرر وينعرض لدى المسامع الشريفه الدستوراتيه وتحصل المراحم الاصنعيه . وكل من كتم شي او غاير او خالف امر سعادته العليه او تأخر عن الحضور او اخفى دفتر لم جواب يبدوه ويقع تحت غضب سعادته العليه والعياذ (والعياذ) بالله تعالى . والذي يسلك بالصدق والاستقامه يصادف من الطاف عواطفه الرحمه والاشفاق. تعلموا ذلك سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠ م) في ٧ ب .

السيد
مصطفى

---

١) هذا المرسوم موجه من مصطفى بربر حاكم طرابلس .

٢٨

صورة مكتوب الجبّه لكافة النصاره (النصارى) القاطنين جبل لبنان

قد عمّ الجميع على ان مصطفى بربر حاكم طرابلس كان قاسياً ظالماً فاقد الرحمة والشفقة، وكثيراً ما تمالى الانين والرنين في عهدهِ تشكياً من قسوتهِ واستبدادهِ حتى ضرب بظلمهِ المثل فيقولون لمن تصخّر قلبهُ وانزل الاذى : « انت اقسى او اظلم من بربر » ولا يزال الناس إلى اليوم يرددون ذكر اعمال بربريته يتناقلها الخلف عن السلف . وربَّ قائلٍ يقول : لو كان بربر مستبدًّا سفّاحاً لما مدحه الشعراء ومنهم الشيخ ناصيف اليازجي[1] اجبنا : ان الشعراء يمدحون مثل هولاء العتاة الطغمة استدراجاً لنيل رضاهم او دراهم او خوفاً من شرّهم . والشعراء هم الغاوُن الهائمون في كل واد . وها ان هذا المكتوب الذي انفذه اهالي جبّة بشرّاي الى نصارى جبل لبنان مستنجدين بهم لصدّ غارات مصطفى بربر عنهم ، اكبر برهان على ظلمه وركوبه هوى رأسه واغتباطه برؤية الدم المهدور وهل يلام المرء بالدفاع عن نفسه ؟ ولا يتمالك قارىء هذا المكتوب من شدّة التأثر وارسال دمعة حرّاء وزفرة كاوية . وهذا هو نصّه بحرفهِ الواحد المصدَّر بالعنوان اعلاه :

... والثاني لا يخفا شباتكم ايها المصاف الموقر السكين الذي صنعه لنا مصطفى بربر هو انه صعد بالحيله من طرابلوس ومعه عساكر الاعدا واحاطوا بنا من كل ناحيه وجعلوا مبادي حربهم طلب سلاحنا ويتوسط حربهم بعرضنا واخيرًا يميتونا ضرباً بالسيف او انه يخرجونا عن ديننا المستقيم وليس نحن فقط بل مقصودهم يتدرجوا حتى ينتهوا لكافة المسيحيين القاطنين جبل لبنان . فاذ حصلنا بهذه الضيقه والحال الشديد الذي يرثى له واولادنا ونساونا وارزاقنا وديننا وليس يبقا لنا ملجا من حيث انسدة (سُدّت) علينا كل الابواب واستدة (وانسدّت) كل الدروب واكتنفتنا الشدة الاليمة ولم يبقا لنا ملجا بعد الله سواء (سوى) شباتكم يا اخواننا بالرب يسوع. الان وقت الضيقه. هذا زمان الغيره . هذا اليوم الذي به نحامي عن الدين . الان نصرخ نحوكم مستنجدين غيرتكم قايلين ارحمونا ارحمونا اقل ما يكون انتم يا اخوتنا وهلموا مع الرب الى اغاثتنا . من يفرجنا في ضيقتنا سواكم . بادروا الينا لله بسلاحكم واسعفونا

(١) طالع قصيدته في مدح بربر التي نشرناها (المشرق ٤٨ [١٩٥٤] : ٢٠٦) .

في ضيقتنا . اولاد يعقوب يا حبتي اظهروا غيرتكم [illegible] كذوا على صيتة [illegible]
اهل شحيم مزمعين ان يسلبوا ديننا .

اليوم يومكم يا بني شمعون رحنا ضرب السيف . ادركونا يا اولاد الدين. يا اهل النخوة . يا معروفين بالمروّه . لاننـا في ضيق لا يوصف . بقلم كاسب نتوسل اليكم باحشا يسوع ايها الكهنه خدام الرعايا . يا اخوتنا . نستحلفكم ايها المشايخ اصحاب الشهامي (الشهامـة) بمريم العدرا. نترامى (نترامى) عليكم يا كافة جمهور النصاره (النصارى) ان تبادروا الينا بوجه السرعه الى بشرّي المحاطة بها الاعدا وتوفروا دمنا المزمع ان تشربه الارض . غيروا علينا كلكم واعرفونا اننا اخوتكم . الان الوالده اقبلت عـلى الطلق . الان كنايسنا مزمعه انها تُهدم . الان دمنا مزمع ان يُهدر . ونساونا مزمعه انها تتشنع . بمن نستنجد الا بغيرتكم . لمن نصرخ الا لخوتكم . من لنا سواكم يا ابنا الايمان . غيرة دين يا حبتي . حاشاكم انكم تنسونا في هذه البليه . فالرحمة منكم تتراكضوا كلكم لمساعدتنا .

ونحن بمونة الرب يسوع وبمساعـدة مريم العدرا واقفناهم (اوقفناهم) في الحرب وقتل منهم خمسين انما الان تكاثروا علينا. الامل بغيرتكم وسرعتكم لمساعدتنا لتنجو نحن واياكم من هولاء الواردين الينا ليميتونا ظلماً .

نترجاكم لا تبطوا. اهملوا كافت (كافة) اشغالكم وليشفق قلبكم على اخوتكم . ملتمسين الدعا من كافت الاكليروس . وعيوننا تراقب الطرقات حتى ننظركم يا شعب يشوع ابن نون عابرًا الينا . نرجوا نقل هذه الكتابه من قريه الى قريه . هذا الشم بغيرتكم المشهوره ودام بقاكم . سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) .

٢٩

غيره

انه في اشرف اوان حميد وابهج طالع سعيد تشرف عبدكم في اشراق انوار المرسوم الكريم الواجب التكريم والتعظيم . المشعر فحواه المنيف . ومنطوقه الشريف . مراسم ازدياد رضاكم العالي وتوجيـه الخواطر الاصفيه والمكارم

الخاقيه. على هذا العبد القديم. والرفيق المستديم. بما افاضت به بحور مراحمكم العميمه. ونعمكم الجسيمه. بما تدني الجبارًا على طول الايام . وكفاني افتخارًا بين الانام وهو الخنجر الجوهر الفاخر . المتشرف بملبوس سعادتكم الزاهر. فقد قابلناهم بجزيل الدعوات لباري الارض والسماوات. بان يؤيد دولتكم الزاهره. ويخلد في سما الاقبال اشراق كوكب سعادتكم الباهره . وقد حصل عبدكم من عميم نعمكم مثقل الكاهل . ومتوشح بثوب ايادي لا ينفك الا باي (بايدي) الفاضل . وليس له لسان يقوم بتأديه ما يجب من الحمد والشكر سوى ادامة التضرع والتوسل لله تعالى الملك المنان. ان يديم لنا وجود سعادتكم الشريف . وظل سودد دولتكم المنيف . ما دامت الازمان. ولا يغرب عنا كواكب سطوتكم القاهره ما تعاقب الملوان. ولا زالت سحايب جودكم تفيض بالنعم . ومناهل سماحتكم غارقة كالديم .

والان تجاسرنا بترقيم عريضة الدعا عن يد اخينا عبدكم خليل اغا المكرم لايضاح ما هو واجب على هذا العبد بمواظبته على وظيفة الدعا الخيري للملك الجبار . بدوام دولتكم الزاهره فوق روسنا مدا (مدى) الادهار . وان الله على كل شيء قدير . وبالاجابة جدير . وارجو عدم طردي من دايرة رضاكم .

وفي آخر صفحة ٤٤ علّق الشيخ جهجاه الدحداح على هامشها هذه العبارة وهي بحرفها الواحد :

« اسمع يا فاعور فاذا تعلمت الخط يا فاعور الناس بتعوزك ما انت بتعوز الناس واقله بتقضي مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق . وتعلّم حسابات الفندي ايضًا وعلّم اخوتك ولا تتركهم بلا علم لان الانسان بلا علم حمار ناطق . اياك تهمل معرفة الخط صح »

٣٠

مرسوم حين عزل وترع الامير استيل الشهابي

صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى امرآ. ومشايخ ومقدمين وعقال وساير رعايا جبل الشوف بوجه العموم تحيطون علمًا[1].

١) لم يُذكر في الاصل اسم المصدر الصادر عنهُ هذا المرسوم ، ونرجح انه لاحد باشا الجزار .

انه قبل هذا نصبنا ضابطاً ورابطاً الى مقاطعتكم الامير اسميل شلهوب ظناً به انه يادّي (يؤدي) الخدامه المرضيه اداء تام (اداء تاماً) ويتكرر مجانب الظلم والجور على الرعايا وانه يكون باذلاً لهم الامن والرفاهيه . فمرحين قيامه لدينا في هذا المسير اظهر السلوك بخلافه واقام التعدي والظلم على الرعايا وبدى في خطف الاموال وقطع الارزاق واظهار كلما يغاير رضانا من التعديات الغير مقبولة لدينا . فلما تاكدنا بسلوكه هذا الغير المرضي اقتضى نزعناه . ومن ضبط مقاطعات جبل الشوف رفعناه . وارجعنا افتخــار الامراء المعتبرين ولدنا الاعز الامير يوسف الشهابي زيد مجده الى ما كان عليه ووجهنا حسن انظارنا اليه وطاب خاطرنا من نحوه. فبناء على ذلك اصدرنا لكم بيورلدينا هذا حال وصوله ووقوفكم عليه تكونوا انتم وولدنا الامير يوسف المومى اليه حالــه واحده وتكونوا منقادين اليه في كافة الامور كما كان سابقاً وتعرفوه انه ملتزماً وضابطاً من طرفنا . وقد اذناه ان يحاسب الامير اسميل على كل غرش وصله من مقاطعات جبل الشوف وامرناه لا يخلا سبيله بدون استخلاصه من كادة ما ورد لديه على آخر مصريه اعلموا ذلك واعملوا بموجبه واحذروا من مخالفته واعتمدوه غاية الاعتماد . سنة ١١٩٨ (١٧٨٣ م) .

٣١

جواب الشهابي بعزوف آغا

سعادة الست المصونه والدره المكنونه اطال الله تعالى بقاها .

غب لثم ايادي (ايدي) سعادتكم الكرام خلد الله ايام عزكم على الدوام. قد تشرفنا بورود مــا رقمتموه وفهمنا فحواه الــامي ودعونا لله بطول البقا لسعادتكم ومن فور حلمكم العميم راجين بالافتقاد لعبدتكم هذه ثم تهنونا بايجاد عبدكم ولدنا فتقف السنة الاقلام وتجف افواه المحابر عن شرح بعض ما يتوجب تؤديه (تأديته) لسعادتكم من انواع الادعية والثنا لمكارم جودكم الزاخر . وبحر حلمكم الوافر . ولقد صرنا غريقي امواج مراحمكم ومتوني شمايل فضايلكم فاي شكر نؤديكم . واي فخر نحصيه لمحامــدكم لان سعادتكم عنصر الــثنا . وهي فوق الحمد والثنا فنسأله تعالى ان يمد بايامكم

السنيه لنكون مشمولين بهباتكم الملوكيه ولا برحت اوقات سعادتكم بالتهاني والسرور والاماني والحبور مقرونة بالعز والاقبال ما لاحت الاصباح وتوالت الليال ويجبر سعادتكم وايانا بديومة جناب افندينا ولدكم الامير المحروس وتفرحون منه على حياتكم وترون له الاشبال الانجال ثم لهم الى تكرار الاجيال فانه تعالى على كل شيء قدير وبالاجابة جدير وغاية رجانا عدم ابراحنا من فيض الخاطر العاطر واطال الله تعالى بقائكم الدوام .

٣٢

مكتوب

المرء لا تكثر (تكثرُ) اعداوه الّا وفيه شرفٌ ناهضُ
الم ترى (ترَ) الحلو واضداده المرّ والملح والحامضُ

جناب لبيب حسدت محابره الليالي وكواغده الايام. والفاظه الدراري وراحته الغمام . لا زال الى اوج المعالي يرقى ويصعد. ولا خلاه الدهر من حاسد . فان خير الناس من يُحسد. غب الدعا ببلوغ حواسده غاية الاعمار. حتى يرو (يروا) من سيادته ما يعمل في ظواهرهم وبواطنهم ما لا تعملو (تعملهُ) النار ولا البتار .

ففي ابرك وقت وقفنا على الكتاب المرسول منكم لحضرة ابن خالكم الياس . فحصل لنا كمال الايناس . وبقي معلومنا اضطراب من تلك الاخبار. وان القصد احاطة علمكم لمن اشاعها من الاشرار . فيا ايها العزيز نحن نشير على ذلك على سبيل الاجمال لا التفصيل . ونقول ما قاله الشاعر النبيل :

ولكل شيء آفة من جنسهِ حتى الحديد سطى عليه المبردُ

وهذا الامر كما تحقق عند جنابكم من الحساد . الذين يسمون بالفساد . فاذا كان كذلك فالراي ترك الحسود فانه لا يسود . ويكفيه انه دائماً ينغم بسرورك . ويُعذب بنعيمك وحبورك . كما قيل شعر :

دع الحسود وما يلقاه من حسده يكفيك منه لهيب النار في جسده
ان لمتَ ذا حسدٍ فرّجتَ كربته وان سكتَّ فقد عذبته بيده

وقد جرت سنة الله في ... ان كل ذي نعمة محسود . قال الشاعر :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه   فالكلّ اعداءٌ له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها   ظلماً وبغياً انه لدميمُ

فتلخص من هنا انه لا يُحسد الّا من ساد . واختص بمزايا خلت عنها الحساد . والسيد اذا قدر صفح . واذا سيل (سُئل) منح . واذا حضر يُهاب . واذا غاب يغتاب . فيجب عليه ان يجعل شكر سيادته الصفح عن حاسده الجاني ولا يقصد له مضره . او يرفع امره لله الذي لا يظلم مثقال ذرة . ويحق له عند ذلك ان ينشد قول الشاعر الماهر . مخاطبا لحسوده الفاجر .

ملكنا فكان العفو منا سجيةً   فلما ملكتم سال بالدم ابطحُ
فيكفي الورى هذا التفاوت بيننا   وكل اناء بالذي فيه ينضحُ

هذا وارجو دايماً مواصلتي بالمراسله وبما يقتضي من الاغراض والدعا . ثم ان اهل محلّ الفلانه الذي هم اهاليها لن يزالون يثنون على الجناب بما هو اهله . ويضرعون الى الله تعالى انه لا يزال مجموعاً بالسعاده شمله . والمعتبر عند امثالكم الكرام . لا الطغام اللئام اولاد اللئام . قال الشاعر :

اذا رضيت عني كرام عشيرتي   فلا زال غضباناً عليّ لئامها

٣٣

غيره

جناب من اذا لفظ انفث نجوم الثانيات منظوم عقودها . واذا كتب غارت من نقطه والفاته شاماتها وقدودها . ومن رقت منه الالفاظ . حتى كادت تشربها مسامع الحفاظ . لا برحت بحار فكره للدرر قادفه (قاذفه) ولا نثنت السادة على ابوابه واقفه .

غب اتحاف جنابه بعرف شوق يفوق العنبر . ويزري بالعبير . ناشئ عن صميم فواد جبل على تقته (تقته) وحبه . ولا يزال وان بعد جسمه متمنياً بقربه . ودعا تزول الراسيات ولا يزول . متعلقاً باديال (باذيال) القبول .

فالمعروض وصول متالات (مثالات) جنابكم وارتياح القلب بعذب خطابكم واحاطة العلم بما اسديتموه للخواجا فارس الدهان وزين شبقلو ونادر سيف ' من المعروف . فلا زلتم ملجا لكل مضطر وملهوف . ولا اعدم الله القلوب هذه المجابره . ولا الاسماع لطيف تلك المسامره والمسايره . واللسان عن شكر مزاياكم الحميده في غاية القصر والقصور . لا سيما في شهر رمضان التي بلغت فيه الارواح النحور . والباعت (والباعث) لتحرير الاحرف الوافد بها اليكم . والقادم بها عليكم اوحد ادباء الشام . ومن اصبح في وجنة الدهر وشام . وعلى ظهر الارض سلام جناب الاخ العزيز الحاج عبد العال . لا يزال يحاكي هيئته الهلال ويشبهه بانه طبع عنه اللطافه ... فلا زلتم ...[1] لاهل الادب ولا زالت اللطافه تنسل اليكم من كل حدب . والرجا تشملوه باكسير النظر واننا ... حتى تخرجوا من بحر فكره نفايس الدرر . ودايماً تواصلونا بالمراسله لانها كالمواصله . وبما يسنح من الاغراض . تقضى بلا اعراض . ومن جناب مولانا مفتي افندي وجناب ولده المحترم وسيدي ذردار اغا والحاج حسين وابو حسين يهدونكم غاية الاشواق ...

٣٤

غيره مثاله

الى حضرة جناب من نسخ العز في صفحات القلوب وضاح حبه محققا . فلا غرو ان غدا كف الرجا بمكارم اخلاقه معلقا . وسلسل السعد لزوم ترقيع مجده ففاح عرف ريحان ثنايه (ثنائه) . وانطوى منشور حسوده من حواشي الانتاج بفضاح طول عنايه . ونادى لسان الحال ... دون الافتخار . لا نلحق بهذا الجواد في ميادين... ولا زالت رماح الخط تميل او استيصال (استئصال) حساده . ولا برح يعطر الطروس بغوالي مداده .

غب اتحاف جنابه بتحية ارق من الصبا والذ من زمن الصبا وبت (وبث) رقيق شوق لا يتقطع مع رقته . خالصاً من صميم فؤاد المحب ومهجته . ففي

(١) ان مواضع النقط كلمات غيرها المثل .

برك زمان . واسعد آن . برد المثال العالي المزري باللآلي . المسفر عن قضي الحاجات . التي منها انقاذ ميت الأحيا مصطفى قابلات . فلا اخلى الله تعالى الايام من تلك المكارم . ولا برحت بها كالاعياد والمواسم . هذا وقد صرح منطوق ذلك المثال بان غرض المحب لا يزال بالبال . وهذا عنده من الامر المحقق . وخلافه لا يجول في الفكر وان جال لا يصدّق . غير ان الناس لما راوا اطلاق من ذكر من سجنه . وانتقاله الى سعة السرور من ضيق حزنه . حققوا (تحققوا) ان للمحب عندكم مقاماً لا تطاوله النجوم . فاصبح طير كل رجا عليه يحوم . فمن حام عليه طير رجايه . ولازمه في صباحه ومسايه . محب جنابكم الخواجه فارس الدهان. نبه الله تعالى من جنابكم له عين الاحسان. لعمري ان المذكور بين الرجال غني عن سرح الحال . وحسبه ان ضاقت عليه الابواب دون بابك . وانزوى عنه كل جناب غير جنابك . وقد تبين الصبح لذي عينين. ورجع بعد قصد من قصده بخفي حنين. وعرف انه كان كالمستجير من الرمضاء بالنار . وكانت شكايته لغير جنابك : شكوى الجريح الى العقبان والرّخم — شعر :

ويمسح راس الذيب والذيب آكله .

واعترف انه ليس كل مايع ماء . ولا كل سقف سماء . ولا كل حديد مرهف . ولا كل زهر مضعف . ولا كل احمر نار . ولا كل اصفر عند النقد دينار . ولا غرو وقد يخبو الزناد . ويكبو الجواد . والمضطر يركب الاخطار وهو عالم بركوبها شعر :

والذنب للايام ليس لمن تجور عليه ذنبُ
ان الغريق بحبل الشمس يتعلقُ

شعر :

والرمح يعوج احياناً ويعتدلُ

وقد ايس المذكور فيما عداك من الناس لا سيما حين سمع من امثال العرب المنظومة قولهم : واكثر اسباب النجاح مع اليأس . وعلم ان : في طلعة البدر ما يغنيه عن زحل . وان حلمك لا يضرّه الذنبُ ، كما لا يضرّ الشمس اطباق

الطفل . وكفاه كما تقدم الاضطرار . لا سيما وقد فرجه الاعتذار الذي هو ذية (كذا) الجرايم الكبار . قال الشاعر : الكريم ذية الذنب عندنا الاعتذار . فترجو نحن وحضرة اخينا دزدار اغا ان تحققوا رجاه في عزمكم السامي . وتغرقوا ما اعتذر منه في بحر مكارمكم الطامي . وتداركوه برايكم الحميد قبل ان يستأصله الوصب . فان منفعة القلوب قبل الطب . شعر :

وعلى الكريم لضيفه الجهدُ

ويرحم الله من قال : قد تطرف الكف عين صاحبها ...[1] فهو ادرى في نفسه كيف يسعى . وليس لنا دون قضي غرض المذكور انتهاض قامه . ولا حرمه بين الناس ولا كرامه . لاننا تشاهرنا في بلوغ اربه . ونجاح طلبه . والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا . نسال الله تعالى ان يرد بشفاعتكم نعم الكرام . ولا يجعل لجنابكم غرضاً عند اللئام. وان يجعل اوصاف جنابكم مبدا لكل مدح وختام . وجناب مولانا المكرم وحضرة ولده وحضرة الحاج حسين وجميع الاحباب يهدون مزيد الاشواق ...

٣٥

غيره

جناب الخليل الصديق والشقيق الشفيق . وارث المكارم . نخبة الاكارم . لا زالت المقادير وفق مراده . والافلاك جارية باسعافه واسعاده .

غب اهداء ما يليق بمقامه . بعد تبجيله واحترامه . من تحيات كالنسيم لطفاً . والزهور عرفاً . وبث (وبث) اشواق لا يحصى عددها . ولا يمد مددها . فالذي نبديه ان الجناب ادرى بالحال جملةً وتفصيلا . والذي مثلكم يدرك بالمثال الواحد . ما لا يدركه الغبي بالف شاهد . ولما رأينا جناب اخينا علي اغا وافداً اليكم . ومقبلا عليكم . تحسّن عندنا ان نعرض حالنا على سعادة افندينا وليّ النعم ادام الله بقا بهجته . وحرس مهجته . فحواه طلب ما نعيش به ونتفرغ الى درس في بيروت ينفع العوام . وندعو عقبه ببقا دولته

[1] ان مكان النقط كلمات اهملت فيها الارضة النخر .

على الدوام . فالرجا تنظروا في ذلك فان ذق تعرضوه والا فالنظر لكم . غاية الامر اني انشدكم قول من قال . شعر :

وكنتُ خبأتُ امـالي ليوم فهذا اليوم يومك والسلامُ
وكنتُ اطالبُ الدنيـا بجرّ فانت الجرُّ وانقطع الكلامْ

ودائماً تسرّونا بمراسلاتكم مع كامل ما يبدو من الاغراض ودمتم .

٣٦

غيره

جناب فخر كرام المشايخ . صاحب العز البـاذخ (الباذخ) . والسعد الشامخ . والجاه الراسخ . اطال الله تعالى عمر الكرم بطول بقائه . كما اعلا مراتب الآداب بعلوه وارتقائه . ولا برح بحر جود ومكارم . يغرق في تياره الف حاتم .

غب تغريد هزار شكري على رياض اخلاقه التي تفتحت ازهارها . وعذبت انهارها . وطابت ثمارها . ودعاي بدوام سعده المشرق . وروض مجده المورق . وسحاب كفه المتدفق . ففي ايمن طالع سعيد . وابرك موسم وعيـد . ورد ربيع ذلك الكتاب المنضود . المزري بريحان وورد الخدود . فكان وروده علي كورود الربيع على الادواح العاريه . والرياض الصاديه . حيث نمّ وامطر . وازهر واثمر . واغدق واورق . وابرق واشرق .. حتى تمنت بياضه وسواده اعين الحور . وتطاولت لعقود جواهر بلاغته من العذارى النحور . وصحا به القلب من خمار الدهر . ولا بدع فقد يتداوى شارب الخمر بالخمر . فلله تلك الالفاظ التي حات للناظر فحلت منه سوداء السواد . وعين الله على تلك المعاني التي هي مراد العين وعين المراد . فلقد اتى سحره البديع من المعاني والبيان بما حير الافكار . وابدى لنا سواد نقسه وبياض طرسه عجايب الليل والنهار . وشفّت ازهار معانيه عن جنات بلاغات تجري من تحتها الانهار . كيف لا وقد اعرب عن نشاط ذات هي روح الاحبـاب والخلان . ولا ريب ان بنشاط الروح تنشط الابدان . ونشاطها من اعتدال الزمان .

هذا وقد اعتذرتم عن بطيء الجواب . ببعض الموانع والاسباب . وهل يضر بطؤ الرسول اذا عاد بعد قضا الوطر . او تأخر الفجر اذا لاح شذوه في الجوّ وانتشر . كلا والله بل ان اعجل الارآء اسوأها . وابطاء الدلاء املاؤها . وقد رجعت ولله الحمد ولدى املآء الدلآء . مع اني لم اطل لها الرشاء . فلا برح يخطر باياديكم البيض من رياض الادب ما اسود . ولا فتر نظام بيت عزكم البديع تقفوه قوافي الانسجام والاستخدام . والتصدير ومراعاة النظير . والترقي والتوجيه . ويجانبه الابهام والايهام . والعكس والطرد . فلقد اصبحت في رياض الكرم مطوقاً ببركم ووفركم . ولا بدع اذا بات المطوق صادحاً بمدحكم وحمدكم وشكركم . ونشأ يقول . شعر :

الفتَ من عهد زمان الصبا رقيق طبعٍ فـاق لطف الصبا
جواد حزمٍ ما كبا رأيهُ وسيف عزمٍ حدّه ما نبا
كم صاد أُسد الغـاب تدبيرهُ وجوده مهما ارتأى او حبـا
فاعجب لبازٍ صاد أُسد الشرى والباز لا يصطاد الّا الظبا
لا زال قانونـاً مديحي له لركب عشاق الورى مطربا

هذا وارجو ان تنوبوا عني بعرض دعاي وثناي وخالص ولاي لجناب ثمرة الدوحة الشهابية . وبهجة طراز الحلة المضية . جناب امير الامراء الذي فاق بدور التمام وهو هلال . حماه الله تعالى من الافول والكسوف والمحاق والزوال . وان تلثموا من جنابه ريحانة تلك الراحة التي يجد النديم فيها سلافة وراحة . ويصادف لتعبه منها كل راحه . والتي من املها وامّ لها جددت افراحـه وانشراحه واقتراحه . وانعشت من زوايا الخمول اطراحه (اتراحه) . وارجو ان تخدموا سعادته عني ببنت فكري اسكنتها بعد خدر الالباب . طي هذا الكتاب . لعل ان تهبّ لها من اخلاقه الشريفه نسمة قبول . اذ جهد المقلّ عند امثال جنابه مقبول . شعر :

فقد رأيت العين مع عظمها تقبل ما يأتي من المرودِ

والنمل يُعذر في القدر الذي حمله . وارجو ايضاً ابلاغ اذكى التحيـة . والاشواق الوفية . جناب المحب الذي لا يضاهيه في رياض القرب والمحبة شقيق .

والصديق الذي كان حجة على ابطال صاد الصديق. من ابرم بالوفا حبل حبه بعد الدار ولا طول المده . جناب محبنا المحترم الياس اده. والى جميع من يحويه مقامكم المحترم من الاحباب والاتباع والخدم دمتم .

٣٧

غيره رسالة

ما رشفت الشمس في رياض دمشق من ثغور الازهار ريق الندى . وقبل النسيم شارب النبات الاخضر وضم من الغصون قداً املدا . ورقصت جواري الانهار . لغنآء قياني الاطيار . وتبسم ثغر الاقحوان لبكاء السحاب عن حبب القطر النظير . ودب عذار الظل في صافي خد النهر والغدير . واحرقت مباخر الشقيق ما فيها من العنبر والندّ . ورش النسيم وجه الروض الوسيم بماء الزهر والورد . فشرب ذلك الروض من كل ساقيه جاريه . وجاريه ساقيه . على عيون النرجس وثغور الاقاح . وخدود الورد والشقيق والتفاح . والحان الافنان وافنان الالحان . وجنان الثمار وثمار الجنان. حتى عربد نسيمه وباح بسر العطر شميمه . وصاح شادي حمامه . ورقص زهره في اكمامه. والآن تذكرتُ سوالف ليالٍ كانت لوجوه الايام جمالا. وعلى وجنة الدهر خالا . كيف لا وقد كنت بدرها الكامل . ونسيم لطفها الشامل . فما كان اشبهها بليالي تهامة . لا حرّ ولا قرّ ولا سآمه . شعر :

فما قال ايهٍ بعدهـا لسامرٍ   لسانيَ الّا قال قلبي آها

اعاد الله تعالى عقدها بك منتظماً . وثغرها بك متبسما .

غب بث شوق جلّ عن ان يضبطه المدّ والحدّ . او ينقصه البعد وتقادم العهد . لا يعلمه الا من كابده وذاقه . ولا يقدر البليغ على وصف باب منه وان بذل الطاقه . شعر :

والشوق يعظم ان يحيط بوصفهِ   قلمٌ وان يطوى عليه كتابُ

فالمعروض انه قبل تاريخه رأينا طلوع نجوم السعود . في بروج الوجود مبشرة بعود عقد المكارم الى جيده . ونجم المحاسن الى بيت سعوده . وهذا

الذي كنا نؤمله من مولا (مولى) النعم . وتنكشف عنه الغيوب كما ينكشف رقيق السحاب عن البدر في الظلم . فلله مزيد الحمد حيث هذه السعادة سبلها . وردها لمن كانوا احق بها واهلها . واسأله ان يؤيد تلك النعم ولا يبلي محاسن جديدها . وان يلهم شكرها ليكون الشكر باعثاً على تجديدها ومزيدها . فلقد دنا بها حظي واقترب . وادارت على الافكار ابكار كاسات الطرب . وقدحت زناد الفكر . فاورى زناد الشعر . فانشأتُ اقول . شعر :

ان شوقي اليك ليس ببارح غير اني بسره غير بائحْ
فاذا ارتبت في ودادي فسل م قلبك عمّا تكنُّ مني الجوارح
ايها الباز لا عدمناك من باز م وان كنت جارحاً للجوارح
قد تمكنت من ودادك حتى بات شعري بعلك مدحك فائح
وتقصّدتُ ان اهنيك لكن وجه عذري على الحقيقة واضح
واذا صحت المحبة لم تحتج لكتبٍ ولا لنظم مدائح
فاصغ تسمع روحي دواماً م تهنيك وان كنتُ عن جنابك نازح
بنظامٍ يحكي طباعك في م اللطف ونثرٍ يحكي ثناءك نافح
وتراني مستغرقاً في التهاني وآناني من المسرّة طافح
في رياضٍ بجلقٍ كجنانٍ قد اسالت جود تلك القرائح
تأخذ الطير شدوها عن نشيدي ثمّ تشدو على الغصون صوادح
وارى غصنها اذا مال يحكيك م اذا ما سُئلت بذل المنائح
وبتلك الانهار اذكر جدواك م التي عندها البحار ضحاضح
فانا من يراك في كل معنىً مستطابٍ عليه منك ملامح
كيف انساك في البعاد وجسمي لم يزل في بحار جودك سابح
فتفضّل وامنح برد جوابٍ لكتابي هذا وكن لي مسامح
لا تقل لا ، فان لا كقصٍّ كمدتْ للمنى تقصّ جوانح
دمتَ في العزّ والوجاهة م والسعد مرقىً في دهرنا قدحَ قادح
ما غدا نرجس الرياض بوجنات م شقيق النعمان الطف مانح

هذا وارجو ان تنوبوا عني بنشر ثنائي . واهدا صالح دعائي . وانواع التهاني . بنيل الاماني . الى سعادة نيّري فلك المجد . ومصدري بالصيغ الحمد. الاميرين الكبيرين والقمرين المنيرين . اطال الله تعالى بقاءهما . وزاد ارتقاءهما. وان تهدوهما عني القصيدة التي داخل هذا الكتاب . وان تهدوا اشواقي لسائر الاصحاب والاحباب . واطال الله تعالى بقاكم على الدوام . ومسك الاشواق ختام .

٣٨
رسالة لاحد الاخوان كما يتضح البرهان

اهدي الى حضرته العليه تحف التحيه . ورفع الادعيه المرضيه . وانهي اليه شكاية بكاية الشوق واستطالة سلطانه. ومد مدة البين ومطاولة زمانه .

انه في اشهى اوان . وابهى زمان . وصلت عزيز رسالتكم . وحمدته تعالى بصحة سلامتكم . ومن جهة الاحوال . نخبركم ان الحال في خير والمآل يعلمه الله تعالى . وبالجمله سهم المصيبه ان رشقه الدهر فعلى مثي يقع . والتألم بهذا الحال عنه علا وارتفع . شعر :

ولم أرَ مثل الصبر اماً مذاقهُ . فمرٌّ واماً وجهه فجميلُ

ولذلك اقتنعت من الوعد بالمطل . وسرحت المنى بين عسى ولعل . لانه قيل اذا دار الفلك عليك اوفى لك . ومما استجليت من كتابك الخطير . واستجنيت من روض خطابك النضير . استدعاء شيء من ايضاح الحال . وعما نحن فيه من حسن المجال. فاقسم انني قد صممتُ على التغافل عن رد الجواب . وهو الاولى بالصواب . ولكن عدم الامتثال محذور . سيما حال المحب غير مقدور. لزم نشرح لجنابكم بالتصريح . من دون تلميح وهو انني مذ كنتُ في اعظم الخطوب والمصايب. وكبدي واحشائي باظى النوايب ذوايب. والزمان ربيع . وروض الشباب مريع . انفق نقد العمر في اقتناص الشوارد . وارشف من ثغر المحال خلاف المراعد . وقد تهادتني انواع التالف . حتى قذفتني في وهدات المخاوف . وصرت كأنني قذاة في اجفان الدهر . او ساقية في اغم نهر . او كرة لاعب . او سهم محارب . فخرجت من طي الوطن والمهاد .

ابتغي دير الاحبار . والمناص من قوم فجور . دأبهم الاذيـه والاضرار شعر :

وطني حيث حطت العيس رحلي   وذراعي الوساد وهو مهادي

فكان سيري بين ابراق وارعاد . والزمان يضمر سلب ما اولاه بخلًا ان اجاد . والسنة ابنائه عن الاجابة بكم . واذانهم عن سماع الاستغاثة صم . وقد خلا من المكارم مغناها . واصبح لا يجاوب اليوم الّا صداها . التقى من الزمان فرط اهواله . ودروس رسوم السرور في اطلاله . اتعلل بان السيف لا يقطع في قرابه . والمرء لا ينال المنى الّا بذهابه وايابـه . اضاحك مباسم الاماني . واغازل عيون الآمال والتهاني . في اويقات اثقل من السؤال. واقصر من النوال . واطول من عمر الآمال . وقد حثثت ركب الاظعان . ووجهت وجه عزمي نحو كعبة الجود وسعد الزمان . ورصدتُ بالاحداق حدايق تلك الديار والمنازل . وقطعتُ مهامه الاطلال بالسير والمراحل . ولم ابرح من جد الطلب بالنهار والليل . حتى قدمت على مدينة جبيل . وقلت هنـا نسكب العبرات . لنطفيء نار الحسرات . وحينئذ نزلت في دار هي للانام مقصوده . وبالسعد والاقبال منجوده . وانخت ناقتي في فسيح منادها . وقد ربط حبل الامل في حلقة ملاذها . وسألت اهلها عن نور غرتهم . وقايد جيش اسرتهم . الذي لم يزل سمح السجيه . بسّام الثنيّه . انسان عين الاقاليم . وفريدة عقد المجد النظيم . له سجايا تكلّ عن وصفهـا السنة اليراع . ويقصر عن مناولة بعض اوصافها كل باع . مع حسن مزايا تتزاحم لها وفود الابصار . وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه الابحار . اذا نُشرت صحايف نداه طُوي ذكر حاتم طي . او رُفعت رايات عـلاه فليس غير السؤدد في . اجابوني بحلاوة الانس واللسان . قايلين ان كبيرنا المشار اليه لم يزل في اديرة كسروان . واما اذا كنت تبغي ولده . فهذا المطلوب تجده . واذا هو طالع من المقام . كانّه البدر من تحت الغمام . وحيّاني بكلام يزري بالدرر . وجمل معـاني هي في مناد الكرام غرر . وانعطف نحوي في ادب ارقّ من دمع السحاب. واصفى من ماء الحسن في رياض الشباب .

ورأيته رحيب ساحة الصدور . خلقه الله في هذا الزمان غندور[1] في سما. مجده. مطلعه لكواكب سعده . تتقطع عند كرمه الآمال وتعجز الاماني . ويقصر سلك الالفاظ عن نظم ما فيه من درر المعاني . وتقبل افواه المحابر والسنة الاقلام لمى مداده . ويهيم سويداء كل لبيب في سواده. وبالحال ادخلني الى فسيح الناد . وارضعني ريا الوفا من ثدي . . . وترتيب لوازم السهاد . بمكارم اخلاق . تبارك الخلاق .

وما زال يحادثني بالاقاويل الفاخره . على ابهى كمال واشهى مسامره. الى ان ظهرت غزاله والده المدان من ربى كسروان وحصل السرور بقدومه . واشرقت في سماء الانس نجومه . وتبسمت له ثغور التوفيق . وتواكفت اليه الرجال بالاشغال من كل فجّ عميق . وهو كالطبيب الماهر يعرف الداء ويعطي الدواء بتناقب رايات نهى عند اولو (اولي) الحزم سواء . منزهة عن دواخل الغرض والهوى . وما زلت اترصد غرايب هـذه الاعمال ، حتى كاد يعتريني الانذهال . كيف لا وهو زين زمانه . وعين اعيانه . لم يعقد جودة رأيه الا بيد الحزم.ولم يحلّ ما عقده الدهر الّا براحة العزم.فلا يأكل الطيش حكمه . ولا تحلّ يد النوايب حزمه . ولم تحتوي على نظيره بطون البلاد . ولا تحمل كتحف اخباره الركبان من كل حاضر وباد.جوّاد لا يهب اذ يهب . والذهب عنده كاسمه ذهب .

وانا يومئذٍ لم ابرح من المقام العامر . بفيض مكارم يعجز عن وصفها كل ناظم وسامر . وقد رجحتُ اكسير النظر والاعتبار.وافضال فضايل ارخصت بنوالها بضايع الاقطار.وظفرتُ ولله الحمد بين الورى . واكتسبتُ فيما انفقتُ راس مال العمر انفس مشترى . وقلتُ نور على نور . وتجاره لن تبور . وها انا في اتم الصحه ، واعم المنحه . وقد رمقت عيني ناظر السعد . وابتسمت لي مباسم المعالي والمجد .وانتبه طرف سعدي من غفلة الخمول .وتيقظ فقال الدهر

---

١) يريد به صاحب هذه الرسالة ، غندور الخوري ابن الشيخ سعد الخوري الذي كان متنبّياً عن جبيل في جهات ادبار كسروان ، على ما مرّ بك وهو كاخية الامير يوسف شهاب .

انظر الى البحث في قصة شرحها يطول . وقد قصدتُ ايضاح الامر . حوفاً من اشتباه زيد وعمر . والمرجو وصل حَبل الاعلام . وفصل عـدل الشام . وطال بقاكم على الدوام سنة ١٢٣٨ (١٨٢٢ م)[1] .

---

١) رأيت كيف ان كاتب هذه الرسالة قد التقى بالشيخ سعد الخوري بعد رجوعه من جهات اديار كسروان الى بيته في جبيل ، وقرأت ماذا كتب عنه وقد وصفه بما هو اهله ، بانه كان زين زمانه وعين اعيانه ، وبان بطرن البلاد لم تحمل نظيره ، لا يأكل الطيش حكمه ، ولا تحلّ يد النوائب حزمه ، وانه كالطبيب الماهر يعطي لكل داء دواء ، كريم سماح يبذل عن سخاء وكان الذهب عنده كاسمه ذهب . . . وكانت الناس تتألب عليه لحسن ثقتهم فيه ولانه كان رجل حزم وعزم – والمورد العذب كثير الزحام – وهذه النعوت الصافية المنطبقة على اخلاق ومزايا سعد الخوري كل الانطباق ، هي قليلة في جنب ما له من الفراسة والحكمة والشرف والنبل ، وما له من الايادي البيضاء والمآثر الغراء على ابناء بلاده لذلك احبّه جميع الناس لانه كان يخدمهم ويهمّ لراحتهم وخدمة مصالحهم على اختلاف ادیانهم ومشاربهم ، وكانت الطوائف الشرقية بنظره سواء ، فاحتلّ هذا الرجل الشهم العالي الهمم اسمى مقام في قلوب ابنائها لرجاحة عقله ونزاهة نفسه . وهاك ما كتبه عنه الخوري حنانيا المنيّر الزوقي الراهب الشويري الباسيلي في تاريخه بعد ان اطلق سراحه من الاسر في الشام احمد باشا الجزّار ورجع الى البلاد ، ما هو بالحرف الواحد :

« وعند طلوع الشيخ بو فارس سعد الخوري من الشام ووصوله للبلاد صارت افراح عظيمة وعراضات (اطلاق البارود) لان المذكور كان ساعياً في خير البلاد . وكان له عقل ثاقب وتدبير نيّر . وكان سعد الامير يوسف شهاب بوجه سعد الخوري كاخيته ومدبّر احواله . والمذكور سعد الخوري لم يكن له مبغض لانه يرى الجميع كبيراً وصغيراً دروزاً ونصارى (متساوين عنده في الحقوق والواجبات يعني انه كان يقضي مصالحهم جميعاً بدون تمييز) . وكان له نفس رضية واخلاق مرضية ونظر واسع وصيت شايع للبعد الشاسع » . (كتابنا تاريخ احمد باشا الجزّار المطبوع في بيروت سنة ١٩٥٥ صفحة ٤٠٤) .

وقد اراد المرحوم الاب مرتينوس طربيه ان يكرّم الشيخ سعد الخوري المحسن الى الرهبانية اللبنانية، فاوعز الى الخوري الياس الحايك مدير الدروس في مدرسة عينطورا الزاهرة ان ينظم تاريخاً لضريح الشيخ سعد المتوفى في جبيل في ٥ اذار سنة ١٧٨٦ ، فنظم تاريخاً بديعاً كتبه على بلاطة كبيرة من الرخام نسيب مكارم الخطاط المشهور، وفي يوم احد اقام قدس الآباتي اغناطيوس داغر التنوري رئيس الرهبانية اللبنانية العام وقتئذٍ في كاندرائية مار يوحنا مرقس في جبيل ، دعا لحضوره فخامة حبيب باشا السعد وابناء اخيه وكلهم من حفدة الشيخ،

في آخر صفحة ٨٠ من هذه المخطوطة علق الشيخ جهجاه الدحداح هذه العبارة وهي بحرفها :

« وان خدمت الحكّام يا فاعور دايمًا كن مستحضر وملمم اطرافك من حاكم الوعرد ومن زلمو لئلا ترزح بالحاموله لان عثرة الحكّام رديئة جدًا » .

— ٣٩ —

مكتوب من احمد باشا الجزّار

جناب شيخ مشايخ الطريقه . معدن السلوك والحقيقــه . قطب دايرة المحققين . صفوة صدور المقربين. وارث (وارث) مقامات الاقطاب المطهرين . سلطان العارفين . مفتاح الحقايق . مصباح الرموز والدقايق. صاحب الكشف والتدقيق. والمرشد سالوكه الى اقوم طريق. الفاضل الامجد . والوديع الاوحد . شيخنا واستاذنا ووالدنا الشيخ احمد . اوضح الله تعالى بصفاء خواطره الخطيرة غوامض الحقايق. واعان عوارفه ومعارفه في المغارب والمشارق . واناك المقتدين

وعقب القداس جناز حافل بنحو مئة راهب لراحة نفس الشيخ سعد حتى غصّت الكاتدرائية على رحبها بابناء مدينة جبيل ، وشاهدوا جميعًا بلاطة الضريـح نازلة في محلّها . وهذا هو التاريخ :

هنا يرقد بالرب

الشيخ سعد الخوري

المولود في رشميا سنة ١٧٢٢ والمتوفى في جبيل في ١٥ شباط سنة ١٧٨٦

قضى ابو فارس سعدٌ وعاش لهُ ذكرٌ يظلُّ لعين الدهر انسانا
خطُّ الخلودُ لــهُ آثارهُ كتبت وقام فيها انا التاريخ صوّانا
سعدُ الامير شهاب العصر ثمّ بــه وعهدُ يوسفَ من تدبـيره ازدانا
بكت طوائفُ لبنانٍ اخا همم كانت تراهُ على الايام معوانا
بكى الموارنةُ الشهم الذي نشروا تاريخهم منهُ بالاحسان ملآنا
جبيلُ متحفُ آثار العصور لهـا من رسم تحفةٌ جلّت به شانا
هذا الضريحُ رجاة البعث ظللـهُ وفيه يرقدُ قلبٌ فاض ايمانا
عليه آيةُ تاريخٍ يرون بهـا كيف انطوت صفحةٌ من سعد لبنانا

سنة ١٧٨٦

به العقل والدرايه . وتهيا به اسباب الرشد والهدايه. ونور سرّه بانوار اليقين . ورفع في ملائه المقربين . ولا زال الزهد شعاره . والورع وقاره . والذكر انيسه . والفكر جليسه . حتى تظهر له خفايا الاسرار . وتبدو له مكتومات الحقايق من وراء الاستار . وفتح الله له طريقاً اليه يسفر عن كل محجوب . وكشف ببصاير بصيرته مخبيات الوجود من الغيوب . واستعبد له احرار اسرار القلوب . ولا زالت اطيار الارايك بمحاسن شيمه هاتفه . واخبار الملئكة بعمود مقام اقامته المبارك طايفه . وآيات فضايله بالسنة الاقلام متلوّه. وعرايس ابكار الافكار بيد معانيه مجتوه امين .

وبعد اذ كنا نترقب نوادر مسرات اخباركم . ونهيم الى تنسم عرف بركات آثاركم . واذ قد وفد الينا نميقة حضرتكم . فاستسرقنا منها صفو مودتكم وجزيل بركتكم . سيما الهديه السنيه والتحفه التي تفخر عن كل مفخر . وهم السنجاغ الافخر . والشاش الاخضر . فاستمدينا منها بركة سيدنا حضرة السيد قدّس الله تعالى اسراره . واجزل علينا بركاته واشرق علينا شموس انواره .

والآن واصل لاجل خدام مقامه الطاهر . ومجاورين ترب مرقده الفاخر . ستة غراير حنطه المامول بمد وصولهم . بان يكون بعين الايناس قبولهم. هذا وقد كان الى حضرة سيدنا سابقاً قيراطاً في سفينتنا الملقبة بالمنصوره والى حضرته الان قيراط آخر ايضاً فيكون لحضرته بها قيراطان . وموصل كتاب محبتنا الشيخ حسن اكرمناه في غرارة حنطه عدا عن الستة غراير الواصله الى خدام حضرة السيد رضي الله عنه . هذا ولا تنسونا من الدعوات في مقامه الشريف. وعند ضريحه المنيف. ولا تمنعوا عن جانبنا اخباركم مما يلزم والسلام

٢٤ ذا (القعدة) سنة ١٩٨ (١٧٨٣ م)

خالص الفؤاد

الحاج

احمد باشا الجزار

٤٠

رسالة لاحد الاحباب

اذا رمتُ عنكم سلوةً قال شافعٌ من الود ميعاد السلوّ المقابرُ
ستبقى لكم في مضمر القلب والحشا سريرة ودٍ يوم تبلى السرائرُ

غب سلام ينادي ريح الصبا ويراوح . ويصالح زهر الربى ويصافح . وتتعانق اغصان الاشواق ببديع براعته . وتتراسل اجفان الحمايم ... وتنساب جداول المحبه في رياض اسراره ... كمايم ازهاره . وتترنم ... الطيور . ويبشروا بعرف الطاف ... والحبور ... من استوعب الله تعالى له عمرًا يطاول الابد . ومنناً تستغرق المدد . وزيادة سعد تمتاز بها الشمس وقت الصحو . ورفاهية عيش يلزمه الهنا والصفو . كيف لا وهو البحر الزاخر . والسحاب الماطر . الاجل الاسعد . الارشد الامجد الاكرم . فلان صان الله حضرته العليه وحماها . وحرسها وتولاها وحمى حماها . امين

وبعد ان سألتم عنا فانا من فضل الله وكرمه بخير وعافيه . ونعم منه تعالى وافيه . نسأل الله ان تكونوا كذلك . بل احسن واجمل من ذلك . بجرمة سيدنا مالك . ثم نرجوكم بان تشملوا ناقلها بانظاركم كما هو المامول . لانه رجل اهلًا للاكرام ومن اولاد الرسول . ونحن لكم دعاتيه . في حضرة قطب البريه . فالمرجو ان يرجع المذكور مادح شاكر . ولافعالكم الجميله ذاكر . ونخبركم انه لما جاء القنديل علقناه عند راس سيدنا وقدوتنا ووسيلتنا القطب الرباني . والهيكل الصمداني . صاحب الاشارات والمعاني . سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني . نسأل الله ان يكون مقبول بجاه الرسول . ولا تخرجونا من الخاطر . العاطر النيّر الزاهر . ولا زلتم محفوظين . وبعين عناية الله ملحوظين . بجرمة سيد المرسلين . ومنا السلام التام . بمزيد المودة والاكرام . الى جناب فرع الشجرة الذكية . وطراز العصابة الفاطمية فلان آغا[1] .

---

[1] ان مواضع النقط في هذه الرسالة وفي الرسالة التي تأتي بعدها ، كلمات اكلت الارضة فيها النخر .

٤١

ان احسن ما صاغته يد الصناع من الصناعة . وجرت به اسبق براعة في حلبة البراعة. تحية تبتهج رياض القلوب في كمايم زهرها . وتزدهي سماء النفوس بطالع زُهرها . وابدع بديع ربيع محامد جادت به غيوث الافكار . لا غيوث الامطار . يتبوّأ من شرف غرف الحمد والفخار . جنّات تحيات تجري من تحتها الانهار . لجناب بحر الفضايل المديد الكامل الذي تموّج في الافاضل . بكرام السجايا ولطف الشمايل . وما زال يقذف لؤلؤه وعنبره في هذا الساحل . غيث الجود الذي سحت انوآء منحه . وروض المجد الذي تغنى هزار برّه على مدحه .

غب دعاءي بخلود عزّه وطول بقايه . وتطييي الكون بنشر ما انطوى عليه القلب من ثنائه وولائه . مستقياً سلسال زلال اجلال خطابه . لورودي ماء معين آدابه . ابدي لدى كعبة الفضل الذي يغوث ولا يموق نايله من المعروف الذي وصل النهام فقطع على المحل السابله. ان الباعث المقتضي لتحرير الوكة هذه العجاله . الذي اصبح كل فقير مثلي على اسوأ حاله. كيف لا وهي نار فتنة ترمي بشررٍ كالقطر . وجحيم محنةٍ تتلظى بها مهج الصغار.. -بالحصر. ثم لما بلغني تمثل جناب اكبر من ... ناديكم .. وهو من الاماجد الكرام فلان اغا ... اقتضى ان احرر لجنابكم ما يجب وما يعرض من حقيقة الحال الخاليه من شوايب الغرض . وتالله اني لبريء من الحظ النفساني من الجانبين . وبعيدٌ من الغرض الحوالي من كلٍ من الفئتين . وانني رجل غريب مسكين انزويت في زاوية البيت . استضيء بما يفتحه الله من بركات رزقه من الزيت. اترقب ما يمنه (يبعثه) الله من كرم برّه . معرضاً عن زيد الزمان وعمره . وبينما انا على هذه الحاله اذ كُلفتُ ان اسعى بالاصلاح بين السيد مصطفى بربر وجناب الاغا . وتوجهتُ الى ربي بحصول ذلك والّا فدايرة السوء يجعلها على من بغى . وسرتُ من الاسكله الى البلد . وواجهتُ من بكمالاته يُشهد. فوجدته اوفى من السموءل واصفى من اللجين واطيب خلقاً من عرف المندل وذكرتُ له خوف ربه تعالى في ميعاده . ووجوب الرأفة على عيال الله وعباده.

من اطفأ نيران هذه المفسده التي تطلع على الافئده بكلام يطول ذكره . من كلام الله ورسوله. فاجاب بالسمع والطاعه اجلالاً لقبوله وسلم قياد نفسه اليه . واقبل على الصلح بقالبه وقلبه . وكتب لجناب الاغا كتابتين الى الاسكله . وجملة الحالة المطلوبه الى الاثنين مفصلة من اعطاء العهود والمواثيق (والمواثيق). الذي يهتديان العمل بها الى سوآء الطريق . وتم الامر على ان يجمعنا في اليوم الثاني من هذه المكاتبه على تل الرمل في الساعــة الثالثة والله يعلم الطويه الصادقة من الناكثه (الناكثة) وتكفلني نفسه السيد مصطفى (بربر) من الغدر . فتكفلت بانشراح الصدر . واستبشرت الفقرآء بهذا الاصلاح ودعيت لها بالصلاح . فلما اسفر ضوء الصباح ولاح عمود الاصطباح . واذا الخبر من الاسكله ان الاغا خرج منها وتركها على غروش فراقه معطله فاخذني العجب واعترتني الصدعه . وبادرت عجلاً الى القلعه . فناولني السيد مصطفى ورقــه صغيره بعلم ذلك وكل ذلك فساد المفسدين بين الفريقين والا فالصفآء قد تم بين الاثنين . والله لو رأيتُ من السيد مصطفى ادنى اشاره من الغدر . مــا كنت بل ما باشرت هذا الامر . فهذا حقيقة ما وقفتُ عليه واعرضناه للجناب بين يديه وهو عن جلية الحالة مفصح . والله يعلم المفسد من المصلح . وكتابتي هذه باطلاع اهل البلد بل بطلب من بعض خواصها الاجلاء . والله ليس فيــها شائبة غرض ولا علة. ولكن سيدي ما انطوت عليه الذات من مكارم الشيم وحسن الصفات . وما اشتهر في الآفاق من مكارم الاخلاق. يقتضي المعروف الحسن والفعل الجميل والعمل الصالح في السعي بين الفريقين بالصالح . رحمة بالفقراء. فقد ضاق الكل ذرعا. لدى الجهات وهي اكبر وصيه توجب حفظه الماهيه . وترقيه الى الرتب العليه . وهي ان يجعل الامر .. وجل قصده ان ينظر في حال الرعيه بكلما لهم اليه صلاح وعاقبه .. لتغنموا من ادعيتهم خير تقليد بعقد الدعا النضيد . وفي ذلك النية تلحظوا من العنايه بالانظار الالهيه . والحاذق (والحاذق) من ينظر مراد ربه . ويعرض عن مراده اذ الخلق عيال الله واحبّ الخلق اليه انفعهم لعباده . وفي المذاق الذكي مــا يغني عن زيادة الايضاح والتبيّن . وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين . والله وليّ التوفيق . الهادي الى احسن طريق .

في آخر صفحة ٩٢ من هذه المخطوطة كتب الشيخ جهجاه الدحداح ما يلي بحرفه موجهاً الكلام الى ولده خطّار :

«افهم يا خطار كيف يشبّهون (الحكّام) الخدّم (الخادم) اي الى الكلب يشبّهوه».

ثمّ يوجه الكلام الى فاعور ابن شقيقه :

« اياك وخدمة الحكّام يا فاعور . اخدم قونانك يرضى الله » .

وفي آخر صفحة ٩٩ :

« هذه السفينه الى فاعور الدحداح ما لاحد بها تعلُّق اصلاً صح صح صح » .

٤٢

رسالة مرسلة من بعض اصحاب الاشغال الى احد الكتبة

الدمع هامٍ والفؤاد مروّعُ والقلب دامٍ والحشا يتوجّعُ
واذا ابيتُ يبيت بي جمر الغضا والطرف من خوف المدى لا يهجعُ
نشبت اظافير الندى فينا وقد اضحت بها اكبادنا تتقطعُ
واذا نخونا الدهر يقضي بيننا فبغير ظلمٍ دهرنا لا يشرعُ
ناجيتُ فكري هل لنا من منقذٍ من هذه البلوى به نتدرّعُ
فاجاب لذ بالياس[1] يوليك المنى وهو الذي عنك المضرّة يدفعُ
نجل الاولى فاقوا الانام مكانةً من دونها تلك النجوم الطلّعُ
اني انختُ مطيتي بذراكمُ فعسى بكم نيل المنى والمطمعُ
ولقد نثرتُ مدامعي فكأنني من ادمعي اثني القريض واسجعُ
فامنن عليّ بنظرةٍ فلعلّ ما يُشفى بك القلبُ الكليمُ الموجعُ
وادرك أبا ناصيف من ليس يرى من دونكم ممن يغيثُ ويفزعُ

اهدي في ذيول المحبة ، وربابطات المودة ، تسليمات يفوح شذاها مع النسيم ، وتحيات يسمو طباعها كوثرًا وتسنيم ، الى قرة العين ، وضيا الفرقدين ، مناط

[1] نظنه الياس اده احد كتبة ديوان الامير بشير شهاب الكبير . ويظهر من هذه الرسالة ان صاحبها كان في السجن كما سترى .

الكمال ، ومنتهى الآمال ، تاج الاكارم والاماجد ، وخلاصة المكارم والمحامد ، قسّ زمانه وسحبان اوانه ، وحيد عصره ، ويوسف مصره ، من فاق بانشائه ابناء الادب ، وانسى ذكر ابن مقـلة اذا كتب ، فتى ان اوجز اعجز . او اسهب أطنب واعجب ، او املأ اجلا او كتب غلب ، لا زال في ميدان الادب حائزاً قصب السبق . ما رتق فتق . او تدفق ودق .

المبدي لجنابكم المنيف . ان احوال الداعي غنيّة عن التعريف مذ اولاه دهره جناس التحريف والتصحيف . حتى اصبح لابناء الزمان مثلا . ولحوادث الايام منهلا . وقـد لبس شعار النساك . ولازم في حبسه الامساك . واوجع الجسد بأتم العذاب . حتى انه نسج لرأسه عصابة من الكعاب . هذا وان رنة قيودنا تحاكي زنّات الحجول . واذا مشى احدنا كأنـه يتثنى دلالاً من شرب الشمول. بيد ان ذلك عندي اهون من اضطراب افكاري . وتومري في ليلي ونهاري . لبني موطني وبلدي . ووالدي وولدي مع ضيقة سعة يدي . وعدم ادراك مقصدي . ولا ارى لدائي دواء . ولسقمي شفـاء . الاك يا من يولي سائليه نيل المقاصد . فتثني والسانها له شاكر وحامد . فلذا زجيتُ مطايا الرجا ، الى ذي الكمال والحجى . ومددتُ يد سؤال الى رب الآمال . شعر :

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ

فاذا تحقق حالي لديك . اعلم اني قد عولتُ بعد الله عليك . فلا زلت ملاذاً ومقصداً . وغوثاً ومنجداً . ثم لا تواخذني بهذا المنتظم . فانني لم ادر ما يرقمه القلم . وارسل الجواب عسى يزول عني هذا الانكراب .

٤٣

صورة تحرير مرسل من علما مصر القاهره الى محمد باشا العظم زاده امير الحاج الشامي يتضمن الرجا في الذميون الكاثوليكيون بالشام

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لمستحقه . والصلاة والسلام على اشرف خلقه . اللهمّ انا غدّ اليك اكفّ السؤال ، ونوجه وجوه الاماني والامال وندعوك بالسنة الضراعـه

والابتهال . وافئده خالصه خاشعه للكبير المتعال . ونرجوك رجا اللائذ اللاجي . ونلجا اليك التجا العايذ الراجي ان تديم العز والاقبال . والمجد والاجلال . والسعادة الابدية . والسيادة السرمدية لحضرة من رفعت على هام الثريا منصوب اعلامه . وخفضت المتدين بجازم اوامره واحكامه . وكسرت شوكة اهل البغي بتواضي عزمه . وضمّت شمل الفضايل بصوارم حزمه . وجعلته مصدرًا لافعال الاكارم . ومحلًا لتسكين الفتن والمآثم . وقطعت بعدله اهل الزيغ والفساد . وفجعت بعزه سطوة الضلال والعناد . وابقيت على منابر العز مجد دولته . ورقت على طروس الافادة مدّ صولته . وجمعت له الفضايل الجمع الصحيح ... عليه بالكتابة والتصريح . وشيدت به اركان الشريعة الشريفة . وايدت به جيوش الملّة الحنيفة . من نطقت بمحامد مجده السنة الاقلام . وفاهت بمدايح حمده افواه الاعلام . بيت الوزارة المشيد . وعَلَم الصداره المنصور المؤيّد . نظام الدهر والزمان . وانتظام العصر والاوان . عين اعيان الوزراء العظام . وقدوة الصدور الفخام . المختار لحماية حجّاج البيت الشريف . وصيانة زوّار القبر المنيف . محافظ الاقطار الشاميّة الساميه . وملاحظ المعاهد الاسلاميه الناميه . الشفيق على الرعية بقلبه ولسانه . فاضحت تلك الديار بعدله معموره . واصبحت الرعية باحسانه مغموره . حضرة المولى الوزير المعظم . والسيد الصدر المفخم . لا زالت دولته تقضي مأرب الملهوف . وتفيض الاحسان والمعروف . ولا برحت صولته امانًا للخايف الراجف . وملاذًا للطايف العاكف . وادام الله عز الايام بعزيز بقائه . وعلو مجده وارتقائه . واقام جمال الانام برفعة قدره . واشراق كوكب بدره . وأعلى على اسنّة الثناء رايات عدله . وأعلن في محاريب الشكر ايات فضله . ايّده مولاه ببلوغ المراد . وحفّه بالالطاف والاسعاد . آمين

اما بعد بسط اكفّ الرجا . ورفع ايدي القصد والالتجا . والتضرع لرب البريه والارباب . ببذل ادعية ليس لها ان شاء الله عن ابواب الاجابة حجاب . فما يُعرض على حضرتكم العليه . وينهى الى خلاقكم البهيه . ان مما شاع وذاع . وملأ تجويفات الاسماع . وسار في جميع الاقطار وصار كالمثل السائر في الامصار . اخبار عدلكم الذي عمّ الارجاء سرورا . وملأ الاعين نورا . وشمل كل قاص وداني . واطلق كل يسير وعاني . وانام الرعية في ظلال

اغصانه . وقام الخلايق في رياض افنانه . فضجت الالسن لحضرتكم بالدعا . وبالغت عليها في الثنا . فأسرنا والله سماع تلك الاوصاف . وأفرحنا ما انتم عليه من العدل والانصاف . واتحفناكم بتحف الادعيــة المستجابه في الاوقات المستطابه . ان الله يشرح صدور الانام . ويديم بهجة الايام ببقا دولتكم .

وقد حضر لنا (عندنا) طايفة الذميين وجماعة النصارى الشوام الكاثوليكيين والقاطنين بمصر القاهره . والساكنين برحابها العامره وافهمونا انكم انقذتم مهجهم من المظالم . وارحتم نفوسهم من الاحداث والمآثم . فاستراحوا مما كان حاصلاً لهم في سابق الازمنة . في تلك البقاع والامكنة . وبالغوا لكم في الدعا بطول البقا . وزيادة العلوم والارتقا . ثم اخبرونا في العام الماضي . والحول المتقاضي وانتم غايبون عن الشام . لاداء حج بيت الله الحرام . حصل لجماعتهم القاطنين في دمشق المحروسة . النازلين رحابها المانوسة . تعرض من بطرك الروم . الذي هو عندهم معلوم . هو انــه مات عندهم رجل نصراني . وفاضت روح شخصه الجسماني . . . وصمم على عدم اذنه حتى اخذ من .. غرامه كثيره ... بالاذية والضرر . وايقاع التهديد قد ظهر من الدولة العلية والحضرة العاليــة المحمية . وكل ذلك من غير اذنكم الشريف وامركم المنيف . فانكم قد ابطلتم المظالم والمحادث . وازلتم كل امر حادث . وقد رأينا افعال هذا البطرك خارجه عن وجه الشرع . مخالفه للاصل والفرع . ولا يحسن وقوعها في بلاد اسلام . ولا اجراؤها في شريعة سيد الانام . سيا في محل احكامكم ودولة ايامكم .

وقد طلب منا جماعــة الذميين النصارى المذكورين . ان نؤكد عليكم بالوصية التامه . في امورهم الخاصه والعامه . فالقصد من مكارمكم المألوفه . ومراحمكم المعروفة . التوصيه بالنصارى المذكورين وطايفة الذميين . القا نظركم الشريف عليهم وتوجه الخاطر اليهم . ومنع البطرك من تعرضه لهم بالاذية . والاستطاله عليهم بامور غير مرضيه . فقد تشفعوا بنا اليكم . وجعلنا المعول في كامل الامور عليكم . واعترفوا بانه لم يكن لهم ملجا ولا نصير . ولا معين ولا ظهير . سوى جنابكم الكريم . ومقامكم العظيم . فالمرجو شمولهم بالانظار . ودفع من يتعرض لهم بالاذية والاضرار . ليكونوا بذلك آمنين . وبنظركم مطمأنين . فانهم من جملة رعايا مولانا السلطان . الداخلين في ذمة العهد

والامان . وتحرزوا بسبب ذلك التراب الجزيل . من المولى الجليل . وتفوزوا منا ومن الرعيه . بالادعية الصالحه السنيه . ابد الله لكم مكارم السياده . وايدكم بالحسنى وزياده . حفظكم المولى بالطاقه . واعانكم باسعافه[1] .

٤٤

الجواب من سعادة الوزير المشار اليه الى علماء مصر

ان احسن ما توشح به مفرق الطرس . واجمل ما تعلق به القلم وجرى به النقس . وابهج ما تأرجت بعبيره صفحات الرسايل . وانضر ما صدحت به ورقاء البراعة على افنان تلك الخمايل . تحيات عبهرية النفحات عبرية الرشحات مسكية الشميم . مزاجها من نسيم . اما ائتلافها يتوح (كذا) في نهارها . واما ابتهاجها فالعقود على النحور والارواح بنوارها . واما لطفها فللنسيم من نفحته الارج العاطر . واما اخلاصها فهو ممتزج بما خبأته ضماير المحبة واظهرته من المودة سوانح الخواطر وتسليمات اتسقت اتساق اللآلئ باهية النضارة . وازدهت مشرقة باشمة الصدق زاهية النضارة . تتحف بها العلمآ الذين دفق ماء فضايلهم اوفر السيلان . واينعت رياض فواضلهم وارفة الافياء والافنان . وراقت موارد عوارفهم . وطابت موائد معارفهم . وتألق نورهم على الطلاب والورّاد . فاهتدوا بذاك الهدى والارشاد . وازالوا بمصباح افهامهم غين المشكلات الدينيه وصححوا علل المعضلات بثواقب ارآءهم البهيه . المتخذين من التقوى سابغ الدثار . والراجح قدر تعاليمهم بميزان الاعتبار . شموس العلوم التي عم نفعها . وشيوخ مصر التي بهم اخصب ربعها ... منار زايد الشعاع .. مقاصد العلوم والانتفاع .

اما بعد فالحمد لله الذي ... وغمرنا باحسانه الجزيل وغمرنا بلطفه العزيز . لم يزل جلباب صحتنا العافيه غير خليق . وروض عافيتنا بالنعم المترادفه ايضاً انيق . مواردنا بالفضل الالهي مأمونة من البوائق خاليه . واعيادنا بالمواهب النادقه والعطايا الصدانيه حاليه . وقد وصلنا كتابكم . وانسنا خطابكم . فشممنا منه شذا الاخلاص . ولما مثل في حضرتنا رتعنا في غياض معانيه .

---

(١) ان مواضع النقط في هذه الرسالة الشريفه والتي تليها كلمات احدثت فيها الارضة النخر فامست غير معروفة .

وقطفنا براحة التأمل ازاهر مبانيه . وقد عطرنا شميـه النافح . وروّحنا مندله الفائح . وما عرّفتمونا بخصوص التوصيه في الطائفة الذميين . الشاميين الكاثوليكيين المقيمين عندنا بدمشق الشام . مهبط الانبيا ذات الثغر البسّام . وانهم العام الماضي حصل لهم تعرّض من بطرك الروم واراد التجرّؤ عليهم بما يقصد ويروم . ونحن اذ ذاك غايبون عن دمشق لاداء الحج . وقضا مناسكه والعج والثج . وان البطرك مدّ لهم ساعد الضرر . وينصب لهم شرك المكيده لايقاعهم في الاذاء والضجر . وانه من جملة ذلك تسلطه على اموانهم . وتعرّضه لهم بطلب اموالهم واقواتهم . وانه هلك منهم واحد[1] فامتنع من الاذن في دفنه . وظن ان ذلك موقوفاً على امره واذنه . فنخبركم انه لمّا حلّ ركابنا من دمشق البطاح واعرضوا لدينا طايفة الذميين المذكورين هذا الامر المؤدي للاخلال لا للاصلاح . ورأينا ما فعله البطرك المذكور مخالف للشرع الشريف والامر السلطاني . ومغـايراً للقانون المنيف العثماني . الصادر من لدن صاحب الشوكة والبساله . ساحب ذيل الخلافة والجلاله . ملك الملوك والسلاطين . خاقان الخواقين . شاهر عضب العدل والانصاف . وناشر رايات الكرم والاسعاف . ظل الله الممدود على عباده . والخليفة الذي هو رابطـة ممالكه وبلاده . حضرة مولانا السلطان الصمصام العادل . والغطريف الهمام الباسل . لا زالت اركان دولته باذخه . ودعايم مجده وعظمته شامخه . فعند ذلك رفعنا عن طايفة المذكورين من البطرك اذيته . وخفضنا من الغرور هضبته . وامرناهم باتباع الاوامر السلطانيه . والشروط العثمانيه الموافقه للشريعه المحمديه . وكشفنا عنهم تطاوله . ودفعنا عنهم بدعته ومـا حاوله . ونحن في ايام مولانا السلطان وحسن انظاره علينا وارخاء عنان عنايته الينا . وتقليدنا امارة الحج ووفود بيت الله الحرام . وزوّار نبيّه عليه الصلاة

---

[1] رأيت ان علماء مصر ذكروا في كتابهم الى محمد باشا العظم حاكم الشام انه مات عند جماعة الذميّين رجل نصراني . . . الخ وفي جواب محمد باشا لهم قال : انه هلك واحد منهم . . . فقابل بين الاديبين والحكمين : ادب علماء مصر بقولهم مات رجل نصراني وادب محمد باشا بقوله : هلك منهم (من النصارى) واحد ' تعلم الفرق وتدرك بداهة التعصب الذميم المالىء قلب محمد باشا . وكلمة مات وهلك تدلك على حكم فريقين متساويين في الشرع والدين .

والسلام . مع تفويض دمشق ونواحيها . وهذه البقاع ونواديها . لم نزل ندافع عن المسلمين وبقية الرعايا ظلم كل باغ وعاد . ونكف ايدي الطغاه ارباب الفساد والعناد . ونسعى في اجراء الاحكام . طبق ما يوافق شرع سيّد الانام. وندع اهل السبيل في ظلّ من الحماية ظليل . ونودّ رفع المظالم عن كل داني وقاصي. ونخلّص من كل جبار وعاصي. حتى بفضل الله تعالى انتظمت البلاد . . الرعاع. الاستماع محاسن الشام الاستماع . وكل ذلك بفضل الله تعالى الذي اهّلنا لهذه الخدمه . واجرى علينا من لطفه ماء العناية والرحمه . وان شاء الله لم نزل على ذلك مثابرين . وعن الرعايا والبلاد من اهل الزيغ والطغيان محافظين ومدافعين .

وكذلك بعد الآن نجعل نظرنا على الطايفة المذكوره مع الحماية والامان . وغدّ لهم رُبط الصيانة سابغ الاردان . حيث خصصتموهم لدينا بتوصيه . واتحفتمونا بخصوص ذلك بالطف خطاب واعذب توريه. هذا ونؤمل من اخواننا العلماء دعوات صالحه . ناشئه عن صدق صميم وجارحه . بان الله يمدنا بتوفيقه وامداده . ويجري امورنا مع السداد بهديه وارشاده . ونودّ منكم عدم انقطاع كتبكم لهذه الاطراف . وعدم نسياننا من المكاتبات الباعثة المودة والائتلاف والسلام .

٤٥

بيولردي مرسل من احمد باشا الجزّار بولاية الامير حيدر والامير قعدان سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠م)

صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع. الى امراء ومشايخ وعقّال وملتزمين نواحي قرايا ساير جبل الشوف والمتن وكسروان بوجه العموم تحيطون علماً .

نعرّفكم اننا لما عزمنا على المسير الى طريق الحاج الشريف وزيارة نبيّنا السيد البشير . عليه افضل الصلاة والتسليم من العلي القدير . قد كشف الله لنا عما هو لا بدّ ان يتوقع ويصير فانذرناكم وحدرناكم (فانذرناكم وحذرناكم) غاية التحدير (التحذير) وذلك قبل تحريك ركابنا السعيد من سحراء (صحراء)

المزاريب عرفناكم عن هذه الاعمال السيئة الرديه والطرقات الموجه الغير مرضيه الذي لا بدّ من سلوككم بها ومسيركم في شوارعها فاتخذتم المشتري وهاروت عقيدة ودين . وابعدتم عن قول الحق المبين . يا ايها الذين امنوا طيعوا الله والرسول واولو (واولي) الامر منكم فتزحزحتم بغرور انفسكم عن ذلك واقتفيتم آثار من تقدم من الظالمين ونسيتم بما حل بهم من العذاب الاليم واشهرتم الجور والاعتساف وتركتم الصواب والانصاف وسعيتم في الارض الفساد وما جزاء الذين يسعون في الارض الفساد الّا ان يقتلون ويصلبون وتُقطع ايديهم وارجلهم من دون خلاف . فكان ذلك ابدال سعدكم بنحسكم وروى الله الذين كفروا لم ينالوا خيرًا فتراكمت عليهم النحوسات . فما ازددتم الّا شرًّا . وكنا نظن في حلول ركابنا السعيد من طريق الحاج الشريف ان تغيّروا الخبث الذي بانفسكم . ان الله لا يغيّر قومًا حتى يغيّروا ما بانفسهم فبقيتم على ما انتم عليه من الطغيان ومزيد البهتان .

وفي غيابنا طلب منكم افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير بشير الشهابي الخدامه حكم قولكم فاذا انتم بمعزلٍ عنها وصدّق عنكم يا ايها الناس ان بغيكم على انفسكم . وكان بيلزم منكم الطاعه خليفة رسول الله على البسيطة مالك ازمّة الشريعة شمس فلك الدولة العثمانية والسلسلة الخاقانية . مالك البرّين . اسكندر ذو القرنين . فاظهرتم التباعد والموانع ؛ ووضعتم في عقولكم انني من هذه المسافره (السفرة) لستُ براجع . كل منجّم كذّاب . فاعلموا وتحققوا ان سلكتم في قدم الطاعه وكنتم خاضعين لولدنا المشار اليه فعليكم من طرفنا امان الله وامان رسوله . ثم اماننا ولم تشاهدوا منا الّا المسرة . وان بقيتم وثبتم على احوالكم وسوء اعمالكم فبعون عناية الملك الغني بكم ان شاء الله ظافر . ولاتركتكم كاس العابر . ولادمرتكم كل دامر . سلّموا تسلموا . وان عاندتم تندموا ولا تدخلوا في حيّز قوله تعالى : من نكث لينكث على نفسه . واياكم المكر ومخالفة الصواب وايقاع انفسكم في هلكات الحساب . اعتبروا قول رب الارباب : فاحبركم يا اهل فرعون اشد العذاب . والباغي بغيه يرجع في رجله .

فارجعوا الى الطاعة والتسليم . تحضيون (تحظون) ان شاء الله تعالى بالمرام

والتكريم . بغيّروا من انفسكم هذا الوسواس الاثيم وتوكلوا على الله . وافوض امري الى الله.واذا تنحيتم عن الطاعة ننشر اعلام الحرب نحوكم ونوجه عليكم عساكرنا الجازره . كالبحور الزاخرة . اباترهم بايديهم ساحبين والى الدماء ساكبين من قُتل منهم الى جنة رضوان خالدين . ومن قُتل منكم في سعير جهنم متقلبين. فانظروا لانفسكم الخلاص . واذا كنتم من اهل السنه والجماعه فادخلوا في الاطاعه ويد الله مع الجماعه. وان ابيتم تروا وشم الاحوال والتنكيل والله حسبنا ونعم الوكيل .

٤٦

مكتوب

قدوة الملة المسيحية.عمدة الطايفة العيسوية محسوبنا القديم.ومحبنا المستديم . الشيخ ابو عساف زيدت صداقته .

غب السؤال عن خاطرك وافتقاد احوالك . ننهي اليك انه وصلنا عرض حالك وكافة ما ذكرته صار معلومنا . وبخصوص محبتنا وتوجهنا اليك فان شاء الله تعالى لا يسلبها الواشيين . ولا يغيّرهما مرور الايام والسنين . بل كما تعهد بنفسك من طرفنا انك من اخص خواصنا ومحسوبيتك وارتباك لطرفنا هما امر مقرر عندنا كل حين . فلا يخطر ببالك ادنى تخايلة بوجه من الوجوه . ودايماً مهما لزم واقتضى تعريفه اعرضه لطرفنا وبهذا كفايه[1] .

في ١٦ ر سنة ٢٢٠ (١٨٠٥ م)

الحاج
ابراهيم امير برّ شام
وسرّ عسكر حجاز

في آخر هذا المكتوب صفحة ١١١ ، وردت هذه الكتابة وهي بالحرف الواحد :

---

١) هذا المكتوب موجه الى الشيخ بوعساف جرجس باز المتوفى سنة ١٨٠٧ . وان امضاء ابراهيم باشا هو ضمن طغراء خاصة به . امّا « امير برّ شام » غير واضحة فقدرناها تقديرًا وربما نكون مخطئين . وامّا « سرّ عسكر حجاز » فواضحة كل الوضوح .

خدمة الحكّام لها ثلاث خصال ولا يندم صاحبها الراحة هذه الدنيا ، ويعادي الغير جميع ، ودايمًا تحت المخاوف ، والآخره خزن لا عال . وهذا كافي . وعلى هامش صفحه ١١٢ هذه الكتابة وهي :

« اياك يا فاغور من خدمة الحكّام ولا تبدي بشي يكون ضد الحاكم حتى تبقى مرتاح انت واخوتك هنا وخطار » .

٤٧

اعراض

المعروض سلطانم من بعد رفع الدعا الواجب المفروض . انه فيما هذا العبد المخصوص متذكرًا هاتيك الاحسان الاصفيه . مترددا بامواج البحر الحسرة على قصر حظي لابتعادي عن لثم تراب مواطئ الاقدام الدستورانيّه . متأوهاً متأسفاً على محظوظتي وانفكاك عرى . . بينما كنت ارجوه بالانتصار لدى سدتكم العلية . واتمتع بانوار شموس ضيا تلك الطامة الملوكية . واذ في ابرك طالع سعيد . وارغد وقتٍ حميد . قد بزغت اشعة بدر المرسوم الشريف . الحاوي فحواه السامي المنيف . تعزية النفوس والاكباد . وانتعاش الجوارح وتحركت بتكرار الحمد والشكر لباري العباد . باني غير مهمول من البال السليم . وبارح من نوال مجابرة حلمكم العميم . وبادرت بضاعف تكرار الدعا . لباري الارض والسما . بديومة ابقا وجودكم الشريف بالانتصار والاقبال . ما لاحت الاصباح وتوالت الليال . لاكون مستظلاً تحت اكناف حمايتكم . مشمولاً بتوجهات انظاركم الاكسيريه . حيث اني سلطانم على البعد والقرب عبد رقّ لسعادتكم العليه . وغرز نعمتكم الدستورانيه . ولا انفكاك لي من ديمومة هذه العبوديه . الّا بفقد الحياه ومن خصوص كذا الذي علينا لخزينة سعادتكم العامره من تحويل سعادة افندينا الوزير الموقر المعظم . والمشير الخطير المفخم . الحاج مصطفى باشا نصره الله مدى الاحقاب . فبحسب امركم الشريف موجهتها الى عبدكم جناب محبّنا المعلّم رافايل صراف صحبة عبدكم الشيخ محمد فخر الدين . مع عدم طردي وابعادي من فيض فيوضات ذلك الخاطر العاطر الازهر . الباهي الرونق الانور . مع ما يعرض ويصرع من الخدم . فالعبد الداعي على اثبت قدَم .

محب مخلص

٤٨
غفتي (غفتة)

حضرة الجناب المهاب فسيح الرحاب الملاذ المستطاب حميد الشيم برمكي الكرم افندم سلطانم المفخم اطال الله بقاه .

نبتهل الى الواحد الاحد الفرد الصمد الذي رفع السماوات من غير عُمُد . ومدَّ الارضين على ماء جمد المهيمن المتعال ذو الفضل والاجلال ببقا ايام دولتكم المحميه بحرمة خير البريه .

في اشرف طالع سعيد والطف وقت حميد قد بزغ وميض بــدر المرسوم الشريف وفهمنا فحواه السامي المنيف الحاوي البشرى الفريدة والبغية الوحيدة بورود المبشرين بما قد فاض من القريحة الهمايونية بانعام واحسان رتبة الميرميرانية الفخيمة على سعادتكم وذلك بحسب توجيهات سعادة افندينا ولي النعم الدستور الوقور المعظم والليث الجسور المفخم الحاج سليمان باشا نصره الله . فيا لها من بشارة ضربت لها في القلوب بشاير حيث انها اوهبتنا ما تعجز عن شرحه الاقلام وتجف افواه المحابر من البهجة والسرور والمنحة والحبور على هذا الاحسان الرباني والانعام السلطاني حيث تأويل السعادة محلها وتحويلها على اشرف اهلها ولا ريب انها لايبقه ساميه لانتمايها الى اوج السما. وطمى شذا عرفها على جميع الملا . فبالحال والحين بادرنا بعمل شنك الافراح واخذنا تقديم الدعا الخيري بدوام دولة حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ظلّ الله الممدود على العالمين . ابّد الله سرير سلطنته الى انتها الزمان وانقراض الدوران وبخلود سطوة سعادته القاهره وعزته الباهره وببقا ايام سعادتكم السنيه ودولتكم البهيه ليكون هذا العبد المخصوص مستظلًا باكناف حمايتكم الاصفيه. مفتخرًا بديومة مناقبكم الملوكيه . وعليه سبحانه وتعالى حسن الاجابة والقبول . وغاية رجاي افندم اني اكون في البال السليم واتشرف بما يلزم من الخدم فانني دايمًا على اثبت قَدَم لكل خدامة تلزم واؤمر بها. واطال الله تعالى بقاكم للدوام مدى الدهور والاعلام .

٤٩
مكتوب

الجناب الفخيم الامجد متسنم ذروة المعالي المفرد حميد الشيم الاجل الافخم سلطانم الامير المحترم ادام الله بقاه .

غب تقديم رسوم الادعية السنيه الفاخره. والاثنية الذكيه الماطره. وتباريح الاشواق الوفيه الوافره والسؤال عن كريم الخاطر الوسيم في خير .

انه بايمن الاوقات وفد مكروم سعادتكم ومال اشرتم وقوره آدميكم الشيخ ابو حسين صار قرين اذعان مخلصكم وبحسب المفارقه ومنوال امدادكم قد باشرنا دعوة جناب ولدنا علي بك ومن بعد التشديد المزيد مما خصتموه سعادتكم قد اجلينا صداء القلوب من نحوه وخولناه رضى خاطر سعادة افندينا ولي النعم يعسوب الوزآر. المعظم ادام الله تعالى بقاه وتسربل من المدن دستورانيته في خلعة سنية فاخرة عنوان صفو الخاطر الشريف . وقد نال غاية الارب مما فيه الاطمئنان والامان من دون مانع ولا معارض . وبحسب وحدة الحال التي لا يشوبها زوال مهما نبديه من المهام فهو مشترك وكأنه من ذات واحدة في هذه وغيرها على مدد الايام والاعوام . وناقله ادميكم يعرض بالكفايه . فالمرجو عدم سهونا من التسمير المنير وادام الله بقاكم .

المحب المخلص
الحاج ملو اسمعيل

٥٠
وصف

ما عسعس ليل الوجد والغرام . وتنفس صبح القرب بالابتسام . وبكت سحب الشوق بانسجام . وضحك روض الانس عن زهر الاكمام . وصدحت بلابل الشوق في خمايل القلوب . واترعت غدران المحاجر الى لقاء المحبوب . الا وهيجت وجداً برح بالفؤاد . واورى به نار الزناد . الى حضرة الخدن الاوحد . والخل الامجد بؤبؤ عين الكمال . ورأس هام الاجلال . قرة الناظر الحاضر في الخاطر . من هو لظلام الهجران نبراس وسويداء الفؤاد له كناس .
المحب الصادق ...

٥١

اعراض

حضرة الجناب المهاب فسيح الرحاب عليّ الهمم حميد الشيم برمكيّ الكرم صاحب السيف والقلم الدستور الوقور المعظم والليث الجسور المفخم الحاج عبدالله باشا طال الله بقاه .

غب بسط اكف الضراعة والابتهال والتوسل الى الملك العلام بدوام بقاء دولتكم الزاهره على الدوام . نعرض بخصوص مقاطعة جبل الريحان قد رأى عبدكم حسن نظامه بان يكون على عبدكم اخينا فلان من كون الموما اليه متعهد بصدق الخدامه على مناهج الاستقامه ويؤدي المال المربوط الى الخزينه العامره. ان جنح الخاطر العاطر نترجى مراحم سعادتكم بتدوين شرطنامه التزام المقاطعة المرقومة ويكون ذلك من ديوانكم السامي ومقتضى اثبات تمهيده نكفل ونضمن صدقه في كل ما يرضاه خاطركم الشريف. والرجا في كل وقت نكون في البال السليم لاننا في كل وقت على اثبت قدم لكل خدامة تلزم وادام الله تعالى بقاكم للدوام بحرمة سيد الانام واله وصحبه الكرام .

في آخر هذه الرسالة كُتبت هذه الوصفة وهي :

ورق البطم اذا سُحق ونُخل وتغلّف به الشعر مع دهن الورد يطوّل الشعر ويحسّنه .

وكُتب :

« هذه السفينة الى فاعور الدحداح ما لاحد جا تعلّق اصلًا » .

وجاء في آخر صفحة ١٣١ ما يلي :

« خدمة الحكّام ما جا خير يا فاعور . وان خدمت لا سمح الله اياك تأمن لان زوال الحكم قريب والحاكم الموجود وانت خادمه خاف منه » .

٥٢

مكتوب من بك حاكم الدير

(دير القمر)

الجناب العالي كوكب المجد رقي المعالي امير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام الاخ الاجل المحترم سلطانم مير جليل الشان الافخم ادام الله تعالى بقاه بوفور النعم .

غب اهداء التحيات الفاخره وزواهر التسليمات العاطره . وبلوغ الاشواق الوفيه الوافره لمشاهدتكم المأنوسه على كل خير وعافيه ونعمه من كرمه تعالى جزيله وافيه دمتم بها. والباعث (والباعث) لترقيم قايمة الخلوص اولاً لافتقاد عزيز خاطركم . ثم المبدي لجنابكم بخصوص ناقل قايمة الموده اسحق من سكان دير القمر قرر بان عليه ديون مقدار اربعماية قرش واحواله متعجزه واصحاب الديون مقلبينه بالطلب والمذكور متعهد انه يشتغل ويوفي الذي عليه . فالمامول من جنابكم تمهل اصحاب القرش عليه لحين يشتغل ويوفيهم وفيما بعد لا تنعموا عنا اخبار صحتكم فيما لزم ودمتم محروسين .

المحب المخلص

عبدالله بك

جاء في آخر هذه الصفحة ١٣٢ :

« هذه السفينه الى قاعور الدحداح ما لاحد بها تعلّق اصلاً » .

٥٣

مكتوب حثاً باتمام وعد

جناب اخونا المحترم ... دام بقاه للدوام .

غب الاحتشام وكمال الاحترام وبث الوجد ومزيد الغرام الى مشاهدة انوار ضاحي طلعتكم البهية ذات الاشراق في كل خير وعافية. الداعي لترقيم اسطر الوداد والموجب لتدبيج صحيفة الاتحاد. فهو اولاً نسأل عن رياضتكم وكيفية انشراحكم ان شاء الله تعالى تكونوا حضرتكم بكامل التوفيق وتمام الانشراح بمزيد الاعتدال . ثم ان بتاريخه قد بلغنا ما كدّر خاطرنا واوعب

الفؤاد حزناً واورث في الاكباد غمّا وهو انه لا بدّ صاير لكم طرف انحراف جسم ودورية فصرنا في هاجس عظيم ودجل جسيم وانشغل البال فان شاء الله يكون عرض وزال وحصلتم على الشفاء التام بشفاعة السيدة امّ الانام . فنرجا تمنوا بالجواب ولا تملوا كما هي العوايد لنكون براحة بال من قبل هذا الشان ولا تبخلوا كما في السابق لانه تقدم منا تحريرين لحضرتكم وما نظرنا جواباً كليًا . وفي الاول مرسلين لكم ماسوره[1] وفي الثاني استفهاماً عن عدم رد الجواب وذاكرين لحضرتكم عن مادّة اخونا الشدياق نوهرا لكي تتموا القول الواعدين به فما حظينا لا على الجواب ولا على نهاية مادّة اخونا المذكور بل تمسيرها فما كنا نعلم السبب . بقي نرجا من خوّتكم في تقديم الرجا في هذه المادّة وخلوصها لانكم فاهمين كل شيء من تحاريرنا السابقة وكملوا القول بالعمل عاجلاً من دون مماطلة كي لا يتم بكم قول الشاعر .

شعر :

عطاك جزيلٌ غير انه مَطلٌ فتذهب لذات المكارم بالمطل
فموسى كليم الله اوعد قومهُ فلما اطال المكث مالوا الى العجل

وقاكم الله من ذلك . ولذكي الفطنة لا يلزم زود اسباب . انما نرجا التعريف عن رياضتكم وصحتكم لان صرنا بشغلة فكر زايدة ليتكم . وبلغنا ان جناب الاجل الاكرم الشيخ ضاهر المحترم مشرّف محلّه العامر نرجا تقدموا عنا لجنابه جزيل الاشواق الوافره مع السوال عن رياضته وانشراحه وحيث وجوده بالسلامة . باشروا في نهي هذه المادّة المذكورة وطمنونا عن صحة اولادكم واهل بيتكم وكل غرض يلزم ودمتم .

في ٢٥ تموز سنة ١٨٢٥

اخوكم
كنعان نصار حبيش

---

١) الماسورة عبارة عن قضيب طويل من الورد مستقيم مثقوب الطرفين يُدخل في ثقب الشُبُق (الغليون) لامتصاص الدخان .

٥٠

اعراض

والي نعمتم بنم افندم سلطانم ادام الله دولته .

غب لثم شريف الاديال (الاذيال) واداء الدعا والابتهال لواهب الامال ببقا ايام دولتكم الزاهره بالعز والاقبال. انه حضر ناقل العبوديه عبدكم طنوس الصخن (السخن) من قرطبا وافهمنا انه حصل علاجه فيما بينهم وبيت ابو كرم في المحل المرقوم ومبتداها اجل شانكم مع اولادكم ثم انها اتصلت الى محاشدة الكبار وحصل التعدي من بيت ابو كرم على بيت الصخن في ضرب مؤلم وتجريح. الرجا من حلمكم العميم تأمروا بالاستفهام منه. واذا سمح خاطركم الشريف يصدر الامر العالي بكشف الحقيقه وتأديب الباغيين من عدالكم الشهير لا يحصل به عفو حيث ان الله جلّ وعلا اقامكم نصرة الحق وردع التعدي . والامر لله ولسعادتكم ولا نبرح من الخاطر الشريف وطال الله تعالى بقاكم للدوام سلطانم .

النيشان

بنه تعالى

يتشرف بلثم انامل والي نعمتم بنم افندم سلطانم[1] الامير المعظم دام لديه سوابغ النعم .

(١) ان هذه الشكوى ربما كانت مقدمة الى الامير بشير شهاب الكبير ، وما ورد في مفتتحها وفي عنوان الغلاف من الكلمات الغريبة لفظها تركية . وهذا اصطلاح تركي .

وثائق تاريخية عن حلب

٥

اخبار السريان وما اليهم اخذًا عن يومية نعوم البخاش ١٨٤١ — ١٨٤٤ وغيرها من المخطوطات

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

[٢٥١] — يوم الاحد انعزمت للعشا بيت كوبا ويوم الاثنين تمشيت بيت رعد — والدلال [خواجا] صار لحمايته فرقعه وطلبه الباشا وبعده رجع برآتلي السلطان.

(اي ان السلطان بموجب العادات المتعلقة بالامتيازات الاجنبية كان يتيح من يدخلون في حماية القناصل بعض الحقوق ويكون منهم الدلال الخواجا المذكور)

والجمعة اخـذوا حوش بيت شاهين للصراف ومضوا بيت نصرالله خوري الى حوش اللكيدون وكان المذكور مسافر بارفه ويوم الاحد اجا. واجت عندنا النورية[1] لان البطريرك ما دار بعد العيد لان كان عليه لم الخراج. خلّاها للآن.

[٢٥٢] — الثلاثا ولدت مدام باركر وجابت ولد (وباركر كان من وجها. الجالية الانكليزية وكان له ارض واسعة واقعة بين حي الكتاب والشابندر والناعورة على نهر قويق بجنوب).

— والجبل قايم الدروس على النصاره وقتل منهم حسبه وافرة

— في ٢٧ تشرين الاول غربي الاربعا ١٨٤١ في ١١ رمضان ١٢٥٧

---

١) النورية قد تكون هذه الزيارة يرقى عهدها الى اوائل التاريخ المسيحي. كانوا ايام اسبوع الآلام يطفئون المصابيح في الكنائس ولا يوقدونها الا يوم سبت النور . ومن ثم كان المؤمنون يحملون النور منها الى بيوتهم او يحملها اليهم رجال الدين تبركًا . وقضية النور وبصيصه لم تكن امرًا هينًا ايام لم يكن كبريت ولا كهرباء . . . والمرجع فيه كان الى المعابد حيث يحفظ النور دومًا للعبادات . وزيارة المطران الرعية بعد عيد الفصح ذكر بذلك النور . وان قضية النور والاضاءة اعارها الاقدمون اهمية جعل بعضهم يعبد النور او النار عبادة وهم المجوس عند الفرس والفستال Vestales عند الرومان .

— والسبت ولدت مريم بنت البخاش مرأة نعمة الله الحكيم بنت عمي واتت ببنت في ٣٠ تشرين اول ١٨٤١ غربي .

[٢٥ٔ] — الاثنين كان المطران [بولس اروتين الماروني] طالب مني سلف الحوش الف غرش [للمدرسة] سميت بلها ما رخت للصيد .

— والاحد اولها تكلل يوسف اباته (؟) الى لويزا بنت توفسل الجيلو .

— في ٣١ ت ١ ١٨٤١ في ١٥ رمضان ١٢٥٧

[٢٦ٔ] — يوم الاثنين عيد مخائيل وجبرائيل . .

— يوم الاربعاء دفعت لمطران الموارنة من سلف الحوش ٧٧٠ وبعد الثلاثة .

— يوم الخميس انضرب طواب ١٠ من شان منصب ارفه الى اسعد باشا باشة حلب .

(راجع راغب الطباخ : اعلام النبلاء ٣ ص ٤٣٦)

— ويوم العيد اجا خبر من جبل كسروان ان الدروز نزلوا لدير القمر وقتلوا ونهبوا وسبوا ومن الجملة ابن شاديو حلبي قتل. وذكروا ان الذين قتلوا من حلب انفار ٥ وما عرفنا غير واحد ذكرناه والآن قدروا النصاره على الدروز غير ذلك ما فهمنا يكون معلوم[1] — والجمعه سافر نصري اسود الى بيروت — والسبت انعزمت بيت كوبا للعشا .

— [الاحد — ١٤ ت ٢ ١٨٤١] .

[٢٦ٔ] — انعزمت للعشا مع الحلبي بيت كوبا وكان سبب نزول على بيضتي الشمال من شرب العرق والنبيذ والآن بعد ١٥ يوم صح كيفي اشكر الله .

ويوم الخميس انفصدت وقيت بالفرشه للان .

— من طرف الجبل قدرانين الدروز وظهر خيانة ومخاونه من كسروان مع الدروز وامسك معهم مكاتيب .

١) راجع كتاب الامير بشير قاسم الى المرسيو ر . وود ١٨٤١ و ٣ رمضان سنة ١٢٥٧ في « المحررات السياسية عن سورية ولبنان » ص ٦٣ وما بعدها . وفيه ص ٦٦ : « امتدت عامفة الهياج الى سائر اقضية لبنان وحرق الدروز قرى ودساكر للمسيحيين فقابلوهم بالمثل » ونرى ان البخاش يروي الاخبار مصداقاً للراقم .

من طرف ابن شاديو ذكرنا سابقاً انه قتل فاجا كتاب منه انه تصوب ما قتل والدروز نهبوا مدرسة بطرك الروم مكسيموس مظلوم في عين تراس واخذوا لبش واواني وبدلات وعروش شيء وافر وفضوها وصارت صفره من كل موجودها .

جمعة التي بعدها يوم الاثنين ٢٢ ت ١٨٤١ سافر الچلبي الى اسلامبول ومعه رزق الله[1] بن نعمة الله حسون والحلبي فتح‌الله غضبان قبل الظهر وطلب الشانية اسعد باشا كسم فرده[2] .

فيوم الثلاثا سكرت البلد لحد الظهر والذي يروه فاتح دكانه يسبو ويكروه اياها بنا انهم ما يعطوا ولا درهم الفرد فقبل الظهر طلع دلال كل من يحط عقله برأسه ويفتح دكانه والذي ما يفتح يخفسوا دكانه على رأسه من قبل الباشا والاعيان — كان التنبيه — فالبعض فتحوا والبعض لا زالوا مسكرين والثاني يوم وبعده عمال يدفعوا الفرده نصف المبلغ الذي كان ياخذه ابراهيم باشا ونصف النصف الان ونصف النصف بعد ستة اشهر يكون معلوم .

ويوم الجمعة توفيت بنت انطون غالي مرأت ابن البخاش نفسه وايضاً مرات فتح الله زعني ازميرليه فرنجيه ايضاً نفسه وهذه المدة عمال يموت اولاد كتير من الجدري وبس ٨٠ الى ٣٠ الى ٢٠ الى ١٠ مطعمين الآن عمال يجدروا ومنهم يموتوا كل ما كان الجدري صاير ردي هذه السنة[3] .

— [٣١ ت ت ١٨٤١]

[٢٦ ت] — الاحد الفرده عمال يلموها . وهذه الجمعة كتبت بيت الكبير

---

١) حسون رزق الله (١٨٢٥–١٨٨٠) ولد في حلب ارمني كاثوليكي شاعر واديب سافر الى باريس ولندن ومصر واستنسخ الكتب العربية انشأ جريدة الاحوال (١٨٦٤) وهي اول جريدة في القسطنطينية (المنجد في الادب والعلوم) .

٢) الشانية او الشونة اي الغلة من التبن وغير ذلك من المحصولات . والفردة هي الخراج وسميت من بدء البدلية او المال الذى يدفع بدلاً عن الخدمة العسكرية .

٣) بس معناه فقط (من الايطالية ؟ bassta) .

— اي ان المطعمين ضد الجدري اخذ يتضاءل عدد الموتى منهم الى ١٠ ؟

— كل ما كان اي من كثرة ما كان .

عند مقدسي نعمة الله حمصي « كن مع الله ترَا الله معك »[1] لآخرها وطوّلت يوم ٤ في ١ كانون غربي بديته ونهيته ٤ كانون ١٨٤١ الله يهنيه والمذكور عمال يدهنه لابنه رزق الله خطب بنت فتح الله كبه لاجل عرسه .

(ومن ظريف ما جاء في دفاتر آل كبه التي وصفناها في الوثائق التاريخية عن حلب في اخبار الموارنة وما اليهم (٢ ص ١٤–١٥) ان يوسف غنطوز كبه يكتب الى الخواجات « كوبا » في ليكورنه : « سؤالكم عن حمصي الاب نعمة الله ام اولاده رزق الله واخوته . فنظرًا الى حال الحاضر احسن منه في النصارى لم يوجد وان كان الاولاد هم ورثاه ومنذ صغر سنهم لهم رحال يشغلوه بهم ولا يعرفو منه شيئاً بل دايمًا يزيد ومثل اليهود ما ينعزف لهم سر » ١٩ ايار ١٨٤٦ .

— ٢٨ ت ت ١٨٤١

[٢٧'] ـ الاحد اولها درت بالصائح ، والاثنين رحنا بالكتاب وبالمدينة وباركت بالسكنه في خان الكمرك لبيت دوريكلو وباركت لاخته ولبنت اخته بالزيجه .

— والثلاثا دفعت من الفرده ٥٠ غرش غازيين .

— وصار ليلتها ليلة موهمه مطر وبرق ورعد وزعقات وافرة م

— والاثنين المسا صار زلزلة حسّوا عليها البعض وانا ما حسيت فيها .

— والثلاثا لحد الاربع وعشرون ساعة من وقت الزلزلة لحد ما قطع الرعد والبرق ٢٤ ساعة .

— ويوم الاربعا بالليل صار حريق في مربع توما عجوري وبالليل فضوا المربع وخسفوا اربع خشاب من سياطه حتى يطفوا الحريق .

— ويوم الثلاثا سمعنا ان في الجبل دير مار فرام للسريان انتهب على الكلب من الدروز واما الآن قدرانين النصاره عمال يذبحوا الدروز وطلع امر من السلطان عبد المجيد ان يأخذوا مال الدروز ويمسزوا ما خرب في الجبل

١) هي قصيدة عبد الغني النابلسي في الثقة بالله . راجع مجاني الادب ٦ : ١١ . والاشعار كتبت في « البيت الكبير » او الصالون على اللوحات فوق الابواب والشبابيك .

وهذا قول افاقي [ب] بغير كتابه . ان شاء الله يكون صحيح[1] .

[٢٧ʼ] — الاثنين فطرت لان الصوم على زعم الحكيم يضرني .

— الاربعاء ليلة البربارة نظمناها بالبيت وكان عندنا انطون جد ويومها اخذوا مني لاجل الفُرده ١٠ غروش ايضاً صارة الجملة ٥٠ غرش.

والجبل على ما هو ما سمعنا خبار . وصار خبر ان صار جميعة باسلامبول وذكروا ان ما يضبط الشرق وايالة الشام الا ابراهيم باشا فقر المجلس وارسلوا يعرفوا القرانات[2] [ملك فرسة] فان ارادوا يجي ابراهيم باشا لحلب هكذا سمعنا وان لا فلا يجي[3] وهذه الجمعة ختموا المزامير رعد وباسيل وانطاكي وجهامي وبليط . والسبت بديوا بالرسايل .

— ٥ ذي القعدة ١٢٥٧ في ٦ ك ١ شرقي في ١٨ ك ١ ١٨٤١

[٢٧ʼ] — ١٨٤١ ٢٤ ك ١

— الخميس اجا حبيب بن جرمانوس البحري طالب حتى يأخذ الصله لمصر.

[٢٨ʼ] — والسبت فارتها هلوانم (اعتراف ومناولة) .

١) جاء في « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » بقلم الفيكنت فيليب دي طرّازي (المطبعة الادبية – خليل سركيس ١٩١٠ ، ص ٩٨) « نقلاً عن سجل صغير مخطوط في دير الشرفة بقلم الخوري ميخائيل ازرق » – « سنة ١٨٤١ تعدّى بعض الرعاع من الطائفة الدرزية على دير مار افرام الرغم فنهبوه واهانوا السيد كوارلس يوسف حايك مطران بيروت وخربوا ضريح المطارنة في الكنيسة بعدما احرقوا عظامهم وذرّوا رمادها في الحقل . ثم قبضوا على الراهبين الاخ مبارك فوليه الحلبي والمبتدئ عبد الله ورموهما على صخور الوادي لناحية الغرب فاتا لساعتها » .

٢) القرانات في اصطلاح الاتراك هو لقب ملوك فرنسة . راجع دوزي : تكملة المعاجم العربية في مادة قرن الجزء الثاني ص ٣٣٩

Dozy : *Supplément aux Dictionnaires arabes*, 1881.

٣) سمعنا الشيوخ ونحن احداث يتكلمون عن ابراهيم باشا وبطشه ومراسه ونظامه ويمدحونه . وقد اصبحت حلب في حالة أشبه منها بالفوضى بعد خروجه منها . مما زاد اسف الحلبيين عليه .

(١٨٤٢م. ـ ١٢٥٧هـ.)

ـ [السبت ١ كانون الثاني] .

ـ الاربعا ولدت مرأة شكرالله تاجر بنت جبرا غزال واتت بذكر.

ـ والجمعة ولدت مرأة يوسف كلداني قلبقجي واتت بولد بذكر.

ـ وبالنهار صار تلج وبنا وقبله ٢٤ يوم كان صحو وهوا ويبس زايد وربنا حاها بالثلج واناس خبروا عن وبا انشا الله كذب .

ـ والسبت اجا حبيب بن جرمانوس البحري رد السلام من بعد مجيه من السفر .

ـ [٣ كانون ٢] .

[٢٨أ] ـ الاحد لعبت انا والخواجا فتح الله بالمنقله[1] .

ـ الـ ٧ مار استفانوس رئيس الشمامسة وانا ما رحت للصلاة مساء.

[٢٨ب] ـ الاحد ٩ ك ٢

ـ درت بالصايغ وتغديت بيت رعد كبه ومشوي ومعموله .

ـ والاربعا ليلة راس السنة نظمناها في بيتنا .

[٢٩أ] ـ [١٦ كانون ٢ ١٨٤٢]

ـ الاحد تغديت بيت كوبا قراص شيباني . وكان عرس ادور باركر الى صوفي مملوكة امه (كذا) .

ـ الثلاثا رحت باركت له بالزيجه وتنظم عرس ايلم ٥ وانا ما انعزمت .

ـ ويوم الخميس نظم اسبوع للنسوان الشرقية وحدهم ونوبه (وكانت جوقة نسائية من النوباتيات لمثل هذه الحفلات) ولا يحضرها الرجال .

١) راجع في وصف هذه اللعبة ما كتبه برنلمي في هذه المادة ص ٨٤٦ وما رواه عن دوزي وعن لاروس . وجاء ذكر هذه اللعبة في الاغاني ١١: ١٩

[٢٩'] – [٢٣ كانون ٢ ١٨٤٢] .

– الثلاثا ليلتها فكس القمر .

[٢٩'] – [٣٠ كانون ٢ ١٨٤٢] .

– الثلاثا راحوا اهلي بيت عازار وعمتي وعيدوه بجار انطانيوس وكان عندهم مرأة الصراف باشي وانبسطوا .

– والخميس كان السكارى غربي فتحت واخذت الاولاد بعد الظهر الى جبل النهر ونهارها مات موسى نجاش ابن عم ابي .

[٣٠'] – ١٨٤٢ اولها مرفع الكبير .

– ٦ شباط غربي في ٢٦ كانون الثاني ش في ٦ ذي الحجة .

– والاثنين رحنا للبريه والاولاد معي وصار ضرب وتمسيك وتبليص للنصاره من زلام المتسلم ومن القواس باشي وانا ما احد قارشني ورجعت قوام وصمت صوم الكبير .

– والاحد عرس باسيل بحري الى بنت ميخائيل شدياق مرتو .

– والجمعة كان اول محرم ١٢٥٨ هـ . وربنا يحيينا لامثالها .

[٣٠'] – الاثنين وصلني خلعت رزق الله كبابه شاله لفه كحلي بصقال (؟) ٣٥٠ غرش وطلبت غرة بنت اختي الى ابن برغل .

– والاحد كان سبوع الرجال بيت البحري والاثنين الرجال يكون معلوم .

– والاحد اولها انـد صرتي يكون معلوم . وصار خبر ان جبل كسروان تعاصبوا النصاره وقلموا الباشا وعسكره واسمه عصمان باشا ومزمعين ان يقلموا الدروس الدروز لان في خبر ان بظهرهم الفرنساوي وهذه الخبرية[1] كذبية ما لها اثر .

واجا عزله لقنصل مرليناري من القنصلية التي للسارده Sardes وكان قبل يوم اجاله علافه لاجلها بالسنة ٣٢ الف والآن اتاه العزله وسببها في مرتة عمه

١) امثال هذه الاشاعات كانت كثيرة في تلك الايام وهي دليل على القلق والاضطراب المخيم على الناس في عهد الباشاوات الاتراك .

خواجا دوريكه طلع معه مطران الفسافسة وقنوصه - وريس الشيباني من راد فصار بين موليناري وبين الريس مزاعله وكتبوا بحق بعضهم فهذه سبب عزله من القنصلية .

— ويوم الخميس ١١ شباط مرأة المرحوم شكرالله بخاش اجت من الشام.

— والجمعة بنت كبه لويزا حطوا لها لبخة سخنه حرقت بطنها وسلخ الجلد ومريضه معلوم .

[٣٠٢] الاحد — ١٣ شباط .

رحت مع اليا كوسا الى عند يوسف آغا يكن تفرجنا على الطاووس الذي عنده . ونهارها كان خطبة جبرا بليط الى غرة بنت يوسف صولا وامها بنت بيضون .

— الاثنين دفعت حق الشاله لابن صادر لان لازمه وبعد يأخذها من كبابه الياس ابو الاولاد ويوصلني اياها ومات اليــاس ترتنجي واخت جبرا عرقتنجي ام اولاد قطرميز .

[٣١١] الاحد — ٢ شباط ١٨٤٢ .

— الاحد عرس وانيس فرا لبنت سابا.

— الثلاثا طلع تنبيه على العمله ورسل السلطان عبد المجيد مابيجي وان لا يسلك بحلب سوى الطلك ٦ قرش ٥ مجيدي ٢٠ وغير هؤلا. المذكورات ينباعوا بالدرهم الى المذكور ودارت وماذا يجري نذكره بعدهم وارسل السلطان نيشان عده ٢ قرين ونجمتين الى متسلم حلب عبدالله بابنسي والى بن عيسه دار وكيل المابيجي .

— والاحد اجا نعمة الله جنه ابن فتح الله جنه من اسلامبول .

[٣١٢] الاحد — ٢٧ شباط ١٨٤٢ .

— الاثنين سافر عبدالله بابنسي المتسلم على عنزة (البدو) .

— والخميس كان السكارى شرقي ونهارهــا واحد شب ضربنا بالمقلاع وبلبلنا مقدار نصف ساعة .

والجلبي [شيخ الطريقـة المولوية في حلب] وصل الى استنبول وصار في مشورة السلطان عبد المجيد في السنة (راتبه) غرش ١٢٥٠٠٠

[٣١^٢] الاحد – ١٢ اذار ١٨٤٢ .

بيت البحري عمال يبعرا بيتهم مزاد .

– الخميس اجا باشا وضربوا له طواب ٧ والمعاملة الآن انحلت ما هي كالاول .

١ اي ان المشاكل التي تحدث من سقوط قيمة العملة وسببت اضطراباً في السوق خفت وطأتها) .

[٣٢^١] الاحد – ١٩ آذار ١٨٤٢ .

– الثلاثا ماتت مرأة يوسف الحكيم بريح السكتة (apoplexie) وهـذا الاسبوع تخبأ عندنا عسكري وما تركناه كانت الآلام .

– والاحد اولها ابتدوا يصلوا الروم بالكنيسة التي عمال يعمروها بالصليبة. والسبت كان سبت النور رحنا للحمام وبازرجي وانطون جد للبيلوني [حمـام] وقضياتي وعبد الله وكيل .

وهذه الجمعة الاثنين ولدت مرأة الياس وكيل وجابت بنت ومرأة يوسف وكيل وجابت صبي والخميس ولدت مرأة فتح الله عجوري وجابت صبي.

– ١٢ آذار شرقي ١٢ صفر ١٢٥٨

والخميس فارتعا هلوانم صحف .

[اقرأها بالمقلوب فتكون اعتراف مناوله فصح] .

– اولاد المدرسة

الرقم السابق للاسم يدل على عدده في الاسرة والرقم التابع للاسم يدل على عدد اسابيع حضور التلميذ على مدى العام .

١) كبه ٥٠ : ٢) كبابه ٥٠ : ١) كلداني ٥٠ : ٢) شوكتلي ٥٠ : ١) شوكتلي ٥٠ : ١) شوحه ٥٠ : ١) سابا ٥٠ : ١) سنال ٥٠ : ١) خوري ٥٠ : ١) خوري س ٥٠ : ١) خوري ك ٥٠ : ١) حكيم ٥٠ : ١) حلاق ٥٠ : ١) جمعه ٥٠ : ٢) جهامي ٥٠ : ١) حبيب ٥٠ : ١) حمصي ٥٠ :

شكرالله عرقتنجي (راجع [٤١٣])

صورته بزي الرجال في حلب من حوالى مئة سنة : العمامة والزنار من شال ترمة ، والقنباز بلون سبحة ملوك ، والسروال من قش جنجبور وردي ، والمست والبابوش والقميص حسي .

١٠) عجوري٥٠ : ١) عازار ٥٠ : ٢) انطاكي ٥٠ : ١) اديب ٥٠ : ١) ناسيل ٥٠ : ١) بخاش ٥٠ : ٢) وكيل ٥٠ : ١) زلوم ٥٠ : ٢) رعد ٥٠ : ١) قضباني ٥٠ : ٢) بندور ٥٠ : ١) تركاني ٥٠ : ١) منتورا ٣٣ : ١) ثابت ٦٠ : ٢) عزوز ٣٩ : ١) حكيم ز ٦١ : ١) بليط ٢٠ : ١) اخرس ٢٥ : ١) جنه ٢٥ : ٢) بازرجي ١٣ : ١) بازرجي ك ٥٠ : ٢) عطار ١١ : ٢) مرقتنجي ٩ : ١) عرقتنجي ٧ : ١) سابا ف ١٦ : ١) بخاش ك ٧ : ١) بولص ٥ : ١) كرباج ٢ : ١) ندوري ٢ : ١) بندي ٢ : ١) حبيب ع ٢ .

[٣٢ʳ] ٢٦ آذار ١٨٤٢ .

— الاحد كان عيد الكبير عيدنا خير وعافية .

— الثلاثا اخو مرأة الياس ارسان انوجد مخنوق فجابوه الاسلام ورموه في كنيسة الموارنة لانه قتيل فطلع ارمني فارسلوا خلف الاومن الكاثوليك قبروه بالتربة وما انعرف من هو الذي خنقه يكون معلوم .

[٣٢ʳ] الاحد الجديد — ٢ نيسان ١٨٤٢ .

عرس ميخائيل حمصي بنت شماس يعقوب كان العرس والكليل سوا وانتهت المسا .

— الاربعا عيد البشارة عند الطوايف والبطريرك (جروه)[1] شلف العيد مع الطوايف نعيدناه . ولياتها سهرت بيت نعمة الله جنه لكتابة الحساب للساعة ٩½ عصليه .

— والخميس بدر بيت شكرالله جنه عمه المرحوم بمحاسبته عند المطران بولس [اروتين] الموراني بجمعية كوبا وحمصي وشكرالله قرآلي .

١) اغناطيوس بطرس السابع جروه ١٨٢٠–١٨٥١ ولد في حلب ١٧٧٢ تعلم في مدرسة الشرفة سيم كاهناً في ١٢ حزيران ١٨٠٢ ومطراناً في ١٦ ايلول ١٨١٠ . سافر الى اوروبا سنة ١٨١٦ وجاء من انكلترة بالمطبعة الموجودة في دير الشرفة وانتخب بطريركاً في دير الشرفة في ٢٥ شباط ١٨٢٠ واقام مدةً في حلب وابتنى حول كنيسة والدة الاله الكاندرائية عدة دور ومخازن في حي الصليبة وفي ٢ حزيران ١٨٣٦ نادى بوجوب استعمال الحساب الغريغوري ثم سافر الى القسطنطينية سنة ١٨٤٢ واجتمع ببطريركي الروم الملكيين والكلدان ونالوا البراءة السلطانية مؤيدة استقلالهم المدني عن الغير الكاثوليك .

وكانت وفاته عقيبة حوادث سنة الخمسين المشؤومة في حلب وذلك في ١٦ تشرين الاول ١٨٥١

- والخميس اخذ الخراج عليه بطرك بطرس جروه لان الطوايف لاجل خيصان الخراج سلموه للحكم فالبطرك اخذه عليه وبدا يسلمه. وانا ووالدي طالعنا اوسطايات[1] ٣٠ سمر الواحدة قمري ٦ او ٥ جديد.

وكل سنة ربنا يحيها لامثالها.

[٣٣١] الاحد – ٩ نيسان.

— الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة طلعنا مع الاولاد الى لم البابونج.

— والثلاثا اجو الحجاج من الحج وقتل واحد بسوق الزغير وكانوا الاسلام مسلحين وعمال يضربوا لاجل الملاقاة بقنطرية قتل واحد وحبسوا الذي ضربه. والكمرك صار ضمان للشيخ وفا[2] موقت وشكر الله تاجر والمهردار والباشا اسعد باشا.

وايضاً هذه الجمعة صار مزاد بيت نعمة الله شوكتلي لاجل السفر لمصر ونظموا مزاد فرنجي. سمع الدلال باشي راح اشتكى الباشا على ان ثلاث عيلات راحلين من حلب فارسل الباشا تنبيه للجيران ان المذكورين لربما قصدوا ينهزموا بالليل فلا يتركوهم وان سافروا يقطع روس الجيران وما امر بتذكرة الدرب وللان باقيه وانقطاع المزاد يكون معلوم.

[٣٣٢] الاحد – ١٦ نيسان ١٨٦٣.

— الثلاثا تقاتلت انا والياس وكيل من طرف الشراكه واراد يطالع الاولاد وثاني يوم ارسلهم وللآن باقيه ما عطاني شي. فقط ورقه على ليان حمصي ٢٧٠٠ غرش.

— الخميس اجا المتسلم [ابن البابنسي] من الركبه على العرب وصالحهم ونعوم حنا الحكيم طالع غنية على الارمن والروم لاجل الصوم بوزن ماني بابا ماني وصار عليها فرقعه.

١) لعله اراد جا ه امته ه الكلمة التركية ويكون معناها اوراق استاذ؟ دليل على توزيع الضريبة بصورة ان النبي (الاستاذ؟) يحمل الفقير؟

٢) قد يكون هو الرفاعي صاحب ه المنظومة في اولياء حلب ه نشرناها في المشرق وعلى حدة وفيها ترجمة الشيخ وفاء في المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١

— والجمعة توفي حنا رباط وكيل السريان الله يرحمه واخــذوا قضاتي حتى يشقل شمه قدامه وهذا الطلب من البطرك جروه بطرس .

[٣٣ب] الاحد – ٢٣ نيسان ١٨٤٢

— الثلاثا ارسل خلفي السنيور الياهو بيجوتو لاجل كتابة فرمـــان وبراءة بـكره مــاء . فرحت كتبتهم تركي واعطاني لنهاري غرش ٣٠ يـكون معلوم.

— وصار خبر ان سليمان باشا الفرنساوي اجا للجبل معــاون للسلطان عبد المجيد ومعه ٨٠٠٠ الايين عسـكر مصري .

— والخميس فرمت التون . والارمن والروم نظموا الطقس بـكنايس الجدد يـكون معلوم .

[٣٤أ] ٣٠ نيسان – ١٨٤٢

— الاحد عيد الكبير شرقي .

— الثلاثا سـكرت المكتب لان الاولاد ما اجوا كلهم .

— الخميس اجا خبر من البابا ان الطوائف تقدم صلاة لاجل دولة اسبانيا لان الملك مات واناس رايدين اخوه (دون كارلوس) واناس بنتــه (ايزابلا)[1] وصار قلاقل واغلبهم رايحين يصيروا بروتستانت وعندنا صير البطرك ان في كل قداس يصلوا بآخره ثلاثة ابانا وثلاثة سلام وثلاثة المجد وكل احد وعيد زياح الجسد لحد المنصرة .

— الجمعة كان عيد ينبوع الحياة عند القسافسة .

[٣٤ب] الاحد – ٧ ايار ١٨٤٢

— الاربعا وقعت مرأة كوبا في الحمام .

— الخميس ولدت مرأة نصرالله مراش بنت الشوحه مريم وأتت ببنت وبدي سقائل بالديوان . .

---

١) ايزابلا ٢ ابنة فرديناند ٧ ولدت في مدريد (١٨٣٠–١٩٠٤) جلست على العرش ١٨٤٣ خلعها قواد الجيش ١٨٦٨ – اطلب دانيال دربس : «كتب الثورات» ص ٤٠٠–٤٠٢

[٣٤^٢] الاحد – ١٤ ايار ١٨٦٢

عرس انطون عبجي الى بنت نعمة الله قندلفت .

[٣٥^١] الاحد – ٢١ ايار ١٨٦٢

– الخميس كان عيد الجسد رحنا كلنــا للعويجى فطرنا قيمق وبازرجي (وربما كان القيمق او زبدة الحليب بعد وضع القشة ياتي به احد الفــلاحين القادمين من الضيع المجاورة حلب . فيلاقيه البخاش ويبتاع القيمق) .

وابن الحمصي مقلسي نعمة الله استراح لانه مرض مرضه ملمونه جمعة التي قبلها وشكوا حاله وقدموا له زياحات وصهرانه (صلاة) وصلوات وغير ذلك.

– الخميس صيروا صلاة قدام العذرا وركبوا برواز الفضة البطريرك بطرس جروه والقسس والمطران يوسف[1] .

– والسبت وقع يوسف ابن اكوبجان شكر بالجب وطول دقائق عشرة وما سايل (لم يهتم للامر) وطالعوه وصفوا الماء منه وقام مشي يكون معلوم.

[٣٥^٢] ٢٨ ايار ١٨٦٢

– الاحد وقعت بكره من على الكديش وابن شامي وقع وانفشلت يده ومساء اختي ركبت مهر ورماها ووقع فوقها ورفسها وعفسها والحمد لله ما اذاها بل رضها رض وفصدناها ووضعنا طنافس غنم وتمت جمعه بالفرشه .

– الخميس سافر بيت البحري لمصر ومرأة حشكل وانا ما ودعتهم لان بيت شوكتلي ما راضوني عن تمي الاولاد يكون معلوم.والفردة طامت واجت اوراقها للصلبية . وباقي لي عندهم غرش ٥٠ على حساب والـدهم وعلى حسابي كثير وهكذا قال وطاقة خرشدلية شغل الحاجي بالشام وراحوا سافروا وما وصلتني يكون معلوم الله يكون معهم وانا على الله تعالى الوفا .

[٣٥^٣] الاحد – ٤ حزيران ١٨٦٢

– كان درسي عمال يوجعني رحت للدخيل وجبت انكليزيات ٩ وعبينا قفة توت .

١) هو كوادتوس يوسف حاتك (١٨٣١-١٨٥٣) ولـد في حلب ١٧٨٩ وتمام في

– الاثنين قعد عندي ابن زمرود .

– الثلاثا تغير كيفي وورم حنكي وسكرت .

– الاربعا فتحت .

– السبت دفعت من الفردة ٢٨½ غرش قري ٥ سمر ½٥ .

[٣٦١] الاحد – ١١ حزيران ١٨٤٢

– الاثنين فكوا نعمان الموصلي من بنت الدقاق وخطبوا له بنت المرحوم نعوم الطونجي . صار خبر ان ميشيل (...) سهر الدلال وحنا (...) فسقوا بينات حنون ميشيل بلوسيا وحنا بدول وميشيل سافر فطلع القول انه انهزم .

– والخميس كان المزية بيت رعد وفي الليل لبكره وانا رحت المسا. الساعة ٨ عصملي وايضاً عرس جرجي ضاهر لبنت عبدالله انطاكي .

– والاربعاء كانت نورية الروم عندنا المطران.

والاثنين تقاتل آكوبجان شكر مع مرته وقلعها وراحت لبيت اهلها والمذكور راح عند اخته الساكنة بجوش بيت شكرالله جنه .

[٣٦٢] الاحد – ١٨ حزيران ١٨٤٢

– يوم الجمعة رحنا للقرى لحصة بيت الدهان ومعنا مرأة رفول شامي وغنا .

وهذا الاسبوع صار امر من الباشا ان يكتبوا كل النصاره لاجل الخراج من ١٢ عمرهم وطالع وتعين كل واحد من الاعيان لصايح وللصلية كان (...)

– الثلاثا دفعت قري ٢ من اجل الفروة .

– والاثنين جن بن [خ] وبدأ يهش نجترروه الله ينجينا .

[٣٦٣] الاحد = ٢٥ حزيران ١٨٤٢

– الاثنين اجا نجيب باشا باشة بغداد وكان معه ابن هاشم.

– الخميس المجنون ما طاب .

مدرسة الشرفة . سيم كاهناً في ١٨ ايار ١٨١٤ واسقفاً في اواخر ١٨٤١ على بيروت ويكون في حلب على سبيل الزيارة ؟

[٣٧] لاحد – ٢ تموز ١٨٦٢

– الاثنين كانت بنت كوبا عند اهلها عبره .

– الخميس نظمنا شميات وجاء الى المدرسة ابن قلّا شرّا (كذا) .

[٣٧²] الاحد – ٩ تموز ١٨٦٢

– قتل هذا الاسبوع ٣ انفار يهود في الشقيف اعني في المقطع وايضاً ٢ اسلام قتلوا ودفنوهم .

– والخميس سكروا السكولا للفيدوس (مدرسة الفرنسيسكان ؟) .

– والاثنين سافر نجيب باشا الى بغداد وراح جبرا عزوز مع ابن هاشم الى بغداد .

وايضاً اجا ابن عبدالله ليون من ازمير بن اخو ليان حمصي ولد عمره مقدار ١٤ مولود ازمير .

[٣٧³] الاحد – ١٦ تموز ١٨٦٢

مساء بالليل عرس نعمان موصلي وكنت معزوم ورحت .

– والثنين والثلاثا العصر رحت للعرس كان عبرة بيت نجم بنت رعد ودخلت النوبه عندهم .

– الاربعا اجا اخو نعمان ميخا من السفر ورحنا عزمنا بيت القاق لنوبة الآجق باش للساعة ٨ عصملية .

– والاحد كتبوا اوراق للخانات ان القمري ٥ غروش والالطلك ٤ غروش والمدوحي ٢٠ غرش وغيرهم للبدلجي وابن حطب وانفار ٤٥ تعينوا حتى يفتشوا على عمله المشيقة[1] .

[٣٨]¹ الاحد – ٢١ تموز ١٨٦٢

كنا موجودين في القطانه وبعده براهيم آغا ورجعنا الظهر لان معزوم في

١) في اواخر القرن الثاني كنا في سوق الجديدة لما سمعنا المنادي ينادي بامر الحكومة: الابو تسعة صار ابو اربعة ونصف . . . وكان سقوط العملة على هذه الطريقة . . . اما في ايامنا فالورق البنك نوط في سقوطه بالنسبة للذهب يذكرنا بالعهد الماضي .

اسبوع نعمان موصلي ونهارها كان عنده الافرنج غدا ودخلنا بعد الظهر الى بيت انطاكي والنوبة معنا ورقصوا لويدا بتيرا وكاتينكه يونس وبعده رجعنا لبيت نعمان .

— والثلاثا كان عبرة عروس بيت نعوم حكيم بيت حنا حكيم بنت النقاش وانا رحت صدقة .

— الاثنين كان ليلة بالكتاب بيت باركر بشاريه[1] انكليز وقناصر وكان انفار ١٥٠ معزوم وبلا عزيمه مقدار ٣٠٠ ونوبات وطبل يكون معلوم ومات يومها ابن جورج اباته بالكتاب وقبله مات ابن برتاليس وايضاً بنت فرنيني .

واجيد بيت ميخائيل خوري نهب من البيت مقدار الف ١٠٠٠

— ومدام موليناري ولدت وجابت بنت في ١٩ تموز غربي ١٨٤٢ في ١٦ جمادى ت ١٢٥٨ ودفعت من الفرده قري ١ سمر ٥

[٣٨'] ٢٧ تموز ١٨٤٢

[٣٨'] ٣ آب ١٨٤٢

— الاحد اولها نصف الليل سافر الياس كوسا الى الموصل وماردين .

[٣٩'] ١٠ آب ١٨٤٢

[٣٩'] ١٧ آب ١٨٤٢

وخميس الصعود هذه السنة يعرف ان اجا خبر من البابا بان يتلوا صلوات وزيارات الطوايف لاجل ضيق حاصل فيه فهذه الجمعة اولها الاحد اجا خبر من البابا ان الضيق زال وهو ان اسبانيا كانت محاصرة من الاعداء. فما قدروا عليها وتمت بالايمان فاراد ان نشترك معه بالفرح فارسل غفران مقدار ١٥ يوم الناس يعترفوا ويتناولوا ويزوروا الكنايس غفران مثل سنة المقدسة الجوبيليوم ويديوا الناس ان يكتسبوه يكون معلوم . راجع سابقاً [٣٤']

— والسبت تمشيت بيت نقولا اوضه باشي .

---

١) بشاريه اي ان نفقات الليلة كانت موزعة على كل من حضر مساهمة ... راجع قاموس برتلمي .

[٣٩'] ٢٣ آب ١٨٤٣

— الاحد اولها كنا معزومين بيت نعمه (؟) غدا كبه ومحشي وكابيج يكون معلوم .

— والاثنين رحنا بيت ليان تقولا لاجل مصريات وكيل نامت ببطن المذكور ٢٧٠٠ غرش .

وبعده رحنا بستان الجالق وكزه ومريم وبنت اختي وبازرجي دخطيبته لويزا يتيرا ووصفنا ليلتها وصفه حتى تطيب وزجنا وزمرة من الافرنج وايضاً نهارها الساعة ٦ من النهار ولدت مرأة ميخائيل صولا بنت عزوز واتت بصبي

[٤٠'] ٣٠ آب ١٨٤٢

— الاحد فارتنا هلوانم .

رحنا الى براهيم آغا صبحية ومساء انتهاء الزياحات الثلاث غفران الجيوبيليوم .

— والثلاثا نمت بيت مرليناري لاجل طبخ الشمع الدهون .

[٤٠'] ٦ ايلول ١٨٤٣

— الخميس علي باشا باشة بغداد سمعنا صار سر عسكر وبقي ببغداد واسعد باشا باشة حلب كان مسافر الى ارفه انعزل من حلب .

— السبت اجا بطرس قرألي من اسطنبول .

[٤٠'] ١٣ ايلول ١٨٤٢

— الجمعة اجا يوسف خياط طلب مني فردة والدي ٢٥ غرش وما دفعتها اخذني للقلق ومراده يعتني للصرايا بعد معدي طريق القس جبرائيل رباط دفعها عني واطلقوني .

[٤١'] الاحد — ٢٠ ايلول ١٨٤٢

— الاثنين خطبة بنت نعوم بازرجي .

— الثلاثا اجا الخاتم من اسلامبول من عند حنا حكيم ٢٠٠ غرش معاملة جديدة .

[٤١^٢] ٢٧ ايلول ١٨٤٢

— الاحد اولها اجا مطران الارمن ابن عيواظ واجره مجركه جبروا له اياها.

— والسبت سافر مطران بن يوسف حايك يردونه الى بيروت وبعده يطلع الى الجبل.

[٤٢^٢] اولها ٩ ت الاول غربي ١٨٤٢

السنه الخامسة عشرة لافتتاحي المكتب وابتداء ١٦ في ٢٧ ايلول شرقي في ٥ رمضان اسلامية ١٢٥٨ عدد الاولاد ٩٠

— الاحد اولها كان نقشت بنت الشوحه الى شكرالله عرقتنجي.

[٤٢^١] ٢٣ ت ١ ١٨٤٢

— الاحد خطبة نعوم صاجاتي الى برباره بنت شكرالله زلعوم.

[٤٢^٢] ٢٧ ت ١ ١٨٤٢

— الخميس بديوا بالديوان رغد زباسيل وانطاكي وجنه وجهامى وبازرجي.

[٤٢^٣] — السبت سافر جفروا ومدام يونص وابنتها وانطوان يوبولاني وانطوان جرمين وبرنو ميشيل لانه خاطب بنت مدام لارزي في اللاذقية راحوا يقضوا العرس ويرجعوا واخذ جفروا معه نوبه وراح.

[٤٣^١] الاحد — ١ ت ٢ ١٨٤٢

— اولها باركت لابن الازرق في العرس كان عندهم سبوع.

— الجمعة اشتريت ساعة جبرا بازرجي واعطيته ١٥٠ غرش وفرقها ساعتي. وارسلوا لرومية يستخبروا ماذا يصيروا ان مـا قدر تزوج رزق الله حمصي ابنتهم غرة. المجمع ارسلوا لاجل هذه الدعوة، وهذه خبرية سمع من واحد صحتها ولا ملامـها انا يكون معلوم

— السبت سافر تدور جرمين مع مطران بغداد القاصد.

[٤٣^٢] الاحد — ٨ ت ٢ ١٨٤٢

— الثلاثا ولدت بنت زمريا مرأة ابن هلال صبي ساعة ١٠ من النهار.

— الاحد نقشة بنت جرجي بليط الى يوسف كلزي واستأجرت حوش يوسف الحكيم بالسيبي ٧٠٠ غرش وهذا الاسبوع سافر قس جبرائيل رباط لادلب لاجل ابن الكميكاتي لانه مريض مثقل بالمرض.

— الخميس عض كلب الى يوسف عزوز من المكتب وما هو بالحسب كلبان ام لا وهذا الاسبوع اجا من اكوب تتن رطل ٥ ومن مخائيل تتونجي رطل ١٥ واجا نعمة الله بردخجي من براجيك واجانا ارمضان فستق وبطيخ قرا قارون وايضاً اجا عبد الكريم اخو نعمان موصلي .

[٤٣٣] ١٥ ت ث ١٨٤٢

— الاحد مساء انعزمت بيت بدروس عند سيمون وابراهام ونمت عندهم وباكر جيت للصلاة وكان عندهم قسطون بن خالت حبيب بجري .

والخميس مات غندولف سهر انطون بطق .

والجمعة طالعوه . واجا سنيور موليناري ونظموا له نوبة اجق باش والطبل يكون معلوم نهار عيد قديسة كاترينا وانا كنت . ونهارها فارتما هلرانم .

[٤٤١] — اا ه درسي بذا يوجعني وكنت رايح بقلمه وبعده راكن ان شاء الله يطيب .

[٤٤٢] — الخميس اجا علي باشا ومعه ابن زياده كيخيا .

[٤٤٣] ١٥ ك ١ ١٨٤٢

— الاحد ضيافة بيت كوبا الى ابن زياده كيخيا علي باشا باشة الشام.

— الخميس كان سماط ابن حطب والجمعه عرسه اخذ بنت سيد محمد هلال . وسافر علي باشا الى الشام واجا وجيهي باشا باشة حلب .

— الثلاثا نام عندي انطون بن فتح الله انطاكي تأديباً حتى لا يعود يطلع الى الزقاق وحده .

[٤٥١] الثلاثاء توفي عمي يوسف بخاش.

[٤٥٢] اولما عيد الميلاد ما عيدت كنت حزين على عمي .

[٤٥٣] صار تنبيه الطوائف كلها روم وارمن وموارنه وسريان على ان الرجال اذا خطب ينقض الاعلى ٣٥٠٠ غ والاوسط ٢٥٠٠ والادنى ١٠٠٠

والعروس تطالع كما تريد ما في حراج وجيبان العروس لا يكون بالليل ويكون الاكليل بالكنيسة وبلا صفرة وبلا عجت عرائس بعد العرس رد سلام . والبركة على الطايعين من فم الثلاث روسا يكون معلوم .

[٤٦'] الاحد اولها كان اكليل انطون جد الى بنت الياس عجبي. وكنت عمال الم كرا الحوش ودفعت الاربعا الى المطران [اروتين] الف ١٠٠٠ بتمامها. ودفعت القرده ١٠٠ ليوسف خياط وكان ٣ و٤ و٥ و٦ عيد المسلمين الكبير.

— والاثنين شاور حنا خوري الى بنت الدلال على جمع اربع فما اراد الدلال بل قال يكون خمسة فما ضاضده .

[٤٦'] — السبت اجا خبر البطرك بطرس جروه السرياني الى الخواجا فتح الله كوبا بوفات لويس كوبا ابن ٥٨ بليكورنا .

[٤٦'] ٢٢ ك ١٨٤٣

— الاحد وقع ابن الياس شامي فتح الله من السطوح الى الدهليز قدام بيت صولا وكان نهارها عندهم ضيافة فرسانين لان اخو الخوري كان مريض وطاب وعيده وكان نهارها نظم ضيافة لكل بيت احماه ومساء عمال يكلفوا الضيوف للمشا فصار هذا المصاب وبقيوا بلا عشا .

[٤٧'] الثلاثا - اول محرم ١٢٥٩ م

نبهرا على المعاملة مجرى ٥٠ الطي ٦٨ ممدوحي ٢٣

والاحد اولها جابت صبي امرأة نعمة الله غزاله وكان من شهرين حزرت عليها صبي .

[٤٧'] ٢٧ ك ٢ ١٨٤٣

— نعمة الله بن موسى البخاش جن وتغير عقله وقتل اهله وكسر البلور بالدار وعنده جابوا زلام المتسلم وبعده الان طاب احسن من الاول والا ه رحنا الاولاد قاطبةً للبريه بعد الظهر واكل شاهين حجره على مصدغه.

والخميس فرق حنا خوري الفقراء قبل عرسه باذنجان محشي وكبابيج ولحم العجين .

— في ١٠ محرم ١٢٥٩ في ٩ شباط غربي ١٨٤٣ في ٢٧ ك ٢ شرقي ١٨٤٣

[٤٧^٢] — الخميس اجاني خلعة الياس جهامي طاقة بابت غرش٩٠ ومنديله بيضه يظما

[٤٨^١] الاربعا تغير كيفي ووصف الحكيم شوربة الحمص

— الخميس سافر بن اليان ميخائيل ومعه يوركي وغزال وابن عمتي .

[٤٨^٢] الاحد — ٥ اذار غربي في ٤ صفر ١٢٥٩ و ١٨٤٣ م

— الاربعاء ظهر في السما شبه عامود وناس تدوه سبله وناس جنس من قوس وقزح ساوي وغير اعوج ولونه مثل لون الغيم او درب التبانه . طالعت خراجي

[٤٨^٣] — الجمعة ما جيت للكرز بل رحت للميدان .

— السبت ١٨ اذار غربي ١٨٤٣ في ١٧ صفر .

— انتقل القونس لبيت موليناري .

— والجمعة اجا فتح الله ابن عمي من مرعش .

[٤٩^١] ١٦ آذار ١٨٤٣

— رحت صبحيه على الريحاوي بردت برد وافر وخيط البالوع بوظ من البرد وصار تلج من الراقا الى بلد عزاز مقدار ساعة ١١ مقدار ذراع تلج والبوظ برك كل السجرية لانها مزهرة وايضاً من المزروعات ومن الزهور جرك حسبه وافرة الا ٥ اجا عبد الله بردخجي من براجيك الا ٧ سافر فرنسيس عجوري الى ارفه .

[٤٩^٢] جابوا حجرة الروم لاجل مايدات للهيكل كنيسة الروم الجديدة والحجر الكبيره طلع المطران والبارته وغيرهم جابوها بزلاغيط والله ياروا لانها كبيرة كثير يكون معلوم في رياسة مطران غريغوريوس شاهيات .

— والخميس بدي شكر الله كوبا بالمزامير . وليلة عيد مار يوسف اجانا غربنيه من بيت ميخائيل سايغ .

[٤٩^٣] ٣٠ آذار ١٨٤٣

— الخميس صار مطر وهوا .

واجا زوده مقدار ذراع .

١٨٤٣ ٤ نيسان غربي في ٢٣ شرقي في ٤ ربيع اول ١٢٥٩

– الاحد الزوده وصلت للقفل بطاحون الجفيلات .

– الاثنين وصلت لفوق القفل بشي. جزئي واتا خبر من عينتاب ان يفضوا الوراقة والمشارقة لانه جايه زود .

– والثلاثا زادة الميه قبل باب الطاحون ومن الريحاوي لساقية بلب الكتاب وباب الجنين مغطي قنطرة الهوا الفوقانية ومن طرف الحمام بقي ثلاث مداميك حجار للشبابيك الحمام حمام النهر وطاحون عربية غرق وعمال نقل تقضاي الحواش والدباغ وصلت الميه للنشارين طول الدرب من عند البيطار للجسر .

(ثم نزلت الزودة تدريجاً) .

[٥٠١] – احد الشمانين .

– عدد الاولاد وحضورهم على اسابيع السنة :

– ٢) كبه ٥٥–٢) كبابه ٥٥–٢) كلداني ٥٥–١) كرباج ٥٥–١) شوكلي ٥٥–١) سابا ف ٥٥–١) خوري ٥٥–١) خوري س ٥٥–١) خوري ك ٥٥–١) حلاق ٥٥–١) حمصي ٥٥–٣) حبيب ٥٥–١) حبيب ع ٥٥–٣) جهسامي ٥٥–٣) عزوز ٥٥–٢) عجوري ٥٥–٢) عرقتنجي ٥٥–٢) عرقتنجي ٥٥–٣) عطار ٥٥–٢) انطاكي ٥٥–٢) انطاكي ٥٥–١) اديب ٥٥–١) باسيل ٥٥–٢) بخاش ٥٥–٢) وكيل ٥٥–٢) بليط ٥٥–٢) بازرجي ٥٥–٢) هلال ٥٥–١) زلوم ٥٥–٢) رعد ٥٥–١) متورا ٥٥–١) ثابت ٥٥–١) بدوري ٥٥–١) جبنه ٥٥–١) ملتلت ٥٠–١) ضامر ٤٧–١) ادلبي ٤٧–٣) بردخجي ٤٤–١) عجوري ٣٦–١) رعد ٢٨–١) بليط ك ٢٥–١) بردخجي ك ٢٢–٢) سايغ ٢٢–١) عبد الله انطاكي ٢٢–١) بدررس ٢٥–١) هنديه ٣٧–١) منصور ٢٧–١) شلحد ١٢–١) عقاد ١٠–١) رعد ك ٦–١) غزالة ٥–١) ورفير شلحد ٣ .

[٥٠٢] ١٦ نيسان ١٨٤٣

– اولها الاحد عيد الكبير كز البطرك وطوال الصوم ما كز .

الخميس (الماضي) راحوا الاولاد للطقس الروم ومكتبنا فقش . سكرت وادوح للصيد .

[٥٠^٢] والاحد نبه البطرك من بعد القداس ان الذين ما صاموا مع السريان يفطروا معهم والا يفطروا الروم يصوموا جمعه بدل الاولى قصاصاً والذي ما يفعل ذلك محروم[١] .

[٥١^١] — اولها كان عرس بن السمان الى لوسيا بنت كورك عمال اخت كركور .

[٥١^٢] في ٢٥ نيسان شرقي سنة ١٨٤٣

[٥١^٣] — السبت اجاني هدية فرخ ٣ سمك فرنجي وقبوة (ب) صالصيجو فرنجيه من بيت كوبا واهديت السمك بيت عزوز .

[٥٢^١] في هذا الاسبوع الحرامية مزعجين الناس كثير واناس عمال يفسقوا عوض نشل اللبش الله يغيرها باحسن والناس عمال يسهروا على الاسطحة لاجل الحرامية يكون معلوم .

في ٢٧ ايار السبت ١٨٤٣ في ١٢ ايار شرقي في ٢٨ ربيع ثاني ١٢٥٩

— السبت يمت بالوع وقصبته ٢٣ باره لواحد ارمني .

[٥٢^٢] — الجمعة انعزمنا بيت نصري خوري .

٣ حزيران ١٨٤٣ غربي

— السبت ابن شكرالله (ا) اسلم عند الباشا واسمه رزق‌الله وابوه اعمى.

[٥٢^٣] ٧ حزيران غربي ١٨٤٣

— الاحد صار شوتفة[او معمة او فتنة](ب)من ابن الشريف لاجل الزرع.

— والخميس سافر عبدالله البابنسي على العرب . ابن موسى مجاش ثار عليه جنونه كثير .

— كان عرس بن التاجر الى بنت الشاهيات .

---

١) البخاش مركز حلقة الدائرة في المحتشمات العائلية الحلبية وفيها مع شدة تقوام يسترسل الحلبيون الى النقد والمزح في محله او في غير محله على حساب البطرك والموارنة والروم والصوم والحرم . . .

وجاء عيد الفصح ويتبادلون الزيارات والبخاش سخين العين يؤدي مادة الثرثرة .

. — الاثنين عيد المنصرة نظمنا شمبيات القيمق من عندنا .

— والجمعة نورية الروم عندنا واخذ ابن السياف من نعوم كوريخ بالوع وقصبته [يكون ابن السياف احد سكان الاحياء المجاورة لمواضع الصيد فتعدى على كوريخ . . .]

[٥٣'] — الاثنين وقع انطون عزوز على خاصرته وحط فطير وعلق علق مقدار ٣٥ عده والآن كيفه احسن .

— الاحد اولما كان عرس نعوم صاجاتي الى برياره بنت شكرالله زلعوم .
(راجع فيا بعد ١٨٤٥ ٢٨ ت ١)

[٥٤'] الثلاثا مات بن نعوم غزاله عمره شهر ٥٢

— الاثنين باركت بيت نعوم كوريخ لانهم طلعوا من النيبي وسكنوا في حوش بن السايغ بابها في حارة ابو عجور .

[٥٤'] الخميس الساعة ٢ بعد الشمس ولدت مرأة فتح الله كبه واتت بولد ذكر في ١٥ ج ت قري في ٢ تموز شرقي في ١٣ غربي ١٨٤٣ .

كانوا نسوان في الحجازي وارتمبوا من عسكر المورة (قد يكونون من بلاد اليونان ومن بقايا عسكر ابراهيم باشا ؟) ومن واحد من بلهيد سكران وترجوني مرافقتهم للبلد وارتعبوا كثير .

وهذا الاسبوع قدوس الموارنة شلحوا القوابيق (ب) ولبسوا قلوسات مثل الرهبان .

[٥٤'] السبت ماء راح عبدالله كلزي وروانيس فرا ويوسف كلزي خال نعوم خالي ابي كوريخ الى حجازي ركب وتمسوا . وهم نازلين صارة ساعة ناقصة فلت لجام او الرسن لمهر يوسف كلزي وجن فيه ووصله لكور مصري . وهو زايغ دفش ابو البطش[1] رماه على فمه وكسر له سن واناس يقولوا انه الحيوان غش فيه . واكل قتله كلزي من الباتنه دق ودوس ومرادهم يقتلوه فارط

١) قد يكون ابو البطش احد الحراس في البستان ؟

وحبسوه بالاخور وبعده ابن الفرا طلع وجاب عربان كانوا نازلين قدام بستان حجازي واخذه قوه واقتدار ويقولوا ان اخذوا منه علبه برنوطي فضه وذخيرة عود الصليب ومقرمه (ب) فيها محدوحي عده ١٠؛ يكون مطوم والآن مريض

[٥٥'] الجمعة انكسر خطيب بنت اختي غره وقعد بالحبس.

[٥٥'] الاحد اولها نقشه بنت الدلال الى ابن بطرس حمصي يوسف. وارتسموا عند الارمن قسوس ٢ ابن البليط وواحد آخر.

— والاثنين ارتسم عند الموارنة قسيس اولاد الكلداني.

— الخميس كان عندنا نجار لاجل الكراويت.

[٥٥'] الجمعة مشورة جبرا بليط الى بنت صولا غرة.

[٥٦'] السبت دفعت القرده غرش ١٠٠ لان بده يطلع تنبيه المعاملة.

[٥٦'] الاثنين طلع تنبيه المعامله قري ٥ الطي محدوحي ٢٠ وقيدهم للبايعجي.

— وكانوا ناظمين الاغاوية السريان بستان عبدي افندي.

— الاربعا بنت كوبا جابها ابوها لعنده لان سمع كلام ناقص زايد.

— الاحد خطب نعمة الله بن دير اروتين الى بنت حنا حكيم وشاور يوسف خاطي الى مدول بنت المسال.

— في ٨ آب شرقي في ٢٠ آب غربي في ٢ شعبان ١٢٥٩

[٥٦'] ٣ ايلول ١٨٤٣

— السبت العصر تنيح مطران الروم باسيليوس او غريغوريوس شاهيات.

— وانتقل الياس ابن يوسف اسود جارنا الى الشرعاسوس واستكرا مطرحه شكرالله تاجر.

[٥٧'] ١٠ ايلول ١٨٤٣

— الاحد اولها دفنوا المطران الشاهيات دفنه منظومه البطرك السريان بطرس جروه ومطران الموارنة بولص اروتين والارمن عيواظ وصار نهار محتفل وانا ما كنت.

— يوم الجمعة قس جبرائيل قدس في بيت البخاش لان نعمة الله بخاش كان متير عقله .

[٥٧'] الاحد مساء كان عرس جبرا بليط الى غره بنت يوسف صولا .

— السبت ١٦ ايلول ١٨٤٣

[٥٧'] الاثنين صار جمع وطلبوا البطرك والمطارين وقروا مكتوب من الباشا والاعيان بان لواحد (ولا واحد) من الرعايا نصاره ويهود يتم (تبيت)عندهم جاريه عبده فامتثلوا امره ومنهم باعوا ومنهم اودعوا عند الناس[١] .

— الخميس بالليل ولدت مرأة نصرالله خوري وجابت ولد ذكر.

— في ٥ رمضان ١٢٥٩

[٥٨'] في ٢٨ ١٨٤٣ غربي

— الاحد فتح جرجي رباط مكتب وفي السابق كان معلم مكتب ولما توفي اخوه عدا عن المكتب وتبع كار اخوه دلال لولو والماس واشيا. ثمينه وبعده انكسر رجع فتح المكتب .

— الثلاثا تطمنا عشاء للفقراء وكيفوا وقالوا الله يساوي وزلاغيط .

[٥٨'] ٣٠ ايلول ١٨٤٣

— الاحد اولها كان عرس يوسف خاطي الى مدول بنت كورك عال.

— ومشورة نعوم دير اروتين الى بيت حنا حكيم .

— الثلاثا سافرت مرأة شدياق الياس قرألي الى عند اخوها واهلها للشام بيت لويس ضوناته .

---

١) ما زالت التجارة بالرقيق او استعباد العابدة شائعة في افريقية وفي المملكة السعودية. وكانت معروفة في بلاد الشام في ايام البخاش على ان اهل الذمة لا يحق لهم ان يسترقوا الرقيق او ان يكون عندهم عبد او عبده .

راجع انطوان فتال : النير المسلمين وحالتهم تجاه الشرع الاسلامي .

Antoine Fattal : *Le statut légal des Non-Musulmans en pays d'Islam.* p. 149-Imprimerie Catholique, Beyrouth 1958

– وفي هذا الاسبوع قرضت الطي الى مرأة رفول شامي عدة ٢٥ بسعر ٦ على الجديد .

[٥٨ˇ] الاثنين انتها. ١٦ وابتدا. السنة ١٧ لافتاحي المكتب.

– في ١٥ رمضان ١٢٥٩ في ٢٧ ايلول ١٨٤٣ شرقي

· وعدد الاولاد ٦٤

– الاربعا بالليل قتل اثنين مسلمين الواحد بالمبلط والآخر في صابح بميد . من المسلمين القاتلين .

[٥٩ˇ] ال ٣ انكسر نعمة الله بن حنا رعد الزغير والمذكور خاطب الى بنت يوحنا قاق .

– والخميس انعزمت لبيت الياس كبابه لخطبة بنته لابن نعمة الله وكيل شكرالله .

– والاحد اولها كان عرس يوسف تاجر لبنت جرجي بليط .

– والخميس انعزمت للمشا بيت فتح الله عجوري .

– والسبت التاريخ في ٢١ ت سنة ١٨٤٣ في ٩ شرقي في ٢٧ رمضان ١٢٥٩

[٥٩ˇ] الثلاثا عيد رمضان . ونهارها كان عماد ابن حنا قاق . وكان نهارها مطر ورعد .

وال ٦ مسا كان عيد قديسة ترزيا سهرت بيت الكرونلي وكان بنتهم وبيت الضاهر وساغ حنا وياقين وخاطي رجال ونسا وكان رد سلام عروس خاطي مدول بنت المال وكثير انبسطنا للساعه ٨ عصمليه في الليل .

– في ١٥ ت ١ شرقي ١٨٤٣ في ٢٧ شهره غربي في ٤ شوال ١٢٥٩

[٥٩ˇ] ال ٢ سافر انطون فرقوعه وفرج الله شوكتلي مصر .

– ال ٤ رحنا ناصر الدينية وكوريخ وجبنا مقدار وقية ٢ ووالدي ظلمتان عده ٤٢ .

– ال ٥ ولدت مريم بنت عمي مرأة نعمة الله حكيم ولد ذكر .

– ال ٥ من الليل . وال ٦ توفت مرأة نصرالله حمصي بوجمه النملة .
[مرض الجلد] .

– الـ ٢ ولدت مرأة يوسف سوكياس وجابت بنت .
– الـ ٥ ولدت مرأة شكرالله عرقتنجي بنت الشوحه وجابت بنت .
– والاحد اولها كان عرس نعوم ديب اروتين الى بنت حنا الحكيم يكون معلوم .
[٦٠أ] الاربعا مار ميخائيل رحنا وباظرجي الى قناية الشيخ فارس واخذت بالديانه مقدار ٢٧ الظهر ورجعنا عيدت العيد. وبقية الجمعة دائر للم سلف الحوش.
– والاحد اولها ولدت مرأة نعوم تندلفت وجابت صبي.
وولدت مرأة شكرالله تاجر وجابت صبي .
في ٥ ت ت غربي في ٢٤ ت ١ شرقي سنة ١٨٤٣ في ١٣ شعبان ١٢٥٩
– والاحد سافر فرنسيس عجوري ارفه والصراف فتح الله عرقتنجي.
[٦٠ب] الخميس كنت معزوم بيت الكبابه للغذاء وكان كابيج .
– الاربعا ضربت ابن الكبابه قتله عده ٢ وثاني يوم ما اجا وكنت عمال الم سلف الحوش من الاولاد .
– والخميس والجمعه ما اجوا اولاد الكبابه .
– والجمعة مساء رحت عندهم .
– والسبت اجوا .
١٨ ت ت ١٨٤٣
– وتوفي رزق الله بن جرجي ثابت الاعرج شب الله يرحمه .
– الـ ٥ اجوا بيت باركر من السويدية وهذا الاسبوع عمال يطلع سمك من الشاينذر .
[٦٠ب] الـ ٤ ارسل المطران طلب كرا الحوش مع حنا الاخرس.
[٦١أ] الاحد عيد سيدة النجاة .
– الثلاثا ماتت ام ميخائيل صولا .
الاربعا مات بطرس يغمور ومات ارسان مغربية .
٨ ذو القعدة ١٢٥٩ في ٢٩ ت ت غربي سنة ١٨٤٣ في ١٧ ت ت شرقي

[٦١'] الاحد تظمنا البربارة عندنا

هدايا ارسلت الى نعوم البخاش ذكرها في الصفحة الاولى من المخطوط .
لا رقم عليها .

البرباره غربي ٢ عزوز ١ كنافه بليه
١ مرفع الميلاد شوكتلي ١ كرابيج

البرباره الطوايف		سليقه	كنافه	عرق	برتقال
١	عبدالله انطاكي	١	١	١	٥
١	كبابه	١	١ لحنا	١	
٢	سايغ	١	١		
٣	بردخجي	١	١ لحنا		
٣	وكيل	١	١		
٢	عرقتنجي ذ	١	١		
٢	سقال		١		
١	جهامي	١	١	١ نبيذ	
٣	عجوري	١	١	١	

الاربعا مار قلاوص رحت بعد الظهر لناصر الدينية واكلت مطر للسا . ومساء ولدت الساعة ٣½ من الليل مرأت يوسف كلزي واتت بصبي بنت ... جرجي بليط .

— في ١٠ ذي القعدة ١٢٥٩ في ٦ ك ١ ١٨٤٣

وماتوا بنات حنانيا الاثنتين بين الواحدة والواحدة نصف ساعة الله يرحمهم.
[٦١"] الثلاثا مرفع الميلاد موارنة وكان نهارها خطبت مريم بنت غره حوا ابوها المرحوم نعمة الله ايوب الى ميخائيل صولا الفونجي .

١٣ ك ١ ١٨٤٣

في هذا الاسبوع طلع بدروس من المكتب وقعد عند جرجي رباط ورجعه .
— الاربعا سكر شماس الياس المكتب حتى يجيبوا الاولاد خرجيه يجو للمكتب وبعد يومين فتح .

— والاثنين صار مطر وافر وطاف الطايح وحام برهم وصار زودة بالنهر وقلعت جسر الناعورة من اول مسا. وبكره نزلت .

[٦٢'] الاربعا اكل قتله شكرالله قرألي من كيب واحد تاجر انكليزي . وماذا يجري نذكره .

— الثلاثا ارسل كوريخ نعوم خالي اخذ الوزاية المكتوب عليها الفاتحة وللآن ما رجعت وهذه الجمعة سركلوا الجزار الى روم قلعه ورتبوا عليه دراهم لاجل ضرر الفرنساوي الذي ضربه مقدار . . .

الـ ٧ ولدت مرأة انطون عزوز وجابت صبي الساعة ٥ عصليه من النهار.

[٦٢'] في ٢٣ ك ١ غربي ١٨٤٣ في ١١ شرقي في ٢ ذو الحجة ١٢٥٩

— الاحد دق الطبل بيت جبرا اسيون لان المذكور اجا له صبي وارسل صانية زلابيه الى وجيهي باشا فارسل النوبة مباركة للصبي من بكره المسا.

[٦٢'] الاثنين رأس السنة ١٨٤٤ غربي .

— الاربعاء ولدت العصر مرأة ميخائيل سايغ بنت الضاهر وجابت صبي .

في ٢٢ ك ١ شرقي ١٨٤٣ في ٣ ك ٢ ١٨٤٤ غربي في ١٢ ذي الحجة ١٢٥٩

ومثلها النهار ذاته ولدت بنت الدلال مرأة حنا خوري وجابت بُنت .

والـ ٥ اجا فرنسيس عجوري من ارفه .

الـ ٦ ليلة الغطاس والميلاد شرقي وبكرنا للصلاة .

في رأس السنة غربي ١٨٤٤ ارسلت الهدايا الى المعلم نعوم البخاش من التلامذة :

	خيمة	رز بسل	صابيع	نبيذ	عرق	برتقال	بالوظه	عيديه
٢ كبه	٠١	٠١		٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٦ ≤
٢ كلداني	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٥
١ متورا	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٢
١ ضاهر	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٥
٢ عزوز	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٠
١ شوكتلي	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
١ جنة	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٥
١ بدروس كرايج		٠١	٠٠	٠١	٠٠	١٠	٠٠	٠٧∠
١ مقال	٠٠	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٧∠
١ عجوري ف ن	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٥
٢ بليط	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٣
٢ كبابه	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٦
١ ثابت	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٣
١ عجوري ان	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٩٥
٢ انطاكي ع م	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
٢ انطاكي ف	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
٣ جهامي	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
١ باسيل	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
٢ شكر	٠١	٠١	٠١	١مشمشية		٠٠	٠١	٠٠
٣ بردخجي	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٥
٢ قس نصرالله	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
٢ عرقتنجي	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
١ عرقتنجي	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
١ حبيب ع قرص ٠٢ كرايج ٠١ رز بسل بحليب ٠١					٠٠	٠٠	٠٠	٠٥
١ خوري س	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
١ في المرفع الموارنة والطوايف سوا ١٨٦٦ قرص ستبوسك عرق						٠٠	٠٠	٠٠

١٨٤٤ م، ١٢٦٠ هـ

[٦٣¹] هذا الاسبوع مات الشيخ عاقيل وابن الحداد وواحد فتال وابن عزيزه بالفالج وبيت عزوز عمدوا الـ ٤ لان الولد ماكان عمال يرضع وسموه بطرس ونظمنا يوم الـ ٦ ليلة رأس السنة١٨٤٤ شرقي عندنا وكان كوريخ وجبرا سميان وباظرجي يوسف ولعبنا ليلتها بالورق بالفستق . والـ٧ رأس السنة ١٨٤٤ الله يحيينا لامثالها ان شاء واراد .

— والثلاثا غلقت غلاقت ٢٠٠ قرش كرا الحوش على الجديد . وهذه الجمة كان من قبل الرشح كيفي مقيّد الحمد لله صح احسن من اول .

ويوم الـ ٦ كتبت مكتوب بعد المشا لمرأة رفول مشاطي بدراع٢ انكيتا(؟)

[٦٣²] الاحد اولها كنت معزوم بيت فرنسيس عجوري للغدا .

— الـ ٤ عيد مار انطانيوس درت عيدت .

— الـ ٥ صار ثلج وبنا ونهارها ما اجا اولاد الا قليل بعت جبت تفنكة نعوم جنه ورحت ونعوم كوريخ الى بستان الكلاب وضربت دج ٦ وما صبت ولا واحد لان التفنكه ما تنفع يكون معلوم .

[٦٣²] ٢١ ك ٢ ١٨٤٤

الاحد اولها افتتاح محرم سنة ١٢٦٠ الله يجعلها مباركة وفايضة الخيرات ومدرّت السرور والبركات . ونهارها انعزمت لعماد بن الخواجا ميخائيل صايغ وسموه حبيب منتورا وعمدوه بالكنيسة ونهارها كان مطر وافر وتغدينا عندهم وكان نهارها بيت الياس ضاهر قاطبة وبيت رزق الله خوري وبيت الكلزي قاطبة واولاد الصايغ ومعهم الولد الفرنجي ومساء سهرنا عند باظرجي وكان عندهم امرأة شكرالله براهيم شاه ونظموا عرس لام يوسف جارتهم من كذب كذيبونه[1] وفرقوا شمع والمكلل نعوم موديخ بالروحي . (يتبع)

---

[1] من كذب كذيبونه اي على سبيل المزح .

عودة اليسوعيين الى الشرق

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

ثمانية وخمسين سنة بعد ان قضى قرار كليمنضوس الرابع عشر على الرهبنة اليسوعية في سنة ١٧٧٥[1] عاد اليسوعيون الى ربوع الشرق وكان بطاركة لبنان الاربعة قد ارسلوا الى من ينوب عنهم في المدينة الخالدة طالبين اليهم ان يقدموا عريضة لقداسة البابا بيوس السابع كي يتنازل ويرسل الى لبنان أولئك المثال اليسوعيين سنداً للدين المسيحي في الشرق. وكان ممن وقع الطلب في روما المطران مكسيموس مظلوم والاب يوسف السمعاني والمطران جرمانوس حوا.

وقد اخذ المطران مظلوم على عاتقه ان ينبه مراراً خاطر مجمع انتشار الايمان الى ذلك فطلب ان يعود اليسوعيون الى لبنان ليديروا المدرسة الاكليركية في عين تراز. فكان امين ذلك المجمع يصغي اليه بانتباه الى ان انتخب حبراً أعظم فاراد اذاك ان يلبي طلب المظلوم فاس في اواسط شهر ايلول من سنة ١٨٣١ ان يبحر مع الاسقف المذكور يسوعيان كهنة وهما الابوان ريكادونا وبلانشه وأخ مساعد هنري هنز .

ولقد عثرنا في اوراق السيد الذكر حبيب زيات على النسخة الاصلية لجواز سفر الأربعة المذكورين اعلاه وقد رافقهم اثنان آخران ارغسطين أورفي والسيد قسطنطين جيوستي . فننشرها لما لها من القيمة التاريخية ولما فيها من الفائدة تدلنا على صعوبة السفر انذاك في مقاطعات ايطاليا وعلى الاتجار المرتقب من ليفورن .

١) اعلن ذلك القرار البابوي سنة ١٧٧٣ ولكنه لم يصل الى لبنان الا في سنة ١٧٧٥ .

ترجمة الوثيقة

باسم ملك الفرنسيس

نحن سفير فرنسا لدى الكرسي الرسولي

نلتمس من السلطات الفرنسيّة المدنيّة والعسكريّة ومن السلطات الصديقة والحليفة ان تترك حريّة السفر لسيادة مكسيموس مظلوم رئيس اساقفة ميرا، الحامل الجنسيّة الفرنسيّة والمسافر الى جبل لبنان بطريق ليقورن بمعيّة السادة الاكليريكيّين بولس ماري ريكادونا، مبارك بلانشه، هنري هتز واوغسطين أوفي والعلماني السيد قسطنطين جيوستي. نلتمس من هذه السلطات ايضاً ان تساعدهم وتساندهم اذا اقتضت الحاجة.

رومة في ٦ ايلول ١٨٣١

مع ختم السفارة الفرنسية وامضاء السفير وامضاء سكرتير السفارة الاول ل. بلوك

على هامش هذه الوثيقة رقمها وهو ٥٦٨

***

١) على قفا الوثيقة اختام من يهتهم امر هذا السفر وتسهيله. فالى الجهة اليسرى ما يلي: «أعطي جواز السفر هذا الى ليقورن مجاناً وهو صالح لسفرة واحدة؛ وذلك في روما في التاسع من ايلول ١٨٣١، مع امضاء وختم نائب مدير البوليس العام.»

٢) تجاه هذا السماح بالسفر، الرقم ١٥٣٨ ينبي على صدق التأشيرة الى ليقورن وذلك في ١١ ايلول ١٨٣١ «مجاناً. صالح للسفر الى ليقورن. أعطي في أكوافندانتي تحت ختم ا. كونت بالياتشي.»

٣) يلي هذا الرقم المذكور اعلاه رقم اعطته سفارة النمسا وتوسكانا لهذه البطاقة وهو ١٥٩٣ وهذا الرقم هو عنوان عن تأشيرة مصادقة على السفر أعطيت في رومافي ٩ ايلول ١٨٣١ تحت ختم السفارة والسفير.

٤) في الوسط ختم قنصلية فرنسا ، البارون ج. دي فرمون ، وُضع في ليڤورن في ٤ ايلول ١٨٣١ . يسمح بالسفر الى قبرس .

٥) وتحت هذا الختم تأشيرة تصادق على صحة الجواز بالسفر الى جبل لبنان. أُعطيت في ليڤورن في ٥ تشرين الاول ١٨٣١ تحت ختم الحكومة.

٦) في اسفل الجهة اليسرى الرقم ١١ وتحته: «نُظر في هذا الجواز في القنصلية الفرنسية في سوريا في بيروت... مع مرافقيه المذكورين في الصفحة الاولى الى جبل لبنان – بيروت ، في ١٨ تشرين الثاني ١٨٣١. القائم بالاعمال ف.ج. جورل. مع الختم التالي: القنصلاتو الفرنسية في عكا.»

٧) في اسفل الجهة اليمنى تأشيرة من ليڤورن في ٧ تشرين اول ١٨٣١ مع الختم.

U NOM DU

SS FRANC

TOU

DE FRANC

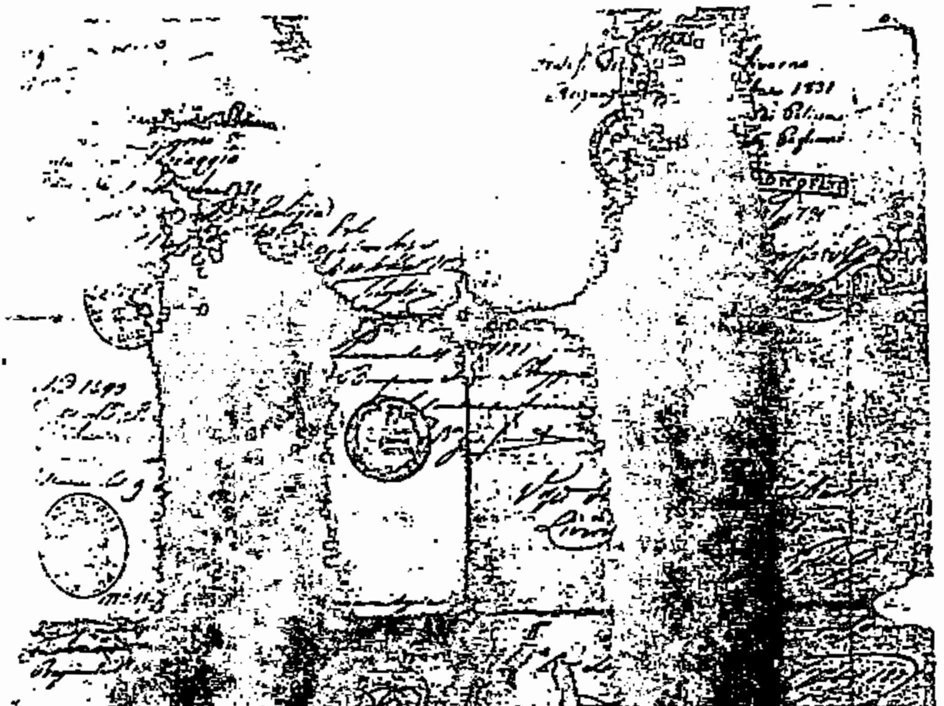

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلّامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف (الألف) (تابع)

أُسو (في الكرنك) في شمال لبنان فيها الحديد لعلها (اسيا) الآن .

أَدُميم — جمع أدُم أو ادوم العبرانية بمعنى الاحمر سميت بها عقبة او طريق واقعة تجاه الجلجال الى جنوبي الوادي حيث يمرّ من — اريحا — ووادي الاردن الى اورشليم وذكرت في سفر يشوع (١٥ : ٧ و١٨ : ١٧) باسم معلي أدُميم أي عقبة الحمرا او طريق الحمر .

أبو تيج — اسمها بالمصرية القديمة (شيني بمعنى (شونة) فسماها اليونان (اباتيجي) وهي بمعنى شونة . ولعلها كانت مخزناً للغلال حتى سميت بهذ الاسم .

اخميم — اسمها بالمصرية القديمة (خنت او خيم) نسبة الى خيم معبود الاقليم ١٩ بالوجه القبلي لانها كانت موطنه. سماها اليونان (شميس) او (باتوبوليس). وسماها العرب (اخميم) اشتهرت منذ القديم بنسج الكتان وغيره .

ادفو — مصريتها القديمة (اتبو) نسبة الى (بتي معبودهم) فقال العرب (ادفو) .

ارَّادُس — او ارواد او رواد كلمة عبرانية بمعنى (التيه) او محل (الهاربين) وهي جزيرة صغيرة في البحر المتوسط الى شمالي طرابلس من ساحل فينيقية على بعد ميلين عن الساحل وثلاثة اميال من طرطوس الى الجنوب الغربي. فيها آثار فينيقية من قلاع واسوار حصينة قيل كان فيها قديماً يسكن الاراديون نسل ارادوس بن كنعان بن حام بن نوح فلما بنيت ارادوس الجديدة انتقلوا اليها وسميت باسمهم . وسميت القديمة (انتيرادوس) اي مقابل رادوس .

ابو صير — مصيريتها (بي او سيري) بمعنى معبد اسوزس فسماها اليونان (بوزيرس) والاقباط (بوصيري) والعرب (بوصير) و (ابو صير).

ارجوب — (عبرانية) بمعنى حجر وهي (اللجاة) في حوران.

اردن — (عبرانية) جري سريع اسم النهر المشهور في فلسطين.

ارفاد — (من العبرانية) المحصنة (ويقال — ارواد).

ارمنت — اسمها بالمصرية القديمة (انومنت) من كلمتين انو (مدينة) و(منت) المعبود المصري ثم قلب اليونان النون من (انو) راء فصارت (ارومنت) فقال العرب (ارمنت).

أرناؤط كوي — تركية بمعنى قرية الارناؤوط وهي على بوغاز القسطنطينية على بعد ٣ اميال . نزل فيها الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي لما نفي الى الاستانة بطريق جزيرة مالطة سنة ١٨٤٠ وبقي هناك الى وفاته سنة ١٨٥٠ .

أرُنْد — Orontes اسم نهر العاصي وكان اسمه القديم (تيفون) يخرج قرب الهرمل فاذا وصل الى انطاكية قيل له الأرند والأرُنط باسم أرُنتس الذي بني عليه جسراً فسمي به ولكن اسم العاصي الآن يطلق عليه من مخرجه الى مصبه وسماه ياقوت في المعجم نهر (الرُستن) لانه يمرّ بقربها ولعل العاصي تحريف (الاكسي) اسم نهر في بلاد اليونان . وزعم بعضهم انه سمّي بذلك لانه يسير من الجنوب الى الشمال فيكون عاصياً والاول اصح وأولى .

اذاسا — Adasa اسم مدينة الرها التي بالجزيرة العراقية — قيل ان سلوقس الملك من خلفاء الاسكندر المكدوني بناها في السنة السادسة من موت الاسكندر وهي السادسة عشرة من ملكه ويقال (أدوسا).

اذرعي (من العبرانية) — قوة أو حصن .

ارنون — (من العبرانية) بمعنى (المصوّت) اسم نهر .

أبَرْشَهْر — لقب نيسابور ومعنى (شَهر) بالفارسية البلد و(أبر) الغيم فلقبوها لذلك تفاؤلاً بخصبها قال الشاعر :

كفى حزناً انّا جميعاً ببلدةٍ ويجمعنا في أرض (بَرْشهرَ) مشهدُ

آبَرْقُوهْ — بلد في فارس من كورة اصطخر قرب يَزْد وتكتب (أبَرْقويه) ايضاً . ولفظها الفارسي (درْكُوه) اي فوق الجبل .

أبلِنُوبوليس مانيا — مدينة قديمة من مقاطعة تيبة المصرية اسمها الآن (ادفو) على ضفة النيل اليسرى وهيا كلها فاخرة منها اعظم هيكل تدل عليه آثاره — ومعنى الكلمة (مدينة ابو لينو الكبرى) .

اثينا — (يونانية) بمعنى (ميترفا) الهة الحكمة . ومثلها كفرشيما في لبنان اي قرية الهة الحكمة .

أرْدُنّ — اسم النهر المشهور في فلسطين . اصله بالعبرانية ياردن مشتقة من ياراد ومعناها نزل . وقيل مركبة من (يور) بالعبرانية نهر و (دان) بمعنى ماء كثير او سريع الجري كما في (دانوب) و (اريدان) وغيرهما وقيل اسمها (يوردان) اي دان نزل لان ستمائة من سبط دان نزلوا على النهر . وقيل لان ينبوعه في باناس يسمّى (دان) وقال ياقوت غير ذلك .

أرًا — اسم معرة النعمان كان اسمها القديم أرًا في سورية في مقاطعة خلكيذيكي .

أرمَجِدُّون — أر من (هَرْ) العبرانيـة بمعنى (تلّ) و (مجدّو) اسم قرية وموقعها محل القرية المساة لجون وسميت بزمن الرومان لجيو او لجيون وهي الآن دارسة .

أرثيرَيهْ — كلمة يونانية معناها (احمر) وتطلق على كل البحر أو مجموع المياه بين افريقية وبلاد العرب والهند .

أريحا — مدينة في غور الاردن شرقي أورشليم مشهورة بالتوراة اسمها الآن (ريحا) وعبرانيتها (يريحو) اي مكان الرائحة الطيبة او القمر . وبالسريانية (ايريحو) . وفي البقاع البعلبكي (ريحا) .

أستراباذ — ناحية في بلاد فارس معنى اسمها (عمارة النجمة) او (عمارة استر) وهذا اسم رجل بناها . ويظن انها طَبَرَ اكَسْ او عبراقة قاعدة هرقانية القديمة .

أَسْيَا أو أصيا – قرية من البترون معناها (الطبيب) وفيه دية باسم اسيا وهو قديس سميت به .

اشاغي – تركية بمعنى (الاسفل) ركب منها اعلام كثيرة مثل اشاغي ابامور من شروح في حلب الخ . . .

اشك – تركية بمعنى (حمار) تضاف اليها بعض المسميات مثل اشك بنازي واشك قبو تحتاني وغيرها .

إصطبل – في البقاع قرية ويونانيتهــا بمعنى (موقف) وتعرف بمأوى الدواب ويسمى الاصطبل بالفرنسية (ايتابل) Etable (وايكوري) Ecurie ولعلها الآخور او الياخور عندنا من اصل واحد فارسي وبالانكليزية Stable .

أَطَهْ – تركية بمعنى (جزيرة) وهي اسم لاماكن كثيرة ومركبات اسماء .

اشمون – مصريتها القديمة (شمون) بمعنى ثمانية لان اهلها كانوا يكرمون ثماني معبودات – واشمون تسمية العرب لهــا . وقرية (شمون) عندنا في لبنان .

أسفرايين – بلدة من نواحي نيسابور واسمها القديم مهرجان سماها به احد الملوك لخضرتها ونضارتها ومهرجان قرية من قراها وقال البيهقي اصلهــا من (اسبرايين) مركبة من (اسبر) بالفارسية بمعنى الترس (واين) بمعنى العادة . لان سكانها عرفوا قديماً بحمل الترس . وقيل بناهــا اسفنديار فسميت به ثم حرّفت الى هذا الاسم .

أسفيذَدشتْ – بمعنى الصحراء البيضاء قرية من نواحي اصبهان .

أسفيذَرُوذْ – نهر في اذربيجان بمعنى النهر الابيض . وحيث يمرّ يسمون ممرّه ارض (إسفيذَ رُوذْبار) بمعنى ناحية النهر الابيض .

إسكي – تركية بمعنى عتيق تركب منها اسماء كثيرة منهــا إسكي حصار (الحصن القديم) مدينتان في انطولي وايــدين . وبصرى اسكي شام بحوران اي الشام القديمة .

أسْنا – مصريتها (سيني) فقال الاقباط (سنه) والعرب (اسنا) .

أسيوط – بالمصرية القديمة اصلها (سادت) فقال الاقباط (سيوط) وقــال

العرب (اسيوط) وهي من عهد الاسرة العاشرة .

إسوان — اسمها المصرى القديم (سوانو) نسبة الى (سن) وهي البحرة وسماها اليونان (الفنتين) اي جزيرة اسوان والاقباط (سوان) والعرب اسوان اشتهرت بحاجر (مقاطع) الكرانيت والنبيذ .

إقليم — خبط العرب في اصل الكلمة فقيل عربية من قَلَمَ اي قطع وقيل هو الميل المساكن المائلة عن معدل النهار . وقيل هو في لغة الجرامقة بمعنى (الرستاق) — والجرامقة المذكورون هم سكان الجزيرة يقسمون المملكة بالرساتيق كما يقسم اليمنيون ارضهم بالمخاليف وغيرهم بالكور والطاسيج وامثالها .

وقال ابو حاتم الرازي — هو الاقليم النصيب مشتق من القلم (بالفيل) اذ كانت مقاسمة الانصباء بالمساهمة بالاقلام مكتوباً عليها اسماء السهام .

وقال حمزة الإصفهاني — انها لفظة سريانية ومعناها (الرستاق) استعارها العرب ليدلوا على (الكشخر) وهو بلغة الفرس قسم لكل من الاقسام السبعة من الربع المعمور من الارض .

ولعل الاقليم مأخوذ من (كليما) باليونانية ومعناها ناحية او صقع (انتهى من دائرة المعارف العربية تحت كلمة اقليم Climat) ويقول مؤلف المعجم عيسى اسكندر المعلوف (وكليما) بمعنى محل القصب وهو دليل جودة المناخ فاستعمل له وقيل بمعنى (الميل) ثم البلاد الواقعة بين خطين متوازيين ثم القطر . ومنها (القلمون جبل فوق دمشق وبلدة قرب طرابلس الشام .

اسكندرية — سميت (اون امون) بمعنى شمس عمون او ضياء عمون وقال بعضهم ~~الاسكندرية هي قيرون~~ او قيسرون وتسمى بالعبرانية مدينة امون .

استلون ـ (عبرانية) بمعنى مهاجرة وهي (عسقلان) .

اسكندرونة — او الاسكندرية الصغرى وسماها بعض القدماء اسكندرية آسوس واليونان القدماء (ميل اندروس) الى شمالي انطاكية كانت من بلاد فينيقية تابعة ملوك دمشق فصارت تحت حكم الفرس الذين حكموا

بلاد فينيقية . فلما ظفر الاسكندر المكدوني اليوناني على داريوس الثالث ملك الفرس سنة ٣٣٣ ق. م. جدد عمارتها ونسبها اليه وكان انتصاره في شمال سهل بلدة اسوس المجهولة الآن. فحكمها خلفاؤه السلوقيون وصارت يونانية الى ان فتحها القائد الروماني برمبي سنة ٦٤ ق. م .

اشتهرت بأساقفها المسيحيين منذ اول عهدها وفي الشرق المسيحي انه ظهر منها ١٢ اسقفاً من ١٩٠ م. الى القرن السابع وخضعت لحكم الفرس بضع عشرة سنة واستعادها البيزنطيون حتى فتحها ابو عبيدة بن الجرّاح عند فتحه لانطاكية سنة ٦٣٨ م. واشتهرت بالدولة العباسية واشتهرت بتجارتها ثم تولاها الصليبيون وجعلوها تابعة لامارة انطاكية ١٠٩٨ م. فاستردها الملك الظاهر بيبرس البندقواري سنة ١٢٧٠ م. وسنة ١٥١٧ م. تولاها العثمانيون وفتحها ابرهيم باشا المصري سنة ١٨٣٢ وكثر سكانها وعادت ١٨٤٠ م. الى العثمانيين حتى ١٩١٨ م. وصارت بحكم الدولة السورية والآن هي تابعة لتركيا ومما يتبعها لواء قرق خان والسويدية واشهرها انطاكية .

افغانستان — فارسية مركبة من افغان و (ستان) بمعنى بلاد اي بلاد الافغان والافغان فارسية بمعنى المتلفين ويسميها سكانها ايضاً ڤيلاجت او ولاية كابلستان اي بلاد كابل وهي في آسيا بين تركستان وبلاخستان وللافغان بلغتهم اسمان (برختون) وهم اسم للشرقيين منهم ويسمّون ايضاً (الدرّانة) . (ويوشتون) وهو اسم للغربيين منهم والكل من الفئتين لغة مخصوصة به .

أفقا — (سريانية) بمعنى مخرج . في فتوح كسروان يخرج منها نهر ابرهيم او ادونيس (تموز) .

أقجهْ — (تركية) بمعنى مبيّض قرية من ولاية قونية وقد ركب منها اسماء كثيرة مثل اقجه اباد واقجه ديران .

الأقصُر — (راجع طيبة) .

امانوس — جبل اللكام في سورية الشمالية .

اكليبيّا — او الكألاسة يونانية بمعنى الكنيسة حرفتها العامة الى (الآسية) قرب المريمة بدمشق .

اماسيا — ليست حمص كما وهم بعضهم بل هي بلاد النُبط القديمة وهي اليوم من ولاية سيواس واسمها اماسية .

انطلياس — بلدة قرب بيروت من (انتي ايليوس) او هيليوس Helios وهو إله الشمس فمناه مقابل الشمس. (او انديلياس) محل استقاء الماء. ونسمي ما نستقي به (قَندلِه) وقب الياس من كبال ايلياس معبد الشمس. وبر الياس مماكس الشمس .

اميون — من قرى الكورة العليا في لبنان الشمالي وهي قصبة قضاء الكورة واشهر قراها — موقعها على أكمة صعبة المرتقى لمن يطرقها ومن هذا اخذ اسمها بمعنى (المصونة) .

اناضول — او اناطول لفظة يونانية بمعنى (المشرق) وهو يشمل اسية الصغرى وقسم من آسية الكبرى الشمانية وكانت الاناضول في زمن الرومان تعرف (بآسية الصغرى) لتميزها عن (آسية الكبرى) .

انطاكية — روت تواريخ قديمة ان سورية سُميت باسم (سورس بن ارعو) وكيليكية سميت باسم قيليقوس اخوه فتنازعا الولاية فلك هذا ما حول جبل امانوس (اللكام) فسميت باسمه وضبط سورس غربي الفرات وسميت سورية . وكانا بعد سنة ٤٢ من مولد موسى كما ذكر إغابيوس المنبجي . وكانت سورية من انطاكية الى الرها . وسنة ١٨٢٥ ق. م. مات ابرهيم عن ١٧٥ سنه فبني قسوس اوبلوس ابنا اينيكوس مدينة على يفرا نهر انطاكية عند نهر اورنطس (العاصي) وذكر ابن العبري مما يدل على قدمها . فانطاكية من اقدم مدن العالم بناها احد ابناء اينيكس نحو سنة ١٨٢٥ ق.م. كما مرّ اوسورس ابن اكنوز صاحب سورية وملكها الاول نحو سنة ٢٧٠٠ ق. م. وخربها سليمان ملك اسرائيل في حدود سنة ٩٩٢ ق. م. ثم جدد بناءها انتيفونس (انطيوخس) احد قواد الاسكندر ثم سماها الملك سلوقس نيقاطور اليوناني انطيوخية (انطاكية) سنة ٣٠٠ ق.م. وكانت عاصمة السلوقيين ٢٣٦ سنة (من سنة ٣٠٠ — ٦٤ ق.م.) وذكر مسبرو الفرنسي ان الحثيين كانت انطاكية من متملكاتهم من

ينابيع العاصي جنوباً حتى قلب آسية الصغرى شمالاً ومن جملة مدنهم كركيش (جرابلس الآن) وقدش (قطيني) وبطنان وخلوبو (حلب) وفي حدود سنة ٢٦٧ م. بنى انطاكية الجديدة سطورونيوس رئيس الجيش الذي صار ملكاً وقتل في افامية (قلعة المضيق) واشتهرت انطاكية بأساقفتها وملوكها وعلمائها وآثارها وبعد الزلازل التي توالت عليها سميت (ثاوبوليس) اي مدينة الله تيمناً به .

وتعرف بانطاكية سورية تمييزاً لها من انطاكية بيسيدية في ولاية فريجية (آق شهر اليوم وانطاكية قاريا في ليقية (خراب اليوم) وانطاكية جبال طورس وهي (عين تاب) وانطاكية مكدونية (الآن نصيبين) وانطاكية مرغيانه قاعدة تلك البلاد الى شمالي بقطريانة . وانطاكية كسرى وبناها كسرى في بلاد العجم نحو سنة ٥٤٠ م. وقد وضع لها كاتبه عيسى اسكندر المعلوف تاريخاً مطولاً في مجلدات مخطوطة .

انفه — قرية من كورة لبنان السفلى على شاطئ البحر وهي انف داخل في البحر وعليه آثار قلعة قديمة على بعد ساعتين ونصف عن طرابلس الشام وفيها آثار كنائس واجران سماهـا الصليبيون نفين Néfine وهذا الاسم محرّف عن اسمها القديم (نفين) وهو عربي من الانف لانها اشبه بأنف داخل في البحر وقيل سريانية بمعنى (مرسى السفن) .

اور — آرامية بمعنى (النور) ومنه سمى السريان أسفار موسى الخمسة (اوريتا) ومنها اورشليم (القدس) راجعها — و (اورهاي) الرها او اورفا .

أهوَاز — بلاد كبيرة في بلاد فارس — قيل اصل اسمها احواز جمع حوز وهي الارض التي بيّن صاحبها حدودها فاستحقها فقلب العجم حاءها هاء — وقيل : بل هي اخواز جمع (خوز) الفارسية . وكانوا يستعملون خوز مضافاً الى القبيلة فيقولون مثلاً (خوز بني فلان) وسماها الفرس (خوز ستان) اي محل خوز .

اورشليم — (فلسطين) ايليا والقدس و (شلاما) وبيت المقدس. (عبرانية) بمعنى ملك السلام او ميراث السلام .

إيرَان — اي بلاد فارس والعجم منسوبة الى الشعب الاريانى الذي قدم فارس ومادي من عبر السند وبقوا فيها قروناً عديدة الى نحو سنة ٦٥٠ ق. م.

ايليا — (القدس اورشليم) اطلق عليها هذا الاسم ايليوس ادريانوس ملك رومية الذي حارب اليهود في القرن الثاني للميلاد — قال ياقوت (ان معناها — بيت الله) — ويرجح انها باسم اسرة ادريانوس التي تدعى (ايليا) وذكرها شعراء العرب بهذا الاسم .

نهاية حرف الالف ويتبعه حرف الباء فيما بعد .

(يتبع)

L'INSCRIPTION DU SARCOPHAGE D'AḪIRAM

par
le P. A. VAN DEN BRANDEN

Depuis la découverte en 1923 du sarcophage d'Aḫiram, actuellement conservé au Musée de Beyrouth, de nombreuses études, le concernant, ont vu le jour. Quoique tous les auteurs soient généralement d'accord sur le contenu général de l'inscription, on constate toutefois de nombreuses divergences dans les détails des traductions (1) du fait que plusieurs mots se sont avérés difficiles à identifier. D'autre part, nous pensons que la stricte ordonnance du texte n'a pas été suffisamment saisie, d'où d'autres inexactitudes dans la traduction.

D'après le sens on peut diviser cette inscription en trois lignes: la première ligne donne l'identité du sarcophage; la seconde profère des menaces. Elle est composée de trois suppositions suivies de trois conséquences désastreuses si ces suppositions se réalisent; la troisième ligne contient une malédiction dirigée contre celui qui effacera l'inscription.

En voici le texte et la traduction:

1 — *'rn | zf'l | (')tb'l | bn : 'ḫrm | mlk gbl | l'ḫrm | 'bh | kšth | b'lm*
2 — *w'l | mlk | bmlkm | wskn | bsknm | wtm' | mḥnt | 'ly | gbl | wygl |*
'rn | zn | tḥtsf | ḥṭr | mšfṭh | thtfk | ks' | mlkh | wnḥt | tbrḥ | 'l | gbl
3 — *wh' | ymḥ | sfr z | lff | šrl*

1 — Sarcophage qu'a fait Ithoba'al, fils d'Aḫiram, roi de Gebal, pour Aḫiram, son père, lorsqu'il l'a déposé pour l'éternité.

2 — Et (si) un roi parmi les rois ou un gouverneur parmi les gouverneurs est puissant et décide un siège contre Gebal et déterre ce sarcophage, (alors) le sceptre de sa juridiction sera défait, le trône de sa royauté sera renversé et la paix abandonnera les hauteurs de Gebal.

3 — Et celui qui effacera cette inscription, que soit anéantie sa descendance à lui.

La première phrase ne présente guère de difficultés. Il y a eu quelques tâtonnements à propos du premier nom propre dont la lettre initiale est effacée, mais la restitution aliph proposée par Vincent (2) est actuellement agréée de tous les auteurs. L'expression *kšth b'lm* a été traduite par la plupart des auteurs «comme sa demeure pour l'éternité». Friedrich (3) ~~propose de la traduire~~ «lorsqu'il le déposa pour l'éternité» traduction que nous acceptons. Il s'agit du verbe *šyt* suivi du pronom affixe *h* et précédé de la conjonction temporelle *k*, bien connue en hébreux (4).

La seconde phrase, la plus longue, débute par *w'l*. Quel est le sens de ce mot? Dussaud (5) a proposé d'y voir la particule de condition correspondant à אלו de l'hébreu tardif. La plupart des auteurs l'ont suivi mais plutôt pour des raisons étrangères à la philologie. Le sens du texte demande, en effet, une particule de condition. D'autres sens ont été proposés par Albright (6) et Lidzbarsky (7). Friedrich (8) admet la suggestion de Dussaud tout en signalant le caractère hypothétique de cette opinion. Nous ne pensons pas que *'l* est la particule de condition, mais un verbe. En effet, si ce mot était la particule de condition, le premier membre de la phrase serait dépourvu du verbe. Or nous constatons que la première partie de cette longue phrase est composée de trois membres chacun introduit par la copule w: *w 'l-wtm' - wygl*, et dont les deux dernières copules sont certainement suivies d'un verbe. Il se peut donc que *'l* soit également un verbe. Ensuite si *'l='m* on s'attendrait après ce premier membre de la phrase à la construction *'š tm'* au lieu de *wtm'*. Voir par exemple Karatepe III, 12 où on lit: *w'm mlk bmlkm w rzn brznm... 'š ymḥ...*, «et s'il y a un roi parmi les rois ou un prince parmi les princes... qui décide...» (9). L'ordonnance de la phrase elle-même semble bien confirmer notre hypothèse selon laquelle *'l* est un verbe. En effet, aux verbes des trois premiers membres de la phrase correspondent les trois verbes des trois derniers membres de la phrase. Ainsi *'l* rappelle le verbe *tḥtsf*, *tm'* rappelle *thtfk* et à *ygl* correspond le verbe *tbrḥ*. Le parallélisme est parfait.

'*l* est donc bien un verbe. Il pourrait correspondre à l'hébreu איל , «être puissant», sens primitif de cette racine. On pourrait y voir également le verbe אלה , «jurer», en arabe ال . Dans ce cas '*l* aurait le même sens que le verbe suivant *tm*'. A cause du contexte nous préférons la première alternative.

Mais d'autre part, il est certain que les trois premiers membres de la phrase expriment une condition, indiquée généralement par '*m*. Comment expliquer l'absence de cette particule? Nous pensons que '*m* a été omis par erreur: La copie du graveur a dû porter: *w'm 'l mlk bmlkm* etc. Le verbe '*l* débutant comme '*m* par un aliph, le graveur après avoir tracé le aliph a fait sauter le *m* et a gravé le *l* du verbe '*l*, et a continué ensuite son texte. Le double aliph est donc à l'origine de l'erreur (10). La construction de la phrase est alors normale. Voir par exemple Tabnit 6: *w'm ftḥ tftḥ 'lty wrgz trgz 'l ykn...* «et si tu ouvres quand-même mon couvercle et me déranges quand-même, il n'y aura pas...» (11).

La seconde difficulté concerne le verbe *tm*'. Vu le substantif suivant on traduit généralement par «dresser le camp». Ce sens est exact. Mais cette traduction est basée sur le contexte et n'explique pas le sens du verbe. Le P. Vincent l'a mis en rapport avec תמם , «achever, compléter, accomplir» (12). Nous pensons avec Albright que *tm*' correspond à l'accadien *tamû*, «jurer» (13), d'où «décider»; *tm' mnḥt*, «décider un siège».

Avec la plupart des auteurs nous traduisons le mot suivant '*ly* par «contre». C'est donc une préposition (14). Friedrich (15) y voit un verbe et traduit «er kam herauf». On ne voit pas bien comment le contexte puisse justifier cette traduction.

Il est intéressant de remarquer qu'aux deux premières suppositions «si un roi... est puissant et décide un siège» correspondent deux menaces: «le sceptre de sa juridiction (symbole de sa force) sera défait» et «le trône de sa royauté (en vertu duquel il prend la décision) sera renversé». Il faut donc s'attendre qu'à la troisième supposition corresponde une troisième menace. Elle est exprimée par les mots: *wnḥt tbrḥ 'l gbl.* Cette phrase a été traduite: «et la paix règnera (planera) sur Gebal». Cette traduction nous semble invraisemblable. D'abord le verbe *brḥ* n'a pas le sens de «régner»,

«planer», mais de «fuire», «abandonner». Ensuite la violation du tombeau (*ygl*, «dénuder») appelle une punition. Le sens en est le suivant: une éventuelle victoire sur Gebal suivie de la violation du tombeau royal, n'amènera pas la paix. C'est là troisième menace. En hébreu *brḥ*, «fuire» est toujours suivi de *mn*, «de», cf. Gen. 16,6; 35, 1, 7; I Sam. 11, 3; II Sam. 19, 10; I Rois 2, 7; 11, 23; Is. 48, 20 etc. En arabe برح se construit avec l'accusatif ou avec la préposition من quand le verbe a le sens de «s'éloigner», mais il n'admet que l'accusatif quand il a le sens de «abandonner». Ceci nous amène au mot suivant *'l* que tous les auteurs ont pris pour la préposition «sur». Puisque le verbe *brḥ* ne se construit pas avec la préposition *'l*, il faut s'attendre à un substantif. Nous pensons que *'l* correspond à l'hébreu *'al*, «hauteur». On traduira donc la phrase: «et la paix abandonnera les hauteurs de Gebal». Cette traduction cadre bien avec la situation géographique de ce petit royaume.

Dans la troisième phrase qui profère une malédiction contre celui qui effacera l'inscription, on rencontre deux difficultés. C'est d'abord le mot *lff* et ensuite *šrl*. Les traductions présentées sont très variées. Les uns ne trouvent pas d'explication satisfaisante, les autres pensent devoir corriger ou compléter le texte. Nous comparons *lff* à l'accadien *lapâpu*, «zusammendrehen» (16), « s'écrouler » d'où «anéantir». Voir aussi l'arabe لفّ . Il s'agit probablement d'un po'al: «que soit anéantie». Dhorme (17) avait déjà renvoyé à l'assyrien *lapâtu*. Le P. Vincent a fait remarquer que le mot *šrl* est à décomposer en deux éléments. Il corrige *šrš lh*. Cette décomposition est exacte, mais nous voyons plutôt dans *šr* l'accadien *šâru*, «petit enfant» ou *šêru*, «Nachgeburt (?)» (18). L'affixe *l* pour *lh* (ou *lyx*) etc. est une vieille construction phénicienne. Dans les textes de Oum al-Awamid (19) on trouve à peu près la même tournure. Toutefois dans ces derniers textes le *l* est toujours précédé du relatif *'š*: *hdlht 'šl* «ses portes»; *l'b 'šl*, «à son père». Ces inscriptions étant d'une date plus récente on peut supposer que ce relatif y est introduit pour plus de clarté. Le texte de Byblos montre qu'il n'en était pas toujours ainsi. Cette tournure doit signifier une nuance particulière, étant donné qu'à côté de ce *l*, on emploie également

le pronom affixe possessif ordinaire. Dans le texte de Byblos, la malédiction concerne la descendance personnelle, ce qui était la pire des malédictions. La tournure avec *l* semble donc être de rigueur là où une spécification plus précise est exigée.

Beyrouth 15-6-59 A. van den BRANDEN

---

(1) Cf. *Revue Biblique*, 25 (1926), p. 463-465.

(2) Vincent dans *Revue Biblique*, 24 (1925), p. 185.

(3) Friedrich, J. *Phönisch-Punische Grammatik*, Rome, 1951, n. 20; 25; 257c4.

(4) Gesenius-Kautzsch, *Hebraische Grammatik*, éd. 22, Leipzig, 1878, n. 155, p. 331.

(5) Dussaud dans *Syria*, 1924, p. 139.

(6) Albright dans *JPOS*, 6 (1926), p. 80.

(7) Lidzbarsky dans *OLZ*, 30 (1927), p. 453.

(8) Friedrich, *op.cit.*, n. 258c.

(9) *Oriëntalia*, 1949, p. 173.

(10) Voir p. ex. le texte de la stèle n. 4 de Oumm el-'Awamid (*Bulletin du Musée de Beyrouth*, XIII (1956), p. 48). La seconde ligne porte le mot *yn'* au lieu de *ytn'*. Le *t* a été omis par erreur. L'émir M. Chéhab a lu ce mot *tn'*. La photographie (pl. IV) ainsi que le texte original de la stèle, conservée au Musée de Beyrouth, ne permet pas cette lecture. Nous lisons ce passage: *y(t)n' l'b 'Il*.

(11) Cook, G.A., *A Textbook of North-Semitic Inscriptions*, London, 1903, n. 4.

(12) Vincent dans *Revue Biblique*, 1925, p. 185.

(13) Bezold, C., *Babylonisch-Assyrisches Glossar*, Heidelberg, 1926, p. 3a. — Albright dans *JPOS*, 1926, p. 81.

(14) Cf. Dussaud dans *Syria* 1924, p. 139.

(15) Friedrich, *op.cit.*, n. 63b; 174; 176b.

(16) Bezold, *op.cit.*, p. 160.

(17) Cf. Vincent dans *Revue Biblique*, 1925, p. 88.

(18) Bezold, *op.cit.*, p. 263b et 262b.

(19) Cf. *CIS*. I, 7 et référence citée dans la note 10.

كتاب تاريخ افتتاح الاندلس

لابن القوطية القرطبي

بقلم رشدي الحكيم

ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية من مشاهير علماء الاندلس في اللغة والنحو والتاريخ والشعر توفي عام ٣٦٧ هـ له تآليف عدة منها هذا الكتاب الذي يؤرخ للاندلس من حين افتتاح العرب لها حتى اواخر ايام الامير عبدالله الاموي جدّ عبد الرحمن الناصر وقد نشره المجمع العلمي بمجريط عام ١٨٦٨ كما نشره هوداس في باريس عام ١٨٨٩ .

وقد اعاد نشره الآن وحققه وشرحه وعلق عليه وقابله على مخطوطتي باريس ومجريط وقدم له الاستاذ عبد الله انيس الطباع المجاز في الدراسات الشرقية ، والاخصائي في المخطوطات العربية ، وخريج معهد المكتبات والمخطوطات من مجريط ، وطبع الكتاب دار النشر للجامعيين في بيروت ، وقدم له المحقق مقدمة عرف بها الكتاب ونسخه ومؤلفه وتطرق الى دخول العرب الاندلس وتساءل عن اسباب انهيار حكمهم في اسبانية على حين استتب الامر لهم في غيرها من البلاد ، وادلى في ذلك باسباب تصلح ان تكون مدارا للبحث والمناقشة ، كما انه رد على الاستاذ محمد عبد الله عنان فيما ذهب اليه من ان (الدعوة الاسلامية كلها والحركات العسكرية التي قامت بها الجيوش العربية انما كانت في الواقع حملات منظمة ضد النصرانية) وكان المحقق موفقاً كل التوفيق في هذا الرد وان كان الاستاذ عنان يصدر في هذا الرأي عن آراء بعض المؤرخين الغربيين التي املاها عليهم التعصب لا آراء المنصفين منهم ، والاستاذ عنان معروف باحسانه الترجمة عن الغربيين فيما يؤلف من الكتب .

اما هذه الطبعة الاخيرة من كتاب ابن القوطية ، فعلى رغم ان المحقق اخذ على الناشر الاول (عدم تعمقه بفهم المعنى العام للفصل او المقطع لكثرة الاخطاء

الاملائية والنحوية التي وقع فيها) فان اخطاء هذه الطبعة لم تكن قليلة كما ان بعض الاخطاء التي صححها الاستاذ الطباع واشار اليها في الحواشي ليست ذات بال. فضلاً عن ان بعضها الحق فيه مع الناشر الاول .

والى القارئ ما عثرنا عليه من الاخطاء في هذه الطبعة وما رأينا انه الصواب مشاركة منا في خدمة هذا الكتاب :

ص ٢٨ — رحم الله عن جميعهم من شيوخهم ، الصواب : رحم الله جميعهم ، عن شيوخهم .

ص ٢٩ س ٩ — (فلما اصبحوا انحازوا بمن معهم الى طارق) وجاء في الحاشية ٨ ما يأتي : اوردها ريبيرا (الخاسوا) وكذلك في نسخة مدريد اقول : ربما كان ما اورده ريبيرا هو الصحيح محرفاً عن (انحاشوا) .

ص ٣٢ — فتنافسا صحوة بن ملامس المذحجي وعمير بن سعيد عند عبد الرحمن بن معاوية فانكحن اياها وولدت له حبيب ، الصواب : (حيوة بن ملامس) لا صحوة (وانكحه اياها) وولدت له (حبيب بن عمير بن سعيد) حسبما جاء في البيان المغرب ص ٧٦ ، وفي جذوة المقتبس ص ١٨٦ حيوة بن الملامس وقد ورد اسم حيوة هذا في ص ٥٠ س ٩ .

ص ٣٤ — فاستحسن بها ، الصواب : فاستحسنها .

ص ٣٤ — (فحشد طارق) علق عليها بما يأتي : « تنقص هنا كلمة قواه او جيشه» في حين ان حشد تستعمل ايضاً لازمة ولا حاجة لها الى قوى ولا الى جيش.

ص ٣٦ — (وشد موسى بن نصير حصون الاندلس) ، الصواب : (وسد) بالسين المهملة .

ص ٣٧ — (فقال موسى: وكانت فيه صلابة وعنده شكر للنعمة، لرسوله) علق عليها في الحاشية ٣ بما يأتي :

(ويلاحظ ضعف التركيب اللغوي ، هذا وامثاله دفع ريبيرا الى القول بان احد تلامذة ابن القوطية هو الذي دون هذا التاريخ) وليس في الجملة ادنى ضعف لو قرئت على وجهها .

ص ٣٨ — (وصار في المحراب وقرأ بفاتحة الكتاب وسورة الواقعة فرفع القوم سيوفهم عليه بمرة واخذوا رأسه) ، الصواب : (فوضع القوم سيوفهم فيه على غرة) .

ص ٣٩ — (وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله قد عهد الى السمح باجلاء الاندلس من الاسلام اشفاقاً من دخل عليهم) ، الصواب : (باخلاء) بالخاء المعجمة وقد علق في الحاشية (١) على هذه الجملة بما يأتي :

« هنا نرى المعنى غير مستقيم واعتقد ان كلمتي (من دخل) زيدت خطأ واذا حذفتا يستقيم المعنى » .

في حين ان المعنى مستقيم ودخل من معانيها الغدر والفساد .

ص ٤٢ — فلما يئس منه انشأ قربات واخذوا ما فيها من المراكب والسلاح والمدة وانصرفوا بها اليه .

ولعل الصواب (انشأ قوارب واجازوا فيها بما معهم الخ) ويجوز ان تكون (وانشأ قربا او قربات) بأن تنفخ ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح وكانت ولا تزال تستعمل حيث لا سفن يجاز عليها .

ص ٤٣ — (وبي الله لم تنصفوا حكم عدل) هذا شطر بيت ويجب زياد (إن) قبل لم.

ص ٤٤ — (حبل الوصل وانقطع القوس) شطر بيت ولعله فإن رث حبل الوصل وانقطع القوى.

ص ٤٥ — عثمان بن ابي تسمة ،والصواب: نسعة بالنون كما ورد في اعمال الاعلام ص ٦ وفي معجم زامباور .

ص ٤٦ — س ٥ فخرجوا وخلفوا الى طنجه ، والصواب: وخلصوا.

ص ٤٥ — (فضرب رقبته ضربا) وعلق عليها في الحاشية ٢ (ربيرا اوردها صبراً واعتقد ان الاصح ضربا حتى يستقيم المعنى على انها مفعول مطلق) ولكن المعنى يكون اقوم حسبما اوردها ربيرا وفي القاموس وقتله صبرا .

ص ٤٦ — (واظهر الصميل التحامل على القحطانية ففرحت قلوبهم لذلك)

والتحدي لا يفرح القلب ، والصواب : فقرحت بالقاف بعد الفاء .

ص ٤٨ — س ٥ فيا ولا كا ، والصواب : (في مولاكما) وفي البيان المغرب ص ٦٤ — (في رأيكما) ومولاهما هو عبد الرحمن الداخل .

ص ٤٨ — فسر عليها ، والصواب : فسُرّي عنها .

ص ٥٣ — فاصبح لهم بيايش ، والصواب : فاصبح اولهم ببيانة .

ص ٥٥ — وبها يومئذ عرفية وزيره ، والصواب : عبدالله او عبيد الله لان من وزراء عبد الرحمن الداخل عبيدالله بن عثمان وعبدالله بن خالد .

ص ٥٥ — علق في الحاشية ٢ على جملة (يا ثعلبة هل لك رأي في فتحين في تنح) بما يأتي :

« اعتقد ان هناك نقص في المخطوطة لانه لم يوضح ما هما الفتحان » .

والفتحان هما الخلاص من عبد الرحمن الداخل ومن خصمه يوسف الفهري معاً .

ص ٥٦ — ثم اصبح له فتوجه ، ولعل الصواب : فلما اصبح توجه .

ص ٥٧ — (فلما طال مقامهم انخزل عن الملاء اكثر من كان معه فواحد راقص . وآخر ني زاد اعجزه) وراقص ، صوابها : رافض وهو الجندي يترك قائده .

ص ٥٨ — وكان في اول دخول عبد الرحمن قد القى بالاندلس معاوية بن صالح الحضرمي ، والصواب : قد لقي او قد القى .

ص ٥٩ — خضمت ام بناي للعدا ، والصواب : (ام بنيّ) .

وهي حرا بلغت منّي المدى ، والصواب : (وهي حرّى) .

تمول امرا مثلي وكان يعولها ، والصواب : (امرءاً) .

ص ٦٢ — (أهل دياتنك يخبرونني ان ادبهم لم يخزك ولو اخزاك)) ولعل الصواب : (لم يَخْزكَ ولو حازك) .

ص ٦٧ — وكان محمد بن بشير في حداثته كاتباً للعباس بن عبدالله المروزي بباجه عامل هشاماً ، والصواب : (عاملِ هشام) .

ص ٧٠ — فاذا عزموا تعادلهم ، والصواب : فاذا عزموا انقاد لهم .

ص ٧٠ — (فسأل القوم ذاك فتماصى عليه) وزاد الناشر كلمة عليه ليستقيم المعنى ولا حاجة لهذه الزيادة .

ص ٧١ — ولم يلقَ في اقباله احدًا خارجاً . والصواب : (في قبالته).

ص ٧٢ — والله لتصحصون — والله لتصحصن .

ص ٧٥ — وهو جد بني بسام المرابين، وارى انها المرابيين نسبة الى هرّاب ابن صهبان بن قطبة بن سامة .

ص ٧٥ — كيف رأيك في كبش سمين على مذوده اليوم سنة ، ولعل الصواب : (ليوم السُّنَّة) اي الى يوم عيد الاضحى ليضحي به .

ص ٧٦ — انقضتك الله فلم ينفعك عندي كلما صنعته في نسيا فاخذت الحكم وجهة ، والصواب : (ابغضتك في الله فلم ينفعك عندي كل ما صنعته شيئاً ، فأخذت الحَكَمَ وَجمة).

ص ٨٠ — ويحيى بن معمر اللاهلني الاشبيلي ، والصواب : (الالهاني) نسبة الى الهان بن مالك اخي همدان بن مالك حسبما ورد في تهذيب الانساب .

ص ٨٢ — ما فعلت غضيرتك والصحيح غُضَيِّرتك مُصَغَّر غضارة .

ص ٨٢ — سافك من قرطبة الساري ، والصواب : (شاقكِ من قرطبة الساري) .

ص ٨٣ — زار يجيباً في ظلام الدجا ، والصواب : زار فحيًا في ظلام الدجى .

ص ٨٣ — انا ابن الهشامين من غالب   اشب حروبا واطفىا حروبا والصواب : (واطفي حروبا) .

ص ٩٠ — ووصف عنده بالحج وحسن العقل ، والصواب : (بالحجى).

ص ٩١ — قيل له قتيل في شيرة ، والصواب : قتيل بشرة والشرة المسلة .

ص ٩٢ — الى ان ولى امره هشاما فافسد عليه ، والصواب : هاشما وهو هاشم بن عبد العزيز وزير الامير محمد .

ص ٩٢ — وكانت له وجبة ، والصواب وجاهة .

ص ٩٢ — (فتوفي عن ثلاثة آلاف دينار ناضة) وصححها الناشر (فضة) وفي

القاموس (وانما يسمي ناضا اذا تحول عينا بعد ان كان متاعا) ثم لا يخفى ان الدينار لا يكون الا من الذهب .

ص ٩٣ — والمأمون على فروج نسائنا واحسابنا وعلق عليها في الحاشية (١) بما يأتي :

(اوردها ريبيرا احباسنا) وكلمة احباسنا هي الصحيحة بمعنى اوقافنا جمع وقف .

ص ٩٤ — انه يخدم بني امية بالاندلس اكرم منه عناية، والصحيح (انه ما خدم) او (انه لم يخدم) .

ص ٩٤ — فقصده بتأميلة وعلق عليها في الحاشية ٣ ان تأميلة اسم موضع وليست هي اسم موضع ولكنها من الامل والتأميل .

ص ٩٦ — (فلما ولي الخلافة استوزره واستندم اخاه مؤملا وهو ابو عبدالله ابن مؤمل المعروف باليمامة) ، وارى ان الصواب : (واستقدم اخاه مؤملا وهو ابو عبدالله بن موسى) لان اخاه الذي سبق ذكره محمد بن موسى الا ان يكون اخاه من امه فقط .

ص٩٦—وكان لهم عدد وثورة بمرثانة النافقين ولعلها مرسانة النافقين ومرسانة مدينة بكورة اشبيلية .

ص ٩٦ — (فهلم الى ان تخلطونا بانفسكم وتدعون أهلا) ، والصواب : وتدعونا اهلا .

ص ٩٧ — (فاراه ذلك فيموت به في اليوم الثاني) ، لعل الاصوب: (اراد بذلك ان يموت به وفي اليوم الثاني الخ).

ص ٩٧ — وكان له حج وفضل ، والصواب : حجى وفضل والحجى العقل.

ص ٩٨ — فكأن ذلك وتى بانفسهم ، والصواب : وقر بانفسهم.

ص ٩٨ — اذا اولي ، والصواب : اذا ولي .

ص ٩٩ — لاحل من نفسك بعض موجدتك علي، والصواب: لاسل من نفسك.

ص ١٠١ — وقال له(ادخل خار الله لك) وعلق عليها في الحاشية٢ بما يأتي:

« خاره يخوره خورا اصاب خورانه وخار الرجل والحر يخور خؤورا وخور يخور خورا ضعف وفتر وجبن وانكسر وترانا نشك في صحة معنى هذه الكلمة هنا » .

اقول : وخار الله لك في الامر جعل لك فيه الخير والكلمة من الخير ولا محل للخوار هنا .

ص ١٠٢ — ويكون صاحب قلم بني امية الاعلى وكاتبهم العظيم قومس النصراني ابن أنتنيان المتشكى من هذا الى الله ، والصواب : (المشتكى من هذا الى الله) .

ص ١٠٢ — ما الذي اعملك عن اختيار الافضل ، والصواب اغفلك .

ص ١٠٣ — وتتصرف بفد ، والاصح : وتتصرف بفد ، بالتائين .

ص ١٠٤ — فشرع هاشم بالكتاب الى حامد ، والصواب : فأسرع .

ص ١٠٤ — اي الامر برأي حامد لم تنتظم نظم القلائد

وهو شعر ، والصواب فيه : (اي الامور) .

ص ١٠٤ — وكان يديل في المدينة بين امية بن عيسى ووليد بن غانم لمرفته بفضلها ، والصواب : بفضلها .

ص ١٠٥ — وذكر ان امية قيل له ان هاشا بن عبد العزيز طالب رجلا بدار تجاوره فامتنع عليه فحبسه في داره فدخل امية بيت الوزارة فقال لاصحابه بلغني ان بعضهم منع جار له دخول داره وبالله لو صح هذا عندي لاركبن الى الدار ولاعدن على ما فيها ولاعدمنها فارعد هاشم في فراشه ودعا بوصيفه وقال له : اطلع الى الدار واطلق المحبوس ، والصواب : (منع جارًا له) (ولا عدون) او (ولا غدون) .

ص ١٠٨ — ثم دخل اكشنوبة وضبط بها جبلًا يقال له : منت شاقر ، فجبل الغرب كله وافسده ، ولعل الصواب : (فجفل الغربَ) وفي كتب اللغة جفل الشيء قشره والطين جرفه واللحم عن العظم نحّاه .

ص ١١٠ — وكان ابن حفصون اقض الثنية وجاء في الحاشية ٢ انها في

الاصل افضم ، والاصل هو الصواب: على ان تكون بالقـاف لا بالفا. والقَضَم انصداع في الـسن او تكـسر اطرافه .

ص ١١٠ – فلقوا العدو بموضع يقال له فنت فرب وجاء في الحاشية ان في نسخة مدريد قنت فرب ، ولعلها (لقنت قرب الش) حسبا ورد في صفة جزيرة الاندلس اذ ذكر ان لقنت بينها وبين الش مرحلة .

ص ١١٥ – وكان المنذر محببا الى العامة بالسماع الذي كان فيه، والصواب: بالسماح .

ص ١١٦ – وثار فيمن كان يطيق به جبل طرش من البيرة، ولعل الصواب: (يطيف به بجبل) .

ص ١١٨ – فأحس منها ما احس ففوض راجعاً ، لعل الصواب: فقوض او فقفل راجعاً بالقاف .

ص ١١٩ – فسمّ له البنيس الذي دعابه ليشربه ، ولعل الصواب: (البسيس) والبسيسة الخبز يجفف ويدق ويشرب .

ص ١٢٠ : فاجمع من حضر القراة من الخدمة والقريش والموالي والاجناد عليه وعلق في الحاشية ٢ بما يأتي :

« هكذا جاءت في الاصل ولم نعثر لها على مدلول يتفق والمعنى فهي ليست هنا القبيلة العربية المعروفة واغلب الظن انها كلمة من الدخيل » .

واذا كانت كلمة قريش لا تصلح هنا ففي اي موضع تصلح اذن وقريش لدى مبايعة امير في الاندلس هي صاحبة الكلمة العليا .

ص ١٢١ – واستفحل امر ابن حفصون وانترى ذلك اكثر اهل الاندلس، والصواب : وانترى كذلك .

ص ١٢١ – قد ضمت الضرورة اليك ، ولعلها قد دعت .

ص ١٢٤ – واستجلب الشجعان من الرجال من كل بلد وضمهم الى الحق ، والصواب : (الى الجيش) .

ص ١٢٥ – حتى خرجت الطوائف من قرطبة الى جوانب الاندلس وعلق

في الحاشية ١ على الطوائف بان ريبيرا اوردها" (الصوائف) وريبيرا على حق في ذلك ، والصائفة غزوة الروم صيفا وجمعها صوائف .

ص ١٢٦ — لئن لم تضعف ما امرناك به لا تبدءن بتغيير هـذه النعم ، الصواب : لابتدأن .

ص ١٢٦ : (ان ابراهيم بن حجاج ضافر ابن حفصون قطع الدعوة ومنع الجباية) وعلق عليها في الحاشية - بما يلي :

« ان ريبيرا اوردها (وقطع) فحذفنا الواو ليستقيم المعنى » واستقامة المعنى باثبات الواو .

ص ١٢٧ — (ذهب فيها خمس مئة وثلاثة واربعون ممن قطف رأسه من الحشد ونفل العسكر وانعقد رجال الحرب فسلم جميعهم) وعلق عليها في الحاشية ١ (نفل القائد الجند جعل لهم ما غنموه) ولا معنى لها هنا وارى ان الكلمة هي : (وثمل العسكر) بالثاء والميم وان الحشد هي محرفة عن الحشو والثمل اصله الزيادة في اطباء الناقة ثم استعمل في الحشو والتباع فقيل كتيبة مثمولة كثيرة الحشو والتباع بمعنى ان الصناديد سلموا ولم يفقد احد منهم اما انعقد فصوابه افتقد .

ص ١٢٨ — واستظلال لما انعم الله ، والصواب : (واستقلال) .

ص ١٢٩ — فهرب حتى نجا ايضا ، وصوابه : فيهرب ان نجا لان المحقق ابدل حتى بأن والاصل هو الصحيح .

ص ١٣١ — فصحبه سعد لم يقابل به شيئاً كان مستضعفا الا وطاع له ، والصواب : (مستصعبا) .

ص ١٣٣ —

لما رأيت وجوه الطير قلت لها   لا مرحبا بغراب البين والصدد

والصواب : (والصرد) .

وقد اغفلنا التنبيه على ما يدركه القارئ اول وهلة وعلى ما يظن انه خطأ مطبعي .

والذي حدا بي الى نشر هذا النقد كون المحقق ذا مكانة علمية يدل عليها اجازاته المتعددة التي حصل عليها فلا جرم انه ممن يرحب بالنقد شأن العلماء. ثم ان الكتاب من الوثائق المهمة القديمة في تاريخ الحقبة الاولى من تاريخ عزيز على نفوسنا حبيب الى قلوبنا والمؤلفات التي اتت بعده وان كانت نقلت معظم ما فيه ولكن فيه حوادث واخبارًا وقصصاً تنير حالة المجتمع في ذاك العصر ولا يغني كتاب عن كتاب كما كان يقول استاذنا العظيم الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله .

ولقد أحسن الناشر في نشره ووضعه على طرف الثام من القراء لان الطبعات الغربية من كتب اسلافنا اصبحت في حكم المفقود واني من رأي الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد بوجوب اعادة طبع الكتب التي سبقنا الى طبعها المستشرقون، ولم تطبع عندنا بعد وترجيحها على ما سواها — الا ما كان من وزنها وعيارها — فان المستشرقين — والحق يقال — كانوا احسن منا انتقاء للكتب، واعرف بالاهم من المهم وابعد في ذلك نظرًا .

لطائف اللغة

بقلم رياض معلوف

هذا كتاب نفيس من مكتبتنا المعلوفية الحافلة بامثال هذه الكتب وهو من تأليف احمد بن مصطفى اللبابيدي الدمشقي المتوفى سنة الف وثلاثمائة وثمانية عشرة هجرية وكتاب–لطائف اللغة– هذا طبع في الاستانة سنة الف وثلثمائة واحدى عشر هجرية. وعلى ما يظهر لنا ان المؤلف اعتمد على المؤلفات الآتية: فقه اللغة ، وفصيح ثعلب ، ومزهر السيوطي ، والاشباه والنظائر وبعض معاجم اللغة لاستكمال درسه والالمام بذخائر الفصاحة ونفائس اللغة العربيـة التي هي من اغنى لغات البشر لما فيها من مترادفات ومفردات وآيات . واحياناً نجد للمطر ستة وخمسين اسماً ومن غريب اسمائه الشقيقـة ، والمَرْمَرَة ، الطَبَق والنضيضة ، الشفيف ، الباكور ، والهيم وغيره ... وللنار ما يقارب الخمسين اسماً كما للسيف والاسد وغيرهما مما لو جئنا نعده فلا نستطيع احصاءه !

وللناقة انثى الجمل ما يربو على المئتين والخمسين اسماً وهذا مما يُذهل المرء ويبهره . فما هذه الثروة اللغوية التي لا حدّ ولا نفاد لها .

ولطائف اللغة هذا جامع لكل فنون الكلام والنحت والتعابير والاكتشافات اللفظية والمنوعة الخلابة فتقول : القِمّة بمعنى = اعلى الرأس ، والبدن ، والقامة . وفي وصف محاسن العين : الدَعَج ان تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة البَرَج شدة سوادها وشدة بياضها، النَجَل سعتها – الكَحَل سواد جفونها من غير كُحل – الحَوَر اتساع سوادها كما في اعين الظباء ، الوَطَف طول اشفارها وتمامها ، والشهلة حمرة في سوادها . ونظم بعضهم في سحر العين وغنيّ مترادفاتها قصيدة هذا مطلعها :

هنيئاً قد أقرّ الله عيني فلا رَمَتِ العِدى أهلي بعينِ

الاصابة وهذه مؤلفة من ثلاثين بيتاً من الشعر التزم فيها ناظمها قافية العين وكل عينٍ منها بمعنى مختلف عن الآخر .

ومن لطائف الكلام قولك : العصفور — الطائر ، والعصفور — الجراد الذكر والعصفور الكتاب ، والعصفور السيد كما العصفور ايضاً هو : مسمار السفينة ، وخشبة الهودج ، واصل منبت الناصية .

وفي القاموس : النَضر والنَضير ، والنُضار والانضر الذهب او الفضة .

وللسيف ما يناهز الستين اسماً وما فوق ونعوته ما يقارب الثلاثين نعتاً . واذا كان السيف عريضاً فهو صفيحة ، او صقيلاً فهو خشيب ، او ماضياً فهو رَسوب ، وإصليت ، وان طُبع بالهند فهو مهنّد ، وان كان كليلاً لا يمضي فهو كُهام الى غير ذلك مما يطول شرحه !

وللعصا اسماء والقاب عديدة وكثيرة. ومن غريبها القَصيد والقَصيدَة العصا ومما جاء في فقه اللغة : اول مراتب العصا : المخصرة ، واذا استظهر بها المريض : فهي المنسأة ، وان طالت فهي الهراوة . وكذلك الرمح اوصافه كثيرة منها الأظمى للاسمر منه ، واللهذم للقاطع والخَطّي والرديني ! وغيره وغيره ! ومما جاء في القاموس والثعالبي عن التراب ؛ الثرى هو التراب النديّ ، والهابي تراب القبر ، والقول للتراب الكثير والدَرْمك للتراب الناعم. وايضاً للغبار عدة اسماء ونعوت غريبة منها النِثير غبار الاقدام والرَهج غبار الحرب والكوثر الغبار الكثير . والاشجار منها الشجرة الغضة والقَفلة والقَتّلة الشجرة اليابسة وغير ذلك مما لا يحصى .

ويقولون للنخلة — الحَزّارة — اي غزيرة الحمل والجليلة والصعلة التي فيها عِوَج . وفي المطلق والمقيّد لا يقال كأس الّا اذا كان فيه شراب ، والّا فهو زجاجة ، ومائدة الّا اذا كان عليها طعام والّا فهو خُوان ، وكوز الّا اذا كان له عروة والّا فهو كوب . ولا يقال عويل الّا اذا كان معه رفع صوت والّا فهو بكا ، ولا يقال ثرى الّا اذا كان ندياً والّا فهو تراب . ولا يقال للشجاع كَميّ الّا اذا كان شاك السلاح والّا فهو بطل ! ولا يقال للفرس مُحجّل الّا اذا كان البياض في قوائمه الاربع او في ثلاث منها . وفي المثنيات التي لا تُفرد : الازهران الشمس والقمر ، المصران ، مكة والكوفة ، الابتران العبد والعَير الحجران الذهب والفضة ، الاصفران الذهب والزعفران ، والاسودان التمر والماء ، الاحمران الخمر واللحم .

وفي الكليات: كل ما علاك فانلك فهو سماء . كل بناء عالٍ فهو صرح ، وكل إناء يشرب فيه الشراب فهو ناجود. كل شيء دب على الارض فهو دابة ، كل بستان عليه حائط فهو حديقة وكل ما اتضع في الارض فهو نجد . وكل شيء له قدر وخطر فهو نفيس .

ومما جاء في تفضيل الاشياء. المظيمة القهب الجبل المظيم ، الفيلق الجيش المظيم ، الثعبان الحية المظيم والرتاج الباب المظيم .

وفي اوائل الاشياء : الصبح اول النهار والفسق اول الليل والنهل اول الشرب ، والنعاس اول النوم والوسمي اول المطر .

وفي تقسيم الحسن : الصباحة في الوجه ، والملاحة في الفم ، الوضاءة في البشرة الظرف في اللسان ، الجمال في الانف ، الرشاقة في القد ، والحلاوة في العينين ! وفي ترتيب البياض : ابيض ثم يقق ثم لهق ، ثم واضح ثم ناصع ،ثم هجان وخالص .

وفي سواد الاشياء : الحاتم الغراب الاسود ، السلاب الثوب الاسود ، الوكن المنب الاسود ، والحال الطين الاسود .

وفي تقسيم الاطراف يقال ظفر الانسان ، منسم البعير ، لبنك الفرس ، ظلف الثور ، برثن السبع ، ومخلب الطائر .

وفي تقسيم الاشارة : اشار بيده ، اومأ برأسه ، غمز بحاجبه ، رمز بانفه ، ولمع بثوبه ، والاح بكمه. ويقال في الموت والميت: قضى نحبه ، بلغ الميقات ، استكمل مدته ، حان يومه ، لحق اصبهه ، تصرم اجله وخلا مكانه .

وفي الالفاظ التي تأتي لمعانٍ عديدة : الذنوب ، الدلو ، الذنوب القبر ، الذنوب الفرس الوافر الذنب، الذنوب الحظ والنصيب. والجون الاحمر ، والابيض والاسود والنهار والقناة والعصا ، القناة مجرى الماء والقناة حفرة النخلة . والجفن غطاء العين ، وغمد السيف واصل الكرم وفي الاسماء المخصوصة: الملاذ ، والماوذ والملذان والملذاني المتضع الذي لا تصح مودته .

وللخال سبعة وعشرون اسماً وقال العلامة عبد الباقي البغدادي من قصيدة طويلة الترم فيها قافية الخال كلها ومطلعها :

الى الروم اصبو كلما اومض الخالُ فأسكب دمعاً دون تساكبه الخالُ

فالخال الاولى هي بمعنى البرق والثانية بمعنى السحاب ! وكلها على هذا النمط .

ومما جاء في الكلمات لمعان متعددة : الطائر ولها معنى الدماغ وما تمنيت به او تشاءمت والحظ ، ورزق الانسان ، وعمل الانسان الذي قلَّدهُ ! وهكذا على الابجدية عشرات لا بل مئات الكلمات !

ومن امثال العرب قولهم : ان الهزيل اذا شبعَ مات ، يُضرب لمن استغنى فتكبَّر . ثمرة العُجب المقت ، لمن تعجّب بنفسه ومقته والناس ، رمى الكلام على عواهنه ، يُضرب لمن لا يبالي أصاب أم اخطأ .

والكثير غير ذلك من الطرائف واللطائف والروائع والبدائع التي لا تعد ولا تحصى وهي كالبحر الزاخر الذي لا اول ولا آخر له ، وكلما غرفتَ منه زدت عطشاً .

واخطأ الذي قال عن الهمذاني انه لو ادركه في عصره لقطع يديه لانه جمع – في الالفاظ الكتابية – شتات اللغة والالفاظ والمعاني كما جمعها في – لطائف اللغة – العلّامة احمد بن مصطفى اللبابيدي الدمشقي هذا ، وانا لو كنتُ في زمانهما لقلت لها سلمت يداكما الكريمتان والخيّرتان النافعتان !

لبنان يا لبنان !

لرياض معلوف – زحلة – لبنان

ما هذه الشطآنْ لبنان يا لبنانْ
وهذه الجبال والوهاد والبلدانْ
وهذه القطعان والألحان والألوانْ !
ما أنتَ إلا نعمة من نعم الرحمانْ
ما هذه العيون للولهان والظمآنْ ...
وهذه الكروم والأقمار والغدرانْ
لم أدرِ هل في يقظةٍ أم انني سكرانْ !
فالبحر في أمواجه يقبّل الشطآنْ ...
قبلته الزرقاء كالياقوت والمرجانْ
مقبلٌ رمالها متمتم : ولهانْ !

أشدو مع العصفور في الضفاف والأغصانْ
ويعرف العصفور اني نغمةٌ الملسانْ
ووحينا ولحننا مما وحى الشيطانْ !
مزقزق منقارهُ يجوّد الألحانْ
مقبل الأغصان في صداحه فرحانْ ...
تفوتني الأسماء للورود في البستانْ

فبعضها ذاكرهُ وبعضها نسيانْ !
لبنان لا شبه له لا ليس بالإمكانْ
مهما تكن يا موطني يحبكَ الانسانْ
مهما قسا كَ الناس تبقى الساحر الفتّانْ
وكلنا للموت والنسيان والفقدانْ
إلاكَ تبقى خالداً على مدى الأزمانْ !!

تعريف عن الكتب

كتاب تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامّة للجواليقي

كنا قد ذكرنا في الكلمة التي صدّرنا بها كتاب تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامـة للعلّامة الجواليقي في « مشرق » تموز — تشرين الاول ١٩٦٠ ص ٥٤٧ المستشرق دارنبرج الذي كان نشره سنة ١٨٧٥ في مجلة المانيـة Morgenlandforschung . وكنّا قد زدنا ان التكملة هـذه قد أعيد نشرها مشروحةً محقّقةً بقلم الاستاذ المحقق عز الدين التنوخي وطبعت في دمشق في جملة مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٩٣٦ . هذا سقط سهوًا عند تصحيح المسودّات . فالرجاء المعذرة .

في ٢ تشرين الثاني ١٩٦٠

ترجمة الشحيمة او كتاب فرض الكهنة الموارنة

نقلها من اللسان السرياني الى اللسان العربي الاب بطرس زهره اللبناني

مطابع الكريم — جونيه لبنان ١٩٥٨ — ٥٦٣ ص

بادرة يمدح عليها المؤلف اذ اراد ان يضع في متناول الكهنة اغـلى ما عندهم من ثروة روحية يقيتون بها نفوسهم الا وهو الفرض اليومي اذ ثم فم الكنيسة ، وقد كانت الكنيسة الرومانية قد اعادت النظر من مدة قصيرة في ترجمة المزامير اللاتينية وكان الغموض قد سيطر على القسم الكبير من الترجمـة السابقة . فاتى الاب زهره يقتدي برومية ولقد احسن . فترجمته حرفية ، صائبة ، مضبوطة ، راضحة ولا شك انها ستؤدي الخدمات الجلى للكهنـة وللمؤمنين الذين يريدون ان يشاركوا رعاتهم الصلاة القانونية وللغربيين الذين يودون الاطلاع على ما في صلاة الشرقيين من ثروة وقيمة . ولذا فنحن بحاجة الى ترجمة صلوات الفرض الكبير وترجمة صلوات الاعياد . نحن بحاجـة الى كتب صلاة يحملها المؤمن ويغذي نفسه بها وقد حرم الى الآن من الاشتراك بصلاة الكنيسـة الم يكن يتقن اللغة السريانية .

لقد قدّم الاب زهره لكتابه بمقدمات عديدة وهي تلقى نوراً على تاريخ تركيب الشحيمة وتنظيمها وعلى سنة ظهور هذا القسم او ذاك. فيبقى ان نجد في التفتيش لاشباع هذا كله درساً علمياً صرفاً لكي نتأكد من صحة نسبة هذه القطعة او تلك واذاك نستطيع ان ندرس الشحيم درساً لاهوتياً مستخلصين الافكار الاصلية التي كانت تدور في جوها العقلية الدينية وتتغذى منها .

وستفتح هذه الترجمة الطريق الى دروس اوسع . ا. ع. خ

حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة

بقلم الدكتور مصطفى الرافعي

دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٦٠ – ٢٦٧ ص

عجالة توخى فيها المؤلف استكشاف عصور حضارة زاهرة فلم يستطع ان يتعمق في مظاهر تلك الحضارة بل نوّه عنها وسار حثيثاً نحو غايته فنجح . لكنه لم يعط القارىء الوقت الكافي للارتواء فظلت بعض علامات استفهام في عقله ومن يروي غليله ؟ سار المؤلف من درس شامل عن الحضارة الى بعض مظاهرها في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها واخذ ينتقل من صدر الاسلام الى العصر الاموي فالعباسي مستخلصاً اهمّ ما ورد في هذه العصور من ثقافة وادب وفن موضّحاً ما تأثر به الاسلام وما كان ابتكاره الخاصّ وذلك بأسلوب رشيق وتبويب صحيح وتفهم عميق للموضوع مما يدل على ثقافة واسعة وتمرّس بالموضوع تمرساً قوياً . ولكننا نأخذ على المؤلف ما لم يقله عن التأثيرات التي تأثر بها الاسلام في مراحله كلها . فالتأثير ليس فقط بالنصوص المتشابهة هنا وهناك ولكن التأثير العميق في الجو الذي ولد فيه الاسلام وترعرع ونما . اتكلم عن المسيحية التي اضفت على الاسلام من كتابها وكتّابها ومفكريها. واني في هذا الظرف لاعيد القارىء الى ما كتبته في هذه الصفحات عن الدرس الذي نشرته D. Masson عن القرآن في دروس مقابلة .

ا. ع. خ

Dom Claude Jean-Nesmy. — *Spiritualité de Noël* — éd. Cahiers de la Pierre-qui-vire — Desclée de Brouwer, Paris, 1960, 334 pp.

كان المؤلف قد القى نظرة ثاقبة على « روحانية الفصح وروحانية العنصرة » فتوجب عليه ان يدرس روحانية الميلاد. فاتى كتابه هذا متمماً لما صدر قبله ، ففيه من روح طيبة صافية ومن علم متفتح ما يفرضه على القارئ .

ولقد تعرض المؤلف الى الاسابيع الاربعة التي تسبق عيد الميلاد والى الزمن الميلادي حتى اليوم الثاني من شباط . وحلل في درسه هذا معنى اسابيع تهيئة الميلاد فاذ هي تنبينا عن دعوتنا الالهية وعن رجاء الحصول عليها تماماً ، ذلك الامل الذي يجمعنا مع صديقي العهد القديم . اما في الميلاد فتجسد كلمة الله يلقي على العالم نوراً جديداً ، وكل شيء به يتكرس ويتقدس وكل شيء يصير اداة خلاص وتقارب الى الله كما نرى ذلك في ذكر الغطاس. ولهذا فان البشرية جمعاء ، جيلاً بعد جيل ، تسير نحو الله لتشاهده ملياً . فالاعياد الميلادية تفتح اصلاً على الامل والرجاء والمجد الأبدي اذ ان ملكوت الله في خصب مستمر وفي انتاج حيري صادق فالله سبحانه عدّ ملكه في الكنيسة وفي الخليقة المقدسة .

لقد توسع المؤلف التوسيع الكافي لدرس صوفية التجسد التي تميدها حية ايام الميلاد والغطاس وقد اشفع المؤلف كتابه هذا بثبت تحليلي للمجلدات الثلاثة . وذلك الثبت يطلعنا على رحابة موضوع الروحانية المرتكزة الى السنة الطقسية. وعلى من يطالع هذا المؤلف ان يعود الى الاولين ليطالعها قبلاً ، اذ ان الحياة في التطور وفي المجلدات الثلاثة حياة تبتدئ بقيامة المسيح الذي مات وانتصر على الموت والذي يقودنا الى حلول الروح القدس الذي منه ثمرة الفداء . اما الميلاد فانه بدء وكمال السر الذي يؤمن للانسان خلاصه .

وقد يجد القارئ في هذا الكتاب الآفاق الروحية الواسعة وبعض المقابلات المفيدة .

ا. ع. خ

D. Masson : *Le Coran et la révélation judéo-chrétienne.* — Études comparées, I et II vol. — Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve — Paris 1958, 829 pp.

ليس الموضوع الذي يحلله المؤلف بجديد، اذ هناك عدد كبير من المستشرقين الذين عطفوا على درس كهذا واملأوه تمحيصاً ونقداً وتوصلوا الى النتائج التالية: تأثير الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية على القرآن، تأثير الاناجيل المزورة وخاصة اناجيل طفولة يسوع على القرآن واخيراً تأثير بعض الكتاب السريان كافرام مثلاً على التفكير الاسلامي في ما يتعلق بالحياة الاخرى .

ولكن المؤلف، مع ما قاله المستشرقون وتبنوه من افكار واسعة النطاق، ومع انه تأثر بهذا كله، اراد ان يعطينا عرضاً شاملاً وبصورة بسيطة سهلة للكتب الثلاثة التوراة والعهد الجديد والقرآن. ولم يكتفِ بذلك فتدى هذه الكتب مرات واخذ من ابن تيمية ومن المجادلات الاسلامية ما يدعم الافكار المشروحة .

ولذا فانه قد اتبع السرد العادي في تقسيم المادة التي يحللها فالقى نظرة على الله وصفاته، على الثالوث والخلق والوحي والقرآن كاساس اول للشرائع المتعلقة بالعبادة وكاساس للشرائع المتعلقة بالاعمال البشرية . وينتهي الى درس بعض النصوص التي فيه تنويه بالحياة الاخرى .

كتاب توجب على المؤلف ان يقضي الساعات الطويلة لانجازه ليس للجمع والمقابلة فقط ولكن لفهم الفكرة وراء كلام يتشابه في رنأته ولذا فاننا نرى في تأويلاته العديدة كيف انه تجنب الخلط بين الكتب الثلاثة واعطى كل واحد حقه . فنراه يستند الى مفكرين ذوي عقلية مختلفة كترد الاولي وافرام وابن تيمية وغيرهم، وفي هذه التعليقات حكمة وروية تنمّ عن فهم القرآن ولغته الصعبة بحد ذاتها وتوجيهات الوحي اليهودي — المسيحي .

وفي سير الكتاب نرى ان المؤلف عرف كيف يفصل بين الكتب الثلاثة فانه يلحّ على معاني بعض الكلمات الدينية التي تأخذ في القرآن وحده توجيهاً واحداً لا تشوبه تطبيقات وتفسيرات. فكلمة ربّ مثلاً لا تقال الّا عن الله، ولا يستطيع المفكر ان يقولها عن غيره كما هي الحالة في اليهودية او في المسيحية

اذ تطبق هذه الكلمة على المعلم او على الراهب الذي يجدّ بتقريب المؤمنين من الله.

ولنجدنّ امثالاً اخرى لو لم يحصر المؤلف جهده في النظريات ولو لم ينتقل الى الدين العملي. فالمواقف الدينية هي جزء من درس علمي . وهناك قرون عديدة تسمح باستنتاج قوانين صريحة تستوحى للبت في تأثير دين على آخر .

ومهما يكن من امر فاننا لا نستطيع الآن ان ننهي المؤلف للروح الذي ابرزه في كتابه هذا: صفاء وسلام وحب التقارب دون ان يغيب عنه مصير بعض النتائج التي توصل اليها . فيقول في آخر كتابه ان الموضوع الاساسي الذي نجده في الاديان الثلاثة الواحدية التي تنتمي الى مؤسسها ابراهيم يعود الى هذا المبدأ وقد ردّدته هذه الكتب: « كل شيء من الله اتى واليه يعود . ولذا فقد اراد المؤلف ان يؤكد درجة التشابه والتجانس بينها ، وبين عباد الله الذي وعد ابراهيم بان تكون ذرّيته اوسع من رمل البحر » (ص ٧٨٣) .

لقد نجح المؤلف . انما على من يتعاطى دروساً كهذه ان يعود فيضع الافكار والكلمات في جوها الخاص ويستطيع اذاك ان يفرّق بعد ان يكون قد اكد التشابه .

ا. ع. خ

Louis Gardet : *Connaître l'Islam.* — Collec. Je sais-Je crois. — Paris, 1958, 159 pp.

تعرّض المؤلف في كتابه هذا الى تأريخ حدوث الاسلام وانتشاره فيقطع الوقت الكافي لدرس الامة الاسلامية وبعد ذلك ينتقل الى التمحيص عن اللاهوت الاسلامي والفقه والثقافة الاسلامية وقد مرّ عليها اربعة عشر قرناً وتكاثرت عليها ثروة تفكير ادمغة جبارة كانت على صلة باديان مختلفة وبثقافات عديدة فاستخلصت منها ما ادمجته في الاصول الشخصية .

وفي نهاية الطواف يتساءل المؤلف عن نهضة الاسلام الحالية أهي سياسية أم دينية ؟ فبدون ان يبت في الامر بصورة اعتباطية يسرد اسباب النهضة تلك ومعناها العميق . كتاب حجمه صغير ولكنه تطرّق الى التاريخ واللاهوت والسياسة الاسلامية ، كتاب فيه نظرات على الواقع اليومي ونظرات على التصوّف الاسلامي في اصوله البعيدة. مما يدل على ثقافة واسعة وحكم صائب وهذا ما يجعل قراءة هذا الكتاب سهلة مفيدة .

ا. ع. خ

فهارس المشرق

للسنة الرابعة والخمسين

١٩٦٠

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الرابعة والخمسين من مجلة المشرق ١٩٦٠

الجزء ١ — (كانون الثاني – شباط) : وثائق تاريخية عن حلب ٤ للاب فرديناند توتل اليسوعي (٣–٣٢) = معاني اسماء اعلام الاشخاص للاب رفائيل نخله اليسوعي (٣٣–٤٠) = الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٤١–٦٧) = مشكلة المرفة بين ارسطو والغزالي ٢ و ٣ للاب فريد جبر اللعازري (٦٨–٩١) = نصوص حيانية جديدة للاب ا. فان دن براندن (٩٢–١٠٤) = الكتب (١٠٥–١٢٨).

الجزء ٢ — (آذار – نيسان) : مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبه نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (١٢٩–١٦٢) – تحقيق في سنّ الرازي عند بدء اشتغاله بالطب للدكتور البير زكي اسكندر (١٦٨–١٧٧) = الفلسفة الماركسية في بردتها الاصلية للاستاذ الياس صفر (٠) (١٧٨–١٩٥) = رسالة في التصوف نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (١٩٦–٢١٦) = HSMY-SMY' et RHY'QRT-BT' QB' dans les textes de Safā et de Hatra للاب ا. فان دن براندن (٢١٧–٢٣٠) = في سبيل الثقافة العربية المسيحية للاب فرديناند توتل اليسوعي (٢٣١–٢٣٣) = الكتب (٢٣٤–٢٥٦).

الجزء ٣ — (ايار – حزيران) : مشكلة المرفة بين ارسطو والغزالي ٤، ٥، ٦ للاب فريد جبر اللعازري (٢٥٧–٢٩٧) = رسالة في التصوف (تابع) نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٢٩٨–٣١٦) = ارز لبنان في هيكل سليمان للاب بطرس روفائيل (٣١٧–٣٣٢) = وثائق تاريخية عن حلب ٥ للاب فرديناند توتل اليسوعي (٣٣٣–٣٦٤) = El, Dieu unique des anciens Sémites للاب يوحنا ستاركي (٣٦٥–٣٧٦) = الكتب: كتاب اساس التأويل للاستاذ عارف تامر (٣٧٧–٣٨٤)

الجزءان ٤–٥ — (تموز – آب – ايلول – تشرين الاول) : كتاب ختم الاولياء للترمذي نشره الاستاذ عثمان يحيى (٤٨٥–٤٧٠) = كتاب محنة الطبيب للرازي للدكتور البير ز. اسكندر (٤٧١–٥٢٢) = الآثار المطوية للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٥٢٣–٥٤٦) = كتاب اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٥٤٧–٥٧٩) = معجم البلاد والاماكن العربية للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (إ) (٥٨٠–٥٨٢) = الشعر الصبي للشاعر رياض معلوف (٥٨٣–٥٨٧) = البطريرك ميخائيل فاضل ونسبه للخوراسقف يوسف زياده (†) (٥٨٨–٦٠٤) = من فرائد الشعر الثاني في اللغات اللاتينية للاب روفائيل نخله اليسوعي (٦٠٥–٦٢٨) = ردّ المفتري عن الطعن في الشستري نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٦٢٩–٦٣٩) .

الجزء ٦ — (تشرين الثاني – كانون الاول) : الآثار المطوية للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٦٤١–٦٨٧) = وثائق تاريخية عن حلب ٥ للاب فردينان توتل اليسوعي (٦٨٨–٧١٩) = عودة اليسوعيين الى الشرق للاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٧٢٠–٧٢٢) = معجم البلاد والاماكن العربية للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (†) (٧٢٣–٧٣١) = كتابة ناووس احيرام للاب ا. فان دن برانـدن (٧٣٢–٧٣٦) = كتاب تاريخ افتتاح الاندلس للاستاذ رشدي الحكيم (٧٣٧–٧٤٦) = لطائف اللغة للشاعر رياض معلوف (٧٤٧–٧٥٢) = الكتب (٧٥٣–٧٥٧) = فهارس الفهارس (٧٥٨–٧٦٧) .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

اسكندر (الدكتور أ. ز.) = تحقيق في سن الرازي عند بدء اشتغاله بالطب ١٦٨ – ١٧٧ = كتاب محنة الطبيب للرازي ٤٧١-٥٢٢

براندن (أ. فان دن) : نصوص حيانية ٩٢-١٠٤ = HSMY - SMY' et RHY'QBT-BT' QB' dans le texte de Safa et de Hatra ٢١٧ – ٢٣٠ = كتابة تاوورس احيرام ٧٢٣-٧٣٦

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : وثائق تاريخية عن حلب ٤ ٣-٣٢ = في سبيل الثقافة العربية المسيحية ٢٣١-٢٣٣ = وثائق تاريخية عن حلب ٥ ٣٣٣-٣٦٤ و ٦٨٨-٧١٩

جبر (الاب فريد اللعازري) : مشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي ٢، ٣ ٦٨ – ٩١ = مشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي ٤، ٥، ٦ ٢٥٧-٢٩٧

الحكيم (الاستاذ رشدي) : كتاب تاريخ افتتاح الاندلس ٧٣٩-٧٤٦

خليفه (الاب اغناطيوس عبده اليسوعي) : مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبه ١٣٩ – ١٦٧ = رسالة في التصوف ١٩٦-٢١٦ و ٢٩٨ – ٣١٦ = كتاب اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي ٥٤٧-٥٧٩ = رد المقري عن الطعن في الششتري ٦٢٩ ٦٣٩ = عودة اليسوعيين الى الشرق ٧٢٠-٧٢٢

روفائيل (الاب بطرس) : ارز لبنان في هيكل سليمان ٣١٧-٣٣٢

زياده (الخوراسقف يوسف) : البطريرك ميخائيل فاضل ونسبه ٥٨٨-٦٠٤

ساركي (الاب يوحنا) : El, Dieu unique des anciens Sémites ٣٦٥-٣٧٦

شبلي (الاب انطونيوس) : الخوراسقف ارمانيوس الفاخوري ٤١-٦٧ = الآثار المطوية ٥٢٣ ٥٤٦ و ٦٤١-٦٨٧

صقر (الياس) : الفلسفة الماركسية في بردها الاصلية ١٧٨-١٩٥

معلوف (اسكندر عيسى) : معجم البلاد والاماكن العربية ٥٨٠-٥٨٢ و ٧٢٣-٧٣١

معلوف (رياض) : الشعر الصيني ٥٨٣-٥٨٧ = لطائف اللغة ٧٤٧-٧٥٣

نخله (الاب رفائيل اليسوعي) : من فرائد الشعر الثاني في اللغات اللاتينية ٦٠٥ – ٦٢٨

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الرابعة والخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

ا

ابو نواس: ديوان ٢٤٣

ابي كرم (المطران نعمة الله): قانون المحاكمات الكنسية ١٠٥

الامين (الحسن): اعيان الشيعة الجزءان الاربعون والواحد والاربعون ١٢٦

ت

تامر (عارف): من المشرق الى المغرب ١١٤

على ابواب الموت ١٢٥

ح

حسين (فاضل): محاضرات عن مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية ٢٤٤

ر

الرافعي (مصطفى): حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة ٧٥٤

ز

زهره (الاب بطرس): ترجمة الشخصية ٧٥٣

زياده (الدكتور نقولا): محاضرات في تاريخ ليبيا ١٢٧

س

السباعي (محمد يوسف): الفيلسوف ٢٣٩

سمعان (الزعيم جوزف): الفروسية العربية ١٢٦

ش

شبلي (الاب انطونيوس اللبناني): الآثار المطوية ٢٣٤

شبلي (المحامي ميشال): المحاماة علم ودرس وفن ١٠٨

الشيال (جمال الدين): محاضرات عن الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق ٢٤٣

ص

الصياد (محمد محمود): اقتصاديات السودان ١٢٦

ط

طاغور (رابندرانات): القمر الفتى ١١٠

طلس (محمد اسعد): محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي ٢٤١

غ

غانم (محمد حافظ): محاضرات في المجتمعات الدولية الاقليمية ١٢٧

ف

الفاروقي (عبد المجيد التاجي): طريقة جديدة للتهجئة والكتابة في اللغة العربية ١١٣

فخري (احمد): بلاد اليمن ١٢٨

الفغالي (الخوري باخوس): في الزواج ١٠٧

ك

كسبار (ادمون): كتاب الوصايا والهبات والارث ٢٣٧

م

ماتيوس (الاب يوحنا): الليل — الصباح ١٢٤

المحمصاني (صبحي): الاوضاع التشريعية في الدول العربية ، ماضيها وحاضرها ٢٣٦
معوشي (ايلي): رفات اجنحة ٣٦١
المغربي (النعمان بن حيون) : كتاب اساس التأويل ٣٣٧
مقلد (محمد يوسف): موريتانيا الحديثة او العرب البيض في افريقيا السوداء ٨٦٦
موسى (محمد يوسف) : النسب وآثاره ٢٦٣
الهمداني (محمد بن عبد الملك): تكملة تاريخ الطبري الجزء الاول ٢٦٣

٢ — مطبوعات اوروبية

B

BARTH (KARL) : *La preuve de l'existence de Dieu* 246
» » : *Commentaire de l'Épître aux Philippiens* 249
» » : *L'humanité de Dieu* 249
» » : *Petit commentaire de l'Épître aux Romains* 250
BOUESSÉ (HUMBERT O.P.) : *Le sacerdoce chrétien* 188
BRUTSCH (CHARLES) : *L'Apocalypse* 244

C

CADIER (JEAN) : *Calvin* 258
CHAMBON (JOSEPH) : *Le Protestantisme français jusqu'à la Révolution française* 255
COLLWITZER (HELMUT) : *Les Chrétiens et les armes atomiques* 255
Coran (Le) 252
CULLMANN (OSCAR) : *Catholiques et Protestants* 245

D

DIETRICH (S. DE) : *Hommes libres* 244

G

GABRIELI (FRANCESCO) : *Storici arabi della Crociate* 254
GARDET (LOUIS) : *Connaître l'Islam* 757
GASBARRI (CARLO) : *Medioriente* 112

H

HAME (JOHANNES) : *Le combat de l'Église dans l'Allemagne de l'Est* 255
Histoire universelle des Missions Catholiques, publiée sous la direction de Mgr S. Delacroix 109

HUGEDÉ (NORBERT): *La Métaphore du miroir dans les Épitres de S. Paul aux Corinthiens* 247

I

ISMAÏL (ADEL) : *Histoire du Liban du 17e s. à nos jours* 113

J

JEAN-NESMY (DOM CLAUDE) : *Spiritualité de Noël* 757

K

KHALDUN (IBN) : *Os Prolegómenos ou Filosofia Social* 252

M

MASSON (D.) : *Le Coran et la révélation judéo-chrétienne* 756
MAURY (PHILIPPE) : *Évangélisation et Politique* 255
MAURY (PIERRE) : *La Prédestination* 250
MICHAELI (FRANK) : *Le Livre de la Genèse, ch. I à II* 245

S

Second supplementary Catalogue of arabic printed Book in the British Museum 551
SMITH (WILFRED CANTWELL) : *Islam in Modern History* 115

T

TABBAH (BICHARA) : *Droit politique et humanisme* 238
TCHALENKO (G.) : *Villages antiques de la Syrie du Nord. Le massif du Bélus à l'époque romaine* 116
The Excavations at Dura Europos 120
THURNEYSEN (Ed.) : *Doctrine de la cure d'âme* 247

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الرابعة والخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

الآثار المطوية ٥٣٣ و ٦٤٠
ارز لبنان في هيكل سليمان ٣١٧

ب

البطريرك ميخائيل فاضل ونسبه ٥٨٨

ت

تحقيق في سنّ الرازي عند بدء اشتغاله بالطب ١٦٨

خ

الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري ٤١

ر

رد المفتري عن الطاعن في الششتري ٦٣٩
رسالة في التصوف ١٩٦ و٢٩٨

ش

الشعر الصيني ٥٨٣

ع

عودة اليسوعيين الى الشرق ٧٢٠

ف

الفلسفة الماركسية في بردتها الاصلية ١٧٨
في سبيل الثقافة العربية المسيحية ٢٣١

ك

كتاب ختم الاولياء للترمذي ٣٨٥
كتاب محنة الطبيب للرازي ٤٧١
كتاب اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي ٥٤٧
كتابة ناروس احيرام ٧٢٣

ل

لطائف اللغة ٧٤٧

م

مختار من كتاب اللهو والملاهي ١٣٩
مشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي ٦٨و٢٥٧
معاني اسماء اعلام الاشخاص ٣٣
معجم البلاد والاماكن العربية ٥٨٠ و ٧٢٣
من فرائد الشعر الثاني في اللغات اللاتينية ٦٠٥

ن

نصوص لحيانية جديدة ٩٣

و

وثائق تاريخية عن حلب ٤ ٣ و ٣٣٣ و ٦٨٨

HUGEDÉ (NORBERT): *La Métaphore du miroir dans les Épitres de S. Paul aux Corinthiens* 247

I

ISMAÏL (ADEL) : *Histoire du Liban du 17e s. à nos jours* 113

J

JEAN-NESMY (DOM CLAUDE) : *Spiritualité de Noël* 757

K

KHALDUN (IBN) : *Os Prolegómenos ou Filosofia Social* 252

M

MASSON (D.) : *Le Coran et la révélation judéo-chrétienne* 756
MAUZY (PHILIPPE) : *Évangélisation et Politique* 255
MAURY (PIERRE) : *La Prédestination* 250
MICHAELI (FRANK) : *Le Livre de la Genèse, ch. I à II* 245

S

Second supplementary Catalogue of arabic printed Book in the British Museum 551
SMITH (WILFRED CANTWELL) : *Islam in Modern History* 115

T

TABBAH (BICHARA) : *Droit politique et humanisme* 238
TCHALENKO (G.) : *Villages antiques de la Syrie du Nord. Le massif du Bélus à l'époque romaine* 116
The Excavations at Dura Europos 120
THURNEYSEN (Ed.) : *Doctrine de la cure d'âme* 247

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الرابعة والخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

الآثار المطوية ٥٢٣ و ٦٤٠

ارز لبنان في هيكل سليمان ٣١٧

ب

البطريرك ميخائيل فاضل ونسبه ٥٨٨

ت

تحقيق في سنّ الرازي عند بدء اشتغاله بالطب ١٦٨

خ

الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري ٤١

ر

رد المفتري عن الطعن في الششتري ٦٢٩

رسالة في التصوف ١٩٦ و٢٩٨

ش

الشعر الصيني ٥٨٣

ع

عودة اليسوعيين الى الشرق ٧٢٠

ف

الفلسفة الماركسية في بردتها الاصلية ١٧٨

في سبيل الثقافة العربية المسيحية ٢٣١

ك

كتاب ختم الاولياء للترمذي ٣٨٥

كتاب محنة الطبيب للرازي ٤٧١

كتاب اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي ٥٤٧

كتابة ناروس احيرام ٧٣٢

ل

لطائف اللغة ٧٤٧

م

مختار من كتاب اللهو والملاهي ١٢٩

مشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي ٦٨و٢٥٧

معاني اسماء اعلام الاشخاص ٣٣

معجم البلاد والاماكن العربية ٥٨٠ و ٧٢٣

من فرائد الشعر الثاني في اللغات اللاتينية ٦٠٥

ن

نصوص لحيانية جديدة ٩٢

و

وثائق تاريخية عن حلب ٤ و ٣٣٣ و ٦٨٨

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Cinquante quatrième année
1960

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1960

TABLE DES SOMMAIRES

LIV^e ANNÉE, 1959

◇

JANVIER - FÉVRIER

Documents historiques sur Alep IV (p. 3), publiés par le *Père Ferdinand Taoutel S. J.*

Le sens des noms propres (p. 33), par le *Père R. Nakhla S. J.*

Le Chorévêque Arsanios Fahūrī (p. 41) par le *Père A. Chébli.*

Le problème de la connaissance : Aristote et al-Ġazālī, 2 et 3 (p. 68), par le *Père Farid Jabre.*

Nouveaux textes lihyanites de Philby-Bogue (p. 92), par le *Père A. van den Branden.*

Les Livres (p. 105).

MARS - AVRIL

Le Livre des jeux et des divertissements (p. 129), publié par le *Père Ignace Abdo Khalifé S. J.*

L'âge d'ar-Rāzī au début de ses études de médecine (p. 168), par le *Dr. A. Z. Iskandar.*

L'authentique philosophie marxiste (p. 178), par *Mr Elias Sacr* (†).

Épitre sur le Soufisme (p. 196), publiée par le *Père I.-A. Khalifé S. J.*

HSMY-SMY' et RHY 'QBT-BT 'QB' dans les textes de Safā et de Hatra (p. 217), par le *Père A. van den Branden.*

Au service de la culture arabe chrétienne (p. 231), par le *Père F. Taoutel S. J.*

Les Livres (p. 234).

MAI - JUIN

Le problème de la connaissance : Aristote et al-Ġazālī, 4, 5, 6 (p. 257), par le *Père Farid Jabre.*

Épitre sur le Soufisme (suite) (p. 298), publiée par le *Père I.-A. Khalifé S. J.*

Le Cèdre du Liban et le Temple de Salomon (p. 317), par *Mgr Pierre Raphaël.*

Documents historiques sur Alep V (p. 333), publiés par le *Père F. Taoutel S. J.*
El, Dieu unique des Anciens-Sémites (p. 365), par l'*Abbé Jean Starcky.*
Les Livres : Kitāb asās al-Ta'wil (p. 377), par *Mr Arif Tamir.*

JUILLET - OCTOBRE

Kitāb Ḫatm al-Awliyā' (p. 385), publié par *Dr. Osman Yahia.*
Ar-Rāzī on Examining Physician K. Miḥnat aṭ-Ṭabīb (p. 471), publié par *Dr. A. Z. Iskandar.*
Documents inédits (p. 523), publiés par le *Père Antoine Chébli.*
Kitāb Iṣlāḥ mā taġlaṭ bihi al-'Ammat (p. 547), publié par le *Père I.-A. Khalifé S. J.*
Dictionnaire des localités et pays arabes (p. 580), par *Mr I. Iskandar Ma'lūf* (†).
La poésie chinoise (p. 583), par *Mr Riad Ma'lūf.*
Le Patriarche Michel Fāḍil (p. 588), par le *Chorévêque Joseph Ziadé* (†).
Anthologie de la poésie lyrique dans les langues latines (p. 605), par le *Père R. Nakhla S. J.*
Radd al-Muftarī 'an aṭ-Ṭa'n fī-š-Šaštarī (p. 629), publié par le *Père I.-A. Khalifé S. J.*

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

Documents inédits (p. 641), publiés par le *Père Antoine Chébli.*
Documents historiques sur Alep, V (p. 688), publiés par le *Père F. Taoutel S. J.*
Le retour des Jésuites en Orient (p. 720), par le *Père I.-A. Khalifé S. J.*
Dictionnaire des localités et pays arabes (suite) (p. 723), par *I. Iskandar Ma'lūf* (†).
Inscription du sarcophage d'Ahiram (p. 732), par le *Père A. van den Branden.*
Kitāb tarīḫ iftitāḥ al-Andalos (p. 737), par *Mr Rušdī Hakīm.*
Les nuances linguistiques (p. 747), par *Mr Riad Ma'lūf.*
Les livres (p. 753). — Index Généraux (p. 758).

المشرق

السنة الخامسة والخمسون — كانون ٢–شباط ١٩٦١

كتاب ختم الاولياء (تابع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن عليّ بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

بعد هذا العرض المجمل لحياة الترمذي ومؤلفاته، ننتقل الآن الى موضوع آخر وهو دراسة كتاب «ختم الاوليا.» وتحليله وبيان مكانته في الآداب الصوفية الاسلامية.

ان الباحث العلمي حين يباشر دراسة نص من النصوص القديمة، يجب عليه بَدِيًا أن يجابه مجموعة من المشاكل التاريخية ويجد لها حلًا تامًا او قريبًا من التام:

أ : صحة النص والوثوق به تاريخيًا، من حيث نسبته الى مؤلفه الحقيقي.

٢ً : تأريخ تأليفه بالضبط ، أو على سبيل التقريب .

٣ً : الظروف الزمنية أو الشخصية الداعية الى تأليفه.

والاجابة المسددة عن مثل هذه المسائل التاريخية ، لها قيمتها العلمية من غير شك . بَيْدَ أنَّ اثرها سيتجلى اكثر فأكثر حين يكون النص المراد تحقيقه ذا مكانة خاصة في تاريخ الفكر البشري لامة من الامم في جيل من الاجيال . وذلك ، تماماً ، هو شأن كتاب «ختم الاولياء» . والواقع ان هذا النص الذي نقدمه للطبع للمرة الاولى — وكثير من مؤرخي الاداب الاسلامية المحدثين كانوا يعتبرونه في حكم المفقود[٣٤٩] — هو على جانب عظيم من الخطورة ، سواء بالنسبة الى موضوعه الخاص او الى شخصية مؤلفه البارزة او الى الصدى الهائل الذي تركه في البيئة العلمية الاسلامية .

ان «ختم الاولياء» للحكيم الترمذي هو حقاً نتاج اصيل في التراث الصوفي. ويعتبر من براعم الاثار الادبية الروحية في حقل الثقافة الاسلامية الخصيب . وهو ثمرة ناضجة لذوق صوفي عميق ومجهود مبارك لتفكير ذاتي صميم . ونحن نجد فيه تحليلا رائعاً لنشاط الروح الانساني في مستوى « الصدق » وفي مستوى « المنة » ، اي في مستوى الجهد البشري الخالص ومستوى النعمة الالهية السامية .

وكتاب «ختم الاولياء» ايضاً يمتاز بأنه اول وثيقة قديمة في الميدان الصوفي، على ما نعلم ، عالجت مشكلة النبوة والرسالة على نحو منهجي منظم وبينت خصائصها المشتركة والمفردة ووضحت الصلات الوثيقة القائمة بينها . كما تبدو في هذا السفر القيم ، لاول مرة ، بعض النظريات الخاصة عن معاني «ختم النبوة » و«ختم الولاية » وهي مشروحة على نسق لا نظير له من قبل .

اما شخصية مؤلف هذا الكتاب الهام ، اعني الحكيم الترمذي ، فهي في غنى عن التنويه بخطرها والاشادة بذكرها . والواقع ان صورة شيخ خراسان من المع الصور الصوفية في تاريخ الاسلام ؛ وتأثيره فيمن جاء بعده كان عظيماً على مدى الاجيال . ان الهيكل العالمي الشامخ الذي شيده بمؤلفاته العديدة

٣٤٩) انظر مثلا الاستاذ لويس ماسنيون (L. T.) ص ٢٨٧ ومقدمة كتاب الرياضة لآربري وحسن علي عبد القادر وبروكلمان (G. I. 448; S. N. I, 356) .

ورسائله الشاملة هو اثر خالد في ميدان التفكير الاسلامي والتفكير البشري في آن معاً .

كل هذه العوامل ، مجتمعة ومنفردة ، ستبرر من غير شك اهتمامنا وعنايتنا بالمشاكل التاريخية التي وصفناها سابقاً . فلنجب عليها اذن بقدر ما تسعفنا الوثائق العلمية التي نملكها في الوقت الحاضر .

ليس لدينا الآن مصادر مباشرة ، من الوجهة التاريخية تتيح لنا اجابة حاسمة عن المسألة الاولى ، اعني عن صحة نص « ختم الاوليا. » من حيث نسبته الى الحكيم الترمذي . فالمخطوطان اللذان نملكها حالياً ، وهما الوحيدان في دور الكتب ، ان في الشرق او في الغرب ، بحسب اطلاعنا — كلاهما ليسا بخط المؤلف نفسه ولا بخط احد اتباعه . فهما معاً قد نسخا بعد عدة قرون من عصر شيخ ترمذ . ولا نعلم على التحقيق اسم الخطاط الذي كتب كلتي النسختين . — المخطوط الاول هو محفوظ في خزانة جامع الفاتح (اسطنبول) وتاريخ نسخه سنة ٦٣٧ هجرية . والمخطوط الثاني محفوظ في خزانة ولي الدين (اسطنبول ايضاً) . وهو بدون تاريخ . ولكن يبدو ان هذه النسخة اقدم من نسخة الفاتح ، لانا نجد على غلاف المجموعة (وهي تحتوي على طائفة من الكتب والرسائل كلها للحكيم الترمذي) اقراراً بعدة تملكات لهذا المجموع أعتقها تملُّك ثابت عام ٨٨٨ للهجرة في ٧ شعبان .

ومع ذلك ، فهاتان النسختان الوحيدتان لكتاب « ختم الاوليا. » تثيران بعض المشاكل التاريخية الخاصة بنسبة الكتاب الى مؤلفه الاصلي . فمخطوط خزانة الفاتح هو محفوظ ضمن مجموعة من الرسائل والكتب ، كلها لابن عربي . والناسخ لهذه المجموعة لا يتردد في نسبة هذا الكتاب الى ابن عربي نفسه ، على غلاف المجموع ، بهذا العنوان : « كتاب ختم الولاية (بدل ختم الاوليا.) لابن عربي » . وكذلك يلاحظ القارئ في صدر الرسالة نفسها ، على الهامش ، هذا العنوان : « كتاب ختم الولاية » ؛ وهو مكتوب بخط مخالف للاصل وبدون نسبة الى مؤلف ما . بيد أنا حين نقرأ نص الكتاب نفسه ، نجد اسم الحكيم الترمذي ثابتاً منذ البدء : « قال الامام ابو عبدالله محمد بن علي بن الحسن

ابن بشر ، الحكيم الترمذي . . . » وكذلك نجد في آخر النسخة ، بقلم الناسخ ذاته ، هـذا التصريح : « تم كتاب ختم الاوليا. » : وعلى الهامش : « بلغ المقابلة في ٩ شهر رجب سنة ٩٣٧ . » — وهكذا تمارضت الاقوال في نسخة الفاتح من حيث عنوان الكتاب ومن حيث نسبته الى مؤلفه الحقيقي . ولكني لا اتردد مطلقاً في رفض نسبة الكتاب الى ابن عربي ، كما هو ثابت على غلاف المجموع . اما الاختلاف في العنوان ، فالامر فيـه سهل ، لان كلًّا من هذين العنوانين : « ختم الولاية » و« ختم الاوليا. » — صحيح .

ونسخة خزانة « ولي الـدين » خلو من ذكر عنوان الكتاب : فهو غير مذكور لا في صدر النص ولا في آخره ولا على غلاف المجموع . ولكن اسم المؤلف منصوص عليه في المقدمة : « بسم الله . . . الحمد لله . . . قال الامام ابو عبدالله ، محمد بن علي الترمذي ، رحمه الله . . . » ولدى مقارنة مخطوط خزانة الفاتح مع مخطوط خزانة ولي الدين نجد محتواهما واحداً مع فارق يسير في ضبط بعض الكلمات .

لا اعلم ، في الوقت الحاضر ، اذا كان كتاب « ختم الاوليا. » قد ورد له ذكر ، على لسان الحكيم الترمذي نفسه ، في خلال كتبه او رسائله (٣٥٠) . ولكن قد جا. ذكر هذا الكتاب معزوًّا الى الترمذي الحكيم في مصادر متأخرة . لدى مؤلفين عديدين . فهو مذكور مثلًا في :

— حقائق التفسير للسلمي :
(انظر نسخة الاسكندرية ورقة ١٠٤ ا مخطوط رقم ١٠١٨ ب) (٣٥١)

---

٣٥٠) من عادة الحكيم الترمذي ان يذكر بعض مصنفاته في كتبه ورسائله : من ذلك ، مثلًا ، كتاب رياضة النفس ، حيث هو مذكور في مجموعة ليبزيج 69b - 212 وكتاب الارادات في نفس المجموعة folio, 32a وكتاب سير الاوليا. folio, 69b . الخ . . ثم جاء ذكر « كتاب الاوليا. » في مجموعة ليبزيج folio, 205a في السطر السادس . ولكن هذه التسمية غامضة ، فهل هي اختصار عنوان ختم الاوليا. او علم الاوليا. او سير الاوليا. ؟ او هي عنوان كامل لكتاب مستقل ؟ . انظر التعليق السابق رقم ٣٣٣

٣٥١) نقلًا عن نقولا هير ، مقدمة « بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » ص ١٨ طبعة القاهرة ١٩٥٨

— وكشف المحجوب :

(للهجويري ص ١٧٨ من النص الفارسي)

— والفتوحات المكية :

(لابن عربي ص ١٨٥) (مجلد اول) وص ٦٩ (مجلد ثان)

— وعنقاء مغرب :

(لابن عربي المقدمة)

— والجواب المستقيم :

(لابن عربي المقدمة)

— وطبقات الشافعية :

(للسبكي ص ٢٠ جزء ثان)

— وتذكرة الحفاظ :

(للذهبي ص ١٩٧ جزء ثان)

— ولسان الميزان :

(لابن حجر العسقلاني ص ٣٠٨ جزء خامس)

— ونفحات الانس :

(لجامي ص ١٣١)

— وحقيقة مذهب الاتحاديين :

(لابن تيمية ص ١١٥)

— وكشف الظنون :

(لحاجي خليفة ص ٧٠٠ جزء اول — ط. اسطنبول)

— والطبقات الكبرى :

(للشعراني ص ١٢ جزء ثان)

— ولطائف المنن :

(لابن عطاء الله الاسكندري ص ٩٥ و ص ١٢٣)(٣٥٢)

٣٥٢) نبهني الى ذكر كتاب ختم الاولياء في طبقات الشعراء ولطائف المنن اخي في الله ، السيد الفاضل عبد العزيز شودري (من پاكستان) في احدى رسائله لي ، فجزاه الله خيرًا .

هذا ، ونجد في بعض المصادر التاريخية المتأخرة عن عصر الترمذي ، جملًا منقولة من كتاب ختم الاولياء او فصولًا برمتها ؛ من ذلك ، مثلا : طبقات الصوفية للسلمي وبهجة الطائفة للبدليسي والفتوحات المكية والجواب المستقيم لابن عربي[٣٥٣] : وحين نقارن هذه النصوص المختلفة مع نص ختم الاولياء ، كما هو محفوظ الآن في مخطوطتي الفاتح وولي الدين ، نلاحظ مباشرة موافقة تامة بين هذه النقول والنص الاصلي[٣٥٤] . وهذا من شأنه ان يرجح لدينا صحة النص التاريخي لنسختي ولي الدين والفاتح ، بالرغم من انهما قد كتبتا بعد عدة اجيال من عصر المؤلف .

اما ما يخص تاريخ تحرير الكتاب والظروف الزمنية او الشخصية الداعية اليه ، فلا شيء صريح في هذا الباب . فنحن لا نجد ذكرًا لهذا لا في نص الكتاب ذاته ولا في نصوص اخرى للحكيم الترمذي . نعم ، هناك بعض الاشارات الى ذلك ، إلّا انها اشارات عابرة غامضة جاءت عرضًا في كلام الشيخ نفسه او في كلام من كتبوا عنه . فمثلًا نجد الترمذي في « ختم الاولياء » ، حين يذكر اسم يحيى بن معاذ الرازي ، يؤكد معرفته له من قبل ويتبع ذلك بقوله : « رحمه الله ! » وهذا يفيد ان « ختم الاولياء » قد كتب بعد وفاة شيخ نيسابور ، اي بعد سنة ٢٥٨ للهجرة . كما نجد ايضًا في « بدو الشأن » ان الحكيم الترمذي كان مظنة للريبة وموضع الاتهام من علماء بلده . ولا ريب ان هذا كان بسبب افكاره الخاصة بالنبوة والولاية التي شرحها بتفصيل في « ختم الاولياء » . ونحن حين نمعن النظر في اسلوب هذا الكتاب وطريقة عرضه

---

٣٥٣) انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ٢٢٠ وبهجة الطائفة للبدليسي ، نسخة برلين ، رقم ٢٨٤٢ : ٤٣ب ، ٤٤د ، ٤٥ا . ومسائل الجواب المستقيم حيث ذكر ابن عربي نص كتاب ختم الاولياء ثم اجاب عنها كما فعل ذلك ايضًا في الفتوحات المكية ص٤٠-١٣٩ مجلد ثان .

٣٥٤) لم نجد فرقًا في الواقع بين نص ختم الاولياء واجوبة ابن عربي في الجواب المستقيم والفتوحات الا في موضعين اثنين : وهما خاصان « بالقائم بالحجة » والطريق الآخر الخاص بالقائم بالحجة لاقامة الحجة على الخلق كافة من غير طريق العبودية . وهذان الموضعان هما عنوانا مسألتين من مسائل الترمذي لا نجد لهما مقابلًا لا في الفتوحات ولا في الجواب المستقيم . وهذا ما يفسر الاختلاف في الترقيم بين الفتوحات وبين ما وضعناه لنص ختم الاولياء .

وتناوله لموضوعاته، ندرك بديا نضوج التفكير والاحاطة التامة باطراف الموضوع، وذلك يدل على ان « ختم الاوليا. » قد كتب في فترة متأخرة من عمر صاحبه، بعد تجربة عميقة في طبيعة الحياة الروحية واختبار طويل في هذا السبيل. وهذا ما تؤكده لنا في الواقع بعض الروايات التاريخية المتأخرة التي تحدثت عن الحكيم الترمذي وعن مؤلفه « ختم الاوليا. »[٣٥٥] بالذات.

***

الموضوع الاساسي لكتاب « ختم الاوليا. » هو تحليل الاختبار او الذوق الصوفي بحسب معيارين أو نطين مختلفين تماماً: معيار الصدق ومعيار المنة. الاول: هو معيار انساني بحت؛ والثاني: هو معيار الاهي صميم، او بتعبير ادق: هو الاهي من حيث مبدؤه الفاعل وانساني من حيث مظهره القابل. وقد شرح لنا المؤلف هذه النظرية الخطيرة، مستعيناً على ذلك بمعرفة واسعة لطبيعة النفس الانسانية واختبار عميق لحقيقة النشاط الروحي. واثناء عرضه لهذه القضية، اثار الحكيم الترمذي طائفة من المباحث الفكرية، التي لها صلة بالاختبار الصوفي: علم الاوليا. والانبيا. بالنسبة الى علم علما. الرسوم؛ عنصر الزمان وعلاقته بالتطور الانساني والروحي؛ طبيعة الولاية وطبيعة النبوة وسماتها المشتركة والخاصة؛ منازل القلوب ودرجات الاعمال...

وفي مستهل الكتاب، حدد المؤلف نفسه نطاق بحثه وبين الخطوط الكبرى للموضوعات التي سيدور حولها الحديث. وهو تحقيق القول فيما «خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية » و«شأن الاوليا. ومنازلهم وما يلزم من قبولهم وهل يعرف الولي نفسه ام لا ؟ » وهل « الولاية مجهولة عند اهلها » ام لا ؟ وحقيقة « من حسب نفسه وليا وهو بعيد » عن ذلك.

ويبدو الكتاب، في مجموعه، على شكل حوار جذاب بين الشيخ وأحد مريديه: التلميذ « الفتى » يسأل والشيخ المرشد يجيب. وهذا اللون من التأليف معروف في الآداب الاسلامية العربية، وخاصة في الاوساط الصوفية[٣٥٦].

---

٣٥٥) انظر مثلاً لسان الميزان لابن حجر ص ٣٠٨ الجزء الخامس.

٣٥٦) انظر مثلاً، في عصر المؤلف، كتاب القصد والرجوع الى الله للمحاسبي وكتاب الصدق لابي سعيد الخراز.

ولا ريب ان لهذا الاسلوب قيمته الذاتية في تقرير المعاني وتوصيل الافكار الى الآخرين ، وذلك غرض اصيل يحرص عليه العلماء المهتمون بشؤون الروح وتربية الافراد .

ويدور الحوار في هذا الكتاب ، من غير تسلسل منطقي ، سمحاً سهلاً ، عليه طابع الفطرة . ولا تظهر فيه آثار الصياغة الفنية لموضوعاته المختلفة ولا الخطة العلمية لتبويب فصوله على نحو مطّرد منسّق . ومن ثَمّ يعثر القارئ احياناً على تكرار في سياق الحديث واضطراب في عرض الافكار . وقد اردنا،فيما يلي ، وضع فهرس تحليلي منظم لفصول الكتاب وموضوعاته الاساسية لكي تنجلي افكار المصنف اكثر فاكثر وتتضح معالم الكتاب وخطته العامة تماماً .

مقدمة المصنف :

موضوع الكتاب — اضطراب بعض الناس في شأن الولاية — الصدق والمنة.

الفصل الاول

ولي حق الله :

حفظ الجوارح السبع — النفس والشجرة — حفظ الباطن — ارادة الترك — الجزاء — لقاء الله — خطر الطريق — الكيس — زلل الطريق — شهوات المعاصي والطاعات .

الفصل الثاني

دعوة الحق واجابة العبد :

اجابة من آمن بالله وخلط في عمل الاركان — اجابة من اخلص العمل لله — اجابة من اخلص القلب وتطهر من شهوات النفس — اجابة من تقرب الى الحق وحده — الكيس فتح له الطريق فسار قدماً الى الله — حراسة القلب ولصوصية النفس — هنات النفس — مثل السكة — مجهود الصادق — المضطر في مفازة الارض والمضطر في مفاوز السير الى الحق — الجهاد — محل الصادقين ومحل الاحرار — السر — بيت العزة — البيت المعمور .

الفصل الثالث

ولي حق الله وولي الله :

مراتب كل منها — الخائن في الطريق — عبد النفس وعبد الله — العبادة والعبودة — مجالس القربة وانوارها.

الفصل الرابع

المسائل الروحانية :

امتحان ادعياء الطريق.

الفصل الخامس

علم الاولياء وعلم الانبياء :

العلم الباطن وخصائصه — تمام ولاية الله — ادعيا. التصوف — شأن الذين وصلوا — لزوم حفظ المرتبة — الحرس — خداع النفس — مجالس الحديث — ولي حق الله .

الفصل السادس

ولي الله :

الثبات في المرتبة — ولاية العبد وولاية الله — ولاية الرحمة وولاية الجود .

الفصل السابع

خصال الولاية العشر :

الوفا. بالشرط — ملك الفردانية — منتهى العقول — اسما. الله — ختم الاوليا. — صفات الله وحظوظ المؤمنين منها — الاسم الظاهر والاسم الباطن — اول الاسما. — السكينة — هل تصير القلوب إلى ما لا منتهى له ؟

الفصل الثامن

خاتم الاولياء وخاتم الانبياء :

فضل بعض النبيين على بعض — خصوصية محمد عليه السلام من بين سائر البشر — خاتم النبوة — قدم الصدق — صدق العبودية — لوا. الحمد — مفاتح الكرم — البشرى بشرط والبشرى بلا شرط — الحجة — الشفاعة — معنى « خاتم النبيين » .

الفصل التاسع

النبوة والولاية :

قدم الصدق — الاربعون صديقاً — صدق الولاية والنبوة والعبودية — خاتم الاوليا. مذكور في البدء — مقامه في ملك الملك — اهل البيت .

الفصل العاشر

علامات الاوليا، :

الفرق بين النبوة والولاية — الفرق بين الحديث والكلام — هل لغير الانبياء جزء من النبوة ؟ — الروح والامر والحق والسكينة والمحبة — الحكمة العليا (= حكمة الحكمة) — المحدث من بين الاوليا. — المحدث والمجذوب محروسان بالحق والسكينة — السكينة .

الفصل الحادى عشر

إلقاء الشيطان ونسخ الله .

سبيل العدو (الشيطان) في الحديث وسبيله في الوحي — ابن عباس كان يقرن الرسالة والنبوة والحديث في ظلق واحد — انواع المرسلين — الرسول والنبي والمحدث — ذو القرنين — لقمان — الدعاة الى الله على بصيرة — وسوسة الشيطان وتأييد الله — خصوصية عمر رضي الله عنه.

الفصل الثاني عشر

اهل القربة :

الواصل إلى المرتبة بشروط اللزوم والمكاتب — المجذوب — القائم بالحجة — علامات الاوليا. بالظاهر — علاماتهم بالباطن — شمائلهم — هل الولي مبرقع في قباب الله ؟ — المؤمن الخفيف الحاذ — عباد الرحمن — قلب المؤمن — انما يخفى شأن الولي على صنفين من الناس .

الفصل الثالث عشر

خاتم الاوليا. :

صفته، مقامه، مناجاته — خزائن السعي والمنن والقرب — خوف الاوليا. —

المشغول بالذكر عن المسألة والمشتغل بالمذكور عن الذكر – البلهيون والحطاميون – هل يخاف المحدث سوء العاقبة ؟ – آداب الملوك في معاملة الخدم – ايجوز ان يبشر الاولياء بحسن العاقبة ؟ – البشرى – الرؤيا الصالحة – القلب الذي في القبضة .

الفصل الرابع عشر

البشرى :

تركيب ابن آدم – الاولياء الذين أخذوا من اجزاء النبوة اكبرها – العشرة المبشرون بالجنة من الصحابة – صفة الاولياء في القرآن الكريم.

الفصل الخامس عشر

الكتاب والروح :

عود الى صفة الاولياء في القرآن الكريم – العروة الوثقى – قلوب الاولياء على قلب رجل واحد – الروح والريحان .

الفصل السادس عشر

تفكير عامة المؤمنين وتفكير خاصة الاولياء :

سائر الموحدين يعقلون بعقولهم والاولياء المقربون بالله يعقلون – المنكر لاحوال الاولياء كالمعطل لصفات الله – ادعياء التصوف ومنتحلو الطب – خداع النفس في الحلال والحرام – المكر الالهي .

الفصل السابع عشر

عقد الولاية وعقد النبوة :

ولاية الله للانبياء وولايته للاولياء – اهل اليقين .

الفصل الثامن عشر

منكرو احوال الاولياء :

الهام عمر رضي الله عنه – ادعياء التصوف – الانبياء والاولياء – الزندقة – عمل الروح وحظوظ القلب – الهام عمر وابي بكر رضي الله عنهما – وجوه الغيب .

الفصل التاسع عشر

الولاية والسعادة والمحبة :

الولاية حق — البشرى حق — اطلاع مريم على الغيب — منكر احوال الاوليا. .

الفصل العشرون

الولي والمعصية :

حاله في وقت المعصية — حظ يحيى بن معاذ في ملك الجمال .

الفصل الحادي والعشرون

الولي والاسرار الالهية :

الهداية والخشية — مرتبة الانس -- مرتبة الانفراد — سيد الاوليـاء — المهتدى والمجتبى — المجذوب .

الفصل الثاني والعشرون

المهتدى والمجتبى :

الواصل بجهد والواصل بغير جهد — الصادق — العبودية والرسالة — تدبير الملك في اختيار بعض الرعية .

الفصل الثالث والعشرون

المدة والجذبة :

السبب في المدة بعد الجذب -- تأدب الرسول في السنين العشرة المكية — الاذن بالدفاع — طريق الانبيا. — الهجرة والانصار والايوا. — حظ هذه الامة من اليقين .

الفصل الرابع والعشرون

المجذوب :

صفات المجذوب — القبضة — الفخر — معرض المحـدثين — من شغلوا بعذاب نفوسهم — العلم الحقيقي — مشيئة الوصول — شربة الحب .

الفصل الخامس والعشرون

خاتم الاولياء :

صفاته — معنى ختم الولاية .

الفصل السادس والعشرون

اولياء الزور :

الحق والوفاء بقيام التوحيد — الرحمة — المؤمن يعامل الخلق بالحق والرحمة — اهل الله طار عن قلوبهم رضى الخلق وسخطهم — ادعياء التصوف ، شمائل النبي عليه الصلاة والسلام — مجوس هذه الامة — الدنيا والمرأة الزانية — ادعياء التصوف .

الفصل السابع والعشرون

دولة الخير ودولة الشر :

الخير اقبال وللشر اقبال — الولاية والصديقية ليستا من الزمان في شي. — القائم بالحجة — خير هذه الامة اولها وآخرها — غزوة مؤتة .

الفصل الثامن والعشرون

اهل هذا الدين :

هم صنفان : عمال واهل يقين — الطائفة الظاهرة على الحق — المهاجرون والانصار .

الفصل التاسع والعشرون

الاعمال والدرجات :

اعمال الجوارح مرتبطة بالزمان ودرجات القلوب ليست كذلك — المهدى كائن في آخر الزمان — وكذلك من له ختم الولاية — تحقيق فضيلة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما — وقت غربة الحق — تفاضل اهل اليقين — امة محمد عليه الصلاة والسلام ثلاثة اقسام — حظ ابي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم — جنة السابقين وجنة المتقين — تصديق المرسلين — مريم الصديقة .

تلك هي الابحاث المختلفة والافكار العديدة التي عالجها كتاب « ختم الاوليا. » وتناولها بالعرض والمناقشة والتحليل . ونستطيع على ضوء ما تقدم ، ان نقرر ان فصول هذا السفر القيّم تدور حول هذه المواضيع الاساسية المحددة :

١ : النشاط الروحي في دائرة الصدق وفي دائرة المنة .
٢ : مشكلة الظاهر والباطن .
٣ . النبوّة والولاية والرسالة وصلاتها العامة ومميزاتها الخاصة .

***

في نظر شيخ خراسان ، الحياة الروحية يتحقق كيانها وتبرز آثارها في نطاقين اثنين او في مجالين اثنين : في مجال « الصدق » ، اي المجهود الانساني البحت ؛ وفي مجال « المنّة » ، اي العطا. الالهي الفائق ونعمته السامية . فالنشاط الروحي ، في مستوى الصدق ، يقوم على اساس ثابت من عمل الانسان واختباره الخاص ؛ بيدَ أنّه في مستوى المنة ينبثق من ينابيع الجود الالهي وصنعه العجيب . وبتعبير آخر ، ان النشاط الروحي في دائرة المنة ينهض على فكرة « الهدى الرباني » وتدخله المباشر في كيان الانسان من اجل حياة اكمل ومصير اشرف . — وهذا التمييز بين مجالي النشاط الروحي لا يعود فقط الى طبيعة الفرق الاساسي بين ما هو انساني بحت وما هو الاهي صميم ؛ ولكنه ايضاً وبصورة خاصة يعود الى الخلاف الذاتي بين مظهرين او نمطين من الحياة الروحية = الحياة الروحية في مظهرها الانساني الخالص والحياة الروحية في مظهرها الالهي السامي . ويقرر حكيم ترمذ ان كلًّا من هذين النمطين للنشاط الروحي ينتظم في سلك الولاية : النمط الاول هو الولاية العامة ، او ولاية حقوق الله ؛ النمط الثاني هو الولاية الخاصة ، او ولاية الله حقًّا !

والترمذي في عرضه لجوانب الحياة الروحية ، يصطنع جملة طيبة من الالفاظ الفنية ذات الدلالات الخاصة ، الامر الذي يوضح لنا مدى الدقة في تعبيره وعمق الاختبار في ذوقه . والواقع ان حكيم ترمذ فريد من بين سائر شيوخ التصوف القدامى في تحليله الرائع لطبيعة النفس ومدارج الترقي المعنوي وارتباط اعمال الجوارح بمنازل القلوب : انه حقًّا محلل نفسي بارع ومن اساطين الحكمة الغيبية في الاسلام .

والاولياء عند الحكيم الترمذي ، ينقسمون الى قسمين اثنين : اولياء حق الله واولياء الله حقًا . والاولون هم اصحاب الولاية العامة والآخرون هم اصحاب الولاية الخاصة . فالولي العام ، او ولي حق الله هو الذي اتخذ الصدق قاعدة له ومنهجاً ، لا يحيد عنها مطلقاً . وقاعدة الصدق في الحياة الروحية ، تظهر آثارها في نطاقين اثنين : في نطاق ظاهري خارجي وفي نطاق باطني داخلي . فالسالك في هذا الطريق ، حين يعي تماماً بحقيقته الانسانية ومعناه الوجودي ومصيره النهائي ، يلزم اعضاءه وجوارحه حفظ الشريعة ومقتضياتها . فهو يؤدي الفرائض على وجهها الصحيح ويبتعد عن المحارم والمكاره ابتعاداً كليًا ويأخذ نفسه بالجد الصارم في كل ما يفعل وما يذر حتى تستقيم «اركانه» لشرع الله في نهيه وأمره . وانه لمن الجهل المطبق والغفلة الحمقاء ان يظنّ المرء ان الحياة الروحية تدرك بمجرد الرغبة فيها او الصبوة اليها . كلا ! ان الحياة الروحية ، وهي اسمى اطوار الوجود الانساني ، نشاط تام للكائن ؛ اي هي مجهود متكامل الكيان البشري من جميع اقطاره : فكراً وارادة ، نية وعملاً .

ولكن يجب على السالك في الطريق ان لا يكتفي بالقيام باعمال الجوارح فحسب بل عليه ان يقوم بعمل آخر باطني ، هو المعيار الحقيقي لكل ما يحققه في الخارج من عبادات ومعاملات . هذا العمل الباطني هو مراقبة النفس وتصحيح النية . والصادق في سيره الى الحق سبحانه ! كما هو ملزم بترويض اعضائه على احكام العبادة هو ملزم ايضاً بترويض نفسه على شؤون العبودية .

والترمذي يصف لنا بلغة مؤثرة النضال المرير الذي يستمر بين المرء ونفسه الفردية الشهوانية من اجل الحرية والتحرير : « فما زال ذلك دأب هذا الصادق في سيره الى الله تعالى : يمنع نفسه لذة الحلال ولذة الطاعات ولذة العطاء . و(هو) مع ذلك ، يجاهد نفسه في تصفية الاخلاق الدنية : مثل الشح والرغبة والمذمة والجفوة والحقد ، واشباه ذلك . . . حتى اذا استفرغ مجهوده من الصدق ولم يبقَ للحق قِبَلَه اقتضاء ، التفت الى نفسه فوجدها كما كانت بدئًا : فيها تلك الهنات موجودة . قال له قائل : وما تلك الهنات ؟ قال : الفرح بالاحوال عند الخلق والطلب للمنازل العلية عند الله . . . (فهو) بمنزلة سمكة يريد صاحبها ان يميتها ، فيلقيها على التراب ، فهي تضطرب فيه ، قد ازف

منها الموت . ثم يشفق عليها صاحبها ، فيغطها في الماء غطاً ثم يرمي بهـا الى اليبس . ثم لما ازف منها الموت ، رشّ عليها الماء . فاحياها . فهـذا لعب من صاحبها بها ! » .

ويبدو الترمذي من خلال تحليله لطبيعة النفس الفردية متشائماً جداً . ومثله في هذا ، مثل سائر الصوفية على الاطلاق وخاصة الملامتية . فهو يقرر بوضوح ودقة ان السائر في الطريق سينتهي به المطاف ، في آخر الامر ، الى درجة العجز والحيرة والاضطرار . وسيقف آنئذ صفر اليـدين خاليَ الوفاض بادي الانفاض ، يرتد طرفه نحو السماء خاسئاً وهو حسير ! وتلك هي الليلة الظلماء ، حيث لا نجم ولا كوكب ولا قمر . . بيد ان الحكيم الترمذي اذا كان متشائماً بالقيـاس الى طبيعة النفس ومدى امكاناتها وطاقتها فهو جد متفاؤل بالقياس الى رحمـة الله سبحانه ، وعظيم غفرانه وسعة سلطانه . فلنستمع اليه ايضاً :

« فلما استفرغ هذا الصادق مجهوده في الصدق في سيره ، على ما وصفت ، ووجدها (اي نفسه) حية معها هذه الصفات (المذمومة) تحير وانقطع صدقـه وقال : كيف لي ان اخرج من نفسي حلاوة هذه الاشياء ؟ فعلم انه لا يقدر على ذلك ، كما لا يقدر ان يبيض الشعرة السوداء . وقال : ان هذه نفسي قد اوثقتها بالصدق مني لله ، فكيف لي ان حللت وثاقهـا فأبقت وهربت ، متى ألحقها ؟ فوقع في مفازة الحيرة . فاستوحش ! وبقي وحيداً في تلك المفازة ، لانه قد ذهب أنس النفس ولم ينل انس الخالق . فحينئذ صار مضطراً ، لا يدري أيقبل ام يدبر ؟ فصرخ الى الله يائساً من صدقه صفر اليدين ، خالي القلب من كل جهد . وقال في نجواه :

قد تعلم ، يا عالم الغيوب والخفيات !

انه لم يبقَ لعلمي بالصدق موضع قدم أتخطى به .

ولا لي مقدرة على محو هذه الشهوات الدنسة من نفسي وقلبي فأغثني !

فادركته الرحمة فرحم . فطير بقلبه من مكانه الذي انقطع فيه في لحظة فوقف به في محل القربة ، عند ذي العرش . فوجد روح القربة ونسيمها وتبحبح في فضائها وفي ساحات توحيده . وذلك قوله ، عز وجل :

﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ﴾ .

***

تلك هي بالأجمال طبيعة الاختبار الروحي القائم على قواعد الصدق والمجهود الإنساني الخالص ؛ وتلك هي ايضاً حدوده وآفاقه ومراميه . ويمكننا ان ندرك بناءً على ما تقدم ، ان الغرض الاصيل لرجل الصدق في مجهوده المعنوي هو اولاً تحقيق التكامل النفسي لشخصيته الفردية . وهذا التكامل النفسي من شأنه ان يبث في كيانه روح الانسجام والسلام والطمأنينة . وهو ثانياً يرجو في جميع اعماله ما أعده الله للصادقين ، في الحياة الآخرة ، من حسن ثواب ومآب .

اما النشاط الروحي الصادر عن ينبوع النعمة الالهية والمنة الازلية فهو ايضاً يقصد ، أول ما يقصد ، الهيمنة على الجسم خارجياً والسيطرة على النفس داخلياً : كما يفعل رجل الصدق تماماً . ومع ذلك فان الاوضاع جد مختلفة بين كلا الاختبارين ، أعني بين قاعدة الصدق وقاعدة المنة . أجل ! ان صاحب النعمة الالهية ، الذي اجتباه الله بفضله واختصه بمنته ، هو اشد وعياً من غيره بضرورة تطهير كيانه الداخلي والخارجي . فانه بقدر ما تشع اضواء النعمة في جوانب الذات الانسانية يكون المرء اكثر طواعية لدعوة الخير واشد انقياداً لصوت الفضيلة واسرع استجابة لنداء السماء .

ولكن بينما نلاحظ قوى «الصادق» تنوء تحت ثقل النضال المرير بين النفس وأغراضها المتناقضة ، اي بين مطالبها الدنيا ومطالبها العليا ، نرى «صاحب النعمة الالهية» ، بفضل العون الرباني الدائم ، محفوظاً من ذلك كله كأنه منتشط من عقال ! وبينما يكون « الصادق » محدوداً بقدرته وطاقته الادبية والمادية ، إذ « برجل المنة » متحرر من قيود الفردية ، منطلق في اجواء الذاتية ، مندفع نحو سماء الكمال المطلق ؟

ولعل بعض اصحاب « النزعة الانسانية » ودعاة « الاخلاق الوجودية » ، يعترضون على فكرة النعمة الالهية ، من حيث انها تسلب الانسان أعز شيء لديه وهو حريته وارادته واختياره في تقرير مصيره . أليس المرء في مستوى

« النعمة » يصير بمثابة آلة صماء ، ينفعل اكثر ما يفعل ويأخذ اكثر ما يعطي ويستجيب ولا يجيب ؟ والواقع ان هذا فهم سطحي لطبيعة النعمة الالهية وموقف الانسان منها . ان « النعمة » لا تفقد المرء حريته او كسبه ولكنها ، بكل دقة ، تسمو بها الى منطقة اسمى بكثير من منطقة الانسان وحدوده وآفاقه . ونحن حين نتأمل في سيرة اصحاب النعمة المقدسة ، اي في سيرة الاولياء ، حقاً نجدهم اكثر الناس تمسكاً « بالفضائل الانسانية » واشدهم حباً للانسان من حيث هو انسان ! وكذلك نراهم اعمق من غيرهم في فهم معنى الواجب والتضحية والفداء .

***

يرى الحكيم الترمذي بحق ان اهل الصدق هم عمّال في الحياة الروحية شأنهم في هذا شأن الخدام والاجراء في الحياة المادية سواء بسواء . وذلك لان اصحاب الصدق يضعون نصب اعينهم دائماً فكرة الجزاء المباشر لنشاطهم ، اي فكرة المنفعة العاجلة او الآجلة لقاء مجهودهم ؛ فهم اذن لم يخلصوا العمل لله وحده او لوجهه الكريم . كما ان رجال الصدق منصرفون تماماً الى الفعل ، مستغرقون فيه بالكلية فليس لهم اشراف سام الى سماء التأمل المحض او المشاهدة الخالصة .

وعلى العكس من هؤلاء ، رجال النعمة المقدسة — الصدّيقون : هم الاحرار ، الاوفياء ، النبلاء ، كما يسميهم شيخ ترمذ . غرضهم الاخص هو التجرد الاتم من نطاق الفردية الضيّق ، اعني التنزه عن كل قيد او شرط او حد . . . ونشاطهم موجه شطر الحق وحده ، لا يرضون دونه بدلاً ولا في ما سواه جزاءاً او شكوراً . فالله وحده هو جزاؤهم ووجه الكريم هو قبلتهم وغبطتهم . انهم على الارض يعيشون ببهجة السماء ، وفي السماء يحيون الأبد . انهم على الارض يتبحبحون في ميادين التوحيد وفي السماء يلقون نضرة العيان ونعيم الخلود .

ويقرر الترمذي بمهارة وخبرة ان الصادق لا يستطيع التحرر تماماً من سلطان نفسه الشهوانية وبالتالي لا يقدر ان يسيطر بالكلية على جوارحه واعضائه الظاهرية . نعم ، انه يمكنه ان يبتعد عن المحارم والمكاره ، وحتى عن شهوة النفس فيها ؛

بيد انه ليس في وسعه ان يتخلص من شهوات النفس في الطاعات والمحامد والمكارم : فالنفس مجبولة على حب هذه الاشياء . وما دامت هذه النفس الشهوانية حية وموجودة فلا سبيل الى الحرية التامة والكمال المنشود .

ولكن اذا تيسر لصاحب النعمة الالهية ان يتخطى حدود فرديته الضيقة وينعتق من عبودية نفسه الشهوانية فذلك انما يكون بوساطة قوة عليا اعظم من قوته ، الا وهي قوة الحق سبحانه وتعالى ! ان الفوارق الحاسمة والاساسية بين « الصادق » والمنعم عليه ، في الحياة الروحية ، ان هذا الاخير يعيش بالله ولله ويريد بالله ولله ويحب ويرضى بالله ولله . اما رجل « الصدق » فلم يصل ولن يصل الى هذا المستوى الفائق العظيم . — والترمذي يستدل على نظريته هذه بالحديث القدسي المعروف : « . . . ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه . فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وقلبه الذي يعقل به . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وبي يعقل . ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه »[٣٥٧] .

فهذا العبد ، الذي هو مجلى الحب الالهي وموضع ألطافه ، هو كائن رباني حقًّا : يرى بالله ويسمع بالله ويعقل ويتأمل بالله . وليس ذلك يعني ان الله ، سبحانه ، قد اصبح انساناً او ان الانسان قد أصبح الاهاً . جل جلال الحق ان يكون موضوع الحوادث او ان يكون حادثاً ! ولكن الحقيقة الكبرى ، التي يدل عليها هذا الحديث القدسي الشريف ، والتي هي ذروة التوحيد وتاج العرفان ، هي شهادة الحق لنفسه بنفسه عبر الكائن الانساني الفاني . وذلك هو صنع الحب الالهي وشأنه الخلّاق العجيب !

***

---

٣٥٧) اخرج هذا الحديث القدسي البخاري عن ابي هريرة ؛ واخرجه بروايات اخر ، احمد وابن ابي الدنيا وابو نعيم والبيهقي عن عائشة ؛ والطبراني والبيهقي عن ابي امامة ؛ والاسماعيلي عن علي ؛ والطبراني عن ابن عباس وانس وحذيفة ؛ وابو يعلى والبزار عن انس ؛ وابن ماجه وابو نعيم عن معاذ ؛ واحمد وابو نعيم عن وهب بن منبه . وقد شرح هذا الحديث ابن القيم في الجواب الكافي ص ٢٤٩–٢٥٣ (ط . ١٣٤٦ هـ .) وهو الحديث الثامن والثلاثون من شرح « خمسين حديثاً » للحافظ ابن رجب الحنبلي . (انظر الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٥٢٠ تعليق رقم ١) .

والحكمة هي العلامة المميزة والسمة البارزة لاولياء الله حقاً . والترمذي يطيب له ان ينعت هذه الحكمة الخاصة : بالحكمة العليا ، ليقابل بينها وبين حكمة الانسان المحدودة القاصرة . ويسميها احياناً : بالعلم الباطن واحياناً بعلم الانبياء والاولياء ، وهو يعتبرهـا ميزة من ميَز الانبياء والأولياء وإرثاً يتلقاه — ولا يكتسبه — خلف عن سلف. وحين يريد الترمذي بيان خصائص هذه الحكمة بشيء من التفصيل والوضوح ، يقول بلغته الرمزية ، ذات الدلالة البعيدة : انها باطن القرآن ونور الايمان وبهجة العرفان !

***

اذا تأمل الباحث في النصوص العديدة ، التي اودعها شيخ خراسان في رسائله وكتبه ، عن الولاية والنبوة — يدرك فوراً ان شيخنا له نظرية كاملة في هذا الموضوع ، تمتاز حقاً بالطرافة والاصالة والابداع . نعم ، ان حكيم ترمذ لم يصغ نظريته هذه ، على نحو برهاني او جدلي كما يصنع علماء الكلام او ارباب الفلسفة . بل اكتفى بتقرير الخصائص المميزة لكل من الولاية والنبوة والصلات العامة والخاصة بين الاولياء والانبياء . واثر الولاية والنبوة في السلام الانساني ومصير البشرية النهائي .

ونريد الآن ان نلخص الافكار والاراء الترمذية المتعلقة بالولاية والنبوة والاولياء والانبياء وخاتم الأولياء وخاتم الانبياء :

في نظر حكيم ترمذ ، ان طبيعة الولاية ، بمعناها الدقيق ، هي الاهية لا انسانية كما ان مصدرها بالتالي هو الاهي لا انساني . من أجل هذا ، كان من اخطأ الشنيع والجهل بحقائق الاشياء اعتبار امر الولاية من طريق العلم البشري او المقاييس الفكرية .

الرسالة والنبوة ، بمعناهما الخاص ، كلتاهما امانة الاهية ووظيفة اجتماعية في وقت واحد . بمعنى ان الرسول او النبي يتلقى رسالة من السماء ويبلغها الى البشر بكل انواع التبليغ ، وهو ملزم بذلك . ومن ثمّ رافقت المعجزة الرسالة كبرهان خارجي وموضوعي على صحة رسالة الرسول او نبوة النبي . بيد ان الولاية هي مكرمة الاهية ذاتية ، تحمل في اطوائها عناصر الدلالة عليها :

فليست في حاجة الى برهان لها سوى نفسها : « النبوة مع البرهان والولاية هي البرهان ! » .

الصلات القائمة بين الحق سبحانه وبين اوليائه الابرار هي صلات رعاية ومودة وعناية : ان الله ولي امر الاولياء في الدنيا والآخرة واصطنعهم على عينه وأقامهم نماذج حية للايمان والخير والفضيلة . كما ان الاولياء بدورهم ، ولوا امور الله سبحانه ، ونصروا حقوقه وعاشوا به لا لانفسهم وكانوا له في حياتهم وفي موتهم شهادة حقة .

الولاية في طبيعتها الذاتية هي غير زمنية ، بالرغم من انها تظهر في حيّز شخصية الولي ، الكائن في نطاق الزمان والمحدود به . ولان الولاية ، من حيث طبيعتها الخاصة ، غير زمنية فهي اذن لا تخضع لعنصر الزمان ولا لقانون التطور في البيئة او المكان . انها في حقيقتها شهادة الله الحية على مخلوقاته ، عبر الانسان الحادث الفاني !

والاولياء على الارض مظاهر الكمال الالهي في السماء : عليهم سمات بارزة من الحق . « قد علاهم بهاء القربة ونور الجلال وهيبة الوقار وانس الكبرياء . فاذا نظر الناظر اليهم ذكر الله تعالى لما رأى عليهم من آثار الملكوت . »وقلوب الاولياء معادن الانوار الالهية ومواطن تجلياتها ومراكز اشعاعها . »

الولاية هي قرب من الله وحضور معه وبه . ولكن هناك قرب وحضور الأعيان عامان وقرب وحضور الأعيان خاصان . ومن ثمّ انقسمت الولاية الى قسمين : ولاية عامة وولاية خاصة . فالاولى تشمل كل من آمن بالله وعمل صالحاً وصدّق المرسلين . والثانية قاصرة على احباب الله واصفيائه الذين اجتباهم الحق لنفسه وهداهم به اليه . « اولئك الذين يلجون مجالسه سماحاً ويناجونه كفاحاً » .

للنبوة ختم وللانبياء خاتم ، وللولاية ختم وللاولياء خاتم . وختم النبوة هو بمثابة المركز الذي تدور حوله النبوة والمبدأ الذي تصدر عنه والغاية التي تتحقق فيه كمالاتها . فخاتم الانبياء ليس هو فقط آخر الانبياء مبعثاً او ظهوراً بل هو اسماهم مقاماً وارفعهم ذكرًا وأبعدهم صوتاً . وكذلك الشأن بالنسبة للولاية والاولياء .

هذا ، وقد اعتمدنا في تحقيق نص « ختم الاوليا. » على نسختين محفوظتين في خزائن اسطنبول ، وهما النسختان الوحيدتان في الوقت الحاضر لهذا الكتاب. نسخة الفاتح (ويشار اليها بحرف أ) رقم ٥٣٢٢ / ١٥٣ب — ١٦٨ب ؛ ونسخة ولي الدين (ويشار اليها بحرف ب) رقم ٧٧٠ / ٩١ — ١٢٨ب . وقد اعتبرت نسخة الفاتح اساساً لتحقيق رواية النص ، لانها بحسب شهادة الناسخ قد قوبلت على اصل آخر . وهي توجد ضمن مجموعة معظم ما فيها من رسائل وكتب لابن عربي . وهي مكتوبة بخط نسخي دقيق ، صعب القراءة . خال من التنقيط في معظم الاحوال .

ومقاس هذه النسخة ٢٥ × ١٧ سم ، مسطرتها ٣٥ سطرًا . وهي في حالة جيدة ، مصححة على الهامش بخط الناسخ الاصلي . اسم الناسخ غير مذكور وهي بتاريخ ٩ رجب سنة ٩٣٧ للهجرة .

اما نسخة ولي الدين فهي ايضاً في حالة جيدة وبخط نسخي واضح ، الا انها كثيرة الاخطاء . ويبدو ان الناسخ من جبلة الخطاطين . والنسخة ضمن مجموعة من الرسائل والكتب كلها للحكيم الترمذي ، ومقاسها ٢٣×١٥ سم ، مسطرتها ٢١ سطرًا . والمخطوط بغير تاريخ ولكن يوجد عدة تملكات للمجموع اقدمها سنة ٨٨٨ للهجرة . واسم ناسخ المخطوط غير مذكور . ومن عادته اغفال ذكر سند الحديث والاكتفاء بالمتن .

هذا ، ويوجد في مكتبة دو جوله بابا (اسطنبول) رقم ٢٨٣ / ١—٣ب ، مخطوط بعنوان : « ختم الولاية » مؤلفه محمد بن محمد القاضي فرغ من تأليفه سنة ١١٨٤ هجرية . وهو خاص ببيان كون ابن عربي هو خاتم الولاية المحمدية ، ولا علاقة له بكتاب « ختم الاوليا. » للحكيم الترمذي .

نص كتاب ختم الاولياء

بسم الله الرحمن الرحيم [ا]

(مقدمة المصنف)

(١٥٣ب) قال الإمام[ب] أبو عبد الله ، محمد بن علي بن الحسن[ت] بن بشر ، الحكيم[ث] الترمذي ، رحمه الله : الحمد[ج] لله ، رب العالمين وصلى الله محمد النبي وعلى آله اجمعين[ح] !

أمّا بعد : فإنك ذكرت[١] البحث في ما خاض[خ] فيه طائفة من الناس في شأن[٢] الولاية[٣] ؛ وسألت عن شأن الاولياء. ومنازلهم[٤] وما يلزم من

---

١) من عادة الحكيم الترمذي في تأليفه ، انْ يعرض افكاره في شكل حوار يدور بين سائل (التلميذ) ومجيب (الشيخ) . انظر مثلاً كتاب الرياضة ص ٨٦ ؛ وكتاب ادب النفس ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٩ الخ . . (نشرة اربري وعلي عبد القادر ، القاهرة سنة ١٩٤٦) . وانظر ايضاً كتاب الحكمة ص ٣٤ (مخطوط خراججي اوغلو ، بورصة رقم ٨٠٦) ؛ وطريقة الحوار سائدة في فن التأليف الصوفي منذ عصر مبكر (انظر كتاب القصد والرجوع الى الله تعالى للشيخ المحاسبي) .

ولكن الذي يميز كتاب ختم الاولياء ، من حيث اسلوبه الحواري ، بالنسبة الى سائر مؤلفات الحكيم الترمذي ، هو سيطرة هذه الصبغة الحوارية ، هذا اللون الفني الجميل من التأليف ، على مجموع اجزاء الكتاب وفصوله على نحو متسق مطرد .

٢) هذه الكلمة ذات اصل قرآني (انظر سورة ١٠ : ٦١ ؛ ٥٥ : ٢٩ ؛ ٨٠ : ٣٧) . والترمذي يستعملها في سياق بحثه ، تارة بمعنى الخاتمة ، وتارة بمعنى الشرط .

٣) ما يخص المعنى المحدد للولاية عند الترمذي ، انظر المقدمة .

٤) منازل الاولياء . يميز في مصطلح الصوفية بين الحال من جهة والمنزل والمقام من

ا + وبه التوفيق وهو حسبي رب . يسر يا كريم وتمم F ؛ الحمد لله هو اهله والصلوة على محمد رسوله وآله وصحبه وسلم V . ب — V . ت — V . ث — V . «ج — ج» — V . ح خاضت F .

قبولهم[ج] . وهـل يعرف الولي نفسه ام لا ؟ وذكرت ان[خ] ناساً يقولون : ان الولاية مجهولة عند اهلها . ومن حسب[د] نفسه ولياً وهو[ذ] بعيد عنها .

فاعلم[ر] ان هؤلاء الذين يخوضون في هذا الامر[ز] ، ليسوا[س] من هـذا الامر في[٦] شيء.[ش] ، إنما[ش] هم قوم يعتبرون شأن الولاية من طريق العلم[٧] ويتكلمون

جهة اخرى . فالحال عندهم : حدث داخلي ينفعل له الصوفي اثناء سيره وترقيه الروحي . وهو بهذا الاعتبار مباغت وعارض . اما المقام او المنزل (ج . مقامات ومنازل) فهو درجة يرقى اليها السالك ويستقر فيها في عروجه المنوي وفي رياضته الصوفية . فالمقام او المنزل اذن ، بالقياس الى الوعي الصوفي ، هو شيء ثابت او هو حق مكتسب ، إن امكن مثل هذا التعبير . وهذا فرق جوهري يميز بين معنى الحال ومعنى المنزل او المقام . ولكن ما هو الفرق بين المنزل والمقام ؟ بعض الصوفية يعتبر هذين اللفظين مترادفين . ولكن ، في نظرنا ، بالرغم من تشابه المقام والمنزل في كثير من الوجوه، يوجد بينهما فرق دقيق وحاسم : « المقام » يرمز الى تغلب عنصر « الزمان الروحي » في السلوك الصوفي، بينما يرمز « المنزل» الى تغلب عنصر « المكان الروحي» في صعيد التجربة الصوفية نفسها . (راجع بخصوص كلمة حال ، سلمي ، تفسير ٨٠ ,Selon L. T. (2 éd.) p. 24 – واصطلاحات الصوفية لابن عربي ص ٣، طبعة حيدر باد، ومنازل السائرين للانصاري ص ١٤٩ ، طبعة de Beaurecueil، القاهرة سنة ١٩٥٤ . وبخصوص كلمتي منزل ومقام ، راجع سلمي ، جوامع ٤ – Selon L. T. p. 34, 2 ed. ؛ واصطلاحات الصوفية لابن عربي ص ٣ ، طبعة حيدرباد ٤ وشفاء السائل ص ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ١٠٠ . وبخصوص الفرق بين المنزل والمقام من الوجهة الشرعية ، انظر ابن بطة ص ٧٩ – Trad. et note 1 .

٥) راجع معنى القبول، من الوجهة الكلامية(علم الكلام) ابن بطة ص١٠٢ –Trad.– ومعنى القبول من الوجهة الفقهية ، ابن قدامة ص ١٣٠ ، ٢٨٩ ؛ (Trad.) .

٦) تقول الحكمة الصينية المتيقة :« من يعلم لا يتكلم ، ومن يتكلم لا يعلم !» (راجع Tao, p. 80 Trad. Franç.) .

٧) يفرق الحكيم الترمذي ، كسائر الصوفية ، بين نوعين من العلم : العلم الظاهري والعلم الباطني . وهذا الاخير يصفه شيخنا بانه علم الانبياء وعلم الاولياء ، وهو الحكمة العليا . وهذه التفرقة بين نوعي العلم الظاهري والعلم الباطني راجعة في الاصل الى طبيعة كل

خ – V . د خبث F . ذ فهو V . ر واعلم V . ز الكلام V .
س – س ليسوا بأهل حظوظ من رحهم F . ش – ش – V .

بالمقاييس[٨] وبالتوهم من تلقاء أنفسهم ؛ وليسوا بأهـل خصوص من ربهم[ش] ؛ ولم[ص] يبلغوا[ص] منازل الولاية ولا عرفوا صنع[٩] الله[ض]. إنما كلامهم في الصدق[١٠]، ومعيارهم في الامور[ط] الصدق . فاذا صـاروا الى المنن[١١ظ] انقطع كلامهم ، وعجزوا عن معرفة صنع الله بالعبد[ع] . لانهم[غ] عجزوا عن معرفته ، ومن[ف] عجز

منها المتميزة عن الاخرى ، والى وسائلها الخاصة ، واخيرًا الى حدود وآفاق كل من هذين العلمين . — راجع كتاب علم الاوليا. للترمذي ، ورقة ٥٥ا ، ٥٧ا ، ٥٨ا ، ٨٨ا ، ١٨٩ ؛— مخطوط خراججي اوغلو، بورصة رقم ٨٠٦ — وكتاب العلل للترمذي، ورقة ٣٧ب ، ١٥٧ا ، ١٨٣ا — مخطوط : Leipzig n° 212 D. C. 339 — وكتاب انواع العلوم للترمذي ورقة ٢٧ا — مخطوط ولي الدين رقم ٧٧٠ — راجع ايضاً اخبار الحلاج — 2e éd. 14, 34, 53 — طواسين ١٩ . اما معاني العلم من الناحية الفقهية والكلامية والفلسفية فراجع :

المحصل للرازي ص ٢٨ ; تعريفات الجرجـاني ص ١٤٠ ، الارشاد لامام الحرمين ص ٢٣ ؛ والتمهيد للباقلاني ص٣٤ ؛ وابن بطة ص ٧ (Trad. Franç) ؛ وطبقات الحنابلة لابن الفرّا مجلد ٢ : ٣١

٨) المقاييس ، جـ قياس ، وهو مع الرأي ، في نظر المذهب السلفي ، يعني الافكار الشخصية التي تقابل النصوص الشرعية ، وهذه المقابلة قد تنتهي الى تعـارض ومن ثمّ يجب وقفها عند حدها او الغاؤها بتاتًا . — راجع عقيدة ابن حنبل مجلد ١ : ٣١ ؛ ومجلد ٣ : ٢٤١— ٢٤٢ . وكتاب المسائل لابن حنبل ص ٢٧٥—٢٧٧ ؛ وكتاب اعلام الموقعين لابن القيم مجلد ١ : ٢٤٤—٢٤٥ ؛ وكتاب المعتمد لابي يعلى ص٢٧٥ ، ٣٣٢—٣٣٣ . ويجب ان نلاحظ ان الترمذي يميز بين العلة والقياس فهو يقبل الاولى ويرفض الثانية ، راجع كتاب العلل، مقدمة (للترمذي نفسه) .

٩) صنع الله يعني ، من الوجهة اللغوية ، فعله في الخلق وفضله على عباده . والترمـذي يثبت في سياق بحثه ان طبيعة الفضل الالهي ليست في مقابل استحقاق العبد ولا ثمرة كسبه او صدقه ، بل هي هبة الاهية مباشرة .

١٠) انظر معنى الصدق في مذهب الترمذي ، المقدمة .

١١) « « المنة « « « «

ش — ص ولايبلغوا V . ض + بهم V . ط — امور V .
ظ المنازل V . ع للـدF . غ + قد V .
ف فمن V .

عن معرفة الله[ق] تعالى[ق] كان عن[ك] معرفة صانيه أعجز[١٢] . فلذلك يصير كلامه[ل] جزافاً[م] في العاقبة .

الفصل الاول

ولي[ا] حق[ب] الله

والأوليا[ا] عندنا على صنفين : صنف[ب] أوليا. حق الله[١٣] ، وصنف[ت] اوليا. الله . وكلاهما يحسبان (١٥٤[ا]) أنهما أوليا.[١٤] الله .

---

١٢) في الواقع ان طبيعة معرفة الفكر الانساني لله تعالى ولصنعه محدودة بالنسبة الى الفكر نفسه وبالنسبة الى الاشياء الخارجية التي هي موضوع نشاطه ورانه ، والتي منها او بها يستمد عناصر تفكيره ومقومات افكاره . ومن ثم كان تأكيد الصوفية في سمو المعرفة الروحية ، او « العلم اللدني » الفائض من ينبوع الجود الالهي . يقول ابن عربي : « بعيني تراني لا بعينك فاذا ادركتني ادركت نفسك ، لا تطمع ان تدركني بادراكك نفسك . . » (تجليات رقم ٨١) .

١٣) يستعمل الترمذي ، في سياق بحثه في كتاب ختم الاولياء كلمة حق مضافة الى الله: حق الله ، وغير مضافة . فحق الله هو شرعه (La loi divine) وهو وصاياه واوامره . اما كلمة حق ، وحدها ، فهو يستعملها هنا بمعنى غريب غير مألوف : الحق هو وسيط بين الله والانسان ليراقب هذا الاخير ، او بتعبير ادق ليقتضيه « الوفاء بقيام التوحيد » وهو بهذا المعنى يقابل الرحمة التي تدافع عن الانسان امام الله تعالى . ونحن لا نعلم لاي صوفي آخر نظرية او تفسيراً للحق بهذا المعنى . اما فيما يخص معنى الحق عند الصوفية فانظر شفاء السائل ص ٣٩ ، ٤٣ ، ٦٢ ؛ طبقات الصوفية ص١٠٦ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ؛ فوائح الجمال ص ١٠ ،١١ ، ٨٦ ؛ سلمى ، جوامع ٣٦ ، ٦١ (d'après L. T. p. 33) ؛ روايات الحلاج ٥ ؛ طواسين (1,9.IV5 ag) . اما معاني الحق بصورة عامة فراجع D. B. Macdonald, E. I. II,240 ؛ وراجع ايضاً معاني الحق عند فقهاء السلفية ، ابن بطة (Trad. Franç) وابن قدامة ص٢٩٩ (Trad. Franç) والسياسة الشرعية ص ٥٩ (Trad. Franç) .

١٤) التمييز بين فكرة اولياء الحقوق الالهية وبين اولياء الله حقاً ، والتي تدور

ق – ق – V . ك – V . ل كلامهم V ، + كلام خرافة V
م – V . ا والولي V . ب + منهم V .
ت + منهم VF .

فأما ولي حق الله فرجل أفاق من سكرته ، فتاب الى الله تعالى ، وعزم على الوفاء لله تعالى بتلك التوبة[١٥] . فنظر الى ما يراد له في القيام بهذا الوفاء فاذا هي حراسة هذه الجوارح السبع : لسانه وسمعه وبصره ويده ورجله وبطنه وفرجه . فصرفها من باله ، وجمع فكرته وهمته في هذه الحراسة ، ولها عن كل شيء سواها ، حتى استقام . فهو رجل مؤدي الفرائض حافظ للحدود ، لا يشتغل بشيء غير ذلك . يحرس هذه الجوارح حتى لا ينقطع الوفاء لله تعالى بما عزم عليه . فسكنت نفسه ، وهدأت جوارحه .

فنظر الى حاله ، فاذا هو على خطر عظيم : لأنه وجد نفسه بمنزلة شجرة قطعت أغصانها والشجرة باقية بحالها . فما يؤمنه ان يغفل عنها قليلا فاذا الشجرة قد بدت لها أغصان ، كما كان بديا ، فكلما قطعها خرج مكانها مثلها . فقصد

حولها فصول كتاب ختم الاولياء ، تناولها ابن عربي بريشته الصناع وأدخل عليها بعض التنقيحات الدقيقة ، فلنستمع اليه :

« لله رجال كشف عن قلوبهم فلاحظوا جلاله المطلق ؛ فاعطاهم بذاته ما يستحقه من « الآداب والاجلال . فهم القائمون بحق الله لا بأمره . وهو مقام جليل ، لا يناله « الا الافراد من الرجال . وهو مقام « ارواح الجمادات » . ومن هذا المقام « تدكدك « الجبل » و« صعق موسى » عليه السلام ! ولم يفتقر في ذلك الى الامر بالتدكدك والصعق . « فهؤلاء خصائص الله ، قاموا بعبادة الله على « حق الله » ؛ و« هم الخارجون عن الامر » . — ولله « عبيد قائمون « بأمر الله » ، كالملائكة المسخَّرة . . . الذين ما حصل لهم هذا المقام . فهم « القائمون « بأمر الله » ، فهم « القائمون بحقوق العبودية » . وهؤلاء « القائمون بحقوق « الربوبية » . فهؤلاء محتاجون الى « امر » يصرفهم ، وهؤلئك يتصرفون بالذات تصرف « الخاصية » .

(تجليات « تجلي الحق والامر » رقم ٥٣)

١٥) هذا النظام الذي يخطه هنا المؤلف قد ذكره ايضاً في كتبه الاخرى ، انظر كتاب العلل ورقة ٢ب-٣أ (مخطوط ولي الدين رقم ٧٧٠) وكتاب المسائل المكنونة ، ورقة ١-٣ب (مخطوط Leipzig n° 212) ورسالة الى ابي عثمان ورقة ١٤٠أ ، ١٤١ب (نفس المخطوط المتقدم) وكتاب ادب النفس ص ٩٥ ، ٩٦ ، ١٥٦-١٥٨ ؛ وكتاب علم الاولياء ص ١٠٨ (مخطوط خراججي اوغلو ، بورصة رقم ٨٠٦) ؛ وكتاب الشفاء والعلل ورقة ١-٣ب (مخطوط ولي الدين رقم ٧٧٠) .

الشجرة ليقطعها من أصلها ، ليأمن من خروج أغصانها ، فقطعها . فظن انه قد كفى مؤنتها ، فاذا أصلها قد بدت منه اغصان ! فعرف أنه لا يخلص من شرها دون ان يقلعها من أصلها . فاذا قلعها من أصلها استراح .

فلما نظر هذا[ث] العبد الى جوارحه قد هدأت ، التفت[ج] الى باطنه ؛ فاذا نفسه محشوة بشهوات[ح] هذه[خ] الجوارح . فقال : انما هي شهوة واحدة ، أبيح[د] لي منها[ذ] بعضها وحظر[ر] علي بعضها[ز] : فأنا على خطر عظيم ! احتاج ان احرس بصري حتى لا[س] ينظر الا[ش] المباح[ص] : فاذا بلغ المحظور عليه غمض وأعرض[ض]. وكذلك اللسان وجميع الجوارح . فاذا[ط] غفلت ساعة عن الحراسة ، رمتني[ظ] في[ع] أودية المهالك . فلما وقع في هذا الخوف ، ضيقت عليه المخافة جميع[غ] الامور ، وحجزته عن الخلق ، واعجزته[ف] عن القيام بكثير من أمور[ق] الله ، عز[ك] وجل[ك] . وصار[ل] يهرب من كل أمر[ل] ، عجزا[م] منه وخوفا[ن] على جوارحه من نفسه الشهوانية .

فقال في نفسه : قد اشتغل قلبي بحراسة نفسي في جميع عمري ، فمتى أقدر ان أفكر في منن الله وصنائعه ؟ ومتى يطهر قلبي من هذه الادناس ؟ فان أهل اليقين يصفون من قلوبهم امورا ، أنا[ه] خلو[و] منها ! فقصد ليطهر الباطن ، بعد ما استقام له تطهير الظاهر . فعزم على رفض كل شهوة في نفسه لهذه الجوارح السبع ، مما أطلق أو حظر عليه . وقال : انما هي شهوة واحدة ، تطلق لي في مكان وتحظر علي في مكان . فلا خلاص منها ، حتى أميتها من نفسي !

ث — V . ج ارتقب V . ح شهوات V .
خ بهذه V . د انتج F . ذ — V .
ر واحظر F . ز بعض V . س — V .
ش الى V . ص مباح V . ض او اعرض V
ط فان V . ظ رمت V . ع بي V .
غ — F . ف واحجزته V . ق امر V .
ك — ك — V . ل — ل وصار يهرب من امر V .
م اعجز F ، عجز ن خوفا V . ه + في V .
و خلو V .

وحسب ان رفضها إماتتها ! فعلم الله صدق الرفض من عبده وماذا يريد.

فافترقت الارادة هنا . فمنهم من صدق الله في رفضه ليطهر منه[ي]، ويلقاه[ا] بصدقه وطهارته لينال ما[ب] وعد الصادقين من ثواب جهدهم. ومنهم من صدق الله في رفضه ليلقاه بخالص العبودية[16] غداً[ت]، فتقرّ[ث] عينه بلقائه . ففتح لهذا[ج] الطريق اليه، وترك الآخر على جهده، واقتضائه[ح] ثواب[خ] الصدق يوم لقائه .

فأما[د] الذي فتح له الطريق إليه[ذ]، فهذا الذي ذكره في تنزيله[س] ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا، لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا[17][ش] ﴾ فلما فتح له الطريق إليه

---

١٦) يميز الترمذي بدقة ومهارة بين العبادة وبين العبودية (او العبودة) . العبودية في نظره هي الحالة الاصلية للكائن المخلوق من حيث فقره وحاجته لخالقه ؛ وبهذا الاعتبار، العبودية في المخلوق تقابل الربوبية في الخالق . وفي السلوك الصوفي، العبودية هو وعي كامل وتام بفقر الانسان المطلق تجاه الله سبحانه الغني عن العالمين . اما العبادة فهي تعبير عن هذا الفقر وعن هذه الحاجة . ولكن العبادة، في نظر شيخنا، ان لم تنبثق من معين هذا الوعي التام الشامل فهي مظهر خارجي فاقد الحياة والروح . راجع كتاب الفروق للترمذي، مادة عبادة وعبودة (مخطوط باريز رقم ٥٠١٨ : ١٦٠) ؛ راجع ايضاً طبقات الصوفية، سلمي ص ٧٠، ٧١، ١٠٤، ١٠٩، ١٢١، ٢٤٤ ؛ فواتح الجمال، ص ١٩، ١٧٤ ؛ شفاء السائل ص ٤٤ ؛ قشيري، رسالة ص ٧ ؛ سلمي، جوامع ص ٧٥ (d'après L. T.) ان المعاني الفقهية والكلامية للعبادة والعبودية فراجع :

Méthodologie d'Ibn Taïmiyya, p. 74 et Essai, p. 470.

١٧) سورة ٢٩ : ٦٩ . وهذه الآية الكريمة يستشهد بها الترمذي كثيراً في كتبه، انظر مثلاً ادب النفس ص ١٠٠، ١٤٨، ١٥١ . قارن المعنى الخاص للآية القرآنية الذي يذكره الترمذي هنا مع المعاني الاخرى التي يذكرها عادة المفسرون : ابن كثير ٣ : ٤٢٢ ؛

ي — V .
ا ويلقى V ، — F .
ب وما V .
ت عبداً F .
ث فيقر F .
ج هذا F .
ح واقتضاه V .
خ — V .
د واما V .
ذ — V .
س + قوله عز وجل V .
ش + وان الله لمع المحسنين V .

أشرقص النور[١٨] في صدره ، فأصابض روح الطريق[١٩] ، فوجد قوة على رفض الشهوات ، فازداد رفضاً وهجراناط . فزيد لهظ في الروح ، لانه كلما رفض شيئاً نال من ربه عطاءا من روح القربة ، فازداد قوة . فقوىء على الرفض ، حتى مهرغ في الطريق ، وحذقف بصراًق بالسير الى الله تعالى . فعلم أنه اذا رفض شهوة الأكل ، ينبغي له ان يرفض شهوة اللباس ، فاذا رفضها، ينبغي له ان يرفض شهوة الشراب . فاذا رفض هذه الاشياء ، رفض شهوة السمع والبصر واللسان واليد والرجل . فلا ينطق الا بما لا بد منه ، ولا يسمعك الا الى ما لا بد منه ، ولال ينظر الا الى ما لا بد منه ، ولا يمشي الا الى ما لا بد منهل . فيلزم العزلة حسماً لهذه الابواب ، واماتة لهذه الشهوات . فازداد قرباًم وانشرح صدره . والخطر العظيم ههنا ! (والسالكون) بينن معصومه ومخذول . وذلك ان من زلت قدمه في هذا الطريق ، فمن ههنا زلت ، ومن ههنا خذلو . فاحذرك هذا الباب ! (يتبع)

---

١٨) رمزية النور، أو نظرية النور تقوم بدور هام في تفكير الترمذي وتتداول بكثرة على قلمه . فالنور في نظر شيخنا هو مبدأ الوجود وهو مصدر المعرفة . فهناك اولاً انوار الصفات الالهية التي تبدد ظلمة الوجود الطبيعي والمعنوي وهناك انوار القلوب التي تشع بالمعرفة وتتلألأ بالايمان والولاية . وهناك انوار الحواس وانوار الاجسام الخ الخ . . . راجع كتاب «بيان الفرق بين الصدر والقلب» ص٣٤، ٣٨، ٥٥، ٥٨، ٦٠؛ وكتاب علم الاولياء ص٧١ (مخطوط خراججي اوغلو، بورصة ٨٠٦) وكتاب ادب النفس ص١٢١، ١٥٠ . قارن ايضاً فكرة النور عند ابن عربي ، فتوحات : ٢ / ٤٨٥–٤٨٩؛ ٣ / ١٨٦–١٩٢ ، ٢٧٤–٢٩٢ ، ٢٩١–٣٩٣

١٩) في العرف الصوفي، الطريق او الطريقة هو المنهاج المعنوي المؤسس على الكتاب والسنة الذي يلتزمه السالك ويقتفي اثره اثناء رياضته ورحلته . ويستعمل الصوفية الفاظاً اخرى

ص واشرق V .   ض اضاءت V .   ط + لها V .
ظ – V .   ء يقوى V .   غ يهد V .
ف وحدق V .   ق بصيرا V .   ك ولا يستمع V .
ل – ل – V .   م قربة V ، + الى ربه واضاءت قوة روح القربة
فعظم امله وان بسط قلبه V .   ن بني V .   ه معصوم V .   و – V .

وثائق تاريخية عن حلب

٥

اخبار السريان وما اليهم اخذًا عن يومية نعوم البخاش ١٨٤٤ – ١٨٤٥ وغيرها من المخطوطات

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

— الخميس المسا. اجا يوسف عبجي من بغداد بايام ٨ راكب هجين مع واحد عرب عنزة من بعد سنين ٨ يكون معلوم .

— والا ٧ كنا غلبنا نعوم كوريخ بالفناجين والرهن بونج(Punch) ونظمناه ليلة الاحد وكانت مرأة شكري وليلتها غلب جبرا بازرجي ونظمها الاحد اخرها بونج ورحنا وكانت مرأة شكري .

[٦٤١] ٢٨ ك ٢ ١٨٤٤

— الاحد اولها سلمت على يوسف عبجي بعد الظهر ورجت باركت لخليل الذي اخذ بنت مرتين الترجمان الفرنساوي .

— الاثنين عيد مار انطانيوس ونهارها كان الحجي بن الصاجاتي داير بعيد عند انطون حموي اخذ يشرب القهوة شرب نصف الفنجان وكب نصفه على صدره ومات موت الغفلة يكون معلوم.

وبديو بالرسائل سايغ وشكر ورعد وعبدالله انطاكي .

— والخميس كتبت مكتوب لانطون خاطي بقمري ١

[٦٤٢] في ١٠ شباط غربي ١٨٤٤

— الاحد ولدت مرأة فتح الله باسيل وجابت ولد ذكر .

— السبت كنا سهرانين في بيت جبرا بازرجي لبكره وكان نيلتها اخوه نعوم ويوسف رويق وكوريخ وبيت خاله وانا وجيرانه ورجعت من السهرانه صليت الاولي وجيت للبيت نمت وفقت الساعة ٦٫

— الخميس دفعت قمري ٥ من الفردة .

— والاحد اولها كان عرس ابن موسى بياع الغزل .

[٦٤²] — الخميس السكارى فتحت وقرينا بكرا لا المسا .

[٦٥¹] ١٨٤٤ في ١٩ شباط غربي ٧ شرقي ٢٩ محرم ١٢٦٠

— الاحد رفعنا سوا الطوايف . ونهارها اجت البوسطة واجت سكة الجديدة لبرة ١٠٠ غرش سكة عبد المجيد للحل تضبط ٩٥ غرش يكون معلوم وكان نهارها خطبة جبرائيل انطاكي الى بنت حنا قاق التي خطبها ابن رعد وبعده انكسر واسمها كتر والـ ٦ دفعت قمري ٥ من الفرده واله شرطت شكر الله كوبا عند يوسف الحكيم لانه وقع في البيت وانطوناكي اخوه كان مريض .

— السبت عيد مار افرام رحت عين التل وكان العقابية مفتحة وبديت كتر بنت رعد بالكتابة عندي.

[٦٥²] في ٢٦ شباط ١٨٤٤

— الاربعا سافروا المقادسة وايضاً انطون شماع ومرته وابنه ونسوانهم ومرأة نيقوغوص شاه وكيلي وابنها ومرأة فتح الله زلعوم كتر بنت جنه زلعوم ومساء اجا من بيروت نعمة الله جنه .

الخميس قلعت يوسف بازرجي من عندنا لعلة داعيه لاجل انه عيط ورفع صوته وقلعت معوض لانه ما يعرف يقرّي ولا ولد بالمزامير قليل مروه والـ ٦ صارت شبينة اختي كرزه لابن عمي فتح الله نجاش وشالت له بنت .

[٦٥³] في ٣ اذار ١٨٤٤ غربي وفي ١٩ شباط شرقي وفي ١٨ صفر ١٢٦٠ * .

هذا الاسبوع كان مرض من قبل النوازل للاولاد ويتقّلوا كتير وبعده يطيبوا على سلامة .

— الخميس رجع ابن بازرجي الكبير لانه قعد مدة اربع جمع عند الارمني وبعده رجع يغلق قرا.ته وكتابته.

— والاربعا نزلوا الحيط بيننا وبين كنيسة الارمن ويوم تنزيله ارتعبنا وانا عمال اشرب ترياق مع نصر الله كبابه الذي رعبني . وصار جيران ان كل

الاسلام يلبسوا طربوش نظام خيرية والحمايات نيشان يضعوه بروسهم بل والنصارى ايضاً ـ وباللاذقية اسلم قسيس روم فسفي والسبب لانه كلّل واحد بغير اذن المطران فجرمه فلاجل ذلك اسلم وظهروه ونظموا له عراضه · دخلوا على باب دار القنصل الفرنساوي وشلفوا حجار عليهم وهم ضربوهم بالحجار وانفج شيخ من الاسلام وصار (غوغـه) وانهزموا كل النصارى الى الضيع وكتبوا للالجي (في استنبول وهو في خدمة السفـارة الافرنسية او وكيل الطائفة ؟) والشام سمعنا ان طلب عبد المجيد من حين رواح ابراهيم لحد الان مـا اعطوه فرده فطلب كلها الان عن سنة اربعة وماذا يجري بعد نذكره وهـذا كله خبر غير واقفين على حقيقته بل له تواتر ..

[٦٦١] الاحد ١٠ آذار ١٨٤٤

ـ الاربعا توفت بيتي مدام بج بنت باركر والان مدام رود (؟) وطلعوها الخميس وصار فرجه وطلع وراها القناصر والتراجمين والبطرك والمطارين كلهم الكاثوليكية راحوا عندنا بيت الشوكتلي تفرجوا وبيت الكبابه وبيت كوبا سوساته ومرات كبابه . الاولاد طلعوا يتفرجوا من البرية كلهم وطلعت انا معهم وعمال يطلع سمك من جبل النهر والريحاوي بالعجين[1].

ـ والجمعة اجا حاج طاها لاجل الدالية وعرّشها واجت مرته وابنه معه .

[٦٦٢] ١٧ اذار ١٨٤٤

ـ اولها رحنا القطانة وبعده لما اكلوا لي الزواده ولد من صنـاع النهر رحت اشتريت خبز وحلاوه ورحت عند والدي الى ناصر الدينية وجاب والدي زلاطعين مقدار ٤٨ وانا سمك مقدار اوقية ٢ ورجعنـا للكرز وصار خبر ان انطون شاع عمال يصطاد سمك بالعاصي فجره الفرخ ورماه بالعاصي ومات وطلعت كذبه لانه كان رايح على القدس .

---

١) نشرنا المتن على علاته لا تسأل عن الرابطة المنطقية بين الجنازة والسمك . . . ولكن تتابع الاخبار مليح على قلم البخاش . الفرجة من البرية ؟ وما ادراك ما هي البرية ؟ الارض البور حول المقابر وكلها في يومنا عامرة بالبنايات الفخمة وآهلة بالسكان . . . ولكن تسمى ارض المشنقة والقطايس ولم يكن ما وراءها أمن لمستأمن الا البخاش ورفقته في الصيد .

— والخميس اربعين شهيد صرفت الاولاد قبل العصر ورحت للقطانة الحصرم وبلصوني باره ٦٠ جماعة سكريه[1] من باب النيرب اسقوني فنجان عرق يكون معلوم وهذه الجمعة كلها صبحية ومساوية اروح لجنينة الحصرم.

[٦٦'] الاثنين عيد البشارة رحت ويوسف وقرألي عين التل وبعده القناية وبعده لجسر السيراني.

الخميس عيطت على يوسف بردخجي وقلعته من المكتب وحده عدا اخوته وكبابه فتح الله هـذا الاسبوع طلع للكار وبديوا بالديوان خوري وشوكتلي وبردخجي ومنتورا بالمقامات.

[٦٧'] ٣١ آذار ١٨٤٤

البطرك ما طاب من الضور للاربعا.

وصار خبر ان الروام طالبين الجزاير كالقديم لانهـا طبراقهم[2] وايضاً صار قول ان ابراهيم باشا جاي لحلب وذكرنا سابقاً ان محمد علي توفي طلع خبر كذب.

— الخميس سكرنا رحنا للقداس والغسول.

— السبت البشاير مطر من بكره للمسا وبرد وافر واناس جايين من الدرب بطبراق حلب بوز ومات اثنين منهم.

[٦٧'] اولاد المدرسة: الرقم الاول يدل على العدد من الاسرة والثاني على عدد اسابيع حضوره في السنة:

— ٢) كبه عدد جمع حضوره ٥١—٢) كبابه ٥١—٢) كلداني ٥١—١) كرباج ٥١—١) شوكتلي ٥١—١) شقال ٥١—١) خوري س ٥١—١) حلاق ٥١—٢) حبيب ٥١—١) حبيب ع ٥١—٣) جهامي ٥١—٢) عزوز ٥١—٢) عرقتنجي ٥١—١) عرقتنجي ٥١—٢) انطاكي ٥١—١) باسيل ٥١—١) نحاش ٥١—١) وكيل ٥١—٢) بليط ٥١—٢) باظرجي ٥١—٢) رعد ٥١—١)

---

١) قبضايات باب النيرب لهم شهرتهم في حلب وسوف يكونون ابطال النهب في حوادث المحسين فلتق معهم نوم البخاس ... ولا يلوم الا نفسه اذا اكلوا لـه الزوادة وشربوه عرق! لماذا ابتعد عن بيته ؟ ولكن هذه ملح يقرأ اخبارها في بيوت الناس يتحدثون بها اياماً وليالي.

٢) طبراق لفظة تركية معناها ناحية بلاد.

منتورا ٥١-١) ثابت ٥١-١) جنه ٥١-١) ضاهر٥١-٢) بردخجي ٥١-١) رعد ر ٥١-١) بليط ك ٥١-١) عبد الله انطاكي ٥١-٢) سايغ ٥١-١) بدروس ٥١-١) هندية ٥١-١) نجم ٤٢-١) صندوق ٤٩-١) قس نصرالله ٢٧-١) بسكوال ٧-١) دقاق ٧-١) جنبير ٧-١) حكيم ١٢-١) كنر رعد ٩-١) ارمان ١

في العيد الكبير ١٨٤٤

هدايا ارسلت الى المعلم نعوم البخاش من

	تلامذته	كليجه	معمول	غريبه	عرق	نبيذ	بيض	عبديه	[غرش]
٣	جهامي	١	١	١				٥	
٢	كبه	١	١	١				٥	
٢	كبابه	١	١	١				٥	
١	كلداني	١	٠	١					
١	شوكتلي	١	٠	١					
١	سقال	١	٠	١					
١	خوري ش	١	٠	١				٥	
٢	حبيب ش	١	٠	١				١٠	
٢	عزوز	١	٣ قرص	١					
٢	عرقتنجي	١	٠	١					
٢	عرقتنجي	١	٠	١					
١	عرقتنجي	١	١	١					
١	عجوري	١	١	١				٣	
٢	انطاكي	١	١	١				٦	
٢	انطاكي	١	١	١					
٢	وكيل	١	١	١			١٠	٥	
٢	باظرجي	١	٣ قرص	١			٧		
١	ضاهر	١	٠	١					
٣	بردخجي	١	١	١					
١	عجوري	١	٠	١					
١	عبدالله انطاكي	١	١	١				١٠	
١	بدروس	١	٠	١				١٠	
٣	قس نصرالله	١	٠	١					
٣	رعد		٠	٠					

[٦٧٢] ٧ نيسان ١٨٤٤ غ في ٢٦ اذار شرقي في ١٩ ربيع اول ١٢٦٠

— اولها عيد الكبير سوا الطوائف . صار برد قد بندقة.

— السبت برد وتدفاي على النار وتسكير الابواب والشبابيك والبطرك رجع للضور .

— يوم الخميس دفعت من حق التتون قمري ٣٠ لميخائيل تتنجي.

[٦٧٣] ١٤ نيسان ١٨٤٤

الاحد لعبت بالطاب والدك بيت العجوري .

— الثلاثا وقعت حجر خاتمي الالماس على الطريق ورايتها وبعت ليوسف اباته امكنها .

— وقعد عندي اولاد حصيه.

[٦٨١] ٢١ نيسان ١٨٤٤

الثلاثا جاب ابي جنه مقدار رطل ١٧ سعر ٢٤

— الاربعا توفي ابونا قلاوس العازاري الله يرحمه .

— الخميس طالعوه وصار له فرجه كويسة وكان معه كل القسوس والمطارين عدا البطرك لان كان ما به كيف وطلعنا والاولاد قاطبة للفرجة.

— السبت سافر ابو بطرس وجده وامه الى دير مار جرجس وعمته اينيس.

[٦٨٢] ٢٨ نيسان ١٨٤٤

— يوم الخميس اجوا المقادسة وكان عندنا عشا للفقرا وهذه الجمعة عمال ينتقل زخاير وطواب وكلل وقنبر وعسكر بالتتابع ويدخلوا بالليل الى الشيخ يبرق والمرعسكر الى الان ما اجا والزخاير عمال تنتقل وارتفعت الحنطة من ٢٠ شنبل الى ٢٥ وكل شي. ارتفع الله ينجينا من شر هذه السنة.

[٦٨٣] ٥ ايار ١٨٤٤

— الاربعا هذه الجمعة ظهر جراد اصفر حسبه وافره وسقط من حد عين التل الى هذه الشقف والعسكر عمال يدخل شي بعد شي وصار يجلب مقدار ١٢٠٠٠.

— الجمعة فطرنا قيمق وكوسا في بستان العويجي . الجراد خف كثير ما ادري عمال بيسافر او عمال يطنوه وصارت الحنطة شنبل ٣ بتنة غرش .

[٦٩١] ١٢ ايار ١٨٤٤

— الاحد انقطعت شرابت طربوشي

— السبت اجا سر عسكر محمد نامق باشا قبل الظهر وكان معه الالجي الفرنساوي وصار فرجه وانا ما تفرجت بل راحوا اغلب الاولاد مع اهلهم للفرجه.

[٦٩٢] ١٩ ايار ١٨٤٤

الاحد اولها تليسة تضيمة من بعد مجيئه من القدس.

— الاربعا اجا فتح الله باسيل من ازمير وعبدالله انطاكي من عينتاب .

— يوم الجمعة صار مطر وافر وصار طوفه ودخلت للبيوت من صوب الهكيدون لبت البليط وشكر وشامي وزمرود ودير اروتين ودامت من حق التتون قرتي ١٥وطلعت انفرده . زال ٢ اجوا ولاد بردخجي من براجيك والقاصد ومعه جرمين والمطران انطون السرياني.

[٦٩٣] ٢٦ ايار ١٨٤٤

— السبت اجا ماية جمل زخره ثياب وتلسومات ورصاص وبارود وقالوا ان جايه معجون (؟) بك من مصر ومعه عسكر مقدار عده.

— والخميس فطرنا شعيبيات في جنينة الملاخانة .

— والخميس اجا قسيس بطرس هزاز سرياني وواحد موصلي قسيس والاثنين ضايرين انكليز مغيرين دينهم.

والسبت اجا قسيس انكليزي ومعه مرته وقالوا انه شريك نعوم عازار وتزل عندهم. ويومها فكس القمر وغط وطلع الساعة ٧

اول حزيران غربي ١٨٤٤ ١٩ ايار شرقي ١٥ جمادى الاولى ١٢٦٠

[٧٠١] ٢ حزيران ١٨٤٤

الخميس اجاني نهارها سبحة عرق لولو من مرأة نيقوغوص من القدس وسافر عسكر محمد نامق باشا الى طرف ارفه .

[٧٠²] ٩ حزيران ١٨٤٤ – الاحد ٢٧ ايار شرقي ٣٠ جمادى الاول ١٢٦٠

يوم الجمعة اجا نصري مراش من بيروت ومعه مرته مريم بنت الشوحه وطالع الخبر ان البطرك جروه مزمع يروح لاسلامبول لان بطرك عنكز (كذا) اليعقوبي مشتكي لباب همايون وبده الكنائس ٥ حلب وموصل وماردين والشام.

[٧٠³] ١٦ حزيران ١٨٤٤ – الاحد في ٨ جمادى الاول ١٢٦٠

– الجمعة اجا فتح الله صولا ونصري كبابه من القدس.

– الاثنين سافر تزيل بيت عازار القسيس الانكليزي ومرته الى اسلامبول[1].

– الاحد عرس اولاد العرقتنجي الياس ورزق الله اولاد نعوم الى بنت هندية والثاني بنت اوديس جورج قدسه وانكسر واحد بازركاني وتحيا على الحق كيس ٣٠٠٠ ودار عليه التفتيش وحوشوه واسم المذكور قاوقجي اوغلي.

[٧١¹] الاحد مشورة بنت ايوب الى مخائيل صولا .

– الخميس سمعوا بيت ميخائيل سايغ بابنهم جرجي لانه مات بازمير . رحت اخذت بخاطرهم .

– وعزم باظرجي اليهودي الصراف لاجل مصطلحه وكان مازا كوبا مشويه وكان زمرود وكوريخ وانا رحت مساء كيف .

١) من هو هذا القسيس الانكليزي الذي يقيم حوالي ١٥ يوماً في حلب ومنها يسافر الى استانبول ؟ – في درس مطول نشره « اراعي » ج . م هورنوس Pasteur J. M. (Hornus) في مجلة « الشرق الادنى المسيحي باللغة الافرنسية » وضع تاريخ البروتستانتية في الشرق الادنى وقال ان المرسلين البروتستانت الذين انشأوا مشاريعهم في خدمة الارمن في عينتاب استنجدوا بجماعتهم من بيروت – وهؤلاء ارسلوا اليهم في شهر آب ١٨٤٥ ثومسن Thomson وهذا جاء حلب واتصل فيها بالمطران اثناسيوس توتونجي المعروف بولائه لهم . وثومسن كان يتردد على حلب بين ١٨٤٠ و ١٨٤٦ . ايكون « شريك نعوم عازار » ومن الممهدين الطريق الى دخول البروتستانت حلب . على انهم لم يوفقوا الى الاستقرار فيها الا بعد حرب الـ١٤ مع قدوم عدد الارمن الوافر الذين اجلوا عن بلادهم اليها . الطاب:

1 *Revue du Proche-Orient Chrétien* 1957 p. 139 sqq.

2 Graf; *Geschichte der Christlichen Arabischen Litteratur*. III p. 277 sqq.

[٧١٢] ٣٠ حزيران ١٨٤٤ – الاحد ٢١ جمادى الثاني ١٢٦٠

– الاربعا رحت الى الشقيف وبطن الغول رأينا بالشقيف جراد كثير نفس ووصل للبطن الغول وعمال يأكل ورق الشجر على نضيف – وسافر نعمة الله قس نصرالله الى القاير البيرقلي[1] .

[٧١٣] – الخميس ٢٩ حزيران ١٨٤٤ .

طلعوا الباشا والعيان وابن حطب الى لم الجراد وطلع من البلد مقدار ٦٠٠ نفر ومن اليهود مئة واحد والباشا اخذ مطبخية وكان معه عسكر مقدار ٢٥٠ عسكري نظام وذبح مقدار ٦٠ راس خاروف والخبز حقه ٩٠٠ غرش لاجل الذين يلموا الجراد ولموا الناس مقدار عدل ٢٠٠ . وفي الجراد الذي يجيب العدل يعطيه ابن حطب غرش ٢٨ نص قمري وزلام الباشا يعطوه ١٨ غرش ونص والنهار ذاته ارسل خلفي خواجه عبد الله دلال واحكى معي من شان ابنه وارسله ثاني يوم الـ ٦

في ٣٠ حزيران شرقي ١٨٤٤ في ١٢ تموز غربي في ٢٦ جماد الثاني ١٢٦٠

[٧٢١] – الجمعة سافر البطرك بطرس جروه الى اسلامبول ومعه ابن اخوه قس روفائيل (راجع سابقاً [٣٢٢]) .

[٧٢٢] – الخميس نظمنا بستان للاولاد في بيازيد وانبسطنا وكان نصف الاولاد .

[٧٢٣] – الاثنين تعدوا عندي اولاد البندقي .

في ١٦ تموز ١٨٤٤ شرقي

[٧٣١] – الثلاثا كان عيدي ونظمنا بقلاوه لاننا ما صمنا السيدة مع الغربيين بل مع الشرقيين.

١) البيرقلي سوق تقام في الاناضول كان الحلبيون يقصدون اليها حاملين اموال حلب فيعرضونها في سوق البيرقلي ومنها يرحلون الى استنبول مارين بمدن الاناضول الكبرى ثم يعودون ومعهم « مال استنبول » فيتاجرون به في حلب في « سوق استنبول » ولفظة بيرقلي تركية معناها الموضع المورق او المظلل بالشجر . وكانوا يقولون اذا سمعت الدقاق في خان الوزير بشر بالخير واذا سكت الدقاق كسدت التجارة . والدقاق مطرقة كبيرة يدقون بها الاحمال لضبطها وربطها .

(عن مخانيل سكياس رئيس اخوية الام الحزينة في حلب توفي حوالي ١٩٦٠)

[٧٣٢] الاحد وقع مقدسي نعمة الله جهامي كان عمال يترت (ب) قدام بستان كور مصري وانصدعت يده وقعد بالفرشه.

— كان خطبة جبرائيل سايغ الى بنت بطرس حمصي وولدت مرأة يوسف خاطي وجابت صبي.

[٧٣٣] الاثنين سافروا اولاد البردخجي الى قره حصار.

في ١٩ آب ١٨٨٤ غربي في ٥ شعبان ١٣٦٠

— الثلاثا ارسل المطران (اروتين) رمي الدالية بارض الحوش.

[٧٤١] الاحد رحنا بستان الافندي جنب عين التل وبيت اختي كلهم ركب وكان ابو بطرس وجاب لنا دواب وقبل ليله صار عندنا سهرانه كم نوبه وكان بن اخو اجق باش وابن اختي وزمر واسود نعمة الله وكان كمنجه ونقارات ودف.

وكان نهارها عيد السيدة عند الارمن العنب والتين.

— وصار خبر ان نعوم جهامي طلب سيدونه بنت شوكتلي واجا عندنا نهارها ميخائيل سايغ واولاده وفتح الله قندلفت.

[٧٤٢] الجمعة صار خبر ان القس يوسف سمنه والقس ميخائيل ظاهر واصلين لحدود وارادتهم ان يرضنوا ومن غير سبب ونعرف بعد عنهم واناس يقولوا ان نعوم عازار طاغي في عقلهم لكي يصيروا يعاقبة سريان مثله.

— وهذه الجمعة عمال ينجروا بيت كوبا ليوانهم.

والاثنين اجاني خلعة زلعوم طاقة زمام ومنديله.

الاحد ٨ ايلول ١٨٤٤

[٧٤٣] برصن[١] قس يوسف طباخ يسموه سمنه وصلا بكنيسة السيدة للارمن الصغيره[٢].

---

١) اتبع بدعة برصوما اسقف نصيبين الذي انتصر لبدعة اونيخا المونوفيسية واحياها في بلاد الجزيرة والموصل ولد بين ٤١٥ و٤٢٠ وكانت وفاته قبل ٤٩٦ م.

٢) جاء في « السلاسل التاريخية » لدي طرازي ص ٢٣٦–٢٢٨ ما خلاصته: يوسف

— الاربعا سافر اولاد حنا خوري الى برا للضيعة.

— خطبة بنت الدلال لوسيا الى شكرالله رزق الله خوري.

وقعد عندي هذه الجمعة اولاد قرألي واولاد صندوق[1] وبغدادي.

[٧٥١] – ٨ ايلول ١٨٤٤.

الجمعة معي بلورة عرق حطيتها تبرد راحت مع الما.

— ال ٥ انعزمت بيت كوبا للعشا وكان عندهم قبطان افرنجي. (يكون القبطان قد جاء من الاسكندرونة على سبيل التنزه او الشغل).

[٧٥٢] ١٥ ايلول ١٨٤٤

وصار خبر ان بده يظهر نجمة او كوكب او طاقة وهذا الشي كل ٣٠٠٠ سنة يظهر وظهر قبل الطوفان والان مزمع ان يظهر وماذا يجري نـذكر لان قالوا اذا كان اعلا من القمر طوفـان وان كان تحت القمر حريق وكذبت المنجمين وصدق رب العالمين.

— وصار خبر ايضاً ان نعمة الله ابن قس نصر الله توفي في اليبرقلي موشي اكيد بل خبر من الناس.

وال ٢ كانت عزيمة حمام الغمرة[2] لبنت جرجي توتنجي من عمهـا مخائيل توتنجي بالليل.

رزق الله سنه ولد في حلب ١٧٩٨ تعلم في مدرسة الشرفة سيم كاهناً ١٨٢١ خدم ابناء طائفته في مصر اربعاً وعشرين سنة «وفي نهاية هذه المدة نزعت نفسه الى المراتب بطريقـة غير مشروعة فذهب الى اوروبا سنة ١٨٤٥ حيث اقتبل الكرامة الاسقفية على كرسي الشهباء من ايدي اليعاقبة الذين استحصلوا له البراءة السلطانية بذلك وفي العام التابع جاء حلب تائباً ... فقبلت توبته على شرط ان يتنازل عن رتبته ... وصار يقدس تارةً في كنيسة «العنكبوت» على اسم مارآسيا وتارة عند الاباء الفرنسيسكانيين وعـاش ٢٤ سنة بالتوبة وتوفي في حلب في ١٩ آذار ١٨٧٠»

١) جاء في «اصدق ما كان» لدي طرازي ٣، ص ٢١٩ «عُدّ المطران يوحنـا صندوق الحلبي الاصل من ائمة جهابـذة عصره وكان هو والاسقف مرْكيس الرزي الاول (١٦٠٠–١٦٣٨) من اكبر المساعدين للقس جبرائيل الصهيوني في نشر كتاب «البوليغلوتا» الشهير في باريس وطبع المطران يوحنا صنـدوق وجبرائيل الصهيوني كتاباً في «آداب عادات الشرقيين» ثم نقلا الى اللاتينية «جغرافية الادريسي».

٢) حمام الغمرة اسم يطلق على تغسيل الصبية قبيل زفافها.

[٧٥^٢] ٣١ ايلول ١٨٤٤

اولها كان رسامة خوري ميخائيل انطاكي مطران على حلب وقلبوا اسمه مطران ديمتريوس رسمه مطران .كاريوس وحده لان اناس من الطايفة يريدوه واناس لا . فما راحوا المطارين من غير الطوايف بل البقيه مستغيثين برومية عليه .

والـ ٥ اجا باش ترجمان من عند السلطان الفرنساوي لعند موسى كيس .

[٧٦^١] الاربعاء في ٩ تشرين الاول

انتها. ١٧ وابتداء السنة ١٨ لافتتاحي المكتب.

في ٢٨ ايلول شرقي ١٨٤٤ في ٢٦ رمضان ١٢٦٠

عدد الاولاد في المدرسة ٦٧

[٧٦^٢] — الخميس اجا مطران كيرلس الذي سابقاً كان شماس الكنيسة عند الروم (الارثودكس) وراح ارتسم باسلامبول ورجع وصار فرجه كويسه على حكي الناس وانا ما رحت .

— والاحد اولها عيد المسلمين .

في ٢٠ ت ١ غ ١٨٤٤ في ٨ شرقي في ١ شوال ١٢٦٠

— والـ ٤ اجا خبر من عند نعمة الله قس نصر الله انه طيب وزلقطوا من فرحهم .

— والـ٧ ولدت مرأة الياس كبابه بنت جنبرت وجابت صبي .

[٧٦^٣] — الاربعا وقعت الساعة ٤٢وانا طالع من السهره من بيت الكبابه ورجعت عندهم وتميت الخميس والجمعة صباحاً جيت للبيت وما صدقت اقوم من هذه الوقعة لانها كثير صعبة الله نجاني منها وجبت الحكيم بالليل لبيت المذكور وثاني يوم انفصدت وجبت المشادة (امرأة مطببة) وخاصرتي للآن عمال توجعني وسكرت غلاقة الجمعة وجمعة التي بعدها اولها كان تجديد البيعة ما صليت

والاربعا دقني ضور عرض مو مرض من الم خاصرتي والخميس واحد آخر والسبت صح كيفي والضوار(ب) كتير ضعفوني . وافتقدوني بمرضي مطران الروم ٢. كيرلس وديمتريوس (وانقطع البخاش عن الكتابة مدة ثلاثة اسابيع).

والاحد اولها جمعة الثالثة ولدت مرأة رزق الله جهامي وجابت صبي.

في ٢٩ شوال ١٢٦٠ في ١٠ ت ت غربي في ٢٩ ت اول شرقي ١٨٤٤

مولود مبارك ونهارها سكن فرنسيس عجوري حوش مرأة رفول شامي واجا يوسف عبجي من بغداد .

[٧٧'] هذه الجمعة بديت بلم سلف الحوش (من تلاميذ المدرسة) .

[٧٧'] – ١٨٤٤ ٢٤ ت ٢ غ في ١٤ ذو القعدة ١٢٦٠

– الثلاثا من الليل الساعة ٨ توفي نعمة الله فرا الذي كنت في نقشة مرته بنت الكلداني اقام من عرسه لحد موته معها ايام ٤٦ وتوفي بذات الجنب الله يرحمه .

– وعطست ونزل علي نزله وبديت اسعل ومسكت على خاصرتي لان لحد الان ما طابت ورجعت للفروج والشوربة بدل الرز سميد .

– الخميس بديت بلم سلف الحوش والطاروق[1] مفتوح .

– والجمعة اجا وجيهي باشا من ارفه ومرض نصري كبابه بذات الجنب.

– والاحد اولها مات لحد الظهر ٧٠ نفر بذات الجنب الله ينجينا من هذه السنة وعمال تشتغل وان صار لواحد رشح يقلب ذاتيه.

من النز اليابس والبرد لان لحد هذه الجمعة ما صاير مطر ابداً بل يبس .

– والاحد كان عرس ابن عبيد لبنت الصابونجيه .

[٧٧'] اجا للمكتب اولاد عدة ٦

[٧٨'] – الثلاثا طلع عبد الله جهامي (من المكتب) وختم (دروسه) ونزل على كار القصب .

١) الطاروق المفتوح كان عشاً للحشرات والبق الناقل جراثيم المرض . وكان الطاروق ينسد لعدم وجود المياه الجارية من المراحيض او الكبينات .

— والـ٢ مات بطرس عزوز ما صار عمره سنة وهذا الاسبوع مات اناس كثير بالحوانيق واناس ما يطولوا ٢٤ ساعة يموتوا قبل .

والـ٤ مات ميخائيل ثابت الاحدب سهر تصري خوري وهذه الجمعة عمال يطلع سمك بالعلق من الشابندر ودفعت من كِري الحوش لشماس المطران الموارنة ٣٦٥ غرش .

[٧٨ ٢] — الاحد اولها وكان ليلة البربارة بشرقي ونظمناها عندنا وكان سميان جبرا ونصري كبابه طبل.

(وجا. في المخطوط ص ٢).

في بربارة الموارنة ١٨٤٤ (هي لائحة الهدايا التي قدمت للمعلم نعوم البخاش — وكانت بربارة « الموارنة » اي على الحساب الغربي في ٤ ك ١ . والموارنة لم يتقيدوا الا بهذا الحساب بينما كانت سائر الطوائف تتقيد طورًا بالحساب الغربي وطورًا بالشرقي في ذلك العهد) .

عدد	الاولاد	سليقه	كنافه		عرق	نبيذ	
٣	عزوز				١		
١	شوكتلي	١	١	ختنا			
٢	حمصيه	١	١	«	١		
٣	بردخجي	١	١	«			
٢	وكيل	١	١	«			
١	كبابه	١	١	«			
٢	جهامي	١	١		١		
١	سنال	١				٧	تفاح
١	عرقتنجي	١	١	مفروكه			
٢	«	١	١	ختنا			
٢	انطاكي		١	بلورية (بصمة)		٦	برتقال
٣	بليط	١	١	ختنا			
١	عجوري	١	١	«		١	
٣	دلال	١	١		١		

الـ ٤ قلاوص .

— الـ ٥ ولدت مرأة غزالة نعوم وجابت بنت .

وطلب مني المطران زودة ٥٠ قمري لكرى الحوش وسلمتها [سلمت امرها] لكوبا .

— وتمشيت بيت فرنسيس عجوري .

— وماتت مرأة موسى البخاش .

واجا الشدياق قرألي من الشام مع كيب خواجته .

— والاحد اولها ولدت مرأة عبدالله دلال وجابت بنت .

والاحد اولها في ١٥ ك ٢ غربي في ٣ ك ١ شرقي في ٥ ذو الحجة ١٢٦٠

[٧٨] — الاحد اولهـا كان مشورة بنت عجوري فتح الله لابن جنبرت وانا كنت معزوم ما رحت لان المطران طلب مني زود بكري الحوش قمري ٥٠ وقلت للخواجا كوبا فقال للمطران اروتين فتركها بقمري ٢٠٠

— والاربعا والخميس الميلاد غربي عيدت ودرت عيدت وهذا الصوم ما صحت لان كان ما لي كيف .

والاربعا فارتما هلوانم (اعتراف ومناولة) .

والجمعة مساء نمت بيت القونص دوريكلو عزيه للعشا ونمت عندهم .

— السبت اجا انطانيوس من مرعش من عند فتح الله ابن عمي وهـذه الجمعة الف ميخـائيل صولا قدمان[1] ديوان ديوانا الى مدام ميشيل « شقيق الروح حانا وبالالطاف احيانا » .

١) قد تأتي اسماً بمعنى حسب . ومعناه يا من تجلسون في الديوان اشفقوا — على سبيل اللهو . امان ! وكانت اغنية شائعة في زمانها . وفقد لحنها شأن كل الاغاني الغير مضبوطة بالتنقيط الموسيقي .

(راجع برتشي — ودي منار)

(١٨٤٥م . ـ ١٢٦١هـ .)

[٧٩¹] ٣١ ك ١

الثلاثا ليلة رأس السنة[1] كنت معزوم بيت الخواجا كوبا .

ـ الاربعا رأس ١٨٤٥ احيانا ربنا لامثالها ان شا . واراد بالخير والعافية والصحة وخلاص النفس والبركة .

والخميس بعتنا لكوريخ غريبه ومعمول مصرمايه [كذا] .

ـ وصار زعل مع صادر ميخائيل بيت فرنسيس عجوري .

[٧٩²] ـ ١٠ ك ٢ الجمعة اول محرم ١٢٦١ سنة مباركة

ـ الخميس ذكر العكاوي (دلال للسكنى) عن حوش انطون نجم .

والاربعا اراد بازرجي يفضي الحوش . وبعده قلب .

ـ وماتت مرأة شلحت بنت الكميكاتي .

[٧٩³] ـ الثلاثا تمشيت بيت عزوز وزه

ـ والاربعا . بيت المرحوم حنا رعد انعزمت وتعشيت عندهم وكان مطران الروم ديمتريوس .

ـ والاحد اولها خطبت برباره رعد الى شكرالله قصاب .

[٨٠¹] ـ الاحد رحت الشابندر وما جبت شي .

وال ٤ اخذت صيدة من الشابندر مقدار اوقيه ٢ مساويه .

ـ واجت اخت الخوري من كلز .

في رأس السنة ١٨٤٥

---

١) وجاء في المخطوط (ص ٢) عن الهدايا التي ارسلت الى نعوم البخاش في رأس السنة ١٨٤٥ واليك لائحتها .

التلامذة	جيبمة	رز بعسل	صابيع	نبيذ	عرق	برتغال	عيديه قرش
٣ عطار							٠
١ سقال							٧٤
٢ ضاهر	١	١	١				٠
٢ رعد							١٠
٢ كبه	١	١	١				٦
٢ عزوز	١	١	١				١٠
١ بغدو							٦
١ كبابه	١	١	١				٣
١ عجوري ز							٣
٢ وكيل							٦
٢ حمصيه	١	١	١				
١ شوكتلي	١	١	١				
١ عجوري م	١	١	١ بالوظه				٢٤
١ انطاكي ع	١	١	١				٥
١ دلال	١	١	١				
١ خوري ش	١	١	١				
١ انطاكي ن	١	١	١				
١ سايغ	١	١	١				
٢ وكيل	١	١	١				
٢ بردخجي	١	١	١				
١ عجوري ج	١	١	١	١ بالوظه	١		
١ سقال	١	١	١				
٣ بليط	١	١					
٢ جهامي	١	٢	١				
٢ عرقتنجي	١	١	١				
١ عرقتنجي	١	١	١				
٢ قس نصرالله	١	١	١				
٢ شكر	١	١	١				
٢ انطاكي انطون	١	١	١				

[٨٠'] الاحد اولها رحنا ناصر الدينية وشفنا قتيل ونهارها كان قتيل عند رجب باشا صوب تراب الهلك ورجعت تغديت عند فرنسيس عجوري وكان جزمز[1] الغدا. وكبابيج ومسا. تعشيت بيت عزوز.

— والجمعة وقعت وعضني الكلب[2] في دهليز بيت الضاهر.

— والسبت كنت معزوم لنقشة بنت فتح الله عجوري.

— والـ ٦ نجرنا صندوقات الورد وكان النجار بطرس اديب.

— والخميس شاحت (؟) الفروة الحمره.

— وكان عيد كيرلس مطران الروم الفسافسه.

والاربعا عيد مار انطونيوس قعد عندي باسيلاكي حمصي.

في ١٧ ك ٢ ١٨٤٥ في ٢١ محرم ١٢٦١

والـ ٥ السكارى وهذه الجمعة ما سكرنا كالعاده.

والسبت الموات (؟) لان كان الامل ما نصوم مع السريان بل مع الموارنة (؟) وبعده جمعة التي بعدها حتنا ودفعت الفرده يوم الذي طلبوها ١٠٠ غرش من الياس كبابه ٥٠ ومن عندي ٥٠ فرد نهار.

[٨٠"] — الاحد اولها كنت بالنقشة بنت فتح الله عجوري لميخائيل جنبرت.

والـ ٣ تقاتلت مع ميخائيل صادر[3] والاذى منه لانه يحب لعب الايد.

والخميس كانت العزيمة بالليل وكان نوبة اجق باش وهذه الجمعة الاولى من الصوم الاربعيني وحتنا وربنا يكملها بالخير.

---

١) جزمز نوع من الطعام مكون من كبب ولبن.

٢) انى قبيل حرب الـ١٤ كانت للكلاب تسرح وتمرح في ازقة المدن في الشرق وناً كل ما يطرح لها من « الحسنات » الى ان قُطعت البلديات الى ضراحها فاتلفتها.

٣) حوش صادر في « الترسانات » وهي مدرسة للسريان في يومنا. واتخذها الاتان مستودعاً عسكرياً في حرب الـ١٤

في ٣ شباط في ٢١ ك ٢ شرقي ١٨٤٥ في ٢٦ محرم ١٢٦١ هـ.

والسبت مار افرام.

— والاثنين تمشيت بيت كوبا صيامي.

— والاربعا فتحت مدرسة الفرنساوية وراحوا اولاد قرألي.

— والسبت راح قفل الشام وراح ابن اليان ميخائيل وراحوا اولاد خاطي.

[٨٦أ] — الاحد رحت لاسبوع بنت جنبرت.

— والثلاثا تصالحت مع صادر.

— والخميس ضيعت علاقة الساعة مرجانه وهذه الجمعة صار مطر وافر.

— والاربعا اجا اخو المرحوم نعوم فرا من بيروت وصار خبر ان فرج الله شوكتلي توفي بمصر ولاهله للآن ما صار لهم خبر.

[٨٦ب] الـ ٢ اجا يوسف بازرجي من انطاكية من عند خالي كوريخ.

والـ ٣ سافر نعوم ضاهر بعته يوسف سوكياس الى يافا باجرة كل يوم غروش ٧

والـ ٢ قعد عندي بن نصري ملتلت وابن الياس ارسان.

والـ ٣ كان عبرة بنت عجوري بنتهم مرأة جنبرت وانا كنت موجود وانعزل وجيهي باشا من حلب بطالب لاسلامبول.

والـ ٢ قطع لي خجور جوخ فرنسيس عجوري دراع ٢ قرميز.

ومات ابن فريج عازار موت الغفلة نام ما فاق.

— والاحد اولها قروا منشور الاستغاثة بالكنيسة ان المطران ديمتريوس مطرانهم وتقدموا له الطاعة عموم قسوس وعوام.

١٦ شباط غربي في ٤ شرقي ١٨٤٥ في ٩ صفر الخير

والـ ٧ دفعت ليوسف الحكيم من كيسي عن كرا الحوش ٢٠٦ غروش دين لاخت جبرا بازرجي واستقرضتها من قلادة اختي مريم.

[٨٦ج] ٢٣ شباط ١٨٤٥ غ — الخميس ١٥ شباط شرقي ٢١ صفر ١٢٦١

صار خبر ان البطرك بطرس جروه اخذ فرمان الكتانس باسلامبول ومنتظر النيشان على زعم الاپسكوبوس بطرك الكاثوليك باسلامبول.

[٨٢'] — الخميس السكارى سكرت ورحت لعين التل .

[٨٢'] الاربعا سمعوا لجرجس شوكتلي بوفات ابنه فرج الله بمصر — وفسفس القسيس بن بطرس قديد .

الـ ٢ في ٤ ربيع الاول ١٢٦١ في ٢٧ شباط ش في ١١ آذار غربي ١٨٤٥

[٨٢'] ١٨ آذار ١٨٤٥

— الاثنين اجا باشا لحلب وانصرفوا الاولاد للفرجه وانا ما رحت لبعد الظهر صرفت الاولاد ورحت تفرجت .

الـ ٥ فتحت لان ما كان في غسل .

الـ ٦ الاربعين شهيد سكرت ورحت للدفن (جناز المسيح)[1] .

وفيها كان عدد اولاد المدرسة ٥٥ اكثرهم جاء ذكرهم سابقًا في [٦٧'] .

[٨٣'] الاحد اولها العيد الكبير .

في ٢٣ اذار غربي في ١١ شرقي ١٨٤٥ و ٢٣ ربيع الاول ١٢٦١

والـ ٣ البشاره ما شلفوه بل عيدوه .

[٨٣'] هذه الجمعة رجعت للفروة لان صار برد .

[٨٣'] الاحد اولها ركبت للقصير ورحت الى محرم عزيمة خالي لبيت جرمين وكان نوبة قصار مطر نخناخ .

والـ ٣ توفي يوسف بليط .

والـ ٧ سافر قضيمة لانطاكية لعند نعوم كوريخ باجره بالشهر ٣٥ قرش وقعد عندي بن جرمين يوسف اخو الاولاد .

والاحد اولها في ٢٥ اذار شرقي في ٦ نيسان غربي ١٨٤٥ في ٢٩ ربيع الاول ١٢٦١

[٨٤'] الجمعة عمال يعمروا دكاكين بالكلاسه لانها كانت خربة خراب فصيروها دكاكين .

[٨٤'] الخميس كان عند الاسلام خميس البيض وراحوا كل نسوان المسلمين للبساتين واكلوا مطر وصار مطر وافر وبرق ورعد وغير ذلك .

---

١) حفلة جناز المسيح تجمع عادةً جميع المسيحيين فتنص جم الكنائس ورب رجل لم يدخل الكنيسة خلال العام يرى من واجب اللياقة ان يحضر « الجناز » .

— اليد سكرت وباليومين تغير كيفي وجع ركب.

— ولدت مرأة الفونص دوريكلو وجابت بنت الثلاثا في ١٥ ربيع الثاني.

[٨٤ ²] — ٢٧ نيسان ١٨٤٥ الاحد عيد الكبير الشرقي ١٥ نيسان

— الثلاثا شاور ابن السايغ لبنت بطرس حمصي واجا فتح الله ضوناته من الشام اخو خميرة عزوز.

[٨٥ ¹] ٤ ايار ١٨٤٥

— الاحد اولها عرس ابن سميان فتح الله لبنت الياس اسود ومشورة بنت الدلال لابن الوكيل وخطبت بنت الاسود رفول هندية ولوسيا كوبا الى انطون ششمان (١).

---

١) جاء في دفاتر آل كوبا المحفوظة في خزانة ارنست عبديني (بيروت) ١٨٤٥ ١٧ ايار «من كام يوم اعطينا قول خطبة لوسيا على ابن يوسف دياب (انطون ششان) شاب عاقل ورا كد على شغله وربح من دون رأس مال حيث كان بخزنجي في بيت انكليزي والآن متعاطي التجارة ربنا يجبر خاطره ويكون في معونته. الذي عنده بنات وخصوصاً بنات الذين يكونوا اصحاب عيلات كبار تفرق عليهم كثير ولكن كيف العمل ان شاء الله بنستريح معه ادعوا لنا لكي ربنا يرزق بحستهم» — الى ليكورنا من كوبا حلب.

وايضاً: الى ليكورنا الخواجات كوبا واولاده: «شرحكم بخصوص خطبة سوسان قبل لوسيا وقفنا الامر اكثر من شهرين لاجل هذه الغاية ورأينا نقف في درب البنت ومسك هل بضاعة ضرر وشباب الادبيين اصحاب العقول نادرين والزمان معكوس مسايرين الجميع بفرد مشرى ومتى البنت بلغت سنة ١٥ تتلكم كانه صار زي جديد من جملة تنابر الايام فلزم اعطينا قول وبعده توقف بخت لوسيا.

ويوسف دياب المذكور يكون من اسرة المطران يوسف دياب اسقف حلب الماروني (١٨٩٦–١٩١٣). والسيد جوزف دياب مدير البنك السوري اللبناني في حلب في يومنا.

وايضاً من حلب الى ليكورنا الى الخواجات كوبا.

٢٦ تموز ١٨٦٥ كبر اسمنا هو الذي كرهنا في تكميل عمرنا في بلدنا ومرادنا قبل يوم الرحيل وعمال نصلح الحسابات لكي يكون كل شيء موضح والان الذي بخاطرنا اولاً نحن نتوجه ونترك يوسف لوقت وبعد ذهابنا نرفع البقية ويكون جوزنا البنات ام تبقى والدتهم مع باقي الزغار وان كان اخونا كراسيانو يحضر يكون احسن ولابد بوجوده بسير توجهنا بازود سرعة وجوابكم نعتمده لا يكون الا موضح ونحن ما لنا رغبه غير حفظ اعتبار العيلة ... بخصوص تسهيل موجودات البيت نحضر بعض الشيء ونبقي بعض لوازم لكي ما نخرب بيت هنا لان اذا حصلوا اولادنا حماية اصل بيت هنا ينفعنا كثير.

[٨٥٣] الاربعا صار حريق في حوش العالية فوق باب كنيسة الارمن وهدوا المربع واجا من الناس اسلام ويهود ونصاره مقدار الف ٥٠٠٠ واجا موليناري قنصل دولة الساردو واجا باشة النظام والقواس باشي والقول كل العسكر دخلوا وطفوا الحريق.

— والثلاثا راحت لوسيا هزيمة لبيت اختها والمذكورة بنت اختي وربيت عندنا من حد عمرها ايام ٨ الى السنة ١٢ ودايسة بالـ١٣ يكون معلوم.

[٨٥٤] الاحد تغير كيف الخواجا كوبا والآن احسن من اول.

[٨٦١] الجمعة قتل واحد بالعبارة لانه كان لاحق واحدة والعسكر بدهم يأخذوها تقاتلوا ضربوه قتلوه راح بجزاه سباحة.

— والاحد اولها رحت للحمام وعزمت الياس عزوز ووالدي لبرهم.

والمسا رحت لعرس بن السايغ الذي اخذ بنت بطرس حمصي.

— واجوا اولاد خاطي من الشام ومقسي نعوم انطاكي من ماردين.

[٨٦٢] ١ حزيران — الاحد

الجمعة اجا سر عسكر لحلب من ارفه.

[٨٦٣] قعد عندي نعوم بن حنا سايغ.

— الاثنين توفي نصري ملتلت الله يرحمه.

[٨٧١] اثنين العنصره شرقي.

— رحنا بستان جنينة الشيخ باب الله وكان معنا كوسا وبنت راجي وسهرهم الكلزي ومرته وزكريا ميناس كندرجي اوغلي وكان نوبات ٣.

[٨٧٢] ٢٢ حزيران ١٨٤٥

صار خبر ان شنقوا اولاد الامير بشير. خبرية.

— الخميس رحنا وبعض الاولاد الى بستان النصيبي.

— الجمعة توفي الشدياق قرالي.

[٨٧٣] ٢٩ حزيران ١٨٤٥

كان عندي حماده الياكوسا نوم قوم.

— الـ ٤ اجت خلعت رعد طاقة جكير بابت غرش ٧٠ ومنديله يظلما ما قبلتها وصمنا الرسل مع الروم هذه الجمعة وبديخوري (سليمان) بالمقامات.

.[٨٨'] الاحد غيمت ورعدت والظاهر صار مطر وافر بعينتاب لان الاربعا اجا زوده مقدار دراع .

— الجمعة عيد الروم (الرسل) ونحن فطرنا معهم .

[٨٨'] الاحد عرس ابن نقولا غزالة لابنت يوسف انطون الزغير.

— الثلاثا مار توما رحت لعين التل وركبت ابن اخي ووقعت وانكسرت البطة وانصدعت يدي .

والسبت حرد عجوري وخوري .

[٨٨'] الجمعة الذين حردوا رجعوا رضيوا.

[٨٩'] الاربعا حبسوا والدي بالمحكمة لاجل ورائه بنت اختي لوسيا ونبشوا عند والدي ٦٠٦ غرش زور من عدم معرفتة باوامر الشرع ونام ليله (بالحبس) وطلع ثاني يوم تحت كفالة جرجي سقال.

والـ ٤ مار الياس شرقي رحت عين التل ووقعت على صلبي لان الحمار كان بلا لجام والحمد لله مو قوي سايلت .

[٨٩'] والاحد اولها ١٥ تموز ١٨٤٥ ش في ٢٧ غربي في ٢٣ رجب ١٢٦١

الاثنين صدفني كلب كلبان وراء العمارة وعضني برجلي اليمين ولكن ما وصل للحم بل لشال الجخجور وقطعه والحمد لله فرحت كتير ولكن ارتعبت ووقعت بالارض من رعبتي منه ونشكر الله ماني مستاهل بل من دعا والدي.

وكان التاريخ في ٣ شعبان ١٢٦١ في ٥ آب ١٨٤٥ في ٢٦ تموز شرقي

وثاني يوم كان عيدي .

وليلتها قاموا اهل الصايح وقتلوا بالليل تلاث كلاب وايضاً ثاني ليلة قتلوا كلاب ايضاً والآن عمال اتكوا.

ودفعت من كرا الحوش ٢٦٠ غرش لحنا الاخرس وباقي لي من الايجار ٦ اشهر ويوم ١٠ .

[٨٩^٢] عمال اشرب قناني للزعبه من الكلب .

– الاثنين والثلاثا سافر زكريا باشا سر عسكر سلطان عبد المجيد وصار فرجه من عندنا اليومين.

– الاربعا بالسهرة شرطت مرأة فتح الله عجوري الساعة ٤؟ لان انطرق رأسها (فترى ان البخاش هو معلم مكتب وهو طبيب جراح يشرط الاذان بالموس ؟ ولا يبعد ان يكون تهديد الاهلين لصغارهم لتأديبهم اذ يقولون لهم ببعتك عند المعلم يشرط لك دانيك من بقايا تلك العوائد التي اكل عليها الزمان وشرب) .

والاثنين والثلاثا والاربعا اتكوا عند البدوية (هو الطب العربي) للشفا. من عضة الكلب .

والخميس اجا خبر نعوم بلابيل (؟) دياب .

والسبت توفي واحد مسلم من بعد الظهر وجمه قلبه ومساء قبروه الله ينجينا من كذا موتة .

[٩٠^١] الخميس اجوا اولاد فتح الله اسود الثلاثة ولما ما مبين بيبقوا ام لا لان ما واجهت ابوهم واولاد ميناس ارسلوا سفاية فستق رطل ٨٢ .

[٩٠^٢] اخذت مقدار وقية ؛ وارسلتها مع الصوصاني[1] صبحية للبيت.

[٩٠^٣] ٢ ايلول ١٨٤٥ ٣ رمضان ١٢٦١

– الثلاثا انكسر خاتمي الالماس واعطيته ليوسف اياته حتى يسيغه.

– ومرأة كوبا بالبرقان (ب) .

وتوفي الياس مخلجي هذه الجمعة الله يرحمه.

[٩١^١] غلقت لخنا الاخرس (وكيل وقف الموارنة) ١١٠ غرش غلاقة سلف حوش المدرسة .

---

١) الصوصاني وجمعه الصواصنة هو الخباز الارمني واصله غالباً من صاصون (راجع برتلي : القاموس العربي الافرنسي ص ٤٥٠)

وصار خبر ان البطرك رسم قس جرجس صعب مطران بالجبل ونزل للشام.

[٩١^٢] صليت في قصر الريحاوي قداس قس شكرالله حوا.

[٩١^٣] - الثلاثا ٢٣ ١٨٤٥ ايلول غربي في ١١ ايلول شرقي في ٢٣ رمضان ١٢٦١

— الاثنين كانوا قسوس الموارنة قاطبة بالبستان

[٩٢^١] — السبت تغير كيفي واكلت دوا. معجون الورد.

— الخميس اكل كوبا شكرالله علقه(١).

[٩٢^٢] ٩ ت ١ ١٨٤٥

الخميس انتها. ١٨ سنة لافتتاحي المكتب وابتدا. ١٩ .

في ٢٨ ايلول ١٨٤٥ ش في ٨ شوال ١٢٦١

الله يحيينا لامثالها ان شا. واراد بجاه اسمه العظيم.

— عدد الاولاد ٥٤ .

[٩٢^٣] رحت بيت نعوم انطاكي وكان عندهم عيزة عرايس وتميت للمسا.

— وسهروا عندنا بيت الياس كبابه.

— الاثنين اكل رفسه كوبا من دلال واذته.

— الاربعا كان عيد اختي كزه واجت نوبسه وسهرنا للساعة ٨ من الليل عصملية .

— الجمعة اجا للمكتب القبطان داسو تفرج على الاولاد .

— الخميس شرطت مرأة فتح الله عجوري.

— الاثنين سافر الحكيم الانكليزي الذي صنعته ان يساوي الشوصان مثل يوسف كوبلي وبنات نصري دب وجرجي كلزي ابن ابراهام ويأخذ على كل واحد ٣٠٠ غرش له و٥٠ لفرمسيس (الصيدلي) الروماني (مساعده).

الا ٧ توفي شكرالله غضبان .

---

١) راجع : برتلسي القاموس العربي الافرنسي ص ٥٤٤

وهذه الجمعة جــدّر جبرا دلال واخوه نصر الله جدري الميه وشار حمصي جدري العاده ومتقل الله يشفيه

[٣٩[١]] الخميس توفت مرأة كوريخ اخوها يوسف كلزي كان محبوس لان عليه دين ومفلس وما معه يعطي.

[٣٩[٢]] الاربعا قلب الرأس وخرابه (لست ادري بمعنى هذه العبارة).

— الخميس اجا التتن رطل ١٦ بسعر ١٥ مشروب الهنا والسرور.

في ٢٩ شوال ١٢٦١ في ٣٠ ت١ ١٨٤٥ غربي

وطلع بازرجي من حوش يوسف الحكيم وسكن بحارة ابو عجور مع جيران لان المذكور حاله متغير كانه مفلس.

[٣٩[٣]] السبت ضيعت مسبحتي المرجان بحارة السيسي وقوام عرفت للكنايس فوصوا عليها.

— الاحد اولها كان عرس ابن الشوحه نعوم لبنت الشمراوي وكان عرس حنا رعد الارمل الى بنت الياس خليل.

والا ٢ رحت بيت الزغبي مع مدام بولص ومرتين وجارلس باركر بكتورين (كذا).

[٤٤[١]] ٢٨ ت ١ ١٨٤٥ شرقي في ٩ ت ٢ غربي

— الاحد اولها عرس ابن زلعوم لبنت شكرالله غزاله[1].

— الخميس انهزم شكرالله كوبا اي ما اتى للمكتب كان عصيان.

— والاحد اولها نبهوا على المسبحة والمرجان فشافها نعوم بن شماس يعقوب

---

١) هو نعمة الله بن شكرالله زلعوم. حظينا باقتناء اثر له مع جملة الوثائق التي ابتعناها من باسيل خوام (حاحا) في حلب ٩ شباط ١٩٥٧. ذلك الاثر هو دفتر مخطوط طوله ١٦ سنتمتر والنصف وعرضه عشر سنتيمترات جلده ورق مقوى لونه ضارب الى الصفار ورقه عادي عدد صفحاته ١٦ كتب عليها صاحبه بالحساب الشرقي بين الصفحة٣و٨ تواريخ خطبته وزواجه وميلاد ابنائه الاحد عشر.

والمتن واضح الا في بعض الالفاظ اردفناها بعلامة الاستفهام لغموضها علينا.

وحلوانها ٦٠ بارة ومصاريف غرش ٥ وراية ام الشرابة الخرز الازرق (عهدت بتصليحها الى الامرأة التي تعرف ذلك ؟).

[٩٤٢] ١٦ ت ت ١٨٤٥ في ٢٣ غربي

الاحد جدرت العروس مرأة نعوم شوحة .

وفي نشر هذه الوثيقة تفسير لما يأتي في مناشير الاساقفة الحلبيين عند توصياتهم بابطال العوائد القديمة في مناسبة الخطبة والزواج فانها تسبب نفقات باهظة مما يحول دون تسهيل امورها على المسيحيين.

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين .

اولاً : علم بيان خطبة كاتبه الفقير الى الله تعالى الغني وحده نعمة الله بن شكرالله زلعوم .

في ٢ تموز ١٨٤٤ موافق ٢٥ ج ١٢٥٩

قد توكلت على الباري تعالى وحده الذي عليه اتكالي وخطبت الست لوسيا كريمة المرحوم شكرالله بن نقولا غزاله من طايفة الروم الملكيين .

علم النقد المرسول من مال كاتبه الى خطيبتي المرقومه اعلاه من مال كاتبه.

المرسول يوم الخطبة من مال كاتبه :

١ دهب بشرة بندقي [سكة بندقية نسبة الى البندقية التي سمى بها العرب مدينة Venice]

١٠	دهبات بندقي
١	جورايه بيضه عال
٤	مناديل قسو قلجق
١	جورايه وسط
٣٠	دهبات بندقي وذلك يوم سلموا علي عمي يوسف في ١٧ ايلول ١٨٤٤
٥	شرحه مع اختي يوم عرس شكري عبود في ٢٥ ايلول ١٨٤٥
٢٥	شرحه مع عمي فتح الله يوم عيد القيامة في ١٥ نيسان ١٨٤٥
٣٠	شرحه يوم المشورة تمت في ٢٣ ايلول سنة ١٨٤٥
١٠	يوم الخطبة مرسولين بموجب جانبه .
١٠٠	هولاء جميعهم مع دهب الكبير قلاده

١٣ كانون الاول ١٨٦٤ من مال كاتبه

١ جلنكه الماس يوم عيدها رسولة مع خوري يوسف حاتم

١ ١٥ نيسان ١٨٦٥ يوم عيد القيامة ريشه الماس عيديه

١ ٢٦ حزيران تحضيره في عرس عمها طاقة صولامي نقشه الملق اذرع ٨

المرسول يوم المشورة في ٢٣ ايلول ١٨٦٥ من مال كاتبه

١ حمل دهب بدنها دهة طوق ٣ وقلب ٢ وصاب ١

١ طاقة عربوش صولامي على ازرق اذرع ٨

١ كبود مخمل مجركس بالطون وجزمه

٣ مناديل قسو قلجق

٣٠ دهبات بندقي

١٥ دهبات محموحي منشان نقشه وحمام

١٨٦٥ صح في ٢٩ تشرين اول يوم الاحد مساء قد تزوجت بقرينتي الست لوسيا ابنت المرحوم شكرالله غزاله اسألك يا رب انا عبدك الخاطي بان تبارك علينا كما باركت على العريس والعروسه بعرس قانا الجليل وتجعلنا بان نعيش بالمحبة والوداعة الى حين نبارح هذه الحياة الفانية وبعده نؤمل ان نجتمع بالملكوت السماوي لنحظى بمشاهدة نور وجهك البهي ونسبحك مع ابنك وروحك الكلي قدسه الصالح وصانع الحياة الان والى ابد الابدين

علم المعطى الى قرينتي وذلك صباحيات يوم العرس نهار الاثنين

١	كردان وقلب وحبسية بلولو	من والدي
١	عصفور الماس	من اخي مقدسي فرج الله
١	قمر الماس	من كاتبه

يوم الثلاثا صباحيات من مال كاتبه

١ شاله كرمان حكرتين

١ طاقه اشلا اسلامبولي

١ نصف ثوب ملس انطكلي

(يتبع)

مختارات من كتاب الباهر في علم الحساب

ينشرها الاستاذ عادل انبوبا

تباشر مجلة المشرق في هذا العدد نشر فصول وافية من كتاب «الباهر في علم الحساب» للسموءل بن يحيى المغربي المتوفى حول سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م في مراغة عاصمة آذربيجان الايرانية قديمًا . وتحتفظ مكتبة آيا صوفيا في استنبول بمخطوط فريد لهذا الكتاب تحت رقم ٢٧١٨ ، وقد اشار اليه ماكس كروز في مقاله عن مخطوطات استنبول الاسلامية . ولم نر تعريفًا لهذا الكتاب في تواريخ الرياضيات او في غيرها فلما وقفنا عليه وتحققنا ما فيه من المعاني الجديدة والقواعد الخطيرة اصبح واجبًا مُلحًا علينا ان ننشره بين الجمهور فيطلع عليه المؤرخون وجميع من تعنيهم الثقافة القديمة . وها نحن فاعلون بفضل ادارة المكاتب العمومية باستنبول التي تلطفت واذنت لنا بنشره بعد ان زودتنا بصورة مصغّرة عنه فللادارة الجليلة اطيب عبارات الشكر والثناء ، ولصديقنا فوزي بك غندور الذي كان لنا خير معين في الحصول على نفائس مخطوطات المكاتب في استنبول ، ولادارة المشرق الغراء التي ما زالت تبث الى أبعد الآفاق كنوز التراث القديم .

تعريف المخطوط

يقع المخطوط في ١١٦ ورقة وتحوي الصفحة منه ١٩ سطرًا والصور فيه كثيرة ، وهو ذو خط واضح ، قليل الاخطاء . وتاريخ النسخ سنة ٧٢٥ هـ ويشير ماكس كروز الى ان حجمه $\frac{1}{2}$٢١ سم في ١٥ .

من صفات المخطوط ان الحروف كثيرًا ما ينقصها النقاط ، سيما حرف المضارعة وقد اثبتنا النقاط دون تنبيه الّا فيما ندر . وأثبتنا الهمزة كذلك على كثرة نقصانها ، ونشير الى ان كرسيها كثيرًا ما يختلف عن المألوف في عصرنا وقد احتفظنا ببعض نماذج من كتابته . كما ان الثلاثة والثانية تردان بكثرة دون حرف الالف . وقد كتب الصفر في الجداول المنشورة مرة بشكل قريب من الحرف اليوناني ٪ وسبع مرات بشكل قريب من ÷ في الجداول ٤ ; ٦ ; ٧ ; ٩ ; ١٠ حسب ترتيبنا .

اصطلاحاتنا

« بمعنى كذا في الاصل، للدلالة سواء على خطأ نتحاشى تصحيحه او على فائدة جديرة بالتنبيه.

[ ] الكلمة الواقعة داخل هذين الخطين هي من اضافتنا ؛ ونعتبر انها سقطت من الاصل سهوًا عند النسخ .

[ ] العدد داخل هذه الخطين يحيل الى كلمة او شيء آخر نذكره في الحاشية ونعتبر انه من زيادة الناسخ.

العدد في الحاشية السفلى نتبعه عادة اللفظة كما جاءت في المخطوط .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب تمم بفضلك

قال السموءل بعد حمد الله على سني آلائه وهني نعمائه والصلوة على محمد خاتم انبيائه وعلى آله وصحبه واصفيائه . هذا الكتاب الذي جمعنا فيه اصول صناعة الجبر والمقابلة وبرهنا منها على ما لم نجد احدًا برهن عليه وكملنا بما اودعناه من الاعمال المبتكرة والاشكال المبتدعة ما كان في ايدي الناس من هذه الصناعة وعللنا فيه ما زعم فيثاغورس انه ادركه بطريق الوحي وجئنا به صفوًا متزهاً من التمويهات والشوائب لم نخلط كلامنا بكلام من تقدمنا لكنا نسبنا الى اقدم من نقل ذلك عنه وقسمناه الى اربع مقالات تنفرد كل واحدة منها بمعنى فمهدنا في المقالة الاولى الطريق الى التصرف في المجهولات بجميع الادوات الحسابية كما يتصرف الحاسب في المعلومات * والترمنا البراهين على جميع قضاياه * وضمّنا المقالة الثانية من الاصول التي تنحلّ بها المسائل الجبرية ويستعان بها على اخراج المجهولات مما لا يخفى تلد شرفه عمن تقدم له اطلاع على ما ألفه الناس في ذلك . واستقصينا في المقالة الثالثة الكلام على حساب المقادير الصم والتصرف فيها بابواب الحساب حتى جعلنا المنطق والاصم عند متفهمها سيان * ثم ختمنا الكتاب بمقالة رابعة في تقاسيم المسائل ليوقف منها على نوعية كل مسئلة ترد وما يصلح ان تسمى به . ولا غناء[1] لمتفهمه عن علم عشرة« مقالات من كتاب الاصول لاقليدس . وكان قد طالع بعض كراريسه عند فراغي من سطره من مشايخ العلم والدين الامام ناصر الدين ابرهيم الباكوهي رحمه الله وكان من (ص ٢) الراسخين في العلوم المعقولة والمنقولة فاستعظم امر الكتاب وذهب في الاعجاب كل مذهب وسألني تفويض تسميته اليه فاجبته الى ذلك فسماه الباهر وعهد الي بصيانته لانه وجد قريحتي قد سمحت به في غرة الحداثة والسن تسعة عشر فبدأت بمعاملته بوصيته واستدمت صيانته

١) غنا .

الى ان انتشر من تأليفاتي في هذه العلوم ١٠ لا يتيسر لي احصاؤه كثرة وكثر التشفع من الاخوان الي في ابرازه وسرى من صيته قبل اخراجه مـا يـكفل باعزازه فابعثت أكرمهم علي به ❊ وهذا فهرست مقالاته وابوابه .

المقالة الاولى من الـكتاب الباهر

في المقدمات والضرب والقسمة والنسبة واستخراج الجذور وهي خمسة ابواب .

الباب الاول : في مقدمات يحتاج اليها وهو فصل واحد
الباب الثـاني : في الضرب وفيه فصلان
الفصل الاول في ضرب العددُ المفرد
الفصل الثاني في ضرب العدد المركب
الباب الثالث : في القسمة وفيه فصلان[٢] (ص ٢ب)
الفصل الاول في قسمة المقادير المفردة
الفصل الثاني في قسمة المقادير المركبة
الباب الرابع : في النسبة وفيه فصلان[٢] (ص ٢ب)
الفصل الاول في كيفية النسبة
الفصل الثاني في نسبة المقادير التي يعبر عنها بلفظ القسمة
الباب الخامس : في الجذور وفيه فصلان
الفصل الاول في استخراج جذور الاعداد المعلومة الصورة المفردة
الفصل الثاني في اخذ جذور الاعداد والمقادير المركبة المعلومة الصورة

المقالة الثانية من الـكتاب الباهر

في استخراج المجهولات وهي ابواب

الباب الاول : في ان صناعة الجبر جزء من صناعة التحليل وهو فصل واحد

٢) هذان السطران يقعان في آخر الصفحة ٢ا من المخطوط ويقع ما بينهما (اي الجملة من الفصل الاول الى المقادير المركبة) في اول الصفحة التالية .

الباب الثـاني : في المسائل الست الجبرية وفيه فصلان
الفصل الاول في المسائل الثلث المفردة الجبرية
الفصل الثاني في المسائل المقترنة

الباب الثالث : في الاستقراء وفيه ٤ فصول[٣] (ص ٣أ)
الفصل الاول في استقراء فيما يكون من مرتبة واحدة يعادل[٤] مربعاً او مكعباً
الفصل الثاني فيما يكون من مرتبتين متواليتين زائدين كانا او احدهما مستثنى من الآخر
الفصل الثالث فيما يكون من مرتبتين بينهما مرتبة خالية
الفصل الرابع فيما يكون من ثلث مراتب[٥] تعادل مربعاً

الباب الرابع : في براهين هندسية يستعان بها على استخراج المجهولات العددية وهو فنان[٣] (ص ٣أ)
الفن الاول في الاصول العددية
الفن الثاني في الاصول الخطوطة

الباب الخامس : في الباب الجامع المعروف بالخطأين وهو الفصل الاول فيما يعتقده قسطا بن لوقا في ذلك

المقالة الثالثة من الكتاب الباهر

في المقادير الصم وهي جملتان

الجملة الاولى : في كيفية استعمال الادوات[٦] الحسابية في المقادير الصم وهي اربعة[٧] ابواب

الباب الاول : في مقدمات يحتاج اليها في هذه المقالة

٣) يقع هذان السطران في آخر الصفحة ٢ب من المخطوط ويقع ما بينهما في اول الصفحة التالية .
٤) يعال .
٥) مرات .
٦) الادواب .
٧) خمسة .

الباب الثاني : في ضرب المقادير الصم المفردة وهو اربعة فصول
الفصل الاول في ضرب المقادير المنطقة بالقوة فقط
الفصل الثاني في ضرب المقادير التي مكعبها منطق في الطول
الفصل الثالث في ضرب المقادير التي تسمى موسطة[٨]
الفصل الرابع في ضرب مقدارين مختلفي[٩] المرتبة
الباب الثالث : في قسمة المقادير الصم المفردة وهو فصل واحد
الباب الرابع : في جمع المقادير الصم ونقصانها وهو ثلثة فصول
الفصل الاول في جمع المقادير المنطقة في القوة والقابها
الفصل الثاني في جمع المقادير التي مكعباتها معلومة وتفريقها
الفصل الثالث في جمع المقادير المشتركة الموسطة[٨] وتفريقها

الجملة الثانية : في كيفية وجدان الخطوط[١٠] المركبة وهي ستة ابواب
الباب الاول : في ذكر اسماء الخطوط المركبة ومعرفة اقسامها
الباب الثاني : في علم القرائن التي يحتاج اليها في علم الخطوط المركبة
الباب الثالث : في المشاركة بين المقادير
الباب الرابع : في ضرب المقادير المركبة
الباب الخامس : في القسمة على المقادير[١١] المركبة
الباب السادس : في استخراج جذور المقادير الصم المركبة

المقالة الرابعة

في تقاسيم المسائل وهي ثلثة ابواب

الباب الاول : في المسائل الواجبة
الباب الثاني : في ذكر المسائل التي يقال لها الممكنة
الباب الثالث : قول[١٠] على المسائل الممتنعة (ص ٤٠)

٨) متوسطة . ٩) مختلفتي .
١٠) هذه اللفظة ممحوة جزئياً في المخطوط .
١١) بمقادير .

في الباب الاول من المقالة الاولى وهو فصل واحد 'يعرّف السموءل عن قوى المجهول :
وتنويرًا القراء نقول ان الشيء (او الجذر او الضلع) ، والمال (او المربع او المجذور) ، والمكعب(١٢) ، ومال المال ، ومال الكعب ، وكعب الكعب ، ومال مال الكعب ، تقابل في اصطلاحنا الحديث س ، س٢ ، س٣ ، س٤ ، س٥ ، س٦ ، س٧ . . .
ويقابل جزء الشيء ، جزء المال ، جزء الكعب ، جزء مال المال . . . ١/س ، ١/س٢ ، ١/س٣ ، ١/س٤ . . .

والسموءل في هذا الفصل يحذو حذو الكرجي في كتابه الفخري(١٣) ويستشهد به ويدافع عنه ، الا انه يتصوّر شيئًا جديدًا في عالم الجبر وهو وضعه قوى المجهول على خط مستقيم فيمين للعدد رتبة الصفر ، وللشيء رتبة الواحد ، وللمال الاثنين وهلم جرًا ، واذا به يخطو الخطوة الظافرة الى معنى الدليل العصري ويتسنى له بذلك وضع قواعد ضرب القوى وقسمتها الموجبة منها والسلبية(١٤) ، بما لا يختلف عن قواعدنا الحديثة الا بطريقة التمثيل .

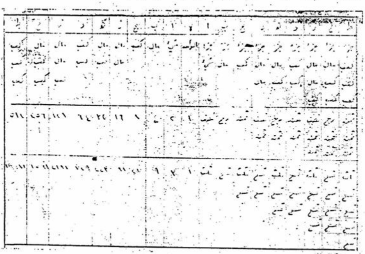

١٢) ويأتي كعب العدد بمعنى مكعبه وبمعنى جذره التكعيبي .
١٣) انظر ص ٢ من مخطوط المكتبة الوطنية بالقاهرة : كتاب الفخري لابي بكر الكرخي ٥ ر٣١٢ والكرخي تصحيف للكرجي .
١٤) ولا نعني بذلك ان السموءل توصل الى معنى العدد السلبي فالعرب ما زالوا يجهلون الاعداد الموجبة والسلبية في تاريخهم .

◻ في المخطوط خطأ ٣٦٠٣

الاشارة في منتصف السطر الاول فوق الواحد معناها صفر .

ونشر فيما يلي جدول القوى كما جاء في نهاية الباب الاول ص ٥ب ، والسطران الاخير ان منه يدلّان على سبيل التمثيل على قوى ٢ و٣ . أما أحرف الجمل الموجودة في السطر الاول ا ب ج د ه و ز ح ط فتدل كما هو معروف على الأعداد التسعة الاولى ١ ، ٢ ، ... ، ٩ .

الباب الثاني من المقالة الاولى في الضرب وهو فصلان (ص ٦ ا)

الفصل الاول في ضرب العدد المفرد

لما كان الضرب طلب عدد نسبته الى احد المضروبين كنسبة المضروب الآخر الى الواحد وجب ان يكون بُعْد مرتبة مسطح ما في كل مرتبتين من هذه المراتب[١٥] من مرتبة احد المضروبين كبعد مرتبة المضروب الاخر من الواحد فان كانا في جهتين مختلفتين[١٦] عددنا من مرتبة احد المضروبين بقدر بُعْد المضروب الاخر عن الواحد ويكون العدد« في جهة الواحد وان كانا في جهة واحدة عددنا في خلاف جهة الواحد مثاله اردنا ان نضرب مالين في خمسة كعاب فضربنا ٢ في ٥ خرج من الضرب ١٠ ووجدنا مرتبة الاموال هي الثالثة من الواحد فعددنا ثلث مراتب من مرتبة الكعب في خلاف جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة مال كعب فعلمنا ان الحاصل من الضرب عشرة اموال كعب ❊ وان شئنا جمعنا الفاظ المضروبين يكون مال كعب وهو اسم مرتبة الحاصل من الضرب . ومثال ثاني« اردنا ان نضرب جزء كعب في جزء مال مال فوجدنا مرتبة جزو« مال مال هي الخامسة من الواحد فعددنا خمس مراتب من مرتبة الكعب في خلاف جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة جزء مال مال كعب وهي مرتبة الحاصل من الضرب. وايضاً فانا وجدنا في الجدول بازاء مرتبة جزء الكعب ج وبازاء مرتبة جزء مال مال د فجمعناهما فكانا ز وبازائها من المراتب جزو« مال مال كعب. وان شئنا جمعنا الفاظ المضروبين واسقطنا الجزء من الوسط فيكون مرتبة الخارج من الضرب جزو« مال مال كعب . ومثال ثالث ٣ اجزاء مال في ٧ كعاب فضربنا ٣ في ٧ فخرج ٢١ ووجدنا مرتبة الكعب هي(ص ٦ب)

١٥) المراد من مسطح ما في كل مرتبتين من هذه المراتب حاصل ضربهما .

١٦) اي مختلفتي الاتجاه بالنسبة للواحد في السطر الثاني من الجدول .

الرابعة من الواحد فعددنا من مرتبة جز. المال اربع مراتب في جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة الشي. فعلمنا ان الحاصل من الضرب في مرتبة الاشيا. فهي ٢١ شيئاً . وايضاً فانا وجدنا مرتبة جزو« المال هي الثالثة من الواحد فعددنا من مرتبة الكعب ٣ مراتب في جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة الشي. ❊ وان شئنا اخذنا الفضل[١٧] بين العددين اللذين[١٨] بازا. مرتبتي المضروبين وهما ب ج فنجده واحدًا ووجدنا بازائه في جهة المضروب الذي كان العـدد الذي بازائه اكبر ، مرتبة الاشيا. ❊ ومثال رابع اردنا ان نضرب خمسة اجزا. مال في عشرة اموال فضربنا خمسة في عشرة فخرج من الضرب خمسون وهي آحاد لان مسطح كل مقدار في جزءه يكون واحدا ❊ وقد وضعنا جدولا يعرف به مرتبة الحاصل من الضرب والقسمة والجذر والكعب في الاعداد المفردة وهذه صورته[١٩]

١٧) الفصل .

١٨) الذين .

١٩) هنا جدول فارغ .

ويتابع السموءل عرضه لضرب المفردات فيشرح في الست عشرة صفحة التالية : ٧ا – ١٤ب ، قواعد ضرب عدد في كسر وكسر في كسر ، كما ينطق بها الكرجي في الفخري . لكن الكرجي لا يصحب القواعد ببراهينها بل يرجئ العلل الى شرح كتابه . والظاهر انه أخلف بوعده ولم يحرر الشرح وظن الرياضيون بعده يستعملون القواعد دون بيان عللها ، فكان على السموءل ان يدعمها بالبرهان وهذا ما فعل. الّا انه لم يكتف بحجة واحدة للقاعدة بل قدّم برهاناً عددياً وبرهاناً هندسياً . والمثل العددية تعتمد مقالات اقليدس العددية في كتابه المشهور بالاصول في الهندسة[٢٠] وكذلك قل عن البراهين الهندسية .

ولا شك عندنا مطلقاً ان بعض قواعد ضرب الكسور المنسوبة الى الكرجي سابقة لأوانه بكثير ولا يمكننا ان نوافق السموءل على ما قاله في مقدمته انه نسب الكلام الى أقدم من نقل ذلك عنه . ولا يصرح السموءل عن موقع القاعدة $\frac{ب}{ج} \cdot د = \frac{ب د}{ج}$ في مؤلفات الكرجي بل يكتفي بقوله ان الكرجي ذكرها في موضع آخر ، ولم نهتد اليها لا في الفخري ولا في الكافي وقد تكون في كتاب مفقود .

في ما يلي ، نموذج من براهين السموءل وفيه فكرة كافية عن سواه من البراهين .

(ص ١٧ ا) قال الكرجي : ومن المفرد عشرة مقسومة على شي في عشرة والعمل في ذلك ان نضرب عشرة في عشرة يكون ماية فقيل « المبلغ ماية مقسومة على شي. وهو الجواب[٢١] الا ترى انك اذا فرضت الشي.[٢٢] اربعة كان عشرة مقسومة على شي. ٢ ونصفاً ودرهمان ونصف اذا ضربتها في عشرة خرج خمسة وعشرون وهي بمنزله ماية مقسومة على شي.

قال السموءل : ليس ينبغي ان يوثق بالتجربة والتمثيل الجزئي في المسايل العددية والحسابية لان كثيراً من القضايا يظن بها انها كلية ولا تصدق الّا في امثلة جزئية مثل قولنا كل عددين فان الفضل بين مربعيها مساو لثلثة امثال مربع اصغرهما فاذا فرضنا العددين اثنين واربعة أو ثلثة وستة أو اربعة وثمنية أو خمسة وعشرة وجد هذا الحكم فيها وليس يصدق في الاثنين والثلثة ولا في الثلثة والاربعة ولا في الخمسة والسبعة واذا نظرنا في هـذه القضية علمنا ان اختلالها لانها مفتقرة الى شريطة زائدة حتى تصير صادقة فيصير كل عددين

٢٠) والاصح ان يسمى الاصول في الهندسة والعدد .

٢١) انظر الفخري ص ٣ب س ٥

٢٢) شي. .

يكون احدهما مثلي الاخر فان الفضل بين مربعيها ثلثة امثال مربع اصغرهما واذا كان التمثيل لا يفيدنا يقيناً ولا يوقفنا على علة صحة القضية الصادقة ولا علة بطلان الكاذبة فيجب ان لا نثق الا بالبراهين العقلية فلنبرهن على صحة ما قاله الكرجي برهاناً عددياً هكذا

اذا قسم عدد على عدد وضرب الخارج من القسمة في عدد ثالث فان الحاصل من الضرب مساو لما يخرج من قسمة مسطح العدد المقسوم في العدد الثالث على العدد المقسوم عليه مثاله ان عدد ا قسم على (ص ٧٧ب) ب فخرج ج وضرب ج في عدد اخر وليكن د فخرج من الضرب عدد ه وضرب ا في د فخرج ز [٢٣] وقسم ز على ب فخرج ح فاقول ان عددي ه ح متساويان * برهان ذلك فلان عدد د ضرب في عددي ا ج فخرج من الضرب عددا ز ه [٢٣] فنسبة ا إلى ج كنسبة ز [٢٣] إلى ه فه [٢٤] يعد ز مثل ما يعد ج ا لكن ج يعد ا باحاد ب فه [٢٤] يعد ز باحاد ب ولكن ز قسم على ب فخرج ح فح يعد ز باحاد ب وقد كان ه يعد ز باحاد ب فه [٢٤] يعد ز مثل ما يعد ح ل ز فعددا ه ح متساويان وذلك ما اردنا أن نبين

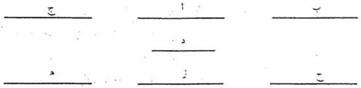

ولنبرهن على هذا برهاناً هندسياً فلنقسم عدد سطح ا ز [٢٣] على عدد خط ا ج وليخرج من القسمة ا ب ولنضرب ا ب في عدد آخر وهو ا د وليخرج من الضرب سطح ا ه فاقول ان سطح ا ه مساو لما يخرج من قسمة الخارج من ضرب سطح ا ز [٢٣] في ا د على ا ج * برهانه فلان سطحي ا ز [٢٣] ا ه ارتفاعها واحد يكون نسبة احدهما الى الاخر كنسبة ب ز [٢٣] الى ب ه كما بيّن

٢٣) في المخطوط حرف ز بلا نقطة .

٢٤) مه .

اوقليدس في ١ من ٦ من كتاب الاصول فضرب عدد سطح ا ز[٢٢] الاول في به الرابع مساو لضرب سطح ا ه الثاني في بز[٢٢] الثالث فاذا ضرب عدد سطح ا ز[٢٢] في به وقسم المبلغ على بز[٢٢] خرج من القسمة سطح ا ء وذلك ما اردنا ان نبين ❊ وان كان الذي ضرب في اب اصغر من ا ج جعلناه مثل عدد ا ج واتخذنا (ص ٨ب) ا د عوضاً من ا ج ويكون تدبيره كالاول ❊ فقد تبين انه الحاصل من قسمة العشرة على شي. اذا ضرب في العشرة الاخرى كان المبلغ مساوياً لما يحصل من قسمة مسطح العشرة والعشرة الاخرى على الشي. وايضاً فان هذا المال الجزوي« الذي افترضه ابو بكر لا يحتاج الى هذا العمل لان عشرة مقسومة على شي. هي عشرة اجزاء شي. واذا ضربناها في عشرة حصل مايه جزء شي. وهو مائة مقسوم على شي. .

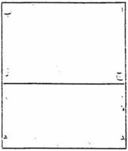

الباهر ص ١٥ب س ١٥[٢٥]

الفصل الاول من الباب الثالث من المقالة الاولى

في قسمة المقادير المفردة

القسمة هي معرفة ما في المقسوم من امثال المقسوم عليه والقسمة طلب عدد اذا ضرب في المقسوم عليه خرج المقسوم فواجب اذن ان يكون الحاصل من قسمة كل مرتبة على الآحاد تلك المرتبة والحاصل من قسمة (ص ١٦ب) الاحاد على كل مرتبة جزء تلك المرتبة والحاصل من قسمة كل مرتبة على جنسها احاد ❊ واذا اردنا ان نقسم مقدارًا من هذه المراتب على مقدار اخر من مرتبة اخرى وكان العددان في جهة واحدة عددنا من مرتبة الواحد الى مرتبة المقسوم عليه فما كان عددنا مثله من مرتبة المقسوم نحو الواحد وان كانا في جهتين مختلفتين عددنا في خلاف جهة الواحد

٢٥) في ترقيم صفحات المخطوط ، اعتبارًا من ص ١١ ، تشويش صححناه .

فحيث انتهينا من المراتب فهي رتبة الحاصل من القسمة مثاله اردنا ان نقسم ٨ اموال كعب على اربعة اموال فقسمنا ٨ على ٤ فخرج ٢ ووجدنا مرتبة الاموال هي الثالثة من الواحد فعددنا من مرتبة مال كعب ثلثا في جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة الكعب فعلمنا ان الحاصل من القسمة كعبان ❊ ومثال ثاني« اردنا ان نقسم اربعة وعشرين ،الا على ٦ كعاب كعب فقسمنا ٢٤ على ٦ فخرج من القسمة ٤ ووجدنا مرتبة كعب الكعب هي السابعة من الواحد فعددنا من مرتبة المال سبعا في جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة جزء مال مال فعلمنا ان الحاصل من القسمة اربعة اجزاء مال مال . ومثال ثالث اردنا ان نقسم ١٦ جزء كعب على جزئي مال كعب قسمنا ١٦ على ٢ فخرج ٨ ووجدنا مرتبة جزء مال كعب هي السادسة من الواحد فعددنا من مرتبة جزء الكعب ستة في جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة المال فعلمنا ان الحاصل بالقسمة ٨ اموال . ومثال رابع اردنا ان نقسم مابة جزء[٣٦] مال مال كعب (ص ١٦ ب) على ٢٥ جزء مال كعب فقسمنا مابة على ٢٥ فخرج من القسمة ٤ ووجدنا مرتبة جزء مال كعب هي السادسة من الواحد فعددنا من مرتبة جزء مال مال كعب ستا في جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة جزء المال فعلمنا ان الحاصل من القسمة ستة اجزاء مال ولو اخذنا الفضل بين الفاظ المقسوم والمقسوم عليه لوجدناه مالا فالحاصل من القسمة في مرتبة جزئه[٣٧] ❊ ومثال خامس اردنا ان نقسم ١٨ مال كعب على ثلثة اجزاء كعب فقسمنا ١٨ على ٣ فخرج من القسمة ٦ ووجدنا مرتبة جزء الكعب هي الرابعة من الواحد فعددنا من مرتبة مال كعب اربعا في خلاف جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة مال كعب كعب فعلمنا ان الحاصل من القسمة ستة اموال كعب كعب وان شئنا جمعنا الفاظ المضروبين واسقطنا الجزو« فيكون مال كعب كعب وهو اسم المرتبة . ومثال سادس اردنا ان نقسم ٣٧ جزء مال على كعب كعب قسمنا ٣٧ على ١ فخرج من القسمة ٣٧ ووجدنا مرتبة كعب كعب هي السابعة من الواحد فعددنا من مرتبة جزء المال سبعا في خلاف جهة الواحد فانتهينا الى مرتبة جزء مال كعب كعب وهو اسم مرتبة الحاصل

٣٦) جزو .

٣٧) جزوه .

من القسمة والحاصل يكون ٢٧ جزء. مال كعب كعب وان شئنا جمعنا الفاظ العددين يكون جزء. مال كعب كعب وقد سبق لنا جدولان في باب الضرب يستخرج بهما مراتب الضرب والقسمة والجذر والكعب *

الفصل الثاني من الباب (ص ١٧) الثالث من المقالة الاولى
في قسمة العدد المركب

قال السموءل : لما كان العدد المركب مؤلفاً من مراتب مفردة وكانت القسمة عكس الضرب سهلت قسمة العدد المركب على من عرف قسمة المفرد وسهلت قسمة المفرد على من عرف ضرب العدد المفرد وقد تقع مسائل كثيرة يفتقر في استخراجها الى اصل يعتمد عليه ولم يذكر احد فيها منهاجاً فوضعنا لها طريقاً نهجا في كل ما يمكن قسمته من هذه الاعداد المعلومة الصورة ولنوضحها بمثال جزوي« . نريد ان نقسم ٢٠ كعب كعب ومالي كعب و ٥٨ مال مال و ٧٥ كعباً ومائة وخمسة وعشرين مالا و ٩٦ شيئا و ٩٤ احدا ومائة واربعين [جزء شيء وخمسين] جزء مال وتسعين جزء كعب وعشرين جزء مال مال على كعبين وخمسة اشيا. وخمسة احاد وعشرة اجزاء شي فوضعناهما على النظم الطبيعي ووضعنا في كل مرتبة خالية صفرا هكذا

مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء كعب	مرتبة جزء مال	مرتبة جزء شيء	مرتبة الآحاد	مرتبة الأشيا	مرتبة الأموال	مرتبة الكعب	مرتبة مال مال	مرتبة مال كعب	مرتبة كعب كعب
٢٠	٦٠	٥٠	١٤٠	٦٤	٩٦	١٢٥	٧٥	٥٨	٢	٢٠
						١٠	٥	٥	٠	٢

▯ كب .

٩٩ ▯▯

١٠ ▯▯▯

وقسمنا اعظم مراتب المقسوم على اعظم مراتب المقسوم عليه فخرج من القسمة عشرة كعاب فنضعها[٢٨] في مرتبة[٢٩] بازاء ٧٥ ثم نضربها في المقسوم عليه ونلقي ما يرتفع من ضربه في كل مرتبة مما فوقها وننقل المقسوم عليه الى اليمين مرتبة كما نفعل في الحساب الهندي فيصير على ما في هذه الصورة (ص ١٧ب)

مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء الكعب	مرتبة جزء المال	مرتبة جزء جزء الشيء	مرتبة الآحاد	مرتبة الشيء	مرتبة المال	مرتبة الكعب	مرتبة مال المال	مرتبة مال كعب
							١٠		
٢٠	٩٠	٥٠	١٤٠	١٤	٩٦	٢٥	٢٥	٨	٢
					١٠	٥	٥	٠	٢

ثم نطلب اعظم عدد يكون مضروبه في المقسوم عليه ليس باعظم من الذي بقي من المقسوم فنجده واحدا فنضربه في المقسوم عليه ونلقي الحاصل من ضربه في كل مرتبة مما بازائها وننقل المقسوم عليه مرتبة الى اليمين فيصير على ما في هذه الصورة

مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء الكعب	مرتبة جزء المال	مرتبة جزء الشيء	مرتبة الآحاد	مرتبة الشيء	مرتبة المال	مرتبة الكعب	مرتبة مال مال
						١	١٠	
٢٠	٩٠	٥٠	١٤٠	٩٤	٨٦	٢٠	٢٠	٨
				١٠	٥	٥	٠	٢

ثم نطلب اعظم عدد يكون مضروبه في كل مرتبة من مراتب المقسوم عليه ليس باعظم مما في المرتبة التي فوقها فنجده اربعة فنضعه قبل الواحد ونضربه

٢٨) فنضعها .

٢٩) لعله سقط في النسخ لفظة الكعاب

في مراتب المقسوم عليه ونلقي المبلغ مما فوقه وننقل المقسوم عليه الى اليمين فيبقى كما في هذه الصورة

مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء الكعب	مرتبة جزء المال	مرتبة جزء الشيء	مرتبة الآحاد	مرتبة الاشياء	مرتبة الاموال	مرتبة الكعاب
					٤	١	١٠
٢٠	٦٠	٥٠	١٤٠	٥٤	٦٦	٠	٢٠
			١٠			٠	

ثم نطلب اعظم عدد يكون مضروبه في المرتبة الاخيرة من مراتب المقسوم عليه ليس باعظم مما فوقها فنجده عشرة فنضعه قبل الاربعة ونضربه في السطر الاسفل ونلقي المبلغ من السطر الاوسط ثم ننقل المقسوم عليه (ص ١٨١) مرتبة الى اليمين ونطلب عدداً كما تقدم فلا نجده فنضع قبل العشرة التي في السطر الاعلى صفراً ثم ننقل المقسوم عليه مرتبة الى اليمين فيصير كما في هذه الصورة الخامسة

مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء الكعب	مرتبة جزء المال	مرتبة جزء الشيء	مرتبة الآحاد	مرتبة الشيء	مرتبة المال	مرتبة الكعب
			٠	١٠	٤	١	١٠
٢٠	٦٠	٥٠	٢٠	٤	١٦		
	١٠	٥	٥	٠	٢٠		

ثم نطلب عدداً كما تقدم فنجده ٨ فنضعه قبل الصفر ونضربه في السطر

الاسفل ونلقيه مما فوقه وننقل المقسوم عليه مرتبة الى اليمين فيصير على ما في هذه الصورة السادسة .

مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٠	١	[illegible]	١٠	٠	٨		
			[illegible]	٠	١٠	١٠	٢٠
			[illegible]	٠	[illegible]	[illegible]	١٠

ثم نطلب عددًا كما تقدم فنجد ٣[30] فنضربه في المقسوم عليه ونلقي المبلغ من الباقي فلا يبقى شي. ونجمع السطر الاعلى فيكون عشرة كعاب ومال واربعة اشياء وعشرة احاد وثمنية اجزاء مال وجزءا كعب وهو الحاصل من القسمة .

ثم يعطي السموأل مثالا على قسمة كمية جبرية فيها حدود ناقصة ، فيقسم

٦ س^{٨} + ٢٨ س^{٧} – ٦ س^{٦} – ٣٨ س^{٤} + ٩٢ س^{٣} + ٢٠ س – ٨٠ س^{٥} – ٢٠٠ س^{٢}

على ٢ س^{٥} + ٨ س^{٤} – ٢٠ س^{٢} .

ويستعمل بهذه المناسبة القواعد التي ابتكرها لطرح كميات ناقصة وزائدة بعضها من بعض وهي القواعد المستعملة حاليًا . ونورد الجدول الاول من القسمة

٣٠) ٢٠ في المخطوطة 8 بدل الصفر .

ص ١٨ب س ١

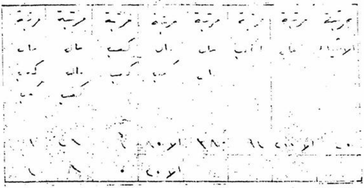

في المثالين المذكورين كانت القسمة تنتهي الى بقية صفر . وينتقل السموءل في الفصل التالي الى أعمّ حالات القسمة حيث لا تنعدم البقية .

ص ١٩أ س ١٥

الفصل الاول من الباب الرابع من المقالة الاولى

في النسبة

قال السموءل : وهذا الباب ايضاً لم يذكر احد فيه طريقاً جامعاً وقد وضعنا فيه بتأييد الله اصلاً يعتمد عليه ويرجع في نسبة الاجزاء الصمّ المجهولة اليه ولنوضحه بمثال(١) جزئي هكذا . نريد ان ننسب او نقسم ٢٠ مالا و ٣٠ شيئا الى او على ٦ اموال واثنا(٢) عشر (ص ١٩ب) احداً فلنضعهما كما في الصورة الاولى(٢)

١

مرتبة الآحاد	مرتبة الأشيا	مرتبة الاموال
	٢٠	٣٠
١٢	٠	٦

(١) مثال .

ونسلك في النسبة طريق القسمة فيخرج من القسمة ثلثة وثلث وهي احاد فوضعناها في مرتبة الاحاد وضربناها في ٦ والقينا المبلغ مما فوقها فلم يبق شيء. وضربناها في الاثني عشر فخرج ٤٠ نقصناها مما فوقها ونقلنا السطر الاسفل مرتبة الى اليمين فصار كما في الصورة الثانية . ثم نطلب عدداً نضربه في الستة

ب

مرتبة الاشيا	مرتبة الاموال	مرتبة اجزا الشيء
	ثلثة وثلث	
٢٠	الا ٤٠	
٦	٠	١٢

يكون ٣٠ فنجده ٥ فنضربه في المقسوم عليه ونلقي الحاصل من السطر الاوسط وننقل المنسوب اليه مرتبة الى اليمين[٣٣] كما في الصورة الثالثة . ثم

ج

مرتبة الاحاد	مرتبة اجزا الشيء	مرتبة اجزا المال
ثلثة وثلث	٥	
الا ٤٠	الا ٦٠	
٦	٠	١٢

نطلب عدداً اذا ضربناه في الستة كان ٤٠ ناقصة فنجده ستة وثلثين ناقصة

٣٢) في الجدول آ وقع في المخطوط ثلاثة اخطاء، اذ جاء ٣٠ في البيت الاعلى من مرتبة الاموال وفي البيت الاوسط ٦ وفي الاسفل لا شيء .

٣٣) خطأً ٣ بعد لفظة اليمين .

خطأً الا ٢٠

فنضربه في المقسوم عليه ونلقي المبلغ مما فوقه وننقل المقسوم عليه مرتبة الى اليمين فيصير كما في الصورة الرابعة . (ص ١٢٠) ثم نطلب عددًا نضربه في الستة فيكون

مرتبة جزء كعب	مرتبة جزء مال	مرتبة جزء شيء	مرتبة الآحاد
	الا ٦٧ وثلثي	٥	٢ وثلث
	٨٠	الا ٦٠	
١٢	٠	٦	

٦٠ ناقصة فنجده عشرة ناقصة فنضعها[٣٤] قبل الستة وثلثي «[٣٥] ونضربها في جميع السطر الاسفل وننقص ذلك مما فوقه فيبقى كما في هذه الصورة الخامسة .

مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء كعب	مرتبة جزء مال	مرتبة جزء شيء	مرتبة الآحاد
	الا ١٠	الا ٦٧ وثلثي	٥	٢ وثلث
	١٢٠	٨٠		
١٢	٠	٦		

ثم نطلب عددًا نضربه في الستة فيكون ٨٠ فنجده ١٣ وثلث « فنضمه بعد العشرة ونضربه في جميع السطر الاسفل ونلقيه مما فوقه وننقل المقسوم عليه

٣٦) فيضها .

٣٥) وردت لفظة « وثلثي » في الجداول د د و ز ح و « التاسعة » حيث حافظنا عليها .

مرتبة الى اليمين فيصير كما في الصورة السادسة[٣٦] . ثم نطلب عدداً نضربه في

مرتبة جزء مال كعب	مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء كعب	مرتبة جزء مال	مرتبة جزء شيء	مرتبة الآحاد
	١٢ و ثلث	١ ر ١٠	١ ر ٢ و ثلثي	٥	٢ و ثلث
	١ ر ١٦٠	١٦٠			
١٢	٠	٩			

و

الستة فيكون ١٣٠ فنضعه قبل الثلثة عشر وثُلث ونضربه في المقسوم عليه ونلقيه مما فوقه وننقل المقسوم عليه مرتبة الى اليمين فيصير كما في الصورة السابعة ❊

ز

مرتبة جزء كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب	مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء كعب	مرتبة جزء مال	مرتبة جزء شيء	مرتبة الآحاد
	٥٠	١٢ و ثلث	١ ر ١٠	١ ر ٢٦ و ثلثي	٥	٢ و ثلث
	١ ر ٢٤٠	١ ر ١٦٠				
١٢	٠	٦				

ثم نطلب عدداً نضربه في ٦ فيكون ١٦٠ ناقصة فنجده ٢٦ وثلثي « ناقصة فنضعه[٣٧] وننقل المقسوم عليه مرتبة الى اليمين فيكون الباقي كما في

٣٦) في الجدول و جاء الا ١٠ بدلاً من الا ١٦٠ . وفي الجدول ز جاء ١٢ وثلث بدلاً من ١٣ وثلث .

٣٧) هنا جدول فارغ اشير اليه بلفظة مكرر .

الصورة الثامنة . ثم نطلب عدداً نضربه في ٦ فيكون ٢٦٠ ناقصة فنجده ٤٠ ناقصة

مرتبة اجزاء مال مال كعب	مرتبة اجزاء كعب كعب	مرتبة اجزاء مال كعب	مرتبة اجزاء مال مال	مرتبة اجزاء الكعب	مرتبة اجزاء المال	مرتبة جزء الشيء	مرتبة الاحاد
	الا ٢٦ وثلثي	٢٠	١٢ وثلث	الا ١٠	الا ٦٦ وثلثي	٥	٢ وثلث
	٤٢٠	الا ٤٤٠					
٣١٢	٠	٦					

فنضعه مما يلي الستة وعشرين وثلثي« ونضربه في المقسوم عليه ونلقي المبلغ مما فوقه وننقل المقسوم عليه مرتبة الى اليمين فيكون الباقي كما في هـذه الصورة التاسعة ..[٣٨] ونسلك هذا الطريق الى اي غاية شئنا واقتنعنا بالتقريب فيما

التاسعة

مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة	مرتبة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	١٠	٤٤٠					
		٦					

ونقف عندها ونجمع الحاصل من القسمة فنجده في هذا المثال ثلثة احاد وثُلث وخمس« اجزاء شي. و١٣ جزء. مال مال وثلث جزء. مال مال و٢٠ جزء. مال كعب الا ٦ اجزاء. مال وثلثي جزء. مال والا عشرة اجزاء. كعب والا ٢٦ جزو كعب كعب وثلثي جزء. كعب كعب والا ٤٠ جزء. مال مال كعب

٣٨) في الصورة التاسعة بدلًا من ٤٨٠ جاء ٤٢٠

وهو الجواب بالتقريب ❊ فاذا اردنا امتحانه ضربناه في المقسوم عليه وهو ستة اموال واثنا عشر احدا فيخرج من الضرب ٢٠ مالا و ٣٠ شيئا و ٤٠ احدا و ٦٠ جزء شي و ٨٠ جزء مال و ١٢٠ جزء كعب و ١٦٠ جزء مال مال و ٢٤٠ جزء مال كعب الا ٤٠ احدا و ٦٠ جزء شي [و ٨٠ جزء مال] و ١٦٠ جزء مال مال و ٢٤٠ جزء مال كعب و ٣٢٠ جزء كعب كعب و ٤٨٠ جزء مال مال كعب فاذا ذهب الزائد بالناقص بقي ٢٠ مالا وثلثون [شيئاً] الا ثلثماية وعشرين جزء كعب كعب واربع ماية وثمنين جزء مال مال كعب (ص ١٢١) والتفاوت بينه وبين المنسوب ٣٢٠ جزء كعب كعب و ٤٨٠ جزء مال مال كعب وهو العدد الباقي في الجدول ❊ وان طلبنا حقيقة الحاصل من النسبة زدنا الباقي على الحاصل من النسبة وهو في هذا المثال ٣٢٠ جزء كعب كعب و ٤٨٠ جزء مال مال كعب مقسومة على ٦ اموال و ١٢ احدا[39] وينبغي ان يقسم المنسوب على المنسوب اليه مرات كثيرة ليعرف التناسب الذي بين مراتب الحاصل من النسبة او حتى يقع في القسمة[40] الدقة . فاما تناسب مراتب الحاصل من النسبة فمثاله في المسئلة المتقدمة انا لما قسمنا ٢٠ مالا و ٣٠ شيئاً على ٦ اموال و ١٢ احدا وخرج من القسمة

احاد	اجزاء شي	اجزاء مال مال	اجزاء مال كعب
ثلثة وثلث	٥	١٣ وثلث	٢٠
اجزاء مال	اجزاء كعب	اجزاء كعب كعب	اجزاء مال مال كعب
الا ٦ وثلثي«	و ١٠	و ٢٦ وثلثي	٤٠

وجدنا ثلثة وثلث نصف[41] ما في المرتبة الثالثة منها اعني ان الثلث وثلث نصف ما في المرتبة الثالثة منها وهو ٦ وثلثان والستة والثلثي« نصف ما في المرتبة الثالثة منها اعني ١٣ وثلث و ١٣ وثلث نصف الثالثة منها وهي ٢٦ وثلثان وكذلك وجدنا ٥ نصف ما في المرتبة الثالثة منها اعني العشرة

٣٩) احد .

٤٠) القسمة .

٤١) نصفه .

والعشرة نصف المرتبة الثالثة منها اعني العشرين والعشرون نصف ما في المرتبة الثالثة (ص ٢١س) منها اعني الاربعين ذلك لان المرتبة الاولى من مراتب المقسوم عليه نصف المرتبة الثالثة منها اعني الستة والاثني عشر . فاما نظام المراتب فانا وجدنا مرتبتين متواليتين زائدتين ومرتبتين تليانها ناقصتين كذلك ابدا فقد عرفنا صورة الخاصل من القسمة وكيفية نظامه فنضعه في كم شئنا من المراتب من غير حاجة الى عمل سوى ابياته هكذا[٤٢]

مرتبة جزء مال كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب	مرتبة جزء كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب	مرتبة جزء كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب	مرتبة جزء مال مال	مرتبة جزء الكعب	مرتبة جزء المال	مرتبة جزء الشيء	مرتبة الاعداد
الا ١٦٠	الا ١٠٦ وثلثان	٨٠	٥٣ وثلث	الا ٤٠	الا ٢٦ وثلثان	٢٠	١٣ وثلث	الا ١٠	الا ٦ وثلثان	٥	٣ وثلث
مرتبة جزء كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب
٢١٣ وثلث	٣٢٠	الا ٤٢٦ وثلثان	الا ٦٤٠	٨٥٣ وثلث	١٢٨٠	الا ١٧٠٦ وثلثان	الا ٢٥٦٠	٣٤١٣ وثلث	٥١٢٠	الا ٦٨٢٦ وثلثان	الا ١٠٢٤٠
مرتبة جزء كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب	مرتبة جزء مال كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب كعب
١٣٦٥٣ وثلث	[illegible]	الا ٢٣٠٦ وثلثي	الا ٤٠٦٦٠	٥٤٦١٣ وثلث							

٤٢) اهمل الناسخ في الجدول واو وثلثي اربع مرات وواو وثلث مرتين وسقطت منه احدى لفظتي مال في البيت قبل الأخير في اسفل الجدول . وجاء خطأ في السطر الأخير في البيتين الثالث والرابع الا ٢٣٠٦ ثلثي والا ٤٠٩٦٠٢ ولعل الناسخ قد اهمل اعداد البيوت الاخيرة .

بمالج السموءل فيما يلي جذر العبارات المركبة والفضل في استنباط هذا المعنى يعود للكرجي الذي خصص له الصفحات الطوال من بديعه (٧٢أ – ٩٣أ). لكن كلام الكرجي لا فصل فيه حقاً فيما يخص الكميات التي يدخلها الاستثناء (اي الطرح)، وان كانت القاعدة التي وضعها عامة وصالحة في هذه الحال أيضاً. والسموءل القائل انه وضع طريقاً عاماً لا يغير في قاعدة الكرجي شيئاً الّا انه يضع قواعد لطرح الاعداد الناقصة، ولهذا الوضع شأن خطير.

ص ٢٥أ.

الفصل الثاني من الباب الخامس من المقالة الاولى

في اخذ جذور الاعداد والمقادير المعلومة الصورة

ص ٢٧ب س ١٠

قال السموءل: وذكر الكرجي بعد هذا كلاماً طويلا لا فصل فيه فنذكره[٤٢] وكانت غايته التي انتها« عندها في هذا الباب الاستقرا. والامتحان والتجربة وقد وضعت بتأييد الله وتوفيقه طريقاً عاماً يستخرج به جذور المجهولات التي يكون فيها الاستثنا. والتي يذهب زائدها بناقصها. ولنوردها بمثال جزئي نظهر فيه كيفيتها ❊ نريد ان نعلم جذر ٢٥ كعب كعب وتسعة اموال مال و ٨٤ مالا و ٦٤ احدا ومائة جزء مال و ٦٤ جزء مال مال الا ٣٠

---

٤٢) فيذكره.

٤٣) و ١١

مال كعب و ٦٠ كعبا و ١١٦ [٤٣] شيئا و ٤٨ جزو [٤٣] شي. و ٩٦ جز. كعب فوضعناها[٤٤] على التخت على هذه الصورة ❊ (ص ١٠٨)

مرتبة اجزاء مال مال	مرتبة اجزاء الكعب	مرتبة اجزاء المال	مرتبة اجزاء الشي	مرتبة الاحاد	مرتبة الاشياء	مرتبة الاموال	مرتبة الكعاب	مرتبة الاموال مال	مرتبة اموال الكعب	مرتبة كعاب الكعاب
•		•		•		•		•		•
٦٤	ا ٩٦	١٠٠	ا ٤٨	٦٤	ا ١٢٦	٨٤	ا ٤٠	٩	ا ٢٠	٢٥
•		•	..	•		•		•		•

ثم بدأنا بمرتبة الاحاد وقلنا جذر لا جذر جذر لا جذر كما قلنا في جذور المعلومات ونعلم[٤٥] على موضع الجذر في المراتب التي عن يمينة« الاحاد ويسرتها فيقع الجذر الاخير في مرتبة كعب كعب ونطلب اعظم عدد نضربه في نفسه ونلقيه من ٢٥ فلا يبقى شي. فنجده ٥ كعاب فنضعها في السطر الاعلى بازاء مرتبة الكعب وفي السطر الاسفل تحت ٢٥ ونضرب الاعلى في الاسفل ونلقي المبلغ مما فوقه فيفني ونضعف الخمسة السفلية وننقلها الى اليمين مرتبة واحدة ونطلب اعظم عدد نضربه في العشرة السفلية فيكون ٣٠ ناقصة فنجده ٣ ناقصة فنضعها في السطر الاعلى بعد الخمسة وفوق الاربعة وثمنين ونضعها ايضاً في السطر الاسفل بعد العشرة وتحت التسعة ونضرب العلية الناقصة في العشرة السفلية يكون ٣٠ ناقصة نلقيها مما فوقها فتخلوا المرتبة ونضرب الثلثة العلوية في الثلثة السفلية فيكون تسعة زائدة لان الحاصل من ضرب الناقص في الناقص زائد فنلقيها[٤٦] (ص ٣٢٨) مما فوق الثلثة فيفنى ثم نضعف الثلثة السفلية وننقلها وما[٤٧] قبلها

٤٤) فوضعناها .

٤٥) هي الدوائر الصغيرة الموضوعة في ست مراتب من الجدول وقد اخطأ الناسخ بان وضعها ايضاً في مرتبة اجزاء الكعب ومرتبة الكعاب . ثم انه جاء خطأ في البيت الاول من الشمال مرتبة اموال الكعاب ، وقد يكون التعبير مرتبة الاموال مال في البيت الثالث من الشمال خطأ من الناسخ .

٤٦) فيلقها . وكثيراً ما وردت لفظة نلقيها في المخطوط دون كرسي للياء .

٤٧) ولما .

مرتبة الى اليمين فيصير على ما في الصورة[٤٨] ثم نطلب ما نضربه في العشرة فيكون لا شيء. فنجده صفرًا فنضعه[٤٩] قبل[٥٠] الثلثة التي في السطر الاعلى وبعد[٥٠] الستة

مرتبة اجزاء مال مال	مرتبة اجزاء الكعاب	مرتبة اجزاء المال	مرتبة اجزاء الشيء	مرتبة الآحاد	مرتبة الاشياء	مرتبة الاموال	مرتبة الكعاب	مرتبة مال مال
٠		٠		٠		ا٢	٥	
٦٤	ا٩٦	٢٠٠	ا٤٨	٦٤	ا١١٦	٨٤	آ٤٠	
٠		٠		٠			ا٦	١٠

السفلية وننقل السطر الاسفل مع الصفر مرتبة الى اليمين ونطلب عددًا نضربه في العشرة فيكون ٤٠ ناقصة فنجده اربعة ناقصة فنضعها[٥١] بعد الصفر من السطر الاعلى والاسفل ونضربها في العشرة ونلقي الحاصل مما فوق العشرة فيفنى ونضرب الاربعة الناقصة العلوية في الستة الناقصة يكون ٢٤ زايدة نلقيها مما فوق الستة فيبقى ستون احدا ونضرب الاربعة العلوية الناقصة في الاربعة السفلية الناقصة فيحصل ١٦ زايدة نلقيها[٥٢] مما فوق الاربعة فيبقى ٤٨ ثم نضعف الاربعة وننقل السطر الاسفل مرتبة الى اليمين فيصير كما في هذه الصورة[٥٣] ثم نطلب عددا نضربه في العشرة فيكون ستين فنجده ستة فنضعها بعد الاربعة العلوية والثانية[٥٤]

٤٨) في الجدول ، كما في المخطوط ، دائرة صغيرة في البيت الثالث من الشمال في السطر الاخير . ونشير الى ان الصفر لا يختلف شكله عن الدائرة الصغيرة مطلقًا .

٤٩) فيصعه .

٥٠) يلاحظ القارئ استعمال قبل وبعد للدلالة على جهة واحدة .

٥١) فيضعها .

٥٢) يلقها .

٥٣) خطأ في المخطوطة ، نقل الخطان السفليان من الصورة مرتبة الى الشمال وسقط في النسخ الا ٤ العليا والا ٨ السفلى و ٦٦

٥٤) والثلثة .

مرتبة اجزاء مال المال	مرتبة اجزاء الكعب	مرتبة اجزاء المال	مرتبة اجزاء الشيء	مرتبة الاحاد	مرتبة العشرات	مرتبة المئات	مرتبة الالوف
٥		٥		١ر٢	•	١ر٢	ن
٦٤	١ر٩٦	١٠٠	١ر٤٨	٨٠	١ر١١٤	٦٠	
٥	•	٥	١ر٨	•	١ر٦	١٠	

السفلية ونضربها في العشرة ونلقي الحاصل مما فوق العشرة فيفنى ونضربها في الستة الناقصة فيخرج الا ستة وثلثون نلقيها مما فوقها فيبقى ٨٠ ناقصة ونضرب الستة ايضاً في الا ٨ يكون الا ٤٨ نلقيها (ص ١٢٩) مما فوق الثمنية فيفنى ثم نضرب الستة في نفسها يكون ٣٦ نلقيها مما فوق الستة فيبقى اربعة وستون ونضعف الستة السفلية وننقل السطر الأوسط فيصير كما في هذه الصورة . ثم نطلب

مرتبة اجزاء مال مال	مرتبة اجزاء الكعب	مرتبة اجزاء المال	مرتبة جزء الشيء	مرتبة الاحاد	مرتبة العشرات	مرتبة المئات	مرتبة الالوف
			٦	١ر٤	•	١ر٤	٥
٦٤	١ر٩٦	٦٤	•	٤٩	١ر٨٠		
	١٢	١ر٨	•	١ر٦	١٠		

عددا نضربه في العشرة فيكون ٨٠ ناقصة فنجده ٨ ناقصة فنضعه بعد الستة من السطر الاعلى وبعد ١٢ من السطر الاسفل ونضرب الثمنية في جميع السطر الاسفل ونلقي كل شي. مما فوقه فيفنى المال المجذور ويكون الجذر هو السطر

الاعلى ومبلغه خمسة اكعب وستة اجزاء شي. الا ثلثة اموال و ـه احاد وثمنية اجزاء مال وهو المطلوب . والاصل في اخذ جذور المقادير التي فيها استثناء ان ضرب الناقص في الزايد ناقص وفي الناقص زايد وانا اذا نقصنا عدداً زايداً من عدد ناقص بقي بجموع العددين ناقصاً واذا نقصنا عدداً ناقصاً من ناقص اكثر منه بقي تفاضلهما ناقصاً وان كان الناقص اقل من المنقوص بقي تفاضلهما زايداً واذا نقصنا الناقص من الزايد بقي مجموعهما زايداً واذا نقصنا زايداً من مرتبة خالية بقي فيها ذلك العدد بعينه ناقصاً واذا نقصنا الناقص من مرتبة خالية بقي فيها ذلك العدد زايداً وهذه اصول لا خفاء بها على من فهم ما تقدم ذكره . قد اتينا على ما يحتاج اليه من حساب الاعداد المعلومة الصورة وبرهنا على ما ذكره المتقدمون واوضحنا ما اغفله الاولون وفتح الله بصائرنا لادراكه فلنختم المقالة بحمده وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

(له صلة)

AS-SAMAW'AL IBN YAḤYA AL-MAGRIBĪ (+c. 570 H.)

PAR

ADEL AMBOUBA

Connu dès le 14e siècle par une traduction latine de sa «Réfutation des Juifs», as-Samaw'al ibn Yaḥya al-Magribī (1) a été étudié en tant que médecin par Leclerc dans son «Histoire de la Médecine chez les Arabes» (2). Mais ses écrits mathématiques. dont quelques rares manuscrits sont conservés à Istanbul et à Berlin, ne semblent pas avoir fait l'objet d'une étude complète. Or, un travail que nous préparons sur le mathématicien al-Karagī, nous ayant amené à rechercher son influence sur les mathématiciens postérieurs, nous avons pris connaissance des deux œuvres suivantes d'as-Samaw'al :

Al-Mūğaz al-Mūḍawī (3)
Al-Bāhir fi-l-Ḥisāb (4)

Si *al-Mūğaz* est d'un caractère élémentaire et ne renseigne pas sur la vraie valeur de son auteur (5), par contre le second qui présente l'algèbre de l'époque, à son stade le plus avancé, nous révèle un as-Samaw'al, mathématicien de classe, qui mérite d'être placé au tout premier rang des algébristes arabes.

L'objet de cet article est de présenter au lecteur quelques extraits d'*al-Bāhir* (6) montrant la part de l'auteur dans l'avancement de l'algèbre.

Les contributions d'as-Samaw'al méritent, d'ailleurs, d'être soulignées. Grâce à lui, *un progrès décisif est réalisé dans l'usage des nombres soustractifs ou déficients* (7). On en jugera mieux si on voit où en était leur emploi à son époque.

Chez le premier algébriste de langue arabe, al-Ḫuārizmī, la *règle de multiplication des signes* est clairement énoncée et couramment employée (8). Dans le développement des produits $(10 - x)^2$, $(10 - x)(10 + x)$, al-Ḫuārizmī écrit textuellement: moins x par moins x égale plus x^2, moins x par plus x égale moins x^2 (9). Sans doute ne faut-il voir là qu'une convention, un abus de langage destiné à énoncer certains résultats sous une forme commode,

et al-Ḫuārizmī, suivi en cela par les mathématiciens ultérieurs, dont as-Samaw'al lui-même, ne reconnaît pas l'existence en soi de — 10.

Mais le fait est que cet abus, dont le caractère antigrammatical et illogique était reconnu par les mathématiciens, a continué d'être utilisé au titre de règle opératoire et a rendu d'immenses services à l'algèbre. Pour la *soustraction des signes*, rien d'analogue. Al-Ḫuārizmī énonce les résultats suivants :

$$(20 - \sqrt{200}) - (\sqrt{200} - 10) = 30 - 2 . \sqrt{200}$$
$$(100 + x^2 - 20\,x) + (50 + 10x - 2\,x^2) = 150 - x^2 - 10\,x.$$

Il donne de la première égalité une justification laborieuse sur figure, dénuée de tout intérêt opératoire, mais avoue son insuccès à représenter l'addition des deux trinômes par des lignes. Cependant, dit-il, le résultat de l'addition se justifie par le discours: «Tu sais que tu as $100 + x^2 - 20\,x$; en lui ajoutant $50 + 10\,x$, cela devient $150 + x^2 - 10\,x$, car les $10\,x$ additifs ont restauré (*ǧabar*) $10\,x$ des $20\,x$ manquants et il est resté $150 + x^2 - 10\,x$. D'autre part, il y avait un x^2 avec le 100; en retranchant de $100 + x^2$, les $2\,x^2$, soustraits de 50, un x^2 *emporte* un x^2 et tu *dois* encore un x^2; ce qui fait $150 - x^2 - 10\,x$ C.Q.F.D.» (11). Ainsi donc l'attention du mathématicien est détournée du monôme soustractif en soi, vers la quantité dont il est soustrait, *à laquelle on ajoutera justement le terme qui lui manque* (*ǧabr*); et l'addition d'un terme soustractif avec un terme additif, comme $-2\,x^2$ avec x^2 se présente avec l'idée sous-jacente de «ǧabr»: restituer ici la plus grande partie manquante: un x^2 sur deux.

Cette décomposition de l'addition $-2\,x^2 + x^2$ en plusieurs temps ($-x^2 - x^2 + x^2$; $x^2 - x^2$; $-x^2$), sur lesquels l'attention du mathématicien se porte avec la même force, semble le distraire du résultat final et de la formulation d'une règle générale pour l'obtenir.

Deux siècles plus tard, la question a progressé à peine. Dans *al-Faḫri*, al-Karaǧī effectue, par *ǧabr*, l'opération:

$$(8\,x + 20 + x^2) - (10\,x - 4 - x^2)\ (12),$$

c'est-à-dire qu'il ajoute x^2 aux deux polynômes, pour restituer au deuxième le terme qui lui manque; et il *évite ainsi la soustraction de nombres soustractifs*, opération dont la signification et la justification lui échappent.

La soustraction continue ainsi: «ôtez $8\,x$ de $10\,x$, le reste $2x$ est soustractif» ce qui représente un progrès sur la manière d'al-Ḫuārizmī. Mais la soustraction d'un nombre soustractif sera

toujours éludée par al-Karagī et aucune audace de langage ou de pensée ne l'amènera à dire $x^2 - (-x^2) = 2x^2$. Or, cette défaillance va peser sur son œuvre et entraver son développement dans la théorie de l'extraction de la racine carrée. On doit à ce mathématicien le premier calcul de la racine carrée d'un polynôme. Voici comment il en énonce la règle sur le polynôme (13):

$$P(x) = 4x^8 + 12x^7 + 9x^6 + 20x^5 + 42x^4 + 18x^3 + 25x^2 + 30x + 9.$$

La racine de $4x^8$ est $2x^4$; ôtons de $P(x)$ le carré de $2x^4$, nous obtenons: $R_1(x) = 12x^7 + 9x^6 + \ldots + 9$.
Cherchons le terme A tel que $A(2.2x^4) = 12x^7$, nous trouvons $3x^3$. Ôtons alors de $R_1(x)$, la quantité $3x^3(2.2x^4 + 3x^3)$, il reste : $R_2(x) = 20x^5 + 42x^4 + 18x^3 + \ldots + 9$.
La partie trouvée de la racine est $2x^4 + 3x^3$. Calculons B tel que $2(2x^4 + 3x^3)B + B^2$ puisse se retrancher de $R_2(x)$. Nous trouvons $B = 5x$ etc...

On voit que l'extraction de la racine carrée de $P(x)$ repose sur le développement du carré d'un polynôme suivant la formule suivante :

$$(A + B + C + \ldots + K + L)^2 = A^2 + (2A + B)B + (2A + 2B + C)C + \ldots + (2A + 2B + 2C + \ldots + 2K + L)L$$

où l'on reconnaît la somme des carrés des termes et le double produit de chacun des termes par ceux qui le précèdent.

Or, malgré la généralité de la règle qu'il vient de découvrir, al-Karagī n'en saisit pas l'application à des polynômes contenant des termes soustractifs. Analysant la formation du carré P^2 d'un polynôme P, en vue de surprendre un moyen d'en retrouver la racine, on le sent visiblement gêné par le fait que certains coefficients de P^2 soient le résultat d'additions et de soustractions combinées; de même qu'on le sent embarrassé par la disparition de certaines puissances dans P^2. C'est en vain qu'il multiplie les remarques ingénieuses, et qu'il divise la question en cas et sous-cas. Il réussit à trouver la racine quand elle est formée de trois termes ou quatre, (de cinq aussi, mais très péniblement); cependant sa résolution se fait par des considérations particulières à chaque cas et non par l'utilisation de la règle générale qu'on lui doit.

Est-il vraiment inutile de noter qu'al-Karagī a utilisé la seule règle des signes connue à l'époque, celle de la multiplication, et que s'il avait été familiarisé avec la soustraction des nombres soustractifs et additifs, les altérations subies par les coefficients dans l'élévation en carré n'auraient pas été pour lui un obstacle?

Il appartenait à as-Samaw'al de reconnaître que la règle trouvée par al-Karagī pouvait devenir tout à fait générale, moyennant l'introduction de nouvelles règles de soustraction. C'est à cette occasion qu'il énonce textuellement (14): «Si nous soustrayons un nombre additif d'un nombre soustractif le reste est égal à leur somme soustractive; si nous soustrayons un nombre soustractif d'un nombre soustractif plus grand, le reste égale leur différence soustractive; si le nombre dont on soustrait est inférieur au nombre ôté, le reste est leur différence additive; si l'on soustrait le nombre soustractif d'un nombre additif, le reste égale leur somme additive; si nous soustrayons un nombre additif d'une puissance absente (15), il reste le même nombre négatif; si nous soustrayons le nombre négatif d'une puissance absente, il en reste le même nombre positif».

Ce texte renferme toutes les audaces. Pour la première fois, semble-t-il, dans l'histoire des mathématiques arabes, un auteur soustrait un nombre additif d'un nombre soustractif, un nombre soustractif d'un nombre soustractif (16). De plus, fait d'une grande portée, zéro est traité comme un nombre, et on imagine d'en soustraire aussi bien un nombre additif qu'un nombre soustractif.

Il est une autre circonstance où as-Samaw'al a senti le besoin des règles de soustraction. C'est dans la division des polynômes dont on lui doit la théorie. Ces règles y sont appliquées, sans énoncé, bien que le chapitre de la division précède celui de l'extraction de la racine carrée. Ceci semble indiquer que la première idée des règles de soustraction s'est imposée à as-Samaw'al, par l'étude critique d'*al-Bāhir* dont il reproduit des dizaines de pages, et que le chapitre de l'extraction de la racine carrée, bien que classé après celui de la division, a été probablement conçu et rédigé avant.

Une deuxième contribution importante est réalisée par as-Samaw'al dans *le domaine des puissances*. Tout en conservant la nomenclature de son époque: chose, carré, cube, carré-carré, carré-cube, cubo-cube, carré-carré-cube, ..., pour désigner x, x^2, x^3, x^4, x^5, x^6, x^7, ..., il introduit aux symboles près, nos idées exponentielles actuelles. Al-Karagī, dans le premier chapitre d'*al-Fahri*, avait eu le mérite remarquable d'inclure, indistinctement, dans la notion de puissance les quantités $x, x^2, x^3, \ldots, \frac{1}{x}, \frac{1}{x^2}, \frac{1}{x^3}, \ldots$ As-Samaw'al qui a cité ce passage d'*al-Fahri*, dispose alors sur une même droite (17), à partir de l'unité, en allant vers la gauche les puissances successives: x, x^2, x^3, x^4, ...; affectant l'unité (et les termes constants) du rang (ou degré) zéro, et les autres puissances

des rangs: 1, 2, 3, 4... Puis, sur la même droite, il dispose à la droite de l'unité $\frac{1}{x}, \frac{1}{x^2}, \frac{1}{x^3}, \frac{1}{x^4} \ldots$

qu'il affecte également des rangs 1, 2, 3, 4...

5	4	3	2	1	0	1	2	3	4	5
x^5	x^4	x^3	x^2	x	1	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$	$\frac{1}{x^5}$

à la suite de quoi, il établit les règles de multiplication et de division des monômes qu'il énonce ainsi pour la multiplication (18):

«Si les deux puissances sont de part et d'autre [de l'unité], à partir de l'une d'entre elles nous comptons dans la direction de l'unité, autant [de casiers] qu'il y a entre l'unité et l'autre puissance. Si les deux puissances sont d'un même côté de l'unité, nous comptons dans le sens opposé à l'unité».

A quelques siècles de distance, cette règle n'évoque-t-elle pas notre addition de vecteurs portés par un axe et la distinction des deux sens de parcours sur une droite, qui s'est avérée si féconde dans notre géométrie moderne?

A côté de cette règle que nous qualifierions de graphique, as-Samaw'al énonce expressément dans les exemples traités, que le rang (ou degré) du produit de deux puissances est la somme des rangs des deux puissances, si elles sont d'un même côté de l'unité, et leur différence si les puissances sont de part et d'autre (19). Le rang de $\left(\frac{1}{x^3} \cdot \frac{1}{x^4}\right)$ est $3 + 4 = 7$. Celui de $\left(\frac{1}{x^2} \cdot x^3\right)$ est $3 - 2 = 1$, pris du côté de 3 qui est le plus fort.

Plus loin, dans le chapitre: «Division des monômes» (20), as-Samaw'al s'exprime ainsi: «Pour diviser une puissance par une autre, si elles sont d'un même côté [de l'unité] nous comptons à partir du dividende vers l'unité autant [de casiers] qu'il y en a de l'unité au diviseur. Si les puissances sont de part et d'autre [de l'unité] nous comptons à partir du dividende en sens contraire de l'unité. La puissance où l'on aboutit est celle du quotient». As-Samaw'al explique l'usage de cette règle sur les exemples :

$$8\,x^5 : 4\,x^2 = 2\,x^3\,;\ 24\,x^2 : 6\,x^6 = 4\left(\frac{1}{x^4}\right);\ 16\left(\frac{1}{x^3}\right) : 2\left(\frac{1}{x^5}\right) = 8\,x^2 \ldots$$

Aux apports fondamentaux relatifs aux puissances et à la soustraction des nombres additifs et soustractifs, à la remarquable théorie de la division des polynômes, à l'extraction de la racine

carré d'un polynôme à coefficients soustractifs et additifs, vient encore s'ajouter la résolution d'un nombre important de questions laissées sans réponse par ses prédécesseurs. C'est ainsi qu'as-Samaw'al vient à bout de la formule $1^2 + 2^2 + 3^2 + ... + n^2 = \frac{n(n+1)(2n+1)}{6}$ (21)

où avait échoué al-Karagī (22).

Il démontre également:

$2[1.2+3.4+5.6+...+(2n-1)(2n)]+n=1^2+2^2+...+(2n)^2$ (23).
$1.2+3.4+5.6+...+(2n-1)(2n) = 1+3+5+...+(2n-1) + 1^2+3^2+5^2+...+(2n-1)^2$ (24).

et bon nombre de propositions analogues, comme la sommation des cubes des n premiers nombres entiers (25) dont al-Karagī avait donné une solution géométrique. Opérant un travail de base, as-Samaw'al donne systématiquement la démonstration des règles opératoires dont l'évidence et le caractère théorique avaient, peut-être, rebuté les mathématiciens antérieurs. Les règles

$$\frac{a.c}{b} = \frac{ac}{b} = \frac{a}{b:c} \quad (26)$$

$$\frac{a}{b} \cdot \frac{c}{d} = \frac{ac}{bd} = \frac{a}{d} \cdot \frac{c}{b} \quad (27)$$

$$\sqrt[3]{a^3b^3} = ab \quad (28)$$

et bien d'autres analogues sont impitoyablement passées au crible de la déduction mathématique.

Il serait trop long d'énumérer toutes les richesses contenues dans *al-Bāhir*. Signalons-y cependant pour terminer l'apparition des combinaisons (29). Le problème qui provoque la naissance de cette notion est celui du calcul de dix inconnues connaissant leur somme six à six (30), ce qui amène as-Samaw'al à écrire un prodigieux système de 210 équations à dix inconnues; et la manière dont il s'y prend montre qu'il est, évidemment, en possession d'une règle raisonnée pour former les combinaisons. Dans la résolution du système, as-Samaw'al déploie, d'ailleurs, les qualités d'un très habile calculateur et d'un esprit vigoureux qui ne recule pas devant l'examen de la compatibilité d'un nombre aussi grand d'équations. A une époque où tout symbolisme était inexistant, poser un tel problème était déjà une gageure, mais l'auteur trouve tout naturel de désigner les dix inconnues par les dix premiers nombres écrits en chiffres indiens. Le système se présente sous la forme d'un tableau en deux pages, de 35 lignes chacune, et où

la page est divisée en trois colonnes. Voici un fragment de la 1ère colonne:

a	1	2	3	4	5	6	65
b	1	2	3	4	5	7	70
ǧ	1	2	3	4	5	8	75
d	1	2	3	4	5	9	80
h	1	2	3	4	5	10	60
w	1	2	3	4	6	7	55
z	1	2	3	4	6	8	60

où a, b, ǧ, d, h, w, z ont la valeur des lettres de l'alphabet numéral: 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7 et désignent, ici, le rang. La première ligne se lit donc: 1ère équation, les six premières inconnues ont pour somme 65.

Remarquons que dans le texte, as-Samaw'al désigne les inconnues par les mots: le premier, le deuxième, etc... sans user d'abréviation. Ce passage montre, d'après nous, que la découverte des notations ne posait pas pour les Arabes un problème de difficulté majeure, et que c'est surtout l'état élémentaire de l'algèbre chez eux, joint aux exigences spéciales de leur langue et à un certain sentiment des convenances (31), qui les détourna durant des siècles du symbolisme algébrique.

Tel est un aperçu rapide et forcément incomplet d'une œuvre qui se place au premier rang des algèbres arabes. Ajoutons qu'à sa valeur mathématique, s'ajoute un intérêt historique. *Al-Bāhir* nous a conservé un bon nombre de fragments d'œuvres antérieures perdues, dont le fameux triangle arithmétique, dit de Pascal ou de Tartaglia, découvert par al-Karagī (32). De plus, as-Samaw'al y rapporte les propositions qu'il énonce à leur premier auteur, ce qui peut rendre de grands services dans les questions de priorité et, d'une façon plus générale, dans la connaissance de l'histoire des mathématiques chez les Arabes.

Dans les pages qui suivent, nous donnons la traduction de quelques-uns des extraits publiés plus loin.

DIVISION DES POLYNÔMES

[*Aucun mathématicien n'ayant, avant lui, énoncé de règle pour la division des polynômes, as-Samaw'al se propose d'en exposer une sur un exemple. La méthode s'inspire de la division des nombres écrits dans la numérotation indienne (de position), et se trouve être, en substance, la méthode classique utilisée de nos jours. On admirera la remarquable généralité qu'as-Samaw'al a donnée à sa règle et l'aisance avec laquelle il l'utilise*

dans des polynômes généralisés formés, comme nous dirions de nos jours, de puissances entières positives et négatives de l'inconnue].

(*fol. 172*). Soit à diviser :

$$20x^6 + 2x^5 + 58x^4 + 75x^3 + 125x^2 + 96x + 94 + 140\frac{1}{x} + 50\frac{1}{x^2} + 90\frac{1}{x^3} + 20\frac{1}{x^4}$$

par $2x^3 + 5x + 5 + 10\frac{1}{x}$

x^6	x^5	x^4	x^3	x^2	x	unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
20	2	58	75	125	96	94	140	50	90	20
2	0	5	5	10						

Disposons les polynômes généralisés dans leur ordre naturel, comme ci-dessous, en mettant 0 dans les cases vides
Divisons la plus haute puissance du dividende par la plus haute haute puissance du diviseur, nous obtenons $10x^3$ pour quotient que nous écrivons dans le casier des x^3, en face de 75; puis multiplions $10x^3$ par le diviseur et soustrayons le produit de $10x^3$ par chaque puissance du diviseur du terme situé au-dessus, et déplaçons le diviseur vers la droite d'un casier, comme dans le calcul indien. Il en résulte le tableau suivant:

x^5	x^4	x^3	x^2	x	unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
		10							
2	8	25	25	96	94	140	50	90	20
2	0	5	5	10					

Nous cherchons alors le plus grand nombre dont le produit par le diviseur n'excède pas le reste obtenu. Nous trouvons 1 que nous multiplions par le diviseur en ôtant le produit par 1 de chaque puissance, du terme qui est en face d'elle. Puis nous déplaçons le diviseur d'un casier vers la droite; il en résulte le tableau suivant:

x^4	x^3	x^2	x	unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
	10	1						
8	20	20	86	94	140	50	90	20
2	0	5	5	10				

Puis nous cherchons le plus grand nombre dont le produit par les différentes puissances du diviseur ne soit pas supérieur aux puissances [du dividende] situées au-dessus. Nous trouvons 4 que nous plaçons avant le 1 et nous le multiplions par les puissances du diviseur en ôtant les produits respectifs des termes situés au-dessus. Puis nous déplaçons le diviseur vers la droite [d'un casier]. Il en résulte le tableau suivant:

x^3	x^2	x	unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
10	1	4					
20	0	66	54	140	50	90	20
2	0	5	5	10			

Puis nous cherchons le plus grand nombre dont le produit par la dernière puissance du diviseur n'excède pas le terme situé au-dessus d'elle. Nous trouvons 10, que nous mettons avant le 4, et nous le multiplions par la dernière ligne; puis, nous soustrayons le produit de la ligne du milieu. Ensuite, nous déplaçons le diviseur vers la droite d'un casier.

[*Ici, as-Samaw'al juge inutile de donner un tableau, qui aurait été le suivant*]:

x^3	x^2	x	unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
10	1	4	10				
	0	16	4	40	50	90	20
	2	0	5	5	10		

Nous recherchons un nombre comme précédemment et nous n'en trouvons pas. Nous mettons zéro avant le 10 de la ligne supérieure et nous déplaçons le diviseur d'un rang vers la droite. Il vient le tableau V.

x^3	x^2	x	unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
10	1	4	10	0			
		16	4	40	50	90	20
		2	0	5	5	10	

Nous recherchons un nombre comme précédemment et nous trouvons 8 que nous plaçons avant le zéro et que nous multiplions par la dernière ligne. Nous soustrayons de ce qui est dessus et nous déplaçons le diviseur d'un rang vers la droite, il vient le tableau VI.

x^3	x^2	x	unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
10	1	4	10	0	8		
			4	0	10	10	20
			2	0	5	5	10

Nous recherchons un nombre comme précédemment et nous trouvons 2. Nous le multiplions par le diviseur et nous ôtons le

produit du dividende, il ne reste rien. Nous additionnons alors la première ligne et nous avons:

$$10\,x^3 - x^2 + 4\,x - 10 + 8\,\frac{1}{x^2} + 2\,\frac{1}{x^3}$$

Tel est le quotient de la division.

[*As-Samaw'al donne ensuite un exemple sur la division de polynômes à termes soustractifs*].

$6\,x^8 - 28\,x^7 - 6\,x^6 + 38\,x^4 + 92\,x^3 + 20\,x - 80\,x^5 - 200\,x^2$

à diviser par

$2\,x^5 - 8\,x^4 - 20\,x^2$.

[*Il a l'occasion d'y appliquer la règle de soustraction des nombres soustractifs et additifs qu'il vient de découvrir. Voici le tableau de disposition de la division*]:

x^8	x^7	x^6	x^5	x^4	x^3	x^2	x
6	28	6	moins 80	38	92	moins 200	20
2	8	0	moins 20				

[*Dans le chapitre relatif au rapport de deux polynômes, as-Samaw'al donne des exemples de divisions illimitées*].

(*fol 192*) Nous voulons prendre le rapport de $20\,x^2 + 30\,x$ à $6\,x^2 + 12$ ou bien diviser la première quantité par la seconde. Nous les disposons comme dans le tableau I et nous opérons pour le rapport comme pour la division. Le quotient est 3 1/3 unités que nous mettons dans le casier des unités, et que nous multiplions par 6, en retranchant le produit de ce qui est au-dessus de 6. Il ne reste rien. Le produit de 3 1/3 par 12 est 40 que nous ôtons de ce qui est au-dessus de 12. Et nous déplaçons la ligne inférieure d'un rang vers la droite comme dans le tableau II.

I

x^2	x	unités
20	30	
6	0	12

Nous cherchons un nombre dont le produit par 6 donne 30: nous trouvons 5 que nous multiplions par le diviseur, en soustrayant le produit de la ligne médiane et nous déplaçons, d'un rang vers la droite, la quantité à laquelle l'autre a été rapportée comme dans le tableau III.

II

x	unités	$\frac{1}{x}$
	$3\frac{1}{3}$	
30	moins 40	
6	0	12

Puis nous cherchons un nombre dont le produit par 6 donne moins 40, nous trouvons moins 6 2/3 que nous multiplions par le diviseur en soustrayant le produit de ce qui est dessus, et nous déplaçons le diviseur d'un rang vers la droite; il vient le tableau IV.

III

unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$
$3\frac{1}{3}$	5	
moins 40	moins 60	
6	0	12

Puis nous cherchons un nombre dont le produit par 6 donne moins 60; nous trouvons moins 10 que nous plaçons avant 6 2/3 et que nous multiplions par toute la dernière ligne, et nous ôtons cela de ce qui est au-dessus; il vient le tableau V.

IV

unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$
$3^1/_3$	5	moins $6^2/_3$	
	moins 60	80	
	6	0	12

Puis nous cherchons un nombre dont le produit par 6 donne 80, nous trouvons 13 1/3 que nous plaçons après le 10 et que nous multiplions par toute la ligne inférieure, et nous ôtons de ce qui est au-dessus, puis nous déplaçons le diviseur d'un rang vers la droite; il vient le tableau VI.

V

unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
$3^1/_3$	5	moins $6^2/_3$	moins 10	
		80	120	
		6	0	12

Puis nous cherchons un nombre dont le produit par 6 donne 120, nous le plaçons avant 13 1/3, nous le multiplions par le diviseur, et nous ôtons de ce qui est au-dessus, puis nous déplaçons le diviseur d'un rang vers la droite; il vient le tableau VII.

VI

unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$	$\frac{1}{x^5}$
$3^1/_3$	5	moins $6^2/_3$	moins 10	$13^1/_3$	
			120	moins 160	
			6	0	12

Puis nous cherchons un nombre dont le produit par 6 donne moins 160, nous trouvons moins 26 2/3 que nous plaçons, et nous déplaçons le diviseur d'un rang vers la droite; il en résulte le tableau VIII.

VII

unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$	$\frac{1}{x^5}$	$\frac{1}{x^6}$
$3^1/_3$	5	moins $6^2/_3$	moins 10	$13^1/_3$	20	
				moins 160	moins 240	
				6	0	12

Puis nous cherchons un nombre dont le produit par 6 donne moins 240, nous trouvons moins 40 que nous plaçons à la suite de 26 2/3 et que nous multiplions par le diviseur; puis nous ôtons le produit de ce qui est au-dessus et nous déplaçons le diviseur d'un rang vers la droite; il en résulte le tableau IX.

VIII

unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$	$\frac{1}{x^5}$	$\frac{1}{x^6}$	$\frac{1}{x^7}$
$3^1/_3$	5	moins $6^2/_3$	moins 10	$13^1/_3$	20	moins $26^2/_3$	
					moins 240	320	
					6	0	12

IX

unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$	$\frac{1}{x^5}$	$\frac{1}{x^6}$	$\frac{1}{x^7}$	$\frac{1}{x^8}$
$3^1/_3$	5	moins $6^2/_3$	moins 10	$13^1/_3$	20	moins $26^2/_3$	moins 40	
						320	480	
						6	0	12

Et nous continuons ainsi aussi loin que nous voulons; nous

contentant ici de l'approximation obtenue, nous nous arrêtons là et nous additionnons le quotient de la division. Nous trouvons dans cet exemple:

$$3^1/_3 + 5\left(\frac{1}{x^4}\right) + 13^1/_3\left(\frac{1}{x}\right) + 20\left(\frac{1}{x^5}\right) - (6^2/_3)\left(\frac{1}{x^2}\right) - 10\left(\frac{1}{x^3}\right)$$
$$- (26^2/_3)\left(\frac{1}{x^6}\right) - 40\left(\frac{1}{x^7}\right)$$

Telle est la réponse approchée.

Pour la vérifier, nous la multiplions par le diviseur, lequel est $6\,x^2 + 12$; il vient:

$$20\,x^2 + 30\,x + 40 + 60\left(\frac{1}{x}\right) + 80\left(\frac{1}{x^2}\right) + 120\left(\frac{1}{x^3}\right) +$$
$$160\left(\frac{1}{x^4}\right) + 240\left(\frac{1}{x^5}\right) - 40 - 60\left(\frac{1}{x}\right) - 80\left(\frac{1}{x^2}\right) - 160\left(\frac{1}{x^4}\right)$$
$$- 240\left(\frac{1}{x^5}\right) - 320\left(\frac{1}{x^6}\right) - 480\left(\frac{1}{x^7}\right).$$

Après la réduction des termes additifs par les soustractifs, il reste $20\,x^2 + 30\,x - 320\left(\frac{1}{x^6}\right) - 480\left(\frac{1}{x^7}\right)$. La différence entre cette quantité et le dividende est $320\left(\frac{1}{x^6}\right) + 480\left(\frac{1}{x^7}\right)$ qui est le reste dans le tableau.

Si nous cherchons le quotient exact du rapport nous ajoutons au quotient obtenu, le reste, ici $320\left(\frac{1}{x^6}\right) + 480\left(\frac{1}{x^7}\right)$ divisé par $6\,x^2 + 12$. Il faut répéter la division (comme nous l'avons fait) de nombreuses fois, pour reconnaître la relation entre les termes du quotient ou pour pousser l'approximation.

Voici quant à la relation entre les termes. Dans la division de $20\,x^2 + 20\,x$ par $6\,x^2 + 12$, nous avons obtenu:

$3^1/_3$ unités	$5\left(\frac{1}{x}\right)$	$(13^1/_3)\left(\frac{1}{x^4}\right)$	$20\left(\frac{1}{x^5}\right)$
$-(6^2/_3)\left(\frac{1}{x^2}\right)$	$-10\left(\frac{1}{x^3}\right)$	$-(26^2/_3)\left(\frac{1}{x^6}\right)$	$-40\left(\frac{1}{x^7}\right)$

Nous trouvons que 3 1/3 est la moitié du nombre de la 3e puissance à partir de lui, c.-à-d. 6 2/3; de même, 6 2/3 est la moitié du nombre de la 3e puissance à partir de lui, c.-à-d. 13 1/3; 13 1/3 est la moitié du nombre de la 3e puissance à partir de lui,

soit 26 2/3. Nous trouvons de même que 5 est la moitié du nombre de la 3e puissance à partir de lui, c.-à-d., 10; 10 est la moitié du nombre de la 3e puissance à partir de lui, soit 20, et 20 est la moitié du nombre de la 3e puissance à partir de lui, soit 40. Ceci provient de ce que (le nombre de) la première puissance du diviseur est la moitié (du nombre de) la 3e puissance à partir d'elle, c.-à-d., 6 et 12.

Quant à l'ordonnance des puissances, nous avons trouvé toujours deux puissances consécutives additives, suivies de deux puissances consécutives soustractives. Par suite, nous connaissons les nombres (صورة) du quotient et son ordonnance; nous en écrivons autant de puissances que nous voulons, san sbesoin d'autre opération que d'écrire les casiers.

unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$	$\frac{1}{x^5}$	$\frac{1}{x^6}$	$\frac{1}{x^7}$	$\frac{1}{x^8}$	$\frac{1}{x^9}$	$\frac{1}{x^{10}}$	$\frac{1}{x^{11}}$
$3^1/_3$	5	moins $6^2/_3$	moins 10	$13^1/_3$	20	moins $26^2/_3$	moins 40	$53^1/_3$	80	moins $106^2/_3$	moins 160
$\frac{1}{x^{23}}$	$\frac{1}{x^{22}}$	$\frac{1}{x^{21}}$	$\frac{1}{x^{20}}$	$\frac{1}{x^{19}}$	$\frac{1}{x^{18}}$	$\frac{1}{x^{17}}$	$\frac{1}{x^{16}}$	$\frac{1}{x^{15}}$	$\frac{1}{x^{14}}$	$\frac{1}{x^{13}}$	$\frac{1}{x^{12}}$
moins 10240	moins $6826^2/_3$	5120	$3413^1/_3$	moins 2560	moins $1706^2/_3$	1280	$853^1/_3$	moins 640	moins $426^2/_3$	320	$213^1/_3$
$\frac{1}{x^{35}}$	$\frac{1}{x^{34}}$	$\frac{1}{x^{33}}$	$\frac{1}{x^{32}}$	$\frac{1}{x^{31}}$	$\frac{1}{x^{30}}$	$\frac{1}{x^{29}}$	$\frac{1}{x^{28}}$	$\frac{1}{x^{27}}$	$\frac{1}{x^{26}}$	$\frac{1}{x^{25}}$	$\frac{1}{x^{24}}$
							54613	moins 40960	moins $27306^2/_3$	20480	$13653^1/_3$

[*Nous citons ci-après une extraction de racine carrée d'un polynôme carré parfait*]:

(*fol. 270*) Soit à extraire la racine carrée de

$$25x^6 + 9x^4 + 84x^2 + 64 - 100\frac{1}{x^2} - 64\frac{1}{x^4} - 30x^5 - 40x^3$$

$$-116x - 48\frac{1}{x} - 96\frac{1}{x^3}$$

Nous écrivons le polynôme sur le plateau [de sable] tel que dans le tableau:

	x^6	x^5	x^4	x^3	x^2	x	unités	$\frac{1}{x}$	$\frac{1}{x^2}$	$\frac{1}{x^3}$	$\frac{1}{x^4}$
I	25	—30	9	—40	84	—116	64	—48	100	—96	64
				5	—3						
II	25	—30	9	—40	84	—116	64	—48	100	—96	64
	5	10	—3								
				5	—3						
III				—40	84	—116	64	—48	100	—96	64
			10	—6							
				5	—3	0	—4				
IV				—40	84	—116	64	—48	100	—96	64
				10	—6	0	—4				
				5	—3	0	—4				
V					60	—116	48	—48	100	—96	64
					10	—6	0	—8			
				5	—3	0	—4	6			
VI						—80	48	0	64	—96	64
						10	—6	0	—8	12	

[*En vue de faciliter la lecture du texte, nous en avons groupé les tableaux* (*non numérotés, d'ailleurs, dans le manuscrit*) en y ajoutant *les tableaux II et IV. Dans l'original, les casiers vides ne sont pas tracés*]. (37)

Commençant au casier des unités [puis passant aux autres] nous disons: racine pas racine, racine pas racine (33), comme dans

[l'extraction de] la racine carrée des nombres connus et nous marquons (34) à droite et à gauche des unités les puissances où tombe [le mot] racine. Le dernier tombe sur x^6. Nous cherchons le plus grand nombre dont le produit par lui-même ôté de 25 donne pour reste zéro. Nous trouvons 5 x^3 que nous plaçons dans la ligne supérieure face à x^3 et dans la ligne inférieure sous 25; nous multiplions le 5 supérieur par le 5 inférieur et nous ôtons le produit de ce qui est dessus: ce dernier s'annule. Nous doublons le 5 inférieur et nous le déplaçons d'un rang vers la droite. Nous cherchons, alors, le plus grand nombre qui multiplié par le 10 inférieur donne moins 30; nous trouvons moins 3, que nous plaçons dans la ligne supérieure après le 5 — au-dessus de 84 — et dans la ligne inférieure après le 10 — sous le 9. Nous multiplions le moins 3 supérieur par le 10 inférieur, ce qui fait moins 30 que nous ôtons de ce qui est dessus: le casier se vide.

Nous multiplions le 3 supérieur par le 3 inférieur, ce qui fait plus neuf parce que le produit de deux soustractifs est un additif; nous l'enlevons de ce qui est dessus, lequel s'annule alors. Puis nous doublons le 3 inférieur et nous le déplaçons, avec ce qui est avant, d'un rang vers la droite: il vient ce qui est dans le tableau (II).

Nous cherchons un nombre dont le produit par 10 donne zéro, nous trouvons 0, que nous plaçons *avant* le 3 qui est dans la ligne supérieure et *après* (35) le 6 inférieur et nous déplaçons la ligne inférieure, y compris le 0, d'un rang vers la droite.

Nous cherchons un nombre qui multiplié par 10 donne moins 40, nous trouvons moins 4 que nous mettons après le 0 des lignes supérieure et inférieure et nous le multiplions par 10, puis nous ôtons le résultat de ce qui est au-dessus de 10, celui-ci s'annule; nous multiplions le moins 4 supérieur par moins 6, il vient plus 24 que nous enlevons de ce qui est au-dessus de 6, il reste 60 unités; nous multiplions le moins 4 supérieur par le moins 4 inférieur, il en résulte plus 16 que nous soustrayons de ce qui est au-dessus de 4, il reste 48. Puis nous doublons le 4 et nous déplaçons la ligne inférieure d'un rang vers la droite, il vient comme dans le tableau (IV).

Puis nous cherchons un nombre qui multiplié par 10 donne 60, nous trouvons 6 que nous plaçons après le 4 supérieur et le 8 inférieur et nous le multiplions par 10 et nous enlevons le résultat de ce qui est au-dessus de 10, lequel s'annule; nous le multiplions par moins 6, il en résulte moins 36 que nous enlevons de ce qui est au-dessus, il reste moins 80; et nous multiplions 6 aussi par moins 8,

il vient moins 48, que nous ôtons de ce qui est au-dessus de 8: il s'annule; puis nous multiplions 6 par lui-même, il vient 36; nous l'enlevons de ce qui est au-dessus de 6, il reste 64. Nous doublons le 6 inférieur et nous déplaçons la ligne d'un rang vers la droite comme dans le tableau V.

Puis nous cherchons un nombre qui multiplié par 10 donne moins 80, nous trouvons moins 8; nous le mettons après le 6 de la ligne supérieure et le 12 de la ligne inférieure; puis nous multiplions le 8 par toute la ligne inférieure et nous enlevons chaque chose de ce qui est dessus. La quantité dont nous prenons la racine s'annule, et sa racine est la ligne supérieure soit $5\,x^3 + 6\,\frac{1}{x} - 3\,x^2 - 4 - 8\,\frac{1}{x^2}$. C'est ce qui est demandé.

Le principe dans l'extraction de la racine des quantités à termes soustractifs est que le produit du soustractif par l'additif est soustractif et par le soustractif, additif. Si nous soustrayons un nombre additif d'un nombre soustractif, le reste est la somme des deux nombres prise suostractive. Si nous suostrayons un nombre soustractif d'un nombre soustractif plus grand, le reste est leur différence prise soustractive; si celui dont on soustrait est plus petit que le nombre soustrait, le reste est leur différence prise additive. Si nous soustrayons le soustractif de l'additif, il reste leur somme prise additive. Si nous soustrayons un nombre additif (36) d'une puissance vide, il reste de cette puissance le même nombre pris soustractif. Si nous soustrayons un nombre soustractif d'une puissance vide, il reste le même nombre positif.

NOTES

(1) Nous renvoyons pour la vie et la bibliographie d'as-Samaw'al à: *Iḫbār al-'Ulamā'*, d'AL-QIFṬĪ, art. as-Samaw'al; *'Uyūn al-'Anbā'*, d'IBN ABĪ UṢAYBI'Ā, éd. Muller, Le Caire, vol. II, p. 30.

G. SARTON, *Introd. to the History of Science*, vol. II, p. 401 et (1227); (vol. III, p. 418 et 596).

H. SUTER, *Die Mathematiker und Astronomen der Araber*, n° 302.

Aux œuvres d'as-Samaw'al citées par les historiens, ajoutons: 1°) *Az-Zāhir*, livre d'algèbre; 2°) Un mémoire sur l'analyse; 3°) Un commentaire de l'Arithmétique de Diophante. — Ces trois œuvres, apparemment perdues, sont mentionnées dans *al-Bāhir*, respectivement, aux pages 24r, l. 8; 30r, l. 7 et dernière page.

D'autre part, noter l'attribution par Ḥaggi Ḫalifa à as-Samaw'al, d'un abrégé de *Ḥisāb ad-dirham wad-dīnār* (*Kašf az-Zunūn*, éd. d'Istanbul, col. 1377).

(2) in vol. II, p. (12-17).

(3) Ms. 3439,15, Fātiḥ, Istanbul.

(4) Ms. 2718, Aya Sofya, Istanbul.

(5) Il existe un autre traité élémentaire d'as-Samaw'al, *at-Tabṣira fi-l-Ḥisāb*, ms. Bibl. Nat. Berlin, actuellement à Tübingen (n. 5962 du cat. d'Ahlwardt).

(6) Signalé par MAX KRAUSE, dans *Stambuler Handschriften islamicher Mathematiker* (Quellen und Studien. Band. 3, 1936, p. 437-532), à la page 487, avec les caractéristiques suivantes: 116 feuillets, 19 lignes la page, 15 × 21,5 cm, copié en 725 H.

(7) Nous appelons ainsi les nombres arithmétiques qui doivent être soustraits (de nombres plus grands). Bien qu'ils jouent dans la pratique des opérations le rôle des nombres négatifs, nous évitons l'emploi de ce mot qui pourrait faire croire que les Arabes connaissaient les nombres relatifs: positifs et négatifs.

(8) Cette règle se trouve déjà dans l'Arithmétique de Diophante. Cf. T.L. HEATH, *A Manual of Greek Mathematics*, p. 481.

(9) *Al-Ḫuārizmī Kitāb al-ǧabr wa-l-muqābala*, éd. Le Caire, 1939, p. 28 et 29.

(10) *Ibid.*, p. 33 et 34.

(11) Le vocabulaire employé et l'idée d'annuler une partie du nombre soustractif par le nombre additif égal à cette partie montrent assez le rôle que la notion de dette et d'avoir jouaient dans l'introduction et l'explication des opérations sur ces nombres.

(12) *Al-Faḫrī*, d'AL-KARḪĪ, ms. de la Bib. Nat. du Caire. V I, 212, fol. 10r, l. 6. Al-Karḫī est le nom erroné d'al-Karagi.

(13) *Al-Badī'*, d'AL-KARAGĪ, ms. Barb. Or., 36. I. Bibl. du Vatican, fol. 77r et s.

(14) *Al-Bāhir*, fol. 29r, l. 14.

(15) As-Samaw'al veut dire qu'on soustrait $a.x^n$ de $o.x^n$.

(16) Cependant as-Samaw'al, qui donne la démonstration de toutes les propositions, ne justifie pas les règles de soustraction ou d'addition des nombres, et n'expose pas quelle signification pourrait avoir pour lui $(-x^2)-(-2x^2)$, ou $0-(-4)$.

(17) *Al-Bāhir*, fol. 5v.
(18) *Al-Bāhir*, fol. 6r. l. 4.
(19) *Al-Bāhir*, fol. 6r. l. 15.
(20) *Al-Bāhir*, fol. 16r. l. 2.
(21) *Al-Bāhir*, fol. 55r-56r.
(22) C'est à tort que certains historiens attribuent à al-Karagi la solution de cette question. Cf. notre article sur al-Karagi, dans la revue *Ad-dirāsāt al-Adabiyyat*, T. II et III, 1959, Univ. Lib. Beyrouth.
(23) *Al-Bāhir*, fol. 58v. l. 3.
(24) *Al-Bāhir*, fol. 58v. l. 17.
(25) *Al-Bāhir*, fol. 65r.
(26) *Al-Bāhir*, fol. 7 et 8.
(27) *Ibid.*, fol. 13 et 14.
(28) *Ibid.*, fol. 47r.
(29) Le fait mérite d'être souligné, d'autant plus que cette notion n'a pas été signalée, jusqu'à présent, dans une œuvre antérieure à celle de Lévi ben Gerson (1288-1344). Voir. G. Sartone, *Introd. to the Hist. of Science*, vol. III, p. 596.
(30) *Al-Bāhir*, fol. 104v-110r.
■ Dans le manuscrit, par erreur, 20.
(31) On peut en rapprocher le sentiment actuel des auteurs français qui répugnent à utiliser des signes abréviatifs pour désigner, par exemple, des droites perpendiculaires ou parallèles.
(32) Voir note 22.
(33) C'est l'équivalent de notre méthode actuelle consistant à diviser le nombre en tranches de deux chiffres.
(34) De petits ronds servent de marque dans l'original; nous ne les avons pas maintenus ici.
(35) As-Samaw'al emploie ici avant et après pour dire à droite.
(36) Il s'agit d'un certain nombre de fois une certaine puissance de x, comme $a.x^n$ à enlever de $o.x^n$.
(37) Le signe — a été utilisé dans les tableaux pour des raisons d'ordre typographique.

LES YÉZIDIS

ESSAI HISTORIQUE ET SOCIOLOGIQUE SUR LEUR ORIGINE RELIGIEUSE

PAR

THOMAS BOIS, O.P.

Il est impossible de ne point s'intéresser à des ruines quand ces ruines sont, non pas des pans de murs, mais un peuple. L'Orient, qui est le pays rêvé des archéologues, garde aussi des vestiges humains dont la survie reste encore plongée dans le mystère. Les principales religions monothéistes ont vu le jour en Orient et bien des superstitions païennes, chrétiennes ou musulmanes, y subsistent qui, depuis longtemps, ont disparu du reste de l'univers. Ainsi survivent les Yézidis, secte qui n'est plus que l'ombre d'elle-même, puisqu'elle a recouvert du XII[e] au XVI[e] siècle une large part du Kurdistan, tout le nord de la Mésopotamie et une grande étendue de la Syrie et qui ne compte plus aujourd'hui que 50.000 adeptes.

Les Yézidis ont réussi à se maintenir en Irak, dans les vallées boisées du Cheikhan, qui est leur berceau, et les montagnes du Sindjar qui est leur lieu de refuge; en Syrie, en quelques villages dispersés de Djézireh, ainsi qu'en une vingtaine de villages du Djébel Sim'an. Enfin on en comptait autrefois quelques milliers dans les environs de Kars, Tiflis et Érivan, où ils sont maintenant sous la domination soviétique et où pratiquement ils semblent avoir perdu ce qui les caractérise (1).

Ces Yézidis sont des Kurdes. On les désigne souvent sous le nom d'Adorateurs du Diable, ce qui nous les rend tout de suite intéressants, mais au fond ils sont eux-mêmes de bons diables et, s'ils ont eu autrefois assez mauvaise réputation en tant que coupeurs de routes, je suis obligé d'avouer que tous ceux que j'ai rencontrés, sans être bien sûr de petits saints, n'en sont pas moins très sympathiques.

Je n'ai pas du tout l'intention de parler de façon systématique de leurs croyances, mœurs et coutumes, renseignements que l'on peut trouver facilement dans les reportages, revues et ouvrages qui leur sont consacrés; mais je préfère mettre en lumière leurs origines, restées jusqu'en ces tout derniers temps obnubilées par les considérations incontrôlées de beaucoup d'auteurs qui s'étaient occupés d'eux. Cela nous permettra de mieux situer et, partant, de mieux comprendre leurs croyances, leurs coutumes et leurs mœurs.

I

A LA RECHERCHE DES YÉZIDIS

Ils sont légion ceux qui ont parlé des Yézidis, mais, dans leurs écrits, tout n'est pas de la même veine et, s'il y a souvent à prendre, il y a aussi beaucoup à critiquer et à laisser.

Cinq catégories de personnes se sont ainsi intéressées aux Yézidis et nous ont fait part de leurs connaissances: des voyageurs et journalistes; des étrangers à la secte habitant leur pays et en contact avec eux; des amateurs, hommes de cabinet, qui utilisent les travaux d'autrui; des historiens, rompus aux méthodes scientifiques; et enfin quelques Yézidis eux-mêmes. Cette simple énumération d'auteurs d'origines et de formations si diverses nous laisse déjà entrevoir le tact indispensable pour manier avec profit ces documents si variés.

1. — *Voyageurs et journalistes.*

Tous les voyageurs, touristes ou journalistes, qui passent en Irak à la recherche d'un reportage pittoresque et sensationnel veulent visiter les Yézidis. C'est aujourd'hui chose facile. Mais les renseignements qu'ils nous fournissent sont ordinairement peu précis et superficiels. Ils ne font bien souvent que répéter ce qu'ils ont entendu raconter par les gens du pays, — chrétiens ou musulmans— qu'ils ont rencontrés et qui, généralement, colportent sur le dos de ces braves gens qu'ils ignorent une foule d'erreurs. Ces reportages d'ailleurs sont toujours incomplets et ne portent que sur l'un des groupes yézidis: le Cheikhan ou le Sindjar. Bien plus ce qui intéresse surtout ces reporters, c'est le côté folklorique. Sur ce point, reconnaissons-le, ils apportent souvent de magnifiques photos: c'est tout le positif de leurs efforts. La guerre a favorisé ces comptes-rendus de voyages, publiés en maintes revues, par des correspondants militaires en permission de détente. Ainsi, dans *Parade*,

Mason (2) a été impressionné par l'avaleur de serpents, tandis que Stanley Maxton (3) nous décrit la fête yézidie d'octobre. J.P. Dufourg (4) nous donne, en 1953, un reportage sur le Sindjar qui n'est en fait qu'un démarcage de l'ouvrage de R. Lescot. Dans la *Revue du Liban* (1954), Mlle Marcella d'Arle (5) nous mène elle aussi au Sindjar. Elle, c'est une romancière qui sait reconstituer une scène, rendre vivant un dialogue, nous faire palpiter d'effroi au récit d'une aventure bien risquée de sa part, exposer de façon sympathique des théories étranges — et même étrangères — à un vieux Yézidi sur la non-existence du Mal et elle nous a en outre donné de jolies photos. N'exigeons point d'elle le document historique qu'elle n'a jamais eu l'intention de nous offrir. Certains journalistes n'hésitent pas à inventer de toutes pièces pour corser leur récit. Comment oser affirmer, par exemple, que les Yézidis comptent «de nombreux hermaphrodites, femmes hybrides et velues, hommes obèses, ventrus, fainéants, parfumés et maquillés de kohl» ? Ou encore que «la confrérie entretient en plein Mossoul un temple de Satan que garde un serpent sacré et dans les jardins duquel se prélasse un Paon royal, gavé de mets rares, parfumé et bichonné comme ne l'est certes aucun adepte de la secte». Enfin quelle imagination ne faut-il pas pour écrire, en se moquant de ses lecteurs: «En cinq jours passés à Mossoul, plus d'une fois je me suis trouvé mêlé à leurs cérémonies. Non loin de la ville aux mousselines, j'ai vu des «béguines du Diable» présenter des offrandes à un paon en poussant de pieux gémissements. J'ai vu dans un sanctuaire yézidi accroché au flanc du mont Sindjar, des cynocéphales gambader sur les tombes de chats sacrés. J'ai vu trois hommes dans la force de l'âge se prosterner soudain le nez dans la poussière, parce que tournoyait un aigle blanc, incarnation terrestre des Anges» (6). En 1951, j'ai accompagné au Cheikhan un journaliste italien, correspondant du *Tempo* qui a pris plus de deux cents photos. Il avait avec lui un officier de police qui servait d'interprète, mais dont la façon d'interroger m'agaçait. J'ai pu constater à loisir les procédés habituels de certains enquêteurs et l'attitude des hôtes. Malgré nos insistances nous n'avons pu photographier le Taous Melek, statuette sacrée très vénérée chez eux et qui passe pour représenter Satan. On ne nous l'a même pas montrée et l'Emir, chez qui elle est pieusement gardée, a toujours fait mine de ne pas comprendre à quoi nous faisions allusion (7). La plupart des voyageurs qui, après un séjour plus ou moins prolongé en Irak, publient le récit de leur voyage y ajoutent souvent un chapitre sur les Yézidis. Ce n'est jamais une étude bien approfondie, mais on y trouve parfois quelque détail intéressant concernant un personnage visité ou une coutume remarquée par l'auteur (8).

2. — *Etrangers installés dans le pays.*

Les étrangers installés dans le pays, comme missionnaires, archéologues ou diplomates, ainsi que les compatriotes non yézidis, forment une seconde catégorie de témoins.

Parmi les premiers, relevons les noms de l'ex-capucin Michel Febvre (9) qui, au XVII[e] siècle, nous fournit d'excellents renseignements sur les Yézidis du Djébel Sim'an et, au début du XX[e] siècle, le P. Lammens (10) Jésuite, qui utilise les notes, antérieures de trente ans, de son confrère le P. de Fonclayer, mais se laisse entraîner par des interprétations qui ne me semblent pas justifiées. — Les Yézidis du Cheikhan furent étudiés d'abord par les Dominicains italiens de la Mission de Mossoul: le P. Lanza (1769) qui constate leur vénération pour le Cheitan et les croit descendants des Manichéens (11); le P. Garzoni (1781), le «Père de la Kurdologie» (Nikitine), qui reconnaît leur lien avec Yézid I[er] (12) et enfin le P. Campanile (1810), dans un chapitre assez confus d'ailleurs de son *Histoire du Kurdistan* (13). — Eugène Boré, qui devint Supérieur général des Lazaristes après avoir été dans la diplomatie, a publié l'article consacré aux *Yézidis*, dans le *Dictionnaire des Religions* de Migne, au tome IV. «A la vérité, écrit-il, tout chez eux démontre l'existence de la religion de Zaradast, dans laquelle Mani a introduit certains changements». — Les Yézidis furent étudiés également, au milieu du XIXe siècle, par un missionnaire anglican, Badger qui, malheureusement, projeta sur des faits clairs et précis des théories sur les religions anciennes qui furent, je crois, à l'origine des erreurs qui circulèrent par la suite sur les Yézidis (14). Un autre missionnaire anglican, O.H. Parry (1895), a décrit les persécutions des Yézidis dont il avait été témoin. C'est en appendice à son ouvrage que E.G. Browne a publié le premier la traduction européenne des livres sacrés yézidis (15). Le Rév. W.A. Wigram a lui aussi consacré aux Yézidis un chapitre, plein d'humour, dans son ouvrage sur le *Berceau de l'Humanité* (16).

Layard, archéologue britannique, vers 1850 (17), et Siouffi, consul de France à Mossoul, vers 1880 (18), ont fourni, le premier, des renseignements intéressants sur les fêtes yézidies et, le second, sur leurs croyances, puisés à bonne source chez le Mollah Haidar. Le Turc, Noury Bey (19), qui avait été gouverneur de Mossoul, a publié lui aussi un ouvrage sur les Yézidis que son fils, Djelal Noury (20), a repris en 1910, mais qui n'apporte rien de bien neuf. Lady Drower (21) a profité d'un séjour de plusieurs semaines parmi les Yézidis et au contact de leurs femmes pour étudier les coutumes de leur vie familiale quotidienne. Mais ses rapprochements avec

les Mandéens ou les anciennes religions solaires, pour suggestifs qu'ils sont parfois, n'en restent pas moins sujets à caution.

Il faut, en général, se méfier des compatriotes des Yézidis, qu'ils soient chrétiens ou musulmans. Ils manquent souvent d'esprit critique; et plus une légende paraît extravagante et défavorable, plus elle a chance d'être accueillie et propagée. Pourtant le prêtre Ishaq (1875), familier des Yézidis, fut le premier à dévoiler bon nombre de croyances et coutumes yézidies auxquelles on peut ajouter foi; mais les commentaires de son éditeur le P. Giamil (1900) manquent de valeur (22). Un chrétien de Mossoul, Daoud Sleiman Sayegh (1880), a recueilli des informations sur les Yézidis, qui ont été publiées, à Boston, en 1909, par Isya Joseph (23); et le Chammas, devenu prêtre jacobite, Abdulaziz, a de même, vers 1889, écrit une notice sur l'histoire des Yézidis de la région de Mossoul, à l'usage du Chammas Érémia, dont nous aurons à reparler. Une partie en a été publiée en anglais par Parry, en 1895; une autre partie, en syriaque et en français, par Chabot, en 1896 (24) et le tout a été réédité en arabe par le R.P. Khalifé, en 1953 (25). Le P. Anastase, Carme de Baghdad (26), nous a également apporté, en 1899, des détails que lui avaient fournis des Yézidis ou des chrétiens du pays, mais il brode quelque peu, enjolive le style de ses interlocuteurs et se fait le théologien de la secte en systématisant, inconsciemment peut-être, les données qu'il en a reçues. Quant aux explications d'ordre critique ou historique, que le P. Tfinkdji a ajoutées aux textes nestoriens de Ramicho (1451) et de Icho'yahb, dit Mar-Mqadam (XV[e] s.), publiés par Nau (27), elles n'ont guère de valeur, du moins en ce qui concerne les origines ethniques et religieuses des Yézidis.

En 1949, un Musulman de Mossoul, Sadiq Damlooji, qui avait été à plusieurs reprises, à l'époque ottomane, *moudir* dans les secteurs yézidis du Cheikhan ou du Sindjar, a publié un assez gros ouvrage de 520 pages, bien mal composé d'ailleurs, où, à côté d'anecdotes personnelles qui ne manquent pas d'intérêt, il apporte des renseignements précieux sur la famille des Émirs et les familles des cheikhs, par exemple, rectifie certaines erreurs qui ont cours sur le compte de la secte, mais paraît ne pas toujours manifester son esprit critique et, en particulier, ne pas tirer tout le profit possible des sources qu'il utilise, pour bien dégager les origines religieuses des Yézidis (28). Abd el-Rezzaq al-Hasani a repris et développé, en 1951, une étude qu'il avait d'abord publiée en 1929 et en 1931, sur les Adorateurs du Diable en Irak. C'est une synthèse de ce que l'auteur a trouvé dans les ouvrages arabes antérieurs. Il y joint quelques observations personnelles. On a plaisir à lire ce travail,

imprimé clairement, et où les références et les citations sont exactement indiquées (29).

Signalons enfin quelques Kurdes qui ont eu l'occasion de s'intéresser aux Yézidis. D'abord M. Emin Zeki, dans son *Résumé d'Histoire des Kurdes et du Kurdistan* (1936) (30). Mais il ne fait que reprendre les conclusions de l'abbé Sleiman Sayegh dans son *Histoire de Mossoul* (31), travail qui, malheureusement, n'a rien d'original en la matière, car l'auteur se borne à suivre Nau dans ses appréciations alors que, étant sur place, il lui était si facile de remonter aux sources. L'Émir Djeladet Bader-Khan a publié dans la Revue kurde *Hawar* (1932) une *Notice sur la Bible Noire* (31), et en 1933, *Quatre prières authentiques inédites des Kurdes yézidis* (32). Osman Sebri, dans la Revue kurde *Ronahi* (1942) a de même recueilli quelques renseignements nouveaux sur les Yézidis du Sindjar de la bouche de quelques-uns de leurs cheikhs réfugiés en Syrie (34). Mais ces différents auteurs sont des Kurdes nationalistes, convaincus que les Yézidis sont les survivants de la religion zoroastrienne que professaient autrefois tous les Kurdes et que, par conséquent, ils n'ont rien à voir avec l'Islam. Thèse qu'il paraît difficile de soutenir encore aujourd'hui.

3. — *Orientalistes en chambre.*

Certains orientalistes n'ont jamais rencontré de Yézidis en chair et en os, mais bien au cours de leurs études. Ils ont donc voulu faire connaître à leurs compatriotes les fruits de leurs lectures. Ce seront donc surtout des compilateurs, des traducteurs ou des commentateurs. En anglais, nous avons ainsi la compilation, déjà rencontrée, de Isya Joseph; en allemand, une étude consciencieuse du texte kurde des livres sacrés par Bittner (1911) que nous étudierons plus loin, les recherches de A. Dirr (35) et les différentes études de Menzel (36); en français, des Documents du XVIIe siècle découverts par Perdrizet, en 1903 (37), l'anthologie, déjà signalée de Nau, qui reproduit la substance de tout ce qui avait été publié jusque-là sur les Yézidis avec, en plus, le texte chaldéen et sa traduction française de Rabban Ramicho (1451); mais rien de bien original dans le volume de A. Menant (1892) qui écrit toujours Yézidiz, et on se demande bien pourquoi (38) ; et enfin, en italien, textes et études de Furlani (39).

Toute cette documentation garde sa valeur, mais on ne doit utiliser qu'avec précaution les commentaires qui l'accompagnent. On trouve quelques suggestions utiles dans le commentaire de R.C. Temple au livre de Empson sur le Culte de l'Ange-Paon

: 1928). Mais, si je ne m'abuse, le commentateur ne laisse pas grand chose des théories personnelles de l'auteur (40).

4. — *Auteurs et textes yézidis.*

Il a suffi aux voyageurs d'ouvrir les yeux pour décrire les sanctuaires et les fêtes des Yézidis, mais il a fallu nécessairement des contacts plus prolongés avec eux pour pénétrer dans leurs croyances. Il faut avouer que bien souvent les Yézidis interrogés se montrent d'une ignorance crasse, que reconnaissent tous ceux qui ont eu recours à leurs lumières, comme, par exemple, le P. Lammens ou R. Lescot. Mais il s'est trouvé aussi des Yézidis compétents qui ont apporté bien des éclaircissements. On connaît certains de ces informateurs précieux: Cheikh Nasir pour Badger, Kotchak Brahim pour Cacha Ishaq, Mollah Haidar pour Siouffi, Habib, devenu Abd al-Messih et Hemmü pour le P. Anastase, Elî Wûso pour R. Lescot, les cheikhs Heyder, Khalaf et Khidir pour Osman Sebri.

Mais quelle bonne fortune ce serait si un Yézidi nous exposait lui-même les mystères de sa religion. Eh! bien, deux Yézidis, à ma connaissance, ont répondu apparemment à notre désir: un Émir et un simple Yézidi, devenu, pour un temps, moine syrien-catholique (41).

L'Emir, Ismail Beg Tchol, ambitieux et sans scrupule, a écrit une *Histoire de sa vie* et de ses voyages parmi ses coréligionnaires très instructive et donné aussi des détails peu connus sur l'*Histoire du Sindjar*. Mais tout ce qu'il nous rapporte des *Croyances et Coutumes* des Yézidis n'est qu'une compilation sans grande critique de ce qui avait paru sur la question dans les revues arabes. C'est un pêle-mêle où les contradictions ne manquent pas. Il nous fournit pourtant quelques détails nouveaux sur les différents sanctuaires et pèlerinages. Son travail a été publié par C. Zreik, à Beyrouth, en 1934 (42).

Quant au Moine Behnam (43), qui vécut quelque temps au couvent de Cherfé au Liban, il y avait composé en karchouni (44), en 1916 une notice sur les Yézidis, où il ne fait que reprendre mot à mot les articles du P. Anastase dans le *Machriq* de 1899. Il en a toutefois supprimé certains passages, résumé quelques paragraphes et s'est écarté de sa source en deux points: quand il nomme l'Émir de son temps qu'il appelle Béchir, alors qu'il s'agissait en fait de Said Beg, et quand il avoue avoir personnellement participé aux séances d'orgie de la «*Leylet Kefshé*», que le P. Anastase ne pensait pas devoir attribuer aux Yézidis, malgré les rumeurs populaires.

Le P. Chebli, qui a édité cet article dans le *Machriq* en 1952, ne semble pas s'être rendu compte de tout cela.

On voit donc par là que, malgré les apparences, ces deux témoins yézidis ne sont pas tellement qualifiés. Le premier parce qu'il est de la famille des Émirs et que ceux-ci, comme nous le verrons plus loin, jouent un rôle d'ordre politique ou disciplinaire plutôt que doctrinal; le second, parce que simple *mourid*, il n'était pas pleinement initié. L'un et l'autre pourtant, par leurs écrits, authentiquent plus ou moins indirectement ce que croient et pratiquent les membres de la secte, mais leur témoignage partiel n'est pas vraiment original.

Livres Sacrés des Yézidis.

C'est ici qu'il nous faut faire mention des Livres Sacrés des Yézidis. En effet on attribue à la secte deux livres sacrés, si toutefois on peut appeler livres des écrits qui ne comportent pas plus d'une douzaine de pages à eux deux. Ce sont le *Kitêbê Cilwa*, ou Livre de la Révélation, et le *Meshefê Reş*, ou Bible Noire, comme on a pu traduire. Ces écrits, jusqu'à la fin du XIX[e] siècle, étaient restés inconnus aux étrangers qui en niaient formellement l'existence, comme Febvre par exemple. Pourtant, dès 1724, le Cheikh musulman 'Abd-Allah al-Rabatki reconnaissait que les Yézidis possédaient un livre, appelé *Djelwa*, qui serait dû à un certain Cheikh Fakhr ed-Din. Le P. Anastase lui-même, dans ses articles de 1899, croyait que le *Meshefê Reş* n'était pas autre chose qu'un recueil de quelques sourates du Coran dont on avait effacé ou couvert d'encre, d'où ce nom de noir, les mots Cheitan, malédiction et autres semblables. Cependant le Dr Forbes (46), dans un voyage au Sindjar en 1838, avait déjà entendu parler d'un Livre Noir qu'on attribuait à Cheikh 'Adi lui-même. — En 1895, comme nous l'avons déjà signalé, E.G. Browne (47), le premier, en une traduction anglaise, portait ces écrits à la connaissance du public européen. D'autres traductions suivirent bientôt en anglais, allemand, français, italien et arabe (48). Entre temps, un singulier personnage, Chammas Érémia Chamir, ancien moine chaldéen de Rabban Hormez, devenu prédicant presbytérien (49), nous renseignait sur les auteurs et les dates présumées de ces livres saints (50). Tout cela ne laissait pas d'intriguer les chercheurs, jusqu'au jour où notre curieux Père Anastase fit une découverte sensationnelle (51). Il raconta comment il avait obtenu de façon romanesque les deux manuscrits, les décrivit et donna le calque du texte kurde original qu'il accompagna d'une traduction arabe. L. Massignon reconnut de suite l'intérêt de cette découverte, mais resta sur une prudente réserve (52).

On se trouvait, en effet, en présence d'un texte écrit en caractères inconnus et obtenu par décalque. Il y avait là de quoi soulever bien des doutes et des suspicions concernant leur authenticité. Il fallait une édition critique et une étude approfondie du texte. C'est le Dr Bittner qui s'en chargea (53). Ce travail des plus consciencieux ne devait pourtant pas désarmer tous les critiques. L'attaque la plus violente fut menée par A. Mingana, ex-prêtre chaldéen de Tell-Keif, près de Mossoul, et devenu bibliothécaire d'une université anglaise pour les textes orientaux (54). Mais sa critique est beaucoup moins pertinente qu'elle n'en a l'air (55). La langue utilisée, dans ces deux écrits sacrés, est le Kurde; mais non le dialecte parlé aujourd'hui par les Yézidis du Cheikhan et du Sindjar. C'est du *Moukri*, dialecte des Kurdes des environs du lac d'Ourmia ou, avec des nuances, des Kurdes de Sulaimani. C'est un fait assez curieux. Faut-il l'expliquer par le caractère religieux des écrits, le sacré s'entourant volontiers de secret et de mystère? En tout cas, l'emploi de ce dialecte ne permet pas non plus de fixer une date, même ancienne, quoiqu'en pense Furlani (56). D'ailleurs d'autres questions subsistent. Il est bien difficile, croyons-nous, de faire remonter le *Meshefê Reş* jusqu'au XIVe siècle en l'attribuant à Hasan al-Basri (57). Et qui est ce Fakhr ed-Din qui serait l'auteur du *Kitêbê Cilwa*? (58). On se trouve vraisemblablement devant un cas de pseudépigraphie, phénomène qui n'est pas tellement rare dans le domaine religieux.

De toute façon, ces deux écrits sont assez différents l'un de l'autre, tant par leur contenu que par leur présentation. Le *Livre de la Révélation* est divisé en cinq courts chapitres. Un prologue nous avertit que Melek Taous est le premier de tous les êtres et veut instruire son peuple au moyen de ce livre. Melek Taous parle alors à la première personne. Il affirme son pouvoir universel; il récompensera ses fidèles disciples et châtiera les autres; fait allusion à la métempsychose; rappelle le secret de sa doctrine, la vénération de son image et l'obéissance à ses serviteurs. — Le *Livre Noir* débute par un récit de la Création où le rôle de l'Ange Gabriel et de Fakhr ed-Din est dûment mis en vedette. Suit une liste d'anciens rois yézidis. Après une assez longue parenthèse qui est un catalogue de tabous qu'on retrouve en gros dans la Pétition de 1872, dont il sera bientôt question, on revient aux rois yézidis et le tout se termine par un second récit de la Création qui donne l'impression de rester inachevé (59).

Quoi qu'il en soit de son auteur et de sa date, le *Livre de la Révélation* est sans doute antérieur au Livre Noir. En effet, il n'est pas sans affinité de style et même d'idées avec l'*Hymne de Cheikh*

'Adi, texte religieux yézidi de longueur assez semblable. Mais ce texte, publié pour la première fois par Badger, mais en traduction anglaise, est en arabe et doit donc, de ce fait, être considéré comme plus ancien. Damlooji, qui publie également cet Hymne, mais en arabe et avec des commentaires (*op. cit.*, p. 115-135), dit l'avoir trouvé dans un Recueil de Poèmes religieux attribués à Cheikh Hasan, chez un cheikh yézidi du Sindjar qui en descend. Ce recueil daterait du VIII^{e} siècle de l'hégire. Détail qui ne manque pas de valeur (60).

A ces textes purement religieux, on peut ajouter le seul document officiel émanant des autorités yézidies et dont les signataires sont connus. C'est une *Pétition présentée aux Turcs*, plus précisément au Général Tahir Bey, venu en 1872 pour enrôler les Yézidis dans l'armée ottomane. Liste d'interdictions et de tabous connus par ailleurs, elle a pour but de montrer que la vie militaire est incompatible avec la religion yézidie. C'est pourquoi, à côté de pratiques réelles, les auteurs n'ont pas hésité à introduire des coutumes qui, semble-t-il, visaient à exagérer les difficultés de l'enrôlement (61). Ils obtinrent pourtant gain de cause.

5. — *Historiens à la rescousse.*

Comme on a pu s'en rendre compte jusqu'ici, ni les observations des voyageurs, ni la mise au jour des croyances et pratiques actuelles de la secte, ni les commentaires de savants, plus ou moins attitrés, n'ont réussi à faire la lumière sur l'origine religieuse des Yézidis. Des traditions divergentes et même opposées circulent tant chez les chrétiens que chez les musulmans. Les Yézidis eux-mêmes ont une vague conscience de liens anciens avec l'Islam. Mais les impressions ne nous peuvent contenter. Des ressemblances plus ou moins fortuites avec des religions anciennes ou environnantes n'expliquent pas tout. Dans le domaine religieux, tout rapprochement est nécessairement délicat et, à plus forte raison, faut-il être prudent avant de parler d'emprunt ou de filiation. Les théories n'ont rien à voir. C'est une question de faits qu'on doit dégager pour aboutir à une solution qui aurait chance d'être la vraie. Une méthode scientifique s'impose. C'est pourquoi des historiens de valeur ont emprunté une autre route que celle de la plupart des auteurs dont nous avons parlé jusqu'à présent. Ils se sont donc attaqués à l'étude de l'origine des Yézidis en poursuivant méthodiquement la filière des auteurs anciens qui avaient parlé de cette secte. Ahmed Teymour a ainsi ouvert la voie et déblayé le terrain dès 1927, en prouvant que les Yézidis étaient primitivement les membres de la

confrérie *Adawiya* tout à fait orthodoxe, fondée par Cheikh 'Adi, et comment une branche de cette *zaouia* s'était installée en Égypte, dès la fin du XIII[e] siècle, et s'y était maintenue peut-être jusqu'à la fin du XVIII[e] (62). A son tour l'avocat irakien, Abbas Azzaoui, en 1931, retrouva dans le Yézidisme les liens qui l'unissaient au Soufisme (63), tandis que, de son côté, l'Italien M.A. Guidi, par des voies différentes, replaçait la secte dans la mouvance de la *Ghulaww* omeyyade, en 1932 (64). Les conclusions de ces deux auteurs concordent sur bien des points. Bientôt, R. Lescot, dans son *Enquête sur les Yézidis de Syrie et du Djebel Sindjar* (65, va apporter, en 1938, des renseignements inédits qui viendront confirmer favorablement cette manière de voir.

Sans négliger pour autant les éléments nombreux et précieux recueillis par leurs devanciers, je me suis basé, pour une large part, sur la documentation et les arguments de ces historiens, ainsi que sur mes recherches personnelles, pour m'aventurer à présenter à mon tour un exposé de l'origine religieuse des Yézidis.

II

FAUSSES PISTES ENTRE LE SOLEIL ET LA CROIX

Malgré des faits patents que nous exposerons par la suite, malgré des déclarations non équivoques de Yézidis sur leurs origines, malgré des textes assez clairs mais restés longtemps ignorés, les écrivains chrétiens qui, les premiers en Occident, ont parlé des Yézidis, n'ont pas su reconnaître le véritable caractère et les origines religieuses de cette secte qui leur paraissait étrange.

Plusieurs raisons me semblent pouvoir expliquer l'impossibilité où l'on fut, dès les premières études, de parvenir à des conclusions plus solides. D'abord l'époque de ces premières recherches coïncidant avec les découvertes archéologiques de Mésopotamie qui nous faisaient connaître la religion des anciens Assyriens et Babyloniens. Puis ce fait ethnique que les Yézidis sont des Kurdes dont les ancêtres furent des adeptes de Zoroastre. La localisation du principal sanctuaire et du berceau de la secte dans une région où pullulèrent des couvents nestoriens et leur habitat actuel dans des montagnes où autrefois prospérait la religion chrétienne. Enfin une connaissance encore insuffisante de l'Islam et de ses ramifications.

On peut penser en effet que si le sanctuaire de Cheikh 'Adi et tout son contexte de croyances et de coutumes s'était trouvé en Afrique du Nord, par exemple, on aurait moins divagué sur

l'origine religieuse des Yézidis et, depuis longtemps, on aurait conclu comme on peut le faire aujourd'hui.

Si l'on ne peut accepter les explications données par certains auteurs, c'est précisément parce que ces explications ne sont que partielles et fragmentaires, sans aucun lien entre elles. Si elles éclairent un article de foi ou une pratique religieuse, elles en laissent dans l'ombre beaucoup plus et l'on n'est pas plus avancé. On s'ingénie alors à justifier ces points restés obscurs et l'on voltige ainsi de Babylone à Zoroastre, du Christianisme à l'Islam; on nous transporte des Lepchas de l'Himalaya (V. Cuinet) aux Samoyèdes de Sibérie (Damlooji); on évoque les Boudhistes et les Sabéens, et on aboutit ainsi à un mélange invraisemblable, à un syncrétisme inexplicable qu'on ne retrouve nulle part ailleurs. Pourtant si l'on découvrait un fil conducteur unique, qui donnerait des éclaircissements suffisants sur des coutumes et des croyances disparates qui deviendraient ainsi compréhensibles, ne serait-ce pas que ce fil nous mène sur la bonne piste? Or ce fil existe: c'est l'Islam, mais un Islam tellement dénaturé à l'usage que les Musulmans eux-mêmes ont fini par ne plus le reconnaître.

Les Yézidis sont-ils héritiers des anciennes religions babyloniennes? Doit-on croire qu'ils descendent directement des Zoroastriens et adorateurs du Soleil qui vécurent dans le pays qu'ils occupent aujourd'hui? Ne serait-ce point eux qui ont maintenu plus ou moins intégralement l'ancien paganisme kurde? Peut-on dire enfin qu'on retrouve chez eux des traces évidentes d'une origine chrétienne? La réponse à toutes ces questions déblaiera notre chemin.

Voici donc un certain nombre de fausses pistes largement foulées et que suivent peut-être encore des amateurs.

1. — *Les anciens cultes babyloniens.*

On a voulu retrouver chez les Yézidis des vestiges des anciens cultes de Babylone. Ne rencontre-t-on pas chez les Yézidis trois divinités du Panthéon babylonien: Tammouz, Shamash le Dieu-Soleil et Shin le Dieu-Lune? Dans la nomenclature des Yézidis en effet on parle souvent de Taous-Melek, l'Ange-Paon. Persuadé que nous avons affaire à un culte antique, un assyriologue, Litzbarski (66) qui d'ailleurs suit Chwolson, y retrouve sans le moindre doute le Dieu-Tammouz, par transformation, normale en kurde, de M. et W. Mais Clermont-Ganneau(67) a réfuté ce rapprochement «spécieux» entre Melek Taous et Tammouz, en faisant remarquer que pas une seule fête de Melek Taous ne tombe au mois de juillet, mois

spécialement consacré au Dieu-Tammouz. Furiani a repris cette critique (68). — Il y a aussi un mausolée consacré à Cheikh Chems ed-Din, qu'on désigne souvent sous le nom abrégé de Cheikh Chems, Cheikh-Soleil. D'aucuns comme Wigram (69) ou Lady Drower (70) et d'autres n'hésitent pas à l'identifier au Soleil lui-même, Cheikh Chems ed-Din n'étant qu'un trompe-l'œil à l'usage des Musulmans (71). Mais nous savons pertinemment que Cheikh Chems ed-Din a bel et bien existé. Il est renommé dans la secte. Il était en effet de la famille de Cheikh 'Adi. C'est le fameux Cheikh Hasan, fils du second Cheikh 'Adi. Il passe pour avoir été à l'origine de certaines déviations dans l'orthodoxie musulmane de la fraternité. Toute une lignée actuelle de cheikhs se considère comme ses descendants et, à ce titre, jouit de certains privilèges (72). — Enfin, les Yézidis adoreraient le Soleil. Preuve en est qu'au jour de la fête de Cheikh 'Adi on lui sacrifie un Taureau Blanc et que, en outre, chaque matin, tout Yézidi baise la place où cet astre jette ses premiers rayons et se tourne vers lui à son lever et à son coucher en lui adressant une prière. Aussi certains auteurs donnent-ils parfois aux Yézidis le nom de *Chemsiyé* ou Adorateurs du Soleil (73). Mais s'il arrive qu'on tue un taureau qui, d'ailleurs, n'est pas nécessairement blanc, cela n'a rien à voir avec le culte du soleil, nous dit Damlooji. C'est une coutume qui remonterait à Cheikh 'Adi lui-même (74). Le fait de se tourner vers le soleil pour prier ne signifie pas nécessairement acte d'adoration. Les églises chrétiennes étaient autrefois toujours orientées, c'est-à-dire tournées vers l'Est ou le Soleil Levant et des chrétiens orientaux prient parfois encore dans la même direction (75), mais on ne peut décemment affirmer qu'ils adorent le Soleil, ce soleil «sans qui les choses ne seraient que ce qu'elles sont» (76). — Un autre cheikh, Cheikh Sadjadin, éponyme lui aussi d'une famille de chefs religieux, se prononce souvent par abréviation Cheikh Sin : il n'en faut pas plus pour y reconnaître la Lune, autre divinité babylonienne. Mais nous savons désormais à quoi nous en tenir. Quoi qu'il en soit de la religion des anciens Arabes, il n'est personne aujourd'hui pour attribuer aux Musulmans un culte de la Lune et du Soleil, malgré le Croissant, figuré partout et qui est devenu en quelque sorte le symbole de l'Islam; malgré le Soleil et les Étoiles qui ornent le drapeau de nombreux peuples musulmans et bien que tout fidèle réponde — en s'inclinant — à l'appel de la prière lancé par le *muezzin* au lever et au coucher du soleil.

Enfin toute la campagne, entre Ba'chiqa et Bahzani spécialement, mais on en trouve beaucoup ailleurs aussi, est parsemée de monuments de forme assez caractéristique. Ce sont des édicules carrés de deux ou trois mètres de côté, que surmonte une ou deux marches

rondes, couronnées elles-mêmes par un cône aux multiples arêtes. Les Yézidis les appellent *Chaqs*. C'est sans doute possible le mot arabe *Chakhs*, personne (77), prononcé à la kurde (78), car chacun de ces mausolées représente ou est dédié à un Cheikh de la confrérie. On a voulu y voir le mot hébreu *Šäqäṣ*, qui signifie chose détestable, idole (79) : ou même, ce qui est encore plus fort, le mot babylonien *Šaqṣu* qui veut dire: monstre, mauvais, malin (80). Évidemment puisqu'il s'agit d'Adorateurs du Diable, ils ne peuvent rien faire que de mal. Mais la pratique yézidie, ainsi d'ailleurs que le sens obvie des mots et des choses, s'opposent formellement à ces interprétations.

2. — *Le dualisme iranien.*

Le dualisme iranien entrerait pour une bonne part dans la religion yézidie. En effet les Yézidis sont Kurdes et ceux-ci passent pour être les descendants des Mèdes qui avaient le *Magisme* pour religion. Zoroastre, son réformateur, Zerdesht, comme ils l'appellent, n'est-il pas né chez eux, en plein Kurdistan, en 660 avant Jésus-Christ? (81). S'il a rejeté les sacrifices sanglants, il a conservé le sacrifice dù feu, symbole de justice et de la lutte contre les forces du Mal (82). Les deux Principes du Bien et du Mal régissent le monde, en effet, et tout homme doit choisir entre la Lumière et les Ténèbres, entre le Bien et le Mal, entre Ormezd et Ahriman. Sans doute, mais ce n'est pas de cette façon que les Yézidis considèrent leur culte de l'Ange-Paon.

Pour Badger, le nom de Yézidi viendrait de *Yezd* ou *Yezdan*, titre que les anciens Persans attribuaient à l'Être Suprême. D'autres disent que le nom des Yézidis leur vient de la ville de *Yezdem*, ville de Perse où se maintiendrait le culte du feu. Pour Badger encore, Cheikh 'Adi, leur grand saint, s'identifierait à Yezd, son nom n'étant qu'un diminutif du mot hébreu Adonai, qui lui aussi veut dire Dieu. Étymologie fantaisiste, s'il en fut. Mais Badger a imaginé de toutes pièces un contexte spécial qui lui sert à interpréter tout ce qu'il a appris sur les Yézidis, sans se soucier des contradictions ou de faits très clairs. En effet, lors de ses fouilles à Nemroud, l'archéologue Layard avait découvert un oiseau sur une plaque de marbre. Il en avait fait un croquis et ajouté en note: «Les *Iynges*, ou oiseaux sacrés, appartenaient à la religion babylonienne et probablement aussi à la religion assyrienne. *C'étaient des sortes de démons* qui exerçaient une particulière influence sur l'humanité, ressemblant au *ferouher* du système zoroastrien». Se référant à ce texte, Badger en conclut aussitôt (*op. cit.*, p. 127): «Il ne peut y avoir le moindre

doute que Melek Taous est en substance le Frouher du Zoroastrisme et je crois tout à fait probable que cette image est employée à des fins de divination dans les assemblées secrètes des Yézidis modernes». Le moindre doute, c'est vite dit.

Les nombreux lampions que les Yézidis aiment à allumer dans les alvéoles de leurs mausolées ou de leurs lieux de pèlerinage seraient aussi des souvenirs du *culte du feu*. Le fait n'est pas probant(82).

Les Yézidis se désignent souvent eux-mêmes sous le nom de *Daseni*, que les chrétiens des environs de Mossoul parlant soureth prononcent *Desnayé*, nom sous lequel ils désignent habituellement les Yézidis. D'ailleurs le *Cheref-name*, ouvrage fondamental pour l'histoire kurde et terminé en 1596, reconnaît également l'importance de cette tribu yézidie. Dasenî signifie tout simplement habitant du pays de Dasen, dans le Hakkari, où précisément habite la secte. La formation du mot est régulière. Pourtant certains savants (83) ont trouvé cette étymologie trop simple et, dans la conviction qu'ils étaient que les Yézidis sont des Manichéens, ils ont fait dériver ce nom de Bardésane, ce qui est proprement ridicule. Cet hérétique syriaque (154-222) est né à Édesse (Ourfa) sur les bords de la rivière Daisan, d'où son nom. Mais ses parents étaient originaires d'Arbelles. Ses doctrines, développées par ses disciples dans le sens du dualisme manichéen, furent combattues par saint Éphrem (+ 379), mais existaient encore en Mésopotamie au VIIe et au VIIIe siècles, d'après Jacques d'Édesse et Georges l'Arabe, et au Xe siècle, selon Mas'oudi. L'argument a paru valable au P. Lammens, du moins pour les Yézidis du Djebel Sim'an, puisqu'il en fait les descendants directs des Pauliciens, ainsi qu'on appelait les Manichéens de Syrie, contre lesquels saint Jean Damascène (— 749) a composé plusieurs traités (84). Mais à l'époque, le P. Lammens prenait les Yézidis pour des autochtones, alors qu'en fait ils ne vinrent pas s'installer au Djebel Sim'an avant le XIIIe siècle (85). Par ailleurs, il est vraiment étrange que le célèbre orientaliste ne se soit pas posé plus de questions sur ces autochtones qui parlent Kurde dans une région si éloignée du Kurdistan! Ainsi son explication ne garderait de valeur que dans le cas où on n'en pourrait fournir de plus adéquate. A. Néander pensait de son côté que l'identification de Cheikh 'Adi avec Adiment et les tentatives de rapprocher le Yézidisme du Manichéisme n'avaient pas de fondement (86). Certes l'adoration du Soleil apparaît comme un trait caractéristique chez les Yézidis, dit-il, mais il n'est pas nécessaire d'y voir une influence du manichéisme. Ce serait plutôt celle du parsisme que d'autres sectes subirent aussi. Et il cite le cas des Esséniens (87).

3. — *Le paganisme kurde originel.*

Avec le culte des astres et des forces de la Nature, les Anciens, un peu partout dans le monde, s'imaginaient que des génies, bons ou mauvais, hantaient certaines sources et certains arbres, devenus de la sorte objets de vénération. Les Kurdes partagèrent ces pratiques du paganisme universel que le Christianisme combattit. Au IIIe siècle, le saint Mar Mari d'Ourfa(—226) convertit à Chahrgert, entre Daqouqa et Arbil, le roi et son peuple «qui adoraient des arbres et sacrifiaient à l'image de cuivre» (88). Ce culte primitif de la nature n'a pas entièrement disparu du Kurdistan (89) et, chez les Zazas (90), comme chez les Yézidis et d'autres peuples de l'Asie Antérieure (91), aujourd'hui encore, bien des sources et bien des arbres sont regardés comme sacrés. Ce fait notoire fut l'occasion pour N.J. Marr, devenu par la suite académicien soviétique, de défendre une thèse vraiment originale sur l'origine des Yézidis. Sa théorie date déjà de 1911 et prend le contre-pied de ce que l'on admettait couramment en ce domaine. Elle est pratiquement restée inconnue ou inutilisée de ceux qui s'étaient penchés sur ce problème. Mais B. Nikitine nous l'a fait connaître dans son ouvrage si bourré sur les Kurdes (92).

La thèse peut se formuler ainsi: «Le Yézidisme est la religion proprement kurde professée avant l'Islam et ayant perdu beaucoup de terrain après la pénétration de la foi musulmane chez ce peuple» (p. 235). En somme Marr identifie Yézidisme et Kurdisme par excellence. Ce qui dès l'abord paraît risqué. Pour défendre sa thèse, l'auteur va se servir d'arguments d'ordre linguistique, religieux et ethnographique. On pourrait résumer son argumentation dans les quatre propositions suivantes: 1°) La religion primitive des Kurdes a eu une influence marquée sur les hérésies chrétiennes nées en milieu arménien, comme celles des Euchytes et des Pauliciens, ainsi que dans les sectes dissidentes de l'Islam et surtout le dervichisme. — 2°) Le mot *Tchelebi*, emprunté aux Kurdes par les Turcs au XVe siècle, est identique à *Yézidi*. En effet, dit l'auteur «si le mot *Tcheleb*, Dieu, est d'origine japhétique, plus exactement japhétique méridional, et si son dérivé *tchelebi* signifie non seulement «divin», mais aussi bien-aimé, noble, seigneur, maître de maison, ainsi que musicien (chanteur), poète et puis lettré, instruit, cultivé, comme aussi noble, honnête, poli, élégant et, enfin, petit maître, il est clair, sans recours à des preuves, que nous avons dans ce mot la survivance d'une bonne partie de l'histoire du peuple qui le créa». Or ce peuple est le peuple kurde. — 3°) La langue primitive des Kurdes n'était pas le kurde parlé actuellement. — 4°) Enfin, les Kurdes ne sont point indo-européens, mais japhétiques.

Toute cette argumentation pose plus de problèmes qu'elle n'en résoud. En effet, ces propositions en chaîne, qui s'étayent mutuellement, ne sont au vrai que des hypothèses qui devraient s'appuyer sur des faits certains. Or c'est le contraire qui se produit, car des faits dûment vérifiés s'opposent à ces hypothèses.

En effet, la thèse en elle-même est précisément ce qui est mis en question et le culte du soleil et de la lune qui en est la base et qui passait pour certain au siècle dernier, n'est attribué aux Yézidis que par une fausse interprétation, nous dit Menzel (93), ainsi d'ailleurs que nous l'avons montré précédemment.

A son tour, le mot *Tchelebi*, qu'on retrouve dans le kurde moderne avec le sens de joli et de musicien ambulant, et qui est aussi le titre officiel du supérieur majeur de la secte des *Bektashi*, est d'une étymologie des plus douteuse (94). Celle proposée par Marr, parmi tant d'autres, ne s'appuie que sur d'autres hypothèses, par exemple, qu'autrefois une tribu kurde portait ce nom qui, par la suite, fut attribué à toute la nation. Or le *Cheref-name*, qui nous renseigne si bien sur les tribus kurdes en remontant à leurs origines, et qui signale celles qui étaient yézidies de son temps ou l'avaient été auparavant, reste muet sur les Tchelebi.

D'autre part, aucun fait précis ne permet d'affirmer que les Kurdes aient changé de langue. Pourtant, au dire de Mas'oudi, les Kurdes auraient primitivement parlé l'arabe. Mais on ne voit pas comment cette théorie favorise l'hypothèse de Marr. Au contraire.

En effet, si les Kurdes ne sont pas des indo-européens, bien qu'ils parlent aujourd'hui une langue indo-européenne, il faudrait prouver qu'ils utilisaient auparavant un parler japhétique. Cette preuve n'a jamais été faite. Alors sur quoi peut-on baser le japhétisme des Kurdes?

Bref cette méthode «paléontologique» de l'Histoire me paraît faire appel à l'imagination plus qu'aux réalités, et la méthode linguistique de Marr, pour si subtile et suggestive qu'elle soit, n'en demeure pas moins, en définitive, trop problématique. Et ainsi, malgré ce bel échafaudage d'arguments, plus brillants que solides, on ne peut conclure que le Yézidisme soit fondamentalement le paganisme kurde originel.

4. — *Les origines soi-disant chrétiennes.*

C'est un fait qu'aujourd'hui les quelques groupes subsistants des Yézidis habitent des régions montagneuses, comme le Cheikhan, leur centre religieux, et surtout le Sindjar et le Djebel Sim'an. Je

ne parle pas des Yézidis du Caucase qui, d'ailleurs, semblent avoir perdu toute attache avec leurs coreligionnaires. Or, au début du XIXe siècle, des écrivains arméniens, comme Tchamtchian et Abovian, voyaient en eux des hérétiques qui se séparèrent jadis de l'Église arménienne (96). D'autre part, Cheikhan, Sindjar et Djebel Sim'an ont été autrefois des centres bien connus où la vie monastique chrétienne s'était pleinement épanouie. Dans le Cheikhan, en particulier, ou pays de Dasen, comme on l'appelle encore, les couvents nestoriens étaient aussi nombreux que prospères, comme on peut le lire dans Thomas de Marga (840). On peut citer parmi ceux qui, sans doute possible, se trouvaient dans cette région: Mar Ananicho, au-dessus de Hétara, Mar Ithalaha à Lalesh, le Bienheureux Hebhisha à Hnès, le monastère élevé de Mar Addai, celui de Récha et bien d'autres. Rabban Babai, le musicien, vers 750, avait fondé dans le pays 34 écoles, dont celles de Hétara, Hnès et Beth-Adré (Ba-Adhra) où s'était tenu un Synode nestorien en 485, village qui s'appelle aujourd'hui Ba'adré et où réside le grand Émir des Yézidis. D'ailleurs toute la toponymie est chaldéenne (97).

Au Sindjar, où siégeait autrefois un évêque nestorien, les Jacobites y avaient également, dès 630, des évêques qui dépendaient du mafrian de Tikrit. Leurs couvents aussi étaient nombreux, parmi lesquels ceux de Bar Toura, de Mar Aaron, de Mar Péthion, de Baoutha, etc. Certaines ruines en ont conservé le souvenir, par exemple, Deir el-Assy ou Deir el-Zalazil (98).

Le Djebel Sim'an est couvert lui aussi de nombreuses et intéressantes ruines, datant de la période gréco-chrétienne, et qui achèvent de lui donner un aspect des plus caractéristiques (99).

Or, dans toutes ces régions, ces anciens couvents ont disparu, sont dépeuplés ou transformés, sauf, au Cheikhan, *le Sanctuaire de Cheikh 'Adi.*

Bâti dans la gorge de Lalesh, à flanc de montagnes couvertes de chênes sacrés, ce sanctuaire fait le plus bel effet au milieu de tant de verdure. Une galerie voûtée, d'ailleurs à moitié en ruines, nous y conduit. Après avoir traversé trois cours successives, où se trouvent les bassins réservés aux ablutions, on entre dans le sanctuaire lui-même qui a tout à fait l'aspect des anciennes églises nestoriennes à trois nefs. C'est dans celle de gauche qu'est situé le tombeau de Cheikh 'Adi. Il va sans dire qu'il faut se déchausser pour pénétrer, non seulement à l'intérieur du Temple, mais un Yézidi serait *kafir* s'il ne marchait nu-pieds dès qu'il l'aperçoit de la montagne. Vraisemblablement nous nous trouvons ici en présence d'un ancien couvent nestorien. Outre l'ordonnance même des bâtisses et leur orientation, la situation de l'édifice en ce lieu retiré est en faveur

de cette origine. D'ailleurs les traditions chrétiennes locales sont unanimes sur ce point. Elles ne divergent que s'il s'agit d'identifier tel ou tel couvent disparu. Un auteur nestorien, déjà signalé, Rabban Ramicho, du couvent de Beit-Awê, dans une lettre à un autre moine, rapporte, en 1451, d'après des documents anciens, comment le célèbre couvent de Mar Yohanna et Icho' Sabran fut pillé par un Kurde, nommé 'Adi. En tout cas il n'y aurait là rien d'impossible ou d'insolite (100). Le fait était fréquent alors et les couvents qui se vidèrent devant les incursions de tribus pillardes sont nombreux, quitte à se repeupler après la tourmente. Il suffit de lire, pour s'en convaincre, la vie, écrite en 1186, du Moine Joseph Bousnaya, mort en 979, et originaire du village de Bozai, à quelques heures de marche de là (101), sur la route entre Alcoche et Ba'adré, dans la région précisément qui deviendra le centre religieux de la secte (102).

De même, au Sindjar, plusieurs des anciens couvents servent de sanctuaires aux Yézidis. Entre autres indices, on les reconnaît aux inscriptions syriaques qui se voient encore sur les portes et sur les murs et que les Yézidis ont essayé de faire disparaître. On sait aussi que ces derniers y conservent précieusement de vieux manuscrits et livres chaldéens et syriaques qui proviennent de la bibliothèque de ces anciens monastères chrétiens (103).

Mais ces faits évidents ont été parfois interprétés de façon trop simpliste. Sous prétexte que les Yézidis occupent aujourd'hui d'anciens couvents, on en a conclu, bien légèrement, que la secte avait commencé avec des moines nestoriens, trompés par le Diable, en l'absence de leurs supérieurs partis en pèlerinage à Jérusalem (104). Cheikh 'Adi ne serait plus qu'un mythe qui aurait pris la place de Mar Addai, titulaire du couvent converti. Les Yézidis du Sindjar, eux, seraient les descendants directs d'une communauté jacobite, plus ou moins délaissée par son Patriarche au XVII^e^ siècle, et qui, n'ayant plus de prêtres ni de connaissances religieuses, se serait laissée entraîner aux croyances nouvelles que leur auraient apportées des *Qawal* yézidis (105). Mais cette conclusion est loin de s'imposer. Que d'églises ont été transformées en mosquées; mais de là à affirmer que leurs fidèles, leurs usagers, n'ont point changé, il y a de la marge. Mais ce principe ayant été admis par certains de cette conversion radicale, on s'ingénie à reconnaître en certaines pratiques des Yézidis des vestiges d'anciens rites chrétiens. — On a ainsi relevé chez eux de la vénération pour le Christ ou la Vierge Marie (106). Par exemple:

Isa Delal çi ye ?	Le Cher Jésus qu'est-Il.
Bê bab e û bê da ye.	Il est sans père et sans mère.
Ez ji nûra Xwedê ye.	Il vient de la Lumière de Dieu!

Cette connaissance du Christ ne dépasse pas celle du Coran qui vénère lui aussi Jésus et sa Mère. D'ailleurs le Christ des Yézidis n'est pas autre que le Christ de l'Islam, qui n'est ni Fils de Dieu, ni Sauveur, celui des Docètes par conséquent puisqu'il n'est pas mort sur la Croix (107).

On a aussi comparé au baptême chrétien l'immersion des enfants dans l'eau du Zemzem (108); à la confession, l'aveu de certains coupables au grand Cheikh; à la communion même,une sorte de cérémonie dans laquelle, au cours d'un repas, le chef de l'assemblée, prenant un vase rempli de vin, prononce ces mots: «*Eve çi ye ? Eve Kasa Isa ye. Ev Isa nav rûniştiye*». — Ce qui veut dire: «Qu'est ceci? C'est la coupe de Jésus. Jésus y réside!» Et après avoir bu, il passe la coupe aux assistants. Ce dernier rite d'ailleurs serait spécial aux Yézidis de Khaltar, dans le voisinage de Diarbékir. Les autres n'en ont jamais entendu parler. Toutes ces comparaisons et assimilations nous sont proposées par le P. Anastase. On ne les trouve pas ailleurs. Il y a là de quoi se méfier (109).

Pour comble on a osé avancer, au mépris de toute loi phonétique, que l'Ange-Paon, Melek Taous, objet de la vénération des Yézidis, n'était autre que le THEOS grec, Dieu, dont le nom se retrouve dans la liturgie nestorienne et que les Yézidis auraient conservé!!! Mais alors, il ne s'agit plus d'Iblis et peut-on parler encore d'Adorateurs du Diable?

(*à suivre*)

المشرق

السنة الخامسة والخمسون | آذار - نيسان ١٩٦١

المسيح في الاسلام

بقلم ميشال الحايك

دكتور في اللاهوت، مجاز في الاداب

استاذ في الجامعة الكاثوليكية بباريس

تمهيد

لقد وافى الزمن الذي يجب علينا ان نلتقي فيه، ولكن على غير الصعيد الذي ظننا منذ اجيال ان كان لنا عليه موعد، وما كان لنا هناك غير الخيبة.

ان لم يكن بيننا سوى هذه الرقعة الجغرافية الواحدة التي تضمنا، وهذه اللغة الواحدة التي بها نتداول، وهذا الشطر الواحد

من التاريخ الذي صنعناه وقطعناه معاً، فقد حتم علينا التلاقي والاخاء.

منذ ثلاثة عشر قرناً والنصارى يعيشون الى جانب المسلمين، والمسلمون الى جانب النصارى، توسع اولئك على حساب هؤلاء، وبات هؤلاء يتحينون الفرصة لاسترجاع ما غنم اولئك منهم عنوة او صلحاً. فكانت هذه الثروة التقليدية التي ورثناها من الجدود ولا نزال نتوارثها، ثروة الجهل والعنف، وكانت هذه الاعماق التي تفصل الآن ما بيننا.

ولم يبخل التاريخ على الاثنين بمواعيده، فقد التقوا مراراً عديدة في ساحاته وعلى مفترقاته ولكنهم لم يتعارفوا الا قليلاً ولم يتصافوا الا نادراً، وظلوا اخوة غرباء في بيت ابيهم ابراهيم.

وكان اول ما التقوا علناً يوم غادر محمد نبي المسلمين مكة، وفيها فتنة على دين جديد ما جاء ليخالف الموحدين من النصارى واليهود، بل لينذر بالعقاب امة جعلت الصنم العيّ رباً لها. كانت الفتنة على المؤمنين الاولين بدين الاسلام فهجرهم نبيهم الى بلد الاحباش النصارى فوجدوا هناك لدى النجاشي، سيد اقصوم، موئلاً يقيهم، في ساعة البؤس، ظلامات بني قومهم. فحلوا مكرمين على سعة في ظل المليك. ولما خمدت الفتنة في مكة رجع المهاجرون الاولون، ومنهم من طاب له المقام هناك فظل مقيماً. وحين قضى النجاشي حتفه صلى محمد على نفسه في البقيع معلناً الحداد الاسلامي الاول على نصراني مات.

ولقد لاقى محمد لدى المسيحيين في مكة والمدينة، في بدء هجرته، اخلاصاً في الولاء وقياماً بالعهد، فاحبهم بدوره حباً لا غش

فيه، وحفظ القرآن آيات كانت صدى تلك المودة الاولى: «ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون».

ولكن هذا التلاقي لم ينزل صوب الاعماق ، بل بات سطحياً ، اذ ان المسيحيين ، قبيل الهجرة ، في الجزيرة العربية كانوا جماعة مبعثرة الشمل من اناس قليلي العدد ، خاملي النسب ، لا تجمع بينهم الروابط الدينية ولا يوحد امرهم اولئك القسيسون والرهبان الذين ذكرهم القرآن. بل كانوا بالاحرى قوماً فرقت بينهم النزعات الدينية والعرقية والتجارية ، جاء البعض منهم من سوريا ليقوموا بحرفات وضيعة ، كالحجامة او بيع الزيوت والخمور في جزيرة العرب وهي آنئذ « ارض البؤس والجوع.» والبعض الآخر ، وهو اكثر عدداً ، قدم من افريقيا، ومن هؤلاء كان بلال، مؤذن النبي، ومارية القبطية التي اعطت محمداً قرة العين، ابراهيم، الطفل الوحيد الذي قضى صغيراً. ومعظم هؤلاء الاحابيش كانوا يجندون للذود عن مكة ، وقت رحلات القوافل او اذا طرأت الغزوات ؛ فان زال الخطر الطارئ انتزع منهم السلاح، وعادوا فباعوا حرياتهم لاشراف مكة الوثنيين لقاء الاسودين ، التمر والماء . وقد حكم صاحب كتاب الاغاني ان «لا خير فيهم ان جاعوا سرقوا وان شبعوا زنوا».

وهؤلاء لم يعرفوا من دينهم المسيحي سوى جهلهم به ، ولم يمارسوا شعائره الا بالشكل الذي عيّرهم به الامام علي ، الا وهو تحليل شرب الخمرة. ولكنهم احتفظوا من عقيدتهم بقصص غريبة اوردتها الاناجيل المنحولة او الموضوعة ، فكرّم البعض منهم مريم

وقربوا لها التقادم والقرابين كأنها الهة « من دون الله » . وكان لمريم بين اصنام الكعبة تمثال يصورها وابنها عيسى « قاعــدًا مزوقاً » في حجرها ، كما ذكر الكلبي في « كتاب الاصنام . » ومـا نكران الوهية المسيح في القرآن سوى غضبة على اولئك المسيحيين الذين تبرأ منهم الحقيقة المسيحية ، والذين كرموا مريم نظير « الصاحبة » قرب الله ، في هياكل الاوثان .

فلم يكن بوسع النبي ان يلتقي بالعقيدة المسيحية على حقيقتها . واذ حانت له فرصة في ذلك اذا بالنتيجة تجيء فاشلة . فـما ان هاجر النبي الى المدينة حتى اصطدم باليهود اولًا فاخضعهم قبيلة بعد اخرى معملًا السيف في رقـاب ذكورهم مستبيحاً البعض من نسائهم للمهاجرين والانصار او جالياً العاجزين والعاجزات منهم خارج الجزيرة . ثم كان له اصطدام اخير مع القبائل المسيحية اليعقوبية التي كانت تحمي النفود في الشمال ، على طريق القافلات الداخلة ارض بيزنطية . فكانت غزوة تبوك ومؤتة اللتان اسفرتا عن فشل المسلمين . فجاءت آيات في القرآن معاصرة لهذه الاحداث التاريخية المعروفة ، وهي آيات مرة على المسيحيين . وكانت بعد ذلك المباهلة ، اي دعوة الله على الكافرين ، بين النبي ووفد مدينـة نجران . ولقد اوسع محمد حينذاك مكاناً للنجرانيـين فصلوا صلاة الفصح في اول جامع اسلامي ، في « المدينة المنورة » سنة ٦٣١ .

ومات النبي وانتشرت دعوة الاسلام صوب الشمال ضاربة في البلدان السريانية المسيحية الخاضعة لسلطان بيزنطية . وكانت القبائل المسيحية تكره قيصر الروم لتعسفه ، فساروا في مقدمـة الغزاة

المسلمين على سوريا ، وقد ذكر بهذا شاعرهم النصراني في حضرة الخليفة: « لما رأونا والصليب طالعاً ومارسرجيس وسما ناقعاً .. » وكانت في زمن الامويين الاولين اخوّة يجب ان تعاش من جديد .

ولكن ما عتم الامر حتى ادرك المسيحيون ان آية القرآن سوف تطبق عليهم بالحرف الكتابي، فهم أهل الذمة وعليهم « ان يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ». فبدأت تسوء بهم الحال، فمنهم من اسلموا ومنهم من قبعوا في زوايا الشرق، وما لهم من هم سوى الحفاظ على تراث دينهم .

وحلت الحروب الصليبية، وقد فسدت غاياتها الدينية ؛ واذ قاربت بين الشرق والغرب، تركت وراءها رصيداً من التباعد والتباغض لم يشف الاثنان منه تماماً حتى يومنا هذا .

ثم دُكّت اسوار القسطنطينية سنة ١٤٥٣ فانهارت روائع لا تحصى ؛ وكان الفتح العثماني سنة ١٥١٦ ، وكلها انتصارات سجلها الاسلام في تاريخه، وانطوى، الا من بعض الصفحات، سفرُ المسيحية من هذه البلدان التي أُزيل، الا عن بعض قبابها ، الصليب .

***

من هذه اللمحة الخاطفة يبدو ان المسيحية والاسلام التقيا سياسياً وجغرافياً ؛ ومن ثم كان تفاعل بين الاثنين اعطى جنى طيّباً في عالم الثقافة ؛ ولكن السياسة والثقافة مهما طابت نتائجها لن يكونا سوى عرض في العلاقات الاسلامية المسيحية . وانما الجوهر هو اعمق من ذلك ، هو في الاحتكاك العقائدي المحض بين الديانتين على ضوء الاصول الثابتة .

لا ننكر على الذين سبقوا جهدهم في طرح المشكلة على هذا الاساس. ولن يفضي بنا الغرور الى الاعتقاد باننا اول من يقوده تفكيره بامور هذا الشرق الى البحث بالشؤون الدينية التي ما برحت، بالرغم من المتنكرين لها، جذور مجتمعاتنا. ولسنا اول من يشاء باخلاص ان يحاول ايجاد حل مقتبس من اصول الدين لمشكلة هذا المجتمع ليتمكن ابناؤه من العيش آمنين في رضى ربهم وظلال وطنهم. ولو جئنا نعدد المحاولات السالفة لطال بنا الحديث وقادنا البحث الى الاجيال الدارسة فتهنا وتاه معنا القارئون. اذ انه، منذ ظهور الاسلام، بدأت المسألة تثار من هذا الجانب ومن ذاك الجانب، ولا يزال بنا الامر على هذا النحو، نتناساه في يومياتنا الهزيلة وتضطرنا علينا الاحداث من حين لآخر فنذكره في ساعات الفواجع.

لتكفنا، هنا ايضاً، لمحة عجلاء، ونستنتج منها، هنا ايضاً، رصيد الفشل بعد جولة في آثار من كتبوا لهذا الموضوع.

منذ يوحنا الدمشقي المتوفى في منتصف الجيل الثامن الى يومنا الحاضر تتوالى كتابات المسيحيين عن المسيحية والاسلام. فكان في الشرق والغرب خاصة، امس واليوم، رجال اهتموا بالامر فاختلفت آثارهم على اختلاف اطوارهم واوطانهم ونزعاتهم، فانقسموا قسمين: واحد يدافع عن الاسلام دفاعاً مغرضاً إما لالحادهم واعتقادهم بان الديانات نتيجة النشوء الاجتماعي، فلا فرق بينها اذ انها على السواء من صنع الناس، وإما للطعن غير المباشر بالمسيحية التي عنها مرقوا.

اما القسم الاكبر فقد سقطوا في النقيض الثاني حين وصفوا

الاسلام بانه بدعة حوت الشرور باسرها قام بها راهب زنديق ؟ ورسموا للنبي صورة مجحفة فاصبح اسطورة تناقلتها في الاجيال الوسطى السنة العامة وكتابات الخاصة .

ولم يتخلف المسلمون عن المسيحيين في هذا المضمار فصوروا عن النصارى اشنع صورة ولم يحجم رجل عرف بتدينه وهدوء اعصابه مثل الغزالي ، عن اعلانها شريعة هذيان وسخافة . وما ادراك ما قال الجاحظ وابن حزم وابن تيمية وغيرهم من سنيين وشيعيين وحنابلة ومعتزلة وظاهريين ...

وفي الواقع قليلون هم الذين كانوا من بين المؤلفين مؤمنين عن غير تعصب ، بارين بالعلم عن غير هوس . ولا بد من الاعتراف بان الموضوع شائك وان خطر الهوى الاعمى يترقب كل معالج لهذه القضايا التي تلاقي لدى الكثير من المسيحيين والمسلمين حساسية متوقدة تجعل من كل بحث مثل هذا ضرباً من المغامرة بالسمعة والمجازفة بالذات. ولكن الامر اجل من ان تقف هذه الاعتبارات الشخصية حاجزاً دونه . ولكي لا ترتفع من هنا وهناك اصوات التناقض والشكوى ، فضلنا قبل الاقدام على عرض ما توصلنا اليه من استنتاجات علمية ، ان نباشر عرض النصوص ذاتها فنضعها بين يدي القارئ مع ذكر مصادرها القريبة والبعيدة كلما امكننا ذلك.

اما هذه النصوص فتختلف قيمتها حسب اهمية كاتبها ووزنه ومدى تأثيره في العالم الاسلامي . وان مؤلف الفصل الاول هو الله نفسه في عقيدة المسلمين ، اذ ان القرآن كلام الله . ولذلك افردنا له فصلاً خاصاً لكيلا يدخل في روع احد ان كل ما قيل بين دفتي هذا

الكتاب سواء بسواء قيمة وتأثيرا .

اما النصوص التالية فاهمها الاحاديث التي اجمع على صحتها المسلمون فاقاموا لها وزناً خاصاً بجانب القرآن ودونها الجامعون في كتب الحديث من صحيح ومسند وسنن للبخاري ومسلم وابن ماجه وابي داود الطيالسي والنسائي والترمذي (وهو غير الحكيم الترمذي صاحب كتاب « نوادر الاصول »). ويلتقي بهم ابن حنبل والهندي والقرطبي .

اما ما تبقى من المؤلفين ، مؤرخين او مفسرين او صوفيين ، فقيمة كتاباتهم ترتكز على قيمتهم الفردية ومدى فعاليتهم في تفكير المسلمين . فليس السمرقندي كالغزالي وابن العربي ، من بين الصوفية ، وليس الكسائي كالطبري وابن خلدون في معرفة التاريخ .

وهذه النصوص شاء جامعها ان يضعها في متناول المسيحيين ليعلموا عن الاسلام غير ما تنشره الجرائد في مواسم معينة تعليلاً لقارئيها ان بين الديانتين اتفاقاً ووحدة تامة . ولست ادري هل خطر ببال احدهم ان عند علماء المسلمين مثل هذه الآثار المدهشة في بعض الاحيان . لقد آن لهم ان يعرفوا على الاقل ان الاسلام لم يخطر له يوماً ببال ، حتى في اقسى ساعاته على المسيحية ، ان يجدف على قدسية المسيح ، روح الله وكلمته ، وان يقذف مريم بمثل ما قذفها به اليهود في تاريخهم . فقد احاط المسلمون باكرام كل مواطن الاكرام لتلك التي سوّدها الله على جميع امائه وجعلها سيدة نساء العالمين فكرموها في كل بلد خلفوا فيه المسيحيين ، في كنائس نجران والحيرة وطرطوس وانطاكية والقسطنطينية والمغرب …

واستقبلوا تمثالها بالتهليل يوم مر على ضياع لبنان، سنة ١٩٥٤ .

وهذه النصوص شاء جامعها ايضاً ان يضعها في متناول المسلمين نفسهم لكي يعرفوها اذا كانوا يجهلونها او يذكروها اذا كانوا نسوها. فصليب المسيح الذي عنه يعرضون، اذ لا يليق بروح الله ان يصلب، يجد له مقاماً كريماً عند بعض المفكرين والفلاسفة والمؤرخين الصارمين منهم، حتى لم يربأ احدهم، في قصة رائعة اسمها « قرية ظالمة »، ان يبدأ كتابه بيوم الجمعة، وهو في اعتقاده يوم مشهود معاصر لنكبات البشرية المتجددة كل يوم : فان فيه اراد الناس ان يقتلوا الضمير الانساني وان يطفئوا نوره، والمسيح هو هذا الضمير وهذا النور.

ولا بد من الاشارة الى حقيقة تيقنت منها في تجوالي بين الصفحات الضخام التي كتبها المؤلفون المسلمون، في الكلام او التفسير او التاريخ او التصوف، الا وهي ان الاسلام لم يطرح يوماً واحداً على نفسه مشكلة العقيدة المسيحية الصرف . لقد تجازها قبل ان تعرض لها، وحلها قبل ان تشكل عليه . فبقيت آية القرآن على شرطها فلم يعط عنها جواب علمي : « لو كان لله ولد فانا أول العابدين. » اذ ان هنالك توالداً عقلياً هو غير التناسل، فالكلمة هي وليدة الفكر الازلي . كذا المسيح ابن الله .

فان هنالك اذن فرضاً قاطعاً على عنق المسيحيين وهو ان يقبلوا على تفهم الدين الاسلامي باخلاص لمعتقد الغير وانفتاح على ما بينه وبين المسيحية من قربى؛ وان يقبلوا بعد ذلك على اظهار حقيقة دينهم لاخوانهم المسلمين بلغة عربية مبينة، فيتكون من ذلك ادب

مسيحي عربي يجني منه كل واحد ، مهما كانت عقيدته ، ثمار الخير والوفاق وانهم دون شك واجدون عقائد وتقاليد ثابتة تؤمن للجميع ثروة الاخوة التي لا تعادلها غنائم الخصومات مهما عظمت ... وما خلا هذه الرجعة الى الاصول الدينية باطلًا نسعى الى العيش بأمان ، اذ ان حلول السياسة والثقافة مهدئات خادعة . وفي زحمة هذه الاعاصير الهابة على العالم من كل حدب وصوب ، لا بد للمؤمنين بالله ابراهيم من ان يقفوا صفاً واحداً للدفاع عن قضية الله التي هي قضية الانسان. وقد زعم الزاعمون ان مشكلة الانسان اليوم هي اقتصادية او سياسية او تطاحن على نفوذ روحي . والحق ان الانسان اليوم اكثر منه في تاريخه الغابر يبحث عن معبود ، وان التطاحن العالمي ، في دنيا الاقتصاد والسياسة والثقافة ، ليس سوى عوارض سطحية ظاهرة للاصطدام الباطني العميق بين الايمان والكفر ، بين الخير والشر ، بين الله والشيطان . ولقد آن ان يلتقي المؤمنون بالخير وبالله الذي هو الخير الاكبر .

لم يغرب عن بالنا يوماً ان بين الاسلام والمسيحية عقبات عقائدية كأداء لا يمكن ان يذللها التفاهم مهما تجرد الداعون اليه . ولا يكفي ان يتصافح الاثنان لتزول النقائض . وليس غير الجاهلين باساسات العقيدتين من يعللون انفسهم بالوصول الى هذه الغاية . لقد قام في الشرق والغرب رجال قالوا بضرورة ازالة الفروق ومزج الديانتين في عقيدة اخرى لا يمكن ان تكون سوى صنيعة ممسوخة لصناع خائبين . فكل محاولة نهجت هذا السبيل فسدت وافسدت

وكانت وبالًا وبلاء. وذلك لان الفوارق بين الديانتين تغور حتى الجذور العميقة.

فالاسلام يقوم على الايمان بالله لم يعلن سر ذاته لاحد ولن يستطيع احد ان يكتنه اغواره الهائلة. على «قاب قوسين» منه وقف محمد ليلة معراجه، حسب القرآن؛ ولم يعط للبشر من معرفتهم له سوى جهلهم به، حسب احد الصوفيين. فبين العبد والمعبود هوة عميقة الغور لا يقطعها انسان. فليس اذاً على العبد الا التسليم او الاسلام للارادة التي لا تحتكم الا الى ذاتها فتهدي من تشاء وتضل من تشاء.

ولا تقلّ المسيحية عن الاسلام تنزيهاً بالله حين تعلن ان الله لا يدركه المحدود البشري، ولكنها توقن ايضاً ان الله اوحى هو ذاته ذاتَه وسرَّ وجوده، فذاته محبة. وهذه المحبة لا تُدرك، اذ ان بها تجسدت كلمة الله في ناسوت المسيح فاصبح الله قريباً للانسان في شخص الوسيط بين الله والانسان، في المسيح.

فعلى المسيح كان الاختلاف: هو صخرة الشك التي بها يصطدم الناس جميعاً وعليه يقتتلون لو يعلمون. كذا كان الامر منذ ألفي سنة، بين معاصريه في اورشليم، وكذا كان الامر من بعده في التاريخ، وسيكون كذلك الى انتهاء الزمان، حين ينزل من السماء للحكم الاخير: «سينزل بينكم ابن مريم حكماً مقسطاً ... فيملأ الارض عدلًا كما مُلئت جورًا».

على هذا الحديث اجمع المسلمون والمسيحيون وهم على انتظار «الحاكم يوم الدين». فالى عدله النهائي يصرخ المظلومون طالبين

الانصاف وقد طال عليهم الجور . هي الصيحة بالحق التي تتعالى اليه من هنا وهناك ، في المسيحية والاسلام ؛ هي اصوات الفقراء الخافتة وقد خنقها التهريج السياسي وصخب المدنية الحديثة وضجيج معادن التسلح التي بلغ تهديدها بالافناء حد الشمول . وتلك الاصوات عند فقراء الاسلام ونساك المسيحية المجهولين ، هي صلوات تخترق السحب لتصل حتى العرش تظلماً الى الله واحتكاماً الى امره الازلي . « بدا الاسلام غريباً وسيعود كما بدا ، فطوبى للغرباء ! » انها الهجرة القصوى صوب اورشليم الثانية العلوية بهداية المسيح بن مريم البتول الحصينة . « فطوبى لعيش بعد المسيح ! »

ميشال الحايك

المصادر

لم نذكر بين هذه المصادر سوى ثلاثة من المفسرين وهم البيضاوي والرازي والالوسي ؛ وذلك لان نصوص المؤرخين خاصة تغني في اغلب الاحيان عن ذكر العديد من الشارحين، ولاننا لم نشأ الدخول في التآويل التي قد تصيب القارئ بالملل حين لا تأتي بفتح علمي او عقائدي جديد. ولم نذكر الا النادر (محمد كامل حسين مثلا في كتابه «قرية ظالمة» (القاهرة ١٩٥٥) من المؤلفين الحديثين الذين عرضوا قضية المسيح، والا لاكرهنا على نقل مؤلفات عديدة بكاملها مثل «عبقرية المسيح» للعقاد (القاهرة، ١٩٤٣)، «ونظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام» لمحمد زاهر الكوثري (القاهرة، ١٩٤٢) «واقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان» لعبد الله الصديق الغماري (القاهرة ١٩٤٣) «والمسيح عيسى بن مريم» لعبد الحميد جودة السحار (القاهرة، ١٩٥٩) وغيرهم ؛ ولاجبرنا ايضاً على اعادة نشر المقالات والقصائد الحولية العديدة التي تظهر في اعداد الجرائد والمجلات الخاصة بالميلاد . وفي كل هذا شهادة على المستوى الذي يركز فيه المسيح في تفكير الاسلام العربي في يومنا . فاذا كنا اهملنا هذه المؤلفات، لاجل حداثتها لا حكماً منا على اهميتها ، فاقد أغضينا ايضاً عن ذكر القديمة منها في كل مرة جاء فيها الجدل الديني عنيفاً، وكم يعنف الجدل في مثل هذه الاحوال . ولكننا عازمون على طرح الموضوع من جديد في كتاب كبير سيصدر باللغات الثلاث : العربية والفرنسية

والانكليزية ، محاولين فيه عرض القضية كلها على ضوء العلم البعيد عن الهوى خدمة لمجتمعنا الاسلامي ـ المسيحي ، ورفقاً منا بالدين يصبح تجارة المفرقين بيننا من الخارج او الانتهازيين منا في الداخل.

اما المراجع المسيحية فهي تكاد تُرَدّ جميعها الى الاناجيل الموحاة والمنحولة ، وقد نُشرت في الغرب على اساس علمي راهن في لغاتها الاصيلة القديمة ابتداء من اليونانية والسريانية الى العربية واللاتينية والارمنية والقبطية...ولكننا رجعنا ايضاً من حين لآخر الى الموسوعات المسيحية وفيها مؤلفات علماء الكنيسة ، كما رجعنا الى التلمود اليهودي وفيه شروح الربانيين على التوراة ، لنبش الآثار المشتركة بين أهل الكتاب وأهل الاسلام. وهكذا فاننا حين نقابل بين النصوص فنقول ان هذا مأخوذ او منقول عن ذاك ، ليست غايتنا ان نظهر فضل هذا على ذاك بل فضل الله على الجميع ، اذ ان كل خير مقول او مفعول هو منه سبحانه وتعالى . وقانا الله شر ما لا نريد ووفقنا الى الخير الذي في سبيله نسعى .

المصادر الاسلامية

القرآن الكريم = طبعة بولاق ، ١٣٥٨ .
البخاري - الجامع الصحيح ؛ ٨ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٦ ؛ وطبعة كرهل (Krehl) ، ٣ اجزاء ؛ ليدن ، ١٨٦٢-١٨٦٨ ، واجزء الرابع طبعة جونبول (Juynboll) ليدن ، ١٩٠٧ .
مسلم = الصحيح ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٢٩٠ .
ابن ماجه = السنن ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٣ .
النسائي = السنن ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٢ .
الطيالسي = المسند ؛ حيدرباد ، ١٣٢١ .
ابن حنبل = المسند ؛ ٦ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٣ .
الهندي = كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ؛ ٨ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٣ .
ابن عبد البر القرطبي = مختصر جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ؛ القاهرة ، ١٣٢٠ .
السيوطي = كتاب اللآلي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٧ .
» = الاعلام بحكم عيسى عليه السلام ؛ المخطوطة العربية لمكتبة باريس الوطنية ، عدد ٥٨٨٦ .
عبد الوهاب الشعراني = مختصر تذكرة الامام القرطبي ؛ القاهرة ، ١٣٠٨ .
» = لواقح الانوار القدسية ؛ القاهرة ، ١٣٢١ .
» = الطبقات الكبرى ؛ جزءان ، بولاق ، ١٢٨٦ ؛ القاهرة ، ١٣١٥ .
» = اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر ؛ القاهرة ، ١٣٢١ .
» = لطائف المنن والاخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣٢١ .
البيضاوي = انوار التنزيل واسرار التأويل ؛ جزءان ، القاهرة ١٣٥٥ .
الرازي = مفاتيح الغيب ؛ ٦ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٧٨/١٨٦٢ .
الالوسي = روح المعاني ؛ ٣٠ جزءا ، القاهرة ١٩٢٧ .
ابن هشام = سيرة الرسول ، طبعة وستنفلد (Wüstenfeld) .
الحلبي = انسان العيون في سيرة الامين والمأمون ؛ ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٣ .
الطبري = تاريخ الرسل والملوك ؛ ١٣ جزءا ، طبعة ده غويه (De Goeje) .
ابن الاثير = الكامل في التاريخ ، طبعة تورنبرغ (Tornberg) .
اليعقوبي = تاريخ ؛ طبعة هوتسما (Houtsma) ؛
ياقوت الحموي = معجم البلدان ؛ ٦ اجزاء ، طبعة وستنفلد .
البيروني = الايام الباقية عن القرون الخالية ؛ طبعة ساخو (Sachau) .

المسعودي = مروج الذهب ومعادن الجوهر؛ طبعة باربيه ده ماينار (Barbier de Meynard).
ابن خلدون = المقدمة ، الجزء الاول من كتاب العبر . . . ؛ القاهرة ، دون تاريخ .
الكسائي = قصص الانبياء ، طبعة ايسنبرغ (Eisenberg).
الثعلبي = قصص الانبياء المسمى عرائس المجالس ؛ القاهرة ، ١٣٧٠ / ١٩٥١ .
ابن القوطية = تاريخ الاندلس ؛ طبعة مدريد ، دون تاريخ .
الامير تغري بردي = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
ابن سيده المرسي = كتاب المخصص ؛ ١٧ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٢١ .
ابن حزم = الفصل في الملل والنحل ؛ ٥ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٧ — ١٣٢٠ .
الجاحظ = كتاب البيان والتبيين ؛ ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .
» = كتاب المحاسن والاضداد ؛ لاهاي ، ١٨٩٨ .
ابن عبد ربه = العقد الفريد ؛ ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٣ .
ابو حامد الغزالي = كتاب احياء علوم الدين ؛ ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٢ .
» = مختصر احياء علوم الدين ، على هامش نزهة الناظرين للشيخ عبيد الضرير ؛ القاهرة ، ١٣١٧ .
» = كتاب مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب ، المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر المنسوب للامام الغزالي ؛ القاهرة ، ١٣٠٠ .
» = فاتحة العلوم ؛ القاهرة ، ١٣٢٢ .
» = كتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك ؛ القاهرة ، ١٣١٧ .
» = رسالة الغزالي الى ملكشاه في العقائد ؛ القاهرة ، ١٣٢٥ .
» = الجواهر الغوالي . من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالي ، تشتمل على : الادب في الدين ، ايها الولد ، فيصل التفرقة ، القواعد العشرة ، مشكاة الانوار ، رسالة الطير . الرسالة الوعظية ؛ القاهرة ، ١٣٤٣ .
» = فرائد اللآلي من رسائل الغزالي . تشتمل على : معراج السالكين ، منهاج العارفين ، روضة الطالبين وعمرة السالكين ؛ القاهرة ، ١٣٤٤ .
» = الدرة الفاخرة ؛ طبعة غوتيه (Gautier) .
» = منهاج العابدين ؛ القاهرة ، ١٣١٣ .
مرتضى الحسيني الزبيدي — اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ؛ ١٠ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١١ .
ابن منصور الحلاج = راجع ماسينيون ، مجموعة نصوص :
L. Massignon, *Recueil de textes inédits...*; Paris, 1929.
ابن العربي = الفتوحات المكية ؛ ٤ اجزاء ، بولاق ، ١٢٦٩ — ١٢٧٤ .
» = كتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣٠٥ .
» = فصوص الحكم ، مع شرح القاشاني ؛ القاهرة ، ١٣٠٩ .
» = عنقاء مغرب ، القاهرة ١٣٥٣ .

القاشاني = شرح على فصوص الحكم ؛ القاهرة ، ١٣٠٩ .
الجامي = نقد النصوص في شرح فصوص الحكم ، بولاق ، ١٣٠٦ .
ابو طالب المكي = قوت القلوب في معاملة المحبوب؛ ٤ اجزاء، القاهرة ، ١٣٥١/١٩٣٢ .
ابو نعيم الاصبهاني = كتاب حلية الاوليا،؛ ١٠ اجزاء، القاهرة، ١٣٥٤/١٩٣٥–١٣٥٧/١٩٣٨ .
عبد الكريم الجيلي = كتاب الانسان الكامل في معرفة الاوائل والاواخر ؛ المخطوطة العربية لمكتبة باريس عدد ٦٥٩٦ .
الحكيم الترمذي = نوادر الاصول ؛ القاهرة ، ١٣٩٣ ،
» = كتاب الترمذي ؛ مخطوطة مكتبة الاسكوريال عدد ١٨٦٠ .
ابن العريف = كتاب محاسن المجالس ؛ مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس ، عدد ٦٦١٤ .
السهروردي = كتاب عوارف المعارف للعارف بالله ، على هامش احياء علوم الدين للغزالي ؛ القاهرة ، ١٣١٢ .
عبد القادر الجيلاني = كتاب الغنية لطالبي طريق الحق ؛ جزءان القاهرة ، ١٣٢٢ .
ابو الليث السمرقندي = قرة العيون ومفرح القلب المحزون ؛ على هامش مختصر تذكرة الامام القرطبي للشعراني ؛ القاهرة ، ١٣٠٨ .
» = تنبيه الغافلين ؛ القاهرة ، ١٣٢٦ .
ابو القاسم القشيري = الرسالة القشيرية في علم التصوف ؛ القاهرة ، ١٣١٨ .
عبيد الضرير = نزهة الناظرين ، القاهرة ، ١٣١٧ .
اخوان الصفا = رسائل ، ٤ اجزاء ؛ القاهرة ، ١٣٤٧/١٩٢٨ .
ابو بكر الطرطوشي = سراج الملوك ؛ القاهرة ، ١٢٨٩ .
ابو سعيد الخركوشي = تهذيب الاسرار ؛ مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ .
عبد الغني النابلسي = هتك الاستار ؛ مخطوطة المكتبة الخديوية ، عدد ٣٢٦٥ .
ابو حيان التوحيدي = رسالة في الصداقة والصديق ؛ اسطنبول ، ١٣٠١ .
ابن الجوزي = كتاب الاذكياء ؛ القاهرة ، ١٣٠٤ .
الماوردي = كتاب الاحكام السلطانية ؛ القاهرة ، ١٢٩٨ .
الدميري = حياة الحيوان الكبرى ، جزءان ؛ القاهرة ، ١٣١٠ .
ابو الحجاج البلوي = كتاب الف باء ، جزءان ؛ القاهرة ، ١٢٨٧ .
ابن جهضم الهمداني = بهجة الابرار ومعدن الانوار في مناقب السادة الاخيار من المشايخ الابرار ؛ مخطوطة دمشق ، مجموع ٦٤ .
اليافعي = روض الرياحين في حكايات الصالحين ؛ القاهرة ١٣١٥ .
الحريفيش = الروض الفائق في المواعظ والرقائق ؛ القاهرة ، ١٣٢٨ .
محمد كامل حسين = قرية ظالمة ؛ القاهرة ، ١٩٥٥ .

المصادر المسيحية

الكتاب المقدس ، في عهديه العتيق والجديد .

الموسوعة اليونانية : Patrologia Graeca ; éd. Migne.

الموسوعة الشرقية : Patrologia Orientalis; éd. Graffin-Nau

انجيل طفولية سيدنا ، نسخة اسحق بن ابي الفرج بن النفيس المتطبب ؛ مخطوطة المكتبة اللورنسية في فلورنسا ، تحت عدد ٣٢ لمجموعة Codex orientalis .

Brunet (G.), *Les Evangiles Apocryphes*. Paris, 1863.

Daïetsi (I.), *Livres apocryphes du Nouveau Testament*. Venise, 1898.

Dunlop Gibson (M.). *The Commentaries of Isho'dad of Merv*. Volume II. *Matthew and Marc in Syriac*. Cambridge, 1911 — Horae Semiticae, N°. VI.

Fabricius (J.A.). *Codex apocryphus Novi Testamenti*. Hambourg, 1719.

Hennecke (E.). *Neutestamentliche Apocryphen*: 2 vol., Tubingue, 1904.

Michel-Peeters, *Evangiles apocryphes* : I, Paris, 1911.

Peeters (P.), *Evangiles apocryphes*: II, Paris, 1914.

Révillout (E.). *Etudes égyptologiques*. fasc. 7. *Apocryphes coptes du Nouveau Testament*. Paris 1876.

Sike (H.). *Evangelium Infantiae, vel liber apocryphus de Infantia Servatoris*; Traiecti ad Rhenum, 1697.

Thilo (J.C.). *Codex apocryphus Novi Testamenti*. t. I. Leipzig, 1832.

Wallis Budge (M.E.A.). *The History of the Blessed Virgin Mary and the History of the Likeness of Christ* : 2 vol., London, 1899.

الفصل الاول

المسيح في القرآن

المسيح في القرآن

في القرآن مائة وأربع عشرة سورة بلغ عدد آياتها ستة آلاف ومائتين وستاً وعشرين آية (أو ٦٢٤٦ ، أو ٦١٦ آية تختلف حسب العلماء) . ولقد ورد اسم المسيح في خمس عشرة سورة ، في ثلاث وتسعين آية . فالى هذا المصدر الاول ينقاد عفواً تفكير الباحثين عن علاقة المسيحية بالاسلام وعن مركزها في « دين التوحيد ».لقد أوسعنا لهذه النصوص فصلاً خاصاً بها نظراً لاهميتها ، فهي في عقيدة المسلمين كلام الله المنزل لفظاً ومعنى على قلب محمد من لوح محفوظ في السماء ، صورة عربية مبينة عن اصلها الاول في «ام الكتاب ». الى هذه الآيات يرجع التفكير الاسلامي كلما اعترضه اسم المسيح. فكل ما كتب العلماء المسلمون في هذا الموضوع كان تفسير الكلام الكتاب استعانوا لاجله احياناً بالنصوص المسيحية فتقبلوا منها بسهولة أخوية كل ما كان بوسعهم معرفته وقبوله . ولكنهم رفضوا دوماً محاولة التوفيق بين الانجيل والقرآن حيث ظهر تناقض بين الكتابين ، فقالوا بتحريف الانجيل كلما ناقض نصه القرآن.

ولقد رتبنا هذه الآيات مستندين الى ما توصل اليه العلم بين البحاثين من ذوي الاستشراق . وغايتنا أن نظهر فكرة القرآن في

تدريجيا عندما تعرض العقيدة المسيحيـة . فهي في الآيات الاولى المكية كثيرة الحنان على النصارى ، تفيض بالنعومة على مسيحهم ورهبانهم وقسيسيهم . ولكنها في آخر عهد النبي ، في المدينة ، تصبح شديدة الوطأة فتتنكر للنصارى ويبدو أنها ترفض رفضاً قاطعاً ألوهية المسيح .

وان وراء هذا التحول أحداثاً تاريخية معروفة أهمها فشل النبي في غزوتيه ضد نصارى تبوك ومؤتة ومباهلته مع وفد نجران .

وهنالك سبب ديني بحت يدور حول مشكلة وحدانية الله . وقد بدا لمحمد أن الثالوث الذي يقر به النصارى يهدد هذه الوحدانية التي يقوم عليها الاسلام. ولكن هذا الثالوث الذي يتنكر له القرآن هو غير ما تؤمن به النصرانية في توحيدها ، فهو مركب ثلاثي ، يشبه الثلاثية الوثنية التي قاومها محمد ، مؤلف من الله والصاحبة ، مريم ، والولد ، عيسى ، وهذا ما لم يقل به النصارى ابدًا . ولم تزل المشكلة عالقة ، حول هذا الامر ، الى اليوم الذي تجد فيه انصارًا يطرحونها من جديد على ضوء العلم المجرد الصافي .

بشارة زكريا بيحيى المعمدان

ذكرُ رحمات ربّك عبدَه زكريّا .
اذ نادى ربَّه نداءً خفيًا .
قال ربِ إنّي وهنَ العظمُ مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربِ شقيًا .
واني خفتُ الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهبْ لي من لدنك وليًا .

يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً .

يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبلُ سمياً .

قال ربِ أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرًا وقد بلغتُ من العمر عتياً .

قال كذلك قال ربكَ هو عليّ هيّن وقد خلقتُك من قبلُ ولم تكُ شيئاً .

قال ربِ اجعلْ لي آية قال آيتك ألا تكلمَ الناس ثلاث ليالٍ سوياً .

فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم أن سبحوا الله بكرةً وعشياً .

يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً .

وحناناً من لدنّا وزكوةً وكان تقياً .

وبرًا بوالديه ولم يكن جبارًا عصياً .

وسلام عليه يومَ وُلد ويومَ يموت ويوم يُبعث حياً[1] .

... وزكريا اذ نادى ربه ربِ لا تذرْني فردًا وأنت خير الوارثين .

فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه — انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين[2] .

... وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌ من الصالحين[3] .

هنالك دعا زكريا ربه قال ربِ هبْ لي من لدنك ذريةً طيبةً إنك سميع الدعاء .

فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أنّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمةٍ من الله وسيدًا وحصورًا ونبياً من الصالحين .

قال ربِ أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكِبَر وامرأتي عاقر، قال كذلك الله يفعل ما يشاء .

قال ربِ اجعلْ لي آيةً قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثة أيام ألا رمزًا واذكر ربك كثيرًا وسبح بالعشيّ والابكار[4] .

١) سورة مريم، ١٩: ٢—١٥ . ٢) سورة الانبياء، ٢١: ٨٩—٩٠ ٣) سورة الانعام، ٦ : ٨٥ ٤) سورة آل عمران، ٣ : ٣٨ — ٤١

بشارة مريم

واذكرْ في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً .
فاتخذتْ من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثّلَ لها بشراً سوياً .
قالت إني اعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً .

قال انما انا رسول ربك لأهبَ(٥) لك غلاماً ذكياً .

قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم ألكُ بغياً .
قال كذلك قال ربكِ هو عليّ هيّن ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان امراً مقضياً .
فحملته فانتبذتْ به مكاناً قصياً .

الميلاد

فأجأها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً .
فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً .
وهزّي اليك بجذع النخلة تُساقطْ عليك رُطَباً جنياً .
فكلي واشربي وقرّي عيناً فإمّا ترينَّ من البشر احداً فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً فلن اكلّم اليومَ انسياً .
فأتتْ به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئتِ شيئاً فرياً .
يا أخت هرون ما كان ابوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً .
فأشارتْ اليه قالوا كيف نكلّم مَن كان في المهد صبياً .

---

٥) اجمع علماء المسلمين على قراءة « لأهب » عوض « ليهب » . فالقراءة الاولى تفترض تدخلاً مباشراً من قبل الله في إنشاء عيسى يشتم منه « التبني » الذي يرفضونه رفضاً قاطعاً ، واما الثانية فهي تفترض الملاك واسطة بين الله ومريم ، وهذا ما أقره المسلمون جميعاً دون ابن حزم ، العالم الظاهري الذي جزم بان لا مجال للجدل بين القراءتين ما دام خالق عيسى هو الله ذاته لا نفخ الملاك ، راجع كتاب الفصل بين الملل والنحل .

قال إني عبدالله آتاني الكتابَ وجعلني نبياً .
وجعلني مباركًا أين ما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكوة ما دمتُ حيًا .
وبَرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا .
والسلام عليّ يومَ وُلدتُ ويومَ أموت ويومَ أُبعث حيًّا .
ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون .
ما كان لله ان يتخذ من ولدٍ سبحانه اذا قضى امرًا فانما يقول له كن فيكون[٦] .

علم للساعة

ولما ضُرب ابن مريم مثلًا اذا قومك منه يصدّون .
وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلًا بل هم قوم خصمون .
إن هو إلّا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني اسرائيل .
ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكةً في الارض يخلفون .
وانه لَعِلْمٌ[٧] للساعة فلا تمترُنَّ بها واتبعوني هذا صراط مستقيم .
ولا يصدنَّكم الشيطانُ إنه لكم عدوٌّ مُبين .
ولما جاء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون .
ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .
فاختلف الاحزاب من بينهم فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يومٍ أليم[٨] .
وجعلنا ابنَ مريم وأمه آيةً وآويناهما الى ربوةٍ ذات قرار ومعين[٩] .

---

٦) سورة مريم ١٩ : ١٦–٣٥ ٧) « لَعِلْمٌ » وهناك قراءة اخرى مشهورة يفضلها البعض وهي « لَعَلَمٌ » أي علامة ، وقرأ أُبَيّ « لَذِكْرٌ » راجع الطبري والبيضاوي في تفسيرهما هذه الآية . ٨) سورة الزخرف ٤٣ : ٥٧–٦٥ ٩) سورة المؤمنون ٢٣ : ٥٠

والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آيةً للعالمين[١٠].

شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصّينا به أبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...[١١].

لقد آتينا موسى الكتابَ وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وايّدناه بروح القدس أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون[١٢].

قولوا آمنّا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون[١٣].

تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعضٍ منهم من كلّم اللهُ ورفعَ بعضهم درجاتٍ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وايّدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد[١٤].

ميلاد مريم – سيرة المسيح

ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآلَ ابراهيم وآلَ عمران على العالمين.
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.
اذ قالت امرأة عمران ربِ إني نذرتُ لك ما في بطني محرَّراً فتقبّلْ مني إنك انت السميع العليم.
فلما وضعتْها قالت ربِ إني وضعتُها أنثى والله اعلم بما وضعتْ وليس الذكر كالانثى وإني سمّيتُها مريمَ وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم.
فتقبّلها ربُّها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخل عليها

---

١٠) سورة الانبياء، ٢١ : ٩١ ١١) سورة الشورى، ٤٢ : ١٣ ١٢) سورة البقرة، ٢ : ٨٧ ١٣) سورة البقرة، ٢ : ١٣٦ ١٤) سورة البقرة، ٢ : ٢٥٣

زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[١٥] .

واذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين .

يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين .

ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنتَ لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون .

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمُه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين .

ويكلم الناس في المهد وكهلًا ومن الصالحين .

قالت رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرًا فانما يقول له كن فيكون .

ويعلمه الكتابَ والحكمة والتوراة والانجيل .

ورسولًا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآيةٍ من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرصَ واحيي الموتى بأذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين .

ومصدقًا لما بين يديَّ من التوراة ولأحلَّ لكم بعض الذي حُرِّم عليكم وجئتكم بآيةٍ من ربكم فاتقوا الله واطيعون .

ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بأنّا مسلمون .

ربنا آمنّا بما أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا مع الشاهدين .

ومكروا ومكرَ اللهُ والله خير الماكرين .

اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ ومطهرك من الذين كفروا

---

١٥) سورة آل عمران ٣ : ٣٣-٣٧

وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون .
فأما الذين كفروا فأعذّبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين .
واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين .
ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم .
إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .
الحق من ربك فلا تكن من الممترين .
فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنات الله على الكاذبين .
ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم .
فإن تولّوا فان الله عليم بالمفسدين .
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله . . .[16]

قد آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على ابراهيم واسمعيل واسحقَ ويعقوبَ والاسباط وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرّق بين احدٍ منهم ونحن له مسلمون[17] .

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات . . .
ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيمَ وجعلنا في ذريتهما النبوّةَ والكتابَ فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون .
ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيلَ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقّ رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون[18] .

١٦) سورة آل عمران، ٣: ٤٢-٦٤ ١٧) سورة آل عمران، ٣: ٨٤ ١٨) سورة الحديد، ٥٧: ٢٥-٢٧

واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه احمد[١٩] فلما جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين[٢٠] .

يا ايها الذين آمنوا كونوا انصارَ الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين مَن انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرتْ طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين[٢١] .

... وبكفرهم[٢٢] وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً .

وقولهم إنّا قتلنا المسيحَ عيسى بن مريم رسولَ الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم. إلّا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً .

بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً .

وإن من اهل الكتاب إلّا لَيؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً[٢٣] .

إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده، واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبوراً[٢٤] .

ثالوث او ثلاثة؟

يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحقّ انما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمتُه ألقاها الى مريم وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون

١٩) احمد اسم آخر لمحمد تفسيره في رأي بعض المسلمين كتفسير البارقليط أي الروح القدس الذي وعد به المسيح قبل صعوده، في عقيدة النصارى . ٢٠) سورة الصف، ٦١: ٦
٢١) سورة الصف، ٦١: ١٤ ٢٢) «هم» ضمير يعود الى بني اسرائيل. ٢٣) سورة النساء، ٤: ١٥٦-١٥٩ ٢٤) سورة النساء، ٣ : ١٦٣

له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى الله وكيلا .

لن يستنكف المسيح ان يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعًا[٢٥]

واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً[٢٦] .

ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين[٢٧] .

وقالت اليهود عُزَيْرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبلُ قاتلهم الله أنى يؤفكون .
اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحدًا لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون[٢٨] .

لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئًا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمّه ومن في الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء. والله على كل شيء قدير .
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلِمَ يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير .
وقفينا على إثرهم[٣٠] بعيسى بن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين .
وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون[٣١] .

---

٢٥) سورة النساء ، ٤ : ١٧١–١٧٢ ٢٦) سورة الاحزاب ، ٣٣ : ٧ ٢٧) سورة التحريم ، ٦٦ : ١٢ ٢٨) سورة التوبة ، ٩ : ٣٠–٣١ ٢٩) سورة المائدة ، ٥ : ١٧–١٨ ٣٠) على اثر انبياء بني اسرائيل . ٣١) سورة المائدة ، ٥ : ٤٦–٤٧

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النارُ وما للظالمين من انصار .

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثةٍ وما من آلهٍ إلّا آلهٌ واحدٌ وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ .

أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم .

ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامُّه صدّيقة ،كانا يأكلان الطعامَ أنظر كيف نبيّن لهم الآيات وانظُر أنى يؤفكون .

قال أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرًّا ولا نفعاً والله هو السميع العليم .

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غيرَ الحق ولا تتّبعوا اهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيرًا وضلّوا عن سواء السبيل .

لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[٣٢] .

مائدة القربان ــ عيسى في الديونة

يومَ يجمع اللهُ الرسلَ فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انكَ انت علّام الغيوب .

اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكرْ نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناسَ في المهد وكهلًا واذ علّمتُك الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والانجيلَ واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا باذني وتبرئ الاكمهَ والابرصَ باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففتُ بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبيّنات فقال الذين كفروا منهم ان هذا إلّا سحر مبين .

واذ أوحيتُ الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنّا واشهدْ باننا مسلمون .

٣٢) سورة المائدة ، ٥ : ٧٢-٧٨

اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربُّك أن ينزّل علينا مائدة من السما. قال اتّقوا الله ان كنتم مؤمنين .

قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئنَّ قلوبُنا ونعلم أنْ قد صدقتَنا ونكون عليها من الشاهدين .

قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزلْ علينا مائدةً من السما. تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وانت خير الرازقين .

قال الله اني منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابًا لا اعذبه احدًا من العالمين .

واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهَين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق ان كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علّام الغيوب .

ما قلتُ لهم إلّا ما امرتَني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفيتَني كنتَ انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد .

إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم .

قال الله هذا هو يوم ينفع الصادقين صدقُهم لهم جناتٌ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم .

لله ملك السموات والارض وما فيهنَّ وهو على كل شيء قدير[٣٣]

---

٣٣) سورة المائدة ، ٥ : ١٠٩–١٢٠ . وعلى هذا تنتهي آيات القرآن جميعها ، حسب تدقيق الباحثين من ذوي الاستشراق العلمي .

الآثار المطويّة

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

٥٥

مكتوب

الجناب الاكرم والمقام السامي الافخم حضرة الاخ الاجلّ الماجد المحترم محمود بك حفظه الله تعالى :

انه بتاريخه تشرفنا بمرسوم كريم من لدن سعادة افندينا وليّ النعم المعظم ايده الله يتضمن فحواه السامي ان توجـه خمساية نفر الى ثغر بيروت لاجل محافظتها (الحفاظ عليها) . لزم اخبرنا جنابكم لكي تأمروا بتدبير تذوقات للزلام (للزلم) المتوجه والله تعالى يحفظكم

٥٥

تنبيه

اعلم ان كل كتابة مفتوحة من الامراء ختمها يكون من قفا القرطاس وراء الامضاء . الّا البيولردي فختمها من قدّام ولا تُختم من وراء الّا في الغضب . كما ان الامراء لا يختمون كتاباتهم المفتوحة من قدّام الّا في التهديد والغضب . واما المكاتيب القوايم فختمها من قدّام دائماً عند الخاص والعام والبيلوردي العامة ختمها يكون بالمهر الكبير فوق الخط . ولا بدّ من تاريخها باليوم والشهر والسنة غير ان الكتّاب لا يضعون اسم الشهر باحرف كاملة بل لكل شهر علامة .

٥٦
جواب مكتوب

البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا والدة الشيخ شاهين المحترمة باركها الله تعالى باتم بركاته السماوية امين .

اولاً اننا لمزيدون الاشواق لاستماع اخباركم الساره بكل خير وعافيه . والثاني بايمن آن وصلنا تحريركم وسرنا منه علم صحتكم وبه تسألوا عنا فمن يتنا لله الحمد بكل صحه الباري يسأل عنكم براحمه الالهيه وانعامه السماويه ويحفظكم من كافة الاضرار روحياً وزمنياً وداياً طمنونا عن صحتكم والبركة الرسولية تشملكم .

في ٢٢ شباط سنة ١٨٤٤

الحقير
البطرك يعقوب الارمني

٥٧
الجواب الذي توجه من جناب الامير امين نجل سعادته)
(نجل الامير بشير شهاب الكبير) الى الحاج علي اغا من الشام
في سنة ١٢٤٨ (١٨٣٣ م)

جناب حضرة الاخ الاجل المحترم الحاج علي اغا المكرم حفظه الله .

غب اهداء درر تحيات فاخره.واداء غرر تسليمات عاطره . ومزيد اشواق وافره لمشاهدتكم المأنوسه على كل خير وعافيه . انه في ابرك ساعه ورد تحريركم المتضمن ورود اوامر الدولة بتوجيه منصب طرابلوس على عثمان باشا وتحويل المتسلميه لكم وما جاوبتموه بخصوص ذلك فقد صار جميعه بمعلومنا . فاما هذه الشايعه مع كونها بحاليه فحينما بلغت سعادة افندينا ولي النعم المفخم الحاج ابراهيم باشا المعظم فحالاً امر بتوجيه جانب وافر من العساكر الجهاديه المظفره مقرونة بالادوات الحربيه والآلات الكفاحيه مبالغاً وافره ومهمات متكاثره . وزيادة على ذلك قد توجه جناب اخينا الامير خليل المحترم بأمر

سعادة والدنا بالفين من رجال الجبل المشاهير. والآن قد صارت مدينة طرابلس وقلعتها وظاهرها وباطنها مشحونة بالعساكر المؤيده المنصوره مزدحمةً بالمدافع والقنابر والجبخانات والذخاير مستعدين الاستعداد التام لنشب مخاليبهم بمن ياتي هذا مع كون هذه اشاعه جزئيه محاليه حصل هذا الاهتمام . وما عدا ذلك فنحن ايضاً بحسب صدور الاوامر الشريفه متأهبين بكامل رجال الجبل وموقوفين على صدور ادنى اشاره حتى وليس رجال الجبل فقط بل جميع رجال مقاطعات طرابلس فانهم مجبورين على انهم يسرو مسراتنا الحاله (الحالي) . فاذا شئتم الحضور فتفضلوا وما هو فقط انه لا يمكنكم المقاومه بل بحوله تعالى لا تجدون طريقاً ومن اينا لحتم تؤخذون قهراً وترسلون الى الاوردي المنصور الذي ما حضرتم اليه برضاكم وتشاهدون من العساكر المصريه ما يدهش الابصار. ولا تفهموا بقولنا العساكر المصريه تعني العساكر الوارده من مصر فقط بل ونحن وعساكر الجبل تحت هذا الاسم فدمنا من دمهم وحالنا من حالهم وجسمهم جسمنا واسمهم اسمنا واينا كانوا كنا وحيثما ساروا سرنا . وهذا شيء غني عن الايضاح حيث تعلموه منا منذ عشر سنين .

ثم وطلبكم الرخام فلا بأس به حيث اتمام عمل الحمام صار لازم لاننا اذا دخلنا وجلسنا به نكون جلسنا على رخام بلادنا . وبحوله تعالى عند الاجتماع نستوفي حقوقنا منكم ولا تنقطعوا عنا تحريراتكم ودام بقاكم .

في ٢٢ ش سنة ١٢٤٧ (١٨٣١ م)

المحب المخلص

امين ش

٥٨

مكتوب لسعادة الست

جناب حضرة ستنا الجليله المحترمه والدة الامير بشير المفخمه ادام الله تعالى بقاها .

غب تقديم مفروضات الادعية الخيريه لحضرة باري البريه بدوام بقاكم وسمو شانكم بالعز والانعام على ممر الاعوام . يعرض العبد القديم انه فيما تعطر الزمان

من احاديث فرايد كمالاتكم السنيه وتنشوق لمراسيمكم الكريمه المعلنة عن هداوة بالكم الفخيم واذ بابرك وقت واشرف ساعـه تشرفتُ بورود المرسوم السامي وصار فحواه الكريم قرين اذعان الداعي واسدينا حمدًا وشكرًا لمن يجب لعزته الحمد لتوالي البغية الشريفة اعلان صحة المزاج السليم وانني كما ارجو لا ازال بالخاطر مقيم حيث من وفور غيرتكم الوفيه وشيمكم الحميده متكرمين سؤالًا عن الحال . فنسأله تعالى الكريم المفضال ان يحفظ لنا عمر ووجود جنابه وجناب المحروسين الانجال اسيادنا الامراء الفخام وحضرتكم بكامل الانشراح المستداء ان شاء الله على ممرّ الايام بشفاعة من لهم الشفاعة امين .

ونحن من فضله تعالى بصفو الخواطر الكريمه اذ ترقيم العبوديه مـا زلت بكل صحه وسكان ديركم جواريكم الراهبات جميع كذلك يقدمون لعزته تعالى جلّ جلاله بان يسبغ لديكم اوفر الصحه والرياضه . هذا وما رسمتم به من مقتضى ايابنا للدار العامره وما كان من حركة اللطف الحاصله لحضرة ولدكم المصونه صار معلوماً وعبدكم بالارتقاب التام للحضور والتشرف بلثم الاعتـاب خاصةً لما يجب من مراعاة صحة حضرتها ربنا يقدّم لها تام الشفا . واما من نحونا بحسب ما تقدم بالسعي لاتمام الامر وان شاء الله بمرهه قريبه ننهي بعض مشاغل ضروريه ومنحضر على الراس قبل الاقدام لان خدمتكم من اكبر المتوجبات . فالرجا قبول العذر الآن وفيما بعد عدم ابراحي من الخاطر الكريم وادام الله بقاكم .

عبدكم
معلوم

٥٩

من مفتي الى شيخ نصراني[١]

افتخار الملّة المسيحية وخاصة الطايفة العيسوية وخلاصة المعتمدين للطايفـة الطاهرة الشهابية الحبيب اللبيب اللوذعي الاديب المحب الاعز الاكرم الشيخ ابو ضاهر منصور حرسه الله تعالى .

١) ان هذا الكتاب مرسل من مفتي طرابلس سابقاً السيد عبـد الحميد كرامي جد والد صاحب الدولة رشيد كرامي .

غب مزيد كثرة الاشواق مع عظم ترايد الاشتياق الى التملي بمشاهدة حضرتكم بكل خير وعافيه ونعمه جزيله وافية دامت على محبتكم متوافيه. ثم الباعث لتحرير احرف المحبه واسطر الموده اولا السوال عن صحتكم وطيب احوالكم المرغوبه لان دائماً بالسوال عن صحة مزاجكم ونرغب الوقوف على ذلك بورود كتاب نعلم منه صحة المزاج المستطاب كما هي عادة الاصدقا والاحباب فحيث اني لم ادرك ذلك وبلغنا قدومكم بالسلامه الوطن وقد قرب المجال بهذه السنه المباركه بهذا المنزل السعيد فجعله الله تعالى منزلاً مباركاً ميموناً وبالسعد والنجاح مقروناً وحفكم بالطافه الخفيه واعطاكم الرتبه السنيه. والآن محرّرنا للسوال عن صحتكم وانتقاد عزيز خاطر محبتكم بادرنا بهذه الاحرف نرجو ونزمل من الآن فصاعداً عدم انقطاع تحريركم عنا فيما يقتضي ويلزم من الاغراض فانها موقوفة على الاشارة مع ابلاغ اشواقنا وجزيل وافر دعائنا لانجالكم المكرمين وبقية الاهل والمحبين ودمتم .

سنة ٤٥ (١٨٢٩ م)

المحب

السيد عبد الحميد الكرامي

المفتي بطرابلس الشام سابق

عفي عنه

٦٠

مكتوب جواب

حضرة الجناب الامجد الحلّ الاجلّ الاوحد السيد محمد البربير المحترم دام بقاه .

غب تباريح وجد من فؤاد مكلوم الوحشة والهيام . وبث الشوق الذي لا يرام الى التملّي بشاهدة سنا محياكم المانوس . لا زال من كوارث النوايب مصان محروس . انه اذ كنا مترقبين وفود الاعلام التي تخولنا السرور التام . واذا بورود تحرير جنابكم الكريم . المبني عن اعتدال المزاج السليم . ومن ذكي نيّرتكم منوهين بالافتقاد . فلا يعدمنا حسن الوداد . فلله المنة والحمد

حين تاريخه بغايتي الصحه والعافيه . فلا زلتم بدوام الرياضة الكافيه . ونسأله جلّ شأنه ان يديم لنا مودتكم الاكيده . وصداقتكم الفريده لتكون بالاطمئنان وداً لا تحجبوا عنا الاعلام . . .

٦١

اعراض

قرة النعم عليّ الهُمم حميد الشيم مستخدم حسن الملك السيف والقلم الدستور الوقور المعظّم والليث الجسور المفخم افندم سلطانم حرس الله وجوده الشريف :

غب لثم اذيال السعادة والاجلال وبسط اكف التضرع والابتهال الى الله سبحانه الكريم المتعال بدوام دولة سعادتكم الزاهره وتأييد مهابة صولتكم القاهره ما توالت الاجيال. عرض حال عبدكم انه بهذا الاثنا. قد ورد لنا كتاب من رقيق دولتكم وعبد سعادتكم سيدي الوالد يتضمن فحواه انه بعد الاتكال على وحدانيته تعالى بمدد انفاس سديرة سعادتكم الطاهره وبسيف صولة عنايتكم القاهره قد نهض بالعسكر من الرحاب الشريف للاوردي المنصور. ومأذون عبدكم في ارسال جانب عسكر قوي البأس من عبيد سعادتكم ورجال دولتكم اهالي الجبل بناء على ارهاب ورعب الملتجين لقلعة سانور بشهرة ازدحام عساكر دولتكم الزاهره لادخال اعناقهم بنير الطاعة قبل بساعه . وكان يودّ ويرتقب هذا العبد الرقيق بان يسير بذلك لحوزة الشرف بلثم الاذيال ولادا. بعض مـا يجب من الخدمات المفروضه لحد اهراق دمه بخدمة بابكم السعيد ليفي ما يقابل جزء من نعمتكم المغمور بها ولكنه حيث سبق الامر المطاع بتربصه تحت لواء الانظار الاكسيريه بهذه الاطراف فتحاشي الخلاف . اقتضى اننا موجهين عبد سعادتكم ابن عمنا الامير عبدالله بجانب عسكر مجمل من رجـال دولتكم للاوردي المنصور وبحسب توجيه ان تمرّج مجر الحلم والمراحم بالاذن لـه ليتشرف بلثم الاذيال ويحوز الحظ والافتخار حينا يكون ملوحاً بالنظر الاكسيري . وعبدكم هذا ما زال منتبها على اثبت قدم لانفاذ ما يؤتمر به .

ونسأله جلّ شأنه بان يديم بنود واعلام دولتكم خافقةً في اوج الظفر والسعد مع عدم طردي من دايرة الرضى المنيف وادام الله بقاكم للدوام افندم .

بك

امين ش

٦٢

اقران امثال

الجناب الاكرم حضرة محبنا وصديقنا الاعز المحترم الشيخ .. المحتشم ادام الله تعالى بقاه .

غب اهدا. وفور التحيات الفاخره السنيه ومزيد الاشواق الوافره الوفيه لمشاهدة انوار طلعتكم الزاهره الزهيه على كل خير وعافيه ونعمه جزيله كافية دمتم بها . الباعث لترقيم احرف الوداد افتقاد عزيز الخاطر الكريم . والثاني فهمنا صليب التحرير المرسول من جنابكم الى بشاره الشامي . وهذا شي. معجب من انسان يعمل دواليب مثل هذه ولكن يصير لنا وقت نتكلم بهذا مع جنابكم لساناً لاننا نتامل ان نشوفكم بوقت مرضي حين زوال الغم وتتميم دارنا وخلوصنا من اناس كذابين الذين لا يرضونا ويبقوا فقط لحين وصول غيرهم وان شا. الله الوقت ما هو بعيد كذلك لنا امل ان صحتكم الآن احسن حيث انكم غيرتو المناخ والهوا . ومن حيث ان صدركم الآن تعبان من وقت الى وقت بربما ان شراب الورد وشراب البنفسج يلايمكم وحيث علمنا اننا نعمله احسن من اهل هذه البلاد واصلكم الآن كام قنينة لاجل التجربه مشروب الهنا والسرور معاً يلزم رهين الاعلام واطال الله بقاكم .

في ٩ ل سنة ٤٥ (١٨٢٩ م)

اسبرلوسي

اساهون م

٦٣

صورة فرمان عالي شان

حضر من طرف الدولة العليه نصرها رب البريه

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين .

اما بعد فان طايفة الفرانسا (فرنسا) جعل الله ديارهم ناكسه واعلامهم دارسه هم الكفره الطغاه . والفجره البغاه . لا يومنون برب السماوات والارض ولا برسالة الشفيع يوم العرض بل تركوا الاديان كلها وانكروا الآخره وشدتها وهولها لا يعتقدون يوم الحشر والنشر . ويقولون ما يهلكنا الا الدهر . وما نحن الا ارحام تدفعنا وارض تبلعنا فليس بعد ذلك بعث ولا حساب ولا عقاب ولا سؤال ولا جواب . حتى انهم نهبوا اموال كنايسهم وتحلات صلبانهم واغاروا على شمامستهم وقسوسهم ورهبانهم وان الكتب التي جاءت بها الانبياء كذب صريح وافترا. وليس القرآن والتوراه والانجيل الا زور واباطيل. والذين يقولون نحن انبيا. كموسى وعيسى ومحمد ليس لهم مزية على احد . وما جاء الدنيا رسول بل هم مفترون على الخلق جهول والناس كلهم متساوية في الانسانية متشاركون في البشرية مستقلون بانفسهم ان ليس لاحد على احد مزيه . وكل منهم في ذاته يدبّر لنفسه امر معاشه في حياته . فعلى هذا الاعتقاد الباطل والراي العاطل بنوا قواعد جديده . وقوانين اكيده . فانبشوا فيها ما وسوس اليهم الشيطان وهدموا قواعد كل الاديان واحلّوا ساير المحرّمات واباحوا ما تميل اليه النفوس الخبيثة من الشهوات وضلّوا واضلّوا اشقيائهم وفجّارهم من الاعوام (العوام) الذين هم كالهوام .

ومن جملة قواعدهم الشيطانيه جواز النفاق والقا. الفتن بين الملوك والدول وساير الامم من ارباب الشقوة والفساد وكل ذي حشم . واضلّوهم بارسال الكتب المشحونة بالتزويرات والاباطيل المزخرفات يخاطبون كل طايفة بانّا منكم وعلى دينكم وملّتكم ويعدونهم بالمواعيد الباطله. ويحذّرونهم بالتحذيرات

الهايله . والحاصل انهم انهمكوا بالفسق والفجور وامتطوا مطية الغدر والغرور وخاضوا بحر الضلال والطغيان وتحشدوا (احتشدوا) تحت راية الشيطان . تمكن البغي والفساد في احشايهم وان الشيطان ليوحون الى اوليائهم لا حاكم يردعهم ولا دين واعتقاد يجمعهم . يعدون النهب غنيمه والنميمه اكمل شيمه . فهجموا وقهروا من ليس يتبعهم في هذا الاعتقاد الباطل من المذهب الدهريه من الطايفة الفرنساويه . فطفقة (فطفقت) ساير طوايف الافرنج من شرورهم في هرج ومرج وهرج ومرج . وهولاء يهرون هر الكلاب وينهشون نهش الدياب . فحملوا على تلك الطوايف والجماهير قاصدين تخريب قواعدهم وبنيانهم . وسبي نساهم وصبيانهم . فجرى بينهم الدماء كالماء حتى نالت منهم الفرنسا (فرنسا) المراد . وتبدل عنادهم بالانقياد .

ومن جملة خيانتهم وفساد نيتهم سوء قصدهم في الملة المحمدية والامة الاحمدية الكتاب الذي كتبه مدبر جمهورهم المدبورين بونه بارته (نابوليون بونابرت) وهو رئيس عساكرهم المقهورين . وقد وصلت صورة الكتاب لدنا بواسطة بعض جواسيسنا وها هي منقولة لكم كلماته فاسمعوا لخرافاته :

« نبدي اليكم ان مذهب الاسلام قوي متين وذو صلابة بالدين فاذا وصلتم الى اقطارهم وحللتم في امصارهم فينبغي عليكم ان تعاملوهم بمقتضى حالهم واستعدادهم واطوارهم فالضعيف تباشروه في الحرب والقتال والنهب . والاقويا تنصبوا لهم اشراك المكر والحيل لتغليطهم واغفالهم بعدم التعرض لدينهم وعرضهم واموالهم الى ان يقعوا في شرككم ثم هلم فكلهم لكم . وينبغي ايضاً بان تلقوا بين ساير الملل الاسلاميه مكايد خفيه من العداوة والشقاق والفساد والنفاق وتوقظوا بينهم الفتنه والاعتساف فتسلطوا الاسافل على الاتقيا والاشراف . وتقوم الشرور بين اراذلهم واشرارهم وفجارهم واخيارهم على الخصوص بين العرب وقبايلهم ومشايخهم وروسايهم وقطاع الطريق واشقيائهم . وابذلوا جهدكم في ايقاد نيران الفتن بين خاقان العجم وتلك الديار من الاشرار . وبينهم وبين آل عثمان باي وجه كان ليقع الشر والجدال والنزاع والنكال فيخرجون الناس من طاعة سلطانهم وإمامهم والرعايا من انفاد حكم حكامهم فينقطع بذلك سلك نظامهم وينفصم عقد انتظامهم ويتشتت شملهم واحوالهم

وتنفد خزاينهم واموالهم فتملكو حينئذ على الوجه الاسهل رقابهم وديارهم في خلال اختلالهم وجدالهم . وينبغي ان تمينو ضعيفهم على اقواهم في خصومتهم ودعواهم لانه اذا اضمحلّ الاقوى باعانة الاضعف فاضمحلال الاضعف بعد ذلك امر هيّن عليكم واخفّ لكن من حيث يوجد بين الفرنساويه والاسلام اختلاف تم فلا يمكنهم بتقتضى صلابتهم في دينهم موافقتنا قطعاً لرفضنا ساير الاديان والشرايع جمعاً . ولا يجوز لنا الركون اليهم ولا الاعتماد عليهم فبعد ظفرنا بهم بسبب لطايف الحيل التي تقدمت نهدم كعبتهم ومدينتهم وبيت مقدسهم وجميع جوامعهم ومساجدهم ومراقدهم ثم نقتلهم القتل العام سوى الصبيان والفتيان من النسوان. وحينئذٍ نقتسم بيننا ديارهم واملاكهم واموالهم ونحوّل بقيّة الناس الى اصولنا وقواعدنا ولساننا فينمحي الاسلام وقواعده وشرايعه وتندرس رسومه واثاره من وجه الارض قاطبتاً (قاطبةً) شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وعجمُها وعربها .

انتهت عباراتهم الخبيثه سطراً بسطر . جعل الله دايرة السوء عليهم فلا يستطيعون ضرباً ولا نصراً .

فهذه احوال الفرنساويه في الخادهم وكفرهم وحيلهم ومكرهم . فكيف لا يكون فرضاً على كل مسلم وموحّد دفع هولاء الكفره والملاحدة الفجره. فالآن يا حماة الدين ويا كماة المسلمين ويا غزاة الموحّدين ويا ابطال الحرب والضرب ورجال الغارة والنهب ويا اركان الشريعة المحمدية ويا محتذو (محتذو) قواعد الملّه الحنفية بل كلكم يا مسلون يا مومنون يا مقرّون بوحدانيـة الله وبرسالة محمد ابن عبدالله لعلّ هولاء الكلاب العاديات يظهر منهم اثرًا (اثرٌ) او يبدو عنهم خبرًا (خبرٌ) بناء على زعمهم الباطل ان زمرة الموحّدين كما الكفرة الذين حاربوهم وخادعوهم وجديوهم (وجذبوهم) الى اعتقادهم الفاسد واطاعوهم ولم يعلموا لعنهم الله ان الاسلام مغروس في قلوبنا والايمان ممزوج في دمائنا ولحومنا .أكفرٌ بعد ايمان أضلالٌ بعد هداء ؟ كلا ورب الارض والسماء . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان اهتدينا .

وقال تعالى في كتابه المبين: لا يتخذ المومنين الكافرين اولياء من دون المومنين . فكونوا على حذر لا يخدعنكم كذبهم وترويراتهم ولا يخوفنكم

سوادهم وتوهماتهم لانه لا يبالي الاسد بجمع الثعالبه ولا البازي بهجوم الاغربه. وكونوا على قلب واحد بعضكم لبعض معاضد كما قال نبينا الصادق الصدوق: المومن للمؤمن كالبنيان ليشدّ بعضه بعضاً . وارفعوا من بينكم الشقاق وابدلوه في الحب والاتفاق وارفعوا من بينكم الاشرار والو (واولي) النميمه والنفاق اينما كنتم وحيثما وُجدتم قرباً او بعداً . ولا يقول احداً (احدٌ) منكم اذا وقع فساد في غير بلدة من اشقيائه واراذله دفع هذا لا يلزمنا لانه في غير بلدتنا وبعيد عنا بل كلكم سوا. في الاسلام بدوّن تراخي ولا انفصام . وايضاً حققو ودققو لعل طايفة الفرانسه (فرنسا) خفية بقوّة الدراهم والمال يضلوا من هو دينه ضعيف وعقله خسيف وطبيعته مجبوله على النفاق والشقاق فيأمرهم انواع الحيل والفساد ليلقوها بين البرية والعباد فيلزمكم كلكم ان تباشروا من غير تواني ولا تكاسل في دفعه ورفعه وطرده وقمعه .

والحاصل فلتكن كلمتكم واحده متفقين في تشييد هذا الدين المبين . وكونوا على حذر من حيل ومكر اولئك الكافرين لانـه ظهر وتبيّن ان كل مفسدة ظهرت بين الاسلام في هذه الايام فهي من هؤلاء الكفرة اللئام. ولتكن سيوفكم بارقه واسنتكم راشقه واسنتكم في الطعن متلاحقة ومدافعكم صاعقه ونبالكم الى افئدتهم متسابقه ودبابيسكم لقصم ظهورهم شابقه بفرسان يجولوا في حومة الميدان بكل حملة توصل الكافر الى درك النيران لان عون الله ان شاء الله معكم وعين الله ناظره اليكم مؤيدين بنصر الله محفوظين بروحانية رسول الله سيهزم الجميع ويولّون الدبر (الادبار) بل الساعه او هي وامر . ونحن في طرف السلطنة السنيه نشرنا الاوامر العليه في جمع العساكر والاجناد من ساير اقطار البلاد . فبحول الله تعالى وقوّتـه وباهر عظمته عمّا قليل تجتمع العساكر الوافره والجنود الزاخره مع سفاين تمشي كالجبال بقدرة الله ذي الجلال ومدافع كالرعد القاصف والبرق الخاطف وشجعان لا يبالوا من الموت لاعلاء كلمة الله وغزات يقتحمون على النار محبة في دين الله فنتعقّب ادبارهم

(ديارهم) ونجعلهم هباء منثورًا كأنهم لم يكونوا شيئًا مذكورًا . اشاهــة (اشاهت) الوجوه وعنة (وعنت) الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلمًا وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين[١] . . .

٦٤

مكتوب

غب سلام ازهى من زواهر النجوم وثنا . كأنه اللؤلؤ المنظوم وشوق حرك ساكن الغرام وضاعف الوجد والهيام وترك دمع العين في انسجام ونار القلب في اضطرام من محبٍّ محبته صادره من صميم الفؤاد ومشتاق اشواقــه لو تُحسب لملأت الف واد . وينهي ان الذنب لا يؤلم من البغيض كما يؤلم من الحبيب . ولا يقع من البعيد كموقعه من القريب . وظلم العارف اشد نكاية . وما اصعب الجناية ممن لم تجرِ له عادةٌ بالجناية . ولولا ان العتاب يزيل الموجدة . ويخمد نار القلبِ الموقده . لما اجرى المملوك باب العتاب . ولا شرع في هذا المعنى ولا اجاب . الصديق والصدوق نطقٌ لفظه على الالسنة موجود . ومعناه في الحقيقة مفقود . فهو كالكبريت الاحمر . يُذكر ولا يُبصَر ، وكالعنقاء . والغول . لفظٌ يوجد بلا مدلول . وما احسن قول القايل حيث يقول :

جلا الصديق وكاف الكيميا . معاً لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

وقال :

لمَّا رأيتُ بني الزمان وما بهم خلٌّ وفيٌّ بالصداقة اصطفي
ايقنتُ ان المستحيل ثلاثــةٌ الغول والعنقــا . والخلّ الوفي

وسُئل بعض الحكما . عن الصديق . فقال : اسم لا معنى له . وهذه شيم غالب ابنا . هذا الزمان . من الاخلا . والاخوان . فمثلهم كمثل العرض لا يبقى زمانين . ويستحيل في اسرع من طرفة عين . او كلامع السراب . المستحيل

١) نشرنا هذا الفرمان مع ما فيه من نبذ من كتاب بونابرت على علّاته كما هو مسطّر في هذه المخطوطة التاريخيّة ؛ امانة للتاريخ . ولا يخفى على القارئ النبيه ما فيه من إفراط في التحقير والذمّ لا يعتمد الّا على التكلّف والعصبيّة .

فيه الشراب . او كالخيال الذي يبدو في المنام.وهو في الحقيقة اضغاث احلام . ومن كان بهذه الصفة فلا ينبغي الوثوق بوده . ولا التأسف على فقده . ولا التألم على فرقته . ولا الحزن على غيبته . . .

سنة ١٨٢٨

٦٥

شعر

اني رأيتك في المنام معانقي وظننت اني في المنام سعيدُ
لما انتبهتُ وجدتُ روحي وحدها والدار قفرًا والمزار بعيدُ

***

يا غائبًا غاب السرور لبعدهِ ما طاب لي عيشٌ وانت بعيدُ
الله يجمع شملنا بك عاجلًا والله يفعل ما يشا ويريد

غيره

خلت الرقاع من الرخاخ وتفرزنت فيها البيادق
وسطا الغراب على العقاب م وصاد فرخ البوم م باشق
وتسابقت عرج الحمير م فقلت من عدم السوابق
سقطت بلابل الزمان م واصبح الخفّاش ناطق
وتنكست رؤوس البزاة م وصاد فرخ البوم باشق

غيره

يا جارة جاروا عليَّ ببعدهم حنوا عليَّ وارحموا مضناكم
حاشاكم يا سادتي ان تهجروا صبًا معنى مغرما بهواكم
بالله جودوا وارحموا لمتيم لم يستمع فيكم حديث سواكم
يشتاق موسى فوق طور رضاكم فاذا تجلّى حسنكم ناجاكم

ورد في اول صفحة ١٤١ ما يأتي بحرفه :

« انه في تاريخ سنة الف وثمانماية واربعة وثلاثين كان سفرنا الى محروسة رسيليا صحبة اختنا وكان قيامنا من البيت نهار الثلاثه (الثلاثاء) في ١٣ شهر نوار . وكان وصولنا الى محروسة رسيليا نهار الاربعه (الاربعاء) الواقع في تسعة تموز سنة ١٨٣٤ الموافقه للهجره سنة ١٢٥٠ صح » .

وجاء في آخر صفحة ١٤٢ :

« وبعد امتلاكك الخط جيدًا يا خطار تعلّم قلم الهندي (الحساب) لانه ضروري جدًّا وهذا معرفته اهون عليك من شرب الماء البارد . لا تخليه ابدًا . وعلّم اخونك ايضًا الكتابه وعلم الهندي لانهم سند لك حين الضيقه » .

وجاء في اول صفحة ١٤٣ ما هو نصه :

« وكان رجوعنا من محروسة رسيليا نهار الخميس الواقع بشرين شهر آب . يكون جملة اقامتنا برسيليا شهرين والباقي على الطريق . استقمنا من بيروت الى رسيليا ثمانية واربعين يوم ، ومن رسيليا الى قبرص عدد ٣٧ يوم ومن قبرص الى بيروت عدد ٣ يوم . هذا كان كل السفر من الشرق للغرب ومن الغرب للشرق في نهاية سنة الاربعه وثلاثين وثمانمايه والف ١٨٣٤ . وكان طلوعنا الى مينا قبرص نهار الاثنين الواقع في اربعة عشر ايلول ضهرية النهار سنة ١٨٣٤ » .

***

تمسّك ان ظفرت بذيل حرٍّ فان الحرَّ في الدنيا قليلُ

***

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجل

***

كن غنيَّ النفس واقنع بالقليل مت ولا تطلب معاشًا من بخيل

***

ما عجزنا عن جوابٍ ولكن ما يضرُّ الاسود نبحُ الكلابِ

٦٦

حجة مبيع

هو انه يوم تاريخه قد بعنا ما آل الينا بوجه الشراء الشرعي من حياة المرحوم ابن عمنا حنا وهو الرزق المعروف بنا في مزرعة حيّاطه (بلاد كسروان) المشتمل على اغراس توت وعمار وكروم وعريش وتين وسليخ وحرش وعطل واغراس جوّية وبرّيه الكاين جميعه تحت ظلّ تصرفنا الى حين صدوره وذلك الى رافعين هذا السند الشرعي اولادنا منصور وجهجاه واولاد ولدنا لويس، فاعور وحنا مثالثه اي الى منصور وجهجاه الثلثين والى فاعور وحنا الثلث بمبلغ قدره وعلم بيانه من القروش الاسديه الرايجه السلطانيه الذي يُغلَب التعامل بها يومئذ ستة عشر الف قرش،عن كل قرش اربعون مصريه بيعاً وشراء صحيحين شرعيين لازمين نافذين باتّين مرعيّين بايجاب وقبول وتسلّم وتسليم شرعيات بحال كوننا بصحة العقل والبدن بطواعية واختيار من دون كره واجبار غب التخلية الشرعية والعلم الكافي النافي للجهالة الشرعية شهرة ووصفاً وعيناً. وحدود الموضع المرقوم من الجهات الثلاث اي شرقاً وغرباً وشمالاً الطريق السلطاني السالك وقبلةً رزق مدرسة ماري عبدا (هرهريا) والخوري حنا آصاف. وقد صدر هذا المبيع المحرر ما بيننا وبين اولادنا واولاد ولدنا القصّر المرقومين بوجه التراضي وابرينا ذمتهم من الغبن والغرر. وقد خرج هذا المبيع كلّه عن ملكنا وصار ملكاً شرعياً للشاريين المذكورين يتصرفوا به وبكل حقّ له تصرُّف الملّاكه في املاكها وذوي الحقوق في حقوقها مع كلما يتبع المبيع المحرر وينزى اليه من طُرُق وطرايق ومجالات ومشتملات ومضافات ورسوم ولواحق بحق ذلك كله ومهما جاء على المبيع المذكور من درك وتبعه فضمانهُ علينا حيث يجب شرعاً ويدفعوا المال الميري المرتّب على المبيع وحيث استقر الثمن المرقوم ديناً شرعياً في ذمة الشارين المذكورين فقد ابرينا ذمتهم من الثمن المحرر كلّه ومن كل جزء منه ابراءا عاماً مطلقاً شرعياً ولم يبق لنا قِبَل الشارين المذكورين ولا عليهم ولا في ذمتهم الدرهم الفرد من ساير الجهات. وقد سطّرنا هذا السند الشرعي بيدهم ليكون مشعرًا للبيان فيما سُطِّر اعلاه غب الاشهاد علينا في ذلك كله الاسامي المدوّنة ادناه. تحريرًا في اليوم كذا من شهر كذا سنة كذا..

٦٧

رسالة

اهديك طرائف تحيات تستمد العرائس من عرفها . والنفائس من ظرفها . والنجوم من ضيائها . والجواهر من لألائها . والماء من صفائها . واللطف من هوائها . والبدور من كمالها . والحور من جمالها . واسأل الله تعالى لك صفاء الخاطر . وهدوء السرائر وخلود السرور . ودوام الحبور . وصحة المزاج وكمال الابتهاج . فانك البحر الذي لا يتكدر . والزلال الذي صفاؤه لا يتغير . والروض الذي يتنعم في زهره وثمره وظلاله . ومرآة اللطف الصقيلة التي تقابل كل وجه بمثله . وجوهر الكمال . الفرد الذي لا يقبل الانقسام . والذهب الابريز الذي لا يصدأ ولا تنقصه نار الامتحان ولا يزداد الا حسناً ولينا على الدوام . وقد زاد اليك اشتياقي . وجذبتني يد الحب لرحابك باطواقي . لا سيما حين شنف ابو حسين بذكرك اسماعي . وذكر ما كان لقلبي حادم وداعي . وتالله ما ذكر الا ما كان يعتقده فؤادي . وينبىء عن حبي ووادي . فوافق شنٌّ طبقه . وقوي اليقين ان عند بدري شفقه . وعند ذاك برأت قريحتي القريحه . وانشأتُ خريدة امست تمدحك بليغه فصيحه . . .

٦٨

انشاء

ابدع ما طرزته بنان البيان ... يراع الافتنان واطرب ما سجعت به بلابل البلاغة وافصح ما غرّدت به صادحة البراعه وابهى ما تحلت به عرائس البديع من قلائد الفوائد وازهى ما تزينت به ابكار الافكار من نفائس الفرائد يذيع اثنية تعجز عن اختراعها انور العقول والاذهان ويقصر عن تعدادها كل جنان ولسان . ونوابغ ادعية لم تحصها هواجس الخواطر ولا حوتها بواطن السرائر والضمائر . ونوافح تسليمات تحمدها نفحات المسك الاذفر ونوادر تكريمات ينار من طيب شذاها عبير العود والعنبر وعروس تحيات بارزة من خدر النباهه مزفوفة بانواع النضاره رافلة في حلل الرقة واللطافة ساحبة اذيال التيه والظرافة متحلية بزواهر جواهر المعاني السنيه تتحلى بزواهي محاسن المباني البهيه . بازغة

بسما. غرتها شموس البراهين الواضحة ناطقة بسنا. جيدها عقود العبارات الراجحة لائحة من لحظيها امارات الدلائل السديـده باسمة عن زواهي جواهر الحقيقة الاكيده . ساعية على الدوام باقدام الطاعه سابلة قناع الانس والوداعه متحرفة ببدية الثنا. الفاخر محفوفة بزينة الحمد الوافر . فائح من ثمينها عرف زنبق الود الصادق عابق من رياها بنشر ورد الحب الفائق . قادمة على ختن المحاسن والملاحة . مائلة لدى قدوة ارباب البلاغة والفصاحة . مجمع المحامد والمفاخر . بهجة القلوب والنواظر . كنز الاداب فخر ذوي الالباب . معدن الكمال دوحة الجمال . ذو الشمائل اللطيفة والمناقب الشريفه . الاديب السامي بعرفانه على امثاله واقرانه . ذو العقل الفريد والرأي السديد . النادر العزيز . عمدة آل الخبرة والتمييز. الفطن البارع بادراك المتلات. الشهم المسارع بحل المشكلات. نتيجة الزمان . تحفة العصر والاوان . الدر المكنون . ذخر العلوم والفنون . صديق القلب وقلب الصديق . شقيق الروح وروح الشقيق . الجناب المحروس المشار اليه باعلى الطروس . لا برحت ايامه الغراء مسعده . ونعم المولى عليه مخلده . :

غب لواعج اشواق لا تحصى ولا تعد . واشتياقات لا تستقصى ولا تحد . الى الحظوة بمشاهدة تلك الذات المأنوسة ، والطلعة المحروسة . لا زالت سليمة المزاج . غنية عن العلاج ، المعروض انه لا يخفى عن فطنة الحبيب الاوحد . وفهم العزيز المفرد . اننا اذ كنا في ربيع تلك الايام . متنعمين في رياض تلك الخيرات والانعام . متزهين عن كل هم . وبلبال . ونحن بارغد عيش وأسر بال . معتدلي المزاج . خالين من كل غم . وانزعاج . نقتطف ازهار الافراح . ونستنشق نسيم الانس والانشراح . نشنف الاسماع . ونلذ الطباع . ننزه الابصار . بروضة الانتصار . مقتنمين . . . في نعيم الربى . نرصد ركب الاحبا . ونقصد اوج السياده وبرج السعاده . فما زلنا على حالة التهاني . . . الاماني الى ان داهمنا الصيف الجائر وارانا انواع البدائع والعبائر . وشبت حرارة الشدائد . ودبت يبوسة المكائد . فحينئذ بان الجفاف . ولاح الشفاف . واحلت بساتين النشاط . وبادت جنان الانبساط . وتملكت سودا. الهموم . وتسلطت صفرا. السموم . وما برحنا في تلك المدة . واقعين في حميات الشدة . نكابد انواع

الضيقات . ونحن على مهاد المشقات . الى ان بادر الخريف . فحينئذٍ عدمنا كل تلطيف وساءت الامزجه ورابنا كل مزعجه . فلله درّ هذه الايام . وتبّاً لسو. هذه الاحكام . وتعساً لهذه الامصار . وترحاً لها من اعصار . ويا ليتها بعد ذلك اكتفت بهذه المهالك بل غادرتنا ونحن كاشباح واجسام بلا ارواح . ونتسلّى بالمحال . ونصبح في حال . ونمسي في حال . واذ قد بادر الينا الشتا . وأضعف الكهل والفتى . ولاحت في سما. الانتصار . علامة الذلّ والانكسار . واغربت شمس التهاني وغاب بدر الاماني . وانتشرت غيوم الاكدار . وأقتمت سما. الدمار والدثار . واظلم ضباب الاحزان . وهبّت رياح الهوان . وثارت عناصر المصائب . وعجّت بحار النوائب . وارعدت رعود البلايا . ولمعت بروق المنايا . وامطرت سحابة الكوارث . وفاضت ينابيع الحوادث . واشتدت زلازل الامور . وانقضّت صواعق الشرور . وتساقط بَرَد الدواهي . وساء كثر التناهي . وعجّ بحر الخُطوب . وفاض طوفان الكروب . وغارت الشامخات واهتزت الراسخات . وساءت الاحوال وزادت الاهوال . وضجّت الحروب . وارتجت القلوب . وضاقت النفوس وحاقت البؤوس . وغدر الزمان وعدم الامان . وخابت الظنون ودنت المنون . وشابت النواصي وأقعدت القواصي . وضاق المجال وقصرت الاجال . وبادت الامجاد وقلّ الانجاد . وحاق السيف وراع الحيف . ولاح الحِمام وولّى الهمام . وصاح الجبّار : الفرار الفرار ونادت الاقدار : الدثار الدثار . فحينئذٍ تبددت الجموع واقفرت الربوع ، وتشتت الاخوان وتفرقت الخلّان . وارتعشت المسامع وهطلت المدامع . ولا شفيق ولا رفيق ولا صديق ولا شقيق . فيا لهُ من اتون سخط مضطرم وطوفان رجز عرمرم . قد ساقنا الى وادي الحسرات وزجّنا في وهدة العثرات . فشملني الخمول وطفقت انشدُ واقول : يا لعمري . وحيرة امري . اين ذاك الصفا. وخلّان الودّ والوفا. . واين ذاك النضار . وزهو تلك الديار . واين تلك الملاهي . وذاك الهنا. والتباهي . فهل لها من رجوع . وهل للبلاء من هجوع . وهل عودة لذاك المقام . ونجاة من هذه الاسقام . فلا سميع لي ولا مجيب ولا تمّ لي بذلك نصيب .

وناهيك يا اخي المودة ما حصل لي في هذه المدة من الشدة . وما حصل . . .

وكيف فقد الشاب وأفل ذاك الشهاب ... وأف له من عذاب . ويا لها من فجعة كئيبه وعبرة غريبه . وسحقاً لها من بدعة فظيعه حائدة عن كل سنة وشريعه . فمن ذا الذي يسمع ومقلتاه لا تدمع . ومن يبصر ولا يتحسّر . ومن يرى هكذا تلف ولا يقضي حزناً واسف لعمري انها ضاقت الصدور ولانت الصخور . وحنّ الوجود ورقّت القيود . فاين العقو والحلم وما هذا الجور والظلم .

فحتّى مَ يا ايها الاخ المحبوب تسكع في ظلام هذه الخطوب . ولا تسأل يا حبيب عن حالة الصبّ الكئيب وما بقلبي من الوجـد والغرام الى مشاهدة ذاك القوام . واني لظامىء الى ارتشاف عذوبة تلك الالفاظ الدريّه وهائم لبشاشة تلك الايقونة البهيه . ولم ازل اترقب ورود الاخبار من القادمين من كل صقع وديار . سائلاً عن محلّ انسكم وسما. اشرقت فيه شمسكم . الى ان هديتُ ببشرى غالي سلامتكم المرغوبه واطمأن فؤادي على كمال صحتكم المطلوبه . فاسديتُ لله تعالى مزيد الحمد والشكر واسهبتُ في الدعـا. للحق سبحانه بهدو. البال وراحة الفكر . وانعكفتُ على تواتر التوسل والابتهال لمن جلّ شأنه ذي الجلال . بالنهاية السعيده والعاقبه الحميده . وان يعيدنا واياكم الى تلك الديار والاوطان . ويجمع الشمل كما كان . وكما يشهد الفؤاد . وهو اصدق الشهود بالوداد . انكم ما برحتم قط من خاطر من تؤثقون بصدق ودّه . وانتم ادرى واعلم بشوقه ووجده. فالمأمول والرجا. من حسن شيمكم الكريمه . وخلوص طويتكم السليمه . اتصال الاعلام . من غير انحسام . لان المراسله نوع من المواصله . وشرّفونا بما يلزم من الاغراض والخدم[1] . . .

٦٩

اعراض جواب بشارة

غب لثم اذيال السعادة والاجلال وبسط اكفّ الضراعة والابتهال الى الله سبحانه الملك المتعال بدوام دولة سعادتكم الزاهره بالعز وخلود النعم بداري

---

١) ان مكان النقط في هذه الرسالة كلمات خرقتها نيوب الأرضة .

الدنيا والآخره . انه في اشرف وقت اكيد وابهج طالع سعيد بزغ نور بدر المرسوم الشريف الحاوي كمال البشائر المسرّه وهو قدوم جناب افتخار ذوي المكارم والمحامد الفخام . حايز مراتب المجد والاحتشام عثمان اغا المحترم. وعن يده اوامر شريفه خاقانيه يشعر فحواهم (فحواهما) السامي . ومضمونهم (ومضمونها) العالي بان حضرة مولانا هامة السلاطين وخاقان الخواقين السلطان الاعظم . والخنكار الافخم سليمان الزمان ودار العصر والاوان غازي محمود خان ايّده العزيز الرحمن قد انعم على سعادتكم بابقاء ايالة صيدا والحاق ايالة طرابلوس شام وباشبوغلية الجردة لعهدة سعادتكم عن هذه السنه المباركه . فتقف السنة الاقلام وتجفّ افواه المحابر عن حصر بعض مما حصل عند هذا العبد الداعي من الطرب والسرور والبهجة والحبور . من هذه البشرى السنية السامية المقدار . والجليلة الاعتبار .

واشهرنا موسوم سعادتكم الشريف على رؤوس الخاص والعام وبادرنا بعمل شنك عظيم وانسرّت الخواطر وابتهجت القلوب وغردت الالسن بازدياد اداء الدعوات الصافيات لحضرة باري المبرزات بتخليد سرير سلطنة حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين . ظل الله الممدود على العالمين . ابّد الله سلطنته الى انتهاء الزمان وانقراض الدوران . ودعونا لسعادتكم واستجلبنا كافة الدعوات الخيريه من الرعايا والبرايا بتخليد دولتكم الزاهره وسطوتكم القاهره مدى الادهار . ونتوسل للباري تعالى جلّ جلاله وعمّ نواله ان يجعل اقمار سعد دولتكم مضيئة مدى الاعصار . ويحرس وجودكم الشريف من سائر الاضرار والاكدار . ويزيد سعادتكم عزًّا وقبول . ويحفظ شمسكم من الافول . وتكون ممدوده على سعادتكم غير محدوده . وان شاء الله تعالى السميع العليم تكون ابرك السنين والاعوام على سعادتكم وعلى سائر عبيدكم ورعاياكم . وعلى الحق الاجابة وغاية رجانا عدم هجرنا من الخاطر العاطر . واطال الله بقاء سعادتكم للدوام بحرمة خير الانام وآله وصحبه الكرام .

٧٠

اوصاف

عمدة التجار المعظمين . قدوة الاكابر المعتبرين . محب الفقراء والمساكين. ومحسن على الارامل والمنقطعين. من فاق بحسن سيرته النجوم الزواهر. وبجميل طلعته البدور السوافر . وشاع في الخافقين ذكره وثناؤه رغم انف كل مكابر . . .

اوصاف

الدرَّة المصونة . والجوهرة المكنونة . المتصفة بالعزة والكمال والدين . والمحجوبة بحجاب الحيا. والجلال عن اعين الناظرين . درَّة اكليل الدولة الزاهرة. وغرَّة جبين السعادة الباهرة. قدوة المخدرات المعظمات . عمدة الموقرات المكرَّمات . عليَّة الذات جميلة الصفات . نتيجة الدول والسادات . تاج النسا. في العالمين . سلالة الملوك والسلاطين . صاحبة افضال الخيرات . ساحبة اذيال المبرَّات . . .

٧١

اعراض لوزير عالي الشأن

انه في اشرف اوان حميد وابهج طالع سعيد بزغ اشراق انوار المرسوم الكريم الواجب التكريم والتعظيم. المشعر فحواه المنيف . ومنطوقه الشريف. مراسيم ازدياد رضاكم العالي وتوجيه الخواطر الاصفيه والمكارم الحاتميه . على هذا العبد القديم . والرقيق المستديم . بما افاضت به بحور مراحمكم العميمه . ونعمكم الجسيمه . بما تدني انجبارًا على طول الايام . وكفاني افتخارًا بين الانام . وهو الخنجر المجوهر الفاخر . المتشرف بملبوس سعادتكم الزاهر . فقد قابلناهم بجزيل الدعوات لباري الارض والسموات . بان يزيد دولتكم الزاهره . ويخلد في سما. الاقبال اشراق كواكب سعادتكم الباهره . وقد حصل عبدكم من عميم نعمكم مثقل الكاهل . ومتوشح بثوب ايدي لا يُفك الايادي الغاسل. وليس له لسان يقوم بتأدية ما يجب من الحمد والشكر

سوى ادامة التضرع والتوسل لله تعالى الملك المنان. ان يديم لنا وجود سعادتكم الشريف . وظلّ سؤدد دولتكم المنيف . ما دامت الازمان . ولا يغرب عنا كواكب سطوتكم القاهره ما تعاقب الملوان. ولا زالت سحائب جودكم تفيض بالنعم . ومناهل سماحتكم غارقة كالديم .

والآن تجاسرنا بترقيم عريضة الدعاء عن يـد اخينا عبدكم خليل اغا المكرم لايضاح ما هو واجب على هذا العبد بمواظبته على وظيفة الدعاء الحَري للملك الجبار . بدوام دولتكم الزاهره فوق رؤوسنا مدى الادهار . وان الله على كل شيء قدير. وبالاجابة جدير. وارجو عدم طردي من دائرة رضاكم . . .

٧٢

مكتوب

المرء لا تكثرُ اعداؤهُ الّا وفيـهِ شرفٌ ناهضُ
ألم ترَ الحلوَ واضدادهُ المرُّ والملح والحـامضُ

جناب لبيب خمدت محابره الليالي وكواغده الايام . والفاظه الدراري وراحته الغمام . لا زال الى اوج المعالي يرقى ويصعد ولا خلاه الدهر من حاسد فان خير الناس من يُحسد .

غب الدعاء. ببلوغ حواسده غاية الاعمار . حتى يروا من سيادته ما يعمل في ظواهرهم وبواطنهم ما لا تعمله النار ولا البتّار. ففي ابرك وقت وقفنا على الكتاب المرسول منكم لحضرة ابن خالكم الياس . فحصل لنا بـه كمال الايناس. وبقي معلومنا اضطراب من تلك الاخبار. وان القصد احاطة علمكم لمن اشاعها من الاشرار . فيا ايها العزيز نحن نشير الى ذلك على سبيل الاجمال لا التفضيل . ونقول ما قاله الشاعر النبيل :

ولكلّ شيءٍ آفةٌ من جنسهِ حتى الحديد سطا عليـهِ المبردُ

وهناك الامر كما تحقق عند جنابكم من الحسّاد . الذين يسعون بالفساد. فاذا كان كذلك . . . الحسود . . . ويكفيه انه دائمًا ينتم بسروزك . ويتعذب بنعيمك وحبورك كما قيل شعرًا :

دع الحسود وما يلقاهُ من حسدهِ يكفيك منه لهيب النار في جسدهِ
ان لمتَ ذا حسدٍ فرَّجتَ كربتهُ وان سكتَّ فقد عذَّبتهُ بيدهِ

وقد جرت سنَّة الله من اول الوجود ان كل ذي نعمةٍ محسود . قال الشاعر :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيهُ فالكلُّ اعداءٌ لهُ وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ظلماً وبغياً انهُ لمشومُ

فتلخص من هنا انه لا مُجد الّا من ساد . واختص بمزايا خلت عنها الحسَّاد . والسيد اذا قدر صفح . واذا سُئل منح . واذا حضر يهاب . واذا غاب يُغتاب . فيجب عليه ان يجعل شكر سيادته الصفح عن حاسده الجاني ولا يقصد له مضره . او يرفع امره لله الذي لا يظلم مثقال ذرَّه . ويحق له عند ذلك ان ينشد قول الشاعر الماهر مخاطباً لحسوده الفاجر :

ملكنا فكان العفو منَّا سجيَّةً فلما ملكتم سال بالدم ابطحُ
فيكفي الورى هذا التفاوت بيننا وكلُّ اناءٍ بالذي فيهِ ينضحُ

هذا وارجو دائماً مواصلتي بالمراسلة وبما يقتضي من الاغراض والدعاء . ثم ان اهل محلّ القلانة الذي هم اهلها ان يزالوا يثنون على الجناب بما هو اهله . ويضرعون الى الله تعالى انه لا يزال مجموعاً بالسعادة شمله . والمعتبر عند امثالكم الكرام . لا الطغام اللئام اولاد اللئام . قال الشاعر :

اذا رضيت عني كرامُ عشيرتي فلا زال غضباناً عليَّ لئامها

٧٣

غيره

جناب من اذا لفظ انفت نجوم الثانيات منظوم عقودها . واذا كتب غارت من نقَطهِ وألِفاتهِ شاماتها وقدودها . ومن رقَّت منه الالفاظ . حتى كادت تشربها مسامع الحفَّاظ . لا برحت بحار فكره للدرّ قاذفه . ولا فتئت السعادة على ابوابه واقفه .

غب اتحاف جنابه بعرف شوق يفوق العنبر . ويزري بالمبهر . ناشيء عن صميم فؤاد جُبل على ثقته وحبه . ولا يزال وان بعُد جسمه متنعماً بقربه. ودعاء تزول الراسيات ولا يزول . متعلقاً باذيال القبول . فالمعروض وصول مشالات جنابكم وارتياح القلب بعذب خطابكم واحاطة العلم بما اسديتموه للخواجه فارس الدهان وزين شبقلو ونادر سيف من المعروف . فلا زلتم ملجأ لكل مضطر ملهوف . ولا اعدم الله القلوب هذه المجابره . ولا الاسماع لطف تلك المسامره والمسايره. واللسان عن شكر مزاياكم الحميده في غاية القصر والقصور. لا سيما في شهر رمضان التي بلغت فيه الارواح النحور. والباعث لتحرير الاحرف الوافد بها اليكم . والقادم بها عليكم . اوحد ادباء الشام . ومن اصبح في وجنة الدهر وشام . وعلى ظهر الارض سلام . جناب الاخ العزيز الحاج عبد العال . لا يزال يحاكي هيئة الهلال .ويشهد بانه طُبع على اللطافة قول الملل. . . من ظرافة . فلا زلتم عوناً لاهل الادب . ولا زالت اللطافة تنسل اليكم من كل حدب . وان تشملوه باكسير النظر . واننا نؤمل حتى تخرجوا من بحر فكره نفائس الدرر . ودائماً تواصلونا بالمراسله لانها كالمواصله . وبما يسنح من الاغراض. وتقضى بلا اعراض . ومن جناب مولانا مفتي افندي وجناب ولده المحترم وسيدي ذردار اغا والحاج حسين وابو حسين يهدونكم غاية الاشواق. . .

٧٤

افادة تاريخية

وردت في صفحة ١٤١ هذه الافادة وهي :

انه في سنة الف وستماية وثمانيه ربانيه عصى علي باشا ابن جنبلاط في حلب لاجل ذلك عيّن السلطان ابن عثمان ركبه (حملة حرب) على المذكور ابن جنبلاط باربع كرّات ترك من ناحية اسلامبول . وكانت الكونه (المحاربه) في مرج دابق قرب حلب وصلّ (واستمرّ) الحرب بينهم ثلاث (ثلاثة) ايام وبعد الثلاثة ايام قُتل علي باشا ونهبوا اسبابه وانحطت امه بيد الدّلال على ثلاثين قرش واتفرق (وتفرّق) العسكر قشاق على معاملة الشام وحلب وطرابلوس. وكانت تلك السنه صعبه في الغلا والديق (الغلاء والضيق) هـ .

نُقل هذا التاريخ عن الاصلي حرفاً بحرف من دون زياده ولا نقصان سنة الثمانية وعشرين ربانيه بعد الالف والثمانمايه صح .

وفي آخر هذه الصفحة افاد الشيخ جهجاه عن نسخه هذه « السفينة » بهذه العبارة وهي :

« علَّقهُ بيده الحقير جهجاه الدحداح وهو متخفي اي مهزوم من حاكم الوقت تحريراً في ٢٣ كانون اول سنة ١٨٢٨ الثانيه وعشرين وثمانمايه والف بنايسة المجله صح صح واما كتابة الاحمر بعد الرجوع للبيت كتبناها صح » .

٧٥

ابراهيم باشا والامرنيين

احتلال ابراهيم باشا سوريا سنة ١٨٣١ — ١٨٤٠

توطئة

انتهز محمد علي الفرصة ليمان انفصالهُ عن الدولة العثمانية ولتوسيع ممالكه وكان يحلم ان يضمَّ اليها سوريا .

واذ مانع والي عكا عبدالله باشا محمد علي في نقل احطاب من لبنان لصنع سفنهِ وآوى والي عكا فلاحين مصريين كانوا لجأوا الى لبنان هرباً من الجندية المصرية ، تذرَّع محمد علي بهذا السبب لاكتساح سوريا ، فوجَّه اليها جيشاً عددهُ ثلاثون الفاً بامرة ولده ابراهيم الذي اجتاز السويس واستولى على غزة وعكا بعد حصار استمرَّ ستة اشهر وذلك سنة ١٨٣٢ ثم انه استولى على دمشق فدانت له سوريا باجمعها .

وقهر في حمص وبيلان جيشاً عثمانياً واجتاز طورُس ودخل آسيا الصغرى ودحر بعشرة آلاف جندي ستين الفاً من الجنود العثمانية في موقعة قونيا سنة ١٨٣٣ وانفتحت امامه ابواب الاستانة فلجا السلطان محمود واستنجد باوربا فلبَّى نقولا قيصر روسيا نداءهُ وجهَّز اسطولاً من خمس سفن وسبع مدمِّرات رست في البوسفور في ٢٠ ايار سنة ١٨٣٣ .

ولم تجدِ احتجاجات فرنسا وانكلترا نفعاً واضطرَّ ابرهيم باشا الى ان يوقع معاهدة كوتاهيه في ١٤ ايار سنة ١٨٣٣ . وقد ترك بموجبها لعزيز مصر سوريا ومقاطعة اذنه . ولكنَّ صلح كوتاهيه لم يستمرَّ طويلاً اذ ان السلطان محمود جهَّز جيشاً من ستين الف جندي دخل سوريا بامرة حفيظ باشا في موقعة نصيبين ومزَّق الجيوش العثمانية وبدَّدها .

ومات السلطان محمود فخلفهُ على العرش ولدهُ عبد المجيد ولم يكن لــهُ من العمر الآ ستة عشر عاماً .

وخشي القبطان التركي السلطان الجديد فسلّم الاسطول الى محمد علي في ميناء الاسكندرية .

وجزع السلطان الفتى فلجأ الى اوربا وقد أبلغته الدول العظمى الخمس انذارًا بعدم تسليم شيء الّا برضاها .

ثمّ ذرّ قرن الخلاف بين هذه الدول لتضارب الاميال وتنافر المصالح واوجست فرنسا وانكلترا خيفةً من اشتداد نفوذ روسيا وحاولتا اقصاءها عن الاستانة .

وعمدت انكلترا الى الكيد لفرنسا بخضد شوكة محمد علي ، فانتزعت منه سوريا واوصدت بوجهه البحر الاحمر والفرات لاعتبارها اياهما طريقي الهند . واضطرت فرنسا ان توقّع مع روسيا والنمسا وبروسيا معاهدة لوندره في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ وبمقتضى هذه المعاهدة أُبقي لمحمد علي ولذريته القطر المصري وولاية عكا مدى حياته فقط دون توارث ، ووجب عليه اخلاء كنديه وجميع ما كان قد احتلّهُ في سوريا وعربستان ، وأُلزم باعادة الاسطول التركي الى السلطان وضُربت لهُ مهلة عشرة ايام لتنفيذ المعاهدة[1]

الفونس دي لامرتين

١٧٩٠ — ١٨٦٩

وُلد في بلدة ماكون (Mâcon) بتاريخ ٢١ تشرين الاول سنة ١٧٩٠ وكان ابوه بالرغم من ميوله الى المبادئ التقدمية متشيعًا للملكية . فاعتقله رجال الثورة مع اخويه بتاريخ ٥ تشرين الاول سنة ١٧٩٣ وظلّ سجينًا مدة سنة ثمّ اطلق سراحه دون ان يُمسّ بأذى . وهذا ما يفسّر اتزان لامرتين في آرائه عن الثورة الفرنسية .

في سنة ١٧٩٧ توفي جدّه وتقاسم اولاده ثروته فكان بيته في ميلي (Milly) من نصيب والد لامرتين، وكثيرًا ما اتى لامرتين على ذكره في ابياته لانه فيه ترعرع اذكان في السابعة من عمره عندما انتقل اليه مع ابويه واخوانه الست .

بدأ بدرس العلوم على يد الاب ديمون (Dumont) ثم انتقل الى ليون وسلّمه ابوه الى معهد بوبيه (Pupier) حيث لم يلبث ان فرّ مع اثنين من رفقائه بتاريخ ١٧ كانون الاول

---

١) نشر الخور اسقف بولس قرألي المؤرخ المعروف ، مخطوطتين معنونتين « الجزء الاول من كتاب حروب ابراهيم باشا المصري في سوريا والاناضول . المطبعة السورية بمصر الجديدة سنة ١٩٢٧ في ٦٧ صفحة بقطع كبير والجزء الثاني بالمطبعة المذكورة سنة ١٩٣٧ في ٧٢ صفحة .

راجع ترجمة ابراهيم باشا المصري بمجلّة « كوكب البريّة » الجزء السابع تموز سنة ١٩١٦ صفحة ٤٢٦ ، السنة الرابعة .

سنة ١٨٠٢ ، وفي بدأ العام الدراسي من سنة ١٨٠٣ أُدخل لامرتين الى معهد بلّلي (Belly) بادارة آباء الايمان (Les Pères de la foi) وبقيَ فيه حتى سنة ١٨٠٨ .

من سنة ١٨٠٨ حتى سنة ١٨١٦ زجّى ايامه في المطالعة والسفر . سافر الى ايطاليا في سنة ١٨١١ وبقيَ حتى سنة ١٨١٢ ،وعلق في ذهنه من هذه الرحلة ذكر «غرازيلًا» (Graziella) وفي هذه الفترة تعرّف الى التي قُدّر لها ان تذتق عبقريته الفذّة بالحبّ الذي اوحته اليه والالم الذي خلّفه موتها في حياته . تلك التي خلّدهـا تحت اسم الفير (Elvire) في قصيدة « البحيرة » .

في سنة ١٨٢٠ ظهر اول ديوان له تحت اسم « تأملات » (Méditations) وفي السادس من حزيران من ذات السنة تزوج من فتاة انكليزية اسمها ماريان اليزا بيرش (Mariane Elisa Birch) ، ثم عيّن ملحقاً في السفارة الفرنسية في مملكة (Naples) . وفي سنة ١٨٢١ رُزق ولدًا لم يعمّر طويلًا . وفي سنة ١٨٢٢ ولدت ابنته « جوليا » التي رافقته الى لبنان .

وتتابعت مؤلفات لامرتين من التأملات الجديدة (Nouvelles méditations) الى موت سقراط الى آخر نشيد من رحلة هارولد من سنة ١٨٢٥ حتى سنة ١٨٢٨ التي عيّن فيها قائمًا باعمال السفارة الفرنسية في فلورنسا وظهر كتابه الايقاع (Les Harmonies) سنة ١٨٣٠ وهي سنة قبوله في الاكاديمية .

وفي سنة ١٨٣١ ترشح للنيابة واخفق . وقام برحلته الى الشرق سنة ١٨٣٢ فزار اليونان ولبنان وفلسطين حتى صحراء مصر . وفي لبنان سكن مـدّة في دير عينطورا — مدرسة عينطورا الشهيرة — ولا تزال الى اليوم غرفته فيها معروفة باسمه وتدعى غرفة لامرتين — وماتت ابنته جوليا في بيروت سنة ١٨٣٣ ودُفنت فيها ، مما اورثه مرارة الينة بثها في قصيدته الجهانية . ووصف رحلته هذه في كتاب مستقل ظهر سنة ١٨٣٥ .

أُنتُخب لامرتين اثناء غيابه في رحلته الى الشرق ، نائبًا في البرلمان الفرنسي وبقيَ محتفظًا بمنصبه هذا حتى سنة ١٨٥١ دون ان يؤثّر ذلك على انتاجه الادبي ،فوضع «جوسلان» سنة ١٨٣٦ « وسقوط ملاك » سنة ١٨٣٨ «وتأملات شعرية» سنة ١٨٣٩ وظهر كتابه الضخم « تاريخ الجيروندان » سنة ١٨٤٧ .

في ١٠ من شهر كانون الثاني سنة ١٨٤٨ ترشح لرئاسة الجمهورية ولكنّه فشل . واعتزل الحياة السياسية سنة ١٨٥١ مثقلًا بالديون مما اضطره للتأليف بسرعة وبكثرة ، فجاءت مؤلفاته وكأنها ثمرة اشتغال شاقة وكبا عند اللحاق بروائعه السابقة .

واهدته مدينة باريس قصر « باسي » (Passy) سنة ١٨٦٠ ، ومُنح معاشًا سنة ١٨٦٧ الى آخر حياته ومات في « باسي » بتاريخ ٢٨ شباط سنة ١٨٦٩ ، ويرقد جثمانه في سان بوان (Saint-Point).

***

ابحر لامرتين من مرسيليا في ١٠ تموز سنة ١٨٣٢ على الباخرة الستّ (L' Alceste) وحمولتها ٢٥٠ طنًا معقودة اللواء لرُبّان بلان (Blanc) وقد احاط لامرتين سفره باجمة وبذخ واصطحب طبيبه لارويّار (La Royère) وصديقيه برسفال (Parseval) وكبنس (Capomas) وستة من الخدم وزوجته وكريمتها جوليا ومرّ في مالطه واليونان وبدت له هذه البلاد جرداء. وكانت الحروب مشتدّة فيها وبلغ بيروت في ٦ ايلول سنة ١٨٣٢ وتجلّى لـه لبنان بمناظره الرائعة الفتّانة. وانزل في سفوحه زوجته وابنته التي كانت مريضة وقد ساءت حالتها من مناخ البحر. امّا هو فاخذ يتجول مع حاشية مؤلفة من خمسة وعشرين فارساً طيلة خمسة واربعين يومًا في مقاطعتي الجليل وفلسطين، وعاد الى بيروت عبر طريق قيصرية وصور وصيدا، وكان الطاعون قد فتك في القدس فتكًا ذريعًا ولم يكن باستطاعته زيارتها الّا بفضل ابراهيم باشا. وعندما عاد الى بيروت احتسب ابنته جوليا بتاريخ ٦ كانون الاول سنة ١٨٣٢ اثر علّة صدرية. وله كتاب « رحلته الى الشرق » نُشر في ٦ نيسان سنة ١٨٣٥. وعند ايابه بطريق القسطنطينية والدانوب مرض مرضًا شديدًا في احدى قرى بلغاريا، وقد يثبت له هذه السفرة خذلانًا وخيبة فقال: « ان البلاد التي كنتُ اتوق الى رؤيتها قد بدّلتني فلم ابقَ ذاك الرجل من حيث خلقي وخُلقي حتى ان فلسفتي قد تغيّرت تمامًا، ولكنّ افق مخيلته قد زاد اتساعاً باتساع الصحراء التي لا خطوط معيّنة لها ولا حدود... »(١

كان لامرتين شاعرًا عبقريًا فيّاض القريحة جميل الاساليب، على شعره مسحة من الرقة والطلاوة، كأنه بشعره المبطّن بالعاطفة يحرّك فيك كوامن الشعور والاحساس ويقتادك وراءه بالرغم منك برقة شعره وجذل اسلوبه وبديع خياله، فلا تحسّ الّا وانت تجري وراءه لتسمع اياته وتطرب بلذّة ايقاعه وتنعم بنعومة عاطفته. ان هذا الشاعر لما وصل الى بيروت كتب الى ابراهيم باشا ابن محمد علي يخبره عن وصوله الى بيروت ويطلب منه ان يؤمن له طرق السياحة. فلبّى ابراهيم طلبه برسالة انفذها اليه مع رسوم توصية به اتمامًا لارادته. وهذا نصّ الرسالة الجوابيّة والمرسوم المسطّران في هذه المجموعة الخطيّة المسمّاة «السنية» وهما مصدّران بهذه العبارة بحبر احمر وهي :

(١ *Lamartine*, par René Doumic — Librairie Hachette, 1922, p. 75 et s.

صورة بيورلدي من سعادة ابراهيم باشا والي عسكر مصر
الى حناب الامير الفونسو دي لامارتينو (الفونس دي لامرتين)
الذي حضر للشرق وصحبته اعياله (عائلته) لاجل السياحة في سنة ١٨٣٢

فخر الملّة المسيحية ومعتمد الطائفة العيسوية محبّنا العزيز الكونتي دي لامارتينو حفظه الله تعالى .

بعد اهدا. زواهر المحبه وادا. جواهر الموده . والسؤال عن عزيز خاطركم . نبدي لمحبتكم انه بايمن آن حظينا بورود مكتوب مودتكم وفهمنا ما ذكرتوه عن قدومكم الى بيروت بقصد السياحه بهذه الاطراف وافدتم عن زيادة السرور الذي شملكم لقدومنا واستيلائنا على هـذه المحلات وطلبتم مرسوم بالتوصاه (بالتوصية) عليكم الى الحكّام. جميع ذلك صار معلوم وقد حصل لنا مزيد السرور من قدومكم بالسلامه وتضاعف لورود مكتوبكم هذا حيث انه اكبر دليل على صدق الموده . فامّا المرسوم مطلوبكم قد تحرر بكل تأكيد وهو واصل بطيّه. وباي وجه كان من دون شك لا يحصل لجنابكم من احدٍ من خدّامنا سوى الرعايه والاكرام حيث يعلموا زيادة ميلنا الى كل من كان يخص الدولة الفرنساويه حفظاً لشروط المحبة اقتضى افادتكم بذلك . وفيما بعد نرغب عدم حسم تحريراتكم والله يحفظكم .

في ٢٧ ر سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢ م)

صورة مرسوم بهذا الخصوص

صدر المرسوم المطاع الى كافة الحكّام والمتسلمين والمحافظين في ايالة صيدا والشام وحلب بوجه العموم .

ان فخر الملّة المسيحية محبّنا السنيور الكونتي دي لامارتينو (لامرتين) احد امرا. دولة فرانسا قصده السياحه مع اعياله واولاده بهذه الاطراف . فيلازم بوصوله لطرف كلّ منكم يكون له الحمايه والصيانه ومزيد الاكرام من كل وجه ولا احداً يعارضه بمروره . واذا اقتضى له دواب لركوبه من محل الى محل فيكون مساعداً لتمام مطلوبه . ثم واذا كان متوجه في طريق غير امينة يلازم

اصحابه بمساكر يوصّلوه الى محل مقصوده آمناً مطمئناً اعتمدوه غاية الاعتماد.

امير الحاج والي جدّه وسرّ عسكر مصر[١]

٧٦

مكتوب[٢]

جناب السيد الاجل المحترم دام بقاه.

غب اهدا. ما وجب ولاق من انواع الاحترام والحظوى بلثم اياديكم (ايديكم) بكل خير وعافيه والسؤال عن خاطركم الكريم والاستكشاف عن المزاج اللطيف فان شاء الله تعالى تكونوا جنابكم حايزين كمال الصحه وجمال المنحه مع تمام الانشراح لان ذلك مما يسرّ محسوبكم. نترجى تطمنونا عن انشراحكم. وغب ذلك نوضح لجنابكم بخصوص المبلغ الذي لنا يا محاسيبكم نحن واخونا الشيخ منكون الرامي ضمانة جنابكم وقدره ٣٧٢ ٢/١ تلاتمايه وتنين وسبعين قرش ونصف القرش. وليس خافي جنابكم ما حصل بهذه النواحي من قبل الحوادث التي جرت وبالخصوص على اهالي فالوغا واخونا المرقوم بالاحتياج الكلي لهم وصار مطالبنا جملة امرار ويوريننا الحال بهذه السنه ويشكي ونحن كذلك يا محسوبكم لا نقدر نشرح زود اللزوم ولوما ذلك لم كنا نطلبهم لا نحن ولا اخونا المرقوم. نترجى تكرموا بهم ولا يكون ذلك بنوع ايفيّ (ايفاء) مقارضه (قرضة) بل بنوع السماح من جنابكم. ولنا الامل بغيرتكم لا نُصَدّ حيث كما سبق الاحتياج.لذلك ثم نشرح لنا حساب ضمن جناب افنديانا الامرا. اولاد الامير نصر وطلبنا المحاسبه جملة امرار عن يد اجاويد المطرح (المحلّ) ولم صار قبول من جنابهم وبهذه الواسطه يضيع علينا مبلغ تلاتماية غرش. نترجى حيث خلوص غيرتكم قبل وبعد اذا نظرتم محلّ لذلك تقدّموا الاعراض لمسامع سعادة افندينا عمر باشا الافخم[٣] وتترجوا بجر حلمه بأمر لجنابهم يجروا المحاسبه معنا والذي يبقى له ضمن الآخر يدفع. وان

١) ان امضاء اسمه ضمن طغراء خاصّة به شبيهة بعض الشبه بالطغراء العثمانية.
٢) هذا المكتوب ارسله يوسف فاضل الى الشيخ بشاره الدحداح كما يتضح فيما بعد.
٣) بعد ان ولّي حكم الامراء الشهابيين في جبل لبنان، تولّى الحكم عمر باشا.

حصل تعليل يضي بديوان شورى بيروت. وفيما بعد نترجى الاعلام لكل خدامة تلزم ودام الله بقاكم . محب داعي

في ١٤ ص سنة ٥٨٠ يوسف فاضل

النيشان (العنوان)

يكرم براحات الجناب الاكرم حضرة السيد الاجل الماجد المحترم (برفع الاسم[1]) الشيخ بشاره الدحداح المحتشم دام الله بقاه .

٧٧

جواب

جناب افندينا الاجل المحترم .. ادام الله بقاه .

بعد لثم ايديكم الكرام بوفور الاحتشام ومزيد الاشواق الوافره الى مشاهدة تلك (ذاك) المقام السامي بكل خير . ثم انه بالطف وقت ورد مرسوم جنابكم الكريم وفهمناه وحمدنا الباري بهداوة بالكم وجميع ما رسمتم بقي معلومنا وبه متنازلين بالسؤال عن حال محسوبكم وبنا يديم لنا وجودكم. هذا ما نتأمله من عواطف مزايا جنابكم الحميده . فمن نحونا لله الحمد بحسن نظركم حايزين كمال الصحة والعافيه فلا زلتم جنابكم بدوام النعم الكافيه . وعاتبين علينا بعدم توجيه اعراض لديكم فاذا كان ذلك حقيق يحق العتب ومع انه تقدم منا اعراضين لديكم الكرام واخص توجيهم بالاستكشاف على رياضة النجل المحروس لاننا نحن بعين تراز حقيق واما فكرنا باقي عنده لاننا فارقناه منحرف المزاج والآن صيرتونا ممنونين افضالكم حيث اوضحتم لنا عن صحته. ومن مادة شراب الاصول الآن في الدار لم موجود واتما رسم جنابه انه بيرسل يطلب من الدير وبعده يصلكم . واول البارح توجه لحضرتكم تحرير من جنابه ومن حضرتها تحرير وخرجيه صحبة كريم ان شاء الله تعالى يكونوا بلغوا لديكم وجنابكم باوصاف الصحه . ومنا لثم انامل الانجال المحروسين واهدا ما يجب ويليق بوفور السلام بانواع الاحتشام لحضرة والدتهم المحترمه. وشكرًا لفضلكم حيث طمنتمونا على صحة محسوبين بابكم اولادنا وهذا املنا احاطة نظركم ودام بقاكم للدوام. الداعي لجنابكم معلوم

١) اي ان يرفع اسم الشخص عن سياق خط السطر لاجل التكريم .

٧٨

جواب الخلع

تشرّفنا بورود المرسوم الشريف وفهمنا فحواه السامي المنيف . ودعونا لله يزيد العزّ والنعم لسعادتكم وما انعمتم به علينا من بحر حلمكم العميم بارسال الخِلَع الفاخره والشبرطنامات العاطره على التزام مقاطعات بلاد جبيل وتوابعها بقي معلوم عبدكم وتسربلنا بالخلعه السنيه وتلونا مرسوم سعادتكم على رؤوس الملا والاشهاد واخذنا نحن واياهم بوضيفة (بوظيفة) الدعا لحضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن ، وبتأبيد اقتدار الدولة العلية صانها ربّ البريه وبتخليد دولتكم الزاهره وسطوتكم الباهره . وقد طمّنا الرعايا كافةً بحصول الراحة المديده بايام اقبال سعادتكم الوطيده . ومن نحونا ان شاء الله تعالى بحسن انظاركم الشريفه لم يحصل منا تهاون عن ادا. الاموال الميريه وتمشي الطُرُق السلطانية كما الخاطر العاطر يشهد بصحة المساعي الآئلة لرضاكم الشريف حيث انني دائماً اترقب وفود كل خدامة تلزم فأزمر بها ورجا افندم الّا ابرح من البال السليم واطال الله تعالى بقاكم . (يتبع)

LES YÉZIDIS *(suite)*

PAR

LE PÈRE THOMAS BOIS, O.P.

III

CHEMINEMENTS INCERTAINS DANS LES VOIES DE L'ISLAM

Ce que nous avons dit jusqu'ici montre que les origines des Yézidis ne sont pas évidentes à première vue. Si encore les Yézidis eux-mêmes étaient capables de nous éclairer, on pourrait avoir recours à leurs explications. Mais leur religion est plus ou moins secrète et, d'autre part, beaucoup d'adeptes ne sont pas initiés et ne savent qu'imparfaitement d'où ils viennent et ce qu'ils sont. Le sacristain et la chaisière ne sont peut-être pas les plus à même de nous exposer les mystères de l'Eucharistie, par exemple, et un bon catholique moyen serait sans doute bien en peine de nous dire le pourquoi de telle ou telle cérémonie du culte à laquelle pourtant il assiste avec piété. Aussi l'Émir Ismail, par exemple, n'est pas tellement un guide sûr et un témoin auquel on puisse se fier, car il n'évite pas les contradictions. Par contre certains chefs religieux, bien informés ceux-là,

ont donné des renseignements exacts, qui n'ont pas été compris ou ont été interprétés faussement par leurs interlocuteurs. Le cas de Badger est typique (110).

Quoi qu'il en soit, la première chose à faire si l'on entre en contact avec les Yézidis est, après avoir bien regardé et bien écouté, de ne pas s'arrêter à un détail plus ou moins pittoresque, et surtout de ne pas se hâter de généraliser ou de comparer à ce qui se fait dans les autres religions. Un fait isolé ne signifie rien. Ce n'est qu'après avoir recueilli le plus d'éléments possibles et dans leur contexte propre que l'on pourra essayer de dégager une conclusion (111).

Partant de ce principe, nous examinerons d'abord les Yézidis par le dehors avant de pénétrer peu à peu à l'intérieur de leur doctrine. Trois zones concentriques se présentent qui nous permettront de serrer de plus près notre sujet :

— une ambiance musulmane ;
— une atmosphère soufie ;
— une mystique extrémiste.

Et ainsi, sans sortir de l'Islam ou de ses sectes, et surtout du Soufisme, nous trouverons l'explication des croyances des Yézidis les plus caractéristiques, telles que leur relation à Yézid Ier, fils de Mo'awia, calife omeyyade (680-684), d'où ils tiennent leur nom (112) ; leur culte de Satan, sous la forme du Paon (Melek Taous), et même la métempsychose.

Nous saurons alors réellement ce que sont ces mystérieux Yézidis.

1. — *Une ambiance musulmane.*

Lorsque pour la première fois on entre en contact avec les Yézidis, on est bien obligé de constater qu'ils ne ressemblent pas à leurs voisins, musulmans ou chrétiens. D'abord parce qu'ils sont Kurdes, aux traits accentués, au teint mat et aux yeux vifs ; à cause aussi de leur costume qui les distingue à première vue. Et pourtant on retrouve chez eux toute une ambiance musulmane.

Ce qui frappe tout d'abord, c'est que dans ce pays kurde où Musulmans et Chrétiens se coudoient quotidiennement sans se mêler jamais et d'ailleurs en s'ignorant profondément les uns les autres, les noms portés par les Yézidis sont, ou franchement kurdes, comme Çolo, Cindo, Mend ou Xodêda, ou uniquement musulmans. Aucun Yézidi, pas plus qu'aucun Musulman, ne s'appelle Pierre, Paul, Georges, Hormez ou Behnam, prénoms

spécifiquement chrétiens ou caractéristiques des chrétiens de la région. Et pourtant des rois sassanides se sont nommés Hormezd, par exemple. Mais sans parler naturellement des Meho, Reşo ou Hemo, etc., forme kurde abrégée de Mohamed, Reşîd ou Hemîd, ils n'hésitent pas à porter, et leurs chefs leur en donnent l'exemple, certains noms musulmans, comme Ali, Huseyn ou Hesen, que ces partisans de Yézid devraient, semble-t-il, abhorrer.

Comme les Musulmans également ils utilisent l'ère de l'Hégire pour dater les événements de leur existence ou le temps d'érection de leurs monuments, comme on peut le voir à Cheikh 'Adi, alors que les Chrétiens du pays, nestoriens et jacobites, ont conservé jusqu'à une époque toute récente, l'ère des Grecs (113). Si Ismail Beg Chol dans sa biographie, se sert de l'ère chrétienne, c'est qu'il avait eu de nombreux contacts avec des Occidentaux.

On remarquera aussi que, contrairement aux Chrétiens qui les entourent, mais selon la loi musulmane, les Yézidis ne représentent jamais le visage de l'homme, ni dans leurs sanctuaires, ni sur leurs monuments funéraires. A la porte du Temple de Cheikh 'Adi, on voit un serpent, des lions, un soleil, des étoiles, et sur les stèles de leurs cimetières parfois des sabres, des peignes, des soleils, des fleurs, jamais une figure humaine.

Les Yézidis pratiquent aussi la circoncision, comme les Musulmans de leur voisinage (114), et le parrain ou *Kerîv*, qui tient l'enfant pendant l'opération, peut être musulman, mais jamais un juif ou un chrétien, tandis que d'autres Kurdes acceptent de demander ce service, ou plutôt cette marque de confiance, à cause de la parenté de sang qui s'ensuit, à des chrétiens de leurs amis.

Le prêtre Ishaq dit qu'est tombée en désuétude la coutume antique qui consistait en ce que, au moment de l'enterrement, un imam s'inclinait sur le brancard funèbre et y récitait une sourate du Coran, le *Yā Sīn* (115). De même certaines inscriptions funéraires de Cheikh 'Adi sont en arabe et sont, en outre, des citations du Coran (116). On a signalé également que certains de leurs *Feqîr* avaient appris tant bien que mal quelques chapitres de ce Livre Sacré (117).

Tous ces faits suffiraient à réfuter les réflexions de Badger qui, chaque fois qu'il constate un détail fleurant l'Islam, affirme qu'il s'agit, pour les Yézidis, de jeter de la poudre aux yeux des Musulmans pour se les concilier. En ce cas, ils passeraient toute leur vie à essayer de donner ainsi le change, et il faut bien avouer que, de toute façon, cela ne leur a guère servi.

Mais il y a bien d'autres choses encore. Comme les disciples

de Mahomet, les Yézidis, lors de leurs pèlerinages aux tombeaux des saints qu'ils vénèrent, offrent des sacrifices d'animaux, immolés suivant un rite religieux, et dont la chair est mangée par ceux qui ont présenté les victimes. Tout ce que E. Dermenghem rapporte des cérémonies du Culte des Saints de l'Islam maghrébin (118) se retrouve intégralement dans les pratiques du Yézidis. Sacrifices de taureaux blancs, de moutons, de poules, suivant les circonstances ou les fêtes, n'ont donc rien d'original; pas plus que la multitude de lampes que les Yézidis allument le mardi soir dans les multiples mausolées consacrés à leurs saints préférés, ou que l'encens qu'ils font brûler lors de certaines cérémonies. Ces différents rites s'accomplissent en effet également chez les Musulmans de Perse (119).

Mais il est un fait surtout qui conserve à la religion yézidie un aspect tout particulièrement musulman bien qu'original à sa façon. Il s'agit de la fête du *Hac* ou Ḥadjdj.

Comme on le sait, les Yézidis ne vont pas en pèlerinage à La Mecque (120). Ils l'ont remplacé par le pèlerinage au Tombeau de Cheikh 'Adi, devenu leur *qibla*, et cela depuis bien longtemps, puisque Ibn Khalikan (m. 1282) en fait déjà la constatation. Or tout le cérémonial de la fête n'est qu'un décalque du Ḥadjdj mecquois, comme d'ailleurs la montagne de Lalesh est une miniature de la Ville Sainte.

Le pèlerinage a lieu le 9 du mois du Ḥadjdj des Musulmans et, en l'occurence, l'Émir des Yézidis prend le titre de *Mîrê Hac*. Tout comme les grottes de Lourdes qu'on bâtit en de multiples paroisses, certains lieux de Lalesh sont nommés d'après ceux de La Mecque. Le mont 'Arafa, prononcé ici *Arabfat*, d'où l'on descend en courant, la *Pierre Noire* (121) autour de laquelle on procède aux sept *ṭawâf*, la source du *Zemzem* où se font les ablutions, rappellent les pratiques rituelles de l'Islam, auxquelles s'ajoutent les sacrifices des moutons nécessaires aux repas sacrés. C'est à l'occasion de cette fête du pèlerinage, *Îdê Hac*, que l'on prépare le mets *harisa*, composé de viande, de grains écrasés et d'eau, cuit au four durant toute la nuit. Ce plat spécial est mangé depuis toujours par les *soufis* (122). Tout ce vocabulaire *arabe* nous plonge donc dans une ambiance nettement musulmane. Damlooji fait remarquer en outre que tout le territoire de Cheikh 'Adi, avec ses arbres, ses rochers, ses eaux, sa terre, est sacré aux yeux des Yézidis et qu'ils y interdisent d'y marcher avec ses chaussures, d'y approcher de son épouse, d'y boire du vin (qui est permis chez eux), d'y couper des arbres réservés à la cuisine de Cheikh 'Adi, d'y chasser les oiseaux et les bouquetins qui y abondent. Et tout cela, ajoute cet auteur, est une coutume islamique conforme aux interdictions rituelles de La Mecque (123).

On objectera peut-être que les Yézidis ne possèdent point de mosquées, qu'ils ne pratiquent point de ces prières publiques si émouvantes de l'Islam, qu'ils n'ont conservé qu'un jeûne de trois jours, pratiqué il est vrai à la façon musulmane et non à la manière des Chrétiens d'Orient, au lieu du mois entier du Ramadan et que, par conséquent, ils ne peuvent avoir une origine islamique. Cependant les Druzes, les Nosairis, les Ahlé Haqq ou 'Ali-ilahi, toutes sectes issues de la Chi'a ismaïlienne (124) ont opéré les mêmes simplifications liturgiques et rituelles, et elles non plus n'ont plus rien de commun avec l'Islam.

2. — *Une atmosphère soufie.*

D'ailleurs si, par un côté, les Yézidis ont abandonné tout un aspect caractéristique de l'Islam officiel, ils ne perdent pas tout contact. En effet, ils se meuvent dans une atmosphère bien spéciale, car toute leur organisation est soufie et par là ils se raccrochent fortement au peuple musulman (125).

Les Historiens arabes nous apprennent que, dès l'islamisation du pays, le Kurdistan fut un foyer prospère de soufisme que favorisaient ces régions montagneuses, propices au recueillement et à l'éloignement du monde. Lorsque Cheikh 'Adi, venant de Beit-Far, aux environs de Baalbek, s'installa dans les monts du Hakkari, entre 1130 et 1160, il n'était ni le premier, ni non plus un isolé (126).

a) *Dévotion à d'authentiques soufis.*

Dans leurs traditions orales, ces Yézidis font souvent mention de soufis notoires, comme Hasan al-Basri (643-728), précurseur du soufisme, Bistami (m. 875), et surtout Mansour al-Hallaj, qui fut crucifié à Baghdad en 922 (127). Mais ils se reconnaissent pour les disciples de Cheikh 'Adi (vers 1073-1163), qui est devenu leur saint national. D'ailleurs primitivement leur *Zaouia* s'appelait *Adawiya*, comme l'a démontré Ahmed Teymour. C'est son tombeau qui est devenu leur centre religieux. On connaît d'autre part les relations qui existèrent entre Cheikh 'Adi et Ahmed Ghazali (m. 1111) qui, à sa demande, lui écrivit même une épître (128). Parmi les compagnons d'études de Cheikh 'Adi on signale le célèbre 'Abd al-Qadir al-Gilani, qui l'accompagna à La Mecque vers 1118 et mourut à Baghdad en 1166, Qadib al-Ban (m. 1175), enterré à Mossoul et une multitude d'autres. A part Ghazali, tous ces personnages cités, et d'autres moins célèbres, ont un *maqâm* ou *chaqs* au Cheikhan, où les fidèles viennent en pèlerinage. Il faut y ajouter Sitt Nafisa, cette sainte de la famille d'Ali, qui fit

trente fois le pèlerinage à La Mecque et acquit une réputation de thaumaturge. On se rend à Ba'chiqa au mûrier, qui lui est consacré, pour se guérir de la fièvre (129). Les Yézidis ont ainsi conservé ce culte des saints, si développé dans l'Islam des confréries, et ils vont visiter leurs tombes ou leurs *maqâm*, y allument des lampes, y brûlent de l'encens, y accrochent des chiffons en ex-voto. Ces lieux sacrés sont peut-être de simples arbres: chêne à Şê Bilqasim au Sindjar, figuier et olivier à Çêl Xanê au Djebel Sim'an, ou une pierre d'Abdirécho à Kharabek pour la fièvre, une source à Kani Zerki pour la jaunisse, ou la maison d'un *pîr* à Mam Rêche pour l'enflure.. Tout cela au Cheikhan. Mais les saints vénérés varient avec les régions, si les pratiques de dévotion se ressemblent.

b) *Organisation religieuse à caractère soufi.*

Mais ce n'est pas uniquement par les souvenirs plus ou moins légendaires de cheikhs soufis et le culte populaire rendu à leur cénotaphe que les Yézidis sont en dépendance du Soufisme. C'est toute leur organisation sociale qui, pratiquement, en relève. En effet, et c'est une des particularités des Yézidis, on a constaté chez eux plusieurs castes bien distinctes dont les membres ne se marient qu'entre eux. Or nous dit R. Lescot: «C'est à son organisation religieuse plutôt qu'à son dogme que le Yézidisme doit de conserver la marque de ses origines islamiques» (p. 83).

Si on laisse à part l'Émir et sa famille, chef suprême de la Nation, qui exerce son autorité dans le domaine spirituel et politique et se dit de la famille du Calife Yézid I^er^ l'Omeyyade (130), nous trouvons dans les différentes dignités ou fonctions religieuses toute une titulature soufie, *en arabe*, qui ne s'expliquerait pas dans une population kurde, si elle n'était une survivance d'un système organisé qui a plus ou moins perdu de sa valeur.

Les Yézidis se divisent en effet en deux grandes catégories: les chefs religieux et tous les autres, appelés *murid* ou disciples.

Les chefs religieux sont les *Cheikhs* et les *Pîrs*, dont le rôle est d'être les directeurs spirituels de leurs disciples qui, en échange, leur doivent respect, obéissance en ce qui concerne les pratiques de la religion, et surtout les redevances périodiques. A leur tête se trouve *Baba Cheikh* ou *Ixtiyarê Margê*. C'est lui qui est la suprême autorité religieuse et non l'Émir (131).

Toutes les familles de cheikhs, au nombre de neuf, seraient des branches cadettes de la postérité du neveu de Cheikh 'Adi, qui lui-même, chose rare et étonnante, était célibataire. La famille

de Cheikh Hasan a le privilège d'être dépositaire de la science sacrée qui se transmet oralement (132). Mais tous les cheikhs sont chargés de célébrer pour leurs disciples les rites religieux de la naissance, du mariage et de la mort. Certains ajoutent à ces fonctions des pouvoirs plus ou moins miraculeux, auxquels on a souvent recours en cas de peine ou de maladie. Les cheikhs de la famille de Cheikh Mend sont spécialisés dans l'art de manier les serpents (133).

Les *Pîrs*, dont le titre est kurde, sont guides et tuteurs. On en signale quatorze familles (134). Leurs fonctions ne diffèrent guère de celles des cheikhs, avec pourtant moins d'autorité. Ils ne se distingueraient de ceux-ci que par leur ascendance kurde, tandis que les premiers seraient d'origine arabe (135).

Parmi les laïcs, il faut signaler d'abord les *Qewal*, qui résident uniquement à Ba'chiqa et Bahzani. D'après Damlooji, ils seraient eux aussi des Arabes originaires de Damas et qui auraient accompagné Cheikh 'Adi dans sa *zaouia* de Lalesh. Ils sont chargés de la musique, avec comme instruments des tambourins et des flûtes, et des chants lors des cérémonies aux fêtes de Cheikh 'Adi et celle de Cheikh Mohamed à Ba'chiqa. Ils ont aussi la mission délicate de visiter, au nom de l'Émir, les communautés yézidies, dispersées un peu partout, et d'exposer les *Sencaq* à la vénération des fidèles. Chez les Soufis, les Qawwâl exécutaient les séances de *semâ'* (135), sorte d'oratorio spirituel.

Les *Feqîr* se distinguent des autres Yézidis par un costume spécial: un froc de laine noire, ourlé de rouge (*xirqe*), avec une ceinture de corde tressée (*qemberbest*) et un large pantalon blanc; sur la tête un bonnet de feutre noir (*kullik*) et, autour du cou, une sorte de collier de corde rouge et noir (*mehek* ou *meftûl*), qu'il faut toujours garder, ainsi que la ceinture, même pour dormir. Cet habit noir, qui serait identique à celui que portait Cheikh 'Adi, est sacré pour tous les Yézidis, qui jurent par lui et en conservent précieusement les reliques. C'est que les *Feqîr* sont les ascètes de la communauté. Leur mariage mis à part, on a pu les comparer aux moines chrétiens. Ils ont deux jeûnes supplémentaires de quarante jours chacun, ne peuvent ni fumer ni boire de l'alcool, ni se raser ou même se tailler la barbe. Il leur est interdit de porter des armes et de verser le sang. Mais s'il leur arrive de battre un profane, celui-ci ne peut porter la main sur eux pour se défendre. Vivant d'aumônes, ils ont permission de s'approprier ce qu'ils trouvent à leur convenance chez autrui. Aussi les craint-on plus qu'on ne les vénère vraiment et ils ont acquis de la sorte une influence qui n'est pas toujours désintéressée. Ils pratiquent une endogamie

stricte et — en fait, sinon en droit — ils ne se recrutent plus en dehors de leur caste. Pourtant une initiation est nécessaire, quand on arrive à sa majorité, pour pouvoir revêtir le saint habit et profiter des avantages matériels de cet état. Febvre a décrit la cérémonie de cette «prise d'habit», telle qu'elle se déroulait à son époque, et précédée d'une sorte de retraite de quarante jours (137). Damlooji les croit d'origine chrétienne (138), mais les arguments qu'il apporte ne semblent pas convaincants, d'autant que les ressemblances de statut et de détails vestimentaires avec les adeptes des *Tariqa* musulmanes, avec les *Bektaşi* par exemple (139), nous portent à considérer ces *feqîr* «comme les héritiers directs de la *Adawiyya*» (140), qui est la confrérie fondée par Cheikh 'Adi. Ils sont surtout nombreux au Sindjar où, venus depuis peu du Cheikhan, ils forment des villages entiers et prospères. On en rencontre aussi au Djebel Sim'an, où certaines fractions sont appelées *Karabaş* ou têtes noires. Une dernière catégorie est celle des *Koçek* (Kotchak), mot turc qui signifie danseur. En principe ils se sont consacrés au service du sanctuaire de Cheikh 'Adi. Dans les cérémonies religieuses, ils se livrent aux danses sacrées. Ils jouissent aussi, paraît-il, du don de double vue et, en particulier, révèlent le sort réservé aux défunts. Ils expliquent les songes et pratiquent la sorcellerie. Ce sont ces illuminés qui, vraisemblablement, sont la source des croyances étranges qu'on attribue aux Yézidis, à en juger d'après certains récits. Quelques-uns d'entre eux ont voulu jouer un rôle politique, qui fut souvent néfaste (141); aussi les gouvernements s'en méfient-ils ordinairement. Mais, à en croire Dermenghem, on retrouve de ces fanatiques dans d'autres confréries musulmanes (142).

Chaque *Murid* doit avoir un Cheikh, à qui il est soumis dans l'ordre spirituel et dont il est en quelque sorte la propriété. Il doit se choisir également un *Brâyé axiretê*, ou frère de l'Autre Monde, dans une famille de cheikhs autre que celle dont il dépend héréditairement. C'est ce frère, ou cette sœur s'il s'agit d'une femme, qui l'assistera à ses derniers moments, et son patron céleste sera pour le *murid* un protecteur supplémentaire. Le *murid* doit avoir également un *Pîr* spécial et un *murebbî* ou tuteur, choisi chez les autres Pirs (143). Cette dépendance religieuse et aveugle ne laisse pas que d'être onéreuse. Mais la crainte superstitieuse et surtout l'ignorance proverbiale des Yézidis en font des victimes toutes prêtes de la cupidité de leurs supérieurs qui seraient sans scrupule. Car si, à l'origine, toute cette organisation hiérarchique sévère avait une valeur de vie spirituelle, on est bien obligé d'avouer que, à part certaines exceptions remarquables, d'ailleurs, elle a perdu aujourd'hui une bonne part de son efficacité.

c) *Prières à saveur soufie.*

Si, passant maintenant de l'organisation sociale, nous essayons de pénétrer dans le domaine plus intérieur de la prière, nous nous retrouvons en plein Soufisme également.

Le simple fidèle n'est astreint qu'à de brèves prières, mais les cheikhs, les pirs et ceux qui font montre de zèle, connaissent et pratiquent la prière, qu'ils appellent *du'á* et non *ṣalâ*. — Il n'y a aucune raison de douter de l'authenticité des textes qui ont été communiqués par des Yézidis sérieux et compétents, et qui ont été édités et traduits (144). Beaucoup de ces textes, malheureusement, sont plus ou moins mutilés et corrompus, mais n'en gardent pas moins une saveur soufie indéniable. Les textes arabes sans doute sont-ils plus anciens et doivent-ils dater du temps où les membres de la *zaouia* n'avaient pas perdu tout contact avec certains cheikhs musulmans orthodoxes, ou du moins avec l'usage des ouvrages arabes musulmans. On ne voit pas d'ailleurs l'intérêt pour les Yézidis d'aujourd'hui de traduire en langue arabe, qu'ils connaissent mal, des textes kurdes, puisque le kurde est leur langue maternelle. Mais on comprend parfaitement l'inverse. La version kurde de certaines prières, si ce sont des versions et non des textes originaux, est donc de période plus récente, sans qu'on puisse bien la préciser d'ailleurs. Certains poèmes chantés ont été composés directement en kurde, à l'usage précisément du peuple fidèle à qui l'arabe ne disait rien.

C'est en arabe pourtant et en vers que nous a été transmis l'*Hymne de Cheikh 'Adi*, communiqué par Cheikh Nasir à Badger en 1850 (145). Il serait plus que téméraire de l'attribuer à Cheikh 'Adi lui-même, bien qu'il ait l'air de se mettre lui-même en scène:

> Je suis 'Adi, le Damascain, le Musâfir (v. 57).

Il s'attribue certes des prérogatives exagérées:

> Je suis Celui qui décrète et cause l'Existence.
> Je suis Celui qui a parlé la Vraie Parole.
> Je suis Celui qui dispense la Puissance et gouverne le monde.
> Je suis Celui dont les hommes ont adoré la Gloire:
> Ils sont venus à Moi et m'ont baisé les pieds! (v. 8-13).

Plus loin (v. 60) il dira même:

> Dans la profondeur de Ma Science, il n'y a de Dieu que Moi!

N'entendons-nous pas là comme un écho du «*Anâ al-Haqq*» d'al-Ḥallaj? Les vers 21-22 sont une allusion évidente à l'*initiation mystique*:

> Je suis la Bouche dont la salive est un miel
> Avec lequel je constitue mes Confidents!

Il parle encore d'un *Livre des Bonnes Nouvelles* qui lui est parvenu (v. 17); et la Source Blanche (*Kaniya Spî*) qu'il a fait jaillir (v. 45-48), en provenance du *Zemzem* de La Mecque, comme le rapporte la légende, coule aujourd'hui encore sous les dalles de son sanctuaire.

Je n'ai pas souvenance que l'on ait fait le rapprochement entre certains vers de ce poème et quelques-uns des miracles, attribués au Cheikh 'Adi, dans sa Légende, *Kitâb Manâqib al-Šêx 'Adî*, qui remonte au XII^{e} ou XIII^{e} siècle, et fut composée par un disciple inconnu mais enthousiaste. Par exemple, son pouvoir sur les serpents et les autres bêtes sauvages, la source qu'il fit jaillir d'un rocher, les montagnes qui s'inclinent sur son passage (v. 35-48; 53-56). Je signale, en passant, que les mêmes miracles exactement ont été accomplis par un saint nestorien du voisinage, Mar Yacoub, qui vivait au VIII^{e} siècle. Le poème a-t-il précédé le récit légendaire ou celui-ci a-t-il inspiré l'hymne dédié au fondateur de la *Adaouia* ?

Les autres prières qui nous sont parvenues sont en kurde, avec naturellement des expressions, techniques si j'ose dire, qui sont arabes, comme *Amîn*, *Rebb*, etc., ce qui laisse supposer une parenté. Bien des formules identiques apparaissent en ces différentes prières et ici rien ne pourra choquer un musulman, même non mystique :

O mon Maître, Tu es bienveillant, Tu es miséricordieux;
Tu es Dieu, Tu es l'Ange de la Puissance royale et de tous les lieux;
Tu es l'Ange du bon goût et du bon plaisir;

Tu es l'Ange bienveillant du Pouvoir royal;
Depuis le commencement, Tu es Éternel.
O mon Maître! Tu es le Dieu du voyageur,

Tu es le Dieu de la Lune et des Ténèbres,
Tu es le Dieu du Soleil et de la Lumière.
Tu es le Dieu du Trône élevé,
Tu es le Dieu de la Bienveillance (146).

On voit mal comment de telles paroles pourraient favoriser la thèse de ceux qui voient dans les Yézidis des partisans du dualisme iranian, puisque le Dieu invoqué est Maître à la fois de la Lumière et des Ténèbres!

O mon Maître! Tu es bienveillant, Tu es miséricordieux!
Tu es la garantie de notre recours!
Tu es le Trône et je suis le néant!
Je suis un malade, je suis un déchu;
Je suis un déchu: Toi ne m'oublie pas!
Tu nous as tirés de l'obscurité et conduits à la Lumière!
O mon Maître! Prends sur Toi mes péchés et ma dette.
Et pardonne, ô Dieu! ô Dieu! ô Dieu! Amîn! (147).

C'est encore vers la Miséricorde divine que se tourne le pécheur, le misérable, dans cette prière du matin qui n'a rien d'hétérodoxe (148).

O Dieu! Tu es, je ne suis pas!
Tu es Miséricorde, je suis péché;
Tu es Maître de la Vérité, je suis esclave!

Tu n'as pas de mouvement et Tu es partout:
Tu n'as pas de stature et Tu es élevé:
Tu n'as pas de voix et Tu es entendu!

Tu es la Souffrance et Tu es le Remède:
Tu es le Juge des Rois et des Mendiants.
O Dieu! Tu es l'Empereur du Trône et du Siège,
Tu es le Créateur du Bœuf et du Poisson.

Mais c'est sans doute cette *Elégie funèbre* qui nous ramène le plus clairement aux sentiments de détachement des soufis (149).

O fils d'Adam! ô pauvre! ô enfant d'Adam!
Ce monde est une maison d'ombre,
Comme le rêve d'une nuit;
Ce monde est l'ombre des arbres
Qui, chaque jour, abrite un nouvel ami!
Où est Salomon qui régnait?
Où est Belkis qui était célèbre?
Porte-toi bien! Ils ont quitté ce monde! (150)
Où est Salomon le Prophète?
Où est Belkis aux bijoux d'or?
Porte-toi bien! Eux aussi sont partis sous la terre et les pierres!
Où est Khidr? Où est Élias?
Où le Derviche avec son chapelet et son bâton?
Porte-toi bien! Eux aussi, sous la terre sont égaux!
O fils d'Adam! En ce monde ne sois point cupide;
N'accumule ni or ni richesse:
Le monde, pour le Prophète de Dieu non plus, n'est pas resté!...
Où est Hamza? Où est Ali?
Où les Wélis? Où les Nébis?
Dans le tombeau, ils sont devenus poussière!...
Tout ce que Dieu fait, Il le fait bien!
Bien et mal, Il l'accommode,
Et les souffrances des cœurs, Il les fait vieillir! (151)

Dans les textes précédents, dont on ne peut nier l'authenticité, se rencontrent bien des termes usuels chez les mystiques musulmans: *'ilm*, connaissance, *sidq*, véracité, *haqiqat*, réalité, *ridâ*, satisfaction, *jûd*, générosité, etc. Il ne serait pas difficile de relever, en arabe naturellement, dans les textes kurdes du *Livre de la Révélation* et du *Livre Noir*, les idées et le vocabulaire d'usage courant dans les poèmes mystiques soufis: *heqq* et *xelq*, réalité et création, *'erş* et *ferş*,

trône et tapis, *sûret* et *sifet*, image et qualité, les quatre *'enser*, éléments, les quatre *weqt*, époques, les quatre *rukn*, bases; *felek*, la voûte céleste, *qelem*, la plume qui écrit le destin de la créature, *ayîn*, l'archétype, sans parler de la perle, *gewher*, ni de l'oiseau, *teyr*. Certaines expressions feraient penser peut-être à l'influence de Ibn 'Arabi (m. 1240). En tout cas si ces pages sacrées sont anciennes, ce vocabulaire est tout à fait normal. Si ces écrits sont récents, comme d'aucuns le supposent, ils indiquent que les origines soufies ne sont pas totalement oubliées.

Ainsi donc, le souvenir des cheikhs soufis concrétisé dans leur *maqâm*, l'organisation hiérarchique de la secte, le contenu de prières et de textes sacrés parvenus jusqu'à nous, manifestent clairement, chez les Yézidis, une tradition soufie qui, pour être plus ou moins mélangée ou obscurcie, n'en demeure pas moins authentique en ses origines.

3. — *Une mystique extrémiste.*

On ne peut nier, je crois, après ce que nous avons dit de l'ambiance musulmane et de l'atmosphère soufie, l'origine islamique du Yézidisme. Pourtant les Yézidis sont aujourd'hui si éloignés dans leurs doctrines de l'Islam authentique, qu'on n'a voulu voir dans tout ce qui précède que des apports superficiels, sinon des emprunts factices d'une secte purement zoroastrienne ou manichéenne. Un mot ne veut rien dire, un geste ne signifie rien, une abstention même n'a pas de sens précis, mais une telle convergence de pratiques, de vocabulaire, de hiérarchie, ne peut être fortuite, ou simplement accidentelle. Il y a là quelque chose de foncier, auquel des détails pourront s'adjoindre peut-être, mais n'ajouteront rien d'essentiel. On s'étonne dès lors de la réflexion de Menzel à qui «il semble impossible qu'un ordre sûfi islamique ait pu dégénérer et se transformer en une religion aussi éloignée de l'Islamisme que le Yézidisme» (152). A plus forte raison admettrons-nous difficilement le point de vue de B. Nikitine «plutôt porté à croire que les Kurdes yézidis n'avaient jamais été musulmans» (153). Les arbres ont-ils donc empêché ces auteurs de voir la forêt? Mais on ne peut fermer les yeux à l'évidence. F. Meier l'a bien vu, qui écrit: «En un seul point du monde, le Soufisme fut subjugué par la religion étrangère et extirpé de l'Islam lui-même: c'est chez les Yézidis de Mésopotamie et de Perse» (154). Mais j'irai plus loin que ce savant professeur en montrant que dans l'Islam même, — et non forcément en des religions étrangères —, les Yézidis ont trouvé les pierres d'attente de leurs croyances hétérodoxes. C'est donc maintenant aux croyances caractéristiques des Yézidis qu'il faut nous arrêter pour

essayer d'en déceler l'origine. A prendre le procédé inverse, c'est-à-dire à examiner d'abord les croyances sans les replonger au préalable dans le milieu que nous avons évoqué, on risque en effet, et ce fut le cas pour beaucoup, de se fourvoyer et de faire du Yézidisme un syncrétisme anarchique où rien ne se tient et dont l'ensemble reste inexplicable (155).

a) *Récits légendaires des origines.*

Les histoires bibliques de la Création, telles qu'elles ont été transmises par le Coran, sont reproduites chez les Yézidis, nous dit Damlooji, mais revêtues d'une forme un peu différente des récits traditionnels, pour qu'elles coincident avec leurs propres croyances. La «Perle Blanche» que Dieu a créée à l'origine, comme le rapporte le *Livre Noir*, pour être une idée manichéenne, n'en est pas moins déjà signalée dans un *hadith* attribué à Ja'far (156). Les Yézidis ne descendent pas d'Adam et d'Ève, comme l'ensemble de l'Humanité, mais d'Adam seul. On trouve des transformations analogues des récits traditionnels, par exemple, chez les Druzes avec leurs trois Adams. Signe évident de la fermentation des idées cosmogoniques dans les milieux islamiques de l'époque. — On a fait grand cas aussi des sept Anges auxquels Dieu aurait délégué ses pouvoirs, pour y voir une survivance zoroastrienne. Mais le nom que les Yézidis leur donnent sont déjà connus dans l'Islam (157). Ce n'est que plus tard qu'on a assimilé ces Anges aux éponymes des familles des Cheikhs actuels, avec bien des variantes et des contradictions d'ailleurs (158). — Outre les Anges, les principaux personnages que nous rencontrons dans les écrits et récits légendaires des Yézidis sont les plus populaires de la littérature ou de la tradition musulmanes: Salomon-le-Sage, *al-Hakim*, Belkis, Nûh et son Déluge, Nemroud, le Prophète Jonas, le mystérieux Khidr. Les récits du Déluge vont donner l'occasion d'expliquer le nom du village de Ain Sefné, centre administratif du Cheikhan. C'est Ain al-Safina, la Source d'où partit l'Arche pour aller fendre le rocher de Sinkloub, au Sindjar (159), avant de s'arrêter au sommet du mont Djoudi. Ainsi tout le périple du navire du Salut se fit en territoire yézidi. Cet accident du Sindjar, déjà connu de Yaqût (m. 1229) mit en vedette le rôle sauveur du Serpent. Mais celui-ci finit par exaspérer Noé qui, pour s'en débarrasser, le jeta dans les flammes. De ses cendres naquirent les puces (160).

b) *Incarnationisme et Métempsychose.*

Dès le début de l'Islam, certains extrémistes, les *Ghûlât*, ont poussé à bout certaines théories qui prirent pied aussi chez les

Yézidis. De même qu'Ali eut ses partisans farouches, Yézid Ier eut les siens. Or il se trouve que Cheikh 'Adi est un Merwanide, descendant des Omeyyades, et donc, a priori, partisan de Yézid contre les Abbassides qui supplantèrent sa dynastie. Or, nous rappelle Guidi (161), les Soufis ont été au Kurdistan de vaillants défenseurs de la cause omeyyade. 'Adi s'y retrouvait donc en un milieu favorable. Or certains partisans fanatiques, non contents de considérer leur Calife comme un Prophète, allaient jusqu'à lui attribuer la divinité. Cheikh 'Adi, qui reconnaissait qu'on ne devait blâmer ni 'Ali, ni Yézid, car ils étaient tous deux bons musulmans, s'efforça en vain d'arrêter le zèle de ses sectateurs. Lui-même d'ailleurs fut victime de ces exagérations, puisque, moins d'un siècle après sa mort, son tombeau remplaçait La Mecque comme lieu de pèlerinage. Certains de ses disciples le divinisèrent aussi, comme les Alaouites divinisèrent 'Ali (162). On a parlé parfois d'une Trinité divine, chez les Yézidis, composée de Tawûs Melek, de Yézid et de Cheikh 'Adi. D'autres, au contraire, ont identifié ces trois personnages. Il y a là, du fait d'auteurs européens, une vue trop systématique des choses, qui ne s'appuie que sur de vagues données et sur la confusion des sources et des commentateurs qui attribuent indifféremment à l'un ou l'autre de ces êtres supérieurs, telle ou telle qualité, telle ou telle activité.

La Métempsychose, qui nous paraît si étrange, qui permet aux élucubrations des *Koçek* de si bizarres assimilations, par exemple que Yezid et le Christ ne font qu'un, est une doctrine caractérisée du *Ghuluw*. Les Druzes, qui précédèrent de peu la naissance du Yézidisme, l'admettent également, ainsi que les Nosairis. Cette doctrine d'ailleurs a contaminé de même certains théologiens mo'tazilites, comme Ibn Hayit et Ibn Yanoush, ou Qarmates, comme Abou Ya'qoub Sijzi, qui l'admet aussi, si elle est intra-spécifique. C'est ce que nous rappelle L. Massignon (163). En tout cas, si les différentes formes de métempsychose (*tanâsukh*), signalées chez les Yézidis, ne sont pas des explicitations et systématisations dues à la plume savante du P. Anastase (164), on est bien forcé d'admettre que tout ce vocabulaire qui les exprime: *rasakh* (stagnante), *masakh* (dégradante), *fasakh* (dissidente), ou *nasakh* (copiante), n'a rien de spécifiquement kurde (165).

c) *Le Diable: réprouvé ou digne d'amour?*

Cependant ce qui frappe le plus l'imagination dans la religion yézidie, c'est à coup sûr, le culte de Satan sous la forme de Paon. Aussi appelle-t-on ordinairement les Yézidis «Adorateurs du Diable». C'est principalement en se basant sur ce fait qu'on a cru pouvoir

reconnaître dans leur religion un héritage du dualisme iranien. Inutile de remonter si haut car bien des mystiques musulmans sont loin d'avoir manifesté à Iblis des sentiments d'horreur et de haine. Il leur paraît en effet moins mauvais qu'à l'ensemble des simples fidèles. Il y a là d'ailleurs toute une tradition. Elle commence peut-être avec Tostari, soufi du III[e] siècle de l'Hégire, célèbre pour son principe du disciple qui doit être pour son cheikh «comme le mort dans les mains du laveur», principe qu'on retrouve dans le «*Perinde ac cadaver*» de saint Ignace de Loyola. Tostari admettait que, comme toutes les créatures, Satan, préalablement pardonné, verrait Dieu au Jour du Jugement (166). Il eut pour disciple le fameux Hallâj qui déjà sur le gibet, où il fut crucifié en 922, disait encore: «Mes amis et maîtres sont Iblis et Pharaon. Iblis fut menacé du feu de l'Enfer et pourtant il ne se rétracta pas...» (167). Ce même Hallâj, dans son *Kitâb al-Tawâsin*, mettait ceci dans la bouche de Satan, et ce sont en fait ses propres sentiments qu'il exprime:

«Je Te désire.
Je ne Te désire pas pour ma liesse:
Non. pour moi, je Te désire dans ma souffrance.
Ah! tout ce qui m'était nécessaire,
Voici que j'en ai fait l'abandon.
Sauf de pouvoir être extasié d'amour.
Au fond de mes supplices!» (168).

Voilà certes un Satan bien différent de celui qu'on se représente d'ordinaire et qui ne peut pas ne pas exercer un certain attrait sur quelques âmes menées par leur sensibilité.

Ahmed al-Ghazali, frère du grand Ghazali (m. 1111), reconnaissait en Satan «le Seigneur des Monothéistes» (169). — Et 'Abd al-Qâdir al-Gilanî (m. 1166), le «Sultan des Saints», comme l'appelle Dermenghem (170), racontant un de ses rêves, où il vit en songe le Diable maudit, se demande, sans pouvoir résoudre ce problème, comment le châtiment infligé à Satan peut se concilier avec la prédestination (171).

Il est bon de se souvenir ici que les Yézidis gardent une dévotion spéciale à ces mystiques de l'Islam, dont ils visitent les *maqâm* et lisaient autrefois les écrits. Ils se meuvent donc dans le sillage de leurs doctrines et suivent leur filière.

D'ailleurs les théories soufies favorables à la réhabilitation finale d'Iblis se sont maintenues chez certaines mystiques des confréries, sans parler des Yézidis. Ainsi Abd al-Karim, Qutb al-Din, b. Ibrahim al-Djilî (1365-1428), descendant d'Abd al-Qâdir al-Gilanî, admettait lui aussi, dans son Traité *al-Insân al-Kâmil*, qu'à la fin des temps «Iblis retrouvera la présence et la grâce de Dieu» (172).

Les Yézidis ne sont donc pas des isolés parmi les Mŭsulmans, et non des moindres. Ce qu'il y a de certain en outre, c'est que beaucoup de soufis se refusaient à maudire le Diable, et même à prononcer son nom, par respect, tout comme les Juifs ne prononçaient et n'écrivaient jamais le nom de Yahvé (173). — De ce respect purement négatif au sentiment de vénération il n'y a qu'un pas. Les Yézidis vont le franchir. Satan est déchu, c'est entendu. Mais, en Orient plus qu'ailleurs peut-être, les Vizirs en disgrâce remontent souvent à la surface, s'ils n'ont pas été supprimés de suite. Il est donc bon de ne pas trop les accabler dans leur malheur, pour que, au jour de leur rentrée en grâce, ils n'aient point à se venger de nos mauvais procédés. C'est humain, trop peut-être, mais cela n'a rien à voir avec la doctrine subtile des Deux Principes qui gouvernent le monde.

Quant à se représenter Satan sous forme de Paon, cela non plus n'est pas spécial aux Yézidis. D'une part, avant d'être chassé du Paradis, le Cheitan était appelé *Tawûs al-Malaïka*, le Paon des Anges, à cause de sa Beauté, qui surpassait celle des autres anges, comme la beauté du Paon le met au-dessus des autres oiseaux (174); tout comme chez les Chrétiens, avant sa chute, le chef des Anges s'appellait Lucifer, le Porte-Lumière. D'autre part, certaines traditions musulmanes rapportent que le Paon servit d'intermédiaire à Iblis pour séduire nos premiers parents. Il était certes beaucoup plus attrayant que le serpent. «Dans les *Kisas* de Kisâ'î (36-39) et de Tha'labî (20), le paon (*tâ'ûs*) fait son apparition. Iblis tente de pénétrer dans le jardin pour séduire Adam, mais il est empêché par Dieu. Puis il rencontre le paon, chef des animaux du jardin, à qui il dit que toutes les créatures mourront, mais qu'il peut montrer l'endroit où se trouve l'arbre d'éternité. Le paon rapporte cela au serpent qui va trouver Iblis, et celui-ci se précipite dans la bouche du serpent; ainsi il pénètre dans le jardin, parle à Adam et Ève par l'intermédiaire de ce dernier, et Ève mange des fruits de l'arbre...» (175). Aussi Mandéens, Druzes et Takhtadjis, outre les Yézidis, se figurent-ils le Démon sous la forme de ce magnifique oiseau (176).

Un proverbe du Kent résume bien cette histoire qui dit que «le Paon a la splendeur d'un Ange, la démarche d'un voleur et la voix d'un démon». (177).

Comme tous leurs voisins — Musulmans ou Chrétiens — les Yézidis ont nettement conscience du permis et du défendu, du Bien et du Mal. Ils adorent Dieu (*Xwedê*), à qui ils adressent leurs prières. Ils ne craignent pas l'Enfer qui, pour eux, semble ne pas exister, éteint qu'il fut autrefois par les larmes d'un fils d'Adam

et remplacé par les vicissitudes et les purifications successives de la métempsychose. Mais ils aspirent aux joies du Paradis où, s'ils lui sont fidèles, Cheikh 'Adi les introduira sans jugement, sur un plateau posé sur sa tête. En réalité, la vénération dont les Yézidis entourent la personnalité d'Iblis ne s'adresse pas à l'Esprit du Mal. Ces soi-disant Adorateurs du Diable ne sont aucunement des Suppôts de Satan! Il ne s'agit pas pour eux d'obtenir de ce dernier leurs coudées franches pour pouvoir se livrer, en toute liberté et sans impunité, à tous les crimes, à tous les vices: ils ne sont pas pires que ceux qui les entourent. Mais c'est plutôt un sentiment d'espoir de réhabilitation, de rachat d'un malheureux, comme ils le sont eux-mêmes, parce qu'il est loin du visage de Dieu et, par conséquent, de confiance en la Miséricorde divine infinie. Le Yézidisme n'a rien du Satanisme perverti de dilettantes à l'affût d'émotions fortes et en révolte contre la vertu. En définitive, le culte de l'Ange-Paon est un poignant appel à l'Espérance!

IV

DE L'ISLAM A SATAN

Les considérations précédentes nous permettent d'aboutir, je crois, à deux conclusions certaines: les Yézidis sont des Kurdes et ils furent, à un moment donné de leur existence, en contact étroit avec Cheikh 'Adi (178). Ces deux faits entraînent-ils comme conséquence que les Yézidis sont des païens, convertis à l'Islam par ce cheikh musulman orthodoxe, qui ne réussit d'ailleurs qu'à leur donner une teinture de religion mahométane d'où ils se sont empressés de sortir? Ou bien étaient-ils déjà musulmans lorsque Cheikh 'Adi vint chez eux? La solution de cette question est indispensable pour connaître la véritable origine de cette secte. Pour la trouver, étudions la situation religieuse de cette région kurde où vint s'installer Cheikh 'Adi. Nous pourrons suivre alors l'évolution du Yézidisme qui se révèlera en trois périodes:

— Une période d'établissement (vers 1130-1220).
— Une période de grand essor et de lutte (1220-1414).
— Une période de déclin (1414 à nos jours).

1. — *Un terrain se prépare.*

Le principal centre religieux actuel de la secte, et qu'on pourrait appeler son berceau : le Cheikhan, a l'avantage d'être bien

connu des historiens anciens, tant chrétiens que musulmans. Les «Actes des Martyrs de Perse» nous montrent que les adeptes du Magisme y forment le fond de la population. Ce sont eux qui vont s'opposer à l'évangélisation de leur pays. Leurs *mobeds*, tout puissants à la cour des rois Sassanides, seront souvent causes de persécutions sanglantes, surtout sous le règne de Sapor II (309-363). Peu à peu le Christianisme s'étend. Des évêchés sont créés au Kurdistan. Au Concile de Séleucie, en 410, sous Yezdegerd, favorable aux chrétiens, siègent les chefs des diocèses de la province d'Adiabène, c'est-à-dire les évêques d'Arbelles, de Beit-Nouhadra, de Beit-Baghash, de Beit-Dasen, de Ramônin, de Beit-Mahqert. En 486, c'est en plein Kurdistan, à Beit-Adhré, devenu depuis le lieu de résidence des Émirs Yézidis, que le Patriarche nestorien Acace réunit le Synode de son Église. Nouveaux moines, futurs évêques seront souvent d'anciens Mages convertis, mais, dans leurs écrits, rien ne transparaîtra de leurs anciennes croyances qu'ils combattront sans relâche. Mais le paganisme maintient toujours ses positions.

A son tour l'Islam, dès l'occupation de Tikrit et de Hulwan, en 637, prit contact avec le Kurdistan. Sa'ad bin Abi Wakkas se dirigea sur Mossoul, où les districts à population kurde furent occupés, ainsi que al-Mardj ou pays de Marga, Ba-Nuhadra, Ba-Adhra, Hibtûn, Dasen, etc. Mais cette conquête fut loin d'islamiser entièrement le pays. Les troupes du Calife 'Omar se heurtent aux Kurdes d'Ahwas et ce n'est pas sans effusion de sang qu'elles s'emparent de Çhahrizor, en 643, de Berud et de Balasdjan, en 645. La chute des Sassanides (652) va pourtant accélérer la disparition de la religion officielle. A Surdash, en Irak, on montre encore les ruines du château du roi Julindî, qui prétendit s'allier au Diable pour repousser les armées du Calife 'Ali. Sous le règne des Omeyyades, al-Hadjdjâdj, en 708, ira châtier les Kurdes qui avaient pillé le Fars. Mais ces mêmes Kurdes vont soutenir contre les Kharidjites le Calife Merwan II (744-750) dont la mère était kurde (179).

Jean de Pének (Finik, sur le Tigre), au VII[e] siècle, et Théodore Bar Koni, en 791, parlent encore du culte de Tammouz qui subsistait de leur temps, et l'évêque nestorien, Thomas de Marga, dans son *Histoire Monastique* ou *Livre des Supérieurs* (180), n'est pas moins catégorique. Il nous rappelle qu'on trouvait encore dans le pays des Adorateurs du Soleil et des arbres touffus, ainsi que des adeptes du Magisme, et tout récemment encore, puisque le père du Patriarche nestorien régnant, Auraham (836-866), son contemporain par conséquent, était toujours attaché à ces antiques superstitions. Peu à peu cependant il semble que l'évangélisation

chrétienne progressât. Partout des couvents s'élevèrent et y devinrent célèbres par le nombre de leurs moines, leur science et leurs vertus. J'ai cité plus haut (p. 18) ceux qui se trouvaient certainement, au VIII^{e} siècle, dans la région, devenue depuis lors yézidie.

D'autre part, les Kurdes de la contrée, quoique déjà musulmans, en bonne partie, sinon en majorité, se révoltèrent plus d'une fois encore contre les Califes et leurs soldats.

En 839, le Kurde Dja'far bin Fahardjis, battu d'abord à Ba-Baghash, se replia sur la montagne de Dasen où il défit les troupes du Calife al-Mou'tasim. En 866, les Kurdes de Mossoul se joignent au Kharidjite Musawir. En 894, ils prennent le parti de l'Arabe Hamdan bin Hamdûn, qui s'était emparé de Mossoul; mais en 906, Mohamed bin Bilal, de la tribu kurde des Hadhbani, dévaste la région de Ninive, mais fut finalement repoussé et battu, ainsi que les Humaidi et les habitants du Djebel Dasen, par Abdallah bin Hamdan. En 940, l'aventurier Daisam bin Ibrahim, à moitié kurde lui-même par sa mère, n'utilisait que des troupes kurdes pour ses expéditions en Azerbaijan. Par tous ces faits on voit que, au début de leur conversion à l'Islam, les Kurdes dans l'ensemble favorisaient plutôt le Kharidjisme et même certains d'entre eux avaient embrassé le Chiisme.

Tous ces troubles, rébellions, pillages, batailles que rapporte Ibn al-Athir de Djézireh, avaient eu leur répercussion sur la situation des Chrétiens. Quand Jean Bar Kaldoun écrivait en 1186 la «*Vie du Rabban Yousseph Bousnaya*» son Maître, mort en 979, la contrée chrétienne avait bien souffert et les couvents tout spécialement. Ce serait, disait-il, un châtiment divin, à cause de l'infidélité des moines. Les pillages des tribus kurdes et des Musulmans kartavéens, appelés Hakkaréens, c'est-à-dire Hakkaris, et Ta'aliens, ne se comptaient pas, qui avaient plus d'une fois forcé les moines à abandonner leur solitude et à chercher un refuge ailleurs. C'est ainsi qu'en 977, tout le pays de Dasen fut dévasté et plus de 5.000 personnes massacrées par les Hakkaréens. Mais, en 980, ce sont les Kurdes Hakkaris qui se font battre, à leur tour, par l'Arabe 'Adud al-Dawla, qui crucifia les rebelles des deux côtés de la route, sur un parcours de cinq parasanges, entre Ma'altai et Mossoul. Quand on connaît la région, ces évènements sont extrêmement évocateurs.

Au X^{e} et XI^{e} siècles, les Kurdes, on peut l'affirmer, sont entièrement islamisés. Sunnites dans l'ensemble, ils suivent l'école juridique de Chaféi (767-820). Ils vont même réussir à fonder de petits royaumes, plus ou moins indépendants, sur diverses parties du Kurdistan. Les Chaddadites (951-1174) règnent en maîtres à à Gendj et à Ani; les Hasanwaihides (951-1014) exercent leur

domination au Khouzistan; les Banou Annaz (991-1117), originaires de Chahrizor, poussent leurs possessions jusqu'à Duhok et recueillent la succession des Hasanwaihides. Enfin la dynastie des Merwanides (990-1096), la plus brillante, dont les fiefs s'étendaient sur toutes les régions de Diar-Bekir, Khilat, Malezgerd, Ardjish et le nord-est du lac de Van, réussit, durant près d'un siècle, à maintenir l'unité politique de la plus grande partie des territoires kurdes.

La vie religieuse islamique marchait de pair avec la vie politique et sociale. Le Soufisme fait bientôt son apparition au Kurdistan. L'historien Muqaddasi, qui y voyageait vers 980, y trouva quarante soufis qui portaient cilice et se nourrissaient de glands (179 bis). Un ancien brigand kurde converti, Abou Mohamed Ibn Chounboki, devint le maître spirituel d'un Kurde de Qalmini, Abou'l-Wafa al-Hulwani (m. après 1110) qui, le premier, reçut en Irak le titre de Tadj al-'Arifin. Il compte parmi ses disciples Madjid al-Kurdi. D'ailleurs de nombreux Kurdes, comme Abou Bekr al-Khabbazi, Suweid al-Sindjari, Ali ibn Wahhâb al-Sindjari, Matar al-Badarani et bien d'autres, avaient choisi les solitudes de leurs montagnes pour s'y exercer aux pratiques de l'ascèse et à la contemplation mystique (180). C'est en de telles conjonctures que parut Cheikh 'Adi.

2. — *L'aube radieuse d'une Tarîqa mystique* (1130-1220).

a) *Un saint fondateur.*

Ainsi donc, dans le courant du VI^{e} siècle de l'Hégire, probablement vers 1130, un ascète musulman, Cheikh 'Adi, désireux de solitude, venait fonder une *zaouia*, au petit village de Lalesh, dans les montagnes du Hakkari, à neuf heures de marche au nord de Mossoul. Mozaffer al-Din, gouverneur d'Arbelles, avait en sa jeunesse rencontré le Cheikh à Mossoul et avait gardé bon souvenir de ce «vieillard de taille moyenne, au teint brunâtre, et dont on disait beaucoup de bien». Ce seul témoignage d'un contemporain sur Cheikh 'Adi, rapporté par Abou'l-Barakat (1165-1239) dans une *Histoire d'Arbelles*, aujourd'hui perdue, est cité par Ibn Khallikan (1211-1282). Il était Châfi'i et les Kurdes, dont il était devenu le Cheikh, ou chef spirituel, le considéraient comme leur Imam, nous dit Yaqût (1224). Il était venu de Syrie, des environs de Baalbek et son ascendant était grand sur les populations montagnardes du pays de Hakkari, où il s'était retiré et où il mourut à l'âge de 90 ans, au mois de Moharrem de l'an 557 de l'Hégire (1162 chr.), d'après Ibn al-Athir (m. 1223). Ces quelques renseignements précis

sont tout ce que nous savons de certain sur la vie, le caractère et l'influence de celui que les Yézidis considèrent comme leur Maître incontesté.

Nous savons d'autre part que le soufisme était alors en plein essor et Cheikh 'Adi est un soufi orthodoxe. On connaît certains de ses compagnons d'études qui devinrent des cheikhs célèbres, comme Oqeyl al-Mambidji, Hammâd al-Dabbâs, Abi'l-Nadjib al-Qâhir al-Suhrawerdî, qui composa un petit ouvrage sur le Soufisme, à l'usage des commerçants, l'*Adâb al-muridîn*, et mourut à Baghdad, en 563/1168, Abi'l-Wafâ' al-Hulwanî, qui accueillit plusieurs Kurdes parmi ses 40 disciples dont 17 princes, et surtout 'Abd al-Qâdir al-Gilâni (1078-1166), fondateur de la célèbre *Tarîqa* des *Qadiriyya*, qui existe toujours et recrute de multiples frères au Kurdistan. La «Preuve de l'Islam», Abou Hamid al-Ghazali (m. 1111) fut aussi son correspondant.

On a conservé de Cheikh 'Adi quelques écrits, édités par R. Frank en 1911 (181). Les bons musulmans n'y trouvent rien à redire, car le cheikh est un sunnite intransigeant et ses conseils sont édifiants, car il exige de son disciple une culture sérieuse:

Celui qui s'est contenté du *Kalâm* sans l'action s'est séparé de Dieu ;
Celui qui s'est contenté de la Piété sans le *Fiqh* est sorti de la religion;
Celui qui s'est contenté du *Fiqh* sans la Crainte de Dieu s'est moqué de Dieu;
Mais celui qui a accompli ses devoirs, celui-là s'est sauvé!

Notre cheikh est aussi un des premiers soufis à avoir tenté de resserrer les liens entre le maître et le disciple, le cheikh et le mourid, le pir et le shagird. Il rappelle les devoirs d'un chacun:

— Le *Cheikh* est celui qui t'a réuni par sa présence,
qui t'a gardé par son absence,
qui t'a enseigné par ses mœurs,
qui t'a éduqué par ses voies,
qui a éclairé ton intérieur par ses rayons.

— Le *Mourid* est celui qui fait briller sa lumière,
avec les *foqara* par son amabilité et sa gaieté,
avec les *soufis* par sa politesse et son désintéressement,
ses bonnes manières et son humilité en toutes choses,
avec les ulémas par l'excellence de sa docilité,
avec les «Gens de la Glose» (*ma'rifa*) par son calme,
avec les «Gens des Stations» (*maqâmât*) par son unité (*Tawhid*).

Par ailleurs 'Adi condamne le *Dhikr* et aurait affiché un certain mépris pour la prière publique, comme d'autres mystiques. Il insistait aussi beaucoup sur l'interdiction de la malédiction qu'il étendait même à Iblis.

b) *Des disciples trop zélés.*

Les historiens les plus anciens n'ont pas été sans signaler l'emprise d'un tel homme. Aussi, dès le début, des exagérations se manifestent à son endroit. Ses mortifications, ses jeûnes, ses miracles lui valent un grand ascendant dans tout le Hakkari. Des légendes ne tardèrent pas à circuler sur son compte. Elles se concrétisèrent dans le *Kitâb Manâqib al-Cheikh 'Adi*, qui daterait déjà du XII^e^ ou XIII^e^ siècle. L'imagination kurde, avide de merveilleux, commence ainsi son œuvre. En effet son prestige fut grand sur la population fruste où il était venu s'installer: pauvres montagnards où paysans kurdes, qu'attirait sa charité et que ses miracles ne pouvaient laisser indifférents. Bientôt il apparut aux yeux de ces fanatiques que leur Maître n'était plus soumis aux exigences de la nature: il ne mangeait plus, ne buvait plus, ne dormait plus, bien qu'il le fît parfois exprès devant eux pour les convaincre du contraire. Évidemment ce nonagénaire ne devait plus avoir grand appétit ni grand besoin de sommeil et il devait être passablement desséché. En effet «l'austérité, les privations de tous genres et les mortifications qu'il s'était imposées avaient tellement agi sur son corps que, lorsqu'il se prosternait pour la prière, on entendait le bruit que faisait son cerveau, en se heurtant intérieurement contre les parois de son crâne, et qui ressemblait au bruit produit par les cailloux qu'on remue dans une citrouille desséchée» (182). Les miracles qu'il avait opérés durant sa vie (183), firent en sorte que son tombeau devint lieu de pèlerinage fréquenté à l'instar des plus célèbres, ainsi que le constatait déjà Ibn Khallikan, moins d'un siècle après sa mort, puisqu'il écrivit son ouvrage *Wafiyât al-'Ayân* entre 1256 et 1274.

c) *Des successeurs fidèles à l'esprit du Maître.*

Cheikh 'Adi mort, sa succession passa au fils de son frère Sakhr, qui était resté au pays natal de Beit-Far. Il s'appelait Sakhr également et on le surnomma Abou'l-Barakât. Très aimé de son oncle, à cause de sa piété, il était venu spécialement de Syrie pour se mettre à son école. Les historiens, comme al-Lakhmi ou al-Hambali, font son éloge. Son tombeau est vénéré près de celui de Cheikh 'Adi. Son fils, 'Adi Abou'l-Moufâkhir lui succéda. On ne sait rien de bien précis sur la direction spirituelle donnée par ces deux cheikhs à leurs ouailles. Ils marchèrent vraisemblablement sur la lancée de leur oncle. On ignore de même la durée de leur fonction. Damlooji (p. 83) l'estime à 60 ans pour eux deux. Ce qui nous mènerait aux environs de l'an 1220. Cette période est une période de grande prospérité pour l'Islam d'abord, aux prises avec les Croisés. Salah ad-Din, notre Saladin (1137-1193) montrera bientôt au monde

émerveillé qu'un Kurde aussi peut être à la fois un modèle pour les Croyants et un exemple pour les Chevaliers. Pour le Soufisme aussi. En effet les grands ordres s'organisent. Il ne s'agit plus de simples écoles de mystique, les chefs s'efforcent de fonder de véritables confréries, *Tarîqa*, avec des sortes de couvents, *khanega*, où vivent quelques ascètes professionnels, qui revêtent un froc spécial, la *Khirqa*, symbole de leur adhésion et de leur agrégation à une tradition du Service divin qui remonte par degré au Prophète lui-même (184). La majorité des frères cependant vit dans le monde mais participe périodiquement aux cérémonies rituelles de l'ordre, dirigé par le successeur du fondateur ou *Khalifa*. — Al-Gilani (1078-1166) avait déjà fondé sa confrérie du temps de Cheikh 'Adi. A leur tour, Chehab ad-Din al-Suhrawardi (1144-1234) va fonder la *Suhrawardiyya*, et Nour ad-Din Shadhiili (1196-1258), la *Shadhiliyya* (185). Rappelons qu'à la même époque, François d'Assise (+ 1226) et Dominique de Guzman (+ 1221) convertissent les foules chrétiennes d'Occident par l'exercice de la pauvreté et la pratique de la Prédication basée sur l'Évangile.

Ainsi donc, en moins d'un siècle de vie, la fraternité fondée par Cheikh 'Adi s'est solidement implantée. La dévotion envers le fondateur est forte et portée à l'exagération. Mais rien d'hérétique en tout cela et rien non plus jusqu'ici qui fasse soupçonner que les adeptes de la *Tarîqa* se sont éloignés tant soit peu de la voie droite de l'Islam.

3. — *Luttes intérieures et extérieures: Politique ou Mystique?* (1220-1414).

a) *Cheikh Chems ed-Din Hasan, l'hérésiarque* (1197-1246).

Tout va changer pour les disciples de Cheikh 'Adi avec l'entrée en scène de son troisième successeur, son arrière-neveu Tadj al-'Arifin, Chems ed-Din, Abou Mohamed, Hasan, cheikh des Kurdes (591-644 hég.) (186). D'après Ibn Châkir (m. 1361), il était extrêmement intelligent, plein de vertu et même poète; mais, au dire de cheikh Chems ed-Din al-Dhahabi (1274-1348), il n'arrivait pas à la cheville de son arrière grand-oncle. Il fit retraite durant six ans et demi et composa dans l'intervalle un ouvrage de mystique intitulé *Al-Djalwa li-arbâb al-Khalwa* qui n'a rien à voir avec le livre de la Révélation, *al-Djalwa*, aujourd'hui entre nos mains. De son temps, la confrérie se développa énormément et son ascendant était grand sur ses disciples kurdes qui n'admettaient pas qu'on pût le contredire. Il s'installa à Mossoul même, entra en relations avec Muhiy ad-Din, Ibn 'Arabi (1165-1240) lors de ses fréquents

séjours en cette ville et en subit assez fortement l'influence. Ce qui le fit dévier de la vraie foi islamique. Ibn Teymiya (1263-1328) et Abou'l-Firas Obeid-Allah (m. 1325) lui reprochent en effet de n'avoir pas empêché ses disciples de le porter aux nues et d'en faire un personnage surhumain. C'est probablement sous son règne aussi que le culte envers Cheikh 'Adi prit des proportions exagérées. Peut-être est-ce lui le responsable de l'*Hymne de Cheikh 'Adi*, dont nous avons parlé plus haut. Il est en effet l'auteur d'autres poèmes où se retrouve la même saveur mystique plus ou moins frelatée et qu'a publiés Damlooji. Hasan laissait dire et laissait faire, persuadé sans doute que la gloire du Maître rejaillirait sur lui. Un cheikh qui lui reprochait son attitude fut assassiné sous ses yeux par des Kurdes fanatisés. De son temps aussi date l'exagération en Yézid, le Calife que l'on se mit à regarder comme un vrai Prophète. Au fond Hasan semble avoir voulu, en outre, jouer un rôle politique, conforme aux droits de sa famille, puisqu'il se disait Omeyyade. Mais le gouverneur de Mossoul, Bedr ed-Din Lou'lou', arménien favorable, dit-on, aux Chiites, le redoutait ainsi que les rezzous de ses Kurdes fidèles et craignait que le Cheikh ne les empêchât de dévaster à leur gré la région de Mossoul. Il le fit donc emprisonner et l'étrangla dans la forteresse, en 1246. Le Cheikh avait 53 ans. L'historien qui raconta le fait ajoute que, de son temps, on trouvait encore des Kurdes qui ne croyaient pas à sa mort et attendaient son retour. Vers la même époque, le célèbre mystique iranien, Djemal ed-Din el-Roumi (1207-1273) fondait à Konia, capitale des Turcs Seldjoukides, la fameuse Confrérie des *Mevlevi*, ou Derviches Tourneurs qui eut tant d'influence dans la Turquie des Ottomans, et chez qui on retrouve quelques théories et pratiques chères aux Yézidis. De son côté, huit ans après la mort tragique de Cheikh Hasan, donc en 1254, Bedr ed-Din qui pressurait tant qu'il pouvait les «enfants de Cheikh 'Adi», comme on commençait à les appeler (Bar Hebreus), envoya finalement ses troupes contre eux: il en crucifia une centaine, en massacra une centaine d'autres, donna l'ordre de couper leur Émir en morceaux qu'on suspendit aux portes de Mossoul. Puis il fit déterrer le cadavre de Cheikh 'Adi et fit brûler ses os» (187).

b) *La retraite mystique de Carafa après les ambitions de Damas.*

De telles aventures n'étaient pas pour rassurer les enfants, même les plus courageux, de Cheikh 'Adi. Un fils de Hasan Charaf ed-Din, qui avait été nommé gouverneur de Khartabirt par le Sultan mamelouk 'Izz ed-Din fut tué, ainsi que sa suite, par Angourk Nowin (1256). Les Mongols font en effet leur apparition

dans la contrée. Ces païens semblaient en bons termes avec les chrétiens du pays. Ceux-ci avaient travaillé à les évangéliser jusque chez eux et, par des mariages, avaient réussi à convertir certains chefs. Les Nestoriens, en pleine confiance, choisirent même un Mongol authentique pour Patriarche, afin d'être mieux protégés à la cour du Grand Khan (188). Jabalaha III (1281-1317) n'eut pas toujours à se louer de cette protection, surtout après que certains chefs eurent abandonné le christianisme de leur baptême pour embrasser l'Islam. Ces Mongols donc ne disaient rien qui vaille à nos Kurdes musulmans qui n'avaient pas tardé à en pâtir. Pourtant, conformément à cet axiome sociologique qui veut que, lorsque deux peuples se rencontrent, ils se font quelquefois la guerre, mais ils se marient toujours, il se conclut aussi des unions matrimoniales entre les envahisseurs et les autochtones. C'est ainsi que certains «enfants de Cheikh 'Adi» épousèrent des Mongoles. Le résultat ne fut pas toujours ce qu'ils en escomptaient. Un fils de Hasan même, Fakhr ed-Din, fut ainsi condamné et exécuté à Maragha en 1281 (189).

La famille jugea donc prudent de se réfugier en Syrie, dans l'espoir peut-être d'y conquérir quelque principauté digne d'eux. Le fils de Charaf ed-Din, Youssouf Zeyn ed-Din (190), s'installa donc à Damas, avec le titre d'Émir, avant de se retirer à Beit-Far, au berceau de sa famille. Il y vivait «comme un roi». Ibn Fadh Allah al-'Omari (m. 1348) décrit avec détails le luxe dont il s'entourait: tapis somptueux, vases d'or et d'argent, riche porcelaine de Chine, et les breuvages multicolores aux goûts non moins recherchés. Tous renseignements qui lui avaient été fournis par le Cheikh Chehab ed-Din, témoin oculaire, qui avait accompagné chez le Prince un émissaire du Sultan. Notre Émir avait fait tourner la tête à une Kurde de la tribu de Qaimour, dans la montagne entre Khilat et Mossoul, qui ne jurait plus que par lui, à qui elle avait donné toute sa fortune. Cette vie de plaisirs, loin de scandaliser ses disciples, ne faisait qu'augmenter son prestige. Aussi les autorités s'en inquiétèrent et l'emprisonnèrent. C'est dans sa prison qu'il aurait composé certains poèmes, publiés par Damlooji (191) et dans lesquels il énumère avec dégoût ses compagnons de geôle: poux, moustiques et souris, regrette le beau pays de Lalesh et prie Dieu de le délivrer par l'intercession du Prophète et de Cheikh 'Adi. C'est là qu'il mourut en 1297. Il fut enterré à Carafa, dans la *zaouia* de la fraternité *Adawia* qu'il y avait installée (192).

Le fils de l'Émir Zeyn ed-Din, 'Izz ed-Din Amiran n'eut pas un meilleur sort que son père. D'abord Émir à Damas, puis à Safad, il revint à Damas puis décida de se retirer à Mezzé. Sa popularité était grande parmi les Kurdes et on lui attribuait des visées

ambitieuses, royaume d'Égypte ou du Yémen. Ses partisans, tous Kurdes, vendaient leurs biens à vil prix pour en acheter chevaux, armes et munitions de guerre. Lui-même promit d'avantageuses fonctions à qui le suivrait. Tout cela finit par arriver aux oreilles du Sultan Al-Nasr, qui fit faire une enquête par Tenguiz, Naib de Damas, de 1312 à 1340. 'Izz ed-Din se déclara incapable de retenir ses partisans, à cause de leur croyance en lui et en sa famille. Le résultat fut qu'on le jeta en prison en 731/1330, où il ne tarda pas à mourir, en même temps qu'on s'emparait des membres de la famille qui se trouvaient à Carafa.

c) *L'expansion au Kurdistan* (193).

Si l'influence des chefs religieux et politiques de la fraternité était telle dans les grandes villes de Damas et du Caire, on peut penser qu'elle n'était pas moindre dans les montagnes du Kurdistan. Ces chefs étaient reconnus comme Kurdes désormais et nombreuses étaient les tribus kurdes qui se déclaraient vassales de ces Émirs et adeptes de leurs croyances. Les princes de Djézireh, qui se disaient d'origine omeyyade eux aussi étaient yézidis et avec eux les tribus: Daseni, Khalidi, Besiyan, Bohti, Mahmoudi, Dunboli, Barazi, sans parler des tribus du Sindjar. Un certain Cheikh Mend (194) qui se disait apparenté à Cheikh 'Adi, et qui avait reçu des Ayyoubides le fief de Qouseir, près d'Antioche, y propagea les doctrines nouvelles dans la région d'Alep, entre Hama et Marash, à Kilis, à Djoun, où les Yézidis du Djebel Sim'an ont maintenu la tradition. R. Lescot y a découvert et à publié (195) le diplôme d'initiation de Pir Mousa, le Dunboli, daté de 921/1515-1516, ainsi que la généalogie, à Damas, du poète Khalil Beg (m. 1959) de la famille Mardam, d'origine kurde également, datée de 1004, donc de la fin du XVI^e^ siècle. Ce qui montre que les liens des Yézidis avec la 'Adawiyya existaient encore et étaient reconnus. D'autre part, et dès le XIV^e^ siècle, on trouvait encore des Yézidis jusqu'à Hit sur l'Euphrate et Koubeisât.

d) *Premières réactions orthodoxes.*

Mais en quoi consistaient exactement ces doctrines nouvelles? Ce sont des contemporains qui nous renseignent, et pas seulement des historiens, mais aussi des apologistes qui les combattent bien sûr, mais avec le désir de les ramener dans le droit chemin, car il s'agit bien de Musulmans qui s'égarent. Pour Abou'l-Firas Obeyd Allah (m. 1325), dans sa *Réfutation des Réfadis et des Yézidis*, ces gens-là lisent le Coran de travers, car ils ont des théories spéciales

sur les points diacritiques, ils s'approprient les biens de ceux qui n'aiment pas Yézid et interdisent la prière publique (196). Ils préfèrent donc l'oraison intime dans la *khalwa* aux liturgies solennelles de la *Djami'*. A son tour le spécialiste de l'étude des sectes musulmanes l'Imam Ibn Teymiya (1263-1328) a écrit une cinquantaine de pages à leur sujet (197). Il leur rappelle que Cheikh 'Adi était un saint authentique et que leur confrérie a compté de nombreux savants en *Kalâm*, en *Fiqh*, en *Hadîth* et en *Tafsîr* et aussi beaucoup d'ascètes et de saints; mais que Cheikh Hasan a introduit chez eux des nouveautés, *bida'*. C'est lui qui a exagéré dans sa dévotion en Cheikh 'Adi et en Yézid. Et alors, à l'aide du Livre Sacré, des sourates du Coran, l'auteur veut leur montrer qu'ils ont tort de s'éloigner de l'enseignement commun. Ne tuez pas votre âme par la débauche, accomplissez les cinq piliers de la Foi, n'imitez pas les Chrétiens et leur vie monastique, ni les Juifs qui ont tué leurs Prophètes. Pourquoi interdire ce que Dieu autorise? Pourquoi ces préférences entre certains Compagnons du Prophète, exalter outre mesure 'Adi ou 'Ali? Il n'y a pas d'autres dieux que Dieu. Supprimez ces pèlerinages aux tombeaux de vos cheikhs et recevez purement et simplement le Coran, Livre Sacré descendu du Ciel. On voit que dans tout cela les auteurs n'insistent pas sur le culte de Satan, qui n'était pas encore établi, mais uniquement sur l'exagération envers 'Adi et Yézid. Que les Frères restent fidèles à l'esprit de 'Adi et qu'ils traitent Yézid, comme il convient, ni Prophète ni Zendiq, car il ne mérite «ni cet excès d'honneur, ni cette indignité».

Mais ces avertissements arrivaient trop tard. Depuis la mort de Hasan, les événements avaient marché. — Religion et politique s'entremêlèrent. Des rivalités de féodaux et de cheikhs religieux finissent par provoquer des réactions violentes à l'expansion de cette secte devenue trop puissante. Un Émir de Djézireh, dans la foi du néophyte converti, envahit le Cheikhan avec ses alliés. Ils y mirent tout à feu et à sang. Le sanctuaire fut profané (1414) (198). Ce fut le commencement de la décadence (199).

4. — *Les ténèbres de la superstition* (1414 à nos jours).

a) *Abandon progressif de l'Islam.*

Une période de déclin commence maintenant pour cette Confrérie qui avait débuté dans la ferveur. C'est d'abord le retour à l'Islam originel, dès le XV^e siècle, de certaines tribus dont les aghas se convertissent (200), conversions qui se précipitent par des contacts, plus fréquents et plus intimes avec les Turcs et les Persans.

D'ailleurs l'instauration des deux Empires rivaux des Sultans ottomans et des Chahs safawis va rendre de plus en plus illusoire la possibilité pour les Émirs yézidis de jouer un rôle politique important.

Mais, d'autre part, c'est aussi l'éloignement de plus en plus poussé de l'Islam, chez ceux qui veulent rester attachés à leurs pratiques et croyances particulières. Persécutions et massacres, loin de les calmer, ne font que les enfoncer dans leurs idées.

Les ponts sont désormais coupés entre le Musulman, sûr de sa Foi et de son bon droit, et le Yézidi, considéré comme *zendiq*, dont la vie et les biens sont «licites». Cheikh Abou Se'oud al-Amadi, dans sa *fetwa*, délivrée en 1530, ne les reconnaît pas pour être des 72 sectes autorisées dans l'Islam qu'ils ont renié. Ce sont des apostats, *murtaddūn*, qui suivent Yézid, qu'on doit maudire d'après les bons auteurs; ils donnent un associé à Dieu en la personne d'Adi bin Mousâfir; ils ont un amour tout spécial pour le Diable, le Maudit, et croient que Taous al-Malaïka a inspiré de la compassion à Allah! (201). Comme d'autre part ils massacrent les vrais croyants, on peut leur rendre la pareille sans scrupule.

On comprend dès lors la haine qui présidera désormais aux relations entre les adeptes des deux religions. Cette haine est relevée, vers 1655, par le voyageur turc Ewliya Tchelebi (202) et aussi par Febvre (1682) qui signale également leur respect pour le Diable et constate en outre qu'ils n'ont point de Livres Sacrés, mais qu'ils croient en la Métempsychose (203).

b) *Les «bêtises» de Cheikh Fakhr et avilissement de la doctrine.*

Au XVIII^e siècle, dans une *fetwa* célèbre de 1724 (204), le cheikh 'Abd Allah al-Rabatki note leur opposition au Coran, qu'ils couvrent d'ordures à l'occasion, à la Sunna, qu'ils accusent d'être pleine de mensonges, et aux Ulémas de l'Islam, auxquels ils préfèrent les «bêtises» de Cheikh Fakhr (205). Pour lui également, ils admettraient l'adultère et auraient un Livre, appelé *Djelwa*. Ils méprisent de même prières et jeûnes, car ils se contentent, disent-ils, de la «pureté du cœur».

Désormais, tous liens étant rompus avec l'orthodoxie, la voie est largement ouverte à toutes les superstitions et aux élucubrations doctrinales. La vénération des Yézidis pour Iblis s'est matérialisée dans les *sandjaks*. Les sandjaks sont ces immenses étendards que portent en procession les confréries musulmanes, lors de leurs fêtes et de leurs pèlerinages (206). Rabatki, à juste titre, nous signale l'adoration que les Yézidis portent au sandjak d'Adi, qu'il compare

à l'adoration des idoles. Il semblerait donc désigner par ce terme, moins un grand drapeau, que la statuette du Paon et son support, tels qu'ils sont utilisés aujourd'hui. Du symbole Taous al-Malaïka, traditionnel dans l'Islam, les Yézidis sont passés à sa représentation grossière en une statuette de bronze. Mais l'Islam ne les a pas habitués à ce genre de représentations symboliques. Il est difficile à des montagnards sans entraînement intellectuel de dégager de cette réalité matérielle le symbole que notre imagination humaine nous oblige à figurer sous des formes concrètes. Dans les premiers temps déjà ne leur reprochait-on pas d'attribuer à Dieu des qualités humaines matérielles, comme le manger et le boire? Ils ne sont pas loin dès lors de tomber dans l'idolâtrie, ce qui montre bien l'avilissement de leur pensée. Aujourd'hui, le Yézidi du commun qui dépose son obole dans le plateau, installé devant le Taous métallique qu'on a dressé devant lui sur une petite estrade, n'accomplit plus en fait qu'un geste idolâtrique envers un objet gros de magie. Il est bien loin de la noble pensée, trop raffinée, de son ancêtre qui invoquait le chef des Anges, à cause de sa dignité première à recouvrer. Peut-être quelque cheikh plus pieux a-t-il conservé quelque soupçon de cette idée que de grands théologiens musulmans ont défendue? Mais, en s'accumulant, les siècles ont fini par obnubiler l'esprit religieux de vénération et l'ont remplacé par l'esprit mercantile. Par manque de direction spirituelle éclairée, le Yézidi est tombé de la mystique, trop subtile à ses yeux, en des superstitions à la hauteur de ses besoins quotidiens, exacerbés peut-être par la misère des persécutions. Le cas n'est pas unique. Mais on voit la distance parcourue.

Quoi qu'il en soit, c'est probablement dans le courant du XVIIIe siècle, le premier au début, l'autre à la fin, qu'ont dû être composés ou reconstitués les deux écrits sacrés: le *Djelwa* et le *Mishefa reş*. Comme l'enseignement mystique était oral et que, d'autre part, dans les massacres périodiques, bien des cheikhs instruits ont dû disparaître, on peut s'imaginer que ces pages ont été recomposées de mémoire et adaptées en même temps aux circonstances nouvelles. Cela expliquerait, à la fois, leurs lacunes et imprécisions dogmatiques, et leur trop grande minutie dans les pratiques religieuses. On comprend aussi le secret dont on voulut les entourer.

c) *Le prix sanglant du fanatisme.*

L'histoire des Yézidis, à partir du XVIIe siècle, n'est plus qu'une lugubre nomenclature de pillages et de massacres. Ils sont connus désormais comme «Adorateurs du Diable» et, à ce titre, sont passibles de toutes les avanies. La liste est longue de leurs

misères. Elle a été relevée, avec plus ou moins de détails, chez les différents auteurs (207). Le nombre des victimes, au long de ces siècles, atteindrait le million, au dire de Damlooji (208). On ne peut nier non plus le rôle néfaste de certains chefs religieux. Si elles ne sont pas de simples exercices scolaires, les *fetwa*, délivrées par certains mouftis célèbres et reprises maintes fois au cours du XIXe siècle, pour des raisons religieuses ou des motifs politiques, n'ont pas été sans répercussion sur l'attitude des tribus kurdes voisines, musulmanes orthodoxes en l'occurrence, mais toujours avides de pillages, comme l'a signalé Damlooji également (209).

Aujourd'hui, réduits en nombre et ayant perdu tout pouvoir politique, économique ou social, les Yézidis survivent en végétant. On leur a ouvert des écoles, en vue de leur ouvrir l'esprit et de les délivrer de leurs préjugés et de leurs superstitions. Il est intéressant de constater qu'en Arménie soviétique, ce sont d'anciens Yézidis qui sont à la tête du mouvement littéraire kurde. C'est là un changement radical, quand on pense à ce qu'était leur situation sociale avant 1914. Mais inutile de dire que leur Yézidisme a sombré dans le plus pur athéisme. En Irak, où ils vivent en majorité, ils sont toujours plus ou moins repliés sur eux-mêmes, sauf ceux qui se sont engagés dans l'armée ou qui ont fait quelques études pour devenir instituteurs. Ces intellectuels au petit pied s'intéressent à leur secte d'origine, comme à un aspect attrayant de folklore, susceptible d'attirer la curiosité des étrangers. Que leur reste-t-il de leurs croyances et de leurs pratiques? Les Yézidis du Djebel Sim'an sont grignotés peu à peu et depuis des années par l'Islam. Ils finiront sans doute par s'y retrouver tous quelque jour, si les Gouvernements responsables développent chez eux l'instruction et les améliorations sociales dans un esprit d'humaine compréhension. A moins qu'il ne soit déjà trop tard et que, comme beaucoup d'autres, les Yézidis, qui en ont fait l'amère expérience, ne subissent la fascination du Communisme pour qui, entre autres choses, «la religion est l'opium du peuple».

CONCLUSION

Dans les pages qui précèdent, il ne pouvait s'agir évidemment de retrouver l'origine de tous les points de doctrine et des moindres pratiques religieuses des Yézidis, comme la légende de la Voie Lactée ou l'interdiction de la couleur bleue, par exemple (210). Au moins pensons-nous avoir relevé l'essentiel, ce qui en constitue l'ossature, sans en rien omettre. Mais sur ce fond, qui me paraît spécifiquement musulman, restent accrochées maintes coutumes et superstitions que l'Islam ne saurait revendiquer, pas plus qu'on ne peut le rendre responsable de déviations sorties pourtant de son milieu (211). Cela n'a rien d'étonnant. Lorsque Cheikh 'Adi vint s'installer au Kurdistan, il y trouve une population mélangée, comme elle l'est encore aujourd'hui. Ainsi que nous l'avons rappelé, malgré l'implantation du christianisme, nestorien ou jacobite, il restait des ferments de superstitions païennes. Tout cela ne s'est pas évanoui d'un seul coup, bien sûr, avec l'apparition de l'Islam, et des vestiges en étaient demeurés dans les masses populaires. Les Yézidis ne sont pas les seuls à en avoir hérité, et ne sont pas même les seuls à les avoir conservés. C'est un fait et n'a rien à voir avec le Yézidisme comme tel. En tout cas, beaucoup de ces restes avaient déjà été absorbés, sinon assimilés par l'Islam — ou si l'on préfère par des Musulmans du pays —, lorsque le Yézidisme, à son tour, y germa. Il ne s'agit donc pas d'emprunt, plus ou moins direct, à l'ancien paganisme ou aux religions qui avaient dominé la région, en une époque plus ou moins éloignée. On doit dire plutôt qu'on se trouve en face de vestiges au deuxième degré (212). N'est-ce point ce qui explique, en définitive, qu'on aît pu attribuer à cette religion tant d'éléments divers et de sources contradictoires?

Kléyat (Liban), 14 septembre 1960.

Thomas Bois, O.P.

NOTES

(1) Les statistiques sérieuses font défaut. Au XVII[e] siècle, Febvre estimait le nombre des Yézidis à 250.000. A la veille de la guerre de 1914, Wigram, sans nous dire sur quoi il se base, n'en comptait plus que 120.000. En 1937, après une enquête détaillée, R. Lescot dénombrait 4.000 maisons environ de Yézidis au Djebel Sindjar, 400 au Djebel Sima'an et 270 en Dézireh syrienne, soit environ 24.000 individus pour le Sindjar et 3.000 pour le reste de la Syrie. Damlooji, en 1949, donne des chiffres équivalents pour le Sindjar, mais pour le Cheikhan et la région de Mossoul se contente de dénombrer 56 villages, sans en détailler l'importance. Abd al-Rezzaq Hasani (1951) n'est pas plus précis. Dans son voyage au Caucase en 1910, l'Émir Ismaïl Tchol comptait 72 villages avec un total de 3.500 maisons. Heyderi, dans un article kurde de *Rizgari*, traduit en arabe dans *Al-Hurriya* de Beyrouth (n° 41 du 13 avril 1959) comptait 40.000 Kurdes dans chacune des Républiques d'Arménie, d'Azerbaïjan et de Géorgie, ces derniers habitant surtout les villes de Tiflis et de Batoum et étant Yézidis en majorité. Mais le recensement officiel de l'U.R.S.S. ne donnait en 1939 que 45.866 Kurdes dont 15.000 Yézidis. Mais même les kurdologues soviétiques ne sont pas d'accord sur ces chiffres. Cf. A. Bennigsen, *Les Kurdes et la kurdologie en Union soviétique*, p. 515, dans *Cahiers du Monde Russe et Soviétique* (Paris), t. III, avril-juin 1960, p. 513-530. — Si l'on estime à 30.000 environ les Kurdes d'Irak, 3.000 ceux de Syrie, quelques milliers encore dispersés en Turquie et une quinzaine de mille en U.R.S.S., on voit que les Yézidis n'arrivent même plus à 50.000.

(2) R. Mason, *Feast of the Devil-Worshippers. Parade*, n° 159, 28 aug. 1943.

(3) S. Maxton, *The Devil-Worshippers*, dans *Parade*, n° 324, 26 oct. 1946.

(4) J. P. Dufourg, *Visite au peuple le plus oublié du monde: les Yézidis*. Dans *L'Orient*, numéros des 1, 4 et 5 mars 1953. La traduction arabe de ce texte avait d'abord été publiée dans *Al-Jarida*, n°s 25 à 31 des 14, 15, 17, 18, 19, 20 et 21 février 1953. Mais la plupart des mots kurdes y sont défigurés et devenus entièrement méconnaissables, du fait de la transcription fautive de certaines consonnes. L'auteur qui a reproduit correctement, dans son texte français, l'orthographe kurde de Lescot, aurait dû avertir son traducteur de la prononciation des lettres C, Ç, S cédille et X, par exemple. A condition qu'il la connût lui-même. Ainsi le mot cheikh, qui s'écrit *Şêx* en Kurde, est translittéré *Seks* dans le texte arabe. On voit ce que cela peut donner quand il s'agit des noms de localités ou de tribus! Comment dès lors s'y retrouver? C'est à se demander même si le professeur a visité le Sindjar qu'il décrit si bien. Toutes les photos sont également de R. Lescot. On a oublié de le dire.

(5) M. d'Arle, *A Sindjar, chez les Adorateurs du Démon*, dans *Revue du Liban*, n°s 24 à 29 des 28 fév., 8, 13, 20 mars et 3 avril 1954.

(6) Ces détails, purement fantaisistes, sont dus à la plume (copyright) de Peter Hessling, *Au cœur de l'Irak, en pays yézidi, il y a encore des adorateurs du diable*, dans *Le Journal d'Orient* (Istanbul) du 5 sept. 1956. — On ne s'arrêtera pas davantage à l'aspersion «du sang d'un taureau qui, orné de fleurs, vient d'être égorgé sur l'autel du sacrifice» à laquelle procéderaient les prêtres lors d'une fête au sanctuaire de Cheikh 'Adi, telle que la décrit A. Gaudio, *En Irak, chez les Adorateurs des étoiles et du diable*, dans *La Revue du Liban*, du 14 mars 1959.

(7) La façon d'interroger demande beaucoup de doigté. Qu'on me permette un souvenir personnel. Dans l'été de 1928, j'étais jeune alors, je me trouvais au couvent des Dominicains de Mar Yacoub, à l'ouest de Duhok, où deux jeunes Yézidis, d'une douzaine d'années, de la famille des Émirs, étaient pensionnaires. Un jour, durant une promenade, après avoir posé toutes sortes de questions sur la façon de traduire en Kurde les noms d'animaux et d'objets usuels, je me risquais à interroger sur la religion: «Vous autres les Yézidis, est-ce que vous priez?» — «Bien sûr». — «Est-ce que toi, Choukri tu connais tes prières?» — «Évidemment». — «Est-ce que tu pourrais m'en dire une?» — «Et pourquoi pas?» — Et à mon grand désenchantement il commença à me réciter le Notre Père!... alors que je m'attendais à une prière au Diable ou au Soleil !

(8) Signalons simplement: H. C. LUKE, *Mosul and its minorities* (London, 1925), cap. IX, *The worshippers of Satan*, p. 122-137; W. B. SEABROOK, *Adventures in Arabia* (London, Harrap, 1928), ch. XIV et XV: *Among the Yezidees* : I. *In the mountain of the Devil-worshippers*, p. 265-288: II. *In the courtyard of the Serpent*, p. 289-308; J. P. ALEM, *L'auberge de Mimas* (Paris, Vigneau, 1946); II. *Les éteigneurs de lampe*: *Les Yézidis* (romancé), p. 85-162; D. STEWART, J. HAYLOCK, *New Babylon, A portrait of Iraq* (London, Collins, 1956), c. XVI, *Yazidia*, p. 150-173; J. LEROY, *Moines et Monastères du Proche-Orient* (Paris, Horizons de France, 1957), ch. VIII, *Cheikh 'Adi, sanctuaire des Adorateurs du Diable*, p. 252-269.

(9) M. FEBVRE, *Teatro della Turchia* (Milano, 1681), p. 343-352; *Théâtre de la Turquie*, trad. franç. de l'auteur (Paris, 1682).

(10) LAMMENS, S.J., *Le Massif du Ğebal Sim'an et les Yézidis de Syrie*, dans M.F.O., II, 1907, p. 366-394. Du même, *Une visite aux Yézidis ou Adorateurs du Diable*, dans *Relations d'Orient*, 1929, p. 157-173.

(11) R. BIDAWID, *Mosul in the 18th Century, according to the Memoir of Domenico Lanza*. Trad. arabe de l'italien (Mosul, 1953), p. 63.

(12) GARZONI, O.P., *Notice sur les Yézidis*, dans *Viaggi e opuscoli diversi di Domenico Sestini* (1807), trad. fr. par S. de Sacy (1809) in *Description du Pachalik de Baghdad*, par Mxxx, p. 191.

(13) G. CAMPANILE, O.P., *Storia della regione del Kurdistan e delle sette di religione ivi esistenti* (Napoli, 1818), cap. IV. *Habitanti del Kurdistan*, p. 146-165.

(14) G.P. BADGER, *The Nestorians and their Rituals* (London, 1852), I. — cap. IX, p. 105-110; et cap. X, p. 111-134.

(15) O. H. PARRY, *Six months in a Syrian monastery* (London, Cox, 1895), c. XVIII, *The Yazidis*, p. 252-262. — E. G. BROWNE, *The Yazidis of Mosul*, *ibid.*, p. 357-387.

(16) W. A. WIGRAM, *The cradle of Manking* (London, Black, 1921, 2e éd.), c. V, *The Temple of the Devil (Sheikh Adi)*, p. 87-110.

(17) LAYARD, *Niniveh and its remains* (London, 1845). Description de la fête de Cheikh 'Adi, p. 134-148 et p. 148-158 et passim.

(18) M. N. SIOUFFI, *Le chef des Yézidis*, J. A., 7e sér., t. XVIII (1880); *Notice sur la secte des Yézidis*, *ibid.*, t. XX (1882), p. 252-268; *Notice sur le Cheikh 'Adi et la secte des Yézidis*, *ibid.*, 8e sér., t. V (1885), p. 79-98.

(19) M. NOURY BEG, *'Abede-i Iblis yakhod Ta'ifai bâghiye yezîdiyeye bir Nazar* (Mosul 1323/1905). — *'Abede-i Iblis. Yezidî Ta'ifasinin i'tikâdâti, ewsâfi, hâsilati* (Istanbul 1328/1911). Traduit en allemand par TH. MENZEL, *Ein Beitrag zur kenntnis der Jeziden*, dans H. GROTHE, *Meine Vordernasien expedition* (Leipzig, 1911, t. I, p. 88-211).

(20) DJELAL NOURY, *Le diable promu dieu. Essai sur le Yézidisme* (Constantinople, 1910).

(21) LADY DROWER, *Peacock Angel* (London, 1941), 214 p.

(22) S. GIAMIL, *Monte Singar. Storia di un Popolo ignoto* (Roma, 1900) 166 p. En 1874, un prêtre catholique de Ba'chiqa, Cacha Ishaq, composa en chaldéen

une assez longue étude sur les Yézidis, en dix chapitres, sous forme de questionnaire. Ce texte a été traduit en soureth (chaldéen vulgaire) par Cacha Ablahad, moine, à Duhok, le 5 mai 1887, pour le R.P. Bonvoisin, O.P., supérieur du couvent de Mar Yacoub. Le traducteur y avait ajouté quelques renseignements personnels. Le P. Giamil s'est servi d'une copie de Cacha Ishaq, faite à Alcoche le 15 février 1899. Ses commentaires n'offrent rien d'original. Cacha Ishaq est donc la source d'où proviennent les renseignements sur les coutumes et croyances des Yézidis qui seront leur apparition à la fin du XIX[e] siècle. On voit, d'après son texte, qu'il connaissait déjà parfaitement le contenu du *Meshef reş*.

(23) Isya Joseph, *Yazidis texts*, dans *The American Journal of Semitic Languages*, t. XXV (1909), p. 111-156 et 218-254. — *Devil Worship* (Boston, 1919).

(24) J. B. Chabot, *Notice sur les Yézidis*, J. A., 1896, texte syr., p. 102-117; trad. franç., p. 118-132.

(25) A. Khalifé, S.J., *Al-Yazidiyya*, dans *Al-Machriq*, 1953, p. 571-588.

(26) Anastase-Marie, C.D., *Al-Yazidiyya*, dans *Al-Machriq*, 1899 (8 art.), p. 32-37; 151-156; 309-314; 395-399; 547-553; 651-655; 731-736; 830-834. Ces articles ont été résumés presque entièrement et traduits en français par N. Moutran, *La Syrie de demain* (Paris, Plon, 1916), p. 405-424, sous le titre : *Les Yézidiés, Adorateurs du Diable.*

(27) F. Nau, *Recueil de textes et de documents sur les Yézidis*, in R.O.C., XX, 1915-1917. Tiré à part (Paris, 1918), 117 p. — Le texte de Rabban Ramicho a été écrit en 1763 des Grecs (1451 ch.). Une copie en a été faite par Chammacha Aucha'na, fils de Thomas de Zibar, en 1899 des Grecs (1588 ch.). Cette copie a été transcrite deux fois par Stéphane Gorguis Reis d'Alcoche, d'abord en 1880, pour Chammas Érémia, puis le 27 mai 1912 pour le Pasteur Andrus de Mardin. Mgr Israel Audo, métropolitain de Mardin en a pris copie en juin 1912 et Rabban Ephrem, du Couvent de Mar Hanania de Mardin, l'a recopiée à son tour, le 30 octobre 1912. — Le texte publié par Nau comporte plusieurs parties: 1) Le récit de l'occupation du Couvent nestorien de Mar Yohanna et Icho Sabran (p. 56-64); — 2) Une histoire de Yézid de qui descendent les Yézidis (p. 65-67); — 3) Les croyances des Yézidis (p. 67-70); leurs chefs (p. 70-73); leur nombre (p. 73). De tout cela, seule la première partie est authentique, car seule elle est annoncée dans le titre de la lettre (p. 56). Une note (p. 64) indique que ce récit a été composé d'après les Histoires ecclésiastiques qui sont à Maragha dans la cellule du Patriarche. Mais à l'époque où écrivait le moine Ramicho, il y avait bien longtemps que le Patriarche nestorien avait quitté Maragha. En tout cas, ce récit n'est lui-même qu'une broderie des textes d'Ibn al-Athir (m. en 1223) sur les païens Tirahi et de Bar Hebraeus (m. en 1286) sur les fils de Cheikh 'Adi. L'auteur s'embrouille dans les dates. Sa distinction entre 'Adi le musulman et 'Adi le Kurde ne repose sur rien. Le métropolitain d'Arbil (XV[e] s.), son contemporain par conséquent, Icho'Yabh, dit Mar-Mqadam, affirme également que c'est bien le couvent nestorien de Mar Yohannan qui est devenu «Cheikh Adi». Mais il reconnaît explicitement que 'Adi était «ismaïlien», c'est-à-dire musulman et non païen, ainsi que son influence sur les habitants du pays. Et c'est lui qui a raison. Les parties 2 et 3 sont peut-être du copiste Stéphane lui-même.

(28) Damlooji, *Al-Yazidiyya* (Mosul, 1949), 520 p. — On peut regretter dans cet ouvrage beaucoup de négligences. Les noms d'auteurs occidentaux sont souvent estropiés, ainsi Chabot devient Kâbot (p. 414) et Tâyot (p. 420) et Forbes se transforme en Fûris; les références et citations ne sont jamais complètement indiquées; le ton dans les discussions d'opinions étrangères manque souvent de sérénité. Une table des noms propres aurait facilité l'utilisation de ce travail si riche par ailleurs. — Mais on peut faire à cet auteur une critique beaucoup plus grave: il ne semble pas très soucieux de transcrire correctement

les textes. Ainsi, p. 102, il cite un texte de huit lignes de Ibn Fadl Allah, déjà donné par Teymour, p. 25. Il trouve moyen d'omettre quatre mots, d'en ajouter un et de changer l'orthographe de deux autres. Page 103, il reprend un texte de Ibn Hadjar, cité par Teymour, p. 26-27. Cette fois, en huit lignes encore, il omet trois mots, dont un très important parce que sujet à controverse: *beit*, au lieu de *bint*; il change les points diacritiques de cinq mots et surtout il écrit Mossoul au lieu de Damas!

(29) ABD AL-REZZAQ AL-HASANI, *Abedet al Sheitan fil Iraq* (Saida, 1931), 84 p. — *Al-Yazidiyya fi hâdhirihim wa mâḏhihim* (Saida, 1951), 112 p.

(30) M. A. ZÉKI, *Khulâset tarikh al-Kurd wal-Kurdistan* (Trad. ar. Le Caire, 1936), p. 310-314.

(31) S. SAIGH, *Tarikh al-Mosul* (Le Caire, 1923), p. 297-317.

(32) Dans *Hawar* (Damas, 1932), nos 14, 15, 16.

(33) Dans *Kitêbxana Hawarê* (1933), no 5, 8 pages.

(34) O. SEBRI et S. WIKANDER, *Un témoignage kurde sur les Yézidis du Sindjar* dans *Orientalia Suecana*, II, 1953, p. 112-118.

(35) A. DIRR, *Einiges über die Jeziden*, dans *Anthropos*, XII-XIII, 1917-1918.

(36) TH. MENZEL, ses articles dans *Encyc. Isl.*, *Yazidi*, *Seykh 'Adi* (suppl.), *Kitêb el-Djilwa* (suppl.), outre sa trad. allemande de Noury (supra no 19).

(37) PERDRIZET, *Documents du XVIIe siècle relatifs aux Yézidis* (1903).

(38) A. MENANT, *Les Yézidiz, Episodes de l'histoire des Adorateurs du Diable* (Paris, Musée Guimet, 1892).

(39) FURLANI, *Testi religiosi sui Yezidi* (Bologne 1930), 124 p.; *Sui Yezidi*, dans *R.S.O.*, XIII, 1932, p. 92-132; *I santi dei Yezidi*, dans *Orientalia*, V, 1936, p. 64-83; *Gli interdetti dei Yezidi*, dans *Der Islam*, XXIV, 1937, p. 151-174.

(40) EMPSON, *The cult of the Peacock Angel* (London, 1928); R. C. TEMPLE, *A commentary*, *ibid.*, p. 161-222.

(41) D. STEWART, J. HAYLOCK, *op. cit.*, p. 158, signalaient la préparation d'un gros livre de 600 pages sur les Yézidis, par un instituteur Yézidi lui-même, FAIQ SADIQ, dont le frère Rachid avait fourni des renseignements à Lady Drower. Mais cet ouvrage qui, d'après son auteur, devait «corriger maintes erreurs» n'a jamais vu le jour et, selon des renseignements qu'on m'a communiqués (1957), beaucoup moins volumineux qu'on l'annonçait, «n'apportait rien de neuf sur la question», au dire de M. Tewfiq Wehbi qui, de son côté, préparait un article sur le même sujet.

(42) ISMAIL BEG CHOL, *Al-Yazidiyya qadiman wa hadîthan* (Beirut, Amer. Press 1934, XVI, 136 p.; DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 412-422, juge très sévèrement ce personnage.

(43) C'est probablement à lui que DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 321-324, fait allusion.

(44) Comme on le sait le *karchouni* est l'alphabet syriaque utilisé pour transcrire des textes arabes. Cf. L. COSTAZ, S.J., *Grammaire syriaque* (Beyrouth, 1955), p. 2.

(45) P. CHÉBLI, *Meqalet fil-Yazidiyya*, dans *al-Machriq*, nov.-déc. 1951, p. 533-548; janv.-fév. 1952, p. 29-40. Tiré à part, 28 p.

(46) FORBES, *A visit to the Sindjar Hills*, dans *J.R.G.S.*, LX.

(47) E. G. BROWNE, *The Yazidis of Mosul*, dans O. H. PARRY, supra, no 13.

(48) Voir les recueils déjà cités de I. JOSEPH (1908), BITTNER (1913), NAU (1918), FURLANI (1930). En arabe DAMLOOJI (1949), p. 121-124; A. HASANI (1951), p. 38-42, etc.

(49) O. H. PARRY, *op. cit.*, p. 252 et svs donne quelques détails sur ce curieux personnage, bavard et imaginatif, qui mourut dans un âge avancé en 1906.

(50). D'après NAU, *Recueil*, p. 15, n. 1, Érémia faisait savoir, le 28 octobre 1892, à M. Andrus de Mardin que le Livre *Al-Djelwa* aurait été écrit en 558/1162 par Cheikh Fakhr ed-Din, secrétaire de Cheikh 'Adi, et que l'original en serait conservé chez Mollah Haidar à Ba'adré. Quant au *Livre Noir*, d'après une lettre du même au même du 9 novembre 1901, il serait dû à la plume d'un certain Hasan al-Basri en 743/1342. L'original se trouverait chez le chef 'Ali de Qasr Izz ed-Din (Qasrezdin) près de Semmel.

(51). P. ANASTASE-MARIE, *La découverte récente de deux livres sacrés des Yézidis*, dans *Anthropos*, VI, 1911, p. 1-39. — Les traductions du Père sont rarement littérales. Elles sont toujours de belles infidèles qu'on doit examiner de près, car le traducteur aime les périphrases, les euphémismes, les expressions littéraires ...

(52) L. M., *Les livres sacrés des Yézidis*, dans *Rev. de l'Hist. des Religions*, t. LXIII, 1911, p. 245-246; *ibid.*, t. LXIV, 1911, p. 264-265.

(53) M. BITTNER, *Die heiden heiligen Bücher der Jeziden*, dans *Anthropos*, VI, 1911, p. 628-629; *Die heiligen Bücher der Jeziden oder Teufelsanbeter* (*Kurdisch und Arabisch*), dans *D.K.A.W.W.* (Wien, band LV, 1913), IV, 98 p.; *Die heiligen Bücher der Jeziden oder Teufelsanbeter* (fac-similé du texte kurde), *ibid.*, 1913, V, 18 p.

(54) A. MINGANA, *Devil-Worshippers. Their beliefs and their sacred books*, in *J.R.A.S.*, 1916, p. 505-526; *Sacred books of the Yazidis*, *ibid.*, 1921. Simple note de 3 pages.

(55) En effet, Mingana attribue la paternité de ces deux livres au Chemmas Érémia qu'il accuse de les avoir forgés de toutes pièces avant 1865. Mais les preuves *externes* qu'il apporte (nulle trace avant Érémia, secret impossible, lieux de conservation) ne sont pas convaincantes. Quant aux preuves *internes*, elles sont encore moins probantes. En effet, sa critique porte surtout sur le texte arabe, tel que publié par I. Joseph et qui n'est qu'une traduction. Elle pourrait donc être due au Chemmas si on en considère la langue, proche du vulgaire de Mossoul, et émaillée de tournures calquées sur le syriaque. Mais les soi-disant erreurs qu'il relève dans le *Black Book* ne s'y trouvent pas en réalité. Elles sont dans les Annexes et donc ses remarques tombent à côté. L'expression «The Prince of this world» (Djelwa, I. 4) qu'il croit d'inspiration chrétienne est une fausse traduction. Le texte kurde porte en effet: «A chaque âge est envoyé en ce monde un Grand et chacun de ces Grands accomplit son œuvre à son tour». — De même, la distinction entre clercs et laïcs «wordly» n'est pas non plus dans le texte kurde, mais dans les annexes. Seul le nom de Béelzebub (*Livre Noir*, XXVI) pourrait avoir une saveur chrétienne, encore faudrait-il être certain que le nom fût inconnu des musulmans en contact avec les chrétiens, comme le sont les Yézidis. L'auteur s'attaque alors au texte kurde publié par Anastase. D'abord, dit-il, jusqu'ici personne n'a jamais supposé que les Kurdes aient une ancienne littérature, à part quelques chansons tribales. Mais c'est là une erreur. Chodzko, en 1857, et Jaba, en 1860, avaient déjà signalé la richesse de la littérature kurde écrite. Le plus ancien texte écrit kurde, qui est une prière chrétienne d'ailleurs, remonterait à l'an 1400 ou même avant, d'après Minorsky. Depuis 1916, date de l'article de Mingana, on est certes beaucoup mieux renseigné encore en ce domaine. Je me contenterai de renvoyer le lecteur à mon article *Coup d'œil sur la littérature kurde*, publié dans cette même Revue en 1955, p. 201-239. — L'auteur s'étonne ensuite qu'on ait traduit en arabe ce texte original kurde et ne voit pas l'utilité que les Kurdes peuvent en retirer. Sans doute, mais les Yézidis savent très bien l'intérêt que les étrangers portaient à tout ce qui touchait à leur secte. Mingana félicite alors le traducteur d'un texte qui «donne du fil à retordre aux meilleurs scholars en langues touraniennes et sémitiques». C'est tout naturel, puisque le kurde n'est ni touranien, ni sémitique, mais indo-européen. En tout cas, si ce texte pouvait avoir alors des difficultés pour un orientaliste en chambre

européen, peu familiarisé avec le kurde, il n'en allait pas de même pour un autochtone qui parle couramment le kurde, comme ce pouvait être le cas pour Érémia, et qui, de toute façon, peut se faire aider sur place par un Kurde. La dernière chose qui tracasse notre critique et lui fait flairer la supercherie, c'est l'écriture «bien bizarre, ni hiéroglyphe, ni cunéiforme, ni syriaque, ni araméenne, ni hébraïque, ni arabe, ni oural-altaïque, ni ouigour-tartare». - Eh! oui, mais c'est tout simplement parce que, si étrange que cela puisse paraître, il s'agit en réalité d'un alphabet spécifiquement kurde, ainsi que l'a reconnu l'orientaliste Decourdemanche pour l'avoir retrouvé dans un recueil d'alphabets qu'il possédait (cf. NAU, *Recueil*, p. 15, n. 1). Peut-être est-ce le même que celui dont parlait le P. CAMPANILE, *op. cit.*, p. 116-117 : «L'Émir de Akar, Mūsa Bek, m'a montré un jour l'alphabet kurde que beaucoup de Kurdes croient ne pas exister. Il me disait qu'en vérité on ne trouvait aucun livre écrit en caractères kurdes, mais que pourtant on pouvait voir quelques feuilles volantes de poésies kurdes écrites en langue kurde que ledit Seigneur me montra. Mais, malgré mes plus chaudes prévenances, je n'ai pas réussi à l'amener à me donner une copie de cet alphabet. Il ressemble tout à fait au persan, sauf quelques lettres».

On peut reprocher à Mingana d'avoir fait porter sa critique sur la *traduction* arabe, sur des passages *hors-texte* et finalement sur un dialecte et une écriture kurdes qu'il *ignorait*. Dès lors que reste-t-il de son argumentation? Absolument rien. Ce n'est donc pas le Chemmas Érémia qui a forgé ce texte, qui n'est pas né davantage dans le milieu chrétien de Mésopotamie et qui peut être considéré comme plus ancien que le milieu du XIX^e siècle. — Les auteurs qui citent ces deux livres sacrés ne se reportent *jamais* au texte kurde qu'ils ne connaissent vraisemblablement que par ouï-dire. Et cependant, bien que n'en admettant pas l'authenticité, certains, comme Lescot et Mingana en tête, reconnaissent qu'ils contiennent des éléments authentiques de la croyance et des pratiques des Yézidis.

(56) Je ne sais vraiment pas sur quoi se base cet auteur (*Testi*, p. 131) pour faire remonter ces textes au Moyen Age. Quant à l'affirmation d'Anastase (citée dans BITTNER, *op. cit.*, IV, 1913, p. 9, n. 1) que ce dialecte «n'est plus vivant aujourd'hui», elle ne me paraît pas non plus tout à fait conforme à la vérité.

(57) Plusieurs personnages sont connus sous le nom de *Hasan al-Basri*. On ne voit pas duquel il s'agit. — D'abord «une des plus fortes et des plus complètes personnalités de l'Islam naissant», Hasan al-Basri, né à Médine en 21/643 et mort à Basra en 110/728. (Cf. MASSIGNON, *Essai*, p. 174-201). Il ne peut s'agir de lui, bien qu'il soit parfaitement connu des Yézidis. — Un second mystique, Dja'far, b. 'Ali, b. Dja'far, b. Rachid al-Cheikh al-Mousnad al-Mou'ammar, Charaf ed-Din, al-Maqqari est connu aussi sous le nom de Hasan al-Basri. D'après Toghri-Berdi, il serait né à Mossoul en 604/1208 et serait mort à Damas en 698/1293 (cf. TEYMOUR, *op. cit.*, p. 18). Il a parfaitement pu connaître les *Adawiya* et être connu d'eux. Un troisième personnage à qui Chemmas Érémia attribue nommément le *Livre Noir*, serait mort en 743/1342. Mais on ne le connaît pas par ailleurs. Reste Cheikh Hasan, Chems ed-Din, petit neveu du premier Cheikh 'Adi et dont les successeurs ont le pas sur tous les autres cheikhs yézidis (cf. LESCOT, *op. cit.*, p. 88). Les Yézidis lui donnent également le *leqeb* de Basri (TEYMOUR, *op. cit.*, p. 18; A. HASANI, *op. cit.*, p. 9, n. 1). Mais il est mort en 652/1254. Ibn Chakir (m. 1361) l'accuse d'être à l'origine de l'hérésie yézidie (LESCOT, p. 36). On lui attribue un *Kitāb al-Djilwa li erbāb al-Khalwa*, dont le nom ressemble à celui du second livre sacré yézidi aujourd'hui entre nos mains, mais n'a rien à voir avec lui. Tel est l'avis motivé de juges compétents comme Teymour, Lescot, Damlooji.

(58) Au XVIII^e siècle, un moufti kurde, Abd Allah al-Rabatki, accuse les Yézidis de préférer les «bêtises de Cheikh Fakhr ed-Din aux beautés du Coran»,

mais il ne nous donne aucun détail sur le personnage. Chammas Erémia sans plus de précision nous affirme de son côté que le *Kitabê Cilwa* serait l'œuvre de Cheikh Fakhr ed-Din, secrétaire de Cheikh 'Adi, écrite en l'an 558/1162. C'est peu vraisemblable. On connait d'autre part un Fakhr ed-Din, fils de Cheikh Hasan, fils du second Cheikh 'Adi, et qui dut s'enfuir en Égypte. A son retour dans le pays, il fut pris et mis à mort par les Mongols en 1281. Mais on n'est pas très renseigné sur ses activités et sa vie. Le *Baba Cheikh*, qui est le chef suprême des Yézidis au point de vue doctrinal, se dit être de sa descendance. En tout cas, c'est de la pure fantaisie d'identifier cet auteur présumé avec Cheikh Fakhr ed-Din du Tabaristan (1150-1210) dont parle EMPSON (*op. cit.*, p. 81; et à plus forte raison avec le chef druze Fakhr ed-Din ibn Qurqmas (1572-1635) (*ibid.* p. 181).

(59) La version arabe d'ISMAIL BEG (*op. cit.*, p. 101-103) s'arrête ici aussi; mais le texte d'A. AL-HASANI (*op. cit.*, p. 40-46) et d'autres auteurs est beaucoup plus long. On y retrouve des éléments sur Mahomet, les Sandjaks, des coutumes yézidies que Cacha Ishaq nous avait déjà fait connaître: donc plusieurs années avant l'activité connue de Chemmas Érémia en ce domaine. Rien ne permet de supposer que ce supplément faisait partie du texte kurde primitif que le copiste pressé du P. Anastase n'aurait pas eu le temps de transcrire.

(60) DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 89, n. 1.

(61) DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 135-140.

(62) A. TEYMOUR, *Al-Yazidiyya wa manshâ' nihlatihim* (Le Caire, 1347), 48 p.

(63) A. AZZAOUI, *Tarikh al-Yazidiyya wa 'asl 'aqidatihim* (Baghdad, 1354/1935), 230 p.

(64) M. A. GUIDI, *Origine dei Yazidi e Storia religiosa dell'Islam e del dualismo*, dans *RSO*, 1932, p. 265-300; *Nuove ricerche sui Yazidi*, *ibid.*, p. 377-421.

(65) R. LESCOT, *Enquête sur les Yézidis de Syrie et du Djebel Sindjar* (Beyrouth, Imp. Cath., 1938).

(66) LITZBARSKI, *Ein Exposé dei Jeziden*, dans *Z.D.M.G.*, LI, p. 592-604.

(67) Dans *Rec. d'Archéol. Orient.*, t. III, p. 86. Cité dans NIKITINE, *Les Kurdes. Etude sociologique et historique* (Paris, 1956, 360 p.), p. 236, n. 1.

(68) *Sui Yezidi*, p. 116-119.

(69) WIGRAM, *Cradle*, p. 101.

(70) DROWER, *Peacock Angel*, p. 101. L'auteur est impressionnée aussi par les dessins de soleil, de lune, d'étoiles, qu'elle a relevés sur les montants des portes des sanctuaires yézidis. Mais ce sont là sujets d'ornementation qu'on peut voir un peu partout, notamment le soleil sur les tombes kurdes des hommes, sans signification particulière. cf. G. E. HOBBARD, *From the Gulf to Ararat* (Edinburgh, Blackwood, 1917), p. 222; DR. K. BEDIR-KHAN, *Le Soleil Noir*, dans *Hawar*, no. 26, p. 14/418.

(71) Cette identification remonte également à CHWOLSON, *Die Ssabien*, p. 296, qui écrit: «Le Temple de Sheikh Shams est sans aucun doute un Temple du Soleil, qui est construit de façon à ce que les premiers rayons y tombent autant que possible». Sans aucun doute est bien téméraire. Cette citation se trouve chez H. O. PARRY, *op. cit.*, p. 359 note.

(72) Cf. R. LESCOT, *op. cit.*, p. 86, n. 3; DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 41-43.

(73) Sur les *Chemsiyé*, près de Mardin, qui n'étaient plus qu'une cinquantaine de familles au début du XIXe siècle, qui n'ont rien à voir avec les Yézidis et qui doivent avoir disparu aujourd'hui; on pourra lire quelques lignes dans l'art. *Mardin* de V. MINORSKI dans *E.I.* et CAMPANILE, *Storia del Kurdistan*, p. 194-200.

(74) *Op. cit.*, p. 194, n. 5.

(75) J. M. FIEY, O.P., *Mossoul chrétienne. Essai sur l'histoire, l'archéologie*

et l'état actuel des monuments chrétiens de la ville de Mossoul (Beyrouth, Imp. Cath., 1959) donne p. 70-71 quelques explications de cette coutume d'après un très ancien écrivain nestorien. Nous en avons souligné quelques mots: «Le pseudo-GEORGES d'Arbil donne à cette orientation toutes sortes de belles raisons mystiques: nous nous tournons vers l'Orient pour adorer parce que c'est un lieu plus digne, le lieu de la vie, le lieu des saints, le lieu dont nous avons été chassés (Paradis terrestre), *d'où le soleil se lève*, dont nous avons tiré notre origine, un lieu loué par Dieu par la bouche des Prophètes, etc.».

(76) Feu Mgr Ph. Chauriz, évêque chaldéen, originaire de Se'ert, en Turquie, m'a rapporté autrefois que son père avait l'habitude de se tourner vers l'Orient pour faire sa prière du matin et il n'était probablement pas le seul. On peut ajouter que, dans la liturgie catholique, le Christ est souvent appelé Lumière et Soleil du monde. Par exemple, dans cette Hymne des Complies en carême: «O Christ, Toi qui es Lumière et Jour, Toi qui enlèves les ténèbres de la nuit, Nous Te croyons Lumière de lumière, Annonçant la Lumière du Bonheur». On trouverait beaucoup de textes analogues et personne, j'imagine, n'affirmera pour autant que les chrétiens adorent le soleil en le confondant avec le Christ. Pourtant, saint Augustin, commentant le passage de l'Évangile de S. Jean (VIII, 12) où Jésus se dit «la Lumière du monde» constate que les Manichéens ont identifié le soleil et le Christ Seigneur, mais il ajoute que la Foi de l'Église catholique réprouve cette croyance qu'il tient pour diabolique. (*Tract.* 34 *in Joannem*).

(77) Sur les différents sens de ce mot, voir J. CHELHOD, *Introduction à la sociologie de l'Islam* (Paris, 1958), p. 30 et 31 et 36, n. 1).

(78) Sur ce phénomène phonétique fréquent et normal où le *q* arabe ou turc et le *gh* arabe, persan ou turc, deviennent *kh* en kurde, par ex. *weqt* devient *wext*, *teqsir texsir*, *neqs nexs* et le phénomène inverse où le *kh* arabe devient *q* en kurde, voir O. MANN, *Die Mundart den Mukri Kurden* (Berlin 1906) I, XXXVII et CELADET BÉDIR XAN, *Grammaire kurde*, (inachevée et hors commerce), n° 43, p. 34.

(79) ISYA JOSEPH, *Yazidi Texts*, p. 251, n. 40.

(80) Cf. C. BEZOLD, *Babylonisch-assyrisches Glossar* (Heidelberg, 1916), p. 284. — Ces deux derniers textes sont dans FURLANI, *Testi religiosi*, p. 52.

(81) D'après DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 146-150, voici tout ce que les Yézidis ont emprunté au Zoroastrisme, à travers le Manichéisme, avant leur conversion à l'Islam: Croyance à l'existence de deux dieux, celui du Bien et celui du Mal; croyance à la Métempsychose; culte du feu (ils n'ont pas de lieu spécial, mais des lumières partout); recours aux hommes pieux, au moyen de vœux, de dons, en faveur des vivants et des morts; culte du soleil: sacrifices et poèmes en l'honneur des défunts. Un examen attentif montrera ce qu'il faut penser de ces soi-disant emprunts.

(82) Le culte du feu est caractéristique de la religion de Zoroastre. On devrait donc en retrouver des traces claires et abondantes chez les Yézidis, s'ils sont vraiment les survivants des Zoroastriens, comme le sont par exemple les Parsis. Or aucun voyageur, aucun historien ne signale ce culte. C'est d'autant plus étonnant que les Kurdes, en général, avouent souvent que leurs ancêtres étaient *majûsî* (Mages) et adoraient le feu. (Cf. P. SYKES, *The Caliph's last heritage* (London, 1915, p. 425). A la suite de Eguiazaroff, Madame CHANTRE, *A travers l'Arménie russe* (Paris, 1893 a signalé à ce propos certains usages kurdes (p. 258): «Les Kurdes professent à l'égard du foyer paternel et de celui de leurs cheikhs un respect absolu. Le foyer, composé de quelques pierres est sacré, et le feu qui y brûle est regardé comme un élément pur. Y cracher est un outrage sanglant. Un Kurde jure par son foyer. Le nouveau-né est promené tout autour. La fille qui se marie en fait le tour avant de le quitter pour celui de son mari. Une mère

marie-t-elle son fils? Elle vient elle-même préparer le foyer des nouveaux époux avec du feu pris au logis paternel. Mais entre voisins on n'aime pas à se prêter du feu: c'est considéré comme de mauvais augure. On entretient le foyer, jour et nuit, pendant toute la durée du printemps jusqu'à ce que les brebis mettent bas». Ce même respect du feu et de la lumière se retrouve chez les *Kizilbash* kurdes d'Asie Mineure qui pourtant ne veulent avoir rien de commun avec les Adorateurs du Feu». (Cf. HASLUCK, *Christianity and Islam under the Sultans*, 2 vol., Oxford, 1929, I. p. 150. Ainsi donc si ces mêmes pratiques, qui ne sont pas un culte à proprement parler, se retrouvaient chez les Yézidis, ce serait, non point parce qu'ils sont Yézidis et que cela constituerait un aspect spécial de leur religion, mais parce qu'ils sont Kurdes tout simplement.

(83) Ainsi CHWOLSON, *op. cit.*, p. 812; A. MINGANA, *Devil-worshippers*, *op. cit.*, p. 512.

(84) LAMMENS, *Relations d'Orient*, p. 169.

(85) R. LESCOT, *op. cit.*, p. 206.

(86) A. NEANDER, *Ueber die Elemente aus denen die Lehren der Jeziden hervorgegangen zu Sein Scheinen* (Berlin, 1850).

(87) Cité dans NIKITINE, *op. cit.*, p. 231.

(88) Cf. MINORSKY, art. *Kurdes* de l'*E.I.*

(89) DRIVER, *The religion of the Kurds*, dans *B.S.O.S.*, 1922, p. 197-215; WIGRAM, *op. cit.*; p. 100, 127, n. 1, 205. Mêmes coutumes chez les Bakhtyaris. cf. BISHOP, *Journeys in Persia* (London, 1891), II, p. 101.

(90) TEMPLE, *op. cit.*, p. 174.

(91) HASLUCK, *op. cit.*, p. 175-179; 238-239 et *passim*.

(92) NIKITINE, *Les Kurdes, étude sociologique et historique* (Paris, 1956), p. 228-241.

(93) T. MENZEL, art. *Yazidi* dans *E.I.* «La conception erronée d'après laquelle ils adoreraient le Soleil est due au fait que le dieu suprême (Melek Taous) est désigné comme «Seigneur de la lune et de l'obscurité», et comme «Seigneur du Soleil et de la Lumière», col. 1230.

(94) BARTHOLD, art. *Čelebi* dans *E.I.*

(95) Rappelons que Marr rattache le nom même de Kurde au mot arménien «*kurt*» qui signifie «eunuque». A-t-il jamais rencontré dans sa vie un vrai Kurde pour avoir osé un tel rapprochement? Et maintenant libre à lui d'affirmer que l'excellence des chansons populaires kurdes est due au fait que, dans leurs normes principales et leurs motifs, elles se présentent comme une richesse héritée du paganisme, plutôt qu'aux vertus personnelles chevaleresques de ce peuple, comme l'affirment en général les voyageurs et les savants. N'est-ce point ici encore considérer comme résultat acquis ce qui est précisément problème posé?

(96) NIKITINE, *op. cit.*, p. 230.

(97) Sur les couvents anciens de la région, l'ouvrage fondamental est évidemment *Le Livre des Supérieurs* de THOMAS DE MARGA, éd. BUDGE, *The Book of Governors* (2 vol., London, 1893). — Sur les couvents cités ci-dessus, *ibid.*, II., p. 574-577.—Le P. FIEY, O.P., dans un article de *Proche-Orient Chrétien*, IX, 1959, p. 97-108, intitulé *A la recherche des anciens monastères du nord de l'Iraq*, a relevé le nom d'au moins 58 couvents. — Sur les lieux-dits, vestiges d'anciens couvents dans la région, cf. DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 168, n. 1.

(98) V. CUINET, *La Turquie d'Asie* (Paris, 1891), II., p. 841. — Par ailleurs sa *Notice sur les Yézidis*, *ibid.*, II, p. 772-778 est pratiquement sans valeur.

(99) LAMMENS, *Le Massif du Ğebal Sim'an*, p. 369.

(100) On peut croire, et c'est tout ce qu'il faut retenir de la Lettre de Rabban Ramicho, que le couvent de Mâr Yohanna et Icho' Sabran est bien devenu en effet le sanctuaire yézidi de Cheikh 'Adi; mais ce dernier (ou l'un de

ses successeurs?), pour s'y installer, n'a pas dû nécessairement faire usage de la violence. Il a pu trouver le monastère plus ou moins ruiné et abandonné.

Ce travail était déjà à l'impression lorsque m'est parvenu l'article de mon confrère J. M. Fiey, O.P., *Jean de Dailam et l'imbroglio de ses fondations*, dans *R.O.C.*, X (1960), p. 195-211. On y trouve tout un long passage sur *le temple yézidi de cheikh 'Adi* (p. 205-209). A juste titre, l'auteur nous met en garde contre le texte de Rabban Ramicho. J'ai dit plus haut (note 27) ce que j'en pensais. — Mais je ne suis pas d'accord quand le R.P. se demande: «Les Yézidis sont-ils vraiment une secte musulmane?» (p. 208), (je crois que ce travail le convaincra); et quand il écarte «comme non probants les arguments apportés jusqu'ici en faveur de l'identification du temple de Cheikh 'Adi avec le couvent de Jean de Dailam et même avec aucun couvent' (p. 209). Qu'il ne s'agisse pas du couvent de Jean de Dailam, après tout c'est possible, et ce n'est pas là ce qui importe; mais qu'il ne s'agisse pas d'un couvent, c'est plus difficile à admettre. En effet, la cour avec son réservoir, les deux nefs, celle du nord étant surélevée de trois marches (vestige du *Bêma*?), les chapelles latérales à gauche, où l'on pourrait reconnaître le martyrion et le diaconicon, avec sa réserve d'huile, ne diffèrent pas tellement du plan d'une ancienne église chrétienne, telle que la décrit le Révérend lui-même, dans *Mossoul chrétienne*, p. 70, 80-82. S'appuyer sur Badger pour renforcer une opinion contraire me paraît peu indiqué. Si Badger, en effet, est «un spécialiste» s'il en fût, des nestoriens et de leurs rites», il est malheureusement un mauvais guide en ce qui concerne les Yézidis, étant à l'origine de maintes erreurs sur leur compte, et tout spécialement dans le passage invoqué: «L'adoration du soleil par les Yézidis est un facteur suffisant pour expliquer l'orientation est-ouest» (p. 207). Les pages qui précèdent ont fait justice, je l'espère, de ce prétendu culte solaire. Le R.P. admettrait «une occupation monastique individuelle et dispersée de la riante petite vallée de Lalesh» (p. 209), et il cite une tombe d'un Mâr Hanna. — L'Émir Ismail Beg (*op. cit.*, p. 107-108) y ajoute d'autre noms chrétiens: Andrîsî (André) Khayât, un Pîr Khoshabâ (Dimanche ou Dominique en chaldéen), un Mâr Gorguis, un certain Isibia (Eusèbie?). Ces mêmes noms se retrouvent dans la liste de Damlooji (*op. cit.*, p. 184-185). Le Rév. Wigram (*Cradle*, p. 94, note), tributaire sans doute de Badger, considère aussi comme «highly improbable» que le sanctuaire de Cheikh 'Adi soit une ancienne église chrétienne, mais il ne nous en fournit pas les raisons. Par contre il en donne un plan (p. 95) et dit (p. 97) que c'est là un plan suivi fréquemment dans les églises chrétiennes les plus orientales! Il admet en outre que ce sont des maçons chrétiens qui ont bâti cet édifice (*ibid.*). Il n'en conclut pas moins: «Le plus qu'on puisse concéder c'est que des moines chrétiens aient occupé, pour un temps, à l'époque de l'Empire Romain, ce lieu qui fut sacré bien avant les chrétiens ou les Yézidis» (p. 94, note). Comprenne qui pourra cette façon de tourner autour du pot! En outre, le chapitre V (p. 87-110) que Wigram a consacré aux Yézidis renferme tellement d'inexactitudes grossières qu'on peut hésiter à le suivre sur ce point, comme sur tant d'autres. — Pour terminer, je me bornerai à poser aux archéologues la simple question de savoir s'ils ont rencontré souvent dans les montagnes du Kurdistân beaucoup de bâtisses, reconnues comme mosquées ou tekkiés musulmanes dès l'origine, et qui seraient situées comme le sanctuaire de Cheikh 'Adi dans une vallée semblable à celle de Lalesh et dont les constructions auraient même orientation et mêmes dispositions intérieures? Si oui, Cheikh 'Adi serait un cas parmi bien d'autres: sinon, il ne peut être qu'une ancienne église chrétienne!

(101) *La vie de Rabban Joseph Bousnaya* († 979), écrite par Jean Bar-Kaldoun en 1186, a été éditée et traduite par J. B. Chabot (Paris, 1896). — Parmi les disciples de Cheikh 'Adi figure un certain Cheikh Qâ'id al-Bûzî (Lescot, *op. cit.*, p. 232). Ne serait-il pas lui aussi originaire de ce même village?

(102) L'abbé TFINKDJI, qui a traduit les textes chaldéens publiés par NAU, avec certains commentaires, a composé également une notice, restée manuscrite, où il rappelle que les villages du Cheikhan, aujourd'hui yézidis, portent des noms chaldéens, comme *Ba'adré*, lieu de refuge, *Ba'chiqa*, lieu des contristés, *Ba-Hzani*, maison de vision; de même, au Sindjar, *Gabara* veut dire héros en chaldéen, *Tappa*, rivage, etc. Et il en concluait bien naïvement que les Yézidis étaient d'origine assyro-chaldéenne, au sens moderne du mot, car c'est ainsi qu'on désigne les Nestoriens aujourd'hui.

(103) Le P. ANASTASE, dans *Al-Machriq*, 1899, p. 397, rapporte également que des chrétiens lui ont certifié l'existence d'inscriptions indiquant le nom du fondateur du couvent (de Cheikh 'Adi) et du Patriarche de l'époque. Mais les Yézidis les auraient enlevées et enterrées à l'entrée, par crainte que les Nestoriens ne revendiquent l'église. — En 1933, un prêtre chaldéen d'Alcoche, Cacha Yousseph Abaya, m'a affirmé avoir vu lui-même ces inscriptions autrefois. Mais peut-on se fier à ces témoignages?: — La tradition n'est pas moins vivante en ce qui concerne les livres. WIGRAM, *The Cradle of Mankind*, p. 154, n. 1, note qu'un prêtre syrien lui aurait affirmé avoir vu entre autres livres les «Œuvres de Dioscore». — Un moine chaldéen, Cacha Ablahad, à la suite de sa traduction du travail de Cacha Ishaq rapporte que, d'après un cheikh ami, il y aurait dans une grotte du Sindjar, beaucoup de livres qui seraient des Bréviaires, des Antiphonaires, des Évangiles, etc.

(104) Il y a d'ailleurs plusieurs versions de cette aventure, v.g. ISMAIL BEG, *op. cit.*, p. 107-108; fr. BEHNAM, dans CHÉBLI, *op. cit.*, p. 544-545; I. JOSEPH, *Devil worship*, p. 96-103.

(105) Cette histoire signalée avec confusion par le P. CAMPANILE, *op. cit.*, p. 146, a été reprise par H. POGNON, qui en a publié dans *ROC*, 1915-1917, p. 327-329, la traduction d'un texte syriaque.

(106) Comme tout barde qui se respecte et pour capter la bienveillance de ses auditeurs, fait dans ses chants allusion à leur présence et à leurs vertus, le Yézidi qui rapporte, par exemple, un récit ou une prière devant un chrétien attentif et sympathique, n'hésite pas à y introduire les noms de Jésus et de Marie. Ainsi Pir Hasan: «Tu nous as créé le Bonheur et le Plaisir; Tu nous as créé Jésus et Marie» (cf. NAU, *Recueil*, p. 26-27). Ces pieuses allusions ne sont pas forcément authentiques.

(107) Voir à ce propos une curieuse légende yézidie, sur le crucifiement et l'intervention du Paon, rapportée par BROWNE, *op. cit.*, p. 364-365.

(108) Au sujet du Baptême, Lady DROWER, *op. cit.*, p. 160, met les choses au point: «Yazidis, like Christians, go through the ceremony once only, but baptism is not vital to salvation, nor is looked upon as an admittance to the sect. It merely confers sanctity, purety and a blessing. It can be performed nowhere else, and if circumstance prevents a person from ever coming to Cheikh 'Adi, he is in danger of no pains or penalties. The ceremony may be performed late in life, but it is the duty of every yazidi parent to try to bring his children to the holy valley of the rite... The baby, child or youth is divested of all garments and immersed completely three times». — Mais rien sur la confession ou la communion.

(109) DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 138, n. 1, dit que les Yézidis n'ont jamais entendu parler de «vin consacré». — Quant à l'*excommunication*, fulminée par l'Émir à l'égard de certains c upables, le même auteur (p. 65) lui donne une origine musulmane et non chrétienne, comme certains l'avaient suggéré. Et il cite le *Coran*, IX, 119. Cf. GAUDEFROY-DEMOMBYNES, *Mahomet* (1957), p. 206-207. Il existe une histoire romancée de l'aveu public d'une faute grave et de son châtiment dans A. BRUNEL, *Gulusar* (Paris, 1946). *Chez les Yézidis, Adorateurs du Diable. Le suicide de Cheikh Gamo*, p. 121-143.

(110) Un simple exemple suffira. Dans l'*Hymne de Cheikh 'Adi*, au vers 58 (52 chez Damlooji), on a ce texte: «Je suis 'Adi, le Damascain, le Mousâfir». Le texte est clair et confirme la tradition des Yézidis qui fait de Cheikh 'Adi un Arabe, fils de Mousâfir, originaire de Syrie. Badger traduit de l'arabe: «I am Adi of the mark, a wanderer», et met en note de la page 114: «Le mot original est *esh-shami*- que les Yézidis ignorants pensent signifier «le Damascène», d'où ils disent fréquemment que Cheikh 'Adi vint de Damas. L'esprit du passage m'a guidé dans la traduction donnée ci-dessus qui est supposée par le contexte». — Dans ce cas, l'ignorant n'est pas celui qu'il pense!

(111) On retrouve en presque chaque religion des actes de culte quasi universels: prière, jeûne, pèlerinage, aumône rituelle, sans que l'on puisse parler d'influence et d'emprunt. Mais la manière de pratiquer ces actes religieux a déjà un caractère plus restrictif: prier en commun ou isolément, prier debout, prosterné, à genoux: jeûner jusqu'au coucher du soleil ou jusqu'à midi, en s'abstenant de toute nourriture et de toute boisson, en interdisant tels aliments ou tels autres, en telle saison de l'année, à l'occasion de telle ou telle fête; le pèlerinage sera collectif ou privé, facultatif ou obligatoire, à tel sanctuaire ou à tel autre; l'aumône peut se faire aux pauvres comme tels, ou à tels chefs religieux, à tel sanctuaire, au tombeau de tel saint. — Ces variations sont souvent en dépendance de l'intervention d'un chef religieux ou d'un point particulier de doctrine. En définitive les religions diffèrent moins entre elles par les pratiques extérieures du culte que par les idées, à base de doctrine plus ou moins élaborée, qui les motivent.

(112) Le nom même de Yézidi a été longtemps sujet à controverse. Nous avons déjà signalé ci-dessus (p. 14) la théorie de ceux qui en trouvaient l'étymologie en *Yezd* ou *Yezdan*, Dieu en persan, ou en *Yezdem*, ville de Perse où se maintenait le culte du feu. Ces explications sont à rejeter. On soutient parfois que le nom Yézidi ne peut venir de Yézid, parce que les Kurdes prononcent Êzdi, qui viendrait du persan Ized qui signifie Dieu, et on aurait ainsi un nouvel argument en faveur de l'origine purement iranienne de la secte. — Mais c'est là ignorer un phénomène phonétique kurde. En effet, dans des mots d'origine étrangère, l'initiale *ya* se transforme en *ê*. Ainsi le mot arabe *yatîm*, orphelin et les mots turcs: *yelek*, gilet, *yemis*, fruit, *yegane*, sanglier, deviennent en kurde: *êtîm*, *êlek*, *êmiş*, *êgane* (cf. Q. KURDOEV, *Kurdsko Russkiy Slovar* (Moscou, 1960), p. 399-401. — Certains auteurs (P. Anastase, I. Joseph) suggèrent une autre hypothèse, et disent, d'après Chahrestani (1074-1138), que les Yézidis seraient les sectateurs d'un certain Yézid ibn Unaissa; mais celui-ci était un Kharidjite dont les partisans ont disparu avec lui (cf. DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 165). Mais ainsi qu'ils le disent eux-mêmes, les Yézidis se rattachent au Calife Yézid I[er] (680-683), fils de Mo'awia. Dans le folklore yézidi, des légendes circulent en effet sur Mo'awia, barbier de Mohamed (?), et sur Sultan Êzi. D'aucuns récusent ce lien, sous prétexte que ce Calife n'a jamais fondé de religion et que Cheikh 'Adi n'a pu avoir de relations avec lui puisqu'il vécut plusieurs siècles plus tard. C'est bien évident. Mais cet anachronisme supposé est dû, non aux Yézidis, mais aux commentateurs qui ont mal compris et interprété leurs informations. Aussi n'est-ce pas de cela qu'il s'agit. Ibn Qoteiba (m. 276/889) constate que ce Calife fut critiqué par les uns et loué par les autres, même des sunnites des plus orthodoxes. Les uns insistaient sur ses qualités, d'autres sur ses crimes, surtout l'assassinat du neveu du Prophète, dont on l'accusa, mais aussi sa vie facile, son goût exagéré des plaisirs, du vin, de la chasse et Ibn Teymiya (1263-1328) fait remarquer qu'à cause de cela, les uns n'hésiteront pas à le maudire, en l'opposant à 'Ali; mais d'autres s'en garderont bien, tout en reconnaissant ses torts. Les Karamiya le regardaient comme le véritable Imam. — On doit donc s'attendre à rencontrer beaucoup de ses partisans, qui s'appelleront Yézidis, naturellement. As-Samani (m. 562/1166), dans son livre *Al-Ansâb*, dit qu'il a rencontré au cours de ses voyages en

Irak, à Hulwan, tout un groupe de partisans de Yézid ibn Mo'awia et qu'il nomme *Yézidiya*. Nous savons d'autre part que «outre les Hambalites, beaucoup de Chaféites s'abstenaient de maudire Yézid» (cf. LAMMENS, *Le Califat de Yézid Ier*, Beyrouth, 1921, p. 492) et, d'après le chiite Ibn al-Da'i (vers 1252), les Yézidis sont des Chaféites (*ibid.*, p. 513). Quoi qu'il en soit de ces partisans divers de Yézid, nos Yézidis, Kurdes du Cheikhan et du Sindjar, chez qui ils se recrutèrent d'abord, et les Kurdes sont dans l'ensemble chaféites, se rattachent à Yézid, par le truchement de Cheikh 'Adi, le merwanide. Le premier auteur à reconnaître ce lien et l'équivalence entre *Adawiya*, et *Yézidiya* est Abou Firas 'Obeid Allah, dans son livre de la *Réfutation des Refadis et des Yezidis*, écrit en 725/1324 (cf. DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 163). — Les Yézidis célèbrent la fête de la naissance de Yézid, le 1er décembre. L'Émir Ismaïl fait remarquer (*op. cit.*, p. 82 et 92) que c'est l'occasion de réjouissances spéciales, de danses, où l'on boit du vin et où l'on fait un gâteau, appelé *klétcha*. Les Yézidis semblent avoir hérité de Yézid son goût de la musique, de la danse et du vin; ce vin «la base de notre religion», comme le disait, en 1926, à un de nos amis, Hasan Beg à Ba'adré! — (Cf. *Tableau*).

(113) C'est l'ère des Séleucides qui commence l'an 312 avant notre ère. Ainsi sont datés les événements chez les historiens, Bar Hebraeus, par exemple, et cette façon de dater se retrouve dans les colophons de nombreux manuscrits syriaques, tel celui de Rabban Ramicho.

(114) Dans son autobiographie. *Le Berger Kurde* (Beyrouth, 1947, p. 75, EREB ŞEMO raconte que cette particularité l'a fait prendre pour un Juif par les Russes Blancs qui l'avaient fait prisonnier. La même aventure est reproduite dans la deuxième édition. *Berbang* (Érivan, 1958), p. 136-137.

(115) GIAMIL, *op. cit.*, p. 54.

(116) BADGER, *op. cit.*, p. 106.

(117) BADGER, *ibid.*, p. 129. C'est dans le Coran qu'aujourd'hui encore apprennent à lire les enfants de la famille de Cheikh Hasan, à qui seule sont autorisées lecture et écriture; cf. DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 302.

(118) E. DERMENGHEM, *Le Culte des Saints dans l'Islam Maghrébin* (Paris, 1954. Cf. aussi G.-BOUSQUET, *Les grandes pratiques rituelles de l'Islam* (Paris, 1949).

(119) Cf. H. MASSÉ, *Croyances et Coutumes persanes* (Paris, 1938), p. 392-396.

(120) Certains mystiques musulmans, comme Hasan al-Basri et Hallaj, dont nous reparlerons plus loin, étaient déjà partisans du remplacement votif du Hadj (cf. L. MASSIGNON, *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane* (2e éd. Paris, 1954), p. 62-63.

(121) Cette pierre noire est suspendue «*Berê reşê mieleq*». On doit la toucher de la main pour terminer son pèlerinage. Cf. O. SEBRI, *op. cit.*, p. 115.

(122) Ainsi l'avait déjà remarqué CHEMS AL-DIN AL-MOQADDASI (m. 1000), dans ses Voyages dans «Les Régions de la Terre», *Ahsan al-Taqāsīm*. Cf. SAUVAGET. *Historiens arabes* (Paris, Maisonneuve, 1946), p. 68.

(123) *Op. cit.*, p. 208.

(124) H. LAMMENS. *L'Islam* (2e éd. Beyrouth, 1941), p. 229.

(125) MENZEL suppose, art. *Yazīdī*, dans *Enc. Isl.*, que les Yézidis ont emprunté aux Soufis Rafadis : 1) le secret de la doctrine ; 2) *al-wadjd*; 3) l'importance donnée à beaucoup de cheikhs soufis. — Nous verrons qu'il y a beaucoup plus.

(126) Cf. R. LESCOT, *op. cit.*, p. 24, n. 3).

(127) On remarquera, avec A. J. ARBERRY, *Le Soufisme* (Paris, Cahiers du Sud, 1952), p. 61, 68, 69, que les Yézidis ont une vénération spéciale pour les soufis «ivres», c'est-à-dire dont les théories sont extrêmes, comme Bistami, par exemple, ou al-Hallaj, qui allait jusqu'à reconnaître qu'Iblis était un de ses «amis et maîtres».

(128) R. Lescot, *op. cit.*, p. 22, n. 1).

(129) Giamil, *op. cit.*, n° 61; Khalifé, *op. cit.*, p. 577.

(130) Ces questions de généalogies sont naturellement sujettes à caution, mais ce qui importe en l'occurence est moins la réalité du fait que la croyance, réelle ou supposée, des descendants bénéficiaires. -- On sait que les grandes familles princières kurdes s'enorgueillissent ainsi de remonter au Prophète et aux premiers Califes, ainsi que le rapporte le *Cherefname*.

(131) Sultan et Calife au petit pied, si l'on peut dire, l'Émir, au point de vue spirituel a pouvoir de juridiction, il n'a pas l'autorité doctrinale. Il est (ou était) maître de la vie et des biens des fidèles, il n'est pas maître de l'arcane des dogmes. Il représente la secte auprès du Gouvernement et jouit de privilèges pécuniers importants, il n'est pas chargé d'enseigner la doctrine. Il tient le sabre, il ne détient pas le Livre. Il est la main et non le cerveau. Il peut être la force, il n'est certes pas la Connaissance. Ce rôle est tenu par le Baba Cheikh, conseiller religieux officiel de l'Émir. Il arrive que des conflits surgissent entre les deux autorités, la politique et la mystique, entre le Pape et l'Empereur.

(132) R. Lescot, *op. cit.*, p. 88.

(133) R. Lescot, *op. cit.*, p. 89; Empson, *op. cit.*, p. 101: Drower, *op. cit.*, p. 27.

(134) Damlooji, *op. cit.*, p. 44-46.

(135) R. Lescot, *op. cit.*, p. 90.

(136) R. Lescot, *op. cit.*, p. 91, n. 2; Damlooji, *op. cit.*, p. 51-53; Massignon *Essai*, p. 105.

(137) Febvre, *Teatro...* (éd. ital.), p. 348-349.

(138) *Op. cit.*, p. 50-51.

(139) R. Lescot, *op. cit.*, p. 50, 69, 92, 93.

(140) R. Lescot, *op. cit.*, p. 95.

(141) Damlooji, *op. cit.*, p. 54-63.

(142) Il ne semble pas qu'il faille considérer comme une catégorie à part le *ferreş* ni le *micewir*, sorte de sacristain que R. Lescot (*op. cit.*, p. 97) croit être le premier à avoir signalé, En fait, Giamil (*op. cit.*, p. 40) et Ismail Beg (*op. cit.*, p. 82) en avaient déjà parlé.

(143) R. Lescot, *op. cit.*, p. 83-84.

(144) Les prières yézidies publiées par le P. Anastase (*Al-Machriq*, II, p. 312-313), Ismail Beg, (*op. cit.*, p. 103-105) et Abd al-Rezzaq (*op. cit.*, p. 56-57) sont pratiquement inutilisables, tant elles fourmillent de fautes dues à une mauvaise lecture des éditeurs qui, en outre, y ont introduit des gloses ou traductions. Mais on peut tenir compte de la prière dictée par Pir Hasan et publiée en kurde, avec traduction allemande, par Makas, *Kurdische Studien*, 1900, p. 40-41 et 42-43; Isya Joseph a donné le même texte kurde et sa traduction en anglais dans *A.J.S.L.*, t. XXV. On en trouvera la traduction française dans Nau, *Recueil*, p. 26-27. — L'Émir Celadet Bédir Xan a publié *Quatre prières authentiques inédites des Kurdes Yézidis* (8 pages) dans *Kitêbxana Hawarê*, n° 5 (Damas, 1933). La première, Prière de l'aube, lui a été dictée par Şêx Heyder, fils de Şêx Nezîr: les trois autres lui ont été fournies par Ismaïl Beg. — R. Lescot en a publié une aussi (*op. cit.*, p. 70). «Le texte, écrit-il, nous a été dicté par 'Elî Wûso; il n'est valable que pour les prières adressées au soleil» (p. 70, n. 1). Mais, en fait, seule l'apostrophe du début, *O Şê Şims*, fait allusion (?) au soleil:

O Şê Şims, protège-nous contre le malheur et l'adversité;
Seigneur, sois bienfaisant pour Ta nation;
Seigneur, fais prospérer Ta nation;
Seigneur, protège nos enfants;
Seigneur, protège nos troupeaux;
Seigneur, notre témoignage est le nom de Tawûsê Melek!

(145) Texte anglais dans Badger (*op. cit.*, p. 113-115); traduction française dans Nau, *Recueil*, p. 160-165; texte arabe, avec quelques variantes et lacunes, dans Damlooji, *op. cit.*, p. 94-95.

(146) Prière de Pir Hasan, dans Makas.

(147) Même prière, *ibid.*

(148) *Quatre Prières authentiques...*: p. 6.

(149) Texte kurde, dans *Quatre Prières*, p. 7: traduction française dans Th. Bois, *Les Yézidis et leur culte des morts*, dans Cahiers de l'Est, Beyrouth, 1947, n. 1, p. 52-58.

(150) Il est assez curieux de rapprocher ce rappel de Salomon et de Belkis d'une reprise de la muqatta'a XXVIII de Hallaj: «Comment Satan a refusé d'adorer Adam», par Muayyad Janadi. Cf. Massignon, *Dīwān de Hallāj*, Cahiers du Sud, 1955, p. 71.

Qu'est-ce que Adam dans l'Être et qu'est-ce qu'Iblis?
Qu'est-ce que le trône de Salomon et que Belqis?

(151) Le journal kurde *Roja Nû* de Beyrouth, 1943-1945, a publié un assez bon nombre de *Qewil* ou *Şīr*, prononcés par des cheikhs kurdes musulmans à l'occasion de funérailles. Mais il faut bien reconnaître que, tant pour le fond bien maigre que pour la forme assez vulgaire, ces élégies modernes restent bien loin derrière le *Dies irae* yézidi reproduit ci-dessus.

(151bis) Dans le *Livre Noir*, dès le premier verset on lit que Dieu, après avoir créé une Perle Blanche, créa un Oiseau appelé... Comment se nommait cet Oiseau? Les différents auteurs ont tous lu son nom à leur manière: انقر, *Anghar* (Browne, p. 377 et A. Hasani, p. 40); انفر, *Anfar* (Bittner, p. 24 et Azzaoui p. 188); l'Émir Ismaïl Beg a انفخر, *al-Fakhr* (p. 101) et le P. Khalifé اتقر, *Alghar* (p. 586). Cela fait donc au moins quatre noms différents.

Nous verrons plus bas (note 157) d'autres fautes de lecture de noms propres dans les textes yézidis du Livre Noir. En outre, j'ai relevé au passage que, dans la seule page 382, Browne a écrit *Masquq*, au lieu de *Mosqof* (Russie) et *Bakhrafi*, au lieu de *Bahzani*, village du Cheikhan. — Le P. Anastase, qui était membre de l'Académie arabe, n'en a pas moins fait lui aussi quelques erreurs de lecture. Dans ses articles de *Al-Machriq* de 1899, repris par le fr. Behnam, il parle d'un sandjak *al-sér hedâr* (1950, p. 547), et ailleurs du balâd *al-sed hadâr* (1951, p. 40) Moutran qui a traduit le P. Anastase (*op. cit.*, p. 405) parle à son tour des *Sarahdar* du Caucase. Or, dans ces trois cas, il s'agit en réalité de la seule et même région kurde de *Serhedan* ou les Confins, à la frontière entre la Turquie et le Caucase.

Toutes ces erreurs — et on pourrait en citer bien d'autres — s'expliquent par une lecture défectueuse des manuscrits arabes où les points diacritiques voltigent au gré de la vivacité du scripteur, ce qui met le lecteur dans l'embarras, surtout lorsqu'il s'agit de noms propres de personnes ou de pays qu'il ne connaît pas.

Mais revenons à notre oiseau. Il est bien évident qu'aucune des lectures précédentes ne peut nous satisfaire et l'on a beau jeu alors d'incriminer un faussaire possible. Pour ma part, je propose de lire عنقاء, *'Anqā'*, oiseau fabuleux et que les dictionnaires arabes, persans ou turcs, traduisent par *Phénix*, ce qui irait parfaitement dans notre texte et son contexte. Sur cet oiseau, cf. Ch. Pellat, art. *'Anka* dans *Enc. Isl.* (2e éd. 1956).

J'explique mon interprétation. Aucune difficulté pour la finale. Le *yâ* final ي pouvait très bien être confondu avec un *râ* ر manuscrit.

Le *qâf* médian ﻘ, peut très bien se confondre également avec le *fâ* ﻔ ou le *ghain* ﻐ. Remarquons que le P. Khalifé, qui a lu un *tâ*, ﺗ a donc trouvé les 3 points nécessaires: T GH et N Q, par simple déplacement.

Reste le *'ain* initial. C'est ici qu'il convient de se rappeler que les Yézidis sont des kurdes, pour qui les gutturales et emphatiques arabes n'existent pas.

A part les lettrés et les puristes — et les Yézidis n'en sont guère — les kurdes se soucient peu de l'orthographe arabe. C'est ce qu'avait déjà constaté Justi dans la Préface (p. VI) du *Dictionnaire Kurde-Français* de JABA (St Pétersbourg, 1879), où il donne de nombreux exemples où le Mollah kurde qui l'a aidé a écrit avec un *alif* beaucoup de mots arabes commençant par *'ain*; cf. aussi sur ce point, C. BÉDIR-XAN, *L'alphabet kurde*, n° 12, dans *Hawar*, n. 15 (23 janv. 1933), p. 7; *ibid.*, n. 17, p. 9 et 10. Dans une grammaire kurde récente, publiée à Baghdad en 1959, ABD ER-RAHMAN OUFI, *Keyfa tata'allim al-loghat al-kurdiyya bidûn mo'allim* p. 65, je trouve également le mot arabe عاقل intelligent, écrit à la kurde ئاقل,

La cause me paraît donc entendue et l'oiseau mystérieux est le *Anqâ* ou le Phénix.

Et ce nom est un lien nouveau entre les Yézidis et les mystiques musulmans, pour qui cet oiseau n'est pas un inconnu. C'est ainsi que le poète persan 'Iraqî (m. 1289), dans l'introduction à ses *Lama'ât*, composées à l'imitation de Ibn 'Arabi, écrit ceci:

Je suis Anqa de l'Occident: invisible je rôde.
J'ai pris le Ciel et la Terre, de l'œil et du front...
Toute langue porte ma parole, j'entends par toutes les oreilles:
Étrange mystère, je n'ai ni langue ni oreille!
Puisque Moi Seul suis Toute chose qui vit.
Au Ciel et sur la Terre rien n'est pareil à moi.

On constate ici encore, dans ces vers cités par A. J. ARBERRY, *Le Soufisme*, Cahiers du Sud. 1952, p. 122, l'analogie d'idées et d'expressions entre ce poème et les prières ou textes yézidis.

(152) TH. MENZEL, art. *Yazîdî*, dans *Enc. Isl.*

(153) *Op. cit.*, p. 226.

(154) F. MEIER, *Soufisme et déclin culturel*, dans *Classicisme et déclin culturel dans l'Histoire de l'Islam* (Paris, 1957, p. 233). Du même auteur: *Der Name der Yazîdî's*, dans *Westöstliche Abhandlungen, Festschrift für Rudolf Tschudi*, Wiesbaden, 1954, p. 244 sqq.

(155) Dans son *Histoire des Yézidis*, AZZAOUI relève chez eux maintes pratiques ou croyances soufies qu'ils ont poussées à l'extrême, par exemple les théories sur le Diable qu'il ne faut point maudire (p. 53-57); la métempsychose (p. 138) et toute l'organisation religieuse (p. 176).

(156) MASSIGNON, *Essai*, p. 237; cf. LESCOT, *op. cit.*, p. 55, n. 3.

(157) Voici la liste des sept Anges, telle qu'elle se trouve dans le texte kurde du *Livre Noir*, publié par Bittner: AZRAIL, DARDAIL, ISRAFAIL, MIKAIL, CIBRAIL, SEMNAIL, TURAIL. Ce texte kurde est le seul à donner TURAIL, dont la lecture est on ne peut plus claire, remplacé partout par NURAIL. — Il y a quelques variantes dues la plupart du temps à des fautes de lecture des éditeurs. Le P. Anastase écrit MIXAIL et SEMMAIL. Signalons que, dans les écrits rabbiniques, Sammael identifié à l'Ange de la mort, prend la place de Satan, après le IIe siècle (cf. BONSIRVEN, S.J. Le Judaïsme palestinien au temps de J. C., Paris, 1935, I, p. 245). Ismaïl Beg, que l'on eût pu croire mieux informé, nous donne deux listes (p. 73 et 101), dont l'ordre diffère entre elles et dont les noms ne coïncident pas avec ceux des listes habituelles. C'est ainsi qu'il n'a pas CIBRAIL, ce qui est pour le moins étrange, étant donné le rôle de cet Ange dans la Création. Il est remplacé ici, dans les deux listes, par ZARZAIL ? Il a aussi les deux fois ŞEMXAIL. NUAIL (p. 101) est un lapsus évident. — De ces sept noms, quatre sont ceux de l'Islam officiel: «Jebra'il, the interpreter; Mikha'il, the rain-bringer; Azra'il, the angel of death; ...Azazil, the Devil masquaranding as Asrâfil; Isrâfil, who is the same personage in Islam as the last, is the trumpeter at the Day of Judgment» (TEMPLE, *op. cit.*, p. 197). On retrouve ces quatre anges officiels, tant chez les Druzes que chez les Ahl-é Haqq, qui les uns et les autres y ajoutent un

cinquième. Chez les premiers, Mathatron, de la tradition rabbinique (cf. H. Guys. *La nation druze, son histoire, sa religion, ses mœurs et son état politique*, Paris, 1863, p. 207-208). De leur côté, les Ahl-é Haqq ont Razbar «chargée de mystère» et qui serait ou féminin ou hermaphrodite (cf. Minorsky, art. *Ahl-i Hakk*, dans *Enc. Isl.* (2e éd. 1956), p. 269 a. -- On retrouve également chez les Druzes et les Ahl-é Haqq ce même phénomène d' «incarnation» de ces Anges et de leur assimilation aux éponymes des familles de cheikhs actuels.

(158) Voici dans l'ordre ordinaire ces «incarnations» des Anges: Tawûs Melek, Şêx Hesen, Şêx Şems, Şêx Abu Bekr, Şêx Secadin, Şêx Nasredin, Şêx Fexredin. — Ici encore Ismaïl Beg s'éloigne des sources communes. Voici sa liste: Şemsedin, Fexredin, Amadin, Abû Bekr, Secadin, Nasredin, Yézid. Dans son autre liste (p. 73), Melek Tawûs remplace Abû Bekr. — On constate qu'il est le seul à nommer Yézid et à éliminer Cheikh Hasan. Il est le seul aussi à mettre en ligne Amadin. — On peut trouver étrange l'apparition de Tawus Melek dans la liste, puisqu'en principe il est identique à Azraïl, qui est un ange aussi; et on remarquera avec étonnement que *Cheikh 'Adi* ne figure sur aucune liste. La raison en est sans doute qu'étant célibataire il n'a pas de descendants bénéficiaires directs. En effet Damlooji, *op. cit.*, p. 41-44, nous fait connaître les 3 dynasties de familles de cheikhs: 1) les *Adâni*, avec 6 lignées: Ş. Hesen, qui a le privilège de la lecture et de l'écriture; Şerefedin, Zendin, Ibrahim, Mûs, Yétime; — 2) les *Şemsâni*, avec 7 lignées: Ş. Şems, qui garde le siège (*Ber Şebakê*) de Cheikh 'Adi, Fexredin, d'où sort le Baba Cheikh, Mend, Secadin, Nasredin, Behadin, Amadin; — 3) les *Qâtâni*, avec deux seules lignées: les Émirs et Abu Bekr. De cette nomenclature pourrait-on dégager quelque lumière sur la fraction familiale d'où est sorti l'auteur du *Livre Noir* et sa date de composition? Peut-être? En tout cas, les Emirs sont hors jeu.

(159) Cf. Azzaoui, *op. cit.*, p. 69; Ismail Beg, *op. cit.*, p. 76.

(160) Ismail Beg, *op. cit.*, p. 76; Damlooji, *op. cit.*, p. 6-7; A. Hasani, *op. cit.*, p. 28. C'est à partir du Déluge qu'on nous signale que Dieu parla en kurde à Adam. — Peut-être est-ce le moment de parler du rôle du Serpent chez les Yézidis? Sur un montant de la porte du sanctuaire de Cheikh 'Adi, un serpent noir sculpté en relief a de tout temps excité la curiosité et la sagacité des visiteurs. En outre, dans la cour même du Temple, au-dessus de la porte de la chambre où est conservé du pain sacré, on peut voir des lions qui se font face, la gueule ouverte. Nulle part n'apparait gravée une figure humaine. Un serpent figure également à droite de la porte du sanctuaire de Cheikh Chems, et tandis qu'un lion garde la gauche, un serpent lové se tient à droite de l'entrée du sanctuaire de Nasr ed-Din (cf. Drower, *op. cit.*, p. 152, 153, 155, 161, 165). Faut-il voir là des traces d'un culte du Serpent, comme l'ont pensé certains auteurs, et qui serait, bien sûr, une survivance païenne? (Wigram, *op. cit.*, p. 101; Nikitine, *op. cit.*, p. 248-252). Dans les récits de voyageurs au Kurdistan on parle souvent de grottes, où vivent des serpents, considérés plus ou moins comme sacrés, par exemple au Ilan Dagh (cf. Muller-Simonis, *Du Caucase au Golfe Persique*, Paris, 1892, p. 292-294). Nous avons déjà signalé plus haut (p. 26) que les cheikhs de la fraction Mend sont renommés comme charmeurs de serpents et guérisseurs de leurs morsures. Ce sont aussi des avaleurs de serpents. Les photos de Gidal, dans l'article de R. Mason et celle de Lady Drower, p. 16, sont évocatrices; mais on ne peut guère considérer ce geste comme un acte de culte, pas plus que le fait de jeter le serpent au feu, comme le fit Noé. R.C. Temple (*op. cit.*, p. 196-197) estime «qu'il n'est pas nécessaire de sortir de l'Islam pour expliquer l'importance donnée au serpent noir sculpté au portail du sanctuaire de Cheikh 'Adi et que baisent tous les pèlerins». Et il raconte une légende arabe en rapport avec la Ka'ba à La Mecque: «Ibrahim creusa un trou, connu des musulmans du Hadj comme al-Akhsaf, dans la Ka'ba, pour un trésor, qui était fréquemment pillé

par les Arabes Jurhum, depuis longtemps disparus. En conséquence, un serpent, commandé par Allah s'installa dans le trou et garda le trésor. Mais plus tard il s'opposa à la restauration de la Ka'ba par les Koreichites et Dieu envoya un oiseau qui fit déguerpir le serpent». C'est évidemment une explication plausible. Mais je crois que c'est encore plus simple. Notons d'abord que le lion est le symbole des Atabeks, et que c'est à leur époque qu'apparut le Yézidisme. Des lions vont ainsi se retrouver partout, même au couvent de Mâr Behnam, près de Nemroud. — Mais, dans le poème de Cheikh 'Adi que nous avons déjà cité, on peut lire ces vers (v. 35-38), mis dans la bouche même du saint:

Je suis Celui vers qui vint le Lion du désert:
Je l'ai réprimandé et il est devenu comme la pierre.
Je suis Celui vers qui vint le Serpent.
Et, par ma volonté, je l'ai fait ressembler à la poussière!

Signalons toutefois que ces vers ne sont pas cités dans Damlooji, car ils sont illisibles, dit-il (*op. cit.*, p. 94). Ils ne l'étaient pas dans la copie lue par Badger un siècle plus tôt. — Masi, de toute façon, dans la légende du saint, rapportée par Mohamed Amin al-Omari (1728-1788) et citée dans Siouffi, *J.A.*, 1885, p. 80, on lui attribue plusieurs miracles. Entre autres «les lions et les serpents, qui vivaient dans son voisinage et le fréquentaient, étaient doués d'une douceur surnaturelle». Ne peut-on penser que ces récits légendaires ont été concrétisés en ces sculptures, dont les spectateurs d'aujourd'hui ne reconnaissent plus le symbolisme?

(161) Guidi, *Nuove ricerche*, p. 407.

(162) Temple, *op. cit.*, p. 163-164, est également d'avis qu'il faut traiter les Yézidis comme des *ghulât*. Il les compare aux 'Aliyu'llahî qui divinisèrent Ali, et à d'autres sectes qui adoptèrent des croyances étrangères à l'Islam, comme l'incarnation (*hulûl*) ou la métempsychose (*tanâsukh*).Et il conclut (p. 166): «Les idées inorthodoxes attribuées aux Yézidis ne sont aucunement les plus étranges et il n'est pas plus difficile de les inclure dans le groupe (*fold*) musulman que mainte autre communauté hétérodoxe».

(163) Massignon, *Essai*, p. 52.

(164) Anastase, *Al-Machriq*, 1899, p. 153.

(165) On peut rapprocher des rêves des kotchaks et de leurs révélations sensationnelles sur le sort des défunts, certains rêves de 'Abd al-Wahhâb al-Sha'rânî (1493-1565) que nous rapporte A. J. Arberry (*Le Soufisme*, p. 148-150). On ne met pas en doute la probité et la droiture de cet auteur soufi, ni sa culture. Mais son manque de sens critique et ses tendances superstitieuses nous permettent de comprendre les extravagances de nos cheikhs yézidis. Quand il n'y a pas de contrôle doctrinal, on ne doit s'étonner de rien.

(166) Massignon, *Essai*, p. 296.

(167) Cité dans Arberry, *op. cit.*, p. 68.

(168) Massignon, *Al-Hallâj, le phantasme crucifié des docètes et Satan selon les Yézidis*, dans *Rev. Hist. des Relig.* 1911.

(169) R. Lescot, *op. cit.*, p. 52; cf. Azzaoui, *op. cit.* p. 56-57.

(170) *Op. cit.*, p. 321.

(171) R. Lescot, *op. cit.*, p. 51.

(172) Cf. H. Ritter, art. *al-Djîlî*. dans *Enc. Isl.*

(173) Cf. Azzaoui, *op. cit.*, p. 53-60; Damlooji, *op. cit.*, p. 154-161.

(174) Damlooji, *op. cit.*, p. 9.

(175) J. Petersen, art. *Adam* dans *Enc. Isl.*, cf. aussi Furlani, *Testi*, p. 29: Azzaoui, *op. cit.*, p. 63-64.

(176) R. Lescot, *op. cit.*, p. 50.

(177) D. Stewart, J. Haylock, *New Babylon*, p. 161.

(178) Nous avons déjà signalé bien des points de contact. On peut y ajouter

que de nombreux tabous ou prescriptions sont mis en relation avec Cheikh 'Adi. Par exemple, le col de la chemise est arrondi, comme la sienne; on ne mange pas de viande de gazelle, parce qu'il en avait un troupeau, ou parce que les yeux de la gazelle ressemblent aux siens; on ne mange pas non plus de laitue, parce que lui-même l'a dit; le *cercle magique* provient également d'une habitude du cheikh, etc. De plus on conserve précieusement un certain nombre de reliques du saint: son siège, *Bar shabake*, dans une famille de Cheikh Chems; son tapis de prière, *secadé*, chez le baba Cheikh; sa lampe, *sinac*, qui se trouvait chez Ismaïl Beg.

(179) Les renseignements de ce paragraphe concernant l'islamisation des Kurdes proviennent de Ibn al-Athir (m. 1223). Ils ont été relevés par MINORSKY, art: *Kurdes* dans *Enc. Isl.* Les renseignements sur la christianisation se trouvent dans les ouvrages déjà indiqués de THOMAS DE MARGA, éd. Budge, II, p. 606-607; 633-636, et *la Vie de Yousseph Bousnaya*, éd. CHABOT (Paris, 1900), p. 54-55. Voir aussi J. B. CHABOT, *Synodicon Orientale ou Recueil de Synodes nestoriens* (Paris, 1902), p. 53, et passim.

(179bis) A. MAZAHÉRI, *La vie quotidienne des Musulmans au Moyen-Age* (Hachette, 1959), 6ᵉ éd., p. 12.

(180) R. LESCOT, *op. cit.*, p. 23-24.

(181) R. FRANK, *Scheikh 'Adi, der Grosse Heilige der Yesidis* (Berlin, 1911). On trouvera quelques textes du cheikh dans LESCOT, *op. cit.*, p. 27; AZZAOUI, *op. cit.*, p. 34-38; DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 78-80.

(182) MOHAMED AMIN AL-OMARI, *Minhal al-Awliā wa mishrab al-'esfiyā'*, cité dans SIOUFFI, *J. A.*, 1885, p. 80.

(183) R. LESCOT, *op. cit.*, p. 28-29, n. 1, en rapporte quelques-uns d'après le *Kitāb Manāqib*. — Il n'est pas toujours facile de se représenter l'enthousiasme de certaines foules pour les miracles faits ou à faire. Lorsque Mgr Berré, Délégué Apostolique pour la Mésopotamie et le Kurdistan mourut à Mossoul, en avril 1929, on dut faire appel à la police pour maintenir l'ordre. Par dizaines de milliers des femmes — chrétiennes et musulmanes — qui probablement ne l'avaient jamais vu de son vivant, défilèrent devant son cadavre qui resta exposé une journée entière dans l'église des Dominicains. Elles voulaient toucher ou baiser ses mains pour en recevoir sa bénédiction. Des femmes stériles passaient sous le cercueil pour en obtenir un enfant. C'est à la virginité du défunt qu'elles attribuaient cette grâce.

(184) Cf. ARBERRY, *op. cit.*, p. 97.

(185) Cf. ARBERRY, *op. cit.*, p. 97-103.

(186) Sur Cheikh Hasan, voir TEYMOUR, *op. cit.*, p. 18-21: AZZAOUI, *op. cit.*, p. 46-48; DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 84-99.

(187) D'après l'historien AL-FOUTI, cité dans AZZAOUI, *op. cit.*, p. 46-47.

(188) Cf. *Histoire du Patriarche Jabalaha* III, trad. CHABOT (Paris, 1895).

(189) D'après BAR HEBRAEUS (m. 1286), *Chronicon syriacum*, éd. BEDJAN, p. 544. Sur Charaf ed-Din: TEYMOUR, *op. cit.*, p. 23-24: DAMLOOJI, p. 99-100; sur Fakhr ed-Din DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 100-101.

(190) Sur Zeyn ed-Din et son fils 'Izz ed-Din: TEYMOUR, *op. cit.*, p. 24-28; R. LESCOT, *op. cit.*, p. 104-106; DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 101-111.

(191) DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 106-111.

(192) La *zaouia* de Carafa est devenue lieu de sépulture des cheikhs de la fraternité *Adawiya*, qui elle est restée orthodoxe. Six tombes datent du IXᵉ siècle hég.. La dernière est celle de Chems ed-Din qui avait reçu la *khirqa* des mains de Ibn Touloun (1485-1548). Par la suite, ce sont les cheikhs de la confrérie des *Qadiriyya* qui s'y sont fait enterrer. Cf. TEYMOUR, *op. cit.*, p. 29-41. La *zaouia* a été incendiée en 1907.

(193) Sur l'expansion du Yézidisme au Kurdistan voir *Charef-Name*, trad.

arabe de Rojbeyani (Baghdad, 1953), p. 314-321; 322-336 et *passim*; R. Lescot. p. 108-112.

(194) Damlooji, *op. cit.*, p. 87; R. Lescot, *op. cit.*, p. 206.

(195) R. Lescot, *op. cit.*, p. 225-234; 234-235.

(196) Sur Abou'l-Firas, cf. Azzaoui, *op. cit.*, p. 81-83.

(197) Sur Ibn Teymiya, cf. Teymour, *op. cit.*, p. 44-45; Azzaoui, *op. cit.*, p. 16-17; Damlooji, *op. cit.*, p. 422-427.

(198) Récit d'après *Al-Souloûk li ma'rifa dawl al-Moulouk* de Maqrizi (1364-1442) cité dans Azzaoui, *op. cit.*, p. 112-113.

(199) Les causes ne furent pas uniquement politiques sans doute et on peut retrouver chez les Yézidis les mêmes motifs que A. J. Arberry signale pour le déclin du Soufisme en général (*Le Soufisme*, Cahiers du Sud, 1952, p. 139) «Du jour où des légendes de miracles vinrent s'attacher au nom des grands mystiques, les masses crédules devaient nécessairement aller à l'imposture plutôt qu'à la vraie dévotion; le culte des saints, contre lequel l'Islam orthodoxe s'insurgea en vain, encouragea l'ignorance et la superstition et confondit le charlatanisme avec la haute spéculation. Le scandale et l'insolence de la conduite, l'obscurité du langage devinrent la recette facile de la renommée, de la richesse et du pouvoir». Ne croirait-on pas que cet auteur fait la description du déclin du Yézidisme lui-même?

(200) R. Lescot, *op. cit.*, p. 120-121.

(201) Cf. Damlooji, *op. cit.*, p. 428-432. Cet auteur semble mettre en doute l'authenticité du document, parce que le célèbre moufti cite des autorités antérieures à Cheikh 'Adi. Seulement on constate que le moufti n'utilise les autorités en question que pour blâmer Yézid et ceux qui le prônent trop, et il y en eut avant 'Adi. Dès lors l'argument de Damlooji n'a pas la valeur qu'il lui prête.

(202) Cf. Azzaoui, *op. cit.*, p. 114.

(203) Febvre, *Teatro*, p. 346-349.

(204) Il semble bien que ce soit en effet le Cheikh 'Abd Allah al-Rabatki qui soit l'auteur de cette *fetwa* célèbre. Damlooji, *op. cit.*, p. 433-434 l'a publiée en entier et d'autres encore, p. 428-444; ainsi que Azzaoui, *op. cit.*, p. 84-89. Teymour en a édité, sans nom d'auteur, le début (*op. cit.*, 7-9) qu'il avait trouvé à la suite d'un manuscrit de 'Alâ ed-Din al-Qonawi (m. 1329). De même, A. Hasani, *op. cit.*, p. 104-105, qui suit Teymour. Puis il en donne la 2e partie qu'il attribue à Rabatki, d'après Azzaoui (p. 106-108). Le Dr Daoud Tchelebi (d'après Damlooji, p. 434) l'attribue à Cheikh Hasan al-Chivki, d'un village près de Khnés. Cette même *fetwa* sera reprise, sans indication de source, avec quelques éléments nouveaux, mais non originaux, par le Cheikh Abd al-Salâm al-Mardînien 1258/1842 (Damlooji, p. 407), dont Azzaoui, *op. cit.*, p. 79-81 publie le texte.

(205) Nous ne savons malheureusement rien de ce Fakhr ed-Din qui ne peut être le fils de Cheikh Hasan. Nous ignorons de même l'époque exacte à laquelle il vécut. Peut-être pourrait-on le situer vers le milieu du XVIIe siècle, ce laps de temps paraissant nécessaire pour qu'il puisse parvenir à la connaissance des étrangers à la secte, en l'occurence à Rabatki qui en parla le premier.

(206) Le mot *sandjak* est un mot turc qui signifie deux choses: un étendard, puis une province, un district. Chaque province était représentée par un étendard spécial. Chez les Yézidis, les sandjaks sont des petites statuettes de paons, consacrées à divers personnages de la confrérie. Rabatki dit d'ailleurs sandjak de 'Adi et non de Malek Taous. Au début du XIXe siècle sans doute, chaque statuette sera déterminée pour la visite de telle ou telle province, par ex. sandjak d'Alep, de Beyazid, etc. — On a fait remarquer que ce *paon* ressemble plutôt à un pigeon ou à un canard, et n'a rien à voir avec le magnifique paon, édité par Empson et Hasani. On a parlé parfois aussi de *Coq*. Cela nous ramènerait

aux croyances soufies au coq du Trône, dont parle al-Kasâî (cf. Azzaoui, *op. cit.*, p. 62-67). Dans la reprise de la *fetwa* de Rabatki, le Cheikh Abd al-Salâm al-Mardînî (1842), au lieu d'un paon, parle de la figurine d'un *veau*. Il y a là sans doute une méprise, due peut-être au fait qu'on prête aux Druzes l'adoration de la statue d'un veau (cf. H. Guys, *La Nation Druze, son histoire, sa religion, ses mœurs et son état politique*, Paris, 1863, p. 146).

(207) Par ex. Azzaoui, *op. cit.*, p. 110-131 ; Lescot, p. 122-128 ; Damlooji, p. 485-514.

(208) Dans sa préface, p. *Sin* (XIII).

(209) *Op. cit.*, p. 443-444.

(210) Certaines coutumes, comme nous l'avons indiqué à la note 178, trouvent leur origine en une pratique qui remonterait à Cheikh 'Adi lui-même. Mais il en est une qui, jusqu'à présent, est restée inexplicable: l'interdiction de porter des vêtements bleus. Lescot, *op. cit.*, p. 76, n. 1, fait remarquer que «cette couleur joue un grand rôle dans les superstitions orientales». En effet les yeux bleus, chez les Kurdes, passent pour maléfiques et chez eux, comme chez les autres populations orientales, c'est une amulette de couleur bleue qui doit préserver leurs enfants du mauvais œil. Al-Hasani, *op. cit.*, p. 69, n. 1, fait appel au témoignage de Zamakhchari (1075-1144) qui, dans son *Al-Kachchâf*, dit que les Arabes détestaient les yeux bleus, parce que les Byzantins les avaient tels, et rappelle le proverbe qui définit l'ennemi celui qui a le «foie noir, les moustaches rousses et les yeux bleus». — Notre auteur ajoute que les tribus kurdes du nord ont toujours de la répulsion pour les vêtements bleus, surtout s'ils sont teints et conclut qu'on ignore la vraie raison pour laquelle Yézidis et Sabéens interdisent les vêtements de cette couleur. L'explication de Damlooji, *op. cit.*, p. 292, n. 2, n'explique rien du tout. C'est *sans doute*, dit-il, que les Yézidis ont voulu se distinguer des Chiites qui ont coutume de s'habiller de noir les jours de *'Achoura* pour le deuil de Husein, et comme le bleu est proche du noir (?); ou bien, ajoute-t-il, par imitation des Omeyyades dont les vêtements de dessous étaient blancs, au contraire des Abbassides. Mais le bleu n'est ni blanc ni noir, que je sache! Et comment avec cela Damlooji va-t-il expliquer que les *Feqîr*, qui sont précisément les disciples les plus authentiques de Cheikh 'Adi ne s'habillent que de noir? — Un missionnaire Dominicain, le R. P. Jacques Rhétoré (1841-1921) qui a passé près de cinquante ans de sa vie au Kurdistan et en Arménie, surtout au service des Nestoriens, a laissé une quantité de notes manuscrites, parmi lesquelles de nombreuses pages sur les Yézidis. J'y ai relevé ce détail que je n'ai revu nulle part ailleurs. Les Yézidis, dit-il, «prétendent que leurs défunts se lèvent d'eux-mêmes de leur lit de mort et s'enfuient. On peut les retenir en les couvrant d'une pièce de toile bleue tissée par un chrétien et dans chaque maison il y en a toujours une de réserve pour cet usage». Cette croyance donne peut-être la clef de l'interdiction du bleu. En effet, bleu en kurde se dit *ṣîn*. Mais ce même mot *ṣîn* signifie également deuil, cérémonie funèbre, oraison funèbre. On va parfois chercher des explications au bout du monde. Ne serait-ce pas tout simplement cette association, purement verbale, qui aurait donné à la couleur bleue cette répulsion qui ne serait autre que celle de la mort?

(211) L'Islam orthodoxe n'est pas plus responsable des déviations doctrinales et morales du Yézidisme que l'Église catholique ne l'est de l'Antoinisme et des fantaisies du Christ de Montfavet. Pourtant ces deux dernières sectes ne s'expliqueraient pas sans le catholicisme et bien des traits de leur Credo (?) ou de leurs pratiques ne se comprendraient pas dans l'Islam. Ainsi du Yézidisme qui ne peut s'expliquer, en ce qui le constitue essentiellement, que par ses attaches à l'Islam.

(212) En ce qui concerne le Soufisme en général, certains orientalistes se sont efforcés d'en dégager les sources. On y a «dépensé beaucoup de peine et

d'érudition à montrer l'influence des diverses formes du mysticisme», dit ARBERRY *op. cit.*, p. 78, qui ajoute: «On ne s'attardera donc ni à réviser ni à confirmer la thèse, en cours depuis plus d'un siècle, que les soufis ont dû, peu ou prou de leur pensée et de leur mode de vie aux précédents chrétiens, juifs, gnostiques, néo-platoniciens, hermétiques, zoroastriens ou bouddhiques». Tel a été également notre façon d'envisager cette étude du Yézidisme, où nous avons considéré comme déjà acquis entièrement par l'Islam et transmis dès lors aux Yézidis, ce que les Soufis en général avaient pu emprunter aux autres religions.

اليزيدية

نبذة تاريخية واجتماعية في اصلهم الديني

اصل اليزيدية الديني – والعراق مركز عباداتهم – قد اجهدت معالجته ذكاء باحثين كثيرين. فان عدد الذين تكلموا على اليزيدية كبير: رحالة ومحررو الجرائد علماء الآثار ومرسلون مستشرقون ومؤرخون غرباء ووطنيون جدّوا في تعريف اخلاق وعوائد من ادّعوا بانهم عباد الشيطان واجتهدوا في انارة سرّ اصلهم. منهم من اعتمدوا على نصوص دينية صحتها التاريخية هي موضوع جدال. لكن كل نتاج هذه البحوث يجب غربلتها فان الزؤان يجاور فيها القمح الجيد.

وبالحقيقة كم من النظريات الغريبة نُصبت فيها: عبادة بابل للشمس ثنوية زرواستر. وثنيّة كردية اصلية، فرع من الفرق المسيحيّة، هذه بعض من الاحتمالات المعروضة عن اليزيدية. لكن هذه الآراء لا تعطينا الا تأويلات جزئية وبالكاد. مع ذلك كان لا بدّ علينا ان نعرضها وان نردّها حتى ندخل في المسألة علمياً.

بالحقيقة نحن امام بدعة انسلّت من الاسلام. ولاثبات ذلك يُلاحَظ سلوك اليزيدية الخارجي قبل التعمّق في معتقداتهم الدينية. – فالجوّ الاسلامي يظهر في الاسماء، في وضع التاريخ، في الامتناع عن رسم الوجه الانساني وفي الختانة وفي امور اخرى. نقدر ان نزيد على ذلك الذبائح واكرام القديسين. وايضاً تقليد للحج الى مكة حيث نجد رُتب اسلامية واصطلاحات عربية غريب وجودها عند اكراد. فان اليزيدية هم اكراد. ما عدا ذلك كل مناهجهم صوفيّة: فالقديسون المكرّمون هم صوفيّون معروفون، والطبقات الدينيّة صوفية هي، والصلوات وغيرها من النصوص الدينية لها صلة غريبة بكلام وبفكرة الصوفية. كذلك تبدو مشابهات مع الروحانيين «السكرى» من الاسلام في الآراء المتطرّفة فيما يخص بدء العالم والانسان والتجسد والتقمص ورجوع ابليس النهائي الى مقامه الاول. وهكذا يكون قد كفانا اكتشاف الحجار البارزة من بناء الاسلام وشيعه حتى نجد اليزيدية بتمامها.

بقي علينا ان نثبت كيف اليزيدية ابتداء بتقديس مسلم صحيح الشيخ عادي (نحو سنة ١٠٧٣ - ١١٦٢) توصلت اليزيدية الى اضاليلها الحاضرة تم تجاوزها بالتدريج. فتح الطريق للبدعة ابن اخي مؤسس الزاوية شمس الدين حسن (١١٩٧ - ١٢٤٦) . انقسم التابعون الى فرقتين : احدهما ارتحل الى سورية ومصر (قرنة) وفيها استمرّ زماناً ليس قليلاً في الدين الاسلاميّ الحقيقي باسم «العادوية» . الفرع الثاني بقي في ما بين النهرين وفي شرقيّ الدجلة وانه لم يفقد فقط كل مخالطة عقلية مع تلاميذ محمد لكنها اسرعت في الابتعاد منهم فيما يخص التعاليم الدينية ثم اصبحت اخيراً معادية لهم . ثم ابتداء من الجيل السابع عشر لم ينتج من المذابح الدورية الا تورّط اليزيدية اكثر فاكثر في ممارسات واعتقادات غريبة وسرّية.

الشروح الانتقادية العديدة المُفصّلة لا بدّ ان تقنع القارئ بان اليزيدية ولو انه لم يبق لهم اليوم شيء من الدين الاسلامي فليس امر سهل انكار اصلهم الاسلامي .

توما بوّا الدومنيكاني

كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن عليّ بن الحسن الحكيم الترمذي
تحقيق عثمان اسماعيل يحيى
عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

قال له قائل : وكيف ذلك ؟

قال : من أجل أنه لما عمت[ي٢] أنوار العطاء في قلبه ، واتسع قلبه وانشرح صدره – فرحت نفسه بجروحها[ا٣] من تلك[ب٣] المضايق الى فسحة[ت٣] التوحيد . فترك المنزلة لهذه[ث٣] الجوارح ، واخذ[ج٣] ينطق بما فتح الله له من شأن هذا الطريق ، ومما"[ح٣] تراءى له[ح٣]" من الحكم والفوائد وعلم الطريق . وخالط الناس على[خ٣] ذلك . فأكرم وبجل . فقبل إكرامهم وتبجيلهم . ثم أعطى على ذلك فقبل نوالهم . خدعته نفسه فانخدع لها . وموهت عليه فقبل تمويهها . وانبعثت[د٣] عليه الدنيا عفواً لا صفواً !

فوثب هذا الأسد المتماوت وثبة من حينه[ذ٣] فركب[ر٣] عنقه . وذلك (انه) لما اصاب تلك اللذات ، التي كانت زالت بالفطام عنها ، استيقظ[ز٣] . فصارت (نفسه) بمنزلة السمكة ، التي[س٣] انفلتت من الشبكة : فهي أشد غوصاً[ش٣]

ليقربوا ويدققوا في الوقت نفسه المعاني الخاصة التي يقصدونها ، فتراهم يقولون : طريق الحق ، طريق الخاصة ، طريق الصوفية . وهم لا يقصدون من ذلك تأسيس مذاهب او طرائق تناقض الشريعة من قريب او بعيد ، بل اقامة منهج راسخ يعمد اولاً وقبل كل شيء الى تحقيق اوامر الشريعة والتعمق في معانيها واسرارها . انظر شفاء السائل ص ٧٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ؛ الاحياء ، مقدمة ؛ فوائح الجمال ، ٢ : ٩ ، ٤ ؛ عبهر العاشقين ص ٣٨ ، ٩٩ ؛ طبقات الصوفية : ٢٦ ، ٣٨٣ ، ٤٧٢ ؛ اصطلاحات : ١ ، فصوص : مقدمة ؛ الطريقة المحمدية لابن تيمية ؛ E. I. IV, 700 + .

ي٢ عملت F ، علت V . ا٣ بجروحه VF . ب٣ – V .
ت٣ محبة V . ث٣ بهذه F . ج٣ فأخذ V .
ح٣ – ح٣ ويجارب انا V . خ٣ – F . د٣ وانبثت VF .
ذ٣ حشية V . ر٣ فركبت VF . ز٣ ايقظ F ، انقط V
س٣ قد V . ش٣ عوضاً F .

واضطرابا ، لا تأمن[ص٢] على نفسها أن تؤخذ[ض٢] . فصارت[ط٢] النفس كذلك منفلتة[ظ٢] من شبكة[ع٢] صاحبها ، فهي أشد وأصعب من ان يظفر[غ٢] بها . فاحذر هذا الباب ! فإني رأيت وعاينت كل من أفسد طريقه ، وأدبر[ف٢] ناكصاً على [١٥٤ ب] عقبيه ، فمن ههنا سقط وزلت قدمه . فلم يزالوا في ذل وصغار ، قد نفتهم قلوب الصادقين ، ومقتهم جمهور العلماء[ق٢] .

وذلك أنهم هرآب متصنعون ؛ لا همّ[ك٢] يتوبون من هذا الامر ويتطهرون ويصححون[ل٢] ويستقيمون في سيرهم[م٢] ؛ ولا[ن٢] تسمح نفوسهم[ن٢] بأن يصيروا الى أعمال الأركان ، لان فيه مشقة[هـ٢] وضيقاً ، وقد كانوا اصابوا الروح والسعة . فلا قلوبهم مشغولة بحق[و٢] الله ، ولا[ي٢] ابدانهم مشغولة بعبادة الله[ي٢] . وقد عطلوا الأركان عن العبادة ، وعطلوا القلوب عن السير الى الله عز[ا٣] وجل[ا٣] ، وقطع مسافة المنازل . فصاروا ضحكة الشيطان ، ويرم[ب٣] القلوب ، وثقلا على الفؤاد . يسيحون في البلدان ، يخدعون[ت٣] الضعفا. والجهال والنسا. عن دنياهم . ويأكلون بما يبدون من الزهد[ث٣] ، والسمت الحسن[ج٣] ، وكلام الرجال. تراهم الشهر والدهر في الاحتيال[ح٣] والاصطياد . ويجرون المنافع بالرقي[خ٣] ، ويباشرون الاعمال على المنى[د٣] ، ويتخيرونها[ذ٣] على العمى[ر٣] !

ص٢ لا يأمن F . — ض٢ توحد F ، توجد V
ط٢ وصارت V . — ظ٢ منفية F .
ع٢ شبكة V . — غ٢ يظم V .
ف٢ فادبر V . — ق٢ العامة V .
ك٢ — V . — ل٢ ويصححون V .
م٢ عزمهم V . — ن٢ — ن٢ — F .
هـ٢ حقة V . — و٢ بعبادة V .
ي٢ — ي٢ — V
ا٣ — ا٣ — V . — ب٣ ويرى V .
ت٣ يخدعون F — ث٣ الهدو . F .
ج٣ — V . — ح٣ — الاختيال F
خ٣ بالرق F . — د٣ النهي V .
ذ٣ ويتخيرون للاعمال VF . — ر٣ النى F .

فالكيس أدركه التوفيق من ربه . فثبت ههنا عندما جاشت الحكم في صدره ، وراودته[ز٣] نفسه على[س٣] مخالطة الخلق ؛ ترعم له[ش٣] بخداعها[ص٣] أنه قد اصاب من القوة ما يباشر هذه الامور . فيرجع بعقله عليها ، فيقول : كيف آمنك على أمور ، وأنت معروفة بالخيانة ، ومعك آلة الخيانة ، التي[ض٣] تدعى شهواتك ؟ ويعزم[ط٣] على[ظ٣] ألا[ع٣] يقضي[غ٣] شهواتها[ف٣] ومنيتها . فأيده الله تعالى، وثبت ركنه . وعزم على تجنب[ق٣] هذه الشهوات كلها ، ما ظهر منها وما بطن . حتى اذا مر في عزمه ، فاستفرغه وبلغ الغاية من ذلك + (و)ظن انه قد أماتها ، فاذا هي بمكانها ! وذلك انه بلغ الغاية في روض شهوات الدنيا ، وبقيت لذة الطاعات والنفس حية بمكانها .

فمن ههنا زلت أقدام طائفة منهم . فقالوا في أنفسهم : أنتعمد فراغاً هكذا ، نبطل[ك٣] أعمالنا في القعود معطلين ؟ بل ننفس[ل٣] في أعمال البر ، فكل ما زدنا منه[م٣] ازددنا به قربة الى الله تعالى . فيقال لهم : هذا (هو) الداء الدفين فيكم ، وأنتم به جاهلون ! متى وجدت[ن٣] نفسك لذة الطاعات[ه٣] وحلاوتها فأجبتها[و٣] صرت[ي٣] مفتوناً بها . فتأمل[١٤] هذا المكان ، فان فيه مسرحاً من مسارح النفس ومصيدة من مصايد الشيطان . وأعوذ بالله ممن يصير مفتوناً[ب٤] بالطاعة[١٤] !

ز٣ + عن عن V .
س٣ عن V .
ش٣ — F .
ص٣ بخدعتها F ؛ بخدعها V .
ض٣ متى F .
ط٣ ويسحو V .
ظ٣ + حتى V .
ع٣ لا V .
غ٣ اقضي V
ف٣ وطرها V .
ق٣ رفض V .
ك٣ نبطل V .
ل٣ نكس V .
م٣ — F .
ن٣ اوجدت V .
ه٣ الطاعة V .
و٣ فاذا تجيبها F ، تحبها V ، + حتى F . ي٣ بصبر F ، نصر V ، + جا F ، بالطاعة V .
١٤ — V .
ب٤ مفتونا F .

أما[ت٤] بلغك الخبر ، بن جريج[٢٠][ث٤] الراهب ، حيث نادته أمه وهو في الصلاة ، وآثر[ج٤] الصلاة على إجابة[ح٤] أمه[خ٤] — فلقي ما لقى من البلاء ؟ وهكذا[د٤] تكون[ذ٤] فتنة الطاعة. وهل تكون[ر٤] الفتنة الا من[ز٤] وجود النفس لذة الشي.[س٤] ؟ فكيف يطمح قلبك[ش٤] أن يصل الى الله تعالى ، مع شهوة النفس[ص٤] ؟ فان شهوة النفس هي الدنيا[ض٤] ! إن هذا لحمق ! والجهل قد يبلغ بصاحبه[ط٤] منازل الحمقى .

ويقال لمثل[ظ٤] هذا[ع٤] المفتون ، بمثل[غ٤] هذا القول : متى تتخلص[ف٤] من[ق٤] لحظات[ك٤] نفسك الى جهدك ، واعمال برك ، حتى لا تكون[ل٤] معتمدًا عليه ؟ والمعتمد على عمله متى يفلح ؟ وهذا[م٤] الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « انه[ن٤] ليس احد منكم ينجيه عمله . قالوا[هـ٤] : ولا انت ، يا رسول الله ؟ قال[هـ٤] : ولا أنا ، الا ان يتغمدني الله برحمته[٢١] » .

---

٢١) انظر ما يتعلق بهذه الشخصية اليهودية ، بحسب التراث الاسلامي : ابن حنبل ، مسند ، مجلد ٢ : ٣٠٧ – ٣٠٨ ؛ الموطأ : جنائز فصل ٤٣ ، وفصل ٦٥ ؛ صحيح مسلم فصل ٢ و٧ ؛ وابن ماجه ص ٣٠٨ ، ٣٨٤ ، ٤٣٣ ؛

٢٢) هذا الحديث رواه البخاري انظر صحيح البخاري ، الرقاق فصل ١٨ ، المرضى فصل ١٩ ،

ت٤ أوما F .   ث٤ جربر F ، حرع V .

ج٤ فاناب V .   ح٤ اجابتها V .

خ٤ – V .   د٤ فكذا V .

ذ٤ يكون F .   ر٤ يكون F .

ز٤ – F .   س٤ شي. V .

ش٤ – V .   ص٤ نفس F .

ض٤ دنياه V ، + فيطمع ان يصير الى الله تعالى مع الدنيا V

ط٤ + المفتون V .   ظ٤ له V .

ع٤ – V .   غ٤ قبل V .

ف٤ ينخلص F .   ق٤ – F .

ك٤ لحطاب F .   ل٤ لا يكون F

م٤ – F .   ن٤ – V .

هـ٤ – هـ٤ – V .

قال له قائل : فماذا يصنع إن[ي] لم يعمل نفسه[و] في الطاعات ؟

قال : يؤدي[ي] الفرائض ، ويحفظ[ا] الحدود . فليس في هذا[ب] الشغل ، ان قام به ، ما يعجزه[ت] عن سائر الاشيا. . واي عبودة[ث] أشرف من هذا ؟ وهل ألزم الله العباد إلا بهذا[ج] ؟

قال له قائل : فهل يضره[ح] ان هو اشتغل بهذه الطاعات ؟

قال : وأي[خ] ضرر بأكثر من سائر الى الله تعالى ، وقف[د] على بعض عبيده ، او على شي.[ذ] من خلقه ، يلتذ به ؟ أليس هذا مما يقف[ر] به[ز] عن السير[س] ؟ أرأيت لو أن امير المؤمنين دعا بعض قواده ليقربه ويخلع عليه ويحبوه[٢٢] ؟ فسار إليه هذا القائد ، فلما بلغ بعض الطريق ، عمد الى موضع نزه ، حلي[ش] اصدره لنزاهته[ص] ، فاخذ يبني له هناك قصراً . هل يقع ذلك من امير المؤمنين ؟ واحتج (القائد) بأن قال : أبني هذا القصر ، لاتقرب به اليه[ض] . أليس هذا ، عند اهل العقل ، من الحمق ؟ وما خطر هذا القصر ، عند امير المؤمنين ؟ وأين هذا من ملكه ؟ انما دعاك ليقربك، ويظهر مكنون ما عنده لك. فما اشتغالك بهذا ؟ قال (القائد) : لازداد به[ط] عنده . قربة !

والدارمي ، مسند ، رقاق فصل ٣٦ ; وابن حنبل ، مسند مجلد ٢ : ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، مجلد ٣ : ٥٢ ، ٢٣٧ ، ٣٦٢ ، مجلد ٦ : ١٢٥

٢٢) هذا المثل يستشهد به مراراً الحكيم الترمذي، انظر مثلاً مخطوط Leipzig, n° 212 folio 42ª, + 60ª

و[٤] — و[٤] — V ، اذا نعمل نفسه F .
ي[٤] تؤدى F .
ا[٥] وتحفظ F
ب[٥] + من V .
ت[٥] ان يعجزه F ..
ث[٥] عبادة F .
ج[٥] هذا VF.
ح[٥] يضر V .
خ[٥] فأي F .
د[٥] واقف F .
ذ[٥] بني. F .
ر[٥] يوقف F .
ز[٥] — F .
س[٥] النشر V .
ش[٥] خلا V .
ص[٥] نناهه F .
ض[٥] اليك F .
ط[٥] — V .

فسمع امير المؤمنين بذلك ، فازدرى[ظ] عقله[ظ] ، وقال[ع] : أحسب[غ] هذا انما دعوته لاقربه بما سلف منه اليّ ؟ فوجد عليه من ذلك ، وقال[ف] : اكتساب الجاه عندي أن[ق] تسير[ك] اليّ عندما بلغتك[ل] دعوتي[م] ؛ فتنال محل القربة؛ لا باشتغالك بينا. القصر لي.

فاذا كانت هذه المعاملة ، فيما بين[ن] العبد ، في الدنيا هكذا — فكيف بمعاملتك مع رب العزة على هذا السبيل.

(الفصل الثاني)

(دعوة الحق واجابة العبد)

إن الله تعالى دعا[ا] العباد ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ، إِذَا دَعَاكُمْ ، لِمَا يُحْيِيكُمْ[٢٣] ﴾ فأجابته طائفة بأن آمنوا به ، وخلطوا في عمل[ب] الاركان . فقيل لهم[ت] : لكم ، بما[ث] أجبتم[ج] ، حياة القلوب توحيداً . ثم تقدمت طائفة اخرى ، امام هذه الطائفة[ح] ؛ فأخلصوا العمل لله[خ] ، وتطهروا من التخليط فقيل لهم : لكم ، بما أجبتم[د] ، حياة الأركان[ذ] طاعة

---

٢٣) سورة ٨ : ٢٤

ظ – ظ فان رايه V .

ع فقال V .

غ حسب VF .

ف فقال V .

ق باب V .

ك يسير V .

ل بلغك V .

م + تسير الا نمرج يمينا وشمالا نعظيما لدعوته فبهذا كنت تصير الى الجاه عندي V .

ن – V .

ا ادعى F ، دعى V .

ب اعمال F .

ت – V .

ث ما V .

ج اوجبتم F .

ح الطبقة V .

خ – V .

د اوجبتم FV.

ذ الركان V .

وتسليماً . ثم تقدمت طائفة امامها ؛ فأخلصوا القلوب ، وتطهروا من شهوات النفوس وأعمال الهوى . فقيل لهم[ر] : الكم ، بما أجبتم[ز] ، حياة النفوس الشهوانية انقيادًا لما يأتي به القلب ، ويرد[س] عليه [١٠٥] من اليقين . ثم تقدمت طائفة أخرى أمامها ، تتقرب[ش] اليه . فقيل لهم[ش] . لكم ، بما أجبتم[ص] ، حياة القلوب والنفوس[ض] جميعاً[ط](٢٤) !

فهذه اربع[ظ] طبقات . كل طبقة انما تعطى من هذه الحياة ، التي وعد الله بها[ع] ، على قدر استجابتها لدعوته . فان[غ] موت القلوب من شهوة[ف] النفس . فكلما رفض[ق] شهوة نال من الحياة بقسطه . فيقال لهذا السائر الى الله ، عز وجل : انك لن تنال الوصول اليه ، ومعك مشيئة لنفسك[ك] . الوصول اليه من أعظم المشيئات ! فانت باق[ل] حتى ترفض هذا كله . وانما تباينت احوال الاولياء ، وبعد[م] البون[ن] هنا من اجل مشيئة الوصول اليه[ه] ، والنظر الى جهدهم[و] . وسأبين ذلك في موضعه ، إن شاء الله تعالى !

---

٢٤ بعض المفسرين يفسر الحياة المذكورة في الآية الكريمة : « اذا دعاكم لما يحييكم » بالاسلام ، او الحقيقة ، او القرآن ، او الجهاد . راجع تفسير ابن كثير مجلد ٢ : ٢٩٧-٢٩٨ وقد ذكر الترمذي هذه الآية الكريمة في كتاب الثناء والمسائل ورقة ٨٧ب (نسخة ولي الدين ٧٧٠) وشرحها على النحو المذكور هنا في ختم الاولياء .

ر – V .
ز اوجبتم V .
س ويورده F ، ويورد V .
ش – ش – V .
ص اوجبتم V .
ض والبدن F .
ط + يقرب الله ثم تقدمت طائفة اخرى امامها فقيل لكم بما اوجبتم حياة القلوب والنفوس جميعاً بالله V .
ظ خمس V .
ع – V .
غ فاذا V .
ف شهوات F .
ق زال V ، + من V .
ك + دق او جل ومشيئتك لنفسك V .
ل باقي V .
م فبعد F .
ن النور V .
ه اليهم V .
و جهده F .

فالطبقة[ي] الاولى سارت قليلًا . فلما وجدت روح القربة ظنت[ا] انها[ب] قد اصابت[ت] القوة كلها ؛ فتبجحت[ث] في شهوات النفس[ج] : من الضيافات[ح] واتخاذ الاخوان[خ] وبقيت[د] الكلام[ذ] خاليًا مما يأتي به . حتى[ر] استولت[ز] على[س] رياسة ، في قرية او ناحية من النواحي ؛ أو على طائفة من هؤلاء الزمنى[ش] ، بين جهال وفتيان ونساء . فاستطابت[ص] طمح تلك الابصار إليها[ض] ، وتعظيمهم لها[ط] ، وبرهم بها[ظ] . فبذه[ع] ثمرة[غ] سيرها[ف] : ظاهرها[ق] تخليط ، وباطنها[ك] مزبلة . فهؤلاء[ل] قتلى[م] هذا الطريق.

الطبقة الثانية سارت قليلًا . ثم عرجت على الطاعات تلتذ بها حتى أذتها الى العبادة الظاهرة . فبقيت وفي نفسها مكامن الفتن كالسيل والليل ؛ مثل التعظيم لامرها ، والإعجاب بنفسها ، والكبر والتيه والنخوة. والتصنع والمداهنة والطمأنينة الى قبول الناس لها ، ورضاهم بذهبها . فأذنها مصغية الى ثناء الناس عليها ، والفرح بمدحهم لها . وخوف سقوط منزلتها عندهم لازم لقلبها . تتراءى لهذا ، وتعتذر وتتملق لهذا. عامة أمرها على الحتل والمخادعة، تيقيًا على احوالها،

ي الطبقة F .

ا ظن F . — ب انه F .

ت اصاب F . — ث فتجح F .

ج النفوس V . — ح الضيافان V .

خ الاحزان V . — د بقيت V .

ذ + وبقيت لذة الكلام F — ر – V .

ز + ستولى VF . — س في VF .

ش + من V . — ص فاستطاب VF .

ض اليه VF . — ط له VF .

ظ به VF . — ع فهذا V .

غ عزيزه V . — ف سيره F ، يسيره V .

ق فظاهره F ، في ظاهره V . — ك وباطنه VF .

ل فهذا VF : — م قتيل VF .

التي هي نزهة نفسها . فان ذكرت الآخرة وشدائدها ، ذكرت أعمالها التي تعمل اركانها جهدًا ، فطابت نفسها . وهل[ن] تطيب نفسها[ه] الا من ركونها[و] اليها ؟ متى[ي] عرفت[ا٢] هذه[ب٢] ربها «[ت٢] ، حتى[ث٢]» تطمئن[ج٢] الى أعمال خرجت من أركان دنسة وقلب كدر وايمان سقيم ؟

والكيس[ح٢] فتح له الطريق . فسار[خ٢] الى الله تعالى ، لا يعرج يمينًا ولا شمالًا . فعف عن شهوات المعاصي ، ثم عف عن شهوات الحلال ، كما عف عن شهوات الحرام . ثم عف عن شهوات الطاعات ، وتخير[د٢] الاحوال كما عف عن الحرام . ثم عف عن كل مشيئة خطرت «[ذ٢] بباله[ذ٢]» ، كما عف عن هذه الاشيا.. يقول في نفسه : ان حجابي ، بيني وبين ربي ، نفسي ، فما دامت معي مشيئة فنفسي قائمة بين يدي ، تحجبني عن ربي.

فهذا عبد مسدد موفق ! فما زالت به امواج المجاهدة ، ترفعه وتحفظه . فكلما وجد من عمل لذة فارقه وتحول الى غيره ، حتى مل واجهد[ر٢] . فرفض العمل كله ، وقعد حارسًا لقلبه من لصوصية هذه النفس .

فقال له قائل : وكيف يحرسه ؟ وما لصوصية النفس ؟

قال : ان الصدر ساحة النفس[ز٢] والقلب[س٢] . فللقلب[ش٢] في هذه الساحة باب ، وللنفس باب[(٢٥)] . فاذا دخل[ص٢] العطا. من الله في الصدر فانما[ض٢] هو[ط٢]

---

٢٥ للترمذي نظرية كاملة خاصة بالقلب والنفس والصدر ، من الوجهة البسيكولوجية والروحية . وقد خصص لهذه المسائل الهامة عدة ابحاث من كتبه ومقالاته (انظر مثلًا كتاب

ن فهل VF :

ه نفسه VF .

و ركونه VF .

ي فتى V .

ا٢ عرف VF .

ب٢ هذا VF .

ت٢ ربه VF .

ث٢ حيث V .

ج٢ يطمئن VF .

ح٢ فالكيس V .

خ٢ وسار V .

د٢ وتخير V .

ذ٢ — ذ٢ — F .

للقلب . وثارت[ظ٢] النفس لتأخذ[ع٢] نصيباً من حلاوة[غ٢] العطا.[ف٢] . فان اخذت بغلبتها نصيبها لم يقدر الحارس[ق٢] على منعها . فاذا ارادت ان تعمل[ك٢] اعمال البر ، بما اصابت من[ل٢] العطا. ، منعها من العمل[م٢] . فهذا موضع الزلل[ن٢] .

فالجاهل بهذا الطريق لما اصابت النفس حلاوة العطا. ، استقرت[ه٢] بصاحبها[ه٢] ، فدعته[و٢] الى عمل الاركان ، وهي خائنة لما فيها من الشهوات . فان تركها صاحبها[و٢] وما استقرت[ي٢] به أفسدت نصيبها من العطا. له[ا٣] بشهواتها . فهذا الحارس لهذا الطريق[ب٣] ، بغاية الشغل فكيف يصل الى عمل الاركان ؟ أليس عمل الاركان ، على ما وصفناه[ت٣] ، بطالة؟فلا تعبأن[ث٣] بهؤلاء.[ج٣]

ادب النفس : وك. الرياضة ؛ وك. الفرق بين الصدر والقلب . . .) . الصدر ، في نظر شيخنا ، هو المظهر الخارجي للقلب ، وهو ميدان عام يلتقي عنده القلب والنفس . وهو مضاء بنور الاسلام . اما القلب فهو مستنير بنور الايمان ، وهو عرش الله ، الذي لم تسعه السموات والارض ! وللقلب نظران : نظر للحق ونظر للخلق . اما النفس ، فهو دائماً يستعملها بالمعنى الحيواني او الشهواني (النفس الشهوانية او الحيوانية) ومن ثمّ يجب كبح جماحها ، لانها مصدر الشرور والآفات . يقارن هذا مع«شرح الفقه الاكبر»المنسوب الى + ابي منصور الماتريدي ، ص ٧ طبعة حيدرباد سنة ١٣٢١ هـ.

ر٢ واجتهد V .
ز٢ – V .
س٢ القلب V .
ش٢ وللقلبV .
ص٢ حل V .
ض٢ + قعد حارساً V .
ط٢ – V .
ظ٢ – V .
ع٢ لياخذ V .
غ٢ بحلاوة F ، – V .
ف٢ – V .
ق٢ الحادثين V .
ك٢ + الاركان يعمل من F .
ل٢ + الحظ F .
م٢ القصد V .
ن٢ الزلة V ، الدلالة F ، + اذا عمل وتابع هواها F .
ه٢ – ه٢ استنزت بصاحبها F .
و٢ – و٢ – F .
ي٢ استنزت F .
ا٣ – F .
ب٣ – V .
ت٣ وصفت V .
ث٣ نمان V .
ج٣ لهؤلاء V .

البطالين ، ولا يغرنك تماوتهم وسمتهم[ح٣] ، فان عامّتهم هرّاب ، وعبيد[خ٣] أباق[د٣] !

فما زال ذلك[ذ٣] دأب هذا الصادق ، في سيره الى الله تعالى[ر٣] . يمنع نفسه لذة الحلال[ز٣] ، ولذة الطاعات ، ولذة العطا . ومع ذلك ، يجاهد نفسه في تصفية الاخلاق الدنيئة : مثل الشح والرغبة والمذمة[س٣] والجفوة والحقد ، واشباه[ش٣] ذلك . فان الشح والرغبة والحقد والجفوة[ش٣] من قذر[ص٣] النفس . وهو دائب في هذا السير . فأي عبادة تفوق هذا ؟ حتى اذا استفرغ مجهوده من الصدق ، ولم[ض٣] يبقَ للحق[ط٣] قِبَلَهُ[ظ٣] اقتضا ، التفت الى نفسه فوجدها ، كما كانت بديا ، فيها تلك الهنات[غ٣] موجودة .

قال له قائل : وما تلك الهنات[غ٣] ؟

قال : الفرح بالاحوال عند الخلق ، والطلب[ف٣] للمنازل العلية عند الله . ومع هذا الفرح بالاحوال[ف٣] ، يطلب[ق٣] عندهم[ك٣] المنازل[ل٣] في مكامن نفسه[م٣] ، ركوناً[ن٣] الى الحياة وتنسماً[ه٣] لروحها ، ولقاء الاخوان[و٣] ، والبطر[ي٣] في المواضع التي هي[ا٤] مطمأن[ب٤] النفس من بقاع الارض . بمنزلة سمكة يريد صاحبها أن

ح٣ وتشبيهم V ، وتسمتهم F

خ٣ عبد F .

د٣ + متاكلة VF .

ذ٣ – F .

ر٣ – V .

ز٣ الحرام V .

س٣ – F .

ش٣ – ش٣ – F

ص٣ قدر VF .

ض٣ فلم VF .

ط٣ فلم VF .

ظ٣ بفعله F .

ع٣ الهبات V .

غ٣ الهبات V .

ف٣ – ف٣ – F .

ق٣ ويطلب F .

ك٣ ثالث F .

ل٣ المنزلة V .

م٣ + سرا من صاحبه VF .

ن٣ وركونا VF .

ه٣ ويتنسا VF .

و٣ + في F .

ي٣ النظر F .

ا٤ – F .

ب٤ مطان F ، + مكامن F .

يتها ، فيلقيها[ت٤] على التراب[ث٤] ؛ فهي[ج٤] تضطرب فيه ، قد أزف[ح٤] منها الموت . ثم يشفق[خ٤] عليها صاحبها ، فيغطها[د٤] في الماء غطاً[ذ٤] ، ثم يرمي[ر٤] بها الى اليبس . ثم لما ازف منها الموت ، رش عليها الماء فأحياها : فهذا لعب من صاحبها بها !

فلما استفرغ هذا الصادق مجهوده من الصدق في سيره ، + على ما وصفت ، ووجد[ز٤] نفسه[س٤] حية معها هذه الصفات — تحيّر وانقطع صدقه . وقال : كيف لي ان اخرج من نفسي حلاوة هذه الاشياء ؟ فعلم انه لا يقدر على ذلك ، [١٥٥ ب] كما لا يقدر ان يبيض الشعرة السوداء .

وقال : ان هذه نفسي قد اوثقتها بالصدق مني الى الله ؛ فكيف[ش٤] لي[ص٤] ان حللت[ض٤] وثاقها فأبقت[ط٤] وهربت[ظ٤] ، متى الحقها ؟ فوقع في مفازة[ع٤] الحيرة . فاستوحش ، وبقي وحيداً في[غ٤] تلك المفازة[ف٤] . لانه قد[ق٤] ذهب أنس النفس ولم ينل انس الخالق . فحينئذ صار مضطراً ، لا يدري أيقبل[ك٤] ام يدبر ؟ فصرخ الى الله ، يائساً[ل٤] من صدقه ، صفر اليدين ، خالي القلب من كل جهد . وقال في نجواه : قد[م٤] تعلم[م٤] ، يا عالم[ن٤] الغيوب[ه٤] والخفيات[و٤] ،

ت٤ فالقاها V ، والقاها F .
ث٤ تراب V .
ج٤ وهي F .
ح٤ فذارف F .
خ٤ نشفق F ، شفق V .
د٤ فغمسها F ، فيغطها V .
ذ٤ غمساً V .
ر٤ رمى V ، — F .
ز٤ ووجدها F .
س٤ — F .
ش٤ وكيف F .
ص٤ جا F .
ض٤ آخذ V .
ط٤ — V ، + على F .
ظ٤ وهرب V ، + مني V .
ع٤ مفاوز V .
غ٤ + حلا V .
ف٤ المفاوز V .
ق٤ — V .
ك٤ يقبل F .
ل٤ آيساً V
م٤ — م٤ — V .
ن٤ علام V .
ه٤ — F .
و٤ الخفيات F .

أنه لم يبقَ لعلمي بالصدق موضع قدم أتخطى[ي] به ؛ ولا لي[أ] مقدرة على محو هذه الشهوات الدنسة من نفسي وقلبي — فاغثني[ب] !

فأدركته الرحمة ، فرحم. فطير[ت] بقلبه ، من مكان الذي انقطع فيه[ث] ، في لحظة ؛ فوقف به في محل القربة عند ذي العرش . فوجد روح القربة ونسيمها وتبحبح[ج] في فضائها ، وفي ساحات[ح] توحيده . وذلك قوله ، عز وجل : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ + وَيَكْشِفُ السُّوءَ[خ] وَيَجْعَلُكُمْ[د] خُلَفَاءَ الْأَرْضِ[ذ] (٢٦)﴾ .

ينبؤك[ذ] في هذه الآية[خ] ، أن وله قلبك الى صدق نفسك وجهدك يكشف السوء عنك ، ولا[ر] يجيبك[ز] الى ما[س] دعوته[٢٧] حتى تخلص دعوتك ووله قلبك الى الله تعالى[ش] ، الذي أوله القلوب ، وحتى[ش] تكون[ش] مضطراً[ص] إليه[٢٨] .

٢٦) سورة ٢٧ : ٦٢

٢٧) يقارن هذا مع نص ادب النفس ص ١٤٩

٢٨) ان الله أوله القلوب بحبته فاضطرت اليه (اي انجذبت بفطرتها الصافية السامية اليه) ان الاشتقاق اللغوي للالوهية صادر عن الوله : (= أله ' وله) . فوله القلوب بالله هو صورة او رمز لوله الذات الالهية نفسها وحبها الدفين للخلق والظهور والتجلي ("كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف . . .) بخصوص الصلة بين الوله والالوهية ، من الوجهة اللغوية راجع لسان العرب مجلد ١٧ : ٢٠٦ (مادة اله) . وبخصوص الصلة بين وله القلوب ومحبة الالوهية للظهور والتجلي . راجع :
H. Corbin, *Sympathie et théopathie*, in Eranos jahrbuch XXIV.

ي) اتخطا VF .
أ) — V .
ب) فاغنى F .
ت) فطهر V .
ث) + صدقه V .
ج) وبحج F .
ح) مناجاة V .
خ) + الآية V .
د) — د) — V .
ذ) — ذ) — V .
ر) — ر) — V .
ز) — F .
س) — V .
ش) — ش) — V ، حتى تكون F
ص) مضطرا F .

فالمضطر (هو) الذي انقطع زاده وحمولته ، وبقي متحيراً في المفازة[ض٥] لا يهتدي الى[ط٥] الطريق . فهو[ظ٥] مرحوم مغاث[ع٥] . ألا ترى ان[غ٥] الله تعالى[ف٥] احل[ق٥] للمضطر ، في مفازة[ك٥] الارض ، الميتة[ل٥] رحمة له[٢٩] وغياثا[م٥] ؟ فالمضطر في مفاوز[ن٥] السير[ه٥] اليه احق بالرحمة والغياث !

وقال ، عز[و٥] اسمه[و٥] ! في تنزيله : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ[٣٠] ﴾ فحقيقة[ي٥] الجهاد ألا يبقى للصدق موضع قدم يتخطى اليه[٣١] .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا[ا٦] لَنَهْدِيَنَّهُمْ «ب٦ سُبُلَنَا ب٦» [٣٢] ﴾ والسبل[ت٦] هي[ث٦] الطرق[ج٦] . يعلمهم[ح٦] ان للاولياء طرقاً[٣٣] ، فيها تفاوت

راجع ايضاً ك . علم الاولياء للترمذي ص ٦١ (مخطوط بورصة رقم ٨٠٦)؛ و ك : 206 انواع العلوم للترمذي ، ورقة ٣١ب (مخطوط ولي الدين رقم ٧٧٠ (+) .

٢٩) انظر سورة ٢ : ١٧٣ ، ٥ : ٣ ، ٦ : ١٤٥ ، ١١٩ ، ١٦ : ١١٥

٣٠) سورة ٢٢ : ٧٨

٣١) قارن معنى الجهاد الذي يذكره هنا المصنف مع معناه اللغوي (لسان العرب : مادة جهد) وما يذكره المفسرون بهذا الصدد (ابن كثير : مجلد ٣ : ٢٣٦ ، ٢٣٧

٣٢) سورة ٢٩ : ٦٩ ؛ وانظر التعليق السابق رقم ١٧

٣٣) اذن السبل الى الله متعددة ؛ ويقول المثل الصوفي : الطرق الى الله تعالى على عدد نفوس بني آدم . . . ولكن الطريق المستقيم واحد وهو الطريق الذي يوصل الى الله بعدة

ض٥ مفاوز V .

ظ٥ وهو F .

غ٥ — V .

ق٥ اباح V .

ل٥ + ما اباح V

ن٥ مفازه F .

و٥ — و٥ — F .

ا٦ + الآية ٦ .

ت٦ وان السبل V .

ح٦ ليعلم V .

ط٥ — V .

ع٥ معاث F .

ف٥ + قد V .

ك٥ مفاوز V .

م٥ وعيانا F ، وغياثها V .

ه٥ المسير F .

ي٥ حقيقة V .

ب٦ — ب٦ — V .

ج٦ الطريق F .

على اقدار نفوسهم ووقائها[خ٦] واحتمالها لما يرد من العطاء[خ٦]. وانما هداهم لسبله بصدق المجاهدة. والهدى ان يميل بقلبه، مشتق من تهادى، يقال في اللغة: مشى فلان بتهادى، اي يتمايل. ومنه مأخوذة الهدية، لانها تميل بالقلب الى صاحبها[٣٤].

وانما رحم العبد حين خلصت دعوته، وانما خلصت دعوته حين صار مضطراً ولم يبق له معتمد (يعتمد عليه) ولا ملتفت يلتفت اليه. فأما دعوة رجل احدى عينيه الى ربه والاخرى الى عمله، فما هو بمضطر ولا خلصت دعوته. فلما اجيبت لهذا المضطر دعوته، طير من محل الصادقين، في طرفة عين، الى محل الاحرار الكرام. ورتبت[د٦] له هناك مرتبة، على شريطة لزومه المرتبة ليعتق من رق النفس، ويكشف عنه السوء، الذي وصفه الله تعالى في هذه الآية.

اقل (الخط المستقيم هو اقرب مسافة بين نقطتين) وعلى نحو اتم. والطريق المستقيم هو الذي اوحى الله به على لسان رسوله وهو الذي حققه الرسول، عليه الصلاة والسلام، في حياته قولا وفعلا وحكماً. قارن هذا بما يذكره ابن عربي، في مقدمة النصوص ويسميه: بالطريق الامم وما يذكره ابن تيمية في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم »، في المقدمة وفي ص ١١-١٢

(٣٤) الهدى في حكمة القرآن، له معنى دقيق وواضح: بعد معصية آدم، عليه السلام، يقول الوحي الالهي: « اهبطوا منها جميعاً فاما يأتيكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (سورة ٢: ٣٨).

وبعد ان يذكر القرآن الكريم الوحي الالهي السابق، المنزل على انبيائه ورسله يخاطب رسول الاسلام: « ذلك هدى الله يهدي به من يشاء . . . اولئك الذين هدى الله فبهداهم (لا بهم) اقتده ».

(سورة ٦: ٨٨ - ٩٠)

فعلى ضوء ما تقدم بكون الهدى، في وضع القرآن، هو الوحي السماوي الذي انزله الله على انبيائه، منذ اول نبي الى آخر نبي. والغاية الاساسية من هذا الوحي السماوي، هذا الهدى الرباني، هو تحرير الانسان من الخوف والحزن، اي تحرر الانسان التام من عوامل الضعف والنقص والانحطاط.

خ٦ - خ٦ - F   د٦ ورتب ٧ .

قال قائل : وما ذلك السو. ؟

قال : الذي وصفت[ذ٦] بديًا : مما كان يجده في نفسه ، من تلك الهنات الدنية ، التي لم يقدر ان يمحوها عن نفسه ، وانما يمحوها[ر٦] عنه[ز٦] الله ، عز[س٦] وجل[س٦] ! فقيل له[ش٦] : الزم هـذه المرتبة ، بقرب[ص٦] الله تعالى[ض٦] ! وانت عتيق من رقّ النفس حتى تزايلك هذه الهنات[ظ٦] ، التي في نفسك ، + بما يرد عليك من انوار القربة فتحرقها فتصير من صفوته ، وتصلح[ع٦] له . ووكل به الحق يحرسه[غ٦] . فان ثبت في مركزه فقد وفى بشرط الله[ف٦] ، وان اخـل بمركزه وهرب فهو[ق٦] مخذول[ق٦] ، خدعته[ك٦] نفسه الامارة بالسوء. فانظر أية[ل٦] نفس[م٦] هذه ، حيث تقدر[ن٦] على خدعه وهو في محل الكرام[ه٦] الاحرار ؟

قال له[و٦] قائل[ي٦] : وأين[ا٧] محل[ب٧] الصادقين[ب٧] ؟ واين محـل الكرام الاحرار ؟

قال : محل الصادقين في السما.[ت٧] الدنيا ، عند بيت العزة ، فهناك محلهم لانهم عبيد النفوس.

قال قائل[ث٧] : وما بيت العزة ؟

ذ٦ وصفنا V .
ر٦ محوها V .
ز٦ منه V .
س٦ – س٦ – F .
ش٦ – V .
ص٦ تقرب F .
ض٦ عز وجل F .
ط٦ تزايل F .
ظ٦ الصفات F .
ع٦ فتصلح V .
غ٦ ليحرسه V .
ف٦ + عز اسمه V .
ق٦ – ق٦ : فمخذول VF .
ك٦ عن خدعة V .
ل٦ اي V .
م٦ ÷ هي F .
ن٦ يقدر F .
ه٦ الاكرام V .
و٦ – V .
ي٦ القايل V .
ا٧ اين F .
ب٧ – ب٧ – V .
ت٧ سما. F .
ث٧ – VF .

قال : حيث نزل[٣٠] القرآن جملة واحدة ، في ليلة مباركة[٣٥] . فوضع في بيت العزة[٣٦] ، في سماء الدنيا ، ثم نزل[٣٠] نجوماً في عشرين سنة ، كذلك روى عن[٧٦] ابن عباس[٣٧] رحمه[٧٥] الله[٧٥] !

واما محل الاحرار الكرام ، فالبيت[٣٨] المعمور ، في حدود[٧٥] عليين[٣٩] . فوق السماء السابعة . يلجونها ثم يتفرقون منها ، على مراتبهم ، في عليين الى العرش ، عساكر بعضها فوق بعض ، حتى ينتهوا[٧٥] الى محل الاربعين ، حول العرش .

---

٣٥) الليلة المباركة التي انزل فيها القرآن هي ، بحسب بعض النصوص الدينية ، ليلة القدر ، انظر تفسير ابن كثير مجلد ٤ : ٢٢٩-٢٣٥

٣٦) هناك احاديث مروية عن الرسول عليه السلام تنص على وجود بيت العزة في سماء الدنيا . وعلى وجود البيت المعمور ، في حدود عليين ، راجع تفسير ابن كثير مجلد ٤ : ٢٣٩

٣٧) انظر ابن كثير مجلد ٤ : ٥٢٩ ؛ ويذكر ابن كثير ان ثمّت روايات عن ابن عباس رضي الله عنهما تدل على ان نزول القرآن منجماً كان في مدة ٢٣ سنة (انظر المرجع المتقدم)

٣٨) البيت المعمور (كما تقدم في تعليق ٣٦) هو في حدود عليين ، في السماء السابعة ، تلجه الملائكة بلا انقطاع . ومثاله في الارض الكعبة ، في المسجد الحرام بمكة ، حيث يلجها العباد بلا انقطاع ايضاً . راجع الاحاديث النبوية الخاصة بذلك في تفسير ابن كثير مجلد ٤ : ٢٣٩ . والقرآن الكريم نفسه يذكر البيت المعمور في آياته ، انظر سورة ٥٢ : ٤

٣٩) يذكر القرآن الكريم في سورة ٨٣ : ١٨-١٩ ان كتاب الابرار في عليين ؛ ومفسرو القرآن يأولون ذلك بانه منزل من منازل الجنة عند سدرة المنتهى (راجع تفسير ابن كثير مجلد ٤ : ٤٨٦) . وبعض الباحثين الغربيين يرى ان كلمة عليين القرآنية يقابلها في العبرانية Elyon ، وهي اسم مركب من El , Yon ومعناها الاله العظيم ، او الكبير . وكان يوجد في معبد (Panthéon) الفينيقيين صنم يسمى بهذا الاسم . ثم اطلق في العهد القديم على الاله الحقيقي (راجع سفر التكوين فصل ١٤ : ١٨-٢٢) . وانظر ايضاً ترجمة القرآن : Blachère ص ٦٤٢ تعليق رقم ١٨ ، وترجمة العهد القديم ل
L'Ecole Biblique de Jérusalem, p. 21 note d.

ج[٧] انزل V .
خ[٧] - F .
ذ[٧] خلود F .
ح[٧] انزل V .
د[٧] - د[٧] رضى الله عنها V .
ر[٧] ينتهى F .

(الفصل الثالث)

(ولي حق الله وولي الله)

فهؤلاء كلهم أولياء حقوق الله ، وهم اولياء الله يصيرون[ا] الى الله تعالى[ب] في مراتبهم . فيحلون بها ويتنسمون[ت] روح القرب ، ويعيشون في فسحة التوحيد والخروج عن[ث] رق النفس . قد[ج] لزموا المراتب ، فلا يشتغلون بشيء الا بما أذن لهم فيه[ح] من الاعمال . فاذا صرفهم الله من المرتبة الى عمل أبدانهم[خ] حرسهم[د] . فيمضون مع الحرس[ذ] في تلك الاعمال ، ثم ينقلبون[ر] الى مراتبهم . هذا دأبهم .

فمن لم يف[ز] منهم[س] بما شرط عليه من لزوم المرتبة[ش] ، ومضى في عمل من أعمال البر ، يحسب أنه قد قوى واستغنى ، بما ناله من نور القربة فينبغي ألا يكون معطلا — فقد[ص] وقع في الخذلان . لانه ترك الشرط ، ومضى بهوى نفسه .

وانما شرط عليه[ض] لزوم المرتبة ، لان هوى نفسه معه ، والادناس التي وصفت في نفسه . فكيف يجوز له[ط] ان يمضي من المرتبة الى عمل بلا اذن ؟ فانه اذا مضى بلا اذن ، لم يكن معه حراس[ظ] ، بل معه هواه وشهواته . فاذا عمل لله تعالى[ع] ، وهواه معه[غ] ، أيتركه[ف] ويخلي سبيله[ق] لان[ك] يرجع الى مكان

ا يسيرون F .
ب — V .
ت فيتنسمون V .
ث من V .
ج فقد VF .
ح — V .
خ ابديهم V .
د يحرس V .
ذ الحراس V .
ر ينقلون F .
ز يوف F .
س — V .
ش — V .
ص قد F .
ض — F .
ط — F .
ظ حريض V
ع — V .
غ — V .
ف لا يتركه V .
ق — ق — V
ك أن VF .

القربة ، فيقفُ^ل مع الصفوة^م في^ن المرتبة^ن ؟ ان هذا الحق عجيب ، لمن طمع في هذا ! وقد لطخ الحق وعمل بهوى نفسه .

فهذا^ه رجل مخدوع مستدرج. يعمل^و نفسه في انواع البر ، ويزعم انه^ي انما خلق^ي للعبودية^ا ، وهذه عبودية^ب . [١٥٦ ب] فيقال له : إن عبودية^ت الاوليا. أصفى من ان تخالطها^ث هنات النفس . وكيف يكون ما تعمل عبودية^ج ، وأنت في أوحال^ح النفس وشهواتها وخدعها وامانيها والتفاتها الى خيالها ؟ فان^خ احتج بقول الله ، عز وجل :

﴿ ثم جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ، مِنْ بَعْدِهِمْ^د . لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ^(٤٠) ﴾ وقال : أفلا^ذ ترى أنه أشار الى العمل ؟ فقل^ر له : احذر هذا « الكَيْف » ، الذي قاله ؛ فان « كيف » هو صفة العمل . أي^ز : لننظر بأي^ز صفة تعملون^س ؟ ولم يقل : لننظر ماذا تعملون .

فان أردت ان تقوم له بالعبودية^ش ، فاجتهد في خروجك من رق النفس الى رقه ، حتى تكون له عبداً . فالعبودية^ص لعبيده ، والعبادة لعبيد النفوس^ض .

---

٤٠) سورة ١٠ : ١٤

ل + في المرتبة V .

ن – ن – V .

و يعمل V .

ا للعبودة V .

ت عبودة V .

ج عبودة V .

خ – V .

ذ اولا V .

ز – ز الذي ننظر الى F .

ش العبودة V .

ض النفس V .

م الشهوة V .

ه هذا V .

ي–ي اني خلقت F ، اني انما كلفت V .

ب عبودة V .

ث يخالطها F .

ح احوال F .

د – د – V .

ر فيقال V .

س تعمل V .

ص فالعبودة V .

ومن لم يصل الى الله ، عز[ط] وجل[ظ] ، في مجالس القربة ، حتى تحرق تلك الانوار جميع ما في نفسه من الادناس – فهو[ع] بعد في الطريق ، لا يدري أين هو . واثا جرأته[غ] على الامور ، من[ف] بعض انوار العطاء .

فكيف[ق] يخاطر المرء بنفسه ، وينخدع لها ، ويخالط[ك] ويباشر الامور[ل] ، التي تتدنس[م] نفسه[ن] فيها ، وتأخذ[ه] بنصيبها[و] ؟ ثم يزعم انه ذو حظ من الله ! هيهات !

فهذا رجل لم يصبر على السير[ي] ، فملّ . ولم يرتفع له ما أمّل من الوصول الى + الله تعالى . فأقبل على النساك يتصنع باعمالهم ، وينطق بكلام الاولياء الى ما لا يعلمه . فكفى بهذا ترديا في آبار المهالك !

[ط] – ط – V .
[ظ] + فانما وصوله الى مكان القربة VF .
[ع] اذ هو F ، او :
[غ] حرى به V .
[ف] ÷ حيث F .
[ق] كيف VF .
[ك] فيخالط F .
[ل] للامور F .
[م] يدنس F .
[ن] – F .
[ه] ويأخذ V ، فتأخذ F ، ÷ النفس F .
[و] نصيبها F .
[ي] السر F ، ÷ قلبه F .

(الفصل الرابع)

(المسائل + الروحانية)

فيقال لهذا المسكين المتحير :

(السؤال الاول) صف لنا منازل الاوليا. اذا استفرغوا مجهود الصوق، كم عدد منازلهم[٤١] ؟

٤١) «هي مايتا الف وثمانية واربعون الفاً . لكل منزل خصوص + وصف ليس للآخر . وهي على ثلاث طبقات : الطبقة الوسطى ماية الف منزل وثلاثة وعشرون الف منزل وسبعة وثمانون منزلا . وما بقي فبين الطبقتين (الاولى والاخيرة) . هذا كله في عالم رداء الكبر . والذي لهم في (عالم) ازار العظمة ، مما هو زائد على هذا ، الف منزل وبضعة وعشرون منزلا ، لها خصوص وصف . وعدد الاوليا. في كل زمان ، الذين لهم هذه المنازل، ثلاث مائة وستة وخمسون وهم على طبقات ستة . وما منهم شخص الا وهو ينكر على صاحبه ؛ وفيهم رجال ونسا. . » (الجواب المستقيم مخطوط بايزيد ٣٧٥٠ ورقة رقم ٢٤١ ب) .

+ « الجواب : اعلم ان منازل الاوليا. على نوعين : حسية ومعنوية . فمنازلهم الحسية في (الآخرة) الجنان ، وان كانت الجنة مائة درجة . ومنازلهم الحسية في الدنيا احوالهم ، التي تنتج لهم خرق العوائد . فمنهم من يتبرز فيها ، كالابدال واشباههم . ومنهم من تحصل له ولا يظهر عليه شي. منها ، وهم الملامتية واكابر العارفين . وهي تزيد على مائة منزل وبضعة عشر منزلًا . وكل منزل يتضمن منازل كثيرة . فهذه منازلهم الحسية في الدارين .

واما منازلهم المعنوية في المعارف ، فهي مائتا الف منزل وثمانية واربعون الف منزل محققة . لم ينلها احد ، من الامم ، قبل هذه الامة ؛ وهي من خصائص هذه الامة . ولها اذواق مختلفة ، لكل ذوق وصف خاص يعرفه من ذاقه . وهذا العدد منحصر في اربعة مقامات : مقام العلم اللدني ، وعلم النور ، وعلم الجمع والتفرقة ، وعلم الكتابة الالهية . ثم بين هذه المقامات ، مقامات من جنسها تنتهي الى بضع ومائة مقام ؛ كلها منازل للاوليا. . ويتفرع من كل مقام منازل كثيرة ، معلومة العدد يطول الكتاب بايرادها . واذا ذكرت الامهات ، عرف ذوق صاحبها .

فأما العلم اللدني ، فمتعلقه الالهيات وما يؤدي الى تحصيلها من الرحمة الخاصة . واما علم النور ، فظهر سلطانه في الملأ الاعلى ، قبل وجود آدم ، بآلاف السنين ، من ايام الرب ،

واما علم الجمع والتفرقة ، فهو البحر المحيط ، الذي اللوح المحفوظ جزء منه . ومنه يستفيد العقل الاول ؛ وجميع الملأ الأعلى منه يستمدون . وما ناله احد ، من الامم ، سوى أولياء هذه الامة . وتتنوع تجلياته ، في صدورهم ، على ستة الاف ومئين . فمن الاولياء من حصّل جميع هذه الانواع ، كأبي يزيد البسطامي ، وسهل بن عبد الله . ومنهم من حصّل بعضها .

وقد كان للاولياء ، في سائر الامم ، من هذه العلوم نفثات روح في روع : وما كمل الا لهذه الامة تشريفاً لهم وعناية بهم ، لمكانة نبيهم ، سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ! وفيه من خفايا العلوم ، التي هي بمنزلة الاصول ، ثلاثة علوم . علم يتعلق بالالهيات ، وعلم يتعلق بالارواح العلوية ، وعلم يتعلق بالمولدات الطبيعية .

فأما ما (الاصل: فما) يتعلق منه بالالهيات ، (فهو) على قدم واحدة لا يتغير ، وان تغيرت تعلقاته . والذي يتعلق منه بالارواح العلوية ، فيتنوع من غير استحالة . والذي يتعلق بالمولدات الطبيعية ، يتنوع ويستحيل باستحالاتها . وهو المعبر عنه « بأرذل العمر ، لكيلا يعلم ، من بعد علم ، شيئاً » . فان المواد ، التي حصل له منها هذا العلم ، استحالت فالتحق العلم بها ، بحكم التبعيّة .

وكما هي أصولها ثلاثة (الاصل: ثلاث) علوم ، فالاولياء فيها على ثلاث طبقات . الطبقة الوسطى منهم ، لهم مائة الف منزل وثلاثة وعشرون الف منزل وستمائة الف منزل وسبعة وثمانون منزلاً أمهات . يحتوي كل منزل منها على منازل لا يتسع الوقت لحصرها ، لتداخل بعضها في بعض (الاصل : بعضها) ، ولا ينفع فيها الا الذوق خاصة . وما بقي من الاعداد ، فمقسّم بين الطبقتين . وهما اللذان ظهرا برداء الكبرياء وازار العظمة . غير ان لها ، من ازار العظمة ، مما يزيد على هذا ، الذي ذكرناه ، الف منزل وبضعة وعشرون منزولاً . (و)لهذه المنازل خصوص وصف لا يوجد في منازل رداء الكبرياء . وذلك ان رداء الكبرياء ، مظهره من الاسم الظاهر ؛ والازار مظهره من الاسم الباطن . والظاهر هو الاصل ، والباطن نسبة حادثة ؛ ولحدوثها كانت لها هذه المنازل . فان الفروع محل الثمر ، فيوجد في الفرع ما لا يظهر في الاصل ، وهو الثمرة . وان كان مددها من الاصل ، وهو الاسم الظاهر ، لكن الحكم يختلف .

فمعرفتنا بالرب تحدث عن معرفتنا (في الاصل : معرفة) بالنفس ، لانها الدليل : « من عرف نفسه (فقد) عرف ربه » . وان كان وجود النفس فرعاً عن وجود الرب . فوجود الرب هو الاصل ، ووجود العبد فرع . ففي مرتبة يتقدم ، فيكون له الاسم « الاول » ؛ وفي مرتبة يتأخر ، فيكون له الاسم «الآخر» . فيحكم له بالاصل ، من نسبة خاصة ؛ ويحكم له بالفرع ، من نسبة اخرى . هذا (ما +) يعطيه النظر العقلي .

واما ما تعطيه المعرفة الذوقية ، فهو انه ظاهر + من حيث هو باطن ؛ وباطن من عين

(السؤال الثاني) وأين منازل اهل القربة[٤٣] ؟

ما هو ظاهر . و(هو) اول ، من عين ما هو آخر ؛ وكذلك القول في الآخر + . و(هو) ازار ، من نفس ما هو رداء ؛ ورداء ، من نفس ما هو ازار . ولا يتصف ، ابدًا ، بنسبتين مختلفتين ، كما يقرّره ويعقله العقل ، من حيث ما هو فكر . ولهذا قال ابو سعيد الخرّاز ، وقد قيل له : بم عرفتَ الله ؟ فقال : « بجمعه بين الضدين » . ثم تلا « هو الاول والآخر ، والظاهر والباطن » .

فلو كان ، عنده ، هذا العلم من نسبتين مختلفتين ، ما صدق قوله : « بجمعه بين الضدين » . ولو كانت معقولية الاولية والآخرية ، والظاهرية والباطنية ، في نسبتها الى الحق ، معقولية نسبتها الى الخلق — لما كان ذلك مدحًا في الجناب الالهي ؛ ولا استعظم العارفون بحقائق الاسماء ورودَ هذه النسب . بل يصل العبد اذا تحقق بالحق ، أن تنسب اليه الاضداد وغيرها ، من عين واحدة لا تختلف . واذا كان العبد يتصور في حقه وقوع هذا ، فالحق أجدر وأولى اذ هو المجهول الذات . فمثل هذه المعرفة لا تنال الا من هذه المنازل ، التي وقع السؤال عنها .

واما عدد الاولياء الذين لهم عدد المنازل ، فهم ثلاثمائة وستة وخمسون نفسًا . وهم الذين على قلب آدم ونوح وابراهيم وجبريل وميكائيل واسرافيل . وهم ثلاثمائة ، واربعون ، وسبعة ، وخمسة ، وثلاثة : فيكون المجموع ستة وخمسين وثلاثمائة . وهذا هو عند اكثر الناس ، من اصحابنا . وذلك للحديث الوارد في ذلك . واما طريقتنا ، وما يعطيه الكشف الذي لا مرية فيه ، فهو المجموع من الاولياء ، الذي ذكرنا اعدادهم في اول هذا الباب . ومبلغ ذلك ، خمسمائة نفس وتسعة وثمانون نفسًا . منهم واحد لا يكون في كل زمان ، وهو الختم المحمدي ؛ وما بقي ، فهم في كل زمان ؛ لا ينقصون ولا يزيدون .

— واما الختم ، فهذا زمانه . وقد رأيناه وعرفناه . تمم الله سعادته ! علمته بفاس ، سنة خمس وتسعين وخمسمائة —

والمجمع عليه ، من اهل الطريق ، أنهم (= الاولياء) على ست طبقات امهات : اقطاب ، وأئمة ، واوتاد ، وابدال ، ونقباء ، ونجباء . واما الذين زادوا على هؤلاء ، في الكشف ، فطبقات الرجال عندهم ، الذين (الاصل : الذي) يحصرهم العدد ، ولا يخلو عنهم زمان — خمس وثلاثون طبقة لا غير ، ومرتبة المختمين . ولكن (المختمين) لا يكونان في كل زمان ، فلهذا لم نلحقهما بالطبقات الثابتة في كل زمان + » . (فتوحات : ٢ : ٤٠—٤١)

٤٣) بين الصديقية والنبوة . والمحضر من رؤساء هذا المنزل . وقد اشار الى تعيين هذا المقام ابو عبدالرحمن السلمي في « اغاليط الصوفية » : ولما عاينت هذا المقام وتحققته لم اعرف له اسمًا ، ولا رأيت احدًا ذكره ، بل منعه ابو حامد وامثاله . ولا قدرت ان اشك فيما تحققته ، حتى رأيت ابا عبد الرحمن قد اشار اليه . فعرفت المقام . وسماه منزل القربة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤١ب — ٢٤٣أ)

+ «الجواب : بين الصديقية ونبوة الشرائع . فلم تبلغ (منزلتهم) منزلة نبي التشريع ، من النبوة العامة ؛ ولا هم (الاصل : هو) من الصديقين ، الذين هم اتباع الرسل لقول الرسل. وهو مقام المقربين . وتقريب الحق لهم على وجهين : وجه اختصاص ، من غير تعمّل ، كالقائم (بدينه) في آخر الزمان وامثاله ؛ ووجه آخر ، من طريق التعمّل ، كالخضر وامثاله . والمقام واحد ، ولكن الحصول فيه على ما ذكرناه . ومن ثمّ يتبين الرسول من النبي . ويعم الجميع هذا المقام ؛ وهو مقام المقربين والافراد . وفي هذا المقام يلتحق البشر بالملأ الاعلى ، ويقع الاختصاص الالهي فيما يكون من الحق لهؤلاء .

– واما المقام ، فداخل تحت الكسب ؛ وقد يحصل اختصاصاً . ولهذا يقال في الرسالة : انها اختصاص ، وهو الصحيح . فان العبد لا يكتسب ما يكون من الحقّ سبحانه . فله التعمّل في الوصول ، وما له تعمّل فيما يكون من الحق له ، عند الوصول . –

ومن هناك منبع العلم اللدني ، الذي قال الله فيه ، في حق عبده خضر : « آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنّا علماً . » المنى ، آتيناه رحمة : علماً من عندنا ، وعلمناه من لدنّا . وهو (= العلم اللدني) من الاربعة المقامات : الذي هو علم الكتابة الالهيه ، وعلم الجمع والتفرقة ، وعلم النور والعلم اللدني .

واعلم ان منزل اهل القربة ، يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة : فلا يدركهم الصَّعق ، الذي يدرك الارواح . بل هم ممن استثنى الله تعالى في قوله : « ونفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله» . وهذا المنزل هو اخص المنازل عند الله واعلاها . والناس فيه على طبقات ثلاث . فمنهم من يحصّله برمته ، وهم الرسل ، صلوات الله عليهم ؛ وهم فيه على درجات ، يفضل بعضهم بعضاً . ومنهم من يحصل منه الدرجة الثانية ، وهم الانبياء ، صلوات الله عليهم ؛ الذين لم يبعثوا ، بل تعبّدوا بشريعة موقوفة عليهم . فمن اتبعهم كان (منهم) ، ومن لم يتبعهم لم يوجب الله على احد اتباعهم . وهم فيها على درجات ، يفضل بعضهم بعضاً . والطبقة الثالثة هي دونها ، (وهي) درج النبوة المطلقة ، التي لا يتخلل وحيها مَلَك .

ودون هؤلاء الطبقات ، هم الصديقون ، الذين يتبعون المرسلين . ودون هؤلاء + الصديقين الصديقون ، الذين يتبعون الانبياء ، من غير ان يجب ذلك عليهم . ودون هؤلاء الصديقين الذين يتبعون اهل الطبقة الثالثة ، وهم الذين انطلق عليهم اسم المقربين ، اعني اهل الطبقة الثالثة . ولكل طبقة ذوق لا نعلمه الطبقة الاخرى ، ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام : « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ؟ » . والخُبر (هو) الذوق ، وهو علم حال . وقال الخضر لموسى : «انا على علم ، علمنيه الله ، لا تعلمه انت ، وانت على علم ، اعلمكه الله ، لا أعلمه انا ! » . +»

(فتوحات ٢ : ٤١)

(السؤال الثالث) وأين الذين جاوزوا العساكر، وباي شي. جاوزوا[٤٢] ؟

---

٤٢) « بحصولهم في المرتبة الخامسة ، وهي النيابة ؛ وليس فوقهـا مرتبة » (الجواب المستقيم ورقة رقم ٢٤٣أ) .

+ « فلنقل في الجواب : نذكر اولاً ما معنى العساكر ، وما معنى حيازهم لها ؛ ثم نبين بأي شي. حازوا . فان هذا السائل اذا ارسل سؤاله ، من غير تقييد لفظي او قرينة حال — ينبغي للمجيب ان يجيب بالمعاني ، التي تدل عليها تلك الكلمة في اصطلاحهم ؛ فيما اخلّ بشي. منها ، فما وفى الكلمة حقها .

فاعلم ان العساكر ، قد يطلقونها ويريدون بها شدائد الاعمال والعزائم والمجاهدات . كما قال القائل :

« ظل في عسكرة من حبها »

اي في شدة . — واعلم ان مبنى هذا الطريق ، على التخلق باسماء الله + . فحاز هؤلاء العساكر ، بالتخلق باسمه « الملك » . فان الملك هو الذي يوصف بانه يحوز العساكر . والملك معناه ايضاً الشديد . فلا تحاز الشدائد والعزائم الا بما هو اشد منها . يقال : ملكت العجين ، اذا شددت عجنه . قال قيس بن الخطيم ، يصف طعنة :

« ملكت بها كفي فأنهرْتُ فتقها »

اي شددت بها كفي حين طعنته . — فحازوا العساكر ، بالطريقين باسمه (تعالى) « الملك » .

فأما الشدائد ، التي حازوها في هـذا الباب ، فهي البرازخ التي أوقفهم الحق ، في حضرة الافعال ، بين نسبتها الى الله ونسبتها الى انفسهم . فيلوح لهم ، ما لا يتمكن لهم معـه ، ان ينسبوها الى الله : فهم مالكون بين حقيقـة وأدب ! والتخليص من هذا البرزخ ، من اشد ما يقاسيه العارفون . فان الذي ينزل عن هذا المقام يشاهد احد الطرفين ، فيكون مستريحاً لعدم المعارض .

واعلم ان صاحب هذا المقام ، هو الـذي أعلمه الله بجنوده ، التي (الاصل : الذي) لا يعلمها الا هو . قال تعالى : «وما يعلم جنود ربك الا هو» . وقال : «وان جندنا لهم الغالبون» . فصاحب هذا المقام ، يعرفه جنود الله ، الـذين لا حاكم عليهم في شغلهم الا الله . ولهذا نسبهم (الله) اليه ؛ فهم الغالبون ، الذين لا يغلبون . فمنهم الريح العقيم ، ومنهم الطير ، التي ارسلت على اصحاب الفيل . وكل جند ليس لمخلوق فيه تصريف ، هم العساكر التي حازها صاحب هذا المقام علماً .

وقال ، صلى الله عليه وسلم ، فيهم : « نصرت بالصبا » . وقـال : « نصرت بالرعب بين

(السؤال الرابع) والى اين منتهاهم[٤٤] ؟

بدي مسيرة شهر » . – فاذا منح الله صاحب هذا المقام علمَ هؤلاء العساكر ، رمى بالحصى في وجوه الاعداء، فانهزموا . كما رمى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في غزوة حنين . فَلَه الرَّميُ . وهم (= جنود الله) لا يكون منهم غَلَبة الا بأمر الله ، ولهذا قال(تعالى): « وما رميت ، اذ رميت ، ولكن الله رمى » .

فكلُّ منصور بجندِ الله ، فهو دليل على عناية الله به . ولا يكون منصورًا بهم ، على الاختصاص ، الا بتعريف الإلهي . فإن نصره الله ، من غير تعريف الاهي ، فليس هو من هذه الطبقة ، التي حازت العساكر . فلا بد من اشتراط النصر حقًا في ذلك القصد .

وصاحب هذا المقام ، يعين لاصحابه مصارع القوم ، كما فعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في غزوة بدر . فانه ما من شخص ، من اجناد الله ، الا وهو يعرف عين من سلّط عليه ، ومتى يسلط عليه ، واين يسلط عليه . فتتشخص الاجناد لصاحب هذا المقام ، في الاماكن التي هي مصارع القوم : كل شخص على صورة المقتول وباسمه . فيراه صاحب هذا المقام ، فيقول : هذا هو مصرع فلان !

وهذا هو مقام الامام الواحد ، من الامامين . واقرب شيء ينال به هذا المقام البغض في الله . فتكون هم هذه الطبقة وانفاسهم من جملة العساكر ، التي حازوها بما ذكرناه . وهو الموالاة في الله ، والبداوة في الله ، عن عزم وصدق ؛ مع كونهم لا يرون الا الله ! فيجدون من الانضغاط وكظم الغيظ ما لا يعلمه الا الله . والعين تحرسهم في باطنهم : هل ينظرون في ذلك انه غير الله ؟

فاذا تحقّقوا ذلك ، حازوا عساكر الحق ، التي هي اسماؤه ، سبحانه ! اذ اسماؤه،تعالى، عساكره؛ وهي التي يسلطها على من يشاء ويرحم بها من يشاء . فمن حاز اسماء الله ، فقد حاز العساكر الالهية . ورئيس هؤلاء الاجناد الاسمائية ، كما قلنا ، الاسم « الملك » ، وهو المهيمن عليها ؛ ومن عداه ، فأمثال السَّدَنة له . ويكفي هذا القدر ، في الجواب ، عن هذا السؤال . + » (فتوحات ٢ : ٤١–٤٢)

٤٤) « الى حل ما عقدوا عليه ونقض ما عسكروا اليه !» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٢ ا)

+ « قلنا في الجواب : لا شك ولا خفاء ان هذه الطبقة هم اصحاب عقد وعهد . وهو قوله (تعالى): « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلًا . + » فاذا حصلت هذه الطبقة ، فيما قلنا ، في غزوهم ، وسلكوا سبيل جهادهم – كان منتهاهم الى حل ما عقدوا عليه ، ونقض ما عسكروا اليه !

وذلك ، ان الاعيان (هي) التي عسكروا لها، وعقدوا مع الله ان يبيدوها . فلما توجهوا بعساكرهم ، التي اوردناها ، اليها ـ كانت آثار تلك العساكر فيها ايجاد اعيانها . وهو خلاف مقصود العارف بهذه العساكر . اذ كان المقصود اذهاب اعيانها ، والحاقها بمن لا عين له . وما علم ان الحقائق لا تتبدل ، وان آثار العساكر فيها الوجود . (و) اذ كان سبق العدم لها (= لهذه الاعيان) لعينها ، فلا تؤثر فيها هذه العساكر العدم ؛ لان العدم لها من نفسها ؛ فلم يبق الا الوجود : فوقع غير مقصود العارف . وعلم عند ذلك العارف ان تلك الاعيان مظاهر الحق : فكان منتهاهم اليه ، وبدؤهم (الاصل : وبدأهم) منه ، وليس وراء الله مرمى !

فان قلت : فالذات ، الغنية عن العالمين ، وراء الله . ـ قلنا : ليس الامر كما زعمت ، بل الله وراء الذات متقدمة . وليس وراء الله مرمى ! فان الذات متقدمة على المرتبة (= مرتبة الالوهية ، الله) في كل شيء ، بما هي مرتبة لها : فليس وراء الله مرمى !

فحصلوا (= هذه الطبقة من الاولياء) من العلم بالله ، ما لم يكن عندهم ، بالقصد الاول حين حازوا العساكر . وكان الذي حجبهم ، ابتداء ، عن هذه المعرفة ، غيرتهم ان يشترك الحق مع كون من الاكوان : في حال ، او عين ، او نسبة . فلهذا كان مقصودهم ان يلحقوا الاعيان بمطلق العدم .

و(هذا) هو المقام ، الذي تشير اليه الباطنية بقولها ، في جواب من يقول لها : الله موجود ؟ — فتقول : (الله) ليس بمعدوم ! فاذا قلت لهم : الله حي ؟ — فيقولون (الاصل: تقول) : ليس بميت ! فان قيل لهم : فالله قادر ؟ — قالوا (الاصل: قالت) : ليس بعاجز ! فلا تجيب (هذه الطائفة) قط بلفظة تعطي الاشتراك في الثبوت ؛ فتجيب بالسلب !

وهذا كله من باب الغيرة . ولا تقدر (هذه الطبقة من الاولياء) تنفي الاعيان ، فتستعين جولاء العساكر على اعدام هذه الاعيان ، وزوال حكم الثبوت منها . فتجد العساكر توجدها ، وتكسوها حلة الوجود . فاذا رأت انها مظاهر الحق ، رضيت بان تبقيها اعيانا ثابتة (في عدمها الاصلي) ، ولا تراها موجودة (فعلا) . ويكون عين شهودها ، ناظرة فيها الى وجود الحق ؛ وانه لا وجود اكتسبته من الحق (فتنسب اليها) ؛ بل حكمها مع (هذا) الوجود حكمها ولا وجود ؛ وان الذي ظهر ما هو غير (الوجود الحق ، الذي هو وجود لا بشرط شيء) . هذا غايتها ! وهو قوله (تعالى) : « الى ربك منتهاها » . فكان منتهاها ربها !

فاما من كانت عساكره العزائم ، فنتهاه الى الرخص من طريقين . الطريق الواحدة ، احدية المحبة فيها ، فيكون منتهاهم الى شهودها . وهو الذي اشار اليه ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله : « ان الله يحب ان تؤتى رخصه ، كما يحب ان تؤتى عزائمه » . فينحل عقد الاخذ بالعزائم بهذه المشاهدة لكونه يفوته من العلم بالله على قدر ما فاته من الاخذ بالرخصة . والطريقة

(السؤال الخامس) وأين مقامُ أهل المجالس[ب] والحديث[ت](٥٠) ؟

الاخرى ، تنتهي جم الى (أنَّ) شهود كونه في العزائم ، هو عين كونه في الرخص . وهم لا نسبة لهم في واحدة منها . فينحل ما عقدوا عليه ، انحلالاً ذاتياً لا تمسّك لهم فيه.

ومن هذا المقام ، يقول بعضهم : بتفضيل الرسل ، بعضهم على بعض ، على انه في نفس الامر . كما ورد في الخطاب ، من قوله (تعالى) : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » . فينتهي جم ، هذا الامر ، الى حلّ عند التفضيل بقوله (تعالى) : « لا نفرق بين احد من رسله » . ومن فضّل فقد فرّق . فلولا وحدانية الامر ، ما كان عينُ الجمع عين الفرق.

كما ان السالك يمشي حنبلياً او حنفياً ، مقتصراً على مذهب بعينه ، يدين الله به ، لا يرى مخالفته . فينتهي به هذا المشهد الى ان يصبح يتعبد نفسه بجميع المذاهب ، من غير فرقان . ومن هنا يبطل النسخ عنده ، الذي هو رفع الحكم بعد ثبوته ، لانقضاء مدته .

فالى ما ذكرناه منتهاهم ، على حسب ما اعطته عساكرهم . فان العساكر تختلف : فان جند الرياح ما هي جند الطير ، وجند الطير ما هو جند المعاني ، الحاصلة في نفوس الاعداء كالرّوع والجبن . فتنتهي كل عسكر الى فعله ، الذي وجّه اليه : من حصار قلعة ، وضرب مصافّ ، او غارة أو كبسة . كل عسكر له خاصية ، في نفس الامر ، لا يتعداها (الاصل : يتعداه) . قال الله ، تعالى ، في الطير : « ترميهم بحجارة » . وقال في الريح : « ما تذر من شيء ، أتت عليه ، الا جعلته كالرميم » . وقال في الرعب : « وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم » .

فانظر منتهى كل عسكر الى ما أثر في نفس من عسكر اليه . فالحق لا يتقيد ، اذ كان هو عين كل قيد . فالناس بين محجوب وغير محجوب .

جعلنا الله ممن أشهده الحق في عين حجابه ،

وفي رفع حجابه ،

وفيما كان له من وراء حجابه ! + »

(فتوحات ٢ : ٤٢-٤٣) .

(٥٠) + « اهل الحديث ، خلف الحجاب الاقدس ومجالسهم ، حيث هم ، من خلف ذلك الحجاب . وان كان سؤاله عن اهل المجالس مشاهدة ، من غير حديث ، فعلى الكثيب الابيض : على المنابر والاسرة والكراسي والمراتب » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ ا) .

ا مقاد ٧ . ب النظر ٧ . ت – ٧ .

+ «قلنا في الجواب : أما اهل المجالس المحدّثون ، فجالسهم خلف الحجاب الانزه (الاصل: الانزل) الاقوس ، في التنزول . ولهم ست حضرات . لهم ، في الحضرة الاولى ، ثمانية مجالس . المجلس الثاني والسادس يسمى مجالس الراحات . وهي من باب رفق الله بالعباد ، الذين لهم هذه الاحوال . (ولهم ايضاً) مجلسان ، (اما +) الاول الذي هو الرابع والثامن ، فهما مجلسا الجمع بين العبد والرب ، ومجلس الفصل بين العبد والرب ، على مراتب أينها . واما الاربعة مجالس ، التي بقيت ، فالحديث فيها على مراتب متعددة . وكذلك الحضرة الثانية . والحضرة الرابعة فيها ثمانية مجالس ، على ما ذكرناه . واما في الحضرة السادسة فجلسان . واما في الحضرة الثالثة فستة مجالس . واما في الحضرة الخامسة فاربعة مجالس . وانتهت امهات مجالس اهل الحديث مع الله ، من حيث هم محدّثون لا من حيث لهم مجالس.

واما اهل المجالس ، لا من كونهم محدّثين ، فهم اهل الشهود ، وهم على اربع مراتب في مجالسهم . فالمحدّثون جلوسهم ، من حيث هم ، من خلف ذلك الحجاب . و(اما) اهل المجالس ، فن حيث المراتب التي اعد(ها) لهم الحق . فنهم من اعد لهم منابر ؛ ومنهم من اعد لهم ارائك ؛ ومنهم من اعد لهم كراسي ؛ ومنهم من اعد لهم درانك . والكل يشهدون جليسهم ، من غير حديث من الطرفين .

فلنذكر مجالس اهل الحديث . وهي ثمانية واربعون مجلساً ، وعند الترمذي الحكيم ستة وخمسون مجلساً . لان الترمذي يراعي من الانسان حظّ طبعه ، فيزيد اثني عشر مجلساً ، وهو الصحيح . ومن يقتصر منا في الانسان على روحانيته ، من غير طبيعته ، فهي ستة وثلاثون مجلساً . فلهذا وقع الخلاف بيننا وبين العلماء ، من اهل هذه المجالس . فمنا من اعتبر ذلك ، ومنا من لم يعتبر ؛ والاولى اعتبارها .

فاما مجالس الجمع بين العبد والرب ، فاربعة مجالس . يعلم فيها يحادثه به الحق فيها كيف يخاطب الخلق من اجل الله ، وكيف يثنى على الحق ، تبارك وتعالى ! ويعلم معنى قوله : « بورك من في النار ومن حولها ! » . ويحادثه فيها بمثل قوله (تعالى) : « كلما رزقكم الله حلالاً طيباً . » فيعرف من اين طيب له ، وبما طيب له ، وبما طاب له . ويعلم الاسم « الآخر » ، ما نسبته الى الحق ، وما حظ العبد منه . ويعلم ما يقول ، كلما ورد على ملأ اعلى : من روح وبشر ، في السموات والارض . ويعلم شهادة التوحيد ، بالنسبة الى الله ، وبالنسبة الى الملائكة وبالنسبة الى العلماء ، الحاصلة لهم من باب الشهود لا من باب الفكر . ويعلم منازل الرسل ، ومن اين خصوا بما خصوا به ، وبماذا يفضل بعضهم بعضاً ، وبماذا لا يفضل ، ومن اي نسبة ينسبون الى الله . واشياء غير هذا ، محصورة .

واما مجالس الفصل ، فيحصل فيها ما يحصل في هذه المجالس ، من طريق اخرى وذوق آخر . غير انه يختلف عليه الحال ، عند انتهاء المجالسة ، بمشاهدة اسماء الاهية لم يكن

(السؤال السادس) وكم عددهم[٤٦] ؟

يعرفها قبل ذلك . او بمشاهدة اسماء الالهية ، من حيث اعيان اكوان خاصة . او بمشاهدة اعيان اكوان خاصة ، من غير ارتباط باسماء الالهية ؛ وان كانت في نفس الامر مرتبطة بها ولكن يكون بينها وبين هذا العبد حجاب رقيق .

.. واما المجالس الاربعة ، التي بقيت ذات المراتب ، فسأذكر ما يكون فيها وفي هذه الست الحضرات من الحديث ، في الفصل الثامن . في سؤال : ما حديثهم ونجواهم ؟ وهذه المجالس ايضاً ، توجد في الحضرة الثانية والرابعة . واما الحضرة الثالثة ، فمجالسها ستة مجالس . واما الحضرة الخامسة ، ففيها اربعة مجالس . واما الحضرة السادسة ففيها مجلسان . وهذه كلها مجالس اهل الحديث ، لا مجالس الشهود الا عند بعض العارفين ، فانه قد يكون مجالس شهود ، متخيل ، من خلف حجاب الخيال .

واما الاثنا عشر مجلساً ، الذي لم على مذهب الترمذي كما قررنا ، وهي تمام الثمانية والاربعين مجلساً ، فحديثهم فيها نذكره عند ذكر الستة والثلاثين مجلساً ، في الفصل الثامن ان شاء الله ! فان ذلك الفصل سورته . + »

(فتوحات ٢ : ٤٣-٤٤)

٤٦) « عدد اهل بدر : اهل الحديث منهم اربعون نفساً » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣/٣٤٣) .

+ « قلنا في الجواب : عدد اهل بدر . اهل الحديث منهم اربعون نفساً ، وما بقي فلهم مجالس الشهود ، من غير حديث . فان الحديث للحضور مع المنى ، الذي يعطيه الكلام ، لا مع المتكلم . الا ان يكون المتكلم بحيث يتخيله السامع ، فيجمع بين الحديث والشهود . ولكن (هذا) ما هو الشهود المطلوب لاهل الاذواق . فلا بد ان تكون انت ، من حيث انت ، للاستفادة عند الحديث . ولكن (ثَمَّةَ) تسمعه لا بعينك ، بل بظهوره فيك ! فمن كونك مظهراً تسمع ، ومن كونك عيناً تكون مظهراً . فافهم !

وقد اشار لسان الخبر الصدق الى هذا العدد ، بقوله : « من أخلص لله اربعين صباحاً ، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . أي كان من + (اهل) الحديث بالله عن الله . والصباح ظهور عين العبد مظهراً لا عيناً ، وبطون عينه في مظهره : كبطون الليل عند وجود الصباح . والاربعون اشارة الى اعيان هؤلاء الاشخاص . فهو عين ما قلنا : ان اهل الحديث منهم اربعون نفساً .

فبقي اهل المجالس ، من غير حديث ، مائتين وثلاثة وسبعين نفساً ؛ وهم تمام الثلاثمائة والثلاثة عشر . فجلوسهم جلوس مشاهدة للاستفادة ، من حيث ان اعيانه مظهر لبصر

« السؤال السابع » وبأي شيء استوجبوا هذا على ربهم [٤٧] ؟

الحق . فيرونه به ، وهم غيب في ذلك المظهر . ونكون استفادتهم ، من ذلك التجلي ، استفادة اصحاب الرصد : فتعطيهم الارصاد العلوم ، من غير حديث ؛ لكنه حديث معنوي ، بدلالات ظاهرة تقوم ، تلك الدلالات ، مقام الخطاب بالحروف والاشارات ، في عالم الحروف والاشارات .

فالغرض الحاصل من هذه المجالس ، سواء كانت مجالس شهود او حديث ، حصول علوم بتنقش في عين هذا المظهر ، من نظر او سماع . وهؤلاء هم المعتنى بهم ، من اهل الله . + »
(فتوحات ٢ : ٤٤)

٤٧) « لا يجب على الله شيء ، الا ما أوجبه على نفسه ، منةً منه وفضلًا . فاستوجبوا ذلك بيذلهم مساكيهم في زمان الزيادة ، استئثارًا للمواصلة . وان كان فيها نقص ، فكان الكمال التام بهذه المراعاة . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٢ أ)

+ «قلنا في الجواب : الادب الالهي ، انه لا يجب على الله شيء ، بايجاب موجب غير نفسه . فان اوجب هو على نفسه امرًا ما ، فهو الموجب والوجوب والموجَب عليه ، لا غيره ! ولكن ايجابه على نفسه لمَن اوجب عليه ، مثل قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » ، يعني الرحمة الواسعة . فأدخلها تحت التقييد ، بعد الاطلاق ، من اجل الوجوب . ومثل قوله (تعالى) : « كتب ربكم على نفسه الرحمة انه + . . . » الآية .

فهل هذا كله من حيث مظاهره ؟ او هو وجوب ذاتي لمظاهره ، من حيث هي مظاهر لا من حيث الاعيان ؟ فان كان للمظاهر ، فما اوجب على نفسه الا لنفسه . ثم فلا يدخل تحت حد الواجب ، ما هو وجوب على هذه الصفة . فان الشيء لا يلزم (الاصل : يذم) نفسه . — وان كان للاعيان + القابلة ان تكون مظاهر ، كان وجوبه لغيره اذ الاعيان غيره ، والظاهر هويته . فعلى ، بعد هذه البيان ، ما ثبت في الجواب ؛ ويكون الجواب بحسب ما قيده الموجب .

فاستوجبوا ذلك على ربهم في موطن ، بكونهم يتقون ويؤتون الزكاة لغة وشرعًا . — « والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول ، النبي ، الامي ، الذي يجدونه مكتوبًا عندهم » . فهؤلاء طائفة مخصوصة ، وهم اهل الكتاب + . فخرج من ليس باهل الكتاب من هذا التقييد الوجوبي ؛ وبقي الحق عنده من كونه رحمانًا ، على الاطلاق .

واستوجبت طائفة أخرى ذلك على ربها : « انه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح » ؛ فقيد بالجهالة . فان لم يجهل لم يدخل في هذا التقييد ، وبقيت الرحمة في حقه مطلقة ، ينتظرها من عين المنة التي كان منها وجوده ، اي منها كان مظهرًا للحق ، لتتميز عينه ، في حال اتصافها بالعدم ، عن العدم المطلق الذي لا عين فيه .

الا ترى ابليس كيف قال لسهل في هذا الفصل : يا سهل ، التقييد صفتك لا صفته ! فلم ينحجب بتقييد الجهالة والتقوى عما يستحقه من الاطلاق ؛ فلا وجوب عليه ، مطلقاً ، اصلاً . فمها رأيت الوجوب ، فاعلم ان التقييد يصحبه .

واما من رأى انهم استوجبوا ذلك على ربهم ، من غير ما ذكره ، تعالى ، عن نفسه — فنالوا يبذلهم مراكبهم في زمان الزيادة ، طلباً للمواصلة ، وايثار الجناب الحق ، في زعمهم ؛ وان كان في ذلك نقص ، فهو عين الكمال التام بهذه المراعاة ؛ — فهذا ، عندي ، مثل ما قال الشاعر لعمر بن الخطاب ، حين حبسه :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ (الاصل : مرح) حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر ، هداك مليك الناس ، يا عمر
ما آثروك بها ، اذ قدموك لها لا بل لانفسهم قد كانت الاثر

فان كانوا بذلوا مراكبهم عن طلب الاهي ، يقتضي ذلك وجوباً الاهياً — كان مثل الاول . فانه لم يرد عنه ، تعالى ، الوجوب على نفسه ، لم نقل به ؛ فانه سوء ادب من العبد ان يوجب على سيده . غير ان هنا لطيفة دقيقة ، لا يشعر بها كثير من العارفين بهذه المجالس . وذلك انه كما نطلبه لوجود اعياننا ، يطلبنا (هز ايضاً) لظهور مظاهره (فينا) . فلا مظهر له الا نحن ، ولا ظهور لنا الا به . فبه عرفنا انفسنا وعرفناه ، وبنا تحقق عين ما يستحقه الاله !

فلولاه ، ولولانا لما كنا ولولا «نحن» ما كانا
فان قلنا : بأنّا «هو» يكون الحق اياناً
فـبدانا واخفاه وابـداه واخفانا
فكان الحق اكواناً وكنا نحن اعياناً
فيظهرنا لنظهره سراراً ثم اعلاناً !

فلما وقفوا على هذه الحقائق ، من نفوسهم ونفوس الاعيان سواهم ، تميزوا على من سواهم : بان علموا منهم ما لم يعلموا من انفسهم . واطلع الحق على قلوبهم ، فرأى ما تحلّت (الاصل : تجلت) به ، مما اعطتها العناية الالهية وسابقة القدم الرباني ، (ف) استوجبوا على ربهم ، ما استوجبوه : من ان يكونوا اهلاً لهذه المجالس الثانية والاربعين . + »

(فتوحات ٢ : ٤٤-٤٥)

(يتبع)

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف (الباء)

بانقوسا — تقول العامة عن (بانقوسا) (بان قوسها) من حكايات يتداولونها أو انه نسبة الى نبي عظيم له ضريح نقش على سنامه الحجري اسمه (بانقوس) والصواب انها سريانية (بيت نقوشا) أي بيت الناقوس.

بتدّين — من شوف لبنان مشهورة بقصر الامير بشير الشهابي حاكم لبنان فيها. واصل اسمها سرياني (بيت دينو) أي بيت الدين أو الحكم كانت أولًا خلوة للدروز فأخذها الامير بشير الكبير.

باشان — (عبرانية) بمعنى (التربة الخفيفة).

بئر سبع — في الطرف الجنوبي من أرض الموعد .

بانُوب — بالمصرية القديمة (بي نوب) فبي بمعنى مسكن أو معبد و — نوب — المعبودة نوب أي — معبد الربة نوب —

بترون — في لبنان اسمها القديم — بتريس — أي بيت قطب القوم وفي معجم البلدان ضبطها (بَتْرُون).

البَتْر . لبنان — المسكن أو المحل أو (بيت أطرو) الودائع.

بَثَنِيَّة — Battaniiah — ويقال بَثْنَة وبَثْنِيَة وسماها بعضهم بطانية تحريف بثنية ولعل اصلها عربي من البثنة وهي الارض السهلة والرملية اللينة أو محرفة عن (باشان) والعبرانية بمعنى أرض خفيفة رملية وموقعها شرقي بلاد حوران واشتهرت بجودة حنطتها .

بحزان — سريانية بيت الرزى .

بُخارى — في تركستان واسم بخارى القديم تريكستره .

بر الياس — البقاع — أما يونانية من (بارا) معاكس و — ايلياس الشمس أي معاكس الشمس ، أو من — بارياس — اليونانية بمعنى السهل . أو من — بر — السامية بمعنى ابن و — ايلياس — اليونانية بمعنى الشمس فتكون — مولد الشمس — وقيل من بر وبار الياس أي ابن الشمس .

بسابا — قرية صغيرة في الشوف اسمها سرياني ، بمعنى بيت الشيخ .

البسفور — يونانية — (بوسفوروس) أي معبر البقرة أما لقرب مسافتها اذ تجتازها البقرة بسهولة أو لخرافة يونانية ان الربة — إيو — منحها المشتري بقرة فاجتازته بساعة .

بشتفين — بلدة من المناصف في لبنان سريانية ومعناها — بيت الشركاء —

البصرة . عراق — بالكلدانية القديمة — بصرت وبالسريانية الحديثة — بسرو — أي خبز — وقيل من البصرة بالعربية ومعناها الارض الغليظة الصلبة الحجارة وقيل الأرض ذات الحصى . وقيل الحجارة الرخوة البيضاء . — وقال آخر : ان بصره تعريب — بس راه — بالفارسية ومعناه — الطرق الكثيرة المتشعبة — وقيل ان الأول ارجح بُصْرَى إسكي شـام — في حوران ومعنى — إسكي شام — بالتركية الشام القديمة وهي مدينة ذات آثار قديمة ذات شأن — وبصرة — عبرانية بمعنى قلعة .

بشامون — بلدة من شوف لبنان يرجح انها من اسم الالهة اشموني .

با اكي — قرية قديمة بقرب جبل بعشيقه من أعمال نينوى محرفة عن اسمها القديم — بيت اكوري — بمعنى المزرعة أو مأوى الاكارين — وهي سريانية .

بردوني — اسم نهر زحلة — لبنان — يجري من بلدة تعفرتين + قاع الريم — ويصب بعد تخلله في نصف زحلة بنهر الليطاني واسم البَرْدَوني يوناني — بَارِيذُونِيُوس من پاري حواليه — وذونيوس — الزلازل أي ارضهُ ترحل لزلزالها . وربما كان من — بر — ابن و — ادونيس — ادونيس معبود بمعنى — أي ابن ادونيس — تموز —

بشري — سريانية بمعنى — اللحم — وكان فيها هيكل للإله (سرس) إله الحنطة

فقالوا بالسريانية بيت سرس وحرفت الى بسري وهي قرية بجزين فيها أطلال هيكل اعمدته من الأعبل — كرانيت —

بَرَدَى — Barada — نهر دمشق العظيم المشهور سماه اليونانيون قديماً خريسورواس أي مجرى الذهب أو بردينس وربما كان هو المسمى في التوراة نهر ابانة — وقال آخرون ان نهر الاعوج وهو الأصح ويخرج بردى من الجبل الشرقي قرب الزبداني على ارتفاع ١١٤٩ قدماً عن دمشق على مسافة ٢٣ ميلاً منها. والينبوع من عيون هناك يجري الى الجنوب الشرقي الى الفيجة وينضم اليه ماؤها وينصب كله في قرية جمرايا وينقسم منها الى فرقتين الصغرى نهر يزيد والكبرى نهر بردى فيصل بردى الى دمر ويفترق ثلاث شعب تسمى نهر تور او نهر باناس ونهر بردى فتمتزج هذه الثلاثة في الوادي ثم في الغوطة الى ان يصب في بحيرة المرج شرقي دمشق. قال العماد الكاتب يذكر فروع بردى :

الى ناس — باناس — لي صبوة بها الوجود داعٍ وذكي مشيرُ
— يزيد — اشتياقي وينمو كما — يزيد — يزيد — وتورا — يثورُ
ومن — بردى — برد قلبي المشوق فها أنا من حره مستجيرُ . . .

ويرجح انها من كلمة — بَرَادِيس — اليونانية بمعنى الفردوس وحرفت بكلمة البريص وقال الشاعر :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسلِ

برزه — قرب دمشق اصلها من — برزيسيس — بمعنى الفردوس أيضاً.

برجا — عبرانية بمعنى طرف أو موضع العرس .

برغامس — عبرانية بمعنى موضع العرس .

بَكِشِيقا — سريانية أي بيت المظلوم.

باغجه — أو بغجه تركية بمعنى جنة ركبت منها أعلام مثل باغچه سراي وبغجه كوي وبغجه لي صو نهر بالاناضول.

بعقلين — من شوف لبنان مشهورة واسمها سرياني من — باي اعوقلين — أي بيت حزن المقربين وهي قصبة الشوف.

بغداد — مدينة عراقية مشهورة بناها الخليفة ابو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس شرع بتخطيطها سنة ١٤٥ هجرية واتم بناءها سنة ١٤٩ وجعلها المنصور مدورة لئلا يكون بعض الناس اقرب اليه من بعض . وسماها مدينة السلام.. وسمى القسم الذي بناه الى الجانب الغربي — الزوراء. — وفيها محلة الكرخ وهي لفظة سريانية بمعنى الحصن . قيل انها كان فيها سوق تقصدها تجار الصين فيربحون ويقولون — بغ دار — أي عطية بغ وبغ اسم ملكهم . وقيل بغ اسم صنم وداد بمعنى أعطى وقيل غير ذلك اختلف العلماء في تحليل هذه اللفظة فقال بعضهم ان كلمة — بغ — اسم صنم كان يعبد و — داد — عطية واسندوا ذلك الى قصة اكسرى أنو شروان ملك الفرس لما اقطع أحد خصيانه هذه المدينة فقال — بغ — دادي — أي الصنم أعطاني . وقال ياقوت الحموي الرومي في معجم البلدان عن آراء كثيرين منها قول الأعاجم — باغ — بستان و — داد — اسم رجل. وقال عبدالله بن مبارك ان — بغ — شيطان و — داد — عطية . ولعلها آرامية — بيت كداد — أي بيت القطيع فعوض عن — بيت — بالباء . كما في كثير من الأسماء مثل بكفيا — بيت الصخرة .

بغراس = أو بعراز مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ وكذلك بينها وبين اسكندرونة . كانت حصينة فيها قلعة شاهقة وأعين وحدائق قيل كانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها على سبيل البرّ ذكرها البحتري في قصيدة مدح بها احمد بن طولون بقوله :

سيوفٌ لها في كل دارٍ غدا ردىً ... وخيلٌ لها في كل دارٍ غدا نهبُ
علت فوق — بغراس — فضاقت بما جنت ... صدور رجال حين ضاق بها دربُ

والبلدة اليوم قرية صغيرة تسمى بغراص بقضاء بيلان من ولاية حلب اسمها Pagrac موقعها في لحف جبل اللكام وبينها وبين انطاكية اربع فراسخ على يمين الذاهب من حلب الى انطاكية.

باقوفا — آرامية — بيت قوفا — بمعنى موضع القضبان والأخشاب لكثرة غاباتها وهي اشورية .

بجر الزقاق – هو بوغاز جبل طارق ، وسمي قديماً اعمدة هرقل ومعبر جبل الزقاق ، وجبل الفتح بشعقاب – ان بشعقاب الآن هي في بلدة كفرمتى في الشوف وهو الحي الغربي منها . ومنها نشأ البشعقابي المؤرخ وتاريخه كان عند المرحوم الأمير محمد الامين ارسلان وضاع الآن.

البدراثية – اسم مدرسة في دمشق لعلها من – باثيرا – اليونانية بمعنى – الأب – فمعناها – مدرسة الآباء – أو تحريف – البطركية – على لسان العامة .

بشنزين ــ في الكورة قرب طرابلس الشام وهي خصبة التربة حتى ان أغراسها توضع متلاصقة وتعطي ثماراً لذيذة . وهي مجوفة وحولها أعلى منها . ويظهر انها كانت بحيرة قبلاً أو أنها كان البحر يغمرها لوجود متحجرات حيوانات بحرية فيها ولا سيما الأسماك .

بُنطُس ــ أو بنطش قسم قديم من آسية الصغرى سُمي هكذا لوقوعه على الشاطئ الجنوبي من ــ بنطس اكسينوس ــ في البحر الاسود.

بعلبك ــ مركبة من كلمتين فينيقيتين بعل وبك بمعنى ــ رب الوادي ــ وقيل معناها ــ مدينة البعل ــ أو بيت البعل . وسماها اليونان هليوبوليس أو اليوبوليس فاليو بمعنى الشمس وبوليس مدينة أي مدينة الشمس وهي من اعظم المدن الشرقية بآثارها الضخمة وحدائقها ولعلها من ــ بعل باكوس إله الخمر .

بكاسين ــ مصغَّر بكاسًا ــ بمعنى دجاج الحرش ــ ذكرها مؤرخو الصليبيين باسم ــ بَكسا ــ وهي من قرى لبنان قرب جزين وقيل انها سريانية بمعنى بيت الكؤوس .

بناويت ــ مصريتها القديمة (بلاويط) فابدلها الاقباط بناويت.

بَهشُون ــ سماها ياقوت ساسانيان وديودورس.

باغستانون أو ــ دوس ــ يقال أصل الاسم فارسي ــ بغ استان ــ مدينة الصنم أو المعبد فحرّفه اليونان . وتسمى ايضاً بيستون Bisoutoun ومعناه بدون اساطين مدينة فارسية خربة من العراق العجمي بين همذان وكرمنشاه

وفيها ظهرت الكتابة بالقلم المسماري التي قرأهـا السر هنري رولنسون فكان أول من عرف الكتابة المسمارية وقرأها.

بقاع توتا — لبنان — سهلات التوت.

بقاع العزيز — العزيز من (العُزّى) وهي إلهة شمسية عند العرب ومنها بزيزا — في الكورة قرب طرابلس. فمعناه بقاع الشمس نسبة الى هيكل الشمس في بعلبك وهو أولى من قول بعضهم انه نسبة الى العزيز ابن الملك صلاح الدين الأيوبي لان هذا كان بمصر ومساحة سهل البقاع ٨٨٥ كيلومتراً مربعاً.

بقعاتا — لبنان — سريانية بمعنى — القاع — كان يسميها الأمير بشير الكبير الشام الصغيرة.

بوش — سُميت قديماً — شن اهون — فدعاها الأقباط — بوشين — والعرب — بوش — بيت لحم — سريانية بمعنى بيت الخبز أو بيت الطعام ويسمى بيت لحم — افراته — بمعنى المخصبة دليل خصب ارضها ونجاح زراعتها.

بيروت — باروتا في الكرنك — قال سنكونياتون المشترع الفينيقي البيروتي في تواريخه مما ترجمه فعلون الجبيلي الى اليونانية — انها باسم بيروت زوجة ايل اول ملك على جبيل . وقيل فينيقيتها — بئرت — جمع بئر واعترض على هذا الاب مارتن اليسوعي في تاريخ لبنان. ويقول كاتبه مؤلف هذا المعجم عيسى اسكندر المعلوف انها باسم بعل بيريت الفينيقي وفي آثار مصر اسمها بيروتو — بمعنى السرو والصنوبر كما قال مسپرو الفرنسي وتحدق بها اشجار الصنوبر الكثيرة.

بيزنطية — استنبول — أو بيزنطيوم نسبة الى (ڤيزيس) الـذي ساد من ميغرة قبل المسيح بمدة ٥٠٠ سنة وبناها فسميت (ڤيزانديون) وحرِّفت الى هذا الإسم . ولما جاء قسطنطين الملك الكبير (كبُرهـا) فنسبت اليه باسم القسطنطينية .

بير سبع — من أقدم الاماكن في فلسطين حفر ابرهيم بيراً هناك وسماها بهذا الاسم ومعناه بير الحلف لأنه حلف هناك هو وابيمالك الملك.

بياس – وفي ياقوت (بيَأس) وهي مدينة صغيرة شرقي انطاكية ويغلط بعضهم بتسميتها – بانياس – المار ذكرها في جنوبي لبنان. وقيل هي – آسوس – والحال ان آسوس تُعرف باسم اياس.

بيت عنيا – سريانية بيت الارتباك بلدة في فلسطين.

بيت حسدا – بيت الرحمة بلدة في فلسطين.

بيت فاجي – سريانية محل التقرص بلدة في فلسطين.

بيت مري – سريانية بمعنى بيت السادة على شرفة بحوق بيروت. ويمكن ان تكون من موري – Moerae – إلهة النحت عند اليونان. أو من كلمة موري المصرية بمعنى البحيرة لأنها تشرف على البحر.

(يتبع)

تعريف عن الكتب

موريتانيا الحديثة او العرب البيض في افريقيا السوداء

بقلم محمد يوسف مقلد

دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٦٠ – ٣٨٦ ص

قيمة الكتاب في انه وضع في وقت دخلت فيه موريتانيا عالم الوجود. ففصل في معلومات شتى ما اوصله الينا التاريخ العام وادخل اختبارات شخصية تنمّ عن حماس سياسي اكثر منه علمي للدفاع عن استقلال تلك البلاد او ادماجها بالمغرب .

قلم سيّال وروح فيّاضة. كان على المؤلف ان يردع الواحد ويوجّه الاخرى، فكان توصّل الى درس عميق فيه المعلومات الضافية عن البلاد التي يتكلم عليها نقلا او اختبارا . ولم يتوخّ المؤلف الطريقة العلمية وهو لم يُرد ذلك فاضفى على كتابه مسحة الواقعية وفي هذا نجح .

يمرّ المؤلف بالجغرافيا ويتابع سيره في التاريخ وبعد ذلك يستخلص العديد من الملاحظات عن العقلية هناك ويستمرّ، دون خطط دقيق يتّبعه، في التنقيب فيصل الى تحليل اللغة التي يستعملها الموريتانيّون . وهكذا يعجب القارىء بنفحة فتيّة تمرّ على هذه الصفحات لما وضع فيها المؤلف من حماس ومن ثم ينهض الى تحديد بعض المشاريع السياسية والاقتصادية ليكتمل الصورة التي اراد رسمها لتلك البلاد. ولكن اتكتمل الصورة دون ان يعود المؤلف ويؤكد ان القومية العربية هي التي عليها ان تحتضن بلاد موريتانيا .

هذا بعض ما في الكتاب المتشعّب الطرق انما علينا ان نزيد ان هذا التشعّب توحّده عاطفة المؤلف الجامحة نحو بلاد احبها .

ا. ع. خ

Charles Mœller : *Littérature du XXe siècle et Christianisme.* I — *Silence de Dieu*, 430 pp. —II-*La foi en Jésus—Christ*, 352 pp. — III — *Espoir des hommes*, 500 pp. — IV — *L'espérance en Dieu notre Père.* — Paris. Casterman, 1959, 1960.

في زحمة الاحداث العالمية وضوضا. الفكر وتخبط انسان اليوم بين طيات المادية ونكران وجود الله تيارات واسعة الارجا. تجمع بين مؤلفين ابوا ان يستيروا في عالم هم فيه ضيره ووعيه وبين آخرين احبوا المأساة فعاشوها واستسلموا للنتائج ولكنهم في دركات الجحيم الذين ارادوه لهم مسكناً لم يستطيعوا ان يتخلوا عن انسانيتهم بما فيها من ترقٍ الى الله وشوق متزايد من خلال اللذة ونشوة النكران .

فها هوذا المؤلف الذي يدين له العالم اليوم بفكرة واسعة وعقل ثاقب احب ان يعبر كتابات اولئك وهؤلا. الانتباه الكافي فاستمع الى اقوالهم وكانها في سرد ما هو بعيد عن الله وعن الحياة الروحية قد نسوا انهم الى المادة يترقون فتركوا للقلم ان يوصل الينا اسفهم وحزنهم والمهم العميق للابتعاد عن غاية حياتهم واملهم الوحيد .

ففي كتابه الاول على سكوت الله لم يخف المؤلف من ابداء الآراء والاحكام المسيحية على كتاب هذا العصر . والاحكام هذه لا تنم عن قصر نظر بل بعكس ذلك قد تفهم المؤلف ما قرأه وشرع بجضه يشق طريقه نحو التفسير والحكم . اذ هو لاهوتي واديب اجتمعت فيه صفات هذا وذاك اي صفات القارى. اللبيب الذي يستخلص المقاطع الحاسمة من قرآاته ويجليها بنقد لا يعرف اللذع انما يوقظ عند القارى. الحكيم ذلك الميل للجدل مع المؤلف او مع من يتكلم عليهم . ومن هذا الحوار العقلي ينتج النور الذي يساعد في اتباع الطريق التي لا تقل وعورة عن اي طريق جديد يفتحها المؤلف بصبر الحكيم وبحجة الكاهن الذي يعلم انه عند الكلام على الآخرين عليه ان يظل كاهناً . فثقافته واسعة وقوة تفهمه الامور عظيمة ولقد اتى في هذا الكتاب الاول على ذكر كامو وجيد وهركسله وسيمون فايل وگراهام گرين وجوليان گرين وبرنانوس . يذكر منهم مقاطع وكانه اختار احسن ما في الكتاب وهذه المقاطع تكفينا لتفهم موقف هذا او ذاك .

اما الكتاب الثاني فاتى على درس الايمان وهناك في الاوساط العقلانية مبدأ لا يتجزأ يقضي بنكران الروح او ما يعلو العقل البشري ويدير بالانسان بين ظلمات العقل او تبجحه الى ان يضل به الى هتك الاخلاق والى التدهور الاناني. ولذا فانه يذكر سارتر وما آلى اليه من جحد بوجود الله وكيف توصل الى ذلك من خلال تحليل مفهوم الحرية التي ترضى بالخالق ولا بالله. وذهب بعد ذلك الى الكلام على هنري جامس واظهر ما عنده من حنين الى الكنيسة الكاثوليكية وما هي اليوم قوة الروحيات على عقول المؤلفين الذين لا يكتبون حرفاً دون ان يفكروا بالله او بالشيطان. فالله والشيطان دخلا صفحات الادب المعاصر وهذا ما يدل على ان النفس العصرية حائرة الى ان تثبت في الله. فينتهي المطاف بالمؤلف الى ان يدل على طريق الايمان، طريق الخلاص. وينتقل بعد ذلك الى درس الكاتب مارتان ده جار ويحدثنا عن مشاكل الايمان وضيعانه، عن الخوف وصلته بالايمان، عن الموت ومفهومه في المسيحية. ومن خلال هذا الافكار والتحاليل تبدو صورة الكاتب الذي يكلمنا عليه ونصل الى ذلك القول، قول اللاهوتي البارع ان العودة الى الايمان لن تكون عودة عودة اجزاء. الانسان المعروفة عقله او حريته او جسمه. فالعودة تقضي ان يعود الانسان بكامله اذ الايمان خطوة حرّة وان كان نعمة الهبة.

ويعود المؤلف فيكلمنا على ما ليج ويغتنم الفرصة السانحة ليحلل ما يقتضيه الايمان من نعمة الهبة ومن توق داخلي ومن عناصر خارجية وبراهين تقود العقل رويداً رويداً الى ان يفهم ان هناك عالماً يفوقه وعليه ان يسجد راكعاً بتواضع وانكسار طالباً معونة الله ومساندته. في هذا القسم براعة حقيقية وروح المؤلف في مظهرها الجلي. ففي اسلوب سلس يُدخلنا في اعماق الضمير والوجدان ويقودنا الى الاختبار الذي قام به هو نفسه فنتحسس ما شعر به هو وكأن النفس معه ومع ما ليج تجوب اجواء ابعدتنا عن الارض ولكنها انارت سيرها على هذه الارض.

وفي ختام هذا الكتاب الثاني كلمة على مسؤولية المسيحي لو انتبه اليها القارئ. وعاد فتتبع المؤلف في تحليل تطوير الايمان من الفتوة الى الرجولة. وفي كل هذه الصفحات نفحة ايمان تخلف بعدها فرحاً في المؤمن وحنيناً عند الغير المؤمن.

أما في الكتاب الثالث فلقد طرق المؤلف موضوعاً نراه مرسوماً على وجوه الناس الا وهو امل الانسان : الامل الذي يكاد يهجر نفوسهم في عالم طغت فيه المادة وسيطرت على الانسان فصار آلة تستعمل لا تلك الخليقة التي ولاها الله كي تعطي المخلوقات اسماءها. ولذا ففي هذا الجزء من مجموعة شارل مولر نرى اكثر مما في الجزئين الاولين تفسيراً مسيحياً لنزعات الانسان وفي ذلك ما فيه من مقدرة اللاهوتي وثقابة نظر الاديب فيبينا ما نستطيع ان نستخدمه لننير الطريق في درس مؤلفي اليوم. اذ ان المؤلف لم يرد ان يكتب كتاباً لاهوتياً ولا كتاباً فلسفياً ولم يرد تأريخ الآداب بالاجمال انما جرب ان يبينا طريقة تفكير على بعض النصوص التي تبرز روح العصر والتي تصف وصفاً دقيقاً انسان القرن العشرين .

ولقد درس المؤلف في هذا الجزء نفسية مالرو من خلال مؤلفاته. فانه وان يجد الفن ويرى فيه غاية الحياة فلقد نشعر من خلال السطور والصفحات بتلك الوحدة التي يتخبط فيها بين الايجاب والنفي بين المواقف المتناقضة بين العودة الى الارض والالتصاق بها وبين التوق الى علٍ. فيعود المؤلف ويدرس كفكا وغيره من الكتاب كفرنسواز ساغان او مونيه وعندهم جميعهم يقف وقفة المحب الذي يريد ان يجد الانسان فيهم من خلال مواقف تحجرت مرات ومرات ضل به القلم وارانا من وراء ستار حديدي نور نفس تتألم وان تمرغت في وحل الرذيلة . ويتخلص المؤلف الى القول بان كل انسان ضعيف وعليه ان يسند ضعفه بقوة الاله المسيح .

اما الجزء الرابع فانه يكلمنا على الرجاء بالله ابينا . يجعلنا فيه المؤلف حيارى بين تيار اونامونو وتيار مرسل وتشعر بجفا الاول وبنضارة الثاني، فننفر من الاول ونُساق وراء الثاني وقد خُلق الانسان للرجاء لا لليأس والقنوط . ولذا فمع دو بوس نسير وراء الرجاء ذاك فيوصلنا الى الله الحي ومع بيجي نرى ان في الرجاء المحبة وهي غاية الانسان القصوى .

***

فبعد هذه الجولة العابرة نشعر بانه ليس من الممكن ان نلخص كتباً كهذه ملأى درراً . فللمؤلف الشكر وقد ادخل في النقد الادبي ميزة خاصة الا وهي

تفهم افكار الكتاب والسعي وراء خلاصهم من ربقة المادة وان ارادوا ان يوهموا القارئ بذلك فهم بشر ، وطالما عاش الانسان فمن اعماق الرذيلة يتوق الى فوق ومن اسفل دركات الشرّ لا يسعى الّا الى الله . ولكن على المؤلف اذاك ان يظل واعياً كي لا يترك تفوته تلك الجملة او تلك الكلمة التي تحمل من فم الكاتب ومن قلبه خاصّة امل الانسان ونبضات قلبه الذي تراكمت عليه الاغلال دون ان تقتل فيه يد مبدعه وتلك الصرخة اليه التي هي الانسان بالذات .

ا. عبده خليفه اليسوعي

J.-Ch. Didier : *Le Chrétien devant la maladie et la mort.* — Coll. Je sais — Je crois. — Lib. Arthème Fayard — Paris 1960, 124 pp.

في فصول قليلة توصّل المؤلف بعلمه وسعة اطّلاعه ان يحصر القديم والحديث ممّا قيل في المرض والموت فاعطانا ضمّة لاهوتيّة قيّمة عن السرّ الذي يحوّل صعوبة الساعات الاخيرة فتصير نيّرة مفيدة ويجعل الموت الذي هو نهاية مسرحية الحياة بدء حياة حقيقية. فالمسيح قد قام وقد خاب الموت في تسلّطه على بني الانسان. فالمعمودية تدخلنا في سر موت وقيامة المسيح الاله وبها تغيّر كل شيء ، حتى موقف المسيحي من الموت ومن المرض . فموت المسيح صار سرّاً ناجعاً ، ولذا فعلينا ان ننظر الى موت ومرض المسيحي بعين المؤمن .

ولقد تتبع المؤلف النصوص الكتابية والتاريخية والطقسية واعطانا حزمة ضمّت ما يهم المؤرخ واللاهوتي فأتى كتابه وافياً دقيقاً .

ا. ع. خ

المشرق

السنة الخامسة والخمسون — ايار - حزيران ١٩٦١

المسيح في الاسلام

بقلم ميشال الحايك

دكتور في اللاهوت ، مجاز في الاداب

استاذ في الجامعة الكاثوليكية بباريس

الفصل الثاني

زكريا ويحيى المعمدان

يذكر القرآن زكريا في آيات معدودات تقص سيرة الشيخ الواهن العظم»، وقد شارف الموت حاملاً غصة العاقر فلا ذرّية له ، كيف كفل مريم في المحراب فأبصر عندها فاكهة في غير اوانها . كأن ذلك من قطف الجنة ، من رزق الله . واذ رأى العجوز المعجزة

طابت نفسه وتقوى ايمانه بالذي « يرزق بغير حساب » . عند ذلك نادى ربه في الخفية متوسلاً اليه ان يهبه ولداً يرثه ، فاعطاه ربه يحيى ، اي يوحنا .

ويحيى هذا كان آية في الزهد والحرمان . لقد غلا كتّاب قصص الأنبياء في وصف تقشّف يحيى، وقد غلبت عليه حالة البكاء والرهبة خشية النار . ولكن لم يرد شيء في القرآن عن ذلك سوى أنّ يحيى كان حصوراً ، فهو والمسيح الاعزبان الوحيدان بين الانبياء حسب الاسلام وفيه من الاحاديث مثل: «انّ من سنتي النكاح»، والنكاح سنّة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء » ...

اما ما ذكر من قصته وقصة أبيه زكريا فهو مرهون باصوله اليهودية – المسيحية وقد اختلطت أحياناً على مؤلفيها فكوّنت سيرة شك في سرد بعض فصولها غير واحد من مؤرخي الاسلام كالطبري مثلاً .

وقد حاول المفسرون شرح كلمة يحيى محاولات فاشلة ؛ ولا شك في انها من أصل قريب من السريانية ، وهي لغة المندائيين وكانوا شيعة في شمال الجزيرة العربية تكرّم « يحو » وتعمّد بالمعمودية التي جاء بها سابقاً للمسيح .

مختصر سيرة زكريا ويحيى

وزكريا وهو زكريا بن ادّق من ولد داود من سبط يهوذا وكان تزوج اشباع بنت عمران اخت مريم بنت عمران ام المسيح وهو عمران بن ماران بن يعاقيم من ولد داود ايضاً . واسم ام اشباع ومريم حنه وولدت لزكريا يحيى . وكان يحيى ابن خالة المسيح وكان زكريا نجـاراً وأشاعت اليهود أنه ركب مع مريم الفاحشة فقتلوه. وكان لما أحس بهم لجأ الى شجرة فدخل في جوفها فدلّهم عدوّ الله ابليس عليه فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوها وقطعوه معها.

ولما ولدت اشباع بنت عمران اخت مريم ام المسيح يحيى بن زكريا هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلاً بعثه الله الى بني اسرائيـل فقام فيهم بامر الله ونهيـه فقتلوه وكثرت الاحداث في بني اسرائيل فبعث الله اليهم ملكاً من ناحية الشرق يقال له خردوش فقتـل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفاً من الناس الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل[1] .

نذر مريم وكفالة زكريا

وكان زكريا بن برخيا[2] ابو يحيى بن زكريا، وعمران بن ماثان ابو مريم متزوجين باختين احداهما عند زكريا وهي ام يحيى والاخرى منهما عند عمران بن ماثان وهي ام مريم فمات عمران بن ماثان وام مريم حامل فلما ولدت مريم كفلها زكريا بعد موت امها لان خالتها اخت امها كانت عنده، واسم ام مريم حنة بنت فاقوذ ابن قبيل ، واسم اختها ام يحيى الاشباع[3] ابنة فاقوذ .

وكفلها زكريا وكان مسمّاة بيوسف بن يعقوب بن مـاثان بن اليعازر بن أليوذ بن أحين بن صادق بن عازور بن ألياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل ابن يوحنيا بن يوشيّا بن أمون بن منشا بن حزقيّا بن آحاز بن يوتام بن عوزيا

---

١) المسعودي ، مروج الذهب ، ١ : ١٢٠–١٢٢

٢) زكريا بن برخيا هو تاريخياً غير زكريا ابي المعمدان ، فبينهما اكثر من سبعمائة سنة ، اذ ان زكريا بن برخيا هو معاصر للنبي اشعيا الذي ذكره في نبوءته ، ٨ : ٢

٣) والاصل لتعريب كلمة « الاشباع » هو سرياني .

ابن يورام بن يهوشافاط بن آسا بن ابيَّا بن رحبعم بن سليمان بن داود ابن عم مريم[٤].

اما ابن حميد فانه حدثنا عن سلمة بن اسحاق انه قال: مريم فيما بلغني عن نسبها ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشَّا بن حزقيا بن أحزيق بن يوثم بن عزريا بن امصيَّا بن ياوش بن احزيهو بن يارم بن يهشافاط بن اسا بن ابيَّا بن رحبعم بن سليمان[٥].

فولد لزكريا يحيى بن خالة عيسى بن مريم فنُبِّئَ صغيرًا فساح ثم دخل الشام يدعو الناس، ثم اجتمع يحيى وعيسى ثم افترقا بعد ان عمَّد يحيى عيسى[٦].

قال الله تعالى: اذ قالت امرأة عمران ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرَّرًا — الايات —. قال المفسرون: هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام. وعمران: قال ابن عباس: هو عمران بن ماثان وليس بعمران ابي موسى اذ بينهما الف وثمانمائة سنة. وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم. وقال ابن اسحق: هو عمران بن ساهم بن امور ... ابن سليمان بن داود عليه السلام.

وكانت القصة في ذلك ان زكريا بن يوحنَّا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين، احداهما عند زكريا بن يوحنَّا وهي ايشاع بنت فاقوذ ام يحيى، وكانت الاخرى عند عمران وهي حنَّة بنت فاقوذ ام مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى ايست وعجزت وكانوا اهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل

---

٤) هذا النسب هو ذاته كما في الكتاب المقدس؛ راجع انجيل متى ١: ١٦، لولا بعض الاخطاء التي قد تكون نتيجة تداول النص بين ايدي الكتبة، وهكذا تجد تحريفًا لبعض الاسماء. وهي في الانجيل كذلك نزلًا من ابراهيم الى داود، وهذا ما اهمله الطبري، ومن داود الى سليمان، رحبعم، ابيا، آسا، يوشافاط، يورام، عزيا، يوثام، آحاز، حزقيا، منسى، آمون، يوشيا، يكنيا، شالتئيل، العازر، يعقوب، يوسف.

٥) لا ذكر في الانجيل لنسب مريم، ولذلك حار الطبري بين اسماء اخذت هنا وهناك وحاول التوفيق بين ما يعرف عن قرابة مريم ويوسف من جهة، وبين ما يقول القرآن عن صلة مريم بعمران من جهة اخرى.

٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١–٣: ٧١١–٧١٣

شجرة اذ نظرت طائرًا يطعم فرخاً فتحركت عند ذلك شهوتها للولد. ودعت الله تعالى ان يهب لها ولدًا وقالت: اللهم لكَ عليَّ ان رزقتني ولدًا أن اتصدّق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرًا وشكرًا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت: ربي اني نذرت لك ما في بطني محررًا أي عتيقاً من الدنيا واشغالها خالصاً لله تعالى وخادماً لبيتك المقدس حبساً عليه مفرغاً لعبادة الله وخدمته — فتقبَّل مني — الكائن، انك انت السميع العليم [٧].

قالوا وكان المحرَّر اذا حرِّر وتُذر جعل المحرَّر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحكم فاذا بلغ خيّر بين ان يقيم وبين أن يذهب حيث شاء، وان اراد ان يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم. ولم يكن من بني اسرائيل وعلمائهم الا من في نسله محرر لبيت المقدس، ولم يكن محررا الا الغلمان، وكانت الجارية لا تكلف ذلك لما يصيبها من الحيض والاذى، فحررت ام مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها: ويحكِ ما صنعت؟ أرأيتِ إن كان في بطنك انثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعاً في همّ من ذلك.

فهلك عمران وحنة حامل بمريم، فلما وضعتها اذا هي جارية، فقالت حنة وكانت ترجو ان يكون غلاماً اعتذارًا الى الله: ربِّ اني وضعتها انثى، والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى — اي في خدمة الكنيسه والعبادة فيها

---

٧) قابل هذا بنصوص الاناجيل المنحولة حيث تجد هذه القصة التي لا يستطيع علم التاريخ ان يثبت صحتها: «وبينما كانت حنة تبكي (لغياب زوجها يوياقيم) في جنينة دارها رفعت في صلاتها عينيها الى الله فرأت عشاً في شجرة غار، فتضرعت لله هاتفة والتنهدات تقطع كلامها: «اللهمَّ السيد الضابط الكل الذي وهبت نسلًا لكل الخلائق، للوحوش والدواب والحيات والاسماك والطيور، والذي جعلتها جميعاً تفرح بذريتها والذي حرمتني انا من نعمة عطاياك هذه. انت تعلم اللهم اني منذ بدء زواجي نذرت ان احرر لبيتك المقدس الولد الذي تهبني اياه ذكرًا كان ام انثى»؛ انجيل متى المزعوم، ٢ : ٢؛ انجيل يعقوب الموضوع، ٣: ١–٣؛ اما في النص الارمني لكتاب الطفولة ٢:٢، فهو يوياقيم وليست حنة من يدعو الله ليرزقه ولدًا.

لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى — واني سمّيتها مريم — وهي بلغتهم العابدة والخادمة. وكانت مريم عليها السلام اجمل النساء وامثلهن في وقتها[٨].

ثم لفّتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم يلون من بيت المقدس ما يلي بني شيبة من الكعبة. فقالت: دونكم هذه المنذورة. فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم. فقال زكريا: انا احق بها لان خالتها عندي. فقالوا: لكننا نقترع عليها لان خالتها عندي. فقالوا: لكننا نقترع عليها. فألقوا أقلامهم في نهر جار قيل هو نهر الاردن[٩] فألقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم[١٠].

---

٨) الثعلبي، عرائس المجالس، ٣٧١؛ الكسائي، قصص الانبياء، ٣٠١–٣٠٢.

٩) يقول الكسائي انهم القوا اقلامهم في عين سلوان، قصص الانبياء، ٣٠٢.

١٠) تذكر الاناجيل المنحولة هذا الاقتراع وتزعم ان زكريا تنبه اجزاء بأمر ملاك الرب اذ ظهر له قائلاً: يا زكريا، يا زكريا، اخرج (وكان يصلي لاجل مريم في قدس الاقداس من الهيكل) واجمع الايّمين من الشعب، وليأت كلٌّ منهم بعروحة، والذي يبعث الله له بمعجزة تصبح زوجاً له. فخرج المنادون واعلنوا ذلك في كل بلاد يهوذا؛ ونفخ في الصور فتقاطر الجميع. اما يوسف (وكان نجاراً) فترك فأسه وجاء ملتحقاً بهم. فاجتمعوا وجاؤوا حاملين مراوحهم الى رئيس الكهنة. وهذا اخذ المراوح ودخل الهيكل فصلى ولما انتهى من صلاته اخذ المراوح فخرج واعادها لاصحابها ولم تحدث معجزة. ولما استرجع يوسف مروحته، اذا بحمامة تخرج منها وتطير فوق رأسه. عند ذاك قال رئيس الكهنة ليوسف: «لقد وقعت القرعة عليك لتكفل عذراء الرب». اما يوسف فقال معترضاً: «ان لي بنين وانا شيخ، وهي طفلة (وكانت في الثانية عشرة)؛ فلا يليق بان اصبح هزأة لبني اسرائيل». فقال له رئيس الكهنة: «اتق الرب الهك ...» ويوسف امتلأ خوفاً وكفل مريم؛ انجيل يعقوب المنحول، ٩: ١–٣؛ قابل بانجيل متى المزعوم، ٨: ١–٥، حيث تجد بعض التفاصيل والمتناقضات مع النص الاول: عوضاً عن ١٢ سنة، ١٤ سنة كذا كان عمر مريم وقت الاقتراع. وهذه القرعة وقعت بين اسباط اسرائيل الاثني عشر؛ اسم رئيس الكهنة ايبطار. راجع ايضاً قصة يوسف النجار، في نصها العربي القديم، الذي يذكر الاقتراع ونتيجته دون ان يذكر الاقلام او المراوح، ٢–٣

بشارة زكريا ومولد يحيى

فأخذها وكفلها وضمّها الى خالتها ام يحيى واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة في المسجد لا يُرقى اليها الا بسلّم ولا يصعد اليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء. فيقول: أنّى لكِ ذلك فتقول: هي من عند الله[١١] فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فقال: ان الذي فعل هذا بمريم قادر على ان يُصلح لي زوجتي حتى تلد فقال: ربِّ هبْ لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء. فبينما هو يصلي في المذبح الذي لهم، فاذا هو برجل شاب، هو جبرائيل ففزع زكريا منه فقال له: ان الله يبشرك بيحيى مصدّقاً بكلمةٍ من الله، يعني عيسى بن مريم عليه السلام. ويحيى اول من آمن بعيسى وصدّقه وذلك ان امه كانت حاملاً به فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى فقالت لها: يا مريم أحامل انتِ؟ فقالت لماذا تسأليني؟ قالت: اما اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك[١٢]؛ فذلك تصديقه. وقيل صدّق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين، وسمّاه الله تعالى ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم، قال الله تعالى: لم نجعل له من قبل سميّاً، وقال تعالى: والسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّاً. قيل: اوحش ما يكون ابن آدم في هذه الايام الثلاثة فسلمه الله من وحشتها. وانما وُلد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين وقيل بستة اشهر. وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان. قال: ربِّ أنى يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؟ وكان عمره اثنين وتسعين سنة. فقيل له لذلك: الله يفعل ما يشاء. وانما قال ذلك استخبارا هل يُرزق الولدَ من امرأته العاقر ام غيرها، لا انكاراً لقدرة الله تعالى. قال: ربِّ اجعل لي آيةً، قال: آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزاً. قال: أمسك الله لسانه عقوبةً لسؤاله — الآية — والرمز: الاشارة[١٣].

---

١١) هذه المعجزة التي اوردها القرآن وتناقلها المؤرخون من بعده، لم تذكرها الاناجيل الموحاة ولا الموضوعة منها.

١٢) قابل بكلام الانجيل، لوقا ١: ١٤–٤٤.

١٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١: ٢١١–٢١٣؛ قابل بنص الانجيل: «كان

قال محمد بن اسحاق : ثم اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها (أي تأكل من قطف الجنة) ثم ضعف زكريا على حملها فخرج الى بني اسرائيل وقال : يا بني اسرائيل تعلمون والله اني لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي ؟ فقالوا : والله لقد جهدنا واصابنا من الجهد ما ترى. فتدافعوها بينهم، ثم لم يجدوا من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام، فخرج السهم على رجل صالح نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها . قال : فعرفت مريم من وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له : يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا . فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها، فاذا ادخله عليها وهي

في ايام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة ابيا وامرأته من بنات هرون اسمها اليصابات وكانا كلاهما بارين امام الله . . . ولم يكن لهما ولد لان اليصابات كانت عاقرًا، وكانا كلاهما قد تقدما في ايامهما . وبينا كان يكهن في نوبة فرقته امام الله اصابته القرعة على عادة الكهنوت ان يدخل هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلي خارجًا . . . فتراءى له ملاك الرب واقفًا على يمين مذبح البخور فاضطرب زكريا حين رآه ووقع عليه خوف، فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا فان طلبتك قد استجيبت وامرأتك اليصابات ستلد ابنًا فتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج ويفرح كثيرون بمولده لانه يكون عظيمًا قدام الرب ولا يشرب خمرًا ولا مسكرًا ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن امه ويرد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب الههم . . . فقال زكريا للملاك : بمَ اعلم هذا فاني انا شيخ وامرأتي قد تقدمت في ايامها . فاجاب الملاك وقال له : انا جبرائيل الواقف امام الله وقد أرسلت لاكلمك وأبشرك بهذا وها انك تكون صامتًا فلا تستطيع ان تتكلم الى يوم يكون هذا لانك لم تصدق كلامي الذي سيتم في اوانه . وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من ابطائه في الهيكل، فلما خرج لم يستطع ان يكلمهم فعلموا انه قد رأى في الهيكل رؤيا، وكان يشير اليهم وبقي ابكم . . . اما اليصابات فلما تم زمان وضعها ولدت ابنًا فسمع جيرانها واقاربها ان الرب قد عظم رحمته لها ففرحوا معها . وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي فدعوه باسم ابيه زكريا فاجابت امه قائلة : كلّا لكنه يدعى يوحنا ، فقالوا لها : ليس احد في عشيرتك يدعى بهذا الاسم، ثم أوموا الى ابيه ماذا يريد ان يسمى، فطلب لوحًا وكتب فيه قائلًا يوحنا، فتعجبوا كلهم . وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم مباركًا الله » ؛ لوقا ، ١ : ٥-٥٧، ٦٤ .

في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثّره، فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلًا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها : يا مريم أنّى لك هذا؟ قالت : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب[١٤] . .

الا ترى وفقك الله الى زكريا عليه السلام لما دخل على مريم المحراب وهي بتول محررة ... ورأى عندها رزقاً فطلب من عند الله ذلك ان يهبه ولداً حين تمشق بحالها يقول : ربِّ هب لي من لدنك ... ذرية طيبة انك سميع الدعاء. ومريم في خياله من حيث مرتبتها وما اعطاها الله من الاختصاص بالعناية الالهية فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ... ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً ، وهو الكمال لان مريم كملت فكمل يحيى ، وحصوراً وهو الذي اقتطعه الله عن مباشرة النساء، وهو العنين عندنا ، كما اقتطع مريم عن مباشرة الرجال وهي البتول فكان يحيى عليه السلام زاهد النساء. كما كانت حنة مَرْيَمًا ، لان المريم المنقطعة من الرجال ، واسمها حنه ومريم لقب لها وصفت به كما ذكرناه آنفاً . فانظر ما أثر سلطان الخيال عن زكريا في ابنه يحيى عليه السلام حين استفرغت قوة زكريا في حسن حال مريم لما اعطاها الله من المنزلة[١٥] .

روي ان جماعة قصدوا دار زكريا عليه السلام فاذا فتاة جميلة رائعة قد اشرق البيت لها حسناً قالوا : من انت ؟ قالت : انا امرأة زكريا عليه السلام. قالوا بينهم : كنّا نرى نبيّ الله زكريا لا يريد الدنيا فاذا هو قد اتخذ امرأة

---

١٤) الثعلبي ، قصص الانبياء، ٣٧٣ ؛ هذا الاقتراع الثاني ان هو استنبط الا ليوفق بين امرين ، اولهما ما يقول القرآن عن كفالة زكريا لمريم، وثانيهما ما تقول الاناجيل المنحولة عن كفالة يوسف لمريم ؛ ولدى هذا المأزق التاريخي اختلق المؤرخ القصة هذه فتشابه دور زكريا ودور يوسف فاذا هما نجاران واذا هما كافلان مريم . اما تردد زكريا في حمل بنت عمران في زمن أزمة بني اسرائيل ، فهو تردد يوسف امام الكفالة ذاتها ولم يكن ذلك بسبب ضيقة العيش فحسب بل نظرًا لكبره، انظر اصل ذلك في انجيل يعقوب المنحول، ٩ : ٢؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٤ : ٥-٦ ؛ انجيل متى المزعوم ، ٨ : ٤ .

١٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٦٥٢

جميلة رائعة ، فقال عليه السلام : انما انا تزوجت امرأة جميلة رائعة لاكف بها بصري واحفظ بها فرجي[١٦].

لقد روي عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيرًا لقوم فقدموا له رغيفة اذ كان لا يأكل الا من كسب يده . فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال : اني اعمل لقوم بالاجرة وقدموا اليّ الرغيف لاتقوّى به على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم[١٧] .

مصرع زكريا

لما قتل يحيى وسمع ابوه بقتله مرَّ هارباً فدخل بستاناً عند بيت المقدس فيه اشجار فأرسل الملك في طلبه فمرَّ زكريا بالشجرة فنادته : هلمَّ يا نبي الله . فلما انشقت فدخلها فانطبقت عليه وبقي في وسطها . فأتى عدو الله ابليس فأخذ هدب ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا اخبرهم . ثم لقي الطلب فأخبرهم فقال لهم : ما تريدون ، فقالوا : نلتمس زكريا ، فقال : انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها ، قالوا : لا نصدقك ، قال : فان لي علامة تصدقوني بها ، فأراهم طرف ردائه فأخذوا الفؤس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقوها بالمنشار فمات زكريا فيها . فسلَّط الله عليهم اخبث اهل الارض فانتقم به منهم[١٨] .

وقيل ان السبب في قتله ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف

---

١٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ١٧٥ .

١٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٦٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٨ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ٣٠ .

١٨) حسب نص الطبري ان الشيطان تشبه لزكريا بصورة راع واوعز اليه ان يدخل الشجرة فدل عليه طالبيه مشيرًا الى هدب ردائه ، ويزيد الطبري : « وليس تجد يهودياً الا تلك الهدبة في ردائه » . ولكن سبب الهدبة هو غير ذلك ؛ راجع الكتاب المقدس ، سفر العدد ، ١٥ : ٣٨ ...

زكريا بمريم ... فطلبوه فهرب من دخوله الشجرة نحو ما تقدم[١٩].

روي ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفّار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا ، فأنّ منه أنّة ، فأوحى الله تعالى اليه : يا زكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لامحونّك من ديوان النبوّة ، فعض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قُطع شطرين[٢٠].

ويروى في بعض الاخبار ان زكريا عليه السلام لما وضع على رأسه المنشار أنّ أنّة . فأوحى الله تعالى اليه : ان صعدت اليّ منك أنة اخرى لاقلبنّ السموات والارض بعضها على بعض[٢١].

---

١٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٧–٢١٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣٢ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٠–٣٨١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ : ١٢٠–١٢١ : لقد خلط المؤرخون هنا بين احداث عديدة فنسبوا قتل زكريا لامرين : اولهما هربه بعد موت ابنه يحي ودخوله الشجرة وهذا ما تذكره الاناجيل الموضوعة ولكن على نحو آخر وهو ان هيرودس ارسل فقتل الاطفال من عمر اثنين فما دون . وكان يطلب يوحنا لانه كان سمع من المجوس ان طفلاً وُلد وسيكون الملك المنتظر ان يملك على بني اسرائيل ، فلما سمعت اليصابات بطلب هيرودس حملت ابنها وهربت به الى مكان مقفر من الجبل ونادت الجبل لينفتح لها فانشق الجبل فاختبأت فيه مع ولدها . وعاد رُسل هيرودس يطلبون الصبي من ابيه ، فاقسم زكريا انه يجهل موضع الام والولد ، فقتله هيرودس ليلتئذ قرب المذبح ، راجع انجيل يعقوب الموضوع ، ٢٢–٢٣ : انجيل الطفولة ، في نصه الارمني ، ١٤ : ١–٥ .

والسبب الثاني في قتل زكريا هو قذفه بالفاحشة زورًا ؛ وهذه التهمة تذكرها الاناجيل المنحولة ايضاً عن يوسف الشيخ النجار الذي كفل مريم ، ولكن يوسف فقد حوكم واذ ظهرت براءته فلم يصبه اذى ، راجع انجيل متى المزعوم ، ١٢ : ١ ؛ انجيل يعقوب الموضوع ، ١٥ : ٤ ؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٧ : ٤ .

اما قصة هدب الرداء ، فهي من اصل عبراني وقد نسبت الى موت النبي اشعيا فتخالطت كل هذه القصص وفيها التاريخ والاسطورة فأوجدت النص العربي كما قرأته .

٢٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٩٨ ؛ مكاشفة القلوب ، ٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ١٤٦ .

٢١) ابن عباد الرندي ، الرسائل الصغرى ، طبعة بولس نويا ، في المشرق ، ١٩٥٧ ، ١ : ٧١ .

شمائل يحيى

وفي بعض الاخبار أنه لما وُلد يحيى رُفع الى السما. فتغذى بأنهار الجنة حتى فُطم، ثم أُنزل الى ابيه وكان يضي. البيت لنوره وحسن وجهه وجماله[٣٢].

هذه حكمة الاولية في الاسما. فان الله سمّاه يحيى اي يحيى به ذكر زكريا. ولم يجعل له من قبل سميّاً، فجمع بين حصول الصفة التي فيمن غبر ممن ترك ولداً يُحيي ذكرَه وبين اسمه بذلك فسمّاه يحيى. فكان اسمه يحيى كالعلم الذوقي فان آدم عليه السلام حيي ذكره بشيث، ونوحاً حيي ذكره بسام وكذلك الانبياء عليهم السلام. ولكن ما جمع الله لاحد قبل يحيى بين الاسم والعلم منه.

ثم انه تعالى بشّره بما قدّمه من سلامه عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّاً. فجاء بصفة الحياة وهي اسمه، وأعلمه بسلامه عليه، وكلامه صدقٌ فهو مقطوع به وان كان قول الروح[٣٣]: والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً اكمل في الاتحاد والاعتقاد وارفع للتأويلات. فان الذي انخرقت فيه العادة في حق عيسى انما هو النطق فقد تمكن عقله وتكمل في ذلك الزمان الذي انطقه الله، ولا يلزم التمكن من النطق على اي حالة كان الصدق فيما به نطق بخلاف المشهود له كيحيى. فسلام الحق عن يحيى من هذا الوجه ارفع للالتباس الواقع في العناية الالهية من سلام عيسى على نفسه، وإن كانت قرائن الاحوال تدل على قربه من الله في ذلك وصدقه، اذ نطق في معرض الدلالة على براءة امه في المهد فهو احد الشاهدَين، والشاهد الآخر هز الجذع اليابس فسقط رطباً جنياً من غير فحل ولا تذكير، كما ولدت مريم عيسى من غير فحل ولا ذكر ولا جماع عرفي معتاد[٣٤].

انما خصت الكلمة اليحيوية بالحكمة الجلالية لان الغالب على حاله احكام الجلال من القبض والخشية والحزن والبكا. والجد في العمل والهيبة والرقة

---

٣٢) الثعلبي، عرائس المجالس، ٣٧٦.

٣٣) الروح اي عيسى.

٣٤) ابن العربي، فصوص الحكم، ٢٤١–٢٤٤.

والخشوع في القلب، فشربه من حضرة ذي الجلال فكان دائماً تحت القهر، وقد خدت الدموع في خده اخاديد من كثرة البكا، وكان لا يضحك الا ما شاء الله. وكل ذلك من مقتضيات حضرة الجلال والقيام بحقها، ولذلك قُتل في سبيل الله وقُتل في دمه سبعون الفاً حتى سكن دمه من فورانه[٢٥].

واختلفوا لما سمي يحيى. قال ابن عباس: لان الله تعالى احيا به عقر امه. وقال قتاده وغيره: لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان والنبوة. وقال الحسن بن فضل: لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية، دليله ما اخبرني به الحسن بن فتحويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلعم: ما من احد يلقى الله عز وجلّ الا قد همّ بخطيئة او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهمّ ولم يعمل. قال الاستاذ: وكان شيخنا ابو القاسم الجنيد يقول: سمي بذلك لانه استشهد والشهداء عند ربهم يرزقون. قال النبي صلعم: من هو ان الدنيا على الله ان يحيى بن زكريا قتلته امرأة. قال: وسمعت ابا منصور الحمشاوي يقول: قال عمر بن عبدالله المقدسي: اوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل لساره — وكان اسمها كذلك —: اني مخرج منكما عبداً لا يهمّ بمعصيتي اسمه حيّ فهبي له من اسمك حرفاً، فوهبت له اول حرف من حروف اسمها الياء. فصار يحيى وصار اسمها ساره — مصدقاً بكلمة من الله — يعني عيسى عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب: كن فكان، فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وُجد. ويحيى اول من آمن بعيسى وصدّقه ...

قال سعيد بن المسيَّب: وسيدا، السيد: الفقيه العالم. وقال سعيد بن جبير: السيد الذي يطيع ربه عز وجل. وقال الضحاك: السيد الحسن الخُلق. وقال عكرمة: الذي لا يغضب. وقال سفيان: الذي لا يحسد — وحصوراً، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما: هو الذي لا يأتي النسا. ولا يقربهنّ. فعول بمعنى فاعل، يعني انه حصر نفسه عن الشهوات. وقال ابن المسيَّب والضحاك: هو العنين الذي لا باءة له. ودليل على هذا التأويل ما اخبرني به

---

٢٥) الغاشاني، شرح ...، ٣٤١-٣٤٢

ابن فتحويه باسناده عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلعم يقول : كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه ان شاء او يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين . ثم اومأ النبي صلعم الى قذاة من الارض فاخذها قال...[٣٦] وقال المدني : الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الاباطيل[٣٧] .

فلما وُلد رآه ابوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع مقرون الحاجبين دقيق الصوت قويًا في طاعة الله مذ كان صبيًا . قال الله تعالى : آتيناه الحكم صبيًا . قيل انه قال له يومًا الصبيان امثاله : يا يحيى اذهب بنا نلعب ، فقال لهم : ما للعب خُلقت .

وكان يأكل العشب واوراق الشجر[٣٨] وقيل كان يأكل خبز الشعير . ومر به ابليس ومعه رغيف شعير فقال : انت تزعم انك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير ، فقال يحيى : يا ملعون هذا القوت . فقال ابليس : ان الاقل من القوت لمن يموت ، فاوحى الله اليه : اعقل ما يقول لك .

ونُبئ صغيرًا فكان يدعو الناس الى عبادة الله ولبس الشعر ، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أين جنّه الليل ، ولم يكن له دينار ولا درهم ولا أمة واجتهد في العبادة فنظر يومًا الى بدنه وقد نحل فبكى ، فأوحى الله اليه : يا يحيى أتبكي لما نحل من جسمك ، وعزتي وجلالي لو اطلعت في النار اطلاعة لتدرعت الحديد عوض الشعر ، فبكى حتى اكلت الدموع لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين ، فبلغ ذلك امه فدخلت عليه واقبل زكريا ومعه الاحبار فقال : يا بُنيّ ما يدعوك الى هذا ، قال : أنت أمرتني بذلك حيث قلت : ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا الباكون من

٣٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٤-٣٧٥ .

٣٧) حذفت الجملة التالية رفقًا بالقارئ .

٣٨) وقد اورد الانجيل وصفا زهد المعمدان : « وكان لباس يوحنا من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه الجراد وعسل البر » م ٣ : ٤ ؛ « عظيمًا امام الرب لا يشرب خمرًا ولا مسكرًا » ، لوقا ، ١ : ١٥ ؛ وهذا الرفض الانجيلي لكل لهو هو مصدر الحادثة التي اوردها مؤرخو الاسلام عن رفضه اللعب مع الصبيان .

خشية الله ، فقال : فابك واجتهد اذن . فصنعت له امه قطعتي لبد على خديه تواري اضراسه فكان يبكي حتى يبلّها . وكان زكريا اذا اراد يعظ الناس نظر فان كان يحيى حاضرًا لم يذكر جنّة ولا نارًا[٢٩] .

دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك ، فرجع الى ابويه فمرّ بصبيان يلعبون ، فقالوا له : يا يحيى هلمّ لنلعب فقال : اني لم اخلق للعب . قال : فاتى ابويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارًا ويصبح فيه ليلًا حتى اتى عليه خمس عشرة سنة ، فخرج ولزم اطواد الارض وغيرانَ الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك ، فسأله ابوه أن يفطر على قرص كان معها من شعير ويشرب من ذلك الماء . ففعل وكفر عن يمينه فمُدح بالبرّ ، فرده ابواه الى بيت المقدس . فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمَدَر ويبكي زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه ، فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين ، فقالت له امه : يا ابني لو أذنت لي ان اتخذ لك شيئًا تواري به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فألصقتها على خديه فكان اذا قام يصلي بكى ، فاذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت اليه امه فعصرتها ، فاذا رأى دموعة تسيل على ذراعي امه قال : اللهم هذه دموعي وهذه امي وأنا عبدك وانت ارحم الراحمين . فقال له زكريا يومًا : يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي بك . فقال يحيى : يا أبت ان جبريل عليه السلام اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكّاء ، فقال زكريا عليه السلام : يا بُنيّ فابك[٣٠] .

---

٢٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٣ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٩ .

٣٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ٤ : ١٣١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ٩ : ٢٤٨ ؛

روي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته امه ان يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى اليه : يا يحيى آثرت عليَّ الدنيا ، فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه[٣١].

قال علي بن أبي طالب : شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فأوحى الله تعالى اليه : يا يحيى أوَجدتَ داراً خيراً لك من داري ، أم وجدتَ جواراً خيراً لك من جواري ، فوَعزتي وجلالي يا يا يحيى لو اطلعتَ على الفردوس اطلاعةً لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقاً. ولو اطلعتَ الى جهنم اطلاعةً لذاب شحمك ولبكيتَ الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح[٣٢].

كان طعام يحيى بن زكريا العشب وانه كان ليبكي من خشية الله تعالى ما لوكان القار على عينيه لاحرقه ، ولقدكانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه[٣٣].

عن المحاسبي : أوحى الى يحيى بن زكريا عليهما السلام : اني قضيت على نفسي ان لا يحبني عبد من عبادي أعلمُ ذلك منه الا كنتُ سمعَه الذي يسمع به وبصرَه الذي يبصر به ولسانَه الذي يفهم به فاذا كان ذلك كذلك بغّضتُ اليه الاشتغال بغيري وأدمتُ فكرته وأسهرتُ ليله وأظمأتُ نهاره.

يا يحيى انا جليس قلبه وغاية امنيته وامله أهب له كل يوم وساعة فيتقرب مني واتقرب منه واسمع كلامه وأجيب تضرعه ، فوَعزتي وجلالي لابعثنه مبعثاً

عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٤١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٣ ؛ قابل بما يقول الانجيل عن زهد يوحنا ، متى ، ٣ : ١-٦ ؛ مرقص ، ١ : ٤-٦ ؛ لوقا ، ١ : ١٥ ، ٨٠ ؛ ٣ : ٢-٣.

٣١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٦٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٤٧ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٩٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ، ٣ : ٤ ؛ ١١ : ٨.

٣٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٤٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٥ : ١٨٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ٢٣٤.

٣٣) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٢٥.

يغبطه به النبيون والمرسلون ، ثم آمر منادياً ينادي : هذا فلان بن فلان ولي الله وصفيه وخيرته من خلقه دعاه الى زيارته ليشفي صدره من النظر الى وجهه الكريم ، فاذا جاءني رفعت الحجاب فيما بيني وبينه فنظر اليّ كيف شاء ، وأقول أبشر ، فوعزتي وجلالي لاشفين صدرك من النظر اليّ ولأجددن كرامتك في كل يوم وليلة وساعة[٣٤] .

قال النبي صلعم : ان الله امر يحيى بن زكريا بخمس كلمات ليعمل بهـا ويأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهـا وانه كاد يبطئ ، فقال عيسى : ان الله امرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني اسرائيل ان يعملوا بها فاما ان تأمرهم واما ان آمرهم ، فقال يحيى : اخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي او أعذب .

فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف ، فقال : ان الله أمرني بخمس كلمـات ان اعمل بهن وآمركم ان تعملوا بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فان مثل من أشرك بالله كمثل رجـل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب او ورق ، فقال : هذه داري وهذا عملي فاعمـل وأدّ اليّ ، فكان يعمل ويؤدي الى غير سيده فأيكم يرضى ان يكون كذلك .

وان الله يأمركم بالصلاة فاذا صليتم فلا تلتفتوا فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

وامركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرّة فيها مسك وكلهم يعجب او يعجبه ريحها وان ريح الصائم عند الله اطيب من ريح المسك .

وأمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فأوثقوا يده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : انا افديه منكم بالقليل وبالكثير ففـدى نفسه منهم .

وأمركم ان تذكروا الله فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العـدو في اثره سراعاً حتى اتى على حصن حصين فاحرز نفسه منهم ، كذلـك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله[٣٥] .

٣٤) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠ : ٨٢ .

٣٥) مخطوطة مكتبـة الاسكوريال ، عدد ١٩٤٩ : ١٣ صفحة ٧ ، ذكره اسين

... عن النبي انه قال : رحم الله أخي يحيى حين دعاه الصبيان الى اللعب وهو صغير فقال: ما للعب خُلقت، فكيف بن ادرك الحنث من مقاله[٣٦].

يروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له : «لِمَ فعلت هذا ، فقال : ما ظننتها الا جدارًا»[٣٧].

قال يحيى بن زكريا للمكذبين من بني اسرائيل : يا نسل الافاعي من دلكم على الدخول في الساخط الموبقة بكم ! ويلكم تقربوا بعمل صالح ولا تغرنكم قرابتكم من ابراهيم فان الله قادر على ان يستخرج من هذه الجنادل نسلًا لابراهيم ! ان الفأس قد وُضعت في اصول الشجر فأخلق بكل شجرة مرّة الطعم أن تقطع وتلقى في النار[٣٨].

قال يحيى لعيسى عليهما السلام : لا تكن حديد النظر الى ما ليس لك فانه لن يزني فرجك ما حفظتَ نظرك . فان استطعت ان لا تنظر الى ثوب المرأة التي لا يحل لك فافعل ولن تستطيع ذلك الا باذن الله تعالى[٣٩].

قيل ليحي : ما بدء الزنا ؟ قال : النظر والتمني[٤٠].

بلاثيوس في الموسوعة الشرقية، ١٠ : ٥٦٠ ، عدد ١٤٣ ، ثانيًا ؛ السمرقندي ، تنبيه الغافلين، ١٤٣ .

٣٦) الهندي ، كنز العمال ، ٦ : ٢٠٤٢ ذكره اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ١٩ : ٥٩٥ عدد ٢١٢ .

٣٧) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٤ : ٢٨٦؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ١٠ : ١٠١

٣٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ؛ قابل بما ورد في الانجيل على لسان النبي ذاته ؛ متى ٣ : ٧-١٠ ؛ لوقا ٣ : ٧-٩ : «يا اولاد الافاعي من دلكم على الهرب من السخط الآتي ، اثمروا ثمرًا يليق بالتوبة ولا يخطر لكم ان تقولوا في نفوسكم ان ابانا ابراهيم لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادًا لابراهيم . ها ان الفأس وُضعت على اصل الشجر فكل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تقطع وتلقى في النار . »

٣٩) عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل، متى ، ٥ : ٢٨ : «ان كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه.»

٤٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ٣ : ٧٤ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٤٣٣ ؛ قابل بالانجيل متى ٥ : ٢٨ .

مرّ يحيى بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي[٤١] عليه السلام فسمع صوتاً من القبر يقول : سبحان مَن تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت ، فمضى ؛ فاذا هو بصوت من السماء : انا الذي تعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت ، من قالهن استغفرتْ له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن[٤٢] .

ذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى انه قال : ان ابليس لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له يحيى بن زكريا : اخبرني عن طبائع ابن ادم عندكم فقال ابليس : أما صنف منهم فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شي. ؛ والصنف الثاني فهم بايدينا كالكرة في ايدي صبيانكم وقد كفونا انفسهم ؛ والصنف الثالث فهم اشد الاصناف علينا فنقبل على احدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار فيفسد به علينا ما ادركنا منه فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك حاجتنا منه[٤٣] .

ذكر عن يحيى عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى : ما هذه ؟ فقال : هذه الشهوات التي اصيد بها بني آدم ، فقال له : هل تجد لي فيها شيئاً ؟ قال : لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة ، قال : لا جرم اني لا اشبع بعدها ، قال ابليس : لا جرم اني لا انصح بعدها احداً ابداً[٤٤] .

لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال لهُ : يا ابليس أخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك ، فقال : أحبّ الناس اليَّ المؤمن البخيل وابغض الناس اليَّ الفاسق السخي . قال له : لِمَ ؟ قال : لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف انْ يطلع الله عليه في سخائه فيقبله .

---

٤١) بين يوحنا (يحيى) ودانيال النبي أكثر من خمسمائة سنة حسب التاريخ .

٤٢) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٥ .

٤٣) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٢١٧ ؛ قابل بقصة القديس باخوميوس وقد ظهر له ابليس بصورة امرأة فاخبره عن التجارب التي بها يصطاد الناس ، راجع : حياة الاباء ، ١٣٥ يمنا ، طبعة روزفيد (Rosveyde) .

٤٤) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٣٢ .

ثم ولى وهو يقول : لولا انك يحيى لما اخبرتك [٤٥].

وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه قال لابليس : هل وجدت مني شيئاً قط ؟ قال : لا ، الا انك ربما شبعت فثقلت عن الصلاة . فعاهد الله تعالى ان لا يشبع حتى يخرج من الدنيا [٤٦] .

انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ، اي لم نجعل احداً لم يذنب سواه ، لان يحيى من الحياة ، وقد احيا الله تعالى قلبه به فلم يذنب ولم يهم به . قال عليه السلام [٤٧] : ما من آدمي اخطأ او هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا [٤٨] .

بلغنا ان الخبيث ابليس تبدى ليحيى بن زكريا عليه السلام فقال له : اني اريد ان انصحك ، فقال : كذبت انت لا تنصحني ولكن اخبرني عن بني آدم ، فقال : هم عندنا على ثلاثة اصناف ، أما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا ، نقبل حتى فتنته ونستمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ، ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء . واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نلقيهم كيف شئنا ، قد كفونا أنفسهم . واما الصنف الآخر منهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء . فقال له يحيى على ذلك : هل قدرت مني على شيء ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فانك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل اشهيه اليك حتى اكلت اكثر مما تريد ، فنمت تلك الليلة ولم تقم الى الصلاة كما كنت تقوم اليها . قال : فقال له يحيى : لا جرم ،

---

٤٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٧٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٩٩ ؛ ابن العربي ، محاضرة الابرار ، ١ : ٦٥ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٣٩٢

٤٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٨٣-٣٨٤

٤٧) محمد في حديث مذكور عنه .

٤٨) الترمذي ، نوادر الاصول ، ١٨٥ ؛ يحيى لم يهم بذنب ؛ واما عيسى فقد عصم قبل مولده من كل ذنب .

لا شبعت من طعام ابدًا حتى اموت ، فقال له الخبيث : لا جرم ، لا نصحت آدميًا بعدك[٤٩] .

ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج امرأة ولم يقربها، قيل لغض البصر ، وقيل للفضل في ذلك كأنه اراد ان يجمع الفضائل كلها ، قيل للسنّة[٥٠] .

ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتأهلين وهم خمس وثلاثون ، وقد ذكرنا آنفًا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ، واما عيسى فانه سينكح اذا نزل من السماء ويولد له[٥١] .

مصرع يحيى

وقيل ان عيسى بعث يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلّمون الناس . قال : وكان فيما نهوهم عنه نكاح بنات الاخ ... وكان للملك ابنة اخ تعجبه يريد ان يتزوجها ، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك امها قالت لها : اذا دخلت على الملك فسألك حاجتك فقولي : حاجتي ان تذبح لي يحيى بن زكريا ، فقال : سليني غير هذا . قال : فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه فبدرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر فجاءته عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فالقى الله في قلبه ان يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين الفًا منهم في سن واحدة فسكن ...

ثم ان ملك اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره في امره ولا يقطع امرًا دونه وانه هوى ان يتزوج ابنة امرأة له فسأل يحيى عن ذلك فنهاه عن نكاحها وقال : لست ارضاها لك . فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت الى الجارية حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابًا رقاقًا حمرًا وطيّبتها وألبستها الحلي وألبستها فوق ذلك

٤٩) عن وهيب بن الورد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاوليا ، ٨ : ١٤٨ .

٥٠) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ١٥٣ ؛ في السنة إن النكاح خير من التبتل ، وقد قال النبي : خافوا لقاء الله عزّابا ... وان سجدة واحدة من متأهل خير من الف سجدة من متبتل ... الى ما هنالك من احاديث بهذا النوع .

٥١) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ١٥٥ ؛ انظر في ادناه ، الفصل التاسع .

كسا. اسود فأرسلتها الى الملك وأمرتها ان تسقيه وان تعرض له فان ارادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فان اعطاها ذلك سألته ان تؤتى برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت فجعلت تسقيه وتعرض له ؛ فلما اخذ في الشراب ارادها على نفسها فقالت : لا افعل حتى تعطيني ما اسألك ، قال: ما تسأليني ؟ قالت : اسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فأوتى برأسه في هذا الطست ؛ فقال : ويحك سليني غير هذا ، قالت : ما اريد ان اسألك الا هذا . قال : فلما أبت عليه بعث اليه فأتي برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول : لا تحل لك . فلما اصبح اذا دمه يغلي فامر بتراب فألقي عليه فرقى الدم فوق التراب فلم يزل يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي[٥٢] ...

٥٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧١٣-٧١٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٤ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٩ ؛ اما نهاية القصة كما يذكرها الطبري وناقله ابن الاثير ، فهي ان ام الجارية صعدت الى سطح قصرها فسقطت الى الارض واكلتها الكلاب ، وهي مأخوذة عن قصة ايزابال الملكة التي قتلت نابوت الايزرائيلي وقد تنبأ لها النبي ايليا عن ميتة كهذه ، وهكذا ماتت ولحست الكلاب دمها ، راجع سفر الملوك الثالث ، ٢١ : ١٩ ؛ ويتابع الطبري وابن الاثير والثعلبي . . . القصة فاذا بالملك بختنصر تقوده امرأة من بني اسرائيل الى مكان غليان الدم وتخبره كيف يمكنه ان يفتح المدينة. وهكذا يقتل سبعين الفاً من اليهود فيسكن الدم . وتمتزج بكل هذا قصة دانيال في جب الاسود وسبي اليهود الى بابل الى ما هنالك من المتناقضات . ولقد ادرك الطبري ذلك فقال عنه مستنداً الى اهل العلم من النصارى واليهود بانه « باطل عند أهل السير والتاريخ واهل العلم بامور الماضين وذلك بانهم مجمعون على ان بختنصر غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد ارميا بن حلقيا وبين عهد ارميا وقتل يحيى اربعمائة سنة واحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى » الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧١٦-٧١٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ١٢ : ٢١٥ ؛ وهكذا يكون المؤرخ هو باصلاح تناقض تاريخي فسقط في آخر اذ ان اشعيا لم يكن في عهد ارميا وبين الاثنين اكثر من مائة سنة (اشعيا نبيء حوالي ٧٤٠ ق. م. وارميا ، حوالي ٦٢٧ ق. م . ويقول ابن الاثير ، ١ ، ١ : ٢١٥-٢١٦ ، نقلا عن الطبري ، ١ : ٣ : ٧٢١-٧٢٣ : « اما ابن اسحاق فقال الحق . . . » ويورد قصة رجوع بني اسرائيل من جلاء بابل وتكرارهم قتل الانبياء الى ان كان آخر من قتلوا يحيى بن زكريا؛ اذ ذاك بعث الله عليهم ملكاً من بابل اسمه جودرس أو خردوس أو جردوس ، وهذا بعث قائداً من معسكره اسمه نبوزاذان او نبوزراذان الذي جاء بيت المقدس فسأل عن سبب غليان

والنصارى تزعم ان يحيى ولد قبل عيسى بستة اشهر وان الذي قتله ملك بني اسرائيل يقال له هيرودوس بسبب امرأة يقال لها هيروذيا وكانت امرأة اخ له اسمه فيلفوس عشقها فوافقته على الفجور وكان لها ابنة يقال لها دمنى فاراد هيرودوس ان يطأ امرأة اخيه المسمّاة هيروذيا فنهاه يحيى واعلمه انه لا تحل له. فكان هيرودس معجباً بالابنة فالهته يوماً ثم سألته حاجة فأجابها اليها وامر صاحباً له بالنفوذ لما تأمره فأمرتـه ان يأتيها برأس يحيى ففعل فلما عرف هيرودوس الخبر اسقط في يده وجزع جزعاً شديداً...[٥٣]

الدم فلم يصدقوه الخبر، فذبح سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤوسهم فلم يهدأ الدم ثم ذبح سبعمائة من علمائهم فلم يهدأ. ثم سأل وتوعد فاخبروه الحق. اذ ذاك يخاطب الدم ليهدأ فيهدأ. ويؤمن هو بدين بني اسرائيل ويخبرهم ان الملك اقسم بان يسيل دماءهم في وسط عسكره. ولكي يفي بقسم سيده يقتل «خيلاً وحميراً وبقراً وغنماً وابلاً ويجري عليه ماء فيجري الدم في العسكر ويضع القتلى الاولين فوق المواشي فيرى الملك الدم والقتلى فيقول له كفى» — ولا بد من الاشارة الى تناقض اخبر وهو مجيء نبوزردان في زمن يحيى، وقد ذكره الكتاب المقدس في كلامه عن هدم الهيكل وسبي بني اسرائيل الى بابل. وكان ذلك تحت قيادته، سنة ٥٨٧ قبل المسيح ويحيى، راجع الكتاب المقدس، سفر الملوك الرابع، ٢٥ : ٨.

تجد القصة ذاتها عند اليهود وهذه فقرة منها: «واذ وجد نبوزردان في ذلك الوادي دم النبي زكريا وهو غير زكريا ابي يحيى بل زكريا بن براخيا الذي تكلم عنه الانجيل) سأل السكان: ما هذا الدم؟ فاجابوه اولاً: انه دم الحيوانات التي تقدم في الهيكل (هكذا حرفياً عند ابن الاثير). ولكن اذ احرجهم بالسؤال اعترفوا له انه دم النبي الذي قُتل منذ سنوات، عند ذاك اجابهم قائد الملك البابلي: سأهدئ هذا الدم، وهكذا فبعد ان قتل كثيراً من الشبان فتيات واطفالاً مازجاً دماءهم بدم النبي ما برح الدم يغلي، فقال نبوزردان عندئذ: زكريا، زكريا لقد قتلتُ افضلهم اتريد ان اقتلهم جميعاً؟ وللحال هدأ دم النبي»، راجع التلمود البابلي، بابلي، جتين، ٥٧ شمالاً.

٥٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١: ٣: ٧١٩، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١: ٢١٣-٢١٤؛ الثعلبي، عرائس المجالس، ٣٨٠؛ اما المصدر الخفي المنسوب الى النصارى فهو هذا كما نجده في الانجيل: «... لان هيرودس كان قد ارسل وامسك يوحنا واوثقه في السجن من اجل هيروديا امرأة أخيه فيلبس لانه كان قد تزوجها فكان يوحنا يقول لهيرودس انه لا يحل لك ان تكون لك امرأة اخيك. وكانت هيروديا تترصده وتريد قتله فلم تستطع لان هيرودس كان يخاف من يوحنا لعلمه بانه رجل بار وقديس ويحافظ عليه

وفي الخبر ان الشمس بكت على يحيى اربعين صباحاً وكان بكاؤها ان طلعت وغربت حمراء. ويروى ان يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله اعلم[٥٤].

يحيى يوم القيامة

ان الموت يُجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح يعرفه الناس ولا ينكره احد فيُذبح بين الجنة والنار. روي ان يحيى عليه السلام هو الذي يضجعه ويذبحه بشفرة في يده والناس ينظرون اليه[٥٥].

فان الله يُظهره يوم القيامة في صورة كبش املح ويُنادى : يا أهل الجنة فيشرئبون، ويُنادى : يا أهل النار فيشرئبون، وليس في النار ذلك الوقت الا اهلها. فيُقال للفريقين : أتعرفون هذا، وهو بين الجنة والنار، فيقولون : هو الموت. ويأتي يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيضجعه ويذبحه وينادي مناد: يا أهل الجنة، خلود فلا موت ويا أهل النار، خلود فلا موت! وذلك يوم الحسرة[٥٦].

وكان يصنع اموراً كثيرة على حسب ما سمع منه ويصغي اليه بانبساط. ولما كان اليوم الموافق وقد صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الالوف واعيان الجليل دخلت ابنة هيروديا ورقصت فأعجبت هيرودس والمتكئين معه فقال الملك للصبية : سليني ما أردت فأعطيك وحلف لها ان مهما سألت مني أعطيك ولو نصف مملكتي فخرجت وقالت لامها : ماذا أسأله، قالت : رأس يوحنا المعمدان. وللوقت دخلت على الملك مسرعة وسألت قائلة : اريد ان تعطيني على الفور رأس يوحنا المعمدان في طبق. فاستحوذ على الملك حزن شديد ولكنه من اجل اليمين والمتكئين معه لم يرد ان يصدها، ولساعته أنفذ سيافاً وأمر أن يأتي برأسه في طبق. فانطلق وقطع رأسه في السجن وأتى برأسه في طبق ودفعه الى الصبية فدفعته الصبية الى امها ». مرقص ٦: ١٧–٢٨؛ متى ١٤: ٣–١٢.

٥٤) الثعلبي، عرائس المجالس، ٣٨٠.

٥٥) ابن العربي، الفتوحات المكيّة، ١: ٢٤٥؛ ٤: ٣١٩.

٥٦) ابن العربي، الفتوحات المكيّة، ١: ٣٠٢؛ ٣: ١٣٣؛ ٢١٥، ٢٤٥؛ وكذلك قال ابو قيس في كتاب خلع النعلين؛ وقال غيرهما : « يتولى جبريل ذبح الموت لا السيد يحيى »، الشعراني، مختصر تذكرة الامام القرطبي، ١٠٩.

الفصل الثالث

مريم البتول

تفرّدت مريم البتول بشمائل لم يدركها أحد غيرها، في نظر الدين الاسلامي. فلقد ذكرها القرآن باسمها وحدها من بين النساء. وولدت معصومة من أذى الشيطان الذي يطعن كل مولود في جنبه، وقربت نذيرة لله حين لا ينذر الا الذكور، ورزقت في المحراب من جنى الفردوس، وبشرها الملاك بأعجوبة الاعاجيب اذ تجسدت في أحشائها كلمة الله وروحه، عيسى، وهي البتول التي لم تقترن بزوج، وسلمت عليها الملائكة مرددة على الاجيال في الاسلام: «يا مريم ان الله اصطفاك على نساء العالمين»، وآواها ربها الى «ربوة ذات قرار ومعين» قد تكون الجنة، ويكون في ذلك انتقالها الى النعيم.

هذا من القرآن، وأما الحديث فيقول عنها انها كانت سيدة نساء زمانها، سوّدها الله على امائه جميعاً، ولقد اصبحت في الجنة ايضاً سيدة نساء العالمين.

ومضى بعد ذلك علماء الاسلام يرددون اعجابهم، فقالوا فيها أجمل ما يقال في امرأة، وعيّد لها الشعب الاسلامي احياناً وصام وصلى. فهي بين العالمين الاسلامي والمسيحي نقطة الالتقاء الكبير.

مختصر سيرة مريم وعيسى

ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على اميال من بيت المقدس. ولدته في يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة من كانون الاول . وكان من امره ما ذكره الله في كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلعم . وقد زعمت النصارى ان ايشوع اي المسيح الناصري أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الاردن في كنيسة يقال لها المدرس ثلاثين سنة ، وقيل تسعاً وعشرين سنة ، وانه في بعض الايام كان يقرأ في سفر أشعيا اذ نظر في السفر الى كتاب من نور فيه : انت بني وخالصتي اصطفيتك لنفسي[1] فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول : الآن تمت كلمة الله في ابن البشر[2] .

وقد قيل ان المسيح كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من اعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية. ورأيت في هذا القرن كنيسة تعظّمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت سخين كالرب تتبرك به النصارى ، وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها اناس من الصيادين وهم بنو زبدا واثنا عشر من القصارين فدعاهم الى الله وقال : اتبعوني تصيدون البشر ، فاتبعه ثلاثة من الصيادين وهم بنو زبدا واثنا عشر من القصارين . وقد ذُكر متى ويوحنا ومارقس ولوقا وهم الحواريون الاربعة الذين تلقوا الانجيل[3] فألفوا

١) اشعيا ، ٦١ : ١ — ٣ .

٢) قابل بالانجيل : « ودخل كمادته المجمع يوم السبت فدفع اليه سفر اشعيا النبي فلما فتح السفر وجد الموضع المكتوب فيه : ان روح الرب علي ولذلك مسحني وارسلني . . . ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم . . . فجعل يقول لهم : اليوم تمت هذه الكتابة . . . » ، لوقا ، ٤ : ١٦ — ٢١ .

٣) كان متى ويوحنا وحدهما من الرسل او الحواريين ، اما مارقس فكان تلميذاً لبطرس الذي هو من الحواريين ، واما لوقا فكان تلميذاً لبولس . وقد كتب هؤلاء الاربعة النصوص الانجيلية بوحي من الله .

خبر عيسى عليه السلام وما كان من امره وخبر مولده وكيف عمّده يحيى بن زكريا وهو يحيى المعمداني في بحيرة طبرية ويجري الى البحيرة المنتنة، وما فعل من الاعاجيب واتى من المعجزات وما ناله من اليهود الى أن رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . وفي الانجيل خطب طويل في أمر المسيح ومريم ويوسف النجار أعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشيء ولا اخبر به نبيه محمد صلعم[٤] .

البشارة والميلاد في الصحراء

كانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها يليان خدمة الكنيسة فكانت مريم اذ نفد ماؤها فيما ذُكر وماء يوسف، أخذ كل واحد منهما قلّته فانطلق الى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبانه فيملأ قلته ثم يرجعان الى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل وكان اطول يوم في السنة واشدها حرًا، نفد ماؤها فقالت : يا يوسف ألا تذهب بنا نستقي، قال : ان عندي لفضلًا من ماء اكتفي به يومي هذا الى غد . قالت : لكني والله ما عندي ماء . فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فتجد جبريل قد مثّله الله لها بشرًا سويًا . فقال لها : يا مريم ان الله بعثني لأهب لك غلامًا زكيًا، قالت: اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيًا، وهي تحسبه رجلًا من بني آدم. فقال : انما انا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا . قالت : أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيًا . قال : كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منًا، وكان امرًا مقضيًا؛ أي ان الله قد قضى ان ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله . فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها وملأت قلتها ...[٥]

---

٤) المسعودي، مروج الذهب، ١: ١٢٢-١٢٤ .

٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١: ٣: ٧٢٢-٧٢٤؛ لم تذكر الاناجيل الموحاة بشارة العذراء مريم وهي تستقي الماء، ولكن ذلك ما ذكرته الاناجيل الموضوعة، انجيل يعقوب الموضوع، ١١؛ انجيل متى المزعوم، ٩؛ وقد ردد الفن المسيحي صداه في القرون الوسطى، حتى اصبح تقليدًا شعبيًا عرفه المؤرخون والرسامون في الاسلام .

لما ارسل الله عز وجل جبريل الى مريم تمثل لها بشرًا سويًا ، فقالت: اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيًا،ثم نفخ في جيبها حتى وصلت النفخة الى الرحم واشتملت على عيسى. قال : وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل الزيتون ، وكان ذلك المسجد يومئذ من اعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم فرغبا في ذلك. فكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وكناسته وطهوره وكل عمل يُعمل فيه. فكان لا يُعلم من أهل زمانها أحد اشد اجتهادًا وعبادة منهما، وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف. فلما رأى الذي بها استعظمه وعظم عليه وفظع به ولم يدر على ما يضع امرها ، فاذا اراد أن يتهمها ذكر صلاحها وأنها لم تغب عنه ساعة قط ، واذا اراد يبرّئها رأى الذي بها ، فلما اشتد ذلك عليه كلّمها فكان اول كلامه لها أن قال لها : إنه قد وقع من امركِ شيء قد حرصت على أن أميته واكتمه فغلبني ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشفى لصدري. قالت فقل قولًا جميلًا. قال : ما كنت لاقول الا ذلك ، فحدثيني هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت: نعم. قال : فهل تنبت شجرة بغير غيث يصيبها ؟ قالت: نعم. قال. فهل يكون ولد بغير ذكر ؟ قالت : نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه بغير بذر والبذر انما كان من الزرع ؟ ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطر انه جعل بتلك القدرة الغيث حياةً للشجر بعد ما خلق كل واحد منها وحده، و تقول لن يقدر الله على أن ينبت حتى استعان عليه بالماء. ولولا ذلك لم يقدر لى انباته . قال يوسف : لا أقول هكذا ولكني أقول ان الله يقدر على ما شاء. انما يقول لذلك : كنْ فيكون . قالت له : ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير ذكر وانثى ؟ قال : بلى . فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله لا يسعه أن يسألها عنه لما رأى من كتمانها لذلك .

ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه وذلك لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها ودأب نظرها ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك[٦] .

٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٢٤ – ٧٢٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل في

قال عكرمة : وكان جبريل عرّضَ في صورة رجل شاب امرد مضي. الوجه جعد الشعر سوي الخلق . قالت الحكما. : انما ارسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على سماع كلامه فلما استعاذت منه مريم ، قال : انما انا رسول ربك ... هو علي هين (الآيات) . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعته عنها . فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد .

وقال السدي وعكرمة : ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة ، فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد . فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكاناً شرقياً اي مشرقاً لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة .

قال الحسن : انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكاناً شرقياً[٧] فاتخذت فضربت من دونهم حجاباً أي ستراً . وقال مقاتل : جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة ، اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها . قال وهب : فلما اشتملت على عيسى

التاريخ ، ١ : ٢١٨ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٣ ؛ الكسائي ، قصص الأنبياء ، ٣٠٢–٣٠٣ ؛ قابل بالبلوي جزئياً ، كتاب الف باء ، ١ : ٤٠٦ ؛ حيث مريم تخبر يوسف عن مر حالها قائلة استناداً الى كلام القرآن : «ان الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم.» هذا النص هو توسيع يحاكي مبالغات انجيل الطفولة في نصه الارمني والسرياني ، ٧ ، لما ورد في الانجيل الحقيقي : « لما خطبت مريم . . . الى يوسف وجدت من قبل ان يجتمعا حبلى من الروح القدس . واذ كان يوسف رجلها صديقها ولم يرد ان يشهرها هم بتخليتها سراً . وفيما هو متفكر في ذلك اذا بملاك الرب تراءى له في الحلم قائلاً : يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ امرأتك مريم فان المولود منها انما هو من الروح القدس . » متى ، ١ : ١٨–٢٠

٧) لا علاقة بين الامرين ، وانما اورده الحسن لان القرآن يقول ان مريم انتبذت مكاناً شرقياً . والاصح ان قبلة الكنائس عند النصارى هي جهة الشرق بسبب اورشليم حيث ولد المسيح فشاهد المجوس نجمه في المشرق ، ومن المشرق سيعود في آخر الزمان . والآباء السريان واليونان يدعون المسيح نفسه « المشرق » .

كان معها ذو قرابة يقال له يوسف[٨] .

فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فأتت اقصاه ففاجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس : يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، يعني نُسي ذكري واثري فلا يرى أثر ولا عين . قالت مريم : كنتُ اذا خلوت حدثني عيسى وحدثتهُ فاذا كان عندنا انسان سمعت تسبيحه في بطني . فناداها جبرئيل من تحتها أي من أسفل الجبل : لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ، وهو النهر الصغير أجراه تحتها . فمن قرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرئيل ومن فتحها[٩] قال : انه عيسى انطقه الله . وهزي اليك بجذع النخلة ، وكان جذعاً مقطوعاً فهزته فاذا هو نخلة وقيل كان مقطوعاً . فلما أجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وأرطب ، فقيل لها : هزي اليك بجذع النخلة فهزته فتساقط الرطب ، فقال لها : كلي واشربي وقري عيناً فاما ترينَّ من البشر احداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً . وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي . فلما ولدته ذهب ابليس فأخبر بني اسرائيل أن مريم قد ولدت فاقبلوا يشتدون بدعوتهـا فأتت به قومها تحمله .

وقيل إن يوسف النجار تركها في مغارة اربعين يوماً ثم جاء بها الى أهلها فلما رأوها قالوا لها : يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، يا اخت هرون ما كان ابوكِ امرأ سوء وما كانت امك بغياً فما بالك انت . وكانت من نسل هرون اخي موسى . كذا قال . قلت انها ليست من نسل هرون ، انما هي من سبط يهوذا بن يعقوب من نسل سليمان بن داود وانما كانوا يدعون بالصالحين وهرون من ولد لاوي بن يعقوب[١٠] . قالت لهم ما أمرها الله به . فلما ارادوها بعد

٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨١–٣٨٢ .

٩) اي فتح الميم في كلمة : « من » يعني « الذي هو تحتها » .

١٠) انها واحدة من المحاولات التي قام بها المفسرون لابعاد التناقض عن القرآن الذي يذكر مريم بابنة عمران واخت هرون . وهرون اخو موسى وبين موسى ومريم ام المسيح نحو الف وخمسمائة سنة . وكان لموسى وهرون اخت اسمها مريم ذكر اسمها الكتاب المقدس ، سفر الخروج ، ١٥ : ٢٠ ؛ ومنهم من يقول ان هرون هذا كان معاصراً لمريم : « قال

ذلك على الكلام اشارت اليه فغضبوا وقالوا : لَسخريتها بنا اشدّ علينا من زناها . قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً . فتكلم عيسى فقال : اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حياً . فكان اول ما تكلم به العبودية ليكون ابلغ في الحجة على من يعتقد انه اله . وكان قومها قد اخذوا حجارة ليرجموها فلما تكلم ابنها تركوها . ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان[١١] .

(عن نوف البكالي) : كانت مريم عليها السلام فتاة بتولاً وكان زكريا زوج اختها كفلها . فكانت معه قال : فكان يدخل عليها يسلّم عليها . قال : فتقربُ اليه فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء . قال : فدخل عليها زكريا عليه السلام مرة فقربت اليه بعض ما كانت تقرّب . قال : يا مريم أنّى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه . قال : ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . قال : فبينا هي جالسة في منزلها اذا رجل قائم بين يديها قد هتك الحجب فلما رأته قالت : اني اعوذ بالرحمن ان كنت تقياً . . . وكان امراً مقضياً (الآيات) . فنفخ جبريل عليه السلام في جيبها فحملت حتى اذا أثقلت وجعت كما توجع النساء .

فلما وجعت كانت في بيت النبوّة فاستحيت فهربت حياءً من قومها نحو المشرق . وخرج قومها في طلبها يسألون عنها فلا يخبرهم عنها أحد . فأخذها المخاض الى النخلة وقالت : يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً . . . فناداها من تحتها قال : جبريل عليه السلام ، من اقصى الوادي ، ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ، قال : جدولاً . وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك

قتادة : كان هرون رجلاً صالحاً من اتقياء بني اسرائيل وليس جرون اخي موسى وذكروا انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفاً من بني اسرائيل وكلهم يسمى هرون . وقال وهب : كان هرون من افسق بني اسرائيل واظهرهم فساداً فشبهوها به » ، الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٦ .

١١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٠–٢٢١ .

رطباً جنياً فكلي واشربي وقري عيناً فاما ترينَّ من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً ، فلن اكلم اليوم انسياً .

فلما قال لها جبرائيل اشتد ظهرها وطابت نفسها ، قطعت سرره ولفته في خرقة وحملته . قال : فلقي قومها راعي بقر وهم في طلبها . قالوا : يا راعي هل رأيت فتاة كذا وكذا ؟ قال : لا ، ولكن رأيت البارحة في بقري شيئاً لم أره منها قط فيما خلا . قالوا : وما رأيت منها ؟ قال : رأيتها باتت سجداً نحو هذا الوادي . فانطلقوا حيث وصف لهم : فلما رأتهم مريم عليها السلام ، جلست ترضع عيسى عليه السلام فجاءوا حتى قاموا عليها وقالوا لها : يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً . قال : امرًا عظيماً . يا اخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغياً . قال ابو عمران : قال نوف : فأشارت اليه بأن كلموه ، فعجبوا منها . قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً . قال نوف : المهد حجرها . فلما قالوا ذلك ترك عيسى عليه السلام ثديها واتكأ على يساره ثم تكلم . قال : اني عبد الله (الآيات)[١٢] قال : فاختلف الناس فيه[١٣] .

فلما دنا نفاسها اوحى الله اليها ، ان اخرجي من ارض قومك فانهم ان ظفروا بك عيّروك وقتلوا ولدك . فأفضت عند ذلك الى اختها ، واختها حينئذ حبلى وقد بشرت بيحيى فلما التقيا[١٤] وجدت ام يحيى ما في بطنها خر لوجهه ساجداً معترفاً بعيسى[١٥] .

فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت الحمار ، وبين الاكاف شيء . فانطلق يوسف بها ، حتى اذا كان متاخماً لارض مصر في منقطع بلاد قومها ، ادرك مريم النفاس والجأها الى آري حمار ، يعني مذود الحمار ،

---

١٢) سورة مريم ١٩ : ٢٧–٣٣ .

١٣) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥١–٥٢ .

١٤) هكذا في الاصل .

١٥) وفي الانجيل : « فعندما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت من الروح القدس ، فصاحت بصوت عظيم وقالت : . . . فانه عندما بلغ صوت سلامك الى اذني ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني . » لوقا ، ١ : ٤١–٤٤ .

في اصل نخلة وذلك في زمان الشتاء . فاشتد على مريم المخاض فلما وجدت منه شدة التجأت الى النخلة فاحتضنتها واحترشتها الملائكة قاموا صفوفاً محدقين بها . فلما وضعت وهي محزونة ، قيل لها : ألا تحزني (الآيات ، حتى انسيا)[١٦] فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء .

فأصبحت الاصنام التي كانت تُعبد من دون الله حين ولدت بكل ارض مقلوبة منكوسة على رؤوسها . ففزعت الشياطين وراعها ، فلم يدروا ما السبب ، فساروا عند ذلك مسرعين حتى جاءوا ابليس وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء . ويتحجب يتمثل بالحجب التي دون الرحمن فاتوه وقد خلا ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس جماعتهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة ، انما كان يراهم أشتاتاً فسألهم فاخبروه انه قد حدث في الارض حدث ، أصبحت الاصنام منكوسة على رؤوسها ولم يكن شيء اعون على هلاك بني آدم منها كنا ندخل في اجوافها فنكلمهم وندبر أمرهم فيظنون انها هي التي تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث صغرهم[١٧] في اعين بني آدم ، وأذلها وأدناها ذلك ، وقد خشينا الا يعبدوها بعد ذلك أبداً وأعلم انا لم نأتك حتى احصينا الارض وقلبنا البحار وكل شيء قوينا عليه فلم نزدد بما اردنا الا جهلاً . قال لهم ابليس : ان هذا لامر عظيم ، لقد علمت باني كتمته ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار ابليس عند ذلك فلبث عنهم ثلاث ساعات فمرّ فيهن بالمكان الذي وُلد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه . فأراد ابليس ان يأتيه من فوقه فاذا فوقه رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم اراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا اقدام الملائكة راسية اسفل مما اراد ابليس . ثم اراد ان يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك ، ثم رجع ابليس الى اصحابه فقال لهم : ما جئتكم حتى احصيت الارض كلها مشرقها ومغربها برها وبحرها ، والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغتُ في ثلاث ساعات ، وأخبرهم بتولد المسيح وقال لهم : لقد كُتمتُ شأنه وما اشتملت قبله رحم انثى على ولد الا بعلمي ، ولا وضعته قط

---

١٦) سورة مريم ١٩ : ٢٤-٢٦ .

١٧) هكذا في النص .

الا وأنا حاضرها ؟ واني لارجو ان أُضِل به أكثر مما يهتدي به وما كان من نبي قبله أشد علي وعليكم منه[١٨] .

قال الكلبي : لما كان يوسف ببعض الطريق اراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : انه من روح القدس فلا تقتلها . واختلف العلماء في مدة حملها ، تسعة أشهر أو ثمانية لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى ، أو ستة ، أو ثلاث ساعات ، أو ساعة .

وقال ابن عباس : ما هو إلّا ان حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع الا ساعة واحدة لان الله لم يذكر بينهما فصلاً . . .

وقال مقاتل : حملته أمه في ساعة وصُوِّر في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة . وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى . . .

قال الربيع بن الخيثم : ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل . وقال عمرو بن ميمون : ما ادري للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيراً من الرطب وقرأ هذه الآية[١٩] . قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلعم يمضغ التمر ويحنك به اولاد الصحابة حين يولدون . وقال بعض البلغاء في وصف التمر : علة الصغير ونهلة الكبير . ثم أن يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد أضرّ بها البرد . ثم أشعل لها ناراً لتصطلي بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فأطعمها اياها ،

١٨ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٢٧ – ٧٢٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ : ٢٢١ – ٢٢٢ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٤ – ٣٨٥ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٣٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٢٧٨ ؛ لا شك في ان هذه القصة هي مقتبسة مع بعض التشويش عن الاناجيل الموضوعة ؛ حيث تجد ان الاصنام تتحطم لدى دخول المسيح معابدها في مصر ؛ هكذا في انجيل متى المزعوم ، ٢٣ . وفي انجيل طفولية سيدنا ، كما ورد في نصه الارمني ، ١٥ : ٦ – ١٦ . وتجد حواراً بين ابليس والشياطين يشبه ما اورده الطبري ، هكذا في انجيل نيقوديموس الموضوع ، راجع فابريسيوس : الاناجيل الموضوعة ١ : ٢٧٩ الخ . . .

١٩) وهزي بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلي واشربي . . .

فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز[٢٠] .

فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد ارض مصر، وهي الربوة التي قال الله تعالى : وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين .

ذكر أبو اسحق الثعلبي في التفسير : ذات قرار ومعين . قال عبد الله ابن سلام : هي دمشق . وقال أبو هريره : هي الرملة[٢١] . وقال قتادة وكعب : هي بيت المقدس . وقال كعب : هي أقرب الارض الى السماء ، وقال ابن زيد : هي مصر . وقال الضحاك : هي غوطة دمشق . وقال ابو العالية : هي ايلياء . وقال القزاز : الارض المستوية ، والمعين : الماء الطاهر .

فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها ، والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة[٢٢] .

المجوس

وذكر بعض اهل الاخبار ان مولد عيسى عليه السلام كان لمضي اثنتين واربعين سنة من ملك اغوسطوس وان اغوسطوس عاش بعد ذلك بقية ملكه وكان جميع ملكه ستاً وخمسين سنة ، قال بعضهم : واياماً . قال ووثبت اليهود بالمسيح والرئاسة ببيت المقدس في ذلك الوقت لقيصر والملك على بيت المقدس من قبل قيصر هيرودوس الكبير الذي دخلت عليه رسل فارس غلطا واخبروه ان ملك فارس بعث بهم ليقربوا الى المسيح الطافاً معهم من ذهب ومر ولبان،

٢٠) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٣-٣٨٤ .

٢١) ان التقليد المسيحي يزعم ان العائلة المقدسة ، مريم وابنها ويوسف ، قد اتخذت ، حين هربت الى مصر ، مقرًا في مطرية ، وهي مكان يبعد نحو عشر كيلو مترات عن القاهرة ، نحو هليوبوليس القديمة ؛ ومن هناك نزلوا الى ما يسمى الآن مصر العتيقة ، وهناك كنيسة اليوم اسمها ابو سرجة يحتفظ الاقباط فيها بهذه الذكرى ، راجع « انجيل طفولية سيدنا » ، ٢٤-٢٥ و A. J. Butler, *The Ancient Coptic Churches in Egypt*, t. I Oxford, (1884). ص ١٨١-٢٠٥

٢٢) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٦ .

وانهم نظروا الى نجمه قد طلع فعرفوا ذلك بالحساب وقربوا الالطاف اليه ببيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيرودس خبرهم كاد المسيح فطلبه ليقتله فأمر الله الملك ان يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة ما اراد هيرودس من قتله ، وأمره ان يهرب بالغلام وامه الى مصر[٢٣] .

وخرج في تلك الليلة قوم يزمونه[٢٤] من أجل نجم طلع أنكروه وكانوا قبل ذلك يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال[٢٥] فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسألهم اين يريدون فأخبروه بذلك قال : فما بال الذهب والمر واللبان اهديتموه له من بين الاشيا. كلها ؟ قالوا : تلك امثاله لان الذهب هو سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي هو سيد اهل زمانه ولان المرّ يجبّر به الجرح والكسر وكذلك هذا النبي يشفي به الله كل سقيم ومريض ولان اللبان ينال دخانه السما. ولا ينالها دخان غيره[٢٦] . فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدّث نفسه بقتله فقال : اذهبوا فاذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك فاني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره. فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية الى مريم وارادوا ان يرجعوا الى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى فلقيهم ملك فقال لهم : لا ترجعوا اليه

٢٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٤٠ .

٢٤) اي يؤمون عيسى .

٢٥) قد يكون في هذا اشارة الى نبوءة دانيال عن ابن البشر ، الفصل السابع ؛ او الى قصة الفتية في اتون النار كما سيرد ذلك في ادناه ، دانيال ، ٣ : ٥٠ ؛ وعلى كل حال فان الاناجيل الموضوعة في اصلها النسطوري ، وبين الناطرة وبلاد فارس علاقات تاريخية وجغرافية ، تذكر ان زرادشت مؤسس الدين المجوسي تنبأ عن مولد طفل من عذراء وان علامته نجم يطلع في السماء يكون اشد لمانًا من الشمس، وهذا النجم يكون هاديًا للمجوس الى المدينة المقدسة ، وقال المتروبوليت يشوع بن نون ان زرداشت هذا لم يكن الا بلعام المنجم ؛ انظر النص العربي « لانجيل طفولية سيدنا » وقد نقله أسحق ابن ابي الفرج ابن القسيس المتطبب في ماردين ، مخطوطة المكتبة اللورنسية في فلورنسا ، تحت جزء Codex orientalis عدد ٣٢ ، صفحة ٢ .

٢٦) اعتاد آباء الكنيسة ان يقدموا شرحًا آخر ، فالذهب في اعتقادهم هو رمز ملك المسيح ، والمرّ رمز آلامه ، واللبان اي البخور رمز الوهيّته .

ولا تعلموه بمكانه فانه انما اراد بذلك ليقتله فانصرفوا في طريق آخر واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف حتى وردا ارض مصر فهي الربوة التي قال الله : وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين[٢٧] .

كان كورش الملك حين ولد المسيح بعث بثلاث انفس ودفع الى أحدهم صرة من لبان والى الآخر صرة من مرّ والى الثالث صرة من تبر وسيّرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى المسيح وامه بأرض الشام .

والنصارى تغلو في قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود في الانجيل وان هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد المسيح فكانوا اذا ساروا سار معهم ذلك النجم واذا وقفوا وقف بوقوفهم . وقد أتينا في كتابنا « اخبار

---

٢٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٢٨–٧٢٩ ؛ انظر اليعقوبي الذي يورد نصوص الانجيل على حقيقتها اجمالاً ، في تاريخه ، ١ : ٧٥–٧٦ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٥ . وفي الانجيل : « ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك اذا مجوس اقبلوا من المشرق الى اورشليم قائلين : اين المولود ملك اليهود فانا رأينا نجمه في المشرق فوافينا لنسجد له . فلما سمع هيرودس الملك اضطرب هو وكل اورشليم معه وجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم اين يولد المسيح ، فقالوا له في بيت لحم اليهودية لانه هكذا كتب بالنبي : وانت يا بيت لحم ارض يهوذا لست الصغيرة في رؤساء يهوذا لانه منك يخرج المدبر الذي يرعى شعبي اسرائيل (نبوءة ميخا ، ٥ : ١) . حينئذ دعا هيرودس المجوس سرًّا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر . ثم ارسلهم الى بيت لحم قائلاً : اذهبوا وابحثوا عن الصبي متحققين واذا وجدتموه فاخبروني لكي اذهب انا ايضاً واسجد له . فلما سمعوا هذا من الملك ذهبوا فاذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي . فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً واتوا الى البيت فوجدوا الصبي مع مريم امه فخرّوا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومرّ . ثم اوحي اليهم في الحلم ان لا يرجعوا الى هيرودس فرجعوا في طريق آخر الى بلادهم . فلما انصرفوا اذا بملاك الرب تراءى ليوسف في الحلم قائلاً : قم فخذ الصبي وامه واهرب الى مصر وكن هنالك حتى اقول لك فان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه . فقام واخذ الصبي وامه ليلاً وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس ليتم المقول من الرب بالنبي القائل (نبوءة هوشع ، ١١ : ١) : « من مصر دعوت ابني » ، متى ، ٢ : ١ – ١٥ .

الزمان » على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التي دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعلهم الخبز تحت الصخرة وغوصها في الارض وذلك بفارس وكيف حفر عليها الى الماء. وانها وجدت وقد صارت شعلتي نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر[٢٨]

خصائص مريم

ان الله تعالى دبّر للعباد امورًا مرن النفوس سلوك طريق ذلك التدبير وعرّفوه ووطنوه ، ثم له تعالى في ذلك التدبير تدبير آخر مختص. فأهل الضيق يتحيرون ويضيقون ومن عاين الصنفين والتدبيرين لم يضق. وان لله عز وجل في كل تدبير مشيئة ان شاء امضاه وان شاء أخره. فالتدبير الذي قد وطنه الناس ان يكون بالولد من ذكر وانثى. فاختص الله تعالى لعيسى بن مريم تدبيرًا فحملت به مريم من غير ذكر فتحير فيه علما. ذلك الزمان واحبارهم وهلك فيه العام والسفها، وأدرك مريم رضى الله عنها بعض تلك الحيرة فقالت: أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم اكُ بغيا ؟ قال : كذلك يخلق ما يشاء. فأبصرت واذعنت لحكم ربها تعالى وتقدس فاستوجبت بذلك أن اثنى عليها رب العالمين فقال : وصدّقت بكلمات ربها وقال: وامه صديقة. وكذلك فعل زكريا عليه السلام فيما بشر به من الولد بعد الكبر ، وكذلك رزق مريم رضى الله عنها لي كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال : يا مريم أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب.

---

٢٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ٤ : ٧٩ – ٨٠ ؛ اما قصة الرغفان او الارغفة فقد حورها المسعودي ، وهي في الاصل اسطورة القماط الذي اخذته مريم من اقمطة الطفل واعطته للمجوس . وعندما رجع هؤلاء الى بلادهم عيد لهم اهلوهم فاشعلوا النار التي كانوا يعبدونها والقوا فيها القماط فاشتعل ولم يحترق؛ ولما خمدت النار استرجعوا القماط فاذا هو ابيض كالثلج واثبت من ذي قبل فلثموه ووضعوه على اعينهم قائلين : حقاً انه لباس رب الارباب اذ ان نار الالهة لم تقدر على احراقه ؛ راجع الاناجيل الموضوعة في نصها العربي ، « انجيل طفولية سيدنا » ، ٧–٨ ؛ والسرياني ، ٣ (طبعة Sike) ؛ قابل بالكاتب السرياني النسطوري سليمان البصري، في طبعة بودج (Budge) : The Book of the Bee ، ٣٧–٤٠ .

فقد علم الناس ارزاقهم من مظانها من السوق ومن الكدس ومن الكرم ومن الكيس ومن ايدي الخلق ، فرزقت على وجه التدبير المختص مما لم تمسه ايدي العالمين[٢٩] .

ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها . فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه فالتصديق بالكلمة اعظم الاشياء . لانها لم تعاين الملائكة وانما سمعت صوت البشرى : ان الله يبشرك بكلمة منه فصدقت ولم تردد[٣٠] فسماها الله صديقة في تنزيله فقال : وامه صديقة . فبالاتصال بلغ العباد أعلى منازل الصديقين . فلا ينالهم في أمر الله حيرة . ألا ترى ان ساره لما بُشرت باسحاق كيف اضطربت حتى أنكرت الملائكة مُن قولها : ان هذا الشيء عجيب . فقالوا : أتعجبين من أمر الله ؟ فتبين ههنا منها نقص وتبين الكمال من مريم حين بُشرت بالكلمة من قوله : ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . فعندها قالت : أنّى يكون لي ولد ولم يمسني بشر . فانما سألت من أين هذا الولد لانه قد جاءها من أمر الله ما ليس في البشر مثله والذي جاء من أمر ساره ليس بمستنكر قد يكون مثله في البشر ألا ترى أنه لما جاء الولد من ابراهيم وساره لم يفتتن الخلق بـه ومجيء عيسى عليه السلام فتنة[٣١] .

فقوله تعالى لمريم : اقنتي لربك اي أطيعي ربك فهذا تفسير ظاهر ، ولكن أريد من مريم القنوت في الباطن وهو أن تقبل بقلبها على الله مظلاً على النفس مشتملاً على شهواتها لئلا تتحرك وتتفرق غلياناً وتجيش حتى يفور دخانها الى الصدر الى محل اشراق نور الالوهية ، فانه ليس من حق عطايا ربنا أن يعطي عبداً اشراق نور عظمته في صدره فيهمل العبد حراسته ورعايته حتى تفور حرارة شهواته كفوران القدر التي تغلي الى صدره كالدخان بين يدي نور العظمة في صدره . . . فأمرت مريم بالقنوت اي بالدوام وبالركود بمقابلة القلب قبالة عظمة الله

٢٩) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٩٤-٩٥ .

٣٠) وفي الهامش : « لعله لم تتردد » .

٣١) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٥٧ .

حتى يدوم لها التعظيم لجلال الله[٣٢] .

وللرجال عليهن[٣٣] درجة لان حواء صدرت عن آدم فلم تزل الدرجة تصحبه عليها في الذكورة على الانوثة وان كانت الام سبباً في وجود الابن فابنها يزيد عليها بدرجة الذكورة . . . ولما كان الولد لا يدعي الا لابيه لا ينسب الى امه لان الاب له الدرجة وله العلو فينسب الى الاشرف ، ولما لم يتمكن لعيسى عليه السلام أن ينسب الى من وهبه لها بشراً سوياً أعطيت امه الكمال وهو المقام الاشرف فنُسب عيسى اليها فقيل عيسى بن مريم فكان لها هذا الشرف بالكمال مقام الدرجة التي بها شرف الرجال على النساء ، فنسب الابن الى ابيه لاجلها[٣٤] . وكمال مريم شهد لها بذلك رسول الله صلعم[٣٥] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلعم : حسبك من نساء العالمين اربع : مريم بنت عمران واسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلعم[٣٦] .

وأخبرنا شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال : كل ادمي يطعنه الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وامه عليهما السلام جُعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شيء . قال : وذكروا لنا انهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم[٣٧] .

وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها[٣٨] .

(عن أبي هريرة) : ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان الا ابن مريم وامه. ثم قال أبو هريرة : اقرأوا ان شئتم

---

٣٢) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٤١٤ - ٤١٥ .

٣٣) اي على النساء .

٣٤) اي لاجل الدرجة .

٣٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ١٢-١٣ .

٣٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٣٤٤ .

٣٧) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ .

٣٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٢ .

واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم[٣٩] .

يا معشر الملائكة اني خلقت اربع فتيات من نساء العالمين وفضلهن على الحور العين كفضل الشمس على القمر وعلى سائر الكواكب: اسيه بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد[٤٠] .

... امّ هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته وطهّر جوفها لروحه وسوّدها على امائه[٤١] .

(عن ابي هريرة) : سمعت رسول الله صلعم يقول : نساء قريش خير نساء ركبن الابل احناه على طفل وارعاه على زوج في ذات يده . قال: يقول ابو هريرة على اثر ذلك : ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط[٤٢] .

(عن علي) : سمعت رسول الله صلعم يقول: خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد . قال ابو كريب : واشار وكيع السماء والارض[٤٣] .

(عن ابن معاذ) : سمعت رسول الله صلعم يقول : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران واسية امرأة فرعون وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[٤٤] .

وقال صلعم : اربع نساء سيدة نساء العالمين : مريم واسيةُ وخديجة وفاطمة[٤٥] .

---

٣٩) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٢٤ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ٢ : ٢٣٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٩ ، ٣٦٨ ، ٢٢ = ؛ البخاري ، الجامع الصحيح (طبعة كرهل) ، ٣ : ٣٦٦ .

٤٠) الله هو المتكلم ، الكسائي ، قصص الانبياء ، ١٩٩ .

٤١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٩٨ .

٤٢) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٧٠ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح ، (طبعة كرهل) ، ٣ ، ٣٦٦

٤٣) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٤٣ .

٤٤) مسلم ، الصحيح ، ٢ : ٢٤٣ .

٤٥) ابن حنبل ، المسند ، ٣ : ٦٤ ، ١٣٥ ؛ ابو داود ، سنن ، عدد ٥٠٤ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح ، ٢ : د ١ ٥ ؛ الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٠٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٤٢ : « تلك (مريم) سيدة نساء عالمها وانت (فاطمة) سيدة نساء عالمك » .

اما اكرم الخلق على الله عز وجل آدم خلقه الله بيده وعلّمه الاسماء كلها. واما اكرم امائه عليه فهي مريم التي احصنت فرجها فنفخ فيه من روحه[٤٦].

خصائص عيسى

منها تأييده[٤٧] اياه بالروح القدس. قال عز من قائل: وايدناه بروح القدس، ونظيرها في سورة المائدة اذ قال الله: يا عيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس.

واختلفوا فيه فقال الربيع بن انس: هو الروح الذي نفخ فيه الروح اضافه سبحانه الى نفسه تكريماً وتخصيصاً، نحو بيت الله وناقة الله، والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى: وروح منه — فنفخنا فيه من روحنا.

وقال آخرون: اراد بالقدس الطهارة اي الروح الطاهر لانه لم تتضمنه اصلاب الفحول ولم تشتمل عليه ارحام الطوامث، انما كان امرًا من الله تعالى.

قال السدي وكعب: روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو انه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى ان صعد به الى السما..

وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير: هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيى الموتى ويري الناس تلك العجائب.

ومنها تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى: واذ علمتك الكتاب، اي الخط. قيل: الخط عشرة اجزاء، فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل[٤٨].

الله خاصة طهر جسمه عن الاقذار الطبيعية فانه روح متجسد في بدن مثالي روحاني ولذلك بقي مدة مديدة زائدة على الف في زماننا هـذا ومن الهجرة سبعمائة وثلاثون بثلاثمائة وستة وثلاثين. فان من ميلاد النبي الى زماننا هذا سبعمائة واحدى وثمانين سنة. وذلك اما من صفاء جوهر طينته ولطافتها وصفاء

٤٦) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢: ٣٧٤.

٤٧) اي تأييد الله لعيسى.

٤٨) الثعلبي، عرائس المجالس، ٣٩١–٣٩٢.

طينة امه وطهارتها . ونزّه روحه وقدسه من التأثر بالهيئات الطبيعية والصفات البدنية لتأيده بروح القدس الذي هو على صورته ولهذا ما قتل وما صلب كما اخبر الله عنه لتجرده عن الملابس الهيولانية وصيّره مثلاً له بتكوين الطير من الطين وتكوين الاعراض من الحياة والصحة في الموتى والمرض في نشأته الاولى وبكونه خليفة الله وخاتم الولاية في نشأته الثانية اي مثله في الصفات ، او صيّره مثل الخلق في الصورة بتكوينه تعالى اياه من الطبيعة الجسمانية[٤٩] .

وقد قال تعالى : لقد فضّلنا بعض النبيين على بعض . وقال : منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات . فكان عيسى عليه السلام من المفضلين . ولأدلاله سلم على نفسه فقال : والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حياً ، وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس . واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحيا . فلم ينطق حتى انثى عليه خالقه فقال : وسلام عليه[٥٠] .

ذكر من تكلم في المهد وهم اربعة : صاحب جريج ببراءته من الزنا وشاهد يوسف ببراءته من زليخا[٥١] ابن الماشطه التي لبنت فرعون حذرها من الكفر ، وعيسى بن مريم ببراءة امه عليهما السلام[٥٢] .

قال ابن عطا : احسن النبات ما كان ثمرته مثل عيسى روح الله[٥٣] .

المنقول عن عيسى عليه السلام انه قال : ان الله تبارك وتعالى اشتاق ان يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته

---

٤٩) القاشاني ، شرح على فصوص الحكم ، ٢٥٨-٢٥٩ .

٥٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٩٣ .

٥١) زليخا اسم مزعوم لامرأة فرعون مصر ، فوطيفار ، قابل ما يقوله الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، ٣٩ : ٧-٢٠ بما يقول القرآن ، سورة يوسف ، ١٣ عن يوسف بن يعقوب .

٥٢) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٥٥ ؛ البخاري ، الجامع الصحيح (طبعة كرمل) ، ٣ : ٣٦٧ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ١ : ٣٨٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ١٠١ ؛ الهندي ، منتخب كنز العمال ، ٦ : ١٦٥ ؛ ابن حنبل ، المسند ، ٢ : ٣٠٧-٣٠٨ ؛ ويقول الحلبي ، انسان العيون ، ١ : ١٠٠ - ١٠١ ، ان عيسى تكلم ثلاث مرات في المهد .

٥٣) البقلي في تفسيره ، ١ : ٨٠ ، ذكره ماسينيون ، مجموعة نصوص ، ٥٦ .

المقدسة فيها واني انا ذلك النور وآدم المرآة[٥٤] .

ان الله فضله على رجال العالمين وجعله وامه آية للمعتبرين[٥٥] .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي الاضخم ، ملك الحبشة سلام انت . فاني احمد اليك الله الملك القدوس ، السلام ، السلام ، المؤمن المهيمن ، واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له[٥٦] .

ولما قال اهل الطبيعة ان ماء المرأة لا يتكون منه شيء. وان الجنين الكائن في الرحم انما هو من ماء الرجل ، جعلنا تكوين جسم عيسى تكويناً آخر وان كان تدبيره في الرحم تدبير سائر اجسام البنين فان كان من ماء المرأة — وتمثل لها الروح بشراً سوياً — او كان عن نفخ مغاير في النش. غيره من اجسام النوع ، فكان جسماً رابعاً مغايراً للاجسام الثلاثة في سبب نشئه . ولذلك قال الله تعالى : ان مثل عيسى عند الله ، اي صفة نشئه ، كمثل صفة آدم في نشئه ، خلقه من تراب ، والضمير يعود الى آدم ووقع الشبه في خلقه من غير اب ، الا ان آدم خلقه من تراب وعيسى خلقه من نفخه فقال له ما قال .

ثم ان عيسى على ما قيل لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد لانه اسرع اليه التكوين لما اراد الله ان يجعله آية ويرد به على الطبيعيين حيث حكموا على الطبيعة بما اعطتهم من العادة لا بما تقتضيه بما اودع الله فيها من الاسرار والتكوينات العجيبة . ولقد انصف بعض حذاق علماء الطبيعة فقال لا نعلم منها الا ما اعطتنا خاصة وفيها ما لا نعلم[٥٧] .

---

٥٤) ذكره ماسينيون ، مجموعة نصوص ، ٢٢٨–٢٢٩ .

٥٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٩٨ .

٥٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١٥٧٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ : ٢ : ٢٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ : ٦١ الخ . . .

٥٧) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١ : ١٣٨–١٣٩ .

اما الانسان فقد اختلف خلقه على اربعة انواع من الخلق : فخلق آدم لا يشبه خلق حواء ، وخلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم ، وخلق عيسى عليه السلام لا يشبه خلق من ذكر ... فآدم خُلق من طين ، وحواء من ضلع آدم ، وعيسى من نفخ روح ، وبنو آدم من ماء مهين[٥٨] .

فأول موجود ظهر من الاجسام الانسانية كان آدم عليه السلام وهو الاب الاول من هذا الجنس ... وهو اول من ظهر بحكم الله من هذا الجنس ، ولكن كما قررناه . ثم فصل عنه اباً ثانياً سماه لنا اماً ، فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليها لكونه اصلاً ، فختم النواب من دورة الملك بمثل ما بدأ به ليتبين ان الفضل بيد الله وان ذلك الامر ما اقتضاه الاب الاول لذاته فأوجد عيسى ابن مريم ، فتنزلت مريم منزلة آدم ، وتنزّل عيسى منزلة حواء ؛ فكما وجد انثى من ذكر وُجد ذكر من انثى ، فختم بمثل ما بدأ به في ايجاد ابن من غير اب كما كانت حواء من غير ام ، فكان عيسى وحواء اخوين ، وكان آدم ومريم ابوين لهما.

ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، فأوقع التشبيه في عدم الابوة الذكرانية من اجل انه نصب ذلك دليلاً لعيسى في براءة امه ؛ ولم يوقع التشبيه بحواء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلاً موضوعاً للولادة وليس الرجل بمحل لذلك . والمقصود من الادلة ارتفاع الشكوك ، وفي حواء من آدم لا يقع الالتباس لكون آدم ليس محلاً لما صدر عنه من الولادة وهذا لا يكون دليلاً الا عند من ثبت عنده وجود آدم وتكوينه والتكوين منه . وكما لا يعهد ابن من غير اب كذلك لا يعهد من غير ام ، فالمثل من طريق المعنى ان عيسى كحواء ، ولكن لما كان الرجل يتطرق في مثل ذلك من المنكر لكون الانثى محلاً لما صدر عنها ، ولذلك وقعت التهمة ، كان التشبيه بآدم لحصول براءة مريم مما يمكن في العادة وقوعه ، فظهور عيسى ابن مريم من غير اب كظهور حواء من آدم من غير ام وهو الاب الثاني[٥٩] .

وخص (الله) عيسى عليه السلام بكونه روحاً واضاف النفخ اليه فيما خلقه

---

٥٨) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١ : ١٤٥-١٤٦ .

٥٩) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١ : ١٥١ .

من الطين ولم يضف نفخاً في اعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى[٦٠] .

وقول عيسى عليه السلام : قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء.[٦١] فمن اكتنز ماله فقد دفن قلبه في ارض طبيعته فلا يلتذ بمشاهدة ابيه الذي هو الروح الالهي ابداً ، ومثل هذا لا يكون ابن امه وان كان له اب، ولكن لا يُنسب اليه كعيسى بن مريم عليهما السلام . يُنسب الى امه وما وهبه لها الا جبريل عليه السلام لما تمثل لها بشراً سوياً واعلمها ؛ ومع هذا فما نُسب الا الى البقعة الجنسية مع كونه يحيي الموتى من حيث ما هو من هنات الروح الامين[٦٢] .

فجمع بين الصورة والروح فكان نشأة تامة ظاهره بشر وباطنه ملك ، فهو روح الله وكلمته[٦٣] .

فتمثل لها جبريل او الملك بشراً سوياً وقال لها انا انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً فوهبها عيسى عليه السلام. فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل في صورة الرجل ؛ ولذلك خرج على صورة ابيه ذكراً بشراً روحاً ، فجمع بين الصورتين اللتين كان عليهما ابوه الذي هو الملك ، فانه روح من حيث عينه ، بشر من حيث تمثله في صورة البشر[٦٤] .

واما خاتمية عيسى عليه السلام فله ختام دورة الملك ، فهو آخر رسول ظهر بصورة آدم في نشئه ، فانه لم يكن عن اب بشري ولم يشبه الابناء. اعني ذرية آدم في النشء. فانه لم يلبث في البطن اللبث المعتاد ، فانه لم ينتقل في اطوار

٦٠) ابن العربي، الفتوحات المكية، ٢ : ٥٨ .

٦١) وعن الانجيل : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون . لكن اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون لانه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك . » متى، ٦ : ٢٠-٢١ .

٦٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٣٥٧ .

٦٣) ابن العربي، الفتوحات المكية، ٢ : ٣٤ .

٦٤) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٢٠٤ .

النشأة الطبيعية بمرور الازمان المعتادة بل كان انتقاله يشبه البعث يعني احياء الموتى يوم القيامة في الزمان القليل على صورة من جاؤوا عليها في الزمان الكثير، فهو داخل تحت عموم[٦٥] .

لم يذكر (القرآن) في غير نشأة الانسان قط تسوية ولا تعديلا .. لان التسوية والتعديل لا يكونان معاً الا للانسان لانه سواه على صورة العالم وعدله عليه ولم يكن ذلك لغيره من المخلوقين من العناصر . ثم قال له بعد التسوية والتعديل : كن . وهو قوله : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فشبه الكامل وهو عيسى عليه السلام بالكامل وهو آدم عليه السلام ، خليفة بخليفة . وغير الخلفاء انما سواه ونفخ فيه من روحه وما قال فيه انه قال له : كن ، او في الآية الجامعة في قوله : انما قولنا لشيء اذ اردناه ان نقول له كن فيكون[٦٦] .

انه خليفة وانسان كامل[٦٧] .

واما روح عيسى عليه السلام فهو منفوخ بالجمع والكثرة ففيه قوى جميع الاسما . والارواح فانه[٦٨] قال : فنفخنا بنون الجمع ، فان جبريل عليه السلام وهبه لها بشراً سوياً فتجلى في صورة انسان كامل[٦٩] .

ولم يحل بينه وبين ادراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الاركان في خلقه فلم يكن عن اب عنصري ولكن كان روح الله وكلمته القاها الى مريم فلم يكن ثم ما ينبيه عمن صدر عنه فقال مخبراً عما شاهده من الحال فحكم في مهده على مرأى من قومه الذين افتروا في حقه على امه مريم فبرأها الله بنطقه وبجنين جذع النخلة اليه، اذ اكثر الشرع في الحكم بشاهدين عدلين ولا اعدل من هذين .

٦٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٥٦٨ .

٦٦) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٣٣١ .

٦٧) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٣٣١ .

٦٨) اي الله تعالى .

٦٩) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤ : ٢١٨ .

فقال اني عبد الله فحكم على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان ، لانه لم يكن ثَمّ ، وانما كان حق تجلي في صورة روح جبرائيلي لما في القضية من الجبر الذي حكم في الطبيعة بهذا التكوين الخاص الغير المتاد . . .

نسبته العنصرية في خلقه فكان اقرب الى ربه . فكان احدث عهد بعبوديته لربه[٧٠] .

فاتاه الحكم بما ذكره وهو صبي رضيع في المهد فكان اتم في الوصلة بربه من يحيى ابن خالته . فان عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا اُدُّعي فيه انه اله ، ويحيى سلم عليه ربه تعالى ولم ينص على انه عرف بذلك السلام عليه او لم يعرف[٧١] . واعلم ان الناس يستغربون الحكمة في الصبي الصغير دون الكبير لانهم ما عهدوا الا الحكمة الظاهرة عن التفكير والروية وليس الصبي في العادة بمحل لذلك فيقولون انه ينطق بها فتظهر عناية الله بهذا المحل الظاهر فزاد يحيى وعيسى عليهما السلام بانهما على علم بما نطقا به علم ذوق ، لان مثل هذا في هذا الزمان والسن لا يصح ان يكون الا ذوقاً . فان الله اتاه الحكم صبياً وهو حكم النبوة التي لا تكون الا ذوقاً[٧٢] .

ادعت طائفة من اليهود والنصارى انهم ابناء الله وارادوا التبني لانهم عالمون بآبائهم وقالوا في المسيح انه ابن الله اذ لم يعرفوا له اباً ولا تكوّن عن اب لجهلهم بما قال الله من تمثل الملك لمريم بشراً سوياً وجعله الله روحاً ، اذ كان جبريل روحاً فما تكوّن عيسى الا عن اثنين . فجبريل وهب لها عيسى في النفخ ، فلم يشعروا بذلك، كما ينفخ الروح في الصورة عند تسويتها ، فما عرفوا روح عيسى ولا صورته وان صورة عيسى مثل تجسد الروح لانه عن تمثل . فلو تفطنت لخلق عيسى لرأيت روحاً عظيماً يقصر عنه افهام العقلاء[٧٣] .

٧٠) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤:١٢٧ .

٧١) يذكر القرآن قول عيسى : « والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً » اما عن يحيى فالضمير هو الغائب : « والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً » .

٧٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤:١٢٧ .

٧٣) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣:٤٤٩ .

عن ماء مريم ام عن نفخ جبرئين[٧٤] في صورة البشر الموجود من طين
تكون الروح في ذات مطهرة من الطبيعة تدعوها بسجين[٧٥]
لاجل ذلك قد طالت اقامته فيها فزاد على الف بتعيين[٧٦]
روح من الله لا من غيره[٧٧] فلذا احيا الموات وانشا الطير من طين
حتى يصح له من ربه نسب حتى يؤثر في العالي وفي الدون[٧٨]
الله طهره جسماً ونزهه روحاً وصيّره مثلاً بتكوين[٧٩]

واعلم ان من خصائص الارواح انها لا تطأ شيئاً الا حيي ذلك الشيء وسرت الحياة فيه . ولهذا قبض السامري قبضة من اثر الرسول الذي هو جبريل وهو الروح ، وكان السامري عالماً بهذا الامر ، فلما عرف انه جبرئيل عرف ان الحياة قد سرت فيما وطئ عليه فقبض قبضة من اثر الرسول عليه السلام بالضاد او بالصاد اي بتل، يده او باطراف اصابعه فنبذها في العجل فخار العجل ، اذ صوت البقر انما هو خوار ، ولو اقامه صورة اخرى لنسب اليه الصوت الذي كان لتلك الصورة كالرغاء للابل والثواج للكباش والعياء للشاء والصوت للانسان او النطق او الكلام . فذلك القدر من الحياة السارية في الاشياء يسمى لاهوتاً والناسوت هو المحل القائم به ذلك الروح فسمي الناسوت روحاً بما قام هو به .

فلما تمثل الروح الامين الذي هو جبرئيل لمريم عليها السلام بشراً سوياً تخيلت مريم انه بشر يريد مواقعتها فاستعاذت بالله استعاذة بجمعية منها ليخلصها

---

٧٤) جبرائيل الملاك .

٧٥) الذات المطهرة « هي مريم » من الطبيعة اي من ادناسها وارجاسها ومقتضياتها من اللذات الشهوانية . تدعوها اي الطبيعة التي تدعو مريم اي شأن هذه الطبيعة ان تدعو مريم بسجين اي بجحيم « شرح القاشاني » .

٧٦) « فيها اي السماوات . على الف : مبين من علم التواريخ » (القاشاني) .

٧٧) « اي خلقه الله بذاته لا بواسطة روح من الارواح » (القاشاني) .

٧٨) « العالي ، اي احياء الموتى من الانسان ، الدون خلق الطير المعروف من الطين » (القاشاني) .

٧٩) « اي مماثلاً له تعالى بتكوين اي بسبب تكوين الطير » (القاشاني) .

الله منه لما تعلم ان ذلك مما لا يجوز، فحصل لها حضور تام مع الله وهو الروح المعنوي . فلو نفخ فيها في ذلك الوقت على هذه الحالة لخرج عيسى لا يطيقه احد لشكامة خلقه بحال امه فلما قال لها : انما انا رسول ربك جئت لاهب لك غلاماً ذكياً ، انبسطت عن ذلك القبض وانشرح صدرها فنفخ فيها في ذلك الحين عيسى عليه السلام . فكان جبرئيل ناقلاً كلمة الله لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لامته وهو قوله تعالى : وكلمته القاها الى مريم وروح منه . فسرت الشهوة في جسم مريم فخلق جسم عيسى عليه السلام من ماء محقق من مريم ومن ماء متوهم من جبرئيل سرى في رطوبة ذلك النفخ لان النفخ من الجسم الحيواني رطب لما فيه من ركن الماء ، فيكون جسم عيسى عليه السلام من ماء متوهم وماء محقق وخرج على صورة البشر من اجل امه ومن اجل تمثل جبرائيل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الانساني الاعلى الحكم المعتاد . فخرج عيسى عليه السلام يحيي الموتى لانه روح الهي ، وكان الأحياء لله والنفخ لعيسى عليه السلام كما كان لجبرئيل والكلمة لله . فكان احياء عيسى عليه السلام للاموات احياء محققاً من حيث ما ظهر عن نفخته كما ظهر هو عن امه فكان احياؤه ايضاً متوهماً انه منه وانما كان لله ، فجمع بحقيقته التي خلق عليها كما قلناه انه لمخلوق من ماء متوهم ومن ماء محقق لينسب اليه الاحياء بطريق التحقيق من وجه وبطريق التوهم من وجه، فقيل فيه من طريق التحقيق : وتحيي الموتى ، وقيل فيه من طريق التوهم : فتنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله . . .

وخرج عيسى من من التواضع الى ان شرع لامته ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٨٠] وان احدهم اذا لطم في خده وضع الخد الآخر لمن يلطمه[٨١] ولا يرتفع عليه ولا يطلب القصاص منه هذا له من جهة امه اذ المرأة لها السفل حكماً وحساً . وما كان فيه من قوة الاحياء والابراء فمن جهة نفخ جبرائيل عليه السلام في صورة البشر فكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بصورة البشر، ولو لم يأت جبرئيل عليه السلام في صورة البشر واتى في صورة غيرها من صور

٨٠) سورة التوبة ، ٩ : ٢٨ .

٨١) راجع الانجيل ، متى ، ٥ : ٣٩ .

الأكوان العنصرية من حيوان او نبات او جماد لكان عيسى عليه السلام لا يحيي الموتى الا حين يتلبس بتلك الصورة ويظهر فيها . ولو اتى جبرئيل عليه السلام بصورته النورية الخارجية عن العناصر والاركان اذ لا يخرج عن طبيعية لكان عيسى عليه السلام لا يحيي الموتى الا حين يظهر في تلك الصورة الطبيعية النورية لا العنصرية مع الصورة البشرية من جهة امه فكان يقال فيه عند احيائه الموتى: هو لا هو، وتقع الحيرة في النظر اليه كما وقعت في العاقل عند النظر الفكري اذا رأى شخصاً سوياً من البشر يحيي الموتى وهو من الخصائص الالهية احياء النطق لا احياء الحيوان، بقي الناظر حائراً اذ يرى الصورة بشراً بالاثر الالهي، فأدى بعضهم فيه الى القول بالحلول وانه هو الله بما أحيى بـه الموتى، ولذلك نُسبوا الى الكفر وهو الستر لانهم ستروا الله الذي احيى الموتى بصورة بشرية عيسى فقال تعالى : لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم، فجمعوا بين الخطا والكفر في تمام الكلام كله لا بقولهم هو الله ولا بقولهم ابن مريم، فعدلوا بالتضمين من الله من حيث انه احيى الموتى الى الصورة الناسوتية البشرية بقولهم ابن مريم وهو ابن مريم بلا شك فتخيل السامع انهم نسبوا الالوهية وجعلوها عين الصورة وما فعلوا بل جعلوا الهوية الإلهية ابتداء في صورة بشرية وهي ابن مريم ففصلوا بين الصورة والحكم لا انهم جعلوا الصورة عين الحكم ...

فوقع الخلاف بين اهل الملل في عيسى عليه السلام ما هو . فمن ناظر فيه من حيث صورته الانسانية البشرية فيقول هو ابن مريم، ومن ناظر فيه من حيث الصورة الممثلة البشرية فينسبه لجبرئيل، ومن ناظر فيه من حيث ما ظهر عنه من احياء الموتى فينسبه الى الله بالروحية فيقول روح الله، اي به ظهرت الحياة فيمن نفخ فيه . فتارة يكون الحق فيه متوهماً اسم مفعول، وتارة يكون الملك فيه متوهماً، وتارة تكون البشرية الانسانية فيه متوهمة، فيكون عند كل ناظر بحسب ما يغلب عليه فهو كلمة الله وهو روح الله وهو عبد الله وليس ذلك في الصورة الحسية لغيره، بل كل شخص منسوب الى ابيه الصوري لا الى النافخ روحه في الصورة البشرية . فان الله اذا سوى الجسم الانساني كما قال : فاذا سويته، نفخ فيه هو تعالى من روحه فنسب الروح في كونه وعينه

اليه تعالى وعيسى ليس كذلك ، فانه ادرجت تسوية جسمه وصورته البشرية بالنفخ الروحي ، وغيره ، كما ذكرنا ، لم يكن مثله. فالموجودات كلها كلمات الله التي لا تنفد ، فانها عن كنْ وكن كلمة الله ، فهل تنسب الكلمة اليه بحسب ما هو عليه فلا يُعلم ماهيتها ، او ينزل هو تعالى الى صورة من يقول كنْ فيكون قول كنْ حقيقة لتلك الصورة التي نزل اليها وظهر فيها . فبعض العارفين يذهب الى الطرف الواحد ، وبعضهم الى الطرف الآخر ، وبعضهم يحار في الامر ولا يدري، وهذه مسألة لا يمكن ان تعرف الا ذوقاً كأبي يزيد حين نفخ في النحلة التي قتلها فحييت فعلم عند ذلك بمن ينفخ فنفخ وكان عيسوي المشهد .

واما الاحياء المعنوي بالعلم فتلك الحياة الالهية الذاتية الدائمة العلية النورية التي قال الله فيها: او من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس . فكل من احيى نفساً ميتة بحياة علمية في مسألة خاصة متعلقة بالعلم بالله فقد احياه بها وكانت له نوراً يمشي به في الناس اي بين اشكاله في الصورة[٨٢]

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا
فإنّا اعبدٌ حقاً وإن الله مولانا
وإنّا عينه فاعلم اذا ما قلتَ انساناً
فلا تحجب بانسان فقد اعطاك برهانا
فكن حقاً وكن خلقاً تكن بالله رحمانا
وغذِّ خلقه منه تكن روحاً وريحانا
فاعطيناه ما يبدو به فينا واعطانا
فصار الامر مقسوماً بإياه وايانا
فاحياه الذي يدري بقلبي حين احيانا
فكنا فيه اكوانا واعيانا وازمانا
وليس بدائم فينا ولكن ذاك احيانا[٨٣]

٨٢) « اي بصفات الله واسمائه وآياته وكلماته » (القاشاني) .

٨٣) ابن العربي ، فصوص الحكم ، في شرح القاشاني ، ٢٥٦-٢٧٤ .

انما خص الحكمة النبوية بالكلمة العيسوية وان كانت جميع هذه الحكم نبوته لان نبوته فطرية غالبة على حاله وقد انبأ عن الله في بطن امه بقوله : لا تحزني وقد جعل ربك تحتك سرياً ، وفي المهد بقوله : اتاني الكتاب وجعلني نبياً ، الى وقت بعثه وهو الاربعون سنة لقوله[٨٤] عليه السلام : ما بُعث نبي الا بعد الاربعين ، وقيل انها ليست مهموزة عن النبأ بل ناقصة من نبـأ ينبو نبوءا ، يعني ارتفع لارتفاع مقامه من ابناء البشرية ، وبقوله تعالى : بل رفعه الله اليه .

والختم الولاية عليه من خصائص الروح الذي هو نفس روحاني من صفاته الذاتية الحياة ، انه ما يمر على شيء من القوابل ولم يباشره بصورته المثالية الا حيي ذلك الشيء بقوة قبوله واظهر فيه خاصية الحياة واثر من آثارها بحسب تلك القوة ، ولكن اذا حيي ذلك الشيء الذي مر عليه الروح وباشره وسرت الحياة فيه يكون تصرفه اي تصرف الروح وتأثيره بحسب مزاجه اي مزاج ذلك الشيء واستعداده لا بحسب الروح نفسه . فان الروح امر قدسي ليس له حسن معين ولا جثة مخصوصة فاذا كان ذلك الشيء ذا مزاج معتدل قابل الحياة ظهر فيه الحس والحركة وجميع خواص الحياة بحسب المزاج المخصوص وان لم يكن ظهر فيه اثر من الحياة بحسب صورته[٨٥] .

٨٤) اي محمد .

٨٥) الجامي ، كتاب نقد النصوص ، ٩٥ .

صرف العنان الى قرأة حفص بن سليمان

لعبد الغني النابلسي

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

من تآليف فلسفية الى تآليف لاهوتية ودينية الى اجتهادات قانونية ومنها الى كتب لغوية : هكذا انقضت حياة عبد الغني النابلسي . فلقد تطرق لمواضيع عديدة وكان فيها سديد الرأي مع ما في تحليلاته ودروسه النفسانية من حدّة ودقّة ومن تطرّف بعض الاحيان . ولذا فشخصية المؤلف واسعة الارجاء تأثرت بعوامل كثيرة فراح يجهد الفكر والنفس مفتشاً عمّا يروق القارئ خدمة للمجتمع الذي فيه عاش ومات . فخدم ملياً وتوصّل بنشاطه وحسن درايته الى التعمّق الصادق والبيّنة التي تقنع .

وهذا المخطوط الذي ننشره يدلّل على سعة اطلاع المؤلف على صعيد القرآن واللغة . فيه تحرّيات عديدة لسور القرآن وشرح ضافٍ لاستعمال بعض الالفاظ والجمل مع العودة الوافية الى حفص بن سليمان او الى الصحاح وغيرهما .

وصل هذا المخطوط الى مكتبتنا الشرقية وقد اهملناه زمناً الى ان عدنا اليه والعود أحمد. وهو مجلّد تجليداً شرقياً ومقسوم الى جزئين : ففي الجزء الاول وضع الناسخ بين اطار مذهّب قافية النابلسي في قرأة القرآن وفي الجزء الثاني كتابه « صرف العنان » .

المخطوط في حالة حسنة ، خرمت الارضة بعض الكلمات ولكن الخط الحسن الجميل يسهّل للقارئ الخلوص الى نشره بسهولة ولقد كتب الناسخ الشعر بالحبر الاحمر والتفسير بالحبر الاسود . طوله ٢١,٥ س وعرضه ١٥,٥ س . في الصفحة ٢٣ سطراً وفي السطر ١٢ كلمة . وهو وان لم يكن مشهوراً بين تآليف النابلسي فله من القيمة من حيث الدقة في التأويل اللغوي ما يؤهله ان ينشر ويساعد العاملين على درس لغة القرآن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن آيات مفصلات فاعجز البشر. ولف في مكنونات اسراره البديعة كل معنى تقصر عن ادراكه العقول ونشر . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اجتمع ببعثته للخلائق كل خير وامتنع كل شر . وعلى آله واصحابه . وتابعيه واحزابه . صلاة وسلاماً دائمين الى يوم المحشر.

اما بعد فيقول اقلّ الاخوان . واحقر ابناء الزمان . عبد الغني الشهير بابن النابلسي الحنفي شمله الله تعالى بنفحات الطافه . وتداركه بلمحات برّه واسعافه . كما كانت القرأة المنسوبة الى شيخ مشايخ الزمان . الشيخ حفص بن سليمان . تغمدهما الله تعالى بالعفو والغفران . قرأة سهلة المآخذ[1] . قبضت عليها ابناء عصرنا بالاكف وعضت بالنواجذ . وذلك لما فيها من قلة الاعتساف . وسهولة الائتلاف . وقد اطلعت فيها على بعض رسائل منثورة تصعب مراجعتها على الحفاظ . ولا يمكن التناول منها بغير الالحاظ . فعند ذلك طلب مني بعض الاخوان . ان انظم ذلك له بحسب الامكان . فاستعنت بالله تعالى واجبته الى بغيته وان لم اكن من فرسان هذا الميدان . حتى تم ذلك . وقد بلغ خمس مائة بيت وعشرين . على حسب ما يقتضيه الايضاح ويستلزمه التبيين . ثم رأيت في كلماتها بعض صعوبة على غير المارس . وعلمت ان كل احد ليس في ميدانها بفارس . وذلك لما فيها من التقديم والتأخير . بحسب ما تقتضيه ضرورة الشعر من غرابة التعبير . فعزمت على اكمال الفايدة بشرحها على وجه الاختصار . لتكون تذكرة لاولي الابصار . ولم اسوف القضية بلعلّ وليت . فان في الكلام المغنى عند صاحب البيت . وقد سميت ذلك صرف العنان . الى قرأة حفص بن سليمان . ومن الله تعالى استمد التوفيق . واسأله ان يعينني في كل مضيق . انه ولي الاجابة . واليه الرجوع والانابة . وهو حسبي ونعم الوكيل .

***

لك الحمد يا من قد تفرد بالبقا ومنك صلاة للشفيع ومن رقى

الحمد لغة الثناء للجميل ولو ادعاء الاختياري ولو مائلا[2] على جهة التعظيم . وعرفاً فعل ينبي عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره . فمورده عام لشمول الفعل ومتعلقه خاص وهو النعمة . ومعنى التفرد بالبقاء[3] الاستقلال به وعدم شركة الغير فيه لكونه واجباً . واما بقاء الغير فجائز . وفي شرح ديباجة شرح التجريد صيغة التفعل اما للصيرورة بدون صنع واما للتكلف

---

١) وردت المآخذ . ٢) وردت مائلا . ٣) وردت البقا .

المحمول في شأنه تعالى على الكمال كما في المتكبر ونحوه . والصلاة في اللغة الدعاء . وقد يراد بها مسببه اعني الرحمة تجوزًا وهذا هو المشهور وتنكيرها لافادة التعظيم اي صلاة عظيمة . ولهذا حصل الاكتفاء بها عن السلام . وما قيل من كراهة الافراد فالمراد خلاف الاولى وليست الكراهة على بابها . فان الاتيان بهما فيه اجر وتركها او احدهما مخل بذلك الاجر . وترك للاولى كذا نقله الشيخ الوالد[1] رحمه الله تعالى في كتابه الاحكام . والشفيع فعيل من الشفاعة وصف للنبي صلعم . ولم اذكر مفعول رقى قصدًا لارادة العموم . فان النبي صلعم له معراجان : معراج حسي وهو الحاصل في ليلة الاسراء من بيت المقدس الى حيث شاء الله تعالى من العلاء.[2] ومعراج معنوي وهو صعوده في مراتب القرب من ذي الجلال وخرقه للحجب البشرية المشار اليه بقوله صلعم : لست كاحدكم . فاني ابات عند ربي يطعمني ويسقيني . او كما قال صلعم . تنبيه لفظة رقى وامثالها مما هو فعل ماضي يكتب بالياء ويقرأ بالالف . وقد يكتب بالالف ايضًا وضابط ذلك ما اشتمل عليه معنى هذين البيتين وهما قول الحريري رحمه الله تعالى :

اذا الفعل يومًا غم عنك هجاؤه فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان كان قبل التاء ياء فكتبه[3] بياء والا فهو يكتب بالالف

واما الاسم المقصور فان كانت فيه الالف منقلبة عن ياء كتب بالياء والا فبالالف . وتتعرف الياء من غيرها بالتثنية نحو فتيان وعصوان وبالجمع نحو الفتيات والقنوات وبالمرة نحو رمية وغزوة وبرد الفعل الى نفسك نحو رميت وغزوت كما مر وبالمضارع نحو يرمي ويغزو . والله الموفق .

رسول إله العالمين وآله واصحابه والتابعين اولى التقا

اولى اي اصحاب اسم جمع لذي بمعنى صاحب . وقيل جمع ذي على غير

---

١) يعني الناسخ اباه وهو حفيد عبد الغني النابلسي . ٢) وردت العلا .
٣) هكذا في المخطوط والصحيح فاكتبه .

لفظه نقله الوالد رحمه الله تعالى في الاحكام وفي الصحاح. التقوي والتقى واحد. والواو مبدلة من الياء . والتقاة التقية . فقال اتقى تقية وتقاة انتهى . والمراد بها الاحتراز عن المخالفة في الدين امرًا ونهيًا وهي تقوى العوام وتقوى الخواص الاحتراز عن الغفلة بمداومة المشاهدة . والرسول انسان اوصى اليه بشرع وامر بتبليغه وان لم يؤمر بتبليغه فهو نبي فقط. فبينا عموم وخصوص مطلق. وقيل بن وجه لافتراق الرسول ايضاً برسل الملائكة. وقيل هما متساويان وقيل متباينان. فقد اعترتها النسب الاربع ولكن الجمهور على الاول. ويزيده قوله تعالى: « وما ارسلنا من رسول ولا نبي » .

وقد دلّ الحديث على ان عدد الانبياء ازيد منْ عـدد الرسل فاشترط بعضهم في الرسول الكتاب واعترض عليه بان الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد مبسوط حروف اسم محمد والكتب مائة واربعة . الا ان يكتفي بالكون معه من غير اشتراط نزول عليه او يقال بتكرر النزول كالفاتحة . وتخصيص بعض الكتب ببعضهم يحتمل لكونه نزل عليه او لا واشترط بعضهم الشرع الجديد ورد بان اسماعيل عليه الصلاة والسلام من الرسل ، وليس له شرع جديد. والاله في اللغة مطلق المعبود لانه مشتق من اله اذا عبد . وفي الاصطلاح هو خالق العالم او المستغني عن كل ما سواه والمفتقر اليه كل ما عداه . والعالمين جمع عالم اسم لما يعلم الله تعالى به كالخاتم لما يختم به وهو في الاصل يقال على ما سوى الله تعالى فيكون مفردًا وجمعه باعتبار انه يقال عالم الانس وعالم الجن وعالم الوحش الى غير ذلك من الانواع.

وآل النبي صلعم اما ان يراد من حيث النسب وهم اولاد علي وجعفر وعقيل والعباس والحارث ابن عبد المطلب او من حيث الدين كما روى عنه عليه الصلاة والسلام حين سئل بمن آلك . قال آلي كل مؤمن او مؤمن تقي على اختلاف الروايتين . فاذا حمل على جهة الدين يكون ذكر الاصحاب بعده تخصيصاً بعد التعميم .

والاصحاب جمع صحب تخفيف صاحب كنمر وانمار او جمع صحب بالسكون اسم جمع كنهر وانهار والمستعمل في موضع المفرد صحابي بالفتح منسوب الى

صحابة مصدر بمعنى الصحبة وهو من لقي النبي صلعم من الثقلين مؤمناً به ومات على الاسلام . وان تخللت ردة طالت الصحبة اولا . والتابعين جمع تابع والمستعمل في موضع المفرد تابعي وهو من اجتمع بالصحابي وهل من اجتمع بعيسى عليه السلام عند نزوله اخر الزمان يُعدّ تابعاً لكون عيسى عليه الصلاة والسلام اجتمع بنبينا صلعم ليلة المعراج قولان اصحهما نعم كذا قرأته بخط والدي رحمه الله تعالى في بعض تعليقاته . والله الموفق .

وبعد ففي علم القراءة عاصم امام جليل تابعي قد ارتقى

بعد ظرف مبني على الضم مقطوع عن الاضافة منوي معنى المضاف اليه ولا بد له من عامل فعل او شبهه يتعلق به فقيل هو متعلق باما من حيث انها قائمة[1] مقام فعل هو يكن المحذوف . فان الاصل مهما يكن من شيء . وقيل بيكن والفا بعده في جواب . اما المقدرة المعوض عنها بالواو . والمراد بعلم القرأة ما يبحث فيه عن اختلاف الروايات بين القرا. في تلاوة القرآن الكريم .

وعاصم هذا هو عاصم بن ابي النجود ويقال له ابن بهدلة . وقيل اسم ابي النجود عبد وبهدلة اسم امه وهو مولى نصر بن قعين الاسدي ويكنى ابا بكر وهو من التابعين لحق الحارث بن حسان وافد بني بكر وسمع منه ، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وقيل سنة سبع وعشرين ومائة . كذا في التيسير .

والامام المقتدى به والجليل العظيم . وارتقى اي صعد على اقرانه بجمع الكمالات في زمانه . والله الموفق .

روى عنه حفص مع ابي بكر شعبة ولكن حفصا كان في الحفظ اوثقا

ضمير عنه راجع الى عاصم وحفص فاعل روى ومع بسكون العين لغة فيها قال الاشموني في شرح الالفية والمشهور فيها فتح العين وزعم سيبويه ان تسكين العين ضرورة وليس كذلك بل هي لغة ربيعة وغنم فانها مبنية عندهم على السكون انتهى .

---

١) وردت قايمة .

وحذف تنوين بكر اما لضرورة الشعر وشعبة بالكسر بدل من ابي بكر واما لاضافته الى شعبة على حد اضافة الاسم الى اللقب في قولهم سعيد كرز متأولين الاول بالمسمى والثاني بالاسم واوتقا الالف للاطلاق يعني ان عاصما رحمه الله تعالى له راويان الاول حفص بن سليمان بن المغيرة الاسدي البزاز الكوفي ويكنى ابا عمر ويعرف بحفص . قال وكيع : كان ثقة وكان ربيب عاصم واعلم اصحابه بقرا.ته . وقال ابن مدين : هو اقرأ من ابي بكر . وتوفي قريباً من سنة تسعين ومائة . والثاني ابو بكر شعبة بن عياش بن سالم الكوفي الاسدي مولى لهم . وقيل اسمه سالم . وقيل كنيته . وقيل غير ذلك . وتوفي بالكوفة سنة اربع وتسعين ومائة .

فان هذين الشيخين رويا القرآة عن عاصم من غير واسطة ورجال عاصم الذي اخذ هو عنهم اثنان ابو عبد الرحمن عبدالله بن حبيب السلمي وابو مريم زر بن حبيش فاخذ ابو عبد الرحمن عن عثمان بن عفان وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله ابن مسعود عن النبي صلعم واخذ ابو مريم زر عن عثمان بن عفان وابن مسعود عن النبي صلعم . والله الموفق .

ولم ارَ نظماً في روايته فقط فحاولت ابدي ذا النظام المؤنقا

ضمير روايته راجع الى حفص وفي المغنى قط تكون بمعنى حسب وهي مفتوحة الكاف ساكنة الطا. . قاله الشمني نقلا عن حواشي التسهيل : ولم يسمع منهم الا مقروناً بالفا. وهي زايدة لازمة عندي وكذا اقول في قولهم فحسب ان الفا. زايدة . وفي كتاب المسايل لابن السيد : وانما صلحت الفا. في هذه لان معنى اخذت درهماً فقط اخذت درهماً فاكتفت به . فجعل فيه الفا. عاطفة . انتهى .

وحاولت الشي. اي اردته كذا في الصحاح . وابدي بيا. المتكلم اي اظهر وذا مفعوله وهو اسم اشارة اشير به الى شي. مستحضر في الذهن حالة التكلم والنظام بالنصب نعت لاسم الاشارة . وكذلك المؤنقا والالف للاطلاق . وفي الصحاح شي. انيق اي حسن معجب . وانقني الشي. اي اعجبني وتأنق في

الشيء اذا عمله بنيقة مثل تنوق . انتهى . والنيقة هي الاحكام والاتقان فعلى الاول يكون المونق على صيغة اسم الفاعل وتشديده للمبالغة اي المعجب للناظر فيه . وعلى الثاني بصيغة اسم المفعول بمعنى الذي احكم واتقن . والله الموفق .

واني متى اطلقت في الذكر عاصما فقصدي لديه راوياه توافقا

يعني اني اذا ذكرت في هذا النظم عاصما مع ان قصدي جمع قرأة حفص لا غير . فمرادي ان ذاك محل وفاق لراوييه ايضاً حفص وابي بكر . فلا احتاج الى التصريح بذكر حفص تكثيرًا للفايدة وتوفيرًا للعايدة :

وارجو من الرحمن ربي يعينني والقاه عني راضيا ساعة اللقا

الرجا. هو الاول ممدود . يقال رجوت فلاناً رجوًا ورجاء ورجاوة . ويقال ما اتيتك الا رجاوة والخير وترجيته وارتجيته ورجيته كلـه بمعنى رجوته .كذا في الصحاح .

والرحمن صفة مشبهة مبنية من رحم بعد تنزيلـه منزلة اللازم بقصد اثباته لفاعله من غير اعتبار تعلقه بمفعول . فيكون خالياً منه لفظاً وتقديرًا كقولهم فلان يعطي لمن نفى عنه الاعطاء لا لمن نفى عند اعطاء الدنانير . او بجعلـه لازماً ونقله الى فعل بالضم اللازم له اللزوم لاختصاصه بافعال الغرايز اللازمة لها بان يجعل منه وتمامه في الاحكام . ورب كل شيء مالكه . والمراد بساعة اللقاء[1] وقت الحساب في يوم القيامة . فان لكل انسان موقفاً خاصاً[2] به لاجل الحساب بين يدي الله تعالى حتى الانبياء والمرسلين . قال الله تعالى يوم يسأل الصادقون عن صدقهم . وقيل في قوله صلعم في السبعين الفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد لم يكن دخول الجنة في حسابهم لا انهم لا يحاسبون كما ذكره الشيخ الشعراني في اليواقيت والجواهر :

اذا رمت ان تقرا تعوذ مبسملا وخذ من وجوه اربع لك منتقى
فقطع لكل عن سواها ووصلها واولى عن الاخرى وبالعكس حققا

---

١) وردت اللقا . ٢) في الاصل «موقف خاص» .

تعوذ فعل امر مبني على السكون . ومبسملا حال من فاعل تعوذ . يقال بسمل الرجل اذا قال بسم الله الرحمن الرحيم يعني افعل ما هو المختار لك من هذه الوجوه الاربعة : فالاول قطع كل اي كل واحد من الاستعاذة والبسملة والسورة عن سواها اي عن غيرها . فقطع الاستعاذة عن البسملة وقطع البسملة عن السورة .

والثاني وصلها اي وصل كل واحد من الاستعاذة والبسملة والسورة بالاخرى وهو عكس الاول .

والثالث قطع الاولى اي الاستعاذة عن الاخرى اي عن البسملة فقط ووصل البسملة بالسورة .

والرابع بالعكس اي وصل الاستعاذة بالبسملة وقطع البسملة عن السورة وليس المراد خصوص السورة بل كذلك كل اية اراد افتتاح القرآة بها كما يفهم مما سيأتي . والمراد غير سورة برآة لانها نزلت بالسيف . قال ابن القاصح يعني ان برآة نزلت على سخط ووعيد وتهديد . وفيها اية السيف . قال ابن عباس: سألت عليا رضي الله عنها لم لم تكتب في برآة بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : لان بسم الله امان وبرآة ليس فيها امان نزلت بالسيف وفي التيسير . واعلم ان المستعمل عند الحذاق من اهل الاداء في لفظ الاستعاذة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم دون غيره وذلك لموافقة الكتاب والسنة . اما الكتاب فقول الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. واما السنة فما رواه نافع عن جبير بن مطعم عن ابيه عن النبي صلعم انه استعاذ قبل القراة بهذا اللفظ بعينه . وقال ابن القاصح في شرح الشاطبية بعد نقله حديث نافع المذكور وحديث ابن مسعود وهو ما روى عنه انه قال قرأت على رسول الله صلعم فقلت : اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . فقال لي: ابن أم عبد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال وكلا الحديثين ضعيف لانه لو صح ذلك لذهب اجمال الاية واتضح معناها وتعين لفظ النحل دون غيره ولكنه لم يصح فبقي اللفظ مجملا ومع ذلك فالمختار ان يقال : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة لفظ الاية، وان كان مجملا ولو ورد الحديث

به على الجملة وان لم يصح لاحتمال الصحة . وروى اخفاء التعوذ عن حمزة ونافع وجهر به الباقون وهم ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وفي التيسير ولا اعلم خلافاً بين اهل الاداء في الجهر بها عند افتتاح القران وعند الابتداء برؤوس[1] الاجزاء اي الآيات وغيرها في مذهب الجماعة اتباعاً للنص واقتداء بالسنة .

وروى اسحق المسيبي عن نافع انه كان يخفيها في جميع القرآن . وروى سليم بن حمزة انه كان يجهر بها في اول ام القرآن خاصة ويخفيها بعد ذلك في سائر[2] القرآن كذا قال خلف عنه . وقال خلاد عنه انه يجيز الجهر والاخفاء جميعاً ولا ينكر على من جهر ولا على من اخفى والباقون لم يأت عنهم في ذلك شيء منصوص . والله الموفق .

واوجه بين السورتين ثلاثة فبسملة عن اخركن مفرقا
وعن اول والعكس بمع قطع اخر ووصلك بسم الله بالسورة ارتقى

الاوجه جمع وجه المراد به الكيفية والهيئة للشيء . يقال هذا الشيء على وجهين اي على كيفيتين وهيئتين وحالتين . وفي المجمل السور جمع سورة وهي كل منزلة من البناء . انتهى . وكأن سور القرآن شبهت بسور البناء فكل طايفة من آياته تسمى سورة كما ان كل منزلة من البناء تسمى سورة .

ولما فرغت من الاوجه التي تكون في افتتاح القراة بين الاستعاذة والبسملة وما بعدهما شرعت في بيان الاوجه التي تكون بين السورتين بان يختم السورة الاولى ويشرع في الثانية سواء كانت تليها او لا ما عدا سورة برآة كما تقدم . ولا يسن في ذلك الاتيان بالاستعاذة لانها تكون في الافتتاح للتلاوة فقط تحصنا من دخول وسوسة الشيطان في قرآة القاري . واما بعد افتتاحه فالقرآن حصن له من الوسوسة فلا يحتاج الى اعادة الاستعاذة وانما تسن التسمية فقط . واوجه ذلك ثلاثة :

الاول : ان يقطع البسملة عن آخر السورة الاولى وعن اول السورة الثانية .

١) وردت بروس . ٢) وردت ساير

والثاني : عكس ذلك . وهو ان يوصل البسملة باخر السورة الاولى وباول السورة الثانية .

والثالث : ان يقطع البسملة عن اخر السورة الاولى ويوصلها باول السورة الثانية .

بقي وجه رابع منهي عنه وهو ان يوصل البسملة باخر السورة الاولى ويقطعها عن اول السورة الثانية . قال ابن القاصح : وهو لا يجوز لان التسمية لاوائل[1] السور لا للاواخر . قال : وفي الاجزاء خير اهل الاداء القاري في البسملة ان شاء اتى بها وان شاء تركها لكل القراء . وليس المراد بالاجزاء المصطلح عليها بل كل اية ابتداء بها في غير اول سورة فيدخل في ذلك الاجزاء والاحزاب والاعشار . والله الموفق .

واظهار ادغام كبير اتى لـه لدى كلمة او كلمتين متى التقى

الضمير لحفص وكلمة بكسر الكاف وسكون اللام لغة فيها والاظهار هو ضد الادغام والادغام في اللغة عبارة عن ادخال الشيء . وفي الاصطلاح ان تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك فتصيرهما حرفاً واحداً مشدداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة وهو بوزن حرفين . والادغام كبير وصغير . فالكبير ما اذا التقى حرفان متماثلان او متجانسان او متقاربان في كلمة او كلمتين وكان الاول من الحرفين متحركاً وسمي بالكبير لتأثيره في اسكان الحرف المتحرك قبل ادغامه . وهذا الادغام لابي عمرو خاصة وليس لعاصم فيه شيء ولا لغيره . فلذلك جاء الاظهار فيه عن حفص والادغام الصغير هو ما اختلف في ادغامه من الحروف السواكن على ما سيأتي كادغام الباء الساكنة في الفاء نحو : ومن لم يتب فاولئك . وذال ذو ودال قد ولام هل وبل ولا يكون الا في المتقاربين . والله الموفق .

وتسكين ميم الجمع كيف انت وان يكن ساكن من بعدها قد تحققا

---

١) وردت اوايل .

ومن قبلها هاء غدا الكسر قبلها او الياء بالتسكين فاضممه ملحقا
لكسرة هاء قاصرا بدلا وخذ ثلاثا لمد لازم جاء مطلقا

وتسكين مرفوع بالعطف على اظهار في البيت قبله اي التسكين اتى له ايضاً وكيف شرطية تقديرها كيف اتت تأتي بالسكون قال في المغني: وتكون شرطاً فتقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو: كيف تصنع اصنع ولا يجوز كيف تجلس اذهب باتفاق ومن ورودها شرطاً ينفق كيف يشاء. يصوركم في الارحام كيف يشاء . وجوابها في ذلك محذوف لدلالة ما قبلها . وهذا يشكل على اطلاقهم ان جوابها يجب مماثلته لشرطها انتهى.

واجاب الشمني عن هذا بانا نقدر الجواب فعلًا مضارعاً من جنس المثبتة متعلقاً بالحدث الذي قبلها والتقدير كيف يشاء الامور يشاء تصويركم اي لا بين المثبتتين الا بالتعلق . فصدق ان شرطها مماثل لجوابها وان جوابها محذوف لدلالة ما قبلها الى آخر عبارته وملحقاً على صيغة اسم الفاعل حال من الضمير المستتر وقاصرا حال ايضاً من الضمير المستتر ومطلقاً حال من فاعل جاء يعني ان ميم الجمع وهي الميم التي تأتي في آخر اسم او فعل او حرف دالة على الجمع المذكر فان كان ما بعدها متحركاً فانه ينطق فيها حفص بالسكون سواء وقف عليها او وصلها ما لم يكن بعدها ساكن وقبلها احد شيئين .

اما هاء مكسور ما قبلها او هاء قبلها ياء ساكنة فحينئذٍ ينطق فيها بالضم ويكسر الهاء في حالة الوصل خلافاً لابي عمرو فانه يكسر الميم في هذه الحالة. واما في حالة الوقف فقد اجمعوا على كسر الهاء وسكون الميم . فمثال ما قبلها هاء مكسور ما قبلها بهم الاسباب في قلوبهم العجل ومن دونهم امرأتين ونحو ذلك . ومثال ما قبلها هاء وقبل الهاء ياء ساكنة عليهم القتال ويريهم الله يؤتيهم الله اعمالهم . ارسلنا اليهم اثنين ونحو ذلك . قال ابن القاصح : اعلم ان ميم الجمع الواقع قبل الساكن قسمان قسم لا اختلاف في ضمه وهو ما لم يقع قبله هاء قبلها كسرة او ياء ساكنة نحو عليكم الصيام وقسم فيه خلاف وهو ما وقع قبله ذلك والقراء فيه على ثلاث مراتب في حال الوصل منهم من ضم الهاء والميم وهو حمزة والكسائي ومنهم من كسر الهاء والميم وهو ابو عمرو ومنهم

من كسر الها. وضم الميم وهم الباقون . واما الوقف فكلهم كسروا الها. فيه ولا خلاف بين الجماعة ان الميم في جميع ما تقدم ساكنة في الوقف انتهى.

ثم قولي قاصرًا بدلًا الى آخره شروع في بيان المدود واحكامها . قال ابن القاصح المد في هذا الباب عبارة عن زيادة المد في حروف المد لاجل همز او ساكن والقصر ترك تلك الزيادة والمد طول زمان الصوت والقصر الاصل لعدم توقفه على سبب بخلاف المد واصل القصر الحبس ومنه حور مقصورات اي محبوسات ومد البدل نحو آدم وآزر وآمن . فان المد بدل الهمزة الثانية . فان حفصًا يقصره يعني لا يمده مدًا طويلًا مقدار ثلاث ألفات ولا متوسطًا يعني مقدار ألفين وانما يقصره يعني يمده مقدار ألف وكذلك جميع القراء . الا ان لورش ثلاثة اوجه فيه القصر كسائر[1] القراء. والمد والتوسط الا ما استثنى كما هو في الشاطبية وشروحها . وقولي وخذ ثلاثًا اي الفات ثلاثًا لمد لازم جا. مطلقًا اي كلميًا كان او حرفيًا مثقلًا كان او مخففًا . قال ابن القاصح وذلك نحو الضالين والطامة ودابة وحاجة تومه واذكرن والله خير ونحو ذلك مما هو واجب الادغام ممدود مدًا مشبعًا عند جميع القراء. انتهى.

وهذه امثلة الكلمي المثقل لانه يعقبه التشديد . ومثال الكلمي المخفف وهو الذي لا يعقبه التشديد نحو الآن وقد كنتم به تستعجلون الآن وقد عصيت قبل . ومثال الحرفي بنوعين سبعة احرف وهي المقطعة في اوائل[2] السور وهي لام كاف صاد قاف سين ميم نون. والله الموفق .

وفي مثل طه القصر والمد قد اتى   لعين كذا فيه التوسط اطلقا

يعني ان مثل طه من الحروف المقطعة اوائل[2] السور مما كان على حرفين فانه يجب فيه القصر وذلك خمسة احرف الطا. والها. والرا. واليا. والحا. والمد والتوسط في عين من جميع الفواتح . وذلك في كهيعص وحم عسق والمد افضل من التوسط وذلك لجميع القراء .

---

١) وردت كسابر .   ٢) وردت اوايل.

ومتصلًا فامدد ومتفصلًا معاً وبالالفين اجمله والنصف اوفقا

يعني ان حفصاً يمد المتصل والمنفصل مقدار ألفين ونصف نحو اولئك ويسي. بهم وقرؤ وما انزل اليك وفي امها رسولًا وقالوا امنا ويروي عنه قصر المنفصل من طريق الطيبة. والله الموفق .

له وصل هـا فيه مهانا وكلمة بلا الف ضع همزتيها محققـا

له الضمير راجع الى حفص . قال ابن القاصح ان القراء كلهم لم يصلوا هاء الضمير اذا وقعت قبل ساكن لان الصلة تؤدي الى الجمع بين الساكنين بل تبقى على حركتها ضمة كانت او كسرة نحو يعلمه الله ربه الاعلى وكذا . اذا كانت الصلة الفاً وذلك في ضمير المؤنث المجمع على صلته بها مطلقاً فان صلتها تحذف للساكن بعدها نحو من تحتها الانهار فاجاءها[1] المخاض والذي تحرك من قبله من هاآت الضمير المذكر التي ليس بعدها ساكن فكل القراء يصلها بواو ان كانت مضمومة وبياء ان كانت مكسورة نحو امانه فاقبره وختم على سمعه وقلبه . واعلم ان الصلة تسقط في الوقف الا الالف في ضمير المؤنث والذي قبله ساكن من هاآت الضمير موصول لابن كثير وحده ما لم يكن بعدها ساكن كما سبق فانه لا يصلها متابعة لكل القراء. والاول نحو اجتباه وهداه وعقلوه وفيه وعليه واليه ووافقه حفص على صلة ويخلد فيه مهـانا في سورة الفرقان خاصة. وقولي كلمة الى آخره يعني ان الكلمة اذ كان لها همزتان سواء كانتا مفتوحتين نحو أأنذرتهم او الاولى مفتوحة والثانية مضمومة نحو قل : أأنبئكم او الاولى مفتوحة والثانية مكسورة نحو:أإن لنا لاجراً فان حفصا يحقق الهمزتين من غير تسهيل ولا ادخال الف بينها .

وليس له تسهيـل غير أأعجمي واذ هيتم الاحقاف بالهمزة انتقى
وان كان في نون وان يوتى مثله وفي آل عمران فذلك حققـا
وانكم الاعراف ان لنا بهـا وامنتم طـه وفي الشعرا رقى

[1] وردت فاجائها .

بواقعة انا لمغرم ثم في ... ائنا فقل بالهمزتين متى التقى
كذا ائذا ائنكم وائمة ... ائنكم في العنكبوت تحققا
وانكم فيها لتاتون فاحشا ... بواحدة الآن والخمسة ارتقى
بمد طويل او بتسهيل همزة ... به السحر وصلا عاصم لك اطلقا

له الضمير راجع الى حفص وانا لمغرم اصل ذلك انا لمغرمون وائنكم اصلها ائنكم فحذفت الهمزة الثانية لضرورة الشعر لتأتون فاحشا اصله لتأتون الفاحشة يعني ان حفصا لا يسهل في القرآن الا قوله تعالى في سورة فصلت ءاعجمي فانه يسهل الهمزة الثانية مع القصر من غير ادخال الف بينهما ويقراء اذهبتم طيباتكم في سورة الاحقاف بهمزة واحدة وكذلك ان كان ذا مال في سورة نون والقلم يقرأها بهمزة واحدة وكذلك أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم في سورة آل عمران يقرأها بهمزة واحدة ايضاً وكذلك انكم لتأتون الرجال وان لنا لاجرا كلاهما في سورة الاعراف بهمزة واحدة وكذلك قوله تعالى : قال فرعون امنتم به في الاعراف ايضاً بهمزة واحدة ومثله في سورة طه امنتم له وفي سورة الشعراء امنتم له وكذلك قوله تعالى : انا لمغرمون في سورة الواقعة بهمزة واحدة واما ائنا فبالهمزتين حيث وقع وكذلك ائذا وائنكم وائمة متى وقع بهمزتين محققتين وكذلك ائنكم لتأتون الرجال في سورة العنكبوت واما انكم لتأتون الفاحشة في العنكبوت ايضاً فبهمزة واحدة وقولي الآن والخمسة الى آخره يعني ان ستة مواضع في القرآن لسائر[1] القراء فيها وجهان : المد على الالف المبدلة مقدار ثلاث ألفات ، الثاني تسهيل الهمزة . وذلك قوله تعالى : الآن في موضعي يونس والذكرين في موضعي الانعام وآلله اذن لكم في يونس وآلله خير في النمل . واما قوله تعالى في سورة يونس : وما جئتم به السحر فكذلك فيه وجهان لابي عمرو خاصة وبقية القراء بالوصل وذكرت عاصماً لانه محل وفاق مع راوييه . والله الموفق .

ولا تبدل الهمز المسكن حققن ... لهمزين من لفظين جاءك مطلقا

١) وردت لساير .

اصل حققن حقق فاتصلت بفعل الامر نون التوكيد الخفيفة فبني على الفتح بعد بنائه على السكون يعني ان الهمز المفرد اذاكان ساكناً او مجزوماً فلا ابدال فيه والمراد بالساكن ما كان سكونه لا لعامل نحو الرأس والبأس والمجزوم ما كان لعامل نحو: ان يشأ. يسكن الريح ، ان يشأ. يعذبكم وان اسأتم فلها واما الهمزتين من لفظتين فها محققتان اسواء اتفقا فتحاً نحو جاء احد جاء امر الله اذا جاء اجلهم او اتفقا ضمّاً نحو اوليا. اولئك[1] في ضلال مبين وليس في القرآن غيرهما او اتفقا كسراً نحو من النساء الا ما قد سلف لامارة بالسوء الا من السماء الى الارض او اختلفا وهو ستة : الاولى مفتوحة والثانية مضمومة نحو جاء امة رسولها في سورة المؤمنين وليس في القرآن غيره من هذا النوع او الاولى مفتوحة والثانية مكسورة نحو نقيٌ الى او الاولى مضمومة والثانية مفتوحة نحو: نشأ اصنباهم بذنوبهم او الاولى مضمومة والثانية مكسورة نحو يهدي من يشاء الى صراط مستقيم او الاولى مكسورة والثانية مفتوحة نحو هؤلاء اهدى او الاولى مكسورة والثانية مضمومة نحو على الملاء امة وهذا معنى قولي جاءك[2] اعني الهمزتين مطلقاً .

يلتكم بلا همز لئلا النسيْ ضع ولا نقل في همز ولا سكت الحقا

ضع اي ضع الهمز . قال ابن القاصح بعد نقله ابن الدوري عن ابي عمرو وقد قرأ لا يألتكم من اعمالكم بهمزة ساكنة. ولما تعين ان لفظ يألتكم بالهمز للدوري وان السوسي ابدلها الفا تعين للباقين غير ذلك وهو ترك الهمزة وحذف الالف المبدلة منه فصار لفظه يلتكم بغير همز ولا إلف وهو قرأة الباقين انتهى .

ودخل حفص في الباقين ونقل في لئلا حيث وقع نحو لئلا يكون لئلا يعلم انه قرأ الباقون يعني غير ورش بهمزة مفتوحة بين اللامين وكذلك قوله تعالى في سورة التوبة : انما النسيء قرأ غير ورش بياء ساكنة خفيفة بعدها همزة مرفوعة تمد الياء لاجلها انتهى .

واما نقل الهمزة الى الساكن قبلها فيتحرك بحركتها وتسقط هي من اللفظ

---

١) وردت اولئك . ٢) وردت جاءك .

كما هي قرأة ورش ورواية عن حمزة في الوقف نحو من آمن قد افلح . فقرأة الباقين ترك النقل . ومنهم حفص . قال في التيسير بعد نقله ذلك عن ورش والباقون بتحقيق الهمزة في جميع ما تقدم مع تخليص الساكن قبلها انتهى . واما السكت المروي عن حمزة يعني اذا وصل الكلمة التي اخرها ذلك الساكن بالكلمة التي اولها همزة يسكت بينهما على الساكن فان مذهب الباقين ترك السكت .

وفي عاد الاولى لتنوينه اكسرن بوصل وفي الوقف افتح الهمز محدقا

اكسرن فعل امر اتصلت به نون التوكيد الخفيفة فبني على الفتح وباء بوصل للسببية والتحديق شدة النظر كذا في الصحاح يعني ان قوله تعالى وعاد الاولى في سورة النجم في الوصل باسكان لام التعريف وكسر التنوين الذي في عاد لالتقاء الساكنين هو واللام وبهمزة مضمومة ممدودة بعد اللام وفي الوقف على عاد والابتدا بالاولى بهمزة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم همزة مضمومة ممدودة .

ولا وقف مع ابدال همز لعاصم واظهار اذ في سجدة صد زد انتقى

اي اختار والضمير لعاصم يعني ان الوقف على الهمز مذهب حمزة وهشام فانهما كانا يقفان على الهمزة الساكنة والمتحركة اذا وقعت طرفا في الكلمة بتسهيلها فاذا سهلا المضموم ما قبلها ابدلاها واوًا في حال تحريكها وسكونها نحو قوله تعالى : ولؤلؤ وان امرؤ وشبهه ولم تأتِ في القرآن ساكنة واذا سالا المكسور ما قبلها ابدلاها في الحالين ياء نحو وهيّ لنا ونبىّ عبادي واذا سهلا المفتوح ما قبلها ابدلاها في الحالين الفًا نحو وذرا. وبدا. والملا وتمامه في التيسير. واما مذهب الباقين ومنهم عاصم تحقيقها في الوقت مطلقًا وذكرت عاصمًا لان راوياه حفص وشعبة قد وافقا . ثم ان ذال اذا قد اظهرها عاصم ايضًا ووافقه راوياه عند ستة احرف وهي الرموز لها بقولي سجدة صد زد السين والجيم والدال والتا. والصاد والزاي ولا عبرة بالدال المكررة فاظهارها عند السين نحو قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن ليس اذ سمعتموه ظن ليس اذ سمعتموه قلتم وليس غيرهما وعند الجيم نحو واذ جعلنا واذ جاتهم ونحوه عند الدال نحو اذ دخلوا في الحج وصاد والذاريات واذ دخلت جنتك وليس غيرهما وعند التا.

نحو اذ تبرأ اذ تخلق ونحوه وعند الصاد نحو واذ صرفنا ولا ثاني له وعند الزاي نحو واذ راغت وليس غيرهما . والله الموفق .

وقد عند سين شين الصاد وضادها وذال وجيم ظاء الزاي حققا .

وضمير ضادها راجع الى قد وحقق فعل ماضي والالف للاطلاق يعني ان عاصماً ايضاً قد اظهر دال قد عند ثانية احرف وهي السين والشين والصاد والضاد والذال والجيم والظا. والزاي مثال اظهارها عند السين نحو قد سألها قوم قد سمع وعند الشين نحو قد شغفها حباً ولا نظير له وعند الصاد نحو ولقد صدقكم الله . ولقد صرفنا وعند الضاد نحو فقد ضل ضلالا ولقد ضربنا وعند الذال نحو ولقد ذرأنا لجهنم ليس غيره وعند الجيم نحو قد جملوا لكم لقد جاءكم رسول وعند الظا. نحو فقد ظلم نفسه لقد ظلمك وعند الزاي نحو ولقد زينا السما. وليس غيره :

وتاء لتأنيث لدى السين جيم ثا وظاء وزاي بعدها الصادُ قد رقى
كذا لام بل هل عند تا ثا وطاء ظا وزاي وسين ضادِ النون منتقى

يعني ان عاصماً اظهر تا. التأنيث ايضاً عند ستة احرف وهي السين والجيم والثا. والظا. والزاي والصاد مثال اظهارها عند السين نحو انبتت سبع سنابل وعند الجيم نحو كلما نضجت جنوبهم وجبت جنوبهم وليس غيرهما وعند الثا. نحو كذبت ثمود المرسلين وعند الظا. نحو وانعام حرمت ظهورها وعند الزاي نحو كلما خبت زدناهم لا غير وعند الصاد نحو حصرت صدورهم لهدمت صوامع وليس غيرهما . واما لام بل وهل فقد اظهرها عاصم ايضاً عند ثانية احرف وهي التا. والثا. والطا. والظا. والزاي والسين والضاد والنون فلام بل توجد قبل غير الثا. فمثال اظهارها عند التا. نحو بل تأتيهم بغتة . وعند الطا. نحو بل طبع الله . وعند الظا. نحو بل ظننتم ولا نظير له . وعند الزاي نحو بل زين للذين كفروا بل زعمتم ان لن ليس غيرهما وعند السين نحو بل سولت موضمان بيوسف ليس غيرهما وعند الضاد نحو بل ضلوا عنهم ولا ثاني له . وعند النون نحو قالوا بل نتبع ما وجدنا بل نحن محرومون ونحوه ولام هل توجد قبل ثلاثة

احرف من هذه الثمانية التاء والثاء والنون . فمثال اظهارها عند التاء نحو تنقمون مناهل تعلم له وعند الثاء نحو هل ثوب الكفار وليس غيره. وعند النون هل ننبئكم بالاخسرين هل ندلكم . والله الموفق .

وادغام إذ في الذال والظا وقد بتا ودال كذا تاء لتأنيث التقى
لدى الدال تا طاء كذا لام هل وبل بلام وراء ساكن المثل اطلقا

التقى اي اجتمع . ولما فرغت من الاظهار المختلف فيه شرعت في الادغام المتفق عليه وذلك ان القراء اتفقوا على ادغام ذال اذ في الذال والظاء نحو : اذ ذهب مغاضباً ، اذ ظلموا . وادغام دال قد في التاء والدال نحو : قد تبين ، قد دخلوا . وادغام تاء التأنيث في الدال والتاء والطاء نحو اجيبت دعوتكما فما ربحت تجارتهم ودت طايفة وادغام لام هل وبل في اللام والراء نحو هل لكم بل لا يكرمون بل ربكم ثم قلت ساكن المثل اطلق اعني اذا وجد حرفان متماثلان واولهما ساكن فقد اتفقوا على ادغام ذلك ايضاً وقولي اطلقا اي سواء كان في كلمة نحو: يدرككم الموت او في كلمتين نحو : وما بكم من نعمة ولا يخرج من هذا العموم الا حرف المد نحو : امنوا وعملوا الذي يوسوس فانه واجب الاظهار فيه ولا يدغم .

واظهر بجزم ما تقارب مخرجا امالة مجراها بمحض فحققا

اصل فحققا فحققن بنون التوكيد الخفيفة فانقلبت الفاً لاجل القافية . وهذه الحروف التي تقاربت مخارجها ثمانية احرف الباء واللام ~~والفاء~~ والذال والثاء والراء والنون والدال . فان عاصماً اظهرها مع غيره من القراء وهي مجزومة نحو : ومن لم يتب فاولئك ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ويخسف بهم فنبذتها اورثتموها واصبر لحكم ربك والقلم من يرد ثواب واشباه ذلك والامالة ضد الفتح وهي تنقسم الى صغرى وكبرى . فالكبرى متناهية في الانحراف والصغرى متوسطة بين اللفظين اي بين لفظ الفتح ولفظ الامالة . ويقال للكبرى امالة محضة وللصغرى امالة بين بين وليس لحفص غير امالة راء قوله تعالى : مجراها

مع فتح الميم نقط امالة محضة .¨ قال في التيسير وامال حفص مجراها في سورة هود لا غير . والله الموفق .

وادغام با اركب بميم لها تلي كذلك في طسم تعلقا

يعني ان قوله تعالى يا بني اركب معنا ادغم عاصم ومن معه من القراء باء اركب في ميم معنا وكذلك ادغم النون من هجا طسم في الميم . والله الموفق .

وتفخيم راء ذات فتح وضمة سكون وشيء منهما قبلها ارتقى

اي سكون وسكون بتقدير حرف العطف وضمير منهما راجع الى الفتح والضم يعني ان الراء يجب تفخيمها اذا كانت مفتوحة لسائر[1] القراء الّا من أمال منها شيئاً[2] فانه يرققه وكذلك اذا كانت مضمومة فانها مفخمة للجميع الّا لورش فان له فيها مذاهب . قاله ابن القاصح : واذا كانت ساكنة وقبلها ضمة او فتحة فهي مفخمة ايضاً ترجمون وكرسيه وقرية وشرقية وغربية وشبهه :

ومكسورة رقق وساكنة تلي لاصلي كسر بعدها العلو احتقا

المراد بالعلو حرف من حروف الاستعلاء[3] التي يجمعا قولك خص ضغط قظ ويقال محقه وامحقه لغة فيه اي اذهبه نقله في الصحّاح يعني انّ الراء اذا كانت مكسورة فلا خوف في ترقيقها لجميع القراء واذا كانت ساكنة لغير الوقف سكوناً لازماً او عارضاً متوسطة او متطرفة وصلاً ووقفاً فقد رققها القرآء السبعة باتفاق ان كان قبلها كسرة متصلة لازمة وليس بعدها حرف استعلاء متصل مباشر او مفصول بألف في الفعل والاسم العربي والاعجمي نحو شرعة ومرية وشرذمة والاربة وفرعون واستغفر لهم فانتصر واصبر . واما اذا وقع بعدها حرف من حروف الاستعلاء فانها تفخم للجميع نحو فرقة وقرطاس وبالمرصاد وارصاداً . واما قوله تعالى فكان كل فرق كالطود العظيم فقد وقع اختلاف القراء في التفخيم والترقيق فمنهم من فخم الراء فيه للجميع لوقوع حرف الاستعلاء بعدها ومنهم من رققها لانكسار حرف الاستعلاء بعدها ولانكسار القاف قبلها والوجهان جيدان . قاله ابن القاصح .

١) وردت سابر . ٢) وردت شيأ . ٣) وردت الاستعلا .

وفخم راء قبلها الكسر عاصم   او الياء بالتسكين واللّام رققا
متى بعد صاد طاء ظاء اتت وان   تجد بعد ياءات الاضافة الحقا
لمفتوح همز سكن الكل عاصم   معي ابدًا فافتح معي او تحققا
ومكسور همزمثله اجرى افتحن   وامي والمضموم تسكينها انتقى

يعني ان عاصمًا فخم كل راء ساكنة او متحركة باي حركة كانت اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة مثال الاول يبشرهم وسراجًا وشبه ذلك. ومثال الثاني خبير او نذير ولا ضير . واما اللّام فقد رققها عاصم اذا وقعت بعد الصاد والطاء والظاء نحو على صلاتهم تابوا واصلحوا آيات مفصلات له طلبا مطلع الفجر وبتر[1] معطلة ظل وجهه فيظللن وشبه ذلك . واما ياآت الاضافة والمراد بها ياء المتكلم المتصلة بالاسم نحو سبيلي او بالفعل نحو ليبلوني او بالحرف نحو اني . وذلك على ثلاثة انواع اما ان يقع بعدها همزة مفتوحة او مكسورة او مضمومة . اما الياء الواقعة بعدها همزة مفتوحة فهي ساكنة عند عاصم ومن وافقه والواقع منها في القرآن تسعة وتسعون موضعًا نحو اني اعلم واني اخلق وشبهه . واما معي ابدًا في سورة التوبة ومعي او رحمنا في سورة الملك فقد فتحها حفص ومن وافقه . واما الياء التي وقعت بعدها همزة مكسورة فهي كذلك ساكنة عند عاصم ومن وافقه ايضًا والواقع منها في القرآن اثنان وخمسون موضعًا نحو مني الا ويدي اليك وربيّ الى صراط مستقيم وشبهه. واما امي الهين في سورة المائدة وان اجرى الا في تسعة مواضع بيونس وموضعان بهود وخمسة مواضع بالشعراء. وموضع بسبا فقد فتح الياء حفص في جميع ذلك. واما الياء التي وقعت بعدها همزة مضمومة فهي كذلك ساكنة عند عاصم ومن وافقه والواقع منها في القرآن عشرة مواضع نحو واني اعيذها واني اريد واني امرت وشبهه . والله الموفق :

وان قبل ال كانت فبالفتح دائمًا   وتسكين عهدي الظالمين فقط رقى
ومن قبل همز الوصل سكن واذ تكن   بلا همزة فالفتح جاء محققا

---

١) وردت بتير .

لمحياي لي قل حيث جاء كذا معي   ووجهي وبيتي حفص الكل حققا

يعني ان يا. الاضافة اذا وقعت قبل ال والمراد قبل همزة الوصل المصاحبة للام التعريف فانها مفتوحة حيث جاءت دائماً[١] عند حفص ومن وافقه. والواقع منها في القران اربعة عشر موضعاً نحو ان ارادني الله بضر ربي الذي يحيي ويميت عبادي الصالحين وشبهه . واما قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين في سورة البقرة فهي بالسكون لا غير . واما اذا وقعت يا. الاضافة قبل همزة الوصل المنفردة عن لام التعريف فهي بالسكون حيث جاءت . والواقع منها في القران سبعة مواضع نحو اني اصطفيتك واخي اشدد ويا ليتني اتخذت وشبهه . واما يا. الاضافة اذا وقعت قبل غير الهمزة من بقية حروف المعجم فهي بالسكون ايضاً . والواقع منها في القران ثلاثون موضعاً نحو ان هذا صراطي مستقيماً وان ارضي واسعة وليومنوا بي لعلهم وشبهه. واما قوله تعالى محياي في سورة الانعام. وقوله تعالى في سبعة مواضع وما كان لي عليكم من سلطان في سورة ابراهيم ولي فيها مآرب في سورة طه وتفقد الطير. فقال ما لي لا ارى في سورة النمل وما لي لا اعبد الذي فطرني سورة ياسين ولي نعجة واحدة ما كان لي من علم بالملأ في سورة ص . ولي دين في سورة الكافرين . وقوله تعالى معي في في احد عشر موضعاً معي بني اسرائيل في سورة الاعراف ومعي عدوا في سورة التوبة ومعي صبرا في ثلاثة[٢] مواضع في سورة الكهف ذكر من معي في سورة الانبيا. ان معي ربي سيهدين ومن معي من المؤمنين في سورة الشعراء ومعي ردا في سورة القصص وتقدم التصريح بوضعين معي ابدا في سورة التوبة ومعي او رحمنا في سورة الملك وقوله تعالى: اسلمت وجهي لله في سورة ال عمران وجهت وجهي للذي في سورة الانعام . وقوله تعالى من بيتي مؤمناً في سورة نوح وبيتي للطائفين في سورة البقرة والحج فان جميع ذلك بفتح اليا. .

(يتبع)

١) وردت دايما .   ٢) وردت ثلاث .

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلّامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف (التاء)

تابور — (عبرانية) بمعنى تل مرتفع .

تدمر — (سامية) بمعنى العجيبة (سريانية) وسماها اليونان (بلميرا Palmyre) أي مدينة النخل .

ترشيش — عبرانية — بمعنى ارض صخرية ومنها مجدل ترشيش في أعالي متن لبنان .

تل بسطه — مصر — يونانيتها (بوباستس). وبالمصرية القديمة (باحت باست) وفي التوراة فيسته وبالقبطية بوباستي منحوتة من بشت ربة مصرية لها فيها هيكل عظيم — هي نسبة الى المعبود — باسط .

تل سقف — أي التل المنتصب لانه مخروطي الشكل .

تل كيف — آرامية بمعنى (تل الحجارة) من قرى نينوى .

تِرْبُل — قرية في بقاع العزيز (لبنان) قيل ان الحاكم العربي في سورية المجوفة جلب سكانها من جبل تربل فوق طرابلس الشام وهو تحريف طرابلس (تري بوليس) أي المدن الثلاث فسموها باسم بلادهم . وقيل اسمها (ترّا بلّا) أي الارض الجميلة .

تونس — قيل ان اسمها اليوناني (تنس) بمعنى تقدم . واسمها القديم (ترشيش) راجعها هنا . وهي على ميلين من قرطاجنة بدأت شهرتها بزمن بني الاغلب ثم في عهد الدولة الحفصية في القرن السابع للهجرة . كان حاكمها في اوائل القرن الحادي عشر للهجرة سنة ١٠٩٩ هجرية يلقب باسم (داي) التركية

بمعنى (الخال) وآخرهم الداي ابرهيم آخرباشا عثماني هنـاك ١٧٠٥ م. ثم البايات (جمع باي) وهم الباشوات الحكام في تونس من قبل الدولة العثمانية كان بدء دولتهم سنة ١١١٧ هجرية . وأولهم المولى الباشا حسين بن علي المتوفى سنة ١١٥٣ هـ .

ترابوزان — في رحلة اولياچلبي هي تحريف (ثير بروزين) اليونانية ومعناهـا (رأس الشقعة) أو (وجه الحجر) بشمالي البترون في لبنان على شاطئ البحر والمكان عالٍ يشرف على البحر .

تونيثه — كلمة سريانية بمعنى متأسفة . وهي على مرتفع فوق مدينة زحلة ويمكن ان تكون تحريف (ماتوتا) (Matuta) إلهة الفجر والموانئ والبحر والولادة عند الرومان .

حرف الثاء

ثاج — موضع في البحرين .

ثاجة — ناحية في مكة المكرمة .

الثباج — جبل من جبال اليمن .

ثبير — ثبير غيني وثبير الاعرج وثبير منى وثبير آخر . فثبير الاعرج هو أشهر هذه الجبال الاربعة لانه مشرف بمكة على الطارقين ويقال الثبيران جبلان مفترقان . وهذه الجبال الاربعة كلها في بلاد العرب كما جاء في معجم ياقوت .

ثرم — جبل باليمامة .

الثريا — بئر من آبار مكة المكرمة .

ثافت — موضع في اليمن .

ثافل — جبلان من تهامة — أحدهما ثافل الاكبر والآخر ثافل الاصغر .

الثلماء — ناحية من نواحي اليمامة كما ذكرها ياقوت .

ثنية العقاب — وهي ثنية تطل على غوطة دمشق وما بين هذه الاخيرة وحمص .

ثيبة — بلدة مصرية عاصمة الفراعنة القديمة راجعها في حرف الطاء — طيبة — من هذا المعجم .

نياترة — وهي بلدة استعمرها المكدونيون في آسيا الصغرى وعترها سلقوس نيقاطور — واسمها القديم سميراميس واوهيبا وبيلونيا وكان يعبد فيها — أبلون — معبود الشمس وأصل اسمه مكدوني كما يظهر .

حرف الجيم

جبل طارق — ان هذا الجبل هو صخرة عظيمة وحصن منيع يحرس المدخل الغربي للبحر الابيض المتوسط وهو على مدينة عظيمة يديرها سكانها بأنفسهم. ويخترق المدينة من بين صخرتها المظيئة شارع طويل الى مرفأها ونسب الى طارق بن زياد القائد العربي الباسل الذي فتح اسبانية من هذا المدخل وبنى قلعة حصينة كانت تعدّ اذ ذاك أول قلعة من نوعها وأكبر من مثيلاتها وقضى طارق بن زياد الفاتح ٣١ عاماً في بنائها اذ شرع في وضع أول حجر من أساسها سنة ٧١١ مسيحية عندما اقتحم اسبانية. ويطل الجزء المنحدر من الصخرة شمالاً بغرب على المدينة القائمة امام الجزء الممتد تجاه القلعة المراكشية وهي قلعة طارق القديمة .

الجبّ — من السريانية (جُوبا) بمعنى البئر وتركبت منها اسماء كثيرة مثل جب جنّين في البقاع وجب عدين .

جبّاثه — عبرانية — بمعنى (بلاط) أو — مسطبة مرتفعة — في سورية .

جِبْعُون — معناها بالعبرانية (مدينة الجبل) وهي من امهات مدن فلسطين على بعد نحو خمسة أميال عن أورشليم الى شمالها الغربي .

جبعه — عبرانية — بمعنى تل أو أكمة ومثلها (جبعون) كما مرّ وهي من قرى بلاد بعلبك .

جبيل — لبنان — اسمها القديم كابونا (مدينة الاسرار) .

جرجا — اصلها جرج بلدة من زمن الاسرة ١٩ بمصر .

جرابلوس — كما تسميها العرب والاتراك يسمونها جرابلس ولعلها محرفة عن هيرابوليس اي المدينة المقدسة عند اليونان وهي على بعد ست ساعات عن (بيره جاك) وهيرابوليس هي كركيش عاصمة الحثيين وموقعها (أي كركيش) على الفرات في الشمال من نهر الساغور المعروف الآن بالساجور

في الشرق من حلمان او حلفـان وهي حلب ومن خرزاز وهي اعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد كمكوما المعروفة الآن ببلقيس. وروى سايس في كتابه (الحثيين ان اسم هيرابوليس نقل الى مبوغ او منبج ونقل اليها ايضاً هيكل عشتروت الالهة ومنها اسم هيرابوليس وبعد خراب منبج رد اسم هيرابوليس الى كركميش . واعزاز سميت هزاز ايضاً .

جَرَش — ويقال جُرَش مدينة في شرق الاردن أخربتها أشبه بأطلال تدمر في بادية سورية ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٣: ٨٤) من طبعة مصر فقال (جُرَش) من مخاليف اليمن من جهة مكة وهي في الاقليم الاول . وقال في تسميتها من (اجرشوا) البشوا وقال ياقوت إنه لم يَرَ جرش بهذا المعنى والجرش الصوت ومنه الملح الجريش . ونسبت الى جرش واسمه منبه بن سلم من بني حمير بن سباء . وقال في انساب البلدان لابن الكلبي : باسم جرش قبائل من افناء الناس تجرشوا . ثم في صفحة ٨٥ ذكر ياقوت (جَرَش) في شرق الاردن ونسبها الى جَرش بن عبدالله من بني كلب بن وبرة. والارجح بل الاصوب انها اما من اسم جَرب بمعنى تكية العجزة يونانية . او انها من (جيراست) او (جراشت) (Gereste) اسم اله يوناني وروماني ابن جوبيتر (المشتري) كما ذكرت في مجلة (الآثار) في المجلد الرابع .

جسمانية — عبرانيتهـا (جشمن بمعنى معصرة زيت — بستان او كرم زيتون قرب اورشليم في غبر وادي قدرون كان المسيح يتردد اليه مـع تلاميذه لا سيا في الليلة التي أُسلم فيها .

جعيتا — قرية صغيرة قرب عجلتون من كسروان فيها النبع الغزير من مغارة في حضيض الجبل بجانب مجرى نهر الكلب تعرف (بمغارة جعيتا) وهي مغارة كبيرة كلسية الحجارة في جدرانها وسقفها متحجرات كلسية وهذا الينبوع هو اكبر الينابيع التي يتكون منها نهر الكلب وقد جرت مياهه الى بيروت ومعنى — جعيتا بالسريانية (الضجة) .

جَلْبُوع — عبرانية بمعنى (الفوّار) نسبة الى ينبوع كبير في شمالي هذا الجبل تسميه التوراة بئر حرود او ينبوع اسرائيل وهناك قرية علـى الجبل الآن

باسم جلبون وسميت بعهد ايرونيوس جلبونس واسم النبع الآن عين الجالود.
جلجال — محلان في فلسطين غربي الاردن ومعناه بالعبرية الحرية والثاني مدينة هناك .
جلجثة — بمعنى الجمجمة الجبل الذي صلب عليه المسيح في اورشليم . واسم لمحل بجبل ڤاليريان قرب باريس ويقال جبل الجلجلة .
جلعاد — السلط — معنى جلعاد مكان صخري مستوعر . وهو صقع جبلي في شرقي الاردن وظنّ بعضهم انها مركبة من—جل—بمعنى كومة و—عاد— بمعنى شهادة اشارة الى الحجارة التي اقامها يعقوب ولابان وسميت — بتل الشهادة — لقوله ان هذه الحجارة هي شاهد بيني وبينك .
جليل — Galilée — معناه — كورة — او دائرة وكان بزمن الرومان ولاية كبيرة بعد ان كان دائرة ضيقة من بلاد حول قادش نفتالي شملت ٢٠ بلدة منحها سليمان الحكيم لحيرام ملك صور جزاء خدمته له في نقل اخشاب الارز من لبنان الى اورشليم لبناء الهيكل . وكانت تلك البلاد موطناً للغرباء فسماها أشعيا النبي — جليل الامم — (متى ٤ : ١٥) وتقلبت بها الايام .
جوسيه — بلدة خربة بين بعلبك وحمص لعلها روبيجوس Robigus الاله الحامي القمح من اللفع عند الرومان .
جورة منطاش — قرب الزوق في كسروان .
جيرون — من (جيروس) اليونانية بمعنى (ساحة الكنيسة) وباب جيرون حول الجامع الاموي الكبير في دمشق .

حرف الحاء

حدسيت — بمعنى احد الستة او — حدو — سيتو اي حد الصخر (سريانية) .
حرتعله — بعلبك — لعلها من — حيرتا — بالسريانية اي حصن . ومعناها بصيغتها — الحصن العالي — او هي من كلمتي — حور — المصرية وتعله — بمعنى تعالى .
حرمون — اسم الجبل الشامخ الذي يقابل دمشق ذكرته التوراة بهذا الاسم وهو

اله كان له هيكل على اعلى الجبل . وحرمون — عبرانية — بمعنى — قمة عالية — وسماه العرب جبل الشيخ . وعلى قمته اكتشف السرتشارلسورن نحو سنة ١٨٦٨ حجراً عليه كتابة يونانية فأستأذن رشيد باشا والي دمشق بنقله الى متحف لندن وقد قرأ الكتابة سنة ١٩٠٣ كلرمنت غانوفاذا فيها ما ترجمته — بأمر الاله الاكبر القدوس كل من ... واستدل من الكتابة ان هذا الإله سامي كان يعبد في قمة الجبل وهو الذي سمي — بعل حرمون — وآثار هيكله اطلال دارسة الآن .

حَضْرَمَوْت — بمعنى — دار الموت — وهي بلاد العرب وحضرموت القسم الجنوبي من البلاد العربية بين اليمن وعدن وعمان — والاسم يوناني — وذلك ان العرب سموا اليمن — آرابياسيناسيتا —) ثم سموا ذلك القسم — ادراميتيون — باسم قسم صغير في آسية الصغرى على شاطئ البحر غرباً كانت فيه مدينة بهذا الاسم — والحرف — ث — يقولون فيه العرب — واو .

حلب — حيلبون بالكرنك — وحلبون بمعنى مخضب من اسماء حاب وقرب دمشق بلدة اسمها — حلبون .

حماة — بمعنى قلعة او حصن مدينة قرب حمص . وحامات بلدة في رأس الشقعة فوق البترون في لبنان .

حمص — آرامية بمعنى (الارض المنبسطة) وفي العربية — الحُمصة ـ البطن من الارض اللين الوطء .

حوران — من ولاية سورية الى قبلي دمشق والراجح ان اسمها من — حور — العبرانية بمعنى الكهف والغار وفيها الكثير من المغاور والكهوف تؤيد هذا القول وحفر بعضها لخزن الحنطة والماء . وسماها الرومان — اورانيتس — وهو الاصل العبراني المذكور . وكانت فيها مملكة باشان — (راجع بثنية) .

الحِيَرَة — عراق — من حِيرتا السريانية بمعنى الحصن ومنها — حرتغله — مرت فيها قبل .

الحُولة — اسم بحيرة في فلسطين والحولة معناها الانخفاض .

حيفا — (عبرانية) بمعنى الفرضة والمرفأ — وقيل بمعنى الجميلة وهي مدينة

في فلسطين وعلى شط البحر الرومي (المتوسط) وسماها اليونان — سيكمينوس — بمعنى القوت لكثرته فيها . وكانت حصينة افتتحها الصليبيون بعد حصار اسبوعين وخربت ثم جددها ظاهر العمر الزيداني سنة ١٧٦١ في مكان يبعد عن المدينة القديمة نحو كيلو مترين من انقاض تلك وشيد فيها الابراج وهي فرضة لطبرية وحوران وشرقي الاردن .

حلب — قال احمد زكي باشا في كتابه — قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي المطبوع بمصر سنة ١٨٩٩ في ٩٥ صفحة بقطع الثمن وفي الصفحه ٣٦ ما نصه : « حلب — مدينة شهيرة بالشام اسمها عند الفراعنة — خالو بو — وعند الاشوريين — خالبان — وكانت تسمى قديماً — بيريا — وتسمى الآن عند الفرنج — Alep .

حلا — سريانية بمعنى الرمل . ومنها حوش حالات قرب رياق في بقاع العزيز ومنها قرية حلا — في جبل القلمون (فوق البقاع) .

حوش تحالا — في بلاد بعلبك سريانية بمعنى — حوش القوة .

حرف الخاء

خانقاه — اسم بلدتين احداهما في مصر كانت تسمى — عين شمس — والثانية في اواسط آسيا في تركستان تبعد ٣٠ ميلاً عن خيوه الى شرقها الشمالي . والخانقاة كلمة فارسية بمعنى — بيت — وقيل اصلها — خونقاه — اي الموضع الذي يأكل فيه الملك .

خربة قنافار — راجع قنافار في هذا المعجم .

خربوت — خربوط — اسمها القديم حصن زياد . قال ياقوت — خرتبرت — مدينة بين آمدو ملطيه وهي الى ملطيه أقرب .

الخرطوم — مدينة في السودان هي الآن عاصمتها انشأها ابرهيم باشا المصري عوض سنار او أبيض ؟ لما فتح السودان . وكانت الخرطوم قرية صغيرة للصيادين . فانشئت فيها المعسكرات الثابتة وترسانة للسفن وسميت بالخرطوم وهو فم الفيل النافذ لان ملتقى النيلين فيها يشبه رأس خرطوم الفيل .

(يتبع)

الى عازف القصب

عزفتَ فسالت عيون القصبْ
لحوناً ملء الربى والهضبْ
فجرّحت مني الجوارح حتى
أثرتَ شعوري وقلبي انطربْ !
ورقرقت لحنكَ خمرًا بأذني
كَكاسٍ عليها همى وانسكبْ ...
فاسمع آناً هتاف الحنين
وأسمع آناً صراخ الغضبْ !
ولحنٌ تعالى ولحنٌ ترامى
ولحنٌ تناهى ولحنٌ وثبْ !
تُنقّل تلك الأنامل فوق
الثقوب فترقص رقص اللهبْ ..
ومن ظنّ غصناً أليف اليباس
يثير النفوس ويهمي الطربْ !
وتلك العيون تمليت منها
سقتني ما تسقي بنت العنبْ .!
ولم أدرِ يوماً بأنّ العيون
تغني فيا للعجيب العجبْ !!

زحلة – لبنان
رياض معلوف

على قبر أبي العلاء المعرّي

بقلم رياض معلوف

من نادي القلم الدولي والعصبة الأندلسية

لسنين خلت وفيما كنت مسافراً الى الشهباء عاصمة سيف الدولة كان لا بد لي من المرور بحماة مدينة النواعير التي تئن أضلاعها أنين العاشق الولهان! فاستوقفتني هذه الدوائر الشجية المليئة بالشعر والألحان! بما أضفته على تلك الناحية المخضوضرة من النضاضة والبهجة! وبما تملأ به أجواء حماة — دوائر الأنغام هذه من أصوات عذبة مطربة تأخذ بمجامع القلوب!

ومن طريف قول ابن نباتة في الناعورة:

وناعورةٍ قالت وقد ضاع قلبها وأضلعها كادت تعدُّ من السقمِ
أدور على قلبي لأني فقدتــه وأما دموعي فهي تجري على جسمي!

ومن لطيف ما أنشده أيضاً في الناعورة — شيخه علا الدين بن القضامي:

وذات شجو أسالت مدامعاً لم تصنها
تبكي بفرط دموع ويضحك الروض منها..

وبعد زيارتي القصيرة لحماه تركتها ونواعيرها وقصدت المعرّة على صهوة سيارة تسابق الريح وطول الطريق كنت أعلل النفس وأعدّ الثواني للوصول الى معرّة النعمان القرية الشعرية ذات المناظر الباهرة والتي ولد ودفن فيها فيلسوف المعرّة فوصلت اليها وكلي عيون لأرى بأم العين ما سمعته وقرأته عنها وعن المعرّي! فوجدت القبر الذي ضمّ شتات الشعر لا بل أجوده في قلب جامع المعرّة. كالذخيرة المحتفظ بها بل الكنز الذي يُضنّ به! خيفةً عليه من الضياع! وبين الشعر والعبادة الالهية نسابة وقرابة واتصال وثيق! ولساعتي تهيبت المزار واختلجت نفسي من فرط الغبطة لبلوغي ما كنت أتمناه وهو هذه الزيارة التي هي فرض على كل من حمل قلماً وكتب حرفاً ... وكدت من ولهي بالرزايا

أقبّل التراب الذي ضمّ رفات شاعر الشعراء وبليغ البلغاء !.. وتحيط بالمكان أشجار الحور والصفصاف على ما أذكر ... ويمرّ النهر ناحية القبر بشجيّ هديره ووثبات مويجاته ! ليطرب روح صاحب — اللزوميات — وسقط الزند — هناك في ذلك الإطار الشعري دُفن أبو العلاء المعرّي الذي أراد أن يُكتب هذا الشعر على قبره لانه لم يتزوّج ولم يجن على غيره :

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد... ذلك الاعمى الذي نظر بثاقب بصيرته وأدرك من المجد الشعري ما لم يدركه شاعر مبصر لا قبل ولا بعد... هذا الشاعر الكفيف البصر الذي كان كله عيوناً ... تبصر وتنظر وتحدّق وتحقق !

ولأبي العلاء المعرّي في وصف — الشمعة — قوله :

وصفراء لون التبر مثلي جليدة على نوب الأيام والعيشة الضنكِ
تريكَ ابتساماً دائماً وتجلّداً وصبراً على ما نابها وهي في الهلكِ
ولو نطقت يوماً لقالت أظنكم تخالون اني من حذار الردى أبكي !..
فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته فقد تدمع العينان من كثرة الضحكِ !..

ومن قوله في هجاء شويعر :

بأي لسانٍ ذمني متجاهلٌ عليَّ وخفق الريح فيَّ ثناء
تكلّم بالقول المضلل حاسدٌ وكل كلام الحاسدين هراء !
ومن هو حتى يحمل النطق عن فمي اليه وتمشي بيننا السفراء
واني لمثرٍ يا ابن آخر ليلةٍ وان عزَّ مال فالقنوع ثراء
ومذ قال ان ابن اللئيمة شاعرٌ ذوو الجهل مات الشعر والشعراء !
أتمشي القوافي تحت غير لوائنا ونحن على قوّالها أمراء ...
وأي عظيمٍ راب أهل بلادنا فانّا على تغييره قدراء
وما سلبتنا العز قط قبيلة ولا بات منا فيهم أسراء
ولا سار في عرض السماوة بارقٌ وليس له من قومنا خفراء
ولسنا بفقرى يا طغام اليكم وانتم الى معروفنا فقراء !!

ولله ما أبدع قوله وهو يرثي فقيهاً وهذه الدالية جرت مجرى الأمثال واستساغتها الأفئدة والأسماع :—

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنّم شادي
وشبيهٌ صوت النعيّ اذا قيس بصوت البشير في كل نادِ
أبكت تلكم الحمامة أم غنّت على فرع غصنها الميّادِ
صاحِ هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عادِ
خفّف الوطء ما أظنّ أديم الأرض إلا من هذه الأجسادِ
وقبيح بنا وإن قدم العهد هوان الآباء والأجدادِ
سر إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العبادِ . .
ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأضدادِ
تعبٌ كلها الحياة فما أعجب إلا من راغبٍ في ازديادِ
إن حزناً في ساعة الموت أضعاف سرور في ساعة الميلادِ . .
ودّعا أيها الحفيّان ذاك الشخص ان الوداع أيسر زادِ
واغسلاه بالدمع ان كان طهراً وادفناه بين الحشى والفؤادِ
واحبواه الأكفان من ورق المصحف كبراً عن أنفس الأبرادِ
واتلوا النعش بالقراءة والتسبيح لا بالنحيب والتعدادِ

ويتلخص بلباقة شعرية فائقة وفلسفة في حتمية المصير النهائي لكل حي :

كل بيتٍ للهدم ما تبتني الورقاء والسيد الرفيع العمادِ
والفتى ظاعنٌ ويكفيه ظلّ السدر ضرب الأطناب والأوتادِ
بان أمر الإله واختلف الناس فداعٍ الى ضلال وهادِ
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدثٌ من جمادِ
واللبيب اللبيب من ليس يغترّ بكونٍ مصيره للفسادِ . . .

والى ما هنالك من آيات في — سقط زنده — ولزومياته وهذه الأخيرة تمشقها وتولّه بفلسفتها وحكمتها العرب والفرنج حتى تُرجم أكثرها الى اللغات الحيّة وهذا لعمري هو المجد كله !

تعريف عن الكتب

عبقرية الفاطميين

اضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين

بقلم محمد حسن الاعظمي

٢٤٠ صفحة – منشورات دار مكتبة الحياة

ليس كالفاطميين جماعة ظلمت ، من مرقب التاريخ ، في الاسلام . فهذه الموجة التي انطلقت من المغرب نحو المشرق ، كان لها من التأثير ما بقي ، ولم يندثر . ولم تقتصر ، كالاموية والعباسية ، على الاستئثار بسدة الخلافة والسلطان ، بل تجاوزتها الى دعوة ترتكز على فلسفة تستحق التقصي والدرس .

عملت هذه الحركة ، بعد انتشارها في المغرب ، الى العودة من حيث اتت . فقيض للمعز لدين الله ان يفتتح ، على يد قائده جوهر الصقلي ، مصر ويقيم فيها الى جانب الخلافة اسسا لمدنية – مع ما في التعبير من تحفظ – ما لبثت ان ازدهرت واضافت الى التراث الاسلامي ، فأنبتت فلسفة جديرة بالاهتمام[1] .

« وقد قامت مدنية الفاطميين ، كما يقول المؤلف ، على ثلاث ظواهر[2] .

الاولى مدنية التشييد والتعمير . . .

اما الظاهرة الثانية في المدنية التي تقوم على نشر الادب وفنون الحكمة ونواحي العلوم المختلفة ولا سيما الدينية منها . والاكثار من الكتب وبناء الخزائن والمكتبات . . .

اما الظاهرة الثالثة في نشر العقائد الفاطمية بطريق الدعاية ، والانصاف يحتم علينا ان نقول ان الفاطميين لم يرغموا الناس على الاخذ بمذهبهم واعتناق عقائدهم اذ هم يعلمون ان خطة الارغام والاكراه لا توصل الى شيء . واصدق برهان على ذلك ان حكمهم قد لبث في مصر زهاء ثلاثة قرون ثم لا نسمع

١) كفلسفة اخوان الصفاء .

٢) صفحة ٨٣

ولا ترى احداً في مصر يعتقد عقائدهم ... لان شعار دعوتهم كان لا اكراه في الدين في حين كان غيرهم من الخلفا. اذا ارتأى رأياً او انتحل نحلة يرغم عليها سواد الناس ويحمل الجميع بقوة السيف على اعتناقها كما حصل ذلك عند القول بخلق القرآن في عهد العباسين » .

ان الخلافة الاموية رعت حركة الشعر فاحرز بعض تقدم. وجاءت العباسية فاحتضنت حركة الشعر والنقل والترجمة والتاليف والطب والفلسفة فاعطت حضارة تزهو بها الفكر العربي . الا ان الفاطمية ابهمت في هذا كله — ولم يقتصر امرها على الرعاية والاحتضان — ومن هنا هذا التفرد في تاريخ الاسلام. الا انه لم ينل نصيبه من التقدير ، بقدر ما نيل منه وسُعي الى طمسه ، والى تشويهه . فاذا كان للايوبين من فضل في طرد الصليبين ، فان جنايتهم على التاريخ وما يمت اليه ، تكاد الا تغتفر . وليس فقط لرعايتهم كل ما يشوه حقيقة الفاطميين ، بل لما جنوا على الفكر ، باتلافهم واحراقهم لاكثر مكتبات هؤلاء . والمعروف انه « كان للفاطميين في القاهرة مكتبات منها اربعون خزانة في قصر الخلافة وحده ملأى بنفائس المؤلفات » .

ويعنى المؤلف بدحض الاباطيل التي الصقت بالفاطميين ، وكادت ان تقوم ، مع بعض الباحثين ، مقام حقائقهم . ويشاء سوء حظهم — ان كان للحظ من تأثير في حياة الامم والافراد — ان يطاردهم هذا التشويه ، او ما يدانيه ، حتى هذا اليوم . ولكن الامر لم يخل ممن انصفهم كابن خلدون وابن الاثير.

ان عبرة الحوادث بالنتائج . ومهما يكن من خلاف حول صحة دعوتهم[1] فان تاريخهم المجدي بحاجة الى وضعه في الموضع اللائق . فقد اعطوا للفكر ما يثريه ، وللحضارة العربية ما يدفع في اوصالها دماً جديداً ، على نقيض ما كان قد تسرب اليها من ضعف ، في حضارة بغداد التي بدت ، على مقربة منهم ، كمريض يماشي صحيحاً جميلاً .

ولعل ان الناس ابداً يثير حفيظتهم — ان اعجاباً وان كراهية — وقوفهم امام الالغاز . فلا ريب في ان ما ساعد على اتهامهم بكل فرية ، راجع الى

1) اذا كان ذلك ما زال قائماً ...

تسربلهم بالتقية والاحاجي . بل ان الحاكم بامر الله ، احد ائمتهم وخلفائهم ، وقد عرف بقوة الشكيمة والبطش ، لم يؤثر عنه اي اكراه للجماهير على اعتناق عقائدهم . فقد تركوا للناس حرية الاختيار . ولم يفرضوا عليهم لعنة احد في مساجدهم . ومعاوية بعلي قد فعل .

ويكفي ان الفاطميين يوم ابتنوا القاهرة والازهر ، كدار للحكمة ، تركوا للمذاهب المحمدية الاخرى مقاعدها في التدريس . وكانوا اول من حقق مثل هذا الفضل . وهذه دلالة ماجدة على انهم ليسوا من الترمت كما يتهمهم المغرضون .

والكتاب اصلاً — او هذا هو المفروض — ليس لالقاء الاضواء على حركة الفاطميين ، بقدر ما هو الضوء الطارد للظلمة المكتنفة حياة الشاعر الامير تميم ابن المعز لدين الله . وقد توسع المؤلف الكريم ببحثه حتى كاد ان يأتي باشياء جديدة ، شبه مطمورة ، عن مآثر الفاطميين .

لقد ذهب احد الباحثين المعاصرين[1] انه لو اتيح للقرامطة ان يتفقوا مع الفاطميين لكان الامر وبالاً على العرب ... ولا ندري وجه المقارنة بين الدعوتين . « ولكنهم — اي القرامطة ، كما يقول الاستاذ الاعظمي — ما لبثوا ان اوقدوا نار الحرب وكان اول حطب لنارها هم الفاطميون انفسهم » . وما ذنب محمد في ظهور مسيلمة الكذاب ؟

ولا ادري وجه الشبه ، ايضاً ، بين القرمطية والموحدين (الدروز) في ما ذهب اليه المؤلف . فهل يصح هذا الجمع ؟ ام ان لديه من الادلة — لم يبسطها مع الاسف — ما يخوله هذا ؟ وهو اذ يذكرهم مع القرامطة كدلالة على « خزعبلات » لا تسلم منها الدعوات ، قال : « وكذلك بدأ الدروز دعوتهم في ولاية الامام الحاكم واتخذوا منه شخصية عظمى »[2] .

١) الدكتور شكري فيصل : « العربي » عدد ١٧ . وليذكر قول ابن خلدون في مقدمته : « ... واعتبر حال القرمطي اذ كان دعيا في انتسابه ، كيف تلاشت دعوته وتفرقت اتباعه وظهر سريعاً على خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة ... »

٢) صفحة ٤٧

وعلى ذكر الحاكم بامر الله ؛ فان هذا الرجل قد رمي بكل فرية ، والصقت به حتى تهمة محاولة اغراء اخته التي سعت – على ما تتابع الرواية – بتدبير قتله . ولم يأت المؤلف بجديد حول شخصية هذا الامام . واشار لماماً الى انه مظلوم . ولعله ترك ذلك لسواه .

وكم كنا نود لو انه توسع عن « الدروز » . ولعل في هـذا التجاهل لشؤونهم فجوة ، برأينا ، في كتاب المؤلف الفاضل . ذلك ان كتاباً يحاول تأكيد عبقرية الفاطميين ، يحسن بـه الا يغفل ابن الموحدين[1] (الدروز) والعلويين[2] . فان هاتين الفرقتين تظلمان ، هكذا ، هما الاخريان .

واستطاع كاتب المقدمة ان يساعد على التعريف باسماء كان لها عظيم الاثر في نشر الدعوة الفاطمية وتعميقها وفلسفتها . كابي يعقوب اسحاق السجستاني واحمد حميد الدين الكرماني[3] .

ومن الطريف محاولة اثبات المؤلف ان المعز لدين الله الفاطمي ، هو أول من وضع وصفاً دقيقاً لاقلام الحبر . بل انه اخرج فكرته « بان صنع قلم الحبر من الذهب » .

قلت ، قبل ، ان المؤلف قد وضع كتابه كتحقيق لديوان الامير تميم ، فيحسن بنا ان نعرض الى هذا الجانب الممتع من الكتاب النفيس[4] .

اتخذ من شعر هذا الامير دلالة على اصالة الادب الفاطمي . ومن فلسفة «اخوان الصفا» كما يحاول مع الاستاذ عارف تامر – كاتب مقدمة الكتاب – ان يردها الى الفاطميين . ومن الائمة ، ودور الامامة ، لكشف الغطاء عن عقائدهم وصحة دينهم ، واصالة نسبهم الى فاطمة الزهراء . . .

قال تميم الشعر في ضروبه المختلفة . « وان كان قد تأثر بشاعر فان هذا

---

١) ومنهم شاعر عظيم كابي العلاء المعري ، على ما حاول مارون عبود اثباته في كتابه : « زوبعة الدهور » وامام عظيم كالسيد عبدالله التنوخي ومقامه في عبيه – لبنان .

٢) نعني جمهور علويي الشام .

٣) صفحة ١٢٠ .

٤) ومقدمته من اروع ما جاء في الكتاب .

الشاعر ابن المعتز لانهما يتفقان في المذهب البياني وفي حسن التشبيه وطرافة الاسلوب والتحرر من بعض القيود، وكان لا بد ان تقع بينهما المنافسة والمساجلة فابن المعتز عباسي يدافع عن ملك آبائه ، وتميم فاطمي يدافع عن قضية اهل البيت »[1] .

وقد قال فيه ابن رشيق :

اصح واقوى ما سمعناه في الندى ... من الخبر المأثور منذ قديم
احاديث ترويها السيول عن الحيا ... عن البحر عن كف الامير تميم[2]

ومن غزل الامير تميم :

يا عذبة الوصل والصدود ويا ... اعتق ثغرا من ابنة الدن
ولم اذقه ولا سمعت بمن ... ذاق ولكنه كذا ظني
بل تعشقتها بلا حرج ... كان وقبلتها ولا اكني
ولم تكن قبلتي موافقة ... بل خلسة نلتها بلا اذن

وقال :

يا شادنا جرد من لحظه ... سيفاً فلم يبق به حيا
اردد على القلب من قبل ان ... يعلم خلق بيننا شيا
وقل لعينيك ترد الذي ... قد سرقت من نوم عينيا

وقال :

بابي من شربت من راحتيه ... مثل ما قد شربت من مقلتيه
وسقتني تحب المناق ثناياه ... رحيق السلاف من شفتيه
كلما علني ثناياه حيا ... في بورد الشقيق من وجنتيه
وبرمانتي قضيب لجين ... بهما قال مثل راد فقيه
... ضاقت القميص ان تحيط بردفيه ... ونهديه فانشققن عليه

وفي الوصف ، قال :

وناطقة كلما حركت ... وليست بناطقة في السكون

---

١) صفحة ١٣٦

٢) اورد ابن خلكان هذين البيتين في مدح تميم بن المعز باديس الافريقي (وفيات الاعيان) كما يقول المؤلف .

تئن اذا دار دولابها فتطرب سامعها بالانين
وتبكي وليست بمحزونة بكا. اطحب الكئيب الحزين
... فتهوي فوارغ في بئرها .وتصعد منها ملأى العيون
كأن مدامعها فضة مذوبة لونها اسجوني

وكان للنساء معاشراً، وللخمرة معاقراً، ولا ينزك قوله : « ولم اذقه ولا سمعت بمن ذاقه »:

قصرت على دير القصير مجوني ورحت بمالي فيه غير مصون
وكان به للراح عندي وللصبا ديون، فلم امطل قضاء ديوني
اذا بكر الناقوس باكرت شربها وخالف أديان الناقوس ديني
ورحت صريعاً بين كأس مدامة وترجيع اوتار ولحظ عيون
ولم تهتك اللذات ستر مروءتي ولا افسدت فيه الذنوب يقيني

ولعل ان لتهتكه يداً في اقصائه عن خلافة والده المعز لدين الله . مكتفياً من دنياه بما اتيح له من حرية في قرض الشعر ومعاقرة الخمرة . وان لم يقصر شعره على ذلك .

هذه بعض خطوط بارزة عرض لها المؤلف باسلوبه المتين في كتاب يعد بحق، من المحاولات الجادة التي اخذت على عاتقها طرد الظلمة المكتنفة تاريخ الفاطميين . والعمل — بالتالي — على احلالهم المحل اللائق بهم، في تاريخ الاسلام والعرب . فليس كتاريخ هذا العالم العربي — الحادثي والثقافي — بحاجة الى اعادة نظر وتصنيف . سيما وان الناطقين بالضاد على عتبة نهضة يأمل المخلصون ان تكون مباركة . ولعل المؤلف من هؤلاء الذين اخذوا على عاتقهم، بما تؤهلهم له ثقافتهم، ان يبدأوا هذه العملية الشاقة والماسة .

ومما تجدر الاشارة اليه، الموضوعية التي يتحلى بها الكتاب، وهذه المصادر المتنوعة التي تعزز ما ذهب اليه المؤلف من آراء . وتلمس حرارة الدفاع عن الفاطميين، بل حسن المنافحة من دونهم؛ الا انه دفاع يرتكز الى الاستقصاء والاستقراء، وليس الى العاطفة والهوى، وهو في ابحاثنا المعاصرة، رغم كل شيء تقدم، قليل .

عادل الاعور

مختار من كتاب اللهو والملاهي

لابن خرداذبه

عاش في النصف الاول من القرن الثالث الهجري

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

حامت حول هذا الكتاب الطريف ألبابُ كثير من محبي الموسيقى العربية والادب العربي، قبل ان يخرج الى الناس مطبوعاً بحلته الجديدة هذه. فقد ظل سنين عديدة مغمور الذكر لا يُدرى كنهه؛ فكان اذا تُحدِّث عنه جاءت الاحاديث مقتضبة متباينة. الى ان قيض الله له حضرة العالم المحقق الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي، مدير مجلة المشرق الغرّاء، فاخرجه من ظلمات الجهل به والتأويل عليه، فجلاه جلاء حسناً بتحقيق فياض بالدقة، وقدَّمه الى دنيا التداول كما يقول في المقدمة منه، حلية موسيقية ادبية رائعة.

فمن خصائص هذا الكتاب الصغير الحجم؛ انه اصل من اصول الادب الموسيقي كالاغاني، وكذلك فانه ينفرد بكثير من الاخبار والاشعار التي قلما تجدها مذكورة في امهات الكتب كالاغاني ونهاية الارب. وانه — اي المؤلف — قد خص النساء الموسيقيات بفصل ممتع. وايضاً فانه قد دلَّ على كثير من كتب بعض الموسيقيين المشهورين، وهذا ما نعرفه في عصرنا باسم كتاب ال Notes او ال Solfège.

اما خصائص نشره، فابرزها الدقة العلمية، فحضرة الناشر قلما يترك فيه جملة الا ويقول فيها رأياً ويدل عليه في مراجعه، واذا تعذرت عليه جملة ما او اشكلت عليه رواية من الروايات، فانه يقول بتواضع العالِم: كذا في الاصل.

قلت لقد سخا حضرة الناشر في تعليقاته، وهذا السخاء هو لباب الاخلاص العلمي الصريح، وهذه لعمري صفة المحقق العلمي المميّزة في النشر الصحيح.

وماذا اقول في الفهارس المطوّلة التي ذُيل بها الكتاب النفيس، فانها شاهد

عيان على الجهد الوافر المبذول في اطار من العلمية ، حتى استوى كما يراه القارئ الاديب ، كتاباً قيماً قيناً بكل خزانة ادبية ترغب في اقتناء الاصول الادبية والفنية ، وتهوى العلم للعلم .

فهنيئاً للمكتبة العربية في كتابها الطريف الجديد ، وهنيئاً لادباء العرب في اصل من اصول الادب العربي يُبعث حياً ، وشكراً جزيلاً لحضرة الاب خليفه ، على ما قام به من اجل هذه التحفة الادبية حتى ابتعثها من جديد .

وكنت اتمنى على المطبعة الكاثوليكية الجليلة ، ان تخرج هذا الكتاب في سلسلة تسميها [خزانة الاصول] بدل [دروس ونصوص] ، فالكتاب من الاصول القيمة المعتمدة ، وليس من الدروس والنصوص المتداولة ، وهو اقرب الى الاولى منه الى الثانية !... ا. ي. ك

غرائب اللغة العربية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٠ – ٣٢٨ ص

قد ظهرت في اوائل آب ١٩٦٠ الطبعة الثانية المكمّلة لهذا الكتاب في ٣٢٨ صفحة كبيرة ، تحتوي اعظم غرائب لغة الضاد .

موضوع الباب الاول بعض غرائب القاموس العربي ، وهي : كثرة الصيغ والمترادفات ، كلمات فيها حكاية اصوات ، الكلمات المنحوتة ، الاتباع ، المثنى الدالّ على كائنين غير متشابهين ، بعض غرائب صيغ الافعال والاسماء ، بعض الكلمات الدقيقة المعاني ، معاني اسماء الاعلام ، اصل مئات الكلمات ، بعض غرائب الانشاد اللفظية .

موضوع الباب الثاني تأثير العربية دون سواها في نحو مئة من لغات العالم ؛ هاكم موادّ فصوله : انتاج العربية لعدة لغات عامية ، تأثير العربية في سبع وثلاثين لغة اتخذت حروفها ، تأثير العربية في اكثر لغات اوربة ، وعلى الاخص في الاسبانية ، البرتغالية ، الفرنسية ، الانكليزية ، الرومانية ، القرواطية ،

البلغارية ، الالبانية ، اليونانية . في هذا الفصل جداول لكلمات عديدة من جميع هذه الالسن مع اصلها العربي .

موضوع الباب الثالث الكلمات الدخيلة في العربية ، وعدد المذكور منها ، مع اصله بحرفه الخاص في الغالب ، نحو ٢٥١٥ . اما فصول ذلك الباب فهي تحتوي مما اندمج في لغتنا : ٩٨٨ كلمة آرامية ، ٨٥٤ فارسية ، ٤٧٢ يونانية ، ٦٧ لاتينية ، ٤٢ عبرانية ، ٣٢ تركية ، ١٧ ايطالية ، ١٢ فرنسية ، ٣١ من لغات اخرى .

في آخر الكتاب جدول ابجدي لجميع هذه الكلمات ، وفيه بعد كل منها اشارة الى اللغة الاصلية ورقم الصفحة الحاوية شرح مصدر الكلمة .

« غرائب اللغة العربية » في طبعتيها الاولى والثانية ، تباع في المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت . ر . ن .

النهضة الصحفية في لبنان

بقلم جورج عارج سعاده

منشورات دار « وكالة النشر العربي » جونيه ١٩٦٠ — ٥٢٦ صفحة

تاريخ نهضة امة في تاريخ صحافتها . هذا ما اراده المؤلف وهذا ما يبدو واضحاً للعيان بعد تصفح ابواب هذا الكتاب — الدائرة اذ فيه ترى من حسن التبويب وجمع الوثائق وسرد التاريخ ما يجعلك تفتخر بعصر انقضى وكانت المآثر تبني صرحه الفسيح .

ولقد قضى المؤلف السنين في تهيئة هذا السفر النفيس وقد سدّ ثغرة كبرى في ادابنا الشرقية وانه وان لم يتطرق إلى تاريخ الصحافة في البلاد العربية فقد نشر مجموع ما تصدره تلك البلاد من جرائد وصحف — ولا شك في ان للمؤلف الفضل الكبير في جمع ما جمع وتقديمه للقارئ . وانه فضّل مراجعة اصحاب الصحف طالباً اليهم ان يعرضوا آراءهم في الصحافة وتطويرها على البت بالامر منفردًا فاتى كتابه هذا محتوياً على آراء عديدة تتشابه كلها في جنب

الوثبة الى الامام وفي توخي الاخلاق في مهنة الصحافة المقدسة اذ هي تدريب العقول وتوجيها واحترامها في تثقيفها ، اذ ان رسالة الصحافة رسالة مقدسة تشترك مع مهنة المعلم العالية التي بها يكشف للطالب عن اسراره الداخلية ويوجه في فهم كنه الامور بروية ودراية ، إذ ان هذه المهنة الصحفية تستطيع ان تعيد لبلد قوته وصلابته او ان تهدمه وتخربه .

ففي آراء هؤلاء الصحفيين الذين كلمونا في هذا الكتاب ما يعيد للصحافة في لبنان قيمتها الكبرى لو طبقت الآراء تلك . وفي احاديث هذه الجهرة من المؤلفين توجيهات حسنة ومفيدة .

ويطلع القارئ على عدد من الصحف لم يكن ليعيرها قيمة لو لم يكن لمديرها او لمحرريها ذكر على الصعيد الوطني والحزبي .

ولذا فاننا نمحض المؤلف شكرنا ونكرر مدحنا . انما لنا عليه مآخذ طفيفة قد تساعده في أعداد الطبعة الثانية . فكان عليه قبل ان يطبع الجداول الاخيرة (ص ٥٠٨ــ٥١٧) ان يحقق في اسماء مدراء بعض المجلات التي يذكرها تحت اسماء صحف شهرية غير سياسية : ففي ما يقوله عن المجلة الكهنوتية وعن مجلة المشرق فلا ينطبق على الحقيقة . ولقد ذكر اسم الاب لويس ضاهر في الصفحة ٥١٣ وهو بالحري بولس ضاهر . ولقد ذكر المؤلف في الصفحة ٥١٢ اسم الاب الفونس صباغ ، وهو في الواقع قد ترك لسنين خلت ادارة الرسالة المخلصية . كما وقد ترك من مدة طويلة ادارة مجلة الحكمة الاب خليل ابي نادر الى ما هنالك من النقص الذي يعوض عنه بسهولة ولا يقلل البتة من قيمة الكتاب الاصلية .

لقد اتى اخراج هذا السفر النفيس كاملاً مكملاً بكل ما يتطلبه الموضوع نفسه .

ا. عبده خليفه اليسوعي

Victor-Henry Debidour : *Brève Histoire de la Sculpture chrétienne.* — Librairie Arthème Fayard — Paris, 1960 — 124 pp.

سفرة مع المؤلف الى عالم النحت المسيحي لان النحت يتطلب ان يوضع الت ال او البناء في جوه الجغرافي والنفساني لتفهم غاية المبدع الذي لم يرد الا التعبير عما يختلج به قلبه من عواطف سامية ومن علم ثاقب: فمن عظمة كنيسة مار بطرس الى فخامة كنيسة «الجزو» في رومة الى الهياكل الوضيعة التي تحيط فيها هالة قداسة بتماثيلها الخشبية ... فالمبدع لا ينصرف الى النحت الم يضع نفسه في جو انساني، في عقلية الشعب الذي منه ومن آماله يستقي. وان تكلمنا على الجو هذا فاننا لا ننفي ايضاً ضرورة العلم وتتطور التقنية .

فالمسيحية في اول عهدها انصرفت تماماً عن كل تصوير منحوت : الاصنام وتماثيل جوبتر وعشتروت وغيرها كانت تسيطر على هياكل الوثنيين وكان على المسيحين ان يهدموا ما بقي من تراث خارجي كهذا، ولذا فدخل النحت في المسيحية بواسطة القبور لتزيينها . والكنيسة الشرقية كانت السباقة في هذا المضمار واثرت على الغرب تأثيراً قوياً، في ذلك الغرب حيث الثورات السياسية لم تترك المجال لبزوغ شمس الفن . ولكن عندما استتب الامن وتكونت الحياة المسيحية الوسطية، صارت عجيبة الفن الرومان (roman): وهذا ما يصوره لنا المؤلف في هذه الصفحات . وبعد ذلك انتفض الفن الغوطي وهو فن تفجر من المسيحية . اما في عصر النهضة فتغيرت حالة الفن المسيحي . وعمد ميكال انج على التفتيش عن الله لا على خدمة الله . ولذا فان ميكال انج ادخل الفن في نضال مستمر لا يزال الى يومنا هذا . وفي الفن النحتي لم يترنح المبدع ابداً وعليه ان يتوخى سوى النهوض بالعقول البشرية نحو المبدع الاوحد، الذي خلق الجمال وهو الجمال المطلق .

في سرد هذه الحقائق اعتمد المؤلف الاسلوب السلس البسيط كي يلقن قارئه المعارف العديدة التي ضمتها صفحات هذا الكتاب وحسناً فعل وهذا ما يدل على القسط الواسع الذي توصل اليه في هذه الدروس الوحية الارجاء .

ا. ع. خ

المشرق

السنة الخامسة والخمسون — تموز–تشرين ١ ١٩٦١

المسيح في الاسلام

بقلم ميشال الحايك

دكتور في اللاهوت ، مجاز في الاداب

استاذ في الجامعة الكاثوليكية بباريس

الفصل الرابع

معجزات عيسى في طفولته

ورد في الحديث ان عدد الذين ارسلهم الله بالهدى للناس بلغ مائة واربعة وعشرين الف رسول. وقد ذكر القرآن القليل منهم باسمائهم ، ولم يقصص عن الباقين. ولكن القرآن والحديث وسائر فروع العلم الاسلامي لم تذكر نبياً او رسولاً أتى بمعجزات كالتي جاء بها المسيح

عدًا ووصفاً . ومن هذه المعجزات ما ذكر القرآن ككلام عيسى في المهد ، وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى . ومنها ما لم يذكر عنها شيئاً وقد أخذه المؤرخون عن الاناجيل المنحولة حيث تكاثرت اعاجيب المسيح في طفولته ؛ وهي مما لا تستند صحته التاريخية الى شيء ، بل هي بالاحرى من صناعة مخيلة العامة التي كان يدفع بها الفضول الى كشف النقاب عن حوالي ثلاثين سنة خفية عاشها المسيح قبل بروزه للناس .

عن هذه النصوص الموضوعة اخذ المؤرخون في الاسلام وزادوا عليها احياناً ما شاؤا من قصص واعاجيب اشترك الشعب المسيحي والاسلامي في ترديدها ؛ وان لم يدعمها في الواقع اساس تاريخي . ولقد أثبتنا النصوص العربية واصولها مع فقرة لابن العربي يحاول فيها شرح سر هذه الخاصة التي أعطيت لعيسى دون سواه من الرسل والانبياء ، خاصة المعجزات . وفي زعم ابن العربي ، صاحب النزعة الغنوصية ، ان سر معجزات عيسى يعود الى معرفته بعلم الحروف ، وعلى الاخص بعلم كلمة (كنْ) الالهية الخلاقة التي اوجدت كل شيء واوجدت عيسى نفسه ، وعيسى هو كلمة الله ، دون سواه .

المعجزات

لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر ، فلما كان ابن تسعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب واقعدته بين يدي المؤدب ، فقال له المؤدب : قل بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالها عيسى ، فقال المؤدب قل : أبجد ...[١] .

ان عيسى لما اسلمته امه الى الكتاب ليعلمه المعلم فقال له المعلم : اكتب بسم الله ، فقال له عيسى عليه السلام : ما بسم الله ؟ قال المعلم : لا أدري ، فقال له : باء بهاء الله ، سين سناؤه ، ميم ملكه ، والله اله الالهة والرحمان رحمان الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة . ابو جاد[٢] : الالف الاء الله ، الباء بهاء الله ، جيم جمال الله ، دال الله دائم . هوز : الهاء الهاوية ، الواو ويل لاهل النار ، الزاي واد في جهنم . وحطي : الحاء الله الحكيم ، الطاء الله الطالب لكل حق حتى يؤديه ، والياء آي أهل النار وهو الوجع : كلمن : كاف الله الكافي ، لام الله العليم ، ميم الله الملك ، نون البحر . صعفص : صاد الله الصادق ، والعين الله العالم ، والفاء الله الفرد ، وصاد الله الصمد[٣] . قرشت : قاف الجبل المحيط بالدنيا الذي اخضرت منه السموات ، والراء رأي الناس لها ، والشين شيء لله ، والتاء تمت ابداً[٤] .

---

١) كذا يبدأ نص الثعلبي وقد اهمله المؤلفون المذكورون ادناه .

٢) ابو جاد ، الاصل ابجد كما في باقي النصوص .

٣) البلوي يكتب صعفض ويشرح الضاد ؛ ومن المعروف ان هذا التركيب هو عبراني – آرامي – سرياني وليس في هذه اللغات حرف الضاد المختص بالعرب الذين ابقوا على اصل الترتيب .

٤) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٥١- ٢٥٢ ، يرويه عن مسعر بن كدام الصوفي ويقول انه غريب ؛ ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٧٦ ؛ السيوطي ، كتاب اللآلى المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، ١ : ٨٩ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٧ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦ ؛ وهو مأخوذ عن الاناجيل الموضوعة في مختلف نصوصها ولغاتها ، راجع انجيل متى المزعوم ، ٣١ : ١-٣ ، ٣١ ، انجيل توما المزعوم ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، في

اعلم ايدك الله ان العلم العيسوي هو علم الحروف ولهذا اعطي النفخ وهو الهواء الخارج من تجويف القلب الذي هو روح الحياة . فاذا انقطع الهواء في طريق خروجه الى فم الجسد سُمّيت مواضع انقطاعه حروفاً ، فظهرت اعيان الحروف ، فلما تألفت ظهرت الحياة الحسية في المعاني وهو اول ما ظهر من الحضرة الالهية للعالم . ولم يكن للاعيان في حال عدمها شيء من النسب الا السمع ، فكانت الاعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الامر الالهي اذا ورد عليها بالوجود . فلما اراد لها الوجود قال لها : كنْ فتكونت وظهرت في اعيانها . فكان الكلام الالهي اول شيء ادركته من الله تعالى بالكلام الذي يليق به سبحانه . فأول كلمة تركبت كلمة كنْ ، وهي مركبة من ثلاثة احرف كاف وواو ونون وكل حرف من ثلاثة ، فظهرت التسعة التي جذرها الثلاثة وهي اول الافراد وانتهت بسائط العدد بوجود التسعة من كنْ فظهر بكنْ عين المعدود والعدد . . .

وقد عرفنا الحق أن سبب الحياة في صور المولدات انما هو النفخ الالهي في قوله : فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، وهو النفس الذي احيى الله به الاعيان فاظهره . . .

فأعطي عيسى علم هذا النفخ الالهية ونسبته فكان ينفخ في الصور الكائنة في القبر او في صورة الطائر الذي انشأه من الطين فيقوم حياً بالاذن الالهي الساري في تلك النفخة وفي ذلك الهواء . ولولا سريان الاذن الالهي فيها لما حصلت حياة في صورة اصلا . فمن نفَس الرحمان جاء العلم العيسوي الى عيسى فكان يحيي الموتى بنفخه عليه السلام وكان انتهاؤه الى الصور المنفوخ فيها[٥] .

قال السدي : كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام : انطلق فقد أكل اهلك كذا وكذا ، فينطلق الصبي الى اهله فيبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء . فيقولون له : من اخبرك

نصه اللاتيني (٦ : ١ – ٤) ، والسرياني (بودج ، ٢١٩ – ٢٢١) » انجيل طفولية سيدنا » ، ٤٨–٤٩ ؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٣٠ ؛ هذه القصة قديمة ذكرها القديس ايريناوس عن انجيل مرقوسي منحول ، راجع الموسوعة اليونانية ، ٧ : ٦٥٥ .

٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١٨٧ .

بهذا ؟ فيقول : عيسى . فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا : لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له : ليسوا هنا . فقال لهم : فما في هذا البيت ؟ قالوا : خنازير ، قال : كذلك يكونون . ففُتح عنهم فاذا هم خنازير .

فنشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر[٦] .

فبلغ ذلك[٧] الملك فهمّ ان يقتل مريم وابنها فخاف عليهما زكريا فأمر يوسف ان يحملهما الى بلاد مصر ليكون هناك الى أن يكفيهما الله شر ذلك الملك الجبار[٨] . فأركبها يوسف اتاناً ووضع ولدها في حجرها وزودها زكريا بزاد واخرجها ليلًا من بيت المقدس واخذا في المسير .

فبينا هم في الطريق واذا بأسد عظيم جالس على قارعة الطريق ففزعوا منه فقال لهم عيسى : قدموني اليه فقدموه اليه فأخذه باذنه وقال له : ما الذي أقعدك هنا ؟ فقال له : يا روح الله انتظر ثورًا يقدم عليّ فآكله ، فقال عيسى : قد يكون الثور لقوم مساكين ولكن انطلق الى المكان الفلاني تجد فيه جملًا وأكله واترك الثور لاصحابه . فمضى الأسد الى ناحية الجبل[٩] .

---

٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ٣٠٧ ؛ لهذه المعجزة مصدران : اولها يستند الى ما يقول القرآن ان عيسى كان ينبىء بني اسرائيل « عما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . » وقد يكون لهذا علاقة بما يرد كثيرًا في الاناجيل الموضوعة عن معرفة المسيح الطفل بالغيب ؛ اما المصدر الثاني فحرف عن « انجيل طفولية سيدنا » ٤٠ : ١-٢ في نصه العربي والسرياني ، وفيه قصة الغلام يسوع وقد جاء يبحث عن الاولاد رفاقه ، فهرب هؤلاء واختبأوا في اتون ، فسأل يسوع نساء هناك عن الصبيان فقلن له انهن يجهلن مكانهم ، فسألهن : من في الاتون ، فأجبن : معز . فقال عيسى : لتخرج المعز ولثأت حول الراعي ، فخرج الصبيان في هيئة الجدي وبدأوا يدورون حول يسوع . اما النساء فاندهلن لدى المنظر وتضرعن الى يسوع ليعيد الصبيان الى ما كانوا عليه فأعادهم .

٧) اي حبل العذراء مريم .

٨) هو « هردوس » اي هيرودس .

٩) تجد ما يشبه هذا في انجيل متى المزعوم ، ١٨-١٩ ، الذي يورد خبر هرب يوسف ومريم والطفل الى مصر من وجه هيرودوس ، وكيف ان التنانين والاسود والنمور كانت

ثم ساروا حتى دخلوا قرية اخرى فرأى قوماً قد اجتمعوا حول دار فقال لهم عيسى : يا قوم انكم قلتم في انفسكم انكم تأتون هذه الدار في الليل وتأخذوا[١٠] مال صاحبها غصباً فلا تفعلوا فانه رجل مؤمن بالله ولكني ادلكم على كنز مات صاحبه منذ زمان ولم يترك وارثاً فخذوا منه ما يكفيكم فأجابوه الى ذلك وساروا معه حتى دلهم على محل وقال لهم : احفروا تجدوا فيه مالًا جزيلًا[١١] .

ثم سار عيسى وامه ودخلا قرية فيها ملك عظيم وقد اجتمع الناس على باب قصره وهم يسجدون لصنم من حجر. فسمع عيسى أن امرأة الملك قد تعسرت عليها الولادة وخرج نصف الولد وبقي نصفه فقال عيسى : يا قوم اذهبوا الى الملك واعلموه اني أضع يدي على بطنها فتضع ولدها سريعاً. فانطلقوا الى الملك وأخبروه بذلك ، فقال لهم : عليّ به . فأدخلوا عيسى عليه فقال له : ان في بطن زوجتك غلاماً جميلًا احدى اذنيه اطول من الاخرى وعلى صدره خال اسود وعلى بطنه شامة بيضاء . فوضع عيسى يده اليمنى على بطنها وقال : اخرج سالماً ! فولدت ولداً على الصفة التي وصفها عيسى[١٢] .

قال وهب : كان اول آية رآها الناس من عيسى ان امه كانت نازلة في دار دهقان من ارض مصر ، انزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي اليها المساكين ، فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان . فلما رأى عيسى حزن امه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها : يا اماه أتحبين أن ادله على ماله ؟ قالت : نعم يا بني ، قال لها : قولي له يجمع المساكين ، فلما اجتمعوا

تخرج الى لقاء الهاربين فتنحني ساجدة للمسيح الطفل واذ كانت مريم تخاف على ابنها كان هو يهدىء روعها: « لا تخافي يا اماه ؛ فقد تجمعت حولك هذه (الاسود والنمور) لا لتؤذيك بل لتطيع ارادتك » .

١٠) هكذا في الاصل .

١١) في الاناجيل الموضوعة تجد ان المسيح التقى بلصوص عديدين ، ومنهم الاثنان ، طيطس ودوماخوس اللذان سوف يصلبان معه ، راجع « انجيل طفولية سيدنا » ، ١٣، ٢٣ .

١٢) الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦ – ٣٠٥ .

عمد الى رجلين منهم احدهما اعمى والآخر مقعد فحمّل المقعد على عاتق الاعمى وقال له : قمْ به فقال الاعمى : انا اضعف عن ذلك ، فقال له عيسى : كيف قويتَ على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام ، فلما استقل قائماً هوى المقعد الى كوة الخزانة . فقال عيسى للدهقان : هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه ، فقال الاعمى : صدق والله . فردّا على الدهقان ماله كله فاخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال : يا مريم خذي نصفه ، فقالت : اني لم اخلق لذلك ، قال الدهقان : فأعطِه لابنك ، قالت : هو اعظم مني شأناً[١٣] .

ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين . فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب . فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمرّ عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فكلما أمرّ يده على جرة امتلأت شراباً حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة[١٤] .

---

١٣) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٧ – ٣٨٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١:٣ : ٧٣٠ ؛ هذه القصة المنسوبة الى المسيح هي من أصل عبراني ، تجدها في التلمود البابلي (سنهدرن ، ٩١ شمالاً) : « كان لملك جنينة وكان فيها تين جميل شهي ، فوضع عليها حارسين يحرسانها احدهما اعرج والآخر اعمى . فقال الإعرج للاعمى : اني أرى في الجنينة تيناً جميلاً فأحملني على كتفك ونذهب فنقطف ونأكل . فاعتلى الاعرج كتف الاعمى واكلا من التين الشهي . وبعد زمان أتى صاحب الجنينة وطالب الحارسين السارقين بالتين الجميل المفقود . فقال الاعرج : ألي رجلان لامشي ؟ وقال الاعمى : ألي عينان لابصر ؟ فماذا صنع المالك بها ؟ أجلسَ الاعرج على عنق الاعمى وعاقبهما معاً كأنهما فرد واحد » .

١٤) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١:٣ : ٧٢١ – ٧٢٣ ؛ اما في الاصل المعجزة التي صنعها يسوع في قانا الجليل ، وقد نحلت وحورت : « وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك فدعي يسوع وتلاميذه الى العرس وفرغت الخمر فقالت ام يسوع له : ليس عندهم خمر فقال لها يسوع : ما لي ولك يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد . فقالت امه للخدام :

قال وهب : لما مات هيرودس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام اوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هيرودوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وامه عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى[١٥] .

وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة[١٦] . فلما تمّ له ثلاثون سنة اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما امره به فاحبّه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره[١٧] وربما اجتمع عليه من

مهما يأمركم به فافعلوه . وكان هناك ست اجاجين من حجر موضوعة بحسب تطهير اليهود تسع كل واحدة منها مترين او ثلاثة فقال لهم يسوع : املأوا الاجاجين ماء فملأوها الى فوق فقال لهم : استقوا الآن وناولوا رئيس المتكأ . فناولوا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا ولم يكن يعلم من اين هو ، واما الخدام الذين استقوا الماء فكانوا يعلمون ، دعا رئيس المتكأ العروس وقال له : كل انسان انما يأتي بالخمر الجيدة اولاً فاذا سكروا فعند ذلك يأتي بالدون اما انت فابقيت الخمر الجيدة الى الآن . هذه الآية الاولى صنعها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده فآمن به تلاميذه » يوحنا ٢ : ١ — ١١ .

١٥) وفي الانجيل : « فلما مات هيرودوس اذا بملاك الرب تراءى ليوسف في الحلم بمصر قائلًا قم فخذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرائيل فقد مات طالبو نفس الصبي . فقام واخذ الصبي وامه وجاء الى ارض اسرائيل . ولما سمع ان اركيلاوس قد ملك على اليهودية مكان هيرودوس ابيه خاف ان يذهب الى هناك وأوحي اليه في الحلم فذهب الى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة ليتم المقول بالانبياء انه يدعى ناصريًا ، » متى ٢ : ١٩ - ٢٣ .

١٦) وفي الانجيل : « وكان يسوع يتقدم في الحكمة والسن والنعمة عند الله والناس » ، لوقا ٢ : ٥٢ .

١٧) « وكان يسوع يطوف الجليل كله يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وضعف في الشعب فذاع خبره في سورية كلها فقدموا اليه من كان به سوء من المعذبين بالامراض والاوجاع المختلفة والذين بهم شياطين والمصابين في رؤوس الاهلة والمخلعين فشفاهم فتبعته جموع كثيرة » ، متى ٤ : ٢٣-٢٥ .

المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون الفاً ، فمن اطاق منهم ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام ، وانما كان يداويهم بالدعاء شرط الايمان[١٨] .

قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فوكزه برجله فقتله، فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم، فاطلع الناس عليه فاتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له : هذا قتل هذا . فسأله القاضي ، فقال عيسى : لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه . فارادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم : أئتوني بالغلام . فقالوا له : ما تريد به ؟ قال : أريد أن اسأله من قتله . قالوا : وكيف يكلمك وهو ميت ؟ فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله تعالى فقال له عيسى : من قتلك ؟ قال : قتلني فلان ، على الذي قتله . فقال بنو اسرائيل : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم . قالوا : فمن هذا الذي معه ؟ قال : قاضي بني اسرائيل . ثم مات الغلام من ساعته .

فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه : يا بني ألم أنهك عن هذا ؟ فقال : ان الله حافظنا وهو ارحم الراحمين[١٩] .

قال عطاء : سلمت مريم عيسى بعد ما اخرجته من الكتاب الى اعمال

---

١٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٠ – قابل جزئياً بالكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦–٣٠٧ ، والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣١ .

١٩) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٩ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٣ وردت هذه القصة مرارًا عديدة في الاناجيل الموضوعة مع تفاصيل اوسع وادق من النص المذكور اعلاه ، وقد تختلف هذه التفاصيل من نص لآخر ، وهكذا فان اسم الصبي القتيل هو بوذا او زينون ، او اياس بن نامار او ارياس بن نامار ، او يوناثان بن بريا او يوناثان بن عبراي ؛ فهو حينا يسقط من شرفة بيت على الارض ويموت ، او يقذف به احد رفاقه في البئر فيغرق ، وفي كل حال يتواطأ الاولاد على اتهام يسوع ، فيُقدَّم الى القاضي ويبرر نفسه باحياء الصبي الميت وشهادته لاجل الحقيقة ، ثم يموت الصبي ، انظر د انجيل طفولية سيدنا ه ٤٤ ، انجيل الطفولة في نصه الارمني ، ١٦ : ٧–١٥ ؛ ٢٢ ، انجيل توما المزعوم ، ٩ ، انجيل متى المزعوم ، ٢٣ .

شتى[٢٠] . فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه . فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال عيسى : انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة ايام ، وهذه ثياب مختلفات الالوان،وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يُصبَغ به فأحبّ ان تكون فارغاً منها وقت قدومي ثم خرج . فطبخ عيسى عليه السلام جبّاً واحـدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها : كوني باذن الله تعالى على ما اريد منك . فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال : يا عيسى ما فعلت ؟ قال : فرغت منها . قال : أين هي ؟ قال : في الجب . فقـال : كلها ؟ قال : نعم . قال : كيف تكون كلها في جب واحد ؟ لقد أفسدت تلك الثياب . قال : قم وانظر . فقام فأخرج عيسى ثوباً اصفر وثوباً اخضر وثوباً احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الصبـاغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل . فقال الصباغ للناس : تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السـلام. فآمن به هو وأصحابه ، وهم الحواريون ، والله عز وجل اعلم[٢١] .

قال السدي : لما خرج عيسى وامه يسيحان في الارض اذ تركا بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما . وكان ملك ذلك الوقت جباراً عنيداً فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت

---

٢٠) وفي الاناجيل الموضوعة ان مريم ارسلت ابنها تعلمه جميع الحرف ، ولكنـه لم يتخذ واحدة منها له .

٢١) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٩-٣٩٠ ، الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٣ ، قابل بما يقول علي الهروي حين يتكلم عن كنيسة الشجرة في طبرية حيث جرت القصة ، مخطوطة المكتبة الملوكيـة في برلين ، عدد ٦١٣١ صفحة ٢٧ ، هذه القصة مشهورة ترددها الاناجيل الموضوعة على اختلاف نصوصها ومع بعض فروق نقل او نكثر حسب الكتب ، « انجيل طفولية سيدنا » ، ٣٧ ، انجيل الطفولـة الارمني ، ٢١ ، لقد اشتهرت ايضاً في بـلاد الفرس حيث الصباغون يتخذون المسيح شفيعاً ويسـمون مكان عملهم « محترف عيسى » , راجع الوثائق التالية :

P. Ange de St. Joseph (Joseph Ladrosse), *Gazophylacium linguae persicae*, Amsterdam. 1684, p. 439: Thilo, *Codex Apocryphus*, 150: Sike, *Evangelium infantiae*, 55.

لها مريم : ما شأن زوجك أراه حزيناً ؟ فقالت لها : لا تسأليني.. فقالت : اخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي. فقالت : ان لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده . قالت : فقولي له لا يهتم بشيء. فانه قد احسن الينا واني آمر ابني ان يدعو له فيكفي ذلك. ثم قالت مريم لعيسى ، فقال : ان فعلتُ ذلك يقع شر . قالت : فلا نبالي لانه أحسن الينا وأكرمنا ، قال عيسى : فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء، ثم أعلمني. ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدر لحماً ومرقاً وماء الخوابي خمر لم يرَ الناس مثله قط .

فلما جاء الملك اكل فلما شرب سأل : من أين هذا الخمر ؟ قال له : من ارض كذا وكذا ، قال الملك : فان خمري قد أتي بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له : من ارض اخرى . فلما خلط على الملك وشدّد عليه قال : أخبرني عن الحق . قال : فانا اخبرك ، عندي غلام ما سأل الله شيئاً الا أعطاه أياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرًا .

وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان احب الخلق فقال الملك : ان رجلًا دعا الله حتى جعل الماء خمرًا ليستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى : لا تفعل لانه ان عاش وقع شر. فقال الملك : لا ابالي بعد ان أراه ، قال عيسى : ان أحييته تتركوني أنا وامي نذهب حيث نشاء ؟ قال : نعم . فدعا الله تعالى فعاش الغلام . فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا : أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد ان يستخلف ابنه علينا فيأكلنا كما أكلنا أبوه ، فاقتتلوا وذهب عيسى وامه[٢٢] .

٢٢) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨–٣٨٩ . ان القسم الاول من هذه القصة يشبه معجزة قانا الجليل التي صنعها يسوع اذ حول الماء خمرًا ، انجيل يوحنا ٢ : ١–١١ .

الفصل الخامس

الحواريون

« لكل رسول حواريوه » ، انه حديث يتفق وفكرة القرآن الاساسية حول الرسالة . يبعث الله الى كل امة رسولاً يهديهم من الشرك الى التوحيد ، فيلاقي الرسول من الكثيرين اعراضاً ويتبعه قليل من الناس الى الهدى . اولئك هم الضالون ، وهؤلاء النفر القلائل هم الانصار او الحواريون . هكذا كان الامر بالذين خلوا من الرسل ، وهكذا اذا كان الامر بعيسى .

بُعث ابن مريم الى بني اسرائيل فكذّبه فريق منهم ، واتبعه فريق قليل العدد كانوا انصاره الى الله ، كانوا حوارييه . هؤلاء من يسميهم الانجيل رسلاً وكانوا اثني عشر .

لم يذكر القرآن احداً منهم باسمه ولم يخبر عن دعوتهم ولا عن الاحداث التي جرت لهم مدة حياة المسيح ، ولا عن تشتتهم في العالم للتبشير بما اوصاهم به المعلم . ذاك ما حاول التحدث عنه بعض المؤرخين في الاسلام ، ولكن يظهر انهم لم يعيروا هذا الموضوع اهتماماً كافياً ، فتناقلوا قصصاً يسير فيها التاريخ والاسطورة جنباً الى جنب ويتآخى بعض ما يقول التقليد المسيحي وبعض ما يقول الكتاب الاسلامي ، فيتكون من ذلك فصل فيه كثير من الغرابة . وان اصدق النصوص هي التي اوردها اليعقوبي نقلاً حرفياً عن الاناجيل .

ولكن القرآن يذكر حدثين، اولهما في سورة يس (٣٦: ١٤ـ ٢٨)، وقد رأى فيه المفسرون الماعاً الى الحواريين، وهو صدى بعيد لرحلة بولس الرسول الى انطاكية مقرونة الى قصة اغابوس الذي ورد اسمه في كتاب أعمال الرسل (١١: ٢٧ـ ٣٠؛ ٢١: ١٠ـ ١٢). واذا باغابوس هذا يصبح حبيب النجار بعد ان تعطّلت هويته.

والحدث الثاني هو سؤال الحواريين في سورة المائدة (٥: ١١٢): «يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا من السماء مائدة ...» فكانت المائدة عيداً لاول الناس وآخرهم، وفي ذلك اشارة الى ما قصته الاناجيل عن العشاء السري الوداعي.

اما كلمة حواري فهي في الاصل من لغة الاحباش («حورا» عندهم معناها رسول). ومنهم من يقول انها سريانية الاصل، وهذا التحليل ممكن ايضاً. ولا يزال المسيحيون، وريثو لغة السريان، يكرسون اسبوعاً كاملاً عقب عيد الفصح، يسمونه «سبة الحواريين.»

الحواريون

اعلم ان الحواريين كانوا اصفياء عيسى بن مريم واولياءه وارضياءه وانصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلاً اسماؤهم: شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدى ويحيى اخوه وفيليس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليا الذي يدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام[1] .

واختلف العلماء فيهم لِمَ سموا بذلك . قال ابن عباس : كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم : ما تصنعون ؟ فقالوا : نصطاد السمك . فقال لهم : ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس ؟ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : ندعو الى الله . قالوا : ومن انت ؟ قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله . قالوا : فهل يكون أحد من الانبياء فوقك ؟ قال : نعم النبي العربي . فاتبعه اولئك وآمنوا به وانطلقوا معه[2] .

وقال السدي : كانوا ملاحين . وقال ابن ارطأة : كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها .

---

١) في الانجيل نجد : « وهذه اسماء الاثني عشر رسولاً : الاول سمعان المدعو بطرس ثم اندراوس اخوه ويعقوب ابن زبدى ويوحنا اخوه وفيلبس وبرتلماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفى وتداوس وسمعان القانوي ويهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه » ، متى ١٠ : ٢-٥ ، قابل بانجيل مرقس ، ٣ : ١٦-١٩ وانجيل لوقا ، ٦ : ١٣-١٦ ، واعمال الرسل ، ١ : ١٣ ؛ يتكلم الثعلبي عن « الصفار » عوضاً عن « الصفا » وقد تكون الراء الزائدة مسببة من ناقل النص ؛ ويتكلم عن « القناني » وهو القانوي نسبة الى قانا الجليل ، قرية شمعون .

٢) نجد في انجيل مرقس ، ١ : ١٦ : ٢١ : « وفيما كان ماشياً على شاطئ بحر الجليل رأى سمعان واندراوس اخاه يلقيان شباكاً في البحر لانهما كانا صيادين فقال لهما يسوع : اتبعاني فاجعلكما صيادي الناس . فللوقت تركا الشباك وتبعاه . وجاز من هناك قليلاً فرأى يعقوب بن زبدى ويوحنا اخاه وهما في السفينة يصلحان الشباك فدعاهما الحال فتركا اباهما زبدى في السفينة مع الاجراء وتبعاه . قابل بانجيلي متى ٤ : ١٨ - ٢٢ ولوقا ٥ : ١ - ١١ . في نصوص الانجيل لا ذكر « للنبي العربي » .

اخبرنا ابن فتحويه باسناده عن مصعب قال: الحواريون اثنا عشر رجلًا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا : يا روح الله جعنا ، فيضرب بيده الى الارض سهلًا كان او جبلًا فيخرج لكل انسان رغيفان فيأكلها ، واذا عطشوا قالوا : يا روح الله عطشنا ، فيضرب الارض سهلًا كان او جبلًا فيخرج الماء فيشربون. فقالوا : يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا اسقيتنا وآمنا بك واتبعناك ؟ قال : افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء.[٢] .

قال ابن عون : صنع ملك من الملوك طعاماً فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص . فقال له الملك : من انت ؟ قال : انا عيسى بن مريم . قال الملك : اني اترك ملكي واتبعك . فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون . وقيل هو الصباغ واصحابه وقد مضت القصة .

قال الضحاك : سموا حواريين لصفاء قلوبهم . وقال عبدالله بن المبارك : سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها واصل الحور عند العرب شدة البياض ، ومنه الاحور والحور[٣] .

---

٢) قد تكون صلة بين ما ذكر الثعلبي وبين اعجوبة تكثير الارغفة كما ذكرتها الاناجيل : متى ١٤ : ١٣ – ٢١؛ ١٥ : ٣٢–٣٨ ، مرقس ٦ : ٣١ – ٤٤؛ ٨ : ١ – ١٠ ، لوقا ٩ : ١٠ – ١٧ ، يوحنا ٦ : ١ – ١٣ . وقد يكون في المفاضلة بين الحواريين ذكر بعيد لما ورد في الانجيل : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فما عساه يكون لنا ؟ متى ، ١٩ : ٢٧ ، مرقس ، ١٠ : ٢٨، ٤١ – ٤٤ ، لوقا ، ١٨ : ٢٨ ، او بالاحرى لما ورد في موضع آخر من الانجيل : وقع بينهم جدال في ايهم يُعدّ الاكبر ، لوقا : ٢٢ : ٢٤؛ ٩ : ٤٦ ، متى ، ١٨ : ١ ، مرقس ، ٩ : ٣٣ .

٣) الحور العين في القرآن : انشأهن الله انشاء وجعلهن ابكارًا لاهل اليمين ، «ازواج مطهرة» ، «كأنهن الياقوت والمرجان» ، «حور مقصورات في الخيام» ، انظر سورة الواقعة ، ٥٦ : ٣٥–٣٨ ، سورة الرحمن ، ٥٥ : ٥٦–٥٧ ، سورة الدخان ، ٤٤ : ٥٤–٥٥ ، وقال رسول الله صلعم : «ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» ، الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٨٧ .

وقال الحسن : الحواريون الانصار . وقال قتاده : هم الذين تصلح لهم الخلافة . وقال النضر بن شميل : الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلعم : لكل نبي حواري وحواريّ الزُّبير . فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام[٤] .

وكان ممّن وجّه من الحواريين والاتباع الذين كانوا في الارض بعدهم فطرس الحواري ومعه بولس ، وكان من الاتباع ولم يكن من الحواريين ، الى رومية ، واندراييس ومتى الى الارض التي يأكل اهلها الناس وهي فيما نرى للاساود ، وتوماس الى ارض بابل من ارض المشرق ، وفيلبس الى القيروان وقرطاجنة ، وهي افريقية ، ويحنس[٥] الى افوس قرية الفتية اصحاب الكهف[٦] ، ويعقوبس الى اورشالم وهي ايليا بيت المقدس[٧] ، وابن تلما[٨] الى العرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى البربر دون افريقية ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين الى اريوبس جُعل مكان يوذس زكريايوطا[٩] حين احدث ما احدث[١٠] .

---

٤) الثعلبي ، قصص الانبياء ، ٣٩٠–٣٩١ .

٥) أي يوحنا .

٦) راجع سورة اهل الكهف ، ١٨ ، وفيها نبأ الفتية الذين رقدوا « مائة سنين وازدادوا تسعاً » ثم استيقظوا وكان يخفرهم كلبهم في نومهم الطويل ، وكانت اسطورة معروفة عند العرب قبل الاسلام ، واصلها مجهول قد يكون من التلمود الاسرائيلي الذي يحكي مثلها (بابلي ، تعنيت ، ٢٣ ، يمنا) ، وهناك ما يعادلها عند المسيحيين في قصة طويلة ذكرها يعقوب السروجي (مخطوطنا الفاتيكان ١١٥ و١١٧) وفيها يتكلم عن الفتية السبعة الافسسيين الذين اضطهدهم الامبراطور داسيوس (٢٤٩–٢٥١)، فأووا الى كهف قرب مدينة افسس فسدّ بابه عليهم الى ان اكتشفهم راع فايقظهم في زمن الامبراطور تاودوسيوس الثاني اي بعد ١٩٦ سنة .

٧) ايليا ، أورشليم ، بيت المقدس اسماء ثلاثة للمدينة الواحدة .

٨) هو برتلماوس .

٩) هو يوداس الاسخريوطي .

١٠) ابن هشام ، السيرة ، ٩٧٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٧٣٧–٧٢٨ . يقول الطبري « دفسوس » عوض « افسوس » .

ومما يدل على ان الانبياء عليهم السلام يرون ويعتقدون بقاء النفس وصلاحها بعد مفارقة الجسد ، فعل عيسى عليه السلام بناسوته ووصيته للحواريين بمثل ذلك : وذلك ان المسيح لما بُعث في بني اسرائيل فرآهم منتحلين دين موسى متمسكين بظاهر شريعته يقرأون التوراة وكتب الانبياء غير قائمين بواجبها ولا عارفين حقائقها فلا يعرفون اسرارها بل يستعملونها على العادة ويجرونها على التقليد ولا يعرفون الآخرة ولا يرغبون فيها ولا يفهمون امر المعاد ولا يدرون ما فيها غير الدنيا وغرورها وامانيها ولا يدرون مما يستعملون من امر الشريعة وسنّة الدين الا طلب الدنيا ، وليس غرض الانبياء في دعوتهم الامم ووضع الشرائع والسنن واصلاح الدنيا فحسب ، بل غرضهم في ذلك كله نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى والعتق لها من اسر الطبيعة واخراجها من ظلمات الاجسام الى انوار عالم الارواح والتنبّه لها من نوم الجهالة والتيقظ لها من رقدة الغفلة وتخلصها من ألم نيران الشهوات الجسمانية المحرقة للافئدة والتبصير لها من الغرور بالذات الجرمانية المهولة وشفاءها من الامراض النفسانية ومن عذاب الحر والبرد والجوع والعطش وألم الامراض والاسقام وخوف الفقر والتلف والاحزان والاسف واحداث الزمان وغيظ الاعداء والغم على الاصدقاء وحرقة الاشفاق على الاحباء والاقرباء ومعاداة الاضداد ومكايدة الاقران وحسد الجيران ووساوس الشيطان ونوائب الحدثان حالًا بعد حال .

فلما رآهم المسيح على تلك الحالة لا فرق بينهم وبين من لا يقرّ بالمعاد ولا يعرف الدين والنبوة ولا الكتاب ولا السنة ولا المنهاج ولا الشريعة ولا الزهد في الدنيا ولا الرغبة في الآخرة ، غمّه ذلك منهم ورقّ لهم وتحنن على ابناء جنسه وتفكر في امرهم كيف يداويهم من دائهم الذي استقر بهم وعلم انه اذا وبخهم بالتعنيف والوعيد والزجر والتهديد لا ينفعهم ذلك لان هذه كلها موجودة في التوراة وما في ايديهم من كتب الانبياء عليهم السلام ، فرأى ان يظهر لهم بزي الطبيب المداوي وجعل يطوف في محال بني اسرائيل يلقى واحدًا يعظه ويذكره ويضرب له الامثال وينبهه من الجهالة ويزهّده في الدنيا ويرغّبه في الآخرة ونعيمها حتى مرّ بقوم من القصّارين خارج المدينة فوقف عليهم فقال لهم : أرأيتم هذه الثياب اذا اغسلتموها ونظفتموها وبيضتموها هل تجوزون ان

يلبسها اصحابها واجسادهم ملوثة بالدم والبول والغائط ولون القاذورات ؟ قالوا : لا ومن فعل ذلك كان سفيهاً . قال : فعلتموها انتم . قالوا : كيف ؟ قال : لانكم نظفتم اجسادكم وبيضتم ثيابكم ولبستموها ونفوسكم ملوثة بالجيف مملوءة قاذورات من الجهالة والعمى والبكم وسوء الاخلاق والحسد والبغضاء والمكر والغش والحرص والبخل والقبح وسوء الظن وطلب الشهوات الرديئة وانتم في ذل العبودية اشقياء لا راحة لكم الا الموت والقبر . فقالوا : كيف نعمل ؟ هل لنا بدّ من طلب المعاش ؟ قال : فهل لكم ان ترغبوا في ملكوت السماء حيث لا موت ولا هرم ولا وجع ولا سقم ولا جوع ولا عطش ولا خوف ولا حزن ولا فقر ولا حاجة ولا تعب ولا عناء ولا غم ولا حسد بين اهلها ولا بغض ولا تفاخر ولا خيلاء بل اخوان على سُرر متقابلين فرحين مسرورين في روح وريحان ونعمة ورضوان وبهجة ونزهة يسيحون في فضاء الافلاك وسعة السماوات ويشاهدون ملكوت رب العالمين ويرون الملائكة حول عرشه صافين يسبحون بحمد ربهم بنغمات والحان لم يسمع بمثلها انس ولا جان وتكونون انتم معهم خالدون لا تهرمون ولا تمرتون ولا تجوعون ولا تعطشون ولا تمرضون ولا تخافون ولا تحزنون . واكثر النصح فيهم وعمل كلامه في نفوسهم واراد الله عز وجل بهم خيراً فاسمعهم وهداهم وشرح صدورهم وفتح قلوبهم ونوّر ابصارهم فشاهدوا ما وصف المسيح عليه السلام مما يشاهده هو بعين البصيرة ونور اليقين وصدق الايمان ، فرغبوا فيها وزهدوا في الدنيا وغرورها وامانيها وخرجوا مما كانوا فيه من عبودية طلب شهوات الدنيا ولبسوا المرقعات[١١] وساحوا مع المسيح حيث مرّ من البلاد[١٢] .

أن رسول الله صلعم خرج على اصحابه ذات غداة فقال لهم : اني بُعثت رحمة وكافة فأدّوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كاختلاف الحواريين على عيسى بن مريم[١٣] . قالوا : يا رسول الله وكيف كان اختلافهم ؟ قال : دعا

١١) « المرقعة » نسيج من صوف ، دليل الفقر والتجرد ، زعم الصوفيون ان المسيح كان اول من لبسه فلبسوه على غراره وهو الفقير الاكبر ، « امام السائحين » .

١٢) اخوان الصفاء ، رسائل ، ٤ : ٩٣ – ٩٦ .

١٣) قد يكون في هذا اشارة بعيدة الى المجادلة التي وقعت بين الرسل ، ليلة العشاء

الى مثل ما دعوتكم اليه فاما مَن قرّب به فاحب وسلم ، واما مَن بعّد به فكره . فشكا ذلك منهم عيسى الى الله عز وجل فاصبحوا من ليلتهم تلك وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين بُعث اليهم ، فقال عيسى : هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا[14] .

الاثنان والثالث

قال الله تعالى[15] : واضرب لهم مثل القرية اذ جاءها المرسلون ، يعني رسل عيسى عليه السلام ، اذ ارسلنا اليهم اثنين . واختلفوا في اسميهما : فقال ابن اسحق : فاروض وروماض ، وقال وهب : يحيى ويونس ، وقال مقاتل : يومان ومالوس ، وقال كعب : صادق وصادوق ، فكذبوهما فعززنا بثالث ، اي قوّينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين ، وقال مقاتل : سمعان[16] .

قالت العلماء باخبار الانبياء : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية ، فلما قربا من المدينة أتيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس ، فسلما عليه ، فقال : من انتما ؟ قالا : رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن ، قال : أمعكما

السري ، « في اسمي الاكبر » ، لوقا ٢٢ : ٢٤ ، وفي غير موضع من الاناجيل مجادلة اخرى بين الرسل ، متى ١٨ : ١ — ٥ ، مرقس ٩ : ٣٣ — ٣٧ ، لوقا ٩ : ٤٦ .

١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١٥٦٠ ، وهنا اشارة ايضاً الى حلول « الروح القدس على التلاميذ فطفقوا يتكلمون بلغات اخرى كما آتاهم الروح ان ينطقوا . وكان في اورشليم رجال من اليهود اتقياء من كل امة تحت السماء ، فلما كان ذلك الصوت (صوت ريح شديدة) اجتمع الجمهور فتحيروا لان كل واحد كان يسمعهم ينطقون بلغته » ، اعمال الرسل ، ٢ : ٤—٦ .

١٥) القرآن ، سورة يس ، ٣٦ : ١٣—٢٩ .

١٦) فاروض وروماض ، يومان ومالوس ، صادق وصادوق كما في ادناه ابطيحيس وسلاحين وحبيب النجار ، هي جميعها اسماء لا تمت الى التاريخ بصلة ، لا ذكر لها في المسيحية قبل الاسلام كما لا ذكر لها في القرآن ، ولقد اختلقها المؤرخون .

آية ؟ قالا : نعم نحن نبرئ المريض ونشفي الأكمه والأبرص باذن الله[١٧] فقال الشيخ : ان لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين ، قالا : فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله . فاتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعوا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثيرًا من المرضى[١٨] .

وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين، وقال وهب : اسمه ابطيحس وكان من ملوك الروم . قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما : من انتما ؟ قالا : رسولا عيسى . قال : وما آيتكما ؟ قالا : نبرئ الأكمه والأبرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى . قال: وفيمَ جئتما ؟ قالا : جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر . قال الملك : أوَ له لنا سوى آلهتنا ؟ قالا : نعم . قال: من ؟ قالا : من اوجدك بعد عدمك وآلهتك . قال : قوما حتى انظر في امركما ، فتبعهما الناس وضربوهما في السوق[١٩] .

وقال وهب : بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فكبّرا وذكرا الله تعالى ، فغضب الملك وأمر بهما فحُبسا وجُلد كل واحد منهما مائة جلدة. قالوا فلما كُذِّب الرسولان وضُربا بعث عيسى رأسَ الحواريين شمعون الصفار على اثرهما لينصرهما . فدخل شمعون البلد متنكرًا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى

---

١٧) هذه المعجزات يذكرها القرآن عن عيسى .

١٨) راجع الانجيل : « وجاء يسوع الى بيت الرئيس فرأى الزمارين والجميع يضجون فقال : تنحوا ان الصبية لم تمت ولكنها نائمة ، فضحكوا منه . فلما اخرج الجمع دخل وامسك بيدها فقامت الجارية ، فذاع هذا الخبر في تلك الارض كلها . . وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف» متى ٩: ٢٣-٢٦، ٣٥ .

١٩) وفي الكتاب المقدس خبر العرافة التي اخزاها بولس وطرد منها الروح : « فلما رأى مواليها انه قد هلك رجاء مكسبهم قبضوا على بولس وسيلا وجروهما الى السوق . . . وامروا ان يضربا بالعصي . » اعمال الرسل ١٦: ١٦-٢٢ .

انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم : ايها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما ? فقال : حال الغضب بيني وبين ذلك . قال : فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما ، فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون : استخبرهما . فقال شمعون : من ارسلكما الى ههنا ? قالا : الذي خلق كل شيء . فقال لهما شمعون : فصفاه وأوجزا . فقالا : انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال شمعون وما آيتكما ? قالا : ما تتمناه نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمنى باذن الله . قال : فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك ، فقال شمعون للملك : ان انت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعاً مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك . فقال الملك : ليس لي عنك سرّا ، اعلم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلي كثيراً ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم ، فقال الملك للرسولين : ان الهكما الذي تعبدانه يقدر على احياء الميت ? قالا : الهنا يقدر على كل شيء . فقال الملك : ان ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة ايام وهو ابن الدهقان وانا اخرجته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه ، وكان ابوه غائباً . فجاؤوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان بهما علانية وجعل شمعون يدعو سرّاً ، فقام الميت وقال لهم : اني قد مت منذ سبعة ايام مشركاً فأُدخلتُ في سبعة اودية من النار وانا احذركم مما انتم فيه فآمنوا بالله ، ثم قال : ان ابواب السماء فُتحت لي فرأيت شاباً حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة[٢٠] . فقال الملك : ومَن الثلاثة ? فقال : شمعون وهذان ، واشار الى صاحبيه فتعجب الملك . فلما علم شمعون ان قولهم

٢٠) في اعمال الرسل ٦ : ١٥ ؛ ٧ : ٥٥ ، شيء من هذا الوصف ورد على لسان اسطفانوس اول الشهداء : « فرأوا وجهه كوجه ملاك . . . وهو اذ كان ممتلئاً من الروح القدس تفرّس في السماء فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله فقال : هاءنذا ارى السماوات مفتوحة وابن البشر قائماً عن يمين الله » .

قد أثر في الملك اخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون .

وقال كعب ووهب : بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس .

وقال ابن عباس ومقاتل : اسمه حبيب بن اسرائيل النجار . قال وهب : وكان سقيماً قد أثر فيه الجذام[٢١] وكان منزله عند اقصى باب من ابواب مدينة انطاكية[٢٢] وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه اذا امضى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر . فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه في غار . فلما اتاه خبر الرسل اظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة الله تعالى كما اخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله : « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم اجرًا وهم مهتدون . » فقال له قومه : أوَ انت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالهيهم ؟ فقال : وما لي لا اعبد الذي لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون . اني اذا لفي ضلال مبين. فطرني واليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر اني آمنت بربكم فاسمعون . »[٢٣] فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن احد يدفع عنه .

وقال عبدالله بن مسعود : وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره .

وقال السدي : كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول : « اللهم اهدِ قومي » حتى قطعوه وقتلوه .

وقال الحسن : خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سور انطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى : « قيل ادخل الجنة » ،

٢١) داء خبيث شبيه بالبرص .

٢٢) يحاول وهب ان يجمل وفاق بين الاسطورة والقرآن القائل : « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى » ، سورة يس ٣٦ : ٢٠ .

٢٣) سورة يس ، ٣٦ : ٢٢-٢٥ .

فلما افضى الى جنة الله وكرامته ، قال : « يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . »[٢٤]

قالوا فلما قُتل حبيب ، غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم ، فذلك قوله تعالى : « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين » على غيرهم من كفار الامم ؛ « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون »[٢٥] ، اي ميتون[٢٦] .

وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من ارض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور . فسار اليه اثنان من تلاميذ المسيح يدعوانه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما « فعززهما الله بثالث » ، وقد تنوزع فيه ، فذهب كثير من الناس انه بطرس ، هذا اسمه بالرومية واسمه بالعربية سمعان الصفا ، وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفا ، وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية[٢٧] ان الثالث المعزز به بولس ، وان الاثنين المتقدمين اللذين اودعا الحبس توما وبطرس ، فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما اظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وحيلة بولس عليه بمداخلته اياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس .

فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله وقد أخبر الله بذلك في كتابه بقوله « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث » الى قوله : « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى »[٢٨] . وقُتل بولس وبطرس بمدينة رومية

٢٤) سورة يس ، ٣٦ : ٢٦–٢٧ .

٢٥) سورة يس ٣٦ : ٢٨–٢٩ .

٢٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٤٠٤ – ٤٠٦ ؛ قابل بالطبري جزئياً ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٠١ .

٢٧) ورد في اعمال الرسل ١٢ : ٣ – ٢٠ ، خبر سجن بطرس وكيف ارسل الله ملاكه فانقذه من الحبس ليلاً .

٢٨) سورة يس ٣٦ : ١٤–١٩ .

وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سيما الساحر[٢٩] . ثم جعلا بعد ذلك في اخزنة البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وخزنتهما في كنيسة هناك . قد ذكرناهما في الكتاب الاوسط عند ذكرنا لعجائب روميه واخبار تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وسنورد في هذا الكتاب لما من اخبارهم[٣٠] .

بولس الرسول

(عن الكلبي في تفسير الآية : « قالت النصارى المسيح ابن الله ») : ان النصارى كانوا على دين الاسلام[٣١] احدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب . وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس وكان قتل جملة من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام ، فقال يوماً لليهود : ان كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار[٣٢] . وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه واظهر الندامة ووضع على رأسه التراب ، فقالت له النصارى :

٢٩) اسمه عليما الساحر ، وقد دعا عليه بولس بالعمى فاعماه الله ، اعمال الرسل ، ١٣ : ٨–١١ ؛ او (كما ورد في طبعة المسعودي في القاهرة ، ١٩٣٨) « سليمان » واصله سيمون وهو ساحر آخر وقد وبخه بطرس في السامرة على سحره فآمن واعتمد ، راجع اعمال الرسل ، ٨ : ٩–٢٤ .

٣٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ١ : ١٢٨–١٢٩ .

٣١) في العقيدة الاسلامية ان الاسلام ، كما يقول القرآن هو « دين الفطرة » عليه خلق آدم وعليه يولد بنوه من بعده ولكن اختلاف الناس في الدين هو ما جعلهم يتفرقون الى عقائد متباينة .

٣٢) ليس هذا الكلام او ما يعدل تقريباً معناه من بولس بل من جملئيل معلم الناموس اذ قال لبني اسرائيل حين سجنوا رسل المسيح : « اقول لكم اعدلوا عن هؤلاء الرجال واتركوهم لانه ان كان هذا الرأي او هذا العمل من الناموس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تستطيعون نقضه لئلا تجدوا ذاتكم محاربين لله » ، اعمال الرسل ٥ : ٣٨ – ٣٩ ؛ لقد خلط الكلبي بين عدة احداث تاريخية متذكراً البعض منها مثل اضطهاد بولس للمسيحيين ،

من انت ؟ فقال: بولس عدوكم وقد نوديت من السماء ان ليس لك توبة الا ان تتنصّر وقد تبت . فادخلوه الكنيسة فدخل بيتاً فيها فأقام سنة لا يخرج منه لا ليلًا ولا نهارًا حتى تعلم الانجيل ثم خرج فقال : نوديت ان الله تعالى قد قبل توبتك . فصدقوه واحبوه . ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة[٣٣] . ثم توجه الى الروم وعلّمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم : لم يكن عيسى بانس ولا جن ولكنه ابن الله. وعلّم بذلك رجلًا يقال له يعقوب ثم دعا رجلًا يقال له يعقوب ثم دعا رجلًا يقال له ملكان[٣٤] وقال له : ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى . فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدًا واحدًا وقال لكل واحد منهم : انت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضى عني . وقال لكل واحد منهم : اني غدًا اذبح نفسي فادعُ الناس الى نحلتك[٣٥] . ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال : انا افعل ذلك لمرضاة عيسى . فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس الى نحلته فتبع كل واحد طائفة من الناس فافترقت النصارى ثلاث فرق

ثم الرؤيا على طريق دمشق ، ونداء المسيح له ، وخلوته عند التلميذ حننيا واعتماده ، راجع حقيقة ذلك في الفصل التاسع من اعمال الرسل .

٣٣) بين بولس ونسطور اكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة . اما نسطور فلم يقل بشيء من هذه الثلاثية التي ينسبها اليه الكلبي لتوافق آية في القرآن : « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اعبدوني وامي الهين من دون الله » ، سورة المائدة ، ٥ : ١١٦ .

٣٤) استنبط الكلبي اسم ملكان لينسب اليه الفرقة الملكية كما في تابع حديثه ، ومن المعروف ان الملكية نسبة الى ملك الروم ، قيصر بزنطية المدافع عن العقيدة الكاثوليكية الحقة . وقد نقل الدميري نصّ الكلبي الغريب دون ان يتساءل عن صحته ، كما اورد القزويني في كتابه عجائب المخلوقات (على هامش حياة الحيوان للدميري ٢ : ١٧٣-١٧٤) قصة عجيبة يذكر فيها اربع نفر من تلامذة المسيح (مرقس ويحنس ومنبوس ويبوقاس) وكيف ان الشيطان طناهم وحملهم على تأليه عيسى . ولا عجب في ان يستنبط القزويني مثل هذه القصص في كتابه المسمّى « عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات » .

٣٥) يقول بولس في رسالته الى الفيلبيين ، ٢ : ١٧ : « لو ارقت سكيباً على ذبيحة ايمانكم لكنت افرح » وفي رسالته الثانية الى تلميذه الحبيب تيموثاوس ، ٤ : ٦ : « اما انا فقد اريد السكيب علي وقد اقترب وقت انحلالي » .

نسطورية ويعقوبية وملكية فاختلفوا واقتتلوا فقال الله تعالى: «وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بافواههم » (الآية)[٣٦] قال اهل المعاني : لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالافواه والالسن الا كان ذلك زوراً[٣٧] .

مارقس

ثم ملك بعده[٣٨] قلوديوس[٣٩] اربع عشرة سنة وذلك بروميه . وهو اول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى واتباع المسيح وقيل ان في ايامه قُتل بروميه بطرس واسمه بالسريانية شمعون والعرب تسميه سمعان ، هو وبولس صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيما[٤٠] الساحر بروميه . وهما ممن اتى انطاكيه واخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس . ثم كان بعد ذلك لهما نبأ عظيم وذلك بعد ظهور النصرانية بروميه فجعلا في اخزنة من البلور فهما على ذلك بمدينة روميه في بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب . واكثر من عني بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم يذهب الى انهما قتلا بروميه في ملك النحاس من ملوك الروم .

وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الارض فسار ماري الى مادنا من العراق فات بمدينة دير قُنّى والصافية على شاطيء دجلة بين بغداد وواسط ، وهذا البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتّاب ، فقبره هناك في كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يعظمه اهل دين النصرانية .

ومضى توما وكان من الاثني عشر الى بلاد الهند داعياً الى شريعة المسيح

---

٣٦) سورة التوبة ، ٩: ٣٠ .

٣٧) الدميري ، حياة الحيوان ، ٢: ٢١٥ .

٣٨) اي بعد اغسطس .

٣٩) قلوديوس او كلوديوس الاول ، وكانت وفاته سنة ٥٤ بعد المسيح ، قبل بطرس وبولس ، وهو لم يخلف اغسطس بل خلفه طيباريوس .

٤٠) راجع ما ذكرناه اعلاه ، حاشية ٢٩ .

فات هناك[٤١] . وسار آخر الى آخر خراسان فات هنالك وموضع قبره مشهور تعظمه النصارى ومنهم من رأى انه مات ببلاد دقوقا وخانيجار وكرخ حدان في تخوم العراق وموضعه مشهور .

ومات مارقش بالاسكندرية في ارض مصر وقبره هناك وهو احد التلاميذ الاربعة الذين الفوا الانجيل .

كان لمارقش مع اهل مصر خبر طريف في مقتله وقد اتينا على السبب في ذلك في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له ، واتينا على قصته مع اهل مصر ووصيته لهم حين اراد المسير الى ارض المغرب : انه من جاءكم على صورتي فاقتلوه فانه سيرد اليكم بعدي اناس يتشبهون بي فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون . ومضى فلما غاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث اراد فرجع اليهم ، فلما هموا بقتله قال لهم : ويحكم انا مارقش . قالوا : لا قد اخبرنا ابونا مارقش وعهد الينا بقتل من يتشبه به . قال : فاني مارقش . قالوا : لا سبيل الى تركك ولا بد من قتلك فقتلوه . وقد كان قبل ذلك سُئل في بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات ، وقال له بعضهم : ان كنت صادقاً فيما اتيتنا به فأعرج الى هذه السماء . ونحن نراك . فنزع عنه زرباتته واتزر بئزر الصوف على ان يصعد الى السماء ، فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا : ان مضيت فمن لنا بعد اذا كنت الاب ، وكان امره بعد ذلك على ما قدمنا .

وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذاً واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين[٤٢] . فاما الذين نقلوا الانجيل وهم لوقا ومارقش ويوحنا ومتّا منهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتّا ، وقد يُعدّ متّا ايضاً في غير الاثني عشر ، ولا ادري ما معناهم في ذلك . والاثنان اللذان من الاثني عشر يحيى بن زبدى ومارقش

---

٤١) يقول التقليد المسيحي ان توما سار الى الهند فأسس هناك كنيسة ثبتت الى يومنا هذا .

٤٢) وفي الانجيل : « دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر وسماهم رسلا » ، لوقا ، ٦ : ١٣ .

صاحب الاسكندرية والثالث الذي ورد الى انطاكيه وقد تقدمه بطرس وتوما ، وهو بولس ، وهو الثالث المذكور في القرآن بقوله تعالى : فعززنا بثالث .

وليس في سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر ، لان مارقش اباح لهم ذلك[٤٣] .

ثم ملك الروم تيرون[٤٤] واستقام ملكه ورغب في عبادة التماثيل والاصنام ويقال انه قتل في ملكه بطرس وبولس برومية على حسب ما قدمنا ، ونما دين النصرانية في الروم وكثرت فيهم الدعاة اليه ، فقتل هذا الملك منهم خلائق[٤٥] .

اصحاب الاناجيل

ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بما جاءهم به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس وآمنوا به واكثرهم الحواريون من اصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلاً الى الافاق داعين الى ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفي مدة هيرودس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناي اصهاره . فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيرودس ملكهم ملك القياصرة اوغسطس يغريه به فاذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من امره .

وافترق الحواريون شيعا ودخل اكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة . ثم كتبوا الانجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ اربع بالعبرانية . ونقله يوحنا بن زبدى

---

٤٣) من يدري على ما يستند المسعودي في كلامه هذا عن رهبان مصر ، والى اي مصدر تاريخي يرجع قصة مارقس التي قضت طرافتها على كل ما للتاريخ .

٤٤) هو نيرون الغاشم الذي قطع رأس بولس وصلب بطرس منكساً كما ورد في التقليد الشعبي المسيحي .

٤٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ : ٢٩٩–٣٠٤ .

منهم الى اللسان اللاتيني . وكتب لوقا منهم انجيله باللاتيني الى بعض اكابر الروم. وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومه. وكتب بطرس انجيله باللاتيني ونسبه الى مرقاص تلميذه[٤٦]. واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفاً[٤٧] بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جداً .

واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد بروميه ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها. فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار ، وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين وكتاب المقابيين لابن كريون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ[٤٨] وزير سليمان. ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربع وكتب القتاليقون سبع رسائل[٤٩] وثامنها الابريكسيس[٥٠]

٤٦) في هذا النص عدة اخطاء تاريخية ، منها ان النص الانجيلي الاصيل لم يكتب ابداً باللاتيني بل ترجم فيما بعد الى هذه اللغة ؛ بل كتب الانجيليون الروايات باليونانية ؛ ولكن هنالك تقليداً يقول ان متى كتب اولاً انجيله بالآرامية لا بالعبرانية ، وهذا النص ترجمه مجهول الى اليونانية فضاع الاول وبقي الثاني لدينا . لم يكتب بطرس انجيلاً بل هو تلميذه (مرقس وليس مرقاص ، وزبدى وليس زبدي) اخذ عنه تعليمه وكتب سيرة المسيح باليونانية .

٤٧) يعتقد النصارى ان كل ما ورد في الانجيل موحى من الله ، ولكن ليس على ما يعتقده المسلمون في قرآنهم ، فالله اذ يوحي لانسان كلامه وتعليمه لا يبطل قوى الانسان العقلية بل يرفعها ويسمو بها بكرامة خاصة لتصبح قادرة على قبول كلام الله الذي يبلغ حينذاك الى الناس وهو كلام الانسان ايضاً .

٤٨) والاصح ابن سيراخ . وفي اعلاه « كتاب اوشير » والاصح كتاب استير .

٤٩) واحدة من القديس يعقوب ، والثانية من القديس يهوذا ، الثالثة والرابعة من القديس بطرس ، والثلاث الاخيرة من القديس يوحنا .

٥٠) هو ما نسميه اليوم كتاب « اعمال الرسل » .

في قصص الرسل وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليمنطس[٥١] وفيه الاحكام وكتاب ابوغالمسيس[٥٢] وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي . واختلف شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها واستمروا عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسيمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفائه الى ما بعد من امم النصرانية ويسمونه الاسقف اي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع . وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ بروميه يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة فيمن قتل من البطارق والاساقفة وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعياً سبع سنين ... »[٥٣] .

ما قال الانجيليون الاربعة

وكانت حنة امرأة عمران قد نذرت ان وهب الله لها ولداً ان تجعله لله . فلما ولدت بمريم دفعتها الى زكريا بن برخيا بن شو بن نحرائيل بن سهلون بن ارسو بن شويل بن لمود[٥٤] بن موسى بن عمران وكان كاهن المذبح فلم يزل كذلك حتى اذا كملت سبع عشرة سنة بعث الله اليها الملك ليهب لها ولداً زكياً فكان من خبرها ما قد نصه الله عز وجل حتى اشتملت على الحمل . فلما كملت ايامها طرقها المخاض على ما قال الله عز وجل ووصف من حالها وحاله وكلامه من تحتها وكلامه في المهد . وكان مولده بقرية يقال لها بيت لحم من قرى فلسطين وكان ذلك يوم الثلثاء لاربع وعشرين يوماً خلت من كانون

٥١) لم تعتبر الكنيسة يوماً رسالة اقليمندس موحاة من الروح القدس بالرغم من الاكرام الذي احيطت به في الاجيال الاولى .

٥٢) والاصح « ابوكاليبسيس » وهي كلمة يونانية معناها « رؤيا » .

٥٣) ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، المقدمة ، ٢٢٢-٢٢٣ .

٥٤) هكذا في النص .

الاول ... واما اصحاب الانجيل فلا يقولون انه تكلم في المهد ويقولون ان مريم كان مسماة برجل يقال له يوسف من ولد داود وانها حملت فلما قرب وضع حملها سار بها الى بيت لحم فلما ولدت ردها الى ناصرة من جبال الجليل . فلما كان في اليوم الثامن ختنه على سنة موسى بن عمران . وقد وصف الحواريون اخبار المسيح وذكروا حاله فاثبتنا مقالة واحد منهم وما وصفوه به . وكان الحواريون اثني عشر من اسباط يعقوب وهم شمعون بن كنعان من سبط (... ويعقوب) بن زبدي (...) ويحيى ابن جابر بن فامي من سبط زبلون وفيلنوس من سبط هرام بن يعقوب ويهوذا من سبط يهوذا بن يعقوب ويعقوب من سبط يوسف بن يعقوب ومنى من سبط روبيل بن يعقوب . وكان دون هؤلاء سبعون رجلا وكان الاربعة الذين كتبوا الانجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا اثنان من هؤلاء الاثني عشر واثنان من غيرهم .

انجيل متى

فاما متى فانه قال في الانجيل في نسب المسيح : يسوع بن داود بن ابراهيم الى اسفل حتى انتهى الى يوسف بن يعقوب بن ماثن بعد اثنين واربعين أباً . ثم قال وكان يوسف بعل مريم وان المسيح ولد في بيت لحم من قرى فلسطين وملك فلسطين يومئذ هيرودس . وان قوماً من المجوس ساروا الى بيت لحم وعلى رؤوسهم نجم يهتدون به حتى رأوه فسجدوا لـه . وان هيرودس ملك فلسطين اراد ان يقتل المسيح وان يوسف اخرجه واخرج امه الى ارض مصر . فلما مات هيرودس ردّه فانزله ناصرة جبل الجليل . وانه لما كمل المسيح وبلغ تسعا وعشرين سنة صار الى يحيى بن زكريا ليصطبغه فقال له يحيى بن زكريا : انا احوج اليك منك الي . فقال له المسيح : اترك هذا القول فان هكذا ينبغي ان يتم البر فتركه يحيى وان يسوع خرج بتأييد روح الله الى البرية فصام اربعين يوماً فاقترب اليه الشيطان فقال : ان كنت الآن ابن الله فمر هذه الحجارة تصير خبزاً . فقال يسوع : انه ليس بالخبز وحده يحيى[٥٥] البشر ولكن بكلمة الله .

٥٥) هكذا في النص .

فحمله فصيّره على جناح الهيكل ثم قال له الشيطان : فالق نفسك الى الارض فانك ان كنت ابن الله تكنفته ملائكة. فقال المسيح : انه مكتوب لا تجرب الله بك ، ثم قال للشيطان : اذهبْ فان لله اسجد واياه أعبد ، فتركه الشيطان وذهب .. ثم ان ملائكة الله عز وجل اقتربت منه فجعلوا يخدمونه .

انجيل لوقا

فأما لوقا فانه يقول في اول الانجيل : من اجل ان كثيرًا من الناس احبوا ان يكتبوا القصص والامور التي عرفناها رأيته يحق علي ان اكتب شيئاً علته بحقه . انه كان في ايام هيرودس الملك كاهن يسمّى زكريا من خدام آل ابيا وامرأته من بنات هارون تسمّى اليسبع وكانا جميعاً بارين قدام الله عاملين بوصاياه غير مقصرين في طاعته. ولم يكن لهما ولد وكانت اليسبع عاقرًا وزكرياء عاقرًا قد كبرت سنيهما . فبينا زكريا يكهن الدخنة فدخل الهيكل وجماعة خارج الهيكل فتراءى لزكريا ملك الرب قائماً عن يمين المذبح فارتعد زكريا حين ابصره وحلّت عليه الخشية فقال له الملك : لا ترهبن يا زكريا فان الله قد سمع صلواتك واجاب دعاءك فيهب لك ابناً تسميه يحيى[٥٦] ويكون لك فيه الخير والفرح ويكون عظيماً عند الله ولا يشرب خمرًا ولا سكرًا ويتلي من روح القدس اذ هو في بطن امه ويقبل الى الله بكثير من آل اسرائيل ويحل عليه الروح الذي حل على إليا[٥٧] النبي ليقبل بقلوب الاباء على ابنائهم ويكونوا لله شعباً كاملاً . فقال زكريا للملك : كيف لي ان اعلم هذا وانا شيخ وامرأتي كبيرة السن ؟ فقال له الملك : اني انا جبريل القائم بين يدي الله عز وجل ارسلني لابشرك بهذا فمن الآن تكن صامتاً لا تتكلم حتى اليوم الذي يكون فيه هذا لانك لم تصدق ولم تؤمن بقولي الذي يتم في حينه . وكان الشعب قياماً ينتظرون زكريا ويتعجبون من لبثه في الهيكل . فلما ان خرج لم يقدر ان

٥٦) في النص الاصلي ، الانجيل ، يوحنا لا يحيى .

٥٧) اي ايليا ، وهو النبي الياس الذي ورد ذكره في القرآن أيضاً .

يكلمهم فعرفوا وايقنوا انه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومئ اليهم ايماء ولا يتكلم . فلما تمت ايام خدمته انصرف الى بيته .

وحملت اليسبع امرأته واقامت تخفي نفسها اشهرًا خمسة وتقول هذا الذي صنع الي الرب في ايام نظره الي ليمحو عني عاري في البشر . ولما كان في الشهر السادس من حمل امرأة زكريا ارسل الله جبريل الملك الى جبل الجليل الى مدينة تدعى ناصرة الى فتاة عذراء مملكة برجل يسمّى يوسف من آل داود اسمها مريم ، فدخل اليها الملك وقال لها : السلام عليك ايتها المملوءة من النعمة ، ايتها المباركة في النساء . فلما رأته فزعت من كلامه وجعلت تفكر وتقول : ما هذا السلام . وقال لها الملك : لا ترهبي يا مريم قد لاقيت وواقيت عند الله نعمة ، بحق انك تقبلين حبلى وتلدين ابناً وسميه ايسوع[٥٨] ويكون عظيماً وابن الاعلى يُدعى ويعطيه الرب الهه كرسي داود ابيه ويملك على آل يعقوب الى الدهر ولا يكون لملكه فناء ولا انقطاع . فقالت مريم للملك : كيف يكون هذا ولم يمسني رجل ؟ قال لها الملك : روح القدس يحل عليك وهذا الذي يولد منك قدوس وابن الله يدعى ، وهذه اليسبع نسيبتك فهي ايضاً حبلى بابن على كبرها وهذا الشهر هو السادس لتلك التي تدعى عاقرًا لانه لا يعجز الله شيء . فقالت مريم : اني أمة الله فليكن لي كما قلت . ودخلت مريم الى بيت زكريا وطلت على اليسبع ، فلما سمعت اليسبع كلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت من روح القدس وقالت لمريم : مباركة انت في النساء ، بحق انه لما وقع صوت سلامك في مسامعي بفرح عظيم ارتكض الجنين في بطني .

وولدت اليسبع امرأة زكريا ابناً وختنوه يوم الثامن وسموه يوحنا ، ومن ساعته انفتح فوه وتكلم وبرك الله تعالى ، وامتلأ زكريا من روح القدس وقال :

---

٥٨) والاصح « يسوع » كما يقول النصارى عامة بالعربية ؛ اما « أيسوع » فهي لفظة مأخوذة عن النصارى النساطرة الذين يقولون « إيشوع » بالسريانية بينما اليعاقبة يقولون « يشوع » بالسريانية ايضاً . واصل الاسم عبراني « يشُوَع » الذي معناه « الله الخلاص » ، وذلك « لانه هو يخلّص شعبه من خطاياهم » ، كما قال الملاك في بشارته لمريم ، راجع انجيل متى ١ : ٢١ .

تبارك الرب اله اسرائيل الذي أبلى شعبه واطلقهم بالخلاص واقام لنا قرن الخلاص من آل داود كالذي تكلم على ألسنة انبيائه الطاهرين .

ولما كملت لمريم ايامها صعد بها يوسف الى جبل الجليل فولدت ابنها البكر فلفته في الخرق واضجعته في الاري من اجل انه لم يكن لهما مكان حيث كانا نازلين . . . فأتاهم ملك الرب ومجد الله اشرق عليهم فخافوه خوفاً شديداً وقال لهم ملك الرب : لا تخافوا ولا تحزنوا بجتي اني ابشركم بفرح عظيم يعم العالم . ثم نسب المسيح من يوسف الى آدم .

وانه لما تمت له ثمانية ايام اتوا بـه ليختنوه كسنة موسى وسموه ايسوع وختنوه واتوا به الى الهيكل واتوا بذبيحة زوج يمام وفرخي حمام ليقرب عنه . وكان هناك رجل يقال له شمعان من الانبيا . فلما دنوا من المذبح ليقربوا عنه احتمله شمعان وقال : قد ابصرت عيناي حنانك يا رب فمن الآن فتوفني .

وكان اهله يصعدونه في كل سنة الى اورشليم في عيد الفسح[٥٩] وكان يخدم العظما ويعجبون به لما يرون من حكمته .

وفي ذلك الزمان كان الملك هيرودس قد اخذ يوحنا فسجنه وذلك انـه كان يأتي امرأة اخيه فيلفوس فنهاه يوحنا ان يأتي ذلك وكان يريد ان يقتله ويتقي لانهم كانوا يعظمون يوحنا . فقالت له امرأة اخيه : اقتل يوحنا . فوجه الى السجن فقطع رأس يوحنا ووضعه على طبق واقترب تلاميذه واخذوا جثته فقبروها وجاءوا المسيح فاخبروه فخرج الى ارض قفر وجعل يأمر اصحابه لا تخبرون احداً .

انجيل مرقس

فاما مرقس فانه قال في اول انجيله : ايسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب في اشعيا النبي : اني مرسل ملاكي قدام وجهك لاصلح سبيلك . وان يحيى بن زكريا كان يعمد المعمودية للتوبة وكان لباسه وبر الابل وكان يشد

---

٥٩) والاصح « الفصح » وهي منقولة عن العبرانية ومعناها العبور تذكاراً لخروج العبرانيين من مصر عبرين البحر الاحمر الى ارض الميعاد .

حقوته بغرفة من جلود وان المسيح جاء من ناصرة الجليل يعمده في الاردن فلما عمده خرجت روح القدس على الماء كالحمامة وصوت من السماء ينادي من السماء : انت ابني خليلي الذي بك سررت . وانصرف الى جبل الجليل فاذا قوم يصطادون السمك فيهم شمعون واندراوس فقال لهما : الحقاني اجعلكما تصطادون البشر ، فمضيا معه فدخل قرية فأبرى مرضاها وبرصها وفتح اعين عميان بها فاجتمع اليه قوم وجعل يكلمهم بامثال ووحي ويقول : بحق اقول لكم لا تذهب القبيلة[٦٠] حتى يذهب السماء والارض وكلامي لا يذهب . ثم ان تلامذته اقتربوا اليه فجعل يكلمهم بامثال ووحي وبغير امثال . وكان اول ما تكلم به من الانجيل على ما في انجيل متى: طوبى للمساكين القانعة قلوبهم بما عند ربهم بحق ان لهم ملكوت السماء ، طوبى للجياع العطاش في طاعة الله ، طوبى للصادقين في قولهم التاركين للكذب الذين هم ملح الارض ونور العالم ، لا تقتلوا ولا تسخطوا احداً وارضوا من سخط عليكم وصالحوا خصكم ولا تزنوا ولا تنظروا الى غير نسائكم فان كانت عينكم اليمنى تدعوكم الى الخيانة فاقلعوها حتى تنجوا بابدانكم ولا تطلقوا نساءكم من غير زنية ولا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولا بسمائه ولا بارضه ولا تقاوموا الشر ولكن من لطمك على عارضك الايمن فاقبل اليه بعارضك الايسر ومن اراد ان ينزع قميصك فأعطه ايضاً رداءك ومن سخرك ميلاً فانطلق معه ميلين ومن سألك فاعطه ومن استقرضك فاقرضه ولا تحرمه . قد سمعتم انه قد قيل احبب قريبك وابغض عدوك اما انا فاني اقول لكم احبوا اعداءكم وصلوا من قطعكم وافعلوا الخير الى من بغضكم . ان كنتم تحبون الذين يحبونكم فاي اجر لكم . لا تظهروا صدقاتكم بين ايدي البشر لا تعلم شمائلكم بما عملت ايمانكم . لا تراءون الناس بصلاتكم واذا صليتم فادخلوا بيوتكم واغلقوا ابوابكم ولا يسمعكم احد واذا صليتم فقولوا: ابانا الذي في السموات يقدس اسمك وتأتي ملكوتك تكون مشيئتك كما في السماء وعلى الارض خبزنا

---

٦٠) والاصل في انجيل مرقس ١٣ : ٣٠ – ٣١ : « الحق اقول لكم انه لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله ؛ السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول » .

كفافنا أعطنا اليوم واترك لنا الذي علينا كمثل ما نترك نحن لغرمائنا . ولا تدخلنا في تجربة يا رب ولكن نجنا من الشرير . ولا تظهروا صيامكم للبشر اذا صمتم لله ربكم ولا تغيروا وجوهكم ليراكم الناس فان ربكم يعلم بحالكم ولا تدخروا الذخائر حيث السوس والارضة الآكلة يفسدون وحيث اللصوص يحفرون ولكن تكون ذخائركم عند ربكم الذي في السماء حيث لا سوس يعدو ولا لص يسرق ولا تهتموا بمعاشكم ولا تأكلون ولا تشربون ولا ما تلبسون . وانظروا الى طير السماء لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن في البيوت فانا لله يرزقهن وانتم اكرم على الله من الطير . لا تهتموا لاولادكم فانهم مثلكم كما خلقتم خلقوا وكما رزقتم رزقوا . ولا تقل لاخيك أخرج القذى من عينك وفي عينك انت جذع . لا تنظروا في عيوب الناس وتدعوا عيوبكم . لا تعطوا القدس اللؤلؤ للخنازير فتدوسه بارجلها . سلوا ربكم يعطكم وابتغوا اليه فانكم تجدونه رحيماً بكم واقرعوا بابه يفتح لكم اما الباب فانه معرض والطريق بيّن وهو يبلغ الناس التلف وما اصغر الباب واضيق الطريق التي تبلغ الناس النجاة . تحفظوا من اهل الكذب الذين يشبهون الذئاب الضارية . كما لا تستطيعون وتقطفون العنبة من الشوك ولا التين من الحنظل هكذا لا تجدون شجرة سوء تخرج نباتاً صالحاً ولا شجرة صالحة تخرج ثمرة سوء . كل من يسمع كلامي ثم يفهمه فانه يشبه رجلاً حكيماً بنى بيته في مكان صلب شديد فجاء المطر ودرت الانهار وارتفعت الرياح (...) فسقط البيت .

انجيل يوحنا

واما يوحنا السليح فانه يقول في اول انجيله في نسبة المسيح : قبل كل كانت الكلمة وتلك الكلمة عند الله والله كان هو الكلمة . هذه كانت قبل كل شيء . كان بها ، كانت الحياة والحياة هي نور البشر وذلك الضياء في الظلام (والظلام) لم يدركه (كان انسان) كان ارسله الله اسمه يوحنا اتى للشهادة ليشهد على النور ليهتدي الناس ويؤمنوا على يده ولم يكن هو النور فان نور الحق لم يزل يضيء . ويبين في (العالم) كان في يده والعالم لم يعرفه .

الى خاصته اتى وخاصته لم تقبله فاما الذين قبلوه وآمنوا به فاعطاهم الله سلطاناً ليكونوا يدعون ابناء الله اولئك الذين يؤمنون باسمه الذي لا من الدم ولا من هوى اللحم ولا من شهوة المرء وُلد ولكن من الله وُلد . والكلمة صارت لحماً وحلت فينا ورأينا مجدها مجداً كالوحيد الذي من الاب المملوء من النعمة والقسط . ويوحنا شهد عليه ونادى وقال هذا قلتُ انه يأتي من بعدي وقد كان قبلي من اجل انه اقدم مني . ومن تمامه كلنا نلنا نعمةً فاضلةً بدل النعمة الاولى لان التوراة على يد موسى أُنزلت فأما الحق والنعمة فبايسوع المسيح (. . .) الكلمة التي لم تزل في حضن ابيها[٦١] .

ولما رفع عيسى المسيح اجتمع الحواريون الى اورشليم في جبل طور الزيتون وصاروا الى عليّة كان فيها بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرتلموس ومتاوس ويعقوب (. . .) . فقام سمعان على الحجر فقال : يا معشر الاخوة قد كان ينبغي ان يتم الكتاب الذي سبق فيه روح القدس وارادوا ان يجعلوا رجلاً يتمّ به الاثنا عشر فقدموا متى وبرسبا ، وقالوا : اللهم اظهر لنا من تختاره . فوقع على متى فاصابتهم ريح شديدة امتلأت الغرفة التي كانوا فيها ورأوا مثل لسان النار فتكلموا بألسن شتى ثم قالوا لبطرس: ماذا تصنع؟ فقال لهم بطرس : قوموا واعمدوا كل انسان منكم باسم المسيح وتنحوا عن هذه القبيلة المعوجة. واقام بطرس ويوحنا كلما دخلا الكنيسة ذكرا أمر المسيح ووصفا فعله ودعوا الناس الى عبادته فانكروا[٦٢] ذلك عليهم اليهود واخذوهم فحبسوهم ثم اطلقوهم وقالوا : نختار سبعة رجال يقدسون الله ويذكرون حكمته ومسيحه ، فاختاروا اصطفانس وفيلبس وابرحورس ونيقانور وطيمون وبرمنا وتيقولاوس الانطاكي[٦٣] واقاموهم فصلوا عليهم وقدسوهم فجعلوا يصفون امر المسيح ويدعون الناس الى دينهم . وكان بولس اشد الناس عليهم واعظمهم

---

٦١) اليعقوبي ، ١ : ٨٢-٨٥ .

٦٢) هكذا في الاصل .

٦٣) وفي الكتاب المقدس ، اعمال الرسل ٦ : ٥ : « فاختاروا استفانس رجلاً ممتلئاً من الايمان والروح القدس وفيلبس وبروكورس ونيقانورس وطيمون وبرمناس ونيقولاوس دخيلا انطاكيا » .

ايذا. لهم وكان يقتل من يقدر عليه منهم ويطلبهم في كل موضع فخرج يريد دمشق ليجمع قوماً كانوا بها فسمع صوتاً يناديه : يا بولس كم تضطهدني ، ففزع حتى لم يبصر . ثم جاء حنانيا فقدس عليه حتى انصرف وبرأت عينه فصار يقوم في الكنائس فيذكر المسيح ويقدسه . فارادت اليهود قتله فهرب منهم وصار مع التلامذة يدعو الناس ويتكلم بمثل ما يتكلمون به ويظهر الزهد في الدنيا والتقليل منها حتى تقدموه.[٦٤] الحواريون جميعاً على انفسهم وصيروه رأسهم وكان يقوم فيتكلم ويذكر امر بني اسرائيل والانبياء. ويذكر حال المسيح ويقول : ميلوا بنا الى الامم كما قال الله للمسيح : اني وضعتك نوراً للامم فتصير اخلاصاً[٦٥] الى اقطار الارض . فتكلم كل رجل منهم برأيه وقالوا : ينبغي ان يحتفظ بناموس وان يرسل الى كل بلد من يدعو الى هذا الدين وينهاهم عن الذبائح للاوثان وعن الزنا وعن أكل الدم. وخرج بولس ومعه رجلان الى انطاكيه ليقيموا دين المعمودية ثم رجع بولس وأخذ فحمل الى ملك رومية فقام فتكلم وذكر حال المسيح فتحالف قوم على قتله لافساده دينهم وذكره المسيح وتقديسه عليه[٦٦] .

٦٤) هكذا في النص ؛ لقد كان بطرس هو المتقدم دائماً حسب ارادة المسيح .

٦٥) وفي المرجع الاصلي ، اي كتاب اعمال الرسل ١٣ : ٤٦ : « اني جعلتك نوراً للامم لتكون للخلاص الى اقصى الارض » .

٦٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ١ : ٨٨-٨٩ . لقد اختصر اليعقوبي في هذا النص كتاب اعمال الرسل ، وهو في عقيدة المسيحيين كتاب اوحاه الروح القدس وفيه ذكر لنشأة الكنيسة في العقود الاولى .

الفصل السادس

مواعظ المسيح

كان عيسى استاذ الصوفيين وشيخهم الاكبر، على طريقته ساروا وبهديه اهتدوا. فلقد اعترف له الغزالي بشطحات لم يعط لاحد غيره ان يبوح بها، وقال ابن العربي « انه تاب على يده »، وقضى الحلاج على « دين الصليب » غافراً مثل المسيح للصالبين.

وذلك لان عيسى حقق في زعم الصوفيين ما كانوا هم يصبون الى تحقيقه لله حياتهم من زهد بالحياة الدنيا وتقرب الى الله.

وهذه هي المواعظ التي نسبوها اليه، وكأنها انجيل المسيح في الاسلام؛ ولقد جمع معظمها ابو حامد الغزالي في كتابه الرائع، « احياء علوم الدين ». وكلها تكاد تدور حول قطبين مهمين اولهما الفقر وثانيهما ادراك الله والفناء فيه، وهذه هي المعرفة او الحكمة التي عنها يتكلمون.

ولا بد من الاشارة الى ان المرجع الاول لمقالات الصوفية في المسيح وللعظات التي اوردوها على لسانه هو كلام القرآن الذي يدعو عيسى وحده من بين الانبياء « روح الله وكلمته ». واذ تأملوا بحقيقة عيسى كما صورها لهم الكتاب وجدوا فيه مثالاً اسمى للزهد بالفاني والتوق الى الكمال.

وان بين هذه المواعظ العيسوية وبين ما ذكرت الاناجيل صلات وثيقة تبين دون جهد للعارفين بالاصول المسيحية. ولكن غالباً ما يبعد النص الانجيلي فيتغير معناه وينتحل مبناه. ولقد جهدنا وسعنا في اظهار هذه القربى بين التراثين المسيحي والاسلامي.

الله يكلم عيسى

(عن عوسجة العقيلي) : اوحى الله تبارك وتعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام :

يا عيسى بن مريم أنزلني من نفسك كهمك ، واجعلني ذخرًا في معادك ! تقرب الي بالنوافل أدنك ، وتوكل علي أكفك ! ولا تولِ غيري فاخذلك واصبر على البلا. وارض بالقضا. وكن كمسرتي فيك فان مسرتي فيك ان أُطاع فلا أعصى ! وكن مني قريباً وأحيِ لي ذكرًا بلسانك ولتكن مودتي في صدرك ! تيقظ من ساعات الغفلة وأحكم لي لطف الفطنة ، وكن لي راغباً وراهباً ، وأمتْ قلبك بالخشية لي ، وراعِ الليل لتُجزى مسرتي ، واظمأ لي في نهارك ليوم الريّ عندي ! امشِ في الخير جهدك ، ولتُعرف بالخير حيث ما توجهت ! واحكمْ لي في عبادي بنصيحتي ، وقمْ في الخلائق بعدلي ، فقد انزلت عليك شفاء من وساوس الصدور ومن مرض الشيطان وجلاء الابصار ومن عشا الكلال ! ولا تكُ كأنك فلس معبور وانت حي تتنفس !

يا عيسى بن مريم حقاً اقول لك ما آمنت بي خليقة الا خشعت لي ، ولا خشعت الا رجت ثوابي، واشهدك انها آمنة من عقابي ما لم تبدل او تغير سنّتي !

يا عيسى بن مريم ابن البكر البتول ابكِ على نفسك ايام الحياة بكاء مودع الاهل ، وخلّى الدنيا وترك اللذات لاهلها من بعده ، وارتفعت رغبته فيما عند الهه ! وكن يقظان اذا نامت عيون الابرار حذرًا لما هو آتٍ من امر المعاد وزلازل الاهوال حيث لا ينفع اهل ولا ولد ولا مال ! واكحل عينك بملمول الحزن اذا ضحك البطالون ، وابكِ بكاء من قد علم انه مودع للملّم النازل الذي هو اقرب من حبل الوريد معه ! وكن في ذلك صابرًا محتسباً فطوبى لك ان نالك ما وعدت الصابرين (فرح من الدنيا بالله يوماً يوماً ، وذق مذاقه !) ما قد هرب منك اين طعمه ، وما لم يأتك كيف لذته ؟ حقاً ما اقول لك ما انت الا ساعتك ويومك ، فرح من الدنيا بالبُلغة ، وليكفك منها الجسر الجشيب[1] .

---

١) اي المرعى الغليظ .

قد رأيت الامَ تصير ! مكتوب عليك ما اخذت وكيف رتعت ، فاعمل على حساب فانك مسؤول ! لو رأت عيناك ما اعددت لاوليائي الصالحين لذاب قلبك وزهقت نفسك اشتياقاً اليه[٢] .

قال الله سبحانه لعيسى : ان الدنيا لا تصلح الا بالقمح والشعير فلا يصلح فسادهما ، فانهما اعز خلقي علي .

يا عيسى اعلم ان للزرع حرمة لا تشبهها حرمة احد من الخلق واني اغضب على ما افسده كغضبي على من قال : اني ثالث ثلاثة[٣] ، أو كغضبي على من قال : اني فقير ، او كغضبي على من زعم اني ولدت ولداً حتى يكفر مما صنع ويتوب مما جناه فاغفر له وانا غفار للذنوب[٤] .

اوحى الله الى عبده المسيح ان قل لبني اسرائيل اني لا استجيب لاحد منهم دعوة ولاحد منهم قبلة مظلمة ...

يا عيسى قل لبني اسرائيل ان لا يمدوا ايديهم بالرغبة الي حتى يبرأوا من انجاس الذنوب[٥] .

ان الله عز وجل قال : يا عيسى اني باعث من بعدك امة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون احتبسوا وصبروا ولا حلم ولا علم . قال : يا رب كيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي[٦] .

٢) ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء، ٦ : ٢٠١-٢٣٠٢-٢٠٢ قابل جزئياً بابي طالب المكي، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٩ .

٣) الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة هم النصارى حسب القرآن ، والذين قالوا ان الله ولد ولداً هم المشركون من اهل مكة .

٤) عن مخطوطة عربية في مكتبة الاكاديمية التاريخية الملوكية، في مدريد، تحت عنوان Goyangos تحت عدد ٦٨ : ١ صفحة ١٨٢ ، قد يكون في هذا صدى لما ورد في الانجيل عن الزارع الذي « جاء عدوه بينما الناس نائمون فزرع زؤاناً في حقله ومضى » متى ١٣ : ٢٥ .

٥) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٩١ ، حديث عن علي .

٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١ : ٢٢٧ ؛ ٥ : ٣٢ - ٣٣ .

تفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي ربك[٧] .

اوحى الله الى عيسى عليه السلام : يا عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني[٨] .

قيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك[٩] .

اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : تزعم أنك لا تسألني شيئاً فاذا قلت : ما شاء الله ، فقد سألتني كل شيء[١٠] .

يروى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام : لو انك عبدتني بعبادة اهل السماوات وحبٌ في الله ليس ، وبغض في الله ليس ، ما اغنى عنك ذلك شيئاً[١١] .

اوحى الله الى عيسى عليه السلام : اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد

---

٧) الغزالي ، ايها الولد ، ٤٣ ؛ وهو نسخ لكلام المسيح في الانجيل : « ايها الطبيب اشف نفسك » لوقا ٤ : ٢٣ .

٨) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢ : ٣٨٢ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٧ ؛ ٤ : ٢٩٩ ؛ الرسالة الوعظية ، ١٥٤ - ١٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٦٨ ؛ ١٠ : ١٤٨ ؛ القشيري ، الرسالة القشيرية ، ١١٧ .

٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٣٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٥٥ .

١٠) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٢٠١ ؛ قابل بالانجيل : « اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله تزدادونه » ، متى ٦ : ٣٣ .

١١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١١٠ ؛ الزبيدي اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ١٧٧ . قابل بنشيد المحبة على لسان القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل قورنثيه ، الفصل الثالث عشر ، عدد ١ - ٣ : « لو كنت انطق بالسنة الناس والملائكة ولم تكن في المحبة فانما انا نحاس يطن او صنج يرن . ولو كانت لي النبوءة وكنت اعلم لجميع الاسرار والعلم كله ، ولو كان لي الايمان كله حتى انقل الجبال ولم تكن في المحبة فلست بشيء . ولو بذلت جميع اموالي لاطعام المساكين واسلمت جسدي لاحرق ولم تكن في المحبة فلا انتفع شيئاً » .

فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي[١٢] .

اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام: لا يفقد نبي حرمته الا في بلده[١٣]

دعاء عيسى

دعاء عيسى صلعم كان يقول :

اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو . واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني .

اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني ، يا حي يا قيوم![١٤] .

ذكر عن عيسى عليه السلام انه قال : يا رب كيف اشكرك وشكري اياك نعمة منك علي يجب علي الشكر عليها ؟ فقال : اذا علمت هذا فقد شكرتني[١٥] .

(عن ابراهيم بن عبدالله) وان شئت ثنيت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم كان يقول :

ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق

---

١٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٦ : ٢٥٨ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٧٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٨١ ؛ القشيري ، الرسالة القشيرية ، ١٧٣ ؛ قابل بالانجيل : «من كانت عنده وصاياي وحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه ابي وانا احبه واظهر له ذاتي . . . واليه نأتي وعنده نجعل مقاما . » يوحنا ١٤ : ٢١ ، ٢٣ .

١٣) عبد الوهاب الشعراني ، اليواقيت والجواهر ، ١ : ١٤ ؛ وهو مأخوذ عن الانجيل : «لا يكرم نبي في بلده » يوحنا ٤ : ٤٤ .

١٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٢٢ ؛ ٣ : ١١٣ ؛ ٤ : ٩٥ ؛ الزبيدي ؛ اتحاف السادة المتقين ، ٥ : ٦٩ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ١ : ١٤ .

١٥) ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٣٧٠ ؛ وقد جاء الكلام عينه على لسان موسى وداود ، عند الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٦٢ ، والزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٥٥ .

الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض . أبيت وليس عندي شيء. وأصبح وليس عندي شيء. وما على الارض اغنى مني[١٦] .

ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى :

اللهم انت اله من في السماء واله من في الارض ، لا اله فيهما غيرك. وانت جبار من في السموات ومن في الارض لا جبار فيهما غيرك . وانت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك . وانت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك . قدرتك في الارض كقدرتك في السماء ، وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء . اسألك باسمائك الكرام انك على كل شيء قدير[١٧] .

مواعظ عيسى

قال عيسى صلعم : من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات[١٨] .

قال عيسى عليه السلام : ما اكثر الشجر وليس كلها بثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع[١٩] .

قال عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر

١٦) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٣١٤ ؛ الغزالي احياء علوم الدين ، ٣ : ١٠٤٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٧٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٠١ الذي ينسب مثل هذا الكلام الى الامام علي نقلاً عن كتاب نهج البلاغة ؛ ويورده ايضاً الحسن البصري عن المسيح في حلية الاولياء ، ٢ : ١٣٧ .

١٧) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٠ .

١٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ١٠٦ حيث : « من تعلم وعمل فقد كتب في ملكوت السموات عظيماً . » قابل بالانجيل : « اما الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات . » متى ٥ : ١٩ .

١٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٢٩ ؛ قابل بالانجيل : « هل يُجتنى من الشوك عنب او من العوسج تين الخ ... » متى ٧ : ١٦ - ٢٠ .

لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع . ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى[٢٠] .

قال عيسى عليه السلام: كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه ؟ وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به[٢١] .

قال عيسى عليه السلام : مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد[٢٢] .

في التوراة والانجيل مكتوب : لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم[٢٣] .

كلام عيسى بن مريم عليه السلام : تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بالعمل . ويلكم علماء السوء. الاجر تأخذون والعمل تضيعون يوشك رب العمل ان يطلب عمله . كيف يكون من اهل العلم من سيره الى اخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره على دنياه وما يضره اشهى اليه — او قال : احب اليه — مما ينفعه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر عنه لا ليعمل به والعلم فوق

٢٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٥ ؛ ٣ : ٢٧٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ١٥٣ ؛ الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ١٧٨ ؛ قابل بانجيل متى ، ٢٣ : ١٢ ؛ ٢٣ : ١٣ ، ٢٧ .

٢١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٦٣ ؛ وفي الانجيل : « مها قالوا (الكتبة والفريسيون) لكم فاحفظوه واعملوا به واما مثل اعمالهم فلا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون » متى ٢٣ : ٣ .

٢٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٧٤ .

٢٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٧٥ حيث نص آخر : « يا ابن ادم لم تطلب علم ما لم تعلم وانت لا تعمل فيما تعلم » .

رؤوسكم والعمل تحت اقدامكم فلا احرار كرام ولا عبيد اتقياء[٣٤] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون في آخر الزمان علماء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ينهون عن اتيان الولاة ولا ينتهون يقربون الاغنياء ويبعدون الفقراء ويتبسطون للكبراء وينقبضون عن الحقراء اولئك اخوان الشياطين واعداء الرحمان[٣٥] .

بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة . بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغلّ في صدوركم . يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته . بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم . جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم . بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فأي الناس اخسر منكم لو تعلمون .

ويلكم حتامَ تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم . مهلاً مهلاً ! ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يُوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ، كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة .

يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان

٣٤) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٦٣ ؛ قابل جزئياً بابن العربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، ٢ : ٢٠٣ ؛ والغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٦ ؛ قابل بنص الانجيل ، متى ٢٣ : ٣ ؛ لوقا ٩ : ٦٢ ؛ ١٧ : ٣٢ .

٣٥) ابن عبد ربه ، كتاب العقد الفريد ، ١ : ١٥٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٧ : ١٥ .

عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم[٢٦] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين : ويلكم يا عبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم اصولكم واهواؤكم عقولكم . قولكم شفاء يبرئ الداء وفعلكم داء لا يقبل الدواء . ألستم كالكرمة التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها ولكنكم كالسمرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها .

ويلكم يا عبيد الدنيا جعلتم العمل تحت اقدامكم من شاء اخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يمكن تناولها . فلا انتم عبيد نصحاء ولا احرار كرام .

ويلكم يا اجراء السوء ، الاجر تأخذون والعمل تفسدون ! سوف تلقون ما تحذرون اذا نظر رب العمل في عمله الذي افسدتم واجره الذي اخذتم[٢٧] .

قد روينا عن عيسى عليه السلام وقيل له : مَن أشدّ الناس فتنة ؟ فقال : زلة عالم اذا زل بزلته عالم[٢٨] .

روي عن عيسى بن مريم عليهما السلام : ماذا يغني عن الاعمى حمل السراج ويستضيء به غيره ؟ وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره ؟ وماذ يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة وما تعملون بها[٢٩] ؟

---

٢٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٨٢ ؛ قابل بالكتاب عينه ، ١ : ٤٤ ؛ ٣ : ٢٢٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٥١ ؛ ٨ : ٢١٣ ، ٣١٨ ؛ والغزالي ، مكاشفة القلوب ، ١٧٧ ؛ فاتحة العلوم ، ١٨ ؛ قابل بالانجيل : متى ٧ : ١٥ ؛ ١٥ : ٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ؛ ٢٣ : ٣ ، ٤ ، ١٤ ، ٢٤ – ٢٨ .

٢٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ .

٢٨) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ١ : ٥٨ ؛ وفي الانجيل : « الويل للعالم من الشكوك ، فلا بد من الشكوك ، ولكن الويل للانسان الذي تقع الشكوك عن يده . » متى ، ١٨ : ٧ ؛ مرقس ، ٩ : ٤٢ ؛ لوقا ، ١٧ : ١–٢ .

٢٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٥٦ ؛ وفي الانجيل : « لا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال بل على المنارة لينير على كل من في البيت » ، متى ، ٥ : ١٥ ؛ مرقس ٤ : ٢١ ؛ لوقا ٨ : ١٦ ؛ ١١ : ٣٣ .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : بحق أقول لكم ان قائل الحكمة وسامعها شريكان وأولاهما بها من حققها بعمله[٣٠] .

قال عيسى بن مريم عليها السلام : يا معاشر الفقها، قعدتم على طريق الآخرة فلا انتم مشيتم فوصلتم اليها ولا انتم تركتم احداً يجوزكم اليها فالويل لمن اغترّ بكم[٣١] !

روي عن عيسى عليه السلام : العلماء ثلاثة ، عالم بالله وبامر الله ، وعالم بالله ليس عالماً بامر الله ، وعالم بامر الله وليس عالماً بالله[٣٢] .

روي عن وهب بن منبّه ان عيسى بن مريم عليه السلام قال : ويلكم يا عبيد الدنيا ماذا يغني عن الاعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ، كذلك لا يغني عن العالم كثرة علمه اذ لم يعمل به . ما اكثر اثار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل وما اكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم ! فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم لباس الصوف منكسين رؤوسهم للارض يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب ! قولهم يخالف فعلهم . من يجتني من الشوك العنب ومن الحنظل التين ، كذلك لا يثمر قول العالم الكذاب الا زوراً لان البعير اذا لم يوثقه صاحبه في البرية نزع الى وطنه واهله ، وان العلم اذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وتخلى منه وعطّله ، وان الزرع الا بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل .

ويلكم يا عبيد الدنيا ان لكل شيء علامة يُعرف بها ويشهد له او عليه . وان للدين ثلاث علامات يُعرف بهن : الايمان والعلم والعمل[٣٣] .

قال عيسى عليه السلام : لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا

٣٠) ابن عبد البر القرطبي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ، ١٠٠ .

٣١) ابن العربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، ٢ : ٢٣ .

٣٢) كتاب الترمذي ، مكتبة الاسكوريال ، عدد ١٨٦٠ صفحة ٥٤ ذكره اسين بلاثيوس ، عدد ٣٢٥ في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٦٠١ .

٣٣) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٢٩ ، قابل بالانجيل ، « هل يجتنى من الشوك عنباً ومن العوسج تيناً ؟ » متى ٧ : ١٦ .

تمنعوها اهلها فتظلموهم . كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء . من وضع الحكمة في غير اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم . ان للحكمة حقاً وان لها اهلاً فاعطِ كل ذي حق حقه[٣٤] .

قال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير[٣٥] .

قال المسيح عليه السلام : ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا ، كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر. ألا ترون أن من شمخ برأسه الى السقف شجّه ، ومن طأطأ أظلّه وأكنّه[٣٦] .

روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل : اين ينبت الزرع ؟ قالوا : في التراب ، فقال : بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب[٣٧] .

يروى ان عيسى عليه السلام قال للحواريين : لست اعلمكم لتعجبوا انما اعلمكم لتعملوا ، ليست الحكمة القول بها انما الحكمة العمل بها[٣٨] .

٣٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٥٣ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٣ ؛ ابو طالب المكي ، ٢ : ٣٢ ؛ قابل بالانجيل : « أعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله . » ، متى ٢٢ : ٢١ .

٣٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٤٣ ؛ الغزالي ، فاتحة العلوم ، ٦٣ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ٣٠٢ ؛ قابل بالانجيل : « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وترجع فتمزقكم . » متى ، ٧ : ٦ .

٣٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٦٢ ؛ قابل بانجيل مثل الزارع الذي القى حبه على ارض حجرة ، وعلى الطريق ، وفي ارض طيبة ترابية ، متى ١٣ : ٣ – ٢٣ ؛ مرقس ٤ : ١٣ – ٢٠ ؛ لوقا ٨ : ٥ – ٨ ؛ وكلامه الآخر : « من ارتفع اتضع ومن اتضع ارتفع » .

٣٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٥٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٧٧ ؛ قابل بالانجيل مثل الزارع : « اما الذي زرع في الارض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم فيعطي ثمرة . » ، متى ١٣ : ٢٣ ؛ لوقا : ٨ : ١٥ .

٣٨) ابن عبد البر القرطبي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ، ١٠٠ ، قابل بالانجيل :

. روي عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال : كل كلام ليس بذكر الله فهو لغو ، وكل سكوت ليس بفكر فهو غفلة ، وكل نظر ليس بعبرة فهو لهو. فطوبى لمن كان كلامه ذكر الله وسكوته تفكرا ونظره عبرة[٣٩] .

قال المسيح عليه السلام : الدنيا لابليس مزرعة واهلها له حراثون[٤٠] .

روي عن عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما انه قال : يا معشر العلماء زغتم عن الطريق واحببتم الدنيا. فكما ان الملوك تركوا الحكمة عندكم فاتركوا ملكهم عليهم[٤١] .

قال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا. وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تُركب وتُمتهن تصعب ويتغير خلقها ، كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ . وبحق أقول لكم ان الزق ما لم ينخرق او يتحل يوشك ان يكون وعاء العسل ، كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة[٤٢] .

قال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن

« اما الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات . . . ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات » متى ٥ : ١٩ ؛ ٧ : ٢١ .

٣٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٨ ؛ قابل جزئياً بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٦ : ٢٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٣ ؛ الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٥٨ ؛ الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ١ : ٢٩٧ .

٤٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٩٤ ؛ وفي الانجيل : « الحقل هو العالم ، والزرع الجيد هو بنو الملكوت ، والزؤان هو بنو الشرير ، والعدو الذي زرعه هو ابليس والحصاد هو منتهى الدهر ، والحصادون هم الملائكة . » متى ١٣ : ٣٨-٣٩ .

٤١) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٩٠ ؛ قابل بالانجيل : « اوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » متى ٢٢ : ٢١ .

٤٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١١١ .

كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد[٤٣] .

قال المسيح عليه السلام: لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم[٤٤] .

قال المسيح صلعم : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . قالوا : يا نبي الله انا نريد ان نبني بيتاً نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاختر لنا موضعاً نبني فيه ، فقال : تعالوا . فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال : ابنوا ههنا . فقالوا: نبني على قنطرة وهي مدرجة للناس لا يدعوننا فيها ؟ فقال : كذلك الدنيا مدرجة للموتى وانتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها[٤٥] .

قيل لعيسى عليه السلام: ألا تبني بيتاً ؟ قال: ابني على طريق السيل[٤٦] .

قال عيسى عليه السلام : مثل الدنيا في الآخرة كمثل رجل له ضرتان ان ارضى احديهما أسخط الأخرى[٤٧] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام : يا بني اسرائيل اعلموا أن مثل دنياكم مع آخرتكم كمثل مشرقكم مع مغربكم ، كلما اقبلتم الى المشرق بعدتم

---

٤٣) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣ : ١٤٠ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨ : ٨٦ ؛ وفي الانجيل : « لا يمكنكم ان تعبدوا ربين الله والمال » ، متى ٦ : ٢٤ ؛ ١٩ : ٢١ – ٢٦ ؛ لوقا ١٦ : ١٣ .

٤٤) الغزالي، احياء علوم الدين، ٤ : ١٤٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٨٩ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣ : ١٨ .

٤٥) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣ : ١٧٨ – ١٧٩ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٨ ، الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٣٢ ، وفي الانجيل : « وكل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به يشبه رجلاً جاهلاً بنى بيته على الرمل » ، متى ٧ : ٢٦ ، لوقا ٦ : ٤٧ – ٤٩ .

٤٦) عن سفيان الثوري، الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٩ : ٣٣٢، ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٣ .

٤٧) ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، صفحة ٢٥٧ شمالاً ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٥١ ، وفي الانجيل : « لا يمكنكم ان تعبدوا ربين الله تعالى والمال » ، متى ٦ : ٢٤ .

من المغرب ، وكلما اقبلتم من المغرب ازددتم من المشرق بعدًا . اوصاهم بهذا المثل ان يقربوا من الآخرة بالاعمال الصالحة[٤٨] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام لبعض اصحابه يوصيه: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وكن كالمداوي جرحه بالدوا. خشية ان يثقل عليه، وعليك بكثرة ذكر الموت فان الموت يأتي الى المؤمن بخير لا شر بعده ، والى الشرير بشر لا خير بعده[٤٩] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام في بعض مواعظه لبني اسرائيل: يا ايها العلماء وايها الفقهاء. تعدتم على طريق الآخرة فلا انتم تسيرون فيها فتدخلون الجنة ولا تتركون احدًا يجوزكم اليها ، وان الجاهل اعدل من العالم وليس لواحد منهما عذر[٥٠] .

قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله[٥١] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : والله ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التاط قلبه منها بثلاث : شغل لا ينفك عناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وامل لا يبلغ منتهاه[٥٢] .

قال الحواريون : يا عيسى من هم اوليا. الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال عيسى عليه السلام : الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ، والذين نظروا الى آجل الدنيا حين نظر الناس الى

٤٨) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤:٤٦٤ ؛ قابل بالانجيل ، « من يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها لحياة الابد » يوحنا ١٢ : ٢٥ ؛ والمزمور ١٠٣ : ١٢ : « بمقدار بعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا » .

٤٩) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤:٥٦٥ ؛ وفي المزمور ٣٣ : ٢٢ : « موت الخطاة بالسيئات » .

٥٠) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤:٥٦٧ .

٥١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٩ ؛ رسالة الى ماكشاه ، ٧٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١١١ .

٥٢) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٣٣٢ .

عاجلها ، فأماتوا منها ما يخشون أن يشينهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً وذكرهم اياها فواتاً وفرحهم بما اصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نيلها رفضوه ، وما غارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه ، وخلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها ، وخربت بيوتهم فليسوا يعمرونها وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها بعد موتها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين ونظروا الى اهلها صرعى قد حلت بهم المثلات وأحيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله عز وجل ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به . لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب وبهم عُلم الكتاب وبه عملوا ؛ وليس يرون نائلاً مع ما نالوا ولا اماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون[٥٣] .

قال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبيداً . اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة .

وقال عليه افضل الصلاة والسلام : يا معشر الحواريين اني قد كبيت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا أن عُصي الله فيها ، وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تُدرك الا بتركها . ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة ساعة اورثت اهلها حزناً طويلاً .

وقال ايضاً : بطحتُ لكم الدنيا على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء ، فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم ، واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة .

وقال ايضاً : الدنيا طالبة ومطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى

---

٥٣) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١ : ١٠ ؛ قابل جزئياً بابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ؛ قابل بمواعظ المسيح المديدة في الانجيل عن متاركة العالم وبطلانه وعن قهر الذات .

يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه[٥٤] .

قال المسيح عليه السلام : يا طالب الدنيا ليبرّ بها ، تركك لها أبرّ .

وقال : أقلّ ما فيه أن يشغله اصلاحه عن ذكر الله ، وذكر الله اكبر وافضل[٥٥] .

قيل لعيسى عليه السلام : علّمنا علماً واحداً يحبنا الله عليه . قال : ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى .

قال عيسى عليه السلام : اوحى الله الى الدنيا : من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه[٥٦] .

قال عيسى عليه السلام : انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تذخر ، والله تعالى يرزقها يوماً بيوم ، فان قلتم نحن أكبر بطوناً ، فانظروا الى الإنعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الخلق للرزق[٥٧] .

---

٥٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣: ١٣٩ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨: ٨٢ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٦ ؛ ويزيد ابو نعيم الاصبهاني بعد « لا تعمروها » نقلاً عن وهيب بن الورد : « وان هذا الباطل خفيف وبيء ، وترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة » ؛ وفي الانجيل : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون ، لكن اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون . . لا يقدر احد ان يعبد ربين لانه إما ان يبغض الواحد ويحب الاخر او يلازم الواحد ويرذل الاخر ، لا تقدروا ان تعبدوا الله والمال » ، متى ٦: ١٩ ، ٢٠-٢٤ ؛ « هذا الجنس لا يخرج الا بالصوم والصلاة » ، متى ١٧ : ٢٠ ؛ « انكم في العالم ستكونون في ضيق ولكن ثقوا فاني قد غلبت العالم » ، يوحنا ١٦ : ٣٣ ؛ « الكبرياء اول الخطاء » ، سفر يشوع بن سيراخ ١٠: ١٥ .

٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣: ١٤٢ ، ٢٢٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٩٠ ، ٣٢١ .

٥٦) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٢٣ ؛ قابل بانجيل لوقا ١٢: ٢٩ - ٣١ .

٥٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤: ١٩٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩: ٤٧٧ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ٣: ٦ .

قال عيسى عليه السلام : اعملوا لله ولا تعملوا الى بطونكم . انظروا الى هذا الطير يغدو ويروح لا يحرث ولا يحصد الله تعالى يرزقها ، فان قلتم نحن اعظم بطوناً من الطير فانظروا الى هذه الاباقر من الوحش والحُمر تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد الله يرزقها ، اتقوا فضول الله فان فضول الدنيا عند الله رجز[٥٨] .

كان عيسى عليه السلام يقول للدنيا : اليك يا خنزيرة[٥٩] .

قال الحواريون : روح الله نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله تعالى كما امرتنا ولا نقدر نمشي على الماء كما تمشي انت . فقال : اخبروني كيف حبكم للدنيا . قالوا : انا لنحبها. فقال : ان حبها يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر .

وفي خبر آخر انه رفع حجراً فقال : ايها احب اليكم هذا او الدينار والدرهم ؟ قالوا : الدينار ، قال : فانهما عندي سواء[٦٠] .

روي عن طريق عبد الواحد بن زيد قد قال عيسى بن مريم عليه السلام : يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم[٦١] .

قيل لعيسى عليه السلام : لِمَ لا تشتري حماراً فتركبه ؟ فقال : انا اعز على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار[٦٢] .

قال المسيح عليه الصلاة والسلام للحواريين : انا الذي كفأت الدنيا على

---

٥٨) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٧٧ ؛ وفي الانجيل : « انظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر وابوكم السماوي يقوتها » ، متى ٦ : ٢٦ .

٥٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ٢ : ١٦١ ؛ يشبه هذا قول المسيح للشيطان الذي جرّبه في شخص بطرس : « اليك عني يا شيطان » ، مرقس ٨ : ٣٣ .

٦٠) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٩٠ ؛ قابل بسفر الحكمة ، ٧ : ٩ .

٦١) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٥ ؛ ١٠ : ٢٢٣ ؛ وهذا بيت معروف لابي العتاهية : « لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب » .

٦٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٣٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٤١٤ ؛ الدميري ، حياة الحيوان ، ٢ : ٢٥١ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل : « ان طعامي هو ان اعمل مشيئة من ارسلني » ، يوحنا ٤ : ٣١-٣٤ .

وجها فليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب[٦٣] .

قال عليه السلام للحواريين : اتخذوا المساجد بيوتاً والبيوت منازل وكلوا بقل البرية واشربوا الماء القراح وانجوا من الدنيا سالمين[٦٤] .

ضرب عيسى عليه السلام بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر ، فقال لاصحابه : ايها احلى في قلوبكم؟ قالوا : الذهب . قال : فانهما عندي سواء[٦٥] .

قال المسيح عليه السلام : معاشر الحواريين ، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا . بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل[٦٦] .

روينا عن عيسى عليه السلام : الدنيا قنطرة خلقت يُعبر اليها الى الآخرة فاعبروها ولا تعمروها[٦٧] .

روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا ورآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجتِ ؟ قالت : لا احصيهم . قال : فكلّهم مات عنك ام كلهم طلّقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت . فقال عيسى عليه السلام : بؤساً لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد ولا يكونون منك على حذر[٦٨] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه في غير حله . فقيل : إن أخذ من حله ؟ فقال : يضعه في غير حقه . فقيل : إن

٦٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٩٤ .

٦٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ .

٦٥) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٨٩ .

٦٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٣٢ ، ١٦٤ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٤٩ ، ٣٥١ ؛ عبيد الضرير ، ترجمة الناظرين ، ٢٦٣ .

٦٧) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٨ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١١٠ .

٦٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٨ ؛ رسالة الى ملكشاه ، ٧٣ ؛ التبر المسبوك ، ٣٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ٨ : ١٠٧ ؛ عبيد الضرير ، ترجمة الناظرين ، ٣٠٩ .

وضه في حقه ؟ فقال : يشغله اصلاحه عن الله تعالى[٦٩] .

قال عيسى عليه السلام : من عمل بغير مشورة باطلا يتمنى[٧٠] .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شي لا تأكله النار قيل : وما هو ؟ قال : المعروف[٧١] .

قد قال العدل عيسى عليه السلام : قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم في السما تكن قلوبكم في السما.[٧٢]

ضرب عيسى عليه السلام بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر فقال لاصحابه : ايهما احلى في قلوبكم ؟ قالوا : الذهب . فقال : فانهما عندي سوا.[٧٣]

ورد في الانجيل : اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يري الخفيات يجزيك علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك[٧٤] .

قال عيسى المسيح صلعم : اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم . واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله . واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق[٧٥] .

٦٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٦٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٥٦ .

٧٠) عن يزيد بن ميسرة ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٣٧ .

٧١) الغزالي ، احياء علوم الدين ٣ : ١٦٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٧٦ ؛ قابل بكلام المسيح في انجيل متى ٦ : ١٩ وما بعدها .

٧٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٢ : ٨١٢ ؛ قابل بكلام المسيح في انجيل متى ٦ : ١٩ - ٢١ .

٧٣) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٨٩ .

٧٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٤٢ ؛ ١ : ١٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٣٤ ؛ ٤ : ١١٢ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل تجد النص نفسه الا بعض الكلمات ، متى ٦ : ٣-٤ ، ٦ ، ١٧-١٨ .

٧٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٠٣ ، ٢٠٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٢٦٣ ، ٢٦٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ٣-٤ .

قال مالك بن دينار : بلغني ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه : أجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وأنصبوها لعل قلوبكم ان تعرف الله عز وجل[٧٦] .

قال عيسى عليه السلام : تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم . قالوا : يا روح الله فمن نجالس ؟ قال : جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله[٧٧] .

في اخبار عيسى عليه السلام : اذا رأيت الفتى مشغوفاً بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه[٧٨] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام في ما حدثنا ابن الحمل الكاتب النصراني لتلامذته : علامتكم التي تعرفون بها انكم مني أن يودّ بعضكم بعضاً .

وقال عيسى ايضاً ليشوع تلميذه : اما الرب فينبغي ان تحبه بكل قلبك ثم تحب قريبك كما تحب نفسك . قيل له : بيّن لنا يا روح الله ما بين هاتين المحبتين حتى نستعدّ لهما بتبصرة وبيان — قال : ان الصديق تحبه لنفسك والنفس تحبها لربك ، فاذا صنت صديقك فلنفسك تصون ، واذا جدت بنفسك فلربك تجود[٧٩] .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون اذ رأيتم اخاكم نائماً وقد كشف الريح ثوبه عنه ؟ قالوا : نستره ونغطيه . قال : بل تكشفون

٧٦) ابو نعيم الاصبهاني ، ٢ : ٣٧٠ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٦٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٨٨ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ١ : ١٤٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٦-٨ .

٧٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١١٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ١٧٧ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٥٨ ؛ قابل بالانجيل ، يوحنا ١٥ : ١٨ الخ . . .

٧٨) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٤ : ٢٢١ ؛ الزبيدي ، ٩ : ٥٧٥ ؛ الذي يبدل «الفتى مشغولاً» «بالفتى مستغرقاً» ويزيد : «والمحب له يحب النصب لله تعالى» .

٧٩) ابو حيان التوحيدي ، رسالة في الصداقة والصديق، ٦٤ ؛ قابل بما ورد في الاناجيل في مواضع مختلفة ، يوحنا ١٣ : ٣٥ ؛ متى ٢٢ : ٣٤-٤٠ ؛ مرقص ١٢ : ٢٨-٣٤ .

عورته . قالوا : سبحان الله من يفعل هذا ؟ فقال : احدكم يسمع بالكلمة في اخيه فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها[٨٠] .

قيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ قال : ما أدبني أحد ، رأيت جهل الجاهل شيئاً فاجتنبته[٨١] .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره[٨٢] .

قال عيسى عليه السلام : اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة[٨٣] .

قيل لعيسى عليه السلام : دلنا على عمل ندخل به الجنة . قال : لا تنطقوا ابداً . قالوا : لا نستطيع ذلك . فقال : فلا تنطقوا الا بخير[٨٤] .

قال عيسى عليه السلام : العبادة عشرة اجزاء ، تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس[٨٥] .

قال عيسى عليه السلام : من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال

---

٨٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١٢٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ٢١٤ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ١٢٧ ؛ قابل بما ورد في الكتاب المقدس ، سفر التكوين ٩ : ٢٠-٢٣ .

٨١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٤ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٥٠ .

٨٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٤ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٥١ .

٨٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ؛ ٣ : ٧٤ ؛ منهاج العابدين ، ٣٤ ؛ الزبيدي ، ٧ : ٤٣٣ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٢٨ .

٨٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٠ ؛ الزبيدي ، ٧ : ٤٥٣ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٢ : ٣٦-٣٧ ؛ ١٩ : ١٦ .

٨٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨١ ؛ الزبيدي ؛ اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٤٥٥ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٢ .

سقطت مروءته، ومن كثر همّه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذّب نفسه[٨٦].

قيل مكتوب في الانجيل: من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان[٨٧].

قال عيسى عليه السلام: من الذي يبني على موج البحر دارًا ؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا[٨٨].

قال عيسى عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارًا[٨٩].

قال المسيح عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة[٩٠].

قال عيسى عليه السلام: جودة الثياب خيلاء القلب[٩١].

قال عيسى عليه السلام: ما لكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري، البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية[٩٢].

---

٨٦) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣: ٨٥ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٧: ٤٧١.

٨٧) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣: ١٢٧ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨: ٤٥ ؛ قابل بالانجيل، لوقا، ٦: ٢٨.

٨٨) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣: ١٤١ ؛ مكاشفة القلوب، ٦٨ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨: ٨٨ ؛ قابل بالانجيل، متى ٧: ٢٦ ؛ لوقا ٦: ٤٧–٤٩: «وكل من يسمع كلامي ولا يعمل به يشبه رجلًا جاهلًا بنى بيته على الرمل ...»

٨٩) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣: ٢٣٥ ؛ مكاشفة القلوب، ١٠٣ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨: ٢٤٢.

٩٠) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣: ٢٣٧ ؛ مكاشفة القلوب، ١٣٥ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨: ٢٥٢ ؛ قابل بالانجيل، متى ١٨: ٤ ؛ ١٩: ٢٨ ؛ ٢٣: ١٢ ؛ ٥: ٨ ؛ لوقا ١٤: ١٠.

٩١) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣: ٢٤٧ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨: ٢٨١ ؛ قابل بالانجيل، لوقا ٧: ٢٥.

٩٢) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣: ٢٤٧ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨: ٢٨٣ ؛ قابل بالانجيل، متى ٧: ١٥.

قال عيسى عليه السلام : انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون[٩٣] .

رأيت في الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف ، وانا أقول لكم : لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحوّل اليه الخد الايسر ومن أخذ رداءك فأعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين[٩٤] .

روي عن المسيح عليه الصلاة والسلام انه قال : يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر[٩٥] .

قال عيسى عليه السلام : لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه . والصديقون يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون يبتلون بامراض القلوب ، لان في امراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان ، وفي امراض القلوب ضعفها عن اعمال الآخرة والايقان[٩٦] .

سئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال : الرضا عن الله تعالى والحب له[٩٧] .

---

٩٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٥٥ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٦٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٦ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢:٨٧ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٣٣ حيث نجد : « لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون » .

٩٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٥٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٢٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥:٣٨-٤١ .

٩٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:١٢٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٣١ .

٩٦) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣:٣٥ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٢٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٥٢٧ .

٩٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٢٥٨ ؛ الزبيدي ، ٩ : ٦٨٢ ؛ قابل برسالة القديس بولس الاولى الى القرنثيين ، ١٣:١٣ .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم[٩٨] .

قال الحواريون لعيسى عليه السلام : يا روح الله ما الاخلاص لله عز وجل ؟ فقال : الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد . قالوا : فمن الناصح لله عز وجل ؟ قال : الذي يبدأ بحق الله تعالى قبل حق الناس ، واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بامر الله تعالى قبل امر الدنيا[٩٩] .

قال عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق فان يكن غد من آجالكم فسيأتي فيه ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم[١٠٠] .

قال عليه السلام للحواريين : لا تنظروا في اعمال الناس كأنكم ارباب وانظروا في اعمالكم كأنكم عبيد ، فانما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية[١٠١] .

قال عليه السلام للحواريين : عجباً لكم تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بعمل[١٠٢] .

٩٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٦٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ٢٢—٢٣ .

٩٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ٣٠ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٧٣ ؛ منهاج العابدين ، ٦١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٥٦ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ٥—٦ ، ١٦—١٨ ، ٢٢—٢٣ ؛ لوقا ١١ : ٣٤—٣٦ .

١٠٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٣٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٥١ ؛ قابل بالانجيل : « لا تهتموا بشأن الغد : فالغد يهتم بشأنه . يكفي كل يوم شره . » متى ٦ : ٣٤ .

١٠١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥٨ ؛ قابل بالانجيل : « لا تدينوا لئلا تدانوا . . . ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك » متى ٧ : ١ ، ٣ ؛ ١٢ : ٧ ؛ لوقا ٦ : ٣٧ .

١٠٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ، ٣١٥ ؛ وفي الانجيل ، شيء يشبه هذا ، متى ١١ : ١٢ ؛ لوقا ١٦ : ٨ .

ومما انزل الله على المسيح في الانجيل شوقناكم فلم تشتاقوا ونحنا لكم فلم تبكوا ! يا صاحب الخمسين ما قدمت وما أخرت ، يا صاحب الستين قد دنا حصادك ، ويا صاحب السبعين هلم الى الحساب[١٠٣] !

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه : يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في اربع منازل هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيء الظن يخاف خذلان الله اياه . فاما المنزلة الاولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ، ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، فوفاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن . فاذا اخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره عليه اكراهاً ويوجر ايجاراً حتى ينبت عليه لحمه ودمه . فاذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من ابويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه . فاذا وقع في المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلاً خشي ان لا يرزق فيثب على الناس فيخون اماناتهم ويسرق امتعتهم وينصبهم اموالهم مخافة خذلان الله تعالى اياه[١٠٤] .

قد روينا عن المسيح صلعم انه قال : من أكرم الله من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه[١٠٥] .

كان عيسى عليه السلام يقول : حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وجودة الثياب خيلاء القلب ، يعني اعجابه وكبره ، وملء البطن جمام النفس ، يعني قوتها واجتماعها[١٠٦] .

قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريين : يا ملح الارض لا تفسدوا ،

١٠٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٨ ؛ قابل بالانجيل : « زمرنا لكم فلم ترقصوا ونحنا لكم فلم تبكوا » متى ١١ : ١٧ ؛ لوقا ٧ : ٣٢ .

١٠٤) الجاحظ ، كتاب المحاسن والاضداد ، ١٦٧ .

١٠٥) ابن القوطيه ، تاريخ الاندلس ، ٤٠ ؛ ذكره اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ١٩ : ٥٣٩ ، عدد ١٠٧ .

١٠٦) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٩ ؛ قابل جزئياً بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٨١ .

فان الاشيا. اذا فسدت انما تداوى بالملح وان الملح اذا فسد لم يُداوَ بشيء .

يا معشر الحواريين لا تأخذوا ممن تعلمون اجرًا الا كما اعطيتموني، واعلموا ان فيكم خصلتين من الجهل : والضحك من غير عجب والتصبح من غير سهر[١٠٧] .

ويقال مكتوب في الانجيل : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ، وارضَ بنصرتي لك فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك[١٠٨] .

قال (عيسى لبني اسرائيل) : لا تكافوا ظالماً بظلم فيبطل فضلكم عند ربكم[١٠٩] .

ذُكر عن عيسى بن مريم عليه السلام بهذا اللفظ : أربع لا تصير الا في مؤمن: الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وذكر الله تعالى ، وقلة الشر[١١٠] .

وفي الانجيل مكتوب : من يزرع السوء يحصد الندامة[١١١] .

وعن قتادة انه قال : ذكر لنا ان في الانجيل مكتوباً : يا ابن آدم كما ترحم فكذلك تُرحم وكيف ترجو ان يرحمك الله وانت ترحم عباده[١١٢] .

قال مالك بن انس رضي الله تعالى عنه : بلغني أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو قلوبكم والقلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون[١١٣] .

---

١٠٧) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٠ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٧٣ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ١٣ ؛ ٦ : ١-٢ ؛ ١٠ : ٨ ؛ مرقس ٩ : ٥٠ ؛ لوقا ١٤ : ٣٤-٣٥ .

١٠٨) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٣ .

١٠٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٥ ؛ قابل بالانجيل : « أما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشرير » ، متى ٥ : ٣٩ .

١١٠) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٧ ؛ قابل بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٢٤ .

١١١) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٣٥ ؛ قابل بمواضع عديدة من الكتاب المقدس ، سفر ايوب ٤ : ٨ ؛ سفر الامثال ٦ : ١٤ ؛ ١١ : ١٨ ؛ سفر يشوع بن سيراخ ٧ : ٣ .

١١٢) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٣٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ؛ ١٨ : ٣٥ ؛ مرقس ١١ : ٢٥ .

١١٣) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٣٩ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥٨ .

حدثنا محمد بن الفضل عن سالم بن ابي الجعد رضي الله عنه قال : قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه : لا تخبئوا طعاماً لغد فان غداً يأتي ومعه رزقه وانظروا الى الذر ومن يرزقه ، فان قلتم بطون الذر صغار فانظروا الى الطائر ، فان قلتم للطائر اجنحة فانظروا الى الوحوش ما ابدنها واسمنها[١١٤] .

سأل رجل عيسى عليه السلام : اي الناس افضل فأخذ قبضتين من تراب وقال : أي هاتين افضل ؟ الناس خلقوا من تراب فأكرمهم اتقاهم[١١٥] .

روي عن ابراهيم بن ادهم ان عيسى عليه السلام قال : كرامة المؤمن على الله ان يقول للجبل تحرّكْ فتحرك[١١٦] .

روي عن معروف الكرخي ان عيسى عليه السلام قال : اذكر القطن اذا وضع على عينيك[١١٧] .

كان سفيان الثوري يقول : قال رجل لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : أوصني . قال : انظر خبزك من أين هو[١١٨] .

ورد عن عيسى صلوات الله عليه : لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين[١١٦] .

قول عيسى بن مريم : يا بني اسرائيل بحق اقول لكم لا يلج ملكوت السموات والارض من لم يلد مرتين . انا والله ممن وُلد مرتين ، الايلاد الاول

---

١١٤) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٦٨ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ٣ : ٦ .

١١٥) عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٥١ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٨ : ١-٥ ؛ مرقس ٩ : ٣٢-٤٠ ؛ لوقا ٩ : ٤٦-٥٠ .

١١٦) تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ : ٤٢٨ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٧ : ١٩ .

١١٧) تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ : ٥٧٦ .

١١٨) عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ١ : ٤١ .

١١٩) السهروردي ، عوارف المعارف ، ١ : ١٨٥ ؛ قابل بالانجيل قول المسيح لنيقوديموس : « الحق الحق اقول لك ان لم يولد احد ثانية فلا يقدر ان يعاين ملكوت الله » ، يوحنا ٣ : ٣ .

ايلاد الطبيعة والايلاد الثاني ايلاد الروح في سما. المعارف[١٢٠] .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لذرية المؤمن طوبى لهم كيف يُحفظون من بعده[١٢١] .

قال للحواريين حين اوصاهم وصية وفرغ منها : فاذا فعلتم ما امرتكم به كنتم غداً معي في ملكوت السما. عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وانتم هناك ملتذون بجميع اللذات من غير اكل ولا شرب[١٢٢] .

قال المسيح عليه السلام : يا معشر الحواريين ، كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من عابد قد افسدهُ العجب[١٢٣] .

قال المسيح عليه السلام : ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب سبحانه . عادة النوكى المجيُّ في غير وقت والجلوس فوق القدر . اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة[١٢٤] .

قال عيسى عليه السلام : احتملوا من السفيه كلمة تربحوا عشراً[١٢٥] .

روي عن عيسى عليه السلام انه قال : ان الله تعالى يبغض الضحاك من

---

١٢٠) عبد الوهاب الشعراني ، لواقح الانوار القدسية ، ٢ : ٢٦ ؛ قابل بالانجيل ، يوحنا ٣:٣ .

١٢١) عبد الوهاب الشعراني ، اليواقيت والجواهر ، ٢:١٩٥ ؛ وعن مجاهد عند ابي نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣:٢٨٥ : « طوبى للمؤمن ثم طوبى له كيف يخلفه الله تعالى فيمن ترك بخير » .

١٢٢) اخوان الصفا ، رسائل ، ٤:٩٥ ؛ قابل بالانجيل : متى ١٥ : ١-١١ ، ١٧-٢٠ ؛ ٢٣ : ٢٥-٢٨ ؛ مرقس ٧ : ١-٢٣ ؛ لوقا ١١ : ٣٩ ؛ ٢ قورنثيين ، ٧ : ١ .

١٢٣) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٦٣ .

١٢٤) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٢٠٤ ؛ قابل بالانجيل « طوبى للمتواضعين . . . » ، متى ٥ : ٤ . . .

١٢٥) ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٤٦٤ ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ٦ : ٢٨ ، ٤ ؛ متى ١٢ : ٢٤-٣٥ .

غير عجب المشّاء من غير ارب ، وذكر فرق بين المداعبة والمزاح[١٣٦] .

من كتاب التراجم عن عيسى عليه السلام قال : عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم[١٣٧] .

قال عيسى : ان استطعتم ان تكونوا بلهاء في الله مثل الحمام فافعلوا . قال وكان يقال ليس شيء ابله من الحمام انك تأخذ فرخيه من تحته فتذبحها ثم يعود الى مكانه فيفرخ فيه[١٣٨] .

قال عيسى : كلموا الله كثيراً وكلموا الناس قليلاً . قالوا : كيف نكلم الله كثيراً ؟ قال : اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه[١٣٩] .

وهذا معنى قول المسيح بن مريم، وكان في يده اليمنى ماء وفي يده اليسرى خبز : هذا ابي وهذا امي ، فجعل الماء اباً وجعل الطعام اماً ، لان الماء من الارض يقوم مقام النطفة من المرأة هذه تنبت هذا وهذه تحبل عن هذا[١٣٠] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : استحيوا من الله عز وجل في سريرتكم كما تستحيون منه في علانيتكم[١٣١] .

في الانجيل : انا رأس الحياة وطرق الحق من عرفني ثم مات فما مات

---

١٣٦) السهروردي ، عوارف المعارف ، ٣ : ٤٨ .

١٣٧) ابن العربي ، محاضرة الابرار ، ٢ : ٣ .

١٣٨) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، عن يزيد بن ميسره ، ٥ : ٢٣٩ ؛ قابل بالانجيل : « كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام » ، متى ١٠ : ١٦ .

١٣٩) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، عن رباح عن عمرو القيسي ، ٦ : ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل : « اما انت اذا صليت فادخل مخدعك واغلق بابك وصلّ الى ابيك في الخفية وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك » ، متى ٦ : ٦ .

١٣٠) ابن سيده المرسي ، كتاب المخصص ، ١٣ : ١٧٣ ، ذكره اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٥٦٨ ، عدد ١٥٩ .

١٣١) ابو سعيد المركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، صفحة ٢٣٧ يمينا ؛ ذكره اسين بلاثيوس في المرجع نفسه ، عدد ١٦١ ؛ قابل بانجيل متى ٦ : ٦ .

موتاً انما حيّ حياة[١٣٢] .

قيل لعيسى عليه السلام : لو اتخذت بيتاً يكنك . قال : يكفينا خلقان من كان قبلنا[١٣٣] .

قال عيسى عليه السلام لرجل من اصحابه وكان غنياً : تصدق بمالك ، فكره ذلك ، فقال عيسى عليه السلام : ما يدخل الغني الجنة[١٣٤] .

وقال ... : ويلكم غرماء السوء تبدأون بالهدية قبل قضاء الدين . بالنوافل تتطوعون وما أمرتم لا تؤدّون ، ان رب الدين لا يقبل الهدية حتى يقضى دينه[١٣٥] .

قال ابو سعيد الزاهد : عيرت اليهود عيسى مريم صلعم بالفقر ، فقال : من الغنى اتيتم[١٣٦] .

كان المسيح عليه السلام يقول : ان احببتم ان تكونوا اصفياء الله ونور بني آدم فاعفوا عن من ظلمكم وعودوا من لا يعودكم واقرضوا من لا يجزيكم وأحسنوا الى من لا يحسن اليكم[١٣٧] .

---

١٣٢) ابن جهضم الهمداني ، كتاب بهجة الاسرار ، مخطوطة دمشق ، عدد ٥٤ ، دون تصفيح ؛ وهو مأخوذ عن كلام المسيح في الانجيل : « انا الطريق والحق والحياة » ، يوحنا ١٤ : ٦ ؛ « من يؤمن بي وان مات فسيحيا » ، يوحنا ١١ : ٢٥–٢٦ .

١٣٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٦ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٨ : ٢٠ .

١٣٤) عن خيثمه بن عبد الرحمن ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ١١٩ ؛ وهي قصة الشاب الغني الذي قال له المسيح : « اذهب فبع كل مالك واعطه للمساكين . . . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً لانه كان ذا مال كثير . » ، راجع الانجيل ، متى ١٩ : ١٦–٢٢ ؛ مرقس ١٠ : ١٧–٢٢ ؛ لوقا ١٨ : ١٨–٢٣ .

١٣٥) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٣ : ١٤١ .

١٣٦) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٣ : ١٥٥ .

١٣٧) عن يزيد بن ميسرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٣٨–٢٣٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٤٤–٤٦ ، لوقا ٦ : ٢٧–٢٩ .

مكتوب في الانجيل : الحجر في البنيان من غير حلّ عربون خرابه[١٣٨] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : ان اعظم الذنوب ان يقول الرجل : الله يعلم اني صادق والله يعلم انه كاذب[١٣٩] .

قال عيسى عليه السلام : كونوا اوعية الكتاب وينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم أن لا يكثر لكم[١٤٠] .

يا معشر بني اسرائيل ان موسى عليه السلام نهاكم عن الزنا ونعم ما نهاكم عنه ، فاني انهاكم ان تحدثوا به انفسكم ؛ فان مثل من حدث به نفسه ولم يعمل به مثل بيت من خزف يوقد فيه فان لم يحترق اسودّ من دخانه . ويا معشر بني اسرائيل ان موسى عليه السلام نهاكم ان تحلفوا بالله كاذبين ونعم ما نهاكم عنه ، واني انهاكم ان تحلفوا بالله كاذبين او صادقين[١٤١] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين : كما ترك لكم الملوك الحكمة فدعوا لهم الدنيا[١٤٢] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : لن تنالوا ما عند الله حتى تلبسوا الصوف على لذة ، وتأكلوا الشعير على لذة ، وتفترشوا الارض على لذة[١٤٣] .

قال عيسى عليه السلام : ان الشيطان مع الدنيا ومكره مع المال وتزيينه عند الهوى واستكماله عند الشهوات[١٤٤] .

---

١٣٨) عن ثور بن زيد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٩٥ ؛ اما كلام الانجيل فهو : « الحجر الذي رذله البناؤون صار رأس الزاوية » ، متى ٢١ : ٤٢ ؛ اعمال الرسل ٣ : ٣٣ ؛ مزمور ١١٨ : ٢٢-٢٣ .

١٣٩) عن سعيد بن عبد العزيز ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ١٢٥ .

١٤٠) عن سفيان الثوري ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٤ ؛ وفي الانجيل : « يكفي كل يوم شره » ، متى ٦ : ٣٣ .

١٤١) عن وهيب بن الورد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٥ — ١٤٦ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل ، متى ٥ : ٢٧-٣٦ .

١٤٢) عن خلف بن حوشب ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٩٢ .

١٤٣) عن ضرار بن مرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٩٢ .

١٤٤) عن يونس بن ميسرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٥٢ .

ان عيسى عليه السلام قال للحواريين : بحق اقول لكم ما الدنيا تريدون ولا الآخرة . قالوا : يا رسول الله فسّر لنا هذا الامر ، فانا قد كنا نرى انّا نريد احداهما . قال : لو اردتم الدنيا أطعتم رب الدنيا الذي مفاتيح خزائنها بيده فاعطاكم ، ولو اردتم الآخرة اطعتم رب الآخرة الذي يملكها فاعطاكموها ، ولكن لا هذه تريدون ولا تلك[١٤٥] .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : بحق اقول لكم ان اشدكم جزعاً على المصيبة اشدكم حباً للدنيا[١٤٦] .

قال رجل لعيسى عليه السلام : احملني معك في سياحتك . فقال : أخرج مالك والحقني . فقال : لا استطيع . فقال عيسى عليه السلام: بعجب يدخل الغني الجنة ، اوقال : بشدة[١٤٧] .

قال المسيح صلوات الله عليه وسلامه : اني لاحب المسكنة وابغض المال للغنى ، وان في المال داء كثيراً قيل : يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال؟ قال : يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى[١٤٨] .

كان احب الاسماء الى عيسى عليه السلام أن يدعى به أن يقال له : يا مسكين . وكان يقول : من شر الغنى ان العبد يعصى ليستغني ولا يعصى

---

١٦٥) عن حيلان بن فروه ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥٨ .

١٤٦) عن وهب بن منبه ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٦٧ .

١٤٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٦ : ١٧ ، ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٨١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٧٧ ؛ قابل في الانجيل قصة الشاب الغني الذي جاء يسأل يسوع عن الصلاح لدخول الحياة الابدية : « قال له يسوع ان كنت تريد ان تكون كاملاً فاذهب وبع كل شيء لك وأعطه المساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً لانه كان ذا مال كثير . فقال يسوع لتلاميذه : الحق اقول لكم : انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت السماوات » متى ١٩ : ١٦-٢٤ ؛ مرقس ١٠ : ٢٣ ؛ لوقا ١٨ : ٢٤ ؛ ونجد شبهاً يكاد يكون حرفياً بين الآية الاخيرة من الانجيل وبين واحدة في القرآن : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط » ، سورة الاعراف ، ٧ : ٤٠ .

١٤٨) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣ : ١٨٩ .

ليفتقر . اني لاحب المسكنة وابغض المال للغنى ، وانّ في المال داء كثيرا . قيل : يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال ؟ قال : يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى[١٤٩] .

يروى عن نبيّنا وعن المسيح عليهما السلام : أربع لا يدركن الا بتعب الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وكثرة الذكر ، وقلة الشي.[١٥٠] .

كان المسيح صلعم يقول : يا بني اسرائيل : عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير ، واياكم وخبز البرّ فانكم لن تقوموا بشكره[١٥١] .

قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا[١٥٢] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام:ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها . وتغره ويأمنه ويثق بها وتخذله ، وويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدًا بذنبه[١٥٣] .

قال عيسى عليه السلام : ما عجزت عن احياء الموتى ولكن عجزت عن

١٤٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٨٩ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٨١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٧٧ .

١٥٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٣٤ ؛ ابو طالب المكي ، ٢ : ١٩٤ .

١٥١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٦٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٥١ .

١٥٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٦٠ ؛ وفي الانجيل : « من وجد نفسه يهلكها ومن اهلك نفسه يجدها » ، متى ١٠ : ٣٩ ؛ « ماذا يفيد الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ، متى ١٦ : ٢٦ .

١٥٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٧ ؛ وفي الانجيل : « الويل لكم ايها الاغنياء فانكم قد نلتم عزاءكم . الويل لكم ايها المشبعون فانكم ستجوعون ، الويل لكم ايها الضاحكون الآن فانكم ستنوحون وتبكون . » لوقا ٦ : ٢٤-٢٥ .

معالجة الاحمق[١٥٤] .

قال عيسى عليه السلام : ان من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد أن الله يعلم لما لا يعلم[١٥٥] .

قال عيسى بن مريم : انما زلة الاقدام ثلاثة اشيا ، قلة الشكر على مواهب الله تعالى ، وخوف غير الله ، وامل المخلوقين[١٥٦] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : الدنيا ثلاثة ايام : امس مضى ما بيدك منه شيء ، وغد لا تدري أتدركه ام لا ، ويوم انت فيه فاغتنمه[١٥٧] .

قال عيسى عليه السلام : الامور ثلاثة : امر استبان رشده فاتبعه ، وامر استبان غيه فاجتنبه ، وامر أشكل عليك فكِله الى عالمه[١٥٨] .

قال الحواريون لعيسى بن مريم : يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك؟ فقال : نعم من كان منطقه ذكرًا وصمته فكرًا ونظره عبرة فانه مثلي[١٥٩] .

روي عن عيسى عليه السلام انه قال : البر في ثلاثة ، في النطق والنظر والصمت ، فمن كان منطقه في غير ذكر الله فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها[١٦٠] .

---

١٥٤) الغزالي ، ايها الولد ، ٣٥ ؛ قابل ببعض فقرات في الكتاب المقدس ، سفر الامثال ٢٣ : ٩ ؛ ٢٦ : ٤ ؛ سفر يشوع بن سيراخ ، ٨ : ٨ ؛ ٢٢ : ٧ .

١٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٩٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٥٣١ .

١٥٦) ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، صفحة ٢٦٧ شالًا ذكرها اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ١٩ : ٥٦٨ ، عدد ١٦٣ .

١٥٧) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٢٨ .

١٥٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٨٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٠ .

١٥٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٣ .

١٦٠) الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٥٨ ؛ الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ١ : ٢٩٧ .

وكان عيسى عليه السلام اذا ذُكر الموت عنده يقطر جلده دما[١٦١] .

روى ابن عساكر عن الشعبي قال : كان عيسى اذا ذكر عنده الساعة صاح ، ويقول : لا ينبغي لابن مريم ان يُذكر عنده الساعة فيسكت[١٦٢] .

قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن علي هذه السكرة ، يعني الموت ، فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت[١٦٣] .

قال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدًا بين اطباق النار يصيح[١٦٤] .

روي عن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انه قال : ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا[١٦٥] .

اني رأيت في انجيل عيسى عليه السلام : من ساعة ان يوضع الميت على الجنازة الى ان يوضع على شفير القبر يسأل الله تعالى بعظمته منه اربعين سؤالًا . الاول يقول الله تعالى : يا عبدي طهرت منظر الخلق سنين وما طهرت منظري ساعة ، وكل يوم انظر في قلبك يا عبدي ما تصنع بغيري وانت محفوف بخيري

---

١٦١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٢٥ ؛ مكاشفة القلوب ، ٢٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٣١ ؛ لا شك في ان اصل هذا الحديث هو في ما يروي الانجيل عن نزاع المسيح في بستان الزيتون ، ليلة صلبه ، حيث تحدّر دمه من عروقه ، لوقا ٢٢ : ٤٤ .

١٦٢) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٣١ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٣١٢ .

١٦٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٣٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٥٩ ؛ قابل بالانجيل كلام المسيح وقت نزاعه : « ان نفسي حزينة حتى الموت اسهروا معي » ، متى ٢٦ : ٣٧ — ٣٨ .

١٦٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٨٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٥٢٠ .

١٦٥) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٢٢٠ ؛ قابل بالانجيل : « ما أضيق الباب واحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون الذين يجدونه » ، متى ٧ : ١٤ .

اما انت الاصم فلا تسمع[١٦٦] .

قال الحواريون للمسيح عليه السلام : انظر الى هذا المسجد ما احسنه ، فقال : امتي ، امتي ، بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر الا أهلكه بذنوب اهله ، ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئاً ، وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك[١٦٧] .

قال عيسى عليه السلام : ان لي حبيبين اثنين ، فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني : الفقر والجهاد[١٦٨] .

ومن طريق سالم بن أبي الجعد قال : قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن يبكي من خطيئته وخزن لسانه ووسعه بيته[١٦٩] .

قال عيسى عليه السلام : ذكر خلود الخالدين يقطع قلوب الخائفين[١٧٠] .

كان عيسى بن مريم عليه السلام اذا سمع موعظة صاح صياح الثكلى[١٧١] .

---

١٦٦) الغزالي ، ايها الولد ، ١٠ قابل بالانجيل : « ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه اما قلبه فبعيد عني » ، متى ١٥ : ٨ .

١٦٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٨٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٤٨٦ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل : « ثم خرج يسوع من الهيكل ومضى ، فتقدم تلاميذه ليروه بناء الهيكل فاجاب وقال لهم : انظروا هذا كله . الحق اقول لكم انه لا يترك هنا حجر على حجر الا ينقض » ، متى ٢٤ : ١ - ٢ ؛ مرقس ١٣ : ١ - ٢ ؛ لوقا ٢١ : ٥ - ٦ .

١٦٨) الغزالي ، مختصر احياء علوم الدين ، ٢٦٦ ؛ وفي الانجيل قول المسيح : « لا يستطيع احد ان يعبد ربين ، فاما ان يبغض الواحد ويحب الآخر ، واما ان يلازم الواحد ويرذل الاخر » ، متى ٦ : ٢٤ ؛ لوقا ١٦ : ١٣ .

١٦٩) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٥٦ ؛ قابل بالكتاب المقدس ، سفر يشوع بن سيراخ ٢٥ : ١١ .

١٧٠) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٩٥ ؛ قابل بالكتاب المقدس ، سفر يشوع بن سيراخ ٧ : ٤٠ ؛ ٢٨ : ٦ ؛ يوئيل ٢ : ١٣ .

١٧١) عن زيد الايامي ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٣ .

وفي الانجيل عن عيسى عليه السلام : اني اطلب الى ربي فارقليط يكون معكم الى الابد . وفيه ايضاً على لسانه : فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي ، اي بالنبوة ، يعلمكم جميع الاشيا. ويذكركم ما قلتُه . واني قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به .

وفيه ايضاً : اقول لكم الآن حقاً ، انطلاقي عنكم خير لكم ، فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط ، وان انطلقت ارسلت به اليكم ، فاذا جا. يفيد العالم ويوتبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبرّ ، بروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبّر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعةً من تلقاء نفسه[١٧٢]

---

١٧٢) دحلان ، السيرة النبوية ، على هامش الحلبي ، انسان العيون ، ٣: ٣٣٩ ؛ وهذا النص يكاد ، لولا بعض التشويش ، يكون نقلاً حرفياً عن الانجيل ، يوحنا ١٤: ١٦-١٧ ؛ ١٥: ٢٦ ؛ ١٦: ٧-١٥ ؛ لاحظ كيف ان النص الاسلامي يبدل كلمة « ابي » على لسان المسيح في الانجيل بكلمة « ربي » ، وهكذا ايضاً كلمة « ابيكم » بكلمة « ربكم » . في الاعتقاد المسيحي ان الفارقليط هو الروح القدس ، الاقنوم الالهي الذي حلّ على الحواريين في علية صهيون ، بعد صعود المسيح الى السماء ، وهو ثابت الى الابد مع خلفاء الحواريين ، الاحبار ، ليحم الكنيسة جماء من الضلال - والفارقليط كلمة يونانية لها معان مختلفة مثل المرشد ، المؤيّد ، المعزّي ، المحامي ، وكلها صفات الروح القدس الذي وعد به المسيح قبيل صعوده وتمّ الوعد بحلوله . ولقد حاول البعض ابدال كلمة فارقليط [illegible] بكلمة [illegible] وترجمة هذه الاخيرة بمعنى « احمد » لكي تناسب آية القرآن ، سورة الصف ، ٦١: ٦ : « واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد . » ومن المؤسف حقاً ان يتقبل بعض المسلمين هذه الخدعة التي تسيء اليهم حين تفضح جهلهم للغة اليونانية . ويكفيهم ان يرجعوا الى مخطوطات الانجيل القديمة ، ومنها مخطوط برق الى ما قبل الاسلام باجيال ، ليتثبتوا من هذه الخدعة التي ارتُكبت على حساب الانجيل والمسيحية والتي تسيء الى القرآن والاسلام اكثر مما تفيدهما .

كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال الثامن) : وما حديثهم ونجواهم[٨٤] ؟

---

٨٤) « بحسب الاسم الذي يقيمهم ؛ فلا يتعين علينا تعينه . » (الجواب المستقيم ورقة ٣٤٢ ا) .

قلنا في الجواب : بحسب « الاسم » الذي يقيمهم ؛ فلا يتعين علينا تعينه . ولكن الاصول الالهية محفوظة . وذلك ان حديث اهل الحضرة الاولى في مجالستهم فيها . والمجلس الاول ، الذي بين المثلين ، من اسمه الظاهر ، والمبدئ ، والباعث . وكل اسم ، يعطي البروز ووجوه الاعيان ، يحادث الحق فيه بلسان حياة الارواح ، وحياة الهياكل السفلية في البرازخ وعالم الحس والمحسوس والعقل والمعقول ؛ – وبلسان من ضاع عن الطريق ، وانجبر اليه بعدما انكسر خاطره وخاف الفوت ؛ – وبلسان « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ، أي بيّن انه أعطى كل شيء خلقه .

ففرق بين قوله (تعالى) : « واغلظ عليهم » ، وقوله له بعينه : « فبما رحمة ، من الله لنت لهم ؛ ولو كنت فظاً ، غليظ القلب لا نفضوا من حولك » . وقال لموسى وهارون : « فقولا له قولاً ليناً » ، ليقابل به غلظة فرعون فينكسر لعدم المقاوم . اذ لم يجد قوة تصادم غلظته ؛ فعاد اثرها عليه فاهلكته بالغرق . فباللين هلك فرعون .

فـ« أعطى كل شيء خلقه » في وقته : فيحدث نشأة الانسان مع الانفاس ، ولا يشعر . وهو قوله ، تعالى : « وننشئكم فيما لا تعلمون » ، يعني مع الانفاس . وفي كل نَفَس ، انه فينا ، انشاء جديد بنشأة جديدة . ومن لا علم له بهذا ، فهو « في لبس من خلق جديد » . لان الحس يحجبه بالصورة ، التي لم يحس بتغييرها ، مع ثبوت عين القابل للتغيير مع الانفاس .

و(يحادث الحق) بلسان طلب الاستقامة في المزاج ، ليصح نظر العقل في فكره . ومزاج الحواس فيما تنقل اليه ؛ ومزاج القوى الباطنة فيما تؤديه من الامور للعقل .

فانه اذا اختل المزاج، ضعفت الادراكات عن صحة النقل: فنقلت بحسب ما له اتفقت، فكانت الشُّبَهُ والمغالط. فعَقَلَ العقلُ للجهل علماً، فيصير العدم وجوداً.

و(يحادث الحقَّ) بلسان ازاحة الامور، التي توجب عدم المواصلة والمراسلة.

ففي الحضرة الاولى اربعة مجالس، مما تشاكل ما ذكرناه. ومثلها في الثانية والرابعة. واما في الحضرة الثالثة، من هذه المجالس، فثلاثة. وفي الخامسة اثنان. وفي السادسة واحدة، على هذه المشاكلة. لكن، في كل حضرة فنون مختلفة. ولكن، لا تخرج عن هذا الاسلوب.

واما مجالس الراحات، في الحضرة الاولى والثانية والرابعة، (ف) هي ستة مجالس. فيها احاديث معنوية، عن مشاهدة كما قيل:

تَكَلَّمُ (= تتكلَّمُ) منا في الوجوه، عيونُنا فنحن سكوت، والهوى يتكلم!

وكما قلنا، في هذا الشكل:

والهوى، بيننا، يسوق حديثاً طيباً، مطرباً، بغير لسان!

وهي المجالس التي بين الضدين، يحصل منها علم الاعتاد، و«الكشف عن الساق» والبرزخ، الذي بين الضدين: كالفاتر، بين الحار والبارد؛ وكالاسماع، بين المخافتة والجهر؛ وكالتبسم، بين الضحك والبكاء. وكل (مجلس بين) ضدين «بينهما برزخ لا يبغيان، فبأي الآء ربكما تكذبان» — فهو مجلس راحة. وليس بين النفي والاثبات برزخ وجودي؛ فصاحبه ينقطع، في الحال، لاحد الطرفين لانه لا يجد حيث يستريح. فالبرازخ مواطن الراحات؛ ألا ترى ان الله جعل «النوم سباتاً» ، اي راحة، لانه بين الضدين: الموت والحياة؛ فالنائم لا (هو) حي ولا (هو) ميت.

فأمثال هذه العلوم، هي التي يقع لها الحديث لهم و(هي) نجواهم. وفي الحضرة الثالثة والخامسة مجلس واحد، في كل حضرة. والحضرة السادسة لا مجلس فيها من مجالس الراحة.

واما مجالس الفصل بين العبد والرب، فقد ذكرنا من حديثه طرفاً آنفاً، في السؤال الرابع من هذه السؤالات.

واما الحضرة السادسة والخامسة، فليس فيها، من هذه المجالس، مجلس البتة.

واما مجالس الفصل الثاني بين العبد والرب، فهي ستة مجالس، لا سابع لها. في كل حضرة، من (الحضرات) الست مجلس (الاصل: مجالس) واحد يفصل به بين العبد والرب، من حيث ما هو العبد عبد، ومن حيث ما هو الرب رب. ومجالس الفصل الاول بين العبد والرب (يفصل بما بينهما) من حيث ما هو عبد لهذا الرب، ومن حيث ما هو رب لهذا العبد. فهو فصل في عين وصل! وهذه المجالس الاخر، فصل في فصول لا وصل فيها. فيحصل له ما يشاء. كل هذا الفن من العلم الالهي، اذ كنت لا تعلمه الا من نفسك ولا تعلم نفسك

(السؤال التاسع) : وباي شيء يفتتحون المناجاة[41] ؟

الا منه ، فهو يشبه الدور ولا دور ، بل هو علم محقق .

واما الاثنا عشر مجلساً ، التي يراها الترمذي الحكيم ، صاحب هذه السؤالات ، وبها تكمل الثانية والاربعون من المجالس – فان الارواح العلوية لا تعلمها ، وليس لها فيها قدم مع الله ؛ وهي مخصوصة بنا من اجل الدعوى . فاذا تجسدت الارواح العلوية ، تبعت الدعوى جسديتها . فربما تدّعي ؛ فان ادعت ابتليت ! وفي قصه آدم والملائكة تحقيق ما ذكرناه . فابتليت (الملائكة) بالسجود جبراً لما اخذت ، من طهارتها ، الدعوى . فكان ذلك للملائكة ، كالسهو في الصلاة للمصلي : فأمر المصلي ان يسجد لسهوه ، كذلك امرت الملائكة ان تسجد لدعواها ؛ فالدعوى سهو في حقها . فكان ذلك ترغيماً للدعوى لا لهم . كما كان سجود السهو ، منا ، ترغيماً للشيطان لا لنا . فاعلم ذلك !

فاما هذه المجالس الاثنا عشر ، فستة منها تلتحق بالمجلس الذي بين المثلين . والستة الباقية ، تلتحق بمجالس الفصل الثاني بين العبد ؛ من حيث ما هو عبد ، وبين الرب ، من حيث ما هو رب . لكن تختلف الاذواق في ذلك .

(و)آيات هذا السؤال من القرآن : « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر » ؛ وقوله (تعالى) : « والقمر قدرناه منازل » ؛ وقوله (تعالى) : « فلا اقسم بالخنس » ؛ وقوله (تعالى) : « والسماء ذات البروج » الى آخرها . – والمدار على القطب !

(فتوحات : ٣ : ٤٥–٤٧)

٤١) « بحسب الباعث والداعي لها » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ ب)

قلنا في الجواب : بحسب الباعث والداعي لها . وذلك ان الحق ، اذا اجلسهم هذه المجالس ، التي ذكرناها ، – فانما يجلسهم الحق فيها بعد قرع ، وفتح ، واستفتاح . وذلك انهم سمعوا الحق يقول : « يا ايها الذين آمنوا ، اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » ، ثم قال (تعالى) : « أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ؟ » .

– وقال (تعالى) ، في انزال الرسول منزلة الحق نفسه : « يا ايها الذين آمنوا ، استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم » . وقال : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » . لانه (= الرسول) به (= الله) يدعو اليه ، سبحانه ! –

وقال ، صلى الله عليه وسلم : « الكلمة الطيبة صدقة » وقال : « يصبح على كل سُلامى ، من ابن آدم ، صدقة » . – وافضل الصدقات تصدق الانسان بنفسه ؛ وافضل ما يخرجها عليه من يخرجها على نفسه .

فاذا اراد العبد نجوى ربه فليقدم ، بين يدي نجواه ، نفسه لنفسه ! فان النجوى سامع

(السؤال العاشر) : وباي شي. يختمونها(٥٠) ؟

ومتكلم . والعبد ان لم يكن الحق سمعه ، فمن المحال ان يطيق فهم كلام الله . وان لم يكن الحق لسان العبد ، عند النجوى ، فمن المحال ان تكون نجواه صادقة الصدق الذي ينبغي ان يخاطب به الله . فاذن ، الحق ناجى نفسه بنفسه . والعبد محل الاستفادة . لانها امور وجودية ، والوجود كله هو عينه . والعبد يتصدق (الاصل: يصدق) بنفسه على نفسه، لانها افضل الصدقات ، استفتاحاً لنجوى ربه . فكانت المناسبة ، بين النجوى وما افتتحت به ، كون الصدقة رجعت اليه وكون الحق كانت نجواه بينه وبينه : فما سمع الحق الا الحق ! ولا تصدّق العبد الا على العبد ! فصحّت الاهلية . فمن كان استفتاحه هكذا ، كان من اهل المجالس والحديث .

واما مذهب الترمذي ، فان الذي يفتتحون به المناجاة انما هو تلبسهم بالكبرياء ؛ ثم يتبرّون من بعضه بوجه خاص ، ويبقون عليهم ما يليق ان يسمع به كلام الحق ويكلم به الحق ، لتصح النجوى . فيكون الابتداء من العبد ، فتكون له الاولية في هذا الموطن . وهو وجه صحيح ، وهذا هو الباعث الوضعي .

والذي ذكرناه ، اولاً ، هو الباعث الذاتي . فان نجوى هذه الطائفة ، في هذا الحال ، بمنزلة الصلاة في العامة . فانه ، من هذه الحضرة التي ذكرناها ، خرج التكليف بها على السنة الرسل للعباد ، وشرع فيها التكبير لما ذكرناه . والصلاة مناجاة . ومن اهل الله ، من يجعل عاقبة الامور استفتاحاً ، فيبدءها اولاً اذ كان المطلوب عين العواقب . كمن يطلب الاستظلال ، فأول ما يقع عنده وجود السقف ، وهو آخر ما يقع به الفعل لان وجوده موقوف على اشياء .

فاذا كان (نجواهم) من الامور التي لا توقف لوجودها على شيء ، كان عين العاقبة عين السابقة . فيكون استفتاح العمل بالعاقبة . وهي طريقة عجيبة ، عملنا عليها وناجينا بها ، في هذا المقام . ولكن لا بد ان تكون النجوى ، كما قررنا ، يسمع الحق وكلام الحق . لان الحقيقة تأبى ان يكلمه غيرُ نفسه، او يسمه غيرُ نفسه ! — فقد اعلمتك بماذا يفتتحون المناجاة ، اهلُ المجالس والحديث . (فتوحات : ٢ : ٤٧) .

٥٠) « بحسب الوقفة التي بين الاسمين ، عما يلي الاسم الذي عنه ينفصل » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٢ ا) .

فلنقل في الجواب : بالمنزلة التي تعطيهم ذلك الاستفتاح . والافتتاح مختلف ، فالختام مختلف ايضاً فلا يتقيد . غير انه ، ثَمّ ، امر جامع : وهو الوقفة بين الاسمين ، بين الاسم الذي ينفصل عنه ، وبين الاسم الذي يأخذ منه . فان بينها اسماً الاهياً خفياً به يقع الختم ، ولا يشعر به الا اهل المجالس والحديث .

(السؤال الحادي عشر) : وبماذا يجابون[١] ؟

– وهو وجود سار في جميع الموجودات ، لكن لا يشعر لدقته : كالخط الفاصل بين الظل والشمس ، يعقل ولا يدرك بالحس . وهي الحدود بين الاشياء ، لها – لكل من هي بينها – وجه خاص ، مع كونها لا تنقسم . فهي ، بذاتها ، مع كل محدود . ولهذا يعز العثور على الحدود الذاتية ، بخلاف الحدود الرسمية واللفظية ، التي بأيدي العلماء . –

فقد يكون ذلك ، الذي يختم به ، دليلَ كون ؛ وقد يكون دليل عين ؛ وقد يكون دليل ذات لا تقبل المظاهر . وهذا اعلى ما تختم به النجوى عندهم ؛ ودونه دليل كون ، وهو ما يعطي مظهرًا ما ؛ ودونه دليل عين ، وهو الذي لا يقبل التغيير وهو المعبر عنه بباطن المظهر .

واعلم ان الامر في النجوى دائرة تنعطف بطلب أولها : فيكون عين الختم هو عين الافتتاح . فتنقسم بين اول ، وآخر ، وظاهر ، وباطن . فاذا ابتدأ ، فهو الظاهر . واذا (الاصل : فاذا) انتهى ، صار الظاهر باطنًا وعاد الباطن ظاهرًا ، فان الحكم له . فيبطن الختم ، في الافتتاح ، عند البدء ؛ ويبطن الافتتاح ، في الختم ، عند النهاية .

قيل في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : انه « خاتم النبيين » . فبطن ، بظهور ختمه ، كونُه « نبيًا وآدم بين الماء والطين » . ولما ظهر كونه « نبيًا وآدم بين الماء والطين » واستفتح به مراتب البشر – كان كونُه « خاتم النبيين » باطنًا في ذلك الظهور .

واما الالهية ، فالوجود منها (الاصل : منه) : « واليه يرجع الامر كله : فاعبده » بينها « وتوكل عليه » فيها « وما ربك بغافل عما تعملون » حيث انتم مظاهر اسمائه الحسنى ، وبها تسمدون وتشقون . – « والله معكم ، ولن يتركم اعمالكم » . فسلم الامر اليه ، واستسلم ، تكن موافقًا لما هو الامر عليه في نفسه : فتستريح من تعب الدعوى ، بين الافتتاح والختم !

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! » (فتوحات : ٢ : ٤٧–٤٨) .

(١) « بحسب سؤالهم ، وعلى وقفه . وسؤالهم بحسب حالهم ووقتهم . ووقتهم بحسب الاسم » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٢ب–٣٦٣ا) .

« الجواب : بحسب حالهم ووقتهم . وحالهم ووقتهم بحسب الاسم الذي هو حاكم فيهم بين الافتتاح والختم . فانه ، بين الختم والافتتاح ، تكون اسماء كثيرة الاهية ، هي الناطقة في تلك الاعيان ، من اهل المجالس والحديث . فيكون الجواب بحسب ما وقع به حكم الاسم ؛ ولكن ما يجابون الا باسم ولا بد .

فان كان الحديث معنويًا ، عن شهود ، فقد يقع الجواب بالذات ، معرّاة من الاسماء ؛

(السؤال الثاني عشر) : وكيف يكون صفة سيرهم [ث] (٣) ؟

وهو بمنزلة المجاز من الحقيقة . ويجتمع هذا مع الحديث ، في الافادة والاستفادة . فإن من راعى الاستفادة والافادة ، ألحق هذا المقام بأهل المجالس والحديث . وهو الذي قصده الترمذي ، لكونه قال : « أهل المجالس والحديث » ، ولم يقل اهل الحديث ، خاصة . ومن الناس من لا يراعى سوى الحديث ، فلا يجعل ، في هذه الحضرة حكماً لحديث معنوي حالي . فانه يقول : مطلي الحقائق ، ولكنه ، (أعني) صاحب هذا القول ، كأنه غير محقق ؛ وما أوقعه في ذلك الا تقيّد الحديث بالالفاظ . واما نحن ، فعلى مذهب الترمذي في ذلك . فإنا ذقناه ، في المجالسة ، حديثاً معنوياً في غاية الافهام ، معرّى عن الاحتمال والاجمال . بل هو تفصيل محقق ، في عين واحدة . وهو الذي يعوّل عليه ، في هذا الفصل . » (فتوحات : ٢ : ٤٨)

٥٣) « بالهمم المجردة عن السوى » (الجواب المستقيم ، ورقة : ٢٤٣ ب) .

« قلنا في الجواب : بالهمم المجردة عن السوى . وبسط ذلك ما نقول : وهو ان الامور المعنوية ، التي لا تقبل المواد ولا تحدّدها ، لا يصح السير الى تحصيلها او تحصيل ما يكون منها بقطع المسافات وتوزيع المساحات . ولكن قد يقترن بالهمة حركات مادية ، مبناها على علم او ايمان ، بشرط التوحيد فيها .

فاما سيرهم ، من حيث ما هم علماء ، بتصفية النفوس من كدورات الطبيعة ، واتخاذ الخلوات لتفريغ القلوب عن الخواطر المتعلقة باجزاء الكون ، الحاصلة من ارسال الحواس في المحسوسات . — فتمتلئ خزانة الخيال ، فتصور القوة المصورة (الاصل : المصور) منها بحسب ما تمثلت به من ذلك ، فتكون هذه الصور حائلة بينهم (الاصل : بينه) وبين حصول هذه المرتبة الالهية . — فيجنحون الى الخلوات والاذكار ، على جهة المدح ، لمن بيده الملكوت . فاذا صفت النفس ، وارتفع الحجاب الطبيعي الذي بينها وبين عالم الملكوت ، انطبع في مرآتها جميع ما في صور عالم الملكوت (من) العلوم المنقوشة . فيطلع الملأ الاعلى على هذه النفس ، التي بهذه المثابة ، فيرى فيها ما عنده فيتخذها مجلى ظهور ما فيه . فيكون الملأ الاعلى معتنياً لها (الاصل : له) على استدامة ذلك الصفاء ، ويحول بينها (الاصل : بينه) وبين ما يقتضيه حجاب الطبع . فتتلقى هذه النفس ، من العالم العلوي ، بقدر مناسبتها منهم من العلم بالله . فيؤديهم ذلك العلم الى التلقي من الفيض الالهي ، ولكن بوساطة الارواح النورية ، لا بد من ذلك . فيسمون ذلك : سيراً ؛ ولا بد من تجريد الهمم ، في الطلب لذلك . ولولا تعلق الهمة بتحصيل ما تقرر عندها مجملاً ، ما صح لها (الاصل : له) توجه الى الملأ الاعلى .

ث سيدهم ٧ .

فان اتفق ان يكون هذا الرجل ، في سيره مع علمه ، مؤمناً ، او يكون صاحب ايمان من غير علم – فان همته لا تتعلق الا بالله . فان الايمان لا يدلّه الا على الله . والعلم انما يدله على الوسائط ، وترتيب الحكمة المتادة في العالم . فصفة سير اصحاب الايمان (انه) ما لهم طريق الى ذلك الا بعزائم الامور المشروعة ، من حيث ما هي مشروعة . وهم (في ذلك) على قسمين . طائفة منهم ، قد ربطت همتها على ان الرسول انما جاء منبهاً ومعلماً بالطريق الموصلة الى جناب الحق ، تعالى . فاذا اعطى العلم بذلك ، زال (شخص الرسول) من الطريق ، وخُلّي بينهم وبين الله . فهؤلاء اذا سارعوا ، او سابقوا الى الخيرات وفي الخيرات – لم يروا امامهم قدم احد من المخلوقين، لانهم قد ازالوه من نفوسهم وانفردوا الى الحق ، كرابعة العدوية . فهؤلاء ، اذا حصلوا في المجالس والحديث خاطبهم الحق بالكلام الالهي ، من غير وساطة لسان معيّن .

واما الطائفة الاخرى ، فهم قوم جعلوا في نفوسهم انهم لا سبيل لهم اليه ، تعالى ! الا والرسول هو الحاجب . فلا يشهدون منه امراً الا ويرون في سيرهم قدم الرسول بين ايديهم ، ولا يخاطبهم الا بلسانه ولغته ، كمحمد اللواتي (الاصل : الأواني) . قال : تركت الكل ورائي ، وجئت اليه فرأيت امامي قدماً ، فنفرتُ وقلت : لمن هذا ؟ – اعتاداً مني انه ما سبقني احد ، واني من اهل الرعيل الاول . – فقيل لي : هذه قدم نبيك ! فسكن روعي . – والحالة هي حالة عبد القادر ، وابي السعود بن الشبل ، ورابعة العدوية ، ومن جرى مجراهم .

واصحاب الايمان ، اذا كانوا علماء – جمع لهم بين الامرين ، فهم اكمل الرجال . إلّا انهم (الاصل : بشرط انهم) ، اذا ساروا اليه واخذوا مجالسهم عنده ، بالحديث المنوي كما تقدم وحديث السمع – رأوا سريان سره ، تعالى ، في الموجودات من قوله : « من تقرب اليّ شبراً تقربت منه ذراعاً » ، ومن كونه « ينزل الى السماء الدنيا » التي لا اقرب منها ، فانها « اقرب من حبل الوريد » . فالتحق عندهم (الاصل : عنده) ، عالم الطبع بالعالم الروحاني ، وعاد الوجود عندهم كله ملأ اعلى ومكانة زُلفى . فلم يحجبهم (الاصل : يحجبه) كون ، ولا شغلهم (شغل) عين ؛ واستوى عندهم (عنده) الأين وعدم الأين ، وكان وما كان . فرأوه (فرآه) في الحجاب والحس ، وسمعوا (وسمع) كلامه وحديثه في النث (الاصل : النث) والجرس !

هذا صفة سيرهم ، على طبقاتهم . – ومنهم من كان سيره فيه باسمائه . فهو صاحب سير : منه ، واليه ، وفيه ، وبه ! فهو سائر في وقوفه ، وواقف في سيره ! والخضر والافراد من اهل هذا المقام . ومن هنا كانت « قرة عينه » ، صلى الله عليه وسلم ، « في الصلاة » . لانه مناج مع اختلاف الحالات المحصورة ، من قيام وركوع وسجود وجلوس . ما ثم اكثر من هذه الاركان ، وهي حالات تربيع روحاني ، فاشبهت العناصر في التربيع ، فحدثت صور المعاني من امتزاج هذه الحالات الاربعة ، كما حدثت صور المولدات الجسمية الطبيعية من امتزاج هذه العناصر » .

(فتوحات : ٢ : ٤٨–٤٩)

(السؤال الثالث عشر) : ومن الذي يستحق خاتم الاولياء كما استحق محمد، صلى الله عليه وسلم، خاتم النبوة؟

٥٣) «المستحق لذلك، رجل يشبه اباه. وهو اعجمي. هو نسق في خلفه؛ وهو ربة (في الاصل: ربة) من الرجال. ختم به دورة الملك؛ وتختتم به الولاية. وله وزير اسمه يحيى. – روحاني المحتد، انسي المشهد.» (الجواب المستقيم؛ ورقة: ٣٦٣).

«فلنقل في الجواب: الختم ختمان. ختم يختم الله به الولاية (العامة) وختم يختم الله به الولاية المحمدية. فاما ختم الولاية، على الاطلاق، فهو عيسى، عليه السلام. فهو الولي بالنبوة المطلقة، في زمان هذه الامة. وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة. فينزل في آخر الزمان، وارثًا خاتمًا لاولي بعده، بنبوة مطلقة.

كما ان محمدًا، صلى الله عليه وسلم، خاتم النبوة، لا نبوة تشريع بعده. وان كان بعده مثل عيسى، من أولى العزم من الرسل وخواص الانبياء. ولكن زال حكمه، من هذا المقام (= نبوة التشريع) لحكم الزمان عليه، الذي هو لغيره. فينزل وليًا ذا نبوة مطلقة، يشركه فيها الاولياء المحمديون. فهو (عيسى عليه السلام) منا وهو سيدنا!.

فكان أوّل هذا الامر نبي، وهو آدم؛ وآخره نبي، وهو عيسى – أعني نبوة الاختصاص. فيكون له (لعيسى عليه السلام)، يوم القيامة، حشران: حشر معنا وحشر مع الرسل والانبياء. (الاصل: وحشر مع الانبياء).

واما ختم الولاية المحمدية، فهي لرجل من العرب، من اكرمها اصلًا ويدًا. وهو في زماننا اليوم موجود. عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ورأيت العلامة التي له قد اخفاها الحق فيه عن عباده، وكشفها لي بمدينة فاس، حتى رأيت خاتم الولاية منه – وهو خاتم النبوة المطلقة – لا يعلمها كثير من الناس. وقد ابتلاه الله باهل الانكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به. وكما ان الله ختم بمحمد، صلى الله عليه وسلم، نبوة الشرائع، كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية، التي تحصل من الورث المحمدي، لا التي تحصل من سائر الانبياء، فان من الاولياء من يرث ابراهيم وموسى وعيسى، فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي؛ وبعده فلا يوجد ولي على قلب محمد، صلى الله عليه وسلم: هذا معنى خاتم الولاية المحمدية.

واما ختم الولاية العامة، الذي لا يوجد بعده ولي، فهو عيسى، عليه السلام. ولقينا جماعة ممن هم (الاصل: هو) على قلب عيسى عليه السلام، وغيره من الرسل. وقد جمعت بين صاحبي: عبدالله (بدر الحبشي) واسماعيل بن سودكين وبين هذا الختم (= خاتم الولاية المحمدية) ودعا لها واتتفعنا به. – والحمد لله!» (فتوحات: ٢: ٤٩).

ج – V، و س ذا الذي F. ح الولاية V.

خ – خ – V.

(السؤال الرابع عشر) : وبأي صفة يكون ذلك^د المستحق لذلك[٥٤] ?

٥٤) « بصفة الامانة : فيده مفاتيح الانفاس ، وحاله التجريد والحركة (في الاصل: الخوله) . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ ب) .

« الجواب : بصفة الامانة ؛ ويده مفاتيح الانفاس ، وحاله التجريد . وهذا هو نعت عيسى ، عليه السلام ؛ كان يحيى بالنفخ ؛ وكان من زهاد الرسل ، وكانت له السياحة ، وكان حافظاً للامانة ، مؤدياً لها ، – ولهذا عادته اليهود ، ولم تأخذه في الله لومة لائم . كنت كثير الاجتماع به في الوقائع ؛ وعلى يده تبت ، ودعا لي بالثبات على الدين ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة ؛ ودعاني بالحبيب ، وامرني بالزهد والتجريد .

واما الصفة التي استحق بها ختام الولاية المحمدية ان يكون خاتماً، فبتمام مكارم الاخلاق مع الله . وجميع ما حصل للناس من جهته من الاخلاق، فمن كون ذلك الخلق موافقاً لتصريف الاخلاق مع الله . وانما كان ذلك كذلك ، لان الاغراض مختلفة . ومكارم الاخلاق ، عند من يتخلق بها معه ، عبارة عن موافقة غرضه ؛ سواء حمد ذلك عند غيره أو ذم . فلما لم يتمكن في الوجود تعميم موافقة العالم بالجميل ، الذي هو عنده جميل، نظر في ذلك نظر الحكيم ، الذي يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي . فنظر في الموجودات ، فلم يجد صاحباً مثل الحق ، ولا صحبة احسن من صحبته . ورأى ان السعادة في معاملته وموافقة ارادته . فنظر فيما حده وشرعه ، فوقف عنده واتبعه .

وكان من جملة ما شرعه ، ان علمه كيف يعاشر ما سوى الله ، من ملك مطهر ، ورسول مكرم ، وامام جعل الله امور الخلق بيده – من خليفة وعريف وصاحب ، وصاحبة ، وقرابة ، ودابة وحيوان ، ونبات ، وجماد – في ذات وعَرَض وملك ، اذا كان مما (الاصل: ممن) يملك . فراعى جميع من ذكرناه، بمراعاة الصاحب الحق : فما صرف الاخلاق الا مع سيده .

فلما كان بهذه المثابة ، قيل فيه ، مثل ما قيل في رسوله : « وانك لعلى خلق عظيم » . قالت عائشة : « كان القرآن خلقه » . يحمد ما حمد الله ، ويذم ما ذم الله ، بلسان حق ، « في مقعد صدق ، عند مليك مقتدر » . فلما طابت اعراقه ، وعم العالم اخلاقه ، ووصلت الى جميع الآفاق ارفاقه ، استحق ان يختم بمن هذه صفته ، الولاية المحمدية ، من قوله : « وانك لعلى خلق عظيم ! » .

جعلنا الله ممن مهد له سبيل هداه ، ووفقه للمشي عليه ، وهداه ! » .

(فتوحات : ٣:٤٩ ، ٥٠)

د كذلك V .

(السؤال الخامس عشر) : وما سبب الخاتم"ذ ، وما معناه ذ ٥٥ ؟

(« السادس عشر) : وكم مجالس الملك ، حتى يوصل الى ملك الملك ٥٦ ؟

---

٥٥) « الجواب : لكمال المقام واستيفائه (في الاصل : واستيفايه) . واما معناه : فهو خصوص امر على امر لا يوصل اليه الا بعد ازالة ذلك الامر . ومعناه الحجر والمنع . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣).

« فلنقل في الجواب : كمال المقام سببه ، والمنع والحجر معناه . وذلك ، ان الدنيا لما كان لها بدء ونهاية – وهو ختمها – قضى الله ، سبحانه ، ان يكون جميع ما فيها بحسب نعتها : له بدء وختام . وكان من جملة ما فيها تنزيل الشرائع ؛ فختم الله هذا التنزيل بشرع محمد ، صلى الله عليه وسلم : فكان « خاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً » . وكان من جملة ما فيها الولاية العامة – ولها بدء من آدم – ؛ فختمها الله بعيسى : فكان الختم يضاهي البدء = « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم » . فختم بمثل ما به بدء : فكان البدء ، لهذا الامر ، بنبي مطلق وختم به ايضاً .

ولما كانت احكام محمد ، صلى الله عليه وسلم ، عند الله ، تخالف أحكام سائر الانبياء والرسل – في البعث العام ، وتحليل الغنائم ، وطهارة الارض ، واتخاذها مسجداً ، واوتي جوامع الكلم ، ونصر بالرعب – وهو الرعب – ، واوتي مفاتيح خزائن الارض ، وختمت به النبوة – عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي ؛ فانزل في الدنيا من مقام اختصاصه . واستحق ان يكون لولايته الخاصة ختم ، يواطئ اسمه اسمه ، صلى الله عليه وسلم ، ويحوز خلقه . وما هو بالمهدي ، المسمى ، المعروف ، المنتظر ؛ فان ذلك من سلالته وعترته . والختم ليس من سلالته الحسية ، ولكنه من سلالة أعراقه واخلاقه ، صلى الله عليه وسلم !

اما سمعت الله يقول ، فيما اشرنا اليه : « ولكل امة اجل » ؟ وجميع انواع المخلوقات في الدنيا أمم . وقال (تعالى) : « كل يجري الى اجل مسمى » ، في اثر قوله : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر ؛ كل يجري الى اجل مسمى » . فجعل لها ختاماً ، وهو انتهاء مدة الاجل . – « وان من شيء الا يسبح بحمده » . فما من نوع الا وهو امة . فافهم ما بيناه لك فانه من اسرار العالم المخزونة ، التي لا تعرف الا من طريق الكشف .

والله يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ! » (فتوحات : ٢ : ٥٠) .

٥٦) « على عدد الحقائق الانسانية ، واستحقاقاتها في الانسان الكامل . وعند حلوم

ذ – ذ ومعناه V .   ر + ملك F .

في آخر مجلس منها ، يصل الى ملك الملك . الله المالك ، وانت الملك . تظهر آثاره فيك ، فتستدعي تلك الآثار توجه الاسماء عليك بما تقتضيه (في الاصل : بسميه) . فيكون ملكاً لك وانت ملك في اصلك . فكان ذلك ملك الملك . وهو قوله تعالى : « الا تتخذوا من دوني وكيلا » اشارة وتحقيقاً » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٢) .

« الجواب : على عدد الحقايق الملكية والنارية والانسانية ، واستحقاقاتها الداعية لاجابة الحق فيما سألته منه . بسط ذلك :

أعلم ، أولاً ، انه لا بد من معرفة ملك الملك ، ماذا ارادوا به ؟ ثم بعد هذا تعرف كمية مجالسه ، ان كان لها كمية محصورة . — فالملك هو الذي يقضي فيه مالكه ومليكه بما شاء ولا يمتنع عنه ، جبراً فيسمى كرهاً ، او اختياراً فيسمى طوعاً . قال تعالى : « ولله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعاً وكرهاً » . « فقال لها وللارض : ائتيا طوعاً او كرهاً » . والمأمور هو الملك ، والآمر هو المالك . ولا بد من اخذ الارادة في حد الامر ، لانه اقتضاء وطلب من الآمر بالمأمور ، سواء كان المامور دونه او مثله او أعلى (منه) . وفرّق الناس بين امر الدون وبين امر الاعلى . فسموا امر الدون ، إذا امر الاعلى ، طلباً وسؤالاً ، مثل قوله تعالى : « اهدنا » . فلا يشك انه امر من العبد لله ، فسمي دعاء .

واذا فهمت هذا ، وعلمت ان المأمور هو بالنسبة الى الآمر ملك ، والآمر مليك ، — ثم رأيت المأمور وقد امتثل امر آمره واجابه فيما سأل منه ، او اعترف بانه يجيبه ، اذا دعاه لما يدعوه اليه ان كان المدعو اعلى منه — : فقد صيّر نفسه — هذا الاعلى — ملكاً لهذا الدون ؛ وهذا الدون هو تحت حكم هذا الاعلى وحيطته وقهره وقدرته وامره : فهو ملكه بلا شك . وقد قررنا ان الدون ، الذي هو بهذه المثابة ، قد يأمر سيده فيجيبه السيد لأمره ؛ فيصير ، بتلك الاجابة ، ملكاً له — وان كان عن اختيار منه . فيصح ان يقال ، في السيد : انه ملك الملك لانه اجاب امر عبده ، وعبده ملك له .

ومن أمر فأجاب ، فقد صح عليه اسم المأمور ، وهو معنى الملك . فاذا أجاب السيد امر عبده — وهو ملك — فباجابته صيّر نفسه ملك ملكه ! وهذا غاية التنزل الالهي لعبده ، اذ قال له : « ادعوني ، استجب لكم (الاصل : لك) » ، فيقول له العبد : أغفر لي ، ارحمني ، انصرني ، اجبرني . فيفعل . ويقول الله له : ادعني ، أقم الصلاة ، ائت الزكاة ، « اصبروا ورابطوا » ، « جاهدوا » . فيطيع (العبد) ويعصى . واما الحق ، سبحانه ، فيجيب عبده لما دعاه اليه ، بشرط تفرّغه لدعائه .

وقد يكون اثر المؤثر فعلاً من غير امر ، كالعبد يعصى فيثير كونه عاصياً غضباً في نفس السيد فيوقع به العقوبة . فقد جعل العبد سيده يعاقبه بمعصيته ؛ ولو لم يعصه بما ظهر من

(السؤال السابع عشر) : واين مقام الرسل «ز من مقام الانبياء.»(ز٢٠) ؟

السيد ما ظهر ؛ - او ينفر له . وكذلك في الطاعه يثيبه . فيكون ، من هذه النسبة أيضاً، ملك الملك ، اي مالكاً لمن هو ملكه . وبهذا وردت الشرائع كلها .

واما قوله : كم مجالسه ؟ - فانها لا تنحصر عقلاً ؛ فانها حالة دوام من سيد لعبد ، ومن عبد الى سيد . فسؤاله ، لا يخلو اما ان يريد ما قلنا : من انها لا تنحصر عقلاً - فان اجاب بانحصار في كمية معلومة ، علم أنه لا علم عنده - او يريد مجالسه من حيث ما شرع ، فهي مجالس في الدنيا محصورة وفي الآخرة غير محصورة. لان الاثار الواقعة في الآخرة كلها اصلها من الشرائع ، فلا ينفك حكم الشرع في الدنيا والآخرة . فان الخلود في الدارين من حكم الشرع ؛ وما يكون من الحق فيهم (هو) من حكم الشرع (أيضاً) . فإذن ، مجالس ملك الملك ، من جهة الشرع ، لا تنحصر .

فان اراد السائل عن هذا ، حالة الدنيا خاصة - فعددها عدد انفاس الخلائق عقلاً . وان اراد ما اقترن به الامر ، من العبد خاصة - فعلى قدر ما دعا العبد ربه ، من حيث ما امره ان يدعوه به . وهي من كل داع بحسب ما سبق في علم الله ، من تكليفه لكل عين عبد ان يدعوه . وخلق الله ، الذين هم بهذه المثابة، يفوتون التلفظ باسم العدد الذي يحصرهم؛ فانه يدخل ، في ذلك ، الملائكة والجن والانس . فحصر كمياتها ، ما دام زمان الدنيا الى ان ينقضي ، في حق الملك . والجن والانس محصور الكمية ، غير متصور التلفظ به لانه قال (تعالى) : «وما يعلم جنود ربك الا هو» . وهم من الملك ، الذي يدعو ربه ؛ فيصيره بدعائه ملكاً له . فكمياتها - وان كانت محصورة - غير معلومة . وان علمت ، فهي غير مقدورة للتلفظ بها لما في ذلك من المشقة .

ولكن ، من وقف على ما رقم في اللوح المحفوظ - عرف كمياتها ، بلا شك ، وان تعذر النطق بها . فمن كل وجه ، لا يتصور الجواب عنها باكثر من هذا . وانما جاء الترمذي ، على سبيل الامتحان ! فانه جاء بمسائل لا يصح الجواب عنها ؛ ليعلم ان المسئول ، اذا اجاب عنها ، انه مبطل في دعواه علم ذلك . اذ لو علم ذلك ، لكان من علمه به انه مما لا يجاب عنه . فيعلم صدق دعواه . وسيأتي من ذلك ما نقف عليه ، في هذه السؤالات، ان شاء الله . - والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ! »

(فتوحات : ٢ : ٥٠-٥١)

٥٧) «هو بالإزاء ، الا انه في المقام الرابع .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٢ب) .

« الجواب : هو بالازاء ، الا انه في المقام الرابع من المراتب . فان المراتب اربع ،

التي تعطى السعادة للانسان : وهي الايمان والولاية والنبوة والرسالة . - واما (مقام الرسل) من مقام الانبياء . فهم من انبياء التشريع في الرتبة الثانية ، ومن مقام الانبياء في الرتبة الثالثة .

والعلم من شرائط الولاية ، وليس من شرطها الايمان . فان الايمان مستنده الخبر ، فلا يحتاج اليه من الخُبْر : اما بالمحال ، كالابنية لله ؛ او بالامكان ، وهو الاخبار ببعض المغيبات ، التي يمكن ان يُنسب اليها المخبر ما نسب . فاول رتبة العلماء بتوحيد الله الأولياء ، فان الله ما اتخذ وليًا جاهلاً . وهذه مسألة عظيمة ، اغفلها علماء الرسوم . فانه يدخل تحت فلك الولاية كل موحّد لله ، بأي طريق كان ؛ وهو المقام الاول . ثم النبوة ؛ ثم الرسالة ، ثم الايمان .

فهي فينا - اعني رتبة الولاية - على ما رتبناه . وهي هناك : ولاية ، ثم ايمان ، ثم نبوة ، ثم رسالة . وعند علماء الرسوم ، وعامة الناس الخارجين عن الطريق الخاص : المرتبة الاولى ايمان ، ثم ولاية ، ثم نبوة ، ثم رسالة . فاجبنا فيها على ما تعرفه العامة وعلماء الرسوم ؛ وبينا المراتب كيف هي ، بالنظر الى جهات مختلفة .

فالموحدون ، بأي وجه كان ، (هم) اولياء الله تعالى ؛ فانهم حازوا اشرف المراتب ، التي اشرك (الاصل: شرك) الله اصحابَها من اجلها ، مع الله فيها ؛ فقال (تعالى) : « شهد الله انه لا اله الا هو » - ففصل لتمييز شهادة الحق لنفسه ، من شهادة مَنْ سواه له بما شهد به لنفسه ؛ فقال ، وعطف بالواو : « والملائكة » . فقدّم للمجاورة في النسبة من كونه الاهًا . - والجار الأقرب ، في الشرع وفي العرف - عند ارباب الكرم والعلم - مقدم على الجار الابعد بكل وجه ، اذا اتحدا في ذلك الوجه . وفي هذا من رحمة الله بخلقه ما لا يقدّره الا العارفون به ، في قوله : « ونحن اقرب اليه منكم ، ولكن لا تبصرون » .

« فنحن اقرب » جارٌ ؛ وللجار حق مشروع يعرفه اهل الشريعة . وكذلك قوله (تعالى) : « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » . فينبغي للانسان ان يحضر هذا الجوار الالهي عند الموت ، حتى يطالب من الحق ما يستحقه الجار على جاره ، من حيث ما شرع . وهو قوله (تعالى) لنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، ان يقول : « قل : رب ! احكم بالحق » اي الحق الذي شرعته لنا ، فعاملنا به حتى لا تنكر شيئًا منه مما يقتضيه الكرم . فلو عام الناس ما في هاتين الآيتين من العناية بالعباد ، لكانوا على احوال لا يمكن ان تذاع ! يقول تعالى : « قل : كل يعمل على شاكلة » . وقال ، صلى الله عليه وسلم ، في مثل هذا المقام : « افلا اكون عبدًا شكورًا ؟ » -

ثم قال ، تعالى : « وأولو العلم » يعني من الجن والانس ، ومن شاركهم من الامهات والمولدات ، العلماء بالله . فجعلهم جيران الملائكة ، لتصح الشفاعة فينا ، لحق الجوار - « انه لا اله الا هو » . الضمير في « انه » يعود على الله ، من « شهد الله » . فشهادتهم

(السؤال الثامن عشر : وأين مقام الانبياء من مقام الاولياء[٥٨] ؟

بتوحيده على قدر مراتبهم في ذلك ؛ فلذلك فصل بين شهادته لنفسه وشهادة العلماء له . ثم قال (تعالى) : « قائمًا بالقسط » ؛ اي بالعدل فيما فصل به بين الشهادتين . ثم قال بنفسه : « لا اله الا هو » ؛ نظير الشهادة الاولى التي له . فحصلت شهادة العالم له بالتوحيد ؛ بين شهادتين الاهيتين ؛ احاطتا بها حتى لا يكون للشقاء سبيل الى القائل بها . ثم تمم بقوله (تعالى) : « العزيز » ؛ ليعلم ان الشهادة الثالثة له ؛ (هي) مثل الاولى لاقتران العزة بها ؛ اي لا ينالها الا هو ؛ لانها منيعة الحمى بالعزة . ولو كانت هذه الشهادة من الخلق ؛ لم تكن منيعة الحمى عند الله . فدل اضافة العزة لها ؛ على انها شهادة الله لنفسه . وقوله : « الحكيم » ؛ لوجود هذا الترتيب في اعطاء السعادة لصاحب هذه الشهادة ؛ حيث جعلها بين شهادتين منسوبتين الى الله ؛ من حيث الاسم « الاول » و« الآخر » — وشهادة الخلق بينهما .

فسبحان من قدَّر الاشياء مقاديرها ؛ وعجز العالم ان يقدروها حق قدرها ! فكيف ان يقدروا حق قدر من خلقها ! — وهذا الكشف ؛ من مقام وراثة الرسول ؛ صلى الله عليه وسلم ! من حيث رسالته ؛ من قوله : « ادعو الى الله على بصيرة ؛ انا ومن اتبعني » ؛ وهم العلماء بالله من اهل الله ؛ الذين اقامهم الحق مقام الرسل في الدعوة الى الله ؛ بلسان حق ؛ عن نبوة مطلقة . اعتنى بهم في ان وصفهم بها ؛ لا نبوة الشرائع بل نبوة حفظ لامر مشروع ؛ على بصيرة من الحافظ لا عن تقليد .» (فتوحات : ٢: ٥٢-٥٣)

يلاحظ هنا ؛ ان ترتيب هذه المسألة في الفتوحات يختلف عنه في كتاب الجواب المستقيم وفي كتاب ختم الاولياء . فهي في الفتوحات مذكورة برقم ١٨ وفي الكتابين المتقدمين برقم ١٧ .

٥٨) « هو خصوص فيه ؛ وهو بالإزاء ايضًا ؛ الا انه في المقام الثالث من الدعوة . » (الجواب المستقيم ؛ ورقة ٢٤٢ب-٢٤٣ا) .

« الجواب : هو خصوص فيه ؛ وهو بالازاء ايضًا ؛ الا انه في المقام الثالث ؛ على ما تقدم من المراتب . وكان ينبغي ان يكون السؤال عن هذا بتفصيل ؛ بين نبوة الشرائع والنبوة المطلقة . فهم من الاولياء ؛ اذا كانوا انبياء شريعة ؛ في الدرجة الثالثة . وان كانوا في النبوة اللغوية ؛ فهم في الدرجة الثانية .

— واعلم ان الاولياء هم الذين تولاهم الله بنصرته ؛ في مقام مجاهدتهم الاعداء الاربعة : الهوى ؛ والنفس ؛ والدنيا ؛ والشيطان . والمعرفة بهؤلاء (هي) اركان المعرفة ؛ عند المحاسبي . —

وان كان سؤاله عن مقام الانبياء من الاولياء ؛ أي انبياء الاولياء — وهي النبوة التي

(السؤال التاسع عشر) : واي شيء حظ كل رسول من ربه [٥٩] .

قلنا انها لم تنقطع ، فانها ليست نبوة الشرائع - وكذلك في السؤال عن مقام الرسل ، الذين هم انبياء - فلننقل في جوابه : ان انبياء الاولياء ، مقامهم من الحضرات الالهية الفردانية ؛ والاسم الالهي الذي تمدهم (هو) الفرد ؛ وهم المسمون الافراد . فهذا هو مقام نبوة الولاية ، لا نبوة الشرائع . واما مقام الرسل ، الذين هم انبياء - فهم الذين لهم خصائص على ما تعبدوا به اتباعهم . كمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيما قيل له : « خالصة لك من دون المؤمنين » ، في النكاح بالهبة . فمن الرسل من لهم خصائص على أممهم . ومنهم من لا يختصه الله بشيء دون امته .

وكذلك الاولياء : فيهم انبياء ، اي خصوا بعلم لا يحصل الا لنبي ، من العلم الالهي . ويكون حكمهم من الله ، فيما اخبرهم به ، حكم الملائكة . ولهذا قال (تعالى) في نبي الشرائع : « ما لم تحط به خبرا » ، اي ما هو ذوقك ، يا موسى ! مع كونه كليم الله . فخرق (الخضر) السفينة ، وقتل الغلام حكما ، واقام الجدار - مكارم خلق - عن حكم أمر الاهي ، (هذا كله) كخسف البلاد على يدي جبريل ومن كان من الملائكة . ولهذا كان الافراد من البشر بمنزلة المهيمين من الملائكة ، وانبياؤهم منهم بمنزلة الرسل من الانبياء . »
(فتوحات : ٢ : ٥٣) . - ترتيب هذه المسألة والجواب عنها في الفتوحات برقم ١٩ وفي كتاب ختم الاولياء والجواب المستقيم ١٨ .

٥٩) . « بحسب وقته وأمته ؛ وهو وصفه الخاص الذي به يتميز عن غيره . وتمييزه على التفصيل يطول ، فانه يؤدي الى ذكر اسم كل واحد منهم ، ووصفه الخاص به ؛ ولا حاجة لنا في ذلك . وقد اشرنا الى ذلك في بعض مصنفاتنا ؛ وكذلك اشار اليه الامام ابو القاسم ابن قسي ، في كتاب « خلع النعلين » في قوله تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » . فلينظر هنالك ، قدر ما ذكر من ذلك ؛ وهذه العجالة بنيت على غير هذا التطويل . »
(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٠ ب) .

« الجواب عن هذا لا يتصور ، لان كلام اهل طريق الله عن ذوق ولا ذوق لاحد في نصيب كل رسول من الله . لان اذواق الرسل مخصوصة بالرسل ، واذواق الانبياء مخصوصة بالانبياء ، واذواق الاولياء مخصوصة بالاولياء . فبعض الرسل ، عنده الاذواق الثلاثة : لانه ولي ونبي ورسول . قال الخضر لموسى ، (عليه السلام) : « ما لم تحط به خبرا » . والخبر (هو) الذوق . وقال له : « انا علم علمنيه الله لا تعلمه انت ، وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا . » هذا هو الذوق !

س خص ٧ .

حضرت في مجلس ، فيه جماعة من العارفين . فسأل بعضهم بعضاً : من اي مقام سأل موسى الرؤية ؟ فقال له الآخر : من مقام الشوق . فقلت له : لا تفعل . اصل الطريق ، ان نهايات الأولياء بدايات الأنبياء ؛ فلا ذوق للولي في حال من احوال انبياء الشرائع ، فلا ذوق لهم فيه . ومن اصولنا ، أنّا لا نتكلم إلّا عن ذوق . ونحن لسنا برسل ، ولا انبياء شريعة فبأي شيء نعرف من اي مقام سأل موسى الرؤية ربه ؟ نعم ، لو سألها (= الرؤية) وليٌّ امكنك الجواب . فالتحق وجوده بالمحال العقلي ، لان الـذات لا تقتضي إلّا هذا الترتيب ، او سبق العلم — كيف شئت فقل .

فإن اراد السؤال عن السبب ، الذي اقتضى لذلك الرسول هذا الحظ الذي انفرد به — فقد قال صاحب المحاسن : « ليس بينه وبين عباده نسب إلّا العناية ، ولا سبب الا الحكم ، ولا وقت الا الازل ؛ وما بقي فعمى وتلبيس » .

واعلم ان السبب العام ، الذي عيّن المراتب العليّة لاربابها ، انما هو العناية الالهيـة . وهو قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم » . واما السبب الخاص لهذا الرسول ، للحظ الخاص الذي له من ربه — فيحتاج ذكره الى ذكر كل رسول باسمه ، وحينئذ نذكر سببه . ورسل الله في البشر محصورون ، وفي الملائكة غير محصورين عندنا . لكن من شرط اهل هذه الطريقة ، اذا ادعوا هذه المعرفة ، فلا بدّ ان يعرفوا السبب عند تعيّن الرسول بالذكر . ولكن هو من الاسباب التي لا تذاع لئلا يتعب الخلق ، او يتخيل الضعيف الرأي ان الرسالة تكتسب بذلك السبب ، اذا علم ، فيؤدي ذكر ذلك الى فساد في العالم ، فيحفظ عليه الاسناء .

وايضاً فلا فائدة في اظهاره : فانه ، بكونه رسولاً ، خُصَّ به (لا) لانه كان رسولاً ، بل هو رسول بأمر عام يجتمع فيه المرسلون . قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » وقال : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » . فكل واحد منهم فاضل مفضول ، وهو مذهب الجماعة ؛ وقد بين هذا ابو القاسم ابن قسي في « خلع النعلين » . وهو قوله (تعالى) : « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » .

فخُصَّ آدم بعلم الاسماء الالهية ، التي طوى علمها عن الملائكة ، فلم تسبح الله بها ، حتى استفادها من آدم . وخص موسى بالكلام والتوراة ، من حيث ان الله كتبها بيده قبل ان يخلق آدم باربعة آلاف سنة . وخص رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بما ذكر عن نفسه : « من انه أوتي جوامع الكلم » . وخص عيسى (عليه السلام) بكونه روحاً ، واضاف النفخ اليه فيما خلقه من الطين ؛ ولم يضف نفخاً في اعطاء الحياة لغير عيسى ، بل لنفسه تعالى ! اما بالنون او بالتاء التي هي ضمير المتكلم عن نفسه . وهذا ، وان كانت كلها منصوصاً عليها انما حصلت لهم — فليس بمنصوص الاختصاص بها ، ولكنه معلوم من جهة

(السؤال العشرون) : وأي اسم منحهش من اسمائه(٦٠) ؟

الكشف والاطلاع . » (فتوحات : ٢ : ٥١-٥٢)

ترتيب هذه المسألة في الفتوحات رقم١٧ ، وفي الجواب المستقيم وختم الاولياء رقم ١٩ .

٦٠) «الاسم الذي يستدعيه تأبيد دعواه ؛ وهو المعبر عنه بالسلطان؛ والاعجاز اثره.» (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٣ب) .

« سؤالك هذا ، يحتمل اربعة أوجه . الواحد ، ان يكون الضمير المرفوع في «منحه» يعود على الله . الثاني ، ان يعود على المقام . الثالث ، على الاسم الالهي . الرابع ، ان يكون الضمير في « اسمائه » يعود على العبد ، فيكون الاسم اسم العبد ، لا اسم الله . وكذلك الضمير المنصوب في « منحه » ، الذي هو المفعول الثاني ، هل هو ضمير اسم الاهي ، او هل هو المقام ؟

فان كان الضمير المرفوع الله ، او المقام – فيكون الممنوح الاسم ، بلا شك . وان كان الضمير المرفوع الله ، او الاسم الالهي او اسم العبد– فيكون المقام هو الممنوح . فليكن الضمير المرفوع الله ، فالممنوح اسم الالهي ، الذي يسمى به العبد في تخلقه ، او اسم العبد : وهو الاصل في القربة الالهية . فان العبد لا يتصف بالقرب من الله الا باسمه . قال الله لابي يزيد : تقرّب اليّ بما ليس لي ! قال : يارب ، وما ليس لك ؟ قال : الذلة والافتقار . والسبب في ذلك ، ان اصل العبد ان يكون معلولاً ولا بد ؛ والمعلولية له لذاته . وكل معلول فقير ، بلا شك . لاشفاء يرجى له من هذه العلة . فيكون القرب من الله قرباً ذاتياً أصلياً .

وان كان الممنوح اسماً الاهياً ليتخلق به العبد ، كالاسم الرحيم في موطنه ، والاسم الملك المتكبر في موطنه – فذلك قرب يعرض له من الشارع ، الذي عينه له . فان للعبد اسماء يستحقها ، واسماء تعرض له : مثل الاسماء الالهية ، اذا تخلق بها العبد . ولله اسماء يستحقها ، واسماء عرضت له ، من تنزله لعقول عباده . وهي الاسماء التي هي للعبد بحكم الاستحقاق . فهل اتصاف الحق بها ، يكون تخلقاً من الله باسماء عبده ؟ او تلك الصفات له حقيقة ، جهلنا معناها بالنسبة اليه وعرفنا معناها بالنسبة الينا ؟ فيكون العبد متخلقاً بها ، وان كان يستحقها ، من وجه معرفته بمعناها ، اذا نسبت اليه . ومن كون الباري اتصف بها ، على على طريقة مجهولة عندنا ، فلا نعرف كيف ننسبها اليه ، جهلنا بذاته . فتكون اصلاً فيه ، عارضة فينا . فلا نستحق شيئاً ، لا من اسمائه ولا مما نعتقد فيها انها اسماؤنا . وهذا موضع حيرة ، ومزلة قدم ، الا لمن كشف الله عن بصيرته !

ونحن ، بحمد الله ، وان كنا قد علمناها – فهي من العلوم التي لا تذاع أصلاً ورأساً .

ش منتخب ٧ .

وبمعرفته بها ، « دعا ، من دعا ، الى الله على بصيرة » . وهو الشخص الذي « هو على بينة من ربه ، ويتلوه شاهد منه » يشهد له بصدق النية ، التي هو عليها . فالفطن يعلم ما سترناه ، باعلام الله في قوله : « ويتلوه شاهد منه » .

(و) هل تلك الاسماء ، اذا نسبت الى الله ، هل تنسب اليه تخلقاً او استحقاقاً ؟ واذا نسبت الى العبد ، هل تنسب اليه تخلقاً — كسائر الاسماء الالهية ، التي لا خلاف فيها عند العام والخاص — او تنسب اليه بطريق الاستحقاق ؟ فالشاهد المطلوب هنا ، ان عين العبد لا تستحق شيئاً ، من حيث عينه ، لانه ليس بحق اصلا . والحق هو الذي يستحق ما يستحق . فجميع الاسماء التي في العالم — ويتخيل انها حق للعبد — حق لله . فاذا اضيفت اليه ، وسمي (الانسان) بها على غير وجه الاستحقاق ، كانت كفراً وكان صاحبها كافراً . قال الله تعالى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا : ان الله فقير ، ونحن اغنيا. » . فكفروا بالمجموع !

هذا ، اذا كان الكفر شرعاً . فان كان لغة ولساناً ، فهو اشارة الى الامناء ، من عباد الله ، الذين علموا ان الاستحقاق بجميع الاسماء ، الواقعة في الكون ، الظاهرة الحكم ، انما يستحقها الحق والعبد يتخلق بها . وانه ليس للعبد سوى عينه ، ولا يقال في الشيء : انه يستحق عينه ، فان عينه هويته . فلا حق ولا استحقاق . وكل ما عرض ، او وقع عليه اسم من الاسماء ، انما وقع على الاعيان ، من كونها مظاهر . فما وقع اسم الا على وجود الحق في الاعيان . والاعيان على اصلها ، لا استحقاق لها .

فهذا شرح قوله (تعالى) : « ويتلوه شاهد منه » ، يشهد له بصدق النسبة انه عين بلا بلا حكم ، وكونه مظهراً حكماً لا عيناً . فالوجود لله ، وما يوصف به من ايه صفة كنت ، انما المسمى بها هو مسمى الله . فافهم انه ما ثم مسمى وجودي إلا الله . فهو المسمى بكل اسم ، والموصوف بكل صفة ، والمنعوت بكل نعت .

واما قوله (تعالى) : « سبحان ربك ، رب العزة ، عما يصفون » (اي) من ان يكون له شريك في الاسماء كلها . فالكل اسماء الله : اسماء أفعاله ، او صفاته ، او ذاته . فما في الوجود الا الله ! والاعيان معدومة في عين ما ظهر فيها .

وقد اندرج في هذا الفصل — ان فهمت — جميع ما ذكرناه في تقسيم الضميرين المنصوب والمرفوع . فالوجود له ، والعدم لك . فهو لا يزال موجوداً ، وانت لا تزال معدوماً . ووجوده ، ان كان لنفسه ، فهو ما جهلت منه . وان كان لك ، فهو ما علمت منه : فهو العالم والمعلوم .

والذي يقصده اكثر الناس بقولهم : اي اسم منح الله الرسول من اسمائه ؟ (فالجواب) هو الاسم الذي يستدعيه تأييد دعوته ؛ وهو المعبر عنه بالسلطان ؛ والاعجاز أثره . وان منحه (الله) النبي ، (فالجواب) هو الاسم الذي يتأيد به في حصول ارتبة النبوية وصحتها .

(السؤال الحادي والعشرون) : وأي شيء حظوظ الاولياء من اسمائه[٦١] ؟
(السؤال الثاني والعشرون) : واي شيء علم البدء ص[٦٢] ؟

وقد يكون لكل شخص اسم يمنحه (الله تعالى) بحسب ما تقتضيه رتبته من مقام نبوته او رسالته . غير ان الاسم الواهب هو الذي يعطي ذلك ؛ الا اذا كان المقام مكتسباً ، ف (عندئذ) قد يعطيه الاسم الكريم او الجواد او السخي . » (فتوحات ، ٢ : ٥٣–٥٤)

٦١) « الجواب : الحظ الذي يجمعهم من اسمائه ، هو الحي القيوم . وما سوى عين الجمع ، فبحسب غاية كل ولي . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ب) .

« الجواب : هنا تفصيل . هل يريد بالاسم ، الذي اوجب لهم هذه الحظوظ ؟ او الاسم الذي يتولاهم فيها ؟ او الاسم ، الذي تنتجه هذه الحظوظ ؟

فان اراد الاسم او الاسماء ، الذي اوجبت لهم هذه الحظوظ — فالحظوظ على قسمين : حظوظ مكتسبة ، وحظوظ غير مكتسبة . ولكل واحد من القسمين اسم يخصه ، من حيث ما يوجبها ، ومن حيث ما يتولاها ، ومن حيث ما تنتجه . فما كان من الحظوظ المكتسبة ، فالاسماء التي توجبها ، هي الاسماء التي تطيهم الاعمال ، التي اكتسبوها بها . وهي مختلفة : كل عمل بحسب اسمه . فكل عامل ، اذا كان عارفاً ، يعلم الاسم الذي يخص تلك الحركة العملية (الاصل : العلمية) من الاسماء الالهية . ويطول التفصيل فيها .

والاسماء التي تتولاهم ، في حال وجودها لهم ، فهي بحسب ما هو ذلك الحظ . فالحظ يطلب بذاته من يتولاه من الاسماء . والحظوظ مختلفة ، وكذلك الاسماء ، التي توجبها الحظوظ وتنتجها ، فهي بحسب الحظوظ ايضاً . فتختلف الاسماء باختلاف الحظوظ . وعلى هذا النسق الكلام في الحظوظ ، التي هي غير مكتسبة ، من التفصيل » .

(فتوحات ، ٢ : ٥٤)

٦٢) « هو علم الفصل بين الوجودين ، القديم والمحدث . وهو علم عزيز ، يعز على من لم يبشر عليه منا . وأما سوى طريقتنا ، فهم يخبطون (خبط)عشواء . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ب) .

« الجواب : سأل بلفظ في العامة يطلى البدء ، وفي الخاصة يعطى موجب النسخ ، في مذهب من يراه . فلنتكلم على الأمرين معاً ، ليقع الشرح باللسانين ، فيفهم الجواب .

اعلم ، أن علم البدء علم عزيز ، وانه غير مقيد . واقرب ما تكون العبارة عنه ، ان يقال : البدء افتتاح وجود الممكنات على التتالي والتتابع ، لكون الذات الموجدة له

ص من البدو F .

اقتضت ذلك ، من غير تقييد بزمان ، اذ الزمان من جملة الممكنات الجسانية . فلا يعقل الا ارتباط ممكن بواجب لذاته . فكان في مقابلة وجود الحق ، اعيان ثابتة ، موصوفة بالعدم ازلاً ، وهو الكون ، الذي لا شيء مع الله فيه . الآن وجوده . افاض على هذه الاعيان ، على حسب ما اقتضته استمداداتها . فتكونت لاعيانها ، لاله ! من غير بينية تعقل او تتوهم . (ف)وقعت ، في تصورها ، الحيرة من الطريقين : من طريق الكشف ، ومن طريق الدليل الفكري . والنطق بما يقتضيه الكشف ، بايضاح معناه ، يتعذر : فان الامر غير متخيل؛ فلا يقال ، ولا يدخل في قوالب الالفاظ باوضح مما ذكرناه . وسبب عزة ذلك ، الجهل بالسبب الاول وهو ذات الحق . ولما كانت سبباً ، كانت الاماً للمألوه لها ، حيث لا يعلم المألوه انه مألوه . فمن اصحابنا من قال : ان البدء كان عن نسبة القهر ، وقال بعض اصحابنا : بل كان عن نسبة القدرة . والشرع يقول : عن نسبة أمر ؛ والتخصيص (حصل) في عين ممكن ، دون غيره من الممكنات المميزة عنده .

والذي وصل اليه علمنا من ذلك – ووافقنا الانبياء عليه – ان البدء عن نسبة امر ، فيه رائحة جبر . اذ الخطاب لا يقع الا على عين ثابتة ، معدومة ، عاقلة سميعة ، عالمة بما تسمع : بسمع ما هو سمع وجود ، ولا عقل وجود ، ولا علم وجود . فالتبست ، عند هذا الخطاب ، بوجوده . فكانت مظهراً له : من اسمه « الاول – الظاهر » . وانسحبت هذه الحقيقة ، على هذه الطريقة ، على كل عين عين ، الى مالا يتناهى .

فالبدء حالة ، مستصحبة ، قائمة . لا تنقطع ، بهذا الاعتبار ، ابداً . فان معطي الوجود ، لا يقيده ترتيب الممكنات . فالنسبة منه واحدة . فالبدء ما زال ، ولا يزال . فكل شيء من الممكنات ، له عين الاولية في البدء . ثم اذا نسبت الممكنات ، بعضها الى بعض ، تعين التقدم والتأخر ، لا بالنسبة اليه ، سبحانه ! فوقف علماء النظر مع ترتيب الممكنات ، حيث وقفنا نحن مع نسبتها اليه (تعالى !) .

والعالم كله ، عندنا ، ليس له تقييد الا بالله خاصة . والله يتعالى عن الحد والتقييد . فالمقيد به (العالم) تابع له (لله) في هذا التنزيه . فأولية الحق هي اوليته (العالم) اذ لا اولية للحق بغير العالم ، لا يصح نسبتها ولا نعتـه بها . بل هكذا جميع النسب الاسمائية كلها .

فالعبد ملك اذ قد تسمّى	بي عين حال بما تسمى
والملك عبد في عين حال	اذا تسمى بما أسمى
فانه بي ولست اعني	عيني (الاصل: عني) لكونه أعمى أعمى
عن كل عين سوى عياني	لكونه اظهرته الاسما

هذه طريقة البدء .

وأما اذا اراد : البداء (الاصل : البدا) ، وهو ان يظهر له ما لم يكن ظهر . هو مثل قوله (تعالى) : « ولنبلونكم حتى نعلم » وهو قوله : « وسيرى الله عملكم » . فيكون

(السؤال الثالث والعشرون) : وقوله : « كان الله ولا شيء معه ض »[٦٣] ؟

الحكم الالهي بحسب ما يعطيه الحال . وقد كان قرّر الامر بحال معين ، بشرط الدوام لذلك الحال في توهمنا . فلما ارتفع الدوام الحالي ، الذي لو دام اوجب دوام ذلك الامر ، بدا من جانب الحقّ حكم آخر ، اقتضاه الحال الذي بدا من الكون . فقابل البداء (الاصل : البدا) بالبداء (الاصل : البدا) . فهذا معنى علم البداء (الاصل : البدا) له ، على الطريقة الاخرى .

قال تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » . ويقول ، صلى الله عليه وسلم : « اتركوني ما تركتكم » . وكانت الشرائع تنزل بقدر السؤال ؛ فلو تركوا السؤال لم ينزل هذا القدر ، الذي شرع . ومعقول ما يفهم من هذا ، علم البداء (الاصل : البدا) .

وبعد ان علمتَ هذا ، فقد علمتَ علم الظهور ، وعلم الابتداء . فكأنك علمت علم ظهور الابتداء ، او ابتداء الظهور ، فان كل نسبة منها مرتبطة بالاخرى . فان كان ظهور الابتداء ، فما حضرة الاخفاء ، التي منها ظهر هذا الابتداء ؟ فلا شك انه لم يكن يصح هذا الوصف إلّا له ، ففيه خفي وبه ظهر . فحالة ظهوره عن ذلك الخفاء هو المعبّر عنه بالابتداء . وان كان ابتداء الظهور ، فهل له نسبة الى (الاصل : لي) القدم ؟ (و)إذ لم يكن له حالة الظهور ، فما نسبة القدم اليه ؟

قلنا : عينه الثابتة حال عدمه ، هي له نسبة ازلية ، لا اول لها . وابتداء الظهور ، عبارة عما اتصفت به من الوجود الالهي ، اذ كانت مظهرًا للحق . فهو المعبر عنه بابتداء الظهور . فان تَعَدُّدَ الاحكام على المحكوم عليه ، مع احدية العين ، انما ذلك راجع الى نسب واعتبارات . فعين الممكن لم تزل ؛ ولا تزال على حالها من الامكان . فلم يخرجها كونُها مظهرًا – حتى انطلق عليها الاتصاف بالوجود – عن حكم الامكان فيها ؛ فانه وصف ذاتي لها . والامور لا تتغير عن حقائقها ، باختلاف الحكم عليها ، لاختلاف النسب . الا ترى الى قوله (تعالى) : « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا » ؟ وقوله : « انما قولنا لشيء اذا اردناه ، ان نقول له : كن ، فيكون ! » . فنفى الشيئية عنه واثبتها له . والعين هي العين ، لا غيرها .» (فتوحات ٤ : ٢ : ٥٤–٥٦)

٦٣) « الجواب : في المرتبة التي يستحقها وجوده ؛ ولذلك تمم فقال : « وهو الآن على ما عليه كان » . فان ذلك الوصف ثابت له ، سواء كان العالم او لم يكن .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ ا) .

« الجواب : لا تصحبه الشيئية ، ولا تنطلق عليه . وكذلك هو « ولا شيء معه » . فانه وصف ذاتي له . سَلْبُ الشيئية عنه ، وسَلْبُ معيّة الشيئية . لكنه مع الاشياء ،

ض + ثم ماذا ٧ .

وليست الاشياء معه . لان المعية تابعة للعلم : فهو يعلمنا ، فهو معنا . ونحن لا نعلمه ، فلسنا معه .

فاعلم ، ان لفظة « كان » تعطي التقييد الزماني . وليس المراد هنا به ذلك التقييد . وانما المراد به الكون ، الذي هو الوجود . فتحقيق « كان » انه حرف وجودي ، لا فعل يطلب الزمان . ولهذا ، لم يرد ما يقوله علماء الرسوم ، من المتكلمين وهو قولهم : « وهو الآن على ما عليه كان » . فهذه زيادة مدرجة في الحديث ، ممن لا علم له بعلم « كان » ؛ ولا سيما في هذا الموضع . ومنه : « كان الله عفوًا غفورًا » ، وغير ذلك مما اقترنت به لفظة « كان » . ولهذا سمّاها بعض النحاة ، هي واخواتها : حروفًا تعمل عمل الافعال . وهي عند سيبويه حرف وجودي . وهذا هو الذي تعقله العرب . وان تصرّفت (كان) تصرّف الافعال ، فليس من اشبه شيئًا من وجه ما ، يشبهه من جميع الوجوه . بخلاف الزيادة ، بقولهم : « وهو الآن » ، فان « الآن » تدل على الزمان . واصل وضعه (اعنا) لفظة تدل على الزمان الفاصل بين الزمانين : الماضي والمستقبل . ولهذا قالوا في « الآن » : انه حد الزمانين . فلما كان مدلولها الزمان الوجودي ، لم يطلقه الشارع في وجود الحق ؛ واطلق « كان » لانه حرف وجودي . وتخيل فيه الزمان ، لوجود التصرف : من كان ويكون فهو كائن ومكون . كقتل يقتل فهو قاتل ومقتول . وكذلك « كُنْ » بمنزلة « اخرج » .

فلما رأوا في « الكون » هذا التصرف ، الذي يلحق الافعال الزمانية — تخيلوا ان حكمها حكم الزمان ، فادرجوا « الآن » تتمة للخبر وليس منه . فالمحقق لا يقول قط : « وهو الآن على ما عليه كان » . فانه لم يرد ، ويقول على الله ما لم يطلقه على نفسه ، لما فيه من الاخلال بالمعنى ، الذي يطلبه حقيقةً وجود الحق ، خالق الزمان . فمعنى ذلك الله موجود ، ولا شيء معه . اي ما ثَمَّ مَنْ وجوده واجب لذاته غير الحق . والممكن واجب الوجود به لانه مظهره ، وهو ظاهر به . والعين الممكنة مستورة بهذا الظاهر فيها . فانصف هذا الظهور والظاهر بالامكان ، (وذلك مما) حكِمَ عليه به عينُ المظهَر ، الذي هو الممكن . فاندرج الممكن في واجب الوجود لذاته عينًا ، واندرج الواجب الوجود لذاته في الممكن حكمًا . فتدبر ما قلناه !

واعلم ، ان كلامنا في شرح ما ورد ، انما هو على قول الولي ، اذا قال مثل هذا اللفظ ، او نطق به من مقام ولايته لا من مقام الرتبة ، التي منها بعث رسولا . فان الرسول اذا قال مثل هذا اللفظ في المعرفة بالله ، من مقامه الاختصاصي ، فلا كلام لنا فيه ، ولا ينبغي لنا ان نشرح ما ليس بذوق لنا . وانما كلامنا فيه من لسان الولاية . فنحن نترجم عنها بأعلى وجه يقتضيه حالها . هذا غاية الولي في ذلك . ولا شك ان المعيّة في هذا الخبر ثابتة ، والشيئية منفية . والمعية تقتضي الكثرة . والموجود الحق هو عين وجوده في نسبته الى نفسه وهويته . وهو عين المنعوت به مَظهَرُهُ : فالعين واحدة في النسبتين .

فهذه المعيّة ، كيف تصح والعين واحدة ؟ فالشيئية هنا عين المظهر لا عينه ؛ وهو معها

(السؤال الرابع والعشرون) : وما بدء[ط] الاسماء[٦٤] ؟

لان الوجود يصحبها ، وليست معه لانها لا تصحب الوجود . وكيف تصحبه ، والوجوب لهذا الوجود ذاتي ؟ ولا ذوق للذين الممكنة في الوجوب الذاتي . فهو يقتضيها ، فيصح ان يكون معها . وهي لا تقتضيه ، فلا يصح ان تكون معه . فلهذا نفى الشيء ان يكون مع هوية الحق ، لان المعية نعت تمجيد ، ولا مجد لمن هو عدم الوجوب الوجودي لذاته . فان الشيء لا يكون مع الشيء الا بحكم الوعيد او الوعد بالخبر . وهذا لا يتصور من الدّون للاعلى . فالعالم لا يكون مع الله ابدًا ، سواء اتصف بالوجود او العدم . والواجب الوجود الحق لذاته ، يصح له نعت المعية مع العالم ، عدمًا ووجودًا . » (فتوحات : ٢ : ٥٦)

هذا ، وحديث « كان الله ولا شيء معه » مذكور في البخاري : باب التوحيد ، وبدء الخلق ؛ ومذكور ايضًا في مسند ابن حنبل ٢ : ٤٣١

٦٤) « الجواب : هو الاسم الذي تتوقف الاسماء في اظهار اثرها عليه . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ أ — ٢٤٣ ب) .

« الجواب : اطلاق هذا اللفظ ، في الطريق ، يقتضي امرين : الواحد ، سؤال عن اول الاسماء . والثاني ، سؤال عما تبتدئ به الاسماء من الآثار . وهذان الامران ،فرعان عن مدلول لفظ الأسماء ، ما هو ؟ هل هو موجود ، او عدم ؟ اولا وجود ولا عدم ؟ — وهي النسب ، فلا تقبل معنى الحدوث ولا القدم ؛ فانه لا يقبل هذا الوصف الا الوجود او العدم .

فاعلم ان هذه الاسماء الالهية ، التي بأيدينا ، هي اسماء الاسماء الالهية التي سمى بها نفسه ، من كونه متكلمًا . فنضع الشرح ، الذي كنا نوضح به مدلول تلك الاسماء ، على هذه الاسماء التي بأيدينا . وهو المسمى بها من حيث الظاهر ، ومن حيث كلامه . وكلامه (هو) علمه ؛ وعلمه (هو) ذاته : فهو مسمّى بها من حيث ذاته . والنسب لا تعقل للموصوف بالاحدية من جميع الوجوه : اذن ، (الاصل : اذا) فلا تعقل الاسماء الا بان تعقل النسب ، ولا تعقل النسب الّا بأن تعقل المظاهر ، المعبر عنها بالعالم . فالنسب ، على هذا ، تحدث بحدوث المظاهر . لان المظاهر ، من حيث هي اعيان ، لا تحدث ؛ ومن حيث هي مظاهر ، هي حادثة : فالنسب حادثة . فالاسماء تابعة لها ، ولا وجود لها ، مع كونها معقولة الحكم .

فاذا ثبت هذا ، فالقائل : ما بدء الاسماء ؟ هو القائل : ما بدء النسب ؟ والنسبة امر معقول ، غير موجود بين اثنين . فإمَّا ان تتكلم فيها ، من حيث نسبتها الى الاولى ، او من حيث ما دل الاثر عليها . فان نظرنا فيها من حيث المسمّى بها ، لا من حيث دلالة اثرها —

ط بدو F ، بداوة V .

كان قوله: ما بدء الأسماء ? معناه: ما أول الأسماء ? فلتقل: أول الأسماء «الواحد – الاحد». وهو اسم واحد، مركب تركيب «بعلبك» و«رامهر مز» و«الرحمن – الرحيم». لا نريد بذلك اسمين. وانما كان «الواحد – الأحد» اول الأسماء، لان الاسم موضوع للدلالة، وهي العلمية الدالة على عين الذات، لا من حيث نسبة ما يوصف بها، كالأسماء الجوامد للاشياء. وليس اخص في العلمية من «الواحد – الأحد». لأنه اسم ذاتي له، يعطيه هذا اللفظ بحكم المطابقة.

فان قلت: ف «الله» أولى بالأولية من «الواحد – الأحد». لان الله ينعت بـ«الواحد – الاحد» ولا ينعت (الواحد – الأحد) بالله. قلنا: مدلول «الله» يطلب العالم بجميع ما فيه؛ فهو له كاسم «الملك» او «السلطان»: فهو («الله») اسم للمرتبة لا للذات. و«الأحد» اسم ذاتي، لا يتوهم معه دلالة على غير العين. فلهذا لم يصح ان يكون «الله» أول الأسماء. فلم يبق الا «الواحد»، حيث لا يعقل منه إلّا العين، من غير تركيب. ولو تسمّى (الحق لنا) بالشيء، لسميناه «الشيء» وكان (هذا) اول الاسماء. لكنه لم يرد في الاسماء الالهية «يا شيء» . . . ولا فرق بين مدلول «الواحد» و«الشيء»، فانه دليل على ذات غير مركبة. اذ لو كانت مركبة لم يصح اسم «الواحد» و«الشيء»، فانه دليل على ذات غير مركبة. اذ لو كانت مركبة لم يصح اسم «الواحد» ولا «الشيء» عليه حقيقة. فلا مثل له، ولا شبه يتميز عنه بشخصيته: فهو «الواحد – الأحد» في ذاته لذاته.

ومع هذا، فقد قررنا ان الأسماء عبارة عن نسب. فما نسبة هذا الاسم الأول، ولا اثر له منه يطلبه ? قلنا: اما النسبة، التي أوجبت له هذا الاسم، فمعلومة. وذلك ان في مقابلة وجوده اعيانا ثابتة، لا وجود لها الا بطريق الاستفادة من وجود الحق. فتكون مظاهره في ذلك الاتصاف بالوجود. وهي اعيان لذاتها، ما هي اعيان لموجِب، ولا لعلة. كما ان وجود الحق لذاته، لا لعلة. وكما هو الغني لله تعالى على الاطلاق، فالفقر لهذه الأعيان على الاطلاق، الى هذا الغني، الواجب الغني بذاته لذاته. وهذه الأعيان، وان كانت بهذه المثابة، فمنها امثال وغير امثال، متميزة بأمر وغير متميزة بأمر يقع فيه الاشتراك. فلا يصح على كل عين منها اسم «الواحد – الأحد»، لوجود الاشتراك والمثلية. فلهذا سمينا هذا الذات، الغنية على الاطلاق، «بالواحد – الاحد»، لانه لا موجود الا هي. فهي عين الوجود في نفسها وفي مظاهرها. وهذه نسبة لا عن اثر، اذ لا اثر لها في كون الأعيان الممكنات اعيانا، ولا في امكانها.

واما اذا كان قوله: ما بدء الأسماء ? يعني ما نبتدئ به الأسماء من الآثار في هذه الأعيان – فيطلب هذا السؤال أمرين: الأمر الواحد، ما يبتدئ به في كل عين عين. والأمر الآخر، ما يبتدئ به على الاطلاق، في الجملة. ومعناه: ما أول اسم يطلب ان يظهر اثره في هذه الأعيان.

(السؤال الخامس والعشرون : وما بدء[ظ] الوحي[٦٥] .

فاعلم ان ذلك الاسم ، هو « الوهاب » خاصةً ، في الجملة وفي عين عين ، لا فرق . وهو اسم احدثته الحبات لهذه الأعيان ، من حيث فقرها . فلما انطلق عليها اسم « مظهر » ، وقد كانت عرية عن هذا الاسم ، ولم يجب على « الغني » ان يجعلها مظاهر له – طلبت هذه النسبة الاسم « الوهاب » . ولهذا لا نجعله ، تعالى ! علة لشيء ، لان العلة تطلب معلولها ، كما يطلب المعلول علته . و«الغني» لا يتصف بالطلب ، اذن فلا يصح ان يكون علة . والوهب ليس كذلك ، فانه امتنان على الموهوب له؛ وان كان الوهب له ذاتياً فانه لا يقدح في غناه عن كل شيء .

والذي يبتدئ به من الوهب ، اعطاء الوجود لكل عين ، حتى وصفها بما لا تقتضيه عينها . فأول ما يبتدأ به من الأعيان ، ما هو اقرب مناسبة للاسماء التي تطلب التنزيه ، هي الاسماء التي تطلب الذات لذاتها . والاسماء التي تطلب التشبيه ، هي الاسماء التي تطلب الذات لكونها إلاهاً . فاسماء التنزيه ، كالغني والأحد ، وما يصح ان ينفرد به . واسماء التشبيه ، كالرحيم والغفور ، وكل ما يمكن ان يتصف به العبد حقيقةً ، من حيث ما هو مظهر ، لا من حيث عينه . لانه لو اتصف به من حيث عينه – لكان له الغنى ، ولا غنى له أصلاً .

فاذا اتصفت هذه الأعيان ، التي هي المظاهر ، بمثل الغني وتسمت بالغني – فيكون معنى ذلك : الغنى بالله عن غيرها من الأعيان ؛ لا ان العين غنى بذاته . وكذا كل اسم تنزيه : فلها هذه الأسماء ، من حيث ما هي مظاهر . فان كان المسمى لسان الظاهر فيها ، فهو كونه إلاهاً فهو اقرب نسبة الى الذات من لسان المظهر اذا تسمى بالغنى . فالمظهر لا يزول عنه اسم الفقر مع وجود اسم الغنى المقيد له . والظاهر فيه ، اذا تسمى بالغنى يصح له لأنه يعطي جوداً ومنة . وهو الوهاب الذي يعطي لينعم ؛ وقد يعطى ليعبد . فلا يكون هذا عطاء تنزيه ، بل هو عطاء عوض ، ففيه طلب . قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » . فاعطاء هذا الخلق اعطاء طلب ، لا اعطاء هبة ومنة . واعطاء الوهب اعطاء انعام ، لا لطلب شكر ولا عوض . « يهب لمن يشاء اناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور؛ او يزوجهم ذكراناً واناثاً » وهو المثنى . ثم وصف نفسه في ذلك بانه « عليم قدير » . وهو وصف يرجع اليه ؛ ما طلب منهم في ذلك عوضاً ، كما طلب في قوله : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» . فنزلة خلقهم له ما هو منزلة خلقهم لهم : فخلقهم لهم من اسماء التنزيه ، وخلقهم له من اسماء التشبيه . وهذا القدر كاف في الغرض . » (فتوحات : ٢ : ٥٦-٥٨)

٦٥) « الجواب : هو انزال المعاني في القوالب المحسوسة في الحضرة الوسطى ، وهو

ظ بدوبه F ، بداوة .

عالم التولد ، والعالم الوسط ؛ وهو البرزخ الاعظم . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٠٣ ب).

« الجواب : انزال المعاني المجردة العقلية ، في القوالب الحسية المقيدة ، في حضرة الخيال ، في نوم او يقظة . وهو من مدركات الحس في حضرة المحسوس . مثل قوله (تعالى) : « فتمثل لها بشراً سوياً » . وفي حضرة الخيال ، كما ادرك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « العلم في صورة اللبن » وكذا أول رؤياه .

قالت عائشة : « اول ما بدئ به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الوحي — الرؤيا . فكان لا يرى رؤيا الا خرجت مثل فلق الصبح » . وهي التي أبقى الله على المسلمين ، وهي من اجزاء النبوة . فما ارتفعت النبوة بالكلية . ولهذا قلنا : انما ارتفعت نبوته التشريع . فهذا معنى « لا نبي بعده » . وكذلك : « من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه » . فقد قامت به النبوة ، بلا شك . فعلمنا ان قوله : « لا نبي بعده » . اي لا مشرع خاصة ، لا انه لا يكون بعده نبي .

فهذا مثل قوله (صلى الله عليه وسلم) : « اذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده » و « اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » . ولم يكن كسرى وقيصر الا ملك الفرس والروم . وما زال الملك من الروم . ولكن ارتفع هذا الاسم ، مع وجود الملك فيهم وتسمى ملكهم باسم آخر ، بعد هلاك قيصر وكسرى .

وكذلك اسم النبي زال بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فانه زال التشريع المنزل من عند الله بالوحي بعده ، صلى الله عليه وسلم . فلا يشرع احد بعده شرعاً الا ما اقتضاه نظر المجتهدين من العلماء في الأحكام ؛ فانه بتقرير رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صح . فحكم المجتهد من شرعه الذي شرعه ، صلى الله عليه وسلم ، الذي يعطي المجتهد دليله . وهو الذي اذن الله به . فما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله ؛ فان ذلك كفر وافتراء على الله .

فان قلت : هذا الذي بدئ به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من اين نقول انه بدء الوحي ؟ — قلنا : لا شك ولا خفاء ، عند المؤمنين والأولياء ، ان محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، خصه الله بالكمال في كل فضيلة . فمن ذلك ، انه خصه بكمال الوحي ، وهو استيفاء انواعه وضروبه وهو قوله ، عليه السلام : « اوتيت جوامع الكلم » . وبعث عامة . فما بقي ضرب من الوحي الا وقد نزل عليه به . فلما كان بهذه المثابة ، وبدئ ، صلى الله عليه وسلم ، بالرؤيا في وحيه ستة أشهر — علمنا ان بدء الوحي الرؤيا ، وانها جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ، لكونها ستة اشهر . وكانت نبوته ثلاثاً وعشرين سنة ؛ فستة اشهر جزء من ستة واربعين . ولا يلزم ان يكون لكل نبي ، فقد يوحى لنبي لا من بدء الوحي ، الذي هو الرؤيا ، بل بضرب آخر من الوحي . فلما بدئ بالرؤيا ، صلى الله عليه وسلم ، قلنا : الرؤيا بدء الوحي ، بلا شك . لان الكمال الذي وصف به نفسه ، صلى الله عليه

(السؤال السادس والعشرون) : وما بدء الروح[٦٦] .

وسلم ، في المقام اعطى الله ان يكون بدء الوحي ما بدئ به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وكذا ينبغي ان يكون . فان البدء عندنا ، هو ما يناسب الحس اولاً ، ثم يرتقي الى الامور المجردة ، الخارجة عن الحس . فلم تكن إلّا الرؤيا ، نوماً كان او يقظة . والوحي ، هنا ، تشريع الشرائع من كونه نبياً او رسولاً ، كيف ما كان .

وهذا كله ، اذا كان سؤاله عن الوحي المنزل على البشر . فان كان سؤاله عن بدء الوحي ، من حيث الوحي او عن بدء الوحي في حق كل صنف ممن يوحى اليه كالملائكة وغير البشر ، من الجنس الحيواني مثل قوله (تعالى) : « وأوحى ربك الى النحل » ؛ وغير الجنس الحيواني مثل : « عرض الامانة على السموات والارض والجبال » — فانه كان يوحى — « واوحى في كل سماء امرها » ومثل قوله : « ونفس وما سواها » وهي نفس كل مكلف وما ثمّ إلّا مكلف لقوله : « فالهمها فجورها وتقواها » ، فدخل الملك بالتقوى ، في هذه الآية اذ لا نصيب له في الفجور . وكذلك سائر النفوس (الاصل : نفوس) ما عدا الانس والجان . فالانس والجن الهموا الفجور والتقوى : « كلّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » . — فان اراد بدء الوحي في كل صنف صنف ، وشخص شخص ، فهو الالهام فانه لا يخلو عنه موجود ، وهو الوحي . وهذا جواب عن بدء الوحي من حيث الوحي ومن حيث شخصٌ شخصٌ . »

(فتوحات : ٢ : ٥٨)

٦٦) الجواب : هو في الروح الاول ، تجل من المرتبة الاولى المطلقة الى المرتبة الاولى المقيدة . وهو في الروح الثاني ، فراغ الاستمداد . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ب) .

« الجواب : اهل الطريق يطلقون لفظ « الروح » على معان مختلفة . فيقولون : فلان فيه روح ، اي امر رباني ، يجيء به من قام به ، يعني : قلبه . ويطلقون « الروح » على الذي سئل عنه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ويطلقون « الروح » ويريدون به الروح الذي ينفخ فيه عند كمال التسوية . والذي مدار الطريق عليه ، هو « الروح » الذي يجده اهل الله عند الانقطاع اليه بالهمم والعبادة . فاكثر ما يقع عنه السؤال منهم غالباً . فيكون قوله : ما بدء الروح ؟ اي ما ابتداء حصوله في قلب العارف ؟

فنقول (الاصل : فنقول) : ان بدء الروح في نفوس اهل الذين ألهمهم الله لتحصيله ، من (الاصل : ان) نفَس الرحمن . (وذلك) اذا تمكنت في نفوسهم المجاهدات ، التي تعطيهم رؤية الأغيار عريّة عن رؤية الله فيها وانها حائلة وقاطعة بين الله وبين هذا العبد . فيكون صاحب هذه المجاهدة صاحب قبض وهم وغم وحجب ، يريد رفعها . فتهب عليه من نفَس

ع بدو F ، بداوة V .

السؤال السابع والعشرون) : وما بدء السكينة[٦٧] ؟

الرحمن في باطنه ما يؤديه الى رؤية وجه الحق في هذه القواطع ، على زعمه ، وفي هذه الحجب والاشياء التي يجاهد نفسه في قطع ما يتعرض اليه منها في طريقه . فيعرفه ذلك النفس وجه الحق في كل شيء ، وهو العين والحافظ عليه وجودها . فلم ير شيئاً خارجاً عن الحق . فزال تعبه ، من حيث ما يريد قطعها . ويتألم عند ذلك ألماً شديداً ، حيث يتوهم عدم تلك المرقة . ثم يعقب ذلك سرور عظيم ، لوجود هذا النفس . فيحيي به معناه ويصير به روحاً . وهو قوله (تعالى) : « اوحينا اليك روحاً من امرنا » ، ما هو تحت كسبك ، ولا تعلق لك خاطر بتحصيله . « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا » . فهذا العارف ، ممن شاء من عباده . فيقال فيه ، عند ذلك : انه ذو روح . ويقال فيه انهُ حي ، وقد التحق بالاحياء . وهو قوله : « او من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس . ومن لم يجعل الله له نوراً » – وهو هذا الروح – « فما له من نور » . فكان يجعل الله ، ولم يضفه الى الاكتساب ، فانه مجهول العين لعدم الذوق .

فهذا معنى بدء الروح ، الذي يجده العارفون في الطريق . وهذا هو مقصود السائلين . وهو نور من حضرة الربوبية لا من غيرها . واصله من الروح الذي « هو من امر ربي » ، اي من الروح الذي لم يوجد عن خلق . فان عالم الأمر (هو) كل موجود لا يوجد عن (الاصل : عند) سبب كوني يتقدمه . ولكل موجود منه شرب . وهو الوجه الخاص ، الذي لكل موجود عن سبب وعن غير سبب . فمن هذا الروح يكون هذا الروح المسئول عنه ، الذي يجده اهل هذا الطريق . (فتوحات ٢ : ٩٤)

٦٧) « الجواب : ان اراد بالبدء حصولها في القلب ، فهي اول نفحات الاهية . واخبرني رجل من الحديثة ، انها اول العظمة . وليس بصحيح ؛ وانما التبس عليه الأمر . فذوقه صحيح ، وعبارته فاسدة . ولما اوضحنا له حاله ، رجع الينا ، وشكر . و(كان) ذلك بالموصل ، سنة احدى وستماية . وان اراد وجودها في نفسها ، فهي حقيقة تتنوع بحسب اوقات من تنزل عليه . فبدوها (في الاصل : فبدءها) بحسب تلك الصورة : فوقتاً تظهر معنًى ، ووقتاً في صورة ، رأسها رأس ثور . وتارة في صورة غمامة فيها سرج . وقد ورد ذلك كله .

واما بدء وجودها على اية حالة كانت ، فتجلٍّ مخصوص من تجليات الألطاف تغلب مصطفى ، يسكن تحت سلطانه ، فيكون السكون : وهذا بدؤها (في الاصل : بدءها) . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ ب) .

غ بدو F ، بداوة V .

« الجواب : مطالعة الأمر بطريق الإحاطة من كل وجه ؛ وما لم يكن ذلك فالسكينة لا تصح . قال ابراهيم ، عليه السلام : « ارني كيف تحيي الموتى . قال : أو لم تؤمن؟ قال : بلى ! ولكن ليطمئن قلبي » . فجعل الطمأنينة بدء السكينة ، لما اختلفت عليه وجوه الأحياء فكانت تجاذبه من كل ناحية . فلما اشهده الله الكيفية سكن مما كان يجده من القلق ، لتلك الجذبات التي للوجوه المختلفة (الاصل : المختلفة) .

قال بعضهم :

« انا اجزع مما اتقي فاذا حل فمالي والجزع ؟

« وكذا اطمع فيما ابتغي فاذا فات فمالي والطمع ؟ »

فحصول المطلوب او اليأس من تحصيله بدء السكينة فيما يطلب . وكذلك ، على ما يليق به ، يكون ما يخاف منه . فاعلم ذلك !

فاذا أكمل الانسان شرائط الايمان واحكمها ، حصل من الحق تجلٍّ لقلب هذا المؤمن ، الذي هو بهذه الصفة . يسمى ذلك التجلي ذوقاً ، هو بدء جعل السكينة في قلبه . لتكون تلك السكينة له باباً او سلماً الى حصول امر مغيب يقع له الايمان به . فيكون معه وجود السكون ، لما اعطاه الأمر الأول لكونه يصير امراً معتاداً . مثل سكون من تعوّد الاسباب الى الأسباب . ولا يكون ذلك عن غيب اصلاً ، بل عن ذوق وهو المعاينة . فان الانسان اذا كان عنده قوت يوم سكنت نفسه لما يعطيه قلق يومه لمعاينة ما عنده بحصوله تحت ملكه . فان حصل الايمان عنده بهذه المثابة ، تحت حكمه ، فهو صاحب سكينة . وان كان الانسان تحت حكم الايمان ، نازعه العيان فلم تحصل سكينة .

واعلم ان المعاني التي تتصف بها القلوب ، قد يجعل الله علامة على حصولها في نفوس من شاء من عباده ان يحصلها فيه علامات من خارج ، تسمى تلك العلامة باسم ذلك المعنى الذي يحصل في نفسه من الله . وانما يسميه به ، ليعلم ان تلك العلامة لحصول هذا المعنى نصبت . مثل قوله تعالى ، في تابوت بني اسرائيل : « ان الله قد جعل فيه سكينة » وهي صورة على شكل حيوان من الحيوانات ، اختلف الناس في اي صورة حيوان كانت . ولا فائدة لنا في ذكر ما ذكروه في صورتها . فكانت تلك الصورة اذا هفت او ظهرت منها حركة خاصة – جروا فسكن قلبهم عند رؤية تلك العلامة ، من تلك الصورة التي سماها سكينة . وان السكينة المطلوبة انما محلها القلوب . فلم يجعل لهذه الامة علامة خارجة عنهم على حصولها . فليس لهم علامة في قلوبهم سوى حصولها . فهي الدليل على نفسها ، ما تحتاج الى دليل من خارج ، كما كان في بني اسرائيل . فبدء السكينة قد بيناه .

واما السكينة ، فهي الأمر الذي تسكن له النفس لما وعدت به ، او لما حصل في نفسه من طلب امر ما . وسميت سكينة ، لأنها اذا حصلت قطعت عنه وجود المحبوب الى غير

(السؤال الثامن والعشرون) : وما العدل[٦٨] .

ما سكنت اليه النفس . ومنه سمي السكين سكيناً ، لكون صاحبه يقطع به ما يمكن قطعه به . وهذا اللفظ مشتق من السكون ، وهو الثبوت وهو ضد الحركة ؛ فان الحركة نقلة . فالسكينة تعطي الثبوت ، على ما سكنت اليه النفس ، ولو سكنت الى الحركة . هذا حقيقتها . ولا يكون ذلك إلّا عن مطالعة او مشاهدة فتنزل عليهم ، وهم مؤمنون ؛ فتنقلهم بنزولها عن رتبة ما كانوا به مؤمنين الى مقام معاينة ذلك . وهو تضاعف ايمانهم بالعيان . « ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم » . الا ترى الى قوله تعالى : « اذ يغشاكم النعاس أمنة منه » ألا ان الامنة هي السكينة لا غيرها . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! »

(فتوحات : ٢ : ٥٩–٦٠)

٦٨) « الجواب : هو الحق المخلوق به السموات والأرض وما بينهما » . (الجواب المستقيم ورقة ٢٤٣ ب) .

« الجواب هو الحق المخلوق به السماوات والأرض . فسهل بن عبد الله وغيره يسميه العدل ، وابو الحكم ، عبد السلام بن برجان يسميه الحقّ المخلوق به . لأنه سمع الله يقول : « ما خلقناهما الّا بالحقّ » ، « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الّا بالحق » ، « وبالحق انزلناه » . اي بما يجب لذلك المخلوق مما تقتضيه حاله (الاصل: حالة) خاصة ، بقوله تعالى : « ثم هدى » اي بين انه اعطى كل شيء خلقه ، اي ما خلقه الا بالحق ، وهو ما يجب له .

فالعالم على الحقيقة هو الله ، الذي علم ما تستحقه الأعيان في حال عدمها الاصلي وميز بعضها عن بعض ، بهذه النسبة الاحاطية . ولولا ذلك ، لكانت نسبة الممكنات في قضية العقل ، فيما يجب له من الوجود ، نسبة واحدة . وليس الأمر كذلك . ولا وقع كذلك . بل علم ، سبحانه ، (ان) ما يتقيد من الممكنات في وجوده بأمس ، لا يمكن عنده ان يوجده اليوم ولا في غد . فانه من تمام خلقه تعيين زمانه ، وهو القدر : وهي الاقدار ، الى مواقيت الايجاد .

فهو ، سبحانه ! يخلق من غير حكم قدر عليه في خلقه . والمخلوقات تطلب الاقدار بذاتها . فأعطى كل شيء من زمانه فيمن يتقيد وجوده بالزمان ؛ ومن حاله فيمن يتقيد وجوده بالحال ؛ ومن صفته فيمن يتقيد وجوده بالصفة .

فان قلت فيه : مختار ، صدقت . وان قلت : حكيم ، صدقت . وان قلت : لم يوجد هذه الامور على هذا الترتيب الّا بحسب ما اعطاه العلم ، صدقت . وان قلت : ذاته اقتضت ان يكون خلق كل شيء على ما هو عليه ذلك الشيء ، في ذاته ولوازمه واعراضه ،

(السؤال التاسع والعشرون) : وما[ف] فضل[ق] بعض[ك] النبيين[ل] على بعض ، وكذلك[م] الاوليا.[٦١] ؟

لا نتبدل ولا تتحول – ولا في الامكان ان يكون ذلك اللازم او العارض لغير ذلك الممكن – صدقت . فبعد ان اعلمتك صورة الأمر ، على ما هو عليه ، فقل ما تشاء. فان قولك من جملة « من اعطى خلقه » في ظهوره منك ، فهو من جملة الأعراض في حقك . ولهُ صفة ذاتية ولازمة وعرضية ، من حيث نفسه . فاعلم ذلك !

واما تحقيق هذا الاسم لهذه النسبة، فاعلم ان العدل هو الميل. يقال : عدل عن الطريق ، اذا مال عنه ؛ وعدل اليه ، اذا مال اليه . وسمي الميل الى الحق عدلاً ؛ كما سمي الميل عن الحق جوراً . بمعنى ان الله خلق الخلق بالعدل ، اي ان الذات لها استحقاق، من حيث هويتها ؛ ولها استحقاق من حيث رتبتها : وهي الالوهية. فلما كان الميل مما تستحقه الذات لما تستحقه الالوهية ، التي تطلب المظاهر لذاتها – سمى ذلك عدلاً ، اي ميلاً من استحقاق ذاتي الى استحقاق ألاهي ، لطلب المألوه ذلك الذي يستحقه . ومن اعطى المستحق ما يستحقه ، سمي عادلاً ؛ و(سمّى) عطاؤه عدلاً وهو الحق . فما خلق الله الخلق الّا بالحق ، وهو اعطاؤه خلقه ما يستحقونهُ . وليس وراء هذا البيان وبسط العبارة ما يزيد عليها في الوضوح ! » (فتوحات : ٣ : ٦٠)

٦٩) الجواب : هي مفاضلة ترجع الى السواء (في الاصل: السوا) : فعند هذا ما ليس عند هذا ، كما عند هذا ما ليس عند هذا . فكل واحد منهم فاضل مفضول .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤ب) .

« الجواب : قال تعالى : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً » . وقال في حق الناس : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » . هذا عموم في الناس . فدخل الأولياء في عموم هذه الآية . وقال في حق المؤمنين والعلماء : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » .

فاختلف اصحابنا في مثل هذا . فذهب ابن قسي الى ان كل واحد منهم فاضل مفضول : فضل هذا بأمر ما ، وفضله المفضول من ذلك الأمر بأمر آخر . فهو فاضل بوجه ومفضول بوجه ، لمن فضل عليه . فأدّى الى التساوي في الفضيلة . فصاحب هذا القول ما حرر الأمر على ما يقتضيه وجه الحقّ فيه . وذلك ان تنظر المراتب . فان كانت تقتضي الفضيلة ،

ف وقد V . ق + الله V .

ك – V . ل + بعضهم V .

م فكذلك V .

فتنظر اية مرتبة هي اعم من الاخرى واعظم : فالمتصف بها افضل . ففضل ارباب المراتب بفضل المراتب . فقد يزيد ويفضل بعض الناس غيره بشيء ما فيه ذلك الفضل. فان الفضل، في هذا الوجه ، لا ينظر من حيث انه زيادة ، ولكن ينظر من حيث اعتبار زيادات لما شرف في العرف والعقل . كالعلم والتجارة والخياطة ؛ والعلم بالاحكام الشرعية ، والعلم بما ينبغي لجلال الله . وكل واحد لا يعلم علم الآخر . فيقال : قد فضل النجار على الموحد بالدليل بالنجارة . هذا لا يقال على جهة الفخر والمدح ، بل على جهة الزيادة . ويقال : فضل العالم بالله النجار على طريق الشرف والفخر . فمثل هذه المفاضلة هي التي تعتبر . وهي ان يزيد كل واحد على صاحبه برتبة تقتضي الحق والشرف . فهذا معنى قوله (تعالى) : «فضلنا بعض النبيين على بعض» بما يقتضيه الشرف .

ونحن نجمع الى ذلك الزيادة ، فنقول في قوله : «فضلنا بعض النبيين على بعض» اي جعلنا عند كل واحد من صفات المجد والشرف ما لم نجعل عند الآخر . فقد زاد بعضهم على بعض في صفات الشرف . والمراتب التي فضلوا بها بعضهم على بعض ما فيها مفاضلة عندنا ، لارتباطها بالاسماء الالهية والحقائق الربانية . ولا تصح مفاضلة بين الاسماء الالهية لوجهين : الواحد ، ان الاسماء نسبتها الى الذات نسبة واحدة فلا مفاضلة فيها . فلو فضلت المراتب بعضها بعضاً ، بحسب ما استندت اليه من الحقائق الالهية ، لوقع الفضل في اسماء الله فيكون بعض الاسماء الالهية أفضل من بعض . وهذا لا قائل به عقلاً ولا شرعاً . ولا يدل عموم الاسم على فضله ، لان الفضيلة انما تقع فيما من شأنه ان يقبل ، فلا يتمحل في القبول ؛ او فيما يجوز ان يوصف به ، فلا يتصف به . والوجه الآخر ، ان الاسماء الالهية راجعة الى ذاته ، والذات واحدة . والمفاضلة تطلب الكثرة ، والشيء لا يفضل نفسه . فاذن ، المفاضلة لا تصح . فنقول «فضلنا بعض النبيين على بعض» اي اعطينا هذا ما لم نعط هذا ؛ واعطينا هذا ايضاً ما لم نعط من فضله ، ولكن من مراتب الشرف . «فمنهم من كلم الله» ، «وآتينا عيسى بن (الاصل : ابن) مريم البينات وايدناه بروح القدس» . فمنهم من فضل بأن خلقه بيديه واسجد له الملائكة . ومنهم من فضل بالكلام القديم الالهي ، بارتفاع الوسائط. ومنهم من فضل بالخلة . ومنهم من فضل بالصفوة ، وهو اسرائيل يعقوب . فهذه كلها صفات شرف ومجد . لا يقال : ان خلته اشرف من كلامه ؛ ولا ان كلامه افضل من خلقه بيديه . بل كل ذلك راجع الى ذات واحدة ، لا تقبل الكثرة ولا العدد . فهي بالنسبة الى كذا مالكة ؛ وبالنسبة الى كذا عالمة الى ما نسبت من صفات الشرف. والعين واحدة!

واما المسألة الطفولية ، التي بين الناس واختلافهم في فضل الملائكة على البشر - فاني سألت عن ذلك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الواقعة . فقال لي : ان الملائكة افضل . فقلت : يا رسول الله ، فان سئلت ما الدليل على ذلك فما اقول ؟ فأشار اليَّ ان

(السؤال الثلاثون) : وما خلق الله الخلق في ظلمة »[٧٠] ؟

قد علمتم اني افضل الناس ، وقد صح عندكم وثبت ، وهو صحيح ، اني قلت عن الله تعالى : « انه قال من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم » . وكم ذاكر لله ، تعالى ذكره ! في ملاء انا فيهم فذكره الله في ملاء خير من ذلك الملاء ، الذي انا فيهم . ــنا مررت بشيء مسرورة بهذه المسألة . فانه كان على قلبي منها كثير . وان تدبرت قوله تعالى : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » .

وهذا كله بلسان التفصيل . واما جهة الحقائق فلا مفاضلة ولا افضل . لارتباط الاشخاص بالمراتب وارتباط المراتب بالاسماء الالهية . وان كان لها الابتهاج بذاتها وكمالها ، فابتهاجها بظهور آثارها في اعيان المظاهر اتم ابتهاجاً لظهور سلطانها ، كما تعطي الاشارة في قول القائل المترجم عنها ، حيث نطق بلسانها من كناية « نحن » ، المنزل عن الله في كلامه ، وهي تقتضي الكثرة :

نحن في مجلس السرور ولكن ليس الا بكم يتم السرور !

فمجلس السرور ، لها حضرة الذات ؛ وتمام السرور لها ما تعطيه حقائقها في المظاهر وهو قوله : « بكم » . وذلك لكمال الوجود والمعرفة لا لكمال الذات ، ان عقلت ! »

(فتوحات : ٢ : ٦٠-٦١)

٧٠) « الجواب : اذا كان خلق بمعنى قدّر ، فالظلمة (هي) العماء ، المنقول : ولا استوى ، اذ لا عرش .

واذا كان (خلق) بمعنى اوجد ، فالظلمة لكل موجود بحسب ذلك الوجود . قال الله تعالى : « في ظلمات ثلاث » . وقد اكد تفسيرها المفسرون . فهذا اول وجودهم للدنيا . وكذلك اول وجودهم للبرزخ في الظلمة ، وكذلك اول وجودهم في الآخرة في الظلمة ، دون الحشر حين تبدل الارض غير الأرض والسموات .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٤/١).

« الجواب : هذا مثل قوله (تعالى) : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة » . فهذه انوار فيك ، تدرك بها الأشياء . فما ادركت الا بما جعل فيك . وما جعل فيك سوى أنت . فله ــ تعالى ! ــ ما انت ، الوجود . وأنت من ذلك الوجود ، المدرك به ، المعدوم ، الموجود . وما لا يتصف بالعدم ولا بالوجود ، وهو ادراك الافئدة ، مما ذكر . فالممكنات ، على عدم تناهيها ، في ظلمة من ذاتها وعينها . لا نعلم شيئاً ما لم تكن مظهراً لوجودة : وهو ما يستفيده الممكن منه . وهو قوله تعالى : « على نور من ربه » .

فخلق هنا بمعنى قدّر . قال تعالى : « وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » . فقدّرهم ولم

بكونوا مظهرًا ، لكن كانوا قابلين لتقديره . فأول اثر الاهي في الخلق (هو) التقدير قبل وجودهم ، وان يتصفوا بكونهم مظاهر للحق . فالتقدير الالهي ، في حقهم ، كاحضار المهندس ما يريد ابرازه مما يخترعه في ذهنه من الامور . فأول اثر في تلك الصورة انما هو ما تصوره المهندس على غير مثال . وآية هذا المقام قوله : « يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » . اي انتقالكم من وجود الدنيا الى وجود الآخرة اقرب في العالم – ان كنتم موقنين – من انتقالكم من حال عدم الى حال وجود . فانتم في الظلمة فيكم ؛ وانتم في الوجود فيه . غير ان لكم انتقالات في وجوده ، وظلمتكم تستصحبكم لا تفارقكم ابدًا .

« وآية لهم الليل ، نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ! » ولم يقل : نجعلهم في ظلمة . بل زوال عين النور ، الذي هو الوجود ، هو عين كونكم مظلمين . اي تبقى اعيانكم لا نور لها ، اي لا وجود لها . ولو لم تكن الظلمة نسبة عدمية ، وهو كون ذواتكم العينية معدومة ، لكانت الظلمة من جملة الخلق . فكانت الظلمة تستدعي ان تكون في ظلمة . والكلام في تلك الظلمة كالكلام في الاولى ؛ ويتسلسل .

فان قوله : « خلق الله الخلق في ظلمة » قد يريد بالخلق هنا المخلوقات . والظلمة اذا كانت امرًا وجوديًا فهي مخلوقة ؛ فتكون ايضًا في ظلمة . واذا كان الخلق هنا مصدرًا ، كانه قال : قدر الله التقدير في ظلمة ، اي في غير موجودين ، يعني تلك الاعيان . وانظر في قوله تعالى : « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث » .

ثم ان الله تعالى ، في الوجود الاخروي ، اذا اراد الله تبديل الارض كان الخلق في الظلمة دون الجسر . فالظلمة تصحبهم بين كل مقامين ، اذا اراد الله ان يوجدهم في عالم آخر ، اي ينشئهم نشأة اخرى ، لم تكن في اعيانهم ، فيدخلون بتغير الاحوال عليهم انهم تحت حكم تهار . فيكونون في حال وجودهم مثل حالهم في العدم . ولهذا نبّه الحق سبحانه عقولنا بقوله تعالى : « اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئًا » اي قدرناه في حال شيئيته ، المتوجه عليها امره ، الى شيئية أخرى ، لقوله تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه » يعني في حال عدمه ، ان نقول له : « كن » كلمة وجودية من التكوين . فسماه شيئًا في حال لم تكن فيه الشيئية ، المنفية بقوله : « ولم تك شيئًا » . فلا بد ان يعقل العارف ما الشيئية الثابتة له في حال عدمه في قوله : « انما قولنا لشيء » ، وما الشيئية المنفية عنه في حال عدمه في قوله : « ولم تك شيئًا » . فالظلمة التي خلق الله فيها الخلق نفي هذه الشيئية عنهم . والنفي عدم محض لا وجود فيه . وقد ذكر المفسرون معنى قوله : « في ظلمات ثلاث » ؛ وليس المقصود الّا ما ذكره صاحب السؤال . واما الآية فمعلوم امرها عند العلماء في خلق مخصوص وهو الخلق في الرحم لا غير . » . (فتوحات ٢ : ٦١-٦٢)

هذا ، وحديث « خلق الله الخلق في ظلمة » روى في الموطأ (صلاة ٢٠) .

(السؤال الحادي والثلاثون) : وما قصتهم هناك[٧١] ؟

٧١) « الجواب : حتى لا يكون لهم نور الّا من ذواتهم . كما قال تعالى : « نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم » . وفيه يمشون : « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » . وقد عاينت هذه الظلمة وهذا النور ؛ وانبسائه من الاشخاص . ومنه الكثير ، ومنه القليل ، على قدر ذلك الشخص من الايمان . ولما عاينت هذه الظلمة ، جاء رسول الله ، من الحق اليهم فسألته انا . من أنت ؟ فقال انا رسول الحق . فقلت له : فما جئت به ؟ فقال : اعلموا ان الخير في الوجود والشر في العدم ، اوجد الانسان بجوده ، وجعله وحدانياً في وجوده . تخلق باسمائه وصفاته ، وفنى عنها بمشاهدة ذاته . فرأى نفسه بنفسه ، وعاد العود الى أسه : فكان هو ، ولا انت ! ثم انصرف . وكان ممن رأيت في تلك الظلمة ابا عبدالله محمد الخياط ، المعروف بالقصّار ؛ واخاه ابا العباس احمد الحريري ، الامام بمسجد ابن البلان ، بزقاق القناديل ، من مصر ؛ وابا محمد عبد الله بن الاستاذ المورورى (في الاصل : المروري) ، من خواص ابي مدين وابي عبدالله محمد الهاشمي البكري . و(رأيت) انوارهم تنبث على قدرهم . فذكرت للجماعة ، التي كنت فيهم ما رأيت ؛ فشكروا الله تعالى . ثم اني اضطجعت انا والجماعة . فاخذت انظم ابياتاً فيما رأيته في توحيد الله تعالى ؛ وذلك في نفسي . فاستيقظ عبدالله المروروري (في الاصل: المروردي) وصاح بي . فلم اجبه . وتراقدت . فقال لي : لا تتراقد ، فانك يقظان ! وانت تشتغل الآن بأبيات تنظمها (في الاصل: تنطبها) في توحيد الله تعالى . فقلت له : صدقت ، ولكن اخبرنا من اين لك هذا ؟ فقال: مبشرة رأيتها : رأيتك تمد شبكة حسنة . فاستيقظت . فأولتها نظم ما هو منثور من الكلام ، وهو الشعر الموزون . والشبكة لا يصادفها الجاد ولا الموات ، وانما يصادفها ذو روح . ولا يكون شعر فيه روح الا في التوحيد . فان « كل شيء هالك الا وجهه » . فقلت له : نامت عينك ! فما كان ابركها من ليلة وجماعة ! » (الجواب المستقيم ورقة ٢٦٤ ا-٢٦٤ ب).

« الجواب : قصتهم هناك الانتظار لما يكسوهم الحق من حلل نور الوجود . لكل مخلوق نور على قدره ، ينفهق منه . وهو النور الذي يمشون فيه يوم القيامة . فان يوم ليس له ضوء ، جملةً واحدة . والناس لا يسعون فيه الا في انوارهم . ولا يمشي مع أحد منهم غيره في نوره . كما قال ، عليه السلام : « بشّر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام ، يوم القيامة » . وهو الجمع بين النورين : بين نورهم المبطون في أعيانهم ، الظاهر هناك ؛ وبين النور المبطون في ظلمة الليل ، الذي ينوب عنه السراج في نفي تلك الظلمة عن طريق الماشي . والمسجد بيت الله ، يسعى اليه لمناجاته . كذلك هذا النور ، لا يكون لهم الا في الوقت الذي يدعون فيه الى رؤية ربهم ، الذي ناجوه هنا . فيمشون ، في ذلك

الوقت ، في النور الذي كان مبطوناً في الظلمة . التي سعوا فيها في صلاة الصبح والعشاء الى المساجد .

وانتظارهم هو انتظار حال ؛ فانهم غير موصوفين في تلك الظلمة بالعلم . لان الاتصاف بالعلم تابع للوجود ، وهم غير موجودين . بل هم في شيئيتهم ، القابلة لقول التكوين . ولما جعل الظلمة ظرفاً للخلق كذلك ، قال : « هناك » ؛ فأتى بما يدل على الظرف : فهم قابلون للتقدير .

وان كان قوله : «في ظلمة» في موضع الحال من الخالق — فيكون المراد به «العماء» . «الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء» ، الذي اثبته رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . بهذه الصفة للحق تعالى ، حين قيل له : « اين كان ربنا ، قبل ان يخلق الخلق ؟ — فقال ، صلى الله عليه وسلم : كان في عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء » . فله الثبوت الدائم ، لا على هواء ولا في هواء . فان السؤال وقع بالاسم « ازب » ومعناه الثابت . يقال : رب بالمكان ، اذا اقام فيه وثبت . فطابق الجواب .

ولم يصف الحق نفسه في مخلوقاته إلّا بقوله : « يدبر الامر ، يفصل الآيات » . وقال : «وكذلك نصرف الآيات» . فتخيل من لا فهم له تغير الاحوال عليه ، وهو يتعالى ويتقدس عن التغيير . بل الحالات هي متغيرة ، وهو يتغير بها . فانه الحاكم ، ولا حكم عليه . فجاء الشارع بصفة الثبوت ، التي (الاصل : الذي) لا تقبل التغيير . فلا تصرف آيانه يدُ الاهواء ، لان عماءه لا يقبل الاهواء .

وذلك « العماء » هو الامر الذي ذكرنا انه يكون في القديم قديماً وفي المحدث حادثاً . وهو مثل قولك : في الوجود اذا نسبته الى الحق ؛ قلت : قديم . واذا نسبته الى الخلق ، قلت : محدث . « فالعماء » من حيث هو وصف للحق ، هو وصف الاهي ؛ ومن حيث هو وصف للعالم ، هو وصف كياني . فتختلف عليه الأوصاف لاختلاف أعيان الموصوفين .

قال تعالى ، في كلامه القديم الازلي : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » : فنعته « بالحدوث » ، لانه نزل على محدث ؛ لانه حدث عنده ما لم يكن يعلمه : فهو محدث عنده ، بلا شك ولا ريب . وهذا الحادث ، هل هو محدث في نفسه ؟ أو ليس بمحدث ؟ فاذا قلنا فيه : انه صفة الحق ، التي يستحقها جلاله — قلنا بقدمها بلا شك ؛ فانه يتعالى ان تقوم الصفات الحادثات به . فكلام الحق قديم في نفسه ، قديم بالنسبة اليه ؛ (لكنه) محدث ايضاً ، كما قال عنه من انزل عليه . كما انه ايضاً من وجوه قدمه نسبته الى الحدوث ، بالنظر الى من انزل عليه . فهو الذي ، ايضاً ، اوجب له صفة القدم : اذ لو ارتفع الحدوث من المخلوق لم تصح (الاصل يصح) نسبة القدم ولم تعقل . فلا تعقل النسب ، التي لها اضداد ، الا بأضدادها .

(السؤال الثاني والثلاثون) وكيف صفة المقادير[٧٢] ؟

(السؤال الثالث والثلاثون) : وما سبب علم القدر ، الذي طوى عن الرسل

فقصة الخلق في الظلمة : التمييز والقبول في الأعيان لظهور الحق في صور الوجود لهذه الأعيان . » فتوحات ، ٢ : ٦٢-٦٣ ،

٧٢) « الجواب : تعيين الاوقات ، التي فيها جريان الحكم والقضاء . وقد بينا هذه المراتب في كتاب « المعرفة » . وهذا النعت ذكرها سهل بن عبد الله ، فيما نقل عنه . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٦ب) .

« المقادير هي الصفات الذاتية للاشياء ، فلا صفة لها . فهي الحدود القائمة من غير متصف بها ان تكون صفة لغيره . وعندي في حد الحد نظر . فان اراد بقوله : صفة المقادير المنع – ويجعله صفة من حيث انك تعبر عنها بأمر هو عينها بعد علمك بهذا – فقل : ان هذا صفة المقدار . وان اردت الحقيقة فلا صفة للمقادير لان الشيء لا يكون صفة لنفسه .

فان قلت : فالصفات النفسية ما هي بأمر زائد على الذات ؟

قلنا : صدقت !

قال : فاذن ، قد وصفت الشيء بنفسه .

قلت : ان كان غير مركب فالوصف فيه عين اطلاق لفظ يكون شرحاً للفظ آخر عند السامع يقع به الافهام عنده . وان كان الشيء مركباً فذلك الوصف للمجموع . وحكم الشيء من كونه مجموعاً غير حكمه من كونه غير مجموع . فأنت انما ذكرت (من) آحاد ذلك المجموع ، المعقول من هذه الجمعية ، امراً ما هو عين كل مفرد من هذا المجموع . فهذا الشيء ، الموصوف بصفاته النفسية انما تلك اسماء آحاده . ألا ترى ان الذات لا توصف رأساً ؟ فانها لذاتها هي ذات ، ولذاتها لا تقبل الوصف .

ثم لما قلت : الله ، من حيث المرتبة ، استحق ان يوصف من حيث هذا الاسم ، بما يطلبه هذا الاسم من الحقائق التي نعتها المحدثات ، المعبر عنها بالاسماء . فما ثم شيء يوصف بنفسه إلا من حيث شرح لفظ بلفظ آخر . ولذا قسّمنا الحدود الى ثلاث مراتب : ذاتية ورسمية ولفظية .

فالمقادير جمع مقدار . والاقدار جمع قدر . فلا يلتبس عليك المقادير بالأقدار . فبعض المقادير محل تأثير الاقدار ، فاعلم ! فحدود الامور الذاتية عين مقاديرها . فالوزن القدر . والموازين المقادير ؛ وبها توزن الأشياء . فالامور لا تعلم الا بحدودها . ومن لا حدّ له فذلك حدّه ، فقد علم . »

(فتوحات ، ٢ : ٦٣)

فمن دونهم (٧٣) ?

٧٣) « الجواب : ظهور القدر . والقدر معلوم من حيث حقيقته ؛ وانما طوى منه علم القدر بكذا وكذا .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٦ ب) .

« الجواب : في السؤال حذف . وهو ان يقول: ما سبب طيّ علم القدر ، الذي طوى عن الرسل فمن دونهم ؟ فان كان هذا الرجل يقول بفضل افضل البشر على افضل الملائكة ، فكأنه قال : الذي طوى عن كل ما سوى الله . وان كان يرى ان افضل الملائكة افضل من أفضل البشر ، فقوله : «فمن دونهم» لا يلزم ان من هو افضل من الرسل (ان يكون) طوى عنه علم القدر . فقد يمكن ان يكون من هو اعلى يعلم ذلك . فبقي الجواب عما يقتضيه الامر في نفسه : هل ثَمّ من يَعلم علم القدر ام لا ؟ — قلنا : لا ، ولكن قد يعلم سرّه وتحكمه في الخلائق . وقد أعلمنا به فعلمناه ، بحق الله .

وان مظاهر الحق في اعيان الممكنات ، المعبر عنها بالعالم ، هي آثار القدر وهي علامة على وجود الحق . ولا دليل ادل على الشيء من نفسه . فلم يعلم الحق بغيره ، بل عم بنفسه . ونسبة الوجود الى هذه الاعيان ، قد قلنا ان ذلك اثر القدر . فنعلم القدر بأثره ؛ ونعلم الحق بوجوده . وذلك لان القدر نسبة مجهولة خاصة ، والحق وجود . فيصح تعلّق العلم بالحق ولا يصح تعلق العلم بالقدر . فانّ علمنا بظهور المظهر في العين هو عين علمنا بالحق . والقدر رتبة بين الذات وبين الحق . (فهو) من حيث ظهوره لا يعلم اصلاً . وحكمة في المظاهر حكم الزمان في عالم الاجسام ؛ فلهذا يطلقه ، اكثر المحققين ، على الاوقات المعقولة .

وقد اعلمناك ان الزمان نسبة معقولة غير موجودة ولا معدومة ؛ وهي في الكائنات . فالوقت أعز مقاماً في امتناع العلم او تصوره به . فلا ينال ابداً . وقد كان العُزَيْر ، رسول الله ، عليه السلام ، كثير السؤال عن القدر . إلى أن قال له الحق تعالى: « يا عزير، لئن سألت عنه لامحونّ اسمك من ديوان النبوّة » .

ويقرب منه السؤال عن علل الأشياء في تكوينها . فأفعال الحق لا ينبغي ان تعلّل . فانه ما ثَمّ علة موجبة لتكوين شيء إلا عين وجود الذات وقبول عين الممكن لظهور الوجود . فالأزل لا يقبل السؤال عن العلل . وان ذلك لا يصدر الا من جاهل بالله !

فالسبب الذي لاجله طوى علم القدر هو ان له نسبة الى ذات الحق ونسبة الى المقادير . فعزّ ان يعلم ، عزّ الذات ؛ وعزّ ان يجهل لنسبة المقادير : فهو المعلوم المجهول ! فأعطى التكليف في العالم ، فاشتغل العالم بما كلفوا ، ونهوا عن طلب العلم بالقدر . ولا يعلم الا بتقريب الحق ، وشهوده شهوداً خاصاً لهذا العلم ، المسمى قدراً .

ن : لا .

(السؤال الرابع والثلاثون ولأي* شيء طوى[٧٤] ؟

فأولياء الله وعباده لا يطلبون علمه للنهي الوارد عن طلبه . فمن عصى الله وطلبه من الله – وهو لا يعلم بالنظر الفكري – فلم يبق الا ان يعلم بطريق الكشف الإلهي . والحق لا يقرب من عصاه بمعصيته . وطالب هذا العلم قد عصاه في طلبه . فلا ينال من طريق الكشف . وما ثمّ طريق آخر يعلم به علم القدر . فلهذا كان مطويّاً عن الرسل فمن دونهم .

وان نزع احد الى ان السائل اعتبر بسؤاله مِنى الرسالة : فمن حيث انهم رسل طوى عنهم في هذه المرتبة ؛ ومن دونهم من ارسل اليهم . وذلك هو التكليف . فسد الله باب العلم بالقدر في حال الرسالة . فان علموه ؛ فما علموه من كونهم رسلاً بل من كونهم من « الراسخين في العلم » . فقد ينال علي هذا . لولا ما بيناه من ان مرتبته بين الذات والمظاهر . فمن علم الله علم القدر . ومن جهل الله جهل القدر . والله ، سبحانه ، مجهول : فالقدر مجهول . فمن المحال ان يعرف المألوه الله ؛ لانه لا ذوق له في الالوهية : فانه مألوه . وله ذوق في المألوهية ، لكونه يطلبها في المألوه كما يطلبه المألوه . فمن هناك وصف الحق نفسه بما وصف به مظاهره : من التعجب والضحك والنسيان وجميع الاوصاف التي لا تليق الا بالممكنات .

فسر القدر عين تحكمه في المقادير . كما ان الوزن متحكم في الموزون . والميزان نسبة رابطة بين الموزون والوزن ، بها يتعين مقدار الموزون ومقادير الموزونات على اختلافها . فالحق وضع الميزان وقال : « وما ننزله الا بقدر معلوم » ويستحقه من انزل اليه . فكل شيء بقضائه : اي بحكمه ؛ وقدره : اي وزنه . وهو تعيين وقت ، حالاً كان وقته او زماناً او صفة أو ما كان .

فظهر ان سبب طيّ علم القدر سبب ذاتي . والأشياء اذا اقتضت الامور بذواتها لا لا للوازمها أو اعراضها ، لم يصح ان تتبدل ما دامت ذواتها . والذوات لها الدوام في نفسها لا لنفسها : فوجود العلم بها محال » . (فتوحات ، ٢ : ٦٣-٦٤)

٧٤) الجواب : للعجلة المركوزة في اصل النشأة ، وحب المدحة المجبول عليها الخلق ، من حقيقة قوله (صلى الله عليه وسلم) : « ما شيء احب الى الله من ان يمدح » . « وكان الانسان عجولاً . » غير ان سر القدر في الملائق يكشف لمن شاء الله » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٢٥ ب - ٣٢٦ أ) .

« الجواب : هذا سؤال اختبار ، ان كان السائل عالماً . فانه من المعلومات ما يعلل ، ومنها ما لا يعلل ؛ هذا في المعلومات ، فكيف ما لا يعلم ، كيف يصح ان يعلل الجهل به ؟ واما من يرى ان القدر معلوم لمن فوق مرتبة الرسل من الملائكة ، او من شاء الله من خلقه ،

* لأي ٧ .

الذي لا علم لنا بأجناس خلقهِ ، فيكون طيَّهُ حتى لا يشارك الحق في علم حقائق الاشياء، من طريق الاحاطة بها . اذ لو علم اي معلوم كان بطريق الاحاطة من جميع وجوههِ ، كما يعلمه الحق – لما تميز علم الحق عن علم العبد بذلك الشيء . ولا يلزمنا على هذا الاستواء فيما علم منه ، فان الكلام فيما علم منه على ذلك . فان العبد جاهل بكيفية تعلق العلم مطلقاً بمعلومه ، فلا يصح ان يقع الاشتراك مع الحق في العلم بمعلوم ما . ومن المعلومات العلم بالعلم . وما من المعلومات إلا وللقدر فيه حكم لا يعلمهُ الا الله فلو علم القدر علمت احكامه ؛ ولو علمت احكامه لاستقلَّ العبد في العالم بكل شيء ، وما احتاج الى الحق في شيء ؛ وكان الغنى لهُ على الاطلاق . فلما كان الامر بعلم القدر يؤدي الى هذا طواه الله عن عباده ؛ فلا يعلم . فكل شخص في العالم على جهل من نفسهِ وعلم : فمن حيث جهله يفتقر ويسأل ويخضع ويتضرع ؛ وبعلمهِ بجهله يقع منه هذا الوصف .

هذا اذا اتفق ان يكون ممكناً العلم بهِ ؛ وقد قررنا انه محال لذاتهِ . كما يعلم انه ليس للحق من الصفات النفسية سوى واحدة لأحديته : وهي عين ذاتهِ . فليس له فصل مقوم يتميز بهِ عما وقع له من الاشتراك فيهِ مع غيره . بل له الاحدية الذاتية ، التي لا تعلل ولا تكون علة : فهي الوجود ، وما هي .

ومن الاسباب التي لاجلها طوى علم ذلك عن الانسان ، لكون ذات الانسان تقتضي البوح بهِ ، لانه اسنى ما يمدح بهِ الانسان ولاسيما الرسل . فحاجتهم اليهِ آكد من جميع الناس ، لان مقام الرسالة يقتضي ذلك . وما ثَمَّ علم ولا آية أقرب دلالة على صدقهم من مثل هذا العلم . قال رسول الله ، صلى الله عليهِ وسلم ، فيما وصف ربه به ، مما اوحى اليهِ بهِ : « انه لا شيء احب الى الله تعالى من ان يمدح » . ولا مدحة فوق المدحة بمثل هذا . ثم ان الله « خلق آدم على صورتهِ » ، فلا شيء احب الى العبد من ان يمدح ويثني عليه . واسنى ما يمدح بهِ العبد العلم بالله ؛ وعلمهُ بالقدر علمهُ بالله . فلو فتح للعبد الانساني العلم بالقدر – وقد امر بالتبرؤ فيهِ وطيه عمن لا ينبغي ان يظهر عليه ، وكان الانسان وهو مجبول على حب المدح ، والرسالة تعطي الرغبة في هداية الخلق اجمعين ، ولا طريق للهداية اوضح من هذا الفن – فالذي كانوا يلقونه من الكتم من الالم والعذاب في انفسهم لا يقدر قدره . فخفف الله عن الرسل مثل هذا الالم فطواه عنهم .

فان جميع العالم ، ممن له قوة على ايصال ما في نفسهِ من الامور الى الخلق ، يكتمون علم مثل هذا وغيره اذا كان عندهم ، الا الجن والانس . فان النشأة من هذه القوى العنصرية تقتضي لهم ذلك . فمن كتم منهم فانما يكتم على كره ، مما ينبغي ان يمدح بهِ اذاعته . ولولا ان البهائم لم تعطَ لها قوة التوصيل لاعلمت بما تشاهده من الامور الغيبية ، التي امر الله من يعلمها بسترها : مثل خوار الميت على نعشه ، وعذاب القبر ، وحياة الشهداء . فكل دابة تسمعه ، وتصغى يوم الجمعة شفقاً من الساعة . ولكن لما كوشفت على مثل هذا اعطيت الخرس عن التوصيل . فكتمها الاشياء اضطراري لا اختياري . فطواه الله عن الثقلين لذلك ، فانه من الاسرار المكتومة . فهذا من الاسباب التي طوى لها علم القدر» . (فتوحات ٣ : ٦٤–٦٥)

(يتبع)

وثائق تاريخية عن حلب

(جريدة ايام لم يكن بالعربية جرائد)

٥

اخبار السريان وما اليهم اخذاً عن يومية نعوم البخاش

١٨٤٥ — ١٨٥٠ وغيرها من المخطوطات

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

[٩٤] الجمعة اكل قتله كوبا شكرالله وصار مات بالجدري. للان مقدار ٢٥٠٠ من نصاره ويهود واسلام وعمال يصير سقوطات بالنفسا وكم واحدة قلبوا عن جورتهم. — الاحد اولها اجا ابن الشعراوي وللان ما واجهني ابوه.

في ٢٣ ت ت ١٨٤٥ في ١١ شرقي في ٢٣ ذو القعدة ١٢٦١

وباعوا الحنطة بيت شريف للبدار كل شنبل بميه غرش للفلاحين وعمال يبيعوها بالبلد شنبل ٨٥ غرش.

[٩٥¹] الاحد نقشة بنت فتح الله خياط لوسيا الى ابن موسى بهنا.

[٩٥²] ١٠ ك ١ غ في ٢٨ ت ت ش ١٨٤٥

١١ ذو الحجة ١٢٦١ عبد الله اكبر عند الاسلام اجانا صنية من عند العطار المسلم.

[٩٥³] ارسل المطران خاف والدي من شان اختي لابن الخوري عبدالله الاطرش.

[٩٦¹] هذه الجمعة طلبوا المطارين لعند الباشا فقرا قدامهم فرمان ان الخراج يلزم باموه المطارين هكذا ارادة الشوكتلي (السلطان) بثلاثة اشهر اعلى وادنى واوسط كل شهر شكل وتم البنا على ذلك.

— الاحد اولها مرفع الميلاد شرقي ورفعنا مع الروم لان غالب اولادنا روم.

— والاثنين سافر كوديخ لانطاكية من باكر وكان معه قضيمة وابن حنا غزال العايدة.

[٩٦ أ] الثلاثا اول محرم ١٢٦٢ سنة مباركة . — الخميس رأس السنة ١٨٤٦ سنة مباركة وفايدة الخيرات ومدرة السرور والبركات . وهذه الجمعة ارسلوا باخذوا دفتر الخراج لكي يلموه فما دفعوه لهم بل عينوا حسن بك للم الخراج. — الثلاثا قعد عندي ابن نعوم شعراوي والنهر زاد شوي ونهارها صار هوا بارد ثقيل كثير مزعج ييبس الحجار وانا صايم مع الروم وعمال اصير رياضة معهم بكنيسة الروم .

[٩٦ ب] الخميس صار زلزلة بالليل . — والجمعة صباحاً صار واحدة بعد الشمس ولكن ما هم كبار . — والثلاثا ضاع جنح خاتمي الالماس وما نعرف اين وقع انشاء الله فدى عني ونبهوا كل الطوايف على طبخ الحلو والقراص بالمرافع لان صاير غلا (شنبل الحنطة بـ ٩٠ غرش) وليس غلا بل قلت كار وقات مسحوب وطلبوا المطارين للجمعيه وصار البنا ان حسن بك الذي تعين للخراج عمال يظلم . فبنا . عليه يلزم من كل طايفة قسيس يناظر بالسكان المعين للخراج ان كل من يستحق تذكره حسب شخصه يعطوه اياها بتناظرتهم وصار كذلك وتقدم من كل طايفة قسيس من السريان شاهد ومن الموارنة كلداني ومن الروم ابن الشماس ومن الارمن[1] . وتكلل عبدالله خوري على مرأة ارسان الاطرش وما اجت للبيت بل عند ابن الاسود قاعدة . — وهذه الجمعة فتح الله جهامي حط سطل عدته وصحن جنب باب الزقاق ودخل ليتهم فسرقوه المجتازون وضاع .

[٩٧ أ] — الاحد بعد الظهر ظهر نجم بالسما وبضوتي وانا ما شفته بل قالوا وغاب قبل العصر . — والثلاثا رأس السنة وانعزمت للغدا بيت الكبابه قراص الشيباني وكان نصري مريض وطلعنا مع الاولاد الى جبل النهر ورجعنا العصر. والـ ٧ مار انطونيوس ويوسف كوبا احسن من اول استراح الحمد لله على نعمه.

في ١٧ ك ت ١٨٤٦ غ في ٥ شرقي في ١٩ محرم ١٢٦٣

ودفعت للتوتنجي ١٠٠ غرش في بيته .

[٩٧ ب] — الجمعة قعد عندي ابن سالم .

١) اطلب كتابنا « وثائق تاريخية عن حلب » اخبار الموارنة ٣ ص ٤٩ وما بعدها .

في ٢٥ محرم ١٢٦٢ في ١٣ ك٢ ١٨٤٦ غربي

[٩٧^٢] — الخميس اجا هجو من باريز الى مطران اثناسيوس تتونجي[١] من شدياق موراني وسافروا ملاقيـة وراح قجلة وشاهين ودفعت الفرده يوم الـ٢ للعكاوي ١٠٠

١٢٦٣ في ٢٨ محرم ١٨٤٦ في ٢٦ ك ٢ غربي

[٩٨^١] — الاحد تغديت عند فرنسيس عجوري — كنافه بلبه . — الخميس شرطت اختي كزه .

[٩٨^٢] — الجمعة فزتوا بيت كوبا سنبوسك (على الفقرا.).

— الاحد ٣ شباط شرقي ١٥ غربي ١٨٤٦ ١٩ صفر ١٢٦٣

[٩٨^٣] الخميس السكارى مـا سكرت بل فتحت لان الوقت كان غلا والنهار ذاته كان مبلبل ما في روحه من بكره للبريه ففتحت يكون معلوم.

[٩٩^١] — الاحد المرفع غربي ٢٢ شباط ١٨٤٦

— الاثنين عرس كركور غـال تلميذي وعرس جرجي حداد تلميذي.

[٩٩^٢] ٢ اذار ١٨٤٦

الاثنين شنبل الحنطة ١١٠ غروش ولا في موجود ويعـد العنا حتى يحصل وكان كل الاذى من الباشا والاعيان ودارت في البلاد كاظيتا [او جريدة] ان

ما دام عثمان باشا حاجز على القوت فقرا. رعاياه بدهـا اتموت

وغيرها :

ما دام حاكم حلب الباشا عثمان ترك الفقير يموت جوعـان

---

(١) هو احمد فارس الشدياق١٨٠٦–١٨٨٨ وُلد في عشقوت لبنان وتوفي في استنبول — تعلم في مدرسة عين ورقة وسافر الى مصر ومالطة وتونس واقام في باريس وجوّل اوروبا . امتاز بمعرفته الواسعة في مواد العربية وسهولة اسلوبه في الانشاء . من مؤلفاته كتاب «الساق على ساق » — تقلب دينياً بين المسيحية المارونية والبروتستانية وبين الاسلام .

اما الهجو الذي اشار اليه نعوم البخاش فتجده في الصفحة ٦٦١ من الكتاب المذكور (طبعة باريس ١٨٥٥) وهو صادر عن لؤم وضغينة .

— السبت توفي شيخ الحارة وطلع عنده حنطة شنبل ٢٥ وغروش الف ١٠

[٩٩[٢]] — السبت خلصت رياضة مار فرنسيس لان نظمناها بالبيت انا واهلي انشا. الله مقبولة .

[١٠٠[١]] — الخميس مات يوسف منش شماس المطران بولس [اروتين].

[١٠٠[٢]] ٢٣ آذار ١٨٤٦

— الاحد اجا البطرك جروه من الشام . و ال ٤ ولدت مرأة نعوم غزاله وجابت صبي . — الجمعة عض الجحش لانطون مغزبيه جرك يده . وولدت بنت الدلال مرأة الوكيل وجابت صبي . وعمدوا ابن السايغ وسموه جبرا .

[١٠٠[٣]] الاحد رسم البطرك قس جبرائيل رباط وباسيليوس وجروه وياقين وشلحد ٥ خوارنه . — السبت الحنطة من ١١٠ الى ١٠٠ (الشنبل) .

[١٠١[١]] — الخميس تغير كيف والدي ضيقة نفس وانفصد وخرج دم اسود.

[١٠١[٢]] ١٨٤٦ ١٣ نيسان العيد الكبير غ في ٣١ اذار شرقي

— الاثنين رد سلام البطرك لنا وكان معه القواس لانه خدم قداس واين ما راح يدق العكاز قدامه الله ينصره . — وولدت مرات سالم بنت التاجر وجابت بنت .

[١٠١[٣]] — الاربعا اشتلقوا ان من على صورة مريم العذراء راح طربوش ذهب وطواق ثلاث وحلاق ثلاث وخواتم ذهب ٢ ام ثلاث ونبهوا بالكنائس وواقع الشبه على واحد غريب . — السبت حصلوا النشله مع المذكور واخذوها وقاصصوه . — والجمعة اجا نعمة الله انطاكي من اسلامبول وانعزمت لنقشه بنت رعد برباره . الاولاد الذين حضروا ٥٥ اسبوعاً منذ الفصح الماضي :

٢ كبه ، كبابه ، ٣ كلداني ، ١ خوري س ، ٢ حبيب ، ١ حبيب ع ، ٢ جهامي ، ١ عجوزي ، ٢ عزوز ، ٢ عرقتنجي ، ١ عرقتنجي ، ١ انطاكي ، ١ انطاكي ، ٢ وكيل ، ٣ بليط ، ١ رعد ، ٣ بردخجي ، ٢ ضاهر ، ١ عجوري ، ١ عبد الله انطاكي ٢ سايغ ، ٢ قس نصرالله ، ١ كتر رعد ، ٢ دلال ، ١ زنده ، ٢ حمصيه ، ١ نجيم ، ١ زعد ، ١ حلاق .

وغيرهم حضروا اكثر من ٥٥ اسبوعاً :

بغدادي ، سابغ ، ميناس ، ابود ، فتال ، ملتك ، صندوق ، متتورا ، شمراوي ، حلاق ، سالم ، زمرود الخ .

وكان المجموع اجمالًا ٦٤ ولدًا .

[١٠٢¹] — السبت سافر مخائيل ليان الى اسلامبول . — الاربعا بديو بالديوان حبيب وعرقتنجيات .

[١٠٢²] — الاحد رحت لسبوع ابن القصاب لبنت رعد وكان هوا بارد ودخلنا للبيوت والنوبة تدق في كل بيت فصل : (كان موكب العروس تتصدره النوبة واذا مرّ امام باب احد الاصدقا دخل البيت لدقائق ثم خرج الى غيره والنوبة تدق) . — الخميس وجعني درسي وجبت قطنه من عند ابو الامانه شاس يوسف بشخنجي وطاب ونفض . — الجمعة وقعت بالفرشه والسبت كذلك وقلعته عند معلم اوديس ما ألمني ابدًا وخلصت من المه .

— الاحد ٣ ايار ١٨٤٦ في ٧ ج ١ ١٢٦٢

[١٠٢³] — الجمعة اخذت انكليزه من كور مصري . — الاثنين رحت باركت لفرنسيس كنيدر وكان عندهم عبرة عروس اختها بربارة مرأة القصاب .

[١٠٣¹] — الخميس صار حركة بالبلد لاجل الحنطة والشعير يومها من ٤٥ نزل الى ١٦ . — والجمعة انباع ٣٥ والسبت من ٢٤ الى ٢٦ . وكان البيع غراض انفس على رأي المثل « تقاتلوا الحمير من سعد الركاب » .

[١٠٣²] ٢٦ ١٨٤٦ ايار

الـ ٢ اجا عبدالله كبابه من بغداد ومعه مرته وبيت احماه شمونه وصافي . والـ٧ سافر عزوز الى بيروت مع بيكاوات الفرنج واجا نعوم بن حنا من خربوط . نظموا شورة الاعيان ورتبوا ان لا يكون فرده بل مثل سابق على الكارات فسمعوا البطرك والمطارين فرتبوا عرض حال ان لا يقبلوا هذا الرأي فان كان امر عالي على الرأس والعين وان كان لا فيعرضوا لاسلامبول وبقيت هكذا ومهما جد نذكره اي لا على الرقاب نكون بل التراب . واكل قتلة كيب من العسكر فاشتكا القنصل الانكليز للباشا فقدم مقدمهم اي العسكر براهيم باشا اسكوزه للقنصل والكيب بدل النفر .

[١٠٣^٢] – الخميس حردوا اولاد البردخجي وراحوا عند قس انطانيوس لمدرسة الموارنة . — السبت رجعوا

الاحد ١٨٤٦ ٧ حزيران غ في ١٩ ايار شرقي في ١٣ ج ت ١٢٦٢ والحنطة ٥٠ من ٨٠ غرش .

[١٠٤^١] اجا مطران ابراهيم الارفلي قصده يصير كاثوليكي ومعه مطران سمنه الذي كان سابقاً قس يوسف سمنه هذا الذي برصن[1] وبعده صار يعقوبي حتى ارتسم مطران وبعده اجا يصير كاثوليكي والبطرك ما قبله .

[١٠٤^٢] ١٨٤٦ ١٤ حزيران غربي .

— الاحد ليلتها عرس مخائيل رعد وجبنا العروس بنوبة والعروس ما تركوها تبوس الايدين وكللوه مطرانين . — والخميس عزبة بالليل ورحت وكنا نسا ورجال والعروس معنا وتمينا لبكره . — والاحد المطران ابراهيم قرا صورة ايمانه ونهارها ازمن قسيس ارمني ومرته واولاده مرأة نيقوغوص بنت الشماع والمطران سمنه . والسبت قرأ صورة ايمانه بالقلايه عند البطرك وقبل القصاصات المشروطة .

[١٠٤^٣] اجا يكتب ابن منصور بخاش ورحنا الى البستان عند كيخو .

الجمعة في ٣ رجب ١٢٦٢ في ٢٦ حزيران ١٨٤٦ غ

وهنا ينتهي الدفتر الاول .

---

١) اتبع مذهب برصوما محيي مذهب اوتيخا (راجع المنجد في الادب والعلوم) .

بدء الدفتر الثاني وفيه الاخبار

من ٤ تموز ١٨٤٦ الى ١ ايلول ١٨٥٥

[١٠٥ بيضاء].

[١٠٦] قد ابتديت على خيرة الله تعالى وتوفيقه في هذا الدفتر المبارك يوم السبت الذي هو اليوم الرابع من تموز غربي ١٨٤٦ الموافق ٢٢ حزيران شرقي السنة المذكورة الموافقة رجب ١١ سنة ١٢٦٢ هـ. جعله الله تعالى دفتر الخيرات ومورد السرور والنعم والبركات.

[١٠٦'] — الاحد رحت الشيخ طاها واخذت انكليزية ٢ — الجمعة طلعوا بيت الاسود من بيت صادر وسكنو قدام بيت مشحور حوش العمة.

[١٠٦"] — الاثنين صارت فرجه على كلوتين بنت مولناري صبية عمرها سنة ١٦ الله يرحمها وكان معها يومها كل الاساقفة الكاثوليكية والقسوس كلهم والبطريرك السرياني جروه (والجنازة كانت تخرج من حيّ الشيباني حيث كانت كنيسة اللاتين فتمر « بالمدينة » ثم تخرج من باب الفرج وتمرّ في حي التلل فتصير الفرجه عليها).

[١٠٦"'] — الجمعة انعزل عثمان باشا فصار سرعسكر على الروملّي والنهار ذاته مات انطون الراهب موتة الغفلة الله يرحمه. — والسبت رحت الى كور مصري واشترينا قلبه ابيض. — الجمعة توفي بازرجي جبرا رفيقي بالصيد.

[١٠٧'] — الثلاثا انضرب طواب واجا منصب للباشا وقروا فرمانه وبظن نيشان السر عسكريه هكذا نخمن. — اكل قتلة سلمان (في المدرسة) واجت العصا على يده وصار مكانها ازرق ودهنوهـا خل وعرق واستراحت وكان قصده ما يجي ثاني يوم ولكن بغير قصد صارة فارسلوه قصداً.

[١٠٧"] — السبت مار الياس درت عيدت. — الجمعة اخذت صيدة مقدار٩ اواق وفرخ مقدار ٢ كرسين وقلوا الصيدة بيت فرنسيس عجوري وتعشينا عندهم.

[١٠٧ͬ] – الاثنين اجا باشة اورفه حتى يتسلم حكم حين مجيئي الباشا المعين. – الخميس سافر عثمان باشا من حلب لانه صار سر عسكر ومحمد علي الآن باسلامبول عند عبد المجيد ومات بيك العادلية. – والسبت توفي شماس جبرائيل هدايا. – واجا فيليب كوسا من اسلامبول.

في ١٦ شعبان ١٢٦٢ في ٩ آب ١٨٤٦ غربي في ٢٧ تموز شرقي

[١٠٨ͩ] – الثلاثا ؟ مرفع ورفعت مع الروم (لعيد السيدة). – والاحد توفت ام مرأة عبدالله دلال وفرنسيس عجوري نزل من البستان.

[١٠٨ͬ] انكسر خاتمي الالماس واعطيته الى كوبا فيليب حتى يسيغه وسمعت نهارها ان باشة حلب عثمان باشا الذي ذكرنا صار سر عسكر سمعوه ومات وما هو اكيدي. – الاثنين ولدت مرأت فتح الله عجوري وجابت بنت الساعة ٣ او ٤ من النهار.

في ٥ آب شرقي في ١٧ غربي ١٨٤٦ في ٢٥ شعبان ١٢٦٢

والخميس اكل علقه جبرا دلال وسافر داويد الصراف الى اسلامبول.

[١٠٨ͬ] – الثلاثا اكل قتله سلمان البغدادي وباس البابوج.

[١٠٩ͩ] ٣ ايلول ١٨٤٦

الخميس اجا يوسف باشا باشة حلب وانا ما رحت لاقيت بل كان بعض من الاولاد راحوا انصرفوا لملاقات الباشا ودخل من بوابة اغيُر لانه اجا على طريق كاز.

في ١٧ رمضان ١٢٦٢ في ٣ ايلول غ ١٨٤٦ في ٢٢ آب شرقي

ومعلمي شماس الياس هزاز مريض الله يشفيه ضور مرضه. الاثنين اجانا سفاية فستق من عند ميناس رطل ٣. والثلاثا طلبوا كرزة اختي لابن ميناس يوسف ولكن هو ابن مظلوم. والاربعا اجا من عند المذكور قفة تين مقدار رطل ٣٢. والجمعة عند شكري شدياق المساوية. والسبت توفت مرأة شماس يوسف ابو حنا الشماس جورج الله يرحمها بنت الكميكاتي. وايضاً توفت مرأة جرجي شعراوي بنت اسيون الله يرحمها.

[١٠٩'] الخميس ضيعت مرأة كوبا ذخيرة الحمل من ذهب ‹ Agnus Dei نوع من الشعائر التي يباركها الكاهن كالقون وتكون على كسم القلب الصغير) وطالعت منادي الحلوان ٣٠ غرش — انكسروا اولاد برغود على ١٩ الف . وانكسر الفونس دوريكلو على ١٢٥ الف غرش . ورفول هندية على ١٢٠ . ولكن مو قوي اكيده ناكدها بعد .

[١٠٩'] ١٩ ايلول ١٨٤٦

الجمعة « اكل علقه (او الفلق) سليان منظومه وانفعلت انا معه. » (يظهر ان المعلم نجاش قسّى قلبه وضرب ضرباً مؤلماً... — وان نستحسن دقة البحّاش فيما كتب فنلومه على ما فعل ... وفي مدارس الفقراء لا يزال الفلق بالاستعمال الى يومنا) [1].

[١١٠'] الاثنين عيد المسلمين رمضان اول يوم شوال ١٢٦٢ في ٢١ ايلول غربي في ٩ شرقي ١٨٤٦

[١١٠'] الثلاثاء ٢٩ ايلول ١٨٤٦

ولدت سوسان بنت عمي مرأة نعوم ضاهر وجابت بنت.

[١١٠'] واجت الحنطة من عند بردخجي شنبل ٣ . الا ٧ انتباه السنة ١٩ وابتداء ٢٠ لافتتاحي المكتب وعدد الاولاد ٥٥ . — السبت صار تعليم على جبل النهر عطش ناري . وسافر فتح الله باسيل وابنه نحائيل الى ازمير .

[١١١'] — الاحد كان عرس اكوب السباغ الى بنت يوسف اسود .

[١١١'] — الثلاثا سافر شكرالله عجوري الى بيروت وكتبت له ورقة « رأس الحكمة مخافة الله » مشق تخين . — والاربعا طلب الباشا مطران الروم واحكى معه شي سري والمطران طلب جمية اساقفة حتى يحكيي لهم ما قال له الباشا مع كل طايفة نفر ٢ وجوه وللان ما سمعنا الدعوى فقط حزرنا من اجل الفرده . (راجع كتابنا « وثائق تاريخية . . . اخبار الموارنة ٣ » ص ٤٩ . . .)

١) في مدرسة النصر حي الحميدية ١٩٤٥ كان يعلم السيد ر. ت. فشهد المدير ينصب الفلق لولد محني ويكيل بالعصا على رجليه حتى سال الدم ... وسأل المدير السيد ر. ت. ما رأيك؟ فاجاب السيد ر. ت. وهو من متخرجي الجامعة اليسوعية: وكيف يرغب الولد بالمدرسة وفيها الفلق ؟

— الخميس صار ليلية عند مركوبلي . — الجمعة سمعنا ان وكلية النسا صارة لجكادري وزفعوها عن الياهر (بيجوتو) . واجا خبر فتح الله خوري من بغداد .

— السبت في ٢٤ ت ١ ١٨٤٦ في ١٢ ت ١ ش في ٤ ذي القعدة ١٢٦٢

[١١١ٓ]—الاحد تقاتل صادر ونصري كبابه عند نصري عجوري بالسهره. ال ٤ لعبنا بالفستق عند فرنسيس عجوري صادر وعزوز وبطرس حمصي.

[١١٢ٓ] الاثنين صبحت عروق رقبتي متمسكه وما اقدر ادير رقبتي لا هكذا ولا هكذا . — والياهر رفعوه عن قنصلية النسا وحققوا على صراف الصرايا سياهو فطلع عنده مبلغ فسم خاله ومات واناس قالوا كذب . وذكروا ان صار بكلز ثلج وافر وبمرعش برد مجحج ويجلب لسا المطر غير مطره ما صار الله يفرجها على عبيده .

[١١٢ٓ] شكري كبه نزل شطفه على عينيه من الجمعة التي قبلها .

[١١٢ٓ] — الاربعا انفصدت ام حبيب عجوري لان نزل نزله عليها .

[١١٣ٓ] — السبت توفت كنة بيت الشماس بن المتلت وجابت صبي وقلبت عن الجوره الله يرحمها .

عبدالله اكبر في ١٠ ذي الحجة ١٢٦٢ في ٢٨ تشرين ٢ ١٨٤٦

— اولها سافر جرجي ميكايل الى كلز صهر بيت الخوري .

[١١٣ٓ] — الاربعا كان البربارة عزموني بيت كوبا للعشا . وال ٦ اجا رمان ٢٥ من كلز من عند جرجس ميكاييل وتمشوا عندنا القاطرجيه الاثنين .

[١١٣ٓ] الاحد ٦ ك ١

اجا فتح الله اسود من مرعش . — الاثنين اجا قس نصرالله من الفباير . — الاربعا رفعنا مع السريان . — الخميس ماتت مرأة عبد الله دلال . وصار خبر ان البابا بيوس حبس ٧٢ كردينال[1] . وكمرك عربستان (منطقة حلب وما

---

١) حبس معناه ان البابا جمع الكرادلة في المجلس المغلق Conclave او الكونكلاف. ومن المعلوم ان بيوس التاسع (ماستايفرتي) كان قد انتخب حبراً اعظم في ١٦ حزيران

اليها) اخذوه فتح الله غضبان الجلبي وابن كاترون ومنهم نعمة الله خوري والصراف . والكمرك اخذوه ٢١٠٠٠ الف كيس . والامير بشير اطلق الى برصه .

هو بشير الثاني الشهابي ١٧٦٧–١٨٥٠ ولد في غزير توفي في اسطنبول . امير لبنان . حالف محمد علي باشا على الاتراك ثم نفاه الانكليز الى مالطة ومنها الى تركيا حيث اقام في جوار السلطان مكرماً فزار برصه ومدن الاناضول وعاد الى استنبول وفيها توفي ودفن في مقبرة الارمن الكاثوليك . وسوف تنقل رفاته الى بيت الدين في ١٩٤٨

[١١٤١] السبت اول محرم ١٢٦٣ في ١٩ ك ١ ١٨٤٦

دفعت من كري حوش المدرسة الى حنا الاخرس وكيل وقف الموارنة ٣٣٠ غرشاً .

[١١٤٢] تغديت بيت كوسا وكان اجاهم سمكة من البحر .

[١١٤٣] انضرب تفل بغداد ١٥٠ جمل راح فيه ١٥٠ جمل وقتل واحد وواحد يهودي ومرته جايين لحلب عريس وعروس شلحوهم واشتكوا للباشا قال روحوا حصلوهم . — الجمعة رأس السنة ١٨٤٧

ارسلت الهدايا الى نوم البخاش ودون لانخنا دفتره على النسق الذي نشرناه سابقاً : [٦٣] و[٦٧] و[٧٨] .

[١١٥١] اجا يوم الاحد ميخائيل قرألي والياس ضوناته من ليكورنا وقرألي من استنبول . — اجت وكالة الفرنساوي لجفروا لان القنصل موسي جيس معزول بارادته للبلاد والى بيته . مات ثانية من النصارى : ابن انطون متري موت الغفلة عمره ١٦ وقس شكرالله حوا (كانت سيامته كاهناً في ١١ شباط ١٨٢٠) وجبرا غزال عمو شكرالله تاجر وغيرهم الله يرحمهم .

[١١٥٢] الاحد اجا دير دير بن مركار من اسلامبول ولاقوا له الارمن وجاب نيشان للمطران وله ولاخوه معه . امر ان يشيلوا عكا كثير بالازقة .

١٨٤٦ وبيومها كان الكونكلاف ولم يكن اذ ذاك عدد الكرادلة الا ٦٢ اما نوم البخاش ويذكر في ١٠ ك ١ على ما سمعه ٧٢ فلعله اراد بالكونكلاف مجلس الكونسيستوار Consistoire الذي فيه يعين بيوس التاسع الكرادلة الجدد .

واما النيشان فارسلوه الى الباشا وبعد يوم ٣ ارسل الباشا الى المطران قواس ان يأتي ويلبس النيشان فركب وراح ولبس ونزل قدامه قواسه اثنين ودق الطبل والنوبات بالقلاية . ومساء بالليل صار حراقة جراقة وفتاش وغير ذلك والاسلام زايغين عن الوعي وسمعنا ان جاي فرمان بتعليق ناقوز كبير وبده يعلقه بامر عالي وما ارادوا بقية الروسا .

[١١٥⁴] — الخميس اشتكيت على آكوبجان شكر لمطران الارمن لان المذكور ما عمال يعطيني اجرة اولاده . — الاحد تغديت بيت فرنسيس عجوري ضوبو وكنافه بناربن بلبه .

[١١٦¹] وتغير كيفي من قبل الرشح . والاثنين كذلك . — والثلاثا رويت حالي للحكيم انطون جد . — والاربعا اكلت له بسمنه واكلت درهم ٢٠ معجون الورد وما طلعت . — والخميس اكلت ٣٠ درهم وما طلعت . والاولاد قلال قعدت بالفرشه . — ووصلني خلعة يوسف عزوز طاقة حكير حكمايات ٨٠ او ٩٠ ش ملبوس الهنا .

[١١٦²] — الاحد اولها رسموا قس عمانوئيل ورتبيد على ارفه . — الثلاثا ختموا دفتر الفرده حتى يامره وارادة اهل البلد ان يكون على الرقاب لا على التراب وبعد يوم ٣ او ٤ لموا الاوراق . — السبت ابن نعوم عرقتنجي صلى وطلع للعبية ركب فرس ورماه وعفسه وتوفي بعد المغرب بدقيقة عشرة . الله يرحمه والمذكور تعلم عندي القراءة وطلع بلا خلعه .

في ٦ شباط ١٨٤٧

وذكروا ان الحجاج انقرض نصفهم بمكة والمدينة ومزاريب من هوا الاصفر فارسل الباشا يوسف باشا تومازيني الحكيم والياكوسا وبعض من العسكر باشي يوزق حتى ينظموا كرنتينا وبعده ضعف الخبر ان نصفه كذب . والذين توفوا من الحجاج مقدار الف ٣٦٠٠٠ وطلعنا بعد الظهر الى التلة ورجعنا الساعة ١٠ عصليه .

[١١٦³] — الخميس كان عرس خالي كوريخ وجابوها بالليل وانفض العرس يومها مساء ونهارها كنت مسكر المكتب ومعزوم عند الخواجا فرنسيس

وعجوري من بكرا للمسا بالكتاب عند بيت حماه وكتير انبسطت نهارها . الاربا رحنا والاولاد بعد الظهر جبل النهر وصار مطر ورجعنا .

في ١٠ شباط غربي ١٨٤٧

[١١٧'] الاحد اولها المرفع سوا وفطرت بيت فتح‌الله عجوري ضوبو وبرغل وكنافه بلبه وكسحت الورد . ومسا . بالليل الساعة ٥ دقائق ٢٠ ولدت مرأة رزق الله حمصي بنت كوبا واتت بولد ذكر حسب حذري .

في ١٤ شباط غربي في ٢ شرقي ١٨٤٧ في ٢٨ صفر ١٢٦٣

وكان سمعان الشيخ شرقي ربنا يكملها بالخير ووالدي كيفه احسن . والخميس تغير كيف اختي مريم وشرطناها وصفرنت وثاني يوم احسن . وعبدالله دلال (وكيل طائفة الروم) له من ا ه السكارى مريض ذات المرض . وا ؛ مات خوكاز دير اروتين اخو مرأة رعد والمذكوره مزمعه تروح للقدس مع ابنتها كتر الكسيحة . والاحد اولها نبهوا على غفران مثل الجيوبيليوم[1] الله يعطينا ان نكسبه بارادته .

[١١٧'] — الاحد رحت وحدي الى النابي وجبت زهر عقابيه سنة مباركة . ورجعت مساء الساعة ٩ ورحت للكرز وبدي من يوم الاحد الغفران . وهذه الجمعة ٢ بادريه عمال يعترفوا جهارًا حتى يعرفوا الناس يعترفوا ومو قوي انشكر هذا الصنيع من الناس شي مو قوي كويس وبعده نذكره لاجل انهم قالوا لي مدة عشرة ايام ليصيروا هكذا (على نسق المحاضرة المتخاطبية بين الواعظ الاول والثاني) . — الثلاثا سافرت مرأة رعد وبنتها الى القدس الله يكون معها .

---

١) مثل جيوبيليوم (Jubilée) سبق نعوم البخاش وقال [٣٤١'] : « ان البابا طلب الى الطوائف الشرقية الصلوات لاجل اسبانيا لئلا يحدث فيها الانشقاق نتيجة الازمة السياسية التي كانت تجتازها . — ولعل هذه الصلوات « مثل الجيوبيليوم » سببها يكون الازمة السياسية التي حدثت اذ ذاك في رومة عند جلوس البابا بيوس التاسع على الكرسي الرسولي وكانت زوبعة الثورات تهدد اوروبا وخاصة فرنسة وايطاليا فتلجئ الحبر الاعظم الى الخروج من روما الى غايتا (Gaëta) : اطلب دانيال روبس « كنيسة الثورات » ص ٢٩ وما بعدها Daniel-Rops: *L'Eglise des Révolutions*. Paris 1960

في ٢٣ شباط غربي ١٨٤٧ في ٨ ربيع الاول ١٢٦٣

[١١٧٢] — الاحد تفرجت على تعليم عطش ناري بارض المشنقة وكان الباشا والعيان والقاضي وناس كثير. وانفض الساعة ٥ . ورحت للميدان وجبت شقرق ٨ وسمك درهم ٥ . — ال ٥ ولدة مرة جبرا بليط وجابت صبي .

في ٤ اذار غربي في ٢٠ شباط شرقي

الساعة ١١٨ من الليل قبل الشمس وبدينا رياضة مار فرنسيس بالبيت مع عيلنا والاعتراف باقي هذه الجمعه ايضاً بل خلص . ال ٦ ومات نعوم توما زوج مدول بنت فتح الله بخاش وابن الجن .

[١١٨١] — الاربعا توفي نعمة الله جنه بن شكري . وال ٦ توفت والدته .

[١١٨٢] — الاحد رحت الى المشرح وبعده للتابي وبعده للقبار والقداس ورجعت المغرب ما رحت للكرز . — الجمعة مار يوسف رحت صبحية بيت حسون . — والثلاثا اجا جفروا من اللاذقية كنشلر الفرنساوي .

[١١٨٣] — الخميس رحت وحدي الى القواس والعين واخذت مقدار اوقية ٤ وواحد عسكري نظام اخذ مني مقدار من السمك فرخ ٢ اكبر الموجود معي . — الثلاثا ضيعت كيس توتوني الاسود بالريحاوي وبعد يوم الاربعا سألت البستانية والقهواتي فما شافوا شي. وكل ليلة من هذه الجمعة عمال يصير مطر وافر .

ال ٦ ربيع الثاني ١٢٦٣ في ١٤ آذار شرقي في ٢٦ غربي ١٨٤٧

[١١٩١] الاولاد ٤٤ حضروا طول السنة ٥١ اسبوعاً والباقون ١١ حضروا بين ٥٠ و١٤ اسبوعاً .

[١١٩٢] الاحد عيد الكبير سوا.

في ٤ نيسان غربي في ٢٣ آذار شرقي ١٨٤٧ في ربيع الثاني .

— ال ٥ الساعة ٤ صار هوا زايد كثير جداً ورمى كل المشمش والجانرك وبزك كثير من الاثمار والاشجار . وال ٢ سافر عبدالله بابنسي على عرب عتره.

[١١٩٣] الاحد اجا باشا ومعه عسكر نظام واسمه عمر باشا ومرسول

لنواحي موصل وبغداد ركبه على العرب ونزل في جبل النهر وارض المشنقة واستقام يوم الـ ٦ سافر وكل ليلة طوب ٢ وارده وصباح طوب ٢ شارده ونطرنا شمعيات بالحجازي وكان اولاد البليط والمبايعجية وحسون وانا وكل واحد غرش ٣ بشاربه . واجا يكتب قدور بن النيال .

في ٢٨ ربيع الاول ١٢٦٣ في ١٣ نيسان غربي ١٨٤٧ -

واجا خبر من البابنسي ان العنزة حصروه بجبرين وقريباً يأخذوه فراح الباشا ومعه باشة النظام بالليل وكسروهم واخذوا بيوت اربع من العنزة مع بقرها وغنمها واهلها . والسبت اجوا اولاد الكلداني من مرعش وذكروا لجبرائيل انطاكي عن الرواح مع العسكر صراف ما راح .

[١٢٠١] عمال يأخذوا من الحمايات خراج بأمر من صدر اعظم للباشا بان كل قنصل يكون عنده ترجمان ٢ وقواسه ٢ وخدام ٦ والباقي يأخذوا منهم فرده وخراج لان عند كل قنصل من ١٥ الى ٥٠ والساهر نحوث سافر الى الى الحمامات بالعدق حتى يسبح في الما. الكبريتي وحارة السيني فتحوها من قبل جمة للعمارة الطاروق .

٢٥ نيسان ١٨٤٧

[١٢٠٢] جبنا جبنه وسيخناها ونظمنا كمك برقة جبنه وخبزته اختي بالتنور . — السبت راح البطرك بطرس جروه لعند الباشا لان اجا له نيشان الناس من السلطان عبد الحميد حتى يلبسه اياه وبعد نذكر عنه . والمقادسة عمال يجوا من القدس وسمعنا ان مرأة رعد نشلوا لها خرج واشتكت وحوشته وجابه .

[١٢٠٣] — الخميس بعد الظهر اجت مرأة رعد وبنتها من القدس وطالعنا لنا قمقم ومبخرة (هدية من القدس) . — اجا طباخ العزق طبخ دست طلع فطير قطع وراح .

[١٢١١] اجانا ارمغان من مرأة رعد صابون وصوارات ومشط ومسابح ٣.

[١٢١٢] — الاربعا اجا رباط لبعض القسوس عن اعتراف العابدات وصار قرقعة من تحت رأسها . ومن الاثنين الى الجمعة عزلوا قود [مجرى نهر] الريحاوي (البستان) وقطعوا شجار مقدار من شروشهم وعزلوا النهر وعرضوه . — السبت

نزلت للمدينة وقطعت من عنـد قرألي ينش شال دراع ٥ كل دراع سعر ١٣ وطاقة بلوريه وطاقم كهربا ١٥ غرش والطاقة طلعت مبقعة .

[١٢١^٢] – السبت في ٢٩ ايار ١٨٤٧ في ١٥ جمادى الثاني ١٢٦٣

[١٢٢^١] السبت اكلوا قتلات فلق دلال جبرا وبردخجي انطون لاجـل انهم ضربوا بعضهم واخذت من مزاد جنه طشت وابريق استخلصه من طرف دين الذي عنده مقدار ٢٧٠ غرش وطلع نعوم سباغ الى (بستان) عبدي افندي .

— والاربعا راح خوري يوسف ياقين قدس عندهم بالبستان .

— الجمعـة طلعت من الزياح ورحت بيت كوبا وكانوا بالعويجي وقصفوا اوراق دوالي ومعي الاولاد ولادهم .

[١٢٢^٢] ١٠ حزيران ١٨٤٧

الخميس مسكوا العريس (جبرائيل انطاكي) وطالع خراجه ٦٤ اعلايـه والان عمال يأخذوا من الحمايات خراج وفرده باذن الباشا . والمـذكور كان ايكنجي ترجمان عند الفرنساوي وكان لويس حكيم ومثله انكليزي وسايس القنصل الانكليزي ايضاً محبوس وسمنا طالع خراجه هو وحكيم وطلعوا يكون معلوم وهذه الجمعة حردوا اولاد البليط واولاد الخوري نصري وما عادوا اجوا

[١٢٢^٣] — الخميس مرفع الرسل ما صمنا مع السريان . البطريرك بطرس جروه طلع لعبدي افندي (بستان) لعند نعمة الله سباغ ونزل الجمعة.

[١٢٣^١] الاحد اولها جرحوا ابن الحداد وضاع نسوان ٣ بالبرية وبالبساتين فارسل الباشا تنبيه للكنايس ان لا ينام احد بالبستان ابداً ولا يتمسوا بالبرية واذا صار شي . من هذا يتقاصصوا رجالهم .

[١٢٣^٢] ٣ تموز ١٨٤٧

السبت عيد مار توما نبهوا بالكنيسة : « حضروا الصلاة والقداس وامضوا الى اشغالكم » . ابطله البطرك بطرس جروه .

[١٢٣^٣] — الجمعة اجا خبر اخت نصري خوري من الجبل عابده (راهبه في دير الزوق لبنان ؟) .

[١٢٤¹]—الاثنين راح جبرائيل دلال الى السكولا(مدرسة الفرنسيسكان؟) من بكره للظهر ومن الظهر للمسا عندي بالمكتب .

[١٢٤²] — الثلاثا كتبوا اوراق بان يوم الـ ٥ عطش تعليمي وبدهم يطلقوا نفر ١٥٠ (من الخدمة العسكرية الاجبارية) فيروحوا الناس يتفرجوا لان كل سنة ٥ يطلقوا ناس ويعطوهم علايفهم ويروحوا لبلادهم وعلقوا الاوراق عند كل صايح شهر واحده . والاسلام خافوا من النظام (لئلا يلموا الرديف بينهم) ما احد راح ومن النصاره خافوا وكثيرين ما راحوا لان الشوكتلي عبد المجيد كتب بعض من النصاره بارادتهم مقدار الف ٢٠٠٠

— الاربعا داروا عزموا المطارين والبطاركة والشيوخ والاعيان وراحوا بعض من المطارين وتفرجوا ومساء بالليل صار حراقة منظومة وقليلين المتفرجين.

— حرم مطران الروم ديمتريوس الى عابدات ٣ غرة عجوري واخت لنطون نجم حرم ثقيل .

[١٢٤³] كان عرس نعوم ضاهر لبنت استاذ انطانيوس.

١٨ تموز ١٨٤٧ و ٥ شعبان ١٢٦٣

— الثلاثا توفيت مرأة فرنسيس عجوري ام حبيب بنت المرحوم بطرس قرألي الله يرحمها وينيح نفسهـا مع الابرار والصديقين في ملكوته السماوي ورحت عندهم ليلتها وودوها للكنيسة . والاربعا طالعوها دفنوها من الكنيسة البرية وكثير انغمينا لفقدها .

[١٢٥¹] الاحد قدس روم مطران الشاهيات في كنيسة الموارنة بعزيـة مطران بولس اروتين الموراني.

[١٢٥²] الخميس كبسوا بيت العجوري وبيت نجم وطالعوا من عند غره بقيج عدة ٣ اوراق وختموها لوقت الفحص ولا نعلم ماذا داخلهم .
راجع فيما بعد [١٢٥³]

— الاثنين صير عزية مطران الموارنة مطران بولس الى بطرك سيس الارمني البرصومي وكان الطاوله كرسي ٣٦ وكانوا من وجوه الطايفة ميشيل كوبا وقرالي وعزوز وصولا .

وا ١٥ نزلت حوشي بزقاق الاربعين للبيع واعطيت المفتاح ليوسف طاره ليس لاجل القلة بل لعدم الفايدة .

١٧ اب ١٨٤٧

— والاحد تقرّوا القسوس بغلطهم وحلّهم مطران ديمتريوس انطاكي بالكنيسة وكان مطران تترنجبي وشاهيات وارخندوس الروم ولكن مـا قدسوا منتظرين جواب البابا والمطارين قدسوا سوية قداس واحد وانا مـا رحت (فلم اكن شاهد عيان) ولكن على قول الناس اكيدي وجابوا الخواجا دلال من السفيرة حتى يحضر الحلة والاقرار من افواههم والقس عجوري وعياط وشاهيات٣ .

[١٢٥أ] الاربعا صير جمية المطران وجابوا البادري فرنسيس وفتحوا بقجة الاوراق الذين اخذوهم من بيت العجوري فما طلع شي بل عبادة يسوع وقـال البادري المذكور ان هذه العبادة كتير مليحه لان بمدينة رومية ما في غير نفر ٤ بهذه العبادة والمذكور بده يكتب للمجمع ان يرسلوا واحد حتى يفحص هـذه المادة ؛ بعد نعرف ؛ وقام راح (كذا واعل معنى الكلام ان الاوراق هي باللغة العربية ولا يوجد في رومة الا نفر ٤ يستطيعون ان يقرأوها ! . .)

الخميس ٢٦ آب ١٨٤٧

[١٢٦أ] الاحد اجوا العجام مقـدار ٤٠٠٠ ومعهم ام الشاه الواقف الآن بروسهم . الجمعة سافروا ورحت تفرجت من بستان الشابندر والنهر امشي فيه بالترجيل (بالحذاء) كله من اوله لاخره (لجفاف المياه فيه) . والاحد تغديت بيت البليط كبه ساوقـه وشوارب وكتبت لهم رفراف الليوان من الساعة ٥ الى ١٠ عصليه واعطاني الكرا ما اخذت لان كان نهار احد .

الثلاثا ٣١ اب ١٨٤٧ ٥ ايلول ١٨٤٧ .

[١٢٦أ] — الاحد كان مطران الشاهيات مقدس عنـد السريان ومعزوم للغدا عند البطرك وبعد الظهر معزوم لمشورة نصر الله جهامي لبنت الشركتلي سيدونه . — الخميس اجا مكتوب سامي من السلطان عبد المجيد ان يترك الحمايات من تـاكر خراج وفرده يردوه ويرسل الباشا الكيخيا يصير اسكوزه القناصل ويستعطف بخاطرهم واتفقوا كام واحد من الرجال على لبس الطربوش

ولبسوا منهم نصري خوري وفتح الله عبود وابن الشماس ونعوم انطاكي وجبرا انطاكي وغيرهم . — الجمعة عيد رمضان .

[١٢٦] الاحد عرس ﭼﻜور سيوفي بنت الياس شاهيات وعرس الياس موصلي الى بنت فتح الله ضاهر وشرطت نهارها لويزا بنت كوبا وتعشيت عندهم.
الاثنين راح الكيخيا الى عند جفروا بدار القنصلية وقدم اسكوزه واستعطاف بالخاطر بنفس واطية كثير وقام وقف لمرتين .

[١٢٧] — الاحد كان برغود نهارها ناظم عرس بنت التاجر لوسيا وقلب لان المذكور اوعدوه فوق العروس ١٥٠٠٠ وبعده قلبوا فلما هيأ كل شيء وعزم وهم عزموا للنقشه وما اقروا له بالوعد فصار ذلك فدخل الواسطة انطون بطق بالف ٦٠٠٠ ودفعوها له وجد العرس بعد الظهر ساعة ٣ .

— وعرس ابن شاهين لبنت دير اروتين تكلل يوم الاحد مع برغود.

وال ٢ توفي نعمة الله عرقتنجي كنجه (كذا) ابو الاولاد الذين عندي الله يرحمه . بينه وبين ابنه الذي عفسته الدابة جمع ٣١ .

— واولها سافر ميخائيل رعد الى كلز لان له عند بن بنبوق مقدار ٦٥٠٠٠ راح يجيبها . وطلعت الفردة هذه الجمعة . ومات يوم الخميس بن طنبه بثلاث ايام وابن القرنه مسلم مثله وصاير مرض ردي وعمّال يموت الله ينجينا من شر هذه السنــة ودفعت من الفرده لسفر شاه ٢٥ قري غرش ٥ . والتاريخ الاحد اولها .

في ١٠ شوال ١٢٦٣ في ١٩ ايلول غربي في ٧ شرقي ١٨٤٧

— الثلاثا انربط القس جبرائيل رباط بل خوري (في حلب يميزون بين القس وهو الكاهن البسيط والخوري وهو الاعلى درجة من القس) من طرف امور العابدات. طلع عليه تقرير وراح للدير (عند الاباء الفرنسيسكان او اللعازاريين؟) لعند معلم اعترافه حتى يفحصه .

(راجع دفتر اخوية المزيان الارمن في الوثائق التاريخية عن حلب ٣ ص ٨٤ — ٨٨) وراجع شارون : تاريخ البطريركيات الملكية · المجلد الثاني البند ٣ : مقاومة البطريرك مكسيموس مظلوم لاخوية العابدات ص ٣٨١-٣٩٤

Cyrille Charon : *Histoire des Patriarcats Melkites* (Paris 1910)

[١٢٧أ] الاحد اولها انعزمت لعرس جهامي وقلت ان اراد ربنا اروح . وخوري جبرائيل ويغمور في بيوتهم باقين ما قدسوا مربوطين . والخميس رحنا بستان العميان مع الاولاد انطاكي اسود بردخجي سايغ بخاش هندي عجوري وكيل . (وبستان العميان نسبةً الى جوق النوباتية العميان وكانوا يغنون خاصة للحريم ؟) .

[١٢٧ب] عرس نعمة الله جهامي الى سيدونة بنت الشوكتلي . وسافر بطرس باسيل الى بيروت وشكرالله بردخجي الى الفباير تعند اخوته . — والاحد اجا ميخائيل رعد من كلز مساء وجاب الف ٤٠٠؟ من عند ينبوق شريكه من الف ٦٥ الشراكة . والسبت فكست الشمس الله ينهيها على خير .

٩ ت ١ ١٨٤٧ في ١ ذو القعده ١٢٦٣ في ٢٧ ايلول ١٨٤٧

انتهاء السنة ٢٠ وابتداء ٢١ لافتتاحي المدرسة .

[١٢٨أ] — الاحد اولها خاريطن رحت للسبوع عند بيت الجهامي ورجعت الساعة ٢٨ قبل ما يغلق السبوع لان كنت جوعان . — وعرس يوسف ناقوز لوحده موصليه غريبه من الموصل بالجلوم بيتهم . والا ٧ انعزمت لسبوع ١٥ بيت الجهامي .

[١٢٨ب] — الاحد عرس نصري دياب بلابيل لبنت جبرا ابيون .

— الاربعا . سافر سليمان لبغداد لان يوم اخذته ورحت للكتاب وواجهته مع جفروا والفونص اخوه ان يأخذه معه وترجيته ومدام يونس ومدام بيدال حتى يسترجموا ايضاً الفونس المسافر وصار يأخذه باكله وشربه كرمالي وببغداد يطالع سليمان له الفرق وكتبت للمذكور اوراق ٢ مذهبات طير «بسمه»و«عليك عون الله» واوعدني بطاقة وزنارها الله يوصله بالسلامة ان صدق مقاله .[سليمان هو التلميذ العاصي الذي اكل الفلق !] والسبت تغير كيف نصري كنابه حمى خفيفه بلغميه .

[١٢٨ج] مات ديدكوس سمعان الله يرحمه . وكان عرس فتح الله هندية الى بنت الياس بليط . الا ٣ ولدت بنت الدلال سوسانه مرأة يوسف حمصي من الليل الساعة ١٢ عصمليه وجابت صبي .

في ٢٦ ت اول غربي ١٨٤٧ في ١٤ شرقي في ١٨ ذي القعدة ١٢٦٣

ونظمنا عشا للفقرا. وجينـا نوبه وتمت تامشا واجوا عزوز واولاده سمعوا فصل واحد وراحوا والعشا برغل وشوي دست وكيف عرق ومصاري عنـد رواحهم كل واحد وحده . والسهره بالضاما عند عزوز .

[١٢٩١] الجمعة انكسرت عقب دواية المقلمة بعت لحمتها وما لحموهـا مليح فكيتها انا ولحمتها بالبيت. — السبت ارسلت الحساب مع شكري شدياق لسلمان عن جمع ٦٩ سعر ٤ غروش ٢٧٦ واصل منها ١٠٧ غرش باقي ١٦٩ غرش.

[١٢٩٢] — ويوسف عزوز وقع بالنهر وعصرناه وبيسناه بالشمس.

[١٢٩٣] — الخميس عيد المسلمين الله اكبر.

١٠ ذي الحجة ١٢٦٣ في ١٨ ت ت ١٨٤٧

— الثلاثا اجا حنا الاخرس طلب سلف الحوش الف غرش وبده اياها الجمعة التي بعدها . — السبت كان عيد ميخائيل وجبرائيل وبيرامون سيدة النجاة (في كنيسة السريان) الله يعطينا اعتراف نقي وغفران خطايانا بصلوات امه مريم العذرا. سيدة النجاة والسهره بالضاما عند عزوز .

[١٣٠١] — الخميس كنت داير بلم كرا الحوش. وقعدوا عندي شقال وترزي.

في ١٣ ذي الحجة ١٢٦٣ في ٢١ ت ت ١٨٤٧

[١٣٠٢] — السهره عند سمعان يمين بلعب الورق بالفستق وعازار خبر ان فوق ارفه بالضيع صاير هوا الاصفر وعاد يطلع كل يوم مقدار ٦٠ نفر وانهزم المذكور واجا الله يسترنا منه .

الاربعا ١ ك ١ ١٨٤٧

— والخميس تغير كيف ابي بالليل وشرطته وطلع دم وافر وصح كيفه . وارسل عازار مقدار رطل ٢ سمك ارمغان وكعك من ارفه . — الجمعة اجا مكتوب من شكري كوبا وصل لليكورنا عنـد عمه واستقام بالبحر يوم ٤٣ الله حرسه من الغرق[1] .

١) جاء في مسودات رسائل آل كوبا في مكتوب مؤرخ في ٩ ك ١ مرسل من حلب

[١٣٠] الخميس باركت لمدام مولينياري (التي جابت صبي من ثمانية ايام) ولالفنس دوريكلو جاله نيشان من البابا بيوس كواليير . الاربعا عمّد مولينياري وصير نوبات ورقص وعزم اناس كثير وانا ما كنت وموزيقه وكان عمر باشا سر عسكر عبد المجيد . وكثر رعد بديت تقرأ عندي بديوان الفارضي . شرطت سوسه لان اندق رأسها بالوجاق .

وباركت للسكنه للياس ارسان بجوش بيت ديدكوس ضوناته .

— وباركت لخوري نصري بجوش انطون تيناوي .

— الخميس اول محرم ١٢٦٤ ٩ ك ١ ١٨٤٧

[١٣١] الاربعا صار خبر ان الهوا الاصفر عمال يشتغل ببراجيك وفي ضيعة اسمها سواريك موجود فيها نفر مقدار ٣٠٠ صفي منهم ٢٠ واجا قفل براجيك٢

الى ليكورنا الى الخواجات كوبا واولاده :« اذ كنا بغاية احتراق الافكار مع تشتت العقل بسبب عوقة وصول الاخبار وانتظار بوسطة بيروت بالدقائق ففي ٣ الجاري حضرت بوسطة اسلمبول وحظينا في تحريركم رقم ١٠ ت ٢ الذي تلوناه بالدموع من ازدياد الفرح والسرور بشراكم لنا بوصول فؤادنا (شكري) لطرفكم ولم تقدر تشرح لكم عن حالنا بمدة شرون يوم الماضية من الافكار مع الخوف . . . النهاية الحمد لله على انعامه الوافرة علينا» .

وكان آل كوبا يسعون في خدمة الكنائس فيكتبون من حلب الى ذويهم في ليكورنا في ١٣ ايلول :

. . . وما تفضلتم بشرحه بخصوص تكاثر المرض (الهواء الاصفر) عندنا ناتج من المآكل المضرة والفواكه والبرد او عن قهر وغم متظرًا للمواكيل لا يكون لكم فكره بحيث دائمًا بالاحتراس واما الغم والقهر ليس بيدنا مداوانه بل ظروف الزمان وعدم توفيق الاشغال وقلة الاستقامة الذي بقيت طبيعية بين الناس ولم عاد قادر غير الاسفاء واصحاب القوة الذي لا ينسحبوا الى الحكم وغرشهم يرموه في البحر ويصلوه وربنا عاطينا الحصول على ذلك . فنظرًا اليكم الله وفق لكم الراحة فماد اقله يجب علينا نريح اولادنا لكي اذا ربنا رضي عليهم وحصلوا على الخابة (في ظل الامتيازات الاجنبية) يقدروا يسكنوا في بلدهم في راحة ويشتغلوا بحرية مثل الفرنج الآن . . . وبوصول شكرالله بالسلامة تشاهدوا حسن العقل وباقي الصفات الحسنة . . . ٩ ت ١ ١٨٤٧

«وارسلوا لنا خيمة لاجل الكنيسة في زياح القربان المقدس نفتح وقت الدورة ونكون سكة اليد دف مدعون مذهب ولا بد معروف منكم في كنيسة نصراصاتنا ام غير شكل الذي يكون زيه في بلادكم واجنًا امبريله حال المطر . منشان قريبة واحدنا ٢٩ ك ٢ ١٨٤٨ »

فكرتنوهم بالشيخ ابو بكر مقدار ٨٠ نفر ومعهم قسيس كرملتاني وفتحوا بالحرزه جنب الخستاخانه مكان وسموه شفاخانه سي بامر سلطان عبد المجيد وتعين حكيم ٢ يقعدوا بالجمعة يومين الاثنين والثلاثا ويحكموا عال ودون [مصريات] على كيس عبد المجيد الله ينصره ويطول عمره وقصدهم يدوروا على كل صايح واحد حتى يكنسوا وينضفوا لاجل النضافة حتى لا يقوا الهوا الاصفر وان كان الله يريد لايجي لحلب .

[١٣١ⁱ] ٢١ ك ١ ١٨٤٧

السبت الميلاد فارتما هلوانم الله يتقبل . والاحد انعزموا الروسا وحمصي وكوبا مع الروسا لضيافة عند الباشا بالصرايا وكان الوان عده ٤٠ (اشكال الاطعمة) زفر وحلو ولما دخلوا قام الباشا على حيله ولاقا لهم . والباشا كان جاي له عليه مالمسه من عبد المجيد السلطان ففرجهم عليها وباركوا له والضيافة لاجلها يكون معلوم . مطران كيرللس روم الكثيسة ومطران الارمن ومطران الروم ديتريوس ومطران الموارنة بولس والبطرك بطرس كان مريض نيابه عنه قس خوري باسيليوس صعب .

[١٣١ⁱ] — الثلاثا ماتوا اربعة وطالعوهم فرد نهار ومن جملتهم ام اولاد السيوفي جار بيت اختي ومرأة الجرنطي اخت المطران مكاريوس الذي فقس بنت السمان .

السبت رأس السنة ١٨٤٨ ٢٣ محرم ١٢٦٤

[١٣٢ⁱ] — الاثنين سافر عمر باشا لاسلامبول بعد الظهر وضربوا له طواب على جبل النهر وطلعنا مع الاولاد للفرجه ورجعنا بالعجل . الخميس صار حراقة عند الياس زمر . الجمعة ليلة عيد مار استفانوس قرأت انجيل رومي بعزية البطرك . — الاحد رسم البطرك شماسه والمطران سافر واجا لمطران الروم قلوسات ٧ بقراني ٦ من عند البطرك مظلوم له وللخوري بولس حاتم ٣ ولمطران شاهيات ولمطران توتونجي وعزيزه القسيس وللآن ما لبسوهم .

قضية القلوسات راجع تفاصيلها في تاريخ البطريركيات الملكية لكيرلس شارون (بالافرنسية باريس ١٩١٠) في الفصل الرابع : تحرير الملكيين الكاثوليك المدني ١٨٣١–

١٨٤٨) (ص ١٥٣–٢١٦) وخلاصتها ان الملكيين في الشرق كان مرجعهم الى بطريرك الفنار في استنبول وهذا كان يقيم عليهم مطارنة من اليونان وهم اجانب عن الملكيين الناطقين باللغة العربية . وجاء مكسيموس مظلوم الملكي الحلبي وترأس حركة اتحاد الملكيين بروما واقيم عليهم بطريركاً وكانت القلوسة المدورة في اعلاها تستعمل غطاء لرأس رجال الاكليروس الملكي الكاثوليك . فقاومه في ذلك بطريرك الفنار وآل الامر الى تدخل السلطان في الصلح «على القلوسة » المدورة في اعلاها . ومن ذلك نفهم السبب الذي من اجله لم نلبس القلوسات بغراني التي يذكرها نعوم البخاش. ١٣ ك ٢ ١٨٤٨

[١٣٢[١]] — الاحد عمد مطران الروم ديمتريوس إبن ميخائيل رعد والشبين ابن حنا رعد الزغير . —والاربعا قدم غربنيه مطران الروم باسيليوس شاهيات. — والخميس عزم القسوس والمطران الى الفطور عنده. — الجمعة مطر ورعد وطوفه قدام بوابة ما وراء العماره .

[١٣٢[٢]] الاربعا الغطاس كسحت الورد والنسرين . الخميس بعت مكتوب خوري جرجس شلحد لنعمة الله سباغ وبه معذرة لانه حامي لخوري جبرائيل رباط وما ذاكر اسم المرسول منه بلا امضا وتأذى المذكور وبعده صالحوه معه وسمح له بهذه الفعلة سباغ وقدس وسمعنا نقضت نعرف بعد . وفي ذلك تلميح الى الثرثرات التي شغلت الناس في قضية العبادة التي جاء ذكرها [١٢٥[٢]].

[١٣٣[١]] الاثنين اجا وجيهي باشا وواحد آخر لارفه وللماردينْ ولاقوا له الباشا والاعيان . والسبت سافر وجيهي باشا الى منصبه وضربوا له طواب . وجرجي ابريهام كان جايه من كلز تشلح والجرح واخذوا منه مقدار ٢٩٥٠٠ غرش .

[١٣٣[٢]] ٢١ ك ٢ ١٨٤٨

الاثنين بديوا بالرسائل اولاد الوكيل شكر الله ورزق الله . اجوا الحجاج من الحج .

[١٣٣[٣]) الاثنين طلع خبر ان هوا الاصفر عمال يشتغل بارفه . الاحد اجا خبر من اسلامبول بموت الياس حوا عمره ٨٦ سنة[١] . الخميس السهره عند عبدالله باسيل بالضاما . اكلنا عند المذكور جبسه بالليل . السبت اشتريت شاله من

انطون طباخ جارنا ٤٢٧٨ غرش واسمها خراسان كرخانه قرمز وابيض .

الجمعة ١١ شباط ١٨٤٨

[١٣٤'١] — الخميس اكلت معجون الورد وقية ٢ لان الطبيعة ماسكه وطلعت مقدار مره سبعه للسا وشوي تغير كيفي . — الجمعة وصلت (تسكرتي اوسطانه) ٣٠ وبخشيش قري ٥ غروش .

الاثنين ١٤ شباط ١٨٤٨

[١٣٤'٢] — الاحد حرقوا قاعة الشيخ ابن بكر والناس كثير موجودين نهارها للفرجه . عرس يوسف عبد النور لبنت جنبرت .—الثلاثاء بن العداس(؟) جايه من السفر قبل وصوله لحلب بساعة ٥ تشلح وراح معه مقدار ٧٠٠٠٠ غرش . وتشلح القفل كله . وماتت ام انطون نجم عمرها ١٠٧ سنة .

[١٣٤'٣] — الاربعا مات الشيخ وفا ودفنوه بالصالحين .

— [ان البخاش يحصر اخباره في الحلقة التي كان يتصدرها كمعلم مدرسة وحوله تلامذته ومن اهاليهم فيأخذ الاخبار ويدونها«اليومية» وقلما يذكر الحلبيين المسلمين اما ذكره الشيخ وفا. الرفاعي فدليل على مكانة الرجل عند المسيحيين. وقد اسعدني الحظ بالوقوف على اخباره ونشر ترجمته في المشرق سنة ١٩٤١ مع منظومته في اوليا. حلب واثما طبعت على حدة بعدد زهيد فاصبح وجودها نادراً جداً] .

---

١) ١٣ شباط ١٨٤٨ كتب كوبا الى اسلامبول الى الخواجات حوا كتاب تعزية بوفاة كبيرهم الياس حوا « الجوهرة الثمينة المكللة بكامل الصفات الممدوحة » وصار معلوم اعتمادكم على ابقاء اسم المرحوم كما الاول فهذا من حسن الشيم حيث بقاء هذا الاسم الممدوح من الجميع يذكر الى بعد اجيال بواسطتكم » .

[في الوثائق التي اطلعنا عليها في الخزانة المارونية في حلب وفي خزانة بكركي يأتي مراراً ذكر الياس حوا وهو حقيق بان تشكر له اتعابه في خدمة الطوائف المسيحية — والى اسرة حوا الحلبية يمت الاب يوسف جبرائيل حوا اليسوعي ولد في مرسيليا ٣٠ شباط ١٨٥١ دخل الرهبانية ١٤ ك٢ ١٨٨٢ توفي ببيت ابل ١٦ ك١ ١٩١٦ وكان يتفانى في خدمة المرضى وهو مؤلف القاموس الانكليزي العربي] .

[١٣٥'] – الخميس سافر الشاه وودعه الباشا لان المذكور وهب للباشا صانية فضة ملطوخة ذهب وشاله ترما وساعة وخناجر وخواتم وغيره.

[١٣٥'] – الاربعا طلعنا والاولاد تفرجنا على تعليم الخيالة بارض المشنقة بضرب تفنك .

السبت ١٨ اذار ١٨٤٨

– الخميس سافروا المقادسة للقدس . – الثلاثا اسلم فرج الله ج وسموه محمد شاكر وراح بيت شيخ كيال احتمى فيه الله ينجينا من انقلاب العقل .

– والاحد صار ضيافة عند موليناري لان ملكه تحرر فصير حراقة ونوبة آجق باش وعزم كل حماوته فقط. وملك المذكور دولة السارد وسردينيا وتفرجنا على الحراقة من الكتّاب . فتاش.

[١٣٥'] الاحد كان ناظم تومازيني في قصر الكتاب عزية للشباب والقسوس لان قبل يومين صير جناز للذين ماتوا قتل من ايطاليانين وصار خيرية وصير فرحه للمنصورين في بلاده . واجا خبر ان الفرنساويه قاموا وطلبوا مشيخة فرنسا هكذا صار وخبر اكيدي . ومرأة ميخائيل سابغ ولدت يوم ال ٥ وجابت ولد ذكر .

في ٢٣ اذار ١٨٤٨ في ١٨ ت ١٢٦٤

[١٣٦'] السبت ابن عبدالله سالم اخو حنا من ابوه انصرف من المكتب عند ابن زلوم ونطق ولصباح الاحد مات وابن البستانية مريض مثل امه هو الاصفر هكذا قالوا الحكما ووقفوا عسكر على باب حوش الكبيرة[1] وكرتنوا عليه والناس جفلوا . والاثنين واحد بكنيسة السريان كان واقف يصلي وقع ومات مقدار ساعة وشالوه لبيته وبعده قبروه وشاش الخبر وارتعبوا الناس وما ارسلوا اولادهم للمكتب مقدار ١٦ . – الاربعا بالليل صار هوا زايد واصبح مبوظ الما تاني يوم ويبس زهر الاشجار كله صيفي من الفرش باره[1] والخضرة مثل فول وسلق وغيره بوّظ كله .

---

١) حوش الوقف المخصصة للفقراء .

[١٣٦²] وعندنا دراقة بالبيت مزهره دخلناها للبيت بعذاب كلي وواحدة للربع وتموا اثنتين بالسطوح لان زغار وزهرهم قليل ما يحرز العبا.

— الخميس ما عاد واحد وقع بالمرض فقلعوا الكورنتينا والشنبل الحنطة ٥٠ رجع الى ٥٠ لان جمعة التي قبلها وصل لا٧٠ او لا٦٥ وصار قتل قتول على الطحين فصار مطر زايد فراحوا ناس كتبوا عرض حال للباشا ان افندم هكذا الله فارجيا علينا بالمطر و(عرض ان تهبط الاسعار على امل الموسم الجيد) الحنطة بكذا والطحين بكذا وما في فكان الجواب منه كلوا طين وابدتم الباشا مصطفى باشا. ودفعت ٥ غروش لاجل الكورنتينا . — السبت ثبت المطران بولس (اروتين) مقدار ٥٠ ولد (موارنة) .

٣١ اذار ١٨٤٨

— والخميس قرأوا فرامين ٣ من عبد المجيد : ١ً من شان الشلكات [المومسات] بطالين . ٢ً كل من ما عجب لاهل صايحه ولو كان ملاك يقلعوه باذن الحكم . ٣ً كل حوش التي كراها كل شهر ١٠٠ غرش تعطى على الغرش مصرية والتي تحت الشهر اقل من مايه لا تعطى شي وهكذا البساتين والطواحين والملاك والاوقاف وهلمّ جرًّا .

— الخميس الهوا (الاصفر) انقطع بارفه وكل الذي ماتوا مقدار ٢٥٩٨ وسمعت ان الانكليز قاموا على الملكة وطلبوا الحرية .

[١٣٦²]الاحد-شافوا اهل الصايح اربع شباب عمال يحكوا مع شلكات(٢) فصيروا لهم بهدله وهم قرألي وشامي وكركور وسابغ وصار قرقعة كبيرة وبديوا بالليل يدوروا ان لا احد يطلع ورا العماره ونهوا عن عمارة المسبغة لبيت الدلال بالقيسرية التي جنب السيبي.

[١٣٧¹] الاحد بالليل صيروا جمعية قبل هذه الجمعة اهل الصايح ان كل من طالع بالليل يمسكوه للقاتق فابن نعوم باسيل يوسف راح واجا مرتين ثلاث

١) باعتبار الغرش ٤٠ بارة يكون سلم من الاربعين واحد .
٢) راجع برتلمي .

لاخور جحشه فونبوه ان يروح لبيته وقالوا له كلام ينكي فحمي له شكري بليط فتقاتلوا وصار الضرب والقتل مقدار نصف ساعة وكل الناس خرجوا يتفرجوا وانا كنت وبعده بعتوا كل واحد لبيته وتصالحوا ثاني يوم. الجمعة صار مطر وبرق ورعد وزعقات ووقعت شرارة بجامع وقطعت الثريا وقتلت واحد نفر.

٢٢ نيسان ١٨٤٨

[١٣٧ٌ] الخميس سافروا لدير مار جرجس الزوار عازار وميناس ونيقوغوص ومرته وابنه ضاهر وتركماني وبردخجي. — الجمعة إكل قتله منظومه بن نعمان من حارة الكراد وصار خبر ان النمساويين عمال يقتلوا الايطاليانين ويرفعوا اطفالهم على روس سنكه التفنكه والاكابر يفسخوهم بالنصف وقام من الغيرة ملك سردينيا ملك موليناري ولحقوه اكثر الايطالين وقاموا على النمساويين حتى يقلعوهم من بلادهم وماذا نجد نذكره. — السبت ولدت كتر دلال مرأة حنا خوري وجابت صبي.

٢٩ نيسان ١٨٤٨.

[١٣٧ٍ] الجمعة عمال ينجروا قاعه كنيسة الأرمن التي على حوشنا والباشا رايح يجيب ما. الساجور بعد يوم اي الاحد آخرها ومعه وينصان الفرنساوي.

[١٣٨ٰ] الاحد راح الباشا يجيب الساجور وامر بقطع القناية وتعزيلها فقطعوها.

الاثنين في ٨ ايار ١٨٤٨

[١٣٨ٌ] — الاحد نقشت لوسيا كبه لابن دياب وطلعوا بزي جديد العرس والاسبوع سوا بلا نوبه وبلا وردي ومع الضو يأخذونها ورحنا معها الساعة ١٢ عصلية وحضرنا اكليلها وانصرفنا.

١٤ ايار ١٨٤٨ ١١ جمادى ١٢٦٤

[١٣٨ٍ] الخميس رحنا والاولاد لبستان العميان وانبسطنا كتير ما عداي انا وكان تركماني ومرته واختها وزوجها وزمر وغيرهم والباشا اجا وما جاب الساجور وماء النهر قليل. ورخوا القناية.

[١٣٩ٰ] — الاثنين سافر مطران الشاهيات الى زحلة وراح معه اولاد ٣

وابن اسيون وفتح الله ابن عبد الله خوري الاطرش . — السبت سافروا لانطاكية شقال وراح اخوه الصغير معه ونحاس معه وخوري انطانيوس .

٢ حزيران ١٨٤٨

وارسل طلب مركوبولي شكل البواليع حتى يكتب عليهم وارسلت له شكلين (ليطلبهم من الفابركة من اوروبا) .

[١٣٩] — الخميس بدير بالديوان شقال وعجوري توما .

[١٣٩] الاثنين اجا الباشا من العترة وصارت الصلحة على ٥٠٠ جمل . — داعوا والدي بالحلق وهذا ناس وضعوا عنده حلق عشيري وانتشل من الدكان وبدهم يغرمون اياه ام حقه وبالشرع ما يطلع لهم وحقه ٢٣٠ غرش .

[١٤٠] — الاثنين تمد عندي البرتوس صولا بن الخواجا ميخائيل صولا .

١٩ حزيران ١٨٤٨

[١٤٠] مات مطران الارمن الارفلي وقبروه بكنيسة الارمن وجروا له دفنه منظومه يسقية كلهم وقسوس ومطارين وشمامسة ببدلات وحسن جاويش ومورة عسكريه والمذكور خلف ٥ الف كيس ونيشان افتخار الماس .

[١٤٠] — الاثنين بدينا نسمع مات يهود ٣ وولاد ٢ ونصاره ابن كركور الطرنجبي وشاش دعوة الهوا الاصفر .

[١٤١] — الثلاثا اجو ولاد ٣ اخذوا كتبهم . — الخميس سكرت وتخبيت وبقيت وحدي وبعت جبت ورق عادي وبديت مقامات الحريري .

— والجمعة سكرت وتخبيت مع اهلي . وصار الهوا (الاصفر) يشتغل وصرنا نسمع مات فلان وفلان الله ينجينا والذين من ماتوا من حلب ٥٠٠ نفر الثلث رجال والثلثين اولاد ونسوان وماتوا بنات جنه ٢ نسوان بيت القصاب وايضاً كنائن ٢ السيوفي وبيت الكلداني اب وابنه وبنتين صبايا ومن عينتاب مات الكل ٣٨٠٠ ومن انطاكية مات مقدار ٢٠٠٠ كلهم

وانزل الباشا في رمضان مظهر باشا وبديوا الناس يسافروا هزيمة : مركوبولي والفونص ومرته وبيت الياهو ومن كل مكان وكل الذين سافروا ما طلعت معهم

كرنخانه⁽¹⁾ ابدًا بل تشنطوا ومات كثير منهم وتمرمروا واناس لعين تاب والغربية كل لبلده والبازركان ايضاً والصواصه ايضا والخدامين كلهم سافروا الا القليل جدًا.

[١٤١²] في ٢٠ آب غربي ١٨٤٨ ٢٢ رمضان ١٢٦٤

— السبت المسا. فارتما (اعتراف) والهوا الاصفر ما قطع لكون الاسلام صايمين صوم رمضان واجا خبر انطوناكي بن الحوا من اسلامبول بالهوا الاصفر وبرا ما قطع بل عمال بتاردين واللاذقية وباسلامبول وما ترك مكان الله ينجينا منه ليلا يعاود لطرفنا و(في) البلاد عمال القتال والبسوسات (قطع الامل ؟) بكل بلاد الافرنجية ومدة الحبا جمع ٦ عدد الاولاد ١٩ .

[١٤١³] ٢٨ آب ١٨٤٨ ٢٩ رمضان ١٢٦٤

— الاثنين قعد عندي فتح الله بن نعمة الله عبجي . والهوا الاصفر ما قطع عمال يطلع من الاسلام مقدار كل يوم ٢٥ نفر ومن النصاره قليل بل ما في منه ضرر لا يموت — والاحد كريت الحوش لابن بريه بسعر ٢١٦ ومفتاحية غروش؟ لابن اختي . — والخميس فرمت التتون باديشا . والسبت كان كيفي مغير شربت اكلت معجون الورد مقدار وقيه والحمد لله كيفي احسن . وامي انفصدت الحمد لله كيفها احسن .

[١٤٢¹] وليلتها تشلحوا بظهر القناية نفر ثلاثة ابن منفاخ وابن الشقال وابن قراجتي ورجعوا بالظاظ ما عدا الدواب ما اخذوهم وجارحين بالرمح لابن وبدينا نخاف نروح لباب الله من هذه المصيبة . والهوا ما قطع الآن له تواتر بحلب .

[١٤٢²] — الاحد عرس جرجي شعراوي ارمل الى بنت شكري غزاله . — الخميس مات حنا براهمشاه المخطوب لبنت هنديه . — مراة يوسف اسود جابت صبي ومراة شكري كنيدر جابت صبي في ١٦ شوال ١٢٦٤ ١٨٤٨ ١٢ ايلول والهوا قطع بالمرة .

[١٤٢³] الاثنين ولدت مراة نعوم كوريخ وجابت صبي ١٨٤٨ ٢٥ ايلول.

١) لم يوفقوا في سفرهم .

والثلاثا مرأة برغود بنت تاجر لوسيا وجابت صبي والسبت مرأة كركور سيوفي وجابت صبي بنت الشاهيات . والخميس اجا باشة النظام براهيم باشا .

[١٤٣٣] ١٨٤٨ ٩ ت ١ ابتداء ٣٢ سنة لافتتاحي المدرسة .

[١٤٤١] — الاحد اجا خليل كاملي باشا باشة حلب دخل الساعة ٨ عصلية وسافر قنصل الفرنساوي الحصر للبلاد .

١٨٤٨ ١٥ ت ١ ، ١٨ ذي القعدة ١٢٦٤

[١٤٤٢] — السبت مريم بنت اختي تغير كيفها وجع قلب وجبنا انطون جد بالليل .

[١٤٤٣] — اجا يكتب ابن الرباط وتزي . والا ٢ اجا نعوم رعد من خربوط وكتبت عرضحال .

[١٤٥١] — الاحد عرس عبدالله كلزي لبنت يوسف سوكياس والاثنين مات الشيخ وفا . الموقت . — وراحوا القناصل عيدوا الباشا اكرمهم وسقى للتراجين غلايين وقهوة ومربا وشراب .

[١٤٦١] ١٨٤٨ ٢٧ ت ت

— الخميس اجا فرمان ان كل من اراد ان يرم كنيسة او يعمر او يزيد او ينقص من غير فرمان وغير مراجعة ولا احد يتعارضه انعام من السلطان عبد المجيد . — الاربعا رحت الى كرم الخرش مشوًا مع نعوم سايغ وجبنا مقدار اوقية ٢ .

[١٤٦٢] — الجمعة ليلة البربارة كنت معزوم عند جارنا الخواجا نعمة الله سالم وكان اخته وبيت اهل العروس بيت اسيون جبرا وسهرنا الساعة ٩٫ من الليل — السبت سوسه كوبا مرينعه ريقان مليح من الاحد — وجاءت الهدايا الى المعلم البخاش من تلامذته كما في العام الماضي .

[١٤٧١] — الثلاثا والدي ليلتها ضاق نفسه من صدره جبنا انطون الجد الساعة ٥ من الليل وقسيس راجي خوري الياس ماروني.

[١٤٧٢] ٢٧ كانون الاول ١٨٤٨

— الاربعا سافر سمبان مع قفل الشام الى الشام ومعه اناس كثير . وغيروا

المحصل بجلب المطارين لان ما اعجبهم واليهودي الصراف غيروه .

[١٤٧٣] – الاثنين رأس السنة ١٨٤٩ ٦٠ ١٦ صفر ١٢٦٥

[١٤٨١] الجمعة قرينا الورقة عند فتح الله عجوري وقراها رعد ومن كاتبها لا نعرف . مساء ليلة راس السنة ١٨٤٩

[١٤٨٢] وبكره بالصلاة نبهوا على الورقة الذي يذكرها محروم والذي ألفها معه مهلة ثلاث ايام ان ما عرف بمحاله للروسا محروم (قد يكون لهذه علاقة بقضية العابدات المذكورة سابقاً وراجع [١٢٥٢]) .

[١٤٩١] – الخميس بيت انطاكي بخشوني عرقية لفه . وبديوا بتبليط بيت النسوان عند السريان . ورزق الله كبابه طلبوا له بنت نعوم غزاله جمعة التي قبلها ما اعطوه واناس قالوا انها صغيرة واناس قالوا ان امه قادرمانيه .

[١٤٩٢] الذي جايب المكاتيب من اسلامبول بوظة يده من البرد .

[١٤٩٣] – الاثنين طفي جبرائيل زمر طفه كبيره وانفتق وطول ساعة ٣٥ وتوفي .

[١٥٠١] – وكانت خطبة رزق الله كبابه لبنت سركيس والمذكور متعلم عندي.

[١٥٠٢] ١٨٤٨ ٢٥ شباط

وخربوا المعمودية بكنيسة السريان وقصدهم يصيروا هيكل للصليب والعماره عماله.

[١٥٠٣] الاربعا مات انطانيوس استاد بجمة العصبية وقبروه الخميس وصار دفنه منظومه من القواسه ١٢ ومن الشطار ١٢ والبطرك والمطران والقسوس وشعلوا كل الكنيسة من قناديل وتريات . المرحوم كان باش ترجمان عند سنيور موسة مشوكه (بيچوتو) وما له غير بنات ٢ واوله كان اجير سياغ.

[١٥١١] ذكروا ان فاتح عبد المجيد حرب على المسكوب لاجل تخليص القرم ومعه الانكليز والفرنساوي والسبت وصلت خلعة رزق الله رعد جوخ دراع ٤ كرتكيه ليلكي يكتر خيره .

[١٥١٢] بدي لعب البهلوان بالشابندر لنسوان ورجال وبنات عند العدسات عند دق القيس كل اوضه ٥٠٠ غرش والمتفرجين واحد ٦ واحد ٣ واحد ١٨ غروش ومراتب اعلى وادنى واوسط والذين استكروا الارض شهر ٣ .

[١٥١^٣] الاحد البشارة غربي رحت مع نعوم سابغ ركب مع نقال الحجار احمد وبعده فهمنا اسمه جرجي واسلم في الهوا ونصحته شوي واجا للاملا (بالحسنى) بناء ارسل قسيسه يجيبه وهو خوري جبرائيل شاغاوات ارمني . — الاثنين ارسلنا القسيس المذكور وراح جابه لعنده وطلع يدور المسلم بالازقة فنهاه لما سمع فيوم راح لقبطل الحرامي لقطوه وودوه للمحكمه وماذا يجد نذكره بعده ونديتا نسعى له بـ ٥٠٠ .

الجمعة في ١٨ اذار شرقي في ٣٠ غربي ١٨٤٩ في ٦ جمادى الاول ١٢٦٥

[١٥٢^١] وبديوا الموارنة بهد الطبقة وبيت النسوان ومزمعين يعمروها ويكبروها لكنيستهم والاوقاف خرجوا من يد المطران بولس اروتين وتسلموهم كوبا وانطون حصرم وبكنيسة السريان كنيستنا بديوا يعمروا المصطبة التي للرجال رواق وركبوا العامودين وعمال يرفعوا القناطر فوق العواميد برياسة بطرك بطرس جروه الكاثوليكي . — السبت ضربنا رزق الله انطاكي علقه بالفلق عصاية ٢٠ منظومات لكونه لعب بالبيض مع واحد مسلم والذين جابوه خاله بطرس خوري وقسيس بن رعد الجوري — والكتبة ليس نصاره فقط بل يهود واسلام عماله مزمعين يكتبوا كل اهل حلب .

[١٥٣^١] — السبت ١٨٤٩ ٢٨ نيسان غربي في ٥ ج ٢ ١٢٦٥

والثلاثاء اجا تركماني من ادنه بيوم ٤ .

[١٥٣^٢] — الاربعا اجا سر عسكر من الشام ومعه الف . نظام . — الجمعة اجا مطران يوسف حايك السرياني واجا نيشان افتخار لانطون ضوناته ان يلبس طربوش وعلى الطربوش النيشان مبارك وهذا لاجل انه بصناعة المنقوش والربط والنوال صنع ومن شغله راح للسلطان عبد المجيد من محدات وغير اشيا فبداه هذه الهدية وارتسم قسيسين موارنة بن حنا الحكيم نعوم وابن منش .

الاحد اولها في ٦ ايار ١٨٤٩

[١٥٣^٣] — الخميس اجا الدفتر دار وكتبه وبيكاوات ٢ والباشاوات ٢ سر عسكر وباشة حلب لقلاية الروم الكاثوليكية وبديوا يكتبوا كل بيت ببيته لحد اولاد الصغار الذين يحملوا على الكتف ويسألوا الكبار عن كارهم

وعمرهم وصناعتهم ويشكلوا التساكر ويصرفوهم وانا ووالدي غيرت حلاسي (تنكرت ب) ورحت الجمعة بعد الظهر انكتبنـا . وكتبت خبر انطانيوس استاذ شعر بيت ٨ بسعر ٣٢ غرش وابن الهندي اكل قتله قبل جمعه وحرد . يوم الخميس بعتت خلفي امه واحكت معي من شانه وصار يجي.

[١٥٤١] ٩ ١٨٤٩ ١٦ ايار في ٢١ ب ٣ ١٢٦٥

والخميس شكري يوسف بليط عشا الصناعية قبل عرسه . والكتبة عماله وصلوا لزقاق الاربعين وكنيسة الموارنة عمال يهدوها ومحملين الخشب حتى يقدروا يفكوا .

[١٥٤٢] — الاحد عرس شكري بليط الى كتر بنت عبدالله باسيل . — الاربعا باكر سافر مطران ديمتريوس انطاكي مطران حلب الى القدس لعند البطرك لان في مجمع ، عنده كل المطارين والمذكور اراد ان يأخذ قس تيطوس وابن زلعوم فما راحوا ربطهم وراح . — والاحـد اولها اهالي قراق الكبار خبوا من الكتبة اسلام ، فخشبوهم وسركلوهم لفكه . مقدار نفر ٣ ويوم الاثنين مثلهم عدة ٧٠ سركلوهم والكتبـة عماله نصاره ويهود واسلام ما خلصت .

[١٥٤٣] الخميس ١٨٤٩ ٢٤ ايار

[١٥٥١] — السبت سافرت مريم بنت الشوحه الى بيروت وبعده لازمير لعند زوجها نصري مراش والجمعة فكيت ساعة بيت يوسف وكيل .

في ٢٥ رجب ١٢٦٥ في ٢٦ ايار شرقي

[١٥٥٢] — الاربعا عرس يوسف بن نصري حمصي لمريم بنت الشوكتلي . وماتت مرأة بن سمعان الموصلي باكر . — السبت ١٨٤٩ ١٦ حزيران .

[١٥٥٣] الاحد عرس نعوم جنة ابن فتح الله جنة الى بنت بونه وعرس ابن البطق الى بنت يوسف حكيم . — الاربعا سافر فتح الله اليان وسافروا بيت فرقوعـه موصلي الى مصر وراحت بنت يوسف براهيم شاه معهم كلهم وقلعوا الخيام من حلب وراحت مرأة انطون فرقوعه واخذهم معه ميخائيل فرقوعه . الجمعة اجا فتح الله اسود من بيروت . الخميس ١٨٤٩ ٢١ حزيران ولدت مرأة يوسف وكيل جابت صبي .

[١٥٦¹] — الاربعا الساعة ٢ صار ضوكرا بالسما زايد وشافوا مثل قبة من جنب القمر مثل نار وفاقت ضو القمر الله يسترنا من شرها .

في ٦ شعبان ١٢٦٥ في ٢٧ حزيران غربي ١٨٤٩

— السبت البلاد الفرنجية مخربطة وصار لكمه لعمارة كنيسة الروم بالشرعوس من اهل البلد ومن اهل صايجهم ومن الباشا والمفدي والقاضي لان قصدهم يكبروها فوقفوا بدربهم والآن عمال يعمروا العتيق لوقت ما يجيهم فرمان لان كتبوا لاسلامبول وسمت اولاد كوبا قعدوا بالسكولا الله يرشد طريقهم .

[١٥٦²] — الخميس انعزل باشة حلب والسر عسكر وجايه زريف باشا لحلب وعمار الكنايس عمال .

[١٥٦³] — الثلاثا سافر نعمة الله جهامي لازمير وفتح الله باسيل وابنه سافروا معه . — الاربعا ١١ تموز ١٨٤٨ ولدت لوسيا بنت كوبا مرأة انطون دياب وجابت صبي . ولويس كوبا رجع هذة الجمعة منه لباله ميت السلامه (بعد ان كان ذهب الى السكولا ؟) .

[١٥٧¹] — الاحد اجا زريف باشا باشة حلب . الجمعة اول رمضان ١٢٦٥ في ٢٠ تموز ١٨٤٩ صدفنا واحد بدوي عند الكسا (موضع للصيد) وقال لاين رايحين وارتعشنا (فتصور حالة التوتر التي كانوا فيها ويخافون من ادنى حادث يحدث وهذا قبل فتنة ١٨٥٠ التي سيأتي ذكرها) .

[١٥٧²] — الخميس كنيسة الارمن بالمحتسب اخذوها الاسلام وضبطوها وقاموا القنديل والصورة وصيروها جامع .

[١٥٧³] — السبت بعد الظهر بالمدينة واحد عسكر موره قتل باشي بوزق ١ وصوب ٢ وانهزم ودخل لمغاره ولحقه الباشا ومعه عسكر ونزل الباشا للمغارة طالعه وحبسه .

[١٥٨²] — الاثنين ٢٠ آب ١٨٤٩

— الجمعة اجا خبر ان بطرك مظلوم والمطران ديمتريوس جايين نهار السبت وصار تنبيه ان لا احد ياخذ سلاح لا فرد وتفنكه ولا سيف وعصايه والذي يتقلد سلاح يتأدب من البطرك مظلوم والحكام والتنبيه بالكنيسة . — السبت

الساعة ٥ دخل البطرك مظلوم الى حلب وراء العاره بملاقاة كل نصارى الروم العيان وكان من القواسة ٢٥ من عند القناصر وترجمانه وينصان الفرنساوي وقواسه ٨ من عند الباشا ونسوان ورجال وخلق كثير وصار له دخله معتبره الله يطول عمره .

الخميس ٢٩ آب ١٨٤٩

[١٥٩¹] — الجمعة ارسل الباشا وقف عمارة الكنايس ارمن وموارنة ومزمع الباشا يتزل للصليبه ينظر العماره زريف باشا . — السبت البطرك مظلوم داير يرد السلام ركب ومعه مطران ٢ وقسوس ٨ رافعين العكاز وقواس ٢ بعكازين فضه بفنطزية معتبره مثل وزير والاسلام قلبين دمومهم منه ومقهورين .

[١٥٩²] — الاربعا بديوا الكنايس بالصليبه يعمروا ما عدا الشرعسوس . والبطرك داير يرد السلام على كل الذين سلموا عليه .

[١٥٩³] — الاربعا سافر زريف باشا بلبشة حلب الى ارفه الظهر — وتعوق بالبوسطة انطوناكي ضاهر وطلع تنبيه ان نص عشا (اي بعد المغرب بنصف ساعة) ياخذوا بيدهم ضو وبعد العشا اي من شافوه يمسكوه وحلب مشتشلة بدها تقوم على النصاره والسبب لاجل عمارة الكنايس ومن البطرك مظلوم لاجل انه يركب ويرفع العكاز بالازقة والشوارع .

[١٦٠¹] السبت ٢٢ ايلول ١٨٤٩

[١٦٠²] — الخميس راح البطرك بعزيمة القسوس بستان مفدي الكبير .

[١٦٠³] — الثلاثا كان البطرك مظلوم بالثاني عازمه شكرالله تاجر بنوبه وكان بالثاني عبدالله بك بابنسي .

[١٦١¹] — الاثنين اجانا منقل نحاس من عند توما عجوري رطل ٢٢ — الثلاثا ٩ ت ١ ١٨٤٩ ابتداء ٢٣ لافتتاحي المكتب . — الخميس بعت خلفي نعوم غزاله لكتابة رفراف الليوان ، رحت مساء وبديته من الفارض «اشاهد معنى الخ» . وقريت الاولاد بكره لا المسا والجمعة كذلك ورحت غلقت كتابة الليوان اعطاني ٢٥ غرش .

[١٦١²] — الاثنين مات حاخام كبير ووراه كل اليهود وشموع ؛

قدامه — ولدت مرت نعوم ظاهر وجابت بنت ميتة والدايه يهودية . — الاربعا ولدت مرت نعوم عبجي وجابت صبي ٨ ذي الحجة ١٢٦٥ في ٢٤ ت١ ١٨٤٩ .

[١٦١^٢] — الاحـد صار تعليم عطش ناري على جبل النهر وكان الباشا والاعيان وتجرك ٢ طوبجيه .

[١٦٢^١] — الجمعة اولها مات جرجي بطيخة معلم فاعل بنا الله يرحمه وكان ماسك عمارة كنيسة الموارنة .

[١٦٢^٢] العمارة عمال بكنيسة الروم الفسافسة والروم بشرعاسوس والموارنة — والبرتو مريض وعمال يداووه بورق تين الصبير على بطنـه لان صاير له استسقا . — والاحـد مساء عماد ابن نعوم عبجي بكنيسة الروم وعمد مكسيموس . — وهندي بدا يتعلم تلياني عند قلاوص بليط .

[١٦٢^٣] اجا خبر مع البوسطة ان المرسكوب بطـل يحارب العصملي والمرسل له مثل الالچي (السفير) قبلوه كثير وروه رضا كثير والحمد لله قضاها وكنا بهم زايد من هذا القبيل . — الجمعة اول محرم ١٢٦٦ سنة مباركة . وابن اليان السبت بعث خلفي لاجل طرّت (طغرا.) فرمان وكتبتها له والمذكور صار يومها الاحد وكيل تنصل العجام لان ابوه القنصل مسافر فوكل ابنه فيها وراح عند الباشا ووقف يسقيه ٢ وصار وكيل تنصل معروف عند كل الناس . — والاثنين رحت كتبت بيت الكبير بيت غزالـه :« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى الخ » .

[١٦٣^١] — الاثنين عبرة عروس بيت الوكيل بنوبـة اجق باش لبكره وكان تاجر وكرباج وسايغ وحسون وبرغود والعروس بنت سابا .

[١٦٣^٢] — السبت رحت اعترفت عند القسيس بالبيت لانه كان مريض .

[١٦٣^٣] الاثنين مات جرجي ميكائيل من كلز وحنـا الاخرس جابي الموارنة وبنت المـال مرأة جبرا قصاب . — والاحـد كان عرس نعوم تاتوز اخو شكري بالمدينة بنت دير اروتين والمذكور تلمذي . — الاثنين والثلاثا والاربعا اروح مساء اكتب بيت غزاله الليوان غرف «يا من تحل بذكره الخ»— الخميس عارني حمارته ميخائيل حمصي ورحنا عين التل — ولبست فروه لاني بردان .

الجمعة ٢٩ محرم ١٢٦٦ في ٧ ك١ غ ١٨٤٩ في ٢٥ شرقي

وانطون كوبا وقع بالطاروق عند باب الفرج وانفصد وعمال توجه خاصرته وكتفه والبرتو صولا كينه احسن الله يشفيه .

[١٦٤'] الجمعة كريت الحوش لنصري بن حنا صعب بالحجار ودفعت ٣٠ غرش لاجل سد الشباك وجبت قواض غزل لاجل الشباك وارسلتهم لبيت المذكورة . والا ٧ سهرت عند عبدالله باسيل بالضاما وبعده نظمنا العرباره عنده وانتهينا الساعة ٩ من الليل .

[١٦٤'] الاحد قروا منشور من الاربع روسه بالكنايس ان بطال القنباز والجرابات والقلجين بالزقاق واولاد لا يناموا برات اهلهم وبنات ايضاً والخطبة من ٥٠٠٠ الى ١٠٠٠ اعلى وادنى واوسط وشرب الاركيله للنسوان بطال .

[١٦٤'] الاحد قرأوا منشور ان القسوس بكراسيها تعرف كان من كان من غير ممانعة (وذلك لان العادة كانت جارية في ان يكون للخوري «زبونات» يعترفون عنده لا عند غيره . فالمنشور معناه انهم يستطيعون الاعتراف عند اي كاهن كان في كرسي الاعتراف) .

[١٦٥'] – البطرك مكسيموس مظلوم يكرز كل ليلة من رياضة الميلاد يوم ٩ – نبهوا بالكنايس عن ضرب المقلاع والحجار للاولاد وغيرهم من قبل الحكم . – الثلاثا رأس السنة ١٨٥٠ غربي . – الاربعا اجوا اولاد شكري شدياق لويس واسطفان من بغداد .

[١٦٥'] – الخميس اجا الزيت وترمرنا فيه كتير جره ٢ سعر ٧٠ ودفعتها لجرجي ابريهام .

[١٦٥'] – اولها رأس سنة ١٨٥٠ شرقي . ومساء رحنا لعرس يوسف قضيمة بن خالتي – والاثنين تمنا وكان نوبه وانبسطنا والثلاثا تموا اهلي وانا جيت وفتحت المكتب ورحت مساء وجبتهم ورجعت وحدي الساعة ٤ من الليل ومعي الكهنة الارمن (المكللين) . – السبت درت مع ميخائيل حمصي على جحش نعوم غزاله لورا الخناقية وتلاقينا مع نصري شوكتلي وجرجي شمراوي ومساء سهرت بيت يوسف وكيل وكان السهره عندهم كلها غزاله

وحمصي وضاهر واسود . — والاحد اجا حكيم من اسلامبول وجمع الحكما قرا فرمان ان بامر السلطان عبد المجيد ايده الله ان بده يمتحن الحكما الذي يعرف يعطيه ورقه وختم والذي لا يعرف يأخذ كتبه ويقلعه وياخذ ادويته وبا.ي يفحص وبعده نذكر ماذا يجري .

[١٦٦١] — الثلاثا سهرت بيت سالم وكانوا بيت الضاهر واسيون وخاطي ودياب — ومعقور (عصير) البرتقال رهن نعوم اسيون عهدة . — السبت داير الفحص على الحكما — وصار ثلج بعد العصر وافر واكلوا الناس سويق .

— الجمعة ١٢ / ١ / ١٢٦٦ في ٢٥ ك ٢ غ ١٨٥٠ في ١٣ ش

[١٦٦٢] — سهرنا واكلنا كلاس (Glace) بحليب وبستحلب لوز . والجمعة ارسلوا خلفي لاجل كتابه بكنيسة مار الياس الموارنة ومات الياس زمر وبينه وبين مرته يوم ٨٠ وخفس اخور بيت الدلال وكان فيه كديش رعد وكان تاجر شكري وما ماتوا .

١ شباط غ ١٨٥٠ في ٣٠ ك٢ ش ١٨٥٠ في ١٩ / ١ / ١٢٦٦

والاربعا الساعة ٥ه ولدت مار توما عجوري صبي .

[١٦٦٣] — الاحد كان ثلج هش وكنسوه وطار . . . وانهزمت الخطبة كاترينا بنت نعمة الله غزاله الى نعوم بطرس حمصي — الثلاثا انسد صوتي والاربعا شربت شربة معجون الورد وتم مسدود صوتي وليلة الخميس سهرنا بيت سالم وكانوا الجمعيه كلها وكان الياس ناتوز وانيس وسهرنا ساعة ٨ عصلية (اي الى الساعة ٢ بالليل) والخميس السكارى فتحت (المدرسة) ومساء سهرت عند عبدالله باسيل بالضاما للساعة ٩ عصلية واجاء بشارة بنته ولدت ساعة ٦ من الليل وجابت بنت في ٧ شباط غ ١٨٥٠ في ٢٦ ك ٢ ش في ٢٥ / ١ / ١٢٦٦ ساعية البنت — الجمعة رحنا والاولاد البرية — والثلاثا كان عمال ثلج وقعد عندي ميخائيل بن الترنجي والاربعا صبح السجار والدوالي والحشيش ملبس بوز جامد وتلبيس سميك وبالنهار صار دفا وحل البوز ونهاره واحده يهودية قتلت بالبارود بحارة اليهود وذكروا ان زوجها يبيع بارود وعنده خابية واسعة ٣٥ رطل فعلقت مرته نار ولحقته شراره فقع .

[١٦٧'] — الاثنين صحنا مقبول ان شاء الله في ١١ شباط ١٨٥٠ في ٢٩ ك ٢ ش وخف البرد. والاربعا اجا زود لحد قفل باب طاحون الجفيلات وبالناعورة قالب الجسر لحد مزار القهواتي والخميس بدي هندي بالمقامات وطلب قس مطر كرا الحوش سلف ١٠٠٠ اخره عدا السنة التي علينا الله ياولنا على لما . وليل الجمعة لعبنا بالفستق عند ابو حبيب (نعوم سالم) وولدت مرأة جرجي ضاهر وجابت صبي واجا خبر من اسلامبول ان من البرد الـذي صار قبلاً مركب وزلامه بوظوا ٢٠٠ واحد ايضاً ماتوا من البوظ الله ينجينـا — والزودة زادة لقفل باب الطاحون بدماك ٢.

— الاربعا اول شباط شرقي ١٨٥٠ واول ربيع ٢ ١٢٦٦ واول سعد البلع سنة مباركة .

[١٦٧²] — الاحد مـا رحت لمكان وكان مشورة بنت اسيون كرزه لاكوب سيوفي — الاربعا اجا فتح‌الله اليان من الشام قنصل العجام وايضاً انطون خاطي ونهارها مشورة مروم بنت المرحوم الياس كبابه الى الياس ازرق وطلعنا الاولاد للعبارة تفرجنا على دخلة اليان والمذكور جايه بتختروان. والاحـد للكرز والاثنين اجـا يكتب بن انطون ادم يوسف والاربعا وقع واحد بكنيسة الروم مار جرجس بالشرعة سوس وانكسرت اجره الله يشفيه وهذه الجمعة وقع شوية برد — (دفعت) من الفردة ٢٤ غرشاً .

[١٦٧³] — الاحد صار ثلج رشه خفيفه رحت للكرز — الاربعا بعـد المغرب ساعة ٢ ولدت مرأة فتح الله عجوري وجابت ولـد ذكر . — الاثنين اجا رفول هندية ومرته مريضة من كلز الله يشفيها . والا ٦ صار ثلج حالول . والا ٧ صار بكره رشه مبحبحة كثير وبعده حل وولدت مرأة عبدالله غزالـة وجابت صبي — الاحد اخذت اذن من البطرك حتى افطر على موزات ومية فجل وتين لاجل صوتي وصفة منترا الحكيم الله يرحمه — الكنيسة لمار جرجس عمال العمار بها ومزمعه تخاص .

(يتبع)

صرف العنان الى قرأة حفص بن سليمان

لعبد الغني النابلسي

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

ويحذف يات الزوائد عاصم عبادي لا خوف دع الياء مطلقا
واتاني الله افتح الياء ان تصل وفي الوقت سكنها او احذف مصدقا
وبالعكس في الاعراف يا المهتدي اتت
كذلك يهديني لدى القصص ارتقى

مطلقاً اي في الوصل والوقف والمراد بيات الزوايد اليات التي لم يرسم لها صورة في الرسم العثماني وهي يات اواخر الكلم وقد حذفها عاصم ومن وافقه وصلا ووقفا وجملة الواقع منها في القرآن اثنان وستون يا. نحو اذا يسري ومهطعين الى الداعي ولئن اخرتني الى يوم القيامة وشبه ذلك . ومن ذلك قوله تعالى عباد لا خوف في سورة الزخرف بحذف اليا في الوصل والوقف واما قوله تعالى فما اتاني الله في سورة النمل فباثبات اليا مفتوحة في الوصل وفي الوقف وجهان اثباتها ساكنة وحذفها . وقوله تعالى من يهدي الله فهو المهتدي في سورة الاعراف وان يهديني في سورة القصص فقد اجمعوا على اثبات اليا فيها وصلاً ووقفاً . والله الموفق .

سورة الفاتحة

ومالك قد اضحت لها الف كذا صراط فقل بالصاد حيث تحققا .

يعني ان قرأة عاصم ومن وافقه مالك يوم الدين بالالف والصراط بالصاد حيث وقع في القرآن فيكون ذلك باتفاق منه ومن راوييه حفص وشعبة على ما قدمنا . قال في التيسير قرا. عاصم والكسائي : مالك يوم الدين بالالف والباقون بغير الف وقرا. الصراط وصراط حيث وقع بالصاد غير خلف وخلاد

وقنبل فيدخل عاصم في هذا الغير . واما ميم الجمع من عليهم والها. فقد تقدم بيانها فلا نعيده والله الموفق .

سورة البقرة

وما يخدعون اقرا. بلا الف له

وفي يكذبون الذال خفف محققا

وفي قيل غيض اكسر وجي. مخلصا

وحيل وسيق اعطف وسي لتسبقا

وترجع فاضمم ثالثه الجيم فاتحا

متى جاء حرك وهو فهي متى التقى

يعني ان قوله تعالى وما يخدعون الا انفسهم قرأة عاصم ومن تابعه بفتح اليا. وسكون الخا. وفتح الدال من غير الف وكذلك قوله تعالى بما كانوا يكذبون بفتح اليا. واسكان الكاف وتخفيف الذال . واما الواقع في سورة التوبة اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلا خلاف بين القراء السبعة في تخفيفه . والواقع في سورة الانشقاق بل الذين كفروا يكذبون لاخلاف بينهم ايضاً في تشديده . وقوله تعالى : واذا قيل لهم لا تفسدوا « واذا قيل لهم امنوا وكذلك كل ما جاء من لفظ قيل وهو فعل ماضي . وغيض الماء وجيء بالنبين وجي. بجهنم وحيل بينهم وسيق الذين موضعان في سورة الزمر وسيء بهم في سورة هود والعنكبوت وسيئت وجوه الذين كفروا . كل ذلك بكسر الاول كسرا خالصاً من غير اشمام . وقوله تعالى : ثم اليه ترجعون وترجع الامور بضم التاء وفتح الجيم حيث وقع في جميع القرآن . وقوله تعالى: وهو بكل شي. عليم بتحريك الها. وكذلك كل ها. من لفظ هو او هي وقعت بعد واو او فا. او لام زايدة ، نحو :« وهو على كل شي. قدير . فهو ليهم اليوم وان الله لهو الغني وهي تجري بهم فهي كالحجارة لهي الحيوان وانما قيدت اللام بالزايدة لتخرج لام لهو ولعب ولهو الحديث . والله الموفق .

ازلهما شدد بلا الف به وادم ضم الميم لا رفث احققا

لتنوينه افتح لا فسوق كذا ولا جدال ولا بيعٌ فتنوينه انتقى
مع الرفع ايضا خلةٌ وشفاعةٌ خلالٌ وتأثيم ولغو فحققا

والاصل محقق بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة الفاً لاجل القافية. ومثله الحقا يعني ان قوله تعالى فازلها الشيطان عنها قرأة عاصم ومن وافقه بالتشديد من غير الف وكذلك قوله تعالى : فتلقى آدم من ربه كلمات برفع ادم ونصب كلمات بالكسر على قاعدة جمع المؤنث السالم لان علامة النصب فيه الكسرة. وكذلك قوله تعالى : فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج الثلاثة بالفتح في غير تنوين وكذلك قوله تعالى : لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع والتنوين ومثله في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال ولم اذكر لا بيع اكتفاء بما ذكرته قبل ذلك . وفي سورة الطور كاسا لا لغو فيها ولا تأثيم . وهذه السبعة كلها بالرفع والتنوين .

بيا يقبل الأولى وواعد ههنا فبالالف الاعراف طه قد ارتقى
وبارئكم حرك ويأمركم كذا ويأمرهم ذو التا ويضركم رقى
ويشعركم نغفر بفتح وكسرة والاعراف هزوا كفوا الهمز انفقا

يعني ان قوله تعالى : ولا يقبل منها شفاعة قرأة عاصم ومن وافقه بالياء. وقيدت بالاولى احترازًا من قوله تعالى بعده ولا يقبل منها عدل لان الفعل مسند هناك الى مذكر وهو عدل فلا يجوز فيه الا التذكير . وقوله تعالى : واذ واعدنا موسى اربعين ليلة قرأة عاصم ومن وافقه بالألف بعد الواو . وكذلك قوله تعالى : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة في سورة الاعراف وكذلك وواعدناكم جانب الطور في سورة طه . الثلاثة بالالف . وقوله تعالى : فتوبوا الى بارئكم. وقوله ذلكم خير لكم عند بارئكم في الموضعين بتحريك الهمزة تحريكاً كاملاً . وكذلك قوله تعالى : ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة بتحريك الراء تحريكاً مشبعاً. وكذلك قوله تعالى : قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين . وقوله تعالى: انما يأمركم بالسوء والفحشاء . وكذلك يأمرهم بالياء. وتامرهم بالتاء. وجميع ذلك تسع مواضع اربعة في سورة البقرة وموضعان في ال عمران وموضع

في سورة النساء. وموضع في سورة الاعراف وموضع في سورة الطور . وقوله تعالى : ينصركم في آل عمران وفي سورة الملك . وقوله تعالى ويشعركم في سورة الانعام وجميع ذلك بتحريك الراء . وقوله تعالى : نغفر لكم بفتح النون وكسر الفاء . وكذلك الواقع مثله في سورة الاعراف . وقوله تعالى هزوا متى وقع في جميع القرآن بضم الزاي وابدال الهمزة واوًا في الوصل والوقف وكذلك كفوا بضم الفاء وابدال الهمزة واوًا .

وفي خطوات القدس فاضمم سُبلنا
واكل وشغل فكر الاذن حققا
وثلثي وجرف ثم خشب ورسلكم
وعربا سكون الرعب والسحت اطلقا
ورحما فسحقا ثم نكرا وقربة . ونذرا وجزءًا قد اتاك محققا

يعني ان قوله تعالى : ولا تتبعوا خطوات قرأة حفص بضم الطاء حيث وقع وهو خمسة مواضع في القرآن وكذلك الاحد عشر المعطوفة عليه وانما سكنت لضرورة الوزن وهي قوله تعالى : القدس حيث وقع بضم الدال . وقوله تعالى : لنهدينهم سبلنا في سورة المائدة قرأة عاصم ومن تابعه بضم الباء حيث وقع ولا خلاف في ضم الباء في سبل ربك وسبل السلام . ونحو ذلك مما لم يضف الى نون العظمة . وقوله تعالى : اكلها حيث وقع بضم الكاف سواء اضيف الى ضمير المؤنث او لا نحو اكلها دايم اكلها كل حين نفضل بعضها على بعض في الاكل مختلفاً اكله . وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل في سورة يس قرأة عاصم ومن وافقه بضم الغين . وقوله تعالى في سورة القمر يوم يدعو الداعي الى شيء نكر قرأة عاصم ومن وافقه بضم الكاف . وقوله تعالى اذن كيفما اتى منكرًا او معرفاً او مفردًا او مثنى نحو : يقولون هو اذن قل اذن والاذن بالاذن وفي اذنيه وشبه ذلك قرأة عاصم ومن وافقه بضم الذال وقوله تعالى ادنى من ثلثي الليل في سورة المزمل قرأة عاصم ايضاً ومن وافقه بضم اللام . وقوله تعالى في سورة التوبة على شفا جرف قرأة حفص بضم الراء .

وقوله تعالى كأنهم خشب في سورة المنافقين قرأة عاصم ومن وافقه بضم الشين. وقوله تعالى رسلكم قرأة عاصم ومن وافقه بضم السين وكذلك جميع ما اضيف الى ضمير المخاطبين او الغايبين او نون العظمة نحو او لم تكن تأتيكم رسلكم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولا خلاف بينهم في ضم المضاف الى ضمير المفرد ولا ضمير معه نحو رسله والرسل . وقوله تعالى عرباً في سورة الواقعة قرأة عاصم ومن وافقه بضمّ الراء . وقوله تعالى في سورة آل عمران سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب قرأة عاصم ومن وافقه بسكون العين ومثله في سورة الانفال وقذف في قلوبهم الرعب في سورة الاحزاب والحشر ولملئت منهم رعباً في سورة الكهف . فهذه الخمسة مواضع : بسكون العين وقوله تعالى في سورة المائدة اكالون للسحت يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت قرأة عاصم باسكان الحا . وقوله تعالى واقرب رحما في سورة الكهف قرأة عاصم ومن وافقه باسكان الحا. . وقوله تعالى : فسحقاً لاصحاب السعير في سورة الملك قرأة عاصم ومن وافقه باسكان الحا . . وقوله تعالى : لقد جئت شيئاً نكرًا في سورة الكهف وكذلك بعده عذاباً نكرا . وقوله تعالى : وعذبناها عذاباً نكرا في سورة الطلاق قرأة حفص ومن وافقه بسكون الكاف . وقوله تعالى: الا انها قربة لهم في سورة التوبة قرأة عاصم ومن وافقه باسكان اليا.. وقوله تعالى او نذرًا في سورة المرسلات قرأة حفص ومن وافقه باسكان الذال . وقوله تعالى : على كل جبل منهن جزوءا في سورة البقرة . وجعلوا له من عباده جزوًا في سورة الزخرف ولكل باب منهم جزؤ مقسوم بالحجر قرأة حفص ومن تابعه باسكان الزاي في الجميع .

وبالهمز فاقرا الصابئين ومثله	بمايدة والحجّ جاكن محققا
وخاطب بما تعملون فتطمعو	ولا تعبدون افرد خطئة محدقا
وحسنا بضم والسكون تظاهروا	وفي سورة التحريم تخفيفه انتقى
اساري تفادوهم فبالضم فيهما	وبالمد بالتا تعملون تحققا
ينزل بالتشديد مع مثله ورا	بجبريل فاكسر مثل جيم متى ارتقا

وميكال لا همز ولا الياء بعده　　وتشديد لكن الشياطين اطلقا
وامثله ننسخ بفتحة نونه　　وبالضم لا بالهمز قل ننسها رقى

يعني ان قوله تعالى والصابئين هنا وفي سورة الحج قرأة عاصم ومن وافقه بزيادة همزة مكسورة والصابئون في سورة المائدة بزيادة همزة مضمومة بعد كسرة البا.. وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون افتطمعون قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء المثناة فوق للخطاب . وقوله تعالى ولا تعبدون الا الله قرأة عاصم ومن وافقه بالخطاب . وقوله تعالى واحاطت به خطيئته قرأة عاصم ومن وافقه بالافراد . وقوله تعالى : وقولوا للناس حسناً قرأة عاصم ومن وافقه بضم الحاء وسكون السين . وقوله تعالى تظاهرون عليهم قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف الظاء وكذلك ان تظاهرا عليه في سورة التحريم . وقوله تعالى وان يأتوكم اسارى تفادوهم قرأة عاصم ومن وافقه اسارى بضم الهمزة على وزن فعالى وكذلك تفادوهم بضم التاء وفتح الفاء وبالمد يعني باثبات الالف فيها وقوله تعالى عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا قرأة حفص ومن تابعه بالخطاب وقوله تعالى ينزل قرأة عاصم ومن وافقه بفتح النون وتشديد الزاي وكذلك تنزل وننزل منزلها وجميع ما جاء كذلك . وقوله تعالى وجبريل قرأة حفص ومن وافقه بكسر الجيم وكسر الراء واثبات الياء من غير همز حيث وقع وكذلك قوله تعالى ميكال قرأة حفص ومن وافقه بلا همزة ولا ياء على وزن مثقال . وقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا قرأة عاصم ومن وافقه بتشديد النون وفي الشياطين بالنصب وكذلك امثاله نحو ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى ولكن الناس وقوله تعالى ما ننسخ من آية قرأة عاصم ومن وافقه بفتح النون الاولى وفتح السين وقوله تعالى او ننسها قرأة عاصم ومن وافقه بضم النون الاولى وكسر السين من غير همزة والله الموفق .

عليم وقالوا جاء بالواو كن فقبل　　يكون برفع النون فيه متى التقى
ولا تسأل ارفع واضمم التاء حافظا　　وبالياء ابراهيم ان جاء فانطقا
امتعه افتح ميمه التاء شددت　　وفي اتخذوا للخاء فاكسر محققا

ورا ارنا فاكسر كذا ارني افتحن لوابرى ووصى شددالصاد محدقا
بتا ام تقولوا تعملون ومن وما دنت ولئن بالياء فاحفظ مصدقا
رؤف فعول زنه بالهمز كاسرا للام موليها ولليا ملحقا

يعني ان عاصما ومن وافقه يقرا. قوله تعالى عليم وقالوا اتخذ الله باثبات الواو واحترزت بقيد عليم من قوله تعالى: وقالوا لن يدخل الجنة فان الواو ثابتة اجماعاً . وقوله تعالى : كن فيكون . وقال الذين قرأة عاصم ومن وافقه برفع النون ومثله في سورة آل عمران كن فيكون نعلمه الكتاب . وفي سورة مريم كن فيكون وان الله ربي . وفي سورة غافر كن فيكون الم ترَ الى الذين يجادلون . وفي سورة النحل كن فيكون والذين هاجروا . وفي سورة يس كن فيكون فسبحان وكذلك حيث وقع هذا اللفظ برفع النون وجميع ما في القرآن من كن فيكون ثمان مواضع ستة تختلف فيها وهي هذه المذكورة واثنتان[١] لم يقع فيهما خلاف . الثانية من آل عمران بعد تلك الاولى كن فيكون الحق من ربك وفي الانعام والروم يقول كن فيكون وقوله تعالى : ولا تسأل عن اصحاب الجحيم قرأة عاصم ومن وافقه برفع اللام وضم التاء على ان لا نافية لا ناهية . وقوله تعالى وابراهيم قرأة عاصم ومن وافقه بهاء مكسورة بعدها ياء من غير الف مكان الياء وكذلك حيث وقع في جميع القرآن . وقوله تعالى فامتعه قليلًا قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الميم وتشديد التاء . وقوله تعالى : واتخذوا من مقام قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الخاء ، وقوله تعالى: وارنا منا سكنا . وارنا الله جهرة وارني انظر اليك وارنا الذين اضلانا قرأة حفص ومن وافقه بكسر الراء كسرًا تامًا من غير اختلاس في الجميع . وقوله تعالى ووصى بها ابراهيم قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الواوين من غير الف بينهما مع تشديد الصاد وقوله تعالى ام تقولون ان ابراهيم قرأة حفص ومن وافقه بالتاء على الخطاب . وكذلك قوله تعالى : عما تعملون ومن حيث خرجت قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء ايضاً على الخطاب . واما قوله تعالى:عما تعملون ولئن اتيت فقرأة عاصم ومن وافقه بالياء على الغيبة واليه اشرت بقولي وما دنت ولئن اعني عما

١) في الاصل وثنتان

تعملون التي قربت ولئن لا التي قربت ومن حيث كما ذكرنا وقوله تعالى رؤف قرأة حفص ومن وافقه بالمد على وزن فعول مهموزًا حيث وقع نحو ان الله بالناس لرؤف بالمؤمنين رؤف وشبهه وقوله تعالى ولكل وجهة هو موليها قرأة عاصم ومن وافقه بكسر اللام وبعدها يا. ساكنة. والله الموفق.

تطوع بالتا. خفف الطاء واجمع الرياح وفي الاعراف والكهف حققا
وتمل وفرقان وفي الروم ثانيا وجاثية والحجر مع فاطر رقى
بيا لو يري وافتح يرون وساكن ومن لتنود مثله اكسر متى التقى

يعني ان قوله تعالى تطوع خيرًا فان الله شاكر عليم تطوع خيرًا فهو خير له قرأة عاصم ومن وافقه بالتا. المثناة فوق وتخفيف الطاء وفتح العين. وقوله تعالى وتصريف الرياح قرأة عاصم ومن وافقه بالجمع للرياح. وكذلك قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح في سورة الاعراف وتذروه الرياح في سورة الكهف ومن يرسل الرياح في سورة النمل وارسل الرياح نشرًا في سورة الفرقان والله الذي يرسل الرياح في الموضع الثاني من سورة الروم وتصريف الرياح في سورة الجاثية وارسلنا الرياح لواقح في سورة الحجر والله الذي ارسل الرياح في سورة فاطر واتفقوا على ان الاول من سورة الروم بالجمع وكذلك اتفقوا الا نافعًا على جمع ما في سورة الشورى وابراهيم واتفقوا كلهم على توحيد ما بقي في القرآن من لفظه وهو ستة قاصفًا من الريح في سورة سبحان ولسليمان الريح في سورة الانبيا. او تهوى به الريح في سورة الحجر ولسليمان الريح في سورة سبا فسخرنا له الريح في سورة صاد والريح العقيم في سورة الذاريات ولا خلاف في توحيد ما ليس فيه الف ولام نحو ولئن ارسلنا ريحًا وشبهه. وقوله تعالى : ولو يري الذين ظلموا قرأة عاصم ومن وافقه باليا. على الغيبة وقوله تعالى اذ يرون قرأة عاصم ومن وافقه بفتح اليا. وقولي وساكن ومن لتنود الى آخره اعني اذا كان اخر الكلمة ساكنًا والتقى مع ساكن من كلمة اخرى وهو فا. فعل وكان الحرف الثالث من الكلمة الثانية مضمومًا ضمًا لازمًا فان الساكن الاول يحرك بالكسر على الاصل لاجتماع الساكنين وذلك عند عاصم ومن وافقه والساكن الاول في القرآن من احرف لتنود وهي اللام والتا. والنون

والتنوين والواو والدال . فمثال اللام قل ادعوا فاللام من قل ساكنة التقت بالدال من ادعوا وهي ساكنة ايضاً فوجب تحريك اللام لاجتماع الساكنين وتحريكها بالكسر على الاصل وكذلك قوله تعالى قل انظر ومثال التاء قالت اخرج عليهن ومثال النون فمن اضطر ان اعبدوا ان اقتلوا انفسكم ولكن انظر ومثال التنوين محظورا انظر برحمة ادخلوا الجنة ومثال الواو وانقص منه قليلا او اخرجوا من دياركم او ادعوا الرحمن ومثال الدال ولقد استهزىء . ونحو ذلك كذا في شرح الشاطبية لابن القاصح :

وفي الموضعين البر فانصب مشددا ... للكن مع تخفيف موص لتسبقا
كذا فدية تنوينه قلـه رافعا ... طعامٌ وفي الافراد مسكين ارتقى
بيوت وما في وزنه اضمم لتكملوا ... بتخفيفه والسلم بالكسر منتقى
وبالالف امرأ في الثلاث تقاتلو ... وحتى يقول انصب قل العفو الحقا
واثم كبير قل بباء مخففا ... ليطهرن وافتح يا يخافا محققا

يعني ان قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قرأة حفص ومن وافقه بالنصب . واما الثاني وليس البر بان تتوا البيوت فلا خلاف في انه بالرفع. وقوله تعالى: ولكن البر بنصب الراء في الموضعين وتشديد نون لكن . وقوله تعالى من موص قرأة عاصم ومن وافقه بسكون الواو وتخفيف الصاد . وقوله تعالى فدية طعام مسكين قرأة عاصم ومن وافقه بتنوين فدية ورفع طعام وافراد مسكين . وقوله تعالى : تتوا البيوت واتوا البيوت قرأة حفص ومن وافقه بضم الباء حيث وقع نحو في بيوت وبيوتكم وما على هذا الوزن نحو الغيوب والعيون وعيونا وعيون وشيوخا وجيوبهن . وقوله تعالى : ولتكملوا العدة قرأة عاصم ومن وافقه بالتخفيف . وقوله تعالى في السلم قرأة عاصم ومن وافقه بكسر السين . وقوله تعالى ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فان قاتلوكم قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف في الثلاثة . وقوله تعالى : حتى يقول قرأة عاصم ومن وافقه بنصب اللام . وقوله تعالى : قل العفو قرأة عاصم ومن وافقه بالنصب . وقوله تعالى : واثم كبير قرأة عاصم ومن وافقه بالباء الموحدة . وقوله تعالى حتى

يطهرن قرآة عاصم ومن وافقه باسكان الطاء وضم الهاء مخففا . وقوله تعالى : الا ان يخافا قرآة عاصم ومن وافقه بفتح اليا . والله الموفق .

ورا لا تضار افتح وانت مشدد | وهمزة ما اتيتم امدد واطلقا
بروم تسوهن فافتح متى اتى | بلا الف والفتح في قدر انتقى
ليبسط سين بسطة قل وصية | يضاعفه بالنصب مع الف رقى
وتخفيف عين الكل ثم عسيتم | بفتحة سين في القتال تحققا
ومنى بتسكين وبالضم غرفة | وتسكين لولا دفع والالف احققا
انا احي فاقصر حيث جاء وشبهه | ولم يتسنه جاء بالهاء مطلقا
وننشزها بالزاي أعلم فاقطعن | مع الرفع صرهن أضمم الصاد محدقا
بربوة افتح ثم في المؤمنين تا | يتمموا بالتخفيف والباب حققا

يعني ان قوله تعالى : لا تضار والدة بولدها اتفق القرّاء السبعة على ادغام الراء الاولى في الثانية ولكن قرأة عاصم ومن وافقه فتح الراء لا ضمها . وقوله تعالى : واذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف التي بعد الهمزة وبالمد وكذلك في سورة الروم في قوله تعالى : وما اتيتم من ربا . وقوله تعالى : تسوهن قرأة عاصم ومن وافقه بفتح التاء وحذف الالف متى وقع ذلك في ثلاثة مواضع في هذه السورة موضعان . وفي سورة الاحزاب موضع . وقوله تعالى : على الموسع قدره وعلى المقتر قدره قرأة حفص ومن وافقه بفتح الدال فيهما . وقوله تعالى : ويبسط قرأة حفص ومن وافقه بالسين وكذلك قوله تعالى : وفي الخلق بسطة في سورة الاعراف بالسين ايضا . واما قوله تعالى : وزاده بسطة في العلم في سورة البقرة هنا فان السبعة قراؤها بالسين من طريق الشاطبية لانها رسمت في جميع المصاحف بالسين . وقوله تعالى : ويذرون ازواجا وصية قرأة حفص ومن وافقه بالنصب في وصية . وقوله تعالى: فيضاعفه له اضعافا قرأة عاصم ومن وافقه بنصب الفاء وبالالف بعد الضاد . وكذلك قوله تعالى فيضاعفه له وله اجر في سورة الحديد . وكذلك كل مضارع كيضاعف

بني للفاعل او المفعول عري عن الضمير او اتصل به باي اعراب كان ونحو والله يضاعف لمن يشا. يضاعف لهم العذاب ما كانوا . وان تك حسنة يضاعفها ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم فان ذلك كله باثبات الالف وتخفيف العين . وقوله تعالى هل عسيتم ان كتب قرأة عاصم ومن وافقه بفتح السين وكذلك فهل عسيتم ان توليتم في سورة القتال. وقوله تعالى : مني الا من اغترف غرفة بتسكين يا. مني وضم غين غرفة في قرأة عاصم ومن وافقه . وقوله تعالى : لولا دفع الله الناس بعضهم ببعضهم لفسدت قرأة عاصم ومن وافقه بسكون الفا. وفتح الدال من غير الف . وكذلك قوله تعالى : ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت في سورة الحج . وقوله تعالى : انا اجي واميت قراة عاصم ومن وافقه بالقصر . وكذلك كل نون من انا في الوصل اذا وقع بعده همزة مضمومة او همزة مكسورة نحو انا انبئكم وانا اول المؤمنين ان انا الا نذير مبين . فان كل ذلك بالقصر . وقوله تعالى : لم يتسنه وانظر قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الها. في الوصل . واتفق السبعة على اثباتها في الوقف فتكون مثبتة وصلا ووقفا . وهذا معنى قولي مطلقا . وقوله : كيف ننشزها قراة عاصم ومن وافقه بالزاي المعجمة . وقوله تعالى : فلما تبين له قال اعلم قراة عاصم ومن وافقه بقطع همزة اعلم وبرفع الميم . وقوله تعالى : نصرهن اليك قراة عاصم ومن وافقه بضم الصاد . وقوله تعالى كمثل جنة بربوة قراة عاصم ومن وافقه بفتح الراء . وكذلك قوله تعالى: واويناهما الى ربوة في سورة المؤمنين . وقوله تعالى : ولا تيمموا الخبيث قراة عاصم ومن وافقه بتخفيف التاء . وقولي : والباب حققا الالف للاطلاق . والمراد ان هذا الباب جميعه بالتخفيف وهو باب التاء في رواية البزي . وذلك انه يشدد التاء التي في اوايل الافعال المستقبلة في حال الوصل في احدى وثلاثين موضعا مذكورة مفصلة في كتب القرآات . والله الموفق .

نعما بكسر النون والغين في النسا يكفر بالياء وارفع الرآ مصدقا
وميسرة فافتح ويحسب حيث جا تصدقوا خفف فاذنوا المد ما ارتقى
وفي ان تضل افتح لهمز مشددا تذكر فتح الذال والراء ملحقا

تجارة انصب مثل حاضرة وقل   رهان بكسر الراء مع الفرق
فيغفروا رفع مع يعذب كتبه   بجمع متى في الذكر جاء محققا

التاء من كتبه ساكنة لضرورة الوزن يعني ان قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي قرأة عاصم ومن وافقه بكسر النون وقراة حفص ومن وافقه بكسر العين ايضا من غير اختلاس كسرا محضا . وكذلك قوله تعالى : وان الله نعما يعظكم في سورة النساء . وقوله تعالى : ويكفر عنكم قرأة حفص ومن وافقه بالياء وقرأة عاصم ومن وافقه برفع الراء . وقوله تعالى: فنظرة الى ميسرة قرأة عاصم ومن وافقه بفتح السين. وقوله تعالى يحسب قرأة عاصم ومن وافقه بفتح السين . وكذلك جميع ما وقع في القران من هذا اللفظ مستقبلا سواء كان بالياء او بالتاء متصلا به ضمير او غير متصل نحو يحسبهم الجاهل ولا تحسبن الذين قتلوا وهم يحسبون انهم يحسبه الظمآء. ان ام تحسب ان اكثرهم ايحسب الانسان يحسب ان ماله وشبه ذلك . وقوله تعالى : وان تصدقوا خير لكم قرأة عاصم بتخفيف الصاد. وقوله تعالى فاذنوا بحرب من الله قرأة حفص ومن وافقه بترك المد وسكون الهمزة وفتح الذال . وقوله تعالى : ان تضل قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الهمزة . وقوله تعالى فتذكر قرأة عاصم ومن وافقه بتشديد الكاف وفتح الذال ونصب الراء . وقوله تعالى : تجارة حاضرة قرأة عاصم بنصب التاء فيها . وقوله تعالى : فرهان مقبوضة قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الراء وفتح الهاء واثبات الالف بعد الهاء . وقوله تعالى : فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قرأة عاصم ومن وافقه برفع الراء في الاول ورفع الباء في الثاني . وقوله تعالى : وكتبه ورسله قرأة عاصم ومن وافقه بالجمع في كتبه حيث وقع نحو وصدقت بكلمات ربها وكتبه في سورة التحريم وشبه ذلك . والله الموفق .

سورة آل عمران

بيا تغلبون اقراء كذا تحشرون قل
يرون بيا رضوان اكسر متى التقى

كذا همزان الذين يا يقتلوا افتحن بلا الف والتاء فاضمم لتسبقا
بما وضعت فافتح كذا التاء ساكن وفي الميت التشديد حيث تحققا
وكفلها شدده واقصر مشددا لياء زكريا حيث جا همزه أمحقا
وسكن فنادته وان أفتحن ويا يبشرك أضمم شدد الشين مطلقا
يعلمه بالياء أني بفتحة على الهمز والتسكين للياء أطلقا
بلا الف طير أو سكن ليائه كأيدة والياء يوفيهم ارتقى

يعني ان قوله تعالى : قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء. فيهما على الخطاب . وقوله تعالى: يرونهم مثليهم قرأة عاصم ومن وافقه بالياء على الغيبة . وقوله تعالى: ورضوان قرأة حفص ومن وافقه بكسر الراء حيث وقع سواء كان مضافاً او غير مضاف . وقوله تعالى : ان الدين عند الله الاسلام قرأة عاصم ومن وافقه بكسر همزة ان . وقوله تعالى : ويقتلون الذين قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الياء وضم التاء من غير الف . وقوله تعالى: بما وضعت قرأة عاصم ومن وافقه بفتح العين واسكان التاء. وقوله تعالى: الحي من الميت والميت من الحي قرأة حفص ومن وافقه بتشديد الياء . وكذلك قوله تعالى: الى بلد ميت وشبه ذلك حيث وقع . وقوله تعالى: وكفلها قرأة عاصم ومن وافقه بتشديد الفاء. وقوله تعالى زكريا قرأة حفص ومن وافقه بالقصر وتشديد الياء بلا همز. وكذلك حيث وقع في ساير القران. وقوله تعالى: فنادته الملائكة قرأة عاصم ومن وافقه بسكون التاء من غير الف . وقوله تعالى: ان الله يبشرك قرأة عاصم ومن وافقه بفتح همزة ان وضم ياء يبشرك وفتح الباء وكسر الشين مشددة وكذلك وبشر ويبشرهم ونبشرك وشبه ذلك مما وقع في ساير القران واليه اشرت بقولي مطلقا اي سواء اتصل بالكاف او بالهاء او لم يتصل بشيء . وقوله تعالى: ويعلمه الكتاب قرأة عاصم ومن وافقه بالياء المثناة تحت . وقوله تعالى : اني اخلق لكم قرأة عاصم ومن وافقه بفتح همزة وسكون الياء . وقوله تعالى : فيكون طيرا باذن الله قرأة عاصم ومن وافقه بياء ساكنة بين الطاء والراء من غير الف ولا همزة وكذلك قوله

تعالى : ويكون طيرًا باذني في سورة المائدة . وقوله تعالى : فيوفيهم اجورهم قرأة حفص ومن وافقه بالياء على الغيبة . والله الموفق .

وها انتم امدده بهمز متى اتى او اقصر وكسر الهاء يوده حققا
ونوته ايضا نصله ونوله وصله بياء اللفظ ايان ما التقى
ويتقه سكن قافه الهاء قاصرا فالقه بسكون الهاء فيه قد انتقى
وياته كسر الهاء وفي اللفظ صل بيا ويرضه ضم الهاء واقصر لتسبقا
كذا يره وامدده ارجه مسكن بلا همزة والجيم بالكسر منتقى

يعني ان قوله تعالى : ها انتم قرأة عاصم ومن وافقه بالالف بعد الهاء وهمزة محققة بعد الالف مع المدّ والقصر . وكذلك حيث وقع في جميع القرآن. وقوله تعالى : يؤده اليك ولا يؤده اليك قرأة حفص ومن وافقه بتحريك الهاء بالكسر . وكذلك قوله تعالى : نؤته منها في الموضعين وفي النساء نوله ونصله وفي الشورى نؤته بكسر الهاء وصلتها بياء في اللفظ حيث وقع . وقوله تعالى: ويخشى الله ويتقه في سورة النور قرأة حفص بسكون القاف وقصر حركة الهاء يعني باختلاسها . وقوله تعالى : فالقه اليهم في سورة النمل قرأة عاصم ومن وافقه باسكان الهاء . وقوله تعالى : من يأته مؤمنا في سورة طٰه قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الهاء وصلتها بياء في اللفظ . وقوله تعالى : وان تشكروا يرضه لكم قرأة عاصم ومن وافقه بضم الهاء . وبالقصر يعني باختلاس ضمة الهاء . وكذلك قوله تعالى خيرا يره وشرًا يره في سورة الزلزال قرأة عاصم ومن وافقه بضم الهاء وصلتها بواو في اللفظ وهذا معنى قولي وامدده . وقوله تعالى : ارجه في سورة الاعراف والشعراء قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الجيم واسكان الهاء من غير همزة .

ولا يأمرا نصب رائها وتعلموا بتشديد لام ضم تاء تحققا
لما فافتحن واضم لتاء أتيتكم بلا الف في حج الكسر قد رقى
ويبغون بالياء ويرجعون ويفعلوا فلن يكفروه لا يضركم ارتقى

بضمة ضاد رفع راء وشددت | وفي منزلين الزاي خفف محققا
وبالكسر والتّشديد واو مسومين | قرح يفتح مثله القرح حققا
مضاعفة خفف وزد الفا بها | وقاتل فافتح ثم بالالف انطقا
بما تعملون اقرا بتاء وسارعوا | بواو وشدد كله الفتح ملحقا
ومتم بضم الموضعين وكسر ما | بقي وبياء يجمعون قد انتقى
ويا ان يغل افتح وبالضم غينه | كذا قتلوا فاخففها متحققا

يعني ان قوله تعالى ولا يأمركم قرأة عاصم ومن وافقه بنصب الراء . وقوله تعالى : تعلمون الكتاب قرأة عاصم ومن وافقه بضم التاء وتحريك العين بفتحها مع كسر اللام وتشديدها : وقوله تعالى : لما اتيتكم قرأة عاصم ومن وافقه بفتح لام لما وبتاء مضمومة في اتيتكم بين الياء والكاف بلا الف . وقوله تعالى : ولله على الناس حج البيت قرأة حفص ومن وافقه بكسر الحاء . وقوله تعالى : افغير دين الله يبغون قرأة حفص ومن وافقه بالياء على الغيبة . وكذلك قوله تعالى: واليه يرجعون قرأة حفص بالياء على الغيبة. وقوله تعالى : وما يفعلوا من خير فلن يكفروه قرأة حفص ومن وافقه بالياء فيهما على الغيبة. وقوله تعالى: لا يضركم كيدهم شيأ قرأة عاصم ومن وافقه بضم الضاد وضم الراء مشددة . وقوله تعالى : ثلاثة الاف من الملائكة منزلين قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف الزاي مفتوحة وسكون النون . وكذلك قوله تعالى : وانا منزلون على اهل هذه القرية في سورة العنكبوت بسكون النون وفتح الزاي مخففة . وقوله تعالى : من الملائكة مسومين قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الواو مشددة . وقوله تعالى : ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأة حفص ومن وافقه بفتح القاف . وكذلك قوله تعالى ومن بعد ما اصابهم القرح بفتح القاف ايضاً في الثلاثة وليس في القران غيرها . وقوله تعالى: اضعافاً مضاعفة قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف وتخفيف العين . وقوله تعالى : قاتل معه ربيون قرأة عاصم ومن وافقه بالالف قبل التاء وفتح القاف وفتح التاء . وقوله تعالى: بما تعملون بصير قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء على الخطاب . وقوله تعالى : وسارعوا الى

مغفرة قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الواو . وقوله تعالى : قل ان الامر كله لله قرأة عاصم ومن وافقه بتشديد لام كله مفتوحة . وقولـه تعالى : متم في الموضعين قرأة حفص بضم الميم في هذين الموضعين فقط وبكسرها في ما سوى ذلك نحو قوله تعالى : ائذا متنا وكنا ترابا . ويقول الانسان : اذا ما مت افاين مت فهم الخالدون وشبهه . وقوله تعالى : ورحمة ربك خير مما يجمعون قرأة حفص بالياء على الغيبة . وقوله تعالى ان يغل قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الياء وضم الغين وقوله تعالى: وما قتلوا قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف التاء . وكذلك قوله تعالى : والذين قتلوا : وقوله : ثم قتلوا في سورة الحج بتخفيف التاء ايضاً . والله الموفق .

بتا تحسبن افتح ليا يحزن اضممن ... لزاي متى جا فتح ان تحققا
بيا يحسبن اقراهما يا يميز قبل ... بفتح وكسر الميم الانفال الحقا
وفي تعلمون التآ سنكتب ضمّها ... وللنون فافتح نصب قتلهم ارتقى
نقول بنون تكتمون تبيننه ... تحسبن اقرا بتاء مصدقا
وفي الزبر اقرا منه للبآء مسقطا ... عن الهمز ايضاً والكتاب تعلقا
هنا قتلوا اخره عن قاتلوا وفي ... براة المضموم اخره حدقا

يعني ان قوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء على الخطاب وبفتح السين . وقوله تعالى : يحزن حيث جاء قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الياء وضم الزاي نحو قوله تعالى: ولا يحزنك الذين ليحزنني لا يحزنهم وشبه ذلك . وقوله تعالى: وان الله لا يضيع قرأة عاصم ومن وافقه بفتح همزة ان . وقوله تعالى : ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون قرأة عاصم ومن وافقه بالياء فيها على الغيبة . وقوله تعالى : حتى يميز الخبيث من الطيب قرأة عاصم ومن وافقه بفتح اليـاء الاولى وكسر الميم وسكون الياء الثانية . وكذلك قوله تعالى: وليميز الله في سورة الانفال . وقوله تعالى: بما تعملون خبير قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء على الخطاب . وقوله تعالى : سنكتب ما قالوا وقتلهم ونقول ذوقوا قرأة عاصم ومن وافقه بضم تاء سنكتب

وفتح النون ونصب لام قتلهم وبالنون في نقول . وقوله تعالى: لتبيننه للناس ولا تكتمونه قرأة حفص ومن وافقه بالتا. على الخطاب فيهما وقوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون قرأة عاصم ومن وافقه بالتا. على الخطاب ايضاً . وقوله تعالى : والزبر والكتاب قرأة عاصم ومن وافقه بحذف البا. من قبل همزة لام التعريف فيهما . وقوله تعالى : او أوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا قرأة عاصم ومن وافقه بتقديم الممدود على المقصور . واما قوله تعالى : فيقتلون ويقتلون في سورة براة فقرأة عاصم ومن وافقه ايضاً بتقديم المفتوح اليا. على المضموم اليا. يعني المبنى للفاعل على المبنى للمفعول . والله الموفق .

سورة النساء

وبالنصب والأرحام خفف تسألوا
بمائدة فامدد قياما هنا التقى
ومع نصب يايصلون واحدة كذا
ويوصي بفتح كسر اولى قد انتقى
وفي امها في ام فلامه اضممن
ويدخله باليا معا كن محققا
وهذان هاتين اللذان اللذين مع
فذانك خفف نونها متأنقا
وكرها بفتح الكاف عند براءة
مبينة بالكسر للياء حققا
كجمع متى وافى احل بضمة
وفي المحصنات الصاد فافتح متى ارتقى
واحصن فاضمم همزة انصب تجارة
كذا مدخلا بالضم والحج الحقا

يعني ان قوله تعالى والأرحام قرأة عاصم ومن وافقه بنصب الميم . وقوله تعالى : الذين تسألون به قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف السين . وقوله تعالى : الذي جعل الله لكم قياماً قرأة عاصم ومن وافقه بالمد اي باثبات الالف قبل الميم . وكذلك قوله تعالى : قياماً للناس في سورة المائدة بالالف . وقوله تعالى: سيصلون سعيرا قرأة حفص ومن وافقه بنصب اليا. . وقوله تعالى : ان كانت واحدة قرأة عاصم ومن وافقه بنصب واحدة . وقوله تعالى : يوصي بها او دين اباؤكم ويوصى بها او دين غير مضاد قرأة حفص بكسر صاد الاولى وفتح صاد الثانية مع الالف بعد الصاد في الثانية واليا. بعد الصاد في الاولى. وقوله تعالى : فلأمه الثلث فلأمه السدس قرأة عاصم ومن وافقه بضم الهمزة في الموضعين وكذلك قوله تعالى: وفي امها رسولا في سورة القصص. وفي ام الكتاب في سورة الزخرف الجميع بضم الهمزة وصلا ووقفا . وقوله تعالى : يدخله جنات ويدخله نارا قرأة عاصم ومن وافقه باليا. . وقوله تعالى : واللذان يأتيانها منكم قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف النون من غير تمكين للالف . وكذلك قوله تعالى : ان هذان لساحران في سورة طه. وهذان خصمان في سورة الحج واحدى ابنتي هاتين في سورة القصص واللذين اضلانا في سورة فصلت فذانك برهانان من ربك في سورة القصص الجميع بتخفيف النون . وقوله تعالى : ان ترثوا النسا. كرها قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الكاف . وكذلك قوله تعالى : قل انفقوا طوعاً او كرهاً في سورة براة . وقوله تعالى : الا ان يأتين بفاحشة مبينة قرأة حفص ومن وافقه بكسر اليا. متى وقع . وكذلك كل ما جا. بصيغة الجمع كقوله تعالى : ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات يتلوا عليكم ايات الله مبينات ونحو ذلك . وقوله تعالى . واحل لكم ما ورا. ذلكم قرأة حفص ومن وافقه بضم الهمزة وكسر الحا. . وقوله تعالى والمحصنات ومحصنات قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الصاد متى وقع . وقوله تعالى : فاذا احصن قرأة حفص ومن وافقه بضم الهمزة وكسر الصاد . وقوله تعالى : تجارة قرأة عاصم ومن وافقه بالنصب . وقوله تعالى مدخلا قرأة عاصم ومن وافقه بضم الميم . وكذلك قوله تعالى : وليدخلنهم مدخلًا في سورة الحج بضم الميم ايضاً . والله الموفق.

وهمزاسئلوا واسئل كذا سأل افتحن وفي عقدت منه فللألف احققا
وبالبخل ضمّ الباء والخاء ساكن كذا في حديد حسنة نصبه التقى
تسوى بضم التاء وافتح لسينه مخففة لامستم الالف انتقى
ومائدة وارفع قليل كلاهما كان لم تكن بالتاء جاء محققا
ولا تظلمون اقراء بتاء مخاطبا وبيّت اظهر وافتح التاء محدقا
واصدق مع اشباهه الصّاد خالصا وبالألف اقراء في السلام لتسبقا
وبالنون كالحجرات قل فتبينوا وغير اولى ارفع رأيه متحققا

يعني ان قوله تعالى واسئلوا الله من فضله واسئل فسأل الذين وشبه ذلك قرأة عاصم ومن وافقه بالهمزة المفتوحة . وقوله تعالى : والذين عقدت ايمانكم قرأة عاصم ومن وافقه بغير الف . وقوله تعالى : بالبخل قرأة عاصم ومن وافقه بضم الباء واسكان الخاء وكذلك الواقع في سورة الحديد . وقوله تعالى : وان تك حسنة قرأة عاصم ومن وافقه بالنصب . وقوله تعالى : لو تسوى قرأة عاصم ومن وافقه بضم التاء وفتح السين مخففة . وقوله تعالى : او لامستم قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف وكذلك الواقع في سورة المايدة . وقوله تعالى : قليل منهم قرأة عاصم ومن وافقه بالرفع في الموضعين . وقوله تعالى : كان لم تكن قرأة حفص ومن وافقه بالتاء على الخطاب . وقوله تعالى: ولا تظلمون فتيلا قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء على الخطاب في الثاني ولا خلاف في الاول انه باليا على الغيبة . وقوله تعالى بيت طائفة منهم قرأة عاصم ومن وافقه بالاظهار من غير ادغام وبفتح التاء . وقوله تعالى: ومن اصدق قرأة عاصم ومن وافقه بالصاد الخالصة من غير اشمام وكذلك كل صاد ساكنة نحو يصدفون وتصدية وتصديق ويصدر وقصد وشبهه . وقوله تعالى : اليكم السلام لست مؤمنا قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف بعد اللام . وقوله تعالى : فتبينوا قرأة عاصم ومن وافقه باليا والنون من التبين في الموضعين هنا وفي سورة الحجرات . وقوله تعالى : غير اولى الضرر قرأة عاصم ومن وافقه برفع راء غير. والله الموفق.

لنؤتيه نون فتح يا يدخلون قل	وفي مريم مع غافر فاطر رقي
وبا يصلحا فاضممه والصاد ساكن	وبالكسر تلك اللام فاقرا مصدقا
وان تلووا بالواوين نزل فيهما	فشدد لزاي فتحة النون ملحقا
وانزل سكن نونه افتح لهمزة	وزاي وفي الدرك السكون تحققا
بيا سوف يؤتيهم وتعدوا لداله	فخفف سكون العين منه قد ارتقى
وبالنون نؤتيهم زبورا بفتحة	لزاي وفي الاسرا وفي الانبيا التقى

يعني ان قوله تعالى فسوف نؤتيه اجرا قرأة عاصم ومن وافقه بالنون . وقوله تعالى: يدخلون الجنة قرأة حفص ومن وافقه بفتح اليا. وضم الخا. وكذلك الواقع في سورة مريم وسورة غافر وسورة فاطر . وقوله تعالى: فلا جناح عليهما ان يصلحا قرأة عاصم ومن وافقه بضم اليا. واسكان الصاد مع تخفيفها وحذف الالف وكسر اللام. وقوله تعالى: وان تلووا قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الواوين في الخط الاولى مضمومة والثانية ساكنة وسكون اللام. وقوله تعالى: والكتاب الذي نزل على رسوله. وقوله: قد نزل عليهم في الكتاب قرأة عاصم ومن وافقه في الاول بفتح النون وفتح الزاي مشددة وقرأة عاصم وحده في الثاني بفتح النون والزاي مشددة ايضاً وقوله تعالى: والكتاب الذي انزل من قبل قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الهمزة وفتح الزاي وسكون النون . وقوله تعالى : في الدرك قرأة عاصم ومن وافقه باسكان الرا. . وقوله تعالى : سوف يؤتيهم اجورهم قرأة حفص باليا. التحتية . وقوله تعالى : لا تعدوا في السبت قرأة عاصم ومن وافقه باسكان العين وتخفيف الدال . وقوله تعالى : سنؤتيهم اجرًا عظيماً قرأة عاصم ومن وافقه بالنون. وقوله تعالى: واتينا داود زبورًا رسلًا قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الزاي وكذلك قوله تعالى: واتينا داود زبورًا قل ادعوا في سورة الاسرا.. وقوله تعالى : ولقد كتبنا في الزبور في سورة الانبيا. الجميع بفتح الزاي . والله الموفق .

(يتبع)

من فرائد الشعر الغنائي في اللغات الجرمانية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

نشرنا في جزء تموز الى تشرين الاول ١٩٦٠ من « المشرق » مقالة طويلة على فرائد الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية ، والحال ان امثالها في الالسن الجرمانية مساوية لها بالابداع والكثرة والتنوع ، فرأينا ان نقدم الى قراء هذه المجلة نخبة منها .

اشهر اللغات الجرمانية هي الانكليزية التي فاقت ، في عصرنا على الاخص ، سائر الالسن العالم بانتشارها في الخافقين ، حتى بين ملايين من غير اصحابها ، في ميادين العلم والسياسة والتجارة . تليها برفعة المقام الالمانية ، ثم بدرجات متساوية واسفل جداً ، الهولندية ، الفلمنكية التي ينطق بها قسم كبير من اهالي بلجيكا ، الاسوجية ، الدانيمركية الشديدة الشبه بالنروجية المكتوبة ، لا المتكلَّم بها ، وبهذا المقدار تشابه الهولندية والفلمنكية .

غاية الشعر التعبير الموسيقي عن الجمال ، ومن ثم لا ريب في ان الله تعالى الجميل بدون حد والمصدر الوحيد لكل جمال مخلوق ، هو اسمى المواضيع الشعرية . لقد ابدع فريدريك فون ماتيسون von Matthisson الالماني (١٧٦١ — ١٨٣١) في وصف فرط حقارة الانسان امام عظمة الله المالئة الكون « الى اقصى حدود دوران العوالم » ، والتي اجمل الخلائق شبه مرآة ضئيلة تعكس لنا شعاعاً كامداً من شمس حسنها الفتان :

« اياك يعظّم ، يا كلي القدرة ، صوت تهلل الكواكب ! اياك يعظم ، يا كلي اللطف ، غناء الساروفيم ! الكون بأسره هائم ، في تآلف اجزائه المتنوع الابدي ، الى اقصى حدود دوران العوالم وسطوع ربوات الشموس .

معبدك – وهو الطبيعة – مـا اشد امتلاءه بجلالك وحلمك ! حلة زهور الربيع ومجر سنابل الصيف وتلألؤ عنب الخريف وروابي فضة الشتاء[١] ، هي مرائي[٢] قدرتك الكاملة .

١) يشير الشاعر الى الثلوج المتراكمة . ٢) جمع مرآة .

من انا ، يا رب ، امامك ؟ اني اتنفس منذ البارحة على الاكثر ، ولا يفصلني عن راحة الموتى سوى بون شبر ! الطوبى لي مع ذلك ؛ من رقد بالموت رقاداً هنيئاً بين ذراعي الآب ، فحقه ان يثق بكلمة الايقاظ ، وهي الرحمة . »

عظمة الله تُثير فينا آلم الشعور بعدمنا المطلق ، بيد ان محبته اللامتناهية لنا قد حثته على اشراكنا في حياته الآلهية ، بتأنس ابنه الوحيد ، وجعل سعادته الفائقة كل ادراكٍ وكل مُنية ، جزاء ابدياً في ملكوته السماوي لخدمتنا القصيرة له على الارض . فلا بدع بكون امل الطوبى الكاملة يلازمنا من المهد الى اللحد ؛ ذلك ما تغنى به فريدريك شيلر Schiller الالماني (١٧٥٩—١٨٠٥) :

« كثيراً ما يتحادث الناس في شأن ايام مستقبلة خير من الحاضرة ، ويحلمون بها . تراهم يركضون ، بل يتهافتون على تلك الغاية الذهبية السعيدة . العالم يشيخ ويشبّ على الدوام ، والانسان لا يزال يزمل تحسن حالته . الامل يُدخله الحياة ؛ يرفرف حول الصبي الفارح ؛ يحمس الفتى بضيائه الساحر ؛ لا يُدفن مع الشيخ ؛ فاذا ختم هذا في القبر سيره المتعب ، ففي القبر ايضاً يزرع الامل ! ليس الامل وهماً فارغاً ، مملقاً ، يلده دماغ الحمقى ، فان في القلب يعلن بصوت عالٍ اننا وُلدنا لما هو خير من هذه الحياة ! وما يقوله الصوت الباطني لا يخدع النفس الآملة . »

اذا رسخ فينا رجاء امتلاك الله ، الخير الاعظم ، فمن المحال ان نميل عن حب جلاله الى الهيام بالخلائق الجذابة ، مهما اثارت فينا من عواصف الشهوات المنحرفة . قد عبّر عن هذه الحقيقة تعبيراً مطرباً عمانوئيل فون گيبل von Geibel الالماني (١٨١٥ — ١٨٨٤) .

« مهما اشتد تهديد الشتاء بحركات عجرفة ، ونثر الجليد والثلج حوله ، فلا بد ان يأتي الربيع . ومهما كثف تلبد الضباب امام نظر الشمس ، فسوف توقظ بنورها العالم يوماً من الايام للنعيم .

فاعصفنَ ، يا عواصف ، اعصفن بشدة ؛ لن يخامرني خوف من ذلك ، فان الربيع يأتي — لا محالة — ماشياً في الليل على باطن قدمه الخفيف . بعدئذ

تفيق الارض مخضرَّة ، وهي لا تدري كيف جرى لها ذلك ، ويعلو ضحكها الى السماء المشمسة ، وهي تكاد تموت من فرط السرور ! تضفر لذاتها اكاليل زهور وتُدخلها شعرها ، وتزدان بالورد والسنابل وتجعل الينابيع الصغيرة تسيل صافية ، كأنها دموع الابتهاج .

صه اذًا وكيفما صُعقت الارض ، يا قلبي ، فارضَ بذلك ، فان هناك يوم ربيع عظيماً مقدَّرًا للعالم اجمع ! ولو اعتراك الخوف والاشمئزاز مرارًا عديدة ، كأن جهنم على الارض ، فاتكلنّ على الله اتكالًا شجاعـاً ؛ لا بد ان يأتي الربيع عمّا قليل ! »

الله تعالى لا يزال ساهرًا علينا بعناية ابوية محضة ، هيهات ان تقاس اليها عناية ارق الآباء باولادهم . فهي حرزنا الحريز في جميع ضيقاتنا ، وعلى الاخص حين يهاجمنا الموت الرهيب ، ويسلبنا كل خيراتنا الزائلة ، فيُخرجنا من الارض عُراةً كما دخلناها . قد البس هذه الحقائق المعزية ثوبًا زاهيـاً من الخيالات المبتكرة إريك يايز Geijer الاسوجي (١٧٨٣ — ١٨٤٧) :

« بحلمك ، يا رب ، قد فكرت فينا : ارضُنا تضيف غناك ، والحنطة التي انزلتاها في حضنها تسطع في نضج ذهبي . البركة تقدر ان تعطيها انت وحدك ؛ بينك قد منحت بلادنا الحنطة والسميذ .

ها هي السنبلة تُصرع عند قدمنا ، وسيف الموت يصرعنا ! الهُري يأخذ حصادنا ، والقبر يأخذ الحاصد ، وربما القى فلاح بعد بضعة اعوام ، بدون علمه ، البذر على قطعة الارض التي تغطينا ! عندئذ تملكنـا الارض التي ملكناها ، ويملك غيرنا مالنا ، وحول ناحية لحدنا توجد مساكن جديدة حيث تمشي اجيال جديدة . لكنك ، يا رب ، سوف تجعل في ذلك الوقت ، كما تفعل الآن ، شمسك تُشرق ، والحصائد تزين الارض .

كل الارضيات ذاهبة وزائلة بسرعة شديدة ، فلا يسوغ لنا التشكي من ذلك . في الحياة قد اختبرنا لطفك ، وسوف نختبره في الموت ، فان من اتكلوا عليك سوف يجمعون بصفة حصادك ، في مثواك ، بدون ان يسهم الموت !

الليل الطويل الهادئ ، الذي يُريح نفوسنا واجسادنا بعد اشغال النهار

الصخاب واتعابه المضنية وكروبه العديدة ، هو رمز واضح للراحة الابدية التي يمتّع الله بها نفوس اولاده الابرار عند غروب شمس حياتهم في منفاهم الارضي. من ذلك الفكر البسيط المألوف قد صاغ فريدريك روكرت Rückert الالماني (١٧٨٨—١٨٦٦) قصيدته الرائعة « نم ، يا فؤادي » ، كما يصنع النحات الماهر تمثالًا ناطقًا من الحجر الاصمّ :

« نم ، يا فؤادي ، بسلام ، فان الليل قد اتى خواجب الزهور التعبة بالندى المرطّب . نم ، يا فؤادي ، بسلام ، فان الحياة نائمة على الارض ، والقمر ساهر في ابهة هادئة ، وهو عين الله .

نم ، يا فؤادي ، بسلام مفصولًا عن الخوف والغم ، ان من يُعنى بالعوالم يعتني ايضاً بقلب من القلوب . نم ، يا فؤادي ، بسلام مُبعَدًا عن الحلم السيء ، مقوّى بقدرة الايمان ، والرجاء ينظر اليك ضاحكًا . نم ، يا فؤادي ، بسلام ، واذا قُدّر لك الموت هنا في الليل ، فتكون قد استيقظت هناك ! »

بعد الله تعالى ، الينبوع الفيّاض لكل كمال وجمال ، لا موضوع اجدر بالقريض من الفضيلة التي تطبع على الانسان ، ابن التراب بل العدم ، شيئاً فاتناً من ملامح ابيه السماوي . انما الفضيلة اعظم انتصار ، فانها غلبة النفس الروحية على الجسم المادي ، واغتنازها المتواصل بما تحرمه اياه من الاموال والملذات المحرّمة او المحلّلة الباطلة . الشاعر الانكليزي المفلق وليم شكسبير Shakespeare (١٥٦٤ — ١٧١٦) قد خاطب نفسه ليحثها على كبح جماح جسده ، ببضعة ابيات مزدانة بالايجاز والاعجاز :

« ايتها النفس التاعسة ، مركز ترباني[1] الخاطئة ، انت التي تخدعك تلك القوى المتمردة الزائنة لك ، لماذا تضنين في باطنك وتقاسين المحل ، وانت تنقشين بنفقة باهظة جدرانك الخارجية نقشاً بديعاً ? لماذا تنفقين على دارك الزائلة مبلغاً فاحشاً ، مع كون مدة استئجارها قصيرة جدًا ? اتريدين ان تتم إنفاقك الديدان ورثة إفراطك هذا ? اهذه عاقبة جسمك ?

١) التربان هي التراب او الارض . وقد عنى الشاعر بها الجسد .

عيشي اذًا ، يا نفس ، بما يخسره خادمك[1] ودعيه يضنى لتزيدي مؤونتك . إشتري ازمنة الهية ببيع ساعات من الخَبث . في داخلك اغتذي ، وفي الخارج لا تكوني غنية منذ الآن . هكذا تغتذين بالموت[2] المغتذي بالبشر ، واذ يكون الموت قد مات ، لن يبقى ابدًا من يموت ! »

جوهر الفضيلة حب الله مستوليًا على قلب الانسان ومحولًا الى ذاته السامية كل حب آخر للخلائق . فمن كف عن حب مولاه عاش مضطربًا ، تاعسًا ، خائبًا ، يتضور من الجوع ويكاد يفنى من العطش ، ولو ظل يبادل اجمل المخلوقات بكؤوس الهوى المسكرة . قد اختبر اكليمنضس برنتانو Brentano الالماني (١٧٧٨ — ١٨٤٢) في نفسه اعوامًا عديدة آلام تلك الخيبة المبرّحة ، ولم ينجُ منها الا بعودته الى حب ربه . هاكم وصفه المؤثر لاهتدائه :

« كيف ؟ ايمكن ذلك ؟ ايمكن ان يحبط الحب ، الحب الذي لا يعرف سوى سعادة الشخص الآخر المحبوب ؟ ايمكن ان يعذب ذاته وحبيبه ، ان يلد الالم والنظر المندّى بالدموع ؟

قد رأيت عددًا لا يُحصى من الناس المضطرمين بالحب ، وهم غير سعداء ، مع انهم يحِبون ويحَبون ؛ يتحدون اليوم وينفصلون غدًا مثل القصب الذي تُميله كل ريح .

لقد احببت انا ايضًا ، واستولى عليّ شوق حار ، واشتعل قلبي بنار قاسية وأحببت ، وحينئذ تسلط عليّ — آه — خوف دائم وتوالت الاوجاع . كنت اشرب يومًا ماء الكوثر من الشفاه الارجوانية ، وفي غده السم والموت من كل نكبة . في بحر الحب آلاف صخور طافية ، وقد غرق فيه زورقي الصغير مع الف زورق آخر ! وبينما كان يغرق ، سمعت نوحًا خافتًا ، ورأيت دموعًا — واهًا لها — جميلة كاللآلي ، وقال لي قائل : « إرفع عينيك الى ذلك الطاهر[3] ، وتعلم منه فهم كنه الحب . » فاذا الامور التي كانت ملتبسة عليّ ،

١) الجسد .
٢) يعني بفكرة الموت والاستعداد له .
٣) يعني الشاعر الله تعالى المحب كل خلائقه .

في الاحلام دون سواها ، قد انبسطت امامي كجنان الفردوس ، وما كان يشق السُحب الدكنا ، بين حين وآخر فقط ، شبه ثورة صاعقة ، تحت الانقاض والخرائب ، قد صار فجأةً نيّرًا في اعماق نفسي ؛ وليت ذلك النور الجميل ينزل ايضاً عليك ! واذا اصوات راقدة الى ذلك الوقت في باطني ، قد تحولت الى نغمات !

يوجد حب واحد فقط ، لا يمكن ان يحبط ؛ حب واحد فقط هو جوهر كل حب والرابطة الوحيدة القوية لجميع النفوس ؛ هو الحب الهادئ الامين للرب ! »

منذ سن التمييز تنقضي حياتنا الشقية في حرب ضروس بين هيامنا بالله تعالى وشغفنا باصنام الخلائق . ولا يخرج ظافرًا سالمًا من ذلك الجهاد الهائل سوى اقلية زهيدة من الابطال ؛ اما الاكثرية فهي ملايين من الجرحى بل القتلى المجندلين في المعركة . الشاعر الاميركي النابغة هنري لنكفلو Longfellow (١٨٠٧ — ١٨٨٢) يحثنا في قصيدته الخالدة « مزمور الحياة » على البطولة في هذا القتال الدائم طول حياتنا :

« لا تقل لي بابيات مكتئبة: « ليست الحياة سوى حلم فارغ » لان النفس الغافية ميتة ، والاشياء ليست ما تظهر لنا . « الحياة حقيقية ، الحياة جدية ، والقبر ليس غايتها؛ » انت تراب وسوف تعود الى التراب » لم تُقل عن النفس. ليست اللذة ولا الحزن الغاية او الطريق المقدّر لنا ؛ بل العمل حتى يجدنا كل غد متقدمين بالنسبة الى اليوم الحاضر .

الفن طويل والوقت سريع الزوال ، وقلوبنا ، ولو كانت قوية وباسلة ، فهي مع ذلك كطبول مغطاة بما يخفض صوتها ، تدق بنغمة سير موكب جنازة الى القبر .

في معركة العالم الفسيحة ، وفي معسكر الحياة ، لا تكن كالماشية العجماء المسوقة ، بل كن بطلًا في القتال ! لا تثق بالمستقبل ، ولو حلا لك ؛ ذر الماضي الميت يدفن موتاه . اما انت فاعمل ؛ اعمل في الحاضر الحي ، والشجاعة في باطنك ، والله تعالى فوق رأسك . سِيَر الرجال العظام تذكّرنا اننا قادرون على

جعل حياتنا سامية ، فنخلف عند رحيلنا آثار اقدامنا على رمل الزمان . آثار ربما رآها شخص آخر سائر على محيط الحياة الوقور ، اخ مخذول وغريق ، فانتعشت همته . فلنكن منتصبين ودائبين على العمل ، ذوي قلوب مستعدة لكل الاقدار ، ولنتعلم الشغل والانتظار ، ونحن مواظبون على انجاز العمل ومواصلته . »

ناظم هذه القصيدة المطربة يوضح لنا في وصفة الدقيق لحياة حداد الضيعة ان جهاد الفضيلة المفروض علينا ليس سلسلة مآثر غير مألوفة ، تلفت نظر الناس وتُثير اعجاب السُذج . انما جوهره القيام الكامل بواجباتنا اليومية المصحوبة حتماً بموكب طويل من الاتعاب والاحزان ، وذلك بهمة قعساء ، لا يغلبها قط الضجر ولا الجزع ولا اليأس :

« تحت شجرة بلوط ممتدة الغصون ، يوجد معمل حداد الضيعة . الحداد رجل قوي ، ذو يدين ضخمتين عضلتين ، وعضلات ذراعيه الشديدتين تضاهي بالقوة كبولاً من حديد . شعره جعد اسود طويل ، ومحياه كالدبغ ، وجبينه مندى بعرق النزاهة . يكسب كل ما استطاع كسبه ، وينظر الى وجه كل الناس ، لانه غير مديون لاحدهم . طول الاسبوع ، من الصباح الى المساء ، يمكنك سمع نفخة كيره . يمكنك ان تسمعه ، وهو يهز مطرقته الكبيرة الثقيلة ، ويضرب بها ضربات موزونة[1] بطيئة ، مثل واهف يدق جرس الضيعة حين تميل شمس المساء . والاولاد العائدون من المدرسة الى بيوتهم ينظرون من باب المعمل المفتوح الى داخله . يحبون ان يروا المعمل الملتهبة ناره ، ويسمعوا دوي الكير ، ويمسكوا الشرار المحرق المتطاير كالتبن الدقيق من البيدر .

يذهب يوم الاحد الى الكنيسة ويجلس بين صبيانه ، فيسمع الكاهن مصلياً وواعظاً ، ويسمع صوت بنته مرتلة في جوقة مرتلي القرية ، وذلك يسر قلبه . هذا الصوت يرن له كصوت امها المترنمة في السماء ، فلا مندوحة له عن التفكر مرة اخرى فيها وفي كيفية انطراحها في القبر ، وبيده الصلبة الخشنة يمسح دمعة من عينيه .

١) هذا النعت يدل على ان بين كل ضربة والتالية وقتاً ثابتاً .

يجتاز الحياة سائراً الى الامام في الكد والسرور والحزن . كلُّ صباح يراه شارعاً في شغل ؟ وكل مساء يراه خاتماً اياه ؟ شيء محاوَل وشيء متمَّم قد استحقا راحة ليلة .

الشكر لك ، الشكر لك ، يا صديقي الفاضل ، على التعليم الذي علمتنيه ! هكذا في معمل حدادة الحياة الملتهبة ناره ، يجب ان تصاغ خيراتنا . هكذا يجب ان يكيَّف على سندانه الرنان كل عمل وفكر مضطرمين ! »

في « اليوم المطير » يبين لنا هنري لنكفلو ، بخيالات شعرية جديدة ، ان من اجمل مظاهر شجاعتنا في جهاد الحياة عدم خمود همتنا وتباطؤ سيرنا الى الامام نحو غايتنا القصوى ، حين تخيّم فوقنا الغيوم الدكناء المتلبدة ، المادية او المعنوية، ولو لم ينفذ منها الى قلبنا الكئيب الملول شعاع واحد من شمس الفرح البهيجة المنعشة :

« اليوم بارد مظلم محزن ؛ المطر هاطل والريح لا يعتريها قط الكلال . الكرمة لا تزال متعلقة بالحائط المتداعي ، بيد ان الاوراق الميتة تسقط عند كل هبة ريح ، واليوم مظلم محزن .

حياتي باردة مظلمة محزنة ؛ المطر هاطل والريح لا يعتريها قط الكلال . افكاري لا تزال متعلقة بالماضي المتداعي ، بيد ان آمال الشباب تسقط كثيفة في هبة الريح ، والايام مظلمة محزنة !

إهدأ ، ايها القلب الكئيب ، وكُفَّ عن بث الشكوى ، فان الشمس لا تزال ساطعة وراء الغيوم . نصيبك هو النصيب العام لكل البشر ، فلا بد ان يسقط بعض المطر في كل حياة، ولا بد ان تكون بعض الايام مظلمة محزنة ! »

حين تكتنفنا دياجي الهموم والكروب ، فتوشك ان تطفئ في اعماق نفوسنا لهيب الامل الوهاج ، فلنتذكر ان في هذا العالم نحو ثلاثة ملايين من العميان ؛ يقضون حياتهم في الظلام الدامس ، محرومين ملذات النظر التي هي اكثر جداً من مجموع ملاذ سائر الحواس . واىم الحق ما اصعب عليهم الصبر على تلك المصيبة الفادحة وقبولها بخضوع تام من يد الله ! بيد ان المولودين منهم في العمى — وهم الاكثرية — لا يتجرعون سوى قطرة من غمار آلام غيرهم ،

لجهلهم فتنة الانوار والالوان. قد وصف كولي سِبِر Colly Cibber الانكليزي (١٦٧١ — ١٧٥٧) هنا هم التفوع وصفاً مؤثراً في « الفتى الاعمى » :

« آه ! قولوا لي ما هو الشيء المسمى نوراً ، الذي حتم عليَّ الا اتمتع به ابداً ! ما هي فوائد النظر ؟ آه ! اخبروا فتاكم الاعمى التاعس !

تحدثون بأشياء عجيبة تشاهدونها ؛ تقولون ان الشمس تلوح ساطعة . اما انا فاشعر بكونها حارة ، ولكن كيف تستطيع ان توجد النهار او الليل ؟ انا ذاتي اصنع نهاري او ليلي كلما نمت او لعبت ؛ ولو قدرت ان ابقى على الدوام يقظاً ، لدام النهار لي .

كثيراً ما اسمعكم ترثون بزفرات ثقيلة لمصيبتي المتعسة ، ومع ذلك لا جرم اني قادر ان احتمل بصبر خسارة لن استطيع قط معرفتها . فلا تدعوا ما لا يمكنني نيله يزيل حسن حالة نفسي ! بينما اغني هكذا ، انا ملك مع كوني فتى اعمى تاعساً ! »

من مقتضيات الفضيلة المحضة ان يضحي صاحبها بذاته تضحية كاملة دائمة لخير قريبه ، فيسقيه خمر الرفاهة والسعادة ويشرب كأس العلقم حتى الثمالة . قد بلغت ربوات الامهات ، في كل اقطار العالم ، ذروة ذلك الايثار العجيب ؛ ومن اعظم الشعراء المجيدين وصفه كل الاجادة زكريا توپيليوس Topelius الفنلندي (١٨١٨ — ١٨٩٨) ، في قصيدته الشهيرة « امي » المنظومة باللغة الاسوجية :

« اين يوجد حب يثبت حتى الموت بدون تغير ، في كل تقلبات النصيب ، حب يسهر علينا مثل ملاك الله ، ولا يطلب منا شيئاً ، بل يحرم ذاته كل شيء ؟ في هذه الارض لا يوجد غير حب واحد من هذا النوع ، وهو حب الام فقط .

كل قيد يقيد القلب هو اناني : القبلة الحارة على خدّي الفتاة المخطوبة ، الذراع اللطيفة التي تمدها اخت ، الذراع النحيفة التي يمدها الينا الطفل . ان خير صديق يتوق الى اخذ اجر صداقته ، والام وحدها طابت نفساً عن كل اجر . متى تتذكر ما قاسته في الاعوام الطويلة من الالم الثقيل والدمع السخين ،

وفقدان ربيع صباها الذي لن يعود ، وتعب النهار وسهر الليل ، في سبيل ذلك الولد الذي تزيد حبها له بزيادة ما تبذله من العطايا لاجل سعادته ؟

ومن يستطيع منحنا مثل ما تمنحنا هي ؟ الفكرة الاولى التي يفكرها الولد ، الصلاة الاولى التي تتمتم بها شفتاه ، اللهيب الطاهر للحب الاول ، الارشاد الاول الى الحق ، الفضيلة ، الحقيقة ، الحرية والوطنية ؟

ونحن ماذا نعطيها مقابلةً لعطاياها ؟ اوّاه ! احزاناً كثيرة تغفرها لنا غفراناً رقيقاً ، حبنا الضعيف المقسوم على عدة اشخاص ، عنايتنا المشتّتة والقاوية في الغالب ، فلا تجد العزاء حتى في رؤيتنا ، بل نتركها وحدها في خريف الحياة !

مع ذلك تتبع بأفكارها الولد الضال الذي يجول بطّالاً في العالم ، وصلاتها مثل مصباح ملاك ، تسبقنا بضيائها الساطع ، حين يرتخي سيرنا ، فتنير طريقنا بالايمان المسيحي ، فتمهد السُبل وتشيد بناء العائلات .

بركة الله على مثل تلك الام ! آه ! انه لحلاوةٌ في فيضان الدموع ، انه لفرح في كل الاوقات ان يستطيع الانسان الالتصاق الراسخ بمثل ذلك الصدر في معاركات الحياة الانانية ، وقبول لثم حبها الحار !

جازها ، اللهم ، الجزاء الذي عجزنا عن منحها اياه ! البذر الذي بذرته في اوانه هو بذرك ؛ انما الحب الذي ينعكس ضياؤه في عين الام هو حبك السامي الابدي ، ولذلك ، متى زال سطوع تلك العين ، نشعر كأن احدى الشموس قد غابت ! »

هنري هاينه Heine الالماني (١٧٩٧—١٨٥٦) يعترف لنا بانه قد هجر والدته ، بعدما استخف بحبها وعدّه تافهاً ، ثم هام على وجهه مستعطياً كالمتسول فُتاتاً من حب اشد والذ من هيام والدته . وبعد جولانه المضني الباطل ، عاد اليها شاحب الوجه ، فارغ القلب ، فوجد في ضياء عينيها الدامعتين لهيب الحب الرقيق النزيه الذي طالما طلبه من غيرها ، فلم يعثر عليه :

« في وهمي الجنوني هجرتك يوماً ، يا امي ؛ اردت الذهاب الى اقاصي العالم ؛ اردت ان اعرف هل اجد الحب ، لكي اعتنقه بتل. حبي . طلبت الحب في كل الطُرق ؛ امام كل باب مددت يدي مستعطياً حسنة حب زهيدة ،

لكن الناس لم يعطوني سوى البغض البارد ، ضاحكين عليَّ ! ظللت هائمًا على وجهي انشد الحب على الدوام ، لكني لم اجد الحب قط ، فعدت الى الدار مريضًا ، حزينًا ! غير انك اتيت ساعتئذ لمقابلتي ! آه ! ذلك الشيء الذي كان يطفو على عينيك ، هو الحب العذب الذي طالما سعيت وراءه ! »

ناظم هذه القصيدة الجميلة يُقر لنا ايضًا بان سمو فضيلة امه تقهر سطوة كبريائه ، فتُلين الهيبة والتواضع منايا ، وتُثير فيه اشد الحزن لكونه قد جرح فؤادها المشغوف به بطعنات اهاناته العديدة :

« انا معتاد نصب رأسي عاليًا جدًّا ، وفي طبعي شيء من التصلب والعنود. ولو حدّق الملك نفسه الى وجهي ، لما خفضت العينين . مع ذلك ، يا امي العزيزة ، اريد ان اجاهر بانني ، مهما انتفخ قلبي المتكبر انتفاخًا شديدًا ، فان هيبةً ملأى بالتواضع تستولي عليَّ مرارًا عديدة في جوارك السعيد العذب المحبوب .

هي روحك التي تغلبني غلبة خفية ، روحك السامية التي تنفذ بجسارة كل شيء ، وتطير الى ضياء السموات قاذفةً البروق . ويعذبني تذكري اني قد ارتكبت آثامًا كثيرة بها احزنت فؤادك ، الفؤاد العجيب الذي هام بي كل الهيام ! »

من اعظم الفضائل حب الوطن ، ان لم يُحصر في نطاق ضيّق من العواطف الغريزية اللذيذة التي تحوّله الى اثرة حقيرة ، بل سما بصاحبه الى بذل النفس والنفيس في سبيل مواطنيه . مَن احب وطنه ذلك الحب العامل النشيط ، حُق له ان يتغنى بجماله الساحر ، كما فعل رسموس فنتر Rasmus Winther الدانيمركي (١٧٩٦ — ١٨٧٦) ، في قصيدته « وطني » :

« الا تعرفه كل المعرفة ذلك القُطر الصغير الجميل ، الذي ينثني حول ساحله ماء البحر المالح ، وتظلله غابات الزان الهادئة ، وتنبت من ارضه سنبلة القمح شبيهةً بالذهب ؟ هل تعرفه ؟ آه ! هناك ، هناك فقط يمكن ان يكون هم الحياة وفرحها عزيزين عندي !

الا تعرفه ذلك البيت الوطني الهادئ ؟ في غرفته تجد السلام وفي حجرته

السكينة ، امام نافذته تهتز اوراق الزيزفون المريضة ، ويزقزق الدوري ، وتبسم الشمس فرحة. هل تعرفه ؟ هناك ، هناك فقط اقدر ان احلم احلامي واجدها مستحبة جداً !

الا تعرف ارض جدودنا القديمة ، الغنية كل الغنى بتذكاراتها الجليلة واساطيرها واناشيدها ، التي يُثير صوتها الرزين في صدري الم الوحشة ولذة الشوق الحزين ؟ هل تعرفه ؟ هناك ، هناك فقط اشعر بأني على الارض اقرب ما اكون من السماء ! »

للفضيلة درجات لا حد لارتقائها نحو قداسة الله اللامتناهية . من اعلى معارجها في تاريخ العالم المسيحي ان الامبراطور شرل الخامس ، اعظم عواهل اوربة في عصره ، المالك على بلاد عديدة كبيرة في القارة المذكورة وفي العالم الاميركي الجديد مدة تسعة وثلاثين عاماً ، قد زهد زهداً كاملاً في المال والملذات والمجد ، فتخلى عن اسمى العروش واسنى التيجان ، ودخل سنة ١٥٥٦ دير يوسته (Yuste) ، الواقع في غرب اسبانية ، ليشاطر رهبانه الفقر والعفة والطاعة ، فضلاً عن صلواتهم الطويلة وتقشفاتهم الالية ، حباً للسيد المسيح واستعداداً لملاقاته في يوم الدينونة الرهيب . قد وصف شرل فون پلاتن von Platen (١٧٩٦ — ١٨٣٥) الالماني دخول سيّه العظيم القديس دير يوسته وصفاً جديراً بتخليد تلك المأثرة الرائعة :

« الوقت ليل ، والزوابع تزمجر بلا انقطاع ! ايها الرهبان الاسبانيون ، افتحوا لي الباب. دعوني استريح هنا الى ان توقظني دقة الجرس التي تغطسكم في برد الكنيسة لاجل الصلاة . اعدّوا لي ما يقدر عليه منزلكم : اسكيماً وقبراً. اعطوني التلّة الصغيرة وأطلعوني على اصول حياتكم ؟ قد كان لي ، اكثر من نصف هذا العالم ! الرأس المنقاد الآن للمقص[١] كان متوجاً بتيجان عديدة ! الكتفان المخفوضتان تحت الاسكيم قد زانهما ثوب امبراطوري من فروة القاقم ! اما الآن فاني امام الموت لشبيه بالموت ، ومنهار كالامبراطورية القديمة ! »

معظم الناس يسخرون بالابرار ويعدونهم بُلهاً بل مجانين بقدر سمو فضيلتهم

١) المقص الذي يقص اكليل الكاهن او الراهب ، وهو دائرة جرداء في اعلى رأسه .

وكال تجردهم عن حطام الارض الفانية . ولا عزو من ذلك ، فان اولئك الساخرين المتحذلقين مولعون بالترهات ، منهمكون في السعي وراءها ، كأنهم قد خُلقوا للتمتع بها . اما نقولا ليناو Lenau الالماني (١٨٠٢ — ١٨٥٠) فقد عظّم زهد النُساك ، عُشاق الله وجلادي نفوسهم واجسادهم الطاهرة ، تكفيرًا عن جرائم اخوتهم الخطأة :

« آه ! لا تسخروا بالنساك الحزانى، لكونهم يعذبون جسمهم بآلام حادة ، ويحرمون ذاتهم افراح الارض العذبة ، الزائلة ، المتلاشية بغاية السرعة ! بجانب الذين يحصدون بحرص علف الملذات ، قد خفقت على الدوام ، منذ ايام الفردوس المفقود ، قلوب عديدة ، مالت عنه واحتقرت مرتع هذه الارض ! الشعور الخجول بأن الانسان كائن ساقط ، يحيد باولئك الاشخاص عن سوق الافراح الصاخب ، ويأمرهم بأن يسلكوا في الخلوة طريق الاشواك . وتزيد رزانتهم حين يرون بجانب سعادة ارضية ، لا يستحقونها ، والحياء يمنعهم عن مد يدهم اليها بوقاحة . »

لولا الموت ، الذي هو ختام تجارب الصدّيقين وباب السعادة السماوية ، جزاء انتصارهم على جميع الشهوات السافلة ، لتحتم عليهم ان يحاربوها الى الابد بلا هدنة ولا راحة ، مما يناقض عدل الله وحكمته ولطفه مناقضة مطلقة . وكما ان المُبحر في سفينة تهزها العواصف وتصدمها الامواج، يحدّق لتسكين اضطرابه الى منارة الميناء البعيد ، هكذا تُثير فينا كروب العيش المتواصلة توقًا حارًا الى ميتة صالحة ، تنقلنا من غمارها الهائلة الى امن المرفإ السماوي ، حيث يشركنا الاله المعطاء في سعادته الفائقة لجميع مُنانا . قد طعنت الاشجان قلب نقولا ليناو Lenau ، السابق ذكره ، طعنة نجلاء ادمته وامضّته ، ولم يستطع كشف جرحه المتزايد العمق لامه المتوفاة ، فتوسل اليها ان تنقله من دار الشقاء الى جوارها المُسعد :

« انا حامل في قلبي عبء جرح عميق ، وقاصد ان احمله صامتًا حتى الخَرَس حتى نهاية حياتي . اشعر بتقضمه العادم الكلال والمتزايد العمق على الدوام ، وبكيفية انتقاص الحياة من ساعة الى ساعة !

لا اعرف سوى امرأة واحدة كنت استطيع ان استودعها معرفة حالي واقول لها كل شيء ، لو قدرتُ ان اشهق واتشكى على عنقها ، بيد ان تلك المرأة الواحدة منسطحة ، وهي مدفونة في الارض .

يا ام ، تعالي ولزوّر فيك تضرعي ! اذا كان حبك لا يزال ساهراً في الموت ، واذا ساغ لك ان تعتني ايضاً بولدك كما فعلت في الماضي ، فدعيني افارق هذه الحياة عن قريب ! انا تائق الى ليلة هادئة ، فساعدي الالم على تجريد ولدك التعب عن ثوب الحياة ! »

ليس موت البار سوى رحيل من المنفى الى الوطن ، ولذلك تذوب بسل تلاشي في عذوبته الفائقة آلام النزاع ومرارات الوداع . قد وصف توما هود Hood الانكليزي (١٧٩٩—١٨٤٥) بدقة كاملة تفاصيل موت ضابط في سفينة جاب بها البحار مراراً ، وهو قائم بوظيفته خير قيام ، الى ان وافته المنية في حجرته الضيقة :

« مشهد هائل ، جدير بالتأمل : في سفينة على بُعد فراسخ من البر ، في الحجرة التي تنيرها بنور احمر آخر اشعة النهار ، الشاب منسطح هادئاً واخرس. لن تفضّ ابداً دمعةُ فرح او حزن ختم هاتين العينين الثقيلتين ، ولن تنفتحا لاي غد كان . اليدان المضمومتان على صدر خالٍ من نبضات الحبي المختلة ، تُفصحان عن راحة بلا انقطاع ، لا تستطيع لغة ارضية التعبير عنها ! ويخيّل للناظر ان بسمة عذبة تنمو وتحوم على الشفة ، بينما الظلال في ذهاب واياب بسبب حركة السفينة . في الختام قد وافت الراحة والسلام ، ما اشدهما وما اعظمهما ! وكأن الامواج العزيزة للميت تدندن له : « قد وصلت الى دارك في النهاية ! » »

يُخيَّل لجميع من ألهوا الخلائق ووقفوا حياتهم على حبها وعبادتها ان الموت ليل اليل ، وليسوا مخطئين في ذلك التصور ، فان الموت يدهورهم في لمحة عين في ظلام جهنم الدامس وعذابها الهائل ، الى ابد الابدين. امّا وفاة الابرار فهي غروب شمس مخلوقة كثيرة النقائص ، وتجلي شمس جمال الخالق التي لا يعتريها افول . لله در يوسف بلانكو وَيت Blanco White (١٧٧٤ — ١٨٤١) ،

من نوابغ الشعر الانكليزي ، نقد حدته مخيلته القديرة الى تشبيه فرط خوف الانسان من الموت بارتياع ابيه آدم من ظلام اول ليل في حياته ، مع ان ذلك الظلام ما لبث ان كشف له آلاف بدائع عالم النجوم :

« ايها الليل الغامض ، حين عرفك والدنا الاول ، من انذار الله ، وسمع اسمك ، الم يرتعش لهفةً على بناية السماء المستحبّة ، على ذلك السُّرادق البديع، المصنوع من النور والزرقة ؟ وراء ستار من الندى الشفّاف ، غاطسةً في اشعة الشعلة الكبرى الغاربة ، وافت الزُّهرة مع جيش الكواكب ؛ ها هو الكون قد اتسع في نظر الانسان !

من كان يستطيع الظن ، ايتها الشمس ، ان مثل هذا الظلام كان مختفياً في اشعتك ؟ بل من كان يقدر ، وانت تُزينه الزهور والاوراق والحشرات ، ان يكتشف إعماءك ايانا عن تلك النجوم التي لا عدد لها ؟ فلماذا ، والحالة هذه ، نبتعد عن الموت بجهاد مضطرب ؟ ان كان النور يقدر ان يخدعنا ، فلماذا لا تقدر الحياة ؟ »

على كل حال ليس الموت سوى ثانية جازمة تضع حدًّا لا يمكن تجاوزه لحريتنا وتجاربنا . امّا حياتنا ، وان بلغت اقصى مدى الهرم ، فهي اقل من ثانية بالنسبة الى الابدية التي نسير حتماً اليها . فيجب علينا تخفيف لوعتنا على وفاة اعزائنا الموتى وتواريهم عنا في دياجي القبور ، بامل تأله حياة نفوسهم الكامل في الابدية السعيدة . قد عبّر هنري لنكفلو الاميركي عن تلك الفكرة السامية في ابيات قليلة ، لكنها ابدع من ماسات ساطعة منتظمة على سلك من الذهب الابريز :

« خُذهم ، ايها الموت ، واذهب بكل ما تستطيع ان تسميه ملكك ؛ صورتك المطبوعة على هذا الطين البشري تخولك ذلك الحق ، ولكن ذلك الحق وحده ! خذهم ، ايها القبر ، وأرقد جثثهم مثنية على رفوفك الضيقة ، كأنها ثياب وضعتها النفس على حدة ، ولا قيمة لها الا في عيننا . خذيهم ، ايتها الابدية الجليلة ؛ حياتنا الدنيا ليست سوى عصفة ريح ، تجني اغصان شجرتك ، فتجر ازهارك في التراب ! »

ان الله تعالى ، مبدأنا الاول وغايتنا القصوى ، قاصد ان يتجلى لنا بعد موتنا ، الى دهر الداهرين ، بكماله اللامتناهي الذي عجزنا كل العجز عن استقصاء كنهه الواحد ، فكثّرنا اسماءه ودعوناه قداسة ، علماً ، غنى ، قدرة ، عظمة ، جمالاً ، سعادة ، عدلاً ، رحمة ، حباً ، عناية الخ . بيد ان الطبيعة التي اخرجها من العدم بمجرد ارادته الخالقة ، تحتوي في كل مظهر من مظاهرها الفتانة ، بل في كل جزء من اجزائها التي لا يستطيع احصى العقول كمال فهمها واحصائها ، آيةً اي علامة مُبينة لالهنا وسيدنا المالئ الكون باسره ، مع اختفائه فيه ! ولله در الشاعر الفيلسوف الذي عبّر عن تلك الحقيقة الجوهرية ببيته الخالد :

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدل على انه الواحد !

فلا بدع بكون اعظم الشعراء الغنائيين في اشهر لغات العالم — وهي مئات — قد حاولوا قراءة اسم الله الجليل في سفر الطبيعة ، بوصفهم شيئاً يسيراً من محاسنها الآخذة بمجامع القلوب .

إسمعوا وليم ووردزوورث Wordsworth الانكليزي (١٧٧٠ — ١٨٥٠) يحدّثنا عن شغفه بطير الوقواق الذي قد افعم بالفرح ، بل سحر اياماً لا تحصى من حياته :

« يا حديث المجيء ، الفرح ، لقد سمعتك والآن اسمعك وابتهج . ايها الوقواق ، هل اسميك طيراً او صوتاً متسكعاً ؟ بينما انا منسطح على العشب ، اسمع صيحتك المزدوجة ، وكأنها تجتاز من تل الى آخر ، وهي بعيدة جداً وقريبة في الآن ذاته . مع انك تثرثر للوادي دون سواه ، في شأن ضياء الشمس والزهور ، تأتيني بوصف لساعات الرؤى[1] .

ارحب بك ثلاث مرات ، يا محبوب الربيع ! حتى الآن لستَ في نظري طيراً ، بل شيئاً لا يُرى ، صوتاً ، سراً ! انت ذاتك الذي كنت اصغي اليه ايام كنت تلميذاً ؛ ذلك الصوت الذي جعلني التفت بالف وجهة الى الجنب والشجر والسماء . كثيراً ما كنت اهيم على وجهي في طلبك ، وانا اجتاز

---

١) ربما عنى الشاعر بذلك التعبير ساعات الوحي الشعري .

الغابات واسير على العشب القصير، وانت مع ذلك موضوع رجاء وحب، شائق على الدوام وغير منظور اصلًا !

ويمكنني ان اصغي اليك ايضاً، ان انسطح على السهل واصغي الى ان أخرج ثانية الى حيّز الوجود ذلك العهد الذهبي. ايها الطير المبارك، ان الارض التي نمسحها تظهر لنا مرة اخرى مكاناً غير مادي، سحرياً، هو مثوى لانق بك!»

البر رودنباخ Rodenbach البلجيكي الفلمنكي (١٨٥٦—١٨٨٠) يصف لنا جمال انبلاج الفجر وطوع الشمس في ضيعة من بلاده :

« لاح النهار على الضيعة والريف، وناحية الشرق كلها ملتهبة ومحرقة. المروج المغشاة بالندى مبخرة، والهيادب[1] متدلية بين الاشجار، والهيادب هاربة على طول النهير، وكل ورقة تسكب قطرة ندى.

القنبرة تشرع في الطيران الى العلاء، وهي تغرد في اجتيازها الجو الازرق؛ الدوري يسرق على السقوف، والعصافير تزقزق تحت الاعشاب المخضرّة، حين قلعها، ويغني كل ما يُسمع ويُرى.

فوق الحقل الضاحك الاخضر يطنطن الجُريس[2] الرنان البطيء الدقة، والعمال المستيقظون عند شروق الشمس، يتشتتون في كل جهة، في ساحات البيوت وفي الحقول، ويُشرع في الشغل بالصلاة والغناء، وجميع ما يقع تحت النظر يصير حياة . »

وليم كلوس Kloos الهولندي (١٨٥٩—١٩٣٨) يصور لنا بكل الايجاز راحة المساء الشاملة بعد ضجة النهار المزعجة، ثم يبوح لنا بان قلبه يأبى ان يشاطر الطبيعة سكونها الكامل :

« الزهور البيضاء، وهي لا تكاد تُرى، تبتهج في الشفق بتأثير زفرة[3] خفيفة. انظروا كيف ينطلق، الآن ايضاً، امام نافذتي، بدوي فجاني، طير مفرط التأخر[4]. وفي البُعد هناك السماء اللطيفة التلون كصدف اللؤلؤ، التي تنحي

١) الهيدب سحابة متدلية بقرب سطح الارض .

٢) جريس كنيسة الضيعة .

٣) يعني نسمة من الريح شبهها بزفرة .

٤) التأخر في العودة الى عشه .

فيها كل صبغة[1] امحاء رقيقاً ...

الراحة ؟ يا لها لذة عجيبة الغرابة ، فان كل الاشياء ليست في النهار قريبة من القلب الى هذا الحد . لقد ماتت كل ضجة كانت تواصل التكلم[2] عن بُعد ؟ الريح والسُحب وكل شيء . لا يزال يزداد تمهلاً ؟ كل شيء يبيت كامل السكون . ولا ادري كيف يمكن هذا الفؤاد المتناهي الضعف والسالف اللغوب ان تزيد على الدوام شدة خفقانه ، ان تزيد على الدوام ، فيأبى ان يستريح . »

قوس قزح هي بانتصابها من الارض الى السماء وارتفاعها الشامخ وكمال استدارتها وزهاء الوانها السبعة ، من ابدع محاسن الطبيعة ؟ هي شبه جسر غير مادي بنته اشعة الشمس بُعيد المطر المُضجر ، رمزاً لكون احزاننا الارضية الزائلة تزول بنا ، اذا قبلناها بالشكر من يد الله ، الى دار الضياء الدائم والسعادة الابدية . لقد اجاد كل الاجادة في وصف تلك القوس العجيبة توما كمبل Campbell الانكليزي (١٧٧٧ — ١٨٤٤) :

« يا قوس الانتصار المائلة السماء حين تأهب العواصف للابتعاد ، اني لا اسأل الفلسفة المتشامخة ان تعلمني ماهيتك . إظهري لي مع ذلك ، كما ظهرت لنظر طفولتي ، محطة متوسطة متاحة لارواح الطوباويين ، ليتزلوا فيها بين الارض والسماء . ايمكن كل ما يعلّمه علم النور ان يشرح شكلك ، بحيث اتنعم به مثل تنعمي اذ كنت احلم بجواهر وذهب مختفية في قوسك المشعة ؟

على كل حال ليست الاحلام المماثلة للاساطير ، بل كلمات العلي التي قالت لماذا نُسجتِ المرة الاولى في السماء حُلتك المصنوعة بالاشعة . حين سطعتِ بصفة عهد رب السماء على الارض الخضراء المنقذة من الطوفان ، كيف تقدم آباء العالم الموخوطون ليرتقبوا علامتك المقدسة ! يخيَّل لي ان اول ترتيل منظوم قد رن على الارض المخلَّصة من المحيط ، وان اول شاعر قد انشد للاحتفال بيوبيلك ولن يستطيع قريضنا ابداً ان يحيّي باقة اشعتك بدون اختطاف الطرب ! فيا موضوع نبوءة مرتقية الى اقدم العصور ، إبقي من الآن موضوع الشاعر !

١) كل صبغة من حمرة الشفق .

٢) قد عربنا هذه الاستعارة الجريئة تعريباً حرفياً .

ما ابدع منطقتك الملقاة على الجبال والسهول والمدن ، او المنعكسة في المحيط الرهيب الى عمق الف باع ! في ذلك الافق المظلم تبدو محاسنك جديدة حديثة ، كما بدت حين لها النسر في اشعتك المرة الاولى بعد انطلاقه من سفينة نوح ، لان الله الامين لكتابه المقدس يعيد الى الآن بنا. انفراج قنطرتك ، ولا يدع المثال الذي بشر الناس بالسلام ، يشحب بسبب الشيخوخة ! »

قلما نجد بين الخلائق المادية المحضة ما يضاهي البحر تمثيلاً للعظمة الالهية باتساعه الرائع، ولقدرتها باغراقه لاكبر البواخر، ولاستحالة حدوث ادنى تغير فيها بثبوته على حالة واحدة، دون القارات الخُس، مع تقلبات الزمان الدائمة. لقد ابدع الشاعر المفلق اللورد جورج بَيرون Byron الانكليزي (١٧٨٨—١٨٢٤)، في وصف ذلك التمثيل، ابداعاً يجمل قصيدته «الى المحيط» من اجمل منظومات اشهر الالسن :

« واصل دحرجة مياهك ، ايا المحيط العميق والمشبّع الزرقة، الا واصلها. ان ربوات الاساطيل تهرول عليك سدى ! الانسان يُعلِم عـلى البر بالخراب ، لكن سلطته تقف عند الساحل ؛ اما على سهل المياه ، فكل غرق هو فعلك، فلا يبقى ادنى اثر لتدمير الانسان سوى تدمير ذاته ، حين يغوص في لجح البحر ، مثل قطرة مطر ، في اعماقك ، نائحاً نوحاً مصحوباً بتغمغم ، من دون قبر ولا دق جرس النعي ولا نعش ، وهو مجهول !

اوزار الحرب التي تصعق اسوار مدن مشيدة على الصخر، حاتمة على الشعوب الارتعاش ، وعلى الملوك الارتعاد في عواصمهم ، البوارج الجبّارة المصنوعة بخشب السنديان ، التي تجعل ضلوعها الفاحشة مبدعها المصنوع من التراب يلقب ذاته تلقيب الكبريا. بمولاك والسيد المطلق للهيجا. ، كل هذه هي لعبك ، ومثل قطعة من رُضاب الثلج ، تذوب في خميرة امواجك التي تشين على السواء. تعجرف ارمادا[1] وغنائم ترافلكار[2] .

---

١) كلمة اسبانية معناها اسطول حربي . سمى المؤرخون « ارمادا المستحيل قهرها » الاسطول الجبّار الذي سيّره فيلبس الثاني ملك اسبانية ، سنة ١٥٨٨ ، لمحاربة انكلترة ، فلاشه العاصفة .

٢) اسم رأس في اسبانية في جهة مضيق جبل طارق الشمالية الغربية، وقد انتصر في جواره الاميرال الانكليزي نلسون (Nelson) على اسطولي اسبانية وفرنسة المتحالفين، سنة ١٨٠٥ .

شواطئك ممالك قد تحولت الى كل شيء سواك . اشور واليونان ورومية وقرطجنة ، ما هي ؟ مياهك قد افنتها اذ كانت حرة ، وبعدئذ عدة طغاة ، فسواحلها تخضع الآن للاجنبي او العبد او المتوحش . اما انت فعلى غير ذلك الحال ؛ تأبى التحول الا عند لهو امواجك الشديدة . الزمان لا يرسم غضناً على جبينك اللازوردي ، فتدحرج مياهك الآن كما رآك فجر التكوين !

انت ، يا مرآة مجيدة تنعكس فيها صورة الكلي القدرة حين العواصف ، انت الذي في كل آن ، في الهدو. او التشنج ، عند هبوب النسيم او العاصفة او الريح الزعزع ، حين جمودك في القطب او وجودك في اقاليم القيظ ، لا تزال حزيناً ، خافقاً ، بلا نهاية ، بلا حدود ، فائق الجمال ، رمز الابدية ، عرش الاله الخفي . حتى من طين قعرك تجبل حيوانات اللجج الجبارة . كل منطقة تطيعك ، وانت تسير قدماً ، رهيباً ، غير قابل السبر ، وحيداً !

ولقد شغفت بك ، ايها المحيط ، وكان فرحي بملاهي الشباب ان اكون محمولاً الى الامام على صدرك مثل نفاخاتك . منذ الطفولة كنت اعبث بامواجك المتقهقرة بضجة بعد الاصطدام . كانت نعيماً لي ، واذا هيّجها البحر عند برودته ، كانت هيبتي مطربة ، لاني كنت مثل ولد من اولادك ، اثق بامواجك في كل مكان ، وأضع يديّ على لبدتك كما افعل الآن . »

لقد قيل بكل الصواب ان الهيام يوجد حتماً بعض المساواة بين المحب ومحبوبه ، ولو كان بين مقاميهما بون شاسع . ومن ثم قد حث الشغف بمحاسن الطبيعة نوابغ الشعراء على اعارتها نفساً بشرية تشاطرهم افكارهم وهمومهم ، افراحهم واحزانهم . ما اشد طرب توما مور Moore الانكليزي (١٧٧٩-١٨٥٢) باصغائه المتواتر الى احاديث اجراس المساء :

« اجراس المساء هذه ، اجراس المساء هذه ، كم من حديث تحدثنا موسيقاها عن الشباب والوطن وذلك الزمان اللذيذ الذي سمعتُ فيه آخر مرة الحانها المتآلفة ، المسكنة ! تلك الساعات السعيدة قد مضت ، وكثير من القلوب التي كانت وقتئذ جذلة ، تسكن الآن في ظلام القبر ، فلا تعود تسمع تلك اجراس المساء ! وهكذا يكون بعد رحيلي ؛ سترنّ دقة الاجراس الرخيمة ،

بينا يسير في هذه الاودية شعرا. غيري، ويترنمون بديحك، يااجراس المساء اللذيذة! »

جورج موريس Morris الاميركي (١٨٠٢ — ١٨٦٤) يعدّ سنديانة اظلّته طول اعوام شبابه، صديقةً عزيزة جدًّا، فينهى الحطاب عن مساسها بفأسه المحطِّمة القاسية:

« يا حطاب، لا تؤذ هذه الشجرة! لا تمس غصنًا واحدًا منها، فقد اظلّتني في الشباب وسأحميها الآن. يد جدي هي التي جعلتها في جوار كوخه، فهناك دعها، يا حطاب، يجب الا تؤذيها فأسك!

اذ لم اكن سوى صبي كسلان، كنت اطلب ظلها اللطيف. هنا ايضًا كانت اخواتي يلعبن بأتم الفرح الطافح، هنا كانت امي تلثمني وابي يصافحني. إغفر لي هذه الدمعة البلهاء، لكن دع هذه السنديانة القديمة!

ايتها الصديقة القديمة، حولك متعلقة الياف قلبي، شديدة القرب منك مثل لحائك! فلا بد من ان يغرد هنا الطير البرّي ويواصل امالة اغصانك. ايتها الشجرة القديمة، ابقي على مجابهة العاصفة. اما انت، يا حطاب، فغادر هذا المكان، ما دامت لي يد للانقاذ، لن تؤذيه فأسك البتة! »

هنري لنكفلو الاميركي، السابق ذكره، قد سمّى تعويم سفينة تزوجها للبحر، فبلغ ذروة الابتكار والاجادة في وصف العروسين يوم اقترانهما السعيد:

« لقد تم كل شيء، اخيرًا وانى عرس الجمال والقوة، اليوم تُعوِّم السفينة. السما. قد بيّضتها غيوم مجمّدة، وعلى القُرضة تطلع الشمس الكبيرة، متهللة ومحلاة بكل حلاها البهية، لتشاهد ذلك المشهد. البحر الهرم، ابن العصور المديدة، القوي والمستقل مثل الشباب، يسير مضطربًا، من جهة الى اخرى، يصعد الى الرمال الذهبية وينزل منها. قلبه الخافق لا هدو. له، في كل فضائه الرحيب تهتز لحيته البيضا. كالثائج مع اهتزاز صدره، بتموج غير منقطع، ينتظر عروسه بفروغ صبر. هي واقفة هناك، ورجلاها على الرمال، مزينة بالاعلام البهيجة، احتفالًا بيوم زواجها. راياتها البيضا. كالثلج ترفرف، ويختلط بعضها بالبعض، وتنسدل حولها شبه الثام، وهي مستعدة لتكون عروس البحر الهرم الشائب. »

إرنست راوباخ Raupach الالماني (١٧٨٤—١٨٥٢) قد رثى لفرط شقاء بنفسجة ذبلت في ريعان شبابها ، فاقتحم وزعم ان الله تعالى قليل العناية بها ، فافحمته الزهرة المتواضعة ذاكرةً له كثرة النعم التي غمرها بها خالقها، ومؤكدةً له تجدد نضارتها وازدياد حسنها في الربيع القادم :

« قلتُ امام بنفسجة ، وانا واقف بجانب ساقية ؛ قلت لبنفسجة شقية وجدتها ذابلة : « قد انقضت حياتك الجميلة ! بسرعان ما ذبلتِ ! كيف يسوغ للرب القاسي ان يقصّر مهلة حياتك الى هذا الحد ؟ » »

فقالت البنفسجة التقية : « لا توبخنّ الرب ؛ لو تشكيتُ من نصيبي ، « لاستحققت دينونة عنيفة . لقد ضفر حياتي القصيرة ، من الفغوم الى ختامها، « بالافراح فقط ؛ ماذا اعطيته عوضاً عن ذلك ؟ جعلني انبت فرحةً بجانب هذه « الساقية الفضية ، ومنحني من اشجار ملتفة سقف اوراق واقياً . لم يترك دودة « صغيرة تقضمني ، بل جعلني اثر جميلة هيفاء ، واعطاني بعد الايام الحارة « شراب الندى المرطّب . لي كان نعيم المساء ، لي كانت ابهة الصباح ؛ كانت « الشمس تلثمني في النهار ، والقمر اللطيف في الليل . فاذا انخفضتُ الآن « رويداً ، فالسنة تجري مجراها ويعود ربيع ، فاتفتح بجمال اشدّ ! »

لقد حان ختام هذه المقالة التي سداها تعريبنا الدقيق لبعض فرائد الشعر الغنائي في اللغات الجرمانية، ولحمتها نظم تلك الدرر اليتيمة في سلك واحد يجمع شملها بعد شتاته ، ويوطد ارتباطها بترتيبها على حسب موادّها . وكما ان زائر متحف صور وتماثيل رائعة يغادره بنشوة الطرب السامية مصحوبةً بفهم اعمق لاصول التصوير والنحت، نؤمّل ان الخارجين من معرض بدائع القريض الجرماني يزيدون معرفةً لما يقتضيه الشعر المحض — وهو ملك الفنون الجميلة — من سمو الافكار ونُبل العواطف وابتكار الخيالات ، فضلاً عن وضوح التعبير وكمال انسجامه .

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلّامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف الدال

الدامور — بلدة مشهورة في ساحل لبنان وأصلها سرياني بمعنى العجب أو باسم الإله تامار او دامور بمعنى المحامي من آلهة الاراميين والفينيقيين او باسم دُمّر ومنها بلدة دمّر قرب دمشق الشام وقربها كتابة على صخر .

دان — عبرانية بمعنى قاض. وفي بلاد بعلبك قرية (كفردان) اي قرية القاضي .

دان (بانياس) = دان عبرانية بمعنى القاضي وبانياس باسم إله الغاب عند اليونان .

درعون — سريانية — البويب وهناك محل يدعى البويب .

درغايا — سريانية — الدرج .

دركوشه — سريانية المنزل او صومعة الراهب .

درّيا — سريانية — الذراية او التذرية في بيادر الحبوب ودوسها .

الدلاص — شير الدلاص القلعة — سريانية — وعلى كنيسة مار يعقوب في حصرون (لبنان) إشارة إلى ان رهبان الدلاص زاروا هذه الكنيسة .

الدِرْكي — اسم بركة في مدينة بيروت وهو لفظ فينيقي بمعنى الماء كما ذكر ڤولني وهذا ينفي قول من قال ان اسم بيروت فينيقي هو جمع بئر لكثرة الآبار فيها مع ان ماءها كثير .

دملصا — سريانية — المحل الحريز الذي لا يغلب ولا يرام .

دميت والبعيري والجربان (شوف لبنان) سريانية الجنجل وهي بقلة والدليل

على ذلك انه في الجية يوجد محل يدعى — ادنيت — والبحري بجواره .
الدوق — سريانية — المطل وهو المكان الذي يشرف منه .
الدوير — دوير الرمان — سريانية — علّيّة .
دير عوكر — سريانية — بمعنى الوليمة .
ديك المحدي — والمحتي قرب عجين (لبنان) سريانية بمعنى نزالة — سيلان الارض من المطر .
دفنه — يونانيــة بمعنى — الغار — وهو من شارات ابولون اليوناني (اي تموز الفينيقي) وهي قرب انطاكية فيها شلالات مشهورة ودفنه هي ابنة نهر باني Pénée المعبود في تساليه كإله فكلف بهــا ابولون إله النور لجمالها وتبعها فتضرعت الى ابيها الإله باني ليخلصها منه فمسخها (غاراً) جميل المنظر (ودفنه) في كسروان على بعد ساعة من غزير الى الشمال الشرقي كلها غابات . ولعل ابولون هو تموز الفينيقي الذي كان الغار من شاراته وفي — دفنه — هذه آثار معبد بقيت بعض حجارتــه الضخمة . وجرّت اليها المياه من نبع المغارة لوجود خنادق هناك تدلُّ عليها . وقرب بانياس في نواحي حاصبيا ومرجعيون بلدة ستيت — تل دفنه — .
دفون — سريانية — الصندوق وقيل التابوت .
دمشق — تماسكو في الكرنك وهي سامية بمعنى مشرة اشارة الى غوطتها .
دَمنهور — مصريتها القديمة — ديمي ن هور — مركبة من ثــلاث كلمات — ديمي — مدينة و — ن — علامة الإضافة و — هور — المعبود المصري. فمعناها — مدينة المعبود هور — فقال العرب بالنحت — دمنهور .
دِمياط — اصلها — تامهيت — من كلمتين — تا — ارض و — مهيت — البحري فمعناها ارض الوجه البحري وقال العرب — دمياط — .
دير القرقفة — موقعه على قمــة فوق كفرشيما المشهورة والاسم سرياني بمعنى — دير الجمجمة — .
ديار بكر — تنسب الى بكر بن وائل بن قاسط سماها الرومان — آميد — وهي أهم حصن روماني في اعالي دجلة وتسمى الآن — قره آميد — اي اميد السود اللون حجارتها السوداء .

دير القمر — قصبة مشهورة في شوف لبنان .

دير ترعيل — في جهات حلب — سريانية بمعنى باب الله .

الدعاس — يونانية ذيموس بمعنى غرفة وتطلق على ما يحفر من المغاور تحت الارض وهو النفق وهي قرية على طريق دمشق من زحلة والبقاع في الصحراء. ومن امثال العامة عندنا (بفرجك مين سرق الناس من الدعاس) للتهديد ولها قصة تدل عليها المثل اي سارق الناس من هذه القرية سبب ربط الطريق على المارة مدة وذلك لان القرية في البرية قرب الطريق فقطعوا السبيل .

دير قانون — على طريق دمشق بالوادي بينها وبين رباق (اي دير قونون) باليونانية بمعنى — دير القانون — .

دار السعادة — من اسماء القسطنطينية بعد الفتح العثماني وذلك للتفاؤل مثل — دار السلام لبغداد و — المحروسة — للقاهرة .

دير مُران — في صالحية دمشق لعلها — دير يُوران — بالسريانية او تحريف — دير الرمّان — .

دومة — معناها السكوت .

دورس — قبة قبال قلعة بعلبك لعلها Doris ابنة اوسيانوس وزوجة فيريوس احد آلهة البحر .

دير — الزُور — كان قديماً يسمى دير الراهبات تبع لرحبة مالك بن طوق ثم سمي دير الشعّار لان فئة من سكانه لا يزال لها بقية باسم الشعار كانت تنشد العربان اشعارًا على نغم الربابة . ثم صار الآن دير الزور عند الاتراك — اي دير البساتين والعودات .

دير عطيه — ربما نسبت الى دير هناك باسم القديس تاودورس وهو لفظ يوناني معناه — عطاء الله — .

حرف الذال

ذِكابُولِس — Decapolis — يونانية من — ديكا — عشرة وبوليس المدن =

اي المدن العشرة وهي مقاطعة في شرق فلسطين تشمل المدن العشرة الكبيرة وهي دمشق وفيلادلفيا وراقا وسكيتوبوليس وجدرة وهبوس وديوف وبلا وجلاتا (اي جرش) وكناتا كانت هذه المدن مدة طويلة متحدة فاطلق عليها هذا الاسم في القرن الاول للميلاد . ومنحت امتيازات سياسية بعد فتح الرومان لسورية سنة ٦٤ قبل المسيح .

ذِيُوسْبُولِيس — Diospolis يونانية معناها — مدينة جوبيتر — اي المشتري اسم لعدة مدن في مصر السفلى والصعيد .

حرف الراء

راس الشقعة — فوق البترون في لبنان (راجع كلمة — ترابوزان —) .

الرَّامة — مدينة فلسطينية ذكرتها التوراة مرارًا ومعناها — علو — او — نجد — وهي اصل آرام — اي نجاد — واصل المشتقات الاخرى كرام ورامتايم وراموث ورامي ورامة بمعنى التل اسمها القديم — ارياتية — .

رَامُهُرمُز — قال ياقوت معناها بالفارسية (مقصود هرمز) وهي مدينة من نواحي خوزستان .

رَامَيا — سريانيتها — رُومَايُو — اي الماء الفائض هي في لبنان — و — رُو — عربيتها — الريّ — .

ربلة — عبرانية — بمعنى — الخصب — وهي قرب حمص قرية قديمة .

الرِّقَّة — بالفتح ثم التشديد كل ارض الى جنب وادٍ ينبسط الماء عليها ايام المدّ ثم ينضب فيكون مكرمة للنبات جمعها رقاق . والرقتان بلدتان وهما الرِّقَّة — والرافقة (في البستاني) والصواب الرافقة قيل لهما ذلك من باب التغليب كالقمرين للشمس والقمر .

رُمُون — راجع هَدَد .

رَمّ — Ramm قال ابن الفقيه — الزموم — معناها بلغة الفرس — محال الاكراد — ومنازلهم وهي مواضع بفارس منها — رم الحسن بن جيلويه —

وسمي — رم الباذنجان ـ وهو قرب شيراز .

الرها — راجع اوذسا — سريانيتها — أورهي — بمعنى — قلعة الحي — او محل الحيّ وتسمى الآن — اورفا — .

رُوْدِسْ — Rhodes يونانية بمعنى — الورد — وهي اسم جزيرة في البحر المتوسط كان سكانها الاولون من اهل دوري وتتألف اذ ذاك من اقدم مدن الجزيرة وهي ثلث لندس ويالسوس وكيروس .

رُوْمْ قَلْعَة — لفظة تركية معناها — قلعة الروم — في تركية آسية على الفرات .

رِيَاق — يونانية — رياكي Riaci اي مجرى الماء او السيل .

الآثار المطوَّية (تابع)

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

٧٩

جواب الفقده (الافتقاد)

حضرة اخونا عبدالله المحترم

بعد الاحتشام وكمال الاحترام والسؤال عن غالي سلامتكم على الدوام . بابرك وقت وصل تحرير خوتكم وفهمناه وحمدناه تعالى لصحة سلامتكم ومن وفور غيرتكم به مسالين(مسائلون) عن حال اختكم فاننا بحوله تعالى وحسن نيّتكم حين رقه حائزين تمام الصحه المرجوّه دوامها لخوتكم . رجانا دايماً تكرموا علينا بتعريف الاطمئنان لنكون دايماً من نحوكم مقرّين الناظر ومجبورين الخاطر في بشاير صحتكم وتوفيق احوالكم ؛ ومنا لثم ايدي حضرة خالنا المحترم. ومنا وفور الاشواق لحضرة اختنا والدتكم ولخوانا اخوتكم المحترمين من بعد السوال عن صحتهم . ووصل انطون نترجاكم تأمروا ولدنا شاهين يحضر صحبته على البرود والمذكور اخد (اخذ) منا كراه انه بيحمل ولدنا وانتم افهموا شاهين انه لا يمشي ولا قدّم . نرجا(نرجو)عدم المواخده باصداع خاطركم. ودايماً طمنونا عن صحتكم وصحة من ذكرنا ودام لنا بقاكم .

اختكم والدة شاهين الدحداح[1]

٨٠

غيره

جناب حضرة الاديب الكامل . الوارد من اللطف اعذب المناهل . من

١) يظهر ان هذه المرأة كانت تعرف باسم : امّ شاهين . وقد سبق نص كتاب لها من البطريرك يعقوب الادمني .

اذا لفظ نظم الدرر . واذا كتب رأيت الطرر على الغرر . نابغة الزمان . حائز قصب السبق يوم الرهان . محبنا المحترم دامت عليه سوابغ النعم .

غب اهداء جنابه عطر شوق يفاوح الزهور . وضياء ثناء يفاخر الشموس فضلًا عن البدور . فالمبدي لجنابكم الذي ارجو بقاءه . وعلوه وارتقاءه . ان لسان القلم في ترجيكم طال مع انه من شكر اياديكم في قصور . ولو عتبتم عليه لانشدكم ما يحملكم ان تجاوزه اكبر معذور ، وهو قول بعض البلغاء . شعر :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد احدًا سواك الى المكارم ينسبُ
فاصبر لعادتك التي عوّدتنا او لا فارشدنا الى من نذهبُ

ومن جملة من يترجا ان يحلّ كسير نظركم عليه . وتميلوا بجانب العطف والحنو والمساعده اليه . رافع الوكة المودة . الباذل في شكر جنابكم جهده . القيسي[1] الذي ضربه حادث الدهر بامضى يماني . والعاني الذي كلّ لحظه لمرضه يعاني . لان المذكور مما اتضح حاله عند جنابكم واشتهر . وانتم اولى من رحم عزيز قوم ذل وغنيّ قوم افتقر . فنرجو ان لا يرجع من رحابكم ذلك المذكور . الا وهو قرير الطرف وقلبه مجبور . ويكفيكم منه دوام دعائه وطول ثنائه . هو وعياله الذين يموتون لفقره . ويعيشون ليسره . اسأل الله تعالى ان يديم لكم الارتفاع . كما ادام بكم الانتفاع . والرجا دوام المراسله . ومن عندنا جميع الاحباب يهدون مسك الشوق لذاك الجناب ...

٨١

غيره مثله

ان السعادة امرٌ ليس يدركهُ كلُّ الخلائق الّا بالمقادير
متنوعة من اناس طالبين لها وقد تُساقُ الى قوم بتسخير

ان ابهى ما نظمتهُ الحور في النحور . وجلته ايدي الحبور من صدور النحور . درر اشواق . وغرر اتواق . تتألق بروقها . ويخفق في خافقي القلب والاحشاء شروقها . حتى تري لطائفها بالشمول . وتحملها نسائم القبول . الى

١) ان البلاد كانت مقسومة قسمين : قيسي ويمني ، ثم يزبكي وجنبلاطي .

جناب ريحانة الاحباب . ومفخر الكتّاب . ولا نثر من يحاكيه قول الشاعر النبيه . شعر :

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سوّدت نفسك بالمداد

جعل الله السعادة بالسنة اقلامه محفوفه . والظرافة في ثغر دواته مظروفه . وافلاك القبول بها محيطه . اصناف الادب بها منوطه . ولا برحت تنشد بلسان حالها بين اقرانها وامثالها .

انا دواةٌ يضحك الجود من بكا يراعي جلّ من قد براه .
دلّوا على خلّي من مسّهُ داءٌ من الفقر فانّي دواهُ .

غب اتحاف جنابه بانوار تلك الاشواق القلبية الصادرة عن زيتونة المحبة التي هي لا شرقية ولا غربية . والتضرع بدوام مسرّاته . وطيب دقائقه واوقاته . فالذي نبديه وصول طرس البشاره . الفائق في البراعه والعباره . الـذي لو جاء رآهُ قسّ في ميدان البلاغه لقصر عن ان يشق غباره . فكان وروده اهنأ من الما . للصادي . واهدى من طلوع الفجر للغادي . واشهى من مناجاة الحبيب . في غفلات الرقيب . فطالما تطاولت لمشاهدته اعناق الرجال . حتى ظنناهُ هلال شوال . وكم انشد عند رؤيته كلٌّ منا وقال . شعر :

ورد الكتابُ فرحباً بوروده اهلاً وسهلا
اذ كان بالفضل المبين م وبالبلاغة مستقلا
وأتى فيا لله مـا اشهى فكاهتهُ واحلى
وغدا بينننا فقد عظم السرور به وحلا

فاما ما اغرب واعرب . وبشّر بحصول واطرب . فذلك ما كنا نبغي من الرحيم . وما كنا نرجوهُ من جوده العميم . فعندما حقق الله تعالى ذلك الرجا . ولم يضع من اليه التجا . شملت تلك البشاره اقطار جوارحنا . واحاطت باعضائنا وجوانحنا . واشنف خواطرنا داعي الطرب . وسرّنا جميعاً باوغ الارب . لما منح الله تعالى به جنابكم من خدمة سعادة افندينا وليّ النعم التي صفت مشارعها . وعذبت منابعها . وطابت مغارسها . وحسنت ملابسها . فلقد جمّلها انقه وشرّفها . وعضد عضدها واكنفها . اذ من المعلوم ان شرف الاعمال بالعمّال .

كما ان شرف النساء بالرجال . ولعمري ان سعادة افندينا وليّ النعم . ادامهُ الله تعالى باسطاً يد الكرم . هو المهذّب الخبير . والناقد البصير . فالحمد لله الذي ألهم الهمة الجزائرية السداد . وحثّها على اصلاح امور البلاد والعباد . حتى وُضعت الاشياء في محالها . وفُوّضت امور هذه الخدمة الى الخبير بعقدها وحلّها . فالله تعالى يبقي فراسة سعادته الذي لا يطيش سهمها . ولا يتكدر نجمها . والله المسؤول ان يجعل هذه الخدمة بداية الخير والنوال . ومقدّمة نتائج العزّ والاقبال . وان يديمها غرّةً في جبهة الايام ويعمّ بالحسن مبدأها والختام . ودائماً تواصلونا باعلامكم السارّة . مقرونة بما يقتضي من الاغراض الكثيرة والنادرة . . .

محبٌّ مخلص

وجاءت في آخر هذه « السفينة » المخطوطة ، وصيّة الشيخ جهجاه الدحداح لابنه خطّار والبكها بحرفها الواحد :

« ينبغي اولاً يا خطار ان تتعلّم قواعد الايمان قبل كل شيء وتعلّم اخوتك فاعود وحتا ودائماً يكون اتكالك على شفاعة البتول مريم عليها اشرف سلام لان بدون الاتكال على راحمها باطل كل تعب وامل . ودائماً اذكر موتاك بالقداسات والمنقطعين ايضاً . فالباري يجازيك خيراً وتوفيق بهذه الدنيا والآخرة يعطيك النعيم الابدي حيث انك تبقى حافظاً الناموس الإلهي مع تكرار الاعترافات والمشية اللايقة بحسن الكمالات والادب بين الناس لان ذلك واجب ولايق ومما يرضي الله والخلق . وايضاً مشية الحسنة تدلّ على حسن الديانة واذا كان الإنسان متمسك في ديانته جميع الخلايق تعتبره ويزيد توفيق بهذه الدنيا والكمالات العالية تزيده محاسن . ودائماً يكون عندك الإفتكار ان هذه الدنيا زايلة . وفي كل ساعة يكون خوف الله امامك لكي تتوقى من فخاخ عدو الخير خزاه الله . واياك والكذب لانهُ يشين الرجال والشاب بالخلق ايضاً » .

يقول الناشر – الاب انطونيوس شبلي – هذا ما استحسنّاهُ ونشرناهُ من المخطوطة المسمّاة « السفينة » للشيخ جهجاه الدحداح ، ورأينا تكرار وصيّته لابنه خطار ، بان لا يدنو من الحكّام والبعد عنهم خيرٌ من القرب اليهم وقد لا ينجو من عاقبة سخطهم وانه يفضّل ان يشتغل في ارضه ولا يغترّ بخدمتهم التي ربّما تجرّ عليه آخراً البؤس والهلكة ولا يعرف حلول ساعات الرضى وساعات الغضب . قال الشاعر :

ان الملوك بلاء اينما حلّوا فلا يكن لك في اكنافهم ظلّ
ماذا تؤمّلُ من قوم اذا غضبوا جاروا عليك وان أرضيتهم ملّوا
وان مدحتهمُ ظنّوك تخدعهم واستثقلوك كما يستثقل الكَلّ[1]
فأستغنِ بالله عن ابوابهم كرَمًا انّ الوقوف على ابوابهم ذلّ

وتكفي وصيّة الشيخ جهجاه لابنه خطّار التي ختم بها هذه المخطوطة الأثريّة، لان توفع منزلتهُ في العيون والقلوب، لانها تنبئ كما رأيت، عن رسوخ عقيدته وصحّة ديانته ووفرة عبادته وشدّة تمسّكه بأهداب الدين والآداب وعن تمدّه لسلطانة السماء والارض مريم العذراء. وفيها من النصائح الخلاصية المؤدية الى الحياة السعيدة الابدية ما يطيب وقعة ويُستعذب سمعهُ. وهناك شبه بين هذه الوصيّة وبين وصيّة الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان لصاحبه ابي يوسف اذ قال لهُ:

«يا يعقوب وقّر السلطان وعظّم منزلتهُ، واياك والكذب بين يديه والدخول عليه في كل وقتٍ ما لم يدعُك لحاجةٍ، وكن منهُ كما انت من النار تنتفع منها وتتباعد عنها... وعليك بتقوى الله تعالى واداء الامانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة ولا تستخفّ بالناس وقرّ نفسك ووقرهم...»[2]

---

١) الكَلّ بفتح الكاف: الثقل.

٢) كتاب «الاشباه والنظائر» المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٢ هـ. صفحة ١٧١.

علم الادب[1]

توطئة

ان الطيّب الذكر الاب نعمة الله ابو ناضر، عَلمٌ من اعلام البيان والتبيان، وحجة بالقلم وذرابة اللسان، اذا نظم سحر، واذا خطب خلب، واذا كتب سلب، فهو موسوعة معارف، فاذا سألتهُ واستكتبته جال وصال، وأفاد وحلّق في كلّ معنىً ومقال ومآل. برع في اللغة العربية ودانت له شواردها واوابدها، وصرفها ونحوها، وعروضها وقوافيها، وملك عنان رقابها، يفرغُ المعاني في قالبٍ فصيحٍ من المباني، فيأتيك بالدرر والغرر مغلّفةً بثوبٍ جميل مطرّز الحواشي موشّى بقلمه المراع. واذا قرض الشعر سبكهُ وحبكهُ ورصّهُ في بنيانهِ فيتعارف ويتعاطف ويتلاحم ويتلاصق ويلزُ ويشتدُ حتى يصحّ ان يُسمّى بالبنيان المرصوص، ولا تستطيع ان تقتلع من قصيدته بيتاً بدون ان يُعرف موضعهُ.

درس في جامعة القديس يوسف في بيروت واتقن اللغة العربية حتى غدا من جهابذتها، والفرنسية واللاتينية واليونانية والتركية وفنّ المحاماة. وكان محرّراً جريدة «روضة المعارف» الاسبوعية في بيروت[2] اذ كان يدعى شاكر ابو ناضر. وهو شقيق المحامي الشهير طانيوس بك ابو ناضر – بسكنتا – وعمّ روكز بك ابو ناضر. وقد علّم المعاني والبيان في جامعة القديس يوسف اذكان عالماً. وفي اثناء وجوده فيها كان الشيخ ابرهيم اليازجي يتردّد على هذه الجامعة لتنقيح عبارة الكتاب المقدس. وقد سافر وتعرّف بجمال الدين الافغاني الشافق الشهرة، فكان يحضر مجلسه مع تلاميذه ومريديه الذين كانوا يلتفون حوله لاستماع دروسه ودرر حكمه. وكان كلٌ منهم يلقي موضوعاً في عقد الاجتماع يقترحهُ عليه السيد احياناً. فبعد ان القى شاكر ابو ناضر محاضرته أُعجب به احد الحاضرين. ولما نزل شاكر عن المنبر قال لهُ: «ضيعانك تكون مسيحي» فسمعه جمال الدين وصاح به باعلى صوته ضارباً كفّاً بكفّ قائلاً: «دعهُ في دينه».

١) بقلم الاب نعمة الله ابو ناضر الراهب اللبناني.

٢) راجع عدد جريدة «البشير» البيروتية الصادر في ٢٣ ايلول سنة ١٩٣٢

وللحادثة أليمة عرضت لشقيقه طانيوس ابو ناضر، لا محلّ لذكرها هنا، كره شاكر الدنيا وما فيها من الكذب والنفاق وملّ عشرة الناس وترك التعليم فجأةً في جامعة القديس يوسف وكان وقتئذٍ يدرّس صفّ البيان وأحب حياة الزهد والاختلاء، فانضوى الى رهبانيتنا اللبنانية المارونية وترهب في دير مار قبريانوس كفيفان تحت ادارة رجل الفضيلة والتقوى المرحوم الاب اغناطيوس داغر التنوري ودُعي باسم الاخ نعمة الله. وقد كان كاهن راهب من بسكنتا من اسرته يسمّى بهذا الاسم ترأس على دير مار يوحنا مارون قنّوبين. وسأل احد تلاميذ صفّ الخطابة في الجامعة المذكورة استاذه رشيد الخوري الشرتوني: «أصحيح ان الاستاذ شاكر ابو ناضر ذهب الى الدير للترهّب؟» فاجاب: «نعم صحيح! رجل عرك الدنيا وعرف ما فيها من الاباطيل فزهد فيها وتخصص لخدمة ربه فهنيئاً له.» وأقيم كاتم اسرار الرئاسة العامة في عهد قدس الاباتي اجناديوس سركيس، فلم تخرج رسالة من الرئاسة العامة ولم يخط سطر في سجلاتها الا من قلمه.

ومن آثار قلمه: «رواية الاهوال» ورواية «الطبيب الطريد» نُشرت تباعاً في جريدة «البشير» ثم جُمعت على حدة سنة ١٩٢٠ في ١٩١صفحة وكتاب «الاقتداء بمريم» ترجمة. لم يزل خطاً ومقالات في علم الادب وهي التي ستأتي وله قصائد عديدة ومقالات مختلفة هنا وهناك.

وعهدت اليه الرهبانية تعليم اخوته الرهبان التلاميذ اخاً وكاهناً، فزاول هذه المهنة بسرور وانبساط وجلدٍ غريب الى اواخر حياته. وهو الذي نهض باللغة العربية في الرهبانية ونفخ من روحه في صدور تلاميذها، وهي تذكر له جهاده وسهره وتضحيته بالخير والثنا... كان راهباً وديعاً عفيفاً متجرداً متواضعاً طائعاً فقيراً مترفعاً عن خيرات الدنيا، حاضر البديهة فصيح اللسان، جيد البيان. ذكيّ الجنان كثير النوادر، سريع الخاطر حاضر الجواب المحكم المقنع، حلو المعاشرة، لذيذ الحديث، وحديثهُ — اندى على الاكباد من قطر الندى — فلا يملّ منهُ السامع لان عنده دائماً شيئاً جديداً لذيذاً، حبياً الى كل القلوب — كأنهُ من كل الطباع مركّب — ميالاً الى المباسطة والمفاكهة عندما يثقل عليه التعب من الدرس او التعليم. وكان كريم الخُلق سمحاً يجود بمعرفته وخبرته على كل سائلٍ:

«فما الروضة الزهراء يعبق نشرها بأطيب يوماً من خلائقه ريّا»

وقد درسنا عليه المعاني والبيان، وكان إماماً في هذا الفرع في شرح كتاب «عقود الجمان في علم البيان» للشيخ ناصيف اليازجي، طويل الاناة على تلاميذه، لا ينفك عن التلميذ الضعيف حتى يفهمه شرح الامثولة . ومما عُرف به ان كلامه في الشرح كان صحيحاً معرباً ولو استغرق اكثر من ساعة . وفي هذه الاثناء كان يملي علينا صفحات مختصرة جميلة في علم الادب . وزاول مهنة التعليم حتى عُيّن رئيس معاملة ادبار المتن والقاطع، فبانقطاعه عن التعليم انقطعت سلسلة تلك المقالات في علم الادب الشائقة وصرفته اشغال وظيفته الجديدة عن متابعتها . ولو ظلّ استاذاً للمعاني والبيان لكان ألّف منها كتاباً مشرق الديباجة جديد الفكر غزير النفع . وهذه هي مقالاته الطريفة في علم الادب التي كان يمليها علينا فنكتبها :

تمهيد

الفصل الاول

في علم الآداب العربيّة

ان لعلم الآداب على الاطلاق تعريفين : الاول وهو ما يرد في كتب علم الادب واصوله . انه عبارة عن قواعد او قوانين تؤدي مراعاتها الى اكتساب فنّ الكتابة . والثاني هو عبارة عن مجموعة كتابات الادباء الذين كشفوا لنا عن حقيقة هذا الفن .

فان علم الادب بالنظر الى تعريفه الاخير انما هو مجمل ثمرات القرائح التي بها يظهر العقل البشري بواسطة فنّ الانشاء او الكتابة . على ان كلّ كتاب يبيّن ويكشف لنا عن مكانة عقل واضعه وشعوره فانه مرآة نفسه . ومجموعة هذه المؤلفات التي ظهرت للوجود في عالم الادب تبيّنُ لنا ما كان عليه كتّاب كلّ عصر وكل مصر من قوّة الفكر وشدّة الشعور الخاصة بهم .

ان علم الادب هو لسان حال الامّة وهو صحيفة من التاريخ العام لان الكتّاب الذين وصل الينا منثورهم ومنظومهم يبيّن لنا ما كان عليه معاصروهم من التراوح

بين اليقين والشك والسرور والحزن، وما كانوا عليه ايضاً من شدّة العارضة وضعف العقل فانهم كانوا كصدى تلك الامة الصادق في نقل حكاياتها .

فانه لا محلّ في علم الادب الّا لكل كتابة يُعتبر انشاؤها . امّا تاريخ الادب فيستقريْ جميع ارباب الاقلام من اول نشأة اللغة التي كتبوا فيها الى حين تلاشيها اي حتى تصبح تلك اللغة من اللغات المندرسة . فان هذا التاريخ كناية عن معرض تُعرض فيه جميع القرائح المولّدة او كلّ صاحب قلم ظهر في عالم الادب والفضيلة في ذلك التاريخ هو ان صاحبه يستوعب جميع الكتّاب اي من اية طبقة كانوا ولا يغفل عن ذكر احدٍ منهم .

الفصل الثاني

في كتب علم الادب التعليمية

ما هي كتب علم الادب ؟ هي بعض الكتب التي تفرّدت بحسن الانشاء ، او بعض الاعصار التي عُرف كتّابها بحسن الانشاء . فصلحت ان تُتخذ قاعدةً يُؤخذ عنها هذا الفن .

فعصر علم الادب عند اليونانيين يبتدئ من نهاية الحروب المادية وينتهي بفتوحات اسكندر الكبير . ويبتدئ عند الرومانيين بعصر شيشرون وينتهي بموت اغوسطوس قيصر . وامّا في فرنسة فالعصر السابع عشر هو عصر علم الادب التعليمي .

ومن شروط الكتب الواجب اتخاذها قاعدةً للتعليم هو :

اولًا : ان تتجلّى فيها التصورات العامة ؛ لان اعصار الادب وكتبه المتخذة قاعدةً للتعليم انما هي عبارةٌ عن تآليف اولئك الكتّاب التي يؤثرها الذوق العام على غيرها من الكتب ويبسطها ائمة العلم في حلقات التدريس ومجالس التعليم . فالكتّاب الحقيقيون بهذا الاختصاص انما هم اولئك الذين أُلهموا تصوُّرات عامّة شائقة يفهمها كلٌّ عاقل ويعجب بها كلُّ صاحب ذوق سليم . ومثال ذلك ما نشعر به من التأثُّرات عند مطالعة الإلياذة وغيرها من كتب هوميروس الشهير

اذ تتجلّى لنا فيها الشجاعة والصداقة ومحبّة الوطن والنخوة الاهلية وحماية الذمار.
فمثل هذه العواطف شائعٌ في كلّ الاعصار والامصار وهي مما يتناوله الفهم
ويحلى في القلب في ايامنا هذه كما كانت في ايام هوميروس نفسها لانها لازمة
عن قوّة جوهريّة مستقرّة في النفس البشرية . وهذا هو السببُ الذي من اجله
تُسمّى تصوّرات عامة .

ثانياً : ان ما يجعل الفرق بين كتب التعليم وغيرها انما هو الذوق السليم
الفاصل بين الحسن والرديء وادراك معنى حسن نظام الفواصل في الكلام
وكمال صيغ الانشا. واساليبه فترى في تلك الكتب الخيال والحسّ تحت قيد
العقل يتراوح بينهما الكلام على خط الاعتدال وترى في حسن التعبير عن الافكار
انطباقاً كاملاً .

أمّا الانشاء الحالي من هذا التعادل بين الخيال والحسّ الذي وان يكن
صاحبه مالكاً المزايا الاولى التي يتطلبها حسن الكتابة يعثر القارئ الاديب
فيه على كثير من النواقص ، ليس بحقيق ان يُعدّ من كتب التعليم لان الطالب
يقف متحيّراً ومتردداً عند مثل هذه الكتابة القلقة الملتبسة ويُشفق من انه
يقتدي باجزائها المختلّة فتسري اليه عدوى الركاكة والهجنة منها . فمن الضروري
اذن في علم الادب الّا يوضع نصب اعين الطلّاب سوى كل كتابٍ يكون
مثال الاجادة والكمال .

ثالثاً : ان من هذه الشروط القِدم فلا بدّ للكتابة من ان يمرّ عليها بعض
السنين ويمضي عليها ردح من الحين حتى تصحّ قراءتها وتعليمها على منابر المدارس
لان كل ما غبر الزمان سكن الهوى وسقطت الاوهام وتجلّت لنا الافكار ولو
عن بعدٍ شاسع من وراء عصرنا في سماء صافية لا يشوبها كدر . وحينئذٍ لا
يتقيّد العقل بشيء يمنع ادراكه الساطع وحكمهُ القاطع . ووجوه الخلل تظهر
بعد ذلك ظهوراً واضحاً وهي حين وضعها تخفى على كل عين ناقدة او تكاد
لانه من النادر الّا يغلب في كلامهم بعض اساليب او تعابير ساقطة بالاستعمال .
ولنا ايضاً في القِدم وجهُ فائدةٍ أخرى وهي كمال دقّة النظر في كمال
محاسن الكلام . اجل ! ان اصحاب القرائح والكتّاب النوابغ الذين ألهموا
الكلم النوابغ اي الكلم الفصيح قد تكون اوضاعهم وافكارهم في اجيالهم

اي تعبيراتهم وتصوراتهم سابقة اوانها فتفات بعض شذراتهم عن مدارك معاصريهم رغماً عنهم وتفوت دائرة اعجابهم بها .

والحاصل ان مرور الايام يُكسب الكلام ما يستحقهُ من الاعتبار . فان القصيدة او المقالة اذا مرَّت بمحاكم عديدة وتجاوزتها الواحدة بعد الاخرى ولم تعلق عليها هذه المحاكم سوى قرار واحد بعينه ولم يحكم فيهما القضاة القائمون كالنُصُب (اي العلامات) على خط الاجيال الّا حكماً -واحداً -باجماع الآراء ترجح ان حكمهم هذا صدر موافقاً للحق والصواب؛ لان هذه القصيدة او المقالة لو لم تكن من الانفاس المعتبرة الجليلة ومن الانشاء العالي الجليل لما أعجب نقاداً متفرقين مختلفين وكسب حكمهم له بدون خلاف فلئن كان لكلّ عصر او أمة افكار محصورة تندفع كما يندفع الافراد الى سوء الفهم وفاسد الحكم فلا بدَّ من ان تصحح هذه الافكار وتتعدَّل هذه الاحكام كما يحصل في الافراد فتنكشف لها الحقائق يوماً بعد يوم وينتهي بها الامر الى الرسوخ واليقين فترد حينئذٍ حكمها قاطعاً جازماً فتعتمد عليه وتطمئن اليه.

نفاذ الكتب التنبيهية

ان كتب التعليم هذه الحائزة على الصفات المنوَّه بها هي التي على حسب الحكم العام انارت العقول ووسَّعت نطاق معارفها. وأعارت الذوق سلامةً ولطافةً في كل كاتب اديب اخذ عنها وتخرَّج عليها من دون ان تغيّر الحال التي طُبع عليها من الذكاء الفطري فانك تراه يعجب بها ويدرسها ويستظهرها ويتفهم معانيها ويغذي عقله بها من دون ان تتغيَّر حالتهُ الطبيعية بشيء من الاشياء. فان هؤلاء الكتبة ولئن كانوا متشربين ارواح اعصارهم ترفعوا في كتاباتهم عن هذه الافكار الخاصة الى طبقة اعم وصاغوا اساليبهم بقوالب الكمال العالي حتى اصبحوا قدوةً وقاعدةً لكلّ الاجيال والاعصار . فانهم على ما هم عليه من كمال القريحة وبسطتها ومؤالفة جميع العقول لا يقيدون الطالب بقيد ولا يشترطون عليه شرطاً ولكنهم يقوّمون أوده بكل عنفٍ ويسندونه بدون دفع. فكتب التعليم هذه قد احرزت هذا اللقب الذي اخطأ البعض بفهمه من وجهٍ كاصحاب المذهب الرواني فانهم فهموا به معنًى غير المعنى المقصود . فمن جملة مبادئ هؤلاء.

الرواة ادّعاؤهم بوجوب تحرير الكاتب من التقيُّد بالقواعد والاصول واطلاق العنان لقريحته الذاتية ولم يعرفوا لهم نظاماً يُتبع سوى الحقيقة ولا طريقاً يسلكون فيها سوى الطبيعة . وعندهم ان الكتب التعليمية تناقض الكتب الروائية وان اصحابها مقيدون بسلاسل القواعد التي تستعبدهم فيقعدهم الجزع ويمسون لا اقدام لهم ولا نهضة . وانهم لم يزالوا صارفين الهمّة الى ضبط الخيال والحسّ تحت نير العقل الثقيل . فهذا مذهب الروائيين جاء يناقض كلَّ المناقضة طريقة النظم التي كانت حلقاتها تضيق يوماً فيوماً حتى خمدت انفاس اصحابها . وهذه المعاكسة جاءت مثل كلّ معاكسة خارجة عن حدّ الاعتدال وبالغة حدّ الافراط .

فاذا كان اصحاب الكتب التعليمية لم يفرق بعضهم بين القواعد الكليّة التي ما كان يجوز مخالفتها وبين القواعد التي تولّدها الامكنة والظروف . فقد اخطأ خصومهم برفضهم مجازفة الامرين معاً . فاذا ضُغط على المخيّلة والحسّ من قبلُ فقد طاش سهمُ المولّدين الذين اطلقوا لها العنان كلَّ الاطلاق .

على اننا نرى رغماً عن هذا الادّعاء اكثر الرواة او اشهرهم لم ينقطعوا كلَّ الانقطاع في ما كتبوهُ من المنظوم والمنثور عن روح الكتب التعليمية الحقيقي اي عن الذوق والصواب وعن هذه المزيّة التي بها يضبط الكاتب الموضوع الذي يكتبُ فيه ؛ الامر الذي لا قوام لحسن الانشاء من دونه في النظم ولا في النثر ؛ فانهم كلما كانت تتملّك فيهم صولة الحسّ ويجرُّهم تيّار الخيال كان ذلك يغضّ منهم ومن رونق كلامهم ويسومهم خسفاً .

الباب الثاني

الفصل الاول

في علم الادب والفنون

موضوع الفنّ : ان علم الادب اذا ما نظرنا اليه من حيث مظهرهُ العالي اي من حيث الشعر الذي هو اهمّ جزء منهُ فهو قسم من مملكة الفنون الواسعة الاطراف لان الغاية منهُ كالغاية منها ألا وهي ان يمثّل لنا في مجالي الحسن العالم المحسوس والغير المحسوس . واخصُّ الفنون خمسة وهي . الشعر والنحت والحفر

والرسم والبناء والغناء . والثلاثة الفنون الاولى تُسمّى فنون التمثيل لانها تنقل لنا صور الاشياء الطبيعية الخارجية. فالشعر يمثل لنا الاخلاق والاهواء ويُشخّص لنا الوقائع . والحفر ينصبُ لنا تمثالاً منقولاً عن انسان . والرسّام يتحفنا بمشاهد طبيعية ومناظر بديعة تحت اشكال الالوان .

واماً اختلاف الفنون فيترتب على اختلاف الاداة التي تعبّر عنها . فاداة علم الادب هي اللسان المعتمد على مقاطع الالفاظ سواء كان في التكلّم او في الكتابة . واداة الحفر هي الخطوط . واداة الرسم هي الالوان والمناظر ، واداة البناء هي الحجارة والاقيسة النسبيَّة . واداة الغناء هي صوت آلات الطرب وصوت الانسان والاوزان .

يُعتبر الحسن في الفنون ولا سيما في علم الادب إمّا بالنظر الى ما يلزم عنه من التأثير في النفس وإمّا الى ما هو عليه بذاته وجوهره . فالبحث في الوجه الاول يسوقنا الى الكشف عن الوجه الثاني. فمن خصائص العقل ادراك الحقائق العلمية . واماً الحسنُ الفنيُّ فانهُ يَفرق عن هذه الحقائق بانه يُعجب العقل ويلّذ الحسّ ويلذُّ المخيّلة كانه يخاطب الانسان بجميع خواصه وحواسه . فتعريف الحسن في الفنون هو انه تمثيل الطبيعة تمثيلاً حيّاً معنوياً نظرياً .

تمثيل الطبيعة : ان الفنَّ على رأي اريسطو ليس هو بالنظر الى اتباع الشعر سوى تمثيل كامل . فالفنُّ يتناول مواضيعهُ من الحقائق الخارجية فيشخّصها كانسان او شجرة او مشهد من مشاهد الطبيعة وما يركّبهُ الوهم ايضاً اصلهُ من هذه الحقائق كتوهُّم الغول والعنقاء . فان القوَّة الواهمة تتناول من الخارج اجزاء تراكيب هذه الصور كالرأس واليد والصدر وما شاكل ذلك . والطبيعة تبيّنُ لنا وجوه النسبة بين الاجزاء . والكلّ المتركب منها ككبر الرأس وصغره وطول اليد وقصرها بالنسبة الى باقي جوارح الجسم وتعرّفنا ايضاً ما يدور من افكار في خلد البخيل او المتكبّر . واذا ما عرض لنا هوى في النفس كيف تلزم عنهُ نتائج مقاومة . فللطبيعة احكام لا يسوغ ان يجهلها صاحب الفنّ والعلم . واننا عندما يعرض علينا رسم شيء او وصفه نقول للرسّام مثلاً : رأس هذا الشخص متجاوز الحدّ في الكبر ، والاشجار في الخارج ليست على هذا الازرقاق ، وان للجبال لونا غير ما نراه هنا . ونقول للشاعر ما فرضته من

العواطف في ممدوحك غير صحيح ولم نرَ احدًا من الناس افتكر في هذا او شعر بهذا . فالحاصل اننا نبحثُ في كلّ هذه الاستقراءات وانواع النقد عمّا لو كانت القريحة امينة في التمثيل اولًا . فصاحب الفنّ والناقد لا يحوّلان نظرهما عن الطبيعة ابدًا فهي قاعدة لصاحب الفنّ وحدّ مقابلة للناقد لا مناص منهُ.

امّا تمثيل الطبيعة فليس هو نقلها ولا نسخها لان التمثيل الفني لا يتوقّف على نقل الحقائق نقلًا جامعاً محيطًا بجميع اطرافها وظروفها مطابقًا حقيقتها كما هي هي بخلاف نقل ما هو من باب العدل والحساب فانما الفضل والحسن في الحساب هو ضبط الاعداد فيه وصحتها . ولو تمشّينا على هذا النمط لكان التمثال المفرغ في قالبه او المطبوع على الشمع الملوَّن اكمل من التمثال الذي يصنعه النحّات ، وان التصوير الشمسي افضل من فنّ الرسم . فـأتتنـا ليست بشيء من ذلك والفنُّ يكون من العَبَث اذا فهمنا به نقل الحقيقة كما هي هي حتى يتوهمها الناظر ويغشّ بها الرائي . فلا بدَّ اذن ان يراعى في الشعر بعض طرق عرفيّة ولو أدَّت الى ما يخالف الامر الواقعي او حقيقة الاشيـاء . فان لتلك المخالفة مزيَّة فضل تحصل من مراعاة القواعد العرفيَّة الفنيّة . نعم ! اننا اذا ما رأينا تمثالًا او رسمًا يطابق كلَّ المطابقة ما يمثله من الاشيا. الخارجة عجبنا به ولكنَّ اعجابنا هذا يحصل من استدلالنا على براعة الحفّار او الرسّام ومن اجادته بالصناعة واتقانهِ اصول الفنّ لا من حسن عمله بذاته . وكذلك اصحاب الذوق واهل الطرب يطربون حذاقة ضارب العود اذا ما أحسن الضرب فأدّى دورًا صعباً من النغم وان تكن صناعتهُ لم تبلغ بعد حدَّ الكمال .

فالتمثيل وحده غير كاف لان يولّد في النفس الشعور الحسن الفائق ، فما هي اذًا الشروط اللازمة لادراكه ؟ انّا يلزم لذلك ثلاثة شروط ، اي ان يكون التمثيل حيًا ، معنويًا ، مطابقًا الصورة النظرية .

١ً الحياة في التمثيل

ان الآثار الفنيّة لا بدّ لها من ان تولّد في القلب شعورًا بالحقيقة وبالحياة لا وهمًا بها . فما الفائدة من ان يظهر لنا صنعٌ بدون حياة ولا حراك . فاذا مثّل لنا الرسّام مشهدًا طبيعيًا يقتضي ان يرينا الرسم عصير تلك الاشجار يسيلُ

ويجري من جذعها وفروعها . او مثّل لنا رسم شخص فعليه ان يجمل النفس في ذلك الشخص مختلجة تحت بياض أديمه والدم جارياً في عروقه. على انك عندما تقرأ وصف معركة في كتاب علي بن ابي طالب يُخيَّلُ لك انك في حومة تلك المعركة تسمع صلصلة السلاح ووقع صدمات الجيوش الذين يحرّكهم ذلك الخطيب المصقع ويُمثلهم تمثيلاً حياً . واليك ما كتب في ذلك الشيخ محمد عبده في مقدمة « النهج » اذ قال :« كان يُخيَّل اليَّ في كلّ مقام انَّ حروباً شبَّت وغارات شُنَّت وان للبلاغة دولة وللفصاحة صولة وان جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح (تضارب) بالصفيح الابلج (السيف) والقويم الاملج (الرمح) وتتلج (تمتص) المهج برواضع الحجج فتفلّ (تقطع) من دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس فما انا الَّا والحق منتصر والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود وان مدبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب اه ».

فالفنّ هو ان تستحضر شخصاً او تصف جيلاً من الناس ذاكرًا عنهم وقائع كاشفة عن احوالهم فلا يصعب على الشاعر ان ينقل صورة الموضوع الذاتية كما هي وان لا يفوته اقلّ تفصيل او جزء منها . غير ان نظمه هذا ربما لا يكون سوى نظم اعتيادي لا معنى له او يكون مبتذلاً كلّ الابتذال .

فما هي اذن هذه الحيلة او هذا السرّ الذي يجلو لنا هيئة هذا الممدوح من الناس العظام او صورة هذا الجيل من الاجيال الغابرة ويُخرجها من حيّز دياجير التجرّد المتقلّبة ويبرزها لدى النور الساطع ويبعث فيها الحركة والحياة ؟ فابداء الجواب القاطع مسنودًا الى دليل عقلي دامغ انما هو الاخذُ بناصية الفنّ وامتلاك ازمّته الامرُ الذي لا يتعلّق بسوى العقل والذي يحولُ دونه حجاب من الغموض فعلى الشاعر او الكاتب ان يختار الاساليب المشخّصة التي تخاطب العيون والارواح .

فمن يستطيع ان ينفخ الحياة بصورة خيالية يكون له اوفر نصيب واكبر حظّ من القوّة المبدعة. فهذه هي الغايةُ الشريفة السامية التي ترمي اليها الفنون . وهذا هو السبب الذي من اجله نقضي العجاب وننشده عندما ننظر صنع كبار

المتفننين البارعين فانهم ينقشون في الحجر ويصوّرون على النسيج . وفي الشعر حقائق ادبية خالدة خلودًا يتنع على الحقائق الخارجية التي يدركها الزوال ويغشاها الاضمحلال .

٣ً القوة المعنوية أو الكتابية

يجب ان يكون للتمثيل معنى او مغزًى يدلّ على عاطفة عرضت للحسّ او تصوُّر لاح للعقل مبنيّين على ادراك الموضوع الخارجي . فالالوان عند الرسّام والاوصاف عند الشاعر عدا ما لهما من الدلالة الخاصة بلوّحان (يشيران) الى معنًى في الموضوع جوهريًا او صفة مهمّة فيه تلويحًا محسوسًا كالفرح والحزن والجمال والقوّة بحسب ما يكون هذا المعنى او هذا الوصف أثّر في الكاتب او الرسّام فحاولا اظهارهما على النسيج أو القرطاس . وان حذاقة الكاتب في سوق تفاصيل الموضوع الذي يكتب فيه وفروعه الى الوجه الذي يقصد بيانه منه يتوقف عليها خصوصاً ما يكون للتكفاءة من رفيع الشأن والمكانة عند اهل الحكم الصائب . فقدرة الكاتب على بيان احوال الامر الخارجي وفروعه وكيفيّاته وخواصه وظروفه بصورة يستعين بها على اظهار تصوّر ما او توليد عاطفة ما،هي من اهمّ الاسباب التي ترفعُ شأن الكتابة وتحلّها في محلّها الاسمى.

قال احد الادباء : الراوي يعجبنا بالقائه على مسامعنا حوادث الحياة اليومية العاديّة دون الحوادث المبتذلة التي ليست خقيقةً بالذكر لا اذا زاد عليها شيئاً من عنديّاته فقط ، بل ايضاً اذا حسَّ بما يكون من السرور بكأس خمرة يشربها حيبان في مجلس صفاء،او من الغمّة في دماغ متشرّد تلعب به الهواجس.

وقال آخر : ان ما يتحفنا به اصحاب الفنّ لا يكون على شيء من ارتفاع الشأن ألّا اذا كان له مغزًى او كان كنايةً عن حقيقة من الحقائق .

وقال آخر : الفنّ هو كنايةٌ عن شيء غير منظور تكشف عنه دلالات طبيعية . وان فضل الفنون العالية الوحيد وغايتها الضرورية هي ان تُخيّل لنا النفوس من وراء الاجساد .

على ان للجهاد عند الانسان معنى نظريًا من شأن المتفنّن ادراكه وكشفهُ ، فانك اذا ما استحضرت في ذهنك صورة البحار والجبال تتصوّر قوّتها الغريبة

وتشعر بجنانها العجيبة . وان ما نسميه مواتاً كالاطلال والرسوم والرمم تحلى في قلوبنا بلسان حالها وبما تبعث فينا من انواع الحسّ . فان اطلال تدمر وبعلبك تحوّل العقل ولو آسفاً الى ذلك الجيل الغابر التارك على هذه الاطلال آثار العظمة والفخار . وانّ منظر الدوحة العظيمة المطروحة على الحضيض يحزنك كما يحزنك منظر البطل الباسل عاجلته المنيَّة فانشبت فيه اظفارها. وهل من شيء لا معنى له مثل حطام اخشاب متنثرة ؟ فما قولك فيما لو كانت هذه الحطام بقايا سفينة بعد غرقها فما اشدّ ما يكون لها من التأثير باعتبار هذه الظروف . وما اعظم الافكار التي تثيرها فينا ! وما اعجب اعجابنا بها فأننا ننظر اليها بعيون حسّاسة ونفهم ان لها محلًّا مهمًّا في رسم صانع حاذق او وصف شاعر مجيد .

قال بعضهم : لا شيء من المخلوقات ميت ، فان الحجر الذي اتصوّره يُثير فيَّ حسًّا مخصوصاً . وان ما يظهر لنا من الاشيا. انه جماد لا حياة فيه قد خلق الله له كما خلق لنا صوتاً يشعر بفرحه كما يشعر ببكائه وسيما. ذاتية بها يُستبح ويامن على حسب ما يتوارد عليه من العوامل المختلفة . فاليك مــا تلقيه على مسامعك السما. في ليلة مقمرة من ليــالي الربيع ، او ما يبديه تيّار البحر من المعاني المؤثّرة . فان الشاعر يسمع هــذه الاصوات ويفهمها وصاحب الفنّ يعبّر عن جميع معانيها .

وقال آخر : من الصفات التي لا بدَّ منها للشاعر هو ان يُــدرك ما بين العالم الادبي والعالم المادّي من العلاقات والاسرار اكثر ممَّا يدركهُ عامَّة الناس.

فالخــلاصة لا يكون الشعر او الاثر الفني على شيء من الحسن الّا ان تبدو لنا منه قوَّة معنوية . وهذه القوَّة المعنوية هي في الشعر او في علم الادب اشدّ منها في آثار الفنون الباقية.

في المثال النظري او الصورة الخيالية

ان ما يتصدَّى اصحــاب الفنّ لبيانه من انواع التصوّر وضروب الحسن ليس له بذاته ما يُظهرون لنا فيه من العظمة والسنا. . فانَّا اذا نظرنا اليه بمجرد ذاته نراهُ كانه حجر الماس في معدنه منحصر في محله محجوب حسنه باعراض متباينة وظروف لا معنًى لها . فعلى صاحب الفنّ المجيد ان يُمثّل لنا ذلك المعنى

بكمال ما هو عليه من الحسن والجمال . وهذا التمثيل البديع يتوقف على المثال النظري او الصورة التخيلية الذي لا يقصد بهِ تحسين الطبائع بحسب المعنى الذي يُفهم به هذا اللفظ على وجه العموم، ولا اخفاء ما فيها من الخلل والنقص بالتصوُّر انها بالغةً حدَّ الاعجاز ولا بافراغها بقالب الحسن والكمال . بل إنما هو تتميم الصورة التي رسمتها هذه الطبائع وتكميلها وتعظيم بعض صفاتها واطراء بعض خواصها الحقيقية واتقانها . او هو استحضارك لدى العيان اشخاصاً يظهر انهم اكبرُ جرماً او اشدُّ بسالةً مما هم عليه بذاتهم ونصبك اياهم مثالاً للاقتداء بهم . فممثلو الحقيقة المحدثون يضعون امثلةً نصب اعيننا اتخذوها من الطبيعة والافضل عندهم ان ينقضوها ويبدّلوا فيها بحسب ما يستطرفونه من ان يزيدوا فيها ما لا يزيدها رونقاً وطلاوةً .

وقياماً بهذه الغاية يُصلح الاديب صنعهُ او اثره بالتبديل والتكميل فيه وجمع اجزائه بعضها الى بعض ويكشف النقاب عن معانيه او عمّا أثّر فيه هو من صفاته المعتبرة ويصحح ما وقع في ذلك من الخلل ويبقي على ما يُكسب صنعهُ هذا جلاء وظهوراً ويكمّل ما نقص فيه. ثمَّ يشرع بعد التبديل والتمثيل في تنسيق هذه الاجزاء المتشتتة ويجمعها حول الفكرة الاصلية التي تكتسب منها قوةً وبياناً فيكون بذلك وحَّد مزيج الاشياء المختلفة وجمع اليه شتاتها .

الفصل الثالث

المثال النظري في الفنّ لا سيا في علم الادب

المثال النظري في الفنّ : ان المثال النظري في الفنّ على اطلاق معناه لا يفرق عن كمال الحسن او حدّ الاعجاز . والحال ان حدَّ الاعجاز ليس من شأن الانسان وهو السبب الذي من اجله نرى عيوباً في اكمل الصنائع . ويحسُّ صاحب الفنّ ان هذا الجزء ايجادهُ لم يجد فيه وانه لم يجئ مطابقاً ما في فكره كلَّ المطابقة .

فبناء على هذا الاعتبار يمكن تعريف المثال النظري انه مجموع شروط يؤذن كمال مراعاتها بالبلوغ الى الحسن المطلق . وهذه الشروط هي اولاً اهمية التصوُّر المطلوب ابداؤهُ . وثانياً ما به من ارتفاع الشأن والعظمة الادبية . وثالثاً اجادة التعبير عنه بفصاحة وبلاغة .

اجادة التصوّر المطلوب ابداؤه

انَّ ما يأتيه الاديب من ضروب الانشا. يقرب من الكمال بقدر ما يكون التصوُّر المقصود اظهاره ضروريًا ومهمًّا . وعليه ان الروايات الهزلية التي يدور محور الكلام فيها على الاخلاق ويُعبِّر واضعها عمَّا في القلب البشري من انواع الحسّ العميقة المستقرَّة فيه كالبخل والبغضا. والانس والوحشة وآخر ما في الحياة من هذا القبيل لافضل من تلك التي يدور محور الكلام فيها على العوائد والتي تصوّر سخريات عصر من الاعصار وما كان فيه من الولوع بالاذواق والطرائف ومن الامور المستهجنة المعوجّة التي يكثر وقوعها ويعجل زوالها.

ثمَّ ان الرواية في العوائد افضل من الرواية في الدسائس التي يهتمُّ صاحبها بجمع حوادث فجائية وتوقيع احوال غريبة عجيبة يدعو وقوعها الى الضحك على غير انتظار .

فالفنُّ كالعلم يدرك جواهر الاشيا. واسرار الحياة والشرائع العامة التي يتقيد بها الانسان والهيئة الاجتماعية ، لكنَّ الفرق في ذلك هو ان العلم له قواعد لغة جافَّة مجرَّدة لا يفهمها الَّا اصحابه .

وامَّا الفنُّ فيخاطب القلب والقوَّة المتخيلة ، ولغته حيَّة لا يستصعبها احدٌ ، وفضيلته على العلم انه مرغوبٌ من العامَّة اكثر منهُ .

سموّ الفكر الادبي المقصود بيانهُ وعظمتهُ

من احوال الانسان الضرورية المهمَّة ما هو جيّدٌ كالصحة والفضيلة والبسالة ومنها ما هو سيّئ ومضرٌّ كالمرض والظلم والرذيلة والجبانة فيرتفع شأن الفنّ بقدر ما يُمثِّل لنا من جيّد الاوصاف وحميد السجايا . وعليه يكون الكلام كالسلّم لهُ طرفان اعلى وهو كمال الحسن ، وادنى وهو الانحطاط .

قال القزويني في كلامه عن البلاغة : للبلاغة طرفان اعلى وهو حدُّ الاعجاز او ما يقرب منه ، وأسفل وهو ما اذا غيّر عنه الى ما دونه التحق عند البلغاء باصوات الحيوانات وبينهما مراتب كثيرة وتتبعها وجوهٌ أُخرى تورثُ الكلام حسنًا اه .

وشرح التفتزاني معنى حدّ الاعجاز فقال . هو ان يرتقي الكلام في بلاغة

الى ان يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته . والكاتب الذي يُمثل لنا رجلًا عاقلًا حكيماً او بطلًا من الابطال يفضلُ عندنا الكاتب والشاعر الذي يُمثل لنا مجرماً او جباناً . فالاول يؤثر فينا تأثيراً سامياً سليماً اذ يُحرّك فينا الجوارح الشريفة التي لا يدركها الثاني ولا يطالها .

كمال التعبير

لا بُدَّ ايضاً ان يتوقّف حسنُ الآثار الفنيَّة على كمال التعبير عنها والحذاقة التي بها يوجّه صاحب الفنّ كلَّ جزء من صنعه وكلَّ ظرفٍ منه الى غرضٍ واحدٍ وهو بيانُ التصوُّر او الحسن الذي يقصدُ ابداءهُ .

فالصيغةُ هي عند الشاعر وعند الرسّام جزء جوهري بدونه لا يُعدُّ الباقي شيئاً وسيُفسح لنا مجالٌ اوسع للتكلّم في هذا المعنى من حيث وجهة الادبي عندما نتكلم في الانشاء .

ومن المعلوم ان اشرف نوع من الحسن اذا ما عبّرنا عنه بالفاظٍ غليظة مستهجنة ، واعجب مشهد من رسم اذا ما كان تركيبه ووضعه معيباً يفقدان كل اعتبار ورونق عند نقدة المحاسن .

المثال النظري الخاص بكل فنّ

ان المثال النظري على حسب ما لاح لنا من تحليله هو معنًى عام يشملُ كل الفنون ويجعل بين الآثار الفنيَّة مراتب متفاوتة ، ولكن لكلّ فنّ مثال نظريٍ خاص ونوع من الحسن يُعرف به . فالمثال النظري للرسم الذي غايته تشخيص الجسم ليس مثال علم الادب النظري الذي موضوعه النفس البشرية ، فان في علم الادب نفسه لا يصلح مثال الرواية الهزلية التي تصوّر لنا اموراً مضحكة مثالًا للمأساة التي تُرينا رجالًا ابطالًا ، فاذا ما حصرنا المثال النظري في هذا المعنى يتحصّل انه كناية عن جملة شروط تؤذن بادراك ما ترمي اليه غايةُ الفنّ وتوفّق صاحبه الى مطابقة حقيقته . وهذه الشروط تتغيّر بالطبع بتغيّر الفنون .

فالحاصل من هذه الاعتبارات ضابطٌ لا ينبغي ان يُذهل عنه والّا نظرنا رسماً منظوماً ونظماً مرسوماً ومسرحاً غنائياً وغناء مسرحياً والحال كما قال بعضهم : يُبخس الفنُّ قدره متى استعار اسباب محاسن غيره لنفسه وترك اسباب محاسنه الخاصة به اه .

فاذا عمد الرسّام بادئ ذي بدء الى ان ينصب امام العيون صورة حياة روحية وصفات ادبية كما عالج ذلك بعض كبار المتفننين عوضاً عن ان يلوّح الى ذلك بطريق الايهام والاشارة اصبح رسمهُ ذلك شعرًا وضرب صفحاً عن محلّ القوّة الراسمة الذي هو الجسم البشري وجعله لغوًا . ومن هذا الصنف من يطلون الجسم بسيّال شفّاف فيصبح كأن به ليونةً ومرونةً ويركّبون له اعضاء ضامرةً للدلالة على انشغال الرسوم بهموم ناصبةٍ ، او يصوّرونه بهيئة متألم محدودب مقطّب الجبين ليعبّروا عن حركة الفكر الداخلية .

المثال الخاص بكل متفنن

ان المثال النظري يُطلق بعض الاحيان على التصوّر الذي يقصد صاحب الفنّ بيانه على الصورة التي يستحضرهُ بها . وهذا هو المعنى المقصود في قولهم : ان هذا الرسّام او هذا النحّات او هذا الشاعر صاحب نظر . او بعبارة اخرى : لهذا الرسم او التمثال او هذه القصيدة مثالٌ نظريٌ بديع ، ولكن ليس للمثال النظري هنا معنى المثال النظري الحقيقي ، لانه ما من صاحبِ فنّ الّا وينظر الى حقيقة الاشيا نظرا شخصياً ومن وجهٍ خاص وذلك بالنسبة الى جوهر قريحته وما اكتسبه بالتخرّج والمحيط الذي عاش فيه والقواعد التي نقل عنها .

فالمثال النظري عند هذا الشاعر غير المثال النظري عند الآخر ، بل نرى بعض الاحيان تضادًا ظاهرًا بينهما لانه ربما يصفُ الاول سوء مصير الهوى مثلاً والثاني يطرئُ القيام على الواجب . والاول يستحضرُ مواقع لكلامه مطابقةً للاخلاق والطباع . ويوجد الثاني من قبلُ اخلاقاً وطباعاً ثمّ يُطبّق عليها مواقع كلامه كما نرى في شعر ابن الفارض وشعر المتنبي . قال الشيخ عبد القادر في كتابه « دلائل الاعجاز » : « كما ان تبيّن انسانٌ من انسان يكون بخصوصية توجد في هذا دون ذاك ، كذلك يوجد بين المعنى في بيتٍ وبينه في بيتٍ آخر فرقٌ فعبّرنا عن ذلك بان قلنا للمعنى في هذا صورة غيرُ صورته في ذاك وليس هذا من مبتدعاتنا بل هو مشهورٌ في كلام الادباء من العرب . وكذلك قول الجاحظ : وانما الشعرُ صياغةٌ وضربٌ من التصوير اه » .

على اننا نرى هذا الاختلاف بالتصوّر في اشيا . يظهرُ انّه ممتنعٌ فنيا ، فلو

اوقفنا مئة رسّام امام منظر واحد من المناظر لرسموا لنا مئة رسم منقول عنه يخالف احدهما الآخر. فاذا ما تعمّد الرسّامون رسم الطبيعة البشرية او الانسان من وجهيه الطبيعي والادبي فكلٌ واحدٍ منهم كما قال بعضهم يُصوّب نظرهُ الى ما يدعو الى اعجابه او كراهيته. فكلُّ رسمٍ هو مجدٌ ذاته طريقةٌ من طرائق الفنّ. فهذا النظر الخاصّ هو سببٌ من اسباب اختلاف وجوه الفنّ وغزارتها فيه.

قال بعضهم: ان المؤلفين لمّا كانوا مختلفين من حيث الحسّ والعقل والتخرّج اصبحوا يؤثّر فيهم الموضوع الواحد تأثيرات شتّى. وكلٌّ واحدٍ يتناول منه تصوّرًا مبتكرًا ومذ يظهرُ هذا التصوُّر المبتكر في اثرٍ جديد لا يعتّم ان ينتصب في معرض المُثُل النظرية بين الآثار النفيسة رغمًا عن اعجاب المتأمل فيه واستغرابه وجوده.

وعرّف الفنّ بعضهم: بانهُ الطبيعة أُضيف اليها الانسان او انها الحقيقة تتراءى من وراء الصناعة. ولنا في تأييد هذا المعنى ما قاله بديع الزمان الهمذاني في المقامة القريضية: فقلنا ما تقول في امرئ القيس. قال: هو اول من وقف بالديار وعرصاتها واغتدى والطير في وكناتها ووصف الخيل بصفاتها ولم يقل الشعر كاسبًا ولم يُجد القول راغبًا ففضل من تفتّق الحيلة لسانه وانتجع للرغبة بنانه.

قلنا: فما تقول في النابغة. قال: يثلبُ اذا حنق ويمدح اذا رغب ويعتذر اذا رَهبَ ولا يرمي الّا صائبًا.

قلنا: فما تقول في زهير. قال: يُذيبُ الشعرَ والشعرُ يذيبه ويدعو القول والسحرُ يجيبه.

قلنا: فما تقول في طرفة. قال: هو ماء الاشعار وطينتُها وكنزُ القوافي ومدينتُها مات ولم تظهر اسرار دفائنه ولم تُفتح اغلاق خزائنه.

قلنا: فما تقول في جرير والفرزدق وايّهما أسبق. فقال: جريرٌ أرقُّ شعرًا واغزرُ غزرًا. والفرزدق امتنُ صخرًا واكثرُ فخرًا. وجريرٌ اوجعُ هجوًا واشرفُ يومًا. والفرزدق اكثرُ روحًا واكرمُ قومًا. وجريرٌ اذا نسب اشجى واذا ثلب اردى واذا مدح انسى. والفرزدق اذا افتخر اجزى واذا احتقر ازرى واذا وصف أوفى.

الفرق بين المثال النظري وبين الاختراع في القصص

ليس في المثال النظري شيءٌ من الاختراع، لان الاختراع يشوّش الطبيعة وليس للمخترعات مرجعٌ في الحقائق الوضعيَّة تتعلّق به كالغول والعنقا. وما ورد في كتاب الف ليلة وليلة من الحكايات والقصص الوهميَّة المحضة. فيفهم بالاختراع في علم الادب القصص الخرافيَّة والتخيُّلات الوهميَّة والاساطير الملفَّقة.

اما المثال النظري فيجلي محاسن الطبيعة ويشرحها ويُشير الى كمالها ويفسح له مجالاً ولا يخرج في كلّ ذلك عن دائرة الحقيقة الوضعية ولكنَّه يضيف الى الرسم الاصلي سواء كان لامرٍ محسوس او غير محسوس، رونقاً وبهاء. وهو لا ينفكُّ عن الحقيقة والصدق او يزب القارظان كما افاده ارسطوت اذ قال: ان الفرق بين المؤرخ والشاعر لا يتوقف على ان كلام ذاك نثرٌ وكلام هذا نظمٌ لانه لا مانع من نظم ما اخبره المؤرخ هيردوت من الوقائع، غير انها لا تخرج عن كونها تاريخاً سواء برزت في كلامٍ منظوم او غير منظوم.

امّا الفرقُ فهو ان الاول (المؤرخ) يُخبِر عن حوادث ماضية. وان الثاني يُخبِرُ عن الصورة التي كان ينبغي ان تمضي تلك الحوادث عليها. فالشعر يستدعي نظرًا واهمية اكثر من سرد الوقائع التاريخيَّة وسببه انه يغلب في الشعر بيان الحوادث العامَّة وفي التاريخ بيان الحوادث الخاصة.

والتاريخ يروي لنا وقائع مكانية ويصوّرُ لنا الاشخاص على ما هي عليه من المناقضات وما كان في عصرهم من العوائد المختلّة والاصطلاحات الجارية بينهم. وكلُّ ذلك من الاشياء الموقتة الزائلة خلافاً للشعر فانه يترفَّع عن ذكر الظروف الزائلة التي تتعلّق بالطباع او التفاصيل والاعراض المكانيَّة ويعمد الى اهمّ الحوادث العامَّة الثابتة وينصبُ امام اعيننا صورة الانسان ناتئة ناطقة.

الفصل الرابع

في أهمّ الطُرُق الفنيَّة والبيانيَّة

لمَّا كان تصوّر الحسن مركّباً كما تحققنا، اي انهُ حاصلٌ من مصادر كثيرة اختلفت طُرُق التوصّل اليه باختلاف ما يُعزى الى بعض تلك المصادر من المزيَّة

التي ترفعها عن غيرها او من مزيد اختصاص او فضيلة تجمل في بعضها فرقاً عن البعض الآخر . فاذا ما قصدنا ان يتغلب الجزء الغير المحسوس اي التصور او الجزء المحسوس اي التمثيل او وجه الربط بينهما اي الكناية او الدلالة العقلية ، كانت لنا من ذلك الطريقة التصورية والطبيعية والواقعية او الحقيقية او الكنائية .

فالطريقة التصورية هي ما نزع اصحابها الى التقيد بهذا الالتزام فقط وهو الاقتصار على بيان نوع من الحسن او من التصور بحسب ما تقتضيه الحال ، وغض الطرف على قدر الاستطاعة عما سوى ذلك من ظروف الحقيقة الوضعية . فعندهم الاهم انما هو غير المحسوس . فما يبدو على وجه الشخص من السيماء الخارجية وكل ما يُطلق عليه الوصفُ المكاني لا اهمية له عندهم مطلقاً فيكتفون بوصف النفس والعُمدةُ في كلامهم العقلُ والحسُّ . وأما الخيالُ والمحسوسات ففضلةٌ عندهم .

وأمّا المحاسن واللطائف والمُلَحُ التي ينقلونها عن حقيقة الشيء فيأخذون خلاصتها او صفوتها المعنوية ويجردونها عن كل ما فيها من الخشونة المادية . وعندهم كلُّ معنى مجرد خيرٌ من كل وصف وتصوير فيتكلمون عن وجه باسم وعن امرىء كيّس ولكن لا نعلم بايّ شيء يقوم هذا الابتسام او هذه الكياسة .

ولهذه الطريقة التصورية درجات متفاوتة :

فالطريقة الطبيعية هي ما قصد اصحابها ، وكان الاهم عندهم ، ان يخالفوا الطريقة القصصية التخيلية البالغ الحسُّ فيها حدَّ الافراط ، وعُنُوا بتمثيل الطبيعة تمثيلاً مطابقاً الحقيقة بكمال الضبط والدقة حتى انهم يقيمون انفسهم شهودَ عدلٍ صادقين على الطبيعة ويحرصون كلَّ الحرص على كلّ ظرف من ظروف حقيقة الاشيا . ويلتمسون لها دليلاً ويرغبون في تمثيل مشاهدهم في محالها (مظانّها) ويشخصون صورهم تشخيصاً ويبالغون في الاوصاف المكانية مبالغةً شديدةً . وهذا الامرُ جرّ بعض الكتّاب الى الافراط في بعض كتاباتهم الوصفية والاجتهاد في وضع جداول التزموا فيها الصدق في بيان افراد الرياش والملابس حتى اصبح بعض الكتّاب يروقهم التعبير المبتذل المستهجن اكثر من التعبير بالالفاظ المجردة

ولا يتحاشون المشاهد الغليظة الخشنة ويعتقدون ان وجوه الاشياء القبيحة الكريهة حتى الوحشيَّة جديرةٌ بان يكون لها نصيبٌ من التمثيل لا قصد الدلالة على نكتة معنى او رقّة عاطفة ذات شأن فيها ، بل قصد تصوير ذلك لذاته لانه من جملة لوازم الحياة ومن عداد المخلوقات. والطريقة الطبيعية هذه كالطريقة التصورية مراتب متفاوتة ايضاً .

امّا الطريقة الواقعية فما هي سوى فرع من الطريقة الطبيعية او نوع منها اخصّ لان اصحاب هذه الطريقة ذوو عقول مغلقة يحصرون مضار القريحة ويلتزمون حدَّ التمثيل الوضعي التام ونقل الصور المحسوسة نقلاً مطابقاً لاصلها بالدقّة والضبط . فهؤلاء الأولى بان يقال فيهم انهم نبذوا الذوق ظهرياً وانهم ليسوا على شيء من الذكاء المعتبر ، وانهم لا ينظرون الى سوى الجزء الابتدائي مما يقوم به الفنّ اي الانتباه ، ولا يتنبهون الّا الى ما يُنتبهُ اليه بديهياً بغير عناء اي سطوح الاشياء . ويقفون عند تمثيل الاشارات حتى يُعفوا انفسهم من تفسير حركات النفس ويتجاوزوا المعنى الشعري حيث يتولّدُ من الحقيقة فيفوتهم . وهذا هو بيانُ حقيقة هذه الطريقة الجديدة من طرائق علم الادب . ومنهم من طوّحت بهم النفس الى تصوير الاخلاط والاوزاع من الناس واسفل دركات الحياة البشرية ورغبوا في ذلك .

غير اننا نرى في مؤلفات ادباء هذا العصر ان الطريقة الطبيعية هي البالغة آخر حدّ من الغُلو بالمقابلة الى الطريقة الواقعية . فما قلناه عن هذه يجب ان نقوله عن تلك والعكس بالعكس ولكن لا يخلو التعبير من سوء استعمال اللفظ فيه على غير المراد .

قال بعضهم : لو سلّمنا بتعليق معنىً غير مرضيّ على لفظ الطريقة الطبيعية لتعرّضنا لخطر الغضّ من مبدإ وجوب تمثيل الطبيعة . ومن جهةٍ أخرى لو نظرنا في اصل اشتقاق لفظة الواقعية من الوقوع او في نسبتها الى الواقع ، تبيّن لنا ان معناها أخصُّ من معنى الطبيعية ، فظهر لنا من هذا البحث سيان لمخالفة عُرف علماء الادب في هذين التعبيرين .

ولنا فوق ذلك ما يثبته لنا تاريخ الادب ، من ان بعض اصحاب الطريقة الطبيعية بسطوا لنا آفاقاً بعيدة المدى اكثر مما فعل اصحاب الطريقة الواقعية

الذين انتهى بعضهم الى نشر ما دلَّ على اختلال شعورهم واختلاط عقولهم .

أمَّا ما نسمّيه فصاحةً وبلاغةً فعلى الظاهر يجمل ارتفاع شأن الشعر معلقاً على كمال محاسنه مقصوراً على تركين القوافي وحسن النظم . أمَّا الفكر فعندهم امرٌ ليس من الاهمية بشيء واهمّ ان الكمال كلَّ الكمال في التركيب الفصيح البليغ فقط . والاهمُّ عندهم حسنُ سبك البيت من الشعر ولو كان فارغاً من المعنى . ويتحاشى الشاعر منهم الانقياد للحسّ حتى يتلافى تعكير صفاء نظمه والوضع من رونقه فكأنه على هذه الصورة تبرّأ من كل شعور ووجدان .

أمَّا الطريقة الكنائية فتعرَّضُ اصحابها لمعاكسة باقي الطرائق ولاسيّما الواقعية، واصحابها اتخذوا الغموض والابهام شعاراً لهم فجاءت افكارهم ملتبسةً وتعابيرهم معقدةً معتقدين ان سحر البيان مقصور على الوجه الكنائي فقط اي على الرابط الخفيّ القائم بين الاساليب الفنية وبعض عواطف لم يُعبّر عنها . وتتراءى معانٍ كنائية في كل شيء مثل العطور والالوان والاصوات والالفاظ. فالفنُّ على هذه الصورة عبارةٌ عن تبديل في الحسّ والتصوّر، به ترى معنىً آخر من وراء المعنى الحرفي ، اي ان اللفظ يدلُّ دلالتين الأولى على معناهُ الوضعي والأُخرى على غرضٍ يقصده به الكاتب فحينئذٍ ننظر الى الوانٍ بما نسمعه من الاصوات ونسمع اصواتاً بما ننظره من الالوان . فمن العبث بيان ما في هذه الطريقة من الصعوبة وانواع المبالغة .

فالخطأ في هذه الطُرُق المختلفة التي ذكرناها هو ان اصحاب كل مذهبٍ منها يحصرون الحسنَ في مراعاة طريقتهم بحيث لا يجوز عندهم تجاوزها الى غيرها ، والحال ان على صاحب الفن ان يجمع بين المحسوس والغير المحسوس والواقع والخيال والحقيقة والحسّ بروابطَ طبيعية صريحةٍ لا تفوت فهم احدٍ من الناس.

فتمثيلُ الطبيعة ان لم يكن كل الفن فهو اساسه وشرطه الاول الضروري وركنه الذي يُبنى عليه . فيصحُ اذن ان يُقال : لا بدَّ من ان يلابس الطريقة التصورية او الكنائية شيء من الطريقة الطبيعية لحفظ قيامها وبقائها لانها بدون ذلك تتحوَّل الى بخارٍ ومن البخار تصير الى التلاشي .

وكذلك لا بدَّ من مراعاة حسن السبك في النظم والمتانة في القوافي

والاهمال في ذلك يضع من رونق الحسن ، لان تذليل الصعاب الذي هو شأن الصناعة له ايضاً محلّ اعتبار من الفن .

الباب الثالث

الادب في الفن وعلى الخصوص في علم الادب

يُنظر الى مسألة الادب في الفن من وجهين :

الاول الصلة بين الحسن والخير . والثاني ضرورة صاحب الفن واضطراره الى طلب الخير .

الصلة بين الحسن والخير — ان الحسن يلابس الخير وقد يردان بمعنى واحد كقولك : ما احسن الموت شهادةً للدين . وكقولك : خيرٌ لي ان اموت شهادةً للدين . ويرد هذا الاتفاق في كل الاحوال التي تدلُّ على بسالةٍ وحماسةٍ وفضيلةٍ . فمن جملة اقوالهم : خيرُ الناس من راعى حقوق الناس ، اي احسنهم . وخيرٌ لك ان تفعل كذا ، اي الاحسن لك . وهذا من خيار القوم ، اي من أحسنهم . فترى في هذه الامثال ان الحسن والخير يتعانقان ويتلاءمان ومتى اجتمع الحسن والخير بدا لنا الكمال .

تأثير الحسن في الوجه الادبي

ان تجلّي وجه الحسن في كل انشاء لا يكون الوجه الادبي من اغراضه المقصودة يرسمُ فيه اثرًا محمودًا . فالاعجابُ الذي هو من اخلاق الانسان الفطرية والذي لا يملك حبسه احدٌ يرفعنا عمّا تنفثه فينا الأثرة والهوى ويسمو بالنفس ويوسّع العقل ويرقيه . والحسن مدعاةٌ للاعجاب فان لم نكن من اهل الصناعة او لم نستطع ان نمثل بالرسم او بالنظم هذا المشهد او هذا المعنى الذي تبيّن لنا وصادفنا قصيدةً او رسماً يطابقان الصورة الخيالية او المثال النظري المرسوم في عقلنا ننشده لدن نرى ذلك وتأخذ بنا الحماسة أيّ مأخذ .

فاذا ما حضر شاعرٌ تمثيل روايةٍ شعرية واتى على آخرها ، يخرج من مرسح التشخيص وقد خفق قلبه لِمَا ارتسم فيه من التأثر ودارت في خلده صورٌ واشباح

ولّدتها المخيّلة والقوّة الواهمة مما لا يملك نفسه عن ردّها ، وتستمرّ على ابواب ذهنه مدّةً غير قصيرة . فالانسان مطبوعٌ على الاقتداء. والتشبّه فلا يسع احد الّا ان يحتشم لدى امير كبير او ملكٍ ذي شأن . وتعوّد مماسّة الامور الحسنة يُثيرُ في القلب نفوراً من الاشياء البذيئة ، وانّ من ذلك النفور لحكمةً لمن يفقهون .

تمثيل الشر ليس مخلًّا بالادب بذاته

ان الفن يمثل غالب الاحيان جنايات فظيعة كالقتل والدمار وشن الغارات كما ترى في المعلّقات وغيرها من القصائد التي يكون الغرض منها وصف الاهواء البشرية من غضب وغيظ وقِليً وأخذ ثأر وغير ذلك مما ينطوي عليه قلب الانسان من الاسواء والشرور . فذلك من شأنه ان يُورثَ المطالع تأثيراً شريفاً ، تأثير رجل كريم واقف على اسرار الاشياء . مشاهد ما تجري عليه النفس الواحدة والانسانية جمعاء من النواميس والشرائع التي وضعتها عليها القوّة الغريزية فيها .

وربما يخال للمتفكّر أن بين الفن والادب مخالفة ، والحال انهما ليسا في شيء من ذلك . فان الشعراء في شرحهم الاهواء كالعشق والظلم والانتقام لا ينفكّون مهما تجاوزوا حدّ الغلو والافراط محافظين على مبادئ شريفة دالّة على عظمة وجلال وبريئة من كل وصمة سوء . على انهم يظهرون من البأس ما يذلّلُ الصعاب ، ومن العزائم ما يفلّ غرار الصوارم ، ويخضون امواج المنايا بصدورهم ، كل ذلك يدعو الى الاعجاب منهم مبيناً وجوه محاسن النظم الشائقة . فان لكلّ هوىً من اهواء النفس عاملين : القوّة وسوء الاستعمال . وهذا لا بدّ منه في كل ضلال يحدث ، لان الضلال كناية عن تحويل وجوه الحقائق الى غير ما هي عليه ، ولئن كانت الحقيقة والقوّة تحفظ شيئاً من بقايا حسنها الاصلي . ولكن ليس لسوء الاستعمال في كليهما نصيب من الحسن بذاته ، لا بل انه يطلي كلًّا من القوّة والحقيقة ويشوهها ، فان بدا شيء من الحسن الحقيقي في تمثيل الاهواء تمثيلاً حسيّاً ، فلا عجب وذلك لا يختلف فيه اثنان ، بل انما هو من الامور الضرورية . غير ان هذا الحسن لا يحصل من هذا

التشويش المخل وانه لا يُعدّ حُسناً كاملاً في بابه ولا يدعو الى الاستحسان التام الّا بقدر ما يساعد على توليد الشهامة والمروءة في القلب فحكمه حكم الظلّ في الرسم فانه يساعد على رفع شأن ما هو واقعٌ في النور منه .

أمّا تصوير الاهواء المخلّة بالآداب فهو على جانب من الخطر عظيم . فهذه الطريقة القائمة باصلاح الرذائل بتمثيل اصحابها ليست من الطُرُق الامينة السليمة العاقبة . فالافضل والأولى ان تُداوى الرذائل باضدادها من الفضائل . فان ارسطو عرّف الانسان بانه حيوانٌ مقتدٍ . وأهمُّ اسبابٍ ما يقعُ من الزيادة في ارتكاب الجنايات وتكاثر حوادث القتل اليس هو حضور المسارح وقراءة الروايات والصُحُف المتداولة التي تسرد لنا حوادث القتل وغيرها من امثالها بكل ظروفها ومتعلقاتها . فالنفس أمّارةٌ بالسوء وهي تميل الى التشبه بما يظهر لها فيه مسحة من الحسن ، او ما يستفزُّها من الحس على حدّ قول الشاعر :

وتشبَّهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبُّهَ بالكرامِ فلاحُ

فهذه القوّةُ الفطرية التي تحدو بنا الى الاقتداء ترخي سدولًا بيننا وبين الوجه الادبي وتتمحّلُ لنا اعذارًا من ضعف الطبيعة . وهذا الضعف يحوّله التعلّق بالخيالات الشعرية والمناظر المختلّة الى غرورٍ وخيم العاقبة .

فهذا الهوى اذا ما تمكّن من النفس وأهاج فيها اشواقاً لا تحلُّ لها يصوّرُ لها انها تتمتّع بلذّاتٍ فائقة وتحظى بسعادةٍ شائقة . فالشاعرُ الذي يسوقه كلفهُ الى تمثيل الطبيعة الحقيقي يصفُ تلك الملاذ وهذه السعادة بصورٍ كأنها السنةٌ من نارٍ تستعرُ حتى يمتنع القول ان هذه الصور لا تستفزُّ قلوب الحضور ، وان مثل هذا اللهيب لا يمتدُّ الى احشائهم فيحرقها . ومهما حدث لنا بعد اليقظة من الهلع فان لنا من هذه الرؤيا لسحرًا خالبًا حتى نتمنّى ان تحدث فينا . فانك لا تعتقد انك توفي تحقيق هذا التمثيل فيك حقَّهُ ولو جرَّ الى ما لا تحمد عقباهُ او افضى بك الى الداهية الدهيا . فالمهمّ عند البعض ولا سيما من كانوا في ريّق العمر انما هو الطريق لا الغاية ، فان كانوا يستلذون الطريق اتبعوها غير مبالين بالهاوية التي تؤدي اليها . قال احدهم : ان الحياة كنهرٍ يُعارضُ بعضهم جريَ سيله وتلهيهم محاسنُ ضفّتيه عن سوء المغبة .

الحسن في ما يخالف الآداب

ربَّ تأليف له نصيبٌ من الحسن من وجهٍ وهو يخالف الآداب مخالفة ظاهرةً من وجهٍ آخر ، اي انه يورث النفس انواعاً من الحس سيئةً ويوقظ الشهوات الذميمة ويحملنا على الشرّ. على ان الانسان يتصرّفُ بما آتاه الله تعالى من النعم كيفما يشاء ويريدُ . ولا شيء يمنعه ان يحطّ عقله ويحوّله الى اشياء بذيئة ليكسبها بعض الرونق بوصفه لها وان ينصبه محامياً عن العيوب والمفاسد. فهؤلاء الكتّاب يدفعهم فساد الاخلاق والعماء الى تزيين بعض الملاذ فيهملون بيان ما لهذه الملاذ من سوء المصير وضعف البصر والانحطاط ، ويطرئون مـا لهواهم من الوجه الحسن ويخفون ما له من الوجه القبيح . فحذارِ حذارِ من مثل هؤلاء الكتّاب الذين يضيفون الى بيان افكارهم السيئة ما تمكّنهم منه الصناعة من الاساليب الجارحة .

فلا نرى في تأليف هؤلاء سوى حسنٍ اضافي ولا نسلّم لهم بالحسن المطلق لانهم شوّهوا وجه النظام ولم يستوفوا اسباب حسنه ، ولانهم لا يفرقون بين شطط الفكر والتعبير . فاذا عبّرنا عن فكرٍ فاسدٍ او شعورٍ كاذبٍ باحسن الاساليب وابدعها نجمع في كلامنا بين المتناقضات ونسبب للطالع مللاً وسآمة .

قال بعضهم : ان الماء الزلال اذا مزجته بماء آسنٍ يُفسدُ طعمهُ ، هكذا الحسُّ الدافع الى الشر الذي يُعرّضُ المطالع للخطر ، يشوّش أثر الحسن الخاص به ويحوّله الى شرٍّ مكروهٍ . وهل بيدك ان تجزّئ ما بدا لك من الحسّ فتصرف النظر عن التأثير السيّ ولا تنظر الّا الى الوجـه الحسن كلّا . ولا تستطيع ايضاً ان تشطر شعورك شطرين فتشعر بالماء المشوب وتنسى ما مُزج به من الماء الفاسد .

يجب على صاحب الفنّ ان يتطلّب الآداب

كلُّ صنعٍ فنّيٍ من شأنه ان يحدث تأثيراً إمّا حسناً واما سيئاً . والتأثير هو الدافع الوحيد الى العمل . فالحاصل اذًا هو ان الفن لا بدّ له من اقترانه بالادبية حتى يكون كاملاً مفيداً. وطلب الادبية على هذه الصورة من مقتضيات

علم الادب ولم يُسم هذا العلم علم الادب الّا تحصيل هذه الغاية . فان اسمه دليلٌ عليها ، ثمّ ان كلّ كلمة تنوب عن تصوّر او فكر ، وكلّ فكر هو صنعٌ على ابواب ظهوره . فالانسان وجماعات الناس اذا مسّت الحاجة ينبذون الفنّ ظهريًا ، ولكن لا يتأتّى لهم ان يفعلوا ذلك بالآداب . وقد اصاب بعضهم ان يلقّبوا بعض ارباب الاقلام بالادباء المضرّين وهم الذين لا يبالون بالنتائج الادبيـة ويستودعون النثر والنظم افكارًا وانواعًا من الحسّ شأنها تبديد الاعتقادات الواجب احترامها اشدّ وجوب .

وبناء على ذلك ظهر فساد توهمهم : « الفنّ للفنّ » . فان الشاعر استنادًا على هذا المبدأ لا يكترث للتأثير الذي يطبعه شعرهُ في قلوب منشديه سواء كان حَسَنًا او قبيحًا ويكتفي برأيه في الامور البشرية من غير اعتبار ما ينجم عنها من الفوائد الادبية او الاوهام الفاسدة . وكفاه فخرًا ان يعبّر عنها بابدع طراز من الكلام مقتصرًا على ذلك لا غير . ولا يسوغ للناقد ان يزيّف شيئًا من حسّ الشاعر لان نقده محصورٌ في بيان ما للتعبير عن هذا الحسّ من درجات الحسن .

في ما هو مقام الادبيَّة في علم الادب

ليس على الاديب ان يجتهد بافراط في بيان الوجه الادبي . فانّ مقام الشعر يفارق مقام الوعظ ، ومنابر المسارح غير منابر الكنائس . فالانسان ينفرُ اذا ما احسَّ بانك تقصد تعليمه فان شئت ان يؤثّر به نُصحك اسعَ في اخفائه ولا تعرّضه للعيان وحسبك ان تتخذ لنفسك من الاشياء الطبيعية معلّمًا وواعظًا . فاهتمام غيرك في وعظك سببٌ لتجافيك عنه ونفورك منه ، فضلًا عن انه يقيّد حرية التبصّر ويضع من كمال الارتياح الى العمل الذي هو غايته ويمنع الشاعر من اشتغال قريحته في استنباط المعاني الشريفة وكشف محاسن البلاغة ويلهيه عن ذلك ببيان وجه من وجوه الآداب ، فانه اذا اتى بموعظةٍ في تضاعيف كلامه يفسد امره ويشوّه وجوه حسنه ويعتاض عمّا تدعو اليه السليقة والحقيقة بالمحال المنافي العقل .

فما قصد شاعرٌ ان يثبت في شعره مسئلةً من مسائل المعتقدات او الآداب

الدينية وأفلح ، ولكن اذا كان يُحجر عليه تعليلُ القضايا الادبية فلا يمنع ذلك من بيان افكاره الشخصية وما يرتأيه في امور الحياة وما يفهمه منها وما يدلُّه اليه العقل فيها ، غير ان الذوق الشعري لا يؤذن بابدا. هذه القضايا الَّا ان تَردَ في خلال سياق الكلام بصورة لا تكاد تشعر بها وان تسوقها اليك مضامينه فتأتيك بعدها عفوًا من غير تكلُّف بخلاف ما لو تكلَّفها الشاعر مشوِّهًا وجه محاسن الشعر وهاتكًا ستره .

العمدة على التأثير الادبي

فقصارى الكلام ان الضابط الادبي الوحيد هو ان يُحدث الشاعر فيك تأثيرًا محمودًا . قال بعضهم : متى قرأتَ قصيدةً واعجبتك افكار الشاعر فيها وأوحت اليك من الشعور اشرفه واسماه فاحكم حينئذٍ من دون ان تلتجئ الى ضابطٍ آخر ، ان تلك القصيدة من جلائل القصائد وان ناظم بردها من فحول الشعراء .

فأدبية كل تأليفٍ تُعرف بما تورث قراءته من حسن الشعور في النفس . وهذا يصدق في كل الروايات وانواع الشعر وفي كل صنعٍ فنيّ . فان غاية كل أثرٍ فنيّ ما يُبقي من التأثير الاخير لا في الذهن فقط بـل في القوَّة المخيلة والقوَّة الحسَّاسة بعد طبق ذلك الكتاب او ارخاء ذلك الحجاب . وان هذا الأ حالةُ تحيُّر واندهاش تستولي على النفس وتتوارد عليها اشكالٌ من الصور وتتناوبها انواعٌ من الحسّ تنتبُّ فيها شيئًا بعد شيء بما يكون لذلك المشهد او لتلك القراءة من قوَّة التأثير . ولكن يبدو لنا من خلال هذا الاضطراب الذي يحدث فينا ابتداء ، حالةٌ تنفصل عنه ناتجةٌ لا عن الفكر والنظر بل عن هذه المشاهد التي طال التأمل فيها وعمَّا سبَّبت من الارتجاجات في القوَّة الحسَّاسة ، الامرُ الذي هو عبارةٌ عن قَبَسٍ من سعير ذلك التمثيل المشتعل .

فهذه الحالة الناجمة في النفس عن هـذا المشهد او هذه القراءة هي معظم قوَّة المتفنّن التي يستغني بها عن كل شيء سواها ، ولا يستغني بشيء عنها ، وهي التي تجعل الصنع محمودًا او مذمومًا بحسب حسن التصرُّف فيها او سوءه .

(يتبع)

عود على بدء

كتاب البخلاء للجاحظ

للاستاذ رشدي الحكيم

كانت مجلة «المشرق» الغراء نشرت لي في الجزئين الرابع والخامس من المجلد الثالث والخمسين مقالاً عن كتاب البخلاء للجاحظ طبعة دار اليقظة العربية بدمشق قلت فيه ان هذه الطبعة خير طبعة اخرجت للناس وقلت ان هذا الكتاب على تعدد طبعاته [التي ناهزت العشر] وما بذل من الجهد في تحقيقه لا يزال فيه عبارات غامضة لم يعرها الصواب نوره يعوزها تحقيق ادق وتصحيح اتم حتى يجيء الكتاب كما املاه مؤلفه شيخ الكتاب عمرو بن بحر الجاحظ، ثم اوردت ملحوظاتي ذاكراً اصل العبارة وما ارجح انه الصواب فيها .

وقبل نشر هذا النقد ظهرت طبعة اخرى للكتاب بتحقيق العلامة الدكتور طه الحاجري وتعليقه اصدرتها دار المعارف بمصر وقد اطلعت عليها بأخرة وقرأتها قراءة تدقيق وتبين فرأيت ان هذه الطبعة قد غبّرت في وجه سائر الطبعات التي سبقتها لان المحقق المفضال اطلع على مخطوطتين لم يُطّلع عليهما فيما قبل احداهما مخطوطة كبريلي الوزير العثماني والاخرى مخطوطة باريس وهي ناقصة لا تحتوي الا على نحو ثلث الكتاب كما انه رجع الى مصادر كثيرة غير مباشرة من كتب الادب في تصحيح العبارات وذيل الكتاب بتراجم مستفيضة لمعظم الاعلام الواردة فيه وجلهم من الاعلام الذين اغفل المؤرخون الترجمة لهم ولكن المحقق نقب عنهم في مصادر كثيرة حتى اهتدى اليهم ، كما فسر الكلمات الغامضة والادوات والمصطلحات العمرانية مما كان يستعمل في ذلك العصر واغفلته المعاجم وهذا عدا الفهارس العديدة التي ذيل بها الكتاب لاسماء الاشخاص والاماكن والاطعمة والادوات والشعر حتى انصاف الابيات وحتى المراجع وهذا الذيل الذي هو ذيل الطاووس يربي على حجم الكتاب .

وقد جاء الكتاب وذيله مجلوا في طبعة دار المعارف بالورق الجيد قطعة

فنية وتحفة انيقة تكاد تكون الحسناء التي عدمت الذام لو ان الدكتور اكل فضله نفسر الكلمات اللغوية ايضاً.

وقد لحظت ان كثيراً من المآخذ التي أوردتها في نقدي لطبعة دار اليقظة العربية قد جاء على الصواب في حين ان المؤلف لم يطلع على ما كتبت .

ولكني وجدت في الطبعة الجديدة عبارات لا يزال في نفسي منها ما في نفس الفراء من حتى ورأيت ان اعرض رأيي فيها فيما يلي خدمة لهذا الكتاب الجليل الجميل الذي يعد من امهات كتب الآداب العربية.

ص ١ — (لأجعل المنزل مستراحا والراحة جماما) والراحة والجمام في معنى واحد وربما كانت الراحة محرفة عن المزاحة والمزاحة المزاح .

ص ٢ — (وما هذا السبب الذي خفي به الجليل الواضح وادرك به الجليل الغامض) ولعل الجليل الثانية معدولة عن الضئيل او الخفي.

ص ٣ — (وربما ظن ان قد فطن له وعرف ما عنده فهو شيئاً لا يقبل التمويه ورقع خرقاً لا يقبل الرقع) ضبطت (خرقا) بضم الخاء والصحيح فتح الخاء .

ص ٣ — (ودلت على حقائق المتموهين وهتكت عن امتار الادعاء) ولعلها وهتكت من استار الادعاء .

ص ١١ — (وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وختم على كيس فارغ وقال : طينة خير من ظَنَّة) وربما كانت (خير من ظِنَّة بالظاء مكسورة او (طينه خير من ظنه) من طان الكتاب اذا ختمه بالطين .

١٢ — لا يغترن احد بطول عمره وتقوس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته ان يرى اكومته ولا يخرجه ذلك الى اخراج ماله من يديه وتحويله الى ملك غيره) وربما كانت العبارة (ان يرى اكومته على سواه).

١٥ — عليك بطلب الغنى فلو لو لم يكن لك فيه الا انه عز في قلبك وشبة في قلب غيرك) وعندي ان الجملة (وشباة في قلب عدوك) ومن جملة معاني الشباة الحد وابرة العقرب .

١٨ — ورأيت انا حمارة منهم زهاء خمسين يتغدون على مباقل بحضرة قرية

الاعراب في طريق الكوفة وهم حجاج) ولعل الصواب فيها (ورأيت انا جمارا او جماعة منهم) والجمار الجماعة .

٢١ — (فأن وجد قيم البستان رمى اليه بدرهم ثم قال اشتر لي بهذا او اعطني بهذا رطبا) ضبطت اشتر بكسر الراء من الاشتراء . والاولى ان تكون بجزمها فعل امر من الاشتيار بمعنى القطف والجني .

٤٢ — (والجدي بعشرة دراهم انما ينكر عندنا بالبصرة لكثرة الخير ورخص السعر فاما في العساكر فأن انكر ذلك منكر فانما ينكره من طريق رخصه) ربما كانت العساكر محرفة عن الدساكر بمعنى القرى .

٥٩ و٦٢ — (واما ابو محمد الحرامي عبد الله بن كاسب كاتب موبس وكاتب داود بن ابي داود) وجه الصواب فيها (دُوَاد بن ابي دواد) لا داود ودواد بن ابي دواد ورد له ذكر في الجزء الاول من البيان والتبيين ص ١٠٣ تحقيق عبد السلام محمد هارون .

٦١ — (ما اخوفني ان اكون قد قصد الي بقول ما اخوفني ان يكون الله في سمائه قد قصد الى ان يفقرني) وربما كانت كلمة بقول معدولة عن (بغول) بالغين والغول بالضم الهلكة .

٧٤ — (واطعموهم ما يعرفون فأنه انجع واشفى للقرم) ربما كانت (واطعموهم ما يعرقون) بالقاف من عرق العظم اكل ما عليه من اللحم يدل على ذلك ما جاء بعدها من انه (اراد ان يكيدهم بالثريد ويملأ صدورهم بالمراق) والعراق العظم دون لحم او بلحم.

٨٥ — (ومحبة الساكن ان يشغل الله عنه المسكن كيف شاء ان شاء شغله بعينه وان شاء بزمانه وان شاء بمجبس وان شاء بموت) بزمانه محرفة عن بزمانة بمعنى العاهة لا ان يشغله بالزمن .

٨٦ — (وربما اخذهم ومعه امرأة يفجر بها فيجعل استنجار البيوت وتصفح المنازل علة لدخولها والمقام ساعة فيها) وعلق المحقق على هذه الجملة بقوله (ولعلها كما يدل السياق (وربما اخذ [المفتاح] منهم) واری ان الجملة (وربما جاء احدهم ومعه امرأة الخ) .

٨٦ — (وربما بلغ من استضعافه واستثقاله لامراء الكراء اذ يدعي ان له شقيصا وان له يدا ليصير خصماً من الخصوم) يغلب على الظن ان استضعافه محرفة عن استعظامه .

٨٨ — (ومن اتخذ دارا فقد اقام كفيلا لا يخفر وزعيما لا يغرم) ولعلها (وزعيما لا يفر) .

٩٦ — (وهو ان تحضر هذه الزيادة من الخبز على طبق ويكون قريباً بحيث تناله اليد فلا يحتاج احد مع قربه منه الى ان يدعو به ويكون قربه من يده كثرة على مائدته) الصواب (كثرة على مائدته) الكاف هنا للتشبيه والثر التفريق والتبديد ويكون المعنى ان وضع الخبز على طبق قريباً من يد الآكل مثل تفريقه على المائدة .

٩٧ — (وكانوا يعلمون ان احضار الجدي انما هو شيء من آيين الموائد الرفيعة وانما جعل كالعاقبة والخاتمة وكالعلامة للبسر والفراغ) لعل كلمة الفراغ معدولة عن الفرع والفرع للمال الطائل المعد .

١٠٢ — وكان اذا دخل الصيف وحر عليه بيته اثاره حتى يغرق المسحاة ثم يصب عليه جرارا كثيرة من ماء البئر ويتوطؤه حتى يستوي فلا يزال ذلك البيت باردا ما دام نديا فاذا امتد به الندى ودام برده بدوامه اكتفى بذلك التبريد صيفته . وان جف قبل انقضاء الصيف وعاد عليه الحر عاد عليه بالاثارة والصب وكان يقول : خيشتي ارضي وماء خيشتي من بئري) ولعل الجملة (وكان يقول خيشتي ارضي) كما قال بعد (من بئري) .

١٠٣ — (وقد يأكل الناس القت قداحا والشعير فريكا) وارى ان قداحا معدول بها عن (قراحا) والقراح بمعنى الخالص .

١٠٥ — (وجعلت ما لا رقعة له ممحاة لي وللجارية اذا نحن قضينا حاجة الرجال والنساء)ممحاة ربما تكون محرفة عن مسحاة وهي ما يسحى به من سحى الطين قشره .

١٦٧ — (ذلك لان الطعام يسكر ويخدر ويختر ويبل الدماغ ويبل العروق

ويسترخي عليه جميع البدن) وربما كانت العبارة (ويثل الدماغ ويثل العروق) بمعنى يهدم والقائل يرمي الى ذم الطعام لا الى مدحه.

١٢٣ — (وها هنا اموال باسمي ولك شطرها واموال باسمك ولي شطرها وصامت في منزلي وصامت في منزلك لا نعرف فضل بعض ذلك على بعض وان طرقنا امر الله ركدت الحرب بين هؤلاء الفتية وطال الصخب بين هؤلاء النسوة) ولعل ركدت محرفة عن وقدت كما يقتضيه السياق .

١٣٤ — (إنّك ان اطعمتهم اليوم البرقي اطعمتهم غدا السكر وبعد غد الهلبات ثم يصير ذلك بعد ايام الجمع في سائر ايام الأسبوع ثم يتحول الرطب الى الغداء. ثم يزدي الغداء. الى العشاء. ثم نصير الى الكساء. ثم الاجداء. ثم الحملان ثم اصطناع الصنائع) الغالب ان (الاجداء) محرفة عن الاهداء. يؤيد ذلك ان الحملان ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

١٣٧ — (وكان شديد العقل شديد العارضة)والعقل لا يوصف بالشدة ولعلها محرفة عن (سديد العقل) بالسين.

١٤٣ — (وما كان من المسامير وقطع الحديد فللحدادين وما كان من القراطيس فللطراز وما كان من الصحف فلروس الجرار) الاقرب ان تكون كلمة الطراز محرفة عن (فللطران) والطران الحجر يقدح به اي ان القراطيس هذه توضع في جانب الطران عند قدحه لتساعد على اشعال النار والطراز علم الثوب والموضع الذي تنسج فيه الثياب الرفيعة والقراطيس الملتقطة من كساحة الدار لا تكون عادة من طراز يستعمل للطراز.

١٥٥ — (تراثه جنة للوارثين اذا اودى وجثمانه للرب والدود)

وربما كانت جنة محرفة عن نهبة .

(وقريت في مقرىً قلائص اربعا وقريت بعد قرىً قلائص اربع)

ربما كان الشطر الاول

وقريت قبل قرى قلائص اربعا

يؤيده ما جاء في الشطر الثاني

١٦٥ — (وقالت عائشة في حبة عنب «ان فيها لمثاقيل ذر » ولعل الصواب « لمباقل ذر » بمعنى ان الذر يستفيد منها لغذائه كما يستفيد الناس من المباقل.

١٦٧ — (زمن خزون ووارث شفون وكاسب حزون) والاوجه ان يكون «وكاسب خزون» بالخاء المعجمة من الخزن .

١٦٩ — (فان نحن جعلنا لابتدائه جوابا وجعلنا لجوابه الثاني جوابا خرجنا الى التهاتر وصرنا الى التخاير) وارى ان التخاير محرفة عن التعاير بالعين.

١٦٩ — (ومتى قامت اخلاطه على الاعتدال وتكافأت خواطره في الوزن لم يعرف من الاعمال الا الاقتصاد ولم يجد افعاله ابدا الا بين التقصير والافراط) وارى ان الجملة (ولم يُجر — بالراء — افعاله) .

١٦٩ — (فدع عنك خلطة الامعة فانه حارض لا خير فيه) لعل حارض معدولة عن خارص بالصاد المهملة بمعنى حازر اي ليس على يقين من امر.

١٧٠ — (لان ابواب تدبير العاقل وحيله معروفة وطرق خواطره مسلوكة ومذاهبه محصورة معدودة وليس لتدبير الاحمق وحيله جهة واحدة ومن اخطأها كذب) سياق الكلام يدل على ان الصواب (احصاها) لا (اخطأها).

١٧١ — (وسواء جاع فظلم واحفظ وعسف ام جاع فكذب وضرع) كلمة احفظ وان كانت مجزية هنا ولكن كلمة خبط اقرب الى سياق الكلام لتتسق مع جارتيها الظلم والعسف .

١٧٣ — (فانّا جعلك معبرا لمدرك حاجته ومركبا لبلوغ محبته) قد تكون (محبته) محرفة عن مغبته وللاولى وجه ايضاً .

١٧٨ — (لكانت حيلهم في الناس اشد تغلغلا واعرض واسرى في عمق البدن وادخل الى سويداء القلب) ارى ان اعرض محرفة عن اعرق كما يقتضيه سياق الكلام .

١٧٨ — (ولو اتخذت الحيطان الرفيعة الثخينة والاقفال المحكمة الوثيقة ولو اتخذت المارق والجواسق والابواب الشداد) ربما كانت (المارق) محرفة عن المحاوز جمع محوز من حاز المال اذا جمعه وضمه اليه .

١٧٩ — وقال عمر : « لفارس الشفارق والحوض » هي الشبارق بالباء ما قطع من اللحم صغارا وطبخ .

١٨٠ — السويق (من عدد المسافر وطعام العجلان وغذاء المبكر وبلغة المريض يسرو فؤاد الحزين ويرد من نفس المحدود) ربما تكون (المكدود) وهو المتعب.

١٨٠ — (وقيل لبعض هؤلاء العامظة والمستأكلين والشناغيف والمقمين) ربما كانت الشناغيف محرفة عن الشناقيق جمع شنقناق وهو الداهية.

١٨٢ — (ولكني خلقت اذا لمال فاجمل بعد ذلك او انيل)

قد تكون رواية الشطر الاول من البيت:

ولكني خلقت ازاء مال

بمعنى سائس للمال كما في معاجم اللغة.

١٨٥ — (ان التواني انكح العجز بنته)

لعل هذا الشطر من البيت:

اذا ما التواني انكح العجز بنته

١٨٧ — (احذر اعطاء المخدوعين وبذل المغبونين فان المغبون لا محمود ولا مأجور) الاولى ان تكون (عطاء المخدوعين) لا اعطاء.

١٨٨ — (اللهم لا تثر لي ماء سوء فاكون امرأ سوء) صوابه (اللهم لا تثرلني ماء سوء).

١٩١ — (وقد ترى شنف الفقراء للاغنياء وتسرع الرغبة الى الملوك وبغض الماشي للراكب) ربما تكون العبارة (وتسرع الرعية الى الملوك) والتسرع يُستعمل في الشر.

١٩٢ — (ومن طمع في السلامة من غير تسلم فقد وضع الطمع في موضع الاماني وانما ينجز الله الطمع اذا كان فيما امر به) لعلها (وانما يجيز الله الطمع).

١٩٥ — (لا تعينني على الزمان ولا تواسيني ببعض مالك ولا تتفرج لي عن شيء) اظن ان تتفرج محرفة عن تتفرغ بالعين المعجمة.

٢٠٠ — (وادركه ما يدرك المنين من التيه فلم يحملها (خابية فارغة) فكان يركلها ركلة فتدحرج وتدور فيبلغ حمية الركلة ويقوم من ناحية كي لا

يراه انسان ويرى ما تصنع) الاصح ان تكون (ويرى ما يصنع) .

٢٠٢ — (قال : بئس العيش هذا ليس [هذا] عيش آل الخطاب) هـذا الثانية زادها المحقق في حين ان الكلام تام دونها واسم ليس معلوم من الجملة التي سبقتها .

٢٠٤ — (ولم ار لشهواتي تدبيراً ولا لشوهي صبرا) وفي رأيي ان صواب الجملة (ولم ار لشهواتي تدبيراً ولا لشره صبرا) .

٣٠٤ — (وكان سالم بن قتيبة يركب بغلة وحده ومعه اربعة آلاف مرابطة) وربما كانت (يركب بغلة واحدة) بمعنى انه لا يداول بينها وبين غيرها ولا يبدلها .

٣٠٩ — (فانا لا اتكلم في الولايات ولا اتكلم في الدراهم من قلوب الناس) لعلها (من جيوب الناس) .

٣٢٧ — (جعلنا الالا والرجام وطخفة لهـا فاستقلت فوقهن اثافيا)

وربما كان الشطر الاول :

(جعلنا الألا والرجام وطهفة)

فالالا شجر اخضر والرجام الحجارة وطهفة بالها . لا طخفة نوع من الشجر وهذه الثلاث اثافي للقدر .

٣٣٣ — (ربّ نار بت ارقبها تقضم الهند والغـارا)

ضبطت تقضم بكسر الضاد وهي بفتحها من باب سمع .

٣٣٦ — (ابا ارب كيف القرابة بينكم

واخوالكم من لحم اكفالها عجر)

قد تكون عجر محرفة عن مجر بمعنى ممتلئة .

٣٦٨ — فات المحقق ان يشير في ترجمة سهل بن هارون الى ابيـات له في الصديق ذكرت في البيان والتبيين في الجزء الثاني ص ١٩٦ وهي :

تكنفني همـان قد كسفا بالي وقـد تركا قلبي محلة بلبال

هما اذريا دمعي ولم تذر عبرتي ربيبة خدر ذات سمط وخلخال

ولكنني ابكي بعين سخينة — على جلل تبكي له عين امثالي
فراق خليل او شجي يستشفني — لخلة حر لا يقوم لها مالي
فواكبدي حتى متى القلب موجع — لفقد حبيب او تعذر افضال
وما العيش الا ان تطول بنائل — والا لقاء الخل ذي الخلق العالي

وفي هذه الابيات كما في الابيات التي مدح بها يحيى بن خالد البرمكي التي منها :

عدو تلاد المال فيما ينوبه — منوع اذا ما منعه كان احزما

ما يدل على خلق سهل وشخصيته وانه لم يكن بالمنزلة التي وضع فيها من البخل والشح فانظر اليه كيف يتلهف على سد خلة واسداء معونة وكيف يمدح يحيى بن خالد بكونه يمنع اذا ما كان المنع احزم فلم يكن اذن رجلاً شحيحاً بخيلاً كز اليد ولا مبذراً مسرفاً متلافاً يبدد المال تبديداً في غير وجهه بل كان حكيماً متزناً يضع الامور في نصابها ويجبأ المال لاسداء مكرمة وكسب محمدة .

٢٧٩ — (اما بعد فالسلام على عهدك وداع ذي ظن بك) والصواب(ذي ضن بك) بالضاد المعجمة .

٣١٤ — (ارضاً اذا سار بها الجيش بكى
ما سارها قبلك من انس ارى)

والصواب الجبس وهو الجبان ولم نسمع ان جيشاً برمته صار يبكي اذا وقع في آزمة .

٣٣٥ — علق المحقق على كلمة خوامزكه (بأنه لم يستطع ان يجد من المعاني المحتملة لهذه الكلمة فيما اتيح له من المعاجم الفارسية ما يتفق مع سياقها) واقول لعلها مشتقة من كلمة خام بالفارسية بمعنى النيئ كما ان (مزه) بالفارسية بمعنى الذوق والطعم حسبما رأيت في المعاجم التركية التي لدي وكأن المقصود بها المأكل النيئة كاللحم غير المطبوخ وغير المشوي وغير ذلك مما يوضع على مائدة الشراب من النقل .

٣٣٧ — شك المحقق في الذي رواه ابو عبيدة (عن بخل خالد القسري على الطعام في حين ان ابن عبد ربه عدّه في الاجواد) ولا ارى تناقضاً بين الخبرين اذ قد يكون بخيلاً بالطعام جواداً فيما سواه كما هو الحال مع عبد الملك ابن قيس الذئبي (البخلاء ص ١٤٩) والناس اخياف .

٣٥٤ — واضيف على ما ترجم به المحقق للسدري فاقول ربما كان هناك سدري آخر ورد له ذكر في طبقات الشعراء لابن المعتز ويظهر انه ابن اخ لبشار ابن برد وانه كان راوية للسيد الحميري .

٣٥٦ — رجح المحقق ان المقصود بالخيش مروحة الخيش التي تستعمل لتبريد الجو ويظهر ان الخيش يقصد به شيء آخر فقد جاء في كتاب الحضارة الاسلامية (الجزء الثاني ص ١٥٣) ان في عهد المنصور العباسي اتخذت طريقة اخرى للتبريد فكانوا ينصبون الخيش الغليظ ولا يزالون يبلونه بالماء فيبرد الجو وكان الخيش ينصب على قبة . ويحكي المقدسي انه رأى في دار عضد الدولة بشيراز بيوت الخيش يبلها الماء على الدوام بواسطة قني حولها من فوق وكانت حراقات دجلة التي يستعملها رجال الدولة في غدوهم ورواحهم يعد فيها الثلج ويعلق عليها الخيش المبلل بالماء . وكانت ترخى على الخيش ستور الكرابيس . ثم ذكر المروحة ووصفها بما يدل على ان الخيش غير المروحة وكان كلاهما او احدهما يستعملان في الدور الرفيعة .

٣٧٢ — ترجم المحقق محمد بن الجهم وفاته ان يذكر انه ألف كتاباً للمأمون في الاختيارات قريب المأخذ صحيح المعاني جداً وكان اميناً جليل القدر عالماً بالمنطق والتنجيم (اخبار الحكماء للقفطي ص ١٨٦) .

٤٠١ — الفالوذج (فتات البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم) لعلها (لباب البر) لا فتاته .

تعريف عن الكتب

الشيخ بشارة خليل الخوري

حقائق لبنانية

الجزء الاول والجزء الثاني، ١٩٦٠

بدأ الرئيس الشيخ بشارة الخوري يخرج مذكّراته . وقد ظهر منها سنة ١٩٦٠ الجزء الاول والجزء الثاني، طبع منشورات « اوراق لبنانية » . وكنّا نتمنى انتظار الجزء الثالث والاخير لكتابة كلمة جامعة عن هذا السفر القيّم : امّا الآن فسنكتفي بكلمة جامعة عن الجزئين الاولين .

يقع الجزء الاوّل في ٣٤٢ صفحة، ما عدا الصور، وفيه مراجعة للاحداث التي مرّت بلبنان منذ ولادة المؤلف — في ١٠ آب ١٨٩٠ — الى ليلة انتخابه رئيساً للجمهورية — الى ٢٠ ايلول ١٩٤٣ . فيعود بنا هذا الجزء الى لبنان الصغير في آخر عهد المتصرفية (١٨٩٠ — ١٩١٤)، وفي الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨)، وفي العهد الاوّل للاحتلال (١٩١٨ — ١٩٢٠)، ثمّ الى لبنان الكبير في عهد الحكّام الفرنسيين (١٩٢٠ — ١٩٢٦) وفي عهد الجمهورية اللبنانية تحت الانتداب الفرنسي (١٩٢٦ — ١٩٤٣) . وهنا المؤلف، وهو ابن عائلة عريقة خدمت لبنان منذ القرن الثامن عشر، يظهر لنا في حياته البيتية والمدرسية والجامعية، ثمّ في المحاماة والادارة والقضاء، واخيراً في الحياة السياسية : دخلها وهو شاب بعد، وسرعان ما برز فيها، وأصبح من اهمّ الشخصيات اللبنانية، يتنافس والرئيس اميل اده، لا يعرف اليأسُ طريقاً الى قلبه بعد فشله في انتخابات الرئاسة سنة ١٩٣٦ .

امّا الجزء الثاني، فيقع في ٣٣٤ صفحة، ما عدا الصور ايضاً، وفيه مراجعة حوادث ثلاث سنوات فقط — من ٢١ ايلول ١٩٤٣ الى آخر ١٩٤٦ —، سنوات الاستقلال والجلاء . وهنا تتجلّى صفات رجل الدولة عند الرئيس الخوري الذي عرف كيف يختار من يعاونه في الحكم وكيف يتصرف بحكمة في ظروف عصيبة جدّاً : كان المسؤول الاوّل، فلم يخف من تحمّل مهام منصبه السامي،

موجهاً الامة اللبنانية نحو الميثاق الوطني، ومضحياً مع رفاقه في الحكم، في سبيل استقلال لبنان وجلاء الجيوش الاجنبية عنه.

يقول الرئيس الشيخ بعد حديثه عن المتصرفية: «تلك المشاهد، التي مرّت من الحياة الحكومية في جبل لبنان، ليست الا لمحة خاطفة لا تتعدى بعض انطباعات رست في ذهني. انها ليست تاريخاً للمتصرفية.» (الجزء الاول، صفحة ٧٧). وهذا الحكم ينطبق على كلّ مذكرات رجال الدولة الكبار، كتشرتشل وديني غول وبشارة الخوري. بيد أن مذكرات الرئيس الشيخ ستبقى مرجعاً من مراجع تاريخ لبنان الحالي، وكما يقول الاستاذ فيليب تقلا في مقدمة الجزء الثاني، «رائعة من روائع الأدب السياسي.»

جبرائيل مالك اليسوعي

امين نخله الفنّان

بقلم فؤاد سابا

منشورات مجلة الورود – بيروت ١٩٦٠ – ١١٥ صفحة

جرّب المؤلف ان يحصر شيئاً من شخصية الامين في صفحات قلائل وقد اتى على ذكر شعره وصيغة شعره ونحت الكلمات في هذا الشعر مع ما ضمّنهُ الامين من عاطفة جيّاشة وحبّ صادق. فاتى الكتاب دقيقاً يسير الهوينا في تحليل هذه العاطفة او تلك منبرى من خلال الصفحات، وقد ضمّت الابيات الكثيرة من دفتر الغزل وغيره، شخصية فذّة تألّقت على ناصية اللغة وتوصلت الى أوج البراعة فطابقت المفردات على ما هناك من المعاني ومن العواطف يجعل الامين في مصافّ الشعراء الملهمين، وقد نعبّر عن الإلهام الشعري بقولنا انه التعبير الفطري عن الوحدة التي تجمع بين الشاعر والطبيعة وقد نظر اليها نظرة الصديق والاليف، نظرة الاخ الواعي.

هذا وإننا لنحثّ المؤلف على درس ما كتبه الامين نثراً ففيه ما يرتقي بالقارئ الى قمة الفكر الادبي وأوج الاسلوب الصافي.

ا. ع. خ

الخطيئة البيضاء

قصة لمخائيل معوض

منشورات دار الند (٣٠ × ١٦) ٣٢٠ صفحة

الضيعة اللبنانية عادات وتقاليد وطريقة عيش يزلنا ان نراها تتلاشى. وللضيعة حضارة فطرية بناها الاجداد فعاشوا بظلها وبلغتنا سليمة من كل شائبة على يد الرهبان القديسين سكان الصوامع والاديرة النائية اولئك الذين تركوا العالم لا يأساً او مجازفة انما رغبة في عبادة الرب وخدمة العالم بهمة اوفر وانتباه ازيد. فجمعوا بين العمل والصلاة والتقشف والتضحية فتباركت ارض لبنان بتعبهم وتقدست تربته برميم عظامهم .

« الخطيئة البيضاء » هي بادرة فريدة في ادبنا العربي تصور لنا اخلاق ابناء الضيعة وعاداتهم اللبنانية الشريفة تصور لنا المدرسة تحت السنديانة مثلاً والحفلات الدينية في الضيعة واعيادها كاسبوع الآلام « والعيد الكبير » عيد الفصح. هي قصة مستمدة من تاريخ هذا الجبل ومن تقاليد شعبه الحية . هي قصة الفتاة مارينا التي سمعت نداء الدعوة في قلبها فلبت النداء بسخاء ، ودخلت الدير مستترة باسم الاخ مارينوس فصهرت حبها البشري بحب الهي . تهمت بالاعتداء على شرف فتاة اثناء القيام بعمل رسولي فكتمت سرها وصبرت وقدست نفسها بالتضحية والمثابرة والجهاد .

ينتقل بنا ميخائيل معوض في « الخطيئة البيضاء » الى القرون الوسطى اللبنانية والى منطقة لبنان الشمالي فنعيش مع ابناء قرية القلمون حيث يصور لنا الكاتب بعمق وواقعية مأساة صبية مؤثرة فيرينا مارينا اليتيمة الام تضحي بحبها لرفيق صباها لتلحق بوالدها فترافقها « يسيران معاً الى الدير جنباً الى جنب هو يتكلم كمن يتأمل وهي تصغي كمن يحلم » (صفحة ١٠٤) . ونشاطر الرهبان حياتهم التقشفية في دير قنوبين على اكتاف وادي قاديشا « فينتشرون هنا وهناك لاشغالهم هذا في كناسة الدير وتنظيف تماشيه وهذا ينحدر الى المطبخ فيبدأ باشعال النار وتحضير الغداء وهذا يتأبط المنجل ويهبط الى الحقول

وذاك يجلس نفسه في غرفته للقراءة والترجمة والنسخ وغيره ياترم الكنيسة وآخر ينتظر الضيوف وآخر لاصلاح ما تعطل في الدير وتضرر » (صفحة ١٨١) . ونشترك معهم في حفلة تجديد النذور « بعد ان قاموا باكراً يزينون الدير والمعبد فيشلحون عليه وشاحاً من البهجة والحبور » (صفحة ٢٥٥) . ونتمتع برأي « النهر الذي خطّ له الطريق ، ينبجس من قلب صخر في قلب كهف من مغارة قاديشا مغارة القديسين منذ مئات الوف السنين منحدراً في الاخاديد ملتوياً لئلا يصطدم بجبّار الصخور مختفياً بين حين وحين تهدداً ، مسالماً ، متكبراً ، رفيعاً ، وقحاً حيناً » ونسمعه ينشد « وهو ينشد منذ ان كان وقبل كان يوم كانت الارض » (صفحة ٢٤٩) .

ويطول الوصف والشرح عن تلك الحياة وتلك الربوع باسلوب جذّاب بعيد عن التصنع وانشاء سهل قريب من الواقع فنرى ونصغي ونطرب ولا نملّ . ونطبق الكتاب فنطبق جفنينا لنسبح في فكرة وحلم وخيال ونذكر نشيد الياس ابي شبكه « ارجع لنا ما كان يا دهر في لبنان » . ونتوق من جديد الى تلك الحياة الطاهرة او اقلّه الى المزيد من نوع هذا الادب الذي يرسم لنا ويُحيي « حضارة في طريق الزوال » . انطوان الجميل

رسائل امين الريحاني ١٨٩٦ـ١٩٤٠

جمعها وبوّبها البرت الريحاني

بيروت — دار ريحاني للطباعة والنشر — ١٩٦٠ — ٥٦٠ ص .

اذا تكلمنا على اسلوب الريحاني في فن الرسالة فقلنا انه من اول رسالة يحتوي عليها هذا الكتاب الى الاخيرة اسلوب ساحر في بساطته جذّاب في ظرفه خلّاق في جدّه وتهكّمه . فيطالع القارئ كل هذه الرسائل وهو يطلب المزيد الى ان ينتهي به المطاف .

واذا تكلمنا على الاشخاص الذين هم على اتصال بالريحاني فهمنا ان هناك الملك والشاعر والاديب والطبيب والسياسي والامير والمستشرق والوالدة والشقيقة والاخ الحبيب واليهم كلهم يبعث بنبضات قلب محبّ قد تأثر من الحياة لانه

ارادها على غير ما هي في بعض مظاهرها .

واذا نظرنا الى المواضيع التي طرقها رأينا أنه ينتقل بين الفلسفة والادب والتصوف والدين والتاريخ والسياسة وفي كل هذه المواضيع له نظرة شخصية تميّز بها ويريد ان تكون ميزة القارئ او المراسل. وقد سبق له ان تكلم على الدين بلهجة العصر الذي عاش فيه ، عصر مادية وعصر نكران : وجود الروح وعصر ما يدعونه بالتحرّر حتى من قيود الدين . وعلى هذا يُنتقد ، وعلى هذا لا شك ان ضميره بكّته. وفي ظني انه لم ينتقد الّا مظاهر الدين لا الدين نفسه وهو اعلى من ان يُنتقد ؛ لقد انتقد رجال الدين وفي ذلك رغبة شخصية او عداوة اتّصف بها ضدّ فلان او فلان ولكنه لم يتوصل بجهد الى اكتشاف كنه الدين ومميزاته . اذاك لكان فاز بما تصبو اليه نفسه من تحرّر حقيقي ثابت .

وفي كل هذه الرسائل يبدو الريحاني ذلك القومي الذي يُضفي على كتاباته كلها — وهي بمثابة يوميات يتتبعه فيها القارئ ويرى من خلال السطور اختلاجات قلبه الحساس — ثوباً هو له لم يقتبسه من اديب غيره فتميّز به . وفي هذا ما يسحر القارئ ويقوده الى متابعة القراءة فيصير كالريحاني واقعياً لا محاباة عنده ولا مواربة .

ولذا فان قراءة هذه الرسائل تجعلنا نقف على حقيقة نصف جيل تقلّب بين طيّات التجدّد والتمسّك بالتقاليد ، على سنين مشحونة في تاريخ لبنان وتاريخ العالم بثورات نفسانية ونزعات جمّة نحو التحرّر والاستقلال .

ا. عبده خليفه اليسوعي

احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية

بقلم رفائيل بابو اسحق

مطبعة شفيق — بغداد ١٩٦٠ — ٢٨٣ ص

كان المؤلف قد نشر سنة ١٩٤٨ كتاباً عن نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية الى ايامنا وها هو ذا الآن يتحفنا بتاريخ نصارى

بغداد : فمن تاريخ دقيق وتفتيش علمي صادق إلى انفتاحات على اللغات القديمة المركبة منها اسماء المدن والقرى والديارات إلى احكام صافية عن علاقات النصارى والمسلمين في خدمة الوطن الواحد ، كل ذلك يحمل القارئ على متابعة قراءة هذه الصفحات المشحونة علماً والتي تعود بنا الى عصور قد يغيب عنا ما جرى فيها من تسامح ديني واخوة صادقة بين اخوة الوطن الواحد في ظل الحكم الكريم بعد ان ابدى النصارى من المقدرة العلمية والشهرة الواسعة والامانة التي لا تنفصم عراها فاستخدمهم الخلفاء والقوا على عاتقهم المناصب الجليلة . فمن تعريب الكتب الى تأسيس وبناء الكنائس الى رفع دعائم المستشفيات الى جمع الكتب في المكتبات الكبيرة ، كل ذلك جعلهم يخدمون المصلحة العامة ويسهرون عليها . ولم يكتفوا بذلك الى ان بنوا حول بغداد المزارع النضرة التي دمجت بمدينة السلام عندما ارادها الخليفة ابو جعفر المنصور عاصمة الخلافة ومدينة الاشعاع الفكري .

هذا شيء من الثروة التي ضمنها المؤلف صفحات هذا الكتاب الثمين واذا ما قلنا ان الاخبار التي يسردها عن حياة الاطباء النصارى لشبيهة بقاموس اعلام فاننا لا ننتقد انما كنا نود ان يكون ذلك السرد اقل جفافاً . على كل فان الكتاب هذا لمعين يستقي منه اصحاب التنقيب اذ انه يلقي نوراً ساطعاً على امور غابت او كادت عن فكر الباحثين . ا. ع. خ.

ربيع العرب

بقلم بنوا ميشان

دار المكشوف - بيروت ١٩٥٩ - صفحة ١١١

هذا الكتاب هو من الكتب التي تُقرأ بشغف لانها تحمل الينا خبايا افكار وآراء من يظنون انهم يوجهون التاريخ . فمن فكرة اساسية نبتت في رأس قائد فجماعته يثور على الاوضاع القائمة ، الى ردة فعل قاسية قربت العالم من خطر الحرب ، الى انفعالات نفسانية تحمل صاحبها الّا ينام على ضيم ، كل ذلك نراه في هذه الصفحات التي اجتهد مؤلفها ان يُعطينا فيها بصورة وضعية

صادقة ملخص احاديثه مع رجال اليوم في البلاد العربية . فمن حنت نفسه الى السياسة وجد بين سطور هذه الصفحات بعد نظر الرجل الذي يحمل بين يديه مقدرات مستقبل وطنه ، وطموح ذلك الآخر يتنبأ بهبوط عرش وبمصرع حاكم الغد ، وحنكة ذلك السياسي التي تجعله يتحسس الامور قبل وقوعها لشعوره المرهف واختباراته الثرية .

ومما يذكر في هذه الصفحات الصراحة التي كانت تجمع بين الاشخاص . وما اجملها اذ تخلق الثقة المتبادلة وتحمي من النيات المبطنة . فمن حديث مع قائد مصر الى حديث مع صاحب ثورة العراق الى ذلك الذي اراد دمج سوريا بمصر الى من كان في العراق يأمل دوماً النجاح والسيطرة الى تركيا بلد الذكريات والحنين الى نتائج مقتضبة ينهي بها المؤلف مطافه . ا. ع. خ

ثلاثون سنة في خدمة الاحسان ١٩٢٩-١٩٥٩

بقلم المحامي فتح الله الصقال

هدية مجلة الكلمة لقرائها ونصرائها ١٩٦٠

- مطبعة الضاد - حلب - قطع ٨ كبير صفحة ٤٢٠

وضع المؤلف كتابه عن تصدير غبطة البطريرك مكسيموس الصائغ وعن طلب سيادة المطران مدور المساعد الاول لغبطته دونه ذكر الحوادث الخيرية والاجتماعية والادبية والعمرانية والعائلية التي جرت من ١٩٢٩ الى ١٩٥٩ بحلب وكان لها العلاقة بالكلمة ومشاريعها ومجلتها .

« والكلمة » هو عنوان الحركة التي نشأت بفضل الاب بولس قوشقجي فكانت نواة لنبتة ازدهرت واثمرت بالخيرات لما اغدق عليها المحسنون من الحسنات مع بركة العناية الالهية فشادت المأوى للعجزة والمستشفى للمرضى « فجعلت الغني يعطف على الفقير واعلنت لزوم عدم اعتبار الفوارق الطائفية بين افراد الامة وكانت همزة الوصل بين المغتربين والمواطنين (ص ٧) فضلاً عما افادت به الادب العربي ، مشجعة الكتاب والشعراء ، فتعرض مآثرهم الطيبة (فهرس القصائد ص ٣٨٨) على صفحات مجلتها الزاهية . وان ورقنا الصقيل

الناصع وطبعها الانيق يشهد لمطبعة « الضاد » واصحابها بحسن الذوق وجمال الفن (راجع فهرس القصائد ص ٣٨٨) .

وهذا الكتاب حقيق بان يتصدر دور الكتب في مضاف تواريخ حلب وفيه تكملة لما وضعه كامل الغزي وراغب الطباخ ولما ننشره من « الوثائق » .

— « ثلاثون سنة في خدمة الاحسان » جاء فيها ذكر الاعلام والحوادث والايام عن المصادر الراهنة المؤلفة المواد للكتّاب المؤرخين ويزيدها قيمة ويقرب الى الفداء مطالعتها ما وضع في آخر الكتاب من الاسماء المرتبة الترتيب القاموسي الهادية الى معرفة الشخصيات من معاصرينا لا سيما المقربين منهم .

وان الحوادث التاريخية التي دونها الاستاذ فتح الله صقال (اطال الله عمره) ستبقى عبرة وذكرى . ولعل اهمها فيما يخصنا نحن المسيحيين بناء دير راهبات كرمل السيدة عذراء سورية (صفحة ٣٧٥—٣٧٩) وقد دشنه في حلب في ١٨ شباط ١٩٦٠ رئيس الدولة .

الاب فردينان توتل اليسوعي

Michel Breydy : *L'Office divin dans l'Eglise syro-maronite, son obligation à la lumière du Synode libanais et de ses sources juridiques.* — Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1960, X - 188.

بدقّة علمية وتفتّح صادق على كل ما قيل في هذا الباب ، يسير المؤلف راسخ القدم في درس الفرض الماروني والزامه . فلقد تصفّح الكتب والمجلات وشاء ان يجوب المكتبات الثرية في اوروبا والشرق ليقف على كل ما يُلقي نورًا على تطوّر فكرة الزام الفرض من اللحظة التي فيها كان الشعب يصلي في بدء ايام الكنيسة الى الصلاة الجمهورية الرهبانية ، الى الصلاة الفردية ، الى غير ذلك مما صرّح به المؤرخون . ولذا فلقد احبّ المؤلف ان يقسم درسه هذا الى ثلاثة اقسام . فالقسم الاول يشتمل على اجماليات تتعلق بالفرض الالهي الكنسي والرهباني ، بالفرض اللاتيني والفرض الشرقي ، بمفهوم الفرض في الكنيسة المارونية . ولقد توسّع المؤلف بهذا الفصل وفتح ، بعد ان جمع ما جمع من الوثائق ، باباً جديرًا بان يلجه المنقّبون خدمةً للعلم . امـا في القسم الثاني فلقد تطرّق المؤلف الى درس الزامية الفرض من الوجهة النظرية اولاً ثم من الوجهة العملية

عند آباء الكنيسة وفي المجامع . أمّا في القسم الثالث فلقد ألقى بعض النور على الزامية صلاة الفرض الفردية ، وذلك حسب قوانين المجمع اللبناني الملتئم سنة ١٧٣٦ الى ان انهى درسه بسرد بعض الاراء في تطوّر الفرض الفردي وتطبيقه على الظروف القائمة .

يتميّز هذا الدرس بروح علم وتنقيب وبجرأة في اتخاذ موقف صريح تجاه الامور المعلّقة . فمنهم من قال ان الفرض ليس بالزامي في الكنيسة المارونية ومنهم ما قال بالعكس . وهو الرأي الصائب . اذا اتى المؤلف واحب ان يحكم في هذه القضية وأن يخلّص المفكرين من عقدة كادت تتملّك . فأعطى النصوص الاصلية واستند اليها واوّلها وجعل منها برهاناً صافياً لرأيه الذي لم يعد رأياً شخصياً تفرّد به ولكن هذا الرأي هو منبثق من اعماق امة بنت على الصلاة والتقشف صرح مجدها وباتت تجبر ابناءها الكهنة بان لا يجعلوا هذا الصرح يتداعى فاجبرتهم بالفرض الذي هو الصلاة الفردية والعامة في آن واحد .

فنهنئ المؤلف ونودّ لو يتابع تنقيباته العلمية علّه يهدينا الى اكثر .

ا . ع . خليفه اليسوعي

André Deroo. — *L'homme à la jambe coupée, ou le plus étonnant miracle de Notre-Dame del Pilar.* — Lib. Arthème Fayard 1960. Paris. 215 pp.

لا يستطيع إنسان ان يقبل باعجوبة رجل كانت رجله مقطوعة فعادت اليه سالمة . وإنه لمن الخطورة ان يقوم مؤلف فيسرد علينا مراحل هذه الاعجوبة . ولقد جاذف الاب درو وبدقته العلمية المعروفة ورجوعه الى الوثائق الاصلية اتانا بكتاب يشتاق اليه القارئ . ولم يغرب عن المؤلف ما سيقوله اخصامه الذين لا يؤمنون بالروحيات وينكرون وجود الله . ولم يغرب عنه ما سيتحدث به من يرون رجلاً تنبت من جديد . فساند اقواله بحقائق غريبة عن الشك .

ولكن لم يقف عند سرد حوادث انما من خلال كتابه تبدو اسبانيا في عبادتها نحو مريم العذراء في القرن السابع عشر خاصة في سراغوسا . ولقد وصف اكرام مريم ذلك في قلوب الاسبانيين ميكال خوان بلّيسر وهو من مواليد كلندا ، قُطعت رجله اليمنى سنة ١٦٣٧ وعادت فنبتت في التاسع والعشرين من

اذار ١٦٤٠ وذلك بنعمة خاصة من الله بشفاعة مريم . تلك الرجل المقطوعة والمدفونة في مستشفى سراغوسا .

أمن الحكمة ان نولي هذا الحدث أهمية وقد نسمع حولنا انه من المحال أن يحدث ؟ هذا ما يجيب عليه كتاب الاب درو . هناك شهادات عديدة ابداها في الدعوى القانونية عدد كبير من الشهود وذلك في الشهور الاولى بعد الحادث وهناك ايضاً رأي اسقف سراغوسا وقد وطّد اسسه ببراهين دامغة في ٢٧ نيسان ١٦٤١ : هذا كله يسمح للمؤلف بان يأتينا بنتائج درسها وفحصها ولا يعلو اليها الشكّ والارتياب .

إن هذا الحدث الذي كان حديث المحافل في انكلترا واسبانيا وغيرهما من البلدان وكل ما رافقه من المجادلات الحماسة يبرهن انه لم يكن حدثاً عرضياً . ولقد توصل الاب درو باسلوبه الجذاب ان يوقظ فينا روح التقوى والمرح معاً . وقد زاد على مؤلفه صوراً لم تنشر بعد ولذا فهذا الكتاب بصوره ونصّه لا يترك احداً في لا مبالاة .

وفي طيّات الكتاب وفي آخره يجادل المؤلف الجدال العميق عن ماهية الاعجوبة في حدّ ذاتها ويتوصّل الى القول انه ليس امر غير ممكن عند الله .

ا. ع. خ

Les Enseignements Pontificaux : Le Laïcat, Le Mariage, Notre-Dame, L'Église, 2 vol. — Desclée. 1956 et sq.

ائتمن الله رُعاة الكنيسة على الحقيقة كي يوصلوها ناصعة الجبين من جيل الى جيل حتى نهاية العالم الى المؤمنين ولذا نرى البابوات خاصّة في العصور السوداء حيث نفذ الكفر وساد العقل يستلهمون كلام الله ويفسّرونه للمؤمنين طريقاً ودرباً وهدًى .

ولكنهم لم يكتفوا بالسهر على كلام الله وبحفظه انما توجّب عليهم ان يُلقوا بنوره على مشاكل الساعة وعلى الحوادث التي تحيط بهم والتي فيها على الانسان المسيحي المخلّص ان يسير حتى الدينونة الاخيرة .

فهناك مشاكل اجتماعية وثقافية ، هناك صلات بين الدول والامم ، هناك

امور عائلية ومهنية درسها البابوات بانتباه ودقة كما ودرسوا ماهية الكنيسة ، حياة وقداسة اعضائها ، حماية ونشر الايمان ، الرسالة المسيحية .

ويعود الى هذا التعليم المسيحيون متذكرين كلام المسيح السيّد : من يسمعكم فهو يسمعني وان وراء بطرس المسيح بالذات .

اما خارج الكنيسة ، بينما تهبّ الاعاصير وتسود الآفاق وتتزايد الاضطرابات في العقول فان صوت البابوات يرن كل يوم في الاذن بقدر مـا ينمو احترام الكنيسة وبقدر ما تبدو الحلول الاخرى من اي صوب اتت قليلة الفعالية ، ضئيلة المنفعة .

ولكن هناك صعوبة توقف الارادات الحسنة ، وهي ان تجد تعاليم البابوات مجموعة في كتاب واحد . ولكي تسدّ هذه الثغرة فقد اسست هذه المجموعة الخيّرة وغايتها ان تريح القارئ من عناء التفتيش في كتب يكثر عددها كل يوم ومجموعات يطول العثور فيها على المراد . ولقد توخت هذه المجموعة الجديدة اعطاء نظرة اجمالية كاملة دقيقة في الوقت نفسه عن فكرة البابوات لا تستطيع نصوص متفرقة او مقطوعة من جوها ان تعطيه اياه .

ولقد عملت هذه المجموعة للوصول الى هاتين النتيجتين بان قدمت النصوص بصورة زمنية تدرجية وبصورة موحدة : كل ما قيل في مادة من المواد معروض في الوقت الذي قيل فيه في مجلد واحد .

وُضعت في آخر الكتاب فهارس هجائية وتدريجية مفصّلة تسمح للقارئ بان يجد بسهولة ما يفتش عنه وان يضعه في جوّه مع ما هناك من نظرة شاملة على فكرة البابوية .

اعتبر مديّر هذه المجموعة ان البابا بندكتوس الرابع عشر (١٧٤٠) اهل بأن يكون كلامه مبدأ ورأس النصوص المنشورة . فهو الذي فتح لخلفائه طريق الرسالات الرعائية الكبرى لتدريب الكنيسة ولاعطاء المؤمنين الحلّ المسيحي لمشاكل الساعة .

ويجد القارئ مع الرسالات البابوية الكبرى والاذاعات الدينية المؤتمرات الدينية الدولية بعض الشروح والتفاسير التي اعطاها البابوات على مر الزمن . وكل نصّ في جوّه وفي زمن كتابته واسم المرسل اليه .

هي هذه المجموعة المنتظرة يستطيع القارئ ان يتبع الباباوات في توضيح الامور الدينية والعالمية ، وان يفهم ما الفكرة المسيحية وللحل المسيحي من القوة لالقاء النور على ما يعترض الانسان كل يوم من مصاعب ومشاكل .

د. د. ب.

Dom Thierry Maertens, o.s.b. *C'est Fête en l'honneur de Yahvé.* - éd. Desclée de Brouwer, coll. « thèmes bibliques ». Belgique 1961. 224 pp.

لم ينقطع المؤلف ، وهو استاذ في جامعة ليل الكاثوليكية ، عن الاهتمام بتطور الطقوس . فهو يدير مجلة راعوية ذات قيمة وسافر مرات واتصالاته العديدة كانت دوماً خير اختباراته وجمعها في متناول القارئ اللبيب . وقد شاء ان يعطي للقارئ في هذه السنة بالذات مع ما تحمل الايام من تطور سريع وتقلبات عنيفة تفكيراً مسيحياً في مشاكل الساعة . لغة الطقوس قديمة ، حيث حركاتها لا بعد ، نسبة الذين يفهمون اسرارها قليل جداً . لذا فان في مؤلفات الاب مرتنس لدليل صادق وطريق سوية توصل الى الغاية . ولقد وجد المؤلف ان هناك بين الطقوس المسيحية وبعض الطقوس الوثنية شبهاً ، مثلاً بين طقوس الفصح والسنة الجديدة والسبت والحج والماء والنور والثمر ولقد درس هذا الشبه وحلله تبارة العالم المنحني دوماً على الكتاب المقدس يخرج من كنزه جديداً وعتيقاً . ولا يعيب كتب مرسيا الياد او فان در لوي او روجه كالوا ان يكون كتاب الاب مرتنس هذا في صفوفها .

ا. ع. خ

المشرق

السنة السادسة والخمسون — ك ٢ – شباط ١٩٦٢

وثائق تاريخية عن حلب

(جريدة ايام لم يكن بالعربية جرائد)

٥

اخبار السريان وما اليهم اخذاً عن يومية نعوم البخاش وغيرها من المخطوطات ١٨٥٠ — ١٨٥١

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

[١٦٩] — الاحد عيد الفصح ٣١ آذار ١٨٥٠ .

[١٧٠] — الخميس خميس البيض[1] عند الاسلام وكان خلق كثير ونسوان في المشرح.

[١٧١] — ٥ ايار الاحد ١٨٥٠ الثلاثا. اجا عندي مصطفى افندي كاتب باشت النظام وقصده يتعلم عندي.

١) افادنا حضرة الاب يوسف قوشقجي عن خميس البيض : من ايام عاشوراء يذهب المسلمون الى بعض الشيوخ فيكتبون لهم نوعاً من الحجاب يقال فيه السلام على نوح ويهدي كل منهم بيضة مقابل كل حجاب . ثم يعودون الى بيوتهم فيعلقون تلك الاوراق في السقف او على الباب او النافذة . تلك عادة قديمة لا يعرفها اليوم الاّ قليل من الناس عند المسلمين.

[١٧١^٣] — اجوا الزوار من دير مار جرجس ونبهوا ان لا احد يلاقيهم من قبل مصطفى باشا . والسبت رحت حمام برهم مع فتح الله شامي والمذكور تكلل يومها مساء وكانت نوبة عبدالله حلب بالناي ومعزومين مشحور وارسان وعجبي وغيرهم .

[١٧١^٤] — سلمت على يوسف بردخجي اجا من القدس ونظمت مقطع من عظم برونته وقعد عندي يوسف جبرايل غزال ٢١ ايار ١٨٥٠ بالشهر ١٥ غرش واجاني ارمغان من بردخجي صابون ومسابح وخواتم وصوارات .

[١٧٢^١] — السبت بوسطة اسلامبول تعوقت يوم عن معتادها وتشلحت من الاروام ورواح ٢٠٠٠ كيس . ونبه البطرك مكسيموس ان الاولاد يرسلوهم للسكولا التي فتحها لسان ٤ لغات ٧ حزيران .

[١٧٢^٢] — ماء النهر قليل عمال يعمروا قيصر الشيخ طاها من اجل ركايز القناطر . شرموا سكر الريحاوي حتى تروح المياه على العتيق والاحد جابوا الفعالة بالليل عاموذ لروم الفسافسه ومعهم مشمل والله يساوي وزلاغيط . السبت ٧ حزيران ١٨٥٠ اجا حديد للعواميد كل واحده على جمل من طرف وعددهم ٨ من الاسكلة لروم الفسافسة .

[١٧٢^٣] — صار تشليح عند مخاضة البابلية وقتل ابن حنا خراق وتشليح ارمان مرتين — ودزيره فلكروس ساق بالحصان وقع وبيده انصدعت واناس غيرهم تشلحوا من ثلاثة رماحه عرب وداير عليهم التفتيش من قبل مصطفى باشا وظهر بالقرى كلبة مثل ديب هبشت واحد وكثيرين عضتهم وذكروا ان قتلوها وجابوها للباشا واخذوا بخشيش — ولحقنا من عمارة قليط (للطاروق) غرش ٣٠ لما ما دفعتها — السبت ١٥ حزيران ١٨٥٠ .

[١٧٣^١] — الاحد عرس جرجي ثابت ابن الياس الى بنت انطون تيناوي والاثنين اجا نغوم فرقوعه من مصر ومعه نعوم عزيز . والثلاثا علقت العلق لعبدالله وكيل والاربعا اجوا المقادسة حنا سايغ وشكرالله ناقوز وبيت عازار والجمعة دفعت غرش ٨٠٠ لقس بولس مطر وفتح الله دياب باسم الخواجا كوبا عن سنة ١٢٦٧ سلف واخذت ورقة من الوكيل فتح الله دياب بالمبلغ لحين يقطعوا السندات لباقي الاوقاف وشلحوا اللفات رعد وتاجر ولبسوا طرابيش .

[١٧٣^٢] — الا ٤ استكريت قصر القبار واله رحنا وبعض من الاولاد

مقدار ٢١ ولد واهلي وجبت نوبة عبد الله جلب من بكره للسا ومن بعـد الفطور شلحت خاتمي الالماس ٧٥ قمري ٣٢٥ غرش حتى اصوبن ونسيته مقـدار ساعة ٢ وطلبته مكانه ما شفته وكل الموجودين باقيين سالتهم فما شفته ابدًا وراح وراح والنوبة فصلتها ٤٠ غرش وانا ابدًا مـا انبسطت وصارة لي النوبة مثل تزاز من شاني حتى واكلت شي. جزءي وما لي قابلية لان هذه المصلحة يتحير.

[١٧٤¹] — الاربعا اجوا الفعول يزرقوا ويكملوا عندنا . الـ ٧ قعدنا بعد الظهر بالمربع الاولاد كلهم . الـ ٥ دفعت ٢٥ غرش لاجل عمارة قليط ودفعت ١٠٨ لفس بولس مطر بشلك ٦ يسعر ١٨ وبغده بيدهم له بغيرهم.

والـ ٤ اول رمضان ١٢٦٦ في ٢٨ حزيران شرقي في ١١ تموز غربي ١٨٥٠

[١٧٤²] — الاثنين الجرح فتح الله بن عبد الله خوري الاطرش بخاصرته بسيخ من اجير القصاب مسلم ومسكوه وان شا الله يطيب ما صابه مليح ولكن قصده يقتله فرط الله ما اراد . والخميس اعطوني بيت نعوم شعراوي طاقة زمام بيضا. خلعة رزق الله تمقصت منها وما اخذتها بل قلت هو يجيبها لنندي.

[١٧٥¹] — الخميس ارسلوا اخذوا بنت اسيون مع يسقي من المحكمة لنند زوجها اكوبجان سيوفي وكل الواجب وصارت مرته حقيقة.

في ١٨ آب ١٨٥٠

الجمعة راح عسكر باشي بوزق للشام وذكروا لاجل الحج لانُّ الوهـابي العرب قايين ولاكمين الحج .

[١٧٦¹] — السبت وصلني خلعة بيت الوكيل شكري ورزق الله كتكية وطاقة ومنـديلة مع نصري اخوهم الله يكتر خيرهم . وابا قبطان(1) من بيت كوبا شاف الرزاية التي عليها « الفاتحة » .

[١٧٦²] — ١٧ آب ١٨٥٠

الـ ٥ ولدت مرأة انطون اسود وجابت بنت .

[١٧٦³] — الاربعا تلاقينا مع بطرك مظلوم بجسر القبار — ووصلني خلعة حبيب ابن نعوم سالم طاقة جيتاره ومنديله لقايه .

---

١) كان لآل كبة سفينة لحاجم ؛ من رسالة جان دي غنطوس كبه الى الاب تونل ١٥ ايلول ١٩٦١ من رومة .

[١٧٧'] — الخميس ارسلت بخشيش لبنت اختي منديلة وطاقة نواعير وايزار باسمينه وجراب لانها مسافرة لعند زوجها لأدنه . — وارسلت جبت جحش العبجي ووقع ابنه من على ظهره ووجعته رجله وبطلت الروحه ولاجل ان الحلاق وداه ليتيم بطلته والجمعة حلقت عند متري الحلاق وارسلت الحساب ليوسف الحلاق ٢٣ غرش وصار يحلق عنده ١٨ سنة لانه رعبني على الولد وقال لي حملته وارسلته ليتيم ثم بالي عليه(١)

[١٧٨'] — الاحد عرس عبد الله ثابت لبنت هورم سمين . والا ٨ تقاتل يوسف خياط وابن مطر وقدموا فيه عرضحال للباشا . يوم الا ٢ وشرح الباشا عليه للشوره وصار القول ان يحاسبوه لان طالب كسر من الصليبه ٦ الاف ومن التومايات ١٢ الف وبديوا المحاسبة .

في ٥ ت ١ ١٨٥٠ في ٢٣ ايلول ش في ٢٩ ذي القعدة ١٢٦٦

الا ١ ارسلوا وراق للحارات وللضيع والبلاد الذين هم حكم حلب ان بده السلطان عبد المجيد من ١٠ واحد وسنهم من ٢٠ الى ٢٥ شباب نظام وقصطل الحرامي قاموا حتى يضربوا القول (المخفر) مقدار نفر ٢٠ فمسكوا القول ١٧ واكلوا ثاني يوم عصي بالصرايا وقتلوا ان كانوا هم عمال يتقاتلوا فمسكوهم وثبت على ابن سنان قتل القتيل .

فومة البلد

[١٧٨'] — الاربعا ٩ تشرين ١ رحت مساء للسهرة عند ميشيل صولا والمذكور كان عمال يعمر حوش سمعان الموصلي بابيا وراء العمارة (على ساحة فرحات حالاً) ودخلها لحوش نصرالله حوا حوش بيت احماه وانا وتصري كتابه عمال نلعب بالضاما وهو ومرته وحماته دخلوا يتفرجوا على العماره واخوه انطون

١) اثبتنا المتن على علاته لما فيه من الفوائد الادبية واللغوية للعربية الدارجة . طاقة النواعير؟ وايزار باسمينه؟ اي عليها تصاوير النواعير والياسمين؟ — بعدة١٨ سنة يحلق البخاش عند يوسف . — كان للحلاقين ذلك العهد شيء من الحقوق على زبوناتهم فيحلقون عندهم ابًا عن جد — اما ارسال الولد الى بيت اهله فتطفل من قبل الحلاق لامه عليه البخاش وهو المسؤول عن تلميذه .

وعبدالله ثابت وبعد ما راحوا بمقدار نصف ساعة رجع انطون صولا اخو ميشيل من الباب وَدربس البوابه ووصل لليوان وقال عمال تلعبوا للان فكان الجواب منا — ليش ما نلعب ؟ قال : قامت البلد ومقدار نفس ٥٠ عنـد ميشيل بالحوش التي لسمعـان مسلحين ومعهم قواس الانكليز قنصل واري ومرادهم يحموا ميشيل ام يقتلوه لا اعلم.

[١٧٩١] (في ١١ ذو الحجة ١٢٦٦ في ١٦ ت ١ غربي ١٨٥٠ في ٤ شرقي ١٨٥٠)

فقال انطون صولا لابنه ولك نعوم الحقني فقام لحقـه وموجود فتح الله سمعان فقال خواجه انطون خواجه انطون والاخر لحقه فصحت انا خواجه فتح الله ولحقته والرعب دب بقلبي وطلعنا لباب الزقـاق التي من حارة الحصرم ودق انطون صولا باب بيت البطق بيت خاله وقال يا خالي اترك نعوم ابني عندك لا يطلع الى برا ابدًا وانا رايح بيت اخي ميشيـل (في الجلـوم ؟) باخذ خبر شافي وبجي — وانا انخرطت مع ابنه وبقيت بيت البطق منتظر رجوع المذكور فأبطى مقدار نصف ساعة ورجع وقال ان البلد قامت ونيتهم سوده ومرادهم قتل النصاره فقال خاله هذا شي عمره ما صار فقط مرادهم النهيبه فهذا يكن روّق بالك . فقام راح مرة ثانية بيت ميشيل حتى يستخبر ايضاً ونحن بدينـا نسمع ضرب التفنك والولوال من النساء وطرق البوابات وبقينا بحال يرثى لـه بيكا وندامه وتوسل لله ودعا وما هـذا كله بشيء حتى لا نقدر ان نبلع ريقنا والا تطرق البوابه وانفتحت وبدي طرق الباب يا خالي افتح فدخل نعوم صاجاتي ومرته واجيره واجيرته وعمال يبكوا ويقولوا واخ واخ فسألناهم مـا حل بكم فقالوا ان بيت سركيس الاقرع عنـد بوابة الحل وبيت نعوم جنو انتهبوا على الكلب وبنات سركيس الاقرع بالزقاق حفايا عرايا وعمـال يولولو وهذا كان راح ساعة ٦ من الليل فنحن ارتجفت فرايصنا واخفق قلبنا ومنتظرين اتيانهم لعندنا . والا اندق الباب فانا ركضت واخذت خبر انطون صولا الذي راح يستخبر فدخل ووصل الى عند انطون بطق خاله عمال يدمع يا خالي ما في عندك مطرح نتخبا ويفرك ايديه فانا راحت مصاريني من قلبي وبديت ارجف وانظر ماذا يصنع حتى اصير مثله وقاربت الموت من الرعب وبديت اقول فعل الندامة تطلع ابانا الذي والسلام لك وارجع اعيد حتى اقول فعل الندامة

ولزمت مكان بالليوان واستعديت على قدر الامكان ولما فات الوقت وصار ساعه ٧ ونحن قاعدين ومنتظرين وانا من الرعب عمال ارجف قمت فتحت الباب ورحت بيت العجوري ومعي نعوم صاجاتي فسمعنا .

[١٧٩ آ] — ان تزل عسكر نظام من الشيخ يبرق والناس بسمهم ذلك من اهل البلد كفوا عن النهب . وانا من وخفي وبقيت كاليت . فسمعت ان ببيت فتح الله عجوري موجودين اناس فرنسيس عجوري وبيتهم بيت اهل مخائيل رعد ، بيت نعوم اسود قاطبةً ورزق الله جهامي وحده ويوسف وكيل فانخرطت انا عندهم وشميت هوا وخلطت معهم وبدينا بافكار اشكال الوان والنتيجة سمعنا ضرب طواب نحو طوبين وكل ما لها تهدي تهدى القوشات للساعة ٩ (نحو ثلاث بعد نصف الليل) بطل الواغش وبطل طرق البوابات وركنت الدنيا وانا سهران فاناس من الموجودين راحوا واناس ناموا وانا ومرأة فتح الله عجوري لبكره قاعدين . فلما طلعت الشمس اذنوا ان يطلع احد من الحارة — فطلعت. ورايت الناس حكر حكر والكري (الحكي والثرثره) عمال . فسمعت ان بيت جبرائيل خوذي انتهبوا وحوشهم فضيت . وحارة برغل كلها منهوبة ومسبي منها من النسا الكبار المسنين بالعمر والصبايا والمزوجات وحارة العنكبوت وفوقها وتحتها منهوب وبقينا بافكار وشي . لا يستمع .

« ويلنا ما لنا ويلنا حالنا ويلنا حريمنا »

فرحت انا على الصلاة رأيت الكنايس مسكره فدخلت للبيت الاتي اهلي بالهم عندي . فطمنتهم وطلعت على تختي حتى اصلي صلاتي . فصليت ورحت بيت عزوز الاتي حاصلين بالثبور وعظائم الامور واتطون عزوز يصيح لا احد يفتح باب الزقاق فخرجت ورجعت لبيتنا اسمع القوشات والدق بالطبل والقواسات والعيطات واليوم يومكم يا نصاره فارتمدت كثيراً وخرجت رحت لبيت. صولا اسمع ماذا مزمعين يصيروا حتى اتنور منهم فرأيت ميشيل صولا عمال يكتب شقة ورقة باسم عبدالله بك بابنسي ومعه نفر ١٥٠ ورمضان آغا ومعه نفر ١٥٠ وشيخ خيرالله ومعه نفر ١٥٠ ويحضروا للصليبه باكلهم وشربهم وعلايفهم ووضعوا الختومة وكان عبدالله ثابت وشكري ثابت. وارسلوا الورقة مع ابن البستانية حالاً فانا اطمأنيت نوعاً ما من اول ورجعت للبيت وقلت لا تخافوا جايين

ناس يحاموا عن الصليبه وعبيت غليوني وطلعت اتفرج على العسكر متى ياتي وبدي طرق البوابات .

— [١٨٠] — [١٨١] — [١٨٢] — [١٨٣] —

وقف المعلم نعوم البخاش عن تدوين الاخبار اليومية وترك الصفحات الاربع المذكورة اعلاه بيضاء وعاد فواصل الكتابة في صفحة الصفحة ١٨٤ كما يلي . اما حوادث تلك الايام المشؤومة فتقرى تفاصيلها في ما نشرناه في كتابنا وثائق تاريخية عن حلب : « اخبار الموارنة وما اليهم » الجزء الثاني ص ٦٧-٧٦ وفي « المجلة البطريركية » لمديرها الخوري بولس قرألي الجزء الرابع ١٥ تموز ١٩٣٣ ص ٧٩-٩٨

[١٨٤'] — الاحد دزت الم كام مصرية من الاولاد لاجل المصروف . الجمعة صار جفلة بالبلد وسكروا الناس الدكاكين وارتموا الناس كتير والباشا انهزم للشيخ يبرق وباشة النظام بدي ينفخ بالنفير وبعده طلع خبر ان تقاتلوا عسكر ببعضهم بعض وصارة الجفلة واناس يقولوا ان هذه الدعوة طلعت من سوق الجوخ — السبت السهره عند جارنا نعوم سالم ويجي عنده قدور ابو ابراهيم الناطور لان المذكور يخاف كتير — الاحد اخذوا قهوة السيسي وصيروها متزول عسكر النظام محافظة للصلية وقهوة سوق الجديد عندكلاسة التدريبه والانباش عمال تجي من الشيخ يبرق ومن غير امكنة — والجمعة ارسل لي الياس ضاهر ورقة الياس المنهوبة من داره لكي انقلها . والاولاد في المكتب ت٤ وكيل ٣ سالم ١ عبجي ٢ ضاهر ١ قسطاكي ٢ بردخجي ١ قصاب ١ حمصاني ٢ حلاق يوسف.

[١٨٤''] — الاحد ارسلوا ختومه شكر الله تاجر وجنسه نعوم ورزق الله جهامي واستدعوا عسكر للقواسر التي بالصليبه وارادوا يفضوا القواسر فارسلوا الروسا مكتوب الى قونصل الفرنساوي موسى ليبس فارسل جفروا الكنسليره لعند زريف باشا ورفع المتزول .

معناه ان العسكر كان قد احتل القيسريات التي في حي الصليبة عن طلب اصحاب الحتومة فطلب المسيحيون رد العسكر عن الحي لعدم الحاجة الى معونتهم وبعدهم خير من قربهم .

وزريف باشا معزول عن حلب من يوم ١٠

— السبت ٢١ ت ١ غربي ٩ شرقي ١٨٥٠ في ٢٦ محرم ١٢٦٧

[١٨٤'''] — الاحد اولها صليت ببيت الياس ضاهر (لان الكنائس كانت

قد أحرقت) والساعة ٦٫٢ (حوالي الظهر) اجا قبرصلي محمد باشا ومعه عسكر ٣٨٠٠ وطوب ٤ وبلكات ٣ وتفرجت من السطوح ونزل بالشيخ يبرق وضربوا له طواب وقعد مقدار ساعة ٢ وواجه عبدالله بك بابنسي وبعده نزل للصرايا وضربوا له طواب ايضاً . — الاثنين الساعة ٣ قرا فرمانه وكان عنده الروسا والاعيان ووعظ موعظه ودفع تاقي افندي للشيخ يبرق للحبس مع البيك . — الثلاثا سافر زريف باشا ومعه نوبة الكبيرة ودعوه للفيض ورجعوا . — الاربعا نزلوا عبدالله بك ورمضان اغا واثنين اخر دوروهم بالبلد مقدار ساعة ٢ بدواب مبهدلة مربطين الرجلين مكتوب لوح كرتون بصدرهم :

« هذا جزاء الذي يخون السلطان » [١] .

وبعده نفدوا على العريد وارسلوه الى السويدية وبعده لاسلامبول وطلب الباشا دفاتر الباش المنهوبة لمهلة اربع وعشرون ساعة وبديوا الناس يكتبوا دفاترها والاربعا نبه ان لعشرة ايام مهله بده تجي كل الالباش المنهوبة وبديوا يجيبوا الالباش وان انتهت الوعدة وما تكمل اللبش بده يظهره بالعذاب والقتل ومنتظر تمام العده . — السبت ختموا الدفاتر وودوهم لجنابه ومن الجملة الفقير ضبط دفتر بيتنا ٣٩١٢٨٫٢ غرش وارسلناه — والثلاثا ليلة عيد البربارة تعشيت بيت الياس ضاهر ونظمنا البرباره على الصفره ورجعنا سهرنا بيت سالم وكتبت الى الياس ضاهر دفتر الباش ثاني وما وصلني شي.[٢] والصيد بجبل النهر من النهر قدام العتيق . (اي في الموضع الذي لم تجر فيه الاصلاحات) .

[١٨٥١] — الاربعا مات باشة الجر[٣] ببستان القبار واجوا المشايخ وقبروه بالشيخ يبرق . ومساء ارسلوا خلف المطارين والبطرك بطرس جروه واختلا معهم الباشا وما سمعنا مدعوة ما هي وسمعنا ان الاعيان طلبوا ان (المطارين) يختموا ختومتهم بوصول اللبش وما طاوعوهم (المطارين) بل قالوا ارادة السلطان عبد المجيد (ان ترد المسلوبات لا بالرمز ولكن بالعين) — الخميس اجا الباشا

١) قابل بين هذا النص وبين النص الذي جاء في المجلة البطريركية ٨ ، ج ، ص ٧٩

٢) « وبعد ٢٣ جمه وصلني مذكور بحله » جاءت هذه العبارة على هامش الصفحة زادها البخاش بعد ان ومة « اللبش » فصلح الخطأ .

٣) راجع اخبار الموارنة في « وثائق تاريخية عن حلب » ٢ ص ٦٨

دار الكنائس والقلالي وشاف الحريق والخراب ودخل كم بيت مثل باسيل عبدالله والياس ضاهر والمرحوم المقدسي نعوم حمصي وغزاله وراح وعبدالله باسيل اهداه عرق برتقال مقدار ١٠ بنرد عرق وبعد ذلك راح استكتر بخيره رد له الفيزيته (visite) — الجمعة خلص مهلت البلد لتحصيل الالباش .

[١٨٥٢] — الاربعا زعل الباشا من شورة التي صيدها لاجل جمع الالباش وقال ان الناس بردانين عرايا وانتم صانعين شورة التوتون والاركيلة . من الان الى ايام ٥ ان ما انجمع الالباش جميعها فانا بعرف شغلي واطلق المحبسين كلهم من طرف الالباش وبقيت الى ايام ٥ — والاربعا والخميس كانوا البلد خايفين كتير لئلا يقوموا اهل البلد ويذبحوهم والحمد لله انقضت والباشا زود قلق الجديدة والخانات زاد كل خان ٥٠٠ وطالع طواب ٤ للقلعة ونقل زخره ودار القول بالليل ومقدار نفر ٢٠٠ وما راوا ولا واحد بالليل — والجمعة قال للعيان بدي الالباش منكم خذوا عسكر ويروح كل واحد لصايح ويجمع لايام ٧ وصار يجي ذهب وفضة والماس ومسيغ (مصيغ) وبدلات وشي ثمين .

[١٨٥٣] — الاربعا الميلاد غربي استكروا مدرسة الموارنة حتى يقدسوا فيها السريان اشهر ٨ ومن طرف الحكم عمال التسييك على الاسلام من طرف الالباش والتكفيل بعضهم بعض والحبوس والتخشيب والشباب للنظام. — الجمعة امر ان الذين انجرحوا بقومة البلد ان كان يعرفوا الذين جرحوهم يجو يشوفو المحبسين فان وجدوا احد بيعرفوه انه جرح يقولوا عنه للباشا واجا نيشان للباشا منظوم لان الباشا الذين اطلقهم سابقاً كلهم بكفالة او اقاربهم او اهل حارتهم او غيرهم وجنكلهم ببعضهم حتى لا احد ينهزم ويطلع عند المكفولين الباش فيمسكه الكفلا والمكفولين وينتقي خرج نظام (الذين يصلحون للخدمة العسكريه) ويحبس وان موجه ٥٠٠ او ٦٠٠ لاسلامبول وان ارسلهم نعرف بعد عنهم . والا ٢ مساء بالليل توفي معلمي شماس الياس هزاز بريح السكتة الله يرحمه وكتير انغميت لفقده وتوفيت مريم بنت الدلال مرأة فتح الله وكيل طرحت صبي وتوفت . واولها الاحد توفت بنت شكري متري واخت جرجي خوكاز الله يرحمهم .

[١٨٦١] — الاحد درت بالصايح وكان ثلج من بكره لنصف النهار وقطع

وداب وقبروا كتر بنت الدلال مرأة حنا خوري بينهمـا وبين اختها مريم مرأة الوكيل يوم ٧ وماتوا الاثنتين بالطرح والبرقان الله يرحمهم . والا ٢ قعد عندي جرجي بن عبدالله غزاله .

في ٢٥ صفر ١٢٦٧ه في ٣٠ ك ١ غ في ١٨ ش ١٨٥٠ والح رأس السنة غربي ١٨٥١

ونهارها لبست العزيز (؟) ابيض ولفيت لفه من عند نعوم عبجي وبعدها من بعد قومة البلد كنت بالمنديل للان وترشحت كام مره ولاجل ذلك لفيت اللفه — الا ٢ فصلت قنباز غزل وحرير من عند الياس بهنا وبطانته والي عنـد المذكور ١١٥ غرش . الالباش المنهوبة عمـال تتوارد لكنيسة الروم والسريان عمال يقدسوا بقاعة تعليم الموارنة التي كانت سابقاً مكتب شماس الياس والروم بديوا يقدسوا بالمدرسة بدهليز حوش بيت طرطار الارمني وبدي عبجي بالرسائل ووكيل ونصري وزلموم ونحاس بديو بالمقامات .

[١٨٦أ] — الاربعا اجوا من طرف الحكم الركبي والقاضي والجـابري حتى يثمّنوا الالباش بنصف ما هي محررة بالقوايم وما قبلوا اربابها واجا نهارها محمد قبرصلي باشا باشة حلب لقلاية الموارنة وما اعجبه لان في غوشه وعيطات وزعل وتسودن والمذكور باشة حلب ورتب من كل طايفة يكون اثنين وثمّنوا ثاني يوم الالباش شي مناسب وصار هكذا وما اعجب التثمين بل ازود منه اول يوم والذين اختاروهم نصرالله حمصي ونعوم جنـه وانطون عزوز والياس ضاهر وفتح الله مراش ويوسف مخلجي وانطون حموي وفرج‌الله نجم وشكري بليط واخوه والدلال باشي ونعوم سباغ جابوه ايضاً حتى يثمني — والجمعة ما اجوا لان عيدوا الاسلام وذكروا ان بالقدس خربوا القيامة وقتلوا النصاره — طلعت كذبه — وذكروا ان قلع الباشا من الشوره يوسف آغـا يكن لان المذكور متلعب بالف٤٠ المدفوعه من البابنسي عبدالله من طرف الدين الذي عليه وطلع خاين وقلّمه ووكّل الارمنازي احمد افندي بالشوره من طرفه ومن طرف الدولة بسبب المكتوب الذي اوصله للباشا وهو ان الارمنـازي اتاه مكتوب باسمه وما معروف الذي جابه ففتحه قرأ داخله كتاب باسم الباشا فوداه لـه فطلع داخله ان تاقي افندي ويوسف بك وزريف باشا هم الـذين قوموا البلد ، من غير امضا ، فسمع تاقي افندي فصير بهدلـه للارمنازي منظومة بالشورة

فاحكي للباشا الارمنازي فاخذه وراح للشوره ووقف وقال هذا وكيلي واذا كان وكيلي فهو وكيل الدولة وصير له مكان بالشورة وراح من غير ما يذكر شي. من الذي طلع بالمكتوب المذكور سابقاً .

– الاربا ٨ ك ٢ ١٨٥١

[١٨٦^٢] – ال ٢ نقلت مكتوب الروسا الآتي من اسلامبول بالعربي ومات انطون تيناوي ونصري ازرق – والثلاثا الالباش للان عمال تورد والتسين عمال والحق ما وصلنا شي. للان وبطلوا من التسين الالباش الركبي ومـا عاد اجا. والياس ظاهر بطل يروح ايضاً وجابوا وانيس آغا جركسلي للتسين – الخميس واحده مرأة مسكها واحد عند بيت نعوم سباغ ومراده يشلحها وطلب منها الوهوب (؟) ففات وقتها (حينئذٍ) واحد صوصاني فتركها (المتدي) وراح وهي ارتعبت وقالوا ان فرنسيس كنيدر صار معه كذلك عند بستان الكلاب ومشيت الاجر فتركوه (اي سمع دويّ انسان آتٍ) .

– الاثنين ١٣ ك ٢ ١٨٥١

ال ٢ سافر انطوناكي كوبا. الى ليكورنه عند عمه ومعه ابن الفرا ومرته وغيرهم.

[١٨٧^١] – الاربا دعوة عرض الحال رماه وشلفه محمد قبرصلي باشا يوجه الذين ودوه وقال لهم قليلين الحيـا من كبيركم الى صغيركم – الخميس طلبوا اوراق الدرب وعسكر يوصلهم الى اسكندرونه وباقية . وتوفي نعمة الله ثابت ابو جرجس – وصار جمعية الاحد اولها والاثنين ايضاً .

[١٨٧^٢] – ٢٧ ك ٢ ١٨٥١

(طلبوا من) الروسا ان يرضوا بنصف القوايم اللبش فما رضوا وقصدهم السفر – والاربعا ارسل الباشا جمهم وطالعهم دخوين وعدوا عن السفر ومراده يجيب اوراق مختومة وبقيت لرجوع البوسطة والسفر بقي (اي سكتوا عنه) .

– والسبت دفعت الى يوسف قندلفت السريان ٦٠ غرش عن خراجي وخراج والدي .

[١٨٧^٣] – الاربعا ما اعطوا اوراق الدرب للروسا حتى يسافروا واجـا يومها طاهر باشا باشة القرعة للنظام من الشام .

– السبت ٨ شباط ١٨٥١

[١٨٨^١] – الاحد عرس نعوم ضاهر الى مرغريتا حنا قاق . – الاثنين

بديت قرعة الشرعية النظام وعمال يكتب نظام بالقرعة ورديفي بلا قرعة طاهر باشا .

[١٨٨أ] — الاثنين بديوا بتمين الاباش حتى يفرقوهم القاضي والمفتي بن الجابري وغيرهم . والـ ٧ سافروا الاشقيا ٦٠٠ الى اسلامبول ام الى كريد ورجع ٧٠ واحد مع المركب الذي بده يوديهم الى كريد حتى يروحوا سوية لان ٧٠ راحوا من قديم قبل بشهرين . — الجمعة اجا واحد آخر من استنبول من نظار الشورة ومعه قاضي .

٣١ شباط غ ١٨٥١ في ٩ ش في ١٩ ت ١٢٦٧

[١٨٨ب] — الخميس[1] سافروا الاشقيا وتفرجت من السطوح وكانوا مقدار ٦٠٠ وبخشين وابو عراج وولاد حميده وغيرهم وطلعوا ناس من البريه تفرجوا وكان جهل منهم والباشا محمد قبرصلي وصا لابن الركبي ان يوصي الاسلام ان النصاره واليهود والمسلمين سواء ما في بينهم فرق ابداً ووصاه بان الفرده على الكارات ونادى الرهوان (احد العملا) بان يسأله في اي موضع لبش النصاره ولماذا ما عمال يتحصل فقال الرهوان[2] : — ما عمال يجيبوه . فقال الباشا انا بجصله . — ومساء خميس السكارى نظمنا كيف بيت جرجس ظاهر عرق وجبونه وصاليجو . — والسبت الموات . وبدلوا ترجيلي بقاعة الموارنة وكان الصلاة للسريان وتركوا لي ترجيل عتيق[3] .

١٧ شباط ش ١٨٥١ في ١ آذار غ في ٢٧ ر ٢ ١٢٦٧

[١٨٩أ] — الاثنين بدي مزاد تفريق الاباش بقلاية روم الفسافسة وانا ما قدرت اروح بل والدتي واخذت ورقة ختم البطرك لان الذي معهم وراق يدخلوهم والذين بلا وراق لا يدخلوا وقاعد غفرا على الباب عسكر نظام ٢ — والخميس اخذلي ابو حبيب عجوري بوجود ابي لحف اربع اطلس باني الواحد

١) لم نكن سفرة ٦٠٠ شخص لتتم من دون مصاعب فصارت على مراحل بين السبت السابق وبين هذا الخميس .

٢) راجع المجلة البطريركية ٤١٨ ص ٨٦

٣) الترجيل يلبس بالرجل او الحذاء او الناسوبة وكانت تطرح قبل دخول البيت وتوضع عند العتبة .

١٢٥ غرش وازرق اطلس ١ غرش ٩٣ واطلس احمر وغيره ٢ غرش ١٤٦ وحموله ١ للحمال – والسبت اخذ لي نعوم عبجي قياس ٢ وفراش ٢ ٣٠٣ غرش وحموله ١ والحكم عمال بتهير (تستعد) بعمار وتنجير وزود القاقات (المخافر) عسكر وزود تفنك لماذا لا نعلم لاجل لم سلاح او غير شي. لا نعلم بيت حاتم وجبرا ابن يوسف الحكيم ارسلوا الباشهم لبيت القاطرجي (وهو يتكفل بتحميلها) وسافروا نسا. ورجال الى بيروت واسكندرية وراح ايضاً يولاكي كبابه وجرجس خوري معهم (واجلى الكثيرون من المسيحيين عن حلب في ذلك العهد).

[١٩٠١] – الاثنين خلصت مهلة التي امهلها الباشا للاسلام حتى يجيبوا الالباس – الثلاثا اجا الباشا نهارها لعند مطران الموارنة حتى يتفرج على المزاد وكان خاص ووالدتي جابت فروتي النفيسة الباجا مزركشه ١٣٥ غرش – والخميس صار زينه في شيخ يبرق لاجل اطلاق عسكر ٣٠٠ نظام خلصت مدتهم وعزموا الروسا والقناصر وراحوا اناس كتير وانا ما رحت.

٢٩ آذار ١٨٥١

[١٩٠٢] – الاثنين سافر محمد قبرصلي باشا باشة حلب ومعه وينصان المهندس – الاربعا تقاتلوا بالمزاد شكرالله بليط وجبرا خوري وبعده حمي المطران ديمتريوس مطران الروم الكاثوليك وبعده علقت مع عبدالله باسيل وبعده صار جمية روسا وصالحوهم وانفصد شكري بليط يومها.

[١٩٠٣] – الاحد وقع والدي من القبة للعتبة وما قدر يقوم رفعناه وقمناه وجبنا له لحمه وبعده جبنا بنت عنطوز (المسدة) بقدميه قبري وقالت رجتها ٢٠ وقضينا ليله مع والدي لفجر الاثنين شقلناه بكرسي وطالعناه للمربع مع يوسف الحلاق والان احسن – الثلاثا اخذوا لي قنبازي المحرر ١٣٠ قرش من المزاد – والخميس طلع دلال (منادي) من قبل محمد قبرصلي باشا ان الذي يقول ان العسكر رايح والبلد بدها تقوم واحكو بهذا الشان يروح اللومان (الحبس) – ووصلت خلعة فتال ريحيه طاقة شامي خرشدلية.

السبت – ١٢ نيسان ١٨٥١

[١٩١١] – الا ٧ اخذت حصير ٤ الواحدة ١٢٨.

[١٩١^٢] – الاحد ٢٠ نيسان ١٨٥١

– الاربعا المزاد عمال اخذوا لوالدي لفه ١٢ غرش وسراويل ٣ و٣ لحواتي وفسطان ٢ لمريم وكزه تنورة جيت ٤٤ العزيز ٤٥ سقنقور – السبت توفي مطران الموارنة بولس اروتين مرحوم وارسلوا كتبوا عندي ورقة وعلقوها فوق رأسه «اليوم سقط رئيس عظيم في اسرائيل» (خط) مشق تخين .

[١٩١^٣] – الجمعة راح كل عسكر النظام من الخانات : الوزير والصابون وحاج موسى . والخانات فضيوا لان مراد السلطان عبد المجيد ان يطيع الجبل والعسكر راح لمرعش لاجل اخذان الجبل (زيتون) – والثلاثا اخذوا من المزاد بقجة كيلاني (كيلاني) وفوطه ١ ومناشف ٤ والمزاد عمال للان وبديوا يكتبوا اولاد اليان حمصي ماريا وبرباره وايضاً مريم شعراوي .

[١٩٢^١] – الاثنين سركلوا يوسف بك (الشريف ؟) الى قونية . – والثلاثا جبنا مرأة عمي متى وقالوا انها معلمه لاجل اجر والدي وعمال تسده ونظمت له عكازات ٢ لاجل التركاي حتى يمشي وجبت حطب رطل ٦١ سعر ٤٥ القنطار ش – الخميس سهرنا بيت نعوم ضاهر وابا ساكر (؟) وقال لا ترتعبوا بده يصير زينه هكذا قال التنكجي باشي وقلبنا حواش ٣ ومن الجملة حوش الكبيرة[1] حتى نعطي خبر لبيت سالم ولبيتنا وكنت رايح اقع من سرداب الدرج بنصف السطوح الله سلم ما اراد وهذا من رياضة شهر المريمي .

[١٩٢^٢] – مرضت وارسلت خلف طبيي انطون جد الكبير وامر ان اكل خبز وسمن وسكر وان تمت سخن الى المسا انفصد فتميت كذلك فارسلت خلف متري واخذ دم مقدار اوقية ٢٧ – السبت سافر الياس عزوز مع قحله الى مرعش . وكان طباخ العرق عندنا نعوم زلت العكاوي .

– الجمعة في ٢٣ ايار ١٨٥١

[١٩٣^١] – الخميس نبهوا على غفران الجوبيليوم من يوم الاتي يوم ١٥ بزيارة كنيسة الموارنة والارمن كل كنيسة هيكلين الله يجعله مقبول اذا اراد ويعطينا توبة كامله .

١) البيوت متلاصقة وسكانها يستطيعون ان يجتازوا على الاسطحة من بيت الى بيت وهكذا جرى مع البخاش . . . والحوش الكبيرة كانت في «الحارة» او الحي غالباً سكنى مشاع لفقراء الحي ومن شاكلهم) .

– السبت ٣١ ايار ١٨٥١

وال ٢ توفي ميخائيل تتونجي الله يرحمه .

[١٩٣١] – دعوة ادنه طلعت ان واحد نصراني سب محمد ومسكوه وتجمهروا الاسلام وصاروا مقدار ٣٠٠ وودوه للقاضي حتى يقطع اعلامه فلاناهم وابقاه عنده وتهيروا واستعدوا وبردوها .

– السبت ٨ شعبان ١٢٦٧ في ٧ حزيران غربي ١٨٥١ في ٢٦ ايار شرقي

[١٩٣٢] – اصلها اجا من ترسوس تن سرستق ونزل عند مطران الروم الفسافسة ونزل جانب من الفرده عن ثلاث صوايح الصليبه والتومايات وحارة ابو عجور ٣٢٠٠ غرش واجا منشور ان البطرك مكسيموس مظلوم بطال من من البطركية والروم عمال ينظموا عرض حال الى المجمع ان لا يفوتوه مطلقاً بل هو بطريركهم وعمال يختموا عرض حال من مطارنة وقسوس وارخندوس. ال ٣ قعد عندي ابن جرجي دباط.

في ٢٨ ايار ش في ١٠ حزيران غربي ١٨٥٠ في ١١ شعبان ١٢٦٧

الاحد ٢٣ حزيران ١٨٥١

[١٩٤١] – الجمعة دمغوا ابواب في المزازه وحارة محب والعطوي كل باب كف كف لا كفين من مغره حمره – الاربعا ضربوا ابو حسين الداخل من المزازة عصي وطلع الدم من رجليه وبعد دخوله ما سمعنا غير شي .

(وقد يكون الرجل معروف من الناس ولعله حارس الحي . وضربوه تحدثة لخاطر المتكوبين ومنعاً لما تخشى عاقبته من دمغ الابواب بالكف ليعرف منها بيت المسيحي من بيت المسلم . والامر الغريب ان السراق يتدثون بيت واذا انتهوا منه يتحولون الى غيره . . . والخطر على الجيران ولو مسلمين !) .

الاحد ٢٩ حزيران ١٨٥١

[١٩٤٢] – الاربعا اجوا اعيان انطاكية واجا كوريخ نعوم خالي ومتري اديب وجابهم الباشا حتى يعرف من هو الذي قتل البادري[1] واله كتبوا في يانصيب بتمري طلع لي خاروف ملبة صغير. – الجمعة اجا القاضي وبعض من الاسلام وصادق اغا

١) الاب باسيليوس الكبوشي .

وغيرهم وتمنوا الباش الموجوده من جديد من بعد الاوليات والتحقيق ٧٢ الفاً عمال بالشوره وقتل وضرب وفرض غروش وما اشبه ذلك والذي اعطى سكمنه مثل سالم[1] اعطى للناطور ١٢٥٠ ارسلوا خلفه وسألوه واخذوها من قدور الناطور وكل الحارات الذي اعطوه سكمنه عمال ياخذوها ويضيفوها على مال الذي عمال يلموه لاجل المنهوبين .

[١٩٤[٢]] ٦ تموز ١٨٥١ — الثلاثا وجعتني رجلي وامر بالفصد انطون الجد وبعد ما انفصدت صفرنت وبعده فتحت المدرسة وسكربت بقية الجمعة وكل يوم ينتقل الورم اولاً برجلي الشمال بعده بوركي بعده برجلي اليمين وهكذا للآن والاكل شوربة اللوز ولبه بسمنه . — الاثنين شربت منطق ومن كوني من عمري ما شربته ما اشتغل معي سوى مرة ، وأذن بالموزه (لحمه) والشوربه ورجلي تما طابوا . الجمعة امر بفروج مسلوق ومشوي ورجلي ما طابت . — الجمعة رحت للقباد موت وعجز ووقت ما وصلت للبيت مت وطلع شكرالله وكيل اول يوم تموز غ ١٨٥١ وبدي زادور بالديوان في ٨ تموز غربي — الاربعا سافر نعمة الله عبجي وعبدالله ثابت الى لوندرا وسافر بردخجي يوسف الى ازمير لعند اخوته ودفعت للمكاوي من الفرده ٢٥ و١٥ و٢٥ و٥٠

[١٩٥[١]] — الاربعا جبت تومازيني وارسلت له قدميه قرى ٢ ١٠ غروش ووقف على الاربعا والخميس والجمعة فصدني قدر بوقاله دم وارسل دهون لمكان الالم وكل يوم سفوف ٨ وحب ١٥ والالم عمال وسماه مفاصل وبعد يوم ١٠ وصف حمام تنك (Baignoire) وجبناها من بيت المرحوم فتح الله الحكيم برهن خواتمي ٢ الذهب وكل يوم ساعة ونصف — واستقامت عندي يوم ٩ وسبحت يوم ٧ وكل مره اشوف فرق وبعد جمع ٣ فتحت — الخميس رحت تكويت . وانتخبوا قس بولس مطر مطران .

الاثنين ٥ آب ١٨٥١

[١٩٥[٢]] — الثلاثا اجوا المشايخ ومفدي العتيق وطلبوا من المطارين ان يتركوا اموالهم ويتسامحوا وقالوا ان المال فدى الابدان فجاوبهم مطران كيرلس الروم ان النصاره بخششوكم كل ارزاقهم فقط بدنا ورقة او فرمان من عبدالمجيد

١) جاء سابقاً ان بعض المسيحيين اعطوا دراهم (سكمنه) للحراس تلفاء وقايتهم .

ان نسافر فصار خلق كثير فصرفوها الى ايلم ثلاث بجلسه ثانية وبعد الظهر ارسلوا خلف ابن اليان جرجس وقايمته ٢٩٠ الف فخلوا ١٠٠ الف وهوزدوا الباقي وايضاً نعوم مارون بالف ٧٢ تركوا له ٧٠٠ غرش والاسلام شوي تعفردوا وقلل المال المفروض عليهم الباشا محمد قبرصلي الله يجعل النهايه الى خير—والاربعا ارسلوا خلف جرجس او يوسف صندوق وقالوا له من اين لك مالكية الف ٧٢ وقصدهم يفبروها وبيت الدلال ١٣٥ الف تركوا ٣٥٠ الف والباقي هدروه — والجمعة صار جمعية عند شيخ العاقيلية البازار باشي والمكانسي والمشايخ ومن النصاره الياس ضاهر ويوسف مخلجي وفرج الله نجم هؤلا. سمعنا بهم وماذا صار لا نعلم: ١٥ اب ١٨٥١

[١٩٥أ] — الاحد صار جمعية عند بطرك بطرس جروه وجمعوا نفر ١٣ منهوبين وكتبوا صك ان الوكيل عن البطرك المذكور خوري باسيليوس ضعب والنفر نصر الله حمصي ومها ارادوا يجرروه قبواين كلهم او لا قبنولين ورحت انا وامضيت — الثلاثا صار الديوان وراحوا الروسا والاعوام من كل طايفه واحد ومن الروم ٢ عبدالله باسيل وفرج الله نجم والارمن يوسف مخلجي والنهاية ما صار بل مثل ما راحوا مثل ما اجوا وباقيه للآن — وباركت لانطون خاطي بالسكنه بحوش يوسف دياب ششهان بالسنة ٢٨٠٠ وسكنها — السبت اجا عسكر من على التلة (مازين بجي التلل)؟ مقدار من الشام ٩٠٠ وبدهم يروحوا الى جبل كاورداغ ومسا. سافر قس بولس مطر الى الجبل حتى يرتسم مطران وراح مودعين معه اناس كتير — والبطرك بطرس مريض وقال الحكيم المصري انه لا يقوم من هذه المرضه.

[١٩٦أ]قال لي الذي تحدثت عنده بقومة البلد ان اهل الهزازه عمال ينهزموا — الاربعا (في) دعوة التحقيق فتح الله كنيدر ونصر الله خوري ومخائيل خوري بخشوا قوايمهم وايضاً ارمن الكنيسة بخشوا كل قوايم ارمن طايفتهم مقدار الف ٣٠٠ وابتدوا على شي. يكون لا اعلم ماذا بعد اعرف — الثلاثا نجروا باب حوشنا تلزيق وتلفيق الله يدبرهم — وفكيت الحماية (الوقاية من المرض بتورم رجلي) من الفروجه والشوربه تمت البرذوله قليلة — الاربعا الساعة ٢ بالليل اجا يوزباشي من قبل السلطان عبد المجيد ومعه فرمان الى كريم باشا الفريق

بجلب وداخل الفرمان ورقة شطرين الى اسلامبول والاحكام القايم مقام وهو الفريك المذكور واليوزباشي كان بتطفاي الحريق في اسلامبول في اسكودار ورجع يغير ثيابه فقبض عليه البين باشي قبل ما يغير ثيابه وارسله هكذا ارادة سلطان والعزلة من طرف قونصل الفرنساوي موسى ادمون ليثبت ـ الجمعة بدري ضرب جبل الذي عند مرعش (زيتون) والبطرك بطرس جروه طلع لبستان المفدي بتختروان طلعه ونزلة ١٢٠ غرش تغير هوا لان المذكور نازل عليه فالج ونزل لحوش بيت قرالي والحصرم التي كانت سابقاً لبيت القصاب عند بوابة الياسمين . حوش عاليه .

[١٩٦¹] — الاثنين سافر محمد باشا قبرصلي — الخميس ١٧ آب التحقيق عمال لكن هامد .

[١٩٦²] — الاثنين راح يوسف مخامجي وفرج الله نجم وشكرالله تاجر لاسلامبول لاجل المنهوبات بالقاره — السبت رحت حمام برهم ومع فرج الله ضاهر وكثير انبسطنا والتقينا والخوري باسيليوس بالحمام . ١٣ ايلول ١٨٥١

والخميس تشرط عندي بالمكتب جرجي ثابت واجت والدته دبرته .

[١٩٧¹] — الاربعا اجا فتح الله نجاش وابنه رزق الله من مرعش ونزل عند شكري ناتوز شريكه . اجا ابن عزوز وقجله من مرعش . السبت اجا سهري مخائيل بقجي من ادنه ونزل بيت كركور سيوفي — الخميس هدوا بوابة وراء العارة[1] وبديوا بعمارها وصارت وراء العارة بلا بوابه وجابوا من الحكم عسكر نفر ٦ الواحد بالبوابه .

[١٩٧²] — الثلاثا راح مطران يوسف حايك الى بيروت وخوري جرجس ومعه ابن موسى شدياق الى البلاد الفرنجية لكي يلموا غرش لاجل عمار الكنيسة الله يسهل عليهم ذلك وابن العجمي القسيس سافر مع المسافرين هذا ذكرنا عنه سابقاً انه تذاكر مع الاسلام بحمام برهم ذاته (١٩٦ / ٣) ومرادهم يقتلوه فانهزم الى بيروت . ودلال لمدرسة عين تورا بالجبل — الاربعا ترشحت برشح ظالم .

---

١) ساحة وراء العارة هي ساحة فرحات في يومنا . اين كانت بوابتها ؟ — في المحل الذي ستبنى فيه كاتدرائية مار الياس المارونية ؟ لقد اكتسحت فئة المحسنين ذلك الحي فتسمى حكومة الباشا في اليوم بترميم الخراب « وبديو بالعار » .

[١٩٧^٢] – الاربعا مات قدور الناطور ابو ابراهيم مسلم وهذا في قومة البلد حما نعوم سالم واخوه من الغارة – الاربعا ما ارسلوا قلق لبوابة ورا العاره لان للان ما عمروها ولا نجروها واجا ابو ع عراج من اسلامبول ومعه نفر ٧ وعرب مقدار الف نزلو ورا براهيم اغا في العرية وابن الناطور الافندي بن اخت ابو ابراهيم عمال يطلب السكمنه[١] من وراء العارا وكانت ليله موهمه كتير. والحمد لله بعد العشا نزل عسكر للبوابه عده٦٠برجا يوسف وكيل وهمو بتجير البوابه والجمعه ركبوها والسبت حددوها. ولحقني بغروش٤٠ دفعتها. الاحد ٤ ت١ ١٨٥١

[١٩٨^١] الخميس ٩ ت ١ ١٨٥١ ابتداء ٢٥ سنة لافتتاحي المكتب.

الاربعا ذكروا ان عبد المجيد قتل ام مات لا ندري ووقف اخو عبد العزيز ولكن خبريه ما هي مؤكده والجبل عمال يكتبوا فيه القرعة واخدوه(خبر) اكيدي. وسافر الفونص دوريكلو لانطاكية لان اهل انطاكية كتبوا مظبطة ان ميخائيل دياب قتل القسيس بشهود٦ اسلام تزوير والمذكور حماية الفونص وراح معه لافوس والفونص انكسر على الف ٦٠ لصهره جنادري.

[١٩٨^١] – وسمعنا ان عرب الوهابي نهبوا الحج وسلبوا الموجودات وحرقوا وهذا سمع ما هو اكيدي – السبت سافروا الى بيروت بيت حسون خلا فتح‌الله وبيت التاجر شكرالله وبيت الياس سرور وابن اسيون رزق الله وابن هدايا وابن قندلفت سريان والقس بن الزنبكلي.

[١٩٨^٢] – سمعنا ان محمد قبرصلي باشا الذي راح من حلب صار سرعسكر على الشام وإيالتها وسموا باشا لحلب عصمان نوري باشا باشة ادنه وكتير انغموا اهل حلب لاجل السرعسكر – الاثنين ارسلت خلفي مدام موليناري لاجل قراءة بنتها وانا مو قوي رضيان اروح لاجل عدم الامان. – الخميس توفي بطرك بطرس جروه واستقام بمحلبه٦مدة ٢٠ سنة وشهر ١١ الا يوم ١٢ الله يرحمه قبروه بخراب الكنيسة عند مار بطرس وبولس وعمروا له قبر جديد وكشفوا على بطرك ميخائيل جروه المرحوم وشافوا دقنه واقفة وبدلته وكل اموره باقية.
– السبت ١٨ ت ١ ١٨٥١

١) لسكمنه. السكمان هو الجندي الذي كان يخدم على عهد الامراء الباشاوات. وعلى الاهالي ان يدفعوا راتبه فيطلبه منهم ابن الناطور.

— الاحد صار عرس حسن بك الى بنت ... وصار سراقه وارتعبوا الناس وخمنوا قامت البلد وبعض عندهم علم فما ارتعبوا .

[١٩٨^٢] — الاحد كان نهارها ناظمين الفرنساويه بستان في براهيم آغا اتى قنصل ليسبس قنصل فرنسا وكان كل الفرنساويه وتكلف مقدار الف خمسة وكان طاولة بكرسي ٢٠٠ وناس يقولوا كرسي ٣٠٠ وتمهيد الارض لاجل الطاوله ١٠٠ غرش . وكان نوبه فرنجيه ٢ وحلبيه واحده ام اثنتين وراح نسوان ورجال لبساتين قدام براهيم آغا نسا ورجال كثيرين وتفرجوا ونهارها مسكرين بوابة وراء الغارة لان ما اعطوا كرا تعميرها بعض اناس وهذه طبق نهبة الغارة بالصلية سنة كاملة الله ينجينا من شرهم . — الاثنين اجا مقدار مائة ٣ نفر بلا تفنك وقدامهم نوبة الكبيرة وقالوا اناس ان هولا قرعة ادنه وترسوس وتفرجنا عليهم من بيتنا من السطوح عدوا قدامنا — والثلاثا صار بالوا جميع الفرنج وكان من طوايف النصارى من كل طايفة عيلتين ثلات وراحوا لليليه ومن الروم ميخائيل سابغ وعيلته ونيقوغوص وبيته وحمصي وبيته سريان وجنه موارنة وغيرهم مقدار عيلة عشرين وانبسطوا كتير وكان من الثريات ٥٥ ومن الشموع ١٠٠٠ شمعة وتدوير ونوبات فرنجيه ٢ وحلبيه ١ .

[١٩٩^١] — الاحد اول يوم محرم ١٢٦٨ وقدسوا السريان بقاعة قلاية الكبيرة ودخلوا ليوان بيت النسوان اليها وبديوا يقدسوا في ٢٦ ت١ ١٨٥١

[١٩٩^٢] — سافر قنصل الفرنساوي موسى ليثبت الى اسلامبول لاجل المرافقة مع الذين قتلوا البادري بانطاكية وعمر افندي وقبرصلي باشا محمد الذي صار سرعسكر بر الشام — الجمعة اجا نيابة البطركية لمطران جبرائيل حمصي .

[١٩٩^٣] — ٢ تشرين الثاني ١٨٥١ الاحد اجا عصمان نوري باشا باشة حلب ونزل من بنقوصا للصرايا — الاثنين اجا محمد قبرصلي باشا سرعسكر — الاحد اعطى المطران جبرائيل حمصي غفران ٣٠٠ من عذاب المطهر والمذكر اجا له نيابه من القاصد وباقية حتى يعرضوا الى رومية — الثلاثا قرا فرمانه نوري باشا وكلف التجار والروسا لسمعه .

[٢٠٠^١] — الجمعة النجار عمال ينجر باب الزقاق من جديد حوش وقف الموارنة بدهليز بيت القعدة دار سكناي وطلب الباشا مختارين الحارات. طلعت

لاجل تعزيل وتكنيس الزقاقات وسمعنا ان شكرالله تاجر جاي مع ملتزم الكمرك الى حلب والمذكور راح من اجل المنهوبات من طرف الروسا مع يوسف مخلجي وفرج الله نجم — والاثنين اجاني من حجار مقرمة بيضا وكيس توتون حلوان الديوان (الفارضي ختمه) وبدي بالمقامات .

[٢٠٠ᵀ] — ١٦ت٢ ١٨٥١ الاحد رحت للكتاب عند زيزف مدام تومازيني ووديت ١٥٠ غرش كرا حكمتي على مرضي والمذكور ارسل ورقة ٣٨١ غرش وفضيناه بالمذكورات برجا المداما والمذكورة تلميذتي تعلمت عندي القراءة .

— الخميس اجا مطران يوسف مطر لحلب راح ارتسم واجا — السبت طلعت الفروة عدلتها عند مراة قدسه وكراها ١٥ غرش — الاثنين اجت ساعتي مسحها ابن طنجر كراها ١٠ غروش .

— الثلاثا ٢٥ ت ٢ ١٨٥١

— الجمعة كتبت للسريان ورقة « صندوق ارواح الموتى » وسمعنا طاب الباشا قرض من الاعيان وتجار الخيرية من ٣ مقدار ١٥٠٠ من كل واحد ٥٠٠ كيس حتى يأخذها من الاشقيا. يدفعها لهم لاجل عمار الكنائس . هكذا سمعنا .

[٢٠٠ᵀ] — الاحد سلمت على مطران يوسف مطر وقس يوسف كيال بالمجي من السفر والاثنين اجا عندي ابن تركماني وسهره جبرا صوفيا وجاب لي منديلة مصرور فيها ٢٠ قري .

الآثار المطوية (تابع)

الجزء الثاني

بقلم
الاب انطونيوس شبلي اللبناني

في القوى الادبية

تعريفها: القوى الادبية هي بعض خواص للنفس لا يحصل صنعٌ ادبي الّا عن اجتماعها . وهي العقل والحسّ والخيال والذوق . فمن جمعها جمعَ بين القريحة والفطنة والذكاء .

الفصل الاول

في العقل – التصوُّر .

العقل – التصوُّر – العقل هو القوة التي بها تحصل التصوّرات . والتصوُّر هو استحضار صورة الشيء في الذهن ، فلا تستطيع ان تتصوَّر رجلًا او شجرةً بسوى العقل . وبالواقع انك تدرك صفات هذا الرجل واشكال هذه الشجرة الخاصة بها فتعرفها بها .

الفكر – فالعقل بما هو عليه من قوَّة الادراك يقابل بين تصوّرين حصلا فيه وينظرُ في ما لو كان بينهما علاقة متبادلة مثلما لو حصل عندك تصوُّر انسان وتصوُّر الحرية فتقابل بين هذين التصوُّرين وتجد بينهما مطابقةً كاملةً فتحكم بديهيًا ان الانسان حرٌّ ، وبخلاف ذلك تحكم ان الحيوان ليس بحرّ ، بما انك لم تجد شيئًا من المطابقة بين الحيوان والحرية فانك على كلتا الحالتين تبرز حكمًا . وهذا الحكم إمَّا بثبوت المطابقة بين التصوّرين ويقال له الايجاب وإمَّا بنفيها ويقال له السلب . فكلُّ حكمٍ على هذا الشكل يُعبَّرُ عنهُ باللسان او بالكتابة ويُسمَّى تصديقًا او فكرًا . غير انه لا فرق في عرف الادباء بين الفكر والتصوُّر ، او انهم يستعملون الفكر بمعنى التصور والتصور بمعنى الفكر مجازًا .

الانتقال الفكري – ويسمّى القياس . لا يكتفي العقل بمقابلة تصورين بسيطين بل يقابل بين فكرين او تصديقين فيستخرج من هذه المقابلة فكرًا جديدًا يسميه الحاصل او التالي ، وهذا ما يسمّى الانتقال الفكري. فلو فرضنا هذه القضية وهي: الناس محكومٌ عليهم بالموت . ثمَّ هذه القضية الثانية وهي: سقراط انسان فيلزم عن ذلك بالضرورة ان سقراط محكومٌ عليه بالموت .

صفات التصوّرات – اهمُّ صفات التصورات الصراحة والصواب. ومما يقتضي ان ننتبه اليه هو ان نفرق بين التصور والصورة . فالاول هو استحضار الشيء استحضارًا عقليًا محضًا . والثاني هو استحضار الشيء استحضارًا محسوسًا فقط . فهي لا تُمثّلُ لنا سوى الشكل الخارجي المادي كالالوان والخطوط والحركة والاشارة ، غير ان الصورة ترافق التصور ، فانه يمتنع او يصعب جدًا ان يكون لنا تصوُّرٌ عن انسان من غير ان تؤثر صورته في حواسنا او في حاسّاتنا .

فالتصور الصريح هو ما مثّل لنا شيئًا تمثيلًا تسهل معرفته به والّا كان غامضًا . فان تصوّري الحيوان يكون صريحًا اذا ما فرقته بالواقع عن النبات والانسان فورَ رؤيته :

اما التصور الصحيح فيمثّل طبيعة الشيء . ولهذا يسهل علينا ان نعرفه ونعيّن خواصه الجوهرية الفارقة . فانك اذا ما تصوّرت الحيوان يكون تصوّرك له صحيحًا متى عرفت انه يفارق النبات بالحركة وبالمعرفة ويفارق الانسان بحرمانه من النطق والحرية . ومن الضروري ان تكون تصوراتنا صحيحة لئلا يتولد منها احكامٌ فاسدة .

صفات الافكار – يقتضي ان يكون كل فكر صحيحًا صريحًا ، ويكون ايضًا بالنظر الى المواضيع او الكتّاب فطريًا دقيقًا مبتكرًا عميقًا متقحمًا ساميًا .

صحة الفكر – الفكر الصحيح هو ما دلَّ على المطابقة او اللامطابقة الواقعة فعلًا بين طرفيه ، مثل قولك : الله صالح . فهذا الفكر صحيحٌ وعكسه فاسدٌ .

وذهب احدهم ان بين الفكر الصحيح والحقيقي فرقًا . فالفكر الصحيح هو ما كان مطابقًا الواقع مطابقةً كاملةً من كل الاطراف كما لو قلنا : الانسان

يموت. فان قضيتنا هذه صادقة على اطلاقها. واما الحقيقي فقد لا يطابق الواقع الّا بنوعٍ عام او بالنظر الى وجهٍ خاص لا يمتنع الاستثنا. منه ويكون صادقاً بالاضافة لا على الاطلاق .

والفكر الصريح هو ما كان التعبيرُ عنهُ يدلُّ على مطابقة التصوّرَين بغير إعمال نظرٍ كقولك : يجب على المرء ان يحبَّ ابويه . فانه فكرٌ صريحٌ ، فالغموض يحصل من سوء التعبير وهذا من عيوب الانشاء . وسنتكلم عنه في بابه ، او من سوء التصور. وهذا يتأتى من قصر النظر او من ضعف البصيرة.

صفات الانتقال الفكري — الصحة — ان الخطابة تبحث مفصلاً عن كيفيات الانتقال الفكري واختلاف وجوهه . ونكتفي الآن بالتنبيه الى ركنه المهمّ وهو الصحة .

فصحة الانتقـال الفكري او القياس تستدعي اولًا ان تكون الافكار المتقابلة صحيحةً. فان قابلت هذين الفكرين وهما: الجناية توجب على مرتكبها القصاص، وعمرٌ هو جانٍ، رأيت كليهما صحيحاً تبدو صحته بغير تأمل. كصحة وجوب قصاص الجاني ، اولًا: يتطلّب اثباتها إعمال الفكرة ككون عمر جانياً. وثانياً : ان يكون بين القضيتين المتقابلتين حدٌ مشترك وهو الجناية في المثل المتقدم . وثالثاً : ان يتحصل من هذا الحدّ المشترك قضية ثالثة تسمّى لازماً او حاصلًا او نتيجةً . فاذا سُلِم من وجهٍ ان الجاني يقتصّ منه ، ومن وجهٍ آخر ان عمرًا جانٍ حصل بالضرورة ان قصاص عمرو واجب ، ولكن لو قلت في النتيجة ان عمرًا عالمٌ ، لدلَّ ذلك على اختلاطٍ في العقل لان هـذه القضية الجديدة لا تحصل من تلك المقدمات .

حكم العقل — لما كانت الغاية من الاوضاع اللغوية التعبير عن الافكار كان العقل الركن الوحيد والعماد الضروري لكل صنع ادبي، وعليه نرى عمدة الكتّاب يتطلّبون في من تسوّل لهم نفسهم مزاولة القلم الفهمَ وحسنَ النظـام وإصابة الفكر واجادة البرهان .

فان كل مؤلف خالٍ من الحكمة او مشحونٍ بالتصورات الفاسدة ليس له بين كتب الادب شأن واعتبار مهما كانت مكانة صاحبه من الفطنة والذكا.

ومهما كان عليه من بديع الانشاء وسحر البلاغة التي تواري ما فيه من المفاسد وما يدل على خلل وشذوذ في الافكار فيحرم القارئ لذة المطالعة اذ تفوته محاسنها لان الصواب والحكمة من اركان الحسن الضرورية .

على ان الكاتب في غالب الكتابات النثرية كالتاريخ مثلاً الذي يتصدى صاحبه لعرض اسباب الوقائع وسلسلتها لا يحتاج الى سوى العقل ودقة النظر والصواب وحسن النظام وهذا حسبه. فالعقل هو الذي خلق لنا اولئك الجهابذة الذين كشفوا لنا الستار عن غوامض مصير المرء في هذه الدنيا وعن سير الحوادث والماجريات وتعليلها وعن اسباب انقلاب الممالك رغماً عما كانت عليه من العظمة والفخار، وعن التواء الاهواء البشرية وسوء نزعاتها بكلام يتراءى الحسن من خلال سطوره وتتبين الحقائق من وراء اشعة نوره .

فالعاقل الذي يعرف كيف ينتبه ويفتكر يتحاشى في كل ما يكتبه وفي كل فن يزاوله عيبين من معائب الانشاء لا يفارقان ذوي العقول الخامدة وهما: الجفاف والهجنة. والسبب في هذا الخلل انما هو الافتقار الى الافكار، فالنفَس القصير والذهن الحسير لا يورثان سوى الملل والسآمة .

غير ان بعض الكتّاب يطمحون الى تسويد صحف الكتّاب فيلتجئون الى مذّخرات الحافظة فينقلون عنها حرفاً بحرف افكار غيرهم من المتطفلين على موائد الادب، او من احاديث المجالس العامة والمسامرات في ليالي الانس . فكل ذلك من قبل الامور المبتذلة والافكار المكرَّرة والمبادئ المغربلة يتبادلونها على غير روية كأنها نقودٌ رائجة يقبضها الناس ولا ينظرون الى صورتها ولا يتفحصون ضربها، وهكذا يهربون من الجفاف فيقعون في الهجنة . اما الكاتبُ الحاذق الذكي الفؤاد فبخلاف ذلك فانه ينتبه في ما يحدث فيه وحوله ويتأمل في ما رأى وقرأ ويدّخر لنفسه من ذلك كثيراً من انواع الفكر لا يُمتَّم ان يظهر للوجود ويبرز بحلل البيان فيحلى في عين كل انسان .

الفصل الثاني

في الحسّ

معنى الحساسة — الحاسّة هي قوّةٌ بها نُحسُّ ونشعرُ . فالحسُّ هو ادراك

النفس الشيء باستحضاره باحدى الحواس وعلها بـه . فلهذا الحسّ وجهان : تحصيلٌ ، وهو التمتع باللذة عندما تستنشق رائحةً ذكيةً . وتمثيلٌ ، وهو علمك ان تلك الرائحة هي رائحةُ بنفسجٍ لا رائحة وردٍ ولا زنبقٍ وانك تستحضر زهرةً خصوصيةً . أما بعرف اهل الفن فلفظ الحسّ يطلق على الوجهين المذكورين. والغرضُ من كلامنا في هذا الباب انما هو وجه الحس التمثيلي .

اما الشعور فهو ادراك اللذّة والألم المعنويين اي المتسببين عن التصور كما لو تذكّرت فظائع نيرون فتحرّك فيك الغضب والانتقام .

فبين الحس والشعور اذًا فرقٌ اساسيٌ . فالاول يتولّد من استحضار شيءٍ ما ماديٍ . والآخر بتمثيل صورة عقلية . هذا يزول بزوال المادة فانك اذا ما ابتعدت عن البنفسجة لا تستنشق بعد ذلك رائحتها ، وذلك يستمر بغير انقطاع كاستمرار التصور بنفسه .

مرتبة الحواس — ليس لكل واحدة من الحواس اهمية متساوية بأهمية الاخرى بالنظر الى الحس . فحاسّة الذوق واللمس والشم ليست من الحواس التي يستعين بها الرسّام والشاعر استعانةً معتبرةً ، فان الحاسّتين الفنيتين انما هما السمع والبصر ، فبدون السمع يمتنع النطق بالكلام وتنقطع طرق التخاطب والتفاهم وتُسدّ مجالات الفصاحة والبلاغة ويضرب على فن الغناء الضربة القاطعة . اما العين فتبصر الالوان والاشكال والخطوط التي يصفها الشاعر والناثر .

صفات الحس — كل ما في الحس من الصفات يمكن حصره بواحدة وهي الصدق، فانه يقتضي ان ننظر الى حقائق الاشياء بعيننا الباصرة لا بعين الاجسام الكثيفة ولا بعين قرّاء الامس . فالشيء لا يكون سهلًا بحسب ما يظهر فور رؤيته ولا بدّ من الدقة في النظر الى الامور الطبيعية بنفس سليمة الفطرة وطاهرة السليقة . ولا بد من التروي في مراقبتها والصبر عليها ريثما ترسم فينا ضروباً من الحس صحيحة .

فاننا نرى اكثر الكتّاب في هذا العصر يقتدون بمن سبقهم وينتحون مناحيهم في ابواب الوصف وغيره من فنون الكلام ولا يعتمدون على ما يرتسم في قلوبهم من ضروب الحس الجديدة الفطرية .

صفات الشعور — لا بد لكل شعور من ان يكون صادقاً فطرياً . وقد يكون بحسب استعداد الكتاب رقيقاً شريفاً سامياً .

الصدق والاخلاص في الشعور — الشعور الصادق هو ما ادركه الكاتب نفسه . فان اندفع الشاعر بنوع من الشعور يقتضي ان يكون ذلك النوع انطبع فيه وتمكن منه وألّا فان كان شخصاً فيطلب من ذلك الشاعر ان يجرّد من شخصه شخصاً آخر شاعراً شعوراً حقيقياً بما ينشده وان يحيي بالخيال من يمثله .

تنبيه : الى هنا انتهى قلم الاستاذ الاب نعمةالله ابو ناصر في جريه بهذه الابحاث الادبية الطريفة اللذيذة وطرأ ما صرفه عن متابعتها . رحم الله واضعها عداد ما له من الحسنات والمبرّات .

حفلة ادبيّة

وزّع الاب نعمةالله ابو ناصر هذه الابحاث الادبية التي مرّت على تلاميذه ليستظهروها ويلقوها في حفلة ادبية أقيمت في ختام السنة المدرسية بحضور الرئيس العام ومدبّريه واساتذة المدرسة وآباء الدير ، وجعلها بين الاستاذ وتلاميذه وافتتحها ابو ناصر بهذه التوطئة التي كتبها عن لسان الاستاذ والمقترح وهي :

الاستاذ — ان ما وجّهنا العزيمة اليه ، وامضينا النية عليه ، من نظم عقد هذا الاجتماع في هذا النادي الحافل ، ليس هو الّا الالماع الى ما اقتبسناه بجهد كامل ، في مدة هذه الايام التعليمية ، من فرائد الفوائد السنية . فإنّا ولا نخشى المبالغة في ما نقول ، بحيث لا نتجاوز المعقول . قد خضنا في عباب علوم البيان الرائعة ، وحسرنا اللثام عن وجوه محاسنه الشائقة ، فاستخرجنا من كل دقائقه ، ووقفنا على جميع حقائقه ، حتى انكشفت لنا اسرار الفصاحة ، واتضحت لنا مناهج البلاغة ، فوردنا ينابيعها الصافية ظامئين ، وصدرنا عنها مرتوين حامدين . ولسنا ممن قال عنهم صاحب التلخيص ، المقيّد شوارد هذا الفن بالتنصيص : انهم جماعةٌ هم اسرى التقليد ، طفقوا يتعاطون علم الادب من غير توثيق ولا تسديد ، ويحومون في تحرير مقاصدهم حول القيل والقال ، ويقتصرون من تقرير لطائفه على ذكر المقام والحال ، لا تخرج عن ربقة التقليد اعناقهم ، حتى تسرح في رياض التحقيق احداقهم ، ولا ترتفع غشاوة التعصب عن بصائرهم ، حتى تنطبع

دقائق التعقل في ضمائرهم ، كل بضاعتهم اللجــاج والعناد ، وجلّ صناعتهم الانحراف عن منهج الرشاد ، فهيهات التنبه للرمزة الدقيقة الشان ، او التفطن للمحة الخفية المكان .

هذا واهم ما نقصده بالتئامنا في هذه الحفلة ان نفي فرضاً ونكــسب رضىً وان نلوّح الى تحقيق الآمال فينا فنفوز بما نطلبه من نجح امانينا ، ببركة ابينا قدس رئيسنا العام المفضال ، الآباتي اغناطيوس داغر التنوري البالغ أعلى ذروة الكمال ، ودعاء حضرة الآباء المدبرين الكرام ، وجميع الحضور من الآباء ذوي الاحترام .

المقترح – حيّاك الله وبيّاك ايها الاستاذ البارع وصاحب العلم الواسع انني ابحث منذ امدٍ طويل عن استاذٍ مثلك متضلع بالفنون الادبية لعلّه اذا اجتمعت به يزيل عن عقلي غشاوة من الابهام والغموض جعلت همي في جلائه لتتبين لي الحقيقة من ورائه . فاني طالما قلّبت الطرف في كتب الآداب العربية الرائجة في مدارس هذا العصر من كل قطرٍ ومصر فلم أرَ كتاباً يبرّد لي غليلاً ، او يغنيني عن نصيّ فتيــلاً . فاليازجي كلّه معميات ،زماجي ، والقزويني بات يبرمني ويضنيني ، والتفتزاني زاد اسقامي واحزاني ، والتلخيص جاء بكل معنى عويص . واما المفتاح فأغلق عليّ ابواب الفلاح وراح ، والشرتوني سلك طريقهم فلم يفرّج كربي ولم يزل شجوني :

فكم تعبتُ وكم شُقيتُ م وكم حنقتُ على القدَرْ

فاستنشدك الله ان تجود عليّ باستماع انفاسك ، لاستضيء باشعة نبراسك ، وضالتي التي انشدها فوزّ التصور بن الامور البديهية وان البحث فيها ولا ريب حكمٌ على كل اديب ، الا وهي شرحٌ موجز بعبارة مرضية تكشف لنا النقاب عن نشأة العلوم الادبية وتكون توطئةً لها ، وتجلي لنا مؤداها ومآلها وتبين لنا كتب التدريس فيها والفنون والادب ومؤلفيها وما يتعلق بذلك من معنى الحسن الرائع ، والمثال النظري الواسع ، ومذاهب الكتّاب وما هو مقام المبادئ الاولية في هذا الباب ، فاني لم اقف على اصل ولا على فصل هــذه المباحث ولم اعثر على ما يلمح الى ذلك في بابٍ ولا في فصلٍ . فهل لك على

قضاء حاجتي في هذا الامر منة ، ولك مني وافر الشكر والمنة .

الاستاذ — سبحان الله اني لا ريب شاري منك اديباً يدري بحقيقة تدري لان ما تتقاضانيه الآن قد قضيت مدةً من الزمان في تحصيله بقلبٍ ظمآن وطرفٍ يقظان . وطالما تمنيت ان يسألنيه اديبٌ مثالك فافتخر بما عرفت واخدم العلم واهله بما اكتشفت. فاقترح علينا ما بدا لك في هذا الباب ، حتى نُجيب سؤلك باحسن جواب .

هنا يقترح المقترح على الاستاذ ، والاستاذ يكلّف تلميذاً من التلامذة بردّ الجواب على اقتراحه الى النهاية . . .

المقترح — اجل ! لقد ملكني ما رأيت في الاخوة الادباء من الفضل واسترقني ما ظهر منهم من البراعة. ولعمري انهم اصابوا شاكلة الامر واستحقوا وافر الشكر. فلم أرَ ما سمعتُ منهم في كتاب ، ولم تدوّن مثله اقلام الكتّاب ، على ان الطمع يلجُّ بي الى الاستفادة عمّا هي آداب اللغة والفنون ومراتبها والحسّ والمُثُل النظرية ومذاهبها فان ذلك نعمة يعجز عن قضاء وصفها لساني ولا يقوم بحق شكرها جناني الخ . . . اه

حضرة الأمجد الفاضل المستر شبلي العزيز حفظه الله تعالى

عقب وفرة أشواقي إلى مشاهدتكم أعرض أني اطلعت على ... وتوفيق ورد إلي تحريركم ... أحسن عواطفكم
فكنت مسرورا جدا لأني عرفت صحتكم وشاكرا جدا منه شفقتكم اللطيفة إن شاء الله تعالى يعطيكم ... قلبية
لأني أريد أحيانا أن أكون عندكم وأغتنم ... فدى سيدي الأفضل الفاضل ... ورؤيتكم
إن شاء الله تعالى بأن ... بالعزيز المحبوب. وإني مستعد أن أعوض لكم عما خسرتموه من الدروس
لا تتأخروا في مكاتبتي ... أخباركم ... [illegible] من ...
عنكم وعن سيدي الفاضل ... وضعيف الدهر ... الله تعالى ... ... بشكركم

نعمة الله
الواهر

كانون الثاني ١٢ ...

سلام مخصوص ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]

بعض آثار من قلم الاب نعمة الله ابو ناضر
الراهب اللبناني

رأينا ان نذيّل هذه الابحاث الادبية ببعض آثار من قلم الاب نعمة الله ابو ناضر .

الاول كتاب

ارسله الى الاب انطونيوس شبلي اذ كان اخاً دارساً عليه يدعى : الاخ اغناطيوس ، واننا ننقله على الزنكوغراف احتفاظاً بخطه الاسلامبولي الجميل :

نصّ الكتاب

حضرة الاخ اغناطيوس شبلي العزيز حفظه الله تعالى .

غب وافر الاشواق الى مشاهدتكم الانيسة على كل خير وتوفيق . ورد اليَّ تحريركم حاملاً اصدق عواطفكم فتلوته مسروراً جداً لاعرابه عن صحتكم ومتشكراً جداً من شواعركم اللطيفة . ان شاء الله تعالى بعد مدة قليلة لا اقدر ان احددها آكون عندكم واغتنم بلثم راحات قدس سيدي الاب العام الكلي الاحترام(١) وبرؤيتكم ايها العزيز المحبوب . واني مستعد ان اعوض لكم عما خسرناه من الدروس . ان شاء الله تعالى باقتران اجتهادي واجتهادكم معاً نسد العجز الواقع من هذا الباب . لا تتأخروا عن مكاتبتي لاجل الاطمئنان وعن سيدي الاب العام الكلي الاحترام ولفيف الدير . اطال الله تعالى عزيز بقائكم .

١٢ كانون ثاني سنة ٩١٤

اخوكم
نعمة الله ابو ناضر
لبناني

---

١) هو الاب اغناطيوس داغر التنّوري الذي كان يكلّف الاب نعمة الله ابو ناضر بحلّ المشاكل الصعبة . ولم يكن هذا الاب يغيب عن دير سيدة المعونات في جبيل ، مقرّ الرئاسة العامة الّا اذا أُرسل بقضاء مهمّة .

سلام خصوصي لقدس الاب اجناديوس المحترم[١] وقولوا لقدسه (الاب العام) ان وصيته لي بشراء حبوب فلس قد تمَّ ولكن لم اهتدِ على من أرسل ذلك لقدسة معه . فاذا اوعز الى الاب بولس السبعريني ان يوصي احد مكارية او تجّار جبيل الذين يترددون الى بيروت كل اسبوع ان يأخذ ذلك من فرمشية باخوس على البرج . واذا توفقتُ بوجود احد ذاهب الى جهتكم لا اتأخر عن ارسالها .

الثاني : كتاب ايضاً

ارسله الاب نعمة الله ابو ناضر الى الاب انطونيوس شبلي
اذ كان في دير سيّدة نسبيه ، غوسطا ،
يقف على طبع كتاب لهُ بمطبعة الاباء البولسيين في حريصا

عن دير مار موسى الدوّار في ٨ تموز ١٩٣٠

حضرة الاب الجليل الفاضل الجزيل الاحترام .

لا يخلو ذكركم من بالي ايها الحبيب وقد شقَّ عليَّ ما بيننا من البعد الذي يهيج مني الشعور ويزيد في لواعج اشواقي سعيرًا .

اني امثلكم امامي بما انتم عليه من اللطف والدعة والوداد والثقة . كأني اسمع كلماتكم الكاشفة عن همم عالية وافكار غالية وتتراوّن لي تارة طروبًا وطورًا مكروبًا . ولا يقدح كل ذلك في ما بكم من دماثة الاخلاق ورقة الطباع وسلامة النية وحسن الطويَّة .

كتبتُ لكم جوابًا على تحريركم في اول شباط عن محطة صربا وهو آخر عهدي بالكتابة اليكم ولم اعلم ان كانت وصلت اليكم سطوري تلك او لا . فارجو الافادة عن احوالكم وصحتكم واشغالكم وراحتكم وما لو كنتم باقين في مكانكم او مستعدين على الرحيل . الحاصل انكم تعلمون ان اخباركم تهمني فلا تبخلوا بها عليَّ .

---

١) هو قدس المدبّر اجناديوس سركيس رئيس الرهبانية اللبنانية العام سابقًا ، وكان الاب ابو ناضر كاتم اسراره .

عندي كتاب صغير احبّ ان اطبعه وقطعه صغير مثل قطع الاقتداء بالمسيح للاب ڤرنيه اليسوعي واظن انكم واقفون عليه وان فاتكم فــلا يفوت البولسيين . استفسروا لي من مدير المطبعة عمّا يكلّف الطبع اي الكراس من مثل هذا القطع وافيدوني عن آخر سعر فان صح ارسلته اليكم لتتفقوا عل طبعه والّا استغنت بمطبعةٍ اخرى . وعليه لا تتأخروا عن جوابي وانا بانتظاره يوماً بعد يوم .

اقبلوا عاطفة محبّ لا يطلب سوى ان يروي غليله بساعة من الوصال ولا يدعو الّا بطول بقائكم بخيرٍ وسلامة . اخوكم

نعمة الله

ابو ناضر

والكتاب المقصود طبعه هو ترجمة الاقتداء بريم لذلك احبّ ان يكون بقطع الاقتداء بالمسيح اخيه[1] .

الثالث : خطاب

اقترحه الاب اغناطيوس داغر التنوري رئيس دير مار قبريانوس كفيفان ، على المبتدئ الاخ نعمة الله ابو ناضر فوضعه مختصرًا وبعبارة ناعمة لطيفة وضمّنه كثيرًا من العواطف الطيّبة المخلصة طبقاً لارادة المقترح الذي تلاه بحضرة البطريرك الياس الحويك بمناسبة تشريفه دير كفيفان . وهذا هو الخطاب نقلاً عن المسودة الاصلية بخط الاب ابو ناضر :

مولاي

انني اتكلّم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن هذه النصوب التي غرسها

---

[1] لما وصل هذا الكتاب باسمي الى دير نسبيه، كنتُ غادرته الى دير حوب لتمضية فصل الصيف فيه فأُرسل اليَّ الى هناك .

وقد سرَّ ذكر كتاب « الاقتداء بريم » الذي نقله الاب نعمة الله ابو ناضر من اللسان الفرنسي الى اللسان العربي وقد حدَّثني عنه في رسالته هذه . وهو لم يزل بخطه المُشرق محفوظاً عندي . ا. شبلي .

عينك وصوَّرتها فضيلتك واحياها غيث انظارك وبركاتك ورفعها تشريفك اياها الى اوج الكرامة فاقول: ان اعمالك العائدة لخيرنا نعرفها وسهرك علينا نعظّمه والتفاتك الينا نجلّه ومعروفك نحونا نشكره. فيا رجل الخير بل يا رجل الفضيلة الذي أبت نفسك ان تنظر في جميع اعمالك المبرورة ومآثرك المشكورة غير الفضيلة التي اقنومها مجد الله. انك لما رأيت ربح تجارتك ومجد الله وخير القريب في ابنة الطائفة رهبانيتك هذه، افرغت كنانة جهدك فاختزت ديرًا فيه ضريح رجل الله صاحب المعجزات الاب نعمة الله الحرديني الراهب اللبناني ذلك البارّ الذي أقته حارساً له وأسكنتَ فيه نعاجك وسندته بيمينك وزرته بشخصك غير مبالٍ بوافر تعبك طالباً من هذه الغراس ان تُثمر اثمارها بعد ان تشرب حليب التقوى وتأكل خبز الفضيلة وتلبس حلّة التجرد وبذل الذات وتتشح بوشاح النسك والعيشة المتروية وتسير على طريق القانون المقدس الى ان تصل الى برج كمالها. فلهذا مولاي لا نحسبك رجلًا عالمًا ولا فيلسوفاً مفحماً مقنعاً ولا لاهوتياً شارحاً كُتب الله وصاعدًا الى مركزها ولا فاضلًا في المحامد والمكرمات ولا حبرًا سالباً قلوب الملا ولا بطريركاً قابضاً على ازمّة الطائفة ، بل نعتبرك ملاكاً في صورة انسان أرسلت من سماء السماوات لتحرس الطائفة المارونية وتقف ذاتك لخيرها وتمتني في اولادها .

هذا ولما كان كلامي فيك على قَدَري لا على قَدَرك ، فرجائي ان يكون رفقك بي على قدرك لا على قدري . على اننا نعدك مولاي أمام رسل المسيح ساداتنا الكرام وهذا المحفل الحافل باننا نتمم الدعوة التي دعينا اليها اتماماً لمقاصدك الصالحة ونيّاتك المقدسة قائمين بفروضنا البنوية نحو غبطتك وساداتنا وطائفتنا ، وما هذه الفروض الّا الصلاة لتوفيق مساعيك وتحقيق امانيك لتقلع وتغرس وتبني وتهدم . ابقاك الله مجدًا للبنان وفخرًا للطائفة وسندًا لنا وهو السميع المجيب وعلى كل شيء قدير .

الرابع : خطاب

ترحيبي ايضاً بزيارة السيد البطريرك الياس الحويك
دير الابتداء مار قبريانوس كفيفان

بقلم الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

ايها السيد الكلي الغبطة .

اننا ايها السيد الكلي الغبطة منحنون امامك ، متبركون بلثم مواطئ اقدامك ، وقد اخذ الفرح بمجامع قلوبنا وسرت الحميَّة فينا سريان الدم في العروق ، لان تنازل غبطتك الى تشريف ديرك هذا المبارك بزيارته السعيدة ، نعمة كبرى ومنَّة عظمى توجب علينا ما لا نستطيع ان نفيه حقهُ ما طال العمر باعلان الشكر وجميل الذكر ، لانَّا والحق يُقال لسنا جديرين بمثل هذه الكرامة التي جاءت فوق ما نتمنى .

فانك ايها السيد السند الذي نستغني به عن كل مدد ، لم تألُ جهدًا في تعزيز الطريقة الرهبانية ، تشهد لنا بذلك اعمالك المبرورة وآثارك المشكورة ، التي تحدَّث بها الحادي في كل وادي ، من مساعٍ خاصة في هذا السبيل ومن لهجة متواصلة في كل مجلس تتصدَّره ومن مراسيم متعددة لولد غبطتك سلفنا[١] ، وهي تنطوي على فقرات نفائس ظهرت عليها مسحة الهمة وفاحت منها عبقة رسولية زكية اعلاناً بما خالج فؤادك من الحب الخالص والشوق الفائض والعناية والاهتمام بأمرنا ما اذا قابلناه ببذل حبات القلوب لا نكون لعمر الحق وفينا جزءا من حقه ولا تقاضينا من انفسنا ما توجبه نعمك المتوالية علينا احساناً وفضلًا ونحن لم نكن لها اهلًا .

ويشهد بذلك ايضاً تنازل غبطتك الى تشريف ديرك هذا الذي هو وجهة

١) يظهر ان الذي تلا هـذا الخطاب بحضرة البطريرك هو الاب اغناطيوس داغر التنوري معلم المبتدئين وقد خلفَ الاب الكفري الذي أُنتخب رئيساً عاماً ، بهذه الوظيفة . والبطريرك كان زائرًا رسولياً على الرهبانية وجسَّهُ دير الابتداء وكلما سنحت له الفرصة كان يزوره بذاته او يرسل من قبله لزيارته احد مطارنة الكرسي البطريركي — الناشر .

عنايتك الخاصة وموضوع حنانك القلبي المحصّن بحلول ركاب غبطتك فيه مرّات متعددة وبسهول على جمهوره وبمرافقتك اياه بالروح في ممارسة رياضاته الروحية كأنك بذلك الملاك الذي ارسله الرب ليرافق طوبيا البار في سفره فأدّى الرسالة حقها من حراسته حتى اعاده الى بيت ابيه بعد تقل السفر وقضاء الوطر والحصول على البصر . فانت انت ايها السيد الكلي الغبطة ملاكٌ حارس لدير كفيفان هذا معهد التقوى ومقرّ الفضيلة والعبادة والزهادة الذي هو بمنزلة طوبيا الثاني السائر جمهوره في طريق التوبة الضيّق الذي دعانا الله الى سلوكه، كأن الله ندبك لحراسته. فبنورك نعاين النور وبحسن التفاتك تحيي وان طوتنا القبور ونسترجع الاعتبار الذي خلّفه لنا اجدادنا القديسون ، فان عندنا واحداً منهم الا وهو الراهب العجيب الاب نعمة الله الحرديني ، من تضرب الركبان بطون المطايا اليه وتتهافت قلوب المؤمنين الخاشعة عليه ، من قامت معجزاته بين العجم والعرب تميط عن وجه الحق الواضح لثام الريب .

***

فقصارى القول ان غرضنا الوحيد هو حرصنا الشديد على احياء قوانيننا الرهبانية والسلوك بموجبها سلوكاً لا تشوّه وجه محاسنه شائبة . وهذا هو الاس الذي يدفعنا الى التمسك بوصاياك الجليلة والاخذ باوامرك المنيفة الصائبة التي وقفنا لها الاسماع في السنة الماضية في مثل هذه الحفلة الزاهية اذ أودعتنا كلام حكمة كله لباب وارشادات كلها صواب. ثمّ بعثت من بعد بأحد رسوليك[1] القائمين حولك في هذا المجلس الحافل بك فأبان فيما ابان ان الطائفة تأسست على الراهب واتخذت اسمها منهُ ونمت واشتدّت بالراهب الى هذا العصر . ثم صرّح انهُ يتمنى ان تتكلّل بالراهب ايضاً .

ولما كنت البغية التي يؤمّها هذا الراهب والعروة التي يستوثق بها والركن الوحيد الذي يُلتجأ اليه والعَلَم الفريد الذي يُعقد عليه شديد الآمال في تحسين الاحوال ، رمى بنا اليك حادي الرجاء الذي قرب ميقات تحقيقه فجئناك كما جاءت امرأة الفاقة هيكل الرب مبتهلةً طالبةً مولوداً ذكراً فانها اكتأبت فبكت

(١) نظنّهُ المطران يوسف نجم .

فصلّت فنذرت نذرًا . فلما رآها الحبر تختلج ظنّها سكرى فقال : افيقي من خمركِ . فالتمست لنفسها عذرًا وقالت : كلّا يا سيدي اني امرأة مكروبة النفس لم اشرب خمرًا لكني اسكب نفسي امام الرب واتكلّم من شدّة ما بي من الوجد . فقال لها ابشري انطلقي بسلام فإلهُ اسرائيل يعطيك بغيتك التي التمستِ من لدنه سرًّا .

فهلّا تُسمعنا من فيك الطاهر مثل هذا ايها السيد الكلي الغبطة ؟ فان البغية التي نقصدها والضالة التي ننشدها لا يتوفق الحصول عليها ولا الاهتداء إليها الّا بمواصلة انظار غبطتك الكريمة وقاية من معرّة تلحقها فتودي بها فتسحقها وتمحو ما تألّق فوقها من سناء وبهاء . وهلّا ترمي الى هذه الرهبانية بردائك كما رمى به النبيُّ شفيعك فتضرب هي به سيل العراقيل فينفلق فتعبر كما عبر اليشاع الاردن وتحلّ روحك عليها كما حلّت روح ذاك النبيّ الحيّ على خلفه .

وحسبي اخيرًا ما قال الشاعر : وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ . . . حقّق الله نيّاتك الصالحة لتنهج المناهج الواضحة لنا نحن الاخوة المبتدئين والرهبان الدارسين في دير كفيفان ابناء غبطتك الاخصاء واولاد الرهبنة القاصرين . فلتمّ فينا على يد غبطتك مشيئة الله سبحانه تعالى الذي نرفع اكفّ الضراعة اليه طالبين منه ان يجازي غبطتك اضعاف الجزاء ويزيدك بنعمه الوافرة ويضب فوقك شآبيب الآئه الزاخرة ما دار بقدرته فلك وسبّحه فوق عرشه ملكٌ آمين هـ .

الاخ نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

الخامس : خطاب

تلاهُ احد المبتدئين بمناسبة زيارة احد
السادة المطارين دير مار قبريانوس كفيفان
بقلم الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

ايها السيد المفضال .

انكم ترون الآن كلّ جمهور هذا الدير يسابق بعضه بعضاً لتأدية مراسيم السلام والتحية لسيادتكم وابداء شعائر الفرح والبهجة بتشريفكم ديركم هذا

المخصوص بمتدني الرهبانية والتبرك بالانحناء. لثم اناملٍ سيادتكم الطاهرة بخضوع يسرُّ به قلبكم الابوي سروراً جزيلاً .

ولا عجب في ذلك ، ايها السيد المفضال ، لان الاب والابن اذا التقيا بعد فرقةٍ يفرح بالطبع كلٌّ منهما بالآخر فرحاً يساوي ما يكون بينهما من حدود المحبة والتعلّق .

ومن المعلوم لدى الخاص والعام والوطنيّ والاجنبيّ ، ما لابناء الطائفة المارونية من التعلّق الشديد بساداتنا الاجلاء . لا سيما برأسنا المحروس الذي نفديه بالنفوس صاحب الغبطة سيدنا البطريرك (الياس الحويك) الكلي الطوبى. أيدهُ الله تعالى .

ومن المقرر ايضاً ما في قلوبكم جميعاً ، ايها السيد الجليل ، من المحبة لنا والعناية بنا نحن ابناءكم الاخصاء مبتدئي دير كفيفان . فكيف لا نفرح الآن بتشريفكم الذي فعل بنا فعل السلافة المعتّقة فأضحينا ثملين من المسرّة والحبور. وانا على يقين مما يشغل قلبكم الطاهر من لواعج الحنان الى اولادكم هؤلاء. المشمولين بانظاركم الخاصة الذين تعلّقون عليهم آمالاً تبذلون في سبيل تحقيقها النفس والنفيس .

فلا ننكرُ ما لكم من العناية والاهتمام بأمر الطائفة المارونية عموماً وما لكم من الفضل في ذلك . ولا ننكرُ خصوصاً ما لكم من المحبة نحو اولاد الرهبانية هؤلاء المتمثلين لدى سيادتكم وقلوبهم تختلج من الحب والوقار ، الذين يتمنون لو لبثوا تحت انظار عين سيادتكم مدةً مديدةً حتى يرووا غليلهم من مشاهدتكم التي تحرّك في صدورهم نشاطاً جديداً ويتبركون بتكرار لثم انامكم الطاهرة اذ انتم ركنٌ نفتخر به ونجاهر بالثناء عليه ونشهد بفضله وقداسته على رؤوس الملا . كيف لا وقد التأمت فيكم جميع الصفات التي تدعوكم الى الكرامة والرفعة من احراز العلوم المختلفة والفضائل السامية والمدارك العالية والاعمال الباهرة والمشروعات الظاهرة ، فضلاً عمّا خصّكم به الله تعالى من الحكمة والفطنة وشريف المبادئ التي تحتاج اليها الملّة والرهبانية في هذه الآونة .

فعليه ننتهز الآن هذه الفرصة ونقدّم لسيادتكم مراسيم التبريك وفروض التهاني بحلول عيد الميلاد السعيد واقبال العام الجديد، اعادهما الله على سيادتكم اعيادًا جديدة واعواماً مديدة وسيادتكم محروسون بجنود ملائكة السلام ورافلون بحلل وافر النعم ، ونهديكم قلوباً تشتعل بلهيب المحبة والاختصاص والوقار والاخلاص ، ونرفع بلسانٍ واحدٍ الدعاء الحي الى الله تعالى ملتمسين من جوده الالهي ان يزيد مبادئكم الخيرية ويحقق نياتكم الخالصة لوجهه الكريم ويحفظكم بالسلام والامان ذخرًا للطائفة جمعاء ، ولا سيَّما لابنائكم الاخصاء .

٢٩ كانون الاول سنة ١٩٠١

الاخ نعمة الله ابو ناضر
عن مبتدئي دير كفيفان

قصيدة .

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر

اقترحها عليه تلامذة مدرستنا في بيروت

وتلاها احد الاخوة الرهبان الدارسين في حفلة أكرامية أقيمت

للطيّب الاثر الاب مبارك سلامه المتيني

رئيس الرهبانية اللبنانية المارونية العام سابقاً ومنشئ المدرسة المذكورة

تهنئةً له بعيد الميلاد المجيد والعام الجديد

طمح القريضُ الى علاك فخوّدا مستصحباً حمدًا اليك منضَّدا
يهتزُّه طربٌ اليك وطالما طرب المحبُّ الى الحبيب توجُّدا
فاعطف عليه بنظرةٍ بسطت له في القلب اجنحة القبول ليسعدا
فلقد رصدتُ مديح ذاتك صادياً يوماً ابلُّ به من القلب الصَّدى
فوقفتُ بين مآثرٍ ومكارمٍ لو انها عُقَدٌ لكان مخلَّدا
ودهشتُ بين فواضلٍ وفضائلٍ لو انها عُقَدٌ لظلَّ موطَّدا

شيمٌ اذا افتخر الزمانُ فانها شرفٌ يروح به الزمانُ مسوَّدا
رقّت فباركها النسيمُ فآنست بمبارك الاخلاق شهماً اوحدا
رجلٌ اذ جُسِّمت غرٌّ صفاته قلّدت اعناق القصائد عسجدا
ألِفَ الفضيلةَ منذ عهد فطامه صبًّا مبرّات الفعال تعوّدا
رجلٌ تجرَّد للصلاح فنال من كرَم المهيمن ما اليه تجرّدا
ذو غيرةٍ في الدين قلَّ نظيرها رقّتهُ من متن الرئاسة مقعدا
فسما اليها خاشعاً متواضعاً يبغي نجاح امورها متسهّدا
فأقام مدرسةً يظلُّ فخارها ابد الابيد معزّزًا ومشيّدا
ان نمضِ ما عبث الزمان بذكرها بل دام ذكرٌ قديماً متجدّدا
ما السيفُ امضى مضرباً من عزم من يعلو به رأي يظلّ مسدّدا
يسعى وراء المكرمات مجرّدًا عزماً يفلُّ بشفرتيه مهنّدا

***

طلعت فعائلهُ بغرّةِ وجهها كالعيد اسفر وجهه متوقّدا
فتماثلا في النور لكن لم تكن لتردَّ مثل العيد طرفك ارمدا
عيدٌ تبلّج ثغرهُ فجلا الدجى بسناء مولد من اراد تجسُّدا
طار المجوسُ اليه حيثُ هداهمُ نجمُ الملاك فخرّوا ثمّت سجّدا
فكأن ذاك النجم علك تقتفي آثارهُ أنَّى اشار وارشدا
ما صدّنا عمّا نرومُ بمكره هيرودُ يوماً في سبيل بني الهدى
اذ نحنُ تحت لواء من يزهو به الدينُ العزيزُ مكبّرًا وممجّدا
هُنئتَ بالعام الجديد وقبلهُ بولادة ابن الله فابقَ مؤيّدا
تفني الزمان بما يدوم وذكرهُ باقٍ يطول به الزمانُ تأوّدا
واسلم تُظلّلك الحياةُ بوارفٍ من ظلّها يفترُّ عن بَرَدِ الندى
فاليكها مثلاً بطاعتها لمن روض المكارم في علاهُ ترأدا

الاب نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

السادس : نشيد

ان الاب نعمة الله القدّوم الكفري لما سُمّي رئيساً عاماً كان معلّماً للمبتدئين في دير مار قبريانوس كفيفان. وفي زيارته الاولى لهذا الدير رئيساً عاماً رحب به الاخوة المبتدئون بهذا النشيد من نظم الاخ نعمة الله ابو ناضر وهو :

آنس القلب سرورْ عندما وافى البشيرْ
وبدا في الدير نور بات منهُ يستنير

دور

ها هو المختارُ حقّاً لرعاية النفوس
فلهُ الاكرام صدقاً ولهُ تحنى الرؤوس

دور

هو للتقوى مثالْ بجلالٍ وكمال
ولهُ في الزهد حالْ ميّزتهُ لا تُطال

دور

رومةُ العظمى اصطفته كي يسوس الرهبنه
وتقاهُ عطّفته نحو أولي المسكنه

دور

خصّهُ اللهُ تعالى بعفافٍ كالملاك
وباحسانٍ توالى قد سما فوق السماك

دور

انعطف يا من تسامى نحو دير الابتداء
اننا صرنا يتامى او كمَن اضناهُ داء

دور

انعطف نحو بنينٍ سرّهم ذا الافتقاد
باشتياقٍ وحنينٍ منهم ذاب الفؤاد

دور

كنتَ فينا مثل شمس تشتفي منها القلوب
منك شمنا كلَّ انس قد جلا عنا الكروب

دور

ان نكن نحنُ القصونا كنتَ انت الفارسا
او نكن نحنُ الحصونا كنتَ انت الحارسا

دور

صانكَ الرحمنُ دهرًا ونأى عنك العنا
وحباك اللهُ نصرًا نلتَ غايات المنى

الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

السابع : نشيد

تُلِيَ في استقبال الرئيس العام الاب نعمة الله القدّوم الكفري في دير كفيفان
من نظم الاخ نعمةالله ابو ناضر اللبناني

ها الرئيسُ العام شرّف ديرهُ قبل الغياب
نورهُ ابهى وألطف من مصابيح السحاب

دور

حلَّ في القلب سرورًا بسمت منهُ ثغور
فاح في النادي عبيرًا أثلجت منهُ الصدور

دور

هو نورُ الله ضاء في سماءِ الرهبنه
هو غوثُ الخير جاء يهدي اولي المسكنه

دور

ها هو الراعي الكريم مقبلٌ نحو القطيع
ها هو الفضلُ العميم ها هو البرجُ المنيع

دور

فتقاهُ ونقاهُ منشرًا بين الورى
وحُلاهُ وبهاهُ عمّا كلَّ الذرى

دور

اسمهُ في النسك اضحى سائرًا كالمَثَل
ذكرهُ المسكيُّ أمحى مشكلات العلل

دور

صانهُ الرحمانُ فينا ووقاهُ سرمدا
فهو للرهبان منا فيه نرسى ابدا

دور

يا ابانا العامُ سُرًّا بلقا هذه البنين
انهم جهرًا وسرًّا لم يزالوا خاضعين

دور

لك ندعو بفلاحٍ وهَنَا طول البقآ
ونجاحٍ وصلاحٍ حائزًا حسنَ الجزآ

الاخ نعمة الله ابو ناضر

الثامن : خطاب

أُلقي بحضرة الاب نعمة الله القدُّوم الكفري رئيس الرهبانية اللبنانية العام
في احدى زياراته دير الابتداء مار قبريانوس كفيفان
من انشاء الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

قدس الاب العام المفضال

من المعلوم ان ابنا. قدسكم اخوتي المبتدئين والرهبان وجميع لفيف ديركم هذا، يبتهجون بمقابلة قدسكم ابتهاج الابن بمقابلة ابيه بعد غيابٍ طويل بل اكثر من ذلك، لان الابوَّة والبنوَّة الروحيتين أعلى درجةً من الابوَّة والبنوَّة

الطبيعتين واختلاف الدرجات يُوجبُ الاختلاف في طبقات النسبة، فيكون اذن بيننا رباطٌ روحي اشدّ مكانةً واشدُّ حباً من كل مناسبةٍ دنيوية. كيف لا ونحن نتخذ قدسكم كالمسيح الذي تمثلونه فينا ونتلقى اوامركم بمنزلة اوامر صادرةٍ منهُ ونبادر الى العمل بمشيئتكم كما نبادر الى تلبية مشيئته لو ظهر لنا ظهوراً محسوساً وابدى لنا اوامر من لفظه المقدس. والذي يزيدنا سروراً على سرور هو النظر بان قدسكم تمثلون لدينا ولدى كل الرهبنة سيدنا يسوع المسيح بصورةٍ اكمل وصفاتٍ اشمل لانكم جمعتم من الفضائل المسيحية والرهبانية اكثر مما جمع منها غيركم فاستحققتم ان ترقوا الى هذا المقام السامي وتشخصوا امام اولادكم جميعاً معلّمنا الالهي. فأيّة فضيلة لم تحرزوها وايّ عملٍ من اعمال النسك لم توفوهُ حقَّهُ. فلا سبيل لي الآن الى ان أعدّد ذلك واحصيه واكشف عن حقائقه وهو معلوم جميع جماهير الرهبان والخاصّة والعامّة من العالمين. غير انني استأذن قدسكم بان أُبدي بعض ما تشعر به قلوبنا من عواطف التعلّق بقدسكم والاعتبار لكم بالنظر الى ما رأينا ولم نزل نرى منكم من الاعمال المبرورة التي تزيدنا في مسلكنا الرهباني والمساعدات الادبية والمادية التي تمدوننا بها والتي نحنُ باحتياجٍ اليها، فانكم لا تنفكون تعملون الفكرة في تحصيل جميع الاسباب العائدة الى اكمال تهذيبنا الرهباني وتثقيف اخلاقنا وترويضنا على ما تقتضيه احوال النسك والرهبانية.

فكم من الليالي احييتم في هذا القبيل، وكم من العناء كابدتم للحصول على هذه الغاية الشريفة، فان عنايتكم بذلك ليس فوقها عناية، ونحن نعلم ذلك منذُ كنتم تدبّرون شؤوننا هنا بالعقل الثاقب والفكر الصائب وعندنا اكبر دليل على شدّة اعتنائكم بنا وهو موازرتكم مَن خَلَفَكم[1] في هذه الخطة المهمّة رغبةً في احياء مآثر اجدادنا الرهبان القديسين في صدور اولادكم الاخصاء. أجنّة الرهبانية هؤلاء المثلين الآن امام قدسكم وقلوبهم تخفق فرحاً وسروراً بوجودكم بينهم، لان وجودكم بينهم يُجدّدُ فيهم الحمية والنشاط ويهيجهم الى اعتناق الروح القانونيّ المجرّد والانقطاع اليه برضًى وطيبة خاطر.

---

١) يريد به الاب اغناطيوس داغر التنّوري الذي خلف الاب الكفري بعد تعيينه رئيساً عاماً، في علم المبتدئين — الناشر.

فهذه هي الاسباب التي تدعونا الى الابتهاج في هذا اليوم السعيد الذي اتاح الله لنا فيه ان نتمتع بمشاهدة قدسكم والتبرّك بالحصول على بركتكم والتيمُّن بفيض انواركم علينا . ولكننا نحبُّ كذلك ان نقابل ما تجودون علينا به من النعم بحسن التلبية قياماً بتحقيق رغائبكم والعمل بحسب حسن نيّاتكم المقدسة فانكم لا تكونون راضين عنا اذا رأيتمونا على خلاف ما تتمنون لنا من السير بحسب قانوننا المقدس ومراسيم الرهبانية بعدما تكونون بذلتم في سبيل ذلك ما بذلتم من الجهد والعناية . فعليه اننا نقدّم لقدسكم ارادتنا ايفاء بواجب الطاعة المقدسة، وقلوبنا قياماً بفريضة الشكر على فضلكم السابغ واهتمامكم الشامل ، ونعدكم اننا نسلك في المستقبل طريق القانون ولا نحيد عنها مقابلة لحسن نيّاتكم فينا . فعلى هذه الصورة يسرُّ قلبكم الابوي بنا ونكون تممنا الغاية التي يطلبها الله منا فيمتلئ قلبكم من الحبور والجذل . فلهذا اننا نطلب جميعاً من الله تعالى ان يؤيد قدسكم في ما انتم شارعون فيه من تمهيد سبيل الخير والنجاح في وجه أُمنا الرهبانية ويقرن بالسعد والتوفيق جميع حركاتكم ويبارك اعمالكم لانها كلها آئلة لمجده الاعظم ، ويعدكم بالعمر الطويل حتى تتمكنوا من تحقيق مساعيكم وتجهيز اسباب الترقي والنجاح والاقبال والفلاح ، ويقودكم في هذه الطريق وانتم ثابتو القدم ، وينعم عليكم بما تر ومون من النعم ما كرَّ الجديدان وتعاقب الملوان آمين . اولاد قدسكم

مبتدئي دير كفيفان

التاسع : قصيدة

رحَّب بها الاخوة الرهبان التلاميذ بقدوم الرئيس العام الاب نعمةالله القدُّوم الكفري الى دير سيّدة مفوق . وهي من نظم استاذهم الاخ نعمة الله ابو ناضر

حلولك الدير أحيا ميِّتَ الكمدِ ... كأنك الروح قد حلّت بذي جسدِ

بنور وجهك كحّلتَ العيون ضحىً ... فزال ما كان فيها قبلُ من رَمَدِ

انت الوليُّ الذي تعنو الرؤوس لهُ ... أغنى وجودك بين القوم عن عَدَدِ

خفَّت لقياك ابناء بك انتعشت ... لذاك ترفلُ في اثوابها الجُدُدِ

جادت يداك علينا مذ حللتَ بنا ما لا يجودُ به مرءٌ على أحدِ
لا غروَ إنا نراك الآن في طربٍ كوالدٍ هيَّجتهُ رؤيةُ الولدِ
انت العمادُ الذي تقوى القلوبُ به وكيف تسقطُ مذ قرَّت على العُمُدِ
بناء تسنيم حلمٍ انت موردُهُ تبت نفوسُ أولي اللأواء والكمدِ
دبَّرتَ شأن جماهيرٍ قد انتقت بقرَّة العلمِ والاخلاقِ والمددِ
لله من عضدٍ بالدين معتضدٍ بالنبلِ منتضدٍ بالفضلِ منفردِ
بالحلمِ موتزرٍ بالعلمِ مقتدرٍ بالعقلِ منتصرٍ بالروحِ مرتشدِ
بالحبِّ مزدهرٍ بالرأي معتبرٍ بالخيرِ مشتهرٍ بالله متَّحدِ
فتحتَ كنزًا غنمناهُ على مهلٍ بالأمن بعد انهزام الضدّ والرصدِ
نظَّمتَ بالرشد اهل البرّ فانتظموا حالًا ولا كانتظام الدرع بالزَرَدِ
دُم كيف شئتَ من النعمى فتلبسها فانت في مأمنٍ من غائل الحسدِ
ابقاك ربُّ العلى كالشمس في فلكٍ ترمي اشعَّة انوارٍ الى الابدِ

الاخ نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

العاشر : رثاء

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر الراهب اللبناني
وقد أقترح عليه

صوتٌ ينادي في العبادِ بدارِ هبّوا الى عمل الحساب الجاري
ألنا لردّ الموت هذا حيلةٌ فالموت سيفٌ حاصدُ الاعمارِ
من ذا يردُّ حياةً من فتكت به ايدي المنون سوى العلي القهّارِ
فالموتِ صار حقيقةً معلومةً وزمانهُ سرٌّ من الاسرارِ
فبما ترى نفدي الفقيد أيُفتدى بالمالِ او بالجاهِ او بعقارِ
يا ما اشدّ الحزن في قلب امرءٍ لعبت بهِ لعبًا يدُ الاكدارِ
في مصرَ يوسف اذ رأى اخوانهُ يأتونهُ من شاسعِ الامصارِ

قد قال يوسفُ يا أشقّةُ هل بنيتين حيٌّ بعدُ في الاديارِ
ماذا نجيبُ متى يُسائلُ يوسفٌ عن ضاهرٍ الّا بدمعٍ جارِ
يا وردةٌ بسقت وبلّلها الندى قُطعت بصمصام الردى البتّارِ
قد كنتَ نورًا فاضمحلّ ولا يُرى لك بعد ذا أثرٌ من الآثارِ

***

كتبت يدُ الارزاء فوق جبيننا « ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ »
انّا خُلقنا للجنان ولم نكن لنقيمَ في وادي الشقا الغرّارِ
ان المسافر اذ يحلُّ بارضهِ يرتاحُ بعد تكبُّد الاسفارِ
بُعدُ الطريق يهول لكن قربها سهلٌ وقد يخلو من الاخطارِ

***

لا تبكينّ على الفقيد فانهُ لبّى لدعوة ربّهِ الغفّارِ
لا تبكينّ عليهِ اذ هو قائمٌ من حول عرش الخالق الجبّارِ
لا تبكينّ على نضارة عمرهِ فهو النضيرُ الى مدى الادهارِ
اللهُ يرغبُ في الاوائل راضيًا عنها كما قد جاء في الاسفارِ
اني اعزّي كلَّ قلبٍ خاتمًا قولي بقول الشاعر المختارِ
« جاورتُ احبابي وجاور ربّهُ شتّان بين جوارهِ وجواري »

الاب نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

الحادي عشر : قصيدة

نظمها الاستاذ شاكر ابو ناضر (الاب نعمة الله) اذ كان علانيًا ، هنأ بها السلطان عبد الحميد بعيد جلوسهِ الفضيّ ، نتقلها عن الاصل الذي هو بخط ناظمها وهي :

سألَ النسيمُ شقيقةً أبنَ ذكاء سحرًا باخصب روضةٍ غنّاء
أفمثلنا احدٌ وقد زدنا الورى بيني ذُكائك دهشةً وذكاءِ
فأجابهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد يزينُ كلَّ سناء

***

سألَ الصباحُ اخاهُ بدرَ التمِّ في اسمى المنازل وهو عنهُ مختفِ
أفثلنا احـدٌ وبعضُ جمالنا منهُ أُستُعِير سنى الجمال اليوسفي
فأجابـهُ مهلاً ألستَ بناظرٍ عبد الحميد وقد بدا في الموقفِ

***

سألَ الغديرُ اخاهُ غصنَ البانِ والعندليبَ موقّـع الالحانِ
أفثلنا احـدٌ وانّا لم نزل رَوْحَ الجنانِ وراحةَ الانسانِ
فأجابهُ مهـلا ألستَ بناظرٍ عبد الحميد مروّحَ الاذهـانِ

***

سألَ الهزارُ اخاهُ أطربَ عودِ وقتَ الصفاءِ بمجلسٍ معقودِ
أفثلنا في الكائنات وانّنـا لنذكّرُ الانسانَ بالمعبودِ
فأجابـهُ مهلا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد معيـدَ كلِّ سعودِ

***

سألَ الربيعُ اخاهُ زهرَ الوادي وهما حليفـا إلفةٍ ووِدادِ
أفثلنا في الكائناتِ وانّنـا لهوى الحسانِ ومنيةُ الزهّادِ
فأجابهُ مهلا ألتَ بنـاظرٍ عبد الحميد بحلّةِ الاعيـادِ

***

سألَ السحابُ أخاهُ نوءَ الطرفِ وعليهما تثني الربى بالعرفِ
أفثلنا احـدٌ وانّا لم نزل نُحيي الرياض من الجفاف بوكفِ
فأجابـهُ مهلا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد يُريكَ بسط الكفِّ

***

سألَ الهلالُ عروسةَ الزهراءِ وهما يطوفـان السماءَ سواءَ
أفثلنا احـدٌ وانّا وحدنا نسع الفضاءَ لطافـةً وضياءَ
فأجابت اقصرْ هل عيونك لا ترى عبدَ الحميد وقد علا الجوزاءَ

***

سألَ المثقفُ غربَ كلِّ حسامِ وهما قسيا حدَّةٍ وضرامِ
أفمثلنا احدٌ وليس بغيرنا شقُّ الصدور وفلقُ كلِّ الهامِ
فأجابهُ مهلاً ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد مذلّلَ الضرغامِ

∴

سألَ الفضاء معلّقات شموسهِ تلك النشاوى من رحيقِ كؤوسهِ
أفمثلنا احدٌ وانّا لم نزل في الكونِ حليتهُ وحليَ عروسهِ
فأجابت أقصرْ واستعدَّ لكي ترى عبدَ الحميدِ نهار عيد جلوسهِ

∴

سأل الزمانُ مغالق الاسرارِ في خفيةٍ عن عالمِ الانوارِ
أفمثلنا شيءٌ وانّا لم نزل شغلَ القلوب وحيرةَ الافكارِ
فأجابت أقصرْ يا عزيزُ ألا ترى عبدَ الحميد منفّذَ الاقدارِ

∴

سأل اللجينُ التبرَ عند عشيِّ وهما لقرَّة عينِ كلِّ غنيِّ
أفمثلنا احدٌ ولولانا انقضى فخرُ الزمانِ وذلَّ كلُّ سريِّ
فأجابهُ كلّا اذا نلنا رضى عبدَ الحميد بعيدهِ الفضيِّ

∴

حسبي وحسبك ان تطولَ حياتنا عزًّا لخدمة عيدهِ الذهبيِّ
ونظلَّ نخدمهُ ونخدمُ مَن لهُ يدعو بنيل الموسم الدريِّ

شاكر ابو ناضر

الثاني عشر : فروض التهاني (١)

مرفوعة الى اعتاب السيد السند والقطب الاوحد
غبطة البطريرك الياس الحويك الكلي الطوبى
بمناسبة قدومه الميمون من الديمان الى بكركي
لا زال محفوفاً بالمجد ومحفوظاً بالسعد

١ ت ٢ سنة ١٩٠٩

حقيقٌ بترحاب الخورنق قادمُهْ   تُساوى بتيجان الملوك عمائمُهْ
نأى فادلهمّ الجوُّ واعتكر الدجى   وأقبل في يومٍ تولّت غمائمه
واذ همَّ بالعود اكفهرَّ السهى شجىً   وفوق سما الديمان بانت علائمه
وقد ضحك المرّيخُ عند قدومهِ   وحلّت روابي كسروانَ مباسمه
وسحَّ لسقي الزهر دمعُ سحابةٍ   فأبدت لهُ حسن ابتسامٍ كمائمه
ولا حرجٌ ان قلت أحيا ربوعنا   ألا انهُ إلياسُ والقطرُ خادمه
ولا تعجبوا ان سُرَّ قلبٌ بسيّدٍ   هو القلب في جسم الكرام ملاحمُهْ
تزول دواعي الترّهات واهلها   بهِ فهو مولى كلّ امرٍ وحازمه
غدا رأس قومٍ بالمفاخر مقتدٍ   وقى اللهُ ان عادى وهاجت ضراغمه
لهُ في حمى لبنانَ برجٌ محصّنٌ   تقيهِ معرّاتِ الاعادي مكارمه
ألا خفْ من المولى الذي غلب التقى   عليهِ وخوفُ الله ظلٌّ يلازمه
فان على الحق المبين اساسهُ   ومن جوهر الصدق الكريم دعائمه
مشاربهُ من مورد الدين رُوّقت   ومن معدن العلم الصحيح مغانمه
وذكرُ اياديهِ يكلّ معيدها   ودرُّ معانيهِ يُقصّرُ ناظمه

---

١) نظمها اذ كان استاذ اللغة العربية في مدرسة دير سيدة نسبيه – غسطا – وتلاها احد الاخوة الدارسين بحضرة السيد البطريرك . واتفق ان كان حاضراً في بكركي المرحوم الشيخ فيليب الخازن صاحب جريدة « الارز » في جونيه فسمعها واعجبته فاخذها وطبعها بمطبعته على حدة .

اليك أبا الحق المفدّى قوافياً لها قسمَ الصدقُ الممحصُ قاسمه
شداها خليُّ البال من كلّ غمّةٍ وقد بات يُبلى بالتخرُّص لائمه
يهنّئ هذا المعهدَ العاليَ الذرى باقبال من طابت وجلّت مواسمه
فلا زال عينَ الافضلين وقلبهم تخاف عواديـه الردى فتسالمه
فهذا قليلٌ من كثيرٍ أبثّهُ وما يكتمُ الوجدانُ فاللهُ عالمهُ

ولد غبطتكم

الخس نعمة الله ابو ناضر

الثالث عشر : قصيدة

نظمها الاب نعمة الله ابو ناضر اذ كان كاتم اسرار قدس الرئيس العام الاباتي اجناديوس سركيس . وقد اقترحها عليه مدير مدرسة دير سيّدة النصر نسبيه — غسطا — لتتلى بمناسبة تشريف المثلث الرحمة المطران يوسف ضغر النائب البطريركي دير نسبيه المذكور لانالة بعض الاخوة التلامذة الدرجات الكهنوتية . وهذه هي :

ترنو الديـارُ بعطفِ ميّاسٍ للقاء حبرٍ طاهرِ الايناسِ
تهتزُّ من طربٍ لذاك تظنُّها مذ جاءها في بهجة الأعراسِ
وتضجُّ تأهيلاً بـهِ لما بدا يزهو بحلّـةِ عندمٍ في آسِ
عبقت طيوبُ المسك في ارجائنا لمّا حاهـا طيّبُ الانفاسِ
وكسا المعاهد رونقاً فترنَّحت لقدومـه بتضارب الاجراسِ
اهلاً بحبرٍ زارنا فشفى الضنى لقياهُ ، اهلاً بالطبيب الآسي
كاسي الشواعر بالبديع وحسنهِ فكلامهُ يحكي حُباب الكاسِ
لمّا أطلَّ ولاح فينـا خلتهُ يعلو أكفَّ ملائكٍ حرّاسِ
حبرٌ لهُ من اصغريـهِ جوهرٌ بخل الزمانُ بمثلهِ في الناسِ
متصدّرٌ في المنتدى فكأنـهُ م اتخذ الصدارة من بني العباسِ
ورواؤهُ يحكي ملاحةَ يوسفٍ ونشاطهُ يرويـه عن فنحاسِ
راسي على عرش الكرامة اذ لهُ م الايدي مواطي والقلوبُ كراسي

ذو فكرةٍ ابأن يُقدحُ زندها تغني الورى عن شعلة النبراس
ذو طلعةٍ تزري بتاج فوقها مترصعٍ بفرائد الالماس
كملت فضائلهُ فأضحى بيننا متصرفاً بذخائر الاقداس
فودادهُ في القلب ضمن شغافهِ ومقامهُ قد حلّ فوق الراس

الرابع عشر : قصيدة

من نظم شاكر ابو ناضر في مطلع شبابه(١)

يا لائمي في لهفتي ونواحي أقصر فديتك تنتنم تداحي
اخطأتَ ظنك بالذي اتخذ الهوى ديناً وعاف خزعبلات اللاحي
لو كنت تعلمُ ما حملتُ من الجوى لعدلتَ عمّا شئتَ من اصلاحي
شتّان بين اخي تهىً سكرانَ من راح الصبابة ، والخليّ الصاحي
فهو الجمادُ أصمُّ أبكمُ ميتٌ وانا الحياة ربيبةُ الأرواح
نحل الهوى فيَّ الهيوليّ الذي ولّى فجسمي في الهوى البحباح
ان شئتَ ادراكي فاني جوهرٌ فودٌ طرحتُ عوارضَ الاشباح
دع عنك ظاهر ما ترى وارفع م سجوف الباطن القاصي المدى البحباح
فهناك تنكشف الامور وتفهم المعنى م الحقيقَ بأنّتي وصياحي
وهناك تعدلُ عن ملامك آئلا ألّا تعود بمُنزلِ الألواح
وهناك تسكرُ من مشعّة الهوى وتضيء فيك اشعة الاقداح
فاذا نطقتَ نطقتَ من آياتها سحراً يفوقُ مدارك الشرّاح
الطف بحالي الآن حال اخي هوىً مأسور اشراك النوى نوّاح
خلع العذار وهام وهو متيَّمٌ بجمال اهل ودادهِ الفضّاح

---

١) رأيتُ هذه القصيدة بين اوراق استاذي الاب نعمة الله ابو ناضر اذ كنتُ ادرس عليه في دير سيدة المدونات – جبيل – وهي من نظمه اذ كان علمانياً وبخطه فأخذتُها من حيث لا يدري ونسختُها وأعدتُها الى مكانها في غرفته .

يا اهل ودّي اين انتم عن فتى   شاكٍ يئنُّ وواجدٍ ملتاحِ
لعبت تباريح الغرام بلبّهِ   وهل الغرام مؤاخذٌ بجناح ؟
في قلبه جرح على اثر النجيب م ضماده اعيى قوى الجرّاحِ
هو جاهدٌ تحت المجاج يطاعنُ م الهامات في الابطال بين رداحِ
هو كلّ يومٍ في عراكٍ صدرهُ   هدفُ السهام ومضربُ الأرماحِ
هو طائرٌ ملأ الفضاء صياحهُ   لكنّهُ اضحى بغير جناح
هو في بحار الحبّ صار سفينةً   لكنّها تخلو عن الملّاحِ
صدمت بها امواجهُ ولقد بدت   الواحها العوبة الارياح
فتركّت آثارهُ وتبيّنت   اسرارهُ في ليلة الاتراحِ
شرب الغرام مرارةً فلذاك لا   يدري فؤاده لذّة الافراحِ
امسى يئنُّ ويندب البلوى وما   ذهبت به من عيشه الرحراحِ
« قد حدّثتهُ النفسُ انهُ متلفٌ »   فمنا لامرٍ يرتجيه متاحِ
مثل الفراش صَبًا الى الاضواء وهو م يطوف حول زجاجة المصباحِ
تقضي حتوق هواهُ مذ افضت الى   الاحراق فيه نتيجة الالحاح
يا سامعين تأوهي رقوا لحالي م انني   أبليتُ بالاجماح
البعدُ جسمي والقطيعةُ صورتي   والشوقُ سرّي والهيامُ وشاحي
بين المجلّى والمصلّى والمسلّى م عدّت الاشواط للمرتاحِ
لكنّ شوطي في الصبابة لا ابتداء م ولا انتهاء لحدّه الرحراح

.·.

لمّا جددت السير نحو احبّتي   وركبتُ متن مطيّتي المجلاحِ
فكأنني في لجّة الأبحار غولٌ م قد تسنّم غاربَ التمساحِ
وكأنني جلمود صخرٍ قد علا   في سفح صنينٍ ظهورَ جُلاحِ
اني لاسبقُ كلّ ريحٍ عاصفٍ   في عتبة الاوعار والصحصاحِ
أنحو رُبى الاوطان وهي بعيدةٌ   وانا مُجدٌّ في فلا وبطاحِ

حتى احطّ عصا الرحال واستريح .م مرحرحاً في مسرحي ومراحي
في سفح صنّين ووادية وباكيش. م وابواب الهوا الفيّاح
لي بين هاتيك الهضاب عشيرة من كلّ عالي همّة طحطاح
من كلّ مكتحل العيون ببهجتي يذري البدور بوجهه الوضّاح
لي أهلُ ودٍّ قد شغفتُ بحبّهم والى لقاء أحبّتي اطاحي
بحياة من تهوون رقّوا انكم لبتم بانكار على شحّاح
حنّ الفؤادُ اليكمُ واليكمُ وجّهتُ حرَّ تنفّسي وصداحي
أمسي وأصبح والحنانُ مصاحبي وأنوح عند عشيّتي وصباحي
فهواكمُ فيه الحياة وذكركم هو عدّتي في محنتي وسلاحي
ولقد وقفتُ لكم حشاشة مدنفٍ وربطت توفيقي بكم وصلاحي
مني لكم أذكى التحية ما شدا عبدٌ بذكر الخالق الفتّاح

شاكر ابو ناضر

(يتبع)

كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال الخامس والثلاثون) : ومتى ينكشف[و] لهم سر القدر[ي] ؟[٧٥]

٧٥) الجواب : اذا كان بصرهم بصر حق ، من قوله تعالى في الحديث (القدسي) الصحيح : « لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه . فاذا احببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ؛ وبصره الذي يبصر به . فافهم ! » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ ا)

« الجواب : سرّ القدر غير القدر . وسرّه عين تحكّمه في الخلائق ، وانه لا ينكشف لهم هذا السر حتى يكون « الحق بصرهم » . فاذا كان « بصرهم بصر الحق » ، ونظروا الاشياء ببصر الحق ، حينئذ انكشف لهم علم ما جهلوه ؛ اذ كان بصر الحق لا يخفى عليه شي .

قال تعالى : « ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء . هو الذي يصوركم في الارحام » ، لكونها مظلمة تقدح بادراك الاشياء ، فيها « كيف يشاء » من انواع الصور والتصوير ، « لا اله الا هو العزيز » اي المنيع ، الذي نسب لنفسه الصورة لا عن تصوير ولا تصوّر ، « الحكيم » بما تعطيه الاستعدادات المسوّاة لقبول الصور . فيعين لها من الصور ما شاء ، مما قد علم انها مناسبة له .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن ربه تعالى ، انه قال : « ما تقرب الى احد بأحب اليّ من اداء ما افترضته عليه » لانها عبودية اضطرار ، « ولا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل » وهي عبودية اختيار ، « حتى احبه » . اذ جعلها نوافل فاقتضت البعد من الله . فلا الزم عبودية الاختيار نفسه ، لزومَ عبودية الاضطرار ، أحبه ! فهذا (الاصل : فهو) معنى قوله تعالى : « حتى احبه » . ثم قال : « فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » الحديث .

و يكشف V . ي القدرة V .

(السؤال السادس والثلاثون) : وأين ينكشف[أ] لهم[٧٦] ؟

(السؤال السابع والثلاثون) : ولمن ينكشف[ب] منهم[٧٧] ؟

(السؤال الثامن والثلاثون) : وما الاذن في الطاعة والمعصية من ربنا[٧٨] ؟

فاذا كان الحق ؛ لهذه الحالة ، بصر العبد كيف يخفي عليه ما ليس يخفي ؟ فاعطته النوافل واللزوم عليها احكام صفات الحق . واعطته الفرائض ان يكون كله نوراً . فينظر بذاته لا بصفته . فذاته عين سمعه وبصره . فذلك وجود الحق لا وجوده . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . » (فتوحات ٢ : ٦٥)

٧٦) « الجواب : في حضرة الانفعال » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ أ) .

« الجواب : في حال الانفعال عنهم ، والاتحاد بهم . وذلك ان من المظاهر من يعلم انه مظهر ؛ ومن المظاهر من لا يعلم انه مظهر ؛ فيتخيل انه عن الحق اجنبي . وعلامة من يعلم انه مظهر ، ان تكون له مظاهر حيث شاء من الكون ، كقضيب البان . فانه كان له مظاهر فيما شاء من الكون ، (الاصل : لا) حيث ما شاء من الكون . وان من الرجال من يكون له الظهور فيما شاء من الكون لا حيث شاء . ومن كان له الظهور حيث شاء من الكون ، كان له الظهور فيما شاء من الكون . فتكون الصورة الواحدة تظهر في اماكن مختلفة . وتكون الصور الكثيرة على التعاقب تلبس الذات الواحدة في عين المدرك لها .

فاذا حصل الانسان في المكان الذي يعرف فيه تجلي الحق في الصور المختلفة للشخص الواحد او الاشخاص الكثيرين ، فمعرفته بتلك الحيثية لا تكون الا ذوقاً . ومن عرف مثل هذا ذوقاً كان متمكناً من الاتصاف بمثل هذه الصفة . وهذا هو علم سر القدر ، الذي ينكشف لهم اذا كانوا في هذا المنزل ، وبهذه القوة . »

(فتوحات : ٦٥–٦٦)

يلاحظ هنا ان ابن عربي قد اجاب في الفتوحات عن السؤال رقم ٣٦ والسؤال رقم ٣٧ اجابة واحدة ، وذلك بخلاف صنيعه في « الجواب المستقيم » .

٧٧) « الجواب : لمن اصطفاه الله : عاقلاً ، اديباً ، حكيماً ، اميناً ، حفيظاً » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ أ) .

٧٨) « الجواب : هو الامر المتوط بلا ارادة لا غير » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ أ) .

« الجواب : قال تعالى « ان الله لا يأمر بالفحشاء » . فالاذن الذي تشترك فيه الطاعة

أ يكشف VF.

ب يكشف V .

(السؤال التاسع والثلاثون) : ومـا العقل الاكبر ، الذي قسمتت منه العقول لجميع خلقه(٧٤) ؟

والمعصية هو الاذن الالهي في كون المأذون فيه فعلًا لا من طريق الحكم . لان حكمه في الاشياء بالطاعة والمعصية هو عين علمه بها بهذه الحالة : فـلا يكون مرادًا ؛ فلا يكون الحكم مأمورًا به . والمحكوم به وعليه هو المراد والمأمور به . فلا يصح الاذن في الطاعة والمعصية من حيث انها طاعة ومعصية.

قال تعالى : « وان تصبهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله ؛ وان تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك . قل : كل من عند الله » ، من حيث انها فعل ؛ « فـا لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا » . فأنكر عليهم ان تكون السيئة من عند محمد ، صلى الله عليه وسلم . كما قال في موسى : « يطيّروا بموسى ومن معه » . فقال لهم : « ومـا أصابك من سيئة فمن نفسك » لا من محمد ، صلى الله عليه وسلم ! فاحتجاجنا في مسألتنا انما هو بقوله : « قل : كل من عند الله » ، فأضاف الكل الى الله ، والكل خير ، وهو بيده ؛ والشر ليس اليه . فأوهم السائل المسئول بلفظ الطاعة والمعصية ليرى ما عنده من العلم . فانه سؤال ابتلاء منه لمدعي علم الحقائق من طريق الكشف . وقد قررنا هذا الفصل في كتاب « المعرفة» لنا . »   (فتوحات ، ٢ : ٦٦)

٧٩) الجواب : لا يمكن العبارة والشرح عن هذا صراحًا . فانا لا نعلم لذلك عبارة ، الا عبارة قوم مذمومي (في الاصل : مذمومين) الطريقة ، عند اهل الشرع . فان اوردناها هنا ، ربما يقوم الجاهل فينسبنا اليهم . ونحن على غير ما هم عليه في المسائل ، التي اخطأوا (في الاصل : اخطوا) فيها . ولكن اضرب لك مثالًا تفهم منه المقصود . وذلك ان السراج يقتدُ منه جميع من في الأرض ؛ وهو لا ينقص منه شيء . وهو في كل سراج بحقيقته . وعِظَمُ في ذلك بقدر عظم الفتيلة وصغرها . فاذا نظرت الى هذه الافراد وهذه الكثرة ، نسبت اليه الكثرة . لا انه كثر في نفسه ، ولا انه انتقص منه لما اخذ منه . وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام : « اول ما خلق الله العقل ، ومنه قسم العقول مكيلًا : امدادًا وأقفزة» . كما ورد في الخبر ، ان صح ذلك الخبر . فاني على يقين من علم القسمة وكيفيتها ، ما انا على علم من صحة الخبر ، من حيث نقل اللفظ خاصةً . »

(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٥ا — ٣٤٥ب) .

« الجواب : لما كان (الاصل : + في) نفس الأمر يقتضي ان يكون مراتب المعلومات ، من الممكنات ، ثلاثًا . مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها ان تدرك بالعقول

ت- قم ٧ .

بطريق الأدلة والبداية (لعل الصواب : البداهة) . ومرتبة من شأنها ان ندرك بالحواس ، وهي المحسوسات . ومرتبة من شأنها ان ندرك بالعقل او الحواس وهي المتخيلات . وهي تشكل المعاني في الصور المحسوسة ؛ تصورها القوة المصورة ، الخادمة للعقل ؛ بقتضي ذلك امر يسمى الطبيعة فيا ينشأ منها من الاجسام الإنسانية والجنية .

فلما ان شاء الله ان يوضح للمكلفين من عباده اسباب سعادتهم ، على ألسنة رسله من البشر اليهم ، بوساطة الروح العلوي ، المترل بذلك على قلوب بعض البشر ، المسمين رسلا وانبياء — اجرى المعاني في المخاطبات مجرى المحسوسات في الصور ، التي تقبل التجزي والانقسام والقلة والكثرة . وجعل محل ذلك حضرة الخيال . فحصروا المعاني في الخطاب . فتلقتها بالتشبيه العقول ، كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني ، التي ليس من شأنها ، بالنظر الى ذاتها ، ان تكون متحيزة او منقسمة او قليلة او كثيرة او ذات حد ومقدار وكيف وكم .

وجعل لنا الدليل على قبول ما اتى به من هذا القبيل في هذه الصور ما يراه النائم في نومه من « العلم في صورة اللبن » . فيشربه « حتى يرى الري يخرج من اظفاره فقيل له : ما اولته يا رسول الله ؟ » يريد ما تؤوّل (الاصل : تؤول) اليه صورة ما رأيت ؟ « فقال : «العلم» . ومعلوم ان العلم ليس بجسم يسمى لبناً ، ولا هو لبن . وانما هو معنى مجرد عن الصور ، التي من شأنها ان تدركها الحواس .

فكان منها ما قال الشارع في تقسيم العقول على الناس ، كما تقسم الحبوب . فمن الناس من حصل له من العقل ، المثل في الصور التي من شأنها ان تكال ، القفيز والقفيزين والاكثر والأقل ؛ — والمدّ والمدّين والاكثر من ذلك والأقل ، ليبين بهذا تفاضل الناس في العقول ، لانه المشهور عندنا . لأنّا نرى اشخاصاً كلهم يتصفون بأنهم عقلاء ، ذوو احلام ، فمنهم من يدرك عقله غوامض الاسرار والمعاني ، ويحمل صورة الكلمة الواحدة من الحكم على خمسين وجهاً ومائة واكثر واقل ، من المعاني الغامضة والعلوم العالية المتعلقة بالجناب الالهي او الروحاني او الطبائع او العلم الرياضي او الميزان المنطقي . وعقل شخص يترل عن هذه الدرجة الى ما هو اقل . وآخر يترل دون هذا الاقل . وعقل آخر يعلو فوق هذا الاكبر .

فلما شاهدنا تفاوت العقول ، احتجنا ان نقسمها على الاشخاص ، تقسيم الذوات التي تقبل الكثرة والقلة . ويسمّى المحل القابل لهذه القسمة المعنوية العقل الاكبر (الاصل : الاكثر) اي الذي قسمت منه هذي العقول ، التي في العقلاء من الموجودات بحسب ما بينهم من التفاوت .

وصورة تكوين العقول من هذا العقل الاكبر ، في تحقيق الامر بطريق التمثيل والتشبيه الاقرب الى المناسب ، بالسراج الاول . فتوقد منه جميع الفتائل ، فتتعدد السرج بعدد الفتائل ، فتتعدد السرج بعدد الفتائل ، وتقبل الفتائل من نور ذلك السراج بحسب استعداداتها .

(السؤال الاربعون) : وما صفةُ[ت] آدم ، عليه السلام[٨٠] ؟

فتيلة طبيعية ، في غاية النظافة ، صافية الذهن ، وافرة الجسم ، يكون قبولها اعظم ، في اتساع النور وفي كمية جسم النور ، واكبر من فتيلة نزلت عن هذه في الصفة من النظافة والصفا . فكان التفاوت بين الانوار بحسب استعدادات الفتائل .

ومع هذا فلم ينقص من السراج الاول شيء ، بل هو كماله كما كان . وكل سراج من هذه السرج يضاهيه ويقول : انا مثله ؛ وبأي شيء فضل عليّ به ؟ وانا يؤخذ مني كما يؤخذ منه . ويصول ويقول ! وما يرى فضله عليه — من وجه — انه الاصل وله التقدم ؛ و(لوجه) الثاني انه في غير مادة ؛ ولا واسطة بينه وبين ربه . وما عداه فلم يظهر له وجود الا به وبالمواد التي قلبت الاشتمال منه . فظهرت اعيان العقول . وهذا كله غاب عنها ؛ بل ما لها فيه ذوق . كيف يدرك من لا وجود له الا بين اب وام حقيقة من كان وجوده عن غير واسطة ؟

واذا كانت العقول تعجز عن ادراك العقل الاول ، التي ظهرت عنه ، فعجزها عن ادراك خالق العقل الاول — وهو الله تعالى ! — أعظم . فانه « اول ما خلق الله العقل » وهو الذي ظهرت منه هذه العقول ، بوساطة هذه النفوس الطبيعية . فهو أول الآباء . وسماه الله في كتابه العزيز « الروح » واضافه اليه فقال ، في حق النفوس الطبيعية وحق هذا الروح وحق هذه الارواح الجزئية ، التي لكل نفس طبيعية : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » وهو هذا العقل الاكبر . ولهذا يقال فيه : العقل الغريزي . معناه الذي اقتضته هذه النشأة الطبيعية باستعدادها ، الذي هو عبارة عن تسويتها وتعديلها لقبول هذا الامر .

واعلم ان اصل كل متكثر الواحد . فالاجسام ترجع الى جسم واحد . والانفس ترجع الى نفس واحدة . والعقول ترجع الى عقل واحد . ولكن لا يكون من الواحد الكثرة بمجرد أحديته ، بل بنسب اذا تأملت ما ذكرناه ، وجدته كذلك . فيكون كان ذلك الواحد انقسم الى هذه الكثرة ، لا انه انقسم في نفسه ؛ اما لكونه لا يقبل القسمة كالنفوس والعقول والاصل المرجوع اليه ؛ واما لكونه في قوته ان تكون منه هذه الكثرة من غير ان ينقص منه من حيث جسميته ، كالجسوم التي يتولد عنها الحيوان : ماء او ريح : فذلك الماء او الريح ليس هو من حد هذا الجسم ، الذي تكون عنه ما تكون . »

(فتوحات ، ٢ : ٦٦—٦٧)

٨٠) « الجواب : التردد (في الاصل : المتردد) بين الامرين على السواء (في الاصل : السوا) ، من غير زيادة قدم ؛ لاقامة ميزان العدل . واليها رجوع (في الاصل : مرجوع) الخلق . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٠ ب) .

ت + خلق V .

. (السؤال الحادي والاربعون) : وما توليته[٨١] ؟

« الجواب : ان شئت ' صفة الحضرة الالهية . وان شئت ' مجموع الاسماء الالهية . وان شئت ' قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق آدم على صورته» . هذه صفته. فانه لما جمع له في خلقه بين « يديه » علمنا انه قد اعطاه صفة الكمال : فخلقه كاملاً جامعاً. ولهذا قبل « الاسماء كلها » . فانه مجموع العالم من حيث حقائقه . فهو عالم مستقل . وما عداه ' فانه جزء من العالم . ونسبة الانسان الى الحق ' من جهة باطنه '. اكمل في هذه الدار الدنيا . واما في النشأة الآخرة ' فان نسبته إلى الحق ' من جهة الظاهر والباطن . واما الملك ' فان نسبته ' من جهة الظاهر ' الى الحق اتم . ولا باطن للملك . ولكن (نسبة الانسان او العالم) الى الحق من حيث هو (الى الحق) مسمى الله ' لا من حيث ذاته . فانه من حيث ذاته هو لذاته ' ومن حيث مسمى الله يطلب العالم . فكان العالم لم يعلم من الحق سوى المرتبة ' وهي كونه الاها (و) رباً . ولهذا لا كلام له فيه الا في هذا النسب والاضافات.

وسمّي بآدم لحكم ظاهره عليه . فانه ما عرف منه سوى ظاهره : كما انه ما عرف من الحق سوى الاسم « الظاهر » : وهو المرتبة الالهية . فالذات مجهولة . وكذلك كان آدم عند العالم ' من الملائكة فمن دونهم ' مجهول الباطن . وانما حكموا (الملائكة) عليه بالفساد ' اي بالافساد ' من ظاهر نشأته ؛ لما رأوها قامت من طبائع مختلفة ' متضادة ' متنافرة . فعلموا انه لا بد ان يظهر اثر هذه الاصول على من هو على هذه النشأة . فلو علموا باطنه ' وهو حقيقة ما خلقه الله عليه من « الصورة » - لرأوا الملائكة جزءاً من خلقه. فجهلوا اسماء الالهية ' التي نالها بهذه الجمعية ' لما كشف له عنه فابصر ذاته ؛ فعلم مستنده في كل شيء ومن كل شيء .

فالعالم كله تفصيل آدم . وآدم هو الكتاب الجامع . فهو للعالم كالروح من الجسد . فالانسان روح العالم ' والعالم الجسد . فبالمجموع يكون العالم كله هو الانسان الكبير ؛ والانسان فيه . واذا نظرت في العالم وحده ' دون الانسان ' وجدته كالجسم المسوّى بغير روح . وكمال العالم بالانسان . مثل كمال الجسد بالروح . والانسان منفوخ في جسم العالم . فهو المقصود من العالم . واتخذ الله الملائكة رسلاً اليه . ولهذا سماهم ملائكة ' اي رسلاً ' من المألكة وهي الرسالة . فان اخذت الشرف بكمال الصورة ' قلت : الانسان اكمل . وان اخذت الشرف بالعلم بالله ' من جانب الحق لا من طريق النظر ' فالافضل والاشرف من شرّفه الله بقوله : « هذا افضل عندي » . فانه لا تحجير عليه ان يفضل من شاء من عباده . فان العلم بالله ' الذي يقع به الشرف ' لا حد له ينتهي اليه .»

(فتوحات ' ٢ : ٦٧)

٨١) « كونه موضع النظر وتنفيذ الامر » (الجواب المستقيم ورقة ٣٦٠ ب).

« الجواب: « ان الله تولاه بثلاث. منها توليته في « خلقه بيديه » . ومنها بما « علمه من الاسماء » التي ما تولى بها ملائكة . ومنها الخلافة ، وهي قوله (تعالى) : « اني جاعل في الارض خليفة » .

فان كان قوله : « خليفة » لقوله: « وفي الارض اله » فهو نائب الحق في ارضه ، وعليه يقع الكلام . وان اراد بالخلافة ، انه يخلف من كان فيها ، لما فقد — فما نحن بصدد ذلك . وكان المقصود النيابة عن الحق بقوله: « خليفة » لقولهم: « من يفسد فيها ويسفك الدماء » . وهذا لا يقع الا ممن له حكم ، ولا حكم الا لمن له مرتبة التقدم وانفاذ الاوامر .

فاما مقصود السائل ، فانه يريد الخلافة ، التي هي بمعنى النيابة عن الله في خلقه . فأقامه بالاسم الظاهر ، واعطاه علم الاسماء ، من حيث ما هي عليه من الخواص ، التي يكون عنها الانفعالات ، فيتصرف بها في العالم تصرفها . فان لكل اسم خاصة من الفعل في الكون ، يعلمها من يعلم علم الحروف وترتيبها ، من حيث ما هي مرقومة ، ومن حيث ما هي متلفظ بها ، ومن حيث ما هي متوهمة في الخيال .

فمنها ما له اثر في العالم الأعلى وتنزيل الروحانيات بها ، اذا ذكرت او كتبت في عالم الحس . ومنها ما له اثر في العالم الجبروتي ، من الجن الروحاني . ومنها ما يؤثر ذكره في خيال كل متخيل وفي حس كل ذي حس . ومنها ما له اثر في الجانب الاحمى الاعلى ، الذي هو موضع النبب ولا يعرف هذا التأثير الواحد واساءه الا الأنبياء والمرسلون ، سلام الله عليهم ! وهي اسماء التشريع ؛ والعمل بتلك الشرائع هو المؤثر في هذا الجناب النبي، وهو جناب عزيز لا يشعر به . جعله الحق ووضع اسراره ومجلى تجلياته . وهو الذي يعطي النزول والاستواء والمعية والفرح والضحك والمقدار ، وما يفهم منه من الآلات التي لا تكون الا لذوات المقادير والكميات والكيفيات .

وقال تعالى: « وهو الذي في السماء اله »: فجاء بالهوية بما ينبغي ان يظهر به في السموات من الالوهية ، بالاسم الذي يخصها . « وفي الأرض اله » : بالإسم الذي ينبغي ان يظهر به في الأرض ، من كونه إلاهاً . فكان آدم نائباً عن هذا الإسم . وهذا الإسم هو باطنه ، وهو الملم له علم التأثيرات التي تكون عن الأسماء الالهية ، التي تختص بالأرض ، حيث كانت خلافته فيها . وهكذا هو كل خليفة فيها . ولهذا قال : « جعلكم خلائف في الأرض » اي يخلف بعضنا بعضاً فيها ، في تلك المرتبة ، مع وجود التفاضل بين الخلفاء فيها . وذلك لاختلاف الأزمان واختلاف الأحوال . فيعطي هذا الحال والزمان من الأمر ما لا يعطيه الزمان والحال الذي كان قبله والذي يكون بعده .

ولهذا اختلفت آيات الأنبياء باختلاف الأعصار . فآية كل خليفة ورسول من نسبة ما هو الظاهر والغالب على ذلك الزمان واحوال علمائه ، اي شيء كان : من طب او سحر

او فصاحة ، وما شاكل هذا . وهو قوله (تعالى) : « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » . يقول للخلفاء : « ليبلوكم فيما آتاكم . ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » . وهاتان الصفتان لا تكونان الّا لمن بيده الحكم والأمر والنهي .

فهذا النسق يقوّى انه اراد خلافة السلطنة والملك . وهي التولية الإلهية ؛ واعظم تأثيراتها الفعل بالهمة ، من حيث ان النفس ناطقة لا من حيث الحروف والصوت المعتاد في الكلام اللفظي . فان الهمة – من غير نطق النفس ، بالنطق الذي يليق بها ، وان لم يشبه نطق اللسان – لا يكون عنها انفعال بوجه من الوجوه ، عند جماعة من اصحابنا . وأوقعهم في هذا الاشكال حكم النيابة عن الله : الذي اذا اراد شيئاً ، وهو المعبّر عنه فينا بالهمة : « ان يقول له : كن ، فيكون ! » ، وهو المعبّر عنه فينا بالنطق او الكلام بحسب ما يليق بالمنسوب اليه ذلك . فما اكتفى ، سبحانه ! في حق نفسه بالارادة حتى قرن معها القول ، وحينئذ وجد التكوين . ولا يمكن ان يكون النائب عنه ، وهو الخليفة ، بابلغ في التكوين ممن استخلفه . فلهذا لم يقتصروا على الهمة دون نطق النفس .

وأما نحن ، فنقول بهذا في موطنه ، وهو صحيح . غير ان الذات غاب عنهم ما تستحقه ، لكون المرتبة لا تعقل دونها . فكان كون المرتبة انما هو عن الذات ، بلا شك ، لان الذات تطلبها طلباً ذاتياً ، لا طلباً يتوقف على همة وقول . بل عين همتها وقولها هو عين ذاتها . فكون الالوهة لها هو ما يكون عن ذات الخليفة ، من حيث انها ذات خليفة . فهي الذات الخلافية ، لا ذات الخلق التي هي نشأة جسمه وروحه . ومع هذا ، فلا بد من النسب الثلاث لوجود التكوين عقلاً ، في موازين العلوم ، وشرعاً . فاما في العقل فأصحاب الموازين يعرفون ذلك . واما في الشرع ، فانه قوله : « انما قولنا » ، فهذا الضمير ، الذي هو « النون » ، من « قولنا » عين وجود ذاته تعالى وكناية عنه . فهو امر واحد . وقوله : « اذا اردناه » امر ثان . وقوله : « ان نقول له كن » امر ثالث . فذات ، مريدة ، قائلة ، يكون عنها التكوين بلا شك ! فالاقتدار الالهي ، على التكوين ، لم يقم الا من اعتبار ثلاثة امور شرعاً .

وكذلك هو الانتاج في العلوم بترتيب المقدمات ؛ وان كانت كل مقدمة مركبة من محمول وموضوع ، فلا بد ان يكون احد الأربعة يتكرر ، فيكون في المعنى ثلاثة وفي التركيب اربعة . فوقع التكوين عن الفردية ، وهي الثلاثة لقوة نسبة الفردية الى الاحدية . فبقوة الواحد ظهرت الاكوان . فلو لم يكن الكون عينه لما صح له ظهور . فالوجود المنسوب الى كل مخلوق هو وجود الحق ، اذ لا وجود للممكن . لكن الممكنات قوابل لظهور هذا الوجود .

فتدبر ما ذكرناه في هذه التولية ، التي سأل عنها سيّنا وابن سنّى ابينا ، محمد بن علي

(السؤال الثاني والاربعون) : وما فطرته[٨٣] ؟

الترمذي في كتاب « ختم الأولياء » له ، وهي هذه المسائل التي اذكرها في هذا الباب . »
(فتوحات ، ٢ : ٦٧٠-٦٩)

٨٣) « الجواب : عين الامر الذي وقع به التمييز (الميز: في الاصل) بين الصورتين . »
(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٠٠ب) .

« الجواب : ان اراد فطرته من كونه انساناً ، فله جواب . او من كونه خليفة ، فله جواب . او من كونه انساناً خليفة فله جواب . او من كونه لا انسان ولا خليفة ، فله جواب ؛ وهو اعلاها نسبة .

فانه اذا كان حقاً مطلقاً ، فليس بانسان ولا خليفة كما ورد في الخبر : « كنت سمعه وبصره » . فأين الانسانية هنا ، اذ لا اجنبية ؟ وأين الخلافة هنا ؟ وهو الامر بنفسه . فاثبتك ومحاك ، وأضلك وهداك : اي حيّرك فيما بيّن لك ! فما تبينت الا الحيرة ، فعلمت ان الامر حيرة . فبين الهدى متعلقة الضلال . فقال : انت ، وما أنت ، « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » . وما رمى الا محمد : فما رمى الا الله ! فأين محمد ؟ فمحاه ، واثبته ثم محاه : فهو مثبت بين محوين ، محو ازلي وهو قوله : « وما رميت » ؛ ومحو ابدي وهو قوله : « ولكن الله رمى » . واثباته هو قوله : « اذ رميت » .

فاثبات محمد في هذه الآية ، مثل « الآن » الذي هو الوجود الدائم بين الزمانين : بين الزمان الماضي ، وهو نفي عدم محقق ؛ وبين الزمان المستقبل ، وهو عدم محض . وكذلك ما وقع الحس والبصر الا على رمي محمد ، فجعله وسطاً ، بين محوين ، مثبتاً . فأشبه « الآن » الذي هو عين الوجود (الزماني) . والوجود انما هو وجود الله لا وجوده . فهو سبحانه الثابت الوجود في الماضي والحال والاستقبال . فزال عند التقييد المتوهم . فسبحان اللطيف الخبير ، ولهذا قال : « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً » . فجاء بالحيرة ، اي قلنا هذا اختباراً للمؤمنين في ايمانهم ، لما (الاصل: لنا) في ذلك من تناقض الامور الذي يزلزل ايمان من في ايمانه نقص ، عما يستحقه الايمان من رتبة الكمال ، الذي في « اعطى كل شيء خلقه » . فهذا الجواب عن الوجه الرابع ، الذي هو اصعب الوجوه ، قد بان .

فأما فطرته ، من حيث ما هو انسان ، ففطرته العالم الكبير . واما فطرته ، من حيث ما هو خليفة ، ففطرته الاسماء الالهية . واما فطرته من حيث ما هو انسان — خليفة ، ففطرته ذات منسوب اليها رتبة ، لا تعقل المرتبة دونها ، ولا تعقل هي دون المرتبة . قال تعالى : « فاطر السماوات والارض » . وهو قوله : « كانتا رتقاً ففتقناهما » . والفطر الشق . وقال تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » وهو الفطرة . كما انه لا تبديل

(السؤال الثالث والاربعون) : وما الفطرة[٨٣] ؟

أ « كلمات الله » وهو قوله : « ما يبدل القول لدي » . اي قولنا واحد ، لا يقبل التبديل وقال ، صلى الله عليه وسلم : « كله مولود يولد على الفطرة » . فالالف واللام هنا للعهد . اي الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وقد تكون الالف واللام لجنس الفطر كلها ، لان الناس ، اي هذا الانسان ، لما كان مجموع العالم – ففطرته جامعة لفطر العالم : ففطرة آدم فطر جميع العالم . فهو يعلم ربه ، من حيث كل علم نوع من العالم ، من حيث هو عالم ذلك النوع بربه ، من حيث فطرته . وفطرته ما يظهر به عند وجوده من التجلي الالهي ، الذي يكون له عند ايجاده . ففيه استعداد كل موجود من العالم : فهو العابد بكل شرع ، والمسبح بكل لسان ، والقابل لكل تجلٍّ (الاصل : تجلى) اذا وفى حقيقة انسانيته وعلم نفسه . فانه لا يعلم ربه الا من علم نفسه .

فان حجبه شيء منه عن درك كله ، فهو الجاني على نفسه وليس بانسان كامل . ولهذا قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية » . يعني بالكمال معرفتهم بهم . ومعرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم .

فكانت فطرة آدم علمه به ، فعلم جميع الفطر . ولهذا قال : « وعلم آدم الاسماء كلها » . و « كل » يقتضي الاحاطة والعموم ، الذي يراد به في ذلك الصنف . واما الاسماء الخارجة عن الخلق والنسب فلا يعلمها الا هو ، لانه لا تعلق لها بالاكوان .

وهو قوله ، عليه السلام ، في دعائه : « او استأثرت به في علم غيبك » يعني به من الاسماء الالهية . وان كان معقول الاسماء مما يطالب الكون ، ولكن الكون لا غاية لتكوينه : فلا غاية لاسمائه . فوقع الايثار في الموضع الذي لا يصح وجوده ، اذ كان حصر تكوين ما لا يتناهى محال . واما الذات ، من حيث هي ، فلا اسم لها اذ ليست محل اثر ولا معلومة لاحد . ولا ثمّ اسم يدل عليها ، معرّى عن نسبة ولا بتمكين . فان الاسماء للتعريف والتمييز ، وهو باب ممنوع لكل ما سوى الله : فلا يعلم الله الا الله !

فالاسماء بنا ولنا . ومدارها علينا . وظهورها فينا . واحكامها عندنا . وغاياتها الينا . وعباراتها عنا . وبداياتها منا !

فلولاها لما كنا ولولانا لما كانت
بها بنا وما بنا كما بانت وما بانت
فان خفيت لقد جلت وان ظهرت لقد زانت

(فتوحات ٣ : ٦٩–٧٠)

٨٣ – « الجواب : يريد (الفطرة) التي فطرَ الناسُ عليها ، التي لا تقبل التبديل . بخلاف الفطرة التي تقبل التبديل : « فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » . والاصل الاسلام .

(السؤال الرابع والاربعون) : ولِمَ سمّاه بشراً[٨٤] ؟

فان بقي عليه ، بقي على الفطرة . واما الفطرة التي لا تقبل التبديل ، فهو قوله : « وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه » . فالامر الذي يطلب ذلك من الموجودات هو الفطرة ، لانه حقيقة لها (في الاصل : له) » (الجواب المستقيم ورقة ٣٦٠ب) .

« الجواب : النور الذي تشق به ظلمة الممكنات ، ويقع به الفصل بين الصور . فيقال : هذا ليس هذا . اذ قد يقال : هذا عين هذا ، من حيث ما يقع به الاشتراك .

فالحمد لله فاطر السموات والارض » هو قوله : « الله نور السموات والارض » . . والعالم كله سماء وارض ، ليس غير ذلك . وبالنور ظهرت .

قوله : « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » . والله مظهرها ، فهو نورها . فظهور المظاهر هو الله ؛ فهو فاطر السموات والارض . ففطر السماء والارض به ؛ فهو فطرها .

والفطرة (هي) التي فطر الناس عليها . « فكل مولود يولد على الفطرة » .

« ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! » فما فطرهم الا عليه . ولا فطرهم إلا به . فبه تميزت الاشياء وانفصلت وتعينت . والاشياء في ظهورها الاهي لا شيء . فالوجود وجوده . والعبيد عبيده . . فهم العبيد من حيث اعيانهم . وهم الحق من حيث وجودهم . فما تميز وجودهم من أعيانهم الا بالفطرة ، التي فصلت بين العين ووجودها . وهو من امحض ما يتعلق به علم العلماء بالله . كشفه عسير وزمانه يسير ! » فتوحات : ٣ : ٧٠)

٨٤) « الجواب : لتولية خلقه بيديه ، بغير واسطة ؛ على حسب ما يليق بجلال جانب الحق سبحانه ، ومن غير تشبيه ولا تكييف » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٠ب)

« الجواب : قال تعالى : « ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي » ؟ على جهة التشريف الالهي . فقرينة الحال تدل على مباشرة خلقه بيديه ، بحسب ما يليق بجلاله . فسماه بشراً لذلك . اذ اليد بمعنى القدرة ، لا شرف فيها على من شرف عليه . واليد بمعنى النعمة ، مثل ذلك . فان النعمة والقدرة عمّت جميع الموجودات . فلا بد ان يكون لقوله : « بيدي » امر معقول ، له خصوص وصف بخلاف هذين . وهو المفهوم من لسان العرب ، الذي نزل القرآن بلغتهم . فاذا قال صاحب اللسان : انه فعل هذا بيده ، فالمفهوم منه رفع الوسائط .

فكانت نسبة آدم ، في الجسوم الانسانية ، نسبة العقل الاول في العقول . ولما كانت الاجسام مركبة ، طلبت اليدين لوجود التراكيب . ولم يذكر ذلك في العقل الاول ، لكونه غير مركب . فاجتمعا في رفع الوسائط . وليس بعد رفع الوسائط في التكوين مع ذكر اليدين الا امر من اجله سمّي بشراً . وسرت هذه الحقيقة في البنين فلم يوجد احد

منهم الا عن مباشرة . ألا ترى وجود عيسى ، عليه السلام ! لما تمثل لها الروح « بشرًا سويًا » ؟ فجعله واسطة بينه تعالى ، وبين مريم في ايجاد عيسى ، تنبيهًا على المباشرة بقوله : « بشرًا سويًا » .

قال تعالى : « ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد » . وبشرة الشيء ظاهره . والبشرى اظهار علامة حصولها في البشرة . فقوله للشيء : « كن ! » بالحرفين : الكاف والنون ، بمنزلة اليدين في خلق آدم . فأقام القول للشيء مقام المباشرة ؛ وأقام الكاف والنون مقام اليدين ؛ وأقام الواو المحذوفة ، لاجتماع الساكنين ، مقام الجامع بين اليدين في خلق آدم . وأخفى ذكره كما خفيت الواو من « كن » . غير ان خفاءها في « كن » لأمر عارض ، وخفاء الجامع بين اليدين لاقتضاء ما تعطيه حقيقة الفعل . وهو قوله : « ما أشهدتهم خلق السموات والارض » ، وهو حال الفعل . لانه ليس في حقائق ما سوى الله ما يعطي ذلك المشهد . فلا فعل لاحد سوى الله . ولا فعل عن اختيار واقع في الوجود . فالاختيارات المعلومة في العالم من عين الجبر . فهم المجبورون في اختيارهم . والفعل الحقيقي لا جبر فيه ولا اختيار . لان الذات تقتضيه . فتحقق ذلك !

فلمباشرة الوجود المطلق الأعيان الثابتة ، لظهور الوجود المقيّد ، سمّي الوجود المقيّد بشرًا . واختص به الانسان لانه أكمل الموجودات خلقًا . وكل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال في الوجود . فالانسان اتم المظاهر . فاستحق اسم البشر ، دون غيره من الاعيان .

واما قوله تعالى : « وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب او يرسل رسولًا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليّ حكيم » . فسمّى المكلّم منا بشرًا ، بهذه الضروب كلها من الكلام ، لما يباشره من الامور الشاغلة له عن اللحوق برتبة الروح ، التي له من حيث روحانيته . فان ارتقى عن درجة البشرية ، كلّمه الله من حيث كلّم الارواح . اذ كانت الارواح اقوى في التشبّه . لكونها لا تقبل التحيز والانقسام ؛ وتتجلى في الصور من غير ان يكون لها باطن وظاهر . فما لها سوى نسبة واحدة من ذاتها ، وهي عين ذاتها . والبشر ، من نشأته ليس كذلك : فانه على صورة العالم كله . ففيه ما يقتضي المباشرة والتحيز والانقسام ، وهو مسمّى البشر ؛ وفيه ما لا يطلب ذلك وهو روحه المنفوخة فيه . وعلى بشريته توجهت اليدان ، فظهرت الشفعية في اليدين في نشأته . فلا يسمع كلام الحق ، من كونه بشرًا ، الا بهذه الضروب التي ذكرها (الله تعالى في القرآن) أو بأحدها . فاذا زال في نظره عن بشريته ، وتحقق بمشاهدة روحه ، كلّمه الله بما يكلم به الارواح المجردة عن المواد . مثل قوله تعالى في حق محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وفي حق الأعرابي : « فأجره حتى يسمع كلام الله » . وما تلاه عليه غير لسان محمد ،

(السؤال الخامس والاربعون) : وبأي شيء نال التقدمة على الملائكة * ، حتى أوهم بالسجود له (٨٥) .

صلى الله عليه وسلم ! فأقام محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، في هذه الصورة ، مقام الروح الامين الذي نزل بكلام الله على قلب محمد ، صلى الله عليه وسلم ! وهو قوله : «او يرسل رسولًا» يعني لذلك البشر ، « فيوحي اليه باذنه ما يشاء » الله تعالى مما امره أن يوحى به اليه .

فقوله (تعالى) : « إلا وحيًا » يريد هنا الهامًا بعلامة يعلم بها ان ربه كلّمه ، حتى لا يلتبس عليه الأمر . « او من وراء حجاب » ، يريد اسماعه اياه بحجاب الحروف المقطعة والأصوات ، كما سمع الاعرابي القرآن المتلو ، الذي هو كلام الله ! او حجاب الآذان ايضًا من السامع . او حجاب بشرية مطلقًا ، فيكلمه في الاشياء ، كما كلّم موسى « من جانب الطور الايمن في البقعة المباركة ، من الشجرة : ان يا موسى ! اني انا الله ! » فوقع الحد بالجهة وتعين البقعة ، لشغله بطلب النار ، الذي تقتضيه بشريته . فنودي في حاجته لافتقاره اليها .

والله قد اخبر ان الناس فقراء الى الله . فتسمى الله في هذه الآية باسم كل ما يفتقر اليه ، غيرةً الاهية ان يفتقر الى غير الله . فتجلى الله له في عين صورة حاجته . فلما جاء اليها ناداه منها فكان في الحقيقة فقره الى الله . والحجاب وقع بالصورة ، التي وقع فيها التجلي . فلولا ما ناداه ما عرفه . وفي مثل هذا يقع التجلي الالهي في الآخرة ، الذي يقع فيه الانكار .

وقوله (تعالى) إنه : « علي » اي عليم بما تقتضيه المراتب ، التي ذكرها واترلها منزلتها . وقوله : « حكيم » يريد بانزال علمه ومنزلته . ولو بدّل الامر لما عجز عن ذلك . ولكن كونه عليًا حكيمًا ، يقضي بان لا يكون الامر إلا كما وقع .

ولما اخبر (الله تعالى) نبيّه بهذه المراتب كلها ، التي تطلبها البشرية ، قال له : «وكذلك -الى ومثل ذلك- اوحينا اليك روحًا من امرنا » يعني الروح الامين ، الذي نزل به على قلبك ، الذي هو روح القدس ، اي الطاهر عن تقييد البشر !

فقد علمت معنى البشر ، الذي اردنا ان ننبه لك بما تقتضيه هذه اللفظة باللسان العربي . »

(فتوحات ٣ : ٧٠ - ٧١)

٨٥) « الجواب : بالصورة ، فانه كل العالم . وله من الحق امداد خاص ، من حيث نشأته ، يقتضي له (في الاصل : + ذلك الامداد) التقدم على ساير اجناس العالم . فما في العالم جنس الا وهو بعض للانسان اذ في الانسان ما يماثله . وبهذا الامداد حصل الفرق

* الولاية ٧ .

بين الكامل والناقص، من هذا الجنس الانساني . وقد نبه النبي، صلى الله عليه وسلم، على هذا بقوله :« كمل من الرجال كثير وما كمل من النساء سوى آسية، امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران » . فليس له التقدم بكونه انساناً فقط، لمشاركة مثله له في ذلك، بل بهذا الامداد الخاص، وهو الذي يقتضي له كمال الصورة . فنال بها الصورة الرفيعة العالية المنار، الظاهرة بالآثار .» (الجواب المستقيم، ورقة ٣٢٥ب-٣٢٦أ) .

« الجواب : ان الله قد بين ذلك بقوله تعالى :« وعلّم آدم الاسماء كلها» يعني الاسماء الالهية، التي توجهت على ايجاد حقائق الاكوان ؛ ومن جملتها الاسماء الالهية التي توجهت على ايجاد الملائكة، والملائكة لا تعرفها . ثم اقام المسمين بهذه الاسماء، وهي التجليات الالهية التي هي للاسماء كالمواد الصورية للارواح، فقال للملائكة :« انبؤني بأسماء هؤلاء »، يعني الصور التي تجلى فيها الحق « ان كنتم صادقين » في قولكم « نسبح بحمدك » . وهل سبحتموني بهذه الاسماء التي تقتضيها هذه التجليات، التي اجعلها لعبادي . وان كنتم صادقين في قولكم :« ونقدس لك » ذواتنا عن الجهل بك، فهل قدستم ذواتكم لنا من جهلكم بهذه التجليات، وما لها من الاسماء التي ينبغي ان تسبحونه بها ؟ فقالت الملائكة : « لا علم لنا الا ما علمتنا » . فمن علمهم بالله انهم ما اضافوا التعليم إلا اليه تعالى : « انك انت العليم » بما لا يعلم « الحكيم » بترتيب الاشياء مراتبها . فأعطيت هذه « الخليفة » ما لا تعطنا، مما غاب عنا .

فلولا إن رتبة نشأته (= آدم) تعطي ذلك، ما اعطت الحكمة ان يكون له هذا العالم الذي خصصه به دوننا (= الملائكة)، وهو بشر . فقال (تعالى) لآدم : « انبئهم باسماء هؤلاء » الذي عرضناهم عليهم (= الملائكة) . فانبأ آدم الملائكة بأسماء تلك التجليات، وكانت على عدد ما في نشأة آدم من الحقائق الالهية، التي تقتضيها اليدان الالهية، مما ليس من ذلك في غيره من الملائكة شيء . فكان هؤلاء المسمون، المعروضة على الملائكة، تجليات الالهية في صورة ما في آدم من الحقائق . فاولئك هم عالم آدم كلهم؛ فلما علمهم آدم، عليه السلام ! قال لهم (= للملائكة) الله :« ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات» وهو ما علا من علم الغيوب، « والارض » وهو ما في الطبيعة من الاسرار، « واعلم ما تبدون » اي ما هو من الامور ظاهر، « وما تكتمون » الى ما تخفونه على انه باطن مستور؛ فأعلمتكم انه أمر نسبي، بل هو ظاهر لمن يعلمه . ثم قال (تعالى) لهم، بعد التعليم:« اسجدوا لآدم » سجود المتعلمين للمعلم، من اجل ما علمهم . « لآدم » هنا، لام العلة والسبب اي من اجل آدم . فالسجود لله من أجل آدم سجود شكر لما علمهم الله من العالم به وبما خلقه في آدم عليه السلام . فعلموا ما لم يكونوا يعلمون . فنال التقدمة عليهم بكونه علمهم، فهو استاذهم في هذه المسألة .

(السؤال السادس والاربعون) : وكم عدد الاخلاق التي منحه ~ عطاء~ (٨٦) ؟

وبعده، فما ظهرت هذه الحقيقة في أحد من البشر الا في محمد، صلى الله عليه وسلم ! فقال عن نفسه: « انه اوتي جوامع الكلم » وهو قوله (تعالى) في حق آدم عليه السلام : « الاسماء كلها » . وكلها بمنزلة « الجوامع » ، و«الكلم » بمنزلة « الاسماء » . ونال التقدمة بها وبالصورة التي خلقه الله عليها .

قال ، عليه السلام : « ان الله خلق آدم على صورته » بالنشأة من اجل اليدين ؛ وجعله بالخلافة على صورته ، وهي المنزلة . فاعطته الصورتان التقدم ، حيث لم يكن ذلك لغيره من المخلوقات . فليس فوق هذه المنزلة منزلة لمخلوق . فلا بد ان يكون له التقدمة على من سواه . وكذلك الاسم الذي أعطاه هذا يتقدم على جميع الامور كلها . »

(فتوحات : ٢ : ١ : ٧-٧٢)

٨٦) « الجواب : ثلاث مائة . وفي ذريته لكل خلق انسان » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ / ١) .

« الجواب : ثلاثمائة خلق . وهي التي ذكر النبي ، صلى الله عليه وسلم : « ان لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة » . ولهذا قال في الثلاثمائة : « انهم على قلب آدم ، عليه السلام ! » . يعني هذه الاخلاق التي منح الله آدم .

فمن كملت نشأته من بنيه ، قبل هذه الثلاثمائة من الخلق . ومن لم يكمل كمال آدم ، فله منها على قدر ما اعطى من الكمال . فتهم الكامل والاكمل . وهذه الاخلاق خارجة عن الاكتساب ، لا تكتسب بعمل ، بل يعطيها الله اختصاصاً . ولا يصح التخلق بها ، لانه لا اثر لها في الكون . وانما هي اعدادات بأنفسها لتجليات إلهية على عددها ؛ لا يكون شيء من تلك التجليات الا لمن له هذه الاخلاق .

فناهيك من اخلاق لا تعلق لها ، لمن كان عليها واتصف بها ، إلا بالله خاصة ؛ ليس بينها وبين المخلوقين نسب اصلاً . فقول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « من تخلق بواحد منها » اراد من اتصف بشيء منها ؛ اي من قامت به .

فان الاخلاق على أقسام ثلاثة: منها اخلاق لا يمكن التخلق بها الا مع الكون ، كالرحيم . واخلاق يتخلق بها مع الكون ومع الله ، كالغفور فانه يقتضي الستر لما يتعلق بالله من كونه

~ منحها الله .

(السؤال السابع والاربعون) : وكم خزائن الاخلاق[٨٧] ؟

غيوراً ، ويتعلق (النفور ايضاً) بالكون . واخلاق لا يتخلق بها الا مع الله خاصة ، وهي هذه الثلاثماية .

ولها من الجنات جنة مخصوصة ، لا ينالها الا أهل هذه الاخلاق . وتجلياتها لا تكون لغيرها من الجنات . ولكن هذه الاخلاق هي لهم كالخلوق الذي يتطيب به الانسان . فانه (= الخلوق) وجود الريح من الطيب ، لا تمسّك فيه للمتطيب به ؛ فانه يقتضي تلك الريح لذاته . والتخلّق تمحّل في تحصيل الخلق . وهذا ليس كذلك . فالثناء على الطيب ، لا على من قام به . فكذلك هذا الخلق ، اذا روى (الاصل : رى) على عبد قد اتصف به لم يقع فيه ثناء عليه اصلاً . وانما يقع الثناء على الخلق خاصة . فكل خلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الاخلاق الثلاثماية . فان الكرم خلق من أخلاق الله . ولكن اذا تخلّق به العبد اثنى عليه بأنه كريم . وكذلك الرحمة ، يقال فيه : رحيم .

وهذه الاخلاق لا ينطلق على من اتصف بها اسم فاعل جملة واحدة ، لكن ينطلق عليه اسم موصوف بها . وسبب ذلك ، أنه لا تعلّق لها بالكون الا بحكم الاشتراك كالنفور ، ولا بحكم الاختصاص كالشديد العقاب . ويعطيها الاسم الوهاب من عين المنة ، لا غير . »

(فتوحات : ٢ : ٧٢)

٨٧) «الجواب : على عدد احوال ما تقتضيه الموجودات . وقد ذكرنا صورة ذلك في كتاب « الاخلاق » . وهو كتاب شريف ما سُبِقْتُ اليه . » (الجواب المستقيم ، ورقة ١٤٦) .

« الجواب : على عدد اصناف الموجودات ، واعيان اشخاصها . فهي غير متناهية من حيث ما هي خزائن . وسميت (الاصل : وما سميت) خزائن لكون الاخلاق مخزونة فيها اختزاناً وجودياً . وانما جعلت خزائن لما تتضمنه في حكم من اتصف بها من الصفات التي لا نهاية لوجودها .

وهي خزائن في خزائن . واصلها ، الذي ترجع اليه ، الجامع للكل : ثلاث خزائن . خزانة تحوي على ما تقتضيه الذوات ، من حيث ما هي ذوات . وخزانة تحوي على ما تقتضيه النسب الموجبة للاسماء ، من حيث ما هي نسب . وخزانة تحوي على ما تقتضيه الافعال من حيث انها افعال ، لا من حيث المفعولات ولا انفعالات ولا الفاعلية . وكل خزانة من هذه الخزائن الثلاث تنفتح الى خزائن . وتلك الخزائن الى خزائن ، هكذا الى غير نهاية . فهي تدخل تحت الكمّ بوجه ، ولا تدخل تحت الكمّ بوجه . فما حصل منها في الوجود حصره الكمّ . » (فتوحات : ٢ : ٧٢)

(السؤال الثامن والاربعون) : وقوله عليه السلام : « إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً » ، ما تلك الاخلاق[٨٨] ؟

٨٨) « الجواب : لا يمكن تعيينها لنا ، ولا لأحد اصلاً . » الجواب المستقيم ورقة ٢٤٦ ا .

« الجواب : ان هذه الاخلاق مخصوصة بالانبياء عليهم السلام ! ليس لمن دونهم فيها ذوق . ولكن لمن دونهم تعريفاتها . فتكون عن تلك التعريفات اذواق ومشارب لا يحصيها إلا الله ان علماً وعدداً .

فمن هذه الاخلاق ، خلق الجمع الدال على التفريق . والجمع الذي يتضمن التفريق . والفرق الذي يتضمن الجمع. ويظهر هذا الخلق من حضرة العزة والابانة والحكمة والكرم .

ومن هذه الاخلاق ، خلق النور المستور . وهو من اعز المعارف . اذ لا يمكن في النور ان يكون مستوراً . فانه لذاته يخرق الحجب ، ويهتك الاستار . فما هذا الستر الذي يحجبه الا ان ذلك الحجاب هو انت . كما قال العارف :

« فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه »

ومن هذه الاخلاق خلق اليه . وهو مخصوص بالقلوب واصحابها . وهو على مراتب .

ومن هذه الاخلاق ، خلق اعدام الاسباب في عين وجودها . وهو على مراتب. وقفت منها في الاندلس على مائة مرتبة ؛ لا توجد في الكمال الا في روحانية ذلك الاقليم . فانه لكل جزء من الارض روحانية علوية تنظر اليه . ولتلك الروحانية حقيقة الاهية تمدها . وتلك الحقيقة هي المسماة خلقاً الاهياً .

واما بقية الاخلاق ، فلها مراتب دون هذه التي ذكرناها في الاحاطة والعموم .

ولكل خلق من هذه الاخلاق ، درجة في الجنة لا ينالها الا من له هذا الخلق . وهذه الاربع ، التي ذكرناها ، منها للرسل ومنها للانبياء ومنها للاولياء ومنها للمؤمنين . وكل طبقة من هؤلاء الاربع على منازل بعددهم . فمنها ما يشاركهم فيها الملأ الأعلى . ومنها ما تختص به تلك الطبقة . وذلك ان كل امر يطلب الحق ، ففيه يقع الاشتراك . وكل امر يطلب الخلق ، فهو يختص بذلك النوع من الخلق (و) يقتصر عليه .

ومن الباقي اربعة عشر خلقاً لا يعلمها الا الله . والباقي من الاخلاق تعينها اسماء الاحصاء . وهي اسماء لا يعرفها الا ولي . . او من سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! من الصحابة . واما من طريق النقل ، فلا يحصل بها علم .

(السؤال التاسع والاربعون) : وكم ذ للرسل منها[٨٩] ؟

واما الثلاثة عشر فيختص بعلمها سبحانه ! وما بقي فيعلمه اهل الجنة . وهم في العلم جما على طبقات . واعني بأهل الجنة ، الذين هم اهلها . فانه لله سبحانه ، اهل هم اهله ، لا يصلحون لغيره . كما ورد في الخبر : « إن اهل القرآن هم اهل الله وخاصته » . وللجنة اهل هم اهلها لا يصلحون الا لها ، لا يصلحون لله . وان جمعتهم حضرة الزيارة ولكن هم فيها بالعرض . وللنار اهل هم اهلها ، لا يصلحون لله ولا للجنة . ولكل اهل ، فيما هم فيه ، نعيم بما هم فيه . ولكن بعد نفوذ امر سلطان الحكم العدل ، القاضي الى « أجل مسمّى » . وكل طائفة لها شرب وذوق في هذه الاخلاق المذكورة في هذا الباب .

فانقسمت هذه الاخلاق على هؤلاء الطبقات الثلاث . كل خلق منها يدعوهم الى ما يقتضيه امره وشأنه : من نار أو جنان او حضور عنده ، حيث لا اين ولا كيف . وللمعاني المجرّدة منها اخلاق ؛ ولعالم الحس منها اخلاق ؛ ولعالم الخيال منها اخلاق . فجنة محسوسة لمنى دون حس ؛ وجنة معنوية لحس دون معنى ؛ وحضور مع الحق معنوي لحس دون معنى ؛ وحضور مع الحق محسوس لمنى ؛ ونار محسوسة لمنى دون حس ؛ ونار معنوية لحس دون معنى . وتتفاضل مشارب هؤلاء الطبقات فيها . فمنهم التام والاتم ، والكامل والاكمل .

« فسبحان من بيده ملكوت كل شيء . واليه يرجعون » في كل حضرة . فانه كلما اثبتناه من اعيان اكوان في نار وجنان — فليس الا الحق . اذ هي مظاهره . فالنعيم به لا يصح اصلاً في غير مظهر ، فانه فناء ليس فيه لذة . فاذا اتجه في المظاهر ، وقعت اللذات والآلام ، وسرت في العالم . ويرحم الله من قال :

فهل سمعتم بصب سليم طرف سقيم
منعم بعذاب معذب بنعيم ؟

فبه النعيم ، وبه العذاب . فلا يوجد النعيم ابدًا الا في مركب وكذلك العذاب . وأما النعيم والعذاب البسيط ، فلا حكم له في الوجود فانه معقول غير موجود . فأهل المظاهر هم اهل النعيم والعذاب . واهل احدية الذات لا نعيم عندهم ولا عذاب . قال ابو زيد : ضحكت زمانًا وبكيت زمانًا ؛ وانا اليوم لا اضحك ولا ابكي ! وقيل له : كيف أصبحت ؟ قال : لا صباح لي ولا مساء . انما المساء والصباح لمن تقيد بالصفة ولا صفة لي » .

(فتوحات : ٢ : ٧٢-٧٣)

٨٩) «الجواب : على عدد صحفهم وكتبهم ، لا يزيد ولا ينقص .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ ا) .

ذ وحافظ V .

« الجزاب : كلها الا اثنين . وهم فيها على قدر ما نزل في كتبهم وصحفهم الا محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، فان جمعها كلها بل جمعت له عناية ازلية . قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » فيما لهم به من هذه الاخلاق .

فاعلم ان الله تعالى لما خلق الخلق ، خلقهم اصنافًا ؛ وجعل في كل صنف خيارًا ؛ واختار من الخيار خواصّ ، وهم المؤمنون . واختار من المؤمنين خواص وهم الاولياء . واختار من هؤلاء الخواص خلاصة ، وهم الانبياء . واختار من الخلاصة نقاوة وهم انبياء الشرائع المقصورة عليهم . واختار من النقاوة شرذمة قليلة ، هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل اجمعهم . واصفى واحدًا من خلقه هو منهم وليس منهم . هو المهيمن على جميع الخلائق . جعله عمدًا . أقام عليه قبة الوجود . جعله اعلى المظاهر وأسناها . صح لـه المقام نبيئًا وتعريفًا . قبلـه قبل وجود طينة البشر . وهو محمد رسول الله صلى الله عليـه وسلم . لا يكاثر ولا يقاوم . هو السيد ومن سواه سوقة . قال عن نفسه : « انا سيد الناس ولا فخر » . بالراء والزاي ، روايتان . اي اقولها غير متبجح بباطل . اي اقولها ولا اقصد الافتخار على من بقي من العالم . فاني وان كنت اعلى المظاهر الانسانية فانا اشد الخلق تحققًا بعبني .

فليس الرجل من تحقق بربه ؛ وانما الرجل من تحقق بعينه . لما علم ان الله تعالى اوجده له تعالى لا لنفسه . وما فاز بهذه الدرجة ذوقًا الا محمد ، صلى الله عليه وسلم ! وكُمَّلُ الا الرسل وراسخو علماء هذه الامة المحمدية . ومن سواهم فلا قدم لهم في هذا الامر .

وما سوى من ذكرنا ، ما علم ان الله اوجده له تعالى . بل يقولون : انما اوجد العالم للعالم . « فرفع بعضهم فوق بعض درجات » ، « ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا » ، « وهو غنى عن العالمين » . — هذا مذهب جماعة من العلماء بالله . وقالت طائفة من العارفين : ان الله اوجد الانس له ، تعالى ! والجن . واوجد ما عدا هذين الصنفين للانسان . وقـد روى في ذلك خبر الاهي ، عن موسى ، صلى الله عليه وسلم ، ان الله انزل في التوراة : « يا ابن آدم ، خلقت الاشياء من اجلك وخلقتك من اجلي . فلا تهتك ما خلقت من اجلي فيما خلقت من اجلك » .

وقال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » . وتقتضي المعرفة بالله ان الله خلق العالم وتعرّف اليهم لكمال رتبة الوجود ورتبة العلم بالله لا لنفسه ، سبحانه ! وهـذه الوجوه كلها لها نسب صحيحة . ولكن بعضها احق من بعض . واعلاها ما ذهبنا اليه . ثم يلي ذلك خاتمه لكمال الوجود وكمال العلم بالله . وما بقي فنازل عن هاتين المرتبتين .

واعلم ان كل خلق ينسب الى جناب الحضرة الالهية . فلا بد من مظهر يظهر فيه ذلك الخلق . فاما ان يعود من المظهر التخلق به على جناب الحق ، او يكون متعلقه مظهرًا آخر يقتضيه في عين ممكن ما من الممكنات ، لا يكون الا هكذا . واما الحق ، من حيث هو لنفسه ، فلا خلق .

(السؤال الخمسون) : وكم لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ت[٥٠] ؟

(السؤال الحادي والخمسون) : وأين خزائن المنن[٥١] ؟

فمن عرف النسب فقد عرف الله . ومن جهل النسب فقد جهل الله . ومن عرف ان النسب تطلبها الممكنات ، فقد عرف العالم . ومن عرف ارتفاع النسب فقد عرف ذات الحق ، من طريق السلب ، فلا يقبل النسب ولا تقبله . واذا لم يقبل النسب لم يقبل العالم . واذا قبل النسب كان عين العالم .

قال تعالى : « واعبد ربك » – نسبة خاصة – « حتى يأتيك اليقين » فتعلم من عبده ، ومن العابد والمعبود .

قال تعالى : « ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها انّ ربي على صراط مستقيم » – « وان هذا صراط مستقيم فاتبعوه » – « اهدنا الصراط المستقيم » – « اعطى كل شيء خلقه » – « صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور » – « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » – « واليه يرجع الامر كله فاعبده » لا تعبد انت ؛ فان عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت . وان عبدته من حيث لم تعرفه فنسبته الى المرتبة الالهية عبدت . وان عبدته عيناً من غير مظهر ولا ظاهر ولا ظهور ، بل هو هو لا انت ؛ وانت انت لا هو ، فهو قوله : « فاعبده » – فقد عبدته ! وتلك المعرفة التي ما فوقها معرفة . فانه معرفة لا يشهد معروفها . – فسبحان من علا في نزوله ، ونزل في علوه . لم يكن واحدًا منها ولم يكن الاهما . « لا اله الا هو العزيز الحكيم » !

(فتوحات : ٢ : ٧٣–٧٤)

يلاحظ ان ابن عربي هنا في الفتوحات قد جمع في اجابة واحدة عن السؤالين رقمي ٤٩ و ٥٠ .

٩٠) « الجواب : كلها الّا انه ، صلى الله عليه وسلم ، يزيد على جميع الرسل كلهم في هذه الاخلاق بخلقين خاصة ، لم ينلها (في الاصل : ينلها) احد غيره . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ أ) .

٩١) « الجواب : في حضرة التقرير . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ أ) .

« الجواب : في الاختيار المتوهم ، المنسوب اليه واليك . فانت مجبور في اختيارك . فاين الاختيار ؟ وهو ليس بمجبور . وامره واحد . فأين الاختيار ؟ ولو شاء الله ما شاء .

ت محمد V .

ت + منها V .

(السؤال الثاني والخمسون) : وأين خزائن سعى التفوس[١٢] ؟

« وإن يشأ يذهبكم » . وليس بمحل للحوادث . بل الاعيان محل الحوادث . وهو عين الحوادث عليها . فانها محال ظهوره .

« ما يأتيهم من ذكر من الرحمن من ربهم محدث » . والذكر كلامه . وهو الذي حدث عندهم . وكلامه علمه . وعلمه ذاته . فهو الذي حدث عندهم . فهو خزائن المنن . والمنن ظهور ما حدث عندهم فيهم . وهو لا اين له ، فلا اينية لخزائن المنن .

ولما كانت المنن متعددة ، طلب عين كل نسبة منه خزانة . فلهذا تعددت الخزائن بتعدد المنن وان كانت واحدة . — « بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين » انكم يؤمنون . فهذه منتان : منة الهدى ومنة الايمان . وجميع نعمه الظاهرة والباطنة منته . — واذا كان هو عين المنة ، فانت الخزانة . فالعالم خزائن المنن الالهية . ففينا اختزنت منته ، سبحانه ! فما هو لنا بأين . ونحن له « أين » . فن لا « أينية » له هو نحن : فأعياننا « أين » لظهوره .

فحقيقة المكان لا تقبل المكان . ودع عنك من يقول : التمكن في المكان مكان لمكانه : وفرض بين التمكن والمكان حركتين متضادتين تعطى حقيقة المكانية لكل واحد منهما . وهذا من قائله توهّم من اجل ما ذهب اليه . والحقيقة هي ما قررنا : من ان المكان لا يقبل المكان . فلا « أين » للاين لمن هو « أين » له . — وهذا كله في المظاهر الطبيعية . واما في المعاني المجردة عن المواد ، فهي المظاهر القدسية للاسماء التي لا تقبل نسب التشبيه . فالعلم بها أن لا علم ! كما روى عن الصديق انه قال : « العجز عن درك الادراك ادراك ! » .

فانقلب التتريه عن « الاين » لمن يقبل التشبيه . فلا تشبيه في العالم ولا تتريه . فان الشيء لا يتتره عن نفسه ولا يشبه بنفسه . فقد تبينت الرتب . وعالم ما معنى النسب . والحمد لله وحده ان علّم عبده ! » (فتوحات : ٣ : ٧٤-٧٥)

٩٣) « الجواب : سدرة المنتهى : (الجواب المستقيم ، ورقة $\frac{١}{٢٤٦}$) .

« الجواب : ذوات الاعمال . فان اراد تجسد هذا المسمى ، فخزانته الخيال . وان اراد ان يختزن ، ففي سدرة المنتهى . فان اراد ما لها من الخزائن الالهية ، فخزانة الاسم « الحفيظ العليم » .

واعلم ان خزائن هذا المسمى خمس خزائن ، لا سادسة لها . وعباد الله رجلان : عامل ومعمول به . فالمعمول به ليس هو مقصودنا في هذا الباب ، من هذا الفصل . وانما مقصودنا سعي الاعمال ، من حيث نسبتها الى العاملين .

س التقى ٧ .

والعاملون ثلاثة: عامل هو حقّ ؛ وعامل بحق ؛ وعامل هو خلق . وكلٌّ له سعي في العمل بحسب ما اضيف اليه . فان الله قد نسب « الهرولة » اليه ، وهي ضرب من السعي مريع . وقد قال: « ان الله لا يملّ حتى تملّوا » ، ثبت هذا في الحديث الصحيح.

فاما سعي العمل الذي هو حق ، فالعمل يطلب الاجر بنفسه ليجود به على عامله . والعامل هنا ما يعطي حقيقته قبول الأجر ، — ولا بد من الاجر . فيكون اذن الاجر الثناء لا غير . فانه يقبل الثناء هذا العامل الذي هو حق . ولا يقبل القصور ولا الحور ولا الولدان ولا التجليات . فان كان العمل مما يتضمن الحسن والقبح او لاحسن ولاقبح — فلا يضاف اليه مبرّئ عن الحكم بنفي او اثبات . وصاحبه اكمل الناس نعيماً في الجنة ولذة وارفعهم درجة . وما له من الجنات ، من حيث هذا العمل ، سوى جنة عدن . والعمل يطلب نصيبه في جميع الجنان ، من حيث ما هو عمل لا غير . فيعود به على صاحبه . بل يكون له مركباً الى كل درجة في جميع الجنات .

وهو المراد بقوله تعالى عنه : « نتبوأ من الجنة حيث نشاء » الى هنا . وقوله : « فنعم اجر العاملين » ليس هم هؤلاء ، بل العاملون بحق وبخلق الا ان يريد بقوله : « نعم أجر العاملين » الثناء فهو لهم . فان لفظة « نعم » و« بئس » للمدح والذم . والعامل هنا حق . والثناء له حق . و« نعم » كلمة محمدة ومدح . فيكون بهذا التأويل تمام الآية له . والتبوء في الجنات للعمل لا له . فالمحل الذي ظهر فيه العمل ، وهو انت ، هو الذي يتبوأ من الجنة ، بعناية عمله الظاهر فيه ، ما شاء . اذ الصورة الطبيعية منه تطلب النعيم المحسوس والمتخيل . فلهذا ابيحت الجنات له بحكم مشيئته بشفاعة العمل الحق .

فخزائن هذا السعي كلها أنوار : مباحها ومندوبها وواجبها ومحظورها ومكروهها في حكم الظاهر المقرر عند علماء الرسوم ممن ليس له كشف منهم . وهو عند علماء الرسوم ، الذين لهم الكشف الاتم في معرفة الشرائع ، اعني هذا الذي ظهر فيه هذا العمل على هذه الصفة ، ما تصرّف الا فيما حسّنه الشرع وقبله . « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

واما سعي من كان عمله بحق فيقرب من هذا . انه لما شاهد ذاته عاملة ، وهو من اهل « اياك نعبد واياك نستعين » ومن اهل « لا حول ولا قوة الا بالله » ، نقص عن ذلك الاول . فكان صاحب كشف في عمله لاخذ الحق بناصيته في جميع ما يتصرف فيه .

فامتلأت خزائنه الحسنة عندنا ، والسنة عند ابي حنيفة ، نوراً خالصاً ونوراً غير خالص ونوراً مزيلاً لظلمة كانت قبله . فكان ممتزج الأحوال . فلولا عناية هذا الحضور والكشف في حال السعي لما تم له هذا السعد الذي حصل له من ازالة ظلمته .

فهذان الصنفان من أصحاب الاعمال في النور . فلهم اجرهم ونورهم .

واما من كان سعي عامله خلق ، فترفع له خزائن الواجبات ، أعني الفرائض في العمل

(السؤال الثالث والخمسون) : ومن أين يعطى الانبياء. ش (٩٣) ؟

والترك، والمندوبات في العمل والترك، ممتلئة نوراً مشوباً بكون دون انوار من ذكرناهم. وترفع لهم خزائن المباحات فارغة في العمل والترك، الا من ترك المباح او عمله لكونه مباحاً. ففيها نور يليق بهذا النوع . فكأنه نور من وراء حجاب. مثل ضوء الشمس خلف السحاب الرقيق. فان نظر الى تضمن ذلك المباح تركَ محظور او مكروه، ولم يخطر له ترك واجب او مندوب، فان نوره يكون أتم قليلاً وأضوأ من النور الاول المعرّى عن هذا الخاطر . فان خطر له ذلك المباح يتضمن ترك مندوب أو واجب، من واجب يوجبه على نفسه : كمن نذر صيام يوم لا بعينه، وله ان شاء ان يصومه في هـذا اليوم، وهو صوم واجب ولكن لا في هذا اليوم ولا بد، وان صام في هذا اليوم المباح له ترك الصوم فيه، فقد أدّى واجباً — فان نوره في خزانته هذه بين النورين المتقدمين . وترفع له خزائن المحظورات في العمل والترك والمكروهات في العمل والترك .

اما خزائن المحظورات فظلمة محضة . واما خزائن المكروهات فسدفة . وخزائن المكروه كالاسفار والشفق . وما ثَمَّ عامل في المؤمنين او الموحدين الا هؤلاء خاصة . واما من سوى المؤمن او الموحد فلا كلام لنا معه في هذا الفصل من حيث قصد السائل.

واما من حيث سعي الاعمال، فان لكل عامل مدخلاً في هـذا الفصل بحسب سعيه من معطل ومشرك وكافر وجاحد ومنافق. وما ثَمَّ شيء سوى هؤلاء الخمسة . وفي الكلام على مناهجهم تفصيل يطول . وكل يجري في طَلَقه الى اجل مسمّى . وما منهم الا من يقول : انا من الاشياء، فلا بد لي من الرحمة . فان قائلها ليس من صفته التقييد، اذ لو تقيّد لحرج عنه ما لا يمكن ان يكون . فمن المحال خروج شيء عنه . فمن المحال تقييده .

فمنّا من تفيض عليه الرحمة من خزائن الوجوب . ومنا من تفيض عليه الرحمة من خزائن المنن، التي ذكرناها . فالكل طامع . والمطموع فيه واسع . « ان ربك واسع المغفرة » . أترى هذه السعة الربانية تضيق عن شيء هي لم تضق عن الممكنات اذ كانت في الشر المحض، فكيف تضيق عن الممكنات اذ هي في الشر المشوب ؟ « هو اعلم بمن اتقى » فيخصه بالرحمة الموجبة بالصفة الموجبة « فسأكتبها للذين يتقون » ممن لم يتق، فيخصه برحمته المطلقة وهي رحمة الامتنان ولا تتقيد بحصر . فهذا جواب خزائن السعي الاعمال، على الايجاز والبيان » . (فتوحات : ٢ : ٧٥-٧٦)

٩٣) « الجواب : تعطى من عين المنة » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٦ ب).

ش الأولياء ٧ . ، + ومن اين بعض الاولياء ٧ .

(السؤال الرابع والخمسون) : وأين خزائن المحدثين من الاولياء.ص(٩٤) ؟

« الجواب : الانبياء على نوعين : انبياء تشريع وانبياء لا تشريع لهم . وانبياء التشريع على قسمين : انبياء تشريع في خاصتهم ، كقوله : « الا ما حرّم اسرائيل على نفسه »ص؛ وانبياء تشريع في غيرهم وهم الرسل ، عليهم السلام .

اما الانبياء الذين هم الرسل فـ(يعطون) من حضرة الملك ، الذي هو ملك الملك . واما الانبياء غير المرسلين فـ(يعطون) من حضرة الاختصاص . واما الانبياء الذين لا يوحي اليهم الروح المخصوص بذينك الصنفين فـ(يعطون) من حضرة الكرم . والكل (يعطي) من عين المنة والرحمة وهي « الجامع » .

فاما الدائرة العظمى العامة ، التي هي النبوة المطلقة ، فمن اعطيها من حيث اطلاقها فلا يعرف احد ما لديه وما اتحفه به ربه . وهو ايضاً لا يعرف قدر ذلك ، لانه لا يقابله ضد فيها فيتميز عنه . واما من أعطى منها ، من باب الرحمة به وتولى الحق ، بضرب من العطف عليه ، تعليمه : فتعرف اليه بعوارفه ثم عرفه من غيبه ما شاء ان يعرفه . كخضر الذي قال فيه : « آتيناه رحمة من عندنا » اي رحمناه فاعطيناه هذا العلم الذي ظهر به . وان اراد تعالى انه اعطاه رحمة من عنده ، جعلها فيه ليرحم بها نفسه وعباده ، فيكون في حق الغلام رحمة ان حال بينه وبين ما كان يكتسبه ، لو عاش ، من الآثام اذ قد كان طبع كافرًا . واما رحمته بالملك الناصب حتى لا يتحمل وزر غصبه تلك السفينة من هؤلاء المساكين .

فالرحمة انما تنظر من جانب ارحم بها لا من جانب صاحب الغرض ، فانه جاهل بما ينفعه . كالطبيب يقطع رجل صاحب الاكلة رحمة به لبقاء نفسه . فالرحمة عامة من الرحيم الراحم .

ولم أرَ أحدًا اعطى النبوة المطلقة ، التي لا تشريع لها ، الّا ان كان وما عرفته ؛ فهذا لا يبعد . فاني رأيت من اولياء الله تعالى ما لا أحصيهم عددًا ، نفعنا الله بهم !

واما من اعطى النبوة المقيدة بالشرائع ، ففي الزمان منهم اليوم الياس « وان الياس لمن المرسلين » وادريس وعيسى . واختلف في الخضر بين النبوة والولاية . فقيل : هو نبيّ ، وقيل : وليّ » . (فتوحات ، ٢ : ٧٦)

٩٤) « الجواب : في حضرة الغيب . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦أ-٢٤٦ب) .

« الجواب : في حضرة الحق من الحضرات الالهية ، وفي المظاهر الالهية مما وقعت عليه العين او بعض الحواس من صامت معتاد وناطق :

تحدثني في ناطق ثم صامت وغمز عيون ثم كسر حواجب

ص الانبياء ٧ .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا الفصل : « اذا قال الامام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد ! فان الله قال ، على لسان عبده : سمع الله لمن حمده ». فهذا من حديث الله مع خلقه .

وقال تعالى : « فأجره حتى يسمع كلام الله » . فكلّم الله الاعرابي بلسان رسوله ، صلى الله عليه وسلم . فان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هو الذي تلا عليه القرآن . والقرآن كلام الله – قال تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » لانه حدث عندهم ، وان كان قديمًا في نفس الامر من حيث انه كلام الله .

وقال صلى الله عليه وسلم : في عمر ، « انه من المحدثين » « ان يكن في هذه الامة منهم احد » واريد حديثه تعالى مع اوليائه لا مع الانبياء والرسل . فان الاذواق تختلف باختلاف المراتب . فنحن لا نتكلم الا فيما لو ادعيناه لم ينكر علينا ، لان باب الولاية مفتوح ولهذا سأل (الحكيم الترمذي) عن خزائن المحدثين من الاولياء .

فأكمل المحدثين من فهم عن الله ما حدثه به في كل شيء . وهم اهل السماع المطلق من الحق . فان أجابوه به فهو حديث . وان اجابوه بهم فهي محادثة . وان سمعوا حديثه به ، فليس بحديث في حقهم ، وانما هو خطاب او كلام . واهل الحقائق يمنعون المحادثة ولا يمنعون المناجاة . فان الحق لا يحدث عنده شيء . فهو ، سبحانه ! يحدث من شاء من عباده ولا يحدثه منهم احد . لكن يناجونه ويسارونه كالمجتهدين هم اهل المسارة .

فالعالم خزائن المحدثين من الاولياء اذا سمعوا بهم . فالمحدثون انزل الدرجات في في مقامات الاولياء . وهم عند العامة في الرتبة العليا ، لان علومهم ليست عن ذوق ، وانما هي علوم نقل او علوم فكر ، لا غير .

فاما حديث الله في الصوامت ، فهو عند العامة ، من علماء الرسوم ، حديث حال . اي يفهم من حاله كذا وكذا ، حتى انه لو نطق لنطق بما يفهمه هذا الفاهم منه .

قال القوم في مثل هذا : « قالت الارض للوتد : لم تشقني ؟ قال الوتد لها : سلي من يدقني ! » فهذا عندهم حديث حال . وعليه خرجوا قوله تعالى : « وان من شيء الا يسبح بحمده » ، وقوله : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها » اباية حال .

واما عند اهل الكشف ، فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان . يسمعه المقيد بأذنه في عالم الحس لا في عالم الخيال ، كما يسمع نطق المتكلم من الناس والصوت من اصحاب الاصوات . فما عندنا في الوجود صامت اصلاً . بل الكل ناطق بالثناء على الله . كما انه ليس عندنا في الوجود ناطق اصلاً ، من حيث عينه . بل كل عين ، سوى الله ، صامتة لا نطق لها . الا انها لما كانت مظاهر ، كان النطق للظاهر . – قالت الجلود :

(السؤال الخامس والخمسون) : وما الحديث[٩٥] ؟

« انطقنا الله الذي انطق كل شيء » . فالكلام في المظاهر هو الاصل ، والصمت فيها عرض يعرض في حق المحجوب . والصمت في الاعيان هو الاصل ، والكلام المسموع منها عرض يعرض في حق المحجوب . فلاصحاب الحرف والصوت عذر عند هؤلاء . ولمنكر الصوت والحرف عذر ايضاً عندهم ». (فتوحات ، ٣ : ٧٦–٧٧)

٩٥) « الجواب : بحسب الوقت . وان كان سؤاله عن ماهية الحديث ، في كيفية الحصول : فهو تجل من سماه موسى ، عليه السلام . يجد مواقع الخطاب في سمع قلبه من قوله (تعالى) : « او القى السمع وهو شهيد » . وذلك خلف الحجاب الاقدس » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٦ ب) .

« الجواب : ما يتلقاه السامع اذا سمعه به لا بربه . فذلك هو الحديث لا غير . فان سمعه بربه فليس ذلك بحديث . ومعنى قوله : سمعه بربه ، قول الله تعالى « كنت سمعه الذي يسمع به » . فاعلم ان وصفه بانه سميع هو عينه لا امر زائد .

واعلم ان تحقيق هذا ، انه لكل اسم الاهي نسبة كلام . والانسان محل لاختلاف الاحوال عليه عقلاً وحساً . وذلك ان الالوهية تعطي ذلك لذاتها ، فانها بالنسبة الى العالم بهذه الصفة . قال تعالى : « يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن » . فكل حال في الكون فهو عين شأن الاهي . وقد تقرر في العلم الالهي ، انه تعالى لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين ، ولا في صورة واحدة لشخص مرتين . وكل تجل له كلام . فذلك الكلام ، لهذا الحال من هذا التجلي ، هو المعبر عنه بالحديث . فالحديث لا يزال أبداً . غير انه من الناس من يفهم انه حديث ومن ، الناس من لا يعرف ذلك . بل يقول : ظهر لي كذا وكذا . ولا يعرف ان ذلك من حديث الحق معه في نفسه . لانه حرم عين الفهم عن الله فيا يحسب انه خاطر .

والذين قسموا الخواطر الى اربعة ، فذلك التقسيم لا يقع في الحديث . فان الحديث حديث في كل قسم . وانما الاقسام وقعت في الذوات ، التي فهم منها ما اريد بالحديث . فيقال : خاطر شيطاني وهو حديث رباني وقول الاهي لما اراده الحق وقال له : « كن » فكان . فناجاه الاسم « البعيد » كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر الملكي الاسم « القريب » ؛ كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر النفسي الاسم « المريد » ؛ كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر الرباني الاسم « الحفيظ » . فهذه الخواطر كلها من الحديث الالهي ، الذي لا يشعر به الا رجال الله .

فالعالم كله على طبقاته لا يزالون في الحديث . فمن رزق الفهم عنه تعالى وعرفه ، فذلك

(السؤال السادس والخمسون) : وما الوحي[٦٦] ؟

المحدث ؛ وهو من اهل الحديث . وعلم ان كل ما سمعه حديث بلا شك . وان اختلفت الغايه : كالسحر والمناجاة والمناغاة والاشارات . فالكلام كله حادث قديم : حادث في السمع ، قديم في المسمّع . فافهم ! » (فتوحات ، ٢ : ٧٧-٧٨)

٩٦) « الجواب : مواقع الاشارات الالهية في القلب ، من غير ريب . هذا اصله . وليس فيه ، من حيث اصله ، تفصيل . وكل ما سمي وحيًا ؛ من غير هذا الصنف ، فمن باب تسمية الشيء باسم (ذلك) الشيء ، اذا كان مجاوزًا له او كان منه بسبب » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٣٦ ب) .

« الجواب : ما تقع به الاشاره ، القائمة مقام العبارة من غير عبارة . فان العبارة تجوز منها الى المعنى المقصود بها ، ولهذا سميت عبارة . بخلاف الاشارة ، التي هي الوحي : فانها ذات المشار اليه . والوحي هو المفهوم الاول ، والافهام الاول . ولا اعجل من ان يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه . فان لم تحصل لك هذه النكتة ، فلست الا صاحب وحي . الا ترى ان الوحي هو السرعة . ولا سرعة اسرع مما ذكرناه .

فهذا الضرب من الكلام ليس وحيًا . ولما كان بهذه المثابة ، وانه تجل ذاتي — لهذا ورد في الخبر : « ان الله اذا تكلم بالوحي ، كأنه سلسلة على صفوان ، صعقت الملائكة » . ولما تجلى الرب للجبل تدكدك الجبل ، وهو حجاب موسى . فانه كان ناظرًا اليه طاعة لامر الله . فلاح له عند تدكدك الجبل ، الامر الذي جعل الجبل دكًا « فخر موسى صعقًا » . — « حتى اذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال » القائل « ربكم ؟ » قالت الملائكة « الحق » قالت الحقيقة : « وهو العلي الكبير » . — هذه النسبة من حيث هويته .

فالوحي ما يسرع اثره من كلام الحق تعالى في نفس السامع . ولا يعرف هذا الا العارفون بالشؤون الالهية ، فانها عين الوحي الالهي في العالم ، وهم لا يشعرون . فافهم !

وقد يكون الوحي إسراع الروح الالهي الامري بالايمان بما يقع به الاخبار . والمفطور عليه كل شيء مما لا كسب له فيه من الوحي ايضًا ، كالمولود يتلقى ثدي امه . ذلك من اثر الوحي الالهي اليه . كما قال (تعالى) : « ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون » — « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات ، بل احياء ولكن لا تشعرون » وقال تعالى : « وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون » . فلولا ما فهمت من الله وحيه ، لما صدر منها ما صدر .

ولهذا لا يتصور المخالف اذا كان الكلام وحيًا ، فان سلطانه اقوى من ان يقاوم . — « واوحينا الى ام موسى : ان ارضعيه . فاذا خفت عليه فألقيه في اليم » وكذا فعلت ولم

(السؤال السابع والخمسون) : وما الفرق بين النبيين والمحدثين[٩٧] ؟

تخالف . مع ان الحالة تؤذن انما القته في الهلاك . ولم تخالف ولا ترددت ولا حكمت عليها البشرية بأن القاءه في اليم في تابوت من اخطر الأشياء . فدل على ان الوحي اقوى سلطاناً في نفس الموحى اليه من طبعه ، الذي هو عين نفسه .

قال تعالى : « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » . وحبل الوريد من ذاته . - فيا ايها الولي ، اذا زعمت ان الله اوحى اليك ، فانظر في نفسك في التردد او المخالفة . فان وجدت لذلك اثراً بتدبير او تفصيل او تفكر ، فلست صاحب وحي . فان حكم عليك وأعماك وأصمك وحال بين فكرك وتدبيرك وأمضى حكمه فيك - فذلك هو الوحي . وانت عند ذلك صاحب وحي . وعلمت عند ذلك ان رفعتك وعلو منصبك ان تلحق بمن تقول انه دونك : من حيوان ونبات وجماد . فان كل ما سوى مجموع الانسان مفطور على العلم بالله ، الا مجموع الانسان والجان . فانه من حيث تفصيله مفطور على العلم بالله ، كسائر ما سواهما من المخلوقات من مَلَك ونبات حيوان وجماد .

فما من شيء ، فيه من شعر وجلد ولحم وعصب ودم وروح ونفس وظفر وناب ، الا وهو عالم بالله تعالى بالفطرة بالوحي ، الذي تجلى له فيه . وهو ، من حيث مجموعيته وما لجمعيته من الحكم ، جاهل بالله حتى ينظر ويفكر ويرجع الى نفسه فيعلم ان له صانعاً صنعه وخالقاً خلقه . فلو اسمعه الله نطق جلده او يده او لسانه او رجله - لسمعه ناطقاً بمعرفته ربه ، مسبحاً لجلاله ومقدساً . - « يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » . - « وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ » .

فالآن من حيث تفصيله عالم بالله . ومن حيث جملته جاهل بالله حتى يتعلم ، اي يعلم بما في تفصيله : فهو العالم الجاهل . - « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين » . فالانسان من حيث تفصيله صاحب وحي ؛ ومن حيث جملته لا يكون في كل وقت صاحب وحي » .

(فتوحات ٢ : ٧٨)

٩٧) « الجواب : تقرير الاحكام في الحديث ، او انشاؤها . الا ان ابا حامد الغزالي فرق بينهما برؤية المحدث . وليس الامر كذلك . فقد رآه الأولياء في حال حديثه لهم ؛ فكل قال ما شاهد . ولكن حكم ابي حامد بان هذا هو الفرق خطأ . ومشهده صحيح . وهذا كله اذا كان الحديث من الملك والروح . وان كان الحديث من الحق ، فلا سبيل الى رؤية المحدِّث : فانه اذا اشهدك لم يحدثك ، واذا حدثك لم يشهدك . فالحديث ابداً لا يكون الا خلف الحجاب الأقدس : فانه اذا كلمك أعماك وأصمك وأنطقك ؛ واذا أشهدك أفناك وأصمك وأخرسك ! » (الجواب المستقيم ورقة ٣٦ب) .

« الجواب : التكليف . فان النبوة لا بد فيها من علم التكليف . ولا تكليف في حديث المحدثين جملة ورأساً . هذا ان اراد انبياء الشرائع . فان اراد اصحاب النبوة المطلقة ، فالمحدثون اصحاب جزء منها . فالنبيّ الذي لا شرع له فيا يوحي اليه به هو رأس الأولياء وجامع المقامات ، مقامات ما تقتضيه الاسماء الالهية ، مما لا شرع له فيه من شرائع انبياء التشريع الذين يأخذون بوساطة الروح الامين من عين الملك . والمحدث ما له سوى الحديث ، وما ينتجه من الأحوال والاعمال والمقامات ، فكل نبي محدث ، وما كل محدث نبي وهؤلاء هم انبياء الأولياء . -

واما الانبياء الذين لهم الشرائع ، فلا بد من تنزل الارواح على قلوبهم بالأمر والنهي . وما عدا ما يتنزلون به من الامر والنهي ، مثل العلوم الالهية والاخبارات عن الكوائن والامور الثابتة – فذلك خارج عن نبوة الشرائع . وهو من احوال الانبياء على العموم ، ويناله المحدث .

فان ظهر من اصحاب النبوة المطلقة حكم من الاحكام الظاهرة من انبياء الشرائع ، من قتل او اخذ مال او فعل من الافعال يناقض حكم شرع الزمان المقرر – فاعلم ان هذا النبي ، الذي ما له شرع ، ليس ذلك من شرع نزل اليه وخوطب به . بل لا يزال تابعاً لرسول قد شرع له ما شرع . وانما اتفق انه اخبر باتباع شرع رسول قد شرع له مما لم يشرع لرسول آخر . وحكمه في حق هذا الرسول يعارضه حكم الرسول الآخر . فاذا اجتمع هذا الشخص ، الذي هو بهذه المثابة ، مع رسول من الرسل ، كالخضر مع موسى عليه السلام ، فحكم في قتل الغلام بما حكم ، وانكر عليه موسى قتل نفس زكية في ظاهر الشرع بغير نفس ، مما لم يكن ذلك حكمه في شرعه ، فقال له : « لقد جئت شيئاً نكراً » اي ينكره شرعي ، وقال له الخضر : « ما فعلته عن امري » يعني في كل ما جرى منه – فكان الخضر في حكمه على شرع رسول غير موسى ، فحكم بما حكم به مما يقتضيه شرع الرسول الذي اتبعه . ومن شرع ذلك الرسول حكم الشخص بعلمه . فحكم بعلمه في الغلام بأنه كافر . فلم يكن حكم الخضر فيه من حيث انه صاحب شرع منزل ، وانما حكم فيه مثل حكم القاضي عندنا بشرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا الحد تصدر الأحكام من انبياء الأولياء .

فان قيل : هذا يجوز في زمان وجود الرسل ، واليوم فما ثَمّ شرع الّا واحد فهل يتصور ان يحكم انبياء الأولياء بما يخالف شرع محمد ، صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : لا ، نعم ! فاما قولنا : لا ، فانه لا يجوز ان يحكم برأيه . وأما قولنا : نعم . فانه يجوز للشافعي ان يحكم بما يخالف به حكم الحنفي وكلاهما شرع محمد ، صلى الله عليه وسلم : فانه قرر الحكمين . فخالفت شرعه بشرعه .

فاذا اتفق ان يخبر انبياء الأولياء فيا يعلمهم الحق من احكام شرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، او يشهدون الرسول، صلى الله عليه وسلم ، فيخبرهم بالحكم في امر يرى خلافه احمد والشافعي ومالك وابو حنيفة ، لحديث رووه صح عندهم عن طريق النقل ، فوقفت عليه انبياء الأولياء، وعلمت من طريقها ، الذي ذكرناه ، ان شرع محمد يخالف هذا الحكم وان ذلك الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح– وجب عليهم امضاء الحكم بخلافه ضرورة. كما يجب على صاحب النظر اذا لم يقم له دليل على صحة ذلك الحديث وقام لغيره دليل على صحته ، وكلاهما قد وفى الاجتهاد حقه – فيحرم على كل واحد من المجتهدين ان يخالف ما ثبت عنده . وكل ذلك شرع واحد .

فمثل هذا يظهر من انبياء الأولياء بتعريف الله انه شرع هذا الرسول . فيتخيل الاجنبي فيه انه يدّعي النبوة ، وأنه ينسخ بذلك شرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيكفّره . وقد رأينا هذا كثيرًا في زماننا ، وذقناه من علماء وقتنا . فنحن نعذرهم ، لانه ما قام عندهم دليل صدق هذه الطائفة . وهم مخاطبون بغلبة الظنون . وهؤلاء علماء بالاحكام ، غير طائنين بحمد الله . فلو وفوا النظر حقه، لسلموا له حاله كما يسلم الشافعي للمالكي حكمه ولا ينقضه اذا حكم به الحاكم . غير انهم ، رضي الله عنهم ، لو فتحوا هذا الباب على نفوسهم لدخل الخلل في الدين من المدعي صاحب الغرض: فسدوه . وقالوا: ان الصادق من هؤلاء لا يضرّه سدُّنا هذا الباب . ونعم ما فعلوه !

ونحن نسلّم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالأجر التام عند الله . ولكن اذا لم يقطعوا بأن ذلك مخطئ في مخالفتهم . فان قطعوا فلا عوز لهم . فان اقل الاحوال ان يترلوهم مترلة اهل الكتاب :« لا نصدقهم ولا نكذبهم » . فانه ما دل لهم دليل صدقهم ولا كذبهم . بل ينبغي ان يجروا عليهم الحكم ، الذي ثبت عندهم مع وجود التسليم لهم فيا ادعوه . فان صدقوا فلهم (أجر صدقهم) ، وان كذبوا فعليهم (وزر كذبهم).

فعلى هذا تجري الاحكام من انبياء الأولياء . لا انهم أرباب شرائع بل اتباع (شرائع) ولا بد. ولا سيا في هذا الزمان الذي ظهرت فيه دولة محمد،صلى الله عليه وسلم. والمحدثون ليست لهم هذه الرتبة . بل رتبتهم الحديث لا غير . فهم ناظرون في كل شيء ، آخذون من عين كل شيء ، من كون كل شيء مظهر حق . غير انهم لا يتعدون حدود الله جملة . فان صدر منهم ما هو في الظاهر تعدّ لحدّ من حدود الله ، فذلك الحد هو بالنسبة اليك حدّ وبالنسبة اليه مباح لا معصية فيه. وانت لا تعلم، وهو على بيّنة من ربه في ذلك . فما اتى محرمًا من هذه صفته . فانه ممن قيل فيه :« اعمل ما شئت » . فما عمل الا ما ابيح له عمله . فانه امر لا على جهة الوعيد، مثل قوله (تعالى) :« اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير » ، فهذا وعيد .

(السؤال الثامن والخمسون) : واين مكانهم منهم (٩٨) ؟

واما قولنا فيمن قيل له : اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، فعمل على كشفه وتحقق . وهذا ثابت في شرعنا بلا شك . فاعل الحديث ايضاً لهم في مثل هذا قدم . ولكن ليسوا (الاصل: ليس) هم مخصوصين به ، بل يشاركهم فيه من ليس بمحدث من الاولياء .

وقد عرفتَ صفة المحدثين فيما قبل ، وصفة النبيين فقف عند ذلك ! « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » . (فتوحات ٢ : ٧٨-٨٠)

٩٨) « الجواب : مكان القدم الذي يرفعونه ، لا غير . وابو يزيد البسطامي رضي الله عنه ، ممن احترق من خلف الحجاب ، عند مشاهدته قد خرّز (في الأصل: خرت) الابرة ، من الاختصاص المحمدي . ولقد ترقى في وقتنا هذا ، بعض العراقيين ، وهو محمد اللّواني (الاصل: الأواني) ، رحمه الله ، الى ان لم يَرَ امامه سوى قدم واحدة ، فادركته الغيرة . فقيل له : اسكن ، فانها قدم نبيك ! فسكن . وأشار بذلك الى علوه على عبدالقادر الجيلي . فقيل ذلك لعبدالقادر . فتبسم . وقال : صدق محمد ! ولكني كنت في المخدع ، حين خرجت له النوالة . وذكر له العلامة . فأقر محمد بفضله وتقدمه . فقال عبد القادر : محمد من الافراد ، ولذلك خفي عنه عبد القادر لانه خارج عن دائرته . وكان هذا ، عبدالقادر ، ممن اعطى التصرف وقبله وحكم به . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ ب – ٢٤٧ ا) .

« الجواب : مكان التابع من المتبوع ، وهو المشي على الاثر . قال شيخنا محمد بن قائد : « رأيت في دخولي عليه (على الحق ، سبحانه) أثر قدم امامي . فغرت . فقيل لي : هذه قَدَم نبيك ! فسكن ما بي » .

فاعلم ان هذه الدولة (الدورة ؟) المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين ، عليهم السلام ! فأيّ وليّ رأى قَدَماً امامه ، فتلك قدم النبيّ الذي هو له وارث . وأما قَدَم محمد ، فلا يطأ اثره احد ، صلى الله عليه وسلم ! كما لا يكون احد على قلبه . فالقدم التي رآها محمد بن قائد ، او يراها كل من يراها ، فتلك قَدَم النبي الذي هو له وارث ، ولكن من حيث ما هو محمدي لا غير . ولهذا قيل له (لمحمد بن قائد) : « قدم نبيك » ، ولم يقل له : هذه قدم محمد ، صلى الله عليه وسلم ! فان كان الشيخ فهم منه ما ذكرناه ، فهو من اهل الحديث والكمال . وان كان فهم منه قدم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فذلك صدع اصاب عين فهمه . – ولهذا قال السائل : « اين مكانهم منهم ؟ » ولم يقل : منه . والمكان هنا يعني به المكانة . –

وحكى عن عبد القادر الجيلي انه قال ، حين قيل له ما قاله هذا الشيخ (= محمد بن قائد) : كنت في المخدع ، ومن عندي خرجت له النوالة ، يعني الخلعة التي اعطى . لانه سئل (محمد بن قائد) عنه (= عبد القادر) ، فقال : ما رأيته في الحضرة . فقيل ذلك لعبد القادر ،

فلذلك قال : كنت في المخدع ، وسمّى النوالة . وكان كما قال . وانما قال (عبدالقادر) : في المخدع ، ولم يسمّ مكان صونه وعين هذا الاسم ، ليعلم بخداع الله محمد بن قائد حيث حكم انه ما رأى عبد القادر في الحضرة في معرض النفاسة عليه . فان حضرة محمد بن قائد في هذه الواقعة هي حضرته التي تختص به من حيث معرفته بربه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر . فستر عنه مقام عبد القادر خداعاً . فهم ذلك عبد القادر ، فقال : كنت في المخدع . — وقوله : ان من عنده خرجت النوالة ، يدل على ان عبد القادر كان شيخه في تلك الحضرة ، وعلى يديه استفادها وجهل ذلك محمد ابن قائد فان الرجال في ذلك كانوا تحت قهر عبدالقادر ، فيما يحكى لنا من احواله واحوالهم . وكان يقول هذا عن نفسه ، فيسلم له حاله . فان شاهده يشهد له بصدق دعواه . فانه كان صاحب حال مؤثرة ربانية ، مدة حياته . لم يكن صاحب مقام وما انتقل الى حال ابي السعود ، وان كان تلميذه ، الا عند موته : وهي الحال الكبرى . وكانت هذه الحال مستصحبة لابي السعود طول حياته . فكان عبداً محضاً ، لم تشب عبوديته ربوبية . فاعلم ذلك !

ثم لتعلم ان مكان كل واحد من نبيه ، الذي هو وارثه ، انما مكانه منه على الحال التي اثمر له طريقه . فانه لا يرث احد نبياً على الكمال . اذ لو ورثه على الكمال لكان هو رسولاً مثله او نبي شريعة تخصه ، يأخذ عمن يأخذ عنه . وليس الامر كذلك . الا أنّ الروح الذي يلقى على ذلك النبي تمتد منه رقيقة ملكية لقلب هذا الرجل الوارث ، في صورة حالة مشوبة في ظاهرها ، بصورة ذلك الملك . وتسمّى تلك الروحانية باسم ذلك الملك . وتخاطب هذا الوارث ويخاطبها هذا الوارث بقدر حاله . وينطلق على تلك الرقيقة اسم ذلك الروح . وربما بعض الورثة يتخيل انه عين الروح ، الذي كان يلقي على ذلك النبي . وانه الروح عينه ، والصور مختلفة . وليس الامر كذلك . والخطاب من حيث الصورة لا من حيث الروح ، وتتميّن المرتبة بالصورة .

فمرفة الانسان بنفسه ومرتبته لا تعلم الا من الصورة . ومن هنا يتخيل ، من لا تمكّن له في المعارف الالهية ذوقاً ، انه نبي او قد نال درجة انبياء الشرائع . ولهذا قال بعض السادة ، من رجال الله : « جعلك الله محدثاً صوفياً ولا جعلك صوفياً محدثاً . فان الغالب ان تكون بحكم الاصل المتقدم ، الّا ان يعصم الله . »

فمرفة المكان الذي لنا من الانبياء واجب علينا العلم به ، لئلا نكون ممن لبس عليه في ذلك . ولا سيما وانه يقول : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » « ولو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً » . ولو كان رجلاً لظهر في صورة ملك للالتباس المطلوب ، الذي هو صورة علمهم ، ليعلم انه ما اتى عليهم الا منهم . فما جنوا الّا ثمرة علمهم . هذا هو الحق ! » (فتوحات ، ٣ : ٨٠)

(السؤال التاسع والخمسون) : وأين سائر الاولياء.[٦٦] ?

٩٩) « الجواب : خلف حجاب النور في النور . والمؤمنون خلف حجاب الغيب في النور . والرسل والانبياء في الضياء والظلال . فلهم الكشف الاتم ، والراحة العظمى . والافراد هم الذين يغبطهم الانبياء لمنع الحق لهم التصرف في وجودهم ، فاجرى في الكون . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٧ أ) .

« الجواب : في النور ، خلف حجاب السبحات الوجهية من الانوار والظلم في نور ممتزج بينها ، كنور الاسحار وهو السدفة . واما المؤمنون فانهم في النور العام المبطون في ظلم الحجب . ومنه تخلص الأولياء الى هذا النور الممتزج . والاكابر احرقتهم انوار السبحات . وخواص الأكابر احرقهم نور البصر .

فالاولياء لا يتجاوز علمهم الصفات الذاتية ، من حيث ما هي منسوبة الى الحق الموصوف بها ، لا من حيث ما دلّت عليها دلائل الآثار . فهم يعرفون العالم من الله ، ويعرفون الله بالله . ومن دونهم ، يعرفون الله من العالم .

واما العالم فلا يعرفه من نفسه الا أكابر الرجال ، الذين لا يعرفون الاشياء او المعلومات الا من نفوسها واعيانها . فلا يتخذون دليلًا على الشيء او المعلوم سوى نفس ذلك (الشيء أو المعلوم . وذلك لارتفاع المناسبات ولسريان الاحدية في كل (شيء و) معلوم : فكما انه لا مناسبة بين الله وبين خلقه كذلك لا مناسبة بين اعيان العالم والمظاهر . فلا يعرفون شيئًا بشيء ولا معلومًا بمعلوم غيره (= غير ذلك الشيء او المعلوم) . وسائر الاولياء ما لهم هذه المرتبة.

وكيف يعرف الشيء بغيره ؟ ولا يجتمع الدليل والمدلول ! فان احدهما اذا انتفى بوجود الآخر جهلت المناسبة المتخيلة . فذلك المدلول انما عرفته حين ظهر لك بنفسه . واما حين نظرك الى الدليل ، على زعمك ، فلا علم لك الا بذات الدليل . لان ذاته عرّفتك بذاته ، لا بما جعلته دليلًا عليه . فان المدلول ، في حين علمك بالدليل ، لست بعالم به.

فهذا الذي جعل اكابر الرجال لا يتخذون امر الأمر . وانما يتخذون كل امر نفسه وعينه . فيعلمون هؤلاء الله بالله ، والعالم بالعالم ، والاسماء بالاسماء . فلا فكر لهم في استنباط شيء كما لسائر الاولياء . فلهم الشهود الدائم !

فاينية سائر الأولياء في الادلة . فلا يشهدون مدلولًا ابدًا . وعلى هذا جرت أحكامهم . — واما أينيّتهم في القيامة ، فهم الذين لا يخافون « ولا يحزنهم الفزع الاكبر » لانهم ما لهم نبع وهم في انفسهم آمنون . فتغبطهم الانبياء في ذلك الموطن خاصة . — واما اينيتهم في الكثيب ، يوم الزور الاعظم ، فلهم الكراسي عليها يقعدون والمنابر والأسرة . والمراتب لغيرهم ، ولكن من حيث هم رسل وانبياء ومؤمنون .

(السؤال الستون) : وماحض خوض الوقوف حض (١٠٠) ؟

وأما الاكابر في العلم بالله، فان لهم قوة على التحول في رقايق، لتحوّل التجلي في الصور. فيبدون لكل تجلّ في صورة رقيقة صورية من ذواتهم، تشاهد ما يشاهده اهل الجمع. وهم في تلك الحال في تصورهم ينمون في صور اجسامهم الطبيعية. فهم مع الله (الاصل: ومع الله)، من حيث كونه احدى الذات، بحقايقهم، و(هم) في الكثيب عند الرؤية برقايقهم المثنوية التي اوجدوها لصور التجلي ومن سواهم، فحالهم (انهم) اذا كانوا في الجنان لا يكونون في الكثيب، واذا كانوا في الكثيب لا يكونون في الجنان، فتفقدهم جوارحهم وولدانهم. وأكابر القوم لا يفقدهم شيء من ملكهم. فهؤلاء بأيديهم ملكوت ملكهم. »

(فتوحات، ٢: ٨٠-٨١)

١٠٠) « الجواب : مشاهدة الماء، الذي ذكره النبي، عليه السلام، حين قيل له : « اين كان الله قبل إن يخلق الخلق ؟ فقال، صلى الله عليه وسلم : في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء. » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٧ أ).

« الجواب. دخول بعضهم في بعض، طلباً للتخلص مما هم فيه من شدة ذلك اليوم وكربه. فمنهم الخائض في طلب ويشفع له. ومنهم الخائض في طلب من يتكرم (يكرمُ) عليه لينقذه من هول ذلك اليوم. ومنهم الخائض في طلب من يشهد له. ومنهم الخائض في طلب الخصم لطلب القصاص. ومنهم الخائض ليختفي ويستتر من خصمائه. ومنهم الخائض ليستتر حياداً من معارفه. وعلى هذا كان يعمل شيخنا ابو عمران موسى بن عمران الميرتلي. قلت له يوماً : لم تنغلل من معارفك ؟ فقال : ربما لا اكون هناك بذاك، فاستحي من معارفي. فاذا لم أرَ من اعرف، هان عليَّ بعض الحال. — ومنهم الخائض ليعرف منزلته. لما هو عليه من المكانة عند ربه « ليغيظ بهم الكفار ». وأمثال هذا هو خوض الوقوف اذا تأملت.

وأما الطائفة التي كانت تخوض في آيات « وكانوا بها يستهزؤون »، فان الله يخوض بهم في ثمرات أعمالهم : كما كانوا في الدنيا « في خوضهم يلعبون »، يكونون في الآخرة « في خوضهم يجزنون ». — « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. واذا مروا بهم يتغامزون. واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين. واذا رأوهم قالوا : ان هؤلاء لضالون » — فهذا خوضهم في الدنيا — « وما ارسلوا عليهم حافظين. فاليوم الذي آمنوا من الكفار يضحكون » — الصورة بالصورة، فهذا خوضهم في الوقوف.

قال تعالى، يوصينا ويحذرنا عن هذه صفته : «واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض

حض — حض وما حظ الرفرف ٧.

(السؤال الحادي والستون) : وكيف صار امره كلمح البصر [١٠١] ؟

عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» ،«انكم اذن مثلهم» اذا اقمتم معهم . وهم بهذه المثابة وان لم يخوضوا (الاصل: تخض) معهم . — قال تعالى : « ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » . « يا عبادي ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون » . — فهؤلاء في الوقوف يخاض بهم من حيث يكرهون ، كما خاضوا هنا حيث يكره الحق منهم . — والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! » . (فتوحات : ٣ : ٨١)

١٠١) « الجواب : من حيث ان اللمحة (من البصر) كانت (الاصل : وان كانت) واحدة وانما (أس) واحد فانطبقت (الاصل: واسط) ما تتضمنه من المبصرات من الفلك الأقصى الى حيث بلغت . وتنوعت المبصرات فتنوعت العلوم ، والامر واحد . فكذلك « الامر » : تنوعت آثاره مع احديته في ذاته ». .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٧ أ — ٢٦٧ ب) .

« الجواب : الضمير في «امره» يعود على الوقوف . فاعلم ان الكيفيات لا تنال . ولكن تنال بضرب من التشبيه . فان « امره واحدة» اي كلمة واحدة مثل «لمح البصر» . فان اللمحة الواحدة من البصر تعم من احكام المرئيات ، من حيث الرائي الى الفلك الأطلس ، جميع ما يحوي عليه ما أدركه بصره في تلك اللمحة من الذوات والأعراض القائمة بها من الأكوان والألوان .

— وفي العبادات كل مصلٍّ . والخلق كله مصلٍّ . من حيث دعي ليناجي ربه في الان الواحد . كذلك أمره في الوقوف مع كون ذلك المقدار الزماني خمسين الف سنة من ايام الدنيا . وهو يوم « ذي المعارج » . و « يوم الرب » من « يوم ذي المعارج » مثل نصف خمس الخمس .

فالأيام وان اختلفت مقاديرها ، وعدها اليوم الشمسي ، فان امر الله فيها مثل لمح البصر ، للافهام والتوصيل . وربما هو في القلة اقل من هذا المقدار . بل مقداره الزمان الفرد المتوهم ، الذي هو « يوم الشأن » . فالشأن ، بالنظر الى الحق ، واحد منه ؛ وبالنظر الى قوابل العالم كله شؤون . ولا (أنّ) الوجود حصرها ، لقلنا انها لا غاية لها . فانظر الحكم الواحد من الحاكم كيف تعدد وعظم بحيث لا يمكن ان يحصره عدد من حيث العالم وانما يحصيه « من احاط بكل شيء علماً » و«احصى كل شيء عدداً » .

فكما صارت الخمسون الف سنة كيوم واحد وفي يوم واحد ، كذلك صار « امره كلمح البصر » . وسبب ذلك ، ان الذي يصدر منه الامر لا يتقيد . فهو في كل مأمور بحيث أمر . فينفذ الامر بحكمه دفعة واحدة . وهذا اذا لم يقف في المحدثات وجوده

السؤال الثاني والستون): وامر الساعة أقرب من لمح البصر(١٠٢) ؟

بهذه السمة ، فما ظنك بالأمر الحق . فان الهواء حكمه في كل شيء من العالم الطبيعي اسرع من لمح البصر. وهو أمر واحد ، كالانسان الواحد. وكذلك الروح الأمري في الفصول وفي الاجسام الطبيعية . فمثل هذا لا يستبعده الا من لا علم له بالأمور والحقايق ، ولاسيما.

وابن أعاد الضمير في سؤاله من « أمره » على الضمير المذكور في سورة القمر: « وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر » وهو الذي اراد ، والله أعلم . مع انه يسوغ ان يعود (الضمير) على الوقوف وعلى الخوض، فان الزمان الواحد يجمع الخائضين في خوضهم و(الواقفين). – والله الهادي من شاء الى الحق والى طريق مستقيم . » (فتوحات ، ٢ : ٨١–٨٢)

١٠٢) « الجواب : لان لمح البصر انما سيق تشبيهاً للتوصيل . فلما استقر في نفس السامع ، قيل له : هو اقرب من ذلك . وسميت الساعة (ساعة) لانها تسعى بما فيها . فوقع التشبيه « بلمح البصر » ، لان البصر له سعي باللحظة في المرئيات: فاشتركا في السعي . »

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٢ب) .

« الجواب: سميت الساعة ساعة ، لانها تسعى الينا بقطع هذه الأزمان لا بقطع المسافات، وبقطع الأنفاس . فمن مات وصلت اليه ساعته ، وقامت قيامته الى يوم الساعة الكبرى، التي هي لساعات الانفاس كالسنة لمجموع الايام التي تعينها الفصول باختلاف احكامها .

« فامر الساعة » وشأنها في العالم « اقرب من لمح البصر » . فان عين وصولها عين حكمها . وعين حكمها عين نفوذ الحكم في المحكوم عليهم . وعين نفوذه عين تمامه . وعين تمامه عين عمارة الدارين : « فريق في الجنة وفريق في السعير » .

ولا يعرف هذا القرب الا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي . وما يجده العالم به من الامور الواسعه في النفس الفرد والطرفة . ثم يرى اثر ذلك في الحس بعين الخيال . فيعرف هذا القرب ، وتضاعف السنين في الزمن القليل من زمان الحياة الدنيا . ومن وقف على حكاية الجوهري رأى عجبا ، وهو من هذا الباب .

فان قلت : وما حكاية الجوهري ؟ – قلنا : ذكر عن نفسه انه خرج بالعجين من بيته الى الفرن ، وكانت عليه جنابة . فجاء الى شط النيل ليغتسل . فرأى ، وهو في الماء، مثل ما يرى النائم كأنه في بغداد وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين ، وأولدها اولاداً ، غاب عني عن عددهم . ثم رُدّ الى نفسه ، وهو في الماء . ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه وجاء الى الفرن واخذ الخبز ، وجاء الى بيته وأخبر اهله بما أبصره في واقعته . فلما كان بعد اشهر ، جاءت تلك المرأة ، التي رأى انه تزوجها في الواقعة ، تسأل عن داره . فلما اجتمعت به عرفها وعرف الاولاد وما انكرهم . وقيل له: متى تزوج ؟ فقال: منذ ست سنين . وهؤلاء اولاده

(السؤال الثالث والستون): وما كلام الله تعالى لعامّة اهل الوقوف[ط] (١٠٣)؟
(السؤال الرابع والستون): وما كلامه للموحدين[ع] (١٠٤)؟

مني. فنخرج بالحس ما وقع في الخيال. وهذه من مسائل ذي النون المصري الستة، التي تحيلها العقول.

فلله قُوى في العالم، خلقها مختلفة الاحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم البصر من حكم السمع من حكم الطعم وغير ذلك من القوى التي في عامة الناس. فاختص الله اولياءه بقوى لها مثل هذه الاحكام. فلا ينكرها الا جاهل بما ينبغي للجناب الالهي من الاقتدار. وفي معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما فيه كفاية في هذا الباب، مع بعد المسافات التي قطعها في الزمان القليل.» (فتوحات، ٢: ٨٢)

١٠٣) «الجواب: ذلك راجع الى أسماعهم. فيسمع كل شخص بحسب ما يطلبه حاله. فلا يتقيد بأمر عام، ولا حالة مخصوصة.» (الجواب المستقيم، ورقة ٣٤٧ب)

«الجواب: يقول لهم: ما جئتم به؟ فيقع في اسماع السامعين ذلك مختلفاً باختلاف احوالهم بأسماعهم، بل تختلف أسماعهم بحسب احوالهم في الموقف. ولا يحصل في سمع واحد منهم ما حصل في سمع الآخر. وهو السؤال عن النفس الذي قبض فيه. ولا يكون هذا الكلام الا لأهل الوقوف خاصة، الذين هم في هول ذلك اليوم.

واما المتصرّفون فيه كالانبياء والرسل والدعاة الى الله، وكالمستريحين من أهل المنابر الذي «لا يحزنهم الفزع الاكبر». وكالمصونين في سرادقات الجلال خلف حجاب الانس — فهؤلاء كلهم وامثالهم ما هم من أهل الوقوف. فأهل الوقوف هم الذين ينتظرون حكم الله فيهم. فيجيبونه عند هذا الكلام بما فهم كلّ واحد منهم.»

(فتوحات، ٢: ٨٢ – ٨٣)

١٠٤) «بالجواب: بالتقريع!» (الجواب المستقيم، ورقة ٣٤٧ب).

«الجواب: يقول لهم: فبماذا وحدتموني؟ وبماذا وحدتموني؟ وما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ — فان كنتم وحدتموني في المظاهر، فأنتم القائلون بالحلول. والقائلون بالحلول غير موحدين. لأنه اثبت امرين: حالّ ومحلّ. — وان كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات والافعال، فما وحدتموني. فان العقول لا تبلغ اليها. والخبر من عندي، فما جاءكم بما. — وان كنتم وحدتموني في الالوهة بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية، من كونها

ط الموقف V.

ع + فانه قال في تنزيله عندما ذكر المداة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم VF.

(السؤال الخامس والستون) : وما كلامه للرسل ، عليهم السلام ؟ (١٠٥)

عيناً واحدة مختلفة النسب – فماذا وحدتموني ؟ هل بمقولكم؟أو بي؟ وكيفما كان فما وحدتموني. لان وحدانيتي ما هي بتوحيد موحّد: لا بمقولكم ولابي. فان توحيدكم اياي بي هو توحيدي لا توحيدكم وبمقولكم . كيف يحكم عليَّ بأثر من خلقته ونصبته ؟

وبعد، ان ادعيتم توحيدي، بأيّ وجه كان، فما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ . – ان كان اقتضاه وجودكم ، فانتم تحت حكم ما اقتضاه منكم : فقد خرجتم عني ؟ فاين التوحيد ؟ . –وان كان اقتضاه امري ، فأمري ما هو غيري : فلي بدي من وصلكم ان رأيتموه مني ، فمن الذي رآه منكم ؟ وان لم تروه مني فأين التوحيد ؟

يا ايها الموحدون ! كيف يصح لكم هذا المقام ؟ وانتم المظاهر لعيني وانا الظاهر ، والظاهر يناقض الهوية : فأين التوحيد ؟ لا توحيد في المعلومات ، فان المعلومات انا واعيانكم والمحلات والنسب : فلا توحيد في المعلومات .

فان قلتم : في الوجود ، فلا توحيد : فان الوجود عين كل موجود . واختلاف المظاهر يدل على اختلاف وجود الظاهر . فنسبة عالم ما هي نسبة جاهل ولا نسبة متكلم. فأين التوحيد؟

فيا أيها الموحّدون ! استدركوا الغلط . فما ثَمّ الا الله . والكثرة في « ثَمّ » . وما هم « ثَمّ » ؟ سواه ، فأين التوحيد ؟ . – فان قلتم : التوحيد المطلوب في عين الكثرة ، قلنا : فذلك توحيد الجمع . فأين التوحيد ؟ فان التوحيد لا يضاف ولا يضاف اليه .

استعدوا ، ايها الموحدون ، للجواب عن هذا الكلام ، اذا وقع السؤال ! فان كان اهل الشرك لا يغفر لهم فبحقيقة ما نالوا ذلك . لانه لو غفر لهم ما قالوا بالشريك . فشاهدوا الامر على ما هو عليه . فان قلت : فمن اين جاءهم الشقاء ؟ وهم بهذه المثابة، وان عدم المغفرة في حقهم ثناء عليهم ، – قلنا : لانهم عيّنوا الشريك ، فاشقاهم توحيد التعيين ! فلو لم يعينوا لسعدوا . ولكن هم ارجى من الموحّدين لدرجة العلم . – جعلنا الله ممّن وحّده بتوحيد نفسه ، جلّ علاه !

(فتوحات ، ٢ : ٨٣)

---

١٠٥) « الجواب : ماذا أجبتم ؟ » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٧ ب) .

« الجواب : ما قاله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل ، فيقول : ماذا اجبتم ؟ » فآووا الى «لا علم لنا » . فعلموا انهم لما وُجّهوا دعوا الى الله تعالى أجابهم ظاهراً وباطناً بدعوة واحدة . فلو كلفوا الظواهر لم يكن قولهم « لا علم لنا » جواباً . – ومن هنا لم يصح جميع فروع احكام الشريعة من المنافق . لانه ما أجاب بباطنه لدعوته مثل ما أجاب بظاهره . وصحت فروع أحكام الشريعة من العاصي المؤمن بباطنه .

فعلمنا ان المقصود للشرع الباطن ، ولكن بشرط مخصوص . وهو ان يعم الايمان جميع فروع الاحكام وأصولها . فان آمن ببعض وكفر ببعض فلا يعتبر مثل ذلك ، وهو الكافر حقاً .

فيقول الله تعالى للرسل : «ماذا اجبتم ؟ » اذا كان كلامهم لهم في حق مـا كلفهم من الدعوة اليه . فان اراد السائل ما كلامه للرسل فيا يختص بذواصهم من كونهم عبيداً مقربين — فيكلمهم بما يكلم به المقربين من عباده . فكلامه للرسل المقربين : بمن اعتقدتم القربة ؟ لعل اعتقدتم ان اقترابكم الينا ؟ او الى سيادتكم ؟ او الى معرفة ذواتكم ؟ او الى معرفتي ؟ . — فان اعتقدتم اقترابكم الينا ، فقد حددتموني وانا لا حدّ لي . —وهذا اللسان الذي اذكره في هذا الفصل انما هوكلام الحق لمن «دعا الى الله على بصيرة » كما قال : « ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » . فهذا لسان من اتبعه في دعوته الى الله نيابة عنه . فكأنه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يـدعو الى الله على بصيرة » من حيث دعا الرسول ، لأنهم ورثة . وانما قلنا هذا ، لأن كلامه للرسل لا يعرفه الا الرسل ، ولا ذوق لنا فيه . ولو عرفناه به ما عرفناه . ولو عرفناه لكنا رسلاً مثلهم . ولا حظ لنا في رسالتهم ولا في نبوتهم . وكلامنا لا يكون الا عن ذوق . فالجواب عن هذا السؤال ، اذا اراد الرسل ، ترك الجواب . فاردنا ان نفيد أصحابنا في ان نتكلم في كلامه تعالى للرسل ، الذين هم الورثة ، رسل الله لما دعوا الى الله عـلى بصيرة . وشرك رسول الله ، صلى الله عليهم وسلم ، في الدعوة الى الله تعالى على بصيرة بينه وبين من اتبعه . فاعلموا من اين نتكلم وفيمن أتكلم وعمن نبين .

ثم نرجع الى ما كنا بسبيله ، فنقول : فيقول (الله تعالى) : فقد حددتموني ، وانا لا حد لي . فنقول : هذا الذي نقول (هو) لسان العلم ، وانت خاطبتنا بلسان الايمان فآمنا . فقلت : « من تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً . ومن تقرّب اليّ ذراعاً تقربت منه باعاً » . فما حددنا لك الا بحدك : فأنت حددت نفسك بنا وحددناك بك . والا فمن اين لنا ان نحدد ذواتنا ؟ فكيف ان نحدك ! وجعلت الايمان ، بما ذكرناه ، قربة اليك . فهـذا كلامك ولسان الايمان . ونحن لا جراءة لنا على ان نقول ما قلته عن نفسك . فيقول (تعالى) : صدقتم ! هذا لسان الايمان .

فتقول طائفة منهم : اقتربنا الى سيادتنا ! فيقول : سيادتكم قائمة بكم ، وما برحت معكم في حال طلبكم القربة اليها . فان لم تعلموا ذلك ، فقد جهلتم . وان علمتموه ، فما صدقتم . اذن ، فلا قربة ! . — فان قالت طائفة : انما اعتقدنا القربة الى معرفة ذواتنا . فيقول لهم : الشيء لا يجهل نفسه . لكنه لا يعرف انه يعرف نفسه ! لان معرفة الشهود تحجب عن معرفة المشهود . فطلبكم القربة ، من معرفة ما هو معروف ، لا يصح .

فان قالت طائفة ، ولا بد ان تقول : انما اعتقدنا القربة من معرفتك . فيقول لهم :

(السؤال السادس والستون): والى أين يأوون يوم القيامة من العَرَصة[١٠٦] ؟

كيف يعرف «من ليس كمثله شيء .»؟ فلو كان شيئاً لجمعتها الشيئية فيقع التماثل فيها . اذن ، فلا شيئية له . فليس هو شيئاً ، ولا هو لا شيء . فان لا شيء (هو) صفة المعدوم . فيا له المعدوم في انه لا شيء . وهو لا يماثل . «فليس مثله شيء». وليس مثله لا شيء . ومن هو بهذه المثابة ، كيف يعرف ؟ فبطل اقترابكم الى معرفتي . فبطل ان تكونوا من المقرّبين .

فيقولون: «لا علم لنا الا ما علمتنا . انك انت العليم الحكيم» . فيقول: انتم رسل؟.— وحقيقة الرسول ان يكون بين مرسل ومرسل اليه . وهو حامل اليهم رسالة ليعلموا بحكم ما تقتضيه تلك الرسالة . فالرسول لما كانت مرتبته البينية ، كان أقرب من المرسل اليهم الى الاسم الذي ارسله . وكان المرسل اليهم اقرب الى الاسم القابل لما جاء به الرسول من الرسول . فالكل من المقربين . فان لم يقبلوا الرسالة كان الرسول من المقربين وكان المرسل اليهم غير متصفين بالقربة : فكانوا من المبعدين .» (فتوحات ٢ : ٨٣-٨٤

١٠٦) «الجواب : يأوون عند السؤال الى «لا علم لنا» . ويأوون ، من عرصة القيامة ، الى كل منزل يقع فيه الحبس ، على ما يعطيه المحبوس فيه : كالجسور ، والعقاب (مفردها: عقبة) ، والسرادقات ، وامثال ذلك . وهي خمسون منزلاً ؛ يقفون في كل منزل الف سنة . فذلك قوله (تعالى): «في يوم كان مقداره خمسين الف سنة» . وقد ورد بذلك خبر موقوف ؛ والأمر صحيح في نفسه .» (الجواب المستقيم ، ورقة $\frac{ب}{٢٤٧}$) .

« الجواب : الى ساق العرش . ويوم القيامة له مواطن كثيرة . فالرسل يأوون يوم القيامة من العرصة في كل موطن الى الموضع الذي يكون فيه تجلي الحكم الالهي الذي يليق بذلك الموطن . فوطن للسؤال . وموطن للموازين . وموطن لأخذ الكتب . وموطن للصراط . وموطن للحوض .

فوطن القيامة ، تكون الرسل فيها بين يدي الحق سبحانه كالوزعة بين يدي الملك . واقربهم منزلة من هو ادنى من «قاب قوسين» . وهو التقاء قطري الدائرة . ثم يأوون في السؤال العام الى «ما لا علم لنا» ، وفي السؤال الخاص بحسب ما يقتضيه ذلك السؤال من الجواب .

وللحق سؤال في كل عرصة من عرصات القيامة . فيأوون الى الاسم الذي يتضمن الجواب عن ذلك السؤال الخاص .»

(فتوحات : ٢ : ٨٤)

(يتبع)

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف الزين

زَبَداني — قرية معروفة في نواحي دمشق فتأتي بمعنى المخصبة أو هي تحريف — سيب — الفارسية بمعنى رائحة التفاح و(ستان) بمعنى محلة فتكون بمعنى رائحة التفاح والعرب تقول من زار الزبداني فاحت منه رائحة التفاح .

زَبَد — بلدة في شمالي سورية قرب حلب .

زبدة — ومنها عين زبدة قرية بين خربة قنافار وصغبين في البقاع والزبدة تسميها العامة بالقشطة والزبدة الخلاصة تسمى بها الكتب.

زَبيد — اسم مدينة في بلاد العرب في ولاية اليمن على نهر زبيد .

كفرزَبَد — في البقاع بمعنى قرية (المهر) لان زبد العبرانية تفيد هذا المعنى اي ما يعطى للعروس مما تسميه العامة (الدوطه) .

زَبدل — في البقاع لعلها من — زَبَد — بمعنى وهب او مهر (وايل) بمعنى الله اي الله وهب . وتأتي زَبَد بمعنى الخصب ومنها الزبدة — وزَبَل — بالعبرانية معناها — سكن — .

زَغرين — في قضاء المتن من لبنان — قرية — . وزغرين كلمة سريانية بمعنى المزجورين او المطرودين او المنتهرين . ولا تزال كلمة (زغره) بمعنى طرده في لغة سكان جبال العلويين واللاذقية . وزغرين اسم قرية من اعمال حلب ، وزغرين في قضاء القنيطرة ومن خراج — زغرين — أرض اسمها الدرمشية من كلمة درمش السريانية اسم نبات يشبه الخزام بشكله ورائحته.

زُغَمة — اسم مدينة في سورية القديمة في جنوبي شرقي كوماجينه على ضفة الفرات اليمنى معناها : رباط او صلة.

الزقازيق — بلدة في مصر وسميت مسيحياً باسم — ليونتوبوليس — .

الزُّوق — اسم محلات في كسروان لبنان ومعنى الكلمة التركمانية—زوق— محلّ — وكان سبب نزول التركمان انه لما استظهر جمال الدين اقوش الافرم نائب دمشق على صرود لبنان سنة١٣٠٧م . أرسل قوماً من التركمان الى ساحل كسروان وانزلهم ما بين انطلياس وجسر المعاملتين للانتقام من الكسروانيين الذين حاربوا جيوش المسلمين في موقعة جبيل سنة ١٣٠٢ م . وكان المقدمون على التركمان اربعة وهم ميكايل ومصبح وعامر وخراب فنزل كل منهم في محلة تجاور الاخرى وسميت الازواق بهم فيكان زوق مكايل ولا يزال عامراً وزوق مصبح وفيها معامل النسيج البديعة وزوق العامرية خراب يسمى الآن غارة شلهوب مغيرة زوق الخراب قليلة السكان الآن .

زَيتون — بالمصرية القديمة (فاني كويت) من ثلاث كلمات مصرية — فا — بمعنى خاص و — ني — اداة التعريف للجمع و — كويت — بمعنى زيتون فمعناها — بلدة خاصة بالزيتون — وفي القرن ١٣ م قال العرب زيتون .

حرف السين

سَالَع — أو يقتئيل دعيت بعد ذلك ارقة وبترا ومعنى اللفظتين سِلا وبترا واحد وهو صخر وهي في وادي موسى المشهورة بآثارها .

السامرة — عبرانية شمرون اي مكان شَمَر وشَمَر صاحبها وقيل المرقب من فعل شَمَر اي حرس ورقب ؛ بمعنى — مركز الخفير — مدينة في فلسطين وسميت (سبسطية) — يو — باسم سبستوس اي اوغسطس قيصر .

سامرَّة — سميت باسم (شومر)الشعب البابلي القديم . وتحريفها الى — سرَّ من رأى — ليس بدليل على صحته .

سدوم — او صدوم — عبرانية بمعنى (احراق) لان سدوم وعمورة احترقتا .

سِرغَايا — قرية من اعمال الزبداني لعلها من (سرغ) بمعنى الزرجون اي قضبان الكرم و — آيا — بالسريانية للجمع فالمعنى يدل على عنبها المخصص بعبادة باخوس إله الخمر .

سغبين او صغبين — في بقاع العزيز لبنان لها اوجه كثيرة في تحليلها والكلمة مركبة من كلمتين سريانيتين — ساغ — او — صاغ — بمعنى عذوبة .

ومين او بين بمعنى الماء اي محل عذوبة الماء وفي ذلك إشادة الى جودة مناخها او من — صغ — اصلها ساغي بالآرامية للتأكيد ومعناها (جداً) ونحوها . (وبينو) بمعنى مجرّد الهواء — والمعنى ساغ (بين) وهو إله اي المعبد الرئيسي لبين وفي ذلك اشارة الى جودة موقعها . ولذلك شيد فيها معبد لإله المناخ لا تزال آثاره في دير عين الجوزة باسفل القرية .

السلط — يرجح انها من كلمة — سالتوس — اللاتينية بمعنى — الجبال المشجرة .

سلوقية — في البقاع لعلّها من سلاكيه Salacia إلهة (ربة) الماء الملح عند الرومان .

سوريا — في تاريخ كلدو اثور لأدي شير (١: ٥١) ما نصه « واما سوريا فكان اسمها في اللغة المصرية (خارو) او (شارو) واتخذه اليونان فقالوا فيه (سوريا) وقيل ان سوريا تحريف اسوريا اليوناني اي اثور والرأي الاول اصح . وبعد الهجرة اطلق العرب على سوريا اسم الشام وكان يحدها شمالاً الطور وهو المعروف عند اليونان بجبل طوروس ويدعى الآن كورين . وشرقاً الفرات والبادية . وجنوباً البحر الاحمر وبلاد العرب . وغرباً البحر المتوسط . وكان للحثيين منذ قديم الزمان دولة عظيمة في الاناضول وسورية الشمالية وسوريا الوسطى ثم بعد انتصار مصر عليها تقسمت الى ممالك شتى اشهرها (مملكة قرقيش) وكانت على الفرات و — باتين في غربي قرقيش و — مملكة حماة وصوبا — في جنوبي باتين ومملكة أرني بين باتين وجبل حمانا (وفي لبنان حمانا) المعروف اليوم باللكام .

وبين سلسلة جبال لبنان والبحر المتوسط كانت بلاد (فونيقي) وكان يدعوها الاشوريون — احارا — اي الاخير وامتدادها من مدينة ارواد وشمالاً الى عكا جنوباً واشهر وجبيل وبيروت وصور وصيدا وفي سوريا الجنوبية كانت دمشق وفلسطين . وفي اطراف فلسطين كانت عدة شعوب صغيرة منها العمالقة والمرابيون والعمونيون والادوميون » .

ومما (في هذا الكتاب) آ : ٦٤ اسم حزاز (عزاز قرب حلب) . كتالوا عاصمة باتين، نهر ارانتي (العاصي)، مملكة لوحوتي (تحت حماة على الجانب الأيسر من العاصي) الى جبل لبنان . وفي صفحة ٦٦ اسم دمشق ويسميها العرب الشام.

ارام صوبا على ما يظن في وادي العاصي الاعلى او في اطراف حوران — وتوهم المطران يوسف اقليميس داود بقوله : ان ارام صوبا كانت نصيبين في الجزيرة. حماة . وسورية المجوفة . جبل سانير . قطع الارز من جبل حمانا اللكام .

سوق وادي بردى — تعرف قديماً باسم — ابليه — ويقال ان اسمها الاصلي سِيَق وادي بردى لان هناك مغاور تدل على انها مناسك للرهبان . وفيها آثار قديمة منها كتابة في حائط معبد قديم تدل على ان ليسانيوس رئيس الربع في الابلية بزمن اوغسطوس قيصر ولد خادم اسمه (نمفا) . وليسانيوس هذا ليس ابن بتلمايوس بل الثاني.ووجد في هذه البلدة خطان منقوشان على جانبي الطريق المفتوحة هناك كتب فيها ان الماهلين مرقس اريليوس انطونيوس (ومرقس هذا انشأ طريق نهر الكلب في لبنان بين سنتي ١٨٢ و ١٨٠ م) ولوشيوس فاروس اوليوس فتحا طريق النهر بخرقها الجبل على نفقة اهل الابلية بعناية فاروس صديقها والي سورية كتب بين سنة ١٦٣ و١٦٤ و١٦٥ . وقال علي بن المظفر ابن ابرهيم بن عمر بن زيد المشهور باسم علاء الدين الكندي المتوفى سنة ٧١٦ هجرية يذكرها :

ولا ارد الوادي ولا عـدت صادرًا
مع الركب إلا قلت يا حاديَ النُوقِ
فديتكَ عرِّج بي وعرِّس هنيهـةً
لعلي أبلُّ الشوق من آبـل السوقِ

السمانية — قرية في شوف لبنان اسمها سرياني بمعنى — الحمراء . — لحمرة تربتها .

سَنين او صَنين — جبل فوق بسكنتا — لبنان — من — سين — قمرو — نين — نور اي نور القمر لانه كان على قمته معبد للقمر .

سنير — من — (سين) إله القمر عند الاشوريين والبابليين وعبرا — وهو من جبال لبنان الشرقي .

سربوتا — صارفة او صرفند .

سكاكا — عبرانية بمعنى (مُصَوّن) إحدى المدن الست في البرية الفلسطينية غربي البحر الميت.

سلخة – بمعنى سياحة وهي صلخد عند طرف جبل الدروز في حوران وفيها قلعة مشهورة .

سوخار – بمعنى سكران وهي ليست شكيم (نابلس) ولكنها بلدة قائمة بذاتها في فلسطين .

سلوقية – نسبةً الى سلوقوس الغالب (نيكاتور) المتوفى سنة ٢٨٠ قبل المسيح وهي الآن السويدية

شعراء العربية وأولادهم

بقلم رياض معلوف

أيوجد في الدنيا كلها أمتع من الولد هذا الكائن اللطيف الحبيب المسلوخ من القلب والذي هو نسخة عن والديه . وللشعراء الاقدمين والمعاصرين غزل بفلذات أكبادهم من أرق الشعر وأطيبه وأجوده ! ولله درّ الشاعر القائل :

وانما أولادنا بيننـا أكبادنا تمشي على الأرضِ
لو هبّت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمضِ

ومن طريف قول ابن عبد ربّه في رثاء ابنه :

واكبدا تقطعت كبدي قد حرّقتها لواعج الكمدِ
ما مات حيٌّ لميّتٍ أسفاً أعذر من والدٍ على ولدِ
يا رحمة الله جاوري جدثاً دفنتُ فيه حُشاشتي بيدي !
ونوّري ظلمة القبور على من لم يصل ظُلمُه الى أحدِ ...
يا موته لو أقلتَ عثرتـه يا يومه لو تركته لغدِ ...

وتبارى شعراؤنا المعاصرون في وصف حنانهم وخوالجهم نحو أولادهم ومما قاله الأخطل الصغير في ابنته وداد وهي في العشرين ربيعاً من حياتها وما أروع ما قال :

يا قطعةً من كبـدي فداكِ يومي وغـدي
وداد يا أنشودتي البكر ويا شعري النـدي !
يا قامـةً من قصب السكّر رخص العقـدِ
حـلاوة مهما يزد يوماً عليهـا تزدِ ...
عشرون قل للشمس لا تبرح وللـدهر اجمدِ ...

ومن لطيف قول الشاعر شفيق معلوف بولده :

لا ترجُ شعري إن شعر أبيكَ ليسَ بمسعدكْ
إن لم تخلّد أنتَ نفسك ما أنا بمخلدكْ
من مخبري فلربما نلت الخلود على يدكْ!!

ولامير الشعراء أحمد شوقي في اولاده الثلاثة : امينة وحسين وعلي :

أحبُّ صغار العالمين لأجلهم ويعطف قلبي ذو أبٍ ويتيمُ
(أمينتي)الدنيا اذا هي قبلت على العيش منها نضرةٌ ونعيمُ!
وقبل(حسين)ما تكلم مرضعٌ ولا نال علياء البيان فهيمُ
وأما (عليٌّ) فالمسيح حداثةً وقورٌ اذا طاش الشباب حليمُ
وإن راح يهذي في الحديث فشاعرٌ
وإن جدَّ فيما قاله فحكيمُ!

ولكاتب هذا المقال قوله في ابنتيه – نجوى وحياة –

أعزُّ عليَّ من المقلتينْ حياةٌ بعينٍ نجوى بعينْ
فحبي الدفيق تقاسم قلبي فاصبح قلبيَ ما بين بينْ . . .
ولا فرق ما بين الصبيّ وبين الفتاة على مهجة الوالدينْ!
لأن الصغار نعيم الحياة فحمداً لربي على نعمتينْ!
فاصبحت مثل فراش الرياض يرفُّ جناحي على وردتينْ!!

ومن جميل ما نظم الشاعر المهجري عقل الجر في ولد على لسان أمه مع انه لم يتزوج :

أعطيته كالصبح غرته ملكاً تقمّص صورة الولدِ
أزهو بطلعته واحسبهُ الكون جمّع كله بيدي!

وابيحه ثدياً يخمشهُ فيطيب في تخميشه قودي
يحتلُّ عرشاً من دعائمه روحي وبسطة ملكه جسدي
تهتاجني من فيه زقزقةٌ تزري بصوت البلبل الغردِ
يرنو اليَّ ويا لمقلته بصاصةً كالنجم في الجلدِ
ويهفُّ نحوي منشباً يده في العين أو في النحر والعضدِ
فأزقّه قبلي وأرهقهُ وأكاد أرجعهُ الى كبدي !
فكأنني وأنا أدغدغهُ طفلٌ وطفلي دميةٌ بيدي !

ولشاعر الارز شبلي ملّاط في أولاده أبيات طيبات :

لقد بكر الثلاثة يوم عيدٍ وقاموا كالملائك حول مهدي
بسطت اليهم زندي فألقوا بانفسهم على صدري وزندي !
وقبّلني الكبير فهاج (شوقي) وعانقني أخوه فهاج (وجدي)
وذكّرني صغيرهما (غرامي) وما قاسيت من ميٍّ وهندِ...
لياليَ كان يشفع بي شبابي ويعذرني عليه عذار خدي !
ولولا النازلون على مشيبي وهم قومٌ أعزُّ الناس عندي
لعشت ولا أرى للعيش معنى وقد ذهب الشباب وبتُّ وحدي !

ومن لا يرتعش قلبه لوعةً عندما يقرأ رثاء الياس فرحات لابنته سعاد :

يهنيكِ نومك يا سعاد فانه نوم الرضيع على ذراع المرضعِ
يهنيكِ يا ولدي السكون محركاً بجلال هيبته سواكن أدمعي !..
كم قبلةٍ تهفو الى شفتيَّ من قلبي الحزين الوالد المتفجّع...
حتى اذا وجدت سريركِ خالياً رجعت فصارت جمرةً في أضلعي !

وللشاعر المهاجر زكي قنصل الذي خسر ابنته البكر – سعاد –

وهي في إبان تفتح براعم وردة حياتها فنظم لها ديواناً كاملاً من الشعر اقتطفت منه هذه القصيدة الشيقة – أرجوحة سعاد – حيث مهّد لها الشاعر بهذه الكلمات المنسلخة من قلبه المفجوع بسعاده: «وانزوت الى جانب السرير أرجوحة الكروان الصريع تثير في قلب الشاعر ذكريات المهد الندي».

بالغالين حشاشتي وجناني أفديك يا أرجوحة الكروانِ
غالت بشاشتكِ الرزية وانطوت
دنيا ازدهت بالروح والريحانِ
سقياً ليالي الأنس والأمل الذي
أشربتهُ ما سال من أجفاني!
ما كان أقصرها على سمّارها وأخفّ وطأتها على الندمانِ
ما للزهور اذا رأتني أطرقت حيرى بأي تحيةٍ تلقاني؟!
ما للطيور اذا استشفت لوعتي غصّت حناجرهنّ بالألحانِ
أرجوحة الكروان هدّمني الأسى إلا بقية مدمعٍ هتّانِ...
يجري على قبر الحبيب ولم يكن لولاه بالجاري ولا الحرّانِ
إني ليجرح مقلتي ويمضني مرآكِ بين مخالب الأشجانِ
شوهاء خافتة الصدى كقصيدةٍ جوفاء عاطلةٍ من الأوزانِ!
إن الذي أعطى استردّ عطاءهُ يا ليتهُ استأنى فما أعطاني!
أمن العدالة ان تصوّح روضتي في عنفوان ربيعها الفتّانِ
وتحيل عرسي مأتماً لا ينتهي وتعدّ في عيد المنى أكفاني!
كرواني المعبود ضمته الثرى يا موت لا ترحم أبا الكروانِ!..

وكانت احدى شاعرات العرب واسمها أميمة تناجي ولدها وترقصهُ على يدها قائلةً :

يا حبذا ريح الولدْ ريح الخزامى في البلدْ
أهكذا كل ولدْ أم لم يلد مثلي أحدْ...

ومن مؤثر مارثت به ولدها القتيل شاعرة اعرابية من بني عبدود :

يا فرحة القلب والأحشاء والكبدِ يا ليت أمك لم تحبل ولم تلدِ...
لما رأيتك قد أدرجتَ في كفنٍ مطيباً للمنايا آخر الأبدِ...
أيقنتُ بعدكَ اني غير باقيةٍ وكيف يبقى ذراع زال عن عضدِ

وللشاعر المعروف امين نخله في ولده — سعيد — وهو في السادسة من عمره قصيدة بعنوان — العصفور — وهاك بعض ما جاء فيها :

يا حبيب الغصن : صفّقْ بالجناح وانزل الوادي وبشّر بالصباح
صيحةً منك على الضفة ، أو زيكةً خلف البساتين الفساح
إن صبحاً أنت لم تهتف بهِ هو كذّاب التباشير وقاح...
وترى الوادي فراغاً موحشاً يوم لا يملأه منك الصياح
يا رقيق الريش والصوت ويا أخضر الدار ويا حلو المراح
أسأل الله لك اليمن على منكب الجو وفي عصف الرياح
انه عصفور قلبي تاحلٌ ناعمٌ لو صدّه الورد لزاح...
صوتهُ في البيت أنسٌ مائجٌ واسمه أهنأ من سلسال راح
صرت من أجل (سعيدٍ) مشفقاً ان تهب الريح في وجه الأقاح !

ومن أبلغ ما قيل في — المشيب الجميل — هذه القصيدة للشاعر المدني قيصر سليم الخوري وفيها حنان وعطف ولهفة الأبوة الحقة واستكانة الشاعر الى اولاده بعد عودته من السفر في سبيل تحصيل العيش لهم :

وثلاثة لما ضممتهم الى صدري شفيت من الفؤاد غليلا
يتسارعون اليَّ حين أعود من سفرٍ قصيرٍ قد رأوه طويلا...
فتخالنا عند التعانق دوحةً صغرى تريكَ نضارةً وذبولا
ما بال قلبي كلما أعطيتهم أضعاف ما طلبوا أظلُّ بخيلا
وعدى لهم أربٌ فان قصرت يدي عن مطلبٍ فرحوا به تعليلا
قبلاتهم عند السؤال عطيةٌ منهم تعيد السائل المسؤولا
يا طالما أدنيت خديَّ مغمضاً عيني أفتح للسؤال سبيلا...
قد فرجوا عني الهموم وزحزحوا عن منكبي صخراً أصمَّ ثقيلا

فما أجمل عودة الاب بعد جهد النهار وتعبه الى منزله حيث يعانق أنجاله الاحباء المنتظرين مقدمه بفروغ صبر ولهم كما تعلمون مطاليبهم اليومية والتي لولاها لما سعى احد من الناس وما عمل ولا اشتغل! وبهذا حافز للاب لينشط ويجاهد في سبيل العيش الكريم وبذلك لذة ما بعدها لذة ومتعة ما بعدها متعة! ومها أعطيتهم مما طلبوا تجد نفسك بخيلاً مهما كنت كريماً معهم واعطيتهم روحكَ وقلبكَ!

وصدق الشاعر بقوله:

ما بال قلبي كلما أعطيتهم
أضعاف ما طلبوا أظلُّ بخيلا
لولاهم ما كان ضعفيَ قوةً
والعسر يسراً والمشيب جميلا...

تعريف عن الكتب

BERNARD DE VAULX: *Les Missions. Leur Histoire.* Coll. Je sais - Je crois. Librairie Arthème Fayard, Paris, 1960.

استلمت الكنيسة من مؤسسها الامر بالذهاب الى البشر وبتعميدهم . وهذا الامر جعل حياة الكنيسة حياة رسالة مستمرة . إنما عصرنا يشعر بما في تلك الرسالة من دعوة الى العمل بوجهها في عصر كعصرنا .

وهناك ثلاثة فصول في هذه المجموعة ستتكلم على الرسالة : الاول ومؤلفه برنارد ده ڤو ينطلق من العنصرة حتى اوائل الحرب الكونية الاولى . فيه ثلاث نقط : من موت المسيح الى اكتشاف العالم الجديد : وهذا ما ندعوه بعودة العالم المتوسطي الى المسيح . ومن اكتشاف العالم الجديد الى غريغوريوس السادس عشر ، وهو عصر المدّ والجزر ، عصر الاضطرابات ، عصر البطولات والمواقف السلبية المخجلة ، يتعاطى رسالة اليسوعيين في الشرق الاقصى والرسالة على حدّ السيف في اميركا ومولد الرسالات الخارجية كما ويتكلم على عدم فعالية الثروة والبذخ . واخيراً من غريغوريوس السادس عشر الى بندكتوس الخامس عشر : وهو عصر التجديد في القرن التاسع عشر وهذا العصر وان كان تافهاً ففيه كرم واعطاء .

من حسنات هذا المؤلف انه توصل لرسم صورة كافية حيّة في صفحات معدودة لقرون عمل ومعركة دون ان ينكمش على نفسه في ايجاز مؤسف .

ا. ع. خ

SUZANNE CITA-MALARD: *Un million de Religieuses.* — Coll. Je sais-Je crois. — Librairie Arthème Fayard, Paris, 1960. 128 pp.

كتاب يروق القارئ بما فيه من دراية وذكاء وانس . توصل المؤلف الى جمع ما استطاع عن تاريخ الرهبنات وعددهم في العالم . فلقد اراد بادئ ذي بدء ان يستخلص المبادئ المشتركة اساس الحياة الرهبانية واساس كرامة هؤلاء النساء اللواتي خصصن انفسهن للرب . فما هي الراهبة ؟ وكيف في تاريخ الكنيسة البشري والالهي تكونت «عرائس المسيح» وما هي النذور الرهبانية . وبعدما

يجيب المؤلف على هذه السؤالات الاساسية يجعلنا نروح معه في طرق تبعتها الرهبنات من تأملية او ارسالية او عملية . ولكن هناك مشكلة أخرى : كيف تستطيع امرأة اليوم ان تدخل في قوالب عتيقة . نجد بعض النور في الروحيات والتاريخ والحق القانوني على سؤالنا هذا . انما المؤلف يعود الى تحاليل نفسانية معاصرينا فيدلنا على الانقلاب الجذري الذي يصيب ارادة وحرية وعاطفة وعقل راهبة اليوم .

وما علينا بعد ذلك الّا ان نتحرى مسؤليتنا على صعيد الدعوات الرهبانية . ففي جسد المسيح السري الذي لا نجد اعضاء مستقلين عن الاخرى . كلنا مسؤولون . وهل موقفنا مسيحي تجاه الراهبات ؟ فالجواب يتطلب تفكيراً وتفكيراً .

وفي الجزء الاخير من الكتاب يدرس المؤلف تطبيق الحياة الرهبانية على حياة اليوم من لباس وتوقيت عمل وشغل ومن تطبيق المؤسسات نفسها كتلك التي تتألف من علمانيين .

فلا يتعثر القارئ في قراءته هذه بفهرس ناشف لا حياة فيه . فنظرة المؤلف على الحياة الرهبانية عميقة ، وحب الفكاهة يبدو في كل صفحة ومحبة صادقة نحو الراهبات ، كل ذلك يجعلنا نشعر ما في قلب المؤلف من تيارات عجب ولطف ومحبة نحو المؤسسات تلك .

ا. ع. خ

حتى القطرة الاخيرة

بقلم فارس زرزور

دار الفكر بدمشق — ١٩٦١ — ١١٢ صفحة

قصة تحمل بين طياتها شيئاً من مأساة فلسطين وتحلل نفسانية سكان القرى المتاخمة لتلك البلاد التي اضطر الاهلون ان يتركوها . ولا تتغير الاحوال بتغير البلد . فما نراه هنا رأيناه وقرأناه عند محمد ديب . انما القصة هنا تظل بعيدة عن التعمق الذي وصل اليه ديب . ولكن المؤلف جرب ونجح فاطلعنا على حالة سوء دون ان يسير غور الاعماق التي فيها تتكون المأساة وتشتعل .

اسلوب القصة سلس بسيط لا تصنّع فيه ولا مراوغة .

ا. ع. خ

فلسفة الميثاق الوطني

بقلم كمال يوسف الحاج

بحث فلسفي لاهوتي سياسي حول الطائفية في لبنان على ضوء الميثاق الوطني

بيروت ١٩٦١ – ٢٦٨ صفحة

إن ما يوقف القارئ في هذا الكتاب صراحة المؤلف وقوة التحليل الفلسفي الذي أخذ على عاتقه ان يضعه في متناول الجدل. فلقد درس المؤلف الطائفية من الوجهة الفلسفية واللاهوتية والسياسية وفي هذه المراحل الثلاث تبدو العودة الدائمة الى الاسس التفكيرية التي لولا اتبعها السياسيون لوجدوا ان الفوارق تضمحل وأن العقبات في سبيل التفاهم تزول . ولقد افلست تجارب هؤلاء. وحنكة اولئك ليقربوا بين وجهة نظر من في يدهم السلطان فخابوا وعادوا بخفيّ حنين اذ ان المفاهيم ضمّت المعاني المختلفة المغايرة التي لم تُبقِ سبيلاً للتفاهم. والمطلوب أن يرفع كل وطني مدمك القومية الصحيحة .

واذا ما كان لي ان أقف عند فصل من فصول هذا الكتاب الصافي فاني أذكر ما قاله المؤلف عن الالحاد الغير الممكن . ففيه من دقة التحليل ونفاذ البصيرة ما يشجع كل قارئ على سبر غور الفكر الفلسفي يرتوي منه ويعيش ، دون ان يستسلم الى كلمات جوفاء. يقف عندها ، مغذياً النفس وعائداً عن بعض المواقف الموروثة المتداولة التي لا تجدي نفعاً فتتجدد الفكرة ويدخل القارئ في آفاق جديدة يشعر فيها بأن للكلمة معنى وللجملة هدفاً وبأن على المفكر ألّا يسير في طرق معبد قبل ان يجدّد قوة التمثل بمن سبق .

نوهنا بهذا الفصل وكان باستطاعتنا أن نذكر هذا او ذاك من سائر فصول هذا الكتاب الذي تتكاثر فيه الدروس الدقيقة : مثلا الطائفية من الجهة السياسية . انا نرى ان ما ميّز الفصل السابق يميّز هذا. وكم نُقرّ المؤلف على تحديداته الواضحة وعلى جرأته الفكرية في وضع الحق في نصابه : فيميز بين الحكومة والدولة ، وبين الطائفية والتعصب الى ان يصل الى التدقيق في الميثاق وقوته فيرى فيه فلسفة وعقيدة : ولذا فان التعايش السلمي لمن نتائج الدين والطائفية ، ولذا فان الراهب والكاهن يحق لهما التزام السياسة اي ان يقولا كلمتهما «في شؤون الدولة

التي هي شؤون انسانية وهذا لا يعني تدخلاً في ادارة الحكومة» (١٩٥)، ولذا «فان الغاء الطائفية في لبنان يجر معه الغاء للكيان السياسي الراهن الذي يكفل وحده لرجل الدين مزاولة معطياته الجسدية والنفسية والروحية بشكل استقلالي تام ناجز» (١٩٦).

وهذا بعض من الكثير الذي حوته دفتا هذا الكتاب الناضج. واذا ما نوهنا ايضاً بلغة المؤلف وبثروتها الكلامية وبقوة تعابيرها وبصدق لهجتها زدنا على ما قلنا في ما سبق تأكيداً لقيمة مؤلف وددنا لو قرأه الكبار والصغار وتفهموا معانيه فصاروا الى تفاهم وتكاتف.

اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

يوحنا الثالث والعشرون — حياته، شخصيته

بقلم اندره لزاريني

نقله الى العربية الخوري اسعد باسيل

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٦٠ – ٧٩ – حجم وسط

حياة ملأى بالمغامرات الرسولية في خدمة الله والكنيسة. ففي هذا الكتيب تبدو صورة قداسة البابا في بساطتها وعمق مراميها، من مهد العائلة الى قمة المجد الروحي يسير الولد والشاب والكاهن والاسقف والكردينال والبابا على وتيرة واحدة وكأن الامور والوظائف لا تبدل فيه شيئاً: فطرة وذكاء، وقاد وغيرة هياجة وروح صلاة وعبادة ومحبة لا يثنيها شيء، كل ذلك في خدمة بشرية متألمة. فتوصل الى ان يقرب النفوس من شخصه اولاً وبهذه الواسطة من الله فكان أين حلّ تحل معه المحبة والالفة. ولذا فان وجه البابا الحالي يبدو من خلال هذا الكتيب، المترجم عن اللغة الطليانية باسلوب شيّق، يفوق هنات العالم ويسمو في عالم الحق الذي يدخله منذ اليوم الرجال الذين يؤثرون على سير التاريخ.

يُطلب هذا الكتاب من المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت

ا. ع. خ

مشاهد من الانجيل – جزآن

بقلم الخوري يوحنا الكوكباني

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٩ ، ٤٨ و ٥٠ صفحه – حجم وسط

بين مشاكل اليوم الملحة ان لا ينسى المسيحيون انجيلهم وخوفاً من ان يروا فيه الكتاب القديم في فصوله وآياته – وهو كتاب لا يشيخ اذ هو كلمة الله للانسان – يأخذ بعض المؤلفين على عاتقهم بايصال كنه تلك الكلمة الى اذان الشعب ويستلهمون في ذلك الروايات او ما شاكلها من اسلوب حيّ يحياه القارئ ويتتبعه بشغف ويستقي من ثروته . وهذا الكتاب الذي نحن بصدده ، في احدى عشرة لوحة ، يصور لنا سر الخبز وسر الخمر وسر الاسرار وسر الالم وسر المجد ، آخذاً بحياة المسيح الاله في مراحلها المختلفة دون ان يأتي على المراحل كلها – ولم يكن هذا هدف المؤلف – وسارداً باسلوب بسيط متين صوراً يقف عندها القارئ ويتأمل ويجني فائدة .

يطلب هذا الكتاب من المكتبة الشرقية – ساحة النجمة – بيروت

ا. ع. خ

اقصوصة الميلاد

بقلم كرم البستاني

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٩ ، ٣٩ صفحة – حجم وسط

استلهم الكاتب ما ذكره الكتاب المقدس عن المسيح الاله وميلاده وعن مريم ومولدها فاكب يعطينا باسلوب قصصي تلك الحقيقة التي تؤثر دائماً في قلب القارئ وتستجلبه الى التأمل والصلاة .

ففي لوحات ثلاث حلّل المؤلف ميلاد المخلص في التاريخ وقصّ حكاية الميلاد وصوّر شجرة الميلاد فاعطانا ما نرنو اليه في ايام الميلاد من عودة الى حقيقة التاريخ والى ما علق عليها من قصص تعبّر عن شعور الشعوب في اختلاف تقاليدها . فأتى هذا الكتيب صافي الاديم متزناً نقرأه فنسير به الى النهاية ،

ونغلقه فننشر بكآبة لأنه انتهى . ولذا فالى المؤلف نقول : هات ما عندك من هذه الدرر .

يطلب من المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت

ا. ع. خ

تاريخ الوزارات العراقية

بقلم عبد الرزاق الحسيني

مطبعة العرفان — صيدا — ١٩٦٠ — الجزء التاسع ، ٢٦٨ صفحة ، والجزء العاشر ٢٧٤ صفحة

لهذين الجزئين من تاريخ الوزارات العراقية وهما الاخيران من هذا التاريخ الكبير ميزات ما سبقها من اجزاء . صدق في نقل الوثائق وخضوع لطريقة علمية في مقابلة المصادر . فيشير القارىء صحة المؤلف وهو يعلم ان اقدامه راسخة لا يزحزحها شيء ، وانه يجد في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب ما يحمل العقل يستوعب الأسباب والبراهين لتقلبات سياسية او لتوجيهات عملية خادقة . والجزآن يستوعبان كل ماجريات الأمور من الوزارة الخمسين الى الوزارة الستين .

فهذان الجزآن يعود اليهما المنقب كلما تحدث عن سياسة العراق وكلما طلب ان يفهمها في تاريخها وفي تطلعها الى المستقبل. ا.ع.خ

دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها

بقلم عبده الشمالي

الطبعة الثالثة — بيروت ١٩٦٠ — ٤٧٦ صفحة

اختبار سنين تدريس ضمّنه المؤلف هـذا الكتاب الذي حوى في حجمه الصغير الكثير عن الفلسفة العربية في المؤلفين وآثارهم آراء . شخصية مما يجعل لهذه الصفحات قيمه تُذكر في علم تواريخ الفلسفة التي يستعملها الطلاب للإطلاع على ما عليهم ان يعرفوه للنجاح في الشهادات المدرسية .

اشبع المؤلف موضوعه درساً . وراح يستقي من الفلسفة اليونانية واربابها ما تأثر به الفلاسفة العرب ، فعرض الآراء . وتقصّى نتائجها وعاد فاطامنا على فضل

السريان والنساطرة واليعاقبة والصائبة وسواهم وما في كل هذا من جديد. وتتبع بعد ذلك تسلسل الآراء وتطورها، فأخذ ينقب عن كتب الفلاسفة فيحللها ويعرضها بصورة مدرسية واضحة صافية ويُرى من خلال السطور ايضاً كل ما هو به مدين لمن سبقه من مؤرخي الفلسفة وان لم يضع في الحواشي المصادر. ولذا فأتى هذا الكتاب مليئاً ثروة يفيد الطلاب منها.

انما نأخذ على المؤلف امراً وهو عدم تطرقه الى درس صوفية ابن خلدون. فلقد اكتفى بالمؤرخ وبفيلسوف الاقتصاد الى ما هناك من الامور التي تعودنا على ترددادها. ولقد كان من الضروري، خاصة بعد نشر كتاب «شفاء السائل لتهذيب المسائل» لابن خلدون، ان لا يغيب عنه التلميح الى صوفية كما عبّر عنها المؤرخ. وهناك ايضاً امر في درس الغزالي لم يأتِ المؤرخ على ذكره وهو المجادل الديني، وقد نشرت كتب تدلّ دلالة واضحة على المحاورات الدينية التي كتبها الغزالي. وفي هذه المناسبة كان يوسع المؤلف ان يحكم الحكم الصائب على طريقة الغزالي في مجادلاته، الى غير ذلك من النقط التي لو بحثها المؤلف لجاءت وافية كاملة.

هذا مع العلم أن هذا الكتاب هو كتاب مدرسي ولا يصح أن تثقل صفحاته بامور تكبر الطلاب وتتجاوز شخصيتهم الفتية. ا.ع.خ

نحن وروما والفاتيكان

بقلم الدكتور اسد رستم

منشورات النور – بيروت ١٩٥٩ – ٧٨ صفحة

ألقى المؤلف نظرة شاملة في كتابه هذا على محور الكثلكة، روما والفاتيكان، وراح يعيد ما قد قاله في تاريخ انطاكية عارضاً النصوص ومفسراً الآيات حسب فكرة الأرثوذكسية وناظراً الى رومة واسقفها نظرة الناقد غير آبه لما في السلطة الكنسية من ايعاز الهي حتى ولو كانت النصوص واضحة غير محرّفة، حتى ولو كانت نصوص متى لا يشوبها شائب ولا يعلوها ريب في تطبيقها على بطرس. انما وان كانت الكنيسة الرومانية قد خلفت الامبرطورية الرومانية واخذت عنها بعض تنظيماتها أَوَ يكفي هذا لكي يقال انها احبت ان

تمتد سلطتها على العالم باسره كما كانت حالة الامبراطورية الرومانية . اذاك نفرغ النصوص من معناها وننظر الى الكنيسة نظرة بشرية انسانية وان رددنا انّنا في ورع لدى الله وفي خوف من احكامه . ولذا وان كان على المؤلف ان يعرض الامور حسب ما تعلمه اياها الكنيسة الارثوذكسية ، كان عليه ايضاً أن يحتفظ بشيء من الاجلال لتلك الكنيسة الرومانية غير موجه اليها لذعات وقوارص لا ترضي الّا النقد والنقد لا يرضي الّا الضعف. هناك نصوص وآيات، هناك اناجيل ورسائل ، هناك تقليد كنسي حي حفظته الاجيال ووصل الينا صافياً ، علينا ان نعود الى هذا كله فنفهم ان الكنيسة الكاثوليكية لم تفرض سلطة اعتباطية بل كانت دوماً عمود الحقيقة وصخرة الايمان هي ورئيسها المعصوم الذي اليه ، كما يقول ايريناوس ، يجب ان نرجع كلنا فتشنا عن الحقيقة .

يطول الكلام لو اردنا ان نجادل المؤلف على كل نص بمفرده وهناك كتب ومكتبات ولن نزيد شيئاً عما قيل . ا. ع. خ.

اربعون عاماً

بقلم ايغار سبكتور

بيروت ١٩٦١ ÷ دار غندور — ٢٠٦ صفحات

في هذا المؤلف عرض تاريخي علمي للعلاقات السياسية والاجتماعية بين الاتحاد السوفياتي وبلدان الشرق الاوسط من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٥٨. وهو اول بحث من نوعه يصدر باللغة العربية. يشتمل على تحليل لتلك العلاقات ويبين كيف لم يكن هدف الاتحاد السوفياتي يوماً الّا فرض رقابة قاسية على الدولة التي كان يعلن انه يريد تحريرها . وفي تحليل المؤلف دقة وعودة الى الوثائق مما يجعلنا نحترم افكاره وآراءه.

يُقرأ هذا الكتاب بشغف، وفيه لا يحلّل تأثير فرد على فرد آخر، ولكن تأثير دولة على دول مع ما في ذلك من مدّ وجزر، مع ما في ذلك من انتصار وانكسار . فترى الدول تترصّد العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ومع روسيا القياصرة بدقة وارتباك ، ولكنها تصل نهائياً إلى قبول ما يُفرض عليها وهي ضعيفة هزيلة . انما النفوذ لا يُطاق فيحمل الدولة القوية أن تهبّ وان

تقف بوجه الاتحاد وقفة جبارة يتراجع امامها عن مطالب تستعبد الضعفاء تحت ستار خلاصهم وتحريرهم .

ولذا فالاسلوب الذي اتبعه المؤلف اسلوب شيق يبعد عن التعقد والترجمة وإن كانت بحاجة الى اصلاحات لغوية قليلة فهي تجذبنا بسلاستها .

كتاب على العالم ان يقرأه وعلى الطالب ايضاً ان يطالعه. ففيه علم وتاريخ وطريقة ثابتة للتأويل والتفسير. أ.ع.خ

البورجوازي النبيل

بقلم موليير

ترجمة بهجة قنصة – مراجعة بدر الدين قاسم – تقديم ابراهيم كيلاني

دار الفكر ، دمشق – ١٩٦١ – ١٣٠ صفحة

ليس من السهل ان تترجم مسرحيات موليير الى العربية ، وقد تُرجمت في القرن الماضي مسرحية البخيل ونالت استحساناً . وها اليوم مسرحية اخرى انكبَّ على ترجمتها ومراجعتها مؤلفان لها من اللغة والدقة في التعبير والصدق في نقل الروحية النفسانية المختبئة وراء كلمات موليير ما اهلها الى اعطائنا ترجمة وافية كان لها بعد ان يُعطياها ما يجعلها تتفوّق على نقد النقّاد : ونعني بذلك أنه كان على المترجم والمُراجع أن يعمدا الى سلاسة اكبر في التعبير . ولكن هذا لا يُنقص شيئاً من قيمة الترجمة . ولقد قدّم لها الدكتور ابراهيم كيلاني بكلمة وجيزة ضمنها ما اتصف به عصر المؤلف وسرد حياة المؤلف وما اتصف به هو نفسه من عبقرية وعظمة مخيلة وانكباب على درس وتحليل النفس البشرية مما جعله لا يشيخ كلما تقدمت الايام وعبرت السنين. ا.ع.خ

الحريق

بقلم محمد ديب

ترجمة سامي الدروبي – مراجعة جميل صليبا

وزارة الثقافة والارشاد القومي – الاقليم السوري – مديرية التأليف والترجمة

٢٠ سلسلة الادب الجزائري – ١٩٦١ – ٣٢٢ صفحة

مأساة طالت مدتها يجرب المؤلف ان يرسم في قصة مؤثرة للغاية مراحل

تطويرها باسلوب بسيط ومتقطع فيوصلنا الى ان نشاركه الدمعة والتأثر ولسان حالنا يردد : اما لهذا الليل من نهاية . دماء ودماء . تهرق من الجهتين نود لو يحقن لاعمال خيرة في سبيل التقدم والتطوير .

مأساة الجزائر تترك بعدها ذكريات مرة للجانبين المتحاربين : والبؤس واليأس يلحقان بالفريقين . وهذه القصه التي يرويها علينا المؤلف تحمل بين جوانبها كل ما تنتجه الحروب من جزع وفقر وألم وموت .

ا. ع. خ

النول

بقلم محمد ديب

ترجمة سامي الدروبي – مراجعة بديع الكسم

مكتبة اطلس – دمشق ١٩٦١ – ٢٥٣ صفحة

تصف كتب المؤلف، كما ويتصف الادب الجزائري – بوضعية تقرب من القارئ حوادث يسردها ويحللها وهي تنقضي في عالم غريب عنه . ولكن قوة النظر والبحث، ودقة التنقيب وبساطة الوصف تجعل من المؤلف ذلك الكاتب البارع الذي لا تفوته شاردة الا وحللها ولا تعيقه واردة الا واعطاها معنى وفك رمزها .

قصة النول . مراحلها في الجزائر يتبعها القارئ ويمر من شخص الى آخر ومن حادث الى آخر فيرى نفسه وكأنه يعيش القصة وهذا ما يعد اصدق تعبير عن قوة المؤلف الحالية والوضعية معاً . وما ذلك الا درس اجتماعي عن حياة الجزائريين في بعض مناطقهم ينتفع منه القارئ ويتوهم انه يجد بعض الملامح في وطنه وبلده .

اليوم وقد تزايد الاهتمام بحالة الشعوب المختلفة فان هـذا الكتاب يساعد القارئ النبيه على استلهامه لدروس مشابهة تقرب بين وجهات النظر لصالح العلم .

ا. ع. خ

صيف افريقي

بقلم محمد ديب

ترجمة جورج سالم وعبد المسيح بربار – مراجعة بدر الدين قاسم

مكتبة اطلس – دمشق ١٩٦١ – ٢٠٤ صفحات

في كتب محمد ديب نزعة الى كسب عطف القارئ من وراء تحليل حالة

الجزائريين في حربهم الطويلة . وفي هذا المؤلف يصف نتائج المعارك وما تتركه بعدها من فقر ومرض ومن بؤس وقلق . وهو يدقق في كل حادث ويصفه بعناية بالغة ويستحث القارئ الى الشعور فالعمل في سبيل ما انزلته الحرب من مصائب في الشعب وابنائه .

لهذا المؤلف الصفات المميزة ذاتها التي حللناها في كتب محمد ديب الاخرى ولا سبيل هنا لترددها : نظر ثاقب عقل نقّاد شواعر مرهفة . ا. ع. خ

ثورة الشيخ صالح العلي

بقلم عبد اللطيف اليونس

دار اليقظة العربية بدمشق – ١٩٦١ – ٢٣٤ صفحة

فصول ملأى ثورة وصخباً . تعدّد لنا في سيرة الشيخ صالح العلي كل ما قام به من اعمال مناوئة للمحتلين وقوة براسه في متابعة العدو بانضباط وحزم . فكان ان قاد زمرة من المؤمنين بقوته وعزمه ان التفوا حوله فقادهم الى الانتصار الوقتي فالموت .

ككل كتاب يتكلم على الثورة لا بد من ان يجد بين كلماته وجمله ما يتجاوز الكلام الموزون ويجعل القارئ يتمنى لو عاد المؤلف عن المبالغة والشتم. ولكن هي طرق اخاذة بجامع القارئ . ا. ع. خ

ابناؤنا : وسائل العناية بهم صحياً وتربوياً

بقلم حسن ملا عثمان

دار الفكر – دمشق ١٩٦١ – ١٠٣ صفحات

لا بدّ من اطلاع الاهل عمّا ترتكز اليه مسؤولية تربية اطفالهم اذ هم عن تحمّلها بعيدون اشياء واشيا. يجهلونها عن الحمل وعن تربية الطفل ولا يفقهون الّا لغة الضرب واللكم والصراخ القوي . فيقوم المؤلف ويلح بوجوب تربية الطفل قبل ان يظهر للنور وقبل ان يعطي إشارات الذكاء في حياته العملية . ويعطي المؤلف نصائح حسنة بعد ان يكون صوّر ما وجب تصويره لكي يُقنع الاهل عن ضرورة واجبهم.

نثني على المؤلف. ولكننا وان شعرنا من النصائح التربوية التي يعطيها ان له روحية عميقة، فان له من التعابير ما يخدع ويوهم. فهو يقول مثلاً (ص ١٢): «ان كل هذا (العصب والنفس) يرجع الى الكروموسومات». فإنه خلط بين العصب والنفس. وهناك ايضاً بعض السهو يعطّل على الكتاب ما فيه من حسنات جلّى فعلى كل مسؤول أن يقرأه ليجد فيه طعاماً ومادة للتفكير.

ا. ع. خ

يحدّثونك من القلب

بقلم قدري العمر

دار الفكر – دمشق ١٩٦١ – ١٦٣ صفحة

مجموعة عشر قصص يصوّر فيها المؤلف حال اللاجئين الفلسطينيين، وقد آل على نفسه أن ينقل ما رآه لتراه وان نعيش ما عاشه من بؤس وقنوط وأمل.

يصوّر لنا في الاولى كيف ينضب معين الفن عندما يعظم المصاب، وفي الثانية آلام البطالة، وبعد ذلك صراعاً مريراً مع الصهاينة ومغامرة الفلسطينيين في الرجوع الى أمه وأبيه والعناء الشاق في ترميم الحياة، وجانباً من شمس فلسطين وكيف يتحوّل اليهودي وغيره في ايام الحرب الى جزّار وعجائب هذا الاسر ولوعة الام اذ يفارقها ولداها بغتة.

وفي هذه القصص كلها شعور قوي وعواطف هيّاجة وروح الاخوة الواعية. لا بدّ من مبالغة في سرد او في تصوير الحوادث ولكن المأساة اثقل على من يعايشها منها على القارئ.

ا. ع. خ

Charles Pichon: *Le Vatican*. — Librairie Arthème Fayard. — Paris, 1960 — 260 pp.

ها هوذا كتاب قراءته ضرورية لفهم الكنيسة والعالم الحديث. فان الفاتيكان متسلط على ما يقارب الخمسمائة مليون نسمة. وهو قوة يتكلم عليها الناس، ولكن الكثيرين يجهلون ماهيتها، طريقة نموها ونظاماتها وشرائعها وروحها. ولقد أُلفت الكتب وحُبّرت المقالات عن هذه الدولة وفيها كلّها

اغلاط واغلاط اذ ان المؤلفين لم يروا منها سوى الظواهر وقد غابت عنهم النية الداخلية .

اما المؤلف الذي نحن بصدده فان هو الّا درس اساسه الاختبار ، وقد قضى المؤلف السنين الطويلة في البحث والتنقيب في الوثائق الاولية واوضحها ، فاتانا بهذا الكتاب الفريد..

ليس المؤلف بالعالم فحسب ، انما هو كاتب يستعمل الاسلوب الخيالي الوضعي فاصاب هدفه . فبعد ان وصف جغرافية الفاتيكان واصطحبنا في متاحف تلك الدولة الصغيرة وآثارها المدهشة ، اخذ يحلل المؤسسة نفسها ، فمن اجتماع كرادلة الى انتخاب البابا الى تسنمه العرش الى الموت. وينتقل بعد ذلك فيدرس العائلة البابوية ومجمع الكرادلة مع ما لهم من صلاحيات وواجبات . وينتقل اخيراً الى المحاكم الرسولية ويقف عند الوزارة الخارجية في الفاتيكان ويعطينا عنها الامور العديدة التي تروق القارئ .

كتاب كهذا لا نشعر فيه بيبوسة. فان المؤلف عرف كيف يحيي صفحاته بقصص ونكت تجعله كتاب قراءة لذيذة امينة . وهو حقاً كتاب فيه روح تنطق عن روح المدينة الازلية روما وعن محور المسيحية فيها الفاتيكان .

ا.ع.خ

Syed Abdul Latif: *Bases of islamic Culture.* — Institute of Indo-Middle East Cultural studies. — Hyderabad, India, 1959, 234 pp.

يحتوي هذا المؤلف على اثني عشر فصلاً ويُقسم فيه كلّ فصل إلى أجزاء توخى فيها الكاتب عرض اسس الثقافة الاسلامية فمن المقابلة بين الايمان والعمل الى وحدة الله الى دور الانسان في هذه الحياة الى الايمان بالوحي الى ما تبقى من الفصول ، نرى المؤلف وكأنه درس المنطق والفلسفة على علماء الكلام في العصور الوسطى يأتينا بقضية يعرضها ويفهمنا ما فيها من مشاكل ويعود ليجد لها براهين كتبية وفي الحديث وكأنه يريد ان ترتكز القضايا كلها على هذه الأسس المتينة . فحسناً فعل ولذا فان نطلب من الكتاب اكثر مما وضع فيه مؤلفه . ولكننا نأخذ عليه ما نقص من الحواشي الواضحة والدقيقة . يذكر المؤلفين واسماءهم ولا يعطينا المصادر الدقيقة . انما توصل ببضعة اسطر ان يعرض

علينا الفكرة الاصلية وان يميّزها عن غيرها بايجاز فنجح . ا.ع.خ

Grégoire de Narek : *Le Livre de prières.* — Intr. trad. de l'arménien, par Isaac Kéchichian, s.j., avec une préface de Jean Mécérian. — Ed. du Cerf — Paris, 1961, 549 pp.

فرح العالم بان يخدم الثقافة باطلاع القارئ على كنوز جديدة طمرها الزمان وانتصرت عليه فأتت حيّة تزيد في ثروة العقل. وهذا الكتاب الذي نحن بصدده من تلك المؤلّفات التربَّـية التي تحمل علاوة عن اللغة والافكار موسيقى ووزناً والحاناً وعواطف تجرح الفؤاد وتعطيه نشوة الامل والصلاة.

لقد عاد المؤلّف في ٩٥ صلاة على كل ما يعتري القلب البشري في ابتهالاته لله من قلق وجزع، من فرح وامل من انكسار ونشوة، واستقى من الكتاب المقدس زبـدة ما قال وسرد من اختباراته ما يجعلنا نتحسّس معه كل تلك المواقف الصلاتية التي يعبرها رجل الله عندما ينحني الى الباطن ويشعر بزوال العالم وبأبدية الله. ولذا فإن هذه الصلوات ليرتشف منها المؤمن ما استطاع، ويجد فيها كلّما عاد اليها طعاماً لذيذاً وغذاء ناضجاً وكأن فيها التعبير الصادق عن حالات نفسانية يختبرها هو. ويصعب علينا هنا ان نحلّل كل صلاة بمفردها، انما المطلوب ان يعلم القارئ التائق الى كنز روحي انه يجده هنا.

ومع الافكار العالية يشعر ورنة موسيقية جعلها المترجم والناشر تسير بين مقاطع هذه الصلوات فتسهل القراءة. وعندما نقرأ مقدمة الاب مصريان نرى ان المترجم تغلّب في فهم اللغة الارمنية القديمة التي استعملها المؤلّف على صعوبات شتى، وتوصّل إلى ان يترك للنص تموّجاته الشعرية ولقد أحسن في هذا.

انما نريد ان نمدح الناشر والمترجم على ما اعطانا اياه في هـذه النشرة من طريقة علمية في التنقيب عن وطن المؤلّف وعن حياته ومؤلّفاته وعن هذا المؤلّف الذي نحن بصدده ونسخه وعن شاعريته وعما ترجم من هذا المؤلّف وفُسّر منه وفي كل هذا روح نقد وبصيرة ودراية يُشكر المترجم عليها.

اما التمهيد الذي كتبه الاب مصريان فهو ملي، على صغر حجمه من تاريخ ولاهوت وتحليل نفسانية. ولا نستغرب هذا من المؤلّف، اذ عوّدنا في كتاباته كلّها على فيض غزير من العلم الصحيح. ا.ع.خ

ROBERT GUELLY : *Vie de Foi et tâches terrestres.* — Ed. Casterman, 2e éd. — Tournai 1961 — 208 pp.

ليس من ينكر ان للعلمانيين دوراً في بناء العالم والكنيسة ولذا فان هذه السنين الأخيرة قد اوضحت هذا الدور وراح اللاهوتيون — وهذا اختصاصهم — يدرسون المشكل ويستوضحون النصوص الكتابية وخاصة تعليم الكنيسة في هذا المضمار وقد يتضح للمفكر كل يوم تطوير تاريخ العالم وضرورة اتساع ملكوت الله على الارض . ومؤلفنا هذا ليس سوى جواب طافح بالدرس والتنقيب على مشكل تات ضرورياً يوضح فيه موقف العلماني من العالم ومن دعوته الالهية عليه أن يترك الواحدة ليلتحق بالثانية أو بمقدوره ان يقوم بواجبات الاثنين جاعلاً من الواحدة قوة لتنمي الثانية .

ولذا فعلى مسيحي اليوم ان يطالعوا هذا الكتاب مرة ومرتين ويستقوا منه نوراً لعقلهم وقوة لارادتهم فهو يطلعهم على ان لا خلاف بين العالم والملكوت اذا عرفوا ان ينيروا الواحد بنور الثاني ؛ فهو يطلعهم ايضاً على ان نشر الكنيسة لا يناقض ما يجب ان يعمله المسيحي من خدمة نصوح للعالم : فهو يطلعهم اخيراً على منفعة وفائدة الألم والانكسار لخلاص العالم .

هناك لاهوتيون طلبوا من المسيحي ان يعيش في هذا العالم ويتجسد فيه ومنهم من طلبوا اليه ان يعبره فهو زائل ويتوق الى العالم الآتي . اما مؤلفنا هذا فيعرض علينا وجهة نظر العقيدة الكاثوليكية الصرف في شمولها وكمالها .

ا. ع. ح.

ROBERT GUELLY: *A l'écoute de Dieu.*— Ed. Casterman. — Tournai 1961. — 224 pp.

نحن بمجابهة لكتب تلقي نظرة على العالم كما هو اليوم وتطبق عليه المبادئ النظرية والعقيدة المسيحية . فالعقيدة ليست كلاماً فقط ، العقيدة حياة ؛ ولذا فالكتاب الذى نحن بصدده ليوجه القارئ نحو الشاطئ الامين بعد ان يكون قد دربه على فهم مشاكل الساعة بنور الهي .

ألف هذا الكتاب لاهوتي اخضع نفسه لمتطلبات علمه ولكنه تفوق على الكلمات والجمل التقليدية ليوصلنا الى مكالمة شخصية مع الله الحي . وما تراه

بين طيات المؤلف أن القارئ يعيش من اوله الى آخره في جو ايمان حي، في جو ايمان نيّر، في جو عبادة صادقة وصلاة. وما نجاح هذا المؤلف سوى لأن المؤلف جمع افكاره كلها حول فكرة الاله الخفي الحاضر الذي يعطي المشاكل صفاءها الاول وينير الوضع القائم بقوة. ولذا فترى ان للتعبير عن تلك الحقائق نكهة شخصية ضمن اطار تقليدي فان معاصرينا لفي حاجة قصوى الى الله، الى ذلك الاله كما هو: محبة ومعين محبة. فاذا ما قرأوا هذا الكتاب وجدوا فيه الحل لمشاكلهم وواجهوا الاله الحي ونخلص عالمنا اليوم. ا. ع. خ

GATHIER ÉMILE : *La Pensée Hindoue*, éd. du Seuil, Paris, 1960, 219 pp.

في مقدمة يربو عدد صفحاتها على المئة والاثنتين والعشرين يسهل المؤلف طريق التعارف بين القارئ والفكر الهندي. فيبدأ بالفيدا ويشرح باقتضاب تعاليم البرهمان والاوبانيشاد. وبعد ذلك يأتي على سرد فلسفات الهند واليوغا، وينتهي الى تصوير بعض المفاهيم الهندية الحديثة.

اما في القسم الثاني فيعطينا المؤلف صفحات ملؤها روحانية الهند، وفي الاخير ثبت لكلمات ومفردات أتى على ذكرها في الكتاب، وثبت للكتب التي طالعها وتكلم على الموضوع الذي تتطرق له.

ففي كلام المؤلف وضوح وفي احكامه حكمة وعلم، ولا نرى عنده ما نرى عند الكثيرين ممن يعتنون بهذه المواضيع من اوهام ومقابلات عفوية لا اساس لها ومن خفق وهذيان. فعلى هذا يُشكر المؤلف.

ا. ب. اليسوعي

CLÉMENT OLIVIER : *Transfigurer le temps.* — Notes sur le temps à la lumière de la tradition orthodoxe. — Neuchâtel 1959 — Délachaux et Nestlé.

ان اللاهوت اليوم يفقه تماماً ان المسيحية بدلت دون هوادة مفهوم الزمن. فعند الاقدمين كان الزمن يعني العودة الدورية. ففي هذه العودة كانوا يرون قوة الاله ومقدرته؛ قوة ثابتة وفوق الزمن. وكان على الانسان ان يعلو على الزمن بواسطة طقسيات وان يتحد هكذا باستقرار الاله وان يمحو الزمن.

كانت العودة تعني ايضاً زوال كل شيء . كل شيء باطل والانسان محصور في دائرة تلك العودة الجهنمية .

اما عند اليهود وفي المسيحية فان الله كائن شخصي ذاتي يعمل بحرية ويتكلم في تاريخ ويكوّن كلامه تاريخ الخلاص. وبهذا يقيّم الزمن ويبدله. وهو بواسطة الطقسيات الالهية قد صار شفافاً من وجود العزة الالهية . واذاك فلا مانع من ان تتبنى الفكرة المسيحية مفهوم الزمن الدوري وتعطيها قيمة جديدة . ويأتي المؤلف هنا على سرد نصوص عديدة من الطقسيات الشرقية حيث التعبير الصافي عن ذلك التبديل.

انا نعتبر ان هذا المؤلف كانت زادت اهميته لو كان المؤلف قد حلل تركيب الزمن . فلا سهولة في ذاك . ولكنه كان توصل الى القول إن زمن العجرفة اليّ ليس الا ذوبان المادة الزمني . والرجل الذي يفتش عن معنى حياته في الامور الخارجية والمادية يشترك بالزمن الزائل، بينا الرجل الذي ينحني على الامور الروحية يعيش في زمن الروح الذي يحتفظ بما يجابهه . هنا مبدأ التاريخ.

ولذا فتبديل الزمن هو تبديل الانسان وتبديل العالم الذي فيه يعيش . اذ ان الزمن فكرة مطلقة . والمؤلف لا يسرّ ابداً بهذا التبديل : « عبثاً يحاول الانسان ان يناضل لتأسيس مدنيّة مسيحيّة » ، فليست سوى ثياب الكنيسة ، تلك الثياب التي ترك المسيح الجند يقتسمونها تحت الصليب . ليس النضال باسم المسيح ولكن بوسائل العالم هذا لتأسيس سياسات واجتماعيات فيها بدت حرارة الشعب المسيحي . انا المسيحي يوقظ حوله وفيه ذلك الايمان الخلاق كي يلبس الله ، حيثما يريد ، الكنيسة رداء التمدن الذي صار مسيحياً . (ص ٢١٠).

وفي هذا القول طعن في الاعمال التي تعمل لتكوين عالم متفتح على المتطلبات المسيحية. وهذا التمدن الذي صار مسيحياً أيخلقه الله توّاً باعجوبة ام يخلقه بعمل الانسان الذي يعمل بالنعمة ؟

وانا نأسف ايضاً اذ ان المؤلف لا يصوّر غالباً الامور الكاثوليكية تصويراً صحيحاً : فانه يعتبر ان « الانبثاق من الابن » يعني ان الروح القدس اقل درجة وقيمة من الابن . وهذا ما لا يمت بصلة البتة بالعقيدة الكاثوليكية. فلو كان الروح اقل قوة وقدرة من الابن لكان في الموقف عينه تجاه الآب. اما نكران

الانبثاق من الابن فيوصلنا الى الصورة التالية : الاب—الابن ، الاب—الروح ، وهذا ما يدينه المؤلف ، ويحق.

إن المؤلف يرفض تطوّر العقيدة. ولكن يغالط نفسه في صفحات قليلة بعد ذلك فيقول: « يجب ان لا نكتفي بترديد الكتاب ولا ان نقف عند التعابير اللاهوتية التي نشأت في الماضي . يجب ان نفتش عن تعابير جديدة عن الحقيقة، يجب ان نُعطي الانسان ، وفي لغته ، الكلام الذي يحوّل الكتاب الى حياة. » (ص ١٩٢)

وكان على المؤلف اذ يرفض تطوّر العقيدة ان يرفض قيمة المجامع الاولى في الكنيسة والتي ترضي بها الكنائس الشرقية. ا.بروز اليسوعي

Evdokimov Paul : *L'Orthodoxie.* (135 pp.) — Neuchâtel 1959 — Delachaux et Nestlé.

مؤلف يطلعنا على حياة وعقيدة الكنيسة الارثوذكسية. ففي مقدمة تريخية يتكلم المؤلف على مفهوم الانسان وعلى الكنيسة ، على الايمان وعلى صلاة الكنيسة وما سيحدث في الايام الاخيرة . وهذا كله بحرارة ايمان نحو كنيسته ولكنه يرى غالباً المثل الاعلى اكثر مما يرى الحقيقة. انما لا يعاتبه في ذلك احد. ولكنه لا يتوقف مرات عند هذا الحدّ . فانه يقول ان الكنيسة الارثوذكسية لم تعرف الهرطقة ابدًا ، لم تعرف ابدًا تأثير الاباطرة (وعلى هذه النقطة فان الاوكرنيين والبولونيين لن يشاطروه رأيه). وغالباً ما يذكر الاباء اليونان كأنهم من حصة كنيسته لا غير . ومرات يأول العقيدة الكاثوليكية بغير ما هي عليه: وذلك في تفسير الحرية والحبل بلا دنس والعصمة البابوية التي هي شخصية في اصلها . وانه يوازي بين الخالق والسبب الاول وكان هذين المفهومين لا يتوحدان في المعنى نفسه . ولكي يتحاشى الانبثاق من الابن يقول ان الآب يعطي الابن قوة بها يؤثر لا على اصل الروح ولكن على ظهوره (ص ١٤٠ حاشية ٦١) وكان ارسال الروح ليس موازياً للولادة وللانبثاق الثالوثي . فيذكر كلمة الفم الذهبي (ص ١٤٧) : ان الابن هو صورة الاب والروح هو صورة الابن، دون ان يفقه ان هذه الكلمات تعلمنا انبثاق الروح من الآب بواسطة الابن . — وبعد ذلك يتخلص من اولية بطرس وخلفائه فيقول : « إن المسيح اسس الكنيسة

على القديس بطرس كاول اسقف ترأس المائدة السيدية وبهذا اظهر لأول مرة أساس الاسقفية الرسولية العام . ولذا فكل اسقف على اورشليم والاسكندرية والقسطنطينية وكل ابرشية ، هو خليفة بطرس المباشر ، خليفة السلطان الرسولي الذي يخوّل تقديم الذبيحة . (ص ١٣٤) . وهذا ، والله ، تفسير عجيب لنصوص واضحة ! — يرفض المؤلف تطوير العقيدة عندما تقبل بها الكنيسة الكاثوليكية (ص ١٧٧) . يرضى بها في الكنيسة الارثوذكسية انما يعبر عنها بكلام مغاير (ص ١٨٠) .

اما ما ينضح من هذا المؤلف فهو : ان الكنيسة الارثوذكسية توقف نظرها عند الحياة في السماء التي تبداؤها ههنا . فيتكلم المؤلف على اسس التأليه الاصلية (ص ٩٤) . فان هي الا طقوس ترفع المؤمن فوق العالم وتفصله عن العالم ، فان هي الا رهبانية . فالحياة الرهبانية هي وحدها الحياة المسيحية . لا تفتش عن تبديل العالم لتجعله شبيهاً بملكوت الله . المسيح لا يبدو بادئ ذي بدء . الا المنتصر على الموت ولا تدرس حياته الارضية . وان المؤلف لا يرضى — وذلك علاوة على نص فيلبي ٢/٥ وغيره من النصوص الكتابية — بالاقتداء بالمسيح الذي يفترضه بصورة ضيّقة . يعود ويعود الى الكلام على السر ، وينتهي المؤلف بالقول ان الرؤيا في السماء ليست من الممكنات ، وذلك علاوةً على نص الرسالة الى اهل كورنتس الفصل ١٣ .

في بعض نقاط لا اتفاق ابداً مع الكنيسة الكاثوليكية . انما هناك غالباً مواقف لا تناقض بل تتوحد فتُغني الحياة الروحية في الكنيسة وتؤهلها للنضال . ولكن للوصول إلى وحدة كهذه انما الشرط الاول هو التعارف الذي يمحي كل حكم جائر ، خاصة اذا كانت تلك الاحكام مترسخة الاقدام منذ اجيال .

ا. بروز اليسوعي

JEAN FRISQUE: *Oscar Cullmann. Une théologie de l'histoire du salut.* Tournai 1960. — Castermann.

بين اللاهوتيين البروتستانت يبدو اوسكار كولمان على اتفاق ، في بعض المسائل التاريخية ، كملكوت القديس بطرس في رونا ، وكأولية المعطاة من المسيح نفسه ، مع اللاهوت الكاثوليكي . وهذا الاتفاق قاد البعض من

الكاثوليك الى القول بان موقف كولمان يقرّبه من الايمان الكاثوليكي ولربما قاده يوماً ذلك التقرّب الى العودة الى الكنيسة. ولكن الدرس العلمي الواضح اذا ما نقّب التنقيب الكافي في مؤلفات كولمان ليوصلنا الى القول بان كولمان لا يستلهم في مؤلفاته تلك سوى الموقف البروتستنتي. وهذا ما يقوله الاب فريسك في الكتاب الذي نحن بصدده وبكلام واضح ومقنع.

يلحّ كولمان، وبحق، على طابع الوحي التاريخي وبهذا يعادي موقف اللاهوت العقلاني والوجودي. ففي تاريخ العالم يتمّ تاريخ الخلاص الذي سببه واصله الله، وهذا التاريخ ليس عودة دورية كما تصوّرتها بعض الاديان الوثنية، انما هو تطوّر سرّي. ولكنه يختلف عن موقف الدين اليهودي بقوله ان ليس بدؤه البعيد الاصول ولا كماله النهائي بعطيانه قوته وقيمته. فمحوره وسط الخط السويّ وهو موت المسيح الخلاصي. وكل ما يحدث في هذا التاريخ الخلاصي لا قيمة له الّا بصلته الزمنية بهذا المحور. فكل ما سبقه هيأه، وكل ما تبعه حققه. على هذا كله ليس للاهوت الكاثوليكي ما يأخذه مبكتاً. انما يقول كولمان ان الاحداث الزمنية تختلف عن بعضها وقيمة الواحد لا تُعطى للآخر، ويعتقد ان هذه الفكرة ضرورية للسهر على ميزة الوحي التاريخية. اما من جهة اخرى فيتوجب على المسيحي ان يفهم معنى كل فترة من الزمن. ولكن كيف يفهمه الم يصفه بصفاته الخاصة. يرضى كولمان بان هـذا المعنى معطىً لنا في قانون الايمان الذي يعود عهده الى ايام الرسل. فان للفترة الرسولية قيمة خصوصية، وهذه الميزات لا تُعطى للكنيسة في الفترة الثانية. لأن هذا يعني حقيقة فوق الزمن وخارجة عن التاريخ. فالكنيسة هي جسم المسيح. فبالكلمة واسرار العماد والقربان يكوّن المسيح بعمل الروح القدس جسمه كي يقوم الملكوت منذ اليوم، ولذا فللكنيسة في تاريخ الخلاص دور تجاه هـذا العالم ولكن يبقى انها ليست من الفترة الرسولية. نعم كان بطرس اساس الكنيسة ولكن هذه الوظيفة لا تنقل الى الكنيسة كما ولا تنقل العصمة من الغلط. والاساقفة ليسوا خلفاء الرسل. فالتقليد التابع للفترة الرسولية لا يتصف بميزة الفترة الرسولية الوحيدة من نوعها، وبهذا يستطيع كولمان، وبدون صعوبة، بما يتعلق بقبول تفسير العهد الجديد وتاريخ الكنيسة القديمة، ان يرضى بالتفكير الكاثوليكي؛ اما فيما يتعلق

بكنيسة اليوم فانه يستطيع وبدون قلق ان يظلّ على موقفه البروتستانتي.

إن أساس هذا الموقف يعود الى مفهوم فلسفة كانت (Kant) في التاريخ وهذا المفهوم نجده بوضوح متزايد في اللاهوت البروتستانتي : فان التاريخ لا يستطيع ان يعرف توّاً الا الحدث الخارجي والحتي. وكل ما تجاوز هذا الحدث ليس الا نتيجة تفسيره وهذا التفسير يتعلق بموقف المؤرخ : والمؤرخ من كان له إلمام بالاحداث، واللاهوتي من كان له قوّة على ربطها ببعضها وبتوجيه معين (ص ٥٥) . ولذا فعمل كولمان على وجود مبدا، للتفسير يحمي اللاهوتي من كل تأويل فردي ؛ ولكن هذا العمل مآله الإخفاق اذا اراد كولمان ان يظل اميناً لمفهوم التاريخ الذي صوّره له . فإن الايمان الذي يعطي التفسير ، ليس بخارج عن التاريخ وليس له صلة اصلية به . الايمان لا اساس له . ولذا فانه من الممكن ان يماكن تاريخ الخلاص التاريخ الخارجي : الحقيقة مزدوجة الاطراف .

إن الأب فريسك يلاحظ بحكمة ان المعطى الكتابي لا يعود فقط الى تطور تاريخي في الزمن . فانه يتطلّب اندفاعاً إلى فوق (ص ٢٢٥) . ولكن المعطى الكتابي لا يتطلّب ذلك الا لأن هناك الوحي . ولكن التاريخ ، كل تاريخ ، خارجي وخلاصي وهو تفسير نص كتابي ، هو اصلاً فهم معناه الانساني والروحي ، من خلال معطى النصّ الحتي ، كما نجده في المعاطات بين الناس . فإن الانسان لا يعود بكلّيته الى الحدث الخارجي اذ إن له معنى إنسانياً . وفي هذا ليس لنا ان ننظر الى التاريخ ولكن الى العلم . وعلاوة على ذلك فإن الزمن التاريخي يفتره كولمان حسب طبقات الزمن الخارجي . وبهذا يكون قد شعر بتوصل الازمنة في التاريخ وهذا ما يجعل تاريخ الخلا من غير ممكن . ان زمن الحدث التاريخي اساسه زمن الشخص البشري ، ويفوق زمن الحدث المادي . وهذا الحدث المادي ليس له من بقا. داخلي ويعود الى ذكر القبل والبعد . ففي هذه الفلسفة الكانتية الغير المصرح بها — وكولمان لا يقبل بأية فلسفة لتأويل الوحي — نرى المماكسة الاسية بين اللاهوت الكاثوليكي ولاهوته وهذا ما اوضحه الاب فريسك في كتابه بحكمة تامّة .

ا. بروز اليسوعي

القدسُ قد طابت سكنى … تجلُّ ارضُ الاقداسِ
لكن اذا اشكو حزنا … فلا مؤاسي
لبنان سهلًا او حزنا … انسي وموحي ايناسي
والقوم قومي ان أكنى … وخيرُ ناس

∴

مرفرفُ الهدبين … مغلَّفُ الجفنين
اذا انتفى … مضناك لا ينتفى
ان تأسف … على شهيد البين

قصيدة الاب نعمة الله ابو ناضر

هزار دوحي صاح … ونورُ صبحي لاح
قلبي صفا … والهمُّ عني انتفى
منذ روَّح روحي … رنات طريح ناح

∴

هزَّتني ذاتُ الالحانِ … وراع قلبي نواها
اذ هيَّج مني اشجاني … ذكرى هواها
هيهات أهندُ تنساني … وراح عمري فداها
ما نوحُ حمائم لبنانِ … الَّا صداها

∴

يا عاشق الشوقين … يا شائق المتنين
دم في الهنا … يا صاحب العنا
واسلم وتحكَّم … في الصبِّ قرير العين

∴

قد هلَّت دمعة اجفاني … تزيلُ غلَّ الصدورِ
فأفوز بلقيا اخداني … ابناء صيد
وامتَّع في العمر الثاني … بحسن دورٍ جديد

فيشنف مني آذاني صوتُ الرشيدِ

∴

يا اجور العينين واكحل الجفنين
جُد بهواك وارحم حشا مضناك
وافرح وترنم يهنيك ٬ عداك البين

الخامس عشر: قصيدة أخرى

نظمها شاكر ابو ناضر بالحروف المهملة على غرار القصيدة التي مرّت[١]

أسلمى روح حالَ الدهر طرًا عروس حسام حول حماك حورُ
هواك كسكرٍ مسحورُ مولىً ودلّ على مواسمك السحورُ
ألا هو طوع امركِ ما علاهُ سماكُ دارَ وهو لهُ مدورُ
وكم امسى لمسعاه حسودٌ وها هو للهوى اسدٌ هصورُ
وما أحلى كلامًا حلّ عمدًا ولاح الطرس أسطرهُ الصدورُ
سلوكُ دموعك الحرّى صحاحٌ ومالك ٬ دم لدى سلمى كسورُ
سلوها هل لمعهدها حلولٌ وهل حلّ الورودُ أم الصدورُ
دواء الهائم المكلوم وصلٌ لما الاوهام سلمى والامورُ
وصار حماك كالاسماك لما أحاطك للملاح سهىً وسورُ
ودرُّ الوصل لاح على كؤوسٍ وكلٌّ ملامح الراح السرورُ
ودلّ على حماكِ دموعُ هاوٍ وعطّرهُ صلاحكِ والطهورُ
أسلمى لا دهاكِ الدهرَ عسرٌ ودام هواكِ ما كرَّ الدهورُ

---

١) نقلتها عن الاصل الذي هو بيدي

السادس عشر : تأريخ

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر لدير الكحلونية

في رئاسة عام قدس الاباتي اجناديوس سركيس على الرهبانية اللبنانية عين بالاتفاق مع الزائرين الرسوليين دير مار الياس الكحلونية للاصلاح في عهد رئيسه الاب يوسف عازار فنظم الاب ابو ناضر بهذه المناسبة التأريخ الآتي :

بنيان هذا الدير شيد على التقى متجددًا بعناية الفتاح
في عهد يوسف عازار الرأس الذي وقف الحياة على تقى وصلاح
ورئيسنا العام التقي اجناديوس سركيس من هو نخبة الصلاح
وبسعي زوار رسوليين صار م نظامه متكللًا بنجاح
قد سبح الله المؤرخ ساجدًا اذ تم فيه مبتدا الاطلاح

١٩١٣

السابع عشر : تاريخ كنيسة دير مار انطونيوس حوب

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر

قد رمّ لله ميخائيل[١] خادمهُ كنيسة نحوها العباد تبتكرُ
وذاك في عصر مار الياس بطركنا[٢] الملفان من فضلهُ في الشرق مشتهرُ
وحوب ان سألت عن فخر بيعتها التاريخ قال بها الايام تفتخرُ
سنة ١٩٠٣

الثامن عشر : قصيدة ترحيب

بالمرحوم الاب برنردس غيره رئيس الرهبانية الانطونية العام الذي شرّف دير سيدة المعونات مركز رئيس عام الرهبانية اللبنانية ، وذلك سنة ١٩١٤

وكان على خلاف مع ابناء رهبانيته الانطونية

فنظم الاستاذ الاب نعمة الله ابو ناضر هذه القصيدة

الذي لم يبق منها في الذاكرة سوى هذه الابيات الآتية وهي :

اهلًا بمن قد كان اهلًا ان يُقلّ على اليدين
اهلًا بزائر دار صنو لم تعز بغير ذين

١) الاب ميخائيل غوش التنوري الذي رمم هذه الكنيسة .
٢) البطريرك الياس الحويك .

ومنها :

اشر فكتك بيننا في «قلمة» او في «الحصين»[1]

ومنها :

يا ليت ليت لنا على رغم العدى بردوسين

في ولادة الاب نعمة الله ابو ناضر ودراسته وترهبه وسيامته كاهناً

وُلد الاب نعمة الله عبد الله ابو ناضر في بسكنتا سنة ١٨٦٢ وأُطلق عليه اسم شاكر[2]. درس في كليّة القديس في بيروت ستّ سنوات كان فيها مثال الاجتهاد والنشاط ودرس فيها ايضاً وفي مدرسة الارمن الكاثوليك في حلب ؛ سافر وجال واكتشف واطلع وجمع ووعى ما هو اشرف واغلى من المال ، ودافع ورافع في الدعاوى وتعرّف بكبار القوم ، وكتب في صحف الآستانة المقالات الشائقة والقصائد الرنانة وما زال القلم سميره والكتاب جليسه حتى ذهب في سبيل كل حيّ · انضمّ الى الرهبانية اللبنانية المارونية . ابتدأ في دير كفيفان وكان يخدم المرضى والشيوخ العجزة ويتعاطى الخدم الحقيرة اذلالاً للنفس ورغبةً في كسب الاجر والثواب . ونذر في هذا الدير النذور الاحتفالية عن يد رئيسه السعيد الذكر الاب اغناطيوس داغر التنّوري وذلك في ٢٣ شباط سنة ١٩٠٣ . ولما سيم كاهناً سنة ١٩٠٦ هنأه احد الادباء من اصحابه العارفين بسطة علمه وسامي مداركه بهذه الابيات الجميلة وهي :

يا حبّذا مجدُ رهبانية سعدت بكاهن فيه قد قرّت نواظرها

---

١) يريد به دير القلمة في بيت مري مركز الرئيس العام في الصيف ، ودير مار روكس الحصين في الذكوانه مركزه في الشتاء .

٢) وورد عنه ما يلي :

« هو شاكر بن عبد الله بن ساسين بن الياس بن نعمان بن يوسف بن مخايل بن الياس ابو ناضر . وهو الثالث باسم نعمة الله ؛ درس في كلية الآباء اليسوعيين (بيروت) اكليركياً علمانياً حتى الفلسفة فاللاهوت . ترك المدرسة وتعلّم الفقه على اخيه طانيوس بك ابو ناضر الشهير واتقنه وزاوله . — سافر الى الاستانة وانتظم في سلك جمعية تركيا الفتاة ؛ وكان فيها من رجال النهضة والقلم . — بقي في اسطنبول تسع سنوات وكان على عهد جمال الدين الافغاني اكبر الثوار على سلطنة عبد الحميد واكبر داعية لتحرير العرب . كتب في صحف الاستانة وفي صحف بيروت ولبنان . ثم هرب من استنبول ماشياً على قدميه (وبرفقته سعيد بك حماده الذي أُلقي القبض عليه في الاناضول وقُتل) .

وبعد ان قامت حكومة عبد الحميد الثاني على جمعية تركيا الفتاة وناهضتها وطاردت

مهذَّبٍ شفتاه العلم قد وَعَتَا … والشريعة من فيهِ جواهرها
قد لاحظ النفس والتعليم عن صغرٍ … فطابت النفسُ بل طابت ازاهرها
ومال عن زخرف الدنيا وما فتنت … كنوزها بنهٔ لبًّا او ذخائرها
مسدَّد الرأي محمود الخصال لهُ … في العلم منزلةٌ عزَّت نظائرها
هي الفضيلةُ قد تاهت بهِ طَرَبًا … وروضة الدير قد فاحت ازاهرها
وبلبلُ البشرِ بالتاريخ صاح بها … بنعمة الله يزهو اليوم ناضرها
١ ٩٩ ٧ ٦٢٨ ٢٨ ٨٧ ١٠٥٧

١٩٠٦

٦.

حفلة تكريمية للاستاذ الاب نعمة الله ابو ناضر

في نهاية السنة المدرسية في دير سيدة المونات – جبيل ، في احدى سني الحرب الكبرى ، اقام الاخوة الرهبان التلامذة حفلة تكريمية شائقة لاستاذهم الاب نعمةالله ابو ناضر ، تباروا بمدحه في اظهار عواطفهم وعرفانهم الجميل بخطب وقصائد ، وكان من جملتهم كاتب هذه

اعضاءها فالتجأ في حلب الى مدرسة الارمن الكاثوليك ودرَّس فيها بزي راهب . ثم جاء بيروت ، فأقيمت عليه وعلى اخيه طانيوس بك الدعوى انها من حزب تركيا الفتاة . وتفاصيل تلك الدعوى مذكورة في ترجمة اخيه . وقبل ترهبه درَّس في كلية القديس يوسف في بيروت صفُ البيان وانشأ جريدة «روضة المعارف» هو والشيخ محمد الانسي فعاشت سنتين. ولما تبرأت ساحتها زهد المترجم ودخل الرهبانية اللبنانية في دير كفيفان (بلاد البترون) ثم اتى المدرسة اللبنانية (قرنة شهوان) فدرَّس فيها وهو اخ . وهناك رقاه الى درجة المطران بطرس الزغبي .

عين كاتبًا للرئاسة العامة في عهد الرئيسين العامَّين اجناديوس سركيس واغناطيوس داغر التنوري .

درَّس في المدرسة اللبنانية ، ثم الاخوة الرهبان الدارسين في اديار مار قبريانوس كفيفان وسيدة نسبيه غوسطا وسيدة ميفوق وسيدة المونات – جبيل – ومار سركيس قرطبا ، فاشتهر بهابته ومحبة تلاميذه له . وانشأ من بعض الرهبان فطاحل باللغة العربية خاصةً واحياها في الرهبانية بعد فرحات .

كان منشئًا قديرًا وشاعرًا كبيرًا في العربية والتركية ، بليغًا ومحدثًا مفكرًا موزون التعبير قوي الحجة – وكان يجيد من اللغات : العربية بلاغةوالفرنسية واللاتينية والتركية .

وقد خلّف آثارًا كتابية منها منشورة ومنها غير منشورة . مات في ٣٠ ايلول سنة ١٩٢٣ » (راجع صفحة ٨٥ و ١٢٠ من كتاب « تاريخ بسكنتا وأُسرها » للخوراسقف بطرس حبيقة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٦ في ٣٠٧ صفحات بقطع كبير)

السطور الاب انطونيوس شبلي اذ كان اخاً تلميذاً للاب الموأ اليه . وقد حضر هذه الحفلة الرئيس العام الطيب الاثر الاباتي اغناطيوس داغر التنوري والاباء المدبرون والمعلمون وجمهور الدير . وبعد ان تكلم الاب شبلي في دوره عن منافع العلم ومضار الجهل استطرد الى كلمته في استاذه نثراً وشعراً وها إننا نثبتها هنا نقلًا عن دفاتر فروضنا المدرسية كما هي مدوّنة من سنة ١٩١٨. تذكاراً لايام المدرسة الجميلة . قال :

ما ذكرت العلم والعلماء الّا عددتُ استاذي الاب نعمة الله ابو ناضر من اربابه وحَمَلة مشاعله . فاسمح لي ان اوجّه اليك هذا الكلام فاقول :

لي في مديحك ، دمتَ وقفةُ شاعرٍ ... والشعر في ربّ الفصاحة ساحرُ
عفتُ القوافي من سنين وقد نسيتُ ... م النظم ، لا حاشاي ، اني ذاكرُ
وسئمتُ مدح الناس في ايامنا ... وسكتُّ لكن في السكوت مرائر
نظمُ القريض بهم عصى متمرداً ... لكنّه في نظم مدحك صاغر
من روض فضلك ضاع عرفُ فضيلة ... عَبِقت فأفشت ما حوتهُ سرائر
عزّزتَ مدرسةً بحزمك ازهرت ... زهراً عليها كم تغنّى طائر
كم من تلامذة بفضلك اصبحوا ... كالجوّ منه همى سحابٌ ماطرُ
ادبارنا بك قد زهت ارجاؤها ... صرح العلوم بها بجدّك عامرٌ
فلأنت للآداب ركنٌ ثابت ... شهدت لك بهِ طالبٌ ومحابر
كم قد سهرت بجنبها متجهّداً ... والليلُ خلو النور داجٍ عاكرُ
وسميرك القرطاس والقلمُ الذي ... للبطل يخزي للصواب يناصرُ
انك في القريض قصائدٌ رنّانةٌ ... صدحت وقالت انت وحدك شاعرُ
منها المجلي عقلٌ توقّد بالذكا ... ما فاتهُ بالامس يومَهُ حاضر
فالعلم ناخ برحب صدرك ركبهُ ... وعلى ضياك مشى الغريبُ السائرُ
في أربع اسطنبول صيتك شائعٌ ... في العالم العربيّ فضلك زاهرُ
أبقيت في «نسيبه» ذكراً عاطراً ... رغماً اقرَّ بهِ الأعقُّ الناكرُ
وكذاك في «ميفوق» اسمك لم يزل ... كالطيب منهُ بدا شذاءٌ عاطرُ
أنى يُصدِّق ان ذكرك ينطوي ... والعلمُ عزّ بهِ وقام يجاهرُ
كم ذقتَ من نَصَبٍ بعلم شبيبةٍ ... ونهاك يقظانٌ وطرفك ساهرُ
وكفى لرهبنة بمثالك جبهذاً ... هو رافعٌ عَلَمَ العلوم وناشرُ

لا تحجبيني في مديحك شاعراً ... ان الفؤاد بصدق حبك شاعرُ
بالامس شعري كان غصناً ذابلاً ... واليوم في روض الثنا هو ناضرُ
طوّقت جيدي بالقلائد منعماً ... فعرفتُ ذا وانا وليدٌ شاكرُ
ان كنتُ قد قصّرتُ في مدحٍ فما ... شعرُ الفرزدق في مديحك قاصر
لا زلتَ في صدر المعارف مشرقاً ... توقيك من رشق الحسود مخافر

واذا ذُكرت مآثر الرجال فانت اولى بالذكر والثناء :

« انت الجديرُ بكل فضلٍ نلتهُ ... وحويتهُ وبكل مكرمةٍ حري »

واذا ما اتيت على تعداد فضائلك وصفاتك الغرا. فاني انطق بالحق والصدق. فاني اصدق اذا ما قلت عنك انك كاتبٌ بليغ وشاعر مجيد :

فاذا نظمتَ فانت ابلغُ شاعرٍ ... واذا نثرت فانت افصحُ خاطبِ

بالحقيقة انك كاتب بليغ وشاعر مجيد وصحافي قدير ومحام لامع تعد بين حملة الاقلام؟ قد عرفتك الصحف والمحاكم والمجالس والمحابر والمكاتب بانك فرد من افرادها ؛ فان مكتب الرئاسة العامة على الرهبانية اللبنانية الذي تسمرت عدة سنين عليه وتصببت عرق المشقة وسهرت الليالي الطوال جالساً اليه تسامر القلم والقرطاس ولم تزل الى الآن ، سيحفظ لك ذكراً جميلاً يتناقله الخلف عن السلف . فان جميع ذلك يحدثنا عن وفرة معارفك وسعة اطلاعك ومقدرتك في كل علم تعلمته . وها ان جرائد استنبول التي رصّعتَ صفحاتها بالامس بنفثات قلمك الساحر تشهد انك بانك من العلما. المحققين والكتبة المبرزين.

فان لك ايها الاب العالم في الحزن رنة وفي البشر طنة فاذا تكلمت رثاء ادميت القلوب وان كانت صلبة كالجلمود . واذا خطبت او قلت شعراً لعبت بالعقول بسحر بيانك لعب المشتقة بالرؤوس . واني لا اغالي اذا قلت ان لك شعراً قوياً متيناً — (ويا له من شعر من الصخر امتن) — ودليلاً على ذلك اورد بعض ابيات من قصيدة عارضت بها قصيدة امرؤ القيس قد انشدتها للمثلث الرحمة المطران بطرس البستاني بعد عودته من رومية والقدس تقلّه دارعة فرنسية خاصة فقلت مشبهاً الدارعة :

أطيرٌ يشقُّ السافياتِ ويرفلُ ... ام العيسُ في سهلٍ من الارض ترحلُ

أجلودُ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من علٍ ام الصلُّ ما بين الزهور يتلقلُ
تراها كخودٍ قد اطالت برقصها على ربوةٍ خضراء تعلو وتسفلُ
نعم هي تطفو فوق امواج مزبدٍ تبطِّنها شيخٌ لـهُ القلبُ منزلُ
هو السيِّدُ الحبرُ المفدَّى بأنفسٍ غوالٍ لهُ المجد الشريفُ المؤثَّلُ

فمن خلال هذه الاشعار وغيرها يتبين لنا رسوخ قدمك في اللغة العربية ، فان القوافي والبديع والمعاني والبيان والتشابيه والكنايات والاستعارات تخضع لك خضوع العبد لسيده وتقف على بابك قائلة :

« على الباب عبد من عبيدك واقف »

وقد جمعت ايها الاب الفاضل العالم الى ما في صدرك من العلم ، جمال الفضيلة الراجحة والمروَّة والتجرد والشهامة والوداعة والتواضع ، لا تعرف الارتفاع ولا الانتفاخ وانك بين اخوانك الرهبان كالحمامة البيضاء . ويشهد على تواضعك واماتتك مـا كنت تأتيه من ضروب الخدمة الحقيرة للرهبان العجزة الشيوخ في اديار كفيفان وميفوق ونسبيه — غسطا — والعظمة في الخدمة المتواضعة — وقد عاشرتك سنتين كنت خلالهما اتردد عليك واتقلب بين يديك كالولد بين يدي ابيه ، وكنت تقبلني بوجه باش وصدر رحب ، ففي اثناء هاتين السنتين قد طبعت على صفحات قلبي اثراً لا يمحى وحباً لك لا يفنى . . .

وفاة الاب نعمة الله ابو ناضر في دير مار الياس الكحلونية

جاء في رزنامة هذا الدير ما هو بالحرف الواحد .

« قد انتقل الى ربه القس نعمة الله ابو ناضر ليلة الاربعاء في ٢٠ ايلول سنة ١٩٢٢ (١) . والمرحوم دخل الرهبنة في شباط سنة ١٩٠١ في دير مار قبريانوس كفيفان . ولما ألبس الاسكيم الملائكي حاول رؤساؤه ان يقنعوه بالاستعداد للكهنوت فانتسى لتواضعه ان يتركوه أخاً طول حياته لانه كان يعدّ نفسه غير اهل لتلك الدرجة الملائكية . وهكذا لبث اربع سنوات فبعد الجهد خضع وقبل الدرجة المقدسة ثم اخذت أمه الرهبانية تستخدمه في تعليم ناشئتها ، فدرّس في دير كفيفان ودير نسبيه — غسطا ودير ميفوق ودير قرطبا ودير سيدة المعونات في جبيل وابدى في هذا العمل الهام غيرة عظيمة متفانياً في تهذيب اخوته

(١) ورد تحت رسمه انه توفي سنة ١٩٢٣ والصواب ١٩٢٢ .

الرهبان الادبي والروحي . وفي رئاسة قدس الاب اجناديوس سركيس العامة عُين كاتب سرّ له . وكان رئيس معاملة لادبار المتن والقاطع لما عاجلته المنية . وقد كان رحمه الله راهباً قانونياً متجرداً شديد التقشف محافظاً في حياته كل المحافظة على حفظ نذور الرهبانية المقدسة ولا سيما نذر الطاعة . وقد احتفل بجنازته يوم الخميس ٢١ الجاري ودفن في مدفن الدير بعد ان أبّنه قدس الاب العام اغناطيوس التنوري (الذي كان موجوداً في دير الكحلونية) بالفاظ استنزفت الدموع من عيون الجميع . رحمه الله ومتعه برؤيته السعيدة في النعيم الخالد».

كاتبه
القس يوسف سركيس الشبانية
رئيس دير الكحلونية

رثاء

فقيد الرهبانية اللبنانية المارونية العالم العامل
المرحوم الاب نعمة الله ابو ناصر

ما انتشر نعي الاب ابوناصر حتى بكته الرهبانية بدموع حرّى ولاسيما تلاميذه الذين أثرت فيهم وفاته فتفجعوا عليه ما شاء الله ان يتفجعوا ، منهم تلميذه حضرة الاب بطرس الكفوني الذي خلفه في تدريس المعاني والبيان لاخوته الرهبان في دير سيدة المعونات — جبيل . وقد رثاه بقصيدة رقيقة تنبض بالأسى والاسف والعاطفة والشعور وصدّرها بهذا العنوان المذكور رأينا ان نختم بها هذه الصفحات وهي :

كادت بفقدك أعظمي تبرى ... وغدا فراقك للورى مُرّا
والقلبُ أدماهُ تقرّحهُ ... وعليه اصنافُ البلى جرّا
والسُهدُ زاول أعيناً هطلت ... وهمت عليك دموعها الحرّى
وغدا الفراش لاضلعي ضَرَماً ... والنومُ عن عينيَّ قد فرّا
لم ألفِ مثلك راحلاً رحلت ... معهُ المروءةُ والحجى طُرّا
لم ألفِ مثلك مائتاً عبقت ... حسناتهُ بين الورى نشرا
لم ألفِ مثلك عالماً ملأت ... اعمالهُ البيداءَ والبحرا
لم ألفِ مثلك جهبذاً عنبت ... اقوالهُ حتى غدت خمرا
فخري واستاذي وخيرَ أبٍ ... ومعلّمٍ نلنا بهِ فخرا
مَن لي بمنطقهِ فارسيّة ... واقولُ فيهِ الشعرَ والنثرا

مَن لي بدمعٍ لا يفيضُ لكي   ابكي الفصاحةَ والنُهى الدهرا
رجلَ الفضيلة والحصافة مَن   برقيننا قد أنفدَ العمرا
وسقى رياضَ عقولنا فنمَت   فلذاك نوقفُها لهُ نذرا
ابن الأُلى اغتنموا فوائدهُ   سحُّوا عليه دموعهم حُمرا
وخدودهم لحدًا له جعلوا   وقلوبهم لرفاقه قبرا
وحشاهمُ كفنًا وأضلعهم   نعشًا لمن رقَّاهم الشِعرى
يا ناضرًا أذواكَ دهرٌ خنى   لا يغفرُ المولى لهُ وزرا

***

تبكيكَ رهبانيَّةٌ فُجعت   بأعزّ من شدَّت به أزرا
وزعيمها أروى الضريحَ وقد   أبكت سيولُ دموعهِ الصخرا
لغةُ البلاد بكت عليك دمًا   إذ كنتَ في عليائها بدرا
أنفقتَ وقتك في مغالقها   مستخرجًا من بحرها دُرًّا
نضرت بناضرها وقد ذبلت   لمّا ذبلتَ وحشرجت ذعرا
تبكيه أنديةُ الكرام لمّا   حلّت بدرّ كلامهِ نحرا
يبكيه علمٌ بلاغةٍ تخذت   في رأسه لكمالها خدرا
وشبيبةُ الرهبان قد خسرت   فيه إمامًا حاذقًا حبرا
يبكيه طول حياته ولدٌ   درس البيانَ عليه والشِعرا
آثارهُ الغرَّا تهيجُ بنا   الاحزانَ عند تجدُّد الذكرى
فعليه ألفُ تحيّةٍ وسلا   مٍ يزدري الريحانَ والعطرا
والهُ من الابناء خيرُ دعا   وعليه رحماتُ السما تترى
وأحلّهُ ربّي الجنانَ لقا   اتعابه وأنالهُ الأجرا

مقدمة

الآثار التاريخية في المكتبة النخلية

يقول كاتب هذه السطور الاب انطونيوس شبلي اللبناني : انه في شهر نيسان من سنة ١٩٦٥ زرت بيت الوجيه الكريم الاديب الكبير امين بك نخله في بيروت ، واطلعت على مكتبته العامرة التي اسسها المرحوم عباس بك نخله ووصفت الكتب الخطية فيها مستطرداً الى الكلام عن الكتب المطبوعة النادرة وجمعتها في نبذة مستقلة تحت عنوان : «الآثار التاريخية في المكتبة النخلية» ووضعت لها هذه المقدمة وهي :

لا يندُّ عن الاذهان ان ديارنا الشرقية ظلّت قروناً طويلةً خاليةً من المطابع ، وان ايدي النسّاخ هي التي قامت مقامها في نشر وحفظ نتاج ثمرات ومولّدات أدمغة العلماء والمفكّرين الكبيرة الضاربة في بيداء كلّ علم وفنّ تقتله درساً وتفكيراً ، فبرهن اصحابها للملا على انهم من المجلّين في مضمار الاختراعات والعلوم والفنون . فانتهى الينا قسم من ذلك النتاج الفكري الدقيق العميق يتهادى بوشيه الناصع وحليه الرائع فكان متنزّل الوحي ومتجلّي الحكمة والالهام يصدعُ بما لاولئك العلماء الفطاحل من الآراء الصائبة الدالّة على خصب فِكرهم المولّدة المبرعة ، والعقول الثاقبة التي خلّقت المُلَح النوادر والجواهر البواهر البالغة باربابها الى أعلى درجات قمة المجد ونباهة الذكر .

وكانت هذه الآثار مورداً عذباً للعطاش ونجعةً للروّاد ومُعافراً للطلّاب يعتضدون بآراء ذويها في معضلات المشاكل ومبهمات المسائل ، وحجّةً قاطعةً ناطقةً بما خصّ الله علماء العرب من العبقرية والنبوغ ، فكان لهم فضل التقدّم في ميدان التأليف والترصيف . ولا يستطيع اصحاب الدعوى العريضة وأولي المكابرة الجامحة والمعاندة الجانحة الى مرامي الادّعاء والاستغواء ، نكران هذه الحقيقة الساطعة في جنانهم والمستترة تحت طيّ لسانهم خجلاً واستحياء .

واما القسم الآخر من تلك الذخائر النفائس فقد عفّى آثارها تراخي الايام وكرور الاعوام ونسجت عليها عناكب الاغفال والنسيان ، فلم يصل الينا شيء من اخبارها بل بقيت دفينةً في صدر الزمان .

وان بعض تلك الكتب قادها سوء الطالع الى ايدي نسّاخ جهلة نسخوها فمسخوها فتبدّل حالها وشوّه الكلفُ جمالها فبرزت الينا من دياميس العصور الغابرة

تتلبّس ثوباً شاعت في تضاعيفهِ الخروق وكثرت فيهِ الرُّقع كأنها عجوزٌ دميمةُ الوجهِ فشت في قسماتهِ اخاديد وغضونٌ تخبّأت تحتها لمحاتٌ لذلك الحسن الضائع والبهاء اللامع تنبئُ انها كانت في سالف الزمن من ربّات الحجال الموسومات بميسم الظرف والجمال .

ولو لم يكن لتلك المخلّفات الروائع وزنها وقيمتها لدى ذوي البحث والتنقيب لما رأينا المستشرقين يبالغون في التفتيش عنها ولسانُ حال كلٍّ منهم يقول :

طال احتجابُكِ طاب لي ان تسفري حتى أُمتّعَ في بهائكِ ناظري

حتى اذا ظفروا بأثرٍ منها بدروا الى استفراغ الجهد في الكشف عن محاسنهِ والاسراع الى نشرهِ ، رافعين الحجاب عن مطلع شمسهِ ومنبع دُرّهِ يدلّون بهِ مستكبرين مفاخرين .

*
* *

وليس من يجهلُ أنّ طائفةً منهم طافت البلاد المشرقية بالطول والعرض متجشّمةً عناء الاسفار غاشيةً اهول المخاطر للتنقيب والاستهداء الى مكامن تلك الآثار المحتجبة عن النواظر ، باذلين النفس والنفيس للظفر بها والحصول عليها . وقد رأينا الملك لويس الرابع عشر يبعثُ الى الشرق احد علماء النمسا باذلاً له المال عن سخاء لمشترى كتب العرب ، فجال في مدنهِ وقراهُ وظفر بما ابتغاه وعاد الى مخدومهِ حاملاً عدداً وفيراً من تلك النفائس الصابرة على غير الايام . وان الشيخ بلنصر الخازن ذكرَ اسماء الكتب التي عثر عليها العالمُ النمسوي على ما ستقرأ في هذه اللمحة التاريخية ، واننا ما عرفنا منه غير اسماء بعضها . فهل لمحبي الآثار التاريخية الشرقية ان يبحثوا عنها ويرفعوا عن وجهها النقاب ويتحفوا بها العالم العربي ؟

والنابغةُ السمعانيُّ الكبير قد سافر الى كلّ انحاء المشرق حتى تخطّى الى أبعد حدودهِ طلباً لهذه الآثار فوقع على قسمٍ منها فاشتراه وقفل راجعاً الى المدينة الابدية يعكف على درس تلك الاسفار ويكسرُ الصدَف بما عُرف بهِ من العلم الراسخ والعقل الراجح عن دررها الغوالي ويرسلها الى العالم الغربي مجلوّةً كالحسنا . حاملةً البرهان القاطع والدليل اللامع على نبوغ العقل الشرقي .

وقد طرّس على منواله المطران جرمانس فرحات المتأنق الشهرة في علم العربية والحامي حماها ، فذهب وهو راهب الى اسبانيا للاطلاع على آثار العرب في خزائن مكاتبها . ولم يقفل راجعاً منها الى الشرق بغير جدوى . وبالرغم مما اعترضهُ من الصعاب ومن شواغله المتراكمة ومهامه المتراكمة تركت لنا يدهُ الكريمة نحو مئة وستين مخطوطاً في خلال اثنين وستين عاماً ، أودعها طرائف القرائح وطرّق في بعضها افضل المواضع وأظهر المباحث التي توسّع المدارك وتُطلق المعارف .

وعلى ما بدا لنا بعد الاختبار والاستقراء ، ان الذين صانوا لنا هاتيك الكنوز من الاندثار والتلاشي ، معظمهم من المتخوفين والمتنسكين الذين خلعوا الدنيا ولم يخطر لهم يوماً ببال الاسفاف الى سفاسف الحياة للتلهي بها ، الراغبين في إحياء روح العلم والادب والتاريخ ، فصبروا وثابروا على اقلامهم في نقل التآليف التي انفق اهلها العمرَ بين صرير الاقلام ومداد المحابر صوناً لها من الاغفال والضياع .

ولم يفتنا الاهتداء الى بعضها ، وكنا وما زلنا ننشّ عنها ونتقصّى اخبارها وما سمعنا بمخطوط الّا قصدناه . وبلغنا اخيراً ان في دار فقيد لبنان الغالي وشاعره العالي رشيد بك نخله ، مكتبة جليلة القدر جديرة بالذكر ، فلم نتردّد عن الذهاب اليها في بيروت . وما ظلّلتنا سماء تلك الدار النخلية المنزلة عن ضوضاء المدينة والهادئة المستلقية بين أذرع السكينة ، حتى لاح لنا الاباء والشمم اللبناني متجلياً فيها بعظمته وروعته ، واحسسنا بذكريات « الرشيد » تستفيق في حافظتنا وتثير بنا هزّة ارتعاش لفقده ولذّة انتعاش بذكره ، وعرفنا كيف يخلدُ الرجل بالذكر الى يوم البعث والنشر ، فردّدنا فيه قول القائل :

لطفتْ عليك وجوهها الحسناتُ والمكرماتُ الغرُّ والهنّاتُ

..

ومَن من الناس يجهل « الرشيد » الذي رفعَ « النشيد » عالياً فاهتزّ لوقعه وتوقيعه لبنان من اقصاه الى اقصاه ، حتى تحرّكَ العظم الرميم في ثراه .

دمعت عيننا على شاعرٍ ملهَمٍ عبقريٍّ أطرب لبنان نيّفاً وخمسين سنةً بمقاطع واشعار سارت مضرب المثل على كلّ شفةٍ ولسان ، فكانت طُرفةً من طُرف الخواطر وقطعةً من روائع السحر والبيان .

وكأنَّ سما. لبنان الرائقة ، ومناظر جبالهِ الفاتنــة ، ومطلع الشمس فوق روابيه العالية ، ومسبح القمر والنجوم في لياليهِ الصافية ، وجلال نَبعي الصفا والباروك خلعتْ عليه وشاح العبقرية الفذّة ، فنفح لبنان بالبديع المُعجز والبيان المطرب .

ذكرنا «الرشيد» فمُثل لذهننا رجلٌ عصاميٌّ عظاميٌّ جمع بين السيف والقلم وتمثّل عند رؤيتهِ عجز قلمهِ عن بلوغ مرامهِ بالقول المأثور :

« ويفعلُ السيفُ ما لا يفعلُ القلمُ »

ذكرناه على ظهر جواده الادهم كعالية الرمح يردّد شعر المتنبي :

الخيلُ والليلُ والبيداء تعرفني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

وما ذُكِرَ «الرشيد» ذُكر الاخلاص والوفاء والسعي لاستقلال لبنان . ففي احرج اوقاتهِ وفي ايام محنهِ وأنّاتهِ تحت ثقــل الملمّات والنكبات التي تواردت عليه وهو في « المنفى » كانت تثورُ بين اضلعهِ محبة لبنان فتتغنى بما ترى:

« جبلٌ على الدنيا أطلَّ بمجدهِ ولغير ربّك ليس يُحني المنكبا »

ولم يتحوّل في جميع مناحي حياتهِ عن وفائه للبنانه ، ولا عن الجهر بوجوب استقلالهِ ، ولم يزحزحه شيء عن الثبات في عقيدته الوطنية . ولم تفتر فيه همة ، ولا نبا له حسام ، ولا كبا بهِ جواد ، ولا كلَّ له يراع ، ولا خمدت له قريحة ، ولا شاخت له مروءة في جهادهِ هذا ، فشاب شعره ولم يَشِب شعره ، ولا حزمه ، ولا عزمه ، ولا خُلقه ، ولا دينه ، ولا كَرَمه . وكأنه في كل ذلك يقول :

« ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خُلقي ولا وفائي ولا ديني ولا كَرَمي »

« وانما اعتاد رأسي غير صبغتهِ والشيبُ في الرأس غيرُ الشيب في الهممِ »

اجل ! ان الموت طوى «الرشيد» ولكنه لم يطوِ ذكره ولم يطمس أثره .

« لقد طوت شخصهُ الايام غادرةً وما طوت منه ذكرًا طيّبَ الأثرِ »

قابلنا الفتى « الامين » ابن سيد العرين ، بيسمته المرحة المشعة على وجهه وفتح لنا باب الدار والمكتبة على مصراعيه فأيقنا في سرّنا « ان هذا الشبل من ذاك الاسد » — ومَن شابه اباه فما ظلم — كنا في داره العامرة محفوفين بالضيافة النخلية العربيّة وخلنا نفسنا اننا في «بيت الرشيد المضياف في الباروك» ونحن غارقون في سيل عرم من مئات المجلّدات التي جمعت بينها هذه المكتبة الزاخرة بشتى الكتب في العلوم والفنون ، نقلّبها وننسخ عنها مـا راقنا وطاب لنا . وفيها الكثير من الكتب المطبوعة النادرة الوجود في هذه الايام ، ومن المخطوطات الثمينة والآثار التاريخية المتضمنة فرائد الفوائد القراقد . وقد حوت الادب واللغة والشعر والتاريخ . وفي كلمتنا الآتية التي سمّيناها : «الآثار التاريخية في المكتبة النخلية » غنى عن الاسهاب.

فقد أسسها عباس بك نخله وورثها رشيد بك بدوره عن والده سعيد بك وابتاع لها كتباً نفيسةً . وهي الآن تحت إدارة نجله امين بك نخله المحامي والكاتب والشاعر المشهور ، وقد رتّبها ترتيباً حسَناً وجلّد كتبها تجليداً فاخراً وزاد على ما تضمّنت من قبل كتباً نفيسةً ، وترى فيها آثاراً لا تراها في غيرها من المكاتب.

ولا يفوت القارئ اللبيب أنّ الاديار والمدارس والبيوتات اللبنانية هي التي حفظت لنا هذا التراث الادبي الكبير من الضياع ، واليها يعود الفضل . والفضل يعرفه ذووه . . .

كان عهدنا بامين بك نخله انه من المعدودين في عـالم الادب والمتفوقين في قرض الشعر واللامعين في فنّ المحاماة ، فاذا بنا نراهُ من السابقين في البحث والتحقيق في اللغة . وهو يملك القسط الوافر من العلم في التاريخ والسياسة . وفي متناوله كلّ شاردةٍ وواردة ، وله المامٌ واسعٌ في كلّ علمٍ وفنٍّ وخبر.

ومن غريب امره انه لم يدع سفراً من اسفار هذه المكتبة الحافلة بنات الكتب ، على ما ألمنا اليه ، الّا درّسه وألمّ بابحاثه واغراضه ، لاننا ما كنا نسأله عن كتاب الّا اعرب لنا عن مضمونه ومدّ اليه يده في الحال وأتى به ، حتى انه ليتلمّسه ويتحسّسه مهتدياً اليه في الظلام . فدُهشنا لهذا الامر وحسبنا

نفسنا في المكتبة الشرقية في كلية القديس يوسف بحضرة العلّامة الاب لويس شيخو الشهير بهذه المواهب النوادر.

وبالرغم من كثرة مشاغل «الامين» المديدة واستقبال الواردين الى داره وتوديع الصادرين عنها الليل والنهار قضاء لحاجاتهم، فما كنا نراه في الحالين الّا «طلقَ المحيّا كالرياض بيشره».

ولا بدع ان يزدحم طلّاب الحاجات في بابه — فالموردُ العذب كثيرُ الزحام — وهل تكون دار آل مخله موصدةً دون قاصديها في زمن من الازمان. وبيتهم في الباروك يُدعى «بيت الأمّة». واننا نشاهدُ «الامين» يمشي على آثار والده طابعاً على غراره في أدبه وشعره وفي سعة صدره ورقّة شعوره وكرمه وفي الرسوخ بمبدئه الوطني. لا زال يصعدُ في درجات سلّم الوجاهة والنبل والكمال والفضل، يُطلعنا في كلّ يوم على أثرٍ جديد من آثاره، وعلى خبرٍ ملذٍ من أخباره.

الاب انطونيوس شبلي
اللبناني

دير سيّدة المونات — جبيل — لبنان

في ٢٥ نيسان سنة ١٩٤٥

الافخارستيا في الفرض الماروني

بقلم الخوري فرنسيس نعمه اليسري

همّ البقاء دفع الموارنة الى جبل لبنان والظلم حدا بهم على أن يتخلوا عن السهول الخصبة وان يلجأوا الى هذه الجبال العصية والاودية السحيقة يعملون في صخورها نحتاً وتفتيتاً فاذا هي « حفافي متدرجة، وجنات غناء، وبساتين جوزية، وكروم من التوت، وساقيل من الدوالي واذا هي رائعة من الروائع»[1] واذا بها تصبح مع الزمن موارد رزق وحياة « لهذه الامة الصغيرة المحتشمة التي عمرت اكثر مما عمرت امبراطورية القسطنطينية التي اضطهدتها »[2] . لكن لا يخطرن على بالنا ان همّ البقاء كان الدافع الأوحد لتوطن الموارنة لبنان، وان موارد رزقه الشحيحة هي التي حملتهم على الاستقرار في هذا الجبل. هناك دواع دينية دعتهم الى التوطن فيه وهذا ما يثبته فرارهم من وجه النساطرة وهذا ما يثره احدث ابحاث الجغرافية البشرية ؛ وفيه يقول العالم دي فوماس « انه ليس على وجه الدنيا جبل تضاهي نسبة سكانه مع ضيق رقعته نسبة سكان لبنان. وليس غنى الارض او ما تحت الارض هو ما اقرّ سكانه فيه . ولو كان الانسان يعيش من الهواء الطيب لقلنا : الفضل للهواء . ولكن الحق انه ينبغي رفع النظر الى ما فوق الهواء . فما اقرّ الموارنة في لبنان الّا اعتقادهم بأن الانسان ليس بالخبز وحده يحيا »[3]. نعم لقد عاش الماروني في هذه الجبال منقطعاً اكثر ايامه عن رومة والكثلكة مجبرا على الانزواء عن العالم وقطع المواصلات معه . انما لم يعش ابداً بعيداً عن معتقدات الكنيسة كل معتقداتها بل عاشها فأحبه، وقدّسها فقدسته، واحترمها فحفظته، واضرم جذوتها بحرارة ايمانه

(١) تارو «طريق دمشق» ، ص ٤١–٤٢ .

(٢) EDWARD GIBBON, *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*. Ed. J. B. Bury, vol. V (London 1898), pp. 156-157.

(٣) ذكر النص سيادة المطران ميخائيل ضوميط في مقاله : الموارنة والبطريركية المارونية رابطة الاخويات ، تموز – آب ١٩٥٥ ، العدد ٣١ ، ص ١٥٧ .

نشعت في كل حركة من حركاته واحسّ بجاراتها كل من اقترب من هذا الشعب المؤمن . فقال احد سيّاح الفرنج في بطاركته واساقفته : « اساقفة عصيهم من خشب امّا هم فمن ذهب »[1] . وقال احد قصّاد البابا عن البطريرك سركيس الرزي : « ان فيه الصفات النادرة الواجب والممكن وجودها في خليقة ممتازة بالقداسة بحيث خيل اليّ بأني بين آباء الكنيسة الاولين »[2] . وفي كنف هؤلاء الرعاة القديسين عاش شعب قديس وصفه دنديني عند منصرم القرن السادس عشر فقال : « انه كان مجتمعاً لا أثر فيه للدعارة ولا يسمع فيه احد شيئاً عن الزنا او الجرائم الجنسية وأن النساء على كثير من الدماثة والاحتشام » . ويزيد دنديني قائلاً : « وهذه نعمة خاصة من الله »[3] . وربّ معترض يقول انه لا اثر في المكتبات للمجلدات والمؤلفات المارونية التي تبرهن عن عيش هذه المعتقدات فنجيب : « ان الموارنة ، وقد تعرضوا لملاحقة العرب والمماليك والعباقبة وغيرهم لاقوا ما لاقوا من صعاب على ارض قاسية وعرة المسالك ، لم ينفتح لهم مجال للانصراف الى الادب والفن »[4] .

نعم ليس للموارنة في عصورهم الاولى كتابات يتبع فيها المنطق الفلسفي او الاسلوب اللاهوتي ولكن جلّ ما في الامر صلوات اتت معبرة عن نفسية شعب بكامله ومبرهنة عن صحة اعتقاد امة ومحافظتها شديد المحافظة على وديعة الايمان التي تسلمت .

فهذا الشعب الذي عاش — كما قلنا — في هذه الجبال عرضة للاضطهاد ما استطاع ان يبقى على الدين القويم ، وما قوي على الصمود مفضلاً سفك دمائه والاستشهاد على التنكر لدينه المسيحي ، لو لم يكن المسيح معه ولو لم يسكن في كنائسه المتواضعة البسيطة . ولقد ثبتت « هذه الوردة بين الاشواك » نامية تنمو وتكبر متحدية الاعاصير لانها بجسد المسيح تغذت ، ومن دمائه شربت .

(١) نقلاً عن رابطة الاخويات ، تموز — آب ١٩٥٥ ؛ العدد ٣١ ، ص ١٧٦ .
(٢) ذكر ذلك في رابطة الاخويات ، تموز — آب ١٩٥٥ ؛ العدد ٣١ ؛ ص ١٨٠ .
(٣) «*Voyage du Mont Liban*» par J. Dandini, traduit par A. S. P., ch. XIX, p. 94.
(٤) الرجي : (في الطقس الماروني ؛) نقلاً عن رابطة الاخويات ، تموز — آب ١٩٥٥ العدد ٣١ ، ص ١٧٦ .

ولقد صمدت لا بقوتها بل بقوة « الجمرة اللذيذة الشديدة الاضطرام التي الهبتها كما الهبت الشهدا. فتسارعوا الى مجابهة اللهيب »[1] كما جاء في الفرض الالهي.

وكما ان الماروني لم يكتب ويؤلف في موضوع من المواضيع كذلك ايضاً لم يكتب شيئاً في القربان . انما ظهرت حياته القربانية الداخلية في صلوات تنم عن حب شديد للقربان . ولقد تضمن فرضهم الالهي معظم هذه الصلوات التي ترجع في اصلها الى العهود الاولى للكنيسة حسب قول الأب بريدي مستنداً في قوله هذا الى « حقيقة الفرض الماروني الجماعية الشعبية »[2] . وفي هذا قوله ايضاً : « ان فرضنا الالهي هو صلاة الشعب المؤمن الذي اجتمع ليشترك اشتراكاً فعلياً بالصلاة تحت رئاسة الكهنة »[3] . ولا عجب من ذلك فالصفة الجماعية هي صفة ملازمة للطقوس المارونية[4].

الصلاة الجمهورية في العصور الاولى للكنيسة

وهذه الصفة الجماعية هي صورة حية لما كانت عليه الصلاة في اوائل عهد المسيحية . فمنذ العصور الاولى للكنيسة وحتى في ايام الرسل كان المسيحيون يصلون صلاة جماعية يشترك فيها الشعب والكهنة معاً .

ولقد كانت تقتصر اجتماعاتهم على الصلاة الطقسية والقيام بذبيحة القداس. فالقربان كان محور اجتماعاتهم الاسبوعية . ولقد اثرت الاجتماعات اليهودية في هذا المجال كمثال يحتذى به فقط .

فأعمال الرسل يعلمنا ان صلاة الجماعة المسيحية الاولى كانت تدور حول كسر الخبز والاحتفال بالافخارستيا : « وكان الذين تعمدوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات. ويلازمون الهيكل كل يوم بنفس واحدة ويكسرون الخبز في البيوت ويتناولون الطعام بابتهاج ونقاوة قلب »[5].

---

(١) ليل الخميس القومة الثانية حدها — الفرض الماروني .

(٢) ميشال بريدي : الفرض الالهي الماروني : ص ٦٠ . ٤ حاشية عدد ١ .

(٣) ميشال بريدي : الفرض الالهي الماروني : صفحة ٣٢ /٢٠

(٤) يتحلق الأولاد والشباب والكهول في قرية كفرصنعاب ، شمالي لبنان، في كل مساء حول قرايتين لمساعدة الكهنة في الصلاة الطقسية .

(٥) اعمال ٢ /٤٢ ؛ ٤٦–٤٧ .

ولقد جاء في حاشية للأب ميشال بريدي: « ان الصلاة في العهد الرسولي كانت اسبوعية يترأسها الكهنة لان الافخارستيا هو محور الاجتماعات المسيحية »[١].

والتاريخ يعلمنا ان كنائس فلسطين وكيليكيا وكابودكيا وغيرها قد اتفقت جميعها في العصور الاولى لتكريس يوم من ايام الاسبوع يجتمعون فيه ليقيموا الصلاة الطقسية وليكسروا الخبز حيث كان الكهنة المحتفون يصلون مع المؤمنين الى الله، متضرعين اليه، مرنمين بعض فقرات من المزامير، شاكرين المسيح الهم لا بكلمات منتقاة من العهد العتيق بل بأخرى املتها تعاليم الرسل واوحاها تقى المؤمنين. وعلى هذا كانوا يزيدون قراءة مقاطع من الكتاب المقدس وغالباً من اعمال الرسل ورسائل بولس[٢].

وهكذا سميت هذه الصلاة الطقسية صلاة قربانية مسيحية جماعية وذلك لان اجتماع المسيحيين كان ليشكروا الله ويشتركوا بتذكار عشائه السري وقيامته المجيدة. وهكذا فان فعل الشكر الذي كان يشتمل قبل ظهور المسيح على شكر الله نعمه وعنايته الالهية واهتمامه بالبشر، غدا غنياً بالمعاني المسيحية بعد ظهور الكلمة المتأنس. لان الاعمال الرسولية وفرت له مادة كافية ليأتي مثقلاً بهذه المعطيات الجديدة.

الطقس الالهي والقربان

فمما تقدم تظهر لنا صلة الطقس بالقربان او قل بذبيحة القداس. فالاجتماعات كانت تدور حول كسر الخبز. فتحيط صلاة الساعات بسر القربان المقدس في الكنائس الغربية والشرقية[٣]. حتى ان الصلاة الكنسية الجمهورية ما كانت لتقام مرة واحدة الا وتحيط من قريب او بعيد بالافخارستيا.

ولم يتوقف المسيحيون الاولون عند صلاة تقال حسب رغبتهم. انما استلهموا في ذلك تاريخ حياة السيد المسيح فميّزوا منذ العصور الاولى نهار الاحد من

(١) ميشال بريدي الفرض الماروني – صفحة ٦ حاشية عدد ٣. راجع فهرس مجموعة النصوص القربانية الاولى – مدريد – الجزء الثاني ١٩٢٥–١٩٥٤ تحت كلمة طقسيات ص ٩٥١–٩٥٧.

(٢) بريدي ص ١٨/ ٤ والحاشية.

(٣) J. Gasper, *Ms. D.* 1950, nº 21, p. 82.

الاسبوع لاجتماعاتهم . وذلك لان المسيح يذكرهم بانتصار سيدهم ومعلمهم على الموت ويؤكد لهم انتصارهم على الموت وقيامهم قيامة ممجدة . فتعليم الرسل الاثني عشر يخبر «ان الرسل قرروا تكريس نهار الاحد للصلاة الطقسية ولقراءة الكتب المقدسة وللتقدمة — الافخارستيا — لان المسيح قام من بين الاموات وصعد الى ابيه السماوي نهار الاحد » (١).

ويثبت لنا من التقليد المسيحي ان الاحد هو نهار السيد المسيح وعيد قيامته الذي له علاقة وثيقة بالافخارستيا اذ بالقيامة والصعود بلغت الذبيحة الذروة . فالمسيح ذاته قد ربط القيامة والحياة الابدية بأكل جسده اذ قال في خطابه في كفرناحوم : « من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الابدية وأنا اقيمه في اليوم الاخير . انا الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد » .

اما وقت الاحتفال بالصلاة كان على ما يظهر باكرًا اي في الربع الاخير من الليل يتبعه الاحتفال بالافخارستيا حتى انه لا يبزغ الفجر ويصيح الديك الا وانتهى كل شيء ؛ وعلى هذا المنوال كانت تقام حفلة نهار الاحد (٢) . ويثبت هذا قول الحاكم « Pline le Jeune » في احدى رسائله الى الامبراطور «Trajan» ولقد اتى فيها ان من عادة المسيحيين اجتماعهم في يوم معين قبل الفجر وترتيلهم مناوبة انشودة للمسيح » .

وهكذا يتبين ان هذه الاجتماعات الصبحية كانت تقام نهار الاحد وفي بقية الايام التي يحتفل بها « بكسر الخبز » . ولكن ما هي الصلوات التي كانت تؤلف الفرض الالهي آنذاك ؟ هل كانت مغايرة للصلوات القربانية ؟

ان اجتماعات اليهود للصلاة كانت تقتصر على سماع قراءات وترانيم مزامير مأخوذة من كتبهم المقدسة . وغالبًا ما انتهى الاجتماع بتفسير لاحد المقاطع المقروءة . وفي العصور الاولى للكنيسة حافظ المسيحيون الاولون على حضور احتفالات اليهود مع القيام بصلوات واجتماعات قربانية خاصة بهم كما قلنا سابقًا.

---

(١) F. Nau, *La Didascalie de douze Apôtres*, 1912, p. 225/7.

(٢) Jungmann, *Missarum Sollemnia*, t. I, p. 41.

وما تفرد المسيحيون بهذه الصلوات وحدها دون سواها الا لما حصل الانفصال الفعلي بين اليهود والمسيحيين وذلك حوالى السنة الرابعة والاربعين[١] . لكن المسيحيين تأثروا باليهود فأخذوا عنهم منهاج الصلاة زائدين على قراءة كتب الشريعة والانبياء، قراءة العهد الجديد واعمال الرسل وعظة مستوحاة من القراءة. فكانت هذه الاقسام الاربعة النواة التي كونت فرضنا الطقسي من جهة والقسم الاول من قداسنا من جهة ثانية وهو القسم الذي يدعى ما قبل الذبيحة[٢]. ومنذ القرن الرابع ظهرت هذه القراآت في كنيسة انطاكية مضمومة الى القسم الذي يكوّن الذبيحة او النافور[٣] .

ولقد كانت هذه الصلاة الاستعدادية مستقلة في بادئ الامر الاستقلال التام . فكانت تصلّى في كنيسة وتقام الذبيحة في كنيسة اخرى . وهذا ما كان يحصل في اورشليم وافريقيا حوالى اواخر القرن الرابع[٤] . ويخبر عن دير القديس « Sabbas » في اورشليم حيث كان يسكن معاً رهبان ينتمون لجنسيات مختلفة ان هؤلاء كانوا يحتفلون بما قبل الذبيحة في كنائس مختلفة وكل بحسب لغة الطقسية : الغريغورية والسريانية واللاتينية . ثم كانوا يجتمعون للاحتفال سوية بذبيحة القداس وذلك باللغة الطقسية اليونانية[٥] . ويخبر «Hanssens» انه حوالى السنة ٦٠٠ كانت بعض الاديار تهمل القراآت المقدسة لانهم كانوا يصلونها في غير وقت[٦] . فيستنتج اذاً انهم كانوا يتركون ما قبل الذبيحة .

الفرض الماروني والقداس

ولا يستغرب ان تؤول الصلوات الجمهورية الى تأليف قسم ما قبل الذبيحة فيأتي نظام هذا القسم وترتيبه شبيهاً كل الشبه بنظام وترتيب فرضنا الالهي . وبالفعل فمن اقام المقابلة بين «الفرض» وبين « ما قبل الذبيحة » رأى ان اوجه

(١) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, t. I, p. 43.

(٢) DOM F.-J. MOREAU. *Liturgies eucharistiques*, 1924. pp. 40 31.

(٣) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, t. I, pp. 62.

(٤) ÉTHÉRIE, *Journal de voyage*, dans *Sources Xièmes* XXI. pp. 199 sq.

(٥) TYPICON DE S. SABBAS (*Hanssens Institutions*, t. II. p. 6 sq.).

(٦) HANSSENS, *Institutions*, t. II, p. 5 sq.

الشبه جلية بينها . ومن اقام المقابلة بين الفرض الالهي الماروني والقداس وجد كيف ان الافكار التي تؤلف النافور هي موجودة وان مشتتة في الفرض الالهي يقول «Jungmann» ما خلاصته[١] : « كما يؤلف جسد المسيح ودمه نواة الذبيحة هكذا تكون القراآت المقدسة الموضوع الاساسي لما قبل الذبيحة . فالذبيحة والكتاب المقدس هما كنزا الكنيسة اللذان عليهما يتوقف خلاص الجنس البشري . وكما ان المسيح بدأ رسالته بالتعليم قبل ان يؤسس مملكته هكذا وجب ان تملأ كلمته ارواحنا قبل ان نقتبل من جديد العهد الجديد . ولكن لمّا كان ما قبل الذبيحة مستقلًا عن الذبيحة نتساءل اذا كان هذا القسم قد تمدّى تأثيره القراآت وعمل عمله في تكوين القسم الذي يلي القراآت ؟ فيجيب «Jungmann» على سؤاله بأن القضية واضحة فيما يختص بالطقوس الشرقية فان صلوات كانت تتبع القراآت منتهية بصلاة المؤمنين او ما سمّاه بعضهم قداس المؤمنين ».

ولا بدّ لنا بعد هذا الّا ان نعطي الآن موجزًا عمّا تشتمل « ما قبل الذبيحة » . فهذه الرتبة الاستعدادية التي كان يحضرها المؤمنون والتائبون والموعوظون تشتمل على اناشيد وطلبات وقراآت تتضمن في قداسنا فرضين . يقول «Jungmann» « ان من خواص « ما قبل الذبيحة الشرقي ادخال صلاة فرضية قديمة عليه »[٢]. فكل من هذين الفرضين يبدأ بالسجود للثالوث (قدوس الله قدوس القوي . . .) وتمجيده (المجد للآب والابن والروح القدس. . .) وبعد ذلك يدعو الشماس الشعب الى التوسل الى الله من اجل حاجات الكنيسة والشعب المسيحي (من اجل امان وسلام العالم كله. . .) ثم يتلو الكاهن صلاة الافتتاح طالبًا له وللشعب حسن القيام بالخدمة المقدسة فينشدون معًا « مزمور — بالمعنى الشامل — المجد لله في العلى » في الفرض الاول و « ارحمني يا الله » في الفرض الثاني ويتلو الكاهن « الحساية » او صلاة الغفران التي تختلف باختلاف الايام والاعياد . انما احتفظ « للسيدة « بهذه الحساية في الفرض الاول وامّا في الفرض الثاني فهي لا تزال على ما كانت عليه مختلفة اختلاف الايام والاعياد

(١) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, t. II, pp. 153.

(٢) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, t. II, p. 8.

وهي ما نسميه « افراميات » . وبعد صلاة الغفران يرتل الخادم نشيداً للسيدة في الفرض الاول وللثالوث «قدوس الله » في الفرض الثاني تليه « صلاة المطر » سرية في الفرضين الاول والثاني .

وبعد هذه الطلبات والنشائد كان يقرأ على المؤمنين فصولًا من الكتاب المقدس بعضها من العهد العتيق والبعض من العهد الجديد احتفظ منها بقراءة فصل من رسائل القديس بولس وبفصل من الانجيل .

والفرض الالهي في جميع ساعاته يتبع هذا الترتيب مما يجعلنا نتساءل اذا كان الموارنة يصلون الفرض الصباحي ويبدأون تواً بالنافور تاركين القسم الذي يؤلف « ما قبل الذبيحة » على جهة ام انهم كانوا يصلون صلوات الصباح وصلوات الرتبة الاستعدادية ثم النافور ؟ سؤال يصعب علينا الاجابة عليه لاننا نفتقر الى المراجع والمصادر التي تكاد تكون معدومة .

وتسهيلًا لاستنتاج اوجه الشبه بين الرتبة الاستعدادية من جهة وترتيب اية ساعة من ساعات الفرض الالهي وبين صلوات النافور القربانية من جهة ثانية وصلوات الشحيمة سنعرض ذلك في لوحتين .

ما قبل الذبيحة		الفرض الماروني
الفرض الأول	الفرض الثاني	مساء الاثنين
السجود للثالوث (قدوس الله قدوس القوي . . .) تمجيده (المجد للآب . . .)	السجود للثالوث (قدوس الله قدوس القوي . . .) تمجيده (المجد للآب . . .)	السجود للثالوث ([illegible]) تمجيده (المجد للآب . . .)
صلاة الافتتاح (اهلنا ايها الرب الاله . . .)	صلاة الافتتاح (اهلنا ايها الرب الاله . . .)	صلاة الافتتاح (اهلنا ايها الرب الاله)
مزمور (المجد لله)	مزمور (ارحمني يا الله)	مزمور (المجد لله)
صلاة الغفران (الحساي)	صلاة الغفران (الحساي افراميات)	صلاة الغفران (الحساي)
صلاة المطر (اننا نذكر)	صلاة المطر (ايها الرب القدوس)	صلاة المطر (اهلنا ايها الرب الاله ان نكون لك بخورات)
مزمور (في المنى العام)	مزمور (في المنى العام)	مزمور (في المنى العام)
		ثلاث قراآت من العهد العتيق
		قراءة من اخبار الرسل
قراءة الرسائل	قراءة الرسائل	قراءة الرسائل
قراءة الانجيل	قراءة الانجيل	قراءة الانجيل

الناقور الصلوات القربانية	ما يقابلها في الفرض الماروني
استجبني يا رب ولتأت روحك القدوس ويحل علي وعلى هذا القربان .	الشكر للروح الذي حل على ذبائحهم (ليل الجمعة والاربعاء القومة الثالثة حدها).
اقبل ايها الحنون هذه الذبيحة التي نقدمها لك اولاً من اجل بيتك...والبابا والبطريرك والاسقف والموتى والشهداء ...	اقبل يا رب قرباننا ترضية للاهوتك ولأجل بيتك وكهنتك ولذكر امك...ولأجل عظمائنا الانبياء والشهداء... (ليل الاثنين القومة الرابعة صبوزا) .
يا من قدم ذاته لأبيه فكان حملاً ذبيحاً وحبراً مقرباً .	يا حمل الله الحي الذي كسر جسده واطعم الشعوب (الثلاثاء الساعة السادسة قدمه).
يا أبا الحق .	يا ابا الحق (الخميس الساعة التاسعة حدها).
المجد للآب الذي قدس وللابن الذي غفر وللروح الذي حل .	المجد للآب ... والشكر للروح الذي حل (ليل الجمعة والاربعاء القومة الثالثة حدها).
بارك اللهم الكسر وبارك الأرض التي اخذت منها .	بارك يا رب رأس السنة واحفظ غلات الارض (ليل الاثنين القومة الرابعة صبوزا).
اهل يا رب يدي ان تكسرا جسدك وتوزعاه بالايمان .	والكهنة يوزعون جسد ابن العذراء (صباح الاثنين ، النشيد الرابع ، البيت الثاني عشر) .
مبارك انت يا ربنا يسوع المسيح الخبز الحي .	منك يا مريم جاءنا خبز الحياة (صباح الاربعاء. النشيد الثاني) .
اشرك اللهم في ملكوتك السماوي كل مؤمن اشترك معنا في هذا القربان .	اجعل يا رب راحة سعيدة وقيامة مجيدة للمشتركين بشركة جسدك ودمك (ليل الاثنين القومة الرابعة صبوزا).
وحدت يا رب لاهوتك وناسوتنا ...	امتزجنا بك وانت امتزجت بنا (المساء الخميس الصلاة الثانية) .

بعد كل ما بيَّنا لا غرابة اذا كان موضوعنا « القربان في الفرض الماروني » لا سيّما بعد ما رأينا ما هنالك من شبه وقرابة بين القداس والفرض. اما غرضنا فهو ان ندرس كل ما ورد في الفرض وله علاقة في القربان. انما يجب ان نعلم ان ليس في الامر ناحية ندرسها وحدها. غايتنا هي ان نرى كل ما يقال حول القربان في فرضنا الاسبوعي « الشحيمة ».

اقول في فرضنا الاسبوعي « الشحيمة » كي انبه ان درسنا لا يشمل القربان في « الشحيم » كتاب الفرض الرهباني ولا كتاب الاعياد « المتمّد » تاركين ناحية الفروض المختصة « بعيد الجسد »[1] و « قلب يسوع »[2] و « خميس الاسرار »[3].

ويجب ان نعلم ايضاً ان ليس في الشحيمة درس لاهوتي في موضوع القربان بكل ما تحوي كلمة درس من معنى. لا منطق يوجد في القضية ولا اسلوب يتبع. هنالك صلوات اتت عفو الخاطر معبرة عن نفسية قربانية. هي نفثات تصعدها نفس شعب مع كل طلوع فجر، وعند كل غروب شمس. ومتى طلب الله من الشعب ان يكون منطقياً في صلاته او ان يتبع اسلوباً ؟.

انما اذا جمعنا شتات ما يقال في القربان وجدنا انه من الممكن ترتيب هذه النصوص حسب تصميم نتبعه فنتكلم اولاً عن الذبيحة كلمة ومعنى وفاعلية. واذا كان لا بد من ذبيحة فنتكلم عن اقسامها : التقدمة والضحية. ثم عن ثمارها الناتجة عن المناولة ثمار تكفير وطلب سجود وشكر. واخيراً نرى كيف ان القربان هو ينبوع حياة في هذه الدنيا وفي الآخرة[4].

الذبيحة

الانسان في طبيعته متدين. وما الدين الّا عبادة بها نخضع لله ونسلم

---

(١) صلاة عيد القربان المقدس للعلامة جرمانوس فرحات. نشرها الآباتي يوسف حبيقة بمناسبة المجمع القرباني في فلورنسا.

(٢) صلاة عيد قلب يسوع نشرها المطران اخرس بالمطبعة المارونية في حلب ١٩٢٤.

(٣) راجع الكتاب المختص بأسبوع الآلام (كتاب الجاش).

(٤) يجب ان نلفت النظر على ان المراجع في هذا الدرس تكاد تكون معدومة. لذا لجأنا الى قراءة بعض الكتب التي ذا صلة غير مباشرة بموضوعنا حتى على ضوئها نتمكن من فهم الموضوع وطرقه.

انفسنا لمشيئته . لانه هو خلقنا ومن فيض محبته اعطانا وما نحن وكل ما نملك الّا هبة من جوده ومحبته . لهذا لا يحق لنا ان نتصرف بانفسنا وبكل ما نملك الّا حسب امره ومشيئته القدوسة . وان فتشنا في التاريخ وجدنا ان خلاصة العبادة هي الذبيحة وذلك عند جميع الاديان . لقد كان الفينيقيون يجتمعون في وقت معين من السنة في « أفقا » حيث كان هيكل لآلهتهم . وكانوا يقدمون احد اولادهم للكاهن فيقدمه هذا ذبيحة لارضاء «بعل» الاله وذلك بأن يرمي الولد في جوف ثور نحاسي تضطرم فيه النار بينما يضج الشعب في الخارج لئلا يسمع الاله صراخ الولد فلا يعود يرضى بالذبيحة . وحصار صور وخرابها كان سببه ان الصوريين لم يرضوا ان يقدم الاسكندر ذبيحة لالههم « ملقارت ». وذلك لان الاسكندر ليس كاهناً لهذا الاله، وذبيحته التي يريد ان يقدم ليست باسم الشعب[1] . ويقال ان الله كان يرضى بالذبائح .

وبالفعل فقد رضي الله بذبائح العهد العتيق . رضي ذبيحة هابيل التي قدمها له من بواكير ارضه ومن تعب يديه وعرق جبينه ، وقبل ذبيحة ابرهيم وجعله اباً لامم كثيرة وكان قد طعن في السن ، ولدت له ذبيحة هارون فرفع الطاعون عن اسرائيل وهكذا يقول الكاهن في ابتداء القداس الماروني « يا من قبل قرابين هابيل في الحقل ونوح في السفينة وابرهيم على رأس الجبل ... اقبل هذه القرابين... »[2] .

ولكن الله لم يكن ليسرّ بدم الابرياء وبلحم الكباش والعجول فهذه يقدمها الانسان فداء عن نفسه معبرة عن استعداده لتضحية ذاته وكل ما يملك لله الخالق الوهّاب . وظلّت هذه الذبائح صورة وشكلاً حتى تلك الليلة العجيبة، ليلةَ الحب الذبيح ، ليلة العشاء السري حيث صارت الرموز حقيقة والصور حياة وهذا ما يريد ان يقوله الكاهن في صلاته هذه: « بك كانت العجائب المجيدة والمعجزات الباهرة يا مبطل جميع الذبائح »[3] . ولكن ما معنى كلمة ذبيحة هنا ؟ .

(١) بليبل : تاريخ لبنان العام — الجزء الاول .
(٢) القداس الماروني — صمدة الاسرار .
(٣) الجمعة الساعة السادسة صعودا

ان هذه الكلمة ترد مرارًا في الفرض الالهي واما معناها والمقصود منها فلا نفهمه الا اذا حددنا معنى الكلمة واصلها .

اما اصل الكلمة فيرجع الى فعل «זבח» العبراني والـذي معناه ضحّى ، وذبح، وكرس الشيء لله. و«ܕܒܚܬܐ» او«ܕܒܚܐ» معناها الذبيحة والضحية .

وكلمة ذبيحة في فرضنا الماروني لا تحمل معنى واحدًا في كل المواضع فهي: ذبيحة ، وتقدمة ، وقربان ، وضحية ، ونار وروح ؛ مع العلم ان تعدد الاسماء لا يغير شيئاً في الجوهر كما سنرى .

اما غاية التجسد فكان الصليب كما يبدو من احـد النصوص حيث يقول الكاهن ما ترجمته : « ليته يأتي في المرة القـادمة كما اتى ليصلب في المرة الأولى ، لانه جاء اولاً وكان ذبيحة عن الخطأة » [1] وكان الحمل الالهي الذي صار ذبيحة [2] .

اذاً يتبين من هذا النص ان المسيح اتى وقدم نفسه «فكان الحمل والمقرّب، الحمل الذبيح والحمل المقبول » [3] وهو الحمل السماوي صار نفسه ذبيحـة وكاهناً » [4] كما يقول القديس افرام . لهذا تشكره البيعة لانه قدم نفسه فداء عنها ولغفران خطايا بنيها صارخة نهار قيامته : « مبـارك الذي ذبح نفسه عني ومنحني جسده مأكلاً ودمه مشرباً روحياً غفراناً لي ولبنيّ » [5].

ولم يقدّم المسيح ذاته الا « ليبطل الذبائح القديمة كلها » التي لم تكن الا صورة وشكلاً ولكي يعطينا عوضها ذبيحة جديدة فيها تصير الرموز حقيقـة والصور حياة « لقد كسر جسده ليبطل الظل ويعطينـا الحقيقة » [6] اليس هو القائل بلسان كنارة روح قدسه « وعوض الذبيحة الزمنية التي يخدمها الانسان أكون انا مذبحاً وذبيحة وغفراناً » [7] .

---

(١) مساء الجمعة البيت الثاني حده‌‌‌لا

(٢) ليل السبت القومة الثانية حده‌‌لا

(٣) لامي : اناشيد ومواعظ القديس افرام ، الجزء الأول ، صفحة ٦٠٣ /١١

(٤) لامي : اناشيد ومواعظ القديس افرام ، الجزء الأول ، صفحة ٥٧٥

(٥) سَار الأحد ، النشيد البيت الاول .

(٦) لامي : الجزء الاول ، صفحة ٦٢٣ /٧

(٧) لامي : الجزء الاول ، صفحة ٣٧٩ /٢١

ولكن الربَّ لم يكتفِ بهذا بل اراد ان تمثل ذبيحته هذه في الكنيسة بشكل سري وعلى مر الزمن حتى يتسنى لكل انسان ان يجني ثمارها الروحية. لكن من يقدم هذه الذبيحة؟ يقدمها اولئك الذين اعطاهم السلطان وخولهم على اسراره بقوله لهم: « اصنعوا هذا لذكري». يقدم الذبيحة « اولئك الكهنة الذين اختارهم ابن الله ليخدموه فتقدمه ايديهم ذبيحة كفارة، وتوزعه اصابعهم جسداً ودماً حياً، ويزيحه فهم نقياً هاتفاً قدوس »[1]. وبهذا السلطان المعطى له يقف الكاهن كل يوم على المذبح يقدم الذبيحة غير الدموية التي مقدمها وضحيتها يسوع المسيح، ومقربها وقربانها يسوع المسيح. يقدم الكاهن الذبيحة حاملاً ابن الله بين يديه، مقدماً اياه لأبيه ذبيحة عن خطايانا، محملاً اياه ذواتنا بكل ما فيها من افراح واتراح وكل ما تكنه قلوبنا من الم وابتهاج قائلاً: « يا ابا الحق هذا ابنك ذبيحة ترضيك فارضَ عنا لأن التقدمة والذبيحة اعظم من الذنوب »[2].

وهكذا فالذبيحة المعنية هنا هي ذبيحة الابن الذي قدم ذاته لابيه ذبيحة عنا وكفارة عن خطايانا. وهي ذبيحته مقدمة على ايدي الكهنة الذين سلمهم ان يخدموا اسراره.

ولكن مما تؤلف الذبيحة؟ هل يتكلم في الشحيمة عن التقدمة والضحية؟ واذا كان الجواب بالايجاب هل هما قسمان مستقلان عن بعضهما؟ ام يؤلفان قسماً واحداً غير منقسم؟ وبكلام اجلى هل من فرق بين الذبيحة كتقدمة والذبيحة كضحية؟.

الذبيحة: تقدمة وضحية

قبل ان نبدأ بالجواب لا بدَّ لنا من نظرة لنرى اذا كان هناك كلام يدل على التقدمة والضحية في الفرض الماروني. اننا نجد كلمتين: «ܩܘܪܒܢܐ» ومعناها التقدمة، العطية، و«ܕܒܚܬܐ» ومعناها ايضاً العطية مع العلم ان كليهما يعنيان الذبيحة ايضاً. ان « Brun » يترجم «ܩܘܪܒܢܐ» par oblatio, donum, ويترجم «ܕܒܚܬܐ» par oblatio, halocaustum ،Sacrificium, eucharistia.

(١) ليل الجمعة والاربعاء – القومة الثانية حدها
(٢) الخميس الساعة التاسعة: يا ابا الحق.

فاذا رجعنا الى النصوص رأينا ان الكلمتين تدلان على التقدمة والعطا. .
« فأيدي الكهنة تقدم الذبائح »[١] بينما صوتهم يصرخ عالياً نحو الآب السماوي : « انظر يا الله الخطايا وانظر التقدمة عنها . فان التقدمة والذبيحة لاعظم من الذنوب » وهكذا كما كان كهنة الناموس يقدمون الذبائح لله باسم الشعب المختار كذلك لا يزال كهنة العهد الجديد ، كهنة البيعة يقدمون لله الذبيحة الحقيقية باسم الشعب والكنيسة .

انما تظهر التقدمة جلية وبكل وضوح عندما تطلب الكنيسة من الله « ان يبارك السنة بنعمه ومراحمه وان يحفظ غلات الارض بكلمة نعمته فتقدم القرابين على مذابحه والبواكير في هيكله »[٢] . وهذا ما يقوله الكاهن في « صدة الاسرار » عندما يأخذ الخبز بيديه قائلاً : اقبل ايها الاله العظيم العجيب ابداً قرابين عبيدك هؤلاء التي انتقوها وحملوها الى هيكلك حباً لك ولاسمك القدوس».

وكما ان للتقدمة كلمة ونصوصاً مختصة بها دون سواها فالضحية لها ايضاً معناها بالسريانية ونصوصاً تتكلم عنها . امّا التعبير عنها بالسريانية فهو بالاسم الشامل « ܕܒܚܐ » و « ܕܒܚܬܐ » ومعناها كما قلنا الذبيحة والضحية . فعلى الصليب وفي القداس اعطانا ابن الله جسده ودمه وذبح نفسه وضحّى بهما في سبيل كنيسته »[٣] .

يقول الكاهن في القداس : « يا أبا الحق هذا ابنك ذبيحة مات لاجلي »[٤] والكنيسة تهنئ نفسها لان العروس خطيبها قد اقام وليمة على شرف قداستها وايمانها . اعدّ لها فيها مذبحاً مقدساً طاهراً وضع عليه جسده ودمه[٥] وقدم لها مرعى خصباً دسماً ومشرباً لا يعطش شاربوه ومن شدة فرحها تنادي ذاتها قائلة : « تقدمي وكلي في الخبز ناراً واشربي في الخمر روحاً »[٦].

وهي تصلي متضرعة من اجل ابنائها طالبة من الحمل الالهي ان يصغي الى

(١) ليل الجمعة والاربعاء — القومة الثالثة ܒܥܘܬܐ
(٢) ليل الاثنين ، القومة الرابعة ܡܕܪܫܐ
(٣) ستار الاحد ، النشيد ܩܠܐ
(٤) الخميس الساعة التاسعة ܒܥܘܬܐ
(٥) ستار الأحد ، النشيد ܣܘܓܝܬܐ
(٦) ستار الاحد ، النشيد ܥܢܝܢܐ

تضرعاتها ويستجيب ادعيتها فيخفف من آلامها ويزيد من افراحها ، يمحو آثامها ويبيّض قلوب بنيها ويطهرها مستحلفة اياه « بدمه الذي سفك على الجلجلة »[١] و « بحق الحربة التي ثغرت جنبه فوق الجلجلة على الصليب »[٢] مذكرة اياه « انه هو حمل الله الحي الذي تكلم من على الصليب »[٣] وهو يقدم ذاته لابيه كي يرضى عنا .

تقدمة وضحية . ذبيحة على الصليب ، وذبيحة على المذبح . الابن يُقدَّمُ على المذبح ، ودمه اهرق على الجلجلة . لزام هذا كله لا بدَّ لنا من التساؤل اولاً اذا كان هناك فرق بين التقدمة والضحية وثانياً اذا كان يوجد علاقة بين ذبيحة الصليب وذبيحة القداس ؟.

طبعاً لم يطرأ السؤال على بال مَن جَمَعَ نصوص « الشحيمة » . ولكن يخيل لقارئ « الشحيمة » ان التقدمة شيء والذبيحة شيء آخر . ألا يقول يقول الكاهن ان التقدمة والذبيحة لاعظم من الذنوب بنا لا يحد ؟ هذا في الظاهر اما الحقيقة هي ان الاثنين واحد . فالتقدمة هي رمز للذبيحة وصورة ، والتقدمة هي الآن ذبيحة بالقوة وقد تصبح بعد دقائق معدودات ذبيحة حقيقية حية بالفعل . وكثيراً ما يسمي الموارنة التقدمة ذبيحة ، والذبيحة تقدمة . ألا يقول الكاهن في بدء القداس : « اقبل يا رب هذه القرابين التي تقدم لك على يديَّ » وايضاً « في كأس الخلاص هذا اصب الخمر رمز الدم الذي جرى لنا من جنب ابنك الحبيب » ، وايضاً في الفرض الاول من القداس: « اننا نذكر ربنا والهنا وكل سيرته الخلاصية لاجلنا على هذه التقدمة الموضوعة امامنا » . وفي الفرض الطقسي قبل ذكر الكلمتين — ذبيحة وتقدمة — في يا ابا الحق تصلي الكنيسة قائلة :« انظر يا ابا الحق الخطايا وانظر التقدمة عنها » . فهذه التقدمة ما هي الّا ابنه الحبيب الذي صار ذبيحة ليرضيه . وهذه التقدمة هي الحمل الذبيح الذي مات لاجل البيعة فيغفر لها به ولا يذكر خطايا ارتكبها ابناؤها امام عظمته . ففي قسم « ما قبل الذبيحة » يسمي الكاهن التقدمة

---

(١) الخميس الساعة التاسعة حدهلا
(٢) ستار الجمعة — النشيد — البيت الرابع .
(٣) الثلاثاء الساعة السادسة فزهمعم

« ذبيحة » . وفي النافور يسمي الذبيحة « تقدمة » . والشيء ذاته نجده في الفرض الالهي .

من هنا نستنتج ان التقدمة والذبيحة هما شيء واحد .

وكما بيان لقارئ « الشحيمة » ان لا علاقة بين التقدمة والذبيحة هكذا بيان له ايضاً ان لا علاقة بين ذبيحة القداس وذبيحة الصليب . وبالفعل كما قلنا سابقاً ليست الشحيمة سوى مجموعة صلوات لا يراد من ورائها تعليم لاهوتي ولكن من يجمع شتات الجمل التي تأتي على ذكر ذبيحة القداس والتي تأتي على ذكر ذبيحة الصليب يستنتج ان العلاقة بينهما اوثق مما يظهر ..

ففي صلاة يا أبا الحق التي شغلتنا في هذا القسم من دراستنا يقول الكاهن على المذبح وفي فرضه : « يا أبا الحق هذا ابنك ذبيحة » وهذه هي ذبيحة القداس . ولكنه يتبع هذا القول بقوله : « اليك دمه مسفوكاً على الجلجلة لخلاصي وهو يشفع لي اليك » وهذه هي ذبيحة الصليب .

ولكن هل هناك ذبيحتان ؟ كلا بل ذبيحة واحدة . فمقدم ذبيحة القداس ومقربها هو يسوع المسيح لان الكاهن يقدس بقوة « من ذبح نفسه » لذا تقول الكنيسة «السجود للابن الذي علم كهنته واختارهم ليخدموا اسراره»[1]. وضحيتها وقربانها هو يسوع المسيح « يا ابا الحق هذا ابنك ذبيحة ترضيك... خذه قرباناً من يدي» .

ومقدم ذبيحة الصليب ومقربها هو المسيح «الذي كسر جسده على الصليب واطعم الشعوب[2] . والذي عصر اليهود خمره على اعلى الصليب »[3]. وضحيتها وقربانها هو المسيح « اذ ان الدم المسفوك على الجلجلة هو دم الابن الذبيح» .

اذاً ذبيحة واحدة لان الكاهن واحد والقربان واحد وان كانت على الصليب دموية وعلى المذبح غير دموية .

لقد شاهدت الكنيسة الشهداء يقدمون على الموت غير هيابين . قدموا نفوسهم ذبائح مرضية للحمل الالهي دون تردد . شاهدوا السيوف وما ارتعدوا[1]

(١) ليل الجمعة والاربعاء — القومة الثالثة ܚܘܣܝܐ

(٢) الثلاثاء الساعة السادسة ܦܬܓܡܐ

(٣) الجمعة الساعة السادسة ܩܘܠܐ

والنار المتقدة وما خافوا بل قدموا اعناقهم للذبح واعضاءهم للتقطيع وما ذلك الّا لانهم « شربوا من الخمرة التي اريقت على الصليب »[١].

فالشهداء المباركون لم يكونوا واقفين عند اقدام الصليب حتى يشربوا من الدم الذي اريق على الجلجلة ، ومن الخمرة التي عصرت على الصليب. انما هم تناولوا من ذبيحة القداس ، وشربوا من خمرة القداس من الخمرة التي قدموها ليسوع فسقاهم بدلها دمه . ولما كانت الذبيحة واحدة قالت الكنيسة انهم شربوا من الخمرة التي اريقت على الصليب والتي عصرها اليهود على الصليب .

انما كيف تحولت هذه الخمرة التي قدمها الشهداء للمسيح فسقاهم اياها دمه، والخبز الذي قدموه له كيف صار جسده ؟ كيف تحول ؟ هذا ما ستتكلم عنه وعن حضور المسيح حقيقة في القربان .

الاستحالة الجوهرية والحضور الحقيقي

كما قلنا ورددنا ليس في الامر دراسة لاهوتية . اننا لا نجد تحديداً لمادة السر وصورته ولا كيف تصير الاستحالة او ماذا يبقى بعد الاستحالة . انه لم يخطر على ذهن المصلين كيف تقوم الاعراض بذاتها وقد تحول جوهرها حتى اننا لا نجد كلمة في الشحيمة تدل على الاستحالة . ولكن اذا كانت الكنيسة ما فكرت في ذلك تفكيراً عقائدياً واذا كانت الظروف التي رافقت الشعب الماروني واحوال الزمان التي عاشها لم تحمله على هذا التفكير بالعقيدة فانه كان يحياها ، انه كان يعيشها .

نعم لم يفكر الموارنة اذا كانت الاستحالة سطحية ام جوهرية وبنوع عجائبي غريب ! ذلك لا يتبين من صلوات فرضهم . انما الذي يظهر هو ان الاستحالة الجوهرية موجودة ضمناً في هذه الصلوات .

ففي الفرض الماروني نقرأ : « كسر جسده واطعمهم »[٢] . اذا رجعنا الى معنى « كسر » بالسريانية رأينا ان الفعل يستعمل « لكسر الخبز » ومن ثمّ اخذت معنى كسر الجسد . « كسر جسده واطعمهم » هذا هو كلام السيد

(١) مساء الجمعة – النشيد الأول ܡܘܚܣܠ

(٢) الثلاثاء الساعة السادسة ܩܢܘܡܡ

المسيح ليلة العشاء السري[١]. فالكسر حصل على الخبز الذي استحال واصبح جسد المسيح بعد ان قال السيد: « هذا هو جسدي » ألا يقول يعقوب السروجي بهذا المعنى في الميمر الثالث والستين عن آلام المسيح « ان ربنا قسّم جسده بيديه على المائدة فمن يجسر ان يقول الآن ان ذلك ليس جسده ».

اذاً الجوهر هو جسد المسيح واستعمل فعل « كسر » لان العوارض ثابتة نراها ونلمسها . الشكل شكل خبز ولكنه خبز حي . ألا تصلي الكنيسة لمريم العذراء، قائلة : « منك يا مريم جاءنا خبز الحياة. واكله آدم وقام حياً من الموت »[٢].

ان آدم هنا هو الانسان الذي افتداه المسيح بدمه . وقيامة آدم هذا حياً من الموت ليست مفعول الخبز بل هي تحدث لان هذا الخبز هو « خبز الحياة » هو جسد المسيح. له هيئة الخبز وشكله ولكنه في جوهره جسد المسيح بل هو المسيح الذي قال : من يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الابدية. وايضاً انا الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان أكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد» .

ولشدة ايماننا بقوة الكلام المحوّل «هذا هو جسدي» الذي يردده الكاهن على المذبح تؤدي الكنيسة « السجود للابن الذي علم كهنتهم ان يخدموا اسراره »[٣] . فما معنى « خدم السر » بالسريانية وما هي هذه الاسرار ؟ . ان فعل «خدم» هو « ܟܗܢ » بالسريانية والذي معناه قدّس ايضاً . والاسرار هي بالسريانية «ܪ̈ܐܙܐ» بنوع شامل و « افخارستيا » بنوع خاص . فاذا كانت هذه الاسرار مقدسة فلماذا السلطان للكهنة حتى يقدسوها ؟ واذا لم تكن مقدسة فهي اذاً « خبز وخمر » والسلطان اعطي للكاهن فقدسها وغدت «جسد المسيح ودمه » جسد ودم وزعته اصابع الكهنة كما تنشد الكنيسة في ذات الطلبة .

وتظهر الاستحالة قوية في هذه الجملة التي يغبط بها الكاهن الكنيسة على

(١) ١ كور ١١ / ٢٥ ؛ لوقا ٢٢ / ١٩

(٢) صباح الأربعاء — النشيد الثاني ، البيت السابع .

(٣) ليل الجمعة والاربعاء — القومة الثالثة حسه!

الوليمة التي اعدها لها العروس خطيبها مقدماً لها فيها مرعىً خصباً ودسماً ، مازجاً بحفلها مشرباً لا يعطش شاربوه وداعياً اياهـا : « تتقدم وتأكل في الخبز ناراً وتشرب في الخمر روحاً » [1] .

فالمأكل المقدم هو خبز فيه نار والمشرب هو خمر فيه روح . هل يمكننا ان نسمي هذا استحالة ؟ وما هي هذه الاستحالة الغريبـة ؟ امن الممكن ان يكون يسوع ناراً ؟ كيف تحول هذا الخبز الى النار والخمر الى الروح ؟

من الاسماء التي تطلق على الافخارستيا هي كلمة «الجمرة» «ܓܡܘܪܬܐ». يقول الكاهن في القداس الماروني قبل الرفعة الاولى : « لقد آمنا وقدمنا هذا القربان واننا لنختم بهذه الجمرة السرية كأس الخلاص والشكران ». وفي نافور القديس يوحنا مارون يقول الكاهن : « انت هو الجمرة التي تبيد النار » وفي موضع آخر : « ليكون لهم جسدك ودمك جمرة تتلف جمر الخطيئـة واننا نجد هذه الكلمة عند آباء السريان الذين لفرضنا المـاروني علاقة بهم . فيقول يعقوب السروجي : ان الجمرة التي ادناها الملاك من فم اشعيا انما هي مثال للجوهرة الموضوعة هنا على المذبح . هذه الجمرة لم يكن ممكناً اكلها ولا مسها ولكن بعد ان ظهرت متجسدة فتؤخذ من على المذبح وتؤكل» [2]. فالجمرة التي نأكلها هي الكلمة التي تجسدت .

« كلي في الخبز ناراً » ان ما تأكله الكنيسـة وما تتناوله هو شكل الخبز فيه جسد المسيح . ولكن هل المراد ان جوهر الخبز يحوي جسد المسيح ؟ هل يوجد المسيح والخبز والمسيح والخمر سوية ؟

فيما تقدم رأينا ان القربان يدعى « جمرة » اذاً لقـد تحول الخبز الى جسد المسيح — الجمرة — ولكن قوله : « في الخبز ناراً » فـانما يريد ان يقول ان الاشكال باقية وهي خبز وخمر انما الاستحالة قد حصلت فعلاً . فالقديس افرام يضع على لسان المسيح هذه الكلمات : « خذوا كلوا مؤمنـين ولا تترددوا لان هذا جسدي ومن اكله مؤمناً اكل به نار الروح الالهي » [3].

---

(١) ستار الأحد ، البيت الثاني أ هـ
(٢) الأب لامي : الرسائل المسيحية ت ٢ و ك ١ ١٨٨١ العدد العاشر .
(٣) الرسائل المسيحية ، العدد العاشر ت ٢ وك ١ ١٨٨١ ولامي الجزء الاول صفحة ٤١٧

والقديس افرام لا يكتفي بتسمية السيد المسيح ناراً وروحاً في القربان فقط بل هو بنظره تجسد ناراً وروحاً في احشاء والدته، واعتمد وهو نار وروح ومن ذلك قوله: « احتجبت بخبزك روح لا تؤكل وحلت بخمرك نار لا تشرب فكانت في خبزك روح وفي خمرك نار ... هاالنار والروح في احشاء والدتك هاالنار والروح في النهر الذي اعتمدت فيه ... في الخبز والكأس نار وروح قدس »[1].

فالنار والروح التي حلت في احشاء مريم العذراء هو يسوع المسيح. وهذه النار والروح هي ذاتها في الخبز والكأس. اذاً لقد استحال الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه، الى النار والروح[2]. وجوهر الخبز استحال الى جوهر جسد المسيح.

وهذه الاستحالة تبدو لنا جلية بعد تكلمنا عن الحضور الحقيقي في الشخصية لان الاستحالة الجوهرية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحضور الحقيقي.

ان الكنيسة المارونية تؤمن ان المسيح موجود في سر القربان بلاهوته وناسوته تحت اشكال الخبز والخمر وذلك بنوع سري. وليس اكثر من الاستشهادات في هذا المجال.

فالمسيح لمّا اكل خروف الفصح مع تلاميذه قدّم لهم جسده ليأكلوه ودمه ليشربوه: « مبارك الذي ذبح نفسه عنهم ومنحهم جسده مأكلاً ودمه مشرباً »[3]. ولمّا دعا الجموع اليه « كسر جسده واطعمهم وبدمه الحي غفر خطاياهم »[4].

فالمسيح لمّا قال: « خذوا فكلوا » اعطى جسده للاكل ودمه للشرب هذا الجسد الذي كان قبلاً خبزاً ولكنه الآن جسده والذي كان قبلاً خمراً وهو الآن دمه.

ولنا نحن الذين نأتي في عصر غير عصره « اعطانا جسده المقدس لغفران

(١) القديس افرام – العاشرة من قصائده في الايمان.
(٢) يدعى القربان «ناراً» عند القديس يوحنا الدمشقي «الايمان الارثوذكسي I, IV, C.13»
(٣) ستار الاحد، النشيد ܡܘܣ
(٤) الثلاثاء الساعة السادسة ܦܬܓܡܐ

الذنوب ودمه الحي سقانا ليحفظنا » (١) وذلك بواسطة السلطان الذي اعطاه للكهنة . انهم يلفظون ذات الكلام على الخبز والخمر الموضوع امامهم على المذبح فستحيل الخبز والخمر الى جسد ودم ابن الله وعندما يوزعون الاسرار «فان اصابعهم توزع جسد ابن العذراء ودمه »(٢).

والمؤمن اذا اراد طلباً من السيد المسيح ذكره على انه تناول جسده ودمه (٣) ولشدة ايمانه بوجود المسيح تحت الاعراض يطلب منه ان يؤهله ليتناول جسده ودمه ويستفيد من مناولته هذه . لان من كان غريباً عن ابن الله لا يستفاد من التقادم(٤) .

وهكذا فالمسيح ليلة العشاء السري اعطى جسده مأكلاً ودمه مشرباً . والكاهن على المذبح يوزع جسد ابن العذراء ودمه والمؤمنون يعتقدون شديد الاعتقاد على انهم يتناولون تحت اعراض الخبز والخمر جسد ابن الله الحي ودمه الحي . فالمسيح اذاً موجود حقيقة بلاهوته لان الكهنة احتفلوا بجسد الله (٥) وبناسوته « لانهم وزعوا جسد ابن العذراء .

القربان ذبيحة تكفير ودعوة لجميع الشعوب

لقد قلنا في مجرى حديثنا انه كان للموارنة منذ العصور الاولى حياة قربانية قوية كانت الدافع الاول لصمودهم في وجه الاضطهادات وثباتهم في عقيدتهم وقلنا ان هذه الحياة القربانية الداخلية قد ظهرت في حياتهم الخارجية ولا سيما « الفرض الالهي » كتاب صلاة الكاهن والمؤمنين . وسيثبت لنا هذا جلياً اذا ما رأينا الاهمية التي تعطى للمناولة في «الفرض الماروني» والآثار المرتجاة من هذا السر سر الاتحاد بالله .

لقد رأينا التقدمة واستحالتها الى جسد المسيح ودمه وذلك عربون رضى المسيح عن القربان الذي قدم فلا يبقى امام المؤمن الا التقدم من التناول ليتحد

(١) صباح الخميس – النشيد الثالث – البيت الخامس .
(٢) صباح الاثنين – النشيد الرابع – البيت الثاني عشر .
(٣) ستار الاثنين – النشيد – البيت الرابع .
(٤) ليل الأحد – القومة الثالثة حدها
(٥) ليل الأربعاء – القومة الثالثة فدها

بالمسيح اتحاداً وثيقاً وعندئذ اية موهبة من مواهب الله تعوزه وفيه قد حلّ ينبوع المواهب وكنز العطايا الغني الذي لا يعرف الفقر والذراع الجبّار الذي لا يقهر ! .

وعند الموارنة كما عند بعض الآباء الشرقيين ليست المناولة حلول القربان فينا ولكنه اتحاد وثيق بكل ما في الاتحاد من قوة . « فبالمناولة يمتزج المسيح بنا ونمتزج به » [١] وهذا ما يعبر عنه القديس افرام في الخامسة والثلاثين من قصائده في البتولية اذ يقول : « كهنة البيعة صافحتك راحاتهم يا خبز الحياة الذي تنازل الينا وامتزج بجوارحنا » [٢] وفي السابعة والثلاثين من هذه القصائد : « اختلط جسده بأجسادنا اختلاطاً لم يسبق له نظير وجرى دمه الطاهر في عروقنا . . . فامتزج كله بكلنا برأفته » [٣] ويذهب القديس ماروثا [٤] الى ابعد من هذا ويعبر عن هذا الاتحاد بنوع اجلى ووضوح اقوى : « حتى اننا كلما دنونا من جسد المسيح ودمه واخذناه على ايدينا نؤمن اننا نتناول جسد الرب ونصير لحماً من لحمه وعظماً من عظامه » وهذا ما علمتنا الكنيسة ان نتلوه في رتبة القداس بعد المناولة : « وحدت يا رب لاهوتك وناسوتنا ، وناسوتنا ولاهوتك ، حيوتك وميتوتنا ، وميتوتنا وحيوتك ، اخذت مالنا ووهبتنا مالك » .

بعد هذا الاتحاد الوثيق لا يبقى امام المؤمن الا ان يطلب حاجاته من الله عن يد الحمل السماوي . .

فيطلب ان تكون الذبيحة ذبيحة تكفير كما ارادها السيد المسيح « ألم يرسم لنا الفصح الجديد جسداً يؤكل ودماً يهرق عنّا وعن كثيرين لمغفرة الخطايا » ؟ « الا انه كان ذبيحة عن الخطأة » [٥] . عندئذ كل مؤمن يتناوله يجني لنفسه ثمرة التكفير هذه ويرضى الله كفارته « ويصفح عن آثامه بحق ذبيحة الابن الذي مات لاجل كل انسان » [٦] .

(١) مساء الخميس — الصلاة التي تلي النشيد الأول .
(٢) لامي : الجزء الرابع — صفحة ٦١٧/٦
(٣) لامي : الجزء الرابع — صفحة ٦٤٢٣/٨
(٤) اسقف ميفرقين في اوائل القرن الخامس . مرجعاً لفرضنا مع القديس افرام ويعقوب واسحق الكبير .
(٥) مساء الجمعة حدها
(٦) الخميس الساعة التاسعة حدها

وليس يجني المؤمن هذه الثمرة لنفسه وحدها بل له ان يشرك فيها من شاء من نفوس الاحياء والموتى. فيمنح الله الاحياء نعمة التوبة، والموتى الراحة والنعيم. هو يطلب لنفسه ولنا نحن الاحياء حتى يمنحنا الله ان نسمع منه الصوت المملوء غفراناً ذاكراً جسده الذي اطعمناه ودمه الحي الذي اسقاناه راضياً بها »[1] ...

وعندما اقول نحن الاحياء. اريد التنويه الى ان صلاته هي شاملة شمول القربان — سر المحبة — فيشرك بثمار هذا القربان كل البيع والاديار والكهنة[2]. والمصلي في « الفرض الماروني » اذا ذكر الاحياء. فلا ينسى الاموات من كهنة وعلمانيين فهو يطلب من السيد المسيح ان يستفيد الكهنة الموتى من الذبائح التي قدموها عن الخطأة . هو يطلب لهم المغفرة وحينئذ « تصفق ايديهم فرحاً بين اجواق ممجدي المسيح ، وتحمل اصابعهم اغصان المجد وتخرج للقائه ، وترنمه افواههم النقية بترانيم المجد »[4] والموتى المؤمنون لهم القسم الاكبر في هذه الشركة . فهو يطلب ان يكون الجسد الذي اكلوه والدم الذي شربوه لغفران ذنوبهم ومسامحتهم . وهكذا انقيا. طاهرين يدخلون الى السما. .

صلاة شاملة تشمل الكنيسة كلها بجميع ابنائها في قسميها : المجاهدة والمتألمة . وليس هذا بالامر الغريب . فالمسيح « في الفرض الماروني يريد خلاص البشرية جمعاء . اليس الصليب المقدس هو هادم كل ضلال ومانح العالم الخلاص »[4] اليس لهذا قد ذبح المسيح نفسه عن الجميع ؟ الم يركز صليبه في متوسط الارض منهل دم عظيم لينهل منه كل انسان دون تمييز او تفرقة ؟ فمن على الجلجلة « ارسل ابن الله العهد الجديد للشعوب التي خلصها بصليبه »[5]. وبينما هو معلق على الصليب في متوسط الكون تكلم وعلى صوته اللذيذ والشهي تجمعت الشعوب حوله وقد كانت متبددة في عبادة الاصنام كسر جسده واطعمهم وبدمه الحي غفر خطاياهم »[6] . فحب المسيح لا حدود له بل يتخطى الحدود

---

(١) صباح الأحد — النشيد الرابع [illegible]
(٢) ليل الاثنين — القومة الرابعة [illegible]
(٣) ليل الجمعة — القومة الثالثة [illegible]
(٤) الجمعة الساعة السادسة [illegible]
(٥) ليل الاثنين — القومة الرابعة — النشيد — البيت الخامس .
(٦) الثلاثاء الساعة السادسة [illegible]

والميامات لهذا ترفع له الكنيسة « التسبيح والشكر والسجود لمنهل دمه العظيم الذي فاض على الجلجلة في متوسط الارض »[١] .

فمن هنا يظهر لنا كيف ان القربان هو قوت الارواح وعنصر وحدة بين ابناء الكنيسة والشعوب . فعرى المحبة تتوثق بين المؤمن وسائر الشعوب بقوة الله الذي حلَّ في قلبه . ألا نرى هنا صدى لما جاء في تعليم الاثني عشر[٢] : كما ان هذا الخبز كان منثورًا في الجبال وصار واحدًا عندما التأمت اجزاؤه كذلك فلتكن كنيستك مجموعة من اقاصي الارض للدخول في ملكوتك » .

لا عجب اذا رأينا ان صلاة الشحيمة شاملة فهي صلاة كنسية بها يتحد الكاهن مع اخوته الكهنة في العالم اجمع فيصلي على نية الكنيسة لكي تزدهر وتنتشر ، وبها تصعد صلاة المؤمن مع صلاة جميع المؤمنين ذبيحة مرضية تقدم على مذبح العلي فيقبل هذه الصلاة كذبيحة رضى وعبادة .

انا في هذا كله لا ينسى المصلي ذاته . فاذا كانت نار محبة الابن قد توقدت في ذهنه واذا كانت الهيتة[٣] فأخرجته من نطاق شخصيته المحدودة الى نطاق اوسع اذ ليس للمحبة حدود . اذا كانت المحبة حملته على التفكير بأنه في صلاته يمثل الكنيسة الجامعة ، وان العهد الجديد هو لجميع الشعوب التي كانت في الظلمات هذا لا يعني انها انسته نفسه بل بالعكس فان نار محبة الابن هذه ما اتقدت في ذهنه الا لتعلمه حقيقة ذاته ؛ فرأى انه في الحقيقة عضو فاسد في جسد المسيح ولا يستحق ان يمزج معه اذا ظل على ما هو عليه من دنس خطيئة تلطخ صفحة نفسه ، وشهوة قبيحة تحرك اعماقه وتبلبل كيانه ، وشيطان مخاتل يريد ضرره ، وموت سارق يهدد مصيره .

لهذا فهو يطلب من المسيح طلبتين : طلبة تقتصر على حياته هذه واخرى تمتد الى الحياة المنتظرة . فعلى مثال النبي داود يندم على خطيئته ، ويعزم على الرجوع الى الله ابيه . ولكنه يريد ان يرجع الى بيت الآب طاهرًا نقيًا شيء ليس باستطاعته ان يحصل عليه بقوته الشخصية لذا هو يصرخ نحو المسيح

(١) ليل السبت – القومة الثانية فثهمحمه
(٢) تعليم الرسل الاثني عشر ١١/٩
(٣) مساء الجمعة – النشيد الأول هههحسا

« مستحلفاً اياه بدمه الحي ان يغفر له وان يغسله من ادناس الخطيئة »[١]. واذا كان الله لا يرضى بقربانه، وامنيته الوحيدة هي هذا الرضى والقبول، فهو يتجه اليه قائلاً : اذا شئت يا الله اقبل قرباننا واغفر لنا وبيّض قلوبنا من وحل الخطيئة ولربما لأني خاطئ لا تحاو لك ذبيحتي هـذه « فاليك دم ابنك مسفوكاً على الجلجلة لخلاصي وهو يشفع بي اليك فاقبل طلبتي بشفاعته»[٢]. واذا ما طهر من ادناسه فهو يسأل الحمل الذبيح « بحق ذبيحته عن الجميع ان يبعد الشيطان حتى لا يضره وان ينجيه من الشهوة القبيحة »[٣] وذلك يحصل عليه عندما يكون له من جسد المسيح الذي اكله ترساً يتقي به سهام الخبيث المتقدة[٤].

وكأنه حصل على ما طلب لان الايمان الذي يعمر به قلبه يجعله يتيقن من الحصول على ذلك. لذا فهو يقدم السجود والعبادة لله الآب لانه ارسل ابنه ليحررنا من عبودية الخطيئة «الشكر للآب الذي ارسل ابنه ليحررنا»[٥]. ويقدم السجود للابن الذي ركز صليبه وذبيحته منهل دم عظيم في متوسط العالم[٦] لتجني منها البشرية كلها الثمار الخيّرة. واخيراً السجود له لانه اعطى السلطان للكهنة حتى يجددوا ذبيحته عبر الاجيال « وعلمهم ان يخدموا اسراره»[٧].

فالشكر له على محبته لنا وموته لاجلنا، ومبارك لانه ذبح نفسه فداء عن كنيسته ومنحها جسده مأكلاً ودمه مشرباً. شكراً له ولابيه الذي أرسله ولروحه القدوس الذي به تمّ سرّ فدائنا.

والشكر واجب لان الاتحاد بالمسيح هو عربون الحياة الدائمة على حدّ ما قال السيد المسيح : « من يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الابدية وأنا اقيمه في اليوم الاخير ». وعلى غرار ما علمنا الآباء القديسون اذ نعت اغناطيوس الانطاكي سر القربان « بدواء عدم الموت وسمّاه آباء نيقية : « بسر القيامة »

(١) صباح الجمعة – النشيد الأول – البيت الخامس.
(٢) يا أبا الحق.
(٣) ستار الأحد حدهءا
(٤) ستار الأحد حدهءا
(٥) يا أبا الحق.
(٦) ليل السبت – القومة الثانية ڤزهحمه
(٧) ليل الأربعاء – القومة الثالثة حدهءا

وقال فيه ايرونيموس : « ان اجسادنا التي تغذت بالقربان اخذت لها حالة عدم الفساد » .

والماروني بدوره يؤمن ان القربان مصدر حياة في هذه الدنيا وفي الآخرة . هو خبز الحياة الذي جاء من مريم أكله آدم وقام حياً من الموت . وهو « خشبة الحياة » التي هدمت كل ضلال ومنحت العالم الخلاص [١] . وهو الثدي الذي رضعت منه العوالم الحياة والنور . ومن تناول القربان كان له جسد المسيح ودمه بمثابة « راية حياة » [٢] اذا رآها العدو هرب لانه يعلم ان القلب الذي اقتبل جسد الرب الطاهر لن يتوق الى حب غير مستقيم ، واللسان الذي لمسه لن ينطق بكلمة سوء ، والقوى التي كفى حاجتها واشبع جوعها لن تتوق اليه لتعيش معه وتحيا دون المسيح . نعم يهرب الشيطان لانه يرى ان الاجساد التي جرحت بسهامه المتقدة والانفس التي وقعت بشباكه الخفية قد شفيت وخاصت بقوة « دواء الحياة » [٣] .

وهذا الثدي الذي رضعت منه العوالم كلها الحياة والنور هو في بادئ الامر غذاء للكنيسة ولابنائها . فالذبيحة هي وليمة اعدها العروس لخطيبته [٤] التي « بدم جرى من جنبه شيّدها [٥] وبالمحبة كمّلها وبالآلام اشتراها » . والكهنة عندما يوزعون جسد المسيح ودمه فانما هم « يوردون قطيع المسيح كل يوم بالايمان موارد كأس الحياة والخلاص » [٦] .

وهذه الكنيسة التي شيّدها على الارض بدمه وآلامه وغذاها بجسده اتاح لها ان تنمو بالمحبة حتى السماء لان القربان كما رأينا ليس مصدر حياة فقط بل هو مصدر قوة باعثة .

فالمسيحي الذي تغذّى كل يوم بالحياة وشرب من مورد الخلاص بنوع ان صورة الله التي خلق على مثالها اخذت تنمو فيه وتكبر لا يمكن ان يبلى

(١) الجمعة الساعة السادسة ܥܒܘܪܐ
(٢) صباح الخميس – النشيد الثالث – البيت الخامس .
(٣) صباح الخميس – الصلاة التي تسبق النشيد الثالث ܡܫܝܚܐ ܘܡܫܝܚܐ = «Christus»
(٤) ستار الأحد – النشيد ܡܥܗܕܢܐ
(٥) ليل الأحد – القومة الثانية ܡܥܗܕܢܐ
(٦) ليل الأربعاء – القومة الثالثة ܦܘܫܩܐ

بالجحيم « لان جسد الابن ودمه مكنونان فيه عربون خلاص »[1] وكما كانت هذه الحياة هنا راية تخيف العدو فيولي هارباً هي هناك تقي من النار : فجهنم وان ترقعت ان تعذبه فلن تقوى على ذلك والنار وان هددت اعضاءه فلن تتوصل ان تمسها بل ان النار تنطفئ وجهنم تبتعد «لان الاعضاء اختلطت بالجسد المحيي والدم الكريم قد امتزج بها »[2].

عندئذٍ وقد خلص الموتى من الموت الابدي فلا يبقى لهم الا ان تنتفض اجسامهم من العفر وتنبعث اعضاؤهم من الرميم فيقومون مع ابن الله وقد اتشحوا بحلة المجد ، ويفرحون يوم ظهوره مرتلة افواههم التي تناولته « عربون الحياة الخالدة » ترتيلة المجد الابدية .

الكنيسة هي واحدة . ومن علامات الوحدة فيها هو التعليم الواحد للعقائد. فلرئيس الكنيسة والآباء القديسين يرجع هذا التعليم . نعم ان الروح يهب حيث يشاء . ولكنه يهب اولاً عند من يرجع اليه الحق في التعليم . فيعطي موهبة علمه وتدبيره الى الكنيسة المعلمة حتى هذه تسلمه بدورها الى الكنيسة المتعلمة «واذا رجعت انت فثبت اخوتك» . ولكن اذا ادّعى كل شخص انه معلم ومفسر لتعاليم المسيح ، اطاح التفسير بوحدة الكنيسة ، وهدد التعليم كيانها بالخراب « لان كل مملكة انقسمت على ذاتها خربت ».

انما هذا لا يمنع ان تكون الحياة الروحية موجودة عند الجميع تعيشها الطوائف كلها وتحياها . واذا كان التعليم منوطاً بالكنيسة المعلمة ذلك لا يمنع ان تسهم الكنيسة المتعلمة في بناء صرح العلوم الدينية والعقائد المسيحية . فيأتي الرأي والتعبير عمّا تحياه هذه الطوائف مناسباً لما تعلمه الكنيسة الجامعة دائماً هذا التعليم غير ماسّ بجوهر الدين ولا بشكل من الاشكال . فكثيراً ما تعتمد الكنيسة المعلمة وتستند في نشر عقيدة على ما تشهده وتلمسه في حياة وشهادة الشعب المسيحي الكاثوليكي .

---

(١) البيت الساعة الثالثة حدها .
(٢) مساء السبت – النشيد الأول – البيت السادس .

والكنيسة المارونية قد عاشت العقائد المسيحية وعبرت عنها بصلوات فطرية اتت عفو الخاطر بها ناجت ربها وحملتها الاجيال مرددة تلك المناجاة .

وفي موضوعنا هذا «القربان في الفرض الماروني» لم تعبر الكنيسة المارونية عن حياتها القربانية الداخلية بطرق منطقية واساليب علمية بل بشذرات ذهبية ، مشتتة هنا وهناك في الشحيمة ، مزينة صفحاتها . اننا لا نعلم بالضبط الى متى يرجع عهد هذه الصلوات ولكن جلّ ما نعرفه هو انها وصلت الينا مثقلة بحياة عاشها جميع افراد الطائفة واستلمناها صلوات عابقة ببخورات ذكية ، قدمتها ايادي كهنة انقياء ، وترانيم شجية رتلها رهبانٌ تديـنون ، وروائح عطرية نفحتها فضيلة شعب طهور . صلوات مجبولة بعواطف ايمان ، ورجاء ، ومحبة للسر الذي « محا كل الذبائح والاسرار » .

المراجع

DOM F. J. MOREAU, *Les liturgies eucharistiques*, 1924.
S. SALAVILLE, *Liturgies orientales*, 1932.
S. SALAVILLE, *Liturgies orientales*, la messe 2t., 1942.
JOSEPH-ANDRÉ JUNGMANN, *Missarum Sollemnia* 3t., 1950.
A. HAMMAN, *Prières eucharistiques des Iers siècles*, 1957.
LAMY, *Hymnes et Sermons de St. Ephrem*, 1883.
M. BREIDY, *L'office divin de l'Eglise Syro-Maronite*, 1960.

الخوراسقف بطرس حبيقه ، الاوخارستيا والكنيسة السريانية المارونية ، ١٩٣٠ .
المطران يوسف الدبس ، الحضور الحقيقي والكنائس السريانية الكاثوليكية ، ١٨٩٣ .
الخوراسقف بطرس حبيقه ، ماري افرام السرياني والاوخارستيا ، الجزء الثاني ، ١٩٣٩ .
الخوراسقف بطرس حبيقه ، اناشيد الموارنة السريان في سر القربان ، ١٩٣٤ .

كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال السابع والستون) : وكيف مراتب الأولياء والأنبياء يوم الزيارة (١٠٧) ؟

١٠٧) ﻫ الجواب : ان كان يريد بالانبياء الرسل ، فمراتبهم المنابر الموضوعة في الصف الاول من الكثيب الابيض ، في وسط جنة عدن ، وهي جنة الزيادة (الصواب: الزيارة). وان كان يريد الانبياء دون الرسل ، فمراتبهم الاسرة – وهي في الصف الثاني – ؛ ثم الكراسي ، ثم المراتب ﻫ. (الجواب المستقيم ورقة ٢٤٧ ب – ٢٤٨ أ).

ﻫ الجواب : ان الناس اذا جمعهم الله يوم الزيارة ، في جنة عدن ، على كثيب المسك الابيض ، نصب لهم منابر وأسرة وكراسي ومراتب .

فالانبياء على رتبتين : انبياء شرائع ، وانبياء أتباع . فأنبياء الشرائع في الرتبة الثانية من الرسل . والانبياء الاتباع في الرتبة الثالثة . والرتبة الثالثة تنقسم قسمين: قسم يسمى أنبياء، وقسم يسمى اولياء . والرتبة للأولياء بالاسم العام .

فاذا كان يوم الزيارة ، فكل نبي اخذ معرفة ربه من ربه ، ايمانا لم يشبها بنظر فكري . فانه يشاهد ربه بعين ايمانه . والولي التابع له في إيمانه بربه ، يراه بمرآة نبيه . فان كان هذا الولي حصل معرفة ربه بنظره واتخذ ذلك قربة من حيث ايمانه ، فله يوم الزيارة رؤيتان : رؤية علم ورؤية ايمان :

فان كان الولي من أولياء الفترات ، ولم يحصل له في معرفته بربه من المعارف الالهية التي جاءت بها الرسل ، وكانت معرفتهم بربهم إما عن نظر وإما عن تجلٍّ إلاهي لقلبه ، أو كلاهما – فمثل هؤلاء يكونون ممّا هم اهل نظر في رتبة اهل النظر في الرؤية . وان كانت معرفتهم عن كشف الاهي ، فان لهؤلاء صنفاً على حدة يتميزون به عن سائر الخلق .

والجامع لهذا الباب ، ان الرؤية يوم الزيارة ، تابعة للاعتقادات في الدنيا . فمن اعتقد

(السؤال الثامن والستون) : وما حظوظ الانبياء من النظر اليه تعالى ؟ (١٠٨)

(السؤال التاسع والستون) : وما حظوظ المحدثين من النظر إليه ؟ (١٠٩)

(الاصل : تبطى) الالوهية حقها . ونكون ممن انصف ربه في العلم به . فان الله يتعالى أن يدخل تحت التقييد ، أو تضبطه صورة دون غيرها . ومن هنا تعرف عموم السعادة لجميع خلق الله ، واتساع الرحمة « التي وسعت كل شيء . »

(فتوحات : ٢ : ٨٤ — ٨٥)

١٠٨) « ان حظ كل طائفة منهم منه ، بحسب معرفته واعتقاده لا غير . وكل من تجلى له في صورة عقده أنكره » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٨ — يلاحظ ان ابن عربي هنا قد اجمل الاجابة على الاسئلة رقم ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ — في باب واحد) .

« الجواب : لا أدري ، فاني لست نبي . فذوق الانبياء لا يعلمه سواهم . (هذا) ان اراد الانبيا الذين خصهم الله بالتشريع العام والخاص بهم . فان اراد انبياء الاولياء ، فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله . فان حصل على الجميع فحظه ما للجميع . فهو في النعيم العام . فيلتذ بلذة كل معتقد . فما اعظمها من لذة ! وان حصل على البعض ، فلذاته بحسب ما حصل له . وان انفرد بأمر واحد ، فحظه ما انفرد به من غير مزيد . فافهم ما ذكرناه ! »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

١٠٩) « الجواب : الحجاب الاقرب . فاذا شاهدوا (الاصل : شاهد) ربهم (الاصل : ربه) حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثلا يحصل لهم من الكلام . إلا ان المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق : بأن التجلي يتنوع عليهم في المشهد الواحد ، وسائر الخلق ليس لهم هذا المقام فانه مخصوص بالمحدثين . »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

ء — ءَ : الى الله تعالى . V — F = ، + وما حظوظ العامة فان للحظوظ بينهم في هذه الزيارة من التفاوت ما لا يطيق له البشر وصفاً وكما ان للجنة درجات فكذلك يوم الزيارة لهم درجات وكم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وبين حظ غيره من الانبياء عليهم السلام وفي الاخبار موجود VF .

ق — ق : — VF (وهذه الاسئلة ثابتة في الفتوحات ٢ : ٨٥ – ٨٦ وفي الجواب المستقيم انظر نسخة بيازيد رقم ٣٧٥٠ — ٢٤٨) .

(السؤال الثامن والستون) : وما حظوظ الانبياء من النظر اليه تعالى[ع] (١٠٨) ؟

(السؤال التاسع والستون) : وما[ق] حظوظ المحدثين من النظر إليه (١٠٩)؟

(الاصل : نعطى) الالوهية حقها . ونكون ممن انصف ربه في العلم به . فان الله يتعالى أن يدخل تحت التقييد ، أو تضبطه صورة دون غيرها . ومن هنا نعرف عموم السعادة لجميع خلق الله ، واتساع الرحمة « التي وسعت كل شيء . » ».

(فتوحات : ٢ : ٨٤ - ٨٥)

١٠٨) « ان حظ كل طائفة منهم منه ، بحسب معرفته واعتقاده لا غير . وكل من تجلى له في صورة عقده أنكره » . (الجواب المستقيم ، ورقة ١/٢٦٨ — يلاحظ ان ابن عربي هنا قد اجمل الاجابة على الاسئلة رقم ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ - في باب واحد) .

« الجواب : لا أدري ، فاني لست نبي . فذوق الانبياء لا يعلمه سواهم . (هذا) ان اراد الانبيا الذين خصهم الله بالتشريع العام والخاص بهم . فان اراد انبياء الاولياء ، فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله . فان حصل على الجميع فحظه ما للجميع . فهو في النعيم العام . فيلتذ بلذة كل معتقد . فما اعظمها من لذة ! وان حصل على البعض ، فلذاته بحسب ما حصل له . وان انفرد بأمر واحد ، فحظه ما انفرد به من غير مزيد . فافهم ما ذكرناه ! »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

١٠٩) « الجواب : الحجاب الاقرب . فاذا شاهدوا (الاصل : شاهد) رجعوا (الاصل : رجع) حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثلما يحصل لهم من الكلام . إلا ان المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق : بأن التجلي يتنوع عليهم في المشهد الواحد ، وسائر الخلق ليس لهم هذا المقام فانه مخصوص بالمحدثين . »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

ع - ع : الى الله تعالى : ٧V ، F = ، + وما حظوظ العامة فان للحظوظ بينهم في هذه الزيارة من التفاوت ما لا يطيق له البشر وصفاً وكما ان للجنة درجات فكذلك يوم الزيارة لهم درجات وكم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وبين حظ غيره من الانبياء عليهم السلام وفي الاخبار موجود VF .

ق - ق : - VF (وهذه الاسئلة ثابتة في الفتوحات ٢ : ٨٥-٨٦ وفي الجواب المستقيم ، انظر نسخة يازيد رقم ٣٧٥٠ - ١/٢٦٨) .

(السؤال السبعون) : وما حظوظ سائر الأولياء من النظر اليه[١١٠] ؟

(السؤال الحادي والسبعون) : وما حظوظ العامة من النظر اليه[١١١] ؟ .

(السؤال الثاني والسبعون) : وقوله ق : « ان الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه فيذهل ق .اهل الجنان عن نعيمهم ، اشتغالا بالنظر اليه »[١١٢] ؟ .

---

١١٠) « الجواب : الاولياء على مراتب . فتختلف حظوظهم باختلاف مراتبهم . فولي حظه من النظر اليه لذة عقلية . وولي حظه من ذلك لذة نفسية . وولي حظه من ذلك لذة حسية . وولي حظه من ذلك لذة خيالية . وولي حظه من ذلك لذة مكيفة . وولي حظه من ذلك لذة غير مكيفة . وولي حظه من ذلك لذة يتقال تكييفها . وولي حظه من ذلك لذة لا يتقال تكييفها . — فهم درجات عند الله ، كما كانوا في الدنيا . كما قال تعالى : « هم درجات عند الله . والله بصير بما يعملون » .

(فتوحات : ٢ : ٨٥ — ٨٦)

١١١) « الجواب : حظوظ العامة من النظر اليه على قدر ما قهموه ممن قلدوه من العلماء على طبقاتهم . فنهم من ألقى اليه عالمه ما عنده . ومنهم من ألقى اليه عالمه على قدر ما علم من عقله وقبوله . — فان الفطر مختلفة متفاضلة بحسب ما ألقى الله عندها . فانها أقسام اصلها المزاج الذي ركبه الله عليه . وهو السبب في اختلاف نظر العلماء بافكارهم في المعقولات . فيكون حظهم في لذة النظر حظهم فيما تخيل لهم . فالعامة حظوظهم خيالية ، لا يقدرون على التجريد عن المواد . ولهذا أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة ، وتأتي فيها تلويحات للخاصة : مثل قوله تعالى « ليس كمثله شيء » و « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » . (فتوحات : ٢ : ٨٦)

١١٢) « الجواب : ذلك للباسه صورة ما رأى ودخوله فيها من الانوار . كصور السوق التي في الجنة سواء ؛ الا ان الصفات تتفاضل . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٨ أ .)

« ذلك للباس الرائي صورة ما رأى . وسبب ذلك ان المقام عظيم في قلب كل طائفة ، وانه اعظم مما هم فيه من نعيم الاكوان في الجنان . فاذا دعوا الى الزيارة وبقي الازواج الجنانيون ، من الحور والولدان واشجار الجنان وانهارها وجميع ما فيها مما يتنعم به من الطيور والمراكب وغير ذلك ، والكل حيوان فانها الدار الحيوان — فاذا دعى صاحب المنزل ذكرا كان او انثى من الثقلين بقي اهل المنزل مترقبين ما يأتون به اليهم من الخلع

ق فذهل ٧ .

(السؤال الثالث والسبعون) : وما المقام المحمود (١١٣) ؟

الإلهية التي أورثهم النظر اليه . وبأي صورة يرجعون اليهم من ذلك المقام الاعظم اذا كان ذلك مشاهدة الملك . فاذا وردوا عليهم من الزيارة ، اذا قال الجليل للملائكة : ردوهم الى قصورهم . وقد غشيهم من نور الرؤية ما غشيهم (الاصل : غشاهم) مما لا مناسبة بين ذلك وبين الجمال والبهاء الذي كانوا فيه قبل الزيارة ، مع تعظيم المقام ، الذي مشوا اليه ، في قلوب اهل المنزل .

ثم انهم اذا رجعوا اليهم بصفة ما يشاهدونه في الرؤية ، اشرق الجنان بأنوارهم على مقدارهم ، بصورة ما رأوه . فيجدون من الزيارة ما لم يكن عندهم ولا كانوا عليه . فهذا هو السبب في ذهولهم وحظ كل شخص من ربه ، على مقدار علمه وعقده في درجات العقائد واختلافاتها وكثرتها وقلتها ، كما قد تقرر قبل في هذه الفصول . فاعلم ذلك ! والله الهادي . — وفي سوق الجنة علم ما اشرنا اليه .»

(فتوحات : ٣ : ٨٦)

١١٣) «الجواب فتح باب الشفاعة ؛ وهو له خاصة » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٨ أ).

« الجواب : هو الذي يرجع اليه عواقب المقامات كلها ، واليه تنظر جميع الاسماء الالهية المختصة بالمقامات . وهو رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ويظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة . وبهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض .

قال صلى الله عليه وسلم : « انا سيد الناس يوم القيامة » . وكان قد أقيم فيه آدم ، صلى الله عليه وسلم ، لما سجدت له الملائكة . فان ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا . وهو لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، في الآخرة . وهو كمال الحضرة المحمدية . وانما يظهر به اولاً ابو البشر ، لكونه كان يتضمن جسده بشرية محمد صلى الله عليه وسلم . وهو الاب الاعظم في الجسمية ، والمقرب عند الله ، واول هذه النشأة الترابية الانسانية . فظهرت فيه المقامات كلها حتى المخالفة ، اذ كان جامعاً للقبضتين : قبضة الوفاق وقبضة الخلاف . فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة . فكانت مخالفته نهي الله من تحرك تلك النسمة التي كان يحملها في ظهره ، فان المقام يقتضي له ذلك .

وسألت شيخنا ابا العباس عن ذلك . فقال : ما عصى من آدم ، عليه السلام ، إلا ما كان من اولاده المخالفين في ظهره . — وكانت العاقبة لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، في الدار الآخرة . فظهر في المقام المحمود . ومنه يفتح باب الشفاعات . فأول شفاعة يشفعها عند الله تعالى في حق من له اهلية الشفاعة من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن وحيوان ونبات وجماد . فيشفع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عند ربه لهؤلاء ان يشفعوا . فكان

(السؤال الرابع والسبعون) : وبأي شيء ناله[١١٤] ؟

محموداً بكل لسان وبكل كلام . فله اول الشفاعة ووسطها وآخرها .

يقول الله : « شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، وبقي ارحم الراحمين » . فيقتضي سياق الكلام ان يكون « ارحم الراحمين » يشفع ايضاً . فلا بد ممن يشفع عنده ، وما ثمّ الا الله . فاعلم ان الله يشفع من حيث اسماؤه . فيشفع اسمه « ارحم الراحمين » عند اسمه « القهار » و « الشديد العقاب » ، ليرفع عقوبته عن هؤلاء الطوائف ، فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط .

وقد نبّه الله تعالى على هذا المقام فقال تعالى : « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً » . فالمتقي انما هو جليس الاسم الالهي الذي يقع منه الخوف في قلوب العباد . فسمي جليسه متقياً منه فيحشره الله من هذا الاسم الى الاسم الالهي الذي يعطيه الامان مما كان خائفاً منه وهو « الرحمن » . فقال : « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً » اي يأمنون مما كانوا يخافون منه . ولهذا يقول في الشفاعة : « وبقي ارحم الراحمين » .

فبهذه النسبة تنسب الشفاعة الى الحق من الحق ، من حيث آثار أسمائه . وهذا هو مأخذ العارفين من الاولياء . فلا يجمع المحامد يوم القيامة كلها إلا محمد ، صلى الله عليه وسلم . فهذا الذي عبّر عنه بالمقام المحمود .

قال ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا المقام : « فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن » . وهذا يدلك ان علوم الانبياء والاولياء اذواق لا عن فكر ونظر . فإن الموطن يقتضي هنالك بآثاره اسماء الاهية يحمد الله بها ما يقتضيه موطن الدنيا . فلهذا قال : « لا اعلمها الآن » .

وهذا المقام هو الوسيلة . لان منه يتوصل الى الله فيما توجه فيه من فتح باب الشفاعة . وهو شفاعته في الجميع . ألا تراه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول في الوسيلة : « إنها درجة في الجنة ، لا ينبغي ان تكون إلا لرجل واحد ، وارجو ان اكون أنا . فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة . » فجعل الشفاعة ثواب السائل . ولهذا سمي المقام المحمود الوسيلة . وكان ثوابهم في هذا السؤال ان يشفع . – وهذا هو منصب الاهي جامع من عين ملك الملك . – قال تعالى ؛ « ألا الى الله تصير الامور » . وقال : « واليه يرجع الامر كله » . فكان المرجع اليه . فكذلك ترجع المقالات كلها والاسماء الى هذا المقام المحمود . – قال ، صلى الله عليه وسلم : « اوتيت جوامع الكلم » .

(فتوحات : ٢ : ٨٦–٨٧)

١١٤) « الجواب : بتأنيه واستقامة نظره : فخُيِّر ، فاختار الظهور في اليوم الذي يكون له فيه الظهور ، الذي لا يمكن معه لاحد دعوى ؛ – وترتيبه تحققاً الاهياً . وعلى هذا المجرى اجرى الله خصايص عباده » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨ أ) .

(السؤال الخامس والسبعون) : وكم[ك] بين[ت] حظ محمد، صلى الله عليه وسلم، وحظوظ[ل] سائر الانبيا.، عليهم السلام[ل] [١١٥١] ؟

« الجواب : قال، صلى الله عليه وسلم : لكل نبي دعوة مستجابة . فاستعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لاهل الكبائر من أمتي » . لعله (الصواب : فعلمه) بمواطن الآخرة أكثر من علم غيره من الانبياء .

فاعلم انه لما كان المقام المحمود اليه ترجع المقامات كلها، وهو الجامع لها - لم يصح ان يكون صاحبه إلا « من أوتي جوامع الكلم » . لان المحامد من صفة الكلام . ولما كان بعثه عاماً كانت شريعته جامعة جميع الشرائع . فشريعته تتضمن جميع الاعمال كلها التي تصح ان تشرع .

واعلم ان جنات الاعمال ما بين الثمانين الى السبعين، لا تزيد ولا تنقص . « والايمان بضع وسبعون باباً، ادنى ذلك إماطة الاذى عن الطريق، وارفعه قول لا اله الا الله » . - قال تعالى، في حق العاملين : « نتبوأ من الجنة حيث نشاء . فنعم اجر العاملين » . فلم يحجر هذا لمن عمل بكل عمل . فان الانسان في الدنيا، أي عمل عمله من الاعمال - أعمال الايمان - لا يحجر عليه إذا شاء عمله . فلما ظهر، صلى الله عليه وسلم، بجميع شعب الايمان كلها، التي هي بعدد الجنات العملية، إما بالفعل وإما بالدلالة عليها فانه الذي سنّها لأمته، فله أجر من عمل بها، ولا يخلو واحد من الامة ان يعمل بواحدة منها - فهي في ميزانه صلى الله عليه وسلم، من حيث العمل بها : فيتبوأ من الجنة حيث يشاء . وهذا لا يصلح الا لمحمد صلى الله عليه وسلم . فانه عنه ظهرت السنن الالهية . فبهذا نال المقام المحمود، وبجوامع الكلم، وبالبعثة العامة . فانه بالمنابة الأخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا، وباتصافه بهذه الاحوال في الدنيا نال تلك المقامات الآخروية . فهذا دور بديع، يختلف الوجوه حتى صح الوجود عنه » . (فتوحات : ٢ : ٨٧)

١١٥) « الجواب : ما بين السيد والمسود » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٨[١]) .

« الجواب : أما بينه وبين الجميع، فحظ واحد وهو عين الجمعية لما تفرّق فيهم . وأما بينه وبين كل واحد منهم، فثمانية وسبعون خطأ ومقاماً، الا آدم فإنه ما بينه وبين رسول الله، صلى الله وسلم عليهما، إلا ما بين الظاهر والباطن . فكان في الدنيا محمد، صلى الله عليه وسلم، باطن آدم، عليه السلام ؛ وآدم، عليه السلام، ظاهر محمد، صلى الله عليه وسلم . ومهما كان الظاهر والباطن وهو في الآخرة، آدم، عليه السلام، باطن محمد، صلى الله عليه وسلم ؛ ومحمد، صلى الله عليه وسلم ؛ ظاهر آدم . وبها يكون الظاهر والباطن في الآخرة .

ك - ت : - ٧ .   ل - ت : - ٧ .

(السؤال السادس والسبعون) : وما لواء الحمد[١١٦] ؟

فهذا بين حظ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبين حظوظ الانبياء ، عليهم السلام ! وأكثر اصحابنا يتمنون معرفة التوقيت في ذلك ؛ وهو غلط منهم . وفي هذا الفصل تفصيل عظيم ، تبلغ فصول التفصيل فيه الى مائة الف تفصيل واربعة وعشرين الف تفصيل ، بعدد الأنبياء ، عليهم السلام ! لأنه يحتاج الى تعيين كل نبيّ ومعرفة ما بين حظّ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبين ذلك النبيّ .

والحظوظ محصورة ، من حيث الأعمال ، في تسعة وتسعين . وقد يكون للنبيّ من ذلك أمر واحد ، ولآخر أمران ، ولآخر عشر العدد وتسعه وثمنه وأقل من ذلك وأكثر . والمجموع لا يكون الا لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ولهذا لم يبعث بعثًا عامًّا سوى محمد ، صلى الله عليه وسلم . وما سواه فبعث خاص . — « لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجًا . ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة . . » .

(فتوحات : ٢ : ٨٧–٨٨) .

١١٦) « الجواب : أن اراد الحكيم بالسؤال عن لواء الحمد ، من باب المراتب ، — فهو حمد الحق . وان اراد به اللواء الذي يكون بيد النبي ، عليه السلام (في الاصل : عليم) يوم القيامة — فهو لواء فيه جميع الالوان كلها ، وجميع ضروب الانوار كلها . ويمتد ظله على كل مؤمن . وتهب عليه ريح ، يقال لها : المنعشة ، تحركه ، فيجيء منه نفس لطيف ، يكشف عن المؤمنين الكرب الذي يجدونه . وبذلك النفس ترجح موازين السعداء من المؤمنين . فتحرك اغصانها تلك الريح . فتنثر عليهم المسك ، ويسمع لها نغمات ، يذوبون تحتها وجدًا لله تعالى . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨ ا — ٣٤٨ ب) .

« الجواب : لواء الحمد هو حمد الحمد ؛ وهو أتم المحامد واسناها وأعلاها رتبة . لما كان اللواء يجتمع اليه الناس ، لانه علامة على رتبة الملك ووجود الملك ، كذلك حمد المحامد تجتمع اليه المحامد كلها . فانه الحمد الصحيح ، الذي لا يدخله احتمال ولا يدخل فيه شك ولا ريب أنه حمد ؛ لانه لذاته يدل (على ذلك) ، فهو لواء نفسه . — ألا ترى لو قلت في شخص : إنه كريم ، او يقول عن نفسه ذلك الشخص : إنه كريم ، يمكن ان يصدق هذا الثناء ويمكن ان لا يصدق . فاذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الامتنان والاحسان ، شهد العطاء بذاته بكرم المعطي . فلا يدخل في ذلك احتمال . فهذا معنى حمد الحمد . فهو المعبر عنه بلواء الحمد . وسمّي لواء لانه يلتوي على جميع المحامد ، فلا يخرج عنه حمد : لأن به يقع الحمد من كل حامد ، وهو عاقبة العاقبة . فافهم ! ولما كان يجمع ألوان المحامد كلها ، لهذا عم ظله جميع الحامدين .

(السؤال السابع والسبعون) : وبأيٍّ[7] شيء يثني على ربه، عز وجل ! حتى يستوجب لواء الحمد (١١٢) ؟

قال، صلى الله عليه وسلم : « آدم فمن دونه تحت لوائي » . وإنما قال : « فمن دونه » لان الحمد لا يكون الا بالأسماء، وآدم عالم بجميع الاسماء كلها، فلم يبق إلا ان يكون من هناك تحته ودونه في الرتبة، لانه لا بد أن يكون مثنياً باسم ما، من تلك الاسماء . (الاصل : + لما كانت) والدولة في الآخرة لمحمد، صلى الله عليه وسلم، المؤتي جوامع الكلم، وهو الاصل . فانه، صلى الله عليه وسلم، اعلم بمنامه، فعلمه، « وآدم بين الماء والطين » ، لم يكن بعد . فكان آدم لما علمه الله الاسماء في المقام الثاني من مقام محمد، صلى الله عليه وسلم . فكان قد تقدم لمحمد صلى الله عليه وسلم، علمه بجوامع الكلم، والاسماء كلها من الكلم . ولم نكن، في الظاهر، لمحمد، صلى الله عليه وسلم، عين، فتظهر بالاسماء لانه صاحبها . فظهر ذلك في اول موجود من البشر، وهو آدم . فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد، صلى الله عليه وسلم . لانه تقدم عليه بوجود الطينة . فمتى ظهر محمد، صلى الله عليه وسلم كان احق بولايته ولوائه . فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الاصالة . « فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه » . وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم . فهم في الآخرة تحته (= محمد، عليه السلام) . فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على الجميع . »

(فتوحات : ٢ : ٨٨)

١١٢) « الجواب : بالنيابة عن حمد الحمد، الذي يوافي هو نفسه . وهو الحمد الخاص من جميع الوجوه، الكامل . وقلّ من رأيتُ ينبّه على هذا الحمد، الا اشارةً من ابي الحكم بن برّجان في كتاب « ايضاح الحكمة » . رأيته قد اشار الى ما ذكرناه . » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٦٨ ب) .

« الجواب : بالقرآن، وهو الجامع للمحامد كلها . ولهذا سمّي قرآناً، اي جامعاً . وهو قوله : « الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين » . وما انزلت على احد قبله، ولا ينبغي ان تنزل إلا على من له هذا المقام . فانه سبحانه لا ينبغي ان يحمد إلا بما يشرع ان يحمد به من حيث ما شرعه، لا من حيث ما تطلبه الصفة الحمدية من الكمال . فذلك هو الثناء الالهي . ولو حمد بما تعطيه الصفة، لكان حمداً عرفياً عقلياً . ولا ينبغي مثل هذا الحمد لجلاله . »

(فتوحات : ٢ : ٨٨)

---

[7] م . ولأي .

(السؤال الثامن والسبعون) : وماذا يقدّمن إلى ربه من العبودية؟ [١١٨] ؟

(السؤال التاسع والسبعون) : وبأي شيء يختمه حتى يناوله مفاتيح الكرم [١١٩] ؟

١١٨) « الجواب : بحسب الاسم الذي يدعوه منه ، سبحانه ! فيقدم اليه من العبودية الذلة . وان اثنى عليه بالغنى ، قدم اليه من العبودية الفقر . فليس يتقيد بوصف مخصوص ، بل هو على ما ذكرنا . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٨ ب) .

« الجواب : العبودة . وهو انتساب العبد إليه . ثم بعد ذلك تكون العبودية وهو انتسابه الى المظهر الالهي . فالعبودة يتمثل الامر دون مخالفة . وهو اذا يقول له : « كن فيكون » ، من غير تردد . فانه ما ثمّ إلا العين الثابتة القابلة بذاتها للتكوين . فاذا حصلت مظهرًا وقيل لها : افعل او لا تفعل — فإن خالفت فمن كونها مظهرًا ، وان امتثلت ولم تترقف فمن حيث عينها . — « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له : كن ، فيكون » .

فبهذه العبودية يتقدم الى الله في ذلك اليوم . الا تراه يسجد من غير ان يؤمر بالسجود؟ لكن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكوين . ولم يكن له محل الا عين محمد ، صلى الله عليه وسلم . فتكوّن السجود في ذاته لامر الحق له بتكوينه . فسجد به محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من غير امر الاهي . ورد عليه بالسجود ، فيقال له : « ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع ! »

ثم بعد ذلك ، في موطن آخر يؤمر الخلق بالسجود ليتميز المخلص من غير المخلص . فذلك سجود العبودية . — فالعارفون بالله ، في هذه الدار ، يعبدون ربهم من حيث العبودة . فما لهم نسبة إلا إليه ، سبحانه . ومن سواهم فانهم ينسبون الى العبودية . فيقال : قد قاموا بين يديه في مقام العبودية . — فهذا الذي يقدمه من العبودية الى ربه . وكل محقق بهذه المثابة ، يوم القيامة . »

(فتوحات ٢ : ٨٨)

١١٩) « الجواب : يختمه برد ما قدّم الله اليه : « الى ربك منتهاها » — وهنا اسرار يجب كتمها — وبذلك يستوجب مفاتيح الكرم . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٨ ب) .

« الجواب : يختمه بالعبودية وهو انتسابه الى العبودة ، كما قررنا . وهي الدرجة

ن تقدم V .

ه العبودة V ، + حتى يثنى عليه رب العزة ويشهد له بقدم الصدق VF .

و يثنى V .

(السؤال الثمانون) : وما مفاتيح الكرم[١٢٠] ؟

الثانية . فان هذا المقام ما هو سوى درجتين : درجة العبودة ، وهي العظمى ، المقدمة ودرجة العبودية ، وهي الختام . لانه ما امر بما يقتضيه امر العبودة الا بعد وجوده . فأمر ونهي بوساطة هذا التركيب . فأطاع وعصى وأناب وآمن وكفر ووحّد وأشرك وصدّق وكذّب . ولما وفى حق الدرجة الثانية بما تستحقه العبودية من امتثال أوامر سيده ونواهيه — ناوله مفاتح الكرم برد ما قدّم اليه . »

(فتوحات ٢ : ٨٩)

١٢٠) « الجواب : سؤالات السائلين بحكم الافتقار . وهي دون مفاتيح الجود ؛ ودونها مفاتيح السخاء ؛ ودون ذلك مفاتيح الايثار . وما ثم مفاتيح للعطاء أكثر من هذه الاربعة ، لا غير . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨ ب — ٣٤٩ أ) .

« الجواب : سؤالات السائلين منا ومنه وبنا وبه . فأما « منا » و « بنا » ، فسؤال ذاتي لا يمكن الانفكاك عنه . وصورة مفتاح الكرم في مثل هذا وقوفك على علمه بأنه بهذه المثابة . وغيرك ، ممن هو مثلك ، يجهله ولا يعرفه . فتكرّم عليك ، بأن عرّفك كيف انت وما تستحقه ذاتك ان توفي به بما لا يمكن انفكاكها عنه .

وأما « منه » و « به » ، فان سؤال السائل بما هو عارض له ؛ أي عرض له ذلك بعد تكوينه . وذلك انه لما كان مظهرًا للحق ، وكان الحق منه هو الظاهر — فسأل من جعله مظهرًا بلسان الظاهر فيه . فهذا سؤال عارض ، عرض له بعد ان لم يكن . فعبّر عن مثل هذا السؤال بمفتاح الكرم . أي من كرم الله تعالى ان سأل نفسه بنفسه وأضاف ذلك الى عبده . فهو بمنزلة ما هو الامر عليه بأنه يخلق في عباده طاعته ويثني عليهم بأنهم أطاعوا الله ورسوله . وما بأيديهم من الطاعة شيء غير انهم محل لها .

سأل ابليس الاجتماع بمحمد ، صلى الله عليه وسلم . فقال له : يا محمد ، ان الله خلقك للهداية ، وما بيدك من الهداية شيء . وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية شيء . فصدقه ، فصدّقه . — قال تعالى : « إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء » . وقال : « فألهمها فجورها وتقواها » . وقال : « كل من عند الله » . وقال : « وما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها » . ثم اثنى ، مع هذا ، عليهم فقال : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » . — يا ليت شعري ! ومن خلق التوبة فيهم والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله ، إلا الله ؟ فن كرمه أنه أثنى عليهم بخلق هذه

٦ و ٧ .

(السؤال الحادي والثانون) : وعلى مَنْ توزع عطايا ربنا[١٢١] ؟

الصفات والافعال فيهم ومنهم ثم أثني عليهم بان اضاف ذلك كله اليهم ، إذ كانوا محلًا لهذه الصفات المحمودة شرعًا . أليس هذا كله مفاتيح الكرم ؟ فانه يفتح بها من العطايا الإلهية « ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

قال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » . يا ليت شعري ! ومن أقامهم من المضاجع ، حين نوّم غيرهم إلا هو ؟ « يدعون ربهم خوفًا وطمعًا » يا ليت شعري ! ومن انطق ألسنتهم بالدعاء ؟ ومن خوّفهم وطمّعهم إلا هو ؟ أترى ذلك مَن نفوسهم ؟ لا ، والله ! إلا من مفاتيح كرمه ، فتح بها عليهم . — « ومما رزقناهم ينفقون » . فبما رزقهم التجافي عن المضاجع وعن دار الغرور . ومما رزقهم الدعاء والابتهال . ومما رزقهم الخوف منه والطمع فيه . فانفقوا ذلك كله عليه . فقبله منهم . « فلا تعلم نفس » عامة « ما اخفي لهم » اي لهؤلاء الذين هم بهذه المثابة « من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

فكانت هذه الاعمال من مفاتيح الكرم لمشاهدة « ما اخفي لهم » فيهم وفي هذه الاعمال « من قرّة أعين » . فكلما هو في خزائن الكرم فان مفاتيحه تتضمنه ، فهو فيها مجمل وهو في الخزائن مفصل . فاذا فتح بالاعمال تميّزت الرتب وعرفت النسب وجاءت كل حقيقة تطلب حقها ، وكل علم يطلب معلومه . »

(فتوحات : ٢ : ٨٩)

١٢١) « الجواب : على الصالحين والموالي والراسخين في العلم والمتوكلين . وعلى من حسنت سيرته (في الاصل : حسن السيرة) من الولاة ، فيمن ولي عليهم خاصةً . على هؤلاء توزع . وتوزع (في الاصل : يوزع) على جميع الناس ، من مراتب أخر . وهذه عطايا بخصوصة تقتضيها (الاصل : يقتضيها) احوال مخصوصة » . الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ أ) .

- « الجواب : على من (هو) حسن السيرة من الولاة . وكل شخص والٍ بالولاية العامة ، وهي تولية القلب على القوى المعنوية والحسية في نفسه . والولاية كل من له ولاية خارجة عن نفسه من اهل وولد ومملوك وملك . فتوزع العطايا على قدر الولاية وقدر ما عاملهم به من حسن السيرة فيهم .

فان كان الوالي من العلماء بالله ، الذين يكون الحق سمعهم وبصرهم ، فليس له حظ في هذه العطايا . فانها عطايا غنيّ لفقراء . وانما يعطي من هذه صفته عطاء غنيّ لغنيّ ، ظاهر في مظهر فقير لما أعطى عن فقر ذاتي . فأخذ هذا المعطى له من الاسم « الله » لا من من الاسم « الرب » . فما اعظم الغفلة على قلوب العباد ! هيهات ! متى يبلغ (الاصل : لتبلغ) البشر

(السؤال الثاني والثمانون) : وكم اجزاء النبوة (١٢٢) ؟

درجة من « لا يوصف بالغفلة » ، وهم الملأ الاعلى ، « الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون » في غير ليل ولا نهار « يسبحون له بالليل والنهار » وهم لا يسأمون . — وكفى بالبشرية نقصا !

واعلم أن العطايا تختلف باختلاف المستحقين . فمنهم من يكون عطاؤه هو ، ومنهم من يكون عطاؤه معرفته بنفسه ، ومنهم من يكون عطاؤه ما هو منه . فان كان المستحق يقول بالاستحقاق الذاتي ، فلا يلزمه الا شكر ايجاد العين ، حيث كان مظهراً له ، جل وتعالى ! وان كان يقول بالاستحقاق العرضي ، وهو يرى انه ، تعالى ، جعل له استحقاقاً — فهذا يتضاعف عليه الشكر ، فانه دون الاول في المرتبة . وان كان المستحق يرى الاستحقاق للظاهر في مظهر ما ، من حيث ما هو ظاهر لذلك المظهر ، ولا يرى ان عينه تستحق شيئاً — فهذا لا يجب عليه شكر ، إلا ان أوجبه على نفسه : كايجاب الحق على نفسه في مثل قوله : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

فتتوزع العطايا على مقادير من توزع عليهم : في العلم والعمل والحال والزمان والمكان والقصد وملازمة العمل ومغبته . — « قد علم كل الناس مشربهم » . — قال فرعون لموسى وهرون : « فمن ربكما ، يا موسى ؟ قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه » وهو الذي يستحقه . فالرب هو القاسم العطايا . »

(فتوحات : ٢ : ٨٩-٩٠)

١٢٢ . « الجواب : مائة جزء وسبعة عشر جزءا (في الاصل : جزءا) . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩ ب) .

« الجواب : اجزاء النبوة على قدر آي الكتب المنزلة والصحف والاخبار الالهية ، من العدد الموضوع في العالم من آدم الى آخر نبي يموت ، مما وصل الينا ومما لم يصل ، على ان القرآن يجمع ذلك كله . فان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقول ، فيمن حفظ القرآن : « ان النبوة ادرجت بين جنبيه » . فهي وان كانت مجموعة في القرآن ، فهي مفصلة معينة في آي الكتب المنزلة ، مقدرة في الصحف ، متميزة في الاخبار الالهية ، الخارجة عن قبيل الصحف والكتب .

ويجمع النبوة كلها « ام الكتاب » . ومفتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم » . فالنبوة سارية الى يوم القيامة في الخلق ، وان كان التشريع قد انقطع ، فالتشريع جزء من اجزاء النبوة . فانه يستحيل ان ينقطع خبر الله واخباره من العالم ، اذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده . — « قل : لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل

(السؤال الثالث والثمانون) : وما[٢١] النبوة[٢١] (١٢٢) ؟

ان تنفد كلمات ربي ، ولو جئنا بمثله مددًا » . — « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » . — وقد أخبر الله انه ما من شيء يريد ايجاده الا يقول له : « كن » . — فهذه كلمات الله لا تنقطع ؛ وهي الغذاء العام لجميع الموجودات . فهذا جزء واحد من اجزاء النبوة لا ينفد ؛ فأين أنت من باقي الأجزاء التي لها ؟ » . (فتوحات : ٢ : ٩٠)

١٢٣) « الجواب : الحال الذي يتحقق به النبي ، عند حصوله في الثاني عشر من المقامات . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ا) .

« الجواب : النبوة منزلة بينها « رفيع الدرجات ذو العرش » . فيتولها العبد باخلاق صالحة واعمال مشكورة حسنة في العامة ؛ تعرفها القلوب ولا تنكرها النفوس ؛ وتدل عليها العقول ؛ وتوافق الاغراض وتزيل الامراض . فاذا وصلوا إلى هذه المنزلة ، فتلك منزلة الإنباء الالهي المطلق لكل من حصل في تلك المنزلة من « رفيع الدرجات ذي العرش » .

فإن نظر الحق من هذا الواصل الى تلك المنزلة نظر استنابة وخلافة القى الروح بالانباء من أمره على قلب ذلك الخليفة المتي به : فتلك نبوة التشريع . قال تعالى : « وكذلك اوحينا اليك روحًا من امرنا » . وقال : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » — فهي عامة ، لان « من » نكرة — « أن انذروا انه لا اله الا انا فاتقون » . — نبوة خاصة ، نبوة تشريع : « يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده » . مثل ذلك : « لينذر يوم التلاقي يوم هم (الاصل : يومهم) بارزون » . — نبوة تشريع لا نبوة عموم . — « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين » . فالإنذار مقرون ابدًا بنبوة التشريع . ولهذه النبوة (الاصل : + هي) تلك الاجزاء التي سأل عنها (في السؤال السابق) والتي وردت في الاخبار .

واما النبوة العامة ، فأجزاؤها لا تنحصر ولا يضبطها عدد ، فانها غير مؤقتة لها الاستمرار دائمًا ، دنيا وآخرة . وهذه مسألة أغفلها أهل طريقنا ؛ فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك ، أو لم يوفقهم الله عليها ، أو ذكروها وما وصل ذلك الذكر إلينا ؟ والله اعلم بما هو الامر عليه !

ولقد حدثني ابو البدر التاشكي البغدادي ، رحمه الله ، عن الشيخ بشير ، من سادات بباب الازج ، عن امام العصر ، عبد القادر انه قال : « معاشر الانبياء ، أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا » . فأما قوله : « أوتيتم اللقب » اي حجر علينا اطلاق لفظة النبي ، وان كانت النبوة

(السؤال الرابع والثمانون) : وكم اجزاء الصديقية[١٣٤] ؟

العامة سارية في أكابر الرجال . وأما قوله : « وأوتينا ما لم تؤتوا » (ف) هو معنى قول الخضر ، الذي شهد الله تعالى له بعدالته وتقدمه في العلم، وأتعب الكليم المصطفى المقرب ، موسى عليه السلام ، في طلبه، مع العلم بان العلماء يرون ان موسى افضل من الخضر — فقال له : « يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت . » فهذا عين معنى قوله : « أوتينا ما لم تؤتوا » . وان اراد ، رضي الله عنه ، بالانبياء هنا انبياء الاولياء ، اهل النبوة العامة ، فيكون قد صرح بهذا القول ان الله قد اعطاه ما لم يعطهم : فان الله قد جعلهم فاضلا ومفضولا . فمثل هذا لا ينكر . »

(فتوحات : ٢ : ٩٠-٩١)

١٣٤) الجواب : « بضع وسبعون جزءا من النور الاخضر » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩ ب) .

« الجواب : بضع وسبعون جزءا ، على عدد شعب الايمان الذي يجب على الصديق التصديق بها . وليست الصديقية الا للاتباع . والانبياء ، أصحاب الشرائع ، صديقون ؛ بخلاف انبياء الاولياء ، الذين كانوا في الفترات : وانما كان الانبياء ، اصحاب الشرائع ، صديقين — لان اهل هذا المقام لا يأخذون التشريع الا عن الروح الذي ينزل بها على قلوبهم . وهو تنزيل خبري ، لا تنزيل علمي . فلا يتلقونه إلا بصفة الايمان ، ولا يكشفونه إلا بنوره . فهم صديقون للارواح ، التي تنزل عليهم بذلك .

وكذلك كل من يتلقى عن الله ما يتلقاه ، من كون الحق في ذلك الإلقاء مخبرا ، فانما يتلقاه من جانب الايمان ونوره لا من التجلي . فان التجلي ما يعطي الايمان بما يعطيه . وانما يعطي ذلك بنور العقل ، لا من حيث هو مؤمن .

فأجزاء الصديقية ، على ما ذكرناه ، لا تنحصر فانه ما يعلم ما يعطي الله في اخباراته لمن اخبرهم . فأجزاء الصديقية المحصورة هو ما وردت به الاخبار الالهية بأن اعتقاد ذلك الخبر قربة الى الله على التعيين . وهي متعلقة بالاسم الصادق ، لا بد من ذلك . فيتصور هنا من اصول طريق الله ، وانه ما ثم الا صادق ، فانه ما ثم مخبر إلا الله . فينبغي ان لا يكذب بشيء من الاخبار .

قلنا : الصديق من لا يكذب بشيء من الاخبار ، إذا تلقى ذلك من الصادق . ولكن الصديق ، ان كان من العلم بالله بحيث انه يعلم انه ما ثم مخبر إلا الله — فيلزمه التصديق بكل خبر ، على حسب ما اخبر به المخبر . فاذا اخبر الصادق الحق بان قوما كذبوا في أمر أخبروا به — صدق الله في خبره انهم كذبوا في كل ما اخبر به انهم كذبوا فيه . وان

(السؤال الخامس والثمانون) : وما الصدِّيقية (١٢٥) ؟

الكذب هي صفة بالنسبة اليهم لا بالنسبة الى الخبر . فان الخبر اذا نسبته الى الصادق كان صدقًا ، واذا نسبته الى الكاذب فيه كان كذبًا ، واذا نسبته الى الكاذب لا فيه كان محتملًا . والذي يرى ان المخبر هو الله الصادق ؛ فـان ذلك الخبر ، في ذلك الحال ، هو صدق والمؤمن به صدّيق . ثم أخبر الصادق الحق ان ذلك الخبر ، الذي نسبته اليّ بانه صدق انسبه الى الـذي ظهر على لسانه نسبة كذب . فاعتقد انه كذب . فيعتقد فيه انه بالنسبة الى ذلك الشخص ، لكونه محلًا لظهور عين هذا الخبر ، كذب لان مدلوله العدم لا الوجود . فالصدق امر وجودي والكذب امر عدمي .

وصورة الصدق في الكذب: ان المخبر الكاذب ما اخبر إلا بأمر وجودي : صحيح العين في تخيله . اذ لو لم يتخيَّله ، لحصول المنى عنده ، لما صح ان يخبر عنه بما أخبر . فهو صادق في خبره ذلك ؛ والمؤمن به صدّيق . ثم اخبر الحق عن ذلك الخبر انـه بالنسبة الى الحس كذب ؛ وما تعرض الى الخيال . كما لم يتعرض المخبر في خبره ذلك الى الحس . وانما السامع ليس له في اول سماعه الاخبار إلا أول رتبة ، وهي الحس . ثم بعد ذلك يرتقي في درجات القوى . فاعتقد بعد هذا ، باخبار الحق عنه ان ذلك كذب في الحس ، انه كذب في الحس . اي ليس في الحس منه صورة من حيث الحكم الظاهر . فهو صدّيق للخبر الحق . فما للوجود كذب ولا في العدم صدق . فان الصدق اصله الصادق ، وهو الوجود المحض الذي لا نسبة للعدم اليه . والكذب هو العدم المحض ، الذي لا نسبة للوجود اليه . واما الكذب النسبي ، بالنظر الى الخيال يكون صادقًا وبالنظر الى الظاهر ، على شرط مخصوص ، يكون كذبًا . فالصديق يتعلق به من حيث نسبته الى ما هو موجود به . والعامّة تتعلق به من حيث إنه لا وجود له في المرتبة ، التي يطلبها فيه من يكذبه . فاعلم ذلك !

فان شئت قلت ، بعد هذا : ان الصديقية اجزاء منحصرة : وان شئت قلت : لا تدخل تحت الحصر أجزاؤها . وان اردت بأجزاء الصديقية الصفة التي بها تحصل الصديقية للصدّيق — فهذا سؤال آخر يمكن ان يسأل عنه . فالجواب عن مثل هذا الوجه : ان من اجزائها : سلامة العقل ، والفكر الصحيح ، والخيال الصحيح ، والايمان بصدق المخبر وإن أحاله العقل ، الذي ليس بسليم عند اهل هذه الصفة . والقول باستحالات الامكان في الاعيان الممكنات بالنظر الى ما تقتضيه ذات الواجب الوجود لذاته أو الى سبق العلم منه عند من يقول بذلك . فاذا كان بهذه المثابة ، حصلت له الصدّيقية . ويكون هـذا المجموع اجزاءها . لانها ليست بزائدة على عين المجموع . — وهذا هو النور الاخضر . »

(فتوحات : ٢ : ٩١)

١٢٥) « الجواب : مشاهدة علم المخبر ، من خلف حجاب الغيب ، بنور الكرم : يعني

قلب المؤمن » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : نور أخضر بين نورين ، يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر من خلف حجاب الغيب بنور الكرم .

وذلك ان اسم « المؤمن » الذي تسمى الله لنا به في كتابه ، من حيث هو نور ، أعني الكتاب — فقال ، عزّ من قائل : « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدّوس السلام المؤمن » . إلا ان المؤمن هنا له وجهان : معطي الامان ، ومصدق الصادقين من عباده عند من لم يثبت صدقهم عنده . ولهذا قال تعالى ، حكاية عمّا يقوله الصادق يوم القيامة لربه : « قال : رب ! احكم بالحق » ليثبت صدقي عند من أرسلتني اليهم فيا أرسلتني به . فجاء بلفظ يدل على انه وقع . وهو عند العامة ما وقع ، فانه يوم القيامة . وما اخبر الله إلا بالواقع .

فلا بد ان يكون ثمّ حضرة إلاهية ، فيها وقوع الاشياء دائمًا ؛ لا تتقيد بالماضي — فيقال : قد وقعت — ، ولا بالمستقبل — فيقال : تقع — ، ولكن متعلقها الحال الدائم . وبين القلوب وبين هذه الحضرة حجاب التقييد . فاذا كوشف العبد على خلوصه من التقييد ، وظهر بصورة حق في حضرة مطلقة (الاصل : مطلقه) — شهد ما يقال فيه يقع واقعًا ، وشهد ما يقال فيه واقعًا ؛ وشهد ما يقال فيه واقعًا لم (الاصل : فلم) يزل واقعًا ولا يزال واقعًا . فمنه تقع الحكايات الالهية بانه يقع ، مثل قوله تعالى : « يوم تأتي كل نفس » فعلق بالمستقبل ؛ وقوله عز وجل : « أتى امر الله » فأتى بالحاضر . وكلا التقييدين يدل على العدم .

والحال له الوجود والعدم . لا يقع فيه شهود ولا تمييز . فلا بد أن يكون المخبر عنه بأنه كان كذا ، أو يكون كذا ، له حالة وجودية في حضرة إلاهية ، عنها تقع الاخبارات . والواقف فيها يسمّى صدّيقًا ؛ وهي بنفسها الصدّيقية . ولها اطلاع من خلف حجاب هذا الهيكل المظلم في حق شخص ، والهيكل المنوّر في حق شخص ؛ فان وجدت عينًا مفتوحة سليمة من الصدع ، أبصرت هذه العين ، بهذا النور من هذه الحضرة ، صدق المخبرين ، كانوا من كانوا . فيسمّون صديقين بذلك . وتسمى هذه الحالة صدّيقية .

وللملأ الأعلى منها شرب ، وللرسل فيها شرب ، وللأنبياء فيها شرب ، وللأولياء فيها شرب ، وللمؤمنين فيها شرب ؛ ولغير المؤمنين ، من جميع اهل النحل والملل ، شرب . فيسعد بها قوم ، ويشقى بها قوم لشروط تتعلق بها ولوازم . بها يقال : مؤمن وكافر ومشرك وموحّد ومعطل ومثبت ومقرّ وجاحد وصادق وكاذب .

فقد عمّت الصدّيقية جميع الهياكل : المنوّرة والمظلمة والنورية والنارية والطبيعية والمنصرية (الاصل : المنصرية) . ولا يشعر بها إلا الأكابر من الرجال ؛ وهم العارفون بسريانها في الموجودات . فاذا نظرت أرباب هذه الهياكل أنفسها مجرّدة عن هياكلها — خرجت عن حضرة الصدّيقية وكانت من اهل المباينة . فصارت ترى من بعد ما كانت كأنها ترى .

(السؤال السادس والثمانون) : وعلى كم سهم ثبتت العبودية ب٢ (١٣٦) ؟

فالحق سبحانه ، من كونه مؤمناً ، له حضرة الصديقية . فيها يصدق الحق عباده المؤمنين بقوله : « وقضى ربك ألّا تعبدوا إلا إياه » . فصدّقهم في كونهم ما عبدوا سواه في الهياكل المسماة « شركاء » . قال تعالى : « قل : سمّوهم » . وقال : « ان هي إلا أسماء سميتموها ! » . — وبهذا يصدق العباد في الاخبار كلها من غير توقف . فلها حكم في الطرفين . فان في هذا الذي قلناه « آية لقوم يعقلون » . ما فيه « آية لقوم يتفكرون » ولا « لقوم يعلمون » . إلا بـ « يعلمون » « يعقلون » .

فالصديقية مستندها من الاسماء الالهية (الاسم) « المؤمن » . وكذلك أثرها في المخلوقات الايمان . وكذلك اسماؤهم المؤمنون الصديقون . لهم النور لصدقهم . اذ لولا النور لما عاينوا صدق المخبر وصدق الخبر من خلف حجاب هذا الهيكل . — « فطوبى لهم » ثم « طوبى وحسن مآب ! . »

(فتوحات : ٢ : ٩٢)

١٣٦) « الجواب : على أربعة أسهم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : على تسعة وتسعين سهماً ، على عدد الاسماء الالهية « التي من أحصاها دخل الجنة » . لكل اسم الاهي عبودية تخصه ، بها يتعبد له من يتعبد من المخلوقين . ولهذا لا يعلم هذه الاسماء الالهية إلّا وليّ ، ثابت الولاية . فان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما ثبت عندنا أنه عينها . وقد يحصيها بعض الناس ولا يعلم انها هي التي ورد فيها النص . كما يكون وليّاً ولا يعلم انه وليّ . ومن رجال الله من عرّفهم الله بها من أجل ما يطلبه كل اسم منها من عبودية هذا العبد . فيعين له هذا الوليّ العارف من العبودية بحسب الاسم ، الذي له الحكم عليه في وقته .

« فمن أحصى هذه الاسماء » الالهية ، دخل الجنة المعنوية والحسّية . فأمّا المعنوية فما تطلبه (الاصل : فماذا تطلبه) هذه الاسماء من العلم بالعبودية ، التي تليق بها . وأما الحسّية فما تطلبه (الأصل : فماذا تطلبه) هذه الأسماء من الاعمال التي تطلبه من العباد . فلا بد من تمييزها ؛ وكيف يعرف اسم العبودية من لا يعلم من الله ما يطلبه منه ؟ فبهذا النظر يكون للعبودية سهام ويكون عددها ما ذكرناه .

والعاملون بهذه العبودية رجلان . رجل يعمل بها من حيث شرعه ؛ ومن عمل بها من حيث شرعه فقد عمل بها من حيث عقله . ورجل عمل بها من حيث عقله ؛ ومن عمل بها من

ب٢ العبودة ٧ .

حيث عقله قد لا يعمل بها من حيث شرعه. فالعامل بها من حيث عقله ينسبها الى هياكل منوّرة او عقول مجردة عن المواد، لا بد من ذلك. والعامل بها من حيث شرعه، ينسبها الى الله سبحانه، وينسبها، من حيث آثارها وما تنظر اليه لوضح الوسائط بينك وبينها، الى الهياكل النورية والعقول المجردة عن المواد. وأما العامّة فلا يعرفونها إلا لله خاصة او للاسباب القريبة المتادة المحسوسة خاصة؛ لا يعلمون غير هذا.

وما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين انه وقف مع ربه على قدم العبودية المحضة. فالملأ الأعلى يقول: «أتجعل فيها من يفسد فيها». والمصطفون من البشر يقولون: «ربنا انتا ظلمنا انفسنا». ويقولون: «رب! لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً». ويقولون: «ان تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض من بعد اليوم». وهذا كله لغلبة الغيرة عليهم والاستعجال (الأصل: واستعجال)، لكون الانسان «خلق عجولا». فهي حركة طبيعية أظهرت حكمها في الوقت، فتحجب عن صاحبها من العبودة بقدر استصحاب مثل هذا الحكم لصاحبها.

وكل ما كان يقدح في مقام ما ويرمي به ذلك المقام، فان صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك الحال بالكمال الذي يستحقه، وان كان من الكمّل. فنور العبودية على السواء من نور الربوبية، فانه من أثره. وعلى قدر ما يقدح في العبودية يقدح في الربوبية؛ وان كان مثل هذا القدح لا يقدح ولا يؤثر في السعادة الطبيعية، ولكن يؤثر في السعادة العلمية. وأعم الدرجات في ذلك درجتان: درجة العجلة التي خلق الانسان عليها ودرجة الغفلة التي جبل الانسان عليها.

ولولا ان الملأ الأعلى له جزء في الطبيعة ومدخل، من حيث هيكله النوري، ما وصفهم الحق بالخصام في قوله: «ما كان لي من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون». ولا يختصم الملأ الأعلى إلا من حيث المظهر الطبيعي، الذي يظهر فيه كظهور جبريل في صورة «دحية». وكذلك ظهورهم في الهياكل النورية المادية، وهي هذه الانوار التي تدركها الحواس، فانها لا تدركها إلا في مواد طبيعية عنصرية. وأما اذا تجردت عن هذه الهياكل، فلا خصام ولا نزاع اذ لا تركيب. ومهما قلت: اثنان، كان وقوع الخصام: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا».

فالوحدة من جميع الوجوه هو الكمال الذي لا يقبل النقص ولا الزيادة. فانظر من حيث هي لا من حيث الموحد بها. فان كانت عين الموحد بها فهي نفسها، وان لم تكن عين الموحد بها فهو تركيب. فما هو مقصودنا ولا مطلب الرجال؛ ولهذا اختلفت احكام الاسماء الالهية من حيث هي اسماء: فأين المنتقم والشديد العقاب والقاهر، من الرحيم والغافر واللطيف؟ فالمنتقم يطلب وقوع الانتقام من المنتقم منه؛ والرحيم يطلب رفع الانتقام عنه.

(السؤال السابع والثمانون) : وما يقتضي[ت٢] الحق من الموحدين[١٢٧] ؟

وكلٌ ينظر في الشيء بحسب حكم حقيقته ؛ فلا بد من المنازعة لظهور السلطان .

فمن نظر الى الأسماء الالهية قال بالنزاع الالهي . ولهذا قال تعالى لنبيه : « وجادلهم بالتي هي احسن » . فأمره بالجدال الذي تطلبه الاسماء الالهية ، وهو قوله : « التي هي احسن » . – كما ورد في الاحسان : « ان تعبد الله كأنك تراه » – فاذا جادل بالاحسان ، جادل كأنه يرى ربه ، ولا يرى ربه مجادلاً إلا من حيث ما تطلبه الاسماء الالهية من التضاد . فاعلم ذلك !

وما منعني من تحصيل هذا المقام إلا الغفلة لا غير . فليس بيني وبينه حجاب إلا الغفلة . وهو حجاب لا يرفع . واما حجاب العجلة ، فأرجو ، بحمد الله ، أنه قد ارتفع عني . واما حجاب الغفلة ، فمن المحال رفعه دائماً مع وجود التركيب حيث كان : في المعاني أو في الاجسام . ولو ارتفع هذا الحجاب لبطل سر الربوبية في حق هذا الشخص . وهو الذي اشار اليه سهل بن عبدالله ، أو مَنْ كان بقوله : «ان للربوبية سراً لو ظهر لبطلت الربوبية» . لكنه ممكن الحصول بالنظر الى نفسه . ولكن لا ادري هل تقتضي الذات تحصيله وظهوره في الوجود أم لا ؟ غير أنه أعلم أنه ما وقع . ومع هذا فلا أقطع بأني من تحصيله مع علمي باستحالة ذلك ! وينبغي للناصح نفسه ان يقارب هذا المقام جهد الاستطاعة .

وأمّا القائلون بالتشبه بالحضرة الالهية جهد الطاقة ، وهو التخلق بالاسماء ، انه عين المطلوب والكمال – فهو صحيح في باب السلوك لا في عين الحصول . وأما في عين الحصول فلا تشبّه ، بل هو عين الحق . والشيء لا يشبه نفسه . فأعلى المظاهر مظاهر الجمع : وهو عين التفريق ! »

(فتوحات : ٢ : ٩٢–٩٣)

١٢٧) « الجواب : ان لا مزاحمة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩) .

« الجواب : ان لا مزاحمة . وذلك ان الله لما تسمى بالظاهر والباطن ، نفى المزاحمة . اذ الظاهر لا يزاحم الباطن ، والباطن لا يزاحم الظاهر . وانما المزاحمة ان يكون ظاهران أو باطنان . فهو الظاهر من حيث المظاهر ؛ وهو الباطن من حيث الهوية . فالمظاهر متعددة من حيث أعيانها لا من حيث الظاهر فيها . فالأحدية من ظهورها ، والعدد من أعيانها .

فيقتضي الحق من الموحدين ، الذين وصفوا بصفة التوحيد ، ان يوحّدوه من حيث هويته ؛ وان تعددت المظاهر فما تعدد الظاهر . فلا يرون شيئاً إلا كان هو المرئيّ والرائي . ولا يطلبون شيئاً إلا كان هو الطالب والطلب والمطلوب . ولا يسمون شيئاً الا كان هو السامع

ت٢ يصص ٧ .

والسمع والمسموع . فلا تزاحم ، فلا منازعة .

فان النزاع لا يحله الا التضاد ، وهو المماثل والمنافر . و(المنافر) هو عين المماثل هنا ، اذ قد يكون الضدان ما ليس بمثلين . بخلاف المخالف ، فان حكم المخالف لا يقع منه مزاحمة ولا منازعة . ولهذا نفى الحق أن تضرب له الامثال ؛ لانها اضداد تنافي حقيقة ما ينبغي له . ولا ينافيه ما سمّي به حيث نفى التشبيه ، فقال (تعالى) : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » . خلق الله التفاحة تحمل اللون والطعم والرائحة ، ولا مزاحمة في الجوهر ، الذي لا ينقسم . ويستحيل وجود لونين او طعمين او ريحين في ذلك الجزء الذي لا ينقسم .

فلا يصح الاهان لانهما مثلان . ويصح وجود جميع الاسماء للعين الواحدة ، لانها خلاف . والخلاف قابل للاجتماع ، بخلاف المماثل . فاذا استحال الاجتماع فلحكم الضدية لا لحكم الخلاف ، اذ الاجتماع لا يناقض الخلاف . فكل اجتماع يطلب الخلاف ، وما كل خلاف يطلب الاجتماع .

وانما يقتضي الحق من الموحّدين عدم المزاحمة ، ليبقى الرب ربّاً والعبد عبداً . فلا يزاحم الرب العبد في عبوديته ولا يزاحم العبد الرب في ربوبيته ، مع وجود عين الرب والعبد . فالموحّد لا يتخلق بالاسماء الالهية .

فان قلت : فيلزم ان لا يقبل ما جاء من الحق من اتصافه بأوصاف المحدثات : من « معية وترول واستواء وضحك » فهذه أوصاف العباد ، وقد قلتَ : ان لا مزاحمة : فهذه ربوبية زاحمت عبوذية - قلنا : ليس الأمر كما زعمتَ . ليس ما ذكرت من اوصاف العبودية وانما ذلك من أوصاف الربوبية ، من حيث ظهورها في المظاهر لا من حيث هويتها . فالعبد عبد على أصله ، والربوبية ربوبية على اصلها ، والهوية هوية على أصلها .

فان قلت : فالربوبية ما هي عين الهوية - قلنا : الربوبية نسبة هوية الى عين . والهوية لنفسها لا تقتضي نسبة . وانما ثبوت الاعيان طلبت النسب من هذه الهوية . فهو المعبّر عنها بالربوبية .

فاقتضى الحق من الموحدين ان يوحّدوا كل أمر ، لترتفع المزاحمة فيزول النزاع فيصح الدوام للعالم . فيتبيّن عند ذلك ما معنى الأزل بمعقولية الابد ، وهو قولك : لا يزال . فلولا النقطة المفروضة في الخط ، التي تشبه الآن - ما فرق بين الأزل والأبد . كما لا نفرق بين الماضي والمستقبل بانعدام الآن من الزمان . ألا إن النقطة هي الربوبية ، ففرقت بين الهوية والاعيان ، وهو المسمّى المظاهر . ألا إن النقطة (هي) انت ، فتميز « هو » و« أنا » بأنت . فاذا علمت هذا ، فأنت موحّد ! فأعط الحق ما يقتضيه منك ، اذا اقتضاه .

فان قال لك : أليس قد تبيّن لك ، في المرتبة الأخرى ، أنه ما ثَمّ إلا الله ؛ وبيّنت في ذلك ما بيّنت - فلماذا ترعت هنا هذا المنزع ؟ قلنا : لأنك سميت نفسك مقتضياً منّا ، من

(السؤال الثامن والثانون) : وما الحق[١٢٨] ؟

كونتا موحدين، أمرًا ما، لا يقتضي «انت» انت ما يعطيك «نحن» نحن. نحن ما أعطيناك ، إنما أعطينا للمقتضى . فلا تكلمنا بغير لغتنا . اذ أنت القائل : «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه» . - يكون المقتضى في هذا الفصل مشهودنا ويخاطبنا اسم آخر ليس مشهودنا . هذا خطاب ابتلاء وتمحيص . »

(فتوحات : ٢ : ٩٣-٩٤)

١٢٨) « الجواب : ارادته بالحق هنا ، العلم الحاصل بعد العين » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ أ) .

« الجواب : سمي الحق حقًا لاقتضائه من عباده ، من حيث أعيانهم ومن حيث كونهم مظاهر ، ما يستحق . اذ لا يطلب الحق إلا بالحق ، وهو العلم الحاصل بعد العين ، وهو ما يجب على المقتضى منه ما يعطيه اذا طلبه منه . - « كتب ربكم على نفسه الرحمة . » اي أوجبها ، فصارت حقًا عليه . قال : « وكان حقًا علينا نصر المؤمنين » . فهو الحق لا غيره ، وهو المستحق والمحق . وهو الذي تجب عليه الحقوق ، من حيث إيجابه لا من حيث ذاته .

فالأعيان لولا ما تستحق ان تكون مظاهر ، ما ظهر الحق فيها ولم يكن حكيمًا لما كان يلزم من الخلل في ذلك . ولو لم تكن الهوية تستحق الظهور في هذه المظاهر العينية ، لظهور سلطان الربوبية - ما ظهرت في هذه الأعيان . لان الشيء لا يظهر في نفسه لنفسه ؛ فلا بد من عين يظهر فيها لها . فيشهد نفسه في المظهر ، فيسمى مشهودًا وشاهدًا . فان الاعيان لا تستحق . ولهذا قال : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » . ولم يقل إن الأعيان تستحق الرحمة ، فان الاعيان ليس لها استحقاق إلا أن تكون مظاهر خاصة .

فقل للحق ان الحق ما هو سواه فهو حق في الحقيقة
فلم انظر بعيني غير عيني فعين الحق اعيان الخليقة

الحق هويته الحق ، اسمه خلق هو « المخلوق به » . خلق كل شيء حقه . أعطى كل شيء خلقه : « وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما إلا بالحق » . - « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » . - « انا ارسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا » . - « وقل : الحق من ربكم » . - الحق طالب الحقوق ؛ فبالحق يطلب الحق . - « وماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون » .

فالحق الوجود . والضلال الحيرة في النسبة . فالحق المنزل . والحق التنزيل . والحق المنزِّل . والحق من الله ، من حيث هو ربنا . ومن صرف عن الحق ، الى أين يذهب ؟ - « فأين تذهبون ؟ ان هو الا ذكر للعالمين » = اصحاب العلامات والدلائل .

فالحق المسؤل عنه في هذا السؤال هو المقتضى ، الذي يقتضى من الموحدين لما ذكرناه .

(السؤال التاسع والثمانون) : وماذا[٣] بدؤه[١٢٩] ؟

فسمى حقاً ، لوجوب وجوده لنفسه . فاقتضاؤه إنما اقتضى من نفسه فانه إنما اقتضاه من الظاهر في مظهره . وهويته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت رتبة الربوبية . فما اقتضى إلا منه . وما كان المقتضي إلا هو . والذي اقتضى هو حق ، وهو عين الحق . فان أعطى فهو الآخذ ؛ وان أخذ فهو المعطي . فمن عرفه عرف الحق ! » .

(فتوحات : ٢ : ٩٤-٩٥)

١٢٩) « الجواب : نور المشاهدة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ أ) .

« الجواب : الضمير يعود على الحق . وبدؤه من الاسم « الأول » الذي تسمى الحق به . قال تعالى : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » . فسمى لنا نفسه « أولاً » . فبدؤه أولية الحق . وهي نسبة . لان مرجع الموجودات في وجودها الى الحق . فلا بد ان تكون نسبة الاولية له . فبدؤه نسبة الاولية له . ونسبة الاولية له لا تكون الا في الظاهر .

فظهوره في العقل الاول ، الذي هو القلم الاعلى ؛ وهو « أول ما خلق الله » . فهو اول ، من حيث ذلك المظهر لانه أول الموجودات عنه . فالذات الازلية لا توصف بالاولية ، وانما يوصف بها الله تعالى .

قال الله تعالى : « سبح لله » = فهو المسبح « ما في السموات والارض » = من حيث أعيانهم « وهو العزيز » = المنيع الحمى من هويته ، « الحكيم » = بمن ينبغي ان يسبح له . الضمير يعود على الله . من « لله » « ملك السموات والارض » . ولهذا يسبحه اهلها لانهم مقهورون ، محصورون في قبضة السموات والارض . - « يحيي ويميت » = يحيي العين ويميت الوصف . فالعين لها الدوام من حيث حييت ؛ والصفات تتوالى عليها . فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين ويأتي بأخرى . - « وهو » = الضمير يعود على الله . « على كل شيء قدير » = اي شيئية الاعيان الثابتة . يقول : إنما تحت الاقتدار الالهي . - « هو الاول » = الضمير يعود على الله من « لله » . والاول خبر الضمير الذي هو المبتدأ ، وهو في موضع الصفة لله . وسمى الله إنما هو من حيث المرتبة . وأول مظهر ظهر القلم الالهي ، وهو العقل الاول . والعين ما كانت مظهراً إلا بظهور الحق فيها ، فهي أول . والكلام في الظاهر في المظهر لان به يتميز . - فالاول هو الله ، والعقل حجاب عليه ومجن تتوالى الصفات عليه . ولما كانت الاعيان كلها ، من كونها مظاهر ، نسبتها الى الالوهية نسبة واحدة ، من حيث ما هي مظاهر ، تسمى : « الآخر » . فهو « الآخر » آخرية الأجناس ؛

ث[٣] وثم ٧ .

(السؤال التسعون) : وأي شيء فعله في الخلق[١٣٠] ؟

لا آخرية الاشخاص . وهو « الاول » بأولية الاجناس واولية الاشخاص . لانه ما اوجد الا عيناً واحدة وهو القلم او العقل ، كيفما شئت سميته . — ولما كان العالم له الظهور والبطون ، من حيث ما هو مظاهر ، كان هو ، سبحانه ! الظاهر لنسبة ما ظهر منه والباطن لنسبة ما بطن منه . — « وهو بكل شيء عليم » = شيئية الاعيان وشيئية الوجود ، من حيث اجناسه وانواعه واشخاصه .

فقد تبين ان بدء (الأصل : بدأه) عين وجود العقل الاول . — قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أول ما خلق الله العقل » وهو الحق الذي خلق به السموات والارض . وقد مشى معنا هذا في سؤاله في « العدل » في السؤال الثامن والعشرين من هذه السؤالات » .

(فتوحات : ٢ : ٩٥)

١٣٠) « الجواب : الفناء » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : إن كان قوله : « في الخلق » ، من كونهم مقدرين — فالإيجاد ، وهو حال الفعل . وإن كان قوله : « في الخلق » ، من كونهم موجودين — فحال الفناء .

وذلك ان الله تعالى قال للانسان : « اولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل » = أي قدرناه ، « ولم يك شيئاً » = نبهه على أصله ! فأنتم عليه بشيئية الوجود ، وهو عين وجود الظاهر فيه . وإنما خاطب الانسان وحده ، لانه المعتبر الذي وجد العالم من أجله . وإلا فكل ممكن بهذه المنزلة . — هذا الذي تعطيه نشأته ، لكونه مخلوقاً على الصورة الالهية ، وانه مجموع حقائق العالم كله . فاذا خاطبه فقد خاطب العالم كله ، وخاطب اسماءه كلها .

واما الوجه الآخر ، الذي ينبغي ايضاً ان يقال ، وهو دون هذا ، في كونه مقصوداً بالخطاب : وذلك انه ما ادعى أحد الالوهية سواه من جميع المخلوقات . وأعمى الخلائق إبليس . وغاية جهله أنه رأى نفسه خيراً من آدم ، لكونه من نار ، لاعتقاده انه افضل العناصر . وغاية معصيته أنه امر بالسجود لآدم فتكبر في نفسه عن السجود لآدم ، لما ذكرناه ؛ وأبى فعصى الله في أمره فسماه الله كافراً . فانه جمع بين المعصية والجهل . والانسان ادعى أنه الرب الاعلى ، فبهذا خص بالخطاب في قوله (تعالى) : «أولا يذكر الانسان» = فلذا قلنا : الفناء ، أي أحاله على هذه الصفة ان يكون مستحضراً لها .

واما الفعل الخاص بكل خلق ، فهو إعطاؤه ما يستحقه كل خلق عما تقتضيه الحكمة الالهية . وهو قوله (تعالى) : « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . أي بين أنه ، تعالى ! أعطى كل شيء خلقه ، حتى لا يقول شيء من الأشياء : قد نقصني كذا . فان ذلك النقص الذي يتوهمه هو عرض عرض له ، لجهله بنفسه وعدم إيمانه إن كان وصل اليه قوله : « اعطى

(السؤال الحادي والتسعون) : وبماذا وكل[١٣١] ؟

كل شيء خلقه » فان المخلوق ما يعرف كمَاله ولا ما ينقصه ، لانه مخلوق لغيره لا لنفسه .
فالذي خلقه انما خلقه له لا لنفسه . فما أعطاه إلا ما يصلح ان يكون له ، تعالى ! والعبد
يريد أن يكون لنفسه لا لربّه . فلهذا يقول : أريد كذا ، وينقصني كذا . فلو علم أنه
مخلوق لربّه - لعلم أن الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه . - « أعوذ بالله أن
أكون من الجاهلين » !

وهذه المسألة مما أغفلها اصحابنا ، مع معرفة أكابرهم بها . وهي مما يحتاج اليها في المعرفة
المبتدي والمنتهي والمتوسط . فانها اصل الادب الالهي الذي طلبه الحق من عباده . وما عنم
ذلك إلا القائلون : « ربّنا ، وسعت كل شيء ، رحمة وعلماً » . واما الذين يقولون : « أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ » - فما وقفوا على مقصود الحق من خلقه الخلق . ولو لم
يكن الامر كما وقع - لتعطّل من الحضرة الالهية أسماء كثيرة لا يظهر لها حكم .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم : « لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم » . فنبّه أن كل امر يقع في العالم إنما هو لاظهار حكم اسم إلاهي . واذا كان
هكذا الامر - « فلم يبق في الامكان أبدع » من هذا العالم ولا أكمل . فما بقي في
الامكان إلا أمثاله الى ما لا غاية له . فاعلم ذلك ! . - فهذا فقه في الخلق . وأمّا
الجواب العامّ في هذه المسألة ان يقال : نعلم في الخلق ما هو الخلق عليه في جميع أحواله »
(فتوحات ، ٢ : ٩٥-٩٦) .

١٣١) « الجواب : بحمل الاثقال » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : وكل بمشيئة أوامر الله وانفاذ كلماته لا غير . فهو مخصوص بالشرائع
الالهية ، سنّها من سنّها . كما قال تعالى : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » . فذمّهم
لمّا لم يرعوها ، فقال : « فما رعوها حق رعايتها » .

وقال ، صلى الله عليه وسلم : « من سنّ سنّة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها » .
فالخير يطلب الثواب بذاته . والشرع يبيّن توقيت ذلك الثواب . كقوله : « من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها » . وقال الله لداود : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض »
لمن تندمك أو نيابة عنّا بالاسم الظاهر الذي لنا . فقد خلاه عليك لتظهر به في خلقي .
« فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » .

فعرّفنا ان الحق ، سبحانه ! قد وكل الحق بمشيئة دينه . فقال لخلفائه : احكموا بما
يقتضيه امر هذا الوكيل « ولا تتّبعوا الهوى » وهو ارادة النفوس التي يخالفها حكم الحق
الموكل بمشيئة الكلمات الالهية المشروعة . وكل مخاطب « راعٍ ومسئول عن رعيته » . فكن

(السؤال الثاني والتسعون) : وما ثمرته؟[٣] [١٣٢] ؟

العدل صفة هذا الحق ، الذي وكله الله ان يصرفها في المخلوقات بمساعدة الخلفاء . – والله المرشد ! » . (فتوحات : ٣ : ٩٦)

١٣٢) « الجواب: تحيّز جميع مراداته » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩ ب) .

« الجواب : الوقوف دائماً مع العبودة : هذه ثمرته . ولكن جوائح الربوبية تمنع من ظهور هذه الثمرة ، ولا سيما في البشر . ولكن له ثمرة أخرى ، دون هذه الثمرة . وهو ان يكون الحق « سمعه وبصره » وجميع قواه . ثم ان له في كل شخص من البشر بحسب ما أمضاه في سلطانه من أحكامه .

وأما ثمرته التي يعمل عليها ولها اكثر العقلاء من اهل الله – فتحيّز مراداتهم بمجرّد الهمم . فمنهم من ينال ذلك في الدنيا ، ومنهم من يدّخر له ذلك الى يوم القيامة . فان أكابر الرجال ، مع معرفتهم بما خلقوا له ، لو وقفوا مع التكوين قوبلوا؛ ولكنهم تركوا الحق يتصرف في خلقه كما هو في نفس الامر ؛ وأبوا ان يكونوا محلّاً لظهور التصريف . وان ظهر عليهم من ذلك شيء – فما هو عن قصد منهم لذلك. ولكن الله أجراه لهم وأظهره عليهم لحكمة علمها الحق ، وهؤلاء عن ذلك بمعزل . وأمّا ان يقصدوا ذلك – فلا يتصور منهم ؛ إلّا ان يكونوا مأمورين كالرسل ، عليهم السلام . فذلك (التصريف او الفعل مضاف) إلى الله ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم . فانهم معصومون من اضافة الافعال اليهم ، اذا ظهرت منهم . فيقولون : هي للظاهر من أسمائه في مظاهره . فما لنا وللدّعوى ! فنحن لا شيء ، في حال كوننا مظاهر له وفي غير هذه الحال .

وهذا المقام يسمى راحة الأبد . والقائم فيه مستريح . وهذا هو الذي وفى الربوبيّة حقها . لان الحكم للمرتبة لا للعين . ألا ترى ان السلطان تمشي أوامره في مملكته فلا يعصى ، ويخاف ويرجى . وما هو لكونه انساناً ، فان الانسانية عينه . وإنما هو لكونه سلطاناً ، وهي المرتبة .

فالعاقل من الناس ، يرى ان المتحكم في المملكة انما هي المرتبة لا عينه . اذ لو كان ذلك لكونه انساناً فلا فرق بينه وبين كل انسان . وهكذا كل المظاهر . فرجال الله ينظرون أنفسهم من حيث أعيانهم ، لا من حيث كونهم مظاهر . فكانت المرتبة الحاكمة لا هم . وهذه هي ثمرة الحق ، التي جنوها حين حكموا به وفازوا بالعبودة والعبودية: عبادة الفرائض وعبادة النوافل » .

(فتوحات : ٣ : ٩٦-٩٧)

ج[٣] عرنه ٧ .

(السؤال الثالث والتسعون) : وما المحق[١٣٣] ؟

١٣٣) الجواب : حامل هذا المقام ، بحكم التبري من حمله باثبات حمله . لا بد من هذا ، فانه ما عند العبد وصف صار اصلا ؛ بل وصفه له حقيقة » . (الجواب المستقيم ورقة ٢٤٩ ا — ٢٤٩ ب) .

« الجواب : معطي الحق . وهو الموصوف بالحكم المنزل . وذلك أني أنبهك على تحقيق هذا الامر .

فاعلم أن المحق اذا كان هو معطي الحق — فليس إلا الله . ومقصود الطائفة من المحق أن يكون الصادق الدعوى في طلب الحق الذي يستحقه . وهي مسألة صعبة . فان الله « أعطى كل شيء خلقه » = وهو ما يستحقه ؛ فقد أعطى كل شيء استحقاقه . فهذا الطالب ما يستحقه ، كيف يصح أن يكون ممنوعاً عنه ما يستحقه مع قوله (تعالى) : « أعطى كل شيء خلقه » ؟

فلنقل : اعلم ان قوله « اعطى كل شيء خلقه » انما هو مما يقوم ذات ذلك الشيء ، من الفصول المقومة لذاته . وأما ما تطلبه تلك الفصول من اللوازم والأعراض — فما أعطاه ذلك . لأن أعراض كل ذات لا تتناهى (الاصل : لا يتناهى) ما دام موصوفاً بالبقاء في الوجود . وما لا يمكن فيه التناهي لا يصح ان يدخل في الوجود ، بل على التتالي والتتابع .

فالطالب المحق ، هو الذي لا يطلب ما لا تستحقه ذاته من لوازمها وأغراضها . كمن ليس من حقيقته ان يقبل التفكر فيطلب ان يتصف بالفكر — فما هو محق في طلبه . فاذا طلبه الانسان ، إذا كان الغالب عليه الوقوف مع المحسوسات — فله ان يطلب الاشتغال بالتفكر « في خلق السموات والأرض » وجميع الآيات . فهو محق في طلبه ، صادق الدعوى في نفي التفكر عنه لاستيلاء الغفلة عليه . فهذا هو المحق ، الذي لا يعارض طلب حقه ، الذي يستحق بذاته طلبه ، قوله (تعالى) : « أعطى كل شيء خلقه » .

فقد تبين لك كيف ينبغي لك ان تسأل ؟ وماذا تسأل فيه ؟ . — ومن أوصاف المحق ، ان لا يسأل إلا من بيده قضاء ذلك الحق المسئول . فان لم يفعل ، فقد اشتكى إلى غير مشتكي .

كان شيخنا ابو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه : « اللهم ، إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا ، ولم تسد باب الولاية . اللهم ، مهما عينت اعلى رتبة في الولاية لأعلى ولي عندك — فاجعلني ذلك الولي ! » فهذا من المحققين ، الذين طلبوا ما يمكن ان يكون حقاً لهم . وان كانت النبوة والرسالة مما يستحقه الانسان ، عقلا ، لكون ذاته قابلة لها — لكن لما علم ان الله قد سد بابها شرعاً وسد باب نبوة الشرائع — لم يسألها وسأل ما يستحقه . فان الله ما حجز الولاية علينا .

(السؤال الرابع والتسعون) : واين محل[ح٢] من يكون محقاً[خ٢] (١٣٤) ؟

ومن هذا الباب سؤال الوسيلة وان لم يكن مثلها لكن يقرب منها . وانما الحقناها بها في التشبيه لقرينة حال . «وهي (=الوسيلة) درجة في الجنة لا ينالها او لا تنبغي إلا لرجل واحد» . قال صلى الله عليه وسلم : « وأرجو أن أكون أنا . فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة » . فلو سأل واحد منا ربه الوسيلة في حق نفسه — كما سأل ما لا يستحقه . لانه ربما لا ينالها إلا شخص هو على صفة مخصوصة . والله يقول لنا : « وابتغوا إليه الوسيلة » ؛ إلا انه لم يقل : « منه » . فقد يمكن ان يكون هذه من التوسل . وتلك الصفة إما موهوبة او مكتسبة ؛ ولم يبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حجرها على واحد بعينه . ولم يقل إنما لا تنبغي إلا لمن هو افضل عند الله من البشر . ونحن نعلم أنه أفضل الناس عند الله بما نص على نفسه . فكان يكون ذلك تحجيراً . ولم ينص ايضاً في وحدانية ذلك الشخص : هل هو لعينه أو واحد لتلك (الاصل : تلك) الصفة . فتكون الأحدية لتلك الصفة . ولو ظهرت في ألف لكان كل واحد من الألف له الوسيلة . لان تلك الصفة تطلبها . فلما لم يقع من الشارع شيء من هذا كله — ساغ لنا أن نطلبها لأنفسنا . ولكن يمنعنا من ذلك الايثار وحسن الأدب مع الله في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اهتدينا بهديه . وقد طلب منا ان نسأل الله له الوسيلة ، فتعيّن علينا ، أدباً وإيثاراً ومروءةً ومكارم خلق ، ان لو كانت لنا — لوهبناها له . إذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء ، لعلو منصبه وما عرفناه من منزلته عند الله .

ونرجو بهذا أن يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة ، مثل قيمة « المثل » عندنا في الحكم المشروع في الدنيا . وذلك ان بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم ، أخوة الإيمان ؛ وانه كان هو السيد الذي لا يقاوم ولا يكاثر . ولكن قد انتظم معنا في سلك الايمان . فقال تعالى : « إنما المؤمنون اخوة » . وثبت في الشرع ان الانسان « اذا دعى لأخيه في ظهر الغيب — قال الملك : له ولك بمثله ، ولك بمثليه » . فاذا دعونا له بالوسيلة ، وهو غائب عنا ، قال الملك : ولك بمثله . فهي له والمثل للداعي . فينال من درجات مجموعة ما يناله صاحب الوسيلة من الوسيلة : مثل قيمة المثل . لان الوسيلة لا مثل لها ، اي ما ثمّ درجة واحدة تجمع ما جمعت الوسيلة . وان كانت ما جمعت الوسيلة متفرقاً في درجات متعددة ولكن للوسيلة خاصية الجمع » . (فتوحات : ٢ : ٩٧—٩٨)

١٣٤) « الجواب : في حضرة بقاء الدين والاقتدار والتأييد » . (الجواب المستقيم) ورقة ٢٤٩ ب .

ح٢ المحل V .

خ٢ + فانه في بدء الامر تابع للحق حتى يصير محقا فيقوم (فيقرن F) الحق به مؤيداً له VF

(السؤال الخامس والتسعون وما سكينة[د٢] الأوليا.(١٣٥) ؟

« الجواب : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » . فان الحقوق مما يطلبها المحق إلا وهو في « المقعد الصدق » ، لانه صادق . ولا تطلب الحقوق إلا عند من يعلم أنه قادر على إيصالها ، وملك ماضي الكلمة في ملكه . فلهذا قلنا : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

فاجتمع هذا المحق مع المتقي في هذا المحل . والمتقي « في جنات ونهر » . وان كان المحق كذلك ، ولكن لما كان الفرق بين المتقي وبين هذا معلوماً – لم تكن الجنات كالجنات . ووقع الاشتراك في كونه محقاً مع المتقي . فالمتقي ما نال « المقعد الصدق » إلا من كونه محقاً « عند مليك مقتدر » = حضرة بقاء الدين والاقتدار والتأبيد .

ولهم أماكن مختلفة بحسب الحضرات التي يتراوحها من حضرات الاسماء . كعلوم الاسم « الصادق » و « الحق » و « الناصر » ، وما في معنى هذه الاسماء . فأي اسم من هؤلاء الاسماء ، نظر اليه كان محله . وأما في الذاتيات – فمحله الواجبات . وأما في الالوهية فمحلها بالظفر بالمطلوب . وأما في العبودية فمحلها عبودية الفرائض . وأما في الأحوال فالتأثير . وأما في المقامات فالصدق . وأما في الجنان فارتفاع الحجب . وأما في الدنيا فالفعل بالهمة . وأما في المعارف فانه يكون مع الحق من حيث أمره ، ومع عالمه من حيث عدله ووفاؤه (الاصل : ووفائه) . فيمين كل طالب حق . فمقامه لا يتزلزل ولا ينخرم . فان له في كل حضرة مقعداً ومجلساً . فحيث حل فهو في بيته فلا يفطر وان كان صائماً ؛ ولا يقصر الصلاة فانه مقيم غير مسافر . لان السفر « فيه » (= في الحق حيث تفنى فيه المسافات والابعاد) لا يجوز فيه القصر ولا الفطر ! فهو كمثل عائشة ، قالت : « لا أقصر فاني أم المؤمنين ، فحيث ما حللت حللت عند بني فأنا في بيتي » . والسفر « اليه » (= الى الحق ، حيث تثبت المسافات والابعاد) بخلاف ذلك . فانه يقصر ويفطر . فهو فطر الصائمين » .

(فتوحات : ٢ : ٩٨)

١٣٥) « الجواب : استنادهم الى ما يجدونه حقاً في صدورهم مما يكبر ، بتوفية المقام . ولكن بعد ما يطأون (في الاصل : يطؤون) ما وراء « جابرقا » و « جابرصا » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩ب) .

«الجواب : اذا تبع الولي الاسباب وقطعها سبباً سبباً ، وولي مملكة جابرقينا وجابرسينا ، وجمع له بين المشرقين والمشارق والمغربين والمغارب ، واطلع على المشرق والمغرب ، ووفى المقامات حقها ، وأعطى الانبياء حقهم وانبياء الشرائع حقهم ، وأنصف الملأ الأعلى ، وأحال الأسماء الإلهية على الاسماء الإلهية ، ولم يتوجه لمخلوق عليه حق – فانه غير وارث ولا رسول

د٢ + الانبياء وسكينة V .

(السؤال السادس والتسعون) : وما حظ المؤمنين من قوله : ﴿ الظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ، وَٱلأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾[١٣٦] ؟

ولا امام ولا صاحب منصب يخاف عليه فيه عدله او جوره ، ويرجى فيه فضله ؛ وجهل قدره ، ولم يعرف حقه ؛ وتمنّى الرسل ، في موطن ما ، ان تكون مثله ؛ وجمع هذا كله . فتلك سكينة الاولياء التي يسكنون اليها .

فهم العرائس المصانون . رجال ، أيّ رجال ! يسكنون اليها (= الى سكينة الاولياء). ولا تحصل لهم دائمًا . لكن لهم اختلاسات فيها كالبروق . فهي تشبه المشاهد الذاتية ، في كونها لا بقاء لها . فان المواطن تحكم عليهم وطبيعتهم تطلبها .

فان اتفق ان تحصل لأحد وقتًا ما ، قصيرًا أو طويلًا ، فـان الدوام محال - فيكون الولي في تلك الحال ناظرًا لمن يطالب طبيعته . فيكون كالمتفرج . ويرى الظاهر فيه المسئول ذلك ، إما يعطيها ما سألته وإما يمنعها . وهو مهيمن على ذلك من حيث عينه . ألا ان هذه هي العبودة المحضة ، التي لا يتخللها شوب من الربوبية » . (فتوحات : ٢ : ٩٨)

١٣٦) «الجواب : فمن الظهور (لعل الصواب : الظاهر ، اي حظ المؤمنين من الاسم الظاهر) ، حصولهم في مقام لا يؤثر فيهم كون ؛ وليس لهم فيه (في اسمه تعالى : الظاهر) مقام . و (حظهم) من (الاسم) الباطن ، حصولهم في مقام تؤثر فيهم جميع الأكوان ، ويفعلون بلا مباشرة . و (حظهم) من (الاسم) الاول ، رؤية وجودهم ، من حيث هم و (حظهم) من (الاسم) الآخر ، مشاهدتهم عليهم بكونهم آخر موجود وجد » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ب) .

« الجواب : كل مصدق بأمر لم يعلمه إلا من الذي اخبره به ، فقد بطن عنه ما صدقه فيه وظهر له ما صدقه فيه عند اخباره . وحظه من الاول ان لا يتوقف في تصديقه عند سماعه الخبر منه . وحظه من الآخر ان يتردد فيما صدقه فيه ، إن قدح فيه نظره عند التفكر فيما اخبره به المخبر . وذلك ان الايمان نور شعشعاني ، ظهر عن صفة مطلقة لا تقبل التقييد . فاذا خالط هـذا النور بشاشة القلوب - كان حكمه ما ذكرناه من « الظاهر والباطن والاول والآخر » .

والمؤمنون فيه على قسمين : مؤمن عن نظر واستدلال وبرهان . فهذا لا يوثق بايمانه ولا يخالط نوره بشاشة القلوب . فان صاحبه لا ينظر اليه إلا من خلف حجاب دليله . وما من دليل ، لاصحاب النظر ، إلا وهو معرض للدخل فيه والقدح ولو بعـد حين . فلا يمكن لصاحب البرهان ان يخالط الايمان بشاشة قلبه . وهذا الحجاب بينه وبينه . والمؤمن الآخر ، (هو) الذي كان برهانه عين حصول الايمان في قلبه ، لا أمر آخر . وهـذا هو الايمان الذي يخالط بشاشة القلوب . فلا يتصور في صاحبه شك . لان الشك لا يجد محلًا يعمره . فان

(السؤال السابع والتسعون) : وما حظ المؤمنين من قوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ (١٣٧) ؟

محله الدليل . ولا دليل ! فما ثمَّ على ما يرد الدخل ولا الشك . بل هو مزيد .

ثم ان المؤمن على نوعين : مؤمن له عين، فيه نور بذلك العين اذا أجتمع بنور الايمان ادرك المغيبات ، التي متعلقها الايمان . ومؤمن ما لعينه نور سوى نور الايمان . فنظر اليه به . ونظر الى غيره به . فالاول يمكن ان يقوم بعينه امر يزيل عنه النور ، الذي اذا اجتمع بنور الايمان أدرك الامور التي الزمه الايمان القول بها . وهو المؤمن الذي لا دليل له . وينظر الاشياء بذاته . فيدخله الشك ممن يشككه . فان فطرته تعطي النظر في الادلة، الا انه لم ينظر . فاذا نبه تنبه . فمثل هذا ، ان لم يسرع اليه الذوق وإلا خيف عليه .

والمؤمن الآخر ، هو بمنزلة الجسد الذي قد سوت بنيته واستوت آلات قواه وتركبت طبقات عينه . غير انه ما نفخ فيه الروح . فلا نور لعينه . فاذا كان الانسان بهذه المثابة من الطمس ، فنفخ فيه روح الايمان فأبصرت عينه بنور الايمان الاشياء — فلا يتمكن له ادخال الشكوك عليه جملة ورأساً . فانه ما لعينه نور سوى نور الايمان . والضد لا يقبل الضد . فما له نور في عينه يقبل به الشك والقدح فيما يراه .

وهكذا هي الاذواق . وهذه فائدتها . ومن لم يكن الايمان بهذه المثابة ، والفطرة بهذه المثابة — وإلا فقليل ان يجيء منه ما جاء من الانبياء الاولياء من الصدق بالالهيات .

فالفطرة الذكية التي تقبل النظر في المعقولات ، من أكبر الموانع لحصول ما ينبغي ان يحصل من العلم الالهي . والفطرة المطموسة هي القابلة ، التي لا نور لعينها من ذاتها إلا من نور الايمان . فلا تعطي فطرته النظر في الامور على اختلافها .

ومما يعضد ما قلناه ، حديث ابار النخل ؛ وحديث نزوله بأصحابه يوم بدر ؛ وقوله : « ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان نتبع إلا ما يوحى اليّ » = اي ما لي علم ولا نظر بغير ما يوحى اليّ . وهذا باب لا يعرفه إلا اهل الله .

ومنزلة الانبياء فيما يأخذونه من الغيب بطريق الايمان من الملائكة ، منزلة المؤمنين مع ما يأخذونه من الانبياء . فالانبياء مؤمنون بما يلقي اليهم الروح . والروح مؤمن بما يُلقي اليه من يُلقي اليه .

فحظ المؤمن ، كائناً من كان ، من « الظاهر » ما ألقي اليه . وحظه من «الباطن» ما استقر به . وحظه من « الاول » علم الخواطر الالهية . وحظه من «الآخر» الحاق بقية الخواطر بالخواطر الالهية . وهو تتميم قوله : « وهو بكل شيء عليم » .

(فتوحات : ٢ : ٩٨—٩٩)

١٣٧) «الجواب : إني أراكم من خلف ظهري » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٦٩ ب) .

« الجواب : المؤمن هو الذي ذكرناه ، الذي لا نور لمن بصيرته الا نور الايمان .

ﺫ « كل شيء » عنده « هالك » عن شيئيته : شيئية ثبوته وشيئية وجوده ، « إلا وجهه » = وجه الشيء ، ذاته وحقيقته ؛ «وجهه» مظهره : اي ظهوره في الاعيان .

.فأما شيئية ذاته – فهي المستثناة ، لا بد من ذلك . وأما « وجهه » في المظهر – فبعض اصحابنا يدخلها في « كل شيء هالك » وبعض اصحابنا لا يدخلها هنالك . فأما من أدخلها في الهلاك – فاعتبر مظهرًا خاصًا ، وأما من لم يدخلها في الهلاك – فاعتبر انها لا تخلو عن مظهر ما .

وأما نحن – فلا نثبت اطلاق لفظ الشيئية على ذات الحق . لانها ما وردت ولا خوطبنا بها ؛ والأدب أولى . والاولى ان يكون هنا « وجهه » مثل الاطلاق الاول ، يريد المظهر لا هويته . والمظهر له مناسبة بينه وبين الوجه الظاهر فيه . فلذلك صح الاستثناء . قال تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه » فسماه شيئًا في حال هلاكه .

فكل شيء موصوف بالهلاك . لان « هالك » خبر المبتدأ الذي هو « كل شيء » = أي كل ما ينطلق عليه اسم « شيء » فهو « هالك » ، وان كان مظهرًا ؛ فهو في حال كونه مظهرًا في شيئية عينه وهي هالكة . فهو « هالك » في حال اتصافه بالوجود ، كما هو «هالك» في حال اتصافه بالهلاك ، الذي هو العدم .

فان العدم للممكن ذاتي : اي من حقيقة ذاته ان يكون معدومًا . والاشياء اذا اقتضت أمورًا لذواتها ، فمن المحال زوالها . فمن المحال زوال حكم العدم عن هذه العين الممكنة ، لسواء اتصفت بالوجود او لم تتصف . فان المتصف بالوجود ما هو عين الممكن ، وانما هو الظاهر في عين الممكن ، الذي سمي به الممكن مظهرًا لوجود الحق .

ﺫ « كل شيء هالك » . فلهذا نفينا عن الحق اطلاق لفظ الشيء عليه . ويكون الاستثناء استثناء منقطعًا ، مثل قوله (تعالى) : « فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا إبليس » . – ألا ترى لما استحق الحق الوجود لذاته – استحال عليه العدم . كذلك اذا استحق الممكن العدم لذاته ، استحال وجوده . فلهذا جعلناه مظهرًا .

قلنا في كتاب «المعرفة» : إن الممكن ما استحق العدم لذاته ، كما يقوله بعض الناس . وانما الذي استحقه الممكن تقدم اتصافه بالعدم على اتصافه بالوجود لذاته ، لا العدم . ولهذا قبل الوجود بالترجيح . إذن ، فالعدم المرجح عليه الوجود ليس هو العدم المتقدم على وجوده ، وانما هو العدم الذي له في مقابلة وجوده ، في حال وجوده : ان لو لم يكن الوجود لكان العدم . فذلك العدم هو المرجح عليه الوجود في عين الممكن . هذا هو الذي يقتضيه النظر العقلي .

وأمّا مذهبنا ، فالعين الممكنة إنما هي ممكنة لان تكون مظهرًا ، لا لان تقبل الاتصاف

(السؤال الثامن والتسعون) : وكيف خص ذكر الوجه[١٣٨] ؟

(السؤال التاسع والتسعون) : وما مبتدأ[ذ٢] الحمد[١٣٩] ؟

بالوجود : فيكون الوجود عينها . اذن ، فليس الوجود في الممكن عين الموجود . بل هو حال لعين الممكن به يسمى الممكن موجوداً ، مجازاً لا حقيقة . لان الحقيقة تأبى ان يكون الممكن موجوداً .

فلا يزال « كل شيء هالك » (الاصل: لك) كما لم يزل . لم يتغير عليه نعت ولا تغير على الوجود نعت . فالوجود وجود والعدم عدم . والموصوف بأنه موجود موجود . والموصوف بأنه معدوم معدوم . هذا هو نفس اهل التحقيق من اهل الكشف والوجود .

.. ثم يندرج في هذه المسألة الوجه الذي له الأمام . وهو الوجه المقيد بالنظر ، وبه تميز عن الخلف . فاذا كان الشخص يرى من خلفه مثل ما يرى من أمامه – كان وجهاً كله ، بلا قفا . فلا يهلك من هذه صفته . لأنه يرى من كل جهة : فلا يهلك ! لان العين تحفظه بنظرها . فمن اي جهة جاءه من يريد هلاكه – لم يجد سبيلاً اليه ، لكشفه اياه . كما يتقي صاحب الوجه المقيد من يأتيه من أمامه » .

(فتوحات : ٢ : ٩٩–١٠٠)

١٣٨) « الجواب : لان السبحات محرقة فلا مقابل له » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : لان السبحات له فهي مهلكة . والهلك لا يكون هالكاً . – فاعلم أن الحقائق لا تتصف بالهلاك ، – ووجه الشيء حقيقته – وانما يتصف بالهلاك الامور العوارض للحقائق ، من نسبة بعضها الى بعض . فهي ، أعني الامور العوارض ، حقيقتها ان تكون عوارض ؛ فلا يهلك وجهها عن كونها عوارض .

فالمتصف من عرضت له نسبة ما ، ثم زالت تلك النسبة بحصول نسبة أخرى ، فازالة تلك النسبة العارضة تسمى هلاكاً ، ويسمى ذلك المحل المنسوب اليه ذلك العارض بزواله هالكاً . – وما ثمّ إلا حقائق ؛ فما ثمّ إلا وجوه غير هالكة . وما ثمّ إلا نسب ؛ فما ثمّ إلا هالك . فانظر كيف شئت ، وانطق بحسب ما تنظر . – فلهذا خص الوجه لاستحالة اتصافه بالهلاك ، اذ كانت الحقيقة لا تهلك » .

(فتوحات : ٢ : ١٠٠)

١٣٩) « الجواب : الاطلاق ثم يتقيد . هذا مبتدأ الحمد في اللسان . وفي الحال ، التقييد مبتداه ثم الاطلاق ثم التقييد . وأما مبتداه ، من حيث أثره في الحامد وقيامه في

ذ٢ مبتدع ٧ .

المحمود – فظهوره مبتداه . وان اراد بالحمد "عين الحمد : العبد الكلي – فقد تشير الى ذلك عبارة اصحابنا – فمبتداه امر آخر . والظاهر انه يريد بالحمد هنا : الفاتحة ، يعني في الصلاة . فمبتداه أم الاسم ، وهو الذي اراده بلا شك » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : مبتدؤه الابتداء ، وهو المعنى القائم في نفس الحامد . فلا بد ان يكون مقيدًا من طريق المعنى انه ابتداء حادث . فلا بد له من سبب . والسبب عين التقييد . و(أما) من طريق التلفظ بالحمد فمبتدؤه الاطلاق . ثم بعد ذلك ، ان شئت قيدته بصفة فعل إلاهي ، وان شئت نزهته في التقييد بصفة تنزيه . وما ثَمَّ أكثر من هذا .

وان أراد السائل بالحمد هنا العبد – فانه عين الثناء على الحق بوجود عينه – فمبتدؤه الحق الذي أوجده لما أوجده . – وإن اراد بالحمد ومبتدئه اضافة المبدأ الى الحمد ، أي بما يبتدأ الحمد – فنقول بالوجود ، سواء اقترنت سعادة بذلك الموجود أو شقاوة . – وإن اراد بالحمد حمد الحمد – فمبتدؤه الوهب والمنة . – وإن أراد بمبدأ الحمد حمد الحق الحمد ، او حمد الحق نفسه ، او حمد الحق بمخلوقاته – فالثناء على الثناء بانه ثناء عليه – فمبتدؤه اضافة الخلق اليه تعالى ، لا إلى غيره . – وإن اراد بالحمد الفاتحة ، التي هي السورة – فمبتدؤها الباء ، ان نظرت الحق من حيث دلالة الخلق عليه . فيكون « بسم الله الرحمن الرحيم » آية من سورة الفاتحة . وان كان ينظرها من حيث الحق مجردًا عن تعلق العالم به للدلالة – فمبتدؤها « الألف » من « الحمد » » . – فلم تتصل بأمر ولا ينبغي لها ان تتصل ولم يتصل بها . فانها تتعالى في الفاتحة ان يتصل بها . فانه ما اتصل بها في المعنى إلا اسماؤها ، واسماؤها عينها . فلم يتصل بها سواها .

فان اراد بالحمد عواقب الثناء – فمبدؤه من حيث هو عواقب رجوع اسمائه اليه . فانه لا أثر لها إلا في الظاهر في المظاهر . وعلى الظاهر يقع الثناء . وليس الظاهر في المظاهر غيره . فلا مُثني ولا مُثنَى ولا مُثنَى عليه إلا هو ! والتبس على الناس ما يتعلَّق بالمظاهر من الثناء . فلهذا قالوا : ما مبتدأ الحمد؟

والظاهر من سؤال هذا السائل ، انه اراد « الفاتحة » . لانه قال في السؤال الذي يليه : ما معنى آمين ؟ وهي كلمة شرعت بعد الفراغ من الفاتحة . فهو ثناء بدعاء . وكل ثناء بدعاء فهو مشوب . ولهذا قال : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . فنصفها لي ونصفها لعبدي . ولعبدي ما سأل » . فآمين المشروعة لما فيها من السؤال ، وهو قوله : «اهدنا» . ومن طلب شيئًا من أحد فلا بد ان يفتقر اليه بحال طلبه . فمبتدأ الحمد على هذا هو الافتقار . ولهذا سأل في الاجابة .

ثم انه ما اوجب له الافتقار اليه إلا اثر غناه تعالى عما افتقر اليه فيه . فمبتدأ الحمد غنى

(السؤال الموفي مائة) : وما قوله : « آمين »[١٤٠] ؟

الحق عن العالمين . قال الله تعالى: « والله غني عن العالمين » . وقال تعالى : « يا ايها الناس ، انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد » . نقدّم الفقر على الغنى في اللفظ . وغنى الحق مقدم في المعنى على فقراء الخلق اليه . لا ، بل هما سؤالان تقدّم احدهما على الآخر . فان الغنى عن الخلق لله ازلاً ، والفقر للممكن في حال عدمه الى الله ، من حيث غناه ، ازلاً . والموصوفات بالازل ، نفيا واثباتا ، لا يتقدّم احدهما على الآخر . لأن الازل لا يصح فيـه تقدّم ولا تأخر . فافهم ! » .

(فتوحات : ٢ : ١٠٠-١٠١)

١٤٠) « الجواب : آمين ، على ما تقدم في الحمد من الاوصاف والاصناف . إلى هذا اشارة الحكيم بالسؤال . ومن حيث الكلمة (لعل الصواب : الحكمة)، فلها اجوبة أخر لا تقتضيها اجوبة السائل ، فلهذا جئنا بهذا الجواب وهو بالقصر » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ب — ٢٥٠أ) .

« الجواب : لما اراد الثناء بما هو دعاء في مصالح ترجع الى الداعي — قيل له : قل : آمين . وهي تقصر وتمدّ . قال الشاعر في القصر :

تباعد مني فطحل وابن أمه — أمين — فزاد الله ما بيننا بعدا

= يعني حتى يتفرد مع الحق الذي لا يقبل البينية . — وقال الشاعر في المد :

يا رب ، لا تسلبني حبها أبداً ويرحم الله عبداً قال: آمينا!

= يعني في دعائه بالبعد بينه وبين من يقبل البينية . . (لعل هـذا التفسير خاص بالبيت الاول ؛ وتفسير البيت الاول خاص بالثاني) .

وورد في الشرع الجهر بها (= بـ آمين) والاخفاء . لان الامر ظاهر وباطن . فالباطن يطلب الاخفاء والظاهر يطلب الجهر . غير ان الظاهر أعمّ . فاذا جهر بها (بآمين) فقد حصل حظ الباطن . واذا اسرّ بها لم يعلم الظاهر ما جرى . والباطن خصوص ، والاسرار بها خاص لخاص . والظاهر عموم ؛ فالجهر بها عام ، لعام وخاص .

« من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » . وكل مذكور في ملأ مذكور في النفس . وما كل ما هو مذكور في النفس يكون مذكوراً في الملأ .

قوله ، عليه السلام: « او استأثرت به في علم غيبك » ، هي اسماء لا يعلمها إلا هو . فعلم السر أتم . « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » = فـالمفاتيح العلم بها خاص له . والغيب « قد يظهر على غيبه » من يرتضيه من رسله : « إلا من ارتضى من رسول » .

(السؤال الحادي ومائة) : وما السجود ر٣ (١٦١) ؟

فالسر بها (= بآمين) أتم منفعة من الجهر بها. والجهر بها اعم منفعة من السر (في الاصل: + السر) بها. — « آمين »= معناه أجب دعاءنا. لا ، بل معناه: قصدنا اجابتك فيما دعوناك فيه. يقال: أمَّ فلان جانب فلان، اذا قصده: «ولا آمين البيت الحرام» أي قاصدين. —وخفف آمين للسرعة المطلوبة في الاجابة. والمنة تقتضي الاسراع في الاشياء.

«فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة — فقد غفر له» = ولم يقل: فقد اجيب. لانه لو اجيب لا غفر له. لان المهدي ماله ما يغفر. — أي: فمن أمن مثل تأمين الملائكة. هذا معنى الموافقة، لا الموافقة الزمانية. وقد تكون الموافقة الزمانية، فيحويهم زمان واحد عند قولهم: آمين.

والملائكة، لا يخلو قولها في «آمين»، هل يقولونها متجسدين أو يقولونها غير متجسدين؟ فان قالتها متجسدة — فربما يريد الموافقة الزمانية خاصة. لان التجسد يحكم عليهم بالاتيان بلفظة «آمين»، اي بترتيب هذه الحروف وان قالتها غير متجسدة — فلم تبق الموافقة إلا ان يقولها العبد بالحال التي يقولها الملك.

والحال، هنا، على اقسام. الحال الواحدة، أن يقولها بربّه. فان الملك يقولها كذلك. او يقولها بحاله، التي تقتضيها ذاته. فالانسان اذا قالها كذلك، قالها من حيث روحانيته لا (الأصل: إلا) من حيث حسه. أو يقولها بحكم النيابة، فالملك قد يقولها كذلك. او يقولها وهو هو، فالملك قد يقولها كذلك.

وقول الانسان بحكم النيابة هو قوله بحكم الصورة التي خلق عليها. فينبغي للانسان ان يقولها بكل حال يقولها الملك، من هذه الاقسام التي ذكرناها. فاذا قالها، غفر الله له. ولا بدَّ ان يستره الله عن كل امر يضاد الهداية بما تنتج؛ لا بد من ذلك. لان نتيجة الهداية سعادة. وقد يكون في حياته الدنيا غير مهدي، والعناية قد سبقت، فيجني ثمرة الهداية. — فلهذا لم يقل: أجيب، وقال: «غفر».

فهذا معنى قوله: آمين. — وكل داع، بحسب ما دعا. فان الله يستجيب له بأمر سعادي لا بما عينه. فقد أجابه بما فيه سعادته، اذ هي المطلوب الاعم في كل دعاء داع».

(فتوحات: ٢ : ١٠١)

١٦١) الجواب: سجود الظلال. ولما سجد قلب سهل بن عبدالله، اجابه العباداني: الى الابد. فالسجود بقاؤه في تجليه ابدا. فان الله تعالى ما كتب ايمانًا في قلب فمحاه؛ ولا اسجد قلب عين لتجليه فأقامه. فالسجود لا يكون الا خلف حجاب القربة: وهو مشاهدة معرفتك بك». (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ أ).

ر٣ السحر ٧.

« الجواب : السجود ، من كل ساجد ، مشاهدة اصله الذي غاب عنه ، حين كان فرعاً عنه . فلما اشتغل بفرعيته عن أصليته – قيل له : اطلب ما غاب عنك ، وهو أصلك الذي عنه صدرت . فسجد الجسم الى التربة ، التي هي اصله . وسجد الروح الى الروح الكل ، الذي عنه صدر . وسجد السرّ لربه ، الذي به نال المرتبة .

والاصول كلها غيب . ألا تراها قد ظهرت في الشجر أصولها (وهي) غيب ؟ فان التكوين غيب لا يشاهده أحد . الجنين يتكوّن في بطن أمه ، فهو غيب . حيوان آخر يتكوّن في البيض ، فاذا كمل تشقّق عنه . — الحق اصل وجود الاشياء وهو غيب لها . — السجود تحية الملوك . لما كان السوقة دون الملك ، فالملك له العلو والعظمة ، فاذا دخل عليه من دونه سجد له : اي منزلتنا منك منزلة السفل من العلو ، فاتهم نظروا اليه من حيث مكانته ورتبته لا من حيث نشأته ، فانهم على السواء في النشأة .

سجدت الملائكة لمرتبة العلم ، فكان سجودها « لا علم لنا » = وهو الجهل . — سجدت الظلال لمشاهدتها من خرجت عنه ، وهي الاشخاص . يستتر ظل الشخص عن النور بأصله ، الذي انبث عنه لئلا يفنيه . فلم يكن له بقاء إلا بوجود الاصل . — فلا بقاء للعالم إلا بالله . — « السلطان ظل الله في أرضه » . « العرش ظل الله يوم القيامة » . العرش عين الملك . يقال : ثُلَّ عرش الملك ، اذا اختلّ ملكه عليه . — « الرحمن على العرش استوى » = اي على ملكه .

سجود القلب ، اذا سجد ، لا يرفع أبداً . لان سجوده للاسماء الالهية لا للذات . فانما هي التي جعلته قلباً ، فهي تقلبه من حال الى حال ، دنيا وآخرة . فلهذا سمته قلباً . فاذا تجلى له الحق مقلباً ، فيرى انه في قبضة مقلبه ، وهو الاسماء الالهية التي لا ينفك مخلوق عنها . فهي المتحكمة في الخلائق . فمن شاهد لها ، وهو الذي سجد قلبه ؛ ومن غير مشاهد لها ، فلا يسجد قلبه . وهو المدّعي ، الذي يقول : أنا ! وعلى من هذه صفته ، يتوجّه الحساب والسؤال يوم القيامة ، والعقاب ان عوقب . ومن سجد قلبه ، فلا دعوى له : فلا حساب ولا سؤال ولا عقاب .

فلا حالة اشرف من حالة السجود ، لانها حالة الوصول الى علم الاصول . فلا صفة أشرف من صفة (هذا) العلم ، فانه معطي السعادة في الدارين ، والراحة في المنزلتين .

اصل الاعداد الواحد . فلا وجود لها الا به . وبه بقاؤها . فمن لا علم له بأحدية خالقه ، كثرت آلهته ، وغاب عن معرفته بنفسه ، فجهل ربه .

فصار عبداً لكل ربّ فهو محل لكل ذنب

والسجود يقتضي الديمومة . ولهذا قال الشيخ ايضاً لسهل بن عبدالله : « الى الأبد » . لان السجود الخضوع . والاسجاد ادامة النظر . وكل من تطأطأ فقد سجد .

وقلن له : اسجد لليلى فأسجدا

(السؤال الثاني ومائة) : وما بدؤه[١٤٢] ؟

اي طأطأ البعير لها لتركب . — والتطأطؤ لا يكون إلا عن رفعة . والرفعة في حق كل من سوى الله ، خروج عن أصله . فقيل له : اسجد ، اي تطأطأ عن رفعتك المتوهمة ، واخضع من شموخك بان تنظر إلى أصلك فتعرف حقيقتك . فانك ما تعاليت ، حتى غاب عنك أصلك. فطلبك على أصلك طلبك الغيب عينه . ومن عرف اصله عرف عينه ، اي نفسه . ومن عرف نفسه عرف ربه . ومن عرف نفسه لم يرفع رأسه . ومن عرف ربه رفع رأسه ، فانه مخلوق على صورة ربه . ومن نعوت ربه « الرفيع » فلا بد ان يرفع نفسه .

وبعد هذه الرفعة ، يقال له : اسجد ! فيسجد وجهه . فيسجد قلبه . فيرفع وجهه من السجود ، فلا يدوم . فان القبلة التي سجد لها لا تدوم . والجهة التي سجد لها لا تدوم . فرفع لرفع المسجود له . وسجد القلب فلم يرفع . لانه سجد لربه : فقبلته ربه . وربه لا يزول . ولا ترتفع عن الوجود ربوبيته . فالقلب لا يرفع رأسه من سجوده أبدًا . لان قبلته لا ترتفع . — فهذا معنى السجود ! »

(فتوحات: ٢: ١٠١-١٠٢)

١٤٢) « الجواب : السجود الذي اسجدك » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥ب) .

« الجواب : بدؤ السجود ، الذي اسجدك ، تنوع الحالات وتغيراتها عليك . فنبهك ذلك على النظر في السبب الموجب لذلك . فطلبت ، فعلمت انك معلول . وكل معلول فلا قيام له بنفسه . فان المريض لا يمرض نفسه . وما كل ما تألم فيه من تغير الاحوال يرضيك . واذا لم يرضك فقد أمرضك . فلا بد من ممرض . ومن طلب الممرض فقد افتقر . فعلمت انك فقير . واذا افتقرت فهو كسر فقار ظهرك ، لم يتمكن لك ان ترفع رأسك . فانت موصوف بالسجود دائمًا . فهذا بدؤ السجود .

وان اراد بقوله : « ما بدؤه » يعني : ما بدؤه فيك ؟ اي ما هو اول شيء يعطيك السجود من منحه ؟ — فنقول : القربة . والقربة مؤذنة ببعد متقدم . وكل ذلك يؤدي الى الحد ، ولاحد : فانه « البعيد القريب » . فاعلم ان الهوية المسماة « بالبعيد القريب » هي التي أعطتك السجود ، وبدأتك بها منحة ؛ ولكن من كونها تسمى « بالبعيد القريب » . فنقلتك (الهوية) من النعت البعيد الى النعت القريب : فنقلتك من البعد الى القربة .

قال الله تعالى : « واسجد واقترب » . ولم يقل غير ذلك من الاحوال . فدل على ان أول شيء ينتجه السجود هو القربة . ثم بعد ذلك تعطى من مقام القربة ما يليق بالمقربين من الملائكة والنبيين . فتلك عوارف التقريب . والتقريب منحة السجود . والسجود منحة النظر في تغير الاحوال . والنظر في تغير الاحوال حكم تغير الاحوال . وتغير الاحوال

(السؤال الثالث ومائة) : وما قوله : « العزة[ز٣] ازاري (١٥٦ ب) » (١٤٣) ؟

كونك على « الصورة » : « كل يوم هو في شأن » . وكونك على « الصورة » كونك مظهراً للاسماء الالهية . وكونك مظهراً للاسماء الالهيـة أعطاك الرفعة . ولاتصافك بالرفعة أمرت بالسجود . فاعلم ا ه . (فتوحات : ٢ : ١٠٢)

١٤٣) « الجواب : القهر الذي تجده عند إدراك السر الذي به ظهور العالم » (الجواب المستقيم ، ورقة ١/٢٠) .

« الجواب : لما أنعم الحق على عباده ، حين دعاهم الى معرفته ، بالتنزل بضرب الامثال لهم ، ليحصلوا بذلك القدر ، الذي اراد منهم ، ان يعلموا منه . مثل قوله : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » لقوله : « الله نور السماوات والارض » . فجعل النور نفسه ، لانه خبر المبتدا ، اي صفته وهويته النور ، من حيث إنه الله النور . وأين نور المصباح من قوله : « الله نور » ؟

وكذلك الخبر : « ان الله تعالى اذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان » . وأين كلام الحق مقام من ضرب « سلسلة على صفوان » ؟ كذلك قوله : « العزة ازاري » . فأنزل نفسه لعباده منزلة من يقبل الاتصاف بالازار . وان مراده من علمهم به في مثل هذا ما يناسب الازار وما يستره الازار .

واعلم ان الازار يتخذ لثلاثة امور : الواحد للتجمل ؛ والثاني للوقاية ؛ والثالث للستر . والمقصود في هذا الخبر ، من الثلاثة ، الوقاية خاصة . لاجل قوله : « العزة » فان العزة تطلب هنا الامتناع من الوصول اليه . لان الازار يقي موضع الغيرة ان تطلع اليه الابصار .

ولما كانت العزة مثبة الحمى ان يتصف بها على الحقيقة خلق من المخلوقات ، او مبدع من المبدعات ، لاستصحاب الذلة للمخلوقات والمبدعات وهي تناقض العزة ؛ فلما اتزر الحق بالعزة منع العقول ان تدرك قبول الاعيان للايجاد ، الذي اتصفت به وتعينت لأعيانها ؛ فلا يعلم ما سوى الله صورة ايجاده ولا قبوله ولا كيف صار مظهراً للحق ولا كيف وصفه بالوجود ، فقيل فيـه : موجود ، وقد كان يقال فيه : معدوم — فقال الحق : « العزة ازاري » . اي هي حجاب على ما من شأن النفوس ان تتشوف الى تحصيله . ولهذا قال : « من نازعني واحداً منها قصمته » . فأخبر انه ينازع في مثل هذه الصفات ، التي لا تنبغي إلا له : مثل العزة والعظمة والكبرياء . — والعزة القهر ، الذي تجده ، عن ادراك السر الذي به ظهور العالم » . (فتوحات : ٢ : ١٠٢ — ١٠٣)

ز٣ العز ٧ .

(السؤال الرابع ومائة) : وما قوله : « العظمة ردائي » (١٤٤) ؟

١٤٤) الجواب : الامر الذي يمنعك من ادراكه عند الرؤية (الاصل: الرئة)» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ا) .

« الجواب : ان الله قد نبّه ان العظمة ، التي تلبسها العقول ، رداء يحجبها عن ادراك الحق عند التجلي . فليست العظمة صفة للحق على التحقيق ، وانما هي صفة للقلوب العارفة به . فهي عليها كالرداء على لابسه . وهي من خلفه تحجبها تلك العظمة عن الادلال عليه وتورثها الاذلال بين يديه . .

ومن الدليل على ان يوصف العظيم بالعظمة ، انه راجع الى العالم به لا اليه ، ان المعظّم اذا رآه من لا يعرفه لا يجد لذلك النظر في قلبه هيبة ولا تعظيماً ، لجهله به . والذي يعلم مكانته ومنزلته ، له على قلبه سلطان العالم به فيورثه ذلك العالم عظمة في قلبه . فهو الموصوف بالعظمة لا العظيم .

وقد ورد خبر ، ذكره ابو نعيم الحافظ في دلائل النبوة : « أن جبريل اخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : فأسرى به في شجرة فيها كوكري طائر . فقعد جبريل في الواحد وقعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الآخر . فلما وصلا الى السماء الدنيا — تدلّى اليهما شبه الرفرف ، درًّا وياقوتاً . فأما جبريل فغشي عليه . واما محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فبقي على حاله ، ما تغير عليه شيء . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : فعلمت فضل جبريل عليّ في العلم . لانهُ علم ما رأى وأنا ما علمتهُ » . فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل ، انما كانت من علمه بما تدلّى اليه . فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة . فهي حال للرائي لا للمرئي . ولو كانت العظمة حالاً للمرئي لعظّمهُ كلّ من رآه . والامر ليس كذلك .

وقد ورد في الحديث الصحيح : « ان الله يتجه يوم القيامة لهذه الأمة ، وفيها منافقوها ، فيقول : انا ربكم ! فيستعيذون منه ، ولا يجدون له تمكيناً ، وينكرونه لجهلهم به . فاذا تجلّى لهم في العلامة التي يعرفونه بها انهُ ربهم ، حينئذٍ يجدون عظمته في قلوبهم والهيبة » . — فلهذا قلنا في قوله : « العظمة ردائي » ، اي هي رداؤه الذي تلبسهُ عقول العلماء به . وجعلها رداء ولم يجعلها ثوباً ، فان الرداء لهُ كميّة واحدة والثوب مؤلف من كميات مختلفة ، ضم بعضها الى بعض ، كالقميص . وكذلك ايضاً الازار مثل الرداء . ولم يقل : السراويل ، لان ذلك اقرب الى الاحدية من الثوب المؤلف ، لتنوع الشكل » . (فتوحات: ٢ : ١٠٣)

(يتبع)

الرازي الطبيب الإكلينيكي

نصوص من مخطوطات لم يسبق نشرها

للدكتور ا . ز . اسكندر

مقدمة

إن تقويم أعمال أبي بكر محمد بن زكريا الرازي كطبيب إكلينيكي ، وهو الفن الذي قد اشتهر به ، قد أرسي على أسس ثابتة . فقد نُشرت وتُرجمت بعض قصص المرضى التي عُثر عليها في كتاب « الحاوي في الطب »[١] ، الذي أثبتنا أنه لا يعدو عن كونه مذكرات الرازي الخاصة[٢] . أما تقويمه في بقية فروع الطب ، فلن يكون صادقاً حتى تُحقق وتُنشر نصوص كتبه التي حُفظت في شتى مكتبات العالم . وكل ما نُشر حتى الآن من كتب الرازي الطبية ، التي تزيد في عددها على المائة ، هي كتاب « الجدري والحصبة »[٣] ، وكتاب

---

(١) يرجع الفضل في اكتشاف هذه القصص ، في مخطوط (Marsh 156) بمكتبة بودليانا باكسفورد (ورق ٢٣٩ ظهر – ورق ٢٤٥ ظهر) إلى المستشرق « براون » . وقد حقق نص القصة الأولى ، وترجمها إلى اللغة الانجليزية ، كما حاول تشخيص هذه الحالة المرضية. انظر :
E. G. Browne, *Arabian Medicine*, Cambridge, 1921, pp. 51-53.
وحقق نصوص الثلاث والثلاثين قصة الطبيب « مايرهوف » ، ثم حاول تشخيص كل منها ؛ ونشر النصوص المحققة مع ترجمة انجليزية . انظر :
M. Meyerhof, *Thirty-three clinical observations by Rhazes* (circa 900 A.D.), *Isis*, XXIII (1935) 321-56; (Arabic texts 1-14).

(٢) انظر :
A. Z. Iskandar, *A Study of ar-Râzî's Medical Writings with selected Texts and English Translations*, a Thesis submitted for the Degree of Doctor of Philosophy in the University of Oxford, 1959, part I, chapter IV, pp. 93-105.
وتوجد من هذه الرسالة ، التي تقع في جزءين ، نسخة بمكتبة بودليانا باكسفورد ؛ وأخرى بمكتبة :
Wellcome Historical Medical Library, London.

(٣) انظر :
J. Channing, *Rhazes de Variolis et Morbillis*, Arabice et Latine, London, 1766, pp. 1-201.

« الحصى في الكلى والمثانة »[١] والجزء الخاص بالتشريح من كتاب « المنصوري في الطب »[٢] ، وكتاب « بر، الساعة »[٣] ، وكتاب « دفع مضار الأغذية »[٤] ، وكتاب « الطب الروحاني »[٥] ، وبعض أجزاء من كتاب « الحاوي في الطب »[٦] ، وكتاب « محنة الطبيب »[٧] . وأما كتاب « المرشد أو الفصول » ، فهو وشيك الطبع[٨] .

وإن من يدرس كتب الرازي الطبية ، فكأنه قد درس الطب العربي كله أو جله ، حتى القرن الرابع الهجري ، بل وبعد ذلك ببضعة قرون . ففي

(١) انظر :
P. de Koning, *Traité sur le calcul dans les reins et dans la vessie*, par Abū Bakr Muhammed Ibn Zakarīyā al-Rāzī, traduction accompagnée du texte, Leyde, 1896, pp. 3-55.

(٢) انظر :
P. de Koning, *Trois traités d'anatomie arabes*, texte inédit de deux traités, traduction, Leyde, 1903, pp. 2-89.

(٣) ب. جبيج : « بر، الساعة لمحمد بن زكريا الرازي » ، مجلة المشرق ، العدد ٩ ، سنة ١٩٠٣ ، ص ٣٩٥–٤٠٢ ؛
P. Guigues, *La guérison en une heure de Rhazès*, *Janus archives internationales pour l'histoire de la médecine et la géographie médicale*, 1903, pp. 363-70; 411-18; — id., *La guérison en une heure de Rhazès*, texte arabe avec notes, Beyrouth, 1903.

(٤) « كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها » ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية بمصر ، سنة ١٣٠٥ هـ .

(٥) ب. كراوس ، « رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازي مع قطع من كتبه المفقودة » ، الجزء الأول : مطبوعات جامعة فؤاد الأول ، سنة ١٩٣٩ ، ص ١٥–٩٦ . وانظر الترجمة الانجليزية في كتاب :
J. Arberry, *The Spiritual Physic of Rhazes*, translated from the Arabic, London, 1950.

(٦) كتاب « الحاوي في الطب » ، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي : الطبعة الأولى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد – الدكن ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م وما يليها .

(٧) ا. ز. اسكندر ، « كتاب محنة الطبيب للرازي » ، مجلة المشرق : العدد ٥٤ : سنة ١٩٦٠ ، ص ٤٧١–٥٢٢ .
وقد أشرنا في هذا المقال (ص ٤٧٦–٤٧٧) إلى طبعات لبعض كتب الرازي ، بلغات أجنبية .
كما أشار الطبيب محمود نجم آبادي في مقال عنوانه : « كتاب المنصوري للرازي » إلى طبعات لكتاب « المنصوري » ، بلغات أجنبية .
انظر مجلة الدراسات الأدبية : الجامعة اللبنانية ، العدد ٢ ، سنة ١٩٦١ ، ص ٢١٧–٢١٨ .

(٨) « كتاب المرشد أو الفصول » ، تقديم وتحقيق ا. ز. اسكندر . وستتولى الادارة الثقافية – جامعة الدول العربية – نشره قريباً .

كتب الرازي تلخيص أمين للطب اليوناني المترجم ، والطب العربي المعاصر لزمانه .

وكان الرازي ينسب كل ما ينقله من معلومات إلى أصحابها ، ويذكر الباب أو الفصل الذي استمد منه المادة ، ثم يميز آراءه الخاصة وخبراته الشخصية بلفظة « لي » ، فهو يقول مثلاً في كتاب « الحاوي في الطب » :

« لي :

المرض لا يقتل في وقت ابتدائه ، لأنه لم يبلغ إلى الطبيعة ، ولا في وقت انحطاطه ، لأنه حينئذ قد قُهر وغُلب ، وليس يكون في هذين الوقتين موت ، إلا لعلة واردة .

جالينوس لما أراد أن يعلم كيف يُتعلَّم البُحران ، اضطر في ذلك إلى أن يُعلِّم أولاً أوقات الأمراض . واضطر في تعليم أوقات الأمراض إلى أن يعلِّم الاستدلال على تعرّف نوع المرض منذ أول ابتدائه ، والاستدلال على النضج وعدمه . لأن الأمراض منها طويلة [1] ومنها قصيرة ، لأن النضج لا يكون إلا بالقرب من المنتهى . فخص أكثر « المقالة الأولى » من كتاب « البُحران » بأوقات الأمراض ، و « الثانية » بتعرف أنواع المرض ، و « الثالثة » بعرض في « البحران » [2].

بقراط والرازي :

إن طريقة الرازي في دراسة مرضاه ، وفي تسجيل وصف دقيق لحالاتهم هي إحياء لطريقة بقراط ، بعد أن ظلت كامنة زهاء أربعة عشر قرناً . وكان الرازي يؤمن بأهمية دراسة الحالات المرضية دراسة تحليلية لتفهم ما تتضمنه العلامات وما تدل عليه الأعراض وأيام البُحران وغيرها ، مما يسجله من مشاهدات أثناء سير المرض .

وقد كتب في مذكراته الخاصة مؤكداً أن الفائدة التي سيجنيها شخصاً ستكون عظيمة ، لو أنه درس قصص مرضاه التي سجلها بكل دقة ، دراسة

(١) طويلة : + طويلة .

(٢) مخطوط Marsh 156 (بودليان) ورق ٣١٤ ظهر س ١٣–٣١٥ وجه س ١ .

مقارنة مع قصص مماثلة، ذكرها بقراط في كتابة « ابيذيميا »[(١)].

وهناك دليل مادي على أن الرازي كان يسترشد في طرق العلاج ببقراط. ففي النص التالي، المأخوذ من مذكرات الرازي الخاصة، يقتبس الرازي جزءا من تفسير جالينوس لكتاب « الفصول » لبقراط، فيكتب ما تدل عليه الاستفراغات من كمية الأخلاط الفاسدة، ثم يقترح علاجات، ويؤكد بعد ذلك ان من واجب الطبيب ان يسهر على حفظ قوة العليل اثناء المرض، إذا أراد ان يقتدي ببقراط في طريقه العلاج. يقول الرازي :

« الثانية » من « الفصول » :

متى اندفعت إلى بعض الأعضاء فضلة كالخوانيق، او الجراجات والبثور، فانظر :

فإن كان ما يبرز من البدن مراريا، فاعلم ان الدم كله ردي، وفي البدن أخلاط رديّة ؛

وإن كان ما يبرز من البدن كالذي يبرز من الأصحاء، فاعلم ان جميع ما كان في الدم من الرداءة، هو ما قد دفعه.

فتقدم في هذه الحال على تغذية البدن بثقة.

لي :

اما في الحال الأولى، فانه يحتاج الى استفراغ، لينقي الدم مما فيه، فأما في هذه الحال، فلأنّ الدم جيد نقي، فهو يحتاج الى تقوية القوة.

لي :

ان اردت ان تكون بقراطياً صحيحاً، فعليك بحفظ القوة جهدك.

قال :

بقراط يصرف اكثر عنايته في الأمراض الى حفظ القوة ؛ اذا ضعفت لم يعن العلاج شيئاً »[(٢)].

(١) انظر نفس المخطوط السابق ورق ٢٣٩ ظهر.
انظر أيضاً مقال :
M. Meyerhof, *Thirty-three clinical observations by Rhazes* (circa 900 A.D.), *op. cit.*, p. 332.

(٢) مخطوط Bod. Or. 561 (بودليانا) ورق ٢٠٦ ظهر س ٦–١٠.

وهذان نصان من كتاب « الحاوي في الطب » . ويطابق رأي الرازي فيها رأي بقراط في اهمية حفظ قوة العليل . ويستشهد الرازي بالتجربة على ما كتبه فيقول :

« لي :

اما جودة الدلائل، فلا تثق بها إلا بالنظر[١] في المنتهى . واما الرديّة فلا تحكم فيها حكم ثقة إلا مع إسقاط القوة . واجعل هذا اصلاً وعماداً .

لي :

رأيت رجلاً ليس يظهر فيه من علامات الهلاك شيء البتة، الا الإسقاط من القوة جداً، حتى انه لا يتحرك إلا بجهد، فمات من غد .

واجعل هذا اعظم الدلائل الرديّة »[٢] .

« لي :

على ما رأيت وجربت[٣] ...

واعلم ان فيما ينبغي ان تنظر فيه وأنفعه، ان تتفقد[٤] بعناية شديدة وحدس مقرب مقدار القوة ومقدار زمان النضج .

وافعل ذلك من اول ما ترى المريض . فإن رأيت ان يكون [النضج] قبل ان يقدر جواز القوّة، فثق بالسلامة ؛ وبالضد »[٥] .

ويقول الرازي في كتاب « المرشد او الفصول » :

« القوة للعليل كالزاد، والمرض كالطريق . ولذلك يجب ان يعنى الطبيب كل العناية بأن لا تسقط القوة قبل المنتهى »[٦] .

جالينوس والرازي :

من المحقق ان كتب جالينوس كان لها الأثر الكبير في تكوين الرازي

(١) بالنظر : النظر.

(٢) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٢٠ ظهر س ٣—٧ .

(٣) نفس المخطوط السابق، ورق ١٩ ظهر س ٨ .

(٤) تتفقد : تفقد .

(٥) نفس المخطوط السابق ، ورق ١٩ ظهر س ١٥—١٧ .

(٦) مخطوط رقم ٣٧٢٤ بمكتبة جامع أياصوفيا ورق ٤٠ وجه س ٢—٣ ؛ مخطوط رقم ٥٩٤ طب طلعت بدار الكتب المصرية ورق ٥٢ ظهر س ٦—٧ .

الطبيب . وهذا امر طبيعي . فاي مشتغل بعلم من العلوم، او فن من الفنون يسعى سعياً حثيثاً لتحصيل ما جناه أسلافه من ثمرات، ودراسة ما تقدموا به من نظريات . وقد عثرنا في مخطوطات الرازي التي قرأناها في فترة اربع سنين، على نصوص من كتب جالينوس، تزيد في مجموعها على ما نقله الرازي من كتب الاطباء الآخرين . فقد ورد في كتب الرازي — من تآليف جالينوس — ذكر كتب «اجزاء الطب» (١)، و «اختصار حيلة البرء» (٢)، و «أدوار الحميات وتراكيبها» (٣)، و «الأدوية الموجودة في كل مكان» (٤)، و «الأدوية المفردة» (٥)، و «الأدوية المقابلة للأدواء» (٦)، و «أزمان الأمراض» (٧)، و «الاسطقسات» (٨)، و «اصناف الحميات» (٩)، و «أغلوقن» (١٠)،

---

(١) مقالة واحدة : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣١ (رقم ٦١) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ٥ .

(٢) مقالتان : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣٤ (رقم ٧٠) .

(٣) مقالة واحدة : انظر نفس المرجع السابق ، ص ٣٢—٣٣ (رقم ٦٥) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ١٠ .

(٤) مقالتان : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣٧—٣٨ (رقم ٨٠) .

(٥) إحدى عشرة مقالة : انظر نفس المرجع السابق ، ص ٢٩—٣٠ (رقم ٥٣) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٨ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٦ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ س ١٨ .

(٦) مقالتان : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣٨ (رقم ٨١) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٨ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٧ ؛ ابن أبي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٨ ، س ٢٣—٢٤ .

(٧) مقالة واحدة : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣٠ (رقم ٥٥) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ ، س ٢٩ .

(٨) مقالة واحدة : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٩ (رقم ١١) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٣ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ٧ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ص ٩٢ س ٢ .

(٩) مقالتان : انظر برجستراسر — حنين ، ص ١٥ (رقم ١٧) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٧ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ص ٩٧ س ١٠ .

(١٠) يقول حنين بن اسحق (برجستراسر — حنين ص ٦—٧ (رقم ٦) : إن أطباء الاسكندرية قد اختاروا من بين كتب جالينوس الستة عشر ورتبوها سبع مراتب وسميت المرتبة الأولى «المدخل إلى الطب» : وهي تشمل كتاب «الفرق» ؛ وكتاب «الصناعة الصغيرة» ، وكتاب «النبض الصغير» ، وكتاب «اغلوقن» ... واغلوقن اسم علم يوناني ، ويظهر أن جالينوس أهدى كتابه إليه . والكتاب يبحث في شفاء الأمراض .

انظر أيضاً ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ١٠٦ س ١—٢١ .

و « الامتلاء »[١] ، و« ان الطبيب الفاضل فيلسوف »[٢] ، و« الأورام »[٣] ، و« ايام البُحران »[٤] ، و« البُحران »[٥] ، و « تدبير الأمراض الحادة »[٦] ، و « التدبير الملطف »[٧] ، و « تركيب الادوية »[٨] ، و « الترياق الى فيسن »[٩] ، و « تعرُّف علل الأعضاء الباطنة »[١٠] ، و « تفسير كتاب ابيذيميا »[١١] ، و « تفسير كتاب الأخلاط »[١٢] ، و « تفسير كتاب تدبير

---

(١) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٠–٣١ (رقم ٥٦) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٥ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٥ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ ، س ٣٠–٣١ .

(٢) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٤ (رقم ١٠٣) ؛ الفهرست ص ٢٩١ س ٣ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٠ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ٢٩ .

(٣) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣١ (رقم ٥٧) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٩ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٦ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ السطر الأخير .

(٤) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٦ (رقم ١٩) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٨ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٣ س ١٧ .

(٥) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٥–١٦ (رقم ١٨) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٧ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٣ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٣ س ١٥ .

(٦) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٦ (رقم ٧٨) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٦–٢٧ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٥ ؛ ابن ابي أصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٨ س ٤ .

(٧) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٦ (رقم ٧٥) ؛ الفهرست ص ٢٩١ س ٢٤–٢٥ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٤ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ٣١ .

(٨) سبع عشرة مقالة . وتسمى السبع مقالات الأولى باسم « قاطاجانس » ، وأما العشرة مقالات الأخرى فيطلق عليها اسم « الميامر » .

انظر : برجستراسر – حنين ، ص ٣٦–٣٧ (رقم ٧٩) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٧–٢٨ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٧–٨ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٨ س ٥ .

(٩) ويسمى هذا الكتاب « الترياق إلى قيصر » ، وهذا خطأ شائع . – مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٨–٣٩ (رقم ٨٣) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ في السطر الأخير – ص ٢٩١ س ١ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٩ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٨ س ٢٥–٢٦ .

(١٠) ويسمى هذا الكتاب أيضاً « الأعضاء الآلمة » . – ست مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٢–١٣ (رقم ١٥) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٥–٢٦ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٠ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٢ س ٢٥ .

(١١) كتب جالينوس ثلاث مقالات في تفسير الجزء الأول من كتاب « ابيذيميا » ؛ وثلاث مقالات في تفسير الجزء الثاني ؛ وست مقالات في تفسير الجزء الثالث ؛ وثمان مقالات في تفسير الجزء السادس . ولكنه لم يكتب في تفسير الجزء الرابع ، والخامس ، والسابع لأنه رأى أن هذه الأجزاء ليست من تأليف بقراط ، وهي منسوبة إليه .

انظر : برجستراسر – حنين ، ص ٤١–٤٢ (رقم ٩٥) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٤ ؛ ابن القفطي ص ٩٤ س ١٦ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ١٠–١٣ .

(١٢) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٢ (رقم ٩٦) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٧–١٨ ؛ ابن القفطي ص ٩٤ س ١٩–٩٥ س ٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ١٣ .

الامراض الحادة »[١] ، و « تفسير كتاب تَقدمة المعرفة »[٢] ، و « تفسير كتاب الفصول »[٣] ، و « تفسير كتاب قأطيطريون »[٤] ، و « حركة العضل »[٥] ، و «حيلة البرء »[٦] ، و « الصناعة الطبيّة »[٧] ، و «العروق»[٨]، و« العضل »[٩]، و« العلامات او الدلائل »[١٠]، و« علامات الموت السريع »[١١]، و « العلل والأعراض»[١٢]، و « الفِرَق »[١٣]، و « الفَصْد »[١٤] و « قوى

(١) خمس مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤١ (رقم ٩٢) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٢–١٣ ؛ ابن القفطي ص ٩٤ س ١٤–١٥ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ٥ .

(٢) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص٤٠–٤١ (رقم ٩١)؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١١–١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ٤–٥ .

(٣) سبع مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٠ (رقم ٨٨) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٠–١١ ؛ ابن القفطي ص ٩٤ س ١١–١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ٢–٣ .

(٤) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٣ (رقم ٩٨) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٨–١٩ ؛ ابن القفطي ص ٩٥ س ٢–٣ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ١٤–١٥ .

(٥) مقالتان : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٢٥ (رقم ٣٩) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٢ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ٦–٧ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٥ س ٢١ .

(٦) أربع عشرة مقالة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٦–١٩ (رقم ٢٠) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٣–١٤ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٣ س ٢١ .

(٧) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٥–٦ (رقم ٤) .

(٨) مقالة واحدة : انظر نفس المرجع السابق ص ٩ (رقم ١٠) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩١ س و ٢٩ .

(٩) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٨ (رقم ٨) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٢ س ٢٠ .

(١٠) يظهر أن هذا الكتاب منسوب إلى جالينوس. وجاء ذكره في مخطوط Marsh156 (بودليانا) ورق ٢٦ وجه س ١٠ ؛ ونفس المخطوط ورق ٤٩ ظهر س ١٥–١٦ ؛ وفي كتاب «الحاوي في الطب» ، طبعة حيدر آباد سنة ١٩٥٥ ؛ الجزء ١ ، ص ٢١٩ س ١١ .

(١١) مقالة واحدة : انظر ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ١٠٢ س ١٨ . ويظهر أنّ هذا الكتاب هو نفس الكتاب السابق .

(١٢) ست مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١١–١٢ (رقم ١٤) ؛ الفهرست ص٢٨٩ س٢٤–٢٥ ؛ ابن القفطي ص١٢٩ س٩ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٢ س١٦ .

(١٣) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤–٥ (رقم ٣) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢١ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ٤ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٠ س ٢٨ .

(١٤) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٤–٣٥ (رقم ٧١) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٢ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ٢٦ .

الاغذية »[1] ، و « المحنة التي يعرف بها أفاضل الاطباء »[2] ، و « المرة السوداء »[3] ، و « المزاج »[4] ، و « منافع الاعضاء »[5] ، و « منفعة النبض »[6] ، و « النبض »[7] ، و « نوادر تقدمة المعرفة »[8] .

ودراسة الرازي في علم التشريح مستقاة من كتب جالينوس ، اما تقسيمه لأجناس الحميات الى « حمى مرض » ، و « حمى عَرَض » ، فهو ثبت برأي جالينوس ثم نقده ، وبيان خطئه وتصحيحه ، ثم الإضافة اليه حسبما يرى الرازي شخصياً انه الصواب . . يكتب الرازي في « كتاب الحاوي » ، في القسم الخاص بدراسة الحميات :

« جمل في الحميات عام ، والاحتراس منها ، والاستعداد ، والحميات المخلطة ، وطريق تغذية المحموم ، والورم في الأحشاء ، وشيء من سقي[9] الماء البارد والمليلة .

قال جالينوس في المقالة الثانية من كتاب « البُحران » :

ينبغي لك في كل حمى ان تميز وتعلم اولاً هل حماه من قبل ورم في بعض الاعضاء ، او من قبل عفونة ، او من قبل سخونة الروح .

---

(١) ثلاث مقالات : انظر برجيتراسر – حنين ، ص ٣٥ (رقم ٧٤) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٤ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ٣٠ .

(٢) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٦ (رقم ١٠٢ أ) ؛ الفهرست ص ٢٩١ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٣ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ١٠٠ س ٩ .

(٣) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٢ (رقم ٦٤) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٠ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٨–١٩ .

(٤) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٠ (رقم ١٢) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٣–٢٤ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ٨ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٢ س ٧ .

(٥) سبع عشرة مقالة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٢٧–٢٨ (رقم ٤٩) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٦ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ س ٦ .

(٦) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٢٥ (رقم ٤١) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٢–١٣ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ٩ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٥ س ٢٥ .

(٧) ست عشرة مقالة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٣–١٥ (رقم ١٦) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٦ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٠–١١ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٣ س ١ .

(٨) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٤ (رقم ٦٩) .

(٩) سقى : بقى .

لي :

قد ترك ذكر الدِّق ، وفعل ذلك من اجل انها لا تحدث ابتداء ، وانما يُحتاج ان تُعرَف في الابتداء .

هذا الذي ذكره(١) فقط ؟

قال :

اول فصول الحميات ان بعضها يكون عن ورم يحدث في بعض الاعضاء ، وبعضها بلا ورم .

لي :

هذا تحقيق رأينا في انّا قسمنا الحميات اولاً قسمين ، فقلنا :

الحميات إما مرض ؟

وإما عَرَض .

فالعَرَض ما حدث عن الأورام . فالقسمة الصحيحة التامة : ان الحميات جنسان اولان ؟ إما ورمية ، وإما بلا ورم .

وتحت الورمية انواع كثيرة ، كالحميات الحادثة عن ورم الغشاء الذي على الدِّماغ ، والدِّماغ ، والحادثة عن ورم الرئة ، والحجاب ، ونواحي الصدر ، والحادثة عن ورم المري‌ء ، والمعدة ، والأمعاء(٢) ، والحادثة عن ورم الكلي والمثانة ، والحادثة عن ورم في الأذن والنخاع ، والحادث عن ورم في اللحم الرخو في جميع البدن .

واما التي لا ورم معها ، فثلاثة اجناس : الدِّق ، والعفنية ، وحمى يوم .

والدِّق ثلاثة انواع : مجففة ، وذبولية ، ومفتتة .

وحمى يوم : السهرية ، والغمية ، والتخمية ، والتعبية ، والحادث عن احتراق في الشمس ، او عن شدة البرد ، او الاستحمام بالماء القابض ، والحادثة عن الغضب ، والحادثة عن الفزع ، والحادثة عن شرب الشراب ، والحادثة عن طعام حار ، ونحو ذلك .

يستقصى ما تختلف انواعه فقط .

(١) ذكره : ذكرها .

(٢) والأمعاء : + الحادثة عن ورم الرئة والحجاب ونواحي الصدر

والعفنية فهي سبعة انواع ، غبين : لازمة ودائرة ، وبلغميتين : لازمة ودائرة ، وربعين : لازمة ودائرة ، ودموية .

جالينوس لا يعد حمى عفن الدم في العدد مفردًا ، لأنه عنده حمى صفراء ، لأن الدم اذا عفن صار صفراء.. ولذلك قال: ان سونوخس هو من عفن الصفراء داخل العروق ، وهو ضرب من المحرقة الغير المفترة .

والغبّ اللازمة نوعان : منها ما يفتر قليلًا في وقت ، ومنها [ما] لا يفتر. وهذا النوع هو سونوخس على ما ذكر جالينوس في هذه المقالة في هذا الكتاب.

وهذه الغير مفترة ، ثلاثة انواع : إما باقية بحالها منذ اول حدوثها الى ان يجيئ البُحران ؛ وإما متزيدة من اول حدوثها الى ان يجيئ بُحران ؛ و إما منتقصة من اول حدوثها الى ان يجيئ البُحران .

وقد تكون حميات من بلاغم غليظة جدًا ، وهذه تنوب خمسًا وسدسًا ، وربما ثابت كل شهر يوماً . ومن هذه ما يُقبل السخونة ومنها ما لا يُقبله ، فيكون نافض او برد فقط ، لا سخونة تعقبها .

ومن الحميات نوع آخر يكون في الأبدان التي في حوالى معدتها ، ومعدها حرارة كثيرة نارية ، فإن هذه كلما[1] يغتذي يحم. والفرق بينها[2] وبين الدق ان الدق تثبت،وهذه ينقضي امرها. وهي حمى لينة لا برد معها،تنحط مع انحطاط الغذاء.

فاما ايفيالوس وليفوريا[3] ونحوها ، فانها مركبة .

قال :

متى كانت الكيموسات العفنة في داخل العروق ، كانت[4] الحميات دائمة. ومتى ثارت وانتشرت في البدن ، كانت الحميات في ابتدائها نافض او اقشعرار قوي ، وفي آخرها عرق وأقلعت .

قال :

اجناس الحميات العفنة ثلاثة،وذلك ان الدم اذا عفن فقد مال الى الصفراء..

---

(١) كلما : كذ .

(٢) بينها : بينهما .

(٣) ايفيالوس وليفوريا : اسالس ولـوريا . انظر كتاب القانون لابن سينا (طبعة روما) سنة ١٥٩٣ الجزء ٢ ص ٢١ ، ٢٣ .

(٤) كانت : وكانت .

قال :

ومفتاح تَعَرُّف جميع انواع الحميات المركبة التي معها اورام، والتي لا اورام معها ، العلم بالحميات الثلاث المفردة .

جالينوس :

هذه الحميات العفونية :

إثنان بلغمية : لازمة ودائرة ؛

وإثنان سوداوية : لازمة[١] ودائرة ؛

وثلاثة صفراوية : لازمتان وهما المحرقة والمُطبِقة ، ونائبة وهي الغِبّ ، لانه يرى ان الدم اذا عفن فهو صفراء ، والحق يوجب ان نُعَدّ[٢] الذي من عفن الدم على حدة ، لأن بين الدم اذا عفن وبين الصفراء اذا عفنت بوناً بعيداً. وانه ليتبين في الحمى المحرقة حدة ويبساً ، وحرارة اكثر مما يتبين في سونوخس كثيراً »[٣] .

وفي النص التالي يرى الرازي ان ما كتبه جالينوس في الحميات المركبة ناقص ويقرر ان يبحث الامر ويدونه . يقول :

« وينبغي ان ننظر : هل تتركب الدِّق مع الحميات المركبة ؟ فان الامر في تَعَرُّفها حينئذ أعسر ، ولم يذكر جالينوس ذلك ، فينبغي ان نبحث عنه ونحرره ، ويكتب في « الجامع »[٤] .

وكان الرازي يؤمن بالتقدم العلمي : يؤدي واجبه بأمانة ، ويرشد الى الموضوعات العلمية التي تحتاج الى استقصاء ، مؤملاً ان يتكاتف العلماء لبناء صرح العلم . فبعد ان جمع مشاهدات الاطباء الذين سبقوه ، في وصف اصناف الرسوب التي تتكون في البَوْل ، والتي منها يمكن الاستدلال على نوع العلة ، يقول الرازي :

(١) لازمة : ولازمة .

(٢) نعد : يفدا .

(٣) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٥٤ وجه س ١٩ — ورق ٥٥ ظهر س ٣ .

(٤) نفس المخطوط السابق ورق ٢٣٨ وجه س ٧–٩ .

« لي :

قد اصلحت انا هذا، وينبغي ان يصلح اكثر من هذا ، حتى تتميّز اصناف الرسوب كله بعلامات صالحة واضحة ، ان شاء الله تعالى »[1].

نقد في اساطين الطب :

مذكرات الرازي الخاصة حافلة بنصوص ينقد فيها آراء كثير من الاطباء. ففي النص التالي مثلاً ، لا يقبل الرازي رأياً بقراطياً ، ولكنه يحترم ذلك الرأي ، لا لأن بقراط هو صاحبه ، بل لأن قائله أيد رأيه بذكر حالة مرضية شاهدها . وأصر الرازي على التحقق بالتجربة من صحة ذلك الرأي او بطلانه، بفحص حالات اخرى ، فامتنع بذلك عن قبول قول او قاعدة عامة مبنية على مشاهدة واحدة . يقول الرازي :

« مسائل ابيذيميا : المقالة الاولى :

الثُفل الأحمر اذا كان أملس ، أدل على النضج من الأبيض ، اذا كان غير أملس .

لي :

ننظر في هذا ، ونتفقّد ايضاً بالتجربة . وذلك عندي باطل ، لأن البياض يدل على انه قد تشبّه بجملة طبع الاعضاء الاصلية ، فان كان [احمر] ، فلم[2] يكمل الفعل فيه .

لكن حكى ذلك في مثال مريض ، فينبغي ان نتفقد بالتجربة »[3].

وفي النص التالي ايضاً يمتنع الرازي عن قبول قول عام استخلصه حنين بن اسحق من مشاهدة واحدة:

« من استخراج حنين :

الملاسة والجراشة في الثُفل عظيم القوة ، فــان فلاناً في «ابيذيميا » كانت غمامته حمراء ملساء وتخلّص ، وفلاناً غمامته[4] جريشيه ، فهلك .

---

(١) نفس المخطوط السابق ، ورق ٤٣٣ وجه س ٦ .

(٢) فلم : لم .

(٣) نفس المخطوط السابق ، ورق ٤٢٩ ظهر س ٥–١٠ .

(٤) غمامته : غمامة .

لي :

ينبغي ان ننظر في هذا ، ولا نتكل على هذا المثال الواحد »[1] . وهذا نص آخر ينقد فيه الرازي رأي بقراط في سبب عَرَض يصاحب مرض الاستسقاء :

« اذا عرض للمستسقي سُعال بلا سبب موجب السُعال ، كالنزل وغيره ، ولكن من نفس علته لغلبة الماء. وكثرته ، فانه هالك. وذلك انه يدل [على] ان الماء قد بلغ الى قصبة الرئة ، وأشفى على الاختناق .

لي :

هذا قول سمج . وذلك ان الماء تحت الحجاب ، فكيف يبلغ قصبة الرئة؟

ولكن الأولى في ذلك ان كثرة الماء لما يزحم الحجاب جداً ، فيضيق لذلك النفس ويهيج السعال . يظن العليل ان ذلك ينفعه ، كالحال في سُعال الكبد »[2] .

وفي النص التالي يتفق الرازي في الرأي مع بقراط ولكنه يخالف جالينوس. يقول بقراط ان هناك حمى تنوب كل تسعة أيام ، ولكن جالينوس ينكر ذلك لانه — بالرغم من طول عهده بالطب — لم يشهد مثل هذه الحمى . وأما الرازي ، فانه يؤكد انه فحص مريضاً مصاباً بحمى تنوب كل تسعة ايام . ولم يتشكك في تشخيصه لهذه الحمى ، بالرغم من إنكار جالينوس لوجودها . والنص التالي من مذكرات الرازي الخاصة :

« قال جالينوس :

اني لم ار حمى تدور سبعاً وتسعاً . ولم يرتض قول بقراط فيه ، لانه لا يمكنه ان يقول من اي خلط هي ؟

قال :

واذا كان انسان يعود المرضى من صباه ، ولم ير هذا ، فله ان يدفعه .

لي :

قد رأينا نحن حمى تنوب في كل تسعة ايام ، [و] في كل شهر نوبة

(١) نفس المخطوط السابق ورق ٤٧٢ وجه س ١٧–٢٠ .

(٢) مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٤٦ ظهر س ١٩–٤٧ وجه س ٥ .

واحدة . فأما التي تنوب في كل شهر ، فانها تنوب في كل شهر مرة . ويصاحبها صَرَع .

وليس لأن لا يدري من اي خلط تكون ، ما يبطل ان توجد هذه »[1].

وفي النص التالي يجد الرازي الشجاعة الكافية ليصحح جالينوس في تشخيصه لحمى اصابت جالينوس نفسه ..

« قال جالينوس :

قد عرض مرات ان حممت من إعياء ، فعرض لي معه سُعال يابس يسير ، كما يقول بقراط ، وسبب ذلك هو فساد مزاج آلات النفس . وهو سعال يسير لا نفث معه ، خفيف غير ردي. .

لي :

هذا الإعياء هو تعبي ، لا الكائن من ذات نفسه ، لأن ذلك يكون من فساد الأخلاط والامتلاء . وجالينوس شديد التحفظ من ذينك جدًا »[2].

وهذا نص آخر لا يوافق الرازي فيه ابدًا على رأي جالينوس في استخدام التدليك مع الحرمان من الطعام ، في علاج المحمومين ، والذين تنشأ حماهم من خلط البلغم . ويقول : ان التدليك مع الحرمان من الطعام ، يؤديان حتماً الى موت العليل . واما برهانه على سوء هـذا العلاج ، فانه مستمد من خبرته الإكلينيكية ، فقد شاهد مريضاً اتبع ذلك العلاج ، فمات . ويبدي الرازي رأيه بما يجب ان يكون عليه العلاج ، وكيف يكون الجمع بين التدليك وتدبير الغذاء ، فيقول :

« وأشار [الإسكندر] في الدلك كما قال جالينوس .

قال :

وليكن الدلك في شدته ولينه ، وكثرته وقلته ، بحسب [قوة المريض] ، فاذا كانت القوة ثابتة ، فان الدلك الشديد العنيف يبرئه سريعاً لكثرة استفراغه . واما اذا كانت القوة ضعيفة ، فلا .

(١) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٩٢ ظهر ٢١–٩٣ وجه س ٣ .
(٢) نفس المخطوط السابق ورق ١٣١ ظهر س ١٣–١٨ .

وجملة، ان الدلك والمنع من الغذاء. وتلطيفه يكون بحسب حال القوة. فما امكنت القوة من ذلك، كان اسرع لبرء العليل.

لي:

قول الإسكندر هذا فيمن يحم من بلغم في كثير، وان كان لا يغشى عليه، وفيمن يغشى عليه.

قال:

وقد أمر جالينوس بالدلك، ووصل ذلك بالصوم، والاقتصار على ماء العسل والزوفا.

وليس هذا فعل عالم بالطب. وقد رأيت رجلاً هلك من دوام الدلك والتصريح، وذلك ان طبيبه امر رجالاً يتداولونه بالدلك وصومه اياماً، فأسقط قوته، فهلك.

وأما انا، فآمر ان يكون الدلك قليلاً، وليُعطَوا بعد ذلك غذاء كيلا تسقط القوة، نحو الخبز المبلول بشراب، وخاصة اذا كانت القوة ضعيفة. وإلا، فماء الشعير، فان بهذا التدبير يهلك البلغم البتة»[1].

وفي وصف لأبوال المصابين بحمى الدق، اي السل، يصف الرازي قول جالينوس بأنه خطأ، ويبين لماذا لا يمكنه قبول هذا الرأي. ثم يقر اشياء اخرى قالها جالينوس، لان الرازي ابصرها في أبوال مرضاه. والنص التالي من مذكرات الرازي الخاصة:

« وقال:

اول مراتب الدق ان يكون فوق الماء شيء كأنه ضباب، وذلك لأن الحرارة قد اذابت شيئاً من الشحم، إلا انه قليل.

والثانية ان يطفو فوق الماء دُهن. وذلك يكون اذا جاز الأمر، وذلك الى ان يذيب من الشحم شيئاً له مقدار يرى اذا طفا، دُهناً مجتمعاً.

والمرتبة الثالثة ان يكون ثُفل كرسني، وذلك انما هو قطع اللحم، لان

(١) نفس المخطوط السابق، ورق ٧٣ وجه س ١٤-٧٣ ظهر س ٣.

اللحم لا يجيب[1] الى الذوبان ، [بل] ينفرد . ولأن نواحيه تذوب عنه حتى يصير مستديراً ، لطول مدة انحداره .

فاذا انحدرت في البول حباً كحب الذرة بيض ، فان ذلك من العروق . والدليل على ذلك بياض لونها .

فاذا خرجت شيئاً شبيهاً بسحالة الحديد ، ابيض اغبر ، فانه من العظام .

لي :

لم ارقط هذا التزول في أبوال الذابلين ، والذي عندي ان ذلك خطأ ، لا يكون ابداً .

لأن جرم القلب ارطب من العروق والعظم ، فاذا بلغت الحرارة ان تدهمها ، فهي الى ان تذيب جرم القلب اولى ، والموت قبل ذلك .

قال :

ومن الثفل لون شبيه بالشعر ، ويكون ذلك من مادة غليظة تندفع في مجاري ضيقة فيستطيل ..

لي :

هذه تكون ، وقد رأيته ، وقال جالينوس انه لا بأس على صاحبه »[2] .

لقد قبل الرازي بعض ما يقوله جالينوس وغيره من الاطباء ، ولكن بشرط ان تزيد الخبرة العملية ذلك القول . ونورد النصين التاليين تأييداً لرأينا في ان مادة الكتب لم تكن القول الفصل في قبول او رفض المعرفة :

« لي :

قد بيّن جالينوس ان الابدان الحارة المزاج ، اللطيفة التدبير ، النحيفة ، لا يكاد يرسب في بولها شيء ، وبالضد .

ورأيت انا ذلك بالتجربة كذلك .

وذلك اني رأيت السمان الجسام ، في ابوالهم ابداً رسوب كثير ، يفزع الجاهل من الاطباء . وذلك لهم بالطبع . والنحفاء ، لا يكاد يرسب لهم

(١) يجيب : يجب .

(٢) نفس المخطوط السابق ، ورق ٤٣١ ظهر س ١٧–٣٢٢ ؛ وجه س ٧ .

شيء. وقد تعاهدت ذلك في الامراض كثيرًا، فلم أر بتة نضجًا، ولا منتهى إلا برسوب»[١].

« لي :

صح عندي ما قرأته في كتاب « الأغذية » وغيره، ان « اطراقوطولس »، هو « القرطم البري » — وهو الذي يذكر ديسقوريدس انه ان امسكه[٢] الملدوغ بيده، سكن وجعه. فان طرحه، عاد.

وهو يُعَدّ في اصناف الشوك مثل « الخَرْشَف »، و « القَتَاد »، ونحوها.

فاعرفه أنت انه يشبه « القُرْطم »، وما وصف ديسقوريدس من علامته.

واستقصى صفته ان شاء الله »[٣].

ونكتفي بهذا القدر من النصوص التي خالف فيها الرازي اساطين الطب، ونشير الى ان كتبه حافلة بما يثبت اعتداده برأيه، واعتماده على التجربة والخبرة، دون التمسك بأقوال الاطباء. وما جاء في كتبهم.

الرازي يصحح اخطاءه :

كان الرازي لا يخشى الاعتراف بالخطأ، فاذا اقتنعه رأي اخذ به. وفي هذا دليل قوي على تمسكه بالروح العلمية، وترفعه عن الكبرياء والصلف. يقول الرازي :

« قال [جالينوس] :

واذا ضعفت القوة الجاذبة من الكبد، استدللت عليه بإسهال كيلوسي، وذلك انه يجذب الكيلوس من المعدة، فيخرج من اسفل وهو كذلك.

واذا كان في الكبد والجداول التي تدفع هـذا الغذاء ورم حار، خرج البراز شبه صديد القروح، حتى اذا نضج، جرى صديـد أغلظ وأقرب الى القيح من ذلك.

لي :

(١) نفس المخطوط السابق، ورق ٤٣١ ظهر س ٥-١٠.
(٢) أمسكه : امسكت.
(٣) نفس المخطوط السابق، ورق ٤٧٥ وجه س ١١-١٦.

نُفرّق بين هذا وبين علة الأمعاء. من موضع الوجع، وعلامات وجع الكَبد. ومتى كانت قوة الكَبد الماسكة ضعيفة، خرج الإسهال الشبيه بماء اللحم، ثم بعد ذلك – اذا طال – دم مثل الدُرْدِيّ.

لي:

ينبغي ان نعمل على هذا، فهو صحيح، وهو نص كلام جالينوس. فأما ما قد كتبناه ان هذا يدل على ضعف القوة المُغيّرة، فغلط»[1].

مثال لطريقة علاج مقتبسة من جالينوس:

واذا كان الرازي قد درس الكثير من كتب جالينوس، فلا يدهشنا ان نرى طريقته في علاج بعض الامراض شبيهة بطريقة جالينوس نفسه. ففي كتاب «المنصوري في الطب» ذكر الرازي رأي جالينوس في طريقة علاج الاعضاء الغير قادرة على الحركة، بسبب التهاب جذور الاعصاب التي تسيطر على حركة هذه الاعضاء. ويتلخص ذلك الرأي في الامتناع عن تكميد العضو المصاب، ووضع الضمادة على جزء العمود الفقري الذي منه تخرج اصول الاعصاب المهيمنة على حركة ذلك العضو[2].

وفي موضع آخر من مذكرات الرازي الخاصة يصف ما يقوله جالينوس في اسباب فقدان حركة الاعضاء، وضروب علل الاعصاب، وكيفية مداواة هذه العلل[3].

وفي علاج مريض من مرضاه، اسمه القطان، يصف الرازي طريقة العلاج التي اتبعها في مداواة استرخاء اصابه في رجليه. وعندي، ان طريقة الرازي لتطبيق عملي على دراساته النظرية في كتب الطب. واليكم النص التالي:

« كان بالقطان الطويل اللحية وجع في معدته مزمناً. فأشرت عليه بشرب شراباً صرفاً قوياً.

(١) مخطوط Arundel Or. 14 ورق ٢١ ظهر س ١٤–٢٢ وجه س ٣.

(٢) انظر:
P. de Koning, *Trois traités d'anatomie arabes*, op. cit., p. 6, LL. 6-10.

(٣) كتاب «الحاوي في الطب»، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م، الجزء ١، ص ٣ س ٦–١٦.

فلما شربه ، انحط ذلك الوجع كله الى سرته ، واحتبس بَوله ، ومثانته مملوءة . فبوله بعض المائيين ، وانا لا اعلم ، فأسرف في ذلك مرة بعد مرة ، أعني إدخال المبولة . فجعلت مثانته مجالة حتى كان يخرج بلا إرادة . وكان فيما يخرج خلط ابيض خام ، قدرت انه ذلك الذي نزل ، وكان شيئاً يحقن البول .

ثم اصابه استرخاء في رجليه جميعاً. فلما بُعث إليّ ، جئته والاطباء يدهنون رجليه جميعاً بالادهان الحارة . فحدست ان مثانتـه ألمت ، وألم باشتراكها الاعصاب الجائية الى الرجلين ، لان اعصابها قريبة من بعضها بعض، وان هناك ورم في منابت تلك العصب ، فضمدت قطنه ، فلم يلبث إلا اياماً حتى حرك رجليه شيئاً فشيئاً ، الى غاية ما كتبت هذه القصة»[1] .

ميل الرازي الى التجريب :

تتميز كتب الرازي الطبية باعتقاده الراسخ في اهمية الخبرات الشخصية .

(١) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٢٤١ وجه س ٧–١٨ .

نشر هذه القصة « مايرهوف » ، ولكنه خرج في ترجمته عن المعنى الصحيح ، فأهمل فكرة القاثاطيرا، والضرر الذي لحق المريض بسبب كثرة استخدامها . وكذلك أغفل ذكر التضميد ، وذكر أن تناول « الادوية المدرة للبول » diuretic waters هو سبب العلة التي أصابت مثانة المريض . وهذا غير صحيح .

ولم يوفق أيضاً حينما ترجم « فضمدت قطنه » إلى « venesection in the sacral region » .

ونورد فيما يلي ترجمتنا لهذه القصة :

"Al-Qaṭṭān, the long bearded patient, suffered from a chronic pain in the stomach. I advised him to drink pure strong wine. When he had a potion, the whole pain descended into his navel, and though his bladder was full, he suffered from retention of urine. Without my knowledge, somebody urinated him, I mean by the application of the catheter which was freely employed time after time. This was repeated excessively, until the patient's bladder reached such a state that his urine was voided involuntarily. Among exudations which passed out with the urine, there was a white crudity — a humour which I thought might have retained urine. Afterwards, the patient suffered from paralysis of his two legs. When I was summoned, I came to find that the physicians were anointing the whole of the two legs with warm unctions. I conjectured that the patient's bladder was injured (by the frequent use of the catheter), and that, simultaneously, the nerves reaching the legs, beig too close to one another and being in the vicinity of the bladder, were injured. I also thought that there might have been a swelling at the roots of these nerves. When I fomented the patient's loins, it was only a few days before he was gradually able to move both legs. Until the time of writing this case-history, the patient has been able to use both legs."

انظر ترجمة :

M. Meyerhof, *Thirty-three clinical observations by Rhazes*, *op. cit.*, p. 336.

وقد سجل الرازي ميله الى التجريب في مقدمة كتابه « خواص الاشيا. »[١]. حيث يبرّر رأيه في تأليف ذلك الكتاب، الذي قرر ان يجمع فيه اقوال الناس في خواص الاشيا.، ويحذّر من قبول هذه الخواص دون التثبت بالتجربة. ولكنه يدعو الى تدوينها جميعاً، لأن في ترك واحدة قد يكون إغفال لخاصة نافعة. وماذا سيخسر المر. في تدوين هذه الخواص ؟ لا شي. سوى المجهود في التجميع والكتابة.

يقول الرازي في مقدمة هذا الكتاب :

« لا ينبغي لنا ان ندع شيئاً نؤمل فيه نفعاً من اجل ان قوماً جهلوا وتعدّوا. وقد كان الواجب عليهم، لو كانوا اهل رأي وتثبت وتوقف، ان لا يبادروا[٢] الى إنكار ما ليس عندهم على بطلانه برهان. فانه ليس البرهان على إخبارنا انه كان كذا وكذا، بأوجب منه على إخبارنا انه لم يكن كذا وكذا. ولو لم يكن في هذا الامر إلا هذه الواحدة، لوجب التوقف[٣] والتثبت عن دفع ما لا يوجب على دفعه برهان، وتركه موقوفاً الى ان يصح ببرهان »[٤].

« فنقول : إنا لما رأينا لهذه الجواهر أفاعيل كثيرة نافعة، لا يبلغ عقولنا معرفة سببها الفاعل ولا يحيط به، لم نر ان نطرح كل شي. لا يدركه ويبلغه عقولنا. لأن[٥] في ذلك سقوط جلّ المنافع عنا، بل نضيف الى ذلك ما ادركناه بالتجارب وشهد لنا الناس [به].

ولا نحل شيئاً من ذلك عندنا محل الثقة، إلا بعد الامتحان والتجربة له.

ولما كان كثير من ارديا. الناس قد يكذبون في مثل هذه الاشيا. ولم يكن عندنا شي. نختبر به حق المحق، وباطل المبطل في هذه الدعاوي، إلا

(١) انظر : القهرست ص ٣٠٠ س ٢٩ ؛ ابن أبي اصيبعة الجزء ١ ؛ ص ٣١٦ س ٣٠
(٢) أن لا يبادروا : أن يتدروا.
(٣) لوجب التوقف : توجب توقف.
(٤) مخطوط طب ١٤١ (دار الكتب المصرية) ورق ١١٩ ظهر س ٤-٩.
(٥) لأنّ : اما لأن.

التجربة في ... [١] ان تكون هذه الدعاوي غير مطّرحة، بل مجموعة مدونة — لا نأمن ان يكون في طرحنا إياه، اطراح اشياء جليلة نافعة.

وليس في تدوينها الا الاحتمال لمؤونة التدوين، وتكون عندنا موقوفة الى ان تشهد عليها التجارب» [٢].

وفي كتاب «محنة الطبيب»، يؤازر الرازي طبيب التجربة ويقف بجانبه، اذا ما اختلف في الرأي مع طبيب القياس، فانه يرى «ان الشكوك المغلطة تقع على الاكثر في الفن العلمي النظري، اكثر منه في التجربة» [٣].

تجربة مقارنة تصعد الى القرن الرابع الهجري :

كان الرازي يؤمن باهمية الفَصْد في علاج الامراض، وقد كتب كتاباً اسماه «في شرف الفَصْد» [٤]. وكان في احدى تجاربه على مرضاه يتحقق من اثر هذا العلاج في مرض السرسام، فاتبع طريقة علمية، ولم يغفل جانب المقارنة في التجربة حتى يتضح له اثر العلاج في الداء. فقسّم مرضاه الى مجموعتين، يعالج افراداً بالفَصْد ويمتنع عن فَصْد الآخرين، ثم يراقب الاثر والنتيجة في كل افراد المجموعتين، حتى ينتهي الى حكم في قيمة العلاج.

يقول الرازي :

« لي :

على ما رأيت بالتجربة، وما رأيت في هذا الكتاب [٥] :

في الحميات الدائمة، اذا دام الثِقَل والوجع في الرأس والعنق يومين ثلاثة،

(١) غير واضح وشكله «اخذم».

(٢) نفس المخطوط السابق : ورق ١٢٠ وجه س ١٦—١٢٠ ظهر س ٤.

(٣) راجع مقالنا : «كتاب محنة الطبيب للرازي» مجلة المشرق، العدد ٥٤، سنة ١٩٦٠ ص ٥١١.

(٤) يذكر ابن ابي اصيبعة (الجزء ١ : ص ٣٢١ س ٢—٣) «كتاب في شرف الفصد عند الاستفراغات الامتلائية رداءة وكية : وفضله على سائر الاستفراغات. والابانة على أن الفصد لا يمنعه عند الاحتياج إليه شيء البتة. ألفه للأمير أبي علي بن أحمر بن اسميل».

ويذكر البيروني (رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي — كراوس — باريس سنة ١٩٣٦، ص ٨، رقم ٢٨) اسم هذا الكتاب «في الفصد».

(٥) يشير الرازي إلى المقالة الأولى من كتاب «ايذيميا».

انظر مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ١٦٦ ظهر س ١٩—٢٠.

وأربعة وخمسة واكثر ، ويجيد البصر عن الضوء ، وتدر الدموع ، ويكثر التثاؤب والتمطي ، وسهر شديد به ، ويحدث[١] الإعياء الشديد ، فانه ينتقل العليل بعد ذلك الى البرسام ، فيتقدم كالسكران ، ولا ينتبه لطعام ولا شراب[٢] ، الى ان يجيئه البُحران . فان كان الثقل في الرأس اكثر من الوجع ، ولم يكن[٣] سهر ، اكثر نوم ، فكانت الحرارة اسكن والنبض عظيماً غير سريع ، ينتقل الى ليثرغس .

فمتى رأيت هذه العلامات ، فتقدم في الفصد . فاني قد خلصت جماعة به ، وتركت متعمداً جماعة ، استدني[٤] بذلك رأياً ، فبرسموا كلهم»[٥]

قصص مرضى

اعتاد الرازي ان يصف ما يشاهد من حالات مرضية . ويظهر ان عدد مرضاه لم يكن بالقليل ، وكان منهم الملوك والامراء[٦] ، كما كان بينهم الفقراء وعامة الشعب[٧] .

ويتضح كثرة المرضى الذين كان يعودهم الرازي من النص التالي ، وهو منتخب من كتاب « الحاوي »:

« فاني قد رأيت في صِفَة اكثر من اربعمائة مريض مرضاً حاداً ، اتاهم البُحران في السابع ، وفي صِفَة اخرى في الرابع عشر ، ورأيت خريفاً كان يجيء البُحران فيه ابداً في الحادي عشر ، وخريف آخر كان يجيء فيه بُحران رديء في السادس »[٨] .

(١) ويحدث : ويحدس .
(٢) شراب : الشراب .
(٣) يكن : يسكن .
(٤) استدني : استوى .
(٥) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ١٦٧ وجه س ٧–١٢ .
(٦) مثلاً انظر ص٢٤٠ فيما يلي.
(٧) بين مرضاه يذكر الرازي « الذي كان يقود الحمار » (مخطوط Marsh 156 ورق ٢٤١ وجه س ٢٢) ؛ والخياط (نفس المخطوط ورق ٢٤١ وجه س ١٨) ؛ والبواب (ورق ٢٤٢ ظهر س ١٣) ؛ والحاسب (ورق ٢٤٠ وجه س ٧) ؛ والصائغ (ورق ٢٤٢ ظهر س ١) .
(٨) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٣٦٣ وجه .

وقصص الرازي المرضية ومشاهداته الإكلينيكية مليئة باصطلاحات علمية تدل على انه كان يهتم بتأريخ المرض.

فيذكر علامات التهيؤ ، ثم علامات ابتداء المرض ، فالتزيد ، والمنتهى ، والانحطاط . ويذكر ايضاً اذا ما كانت العلة حادة او مزمنة ، ويسجل اوقات حدوث السكتات ، والبُحران ، والنوائب ، والنافض ، والعَرَق ، والسُّعال ، ويصف التفث وحالة النفس ، والبراز ، والقيء ، ولا يغفل قوة المريض إطلاقاً في جميع ازمان الامراض . ويصف احياناً مزاج المريض ، ومهنته ، وسنه ، وجنسه . وكانت قراءاته وبحوثه المستفيضه في كتب اعلام الطب القدامى والمحدثين مقرونة بخبرة عملية واسعة . فلم يكتف الرازي بدراسة الامراض، بل أغرق في فحص مرضاه .

وكثيراً ما نرى اسم المريض قرين المرض الذي اصابه ، وقد يكون في ذلك ما يعين الرازي على تذكر علامات المرض وعلاجه حتى يستعين بها اذا ما اصاب نفس المرض انساناً آخر .

وفي بعض الاحيان كان يكتب الرازي عما يصيبه شخصياً من الامراض.

ولعل في المنتخبات التالية التي ننشرها لأول مرة ، ما يلقي ضوءاً جديداً على مقدرة الرازي الطبيب .

القصة الأولى (من كتاب المرشد او الفصول)(١) :

« إني(٢) ممثل لك مثالاً شاهدته :

سافر رجل نبيل(٣) في الصيف اياماً ، ورجع وبه حمى(٤) مطبقة قوية الحرارة جداً ، فألزمنيه(٥) بعض الملوك . فلما كان في اليوم الرابع ، قلق جداً ، واشتدت حمرة(٦) لونه ، وأقبل يغير اشكاله(٧) ، ويضرب بنفسه الارض ، وصار الهواء

---

(١) حققنا هذه القصة من مخطوطين : مخطوط بمكتبة جامع أيا صوفيا رقم ٣٧٢٤ ورمزنا له بحرف (ا) ؛ ومخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٩٤ طب طلعت : ورمزنا له بحرف (د) .

(٢) إني : أي ا .

(٣) نبيل : ساقطة من د .

(٤) حمى : حماه د .

(٥) فألزمنيه : وألزمنيه ا .

(٦) واشتدت حمرة : واشتد حمرته ا .

(٧) وأقبل ... أشكاله : وتغيرت أشكاله د .

الذي يخرج بالتنفس من الحرارة الى امر عظيم جداً . وحدث عليه[١] بعد هنيهة[٢] خفقان ، وكنت اقدّر انه سيرعف . فلما بقي على تلك الحال ساعتين وأكثر ، امرته[٣] ان يحك داخل أنفه طمعاً في انفجار الدم[٤] . فلما[٥] لم يكن ذلك ، ورأيت الحرارة والكرب والقلق يتزايد ، سقيته مقدار عشرة ارطال من الماء الصادق البرد جداً ، فخصر[٦] مكانه ، وانطفأ[٧] ما به ، ودر بوله ، ولانت حماه ، وبقي[٨] في حمى[٩] هادئة[١٠] نيفاً وأربعين يوماً .

وكان له غلام معه في سفره[١١] ، اصابه ما اصابه سواء.[١٢] ، فلم يُسق في ذلك الوقت الماء البارد ، شغلاً منا بالصاحب[١٣] نفسه ، فمات في عصر ذلك اليوم .

وكانت هذه الحادثة صحوة »[١٤].

القصة الثانية (من كتاب « الحاوي في الطب » ، مذكرات الرازي الخاصة) :

« لي :

اعتل جار لنا علة حادة ، سقي فيها ماء البقول والشعير اياماً كثيرة ، فخرج[١٥] منها . وحدث به وجع في بطنه اسفل السرة ونحوها ، لا ينيمه ليلاً ولا نهاراً . ويتكئ عليه رجل بيديه فيشيله كأن تحته شيئاً يدافعه بأعظم قوة تكون . وكان ماؤه مثل الدم ، فسُقي ماء البقول ونحوه ، فاشتد الامر

(١) عليه : ساقطة من د .

(٢) هنيهة : هيئة د .

(٣) أمرته : وأمرته د .

(٤) انفجار الدم : انفجاره د

(٥) فلما : ولما ا .

(٦) فخصر : فأخصر ا .

(٧) انطفأ : انطفى د .

(٨) وبقي : فبقي ا .

(٩) حمى : حماه ا .

(١٠) هادئة : حائلة .

(١١) وكان ... سفره : وكان غلام له في سفره ا .

(١٢) سواء : سوى د .

(١٣) بالصاحب : لصاحب ا .

(١٤) مخطوط رقم ٣٧٢٤ ورق ٤٣ ظهر س ٢٢-٢٤ وجه س ١١ ، بمكتبة جامع أيا صوفيا ؛ مخطوط رقم ٥٩٤ طب طلعت ورق ٥٤ وجه س ٨-١٤ ، بدار الكتب المصرية .

(١٥) فخرج : فيخرج .

اكثر، وكان لا يخف ولا يسكن بالتكميد، وكانت الطّبيعة معه لا تبرأ إلا في كل ثلاث او خمس، ثم يتزل شيء لين لزج. وكان الوجع يثور بالليل، وبالجملة بعد الطعام بخمس ساعات ونحوها، حتى ان العليل كان لا يأكل خوفاً من الوجع. وعولج بالحقن، وجميع ما يعالج به القولنج، فلم تجد فيه.

فأخذت اربع دراهم تُرْبُد، وخمسة بَسْفَايج، وطبخته برطل ماء، حتى صار ربع رطل. وصفيته، وهرست فيه لبّ الخيار شنبر – عشرة دراهم – وسقيته، وجعلت غذاءه ثلاثين درهماً شَيْرَخ، وثلاثين سكراً، واتخذت له حباً من صبر، وشحم حَنظَل، وسَقَمونيا، وكَنكَنج.

فكنت اعطيه منه في الليل، والنهار متى هاج، مثل الحمص ثلاث حبات واكثر.

فبرأ في خمسة ايام، واصابه سحج خفيف، فعالجته حتى برئ. وكان هذا الرجل متى هاج وجعه، خفق بطنه خفقاناً عظيماً حتى يحتاج ان يضبط عليه رجل بقوة، وإلا انشتر صاحبه منه.

ورأيت هذا الخفقان يعرض في القولنج الريحي كثيراً »[1].

القصة الثالثة (من كتاب اوجاع المفاصل)

« وقد كنت اعالج رجلاً بمدينة السلام من اوجاع المفاصل الحادثة، وكنت اتقدم في حراسته منها، لانه كان سامعاً مطيعاً.

وكان ينوب عليه في جو ايام الربيع نوائب صعبة شديدة، فحفظته منها ثلاث سنين، فلما كان في السنة الرابعة، عرض له سفر، وأطلق لنفسه تدبيراً بلا حمية.

والتقينا فأخبرني بما جرى، وأنذرته بأن العلة ستنوب عليه، ان لم يقصد تداوي ما هو عليه.

فظن ان العلة قد انقطعت البتة، فرد علي مبتسماً:

كلا ان شاء الله!

(١) مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ١٩٠ وجه س ١٨–١٩٠ ظهر س ١٦.

فلما كان في بعد ايام ، احس في مفصل ركبته بوجع ، فتغافل ، وشدّ به يومه ذلك . فلما كان في بعض الليل ، هاج عليه الوجع ، حتى منعه النوم .

فلما أصبح التقينا ، وجعلت اردد عليه القول :

كلا ان شاء الله ! »[1] .

التشخيص المقارن

كان الرازي يقدّر تلك الصعوبات التي تكتنف تشخيص بعض الامراض المتشابهة الأعراض . وفي كتابه « محنة الطبيب »[أشار الى وجوب امتحان الطبيب في التفريق بين بعضها وبعض . ومثال ذلك ان يفرّق بين وجع الكلي ووجع القولون ، وذات الجنب من ذات الرئة ، وبول الدم والمدّة ، والفرق بين ضروب الدم الخارج من الفم ،والتفرقة بين اشكال الاعضاء الطبيعية والاشكال الذابلة والوهنة.[2]

ونعتقد ان كتابات الرازي التالية ،في التفريق بين العلل المتشابهة الاعراض، تعتبر إسهاماً اصيلاً في تقسيم وترتيب خلاصة خبراتـه التجريبية المستمدة من فحص اعداد غير قليلة من المرضى .

ونقدم مثالين ، يفرّق في احدهما بين « القُولنج وأوجاع الكلي » ، وفي الثاني بين « اصناف احتباس البَول » .

يكتب الرازي في التمييز بين « القُولنج وأوجاع الكلي » ثلاث مرات في مذكراته الخاصة ، « الحاوي » فيقول :

« تميز القُولنج من الحصاة .

لي :

يفصل القُولنج من وجع الكلي بأن مع القُولنج مغصاً[3] ، وانتفاخ المراق، وفساد الهضم ، والتخم قبل ذلك ، واستعمال الطعام الغليظ البارد المنفخ . وان

---

(١) مخطوط Add. 3516 (مكتبة الجامعة بكيمبردج) ورق ١٣٨ وجه س ٢٣-١٣٨ ظهر س ٦ .

(٢) راجع مقالنا «كتاب محنة الطبيب للرازي» مجلة المشرق ، العدد ٤-٥ ، سنة ١٩٦٠ ص ٥١١ .

(٣) مغصاً : مغس .

يكون صاحبه مَلِثاً من ذلك . والوجع في تدام ، ويتنقل ويتحرك . وجع القُولنج يأخذ مكاناً اكبر، ووجع الكلي يحتبس معه البول . ايلاوس يكون:

إما من ورم حار في الأمعاء الدقاق ، ويكون مع هذا حمى ، وعطش ، والتهاب ، وحمرة اللون ؛

و إما من سُدَة تحدث من ثُفل صلب ، ويعرض معه تمدد مؤلم ، وانتفاخ وغثيان ؛

وإما من ضعف القوة الدافعة . ويتقدمه عدم الغذاء ، او شرب الماء ، والحلْقة . والذي من الورم الحار يعالج بالفَصْد والضِماد »[١].

« في الفرق بين وجع الكلي والمثانة ، والقُولنج .

يعم هذين الوجعين احتباس البطن في الابتداء ، والوجع الشديد ، وذهاب الشهوة ، ورداءة الهضم ، والمغص .

ويخص القُولنج ان هذه اجمع فيه اشد ، وفي وجع الكلي اخف .

والوجع في القُولنج في الناحية اليمنى من المراق اكثر ، ويتصاعد الوجع الى المعدة ، والكبد ، والطحال ، ويحبس الثُفل حبساً شديداً ، حتى انه لا يخرج ولا ريح ايضاً ، وان اجهدوا انفسهم . وان خرج منهم زبل يكون منتفخاً شبه أحثاء البقر . وربما خرج منهم بلغم زجاجي ، ويجيء منهم بول كثير .

فأما في وجع الكلي ، فانه يحس بالوجع دائماً[٢] على الكلي بعينها ، كالشوك المغروز ، وتألم الخُصْوة التي بحذاء الكلية العليلة . وربما خرجت من البطن ، من غير شيء يحركه ، رياح وشيء يرزي . والبَوْل قليل ، فيه شيء كالرمل كبير ، ويجد حرقة في مجرى البَوْل والإحليل : فهذه تركة الحصاة في في الكلي »[٣] .

---

(١) مخطوط Arundel Or. 14 ورق ١٦٧ ظهر س ٢١–١٦٨ وجه س ١١ .
(٢) دائماً : دائباً .
(٣) نفس المخطوط السابق ، ورق ٣٥١ وجه س ١٤–٣٥١ ظهر س ٨ .

ه لي :

الفرق

للقولنج التخم المتقدمة ، وسل عن السبب البادي ، وعن العليل ، أيما [1] كان يتعاهده منها ؟ وموضع الوجع اوسع واكثر ، وينتقل ، والغثي والقي. اشد ، سقوط الشهوة والجشاء ، والقراقر والنفخ . ولا تحرك المسهلات الخفيفة بطنه ، والبول فج وربما كان غليظاً ، ولا يكون قبل ذلك فيه رمل .

والكلي لا يخف الوجع على الجوع ، بل يزيد ويكون في جانب واحد ، ويكون دقيقاً غائراً عميقاً ، لا ينتقل بسرعة ، بل كأنه ينتقل قليلاً قليلاً في كل يوم او ساعات شيئاً قليلاً الى اسفل . والبول معه في غاية الصفار [2] ، وربما احتبس او قل . ثم ربما يخرج دم ، وحينئذ لم يبق شك .

وتضره الحقن. وفي الكلي مري ، والقولنج بلغمي ، وهو اكثر . واذا كان الوجع في الجانب الايسر فاظنني انه في الكلي . واذا كان يتأدى الى سطح البطن حتى يحس العليل بألم عند غمز المراق ، فقولنج . واذا كان ناحية العنق والظهر ، فكلى — وخاصة ان كان في جانب واحد اسفل ، وحدث معه النفخة في ذلك الجانب وامتد ، وتقلصت البيضة من ذلك الجانب ، وجرى امر البول على غير استواء .

وان كان الوجع اولاً فوق موضع الكلي ، ثم صار هناك ، فقولنج . وخاصة ان سبق تخم ، ووجع السرة ظاهر ، والقئ ، ثم جاء وجع في الموضع المشكوك فيه .

وان هاج الوجع اولاً في العمق ، اسفل موضع الكلي وفي جانب ، ثم هاج القئ وانعقال البطن ، فكلي .

ومتى رأيت الريح في البطن [3] كثيرة ، فقولنج . واذا كان احتباس [4] البطن شديداً جداً حتى لا يخرج الريح فضلاً عن غيره ، فقولنج . وعظم موضع الوجع ، والا يكون في موضع الكلي دليل على القولنج .

واذا كان الوجع يرتقي حتى يبلغ أعالي البطن ، ويترل حتى يبلغ اسافله ،

---

(١) أيما : ايما .
(٢) الصفار : الصفاء .
(٣) في البطن : والبطن .
(٤) احتباس : احساس .

وتوجع المراق ؛ فقُولنج . ووجع القُولنج يشبه المَغص ، يدور ويفتر .

ووجع الكلي صغير الموضع ، لازم ، لا يدور ولا يفتر . ووجع الكلي اطول مدة من القُولنج وربما بقي ثلاثة وأربعة...[١] ، حتى تنزل حصاة.

ووجع القُولنج في الاكثر في الايمن ، والكلي في جانب وتألم معه الخصية التي بجذاه ، ويخدر ذلك الفخذ . وثُفل البَوْل والرجيع يرّي قليل ، وكذلك القيء . واذا كان فيه حرقة او رمل او دم ، فلم ينق شيء .

ووجع القُولنج في مقدم البطن و...[٢] . والكلي ، فالوجع في الخواصر ونحو الاضلاع ، مائلاً الى الظهر ، والبَوْل محرق لذاع .

ووجع القُولنج يخف بالقيء ، ويسكن بالإسهال . ووجع الكلي لا[٣] يعرف موضعه»[٤].

وفي النص التالي يكتب الرازي في اسباب احتباس البَوْل :

« لي :

تقسيم تام لاحتباس البَوْل :

البَوْل يحتبس اما لأن الكلي لا تجذبه ، وعلامته ان يكون البَوْل محتبساً ، وليس في الظهر وجع ثقيل ، ولا في الخاصرة والحالب ، ولا المثانة متكورة[٥] ، ولا في عنق المثانة ضَربٌ من ضروب السُدة على ما تستبين . وان يكون مع ذلك البطن ليناً ، وقد حدث في البدن ترهل واستسقاء وكثرة[٦] عَرَق .

واما الذي[٧] يكون من الكلي ، فيكون محتبساً بتة وفيا المرض: وذلك إما لورم ، او حجر ، او علق دم ، او مِدّة . ويعمه كله ان يكون الوجع في القطن مع فراغ المثانة .

إلا انه ان كان حصاة ، ظهرت دلائل الحصاة قبل ذلك ؛

(١) لا توجد مسافة في المخطوط . ولكن يبدو أن هناك كلمة ساقطة .
(٢) غير واضح وشكله « الشه » .
(٣) ووجع الكلي لا : + في وجع الكلي .
(٤) نفس المخطوط السابق ، ورق ١٩١ وجه س ٩-١٩١ ظهر س ١٩ .
(٥) متكورة : متركزه .
(٦) وكثرة : أو كثرة .
(٧) الذي : الذ .

وان كان ورماً حاراً كان مع الوجع شيء من ضربان ؛
وان كانت اوجاع الكلي ، فانما هي ثقل فقط ؛
وان كان ورماً صلباً ، لم يحتبس البول ضربة ، لكن قليلا قليلا ، وكان ثقل فقط ؛
وان كان علق دم ومدة فيتقدمه قرحة ؛
وان كان احتباسه من اجل مجاري البول من الكلي ، فتكون المثانة فارغة والوجع في الحالب حيث هذا المجرى، مع نخس ووخز، فان وجع المجرى ناخس لا ثقيل . وعند ذلك استعمل سائر الدلائل في الكلي ؛
وان كان من قبل المثانة ، فاما ان يكون لضعفها عن دفع البول ، فعند ذلك فاغمز[1] عليه ، فانه يدر البول ، والمثانة متكورة ، فان لم يدر ، فالآفة في رقبة المثانة . وحينئذ استعمل الدلائل المذكورة .
وان كان لورم حار في هذه المواضع، تبع ودم المثانة حمى موصوفة ، وورم الكلي حمى موصوفة .
وقد ينضم مجرى رقبة المثانة من انضمام يقع له ، ويكون للبرد واليبس ، ومن ثؤلول يخرج فيه ، ويكون قليلا قليلا .
وقد تنسد هذه المجاري بخلط غليظ . وعلامة ذلك التدبير الغليظ »[2] .

تسجيل المشاهدات الإكلينيكية

ودأب الرازي على تسجيل مشاهداته ، وخبراته الخاصة . فكان يكتب عما يصيبه من امراض ، وما يصيب اصدقاءه من علل ، وكان يسجل حالات مرضاه والعلاجات التي اتبعها ، لعله يجد في هذه هدى لعلاج غيرهم في المستقبل . ونورد فيما يلي نصوصاً كثيرة اخترناها من كتاب « الحاوي في الطب » وهي في مجموعها تبين شغف الرازي بمهنته ودقته في دراسة مشاهداته المختلفة ونتائج العلاجات التي كان يتبعها .

(١) فاغمز : فاغمز .
(٢) نفس المخطوط السابق ، ورق ٤٠٢ ؛ وجه س ٢-٤٠٢ ؛ ظهر س ٦ .

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٨٣ وجه س ٤–٦

« لي :

حدث بي ببغداد حمى بنافض ، وتصاغر النبض ثم حميت ، ولم اعرق، ولم تعاود بعد انقضائها .

فلذلك ينبغي ان تعلم انه ليس متى كانت بنافض ، ليست بيومية ؛ وبالضد » .

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٢٩٩ وجه س ٢٠ – ٢١

« لي :

حدث ورم في البيضة اليمنى ، واستعملت القيء. وكان ينقص اذا استعملته نقصاً بيناً ، حتى انه نقص نقصاناً بيناً . إلا اني لم استقصه ، لانه لم يكن موجعاً . وأدمت المقيئات[1] ، فبلغ بعد ذلك اصله البتة . ولم ار شيئاً ابلغ وأسرع وأظهر نفعاً منه » .

من مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٩٩ وجه س ١٤ – ١٥

« لي :

كان بي وجع في طِحالي ، فدمت على اخذ الإطريفل بشيء آخر ، فأذهب بذلك الوجع » .

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٢١٧ وجه س ١٢ – ١٣

« لي

الوراق المشوش النحيف ، الذي جرى بـه صديق القسم بن هرون ، والفتى الدماوندي – صديق أخي – ابتدأ بها الرُبـع ابتداء بلا حمى تتقدمها »[2] .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٤٧ وجه س ٥ – ٢٢

« لي :

لا اعلم اني رأيت احداً به مرض حميات حادة ، خرج منها إلا برسوب في

(١) وأدمت المقيئات : وادمه مرات.
(٢) تتقدمها : يقدمها .

البَوْل . ولقد رأيت مَرَّةً جدرت ، فظهر الرسوب فيها بعد الاربعين يوماً . ولم تزل هذه المَرْة – مع ذهاب الجُدَري – اياماً محمومة ، حتى ظهر الرسوب بعد الاربعين . وهي ابنة عبودية .

لي :

يُحتاج الى فرق بين البَوْل الكدر والبارد ، فلا تحكمن بكدره دون ان تعلم انه لم يبرد . وبينهما في المنظر ايضاً فرق ، وذلك ان البارد يكون فيه جود ابيض ، لان الجامد منه شحم ، ولا يكون له شَفّ . والكدر له مع ذلك شَفّ ، وان انت اسخنته ، لم يصف(1) ويرجع » .

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٢٨ وجه س٢٥ – ٣٦

« لي :

رأيت مشايخ وشباباً بهم اوجاع المفاصل الحارة الفلغمونية ، جلّهم تهيج عليه العلّة وتثوب اذا تعبوا ومشوا : منهم الأخوين سوادهم ، وهشام » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٣٥ وجه ٢٠–٢١

« لي :

كان برجل وجع الظهر ، وهو ابو نصر الخراساني. فأشرت عليه ان يدهنه بدهن السوسن ، بعد إسخان الظهر بالنار والدلك . وينام عليه ليلته ، ويستحم من غد ، فبرأ في ثلاث ليال » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ١٥٧ وجه س ٢٥ – ٢٦

« لي :

رأيت ابن سوادة مبطوناً ، عاش – بعد ان صار نبضه نملياً – يومين ، وفي الثالث جسته ، فلم احس بنبض البتة ، ثم ذهب لسانه بعد ساعتين. ومات » .

من مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٣٠ وجه س ١ – ٦

« لي :

اذا رأيت في الحميات يرقاناً في العين ، فاعلم ان بالكبد سوء مزاج حار.

(1) يصف : نصفوا .

وكنت رأيت ذلك في ابن المنجم. : فلما اتى بُحرانه ، قام من الخلط المشبه للدم الأسود اياماً ، وكان به بُحرانه .

فاذا رأيت ذلك ، فعليك بتبريد مزاج الكَبِد ما امكنك . فاني عالجت هذا بضماد مبرّد ، وأسهلته ذلك الخلط ».

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٢١ وجه س ٢٣ – ٢٦

« لي :

الرجل صاحب الركبة المزمنة ، شرب اكثر من خمسين شربة من اصطَمْخيقون ، وحقن غير مرة بالقَنْطَريون . اشرت عليه ان يدوم على الادوية المدرة للبول الملطفة ، وكان رطب المزاج بارده ، فبرأ لما[1] استعملها مدة ».

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٧٦ ظهر س ٢٢–٢٥

« لي :

قد رأيت اذا كان بانسان علة في معدتـه[2] ، فتفقد اكثر شيء البراز والشهوة . فمتى رأيتها قد صلحا ، فقد قرب البرء . وانك تجد[3] البراز في علل المعدة مختلفاً ، فاذا برأ وجدته قد صار ليناً متصلاً ، عظيم السماجـة الشديدة جداً ، شبه الذي وصفته في بابه .

رأيت رجلاً كان اذا أكل غدوة ، هاج به وجع بعد عشر ساعات وأقل ، حتى ينفث اشياء مثل الخل ، تغلي منه الارض ، ثم يسكن وجعه . وذلك فيه من عشرين سنة . وأرى ان ذلك يكون لشدة برد في معدته . وعلاجه عندي[4] الشراب الصرف ، وتسخين[5] المعدة بالضماد والأغذية البعيدة من ان تحمض : كالمدخنة ، والمطجنة[6] ، والعسل ، وتكون قليلة ».

(١) لما : الما .
(٢) معدته : معدتهم .
(٣) وإنك تجد : وأنت جد .
(٤) عندي : عند .
(٥) وتسخين : وتسخن .
(٦) و المطجنة : و المطخنة.

من نفس المخطوط السابق، ورق ٥١ وجه س ٢٣-٢٦

« لي :

رأيت امرأة ضربت بعصا على زنديها، فحصل هناك شي. غددي، غمزناه فذهب سريعاً لانه كان قريب العهد، لم يكن قد جمد جموداً شديداً. وشددناه فبرأ، وهذه كلما[1] كانت أقرب عهداً، فكان تفشيها بالغمز اسرع ».

من نفس المخطوط السابق، ورق ٧٣ وجه س ٦-٨

« لي :

اذا كثرت[2] الحموضة في المعدة فافحص عن الطحال، فانه قد يكون ان ينصب من السوداء اكثر مما يحتاج اليه.

وعلامة ذلك هيجان الشهوة، مع نفخ ورياح، وسوء هضم، وجشاء حامض. وبهذه العلامات يفرق بين اللذع الكائن في المعدة ومن السوداء، والكائن فيها [من] الصفراء.

رأيت رجلا تقيأ قطعة لحم عظيمة، اعظم من الجوزة، ولم يمت. فحدست انه كان في معدته ناصور كبير دقيق الاصل، انقطع ودفعته الطبيعة بالقيء ».

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٢٢٥ وجه س ١٣-١٨

« لي :

كان صبي يجيئه[3] نافض ...[4] اذا جاءه ماء في جوفه، ويشتد[5] عليه وجع بطنه وظهره. فسقيته ماء حاراً شديداً، جرعاً، فسكن عنه وجع بطنه وظهره، واعتراه النوم، وسكنت حماه بسهولة وسرعة، وعرق.

وينبغي ان تسقي في النافض الشديد الماء الحار، وتكبه ايضاً على بخار، فان ذلك يسهل سخونته. وخاصة اذا شكا عند النافض وجع الجوف، فلا يعقل عن الماء الحار ».

(١) كلما : كلها.
(٢) كثرت : كثرة.
(٣) يجيئه : يجيه.
(٤) بياض في الأصل.
(٥) يشتد : يفسد.

من نفس المخطوط السابق ، ورق ١٦٠ ظهر س ٩–١٢

« لي :

كان رجل تعرق يده كثيراً ، فاستعمل عَفصاً في حاجة، فذهب عنه ذلك. ولذلك ارى للذين يتأذون بكثرة العَرَق في ارجلهم ، ان يدمنوا وضعها في ماء الشب والعَفص ، ونحوها » .

من مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٧٠ وجه س ١٩ – ٧٠ ظهر س ١

« لي :

اعتمد في الاستسقاء على بقاء القوة . فقد عالجت رجلاً شيخاً كان به من الماء ما احسب انه لا يبرأ ، وبي مائة حرارة . فسقيته مازَرْيون ثم منعت[1] عنه اياماً ، ثم عاودته فبرئ . وكان كيس بيضه قد امتلأ ماء حتى كان كأعظم ما يكون » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٣٦ وجه س ١٣–١٥

« لي :

رأيت نساء ، كثيراً تزفن الدم ، وعالجتهن بجميع ما يعالج به امثالهن ، فلم ينقطع ذلك .

وحدست ان ذلك دم بواسير ، لا دم الطَّمْث . ففرق بينهما ، وعالج بحسب ذلك » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٨١ وجه س٧–١٠

« لي :

عسر على إمرأة الولادة في شتاء شديد ، فاوقدت فحماً كثيراً ، ومرختها بدهن حار كثير ، وكان الوجع شديداً[2] فغشي عليها . فلما رأيت ذلك، امرت ان يصب في الفَرج دهن مسخن . فسكن الوجع ، ونامت على المكان » .

(١) منعت : طفيت .
(٢) شديداً : + شديداً .

من مخطوط Bod. Or. 561 (بودليانا) ورق ٢٣٦ ظهر س ١٩-٢٣٧ وجه س ٦

« المارستان :

اخذ رجل ملحاً محرقاً ، فعجنه بالزيت نعماً ، ووضعه على داحس احمر مؤلم ، كان يعالج بالبزر قطونا ونحوه مدة ، فلا تنفع . وكان يشتعل اشتعالاً ، فساعة وضع عليه هذا برد وبرأ بعد ، على انه كان حاراً مثل النار .

وأحسب ان ذلك كان ، لانه حلل بقوة ووسع ، فأراح من التمدد».

من مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ١٧٦ ظهر س ٧-١٠

«لي :

رأيت خلقاً كثيراً فلجوا بعد بدء القولنج الشديد ، وخاصة في اليدين .

لي :

رأيت في البيمارستان من فُلج من قولنج . وينبغي ان ننظر في ذلك . ما سببه ؟ ويحترز منه » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ١٠٦ وجه س ٥-١٣

« المقالة الثانية من « الأخلاط » :

قال [جالينوس] :

بقراط يريد بالطِحال المتحجر[١] ، الطحال الذي يبقى عظيماً جميع مدة حياة الانسان .

لي :

هذا يوجب انه قد تكون أطحلة عظيمة ، تزمن إزماناً طويلاً .

وقد تفقدت خلقاً كثيراً يدوم بهم الطحال سنين كثيرة ، ومنهم من أخبرني ان ما احسه من الصلابة في طِحاله به منذ اربعين سنة ، وخمسين سنة . ولم أره ضرهم كثير ضرر ، على انه ربما صلب بغتة ، فتبعه الضرر[٢] ، وفساد المزاج سريعاً .

---

(١) المتحجر : المتحجب .

(٢) الضرر : للضر .

فنعلم ان من صلابته نوع رديء ، ومنه ما لا خطر فيه البتة . يحرر ذلك » .

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٣٥٠ وجه س ٣–٧

« لي :

رأيت ما لا احصيه كثرةً مرضى يهيج بهم القلق وامور غليظة مهولة . فكنت اجس النبض ، فأجده مع ذلك اقوى وأميز ، وربما وجدته قد ذهب اختلافه .

فكان يصيبهم بُحران جيد ، ويكون مقدار الاستفراغ بحسب عظم الحمى ، وشدة القلق » .

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٢٦ ظهر س٣–٤

« لي :

« قد رأيت الذين بهم وجع المفاصل يهيج عليهم كلما [١] يتعبون . وانما يكون ذلك لانها ينصب اليها شيء ، وخاصة اذا كان البدن ممتلئاً ، لأن مفاصلهم تتعب اكثر في الحركة . ولا شيء انفع لهم من الحركة ؛ ولكن ينبغي ان يتدرجوا اليها[٢] قليلًا . ولا يحمل احد منهم نفسه على ما لم يعتده من ضربة ؛ لكن يعتاد قليلًا . فانه اذا تدرج فيها ، احتمل الشديدة ، وذهب اصل الوجع البتة » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٨ وجه س١٠–١٣

« لي :

انظر ابداً ، فان انت رأيت مع الوجع غلظاً ومادة ، فعليك بإمالة الخلط عن العضو ، حتى اذا فعلت ذلك ، فخذ في ما سخّن [٣] الجلد قليلًا – فانك بذلك تسكّن الوجع .

(١) كلما : كما .
(٢) إليها : إليه .
(٣) سخّن : تخف .

وقد جربت الادوية الكثيرة البرد [١] في التقرس الدائم الدموي ، فرأيتها كلها لا تسكن الوجع ، بل ربما زادت فيه ، فاجتنبها . فاذا رأيت العضو ينخس ، وليس فيه غلظ ولا تمدد ، فمتى ذلك برده . وكذلك اذا رأيته بالضد ، فأسخنه .

ورأيت صب طبيخ البابونج يسكن هذا الوجع [٢] سريعاً .

لي :

جربت فوجدت انه [اذا] هاج الوجع في الرجل ، فاستعملنا الادوية ، زاد في الوجع .

وجربت فرأيت التقرس الحار اذا أسهلت صاحبه وقد هاج به الوجع ، زاد فيه . لكن ينبغي في ذلك الوقت ان تأخذ في تبديل المزاج بماء الشعير ، والبقول ، والسويق . والسكر عجيب فيه . فانه اذا سكنت حرارته وابيض ماؤه ، سكن وجعه البتة . ثم في حال الراحة تأخذ في استفراغه . وأما في الرجل فانه يحتاج في حال الوجع الى الفصد من اليد ، ان كان حاراً . فان [كان] بارداً ، احتاج الى القيء ، وانتفع به جداً جداً .

وقد جربته في ذلك ، وفي الورك ، فرأيته عجيباً » .

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٤٩٨ وجه س ١٢-١٦ »

« لي :

رأيت بالتجربة أنفع شيء في سقي الأفيون وجميع المخدرات ، ان يسقى مثقال حلتيت ، بأوقيتين شراب صرف قوي ، فانه عجيب » .

من نفس المخطوط السابق ورق ١٦٨ وجه س ٧-١٠

« لي :

جربت فرأيت من ابلغ الاشياء في الحميات الحادة ، اذا كانت الحدة شديدة ، ان تبادر فتسقي مع الفجر ماء الإجاص والتمر هندي في كل يوم ، ثم

(١) البرد : اللبرد .
(٢) الوجع : الموجع .

تسقي كالعادة ماء الشعير . فان كانت الطبيعة يابسة ، لم تحلّه حتى ينام ، على لب الخيار شنبر تسقيه ثم تبكر بماء الشعير . وان كان سعال ولم يكن هذيان ، سقيت مكان ماء الإجاص طبيخ السبستان والعنّاب وأصل السّوسن . ثم سقيت بالغداة ماء الشعير .

فاني رأيت هذا اجود تدبير يكون » .

من مخطوط Arundel. Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٢٨٣ وجه س١٥ — ١٧

« لي :

على ما رأيت لجالينوس ، وتجربة ايضاً ، عصارة البصل اذا طلي بها الذكر ، منع الحبل . وان احتمل ماؤه ، أحدر الأجنة بقوة قوية » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٨٥ وجه س ٣ — ٥

« لي :

تجربة : كانت امرأة تطلق اياماً ، فسقيت درهمين زعفران ، فولدت من ساعتها .

وجُرّب ذلك مراراً ، وكان كذلك » .

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٤٩ ظهر س ٣ — ٥

« لي :

على ما رأيت : كان رجل من المائيين [١] معه دواء ذراريح ، فلم نر شيئاً [٢] أسرع في التقيح منه . وطلا به على دمل قد بدت كمّيته ، فأقرحه في نصف يوم .

تؤخذ ذراريح بلا رؤوس ولا اجنحة ، فينعم سحقها ، ثم يغلى زيت عتيق مع مرداسنج حتى ينحل ويسود ويصير له قوام . ثم يذر فيه الذراريح ويساط ، ويرفع ويستعمل » .

(١) المائيين : المائين .
(٢) شيئاً : شقياً .

ونختم هذا المقال بثلاثة نصوص ننقلها عن مذكرات الرازي الخاصة . ويظهر في مادتها دقة الرازي في وصف علامات الامراض وتصوير العلل ، وقدرته الفائقة على الملاحظة ، ثم حرصه على تدوين مشاهداته الخاصة وتسجيل خبراته وتجاربه :

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ١٥٦ ظهر س ١٠-١٩

« لي :

رأيت بالتجربة اكثر هذه العلة التي يسميها العامة البرسام ، والاطباء سرسام ، تبتدئ بثقل[1] الرأس ، ووجع شديد وكسل ، وفتور وتمط ، وتثاؤب في البدن كله ، وحمرة في الوجه ، وحمى لينة . ويبقى كذلك يومين وثلاثة الى خمسة وسبعة ، ثم من ذلك يختلط العقل ، ويصبح[2] الانسان شبه السكران . ويسود اللسان ، ولا يطلب مأكولاً ولا مشروباً مدة ما ، تقدر بسرعة دخوله فيه وبطئه[3] ، وبقدر حدة حماة وغلبته .

ورأيت أجود ما ينتفع به هذا: الإسهال للصفراء بقوة . واعلم ان الطبيعة يعسر انحلالها في هذا الوقت اكثر ، لأن حركة المرار فيه الى الرأس ، فالواجب ان يسقى فيه خيار شنبر بالليل ، ثم يتبع سحراً بطبخ الإهليلج : ولا يفارق الرأس خل خمر ودهن وماء ورد ، والانف الصندل والكافور . والفصد فيها عجيب النفع ، والتطيل على الرأس . ورأيت ان امتناع اصحاب البرسام من طلب الماء ، مع شدة الحرارة ، ويبس اللسان ، انما يكون لاختلاطهم . ولذلك ارى ان يوجروا كل ساعة ماء بارداً ، ويذكروا شربه كيلا تشتد حرافة المرار ، وخاصة فيمن كان لسانه منهم ايبس ، ودلائل الوجه عليه اغلب . فان الصحيح اذا لم يشرب ثلاثة ايام حم واحتدت اخلاطه ، وزادت عفناً ، فكيف المبرسم ؟ » .

---

(١) بثقل : ثقل .
(٢) ويصبح : ويصح .
(٣) بسرعة ... وبطئه : سرعة ودخوله فيه وبطوء .

من نفس المخطوط السابق، ورق ٥٠٦ وجه س ٣ – ١٠

« اهرن قال :

سليم الكلب الكَلِب، اذا رأى الماء يرتعش ولا يشرب، حتى يموت .

لي :

كان عندنا في المارستان منهم [من] يهيج بالليل. (a) وكان (١) رجل لا يشرب، واذا قرب اليه الماء لم يخفه، لكن يقول : هو منتن، وفيه بطون الكلاب والسنانير(a) . ورجل كان اذا رأى الماء ارتعد واقشعر، وانتفض حتى ينحى عنه .

علامات الكلب الكَلِب : ان لا يعرف صاحبه، ويشد على كل ما وجد. وهو مفتوح الفم، ملذوع اللسان، قد ارخى اذنيه، وأدخل ذنبه بين رجليه، وطأطأ رأسه، واحمرت عينه، وتهرب منه الكلاب، ويسيل من فمه الزبد ».

من نفس المخطوط السابق ورق ٢١ وجه س ١٣ – ٢١ ظهر س ٦

« لي :

سنسرد من علامات الموت ذهاب النضارة(٢)، وشدة الخوف من الموت، واذا علت الشفة السفلى او العليا ...(٣)، واخضرت الثنايا او اسودت بعد بياضها، وصلب اللسان، فصار بهيئة القرن، فكلما نزع عنه عاد الى حالته في الكثرة، او ورم ورماً يضيق الفم عنه، او اعوج الأنف او تفرطح...(٤)، او صغرت العين او شخصت واستبقت، واذا تدارك وتواتر عليه الغشي، واذا لزم الاستلقاء . فكلما قلب على جنبه استلقى ايضاً، واذا مد رجليه وبسطها

(١) وكان : + وكان .

(a) – (a) قرأنا ترجمة انجليزية لهذا الجزء (عن نسخة لاتينية لكتاب « المنصوري في الطب » للرازي)، في كتاب :
J. Freind, *The History of Physick from the Time of Galen to the beginning of the sixteenth century*, London, 1726, II, p. 53.

(٢) النضارة : النظارة .

(٣) غير واضح ؛ وشكله : « وصار احمر » .

(٤) غير واضح ، وشكله : « كالمرتسوم » .

دائماً لا يفتر ، واذا كان يعض على شفته العليا قدها بأسنانه الى اسفل، ويهذي بالأموات ، وتندى اصول شعر رأسه بلا ملامسة .

فاذا اجتمع البطن ، والحمى ، والفواق ، والقيء ، ونتن ريح جبينه وزهك ... [١] .

ومن علامات الموت البعيد : تغير الاخلاق بلا سبب يوجب ذلك ، وان يجد الحر في زمان البرد[٢] ، والبرد في زمان الحر ، او يخضر بعض اعضائه او يبهت دائماً ، حتى يغلط وينسى ، او تظهر فيه شامات لم تكن ، او ...[٣] في جبهته وأنفه ، او يكثر برازه عن مقدار الاكل جداً ، او سدر ، او يغلظ صوته ، او يتقيأ[٤] ما يأكله بعد يوم بحاله ، او لا يسمع الشيء على ما هو ، ولا يبصره كذلك[٥] » .

(١) بياض في الأصل .
(٢) البرد : برد .
(٣) غير واضح ، وشكله : « عصور » .
(٤) يتقيأ : يتقي .
(٥) كذلك : + أو يحس الحار بارداً والبارد حاراً .

دليل المراجع

الكلمات التي نقترح إضافتها ، وهي غير موجودة في الأصل ، وضعناها بين [ ] .

ابن ابي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، طبعة بولاق ١٨٨٢–١٨٨٤ .
ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ليبسك سنة ١٩٠٣.
الفهرست : ابن النديم، ليبسك سنة ١٨٧١.
برجستراسر – حنين :
G. Bergsträsser, '*Hunain ibn Isḥâq über die syrischen und arabischen Galen- Übersetzungen*', *Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes*, Leipzig, XVII, Band No. 2 (1925).

المتحف البريطاني .

مخطوط Arundel Or. 14

٤١٥ ورقة ؛ ٢٢٥ × ١٥٥ مم (=١٧٥ × ١١٠) ؛ ٢١ سطراً ؛ نسخي جميل ؛ تاريخ النسخ ٤ ربيع الأول سنة ٨٨٤ كما هو ثابت في ورق ٣ وجه ؛ عناوينه بالحبر الأحمر .

يحتوي هذا المخطوط على الجزء الثامن (غير كامل) ، والتاسع ، والعاشر من كتاب « الحاوي في الطب» . والجزءان الثامن والتاسع بقلم ناسخ ، والجزء العاشر (ورق ٢٧٥ وجه إلى ورق ٤١٥ ظهر) بقلم ناسخ آخر .

دار الكتب المصرية .

مخطوط طب طلعت رقم ٥٩٤ (كتاب المرشد أو الفصول)

من ورق ٤٤ ظهر إلى ورق ٥٦ وجه ؛ ٢٠٥ × ١٤٠ مم (١٣٥ × ١٠٥) ؛ ٢٣ سطراً ؛ ضمن مجموعة طبية ؛ خط تعليق دقيق ؛ ٣ ربيع الأول سنة ٨٥٩ ؛ نسخه محمد بن ابراهيم ؛ تاريخ تمليك سنة ١١٤٠ هـ .

مخطوط طب ١٤١ (كتاب خواص الأشياء) .

من ورق ١١٩ ظهر إلى ورق ١٣٧ وجه ؛ ٢٠٠ × ١٢٠ مم (١٥٠ × ٩٥) ؛ ٢١ سطراً ؛ نسخي ؛ عناوينه بالأحمر ؛ ٣ ربيع الأول سنة ٩١٣ (في ورق ١١٨ ظهر) . وقع تلف في بعض أوراق هذا المخطوط عند إعادة تجليده ، تمهيداً لتصويره . وكنا قد نقلنا بعض نصوص الكتاب قبل حدوث ذلك التلف .

وفي إعادة تجليد هذا المخطوط وضعت بعض الأوراق في غير مواضعها الأصلية؛ فمثلاً ورق ١٢١ وجه الذي يبتدئ بكلمة «كله» يجب أن يلي في الترتيب ورق ١٢٣ ظهر الذي ينتهي بنفس كلمة «كله» . وكذلك ورق ١٢٣ وجه يبتدئ بقول : « إن علق » ، وكان ترتيبه في المخطوط ، قبل إعادة تجليده، بعد ورق ١٢٠ ظهر الذي ينتهي بنفس التعقيب « إن علق » . وقد غير عامل التجليد رقم الورق ١٢٣ إلى رقم ١٣٢ ،ووضعه بعد ورق ١٣١ . ثم ظهر ترقيم جديد للصفحات، مكتوب بالحبر الأحمر ، ولم يكن هذا موجوداً عند ما طلبت تصوير المخطوط .

الكتب التي جاء ذكرها في هذا المقال

اولاً : كتب الرازي :

Healing within an hour	برء الساعة
Al-Jāmi'	الجامع
Smallpox and measles	الجدري والحصبة
Al-Ḥāwī	الحاوي
Stones in the kidneys and in the bladder	الحصى في الكلى والمثانة
Repelling any harmful effects of foods	دفع مضار الأغذية
The spiritual physick	الطب الروحاني
Examining physicians	محنة الطبيب
The guide or Aphorisms	المرشد أو الفصول
Al Manṣūrī	المنصوري

ثانياً : كتب جالينوس :

Parts of medicine	أجزاء الطب
A résumé of the book of *The method of healing*	اختصار حيلة البرء
Paroxysms of fevers and composite attacks	أدوار الحميات وتراكيبها
Materia medica	الأدوية المفردة
Drugs counteracting diseases	الأدوية المقابلة للأدواء
Available drugs	الأدوية الموجودة في كل مكان
Periods of diseases	أزمان الأمراض
Elements	الاسطقسات
The types of fevers	أصناف الحميات
Glaucon	اغلوقن
Plethora or Repletion	الامتلاء
Acute diseases	الأمراض الحادة
An eminent physician is a philosopher	ان الطبيب الفاضل فيلسوف
Inflammations or Swelling or Abscesses	الأورام
Critical days	أيام البحران
Crisis	البحران
Treatment of acute diseases	تدبير الامراض الحادة
Restricted regimen	التدبير الملطف
Compounding of drugs	تركيب الأدوية
To Pison on theriac	الترياق إلى فيسن
The diagnosis of diseases of the internal organs	تعرف علل الأعضاء الباطنة

الكتب التي جاء ذكرها في هذا المقال

اولاً : كتب الرازي :

برء الساعة	Healing within an hour
الجامع	Al-Jāmi'
الجدري والحصبة	Smallpox and measles
الحاوي	Al-Ḥāwī
الحصى في الكلى والمثانة	Stones in the kidneys and in the bladder
دفع مضار الأغذية	Repelling any harmful effects of foods
الطب الروحاني	The spiritual physick
محنة الطبيب	Examining physicians
المرشد أو الفصول	The guide or Aphorisms
المنصوري	Al Manṣūrī

ثانياً : كتب جالينوس :

أجزاء الطب	Parts of medicine
اختصار حيلة البرء	A résumé of the book of *The method of healing*
أدوار الحميات وتراكيبها	Paroxysms of fevers and composite attacks
الأدوية المفردة	Materia medica
الأدوية المقابلة للأدواء	Drugs counteracting diseases
الأدوية الموجودة في كل مكان	Available drugs
أزمان الأمراض	Periods of diseases
الاسطقسات	Elements
أصناف الحميات	The types of fevers
اغلوقن	Glaucon
الامتلاء	Plethora or Repletion
الأمراض الحادة	Acute diseases
ان الطبيب الفاضل فيلسوف	An eminent physician is a philosopher
الأورام	Inflammations or Swelling or Abscesses
أيام البحران	Critical days
البحران	Crisis
تدبير الامراض الحادة	Treatment of acute diseases
التدبير الملطف	Restricted regimen
تركيب الأدوية	Compounding of drugs
الترياق إلى فيسن	To Pison on theriac
تعرف علل الأعضاء الباطنة	The diagnosis of diseases of the internal organs

Commentary on the book of *Epidemics*	تفسير كتاب ابيذيميا
Commentary on the book of *Humours*	تفسير كتاب الأخلاط
Commentary on the book of *Treatment of acute diseases*	تفسير كتاب تدبير الأمراض الحادة
Commentary on the book of *Prognosis*	تفسير كتاب تقدمة المعرفة
Commentary on the book of *Aphorisms*	تفسير كتاب الفصول
Commentary on the book of *Surgery of the physician*	تفسير كتاب قاطيطريون
Movements of muscles	حركة العضل
Method of healing (Methodus medendi)	حيلة البرء
The art of medicine	الصناعة الطبية
Veins	العروق
Muscles	العضل
Symptoms or The signs of imminent death	العلامات أو الدلائل أو علامات الموت السريع
Diseases and symptoms	العلل والأعراض
Medical sects	الفرق
Venesections, Phlebotomy or Blood-letting	الفصد
Strength of foods	قوى الأغذية
Examinations by which eminent physicians are recognized	المحنة التي يعرف بها أفاضل الأطباء
Black bile	المرة السوداء
Temperament	المزاج
The use of organs	منافع الأعضاء
The use of the pulse	منفعة النبض
The pulse	النبض
Anecdotes on *Prognosis*	نوادر تقدمة المعرفة

الاصطلاحات

ابتداء (انظر مرض)	
أبدان (انظر بدن)	
أبيض (انظر بول وثفل)	
إجاص	Plum
أجناس (انظر حمى)	
أجنحة	Wings
أجنة (انظر جنين)	
احتباس البطن (انظر بطن)	
احتباس البول (انظر بول)	
احتراس	Precautionary measures
أخثاء البقر	Excreta of cows, dung
أحشاء	Bowels
إحليل ، مجرى البول	Urethra
احمر (انظر ثفل)	
أختلاط العقل (انظر هذيان)	
اختناق	Suffocation
اخضرار لون الأعضاء	Lividity of organs
أخلاط (انظر خلط)	
أدهان (انظر دهان)	
أدوية (انظر دواء)	
أذن	Ear
استحمام (انظر حمام)	
استرخاء	Prostration, loss of stregth and energy
استسقاء	Dropsy
استعداد	Predisposition
استفراغ	Evacuation
استلقاء	Reclining
إسقاط القوة (انظر قوة)	
أسنان	Teeth
إسهال	Catharsis
اسود (انظر خلط)	
اسطمخيقون (حب)	Stomachic pills

أصل	Root
أضلاع	Ribs
اطراقوطولس ، قرطم بري	Wooly safflower
اطريفل	Buck-bean, bog-bean
أعراض (انظر عرض)	
أعصاب :	Nerves:
الأعصاب الجائية إلى الرجلين	Reaching the legs
منابت الأعصاب	Nerve roots
أعضاء (انظر عضو)	
اعوجاج الأنف (انظر أنف)	
إعياء	Lassitude, debility
أغذية (انظر غذاء)	
أفيون	Opium, poppy
اقشعرار ، قشعريرة	Shivering
آلات النفس	Organs of respiration
التهاب ، ورم	Inflammation
امتلاء	Plethora, repletion
أمعاء :	Intestine:
الأمعاء الدقاق	Small intestine
أملس (انظر ثفل)	
انتفاخ	Swelling
المراق (انظر مراق)	
انحطاط (انظر مرض)	
انضمام	Contraction
انعقال البطن (انظر بطن)	
أنف :	Nose:
اعوجاج الأنف	Gibbosity of
تفرطح الأنف	Becomes flattened
انفجار الدم (انظر دم)	
أنواع الأمراض (انظر مرض)	
اهليج ، هليلج	Myrobalan
أوجاع المفاصل (انظر وجع)	
أورام (انظر ورم)	
أوقات الأمراض (انظر مرض)	
أوقية	Ounce
ايفيالوس (انظر حمى)	
ايلاوس	Ileus

— ب —

بابونج	Chamomile
بارد (انظر طعام ، مزاج)	

Pustules:	بثور :
Malignant	البثور الردية
Crisis	بحران
Body	بدن
Recovery	برء
Stools:	براز ، ثفل :
Very greasy	عظيم السماجة
Soft	لين
Firm but not hard	متصل
Cold	برد
	برسام (انظر سرسام)
Demonstration, evidence, proof	برهان
Fleawort, psyllium	بزر قطونا
Polypody	بسفايج ، بسبايج
Sight:	بصر :
Eye shuns the light	يحيد عن الضوء
Onions	بصل
Belly, bowels:	بطن :
Constipation	احتباس البطن ، انعقال البطن
Relaxed, loose	لين
Garbage of dogs and apes	بطون الكلاب والسنانير
	بعيد عن أن يحمض (انظر غذاء)
	بقاء القوة (انظر قوة)
Phlegm:	بلغم :
Humour of	خلط البلغم
Vitreous	زجاجي
	بلغمية (انظر حمى)
	بهيئة القرن (انظر لسان)
Haemorrhoids, piles	بواسير
Urine:	بول ، ماء :
Colourless, white	أبيض
Retention of	احتباس البول
Haematuria	الدم
Sedimentation	رسوب
Sandy sediment	رمل
Transparent	شفاف
Clear	صافي
Yellow	صفار البول
Thick	غليظ

Cloud	غمامة في البول
Crude	فج
Scanty	قليل
Turbid	كدر
Ardour of	لذاع ، محرق
Testicle:	بيض ، خصية :
Corresponding testicle	الخصية التي بحذا
Retraction of	تقلص البيضة
Scrotal bag	كيس البيضة
Hospital	بيمارستان ، مارستان

– ت –

Yawning	تثاوب
Experience	تجربة
	تخم (انظر سوء هضم)
	تخمية (انظر حمى)
Regimen:	تدبير :
Restricted	لطيف
	تدليك (انظر دلك)
Turbith	تربد
Flabbiness	ترهل
	تزيد (انظر مرض)
Anatomy	تشريح
Differential diagnosis	تشخيص مقارن
	تصويم (انظر صوم)
	تعبية (انظر حمى)
Nutrition	تغذية
	تفرطح الأنف (انظر أنف)
Classification	تقسيم
	تقلص (انظر خصية)
Suppuration, purulence	تقيح
Fomentation	تكميد ، تنطيل
Distension	تمدد
Tamarind	تمر هندي
Friction	تمريخ
Stretching	تمطي
	تنوب كل خمسة أيام الخ ... (انظر حمى)
	تنطيل (انظر تكميد)
Premonitory signs	تهيؤ (علامات التهيؤ)

- ث -

ثفل (انظر براز)	
ثفل :	Sediment:
أبيض	White
أحمر	Red
أملس	Soft
جريشي	Farinacious
شبيه بالشعر	Like filaments
كرسني	Like chick-pea
ثقل الرأس (انظر رأس)	
ثؤلول	Excrescence
جاذبة (انظر كبد)	
جبين	Forehead
جدري	Smallpox
جراشة (انظر ثفل)	
جرعة	Draught
جرم القلب	Body of the heart
جشاء :	Eructation:
حامض	Acid
جلد	Skin
جنين	Foetus
جواهر	Substances
جوزة	Nut
جوع ، على الجوع (انظر صوم)	Starvation
جوف	Bowels
جيد (انظر دم)	

- ح -

حادة (انظر علة وحمى)	
حار (انظر مزاج و ورم)	
حالب	Ureter
حامض	Sour, acid
حب	Seeds, grains
حبل	Pregnancy
حجاب :	Diaphragm:
ورم الحجاب	Inflammation of
حجر ، حصى	Stones
حدر الأجنة	Abortion

Acridity, sharpness, acuteness, pungency	حدة
Heat, fever	حرارة
Artichoke	حرشف
Ardour:	حرقة :
Of urethra	الاحليل
	حصوة (انظر حجر)
Enema, clyster	حقنة
Assa-foetida	حلتيت
Bath	حمام
Chick-pea	حمص
	حموضة (انظر معدة)
Fever:	حمى :
Genera, kinds of	أجناس الحميات
Heats externally and cools internally	ايفيالوس
Intermittent quotidian	بلغمية دائرة
Chronic quotidian	بلغمية لازمة
Due to indigestion	تخمية
Due to fatigue	تعبية
Depats	تقلع
Abates	تنحط
Recurs	تنوب
Quintan	تنوب كل خمسة أيام
Sextan	تنوب كل ستة أيام
Septan	تنوب كل سبعة أيام
Nonan	تنوب كل تسعة أيام
Acute	حادة
Intermittent, Recurrent	دائرة ، مفارقة
Continuous	دائمة ، لازمة
Hectic	دق
Putrid	دموية ، عفن الدم ، عفن
Consumption, wasting	ذبولية
Intermittent quartan	ربع دائرة
Chronic quartan	ربع لازمة
	سهرية (انظر حمى يوم)
Intermittent due to black bile	سوداوية دائرة
Chronic due to black bile	سوداوية لازمة
Synochus, unintermittent	سونوخس
Bilious	صفراوية
Symptomatic, secondary	عرض
	عفن ، عفنية ، عفن الدم (انظر دموية)

غب دائرة	Intermittent tertian
غب لازمة	Chronic tertian
لازمة (انظر دائمة)	
ليفوريا	Heats internally and cools externally
لينة	Mild
محرقة	Ardent
مخلطة	Irregular, mixed attacks
مرض	Specific, primary
مركبة	Composite attack
مطبقة	Remittent
مفارقة (انظر دائرة)	
ورمية	Due to an abscess or inflammation
يوم	Ephemeral
يوم التخمية	Ephemeral due to indigestion
يوم التعبية	Ephemeral due to fatigue
يوم الحادثة عن احتراق في الشمس	Ephemeral due to sunstroke
يوم الحادثة عن استحمام بماء قابض	Ephemeral due to bathing with astringent water
يوم الحادثة عن شدة البرد	Ephemeral due to severe coldness
يوم الحادثة عن شرب الشراب	Ephemeral due to intoxication
يوم الحادثة عن طعام حار	Ephemeral due to eating hot foods
يوم الحادثة عن الغضب	Ephemeral due to anger
يوم الحادثة عن الفزع	Ephemeral due to fright
يوم السهرية	Ephemeral due to sleeplessness
يوم الغمية	Ephemeral due to distress
حمية	Diet
حنظل	Colocynth

– خ –

خاصرة (ج خواصر)	Flank
خـام	Crude
خبز	Bread
خراج	Abscess
خريف	Autumn
خصية (انظر بيض)	
خفقان (انظر ضربان)	
خل :	Vinegar:
خمر	Wine

Humour:	خلط :
Black	أسود
	بلغم (انظر بلغم)
Malignant	ردئ
Wine	خمر
Croup	خناق (ج خوانيق)
Properties	خواص
Purging cassia	خيار شنبر

– د –

	دائرة (انظر حمى)
	دائمة (انظر حمى)
Whitlow	داحس
Lees of wine, dregs of wine	دردي
Drachm	درهم
	دق (انظر حمى)
Massage	دلك ، تدليك
Symptom:	دليل (ج دلائل) .
Ominous	ردية
Blood:	دم :
Bleeding	انفجار الدم ، نزف الدم
Of menstruation	طمث
Pure	جيد ، نقي
Boil	دمل
Tears	دموع
Sanguineous	دموي
	دموية (انظر حمى)
Liniment	دهان ، أدهان
Oil:	دهن (ج دهون) :
Of lily	سوسن
Drug, medicine:	دواء
Diuretic	مدر للبول
Demulcent, soothing	ملطف

Pleurisy	ذات الجنب
Pneumonia	ذات الرئة
	ذبولية (انظر حمى)
Cantharides, spanish flies	ذراريح
Penis, male organ	ذكر
Tail	ذنب

ذهاب الشهوة (انظر شهوة)	
رأس :	Head:
ثقل الرأس	Heaviness of the head
رئة :	Lung:
ورم في الرئة	Abscess of the lung
ربع (انظر حمى)	
ربيع	Spring
رجل	Leg
رحم	Uterus, womb
ردئ (انظر خلط)	
رسوب (انظر بول)	
رطب (انظر مزاج)	
رطل	Pound
رعاف	Epistaxis, bleeding of the nose
رقبة المثانة (انظر مثانة)	
ركبة :	Knee:
مزمنة	Chronic pains in the knee
رمل (انظر بول)	
روح	Pneuma, vital spirit
رياح : ريح	Flatulence
ريحي (انظر قولنج)	
زبد	Foam
زبل	Dung
زجاجي (انظر بلغم)	
زعفران	Saffron
زمان النضج (انظر نضج)	
زند	Forearm
زوفا	Hyssop
زيت	Oil
سبب :	Cause:
بادي	External
سبستان	Sebesten-plum
سحالة الحديد	Slag of iron, dross
سحج الأمعاء	Dysentery
سدر	Giddiness

Obstruction	سدة
Meningitis	سرسام ، برسام
Navel	سرة
Coughs	سعال
Scammony	سقمونيا
	سقوط القوى (انظر قوة)
Administration of water	سقي الماء
Sugar	سكر
Intoxicated person	سكران
	سكون الوجع (انظر وجع)
Sleeplessness, insomnia	سهر
	سهرية (انظر حمى)
Indigestion	سوء هضم ، تخم ، فساد الهضم
	سوداء (انظر مرة سوداء)
	سوداوية (انظر حمى)
Lily	سوسن
	سونوخس (انظر حمى)
Meal, barley groats	سويق

— ش —

Mole	شامة
Alum	شب
Storax	شبرح
	شبيه بالشمر (انظر ثفل)
Fat	شحم
	شخوص العين (انظر عين)
Wine:	شراب :
Pure	صرف
Strong	قوي
Barley	شعير
Lip	شفة
Appetite:	شهوة :
Loss of appetite	ذهاب الشهوة
Thorns	شوك

— ص —

	صادق البرد (انظر ماء)
Aloe	صبر
Thorax, chest	صدر

صدغ :	Temple:
لاطي.	Sunken
صديد ، قيح ، مدة :	Matter, pus
صديد القروح	Of ulcer
صرع	Epilepsy
صرف (انظر شراب)	
صغر العين (انظر عين)	
صغير (انظر نبض)	
صغير الموضع (انظر وجع)	
صفاء اللون (انظر بول)	
صفار اللون (انظر بول)	
صفراء	Bile
صفراوية (انظر حمى)	
صلابة الطحال (انظر طحال)	
صلابة الكبد (انظر كبد)	
صندل	Sandal
صوم ، تصويم ، على الجوع	Fasting

— ض —

ضرب (انظر ضروب)	
ضربان ، خفقان	Throbbing
ضروب	Kinds of
ضلع (انظر أضلاع)	
ضماد	Dressing, poultice
ضيق النفس (انظر نفس)	

— ط —

طبيخ	Decoction
طبيعة	Nature
طحال :	Spleen:
صلابة الطحال	Induration of
عظيم	Large
متحجر	Hard
طعام :	Food:
بارد	Cold
غليظ	Thick
طلق (انظر ولادة)	
طمث	Menstruation, menses
طويل (انظر مرض)	

ظهر	Back

– ع –

Kneading	عجن
Symptom	عرض
Vein	عرق
Sweat:	عرق :
Copious sweats	كثرة العرق
	عسر ولادة (انظر ولادة)
Honey	عسل
Nerve	عصب
Organ	عضو
Thirst	عطش
Bones	عظام
	عظيم (انظر نبض وطحال)
	السباجة: (انظر براز)
Oak (dyer's)	عفص
Putrefaction	عفن ، عفونة
	عفن ، عفنية (انظر حمى)
Therapeutics	علاج
Symptom:	علامة :
Symptoms of death	علامات الموت
	علم التشريح (انظر تشريح)
Illness:	علة :
Acute	حادة
Extraneous	واردة
Patient	عليل
	عميق (انظر وجع)
Zizyphus	عناب
Neck	عنق :
	عنق المثانة (انظر مثانة)
Eye:	عين :
Immobile eyeball, coma vigil	شخوص العين
Becomes partly closed	صغر العين

– غ –

	غائر (انظر وجع)
	غب (انظر حمى)
Nausea	غثى ، غثيان
Gland	غدة
Foods:	غذاء :
Which do not become sour	بعيد عن أن يحمض

مدخن	Smoked
معلجن	Fried
غشاء :	Membrane:
الغشاء الذي على الدماغ	Membranes of the brain
غشي	Swooning, fainting
غليظ (انظر بول ، طعام)	
غمامة (انظر بول)	
غمز المراق (انظر مراق)	
غمية (انظر حمى)	
غير سريع (انظر نبض)	

— ف —

فارغة (انظر مثانة)	
فالج	Hemiplegia
فتور	Languor
فج (انظر بول)	
فحم	Coal
فخذ :	Thigh:
خدر الفخذ	Numbness of
فرج	Vagina
فساد الهضم (انظر سوء الهضم)	
فصد	Blood-lettig, venesection, phlebotomy
فصول	Aphorisms
فضل (ج فضلات)	Superfluity
فلغموني	Phlegmonous
فواق	Hiccough

— ق —

قابض	Astringent
قاثاطيرا ، مبولة	Catheter
قتاد	Gum arabic
قراقر	Borborygmus
قرحة	Ulcer
قرطم	Safflower
قرطم بري (انظر اطراقوطولس)	
قصبة الرئة	Trachea
قصة	Case-history
قطن	Loins
قلق	Anxiety
قليل (انظر بول)	

Centaury	قنطريون
Colitis:	قولنج :
With flatulent distension	ريحي
Colon	قولون
Strength:	قوة :
Prostration	اسقاط القوة ، سقوط القوة
Preservation of	بقاء القوة ، حفظ القوة
	جاذبة (انظر كبد)
	ماسكة (انظر كبد)
	قوي (انظر نبض)
Vomiting	قيء
	قيح (انظر صديد)

— ك —

Camphor	كافور
Liver:	كبد :
Induration of	صلابة الكبد
Attractive faculty	قوة جاذبة
Retentive faculty	قوة ماسكة
	كدر (انظر بول)
Distress	كرب
	كرسني (انظر ثفل)
Sluggishness of movements	كسل
Alkekeng	ككنج
Dog:	كلب :
Mad dog	كلب
Kidney	كلية (ج كلى) :
	وجع الكلى (انظر وجع)
	كيس البيضة (انظر بيض)
Chyle	كيلوس
Chyme	كيموس

— ل —

	لازم (انظر وجع)
	لازمة (انظر حمى)
	لاطيء (انظر صدغ)
Milk	لبن
Flesh	لحم
Glands:	اللحم الرخو في جميع البدن :
Inflammation of	ورم

	لذاع (انظر بول)
Pinching, smarting	لذع
Viscous	لزج
Tongue:	لسان :
Horny	بهيئة القرن
Red and hot	ملذوع اللسان
	لطيف (انظر تدبير)
	ليثرغس (انظر حمى)
	ليفوريا (انظر حمى)
	لين (انظر براز)
	لينة (انظر حمى)
Water:	ماء :
Ice cold	صادق البرد جداً
	ماء (انظر بول)
Pulse water	ماء البقول
Whey	ماء الجبن
Chick-pea water	ماء الحمص
Alum (solution of)	ماء الشب
Barley water	ماء الشعير
Rose water	ماء الورد
Those who administer the catheter	المائيون
	مارستان (انظر بيمارستان)
Mezereon	مازريون
	ماسكة (انظر كبد)
Suffering from pains in the belly	مبطون
	مبولة (انظر قاثاطيرا)
	متحجر (انظر طحال)
	متحرك (انظر وجع)
	متصاعد (انظر وجع)
	متصل (انظر براز)
	متنقل (انظر وجع)
Bladder:	مثانة :
Neck of	رقبة المثانة، عنق المثانة
Empty	فارغة
	مجرى البول (انظر إحليل)
	محرقة (انظر حمى)
Feverish patient	محموم
	مختلف (انظر نبض)

Narcotics	مخدرات
	مخلطة (انظر حمى)
	مدخن (انظر غذاء)
	مدة (انظر صديد)
	مدر للبول (انظر دواء)
Bilious	مرارى
Hypochondrium, hypogastrium:	مراق :
Swelling of	انتفاخ
Pressing on	غمز المراق
Litharge	مرداسنج
	مرض (انظر حمى)
Disease:	مرض :
Onset of	ابتداء
Increase	تزيد
Culmination	منتهى ، نهاية
Decline	انحطاط
Kinds of diseases	انواع الامراض
Periods of diseases	اوقات الامراض
Protracted	طويل
Chronic	مزمن
	مركبة (انظر حمى)
Black bile	مرة سوداء ، سوداء
Gullet, œsophagus:	مرىء :
Inflammation of	ورم المرىء
Patient	مريض
Temperament:	مزاج :
Cold	بارد
Hot	حار
Humid	رطب
Humour:	مزاج :
Corrupt humour, dyscrasia	سوء مزاج
	مزمن (انظر مرض)
Dropsical patient	مستسقى
Cathartic drugs:	مسهلات :
Laxatives	خفيفة
Stomach:	معدة :
Acid dyspepsia	حموضة في المعدة
	مطبقه (انظر حمى)
	مطجن (انظر غذاء)
Colic	مغص

	مفارقة (انظر حمى)
Joints	مفاصل
Emetics	مقيئات
	ملاسة (انظر ثقل)
	ملذوع (انظر لسان)
	ملطف (انظر دواء)
Replete	ملء
Intense thirst	مليلة
	منابت الاعصاب (انظر اعصاب)
	منتهى (انظر مرض)
Death	موت
Fistula	ناصور
Rigor	نافض
Pulse:	نبض :
Small	صغير
Large	عظيم
Slow, sluggish	غير سريع
Strong	قوى
Irregular	مختلف
Formicant	نملي
Thin, emaciated	نحيف
Stabbing pain, shooting, lancing	نخس (في الالم) ، وخز
	نزف الدم (انظر دم)
Catarrh	نزلة
Ape	نسناس
Coction:	نضج :
Period of	زمان النضج
Expectoration	نفث
Inflation	نفخة ، نفخ
Breathing, breath:	نفس :
Dyspnoea	ضيق النفس
Gout	نقرس
	نقي (انظر دم)
Relapse	نكسة
	نملي (انظر نبض)
	نهاية (انظر مرض)
Sleep:	نوم :
Came on immediately	نامت على المكان

هذيان ؛ اختلاط عقل	Delirium
هضم :	Digestion
سوء الهضم ، فساد الهضم (انظر تخم)	
وجع :	Pain:
أوجاع المفاصل	Of the joints
سكون الوجع ؛ الوجع يفتر	Abates
صغير الموضع	Localized in a small area
الظهر	Of the back
عميق	Deeply situated
غائر	Penetrating
القولون	Colitis
الكلى	Of the kidneys, nephritis
لازم	Continuous
متحرك	Unlocalized
متصاعد ، يرتقي	Shifting
متنقل	Ascending
يدور	Recurs
يرتقي (انظر متصاعد)	
وجور	Draught
وخز (انظر نخس)	
ورم :	Abscess:
حار	Hot
ورم الحجاب (انظر حجاب)	
ورم الرئة (انظر رئة)	
ورم اللحم الرخو في جميع البدن (انظر اللحم الرخو)	
ورم المريء (انظر مريء)	
ولادة :	Parturition
طلق	Pangs of
عسر الولادة	Difficult
يابس	Dry
يحيد عن الضوء (انظر بصر)	
يد	Arm
يدور (انظر وجع)	
يرتقي (انظر وجع)	
يرقان	Jaundice
يفتر (انظر وجع)	
يوم (انظر حمى)	

L'INSCRIPTION PHÉNICIENNE DE NORA
(CIS. I, 144)

PAR

A. VAN DEN BRANDEN

I. — Le texte

Le Corpus Inscriptionum Semiticarum, I, qui a édité sous le n. 144 le texte que nous allons étudier dans les pages suivantes, nous apprend que cette inscription a été trouvée en 1773 aux environs du village de Pula, l'ancienne ville de Nora, dans l'île de Sardaigne. Elle est tracée sur une grande pierre en grès, mesurant 1,05 m de hauteur et 0,57 de largeur. Toujours d'après le Corpus, cette pierre se trouve depuis 1830 au Musée de Cagliari, capitale de la Sardaigne. Il s'agit donc d'une inscription connue depuis longtemps.

II. — Paléographie

Paléographiquement l'écriture se rapproche de celle de l'inscription du Cyprus Museum (1) et de celle de l'inscription de Kilamawu (2), quoique le tracé en soit plus négligé et que les barres de séparation des mots manquent.

L'emploi de la forme 𐤊 pour la valeur *k* prouve que notre texte est paléographiquement plus récent que les textes de Byblos (10e s.) qui se servent de la forme ψ pour cette valeur, et plus

(1) Honeyman, dans *Iraq* VI, (1939), p. 106-108; Albright, W.F. dans *BASOR*. 83, (1941) p. 14-17; Dupont-Sommer dans *RA*, XLI, p. 201-211.

(2) Lidzbarski, *Ephemeris für semitische Epigraphik*, III, p. 218-238.

ancien que les inscriptions de Karatepe (8e s.) qui emploient la forme A pour la valeur *d*, alors que notre inscription se sert de la forme Δ. La date du 9e s. que les spécialistes lui attribuent semble donc bien convenir (1). En tous cas, l'opinion du Corpus, selon laquelle nous aurions affaire à une écriture archaïsante, est actuellement abandonnée.

III. — Interprétations

Comme nous avons dit plus haut, le Corpus a édité ce texte sous le n. 144. Son interprétation peut être considérée comme étant le résultat de nombreuses études parues depuis 1833 jusqu'en 1883 et dont il donne la bibliographie complète. Toutefois, jugeant cette interprétation comme insuffisante, plusieurs spécialistes parmi lesquels nous citons Albright (2), Dupont-Sommer (3) et Février (4), se sont efforcés d'améliorer et de corriger les lectures et les interprétations du Corpus. S'il faut reconnaître que ces auteurs sont arrivés à certains bons résultats concordants, il faut toutefois aussi avouer que beaucoup de divergences subsistent dans leurs lectures aussi bien que dans leurs interprétations. Ce fait prouve non seulement que l'inscription de Nora n'est pas d'une interprétation facile, le Corpus l'ayant déjà qualifiée de «difficillimus», mais aussi que le dernier mot n'en est pas encore dit. C'est pourquoi nous nous sommes également mis à l'étude de ce texte.

Il est évident qu'une bonne interprétation est conditionnée d'abord par la lecture exacte de toutes les lettres et ensuite par la coupure exacte des mots qui permettra, à défaut d'autres critères comme c'est le cas ici, de juger si le texte est complet ou non. Or nous constatons que déjà à ce point de départ les auteurs ne s'accordent pas.

Nous indiquerons au cours de notre commentaire les différentes lectures proposées par les auteurs. Il suffit de signaler ici les

(1) Dussaud dans *Syria*, VI (1924), p. 147; Albright dans *BASOR*, 83, (1941), p. 17 et p. 20-21.
(2) Albright, dans *BASOR*, 83 (1941), p. 17 ss.
(3) Dupont-Sommer dans *CRAI*, 1948, p. 122 ss.
(4) Février dans *RA*, XLIV (1950), p. 123 ss.

différentes opinions concernant l'état de conservations de l'inscription.

L'éditeur du Corpus, à la suite de Renan, considère cette pierre comme une sorte de stèle dont la partie supérieure, en forme arrondie, aurait été enlevée par une brisure. Cette partie perdue aurait contenu les deux lettres מצ. La restitution du premier mot donnerait donc la lecture מצבת, «stèle». Le reste est considéré comme complet.

Albright est d'avis que nous sommes en présence d'un fragment de pierre qui a seulement conservé la partie inférieur du côté gauche d'une inscription beaucoup plus longue qui aurait même occupé plusieurs pierres. L'auteur s'efforce alors de restituer dans la mesure du possible la partie manquante du texte. On comprend alors qu'il arrive à des résultats complètement opposés à ceux du Corpus.

Par contre, Dupont-Sommer et Février considèrent l'inscription comme complète. Nous sommes également de cet avis. Mais malgré cet accord initial, les interprétations de ces deux auteurs s'opposent complètement.

IV. — Lecture et contenu

Le Corpus dans son Atlas à la pl. XXXII a publié deux photographies de cette inscription, une de l'estampage et l'autre de la pierre même. C'est à l'aide de ces deux photographies que nous avons établi notre lecture. Il se fait, en effet, qu'une lettre, illisible sur la photographie de la pierre, se présente clairement sur celle de l'estampage et vice-versa. Ainsi nous pensons avoir pu établir la lecture exacte de toutes les lettres à l'exception du ל à la fin de la ligne 4 et du ת à la fin de la ligne 6 qui restent douteux. Toutefois leur restitution nous semble facile à faire.

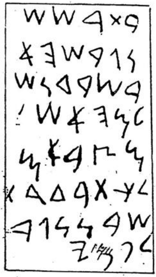

בת רש ב -1- Temple principal que
נגר ש הא -2- Naggâr qui est
בשרדן ב -3- de Sardaigne a
לם הא בל -4- achevé. (C'est) lui (encore qui) a ache-
ב צבא מ -5- vé la série de tra-
לכת בדרת -6- vaux dans le sanctuaire
ש בן נגר -7- qu'a construit Naggâr
לפמי -8- à Pumay.

Il s'agit donc d'une inscription de construction mentionnant les différentes phases qui ont abouti à l'achèvement complet du temple. Il y en a trois. La première (1-4a) consiste dans l'achèvement du temple principal par Naggâr, habitant de la ville de Sardaigne. Il semble donc que ce temple, lors de sa construction, avait été laissé inachevé.

La seconde phase concerne la construction (בן) d'un temple secondaire en l'honneur du dieu Pumay par ce même Naggâr. Ce bâtiment (דרת) aussi avait été laissé inachevé car la troisième phase mentionne l'exécution d'une série de travaux dans ce sanctuaire (4b-6) dédié à Pumay.

Ce procédé de construction n'a rien d'extraordinaire. Souvent les sanctuaires furent construits par étapes, l'archéologie nous en a donné la preuve.

V. — Commentaire

1: בת. Ce mot peut avoir plusieurs sens: maison ou temple. P. ex. «maison» dans Kil. I, 5 (Lidzbarski, *Ephemeris*, II, p. 218-238): בת אבי, «maison paternel»; Arslan Tash 5 (van den Branden dans *Bibia e Oriente*, 3 (1961), p. 41 ss.) : בת אבא בל תבא ,«la maison dans laquelle j'entrerai, tu n'entreras pas»; CIS. I, 121, 1: בת עלם, «maison d'éternité» (tombeau). Mais le plus souvent, comme c'est le cas ici, בת signifie «temple». Ainsi dans Yeḥim. 1 (Albright dans *JAOS*, *LXVII* (1947), p. 156): בת ז בני, «ce temple qu'a construit»; CIS. 3, 15: בת אלנם, «temple des dieux»; CIS. 3, 17: בת באשמן, «temple d'Ešmôn» etc. Comme on a signalé plus haut, le Corpus restitue מצבת, «stèle».

— רש pour ראש, qui signifie généralement «tête», mais qui a ici la valeur d'un adjectif, «principal», comme dans l'expression bien connue: הכהן הראש, «prêtre principal» = «grand prêtre», Esdras 7,5; II Rois 25,18 etc. Février (*RA*. 1950, p. 124) signale que Dhorme avait attiré son attention sur l'expression accadienne *bît-rêš*. Cette expression désigne le temple principal dédié au dieu Anum à Uruk, cf. Dhorme, E., *Les religions de Babylonie et d'Assyrie*, Mana, II, Paris, 1945, p. 25. Dupont-Sommer (*CRAI*, 1948, p. 15) traduit ces deux mots: «temple du Cap».

— ש, pronom relatif, complément direct dépendant du verbe שלם du v. 3-4. Voir ce même relatif dans le texte du Cyprus Museum, 2 (Honeyman dans *Iraq*, 1939, p. 106-108) : לקבר ש על הגבר זא, «dans ce tombeau qui est au-dessus de cet homme». L'emploi de cette forme est rare dans les anciens textes qui se servent généralement de אש, mais plus fréquent dans les textes récents puniques, cf. Friedrich, J., *Phönizisch-Punische Grammatik*, Rome, 1951, p. 51, n. 121, 122 et p. 143, n. 310, 2. Le Corpus pense que ce pronom relatif exprime la filiation: רש ש נגד, «Roši, (filii) Nagidi», tournure qu'on trouve parfois dans les textes puniques comme p. ex.

dans CIS. 139: בעלחנא ש בדמלקרת , «Ba‘al-ḥanna’, fils de Bodmelqart» ; CIS. 2791 : אבקם ש גרעשתרת, «’Abiqâm, fils de Ger‘aštart».

Signalons encore que Albright (*BASOR*, 83, (1941), p. 19) considère toute la première ligne comme constituant un seul mot qu’il lit: בתרשש «in(from?) Tarshish».

2: נגר. Nom propre nouveau d’après Février mais que le CIS. ad 354 signale comme connu en phénicien. Le Corpus lit נגד, lecture avec raison corrigéé en נגר par Dupont-Sommer et Février. Ce nom signifie «menuisier», substantif connu en punique (CIS. 354) comme en aram. נגר, syriac ܢܓܪܐ et arabe ناجر. D’après Dalman, *Aram. Neuhebr. Handwb*, p. 362, le nom נגר figure dans l’onomastique araméen. L’arabe le connaît aussi sous la forme نجار, cf *Vocab*. p. 301. Remarquons que d’après Dupont-Sommer il s’agirait ici du nom de l’ancienne ville d’après laquelle est nommé le cap: «Temple du Cap de Nogar». Toutes autres sont encore la lecture et la traduction d’Albright qui, en y joignant le *š* suivant, voit dans ce mot le niphal du verbe גרש «bannir».

— ש הא. Le ש est comme au v. 1 le pronom relatif, mais ici en position de sujet, et הא le pronom personnel de la 3e pers. masc. sing., cf. Friedrich, p. 44, 110. Nous avons traduit «qui est», pour «qui lui (est)». Cette tournure grammaticale est connue, cf. p. ex. CIS. 91,1: בשנת 31 לאדנמלכם ... אש הא שת 37 לאש כתי «en l’année 31 du Seigneur des Rois, Ptolémée, ce qui est l’an 17 des hommes de Citium». La forme au pluriel se trouve dans Larnax, II (Cooke, *Textbook*, p. 82, n. 29): .... אש המת לעם לפש 33 «... qui est l’année (qui sont les années) 33 du peuple de Lepathos». Voir Friedrich, p. 134, n. 286,5.

3: בשרדן. La préposition ב peut avoir ici le sens de «en, dans». Ainsi Friedrich, p. 134, n. 286,5: «die in Sardienien (ist)» et Dupont-Sommer et Février etc. Mais elle peut avoir aussi le sens de מן, comme p. ex. dans CIS. 3, 6 : ואל יעמסן במשכב ז עלת משכב שני «et ne me transporte pas de ce sépulcre dans un autre

sépulcre», cf. Friedrich, p. 115, n. 152, I. Il nous semble que le contexte exige ce dernier sens. Le lapidaire veut annoncer d'où vient l'homme qui a achevé le temple et non où il se trouve.

— שרדן, est le nom de la ville qu'on doit probablement identifier avec l'ancienne ville de Nora. Elle a dû être une ville d'importance pour avoir pu donner son nom à l'île entière.

3-4: שלם, verbe au piel, «achever», cf.I Rois 9,25: ושלם את הבית: «et il (Salomon) acheva le temple». Le même verbe est employé dans le texte phénicien du Pirée 7 (RES. 1215) dans le sens de «récompenser» = «accomplir une dette de reconnaissance». On y lit: ידע הצדנם׳ כידע הגו לשלם חלפת , «Les Sidoniens savent que la communauté sait récompenser en échange». Dupont-Sommer traduit: «Prospère soit-il!» et Albright restitue האדם, «cet homme».

4: הא שלם. Février a bien vu qu'avec le pronom démonstratif הא commence une nouvelle phrase. L'emploi de ce pronom est plutôt rare en Phénicien. Le sens en est «celui dont on vient de parler en latin «ille», en anglais «that one». Voir p. ex. Aḥiram 2 והא ימח ספר (ז) , «et celui-là qui effacera cette inscription» et peut-être encore la forme archaïque tel qu'on le trouve en ugaritique (Gordon, C., *Ugaritic Manual*, I, Rome, 1955, p. 23) dans Yehim. 2 (Albright dans *JAOS*, 1947, p. 156): (ה)את הוי כל מפלת הבתם. «C'est lui qui a restauré toutes les ruines des temples». Les références de Friedrich, p. 48, n. 114 et p. 135, n. 290 où l'auteur explique le sens de ce démonstratif, concernent l'adjectif démonstratif. Le Corpus sépare les mots comme suit: שלמת אש ל, «absolvit quod ad..» et Albright: האש, «qui».

5: צבא. C'est la lecture de Février que nous considérons comme la seule exacte. Le Corpus joignant les deux lettres précédentes à ce mot lit לצבא, «ad erigendum illud», Albright מצבא, «commander» et Dupont-Sommer: צר אם, «Tyr mère de». Février traduit le mot צבא par «tâche» et fait remarquer qu'il peut désigner n'importe quelle tâche pénible. L'auteur se base donc sur le sens de «service» que ce mot a dans les textes bibliques: service au profit

du roi ou du Dieu. Mais dans les différentes langues sémitiques, ce mot signifie également «armée, «groupe». Ainsi p. ex. en hébreu II Rois. 5,1 : צבא מלך ארם, «l'armée du Roi d'Aram» ; Dt. 17,3 : צבא השמים, «l'armée des cieux (étoiles)». En assyrien (cf. Bezold,C., *Babylonisch-Assyrisches Glossar*, Heidelberg, 1926, p. 233) : ṣâb tâḫazi, «armée de combat»; ṣâb êkallâti», «gens du palais»; ṣâb sêri, «gens du désert» etc. A la base de ce mot se trouve donc le sens de «ensemble», «groupe», «série». Il nous semble que le contexte suggère plutôt le sens de «série», «ensemble». C'est cette signification que nous retenons.

5-6: מלכת avec Février. Le Corpus lit un nom propre «Milk (ya)ton, ainsi aussi Friedrich, p. 25, n. 66b. Albright complète en ממלכת, «roi» et Dupont-Sommer rend לכת par «de Kition». Le mot מלכת se présente encore sous la forme מלאכת dans les textes phéniciens. Il a également deux sens différents: un sens profane, «travail, œuvre», et un sens sacré, «service divin, liturgie». Ainsi nous lisons dans CIS. 1, 11: אש יסף לפעל מלאכת עלת מזבח זן «qui, faisant un travail, (l')ajoutera à cet autel» (sens profane) ; CIS. 86A, 6: אש שבבם למלכת קדשת, «qui vaquent au service saint» (sens sacré); CIS. 86A, 12: לגלבם פעלם על מלאכת, «aux barbiers faisant le service» (sens sacré). Dans notre inscription le mot est à prendre dans le sens profane comme le suggère le verbe שלם. D'après le contexte il s'agit d'un pluriel, cf. Friedrich, p. 99, n.230.

6: בדרת. Cette lecture nous semble certaine, seul le *t* est douteux. Elle diffère considérablement de celle des autres auteurs. Le Corpus lit בן רש, «fils de Roš»; Albright restitue: (?) ובן [סכן «or (he be) governor (?)»; Dupont-Sommer: [ק]נרנ, «Narnaka (?)» et enfin Février נבנת, «construction».

ב est la préposition «dans». Le sens de דרת n'est pas encore bien fixé. Ce mot se présente également dans le texte punique, Mact. A, 1 et 8. Cooke, *Textbook*, p. 153 en a suggéré le sens de «maison». Par contre Février dans *Semitica*, 1956, p. 16 propose la traduction «sanctuaire». Nous traduisons également par «sanctuaire», mais nous ne donnons pas à ce mot l'extension que Février lui

attribue. A ce propos l'auteur écrit: «Ici j'entends par DRT «la demeure (du Dieu)», c.-à.-d. «le sanctuaire», ce mot étant pris avec son acceptation la plus large, y compris toutes les dépendances et par opposition au MQDŠ, le «temple» proprement dit». Le contexte de notre inscription suggère plutôt qu'il s'agit ici d'un bâtiment qui est un temple puisqu'il est dédié au dieu Pumay, et qui doit être considéré comme secondaire par rapport au temple principal dont le titulaire n'est pas mentionné. C'est dans ces deux constructions que les travaux d'achèvement ont été faits, et par conséquent ils doivent être différents l'un de l'autre.

7: ש בן. Voir v. 2 pour ש. Le verbe בן, «construire» est employé dans de nombreuses inscriptions: CIS. 3, 4: במקם אש בנת «dans ce lieu que j'ai construit»; CIS. 3, 15 : בנן אית בת אלם «nous avons construit les temples des dieux» : CIS. 86A, 4 : לבנם אש בן «aux constructeurs qui ont construit»; Maṣ'oub 2 (Cooke, *Textbook*, p. 48, n. 10) : אש בן האלם, «qu'ont construit les notables». Seul Albright coupe les mot d'une façon différente: שב . נגר[ש «return, then (that man) shall be banished». Pour le Corpus, בן signifie «fils».

8: לפמי, avec Dupont-Sommer et Février. Le Corpus lit un nom ethnique: לפסר, «Lipsanus» et Albright corrige en בימי, «for his life-time». Le nom divin פמי était déjà connu par les noms théophores פמייתן (CIS. 11,1 ; 12; 10,1) ; עבדפמי, (CIS.88,6) et probablement אמתפמי (CIS.55,1), mais c'est ici qu'on le rencontre pour la première fois à l'état isolé. Les rares mentions de ce dieu ne permettent pas encore de se former une idée de sa nature ni de son origine.

Beyrouth, le 31 déc. 1961 A. v. d. BRANDEN

ABRÉVIATIONS

BASOR — Bulletin of the American Schools of Oriental Researchs
CIS — Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars. I.
Cooke, Textbook — Cooke, G.A., *A Text-book of North Semitic Inscriptions*, London, 1903.
CRAI — Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Comptes rendus.
Friedrich — Friedrich, J., *Phönizisch-Punische Grammatik*, Rome, 1951.
JAOS — Journal of the American Oriental Society.
RA — Revue d'Assyriologie et d'Archéologie orientale.
Vocab.— Vocabulaire destiné à fixer la transcription en Français. des noms indigènes, Alger, 1891.

تعريف عن الكتب

شعراء هازلون

بقلم أمل مسكوني

دراسات ادبية – قدم له واشرف عليه الدكتور مصطفى جواد
بيروت – مطبعة القاطي ١٩٦٣، ٩٣ صفحة – منشورات دار الفكر

جمع شعر شعراء هازلين يتطلب في الفئة الادبية الأدبية جرأة وحماساً يخزلان صاحب الفكرة قوة وصلابة حتى ولو عيّره اترابه بالميل الى شعر التهتك و الإباحة. نعم ان الهزل في الشعر فنّ ولكن الشطحات العادية في ذلك الفن يوصلان به الى السرعة في الهزء. والغزل الذي لا يأبه لكرامة ولا يعي قيماً روحية.

فالمؤلفة اخذت من ثقافتها ومن الاطلاع على خزانة والدها ما يهيب بالقارئ ان يتعرف الى فن المهاترة والمجون وهي لم تستخلص من اشعار الشعراء الثلاثة الذين انكبت على تآليفهم وهم ابو الرقعمق الانطاكي وابن وكيع التنيسي وابو القاسم الواساني الا ما استطاعت بدقتها وحسن ذوقها ان تجعله بين ايدي المطالعين وهي تُشكر على هذه البادرة ولقد قدّمت على الشعر الذي نشرته بكلمات تعريف بالشاعر وجيزة مقتضبة صافية مبيّنة بوضوح انها حذفت ما لا يليق بالقارئ.

ابتدأت وانتهت بهذا المؤلف السلسلة الاولى من دراساتها الادبية وعلى أمل الزيادة فاننا نكرّر الشكر والثناء. ا. ع. خ.

مبادئ علم الاجتماع

بقلم حسين علي الداقوقي

مطبعة دار الكشاف – بيروت – ١٩٥٦ – ١٦٠ ص

في هذا الكتاب ملخص واضح لمبادئ علم الاجتماع في تطوره وطريقته وتأثير الجغرافية على الاقتصاد والمجتمع والعائلة واسسها. في الفصل الاخير يتكلم المؤلف على ابن خلدون وعلى تأثيره في تكوين علم الاجتماع.

المؤلف يعرض ولا يحكم . لا يريد ان يفرض احكامه . يعطينا درساً وضعياً . وما اجده خيّرًا في هذا الكتاب هو السؤالات العديدة التي يستطيع ان يستعملها من اراد ان يتعاطى الاجتماع الوضعي وان يدرس حالة قرية او دسكرة او مقاطعة درساً محصاً واضحاً . ا . ع . خ

شرح كتاب السّير الكبير

بقلم محمد بن الحسن الشيباني

املاء محمد ابن احمد السرخسي — الجزء الاول — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجّد مطبعة مصر ١٩٥٧ — معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية — ٤٠٨ صفحات

هو اول كتاب في الحق الدولي فيه يدرس المؤلف الحروب وسننها واسسها ومتطلباتها . يثبت المؤلف درسه على القرآن والحديث ، يثبته على ثقافة واسعة الارجاء استقاها من مؤسسي المذاهب في الاسلام . ولذا فان هذا الكتاب كان في الماضي الدستور الذي اليه ارتكز العالم الإسلامي في حروبه مع الغريب.

واذا ما قابلنا هذا الكتاب بمؤلفات كروسيوس نرى ان الشيباني يتقدمه في علم الحقوق الدولية ويتقدمه خاصة بعمق التفكير .

النشرة علمية . ولقد استعمل الدكتور المنجد كل ما له من علم في مقابلة نسخ المخطوطات وفي انتقاء المخوط الاساسي وفي انتخاب الاصول التي سهّلت عليه درس المخطوط وتحليله . ولكننا لا نشتي عن القول ان كتاباً كهذا كان يستحق طبعة احسن واوضح . ا . ع . خ

اعلام الفلسفة العربية

بقلم كمال اليازجي وانطوان غطاس كرم

دراسات مفصّلة ونصوص مبوّبة مشروحة — لجنة التأليف المدرسي — بيروت ١٩٥٧ — ١٠٦٩ صفحة ، حجم كبير

كان ينقصنا تاريخ شامل كامل للفلسفة العربية تعرض فيه المشاكل العقلية بوضوح ويحلل ثروة فكرية . لم يكن في أيدينا الى الآن سوى دروس متفرّقة لا تبدو بمظهر الكمال : تتباطأ بدرس بعض المفاهيم او بتحليل بعض المشاكل

دون ان تلقي نظرة شاملة على الموضوع وتطوّره عبر التاريخ. وهذا هو الكتاب الذي يسدّ ثغرة ويروي عطشاً .

المؤلفان احبا ان يظلّا على صعيد مدرسي ولكنها تعمقا في المشاكل فعادا الى اصولها فصورا المحيط والبيئة التي فيها ولدت الفكرة الفلسفية ومرّا بعد ذلك بالنهضة العربية على الصعيد العلمي وادخلا القارئ في علم الكلام وتكوين البدع. ولذا فان اسم ابي العلاء المعرّي يحتل مكان الصدارة اذ هو ابو علم الكلام ومؤسسه . ونتنقل بعد ذلك الى درس التصوّف الاسلامي .

لم نصل بعد الى الفلسفة بمعناها الحصري . فيقوم المؤلفان ويصوران امامنا بيئة افلاطون وارسطو ويلقيان بعض الانوار على اخوان الصفا يقودان القارئ الى الفلسفة الحقيقية مع الفارابي وابن سينا والغزالي . وبعد ذلك ننتقل معهما الى اسبانيا فنعيش مع ابن باجة وابن طفيل وابن رشد. ويحتل هنا ابن خلدون محلًا مرموقاً الى ان ينتهي المؤلفان الى درس تأثير الفكر العربي على الفكر الغربي.

هذا محتوى الكتاب . فما هي ميزاته ؟ اختار المؤلفان نصوصاً تتبع الدروس وهذه النصوص تُلقي نوراً على الدرس وتعطيه قوّة البرهان واليقين. والميزة الثانية هي الوضوح والبساطة في عرض الافكار . ولذا فنرى للمشاكل معروضة دون ما ارتباك ولا مواربة . اما الميزة الثالثة فهي القوّة التي بها يدرس المؤلفان خصائص الفترات التاريخية ، فيميزانها عن بعضها وكانت الى الآن تتشابه الى درجة في المواضيع العامة كانت تعاد على القارئ دون تمحيص.

ولذا فان هذا الكتاب سيظل الكتاب المدرسي يساعد الطلاب ويساندهم في دروسهم.

يبقى على المؤلفين ان يخصصا دروساً لكل فيلسوف بمفرده متعمّقين في افكاره وفي التأثير الذي تأثرت به والذي كان لها الدور في اثباته في تطوير الفكر الفلسفي.

ولن ننهي هذا التعريف دون ان نشكر المؤلفين على صدقهما في العرض ووضعيتهما في التحليل

ا. ع. خ

المصباح الرهباني

بقلم المطران عبدالله قراعلي

نشره الاب جورج موراني – بيروت ١٩٥٧ – ٤٧+٢٩٧ صفحة .

بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لموت القديس انطونيوس ، اب الرهبان ، اراد الناشر ، وبحق ، ان يعضي القارئ والمفكر هذا السفر القيم من المكتبة الروحية التي اغنتها حياة مؤسس الرهبنات الشرقية . ولقد اجب ان يقدّم للمخطوط بمقدمة جعلها كنزا لحياة المؤلف وروحانيته وعقليته . فاعطانا مقدمة نشكر فيها الجهود التي صرفها الناشر والطريقة العلمية الواضحة والعقل الثاقب في تحليل النفسانيات . ولقد جدّ الناشر بتمييز المخطوط ودرسه وفي وجود نسخات عنه وهذا ما يدلّ على الانتباه التام الذي اولاه الناشر مخطوطه .

اما النص فيحتوي على ما كان للمؤلف من خير : نفس تكرست لله في الحياة النسكية وفي القداسة . ففي النص ثروة من تفكير شخصي ومن نصوص اباء الكنيسة تُعطي النص بنفسه روعته .

انّا لنشكر الناشر على فتح كنوز الاديرة للقارئ العطشان الى موارد الخير ولعلّ مثله هذا ليُتبع . ا . غ . خ

المسلمون في صقلّية

بقلم الدكتور مارتينو ماريو مورينو

منشورات الجامعة اللبنانية – بيروت ١٩٥٧ – ٦٧ صفحة

ليس في المكتبة العربية كثير عن مسلمي صقلية . ولقد تطرق لهذا الموضوع مؤلف عالم بوثائق تاريخ هذه الحقبة من الزمن وهو يكلمنا في هذه الخمس المحاضرات عن تقلب الاحوال وتأثير هؤلاء المسلمين الادبي والفني والمدني . يكلمنا على كل ما تركه المسلمون من ذكريات في صقلية الماضي والتي وصلت الينا .

وفي هذه المحاضرات دقة المؤرخ وعمق العالم ورجاحة الناقد واسلوب المحاضر الواعي . ا . ع . خ

تاريخ الصحافة العراقية

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

طبعة جديدة منقحة - الجزء الاول - بغداد - مطبعة الزهراء ١٩٥٧ - ١١٨ صفحة

خدمة جلى يؤديها المؤلف باهدائنا ثبتاً ضافياً عن مجلات العراق . وكتابه كامل شامل مع ما فيه من زمن الظهور وميزات الجرائد او المجلات التي يدرس. ولكن كان باستطاعته ان يثبت في تاريخه هذا حياة الجريدة الفلانية او المجلة الفلانية. ولقد كنا اذاك نحضر المأساة التي نراها في بعض الجرائد اذ انها تحارب للذود عن افكارها وتوجيهاتها. ولقد وضع المؤلف بعض التوضيحات في مقدمات تساعدنا على الاطلاع على تطور الصحافة من فترة الى اخرى في العراق .

ا . ع . خ

كتاب البيان عن الفرق بين الكرامات والمعجزات

تصنيف القاضي الباقلاني

نشره الاب رتشارد مكارثي - ٢٦ صفحة مقدمة + ١٠٨ صفحات نص + تعليقات اضافية من ١٠٩ - ١٣٦ + فهارس من ١٣٨ - ١٤٣ + ٢٧ صفحة تعريف بالانكليزية - المكتبة الشرقية ، بيروت ١٩٥٨

عندما اراد الاب الناشر تقدمة مؤلفات الباقلاني فانما اراد ان يضع في متناول العلماء نصوصاً قيمة هي بين اهم ما كتب عن علم الكلام. اراد خاصة ان يعطي نصوصاً ارتكز اليها في درس شامل علمي . ولذا فلقد احاط الناشر نشرته بانتباه ودقة ، مع ما فاته في بعض كلمات من قراءة صحيحة لا بد منها . ولقد اراد ان يتبع نشرته بشروح ضافية تسهل على القارئ استعمال الطبعة والافادة منها . والثبت الذي كلل به النشرة يساعد علماء اللغة واللاهوتيين على الاطلاع على تواتر المفردات والمفاهيم في عصر من العصور .

ا . ع . خ

Philip K. Hitti, *Lebanon in History*. — London, Macmillan and C° Ltd. — 1957, XVII+548 pp.

في هذا الكتاب ، وهو الاول من نوعه ، همّ المؤلف في توحيد ما سجّله علم الآثار من تقدّم وسائر العلوم التي لها صلة بعلم التاريخ وذلك في كتابة تاريخ هذه البقعة الصغيرة من الشاطئ المتوسّطي التي تدعى اليوم الجمهورية اللبنانية. فليس هذا الكتاب للعلماء ، مع انهم يجدون فيه امورًا عديدة تهمّهم. ولكنّه كتب لاولئك الذين يودون الزيادة من معرفة هذا البلد الفقير في مساحته، الثريّ في تاريخه .

لقد تبنّى المؤلف كلام العالم الأثري الاميركي هنري فيلد : « لم تنتج اي منطقة من العالم كما انتجت هذه المنطقة لخير وفائدة الانسانية اذ انه من اسيا الجنوبية الغربية اتت اولى معلومات الانسان عن الزراعة وعن تربية الدواجن ، عن استعمال الدولاب ، عن الكتابة ، عن علم النجوم ، عن التنقيب العلمي ؛ منها ظهرت اولى مجموعات القوانين كما واولى دروس الهندسة والري والمعاطاة بين البشر ».

للكتاب صفات لا تُحصى . وانه دون ان يكون مملًا فلقد بدأ التاريخ بما قبل التاريخ ووصل الى الجمهورية القائمة . ومع هذا فليس هذا الكتاب بسطحي حتى ولو تكلم على الالوف من السنوات في بضع صفحات ولا سبيل ان يصنع المؤلف غير ذلك في كتاب اراده للجميع . انما نأخذ على المؤلف مروره العاجل على بعض المشاكل التي لم توضح بعد، مثلًا بعض مشاكل التاريخ القديم. ولكن انأخذ عليه في ما لا سبيل الى تحاشيه في كتاب كهذا .

في تطاحن الزمن والشعوب تتكون رويدًا رويدًا وحدة قومية او بالحري مجموعة قوميات مختلفة. ولذا فكثيرًا نتساءل اذا ما كان من الصعب ان يكتب المؤلف كتابه عن تاريخ بلد لم ينل وحدته السياسية الا من زمن غير بعيد . ولقد شعر المؤلف بهذه الصعوبة وأراد ان يسمّي كتابه لا تاريخ لبنان ولكن لبنان في التاريخ . ولم يمنعه هذا من التكلم باكرًا على لبنان لم ينضج الا بعد الالوف من السنوات .

لقد تكلّم المؤلف بايجاز ولكن بدقة على الفترة اليونانية الرومانية وبعد

ذلك يعود ليتكلّم على تطوّر البلد هذا نحو الديانة المسيحية. وهذا الجزء يترك في قلبنا الكثير من الارتباك . نعم المؤلّف مسيحي واراد ان يكون وضعياً في دراسته . ولكن كان عليه ، والعلم يتطلب هذا — ان يقدم لنا معطيات التاريخ بكاملها. فعلى المسيحي ان يعلم ان الدين المسيحي هو اكثر من ديانة جديدة لها بعض الشبه مع الرواقيين ، عليه ان يعلم ان المسيح هو اكبر من نبي مشهور في الجليل . ولذا فلقد جهل المؤلّف مفهوم الكنيسة مع ما يحويه من لاهوت ودين وايمان . فانه يتكلّم على المسيحية كما ولو كانت مذهباً بين المذاهب ، ويرفض ان يأتي بكلمة على المجموعة تلك التي تحيا بحياة المسيح والتي لم يؤسسها كمذهب إنّما جعلها كحدث تاريخي محوره حضرة الانسان الكامل المسيح الذي شهد لنفسه بأنه إله، والتي فيها يشهد له الملايين والذي فيها يكمّل عبر التاريخ حياته الالهية . ليس لنا هنا ان نتوسّع كثيراً في ما ينبّه اليه التاريخ من مبادئ لاهوتية قيّمة . انما علينا ان نقول ما في هذا الكتاب من ضعف علمي اذ يبدو ان المؤلّف طرق بكل ما ذكرناه عرض الحائط . وهذا الضعف العلمي نراه دون جهد . ولقد اضطر المؤلّف بعد ذلك ان يتكلّم على الكنيسة ولكن بصورة سلبية وجزئية اذ انه من المحال ان يتكلّم على بدع وكنائس قومية ما لم يتعرّف ولو مبدئياً على مجموعة صافية الارجاء ، واضحة المعالم . ولهذا فلقد تكلّم على البدع اذ تكلّم على كل الطوائف المسيحية وبدون فرق واستعمل بصورة يجادل فيها كلمة «الكنيسة — الام» (ص٢٥١).

ان التحليل الذي يُعطيه المؤلف عن الاسلام يظل ضئيل الملامح ويظلّ نجاح الاسلام للقارئ النير الناضج خارج الفهم .

وبعد كل هذه الارتباكات الدينية يعود المؤلّف الى درس الصليبية ويعطينا فيضاً من معلوماته التاريخية اللبنانية في درس الفترة العثمانية والانتداب الى يومنا هذا.

فما عدا الملاحظات التي ابديناها فان الكتاب قيّم ولا شك وفريد في نوعه الى اليوم . طبع باناقة كليّة والصور فيه مختارة وكثيرة. ولقد نشر فيه المؤلّف خوارط جغرافية تضفي عليه رونقاً وتساعد على فهم التاريخ في سيره .

والثبت المجاني في آخر الكتاب يساعد على الإفادة منه .

ا. روست كوليوس اليسوعي

Philip K. Hitti, *Syria, a Short History*. — Macmillan C° Ltd. 1959. — 271 pp.

في هذا الكتاب ملخص وجيز لتاريخ سوريا ولكنه ملخص جمع فيه المؤلف الاحداث البارزة ليتميز بها تاريخ بلد خصب بتقلباته وخصب بمعطياته . ولا يترك القارئ الكتاب الا وله فكرة واضحة عن عصور مرّت. فالمؤلف يحلل الطقس والفترات ما قبل التاريخ إلى ما اعطوه الفينيقيون من ثروة كبيرة ، الى ما قدمه الرومانيون وبيزنطية والاسلام في مختلف فترات التاريخ، ويمر بعد ذلك بالانتداب والاستقلال : ملخص سريع ولكن المؤلف وهو عالم في التاريخ عرف ان يبقي الضروري وان يسكت عن الثانوي .

يُشكر المؤلف على ما يبذله من جهد لاطلاع الجامعات الاميركية على تاريخ الشرق ولقد اراد ان يضع بين ايدي الطلاب مذكرة عن تاريخ سوريا .

ا. ع. خ.

M. Oraison, *Amour, péché, souffrance*. — Bibliothèque Ecclesia. — Libr. Arthème Fayard, Paris, 1961, 128 pp.

مجموعة محاضرات القاها المؤلف من اذاعة اللكسمبورج سمعها الالوف من محبي التفكير الديني . ولكن نشرها في هذا الكتاب سيسهل على القراء العديدين الإفادة من فكرة صائبة عميقة واضحه تنطبق على تطور الحياة اليوم : إذ هي تأملات صائبة في بساطتها، عميقة في توجيهاتها، سهلة في لغتها يفهمها من اراد، تحلل ما يهمّ الانسان من مشاكل تاريخه عبر الايام .

فما هو الحبّ الانساني ولمَ اخضعه المسيح والكنيسة لسنن وقوانين . ولمَ يلعب مفهوم الخطيئة في الديانة المسيحية دوراً عظيماً ؟ وما معنى الصلة التي يقيمها اللاهوت بين الخطيئة والالم والموت ؟ كلها امور تعود الى خير النفس وحياتها . والمؤلف كاهن وطبيب وعالم نفساني يعالج هذه المواضيع بوضعية تامة وصراحة فيظهر لنا ناصحاً وصديقاً .

ا. ع. خ.

H. Rondet, S.J., — *Notes sur la théologie du péché.* — P. Lethielleux. Coll. Théol. pastorale et spiritualité. — 1957. 156 pp.

لقد نشر المؤلف تعليقاته على لاهوت النعمة ووجدنا فيها ثقابة فكر وعمق تفكير ، وجدنا فيها خاصة اتزان اللاهوتي في معرفة فكرة الكنيسة وروح التواضع في التفتيش بين المذاهب اللاهوتية المختلفة عمّا يدعم رأيه .

وهذه التعليقات على لاهوت الخطيئة ، مع ايجازهـا ، تظلّ جوهرية متينة خاصة لطريقة المؤلف في الدرس والتمحيص. لا هوادة ولا مواربة ، يقول ما يجب ان يقوله. فانه يصوّر لنا في بعض الفصول صوراً فيها عصور من التفكير ، ويُعطينا رأيه في المذاهب دون صرامة وتفسيراته مؤسسة على براهين وطيدة يستعملها اكثر منه على جدلية خارجية لا جدوى منها .

فبعد ان درس مفهوم الخطيئة في تاريخ الاديان ، يدرسه في الكتاب المقدس وفي التقليد المسيحي وفي تاريخ اللاهوت ، ينهي مؤلفه بدرس عن الرعائيات .

وان سمح القارئ لنفسه بمجادلة بعض النقاط الطفيفة فانه لن يتوقف عن قراءة هذا الكتاب وعن الافادة منه . ا . ع . خ

Urtasun (Mgr.), *L'Évêque dans l'Église et son diocèse.* — Coll. Je sais-Je crois. — Librairie Arthème Fayard, Paris, 1961, 112 pp.

من هو الاسقف . فمن ليس بمسيحي لا يعلم عنه شيئاً . ينظر اليـه من الخارج ولا يرى فيه سوى شخص ذي سلطان ، سوى وكيل على عدد من الكهنة ، له القدرة ان يعفي من شريعة المناولة الاحتفالية والزواج والدفن ، له القدرة ايضاً ان يقوم بمعاملات توصله الى نيل فائدة ما . وفي طبقات المجتمع كم من الاحكام المتناقضة . فنهم من يأخذ على الاسقف تقربه من الاغنياء واصحاب رؤوس الاموال وآخرون يرون فيه حامي الفقير والكادح ، وما ذلك الا عن تفنن في السيطرة . اما اعداء الكنيسة ، احتذوا صفاته الشخصية ام ازدروا بها ، فانهم يخافون سلطة الاسقف. فيعزون اليه التدخل في السياسة او يأخذون عليه عدم الاهتمام . ولمَ التعجب . فالتلميذ ليس اعظم من سيّده .

ولكن العجب في ان لا يفهم المؤمنون رئيسهم . تعلموا في صغرهم ان

الكاهن خادم المسيح ، وان للاسقف سلطة عليه وللبابا ايضاً . فينسون غالباً ان لهم في الكنيسة دور الرسالة والخدمة العملية فلا يفهمون دور الاسقف . يرضون بان يكتب لمرؤوسيه رسائل يراها طويلة وغريبة عن مشاكل الساعة او يرون انه يعود غالباً فيطلب الى المرؤوسين ان يمدّوا يد المساعدة للقريب . ولكنهم لا يزعجون حياتهم في حضور حفلات تهمّ الصغار من عماد وتثبيت الى الى ما هنالك من حفلات يترأسها الاسقف . ويحاول المؤلف هنا محو هذا التهاون وهذا الجهل فيعرض ببساطة وسهولة وبدقة حياة الاسقف . في فصل اول يعرض علينا بدء الاسقفية في اوائل التاريخ الكنسي ويعود الى استخلاص الدرس اللاهوتي عن الاسقف وبعد ذلك يجعلنا نرى بأم العين معاطاة الاسقف مع كهنته ورهبان ابرشيته والعلمانيين والابرشية والادارات المختلفة . وبعد ذلك يصوّر لنا بدقة حياة الاسقف اليومية نفسها .

كل هذا في كتاب ذي حجم صغير . الك ان تعلم كيف يصير المطران مطراناً وكيف يموت فاقرأ الفصل الثامن . من هم الاساقفة الذين اعلنت قداستهم : فذلك في الفصل الخامس . كيف تصير الاجتماعات الاسقفية والمجامع : اقرأ الفصل الثاني ، الى ما هنالك من الفصول والثروة التي تساعدك على متابعة القراءة والاطلاع .

امّا غاية الكتاب فهي في ان يعيد الصلات بين الاسقف ورعيته ، ذلك الحوار الذي فيه حياة وامل . وها هي الاسطر الاخيرة ملؤها العطف والحياة الصادقة : « ما الكنيسة سوى الشعب المتعلق باسقفه » حسب كلام القديس قبريانوس .

ا. ع. خ

Jean Abelé, *Le Christianisme se désintéresse-t-il de la science ?* — Coll. Je sais-Je crois. — Arthème Fayard, Paris, 1961. 122 pp.

راح العهد الذي كان قوم يقولون ان العلم وحده حقيقة وانه وحده يعطي الحقيقة ويعلّمها . ولكن العلم اليوم تطوّر ومن منّا لا يفضّل ظلام العصور الوسطى على نور هيروشيما المعمي . والكنيسة اليوم تعيد شبابها وتعطي الحياة العديدين من الناس وتعلّمهم ان العلم والدين يستطيعان السكنى في قلب وعقل الرجل الواحد .

وها هذا الكتاب الّفه ابن الكنيسة ، كاهن يسوعي ذو ثقافة عالية يتعاطى الفيزيا. ويجيب فيه على السؤال: اتحتقر المسيحية العلم؟ وجوابه قاطع: لا تحتقره بل لا تستطيع ذلك لان المسيحية دين يؤمن بالخلق وبتأنس كلمة الله ولان خلاص الانسان لا يتمّ الا في وبواسطة وضدّ هذا العالم الذي فيه يعيش الانسان ويسير في طريقه الى الغاية .

وكان من واجبه اولاً ان يتأمل في المبادئ : بعض النقاط اللاهوتية تنير العلم وترينا ان العلم هذا ، عقائدياً ومعنوياً ، جزء من تعليم الوحي الاساسي.

والقسم الثاني من الكتاب مخصص بالمجادلة التاريخية بين العلم والمسيحية من اوقليدس الى لوبرنس — رنجه. وبعد ذلك يتوقف المؤلف عند تحليل عقلية العالم المسيحي اليوم في القرن العشرين بين امكانيات وصعوبات .

يستخلص القارئ من هذا الكتاب تفاؤلاً عظيماً : فاختياره لا يقوم على عالم له منه كل راحة مادية ولكنه خاضع لسلطان العدوّ او لسلطان الخوف او على عقيدة ودين يحملانه على الهزء بهذا العالم والالتجاء الى عالم غريب عن هذه الدنيا . فهاكم العالم المسيحي الذي كتليار ده شاردن ، يهمّ دوماً وبكل قواه وبكل ما اوتي من امل ورجاء ، لتتميم عمل الله على هذا الصعيد ، لتتميم آلام المسيح ولمعانقة العالم والله . وهذا واجب ضميري لا هوادة فيه

ا. ع. خ

AYFFRE A. P. S.S., *Cinéma et foi chrétienne.* — Coll. Je sais - Je crois. — Arthème Fayard, Paris, 1960, 144 pp.

لا شك في ان للسينما اليوم الدور الكبير في توجيه المجتمع لخيره او لهدمه فان الصور تؤثر على مخيلة الكبير والصغير وتحملها على التمثل والاقتداء بما يرونه. فالسينما فنّ فيه الكلام والصورة والحقيقة والمخيلة وله قيمة اجتماعية واخلاقية ، تدريبية وثقافية ، رسولية اذا استخدم للخير ، وهدامة اذا استعمل للشرّ ولتحريك الاميال . اذ هو يهدم الانسان الم يحترم مقدراته الخلقية والروحية او يساعده ، اذا ما اخضع لتوجيه روحاني ، على التطوّر والنموّ .

ولذا فترى اليوم الكثيرين ينكبّون على فن السينما لتحسينه وللسير بها

قدماً متوخين من وراء ذلك خدمة الانسانية ، اذا مـا كان الفنان مؤمناً بالروحيات ، او قل بالربح والكسب .

ولقد نرى الكتب العديدة تصوّر لنا هذا الفن وتطلعنا على ما يخبئ وراء الستار . والكتاب الذي نحن في صدده قد جمع بين درس الفنّ وبـين اعطاء الاحكام الاخلاقية اللائقة التي يفيد منها كل ذي عقل سليم وذلك بايجاز ودقة يجعلان المؤلّف هذا في عداد الكتب النافعـة . ففي فصوله التسمة محاولات ودروس ونصوص ووثائق توحي الثقة باطلاع المؤلّف ونحن اليوم بحاجة الى كتب هكذا قيّمة لمتابعة تطوّر العالم .   ا. ع. خ

E. Beau de Loménie. *L'Église et l'État. — Un problème permanent.* Coll. Je sais-Je crois. — Libr. Arthème Fayard, Paris. 1957, 144 pp.

مشكلة لا تزول : علاقات الكنيسة بالدولة ولقد عاشت الكنيسة عبر التاريخ السيطرة الكاملة زمنياً وعاشت العبودية الروحية لدولة ارادت ان تتدخل في شؤون مؤسسة المسيح الوحيـدة . وكانت الكنيسة تتألم من معاملات الأباطرة الوثنيين وكانت دوماً في توتّر مع رؤسائها الذين كان اهتمامهم في صدّ مطامع هؤلاء على الصعيد الزمني .

ففي المؤلّف هذا تاريخ الحقبات المؤلمة والبهيّة ، فيعرض علينا كيف صارت المسيحية الدين الرسمي ، ما كانت احـلام النسر ذي الرأسين ، كيف سارت الكنيسة نحو تأكيد سلطة البابا الزمنية ، وكيف تضاربت الآراء في هذه السلطة . ونرى بعد ذلك كيف ولدت العلمنة السياسية وصارت الى الفوضاء الحالية في عالمنا القائم .

درس واضح دقيق واحكام صادقة ووضعية .   ا. ع. خ

المشرق

السنة السادسة والخمسون

ايار – حزيران ١٩٦٢

فوائد طبية عربية

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

ان الوجيه الساحلي المعروف السيد انطون جرجس انطون شاهين من قرية صفار (بلاد البترون) مولعٌ بجمع الوصفات الطبية العربية ، فقصدته من نحو خمس عشرة سنة فأطلعني على دفتر يحتوي قسماً منها فأخذته ونسختها بحرفيتها. واخبرني انه كلما قرأ وصفة طبية في كتاب خطي طبي او سمع بها استوعبها ولا يثبتها في دفتره هذا الّا بعد ان يختبرها بنفسه تحقيقاً لصحتها . لذلك كان معظم وصفاته هذه من «المجرَّبات» واننا ننقلها عن دفتره المذكور بلغتها العامية كما دوّنها تسهيلًا لفهمها شاكرين لطفه ومروءته ؛ وننشرها على صفحات مجلة «المشرق» تلبيةً لرغبة طلّاب مثل هذه الوصفات الذين رغبوا الينا في المزيد منها . وهذه هي بنصّها .

للجرَب : وصفة دهون

كبريت ملعقة ، وكلس حرّاق ملعقتان ، زيت حلو وقطران يطرفهم ويدهن.

لمرض السلّ

مرض السلّ يجعل شكّة تحت الربوش على جوانب السلسلة. يجب ان يكوى موضع الشكة ويستعمل الكيات ويعمل حمّاماً في الشمس في موضع لا يحكمه الهواء، ويضع في وعاء كبريت عامودي ويضعه على النار ويطبّ عليه قمعاً وفي كعب القمع يركّب نبريشاً ويمصّ في النبريش مثل شرب الاركيلة، رائحة الكبريت كلّ يوم مرّتين، ويتحمّم في الماء الفاتر كل اسبوع مرّتين، ولا يأكل شيئاً حاراً، ويجعل اكثر أكله اللحم الخالي من الدهن، والحليب واللبن الحلو. واذا حصل اسهال يجب ان يغلي قموع البلّوط او قشور السنديان مع ضاوع عشبة العاشق نصف في نصف حتى يبقى من الماء الربع ويشرب منه في التدريج.

ويلزم ان يغلي قشر بدن الزنزلخت ويشرب بعد الاكل قدر فنجان شاي. ويستعمل هذا العلاج على مدّة عشرة ايام، ويترك عشرة ايام. في كل مرض لازم هذا العمل.

لوجع البطن : الصادر إمّا من مضرة الاكل وإمّا من شرب المسكرات

يأكل صاحب الوجع ورق طيّون او يغلي منه ويشرب. واذا كان الوجع عن برودة يغلي يانسون ويشرب زومه فاتراً، ولا يشرب ماء بارداً. ويشرب زوم قشر الزنزلخت مغلي بعد الاكل حتى يبقى ربع الماء.

للدود في المعدة

يشرب بانزين قدر فنجان قهوة.

لحبّة السنة

تصير ناشفة وغالباً تنبت في الوجه. يفيدها قشر بدن الصنوبر الطري عن بدن صنوبرة وتلزقها عليها حالاً. وكل لزقتين امسح الحبّة بقطعة ناشفة او ورق الغار الابيض، دقّه واطرفه بزيت حلو وضعه لزقة.

لختم الحبوب

تغلى عناقيد سمّق بالغة حتى يدبس السمّاق نصف تدبيس، ويدق بزر فجل ويُنخل ويُطرف في الدبس — واذا لم يوجد بزر فجل يوضع مكانه بارود

حجارة ، ويُوضع كل يوم لزقه او كل يومين ، ويُغسل في ماء مخلوط عرق قدر الربع .

او يُستعمل قطران وصفار بيض مسلوق . حرقصه على النار نصف استواء واخلطه في القطران وضع منه لزقاً كل يوم .

او يُستعمل عشبة «البسطا» كما يسميها النصيرية وهي عشبة «قرطة العين» وهي صيفية ، ورقها رفيع وغالباً تنبت بين شتل الدخان . ضعها في علبة بالشمس وعندما تيبس دقها وضع الثلث قطران مع زيت حلو وادهن .

ثم رشّ من مسحوق هذه العشبة فهي مفيدة الجراح وحدها .

او يُستعمل زلال بيض وقطران مع ورق عجرم دقه وانخله وضع من كل نوع الثلث واخلطهم في بعضهم ، وكل يومين لزقة .

للقشرة في رأس الاطفال

تُدهن كليسرين عند النوم وتُغسل بماء ورق البطم ، او مغلي زوم نخالة القمح .

للحبوب في وجه الطفل

اذا حصل حبوب في وجه الطفل ، يدق حب زيتون ازرق ويوضع لزقة

لنقاوة وجه الاطفال وكل وجه وتحسين رقة الوجه

تُغلى زهرة التراب . توجد في ارض البيّاض التي تُصلح للطين وتكون في عمق التراب وهي شبه البودرة . يوضع منها قدر النصف والنصف نخالة وتغليهم في الماء على النار لكي يبقى الربع من الماء الفاتر ، وكل يوم يُغسل بهم .

لتلبُك معدة الاطفال

ان تلبُك معدة الاطفال ينشئ الحمّى ويضعف الطفل واحياناً تقبض معدته . يلزم ان ينقع مكلس المنيزا وترفع صفوته وتخلط بشراب الورد ، ويسقى الطفل منه قدر ما يريد .

لوجع العين المزمن

يُسلق بيض ويرفع الصفار منه ويدق الزلال اي البياض ويصفى في شاش لكي ينزل منه زوم خواصه ، ويوضع مع هذا الزوم سكر نبات قدر ما يذوبون

فيه ، ويقطر منه عند النوم وفي الصباح ولا يتعرض المريض للهواء ولا للضوء على مدة خمسة ايام ويغسل بماء فاتر فيه قليل من ملح التوتيا او الملح العادي .
اذا كان نزل بسبب حرّ او نار ورجلاء مستقمة فليعمل تنطيلة ويستخرج دماً من قفا أذنيه او من انفه ويأخذ مسهلًا . واذا وجد حمورة غير مزمنة يضع شبّة بيضاء في زلال بيض ويضع على العين كل ساعتين لزقة ، او شماميل عليق مع غطوة الخلّ وقليل من الملح .

الحربوش

نزل رأسك في الماء وفتح عينيك وغمّضها مرتين او ثلاثاً .

لطرفة العين

نغلي عناقيد سمّاق مع الملح ويغسل به فاتراً .

لسفعة الهواء

تصير العين تحربش . يلزم ان تُكحل بالعسل .

لتسيط العين ورخاوة الجفون

يُنقع بالماء تراب احمر بكر وترفع صفوته ويغلى فيها ورق بطم مع ملح قبرسيّة ويغسل في هذا الماء الفاتر .

للاكزيما

ان انواع الاكزيما كثيرة وعلاجها : زيت كاز كرامان ، حامض الساليساليك كرامان ، فونيك مكوفر كرام ، مرهم الزنك خمسة عشر كراماً . امزجهم في بعضهم وادهن كل يوم مرتين .
ومنها ما يفيدها : ورق ريحان مع ملح قبرسية . يدق وينخل ويرشّ بعد الدهن بزيت حلو .
ومنها ما يفيدها : ان تُعصر ليمونة حامض وينقع في هذا العصير ودعٌ بيضاء على مدّة لكي يذوب الودع ويدهن .
او عرق السكر . يوضع سكّر على النار ويُطبّ عليه وعاء مثل كاسة وتبلّل رقعة بالماء وتوضع على الوعاء من الخارج ، فالعرق يبقى في الوعاء ، فمنه ادهن .

او كرسنة حمصها مثل البن واطحنها وادهن كاز وبعده زيت حلو ورش من الكرسنة .

او يحرق عود سنديان اخضر . يحرق من احد طرفيه والزوم الذي يقطره من الطرف الآخر استلقه وادهن به . ويفيد هذا ايضاً للقشب .

للاكزيما ايضاً

عشبة الشنول يابسة في الظل تفيد الاكزيما . يدهن زيت مع القطران ويرش منها بعد دقها ونخلها .

والاكزيما في الأذنين يفيدها قطر عود السنديان الاخضر . تضع احد طرفيه في النار وتستلقي ما يخرج منه من الطرف الآخر عند الحريق كما مرّ بك وتدهن منه .

للحزازة

عشبة الصنوبرية . او ليمونة حامضة ضع فيها ملحاً بعد قطعها بالنصف وافرك بها الحزازة .

للحزازة الدموية

زيبق محروق . يدهن زيت اولاً ثم يرش من الزيبق .

تسحب العمل من الطلوعات وخلافها

زلال بيض وصابون بلا تخشين ناعم ، وقدر كشتبان عرق ويطرفهم في بعضهم ويضع كل يوم لزقتين .

وصفة أخرى له : حليب سخن وعسل . اغلهم على النار وفتّ فوقهم خبزاً مكسراً رفيعاً واجبل وضع لزقة .

وصفة أخرى له ايضاً . ان الحلاوة سخنة تسحب العمل .

مرهم لتنظيف العمل وختم الجرح

خذ من الشمع العسلي الثلثين ، ومن الصابون بدون تخشين الثلث وقليل من زيت الحلو . ضعهم على النار حتى يذوبوا واطرفهم حتى يختلطوا في بعضهم . وعندما ينظف العمل اضف الى هذا المرهم قدر الخمس قطران . فانه ينظف العمل ويختم الجرح .

كشف الطلوعات المخفية الصادر عنها ألم

دجاجة سودا. شقّها كما هي بدون نتف ريشها، وخذ منها عظام الصدر وضعها على محل الوجع ولفّها في خرق على مدّة عدّان يظهر الطلوع.

تنبيه : قد استعمل هذه الوصفة سابا طنوس موسى من قرية اهمج المعروف بسابا العويني لرجل امام انطون جرجس انطون شاهين صاحب هذه الفوائد الطبيّة.

للحرقة

يؤخذ قدر اربع حبوب بهار حارّ وتؤكل على الريق (عن رجل مغربي) او يسفّ ملعقة زماد، وهو مفيد.

للنمش في الوجه

تُغلى النخالة بالما. مع شربوط العلّيق وتوضع معها زهرة التراب البيضا، التي تشبه البودرة. وهي توجد في الارض البيضا على العمق.

للنمش في الوجه

عرق سكر. يوضع سكر على الجمر ويُطبّ عليه وعا، ويوضع على هذا الوعا من الخارج خرقة مبلولة بالما. ويدهن من هذا العرق.

للحرق

لاجل تسكين الوجع : لبن وزيت حارّ، او غطوة الخلّ.

لختم الحرق

عدس احمر. والافضل العدس البرّي، حمصه اقل من تحميصك للبنّ واسحنه ناعماً وادهن الحرق زيت كاز ومعه الربع قطران، ثم رشّ من مسحوق العدس. او قطران وبنّ. والحرق لا يوافق ختمه قبلما ينظف منه العمل.

او حنّة الحجر (حنّة قليش) تكون بقعاً صفرا. على الصخور، ومنها ما تكون غابقة اللون. حقّها وضع منها الثلث ومن القطران الثلث وزلال بيض وامزجهم في بعضهم وضع كل يوم لزقة. وان لم توجد حنّة الحجر، تدقّ قموع البلّوط وتنخل وتوضع.

لورم الجسم بدون سبب

اذا حصل ورم في الجسم من دون سبب يحرق شربوط هندبا. ويرش من رماده بعد ان يدهن موضع الورم زيتاً .

لقيء الاطفال

يُغلى صمغ عربي وقدره سكر مع قليل من حامض الليمون ويعطى الطفل كل يوم ثلاث ملاعق .

للذع العقرب

حليب تين فرنجي (اي تزّي) او بولاد او حديد يوضع على اللسعة .

لتمبة الصدر

اذا كانت ناشئة عن تعب يؤكل دهن عصافير (المسلية على الخبز) في الحال اي ان يكون الدهن سخناً . ويعمل تنطيلة في ماء ورق الغار ويشرب مغلي عشبة لسان الثور سخناً قبل النوم بعد التنطيلة .

لتشديد الاطفال على المشي

عرانيس عريش يابسة في الفيء . تغلى حتى يبقى الربع من الماء ويسقى الطفل (عن سابا قسطنطين اهمج).

للصرع — وجع الرأس

ان الصرع اذا كان عن شدة حرارة الشمس توضع لزقة حوّارة مجبولة بالخل ومعها بصل سلموني . او يُستخرج الدم من المناخير ، او من قفا الأذنين .

للثقل في المدة

يؤخذ زيت خروع ويؤكل بيض مسلوق في حامض سمّاق وبطاطا مشوية ويشرب مغلي قشر الزنزلخت .

للتروبص

التروبص هو القيام من النوم بدون انتباه . مغاطس ماء بارد مرّتين في اليوم ، ويؤكل ثوم عند النوم .

لحافور الاسنان

عسل الثلث وخلّ الثلثين . سخّنهم على النار وافرك الاسنان في صموخ ليمون حامض قبل ان تفركها بالعسل والخلّ .

لنظافة الاسنان وسلامتها من كل مرض

يلزم ان تغسل الاسنان في مرارة الماعز ، وهي مفيدة لنظافتها ولكل مرض فيها .

لتشقق حلمات اثداء النساء ولتشقق الايدي والارجل

تُشقق الايدي عادة او الارجل ، من كثرة الشغل او المشي بدون حذاء .
العلاج : شحم كلي خنزير . مّلحه فيبقى مدة طويلة وعند الحاجة سخّنه وادهن منه .

النساء الحبالى

لا يوافق ان يأخذن كينا ، لانها تسبب الموت .

لمنع عرق الجسم من الرجال والنساء

ويراد به العرق الليلي والنهاري. دفعة كينا مع كربونات الصودا ، تجبل بالماء وتؤخذ كل يوم صباحاً ومساء .

لوجع الخاصرة الموقت

يحمّص ملح قبرصيّة على النار في سخنة بلدية وتوضع على محلّ الوجع . كل ساعتين تُغيّر اذا نفعت .

لتريف دم النساء

مغلي عشبة القرّيص وتشرب منه الامرأة . واذا لم ينفع فاتشرب من عرق القرّيص . يُعمل كما يُعمل عرق العنب . تأخذ منه كميّة قليلة في التمادي .

او تشرب من مغلي عشبة المسيكة (يا غزيّل دور دور) . او تكوى على رأس بلاطة الظهر .

للحمرة

لبخ ثلج . أو حليب وعسل . او ماء الورد ونشاء . يُعمل كل ثلاث ساعات لزقة ، لاجل اطفاء كل الالتهابات .

للبواسير

عشبة الشتول تغلى مع الحليب . يؤخذ منها على الريق وعند النوم . واذا ظهرت البواسير الى الخارج ، يُزج قطران في بارود حجارة ويوضع لزقة .

لضعف القلب

طحال ماعز او غنم . يُسخن ويوضع لزقة ويُصبر عليه . يُسخَّن ويوضع لزقة على موضع دقة القلب على اربع مرات . ويأكل صاحبه من الخُضر السبانخ والهندبا . ويشرب صفوة الحديد على الريق وعند النوم ، او صفوة البولاد . تضع الحديد او البولاد في النار لكي يحمر وتضعه في الماء وتشرب هذا الماء فاتراً .

للاغماء (الغيبر)

يُرشّ على صاحبه الماء البارد ويعرَّض للهواء وينشق الخل الحادق او روح النشادر .

لتسهيل البول

تغلى عشبة القزاز وتوضع على مخرج البول اي القضيب مع جماشها فيبول المسر .

لذات الرئة

استخراج الدم من بين الاكتاف . ولبخ النخالة فاترة . ونقط صبغة اليود مع الماء . ويأكل صاحبها الحليب والليمون المسّك ولا يدخّن عليه (في المحل المقيم فيه) . وكاسات حجاب ويدهن موضعها صبغة اليود . ويشربُ صُباحاً ومساءً كونياك كل مرَّة كأساً صغيرة . ويلزم استخراج الدم مرتين اذا لم يرتاح من اول مرَّة .

لاجل انقباض المعدة (مسك اسهالها)

تغلى قموع بلوط في الماء . وان لم توجد يؤخذ من قشر بدن السنديان ويكون رخصاً . وقدر النصف اضلاع عشبة العاشق . يغلى الجميع حتى يبقى ربع الماء . ويسقى المريض بالتدريج .

لحمّى الملاريا

اربعة دراهم من خشب المرّ من النوع الابيض . تغلى حتى يبقى قدر ربع الماء ، وقدرها كونياك . يؤخذ قدر فنجان قهوة مرَّة قبل الاكل .

او مغلي طرابين زيتون رخصة . وقدر ربع اوقية بنّ وقليل من ورق الكينا في أقّة ماء . تغلى كلها لكي يبقى اوقية مـاء . ويشرب كل يوم ثلاثة فناجين على ثلاث دفعات

لمرض الخلده

نوع مرض يسمّى الخـالـده . يحصل في الجلد بقـدر اللوزة او اكبر ويصير يتنقّل في الجسم . يلزم ان يكوى في زردة حديد تحرّقه في اول طلوعه .

للحبّة النارية

منها تبتدئ في رعاية في الجلد . وبعد قليل تظهر حمراء ويدبغ قسم أسود مزرّق . يلزم الكي قبل اربع وعشرين ساعة . ومنها قبل اثنتي عشر ساعة ، على نصفها ، على كامل الزوقه ، ولا يوافق التأخير ابدًا .

لريح الشوكة

يحصل ورم ويكثر الوجع ويصعب على صاحبه طي اصبعه ويصير مقرمحاً. يلزم ان يكوى في الموضع الكثير الوجع في طبعة مسامير صغيره لكي تحرق تحت الجلد .

لتسكين مرض الحمي

زيت حلو وشمع عسلي . ضعهم على النار لكي يذوب الشمع ، وبعد تنزيلهم عن النار اضف اليهم سبيرتو وباترين وكاز من كل صنف الثلث وامزج وادهن. وقبل الدهن افرك في رقعة خشنة .

للحريق وقت التبويل

يغلى قدر أقة شومار بالماء مع اوقيتين زعتر ويشرب منه كل يوم ثلاث مرّات ويأخذ كل يوم قدر فنجان قهوة عرق يكون مستخرجاً دورين . يأخذه على الريق لاجل تطهير المبولة .

للسرطان

اذا كان السرطان خارجاً يكوى في شقفة فخار على وسعه ويستعمل الكي. ويجب على صاحبه الامتناع عن اكل الخضر وشرب المسكرات .

لبرقة الظهر

يدهن زيت الخروع سخناً قدر ما يحتمله. وآخر يدعس له على موضع الوجع.

او يأتي بلوح صبّر ويضعه على حجر الفرن المحمي حتى يستوي ثم يلفه في خرق ويضعه على الوجع .

للقرعة

وهي حبوب في نصف الرأس لاصقة ببعضها . يفيدها كرس زبل الدجاج مع الطحين يُجبل في زيت . ويغسل في مغلي عناقيد السمّاق من دون صابون مع قليل من العرق .

لمنع الدمامل والطلوعات

خميرة البيرة مع صفوة الحديد . يأخذ كل يوم مرّتين صباحاً ومساء. صفوة الحديد : يوضع حديد في النار حتى يحمرّ ويوضع حالاً في الماء ، فاذاً هذا يسمّى صفوة .

لمرض يشبه الدوحاس

ينبت هذا المرض غالباً في في أصابع الرجلين ويسمّى « التقذ » ويتأتى من مرض القلب. يفيده ورق الملفوف المسلوق ، يلفّه فيه وهو فاتر. ينفع الدوحاس.

للزكام (الصنّة)

يلزم استخراج الدم من بين الاكتاف والحجابات ويدهن موضعها صبغة اليود، ويشرب الماء فاتراً مع نقط صبغة اليود كل مرّة قدر ثلاث نقط ويستعمل الدفئ . وان كان المصاب كبير العمر ضعيف الجسم لا يوافقه استخراج الدم . يجب ان يوضع كبريت عامودي في وعاء على النار ويُطب عليه قمع وفي كمه نبريش ويمص مثل الاركيلة قدر ما يمكنه ، ويهمل الوسائط المذكورة . مع التنطيلة في ورق غار .

لوجع الجنب

اذا كان وجع الجنب مزمناً وينتقل الى الرُكَب أو الى مخلع الكواحل يلزم ان تقيس القصلة من الكاحل الى مخلع الركبة وتفرك الشلش فوق الكاحل وتكوي على قفا البطّه تبال نصف القيد وتستعمل الكي بكثرة .

للزنطاري

يفيده زيت الخروع والحقن في زلال بيض وقليل من النشاء . واذا كان يحصل حمّى اضف اليهم زوم البصل السلموني . وليشرب ليموناضة .

لتبويل الدم

اغل باقة ورق جوز اخضر في رطل ماء ودعه يغلي حتى يبقى ثلث الماء ، وأضف اليه قشرة رمانة واحدة تغلي مع الورق غلوة واحدة . ويشرب من هذا المغلي كل يوم قدر فنجان شاي ثلاث مرّات في اليوم يشفى .

للحرق بكامل انواعه

صموغ عجو مشمش مرّ . حمّصها على النار نصف تحميص واسحقها ناعماً وادهن الحرق زيتاً ورش عليه من مسحوق هذه الصموغ .

لصيد الطير

صموغ عجو مشمش مرّ . بعد تنقيتها دقّها وانقعها بالماء الفاتر واجبل به طحيناً واعمله كتلاً كتلاً ، كل واحدة اصغر من الجوزة قليلاً ، واطرحها للطير فيأكل منها ويموت . مجرّبة من انطون جرجس انطون شاهين المذكور .

لتصبير الطيور

اغل عشبة التصبير (يوجد منها في حرج محبسة دير مار قبريانوس كفيفان . وهي غرشاء تمدّد على الارض بشعب تشبه الاظافر) بصفوة رماد تين وزيت مع قليل من الملح . وغطّ قطنة وضعها في جوف الطير بعد تفريغه . وهذه العشبة هي مفيدة للجرح ايضاً .

للاكزيما

ورق الافسنتين وغبرته . ويفيدها حبّ المكنس الذي يطلع في الاحراش ويجب ان يكون ناضجاً . صفّه في علبة وأضف اليه زيت الكاز وادهن منه موضع الاكزيما .

لشد معدة الاطفال وغيرهم

خذ من شلش التين الثلثين ومن قشر السنديان الثلث واغلهم حتى يبقى ثلث الماء. ويشرب منه قدر فنجان قهوة كل يوم ثلاث مرات .

للكبد

مغلي المرميرا التي تطلع بين الزرع. يغلى حبها بالماء ويشرب منه بعد الأكل . ويأكل سلطة من كل انواع الخضر ، ولا يأكل شيئاً حاراً ولا يشرب مسكرات ولا طبخ عدس او فاصوليا .

لمرض الحصبي

غط وجهك وكامل جسمك ما عدا يديك ورجليك واعمل وأسطة بمقصك النحل فيهم قدر ما تحتمل . وهذه الوصفة هي مجربة .

للكبد ايضاً

يؤخذ قراص روباص كل مرة قرصين صباحاً ومساء . وعندما تسهل المعدة لا يؤخذ الّا قرص واحد على مد ثلاثة ايام يشفى . واذا راجعه المرض فليفعل كالاول . وهذه الوصفة هي مجربة

علاج آخر للكبد

يُغلى قشر قضبان الزنزلخت ويشرب بعد الاكل مدة ثمانية ايام يشفى . وبعدما يشرب منه يؤخذ ملعقة صغيرة كربونات الصودا . ولا يشرب قهوة ولا مسكرًا ولا يأكل مآكل حارة ولا فاصوليا ولا عدس .

لسحب كل نوع يدخل في الجسم كالرصاص وغيره

خذ قمر الدين سخنه وضعه لزقة فيخرج كل شيء داخل في الجسم .

لمرض الاطفال

تذوب الكينا بزيت الفستق ويدهن بـه معدة الطفل وتحت ابطه فوق الخاصرة مدة ثلاثة ايام .

للحمض في المعدة

عسل مع حليب معزى شلعه ، يشرب سخناً منه ثلاث مرات في النهار .

لوجع الجنب

اذا كان عرق الانسا ، يهرم لوح صبّير رخص وقدره شحم خنزير ويغليهم على النار ويضعه لزقة عند النوم .

لطرفة العين

يُغلى عنقود سُماق ويغسل به كل يوم ثلاث مرَّات ، ولا يتعرّض للهواء .

للشاهوق

ليمون حامض مستوي. يعصر زومه ويغلي القشرة ويصفيها ويضيف حامضها الى زومها ويحلّيه في سكّر نبات ويشرب كل يوم اربع مرَّات .

للفكش والكسر

اذا بقي وارماً ويوجع ضع عليه لزقة دهن لية غنم بعد ان ترش عليها شبّة بيضاء وتسخنها على النار . كل ستّ ساعات لزقة .

لوجع اثداء النساء

يذوّب شمع عسلي على خرقة قماش ويضعها فاترة على الثدي .

لطلوع الجدري والحميره

شواكل غنم مدهنة تشوى على الجمر وعندما تبتدئ في السيل يطب المريض فوقها ويضع غطاء على رأسه ويفتح فمه حتى يدخل البخار فيه .

للدغة الحيّة أو النحلة أو الدبور

زهر اللزّان يُفرك به محلّ العقصة .

لتسكين وجع الفكش

ضع الملح في الماء واغله وغسّل به ثم ادهن بزيت حلو سخن واربط وشدّ الربطة .

لمنع القولنج

حليب بقر سخّره بعد ان تضع فيه ملحاً واشربه على الريق .

لشفاء الدمامل والطلوعات

صمغ ثمر الصنوبر دقهم وأضف اليهم قدر الثلث من الطحينه وامزجهم وسخنهم على النار وضع لزقة في الصباح ولزقة في المسا . وهذه الوصفة مفيدة لوجع الزلعوم والتهاب اللوزتين .

لتخفيف عموم الاوجاع

ضلاع ملفوف ، اسلقهم في قليل من المسا . وامرث الضلاع وأضف اليها قليلًا من الملح وضعها لزقة فاترة على الوجع .

كي الفالج

ليكن قبال راس الأذنين في الجورة التي فوق العنق . واذا كان المريض ينفر دماً على جهة ، فليكوى على ثاني جهة .

لسحب العمل

حلاوي سخنها وضعها لزقة .

للفتق

ورق كدش وصدفة صغيرة وشحم خنزير . دقهم حتى ينعموا وقرّهم وضعهم لزقة في المرض . واذا لم تنفع أعدها .

لضيق النفس

بزر قرّيص وعسل وحليب شلعة ماعز . اغلهم علـى النار ولا تدع الهبلة تذهب وتأخذ منهم في الصباح وفي المساء .

للهضم واصلاح المدة

يُغلى قشر الزنزلخت ويشرب بعد الاكل .

لعدم قبول المسكرات

طحال عنزة عتيقة ، ضعه في مقلة فخّار بدون تخشين بعد ان تشرّحه وضعه في الفرن حتى يصير مثل الفحم ثم اسحنه حتى ينعم واجبله بالعرق . يؤخذ منه كل يوم ثلاث مرّات على ثلاثة ايام فعندئذ لا تعود نفسه تقبل شرب العرق .

للحرق

عرعين الجران (ان جران الحجر التي فيها ما. تكوّن على حائط الجرن من الداخل مادة زرقـا. تُسمّى عرعين الجران) وقطران ورق عجرم. دقّ ورق العجرم وامزجه بهم فذلك مفيد للحرق.

للذع العقرب وغيرها من الحشرات السامة

اجمع زهر لزّان وينّسه في الظلّ، واذا عُقص احـد سخّنه مع قليل من السبيرتو الابيض او الماء وضعه لزقه.

لبحّة الصوت

اذا كانت بحّة الصوت مزمنة، يُغلى بزر كتان وشلش عشبة لسان الثور ويحليهم في سكّر نبات مع حامض ليمون ويشرب منهم فاترين ثلاث مرّات في النهار.

لختم الحرق

دقّ صموخ باوط سنديان وانخلهم ورش منهم على الحرق بعد ان ترش عليه سلفانيا ناعمة.

لختم بقّ الدم

اغل القرّيص بالماء وغطّ الوعاء حتى لا تذهب الهبلة ويُشرب منه او يُطبخ مرشوشة ويأكل (والمرشوشة هي طبخ البرغل مع ورق القرّيص بسمن بلدية).

للبرودة في المصران الغليظ

يُغلى زعتر وبهار حارّ ويشرب بعد الاكل قدر فنجان قهوة.

لوجع الركب

طرطق ذهبي وزيت التربنتين وسبيرتو ابيض عيار ٩٠ ويكوى في عشبة الملعه قدر بوز الكشتبان.

للبلغم

قطران وطحين شعير وعرعين الجران (مرّ تفسيرها) من كل نوع الثلث سخّنهم حتى يغلوا ثم ضعهم لزقة.

لثمة الصدر

زلال بيض وزيت الحلاوي فترهم على النار. يؤخذ منهم في الصباح وفي المساء. فنجان شاي .

انتهى ما نقلناه من الفوائد الطبيَّة العربية المجرَّبة عن انطون جرجس انطون شاهين من قرية صفار المارّ ذكره .

مجرَّبات في طب الحيوانات

اننا ننقل هذه الفوائد في طب الحيوانات عن دفتر السيد انطون جرجس انطون شاهين الموما اليه وقد امتحنها كما اخبرني فصحّت وهذه هي :

في القصل

نوع مرض في الحافر المدور يسمّى القصل . يحصل جمود في المخالع ويمنع النوم والأكل . يلزم له الكيّات على المخالع ميل الجوّاني وعلى كعب الأذنين ميل جهة العنق .

في الجانب او الفالج

مرض في البقر يسمّى «الجانب» ومنهم من يسمّونه الفالج . تحمرّ عينان الفدّان وتجمد أذناه ويحصل له قبض معدة . يلزم له كي في رأسه وفصد أذنيه وفي العرق الجوّاني وراء القرون اي عرق الرقبة . واذا صار تأخير عن ذلك تذهب منفعة هذه الوصفة .

ورم الكاحل

مرض يحصل منه ورم على الكواحل . يلزم استخراج الدم من بين القرصوعين ويكوى بين الكواحل والحافر .

مرض الحافر

مرض يحصل في الحافر المدور . وغالباً يكون في الخيل ، يصير عن برودة . يكوى على العرق الظاهر في الفخذ على ميل الوارم ، يكون على العرق الظاهر

ثلاثة أميال كي، وبين الميل والميل قدر ثلاثة سنتي. ويلزم شحف الحافر. واذا وجد حرارة يقدح الحافر في بزّينة قدر ثقب البية (بزّ السيكارة) لكي يخرج الدم وتبرد الحرارة منه . واذا ما نفعت هذه الوصفة لاول مرّة أعدها .

لنياضة في اعين البقر

اذا كان البياض رقيقاً غير مزمن، دقّ له صوّان ابيض وانخله في منديل وضعه في قصبة مثقوبة الطرفين وانفخه في عين البهيمة .

او استعمل برادة الحديد .

واذا حصل صرصور في العين ويكون لجهة القرنية، اكوه على نصف رأسه بين القرون، واذا عمل بياضة استعمل لها في الحال الصوّان .

نفخة الطروش من بقر ودواب وغيرها

صفوة وزيت فاترين . اسقه منهما . واذا لم ينتفع يجب ان تنخزه قدّام الخاصرة قدر اربع اضابع لجهة الظهر تنخزها وتجعل يـدك عالية لكي تثقب الكرشة فيتصاعد منها هواء . واذا وجـد شيء مثقوب مثل منقرة الكوسا استعمله، اي انخزه فيه فيكون افضل .

مرض خناق الطروش

يحدث غالباً في البقر كطلوع في جانب الزلاعيم . يلزم تحويقه في الكي عند اول طلوعه .

مرض ريال البقر

نوع مرض في البقر يمنع الاكل ويصير الفدان يريّل ويوطئ رأسه . يلزم له طين حوّارة مجبولة في خلّ ومعه قدر رطل بصل سلوني . يجب وضعه في قبو بحيث لا ينظر الشمس والهواء .

لسحب الدمل من الطروش

الطحينة فاترة . لزقة .

خرمة البقر

يلزم التعقيل في الرجل السالمة والمشي على الرجل المخرومة قدر ما يمكنك ان تمشيه . وينفخ على رأس الريش .

واذا اردت معرفة الخرمة من الشلعة ، انهض اليد السالمة لكي يلقي على الموجوعة ، فان تحركت الريش كعادتها يكون شلعة لحم وشفاؤها صعب . ومنهم من يقطبونها في لبة نباط . ويجب ان تحركها كل يوم لكي يخرج الفساد . ومنهم من يكوونها على قبال نصف الريش على جهة البدن وعلى جهة رأس الريش .

زرق النجم او ضرب الطير

هو مرض يسمّى هكذا . وهو مرض واحد . يلزم له الكي بالغأ بين القراحيف وبين القرون . ويجب ان يُسقى خمر مع زوم مغلي الطيّون . واذا كانت المعدة قابضة يُسقى زيت او زيت خروع .

مرض النملة

مرض يسمّى النملة يقشر عن الحوافر قشب خفيف . يلزم ان يكوى على القشرة كلها .

مرض تجنيب في الحوافر

مرض التجنيب في الحوافر هو ان تكبر فرصوعة عن الثانية ويحصل للفدان عرج . يلزم ان يشحف الحافر قليلاً ويكوى على جهة الفوقانية على رأس الحافر حتى يخرج الدم ، ويكوى موضع الثقب حتى لا يعرج بسبب الكي .

لسنفة الهوا

يحصل تيبيس في القوائم . وبعض البقر يقل الأكل معها ويصعب عليها النوم . واذا نامت يصعب عليها القيام . يلزم لها زوم البصل فاترًا ومعه قليل من زيت الحلو . اذا كان المرض مزمناً يستغنى عن العلاج .

مرض العين

في ابتدائه تنسكب الدموع . ومرّة يحصل بياض خفيف ، ومرّة يشفى

يلزم ان يكوى بين القرون في الجورة كيًّا بالغًا ويستخرج دم من قفا أذنيه .

في مرض تغيير شعرة البقر

مرض يصيب البقر . يكون الحيوان مشترًا وشعرته ضاوية ، وبالحال تتغير شعرته ويمتنع عن الاشترار مدة ساعتين او اكثر ويرجع الى ما كان عليه . يلزم ان يكوى على الزكرة ويستخرج دم من أذنيه . واذا عاد الى ما كان عليه يكون مرضه في السبع طائق ولا شفاء له . ويتأجل مرضه في صفوة رماد التين مع زيت الحلو الثلث ويسقى كل اسبوع مرتين .

لمغص البقر

يسقى زوم مغلي اليانسون فاترًا فيفيده .

للحزاز في البقر والحافر المدوّر

يفيده زوم عشبة العصية . دقها واعصرها وادهن الحزاز .

انتهى ما نقلناه ايضاً من الافادات في طب الحيوانات عن دفتر انطون جرجس انطون شاهين من قرية صغار الذي امتحنها وصحّت .

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلّامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف الشين

شِبْرا — يزعم مؤرخو العرب انها سميت بذلك لأن اراضيها دون غيرها من أراضي القطر المصري كانت تقاس بالشبر لعلة مجهولة . ولكن الأرجح في تسميتها ان اسمها محرّف عن — شيبرا — وهوا الخالق بلغة الفراعنة القدماء . ولأنها كانت تضم معبداً لشيبرا أبي الآلهة وخالق المعمور بعهد الفراعنة المتأخرين . وقيل ان — شبراهور — كانت تضم معبداً للإله — هور — وهو شمس الصباح وابن ازيس وازريس يدعى المنتقم أو الإله العظيم . وضمت معبداً آخر للإله — شيبرا — أو الخالق — رع — قرص الشمس اذ وحّد المصريون الأقدمون بينهما في العصور المتأخرة فجعلوا منها إلهاً واحداً وادمجوا الهيكلين في هيكل واحد وعلى مر السنين صار اسم — شيبراهو — بالتحريف فاصبح شبراهور والله اعلم .

شْتَوْرَه — أما تحريف — ستاڤورا — اليونانية بمعنى — مصلّب الطرق — أي قارعتها أو تحريف — عشتاروت — وهي الزُهرة . ويقال انها سريانية — اشتورة — أي تحت الجبل او في أسفل الجبل او في سفحه .

شكيم — منكب — هي نابلس اليوم ويسمونها سوخار — وكلمة (نابلوس) تحريف — نياپوليس — اليونانية بمعنى — المدينة الجديدة — لأنها رممت على انقاض شكيم .

شلاما — اورشليم .

شِمْلان — سريانية اسم لنا .

الشاوية — سريانيتها — شوِي — اي المساواة وتسمى بها سهلة صغيرة في جبل مثل شاوية الزمار قرب بسكنتا . والشوايا مقابل بتغرين من لبنان وهناك دير مار الياس — شوَيّا — للارثوذكس والموارنة متلاصقان على رابية قرب ضهور الشوير — او مرحلاتا — مارحانا .

شليفه — من شاليا الآرامية بمنى (الجوالق — اي اليالق بلغة العامة) وهي قرية قرب دير الأحمر مقابل بعلبك فيها الكثير من المعلوفيين أقارب مؤلف هذا المعجم كانوا قديماً نافذي الكلمة عند الأمراء الحرافشة حكام بعلبك ونبغ منهم أطباء وأدباء ووجهاء وكهنة الى يومنا .

شوْمر — راجع — سامرًا — في العراق .

شواغير — جمع شاغور سريانيتها — شاغورتو — بمنى الفجوة العميقة المظلمة . وتغلبت في لغتنا العربية العامية على الفوهة التي يندفع منها الماء . وجسر الشغر على نهر العاصي في الشمال ومنها قرية الشواغير في البقاع من اعمال الهرمل وشاغوريت في قضاء ادلب . وشاغور حمانا في قضاء المتن بلبنان . ومحلة الشاغور في دمشق ومشغرة في البقاع العزيزي .

شنعار — ان شنعار اسم قديم للأرض المجروفة بمياه دجلة والفرات قبل وصولها الى البحر . ثم سميت بعد ذلك بكلديا او بابيلونيه . وهي سهول كان يصنع فيها اللبن مكان الحجر والحمر مكان الطين . وكان من جملة مدنها بابل وارك وكلنة والد . وتذكر بلاد شنعار في الترجمة السبعينية مرة باسم بابيلونيا وطورًا باسم أرض بابل . يحتمل ان لفظ شنعار — عبراني — معناها البلاد الواقعة بين النهرين من — شني — بالعبرانية (اثنين) (ونهر) شبيهة الاشتقاق ؟ بالأصل العربي اي بلاد النهرين . وكذلك — ميسوبوتاميا — التي اطلقها اليونان على البلاد الواقعة مابين الرافدين — دجلة والفرات — سماها بها ابراهيم لما تغرب من أور الكلدانيين (راجع كلمة عراق) .

الشوير — لبنان — تصغير — شُورَو — السريانية بمنى الشوار أو تصغير — شير — بمنى الصخر الكبير .

الشويفات – قصبة في الشوف مشهورة اسمها سرياني بمعنى السهل وأمامها صحراء الزيتون بسهل فسيح .

شيا – (راجع كفرشيا – بحرف الكاف) .

حرف الصاد

صرفند – سربوتا – صارفة .

صلنفي – محلة قرب اللاذقية الى شماليها بينها وبين حلب في جبل – داريوس – وهي متنزه لطيف – وكلمة صلنفي تحريف كلمة – سِيلِفان – اليونانية وهي – الهة الاحراش – عندهم وفي هذه المحلة اشجار وأزهار ومياه منها شجر يسمّى –إستِرَك – وهى كلمة يونانية –إستِيرَكس– بعلم النبات يخرج منها الميعة ذات الرائحة المعروفة يوقد الفلاحون من هذا الشجر ويكون ورق التبغ – الدخان – معلقاً بالاشتاء في السقوف فيكسب قشرة رفيعة ناعمة ذات رائحة زكية من الميعة – سوداء لماعة فيسمى ذلك النوع من التبغ الذي دُخن بالميعة – أبو ريحة – وتحت محلة الصلنفي العالية في الوادي – قرية صلنفي – تحتها للنصيرية ومنها تستخرج المياه من نبع غزير الى علو ١٥٠ متراً للأبنية فوقها .

صنعاء – قاعدة اليمن العربية كلمة حبشية . مثل مصنعة عند عرب الجنوب وكلاهما تفيدان معنى (القلعة) .

صنين – (راجع – حرف السين) .

صقلية سماها العرب هكذا واسمها عند الافرنج سيسيلية وقد عرفت بزمن العرب في الأندلس باسم (صقلية) وقال ياقوت في – معجم البلدان – هي من جزائر بحر المغرب وهي جزيرة حصينة كثيرة البلدان والقرى والأمصار قيل ان لها ١٣ حصناً وقد بقيت هذه الجزيرة بين يدي بني كلب الذين كانوا خاضعين للنواطم من سنة ٢٣٦ الى ٤٤٤ هجرية اي مائة وثمان سنين وقد زارها ابن حوقل الموصلي ووصفها وصفاً دقيقاً صفحة ٨٢ في كتابه (المسالك والممالك)

وبقي في رحلته ٢٨ سنة من ٩٤٢م — ٩٧٠م . وهي الآن الجزيرة المعروفة بجزيرة سيسيليا في جنوبي ايطاليا في البحر الابيض المتوسط .

ومن شعرائها ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر ابن حمديس الأزدي الصقلي المشهور باسم ابن حمديس الصقلي ولد في صقلية ودخل الى الاندلس سنه ٤٧١ هجرية ومدح المعتمد بن عباد فاجزل له الصلات وتوفي سنة ٥٢٧ هجرية (١١٣٥)م. عن نحو ٨٠ سنة ومن شعره قوله يتشوق الى صقلية مسقط رأسه :

ذكرت صقليـة والأسى يجود للنفس تذكارهـا ،
فان كنت أخرجت من جنةٍ فاني احدث أخبارهـا
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعيَ أنهارها

وكانت صقلية في مطلع التاريخ مستعمرة يونانيـة واشتهرت بالسياسة والعلم . ثم انحدر اليها الرومان عندما اكتسحوا ايطالية وحدثت بينهم حروب كثيرة انتصر فيها الرومان ، فلم يبق اثر للفينيقيين في صقلية . ونزح اليها الفينيقيون من مستعمراتهم في افريقيـة الشمالية فتوطنوا في جانبها الغربي ولاسيا بعد تأسيس قرطاجنة وتملكوا معظمها وضموه الى امبراطوريتهم . ونحو أواخر القرن الأول من الهجرة وأوائل السابع للميلاد غزاها البيزنطيون وتولوا شؤونها وتملكها العرب بعد فتح سورية ومصر . فانتقل الامبراطور ببلاطه الى صقلية واتخـذ مدينة سرقسطة عاصمة له نحـو ست سنوات . ثم انتقل مقر الامبراطورية من سرقسطة الى القسطنطينية تفادياً من خطر العرب الذين أغاروا عليها سنة ٣٢ هـ (٦٥٢ م) ولاسيا بعد ان تملكوا افريقية واسبانية. وسنة ٢١٠ هجرية (٨٢٥م) ثار سكان صقلية على البيزنطيين واستنجدوا بتلك تونس من الأغالبة لينصرهم ويولوه عليهم . فتردد التونسيون ولكن أسد بن الفرات قاضي القيروان شجعهم منتهزاً تلك الفرصة وقاد الجيش بذاته فكان امام جيش جرار عدده عشرة اضعاف جيشه فهجم عليهم وشتت شملهم . واستمر القتال بهـذه المحاولات مائة وثمانية وثلاثين سنة وبعد معارك دامية عبر فيها العرب بجيوشهم حدود ايطالية فملكوها نحو مائة سنة . ونجحت صقلية بدولة بني كلب شطراً من الزمن بتسامح بين العرب والمسيحية . وازدهرت فيها الثقافة العربية فانجبت

صقلية علماء وشعراء وادباء أكبرهم وأشعرهم ابن حمديس الذي مرَّ ذكره فجمع اشعارهم ابن القطاع بكتاب ضمَّ اكثر من مائة وسبعين شاعراً من صقلية . ولما اضطرب حبل بني كلب وكثرت الفتن الداخلية فيها دعا أمير عربي من امرائها بعد ان صارت امارات صغيرة متعادية ملك النورمانديين روجر المالك في جنوبي ايطاليا فاخضع جميع صقلية ومالطة . وترك صقلية الى مراكش عدد من العرب وبقي الآخرون وتعززت لغة الضاد فيها بسعي روجر الذي كان يتقنها فاستقدم كثيراً من أدباء العرب منهم الأدريسي الجغرافي الكبير . وترجمت بعهده مؤلفات نفيسة الى اللاتينية . ثم تغيرت شؤونها وحضارتها بعد ذلك فتحولت الى اقليم ايطالي .

صُلَيف — من الصلفة والصلفاء بمعنى الأرض الصلبة او الغليظة الشديدة .

صلما — لبنان — من — صَلْما — السريانية بمعنى الصورة والمثال والتمثال .

صيدنايا — آرامية بمعنى مكان الصيد او محل المستشفى . وقيل تحريف (سيدة نايا) اي السيدة الجديدة . ويقال — صيدنايل — . وقد وضع لها تاريخاً عيسى اسكندر المعلوف مؤلف هذا المعجم بعنوان — تاريخ صيد نايا — لا يزال مخطوطاً نقل بعضه في بعض المجلات .

صور — فينيقية بمعنى صخر او حجر . و (بالي تير) صور القديمة تسمى الآن رأس العين .

الصلت — راموت جلعاد .

صمرة — ناحية صمرين او زمرين ولعلها تحريف سيميرا قصبة الصماريين من سلالة كنعان بن حام في شمالي لبنان قرب النهر الكبير .

صيدونا — صيدا ومعناها الصيد براً وبحراً و — ربَّة صيدون — اي صيدا العظمى من أسماء هذه المدينة (راجع صيدنايا) .

صُوعَر — قرب بحيرة لوط اسمها القديم (بالع) بالعبرية ولقبت (صوعر) اي الصغيرة وقول ابن العبري (صفحة ٢١) انها باسم صاعر — امرأة — خطأ .

صورات — البترون صورات كسروان (سريانية) معناها الصورة ومثال ومثال الشيء . والشبه والشكل .

حرف الضاد

ضِبَاب — هي قلعة الضباب بالكوفة نسب اليها الشريف ابو البركات عمر بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي الضبابي الزيدي النحوي— كما جاء في معجم ياقوت ..

الضِّبَاع — وادي في بلاد العرب والضبع من الأرض أكمة سوداء بشكل مستطيل.

ضَبَّة — قرية بتهامة على ساحل البحر قرب الشام وتحيط بها قرية — بُدَّا — التي كان يقطنها يعقوب النبي ومنها سار الى ابنه يوسف بمصر.

الضمار — مكان ما بين نجد واليمامة — واسم صنم كان في ديار سُلَيم بالحجاز جاء ذكره في إسلام العباس بن مرداس السُّلَمي وفي هذا يقول الشاعر :

أقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمارِ
تمتع من شميم عرار نجدٍ فما بعد العشية من عرارِ ..

ضُمَير — تصغير — قيل هي قرية وحصن في حدود دمشق مما يلي السماوة. وقال المتنبي :

لئن تركنا ضُميرًا عن ميامننا ليحدثنَّ لمن ودعتهم ندمُ!

وقال الفرزدق في رثاء عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي الذي مات بضُمَير من دمشق كما جاء في معجم ياقوت .

يا معشر الناس لا تبكوا على احدٍ
بعد الذي بضميرَ وافق القدرا .

حرف الطاء

طره - ذكر اسمها على المسلة التي بين قدمي أبي الهول في الجيزة بمصر — وذكرها اليونان في كتاباتهم باسم (تِروجا) .

طَمَش — في الشمال الشرقي من (بوارج) لبنان أخربة قديمة عظيمة تصل الى قرب نبع العسل . وطمش سريانية بمعنى الطامسة او المطموسة . وفعل

طمش العربي طمس بابدال الشين سيناً مما يدل على ان سكانها هربوا قصد الانعزال ومنها قول العامة (طمّش) اي أختفى وعزل .

طورا — لفظة سريانية بمعنى الجبل ومنها — الطور — بالعربية . وركبت من هذه اللفظة اسماء مثل عين طورا وحماطورا .

طُور سيناء — ويقال سينا. وسيسنا وسيسناء وطور سينين جبل مشهور في تاريخ النصارى والمسلمين واليهود أنزل الله فيه الشريعة على العبرانيين وتجلى لموسى الكليم . وبل هو سلسلة جبال موقعها في شبه جزيرة الطور تمتد مثلثة الزوايا بين خليج العقبة وخليج السويس . وفي طور سيناء دير أسسه الامبراطور يستنياس الأول سنة ٥٢٩ مسيحية .

طرطوس — اسمها القديم — ارتوسيا — قرب اللاذقية .

طَرطوس — اسمها القديم — انطرطوس — .

طرابلس — يونانيتها — تريبوليس — اي المدن الثلاث .

طوراصيا — اسم جبل فيه دير سرجيوس على دجلة ومعنى — طوراصيا — الجبل القاحل .

طُوقات — تركية بمعنى — كف — راحة اليد — لطمة — في بر الأناضول ومنها الطوقاتي والتوقاتي شارح المتنبي الشاعر المشهور .

طِيبَة — او — طيوة — باللغة المصرية القديمة معناها — مدينة — وبالرومانية معناها — التل المرتفع — وهو اسم مصري قديم . ولفظ — تيب — مركب من أداة التعريف — تي ومن كلمة — ب — بمعنى رأس او تحت — وقال المؤرخون إن كلمة ديوبوليس التي يطلقها الروم على هذه المدينة هي ترجمة كلمة — اموناي — المصرية اي مقر عبادة آمون واسمها المصري القديم هو طيبة او طيوة وسماها اوميروس كبير شعراء اليونان (هيكا تامپيل) ومعناها المدينة التي لها مئة باب . وهي عاصمة القطر المصري قديماً وتعرف الآن بالأقصر وزارها مؤلف هذا المعجم عيسى اسكندر المعلوف يوم كان يحضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة كعضو فيه سنة ١٩٣٤ وشاهد آثار طيبة هذه ووصفها برحلته الى مصر المخطوطة في خزانته .

طِيبَة — في حوران من كلمة — تِيبيَّه — اليونانية بمعنى المعبد .

حرف الظاء

ظَفار — بلدة في اليمن وهي على جون في البحر شرقي صنعا. وهي قديمة ولعل اسمها Saphar (صفار) كما ذُكرت بتاريخ بلينيوس او Sapphara (صفاره) كما جاء في تاريخ بطليموس. وزعم ابن خلدون ان ظَفار وزمارها اسمان لبلدة واحدة شيدها مالك بن برهة الأملوك وسُمي مالك ابن ذي المنار. وهي منزل للملوك للآن وفيها دار التابعية. وكانت فيها دور الملوك حمير كما جاء في ياقوت. وعلى ما يظهر ان محمود بن محمد الحميري هدم بلدتي مرباط وظفار وأنشأ ناحية مرباط بلدة الأحمدية سنة ٩١٦ هجرية ١١٢٣ مسيحية وبعد ما كانت لحمير انتقلت الى الحبشة ومنها الى الفرس ثم استرجعها العرب.

الطريقة العملية الحديثة[1]

لتدريس مبادئ القراءة للاطفال

تأليف الدكتور ارنست حموي

في اوروبا ، وفرنسا خاصة ، يدرب الطفل في السادسة من عمره على القراءة ، ابتداء بالجملة فالكلمة واخيراً الحرف ، هذه هي الطريقة الشاملة . غير ان هذه القراءة ليست بجد ذاتها فعّالة ، وكي تكون كذلك يجب ان تحرك عند الطفل عملية المقارنة من جهة وعملية التعبير من جهة . وبعبارة اخرى ان تثير لدى الطفل عملية التفكير .

فبالمقارنة يكتشف الطفل القراءة وهذه العملية هي التي تسمح للطفل ان يميّز من تلقاء نفسه ، مختلف الكلمات التي يتكوّن منها النصّ ومختلف العناصر التي تتكوّن منها الكلمة .

والطريقة الشاملة مع انها ابتداء من الجملة ، تفصّل الكلمات وتظهرها مفردة الى الطفل مع انها تقسم الكلمات الى حروف وتلقّن الطفل إعادة تركيبها ، يبقى الطفل معها سلبياً . وتكون ايجابية الطفل اذا ميّز الكلمة والجملة وفهم تركيبها بطريقة المقارنة ، بطريقة التجربة والخطأ ، مثلاً الجملة التالية :

« الارنب يأكل الجزرة »

لو جعلنا الطفل يقرأ وهو يدل على كل كلمة بمفردها ثم اقتطعنا الكلمات المقصوصة الى عناوين وعاودنا تركيب الجملة بواسطة الكلمات ، هذا اجمالي ولكنه ليس فعّالاً . واذا كتبنا بالاستناد الى هذه الجملة :

« امسك الارنب باذنيه »

« عين الارنب حمراء »

« الجزرة حمراء » ،

---

[1] هذا المقال هو ملخص لطريقة جديدة نعرضها في كتاب سيصدر عما قريب .

فالطفل الذي يرى نفس العناصر مركّبة بطرق مختلفة يستطيع ان يقارن بينها ويعيد تركيبها بمفرده ، وفي هذه الحالة يكون قد قام بعملية عقلية ايجابية .

ومن اولى مستلزمات هذه العملية الايجابية ان يكون للطفل النضج الفكري الكافي ، ولكي يربط الطفل ما بين الشيء والرمز الذي يمثله يجب ان يكون قادراً على الفهم بان الكلمة هي رمز الشيء ، وهنا يتبين بان عملية الحسّ تبدو عاجزة عن القيام بعملية المقارنة هذه ، فالقراءة هي اظهار اعمال او افكار بواسطة الرموز ، فاذا لم يكن الطفل قادراً على فهم الرمز ، لا يكون هناك عملية عقلية ، ولا يكون الطفل قد بلغ سن القراءة بعد .

وهناك مشكلتان خاصتان باللغة العربية توجبان إعادة النظر بهذه الطريقة ، وهذه هي العقبات الرئيسية التي تعترضنا :

١ — ان الطفل في بلدان اللغة العربية لا يبلغ سن القراءة في السادسة من عمره .

٢ — الاختلاف الكبير بين العامية والفصحى . لذلك يصعب على الطفل الابتداء مباشرةً بدراسة الجملة اذ يتوجب عليه ، قبل الجملة ، ان يبدأ بتلقن مفاهيم الالفاظ التي لا يدرك معناها بعد . هذه المفاهيم هي طبعاً بصرية لانه اصبح من الثابت حالياً ان ممارسة القراءة هي في الغالب من التمارين البصرية مع الاشارة الى ان البصر في بداية الطفولة يكون من بين الحواس اكثرها تطوراً ، فالبصر يعطي معلومات اكثر واوضح من السمع ، وكعضو ، ان لم يكن البصر اكثر الاعضاء تطوراً بعد حسّ اللمس ، فهو اكثرها موضوعية وواقعية وهو بالتالي يعطي انواعاً متعددة من المحصولات .

٣ — أخيراً المبدأ الثالث هو ان القراءة وسيلة وليست غاية ، فالطفل يذهب الى المدرسة ليتعلم كيف يتعلم ، فالغاية الاولى من المدرسة هي تطوير ملكة التفكير لدى الولد وتعليمه كيف يفكر او بتعبير آخر ، لتوحي اليه عادة العمل الشخصي .

بهذا تلبي الطريقة الفعّالة حاجات الطفل اكثر من الطريقة الاجمالية وتعطي للمدرّسين حلاً فعلياً للمشاكل التي تشغلهم .

سرد تفسيري للطريقة الجديدة :

هذه الطريقة الجديـدة للتدريس تظهر بواسطة لوحات موزعة على خمس صعوبات رئيسية (او دروس) بحسب القواعد النحوية الفارقة :

١ — السكون .
٢ — الحروف المحدودة بالالف .
٣ — الحروف المحدودة بالواو .
٤ — الحروف المحدودة بالياء .
٥ — الشدّة .

ويحوي كل درس (او صعوبة) لوحة لدراسة الكلمات ولوحة لدراسة الجمل . وهذه اللوحات تعتبر نسخة ثانية لكل صفحة من صفحات الكتاب يطالب من الطفل ان يقصّها للحصول على قسائم للصور وقسائم للكلمات — فيما يختص بالجمل، التمرين الاول يفترض تكرار الجملة كلها، لذا كان من الضروري قصّ الجملة .

وفي تمرين ثان، على الطفل ان يعيد تكوين الجملة بسقف الكلمات واذا يجب ان تقصّ قبل ذلك كل واحدة من الكلمات التي تركب الجملة .

والقاعدة هي نفسها للوحات الجمل كما هي للوحات الكلمات، وتستعمل اللوحات لوحة بعد لوحة تدريجياً، ويقابل كل صورة على هذه اللوحات رسم كبير الحجم يحوي الصور ذاتها

ويستعمل المدرّس كل مرة مجموعة مكونة من ثلاثة رسوم فيأتي هذه الرسوم الواحد بعد الاخر ويوضع تحت كل رسم القسيمة المناسبة المكتوب عليها الكلمة الدالة على الصورة . (رسم رقم ١)

رسم رقم ١

ولنأخذ مثلاً على ذلك اللوحة التي تمثل الارنب . تحت هذه اللوحة توضع القسيمة المكتوب عليها كلمة «ارنب» . وفي الوقت نفسه، كل طفل مزوّد بمجموعة اللوحات الخاصة به يعيد على اللوحة المناسبة تركيب الصور

الظاهرة على اللوحات المعلقة على الحائط امامه . وكذلك الكلمات المتعلقة بها . بعدئذ يسحب المدرّس اللوحات الثلاث ويضع كل واحدة منها في زاوية من الصف ويعيّن ثلاثة اولاد على كل واحد منهم ان يعيد على طاولته بواسطة المعدات التي بحوزته تركيب الصورة والكلمة المقابلة لاحدى االلوحات .

وتستعمل الطريقة نفسها للجمل التي تصف مشهداً ، ينبغي على كلّ طفل ان يعيد امامه تركيب الجملة المكتوبة في اسفل الرسم المعلق في احدى زوايا الصف .

.:.

ولكن يستحيل ان يطلب من الطفل في الصف الثاني عشر والذي لم يبلغ سن القراءة بعد ، ان يواجه مباشرة أهمّ صعوبات اللغة العربية ، فكان من الانسب ان يمر بمرحلة تمهيدية غايتها ان تبين له دلالة الحروف المكوّنة للكلمة .

ولتجزئة الصعوبات يكون العمل على مراحل بتلقين الطفل اولاً مجمل الحروف مع حركة الفتحة ـَ ، ثم تدريبه على الحركتين الباقيتين الضمة ـُ والكسرة ـِ .

.:.

المرحلة التمهيدية

تنقسم الحروف باعتبار الشبه بينها الى مجموعتين كبيرتين :

١ — المجموعة الاولى . وتشمل الحروف : ب ت ث د ذ ر ز و م ف ق ج ح خ ي .

٢ — المجموعة الثانية . وتشمل الحروف : س ش ص ض ط ظ ا ل ك ه ع غ .

ومما هو جدير بالذكر انه لا يجوز مطلقاً الانتقال من دراسة مجموعة الى المجموعة الثانية الا بعد التأكد من ان جميع الاطفال وخاصة الضعفاء منهم قد اكتسبوا القدرة على التمييز بين حروف هذه المجموعة . وانهم جميعاً قد اجادوها في جميع احوالها محركة بالفتح والضم والكسر . فلا يجوز اذن للمدرّس ان يستعجل في الانتقال من المجموعة الاولى الى المجموعة الثانية اذ ان الاطفال

وجميعهم مبتدئون يجدون صعوبة اكثر في ادراك حروف هذه المجموعة الاولى التي تتطلب وقتاً اطول من الوقت اللازم لتعليم المجموعة التي تليها . ولكن عندما يألف الاطفال حروف هذه المجموعة يمكن بعد ذلك التقدم تقدماً اسرع.

ويتمّ تعليم كل مجموعة من الحروف على خطوتين :

الخطوة الاولى : يدرس الطفل قراءة حروف هذه المجموعة بحركة الفتح فقط . ولهذا الغرض تستعمل اللوحات وعليها رسم الشكل الذي يتفق مع الرسوم التي في بدء كل مجموعة من كتابنا . مثال ذلك الشكل رقم ٢، هذا الرسم يبين « بطة » فاول حرف من هذه الكلمة يدل على لفظ البا. (ب) محرّكة بالفتح . فحينما ينظر الطفل الى الرمز ينطق باسمه وفي هذه الحالة يبين للطفل العلاقة التي بين لفظ الحرف الاول من هذا الرمز وحركة الحرف (ب) بالفتح .

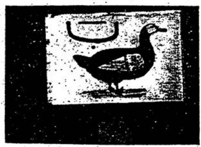

رسم رقم ٢

ويراعى ان يُكتب على اللوح الاسود وفي اسفله الحرف المقابل للحرف المراد تبينه على اللوحة بحركة الفتح باستمرار.

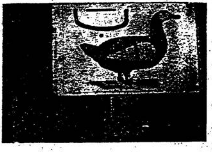

رسم رقم ٣

ويدرس الاطفال في كل حصة بضعة حروف وليس من الضروري التدقيق كثيراً اذا لم يستوعب الطفل منطوق هذه الحروف . ان الاولاد وبحوزتهم الادوات الشخصية التي يحصلون عليها بتقطيع اللوحات الاضافية ان يجدوا الحرف المناسب للحرف المكتوب على اللوح الاسود.

اذا اعتاد التلاميذ بسرعة واصبح باستطاعتهم دون اية عقبة استدراك

تشابه الاحرف بعد بضعة دروس فلم تكن هذه حالتهم في الدروس الاولى ، لذا كان اللازم ايجاد تمرين تمهيدي .

ولهذا الغرض يقسم الاولاد الى فرق ، ثم يطلب الى ولد من كل فرقة ان يستخرج من الحروف التي بين يديه الحرف الدال على الرسم المعلق على اللوح الاسود . ثم يطلب الى كلٍّ منهم ان يضع تسيته على جانب الحرف المكتوب على اللوح الاسود .

ولكنَّ الولد في اول الامر لا يمكنه ان يميز حالًا اعلى الحرف من أسفله ، وقد يضع في اغلب الاحيان قسية عكسية على جانب الحرف المكتوب على اللوح الاسود (راجع الرسم رقم ٣) . فعلى المدرّس حينئذٍ ان ينبه الى ان الحرف الذي عيَّنه ليس هو الحرف المكتوب على اللوح الاسود . وعندما يعتقد الولد انه اخطأ يعود الى البحث عن الحرف الصحيح . فعلى المدرّس ان يؤكد للولد بان الحرف الذي وجده هو الحرف الصحيح ويعمل على افهامه ان الحرف بوضعه الحالي لا يبين تماماً الحرف المكتوب على اللوح الاسود . وبذلك يهيء للطفل الفرصة لمعرفة الوضع الصحيح بواسطة حاسة اللمس ، فيمسك المدرّس بيد الولد حول الحرف حتى يدرك تماماً الشكل الصحيح للحرف (رسم رقم ٤) .

وعلى المدرّس ان يساعد الولد على الاهتداء الى الوضع الصحيح للحروف بوضع القسيمة على جانب الحرف المكتوب على اللوح الاسود .

رسم رقم ٤

ويجب ان يجرى هذا التمرين علناً امام جميع الاولاد حتى يمكنهم الاستفادة من الشرح وان يعاد في البدء كل النهار ويكرر التمرين طول الوقت ، وقد لا يتعدى حرفاً واحداً . ولا داعي للتقلق بل يجب ان يظهر المدرّس طول الاناة في ان يعمل على مساعدة الولد على ان يكتشف بنفسه

الوضع الصحيح للقسيمة اي الشكل المناسب للحرف .

وباتباع هذه الطريقة يتمكن الولد من ادراك هذه الحروف عن طريق اللمس اولاً، ثم عن طريق البصر، وفي النهاية عن طريق السمع . لانه في كل عملية يراعي ان ينطق الولد بالحرف بحركة الفتح مبتدئاً بالحرف المكتوب على اللوح، اسفل الرسم الذي عرفه في بادئ الامر، ثم الحرف المكتوب على اللوح الاسود، واخيراً الحرف المكتوب على القسيمة الموجودة بين يديه. ويجب على باقي التلاميذ وهم جالسون في أماكنهم ان يقوموا بنفس العمل باستعمال معداتهم الشخصية .

يجب ان يشعر الولد بسرعة انه في حالة تقدم وانه يستطيع القراءة . ولهذا نتبع الطريقة الآتية بمجرد تميز الولد لبعض الحروف .

فنبتدئ ونأخذ مثلاً : وَزَنَ

فنضع فوق اللوح الاسود اللوحة المرسوم عليها تاجر يزن لحماً، ونضع في اسفلها الرموز الثلاثة الدالة على الاحرف الثلاثة للكلمة ونكتب في اسفل الجميع الحروف الثلاثة الكبيرة المقابلة (رسم رقم ٥) .

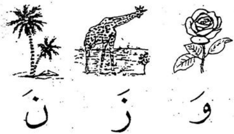

رسم رقم ٥

ثم يطلب الى ولد من كل فرقة ان يضع القسائم الثلاث مقابلة لحروف كلمة وَزَنَ على جانب الحروف المكتوبة على اللوح الاسود، وهنا نتبع نفس الطريقة التي سبق اتباعها في بادئ الامر .

فالاطفال وهم جالسون في اماكنهم يجب ان يركّبوا بواسطة ادواتهم الكلمة المعروضة عليهم، وتكرر هذه العملية حتى يعرف الاطفال كيف يميزون بين حروف المجموعة الاولى بحركة الفتح، ويمكننا بعد ذلك الانتقال الى الخطوة الثانية .

الخطوة الثانية : هذه الخطوة تتناول تدريس الحركتين الاخيرتين : الضمّة والكسرة وكذلك الضمّتين . فنأخذ الحرف الاول المقابل للبطة مثلاً، ونكتب على اللوح الاسود في مقابل الرمز المبين للبطّة حرف (ب) محركاً بالفتح كما تبيّنه اللوحة، ثم نعيد كتابة الحرف نفسه محركاً بالحركتين الاخيرتين ونكرر ذلك في ثلاثة احرف او اربعة دفعة واحدة حتى يعتاد سمع الولد هذه الالفاظ الجديدة (الرسم رقم ٦). فالاولاد يكتشفون بواسطة ادواتهم الخاصة الحركات الجديدة، وبنفس الطريقة يتعلم الولد حركة اخيرة منبثقة من الضمّة (ـُ) وهي (ـٌ) .

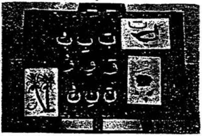

رسم رقم ٦

لم يتعلم الاولاد حتى الان سوى المقاطع المركبة من حروف غير موصولة ببعضها البعض ويجدر هنا ان ندلي بملاحظة هامة :

لقد قمنا بتلقين الاولاد حروفاً تختلف كتابتها عندما تكون موصولة في الكلمة، والكلمات التي عُرضت حتى الان مركّبة من ثلاثة احرف لا تلتصق فيما بينها بتاتاً وبالرغم من ذلك، ان هذه الدراسة ليست عديمة الفائدة لان الحروف الملتصقة في آخر الكلمات تكتب عادة — الا في بعض الاستثناءات القليلة — كما تكتب منفردة .

ونبدأ الان تدريس الحروف الموصولة اي نباشر تدريس القراءة . وتشمل هذه المرحلة اربعة دروس .

الدرس الاول : وصل الحروف في اول الكلمة .

الدرس الثاني : وصل الحروف في وسط الكلمة .

الدرس الثالث : وصل الحروف في نهاية الكلمة .

الدرس الرابع : الحروف التي تتصل بما بعدها .

في دراسة وصل الحروف تستعمل نفس الطريقة في التلقين . وعلى المدرس شرح طريقة وصل الحروف بعضها ببعض وكيفية القيام بها . ويجب ان يبدأ المدرّس بما تعلّمه الولد من المقاطع الثلاثة غير الموصولة ، وكيفية كتابة ونطق الحروف محرّكة بالفتح والتي هي منفصلة .

الدرس الاول – وصل الحروف في اول الكلمة :

قد اعددنا لدرس كل حرف صورة . والكلمة التي ترمز اليها هذه الصورة مكونة من حروف ثلاثة ، يستطيع الولد نطقها دون عناء . لان كلًا منها هو اللفظ الاول لاحدى الكلمات المقابلة للرموز الثلاثة المعروضة للولد مع هذه الصورة ولتمكين الولد من القيام بعملية المقارنة عليه ان يضع تحت كل حرف الرمز المقابل له والمعروف مسبقًا منه .

رسم رقم ٧

وعندما تكون الصورة معلقة على اللوح الاسود يوجّه المدرس نظر الاولاد الى كيفية الكتابة الجديدة وطريقة وصل الحرف الذي تبدأ به الكلمة بالحرف الذي يليه وذلك بكتابته على اللوح الاسود في وضعه الحقيقي . وهكذا يعتاد الولد كيفية توصيل الحرف الاول بالحرف الثاني (رسم رقم ٧) .

رسم رقم ٨

الدرس الثاني – وصل الحروف في وسط الكلمة :

وهنا ايضاً قد اعددنا رسماً خاصاً لكل حرف متصل في وسط الكلمة ، سنتبع في هذا الدرس الطريقة التي اتبعناها في الدرس الاول ، أي يعلّق الرسم على اللوح الاسود ويكتب على حافة الكلمة الدالة عليه بوضعها الحقيقي ويوجه المدرّس نظر الاولاد الى طريقة توصيل الحرف الاوسط بالحرفين الاول والثالث المعروفين عنده . (رسم رقم ٨) .

والاولاد باستعمالهم ادواتهم الخاصة وهم جالسون في أماكنهم يعاودون تركيب الكلمة الجديدة المعروضة عليهم . وهكذا يتبيّنون بانه اذا كان لفظ الكلمة واحداً فان كتابتها تختلف .

ملاحظات :

١) ان الحروف المعروضة باشكالها الجديدة تدرس بالترتيب التالي في كلا الدرسين :

ب ت ث ن ي ج ح خ ع غ ف ق م ه س ش ص ض ط ظ ك ل .

٢) ولقد شئنا أن نمكّن الولد ان يكتب بذاته الكلمات المدروسة في اشكالها الجديدة ، ولهذه الغاية وضعنا في كل صفحة من صفحات الدروس مربعات خاصة حيث دوّنا بنقاط صغيرة الكلمات الجديدة تحت هذه الكلمات نفسها مكتوبة بخط عريض . فالولد ينقل الانموذج المعروض عليه بتصويره على النقاط الصغيرة للاحرف الموصولة موضوع كل درس من الدروس .

الدرس الثالث – وصل الحروف في نهاية الكلمة :

وهو اسهل بكثير من الدرسين السابقين . يلفت المدرّس نظر الاولاد الى ان الحرف في نهاية الكلمة – الا في بعض حالات نادرة – يكتب كما لو كان منفصلاً ولا داعي لاستعمال رسوم في هذا الدرس اذ يكتفي المدرّس بالكتابة على اللوح الاسود سلسلة من الكلمات كي يرسخ في رؤوس الاولاد تكوين كل من الاحرف الهجائية ، ويظهر التعديلات الطفيفة الخاصة بتوصيل الحروف .

الدرس الرابع - الحروف التي لا تتصل بما بعدها :

على المدرّس ان يذكرها وهي : د ذ ر ز و ا . ويكتب على اللوح الاسود مجموعة الكلمات الموضحة في كتابنا لعرض كيفية كتابة كل منها .

∴

وهكذا نكون قد واجهنا الصعوبات الرئيسية للغة العربية .

ففي المرحلة التمهيدية درسنا الحروف المحركة بالحركات الثلاث ، ثم وصل هذه الحروف في اول وفي وسط وفي نهاية الكلمة بعدما اوضحنا انه يوجد في اللغة العربية بعض حروف لا تتصل بما بعدها .

وفي المرحلة الرئيسية واجهنا الصعوبات الخمس التالية :

١ - السكون في الدرس الرئيسي الاول .

٢ - الحروف المحدودة بالالف في الدرس الرئيسي الثاني .

٣ - الحروف المحدودة بالواو في الدرس الرئيسي الثالث .

٤ - الحروف المحدودة بالياء في الدرس الرئيسي الرابع .

٥ - الشدّة في الدرس الرئيسي الخامس .

وقبل ان ينهي الولد دراسة الجزء الاول من كتابنا ينبغي ان يتمرّن على الصعوبتين الرئيسيّتين الاخيرتين : التنوين وأل القمرية وأل الشمسية وذلك في كل من الدرسين الرئيسين السادس والسابع .

(التنوين) في الدرس الرئيسي السادس

هذا الدرس من السهولة بحيث انه لا داعي فيه لاستخدام لوحات ذات صور كما كان ذلك متبعاً في الدروس السابقة ، وبالرجوع الى كتابنا سيجد المدرّس ان الكلمة الواحدة قد استُخدمت مرة مع التنوين بالضم ومرة بالفتح ومرة بالكسر . وحيث ان الاولاد سبق لهم ان دُرّبوا على التنوين بالضم ، فيلزم لذلك ان يتخذ هذا اساساً يتدرّج منه الى تعليمهم كيفية النطق بالفتحتين ثم بالكسرتين .

فعليه ان يكتب على اللوح الاسود الكلمات المحركة بالضمّتين الواردة في كتابنا وبعد ذلك يشرح كيفية كتابة ونطق الفتحتين والكسرتين بكتابة

الكلمات نفسها بالحركات الجديدة ويلفت انتباه الاولاد الى الرنة الجديدة ويجتهد لتعويدهم عليها باعادة التمارين . .

أل القمرية وأل الشمسية في الدرس الرئيسي السابع

هذا الدرس خاصّ بتعليم الولد كيفية النطق بأل القمرية والشمسية مع الحروف المختلفة ، ولهذا الغرض تُستخدم مجموعة الصور المطابقة كما جاء في كتابنا ويبدأ اولاً بأل القمريه ثم بأل الشمسية وطريقة ذلك ان يعلّق المدرّس اللوحات على اللوح الاسود الواحدة بعد الاخرى ثم يكتب في اسفل كل منها الكلمة التي ترمز اليها الصورة مجرّدة من أل ثم يعيد كتابة الكلمة مسبوقة بأل.

ولا توجد اية صعوبة في تدريس الحروف التي تسبقها أل القمرية ، اذ ان جميع الحروف تنطق عند القراءة . وعلى المدرّس ان يبين الصعوبة الخاصة عند نطق الحروف مع أل الشمسية وان يلفت نظر الاولاد الى عدم نطق الحرف الثاني من أل واهماله كلياً بينما يضعف اول الكلمة ولذلك توضع فوقه الشدّة وعند الانتهاء من مجموعة هذه الدروس تطبّق طريقة اسماء تلاميذ الفصل بالوسيلتين التاليتين :

١) طريقة كتابة الاسماء على بطاقات ويتبع فيها الخطوات الآتية :

آ — يحضّر المدرّس قطعاً متساوية الحجم من الورق المقوّى مقاس (١٠ سم× ٥ سم) ويوزعها على الاطفال .

ب — يحدّد المدرّس لكل حصّة عدداً من اسماء تلاميذ الفصل وليكن هذا العدد خمسة اسماء او ستة .

ج — يكتب اول هذه الاسماء على اللوح الاسود .

د — يطلب الى صاحب هذا الاسم ان ينسخه على قطعة الورق المقوى التي سبق ان اعطيت له .

ه — يُطلب الى باقي تلاميذ الفصل ان ينسخوا نفس كراساتهم .

و — ثم يستمر على هذا المنوال حتى ينتهي من كتابة جميع اسماء تلاميذ الفصل

ز — يطلب الى كل طفل ان يثبت الورقة المكتوب عليها اسمه أمامه بواسطة دبوس .

ح — وابتداء من هذا الحين يطلب المدرس الى كل منهم ان يدوّن اسمه في اعلى كل صحيفة جديدة يبدأ في كتابتها وبذلك يعتاد التلميذ كتابة اسمه وقراءته وبذلك يسهل عليه قراءة وكتابة جميع الاسماء المشابهة الى اسمه .

٢) طريقة كتابة اسماء التلاميذ على ظروف ويتبع فيها ما يأتي :

آ — يحضر المدرس مجموعة من الظروف (ملصوقاً عليها طوابع بريدية مستعملة) يكتب عليها أسماء التلاميذ وعناوينهم على ان يكون ذلك في حدود معلوماتهم السابقة .

ب — يوزع المدرس جزءاً من هذه الظروف في كل حصة .

ج — يراعى في هذا التوزيع ان يعطي بعضاً منها الى اصحابها الحقيقيين والبعض الآخر لغير اصحابه .

د — ثم يطلب الى الولد الذي تسلّم ظرفاً لا يحمل اسمه ان يعيده الى صاحبه الحقيقي .

هـ — يمثل كل تلميذ بعد ذلك بالتناوب دور ساعي البريد، فعليه ان يسلّم كل ظرف لصاحبه (يختار لكل حصة عدد من الظروف) .

و — ينبّه المدرس التلاميذ الى ضرورة التأكد من ان الظرف المسلّم الى كلّ منهم يحمل اسمه والا فعليه ان يحتج ويردّ الظرف الذي وصل اليه خطأ .

النهاية

كما لاحظنا فان الغاية من طريقتنا هي :

١ — إعداد الولد للنضوج الفكري الضروري وذلك بجعله قادراً على فهم الكلمة بانها رمز لشيء .

تعليمه لغة غنية بالمعاني وافعالا تعبّر عن اعمال عادية وذلك تلافياً لحشو عقلي بعدد كبير من التعابير. ان كتابنا لا يحتوي إلا على مئة واثنتي عشرة كلمة فقط . وبالواقع فان طريقتنا تختلف وتبتعد في بعض النواحي عن الطريقة الفرنسية اذ انها تقدّم للولد كلمات وجملا جاهزة، بينما من مستلزمات الطريقة الفرنسية ان يقوم الولد ذاتياً بتركيب الجملة . ولكن من الواضح انه من السابق لاوانه ان تُفرض على الاولاد من طلاب العربية ان يركّبوا جملا كاملة نظراً لما بين العامية والفصحى من اختلاف بائن، مما يضعف اكثر فأكثر

استيعاب الولد للمرادفات بالاضافة الى ضعفه فيها في مثل هذه السنّ . وبما ان البدء بتعليم اللغة العامية يشكل مضاعة للوقت لا طائل تحته كان من الضروري التعويض عن هذه الخصائص التي هي في الواقع نواقص . ان نمضي على مراحل دون ان نبدأ بالجملة مباشرة ولكن دون ان نبتعد عن الطريقة الشاملة .

وطريقتنا ليست بهذا القدر تحليلية لان بالنسبة للولد الانتقال من البسيط الى المركّب هو العودة من الكلّ الى الجزء خلافاً لما يجري لدى الراشد الذي يحلّل وهي لا تبتدئ من الحروف بل من الكلمات مأخوذة كمجموعة . وبعد التدرّب على هذه المرحلة الاولى نصل الى الطريقة الشاملة الايجابية .

وبالفعل ، بعد الانتهاء من هذه المرحلة بانتهاء الجزء الاول يصبح الولد قادراً لوحده ان يؤلف جملاً من الافعال والاسماء التي حفظها وصار يتقنها . وفي الصفحات الاخيرة من كتابنا هذا سترى كيف سيكون موضوع جزءنا الثاني . ولهذه الغاية خصصنا صفحاتنا الاخيرة لنعرض للولد بعض المشاهد .

نعرض اولاً مشهد بنت تنزل درجاً .

فالكلمة التي ترمز الى الشخص الاساسي في هذا المشهد هي لفظة بنت والفعل الذي يدلّ على العملية المعروضة هو (نزلَ) وهاتان اللفظتان معروفتان مسبقاً من الولد فلا يبقى عليه الا ان يركّب من الفعل والفاعل جملة بسيطة مع زيادة الكلمة الجديدة وهي لفظة درج .

فهذا بدون شك سهل على الولد ويتناسب مع المستوى الذي وصل اليه وفي مرحلة ثانية نعرض عليه مشاهد اخرى . فبعد ان يكون الولد قد ألِف العملية المعروضة واصبح يعرف الفعل الدالّ على هذه العملية معرفة تامة يطلبَ منه ان يركّب جملة تامة باستعماله لفظة الفعل استعمالاً مقيداً .

ملاحظات ختامية

١ — هذه الطريقة لا تؤدي الغرض المنشود منها الا في صفّ لا يزيد عدد طلابه على خمسة وعشرين .

٢ — بمعدل ساعتين في اليوم يمكن تلقين هذا الجزء خلال سنة دراسية واحدة وهذا ما يتيح للولد ان يوفر سنة كان خسرها لو اتبع طريقة الابجدية لتعليم القراءة العربية .

LIH. JSA. 269
ET LA CHRONOLOGIE LIḤYANITE

PAR

LE PÈRE A. VAN DEN BRANDEN

I. Opinions concernant la chronologie lihyanite.

Quoique plusieurs savants se soient déjà occupés de l'inscription lih. Jsa. 269, aucun d'eux ne semble en avoir soupçonné l'importance pour la chronologie lihyanite, ni en avoir vu les implications qu'elle comporte pour la chronologie minéenne. Le caractère paléographiquement «hybride» de cette inscription d'une part, et le dogme de la date relativement récente du lihyanite d'autre part, en sont probablement la cause.

Le professeur W. Caskel de Cologne, qui a consacré une étude fort importante au lihyanite, a mis en doute, en se basant sur les caractéristiques paléographiques, l'unité même de cette inscription. En effet, il considère le verset 3 comme appartenant au lihyanite récent (1), tandis qu'il attribue le verset 4 au lihyanite ancien (2). L'auteur ne mentionne nulle part dans son livre les versets 1 et 2, probablement parce qu'il les considère comme rédigés en dialecte minéen dont il ne traite pas dans son étude.

Les Pères Jaussen et Savignac (3), comme aussi le prof. G. Ryckmans, (4), en ont admis l'unité, mais le contenu exact de ce texte leur a échappé. Avec ces deux auteurs nous admettons également l'unité.

Il persiste jusqu'à présent, en ce qui concerne la chronologie lihyanite. un grand désaccord entre les différents auteurs.

---

(1) Caskel, W., *Lihyan und Lihyanisch* (*Arbeitsgemeinschaft für Forschung des Landes Nordrhein-Westfalen, Heft*, 4) Köln-Opladen, 1953, p. 30.

(2) Caskel, *Lihyan*, p. 26.

(3) Jaussen-Savignac, *Mission archéologique en Arabie*, Paris, 1920, vol. II, p. 502.

(4) Ryckmans, G., *Les noms propres sud-sémitiques*, Louvain, 1934, vol. I, pour les noms propres seulement.

Ainsi en 1936, M. Levi Della Vida (1), considéra le lihyanite comme appartenant au 3e-2e s. avant J.C.; en 1937, le prof. Winnett (2) le data du 5e s. avant J.C.; en 1951, Monseigneur Ryckmans (3) opta pour les premiers siècles de notre ère et enfin en 1952, Werner Caskel (4) le fit débuter en 115 avant J.C. En 1957 nous avions admis la date de Winnett (5). Nous sommes maintenant d'avis que lih. Jsa. 269 nous oblige de reculer cette dernière date d'un siècle.

II. — La paléographie de lih. Jsa. 269.

Depuis les études du dialecte lihyanite de Caskel, il est possible de spécifier davantage la nature de notre texte. Un simple coup d'œil sur cette inscription nous permet de la classer dans la catégorie des «minäisierende graffiti» de Caskel (6), c.-à-d. parmi les textes qui présentent un mélange de lettres minéennes et lihyanites. L'analyse paléographique justifie cette dénomination. En effet, la première lettre de la première ligne, le *w*, appartient au lihyanite ancien (7). Toutes les autres lettres de cette ligne sont minéennes. Toutefois, elles ont subi une influence lihyanite qu'on constate surtout dans les formes des deux aliph dont les barres parallèles convergent, ce qui est une des caractéristiques de l'écriture lihyanite (8).

Dans la seconde ligne, le 'ain appartient au lihyanite ancien comme le prouve sa forme en losange.

La troisième ligne que Caskel considère comme appartenant au lihyanite récent, est constituée en majorité de lettres minéennes. L'influence lihyanite se montre surtout dans le second *b* du dernier mot.

Les lettres des quatrième et cinquième lignes semblent toutes appartenir au lihyanite ancien, peut-être à l'exception de *r* et du *s* de la quatrième ligne qui pourront être des signes minéens.

(1) Levi Della Vida, article *Lihyan*, dans *Encyclopédie de l'Islam*, vol. III, p. 26 sq.

(2) Winnett, F.V., *A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions*, Toronto, 1937, p. 51.

(3) Ryckmans, G., *Les religions arabes préislamiques*, Louvain, 1951, p. 19.

(4) Caskel, *Lihyan*, p. 36.

(5) Van den Branden, A., *La chronologie de Dedan et de Lihyan*, dans *BIOR*, XIV (1957), p. 15.

(6) Caskel, *Lihyan*, p. 31.

(7) Caskel, *Lihyan*, p. 23 et p. 33.

(8) Winnett, *A Study*, p. 10; Caskel, *Lihyan*, p. 23.

On constate donc que sur les 24 lettres que contient cette inscription, seulement une dizaine sont lihyanites tandis que toutes les autres, la majorité, appartiennent à l'écriture minéenne fortement influencée par la graphie lihyanite.

Considéré seulement du point de vue paléographique, on pourrait déjà soupçonner que ce texte a dû être tracé par un Minéen. Cette constatation est confirmée par le contenu de l'inscription. Mais celui-ci révèle également qu'il s'agit d'un Minéen qui écrit en dialecte lihyanite.

III. *Traduction et commentaire du texte.*

Lih. Jsa. 269 a été copié par les Pères Jaussen et Savignac dans les ruines de Ḥeirebeh près du village arabe El Ela', l'ancien Dedan biblique (1). Voir la pl. CXXXV, n. 269 de l'atlas de leur ouvrage *Mission archéologique en Arabie*, dont nous donnons ici la reproduction. Nous lisons:

1 — *w'l'lt*	Wa'il'ilat,
2 — *m'n*	(du groupe des) Minéens,
3 — *'rr/bbl*	a harcelé / Babylone,
4 — *'rr/hnḥs*	a harcelé / cette ca-
5 — *ḏh/.*	lamité./

v. 1 — *w'l'lt*, nom propre théophore dont le sens est «qui se réfugie près de 'Ilat», cf. RNP, I, 224. D'après la composition de ce nom, il s'agit d'un nom propre nord-arabe. Pour le nom de la divinité nord-arabe 'Ilât, cf. notre ouvrage *Histoire de Thamoud*, Beyrouth, 1960, p. 91. L'élément *w'l* se présente fréquemment comme nom propre dans l'onomastique nord-arabe, cf. tham. HU. 122; Ph. 178 1; 266 x; Hard. 223; saf. Csaf. 861, comme aussi dans les textes lihyanites Jsa. 43, 1; 57, 1; 275 et dans le graffite minaisant Jsa. 211.

v. 2 — *m'n*. Dans l'expression *kbry mṣrn wm'n mṣrn* de RES. 3022, 1, le mot *m'n* signifie «les Minéens». Il se peut qu'il s'agisse, ici dans notre texte, du nom ethnique placé directement après le nom propre sans l'intermédiaire du prénom d'appartenance *ḏ*. Ce procédé est connu dans les différents dialectes nord— et sud-arabes (2); voir spécialement dans les graffites minéens du nord, Jsa. 44; 42; 77; 58; 70 etc. et lih Jsa. 259, 1-2: *lḥyn*. RNP, I, p. 130 a lu ce mot comme nom propre de personne.

(1) Jaussen-Savignac, *op. cit.*, II, p. 75-77.

(2) Van den Branden, A., *Les textes thamoudéens de Philby*, vol. II, Louvain, 1956, p. XII; James, A., *Pièces épigraphiques* de *Ḥeid bin 'Aqîl, La nécropole de Timna'* (*Hagr Koḥlan*), Louvain, 1952, p. 221.

v. 3 — *'rr* est la seconde forme du verbe عرّ, «maltraiter, harceler». Ce verbe revient au verset 4 et est également employé dans les textes lihyanites Jsa. 276 et Müller 29 (1). RNP, I, p. 171 et Caskel, *Lihyan*, p. 148 l'ont rendu par un nom propre.

— *bbl*, «Babylone», nom du pays ou de la ville, personnifié ici, procédé bien connu dans la Bible, cf. Is. 47, 1; Jér. 50, 42 etc. On a déjà rencontré ce nom dans une inscription thamoudéenne du type primitif, cf. Ph. 279 aw (notre ouvrage *Textes thamoudéens de Philby*, II, p. 54-55). Caskel, *Lihyan*, p. 144 et p. 30, note 48, a vu dans ce mot une composition de *b*=*bn*, «fils» et le nom propre *bl*. C'est à notre avis une erreur. Cette manière de marquer la filiation, courante en thamoudéen, est inconnue en lihyanite qui se sert toujours du mot complet *bn*. Il y a, pour autant que nous sachions, qu'une seule exception à cette règle. Voir Jsa. 72, 1. Mais il s'agit là d'une influence thamoudéenne qui, d'ailleurs, est également sensible dans l'écriture de cette inscription. En effet, à la seconde ligne, l'auteur s'est servi du *š* thamoudéen.

v. 4 — *hnḥs*. Le *h* est l'article, cf. Caskel, *Lihyan*, p. 68, comme dans les autres dialectes nord-arabes; — *nḥs* correspond à l'arabe نحس, «calamité». C'est par ce mot que l'auteur caractérise *bbl*. Ici encore, RNP, I, p. 139 a lu un nom propre tandis que Caskel, *Lihyan*, p. 139 l'a traduit par «Kupferschmied», «forgeron de cuivre».

v. 5 — *ḏh*, pronom adj. démonstratif, cf. Caskel, *Lihyan*, p. 63. Remarquons ici que le lihyanite semble bien se servir de la même forme *ḏh* pour le singulier, le pluriel (Jsa. 276: *'sfr ḏh*, «ces inscriptions») et le duel (Jsa. 82, 1: *hṣlmn hḏh*,» ces deux statues»).

IV. Les implications chronologiques.

Cette inscription nous apprend donc qu'un certain Wa'il'ilat, membre de la communauté minéenne de Dedan, s'est efforcé de maltraiter, de harceler Babylone, ville ou pays personnifié par lequel il veut désigner les étrangers originaires de ce pays ou de cette ville. Tout le mépris que l'auteur ressent encers ves étrangers l'ont amené à qualifier leur présence à Dedan de «calamité».

Des conclusions fort intéressantes peuvent être déduites de ce texte. Nous avons déjà remarqué que du point de vue écriture, cette inscription avait subi une forte influence lihyanite et qu'elle a été tracée en dialecte lihyanite par un Minéen. Il est donc certain

(1) Jsa. 276 = Caskel, *Lihyan*, p. 127, n. 101 appartient au lihyanite récent tandis que Müller 29 = Caskel, *Lihyan*, p. 104, n. 69, appartient au lihyanite ancien.

qu'à l'époque où fut écrite cette inscription, Lihyanites et Minéens vivaient ensemble à Dedan puisque c'est dans cette ville que fut trouvé le texte. Ce fait ne nous apprend rien de nouveau puisque cette constatation a déjà été faite par Winnett et Caskel (1).

Mais dans cette ordre d'idées, une analyse plus approfondie semble bien pouvoir nous permettre d'en tirer quelques détails complémentaires. En effet, ce Minéen porte un nom propre nord-arabe. Constatation intéressante car alors on peut soupçonner que notre personnage n'a pas dû appartenir à la première migration minéenne dont les membres ont dû porter des noms sud-arabes. C'est p. ex. le cas dans lih. Jsa. 49, 1 qui est un des plus anciens textes en lihyanite ancien. La même idée est suggérée par l'alphabet hybride dont il se sert comme aussi par le dialecte lihyanite dans lequel il a tracé son texte. Il a dû appartenir à une génération de Minéens née à Dedan.

Wa'il'ilat affirme ensuite qu'il a «harcelé Babylone». Comment faut-il comprendre cette affirmation? Le verbe *'rr* signifie «faire du mal, maltraiter, harceler» (2). Il est peu probable que l'auteur l'ait employé dans le sens de «faire la guerre» car alors on s'attendrait plutôt au verbe *ḥrb* ou *ḍb'*. Il s'agit donc d'une résistance active faite par une personne isolée contre l'occupant babylonien. Cette occupation a dû être pénible à un tel degré qu'elle méritait le nom de «calamité».

Et nous arrivons ainsi à la question essentielle pour notre chronologie. Que faut-il entendre par «Babylone»; de quelle occupation babylonienne s'agit-il? Le texte lui-même ne donne pas une réponse directe à cette question. Ni le nom du roi babylonien qui occupait le pays, ni aucun détail suffisamment clair pour situer cet évènement politique, ne sont données. L'auteur suppose

(1) Winnett, F.V., *The Place of the Minaeans in the History of Pre-Islamic Arabia*, dans *BASOR*, 93 (1939), p. 6; Caskel, *Lihyan*, p. 31.

(2) Dans Jsa. 276 le verbe *'rr* a comme complément direct le mot *'sfr*, «inscriptions» et dans Müller 29 le mot *kfr*, «tombeau». Le sens de «nuire» nous semble donc assuré. Voici la lecture et la traduction de ces deux inscriptions:

Jsa. 276: *zdlh/bn/llyb/d'mrt'[/]f'rr dġbt/'rr/'sfr/ḏh*, «Zaydlâh, fils de Kulayb clan de 'Ammrata'. Et que Du-Ġabat maltraite celui qui martèle ces inscriptions».

La première ligne de Müller manque sur la copie. Notre restitution est purement hypothétique:

1 — *(hkfr/ḏh/lfln/bn/fln/m)* 2 — *lk lḥyn[/]f'rr/h(lh?)*
3 — *'mn/'rr/hkfr/ḏh*
1 — (Ce tombeau appartient à NN. fils de NN,) 2 — roi de Lihyân. Et que Ha-'Ilâh (?) maltraite 3 — celui qui désabuse de ce tombeau.

la situation connue par son lecteur, comme l'avait déjà fait l'auteur thamoudéen de Ph. 279 aw. Pour élucider cette question, l'histoire générale de la région de Dedan pourrait nous venir en aide.

Nous avons un texte en lihyanite ancien qu'on peut situer dans un cadre historique précis. Il s'agit de lih. Jsa. 349 qui nous apprend qu'un certain Nûrân a tracé son nom sur le rocher «au temps de Gešem, fils de Šahr et 'Abd, gouverneur de Dedan, sous le règne de...» (1). Malheureusement le nom du roi est effacé, mais on peut soupçonner qu'il s'agit du roi perse Artaxerxes (446) comme il ressort des autres indications du texte.

En effet, avec Grimme (2), Winnett (3) et Albright (4), nous identifions, Gešem, fils de Šahr, au Gešem l'Arabe dont parle le livre de Néhémi, 2, 19; 6, 1, 2, 6, et qui s'oposait à la reconstruction des remparts de Jérusalem, accusait Néhémi d'avoir des velléités de révolte contre le roi perse et lui reprochait de vouloir se faire roi des Juifs.

Notre texte emploie le titre *fḥt*, «gouverneur». Ce titre renvoie encore à l'époque perse. Il était en usage, durant le 6e-5e s., comme en témoignent le livre de Haggai (fin 6e s.), d'Esdras (5e s.) et quelques autres écrits cités par Winnett (5).

On peut donc conclure avec les auteurs précités que le lihyanite ancien était certainement en usage vers le milieu du 5e s. et que Jsa. 349 date de la fin de la première moitié—début seconde moitié de ce siècle (6).

On peut se demander maintenant quelle était la situation politique de Dedan à l'époque de Jsa. 349. La ville était gouvernée par un certain 'Abd dont le titre *fḥt* semble suggérer qu'il a régné en qualité de gouverneur perse. Toutefois cette conclusion nous semble devoir être nuancée davantage. En effet, l'auteur du texte a eu soin de se référer en premier lieu à Gešem b. Šahr, le chef de la grande tribu de Qedar (7). Pourquoi cette référence, à Dedan,

(1) Cf. Winnett, *A Study*, p. 50; Caskel, *Lihyan*, p. 101, n. 55.

(2) Grimme dans *Le Muséon*, L (1937), p. 311 ss; Cf. aussi Alt dans *PJB*, 27 (1931), p. 37 ss.

(3) Winnett, *A Study*, p. 51

(4) Albright, W.F., *Dedan*, dans *Geschichte und Altes Testament* (*Beitrage zur historischen Theologie*, 16) Tübingen, 1953, p. 4; Idem, *Zur Chronologie des vorislamischen Arabien*, dans *Von Ugarit nach Qumran, Festschrift für Otto Eissfeldt*, Berlin 1958, p. 8.

(5) Winnett, *A Study*, p. 51.

(6) Cette inscription est datée de l'an 110 avant J.C. par Caskel, *Lihyan*, p. 36, note 108 et p. 101, n. 55. Voir *BIOR*, XIV (1957), p. 14-16.

(7) Rabinowitz, Js. *Aramaic Inscriptions of the First Century B.C.E. from a North-Arab Shrine in Egypt.*, dans *JENS*, XV (1956), p. 6 ss.

à ce prince arabe? C'est évidemment que celui-ci y exerçait une certaine autorité. On dirait donc que Dedan était soumise à une double juridiction, celle de Gešem et celle du roi perse par l'intermédiaire de 'Abd. Cette situation nous semble invraisemblable et cela d'autant plus que nous savons par Hérodote (1) que les rois perses n'ont pas continué la politique arabe de leurs prédécesseurs babyloniens. Nous ne possédons aucun document de cette époque nous permettant d'affirmer que les Perses aient fait une campagne contre l'Arabie du nord et qu'ils aient occupé les régions autrefois conquises par Nabonide. Il faut donc chercher une autre solution à ce problème posé par Jsa. 349. Et c'est la Bible qui nous peut donner une réponse satisfaisante. Le livre de Néhémi nous prouve que Gešem était un fervent partisan du roi de Perse, qu'il a défendu, d'accord avec le gouverneur perse de la Samarie, les intérêts perses en Palestine, c.-à-d. le statu-quo de la Judée. Cela suppose l'existence d'un lien d'amitié entre ces deux maisons royales, et entre ces deux rois en particulier. L'histoire peut l'expliquer. Durant des siècles Qédar a eu à souffrir des rois babyloniens (2) et encore au temps de Nabuchodonozor (milieu du 6e s.) il avait dans une guerre contre ce roi, subi une lourde défaite (Jér. 49, 28-33). On comprend alors que Qédar a dû considérer la destruction de l'empire babylonien par les rois achéménides comme une sorte de libération d'une dure oppression. Il n'est pas impossible que les rois perses, pour récompenser cette fidélité avaient donné carte blanche aux princes de Qédar en Arabie et que ceux-ci en ont profité pour se rendre maîtres de Dedan auquel tant de liens historiques les unissaient (3).

Dans cet état de choses on peut fort bien concevoir que 'Abd, dont le nom semble bien être un nom arabe (4), soit en réalité le représentant de Gešem à Dedan et que ce titre perse lui ait été donné par le prince de Qédar lui-même. Ce mot serait donc tout simplement un mot d'emprunt comme *'afkal*, «prêtre» et *'afkalat*, «prêtresse» étaient des mots d'emprunts babyloniens maintenus dans le dialecte lihyanite (cf. Jsa. 49, 2; 64, 3). Quoi qu'il en soit, il est certain d'après Jsa. 53, qu'après l'expiration du mandat de 'Abd, l'autorité de Qédar continue à s'exercer à Dedan. Ce sont, en effet, des membres de la dynastie des Šahr

(1) Hitti, Ph. K., *History of the Arabs*, 5ème éd. London, 1953, p. 40.
(2) Hommel, F., *Ethnologie und Geographie des alten Orients* (*Handbuch des Altertumswissenschaft*, 1) München, 1926, p. 586 et 588.
(3) Cf. Is. 21, 13 ss.
(4) Albright, *Dedan*, p. 4 et note 5 suggère l'origine ammonite de ce gouverneur.

qui prennent le titre de roi de Lihyan à Dedan. Han-'Aws b. Šahr semble bien être le frère de Gešem et c'est le fils de ce Han-'Aws, Lawḏân (Jsa. 82) qui succède à son père. A son tour Gešem (Jsa. 85), après la mort de son père Lawḏan, monte sur le trône, et ainsi de suite, jusqu'à la fin de la période royale de Lihyan. A Qédar même, c'est la lignée de Gešem b. Šahr qui continue, puisque c'est son fils Qaynu (1) qui lui succède.

La situation politique à l'époque de Jsa. 349 ne pourrait donc pas être qualifiée d'«occupation» proprement dite. Le gouvernement semble bien avoir été aux mains des Arabes. Le texte lih. Jsa. 269 vise donc une autre situation politique, plus pénible puisqu'on la qualifie de «calamité», plus humiliante, une occupation proprement dite.

Il est aussi peu probable que Jsa. 269 fasse allusion à la campagne de Cambyse qui, vers la fin du 6e s., a traversé l'Arabie, allant à la conquête de l'Égypte. Les armées de Cambyse semblent avoir pris la route du nord et ont dû être en contact avec les Arabes de Qédar plutôt qu'avec les Dédanites. Il se peut que ce fait ait comporté pour les Qédarites une certaine soumission au roi perse, en principe, c'est la règle, mais il semble bien que cette soumission ait été alors plutôt nominale. En effet, Cambyse a dû s'arranger avec les Arabes puisque ce sont ceux-ci qui, au lieu de l'attaquer, l'ont aidé à traverser le désert en se chargeant du ravitaillement en eau de l'armée perse (2). C'est peut-être à ce moment qu'à commencé l'amitié entre les deux dynasties, ce qui a permis à Hérodote d'affirmer que les Perses ne se sont pas comportés envers les Arabes comme leurs prédécesseurs babyloniens.

Le mot *bbl* doit donc être pris dans son sens littéral [illegible] c'est le cas dans l'inscription thamoudéenne de Ph. 279 [illegible] situation politique visée par Jsa. 269 ne peut être que cell[illegible] par Nabonide. Ce roi s'est emparé de Teima en 549-548 et y a, durant 10 ans, pratiqu[illegible] politique d'expansion qui lui a permis de se soumettre toute l[illegible]n jusqu'à la ville de Yatrib (Médine) y comprise (3). Nous [illegible] signalé ailleurs que les textes thamoudéens font allusion à cette gue[illegible] (4). Mais l'inscription de Jsa.

(1) Rabinowitz, *op. cit.*, p. 2.

(2) Halphen et Sagnac, *Peuples et Civilisations*, vol. I, *Les premières civilisations*, Paris, 1950, p. 689.

(3) Gadd, C. J., *The Harran Inscriptions of Nabonides*, dans *Anatolian Studies*, VII (1958), p. 77 et 79 ss.

(4) Van den Branden, A., *Les textes thamoudéens de Philby*, vol II, Louvain, 1956, p. XIV; Gadd, *op. cit.*, p. 78.

269 semble supposer une accalmie — le fait de l'occupation. Elle doit donc être d'une date plus récente que celle des textes thamoudéens, c.-à-d. qu'elle a dû être tracée entre 549 et 539, période de l'occupation babylonienne.

Les conclusions sont importantes. Nabonide, en attaquant Dedan, n'avait plus affaire à des Dédanites autochtones, mais à des Lihyanites et des colons minéens. Les Dédanites ont dû disparaître vers la fin de la première moitié du 6e s., quelques années avant la prise de Dedan par Nabonide. On comprend alors que la Bible qui nous présente la ville comme très florissante durant le 7e et le début du 6e s., ne la mentionne plus après cette date (1).

Une autre constatation importante est la présence des Minéens à Dedan à cette époque reculée. Ce fait s'oppose à tous les systèmes chronologiques élaborés ces derniers temps. Ceux-ci ne conçoivent pas une présence minéenne à Dedan avant le 4e s. avant J.-C. (2). Disons toutefois qu'il s'accorde parfaitement avec la chronologie minéenne suggérée par Jacques Ryckmans dans son ouvrage *Les Institutions* (3), thèse abandonnée depuis par cet auteur pour adopter celle de Mlle Pirenne (4). Les faits étant clairs, ces systèmes chronologiques sont à reviser. Le texte Jsa. 269 présente du point de vue paléographique un mélange de lettres minéennes et lihyanites anciennes — il est écrit par un Minéen — le mot *bbl* qui y figure est à prendre dans le sens littéral et renvoie à l'époque de Nabonide, c.-à-d. vers le milieu du 6e s. avant J.C. Ajoutons encore ici que certaines influences thamoudéennes dans les graffites minéens nous renvoient à la même époque. Ainsi min. Jsa. 195 se sert de la préposition *lm* qui est propre au type primitif de l'écriture thamoudéenne, donc du milieu de 6e s. (5). Le signe H = *ḏ* qu'on

---

(1) Voir pour la chronologie dédanite, Van den Branden, A., *Les inscriptions dédanites*, Beyrouth, 1962, p. 29-46.

(2) Cf. Albright, W.F. *The Chronology of the Minaean Kings of Arabia*, dans *BASOR*, 129 (1953), p. 20-24; Pirenne, J., *Paléographie des inscriptions sud-arabes*, vol. I, *Des origines jusqu'à l'époque himyarite* (*Verhandelingen van de koninklijke Vlaamse Academie voor wetenschappen, Letteren en Schone Kunsten van België, Klasse des Letteren, Verhandeling nr.* 26), Brussel, 1956, p. 182.

(3) Ryckmans, J., *L'institution monarchique en Arabie Méridionale avant l'Islam* (*Ma'in et Saba*), Louvain, 1951, p. 262-263 et p. 268.

(4) Ryckmans, J., *Zuidarabische Kolonizatie*, dans *Jaarbericht n.* 15, *Ex Orient Lux*, 1957-1958, p. 242; Idem. *Les «Hierodulenlisten» de Ma'in*, dans *Scrinium Lovaniense* (*Université de Louvain, Recueil de Travaux d'Histoire et de Philologie*, 4eme série, Fasc. 24), Louvain, 1961, p. 55.

(5) Van den Branden, A., *Notes thamoudéennes*, dans *Syria*, XXXV (1958), p. 11 et Idem, *Les inscriptions dédanites*, p. 46.

rencontre dans les graffites minéens Jsa. 180; 181; 192, appartient également au type primitif de l'écriture thamoudéenne, mais étant donné que ce même signe est encore en usage dans les courants plus récents de cette écriture on ne saurait le citer à l'appui de de notre thèse au même titre que la préposition *lm*. D'autres influences thamoudéennes dans l'onomastique minéenne, comme p. ex. dans les noms propres *grmnhy* min. Jsa. 59; 62; 66 etc.) et *ẓydhrg* (min. Jsa. 204), relèvent du premier courant de cette écriture et il est donc possible que ces graffites datent du 5e s. Toutefois les mêmes réserves que nous avons signalées pour le signe *ḏ* s'imposent également ici (1).

En ce qui concerne l'écriture, nous pouvons donc conclure de tout ce qui précède que la graphie ancienne était en usage durant la seconde moitié du 6e s. avant J.C. et que d'après Jsa. 349 on se servait encore de cette même écriture vers la fin de la première moitié du 5e s. avant J.C.

V. *Les généalogies des rois et le lihyanite ancien.*

W.F. Albright (2) avait déjà signalé que le lihyanite ancien avait été en usage avant le milieu du 5e s. Il est encore certain qu'après cette date, on a continué à se servir de cette graphie. C'est une conclusion qui se déduit des inscriptions en lihyanite ancien mentionnant des rois lihyanites.

Nous avons déjà dit que, à en juger d'après les noms qu'ils portent, tous les rois lihyanites appartiennent à la dynastie des princes de Qédar. Il y a toutefois une exception. Jsa. 83 mentionne un certain Gallat-Qaws. Le texte ne dit pas que ce personnage ait été roi et nous n'avons aucune raison de penser que son titre n'a été mentionné faute de place sur la pierre (3). Nous soupçonnons qu'il s'agit d'un gouverneur qui a dû régner à Dedan avant ʿAbd. Dans sa liste chronologique des rois lihyanites, Albright (4) place ce Gallat-Qaws tout de suite après le roi Lawḏân b. Han-ʾAws, tandis que Caskel (5) le fait régner immédiatement avant ce même roi. Ces deux auteurs lui assignent donc un règne durant le gouvernement de la dynastie des Ṣahr. Tous les deux s'appuient sur le même argument. En effet, ils sont d'avis que du point de vue contenu Jsa. 82 et 83 ne peuvent être séparés

(1) Van den Branden, A., *Histoire de Thamoud*, Beyrouth, 1960, p. 105.
(2) Albright, *Dedan*, p. 4.
(3) Caskel, *Lihyan*, p. 41, note 2.
(4) Albright, *Dedan*, p. 6.
(5) Caskel, *Lihyan*, p. 41.

l'un de l'autre (1). Nous pensons toutefois, en nous basant sur les estampages publiés par Jaussen-Savignac, Atlas, pl. LXXXVIII et LXXXV, que le texte de Jsa. 83 est plus ancien que celui de Jsa. 82 et que Jsa. 83 se rapproche, paléographiquement, davantage de Jsa. 53 que de Jsa. 82. D'autre part, Albright (2) a bien vu que Gallat-Qaws porte un nom édomite. Or chaque fois qu'on décèle une influence édomite dans les noms propres lihyanites, ceux-ci appartiennent à la catégorie dédano-lihyanite, c.à.d. à la période de transition entre le dédanite et le lihyanite, donc à la seconde moitié du 6e s. ou, au plus tard, à la fin du 5e s. avant J.C. Cf. Jsa. 331; 334 etc. (3). Ces trois constatations: nom étranger à la dynastie régnante; divergence paléographiques et présence de noms édomites à la période de transition dédano-lihyanite, nous ont décidé de placer le règne de Gallat-Qaws avant les règnes des Šahr à Dedan. Gallat-Qaws a régné au moins 29 ans et supposé qu'il ait précédé de peu le gouverneur ʿAbd, le début de son règne doit se situer vers le commencement du 5e s. avant J.C.

(1) Caskel, W., *Das altarabische Königreich Lihjan*, Krefeld, 1950, p. 25, note 19; Albright, *Dedan*, p. 6, note 1.

Jsa. 82 et 83 ont été écrits par les membres d'une même famille, les fils d'un même père. Malheureusement les noms des dédicants n'ont pas été conservés. Il s'agit dans les deux cas d'une offrande de deux statues. La première (Jsa. 83 puisque paléographiquement plus ancien) est faite en l'an 29 du règne de Gallat-Qaws. Il faut donc la situer vers 440 si l'on accepte que ce gouverneur a commencé à régner vers 470. La seconde offrande (Jsa. 82) a eu lieu en l'an 35 de Lawḏân b. Han-'Aws. Entre ces deux règnes se situent celui du gouverneur ʿAbd et celui du frère de Gešem de Qêdar, Han-'Aws b. Šahr et son associé inconnu mais qui est probablement son fils Lawḏân. On ne connaît pas la durée du règne de ʿAbd. On a toutefois l'impression qu'elle a dû être courte. En effet, Gešem, qui encore vers 437 détenait le pouvoir sur Dedan, a dû nommer son frère Han-'Aws roi du Liḥyân. Or quelques années après 437 il a disparu car nous trouvons alors son fils Qaynu sur le trône de Qêdar. Et si l'on admet que Han-'Aws ait, dès le commencement, associé son fils Lawḏân à son règne, il n'y aurait guère plus de 40 ans de différence entre Jsa. 83 et Jsa. 82. Remarquons que d'après Caskel il y aurait une différence d'au moins 35 ans entre ces deux inscriptions et d'après le professeur Albright un minimum de 29 ans. Ce n'est donc pas le contenu de ces textes qui s'oppose à notre hypothèse.

On trouve un parallèle intéressant dans le texte phénicien de CIS, I, 88. Ici aussi, on a deux textes paléographiquement différents (mais tracés sur un même socle) écrits par des membres d'une même famille. Il doit y avoir un laps de temps assez considérable entre ces deux inscriptions puisque la plus récente a été gravée par les membres de la troisième génération. Évidemment on peut supposer dans ce cas-ci que le grand-père n'a dû plus être en vie, mais cette supposition vaut également pour nos textes Jsa. 83 et 82, les fils s'acquittant d'un devoir que le père n'a pu accomplir lui-même.

(2) Albright, *Dedan*, p. 6, note 1.

(3) Min. Jsa. 180 (RES. 3274) dans lequel figure le nom *brqš* peut donc appartenir à cette période.

C'est avec le gouverneur ʿAbd que les chefs de Qédar commencent à excercer leur autorité sur Dedan (Jsa. 349). Après la disparition de ʿAbd, Gešem semble avoir nommé son frère Han-'Aws roi de Dedan. Pour l'une ou l'autre raison que nous ignorons, ce Han-'Aws s'était adjoint un co-régnant dont le nom n'a pas été conservé, le texte étant détérioré, mais il est assez naturel de penser à son fils Lawḏân mentionné dans Jsa. 82. Celui-ci a régné au moins 35 ans. Nous ne savons pas quand Han-'Aws a commencé à régner et s'il a gouverné d'abord tout seul, mais les 35 ans de règne de son fils nous ramènent déjà vers la fin du 5e s.

Lawḏân semble avoir eu deux fils: Gešem et Talmay (Jsa. 85 et Müller 8). Tous les deux ont occupé le trône de Dedan. Le premier semble avoir été l'aîné, si du moins on peut se baser sur le seul argument paléographique. Il a régné durant au moins 9 ans. Nous ignorons le nombre d'années de gouvernement de Talmay, mais il nous semble certain qu'avec ces deux rois nous arrivons déjà au début du 4e s. avant J.C. (1).

Notre agencement des gouverneurs et des rois lihyanites durant la période du lihyanite ancien se présente donc comme suit:

Une courte période incertaine dont on ne connait pas les chefs: *seconde moitié du 6e s.*

Gallat-Qaws, gouverneur (?) de Lihyan: *vers le début du 5e s.*

ʿAbd, gouverneur de Dedan sous l'autorité de Gešem b. Šahr, chef de Qédar: *vers le milieu du 5e s.*

Han-'Aws b. Šahr et NN, les deux rois de Lihyân.

Lawḏân b. Han-'Aws, fils du précédent, roi de Lihyân: *vers la fin du 5e s.*

Gešem b. Lawḏân, fils du précédent, roi de Lihyân: *vers le début du 4e s.*

Talmay b. Lawḏân, pièce du précédent roi de Lihyân: *vers le début du 4e s. également.*

Les inscriptions de ces gouverneurs et de ces rois sont tracées en lihyanite ancien. Cette écriture était donc en usage de la fin 6e s. jusqu'au début du 4e s. avant J.C.

---

(1) La copie de Müller porte le nom *tḫmy*. Cette lecture a été maintenue par RNP, I, p. 104 et par Caskel, *Lihyan*, p. 41. Nous la corrigeons en *tlmy* avec Albright, *Dedan*, p. 6, note 5, mais nous y voyons un nom sémitique, d'ailleurs bien connu aussi bien dans l'épigraphie nord-arabe que dans la Bible, et non le nom macédonien Ptolémée. Voir Caskel, *Altarabischen Konigreich*, p. 10 et p. 25, note 18 pour qui *Tachmai* équivaut à *Ptahmai*.

VI. Le lihyanite récent.

On sait que le lihyanite récent s'est dégagé du lihyanite ancien (1). Mais les auteurs ne sont pas d'accord sur la date à laquelle ce processus s'est accompli. D'après Caskel (2) se serait vers le commencement de l'ère chrétienne; pour Albright (3) c'est au début du 3e s. avant J.C. et pour Winnett le lihyanite récent comparé paléographiquement au lihyanite ancien «cannot be much later, probably the first half of the 4th century B.C.» (4). Notre étude nous a conduit à la même date de Winnett.

La même dynastie continue à régner sur Dedan. Talmay b. Lawḏân a pour successeur son fils Han-'Aws b. Talmay (Jsa. 75) Mais durant le règne de ce dernier roi, le lihyanite ancien a fait place au lihyanite récent et on remarque également qu'à ce moment l'écriture nouvelle est déjà bien constituée. Le passage de l'ancienne graphie à la nouvelle n'a pas dû se faire d'un seul coup. Les textes intermédiaires, d'ailleurs, en sont la preuve. On peut donc admettre que les deux écritures ont dû coexister durant un certain temps et on conçoit fort bien que l'ancienne graphie a été encore en usage dans les textes officiels alors que la nouvelle graphie était déjà couramment employée par le peuple et les marchands, jusqu'au moment où cette dernière écriture finit par s'imposer complètement. Nous possédons actuellement un objet qui semble confirmer cette hypothèse:

En 1958, G.W. Van Beek et A. Jamme ont édité un morceau de sceau en argile cuite que J.L. Kelo avait trouvé en 1957 dans les débris extérieurs de l'ancienne ville biblique de Bethel (5). Ces deux auteurs, ainsi que W.F. Albright, pensent avoir affaire à un sceau sud-arabe. L'inscription qui figure sur ce sceau serait tracée en lettres sud-arabes et la facture en pâte mélangée de paille interdirait d'y voir un objet de fabrication locale. Une date précise ne pouvant être établie par le contexte dans lequel fut trouvé ce sceau, les auteurs ont recours d'une part à un argument d'ordre historique et d'autre part à un argument d'ordre paléographique.

A la base de l'argument historique se trouve l'acceptation que ce sceau a dû appartenir à un commerçant arabe fournisseur de sacs d'encens au temple de Bethel. Il a dû être rejeté au moment

(1) Winnett, *A Study*, p. 51; Caskel, *Lihyan*, p. 27.
(2) Caskel, *Lihyan*, p. 36.
(3) Albright, *Dedan*, p. 4.
(4) Winnett, *A Study*, p. 51.
(5) Van Beek, G.W. - Jamme, A., *An Inscribed Arabian Clay Stamp from Bethel*, dans *BASOR*, 151 (1958), p. 9-16.

de la destruction du temple par les Assyriens en 722-21. Et puisque ce sanctuaire a été fondé en 922, l'objet doit donc dater d'entre 922 et 721 et plus spécialement du temps de l'apogée du temple, à s. le 9e s. avant J.C.

A cet argument historique s'ajoute celui de la paléographie. Les lettres de l'inscription ressemblent à celles des graffites de Wadi Beiḥan et de Mukéras. Or ces graffites dateraient du 9e s. Donc ces deux arguments pris ensemble permettraient d'envisager le 9e s. comme date de ce sceau.

Les arguments que nous venons de résumer sont impressionnants. Toutefois, on a l'impression que l'argument historique a été plus ou moins inspiré par la date attribuée aux graffites. La méthode est légitime. Mais étant donné que cette date n'est pas tout à fait assurée, puisque Van Beek considère ces graffites comme datant «probablement» du 9e s. l'argument perd beaucoup de sa force (1). Nous admettons sans difficulté avec ces auteurs que ce sceau a dû appartenir à un marchand arabe en relation commerciale avec le temple de Bethel et qu'il a dû être rejeté au moment de la destruction ou de la désaffectation de ce temple. Mais l'histoire de ce sanctuaire a connu d'autres péripéties que celles signalées par Van Beek. Non seulement il a été reconstruit peu après sa destruction par les Assyriens, mais nous savons aussi que sa renommée au 6e s. avant J.C. avait largement dépassé les frontières palestiniennes. Nous trouvons son influence encore bien établie à la fin du 5e s. à Éléphantine (2). Or ce fait permet de supposer qu'à cette époque le commerce avec l'Arabie n'avait pas cessé.

L'argument paléographique prête également à quelques remarques. Les signes *m* et *f* à bases ouvertes tels qu'ils sont tracés sur le sceau de Bethel, figurent, en effet, dans la liste des signes de Wadi Beiḥan (3). Mais on peut ajouter que ces lettres ne sont pas exclusives à l'alphabet des graffites de Beiḥan et de Mukéras. Elles sont également en usage en lihyanite récent et figurent dans cet alphabet comme lettres caractéristiques de cette écriture (4). Sur les 5 signes intacts du sceau, il y en a 3 qui sont caractéristiques du lihyanite: le *m* et le *f* à bases ouvertes et le *d* dont le triangle

(1) Van Beek, *op. cit.*, p. 15.

(2) Albright, W.F., *Archeology and the Religion of Israel*, Baltimore, 1946, p. 168-169.

(3) Voir la planche du P. Jamme dans Wendell Phillips, *Qataban and Sheba*, London, 1955, p. 55.

(4) Winnett, *A Study*, p. 9-10; Caskel, *Lihyan*, p. 27; Albright, *Dedan*, p. 4.

est quelque peu séparé de sa barre verticale (1). Les formes arrondies du *y* et du *f* sont également dans la ligne du lihyanite récent (2). La forme du *n* correspond aux formes en lihyanite récent de Jsa. 278; 146; 126; 78. Étant donnés ces faits, nous n'hésitons pas à caractériser cette écriture comme lihyanite et, vu la forme en triangle du *d*, nous la classons parmi les textes intermédiaires entre le lihyanite ancien et récent, cf. Jsa. 259; 264.

Nous avons vu plus haut que le lihyanite ancien était encore en usage vers le début du 4e s. et que vers ce même temps l'emploi du lihyanite récent avait déjà commencé à être courant, ce qui suppose qu'à cette date les deux écritures ont dû coexister depuis quelque temps. Puisque l'écriture du sceau de Bethel présente une forme intermédiaire entre ces deux écritures, on pourrait le dater de la fin du 5e s.

L'histoire du temple de Bethel, peut-elle confirmer cette conclusion paléographique? La Bible, II Rois, 17, 28 nous apprend qu'après sa destruction par les Assyriens, le temple fut de nouveau reconstruit. Quelque temps après, le roi Josias le fait détruire de nouveau (II Rois, 23, 15). Mais à la mort de ce roi, le culte à dû reprendre. Jérémie reprend ses invectives contre les abus et encore Ézéchiel réclame avec insistance l'application des lois de réformes de Josias. En tout cas, au 6e s. Bethel brille de nouveau de tout son éclat comme les fouilles de W.F. Albright l'ont prouvé (3). Le cataclysme qui a détruit la ville vers la fin de ce siècle n'a été qu'une courte suspension, car les fouilleurs ont également trouvé les restes des maisons du 5e et même du 4e s. La ville a donc été reconstruite et le culte a dû reprendre. Mais peu à peu,

---

(1) Voir les formes de *d* correspondantes dans Jsa. 60; 179; 233; 359; 363. L'interprétation de cette inscription est difficile, la brisure ayant enlevé la première ligne et une partie de la seconde. Le Père Jamme dans *BASOR*, 151 (1958), p. 10-14) a proposé la lecture provisoire suivante: 1 — (...ḥ) 2 — *my*(*n*') 3 — *fdn*, qu'il traduit:

1 — (...Ḥa) 2 — myi(ân), the (de-) 3 — legate». Le premier *ḥ* est donc restitué et les deux petits traits de la fin de la seconde ligne sont complétés l'un en *n* et l'autre en '. Nous pensons que ces deux petits traits sont les restes d'un *h* lihyanite, formant l'article *h* du mot suivant *fdn*. Nous mettons ce mot en rapport avec l'accadien *pidnu*, «notation sur une tablette», d'où «marque». Il se peut que la première ligne n'ait contenu que deux lettres et nous songeons à un *l* qui en lihyanite a souvent une forme très étirée et un *ḥ*. Si cela est ainsi, on pourrait lire *lḥmy hfdn*, «A Ḥamiy appartient cette marque». Cette traduction semble assez satisfaisante étant donné que ce sceau a dû servir à marquer les marchandises d'importation ou d'exportation (cf. Van Beek, *op. cit.*, p. 14-15).

(2) Caskel, *Lihyan*, p. 27.

(3) Albright, *Archaeology*, p. 172-173.

c'est le retour de l'exil d'Esdras et de Néhémi et avec eux l'application stricte des lois de réforme. C'en est fini avec le temple de Béthel et le commerce arabe avec cette ville. Nous sommes dans la seconde moitié du 5e s.

La date du commencement du lihyanite récent: fin 5e s. début 4e s. avant J.C. semble donc bien assurée.

VII. Les généalogies des rois et le lihyanite récent.

Nous l'avons dit: durant le règne de Han-'Aws b. Ṭalmay le lihyanite récent était déjà couramment employé. Ce roi a dû régner vers le milieu du 4e s. et d'après Jsa. 75, il a gouverné durant au moins 5 ans. Son fils Talmay (Jsa. 77) qui est monté sur le trône après lui, a régné durant au moins 22 ans. On peut donc accepter sans trop de difficultés qu'avec ces deux rois nous touchons déjà la fin du 4e s., sinon le début du 3e s.

Après Talmay nous voyons son frère assis sur le trône (Jsa. 72). Nous avons une inscription qui date de la cinquième année de son règne. Avec ce roi, la dynastie des princes de Qédar et des rois de Dedan semble prendre fin. Un changement politique s'est accompli à Dedan. Les rois sont remplacés par des gouverneurs indigènes. Nous connaissons le nom de deux d'entre eux: Sâliḥ et Fâḍig (1). Ces gouverneurs ont dû introduire une nouvelle ère. En effet, d'après Jsa. 68, Sâliḥ a commencé son mandat en l'an 20, tandis que, d'après Jsa. 70, Fâḍig a déjà terminé le sien en l'an 29. Le cadre général de la chronologie des rois de Lihyân nous suggère qu'après la période royale on a dû adopter l'ère séleucide qui commence en 312 avant J.C. Sâliḥ aurait donc pris le pouvoir en 292 et Fâḍig aurait disparu en 283. Ces deux mandats ne couvrent qu'une durée de 9 ans. Y a-t-il eu d'autres gouverneurs

(1) L'inscription Jsa. 70 qui mentionne Fâḍig, ne dit pas directement que celui-ci a été gouverneur. Il nous semble toutefois qu'il n'y a pas de doute possible. L'expression Jsa. 70, 4: *ḫlf fḍg* est à expliquer d'après Jsa. 68, 4-5; *qbl r'y slḥ*, ces deux textes appartenant au même genre d'inscriptions. Nos traductions de ces deux textes diffèrent notablement de celles de Caskel, *Lihyan*, p. 115, n. 80 et p. 119, n. 86. Nous lisons:

Jsa. 68: 1 — *ḫls/llb/bn/* 2 — *sd/ḫld/s* 3 — *nl/'srn/'tm/* 4 — *ṯls/'ym/qbl/* 5 — *r'y/slḥ/*

1 — Est mort Lawlab, fils de 2 — Sawd. Il s'est éteint en l'an- 3 — née vingt, le soir, 4 — trois jours avant 5 — le mandat de Sâliḥ.

Jsa. 70: 1 — *ḫls/zydḥrg/bn/* 2 — *bl/ḫld/snt/'sr* 3 — *n/wts'/'sr/'ym/* 4 — *ḫlf/fḍg/wkml'/'* 5 — *ly/fgh/mn/hḫls/sh* 6 — *m'lh/wzlġlh/wmlk*.

1 — Est mort Zaydḥârig, fils de 2 — Ball. Il s'est éteint en l'an vingt 3 — neuf, dix jours 4 — après Faḍig. Et comme chefs sur 5 — sa troupe (sont constitués) de la part du mort, Sah 6 — m'ilah et Zalaġlâh et Mâlik.

après Fâḍig? C'est probable. En tout cas Dedan passa par une grande crise durant toute la période des gouverneurs. Jsa. 70 montre que pendant le règne de Fâḍig les militaires avaient commencé à jouer un rôle important dans la vie publique (1), tandis que Jsa. 71, qui est paléographiquement plus récent que Jsa. 70, montre qu'on a dû faire face à des révoltes (2). C'est la décadence qui présage la fin de Liḥyan.

VIII. L'occupation politique des Minéens.

Vers la fin du 3e s., Liḥyân a dû être si affaibli que les Minéens, voyant leurs intérêts menacés, ont cru devoir intervenir. Cette occupation politique est niée par Jacques Ryckmans (3). L'auteur se base surtout sur le contenu des textes minéens de Dedan (4)

(1) Cf. Jsa. 70 dans la note précédente.

(2) Voici notre traduction de Jsa. 70 qui est encore différente de celle donnée par Caskel, *Lihyan*, p. 124, n. 91.

1 — *'nzh/bn/'s*	2 — *bn/tnyl/bn/'bd*	3 — *ḏ'l/hn'ḥnkt*
4 — *sby/nf h'lf*	5 — *blḥgr/mnrn*	6 — *snt/ mn 'ḏy/s*
7 — *by/fḥfr/*	8 — *hlgbl/ḏ(h)*	9 — *lṯlt*
10 — *snn*		

1 — 'Anzah, fils de 'Aws, 2 — fils de TNYL, fils de 'Abd 3 — de la tribu de Hani-Ḥunkat, 4 — a capturé le chef des «compagnons» 5 — à El Ḥigr, (au mois?) MNRN 6 — de l'année quand celui qui nuisait fut 7 — fait prisonnier. Et il a protégé 8 — cette région 9 — durant trois 10 — ans.

(3) Cf. Ryckmans, J., *Zuidarabische Kolonizatie*, *op. cit.*, p. 243 et *Les «Hierodulenlisten» de Ma'în*, *op. cit.*, p. 55.

(4) D'après J. Ryckmans (*Zuidarabische Kolonizatie*, p. 242 et *Les «Hierodulenlisten» de Ma'în*, p. 55), les inscriptions minéennes monumentales de Dedan dateraient d'entre 290 et 180 avant J.C. Il nous semble difficile de retenir cette datation, basée sur des données relevant exclusivement de l'histoire du royaume minéen du sud et plus spécialement de la paléographie comparée et de l'interprétation du mot *mḏy* du texte RES, 3022. L'argument paléographique est extrêmement faible de l'aveu même de Mlle Pirenne qui a attiré l'attention sur l'incertitude qu'engendre la comparaison entre l'écriture du nord et celle du sud (*Paléographie*, p. 181). D'autre part, l'interprétation du mot *mḏy* de ces deux auteurs reste également sujet à caution. Il signifierait «Lagides» et non Mèdes comme on l'accepte généralement. Pour Mlle Pirenne la guerre entre *mḏy* et *mṣr* dont parle RES.3022 viserait la bataille de Raphia en 217 et pour J. Ryckmans il s'agirait de l'attaque contre l'Égypte entreprise à partir de 202 par Philippe V de Macédoine et Antiochus III de Syrie. (*Les «Hieriodulenlisten»*, p. 58). Il nous semble peu probable que ces sémites qui s'intéressaient tant aux questions d'appartenance tribale et qui, à cause de leur commerce, ont bien dû savoir ce qui se passait dans les pays qui les intéressaient de ce point de vue, ne se soient pas rendus compte à qui ils avaient affaire exactement. Les auteurs bibliques font une nette distinction entre Babyloniens, Mèdes et Séleucides; les Thamoudéens du milieu du 6ème s. avant J.C. savaient aussi qu'ils avaient affaire et des Babyloniens et les Sabéens connaissaient également la distinction entre Mèdes et Perses (CIH.541, 90). Les Minéens de Dedan du milieu du 6ème

qui ne fait aucune allusion à une éventuelle occupation politique. En nous basant sur ces mêmes critères, nous avions déjà affirmé en 1956 (1) que Minéens et Lihyanites ont vécu pacifiquement les uns à côté des autres durant tout le règne lihyanite. Mais cet état prend fin vers la fin du 3e s. avant J.C., alors qu'à ce moment Ma'in du sud est encore en plein apogée. D'autre par ,Dedan, ne sera occupé par les Nabatéens que vers la fin du premier siècle avant J.C., occupation qui a été précédée par une éphémère restauration lihyanite sous contrôle nabatéen. Que s'est-il passé entre la débâcle lihyanite et la reprise du gouvernement par le roi (ou les rois?) lihyanite sous contrôle nabatéen? Il est normal de penser qu'il y ait eu une réaction de la part des colons minéens qui, probablement aidés par leurs compatriotes du sud, se sont emparé du pouvoir. RES. 3699, qui date d'après Albright (2) des environs de la fin du second siècle avant J.C., ne s'explique que dans cette hypothèse. Ce texte est en très mauvais état, mais il est certain qu'il s'agit d'un édit proclamé par un roi minéen. stipulant qu'une femme minéenne ayant épousé un dédanite, ainsi que les enfants issus de cette union, jouissent des mêmes droits que les Minéens

s. avaient lutté contre l'occupant babylonien. Ils ont dû savoir à qui ils devaient la libération. Cela suggère plutôt qu'il faut prendre le terme *mdy* dans son sens littéral (cf. Albright, *Zur Chronologie*, p. 5, note 15). RES.3022 doit faire allusion soit à la campagne de Cambyse (525), soit à celle de Artaxerxes Ochus (343). Et il s'agit probablement de ce dernier événement. En effet, la colonie minéenne d'Égypte a été fondée par des colons du nord et non par des Minéens du sud. Les deux kabirs dont par le RES. 3022 habitent l'Egypte, mais exercent leur autorité sur toute la région de Muṣrân. Cela suppose une organisation de commerce bien établie ce qui est improbable à l'époque de Cambyse, les Minéens étant alors à peine installés dans le nord. Une autre indice que certains textes monumentaux minéens appartiennent à une date plus reculée est fournie par RES.3348 et 3340. Ces inscriptions mentionnent le temple de Wadd à Dedan. La première parle d'offrandes qu'on y apporte et la seconde de travaux qu'on y exécute. RES.3340 daterait de C3 (env. 290 avant J.C.) d'après J. Pirenne et J. Ryckmans et viserait les travaux faits au temple par les membres de la première occupation minéenne. La présence de ce temple suppose évidemment celle de prêtres de Wadd. En effet, lih. Jsa. 49 mentionne un prêtre de Wadd au nom bien minéen Wahabwadd. Or paléographiquement, cette inscription appartient aux plus anciennes inscriptions en lihyanite ancien. Cette graphie ayant pris fin vers le milieu du 4ème s. avant J.C., on peut conclure que le temple de Wadd a dû être construit avant cette date et que RES.3340 date également d'avant le 4ème s. Et si cette inscription vise les travaux des membres de la première occupation, comme l'affirme J. Ryckmans, il faudrait alors la dater du milieu du 6ème s. avant J.C.

(1) Dans *BIOR*, XIV (1957), p. 16.

(2) Albright, *Dedan*, p. 2.

et leurs enfants (1). Cela suppose que le roi, en proclamant cet édit, agit en tant que maître de Dedan.

D'autre part, Jacques Ryckmans, après Mlaker (2), a signalé que les différents articles des «Hiérodulenlisten» montrent une nette différence paléographique, ce qui a permis à Mlle Pirenne de dater ces articles d'entre 290 et 110 avant J.C. (à l'exception de deux articles en caractères archaïques qui d'ailleurs ne sont pas tracés par des Minéens du Nord) (3). Ces articles sont gravés par des colons minéens vivant à l'étranger (4) et la plupart, à en juger d'après les noms propres (5), étaient des habitants de Dedan. En offrant des femmes étrangères (esclaves ou épouses), ils s'acquittent de leur devoir de «liturgie» en métropole. Or la liste signale 9 offrandes de femmes dédanites. Une de ces femmes porte le nom: *bmhl'zy* (6). Ce nom est de formation lihyanite de la période de Jsa. 71, c.-à-d. de la dernière période du lihyanite récent, période de révolte politique et de désagrégation. Paléographiquement, comme aussi philologiquement, Jsa. 71 vient après la période des gouverneurs, donc, d'après notre chronologie, d'entre la fin du 3e s. et le milieu du premier siècle avant J.C. Ceci prouve donc qu'au moment que Lihyân est en train de disparaître ou avait déjà disparu en tant qu'état indépendant, les Minéens continuent à s'acquitter de leur devoir envers la métropole, ce qui suppose que la colonie était restée intacte et qu'elle avait pris le pouvoir politique. Ce sont les Lihyanites qui s'assimilent aux Minéens et ce sont probablement les enfants issus de ces unions, dont parle

(1) D'après la pl. LXXIV de l'atlas de Jaussen-Savignac, la ligne 3 de cette inscription doit être lu: *m'nyt kddny;wkd'drh*. Albright, *Dedan*, p. 2 corrige le second mot en *kddny(t)* et pense que le décret stipule l'égalité entre femmes minéennes et dédanites (lihyanites). Il est suivi par J. Ryckmans, *Zuidarabische Kolonizatie*, p. 244 et note 34; *Les «Hierodulenlisten»*, p. 58. Toutefois cet auteur pense que cette égalité doit se comprendre d'une assimilation et que ce sont les femmes minéennes qui sont assimilées aux femmes dédanites, ce qui implique, à son avis, la disparition de la colonie minéenne de Dedan. Cette interprétation n'est pas seulement en opposition avec le contenu de RES.3699, décret proclamé par un roi minéen, mais ne cadre pas non plus dans la chronologie lihyanite, puisque à ce moment Lihyân n'existe plus en tant qu'état indépendant.

(2) Ryckmans, *Les «Hierodulenlisten»*, p. 51, note 2.

(3) Ryckmans, *Les «Hierodulenlisten»*, p. 51, et p. 55.

(4) Ryckmans, *Les «Hierodulenlisten»*, p. 52-53. On ne voit pas très bien pourquoi le fait que les Minéens de Dedan offrent à 9 reprises une femme dédanite dans le temple de la métropole, implique la non-possession de cette ville par les Minéens.

(5) Ryckmans, *«Les «Hierodulenslisten»*, p. 52 et p. 60, note 2.

(6) Mlaker, K., *Die Hierodulenlisten von Ma'in*, 1943, p. 21, cité par Ryckmans. J., *Aspects nouveaux du problème thamoudéen*, dans *Islamica*, V (1956), p. 11 note 1.

RES. 3699, qui portent les noms de famille de leurs mères minéennes. C'est le moment aussi de la dispersion lihyanite. L'expédition Philby-Ryckmans (1) a trouvé les noms de quelques uns de ces émigrants de cette époque dans le centre de l'Arabie (2) mais ceux-ci écrivent déjà en «écriture himyarite» (3).

Cette occupation a probablement durée jusque vers le milieu du premier siècle avant J.C. Dans le sud les Minéens à ce moment, ont fort affaire avec les Sabéens et perdent bientôt leur indépendance — dans le nord les Lihyanites restés sur place, aidés des Nabatéens ont dû se révolter contre les occupants minéens. De nouveau Lihyân a son roi, Ma'sdu, mais celui-ci écrit son nom en nabatéen (nab. Jsa 334; 335; 337) ce qui en dit long sur sa position politique. Quelques années après, il a disparu; Dedân appartient maintenant aux Nabatéens.

IX. Récapitulation chronologique.

Nous résumons donc nos positions chronologiques comme suit:

Fin de la première moitié du 6e s. avant J.C. :

fin du royaume dédanite — occupation par les Lihyanites et probablement première migration de colons minéens.

Vers le milieu du 6e s.:

Prise de Dedan par Nabonide — présence de Lihyanites et de colons minéens assurée. Jsa. 269; LA (4).

Seconde moitié du 6e s.:

Libération de Dedan — chute de Babylone — influence édomite.

Vers 470 avant J.C.:

Gallat-Qaws, gouverneur de Dedan (?) — a régné au moins 29 ans — Jsa. 83 — LA.

---

(1) Ryckmans, *Aspects*, p. 11.

(2) Le lieu de provenance de ces graffites n'est pas donné, mais il s'agit probablement de l'ancien territoire minéen.

(3) La disparition de l'écriture lihyanite devant l'écriture minéenne durant la dernière période du lihyanite récent est bien prouvée par lih. Jsa. 158. Ce texte est écrit par un Lihyanite comme le prouve la formation de son nom *hlhmy*. Or nous constatons que l'écriture a subi une si forte influence minéenne (cf. aussi Caskel, *Lihyan*, p. 152 ad ـــ) qu'il ne reste plus que quelques lettres lihyanites. Les Lihyanites sont en train d'être supplantés par les Minéens.

(4) LA — Lihyanite ancien; LR — Lihyanite récent.

Vers le milieu du 5e s.:

'Abd, gouverneur de Dedan sous l'autorité de Gešem b. Šahr, prince de Qédar. La durée de son règne est inconnue — Jsa. 340 — LA.

Peu après:

Han-'Aws b. Šahr, frère de Gešem de Qédar et NN, les deux rois de Lihyân — durée du règne inconnue — Jsa. 53 — LA.

Fin du 5e s.:

Lawdân b. Han-'Aws, fils du précédent — a régné au moins 35 ans — Jsa. 82 — LA.

Début du 4e s.:

Gešem b. Lawdân, fils du précédent — a régné au moins 9 ans — Jsa. 85 — LA.
Talmay b. Lawdân, frère du précédent — durée du règne inconnue — Müller 8 — LA.

Vers le milieu du 4e s.:

Han-'Aws b. Talmay, fils du roi précédent — a régné au moins 5 ans — Jsa. 75 — LR.

Fin du 4e s.:

Talmay b. Han-'Aws, fils du précédent — a régné au moins 22 ans — Jsa. 45; 54; 77 — LR.
'Abdân Han-'Aws, frère du précédent — a régné au moins 5 ans — Jsa. 72 — LR.

En 292 avant J.C.:

Sâliḥ, gouverneur de Dedan — durée du règne inconnue — Jsa. 68 — LR.

En 283 avant J.C.:

Fin du règne de Fâḍig, gouverneur de Dedan — durée du règne inconnue — ses années aditionnées à celles de Saliḥ couvrent une période de 9 ans — Jsa. 70 — LR. Suit alors une période de troubles et d'anarchie.

Vers la fin du 3e s.:

Occupation politique des Minéens du sud.

Vers le milieu du 1er s.:

Ma'sdu, roi de Lihyân, créature nabatéenne — fin de l'occupation minéenne — nab. Jsa. 334;335; 337 — écriture nabatéenne.

Fin du 1er s.:

Occupation nabatéenne.

Quant à l'écriture lihyanite, nous pouvons dire que le lihyanite ancien était en usage dès la seconde moitié du 6e s. avant J.C. et qu'il s'est maintenu jusqu'au début du 4e s. avant J.C.; le lihyanite récent débute vers la fin du 5e s. avant J.C. et s'est éteint vers la fin de l'occupation minéenne.

Beyrouth, avril 1962

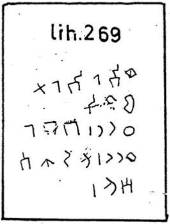

تعريف عن الكتب

حياة المثلث الرحمة المطران بولس موسى كساب ١٧٩٥ــ١٨٧٣

بقلم الاب يوسف ابي نادر الانطوني

دير مار اشعيا – المتن – برمانا – مطبعة الرهبانية اللبنانية – بيروت ، ٢٨ صفحة

حياة ملأها الله من نعمه وفيضان خيراته ، ملأها من العمل الرسولي حتى الموت والعذاب والالم . ملأها الله من الصدق والاستقامة ومن الجرأة العملية. هي حياة راهب دعاه الله الى الاسقفية فاهتم بشؤون ابرشية طرابلس وجعلها وحدة مقدّسة وثرية بالاعمال الخيرة .

والمؤلف – وان ردد بعض الامور مرّات وتعثر في هذه التريدات قليلاً – فانه يظهر نحو من يحلّل حياته شغفاً ومحبة تأخذ بمجامع القارئ وتساعده على فهم روح الكتاب .

لا بدّ لنا من مدح المؤلف على ما صنع فانه يُحيي تلك الامثال التي تظل مفعمة روحاً وتضحية في وقت تهبّ فيه حرارة العمل لتقتل الروح ، في وقت يودّ العصر ان يجرّ الحياة الرهبانية الى المادة والى فراغ مملّ . واننا لنتمنى ان نقيم من غبار المكتبات تراث الآباء ، فيه للرهبان وللمسيحيين اجمعين قوة وحافز الى الخير . ا. ع. خ

مصادر الدراسة الادبية وفقاً لمناهج التعليم الرسمية

بقلم يوسف اسعد داغر

لبنان – سوريا – العراق – مصر – الجزء الاول ، من العصر الجاهلي الى عصر النهضة

لا يحتاج المؤلف الى تقريظ . انما اريد ان انبه الخواطر الى امرين : كان ينقصنا في اللغة العربية ثبت باسماء المؤلفات وقد سدّ المؤلف هذه الثغرة . إذ كيف يمكن العالم ان يُعطي دروساً شيّقة دون ان يخسر من الوقت اثنه في التفتيش عن الكتب التي هو بحاجة اليها لمتابعة دروسه . وهي النقطة الثانية التي

أريد ان اقولها : وهي الخدمة الجلى التي يُسديها المؤلف للذين عليهم ان يؤلفوا الكتب ويتابعوا عمل التمحيص والتنقيب .

سهل علينا أن نمدح عمل المؤلف ولكن علينا أن نفهم انه قضى في تأليف كتابه هذا الساعات والأيام الطويلة كي يعطيه رونقه ويجعله في متناول الجميع. ففيه من الانتباه وفيه من سعة الاطلاع وفيه من العودة مرة ومرات على المجلات ودور الكتب وكأني بهذا العمل لا يتجاوز جمع المواد دون ان يصل الى التفكير. ان عملاً كهذا يتطلب من مؤلفه معرفة الصلات بين العصور والفترات التاريخية الملأة افكاراً وتوجيهات ، ان عملاً كهذا يتطلب وعياً وصدقاً كي تُغربل المؤلفات فلا يحفظ منها سوى القيّمة .

ولذا فلا يمكن ان يكون عمل كهذا كاملاً . فلكي يحصل واحد منا على ثبت شامل لدرس مؤلَّف واحد ، يضطر الى قضاء الوقت الطويل . فكم بالحري عندما يشمل المؤلف فترات وعصوراً طويلة . فهذا المؤلف نقطة انطلاق. على الاختصاصيين ان يتوسّعوا في التفتيش على هذا وذاك من المؤلفين .

ا. ع. خ

اعيان الشيعة ، الاجزاء السابع والثلاثون والثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون

بقلم محسن الامين

وقف على طبعه حسن الامين — ١٩٥٦ — مطبعة الاتقان بيروت

كتاب دائرة معارف يجمع كل ما حمله التاريخ في طيّاته عن اعيان الشيعة. وان العالم الذي الف هذا الكتاب اراد ان يعطي للاجيال الطالعة زبدة ما عرفه عن هؤلاء الرجال الذين تفتخر بهم طائفة . وان ابن المؤلف الكريم ، وقد اتصف ايضاً بالعلم والتنقيب يكمّل عمل ابيه بنشر ما حالت المنية بين ابيه وبين المؤلّف من ان يرى النور . وفي ذلك امانة للعلم وامانة للذكرى . ولقد درس المؤلف حياة ٥٧ مؤلف في كل مجلد . وما ذلك الّا لينبئنا عن سعة اطلاعه وعن بعد نظره في الدرس والتنقيب . ولاشك ان لهذا المؤلف من تابع.

ا. ع. خ

تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك

يبحث في اثر العرب في تقدم الرياضيات والفلك وسير اعلام رياضييهم وكبار فلكييهم

بقلم قدري حافظ طوقان

مطبعة التأليف والترجمة والنشر – مصر – ١٩٥٦ – ٤٥١

هذا المؤلف هو الطبعة الثانية لكتاب ظهر سنة ١٩٤١ . ولا يخفى على عالم الادب ما للمؤلف من الايادي البيضا. في ميادين التأليف فيما يتعلق بما أعطاه العرب للعلم في تشعباته المختلفة . وهو اليوم يعطينا ما اتى به علماء الحساب والفلك في تطوير العلم .

للمؤلف قسمان ـ في الاول وفيه سبعة فصول يتكلم طوقان على علم الحساب قبل الاسلام وما أورثه العرب في علمي الجبر والهندسة . وما يستحق الاعجاب والدهشة فان المؤلف يعطينا فصلاً عما حفظه الشعر عن الحساب . وفي القسم الثاني وفيه تسعة فصول يذكر المؤلف اسماء من كانوا في طليعة تطوير علم الحساب من الجيل التاسع الى الجيل السابع عشر ويتكلم ايضاً على تأثير هؤلاء العلماء على اوروبا ولقد اراد المؤلف في هذا القسم ان يعدل العدل الكافي في ان يعيد للعرب ما هو لهم اي احترامهم العقل وتفتيشهم عن العقل والمنطق كنبراس في اكتشافاتهم العلمية .

إن علم الحساب هو العلم الذي اهتم به العرب وتوسعوا في تطويره وبلغوا به ذروة الكمال . تأثروا بالهند واخذوا عنهم الاحرف ، كتبوا المؤلفات واكتشفوا طريقة للعمليات الحسابية ونبهوا العالم الى النسبة العددية والهندسية والتأليفية واعطوا اوروبا كتباً كانت من اسس التعليم الحجابي فيها . واول كتاب تُرجم في اوروبا هو الخوارزمي وقد ترجمه اولارد اف باث ولذا فقد حُفظ الحساب مدة طويلة باسم الغورتمي .

اما الجبر فان العرب قد نالوا فيه قصب السبق : توصلوا الى معادلات الدرجة الثالثة الى اللوغريتم . وتأثير العرب ايضاً في علم المثلثات ليس بحاجة الى ايضاحات كثيرة ـ وفي علم الفلك قد اثر العرب التأثير الوافي وقد اخذ عنهم كبلر وخضع الاوروبيون لقيمة ما أورثوه بالطريقة الوضعية باللوائح التي أعدوها للاعمال الحسابية .

يثور المؤلف ضد من يقولون ان العرب لم يأتوا الّا بترجمات وبتطبيق العلوم الموجودة في ايّامهم . ان العرب اخذوا الموجود انما وجّهوا واكتشفوا ودققوا وما علينا الّا ان نعود الى كبار المؤلفين فنرى ما اتوا به وكيف كان ابتكارهم.

مؤلّف علمي فيه بعض المبالغات ولكنها لا تضرّ بأحد وقد اراد ان يتغنى بمجد سلف في تاريخ المدنيّات . ا. ع. خ

محاضرات عن محمد كرد علي

بقلم الاستاذ شفيق جبرى

معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية — مصر ١٩٥٧

مطبعة الرسالة — ١١٢ صفحة قطع كبير

لم يحن الوقت بعد للكلام على كرد علي . فلم يمضِ بعد الوقت الكافي لكي يقول التاريخ كلمته في رجل ذي الالوان المتعددة . ولقد شعر المؤلف بالصعوبة وفي مقدمته لكتابه اقرّ بها .

لقد اتبع المؤلف طريقة مثلى لتحليل شخصية كرد علي : فلقد ابتدأ بالبيئة وبعد ذلك اخذ يحلّل ميزات الفترة التاريخية التي عاش فيها . وقد افاض في درسه هذا وتحليله كي يصل الى تصوير عقلية كرد علي احسن تصوير . فيظهر من خلال كل تلك الدقائق رجل القلم والصحافي وصاحب الجدل ورجل الادب وفوق كل ذلك الرجل الذي ان شغف بأمر لم يتراجع عن الدفاع عنه . ولقد نجح اذ انه قابل بين كرد علي واحمد فارس الشدياق فأطلعنا على ما تحمله الاثنان من صعوبات ومشقات وما كابداه من اضطرابات وفي هذه المقابلة سر نجاح ما كتبه المؤلف .

ان كرد علي يهتمّ بالادب وكان قلمه فيّاضاً ولم يكن يوماً عطوفاً على اخصامه كما ولم يكونوا هم يلاطفونه . ففي اسلوبه الهزء والقوة والضربة اللاذعة انما لا نجد فيه الاستمرار في ذلك كله وهذا ما يضعف من جرأته واقدامه. فلقد حارب شيخو ولامنس واحمد امين ولم تكن له في ذلك الباع الطويلة وكأنه يشعر بالانكسار أمام تدفق جوابات اخصامه القوية الفعّالة .

وما نأخذه على كرد علي – وكان رئيس المجمع العربي العلمي في دمشق – انه اهتم لامور عديدة في حياته وهذا يظهر تماماً في مؤلفاته : فيها الغث والسمين.

كان كرد علي ذا ثقافة اسلامية واسعة انما كانت تنقصه الثقافة اليونانية الرومانية فكانت خدمته في توسيع افاقه . وهذا ما ينوه به المؤلف دون ان يقوله بوضوح فهو يخاف ان يقول ان على الانسان ان يأخذ حيثما وجدها الثقافة كي يصير الى عمق النفس وسعة الآفاق . فالثقافة لا لون لها .

ففي هذا الدرس ما يساعد على التعمق في تحليل شخصية كرد علي ودرس مؤلفاته .

ا. ع. خ

محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي (٣)

ابو حنيفة النعمان ومذهبه في الفقه

بقلم الدكتور محمد يوسف موسى

جامعة الدول العربية – معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ – مطبعة نهضة مصر

١٨٠ صفحة قطع كبير

وان كانت هذه الدروس صعبة المنال فهناك نشوة في قراءتها . ففي الفقه وتحليلاته تمييزات هي فرحة للعقل تفتح له الآفاق الواسعة بعد ان يكون القارئ قد نال من حدس المؤلف احسنه .

يتكلم كتابنا هذا على أبي حنيفة . فيسرد علينا حياة صاحب المذهب ويحلل مذهبه بما يدل على باعه الطويلة وعلمه الواسع . فانه يصور لنا ابا حنيفة في بيئته التاريخية ويصور لنا ميزات تلك البيئة التي كان علماء الفقه يبتنون فيها لتكوين اللغة الفقهية الصافية والاتجاهات العقلية اذاك . وبعد ان يعبّر عن تفضيله لمن اهتم بتحليل شخصيته يعود فيقابل بينه وبين غيره فيعطي امثلة وحلولاً يبدو من خلالها الفرق بين الآراء . والثبت الاخير الذي يعطيه المؤلف في آخر كتابه يبرهن عن سعة اطلاعه وعن ميل الاسلام الى الفقه .

ا. ع. خ

خلاصة اللاهوت الادبي

بقلم الابوان تولدن وسميث اليسوعيان

تعريب الاب طوبيا عون الداموري الراهب اللبناني

مطابع سميا – بيروت ١٩٥٣ – صفحة ٥٨٩ – قطع وسط

الترجمة فنّ لا يسهل مناله لمن اراد وبخاصة عندما يُترجم علم اللاهوت لتنوير العقل وتقوية الإرادة .

ولقد نجح المترجم في انتقاء الكلمة الصائبة في مؤلف ليس لنا أن نمدحه هنا اذ انه الكتاب المدرسي في عدد غير يسير من البلدان الاوروبية .

لا اريد ان امدح المترجم لدقة الترجمة وصدق الجملة . أريد ان انوّه بصدق العبارة وبصدق الفكرة . ففي التعبير عن الحقيقة البشرية هناك طرق عديدة تقترب رويدًا رويدًا من تلك الحقيقة وكل كاتب يساهم على صعيده في ثروة الثقافة الشاملة .

لم يبيّن المترجم انه قبل آراء المترجَم لهم او رفضها . اذ انه اعاد الينا في لغة عربية صحيحة فكرة المؤلف .

هذه هي بعض صفات المترجم . في هذا الكتاب يرتاح القارئ الى ان اللغة اللاتينية عوّض عنها بالعربية دون اجحاف او غلط .

ا.ع.خ

مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية

بقلم الدكتور مصطفى صفوت

جامعة الدول العربية – معهد الدراسات العربية العالية – ١٩٥٧ .

مطبعة الرسالة – ١٦ صفحة × ٢٥ صفحة قطع كبير .

ليس من السهل ان يُكتب التاريخ ، فهناك خوف من الملل والضجر . ولكن الفترة التي يقصّ علينا المؤلف ادوارها وخباياها واضطراباتها هي مجدّ

ذاتها فترة جذابة ثرية بالحوادث . فمركة الدول العظمى فرنسا وانكلترا وبروسيا تدلّل على انانية المجموعة وعلى كبريائها ، تلك الدول التي تُدعى عظمى بالنسبة الى دول تُدعى صغيرة وما العظمة هنا والصغر الا بالنسبة ايضاً الى الموارد والثروة الثقافية والتمدنية على ممر التاريخ . تجاه هذه الدول وقف بسمارك قوياً جبّاراً لا قلب له ولا رحمة فهو يسيطر دون هوادة ويكسر دون حنان .

كل ذلك يقصّه المؤلف باسلوب شائق . ينظر فيه الى الدقائق ويسعى الى الدخول في درس وتحليل نفسانية المجموعات تلك كما يحلّل بعد ذلك نفسانية الافراد .

امّا الصفحات التي قرأناها بشغف فهي تلك التي يتكلم فيها على تركيا وعلى ما عانته من نزاع وخوف وعلى ما شعرت به من موت قبل ان تضمحل منها آثار العهد العثماني ، عهد السلاطين . ففي يقظة الاتراك وفي حشرجتهم المتتالية كانوا يودّون ان يسترجعوا حكماً وسلطة كانت تفارقهم وتضطرهم الى ان يسلّموا الرجل المريض الى جشع الدول .

ولقد زاد المؤلف الى نص مؤلفه العربي وثائق في اللغة الاصلية ، فكانت احسن برهان على ما قصّه وسرده . ا.ع.خ

محاضرات في القانون العراقي (نظرية العقد)

بقلم الدكتور حسن الذنون

جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩

مطبعة نهضة مصر - ١٢٧ صفحة — قطع كبير .

لا تصل الشعوب الى الابتعاد عن الحرب واسبابها الّا بالتعارف المتبادل وبمعرفة حياة الافراد وصلاتهم بالشعوب .

يدرس المؤلف في كتاب ضمّنه افكاره وآراءه العقد ، ليشبهه بالاتفاق ويميّزه عنه . يدرس أشكاله المختلفة وكيف يقوم بين الاثنين ، وكيف يصير

بالهاتف الخ... ويتوقف عند نتائج العقد وعند انحلاله وعند الطرق العادية لفصله .

اجتهد المؤلف في ان يعطي درسه هذا صبغة العلم والتنقيب وقد توصل الى مقابلات عديدة بين الحق الشرقي والحق الغربي وخاصة عندما اجتهد في ان يحدد العقد تحديداً فلسفياً ماكناً : أهو الارادة أو ما ينتج عن التفاهم المتبادل المتعلق بامر ما... وهناك سؤالات ومشاكل عديدة منها الصلات بين الشارع والعقد بين الاحياء.

ا.ع.خ

المبدأ الاول أو الله

بقلم محمد علي ناصر

مطبعة العرفان – صيدا ١٩٥٤ – ٢٨٢ صفحة قطع وسط .

أقدم المؤلف على كتابة هذه الفصول من كتاب صعب ولم يخف مما سيعتريه في طريقه . فانه على بينة من اللاهوت الاسلامي ومن الفلسفة الغربية في ممثليها الكبار وان لم يكونوا من مستقيمي الرأي .

يروح المؤلف في درس فيعرض ويميّز ويميّز ايضاً فيسل القارئ من طريقته. وكان عليه ان يتعرّف الى ما كتبه القديس توما الاكويني في مؤلفاته المشهورة: فيها ما يطلعه على بعض مبادئ الفلاسفة المسلمين وما يطلعه على جوابات الفلسفة المسيحية على الاعتراضات .

وبعد قراءة هذا الكتاب لا تبقى للقارئ فكرة واحدة عن الله المبدأ الاول . وكان على المؤلف ان يستخلص في الخاتمة بعض التوجيهات التي اراد شرحها طوال صفحات كثيرة .

يستفيد القارئ من مطالعة كتاب كهذا على أمل ان ينتبه المؤلف في طبعة ثانية الى المدارس اللاهوتية الاشعرية والمعتزلة وان يزيد على مؤلفه لائحة بالمواضيع المدروسة وان يبدي حكمه في الآراء التي يسردها.

ا. ع. خ

Reginald F. Trevett, *Le Sixième Commandement.* — Trad. Jacqueline Vernet. — Libr. Arthème Fayard, Paris, 1962, 208 pp.

لا شك في ان وصية الله السادسة — والتاسعة — تخلق من المشاكل ما لا يحصى. ولكن الاضطراب في الجوابات والتفاسير التي تُعطى اوسع من المشاكل نفسها. ولقد درس المؤلف الموضوع واعطاه الاختبار ثقافة واسعة مكنته من عرض فكرة الكنيسة في هذا الموضوع: وانه لم يخف من قول ما يجب قوله بصراحة كلية وبجرأة كاملة وبدقة عقائدية دون هوادة. وان مؤلّفه هذا ليلقي نورًا على مشاكل العلاقات الجنسية تدعمها العقيدة وصراحة القول. ولن ينتهي القارئ من مطالعة الكتاب دون ان يشعر بما للحب من عظمة ورهبة، ومن عمق جعله سرًا من اسرار الكنيسة السبعة ...

ا. ع. خ

Ghazali, *Ih'yā 'Ouloūm ed-Dīn ou vivification des sciences de la foi.* — Analyse et Index par G.-H. Bousquet, avec la collaboration d'un groupe d'arabisants. — Librairie Max Besson, 1955. — Paris, 462 pp.

هو تمرّس الناشر بالتدريس وبعلم النشر الذي سهّل عليه اهداء هذا السفر للعالم المثقف فلكتاب الغزالي قيمة لا تقدّر على الصعيد اللاهوتي الفقهي والروحي والتصوفي. ولكن الرجوع اليه صعب وهذه الصعوبة تقف في وجه العدد الكبير من القرّاء. ولذا فلقد احبّ الناشر ان يضع بين يدي القارئ طبعة سهلة المنال يعود اليها بشغف من احبّ وجه الغزالي وعلمه فجمع حوله زمرة من محبي التنقيب وأخذ يبوّب الاحياء تبويباً منطقياً. ولقد نجح. ولكنه لا يعطينا هنا سوى القسم الصغير من الإحياء نفسه وله ملء الامل ان يقوم بعده من يتابع عمله ويقوده الى النهاية.

وككل ملخص كتاب فان هذه النشرة تعاني بعض النقص: فيها العجلة وفيها خاصّة الاختصار المخلّ تارة. ولذا فيضطرّ القارئ الى التفتيش عن نصوص اوسع وعن مقاطع اطول.

ولكن هذه النشرة لتطلعنا على قيمة الشغل العلمي وعلى ما يستطيع ان يتوصل اليه من اراد ان يخدم الخدمة الناجحة. ولذا فاستحق الناشر شكرنا.

ا. ع. خ

Robert Ricard, *Brefs conseils pratiques pour la transcription et l'impression des mots espagnols et portugais.* - Institut des Hautes-Etudes marocaines. — Rabat, 1956, 26 pp.

لقد جمع المؤلف في عدد يسير من الصفحات معلومات لا بأس بها عن وجوه الشبه بين لغة الاسبان واللغة البرتغالية . ولقد يصحبنا في نزهة شيقة بين اسماء اماكن، واسماء علم، وكلمات مركبة أو بسيطة تنير طريقنا . ومن المبادئ التي يُعطيها ومن الإمثال التي يسردها يسهل على القارئ ان يستخلص بعض القوانين الدائمة الثابتة .

ا. ع. خ

Pierre Béarn, *A la conquête de la mer* — Édit. Bourrelier. — Paris, 1956, 125 pp.

ليست هي المرة الاولى التي يتكلم فيها مؤلف على البحر . ولقد تكلم باتقان ونجاح. فالبحر هو ذات المجهول ، تخيف اعماقه وتخلق في القلوب الرعب ، تلك الاعماق التي تخبئ حياة كانت لمساعدة الانسان في سفرته على هذه الارض.

فالمؤلف في مقدمة ذي ذوق وادراك يفسر انسا عن تطوير الملاحة من الملاحة المرتكزة على الاحطب الى الملاحة الذرية ؟ او بكلام آخر المرور من عالم الى آخر يسمو الانسان مع انه نتيجة عمل الانسان وتفكيره .

في القسم الاول يدرس المؤلف البحر مع كل ما له من المعاني ويصحبنا في نزهة شيقة في ارجاء علم البحر : هناك علم بطرقه وقوانينه .

في القسم الثاني يميز المؤلف بتصاوير دقيقة ما كانت عليه الملاحة بالمجاذيف وبعد ذلك ملاحة الشراع في الملاحة المحركة الى الملاحة تحت سطح البحر . فهناك اكتشاف تطريي من الواحدة الى الاخرى وهناك توق الى معرفة الاعماق فنهنئ المؤلف على كتابه اذ يعلمنا فنّ الملاحة : اذ هو فنّ في معرفة الاهواء واتجاهاتها والتيارات والامواج .

ولذا فالكتاب يُقرأ بسهولة ، يسير فيه القارئ نحو الاكتشاف وبصورة سهلة امينة .

ا. ع. خ

Peter Thomsen, *Die Palästina-Literatur-Akademie Verlag*, Berlin 1957. — Band A. Lieferung 1 (272). Lieferung 2 (272-254).

في هذين الجزئين جمع المؤلف ثبتاً وافياً عن المواضيع العمومية وثبتاً آخر عن الدروس التاريخية وثالثاً عن علوم الآثار وما غايته سوى تسهيل العمل للعلماء والمتتبّين . وفي ما صنعه فائد كبيرة . انما تلك الفائدة لتزيد لو كان في المؤلّفين ترتيب اوفى وتبويب اصلح . ولكن الساعات الطويلة التي قضاها المؤلف في التفتيش تفرض علينا الاحترام والتقدير . واننا بانتظار الأجزاء الاخرى فيها يعطينا المؤلف معلومات ضافية عن علوم اخرى وربما زاد في الايضاح وساعدنا على التفتيش بسهولة .

ا. ع. خ

Mohammed Aziz Lahbabi, *Liberté ou libération à partir des libertés bergsoniennes.* — Éd. Aubier, Paris, 1956, 254 pp.

يرتاح القارئ لمطالعة كتاب كهذا . فان المؤلف وهو فيلسوف مرهف يدرس النظريات الشخصانية تحت تسمية الحرية ، يجادل يعطي رأيه في ثروة التفكير . وفي كل ذلك يفرض احترامه واحترام تفكيره .

ففي القسم الاول يتبع المؤلف خطوة خطوة فلسفة برجسون ، يجرّب ان يستخلص منها نظارية الحرية ويجد فيها تطوراً سوياً : وكانت فكرة برجسون قد وجهت التفكير الفرنسي ردهاً من الزمن .

وفي الاقسام التالية يدرس المؤلف الحرية في الفن في الملكية وفي التسامي على المهنية الحاضرة وفي تحقيقها الدائم في التحرّر . وبصحبة المؤلف يتقلّب القارئ بين حقول الخلق والاقتصاد والزمن والافادة عظيمة اذاك . فان التحرّر يستند في رأي المؤلف على مثلث لا ينفصم : الغلبة والآنية والحياة الاجتماعية . ولذا فترى كيف ان التحرّر يعود الى الشخص البشري في حياته الزمنية والاجتماعية حيث خطر الميعان والذوبان وحيث فخر الانتصار اذا قام وانتفض ولم يرضَ بالاضمحلال .

واننا لنشكر للمؤلف كتابه هذا ونأمل ان نقرأ منه كتباً وكتباً يضمّنها تفكيره المرهف . ولقد نشكر له ايضاً ما صنعه في ادغام بعض نقط التفكير الاسلامي في تيار الفكر العالمي . ففي التفكير عقل بشري هو هو على مر الزمن ثروة وأمل .

ا. ع. خ

Maurice Nédoncelle, *Vers une philosophie de l'Amour et de la Personne.* — Éd. Aubier, Paris, 1957, 272 pp.

من المجازفة ان يتكلم فيلسوف على الحبّ ومع ذلك ففي تحليل الحبّ وفي التفتيش عن مبادئه واسسه الطريق الى النظر اليه نظرة صائبة صادقة . ومن لا يفتش عن غاية الحبّ وبصورة وضعية يسقط به الى دركات المهاترة ويصير وكأن كل قيمة للحب باتت غائبة . اما من حلّل بصدق فيتوصل الى القول ان للحب قيمة تجدّ نفسه . فالسارق والساهي يحطّون من قيمة الحبّ ومن تطويره ولا يعود اذاك ينفع الشخص البشري في نموّه . فلا حبّ الّا بين اشخاص واعية وحيّة . والحبّ يساعدهما على التوجيهات الخيرة ولذا فتبادل الضمائر لا بدّ منه في تحليل الحبّ التحليل الوافي . ولقد اخذ المؤلف على عاتقه هذا التحليل — وقد ساعدته في ذلك مؤلّفاته السابقة — وسار فيه بدقة وجرأة وتوصل الى ان يكلمنا عن «النحن» الذي هو وليد الحبّ ، عن ذلك «النحن» الذي لن يكتمل هنا لأنّ الضميرين اللذين يحبّان بعضها يظلّان خارجين عن بعضها مع انهما حاضرين الواحد للآخر . وفي هذا نرى ان الحبّ قوة عظيمة تبني ولكنها تسير الى حبّ آخر يوحّد .

يستحق هذا المؤلَّف ان يقرأه الكثيرون ومنه يفيدون الشيء العميق اذ قد يتوصلون الى فهم تلك الحقيقة الشاملة : الحبّ .

ا . ع . خ

Romano Guardini, *La Messe.* — Éd. du Cerf, Paris, 1957, 224 pp.

يودّ اللاهوتي والواعظ الكبير مؤلف هذا الكتاب ان يعطي للحركات الدينية في الطقسيات كل ما لها من روعة وجمال ومعنى : فهي رموز . واذا ما غابت عن من يراها غايتها الروحية والدينية فانها تصبح فارغة . ولذا فقد اراد المؤلف ان يدرس القداس ويحلّل ما فيه من رموز ويقول ما لها من فاعلية صادقة . فبأيّ قلب وبأية مواقف يجب على المسيحي ان يدخل الكنيسة ويحضر بكل ما فيه من قوى عقلية ومعنوية ذبيحة القداس ليتّحد بذبيحة المسيح التي تعيدها بقوتها وفاعليتها حركات الكاهن . هذا ما يقوله المؤلف في القسم الاول من كتابه .

اما في القسم الثاني فانه يريد ان يدرس ماهية الذبيحة فيعود الى الاوقات التي فيها اسس المسيح السرّ ذاك، يعود ايضاً الى قيمتها الازلية، الى صلتها بذبيحة الصليب والى حضور الابدية في الزمن. هي مشاكل ودروس يعرضها المؤلف كالخص للفكرة المسيحية في الذبيحة. وخاصة كالخص لمواقف المسيحي الحقيقي الذي يعيش دينه في مشاركة سر موت وقيامة وتمجيد ابن الله المتجسد.

فدقة المؤلف وجرأته وقوة تفكيره، كل هذا يجعل من هذا الكتاب المرافق الصالح للمسيحي الحقيقي الذي يريد ان يتعمّق في دينه ويعيشه.

ا. ع. خ

Mohammed Aziz Lahbabi, *De l'Être à la Personne.* — PUF, Paris, 1954, 363 pp.

إن ما يلفت النظر بادىء ذي بدء في هذا الكتاب حرارة الاسلوب وقوة الفكر والتفكير مع ما عند المؤلف من افاق واسعة فيها يطيب له العيش.

إن فكرة المؤلف تتأصل في اختبار أليم ووضعي في الحياة وهو انقسام الناس في عزلة يرى نفسه فيها عندما تشعر بالتوتر المتأتي من ازدواج المدنيات فيها والتي تودّ ان تعيدها الى الوحدة. ومن هذا البدء يروح المؤلف في تحليل تأصل جذوره في الفكر المدرسي الصرف وينتقل بعد ذلك الى التوجيهات الفلسفية الحديثة. وفي كل هذا يُعطي المؤلف رأيه بجرأة تامة وبوضعية صادقة ويزيد على ذلك ما تعطيه الفكرة الاسلامية من ثروة وضعية.

فمن هذا التحليل يستخلص المؤلف فكرة الانسان الذي ليس له مع الله من قياس، ذلك الانسان المدعو إلى المعركة لكي يتحقق كانسان بين اترابه وهم معه في طريقهم الى هدفه (٣٠٦). فيكمل المؤلف درسه ويخوض الوجهات الروحية ويصل الى ما يدعوه «الشخصانية الدنيوية» و «المادية السائرة الى الشخصانية». فان الانسان الذي يريد المؤلف ان يحلله هو ذلك الانسان الذي له في عوالم مختلفة اثار ليس له ان ينعتق منها: فهو ليس منفرداً بنفسه وليس غائصاً في المجموعة، انما ينفتح على شركة كريمة مع الآخرين وهذا ما يعطي روحيته صفة جديدة. ففي تلك الروحية يصبو الانسان ان يسمو على نفسه

دون ان يخسر شخصيته، يصبو الى صحبة بين افراد العائلة الواحدة ينتني الواحد من ثروة الآخر دون ان يرفض ماله . هذه الشخصانية الوضعية التي توازي تفاؤلا اليأ ومتجدداً: اليأ لان الاختبار الذي هو نتيجته يتأصل في الالم، تفاؤلا لانه لا يبرح يأمل ويثق بامكانيات الانسان ... كتاب يدفعه المؤلف الى القارئ فيساعده في تفكيره ويجعله جريئاً في الحياة في عصر يودّ استعباد الانسان.

ا. ع. خ

René Brunel, *Le monachisme errant dans l'Islam*. — Publications de l'Institut des Hautes Études marocaines, t. 48. — Éd. Larose. — Paris, 1955, 741 pp., XII planches.

ان ما صنعه سيدي هديّ والهداوة ليقف ضدّ الحديث المغلوط المنسوب لمحمد والقائل لا رهبانية في الاسلام. ففي هذه الهداوة نظام داخلي، ترتيب في قبول الاعضاء، الخضوع لحياة تصوّفية أساسها فضائل الفقر والتبتّل. نعم لم تغب عن حياتهم بعض الشطحات : ففي حياتهم البطالة والعوز والاستعطاء الى درجة قصوى تحت ستار الزهد . عـلى كل فان هذه الهداوة لتكون طريقة روحية سديدة لهؤلاء الذين اعتنقوها .

ولكن الغرابة ان نرى هـذه الهداوة تستعمل حشيشة الكيف والحشيش للوصول الى الوصال الذي يقول الاعضاء انهم يصلون اليه . ومتى دخلت هذه الوسائل في الحياة التي يدعونها روحية فما العجب في ان تتزايد كل يوم الامور الغريبة: عبادة القطط ، عبادة الشياطين كما نجدها عند اليزيدية.

باسلوب رشيق وفي درس دقيق وثريّ بتحليل نفساني وبعلم شائق فان المؤلف يضطرنا الى ان نصحبه والفائدة من هذا الكتاب عظيمة : كل شيء فيها جديد انما السؤال الذي يبدو لنا ضرورياً هو: ما هي العوامل التي اثرت على الهداوة حيث المنطق يجاور عدم المنطق ، حيث الخير يجاور الشر . هذا ما على المؤلف أن يوضحه لنا وليس من المعقول في التنقيب عن طريقة من الطرق الصوفية ان لا نجد التأثيرات تلك .

ا. ع. خ

Joseph Ziadé. — *La Hiérarchie Maronite, son évolution, sa résidence.* — Éd. C.A.L. Beyrouth, 1959, 156 pp.

درس دقيق وملؤه العلم والتنقيب عن السلطة الروحية في الطائفة المارونية. فلقد عاد المؤلف الى الاصول والوثائق الأولية وهذا ما سمح له باصلاح بعض الاراء كتلك التي تقول بهرطقة الموارنة. وبعد ذلك يعود المؤلف ويطلعنا على السلطة المطلقة التي كانت للبطريرك، على دوره قبل المجمع اللبناني الذي التأم سنة ١٧٣٦. ويعود اذاك الى تحليل ذلك المجمع الذي نظم السلطة الروحية وكوّن الابرشيات. واخيراً يدرس ما يتعلق في القانون براكز وكراسي المطارنة.

صفة هذا الدرس الصدق والاستقامة. ولقد اعطانا المؤلف في كتابه هذا دقة قانونية عظيمة، يسير نحو هدفه بدون تأرجح لا يستند الا الى الوثائق الانف، مستخلصاً منها ما تعطيه اياه وتاركاً الباب مفتوحاً للأمور التي لا تستند الى وثائق والتي ليس فيها مبادئ يبث فيها.

ا. ع. خ

Norbert Tapiero, *Les idées réformistes d'al-Kawākibī* (1265-1320 1849-1902. — Contribution à l'étude de l'Islam moderne. — Éd. les Éditions arabes. — Paris, 1956, 112 pp.

بصبر ولطف يجرّب المؤلف تحليل افكار ذلك المجدد في الاسلام في اواخر الجيل الماضي. ومـا افكاره سوى تلك التي اودعها مؤلفات ضخمة حيث لا نظام ولا ترتيب. ولذا فالمؤلف قضى الاوقات الطويلة علاوة على اراء الكواكبي التجددية، في درس وجهه الاصيل والجري. فنراه رجلاً وضعياً، متسامحاً، ديموقراطياً، متفتحاً على التطور والتقدم: كان الكواكبي رجلاً فذاً في عصره. ولكن النسيان غلفه دون هوادة، ربما لجرأته العظيمة. ولكن للافكار طرقاً سيعود المفكرون اليها ويدعون الكواكبي المجدد الكبير.

هذا التجدد في ارائه لم يمنعه من ان يكون تقليدياً. فمن الغرابة ان نرى في ارائه جنباً الى جنب المبادئ المتحررة كتلك التي تطلب الميل الى التقنية والعلوم المفيدة، كتلك التي تقول في فصل الروحيات عن الزمنيات، كتلك التي تتكلم على الحتمية وغيرها تجاور غيره حيث التقليد يسود كتلك التي تطلب

الى المرأة ان تظل مستترة الوجه ، كتلك التي تقول بأن القرآن تكلّم على كل الاكتشافات العلمية التي ستظهر في الاجيال المقبلة .

فبين المفكرين المجددين في الإسلام كالافغاني ومحمد عبدو يبدو اسم الكواكبي سانًا الطريق في نقط لسن يتركها التاريخ في طي النسيان مدة طويلة .

ا. ع. خ

L. Golvin, *Le Magreb central à l'époque des Zirides.* — Paris, 1957, 259 pp.

في هذا الكتاب من التاريخ الحيّ ومن علم الآثار قد احياها المؤلف لتعطي سرّها الكامن فيها . يصوّر لنا المؤلف بلاد العرابرة السنهاجية ، مملكة العرابرة بني زيري ، التي تكوّنت في الجيل العاشر وانقسمت على نفسها في الجيل الحادي عشر بين بني زيري وبني حمّاد . عاش اصحاب هذا التاريخ في بلاد العرابرة الوسطى أي ما سيكون مقاطعتي الجزائر وقسطنطين . وما هذا التاريخ سوى تاريخ أجيال فنّ وحياة . وفي التحليل الذي يعطينا اياه المؤلف لفترة من فترات ذلك التاريخ فانه يعود الى كل ما يسهّل عليه العمل ليُحيها : فمن تأويل حفريات الى تحليل صور حجرية الى تحليل بنايات بكاملها نشعر عنده بعطف على الاجيال الغابرة وارادة صادقة في احيا. ذلك العطف في قلب القارئ . ولقد نرى في هذا المؤلف ان كل ما له تعلق بالانسان يعود الى الحياة : الجغرافية والزراعة والادب . مؤلّف ضمنه المؤلف ثروة ومعارف لامزيد عليها في تطوير علمنا اليوم.

ا. ع. خ

المشرق

لسنة السادسة والخمسون — آب ١٩٦٣

رسالة البابا يوحنا الثالث والعشرين

«أمّ ومعلّمة الأمم»[1]

بقلم الأب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

لهذه الرسالة دور عظيم في حياة الكنيسة الكاثوليكية . من سبعين سنة هي المرة الثالثة التي فيها تتكلّم الكنيسة بصورة هكذا رسمية على الامور الاقتصادية والاجتماعية. ولذا فمن الضروري ان يهتم المؤمنون كلّهم بهذه الوثيقة، بان يتعرّفوا الى محتواها ، بأن يدخلوا الى صلب المشاكل الأساسية التي تحللها وبان يعيروا الانتباه الكلّي لتخرج هذه التعاليم من نطاق الفكر الى صعيد العمل والانتاج .

(١) كانت صدرت في مجلة *Relations* الكندية لشهر ايلول ١٩٦١ مقالات عالجت الافكار الاساسية التي حملتها رسالة البابا يوحنا الثالث والعشرين . ولما رأينا انها تطلع القارئ على تعليم الكنيسة الاجتماعي ترجمناها الى العربية مع بعض التصرف .

هذه الرسالة تعيد الينا ذكرى تلك التي منذ سبعين سنة اذاعها السعيد الذكر لاوون الثالث عشر سنة ١٨٩١ والتي كانت تحمل اسم « اشياء جديدة » . فهي اذًا وليدة ظروف ولكنها تتأصل في تقليد كنسي . هي رسالة تعلّم المؤمنين ولكنها تستند الى تعاليم سابقة في هذا المضمار فهي ليست نقطة انطلاق على صعيد الاقتصاد والاجتماعيات، ولكنها تتبع رسالة بيوس الحادي عشر « أربعون سنة » كما كانت هذه تتبع رسالة لاوون الثالث عشر « اشياء جديدة » .

فالقسم الاول منها يؤكد هذا التتابع في تعليم الاحبار الاجتماعي : يلخص فيه البابا الرسالتين السابقتين وما قاله ايضاً بيوس الثاني عشر في اذاعة يوم عنصرة سنة ١٩٤١ مع بعض الالحاح على نقط عقائديّة لها وقعها اليوم في حلّ مشاكل الساعة ومع التذكير بالارشادات الاساسيّة التي اعطاهـا الى اليوم الاحبار الرومانيّون . ويعتبر هذا القسم الاول كمقدمة توصلنا الى التعاليم الجديدة التي احتوت عليها الرسالة « أمّ ومعلّمة ».

ففي القسم الثاني يحدّد الحبر الاعظم موقف الكنيسة تجاه المشاكل التي يحتوي عليها مفهوم الاجتماعيات، تلك المشاكل التي تنبت في عالم العمل والكدح وخاصة في عالم المصانع . ولقد الحّ البابا على دور البادرة الخاصة والسلطات العامة في الاقتصاد والاجتماعيات ؛ الحّ ايضاً على فوائد واضرار الاشتراكية ؛ الحّ ثالثاً على اجور العمل وعلى ما يجب ان يطبّق اليوم عصر التوسع الاقتصادي والتطور الاجتماعي؛ الحّ رابعاً على متطلبات العدل تجاه اسس المقاولات الاولية. واخيرًا القى نورًا خاصاً على الملكية الخاصة . كلها مشاكل ذات اهميّة ولها دومًا دورها في الساعة القائمة وان كانت الكنيسة قد خصّصت لها تعليماً خاصاً في ما يتعلق بالاجتماعيات وبقيمة الدولة الاقتصادية وبالاجرة العدل وبشرعية الملكية الخاصة .

هذه المشاكل هي محور القضية الاجتماعية حسب مفهومها التقليدي . انما رسالة البابا اليوم تودّ تجاوز هذا المفهوم لتصل في القسم الثالث منها الى «نواحي هذا المشكل الجديدة» . تنتج هذه النواحي من الحالة العديمة الإستقرار التي يتخبّط فيها عالمنا اليوم ، ذلك الاضطراب الـذي نراه يتفشّى في جميع مراحل الحياة وخاصة بين المناطق الزراعية المتخلفة ومناطق الصناعة الثرية ؛ بين مناطق

البلد الواحد المتخلفة والمناطق المزدهرة اقتصادياً؛ بين المجموعات السياسية المتطورة اقتصادياً التي تنعم برغد حياة وسخاء والبلاد التي تتطور اقتصادياً والتي « تنقصها امور عديدة »؛ بين زيادة المواليد والتطور الاقتصادي ووسائل المعيشة الحاضرة سواء كان ذلك على الصعيد العالمي او في البلدان المتخلفة؛ بين الطموح الى الاستقلال الذاتي والحاجة الى التكاتف والتعاقد العالميين .

فازاء هذا الاضطراب الذي يسبب الضيق والثورات، تحدد الرسالة البابوية موقف الكنيسة وتعرض بعض الادوية الناجمة لتخفيف ذلك الاضطراب ولمحوه قدر المستطاع ...

شرط ان لا تفسد العقائد الهدامة او المبتورة بمعنى التطور العلمي والتقني فتجهل متطلبات الانسان الروحية وتبعده عن الله خالقه . فمشكل الساعة الاول هو مشكل العلاقات الاجتماعية في اتزان وصفاء في كل مجموع سياسي وفي المجموع الدولي اذ من الواجب ان تعقد الروابط متينة في الحقيقة والعدل والمحبة. ولذا فعلى الحاكم وعلى كل فرد ان يعود الى ما تعلنه الكنيسة عن الحياة الاجتماعية في تعليمها . وعلى المؤمنين الخاضعين لسلطة الحبر الروماني ان يتعرفوا الى العقيدة الاجتماعية المسيحية وان يتفهموها وان ينضجوا مبادئها فتوحي أعمالهم وتطبق في الحياة اليومية . وبهذا يكون العلمانيون قد «جددوا وزادوا» موقفهم المسيحي فيتقنون عملهم ويخدمون تلك الفكرة التي تود الكنيسة أن تحققها « باعطاء صورة بشرية ومسيحية المدنية الحديثة، صورة تتطلبها المدنية تلك لخير تطويره ولخير وجودها ».

نعم تذكر هذه الرسالة في قسمها الاول موقف الاحبار العظام تجاه الشيوعية والاشتراكية، وفي قسمها الرابع تحذر المؤمنين من العقائد التي تنكر الله وعلاقة الانسان بخالقه، ولكنها لا تتوقف، كما فعلت الرسالتان « اشياء جديدة » و « اربعون سنة » لبيان ما في هذه العقائد من فساد وضلال وليس فيها اي جرم جديد . ففي صفحات هذه الرسالة فكرة وضعية مآلها العمل البناء . فيطلب الحبر الاعظم الى المؤمنين الكاثوليك الا يضيعوا الوقت في مجادلات فارغة تتستر بستار الخير الاعم والا يهملوا الخير الذي « عليهم ان يعملوه والذي يجب ان يقوموا به». فان حقيقة وفعالية تعليم الكنيسة الاجتماعي،

يقول البابا ، « تزكد بالتوجيه الصادق الامين الذي يعطى لحل المشاكل القائمة». وبينا يشجع بقوة المجتمعات المهنية والحركات النقابية التي تستوحي مبادئ عملها من العقيدة المسيحية يزيد ان من الضروري ان ننتبه ايضاً لتلك الاعمال التي يقوم بها مؤمنون كاثوليك بروح مسيحية « في سائر المجتمعات المهنية والنقابية التي تستوحي في عملها المبادئ الطبيعية للحياة المشتركة والتي تحترم حرية الضمير». واخيراً فان الحبر الاعظم يحيي بفرح العمل الخير الذي قامت به المؤسسات الدولية في حقلي الاقتصاد والاجتماع كمؤسسة العمل الدولية والمؤسسة العالمية للتغذية والزراعة (F. A. O.) .

*

هذه نظرة شاملة لما في الرسالة البابوية من ثروة فكرية عقائدية وعملية. وكأني بها تحتل مكان الصدارة في الضمير البشري اليوم فتحلل مشاكله وتحدد قلقه وتأتيه بحدس يفوق الحدس البشري بحلول للمعضلة الاجتماعية علينا الآن ان نتأملها في صيغتها الفردية .

*

صورة مجتمعنا اليوم من خلال الرسالة

في القسم الاول من الرسالة البابوية صورة تتميّز فيها ملامح عصرنا الاولية. فعلى الصعيد التقني نستطيع القول اننا نعيش ثورة عميقة الا وهي ثورة الذرة . ولقد سهّلت توسيع الصناعة الكيماوية والمنتوجات المجنّمة ووصل ذلك الى تطبيق الطرق الحديثة في الزراعة والى محو المسافات في التنقلات والسفريات وترى من خلال هذا بدء تذليل الأجواء الفضائية ما بين الكواكب .

وعلى الصعيد الاجتماعي = ان عصرنا هذا ليشهد تقدماً ملموساً في مقتضيات الحياة ورفاهيتها وهذا ما يطلع الرأي العام على الفروق الموجودة بين مناطق الانتاج وبين البلاد المتخلفة . فمن جهة الفوائد الاجتماعية : التعليم الاساسي ، الضمان الاجتماعي ، طرق الاذاعات واطلاع الرأي العام على نتائج العمل ، تدريب اجدى للانتاج وشعور متزايد بالمسؤوليات في الحركات العمالية. ومن جهة اخرى بطء التطوّر الزراعي ، عدم المساواة في التطور في مناطق البلد الواحد وخاصة

عدم استقرار اقتصادي واجتماعي بين البلاد المتطورة والبلاد المتخلفة .

وعلى الصعيد السياسي = ان ما يبدو للعيان اشتراك الجماهير المتصاعد في الحياة العامة وامتداد نفوذ السلطة في الاجتماعيات والاقتصاديات . ففي العالم الدولي ، « ذيول الحياة الاستعمارية » واستقلال شعبها آسيا وافريقيا ، وايضاً اتصالات الشعوب بعضها ببعض وتكاتفها الذي يوجد كل يوم «توسيع شبكة المؤسسات العالمية ». هذه هي الامور التي تحضر الذهن عندما نقرأ الرسالة البابوية . ولنقف هنا عند ما يبدو لنا مميّزاً .

وانا لنعيد الى نقطتين أساسيتين محتوى الرسالة التحليلي : ١) ان عصرنا وحده ضاعف اتصالات التكاتف بين الاشخاص والجماعات والاوطان. ٢) انّا يظلّ عصرنا مميّزاً بعدم استقرار اجتماعي واقتصادي في البلدان وبين البلدان المختلفة. واننا على يقين بان الرسالة لن تخسر قوتها اذا ما عدنا بها في التفسير الى هاتين النقطتين .

ازدياد التكاتف الاجتماعي

بين ما يميّز عالمنا اليوم تنظيم الحياة المشتركة ، ازدياد الصلات الاجتماعية وتكاثر المؤسسات المختلفة ، وما يوضح هذا الميل الى التجمع هو التوق «الى العمل سوية مع حفظ الاستقلال» في جميع المراحل الاقتصادية والثقافية والاستراتيجية والمهنية والسياسية والعالميّة . وهذا الميل الى التجمع يعود اصله ايضاً الى «تدخل السلطات العامة المتزايد » والى اشاعة الفوائد الاقتصادية والاجتماعية .

نعم ، ان هذا الميل الى « الاشتراكية » يقلّل من « عمل الأفراد الحرّ » ولكنه ليس هو بنتيجة حتميّة فقط . فاذا وددنا شرحها وفهمها رأينا ان ما يلقي نوراً عليها هو تلك المسؤولية التي يتحملها الافراد اذ انها تتجاوب «والحقوق الشخصية العديدة وخاصة ما يستونها اقتصادية واجتماعيّة : منها حياة تتّصف بالميزات الإنسانية ، عناية الطب ، تدريب اساسي ، تدريب مهني ، السكن ، العمل ، ترويح النفس والتفتح الى الأوسع ، وكل ذلك نتيجة تنظيم وسائل نشر الفكر الحديثة ؛ اذ انه من الممكن لكل انسان ان يتفهّم الصعوبات البشرية على صعيدها العالمي ».

هذه الحركة « الاشتراكية » الجماعية تبدو في نظر الحبر الأعظم كفائدة عظمى ، « يبدو ان الجماعية ، بمفهومها هذا ، تأتي بفوائد جمّة » والجماعية تلك تدلّ على تقدّم اذا ما احترمت توازن الاشخاص وتوازن الجماعات المربوطة بالدولة. « اذ هي عمل البشر ، وهم احرار ، اصحاب ضمير ، يتحمّلون بطبيعة الحال مسؤولية حتى ولو اقتضاهم الامر ان يتعرفوا الى شرائع التطوير الاقتصادي والتقدم الاجتماعي وان يحترموه » .

فهناك نظام جديد يُبنى ، هناك توازن جديد تبدو ملامحه . ينظر اليه الحبر الاعظم بطمأنينة وتفاؤل . وكأني بقوّة هذه الحركة الجماعية وبصحّة توجيهها يرى البابا سواء السبيل: « فان مؤسسات مجتمع اليوم تتوسّع في نظام عظيم، وذلك بدافع توازن يتجدّد دوماً : فمن جهة ضرورة تكاتف الافراد والجماعات ضمن استقلال واضح ومن جهة اخرى تنظيم الامور وتوجيه السلطات».

هذه الأبعاد تفهمنا القيمة التي توليها الرسالة البابوية مبدأين أساسيين: حرية بادرة الفرد في خدمة الصالح العام ومبدأ التدخل ، تدخل السلطة بصورة فعّالة على الصعيد الاقتصادي مع احترام وظيفة الجماعات الاصيلة .

في مؤسسات الانتاج :

نرى اليوم تكاتفاً يتوسّع نطاقه بين ارباب الاقتصاد ونرى طموح العمال الى مشاركة ارباب العمل في الاعمال كما وفي حياة المؤسسات حيث تدرس السياسات الاقتصادية ويأمل الخيّر ان تلك الاعمال ستصير يوماً «جماعة اشخاص» حيث يشعر الفرد باحترام واكرام ومسؤولية . لذلك فالأمل ان يكون العمال « أداة فعّالة في تتميم المشاريع » وان « يتوصلوا يوماً الى ملكيـة » في تلك المشاريع نفسها . وتلح الرسالة البابوية على هذه الملكية بصورة خاصة . واذا ما توصل العمال الى هذا ، فما ذلك الّا تجاوب مع طموح طبيعي يتميز به عصرنا اليوم تجاوباً تاماً «يدلّنا عليه التاريخ في الحقول الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ».

وهذا الطموح في المشاركة في المشاريع لا يقف عند هذا الحدّ بل يتجاوزه الى السلطات العامة فالى المؤسسات الوطنية والعالمية التي تشرف على الاقتصاد . وتلح الرسالة البابوية الى تأثير الحركات العمالية في هذا التجديد. فتشجع النقابات

المسيحية اذ ان اعمالها تتجاوز الإطار المادي فتنال « عالم العمل باسره » حيث تبث روحاً مسيحية مجددة ». ولكن الرسالة تعود ايضاً الى سائر النقابات التي تحيها مبادئ الحياة المشتركة الطبيعية ، تلك المبادئ التي تحترم حرية الفرد ».

ليس العامل وحده يتوق الى هذا التكاتف في الحياة الاقتصادية بل هناك ايضاً الصانع والزارع . فان عزلتهم اليوم تقودهم الى عدم فعّالية . عليهم ان يتّحدوا ويتكاتفوا . إذ إن اليوم « لا قيمة لصوت منعزل فليس له من وسيطة ليُسمع وليقدّر » . فالتكاتف « لا بدّ منــه في الزراعة وفي سائر المراحل الانتاجية اذ هو ضرورة حيوية ».

بين الشعوب

يتميّز عصرنا بالصلات التي تقوم اليوم بين البلدان المتنوعة التطور. فلا غرو اذا الحّ الحبر الاعظم وقال « ان المشكل الاول لعصرنا هو مشكل العلاقات بين جماعات سياسية متطورة اقتصادياً وبلدان هي في حال تطوّر اقتصادي » . فيعيد البابا ان « التكاتف هذا بين الشعوب» هو امر لا بدّ منه فيحلّل النتائج والواجبات التي تنجم عنه . وما هو ايضاً امر لا بدّ منه هو وعي الضمير الحديث امام مشكل تطوّر البلدان كلها.« نعلم كلّ العلم، يقول يوحنا الثالث والعشرون ، ان ضميراً واعياً شاملاً عميقاً حمل الناس كي يشجعوا التطوير الاقتصادي والتطوير الاجتماعي في البلدان التي تتخبّط في صعوبات لا تحصى » .

فهذا التكاتف يظهر للعيان بصورة واضحة : تكاتف مهني ، استقبال طلّاب ، تقدمة رؤوس الاموال ، بوادر اقتصادية ، مؤسسات تخصصية . اما هذا التكاتف على صعيد العلم والمهنة والاقتصاد . . . لا يزال يتوق الى آفاق واسعة خاصة في ما يتعلّق بالحاجات والضرورات المستعملة .

ان شروط التكاتف الجديدة وسعت نطاق المشكل الاجتماعي حتى حدود العالم . فان تقلبات التاريخ توضح اكثر فأكثر متطلبات العدل والإنصاف . فالعدل والانصاف لا يتعلّقان فقط بالعمال وارباب العمل انما يتجاوزاهما الى الصلة بين المناطق الاقتصادية في البلد الواحد.« فالمشكل الاجتماعي» يمتدّ الى الصلات الاجتماعية — الاقتصادية بين بلدان متنوعة التطوير . ولذا فيحق لنا القول ان « كلّ مشكل انساني قيَم له ابعاد تعلو الاوطان وتعلو غالباً العوالم » .

عدم استقرار عصرنا .

من التطورات الاقتصادية ؛ في عصرنا اليوم ، ومن هذا التكاتف المتصاعد بين الشعوب يتضح تماماً ١٠ هناك من تفاوت بين الجماعات والافراد في كل مناطق الانتاج. ولذا فتعود الرسالة البابوية لتتكلم على هذا التفاوت وتستعمل هذه الكلمة وما تحتوي عليه من المعاني مع كلمة تكاتف كأس تعود اليها لتحلل بدقة مظاهر حياتنا اليوم. فتصور لنا الافراد والجماعات والمناطق ومراحل الانتاج والبلدان بما فيها من متناقضات وتفاوت واختلافات ؛ اي بما هناك من عدم استقرار اجتماعي واقتصادي اي بما هناك من اسس للظلم .

فلا شك ان هناك ، في بلدان عديدة وعلى اقطار باسرهـا ، جماعات من العمال مع عائلاتهم قد اضطرتهم الايام الى حياة لا تُدعى انسانية، بينما الاختلاف عظيم بين جشع وثروة النمض وفقر الآخرين . وفي بعض البلدان ، تحت ستار « العظمة الوطنية » أو حباً بتطور اقتصادي سريع وعديم الاتزان ، يُحرم الجيل الطالع من ضروريات حياة او تصرف الاموال الطائلة للتسلح. وفي بعض البلدان ايضاً حتى المتطورة ، لا توازي اجر العامل كل ما يعطيـه من نفسه وعقله في خدمة الصالح العام .

وما سبب هـذا التفاوت سوى عدم توازي التطور الاجتماعي والتطورات الاقتصادية ، ومـا سببها سوى الاغلاط الحقيقية في ما يتعلق بتنظيم وبتطبيق الاقتصاد . وتزيد الرسالة ان ذلك التفاوت الاقتصادي والاجتماعي قوي الوطأة ويجرح العدالة والانسانية .

وفي ما يتعلق بالملكية فهناك فرق بين أمن المواطن والملكية . وبمـا أن التطور كان ولا يزال في تأكيد قيمة العمل، فان ذلك الأمن مؤسس على طاقة العامل المهنية اكثر منه على « حقوق تتأصل في الرأسمال» . فتقول الرسالة « ان العامل اليوم يتوق الى التملك على طاقة مهنية اكثر منه على خيرات ارضية» . ولذا فنبت من ذلك شك في صحة الملكية الخاصة ومبدئها . فاضطرت الرسالة ان تدافع مجدداً من خلال هذه الوجهة الاجتماعية ، عن الملكية الخاصة وعن ملكية خيرات الانتاج وتقف بصورة خاصة عند مظهرين من حيـاة عصرنا ،

حالة التفاوت التي يتخبط فيها المزارعون والتي تتخبط فيها البلدان المتخلفة .

الزراعة :

الزراعة مشكلة أساسية لكل الدول اذ كيف يستطاع التوصل إلى محو عدم استقرار الانتاج في عالم الزراعة ازاء عالم الصناعة ؟ كيف يتوصل الى تخفيض عدم الاستقرار ذاك بين حياة المزارع وحياة سكان المدن ؟ كيف يتوصل الى منع المزارع من السير نحو مركب النقص ؟ هي ميزة عصرنا حالة التفاوت بين الطبقات . فعالم الزراعة ، اين كان ، هو عالم مقهور ، متخلف وليس له من التدريب والآلات كما نجدها في عالم الصناعة ، وما عدم الاستقرار ذلك سوى نتيجة عدم تكاتف اقتصادي وتفاوت في التطور . فان عائدات العالم الزراعي تتجمع ببط. والمجازفات عديدة واصحاب رؤوس الاموال لا يجازفون في تشغيل مالهم في الزراعة .

تفاوت وتفاوت يتطلب سياسة حزم وجرأة ، سياسة تكاتف وتجديد ، فالرسالة البابوية تطيل بالكلام على هذا وتلح بالقول ان المزارعين هم سيكونون لأنفسهم ارباب تقدمهم وتطورهم وتؤكد ان الشركة هنا لها من الاهمية ما لها في عالم الصناعة ، ولها ضرورة حياة .

ان ذلك عدم الاستقرار لا يؤثر فقط في عالم الانتاج ولكنه ينال مناطق بكاملها في بلدان عديدة . فهناك مناطق ثرية وهناك مناطق «متخلفة اقتصادياً» . فعلى الافراد وعلى السلطات ان يتكاتفوا للعمل المشترك والمجدي .

وتروح الرسالة البابوية تنمي بقوة كبيرة طرق تعمير الارض « اذ هناك ايضاً عدم توازن بين التعمير والارض» . «فهنا عدد عظيم من البشر والاراضي شحيحة » وهناك العكس بالعكس ، الارض كبيرة وعدد السكان قليل . فالتكاتف الدولي هو الدواء الوحيد لذاك التفاوت : هكذا تقول الرسالة وتعطينا مثل مؤسسة F. A. O. لتذكرنا بان العمل ممكن .

بين البلدان

إن عدم التوازن الموجود بين بلدان مختلفة التطور هو الشغل الشاغل

الاجتماعي في عصرنا . فهناك بلدان « لها حياة رغد » وبلدان «تتألم من الفقر» وسكانها يتخبطون في صعوبات الفقر والعوز، في الجوع، وليس لهم ما لكل شخص بشريّ من حقوق .

وهذا التفاوت في التطوّر الاقتصادي ليرتدي معنى أعمق اذا ما قرنّاه بمشكلة ازدياد السكان الحالي . فيصير سبب عدم التوازن اذاك عدم المطابقة بين التعمير والتغذية ، وبعدما تصوّر الرسالة البابوية هذه الحالة في مقطع طويل تعود فتعرض الحلّ الوحيد لها : التكاتف الواعي على الصعيد العالمي . فان هذه الحالة لتعترض مسؤولية البشر باجمعهم ومنها وفيها الحلّ للسلام بين الشعوب: «اذ لا سلام دائم وخصب بين الشعوب اذا كانت هناك فروق عظيمة في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ».

واذا ما زادت المساعدات الملحّة فالمشكل باقٍ وعلى المفكر ان يعود الى اسباب عدم التوازن ليدرسها. وتنبت تلك الاسباب من حالة اقتصادية بدائية».

فتحليل الخبر الأعظم لهذه الحالة لا يتوقف عند الخارجيات فانه يتعدّاها ويؤكد واجبات الضمير في يومنا هذا ويصوّر المخاوف والتجارب التي تعترض البلدان الثريّة ازاء البلدان الفقيرة . والتجربة الاولى في ان تقف البلدان تلك عند التطور الاقتصادي دون ان يرافقه تطوّر اجتماعي . والتجربة المخيفة ان ينظروا الى البلدان التي تتطور نظرتهم الى انفسهم : تجربة في التفتيش عن المصلحة الذاتية « بروح امارة وسلطان » فيها ميل عظيم لاستعمار جديد. ولكن الخطر الاعظم هو في ان تُعطى تلك البلدان المتخلّفة حياة ماديّة تقتل ضمير ووجدان الشعوب طالبة المساعدة .

ان التفاوت والظلم في عصرنا هذا يتأصلان في عدم توازن آخر ، أعمق الجذور ، ألا وهو عدم التوازن في الضمائر نفسها : عدم توازن في « المعاطاة الاجتماعية » فلسفات لا رأس لها ، وهم بناء المدنية على اسس غير دينية فيقول البابا في الرسالة : « ان حمق عصرنا في تلك التجربة الغبيّة ان يُبنى نظام زمني مكين وخصب خارجاً عن الله » . فالبشريّة لم تعرف ان تسير قدماً في تطوّرها الروحي بل انها تعود القهقرى مع انها توسعت التوسع العظيم في تطوّرها التقني: « تعود البشرية الى الوراء بصورة مخيفة بينما تتوسع طاقتها في عالم العلم والتقنية».

إن كلام الحبر الاعظم لا يترك في النفس حنيناً الى عالم وهمي ولا تشاؤماً ولا انكساراً . فان الكنيسة تقبل العالم كما هو ، واذا ما ونجت ذلك العالم ، بدون مراوغة ، على اغلاطه وضلاله ، فانها تغذي عند المؤمنين الأمل والرجاء بأن يخلقوا حياة جماعية « متأصلة » في الحقيقة والعدل والمحبة ».

اهتمام الكنيسة الشامل

أعطى المسيح الإله كنيسته رسالةً عليها ان تحققها لخلاص النفوس والكنيسة واعية هذه الرسالة بصورة أمينة تؤدي الواجب وتستميت في سبيله وهي في اول الرسالة البابوية تذكرنا بهذا بكلام صادق نبيل : قد أسس المسيح الكنيسة لكي يجد الانسان على ممر الاجيال فيها وفي محبتها كمال حياة نبيلة وخلاصاً أكيداً . . ولقد كلفها مؤسسها بوظيفتين : ان تلد البنين وان تربيهم وتوجهم وتسهر بعطف الام على حياة الافراد والشعوب التي تحترم وتحمي بعناية كلية كرامتهم . ومع انها وضعت لتقديس النفوس ولكي تشركهم في الحياة الفائقة الطبيعة فانها تهتم على غرار المسيح نفسه بمتطلبات حياة البشر اليومية فيما يتعلق بقوتهم وظروف حياتهم ، بنجاحهم وبالمدنية في اشكالها المختلفة وفي العصور المتتالية » .

فالكنيسة هذه تعرض على الملأ تعاليمها بما اعطاها اياه مؤسسها من حكمة وحصافة فتسدي النصائح وتفتح الآفاق وتطبق التعاليم على امكانات الشعوب . وفي كل هذه الآراء سداد الفكر وقوة الحجة .

ولقد برهنت الكنيسة على استمرار في التفتيش عن الحقيقة وفي اعطاء الحقيقة كاملة غير منقوصة . فلا تخاف من ان تعيد النظر في تعاليمها عن الاجور والملكية الخاصة ووسائل الانتاج وحقوق الشخص البشري الاولية وشريعة النسل الى ما هنالك من مشاكل تعترضها . فحقيقة البارحة هي حقيقة اليوم ولكنها ناضجة اكثر واكثر تفتحاً كصورة حفرها النحات في الصخر وظلت متشحة بستار الى ان يبرزها واضحة للعيان . فالكنيسة تتقدم في الحقيقة ، تزيد على ما قالته دون ان تمحو منه . ولقد كتب بسكال عن الانسان أنه في صلب التاريخ يتعلّم

دون انقطاع ، ويزيد على معلومات البارحة معلومات جديدة . والكنيسة هي ضمير البشرية في اكتمالها الروحي .

ولكن اهتمام الكنيسة بالبشرية جمعاء يؤثر فينا اكثر من ذلك : فهي تنحني على المتواضعين والصغار ، تميل الى الجماعات والى الشعب باسره : قلبها واسع ، ثري ويسمع النداآت كلها . ولذلك فان حقوق الفرد لا يُعلى عليها . وتلح الرسالة في مقطع مهم منها على قيمة الحياة البشرية وقيمة طرق اعطائها . فيردد البابا كلامه على نبل الحياة البشرية ، وهي قطب الرسالة الاساسي ، ويتعمق في مفهومها ويزيدها ثروة تفكير . فلا توازي الخيرات الارضية قيمة الانسان ولا معنى لها اذا قلّلت من روح المسؤولية عنده . نعم يطلب البابا الملكية الخاصة للجميع ويأمر بان يجازى العامل على عمله كما يجب .

يرنو قلب البابا الى فقر الفقراء . ويدين الاجحاف والظلم اللذان يلحقان بالأجير ويطلب لمساعدة البلدان المتخلفة العطايا الجبارة .

يوجه البابا كلمات طيّبات وتمنيات امينة لتلك الدول الصغيرة التي نالت استقلالها والتي تحرص الحرص كله على ما نالته بالتقليد والتراث ، فانهم ابناء الكنيسة وان جهلوها ؛ تعلمهم ان مجيئها اليهم يعني الازدهار الاقتصادي والاجتماعي لا مجيء غريب ظالم ، يستفيد من امتصاص الدم والحيوية . « فاذا دخلت حياة الشعوب فهي لا تُفرض من الخارج ، وهي تعلم ذلك . فوجودها يعني الدلالة الجديدة وقيامة البشر في المسيح . فالذي يولد من جديد ويقوم في المسيح لا يشعر بضغط خارجي » .

وبعد ذلك يعيد البابا كلام سلفه بيوس الثاني عشر ليعطي الثقة للشعوب بان الكنيسة ليست سوى المحافظة الامينة على الحكمة التدريبية ، فهي لا وان تستطيع ان تحتقر تلك الميزات التي تسهر على حفظها الشعوب بايمان وبانفة تُشكر والتي تحفظها كتراث غالي . والكنيسة تحيي وتصحب بامنياتها العطوفة كل ما هناك من التوجيه العائد الى تطوير حكيم ومنظم للقوى وللاميال الخاصة التي تتأصل في اعمق أعماق كل فرع جنسي ، شرط أن لا تعاكس الواجبات التي تخضع لها البشرية من جراء وحدة اصلها وهدفها المشترك .

وفي ذلك ابتسامة الجدّة لبنيها الذين يولدون وسيولدون . فهناك وراء

الافراد والجماعات والمناطق والبلدان ، نرى البشرية باجمها وعجيج العالم بأسره الذي تسمه الكنيسة والذي تجاوبه الكنيسة. ففي القسم الرابع من رسالة البابا جواب عطفها الأمي لطالب العالم المتعدد الاطراف.

ان المشاكل الاجتماعية في عصرنا واسعة كالعالم ومشاكل المساعدات للبلدان المتخلفة ايضاً. وليست لهذه المشاكل من حلول ما لم يتكاتف الجميع في تحقيق ما يجب تحقيقه. ولكن هذا التكاتف يقتضي الثقة المتبادلة. فان البشرية لو صرفت المليارات في خدمة الفقير والتاعس التي تصرفها في سبيل التسلح لكانت ساعدت على تغيير وجه الكون. ولكن الثقة المتبادلة لن تكون الّا بالايمان المشترك بالله وهذا الايمان هو الاساس الوحيد الذي عليه يستطيع الانسان أن يبني :

« إذ إنه من الغلط بمقدار أن يعتقد الانسان بنجاح العلم والتقنية،وبأن بذلك باستطاعته ان يبني مدنيّة دون ان يؤسسها على الله. . .فان العلوم الحسابية تظهر لنا العالم ، وهي غير قادرة على الوصول الى مصادر الحقيقة العميقة. وإن الاختبار اليومي ليوحي ، بين حرقات الاوهام والامل ، صحة كلمة الكتاب :

« اذا الله لم يبنِ البيت فعبثاً اشتغل البناؤون » .

فالكنيسة اليوم ، بعد ان تؤكد على الملأ ايمانها بالعناية الالهية التي لا تردّ وبقوة الانسان الخلاقة ، بعد ان تطهر الجوّ الفكري من ربقة مُشكل ازدياد السكان في العالم ، بعد ان تعرّفت الى المشكل الحيوي الذي يعترضها اليوم وهو ان تعطي معنى انسانياً ومسيحياً للمدنية الحديثة ، بتفاؤل وثبات والحاح ، فانها تدعو البشرية جمعاء للعمل : تدعو ابناءها اولاً — كهنة وعلمانيين— الذين يتوجب عليهم معرفة العقيدة الاجتماعية والتدريب عليها عملياً لان هذه العقيدة حياة. يتوجب عليهم ايضاً ان يعيشوها طويلاً وبكمالها اذا امكن .

واذ ان العمل الاجتماعي زمني هو ، فهو ينال اولاً العلمانيين . فتتوجه الكنيسة اليهم دون تردّد ودون اضطراب . إن العلمانيين والاكليروس هم ابناؤها ، يستقون من الروح نفسه ، ويُدعون كلهم الى عمل نبيل عظيم وهو تكريس العلم وتقديسه. هو العمل الاجتماعي بالمحبة ولكنه عمل رسولي اجتماعي وهذا العمل، في رأي الكنيسة ، لا يُبعد الانسان عن إرادة الله ولا عن محبته،

عليه ان يكون الطريق الذي به يصل الانسان الى ربه والهه ، به يشتركون مع المسيح لخلاص الانسان اخيهم لمجد الله الآب . فعلى العلماني ان ينخرط ويتعمّق في الحياة الاجتماعية لا ان يتركها،وان يعيشها بتفاؤل وانطلاق وفرح. وفي هذا دعوة الكنيسة لأبنائها ، دعوة المسيح الاله للعالم بأسره . فالكنيسة كنيسة الجميع تعطيهم نوراً وقوةً وحياة .

بعد ان اوضح البابا في الرسالة بكاملها ان الكنيسة تهلّل لكل ما يخدم المشكل الاجتماعي يردد في الصفحة الاخيرة منها : « هي عقيدة الكنيسة الكاثوليكية الرسولية ، أم ومعلمة الشعوب كلها ، تنير وتشمل ؛ وبصوتها الملوء حكمة تمتد الى العصور بكاملها ، وبقوتها تُعطي الانسان الدواء الناجع ، الدواء الذي فيه لحاجات الساعة ولصعوبات ولمخاوف الحياة القائمة الشفاء المضمون».

وإن لمن التعزية ان نجد في هذه الرسالة اخوتنا الغير الكاثوليك ، كلاماً موجّهاً اليهم . مائدة الكنيسة مهيأة للجميع . تعلم الكنيسة ان النور منها يفيض على النفوس، بصورة ظاهرة على من هم بها متصلون، وبصورة غير منظورة على النفوس المستقيمة المتصلة بها برباط سرّي . وان جهلوا هذه الكنيسة فان قلبها يعرفهم وبصوت الأم تدعوهم اليها .

الدولة والحياة الاقتصادية

بعد أن يكون البابا قد ذكر تعاليم سلفائه يميل توّاً بانتباه كلّي الى مشكلة التوازن الضروري بين بادرة الفرد وتدخل السلطات العامّة في عالم الاقتصاد . فيذكر الحبر الاعظم بادئ ذي بدء مبدأين عامين كأساس لهذا التعليم: الاول: أوليّة البادرة الفردية. الثاني: ضرورة تدخل السلطات العامة وميزة هذا التدخل. فتقول الرسالة: « ليعلم الجميع أن عالم الاقتصاد هو نتيجة البادرة الفردية » . انما على السلطات أن تكون حاضرة وان تساعد تطوير الانتاج بالنسبة للتطوير الاجتماعي ولخير المواطن ». هذا المواطن ليس عليه ان يقوم بالامور كلها على هذا الصعيد . اذ انه عليه ان يتدخل ليساعد اعضاء الجسم الاجتماعي ليحقّق الوظائف التي باستطاعته تحقيقها . وهذه الافكار كانت قد قيلت من قبل .

فصارت عناية الحبر الاعظم الى ان ينحني على الظروف الحاضرة وأن يُبدي حكماً واقعياً وان يُعطي مبادئ تقوم حداً منيعاً أمام تدخل الدولة المتزايد في عالم الاقتصاد . وهذه هي الحالة اليوم : بما ان العلوم تطورت وزادت تقنيات الانتاج فان الدولة تحسب ان لها وسائل عديدة ١) لتمحو عدم التوازن الموجود بين مناطق الانتاج المختلفة داخل الجماعات السياسية وبين البلدان المختلفة على الصعيد العالمي ٢) لتحصر التقلبات في عالم الاقتصاد ولتجابه البطالة بنتائج مثيرة . ان التقدم الذي أحرزته العلوم والتقنية لتعطي الدولة ما يؤهلها للعمل في التطوير الاقتصادي والاجتماعي .

وبعد ذلك تعطي الرسالة حكماً واقعياً : فانها تحلل موقف الدولة أمام الامكانيات الجديدة فتشعر بضرورة التدخل على الصعيد الاقتصادي بصورة اوسع واعمق ومنظمة . والرسالة تقول لنا ان هذا التدخل طبيعي وهو علامة واضحة لعصرنا القائم .

انما كان على البابا ، بعد ان تعرّف للوضع هذا ، ان يُعطي المبادئ التي تشرح معنى هذا التدخل وتحدّ من طموحه . فيقول ذلك في نص كُتب له ان يصير النص الاساسي في تعليم الكنيسة الاجتماعي : « ان تدخل الدولة على الصعيد الاقتصادي ، مهما كان واسعاً ومنتجاً ، ليس من اهدافه ان يقلّل من حرية الافراد ، بل على الدولة ان توسّع نطاق الانتاج الفردي الى اقصى حدّ ممكن بحماية حقوق الانسان الاصليّة . وبين هذه الحقوق ذلك الذي يجعل الانسان دوماً المسؤول الاول في اعالة نفسه واعالة عائلته . وهذا يعني ان تترك ، في اي تنظيم اقتصادي كان ، حرية الانتاج » .

في هذا التعليم عبارة جديدة عن اهتمام الكنيسة بكرامة الانسان وعن اهتمامها ايضاً كي تجعل المؤسسات الاجتماعية كلها ، والدولة خاصة ، في خدمة الكرامة .

ان التعرف للانسان ولكرامته ، لحقوقه وحريّته على الصعيد الاقتصادي ، لا يعني أن الحبر الاعظم يقاوم تدخل الدولة وقد قال بشرعية هذا التدخل وضرورته . وهو ينبئنا الآن ان البادرة الفردية وتدخل الدولة لا بدّ منها لقيام حياة مشتركة منظمة ومنتجة وان المشكل في ان يكون هناك توازن بين الأمرين حسب تقلب الاحوال والضرورات الانسانية .

ولكي يُعطي برهاناً قاطعاً عن ضرورة الأمرين في الحياة الاقتصادية ، يعود البابا الى الاختبار وما فيه من دروس: «ان الاختبار يعلّمنا انه حيث تغيب البادرة الفردية يقوم الاستبداد السياسي ويضعف الاقتصاد الموجّه خاصة في انتاج ما يسدّ الحاجة الحياتية وما يتجاوب مع متطلبات العقل : ذلك الذي يشجّع روح الاكتشاف عند الافراد ». ويزيد البابا: « وحيث لا تتدخل الدولة فهناك خراب لا يُداوى وهناك استثمار الضعيف والكادح ... ».

تعود الرسالة الى القاء نظرة على دور الدولة عندما يتكلم خاصة على الملكية الخاصة . انما تعطينا تعليمها الاساسي هنا : تدخل الدولة على الصعيد الاقتصادي ، نعم : فالعدالة الاجتماعية تطلب ذلك والصالح العامّ يقتضيه خاصة في ايّامنا . انما على هذا التدخل أن يحترم البادرة الفردية ، لا ان يقوم مقامها لان الانسان هو المسؤول الاوّل عن اعالة نفسه وإعالة عائلته .

مدنيّة العمل المسيحية

ان ما يثلج القلب عند قراءة الرسالة البابوية هو المحل الاول الذي اولاه الحبر الاعظم العمل : « ان العمل ... وهو ناتج مباشرةً عن الانسان ، يجب ان يُنظر اليه قبل النظر الى غزارة الخيرات الخارجية التي ليست سوى آلة ووسيلة ». هذا هو التعليم الاساسي وما تبقّى ينتج عنه . « فاذا كان الانسان اليوم يفتش عن احراز كفاءة مهنية اكثر من التملك على خيرات أرضيّة ؛ اذا كانت الثقة اليوم تتّجه الى موارد تنتج عن العمل او عن حقوق تستند الى العمل اكثر منه الى موارد تنبت من الرأسمال او الى حقوق تستند الى الرأسمال فما ذلك إلا لأن العمل ، اكثر من الملكية ، يدخل في صلب الانسان .

ومع ذلك فان البابا يلحّ ملياً على حق الانسان في التمتع بالخيرات ، بخيرات الانتاج . وفي هذا ايضاً عودة إلى الانسان والى حريته ، والى كل ما يساعده في تكوين شخصيته .

قيمة العمل الانسانية

لا ينثني البابا يوحنا الثالث والعشرون عن الترديد أنه في كلامه في هذه

الرسالة يقتفي اثر سلفه لاوون الثالث عشر وغيره. فهو اذ يلخص تعاليم لاوون يعود مرة واخرى الى العمل الذي علينا ان ننظر اليه لا كسلعة ولكن كعبارة واضحة عن الانسان. وبعد ذلك يذكر البابا كلمة بيوس الحادي عشر «اننا لا نعير العمل الاهمية الضرورية ولا نجازيه عدلًا اذا لم ننظر اليه في شكليه الفردي والاجتماعي واخيرًا ينبهنا الى ما قاله بيوس الثاني عشر في اذاعة اول حزيران سنة ١٩٤١ اذ يقول «ان القيم الثلاث التي ترتكز عليها الحياة الاقتصادية والاجتماعية استعمال الخيرات المادية والعمل والعائلة. اما العمل فهو واجب وحق كل فرد بشري».

على هذا الصعيد وعلى غيره تقوم الرسالة البابوية على استمرار التعاليم الحبرية السابقة فيها وخاصة تعاليم بيوس الثاني عشر. وكان هذا الاخير قد وجه كلامه مرات الى المزارعين الايطاليين. فاذا قابلنا هذا الكلام مع ما يقوله يوحنا الثالث والعشرون في القسم الثالث من رسالته نرى الشبه عظيمًا. يقول هذا الاخير ان هناك مشكلًا اساسيًا على الدول ان تستوعبه، ألا وهو عدم التوازن الذي يُخاف من ان يتحكّم بين المناطق الاقتصادية وخاصة بين المنطقة الزرعية من جهة، والمنطقة الصناعية من جهة اخرى». ان الانسان ليجد في حراثة الارض دائمًا لأن يثق بنفسه، ويتكوّن ويتطور ويزيد غنى وثروة، وعلى الصعيد الروحي ايضًا. وهذا الشغل، شغل الارض، يجب ان يُعتبر كدعوة وكرسالة، كجواب لدعوة الله يدعونا كي نشاركه في تتميم ارادته الصمدانية على تطوير التاريخ، كارادة بها نفتش ان نسير صعدًا مع الآخرين، كمشاركة في تكوين المدنية الانسانية.

صدى صوت بيوس الثاني عشر الواضح تزايد فكوّن في هذه الرسالة تعليمًا مكينًا وضيًا. فحيث يتكلّم يوحنا الثالث والعشرون على متطلّبات العدالة في الاسس الاولية، فانه يذكّر بما قاله بيوس عن ضرورة ابدال او تكميل عقد العمل بعقد جماعي. ولذا فان ما تأتي به الرسالة من ايضاحات عن طموح العمّال الشرعي في مشاركة المؤسسات حيث يعملون، عن الصلات في العمل التي عليها ان تكون صلات احترام وتقدير وتفاهم وتكاتف صادق وانتباه للخير المشترك، عن العمل الذي يجب ان يُفهم ليس فقط كينبوع خيرات ولكن ايضًا كتتميم

واجبٍ وتقدمة خدمة ، واخيراً عن ضرورة وجود العمال في كل نواحي تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، كل هذه الايضاحات الخيِّرة نتيجة المبدإ الذي سنَّه بيوس الثاني عشر في رسالته الى السيد شارل فلري في سنة ١٩٤٧ عن ميزة العمل الاجتماعية اذ قال :

« فوق التمييز بين ارباب العمل والعمال الذي يُخاف أن يصير فاصلاً كاملاً ، نجد العمل ، ذلك العمل الذي هو هدف حياة الفرد وهدف حياة الجميع كي يعطوا المجتمع الخيرات والخدمات الضرورية والنافعة. واذا ما فهمناه هكذا فباستطاعة العمل ان يجمع البشر مع بعضهم حقاً وصدقاً، باستطاعته ان يعطي مجدداً شكلاً لمجتمع صار وكأن لا كيان له ».

فالعمل اذاً في نظر يوحنا الثالث والعشرين لا يمكن ان يُقام به إلا بصورة جماعية اي بتكاتف وتنظيم . ولذا فتمدح الرسالة المؤسسات المهنية والنقابية للعمل التي قامت به أمام السلطات . لكن البابا يميّز في مدحه هذا المؤسسات التي تستوحي الايمان المسيحي لكيانها وازدهارها ، تلك المؤسسات التي تسهر على خير العامل المادي والروحي وتخلق في المجتمع اندفاعاً مسيحياً نحو التجديد. وهنا يذكر مؤسسة النقابات المسيحية العالمية (C.I.S.C.) . ويعود البابا ليمدح العمل الذي يقوم به المؤمنون في مؤسسات اخرى تستوحي المبادئ الطبيعية للحياة المشتركة وتحترم حرية الضمير . ولذا فالبابا يميّز بين شركة النقابات العالمية (F. S. M.) وهي في وحيها ماركسية ، وبين شركة النقابات الحرة العالمية (C. I. S. L.) . وفي النهاية يعبّر البابا عن احترامه لمنظمة العمل العالمية (O.I.T.) التي لسنين خلت «تجتهد لتكوّن في العالم نظاماً اقتصادياً واجتماعياً مميّزاً بالعدالة والانسانية وحيث يستطيع العامل ان يُعبّر عن احتياجاته الشرعية » .

اجرة العمل

إن حقّ العمل بالاجرة ركّزه الباباوات على ميزات ثلاث : فالعمل ضروري وهو شخصي واجتماعي. فاذا كان العمل ضرورياً لحفظ الحياة قد ينتج من ذلك أن للانسان حقاً صريحاً على ثمرة عمله. واذا كان شخصياً فينتج من ذلك ان هذا

الحق يتطلب اجرة كافية لتسد حاجات الفرد، واذا كان اجتماعياً فينتج من ذلك ان ثمرة عمل الكل هي للجميع حسب توزيع عادل .

ففي الرسالة البابوية « أم ومعلمة الشعوب » يتكلم البابا على اجور العمل عندما يتكلم على توزيع العائدات العادل . فهو يضع صلة واضحة بين ماهية العمل — وهو خدمة الصالح العام — وبين الحق الذي يعود له في العائدات. ولذا فان الحق الاجتماعي يتطلب ان تكون ثروة الشعب الاقتصادية «لا نتيجة غزارة الخيرات فحسب، بل ايضاً نتيجة توزيعها الفعلي العادل ». وما السبب في ذلك سوى ما كان قاله بيوس الثاني عشر عندما تكلم على الاقتصاد الوطني الذي هو ثمرة عمل آفراد يشتغلون موحدين في المجموع السياسي والذي ليس له من هدف إلا ان يؤمن دون انقطاع اسباب الرفاهية التي فيها تزدهر حياة الافراد». وبهذا « يتم حق كل فرد في استعمال الخيرات الارضية ». فيفكر البابا بهذا ويقول ان نفسه حزينة لما يراه، في بعض البلدان التي لم ينلها التطور الكافي بعد، من تناقض بين فقر الجماهير المدقع وبذخ بعض الافراد، كما في بعض البلدان التي تكون ثروتها من الذهب الاسود. اما في البلدان المتطورة اقتصادياً فانه يرى التناقض بين الاجور دون النظر الى ما يعطيه العامل للصالح العام. واخيراً يرى الضغط الذي يضطر الشعب لزيادة فاعلية الاقتصاد الوطني بالتسلح .

يعرض البابا أن من واجبه الالحاح على « ان الاجرة ترتكز على العدل والعدالة» لا يقلل من قيمتها المسافات والايام، حتى ولو كان يتوجب لتطبيقها ان تدرس ثروات البلاد والتي من المستطاع استعمالها. فهناك اجور تسمح للعامل بحياة انسانية اولاً وتفسح امامه مجال تحمل المسؤوليات العائلية . هناك ايضاً ما يعطيه الفرد للانتاج، هناك حالة المؤسسات الاقتصادية وهناك متطلبات الصالح العام الوطني » . كل هذا كان الباباوات قد قالوه . اما الجديد في هذه الرسالة فهو ان ينتبه العالم الى ردة فعل الاجور على صعيد الخير العام الدولي، في ما يتعلق بالمجموعات الدولية . فالتعليم المسيحي يدخل بهذه الصورة انسانية اقوى في المعاطاة الاقتصادية بين الشعوب كما جربت ان تحققه السوق المشتركة الاوربية . وبهذا نرى ان توزيع العائدات الاجتماعي يتم على صعدان مختلفة : يبدأ في وحدات الانتاج السفلى، ويصلح كي يصير انسانياً وافياً على صعيد

الاقتصاد الوطني الدولي. ومهما يكن من إمر، فان للعامل الحق بعائدات كافية ليظلّ انساناً وليكفي حاجاته الثقافية .

وللوصول لهذا الهدف ، يجب على التطور الاجتماعي ان يصحب التطور الاقتصادي كي تصير لكل فئة من الفئات الاجتماعية حصّة من الانتاج . وبينا يدين البابا كلّ عدم توازن اجتماعي واقتصادي يراه في الاقتصاد الدولي، في الاقتصاد الوطني وفي المؤسسات ، فانه يذكّر بمتطلّبات الصالح العام في مراحله المختلفة ، وخاصة المشاركة بين سائر المقومات الاقتصادية الوطنية ، يذكر ايضاً بضرورة محو المتناقضات في مناطق الاقتصاد، يذكّر بالتوازن بين التوسع الاقتصادي وتطور الاشغال العامة الاساسية ، يذكّر اخيراً بالسهر كيلا تتكون فئات مميّزة حتى بين العمال الخ... الخ...

تخصص الرسالة مقاطع ثلاثة للتكلّم على عدم التوازن في الاعمال . فهذه المقاطع ستقتضي التفاسير العديدة ، وتطبيقها يتطلب الدراية الواسعة وتوجيهها يبدو ضرورياً . فبعد ان يعيد على مسامعنا مبدأ بيوس الحادي عشر انه من الاجحاف بمقدار ان يعاد للعمل وحده او للرأسمال وحده ما ينتج عن تكاتفهما ، وبعد ان يستلهم قولَ بيوس الثاني عشر الذي يحمل الانسان على ان يهمّ كي يكون الرأسمال في المستقبل موزعاً بعدالة اكبر ، يؤكد البابا يوحنا « ان للعمال في بعض الظروف الحقّ في جزء من عائدات العمل وان هذا الحقّ هو من نتائج العدل ويتوصل العامل الى ذلك بان يكون له قسم من ملكيّة العمل حسب الشكل والمقدار الضروريين ».

- اما ما يُحدّد ذلك الحقّ مثل المؤسسات الوسطى او الكبرى ، مثل قوة الانتاج المتعلّقة بالتمويل الشخصي ، الاسهم ، كل هذا يجب ان يُتدارس بامعان وتروّي . ويكون البابا يوحنا بهذه الطريق قد سنّ الدرب المجدي لا للانتفاع الملائم بل للعدل الذي على الرأسمالي ان يحققه تجاه العمال كلهم ومنهم من اجورهم تعلو الاجرة العدل . هذا التعليم يفتح الآفاق الواسعة امام من هم بنيّة صالحة وامام المشترع الفهيم .

نظرة مسيحية الى العالم

هذا الدور المهمّ الذي يوليه البابا للعمل في رسالته « ام ومعلّمة الشعوب » ،

هذا التفضيل الذي يعبّر عنه هنا يتعلقان مباشرة بنظرة الكنيسة المسيحية الى العالم . فالعمل في نظرها هو « لقب شرف ونبل » لأن له صلة بالخلق ، لان غايته تحسين الانسان اخلاقياً ومادياً (بيوس الحادي عشر) ، لانه يخدم الغير ويحقق حاجاتهم ، لان المسيح كرّسه وقدّسه وادخله في الفدا .

يخصص البابا القسم الاخير من رسالته إلى مفهوم الحياة الاجتماعية «فالانسان هو اصل واساس ، هو هدف وموضوع المؤسسات حيث تظهر الحياة الاجتماعية». هذا المبدأ المستلهم من بيوس الثاني عشر يحفظ « كرامة الشخص البشري المقدسة» التي هي اجتماعية بطبيعتها والتي جعلها الله بنعمه فائقة الطبيعة حسب غايته الالهية. هذا المبدأ هو اساس التعليم الكنسي التي يجب ان تمتد في التدريس في كل طبقات التعليم ذاك وبكل طرق النشر .

فاذا كانت اعمال المؤمنين الزمنية تدور في اطار المبادئ والتوجيهات الاجتماعية المسيحية « فالعمل اذاك لا يصير آلة للذل (كلمة بيوس الحادي عشر استعملها يوحنا الثالث والعشرون) وعصرنا لن يبدل الانسان ويكون منه « جباراً في العالم المادي قد خسر روحه » (كلمة بيوس الثاني عشر استعملها البابا يوحنا). بل يكمّل الانسان بعمله اليومي الذي له — في رأي الجنس البشري اجمع — هدف ارضي وغاية ارضية ؛ اما العمل الذي يقوم به الانسان بشركة عمل المسيح « فيصير كتمديد لعمل المسيح وتكون له قيمة خلاص ... ان العمل الذي به يحقق الانسان كماله الروحاني يوزع على الغير ثمرات الفدا. والمدنية التي فيها يعيش ذلك الانسان تدخلها خميرة الانجيل ».

وينهي البابا يوحنا رسالته عن تطورات المشكلة الاجتماعية الحديثة مستلهماً نور التعليم المسيحي فيقول: « تجابه الكنيسة اليوم واجباً عظيم الشأن: ان تعطي مدنية اليوم نبرة انسانية ومسيحية». وكي تصير هذه المدنية التي هي مدنية العمل مسيحية ، على اعضاء جسم المسيح السرّي ، اكليروساً وعلمانيين ، وخاصة العلمانيين منهم لانهم في الزمنيات موجودون ، ان يتكاتفوا لكي ملكوت الله على الارض وذلك بسماع صوت الكنيسة ، أم ومعلّمة الشعوب كلها .

مشاركة العمّال حياة المشاريع

يقول البابا يوحنا انه يقتفي آثار سلفائه عندما يبدأ بالكلام على العامل ومحله في المشاريع المختلفة . كان لاوون الثالث عشر قد سنّ قوانين العدل في عقد الاجور . وكان بيوس الحادي عشر بحكمة وصلابة ادخل مشكلة مشاركة العامل بصورة واضحة حياة المشاريع تلك . وبهذا فكر ان يعطي العقد نبرة اجتماعية وصورة جماعية . والامور تطوّرت منذ ذلك الحين . وما ذلك، حسب قول البابا يوحنا، إلا للاسباب التالية : الثقافة والتدريب المهني المتزايدة عند العمال ، دخولهم الحياة السياسية : هذه الاسباب تجعلهم يتحمّلون بعناء وضجر ان يكونوا آلات انتاج ليس إلّا ، لا وجه لهم ولا اسماً ، مثل المواد الخام . فان العامل ، بعد ان توصل الى ديموقراطية ثقافية (نسبية) والى ديموقراطية سياسية يطمح الى ديموقراطية اقتصادية . وكان بيوس الثاني عشر قد قال وردّد ان الانسان يجب ان يكون لا شيئاً بين الاشياء ، ولكن فاعلاً حرّاً ومسؤولاً . ولذا فان الرسالة الجديدة تضع هذه المشكلة على صعيد عالٍ جداً : ليس المطلوب فقط ان تُعطى للعامل فوائد مادية ، مالية : ان يشارك ارباب رأس المال بالربح وبالملكية ، وان ينال جزاً ملائماً للصحة والأمن ، وان يخفف عمله : هذا كله لا يجهله البابا يوحنا ولكنه يؤكد ان هذه المنظمات العمالية والرئاسية، ان السلطات المدنية والرأي العام يظلون دوماً ادنى مما يطلبه اذا ما توقفوا عند هذه الاجراآت . المشكلة الاساسية هي شخصية العامل مع ما لها من عمق وقيمة.

المبدأ

هذا هو المبدأ : «نُقش في الطبيعة البشرية نفسها ان يتحمل الانسان مسؤوليته وان يسير نحو الكمال في العمل الذي يقوم به ».

وهذه هي النتيجة : « إذا كانت أسس عقيدة اقتصادية وتطبيقها تنال من المسؤولية وتقف حاجزاً منيعاً امام البادرة الفردية، فان هذه الاسس وهذه العقيدة الاقتصادية ظالمة حتى ولو انتجت بغزارة واتبعت توزيع الثروة بعدل وعدالة ».

لا نجد وضوحاً كهذا في كلمات قيلت سابقاً في هذا الموضوع . ولذا فان موجهي الاقتصاد والسلطات العامّة التي يجب عليها ان تسهر على الصلات الملائمة،

تجابه فروض عدل جديدة : في هذه الفروض تؤكد حقوق العمال ويؤكد ايضاً عدل عند كل من يوجه التصاميم الاقتصادية. وهذه الحقوق اساسها في المشاركة في العمل لا في المشاركة في الملكية .

لكي يحقق هذا المبدأ عليه ان يدخل المشاريع الصناعيــة والمهنة والوطن والمنظمات الدولية : وبين الاولى وما يليها نجد المشاريع الكبرى او الوسطى . عند هذه نقف هنيهة .

لا نعني هنا الانتاج المادي فقط ولا المشاركة في تقسيم الثمرة. نعني تنظيم صلات العمل الذي يعطي العامل والموظف امكانية استثمار شخصيتها المتفتحة ، مسؤوليتها وتوقها الى البادرة . نعني تنظيم المشاريع العام حيث يتعرف العامل الى المحل الذي هو له ، الى الرباط الذي يربط عمله بعمل الآخرين ؛ نعني الصلات بين المنتجين وارباببهم : «فلتكن للعمال ، يقول البابا ، امكانية اسماع صوتهم ، امكانية المشاركة في العمل ، امكانية تقديم اختبارهم ، امكانية ان لا يظلوا عديمي الفاعلية تجاه الحلول التي توجه عملهم» ؛ نعني اخيرا سير المشاريع الطبيعي ، نجاحه ، صعوباته ، امكانيات الاجور ، شروط العمل .

لا تستعمل الرسالة حلولاً وضعية . وما ذلك الا للتعبير عن صدقها ، وللتعرف الى مختلف الحالات ، احتراماً لعمل العلمانيين .

ليس من ميزات الرسالة ان تعطي حلولاً تطبق كما هي وتنجح . لا تعيش الكنيسة في اوهام كهذه وفي كسل هذا مقداره . ان الكنيسة تعلم اختلاف الظروف الزمنية والمكانية وضروب المشاكل التي تعتري المفكر في حقبة من الوقت « ليس بالمقدور ان يحدد سابقاً نوع ودرجة مشاركة العمال اذ هذا كله معلق بحالة المشاريع الوضعية» وبتطوير الاجتماعي لكل بلد .

الشروط

ما هي شروط مشاركة العمال في المشاريع الاساسية . مع حفظ السلطة للخير العام ، يستطيع العامل ان يشارك في المشروع حسب كفاءته وقبوله المسؤولية. وعلاوة على ذلك فانه مطلوب من الفريقين الاحترام المتبادل والتفاهم. وهذه المشاركة تؤول يوماً الى هدم كل ما هناك من سوء تفاهم ومن عداوة.

ولذا فيقول البابا يوحنا : « على الانسان ان يفهم العمل ويقوم به لا كمصدر فوائد مادية فقط ولكن كتتميم واجب وتقديم خدمة » . ان البشر بأجمعهم يرون انفسهم في عمل واحد اصالح الجميع : خدمة الوطن ، خدمة الشعوب الغير الحائزين على وسائل التقدم والرقي . فعلى الانسان ان لا ينظر الى المصانع والمشاريع كمعين دراهم وثروة . على ارباب رؤوس الاموال وقد حباهم الله علماً وثقافة ومالاً ان يروا في العمل وسيلة تفتح عمالهم ، على ارباب العمل والعمال سوية ان ينظروا الى الخدمة التي يؤدونها للآخرين . اذ ليس لهم ان يزيدوا مواردهم ورغدهم ، عليهم ان يساعدوا هذه الكثرة من الناس الذين حرمهم الدهر وزاد جوعهم ومرضهم وجهلهم . فاذا ما سار الانسان ايا كان ، رب عمل او عامل ، على هذه الطريق ، تفوق على الحواجز والعقبات وعلى الثورات الاجتماعية .

ان ما اتى به البابا يوحنا من توجيهات لخلق مجموعة اشخاص في صلاتهم ووظائفهم واحوالهم المختلفة ، لتزيد تعليم الكنيسة الاجتماعي رونقاً وثروة .

الملكيّة الخاصة

كانت رسالتا لاوون الثالث عشر وبيوس الحادي عشر قد تطرقتا الى موضوع الملكية فدرستا شرعيتها واساسها في الشريعة الطبيعية وحددتا وظيفة تلك الملكية على الصعيدين الفردي والجماعي . ولمّ العودة لهذه الموضوع !

- شرعية الملكية الخاصة

تطورت الاحوال منذ الحرب العالمية الثانية لدرجة جعلت المفكر يسأل إذا كانت التقلبات التي حدثت تكتفي بالبراهين المعطاة الى الآن واذا كان لها من قيمة بعد .

في الماضي كانت الصلة وثيقة بين الملكية وإدارة مشروع ما ، اما اليوم فالفارق عظيم بين ملكية الانتاج ومسؤوليات الادارة في المؤسسات الاقتصادية الكبرى ، ولذا ترى السلطات صعوبات جمّة « للسهر على ان لا تعاكس الاهداف المتوخاة من مديري المشاريع الكبرى ، أي متطلبات الخير العام » . في

الماضي كانت ملكية صغيرة تزمن للقلب الطمأنينـة والسلام ؟ اما اليوم فان الانسان يفتش عن شركات التأمين والضمان الاجتماعي . في الماضي كان الانسان يتق بفوائد الرأسمال؛اما اليوم فان الانسان يطمح الى كفاءة مهنية. فتكون الثقة في موارد تتأصل في العمل وفي حقوق اساسها العمل .

كل هذا صحيح . ولكن أخسرَتْ الملكية الخاصة قوتها وقيمتها . ان لحقّ الملكية قيمة دائمة وتمتدّ على الانتاج ايضاً. والبرهان على ذلك يستقى من الاختبار ومن العقيدة — فتقول الرسالة : ١) ان حق الملكية الخاصة هو «حق طبيعي مؤسس على أولية الفرد الاساسية على المجموع » ، اي ان هـذا الحق يتأصل في طبيعة الشخص البشري نفسه ولها في كيانه وهدفه الاولية. ٢)وهذا الحق هو نتيجة منطقية لما يؤكد من ان«العالم الاقتصادي ينتج عن بادرة الافراد الشخصية»: فكيف يطبق مبدأ كهذا الم يعترف بحرية الفرد باستعمال الوسائل الضرورية. ٣) يؤكد التاريخ والاختبار ان حرية الشخص البشري تجد في هذا المبدأ امناً واندفاعاً :«اذ ان في عالم الديكتاتورية لا تعرف الحرية الّا الكبت». ٤) هناك تبديل لدى بعض الحركات السياسية والاجتماعية التي تودّ ان توحّد في الحياة اليومية بين العدل والحرية . ان هذه الحركات « كانت لوقت قصير قد رفضت الملكية الخاصة على وسائل الانتاج ولكنها بعد ان درست واطّلعت على الحقيقة الاجتماعيـة جدّدت عزمها في التعمق في المشكلة وفي العودة الى موقف ايجابي » .

فليس اذاً من رأي الكنيسة ان تغيّر موقفها من الملكية الخاصة . وليس ذلك حباً منها في ان تساند الغني والمتمول ضد الفقير والتاعس. انها تريد ان تصير الملكية الخاصة ما يجب ان تكون: « حارسة الحرية الاساسية وعنصر قيم في تكوين النظام الاجتماعي».وهذا الموقف يسانده تطوير العالم الاقتصادي والاجتماعي : فتزيد العائدات وتزيد الاجور.وبهذا يتوصل العامل الى الاحتفاظ بقسم من ماله فيصير رويداً رويداً من المالكين. فلا نرى « كيف ينكر هذا الحق الطبيعي الذي يتأصل في العمل المجدي ويتغذى منه ، في العمل الذي هو الوسيلة الصالحة لتكوين الشخص ولتمرين مسؤوليته في النواحي العديدة ، العمل الذي هو عنصر استقرار العائلة وامتداد السلام في الحياة المشتركة » .

انتشار الملكية الخاصة

لا تكتفي الكنيسة بتأكيد الحق ذاك ولكنها تطلب بأن يعمّم خيره . فالملكية الخاصة ليست ميزة البعض ولكنها لطبقات المجتمع كلها . هذا ما تطلبه كرامة الشخص البشري وهذا ما يرمي اليه النظام الاجتماعي الذي يحترم نبل العمل .

على الجميع ان يعملوا ليصلوا الى نشر هذه الملكية الخاصة ، اذ في ايامنا تتطوّر بسرعة عظيمة الهياكل الاقتصادية وبها تصير سهلة بادرة الافراد وبها تقوم سياسة اقتصادية واجتماعية تشجع الوصول الى ملكية خاصة لخيرات دائمة كالبيت والارض والآت الصناعة والآلات الضرورية لتكوين مزرعة عائلية الخ.». والبلدان التي أمنت سياسة ترمي الى السهر على الملكية الخاصة هي تشهد بالنتائج الحسنة .

الملكيّة العامّة

او هذا يقودنا الى محو الملكية العامة ، الى ان نرفض للدولة والمؤسسات العامة ملكية شرعية على خيرات الانتاج ؟ كانت الرسالة « اربعون سنة » قد اكدت ان هناك خيرات انتاج تصير خطرًا للخير العام اذا ظلت في ايدي افراد. ولذا فالميل اليوم الى امتداد الملكية العامة . ومـا ذلك الا نتيجة التطوير الاقتصادي والاجتماعي في عالمنا الذي ينظر بازدياد الى الدولة ويعطيها ميزات وصفات اوسع . فالبابا يوحنا يسجّل هذا كلّه . لا يدين ولا يمدح ولكنه يؤكد بعض المبادئ التي يجب ان تحترم في امتداد الملكية هكذا الى الدولة: وبين تلك المبادئ انه على الدولة ان تترك للافراد وللمجموعات الاساسية ان تتمم ما تستطيع تتميمه بمساعدتهم على القيام بالواجب . والمبدأ الثاني هو الخير العام الذي يجبر الدولة على ان لا تمدّ سلطتها الّا في الحدود المتوجبة للخير العام: «وعليها ان لا تمحو او ان تقلّل الملكية الخاصة». ولتحقيق هذين المبدأين يأتي البابا على ذكر مبدأين اخرين عمليين: ١). ان لا يكلّف في تدبير الملكية العامة إلا الاشخاص التي تتميز بكفاءتها وبالمسؤولية امام البلاد. ٢) السهر على اعمال هؤلاء. كي لا تتكوّن دولة في قلب الدولة .

وظيفة الملكية الاجتماعية

وقبل ان ينهي كلامه على هذا يترقف البابا عندما كان قد قاله بيوس الحادي عشر من ان للملكية وظيفة اجتماعية، من ان خيرات الارض هي لاعالة البشر، من ان الخيرات الخاصة هدفها الكمال الشخصي ومساعدة الآخرين.

نعم ان الدولة اليوم والمؤسسات توسّع حقل عملها. ولكن هذا لا يتبع الملكية الخاصة من الخدمة. وما علينا الا ان نُلقي نظرة حولنا لنتبيّن أن لوظيفة الملكية الخاصة ميداناً واسعاً في التطبيق: «هناك مآسٍ عظيمة وآلام مزمنة لا تتوصل المساعدة الخيرية ان تنالها وان تداويها. ولذا فان هناك حقلاً واسعاً للعاطفة المسيحية، للمحبة المسيحية الفردية. ولنقلها صراحة فان لبادرة الفرد المتنوعة الاشكال فاعلية اكبر لخلق القيم الروحية».

هذا هو تعليم الكنيسة الاجتماعي في ما يتعلق بالملكية الخاصة. وما يهمّها في كل ذلك هو الانسان، الشخص البشري، كرامته، حقوقه وحريته. لا تريد نظاماً اجتماعياً ينتفع منه عدد يسير من الاثرياء، ان ما تريده هو نظام منفتح لاكبر عدد ممكن كي يتوصلوا الى الملكية الخاصة يسمح للجميع بحياة كريمة امينة. لا تقول بان للمالك الحق بالانتفاع بصورة انانية بماله وثروته، انما تقول بواجباته في مساعدة الغير الذين هم في حاجة، ذلك الواجب الذي لا يزول بتدخل الدولة بمساعداتها وضمانها الاجتماعي لخير الفقير. وخلاصة الكلام: تعليم عن الانسان، تعليم موجّه للانسان، تعليم يحفظ للانسان الوسائل التي تؤهله ان يظلّ ربّ حياته ومصيره.

الزراعة

لم تهتم رسالة لاوون الثالث عشر بمشكلة الزراعة والسبب في ذلك ان البابا اذاك اراد ان يضرب ضربة قاضية مذهب الاقتصاد الحرّ الذي كان يردّد ان ليس للدولة من سلطة لأن تتدخل بين رب العمل والعامل لاصلاح ما يتطلب الاصلاح وان ليس للعامل ان يشترك مع اخيه العامل لتاسيس النقابات التي تدافع عن الحقوق المهضومة. فكانت الطبقة العاملة طبقة متخلفة في البلدان الصناعية

انما تعليم الكنيسة ليس فقط للعمال . ففكر البابا يوحنا ان يعطيه الآفاق التي يستحق فيقول: « ان توالي الايام والتاريخ ليتطلب عدلاً وعدالة . وهذا العدل والعدالة يجب ان يسودا الصلات بين العامل والادارة ورب العمل ، يجب ان يسودا الصلات بين مختلف طبقات الاقتصاد، بين المناطق المتخلفة في الاقتصاد الوطني ، وعلى الصعيد العالمي يجب ان يسودا الصلات بين البلدان التي يختلف تطورها الاقتصادي والاجتماعي » .

تصوّر لنا الرسالة المناطق الزراعية كمناطق متخلفة يجب ان تساعد بشتى الوسائل . ان الخدمة التي تؤديها المناطق الزراعية تلك هي خدمة اساسية. فاذا ما امحلت هذه المناطق مات العالم جوعاً . وما ينفع الانسان ان يحسّن خدماته في شتى الحقول : عليه اولاً ان يحيا ويعيش .

وبما ان عدد سكان الارض على تزايد متصاعد ، الحق لنا ان نهمل تلك المناطق الزراعية؟ فاذا عملنا ذلك رأينا سكانها ينزحون الى الاوساط الصناعية. ولذا « فمن الضروري ان يعالج عدم التوازن بين الانتاج الصناعي والانتاج الزراعي كي لا تتخلف كثيراً حياة المزارعين عن حياة اهل المدن ، كي لا يكون للمزارعين مركب نقص ، كي يؤمنوا بانه باستطاعتهم ان يربوا شخصية وبان يغذوها وبان ينظروا الى المستقبل». وبعد ذلك تأتي الرسالة على بعض الوسائل التي تساعد المناطق الزراعية في تطويرها :

١) على كل فرد وعلى السلطات خاصة ان يساعدوا المناطق الزراعية لتحصل على الوسائل الضرورية لتطويرها : الطرق ، وسائل النقل ، المواصلات ، ماء الشفة ، السكن ، الادوية والاسعافات الطبية ، التعليم الابتدائي والمهني ، الخدمة الدينية ، الالعاب المريحة » .

٢) زيادة عائدات المزارعين بتحسين تقنية الانتاج ، باختيار المزروعات الخ. وبهذا يصير باستطاعة المجتمع الزراعي ان يستهلك كمية كبيرة من الانتاج الصناعي وان يعطي المجتمعين احسن ما بامكانه ان يحققه » .

٣) للوصول الى هذا التطوير المتوازن بين مناطق الانتاج ، يجب ان يصار الى سياسة واعية في الحقل الزراعي : الضرائب ، التسليف ، الضمان الاجتماعي ، توسيع الصناعات التبديلية ، تجديد المؤسسات». كل هذا يعود اليه البابا ويشرحه

ويلحّ على الدولة وعلى الحكومات في تطبيقه؛ انا يردّد إن المزارعين وحدهم هم الذين يعملون في تطوير الاقتصاد، في التطوير الاجتماعي، في زيادة الثقافة في الاوساط الزراعية. وبما ان المزارع يعيش منفرداً عن اخيه فلذا يدعو البابا المزارعين على تكوين شركات مهنية او نقابية او مؤسسات تعاونية: تعاونية الانتاج، والشراء والبيع والتسليف والنقل الخ.

•

اوطان غنيّة واوطان فقيرة

تعتني الرسالة البابوية في هذا القسم منها بالصلات بين «مجتمعات سياسية متطورة اقتصادياً وبين البلدان في طريق التطوير». فالموضوع اذاً يتجاوز مشكلة المساعدة الاقتصادية.

لا يتكلّم البابا على البلدان المتأخرة ولا على البلدان المتخلفة، يتكلّم على البلدان في طريق التطوير ويفضل هذه الكلمات الاخيرة على التي سبقتها. وهذه البلدان في طريق التطوير هي تلك التي فيها يموت المواطن جوعاً ويأساً. ومشكلة الصلة بين هذه البلدان وبين تلك التي تطورت هي مشكلة عصرنا الاساسية.

مبدأ المساعدة المتبادلة

يذكر البابا يوحنا في اول رسالته حق الانسان باستعمال الخيرات المادية. وهذا الحق يعلو كل حق آخر حتى حق الملكية الخاصة: «اذ ان الله وضع الخيرات لتكون في متناول الانسان حسب مبادئ العدل والمحبة»: هي العائلة البشرية التي لها السلطة لهذا الاستعمال. وكل انسان على هذه الارض يحمل ثقلاً: فهذا ثقل الخيرات وهذا ثقل قلّتها. اذ ان الفروق بين الشعوب وتوزيع العائدات العالمية هو عدوّ «سلام دائم وخصب».

طرق المساعدة المتبادلة

سمع البابا صوت الشعوب وحسرتها ومطالبتها بالعدل. فصار صوته قوياً يوبّخ: «في بعض البلدان خيرات الارض غزيرة. في غيرها نرى قسماً وافراً من الشعب يحارب الفقر والجوع. فان العدل والانسانية يطلبان ان

يساعد الاولون اولئك اذ ان هدر وضمان الخيرات الضرورية لحياة البشر يعدّ جرح العدل والانسانية ».

والبابا يعلم ان مساعدات ظرفية لا تكفي لتأسيس اقتصاد قوي متين. فانها تترك صحراء مسافات وسهولاً وانهاراً وغابات ومعادن. فالمساعدة للبلدان في طريق التطوير تتطلّب اقتصاداً منتجاً وذلك بازدياد مستمرّ يساعد الخلق في تنظيمه وتغييره وخصبه وزيادة مجد الله الخالق. وللتوصّل الى هذا فروؤس المال ضرورية وخاصة الكفاءة التقنية والعلمية والمهنية. اذ ان تخلّف بعض البلدان ليس فقط في الجوع ولا في المرض ولا في قطع الامل من الحياة ولا في الانتاج الزراعي الضيّق ولكن في بطء التطوير العلمي عند شعوب قبلت بما يسدّ رمقها وفضّلت ان تتأمل في النظريات او ان تسن لنفسها شريعة حياة عملية. فمنذ مئتي سنة كانت اميركا صحراء وقاحلة. وكانت اوروبا لا تستفيد من مواردها اكثر من الصين والهند. اليوم السفر ليس فقط تغيير البلد انما هو تغيير العصر.

لا تقرّر الرسالة انّها افضل بين طرق المساعدة. انما يمدح البابا المصارف العالمية، يمدح الافراد الذين يشغلون رؤوس اموالهم، يمدح المؤسسات العالمية والمنطقية. يمدح الدول والجماعات الخاصة التي تقدم اسعافاتها التقنية. يذكر بالخير مؤسسة F. A. O. ويشجع مبرّات المساعدات للطلّاب.

لم نزَ لمئة سنة خلت ضريبة الدخل في بلد من بلدان العالم. او سترى في المستقبل ضريبة عالمية تفرض للوصول الى كمية الثلاثة عشر ملياراً الضرورية حسب رأي الامم المتحدة لتقدّم البلاد الفقيرة ؟

روح المساعدة المتبادلة

هي اعمال تكاتف وعدل عالمي تدعو اليها الكنيسة. اليوم كل المسيحيين. ومن اسس هذه السياسة الاجتماعية الاصلية: الحكمة في البلدان التي تقبل المساعدة لتنتفع من خبرة البلدان المساعدة. لا انكسار بل تفاهم.

ثانياً — العدالة: يجب ان يتساوى التقدم الاقتصادي والتقدم الاجتماعي. على التقدم ان يكون متوازناً في الزراعة والصناعة والخدمات الاخرى المهمة.

ثالثاً — احترام البيئات: ليس هناك حلّ واحد للمشاكل. بل على التقدّم

الذي تريد البلدان في تقديمه للبلاد في طريق التطوير ان يطابق على البيئة مع ما فيها من عادات وتقاليد ومن تراكيب اجتماعية بالية الخ. على البلدان المتقدمة ان لا تفرض نفسها على غيرها من البلدان. علينا ان تعرف البلدان المتخلفة ما تريد هي نفسها قبل أن تساعدها في نيل ما هي بحاجة اليه .

رابعاً – نزاهة سياسية : مساعدة البلدان المتقدمة يجب الّا تكون للفائدة الشخصية ولفرض السيطرة عليها. فان ايام الاستعمار قد ولّت. ولذا فعلى البلاد التي تساعد ان تعطي ما ينفع البلدان المتخلفة في صعودها بقوتها في سلّم الاقتصاد والاجتماع ، « وبهذا تكون البشرية كلها قد الفت مجموعاً عالمياً اعضاؤه يفهمون حقوقهم وواجباتهم ، يعملون كاخوة في تحقيق الخير الشامل » .

فان المساعدة الخيّرة هي التي تكون ام ومعلمة الحرية في تأكيد نفسها . هذه المساعدة التي تكون الصداقات والتداول ، التقدم والرغد . . .

خامساً – احترام سلّم القيم : « لا شك في ان التقدم العلمي والتقني ، في ان التقدم الاقتصادي ، في ان تلك الخيرات ليسوا ابداً القيم الشاملة ولكنها وسائل الى القيمة المطلقة ». فان الانسان يفوق الجماعة السياسية بروحه وعقله. في قلبه عطش ، حنين ، الى الحق والخير والجمال ، يسير الى الخير الاسمى الذي لا يستطيع الزمن ان يعطيه إياه. . . فيعود البابا هنا الى موضوع الرسالة الاساسي: قيمة الانسان : « نقولها بجسرة : في البلدان المتقدمة لقد ضعف الضمير ولم يعد هناك سلّم للقيم ؛ لقد هزئ الانسان بقيم العقل ونسيها وجحدها. ان تقدم العلوم والتقنية ، ان التقدم الاقتصادي ، ان الراحة المادية لها ما يجذبها . يفتش عنها الانسان كما يفتش عن الخير المطلق وهناك الخطر الاول يدخل في المساعدة التي تقدمها البلدان المتقدمة للبلدان في طريق التطوير ، بينا في هذه الاخيرة تقاليد الاجداد احتفظت بقيم انسانية . ولذا فمن يجرح هذا الضمير عند هذه الشعوب يكون قد ارتكب جرماً اخلاقياً ».

لا عالماً شيوعياً ولا عالم رأس المال : كلاهما ظلم واضطهاد .

•

يسير العالم نحو وحدة شاملة. والكنيسة تعمل اليوم في ان تحقق هذه الوحدة هي من قبل الله تمتدّ الى الكون باجمعه وفيها تحترم المدنيّات كلها والثقافات .

هي وحدها تعطي الكون وجه الانسان . هي تتنصل من كل تفريق وانفراد وعزلة لتُصبح حسب دعوتها الاساسية ام الكون ومربية الضمائر .

زيادة السكان والتقدم الاقتصادي

هناك مأساة لم تغب عن البابا يوحنا في رسالته :« مشكلة زيادة السكان والتقدم الاقتصادي ووسائل اعالة هؤلاء السكان ان على الصعيد العالمي وان في البلدان المتخلفة » .

يتزايد عدد السكان بدرجة انه يفوق وسائل الاعالة . وخاصة في البلدان المتخلفة . فسكان العالم في سنة ١٩٦٠ وصل عددهم الى ثلاثة مليارات . وفي اول القرن التالي سيصل الى ستة مليارات . فاليوم ما يقرب من المليارين يتغذى قليلاً جداً او لا يتغذى . واذا ما اخذت الوسائل اليوم لتقديم المواد التي يملكها العالم لوصلنا الى اصلاح وتقويم الاعوجاج . ولكن هذه الموارد لن تكفي في عام ٢٠٠٠ .

لا يعود للبابا أن يعطي الحلول الوضعية لمشاكل الساعة . عليه ان يعرض المبادئ التي تحفظ كرامة الانسان وتعطي الحلول صفة انسانية . وهناك ثلاثة مبادئ : حل المشكلة الانسانية لن يكون بطرق تعاكس متطلبات الانسان الاخلاقية : « نعلن بصورة رسمية وعالياً ان الحياة البشرية يجب ان تستمر بواسطة العائلة المؤسسة على الزواج الواحد والذي لا تنفصم عراه والذي صار بارادة المسيح الإله سراً للمسيحيين ... ان الحياة البشرية مقدسة اذ انها من بدئها تتطلب عمل الله الخالق . فمن خرج على شرائع الله أهان العظمة الإلهية ، صار ذليلاً وانزل البشرية الى حضيض الذل ايضاً واضعف الجماعة التي هو فيها عضو» .

وبعد ذلك فان الله قد اعطى الطبيعة موارد غزيرة جداً وأعطى الانسان العقل والابداع كي يخترع الوسائل الضرورية لنيل الخيرات الملائمة للحياة .

وبالنتيجة فان الحل الحقيقي لمأساة الجوع هو في التقدم الاقتصادي والاجتماعي . انما يكرّر علينا البابا يوحنا ان النظام البشري هو نظام أخلاقي : ان الحرية والمسؤولية فيه تعطيان التوجيهات والحلول لمشاكل الحياة الفردية والاجتماعية

داخل الجماعات الوطنية وفي صلاتهم المتبادلة . والنظام الاخلاقي لا وجود له الا يؤسس على الله : والكنيسة هي رسولة الله المعصومة». ولدخولها في شعب ما نتائج حسنة وخيرة في عالم الاقتصاد والاجتماع ويشهد بذلك التاريخ والاختبار. فكل من يصير مسيحياً يشعر بضرورة تحسين الاوضاع الزمنية احتراماً للكرامة الانسانية ولدحض العقبات في سبيل امتداد الخير .

•

هذه هي الافكار الاساسية التي تجلت واضحة في رسالة البابا يوحنا . فكم هي تضعنا في جو ملائم روحي واخلاقي بعيد عن الجو الذي تدخلنا فيه قراءة بعض المناشير الشيوعية التي تنضح مما فيها من سم وارهاق عقول وانتصار ظلم . ففكرة البابا فكرة الكنيسة وقد حملت على وجهها علامة القداسة الدائمة لتعطي البشرية المتألمة راحة البال وقوة العزيمة ونجاح الانسان في حفظ كرامته والسهر على نبله ولقد خلقه الله على مثاله .

هذه هي الافكار الاساسية مصدر أمل وثقة . فالكنيسة ضمير البشرية تتكلم وتقوي الانسان على الانتباه قبل فوات الاوان .

هذه هي الافكار الاساسية تلقننا الكنيسة درساً صافياً مؤمنيها وتحثهم على العمل كي لا يقال ان هذا التعليم عقيم . ففي هذه الكنيسة القيم وفيها العمل الناضج وفيها الثمرة الشافية .

الآثار المطويَّة (تابع)

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

تعريف «بالخزانة النخليَّة»

قال الفيكونت طرّازي في كتابه «خزائن الكتب العربية في الخافقين» تحت رقم ١٧ من الفصل الاول من الباب الخامس من المجلد الثاني (ص: ٤٢٧ — ٤٢٨):

«أنشأ رشيد بك نخله سنة ١٩٠٦ في «الباروك» مسقط رأسه خزانة تشتمل على بضعة آلاف من الكتب العربية قديمها وحديثها، وهي على اختلاف مواضيعها تغلب فيها كتب اللغة والادب والتاريخ والحقوق وغيرها. وبانتقاله الى بيروت بعد الحرب العظمى (١٩١٤ — ١٩١٨) نقل اليها مكتبته التي تبنَّاها نجلهُ الاستاذ أمين بك نخله وزاد عليها حتى أصبحت من أهمّ المكتبات الخاصة.

«وتتضمَّن هذه الخزانة بعض مخطوطات نادرة نذكر منها كتاب «مجمع الاحزان». وهي قصائد عاميَّة نُظمت في رثاء فخر الدين المعني الثاني أمير لبنان المتوفى سنة ١٦٣٣ للميلاد.»

فيليب دي طرّازي

نسخة المطالع النصريّة

كتب محشي القاموس المحيط العلّامة نصر الهوريني في آخر هـذه النسخة بخط يده : « طالعتها واصلح تحريفاتها بقلمه كاتبه نصر الهوريني في سنة ١٢٧٦ اصلح الله حاله » . والكتاب مطبوع سنة ١٢٧٥ في بولاق .

ومن اصلاحاتـه في هامش صفحة ٧٠ يعلّق على قوله المطبوع : « وهذه أمثلة للمضموم ما قبلها – يعني ما قبل الهمزة – وهي مكسورة فتكتب فيها بصورة الياء اعتبارًا بحركتها على مذهب سيبويه في التسهيل ؛ واما على مذهب تلميذه ابي سعيد الاخفش فتُكتب واوًا في كل ما تقدم حتى في سُئل اعتبارًا عنده بحركة ما قبلها على طريقته في الابدال . يقول الفقير » وكأن الكتّاب اتّبعوا مذهب سيبويه في التي ليس بعدها ياء » انتهى المطبوع . قال في التعليق : « واتّبعوا الاخفش في التي بعدها ياء . »

ومنها ما كتبه في هامش صفحة ١٥٢ يعلّق على قوله المطبوع : « ألفات القرآن معدودة ٤٠٣٠٠ والواوات ٦٠٠٠ والياءات ٩٩٠ . فكتب في الهامش : « الذي في الحال . الالف ٤٨٧٤٠ والواو ٢٥٥٠٦ والياء ٢٥٧١٧ » .

مجموع الاحزان

في رثاء الامير فخر الدين المعني الثاني

وهو المخطوط الذي ذكره الفيكونت طرّازي في كتابه « خزائن الكتب العربية في الخافقين » (٢ : ٤٢٧ – ٤٢٨) في اثناء كلامه على « الخزانة النخلية » كما رأى القارئ في مستهل هذا المقال . و« المجموع » قصائد عامّية في رثاء الامير فخر الدين المعني الكبير المتوفى سنة ١٦٣٣ لم يذكر فيه اسماء قائليها ولكنها على الجملة من طبقة جيدة من زجلنا اللبناني القديم .

وهذا مطلع القصيدة الاولى من « المجموع » ، وهي تحت عنوان « مطلوع نواحي » :

ابدي بيشرح الاحزان   عمّا هو توقع وكان   واكتب من قلب حزنان
اشرح لكم يا اخوان

مخطوطة للشيخ سعيد الخوري الشرتوني

صاحب « اقرب الموارد » بخط يده

فيها ١ً — « عمل المناسخات بالجدول » للعلّامة ابن الهائم . ٢ً — « مجموع فوائد نحوية وصرفيّة متخذة من أجلّ كتب القوم » . ٣ً — قصيدة عنوانها « الويل » وهي قصيدة : « دع مجلسَ الغيدِ الاوانس » العلّامة الشيخ ابرهيم اليازجي الشهيرة . وقد كتب الشيخ سعيد في آخرها : « هـذه القصيدة قد ظهرت سنة ١٨٨١ وعنوانها الويل وهذه اللفظة مكتوبة بين سيفين هكذا : (الويل) » ممّا يدلّ ان الشرتوني قد نقل عن النسخة التي كتبها او طبعها يومئذٍ الشيخ ابرهيم . وليس في هذه القصيدة البيت المشهور :

والخيرُ كلُّ الخيرِ في هدم الجوامعِ والكنائس

وجاء في آخر هذه المخطوطة ما حرفه :

« علقه بيده الفانية سعيد بن عبده بن مخايل بن الياس بن يوسف بن الخوري شاهين الرامي من قرية شرتون على طبق النسخة الموجودة في مكتبة الشيخ عبد الغني الميداني في محروسة دمشق وابتدأت بنسخه في الشام وانهيته في بيروت فكان صادقاً بي قول الشاعر :

فيوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبالـــعُذيب يوماً ويوماً بالخُليصاء

فقلت حينئذٍ مفرداً :

تذكرتُ لما ان كتبتُ بأنني اموت ويبقى الخطُّ فانهمرَ الدمعُ »

ولما كانت هذه القصيدة « الويل » لم تنشر قبل اليوم لعدم وصول الايدي اليها ، وكان كثيرٌ من الناس يتشوّقون الى نصّها الصحيح فقد رأينا ان ننشرها حفظاً لهذا الاثر اليازجي الفريد من الضياع ، وتبرئةً لذكراه مما دُسّ في القصيدة من أبيات لا وجود لها في الاصل ، وعدد ابياتها ستّون بيتاً . وهذا هو الاصل بحرفه عن المخطوطة المذكورة (صفحة ٤٣) :

دعْ مجلس الغيد الاوانس وهوى لواحظها النواعس

واسلُ الكؤوس يديرها رشأٌ كغصن البان مائس

ودع التنعّمَ بالمطاعم والمشــارب والمــلابس
ايّ النعيم لمن يبيت على م بساط الذلّ جالس
ولمن تراهُ بائساً ابداً لذيل الترك بائس
ولمن أزمّتهُ بكف عــــبراهُ يُظلم وهو آنس
ولمن غدا في الرقّ ليـــس يفوته إلا المناخس
ولمن تُبــاعُ حقوقه ودماؤه بيع الخسائس
ولمن يرى اوطانــه خرباً واطلالا دوارس
كُسيت شحوب الثاكلا ت وكنّ قبلاً كالعرائس
عج بي فديتك نادباً ما بين ادرسها الطوامس
واستنطق الآثار عمّا كان في تلك البسابس
من عزّةٍ كانت تذلُّ لها الجبابرةُ الاشاوس
وكتائبٍ كانت تهــا بُ لقاءَ سطوتها المتارس
ومعاقلٍ كانت تُعزّزُ بالطــلائع والمحــارس
ومــداشٍ غنّاء قيــد كانت تحفُّ بها الفرادس
اين المتــاجرُ والصنا ئعُ والمكاتبُ والمدارس
بل اين هاتيك المرو جُ بها المزارعُ والمغارس
بل اين هاتيك الالو فُ بها فسيحُ البرّ آنسُ
هلكوا فلست ترى سوى عِيرٍ تثورُ بها الهواجس
بيدٌ صوامت ليس يُســمعُ في مداها صوتُ نابس
إلا رياحَ الجور تكـــسحُ وجهها كسح المكانس
امست خرائب لا تُرى إلا بابصار نواكس
ضحكت زماناً ثم عا دت وهي كالحةٌ عوابس
غضبت على الانسان واتخــذت عليها الوحش حارس
فاذا اتاها الانسُ را حَ يدوسها دوسَ المخالس
هذي منازلُ مَن مضوا من قومنا الصيد القناعس
دُرست كما دُرسوا وقد ذهب النفيس مع المنافس
ماذا نؤمّلُ بعــدهم إلا مقارعة الفوارس

فاليكمُ يا قومُ واطّرحوا المدالس والموالس
وتشبهوا بفعال غيركمُ م من القوم الاحامس
بعصائبٍ انفوا فجادوا بالنفوس وبالنفائس
هبّت طلائعهم يلبيها كلُّ صنديدٍ ممارس
تركوا جموع الترك تعصفُ فوقها النكبُ الدوامس
ملأوا البطاح بهم فداسوا على الجماجم كل دائس
فخذوا لانفسكم مثال اولئك القوم المداعس
فالترك قومٌ لا يفوزُ لديهم إلا المشاكس
أوَ لستمُ العرب الكرا م ومن همُ الشمُّ المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم نارًا تروّعُ كلَّ قابس
وعليهم اتحدوا فكلكمُ لكلكمُ مجانس
يمشون بين ظهوركم تحت الاطالس والطيالس
دبّت عقاربهم اليكمُ بالمفاسد والدسائس
في كل يومٍ بينكم يصلي التعصبُ حرب داحس
يلقون بينكمُ التباغضَ والعداوةَ والوساوس
نثروا اتحادكمُ كما نُثرت من النخل الكبائس
ساد الفسادُ بهم فسادَ التركُ فيه بلا معاكس
قوم لقد حكموا بكم حكمَ الجوارح بالفرائس
وعدت عوادي الغدر تصرفكم بانياب نواحس
كم تأملون صلاحهم ولهم فساد الطبع ماتس
ويغركم برقُ المنى جهلًا وليلُ اليأس دامس
أوَ ما ترون الحكم في ايدي المصادر والمماكس
وعلى الرشى والزور قد شادوا المحاكم والمجالس
والحق اصبح عند من ألِفَ الخلاعة والخلابس
عثّت قبائحهم فأمست لا تحيقُ بها الفهارس
نارٌ بها طاب التبسُّمُ للوغى والوقتُ دامس
وحلا بها بذل الدماء فسفكها للجور حابس

برحَ الخفاء ومن يعشْ يرَ ما تشيبُ له القوانس

وفي الصفحات الاخيرة من هذا المخطوط مقاطع وتواريخ شعرية ، من نظم الشيخ الشرتوني ، ومذكرات خاصة به .

ومن تلك التواريخ الشعرية هذا التاريخ لوفاة الشيخ ماضي دميان المعوشي سلف فضول البستاني شقيق المطران بطرس الشهير :

دعاه الموت عن كثبٍ فلبّى وسار الى حماه بلا اعتراضِ
ولو سُئل الملائك عنه أرّخ لقيل لجنّة الفردوس ماضي

وهو محفور في بلاطة كبيرة فوق الضريح الكبير المقام للشيخ ماضي في مجدل معوش ، تحت السنديانة الدهريّة ، المشهورة في تلك القرية ، عند آثار دار البطريركية المارونية وكنيستها ، التي شادها في سنة ١٦٠٩ المثلث الرحمات البطريرك يوحنا مخلوف ، وجدّدها المثلث الرحمة البطريرك اسطفان الدويهي[1].

والشيخ ماضي كان في عصره رجل الوجاهة والثروة في مقاطعة العرقوب الشمالي من الشوف . أسس بالقرب من داره في مجدل معوش معملاً للحرير ، لا تزال آثاره باقية ، واشترى فيها له ولاخوته سراي الامير عباس شهاب المشهورة ، ولا تزال مسكناً لابنائهم وأحفادهم الى اليوم .

وهو والد المرحوم سليمان الذي كانت نسخة « ديوان نقولا الترك » ، التي طبعها الاستاذ فؤاد افرام البستاني سنة ١٩٤٩ ، من جملة ذخائر مكتبته في سنة ١٨٨٤ . وقد ورد ذكر سليمان في الصفحة « يب » من مقدمة النسخة المطبوعة . وسليمان هو الابن الثاني للشيخ ماضي أخوه الاكبر قبلان ، واخوه الاصغر نعمان . والثلاثة من تلامذة نسيبهم الشيخ عبدالله البستاني إمام اللغة في وقته ، في مدرسة الحكمة ، وقد هاجر الثلاثة الى البرازيل وتوفى منهم قبلان

١) انظر الفصل الممتع المفصّل الذي كتبه الاستاذ أمين بك نخله في مجلة المشرق (١٩٦٥ : من صفحة ٥٦ الى صفحة ٧٣) على طي بساط الاسلام في مجدل معوش سنة ١٦٠٩ وتروح المسلمين عنها ، وشراء النصارى لها ، ونزول البطريرك يوحنا مخلوف فيها ، وعمارة للدار البطريركية والكنيسة التابعة لها .

وهو السياسي الخطيب المشهور ، الذي لعب دورًا سياسيًا في البلاد البرازيلية ، وانتخبه المجمع العلمي فيها عضوًا برتبة « كورونيل » الرفيعة .

وهؤلاء الاخوة الثلاثة هم اخوال الاستاذ أمين بك نخله ، صاحب هذه « الخزانة » . وهكذا ترى انه ، حفظه الله ، يرجع بعرق متين الى القلم والسياسة والزعامة في قومه ، من كل جهة .

والكورونيل قبلان هو الذي رثاه فقيد لبنان رشيد بك نخله بقصيدته العصماء التي اولها :

وحقك يا سرو البرازيل لا تمل مع الظل الا عند قبر غريب
جعلنا التحايا خلفه وأمامه رياحين والاشواق نفحة طيب

الاعداد الرضيّة في المسائل الفرضيّة

للبطريرك العلّامة مكسيموس مظلوم الحلبي

عدد صفحاته ٧٥ صفحة بقطع الثمن من خط السيد غريغوريوس عطا رئيس اساقفة حمص وحماه للروم الكاثوليك جمع فيها اصلاحات طبعتي هذا الكتاب المطبوع اولًا في القسطنطينية سنة ١٨٤٠ في عهد مؤلفه ، والمطبوع ثانيًا في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٦٣ .

مكاتيب ارملة الامير بشير الشهابي الكبير

الى عباس بك نخله

من مجموع الرسائل التي بعثت بها « الست » حسن جهان ارملة الامير بشير الكبير الى عباس بك نخله احد اجداد آل نخله ، منها هذه الرسالة التي ننقلها بحروفها . وهي تدل على ان عباس بك الذي كان والده فارس بلكباشيًا قبله في عهد الامير قد تربى في حضنه . وهذه هي الرسالة :

جناب الاجل المحترم دام بقاه ،

غب افتقاد خاطركم والاستفحاص عن كمال اعتدالكم ان شاء الله تكونوا بتمام التوفيق . انه بابرك آن ورد تحرير جنابكم وتلوناه وحمدناه تعالى حيث انبانا عن صحتكم وجميعما افدتموه بلسان محبنا الشيخ خليل ايليا فهمناه ايضاً

ونحن بكل الاحوال نأخذ كلامكم حجة ونحن لسنا مغيرين بقولنا اذا مشيت الشروط بموجب طلبنا كوننا لا نعرف تمشيتها الا من جنابكم وكما يتأكد لكم من ضميركم اننا على القرب والبعد متشكرين من حسن مزاياكم. واجتهادكم مما به استمالتنا كوننا محققين حفظ جنابكم لحقوق تربية المرحوم وبناء على هذا يكون ايثاقنا بكم كلي. هذا مما اقتضى ترقيمه راجين على الدوام ورود التطمينات عن صحتكم ودمتم ٢٥ ك٢ سنة ٧٣ .

محبه مخلصه

(محل الختم) حسن جهان شهاب

مطبوعات الحكومة اللبنانية

في صدر عهد المتصرفين

ومما يوجد في المكتبة من النفائس النادرة مجموعة مطبوعات الحكومة اللبنانية لمدارسها الرسمية وذلك سنة ١٨٧٣ وهي مطبوعة في بيت الدين بالمطبعة اللبنانية . ومن تلك الكتب كتاب الفرائض السنية في ايضاح الاجرومية تأليف « جرجس صفا ابي عكر » ومختصر تاريخ الدولة العثمانية ترجمه عن التركية « ابراهيم اديب مترجم قلم التركي في متصرفية لبنان » وكتاب علم الحساب تأليف منصور باحوط .

مخطوطة مختصر تاريخ لبنان

للشماس العينطوريني

وهي منسوخة سنة ١٨٥٥ بقلم « جرجس صعب من قرية المعلقة من معاملة المزروع » (كذا) بخط نسخي جيد .

وفيها «تاريخ اصل طوايف مثل امرا ومشايخ وغيرهم». وهو في هذه النسخة من الصفحة ٣٦ الى الصفحة ٥٤ .

وفيها ايضاً «رسالة المطران يوسف مارون الدوجي» التاريخية المشهورة . وهي في النسخة من الصفحة ٨٧ الى الصفحة ١٠٥ .

الكواكب السنية بشرح القصيدة المقرية

وهو مخطوط من تأليف الشيخ احمد الادهمي الذي تجد ترجمته في الصفحة ١٦٩ من الجزء الاول من «سلك الدرر» للمرادي .

وقد ذكر العلّامة الاب شيخو في صفحة ٤٩٦ من السنة ٢٣ (١٩٢٥) من مجلّة «المشرق» ما يأتي :

«وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المقريّة للأدهمي — Mss de Paris 3245, FF. — » اي ان من هذا الكتاب نسخة في مكتبة باريس الاهلية تحت العدد المذكور .

وقد ذكر هذا الكتاب بهذا الاسم في الصفحة ٣١١ من السنة السابعة (١٩٢٧) من مجلّة المجمع العلمي العربي، وذلك في مقالة للعلّامة الشيخ المغربي عن رحلة للادهمي المذكور عنوانها : رحلة الى حلب والشام في سنة ١٧٣٢ مسيحية (١١٥٠) هجرية .

ومن نفائس المعلومات الواردة في تضاعيف هذا الكتاب ما جاء عن الأبدال في لبنان . قال في صفحة ٢٩٣و٢٩٤ ما حرفه :

«وفي حديث احمد الأبدال اربعون رجلًا كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلًا يُسقى به الغيث في المَحل ويُنتصر بهم على الاعداء . ويُصرف عن اهل الشام بهم البلاء والعذاب . ومسكن الابدال جبل لبنان وهو متصل بحمص ودمشق . قال الشاعر :

وجاورْ رحابَ الشام لبنان انّها معادنُ أبدالٍ الى منتهى العَرَجْ [1]

والجبال الشامية لم تزل متعبدات الانبيا والاوليا ومحلَّ مناجاتهم ومواطن الأبدال وبها فواكه كثيرة والابدال يتقوتون به وبالسمك . . . »

وقد نشرت مجلة «المشرق» في تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ المقال التاريخيّ الممتع الذي كتبه الاستاذ امين بك نخله في وصف مخطوط «الكواكب السنيّة» هذا تحت عنوان «حول

---

١) كذا في المخطوط . والذي في «المضاف والمنسوب» للثعالبي (صفحة ١٨٦) :

وجاورْ جبال الشام لبنان انها معادن أبدال الى منتهى الدَرَجْ

قال هناك في الحاشية على هذا البيت : «الدرج بفتحتين الانعطاف والميل» .

مخطوط » . وفي هذا المقال من الاستطرادات التاريخية والآثار الأدبية ما استغرق نحوًا من ست عشرة صفحة من المجلة ، وأشير فيه الى نحو من خمسين مرجع تاريخي او أدبي ، حتى لقد استطاله العلّامة الشيخ عبد القادر المغربي على ما في المقال من جواهر ونوادر فكتب الشيخ المغربي بذلك الى الاستاذ نخله يقول :

« اطلعت في المشرق على المقال فاستحسنت تنسيقه واستغزرت فائدته واكبرت جمع مواده وتنبيد جواده . غير اني استطلت المقال وليس موضوعه سوى وصف مخطوط . فقد تضمن زهاء ست عشرة صفحة، واذا ثلثها في وصف المخطوط وثلثاها في استطراد الى خبر رجل من رجال التاريخ اللبناني . واذا الاستطراد في صلب المقال لا في آخره . ولو جاء خبر الشيخ ابن ميمون في آخره لهان الامر ولقلنا : ذنب طاووس . او ذيل عروس . وهذا ما حملني اتمنّى لو قسمتم مقالكم الى مقالين في موضوعين مختلفين» الى آخر كلام العلّامة المغربي في رسالته التي نعدّ من أطرب الرسائل الاخوانيّة واسناها لغةً واجملها أُسلوبًا .

سلوان الشجي في الرد على ابراهيم اليازجي

ومن نوادر الكتب المطبوعة العزيزة الوجود هذا الكتاب ، من نفائس الخزانة . وهو تأليف « اللبيب اللوذعي الاديب الالمعي مخايل افندي عبد السيد المصري معلّم الانكليزية بمدرسة الاميركان بالقاهرة » . وهو مطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٢٨٩ هجرية ، اي سنة ١٨٧٢ مسيحية . وهذا الكتاب ولا ريب هو من قلم العلّامة احمد فارس الشدياق يردّ فيه على مناقشة العلّامة الشيخ ابرهيم اليازجي له في مجلة الجنان سنة ١٨٧١ ، وانما الشدياق تستّر وراء اسم مخايل المنتحل . ولا يخفى ما في قوله عنه انه معلم اللغة الانكليزية ، من التهكّم في مثل هذا المقام.

ومن ابحاث هذا الكتاب « في محيط المحيط . في ترجمة ابرهيم اليازجي . في تخطئة مقامات ناصيف ابي ابرهيم . في لفظة الفحطل . في نبذة من سرّ الليال . في تأليف سرّ الليال . في مدّة تأليف كتاب الساق على الساق الخ . »

رد الشهم للسهم

العلامة الشيخ يوسف الأسير

وهو ايضاً من المطبوعات العزيزة الوجود . طبع سنة ١٢٩١ هـ في مطبعة الجوائب . وقد تضمّن ردود العلامة الاسير على العلامة الشرتوني صاحب اقرب الموارد في انتقاده كتاب « غنية الطالب » للعلامة الشدياق .

ردّ السهم عن التصويب وابعاده عن مرمى الصواب بالتقريب

للعلّامة الشيخ ابراهيم الأحدب

من مطبوعات الجوانب النادرة اليوم . طُبع سنة ١٢٩١ هـ وموضوعه ايضاً في الردّ على العلامة الشرتوني في انتقاده كتاب (غنية الطالب) المذكور .

شجرة نسب مشايخ بيت الهاشم في العاقورة والباروك

عن مسوَّدة بخطّ البطريرك العلّامة بولس مسعد

وهي شجرة لنسب المشايخ آل الهاشم في العاقورة وفرعهم آل الشيخ نخله في الباروك الذي هو جدّ اصحاب هذه المكتبة .

والشجرة منقولة عن اصل بخط المؤرخ اللبناني الثقة البطريرك مسعد موجود في مكتبة بكركي درج ٥١ تحت عدد « Ter » ٣٨ و٣٩ . وقد رتَّب البطريرك مسعد هذه الشجرة على النسق الحديث المتَّبع في تنسيق شجرات النسب في هذا العصر مما يدلّ على مقدرة مؤرخنا الكبير في هذا النوع من التاريخ .

وجاء في هذه الشجرة ما يُثبت اتصال الدم الخازني بالدم الهاشمي على عدَّة مرَّات ، وذلك لما ورد فيها من ان ولدين لهاشم الثاني ابو نصر وابو ضاهر هما من والدتين خازنيتين . وهذا يُثبت ما ذكره مؤلّف تاريخ العاقورة في صفحة ٥١٩ قال :

« ادريس بن هاشم كان شجاعاً تزوج بابنة الشيخ نادر ابن ابي نصر ابن ابي قانصوه الخازن كما هو بيّنٌ من الاوراق القديمة فولدت اولاداً منهم ديب وبنات تزوجت احداهن بالشيخ هيكل الخازن والثانية بالشيخ صالح بان الخازن.»

وقال في صفحة ٥٢٩ :

« جَدُّ هذا الفرع ضاهر ابن الشيخ ايوب الشماس الهاشم وكانت زوجهُ من بنات الخازن كما تذكر التقاليد وقد كُني بابي نصر . »

ومما اورده العلامة مسعد في هـذه الشجرة : ان المشايخ الهاشميين الذين سكنوا الباروك بعد جلائهم عن العاقورة أوَّلهم ناصيف ، عـلى حين ان شجرة نسب آل نخله التي رأيناها في دار الاستاذ امين بـك وهي قديمة العهد ، تذكر

نخله الاول وناصيف الثاني. فيظهر ان المسئلة مسئلة تقديم وتأخير في ايراد الاسماء. مما لا يُنقص من قيمة شجرة البطريرك في التدقيق.

مخطوطة لغوية للشيخ سعيد الشرتوني

صاحب «اقرب الموارد»

وهي بقطع الربع تقع في ٣٥ صفحة، من خط العلّامة صاحب اقرب الموارد كتبها سنة ١٨٨٣ وفي اولها «يحتوي على بعض قصائد وقصص نفيسة مشروحة.» والشرح للشيخ الشرتوني يظهر عليه اصلاحات وتنقيحات كثيرة. وفي كل أول قصيدة نقش خطيٌّ ملوَّن على النسق القديم.

ومن محتوياتها: قصيدة مؤيد الدين الطغرائي المعروفة بلامية العجم ثم شرحها. وقصيدة ابي الحسن الانباري في رثاء ابي الطاهر محمد ابن بقيّة وزير عزّ الدولة ابن بويه التي اولها: علوٌّ في الحياة وفي الممات. وقصيدة جمت ١٩ بيتاً من الشعر القديم اعربها الشرتوني اعراباً مستفيضاً يدلُّ على تضلعه من علمي الصرف والنحو.

مخطوطة لغوية ثانية

للعلّامة الشيخ سعيد الشرتوني

صفحاتها ٥٨ صفحة بقطع النصف على ورق عادي صدَّرها بكتاب في النحو سمّاه: «مرمى الطلبة في اجراف الأعقبة» واولها:

«الحمد لله الذي افاض على الانسان اعذب آلائه وغمره بالاحسان ووهبه جناناً وجعل له ترجماناً وميّزه بالنطق عن سائر الحيوان وامر الكلّ بطاعته ما عدا الزمان. احمده على نعمه اذ قد بلّغني درجة بها اعلم قدر الدَّين عليَّ لابناء وطني كرماً واطفاً وغيرةً لا تطيق وصفاً واذ علمت قصوري جأرت لربي بالدعاء ان يثيبه عن ابن عبده[1] خيراً لاني لست على الوفاء قديراً ... الخ.»

وتحتوي ايضاً على كتاب للشرتوني اسمه: «الاسماء والكنايات لبعض الحيوانات» وهو على طريقة فقه اللغة للثعالبي. وهذا اوّله:

١) يورّي هنا باسم والده – راجع ما تقدَّم في هذا الكتاب عن نسبه.

إبس — ذكر السلاحف .
الأطوم — السلحفاة البحرية الغليظة الجلد .
الأصلة — حيّة صغيرة او عظيمة تُهلكُ بنفخها .
أتان — حمار .
ابن آصى — اسم طائر .
اليأفون — فرخ الدرّاج وهو طائر، يُطلق على المذكر والمؤنث .
إجل — بقر الوحش جمعها آجال .
أجل — قطيع من بقر الوحش، والجماعة من الناس .
الآجام — الضفادع .
الأذنة — الغنم .
الأرتة — الشعر الذي في رأس الحرباء .
الأرت — من الغنم الأرقط والأنثى أرتاء .
الإراخ — بقر الوحش .
الأرخ — الذكر من بقر الوحش والأنثى أرخة .
الأرخي — الفتيّ من بقر الوحش .
أرخية — ولد الوعل أو ذكر الأروي، وجنس من بقر الوحش .
أرزت الحيّة — بمعنى انقبضت وتجمّعت ثم وثبت .
الأرضة — دودة تنقر الخشب ج أرَض .

وفي آخر كتاب الكنايات هذا فصولٌ عنوانها : «المخصّلات» وهذا مثال منها :

«الشريف مخصّلًا»

ذو أثال — اي صاحب مال مكسوب من المجد والشرف .
مؤرّض الكلام — مهذّبه ومشذّبه .
صحيح الأديم — اي صحيح الأصل والعِرض .
مُؤدَم — اي حاذق .
أفِقَ الرجل (يأفق أفقًا) — بلغ النهاية في الكرم والعلم والفصاحة وجمع

الفضائل . فهو آفق وأفيَق . مؤنّثة بالتاء .

أَسَرَه الله — أي خلقه ذا قوة وشدَّة في الخَلق والخُلق .

تآسَّ أباه — أي أشبهه في شمائله واخلاقه . ومثلها هو على آسال من ابيه . أي على شبهٍ من أبيه . لا واحد لها .

تأسّن اباه — مثل تآسَّ السابقة .

ويلي هذا الكتاب ، مقامات للشرتوني جرى فيها على اسلوب العلّامة اليازجي الكبير صاحب مجمع البحرين وهي تدور على عادات اللبنانيين في قراهم ، فمنها المقامة الديرية نسبةً الى دير القمر ، والمقامة البيتدينيّة نسبةً الى بيت الدين ، والمقامة المعوشيّة نسبةً الى مجدل المعوش وهلمّ جرًّا . أمّا الراوي في هذه المقامات الشرتونيّة فاسمه هجس بن مقعار . وقد اخذ الشيخ على نفسه في شرح هذه المقامات ان يورد بعد كلّ مثلٍ فصيحٍ في المتن ، ما يقابله من الامثال اللبنانية العاميّة .

والى القرّاء أوّل المقامة الديرية :

روى هجس بن مقعار قال : هجرني الخُلّان . وجفاني السلوان . فعزمت في الضجر على السفر . وبرزتُ مفتشاً عن صاحبٍ لي . كان يلذُّ به جمع شملي . فبعدما اطلقت في السير اقدامي . لمحت شخصاً قدّامي . يخفق في السير . أخفَّ من طير . فلما رأيت من فوتي . اسمعته صوتي . وقلت الى اين خاطرٍ . يا شاطر . قال الى الدير . منبع الخير . قلت وما الذي عنّاك الى هناك . قال : اودية بها مصيّدة . ومقانص جيّدة .

مجموع خطي

عن مجامع خطيّة قديمة في مكتبة دير الشير

مجموع خطي منقول باختصار عن مجموعة خطية قديمة في دير الشير طبقة ٢٣ عدد ١٣٩ ، وفي هذا المجموع صفحة ٣ قال الشيخ سلمان الخازن يؤرخ وفاة الامير منصور شهاب :

قضى الشهابيُّ مصباحاً يومَ مني الى لقا ربّه والقلبُ مسرورُ

في يوم نقلته أرّخ وطاهُ بها قد فاز في انعم الرحمان منصورُ[1]

كذا بلفظها.

٢

مجموع خطي منقول باختصار عن مجموعة خطية في دير الشير المذكور طبقة ٢٣ عدد ٣٦ . وقد جاء في آخر النسخة النخلية :

جاء في آخره :

« وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك نهار الاحد في أوايل شهر جمادي الاول من شهور سنة تسعة وتسعين بعد الالف للهجرة وهو باسم مالكه الشيخ ابو نوفل نادر ابن الخازن من عجلتون كسروان ودعينـا لصاحبه بالبقا وعلو الارتقا امين يا رب العالمين والحمد لله وحده . »

وجاء في المجموع النخلي صفحة ١٧ ما يأتي نقلاً عن المجموع الشيري :

« ومن قول بعض الشعراء في آل معن :

ان كان بني العبَّاس سادوا على الورى سادت بني معنٍ على الاسيادِ

وتباشرت ايامهم حـتى غدت صيـدا بهم تزهو على بغدادِ

وفي آخر هذا الكتاب :

« بسم الله الحي الازلي وهو ثقتي ورجايي واليه انيب . لما كان في تاريخ سنة اثنين وثمانين والف للهجرة[2] ارسل حضرة عـالي الجناب الملك لويس

---

١) في كتبنا مجموعة خطية بقلم المرحوم القس جرجس منـاسا النسطاوي صاحب كتاب « الجدول الصافي في العروض والقوافي » وأحد ابنـاء رهبانيتنا اللبنانية المارونية ، ضمَّ اليها من هنا وهناك ما راقه واستحسنه من النبذ والاشعار الخ . وقد رأينا فيها يتبين من الشعر للشيخ سلمان الخازن قالها في مريم العذراء ، مصدَّرين باسمـه عارياً من لقب «الشيخ» . والبيتان :

علوتِ مريم العـذراء شأنًا على كلّ البرانس والبرابسْ

وحزتِ انعم الخيرات طرًّا فليس لكِ مثيل ولا مقايسْ

٢) ١٦٧١ مسيحية .

عطاالله[1] سلطان فرنسا المعظم بـين ملوك المسيحيين الى جميع بلدان الاسلام رجل عالم افرنجي نمساوي من (هنا كلمة غير مقروءة) اسمه (هنا بياض في الاصل) لاجل مشترى كتب دواوين الشعراء وتواريخ وفي علم النحو والهندسة والفلك والطب ومن جميع الكتب الذي تتوجد قاطبة بجميع الالسن العربي واليوناني والسرياني والتركي والعبراني وكتب له بذلك دفتر عدة اسامي الكتب ووصاه واكد عليه من غير المكتوبين معه في الدفتر مها وجد كتب يشتري باي ثمن كان . وكتب له اوامر شريفه الي جميع القناصل الفرنساويه الذي في جميع الممالكات ان مها احتاج وطلب منهم دراهم يعطوه ويعطيهم بها المرسال المذكور تمسكات . وتوجه من مدينة باريز وصل الى قبرص اشترى مقدار مائة وثمانين كتاب ومنها اتجه الى حلب اشترى نحو مايتين كتاب . ومنها اتجه للشام واشترى جانب كتب . ومنها توجه الى بلاد مصر حتى يدور مدنها كلهم ويشتري منهم وبعده بيعاود الى دير طورسين ويشتري ومنها بيفوت الى اسلامبول وجميع المدن التي في يد العثمنليه . ومنها بيفوت لبغداد وبلاد العجم .

وهذه اسامي الكتب الذي مكتوبين معه في الدفتر المذكور . وانا الفقير الى الله سبحانه وتعالى بلنصر بن نادر بن خازن بن ابراهيم بن سركيس (كذا) الخازن لمّا قيدته بهذه الدفتر نصخته في هذه المجموع .

ديوان حافض (كذا) .

ديوان المتنبي :

وشرح ديوان المتنبي .

كتاب قدح الزند ابو العلا المعري .

كتاب معجز احمد ابو العلا المعري التنوخي وهو في شرح ديوان المتنبي . —

ديوان حفيظ (كذا) مع شرحه .

---

[1] هو الملك لويس الرابع عشر الشهير الذي ازدهرت الآداب والعلوم في فرنسا على عهده . وانما نعته الكاتب الخازني هنا بعطا الله جريًا منه على ما كان يُنعت السلطان العثماني يومئذٍ بالقاب منها : ظلّ الله في الارض . وليّ نعمة العوالم . حامي السلم . ماحي الظلم . وهلمّ جرًّا .

ديوان فخر الطرسوسي وهو سراج الامراء .
كتاب في علم الشعر .
كتاب الزهير (كذا) وهو شعر قديم .
كتاب محمد فتح الدين في علم الشعر .
كتاب المنّد (كذا) في محاسن الشعر وآدابه .
كتاب بن حامد في علم الشعر .
ديوان بهاء الدين الخزرجي .
ديوان احمد ابو ذرنش .
كتاب ابن دقيقي .
ديوان ابو العباس .
ديوان شهاب المنصوري .
ديوان ضافر بن قاسم (كذا) .
ديوان سعوذي .
ديوان بن مكانس .
ديوان محمد ابو الفتح بن عبدالله وهو مشهور مثل ديوان المتنبي .
كتاب يوسف السفلي (كذا) .
ديوان بن احمد الاصبهاني جامع الشعرا قديمي (كذا .
ديوان سحاق التيمي .
ديوان ابن حسن النواريري وهو ديوان باجمعه واختص بدوبيت .
ديوان ابو التامي في جدال الشعرا .
كتاب بن برق .
ديوان بهاء ازدي (كذا) .
ديوان سيف الدين المشد .
ديوان شربي ابو سيربوس .
ديوان شهاب الدين حجازي .
ديوان القيراطي .
ديوان ابو ريقة الدماميني .

ديون عبد الثافر .

ديوان نسيب بن ريح .

ديوان ابي نواس هزلي .

ديوان بن رقق بن الدريدي وهو ايضاً هزلي .

ديوان بن هاني الاندلسي .

ديوان ابو العلا المعري التنوخي النعماني .

ديوان صفي الدين الحلي .

كتاب ديوان ابو الفوارس بن الخازن . »

قال في المجموع النخلي . « قال هنا في مجموع دير الشير :

« ويلي هذا الجدول اسامي الكتب في علم الرياضة ثم جدول كتب في الفلسفة ثم جدول كتب في علم الفلك ثم جدول كتب في الهندسة ثم جدول كتب في الطب . »

٣

سلافة الحاسي في مناقشة دساسي[١]

للعلّامة الشيخ ناصيف اليازجي

عن مخطوطة دير الشير طبقة ٢٤ عدد ٥٧ وهو بقطع الربع . ألفه اليازجي الكبير في انتقاد المستشرق الفرنسي الشهير العلّامة سلفستر دساسي (١٧٥٠ — ١٨٣٨) في شرحه لمقامات الحريري . والمخطوط هو بخط اليازجي ناصيف . قال في اوله :

« بسم الله خير الاسماء . أمّا بعد حمد الله حمدَ مستحقٍّ على كماله والائه والصلوة والسلام على انبيائه واوليائه . فانني قد وقفت على كتابكم في شرح المقامات الحريرية ايها السيد الكريم فرأيته والحقُّ أولى ان يُقال اغروبة بديعة تشهد لكم بالفضل والبلاغة الى ما لا مزيد عليه ولا منتهى اليه . فلو ادركه الحريري لرأى منه ما لم يخطر له ببال ولو تُلي على تربته لاهتزّت له فكادت

١) راجع ايضاً ما كتبه العلّامة الشيخ الشدياق في كتابه : «الساق على الساق» «ذنب الكتاب» انتقاداً لاغلاط ابيات الشواهد في مقامات الحريري التي طُبعت ثانية بعد وفاة دساسي بتصحيح المستشرقين رينو ودرنبورغ .

تمور ذات اليمين وذات الشمال فايقنتُ هنالك أنَّ من البيان لسحرًا وأنشدت شعرًا :

يا جامعاً أوعى الشروح كتابُهُ أشواكَ من يوم القيامةِ أجمعُ
لك في الروايةِ والحديثِ غرايبٌ فأبوكَ عبَّاسٌ وجدُّكَ أصمعُ
وقد انتهيتَ الى الذي لا ينتهي بَصَرٌ اليه وليس فيه مطمعُ
فرأيتُ وصفَكَ تَرْكَ وصفكَ مقصرًا ورأيت عذري ان يُقال فتسمعُ

غير اني قد عثرت فيه على شوارد لم تنطبق على قياس اللغة فانكرتُها وحملت بعضاً منها على جهل الكاتب وان كنت في ريبٍ من وقوفكم على طبع الكتاب او مراجعتكم اياه بعد الفراغ . وعلى كلا الوجهين قد اجريتُ هذا البعض على علاته فاعرضتُ عنه ولم اتعرَّض له وحملت البعض الآخر على غفلة طرأت إمَّا منكم لغرابةٍ بقيت عليكم في وجه اللغة وان كنتم قد اصرفتم فيها ما شاء الله من الزمان فانها تيهٌ يتيه به الدليل وإمَّا مني لضعف الروية او قصر الرواية . وعلى كلا التقديرين قد علَّقتُ هذه العبارات بهذه الوريقات لعلّها تنبهكم ان اصابت او تفيدني ان اخطأت :

هل كتابي اليكَ إلَّا غرورٌ غير انى حسدتُه بلقاكا
يستحي منك ان تراه وفيه ألفُ عينٍ ويستحي ان يراكا

قد تطفَّلتُ به على لطفك البديع وبه ما بي من المهابة لولا جسارة عبثت بي فاطمتْها على شريطة ان يكون كتابي كتاب طالبٍ ليستفهم لا استاذ يعلّم وإلَّا فما تعرُّضي لامر يقال لي فيه : تحكَّكت العقرب بالافعى واستنَّت الفصال حتى القرعى من قولي لنفسي ربَّ عقم اقرُّ للعين من رجعي بخفَّي حُنين . واذا تقرَّر هذا فاقول . . . »

وجاء في الصفحة الاخيرة من هذا الكتاب :

« قال كاتبه الفقير ناصيف اليازجي البيروتي هذا ما علَّقناه ممَّا انكرناه في كتابكم ولم نستقص في تعقُّبه استقراء من حرفٍ الى حركة يتوهم الإخلال فيها طغيان فكر او قلم . هذا واني استوهبكم هذه الجسارة التي لست كفؤًا لها والتمس منكم الافادة في ما لم (هنا كلمة غير واضحة) والتسليم في ما لم تنبهوا اليه . واعيذكم من ان تقولوا هكذا وجدنا في ما نقلنا عنه فيكون لكم

طبقة ناسخ لا علم له بعمله وليس هذا من شأنكم اعزه الله. ثم التمس ان لا تتخذوا هذه الرسالة على سبيل المهاترة بل من باب المذاكرة وانى لأشهد بفضلكم ولا فضل لي اذا شهدت للصبح بالشروق والمسك بالعبق وحبّذا لو أنّ لنا أمثالا لكم نشدّ إزرنا بهم ونفتخر بآدابها ولكنكم بجول الله على حقّ الانسانية ولا عصمة فيها والحمد لله اولا وآخرا .»

٤

تكملة ديوان أبي نواس

من مجاميع خطيّة متعدّدة

وهو جزء بقطع الربع يحتوي على قصائد ومقاطع من شعر أبي نواس ليست موجودة في نسخ دواوينه المطبوعة . وأصلها من مجاميع خطيّة في مكتبة دير الشير مبيّنة طبقاتها واعدادها كما يلي :

والى القرّاء هذه المنتخبات التي انتقيناها من تلك القصائد الفريدة .

جاء في مجموع (طبقة ٢٣ عدد ١١٧) أوله مخروم وفي آخره :

« الحمد لله وكفى وسلامٌ على عباده الذين اصطفى وسلّم تسليماً كثيراً ابداً تمّ هذا الكتاب وفرغ على يد اضعف الخلق واحوجهم الى رحمة الحق ابراهيم ابن ابي اليمن ابن عبد الرحمن غفر الله لهم ما تقدّم من ذنوبهم وما تأخر ولا حرمهم الجنة وسقاهم من حوض (هنا كلمة غير مقروءة) الكوثر في يوم المحشر امين امين امين والحمد لله رب العالمين . وكان ذلك في اوايل شهر ربيع الاول من شهور سنة ١٠٠٨ ثاني والف .»

وفي الصفحة الاخيرة منه :

« دخل بملك الفقير الراجي كرم ربه المنّان حنا ولد الياس غضبان من طايفة الروم الملكية الكاثوليكية القاطن بمدينة حلب المحمية . ثم دخل بملك الحقير الفقير الراجي من كرمه العفو والغفران عبده يوسف نيكوغوص قبلان سنة ٣٢ . »

وهذا بعض ما جاء من الابيات النواسية في هذا المجموع وليس لها من وجود في دواوينه المطبوعة :

راحٌ زحفتُ على جيش الهموم بها حتى كأنَّ سنا الأبواب راياتُ
تجولُ حولَ أوانيها أشعَّتها كأنّما هي للكاسات كاساتُ
تذكَّرتْ عند قوم دَوْسَ أرجلهم فاستُرجعت من رؤوس القوم ثاراتُ
كأنها في أكفِّ الطائفين بها نارٌ يطوفُ بها في الارض جِنّاتُ
من كلِّ أغيدَ في دينار وجنتِهِ تودَّعت من قلوب القوم حبَّاتُ
مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطفٌ كأنَّ أصداغهُ للعطفِ واواتُ
توتَّحت وهي في كفّيه من طرَبٍ حتى لقد رقصت بتلكَ الزجاجاتُ
وبتُّ أشربُ من فيهِ وخمرتهِ شرباً يُشَنُّ به في العقلِ غاراتُ
ويترك اللثمُ خدّيهِ فيُنشدُها على المنازل لي فيها علاماتُ
سقياً لتلك الليلاتِ التي سلفت فإنّما العمرُ هاتيكَ الليلاتُ

وجاءَت هذه الابيات من قصيدة نؤاسيّة في مخطوطٍ (طبقة ٢٣ عدد ٦٠) ناقص من اوله ومن آخره ، فلا ذكر فيه للمؤلف ، إلّا انه جاء في آخره هكذا: « كاتبه عبد افندي » والورق من العبادي القديم . وهذه هي الابيات :

قُم فاختطفها فإنَّ العمرَ يُختطَفُ صهباءَ يُقدَحُ منها العزُّ والشرفُ
مدامةٌ خبَّرت عنها مشايخُنا مسلسلاً وحكى عن قومها السلَفُ
طرقتُ حانتَها والليلُ معتكرٌ وللنواقيس في ألحانها تُحَفُ
فأوجستْ خيفةً مني وما علِمتْ إنّي بحبّي لها قد زادني شَغَفُ
أطلَّ راهبُها من تحت بُرنسه كأنه الدرُّ قد حفَّت به الصدَفُ
وقال ما حاجةُ الطلّابِ قلتُ له قومٌ ببابكَ للإكرام قد وقفوا
فقال أهلاً هلمّوا للقِرَى فقِرًا كاساتِ صِرفٍ بها الاحزانُ تنصرفُ
وفكَّ مبزلها ليلاً وأبرزها شمساً إذا قابلتها الشمسُ تنكسفُ
وطاف بالدير اسبوعاً وقدَّسها تقديس فيه عنا الأوهام تنكشفُ (كذا)
فقلتُ مطرانُ هل في الدير من أحدٍ له اختبارٌ بعلم الدَّنِّ يعترفُ
فقال أخبرَني جدّي وأسندَه الى أبيه وأجدادٍ له سلفوا
قالوا بأنَّ سنا الكرسيِّ مُقتبَسٌ من نورها ولهذا حدُّ ما عرفوا
لو أنَّ موسى رأى من نورها قبَساً ما لام قوماً على عجلٍ لهم عكفوا

وفي ذلك المجموع من الطبقة والعدد المذكورين هذه الابيات من سينية نواسيّة وهي :

عُجْ حيث تسمعُ اصوات النواقيس بجانب الدير تحت الليل بالعيس
مستخبرًا عن كُميت اللون صافية قد عتّقتها أُناسٌ في النواويس
مرَّ الزمانُ عليها فهي تخبرُ عن ما كان من آدم من قبل إبليس
ترى الرهابين جزعاً من إمامتها اذا بَدَت بين شمّاس وقسيس
تُتلى الاناجيل تعظيماً اذا بَرَزَت لها باشرف تسبيحٍ وتقديس

وجاء في ذلك المجموع نواسيّة سينيّة فيها تصحيفٌ وتحريفٌ كثير، منها هذا البيت :

لمَّا طرقنا عليها الديرَ قيل لنا من ذا الذي حرَّك الناقوسَ والجرسا

وجاء في مجموع خطيّ (طبقة ٢٣ عدد ٤٦) من قطع النصف مجلّد تجليدًا قديمًا ومؤلّفه مجهول :

« قال ابو نواس مخاطباً عنان الجارية :

عنانُ يا منيتي ويا سكني أما تريني أجول في سككِكِ
ملكتِني اليوم يا معذبتي فصيّريني الفداة من فككِكِ
عجّلي ذاك وارحمي قلقي واثبتي لي البراة في صككِكِ »

سند تاريخي للشهابي الكبير

ليس في جميع الآثار التاريخية اللبنانية ما يؤيد بثبوت وجلاء نظرية المؤرخين اللبنانيين الذين يقولون بان الامير بشير الشهابي الكبير قد كان يعمل على توريث الامارة في لبنان لذرّيته كما ورّث محمد علي في مصر الخديوية لسلالته ، ولكننا وجدنا في المكتبة النخليّة سندًا تاريخيًا يثبت ذلك بطريقة تقطع كلَّ جدال في هذا المعنى .

ففي المكتبة صكٌّ خطيٌّ ممضيٌّ من الامير بشير وعليه خاتمه الرسمي (وهو ما كان يُسمّى تركاً في لغة ذلك العصر) منحه الامير الشهابي للبلوكباشي نجم نخله (من أجداد اصحاب المكتبة) هذه صورته بالحرف :

« الباعث تحريره وموجب تسطيره :

هو انه يوم تاريخه ادناه قد انعمنا بترك مطلوب رزقة عزيزنا نجم نخله بلكباشي المحررة اعلاه وقدر درهمها ٠اية وثلاثة وثلاثين درهم بلغ عنها التقريش ءال قاعدة اربعة عشر غرش وثلاثة فضة وذلك الترك مالين الميري وستة اموال الطرح مع ملاحيق الفرش لجهة الميري والطرح . فجميع ذلك مسقوط الطلب عنه . وكذلك انعمنا على عزيزنا المرقوم في ترك جاليته المال وتوزيعه مع ملاحيقها وضمها لا يتكلف من ذلك شي. تركاً ممدوداً خالداً الى ما شاء الله منا وممن يتخلفنا له ولذريته وقد تسطر علم هذا الترك في دفاتر خزينتنا لاجل محاسبة اهالي المحلات به كل عام .

تحريراً في الحجة ختام سنة ١٢٤٥ خمس واربعين ومايتين والف .

«الامضاء»

بشير شهاب

وتحت الامضاء ما يأتي :

ومن الفريضة التي تتوجب على عزيزنا المرقوم انعمنا بتركها عنه وكذلك قد انعمنا على عزيزنا نجم المرقوم ان ارزاقة هذه المذكورة لا عاد يجري عليها خراج فيما بعد .

« الخاتم الرسمي »

مجموعة صكوك قديمة العهد

وهي صكوك مشترى في الباروك وقرية بمريه في الشوف . كتبت ايام كان الشوف تابعاً لصيدا في العهد المعني . ومنها ما هو مؤرخ في سنة ١٠٠٩ هجرية (١٦٠٠ مسيحية) وسنة ١٠٣٧ هجرية (١٦٢٧ مسيحية) وسنة ١١٢٩ هجرية (١٧١٦ مسيحية) . وبعضها مكتوب بالخط النسخي العزيز الوجود في ذلك العصر . وقد ورد في بعضها ان المشترى قد وقع في « قرية الباروك من الشوف الحيطي عمل صيدا المعموره » وان الثمن هو «اثنا عشر الف درهم حلبي» . وورد في البعض الآخر ان ثمن المشترى يبلغ اربعة قروش وربع . ومن أسماء بعض الشهود في هذه الصكوك يُستدلُّ على ان من سكان الباروك في ذلك العهد مَن كان شيعيَّ المذهب .

مجموعة رسائل

من يوسف بك كرم الى عباس بك نخله[1]

ان هذه المجموعة النفيسة اكثرها مرسل من يوسف بك الى عباس بك من نابولي في ايطاليا . وهي مؤرخة في سنة ١٨٨١ ، أي ايام كان يوسف بك منفيًا اليها .

وقد لاحظنا في هذه الرسائل آثار تديُّن يوسف بك وتقواه على ما هو مشهور عنه ، وذلك بتتويجه تلك الرسائل بهذه العبارة التقوية :

«يتمجّد اسم يسوع ومريم . فليكن مباركًا الحبل بسيدتنا مريم العذراء البرية من دنس الخطيئة الاصلية . »

مخطوطة عن فتنة سنة ١٨٦٠

وهي في ١٤٧ صفحة من القطع الوسط املاها الشيخ حسين الغضبان الشاهد العياني لاكثر تلك الحوادث المشؤومة . وهذه النسخة النخليّة منقولة بالحرف عن نسخة الاملاء الاصلية .

الحوادث التاريخية

في ديوان الشيخ عبد اللطيف فتح الله مفتي بيروت (المخطوط)

وهو مجموع ما ورد من ذكر الحوادث التاريخية في هذا الديوان المخطوط . واكثرها يدور على ايام الجزار وسليمان باشا وعبدالله باشا في عكا ، وعلى ايام الامير بشير الشهابي في لبنان ، وايام مصطفى آغا بربر في طرابلس ، وعلى حصار بونابرت لعكا وهلم جرًا من هذه الحوادث المتعلقة بتاريخ البلاد . والذي يزيد

1 راجع في الجزء الثاني من « قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان » لكرم صفحة ٢١٩—٢٢٠ الرسالة الثالثة من يوسف بك كرم الى عباس بك نخله وهي تتعلّق على ما يبدو لنا بمسألة داود باشا ويوسف بك . وذلك نقوله فيها : « كما وانه تأكد لدينا ان سماكم الصادر عن شرف نفسكم في بتدين هو عن غيرة على المصلحة التي نحن نرى بخلاف واقع الحال عدم القبول بها بوجود اسباب مانعة كنا تكلمنا عنها في البادروك بالمواجهة وليس مناسب ان نبوح بها بالكتابة كما لا يخفى . وان شاء الله بالمواجهة عن قريب نستخلص لكم جميع ذلك شفاها . »

في قيمة هذا المجموع ان الكاتب كان شاهد عيان للحوادث فضلًا عن تقربه من الولاة المذكورين ومكانته عندهم بصفته مفتيًا لبيروت يومئذٍ، وفضلًا عن ذكر الحوادث بالتدقيق، وذلك باليوم والشهر واحيانًا بالساعات .

اما نسخة الديوان الأصلية فموجودة في يد بعض آل فتح الله في بيروت وهو من احفاد المؤلف . وعن هذه النسخة الأصلية نُقل المجموع النخليّ المذكور .

ومن الحوادث اللبنانية التي ذكرها المؤلف بالتفصيل، ولا ذكر لها في التواريخ اللبنانية قوله (ص ٧—٨ من المجموع النخلي) :

«ولما كان يوم العشرون من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣٦ (أي سنة ١٨٢٠) حضر من سعادة الوزير المحترم السيد عبدالله باشا المومى اليه ايده الله تعالى ووالى عنايته عليه مرسوم شريف الى متسلم بيروت المحروسة كاشف خليل آغا المار ذكره يتضمن امره العالي له بأن يقبض من يكون موجودًا في البلد من اهل جبله من نصارى وغيرهم وذلك ليلة الاربعا فقبض المتسلم من وجده من اهل الجبل ووضعه في السجن ودخل اهل البساتين والمزارع التي خارج البلد الى بيروت وخربت البساتين وسبب ذلك ان سعادة الوزير تغيظ على الامير بشير الشهابي حاكم الجبل المحرر وان العساكر المنصورة بحرب الامير واهل الجبل وسبب هذا التغيظ ان سعادة الوزير المحترم ايده الله تعالى وايد به الاسلام والمسلمين اراد سلخ اقليم الخروب وهو برجا وتوابعها واقليم جزين وجبل الريحان من التزام الامير وضمه الى جبل الشوف وارادة سعادة الوزير المشار اليه ضم ذلك الى خزينته العامرة بحروسة صيدا بما ان أهل الاقليمين وجبل الريحان مسلمون مؤمنون موحّدون فالأمير أبى ذلك . »

مراسلات رسمية تاريخية

من داود باشا اول متصرّف لبنان الى عباس بك نخله

وهي مجموعة أوامر ومراسلات رسمية أرسل بها داود باشا الى عباس بك نخله (يوم كان عباس بك رئيس ضابطيّة جبل لبنان وذلك في صدر العهد المتصرفي).

وهذه المراسلات تدلّ على اسلوب الدواوين في ذلك العهد وعن الذهنيّة العامّة في البلاد .

ومنها هذا الأمر الآتي، ننقله بحرفه، وهو مؤرخ في ١٤ شوّال سنة ١٢٧٩هـ.

«افتخار البكوات الكرام عباس بك نخله زيد مجده :

انه بمقتضى مفاد الأوامر منّا بخصوص ممنوعية نقل الاسلحة بدون تذاكر

ما عدا السيف مستثنا من هـذه الممنوعية كونه يجب حمله من جملة الملبوسات المزينة فلا يصير معارضة لمن يوجد ناقل سيفاً فقط ولو كان بلا تذكرة فلأجل اجراء الحركة على الوجه المحرر اقتضى اشعاركم . »

(الامضاء والختم) : « داود »

تاريخ الشيخ شيبان الخازن

وهي نسخة من تاريخ الشيخ شيبان الخازن المعروف (بتاريخ الخوازنة) منقولة عن النسخة التي في يد الشيخ كسروان الخازن[1] تقع في ١٢٥ صفحة . وقد جاء في آخرها : « تمّ نقله عن النسخة الاصلية بيد الخوري ميخائيل عيسى الخوري من بشري في نيسان سنة ١٩٠٥ . »

مجموعة رسائل سياسيّة

تتعلّق بالقضايا اللبنانية والشؤون الوطنيّة

وهي رسائل سياسية ذات قيمة تاريخية لتعلّقها بالقضايا اللبنانية والشؤون الوطنية في مدّة خمسين سنة على التقريب ، موجهة في مناسبات مختلفة من كبار رجال السياسة والزعامة والقلم في لبنان ، الى فقيد لبنـان الغالي الطيّب العين والأثر رشيد بك نخله ، وهي مرتّبة بحسب وقوع الحوادث ترتيباً دقيقاً .

آثار رشيد بك نخله الخطية

وفي المكتبة ، عدا ما ذكرناه من الآثار التاريخية النفيسة ، مجموعات خطية من مخلفات الفقيد رشيد بك في السياسة والشعر والادب والزجل وهي :

١ — (كتاب المنفى) وهو مذكرات جمعت بين الادب والسياسة تبتدئ من سنة ١٩١٤ وتنتهي في سنة ١٩١٨ .

١) راجع ما كتبناه في مقالتنا «جولة في كسروان» عن نسخة مكتبة عشقوت (المشرق ٣٥ : ٨٥٦-٨٥٧) وراجع ايضاً ما كتبه الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن النسخة غير الكاملة التي في يده (النعمة ١ : ٣٤٤) . وقد ذكر الاستاذ في كتابه «تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني» في الصفحة ٩٨ انّ في مكتبة بكركي نسخة من هـذا الكتاب . ولعلّ النسخة التي في يد الشيخ كسروان الخازن ، والتي نقلت عنها النسخة النخليّة ، منقولة عن نسخة بكركي .

ويدور موضوعها في الاكثر على ما لقي الرشيد في المنفى في عهد جمال باشا من العنت، وعلى تأسيسه «الحكومة الفدائيين في لبنان» في بيت الدين، في ٢ تشرين الاول سنة ١٩١٨. وفي هذا الكتاب أدب وشعر كثير اقتضته حوادث ومناسبات سياسية[١].

وقد أودع الرشيد هذا الكتاب طائفة من شعره الرائع يقول من جملتها :

نحنُ يا أحبابنا جيلٌ مضى فلكم من بعدنا طولُ البقاءْ

الى ان يقول :

واذا نحنُ أسأنا فاصفحوا واجعلوا إحسانكم بعضَ العزاءْ

٢ — (رسائل رشيد نخله) وهي مجموعة صادرة من قلمه في الادب والاجتماع والحكمة سلمت من الضياع وحفظها أصدقاؤه ومعارفه واصحاب العلاقة الادبية به، الذين كتب اليهم تلك الرسائل في مناسبات شتّى، وهي على ما رأيناها، من أعلى الطبقات في البلاغة.

٣ — مجموعة مقالاته وخطبه في الادب والاجتماع.

٤ — مجموعة قصائده في الشعر.

٥ — مجموعة قصائده في الزجل[٢].

٦ — مجموعة مذكّراته الادبية. تحتوي على فصول جامعة لارائه وذكرياته الخاصّة في الحياة الادبية[٣].

١) نُشرت مقاطع من هذه المذكرات في مجلّتي «الفجر» سنة ١٩٣٩ و«المشرق» سنة ١٩٤٤ وفي جريدة «الشعب» سنة ١٩٥٠.

٢) هو الكتاب الذي أخرجه الاستاذ نخله سنة ١٩٤٥ وسمّاه «معنّى رشيد نخله» وقد طبعه اجمل طبع ورتبه احسن ترتيب وصدّره بمقدمة جليلة تقع في نحو من مائة صفحة جمع فيها تاريخ الزجل من اقدم العصور في الاندلس الى اليوم، واورد فنون الزجل وطرائقه القديمة والحديثة، وما قاله فيه المؤرخون من مستشرقين وعرب، وما استحدثه فقيدنا رشيد بك من الانواع الزجليّة. وهي مقدّمة لم تبقِ في موضوعها مقالاً لقائل.

٣) نشرت جريدة «الجمهور» جانباً من هذه المذكرات في سنة ١٩٣٩.

وثائق تاريخية عن حلب

اخبار اللاتين والروم وما اليهم

١٨٥٥–١٩٦٠

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

١) افهم باللاتين المسيحيين التابعين في طقوسهم الليتورجية الكنيسة الرومانية . وافهم بالروم المسيحيين التابعين في طقوسهم الليتورجية الكنيسة الانطاكية الملكية . واخبارهم في حلب متصلة بينهم وبين سائر الطوائف من مسيحية وغير مسيحية ، واذ نصدر المقال بعنوان اللاتين والروم « وما اليهم » فمعناه ان الكثير من الوثائق[1] التي نشرها قد تختص بالطائفتين المذكورتين وان غيرها من الوثائق ، يضاف اليها اذا سنحت الفرصة لنشره .

ان هذه الفرصة كانت رهينة رحلاتنا على مدى السنين ونحن نتقصى الآثار الخطية في مواطنها بين دور الكتب العامة ودور السكنى الخاصة وبين الاسواق . وقد جمعنا عنها اوراقاً تكدست ، ولو كانت بين يدينا كلها في السنة ١٩٤٠ لظهرت مرتبة على غير ترتيبها في اليوم وكنا حصرنا اخبار الطائفة الواحدة دون سواها في المجلد الواحد .

ولكن نشرناها على علاتها كما عثرنا عليها في الزمان والمكان مع الاشارة اليه . وان لفي ذلك المزيج افادة وهو يظهر الحوادث والاخبار في شبكتها واتصالها بين الطوائف المختلفة ، فيقرب صورتها الى الحقيقة الواقعة في شرقنا العزيز حيث تختلف الآراء والمذاهب وهي متحدة على صعيد الوطنية وفي الجو الواحد نشأة ولغة وعادات ومشارب .

٢) ١) راجع : الاب فرديناند توتل اليسوعي ، «وثائق تاريخية عن حلب»–١ : الحوادث والاخبار اخذاً عن يومية نعوم البخاش ١٨٥٥ – ١٨٦٥ وغيرها من المخطوطات ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤٠ ، صفحة ٢٣٠ + X قطع ٨ مصور .

— ٢ : « اولياء » حلب في منظومة الشيخ وفاء مع ترجمة ابي الوفاء الرفاعي »، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٤١، صفحة ١٠٢ + VII قطع ٨ مصوَّر.

— ٣ : «دفتر اخوية عزبان الارمن وما اليه» — المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٠ صفحة ٢٢٤ + VII قطع ٨ مصوَّر.

— ٤ : «اخبار الموارنة وما اليهم». الكتاب الاول (١٦٠٦ — ١٨٢٧) صفحة ١٤٧ + IV. الكتاب الثاني (١٨٢٧ — ١٩٤٧) صفحة ١٤٧ + II. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٩، ق ٨ مصوَّر. (في سلسلة « نصوص ودروس » ٢ و٩)

— ٥ : «اخبار السريان وما اليهم اخذًا عن يومية نعوم البخاش» ١٨٤٠—١٨٦٥، صفحة ١٨٠ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٢ ق ٨ مصوَّر. (في سلسلة « نصوص ودروس » ١١).

وهذه كلها ظهرت سابقًا في مجلة « المشرق ».

المدارس المسيحية في حلب على ايام الفتح الاسلامي

٣) في السنة ٦٣٨ ميلادية و١٦ هجرية فتح ابو عبيدة الجرَّاح مدينة حلب. وكان سكانها مسيحيين ولهم كنائسهم. فأمن لهم الحريةَ الدينية ضمن الشروط الشرعية. فبقيت لهم كنائسهم. والى الكنيسة ترجع المدرسة كأنها جنح منها للتعليم الديني والمدني. ورجال الكنيسة مقيدون بواجب تعليم البشر عامة والناشئة خاصةً استنادًا لقول المسيح للتلاميذ وخلفائهم: « اذهبوا علّموا جميع الامم، عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، علموهم الوصايا التي اعطيتكم اياها. وها آنذا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » (متى ٢٨: ١٩—٢٠). واعطي المسيح الكنيسة ورجالها المواهب الفائقة الطبيعة للقيام بمهمتهم التعليمية: هو الانجيل لتنوير العقول، هي الاسرار المقدسة لميلاد الحياة المسيحية ونشأتها وتغذيتها، هي السلطة المصونة من الغلط فيما يخص التعليم والآداب المسيحية. وتدريب الابوين عليها في تربية اولادهما.

٤) ومنذ الفتح الاسلامي الى عهد الخلفاء الراشدين، الى عهد الامويين والعباسيين، الى عهد المماليك وبني عثمان الى يومنا، سوف يستند المسيحيون الى تلك الحجج الجليلة القديمة فيتمتعون بمجرياتهم في تعليم ابنائهم ويطالبون بها طبقًا للمبادئ الاجتماعية التي تخوّل الاهلين حق العناية بتدريس ابنائهم. فعليهم ان يعتنوا بتثقيف عقولهم كما عليهم ان يعتنوا بغذائهم وكسوتهم وسائر احتياجاتهم

البدنية . ومن واجب الدولة ان تساعدهم على ذلك فلا تضع الموانع دونهم ودون القيام بما يلي عليهم ضميرهم المسيحي . وان التعليم يشع نوره اينما جلس معلم يعلم، الا ان دوره المألوفة هي المدارس، والمدارس تكون غالباً في جوار المعابد[1] وفيها تلقين التعليم المسيحي وسائر ما يتفرع منه من المعارف. فلا نغالي بالقول ان للمسيحيين كانت مدارس في حلب باعتبار عدة كنائسها . قال محمد ابن شحنة الحلبي[2]: كان بحلب نيف وسبعون هيكلاً للنصارى. . . ومنها الهيكل في الكنيسة التي بنتها هيلانة ام قسطنطين.

٥) وعلى الافتراض ان عدد السبعين كان مألوفاً عند المؤرخين الاقدمين على سبيل المجازفة، فلا ينفك يدل على حقيقة وجود مدارس مسيحية مناسب عددها للكنائس ولا عجب في كثرتها وحلب او « بيريه » اليونانية كان لها اسقف قبل المجمع النيقاوي (سنة ٣٢٥) . والى ذلك العهد ترقى الفسيفساء التي اكتشفت في حي العزيزية سنة ١٩٣٦ (اطلب فيما بعد ٢٥٧)، وآثار البناية البيزنطية التي اكتشفها العلامة سوفاجه في حلب ذكرى للاربعين شهيداً[3] والى ذلك العهد ترقى مدرسة الحلوية المرسومة على بابها الصلبان[4] والى ذلك العهد يرجع نشوء الرهبان الذين يتعلمون احداثاً ويعلمون رجالاً في جوار الكنائس وهم الحلقات الثقافية المتسلسلة في القرون السابقة للهجرة بين مدارس نصيبين والرها وبين مدارس انطاكية. لقد طغت عليها الحروب وسحقتها الغزوات، لكنها لم تطفئ في عقول السكان لوعة الذكاء ونبراس المعارف ولو لم تكن لهم مدارسهم لما تخرج بينهم العلماء الذين نقلوا الى العربية الكتب اليونانية والسريانية.

٦) وابتنى الامراء والحكام المدارس الاسلامية في جوار المساجد وانفقوا عليها الاموال الطائلة وزودها المحسنون بالاوقاف الكافلة للمعلمين والمتعلمين معيشتهم بالكرامة، فهي على ما جاء في « الدر المنتخب » صفحة ١٠٩ وما

١) في دائرة المعارف الاسلامية جاءت مادة مدرسة مدموغة في مادة مسجد كأن دار التعليم لا تفترق عن دار الصلاة !

٢) « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » . طبعة سركيس ١٩٠٩، ص ٨١ وما بعدها

٣) راجع سوفاجه . حلب، صفحة ٥٨ Sauvaget, *Alep*, p. 58.

٤) الى ان سحقتها ،طارق بعض المتعصبين لئلا تبقى فيها علامة مسيحية .

بعدها ، للشافعية والمالكية والحنابلة وليس من المأنوس ان يجلس فيها الطلاب الغير المسلمين وبرامج التعليم فيها مبنية على العلوم القرآنية وما اليها من معقول ومنقول ، فكان ولا بد ان كان لهم معاهدهم او حلقات دراساتهم العليا . اما تعليم مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب او في والمنازل الخاصة الاسلامية فلا يحرم منه المسيحيون .

النهضة الثقافية المسيحية

٧) روي عن جبرائيل فرحات (١٦٧٠–١٧٣٢) العلّامة الماروني المنصّب تمثاله في ساحة فرحات (وزراء العمارة) انه كان يسمع تعليم الشيخ سليمان النحوي احد معلّمي رفاقه . وسأل الشيخ يوماً سؤالاً اعتاص امره على التلامذة ، فنهض جبرائيل وجاوب عليه الجواب الصحيح وادهش السامعين . فصاح الشيخ : لقد سرق النصراني العربية ، فما كان من جبرائيل الا انه تأبط خفيه واطلق ساقيه للريح . وسار من ثم في طليعة الناهضين بالعربية .

ولست ادري هل الرواية حقيقة او اسطورة ، لكنها على علاتها ترجمان لاجتهاد الاولاد المسيحيين في الدروس ، وان ما نعرفه عن نشأة الرهبانيات الكاثوليكية في لبنان التي اقتبست الشعلة العربية من حلب على يد عبدالله زاخر (١٦٨٠ ـ ١٧٤٨) مؤسس المطبعة العربية في دير مار يوحنا الصابغ في الخنشارة (لبنان) ونقلاوس الصائغ الشاعر (١٦٩٢–١٧٥٦) ، وفرحات المذكور سابقاً دليل على انه كانت للمسيحيين في الشهباء مدارس وفيها تعلموا . ولما حط الآباء اليسوعيون في حلب سنة ١٦٢٥ ، كان همهم الاهم فيها مع الارشاد والاعمال الرسولية التعليم في مدرسة الروم شأن الابوين كيرو واميو . واشتهرت في القرن التاسع عشر مدرسة المعلم نعوم البخاش التي نشرنا عنها اليومية في اخبار السريان وما اليهم [١]

---

١) راجع وثائق الاب انطون رباط في الفهارس : *Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Oricat*, 1910.

– راجع كتابنا « وثائق تاريخية عن حلب . ٣ – يومية نعوم البخاش » ، ١٩٦٢ – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

على ان نظام التعليم المدرسي الرسمي لم يبرز الى النور الا بنشأة مدرسة ترّا سانتا للآباء الفرنسيسكان، واسقفية القديس نقلاوس للروم الكاثوليك في القسم الثاني من القرن التاسع عشر.

٨) وهناك علّتان سببتا النهضة الثقافية بين المسيحيين في الشرق وافادتا مدينة حلب، وهما الفتن التي حدثت سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٦٠ وظهور الخط الهمايوني. فالفتن مع ما احدثته من نكبات، وجهت انظار المسيحيين في الغرب نحو اخوتهم المضطهدين في الشرق. فأنشئت بمساعدتهم المشاريع الخيرية ومنها مشروع المدارس المؤسس في باريس. وحذت حذوه المشاريع المؤازرة التعليم ليس في الطوائف الكاثوليكية فحسب، ولكن في سائر الطوائف ايضاً من «ارثوذكسية» وانجيلية. فاقبل المطلبون يعلّمون وهم اجانب والدولة العثمانية لا تمانعهم في مهمتهم بموجب الخط الهمايوني الذي صدر في شباط ١٨٥٦، واعلن المساواة بين رعايا السلطنة اجمعين بالحقوق والواجبات وفسح للمسيحيين المجال لموارد العرفان.

مدرسة ترّا سانتا للآباء الفرنسيسكان

٩) بين يدينا كتيب ظهر باللغة الايطالية لمؤلفه الاب فيلادلفو كنيولي[1] جاء فيه على تاريخ هذه المدرسة منذ نشأتها الى يومنا. وقد يكون بين ايدي الادباء. ولا سيما التلامذة قدماء معهد «الشيباني»، لكنه لم ينقل الى العربية ولعله مجهول من عامة القراء. وفيه النظرات القيّمة في شؤون المدرسة واهميتها والعقبات التي تعترض السبيل الى نجاحها والافادات عن اعلامها من اساتذة وتلامذة وبرامج التعليم فيها وسائر انظمتها تطوراً مع الايام على مدى القرن وفيه ذلك اخبار اللاتين وما اليهم.

(1 P. Filadelfo Cangioli O.F.M., *Il collegio di Terra Santa in Aleppo*. Jerusalem, 1948, in-8°, p. 110.

١٨٥٥

١٠) ما ان شاع الخبر ان الاب لودوڤيك بيائي حارس الاراضي المقدّسة مفكّر بانشاء مدرسة ثانوية في حلب الّا واستبشر الحلبيون بالخيرات لناشئتهم. ان المدارس الابتدائية كانت في الشهباء لكل طائفة من الطوائف، الّا ان نتائجها لم تكن كفوءةً لسدّ حاجات المدينة الى التعليم وليس لابنائها المعهد اللازم لاخراجهم من محيطهم الضيّق وتمرينهم على النظام المعهود في المدارس الداخلية حيث يقيمون على مدّة سنوات خمس فاكثر.

واخذ الآباء الفرنسيسكان يبحثون وسائل انشاء ذلك المعهد، وانقسمت آراؤهم في امره ولم يكن سواهم في حلب رهبان من غير جمعيات. وقال البعض ان الآباء لم يتجهزوا في تثقيفهم الرهباني الى التعليم في المدارس بل الى التبشير في الاعمال الرسولية مباشرة، فردّ غيرهم عليهم وقالوا ان الحياة الرهبانية تؤهل الرهبان عفوًا للتعليم،وان للآباء الفرنسيسكان في العالم مدارس تشهد لهم بطولة الباع والكفاءة للقيام بتلك المهمة الخطيرة وكان الآباء المعارضون فكرة التعهد بالمدرسة يفضلون ان تكون في ادارة اخوة المدارس المسيحية. وارتأى برأيهم اعيان البلد والقناصل سكين ومركوپولي وتومازيني وبنتيڤوليو. وتراسل الرؤساء في شؤون المدرسة، ومضت الايام قبل الاقدام الجدّي على انشاء مدرسة ترّاسانتا وكانت دونها العقبات الادارية والمالية. وكتب الاب زائر دير حلب سنة ١٨٥٧ ان خير ما يراه في شؤون المدرسة هو ان تكون في جوار دير « الشيباني » ويعهد بها الى الاخوة معلمي الجهال « ignorantins » فلا تطلب النفقات الباهظة ولا تحتاج الى بنايات جديدة. وأيّد هذا الرأي القناصل في حلب.

١١) الى ان جاء الاب ميخائيل دي زيو دا روڤو Michele de Zio da Ruvo فقضى في حلب خمس سنوات وفهم احوالها واحتياجاتها لمدرسة للذكور داخلية وقال انها ستقوم من ذاتها بالنفقات لانشائها وسيرها المنظّم في سبيل النجاح. وان ما حدث لراهبات مار يوسف الظهور وتأسيسهنّ مدرستهنّ الداخلية للاناث في حلب ونجاحهنّ يبشر بان مدرسة الفرنسيسكان للصبيان لن تكون دون مدرسة البنات نجاحًا وازدهارًا، وقد انشأت الراهبات مدرستهنّ وزدن بناياتها دون ان يقعن في عجز مالي. (وثائق ترّاسانتا في حلب ١٨٥٧)

ووافق الرؤساء الاب ميخائيل على رأيه وجاءت من رومة الوثائق المؤيدة انشاء مدرسة داخلية تحت ادارة الآباء الفرنسيسكان ولم يذكروا من ثمّ دعوة اخوة المدارس المسيحية الى حلب.

١٢) وفي ٢٩ نيسان ١٨٥٩ جاء من فرنسا الاب برنارد دورليان d'Orléans مديرًا للمدرسة وبمعيته الاخ لويس داميان (d'Amiens) معلماً للغة الافرنسية.

وفي يوم الاحد ٢ ت ١ فتحت مدرسة ترّا سانتا ابوابها لقبول التلامذة، ووزع عليهم برنامج التعليم مطبوعاً بالعربية والايطالية والافرنسية موقعاً باسم الاب برنارد واليك خلاصة بنوده:

« المدرسة تعلّم مبادئ الدين والاخلاق مع القراءة والكتابة والحساب واللغات الايطالية والافرنسية والعربية والتركية — تقبل الاولاد بعد السادسة من عمرهم الغير مصابين بمرض سار — الراتب على اولاد الداخلية الف غرش تركي وعلى اولاد الخارجية ست مئة غرش — تقدّم المدرسة الفراش للنوم تلقاء خمسين غرشاً — مـدّة الدروس خمس سنوات. تعليم الموسيقى والتصوير اختياري. اللغة اللاتينية يعلّمها معلّم خاص عن طلب الابوين» وكان بين المعلّمين الياس فرج للعربية ومحمد افندي للتركية. وكان وكيل المصروف جوزف بلدي. وكان فيها طباخ واحد وخادمان. وفي سنتها الاولى عدّت المدرسة ٢٨ تلميذًا داخلين وتسعة نصف داخليين. وكان في جوار المدرسة مدرسة اخرى مجانية للاولاد الفقراء.

١٣) وفي شهر تموز جرى فحص التلامذة وكان في لجنة الفاحصين بالافرنسية نقولا مركوبولي قنصل اسبانيا والبرتغال، وديزيره فيالكروز من تجار الافرنسيين حامل وسام المجيدية، والسيد جوفروا، والسيد انطون دي غنطوز كبه، والسيد بوريار مدير البريد الافرنسي. وبالايطالية تومازيني قنصل ايطالية، والدكتور برنابا، وفردريك يوخه. وبالعربية السيد مراش الشاعر. وبالتركية احد التراجمة من عينتاب.

وفي ٥ آب ١٨٦٢ وزعت الجوائز على التلامذة واسمهم محفوظ في كراس، قرأنا فيه اسماء: ميشيل صادر (اسكندرونه)، عبدالله توتل، اوغست كوسا،

غليوم صولا ، نصري بخاش ، جبرائيل ناقوز ، دياكو دوناتو ، انطوان بلدي ، ديمتري جنبرت (حلب) ، جان عيروت (اللاذقية) ، اميل زولنجر (حلب) ، عبد المسيح دياب (انطاكية) ، جوزف زريق (طرابلس) ، اسكندر مالي (دير القمر).

ومثلت الروايات المسرحية بالايطالية وعنوانها « يوسف بن يعقوب » — وبالافرنسية وعنوانها « استير » عن الشاعر راسين بحضور ابن حافظ باشا الوالي والباشا الحاكم العسكري ، وقناصل الدول ، وعدد غير قليل من الأعيان.

١٤) وبما تقاضته الادارة من رواتب التلامذة ومن هبات المحسنين ، تمكنت من القيام بنفقات المدرسة وقد ساعدها القنصل شاتري دلافوس الافرنسي فتكفلت جمية «مشروع المدارس للشرق» براتب ١٥ تلميذاً ، وجمية «اتقيا. كولونية الالمانية» براتب ٨ ، وفيتوريو عمانوئيل الثاني ملك ايطالية براتب ثلاثة.

وسارت من ثمَّ المدرسة سيرها المبارك في تعليم الناشئة ، وذاع صيتها بالخيرات ايام لم تكن الارساليات الاجنبية قد فتحت معاهدها في لبنان ، فقصد الى حلب الطلاب من سائر انحاء البلاد الشرقية. ذكرنا سابقاً بعض اسمائهم مع اسم البلدة التي جاؤوا منها ليرتادوا مناهل التعليم في مدرسة ترَّا سانتا في حلب. واليك غيرهم من استحقوا الجوائز في السنة المدرسية ١٨٦٢ — ١٨٦٣ : عبدالله صايغ (دمشق) ، سليم شامي (بيروت) ، دمتري زبال (دمشق) ، ديودونه ناصيف (طرابلس) ، ريشا ابو العلم (دير القمر) ، ميشيل فرج (دلبتا) ، انطوان ساعاتي (بيروت).

وزاد عدد التلامذة الى حوالى المئتين ، فضاقت بهم دور التعليم ، فوسعها الآباء مضيفين اليها البنايات الجديدة الى ان يضطروا الى الخروج منها ، فينتقلون المعهد من حي الشيباني الى حي العزيزية ثمَّ الى غربي البلد بالقرب من «السبيل».

ومضت خمسون عاماً على تأسيس مدرسة ترَّا سانتا ، فاحتفلت بيوبيلها الذهبي سنة ١٩٠٩ على ثلاثة ايام تناوب فيها بالاجتماعات الادبية الشعراء والخطباء باللغات. ومثلت الروايات ، وانجلت فيها مظاهر التقوى بحضور اساقفة الطوائف واقامة الصلوات . وكانت اذ ذاك موسيقى « الشيباني » في عزّها ، فزادت الاعياد بهجة ، ومن المعلّمين الذين استحقوا الذكر المتاز وتالوا شكر الحلبيين:

الاخ ادوار فورمان (Fuhrmann) ، الاب جوزف ماريا ايمه (Amé) ، الاخ بولس شنو (Cheneau) ، الاخ بوداغروسي Podagrosi ، الاخ پولي Poli ، المدير .

١٥) وكانت ثياب التلامذة الرسمية « البترة » ولونها الازرق الكحلي مطوقة الكمين والعنق بالشرائط الذهبية وازرارها مدموغة باحرف المدرسة ، Collège Terre Sainte . C.T.S. وكانت القبعة باللون ذاته وعليها شارة المدرسة وفي الصيف كانوا يلبسون البنطلون الابيض. وسوف يبطل استعمال البدلة الرسمية بعد الحرب (١٩١٤—١٩١٨).

١٦) الموسيقى

في ١٨٨٠ تكوّن جوق موسيقى «الشيباني» تحت ادارة الاب اينشتزو دي ساندوناتو ، فأحضر آلات النوبة من ميلانو ، وبلغ ثمنها مع نفقات نقلها ٨٥٠٥ غروش ، وزيد عليها سنة ١٩٠٦ غير ذلك من الآلات فبلغ مجموعها الاربعين.

ومن التلامذة المذكورين في جوقة الموسيقى مع اسم آلتهم والرقم الدال على عدد الجوائز التي حازوها سنة ١٨٨٢ :

داود سابلا (١١) بيوكولو Biucolo
زخريا سابلا (٩) كوارتينو Quartino
تيودور كورنايل (٧) اوتافينو وفلاوتو Ottavino et Flauto
حبيب شوحا (٧) كلارينو Clarino
الي ضاهر (٧) كلارينو Clarino
كميل بوريار (٥) فليكورنو Flicorno
انطوان نخروم (٨) كورنتا Cornetta
عبدالله عبوش (٦) كورنو دارمونيا Corno d'Armonia

وغيرهم ممن ذكروا في سجل الموسيقى (١٨٨٨) :

بشير رباط : كورنتا
عبدالله تيناوي : بيستون
اميل عيسى : التو
كميل كوسا : باريتون

اسكندر ضاهر: باس
لويس سابكي: كونتر باس Contrebasse
روفائيل مارون: الطبل
بنيامين فلوش: الصنوج
فرنسوا باسفولي: المثلث

وكان لجوق الموسيقى شارات خاصة من كتفيات تحمل خاصة وشرابات حمر وكُر من جلد.

١٧) وكانت اذ ذاك مدرسة للطلاب « السيرافيم » يتأهبون فيها لدخول الرهبانية الفرنسيسكانية وهؤلاء لم يسابقوا في تحصيل جوائز العلم.

وفي السنة ١٨٩٧—١٨٩٨ كان عدد التلامذة ١٦٢، ومنهم ١٨ موارنة، و١١ ارمن غريغوريون، و٤٧ روم كاثوليك، و٨ سريان كاثوليك، و٢٢ لاتين، و٩ روم ارثوذكس، وواحد مسلم.

وفي السنة ١٩٠٣—١٩٠٤ سوف يكون عدد التلامذة ١٧٢، وبينهم تسعة مسلمون.

وتُسمى المدرسة باسم القديس انطونيوس البادواني.

١٨) وفي سنة ١٨٨٢ تكوّنت مكتبة المدرسة للمطالعة، وفيها حوالى الف مؤلف بالافرنسية والعربية والايطالية. وكان عدد المؤلفات فيها سنة ١٩٠٩ ٢٥٠٠ مؤلفاً، ويديرها الاب المدير تيديله اورسيني.

١٩) ووقعت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤—١٩١٨)، ودخلتها السلطنة العثمانية وصارت حلب محطة مركزية لحركة الجنود المتنقلة الى القتال، فتحولت معاهدها الكبرى حتى الكنائس الى مستشفيات عسكرية ومنها مدرسة ترّا سانتا فأغلقت بوجه التلاميذ. وخشية ان تخترق حرمة تمثال شفيعها القديس انطونيوس البادواني انزله الدكتور جميل صقال عن نصبه وكان في صحن الدار، وآواه في بيته الى نهاية الحرب.

وانتهت الحرب. ورأى الآباء الفرنسيسكان ان اعادة المدرسة الى ما كانت عليه سابقاً في حي الشيباني غير ملائمة للظروف الجديدة، لان المسيحيين الذين كانوا يسكنون في حي الجلوم وفي جوار الشيباني هاجروا الى غربي المدينة.

والكنيسة ذاتها امست مقفرةً لا يرتادها للصلاة الّا القليلون من بواقي الجاليات الاجنبية اللاتينية . فنقلت المدرسة الى حي العزيزية لمدة محدودة الى ان نقلت نهائياً الى ما وراء الجبيلة في بناية واسعة محاطة بالاسوار المنيعة . اما كنيسة الشيباني وما اليها من بنايات قديمة ، ففككت حيطانها ونقلت احجارها المكعبة المنحوتة الى حي الحميدية حيث شيّدت بها بنايات جديدة.

٢٠) وان اعمال الآباء الفرنسيسكان في حلب اوسع نطاقاً من ان تلم بها هذه الصفحات ولهم كنيسة الكتّاب ومشروع الرام وفيه المئات من التلامذة وخاصة الكنيسة كاتدرائية اللاتين الكبرى التي دشّنت سنة ١٩٣٧ .

ومن مشاهير الآباء الذين اقاموا في حلب مدراء او معلّمين الاب غودنسيو بونفيلي ١٨٦١—١٨٧٤ ، حارس الارض المقدّسة ١٨٧٤—١٨٨٨ ، والقاصد الرسولي في سورية ١٨٨٩—١٨٩٦ ، والاب فيدلي اورسيني ١٨٧٦—١٨٨٢ ، ١٨٨٤—١٨٨٩ ، والاب جاكومو بولي ١٩٠٥ — ١٩١٤ ، والاب البرتو غوري ١٩٢٣—١٩٣٧ ، حارس الارض المقدّسة ، ثم بطريرك اورشليم .

ومدرسة الآباء الفرنسيسكان في حلب انجبت نخبة من التلامذة خدموا في مصاف الاكليروس كاساقفة وكهنة ، وفي الوظائف الحكومية ، وفي المهن الحرة ومنهم ناظم القدسي رئيس الجمهورية السورية ، وغبطة البطريرك مكسيموس الصائغ ، ونيافة الكردينال اكاكيوس كوسا ، والاب نقلاوس اسود الفرنسيسكاني وفي سياق مقالنا سوف تترادف ذكراوات هذه المدرسة مع اخبار اللاتين.

اسقفية القديس نقلاوس الروم

٢٢) كان للروم في حلب مدارس يرقى عهدها الى تاريخ الكنائس كما قلنا سابقاً ، وذكر الآباء اليسوعيون فيما ذكروه عند قدومهم الى حلب في القرن السابع عشر تعليمهم ابناء الطائفة الذين سوف تتكوّن منهم النواة التي تنشأ منها طائفة الروم الكاثوليك ، وذكر كامل الغزي في تاريخه (٢ ص ٤٧٩) ان المطران يولس حاتم اسّس مدرسة للاناث سنة ١٨٦٦ ، وكان الذكور من الطائفة يرتاد موسروهم مدرسة نعوم البخّاش ومدرسة اللاتين ، وذوو الحاجة منهم يتعلمون مبادئ القراءة في المدرسة الصغرى التي لا تزال مفتوحةً للناشئة حتى يومنا في

حي الصليبية وليس بين يدينا اثر لاعلامها من اساتذة او تلامذة . ولم تتمتع الطائفة الملكية في حلب بمعهد للتعليم عامر متين الا بعد ان اقيم مطرانا عليها السيد كيرلس جحا.

٢٣) واليك حجة تأسيس ذلك المعهد منقوشة في لوحة محفوظة الى يومنا في صدر ايوانه :

« لي دعوة الفضل والخيرة ذوو الآثار المأثورة الخواجات رزق الله وبطرس وجرجي أولاد المرحوم المقدسي نعمة الله حمصي ، فجعلوا هذه الدار وقفاً على مدرسة الطائفة الرومية الملكية الكاثوليكية لإستدرار غيث الرضوان والرحمة على نفس أخيهم المرحوم ميخائيل نعمةالله حمصي ، وتاريخ الوقف في عهد سيادة مؤسس المدرسة المتروبوليت كيريوس كيرلس جحا الكلي الشرف والجزيل الحرمة الدائب باذاعة العرفان والاداب بين خرافه بكل مسعى مشكور وعمل مبرور . في ٦ كانون الاول سنة ١٨٨٦ »

ولم تزل هذه الدار منذ تاريخ تلك الحجة الى يومنا عامرة مفتوحة للتعليم ، واحدثت فيها بعض التغييرات في ناحيتها الشمالية واضيف اليها في الناحية الشرقية دار فيها غرفة المدير وبهو الاستقبال .

المتروبوليت كيرلس جحا

هو سمعان ولد ١٨٤١ في حلب ابوه حنا جحا امه كاترينه بيطار . تعلم العربية والافرنسية والتركية على ايام مكسيموس مظلوم . سامه شماساً المطران ديمتريوس انطاكي ودعاه باسم بطرس فكان يساعد الاسقف في ترميم وتشييد الكنيسة الكاتدرائية بعد احتراقها في حوادث ١٨٥٠ . ورافق المطران بولس حاتم سنة ١٨٦٤ الى دير مار يوحنا الصابغ الخنشارة لانتخاب البطريرك غريغوريوس يوسف . وفي ١٨٦٥ سامه المطران بولس حاتم كاهناً وكان يعهد اليه بمراجعة الحكومة السنية في شؤون الطائفة فانعم عليه السلطان بالنيشان المجيدي الثالث ثم بالنيشان العثماني الثالث وتعرف الى كامل باشا . وفي ١٨٨٥ سيم مطراناً خلفاً لبولس حاتم المتوفى ، وسمي كيرلس .

في اواخر سنة ١٨٨٦ رافق البطريرك غريغوريوس يوسف الى رومة لتهنئة لاون ١٣ بيوبيله الفضي فقدم له هدية تاجاً مرصعاً باللؤلؤ من شغل حلب. وسافر من ثم الى فرنسة فنال نيشان جوقة الشرف واسعافاً مالياً سنوياً لمدرسته

الاسقفية في حلب . واشترى اواني موسيقية واوائل للتعليم وخرائط وابتاع مطبعة مع جزوف افرنسية وعاد من فرنسة عن طريق استنبول وكان في مقام الصدارة كامل باشا صديقه فقدمه للسلطان ، فرصع صدره بالوسام العثماني من الطبقة الثانية . (راجع عبد المسيح انطاكي : مطلع الميامن ص٦٦)

٢٤) حول شخصية السيد كيرلس جحا قبل ارتقائه السدة البطريركية خلفاً للبطريرك بطرس الجريجيري (٢٨ حزيران ١٩٠٢) تحوم ذكراوات طيبة تمثل حياة الناشئة على ايامه في منتهى القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين. هذا الرجل الجليل الملقب « بالمجيد » استحق لقبه بما كان عليه من صبغة العظمة والمجد اذا ما سار منتصب القامة ولحيته البيضا. تزيده هيبة تحت القلنصوة واللاطية السوداء وصدره مرصع بالصليب والايقونة والنياشين . زار السلطان عبد الحميد في قصر يلدز فدخل عليه وهو لابس الثياب البيزنطية الفاخرة الملوكية فانزهل الباديشاه لمرآه وسأل ما الخبر؟ — فأجاب متروبوليت حلب: اني ارتديت الحلة التي اقف فيها عند المذبح للصلاة امام الله ! وانا اقف امام سلطاننا ممثل الله على الارض وادعو لكم ، وكان بمعيته الخوري بطرس سابا الذي سيسام نائباً اسقفياً على الاسكندرية تحت اسم مكاريوس ثم ينقل الى ابرشية حلب .

٢٥) وكانت ايام اضطرابات ومذابح في ديار حلب وكان سكانها في خوف من الفتن فرأى السيد كيرلس جحا ان يستعطف السلطان على الرعية تسهيلاً للقيام بمهاته شأن غيره من رجال الاكليروس كما سترى فيرفع على نية الباديشاه الدعاء الرسمي في الكنيسة ويحضره ترجمان الوالي .

وان انس لا انس السكتة التي غمرتنا مرة في الكنيسة نحن صفوف الاولاد لما التفت المطران كيرلس وهو تحت قنطرة الباب الملوكي عند الهيكل ورأى الخوري قسطنطين الخضري منتصباً في مقعد الكهنة ولم ينزل عنه وقت الدعاء. فقال له : انزل عن الكرسي شأن غيرك من الكهنة .

فأجاب الخوري : عند قراءة الانجيل لا ننزل عن الكراسي فهل من اللازم النزول عنها لسماع الدعاء . وانحط الخوري عن كرسيه وخرج من الخورس . ومن بعد ما عتم ان عاد وقبل يد سيادته .

٢٦) رويت الحادثة اشارة الى «الرسميات» التي كانت ترف اجنحتها في الجوّ الحلبي المسيحي .

ومن تلك الرسميات كان علينا ابنا. المدرسة الاسقفيـة حضور قداس الباراجيازمينا يوم الجمعة وصلوات المدائح في الصوم الكبير فضلاً عن الصلوات الطقسية والوعظ يوم الاحد . وكان سيادته يجلس عند عتبة الباب الملوكي في الايقونوستاز ويلي علينا تعاليمه وربما اقتبسها من مواعظ بوردالو فنسمع الوعظ ونفهم او لا نفهم والشعب حوالنا يشجعنا ونشجعه على الصبر الى النهاية .

وكان المطران كيرلس عظيماً اذا قام بسيامة الكهنة الجدد . فيأتونـه شمامسة من عين تراز او من الصلاحية فيقيهم عنده في خدمة القلاية وفي المدرسة معلمين ومناظرين ولا يمن عليهم بوضع اليد الا بعـد اختبارهم الشخصي . وربما اقام في خدمته شماس على مدى الاعوام متشوقاً الى الرسامة ولم ينلهـا لاعتبار المطران انه غير كفوء لخدمة المذبح .

٢٧) ما اشد ما كانت روعة المطران عند الرسامة اذا ما قال عند المناولة للكاهن الجديد : « خذ هذه الوديعة واحفظها فاني ساطالبك عنها » . فيسلمه القربان المقدس والشعب يسمع الكلمات ويحفظها ، واذكر ان الامهات كنّ يرددنها للبنين في البيوت فيرن صداها في القلوب وترمي فيها بذرة الدعوات الكهنوتية .

وتساعد على انما. تلك الدعوات الامثال الصالحة من جماعة الشمامسة ، وليس قليل عـدد الاولاد الذين خرجوا من اسقفية الروم في حلب ليتعلموا في اكليريكيات دير الشير او في دير عين تراز او في دير المخلص او في الصلاحية او في الاكليريكية الشرقية لليسوعيين او في اكليريكيات الغرب في رومة وغيرها .

٢٨) ولا انسى حفلة المناولة الاولى في ٦ كانون الاول في عيـد القديس نقلاوس شفيع المدرسة. فيسير الاولاد الصغار مزينين بالشموع والريبان وتتقدمهم راية القديس ، وصفّ العازفين بالموسيقى ، ومن ثم القـداس الصارخ ومديح القديس بعظة المطران .

وفي عيد القديس كيرلس شفيع المطران كنا نخرج من المدرسة بعِزاتنـا

الرسمية : السترة والبنطلون باللون الازرق الكحلي والمخطط بالشريط المذهب وياقة السترة مغلقة على الزي الاستنبولي وعليها طرزت احرف C A G C ومعناها المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك . فندخل دار المطران ونبقى ساعة حول بركة الماء. ونشاهد ابناء الطائفة وحداناً وجماعات يمرون امامنا ويحكمون في قبضة يدهم التقدمة المالية التي يقبضونها سيادته عند مصافحتهم اياه فيقبلون يده ويقبلهم ويقبل تقدمتهم .

وكان لكل صف من صفوف المدرسة ممثل يدخل في دوره على المطران ويقرأ خطاب التهنئة والدعاء والمديح شعراً ونثراً ...

وربما جاء شاعر او اديب والقى ما القاه على السامعين كالقس جرجس منش الماروني رأيناه يقرأ القصيدة ويمزقها كلما انهى بيتاً منها وفي الختام يقول لست ارى سواك اهلاً لها فلن يسمعها من بعدك سواك . وكان المطران كيرلس فطناً سريع البديهة فيناديه به : كلا كلا لا تمزق هذا الاثر الكريم فهو منك اغلى من ان يتلف لساعته !

٢٩) وكان المطران كيرلس يحبها كرياً حنوناً فخوراً بمدرسته فاذا دنا وقت قراءة النقط وتوزيع النياشين والاولاد مجتمعون تحت القبة في الغرفة الكبرى العالية كانوا ينتظرون سيادته ويثرثرون ويوزوزون فتصاعد الاصوات وتعلو .. وتغلي بهم القاعة غليان الماء في الطنجرة على النار . واذ بالمطران يرقى الدرجات المؤدية الى القاعة ويحمحم كانه يزيل حلقه شأنه كما كان يفعل في الوعظ. فتبلغ الحمحمة آذان الاولاد فيهدأون لساعتهم . ويدخل المطران وقد نزع عنه الكرتكية السوداء وظهر بالثوب الاحمر الارجواني كانه الكردينال يحيط به الخوارنة والكهنة والرهبان. . . واذ انتهت قراءة النقط يأخذ في الكلام على الدينونة حيث تبيض وجوه وتسود وجوه فالصالحون على اليمين والطالحون على الشمال ويعقب ذلك ضرب اسمائهم على لوحة الشرف او على لوحة العار . . . ومن ثم يوم « الفيدوس » للجميع .

٣٠) ذلك اليوم كان مشهوداً مرةً في السنة . قبل الفجر في ايار او نيسان يخرج الاولاد وفي مقدمتهم نوبة الموسيقى وما ان يصلوا الى بوابة الحل الا وتصدح الموسيقى على آلاتها المدنية فتدوي لها ازقة البلدة العجوز الحدباء.

وتظهر على الشبابيك اشباح من البشر استفاقت من النوم لا عن ذعر وخوف كما في قومة البلد ولكن عن فرح واستبشار وترافق موكب الطلاب الى بستان الجانكية حيث المطران صنع وليمة لهم وللكهنة وللاصدقاء وللفقراء.

هذه ايام لن تعود ولا يعود معها ما كنا نراه من ممرات ضيقة ووعثاء تعمي النظر في محلات الرام والسليمانية والحميدية وعين التل التي تحولت في يومنا الى مدينة عامرة مزفتة الشوارع متلاصقة المباني .

وتنتهي السنة المدرسية وتوزع الجوائز بعد الفحص .

٣١) وقد اعارنا حضرة الاب جبرائيل سمان مدير المدرسة حالاً النشرة التي جاءت فيها نتيجة الامتحانات في السنة ١٨٨٨ وقد طبعت في المطبعة المارونية وفيها لائحة الجوائز التي استحقها «صاحب القدم في مسالك الادب والتعاليم الدينية والمثابرة». واليك الشيء منها . لذيذة قراءته على سذاجته فيحيي ذكرى ايام لم يكن فيها التعليم سوى الابتدائي ويغتبط به المعلمون والمتعلمون والاهلون فينال : ثابت ثابت والياس شاشاتي الجائزة على الاعراب والاملاء بالعربية والافرنسية؛ وبهجت اجقباش الجائزة على الاجتهاد العربي والترجمة الافرنسية؛ ورزق‌الله وكيل الجائزة على الاعراب العربي والخط الافرنسي ؛ وقسطاكي بردخجي الجائزة على اللغة العثمانية ؛ ورزق الله خوام الجائزة على البصلتيكا .

وممن يمتازون بتحصيل الجوائز على مختلف المواد التعليمية الياس شرقي (صاحب الصوت الجميل) باسيل وجرجي جهامي امين زلط كامل كبابه ميشيل صقال بشير توتل زكي غزال رشيد كلداني يورغاكي جرمق صديق قندلفت ميخائيل اليان وغيرهم وغيرهم .

٣٢) وتصل اخبار المدرسة الى بيروت فتردد صداها جريدة لسان الحال (١٠٨٥) فتقول سنة ١٨٨٨ «٢٣ تموز امتحان الطلبة في المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك على خمسة ايام . في ٢٧ تموز توزيع الجوائز بحضور الوالي اشقودرلي زاده حسن وامير لواء العساكر الشاهانية محمد علي باشا وأمير لواء الرديف عارفي باشا ومكتوبي الولاية برتو بك وترجمانها فتح الله خياط . والقى خطاباً معلم العربية ايوب عون ومعلم الافرنسية زين زين ومعلم التركية حجي اكوب . وكانت تتخلل الخطب وتوزيع الجوائز الحان الموسيقى البلدية » .

٣٣) وفي السنة ١٨٩٢ ارسلت الجوائز من فرنسة قبل ختام السنة المدرسية وكان ولا بد من اقامتها في دائرة المراقبة العثمانية ريثما يتيسر لعمال الدولة العلية الاطلاع عليها . وكانت المراقبة شديدة في نشر المطبوعات فتحذف منها كل عبارة جديدة في ان تيقظ في البلاد العربية حق المطالبة بالاستقلال . او تحجز على الكتب والصحف . فاجلت ادارة المدرسة توزيع الجوائز الى التشارين بعد ان حصلت على الكتب . وحضر الحفلة صهر الوالي وابنه وقنصل فرنسة ونائب قنصل انكلترة والمطارين ومنهم السيد جرمانوس الشمالي الماروني وكان يطيب له نظم الشعر في مثل تلك الاجتماعات فدح مؤسس المدرسة وقال:

« على كيرلس المفضال تثني جميع الالسن من قاص ودان
لقد احيا المدارس من دروس وفضلها على الدرر الحسان
فكم عانى من الاتعاب فيها بتجديد البناء وكم يعاني »

(نظم اللآلي ص١٥٢)

وعلى سبيل الاطراء مدح السلطان ولفت انظار اولياء الامر الى واجب تقريب موارد التعليم من الناشئة فقال :

« غروس ضمن بستان تزدي ثمار الجد من احلى المجاني
وما الساقي وما الواقي دواماً سوى سلطاننا فرد الزمان
فمن عبد الحميد العدل يحمي عقاب الجو من غير امتنان
بوارف ظله الممدود بتنا على امن وبلّغنا الاماني
له حكم الخليفة...
اعز الله دولته بنصر على الاعداء في يوم الطعان
وراعي مجد والينا...
وابقاه على الشهباء نوراً...
به تزهو مدارسها وتبقى له ذكراً حميداً غير فان »

٣٤) وبعد المطران قام مدير المعارف وتلا الدعاء للسلطان ووقف الجمهور اكراماً الا قنصل فرنسة وتنشليارها وذلك احتجاجاً على ما اظهرته الحكومة السنية من التصعبات في ادخال الكتب الافرنسية في المدارس وذلك مما الجأ

الى تأخير توزيع الجوائز الى شهر تشرين . فاكفهر الجو ورفعت الجلسة ولم تكتمل الحفلة برونقها .

وجاء في سجل الآباء اليسوعيين في حلب في ١٨ كانون الاول : لم تذهب حادثة توزيع الجوائز عند الروم من دون ان يلحقها ذيل . فتوترت العلاقات بين القنصل الافرنسي وبين الباشا . وتدخل المطران كيرلس في الامر وسعى في ازالة سوء التفاهم بين الطرفين على ما عرف به من حسن السياسة وسأل رئيس الآباء اليسوعيين التوسط في هذا السبيل وانحلت الازمة ودخلت في خبر كان.

٣٥) وفي هذه السنة وقع الخلاف بين اصحاب معامل الحياكة او النوال وبين عمالهم . فاضربوا عن العمل وتوترت الأمور بتدخل بعض البروتستانت . وبلغ امرهـا القاصد الرسولي فارسل الى المطران كيرلس جحا كتاباً شديد اللهجة لكونه ترك ٣٥ عائلة من طائفته ينحازون الى المذهب البروتستنتي . واستشار المطران الآباء اليسوعيين في حل الازمة وزال الخلاف بين اصحاب المعامل وعمالهم .

٣٦) في السنة ١٨٩٥ في مدرسة الروم كان عدد التلامذة ١٤٤ والمعلمين ٩ من حفظت صورتهم في لوحة طبعناها واليك اياهـا مع اسماء الذين لم تمحَ اسماؤهم من ذاكرتنا اذا تمعنا في النظر اليهم. (اطلب الصورة ص٠٠٠) وقد يمثلون نخبة العائلات المسيحية في حلب وبعضهم سوف ينال شهرة في عالم الدين والسياسة في حلب او في المهجر واكثريتهم الساحقة انتقلوا الى رحمة الله ولم يبق منهم في قيد هذه الحياة الا من يعد على الاصابع فاقرأ اسماءهم اخذاً من اليمين الى الشمال بدءاً بالسطر الاعلى فدونه الى الاسفل باعتبار عـدد الاسطر التسعة . وقد دللنا على من لم نوفق الى تسميته بعلامة (X) بين هلالين:

٣٧) ١ — سليم عبجي ، بشير خياط ، (x) ، (x) ، مكسيم تاجر ، جورج عبجي ، (x) ، (x) ، امين سابا ، استنبولية ، جامي ، جورج بهنا — راية المدرسة — ادوار شعراوي ، (x) ، انطوان فارس ، ميخائيل صايغ ، يرغاكي وكيل ، ادوار بردخجي ، نقولا سمان ، شكري شعراوي ، اسكندر عبجي ، فرنسيس مكربنه ، فرديناند توتل .

٢ — نقاش ، اسكندر صابغ (x) ، جوزف كيوركيان ، (x) ، قسطاكي

سمان ، جون خوري ، يوركي عرقتنجي ، عبدالله وكيل ، جوزف تاجر ، نقولا باسيل ، (×) ، نقولا سابا ، سابا ، (×) ، (×) ، (×) ، جليل وكيل ، جوستان شعراوي ، (×) ، ازيدور فتال ، روفائيل هندية ، (ازرق) ، كارلس توتل ، بتراكي خوري ، هوميروس توتل .

٣ — (×) ، شار ، شعراوي ، (×) ، قس نصرالله ، كلمان حكيم ، كريم قس نصرالله ، (×) ، نعوم سالم ، صبحي سالم ، ليون باسيل ، (×) ، (×) ، نعوم عبجي ، (×) ، (×) ، وكيل ، (×) ، (×)، (×) ، جون خوري ، (×) ، (×) .

٤ — رزق الله عبجي ، منير سالم ، وديع قسطون ، (×) ، (×) ، زلعوم ، نعوم عقاد ، جوزف عقاد ، فؤاد سالم ، امين عبجي ، عبدالله مكربنه ، نعوم تاجر ، (×) (خياط) تيودور مكربنه ، قسطاكي سابا ، اسكندر بردخجي ، (×) جوزف توتل ، (×) ، بتراكي مكربنه .

٥ — نقولا مراش ، ريشارد توتل ، (×) ، (×) ، (×) ، نجيب سالم ، كريم وكيل ، (×) ، فتح الله بردخجي ، اسكندر سالم ، بيار حمصي ، نقولاكي حاتم ، (×) ، (×) ، حاجي اوغلي ، (×) ، (×) ، (×) ، (×) .

٦ — (×) ، (×) ، (عبجي) (×) ، خياط (×) سامي نحاس ، فتح الله قسطون ، (×) ، كامل تتنجي ، (×) ، اميدو سالم ، (×) ، (×) ، الياس شاشاتي ، حكيم ، امين بهنا ، (×).

٧ — القواس شكري ، عبجي ، الياس بهنا ، خياط — هزاز ، نحاس ، صايغ .

٨ — المطعون جورج مخلوطه ، (×) ، الخوجه معلم التركي ، الذيداسكاله معلم اليوناني ، الشماس اثناسيوس كبابه ، القس اغناطيوس رباط ، الخوري باسيل شماع ، الخوري ميخائيل شحود ، القس ملاتيوس عطاره ، الشماس مكاريوس سابا ، المسيو اندره بوس ، المسيو جان جحا ، الشماس رزق الله خوام.

٩ — (×) هنري هندية ، جوزف كبابه ، ليون عبجي ، ادوار توتل ، سابا ، نديم توتل ، نصري كبابه (×) صبحي مكربنه ، جوزف مكربنه.

٣٨) مسيو اندره (اطلب رسمه في الصف ٨ من الصورة) . في السنة

١٨٩٥ قدم الى حلب رجل اسمه اندره بوس وكان في العقد الثالث من عمره كان من الاخوة المدارس المسيحية ثم تركهم وعرض خدماته على السيد كيرلس جحا . فرحب بـه المطران واضافه في مدرسته وعهد اليه بالمناظرة العمومية وبتعليم الصف الاول الافرنسي مع الحساب والجغرافية .

وكانت المدرسة بالحاجة القصوى الى معلم مقتدر باللغة الافرنسية وكان قد تولى فيها تعليم هذه اللغة الاب كورنثو الافرنسي ولست ادري لاي سبب رُبط عن إقامة النبيحة الالهية والجئ الى الاستقالة . فجاء مسير اندره وكان كريم الاخلاق محباً للتعليم وللتلامذة فاجبره . وكانت تأتي ايام العطلة وتفرغ المدرسة من التلامذة خارجية او داخلية ومسيو اندره وحده لا رفيق له ولا سمير الا كتب المطالعة واعز التلاميذ اليه كان من يأتيه بالروايات واخبار الحروب والمقاحمات فيقرؤها ويدرّب الاولاد على المطالعة .

٣٩) وحدث ان القنصل الافرنسي بونيون ذلك المستشرق الاثري الذي اكتشف الكتابات الفينيقية وهو يمر في حي الصليبة في حلب على احجار ينحتها النحاتون دخل على المطران كيرلس فجأة وسأل الاطلاع على حالة الدروس في المدرسة فاستدعى المطران للحال نجباء التلامذة ومنهم ادوار شعراوي فسأله القنصل بالافرنسية عن نابوليون وحروبه . وسر لاجوبته وضحك المطران اغتباطاً لانه كان في تلك الايام يسعى لاستدداد المعونة من فرنسة في سبيل احضار الاخوة المارياتيت للتعليم في مدرسته بحلب .

وكان للسيد اندره الفضل في تدريب الناشئة على الكلام بالافرنسية فدرجت على السن الاولاد وفرح الاهلون بذلك وكان السيد كيرلس جحا يقدر اتعاب مسيو اندره ويمدحه ويشجعه ويقول له : « لقد عمّرت مدرستي » .

وانتقل مسيو اندره الى رحمته تعالى في مستشفى سان لويس حوالي السنة ١٩٠٥ مصاباً بمرض بالكبد .

٤٠) بفضل حضرة الاخ كبريال رئيس معهد السيدة في حي فرن الشباك (بيروت) حصلت على التعليقات التالية عن السيد اندره بوس اخذاً عن سجلات جمعية الاخوة المسيحية المحفوظة في مصر ، اوردها معربة عن الافرنسية حفظاً لذكر « معلمنا » من كان من امثاله نادراً في حلب في ذلك العهد :

. اندره بوس André Bous اسمه بالرهبانية الاخ جول دنيس ابن غوستاف بوس وكاترين لوتز، ولد في لوكسنبرغ (المدينة) في ٢٢ ك٢ ١٨٦٥، دخل جمية اخوة المدارس المسيحية في رملة (الاسكندرية) مبتدئاً من ١٦ ت ٢ ١٨٨١ الى ١٩ اذار ١٨٨٣ . اقام في معهد الفرنتش في القاهرة من ٣٠ نيسان ١٧٨٣، ثم سافر الى اللاذقية في تموز ١٨٩٠ . علم الصف الرابع والثالث والثاني من المدرسة المجانية . نذر نذوره الرهبانية السنوية عام ١٨٨٤ و١٨٨٥ و١٨٨٦ و١٨٨٧ ونذوره على الثلاث سنوات عام ١٨٨٨ .

« الاخوة يحضرون غداً »

٤١) اما الحدث الخطير الذي جرى على ايام المطران كيرلس جحا في حياة المدرسة فكان قدوم الاخوة الماريانيت الذين اشرنا اليهم سابقاً .

في اوكتوبر ١٨٩٩ دعي التلامذة الى القاعة الكبرى وحضر سيادة المطران كيرلس وقرأ على مسامعهم كلمات البرقية التي ارسلها من الاسكندرونة الى دار الاسقفية في حلب السيد يوسف شعراوي جاء فيها :

Frères arriveront demain « الاخوة يحضرون غداً ».

وفي اليوم التالي عند غروب الشمس حضر بريد الاسكندرون ومعه الاخوة الثلاثة ميرك Merck، شازو Chazot، وغابالدا Gabalda . ولكثرة اشتياق المدرسة اليهم لم يفسح لهم المجال في الانعزال والراحة بعد سفر العربات المضنك بين الاسكندرون وحلب . فدخلوا دار المطران والموسيقى تعزف، وجلسوا وعليهم وعثاء الطريق، وسمعوا خطاب الترحيب قرأه التلميذ ادوار شعراوي ودعوا الى تناول العشاء، واخيراً استقر لهم الامر في ليلة هدوء ونوم بالمدرسة.

٤٢) وما مضى اليومان الا ودعينا اولاد المدرسة الى المسابقة بالاملاء . وجرى بعد ذلك بيوم توزيع التلامذة على الصفوف . فكان لمسيو مرك رئيس الاخوة الصف الاول، ولمسيو اندره المذكور سابقاً الصف الثاني، ولمسيو شازو الصف الثالث، ولمسيو غابالدا الصف الرابع، وتوزع سائر التلامذة على الصفوف الصغار ممن لم يعرفوا شيئاً من اللغة الافرنسية وكان الفضل لتعليمهم القراءة العربية للسيد جورج مخلوطه (اطلب رسمه في الصف ٨ من الصورة) صاحب الخط الجميل، كانوا يأتونه ببيت الشعر رثاءاً لميت فيكتبه بالخط الثلث الضخم على ورق يلصق على التابوت . وعلى عيد مار جرجس كانت الموسيقى المدرسية

تذهب الى حي الشرعسوس ويقودها المعلم رزق‌الله خوام «البارع» (راجع صورته ٨) حيث كنيسة القديس جرجس. وهناك بيت المعلم جورج مخلوطه فتدخله الموسيقى عن امر المطران وتعزف ابتهاجاً بعد ان يكون في الكنيسة الشماس مكاريوس. سابا كاتم اسرار سيادته قد القى خطاباً من باكورات عظاته قبل ان يرقى درجات الكهنوت مع رفيقه خريج اكليريكية عين تراز، ووكيل المالية في المدرسة الشماس اثناسيوس كبابه.

٤٣) ولم تطل اقامة الاخوة المريانيت في حلب وتركوا المدرسة وعادوا الى فرنسة بعد اربع سنوات من التعلم. وعلى قصر مدة اقامتهم وسعيهم انجبوا تلامذة ممتازين في عالم الدنيا والدين منهم جوستان شعراوي محافظ زحلة (١٩٢٤) وجوردان عبجي التاجر المعتبر، وايزيدور فتال متروبوليت حلب († ١٩٦١)، ونقولا سابا (الخوري بطرس)، واسكندر عبجي (الاكسرخوس هيلاريون) وغيرهم وغيرهم.

٤٤) على ان المرموق بين تلامذة مدرسة القديس نقلاوس في ذلك العهد كان نجيب رباط (الخوري جبرائيل) ابتدأ دروسه في مدرسة اليسوعيين في حلب فوصفوه في سجلاتهم «بالعجيب» enfant prodige ورغب بالدخول في الرهبانية اليسوعية، فنقله المطران كيرلس جحا الى مدرسته وكان من حسن حظ نجيب انه دخلها على ايام الاخوة الماريانيت فما عتم ان سار في طليعة الصف. وكان يقرأ على التلامذة في الغذا. فيتمرن على الالقا. ويتأهب في الصلاحية لان يكون من مشاهير وعاظ زمانه يوم يعتلي المنابر في حلب وفي مصر. فيختاره المجمع العلمي العربي الدمشقي عضوا له. ويوم يخلو كرسي حلب الاسقفي بارتفاع صاحبه المطران ديمتريوس القاضي الى السدة البطريركية سوف ينادون بالخوري جبرائيل رباط خلفاً له على كرسي حلب. وكان اذ ذاك مدير اسقفية القديس نقلاوس ومرشد الشبيبة الكاثوليكية. وخشي ان تنقسم كلمة الطائفة على التصويت في انتخاب المطران الجديد فتنحى عن الوظيفة ودعا بالمصوتين له الى ان ينتخبوا المطران مكاريوس سابا النائب البطريركي في الاسكندرية. وكذا جرى. ولم ينفك الخوري جبرائيل عن التفاني في الاعمال الرسولية. ومات في صرح الشباب سنة ١٩٣٥.

٤٥) وفي ٢٨ حزيران ١٩٠٢ انتخب السيد كيرلس جحا في دير صربا (جونيه) بطريركاً خلفاً للبطريرك بطرس الجريجيري فرحل عن حلب ولعل رحيله عنها كان سبباً لخروج الاخوة الماريانيت منها وعودتهم الى فرنسا التي اتوا منها عن طلب المطران كيرلس جحا .

٤٦) ان فتح خطوط الطيران بين الشرق والغرب عن طريق بيروت ، ادى لاحد الآباء الماريست الفرصة للحط في جامعة القديس يوسف وهو في سفره الى اليابان ، وبواسطته اتصلنا بانسيد غابالدا احد الاخوة الذين علمونا في المدرسة الاسقفية سنة ١٩٠١ وهو الآن في طوكيو ، وراسلناه طالبين اليه الفوائد التالية لننظمها في سلك هذه الاخبار لما فيها من الذكراوات الطيبة لتلامذة المدرسة الاقدمين، فضلاً عن قيمتها لتاريخ الارساليات المسيحية . وفي ٢٦ كانون٢ ١٩٥٩، ارسل الينا السيد غابالدا الكتاب التالي نعرّبه بحرفه عن الافرنسية .

٤٧) « حال وصول كتابك الي اخذت بالجواب عليه عسى ان يأتيك بالمرغوب ، تسألني التعليات عن الأخوة رفاقي سابقاً في التعليم في معهد القديس نيقلاوس . انما لوجيزة بطبيعة الحال..

لقد اخذتَ بالتأليف عن حلب باللغة العربية . يا ليتني اعرف هذه اللغة لاتمتع بما تكتبه عن هذه المدينة وعن سكانها ، فاني احفظ لهم ما يحفظه الانسان عن ايام الشباب غضاً ذكياً . لاني ابتدأت في حلب حياتي بتعليم الناشئة في سلك الحياة الرهبانية . كان بين يدي عدة وثائق عن تلك الايام فاتمتع بمطالعتها من حين الى آخر وانا في اليابان . ولكن حدث ما حدث في زلزال ١٩٢٣ واضرم النيران التي التهمت اوراقي ومنها الوثائق عن حلب .

٤٨) كانت المراسلات متواصلة بيني وبين الاب بوناونتورا رباط الذي كان مقيماً عند الاباء الترابستيين في شيقلة اكبس وكان آله من معارفنا في حلب ولكن منذ حرب ١٩١٤ فقدت اثرهم. وكنت ارسل عدة من تلامذتنا القدماء. ومنهم شارل عبجي . آخر ما وصلني من تحاريره كان مؤرخاً سنة ١٩١٩ من بلاد اسوج ثم فقدت اثره . واضعت لائحة تلامذتي القدماء . كما قلت لكني لم انس اسماء الاكثرين منهم وكاني اتصورهم الآن امامي . وكنت اتوق الى ان احط في حلب في احدى الرحلتين اللتين قمت بهما الى فرنسة فاعود وارى الاشياء والاشخاص ولكن هيهات ان يكون بقي هناك ما ارغب بقاءه بعد ما حدث من الانقلابات السياسية وغيرها .

اما الآن وقد دخل كل ذلك بخبر كان فلست اتوق الا الى اللقاء في دار

البقاء. وما عليّ الا الثبات في الصلاة التي تجمعنا اجمعين.

٤٩) الا اوافيك ببعض الاخبار عن اليابان؟ الا احدثك عن معاهدنا الستة المزدهرة ومعدل تلامذتها في كل معهد نحو ١٢٠٠، ان اكثريتهم من الوثنيين ولكن ما بينهم ما يقارب الخمسين من يتعمدون سنوياً. بعد الحرب تهافت القوم على اعتناق المسيحية ثم تقاعدوا عنها مع رجوع الحياة الى الرفاهية. وليس من ضرر في ذلك طالما الحرارة متقـدة في قلوب الذين تعمدوا حديثاً فتعوض عن كثرة المهتدين بقلتهم الممتازة بحرارتها. وقد تنشأ الدعوات الى الحياة الرهبانية بين تلامذتنا ولا سيما بين المسيحيين الاقدمين سكان الجنوب. وان من الوطنيين اليابان مئة واكثر من دخلوا الرهبانيـة المريمية ويسعون فيها سعيهم المشكور. وقد يتقلص في البلاد ظل الرهبان الأجانب عنها. فرؤساؤنا اجمعون وطنيون: الاقليمي، والمفتش، والمدراء. ونحن بالف خير والبنايات في المدارس تتتابع، وصيتها من احسن ما يكون.

فالشكر لله وللعذراء مريم دائماً... اما انتم فآزرونا بصلواتكم المقبولة لتثبت قدمنا في طريق الرب.

رفيقكم بالحياة الرهبانية بيسوع ومريم

رينه غابالدا من الاخوة المريميين الصغار

René Gavalda s. m.

— اليك موجز ترجمة الاخوة الماريانيت الاربعة الذين عملوا في حلب:

٥٠) ميرك ارنست Merck Ernest ولد في الزاس ١٨٥٩، دخل جمعية مريم ١٨٨٨. حاز على شهادة مدرسة المعلمين في ريس اورانجيس ١٨٨٣، علّم في عدة معاهد لجمعية مريم في موناكو وفي باريس (معهد ستانيسلاس)، وفي ليل Lille، ارسل الى حلب للتعليم في مدرسة القديس نيقلاوس في ١٨٩٩، عاد الى فرنسة في ١٩٠٣ فأخـذ يعلم في مدرسة رعية فوماي Fumay ثم صار مديراً لها من ١٩٠٨ الى ١٩٣٥. ثم تحول الى دار العجز لجمعية مريم في ١٩٣٥ حيث توفي في ١٥ ايلول ١٩٣٧

— لاون شازو Léon Chazot، ولد بقرب بيفور في فرنسة في ١٨٨٠؛ حاز على شهادة مدرسة المعلمين في ريس اورانجيس في ١٨٩٨ ثم علم في غرانفيلار بالقرب من بيفور من ١٨٩٨ الى ١٨٩٩ ثم في مدرسة القديس نيقلاوس في حلب من ١٨٩٩ الى ١٩٠٢، ثم عاد الى فرنسة وتقدم للفحص لدخول مدرسة سان مكسان العسكرية.

– ليندر Linder انطوان ولد في الزاس ١٨٨٣ ، حاز على شهادة مدرسة المعلمين في ريس اورانجيس ١٩٠٢ ، علّم في حلب ١٩٠٢ الى ١٩٠٣ ، عاد الى فرنسة ومنها ذهب الى بلاد النسا حيث يقيم الى يومنا في دار الابتداء وقد احتفل بيوبيله الرهباني سنة ١٩٥٢

– غابالدا رينه René Gavalda ولد في فنسن Vincennes فرنسة . دخل جمعية مريم ١٨٩٧ ، حاز شهادة مدرسة المعلمين في ١٨٩٩ ، علّم في حلب من ١٨٩٩ الى ١٩٠٣ ، ثم في مدرسة نجمة الصبح طوكيو (اليابان) من ١٩٠٤ الى ١٩٥٩ وكان في غضونها معلماً في مدرسة النبلاء ١٩٠٦ – ١٩٣٩ ، وفي المدرسة الحربية العليا ١٩٠٨ – ١٩١٢ ، وفي مدرسة الضباط ١٩١٤ – ١٩١٨ . وكان ممثلاً لاقليم جمعية مريم الياباني في المجمع الرهباني العام في رومة ١٩٥١ وهو الآن استاذ في معهد نجمة الصبح . وهو يستعد الى رحلته عن قريب ليلاقي امرته في السماء وسيترك مع الدنيا واباطيلها ما حاز عليه من اوسمة والقاب وغير ذلك كضابط في الاكاديمية وفي المعارف وفارس الشمس الطالعة والكنز المقدس . . .

من الماريانيت الى الماريست

٥١) ان رحيل الاخوة (السادة) الماريانيت وتركهم مدرسة القديس نقلاوس كان خسارة على الناشئة الحلبية . فجاء المطران واغسطينوس صائغ الارمني الكاثوليكي ودعا الى التعليم في مدرسته الرهبان من جمعية الماريست وهؤلاء هم فرع من الدوحة المريمية الكبرى التي غرستها ايدي الطوباويين غليوم جوزف شاميناد (١٧٦١ – ١٨٥٠) ومارسلان شامبانيا (١٧٨٩ – ١٨٤٠) وغايتهما تعليم الناشئة . وفي ١٩١٩ دعا المطران مكاريوس سابا اخوة من جمعية الماريست ايضاً للتعليم في مدرسة القديس نقلاوس الروم . وما عتم ان استقل الرهبان الماريست عن الارمن وعن الروم وفتحوا مدرستهم في بناية جميلة عمروها في ما وراء الخط الحديدي ثم باعوها مشروع جورج سالم وانتقلوا الى الغرب حيث مدرسة شامبانيا الحالية الزاهرة وسترى اخبار تلك الايام مفصلة مع الازمنة .

الأعلام والحوادث والايام

٥٢) ١٨٦٣ في ٩ تموز الخميس توفي المطران ديتريوس انطاكي وخلفه المطران بولس حاتم — وفي هذه السنة وصل زيت البترول الى حلب واخذوا يستعملونه في القناديل (غزي ٣٩١/٣) — وفي هذه السنة كان عدد الافرنسيين المقيمين في ولاية حلب ٩٤ منهم ٤٤ عمرهم فوق١٥ سنة و٢٠ نساء عمرهن يفوق

١٥ سنة و١٤ ذكور عمرهم دون ١٥ واناث ١٦ عمرهن دون ١٥ سنة .
(عن وثائق القنصلية)

٥٣) ١٨٦٧ في ٢١ ايلول حدثت تغيّرات في ادارة السلطنة العثمانية ، فابدل الحكم الباشوي بحكم الولاة وسميت الايالات ولايات — فتح الطريق بين حلب والاسكندرون — صدرت جريدة الفرات الاسبوعية بالعربية والتركية اسمها حالت بك مكتوبي الولاية (غزي ٣؛٢٩٣...) وانشئت محلة العزيزية واخذ المسيحيون يبنون البيوت عند جبل النهر .

٥٤) ١٨٦٩ — ٥ شباط — نسخ الشماس الاناغنوسطوس جرجس انطونيوس دلال الحلبي السرياني الكاثوليكي تلميذ الشرفة كتاب «الايضاحات المنطقية في شرح الاصول المنطقية». (شباط ١٠٩٤)

— جرجس ولد يوسف اوقف مسقفات للروم الكاثوليك. (غزي ٢؛٦٠١)

— تجددت كنيسة الارمن الارثوذكس. (غزي ٢؛٤٧٦)

— انتشر مرض «ابو الركب». واقامت الحكومة الحجر الصحي على حدود الولاية مما يلي الموصل لظهور الهيضة فيها .

٥٥) — جاء الشيخ وفاء ابن الشيخ بهاء الدين الرفاعي من استنبول ومعه شعرة النبي محمد اعطته اياها امرأة من أكابر نساء العاصمة، فتلقاه الناس بالتكريم ووضعت الشعرة في زاوية الشيخ تراب .

«وليلة المولد في ربيع فانها تبرز للجميع
يرفعها على يديه الحافظ واعين الناس لها تلاحظ»

(راجع منظومة الشيخ وفاء : الشعر ٦٦٦و٦٦٧

٥٦) ١٨٧١ — ٢٩ آذار — تصاعدت اسعار الحنطة بحلب . سعر الشنبل ١٨٠ غرش بينما كان ٧٥ . اخذ بعض المسيحيين يجمعون الدراهم برسم الفقراء. فجمعوا نحو ١٠٠٠ ليرة. ولم يزالوا مهتمين بمشترى الدقيق وتوزيعه على المحتاجين. جازاهم الله خيراً. (الجوائب عدد ٥١٥)

— وفيها مريم بنت نصري ديمتري اوقفت مسقفات للروم الكاثوليك وهيلانة بنت الوكيل للروم وتريزيا بنت جرجس عواد للموارنة. (غزي ٢؛٦٠١)

— وفيها ولد بحلب جرجي الكندرجي الشاعر وتوفي في فرنسة ١٩١٨ في اركاشون . (حمصي: ادباء حلب ص٨٩)

١٨٧٢ — ٣٠ نيسان — في الساعة واحدة ونصف عربية صباحا من هذا اليوم الاربعاء حدثت زلزلة شديدة دامت نحو ٢٦ ثانية تدوي وترفس ، اضرت بنحو ١٢ شخصاً توفي منهم اربعة اولاد صغار وابنة صغيرة وامرأتان ورجل . واكثر الاهالي خرجوا من المدينة وباتوا تحت الخيم. (ب ٨٦)

وحدثت الزلزلة ايضاً في ٢٨ نيسان في حلب ولم تحدث ضرراً . امـا في انطاكية فكانت الاضرار جسيمة من جراء هزات لهذا الشهر. (ب٨٩)

٥٧) ١٨٧٢ — ١١ ك١ — روت جريدة الجوائب ان احد اللصوص اسمه كرجمل التقى خارج البلدة برجل ففتشه فوجد معه بعض الليرات فاراد اخذهـا فاقسم له الرجل انها نفقة عرسه وهو قادم على الزواج فتركها له اللص واعطاه نظيرها من جيبه .

٥٨) ١٨٧٣ — ١٠ ك١ — حضر من بيروت الى حلب الابوان اليسوعيان كنوتي وكوش لفتح دير اليسوعيين فاضافهما الاب اوتيمو الكبوشي في ديره في خان المبسر — (والى يومنا توجد في هذا المكان بقايا كنيسه الكبوشيين من اوان وصور . ومفتاحها محفوظ في بيت بوخه) .

٥٩) ١٨٧٤ — توفي المطران اثناسيوس تتنجي رئيس اكليريكية عين تراز سابقاً ودفن بالقرب من الهيكل في كنيسة الروم . ألّف مقالة « في ازالة الشقاق على قضية الانشقاق » (سباط ٤٦٧) وله مجموعة مواعظ محفوظة في مكتبة الآباء البيض في الصلاحية في القدس . (راجع المشرق ١٠/٤٠٧)

— وفيهـا توفي فرنسيس مراش ، ولد في حلب ١٨٣٥ وقضى شطراً من حياته في فرنسة ، له مؤلفات ادبية منها « شهادة الطبيعة في وجود الله والطبيعة » .

— وفيها استأجر الآباء اليسوعيون بيت الحموي (٣ آلاف غرش سنوياً) في حي الالجي واتخذوها ديراً لهم . وكان الاب كوش مؤلف القاموس العربي الافرنسي رئيساً . فحول غرفة الدار الكبرى الى كنيسة . وفي اذار تكامل عدد الرهبان في الدير بقدوم الاب دوتا فرنيه (مؤلف القراماطيق العربي الافرنسي) والاخ مياج .

٦٠) وفي ٥ نيسان اعلن الآباء اليسوعيون ان الوعظ يصير في كنيستهم يوم الاحد بعد الظهر ويوم الاربعاء ويوم الجمعة . وفي ايار صارت تقام صلوات الشهر المريمي، وفي حزيران القيت المواعظ على ثمانية ايام استعداداً لعيد الجسد. وازدحم الرجال لسماع الوعظ وكانوا يفضلونه في ركاكته على المواعظ الرنانة الغير مفهومة من العامة. واحتج سكان حي الالجي لدى الوالي وقالوا ليكن حي الصليبة للمسيحيين ويتركوا لنا حيّنا وقد جاؤنا « ببدعة جديدة » . وذهب احتجاجهم سدى.

٦١) ١٨٧٥ — ٢٠ تموز — ظهر الهواء الاصفر للمرة الخامسة في هذا القرن . الكنائس تغص بالمؤمنين عند كراسي الاعتراف . الكهنة يحملون الاسعافات الروحية والمادية الى بيوت المرضى والفقراء . عدد الوفيات يتراوح عند المسيحيين بين ٥ و١٢ يومياً وعند المسلمين بين ٢٠٠ و٣٠٠ .

— ١٥ ت١ — عيد مار اسيا الحكيم . الاب غرنيه اليسوعي يقيم ذبيحة القداس في كنيسة حي العنكبوت للسريان .

— ١٧ ت١ — سافر الاب اوتيمير الكبوشي الى اوروبا لجمع الحسنات لترميم كنيسة انطاكية التي خربتها الزلازل من ٤ سنوات .

وفي هذه السنة كانت وفاة المعلم نعوم البخاش صاحب « اليومية» التي نشرناها في مجلة المشرق وعلى حدة (١٩٣٧ و ١٩٦١) — وفيها انشأ السيد اغناطيوس جرجس شلحت كتاب طقس عيد مار اغناطيوس النوراني وحتم ان يعيّد في ٢٠ كانون الاول . (مخطوطات الشرفة ١١٨) وفيها صونيا بنت جرجس ادلبي اوقفت مسقفات لفقراء الروم الكاثوليك. (غزي ٢:٣، ٦٠٢)

٦٢) ١٨٧٦ — قدم الى حلب الاب مونو رئيس اقليم ليون اليسوعي والاب نورمان رئيس الرسالة اليسوعية، والاب روز الرئيس على دير حلب وسمي باسم القديس اغناطيوس .

— ١ ك٢—اقيم القداس القنصلي في كنيسة الآباء الفرنسيسكان فحضرته الجالية الافرنسية .

— ٢٦ ايار — فتحت راهبات قلب يسوع مدرسة للبنات وكانت الرئيسة الاخت انياس ومعيتها الاخت بريجيتا .

— ٦ تموز — سافر عسكر الرديف حوالي الالف الى الاسكندرون حيث

يركبون البحر. وخاف الحلبيون فوضى الحكومة لان الوالي سافر معزولاً وعزل الدفتردار ايضاً.

— ١٩ تموز — عن بادرة من السيد اميرات Emerat وكيل قنصل فرنسة جمعت الحسنات بين المسيحيين لمساعدة عائلات العساكر الذين سافروا للحرب. اعلن السرب والجبل الاسود الحرب على تركية من عشرين يوماً ونشب القتال والحقائق غامضة لان التلغرافات متناقضة والاتراك لا يعلنون الا انتصاراتهم.

— اهدت الحكومة الافرنسية الوسام الذهبي للآباء اليسوعيين والفرنسيسكان واللعازاريين (في اكيس) ؟ ولراهبات مار يوسف لتفانيهم في خدمة المطعونين.

٦٣) — ٢٣ تموز — الاحد قدم الى حلب الوالي امين باشا والدفتردار والقاضي الجدد.

— ٢٦ تموز — زار الوالي امين باشا الآباء اليسوعيين وكان بمعيتهم ميشال صولا ترجمان فرنسة.

— ٢٥ آب — عاد الوالي من براجيك حيث كانت الامور مضطربة. وفرح الحلبيون لعودته لان البلد كانت تغلي بسبب سفر الرديف الى الحرب.

— ٣١ آب — اطلقت المدافع معلنة جلوس عبد الحميد خلف اخيه السلطان مراد — شتم نفر من البوليس احد الآباء الفرنسيسكان في ساحة باب النصر، فاحتج الاب الى القنصل الافرنسي والقنصل الى الباشا فحكم الباشا على النفر بثلاثة اشهر حبس وعلى رئيسه بـ ١٥ يوماً.

٦٤) — ٢ ايلول — جاء من كلز الاب جرجي كلزي الارمني الكاثوليكي وقال ان البروتستنت ضموا اليهم الفين من الارمن الارثوذكس. — فتحت راهبات مار يوسف الظهور مدرسة جديدة في حي الماوردي.

— ٢٤ ايلول — اقام الاب غرنيه اليسوعي رياضة شهر الانفس المطهرة في حي القبب يوم الاحد والخميس.

— ت١ — اقيمت حفلة الجناز في كنيسة الشيباني من اجل راحة دزيره فيلكروز المتوفي بمرسيلية وكان من اركان الجالية الافرنسية في حلب واسمه يطلق على خان من خاناتها.

— ٨ ت٢ — يتوقعون نشوب الحرب مع المسكوب. سافر امس السيد

ايفانوف قنصل روسية ولتو الرديف-الاحتياطي .

٦٥) — وفيها ٢٧ ت٢ اوصى الياس عبدالله قجله ، رحمه الله « بثلث جميع متروكاته من نقود ومنقول ورزق وتجارة واثاث وفضة ونحاس وكمبيالات وسندات وغير ذلك يصرف بعد وفاتــه في وجوه البر بموجب نصف الثلث المذكور الى طائفة السريان الكاثوليك بحلب واقام وصياً عليها الاب بطرس سالم الوكيل البطريركي ويكون توزيعه هكذا : ثلث ما خص الطائفــة المذكورة حسنات قداسات وجنازات وترتيب الوفاة والثلثان الآخران على فقراء السريان ما عدا المعتاد ان يوزع عليهم . وما تبقى منه نصف ثلث المال قد اوصى بنصفه الى طائفة الارمن الكاثوليك بحلب واقام وصياً بذلك المطران غريغورس بليط . والنصف الاخير منه نصف ثلث المال اوصى به الى طائفة الموارنة بحلب واقام وصياً بذلك المطران يوسف مطر لكي يوزّعه هكذا : اي ثلث السهم حسنة قداسات وجنازات اعتيادية والثلثان لاجل عمار الكنيسة الجديدة والفقراء . . »

وفيها — ٢٦ ك١ — الثلاثا اطلق المدفع لقراءة الفرمان الشاهاني المعلن الاصلاحات التي احدثها مدحت باشا الصدر الاعظم بطل الدستور العثماني .

٦٦) ١٨٧٧ — ٩ شباط الجمعة — عزل الوالي وسيكون عوضه كامل باشا متصرف بيروت . وقيل ان مدحت باشا عزل ايضاً وسيكون عوضه ادهم باشا — المخابرات مقطوعة مع استنبول منذ اشهر . يؤملون بعقد الصلح قريباً بسبب تغيّر الصدارة . — ١٢ شباط الاثنين — الاب غارنيه يلقي عظات الرياضة على كهنة السريان .

— ١٣ اذار — زار الرؤساء الروحيون كامل باشا .

— ٢٢ اذار — سافر طابور الرديف من حلب .

٦٧) جا. في الجوائب عدد ٨٥١ ص٤ ١٧ نيسان١٨٧٧ عن مراسل من حلب :

« في ١٤ اذار تشرفت مدينتنا بقدوم كامل باشا . . . والامل اننــا نحوز غايتنا من الاصلاح في ايامه . . . ثم انه بينا كان عبـدالله ابي محمد الانطاكي الموظف بدائرة التلغراف بحلب واقفاً عند محلة باب الاحمر بالقرب من دار سكناه مر عليه اثنان من الاشقياء . وهما بحالة السكر فشتماه . ومن كان لديه فارسل في طلب الضابطية من القراقول القريب . فلما علما انه طلب الضابطية هجما عليه

وضربه احدهما بخنجر فشق حنكه وهرب مع صاحبه . فذهب احد اصحاب الافندي الى مركز الحكومة واحضر كثيراً من الضابطة فتبعوهما الى خارج المدينة والقوا عليهما القبض وهما الآن في السجن وان شاء الباري تعالى نستريح بهمة صاحب الدولة والينا الجديد من تعديات الاشقياء التي لم يزل وقوعها متواصلاً من مدة طويلة الى الآن » .

— نيسان — اعلنت الحرب بين روسية وتركية ولم يحدث اضطراب ولا قلق في البلد .

٦٨) — ٢٤ ايار — ادخال المسيحيين في الخدمة العسكرية .

« لم تصدر بعد اوامر رسمية بدخول المسيحيين في الخدمة العسكرية وانما يتبين من قرائن الاحوال ان هذا الامر سيجري فعلاً بل يعم ايضاً سائر التبعة غير المسلمين سواء كانوا مسيحيين او اسرائيليين الا ان الباب العالي لم يقر رأيه بعد على كيفية وقوع القرعة فهل تكون هؤلاء العساكر في سلك العساكر الاسلامية المؤلفة من ابناء العرب العثمانيين ام يكونوا على حدتهم ولانهاء هذا المشكل شكلت لجنة مؤلفة من كبار رجالات الدولة للمذاكرة فيه » .

(الجوائب عدد ٨٦١ ص٤)

وجاء في ٢٧ ايار :

٦٩) (رسمي) لما كانت نظارة الضبطية تريد ان تدخل رعية الدولة من غير المسلمين في سلك الضابطة تعلن ان كل من يريد ان يدخل في هذا السلك يكون مشمولاً بالمنح والحقوق التي تشمل المسلمين وكل من يظهر منه حسن السيرة والنجابة في وظيفته يترقى . . . (الجوائب عدد ٨٦٢ ص١)

— ٢ حزيران السبت — قدم الاب لا يورد اليسوعي من بيروت وقد ارسل القنصل الافرنسي قواسه ليلاقيه في الاسكندرون .

— ٣ حزيران — وعظ الاب غارنيه في كنيسة السريان بمناسبة اليوبيل الاسقفي للبابا بيوس التاسع .

— ٨ حزيران — حدث القال والقيل في طائفة الروم بسبب زواج فتح الله عبجي على بنت الحمصي — سافر الفا عسكري الى ساحة القتال — زوّد الاب غرنيه ابراهيم حموي بالاسرار الاخيرة — اقترح قنصل انكلترة على سفيره في

استنبول تعين نائب قنصلي في عينتاب ومرعش وارفا وادنه ودير الزور — صادر الوالي جريدة البشير عن امر الباب العالي بالغاء الجرائد على ما يقال.

٧٠) — ١٣ ت٢ — فوض رئيس الآباء اليسوعيين العام رئيس الرسالة اليسوعية في الشرق بالغاء رهبانية راهبات قلب يسوع وبجمع الراهبات الموجودات فيها مع راهبات مار يوسف الظهور او مع راهبات الناصرة. وكاد الامر يتم لولا تدبير العناية الالهية التي حفظت رهبانية قلب يسوع للراهبات الشرقية وقوتها بالجمع بين راهباتها والراهبات المريمات اللواتي كنّ في بكفيا. ومن الجوقين تكونت الرهبانية المعروفة عند العامة براهبات اليسوعية وهن راهبات القلبين الاقدسين ولهن اليوم الديورة العامرة في لبنان وفي سورية وفي المغرب.

— ٣ ك١ — صدر من المطبعة الكاثوليكية في بيروت المجلد الاول من الكتاب المقدس فاهدي الى القناصل برتران (فرنسة) وفردريك بوخه (بلجكا) واندره مركوبولي (برتوغال) ونقولا مركوبولي (اسبانيا).

٧١) — ٢٨ ك١ — ان اهالي حلب بانتظار قدوم بعض التجار الآتين من جزائر سيام لشراء الف كيلة اسلامبولية من حنطة حلب وثلاثين الف كيلة من حنطة قبرس و٥٠ كيلة من حنطة الاستانة فاصدر الباب العالي امراً باجراء التسهيلات اللازمة لخروج تلك الغلال من ثغر اسكندرونة واعفائها من الرسومات المألوفة. (البشير)

٧٢) — ١٨٧٨ — ٤ ك٢ الجمعة — سافر من حلب ٥ او ٦ مئة جندي.

—١٨ شباط—الساعة ٢ بالليل مات السيد برتران قنصل فرنسة متمماً واجباته الدينية. جنازة فخمة: القناصل ببزاتهم الرسمية. متاجندي حراس على الجانبين. المطارين بالغفارات والكهنة اجمعون. قدّر عدد العالم على الطرق بلا اقل من عشرة الاف وفي هذه المره مشى حامل الصليب على رؤوس الملا من كنيسة الارض المقدسة الى المقبرة.

— ٢٥ اذار — اقيمت حفلات الجناز في الكنائس لراحة نفس بيوس التاسع ومن الذين ابنوه الخوري باسيليوس قندلفت.

— ٢٢ نيسان — اقام الآباء اليسوعيون رياضة احد عشر يوماً متوالية ختمت يوم خميس الاسرار وتلا الشماس يوسف سنان معلم المدرسة السريانية خطاباً جميلاً في حفلة الختام.

٧٣) — ٣٠ حزيران — قدم الى حلب القاصد الرسولي لوديفكس بيافه.

فجرى له استقبال حافل .

— وفيها بعد وفاة الخوري مخائيل مظلوم مرشد اخوية القربان المقدس اخذ بادارتها المطران بولس حاتم ، فنقلهـا من مدرسة الاحداث حيث كانت تقوم بفروضها الى الكنيسة الكاتدرائية وقبل اشتراك النسا. فيها واشركها باخوية رومة الرئيسية . وقبيل عيد الاخوية القى عظات الرياضة لشبانها طبقاً لبرنامج رياضات القديس اغناطيوس مؤسس الرهبانية اليسوعية . (البشير عدد ٤١٠)

— ١١ آب — دخل حلب باحتفال باهر البطريرك جرجس شلحت .

(البشير عدد ٤١٨)

٧٤) وكان جرمانوس الشمالي الذي سوف يكون اسقفاً على موارنة حلب من اعز اصدقاء البطريرك شلحت فيزوره ابان اقامتـه في دير الشرفة وينظم قصيدة بمناسبة وضع البطريرك يده على بعض تلامذتها ويقول :

«سقياً لاغراس سقاها انعماً فنمت وبكر ثمارها الداني حلا
فترى بنيه حول مائدة له كغروس زيتون البقاع واجملا
لا غرو اذ قبلوا بوضع يمينه روح الاله مؤيداً ومجيـلا

(ديوان ١٠٢)

فتشددوا وتأهبوا لحصاده طرباً وكل بات يشحذ منجلا
وسرى الى السريان نور معارف وعوارف منه بها الصبح انجلى»

(شمالي : نظم اللآلي ١٠٢)

٧٥) — ٥ ت٢ — انقضت صاعقة على دار فخربتها وقبل شهر رمضان قتل في ليلة واحدة خمسة رجال وان محمد آغا المكانسي ما زال مع شيخوخته يطوف ورجاله حول المدينة ويعس خارجها وداخلها ومن سبعة ايام جرت مقاتلة جرح فيها كثيرون منهم اثنان حملا حملاً ولم يقدرا على المسير ودخل رجل داراً فقتل رجلاً وقطع يد آخر وولى الفرار وقيل رميت جنازة القتيل بالحجارة وقتل رجل وحمل ابنه مجروحاً في محل يبعد اربع ساعات عن البلدة ومن نحو شهرين فقدت امرأة دلالة ولم يوقف لها على اثر . (لسان الحال ٩٨)

٧٦) — ٢١ ت٢ — ارسل القنصل البريطاني الى سفارة بريطانيا في استنبول التعليمات التالية عن العملة المتداولة بين ايدي الناس في حلب بتلك الايام :

١) اهم النقود المستعملة في الاسواق وفي دفع الضرائب هي الذهب العثماني والنقد الفضي .

٢) الليرة العثمانية الذهب قيمتها ١١٧ غرش فضة ، والمجيدي قيمته ٢٢ غرش فضة .

٣) نصف المجيدي قيمته ١١ غرشاً . ربع المجيدي قيمته ٥،٥٠ قرشاً. القرش والقرشان الفضة العشرون منها قيمتها كقيمة المجيدي .

٤) البشليك قيمته خمسة غروش . المتليك قيمته ستة غروش.. البشليك المظم قيمته ١٨،٢٥ . الاسليك قيمته ١٤،٥٠ . الاكليك ١١ ٥/٨ . نصف الاكليك ٣/٤ ٥ . التك قيمته ٣ غروش .

٥) لا تضرب النقود من النحاس الا في قطعة ٥ بارات وقيمتها من ٨ غروش الى غرش واحد .

٦) القائمة او البنكنوت قيمتها ٣٦،٥٠ .

٧) القائمة مقبولة في دفع الديون بسعرها لكنها لا تقبل في دفع العشر.

٨) المزارعون يقبضون النقود عن محصولاتهم ويدفعون القائمة بنك نوت للميري الا في ضريبة العشر .

— بلغ عدد سكان ولاية حلب ٥٣٩٣١١ .

(البشير عدد ٤٠٦) اخذاً عن الجريدة العسكرية

٧٧) وفي هذه السنة وقع الغلاء الفاحش (غزي٣،٤٠٥) ونشأت محلة النيال نسبةً الى محمد عمر النيال احد موظفي الحكومة العثمانية . اقتنى فيها الاملاك ثم وسمها (غزي ٢،٤٤٦) . — وفيها بطرس راهب ولد مخائيل اوقف مسقفات لرهبان الروم الكاثوليك بجبل كسروان ولرهبان هذه الطائفة بحلب وكذلك انطون يوسف بهار(؟) وميخائيل نصري دب والقس حنا ولد جبرا استبولية وكتر بنت جبرائيل ناقوس اوقفت مسقفات للرهبان اليسوعية وغرة بنت يوسف شماس اوقفت مسقفات لفقرا الارمن الكاثوليك وجرجس ولد الياس خوام اوقف مسقفات لرهبان الروم الكاثوليك في جبل لبنان ، وكذلك الياس ولد يوسف خوام .

(غزي ٢، ٦٠٣ — ٦٠٤)

الزياحات في القداس الماروني

بقلم الخوري ميشال بريدي
دكتور حقوق كنسية
استاذ اللاهوت والطقسيات

١ — معنى الزياح لغة وطقساً

الزياح لغة يمكن فهمه فقط عن طريق اصله المستعمل في السريانية اذ انه من المعلوم ان هذه اللفظة تختص بمعجم لغوي مسيحي لا تنطبق معانيه على المعاني المعطاة الالفاظ الموجودة في المعجم اللغوي العربي، وللتأكد من ذلك نذكر ان لفظة زياح لا يستعملها بين المتكلمين باللغة العربية الا المسيحيون وأصلها الاول من ܙܳܚ ܢܙܽܘܚ ويقابلها زاح يزيح المأخوذة اساساً بمعنى تحرك او اهتم ان يتحرك من محل الى آخر ويستعمل بصيغة الفعل اللازم . اما الاصل الثاني لهذه اللفظة فهو ܐܰܙܺܝܚ ܢܰܙܺܝܚ وبصيغة الفعل المتعدي ويؤخذ بمعنى رفع الشيء وحمله وأشار به[1] elevavit, portavit alterum. gestavit انما هذه اللفظة قد تؤخذ في اللغة السريانية بمعانٍ متوسع فيها بأكثر مما تستوعبه في الاصل وذلك من باب ادخال الاوصاف الظاهرة المرافقة لحركة الانتقال وادغام الحركة نفسها بظروف حدوثها فتؤخذ بمعنى « احتفل بالعيد مترنماً » كقولهم ܥܺܐܕܳܐ ܘܰܐܙܺܝܚ ܒܗ̇ܘ او كقولهم ܚܓܳܐ ܘܰܐܙܺܝܚ ܒܚܰܕܘܽܬܳܐ .

ومن البديهي ان ܐܰܙܺܝܚ في مثل هذه الجمل لا يعني حركة الانتقال بل فعل الاحتفال والابهة بذكرى المسيح او العذراء مريم ام الله[2] celebravit festum . laudibus

وعليه يكون الزياح بمعنى التطواف او الاحتفال او احياء الذكرى او التعييد بتقوى وعبادة ولهذا يتحتم علينا القول ان الزياح بحسب تحديداته السابقة لا

يتضمن سوى عنصر شبه مادي ينقصه عنصره الصوري élément formel لكي يحدده بدون التباس فينوعه ويوجهه الى غايته القريبة والبعيدة . فكل حركة تجري ضمن نطاق الطقوس البيعية لها غاية قريبة هي التأثير على نفس المشترك بها بواسطة النظر او القول او السمع عن طريق تلك الاحساسات التي تنتج طبعاً من تلك الحركات اذ تثيرها في النفس او توحيها للعقل .

وهناك غاية بعيدة لكل الحركات الطقسية اجمالاً وهي : اداء العبادة الجمهورية الواجبة لله تعالى حيث تشترك النفس والجسد والفرد والمجتمع البشري بالسوية[٣] .

هذا ما يجعلنا بحاجة الى التنويه عن تحديد لفظة زياح ليس فقط لغة بل وطقساً وتوسيعاً اي بحسب المعنى المرافق لهذه اللفظة في كل رتبة من الرتب وبما ان كلامنا هنا عن الزياحات في القداس الماروني يجب ان نتوخى تحديد هذه اللفظة بشكل يمنع عنا الالتباس لدى تحقيقنا عن وجود الزياحات وتاريخها وأمكنتها في القداس الماروني واظن انه هنا بيت القصيد في كل الابحاث عن القداس الماروني ، لان هذا الاخير يحوي عناصر مختلفة المنشأ والعصر ، وحد بينها مر العصور وهيمنت عليها الروح الانطاكية المسيحية الارامية . فاذا اخذنا العنصر الخارجي من لفظة زياح الطقسية اي الاحتفال والتطواف بشيء مقدس لا يمكن تطبيق هذا الاسم الا على حركتين طقسيتين فقط وهما زياح كتاب الانجيل قبل تلاوته بصوت ذي نغمة ان لم نقل بترنيم صريح[٤] .

ثم زياح الجسد والدم الموجودين تحت شكلي الخبز والخمر ، لدى تناولها او توزيعهما على المؤمنين الحاضرين والمستعدين لقبولهما .

وقد تفتتح الزياح الاول صلاة البركة على البخور مع طلب تقديس النفوس بالروح القدس لنكون سامعين لانجيل المسيح وعاملين به ، وينتهي بترنيمة من لحن ܩܘܡܐ عند العودة من المنبر او من بين الشعب الى المذبح .

اما الزياح الثاني فيبدأ باعطاء البركة بالشكلين المقدسين يميناً وشمالاً من الصمدة وينتهي بعد توزيع الاسرار على المؤمنين (اذا حدث ذلك) ، بتكميل البركة بهما لجهة المحتفل الامامية والورائية ، اي لجهة الشعب مما يعرف «بدورة الكاس والصينية » .

وقبل ان ننتقل الى التنقيب عن اوصاف الزياحات في القداس الماروني وعددها الاجمالي يجدر بنا اكمالًا للفائدة واتماماً لبحثنا في لفظة الزياح ومعانيها ان نشير الى سائر المآخذ التي تؤخذ بها هذه اللفظة في لغة المسيحيين عدا استعمالهم لها في ما يختص برتبة القداس :

فلترجع بحسن اسلوب للسؤال مجدداً عن اصل الكلمة اللغوي : ان لفظة زياح اذا اعتبرناها مشتقة رأساً من اللغة العربية زاح واساساً من السريانية ܙܘܚ كان معناها اللفظي نقل الشيء من محلّ الى آخر وحركه من مكان الى غيره.

وعليه فاستعمالها عند المسيحيين يكون بمعنى طائفٍ بالشيء او اليه باحتفال من مكان معين الى مكان آخر بغية التكريم او الوقار او العبادة الجمهورية ويكون الطواف عندئذٍ بشيء من الابهة ومع هذا المعنى ينطبق التحديد الذي نجده في كتاب الرتب الروماني : وتوصف به كل انواع الزياحات التطوافية كزياح الشعانين وزياح المسيح يوم الجمعة العظيمة وزياح الكاهن الجديد والولد المعمد الخ. [٥]

اما اذا اعتبرناها مشتقة رأساً من الاصل السرياني ܙܘܚ فتكون لفظة زياح لفظة دخيلة على العربية ويكون معناها : رفع الشيء. المقدس حاملًا اياه محركاً حركة بينة المغزى واضحة المعنى كأن تكون للبركة كما في زياح القربان المقدس وزياح الايقونة[٦] . او كأن تكون لتقديم المزيح فوق الرؤوس الساجدة اظهاراً للاعتراف به او الايمان به او عرفاناً للجميل له والشكر على النعم كما في زياح دورة الكاس والصينية او كزياح الصليب في ايام الصوم وقد يكون بهذا المعنى ما يقوله السمعاني عن عبارة ܙܘܚ ܐܐܪܐ[٧].

وقد يتوسع بهذا الاستعمال فيقال عن المؤمنين الذين كانوا يقبلون في الماضي القربان المقدس على اياديهم اليمنى مرتكزة على اليسرى ليتناولوه من ثم بأفواههم ان ابناء البشر يزيحون جسد الرب على اياديهم : ܘܒܢܝ̈ܢܫܐ ܗܐ ܡܙܝܚܝܢ ܠܗ ܥܠ ܐܝܕܝܗܘܢ (من الالحان السابقة للشرتقة في طبعة القداس الاولى سنة ١٥٩٤).

وعليه تكون كل حركة تبريك بالاشكال المقدسة زياحاً اكان في القداس ام خارجاً عنه .

اننا نحن نتوخى حبا بالوضوح في المعاني حصر البحث في الحركات الانتقالية التطوافية في القداس ونصرف النظر عن سائر معاني الزياح لغة وطقساً وتوسيعاً .

وعلى هذا الاساس لا يبقى في القداس الماروني بحسب حالته المعروفة منذ طبعه لاول مرة في ١٥٩٤ حتى ايامنا سوى زياحين، زياح كتاب الانجيل المقدس ثم زياح الاشكال المقدسة من المذبح الى الشعب لمناولته ومن هنا الى المذبح تذكارًا للموتى المؤمنين وطلباً لراحة نفوسهم اولئك الذين احبوا الملك المسيح في اورشليم السماوية ... ܠܐܘܪܫܠܡ ܫܡܝܢܝܬܐ ܗܘܐ ܘܐܚܒܘ ܠܡܫܝܚܐ . (طبعة سنة ١٥٩٤)

حول وجود هذين الزياحين لا يمكن اثارة اي شك نظرًا للنصوص المحفوظة في كل الطبعات على السواء بزيادة او بنقص ما خلا الطبعة الاخيرة والطبعات المصنوعة لاجل الكهنة المسافرين .

انما قد يجوز التساؤل :

٢ ــ هل من زياح عند صمدة القرابين في بدء القداس الماروني؟

ان الرب يسوع عندما وضع سر الافخارستيا استعمل الخبز والخمر الموجودين امامه على طاولة العشاء السري ليحولهما الى نعمة وهبة سماوية . لذلك جل ما يفترض هو اعداد الخبز والخمر على المذبح قبل البدء بحفلة او رتبة سر الافخارستيا .

وهذا لا يعني كما يقول العلامة يونغمان[٨] ان الصمدة او اعـداد القرابين تشكل بذاتهـا رتبة طقسية فانه يكفي بان يجلب احدهم الى المذبح ذينك العنصرين قبل ان تبدأ الرتبة الدينية المعروفة بالقداس ولهذا يلاحظ في المستندات القديمة عدم وجود اية دلائل تثبت ضرورة اعـداد القرابين فانه ما دامت الافخارستيا تجري مع الوليمة الاخوية Agape لم يكن هناك اية حاجة لاعداد الخبز والخمر لأنهما كانا بذات الفعل على طاولة الوليمة . (وقال لهما امضيا واعدا لنا الفصح لنأ كله) لوقا ٢٢/٨ .

ومع ذلك ففي بداية القداس السرياني عامة والماروني بنوع خاص « صمدة القرابين » ترافقها حركات لها رموزها ونصوص تفرعية ، لهـا قيمتها وخطتها التوجيهية بما قد يشكل رتبة طقسية شبه مستقلة لو صح التعبير . ولا عجب في

ان يكون السريان الذين اشتهروا قبل غيرهم بتعويلهم على النظريات الرمزية[٩] قد انشأوا رابطة وثيقة بين صمدة القرابين في اول القداس وبين الذبائح النظرية منذ فجر البشرية . وقد جعلوا من قداسهم خلاصة الذبائح التي نص عنها الكتاب المقدس في العهدين .

والواقع ان صمدة القرابين بما فيها من خبز وخمر وبخور ترتبط مباشرة مع ذبيحة ملكيصادق[١٠] حبر الله العلي كما ترتبط بالوقت نفسه بنا. على ما يذكر في نصوص الصلوات التي تقال فيها ، بالتقادم والقرابين والعشور والصدقات التي كان يجلبها المؤمنون مع الزكاة والنذور ويقدموها لبيت الله او للكهنة او الديورة او الفقراء[١١]. فهذا يلفت نظرنا بالحاح الى ضرورة تقدير محتويات القداس الماروني على ضوء مبدأين شاملين: كل جزء فيه له قيمته الارتباطية بما سبقه من طقوس وعبادات لدى شعب الله المختار ، وله قيمته الاخرى الاستقلالية التي تأتيه من سذاجة الحوادث التي جرت في تاريخ المجتمع المسيحي الناشئ ومن يجهل هذين المبدأين يتعذر عليه فهم حقيقة القداس السرياني الماروني فيجد فيه خلطاً لا مفر منه في المعاني وفي الاصول والنصوص[١٢] . ان الحقيقة هي ان صمدة القرابين المختارة مما تبرع به الشعب المؤمن تتصل مباشرة بالتقادم الزكية التي ارتضى بها الرب منذ الاجيال القديمة وعليه نجد العادة منذ ايام الرسل بان لا يتقدم احد الى الاجتماعات الاخوية وهو فارغ اليدين (اعمال ٢/ ٤٤ ، ٤/ ٣٢-٣٥) والّا عدّ تقدمه هذا عاراً عليه فيقول القديس قبريانوس مثلا : كيف تتجاسر يا غني ان تدخل الكنيسة خالياً من القربان وانت تتناول من القربان الذي قدمه الفقير؟ (دوبهي ١/ ٣٨٩) [١٣] .

وكذلك يقول القديس قيصاريوس : فليخزَ من نفسه الرجل المكتفي عندما يشارك الغير في قربانهم[١٤] .

اما المشكلة التي تخلقها لنا المستندات التي تقابلها بعضها ببعض هي هذه : هل حدث يوماً او في تاريخ ما ان وضعت السلطة نظاماً للتقدم من المذبح بغية تسليم الشماس او الكاهن القرابين التي يجلبها من بيته كل مؤمن : وهل اتخذ مثل هذا النظام شكل تطواف او زياح ؟

من المؤكد ان التقدم الافرادي المنتظم لتسليم التقادم الى خدام المذبح لا

يمكنه ان يشكل زياحاً بالمعنى الطقسي ومن البديهي ان يأتي كل مؤمن مصطحباً عطيته في وقت مبكر قبل الاجتماع ليستودعها من يلزم او كما يذكر كتاب « وصية الرب يسوع » Testamentum Domini وهو مستند سرياني او سوري المنشأ ، ليستودع المقدّم قربانه في غرفة الخدمة[١٥].

ولكن اول ما يظهر ذكر هذه العادة اي استيداع الصدقات والتقادم في غرفة الخدمة – هو في الجيل الخامس مع مؤلفات ديونيزيوس النير المعروف في مؤلفه عن المراتب الكنسية[١٦].

فحيث جرى مثل هذا الاستيداع كان من الطبيعي ان يفسح المجال لزياح سابق او لاحق لتكريم هذه القرابين مما اثار شكوك بعض اباء الكنيسة مثل البطريرك اوطيخيوس المتوفى في سنة ٥٦٥ فحاربوا كل تكريم خارجي للقرابين قبل تقديسها[١٧].

هذا ما جعل العلامة الدويهي ايضاً يكتب مقطعه المشهور في هذا المعنى حيث يقول بشيء من الجزم في موضوع لم يتمكن معاصرونا الجزم فيه لفقدانهم المصادر الكافية :

« . . . فلما انتشرت الديانة المسيحية واطمأنت الخواطر امر الملوك بفتح الكنائس وحينئذ امر الآباء اصحاب الكرسي الانطاكي بأن تصمد الاسرار منذ ابتداء القداس على المذبح الكبير على شبه ما صنع السيد المخلص قدام تلاميذه دون ان ينقل القرابين من موضع الى موضع » فان المسيح واحد وفي موضع واحد اخذ الخبز وباركه وقدسه وفرّقه على التلاميذ . فتبع اهل الشرق مشورتهم وحمدوا عاقبتها . . »[١٨].

لقد دونا هنا هذا النص للدويهي ونحن ندرك ان الكثيرين من مطالعيه يعرفون مخالفته لرأينا في الاساس فالدويهي أخذاً عن المؤلفين الغربيين الذين درس عليهم او درسهم في اوربا ظن حينئذ ان اصول الرتب الشرقية والاولية في الكنيسة هي المحفوظة لدى اليونان البيزنطيين مع ان مثل هذا الرأي الخاطئ لا يحتاج في يومنا الى اي رد اذ قد ثبت للناقدين والباحثين المعاصرين لنا ان الرتب البيزنطية لا تمثل الا مرحلة متأخرة جداً من مراحل الطقوس الشرقية . انما للسبب المشار اليه، وربما لكون الدويهي انغش ببعض المخطوطات السريانية

الملكية الاصل وبالتالي البيزنطية التي وجدت بين ايدي الموازنة عرضاً وصدفة، قد ارتأى بان « صمدة الاسرار المقدسة منذ ابتداء البيعة مـا كانت تصير على المذبح الكبير بل في موضع مخفى عن نظر الشعوب الغريبة . . . »[١٩]

واننا ننصح بان يقابل القارئ الموضعين المغايرين اللذين يأتي الدويهي فيهما على ذكر هذه الامور فالموضع الاول هو الذي ذكرناه اخذاً عن المجلد الثاني لمنارة الاقداس في باب زياح الاسرار ونقلها الى المذبح الكبير .

اما الموضع الثاني فهو الذي تجده في المجلد الاول صفحة ٤٠١ في باب تبخير الاسرار بعد صمدها حيث يقول قولاً بادي الشبهة من جهـة الاسناد التاريخي قوياً من جهة التحقيق الوضعي :

« في مبتدإ الكنيسة كانت الاسرار تصمد في الخزانة (سكرستيا) او على مذبح صغير من جهة الشمال وكان ذلك يصير سراً . . . وفي العهد العتيق كان القربان يقدم على مذبح والبخور على غيره حسب مـا امر الله موسى بان يقيم مذبحين احدهما للذبيحة والآخر للبخور ، ولما اجتمع المجمع الاول في نيقيـة نظر اصحابه في جميع امور الديانة المسيحية ووضعوا لها قواعد وسنناً بحسبما الهمهم الروح القدس وتأملوا شأن التقدمة المانحة الغفران وقد كان الله ازال عنهم نير الكفار وابطل تسليمات الناموس وأمرهم بتقريب جسده الكلي قدسه وان مذبح الذبيحة ومذبح البخور كانا اشارة الى موته تعالى على خشبة الصليب فدا. للعالم وانه اعطانا ذلك الجسد بعينه لتقدمه في السر فدية عن شعبه. وعليه فقد امروا بان يقام في الهياكل مذبح واحد لا غير يقدم عليه القربان والبخور معاً». ومن ذلك الزمان امروا بان يصير اعداد التقدمة اي صمدها في بيت القـدس على المذبح بدلاً من اعدادها في الخزانة . فأخذ اهل الشرق من ذلك الحين يعدون الاسرار في اول القداس واما اللاتين فبعد قراءة الانجيل واما الروم فقد ثبتوا على العادة القديمة والى الآن ينصبون مذبحين غير ان ما قضى به الآباء جديداً هو الاجدر والاولى[٢٠] .

اما عن هذا النص الوجيه فلا يجوز الا التنويه بنقصه عندما يستشهد بمجمع نيقيا ، ولا يظهر أن مثل هذا المجمع اصدر مثل هذه القرارات خصوصاً وان المسيحيين لم يتسلموا من الناموس سوى الاضطهاد وذهنية الحطيئة والفساد اللذين

طالما حاربها المعلم بولس المختار فمن هذا القبيل لا علاقة للعبادة المسيحية بالعبادة اليهودية[٢١].

ولاجل الفائدة ايضاً نختصر وصف صمدة القرابين في القرون الوسطى نقلاً عما حفظه لنا الدويهي وغيره.

كان الكهنة يخرجون ايام الآحاد والاعياد المفرحة يصحبهم شماسان قاصدين الشعب في جمع الخبز والخمر لاجل التقدمة فيجمع احد الشماسين الخبز من الشعب والآخر الخمر ثم يعودون جميعاً الى الكنيسة تتقدمة القداس ولم يكن الكهنة المحتاجون (كل هذا مأخوذ عن الكتبة اللاتين ...) وحدهم يفعلون هذا بل سائر الاساقفة ايضاً حتى بابا رومية[٢٢].

او كان الشماسان ينتظران الشعب عند مدخل الكنيسة فيستلمان منهم التقادم ثم ينقلاها الى جهة المذبح فيبخرها الكاهن بجملها ثم يختار منها رئيس الشمامسة او الكاهن نفسه ما يعرف انه ضروري للخدمة وشركة الشعب (اي مناولتهم) فيصلي عليها القطعة المعهودة: «ايها الاله العظيم والعجيب الذي قبل قربان عبيده المؤمنين» ثم ينقل القربان الذي اختاره نحو وسط المذبح قائلاً مع اشعيا النبي: قُدِّم وهو خاضع ولم يفتح فاه كشاةٍ سيق للذبح وكحمل صامت امام الذين يجزونه (اشعيا ٧/٥٣)»وهذا الرأي بيّن التأثر باراء علماء الطقوس المعاصرين للدويهي. «ثم يمسكه بيديه الاثنتين ويقدمه لله رافعاً به يديه وقائلاً: اللهم الذي قبل قربان هابيل الخ.. ثم يرسم به صورة الصليب على الصينية ويضعه عليها ويقول مع موسى النبي: جعلت يا رب كرسي مجدك في مقدسك فاصلحه يا رب بيديك الرب يملك الى ابد الابدين» (خروج١٥/١٧—١٨) ويغطيه بالنافور الصغير قائلاً مع داود «الرب ملك ولبس البهاء»... مزمور ١/٩٢[٢٣].

وبما ان الدويهي يأنف من ان يعتبر تقدمة الخبز والخمر وسائر القرابين المرافقة لها من نوع ذبيحة ملكيصادق الكاملة في نوعها[٢٤] فلهذا يجتهد في تبيان ما تشير اليه بالرمزية (شأنه في ذلك شأن معاصريه في اوروبا) كل الحركات والآيات التي ترافق هذه التقدمة ليجعل منها استعداداً للذبيحة جسد الرب ورسماً لتجسد ابن الله الكلمة في احشاء البتول. ويزيد قائلاً ان الكاهن يمسك البرشانة بيديه ويقدمها لله رافعاً اياها لانه هكذا كان الآباء يقدمون له تعالى

قرابينهم برفع الايدي . وهكذا ايضاً قدم السيد المخلص ذاته للآب ويداه مبسوطتان على الصليب[٢٥] .

اما في الخمر فيقول: لم يكن الكاهن منذ البدء يزج الخمر بالماء في الكاس بل ان رئيس الشمامسة يفعل هذا وهو ايضاً يختار القربان مما يقدمه[٢٦] .. في ابتداء البيعة كان رئيس الشمامسة وحده يتولى مزج الخمر بالماء في الكأس وعندما كان الكاهن يقدم لله القربان كان يأتي رئيس الشمامسة ويأخذ الكأس ويضع فيها الخمر صرفاً ثم يمزجها بالماء ويضعها عن يمين القربان.. (لكن لتغيب الشمامسة ولحوادث اخرى) أمرت البيعة بان الكاهن يمزج الكاس ويوزعها على المؤمنين..[٢٧] والكأس انما كانت توضع عن يمين الصينية لان الرب طعن بالحربة في جنبه الايمن حيث هو الكبد ينبوع الدم... والى الآن لم تزل الكأس توضع في بعض الكنائس عن يمين الصينية . وفي بعضها توضع شرقيها لانه اسهل في رسم الصلبان والتبخير وغيرها .

اخيراً يوجه الناقور الكبير نحو الشماس ليبخره ثم يغطي به كل الاسرار «رسماً للبهاء والمجد اللذين اتشح بهما جسد الرب»[٢٨].

وقبل ان تنقل صلاة « اللهم اسألك ان تجعلني » الى المحل الذي هي فيه اليوم كان الكاهن المحتفل حالاً بعد تغطية الاسرار يبخرها ويبخر الصليب والمذبح والكهنة والشعب قائلاً مع الجمهور كله « القرابين النقية » اي نشيد اقبل يا واد التائبين . ومما يجدر ذكره هنا هو ان هذه التبخيرة لا يجوز لاي كان القيام بها عندما يكون المحتفل رئيس الكهنة بل عليه هو ان يقدم هذا البخور لان نذور الشعب وقرابينهم وعطورهم تقدم لله على يد الحبر المنتخب[٢٩].

على ان الغاية من كل هذه هي المساهمة في الذبيحة المقدسة والاشتراك في الوليمة العائلية التي تجمع المسيحيين وتوفير ضروريات المعيشة للكهنة وخدمة الاقداس...

واظن ان هذه الافكار والاعمال هي البدائية في طقس انطاكية واورشليم وانما بقيت على حالها عند السريان لان التطور الاجتماعي والحرية اللذين تمتع بها الدين المسيحي في الاقطار البيزنطية واليونانية ما كادت الكنائس السريانية تصل اليها حتى كانت انقلبت الاوضاع السياسية (القرن السابع) فبقيت الاعمال

الطقسية على حالها البداني، فاعداد القرابين امر مشترك بين جميع المسيحيين، اما ان يكون له محل متميز عن المذبح الكبير لتنقل القرابين المعدة عليه بزياح وتطواف الى المذبح الكبير فهذا امر يختص ببعض المناطق حيث لعب فن بناء الكنائس الملوكية Basilica دوره واتسع المجال للتطواف، وفصل حائط مرتفع في وسط الكنيسة بين الشعب والمذبح الكبير Iconostase فحيث لم يحدث شيء من هذه الامور لم يجر ايضاً وضع القرابين على مذبح خاص ثم نقلها الى المذبح الكبير « وصمدة الاسرار أو تقدمة القرابين » التي قد يكن ان تشكل لذاتها حدثاً او عملاً طقسياً مستقلاً، يجوز أيضاً اعتبارها من وجهتين مرتبطتين في المعنى والتاريخ اي من وجهة الشعب المسيحي كجماعة دينية جديدة تحتاج الى رموز جديدة واجتماعات جديدة تشرك بين المؤمنين، ثم من جهة الذبائح الدينية في شريعة الطبيعة المحفوظة في قلب كل انسان.

وفي كلا الوجهتين نرى الوليمة العائلية وذبيحة ملكيصادق الفطرية ضروريتي الوجود في بداية القداس الماروني السرياني.

لكن لا نرى سبباً لتقدير وجود زياح قرابين ما كان له من لزوم في محيطنا السرياني وفي كنائسنا الصغيرة الحجم منذ ما عرفها التاريخ.

٣ ــ زياح كتاب الانجيل المقدس

هناك ادلة تثبت ان في القداس الماروني رتبة اخرى شبه مستقلة بذاتها لكنها تدخل في سياق الاستعدادات التي تسبق ذبيحة الافخارستيا ويمكننا تسميتها ذبيحة اللسان والاذان او قربان ولتورجيا الكلام الموحي[٢٠] وهي تبدأ بما ظاهره يتفق مع ترتيب احدى الصلوات الفرضية الصغرى مما جعل البعض يسميها صلاة الساعة الثالثة لانها تبدأ بالآيات التي تبدأ بها الساعات الفرضية وكان الكاهن يقترب مجدداً الى المذبح فيقول : لبيتك يا رب اقتربت ... ثم يتلو صلاة افتتاحية ويتبعها بالمزمور ارحمني يا الله ويرفقه بتبخيرة عمومية ويقول الدويهي اننا نطلب في هذا الجزء من القداس النور لعقلنا والمخافة وحسن الترتيب لنقف قدام الله بالطهارة والقداسة ليشرق علينا بغنى حكمته ومجد اسراره ومعرفة لاهوته لنخدمه كما يليق به[٢١] فيغفر خطايانا برحمته ويجدد فينا روحاً مستقيماً

ويرشدنا الى طرقه ويردنا عن الضلال (راجع القطعة التي يقولها الكاهن بعد المزمور ارحمني يا الله).

وبعد هذا الطلب تبدأ تحريضات الشماس وحساية وتسابيح الكاهن لتحضر قلوبنا واذاننا لنسمع كلام الله الحي بخوف ونقبله برعدة.

ثم تقال الحساية الملحنة على انغام افرامية والاصل في من يبدأ بها ان يقبل أولاً يد الرئيس المحتفل والجالس على الكرسي دلالة على ان معرفة الاسرار هي صادرة عن العلى والكاتدرا التي يجلس عليها يشار بها الى كرسي الله في هيكل قدسه[٢٢].

ويتبع ذلك التسبيح بالتقديسات الثلاث مع البخور فوق الاسرار ويشار بها بقول الدويهي الى عماد السيد المسيح وحلول الروح القدس عليه وان كلامه يستحق القبول كقول يوحنا: والروح يشهد ان المسيح هو حق... (اولى يوحنا ٥/٦)[٢٣] وكما أمر الرب من السماء ان نسمع لابنه والروح شهد له، هكذا نذعن لكلام بشارته[٢٤].

وقد رسمت البيعة المقدسة عندما نريد قراءة هذا الناموس في البيعة ان نقدمه بالتقديسات والتراتيل والتهاليل[٢٥].

ثم يقول الشماسة المزمور قبل الرسالة ܐܚܝ̈ ܫܡܥܘ ܠܒܝܫܐ...

اما التهليل فلا يقال قبل النبوات ولا قبل الرسائل بل قبل الانجيل لانه وحده يدل على ابتهاج القديسين في الملكوت حيث يشاهدون الله عياناً ومواجهة فان معنى هللويا: مجدوا صاحب الجنود. والتهليل يقال ثلاث مرات.. وبين التهليل يقال دائماً الفتنام من كلام العهد العتيق ويقال فتفاماً من اللفظ والاجابة. وحينئذ يبدأ بمرحلة القراءات[٢٦]...

وقد رسم اباؤنا بطاركة انطاكية ان لا تقرأ سوى الانجيل الطاهر الذي هو قوة الله وحياة من يؤمن به مع فصل من رسائل بولس المصطفى لانجيل الله[٢٧].

ونلاحظ تقريباً بغرابة ان الموارنة لا يقرأون الا من رسائل بولس ولكن استغرابنا ينقلب اعجاباً عندما يثبت لنا بالتروي والمقابلة ان هذه العادة هي من اقدم العادات في الكنيسة اذ ان اللاتين انفسهم في فروض الآحاد وقداساتهم

لا يقرأون على مدار السنة الا من بولس الرسول ما عدا بعض شواذات [٣٨].

ثم فيما يدعو الشماس الشعب ليبقى في سكوت وينصت ويشكر كلمة الله الحي يضع الكاهن بخوراً ويبدأ بمدح الثالوث الممجد بجوهر واحد وسلطة واحدة... ويسأل الرب ان يرفع عن قلوب السامعين الحسد والغش ثم يلتفت الى الشعب ويمد يمينه ويدعو لهم بالبركة، التي منحها الرب لتلاميذه في جبل الزيتون وعلية صهيون.

والمؤمنون منذ ابتداء النصرانية الى الآن لم يزالوا يكرمون الانجيل بايقاد المصابيح وبالبخور ويخضع له ملوكهم ويعكف عليه رؤساؤهم وعندما يقرأ يقوم جميع اولاد الكنيسة على اقدامهم ويكشفون رؤوسهم... اذ يعتقدون ان الناطق فيه هو روح الرب ملك السلاطين ورئيس الاحبار [٣٩].

على ان هذا الوقار يصير خاصة في خدمة الاسرار، بالأعياد الصارخة عندما يخدم القداس رؤساء الكهنة فانه بعد تلحين الثلاثة التقديسات يخرج رئيس الشمامسة من الخزانة وعلى صدره كتاب الانجيل ويتقدمه الشمامسة بالمنائر وهم يرتلون المزمور والكهنة بالمباخر وهم يلوحون بالمراوح فيخرجون من الباب الشمالي ويدخلون من الباب الملوكي. (هذا الوصف مأخوذ عن الروم).

وبعد قراءة الرسالة يتقدم رئيس الشمامسة فيقبل يد الراس قائلاً ܗܘ ܫܠܡܠܗ ܘܪܘܚܢ فيباركه قائلاً ܠܐܠܗܐ ܢܫܒܚ ܘܢܫܠܡ. وبعد ان يرتل الشمامسة التهليل والكهنة القتفام يسير به الى المنبر ومعه اثنان من الابودياكونية (اي الشدائقة) فيصرخ الرسائلي: ܩܕܡ ܣܒܪܬܗ اي (امام بشارة مخلصنا) ثم يترجم احد الكهنة: ܒܣܒܪܬܗ ܕܦܪܘܩܢ.. ثم ان الرسائلي ينادي الشعب قائلاً، تقدموا الى امام فيباركهم رئيس الكهنة قائلاً: ܫܠܡܐ ܠܟܠܟܘܢ.

ثم ان رئيس الشمامسة يفتح الانجيل على المنبر ويسمي كاتب الانجيل قائلاً ܡܢ ܐܘܢܓܠܝܘܢ... والرسائلي يصرخ كونوا بالسكوت ثم يقول رأس الشمامسة ܠܘܩܒܠ ܗܘܝܠܐ فيطلب الشعب البركة قائلين ܐܒܘܢ ܒܪܟ وحينئذٍ يقوم الرئيس عن الكرسي ويباركهم قائلاً ܫܒܚܘܗܝ ܘܥܡܟ... وعندما يباركهم يكونون مكشوفي الرؤوس قائمين بخوف وورع في حين ان حامل المبخرة يبخره

ويكرر رئيس الشمامسة الترجمة اي ܥܡ ܐܘܢܓܠܝܘܢ والشعب يطلب الرحمة قائلاً: ܡܪܝ ܐܠܗܢ ܚܘܣ ܥܠܝܢ.

واذ ذاك يبدأ رئيس الشمامسة بقراءة الانجيل بصوت عالٍ ونغمة لذيذة مهيبة ونطق منتظم ويختمه بكلمة ܫܘܒܚܐ ويطويه وينزل فيقبل يد الرئيس وعند نهاية الفصل فان الرئيس يخاطب الشعب قائلاً : ܫܠܡܐ ܠܟܠܟܘܢ .

ويشار بخروج الانجيل من الخزانة على صدر رئيس الشمامسة الى الكلمة الازلية من حضن ابيه ونزوله الى الارض في الجسد على يد جبرائيل رئيس الملائكة [٤٠].

ويدور الانجيل في وسط الشعب ويسجدون له ويقرأ الانجيل في موضع عالٍ ... والذي يقرأ الانجيل يرسم اشارة الصليب... [٤١].

ويقرأ الانجيل رئيس الشمامسة بالسرياني ويترجمه رئيس الكهنة بلغة البلد لاجل فهم الشعب وافادتهم واشارة الى ان الانجيل الذي ينادي به خدام القداس في جميع اقطار الارض هو بنفسه الذي ينطق به المسيح وكتبه المبشرون في الكتاب [٤٢].

ويمنح رئيس الكهنة في بدء قراءة الانجيل السلام للشعب وعند تمامه الامان... ويلوح بالمراوح فوق الانجيل وتسرج امامه المنائر ويوقد البخور.

من حين اعطى الله الناموس الزم الكهنة بقراءته وتعليمه للشعب (اعمال الرسل ١٣/١٤ـ١٦) . وهكذا التزم كهنة العهد الجديد بتلاوة الانجيل المقدس قبل غيره ثم بتفسيره. وكان رؤساء الشمامسة قديماً يقرأون الانجيل ثم يعظ رؤساء الكهنة شارحين ومفسرين . ثم سمح الآباء للكهنة (حتى بحضرة الاسقف) ان يعظوا الشعب واذنوا في غيابهم للشمامسة ان يقرأوا المواعظ في البيعة [٤٣] (وهذه وضع بدلاً عنها مع الزمن ما يعرف بالكرازات أكان ذلك مما يقوله الشماس وحده ام مما يقوله اليوم الكاهن مفترضاً ان القطعة يقولها الشعب معه على لحن ܚܢܢܐ أو ܫܡܝܐ .

هذه هي الخطوط الكبرى لزياح الانجيل عندنا وقد يعرض للباحث ان يتساءل عن امور جمة مثلاً كيف ساخت ترنيمة التقديسات الثلاثة عن قراءة الانجيل الملحنة وجعلت لوحدها قبل الرسائل ثم كيف اندثرت الكرازات وكيف

ضاع الطابع السرياني للانجيل الماروني الخ . . .

ثم كيف ضاع زياح الانجيل بكامله من طقسنا؟

لا شك ان اولى الخطوات الزياح بكتاب الاناجيل تعود الى ابسط الاسباب وهي : الاجلال العظيم لهذا الكتاب ثم ضرورة تلاوته الاحتفالية من على منبر بالقرب من الشعب .

فكتاب الاناجيل بصفته حاوياً كلام المسيح يعدّ خاصة عند الشرقيين مشخّصاً[44] للمسيح نفسه مما ادى بالبيزنطيين الى ان يفخموا تجليده بالفضة والذهب وايقونة المسيح الملونة — وقد ساعدهم كثيراً ثراء الاوقاف وكرم الوافدين على مثل هذه المظاهر الجليلة . وهو وحده الشيء الذي يحل وضعه على المذبح المقدس برفقة سر القربان الاقدس .

ولا عجب ان يطاف به بين الشعب فيسمى زياحه عند الروم μικρὰ εἴσοδος micra eisodos او الدخلة الصغرى ، وان تضاء الشموع امامه ويحرق البخور بغزارة وتكشف الرؤوس اجلالاً ويتبارك به البعض ساجدين ومطأطئين الرؤوس وقد بقيت حتى يومنا هذه العادة مرعية في الكثير من الكنائس المارونية اذ يركع الكبار والصغار تحت كتاب الانجيل ويطلبون بان يتمم الكاهن به على رؤوسهم او ان يحمله احدهم على رأسه طيلة تلاوته على الشعب .

اما الاجلال والوقار اللذان رافقا هذا الكتاب المقدس فقد يختلفان درجة وحرارة بحسب الظروف الاقتصادية في كل كنيسة، ومن الواضح ان الكنائس السريانية عامة والمارونية اللبنانية بنوع خاص قد تمتاز بتقواها الأولية المرافقة لفقر احوالها اكثر من فخامة الفنون والابهة ورونق التطواف الذي تسمح بـه احوال الكنائس الملوكية والمعابد الرهبانية في بـلاد الروم والغرب . هذا مما يخولنا ان نوجز هذا القسم الثاني من صلاة الفجر الاعدادية للقداس تحت عنوان « ذبيحة الكلمة في كنيسة الكلمة Opfer des Wortes in der Kirche des Wortes » بالمقابلة مع ذبيحة ملكيصادق في كنيسة او كهنوت الطبيعة ، ومع ذبيحة السر في كنيسة او كهنوت الاسرار[45] Kirche des Sacramentes .

ويكفي لذلك ان نتذكر كيف يبدأ الكاهن والشعب في تلاوة الانجيل اذ يجيبون على اعلان الكاهن للانجيل المناسب بقولهم : يا ربنا ارحمنا — فيتابع

الكاهن قوله ܡܫܒܚܘ ܠܡܫܝܚܐ وكأن كلامه موجه للمسيح الذي سيسمع اقواله: ليرحمنا ربنا ويرحم جميع اولاد الكنيسة المقدسة وابناء المعمودية الغافرة ثم يشكرون جميعاً : ليسوع المسيح ربنا تسبيح وشكر وبركة من اجل كلامه الحي العائد لفائدتنا ولابيه الذي ارسله . وعند اللاتين أثر مماثل لهذا الشكر الموجه للمسيح رأساً : Gloria tibi Dominé.Laus tibi Christe .

وقد ذكر لي الاب ده ماريه De Marey, Redemp عن اخوتنا الكلدان الفارسيين L'Eglise des Perses انهم يسمعون للانجيل المقدس ويجيبون على كل جملة منه بالمرافقة مع موضوعها اما بالعزم على الابتعاد عن محرماتها بقولهم مثلاً : نعم يا رب صحّ ذلك أو لن نفعل مثل هذا ابدا او هكذا نريد ان نفعل يا رب الخ... وكأنهم امام المسيح المتكلم فيهم .

والقديس اغناطيوس النوري يقول ان ملجأه الانجيل كأنه جسد المسيح يسوع (٤٦) .

اما عن طريقة تلاوته فمراسيم الرسل توجب ان لا يتلوه اي قارئ الا اذا كان كاهناً او شماساً انجيلياً (٤٧) وان يكون في تلاوته من البساطة المشفوعة بالنغم مـا يوحي للسامعين المعرفة والاحساس بان المسيح منتصر في مجده بعد القيامة ، وبعد تلاوته يقبله ويقدمه المؤمنين لتقبيله علامة السلام والامان بالرب يسوع وما فائدة التبخير الموجود اليوم عند تلاوة قانون الايمان الا لادغام المؤمنين بضباب العطر الطيب والرائحة الذكية التي تنشأ عن سماع كلام المسيح والايمان به والعمل بموجبه (٤٨) .

والبرهان العملي على ذلك ان الشعب المؤمن يبقى واقفاً بخشوع ووقار في هذا الوقت الى تمام التبخير اي بعد ان يكون سمع الانجيل وشكر المسيح على تعاليمه ورافق الاكليروس بترنيمهم مقطعاً شبه كرازة شعرية عن موضوع معين في اسرار المسيح المتجسد او اسرار قديسيه المؤمنين به والذين عملوا بشيئته واشترك الشعب بهذا الايمان مردداً بصوت جمهوري قانون الايمان بكامله .

ويظهر لي ان الترنيمة التي شبهتها بكرازة شعرية مقتضبة والتي تتغير بحسب الاعياد ما هي الا لمرافقة الكاهن او الانجيل بزياح العودة الى المذبح الذي جاء منه بكتاب الاناجيل على اني لا اجد تاريخاً ممكناً لمثل هذا الزياح في

القرون الاولى . فقد يكون بحد ذاته تابعاً لتنظيم صلاة الفجر اكثر منه لتنظيم القداس الذي يبدأ مستقلاً عما سبقه في اول النافور مع العلم ان النوافير كلها تبدأ في نقطة معينة بالرغم من اختلاف مؤلفيها وعصورهم وبقطع النظر عن القسم الاعدادي الذي ذكرناه كأنه لا وجود له او كأنه يتمتع ببعض الاستقلال المكاني او الزمني عن رتبة الذبيحة السرية .

والعلامة يونغمان رأي لعله مصيب بـه أكثر من غيره حيث يقول : كان القسم الاول من القداس الحالي يشكل فرضاً الهياً : احدى الساعات القانونية (Una autentica hora canonica).

وله قواعده المختلفة تمام الاختلاف عن قواعد القداس فكان من الممكن القيام بهذا القسم في كنيسة ثم الذهاب الى كنيسة اخرى للاشتراك بالافخارستيا . . ونعرف عن رهبان القديس سابا في وادي قدرون في القدس (حيث الرهبان كانوا من بلدان مختلفة اللغات) انهم كانوا ينقسمون جماعات تقيم كل منهـا في لغتها الوطنية الرتبة الدينية الاعدادية بما فيها من صلوات وقراءات ثم يجتمعون معاً في كنيسة واحدة للاحتفال بسر الافخارستيا ابتداء من النافور في اللغة اليونانية[٤٩] .

اما سائر الابحاث والاستنتاجات عن الزياح بالانجيل المقدس وكيف اهملته اليوم الطائفة فاننا نتركها لفرصة اخرى على امل ان نلاقي مساهمة في هذا العمل من قبل الدارسين الورعين .

٤ ـ زياح الشوتفه او مناولة الشعب

ليس من جوهر الذبيحة ان تنتهي بالوليمة اي بان يشترك فيها الحاضرون مع المقدم لها : انما في الواقع يتبع ذبيحة العهد الجديد، بحسبما وضع معاليمها المسيح وليمة مقدسة تشترك فيها اسرة الرب الاله، اولئك الذين بقوة المعمودية يختصون بالمسيح ويؤلفون معه جماعة قلبية باطنية فيقتربون من الله بصفتهم شعباً مقدساً،فشركة القديسين اي الكنيسة بمعناها اللاهوتي يجب ان تظهر في شركة السر أي في الشوتفه او المناولة اذ لا يصح قول Communio او شوتفه بدون إن يشترك كثيرون في الذبيحة الواحدة ويتناولوا جزءاً منها[٥٠] . هـذا والنصوص الكتابية اي الاسفار الالهية تعرض لنا الافخارستيا بشكل وليمة اكثر منها

ذبيحة حتى ليضطر اللاهوتيون ان يفردوا مقالات خاصة ليثبتوا طابعها الذبائحي. أما كون الافخارستيا وليمة وذبيحة منذ تأسيسها، فانك لتجده مفصلاً عند يونغمان الذي يوضح العوامل التي دفعت اللاتين الى تصويب اهتمامهم الذبيحة اكثر منهم للوليمة، بينما دفعت البروتستان للتفريط بالاهتمام للوليمة دون الذبيحة بتاتاً. ويونغمان يعلن بكل ثقة ان مفهوم « الذبيحة » لا يكفي وحده ليستوعب كل ما يضمنه جوهر الافخارستيا[1]. وفي القديم كان غير معقول ان يشترك المؤمن في الوليمة دون ان يشترك في الذبيحة فقبلة السلام بين الحاضرين متوجبة في الطقوس الشرقية منذ بداية النافور[2] مما يدل ان طهارة القلب والاستعداد اللائق للاشتراك بالذبيحة واجبان مع انهما ليسا كذلك فيما لو افترضنا حرية الاختيار للاشتراك فقط في الوليمة دون الذبيحة، وبالتالي امكانية الفصل والتفريق بينهما. ومن الثابت ان المسيح بعد ان قدس الخبز والخمر جاعلاً منهما جسده ودمه ذبيحة العهد الجديد قام وناول كل فرد من تلاميذه جزءاً من ذلك[3]. وهكذا يقول الدويهي:

«ان السيد المخلص عندما قدس جسده تناول هو اولاً جسده بيديه ثم وضع لكل واحد من التلاميذ جزءاً في يده وتقربوا وعندما قدس الكأس تناول هو اولاً الكأس ثم ناول لواحد واحد منهم وعلى شبه ذلك في بدء البيعة كان جميع الكهنة يأخذون جسد الرب من الصينية ويضعونه في اكفهم اليمنى ويسندونه باكفهم اليسرى ثم يطأطئون روؤسهم ويتقربون من كفوفهم ولاجل ذلك في حساية مار يعقوب التي نقرأها في أحد الكهنة نطلب منه قائلين: ܠܐ ܬܟܘܐ ܠܗܠܝܢ ܡܪܝ ܦܘ̈ܣܬܐ ܕܛܥܢ ܦܓܪܟ ... (فلا تحترق يا رب تلك الكفوف التي حملت جسدك).

وبعد ان يتقرب الكاهن كان يأخذ من الجسد ويضعه للشمامسة والرجال ايضاً في اكفهم، كقولهم في آخر الخدمة: ܐܝ̈ܕܝܐ ܕܦܫܛ̈ܝܢ ܠܡܩܒܠܘ ܡܢܟ ܥܪܒܘܢܐ ܒܪܗ ܕܐܠܗܐ[4]. الايدي التي بسطت كفوفها فلتقبل منك عربوناً يا ابن الله. واما النساء فكن يتناولن جسد الرب على اكفهن لكن لا على اللحم بل في خرق او في اوانٍ نظيفة ومكرمة. اما دم الرب فكانت الكهنة تتناوله اولاً ثم يتناول الشمامسة ثم يأخذ رأس

الشمامسة الكأس ويناول الشعب.

ثم ان الآباء بطول المدة امروا الكهنة ان يفتوا الخبز المقدس في الكأس ويناولوه للشعب في الملعقة[٥٥] ثم ان الرؤساء في بعض الكنائس امروا بابطال هذه العادة اما لاجل الخطر واما لان الملعقة كانت توضع في افواه كثيرين مختلفي المزاج واما لان كثيرين لم يكونوا يقبلون الخمر كالاولاد والنساء. ولاجل ذلك صار البعض منهم يمدون الجوهرة بالكأس وبعد ذلك يتناول منها الكاهن ويناول باناملهِ الشعب كما يفعل الارمن . وآخرون يغطسون اجزاء الجوهرة في الدم ويقربون الشعب كما مأمور في الشرطونية عندنا ان يتقرب الكهنة عندما يقبلون وضع اليد . وآخرون يقربون الجسد وحده كما تفعل الكنيسة الرومانية[٥٦] .

واما عن طقس المناولة للشعب في اطوار التاريخ فاننا نجد انه خلق عن ذلك شبه مشكلة اعطيت لها حلول مختلفة مع مرور الايام او اختلاف الامصار.

عندما كانت العادة العامة تأمر ان يتناول كل الحاضرين كان من الطبيعي ان يبقى كل واحد واقفاً في محله فينزل اليهم خدمة المذبح من كهنة وشمامسة ويقربونهم[٥٧] وهذه العادة يذكرها الكتاب الاول للطقوس البابوية Ordo Romanus في الغرب لكنها لم تحفظ الا في الطقوس الشرقية . اما عند الموارنة فلم يبق منها الا آثارها الكتابية التي تثبت وتدل كيف كانت تجري هذه الشوتفة . فالابيات التي تقال بعد «عبيدك والساجدون لك» والتي ينقص منها اليوم في كل حال اثنا عشر بيتاً كانت مدونة في طبعة سنة ١٥٩٤ تدل على الكثير مما كان يجري في زياح الاسرار نحو الشعب لشوتفته كما يسميها الدويهي ثم في عودة الاسرار الباقية مع تذكار الموتى المؤمنين الذين يفترض ان الذبيحة تقدمت لاجلهم والشوتفة تقدمت عن موتى المتناولين هكذا .

اما حيث عدد المؤمنين كان ضئيلاً او عدد «المتقربين» قليلاً فكان يسمح لهم ان يتقربوا عند المذبح او بالاحرى عند الدرابزين الذي يفصل بين الخورس وبهو الكنيسة ما عدا النساء اللواتي حظر عليهن مجمع اللاذقية[٥٨] ان يقتربن من المذبح .

والذين كانوا يتقربون يقبلون القربان على اكفهم وهم وقوفاً .

وقد تلاشت هذه العادة عندنا منذ تأثرنا بعادات اللاتين . وعادة المناولة ركوعاً لا تعتبر عندهم قديمة العهد بل يثبت العلماء انها ليست اقدم من القرن التاسع وانه ما اضمحلت تماماً عادة التقرب وقوفاً في اوروبا قبل القرن السابع عشر.

اما قدمية التقرب وقوفاً في الشرق والغرب فمحفوظة الاثار في كيفية تقرب الكاهن المحتفل والاسقف وسائر الكهنة في القداس المشترك

وقد اظهرت الآثار التصويرية في القرن الخامس ان المسيح دار على تلاميذه يناولهم وهم وقوفاً[٥٩] اما المتناول فكان عليه ان يغسل يديه سابقاً فيقبل اولاً (يد الذي يناوله) ويقدم له يديه بالشكل الذي وصفه لنا الدويهي ثم يمسح بالقربان حواسه ماساً به عينيه — وهذه عادة سريانية صرف اول من ذكرها افرعات[٦٠] ثم يصلّب به على وجهه او جبهته فيقبله ثم يأكله لاحساً كما يلحس الكلب سيده على حدّ ما يقول افرعات[٦١] . وفي هذه الاثناء يرتل الشمامسة والخورس مع الكاهن المحتفل والشماس الموزع ، الابيات المعروفة بعد (عبيدك والساجدون لك) . وليست العبرة في النصوص الحالية بل لعلّ في اول عهد الكنيسة مقاطع خاصة فقدناها اليوم كانت ترافق توزيع القربان على المؤمنين . وربما المزمور ١٤٥/١٤٤ (أعين الكل اياك تترجى وانت تعطيهم الطعام في حينه)[٦٢] ، ثم المزمور ٣٤/٣٣ كانا مستعملين عند الحاجة انما الاكيد ان بعض الآيات منها محفوظة حتى ايامنا في الطقوس السريانية : (حيث يقول ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب). وهذه الآية مذكورة في كل الآثار المسيحية الاولى التي تصف اشتراك المؤمنين بالقربان المقدس .

عندما يكمل الكاهن شوتفة الشعب ، يعود صاعداً الى درجة المذبح فيرفع الصينية بين أنامل يديه ويقدمها لله عن انفس الموتى اذ يقول : اقبل يا رب قربان ساجديك واصفح برحمتك عن انفس موتاهم . وعند تمامها يضع الصينية فوق الكأس فيضبط الصينية بيمينه والكأس بشماله ويرفعها اذ يقول : ايها الملك السماوي اقبل قرابين عبيدك ...[٦٣] وليس ما يمنع ان يكون الكاهن قد بدأ بالصلاة المتغمة لاجل راحة الموتى المؤمنين من حين توجهه الى المذبح حاملاً بيديه ما تبقى من القربان الفاضل عن شوتفة الشعب ، فان الابيات المحفوظة في طبعة سنة ١٥٩٤ تحتوي على قطعتين انتقاليتين لا تجدهما في

الطلبات الجديدة مما يعدد الوقت حتى يصل الكاهن الى المذبح ويصنع الاشارات الوارد ذكرها في نص الدويهي .

والسبب في الصلاة لاجل الموتى مع رفع الاشكال المقدسة المتبقية يعرضه الدويهي قائلاً « ان البرشانة تقسم مثالثة فالتي تعطى للاحيا . (كاهن وشعب) تدل على مقامهم في هذه الحياة والتي توضع في الكأس تدل على مقام المطوبين في المجد والتي تتأخر الى ما بعد المناولة تدل على مقام الموتى . فالاحيا اتحدوا مع الرب في السر المقدس بواسطة المناولة والمطوبون قد اتحدوا معه في المجد بواسطة المشاهدة واما الاموات الذين ما صار لهم ان يتحدوا معه في السر ولا في المجد فقد رسمت البيعة ان تقدم عنهم الجزء الذي انقسم وتأخر لاجلهم حتى يوصلهم الله الى الشركة معه في المجد ولذلك نرفعه هنا بين ايادينا ونقدمه عنهم حتى مثلما هو بقوته ما ترك جسد ابنه يرى الفساد بل اقامه بمجد عظيم من بين الاموات واصعده الى السما . كذلك يقيمهم برحمته ويصعدهم الى حيث هو»(٦٤) .

بهذا ينتهي زياح الشرتقه لكن الرتبة لا تنتهي به بل بزياح الاسرار الاخير حيث يدور الكاهن امام كل الشعب وهو ضابط بيديه الاسرار اذ يقول بصوت مرتفع : « ايضاً وايضاً بك يا رب نحن معترفون والتماجيد لك مقربون لانك اطعمتنا جسدك واسقيتنا دمك الحي . . .

وعندي ان هذا الزياح الاخير هو اول زياح للقربان المقدس عرفه التاريخ والثانية منه الاولى والاخيرة هي رفع القربان المقدس بشكليه امام الشعب لمباركته وتثبيت ايمانه ولشكران المسيح على نعمه « فيرجعون الى بيوتهم مسرورين . والمراد بتكرار لفظة « ايضاً وايضاً» . . . هو ان بيعة الله مؤمنة أمانة ثابتة بأن جسده قد هرق اولاً على الصليب وها هنا هرق في السر لمغفرة الخطايا . ثانياً « لانه في رفعة الاسرار فوق الرأس قلنا نعم يا رب على التحقيق والتوكيد آمنا ونؤمن كما آمنت بك البيعة المقدسة » . « فذلك الاقرار بنفسه نكرره ها هنا اذ نقول ايضاً وايضاً وكما اننا هناك اقررنا بتثليث الاقانيم وتجسد الكلمة كذلك ههنا يصير الاقرار بالحقيقتين»(٦٥) .

هذا الزياح هو افضل تراث محفوظ لنا وبه نمتاز عن الكثير من الكنائس الشرقية والغربية ولو اجتهدنا في تبيان نصوصه ومعانيه لربحنا خيراً جماً لنا ولمؤمنينا .

اما تاريخ انتظامه في قداسنا مبدئياً فهو بدون شك من القرن الاول اذ جاء على ذكره يوستينوس في دفاعه الاول[٦١] .

اما كيف كانت نصوصه وحركاته بالتمام فهذا امر لا يمكن مراقبته الا بالعودة الى المخطوطات والمقارنات الطقسية مما يتعدى نطاق هذا الدرس .

٥ ـ هل من زياح لنقل القرابين بعد الانجيل ؟

ان البحث عن وجود زياح لنقل القرابين بعد الانجيل ينطوي على نتائج البحث السابق له عن تاريخ هذه النقلة وضرورتها . وعندي ان الذين بحثوا هذا الموضوع مؤخراً والذين استنتجوا وجود هذه النقلة عند الموارنة قد تورطوا في استنتاجاتهم لانهم لم يراعوا اصول الابحاث الطقسية وبدأوا من حيث كان يجب ان ينتهوا .

هناك اذاً مقدمات لا بد منها ولا يسوغ تناسيها الا اذا اتخذنا مؤلفاً غريباً أكل الدهر عليه وشرب كنبراس سيضيء لنا ونهتدي به ولكن على غواية اذ ان الضال لا يمكنه ان يعلم الجاهل .

١ ـ ان ابحاثنا في الطقوس مرتبطة بواقع محسوس وتاريخي يفترض اصولاً متعددة لا يمكن التغاضي عنها . ومنها اننا مرتبطون بذات الفعل بالشكل الهندسي الذي نتصوره في فكرنا او نتحققه في الواقع عن بناء كنائسنا التي اما أن تسمح او لا تسمح بان تجري فيها نقلة للقرابين . وكنائسنا بدون شك لم تكن ابداً على شكل واحد لكن من المؤكد انها لم تتسع ابداً ليكون فيها مذابح وخلوات متعددة كما هي الحال في البناء البيزنطي والروماني مثلاً .

٢ ـ التقدمة شيء والنقل مع زياح القرابين شيء آخر . والاولى لا تفترض الثاني والقداس عامة والماروني خاصة لا يفترض حتماً وجود تقدمة بالمعنى اللاهوتي : يعني ان التقدمة إما تفهم بصمدة القرابين اي اعدادها على مذبح القداس وهذا حدث طبيعي لا بد منه ؟ واما ان تعني حركة طقسية يقصد منها الصلاة لله ليقبل القرابين المعدة لتتحول الى جسد المسيح ودمه[٦٢] . ولكن كلاهما قد لا يدخلان حتماً في طقس القداس بصفته ذبيحة العهد الجديد؟ خصوصاً وان صمدة القرابين عند الموارنة السريان هي مبدئياً ذبيحة ملكيصادقية ولها علاقة بالبواكير

والتقادم المأخوذة من الاملاك والبساتين ܠܩܘܪܒܢܐ ܘܠܡܐܟܘܠܬܐ وهي ذبيحة منفصلة نظرياً théoriquement عن ذبيحة الكلمة (القراءات الناموسية والتي يليها اخيرا ذبيحة السر (افخارستيا العهد الجديـد) . وصمدة الاسرار اصلها المأدبة التي كانت بدون شك في بداية الاجتماع Agape ثم التقادم التي كان المؤمنون يأتون بها من بيوتهم ولا يعقل ان يمسكها كل بيده من اول الاجتماع حتى تنتهي ذبيحة الكلمة « او رتبة القراءات » .

اما نقل القرابين مع كشفها فهذا كان يجري فقط في الكنائس الموجود فيها مخبأ او خزانة او مائدة خصوصية « πρόθεσις برودسيس » مجاورة للمذبح الكبير وكان يجري ذلك بعد تلاوة الانجيل فيما لو كان هناك موعوظون ... ولكن في اي امكنة وفي أي عصر كان الموعوظون يشكلون طبقة خاصة من المؤمنين وهل يجوز افتراضهم منذ بدء الكنيسة وفي كل اقطار العالم المسيحي ؟ هذا مردود اليوم بمحض العودة الى المنطق والتاريخ العام وقطع النظر عن التاريخ البيزنطي والروماني .

٣ — قياس البحث في الامور الطقسية هي النصوص المستعملة والنصوص يجب ان تتكلم عن نفسها اي عن معانيها وعن غاياتها وعندئذٍ تصدّق ، ويزيد في تفسير النصوص وتوجيه معانيها الحركات التي ترافقها اذا كانت توافقها ويزيد في تفسير النصوص والحركات المحيط والبناء الذي تجري فيه والالحان التي ترتل بها او هي قابلة الترتيل بها فيما لو كانت موزونة شعرًا .

والحال ليس في نص « انا هو خبز الحياة » ما يلزم كونه مرافقاً لنقل الاسرار اي القرابين من موضع الى آخر مع العلم اننـا لا نملك اليوم النص الاصلي الاصيل لهذه القطعة[٦٨] .

اما الذين ارتكزوا على آراء ومصادر الاب هانسنس Hannssens فكان الاولى بهم ان يعودوا إما الى مؤلفات احدث منه[٦٩] وأوسع اطلاعاً واما ان يقوموا هم بما لم يتوفر للاب هانسنس ان يقوم به وهو الذي صرح لي في مقابلتي له في روما سنة ١٩٥٦ ان اقباله على درس ونشر موضوع مؤلفـه ضرب من الجنون والهوس الشبابي فـان الموضوع اكبر بكثير من ان يستوعبه شخص واحد . وكنت حينئذٍ اطالبه بتكميل كتابـه بخصوص الاجزاء الاخرى عن

الفروض الالهيــة الشرقية التي كنت اسعى لوضع اطروحتي عنها وقد اقر ان الكلام المجازف دفعه الى اخطاء وعرضه الى اخرى مما حدا به الى الاعراض عن اتمام المؤلف الذي بدأ به . اما أخوه بالرهبنة العلامة يونغمان فقد توفق فوق كل مزيد في كتابه عن القداس الالهي والمصادر الذي يسردها تفيد جـدًا للباحث عن القداس الشرقي[٧٠] .

٤ — قد يكون هنــاك سبب وجيه لزياح القرابين بعد الانجيل في تلك الكنائس التي درجت لديها عادة حفظ جزء من قربان سبق تقديسه ليدمج في القربان الجديد ، ولكن هل من أثر لمثل هذه العادة عندنا ؟ [٧١] . وأين ابتداء الكنيسة السريانية من القرن الرابع عشر الذي تم فيه ترتيب الدخلة الكبرى البيزنطية لنقل القرابين ؟

وهناك تفاصيل عديدة لا مجال لسردها تثبت لنا ان لا زياح للقرابين بعد الانجيل عند الموارنة ولعل المقاطع والنصوص المقولة عندئذ هي لمرافقة الانجيل في عودته من المنبر الى المذبح مع العلم ان انشودة « انا هو خبز الحيـــاة » لا تقال كل يوم بل هناك غيرهـــا لايام الاسبوع كلها ولأغلب الاعياد الربانية والمريمية واعياد القديسين كما ان هناك انشودة يقولها الخادم في هذا الوقت شبه كرازة (ولعل الانشودة الاولى جزء من هذه الكرازة) تقول « فلنقف كلنا مصلين » وهذه لا علاقة لها بزياح القرابين ولا بنقلها .

اخيرًا ان المعروف عن الطقس الاورشليمي المحفوظ حتى عند اللاتين اليوم (الدومينيكان والكرمليين القدماء . الخ .) انه يصمد القرابين منذ اول رتبــة القداس . فاذا تذكرنا ان الطقس الاورشليمي المذكور انتقل الى اوروبا اقلّــه منذ القرن الثاني عشر ، وأن تأليفه هو عين تأليف القداس السرياني من جهة تركيب الرتب والحركات الظاهرة ، وان نصوص بولس الرسول تفترض وجود المأكل والمشرب في المحـــل نفسه الذي تجري فيه من بعد « رتبة تذكار آلام المسيح وموته حتى مجيئه » وأن القرابين المصمودة على المذبح تبخر لوحدهـــا كل مرة يبخر المذبح ، اعتبرنا ان صمدة القرابين عند السريان الموارنة ثابتة في بداية القداس وبالتالي من المستحيل افتراض زياح لنقل القرابين بعد تلاوة الانجيل ، اللهم الّا اذا اهتممنا بتأمين نظرية بعض اللاهوتيين اللاتين الذين يريدون جمع

التقدمة الى الذبيحة عن اقرب طريق بالرغم من ان الشرقيين السريان لم يعيروا أية اهمية لمثل هذا الجمع بين التقدمة والذبيحة ولم يعتبروها ابدًا من ضروريات الذبيحة في ما عدا اعداد القرابين على المذبح بقطع النظر عما قد يعني مثل هذا الاعداد بالنسبة للذبيحة السرّية .

ختام

ليس لدي ختام افضل من ان نستوحي المعلم غوارديني لننهي بعبارات من روحه هذا البحث عن الزياحات في القداس الماروني . يقول غوارديني : ان الاختصاصين خطرون في كل آن وأين وهم اشبه بالذباب والديدان يمتصون الحياة من صاحبها رويدًا رويدًا الى ان يفتقر دمه وينسل[٧٢].

« لكن عندما يتدخل الاختصاصيون في امور الهيكل والمعبد فليس اخطر منهم واحرى بغضبنا » .

ان الرجل البسيط الذي يرتاد الكنيسة عند الاحتفال بالقداس الالهي والذي لا يرغب سوى في تقديم واجب الخضوع والعبادة لله، والمرأة الفقيرة، التي حنت ظهرها اثقال الحياة والتي تأتي الى الهيكل لتجد شيئًا من السلوى عن اتعابها واحزانها ، وكل جمهور المؤمنين الذين يتقربون من المعابد ليقوّوا ايمانهم بالرغم من صلابة قلوبهم وينهلوا الشجاعة الكافية للقيام بواجباتهم اليومية النكدا، كل هؤلاء يفقهون جوهر الطقوس ويشعرون بها اكثر من اختصاصي يسعى مثلاً لادراك جمال حركة او مقطع من النافور او من التقدمة او من الكرازات او ليستوعب عن طريق التحاليل والتواريخ والمقابلات قيمة زياح الاسرار او زياح الانجيل المقدس في القداس الماروني[٧٣].

« ... انما الطقوس والرتب وضعت قبل كل شيء لتكون اداة لخلاص النفوس » .

وجوهر الطقوس ليس في جلال الحركات والمواقف ولا في وقع الانغام ولا في صدى التعابير والنصوص الخطابية كما لو كنا نحضر تمثيل رواية روحية او

دراما مقدس Auto espiritual o drama sacro . كلا بل جوهر الطقوس في ان تخطو بواسطتها تلك النفس المخلوقة على صورة الله خطوة جديدة تقربها اكثر فأكثر الى الله الذي خلقها .

... وجمال الطقوس لا يظهر الا لمن يتولع بحقيقتها سابقاً . واستيعاب جمال الطقسيات في قداسنا الماروني يتحقق لكل واحد بنسبة امكانياته الشخصية من ثقافية ونفسانية وصحية ومن ذوق نورته بعض المعلومات التاريخية الصادقة ووجهه شيء من الانتباه اما للنصوص المسموعة او لتلك التي تتلى بحنية الكاهن المحتفل في كتاب يدل المؤمن ويرافقه الى الكنيسة ليكتشفها . جعلنا الله ممن يسعون السعي الحسن ويقرعون ليفتح لهم .

NOTES

فيقول عنه السماني :

(1) «In sacris officiis usurpatur de re solemniter ultro citroque gestata», *B. Or.* III, II, 700.

أي تستعمل في الفروض اليمية للاشياء التي تحمل من مكان الى آخر باحتفال .

(2) Cfr. Payne-Smith, *Thesaurus Linguae Syriacae*, p. 1098.

(3) «Le rite religieux est un ensemble convenu de mouvements, de sons et de paroles, qui forme le cadre dans lequel l'action communautaire religieuse peut s'accomplir... il est, donc, *social en son accomplissement même*. Il ne peut être réalisé comme il se doit que par le concours actuel de plusieurs personnes dont il manifeste l'accord. Les rites communautaires de l'Église excitent et manifestent l'actuel accord social des fidèles.

Cfr. Guy de Broglie, s.j., *Pour une théologie du festin eucharistique*, dans «Doctor Communis» I (1949) 4, et Herman Schmidt, s.j., *Grandeur et misère du rite*, dans « La Maison-Dieu » 35 (1953), pp. 114-115 et 127-129.

(4) راجع الدويهي : منارة الاقداس مجلد اول صفحة ٥٠٤٠

(5) «Publicae sacraeque processiones seu supplicationes, quibus ex antiquissimo sanctorum Patrum instituto, Catholica Ecclesia vel ad excitandam fidelium pietatem, vel ad commemoranda Dei beneficia ejusque gratias agendas, vel ad divinum auxilium implorandum... continent enim magna ac divina mysteria...», *Rituale Romanum*, Tit. IX, 2, 1 nº 1.

وقد وصف مثل هذه الزياحات المؤلف مقري في قاموسه للالفاظ المقدسة قائلا :

Ad instar exercitus modeste ac devote coordinatur (fideles) vexilla et Crucem praeferendo» cité dans Solano-Vendrell, *Manual Liturgico*, II, p. 509, Barcelona, 12 ed. 1928 (Macri, Hyerolexikon sacrum).

(6) Movit se, excitavit se ad movendum ترحزح ' ترفرف elevavit alterum inde portavit gestavit plerumque cum pompa quadam, apud Payne-Smith, *loc. cit.*

وعليه تقسم الزياح الى نوعين : ترفرف أمام الجمهور – ترفرف بين الجمهور .

(7) Circumgestio mysteriorum de processione qua circumgeruntur sacramenta, Payne-Smith, *loc. cit.*

ولكن مراده الاول الاشارة عن زياح الشوبنة أو مناولة الشعب عن طريق المرور بين صفوفه . وذلك في مقالته عن السريان النساطرة .

Bibl. Orient. III, II, 308....ne quum sacramenta circumferuntur genua quis flectat aut pectus percutiat aut caput detegere audeat.

(8) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, Vol. II, 1re ed. B.A.C., p. 629.

(9) راجع يونغمان :

JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, II, nº 444, edit. BAC p. 1013 : « la Siria, patria de las ceremonias simbolicas y de la fraccion y commixtion...».

(10) تكوين ١٨/١٤

(11) دويهي منارة مج١/٣٩١

(12) Cfr. RAES, *Introd. in Lit. Or.*, pp. 66-68.

(13) JUNGMANN, p. 631: «Dominicum celebrare te credis, quae in dominicum sine sacrificio venis, quae partem de sacrificio quod oblutit pauper sumis», De Oper. et Eleem. c. 15.

(14) «Erubescere debet homo idoneus si de aliena oblatione communicaverit», Serm. 13, P.L. 39/2238.

(15) «Diaconicon sit a dextra ingressus qui a dextris est, ut eucharistiae sive oblationes quae offeruntur possint cerni». I, 19. ed. Rahmani, 23, apud JUNGMANN, p. 633, note 12.

(16) De eccles. Hierat. III, 2.

(17) P.G. 86/2400 s. JUNGMANN, 633, note 15.

(18) دويهي ٢/١٦–١٧

(19) راجع الدويهي مج ١/٤٠٠

(20) دويهي ١/٤٠١

(21) راجع كتابي :

L'office divin dans l'Eglise Syro-Maronite, pp. 8-21, 35-37, 164-165.

(22) دويهي ١/٣٨٩ et JUNGMANN, II, nº 6, p. 635.

(23) دويهي ١/٣٩٢

(24) دويهي ١/٣٩٥

(25) دويهي ١/٣٩٤

(26) راجع الدويهي ١/٣٩٥

(27) دويهي ١/٣٩٧

(28) دويهي ١/٣٩٨–٣٩٩

(29) دويهي ١/٤٠٢

(30) ١: كنيسة ملكيصادق / الطبيعة : الذبيحة الفطرية في ناموس الطبيعة
٢: كنيسة هارون / الكلمة : الذبيحة النطقية – الكلام الموحى والقراءات والتسابيح الشفاه والآذان الصاغية
٣: كنيسة المسيح / السر : الذبيحة السرية او ذبيحة الافخارستيا.

(31) دويهي ١/٤٨٧–٤٩١

(32) دويهي ١/٥٠١–٥٠٤

(33) دويهي ١/٥٢٣

(34) دويهي ١/٥٢٤

(35) دويهي ١/٥٢٧

(36) دويهي ١/٥٢٨–٥٣٠

(37) دويهي ١–٥٣٥

(38) راجع كتابي *L'Office..* p. 18

(39) *Douayhi* I, p. 539

والدليل على الوقوف في الكنيسة عادة نجده في كلمة circumstantes ونعني بالحرف الواحد واقفين حول (المذبح) ومحيطين به وقوفاً .

(40) Id., *l.c.*, p. 540.

(41) دويهي I, p. 541.

(42) I, p. 542.

(43) P. 545.

(44) Jungmann, p. 567, I, nº 569 nota: «Remigio de Auxerre dice que el evangelio de Cristo estaba accompanado de un gran sequito «Tamquam persona praepotentis» (Expositio, P.L. 101, 1248A).

(45) Cfr. Karl Bernhard Ritter, *Liturgische Erneuerung und Einheit*, in Ruf zur «Una Sancta», 1960, als manuscript.

(46) Ad Philad. 5, 1 «Mon refuge, c'est l'Évangile, qui est pour moi Jésus lui-même en chair, et les Apôtres qui sont à mes yeux le presbiterium de l'Église». Cfr. *Les Pères apostoliques*, par Aug. Lelong, p. 73, Paris 1927.

(47) Constit. Apost. II, 57, 7.

(48) Jungmann, I, 572, nº 575.

(49) Cfr. Jungmann, *op. cit.*, 344, nº 316 y nota 4.

(50) Summa Theol. III, 9, 73, 4 corp.

(51) يقول يونغمان حرفياً :

Mit dem Begriff des Opfers allein das innere Geschehen (in der Messfeier) nicht vollends ausschöpfen Kann...) Cf. Liturgisches Erbe... p. 378.

(52) Cfr. Jungmann, *op. cit.*, vol. II, nº 458. «Nec proprie communio dici potest, nisi plures de eodem sacrificio participant».

Bertoldo de Constanza, Micrologus, c. 51 (1100), apud Jungmann, p. 961, v. II, nº 383, nota 1e.

S. Thom. «Respectu rei praesentis, scilicet ecclesiasticae unitatis, cui homines congregantur per hoc sacramentum» dicit enim Damascenus IV. Libro(De fide Orth. c. 13, MG.91/1153) quod dicitur communis qui communicamus per ipsam Christo; et quia participamus ejus carne et deitate et *quia communicamus et unimur ad invicem per ipsam*».

Summa Th. 3, 9, 73, a 4 corp.

Cfr. Jungmann, *op. cit.*, p. 961, Vol. II, nº 383.

الذبائح منها للشكر ونؤكل (احبار ٣٢/٢٩–٣٠)

ومنها قربان تقدمة (احبار ٣/٢) ويؤكل منها ويقتر الباقي

ومنها قربان محرقة (احبار ٩/٢) ويفتر الكل . وخروف الفصح يؤكل بكامله (خروج ٢/٧٠١٢) .

(53) Cfr. Jungmann, p. 1089, v. II, nº 549 nota 34.

(54) دويهي ٥٥٥/٢

(55) دويهي ٥٥٨/٢

(56) دويهي ٧٥٨/٢

(57) Cfr. S. Justin Apol. I, 65 et 67.
Solano *Textos Eucharist.* I, 61 et 63.
item, Jungmann, *op. cit.*, p. 111, v. I, nº 91.

(58) Conc. Laodic c. 44, Mansi II, 571.

(59) Cfr. Codic. Egipcio de Rossano, y de Rabulas, apud Jungmann, p. 1086, nota 18, v. III, nº 544.

(60) Aphraates Hom. 7, 8 apud Jungmann, 1089, nota 36.
«et Dominum diligunt, ejusque vulnera delingunt, dum ipsius Corpus suscipientes, sibi ante oculos propositum lingua lambunt, sicut canis herum delingit» Aphraates Demonstr. 7, 21, Solano, Textos, 316 I v.
« Manducant enim agnum festinanter, in timore et tremore, pedibus insistentes (= de pié)... idem, Demon, 12, nº 9.
Solano, Textos, I, nº 327.

(61) Cfr. Solano, *Textos* I, 316-317, 334 Ciril Hyeros, *ibid.*, nº 497-498. Teod. de Ciro ib. II, 790. In cantic P.G. 81/53 AC.

(62) Cfr. Jungmann 1105 vol. II, nº 569, nota 6. «Cantando salmos aleluiaticos. ib. 1106 nº 570, antifonales (o responsoriales) para alargar el canto segun las exigencias de los procesiones (o comuniones), Jungmann, p. 659, v. II, nº 28.

(63) دويهي ٥٦٩/٢ (64) دويهي ٥٧٠/٢ (65) دويهي ٥٧٤/٢

(66) Apol. I, 65/67. «Los diaconos dan a cada uno de los presentes a participar del pan y del vino y del agua eucharistizados, que tambien elevan a los ausentes... y a los ausentes se le envia tambien por medio de los diaconos», Solano, *Textos Euc.* I, nº 91-93.

(67) واخذ خبزاً ورفع (عينيه) الى الله الآب وشكر.

Cfr. Jungmann, II, nº 1, p. 629-630.

Es Kommt also an dieser Stelle in Wort und Gebärde der Opfercharacter der Eucharistie zum Ausdruck, und zwar Opfercharakter in dem sinn... nämlich auch schon die materiellen Gaben vor ihrer Verwandlung Gott dargebracht werden also schon ihnen die Bewegung auf Gott hin mitgeteilt wird, die endgultig den verwandelten Gaben, dem Leibe und Blute des Herrn, zukommt.

Das dabei gebrauchte Wort ἀναδεικνύναι kommt auch im klassischen griechisch als Opferterminus vor.

Opfern heisst ja wesentlich: Gott zum Ausdruck der Huldigung eine Gabe darbringen. Man kann den unsichtbaren Gott eine Gabe nicht in die Hand geben; man kann sie nur von sich weggeben und dieses Weggeben mit Worten oder Zeichen begleiten die besagen dass die Gabe nun Gott gehort. Die dafür verwendeten Zeichen können verschieden sein; ein Niederlegen oder verschütten an heiligen Stätte, ein Zerstören oder Verbrennen oder ein einfaches entge-

genheben in die Richtung, wo Gott «wohnt». Das letztere kommt auch durch das αναδεικνυναί zum Ausdruck (Darbringung, offertorium).

Cfr. J.A. Jungmann, *Liturgisches Erbe und Pastorale Gegenwart*, Tyrolia Verlag, Innsbruck, 1960, pp. 367-368 s. اما عن معنى التقدمة بذاتها فمن الموافق ان تراجع المقالة الاخرى ليونغمان حيث يفهم منها ان حركة اليد للتقدمة قد تكون تابعة للوليمة اكثر منها للذبيحة :

«Ja es ist mindestens in hohem Grade wahrscheinlich dass eine Darbringungsgebärde schon zur Zeit Christi zum *Ritus des feierlichen Mahles gefordert war*, und zwar sowohl zum eräffnenden Brotbrechen wie zum. Abschliessenden Dankgebet, das der Hausvater mit erhobenem Becher sprechen musste,— dass also schon der Herr selbst einen solchen Ritus beobachtet hat ». *Op.cit.*. p. 378.

(68) راجع الدويهي ١٩/٣ :

(69) J. M. Hannsens, *Institutiones Liturgicae de ritibus orientalibus*, T. II, IIIa (Roma 1930-32).

(70) J. A. Jungmann, *Missarum Sollemia*, trad. espag. B.A.C. 2 ed. 1953.

(71) «Il est à croire que avant le Vème siècle, cette procession (grande entrée) était destinée à apporter à l'autel une parcelle consacrée à un précédent sacrifice; cela expliquerait bien des rites de cette cérémonie (= chez les byzantins). C'est au XIVème siècle que la cérémonie actuelle a été définitivement développée et réglée. A cette procession les diacres portaient les pains et les calices.»

Cfr. Dom Moreau, *Les liturgies eucharistiques*, Paris, 1924, p. 134.

(72) R. Guardini, *Vom Geist der Liturgie*, trad. espag., pp. 160-161, Barcelona 1945.

(73) Idem, p. 178.

لمحة تاريخية
عن
أشهر مؤلفي الطقس الكلداني ومنظميه

بقلم الخوري افرام بدي

المقدمة

فخر الأحفاد في تراث الأجداد. وعلى اهمية التراث يُقاس مجد تاريخ الأمة وفخرها. فلما كان فرض الطقس الكلداني من أهم ما أورثه لنا آباؤنا وملافنتنا الاجلاء، صممنا ان نتطرق الى بحث أهمّ مواضيع واقسام استورثناها من هؤلاء الملافنة الدارجة اغلبها حتى الآن في طقوسنا الحالية. وعليه سوف ندوّن جدول أشهر المؤلفين الآراميين من الاجيال الاولى للمسيح حتى فجر الجيل العشرين. اما هؤلاء المؤلفون والكتّاب فهم على مختلف كنائسهم الآرامية: شرقيين كانوا أم غربيين.

واننا في هذا البحث نلفت انتباه القارئ الكريم الى اننا نعني هنا بكلمة الطقس «الصلاة الفرضية» اذ ان كلمة الطقس (الليتورجية Liturgie) في معناها الواسع تعني القداس والفرض. ولما كان هدفنا من هذا البحث الفرض الكلداني وأقسامه بحسب استعمال الكنيسة الكلدانية، فضّلنا ان لا نتوسع في البحث وان لا نتكلم على طقس القداس الالهي الذي وحده يتطلب بحثاً دقيقاً خاصاً وان لا نذكر الآباء والملافنة الذين عملوا في تصنيف او ترجمة القداس كمار آبا الذي ترجم قداس الرسل لمار أدي ومار ماري من اليونانية الى الكلدانية. غير اننا عندما نأتي الى ذكر احد مؤلفي فرضنا الكلداني سوف ننتهز الفرصة ونذكر بعضاً من تآليفه الخارجة عن موضوع صلوات الفرض الكلداني.

مار يعقوب اسقف نصيبين
(٣٠٩ – ٣٣٨)

في مدينة نصيبين أشهر مدن الشرق بالقديسين والملافنة والعلماء. وُلد واشتهر أحد عظماء القديسين الكلدان في الجيل الرابع وهو مار يعقوب الملقب بالنصيبيني. ومدينة نصيبين كانت تُدعى ܡܕܝܢܬ ܬܚܘܡܐ (مدينة الحدود) . اي كانت تقع على حدود المملكتين الرومانية والفارسية. ومن ألقاب هذه المدينة : ترس المدن المحصنة . رئيسة ما بين النهرين . رئيسة المغرب . أم العلوم . مدينة المعارف وام الملافنة . فيها فُتحت اول مدرسة في الشرق أسسها مار يعقوب بمعاونة تلميذه مار افرام . اما مار يعقوب فصار اسقفاً على نصيبين سنة ٣٠٩ . شيّد فيها كنيسة فاخرة قُبر فيها عند موته . حضر المجمع النيقاوي مع مار افرام سنة ٣٢٥ .

تآليفه هي بالأكثر عن الصلاة والفضائل الإلهية والأدبية وحياة السيد المسيح والتاريخ . ومن الجدير بالذكر ان لمار يعقوب الفضل الاول في افتتاح وانشاء مدرسة نصيبين التاريخية الشهيرة التي طار صيتها وبرز فيها أشهر علماء ومؤلفي طقوس الطوائف الآرامية عامة والطقس الكلداني خاصة . فكانت نبراس الفضيلة والعلم يشعّ منها مدفقاً أنواره على آفاق الكون بأسره مدة أجيال عديدة ومن البارزين فيها كالقديس افرام ونرساي الملفان وابراهام ابن اخيه ومار آبا وبولس الفارسي وبرصوما وهوشاع الثاني واليشاع بر قوزباي ويوحنان دبيت ربان وغيرهم...

لقد أتى ذكر القديس يعقوب عند كافة الطوائف الشرقية . وعند الكلدان بقي في الجمعة الاولى من سابوع الصيف .

مار شمعون برصباعي البطريرك
(٣٢٩ – ٣٤١)

كان جاثليق المسيحيين على كرسي المداين بالشرق الفارسي . توفي شهيداً في يوم جمعة الآلام ١٧ نيسان سنة ٣٤١ في الاضطهاد المدعو « الاربعيني » مع عدة اساقفة وكهنة وشمامسة[1] .

(١) تاريخ كلدو وآثور للسيد ادي شير ، ص ٦٨ (بيروت ١٩١٢) .

جا. في تريخ السمعاني والسيد أدي شير والاب نصري وكتاب ܣܘܡܟܐ ܕܐܝܪܬܐ ܗܡܘܟܬܐ أن مار شمعون هو الاول الـذي ادخل في الكنيسة المشرقية ترتيب تلاوة الصلوات القانونية بصفين متقابلين (ܥܘܢܝܬܐ) . اخذ هذا النظام عن القديس اغناطيوس اسقف انطاكيا الذي كان قد وضع هذا الترتيب في كنيسته حسبا جا. في المخطوط المدعو ܣܘܡܟܐ ܕܐܝܪܬܐ ܗܡܘܟܬܐ ص : ܗܘ الذي يذكره عبد يشوع الصوباوي وهذا نصه : « ܐܢܫܝܢ ܡܢ ܡܠܦܢܐ ܥܕܬܢܝܐ ܐܡܪܝܢ ܕܐܓܢܛܝܘܣ ܣܡ ܕܢܨܠܘܢ ܒܥܕܬܐ ܒܬܪܝܢ ܓܘܕܝܢ ܐܝܟ ܕܚܙܐ ܗܘܐ ܒܚܙܘܐ ܠܡܠܐܟܐ ܕܗܟܢܐ ܒܬܪܝܢ ܓܘܕܝܢ ܡܫܡܫܝܢ ܗܘܘ ܠܬܫܒܘܚܬܐ ܐܠܗܝܬܐ».

أي : « ان بعضاً من الكتّاب الكنسيّين يقولون انْ اغناطيوس وضع ان يصلّوا في الكنيسة بصفين متقابلـين حسبما شاهد في الرؤيا ان الملائكة هكذا كانوا يخدمون العظمة الالهية بصفّين متقابلَين » .

ومار شمعون هو الذي قسم مزامير داود النبي الى ܡܪܡܝܬܐ ܘܗܘܠܠܐ. وألف صلاة: ܫܘܒܚܐ ܠܟ ܡܪܝ ܕܒܪܝܬ... ثم ܠܟܘ ܡܪܐ... ܡܢ ܫܘܒܚܐ.. ܒܥܕܢܐ ܕܬܫܡܫܬܐ ܘܫܘܒܚܐ اذ كان يقدس في السجن اخير قداسه يوم خميس الفصح ١٦ نيسان سنة ٣٤١ . والّف ܐܬܘ ܥܡܠܢܝܐ... بينما كان يشجع الشهدا. اثنا. الاستشهاد. تُرتل هـذه الانشودة في قداس الاحد الجديد .

مار افرام الملفان

(+٣٧٣)

وُلد مار افرام في بدء الجيل الرابع في نصيبين من أب كان كاهناً وثنياً فتلمذ واعتمد على يد مار يعقوب النصيبيني احد آباء المجمع النيقاوي . امتنع عن اقتبال الكهنوت تواضعاً منه فمكث شماساً طيلة حياته . بعد ان قضى وقتاً ما في آمد ذهب فسكنَ الرها (أورهاي Edesse) حيث توفي في ٩ حزيران سنة ٣٧٣ . انه على رأي المؤرخين الأشهر بين آباء الكنائس الآرامية وسيرة

حياته كُتبت قليلًا بعد وفاته ومن جملة الواقفين على حياته القديس غريغوريوس النصيبي وبلاديوس[1] .

من تآليفه : شرح الكتاب المقدس بعهدَيه القديم والجديد . وهو الأقدم بين مخلفات آباء الكنيسة الآرامية . اما العهد الجديد فكان مطابقاً للدياتسارون (انظر شابو ٢٥–٢٦) . وله ايضاً مداريش ومياسر وتراتيل وتسابيح وتراجم وقصائد (ܣܘܓܝܬܐ) عديدة . من المداريش التي تقال في الاحد الرابع للسوبار « ܒܪܝܟ ܣܘܒܪܟ ... » ثم « ܡܢܘ ܚܙܐ » . ومن السوغيثات المجموعة التي نشرها الاب يوسف قليتا في الموصل سنة ١٩٢٦ . ومن تسابيحه « ܠܟ ܡܫܒܚܝܢܢ ܐܠܗܐ ... » ومن الجدير بالذكر النبذة عن حياة القديس وتآليفه في كتاب ܡܟܬܒ ܙܒܢܐ ما تعريبه : « لقد أورث لنا مار افرام (كنارة الروح ونبي السريان وشمسهم شعاع العلم . عمود الكنيسة المعلم الكبير . والمفسر العظيم مار افرام) كنزاً ثميناً وغنياً من الكتب شعراً ونثراً تفوق الوصف ... » ومن جملة تآليفه في حقل الطقس الكلداني صلوات فرض الباعوث (ܒܥܘܬܐ) وفرض الموتى . وتسابيح مثل :

ܡܫܒ ܡܪܝ ... ܢܘܗܪܐ ܕܢܚ ܠܒܪܝܬܐ . ܘܐܘܠܦܢ ܢܒܝܐ ܘܣܒܪܬܗ . ܘܡܪܝ ܡܫܝܚܐ . ܘܫܘܒܚܐ ܠܫܡܗ . ܘܬܘܕܝܬܐ ܐܝܟ . ܘܒܢܝܐ ܘܫܠܝܚܐ . ܘܒܪܝܟ ܐܒܘܟ . ܘܠܟ ܡܫܒܚܝܢܢ ܐܠܗܐ . ܘܠܡܫܒܚܬܟ ܕܝܠܟ . ܘܠܡܠܟܘܬܟ ܕܥܒܕ ܘܒܪܐ ܕܝܠܟ ܕܒܪܐ . ܘܫܘܒܚܐ ܡܢ ܠܥܘܕܪܢܐ . (ܐܡܝܢ) : ܡܥܒܕܢܐ ܐܪܙܐ ܗܘ ܘܫܡܐ ܕܐܠܗܘܬܟ . ܘܠܐܝܩܪܐ ܡܪܝ . ܘܡܥܒܕܢܐ ܡܫܡܠܝܢ ܘܬܘܕܝܬܐ ܠܒܪܝܟ . ܘܡܫܒܚ ܗܘ ܒܟܠܗܘܢ . ܘܫܘܒܚܐ ܕܟܠ (ܐܡܝܢ) : ܕܡܫܒ ܗܘ ܒܪ ܐܠܗܐ . ܘܐܬܦܢܝ ܡܪܝܐ . ܘܡܠܟܐ

(١) طالع سيرة مار افرام المفصلة في تاريخ كلدو وآثور للسيد ادي شير ، مجلد ٢ ، ص ٤٦ . وذخيرة الأذهان للاب نصري . وسيرته طبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل . وكتاب ܡܟܬܒ ܙܒܢܐ والآداب السريانية لشابو ، ثم كتاب A. Baumstark : *Geschichte der syrischen literatur*, (Bonn 1922) والسماني طبعها في روما سنة ١٧٤٣ .

ܡܚܘܐ ܒܪܒ ܠܗ . ܘܫܪܪܐ ܕܦܬܓܡܐ . ܘܫܪܪܐ ܘܟܠ ܕܡܫܬܐ .
ܘܦܬܓܡܐ ܡܠܝ . ܘܐܡܪ ܐܠܗܐ . ܘܐܠܗܐ ܡܫܝܚܐ . ܘܦܠܛܝ
ܡܫܐܝܠ ܗܘܐ . ܘܡܬܬܡܗܐ ܒܟܠ ܐܬܪ . ܘܡܫܬܒܚ ܘܠܐ ܡܬܗܘܐ . . »
وغيرها التي جعلته ان يسبق الاولين والآخرين...[1].

وجاء في تاريخ كلدو وآثور : انه اتى في التاريخ السعردي ان لمار افرام قداساً يقدس به الملكيون . وكان يقدس به النساطرة ايضاً في نصيبين الى ايام مار يشوعياب الحديابي الذي رتب الصلوات واقتصر على النوافير الثلاث المستعملة عندنا اليوم[2].

مار افراهاط الحكيم

يُدعى ايضاً الحكيم الفارسي او يعقوب افراهاط . وُلد في بدء الجيل الرابع . وعلى رأي آخر وُلد في نهاية الثالث . مسقط رأسه بجوار نينوى وكانت حينذاك بلاد الفرس . ومن المحتمل ان مركز اسقفيته كان دير الشيخ متى . توفي اكيداً بعد سنة ٣٤٥ التي فيها كتب مقالته الاخيرة اي الثالثة والعشرين. هل ترى مات شهيداً في اضطهاد شابور الثاني الذي دام من سنة ٣٤٠ حتى سنة ٣٧٩ ?[3].

خلّف لنا كنزاً أدبياً يتألف من ٢٣ مقالة تسمى «ܬܚܘܝܬܐ» (البراهين) على الاحرف الابجدية . والمقالة الثالثة والعشرون دعاها ܥܠ ܥܢܒܬܐ أي (المنقود) .

(طالع حياته ومؤلفاته في ܡܟܬܒ ܙܒܢܐ : ܐ صحيفة ܟܐ تم شابو : الآداب السريانية ص : ٢٣).

(١) ܡܟܬܒ ܙܒܢܐ : المجلد الاول ، ص ܠܕ.
طالع ايضاً فهرست مخطوطات برلين ، المجلد الاول ، ص ١٢٤ .

(٢) كلدو وآثور ، صحيفة ٤٧ .

(٣) cf. Baumstark, p. 44

مار اسحاق الجاثاليق
(٣٩٩ – ٤١٠)

كان بطريركاً اثناء مجمع ساليق (Seleucie) الثاني حيث انتظمت الاجزاء الجوهرية لطقوسنا سنة ٤١٠ . وأمر ان الطقوس والصلوات الممارسة في كنيسة ساليق وقطيسفون تكون واحدة وتُدرج في جميع الكنائس السريانية الشرقية (الكلدانية) . كان المجمع قد عُقد في كانون الثاني سنة ٤١٠ وهي السنة الحادية عشرة للملك يزدجرد . ومن جملة ما حتم به المجمع توحيد الطقوس مثلما كانت في بيعة المدائن وان لا تُقدم الذبيحة الالهية في البيوت وان تُعيد كل الكنائس سوية اعياد الميلاد والدنح والقيامة وتصوم سويةً . كان معاوناً لمار اسحاق في كل ذلك ، مار ماروتا اسقف ميافرقين[1]

مار ماروثا أسقف ميافرقين
(٣٩٩ – ٤٢٠)

ان مدينة ميفرقط (ܡܝܦܪܩܛ) يدعوها اليونان والعرب ميافرقين . كان اسقفها مار ماروتا في نهاية الجيل الرابع . رجل عالم وطبيب حاذق . حضر مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ (تاريخ عمرو في تاريخ كلدو وآثور ٩٩) ضد هرطقة الماقدونيين القائلين بان روح القدس ليس هو الله . وحضر ايضاً مجمع انطاكيا ضد هرطقة المصليين سنة ٣٨٣ . ومما اشتهر به ايضاً مار ماروتا ان قياصرة الرومان كانوا يرسلونه مراراً الى المدائن لعقد الصلح بين المملكتين الرومية والفارسية . واول سفرته عندما جلس يزدجرد على سرير الملك سنة ٣٩٩ . وفي معونة هذا الملك نجح نجاحاً تاماً في إصلاح أمور الكنيسة الكلدانية وعاون مار اسحاق الجاثاليقا في رئاسة مجمع ساليق الكلداني سنة ٤١٠ . وبقي في بلاد الكلدان نحو ثلاث سنين خلالها جمع قصص الشهداء الذين استشهدوا على عهد الملك شابور الثاني . من تآليفه التي يحدث عنها ايضاً مار عبديشوع الصوباوي : تراتيل ܣܗܕܐ (الشهداء) الجاري استعمالها صباحاً ومساء في الطقس الكلداني . وكتاب ܡܕܝܢܬ ܣܗܕܐ (مدينة الشهداء) ترجمه السمعاني الى اللاتينية سنة ١٧٤٨ . وتفسير لقوانين المجمع النيقاوي وتاريخه ترجمه الى الالمانية

(١) طنع تاريخ كلدو وآثور ص ١٠٢ وتاريخ الآداب السريانية لبومشتارك .

(براون Braun O.S.C. Munter 1898). للمرة الثالثة رجع ماروثا الى المدائن سنة ٤١٨ ليرافق يهبالاها الجاثاليق الذي ارسله يزدجرد الملك بالسفارة الى القسطنطينية ثم توفي سنة ٤٢٠ اثناء انعقاد مجمع يهبالاها في السنة عينها[١].

يعقوب السروجي
(٤٥٢ - ٥٢١)

يعقوبي المذهب وُلد سنة ٤٥٢ في قرية كورتام في مقاطعة ساروغ. تثقف في مدرسة الرها الفارسية الشهيرة. منذ عمر ٢٢ أخذ يصنف القصائد من جملتها عن رؤيا حزقيال ثم صار اسقفاً لساروغ سنة ٥١٩م. توفي سنة ٥٢١. أَلَّف ܡܠܦܢܘܬܐ ܕܚܕܘܬܐ ܕܩܝܡܬܐ : موعظة فرحة القيامة وترتيلة للعذراء: ܠܒܬܘܠܬܐ ܡܪܝܡ ܐܫܬܡܥ ܠܟܘܢ ثم ترتيلة ܐܬܐ ܕܩܝܡܬܐ ...[٢] وله عدة تسابيح واناشيد وميامر وقصائد مستعملة في طقس السريان. منها طبعها الاب بيجان بمطبعة لايبسك بالمانيا[٣].

تأودورس المبسوسطي

وُلد تأودورس في مبسوسط (Mopsueste) في الجيل الخامس. ويُكنّى بالمفسّر (ܡܦܫܩܢܐ ܕܟܬܒ̈ܐ ܐܠܗܝ̈ܐ : مفسر الكتب الالهية). اما مبسوسط فكانت مدينة يونانية تقع في آسيا الصغرى. من تصانيفه المحفوظة في طقسنا الكلداني : المجد لله في العُلى على ما جاء في كتاب: ܡܫܘܚܬܐ ܕܡܟܬܒܢ̈ܐ ܕܟܘܬܒ̈ܐ صحيفة ٧١ « ܬܐܘܕܘܪܘܣ ܣܡ ܗܘܐ ܕܬܫܒܘܚܬܐ ܠܥܠܝܐ ... » اي ان تأودوروس هو واضع : المجد لله في العلى[٤].

له تآليف عديدة خارج المواضيع الطقسية كتفسير انجيل مار يوحنا وغيرها

(١) تاريخ كلدو وآثور، المجلد ٢، صحيفة ٩٩-١٠١
J. B. Chabot : *Littérat. syr.*, p. 41, Paris 1934.

(٢) فهرست المخطوطات الشرقية ببرلين.

(٣) طالع حياته وتآليفه في الآداب السريانية لشابو.
Baumstark, *Geschichte der syrischen Literatur*, p. 148

(٤) ان المخطوط المدعو ܡܫܘܚܬܐ ܕܡܟܬܒܢ̈ܐ ܕܟܘܬܒ̈ܐ اي جدول اسماء المؤلفين يذكر من جملة المؤلفين الكلدان النساطرة هيبا الكبير الذي اشتهر في مدرسة الرها وترجم من اليونانية الى الكلدانية مؤلفات تأودورس المفسر (الآداب السريانية لشابو).

جمعها ساشو (لايبسك سنة ١٨٦٩)[1]

مار غريغوريوس اسقف شوشتر .

كان من الأهواز (الفرس) ترهب وانطلق الى نصيبين فالرها ثم ذهب الى جبل إيزلا ومنه إلى قبرص. وضع انشودة :: ܐܬܐ ܠܒܫܗ ܒܡܕܒܪܢܘܬܗ قبل سنة ٤٦٦ حيث صار رئيساً على الدير لكنه عاد الى إيزلا حيث قضى نحبه. كان معاصراً لمار باباي الجاثاليقا وألف كتاباً في السيرة الرهبانية محفوظاً في الفاتيكان ونسخة منه في القلاية البطريركية[2].

برصوما

عاش في الجيل الخامس وكان مطراناً على نصيبين. وفاته بين سنة ٤٩١—٤٩٦. تنسب اليه ليتورجية القداس ومؤلفات أخرى كتعازي وقصائد ومداريش وتسابيح مثل: ܠܟ ܡܫܒܚܝܢ... (طالع كتاب الفرض ܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ)[3].

ويُفيد المستشرق شابو ان برصوما عاون نرساي في تنظيم مدرسة نصيبين التي حلّت محل مدرسة الرها وأضحت المركز الاعلى للعلم عند السريان المشارقة (الكلدان)[4] .

نرساي الملفان
(+٥٠٢)

من أشهر علماء كنيسة المشرق . وُلد في معلثايا[5] في بدء الجيل الخامس وتوفي في غرة الجيل السادس. ومما يجدر بالذكر هو ان مدرسة الفرس واصلت تقاليدها في مدرسة نصيبين على عهد نرساي عندما كان مديرًا لها . (طالع آلآداب السريانية لبومشتارك) . من تآليفه أنشودة ܡܪܝܐ ܡܫܝܚܐ ܟܠ ܡܫܬܡܥܢܐ ... ܘܡܣܒܪܢܐ ܕܚܝܐ ܡܫܬܐܠܢܘܗܝ... هتان الاستاتان تُتالان في ܡܘܬܒܐ ليوم الخميس الذي يلي باعوثا. قالها نرساي حين خروجه من

(١) شابو ، صحيفة ١٤٩ .

(٢) تاريخ كلدو وآثور للسيد أدي شير ، مجلد ٢ ، ص ٤٥ – (طبع ١٩١٢ ، بيروت) و ܡܕܪܫܬܐ لعبد يشوع الصوباوي ص ܦ (طبع ١٩٢٤ : الموصل).

(٣) مخطوط ܡܘܬܒܐ ܕܡܘܬܒܐ ܕܣܘܦܝܐ لمار عبد يشوع الصوباوي .

(٤) شابو : الآداب السريانية ، صحيفة ٤٩—٥٠

(٥) معلثايا : قرية صغيرة تقع على بضع كيلومترات غرب دهوك في شمال الموصل بالعراق .

الرها بينما كان المخالفون يضطهدون الكنيسة ويحرقون بعضاً من كتبه سنة ٤٥٧[1] وجاء في جدول مار عبديشوع الصوباوي ان لنرساي شرحاً لعدة اسفار من العهد القديم وألف مئات من المقالات . ثم « ܠܐܪܒܥܐ ܦܢܩܝܬܐ ܡܐܡܪ̈ܐ: ܬܠܬܡܐܐ ܘܫܬܝܢ ܒܡܢܝܢܐ. ܘܦܘܫܩ ܐܪ̈ܙܐ ܘܡܥܡܘܕܝܬܐ. ܘܒܘܝ̈ܐܐ ܚܡ ܡܬܪ̈ܓܡܐ. ܘܬܫܒ̈ܚܬܐ ܘܡܬܪ̈ܥܝܢܘܬܐ » . اي « ان نرساي ألف ١٢ مجلداً من الميامر بعدد٣٦٠ ، وتفسير الاسرار والعماد والتعازي والتراجم. وتسابيح ومواعظ » وله ليتورجية واحدة . ومن قصائده هي طقسية مثل : ܒܡܠܟܗ ܕܒܪܐ ... ܘܫܠܡܗ ܕܒܪܐ .. ܐܘܟܠܢܐ ܕܒܝ̈ܬܐ ... ܒܠ ܐܘܟܠܢܐ ܕܫܡܝܢ ... ܠܝ ܠܐ ܚܘܝܐ ܒܟܘܫ̈ܝ ... ܒܫܘܒܚܐ ... ܚܙܝ ܠܗ ܡܪܢܐ ܠܟܘܫ̈ܝ ... ܡܪܐ ܐܬܒܢ ...
(طالع كلدو وآثور . وشابو وبومشتارك).

البطريرك مار آبا الكبير
(+٥٥٢)

اصله من الفرس وتثقف في مدرسة نصيبين ثم صار جاثاليقاً سنة ٥٤٠ — ٥٥٢ . قام بأسفار الى اسكندرية وقسطنطينية ثم صار بطريركاً على ساليق وقطيسفون . كان له إلمام في الآداب اليونانية وقام باتصالات بين كنيسة الفرس وكنيسة اليونان. في سنة ٥٤٤ عقد مجمعاً لاصلاح أمور البيعة. له تراجم وقوانين في المزامير: ܩܢܘܢ̈ܐ أي وضع صلوات قانونية للمزامير بعد كل هولال ومرميث. وضع صلاة تسبيحية للصوم الكبير : ܡܫܒܚܢܐ ܡܪܝ كما ونظم تلاوة الصلوات في الفرض كما روى عمرو المؤرخ. مار عبديشوع الصوباوي ينسب اليه ترجمة كاملة للعهد القديم والجديد وتفاسير عن العهدين كما وله تاريخ كنيسة المشرق ترجم ليتورجية القداس التي لتأودورس المبسوطي من اليونانية الى الكلدانية . ولا زالت مستعملة عند الكلدان الكاثوليك والنسطوريين . الا ان الكلدان يطلقون على هذه الليتورجية الآن اسم « ܡܦܫܩܢܐ ܠܐܠܗܐ:

(١) تاريخ كلدو وآثور ، المجلد ٢ ، ص ١٣٧ .

القداس الثالث »[1]. لمار آبا ايضاً ܬܘܪܓܡܐ يُقال قبل الانجيل في ܕܘܟܪܢܐ ܕܡܪܝ ܩܘܪܝܩܘܣ [2].

توما الرهاوي

هو من الرها (Edesse) ومرافق مار آبا الكبير. إذًا في الجيل السادس. له تآليف عن الميلاد والدنح (الغطاس) وقصيدة عن نظام السنة الطقسية — له رسالة عن الموسيقي الكنائسية (ܕܡܘܣܝܩܝ)[3]. وله تسبحة: ܩܕܡܝܟ ܢܗܘܐ ܠܟ ܣܘܓܕܝܢ. ܡܫܝܚܐ ܩܕܝܫܐ ... (انظر ܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ) .

ابراهام بيت ربان
(+ ٥٦٩)

ابراهام كان في الجيل السادس . وهو ابن اخت نرساي الملفان وخليفته في إدارة مدرسة نصيبين . توفي سنة ٥٦٩. له تفاسير عن الكتاب المقدس وقصائد وعونيتان (أناشيد) ومقالات جدلية . وله ايضاً مداريش وتركيب مقالات وتسابيح منها تسبحة : ܐܬܩ ܠܟ ܡܠܟܐ ܕܡܠܟܝܢ ...[4] (طالع كتاب الفرض ܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ).

خنانا الحديابي

حدياب هي في جوار أربيل (في العراق) . شهرته سنة ٥٧٠ — ٥٨١ . درس في نصيبين تحت ادارة ابراهام ابن أخي نرساي . ثم صار رئيساً على مدرسة نصيبين سنة ٥٧٢ . له تصانيف في جمة الذهب : ܟܢܘܫܬܐ ܕܕܗܒܐ

(١) الآداب السريانية لشابو ، صحيفة ٥٣ ؛ وبومشتارك : تاريخ الآداب السريانية — الملخص ص ٤٥ .

(٢) ܟܬܒܐ ܕܬܘܪܓܡܐ لقس تليا ، ص ܩܘ وفهرست مخطوطات برلين .

(٣) Chabot, *ib.*, p. 54; Baumstark, *ib.*, p. 121

(٤) فهرست مخطوطات برلين : المجلد ١ ، صحيفة ١٢٥ .
شابو ، صحيفة ٥٢ .
كلدو وآثور : ٢٧٦ .
السمعاني في أدي شير ١ : ٧٢ .

التي تلي المنصرة. ومقال عن اكتشاف الصليب المقدس وموعظة لأحد الثمانين وقانون الايمان في العماد حسب الاعتقاد النسطوري[1]. له ايضاً ܡܐܡܪܐ ܘܕܪ̈ܫܐ ܥܠ ܬܝܒܘܬܐ ... (ܕܡܫܟܝܢ ܘܕܒܬܪ).

باباي ܒܪ ܢܨܝܒܢܝܐ (ابن النصيبين)
(+ ٥٨٨)

أصله من بلاد الفرس . وكان تلميذاً في دير مار ابراهام الكشكري في إيزلا. توفي سنة ٥٨٨ • من تصانيفه : ܦܘܫܩܐ ܠܬܫܒ̈ܘܚܬܐ ܕܥܕܥܐܕ̈ܐ ܡܪ̈ܢܝܐ... ܡܐܡܪܐ ܘܕܪ̈ܫܐ ܘܬܫܒ̈ܘܚܬܐ... (ܕܡܫܟܝܢ ܘܕܒܬܪ) . له ميامر عن التوبة وعدة تسابيح . طالع تآليفه في كتاب الآداب السريانية لشابو وبومشتارك[2].

عنانيشوع الراهب
(الجيل السابع)

كان معاصراً ليشوعياب الثالث. وكان في شبوبيته رفيق الدرس ليشوعياب الثالث الحديابي . فصار مساعده في تنظيم الصلوات الفرضية والطقوس اذ كان ماهراً في فن الموسيقى[3] . وجاء في كتاب الرؤسا. (ܟܬܒܐ ܕܪ̈ܝܫܢܐ) لتوما المرجي[4] ما يلي: «انتدب يشوعياب الحديابي لمعاونته في تنظيم الطقوس» عنانيشوع الراهب . وعنانيشوع هو مؤلف ومنظم النسخة الثانية لكتاب فردوس الآباء الغربيين (ܦܪܕܝܣܐ ܕܐܒܗ̈ܬܐ)[5]. وكان هو واخوه يشوعياب (وليس هو يشوعياب الطريك) من بلد حدياب ودرس كلاهما في مدرسة نصيبين وترهبا في الدير الكبير . وزار عنانيشوع الاراضي المقدسة وارض الصعيد ... وكان

(١) A. BAUMSTARK, *ib.*, p. 127

(٢) A. BAUMSTARK, *ib.*, p. 132 وتاريخ الكردينال تيسران، تعريب القس الصائغ (هو المثلث الرحمة المطران سليمان الصائغ)، صحيفة ١٥٥

(٣) J. B. CHABOT, *Littérature syriaque*, p. 100

(٤) مجلة النجم ، ايار ١٩٣٥ .

(٥) يذكر السيد أدي شير في تاريخه كلدو وآثور (مجلد ٢ ص ٢٨٦) ان الاب بيجان طبعه سنة ١٨٩٧ وعلى رأي المستشرق شابو : الآداب السريانية ، صحيفة ١٠٠ « لقد نظم وأضاف عنه نيشوع على نسخة فردوس الآباء الأصلية المنسوبة الى بلاديوس والقديس هيرونيموس » .

عالماً في الطقوس والموسيقى. فالمؤرخ توما المرجي يؤكد لنا انه كان لمنانيشوع أخ طبيعي اسمه يشوعياب وليس يشوعياب البطريرك الحديابي[1].

باباي الكبير
(+ ٦٢٧)

كان باباي من ܒܝܬ ܥܝܢܬܐ في مقاطعة بيت زبداي وكان معلماً في مدرسة نصيبين ثم دخل دير إيزلا حيث كان مار ابراهام الكشكري رئيساً ثم خلف ابراهام مار داديشوع في الرئاسة ثم باباي الكبير. له ٨٤ مؤلفاً طقسياً وتاريخياً واجتماعياً وعلى ما جاء في جدول مار عبديشوع الصوباوي وفي مجموعة تراجم طبعة الموصل للأب قليتا سنة ١٩٢٦ ان تسبحة ܒܪܝܟ ܚܢܢܐ ܕܒܠܝܠܘܬܗ .. تعود الى باباي وكذلك ܫܘܒܚܐ ܕܡܘܫܐ: ܫܘܒܚܐ ܠܟ ܐܠܗܐ (ܕܥܒܕܬ ܘܕܒܪܬ) ܘܐܝܟ ܕܒܫܡܝܐ ܫܡܥ ܒܐܪܥܐ (ܕܥܒܕܬ ܘܕܒܪܬ). وله كتاب في انتصارات العذراء. التي تُذكر في مدار السنة وفي بقيّة الاعياد والتذكارات. وله ايضاً ميامر وصلوات عديدة (تاريخ ذخيرة الأذهان للاب نصري).

يوحنا ܒܪ ܦܢܟܝܐ (برينخاي)

في أواخر الجيل السابع. أصله من پنك من بيت زبداي على ضفاف الدجلة شمال مدينة الموصل (العراق). من مؤلفاته سبع مجلدات. منها لاهوتية وتاريخية وعن الحياة الرهبانية. وكتب ܪܫܢܐ (رُبط) ܘܫܘܡܠܝܐ (كمالات). ألف ܟܬܒܐ ܕܟܠܗ ܕܡܠܟܐ ܘܕܝܢܐ. ثم ܫܪܒܐ ܠܟܠܗ ܥܕܢ...[2] وصلاة ܕܠܫܘܡܪܐ (ܘܠܟ ܐܠܗܐ ...). ثم صلوات فرضيّة للأحد

(١) النجم: السنة الاولى: عدد ٧، صحيفة ٣٠؛ وتاريخ كلدو وآثور، صحيفة ٢٨٦ (مجلد ٢).

(٢) في كتاب مخطوط: ܐܒܐ في الموصل يذكر ان ܫܪܒܐ ܟܠܗ هي من تآليف القس شمشا صيدنيا. كما وورد في مخطوطة القس وردا لعازار سنة ١٧١٥ (بين فهرست مخطوطات برلين) مجلد ١: مخطوطة ٦٥، صحيفة ١٤٤ ان القس شمشا ألف عونية ܡܫܒܚܝܢ ܠܐܠܗܐ ܚܝܐ ثم ܩܕܡ ܡܫܝܚܐ ܕܥܒܕܗ ܫܪܒܐ..

الجديد والروح القدس والباعوث . (طالع ܡܕܢܚܝܬܐ لعبديشوع الصوباوي صحيفة ܠܗܘ)[١] .

البطريرك يشوعياب الثالث

الجاثليق الحديابي (أربيلي). بطريركيته سنة ٦٥٠ — ٦٦١ . اليه يرجع ترتيب كمال الفرض الالهي . ما عدا ܓܙܐ . رتّب الطقس نهائياً ونظمه بمساعدة الراهب عنانيشوع . حتم على كل الكنائس ان تسير بموجبه دون زيادة او نقصان وتمّ ذلك في الدير الأعلى (ܕܝܪܐ ܥܠܝܬܐ ܕܡܪܝ ܓܒܪܐܝܠ) في جهة الموصل الشمالية على ضفة الدجلة . رتّب السنة الطقسية على حياة المخلص : ܡܕܒܪܢܘܬܐ . وقسمها على ܫܒܘܥܐ (مجموعة سبعة اسابيع). وجعل ان يكون بدء السنة الطقسية في الأحد الأول من سابوع ܣܘܒܪܐ (المجيء) . فجعل سابوع المجيء (او البشارة) السابق لعيد الميلاد٤ أسابيع. ٢ العماد او الدنح ٧ أسابيع . ٣ الصوم الكبير ٧ اسابيع . ٤ القيامة ٧ اسابيع. ٥ الرسل ٧ اسابيع . ٦ القيظ (الصيف) ٧ اسابيع . ٧ ايليا النبي . يختم هذا النظام بأربعة اسابيع تقديس البيعة[٢] . وهذا الطقس هو حسب تقاليد الكلدان آتٍ من الرسل متلمذي المشرق . ألف ايضاً مار يشوعياب أغلب ܥܘܢܝܬܐ ܕܣܘܒܪܐ . (اما ترتيب ܓܙܐ صار بعدئذٍ وترتب رويداً رويداً) .

قال المؤرخ توما المرجي : ܬܫܥܝܬܐ ܕܡܕܒܪܐ (ܟܬܒܐ ܕܪ̈ܝܫܢܐ ص١٧) « ان يشوعياب بدأ بتنظيم الطقوس مذ كان مطراناً في أربيل »[٣] . والكاتب دوشين يقول: « ان التقاليد النسطورية تنسب الى يشوعياب الثالث النظام النهائي لسائر ليتورجيات وطقوس الكنيسة المشرقية كما هي في حالتها الحاضرة »[٤] .

من تلاميذ يشوعياب كان كوركيس الجاثليق الذي ألّف انشودة : ܐܠܗܐ ܐܡܝܢܐ ܕܒܗ ܟܠ تقال يوم الاثنين للباعوث (طالع : ܡܫܝܚܐ ܕܫܘܒܚܐ صحيفة: ܩܠܒ). بعد ان انجز البطريرك يشوعياب عمله في الطقوس

(١) تاريخ كلدو وآثور ٢٩٨—٢٩٩ وشابو ١٠٥ .
(٢) CHABOT, p. 99-100 ثم مجلة النجم لكانون الاول سنة ١٩٣٧ .
(٣) مجلة النجم ايار سنة ١٩٣٥ ؛ صحيفة ١٧٢ .
(٤) DUCHESNE : *Origines du culte chrétien*, p. 72

صادقه جميع الآباء في الدير الأعلى ليُستعمل في جميع الكنائس المشرقية . الغالب على الظن ان يشوعياب للاشتغال في هذا العمل الخطير أقام في الدير سنة ٦٥٧ — ٦٦١ حينما ثارت الفتن الاهلية في جنوبي العراق على عهد علي بن أبي طالب . فاضطر يشوعياب على ترك المدائن والانزواء في دير ܒܝܬ ܐܒ̈ܐ . وربما انتقل من هناك الى الدير الأعلى بمعية عنانيشوع[1]. نظّم ايضاً طقس العماد وحل المراطقة وطقس التوبة العلنية وتقديس المذبح(طالع شابو ص١٠٠ وتاريخ الاب عطايا).

ورد في جدول عبديشوع الصوباوي ١٥ تأليفاً . مما يخص الغرض هو ما يأتي : عونيتات . قصائد . مداريش . طقس العماد (ܥܡܕܐ) . والغفران (ܚܘܣܝܐ) . رتبة تقديس المذبح (ܕܩܘܕܫ ܡܕܒܚܐ) وتقديس الماء (ܕܩܘܕܫ ܡܝ̈ܐ) . ܕܡܘܡܬܐ (الحلف) . تجديد الخميرة (ܚܘܕܬ ܡܠܟܐ) . صلوات سوباعا (ܫܘܒܥܐ) ورتبة الحوذرا (ܚܘܕܪܐ). يلاحظ الصوباوي ان هذه الرتب لم تأخذ كلها مبدأها من البطريرك يشوعياب. فان وجودها يفترض مع اوائل الجمعية المسيحية ما بين النهرين والفرس[2].

له ايضاً صلوات في طقس الرسامات (ܫܘܡܠܝܐ ܕܥܠ ܐܝܕ̈ܝܢ) . وتبريك المائدة ܦܬܘܪ ܡܪܝ ... وتبريك الفواكه والصبيان والمرضى وغيرها...(راجع عن تآليفه ايضاً الاستاذ جان دوفيليه). ومخطوطة برلين سنة ١٤٩٦ ص١٤٥ حيث يذكر ايضاً ان مار يوسف مطران جزيرة قردو ألّف صلوات اختتام القداس : ܘܡܒܪܟܝܢ ܟܠ ܥܡܡܝܢ ... ثم ܐܢܬ ܐܢܬ ܕܒܪܝܢ ...[3]. ان كوركيس الاربيلي ينسب ܟܠܗ ܫܘܠܡܐ ܘܚܬܡܐ ܡܫܠܡܢܘܬܐ الى يشوعياب الثالث. ولكن نصاً أقدم من يشوعياب يذكر وجود ܟܠܗ ܫܘܠܡܐ والنص موجود في مجمع سبريشوع البطريرك سنة٥٩٦[4].

(١) مجلة النجم ، ايار ١٩٣٥ ، صحيفة ١٧٣ .
(٢) نجم : حزيران ١٩٢٩ ثم شابو (٩٩—١٠٠)
(٣) J. Dauvillier : *Droit chaldéen*,1939, col. 5
(٤) الآداب السريانية لشابو ، صحيفة ١٩٩ — عن يشوعياب طالع ايضاً تاريخ كلدو وآثور ٢٨٥

البطريرك كيوركيس الاول
(٦٦١ – ٦٨١)

كان جاثاليقاً خلف البطريرك يشوعياب الثالث (حسبما جاء في: شابو صحيفة ١٠٢) من سنة ٦٥٨ حتى سنة ٦٨٠ . ولد في كفرا في مقاطعة بيت كرماي وهو صديق الجاثاليق يشوعياب الثالث الذي أوصى ان يكون جبو كيوركيس خلفاً له بعد موته[1]. بعض من تآليفه اضيفت الى الفرض منها تسابيح وعونيثات (اناشيد) ومواعظ التي تتلى في باعوثا . سنة ٦٧٦ عقد مجمعاً في ديرين .

يعقوب الرهاوي
(٦٤٠ – ٧٠٨)

يعقوبي المذهب . وُلد في نواحي انطاكيا سنة ٦٤٠ . تثقف في مدرسة دير قنسرين وكمّل دروسه في الاسكندرية سنة ٦٧٧ ثم سيم اسقفاً للرها . توفي سنة ٧٠٨ . نقّح ترجمة العهد الجديد المسماة ܦܫܝܛܬܐ (البسيطة) وقسم الكتاب المقدس الى فصول ووضع فيه الحواشي وفسّره . له مقالة في درجات القرابة وكتاب في الفلسفة وفي الايام الستة . والنحو الآرامي . له ليتورجية واحدة وكتاب ܐܘܨܪܐ يحوي طقس العماد والاكليل وتبريك الماء . نقل عدة كتب من اليونانية الى الكلدانية[2].

ابراهام بر ليفي (ܒܪ ܠܝܦܐ)

انه من بيت قطر وعاش في نهاية الجيل السابع وبدء الثامن. اهتمّ بتفسير الفرض الكلداني[3] وخدمة الاسرار (ܦܘܫܩ ܬܫܡܫܬܐ) بدون ان يذكر الاصلاح الذي عمله يشوعياب في الطقس . ذكر الاستاذ جان دوفيليه في كتابه : الحق القانوني الكلداني : « ان ابراهام كان من بيت قطراي ألّف

(١) A. Baumstark, *ib.*, p. 288
J. B. Chabot, *ib.*, p. 102

(٢) تاريخ كلدو وآثور: مجلد ٢ ، صحيفة ٣٠٣ .
وشابو صحيفة ٨٤ – وابن العبري ١ : ٢٧٥٤ .

(٣) *Institutiones Liturgicae*, Tome II, par I.M. Hanssens, s. j., n° 699, c. 27.

كتاب عرض الصلوات والفروض الطقسية وهذا الكتاب يتضمن تعليقات وتعليات قانونية بخصوص الطقس هي كلها رمزية وسرية ضمن نطاق البساطة . وليست غايته تجديد نظام الطقس حسب يشوعياب الثالث »[1].

كوركيس الفارسي

نشأ في الجيل الثامن وهو الملقب بكوركيس الثاني الفارسي مطران نصيبين. كان في عهد يشوعياب الثالث . ألف : ܟܘܢܫܐ ܠܬܫܡܫܬ ܡܦܫܩܢܐ ܡܠܝܐ... (ܕܥܕܢ ܘܕܚܫܐ) تقال في ܩܘܕܫ ܥܕܬܐ . (طالع مخطوط ܣܘܥܕܐ ܕܥܕܢ̈ܐ ܕܫܘܥ̈ܐ صحيفة ܩܠܗ) .

باباي الجبلتي (ܓܒܠܬܝܐ)

ان باباي كان راهباً وعائشاً على زمان البطريرك صليدا زخيا ٧١٤ — ٧٢٨. كان قد اختص هذا في تجديد الموسيقى الكنسية والالحان الطقسية الكلدانية. اما السمعاني فنهوا لقبه بباباي النضيبيني[2] . هو الـذي ألف تراتيل الشمانين (ܥܠ ܕܝܠܘܕ̈ܐ) للأولاد والبركات التي تقـال في اكليل الزواج وفي الخطبة. واليه تعود هـذه التراتيل الطقسية : ܩܘܡܘ ܗܘܐ ܥܕܬܐ. ܗܘܘ ܠܥܕܬ̈ܐ. ܕܥܒܕܢ ܕܐܬܐ . اسس كنائس في حدياب بمقاطعة طيرهان . وله ميامر ورسائل وقصائد متنوعـة وعونيثات لمختلف صلاة فرض النهار حسب الساعات[3] .

قبريانوس النصيبيني
(٧٤١ – ٧٦٧)

كان مطران نصيبين . بنى اول كنيسة نسطورية كلدانية في وسط يعقوبي في تفريد . وعمر للمرة الثانية كاتدرائية نصيبين . وضع طقس الرسامات :

(١) J. Dauvillier: *Droit Canon*, col. 45.
عن حياة ابراهام برليفى طالع ايضاً تاريخ بوشتارك وفهرست ܡܕܡ ܟܬܒ̈ܐ لعبد يشوع الصوباوي وتاريخ الآداب السريانية لشابو ص ٥٩ .

(٢) J.B. Chabot: *Litter. syr.*, p. 205.

(٣) A. Baumstark: *ib.*, p. 212.

ܫܡ̈ܫܬܐ ܕܟܠ ܫܢܬܐ (ܕܡܕܢܚܝܘܬܐ)[1] بمساعدة يشوعياب الحديابي واسرائيل ܩܕܡ ܘܒܬܪ (عن مخطوطة في القلاية البطريركية سنة١٥٦٩). ونشر كتاب غريغوريوس النازينزي[2] واشترك ايضاً في وضع كتب ادبية كغيره من الكتّاب الكلدان الذين اشتهروا في الجيل الثامن اكثر من غيره في هذا المضمار .

البطريرك طيماثاوس الأول

(٧٨٠ – ٨٢٧)

أصله من حزّا في الحدياب . جلس على كرسي البطريركية بساليق ٧ ايار سنة ٧٨٠ . في زمانه ازدهرت وانتشرت الكنيسة الكلدانية النسطورية خاصة بواسطة رسالاتها في آسيا الوسطى. له مئات من الرسائل منها تُرجمت الى اللاتينية (براون: باريس١٩١٤). وله كتاب الجدالات وقصائد طقسية لايام الآحاد مدار السنة كلها . وله مجموعة من القوانين للكنائس الشرقية مستقاة من المجامع الطائفية الكلدانية كمجمع اسحاق ويابالاها وداديشوع واقاق وباباي ومار ابا الاول الخ...[3].

ينسب اليه بعض الكتّاب تسبحة ܬܘܕܝ ܕܠܫܡܝܢ كما هو مذكور في كتاب مجموعة التراجم للقس قليتا (طبعة الموصل سنة١٩٢٦) . ولكن كتاب الفرض ܕܩܕܡ ܘܕܒܬܪ ينسب هذه التسبحة الى يازدين وكذلك : ܫܡܫ ܗܕܐ. اما هذه الاخيرة فان فهرست مخطوطات برلين (صحيفة ١٢٥) فيؤيد ان مؤلفها هو يازدين .

يوحنان بيت ربان

(٨٥٠+)

عاش يوحنان في الجيل التاسع وكان معاصراً للبطريرك سبريشوع الثاني .

(١) للوقوف على كيفية انتخاب ورسامة الاسقف في الكنيسة الكلدانية القديمة طالع كتاب:
J. Dauvillier: *Les Provinces chaldéennes de l'Extérieur au Moyen Age*, p. 265.

(٢) J. B. Chabot: *Litter. syr.*, p. 106.
A. Baumstark: *ib.*, p. 213.

(٣) J. B. Chabot: *Litter. syr.*, p. 148.
R. J. Bidawid : *Les Lettres du patriarche nestorien Timothée I* — Citta del Vaticano, 1956.

مات سنة ٨٥٠ . له بحوث واسئلة عن العهد القديم والجديد وتآليف عن تركيب القالات وعونيتات ومداريش[١] . ومن جملتها مدارش الكهنة : ܡܕܪ̈ܫܐ ܕܥܠ ܟܗ̈ܢܐ .. وتسبحة : ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܡܠܟܐ ... (طالع فهرست مخطوطات برلين صحيفة ١٢٥ و١٨٤) .

ايليا (برشينايا) ܒܪܫܝܢܝܐ
(٩٧٥)

كان مطراناً لنصيبين . كاتب مشهور . ولد في نصيبين سنة ٩٧٥ . صار راهباً ثم مطراناً على نوهدرا (قرب دهوك شمال الموصل) سنة ١٠٠٢ ثم على نصيبين . عاش بعد الياس الاول البطريرك الذي مات سنة ١٠٤٩ . له مقالات تضرعية عديدة : منها ما يُتلى في يومَي الثلاثاء والاربعاء من باعوثا . (طالع حياته وتآليفه في كتاب الآداب السريانية لشابو) . كما وصنّف بالكلدانية ايضاً شيئاً من القطع الطقسية والقواعد الصرفية . ومعجماً عربياً كلدانياً ومن مؤلفاته بالعربية قوانين المجمع النيقاوي . وعلى البتولية ومحاوراته مع الوزير أبي القاسم المغربي في حقائق الايمان المسيحي سنة ١٠٢٦[٢] .

البطريرك إيليا الأول
(١٠٢٨ – ١٠٤٩)

او الياس الأول الجاثاليق دامت بطريركيته من حزيران سنة ١٠٢٨ الى ايار ١٠٤٩ كان أصله من كرخا دجدان . كان له تآليف لغوية واليه يعود ترتيب طقس السجود في ܦܢܛܩܘܣܛܐ (العنصرة) سنة ١٠٢٩ . مع تنظيم طقس تكريس المذبح بدون زيت (ܛܘܟܣ ܡܕܒܚܐ ܕܠܐ ܡܫܚܐ) وإدخاله في الكنيسة النسطورية . وتأليف جدلي عن الديانة المسيحية والإرث والزواج . وأضاف الى ܒܥܘܬܐ : ܥܠ ܫܘܠܡܐ ܕܐܪ̈ܙܐ ...[٢] .

---

[١] (٢) السمعاني ، في كلدو وآثور للسيد أدي شير ، صحيفة ٢٧٦ .

(٢) تاريخ الكنيسة الكلدانية للكردينال تيسران ، تعريب القس سليمان الصائغ ، صحيفة ١٦٩ .

(١) A. Baumstark, *ib.*, p. 286.

البطريرك ايليا الثالث
(١١٧٦-١١٩٠)

هو الجاثاليق الملقب « أبو حليم » . وُلد في ميافرقين . كان في اول امره ميطرابوليطاً في نصيبين ثم سِيمَ بطريركاً في المدائن ٢٥ كانون٢ سنة ١١٧٦[1]. له صلوات عديدة تتلى قبل ܨܠܘܬܐ ܕܨܦܪܐ (صلاة الصبح) لاعظم الاعياد والتذكارات وآحاد الصوم . جاء في فهرست مخطوطات برلين الكلدانية ما تعريبه: « كتاب صلوات الاعياد المارانية ألفه رحمه الله مار ايليا مطران نصيبين الملقب « ابو حليم » . فان الفهرست يذكر احد المخطوطات المتضمنة تآليف مار ايليا صحيفة ١٤٤ . في الصحيفة ذاتها من الفهرست يُذكر مخطوط آخر يدعى: « ܨܠܘ̈ܬܐ ܕܥܐܕܐ ܡܪ̈ܢܝܐ ܘܕܨܦܪܐ ».

البطريرك سبريشوع الرابع
(١٢٢٢ - ١٢٢٤)

هو ابن قيوما . في عهده استعملت الكنيسة الشرقية في صلواتها الثانوية بعضاً من قصائد كوركيس وردا الأربيلي . استُعملت لا سيا في اعياد العذراء القديمة في الجلسات (ܡܘܬܒ̈ܐ) السابقة ܠܥܐܕܐ ܕܡܪܝܡ . منها عونيتة للميلاد : ܠܡܠܟܐ ܕܥܠܡܐ ܠܡܠܟܘܬܗ ܕܠܐ ... ܗܐ ܩܡ ܡܫܒܚܝܢ ... ܘܗܘܐ ܒܪܢܫܐ ܘܗܘܐ ܒܝܢܬܢ ... ܘܐܦ ܡܫܝܚܐ ܢܘܗܪܗ ... ܘܨܠܡܐ ܕܐܬܚܙܝ ܒܝܢܬܢ ...[2].

خاميس ابن قرداحي

عاش في الجيل ١٣ . كاهن أربيلي معاصر لكوركيس وردا وابن العبري. كان شاعراً بليغاً. له اكثر من ٣٠ قصيدة طقسية تدور حول سر التجسد ومريم العذراء والقديسين. وله ايضاً ٧٠ ܩܘ̈ܠܐ لأيام الآحاد والاعياد من الجملة: ܒܥܘ̈ܬܐ ܡܫܝܚܝ̈ܬܐ . ومن تآليفه المعروفة : ܟܕ ܐܬܒܠܥ ܗܘܐ ܒܒܪܝܬܐ ... (طالع ܣܘܒܪܐ لدير السيدة) . وله ܬܘܕ̈ܝܬܐ تقال قبل

(١) J. B. Chabot: *Litter. syr.*, p. 108.

(٢) فهرست مخطوطات برلين لمخطاط عبديشوع سنة ١٥٣٨ .

الانجيل في القداديس الاحتفالية (حتى الآن في بعض القرى بشمال العراق). من هذه التراجم نشرها القس قليتا في الموصل (نحو ص: ܟܕ)[1].

عبديشوع الصوباوي
(+ ١٣١٨)

عبديشوع الصوباوي او النصيبيني واسمه ايضاً عبديشوع بر بريخا على ما جاء في تاريخ الكردينال تيسران (ص ١٧٠) والدكتور بومشتارك. ولد في اواسط الجيل ١٣ في جزيرة ابن زبدى على ضفاف الدجلة. قضى صبوة حياته في الرهبنة بدير مار أحا ومار يوحنان بقرب الجزيرة واقتبل الرسامة الاسقفية على ابرشية سنجار (شيكار) وبيت أرباي في طور عبدين على يد مار يابالاها بر توركايي بطريرك المشرق سنة ١٢٨٥. ثم اقتبل رسامة المطرانية من البطريرك يابالاها المذكور لإشغال كرسي نصيبين. وقد ذكر ذلك نفسه في كتابه ܡܪܓܢܝܬܐ (المرجانة). توفي سنة ١٣١٨ على عهد البطريرك طيماثاوس الثاني[2].

ان عبديشوع هو أحد مشاهير الكتبة الكلدان النساطرة. وبه تنتهي سلسلة كتبتهم المبرزين كما تنتهي بابن العبري سلسلة مشاهير اليعاقبة.

تآليفه: بشهادته هو نفسه في كتاب ܡܪܓܢܝܬܐ صحيفة ܩܕ. (طالع ايضاً تاريخ الادب السريان لشابو وللدكتور بومشتارك).

١) كتاب تفسير للعهد القديم والجديد وترجمة الاناجيل المسجّعة والمقسمة على ترتيب قراءات الطقس الكلداني. (نسخة منه موجودة في مكتبة مخطوطات المتحف البريطاني في لندن. ٢) كتاب الجامع الذي يشرح حياة السيد المسيح. ٣) وكتاب المنظومات: ܦܪܕܝܣܐ ܕܥܕܢ (فردوس عدن) وهي ٢٢ قصيدة في محبة الحكمة والعلم (مكتبة دير السيدة). ٤) القوانين السنهادوسية اي مجموعة قوانين وأحكام كنسية (مكتبة دير السيدة). ٥) كتاب ܡܪܓܢܝܬܐ (المرجانة)[3] الملقب ايضاً بالدرّة: في حقيقة الاعتقاد والفلسفة واللاهوت (مخطوطة منه في المكتبة البطريركية). ٦) الاسرار الخفية للفلسفة

---

(١) طالع فهرست مخطوطات برلين: ܗܘ ܟܬܒܐ ܕܡܬܩܪܐ ܒܪ ܡܪܕܘܬܐ.

(٢) مجلة النجم، حزيران سنة ١٩٣٨.

(٣) ܡܪܓܢܝܬܐ (المرجانة) طبعت في الموصل: المطبعة الآثورية سنة ١٩٢٤.

اليونانية. ٧) الاسكولسطيقوس لحل المبتدعات ضد الهراطقة : (حل المبتدعات في الدين عن طريقة الفلسفة المدرسية تلك الفلسفة التي عنت في القرون الوسطى والاخيرة في الشرق المسيحي خصوصاً. ٨) كتاب نظام الاحكام والشرائع الكنسية الذي يشتمل على ١٢ مقالة في محبة الحكمة والعلم. ٩) كتاب فرائد الفوائد في اصول الدين والعقائد ألفه سنة ١٣١٢ (مكتبة كنيسة الكلدان ببغداد). ١٠) تفسير الرسائل لارسطاطاليس التي كتبها لاسكندر. ١١) ديوان الألحان الشعرية الكلدانية. ١٢) شهر وريد ويظهر من اللفظة انه كتاب فارسي ولكنه وضعه في العربية كما ذكر هو نفسه. ١٣) مجموعة الكتبة النساطرة. (دير السيدة). ١٤) الختام ܚܘܬܡܐ (٥ نسخ في دير السيدة) تتلى منها عند انتهاء القداس : ١٥) رسائل متنوعة. مقالات. تراجم. تعازي. مقالة في التثليث والتوحيد والحلول والاتحاد (منها في المكتبة العامة الوطنية بباريس).

كوركيس وردا

هو كوركيس الأربلي . ذو الصوت العندليبي . عاش في الجيل الثالث عشر . له قصائد تدور على أفخر اسرار الديانة المسيحية وفضائل العذراء. ومنها على الابرار والتوبة. تُستعمل منها في اعياد العذراء والقديسين في ܡܘܬܒ̈ܐ . له كتاب تفسير الخدم الكنائسية : ܦܘܫܩ ܠܬܫܡܫ̈ܬܐ مجلدان في سبعة ميامر . ووضع أبيات ܒܬܪ ܚܘܬܡ̈ܐ لاجل تلبيس البطريرك واليه تعود انشودة : ܡܫܝܚܐ ܡܪܢ ܒܟ ܐܬܬܘܟܠܬܗ . ثم بعض من عونيثات ܕܒܘܥܘܬ̈ܐ [1] .

البطريرك طيماثاوس الثاني
(١٣١٨ — ١٣٣٢)

بعد وفاة البطريرك بابالاها الثالث خلفه طيماثاوس الثاني سنة ١٣١٨ . له كتاب عن القوانين الطقسية فيما يخص الاسرار الكنسية او بالاحرى الطقوس

(١) فهرست المخطوطات الشرقية لبرلين سنة ٢٠٢٦ يونانية الموافقة لسنة ١٧١٥م عدد المخطوط ٦٥ بيد القس وردا ، صحيفة ٢٤٤ .

والرتب المقدسة مقسمة على سبعة فصول : الكهنوت . تكريس الكنيسة . المعمودية . القربان المقدس . الحياة الزهدية . رتبة الدفن . الزواج[1] .

البطريرك مار عبديشوع الرابع
(+١٥٦٧)

كان في أول أمره نسطورياً في بازبدى قرب دياربكر وصار بطريركاً كاثوليكياً خلفاً لمار يوحنا سولاقا الذي قُتل سنة ١٥٥٥ . ولقد ارسل صورة إيمانه الى البابا بيوس الرابع في روما. ألّف حوتامات وعونيتات وقصيدة تقريظية للبابا بيوس الرابع تبتدئ ب: ܐܘ ܕܡܗܡܢܝܢ ܒܢܝ ܐܠܗܐ ܠܐܠܗܘܬܗ ܣܓܘܕܘ . ونظم فصول الانجيل للأيام الطقسية في اللغة العربية . وكان هذا الكتاب محفوظاً في جزيرة عمر[2] . واليه تنسب هذه الابيات في ܦܠܘܓܘܣ ܡܕܝܢܐ : ܐܘ ܒܪܘܢܐ ܕܒܪܝܬܗ . ܐܝܟ ܐܠܗܐ ܫܡܝܐ . ܒܫܘܒܚܐ ܗܘܝܐ ܕܒܪܝܗ ܐܝܬܘܗܝ . ܢܘܗܪܐ ܒܢܝ ܐܢܫܘܬܐ . ܒܟܢܫ ܒܪܘ ܩܪܘܒܘ .

جاء في تاريخ نيافة الكردينال تيسران (تعريب القس سليمان الصائغ سنة ١٩٣٩[3] ما يلي :

« على عهد البطريرك عبديشوع الرابع كان اينـاد الجثي يوحنا بابتست (J. Baptiste) زائراً رسولياً الى الشرق. ولا دليل لمجيء هذا القاصد الرسولي الى الموصل إلا رسالة البابا بيوس الرابع الى البطريرك فيما يعلمه بسفر القاصد يوحنا (في ٢٣ شباط سنة ١٥٦٥) ثم جواب البطريرك بهذا الشأن ... وان بعضاً من نصوص الرسالة الموفدة الى البطريرك تبين الصعوبات التي كانت تعترض الكلدان المتحدين في استعمال طقوسهم ، في وقت كانت المساعي مبذولة لتوحيد الليتورجيات في الغرب وربما تحت تأثير هذه الصعوبات نشأ ما نشأ من الاختلافات الطقسية في الهند : « عليك ... ان تبذل كل الهمة في ان يكون ايمان الذين هم تحت رئاستك متفقاً مع الكنيسة المقدسة الرومانية الجامعة وان لا يختلف عنه بشيء مما هو ضروري للخلاص . اما فيما يتعلق بالطقوس والحفلات فكنا نرغب

(١) J. B. Chabot: *ib.*, p. 108.
(٢) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ، صحيفة ٨٤٧ .
(٣) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ، صحيفة ١١١ .

الانسب وهو ان يكون هذا ايضاً متفقاً ، مع ذلك اننا نغضي على عوائدكم وطقوسكم القديمة التي صارت قابلة للاستعمال ونسمح بان تحافظوا عليها ، إلاّ في الاسرار والامور الاخرى المتعلقة بالايمان والضرورية للخلاص فلا بد لكم كما قلنا من اتباع الكنيسة الرومانية الأم لجميع المؤمنين بالمسيح ومعلمتهم». بعد ان عاش عبديشوع في سعرت في دير مار يعقوب الحبيس مات فيه سنة ١٥٦٧».

القس عطايا مقدسي

وُلد في القوش في الجيل السادس عشر . كاتب شهير وخطاط ماهر . له تسابيح تُتلى في سابوع الصوم. له عدة ܬܘܪ̈ܓܡܐ [1] . لقد خطّ في يده اربعة اناجيل بالحرف الاسطرنجيلي الكبير في سنة واحدة فريدة في نوعها : والنسخ الاربعة الحقيقية موجودة في القوش ودير السيدة والقلاية البطريركية وبطناي . سهوا نُسب اليه تصنيف التقويم السنوي المعروف بـ ܦܘܪܣܐ ܕܫܢ̈ܝܐ من قبل بعض المؤرخين . والحقيقة انه للقس اسرائيل رابا حسبا جاء في عدة مخطوطات وفهارس .

في مخطوطة ٦٦ من فهرست مخطوطات برلين صحيفة ٢٥٤ نقرأ ما يلي عن تآليف القس عطايا الملقب آتيلي : « ܫܘܠܡܗ ܕܦܘܪܣܐ ܥܠ ܝܕ ܥܛܝܐ ܡܩܕܣܝܐ ܕܫܘܠܡܗ ܕܟܠܗ ܕܚܕ ܫܢܬܐ ܕܟܠܗ ܫܢܬܐ ܘܕܥܕܬܐ ܡܕܢܚܝܬܐ ܠܡܕܢܚܝܐ ܕܫܢܬ ܕܝܘܢܝܐ . ܫܢܬ ܐܬܠܓ ، (يونانية : الموافقة لسنة ١٥٢٢ ܫܢܬ : ܐܬܠܓ ܒܝܘܡ الخ . . .

ربان ابراهام سلوخايا
(+ ١٥٥٦)

أصله من ܒܝܬ ܣܠܘܟ . كان في دير مار أوجين في جبل إيزلا وله تقرير عن العلاقات بين كنيسة النساطرة وكنيسة الهند سنة ١٤٩٩ — ١٥٠٩. من تآليفه هذه الابيات المستعملة لتبريك الاشهر : ܫܠܡ ܠܟܘܢ ܠܟܢܫܐ

(١) مجلة النجم ، ايار سنة ١٩٣٨ ، صحيفة ١٧٥ .

ܒܪ ܢܒܬ... ܫܘܒܚ ܠܟ ܡܠܟܐ ܕܐܫܬܘܬ.. ܚܝܠܐ ܫܒܝܚ ܠܚܘܒܬ وكيفية استعمالها سنة ١٥٢٦ [1] .

يجدر بنا هنا ان نذكر ابن اخيه المدعو كورئيل سلوخايا الذي ألف : ܡܪܝ ܒܪܟ ܠܟܘܢ ܫܢܬܐ... ܘܡܪܝ ܡܒܪܟ ܡܫܡܫܢܐ...

مار جبرائيل حصن كيفا
(١٥٧٠ — ١٦٢٠)

كان مار جبرائيل مطراناً على حصن كيفا . وُلد سنة ١٥٧٠ في كركوك وترهب في دير مار أوجين قرب نصيبين فأقيم أسقفاً على حصن كيفا . ولما عقد مار ايليا السادس الكاثوليكي مجمعاً في آمد كان جبرائيل بين من نبذ النسطرة وزار روما[2] .

اشتهر في سنة ١٦١٦ . كان من الساعين الذين اهتموا بالوصال بالكنيسة الرومانية . من تآليفه قصائد في التوبة وعونيثات خشوعية أدرجتها الكنيسة الكلدانية في صلاة تبريك الشهر . منها : ܡܪܝ ܒܪܟ ܠܟܘܢ ܫܢܬܐ... و ܐܦ ܐܠܗܐ ܚܝܠܐ... و ܘܡܪܝ ܡܒܪܟ ܡܫܡܫܢܐ [3] . توفي جبرائيل نحو سنة ١٦٢٠

يوسف الثاني
(١٦٦٧ — ١٧١٣)

يُلقب بمعروف . ولـد في تكليف . كاثوليكي المذهب . كان كرسي بطريركيته في ديار بكر . نال التثبيت من الكرسي الرسولي في ١٨ حزيران سنة ١٦٩٦ [4] . توفي سنة ١٧١٣ . اليه يُنسب تنظيم ܚܘܬܐ (فرض الأعياد

---

(١) A. Baumstark, *ib.*, p. 332-359.

(٢) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٠

(٣) ذخيرة الأذهان للاب نصري: صحيفة ١٨٤ من المجلد ٢ .

(٤) تاريخ الكردينال تيسران تعريب القس صائغ ، صحيفة ١٢٧ .

وتستقى سيرة حياة مار يوسف الثاني من كتاب ألفه هو: ܡܚܙܝܬܐ ܡܕܟܝܬܐ (المرآة الصافية) اذ يقول ان عمره كان ١٤ سنة عندما انتقل من تلكيف الى آمد (دياربكر) . وبعد ثماني سنوات نال درجة الكهنوت ثم المطرنة على يد مار يوسف الاول ... الخ .

والتذكارات). وفي كتابه ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ يذكر التآليف التي صنّفها وبينها يذكر الفنقيت ܦܢܩܝܬܐ الذي رتّب فيه الأعياد والتذكارات (طالع تاريخ الكردينال تيسران تعريب القس الصائغ ص ١٧١) . أدخل في الفرض عيد الختانة وتذكار مار بثيون وعيد ولادة العذراء مع تنظيم عيد انتقال العذراء.. له كتاب الخدم الكنسية (ܛܘܟܣ ܬܫܡܫܬܐ) . تُنسب اليه ايضاً : عيد زيارة العذراء والبشارة وقتل الاطفال وعيد دخول المسيح الى الهيكل. وعيد مار يوسف . وعيد الجسد . وتذكار مار نيقالاوس والقديسة بربارة . ونقّح لأول مرة فرض الاعياد الاخرى من البدعة النسطورية . وألّف تذكار الاربعين شهيداً. وتذكار مار يعقوب المقطع وتذكار الربان هرمزد . وتذكار مار أوجين .

مما ينبغي ملاحظته هو ان بعضاً من هذه الاعياد المذكورة هي اقدم من عهد مار يوسف الثاني كأعياد انتقال العذراء. ومار يعقوب المقطع ومار بثيون وربان هرمزد . ومنها تأليفه كعيد الختانة سنة ١٦٩٠ وبعض المخطوطات تقول انها في سنة ١٦٩٤.[1] والقديسة بربارة ومار نيقالاوس والقديس يوسف وزيارة العذراء في سنة ١٧٠٧ . ويُعتقد ان أعياد الجسد والتقدمة والبقية وضعها بعد عيد الختانة والاعياد الثلاثة الاخرى . اما عيد انتقال العذراء فهو ليس منه إنما نظم صلواته تنظيماً وليس تأليفاً[2]. ولا ننكر ان يوسف الثاني ينسب الى نفسه ترتيب فرض عيد الانتقال . وترى بما يقوم هذا الترتيب ؟.. يُنسب اليه ايضاً ترتيب تذكار مار أوجين . فتذكار ܥܡ ܦܛܝܪܘܬܐ كان يُقام في بعض الكنائس ذكراً لمار آبا الكبير . أما يوسف الثاني فعيّن تذكار ܠܥܡ ܦܛܝܪܘܬܐ اكراماً للقديس أوجين وعمّمه بين الكنائس . في فرض عيد الجسد يُلاحظ ان معظم صلواته هي مجموعة من الالحان موضوعها سر القربان المقدس. وفي فرض بشارة العذراء صلواته مستقاة من سابوع السوبار .

---

(١) مخطوطة القلاية البطريركية التي كتبها الشماس هومو سنة ١٧٦٦ .

(٢) بعض كتب ܚܘܕܪܐ لا تنسب ترتيب او تنظيم عيد الانتقال الى يوسف الثاني مثلاً الكزا المكتوب سنة ١٨٦٨ وهو المخطوط الخاص بكنيسة القديسة مسكنتا في ايام وعناية البطريرك يوسف أودو .

الشماس كيوركيس الصائغ الموصلي

في اواسط القرن الثامن عشر . كان كاثوليكياً وجلب الى الكثلكة ايليا الحادي عشر بطريرك النساطرة . وسعى في التمسك بالعوائد الابوية الطقسية الموافقة للايمان . وهذا ضد من كان يميل بنوع غير مرتب الى إدخال في الطقس الكلداني عوائد غربية خاصة لاتينية[1].

القس يوسف ابراهيم الراوندوزي

(+ ١٨٣٢)

عاش القس يوسف في اواخر القرن الثامن عشر . بقي في مليبار مدة خمس سنوات ثم عاد الى كركوك فبغداد . توفي سنة ١٨٣٢ . له قصائد بالتركية ومداريش كثيرة للموتى ومراثٍ على ماز يونان الذي استشهد في بغداد بزمانه . وألف قاموساً في الآرامية الفصحى والدارجة ونحواً في الآرامية . وترجم من العربية الى الآرامية يا قوت الكهنة وميزان الزمان . وكتاب التأملات في آلام المسيح وفي عذابات جهنم وبعض رسائل من العهد الجديد . وكتاب شرح الاسرار لمار يوسف الثاني . والرسائل المجموعة التي تقرأ على مدار السنة في الكنيسة الكلدانية وكتاب الأباطيل[2] .

القس خدر الموصلي

كان في اوائل القرن الثامن عشر . اهتدى من النسطرة بواسطة الآباء الكبوشيين بالموصل . ذهب الى روما سنة ١٧٥٥ . وألف كتباً شتى منها معجماً كبيراً في الآرامية والعربية والتركية . منها نسخ في روما ودار البطريركية الكلدانية ودياربكر ودير الشرفة . له مداريش ومقالات تعزية على الموتى تقال عند الكلدان والسريان . كما وله مدائح وتسابيح بالعربية[3].

يوسف الخامس

(١٨٠٤ — ١٨٢٨)

هو اغسطين هندي لم يثبت بطريركاً بل لبث مطراناً على ديار بكر من

(١) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٣ .
(٢) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٢ .
(٣) مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٢ .

نيسان سنة١٨٠٤ حتى سنة ١٨٢٨(طالع تاريخ الكنيسة الكلدانية للكردينال تيسران تعريب القس سليمان الصائغ صحيفة ١٣٣) . هو الذي في ايامه طُبِع طقس القداس بالزيادات وبالحذف . اما ما حذفه فهي ܟܕ ܕܚܝܠܝܢ ܠܟܘܢ ... ووضعوا مكانها : انا اعترف لله . وحذفوا ܕܐܬܡܫܚ ܡܢܗ ܒܗܕܡܘܗܝ ... ܡܘܕܐ ܐ̄ܢܐ ... ܘܡܫܝܚܐ ܫܠܡܐ ܕܥܠܡܐ ... ووضعوا مكانها ܐܢܐ ܕܡܫܟܚ... وبدء انجيل مار يوحنا كالطقس اللاتيني وتغييرات أخرى يطول بنا الشرح عنها (طالع تاريخ السمعاني) إلا ان هذه التغييرات ما برحت قائمة حتى عاد نظام القداس على أوليته وأصله .

الاب يوسف كورئيل الفارسي

وُلد نحو١٨١٥ . درس في كلية انتشار الايمان بروما . ثم كان في بغداد وبعدها تعيّن معلماً للغة الآرامية في كلية انتشار الايمان اهتمّ في روما بطبع المزامير وكتاب ܨܠܘܬܐ ܘܬܫܒܚܬܐ سنة ١٨٤٢ وترجمة الاقتداء بالمسيح الآرامية . وفي سنة ١٨٦٥ اعتنى باعادة طبع الكتاب عينه ولكن بحجم اكبر مع زيادة بعض الصلوات مترجمة عن اللاتينية . وأهتمّ ايضاً في روما بطبع كتب اخرى كلدانية . له مباحث لاهوتية في سر التجسد الإلهي[1] . ويُعدّ بين المؤلفين الأحدث عصراً .

يوسف السادس أودو
(١٨٤٨ — ١٨٧٨)

وُلد في القوش سنة ١٧٩٣ من عائلة معروفة باسم « أودو » تتعاطى مهنة الطب . ترهب في دير الربان هرمزد في سنة ١٨٢٢ . ارتسم كاهناً في آمد (ديار بكر) . وبعد وفاة البطريرك نيقالاوس زيعا انتُخب هو خليفة له . تثبت بطريركاً من قبل رومية ١١ ايلول ١٨٤٨ . توفي ١٤ آذار ١٨٧٨ . في أيامه أدخل في الكنيسة الكلدانية فرض الحبل بلا دنس الذي ألّفه القس داميانوس الالقوشي احد رهبان دير الربان هرمزد[2] .

(١) طالع تاريخ الكردينال تيسران تعريب القس الصائغ ص ١٧١ عن تأليف كتاب الاب يوسف كورئيل الكلداني الفارسي المطبوع في روما سنة ١٨٥٨ .

(٢) تاريخ الكردينال تيسران للكنيسة الكلدانية تعريب القس سليمان الصائغ ، صحيفة ١٣٦ — ١٣٧ .

القس داميانوس
(+ ١٨٥٥)

وُلد في القوش وترهب في دير الربان هرمزد قرب القوش. توفي سنة ١٨٥٥. أَلّف فرض عيد الحبل بلا دنس وأُدخل في الاستعمال على عهد البطريرك يوسف السادس أودو. ثم ألف صلاة جمعة الموتى (ܒܥܘܬܐ ܕܥܢܝ̈ܕܐ). اما بعض المؤرخين فينسبون تأليف فرض الموتى الى الراهب شمعون لويس من قرية بيوس. بقي زماناً كاهناً للرعية في بغداد مع القس بطرس بر تَتَر. ترجم كتاب مرشد الكاهن الى الكلدانية[1] ونُشر في مطبعة الآباء الدومنيكيين.

ايليا الثالث عشر
(١٨٧٨ — ١٨٩٤)

هو البطريرك ايليا عبو اليونان. ولد في الموصل. ثبّت بطريركاً في ٢٨ شباط ١٨٧٩. توفي ١٧ حزيران ١٨٩٤. في عهده وبهمته نُقّح طقس الفرض بكامله وطُبع في ثلاثة اجزاء في مدينة لايبزيك بالنمسا سنة ١٨٨٦ ولتكميل هذا المشروع القيّم أوفد الى روما مار عبديشوع خياط مطران دياربكر والاب لويس بيجان الفارسي. وكان كتاب الفرض باسم: ܟܬܒܐ ܕܚܘܕܪܐ ܕܐܬܐ ܐܝܟ ܛܟܣܐ ܕܥܕܬܐ ܡܕܢܚܝܬܐ ܕܣܘܪ̈ܝܝܐ ܟܠܕܝ̈ܐ (ܕܣܘܕܪܐ ܘܕܡܫܡܫܢܘܬܐ ܘܕܚܘܪܐ).

عبديشوع الخامس
(١٨٩٥ — ١٨٩٩)

هو البطريرك عبديشوع خياط. وُلد في الموصل. ثبت بطريركاً ٢٨ آذار ١٨٩٥. توفي ٦ تشرين٢ ١٨٩٩. اذ كان مطراناً وكّله البطريرك ايليا عبو اليونان بطبع الفرض وهو آنذاك في روما مع الاب بيجان. فكمل طبع الفرض الكلداني بثلاثة اجزائه للمرة الاولى سنة ١٨٨٦ في مدينة ليبزيك بالمانيا.

الاب بولس بيجان
(+ ١٩٢٠)

هو راهب لعازري كلداني في اواخر الجيل التاسع عشر. اصله إيراني.

(١) طالع مجلة المشرق سنة ١٩٠١ ص ٨٥٤.

اهتم بغيرة ونشاط في طبع ونشر كتب شتى كلدانيـة للفرض وغيره . وجاء كتاب الفرض الكلداني بثلاثة اجزائه مطبوعاً في ليبزيك لائقاً مقبولاً سنـة ١٨٨٦ . توفي سنة ١٩٢٠ بعد ان خلّد ذكرًا طيباً .

وهنا يجدر بنا ان نذكر جدولاً بما طبعه الاب بيجان في ليبزيك :

١ – الايثيقون لابن العبري
٢ – أعمال احد عشر مجمعاً من المجامع العمومية .
٣ – اعمال الشهداء والقديسين (٦ مجلدات) .
٤ – تاريخ الازمنة لابن العبري .
٥ – التاريخ الكنسي لأوسابيوس .
٦ – تأليف سهدونا .
٧ – ترجمة سبريشوع الجاثاليق .
٨ – ترجمة كيوركيس الشهيد .
٩ – الحمامة لابن العبري .
١٠ – الحوذرا (كتاب الفرض ٣ مجلدات) .
١١ – الرؤساء لتوما المرجي .
١٢ – سيرة يابالاها والربان صوما .
١٣ – العفة لايشوع دناح البصري .
١٤ – فردوس آباء البرية لعنانيشوع الملفان .
١٥ – كتاب هرقل
١٦ – الكلام المفيد في الطريقة الرهبانية لمار اسحاق مطران نينوى .
١٧ – المزامير .
١٨ – ميامر مار اسحاق الانطاكي .
١٩ – مار افرام في يوسف الصدّيق .
٢٠ – ميامر منتخبة لمار يعقوب السروجي « عدة مجلدات » .
٢١ – ميامر نرسي في يوسف الصدّيق .
٢٢ – الهداية لابن العبري .
٢٣ – كتاب صلوات بلغة أورميا الدارجة .
٢٤ – شهر مريم بلغة أورميا الدارجة .
٢٥ – سيرة القديسين بلغة أورميا الدارجة .

يوسف عمانوئيل الثاني توما
(١٨٥٢ – ١٩٤٧)

وُلد في القوش سنة ١٨٥٢ . اكمل دروسه الكهنوتية في المعهد الاكليريكي

للآباء اليسوعيين ببيروت . كان مطراناً على ابرشية سعرد ثم بعد انتخابه بطريركاً نال التثبيت من روما في ١٧ كانون الاول ١٩٠٠ . توفي سنة ١٩٤٧ في الموصل . في عهده طُبعت كتب طقسية عديدة منها : ܟܬܒܐ ܕܪ̈ܐܙܐ ܘܬܫܡܫܬܐ . والمزامير (ܡܙܡܘܪ̈ܐ) ܘܩܕܡ ܘܕܒܬܪ : وطقس العماد والزيجة وطقس الموتى وغيرها ... في مطبعة الآباء الدومنيكيين وفي المطبعة البطريركية بالموصل . ومن الجدير بالذكر انه على عهده ايضاً أُعيد طبع طقس الفرض الكلداني بثلاثة اجزائه سنة ١٩٣٨ في روما منقولة بصورة مصغَّرة عن الطبعة الاولى التي تمَّت في ليبزيك بالمانيا سنة ١٨٨٦ . سعى بهذا العمل الجليل نيافة الكردينال اوجين تيسران امين سر المجمع المقدس للكنائس الشرقية[١] .

الخاتمة

اليك أيها القارئ اللبيب :

لو اردنا ان نكتب جدولاً عاماً لكافة تآليف القديسين والملافنة والكتّاب والعلماء الكلدان شرقيين كانوا أم غربيين للزمنا عدة مجلدات . فهناك تآليف قيّمة في الروح النسكية والقوانين والأنظمة الرهبانية وسير الزهاد والقديسين وتواريخ الكنيسة وشروح الكتاب المقدس وغيرها . كما ذكر نيافة المستشرق الكبير الكردينال تيسران في تاريخ الكنيسة الكلدانية : ان آداب هذه الكنيسة انتجت تآليف قيّمة شيّقة في شتى المواضيع الدينية والمدنية والاجتماعية والثقافية . وآداباً رهبانية ضافية كالانظمة والاقاصيص التقوية والتواريخ النسكية . كما وابرزت للوجود مؤلفات لمختلف العلوم من تفسير وفقه وتاريخ وفلسفة ولاهوت ورياضيات وطب... أننا اقتصرنا في بحثنا هذا على مؤلفي فروض طقسنا الكلداني ومنظميه على قدر ما عثرنا على المصادر الشرقية والغربية . وليكون لنا الفخر والبهجة لو وَجدنا بين القرّاء الكرام مَن يسدّ العجز ويكمّل النقص في بحثنا هذا ومنّا له الشكر والتقدير .

(١) طالع حياة البطريرك عمانوئيل الثاني السعيد الذكر في تاريخ نيافة الكردينال تيسران تعريب القس سليمان الصائغ ، صحيفة ١٣٩ .

الفائت من شعر المتنبيء

والمتنبي وولاية صيدا

بقلم أمين نخله

قال الشيخ ابراهيم اليازجي في « العرف الطيب » من كلام له على ما لا يوجد من أشعار المتنبي في ديوانه (ص٦٥١): « على ان الكثير من ذلك ليس جيّد من جيد شعره ، ولا فيـه ما هو حقيق بأن يضنّ به » . وهو كلام في غاية الصواب . فان هذه المقطعات والقصائد التي تروى للمتنبي مما لم يُذكر في ديوانه ، ليس الكثير منها في طَبَقة شعره . وأضف ان نسبة اكثرهـا اليه يعوزها التحقيق ، ولكن المسألة تتعلق بالمتنبي ، وناهيك بمسألة تتعلق بالمتنبي . هذا الذي اشتغل به خمسون واحدًا ونيّف من فحولة أهل العربية ، والذي في كل يوم يرنّ له ذكرٌ وينتشر بريد . فكيف يغفل ، اذن ، جماعة التنقيب حتى الغثّ من فائت شعره ، وهو على هزاله يهم في تاريخ الرجل من جهات متعددة ! .

أما كون الذي انتهى الينا من شعر المتنبي في نُسَخ ديوانه المثلة بالطبع ليس هو كل شعره ، فلا يختلف في ذلك اثنان . قال البغدادي في « خزانة الأدب » (٢ : ١٣٦ طبعة دار العصور) ينقل من « إيضاح المشكل » لابي القاسم الاصفهاني : « واخبرني أبو الفتح عثمان بن جني ان المتنبي اسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس » . وقال ابن نباتة في « سرح العيون » (ص ١٧ — طبعة بولاق) : « وله — يريد المتنبي — أشعار لم تدخل في يوانه » الى آخر ما جاء في هذا المعنى .

وقد جمع الشيخ اليازجي في ذيل « العرف الطيب » طائفة من « الفائت » ، عثر على بعضها في بعض نسخ الديوان ، وعلى البعض الآخر في تضاعيف كتب

كتب الادب (ص ٦٣٦) . إلا أنه أسقط «مرويات أُخر» منها ما لا يحمل اثباته في هذه النسخة — يريد ما فيه خمشٌ لِوَجه الادب — ومنها ما لم أجد فيه رواية خليقة بالذكر، فلم أُكلف تحريره وشرحه» (ص ٦٥١) .

ثم أفرد الفائت بالتأليف الشيخ عبد العزيز الميمني، فأخرج «زيادات ديوان شعر المتنبي» وهو اول مؤلف مستقلّ في هذا الموضوع . وقد أحصى فيه صاحبه نيفاً واربعين قطعة، او قصيدة، تتفها على حدّ قوله، من اربع نسخ خطّية من الديوان، أهمّها نسخة الشيخ الشَرْواني في ايالة حيدر آباد الاسلامية، والنسخ الأُخر : اثنتان في خانة جامع بومباي، وواحدة في خزانة حيدر اباد ومن طبعتين قديمتين من الديوان (سنة ١٢٥٧ هـ. و١٢٦١ هـ.) ومن كثير من الدواوين الادبية والمجاميع . وقد عوّل الاستاذ الميمني في الفائت على ما لم يجده في ملفّ شرح العكبري .

ثم وضع الاستاذ البرقوقي في آخر شرحه على الديوان تذييلاً ساقَ فيه أبياتاً ومقطعات وقصائد من الفائت، عثّر عليها في ذيل شرح الواحدي، وهي مما لم يذكره الواحدي، ولا العكبري، وضمّ اليها اكثر ما جمعه الاستاذ الميمني في كتابه .

ومن الفائت الذي نقله الاستاذ الميمني من النسخة الشروانية، ولم يوجد في نسخة خطّية، ولا في طبعة قديمة او حديثة، أبيات على الحاء قالها المتنبي عندما ادعيت قصيدته «جللا كما بي»، ومنها (ص ١٥) :

لكم الامان من الهجاء فانه ... فيمن يهجى الهجاء مديح !

قال الاستاذ الميمني في الحاشية على هذا البيت . «وله في المعنى» :

صغرت عن المديح، فقلت : اهجى ... كأنك ما صغرت عن الهجاء

ومنه قصيدة في هجاء ابن حيدرة، هذا بعضها (ص ١٧) :

يا صاحب الجدث الذي شمل الورى ... بالجود، ان لو كان لؤمك جودا :
قد كنت انتن منك قبل دخوله ... ريحاً، واكثر في الحياة صديدا
واذل جمجمةً، وأعيا منطقاً، ... واقل معرفةً، واذوى عودا
اسلمتَ لحيتكَ الطويلة للبلى، ... وثويتَ لا أحداً، ولا محسودا

وردى الاطبة أن داءك قاتل، حتى شفاؤك كان منه بعيدا

قال الاستاذ الميمني في تعليقه على هذا البيت الاخير. «له في المعنى:

قالوا لنا: مات اسحق، فقلت لهم: هذا الدواء الذي يشفي من الحمق»

الى أن يقول شاعرنا في أولاد حيدرة:

سود، ولو بهروا النجوم إضاءة قل، ولو كثروا التراب عديدا
شيء كلا شيء، لو انك منهم في جحفل لجب، لكنت وحيدا

وان قوله (شيء كلا شيء) هو من طرائفه المعروفة في التعبير. قال في قصيدته «لا افتخار إلا»:

ان بعضا من القريض هراء ليس شيئا، وبعضه أحكام.

وقال في قصيدته «أعيا وأيسر ما قاسيت»:

وضاقت الارض، حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا.

الى آخر ما جاء له في هذه الشعبة.

ومن الفائت، وهو جواب عن كتاب (ص ٢٠):

لئن حم، بعد النأى، قربي ولم أجد من الوصل ما يشفي الفؤاد من الوجد
ولم تكتحل عيناي منك بنظرة يعود بها نحس الفراق الى سعد
فلي لحظات في الفؤاد بقلة من الشوق، تدنيكم كانكمو عندي
اذا هاج ما في القلب للقلب وحشة فرحت الى أمر التذكر من بعد

وأنك واجد، ولا ريب، ان روح المتنبي يطالعك في كل هذا، على كونه، في الغالب فجا، جافا، نازلا عن مرتبة الجودة. الا ان هنا ديباجة لفظ، وانصباب نفس، والتفات ذهن، اشبه ان تكون للمتنبي. دع ما رأيت في بعض هذا الفائت مما يتلاقى وبعض المحفوظ على معنى واحد، بل على لفظ واحد!.

هذا، وقد قيم لي من سنتين الاطلاع في خزانة الفيكونت طرازي على نسخة خطية من شرح الواحدي لديوان المتنبي، في أولها، وفي آخرها، كتابات كثيرة، منها ما له علاقة بالديوان، ومنها ما ليس كذلك. ومن تلك الخطوط

المثبتة في الصفحة الاولى، ما ننقله هنا بلفظه :

« ديوان المتنبي وله شرح لابي زكريا » (كذا) . ثم : « صاحبه محمد بن محمد عفا عنه الكريم الاوحد » . ويتلو هذا كلمات غير مقروءة . ثم يجيء بعدها : « الله حي . من كتب أبي — وهنا كلمة غير مقروءة — رستم بن احمد الشرواني » . وفي الصفحة الثالثة ما هـذا بعضه، بحرفه : « وله — اي للديوان - شرح نفيس للأقليلي » (كذا، بالباء الموحدة) .

وان الشيخ ملتفت، في ما نظنّ، الى هذه العلاقة الشروانية بين نسخة الفيكونت طرازي ونسخة الشيخ الشرواني، التي عليها عوّل الاستاذ الميمني :

ويضاف الى ذلك ما ذُكر في « معجم المطبوعات » على بعض طبعات الديوان في الهند، وهو مما يفتح على المسألة باباً آخر . قال هناك (ح : ١٦١٦) : « ديوان ابي الطيب المتنبي، بعناية — اي انه طُبع بعناية — احمد بن محمد اليمني الشرواني . كلكته ١٣٢٠ هـ ١ ص ١٠٢ » . فهـا هنا، كما ترى، محل لتحقيق طويل، ليس هذا وقته .

وقد وجدت في النسخة الطرازية جانباً من الفائت الذي جمعه الاستاذان الميمني والبرقوقي، ووجدت، فوق ذلك، ابياتاً أربعة لم يظفرا بها، وليست، أيضاً، من طنانات المتنبي . وهي مثبتة في آخر النسخة بخط قديم، يخـالف الخطوط التي فيها . قال الكاتب : « قال بعضهم : سمعت ابا علي البلخي يقول : سمعت بعض بني اسد يقول : آخر ما سمعنـاه من أبي الطيب، عند محاربتنا اياه، ينشد :

كان الزمان يغرني بامانه فاذاقني المكروه من حدثانه

فاذ النذير من الزمان لكل من امسى واصبح واثقاً بزمانه .

وقال بعد ايراد هذين البيتين :

«أنشد ابو جعفر العرايمي (كذا) قال : انشدنا ابو الحسين العباسي، قال : انشدني المتنبي لنفسه بفارس :

دنا، ودنا، حتى إذا ما ألفته نأى، ونأى، حتى لم يكن أصلا

وقد كان شغلاً للفؤاد دنوه فلما نأى، زاد الفؤاد به شغلا .

وما دمنا في الكلام على الانف من شعر المتنبي، يحسن ان نستطرد الى

مسألة اخرى، تتعلق بترجمة حياته . وهي ايضاً مما لم يخض في خبره، بعد . وجدت في «الخزانة» للبغدادي نصاً، لا يحتمل التأويل، على اسم العمل الذي كان المتنبي يلتمس من الاخشيدي ان يقلده في بعض الاطراف اللبنانية، والذي لمح في كافورياته اليه غير مرة، كقوله في قصيدته «أغالبُ فيكَ الشوقَ»:

اذا لم تنط بي ضيعة، أو ولاية فجودك يكسوني، وشغلك يسلبُ!

وكقوله في قصيدته «كفى بك دا.»:

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين، والبا...

قال البغدادي (٢: ١٣٩)، ينقل من كتاب «ايضاح المشكل لشعر المتنبي»:

«وسمعت من قال: ان كافوراً لما سمع قوله — يريد المتنبي — اذا لم تنط بي ضيعة (البيت) يلتمس ولاية صيدا فاجابه: لا أجسر على توليتك صيدا، لانك على ما أنت عليه تحدثك نفسك بما تحدث، فان وليتك صيدا، فمن يطيقك!؟».

واذا انت علمت ان ابا القاسم الاصفهاني، صاحب «ايضاح المشكل» هو ممن عاصروا ابن جني ورووا عنه (الخزانة — ٢: ١٣٧)، وان ابن جني كان قد قرأ ديوان المتنبي على صاحبه (وفيات الاعيان — ١: ٣١٢ — الطبعة الاولى) وقال فيه المتنبي (الاعلام — ص ٦٢٤ في مادة عث، ينقل من إرشاد الاريب):

«ابن جني أعرف بشعري مني» رأيت ان رواية البغدادي عن الاصفهاني، في مسألة ولاية صيدا، لا يعترض في صحتها شبهة .

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلّامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف العين

العاصي — نهر العاصي Oronte الارند قال البحتري يذكره:

وكم نفست من حمص من متأسفٍ غدا الموت منها آخذاً بالمخنّقِ
وكم قطعت أرض (الأرُنْدِ) إليهم كتائب ترجي فيلقاً بعد فيلقِ

وهو يخرج من عين اللبوة — ببلاد بعلبك — ويجري الى حمص فيكوّن بحيرة قدس (قطّينه) وقطّينه تحريف كلمة — كتّيني) المصرية بمعنى الحثيين الذين عملوا السدة للعاصي فكوّن بحيرة ثم يجري النهر الى حماة وينتهي الى سهل العمق ويجتاز قصبتي انطاكية وجسر الشغر الى أن يبلغ فرضة السويدية (سلوقية) فيصب في البحر الرومي. وكان يقال له في القديم — الاورنت — ثم — الارند — واطلق عليه اسم النهر الكبير ونهر المقلوب ونهر الميماس. واسم العاصي من كلمة أكسي اليونانية.

عرصوص — قرب اسكندرونة من بلاد كيليكية.

العراق — قيل انها تعريب — ايراء — الفارسية بمعنى الساحل لأنها على ساحل خليج فارس أو ساحل شط العرب وقيل إنها من — اور — مدينة و — آو — ماء. و — كا — علامة التثنية في لغة الاكديين والشمريين فهي — اور آوكا — بمعنى الرافدين أي نهري دجلة والفرات وبمناها — شنعار — راجعها بحرف الشين.

عرامون — عبرانية — بمعنى الدلب بلدة في الشوف وأخرى في كسروان

وتحريفها – علمان – موقعها شرقي صيدا قال الأثري كلرمون غانو : إن علمان هذه هي مدينة – بلاتانوس – ذكرت في اخبار انطيوخس الثالث وبطلميوس الرابع محب أبيه (٢١٩ – ٢١٨ ق.م) قال المؤرخون ان احد قواد بطلميوس احتل مضيق بلاتانوس بينما كان قائد آخر يدافع عن مدينة برفيريون – عند خان النبي يونس – فموقع علمان يوافق موقع – بلاتانوس – وهي بمعنى الدلب ايضاً . وللتفرقة بينهما يقال – عرامون الشوف – وعرامون كسروان .

العريش – مدينة واقعة في فم الوادي بين فلسطين ومصر . وسميت في أشميا – هرس – بمعنى الخلاص والحب والآن العريش وتسمى – رينوكولورا .

عري – قرية شرقي بكاسين في جزين لبنان على سفح جبل المقابل لها ولفظها سرياني بمعنى الباردة وينبوعها غزير مصدره من تحت الصخور في أعلاها يسمى نبع الناصري نسبةً الى الملك الناصر الذي جلس عليه عندما زار تلك النواحي . والجبل في أعلى القرية فيه صخر كبير عليه قلعة – تيرون – اي الصخر الصغير وهي قلعة نيحا . وعري بلدة في حوران اشتهر فيها بنو الاطرش وفيها بئر غسان التي نسب اليها بنو الأزد لما دخلوا حوران ونزلوا حوله بمواشيهم وشربوا من مائه فسموا باسمه .

عرجوش – قرب زحلة تسمى الآن – الفيضة – راجع كركيش فهي تحريفها .

عرديم – عراعير الآن في شرقي البحر الميت .

عسقلان – (فلسطين) راجع اسقلون .

عشقوت – من عشقتو السريانية بمعنى الصعبة بلدة في كسروان .

عفرين – نهر عفرين هو قديماً نهر – عبرا .

عقرقوف – من (عقر) اي قصر او المتهدم منه و – قوف – اسم رجل وقيل انها آرامية (بمعنى قواعد الأساطين) تحليلها (عقرا) الاصل او القاعدة و – قوفا – السواري او (الاعمدة).

عكا – اسم فينيقي معناه – العوجاء – لانها على شكل نصف دائرة وسميت (بتولمايوس) نسبة الى بتوليوس أحد وزراء الاسكندر لانه رممها .

علمان – تحريف عرامون (راجع عرامون) او انها من السريانية مثل ساحل علما بمعنى ساحل العالم .

عماطور — سريانية ومعناها تحت الجبل .

عمواص — او — عمراس — عبرانية بمعنى — ينابيع حارة .

عنجر — (مقالتنا في المقتطف ٥٥ — ٥٨ سنة ١٩٢٤) اسمها القديم خالكيس او كلشيس يونانية بمعنى النحاس وصوبة بمعنى المحلة وفي كتابات العمارنة سنة ١٥٠٠ ق.م (مات نحاسي) لوجود(جرن النحاس) قربها مما يدل على استخراج النحاس من هناك .

وذكرها الصليبيون باسم (عين غارا) فقالوا — امجرا — و — اميكارا — بالتحريف والعرب قالوا — عين الجر — ووجد اسمها بكتابة —غدة— او —غرة— ولعلها عبرانية بمعنى — عين الغريب — أما لغرابة ينبوعها الدوري أو لوجودها في سفح الجبل المسمّى عند العرب — الجرّ — للاظلته او لردها الغارات — عين الغارة — او — عين الجار — من الجيرة . وأصل الأول — غرا — فارسية بمعنى الأبيض لعبادة الشمس او هي كلمة — الجيرة — اليونانية ومعناها المرساة ومثلها أنقره في آسية الوسطى . وفي مجلة المشرق (١ : ٦٢٦) في نواحي غزة والعريش منازل العرب المعروفين بالخناجرة وهذا ما يذكرنا بقول (بلين) : جبل حنجر — Mons Angaris — ورد ذكره في رسوم بلين الطبيعية .

عنطورا — سريانيتها — عين طورا — اي عين الجبل وهي في كسروان واشتهرت بدرستها القديمة التي اسسها الآباء اليسوعيون سنة ١٧٧٣ثم جددها الآباء اللعازريون بعد تعطيلها سنة ١٧٧٣ لما الغيت الرهبنة اليسوعية . واشتهرت مدرستها بتخريج الطلبة في عهديها اليسوعي واللعازري ولا سيما في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد فظهر منها نوابغ خدموا الدين والعلم والادب ولا تزال عامرة تخدم العلم والادب .

عين الحصحاص — من خراج — الزغرين — في متن لبنان والحصحاص سريانية بمعنى الحصن . ومن خراجها أرض — الشواغير — راجعها بحرف الشين .

عيثا — البقاع — لعلها تحريف (عناث) الهة سورية فقيل — عنيآ — ثم — عيثا .

عيناب — بلدة في شوف لبنان سريانية معناها — عين الأب .

عينقني — بلدة في وسط — باعربايا — ومعنى عينقني — عين المشوش — أو

الأوكار سريانية وهي بجانب الدير المسمى باسمها في العراق وعينقني في لبنان ايضاً .

عين سكفتا — في بلدة يبرود في جبل القلمون فوق دمشق يونانية بمعنى — المحفورة .

علين — قرب مدينة زحلة أما تحريف (عليون) الفينيقية بمعنى زحل او تحريف البعليم العبرانية بمعنى الابعال . ويرجح الرأي الاول ومنها اسم زحلة من — زحل .

عمريت — اسمها القديم — ماراتوس — في شمالي ارواد .

عينتيت — فينيقية من عين وتانيت بمعنى عشتاروت (الزهرة) او تحريف — بعل تانيت .

عين زحلته — ربما عين الزحلة او زحل .

عمان — ربة عتون . وسماها اليونان فيلادلفية .

عيلام — نسبة الى عيلام بن سام وعيلام سامية بمعنى البلاد الجبلية وسماها الأشوريون والعبرانيون سوسيانا وهي بين دجلة وبلاد فارس وهي خورستان الآن ومنها الاهواز .

عيناتا في فلسطين اسمها القديم — عناتوت — سماها غوليلس الصوري عمواص وتعرف الآن باسم عيناتا — ومثلها في بلاد بعلبك لبنان قرية عيناتا فوق اليمونة ولعلها من الربة عنات او اناتس ربة السوريين عموماً سامية معبودة الآراميين . وركبت منها اسماء كثيرة .

حرف الغين

غزة هاشم في فلسطين — اسم غزة — بلغة مصر ازوتس واسمها القديم اليوناني — ماجوما — بمعنى مكان البحر .

غوط او قوط — النطط والأول أشهر قبيلة من الجتيين فان (غوثر) معناه حاذق وهو مشتق من اسم جته — جض — ومعناه حذق. وفي القرن الرابع ق.م. صار القوط ذوي نفوذ بين الجتيين فان احد ملوك الجتة كان اسمه — غوتيلاس —

اي غوت الصغير واقترن فيلبس المكدوني بابنته . فقيل بلاد الغوط او القوط نسبة الى تلك القبيلة .

غينه — كسروان لبنان يونانية بمعنى امرأة نسبة الى الزهرة التي نقشت على احد صخورها في حوادث تموز وعشتروت .

غابون — سريانية الخرش والغاب .

حرف الفاء

الفُرات — نهر في العراق معروف واسمه هذا تحريف اسمه العبراني — بريث — وسمته التوراة — كنفو — ومعناه نهر الحياة .

فَرشوط — اصلها — فرجوط — وهو اسم جبل كان هناك فقال العرب — فرشوط .

الفَرَيديس — تصغير الفردوس الفارسية وهي قرى منها الفَرَيديس قرب قنسرين حلب وفريديس الباروك في شوف لبنان والفريديس قرب دمشق .

فلسطين — بمعنى المتغربين باسم سكانها الفلسطينيين .

فونيقية (و) فينيقية — اسم وضعه اليونان لبلاد كنعان . واسمها بالآثار المصرية — كفتا — و — زاهي — وفي الآثار الاشورية — اخاري — اي بلاد المغرب . قال مسبرو ان اسم فينيقية من — فون — او — بون — عند المصريين بلاد العزب الشرقي وشاطئ خليج العجم حيث كان الكنعانيون والحق بها حرف النسب العربي وقيل ان اسم — فونيقي — يوناني بمعنى النخل لكثرة الشجر فيها قديماً وكان النخل رمز بلادهم .

فيوم — بالمصرية القديمة (ف — يوم) فاداة التعريف للمفرد المذكر — ويوم بمعنى بحر فمعناها البحر لأن أمنمحت الثاني من ملوك الأسرة ١٢ حفر بها البحر المعروف ببحر موريس لري أرضها فسميت بذلك . وفي العربية — اليم — بمعنى البحر تصغير (اليمّونه) بمعنى البحيرة في بعلبك .

— يتبع —

كتاب ختم الاولياء (تابع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي
تحقيق عثمان اسماعيل يحيى
عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال الخامس ومائة) : وما الإزار[١٤٥] ؟

(السؤال السادس ومائة) : وما الرداء[١٤٦] ؟

---

١٤٥) « الجواب : الازار حجاب السر » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ أ).

« الجواب : حجاب الغيرة والستر على تأثير القدرة الالهية في « الحقيقة الخاصة » الكلية، الظاهرة في القدم قديمة، وفي المحدثات محدثة. وهو ظهور الحقائق الالهية والصور الربانية في «الاعيان الثابتة» الموصوفة بالامكان، التي هي مظاهر الحق. فلا يعلم نسبة هذا الظهور الى هذا المظهر الّا الله، سبحانه وتعالى!

فالحجاب الذي حال بيننا وبين هذا العلم، هو المعبّر عنه «بالازار». وهي كلمة « كن». ولا اريد به حرف الكاف والواو والنون، وانما اريد به المعنى الذي به كان هذا الظهور».

(فتوحات : ٢ : ٢٠٣).

١٤٦) « الجواب : الرداء (هو) العبد الكلّي » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ أ).

« الجواب : العبد الكامل، المخلوق على الصورة، الجامع للحقائق الامكانية والالهية : وهو المظهر الأكمل، الذي لا أكمل منه، الذي قال فيه ابو حامد : « ما في الامكان ابدع من هذا العالم » ؛ لكمال وجود الحقائق كلها فيه. وهو العبد الذي ينبغي ان يسمى خليفة ونائباً ؛ وله الاثر الكامل في جميع الممكنات ؛ وله المشيئة التامة ؛ وهو أكمل المظاهر.

واختلف العلماء : هل يصح ان يكون منه في الوجود شخصان فصاعداً، او لا يكون إلّا شخص واحد ؟ فإن كان شخص واحد، فمن هو ذلك الشخص ؟ ومن أي قسم هو من اقسام الموجودات ؟ هل هو من البشر او من الجن او من الملائكة ؟

وانما سمّاه « رداء » لانه مشتق من الردى، المقصور ؛ وهو الهلاك. لانه مستهلك في

(السؤال السابع ومائة) : وما الكبرياء [١٤٧] ؟

الحق ، استهلاكاً كلياً ، بحيث ان لا يظهر له وجود عين ، مع ظهور الانفعالات الالهية عنه . فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيئاً من تلك الانفعالات اليه . فيكون حقاً كله . وهو قوله ، صلى الله عليه وسلم : « واجعلني نوراً » = اي يظهر فيّ كل شيء ولا اظهر بشيء . وقد يستهلك الحق فيه ، فلا ينسب بوجوده شيء الى الحق . وهو الوجه الذي اعتمد عليه من اثبت « الحق المخلوق به » كأبي الحكم بن برجان وسهل بن عبدالله التستري وغيرهما . واليه أشرنا بقولنا :

انا الرداء انا السر الذي ظهرت في ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

فالمرتدي هو الهالك بهذا الرداء . فانظر من هو المرتدي فاحكم عليه بانه مستهلك فيه ، فتجد حقيقة ما ذكرناه . — فكل مرتد محجوب بردائه عن ادراك الابصار . قال تعالى : « لا تدركه الابصار » . لان الرداء يحجب الابصار عنه ، ولا يحجبه عنها : فهو يدركها ولا تدركه . فالأبصار تدرك الرداء والرداء هو الذي استهلك المرتدي فيه بظهوره . — « ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

(فتوحات : ٢ : ١٠٣ — ١٠٤)

١٤٧) « الجواب : الكبر ما ظهر من دعاوي الخلق في حضرة الربوبية من « انا » على طبقات القائلين بها » . (الجواب المستقيم ، ورقة $\frac{1}{25}$) .

« الجواب : ما ظهر عن دعاوى الخلق ، في حضرة الربوبية ، من « انا » على طبقات القائلين بها .

الكبر حال من احوال القلوب ، من حيث ما هي عالمة بمن ينبغي ان ينسب اليه الكبرياء . فان الحق معلوم عند كل موجود . ويتبع العلم الكبرياء : فمن كان أعلم به ، كان كبرياء الحق في قلبه أعظم ممن ليس في قلبه ما يوجب ذلك . فلو كان الكبرياء صفة للذات ، لكانت الذات مركبة . وان كان عين الذات وتجلى ، سبحانه ، وسلب العلم به في تجليه — لم يجد المتجلي له أثر كبر عنده لهذا التجلي ، لجهله به . فإن رزقه العلم به تبعه الكبر . والعلم مما يوصف به العالم لا المعلوم .

كذلك الكبر ، يوصف به من يوصف بالعلم بمن يكون الكبرياء من اثره في قلب هذا الشخص . ولهذا قد ورد « الكبرياء ردائي » . — فهو حجاب بين العبد وبين الحق . يحجب العبد ان يعرف كنه المرتدي به ، وهو نفسه ، فأحرى أن يعرف ربه . ومع هذا ، فلا يضاف الكبر إلا لغير لابسه . فانه حالة عجيبة وكذلك العظمة . فان الحق ما هي صفته (كذا في الاصل ولعل الصواب : ما له صفة) ، لا ذاتية ولا معنوية . فانه يستحيل على ذاته قيام

(السؤال الثامن ومائة) : وما تاج[٣] الملك (١٤٨) ؟

صفات المعاني بها . ويستحيل ان تكون صفة نفسية، من أجل ما ورد من إنكار الحق له في تجليه مع كونه هو هو . — واذا بطل الوجهان، فلم يبق إلا ان تكون صفة للمتجلي به وهو الكون ، أو حالة تعقل بين المتجلي والمتجلى له ؛ لا يتصف بها المتجلى له ، لأن العبودة تقابل الكبر وتضادها . ومحال ان تقوم بنفسها بينهما . فلم يبق إلا ان تكون من أوصاف العلم فتكون نسبة كبر وتعظيم وعزة، تتصف بها نسبة علم بمعلوم محقق ، من حيث ما يؤدي اليه ذلك العلم من وجود هذه النسب ذوقاً وشرباً . كما تقول في التشبيه وضرب المثل : سواد شرق ، وعلم حسن . فوصف السواد بالاشراق ، والعلم بالحسن . وهو وصف من لا قيام له بنفسه بما لا قيام له بنفسه . — فلذلك جعلنا الكبرياء والعظمة حالة تابعة للعلم بالمعظم والمكبر في نفس من عظمه وكبره » . (فتوحات : ٢ : ١٠٤)

١٤٨) « الجواب : لو كان حاضراً عند السؤال ومنتهيا (الاصل : ومنتبه) يحصى الحذف (؟) وهو الجواب . فافهم! » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥ ب) .

« الجواب : تاج الملك ، علامة الملك . وتتويج الكتاب السلطاني ، خط السلطان فيه . والوجود « كتاب مرقوم يشهده المقربون » ويجهله من ليس بمقرب . وتتويج هذا الكتاب انما يكون بمن جمع الحقائق كلها ، وهي علامة موجده .

فالانسان الكامل ، الذي يدل بذاته من أول البديهة على ربه ، هو تاج الملك ؛ وليس الا الإنسان الكامل . وهو قوله ، صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق آدم على صورته » . وهو « الأول والآخر والظاهر والباطن » . فلم يظهر الكمال الالهي إلا في المركب ، فانه يتضمن البسيط ، ولا يتضمن البسيط المركب . فالانسان الكامل هو « الأول » بالقصد ، « والآخر » بالفعل ، « والظاهر » بالحرف ، « والباطن » بالمعنى . وهو الجامع بين الطبع والعقل . ففيه أكثف تركيب والطف تركيب ، من حيث طبعه . وفيه التجرد عن المواد والقوى الحاكمة على الأجساد . وليس ذلك لغيره من المخلوقات سواه . ولهذا خص بعلم الاسماء كلها وبجوامع الكلم . ولم يعلمنا الله أن احداً سواه أعطاه هذا إلا الانسان الكامل .

وليس فوق الانسان مرتبة الا مرتبة الملك في المخلوقات . وقد تلمذت (الاصل : تلمذت) الملائكة له حين علمهم الاسماء . ولا يدل هذا على انه خير من الملك ، ولكنه يدل على انه أكمل نشأة من الملك . — فلما كان مجلى الاسماء الالهية ، صح له ان يكون للكتاب مثل التاج ، لانه اشرف زينة يتزين بها الكتاب . وبذلك التتويج ظهرت آثار

س[٣] التاج V ، + وما V .

(السؤال التاسع ومائة) : وما الوقار [١٤٩] ؟

الأوار في الملك . كذلك بالانسان الكامل ظهر الحكم الالهي في العالم بالثواب والعقاب ؛ وبه قام النظام والخرم وفيه قضى وقدّر وحكم ». (فتوحات ، ٢ : ١٠٤-١٠٥)

١٤٩) « الجواب : حمل اعباء التجلي قبل الفناء فيه : مثل سكرات الموت قبل حلوله ». (الجواب المستقيم ، ٢٥٠) .

« الجواب : حمل اعباء التجلّي قبل حصوله ، والفناء فيه ؛ كسكرات الموت قبل حلوله . وذلك ان للتجلّي مقدمات كطلوع الفجر لطلوع الشمس . وكما ورد في الخبر « عن مقدمات تجلي الرب للجبل بما يترل من الملائكة» والقوى الروحانية « في الضباب ». وهي اثقال التجلي ، التي تتقدمه ، من الوقر وهو الثقل . واذا حصل الثقل ، ضعف الاسراع والحركة .

فسمّي ذلك السكون وقارًا ، اي سكون عن ثقل عارض ، لا عن مزاج طبيعي . فإن السكون الكائن عن الأمر ، الذي يورث الهيبة والعظمة في نفس الصخص ، يسمى وقارًا وسكينة . والسكون الطبيعي الذي يكون في الانسان من مزاجه ، لغلبة البرد والرطوبة على الحرارة واليبس ، لا يسمى وقارًا . انما الوقار نتيجة التعظيم والعظمة . ولاسيما ان تقدم التجلّي خطاب إلاهي ، فصاحبه أشد وقارًا . لان خطاب الحق ، بوساطة الروح ، يورث هيبة ؛ ولا سيما ان كان « قولًا ثقيلا » .

وقد كان رسول الله ، صلى الله علية وسلم ، اذا نزل عليه الوحي كصلصلة الجرس يجد منه مشقة عظيمة ، ويورثه سكونًا وغشيًا مع الواسطة . فكيف به اذا خاطبه الحق بارتفاع الوسائط ، مثل موسى ، عليه السلام ! ومن كلّمه الله ؟ فاذا كان هذا وامثاله من مقدمات التجلي الإلهي ، فكيف يكون حال الانسان بعد حصول التجلي من الوقار ؟

ألا ترى إلى ما يحصل في قلوب الناس من هيبة الصالحين ، المنقطعين الى الله ، الذين انجبر العادة ، عند العامة ، برؤيتهم ؟ فاذا وقع نظرهم عليهم ، ظهر عليهم من الوقار والسكينة والخمود برؤيتهم ما لا يقدر قدره الا الله ، وهو اجلال المتجلي . يقول بعضهم .

كأنما الطير منهم فوق رؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال

وقال آخر :

اشتاقه فإذا بدا اطرقت من اجلاله
لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله

فهذا الاطراق هو عين الوقار . - وقال تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونًا » . - وقال ، عليه السلام : « فلا تأتوها وأنتم تسعون » = يعني الجمعة « وأتوها

(السؤال العاشر ومائة) : وما صفة[ش٣] مجالس الهيبة (١٥٠) ؟

(السؤال الحادي عشر ومائة) : وما صفة[ص٣] ملك الآلا. (١٥١) ؟

وعليكم السكينة والوقار » = اي امشوا مشي المثقلين . وهذا لا يكون الّا اذا تجلّى لهم في جلال الجمال ».

(فتوحات: ٢ : ١٠٥)

١٥٠) « الجواب : ان اراد حال الجلساء فكما قيل :

كأنما الطير فوق رؤوسهم لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال

وان اراد صفة المحل فمواجهة » . الجواب المستقيم : $\frac{١}{٢٤٩}$ — $\frac{ب}{٢٥٠}$) .

« الجواب : لمّا كانت الهيبة تورث الوقار ، سأل عن صفة مجلسه . اي ما صفته في قعوده بين يديه ؟ — فمن صفته عدم الالتفات ، واشتغال السر بالمشاهد ، وعصمة القلب من الخواطر ، والعقل من الافكار ، والجوارح من الحركات . وعدم التمييز بين الحسن والقبيح . وان تكون اذناه مصروفة اليه ، وعيناه مطرقتين الى الارض ، وعين بصيرته غير مطموسة . وجمع الهم ، وتضاؤله في نفسه . واجتماع اعضائه اجتماعاً يسمع له ازيز . وان لا يتأوّه ، مع جمود العين عن الحركة . وان لا تعطيه المباسطة الإدلال .

فإن جالسه بتقييد جهة ، كما كلّمه بتقييد جهة من حضرة مثالية ، « كجانب الطور الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة » — فليكن سمعه بحيث قيّده . فإن اطلق سمعه لاجل حقيقة أخرى تعطيه عدم التقييد — وهو تعالى قد قيّد نفسه به في جانب خاص — فقد اساء الادب ، وليس هو في مجلس هيبة .

ولا يكون صاحب مجلس الهيبة صاحب فناء ، لكنه صاحب حضور او استحضار ، لا برجح ولا يجرح ولا يرفع ميزاناً ولا يسمى انساناً ؛ فان الانسان مجموع اضداد ومختلفات » .

(فتوحات: ٢ : ١٠٥)

١٥١) « الجواب : روحاني » (الجواب المستقيم $\frac{ب}{٢٥٠}$) .

« الجواب : روحاني . وذلك ان المُلك لا يتصف به الّا الجماد خاصة ؛ وهو اشد الخلق طواعية لله سبحانه ، المعترف بانه مُلك لله سبحانه . على ان جميع ما سوى الله مُلك له . ولكن الفضل في المُلك ان يعلم انه مُلك ، وان تكون (الاصل : يكون) معاملته مع الله معاملة من هو مُلك لله . وليس ذلك الّا للمهيّمين من الملائكة والجمادات .

واما النبات ، فلم يتصف بذلك كل النبات . فان منه من لا يخرج الا نكدا . ولكن

ش٣ صفات ٧ . ص٣ صفات ٧ .

باقي الخلائق ، فيهم من قام بحق كونه مُلكاً ومنهم من لم يقم بذلك في كل صنف . وبهذا وصفهم الحق، سبحانه ، فقال : « ولله يسجد من في السماوات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً». فالطائع في الامكان ان يكون صاحب كره ؛ والكاره في الامكان ان يكون طائعاً . فاعظم الآلاء وأتمها ، بل هي النعمة المطلقة ، ان يرزق الخلائق طاعة الله ، فانهم لذلك خلقوا .

فملك الآلاء هو الذي ملكته النعمة لله . وهو قوله ، عليه السلام : « احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه » . وكل ما سوى الله متنفذ . فكل ما سوى الله منعم عليه . فكل من تعبده نعمة الله لله فهو ملك الآلاء . والآلاء من جملة الملك ، فيحتاج الى نعمة ؛ وتلك النعمة عين وجودها وبقائها في المتعين عليهم : فالنعم ملك الآلاء ايضاً .

فإذا كان ملك الآلاء المنعم عليهم ، ردتهم النعمة الى الله . فكان ملكهم لله بتلك النعم؛ فهم ملك الآلاء : فملك الآلاء من كان بهذه الصفة .

واذا كان ملك الآلاء عبارة عن عين الآلاء ، فصفة هذا العين ان لا تنسب إلا الى الله ، فان نسبت الى غير الله ، فذلك من جهة المنعم عليه لا من جهة النعمة . والمنعم عليه هو المذموم بقدر ما اضاف من الآلاء الى غير الله .

لما تلا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سورة الرحمة ، العامّة لجميع ما خلق الله ، دنيا وآخرة وعلوّا وسفلا ، على الجن ، فما قال في آية منها : « فبأيّ آلاء ربكما تكذبان؟ » إلّا قالت الجن : « ولا بشيء من آلائك ، ربّنا ، نكذب » . فمدحهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه بحسن الاستماع ، حين تلاها عليهم ولم يقولوا شيئاً من ذلك .

ولم يكن سكوتهم عن جهل بأن الآلاء من الله ، وان الجن أعرف منهم بنسبة الآلاء الي الله . ولكن الجن وفت بكمال المقام الظاهر ، حيث قالت : « ولا بشيء من آلائك ، ربّنا ، نكذب » . فان الموطن يقتضيه . ولم تقل ذلك الصحابة من الانس ، حين تلاها عليهم ، شغلًا منهم بتحصيل علم ما ليس عندهم ، مما يجيء به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم!

فشغلهم ذلك الحرص عن تعبير الزمان ، الذي يقولون فيه مـا قالت الجن ، ان يقول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما يقول من العلم فيستفيدون . فهم اشد حرصاً على اقتناء العلم من الجن . والجن أمكن في توفية الأدب ، بما يقتضيه هذا الموطن من الجواب ، من الانس .

فمدحهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بما فضلوا به على الانس . ومـا مدح الانس بما فضلوا به على الجن ، من الحرص على مزيد العلم بسكوتهم عند تلاوته . ولاسيما والحق يقول لهم : « واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » . والسورة واحدة في نفسها ، كالكلام غير التام . فهم ينصتون حتى يتمّها .

فجمع الصحابة ، من الإنس ، بين فضيلتين لم يذكرهما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

وذكر فضل الجن فيما نطقوا به . فان نطقهم تصريح بالعبودية بلسان الظاهر، وهم بلسان الباطن ايضًا عبيد . فجمعوا بين اللسانين بهذا النطق والجواب . ولم يفعل الانس، من الصحابة، ذلك عند التلاوة فنقصهم هذا اللسان .

فكان توبيخ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إيَّاهم تعليمًا بما تستحقه المواطن، اعني مواطن الالسنة الناطقة، لينتبِّهوا فلا يفوتهم ذلك من الخير العملي . فانهم كانوا في الخير العلمي في ذلك الوقت . وحكم العمل في موطنه لا يقاوم العلم ؛ فان الحكم للموطن . وحكم العلم في موطنه لا يقاومه العمل .

والجن غرباء في الظاهر . فهم يسارعون في الظهورية، ليعلموا أنهم قد حصل لهم فيه قدم لكونهم مستورين . فهم الى الباطن اقرب منهم الى الظاهر . والتلاوة كانت بلسان الظاهر . والانس في رتبة الظاهر ؛ فحجبهم عن الجواب، الذي أجابت به الجن، كونهم اصحاب موطن الظاهر . فذهلوا عن الجواب لقرينة حال موطنهم . ولو وقوا به لكان احسن في حقهم . فنبَّههم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على الأكمل في موطنه، وهو المعلم فنعم المؤدب !

فمن اراد تحقيق ملك الآلاء، فليتدبر سورة الرحمن من القرآن؛ وينظر الى تقديم الانس على الجن في آيتها وقوله تعالى: «خلق الانسان» ايضًا . فابتدأ به تقديرًا ورتبة نطقية، تحسّنًا به على الجن وان كان الجن موجودًا قبله . (وهذا) يؤذن بأنه وان تأخرت نشأته (: الانسان)، فهو المعتنى به في غيب ربه . لانه المقصود من العالم لما خصه به من كمال « الصورة » في خلقه « باليدين » « وعلم الأسماء » والافصاح عما علَّمه بقوله : « علَّمه البيان » .

وبعض اصحابنا يطلق ملك الآلاء على ما يحصل للعبد من مزيد الشكر على نعم الله . فذلك التقدر، لمن حصل له، يسمى ملك الآلاء : فهو ملك الشاكرين . فإن شكر نعم الله بلسان حق، وناب الحق مناب العبد من اسمه « الشكور »، وهو شكره لعباده على ما كان منهم من شكرهم على ما أنعم عليهم ليزيدوا في الاعمال في مقابلة شكره ؛ فيكون ما جازاهم به من ذلك على قدر علم الشاكر بالمشكور، والله هو الشاكر في هذا الحال، وهو انما بنفسه، فالجزاء الذي يليق بهذا الشاكر، لو جوزي، هو الذي يحصل لهؤلاء الشاكرين الذين لهم هذا الحال : فهذا الجزاء يسمى ملك الآلاء . وهو اعظم الملك .

وهو قوله تعالى: « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » = اي نعم ربها — جمع آلاء — والى ربها المضافة اليه هنا، الذي يستحقها لو قبل الجزاء الذي هذه صفته، فتكون تلك جزاء هؤلاء . وهذا من باب ما طلبه الله من عباده، فقال : اذكروني واعبدوني واطيعوني « واشكروا لي ولا تكفرون » . وهذا كل جزاء من العبد في مقابلة ما انعم الله عليه به من الوجود خاصة، فكيف اذا انضاف الى ذلك ما خلق من اجله من النعم المعنوية والحسية .

(السؤال الثاني عشر ومائة) : وما صفة ض[2] ملك الضياء.[152] ؟

قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون » . فعلّل . فيعبدونه (الاصل : فيعبدوه) لكونه انعم عليهم بالايجاد لكمال رتبة العلم والوجود ، من حيث من ذكر من الاجناس ، فاعلم ذلك – لا لكمال رتبة الوجود والمعرفة ، من غير هذا التقييد . فان ذلك يكفي فيه خلق محدث واحد ، وايجاد العلم المحدث فيه المتعلق بالله والكون . ولكن لما كانت الاجناس منحصرة عند الله وأوجدها كلّها ، وبقي هذان الجنسان ، أوقع الاخبار عنها بما ذكر . فرجحناه بما يعطيه الحال المقصودة فخالفوا ، تعالى ، بها » .

(فتوحات: ٣: ١٠٥–١٠٧)

١٥٢) « الجواب : الكشف . وملك النور : الطمس » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : قال تعالى في القرآن : انه « ضياء وذكرى للمتقين » . فكلما اضاء بالقرآن فهو ملك الضياء . وكذلك جعل « الشمس ضياء » . فكلما اضاء بالشمس في الدنيا ويوجد به عينه ، فهو من ملك الضياء . وكل نور أعطى ضياء فهو من ملك الضياء ، مما لا يقابله معطي الضياء بنفسه اي نوع كان من الانوار .

فضياؤه هو الضوء الذي لا يكون معه الحجاب مما يكشفه . والنور حجاب . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في حق الحق تعالى) : «حجابه النور» . وقال: « نور أنّى أراه » . والضياء ليس بحجاب . فالضياء اثر النور . وهو الظل . فان النور صيّره الحجاب ضياء . فهو بالنسبة الى الحجاب ظل ، والى النور ضياء . فله الكشف من كونه ضياء ، وله الراحة من كونه ظلّا .

فملك الضياء ملك الكشف . فهو ملك العلم وملك الراحة . فهو ملك الرحمة . فجمع الضياء بين الرحمة والعلم . قال تعالى ، في منته على عبده خضر: « آتيناه رحمة من عندنا » = وهو الظل ، « وعلمناه من لدنا علماً » = وهو الضياء ، اي الكشف الضيائي وهو اتم الكشوف .

وانما قلنا : النور حجاب ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « نور أنّى اراه » اي النور لا يتمكن ان تدركه الابصار ، لانها تضعف عنه . فهو حجاب على نفسه بنفسه . والضياء ليس كذلك . فالضياء روح النور ، والضياء للنور ذاتيّ . فملك الضياء ملك ذاتي ، وضوء الذات الاسماء الالهية . فملك الضياء ملك الاسماء .

والقرآن ضياء . فلكه ما أظهره القرآن . فعلم الخضر ، في زمان موسى ، عليه السلام ،

ض[2] صفات V F .

جزء من اجزاء ما يحويه صاحب القرآن المحمدي من العلوم . فبالقرآن يكشف جميع ما في الكتب المنزلة من العلوم ؛ وفيه ما ليس فيها . فمن أوتي القرآن فقد أوتي الضياء الكامل ، الذي يتضمن كل علم . قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » = وهو القرآن العزيز الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » . وبه صح لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، جوامع الكلم .

فعلوم الانبياء والملائكة وكل لسان علم ، فان القرآن يتضمنه ويوضحه لاهل القرآن بما هو ضياء . فهو نور من حيث ذاته لانه لا يدرك لعزته . وهو ضياء لما يدرك به ولما يدرك منه . فمن أعطي القرآن ، فقد اعطي العلم الكامل . فما ثَمَّ في الخلق أتمّ من المحمديين ، وهم « خير امة اخرجت للناس » .

ثم « جعل الشمس ضياء » لوجود روح الحياة في العالم كله . وبالحياة رحم العالم . فالحياة فلك « الرحمة التي وسعت كل شيء » . وكذلك نسبة الحياة الى الذات الالهية ، شرط في صحة كل نسبة نسبت الى الله : من علم وارادة وقدرة وكلام وسمع وبصر وادراك . فلو رفعت نسبة الحياة منه (الاصل: اليه) ، ارتفعت هذه النسبة كلها . فهي الرحمة الذاتية التي وسعت جميع الاسماء . فهو ضياء النور الذاتي وظل الحجاب النسبي . لانه لا يعقل الإله الا بهذه النسب ؛ وتعقل الذات نورًا ، لا من حيث هذه النسب .

فكونه إلاهًا حجاب على الذات . فكانت الالوهية عين الضياء : فهي عين الكشف . وكانت عين الظل النسبية : فكانت عين الرحمة . فجمعت الالوهية بين العلم والرحمة في حق الكون ، وهو المألوه ، وفي حق الاسماء الإلهية .

فما أعطاه هذا المقام الإلهي فهو ملك الضياء ؛ وهو ارفع من ملك السموات والأرض وما بينها « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » بل لا يؤمنون . — وقد نبهتك على ما فيه غنية وشفاء في ملك الضياء .

فالكل في ملك الضياء وليس عندهم خبر
والكل في عين الظلا ل وهو المسمى بالمقر
فالحمد لله الذي قد حزته بين البشر
في عصرنا هذا ، فهل في وقتنا من مدّكر ؟
يعرف ما قد قلته كما اتانا في « الزبر »
هذا هو العلم الذي يقضي على علم الخضر
هل كان الا « خرقه سفينة » « ذات دسر »
و « قتل نفس رحمة » لو انه يحيا كفر
وستره « كنز الذي « كان يتيما » يحتقر

(السؤال الثالث عشر ومائة) : وما صفة ط٣ ملك القدر (١٥٣) ؟

وعلمنا بالله لا يبين كون عن نظر
فاين ذا من ذاك يا اهل القلوب والبصر
هذا هو العلم الذي يقال: «سحر مستمر»
ودونه الشمس التي تكسف فيه والقمر
في «مقعد» من صدقه «عند مليك مقتدر»
متكئ «على سرر» وسط «جنان ونهر»
(فتوحات: ٢: ١٠٧-١٠٨)

١٥٣) «الجواب : سيّال» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥ ب).

«الجواب : قالت الملائكة «ونقدس لك» = تعني ذواتها ؛ اي من أجلك لنكون من اهل ملك القدس . فالمتطهرون من البشر ، من اهل الله ، من ملك القدس. واهل البيت من ملك القدس . والارواح العلا ، كلها من غير تخصيص ، من ملك القدس . فتختلف صفات ملك القدس ، باختلاف ما تقبله ذواتهم من التقديس . ولما نعت الله إسم «الملك» بالاسم «القدوس» – والمَلك بطلب المُلك–فيضاف المُلك الى القدس كما يضاف الى الآلاء وغيرها.

وذوات مُلك القدس على نوعين في التقديس . فمنهم ذوات مقدسة لذاتها . وهي كل ذات كونية لم تلتفت قط الى غير الاسم الإلهي ، الذي عنه تكونت . فلم يطرأ عليها حجاب يحجبها عن إلاهها ؛ فتتصف لذلك الحجاب بأنها غير مقدسة ؛ اي لا تضاف الى القدس، فتخرج عن ملك القدس . وهم «الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون» = اي يتنزهون ذواتهم عن التقديس العرضي بالشهود الدائم .

وهذا مقام ما ناله احد من البشر ، إلّا من استصحب حقيقتَهُ ، من حين خلقت (الاصل: خلقت) ، شهودُ الاسم الإلهي ، الذي عنه تكونت . وبقي عليها هذا الشهود ، حين اوجد الله لها مَركبها الطبيعي ، الذي هو الجسم . ثم استمر لها ذلك الى حين الانتقال الى البرزخ من غير موت معنوي ، وإن مات حساً . وهذا ، والله أعلم ، ناله محمد صلى الله عليه وسلم! فانه قال : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» . يريد ان العلم بنبوته حصل له ، «وآدم بين الماء والطين» . واستصحبه ذلك الى أن وجد جسمه في بلد لم يكن فيه موحّد لله . ولم يزل على توحيد الله ، لم يشرك كما أشرك اهله وقومه .

ثم انه لما استقامت آلاته الحسية وتمكّن من العمل بها ، بحسب ما وجدت له ، واستحكم بنيان قَصر عقله وخزانة فكره ، واعتدلت مظاهر قواه الباطنة – لم يصرفها إلّا في عبادة

ط٣ صفات V F .

خالقه . فكان يخلو بغار حراء لتحنّث فيه ، الى ان ارسله الله الى الناس كافة . فكان يذكر الله على كل احيانه ، كما ذكرت عنه عائشة ، ام المؤمنين رضي الله عنها ؛ وقد قال ، صلى الله عليه وسلم ، عن نفسه — وهو الصادق : « انه تنام عينه ولا ينام قلبه » . فأخبر عن قلبه انه لا ينام عند نوم عينه عن حسه . فكذلك موته : إنما مات حسًّا كما نام حسًّا . فان الله يقول له : « انك ميت » . وكما انه لم ينم قلبه ، لم يمت قلبه . فاستصحبته الحياة من حين خلقه الله . وحياته انما هي مشاهدة خالقه دائمًا لا تنقطع .

وقد اخبر ذو النون المصري ، حين سئل عن قوله تعالى في اخذ الميثاق — فقال : « كأنه الآن في أذني » ، يشير الى علمه بتلك الحال . فإن كان عن تذكر ، فلم يلحق بالملائكة في هذا المقام . وان لم يكن عن تذكر ، بل استصحاب حال من حين اشهد الى حين سئل ، فيكون ممن خصه الله بهذا المقام . فلا انفيه ولا اثبته . ومـا عندي خبر من جانب الحق تعالى في ذلك ، مروي ولا غير مروي ، انه ناله احد من البشر . وانما ذكرنا ذلك في حق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اعني انه ناله ، على طريق الاحتمال لا على القطع : فانه لا علم لي بذلك .

والظاهر انه تخلله ، في هذا المقام ، ما يتخلل البشر . فانه كثيرًا ما أوحى اليه في القرآن ان يقول : « قل : انما انا بشر مثلكم » . فاسترحنا من هذا ان حكمه حكم البشر ، إلَّا ما خصه الله به من التقريب الإلهي الذي ورد وثبت عندنا . وقد ثبت عنه انه قال : « انما انا بشر ، اغضب كما يغضب البشر وارضى كما يرضى البشر » . والرضى والغضب من صفات النفس الحيوانية في البشر ، لا من صفات النفس الناطقة . وان اتصفت النفوس الناطقة بالرضى والغضب ، فما هو على حد ما اراده بقوله : « أغضب كما يغضب البشر وارضى كما يرضى البشر » . — وانما قلنا بإضافة ذلك الى النفس الحيوانية ، لما نشاهده من الحيوانات من ذلك . وقد ثبت النهي عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « عن التحريش بين البهائم » . وجميع الحيوان كله من صفته المباشرة ، التي بحقيقتها سمي الانسان بشرًا .

وبهذا القدر تبيّن فضل المَلَك على الانسان في العبادة ، لكونه لا يفتر (عنها) . لان حقيقة نشأته تعطيه انه لا يفتر : فتقديسه ذاتي . لأن تسبيحه لا يكون الا عن حضور مع المسبح . وليس تسبيحه إلَّا لمن أوجده . فهو مقدس الذات عن الغفلات . فلم تشغله نشأته الطبيعية النورية عن تسبيح خالقه على الدوام ؛ مع كونهم ، من حيث نشأتهم ، يختصمون . كما ان البشر ، من حيث نشأته ، تنام عينه ولا ينام قلبه . ولم يعط البشر قوة الملك في ذلك ، لان الطبيعة تختلف مزاجها في الاشخاص . وهذا مشهود بالضرورة في عالم العناصر ، فكيف بمن هو في نسبته الى الطبيعة اقرب من نسبة العناصر اليها . وعلى قدر ما يكون بين الطبيعة المجردة وبين ما يتولد عنها من وسائط ، يكثف الحجاب ويترادف الظلم .

(السؤال الرابع عشر ومائة) : وما القدس[١٥٤] ؟

فأين نسبة آخر موجود من الاناسي من ربه، من حيث خلق جسد آدم بيديه، من نسبة آدم الى ربه من حيث خلقه بيديه ؟ فآدم يقول : خلقني ربي بيديه ؛ وابنه شيث يقول : بيني وبين يدي ربي ابي . وهكذا الموجودات الطبيعية مع الطبيعة : من ملك وفلك وعنصر وجماد ونبات وحيوان وانسان ومَلَك مخلوق من نَفَس انسان . وهذا المَلَك اخر موجود طبيعي، ولا يعرف ذلك من اصحابنا الا القليل ؛ فكيف من ليس من اهل الايمان والكشف ؟

واما النعم الذي تغذيه لا من ذاته ، فهي كل ذات يتخلل شهودَهـا خالقَها غفلاتٌ . فالأحيان التي تكون فيها حاضرة مع خالقها هي من ملك القدس . وسنبيّن مـا ذكرناه في سؤاله : ما القدس ؟ اذا اجبنا عنه بعد هذا ، ان شاء الله . — فمن صفات ملك القدس التباعد عن الطبيعة بالأصل والتباعد عن مشاهدة اثار الاسماء الإلهية ، بمشاهدة الأسماء الإلهية لا من كونها مؤثرة ، بل بما تستحقه الالوهية والذات .

فاذا كان القدس عين الملك ، واضيف إلى عينه لاختلاف اللفظ واختـلاف معنى الملك والقدس ، فانه يدل على المبالغة في الطهارة . والمبالغة في الطهر هي نسبة في الطهر ما هي عين الطهر ، لوجود الطهر بدونها (الاصل: دونها)؛ وما هي غير الطهر ، فان المبالغة ليست سوى استقصاء هذه الصفة . فيكون ملك القدس استقصاء ، وهو المبالغة فيه . فيكون سؤاله عن صفاته الذاتية . فان هذه المراتب نشآت في المعاني ، كالنشآت الطبيعية . وقد علمت ان النش الطبيعي، كما اخبر الله : « مُخَلَّقَة وغير مُخَلَّقَة » اي تامة الخلق وغير تامة الخلق . والغير التامة الخلق ، داخل في قوله : « أعطى كل شيء خلقه » . فأعطى النقص خلقه ان يكون نقصاً . فالزيادة على النقص ، الذي هو عينه ، لو كانت — لكانت نقصاً فيه . ولم يعط النقص خلقه : فتمام النقص ان يكون نقصاً ! »

(فتوحات : ٢ : ١٠٨ - ١٠٩)

١٥٤) « الجواب : حقيقة سارية سيالة ، لا يدرك لنورها لون خصوص . تسري في حقايق الكون ، ليس لعالم الارواح ، المنفصلين عن الظلمة ، عليها اثر : » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ ب).

« الجواب : الطهارة ، وهي ذاتية وعرضية . فالذاتيـة كتقديس الحضرة الإلهية ، التي أعطيها الاسم « القدوس » . فهي القدس عن ان تقبل التأثر فيها من ذاتها . فان قبول الأثر تغير في القابل . وان كان التغير عبارة عن زوال عين بعين ، امـا في محل او مكان ، فيوصف المحل او المكان بالتغير . ومعنى ذلك ، انه كان هذا المحل ، مثلاً ، اصفر فصار

أخضر ؛ او كان ساكناً فصار متحركاً . فتغيّر المحل ، اي قبل التغير . فالقدس والقدوس لا يقبل التغيير جملة واحدة .

واما القدس العرضي ، فيقبل التغير وهو النقيض . وما تفاوت الناس إلّا في القدس العرضي . فمن ذلك ، تقديس النفوس بالرياضيات وهي تهذيب الاخلاق . وتقديس المزاج بالمجاهدات . وتقديس العقول بالمكاشفات والمطالعات . وتقديس الجوارح بالوقوف عند الأوامر والنواهي المشروعات . ونقيض هذا القدس ما يضاده مما لا يجتمع معه في محل واحد في زمان واحد . فهذا هو القدس ، الذي ذكرنا ملكه . — فالقدس العارض لا يكون إلّا في المركبات . فاذا اتصف المركب بالقدس ، فذلك المسمّى حظيرة القدس : اي المانعة قبول ما يناقض كونها قدساً . ومما تمنع ، فلا تكون حظيرة قدس : فان الحظر المنع «وما كان عطاء ربك محظوراً» اي ممنوعاً .

فالقدس حقيقة إلاهية سيَّالة سارية في المقدسين . لا يدرك لنورها لون مخصوص معيّن ، ولا عين . تسري في حقائق الكون . ليس لعالم الأرواح ، المنفصلين عن الظلمة ، عليها اثر . وذلك ان الارواح المدبّرة للاجسام العنصرية لا يمكن ان تدخل ابداً حظيرة القدس . ولكن العارف الكامل يشهدها حظيرة القدس فيقول العارف ، عند ذلك : إن هذه الارواح لا تدخل حظيرة القدس أبدًا . لأن الشيء يستحيل أن يدخل في نفسه . فهي عنده ، حظيرة قدس . وغير العارف يشارك العارف في هذا الاطلاق ، فيقول : انها لا تدخل حظيرة القدس . اي لا تتصف بالقدس ابدًا . فان ظلمة الطبع لا تزال تصحب الارواح المدبّرة في الدنيا والبرزخ والآخرة . فاختلفا في المشهد . وكلٌّ قال حقاً ، وأشار الى معنى . وما توارد على معنى واحد . ولهذا لا يتصور الخلاف الحقيقي ، في هذا الطريق .

فاذا كان ملك القدس كل من اتصف بالطهارة الذاتية والعرضية ، والقدوس اسم الاهي منه سرت الطهارة في الطاهرات كلها — فمن نظر الاشياء كلها بعين ارتباطها بالحقائق الإلهية ، كان ملك القدس جميع ما سوى الله من هذه الحيثية . ومن نظر الأشياء من حيث أعيانها ، فليس ملك القدس منها إلا من كان طهوره عرضياً . واما الطهور الذاتي فلا ينبغي ان يكون ملك القدس . إلا ان يكون ملك القدس عين القدس ، فحينئذ يصح ان يقال فيه : ملك القدس .

وطهور كل مطهر بحسب ما تقتضيه ذاته من الطهارة . فطهارة حسية وطهارة معنوية . فملك القدس منه ما هو من عالم المعاني ، ومنه ما هو من عالم الحس . وقد تورث الاسباب الحسية طهارة معنوية . وقد تورث الاسباب المعنوية طهارة حسية . فأما الأول ، فقوله تعالى : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام » . وسبب هذه الطهارة المعنوية كلها انما هو نزول هذا الماء

(السؤال الخامس عشر ومائة) : وما سبحات الوجه[١٥٥] ؟

من الأسماء . وأما الثاني ، فقول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لأبي هريرة ، حين كان جنبا فانتزع أبو هريرة يده من يد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تعظيماً له لكونه غير طاهر لجنابة أصابته — فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ان المؤمن لا ينجس » . فمرق المؤمن وجزءه طاهر . — فهذه طهارة حسية عن طهر معنوي .

وكذلك المقدس طهارته الحسية عن طهر معنوي ، فإن له التواضع وهو مسيل الحياة والعلم . والحياة مطهرة ، والعلم كذلك . فبالمجموع نال الطهارة . — فإن الأودية كلها طاهرة ، وانما تنجس بالعرض . وكل وادٍ به شيطان ، فهو نجس . فما يجد المؤمن فيه خيراً لأجل ذلك الشيطان . كما ثبت عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن هذا وادٍ به شيطان فارتفع عنه وصلي في موضع آخر » . ووادي عرنة ، بعرفة ، موقف ابليس . وكذلك بطن محسر . فلهذا أمرنا بالارتفاع يوم عرفة عن بطن عرنة . وأمرنا بالاسراع في بطن محسر .

ولهذا يعتبر الاولياء ، أهل الكشف ألفاظ الذكر . كان شيخنا يقول : الله ! الله ! فقلت له : لم لا تقول : لا اله إلا الله ؟ فقال : اخاف أن أموت في وحشة النفي . اذ كان كل حرف نفساً (الاصل : نفس) . فهذا مثل الاسراع في بطن محسر ، لئلا يدركه الموت في مكان غير طاهر . ولأولياء الله ، في هذا الكشف التام ، نظر دقيق . جعلنا الله من أهله ! » (فتوحات ٢ : ١٠٩-١١٠)

١٥٥) « الجواب : انوار التنزيه خاصةً ؛ واهلاكها مع المقابلة : كالظل مع الانسان . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥ ب) .

« الجواب : وجه الشيء ذاته وحقيقته . فهي انوار ذاتية بيننا وبينها حجب الاسماء الإلهية . ولهذا قال : « كل شيء هالك إلا وجهه » ، في احد تأويلات هذا الوجه . — وهذه السبحات في العموم ، باللسان الشامل ، انوار التنزيه ؛ وهو سلب ما لا يليق به عنه . وهي احكام عدمية . فإن العدم ، على الحقيقة ، هو الذي لا يليق بالذات . وهنا الحيرة ! فانه عين الوجوه ، فإذن لا يتنزه عن أمر وجودي . ولهذا كانت الاسماء الإلهية نسباً ، إن نظنت ، احدثت هذه النسب اعيان الممكنات ، لما اكتسبت من الحالات من هذه الذات .

فكل حال تلفظ باسم يدل عليه ، من حيث نفسه ، إما بسلب او إثبات او بهما . وهي — هذه الاسماء — على قسمين . قسم كله انوار وهي الاسماء التي تدل على امور وجودية . وقسم كله ظلم وهي الاسماء التي تدل على التنزيه . — فقال : « ان لله سبعين حجاباً » او « سبعين الف حجاب من نور وظلمة ؛ لو كشفها لاحرقت سبحات ما ادركه بصره من خلقه » .

فانه لو رفع الاسماء الالهية ، ارتفعت هذه الحجب . ولو ارتفعت الحجب ، التي هي هذه

(السؤال السادس عشر ومائة) : وما شراب الحب[١٥٦] ؟

الاسماء ، ظهرت احدية الذات . ولا يقف لأحديتها عين تتصف بالوجود . فكانت تذهب وجود اعيان الممكنات ، فلا توصف بالوجود . لانها لا تقبل الاتصاف بالوجود إلا بهذه الاسماء ؛ ولا تقبل الاتصاف بهذه الاحكام كلها ، عقلاً وشرعاً ، إلا بهذه الاسماء .

فالممكنات من خلف هذه الحجب مما يلي حضرة الامكان . فهو تجل ذاتي ، اورثها الاتصاف بالوجود من خلف حجاب الاسماء الالهية . فلم يتعلق لاعيان الممكنات علم بالله ، إلا من حيث الاسماء ، عقلاً وكشفاً » .

(فتوحات : ٢ : ١١٠-١١١)

١٥٦) « الجواب : ما يحصل عن رؤية او سماع » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : تجلٍّ متوسط بين تجليين . وهو التجلي الدائم الذي لا ينقطع . وهو اعلى مقام يتجلى الحق فيه لعباده العارفين . وأوّله تجلّي الذوق . واما التجلّي الذي يقع به الريّ ، فهو لاصحاب الضيق . فغاية شربهم ريّ . واما اهل السعة ، فلا ريّ لشربهم : كأبي يزيد وامثاله . — فأول ما أقدم في هذا السؤال ، معرفة الحب وحينئذ يعرف شرابه الذي اضيف اليه وكأسه .

فاعلم ان الحب على ثلاث مراتب . حب طبيعي ، وهو حب العوام . وغاية الاتحاد في الروح الحيواني . فتكون روح كل واحد منها روحاً لصاحبه بطريق الالتذاذ وإثارة الشهوة . ونهايته من الفعل النكاح . فان شهوة الحب تسري في جميع المزاج ، سريان الماء في الصوفة ، بل سريان اللون في المتلون . وحب روحاني نفسي . وغايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره . وحب الاهي . وهو حب الله للعبد وحب العبد ربه ، كما قال : « يحبهم ويحبونه » . ونهايته من الطرفين ، ان يشاهد العبد كونه مظهراً للحق ، وهو لذلك الحق كالروح للجسم ، باطنه غيب فيه لا يدرك ابداً ولا يشهده إلا محب . وان يكون الحق مظهراً للعبد ، فيتصف بما يتصف به العبد من الحدود والمقادير والاعراض ويشاهد هذا العبد ، وحينئذ يكون محبوباً للحق .

واذا كان الأمر كما قلناه ، فلا حد للحب ، يعرف بـه ، ذاتي . ولكن يحد بالحدود الرسمية واللفظية لا غير . فمن حدّ الحب ما عرفه . ومن لم يذقه شرباً مـا عرفه . ومن قال : رويت منه مـا عرفه . فالحب شرب بلا ريّ ! — قال بعض المحجوبين : «شربت شربة فلم اظمأ بعدها ابداً » . فقال ابو يزيد : « الرجل من يحسي البحار ولسانه خارج على صدره من العطش » . وهذا هو الذي اشرنا اليه .

واعلم انه قد يكون الحب طبيعياً والمحبوب ليس من عالم الطبيعة . ولا يكون الحب

طبيعياً إلا اذا كان المحب من عالم الطبيعة ؛ لا بد من ذلك . وذلك ان الحب الطبيعي سببه نظرة أو سماع . فيحدث في خيال الناظر ما رآه ؛ ان كان المحبوب ممن يدرك بالبصر ، وفي خيال السامع ما سمع . فجعله في نشأته فصوره في خياله بالقوة المصورة . – وقد يكون المحبوب ذا صورة طبيعية مطابقة لما تصور في الخيال او دون ذلك او فوق ذلك . وقد لا يكون للمحبوب صورة ؛ ولا يجوز ان يقبل الصور . فصور هذا المحب من السماع ما لا يمكن ان يتصور . ولم يكن مقصود الطبيعة في تصوير ما لا يقبل الصورة إلا اجتماعها على امر محصور ينضبط لها ؛ مخافة التبديد والتعلق بما ليس في اليد منه شيء .

فهذا هو الداعي لما ذكرناه ، من تصوير من ليس بصورة ؛ او من تصوير من لم يشهد له صورة وان كان ذا صورة . وفعل الحب في هذه الصورة ان يعظم شخصها حتى يضيق محل الخيال عنها فيما يخيل اليه . فتنتشر تلك العظمة والكبر التي في تلك الصورة نحولاً في بدن المحب . فلهذا تنحل اجساد المحبين ؛ فان مواد الغذاء تنصرف اليها فتعظم وتقل عن البدن فينحل ؛ فان حرقة الشوق تحرقه فلا يبقى للبدن ما يتغذى به . وفي ذلك الاحتراق غذاء صورة المحبوب في الخيال : فإن ذلك أكلها .

ثم ان القوة المصورة تكسو تلك الصورة في الخيال حسناً فائقاً وجمالاً رائقاً يتغير لذلك الحسن صورة المحب الظاهرة . فيصفرّ لونه وتذبل شفته وتغور عينه . ثم ان تلك القوة تكسو تلك الصورة قوة عظيمة تأخذها من قوة بدن المحب فيصبح المحب ضعيف القوى ؛ ترعد فرائصه .

ثم ان قوة الحب في المحب تجعله يحب لقاء محبوبه ويجبن عند لقائه . لانه لا يرى في نفسه قوة للقائه . ولهذا يغشى على المحب ؛ اذا لقي المحبوب ويصعق . ومن فيه فضلة وحبه ناقص ؛ يعتريه عند لقاء محبوبه ارتعاد وخبلان ؛ كما قال بعضهم :

أفكر ما اقول اذا افترقنا واحكم دائباً حجج المقال
فانساها اذا نحن التقينا وانطق حين انطق بالمحال

ثم ان قوة الحب الطبيعي تشجع المحب بين يدي محبوبه ؛ له لا عليه . فالمحب جبان شجاع مقدام . فلا يزال هذا حاله ؛ ما دامت تلك الصورة موجودة في خياله الى ان يموت وينحل نظامه ؛ او تزول عن خياله فيسلو .

ومن الحب الطبيعي ان تلتبس تلك الصورة في خياله ؛ فتلتصق بصورة نفسه المتخيلة له . واذا تقاربت الصورتان في خياله تقارباً مفرطاً والتصقتا (الاصل : وتلتصق) به التصاق (الاصل: لصوق) الهواء بالناظر ؛ يطلبه المحب في خياله فلا يتصوره ويضيع ولا ينضبط له للقرب المفرط – فيأخذه لذلك خبال وحيرة ؛ مثل ما يأخذ من فقد محبوبه . وهذا هو الاشتياق . – والشوق من البعد ؛ والاشتياق من القرب المفرط .

كان قيس ليلى في هذا المقام ، حيث كان يصيح : ليلى ! ليلى ! في كل ما يكلم به . فانه كان يتخيل انه فقيد لها ، ولم يكن . وانما قرب الصورة المتخيلة افرطت في القرب فلم يشاهدها ؛ فكان يطلبها طلب الفاقد . ألا تراه حين جاءته من خارج ، فلم تطابق صورتها الظاهرة الصورة الباطنة المتخيلة ، التي مسكها في خياله منها ؛ فرآها كأنها مزاحمة لتلك الصورة فخاف فقدها — فقال لها : إليك عني ! فان حبك شغلني عنك ! يريد ان تلك الصورة هي عين الحب ، فبقي يطلبها : ليلى ! ليلى ! . . .

فاذا تقوّت تلك الصورة في خيال المحب ، أثرت في المحبوب تأثير الخيال في الحس . مثل الذي يتوهم السقوط فيسقط ، او يتوهم أمرًا ما مفزعًا فيتغير له المزاج فتتغير صورة حسه . كذلك هذه الصورة ، اذا تقوّت أثرت في المحبوب : فقيّدته وصيّرته اشد طلبًا لها منها له . فان النفوس قد جبلت على حب الرياسة . والمحب عبد مملوك بحبه لهذا المحبوب . فالمحبوب لا يكون له رياسة إلا بوجود هذا المحب . فيعشقه على قدر عشقه رياسته . وانما يتيه عليه للطمأنينة الحاصلة في نفس المحبوب ، بان المحب لا يصبر عنه ، وهو طالب إياه . فتأخذه العزة ظاهرًا ، وهو الطالب له باطنًا . ولا يرى في الوجود احدًا مثله ، لكونه ملكه . فالمحب لا يعلل فعل المحبوب ، لان التعليل من صفات العقل ولا عقل للمحب . يقول بعضهم :

ولا خير في حب يدبر بالعقل

وانشدني ابو العباس المَقَّرَاني ، وكان من المحبين ، لنفسه :

الحب املك للنفوس من العقل

والمحبوب يعلل افعال المحب بأحسن التعليل ، لانه ملكه . فيريد ان يظهر شرفه وعلوه حتى يعلو المحبوب ، اذ هو المالك : وهو يحب الثناء على نفسه . وهذا كله فعل الحب ، فعَل في المحبوب ما ذكرناه وفعَل في المحب ما ذكرناه . وهذا من اعجب الاشياء : ان المنى اوجب حكمه لمن لم يقم به وهو المحبوب . فانه أثر فيه حبُّ المحب ، كما أثّر في المحب ! كمسألة المعتزلي : ان الله مريد بارادة لم تقم بمحل ؛ بل خلقها إما في محل او بلا محل ، واراد بها ! وهذا خلاف المعقول : ايجاب المعاني احكامها لمن لم تقم به . وكذلك الحب لا يجتمع مع العقل في محل واحد . فلا بد ان يكون حكم الحب يناقض حكم العقل :

فالعقل للنطق والتيام للخرس !

ثم انه من شأن الحب الطبيعي ان تكون الصورة ، التي حصلت في خيال المحب ، على مقدار المحل الحاصلة فيه ، بحيث لا يفضل عنها منه ما يقبل به شيئًا اصلا . وان لم يكن كذلك ، فما هي صورة الحب . وبهذا تخالف صورة الحب سائر الصور . كما كانت صورة العالم على قدر الحضرة الالهية الاسمائية : فما في الحضرة الالهية اسم الاهي ، إلا وهو على قدر أثره في نشأ العالم من غير زيادة ولا نقصان . ولهذا كان ايجاد العالم عن حب . وقد ورد ما

يؤيد هذا في السنة ، وهو قوله : « كنت كنزاً لم أعرف فاحببت أن اعرف ، فخلقت الخلق وتعرفت اليهم فعرفوني ». فأخبر ان الحب كان سبب ايجاد العالم . فطابق الاسماء الالهية.

ولولا تعشق النفس بالجسم ، ما تألم عند مفارقته مع كونه ضداً له . فجمع بين المقادير والأحوال لوجود النسب والاشكال . فالنسب اصل في وجود الانساب . وان كانت الارواح تخالف الاشباح ، والمعاني تخالف الكلمات والحروف . ولكن تدل الكلمة على المعنى بحكم المطابقة ، بحيث لو تجسد المعنى لما زاد على كمية الكلمة . — ومثل هذا النوع يسمى حباً .

واما الحب الروحاني ، فخارج عن هذا الحد ، وبعيد عن المقدار والشكل . وذلك ان القوى الروحانية لها التفات نسبي . فمتى عمت النسب في الالتفاتات ، بين المحب والمحبوب ، عن نظر او سماع او علم — كان ذلك الحب . فان نقص ولم تستوف النسب لم يكن حباً . — ومعنى النسب ، ان الأرواح ، التي من شأنها ان تهب ونعطى ، متوجهة على الارواح التي من شأنها ان تأخذ وتمسك . وتلك تتألم بعدم القبول . وهذه تتألم بعدم الفيض ، وان كان لا ينعدم ؛ إلا ان كونه لم تكمل شروط الاستعداد والزمان ، سمى ذلك الروح القابل عدم فيض ؛ وليس بصحيح . فكل واحد من الروحين مستفرغ الطاقة في حب الآخر . فمثل هذا الحب اذا تمكن من الحبيبين ، لم يشك المحب فرقة محبوبه لانه ليس من عالم الاجسام ولا الاجساد ، فتقع المفارقة بين الشخصين ؛ او يؤثر فيه الغرب المفرط ، كما فعل في الحب الطبيعي .

فالمعاني لا تتقيد ولا تتحيز ؛ ولا يتخيلها الا ناقص الفطرة فانه يصور ما ليس بصورة . وهذا هو حب العارفين ، الذين يتنازون به عن الدوام اصحاب الاتحاد . فهذا يحب اشبه محبوبه في الافتنار ، لا في الحال والمقدار . ولهذا يعرف المحب قدر المحبوب من حيث ما هو محبوب .

واما الحب الالهي ، فمن اسمه « الجميل » و « والنور » . فيتقدم النور الى اعيان الممكنات فينفر عنها ظلمة نظرها الى نفسها وامكانها ، فيحدث لها بصراً هو بصره ، اذ لا يرى الا به . فيتجلى لتلك العين بالاسم « الجميل » . فتعشق به . فيصير عين ذلك الممكن مظهراً له . فيبطن العين من الممكن فيه ، وتفني عن نفسها فلا نعرف انها محبة له ، سبحانه ! او تفني عنه بنفسها ، مع كونها على هذه الحالة ، فلا نعرف انها مظهر له ، سبحانه ؛ وتجد من نفسها انها تحب نفسها . — فان كل شيء مجبول على حب نفسه . وما ثم ظاهر إلا هو في عين الممكن . فما أحب الله إلّا الله ! والعبد لا يتصف بالحب ، اذ لا حكم له فيه ، فانه ما احبه منه سواه ، الظاهر فيه . وهو الظاهر . فلا نعرف ايضاً انها محبة له . فتطلبه وتحب ان تحبه ، من حيث إنها ناظرة الى نفسها بعينه . فنفس حبها ان تحبه هو بعينه حبها له .

ولهذا يوصف هذا النور بان له اشعة اي انه شعشماني ، لاستداده من الحق الى عين الممكن ليكون "مظهرًا له – بنصب الهاء ؛ لا اسم فاعل – فاذا جمع من هذه صفته بين المتضادات في وصفه ، فذلك هو صاحب الحب الالهي . فانه يؤدّي الى الحاقه بالعدم عند نفسه ، كما هو في نفس الأمر .

فعلامة الحب الإلهي ، حب جميع الكائنات في كل حضرة معنوية أو حسية او خيالية او متخيلة . ولكل حضرة عين من اسمه « النور » تنظر بها الى اسمه الجميل . فيكسوها ذلك النور حلّة وجود .– فكل محب ما احب سوى نفسه . ولهذا وصف الحق نفسه بانه يحب المظاهر . والمظاهر عدم في عين . وتعلق المحبة بما ظهر ؛ وهو الظّاهر فيها . فتلك النسبة بين الظاهر والمظاهر هي الحب . ومتعلق الحب انما هو العدم . فتعلقها هنا الدوام . والدوام ما وقع ، فانه لا غاية له : وما لا غاية له لا يتصف بالوقوع .

ولما كان الحب من صفات الحق ، حيث قال : «يحبهم » ومن صفات الخلق ، حيث قال : « ويحبونه » – اتصف الحب بالعزة لنسبته الى الحق ، وصف الحق به . وسرى في الخلق بتلك النسبة العزّية . فأورثت في المحل ذلة من الطرفين . فلهذا ترى المحب يذل تحت عز الحب لا عز المحبوب . فان المحبوب قد يكون مملوكًا للمحب مقهورًا تحت سلطانه ، ومع هذا تجده يذل له المحب . فعلمنا ان تلك عزة الحب لا عزة المحبوب . قال امير المؤمنين . هرون الرشيد ، في محبوباته :

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهنّ في عصياني ؟
ما ذاك إلا ان سلطان الهوى وبه قوين اعز من سلطاني !

= فأضاف القوة الى الهوى ، بقوله : « سلطان الهوى » .

يقول الله في غير ما موضع من كتابه ، متلطّفًا بعباده : « يا عبادي ! اشتقت اليكم وانا اليكم اشد شوقًا » . ويخاطبهم بترول من لطف خفي . وهذا الخطاب كله لا يتمكن ان يكون منه إلا من كونه محبًا . ومثل ذلك يصدر من المحبين له ، تعالى !

فالمحب في حكم الحب ، لا في حكم المحبوب . ومن هي صفته عينه فعينه تحكم عليه ، لا أمر زائد . فلا نقص . غير ان أثره في المخلوقين التلاشي عند استحكامه ، لانه يقبل التلاشي . فلهذا يتنوع العالم في الصور . فيكون في صورة ، فاذا افرط فيها الحب ، من حيث لا يعلم ، وحصل التجلي ، من حيث لا يظهر – تلاشت الصورة وظهرت في العين صورة اخرى . وهي ايضًا مثل الأولى في الحكم ، راجعة اليه ، ولا يزال الامر كذلك ، دائمًا لا ينقطع . –ومن هنا غلط من يقول : ان العالم لا بد له من التلاشي ، ومن نهاية علم الله في العالم ، حيث وصف نفسه بالاحاطة في علمه بهم .

(السؤال السابع عشر ومائة) : وما كأس[ظ٣] الحب[١٥٧] ؟

ثم انه، من كرمه سبحانه، ان جعل هذه الحقيقة سارية في كل عين ممكن متصف بالوجود. وقرن معها اللذة التي لا لذة فوقها. فأحب العالم بعضه بعضاً، حب تقييد من حقيقة حب مطلق. فقيل: فلان أحب فلاناً. وفلان احب امرًا ما. وليس إلا ظهور حق في عينٍ ما، أحب ظهور حق في عين أخرى، كان ما كان.

فمحب الله لا ينكر على محب حب من احب. فأنه لا يرى محبًا الا الله في مَظهرٍ ما. ومن ليس له هذا الحب الالهي، فهو ينكر على من يحب.

ثم إنه ثَمَّ دقيقة، من كون من قال: إنه يستحيل ان يحب احدٌ الله تعالى، فان الحق لا يمكن ان يضاف اليه، ولا الى ما يكون منه، نسبة عدمٍ أصلًا. والحب متعلقه العدم. فلا حب يتعلق بالله من مخلوق. لكن حب الله يتعلق بالمخلوق، لان المخلوق معدوم. فالمخلوق محبوب لله ابدًا، دائمًا. وما دام الحب لا يتصور معه وجود المخلوق، فالمخلوق لا يوجد ابدًا. فاعطت هذه الحقيقة ان يكون المخلوق مظهراً للحق لا ظاهرا - فمن احب شخصاً بالحب الالهي، فعلى هذا الحدّ يكون حبه اياه. فلا يتقيد بالخيال ولا بخيالٍ ما، فإنها كلها موجودة له فلا يتعلق الحب بها. - فقد بان الفرقان بين المراتب الثلاثة في الحب.

واعلم ان الخيال حق كله، والتخيل منه حق ومنه باطل».

(فتوحات : ٢ : ١١١-١١٢)

١٥٧) «الجواب: مركّ!» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥ ب)

«الجواب: القلب من المحب لا عقله ولا حسه. فان القلب يتقلّب من حال الى حال. كما ان الله، الذي هو المحبوب: «كل يوم هو في شان». فيتنوّع المحب في تعلق حبه بتنوّع المحبوب في افعاله. كالكأس الزجاجي الأبيض الصافي يتنوّع بحسب تنوّع المائع الحالّ فيه: فلون المحب لون محبوبه! وليس هذا الا للقلب. فان العقل من عالم التقييد، ولهذا سمي عقلًا، من العقال. و(أمّا) الحس فمعلوم بالضرورة انه من عالم التقييد.

بخلاف القلب؛ وذلك ان الحب له احكام كثيرة، مختلفة، متضادة. فلا يقبلها إلا من في قوته الانقلاب معه فيها. وذلك لا يكون إلا للقلب. - وإذا اضفت مثل هذا الى الحق، فهو قوله: «اجيب دعوة الداعي اذا دعاني»، «وان الله لا يملّ حتى تملّوا»، «ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي». والشرع كله أو اكثره في هذا الباب.

ظ٣ وكاس ٧ .

(السؤال الثامن عشر ومائة) : ومن أين (١٥٨) ؟

وشرابه عين الحاصل في الكأس . وقد بيّنا ان الكأس هو عين المظهر ، والشراب (هو) عين الظاهر فيه . والشرب ما يحصل من المتجلي للمتجلي له . فاعلم ذلك على الاختصار ! » (فتوحات : ٣ : ١١٣-١١٤)

١٥٨) « الجواب : من حضرة الانس وجلال الجمال وحضرة الهيبة والجمال . فاذا ظهر جلال الجمال ، والجمال منه والانس والهيبة منك ، حصل المنى المقصود .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : من تجليه في اسمه « الجميل » . قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله جميل يحب الجمال » . وهو حديث ثابت . فوصف نفسه بأنه يحب الجمال ؛ وهو يحب العالم ؛ فلا شيء اجمل من العالم . وهو جميل ؛ والجمال محبوب لذاته ؛ فالعالم كله محب لله . وجمال صنعه سار في خلقه ؛ والعالم مظاهره ؛ فحب العالم بعضه بعضاً هو (الاصل : هب) من حب الله نفسه .
فان الحب صفة الموجود ؛ وما في الوجود إلا الله . والجلال والجمال لله ، وصف ذاته في نفسه وفي صنعه . والهيبة التي هي من اثر الجلال (الاصل : الجمال) ، والانس الذي هو من اثر الجمال (الاصل : الجلال) نعتان للمخلوق لا للخالق ، ولا لما يوصف به . ولا يهاب ولا يؤنس الا موجود . ولا موجود إلا الله . فالأثر عين الصفة . والصفة ليست مغايرة للموصوف في حال اتصافه بها ، بل هي عين الموصوف .
وان عقلت ثانيا ، فلا محب ولا محبوب إلا الله ، عز وجل ! فما في الوجود إلا الحضرة الالهية : وهي ذاته وصفاته وافعاله . كما نقول : كلام الله علمه ، وعلمه ذاته . فانه يستحيل عليه ان يقوم بذاته امر زائد ، او عين زائدة ما هي ذاته ، تعطيها حكماً لا يصح لها ذلك الحكم دونها مما يكون كمالها في الوهيتها . بل لا تصح الالوهية إلا بها : وهو كونه عالماً بكل شيء . ذكر ذلك عن نفسه بطريق المدحة لذاته ؛ ودل عليه الدليل العقلي . ومن المحال ان تكمل ذاته بغير ما هي ذاته . فتكون مكتسبة الشرف بغيرها . ومن علم بذاته ، علم العلماء بالله ما لا تعلمه العقول ، من حيث افكارها الصحيحة الدلالة . وهذا العلم ما تقول فيه الطبيعة (الاصل : الطبعة) انه وراء طور العقل . قال تعالى في عبده خضر : « وعلمناه من لدنا علماً » . وقال تعالى : « علّمه البيان » فأضاف التعليم اليه لا الى الفكر . فعلمنا ان ثم مقاماً آخر ، فوق الفكر يعطي العبد العلم بأمور شتى :
منها ما يمكن ان يدركها من حيث الفكر ، ومنها ما يجوّزها الفكر وان لم يحصل لذلك العقل من الفكر ؛ ومنها ما يجوّزها الفكر وان كان يستحيل ان يبينها الفكر ؛ ومنها ما يستحيل عند الفكر ويقبلها العقل من الفكر مستحيلة ولا يزول عنها اسم الاستحالة ولا

(السؤال التاسع عشر ومائة) : وما شراب حبه لك[٣] حتى يسكرك[٤] عن حبك له [٥] ؟

حكم الاستحالة عقلاً . — قال صلى الله عليه وسلم : « ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره إلا اهل الغرة بالله » . هذا ، وهو العلم الذي يكون تحت النطق . فما ظنك بما عندهم من العلم ، مما هو خارج عن الدخول تحت حكم النطق ؟ فما كل علم يدخل تحت العبارات ! وهي علوم الاذواق كلها . — فلا أعلم من العقل ، ولا اجهل من العقل ! فالعقل مستفيد أبدًا . فهو العالم الذي لا يعلم علمه وهو الجاهل الذي لا ينتهي جهله ! »

(فتوحات : ٢ : ١١٤)

١٥٩) « الجواب : تجليه من مقام المعرفة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٥ ب) .

« الجواب : إن اراد باللام الذي في «لك» و « له » الأجلية فجوابه مغاير لجوابه اذا كانت لا للأجلية . اذ يكون المعنى : ما شراب حبه إياك حتى يسكرك عن حبك اياه ؟ فجواب الوجه الأول والثاني متغاير .

تقول : تغاير التجليات إنما كان من حيث ظهوره فيك . فوصف نفسه بالحب من أجلك ، فأسكرك هذا العلم الحاصل من هذا التجلي ، عن ان تكون انت المحب له ، اي المحب من أجله . فلم تحب احدًا من أجله ، وهو احب من أجلك . فلو زلت انت لم يتصف هو بالمحبة . وانت لا تزول ، فوصفه بالحب لا يزول . فهذا جواب يعم الأول والثاني ، لفرقان بين ما يستحقه الأول منه ؛ والثاني دقيق غامض .

واما الجواب عن الثاني : ان شراب حبه إياك ، وهو حبه إياك ، ان تحبه . فاذا احببته ، علمت ، حين شربت شراب حبه اياك ، ان حبك اياه عين حبه اياك . واسكرك عن حبك اياه مع احساسك بانك تحبه ، فلم تفرق ! وهو تجلي المعرفة . فالمحب لا يكون عارفًا ابدًا . والعارف لا يكون محبًا ابدًا . فمن هنا يتميز المحب من العارف ، والمعرفة من المحبة .

فحبه لك سكر عن حبك له . وهو شراب الخمر ، الذي لو شربه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة الإسراء — لغوت عامة الأمة . وحبك له لا يسكرك عن حبه لك ، وهو شراب اللبن ، الذي شربه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاسراء ، فاصاب الله به الفطرة ، التي فطر الله الخلق عليها . فاهتدت امته في ذوقها وشربها . وهو الحفظ الالهي والعصمة . وعلمت ما لها وما له في حال صحو وسكر .

ع[٣] — ٧ . غ[٤] اسكرك ٧ .

(السؤال العشرون ومائة) : وما القبضة (١٦٠) ؟

قراب حبه لك هو العلم بأن حبك اياه من حبه إياك ، فنبئك عن حبك إياه : فانت محب لا محب : « وما رميت ، اذ رميت ، ولكن الله رمى ! » — « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا » = مثل هذا البلاء في فنون المقامات يظهر فيه كما ظهر في حق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في رميه التراب في وجوه الاعداء . فاثبت انه رمى ونفى انه رمى . فعبّر عنه الترمذي بالسكر ، اذ كان السكران هو الذي لا يعقل .

فان الترمذي كان مذهبه ، في السكر ، مذهب ابي حنيفة . وكان حنفي المذهب في الاصل ، قبل ان يعرف الشرع من الشارع . وهو الصحيح في حدّ السكر . ولكن من شيء يتقدم هذا السكران ، قبل سكره من شربه ، طرب وابتهاج . وهو الذي اتخذه غير ابي حنيفة في حد السكر . وهو ليس بصحيح . فكل سكر بهذه المثابة ، فهو الذي يترتب عليه الحكم المشروع . فان سكر من شيء لا يتقدم سكره طرب ، لم يترتب عليه حكم الشرع لا بحدّ ولا بحكم .» (فتوحات : ٢ : ١١٤—١١٥)

١٦٠) « الجواب : حصر عالم الأجسام في وقت مخصوص للمخاض . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : قال الله تعالى : « والأرض جميعاً قبضته » . والارواح تابعة للاجسام ، ليست الاجسام تابعة للأرواح . فإذا قبض على الاجسام ، فقد قبض على الأرواح فإنها هياكلها . فأخبر (تعالى) ان الكل في قبضته . وكل جسم ارض لروحه . وما ثَمّ إلا جسم وروح . غير ان الاجسام على قسمين : عنصرية ونورية ، وهي ايضاً طبيعية . فربط الله وجود الارواح بوجود الاجسام وبقاء الاجسام ببقاء الارواح . وقبض عليها ، ليستخرج ما فيها ليعود بذلك عليها . فانه منها بدأها ، ومنها يخرج ما فيها : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » — « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » — « ألم نخلقكم من ماء مهين » — « . . . وهي دخان فسوّاهن سبع سماوات » = فهي من العناصر ، فهي أجسام عنصريات وان كانت فوق الاركان بالمكان ، فالاركان فوقهن بالمكانة .

« والله يقبض ويبسط » . فيقبض منها ما يبسطها بها فلا يعطيها شيئاً من ذاته ، فانها لا تقبله : فلا وجود لها إلا بها . فالممكنات انما أقامها الحق من امكانها : فقيامها منها بها . والحق واسطة في ذلك ، مؤلف ، رائق ، فاتق : « كانتا رتقاً » = لانه كذا اوجدها بامكانها ، « ففتقناهما » بامكانها . لو لم يكن الفتق ممكنا لما قام بها : فما أثر في الممكنات إلا الممكنات . لكن العمى غلب على أكثر الخلق ، « الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

الا ترى ما هو محال لنفسه هل يقبل شيئاً مما يقبله الممكن؟ فبنفسه تمكن منه الواجب الوجود بالايجاد فأوجده . وهذه هي الاعانة الذاتية . ألا ترى الحجر اذا رميت به علواً ؟ فيقال : ان حركة نحو العلو قهرية ؛ لان طبيعته النزول إما الى الاعظم وإما الى المركز . فلولا أن طبيعته تقبل الصعود علواً بالقهر — لما صعد. فما صعد الا بطبعه ايضاً ، مع سبب آخر عارض ، ساعده الطبع بالقبول لما أراد منه .

فالقبضة على الحقيقة ، قوله : « والله بكل شيء محيط » . ومن أحاط بك فقد قبض عليك . لانه ليس لك منفذ مع وجود الاحاطة . وإلا فليست احاطة وما هو محيط. وصورة ذلك ، انه ما من موجود سوى الله ، من الممكنات ، إلا وهو مرتبط بنسبة الاهية وحقيقة ربانية ، تسمّى اسماء حسنى . فكل ممكن في قبضة حقيقة الاهية : فالكل في القبضة .

واعلم ان القبضة تحتوي على المقبوض بأربعة عشر فصلاً وخمسة اصول . عن هذه الاربعة عشر فصلاً ظهر نصف دائرة الفلك ، وهي اربع عشرة منزلة. وفي النيب مثلها. وهذه الفصول تحوي جميع الحروف ، إلا حرف الجيم ؛ فإنها تبرّأت منه دون سائر الحروف . وما علمنا لماذا ؟ وما أدري ، هل هو مما يجوز ان يعلم ام لا ؟ فان الله تعالى ما نفث في روعنا شيئاً ولا رأيته لغيرنا ولا ورد في النبوات . فرحم الله عبداً وقف عليه فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا ، وينسب إليه لا الي ؛ فتحصل الفائدة بطريق الصدق ، حتى لا يتخيل الناظر فيه ان ذلك مما وقع لي بعد هذا . فان فتح عليّ به حينئذ ، اذكره أنه لي ؛ فان الصدق في هذا الطريق اصل قاطع ، لا بد منه ولا حظّ له في الكذب .

وهذه الخمسة الاصول متفاضلة في الدرجات . فأعلاها وأعمّها هو العلم ؛ وهو الاصل الوسط . وعن يمينه اصلان : الحياة والقدرة ؛ وعن يساره اصلان : الارادة والقول . وكل اصل فله ثلاثة فصول ؛ إلا اصل القدرة فان له فصلين خاصة . وانما سقط عنه الفصل الثالث ، لان اقتداره محجور ، غير مطلق . وهو قول العلماء : « وما لم يشأ ان يكون ، ان لو شاء ان يكون — لكان كيف يكون » . فعلّق كونه به « لو » فامتنع عن نفوذ الاقتدار عليه لسبب آخر ، فلم يكن له النفوذ . وهذا موضع إبهام ، لا ينفتح ابداً .

ومن هنا وجد في العالم الامور المبهمة . لانه ما من شيء في العالم إلا وأصله من حقيقة الاهية . ولهذا وصف الحق نفسه بما يقوم الدليل العقلي على تنزيهه عن ذلك . فما يقبله إلا بطريق الايمان والتسليم . ومن زاد فبالتأويل على الوجه اللائق في النظر العقلي . واهل الكشف ، اصحاب القوة الالهية ، التي وراء طور العقل ، يعرف ذلك كما نفهم العامّة . ويعلم ما سبب قبوله لهذا الوصف مع نزاهته بـ « ليس كمثله شيء » . وهذا خارج عن مدارك العقول بافكارها . — فالعامّة في مقام التشبيه ؛ وهؤلاء في التشبيه والتنزيه ؛ والعقلاء في التنزيه خاصّة . فجمع الله الأهل خاصّته بين الطرفين .

١٠(السؤال الحادي والعشرون ومائة): ومن ف٢ الذين استرجبوا القبضة حتى صاروا فيها (١٦١) ؟

فمن لم يعرف القبضة هكذا ، فما قدر الله حق قدره » . فإنه ان لم يقل العبد : ان الله «ليس كمثله شيء » — فما « قدر الله حق قدره . وان لم يقل : « ان الله خلق آدم بيده » — فما قدر الله حق قدره . وأين الانقسام من عدم الانقسام ؟ وأين المركب من البسيط ؟ — فالكون يغاير مركبه بسيطه ؛ وعدده توحيده وأحديته . والحق: عين تركيبه عين بسيطه؛ عين احديته عين كثرته ؛ من غير مغايرة ولا اختلاف نسب . وان اختلفت الآثار ، فمن عين واحدة . وهذا لا يصح الا في الحق. ولكن اذا نسبنا نحن بالعبارة ، فلا بد إن تغاير: كان كذا من نسبة كذا ، وكذا من نسبة كذا . لا بد من ذلك للإفهام».
(فتوحات ، ٢: ١١٥-١١٦)

١٦١) « الجواب : الشاردون (الاصل: الشاردين) إلى ذواتهم» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب : الشاردون الى ذواتهم ، من رتبة الوجوب ورتبة المحال . اذ لا يقبض إلا على شارد . فانه لو لم يشرد لما قبض عليه . فالقبض لا يكون الا عن شرود او توقع شرود . فحكم الشرود حكم عليه بالقبض فيه واستوجبوا (الاصل: استوجبوا) ان يقبض عليهم . فمنهم من قبض عليه رتبة الوجوب ، ومنهم من قبض عليه رتبة المحال .

وهنا غور بعيد . والاشارة الى بعض بيانه : ان كل ممكن لم يتعلق العلم الالهي بإيجاده لا يمكن ان يوجد . فهو محال الوجود . فحكم على الممكن المحال وألحقه به . فكان في قبضة المحال . وما تعلق العلم الالهي بإيجاده فلا بد ان يوجد . فهو واجب الوجود. فحكم على الممكن الوجوب . فكان في قبضة الواجب . وليس له حكم بالنظر الى نفسه . فما خرج الممكن من ان يكون مقبوضاً عليه : اما في قبضة المحال ، واما في قبضة الواجب . ولم يبق له في نفسه رتبة يكون عليها خارجة عن هذين المقامين : فلا امكان. فإمّا محال ، وإمّا واجب .

واما النوّر البعيد : فان جماعة قالوا وذهبوا الى أنه ليس في الامكان شيء إلا ولا بد ان يوجد ، إلى ما لا يتناهى . فما ثَمّ ممكن في قبضة المحال . ولا شك انهم غلطوا في ذلك الوجه الظاهر ، وأصابوا من وجه آخر . فأمّا غلطهم : فما من حالة من الاكوان ، في عين ما تقتضي الوجود فتوجد ، إلّا ويجوز ضدها على تلك العين . كحالة القيام للجسم مع جواز

ف٢ وما ٧ .

(السؤال الثاني والعشرون ومائة) : وما صنيعهم بهم في القبضة[162] ؟

(السؤال الثالث والعشرون ومائة) :وكم نظرته إلى الأولياء كل يوم[163] ؟

القعود ، لا نفي القيام . ومن المحال وجود القعود في الجسم النائم ، في حال قيامه وزمان قيامه . فصار وجود هذا القعود ، بلا شك ، في قبضة المحال لا يتصف بالوجود ابداً ، من حيث هذه النسبة لهذا الجسم الخاص . وهو قعود خاص ؛ واما مطلق القعود ، فانه في قبضة الواجب ، فإنه واقع .

وأمّا وجه الاصابة : فإن متعلق الامكان انما هو في الظاهر في المظاهر . والمظاهر محال ظهورها ، وواجب الظهور فيها . والظاهر لا يجوز عليه خلافه ، فانه ليس بمحل لخلافه . وانما المظهر هو المحل . وقد قيل ما ظهر فيه ، ولا يقبل غيره : فاذا وجد غيره ، فذلك ظهور آخر ومظهر آخر . فأن كل مظهر لظاهر لا ينفك عنه بعد ظهوره فيه . فلا يبقى في الامكان شيء إلا ويظهر الى ما لا يتناهى . فان الممكنات غير متناهية . وهذا غور بعيد التصوّر ؛ لا يقبل إلا بالتسليم او تدقيق النظر جداً ، فإنه سريع التفلّت من الخاطر ، لا يقدر على امساكه إلّا من ذاته . والعبارة تتعذّر فيه ».

(فتوحات : ٢ : ١١٦).

١٦٢) « الجواب : المخض » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥ ب) .

« الجواب : المخض (الاصل: المحض) . وهم ما هم عليه . فهو يرفع ويخفض ، ويبسط ويقبض ، ويكشف ويستر ، ويخفي ويظهر ، ويوقع التحريش ، ويؤلف وينفر . وصنيعه العامّ جمع التغيير في الاحوال . فانه صنع ذاتيّ ، اذ لو لم يتغيّر لتعطّل كونه إلاهاً . وكونه الاهاً نعت ذاتيّ : فتغيير الصنع في الممكنات واجب لا ينفك . كما أنهم في القبضة دائماً».

(فتوحات: ٢ : ١١٦)

١٦٣) « الجواب : مائة مرة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥ ب) .

« الجواب : بعدد ما يغير عليهم الحال ، من حيث هو متوليهم لا غير . وينحصر ذلك في مائة مرة من غير زيادة ولا نقصان . ولكن ما دام الوليّ مظروفاً لليوم . — واما نظره للأولياء ، اذا خرجوا من الأوقات — فنظر دائم لا توقيت فيه ، ولا يقبل التوقيت : فانه لا يدخل تحت العدد ولا المغايرة ولا التمييز . فإذا دخلوا أو كان عالم الزمان ، فمائة مرة ، وكل مرة يحصل لهم في تلك النظرة مالا يحدّه توقّت . فهو عطاء إلاهي من غير حساب ولا هنداز » .

(فتوحات: ٢: ١١٦-١١٧)

(السؤال الرابع والعشرون ومائة) : وإلى ماذا[ق٢] ينظر منهم[(١٦٤)] ؟

(السؤال الخامس والعشرون ومائة) : وإلى ماذا[ك٢] ينظر[ل٢] من الانبيا.[م٢]، عليهم[ن٢] السلام[ن٢] [(١٦٥)] ؟

---

١٦٤) «الجواب : إلى أسرارهم» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٠ ب — ٢٥١ ا).

«الجواب : الى اسرارهم لا الى ظواهرهم . فان ظواهرهم يجريها، سبحانه، بحسب الأوقات . واسرارهم ناظرة الى عين واحدة . فإن أعرضوا أو أطرقوا، تقصهم في ذلك الاعراض او تلك الطرقة ما تقتضيه النظرة . وهو أكثر مما نالوه من حيث اوجدهم إلى حين ذلك الاعراض .

قال بعض السادة، فيا حكاه القشيري في رسالة : «لو ان شخصاً اقبل على الله طول عمره ثم أعرض عنه لحظة واحدة، كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله في عمره» . وذلك ان الشيء في المزيد، وان المتأخر يتضمن ما تقدمه وزيادة ما تعطيه عينه، من حيث ما هو جامع . فيرى ما تقدم في حكم الجمع وهو يخالف حكم انفراده . وحكم جمعه دون هذا الجمع الخاص، ومن حيث ما تختص به هذه اللحظة من حيث ما هي لنفسها، لا من حيث كونها حضرة جمع لما تقدمها . فبالضرورة يفوته هذا الخير . فما أشأم الاعراض عن الله ! — وفي هذا يتبين لك شرف العلم . فان العلم هو الذي يفوتك . والعلم هو الذي تستفيده . قال تعالى آمرًا لنبيه، عليه الصلاة والسلام : «وقل : رب، زدني علماً» ؛ فإنه أشرف الصفات وأنزه السمات !»

(فتوحات : ٢ : ١١٧)

١٦٥) «الجواب : إن أراد عنده — فإلى حقايقهم . وإن أراد عند الدعوة — فإلى قلوبهم» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥١ ا).

«الجواب : إن اراد العلم، فإلى اسرارهم . وإن اراد الوحي، فإلى قلوبهم . وإن اراد الابتلاء، فإلى نفوسهم . إلا ان نظره سبحانه، على قسمين : نظر بواسطة، وهو قوله : «نزل به الروح الامين على قلبك» . ونظر بلا واسطة، وهو قوله : «فأوحى إلى عبده ما أوحى» .

فاذا نظر الى اسرارهم، أعطاهم من العلم به ما شاء، لا غير : وهو ان يكشف لهم عنهم

ق٢ ما F .

ك٢ ما F .

ل٢ نظر V .

م٢ الأولياء V .

ن — ن — V .

انهم به لا بهم . فيرونه فيهم ولا يرونهم . فيعلمون « ما اخفي لهم » فيهم « من قرة اعين ». فتقر عيونهم بما شاهدوه . ويعلمون ان « الله هو الحق المبين » بهم في كل نظرة . وهو مزيد العلم الذي امر بطلبه ، لا علم التكليف ؛ فان النقص منه هو مطلوب الانبياء ، عليهم السلام . ولهذا كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « اتركوني ما تركتكم ». وقوله : « لو قلت : نعم ، لوجبت وما كنتم تطيقونها ».

واذا نظر الى قلوبهم ، قلب الوحي فيهم بحسب ما تقلبوا فيه . فلكل حال يتقلبون فيه حكم شرعي ، يدعو اليه هذا النبي . وسكونه عن الدعوة شرع : اي ابقوا على أصولكم. وهذا هو الوحي العرضي ، الذي عرض لهم . فان الوحي الذاتي ، الذي تقتضيه ذواتهم ، وهو انهم يسبحون بحمد الله — لا يحتاجون في ذلك الى تكليف . بل هو لهم مثل النفس للمتنفس . وذلك لكل عين على الانفراد . والوحي العرضي هو لعين المجموع . وهو الذي يجب تارة ولا يجب تارة ؛ ويكون لعين دون عين .

وهو على نوعين . نوع يكون بدليل انه من الله ، وهو شرع الانبياء . ومنه ما لا دليل عليه ، وهو الناموس الوضعي ، الذي تقتضيه الحكمة ، يلقيه الله تعالى من اسمه « الباطن الحكيم » ، في قلوب حكماء الوقت ، من حيث لا يشعرون . ويضيفون ذلك الإلقاء الى نظرهم ، لا يعلمون انه من عند الله على التعيين . لكنهم يرون ان الاصل من عند الله فيشرعونه لتبعهم من اهل زمانهم ، اذ لم يكن فيهم نبيٌّ مدلول على نبوته . فإن هم قاموا بحدود ذلك الناموس ، ووقفوا عنده ، ورعوه — جازاهم الله على ذلك بحسب ما عاملوه في الدنيا والآخرة ، جزاء الشرع المقرر ، المدلول عليه : « فما رعوها حق رعايتها » فيما ابتدعوه من الرهبانية . — « ومن سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها » . وان الله يصدق قول واضع الناموس الحكمي كما هو مصدق واضع الناموس الشرعي الحكمي .

فأما جزاؤه في الدنيا ، فلا شك ولا خفاء بوقوع المصلحة ووجودها في الأهل والمال والعرض . وأما الآخرة ، فمحلّ هذا المجرى ، وان لم يتعرض اليها صاحب الناموس الحكمي . كما انه في ناموس الحكم الالهي ، ان في الآخرة لنا « ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . ويحصل لنا من غير تقدم علم به . كذلك الحاصل في الآخرة جزاء لعمل الناموس الذي اقتضته الحكمة عند من ابتدعه للمصلحة .

فان قال في ناموسه : قال الله ، ويكون ممن قد علم أنه مظهر وان لا موجود على الحقيقة إلا الله — صدق وعفا الله عنه . وان كان من أهل الحجاب عن هذا العلم ، فأمره إلى الله . وهو بحسب قصده في ذلك . فانه قد يقصد الرياسة وتكون المصلحة في حكم التبع . وقد يقصد المصلحة وتكون الرياسة تبعاً . وهذا الكلام لا يتصور إلا مع عدم الشرع

(السؤال السادس والعشرون ومائة) : وكم إقباله عـلى خاصته في كل يوم ؟[١٦٦]

المقرّر بالدليل في تلك الجماعة وذلك المكان خاصة .

واذا نظر الى نفوسهم ، ابتلاهم بمخالفة أممهم ؛ فاختلفوا عليه واختلفوا فيما بينهم وان اجتمعوا عليه .– وهذا كله ، اذا اتفق ان ينظر النبي الى نفسه ، ولا بُدَّ له من النظر الى نفسه . فان الجلوس مع الله لا تقتضي البشرية دوامه . واذا لم يدم ، فما ثَمَّ إلَّا النفس . فيكون نظره ، في هذه الحال ، نظر ابتلاء . لان النبي في تلك الحالة صاحب دعوى ، انه قد بلغ رسالة ربه . وكذا ورد : « ما من نبيٍّ إلا وقد قال : قد بلغتكم مـا ارسلت به اليكم وقال : ألا ، هل بلغت ؟ » . فأضاف التبليغ اليه . ولم يقل في هذه الحال : قد بلغ الله اليكم بلساني ما قد أسمعكم . فلو قال هذا ، ما ابتلوا ببلاء النفوس . وفي هذا لله حكم خفي ، ليعلم العبد أنه محل للتوفيق ونقيضه ، وانه لا حول ولا قوة الا بالله ، عـلى ما أمر به ونهى عنه . و « الحكم لله العليّ الكبير » .

(فتوحات : ٢ : ١١٧–١١٨)

١٦٦) « الجواب : اربعة وعشرون الف مرة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ أ) .

« الجواب : اربعة وعشرون الف اقبال في كل يوم . جميعهم في ذلك الاقبال ما شاء ، ويأخذ منهم في الاقبال الثاني ما كان أعطاهم في الاقبال الأول ، إما أخذ قبول وإما أخذ ردّ غير مقبول . فإن الله قد أمرهم بالأدب في كل ما يلقى اليهم ، عند أخذهم . وكذلك إذا ردّوا الأمور اليه ، يردّونها محلاة بالأدب الالهي . فذلك داعية القبول الإلهي . فإن أساءوا الادب في الأخذ والردّ ، عاد وبال ذلك عليهم . وليسوا ، عند ذلك ، بخاصة الله . فالخاصة تحضر مع الله اربعة وعشرين الف مرة في كل يوم .

وإن اردت التحرير في المقال ، ان لم يكن عندك علم وتخرج من العهدة ، فقل : إقباله على خاصته كل يوم بعدد انفاسهم ، كانت ما كانت . فمن اطلع على توقيت انفاسه ، علم توقيت اقبال الله عليه في كل يوم . فان ذلك النَّفَس من « نَفَس الرحمن » . فهو عين اقبال الحق عليهم . وبه تنوّرت هياكلهم . فهو في الأجسام ريح ، وفي اللطائف أرواح – جمع رَوْح ، بفتح الراء وتسكين الواو ، سكونًا حيًا » .

(فتوحات : ٢ : ١١٨)

(السؤال السابع والعشرون ومائة): وما المعية^٣٥ مع^٣ الخلق والاصفياء والانبياء والخاصة، والتفاوت والفرق بينهم في ذلك^٣ ^(١٦٧) ؟

١٦٧) «الجواب: المعية معيتان: معية تنتقل، ومعية لا تنتقل. فالتي لا تنتقل، قد منعت ذاتها. والتي تنتقل، فيها يقع الجواب. وان كان مراده ما لا تنتقل، فجمعنا بين المعيتين بالتنبيه على مقام الواحدة، وبالتفصيل في الأخرى. فانه مع (الاصل: يجمع) الخلق بالعلم واللطف، ومع الاصفياء بالحفظ والتولي، ومع الانبياء بالتأييد والتولي، ومع الخاصة بالمباسطة والانس» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥ ا).

«الجواب: قال الله تعالى: «وهو معكم أينما كنتم». فالأبنية إلينا. وقال لموسى وهرون: «انني معكما اسمع وأرى». فنبّهما على انه سمعها وبصرها، تذكرة لها او إعلاماً لم يتقدمه علم به عندهما. فانه قد صح عندنا في الخبر ان العبد اذا احبه ربه «كان سمعه وبصره الذي يسمع به ويبصر به». فالنبي أولى بهذا ممن ليس بنبي. وطبقات الأولياء كثيرة. ولكن ما ذكر منها إلا ما قلناه، فلا نتعدّى بالجواب قدر السؤال.

فنقول: ان المعية تقتضي المناسبة. فلا نأخذ من الحق إلا الوجه المناسب، لا الوجه الذي يرفع المناسبة. ثم اتنا اردنا ان نعمم الجواب بتعميم قوله تعالى: «أينما كنتم» من الاحوال. ولا يخلو موجود عن حال، بل ما تخلو عين موجودة ولا معدومة ان تكون على حال وجودي أو عدمي، في حال وجودها أو عدمها. ولهذا قال تعالى: «وهو معكم أينما كنتم». — فإن قلت: قوله «كنتم» لفظة معناها وجوديّ: فالمعنى أينما كنتم من الوجود. فنقول: صحيح، ولكن من أي الوجوه من الوجود: من حيث العلم بكم؟ وما ثمّ إلا هو؛ أو من حيث الوجود الذي يتصف به عين الممكنات من حيث ما هي مظاهر؟فحالة منها توصف العين الممكنة بها بالعدم، ولهذا نقول: كان هذا معدوماً ووجد. والكون يناقض العدم، مع صحة هذا القول. فيعلم عند ذلك ان قوله: «اينما كنتم» اي على اي حالة تكونون من الوصف بالعدم او الوجود.

ثم نقول: انه مع الخلق باعطاء كل شيء خلقاً من كونهم خلقاً، لا غير. فينجر معه انه «معهم» بكل ما تطلبه ذواتهم من لوازمها. ومعيته مع الأصفياء بما يعطيه الصفاء من التجلي. فانهم قد وصفهم باسم اصفياء. فما هو معهم بالصفاء والاصطفاء، وانما هو معهم بما يطلبه الاصطفاء. وقدّم الخلق، فانه مقدم بالرتبة فان الاصطفاء لا يكون الا بعد الخلق. بل هم

هـ^٣ + فانه مع الخلق ومع اصفيائه ومع انبيائه (اوليائه V) وخاصة (− V) وكيف الفرق بين هؤلاء في تفاوت ذلك VF.

و^٣ − و^٣ − VF (الزيادة من الفتوحات، ٢: ١١٨).

(السؤال الثامن والعشرون ومائة) : وما ذكره الذي يقول : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١٦٨) ؟

من الخلق عند الحق بمنزلة الصفي الذي يأخذه الامام من المغنم ، قبل القسمة . فذلك هو نصيب الحق من الخلق ، وما بقي فله ولهم .

واما معيته مع الانبيا ، فتأييد الدعوى ، لا بالحفظ والعصمة ، إلّا ان اخبر بذلك في حق نبي معين . فان الله قد عرفنا ان الانبياء قتلتهم أممهم ، وما عصموا ولا حفظوا . فلا بد ان يكون ظرف المعية التأييد في الدعوى لإقامة الحجة على الامم . فإنه قال : « فلله الحجة البالغة » . ولا يكون نبياً حتى يقدمه الاصطفاء . فلهذا أخر النبوة عن الاصطفاء . فإنه ما كل خلق مصطفى ، وما كل مصطفى نبي .

ومعيته مع الخاصة بالمحادثة برفع الوسائط بعد تبليغ ما امر بتبليغه . مثل قوله : « ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره » من ايام التبليغ « انه كان توابا » اي يرجع اليك الرجوع الخاص ، الذي يربي على مقام التبليغ . فيجتمع هذا كله في الرسول وهو شخص واحد . وفي كل مقام اشخاص ، فيكون الشخص الواحد خلقاً ، مصطفى ، نبياً ، خاصاً .

واما معية الذات فلا تنقال . فان الذات مجهولة ، فلا تعلم نسبة المعية اليها . فهو مع الخلق بالعلم واللطف ، ومع الاصفيا بالتولي ، ومع الانبياء بالتأييد ، ومع الخاصة بالمباسطة والانس » . (فتوحات : ٢ : ١١٨-١١٩)

١٦٨) « الجواب : الذكر بين الجمع وهو ذكر « الهو » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ا) .

« الجواب : ذكره نفسه لنفسه بنفسه اكبر من ذكره نفسه في المظهر لنفسه . — اعلم ان الله ما قال هذا الذكر ووصفه بهذه الصفة من الكبرياء ، إلا في قوله تعالى : « ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر » ولا تنهي عن غيرها من الطاعات فيها ، مما لا يخرجك فعله عن ان تكون مصلياً شرعاً . فيكون قوله : « ولذكر الله » فيها « اكبر » أعمالها وأكبر احوالها . اذ الصلاة تشتمل على اقوال وافعال . فتحريك اللسان بالذكر من المصلي ، من جملة افعال الصلاة . والقول المسموع من هذا التحريك هو من اقوال الصلاة ، وليس في اقوالها شيء يخرج عن ذكر الله ، في حال قيام وركوع ورفع وخفض ، إلا ما يقع به التلفظ من ذكر نفسك بحرف ضمير أو ذكر صفة تسأله (الاصل : تسئله) ان يعطيكها ، مثل : اهدني وارزقني . ولكن هو ذكر ، شرعاً ، لأن الله سمى القرآن ذكراً + وفيه اسماء الشياطين والمغضوب عليهم . والتلفظ به يسمى ذكراً ، ، فانه كلام الله . فذكرتم بذكر

(السؤال التاسع والعشرون ومائة): وما ذكره الذي يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي[ي٢] أَذْكُرْكُمْ﴾ (١٦٩) ؟

الله . وهذا مما يؤيد قول من قال : ليس في الوجود إلا الله ! فالأذكار أذكار الله .

ثم ان قوله تعالى: « ولذكر الله »، هذه الاضافة تكون من كونه ذاكرًا ومن كونه مذكورًا . فهو « اكبر » الذاكرين وهو « اكبر » المذكورين . وذكره اكبر الاذكار ؛ التي تظهر في المظاهر . فالذكر ، وان لم يخرج عنه ، فان الله قد جعل بعضه اكبر من بعض . ثم يتوجه فيه قصد آخر من اجل اسم « الله » . فيقول : « ولذكر الله » ، بهذا الاسم الذي ينعت ولا ينعت به ، ويتضمن جميع الاسماء الحسنى ولا يتضمنه شيء في حكم الدلالة - « أكبر » من كل اسم نذكره به ، سبحانه : من رحيم وغفور ورب وشكور وغير ذلك . فانه لا يعطي في الدولة ما يعطي الاسم « الله » لوجود الاشتراك في جميع الاسماء كلها .

هذا ، اذا اخذنا « اكبر » بطريق أفعل ، من كذا وكذا . فان لم نأخذها على أفعل كذا، فيكون اخبارًا عن كبر الذكر من غير مفاضلة بأي اسم ذكر ، وهو أولى بالجناب الالهي . وان كانت الوجوه كلها مقصودة في قوله تعالى : « ولذكر الله أكبر » . فانه كل وجه تحتمله كل آية في كلام الله ، من فرقان وتوراة وزبور وانجيل وصحيفة كل عارف ، بذلك اللسان - فانه مقصود لله تعالى في حق ذلك المتأول لعلمه الاحاطي ، سبحانه ، بجميع الوجوه . وفي عليه في ذلك الكلام من حيث ما يعلمه هو .

فكل متأول مصيب ، قصد الحق بتلك الكلمة . هذا هو الحق الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل ، من حكيم حميد » ، على قلب من اصطفاه الله ، من عباده . فلا سبيل الى تخطئة عالم في تأويل يحتمله اللفظ . فان مخطئه في غاية القصور في العلم . ولكن لا يلزم القول به ولا العمل بذلك التأويل إلا في حق ذلك المتأول خاصةً، ومن قلده » .

(فتوحات: ٢ : ١١٩)

١٦٩) « الجواب : ذكر المفاوضة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ أ) .

« الجواب : هذا ذكر الجزاء الوفاق ؛ قال تعالى : « جزاء وفاقًا » . فذكر الله في هذا الموطن هو المصلي عن سابق ذكر العبد . قال تعالى : « هو الذي يصلي عليكم» اي يؤخر ذكره عن ذكركم ،فلا يذكركم حتى تذكروه؛ ولا تذكرونه حتى يوفقكم ويلهمكم ذكره . فيذكركم بذكره اياكم فتذكروه به أو بكم ، فيذكركم بكم وبه - بالواو لا بأو - فان له الذكرين معًا . وقد يكون لبعض العلماء الذكران معًا . وقد يكون الذكر الواحد دون

ي٢ واذكروني F .

(السؤال الثلاثون ومائة) : وما معنى الاسم[١٧٠] ؟

الآخر في حق بعض الناس.

وتختلف احوال الذاكرين منّا . فمنّا من يذكره في نفسه، وهم على طبقات . طبقة تذكره في نفسها - والضمير من النفس يعود على الله، من حيث الهو .- وشخص يذكره في نفسه - والضمير يعود على الشخص . - وشخص يذكره في نفسه . - والضمير يعود على الله، من حيث ما هو خالقها لا من حيث ما هي نفسه : من كونها ظاهرة في مظهر خاص . - فاذا ذكره كل شخص من هؤلاء، اما بوجه واحد من هذه الوجوه ولو بكل الوجوه، فان الله يذكره في نفسه .

وقد يكون قوله: «ذكرته في نفسي»، عين ذكر هذا العبد ربه في نفسه، من حيث ما هو الضمير يعود على الله من نفسه، من حيث ما هي نفسه عيناً، لا من حيث ما هي نفسه خلقاً . فيكون عين ذكر العبد هو عين ذكر الحق . كما قلنا في قوله : «ومكروا ومكر الله» وهو عين مكرهم، عين مكر الله بهم ؛ لا انه استأنف مكراً آخر . ويؤيده ايضاً بقوله : «ذكرته في نفسي» يريد نفس العبد مضافة الى الله، من حيث ما هي ملك له خلقاً وايجاداً . ويريد ايضاً : «ذكرته في نفسي» = نفس الحق، لا من حيث الوجه الذي ذكره به العبد من حيث نفسه نفس الحق، وهو الوجه الأول . فهذه احوال ذكر النفس، بالجزاء الوفاق في كل وجه .

والحالة الثانية، ان يذكره في ملأ، فيذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ . وقد يكون عين ذلك الملأ وتكون الخيرية بالحال . فحال ذلك الملأ، في ذكر هذا العبد له، دون حال ذلك الملأ في ذكر الله فيهم لهذا العبد . فهو في هذه الحال خير منه في حال ذكر العبد، والملأ واحد . كما تتشرف الجماعة بالملك، اذا كان فيها، على شرفها اذا لم يكن فيها . وعين الجماعة واحدة . فهي خير منها . ولكن بشرط ان يكون كل واحد من ذلك الملأ حاله الكشف ان الله قد ذكر هذا العبد فيهم ؛ وهم يسمعون ذكر الله اياه، كما سمعوا ذكر هذا العبد ربه . فحينئذ يكون الشرف في الملأ الواحد يتفاضل .

والوجه الآخر، ان يكون الملأ مغايراً لذلك الملأ . فيكون خيره على هذا الملأ، إما بكون الحق أسمعهم ذكره عبده وهو فيهم ؛ أو بكون خيره لأمر آخر تقتضيه مرتبته عند الله : إما نشأة او حالاً او علماً . وهذه امور، إن تأملتها، انفتح لك منها علوم جمّة من العلم الالهي .-«والله يقول الحق وهو يهدي السبيل !» .

(فتوحات: ٢: ١١٩-١٢٠)

١٧٠) «الجواب : نسبة الحكم» (الجواب المستقيم، ورقة ٣١ أ) .

«الجواب : ان يحدث عن الاثر، أو ان يكون عنه الأثر . او منه ما يكون عنه

٣١ (السؤال الحادي والثلاثون ومائة) : وما رأس اسمائه ، الذي استوجب منه جميع الاسماء [١٧١] ؟

(السؤال الثاني والثلاثون ومائة) : وما الاسم الذي أبهم على الخلق ، إلا على خاصته [١٧٢] ؟

الاثر ، ومنه ما يحدث عن الأثر ، اذا لم ترد به المسمّى . فإن اردت به المسمّى ، فمناه المسمّى ، كان ماكان : مركبًا تركيبًا معنويًا او حسيًا او غير مركب ، معنويًا او حسيًا . كنقطة « رحيم » ، اي ذات راحمة . فالمسمّى بهذه التسمية هي عين تلك النسبة الجامعة بين ذات ورحمة ، حتى جعل سنبا ، من هذه النسبة ، اسم فاعل .

وان كانت التسمية جامدة لا يعقل منها غير الذات ، فليست بمركبة تركيبًا معنويًا . فقد تكون هذه الذات مفردة معنًى وفي نفسها ، وقد تكون مركبة حسًا . مثل انسان تحته مركب حسي ومعنوي .

والاسم والرسم ، عند بعض اصحابنا ، نعتان يجريان في الأبد على حكم ما كان عليه ازلًا . وفرق بين الاسم والرسم ؛ وسيأتي ذكرها في شرح معاني الفاظ اهل الله ، من هذا الباب ، فانه يطلبها » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٠)

١٧١) « الجواب : الله الحي القيوم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ا) .

« الجواب : الاسم الاعظم ، الذي لا مدلول له سوى عين الجمع ؛ وفيه « الحي القيوم » ولا بد . فان قلت : فهو الاسم « الله » – قلت : لا أدري ، فانه يفعل بالخاصية ؛ وهذه اللفظة انما تفعل بالصدق ، اذا كان صفة للمتلفظ بها ، بخلاف ذلك الاسم .

ولكن الظاهر من مذهب الترمذي ، ان رأس الاسماء ، الذي استوجب منه جميع الاسماء ، انما هو الانسان الكبير ، وهو الكامل . واذا كان هذا ، فهو الأولى في طريق القوم ان يشرح به رأس الاسماء . فإن آدم علمه الله جميع الاسماء كلها ، من ذاته ذوقًا . فتجلّى له تجلّيًا كليًا : فما بقي اسم في الحضرة الالهية إلّا ظهر له فيه ؛ فعلم من ذاته جميع اسماء خالقه » . (فتوحات : ٢ : ١٢٠)

١٧٢) « الجواب : اسم مركب من عشرين وثلاثين وبينها واحد واربعون (الاصل : واربعين) » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ا) .

« الجواب : هذا الاسم ، الذي استوجب منه جميع الاسماء . وان شئت قلت : هو

---

[٣١] استخرج V .

(السؤال الثالث والثلاثون ومائة): وبماذا[ب٣] نال صاحب سليمان ذلك[ت٣]، وطوى عن سليمان، عليه[ث٣] السلام[ث٣]، وهو رسول من الرسل[(١٧٣)] ؟

(السؤال الرابع والثلاثون ومائة): وما السبب[ج٣] في ذلك[(١٧٤)] ؟

اسم مركب من عشرين وثلاثين، بينها احد واربعون، حساً ومعنى. وقد يتركب حساً لا معنى، من ثمانية وثمانين ومائتين وستة عدداً. فإذا جمعتها على وجه مخصوص، من غير اسقاط الستة، كان اسماً مركباً. وان اسقطت الستة، كان اسماً غير مركب.

ولا ينبغي ان يوضح في العامة ما اجمه الحق على خلقه، وخصّ به خاصّته؛ فان هذا من غاية سوء الادب. وما أظنّ الترمذي قصد بهذا السؤال طلب الشرح والايضاح لمناه، وانما قصد اختبار المسئول: انه إن كان من اهل الله لا يوضحه. فان أوضحه فيكون قد تلقاه، من أحد غلطاً ممن تلقاه منه، لقرينة حال وذكاء فيه. وأما اهل الله، فقدمهم من الادب الإلهي ما يمنعهم ان يستروا ما كشف الله، او يكشفوا ما ستره الله ».

(فتوحات: ٢: ١٢٠)

١٧٣) « الجواب: بجمعيته. وطوى عن الآخر بوجوده في محل التبديد» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥١ أ — ٢٥١ ب).

« الجواب: بجمعيته وتلذذه، ليعرف الشيخ بما حصل عنده وبسببه. وطوى عن سليمان، بوجوده في محل التبديد في الوقت. فان الحكم للوقت. ووقته انه رسول. فهو صاحب وجود، معروف العين إلى من أرسل اليه. وصاحبه في جمعيته على امر واحد، متحقق بها. فظهر بها طوى عن سليمان العمل به، تمطيناً لقدر سليمان، عليه السلام، عند اهل بلقيس وسائر اصحابه. وما طوى عن سليمان العلم به، وانما طوى عنه الاذن في التعرف به، تحرجاً لمقامه ».

(فتوحات: ٢: ١٢٠-١٢١)

١٧٤) « الجواب: السبب فيه تعظيم الأمر عند المدعو» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥١ ب).

« الجواب: اعلام الغير بأن التلميذ التابع إذا كان أمره بهذه المثابة، فما ظنك بالشيخ ؟ فيبقى قدر الشيخ مجهولاً في غاية التعظيم. فلو ظهر على سليمان، لتوهم ان هذا غايته. ولا شك ان مشهد سليمان في ذلك الوقت، والله اعلم، كان مشهد أدب، لا يريد ان يكون عنه شرك في التصرف. كما قال ابو السعود: اعطيت التصرف وتركته تظرفاً؛ في حكاية طويلة (...)

ب[٣] وما V. ت[٣] – V.

ث[٣] – ث[٣] صلوات الله عليه F. ج[٣] السلب V.

(السؤال الخامس والثلاثون ومائة) : وماذا[ح٣] اطلع من الاسم[خ٣] : على حروفه[د٣] ، أم[ذ٣] على معناه[١٧٥] ؟

(السؤال السادس والثلاثون ومائة) : وأين[ر٣] باب[ر٣] هذا الاسم ، الخفي على الخلق ، من أبوابه[١٧٦] ؟

والغرض للنبي ، انما هو الدلالة ؛ وظهورها على يد صاحبه اتم في حقه . اذ كان هذا التابع مصدقاً به وقائماً في خدمته ، بين يديه ، تحت امره ونهيه . فيزيد المطلوب رغبة في هذا الرسول . اذا رأى بركته قد عادت على تابعه . فيرجو هذا الداخل ان يكون له بالدخول في امره ماكان لهذا التابع . والنفس مجبولة على الطمع وحب الرياسة والتقدم ».
(فتوحات: ٢: ١٢١)

١٧٥) « الجواب : على حروفه خاصة ، هو وكل ولي من الأمم الخالية ، ما خلا النبيين ، الا اولياء (الاصل: الاولياء) هذه الامة المحمدية: فمنهم من له المعنى دون الحرف، ومنهم من جمع له بينهما . والقسم الثالث (اي الحرف دون المعنى) لا يكون في هذه الأمة». (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب).

« الجواب : على حروفه دون معناه . فانه لو وقف على معناه لمنعه العمل به ، كما منع سليمان . ألا ترى الى قوله تعالى ، في صاحب موسى: « فانسلخ منها » ؟ فكانت عليه كالثوب ، وهو مثل الحرف على المعنى ، فعمل بها في غير طاعة الله فأشقاه الله . وصاحب سليمان عمل به في طاعة الله فسعد .

وما وقف على معناه من الامم الخالية سوى الرسل والانبياء . فانهم وقفوا على معناه وحروفه . إلّا هذه الطائفة المحمدية: فانهم جمع لبعضهم بين حروفه ومعناه ؛ ولبعضهم اعطى معناه دون حروفه . وليس في هذه الأمة من اعطي حروفه دون معناه. — وكذلك صاحب الأخدود ، اعطي حروفه دون معناه . فانه تلقاه من الراهب كلمات ، كما ورد . وهي الكلمات التي ذكرناها في السؤال الثاني والثلاثين ومائة ».
(فتوحات: ٢ : ١٢١)

١٧٦) « الجواب : بالمغرب الأقصى » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ ب) .

« الجواب بالمغرب . — قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «لا تزال طائفة من اهل المغرب ، ظاهرين على الحق الى يوم القيامة ». وعليه تطلع الشمس من المغرب ، عندما يبد

ح٣ وعلى ماله V . خ٣ العم V .
د٣ حروف V . ذ٣ او V .
ر٣ — ر٣ وارباب V .

(السؤال السابع والثلاثون ومائة) : وما كسوته (١٧٢) ؟

باب التوبة ويغلق . « فلا ينفع نفس ايمانها» ولا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان . والمؤمن لا يغلق له باب . وكيف يغلق دونه وقد جازه وتركه وراءه ؟ فمن عناية المؤمن غلقه ، حتى لا يخرج عليه بعد ما دخل منه . فلا يرتدّ مؤمن بعد ذلك ، فانه ليس له باب يخرج منه . فغلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبالاً بالكافر .

وجعله الله بالمغرب ، لانه محل الاسرار والكتم . وهو سرّ لا يعلمه إلا اهل الاختصاص . فلو كان هذا الباب بالشرق ، لكان ظاهرًا عند العام والخاص . ووقع به الفساد في العموم . وهذا يناقض ما وجد له العالم من الصلاح . وقد جاء في جانب الشرق من الذم ما جاء . — والشرق بمنزلة الخروج الى الدنيا ؛ وهي دار الابتلاء للعام والخاص . والغرب بمنزلة الخروج من الدنيا والدخول الى الآخرة . فانه انتقال الى دار التمييز والبيان ، ومعرفة المنازل والمراتب على ما هي عند الله تعالى . فيعلم السعيد سعادته ، والشقي شقاوته . فيظهر عند ذلك عين هذا الاسم الخفي لجميع الخلق ، ويحرمون الدعاء به لشغلهم بما هم فيه من الهول . فيعظم في قلوبهم شدة الهول ، بحيث ان يظنوا انه ما ثَمّ دعاء يردّ ما هم فيه . ولو وفقوا للدعاء به لسعدوا . فسبحان القدير على ما يشاء ! »

(فتوحات : ٣ : ١٢١)

١٧٧) « الجواب : حال الداعي به » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٥١ ب) .

« الجواب : حال الداعي به المنوي . وكسوته على الحقيقة حروفه ، اذا اخذت الاسم من طريق معناه . فإن اخذته من طريق حروفه ، فحينئذ يكون كسوته حال الداعي به . فاذا اقيم في شاهد الحس في التخيل او الخيال ، فيكون كسوته الثوب السابغ الاصفر ؛ يلتوي فيه فإنه غير مخيط .

ألا ترى بقرة بني اسرائيل « صفراء فاقع لونها » « لاشية فيها » : فيحيى بها الميت ، وهو أعظم الاثار احياء الموات ، حياة الايمان وحياة العلم وحياة الحس . — وأعظم أثره في زمان الشتاء ، اذا وقع فيه شهر صفر ، في أول الشتاء الى انتصافه . فهو اسرع أثرًا منه في باقي الأزمنة وباقي الشهور . ويكون الثوب صوفًا او شعرًا أو وبرًا ، لا غير ذلك ؛ والريش منه . وإنما قلنا هذا ، لانه قد يظهر لقوم بنوع من انواع مـا ذكرناه ، من هذه الانواع التي تلبس . فلو ظهر في نوع واحد ، لعرّفناكم به واقتصرنا عليه .

وقال بعضهم : رأيت كسوته جلدًا أصفر ، قد صفر بورس او زعفران . وهكذا رآه الحسين بن منصور . ولكن لم يكن سابغ الثوب وانما ستر بعض اعضائه : ستر منه قدر ستة أذرع لا غير » .

(فتوحات : ٢ : ١٢١-١٢٢)

(السؤال الثامن والثلاثون ومائة) : وما حروفه (١٧٨) ؟

(السؤال التاسع والثلاثون ومائة) : والحروف ز٣ المقطعة ز٣ مفتاح كل اسم من اسمائه ، فأين هذه الاسماء ، وإنما هي ثمانية وعشرون حرفاً س٣ ، فأين هذه الحروف س٣ (١٧٩) ؟

١٧٨) « الجواب : الدال والذال والراء والزاي والواو والالف ولام الألف » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب) .

« الجواب : الالف ولام الألف والواو والزاي والراء والدال والذال . فاذا ركبت التركيب الخاص ، الذي تقوم به نشأة هذا الاسم ، ظهر عينه ولونه وطوله وعرضه وقدره ؛ وانفصل عنه جميع ما توجه عليه . هكذا هو عند الطائفة في الواقعة ؛ ولا تنقل عني اني أعلم لما ذكرت فيه ؛ هذا لا يلزم : فقد تنقل من الواقعة والكشف جميع ما سطرته ، ولا يلزم أن أكون عالماً به . وإنما قلتُ هذا ، لئلا يتوهم أنه ما ذكرته إلا عن علم به . ولكن مطلبي من الحق العبودة المحضة ، التي لا تشوبها ربوبية ، لا حساً ولا معنًى » .

(فتوحات: ٢: ١٢٢)

١٧٩) « الجواب : الاسماء في التركيب ، والحروف عند انقطاع الكلمة . ومراد الترمذي في هذه الحروف ، حروف الرقم بالوضع العربي بالترتيب الأول ، الذي هو : ا ب ت ث . لم يتعرض لغير ذلك » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب) .

« الجواب : لانه يفتح الحرف الواحد من الاسماء الالهية اسماء كثيرة لا يحصرها عدد . وذلك لانه انما يفتح اسماء الاسماء ، التي تتركب من الحروف ، بحكم الاصطلاح . وقد ثبت ان الحق متكلم ؛ فقد سمّى نفسه من كونه متكلماً بالكلام الذي نسب اليه ويليق به . وهذه الاسماء ، التي تظهر عن الحروف ، أسماء تلك الاسماء . فلو ان الحرف الواحد يفتح اسماً واحداً ، لكان — كما قلت — من التعجب . ألا ترى في الاسماء المحفوظة في العموم : كالملك والمصور والمان والمنان والمقتدر والمحيي والمميت والمقيت والمالك والمليك والمقدم والمؤخر والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمغني والمعز والمذل؟ فهذا حرف واحد افتتحنا به كذا كذا اسماً الاهياً ، مع أنا لم نستوف .

ثم لتعلم ان كل اسم في العالم هو اسمه ، لا اسم غيره . فانه اسم الظاهر في المظهر . وليس في وسع المخلوقين حصرها ولا احصاؤها . وجميعها مفاتيحها هذه الحروف على قلتها . ولك في اختلاف اللغات اعظم شاهد وأسدُّ دليل ، ان فهمت مقصود القوم .

ز٣ ـ ز٣ وحروف المقطع V . س٣ ـ س٣ ـ V .

(السؤال الاربعون ومائة): وكيف صار الألف مبتدأ الحروف (١٨٠) ؟

وأما قوله : فأين هذه الحروف ؟ – فقل له : في عوارض الانفاس ، تعرض « للنفَس الرحماني » ما يحدث عين الحرف ؛ ويعرض للحروف ما يحدث الاسماء . فابنية الاسماء ، في الحروف . وابنية الحروف ، الانفاس . وابنية الانفـاس ، الارواح . وابنية الارواح ، القلوب . وابنية القلوب ، عند (الاصل : عندية) مقلبها . واسماء الحق لا تتعدد ولا تتكثر الا في المظاهر . واما بالنسبة اليه فلا يحكم عليها العدد ولا اصله ، الذي هو الواحد . فاسماؤه ، من حيث هو ، لا تتصف بالوحدة ولا بالكثرة .

فسؤال الامام ، انما هو عن الاسماء ، التي يقع بها التنفظ في عالم الحروف اللفظية ؛ ويقع بها الرقم في عالم الكتابة . فتارة يراعى الرقم ، وتارة يراعى اللفظ . وأما غيره فيجعل حروفا ثوالث ، وهي الحروف الفكرية . وهي ما يضبطه الخيال من سماع المتلفظ بها أو إبصار الكاتب إياها ».

(فتوحات : ٢ : ١٢٢)

١١٧) « الجواب : لان له القيّومية ، بلا خلاف بيننا » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب) .

« الجواب : لان له الحركة المستقيمة . وعن القيّومية يقوم كل شيء . فإن قلت : انما يقع التكوين بالحركة الافقية ، فانه لا يقع إلا بترض (=بمرض ، بعلة) ، والمرض ميل : ألا ترى إلى القائلين بحكم العقل ، كيف جعلوا موجد العالم علّة العلل ؟ والعلة تناقض القيومية . – فلنقل : انما وقع الوجود بقيومية العلة . فإنه لكل اسم قيومية . فقيومية الالوهية تطلب المألوه ، بلا شك . – « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » .

وما ثَمّ يناسب الالف إلّا الحرف المركّب وهو اللام ، فانه مركب من الف ونون . فلما تركّب حدث اللام الرقمي ، لا اللفظي . فلام اللفظ ، صورة في الرقم ، مركب من حرفين ؛ فيفعل بالتلفظ فعل الواحد ، وهو عينه ، ويفعل بالتفش فعل الالف والنون . وهكذا كل حرف مركب ويفعل فعل الراء والزاي يبعد ، كما يفعله النون بقرب . لان النون حرف مركب من زاي وراء ، وأريد حروف الرقم .

فابتدؤا بالألف في الرقم ، لما ذكرناه ؛ وانفتحت فيه اشكال الحروف كلها . لان اصل الاشكال الخط ؛ كما أن اصل الخط النقطة . والخط هو الألف . فالحروف منه تتركب واليه تنحل : فهو أصلها .

وأما الحروف اللفظية ، فالألف يحدثها بلا شك . كما يظهر الألف عن الحرف اذا اشبعته الفتح ، فانه يدل على الالف . كما أنك اذا اشبعت الحرف الضم ، دلّ على الف الميل ، وهو

(السؤال الحادي والاربعون ومائة) : وكيف كُرِّر الالف واللام في آخره ش٣(١٨١) ؟

العلة . وانما ظهر عن الرفع المشبع ، لان العلة ارفع من المعلول . فما ظهر عن الحرف إلا بصفة الرفع البالغ ، ليعلم أنه وإن مال فإنه ما مال إلا عن رفعة ، رحمة بك ليوجدك مظهراً لخالقك . ألا تراه في حرف الايجاد ، كيف جاء برفع الكاف المشبع فقال : « انما قولنا لشيء ، اذا اردناه ، ان نقول له كن » ؟ فجاء بالكاف مشبعة الضم لتدل على الواو .

فان قلت : وأين الواو ؟ — قلنا : غيب في السكون ، الذي هو الثبوت . فان الحق يستحيل عليه الحركة . فلما التقى سكون الواو من « كون » وسكون النون ، انحذفت الواو بالغيب فلم تظهر ، ولزمت الحوية . وهذا هو « الحو » غيب » وضمير عن غائب . وبقيت النون ساكنة ، تدل على سكون الواو . وظهرت النون على صورة الواو ، في السكون ، وهو الثبوت . كقوله : « خلق آدم على صورته » . — فأثبت الاسباب بوجود النون في « كن » = اي ما ثَمَّ كائن حادث إلا عند سبب . فلا يرفع الاسباب إلا جاهل بالوضع الالهي . ولا يثبت الاسباب إلا عالم ، كبير ، اديب في العلم الالهي .

فمن الحروف اللفظية يوجد عالم الارواح . وعن الحروف الرقمية يوجد عالم الحس . وعن الحروف الفكرية يوجد عالم العقل في الخيال . ومن كل صنف ، من هذه الحروف ، تتركب اسماء الاسماء » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٢ - ١٢٣)

(١٨١) « الجواب : لان اللام كسوة (الاصل : كسوف) الالف وجنته . وجعلها في الآخر ، لانه ظهر في عالم التركيب ، وهو آخر العالم . فكان تنبيهاً أجري على خاطر الواضع . وربما لم يقصده . ونحن ننظر في الاشياء ، من كون الباري واضعاً لها لا من حيث مَنْ ظهرت على يديه . فلا بد من الحكمة والقصد في ذلك التخصيص » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥١ ب — ٢٥٢ ا) .

« الجواب : هذا يختص بحروف الرقم المناسب المزدوج ، وهو نظم : ا ب ت ث ، لا حروف وضع : أبجد . فان لام ألف ما ظهر إلا في نظم : ا ب ت ث . فانه ناسب بين الحروف لتناسبها في الصورة ، بخلاف وضع : أبجد . وذلك لان اللام كسوة الألف وجنته ؛ فانه مستور فيها بالنون الملصقة به ، الذي تمم وجود اللام وجعلها في آخر النظم ، ليس بعدها إلا الياء . لانه ظهر في عالم التركيب ، وهو آخر العوالم ؛ وجاء بعده بالياء ، فان لها

ش٣ آخرا V ، + يقبل لامه الإلف وقد ذكر امره في الحروف V .

(السؤال الثاني والاربعون ومائة) : ومن أي حساب صار عددها ثمانية وعشرين ص٣ حرفاً (١٨٢) ؟

السفل . اذ كانت انما حدثت من اشباع حركة الخفض ، والخفض سفل ، والسفل آخر المراتب . فكان تنبيهاً اجرى على خاطر الواضع لهذه الحروف ؛ وربما لم يقصد ذلك. ونحن إنما ننظر في الاشياء ، من حيث إن الباري واضعها لا من حيث بد من ظهرت منه. فلا بد من القصد في ذلك والتخصيص . فشرحنا لكون الحق هو الواضع ، لا غيره .

ولما كانت الأولية للألف ، انبغى ان تكون له الآخرية . وكما له الظاهر في أول الحروف ، انبغى ان يكون له الباطن في آخر الحروف : ليجمع بين « الأول والآخر والظاهر والباطن » . والياء هي الف الميل في عالم الحس، الذي هو العالم الاسفل ، لحدوثها عن الخفض لتدل على الألف التي في لام ألف ؛ ولتدل على السبب الذي في شكل اللام ، إذا انفردت . فإذا عانقت الألف ، صغرت النون في الالتواء ؛ وقابل الألف التي في اللام ، الألف التي في لام ألف ، حتى لا يكون يقابله إلا نفسه: فقابل الألف الألف! وربطت النون بينهما ، وهو ألف سر العبد ، الذي تألف بربه . وهو من باب الامتنان الإلهي .

قال الله تعالى ، ممتناً على عبده : « لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » = ولم يقل : بين قلوبهم ، ولا بينها . فجاء بهاء الهو في «بينهم» ، وجعل ميم الجمع ستراً عليه ليدل على ما ينستر إليه من الجمعية ، من حيث كثرة الاسماء له، تعالى . والمراد انه ، سبحانه ، ألّف بين قلوب المؤمنين وبينه ، لانهم ما اجتمعوا على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، إلا بالله وحده . فبه تألفوا ، لتألف محمد ، صلى الله عليه وسلم ، به . فافهم لماذا كرر لام الألف في نظم تناسب الحروف ، وهو نظم : ا ب ت ث » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٣)

١٨٢) « الجواب : من حساب المنازل ، التي قدرها للسير العزيز العليم . واذا وضع قلم على شكلها ، في وقت مخصوص ، ظهرت به العجائب للكاتب به » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ ا) .

« الجواب: لانها انما ظهرت اعيان الحروف في العالم العنصري وفي عنصر الهواء سلطانها ، كما ان التراب والماء للاجسام الحيوانية . كما ان عنصر النار للجان .

والعالم العنصري انما نسب الى العناصر ، لانها السبب الأقرب . والعناصر انما حدثت عن حركات الافلاك . وحركات الافلاك انما قطعت ثمانياً وعشرين منزلة في الفلك الذي قطعت فيه العالم . والعالم انما صدر من « نَفَس الرحمن » لأنه نفّس به عن الاسماء لما كانت تجده من

ص٣ وعشرون VF .

(السؤال الثالث والاربعون ومائة) : وما قوله[ض٣] : « خلق الله آدم على صورته »[١٨٣] ؟

عدم تأثيرها . والنفس شاسب لعنصر الهواء . فتشكلت المنازل الفلكية في الهواء العنصري ، لما ظهرت العناصر . فلما جاء حكمه فيما تولد عن العناصر من المولدات — ظهرت في أكمل نشأة المولدات وهو الانسان ، صور الحروف ثمانية وعشرين حرفاً عن ثمن وعشرين منزلة . وألحق فيها لام الف خطأً ، لينبه على القاطع في هذه المنازل وهي الكواكب السيارة . — فكما عمت المنازل بقوتها ، وتقطع فيها ايجاد الكائنات والحوادث — كذلك اوجدت هذه الحروف جميع الكلمات ، التي لا نهاية لها دنيا وآخرة .

فقد بان لك ، على التقريب ، لم كانت ثمانية وعشرين حرفاً . فمن تمكن له ان يضع قلماً على شكل المنازل في طالع مخصوص وتكون الدراري في عقدة الرأس — فإنه يكون عن ذلك القلم ، متى كتب به ، عجائب في سرعة ظهور ما يكتب له في أي شيء كان . حتى لو كتب به كاتب دعاء ، اجيب ذلك الدعاء ولم يتوقف » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٣) .

١٨٣) « الجواب : من حيث الكشف لا من حيث ما يحتمله اللفظ من الوجوه في هذا الحديث : وهو إن الهاء تعود على آدم ليس غير ذلك . وكل من قال فيه غير ذلك ، فبقوة النظر وصلاح اللفظ وما يعطي الكشف فيه غير هذا الوجه . فليقل من شاء ما شاء ! » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ أ) .

« الجواب : اعلم انه كل ما يتصوره المتصور فهو عينه لا غيره ، فانه ليس بخارج عنه . ولا بد للعالم ان يكون متصوراً للحق على ما يظهر عينه . والانسان ، الذي هو آدم ، عبارة عن مجموع العالم ، فانه الانسان الصغير ؛ وهو المختصر من العالم الكبير . والعالم ما في قوة انسان حصره ، لكبره وعظمه . والانسان صغير الحجم ، يحيط به الادراك ، من حيث صورته وتشريحه وبما يحمله من القوى الروحانية . فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه ، مما سوى الله . فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الالهي ، التي ابرزته وظهر عنها . فارتبطت به الاسماء الالهية كلها ، لم يشذ عنه منها شيء . فخرج آدم على صورة الاسم « الله » ، اذ كان هذا الاسم يتضمن جميع الاسماء الالهية .

كذلك الانسان ، وان صغر جرمه ، فإنه يتضمن جميع المعاني . ولو كان اصغر مما هو ، فانه لا يزول عنه اسم الانسان . كما جوزوا دخول « الجمل في سم الخياط » ، وان ذلك

ض٣ + صلى الله عليه وسلم F .

ليس من قبيل المحال . لان الصغر والكبر ، العارضين في الشخص ، لا يبطلان حقيقته ولا يخرجانه عنها . والقدرة صالحة ان تخلق جملا يكون من الصغر بحيث لا يضيق عنه سم الخياط . فكان في ذلك رجاء لهم ان يدخلوا جنة النعيم . — كذلك الانسان ، وان صغر جرمه عن جرم العالم ، فإنه يجمع جميع حقائق العالم الكبير . ولهذا يسمي العقلاء العالم انساناً كبيراً . ولم يبق في الامكان معنى ، الا وقد ظهر في العالم ، فقد ظهر في مختصره (= ولم يبق في الامكان معنى — وقد ظهر في العالم — إلّا وقد ظهر في مختصره) .

والعلم تصور المعلوم . والعلم من صفات العالم الذاتية . فعلمه صورته ، وعليها خلق آدم . فآدم خلقه الله على صورته . وهذا المعنى لا يبطل ، لو عاد الضمير على آدم ؛ وتكون الصورة صورة آدم علماً . والصورة الآدمية حساً مطابقة للصورة . ولا يقدر يتصور هذا إلا بضرب من الخيال يحدثه التخيل . وأما نحن ، وأمثالنا ، فنعلمه من غير تصور . ولكن لما جاء في الحديث ذكر الصورة ، علمنا ان الله إنما أراد خلقه على الصورة ، من حيث انه يتصور لا من حيث ما يعلمه من غير تصور . فاعتبر الله تعالى في هذه العبارة التخيل ؛ واذا ادخل سبحانه نفسه في التخيل ، فما ظنك بمن سوى الحق من العالم ؟

صحّ عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال لجبريل : « الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه » . فهذا تنزيل خيالي ، من اجل كاف التشبيه . وانظر من كان السائل ومن كان المسئول ورتبتها من العلم بالله ؛ ولم يكن بأيدينا إلا الاخبار الواردة بالنزول والمعية واليدين واليد والعين والاعين والرجل والضحك وغير ذلك ، مما ينسب الحق الى نفسه . وهذه صورة آدم قد فصلها في الاخبار وجمعها في قوله : « خلق الله آدم على صورته » .

فالانسان الكامل ينظر بعين الله ، وهو قوله : « كنت بصره الذي يبصر به » الحديث . كذلك يتبشبش بتبشبش الله ويضحك بضحك الله ويفرح بفرح الله ويغضب بغضب الله وينسى بنسيان الله . قال تعالى : « نسوا الله فنسيهم » . وينسب جميع ما ذكرناه الى كل ذات ، بحسب ما تقتضيه مع علمنا بحقيقة كل صفة . فان كانت الذات المنسوب اليها معلومة ، علم صورة نسبة هذا المنسوب . وان جهلت الذات المنسوب اليها ، كنت بنسبة هذا المنسوب اجهل . فهذا الوجه الذي يليق بجواب سؤال هذا السيد .

فلو سأل مثل هذا السؤال فيلسوف اسلامي ، اجبناه بان الضمير يعود على آدم . اي انه لم ينتقل في أطوار الخلقة ، انتقال النطفة من ماء الى انسان ، خلقاً بعد خلق بل خلقه الله كما ظهر . ولم ينتقل أيضاً من طفولة الى صبيّ الى شباب الى كهولة . ولا انتقل من صغر جرم الى كبره ، كما ينتقل الصغير من الذرية . بهذا يجاب مثل هذا السائل : فلكل سائل جواب يليق به » .

(فتوحات ، ٣ : ١٢٣ – ١٢٤)

(السؤال الرابع والاربعون ومائة): وقوله[ط٣] : « ليتمنين[ط٣] اثناء[ع٣] عشر نبياً ان يكونوا من امتي [١٨٤] » ؟

١٨٤) « الجواب : هم انبياء ولدوا ليلاً » ٢٥٢.

« الجواب : لما كانت أمته خير الامم ، وعندها زيادة على أنبياء الامم باتباعهم سنن هدى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فإنهم ما اتبعوه لأنهم تقدموه ؛ وليس خيراً من كل امة الا نبيّها . ونحن خير الامم ، فنحن ، والانبياء في هذه الخيرية ، في سلك واحد منخرطون (الاصل : منخرطين) . لانه ما ثَمّ مرتبة بين النبي وأمته ؛ ومحمد خير من أمته . كما كان كل نبي خيرًا من أمته . فهو صلى الله عليه وسلم خير الانبياء .

فهؤلاء الاثنا عشر نبياً ولدوا ليلاً وصاموا الى ان ماتوا ؛ وما أفطروا نهارًا مع طول أعمارهم ، سؤالاً ورغبة ورجاء ان يكونوا من امة محمد ، صلى الله عليه وسلم ! فلهم ما تمنوا . وهم مع من أحبوه يوم القيامة . فيأتي النبي يوم القيامة وفي أمته النبي والاثنان والثلاثة . ويأتي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وفي أمته انبياء اتباع وانبياء اتباع وانبياء ما هم انبياء اتباع . فيتبع محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة اصناف من الانبياء . وهذه مسألة (الاصل : مسئلة) أعرض عن ذكرها اصحابنا ، لما فيها مما يتطرق الى الأوهام الضعيفة من الإشكال .

وجعلهم الله اثنى عشر ، كما جعل الفلك الاقصى اثنى عشر برجاً : كل برج منها طالع نبي من هؤلاء الاثنى عشر ، لتكون جميع المراتب تتمنى ان تكون من امة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من الاسم الظاهر . ليجمعوا بينه وبين ما حصل لهم من اسمه الباطن . اذ كان كل شرع بعثوا به من شرعه ، عليه السلام ، من اسمه الباطن : « إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين » .

فقوله تعالى : « أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده » ، وما قال : بهم . اذ كان « هداهم » (هو) هداك الذي سرى اليهم في الباطن من حقيقتك . فمعناه من حيث العلم : اذا اهتديت بهداهم ، فهو اهتداؤك بهديك ؛ لان الأولية لك باطناً ، والآخرية لك ظاهرًا ، والأولية لك في الآخرية ظاهرًا وباطناً » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٤-١٢٥)

ط[٣] وما قوله F .
ع[٣] اثني VF .

ظ[٣] - V .

(السؤال الخامس والاربعون ومائة) : وما تأويل قول موسى[غ٣]: «رب ، اجعلني من امة محمد[ف٣]» (١٨٥) ؟

١٨٥) « الجواب : لما رآهم في الدخول وهو يليهم ، فكانت الامة حجاباً بينه وبين محمد ، عليهما السلام ، حتى لا يكون بينه وبين محمد عليه السلام (في الاصل: عليم) واسطة ، كعيسى عليه السلام (في الاصل: عام) . ولهذا طلب الزلفى بأمة محمد حين نَبَّهَ عليه محمداً عليه الصلاة والسلام ، ليلة الاسراء ، ليفتح بذلك طريقاً لنفسه في هذه الامة ، مع بقائه في درجة اختصاصه بالرسالة . وانما هو كمال ينضم الى كمال بشرف محمد صلى الله عليه وسلم (في الاصل: صلم) » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ ا).

« الجواب : لما عرف موسى ان الانبياء في النسبة الى محمد نسبةُ أمته اليه ، وان نسبة امته اليه من اسم الظاهر والباطن ، ونسبة الانبياء اليه من اسم الباطن – أراد موسى ان يجمع الله له بين الاسمين في شرعه . ثم انه لما علم انه تبع ولم يشك ، اراد اقامة جاهه عند محمد ، صلى الله عليه وسلم ، على غيره من الرسل . اذ كان التباهي يوم القيامة بالتكاثر بالامم والاتباع . وليس في الرسل اكثر اتباعاً من موسى ، عليه السلام ، كما اخبر صلى الله عليه وسلم في الصحيح : «حين رأى سواداً اعظم ، فسأل فقيل له : هذا موسى وأمته » . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « انه سيد الناس يوم القيامة » . والسيد لا يكاثر .

فاذا كان موسى بدعائه من امة محمد في الدرجة ، ظاهره وباطنه – مثل ما نحن – زاد هو وامته في سوادنا بلا شك . وما قال عليه السلام : « اني مكاثر بكم الامم » ، إلا في امم لم يكن لنبيها مجموع الاسمين ؛ اللذين دعا الله موسى ان يكونا له . فكل من جمع بين الاسمين ، حُشر معنا في امته ، صلى الله عليه وسلم !

فيباهي موسى بأمته سائر الانبياء ، الذين حشروا معنا . فيكونون ثَمَّ بمنزلة الامراء المقدمين على العساكر . فأكبرهم أميراً ، اكثرهم جيشاً ؛ واكثرهم جيشاً ، أعظمهم قدراً وحرمة عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ولهذا قال الترمذي : انه يكون في امة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من هو افضل من ابي بكر الصديق ؛ عند من (الاصل: ما) يرى انه افضل الناس بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من المسلمين .

فإنه معلوم ان عيسى ، عليه السلام ، أفضل من ابي بكر وهو من أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ومتبعه . وانما ذكرناه لكون الخصم يعلم انه لا بد ان ينزل في هذه الامة في آخر الزمان ويحكم بسنة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، مثل ما حكم الخلفاء المهديون الراشدون . فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدخل ، بدخوله من اهل الكتاب في الاسلام ، خلق كثير ايضاً » . (فتوحات ، ٢ : ١٢٥)

غ٣ + عليه السلام V . ف٣ + صلى الله عليه وسلم V .

(السؤال السادس والاربعون ومائة): وما[ق٣] تأويل قوله: «ان لله عبادًا، ليسوا بانبياء، يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم الى الله تعالى[ق٣]» [١٨٦] ؟

(السؤال السابع والاربعون ومائة): وما تأويل قوله: «بسم الله[ك٣]»[١٨٧] ؟

١٨٦) « الجواب: أولئك المهيمون ؛ وليس ذلك من الانبياء في كل حال. وانما ذلك في وقت شغلهم بالكون. وقد قال (عليه الصلاة والسلام): « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي ». فلا يغبطهم في هذه الحالة نبي اصلاً، فانه اتم فيه منهم ؛ بشرط ان يكون العبيد من الجنس الانساني. فان اراد بالعباد غير هذا الجنس، فله حكم آخر لا يحتاج الى ذكره». (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٣ أ — ٢٥٣ ب).

« الجواب: يريد ليسوا بانبياء تشريع لكنهم أنبياء علم وسلوك، اهتدوا فيه بهدى انبياء التشريع. وقد ذكرنا مقامهم ومعنى النبوة وتفاصيلها في هذا الباب وفي غيره من هذا الكتاب. غير انهم ليس لهم اتباع لوجهين:

١) الواحد، لتاتيهم في دعائهم « الى الله على بصيرة» عن نفوسهم. فلا تعرفهم الاتباع. وهم المسوّدون الوجه في الدنيا والآخرة — من السؤدد — عند الرسل والانبياء والملائكة. ومن السواد، لكونهم مجهولين عند الناس. فلم يكونوا في الدنيا يعرفون، ولا في الآخرة يطلب منهم الشفاعة. فهم اصحاب راحة تامة في ذلك اليوم.

٢) والوجه الآخر، أنهم لما لم يعرفوا لم يكن لهم اتباع. فاذا كان في القيامة جاءت الأنبياء خائفة « يحزنهم الفزع الاكبر » على أممهم لا على انفسهم. وجاء غير الانبياء خائفين « يحزنهم الفزع الاكبر» على أنفسهم. وجاءت هذه الطائفة مستريحة، غير خائفة: لا على نفوسهم «ولا يحزنهم الفزع الاكبر» على امهم، اذ لم يكن لهم امم. — وفيهم قال الله تعالى: « لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » = ان يرتفع الحزن والخوف فيه عنكم في حق أنفسكم وحق الأمم ؛ اذ لم تكن لكم أمة ؛ ولا نعرفتم لأمة مع انتفاع الامة بكم. ففي هذه الحال « تغبطهم الانبياء » المتبوعون اولئك المهيمون في جلال الله ؛ العارفون ؛ الذين لم تفرض عليهم الدعوة الى الله ».

(فتوحات: ٢: ١٢٥)

١٨٧) « الجواب: مآله الى الفعل به، فان « بسم الله » من العبد بمنزلة « كن » من الله تعالى. وقد صرح بذلك الحسين بن منصور. وكان ذلك حاله». (ج.م. ٢٥٣ ب).

ق٣ — ق٣ — V.

ك٣ + فليس تأويله عند الحكماء ان يقلب لغته ويترجم بالفارسية فما هو الا انك حولته (حولت F) من لغة الى لغة فليس هذا بتأويل. فهذا تحويل VF).

(السؤال الثامن والاربعون ومائة) : وما تأويل قوله: « السلام عليك ، ايها النبي[ل٣] » (١٨٨) ؟

« الجواب : هو للعبد في التكوين بمنزلة « كن » للحق. فيه يتكوّن عن بعض الناس ما شاءوا . قال الحلاج : « بسم الله من العبد بمنزلة «كن» من الحق » . ولكن بعض العباد له «كن» دون «بسم الله» ، وهم الأكابر . جاء عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك : « انهم رأوا شخصاً فلم يعرفوه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كن ابا ذرّ ! فاذا هو ابو ذر » . ولم يقل: «بسم الله ! » . فكانت « كن » منه « كن » الإلهية .

فإنه قال الله تعالى فيمن أحبه حب النوافل: « كنت سمعه وبصره ولسانه الذي يتكلم به » . وقد شهد الله لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، بأن له نافلة بقوله تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » . فلا بد ان يكون سمعه الحق وبصره الحق وكلامه الحق . ولم يشهد بها لأحد على التعيين . — فعلامة من لم تستغرق فرائضه نوافله وفضلت له نوافل ، أن يحبه الله تعالى هذه المحبة الخاصة . وجعل علامتها ان يكون الحق سمعهم وبصرهم ويدهم وجميع قواهم . ولهذا دعا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ان يكون كله نوراً . فان « الله نور السماوات والأرض » .

ولهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالاله . وتقول فيه الصوفية : التخلق بالاسماء . فاختلفت العبارات وتوحّد المعنى . — ونحن نرغب الى الله ونضرع ان لا يحجبنا في تخلقنا بالاسماء الالهية عن عبودتنا » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٥-١٢٦)

١٨٨) « الجواب : مثل قوله ، عليه السلام في الصحيح : « اذا قال العبد سمع الله لمن حمده » . فهي مخاطبة من صفة الى صفة . وكذلك « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً » وهم جلساؤه . وقد تعجب من هذا ابو يزيد ، لما سمع هذه الآية . فقال : كيف يحشر اليه من هو جليسه ؟ » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ ب) .

« الجواب : لما كانت الانبياء بصفة تقتضي الاعتراض والتسليم ، شرع للمؤمن التسليم . ومن سلّم لم يطالب على العلة في كل ما جاء به النبي ، ولا في مسألة من مسائله . فان جاء النبي بالعلة قبلها ، كما قبل المعلول ، وان لم يجيء بها ، سلم فقال : السلام عليك أيها النبي . . وقد بينا معناها في باب الصلاة من هذا الكتاب ، في فصول التشهد . — واذا قال هذا : النبيّ ، فالمسلم عليه منه هو الروح » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٦)

ل٣ + ورحمة الله ٧ .

(السؤال التاسع والاربعون ومائة) : وقوله : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين م٣(١٨٩) » ؟.

(السؤال الخمسون ومائة) : وما تأويل قوله : « اهل بيتي امان لأمتي »(١٩٠) ؟

١٨٩) الجواب : هذا مقام الاتحاد عند فناء الكون . قال الله تعالى : « فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة» . وقوله : « وعلى عباد الله الصالحين» سلام بلسان القدم » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ ب) .

« الجواب : يريد التسليم علينا لنا . اذ فينا ما يقتضيه الاعتراض منا علينا . فتلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ، ولا نعترضه . ولا سيا اذا رأينا ان الحكم الذي يقتضي الاعتراض صدر من الظاهر في هذا المظهر ، الذي هو عيني . فنسلّم ، ولا بد ، علينا وعلى عباد الله الصالحين للاشتراك في العطف . اي لا يصح هذا العطف بعباد الله الصالحين ؛ إلا بأن يكون بتلك الصفة الصالحة ؛ وحينئذ يكون السلام علينا حقيقة . — وقد بينا ايضاً هذا المعنى في باب الصلاة من هذا الكتاب في فصول التشهد .

قال تعالى : « فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » . فقد أمرنا بالسلام علينا ، لنحظى بجميع المراتب في امتثال الامر الالهي . وهذا يدلك على ان الانسان ينبغي ان يكون في صلاته اجنبياً عن نفسه بربه ، حتى يصح له ان يسلم عليه بكلام ربه . فانه قال : « تحية من عند الله مباركة طيبة » = فهو سلام الله على عبده وانت ترجمانه إليك » .

(فتوحات : ٣ : ١٢٦)

١٩٠) « الجواب : « سلمان منا ، أهل البيت » » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ ب) .

« الجواب : قال صلى الله عليه وسلم : « سلمان منّا ، أهل البيت » . فكل عبد له صفات سيده . « وانه لما قام عبد الله » = فاضافة إليه صفة ، اي صفته العبودة ؛ واسمه محمد واحمد . — واهل القرآن هم اهل الله . فانهم موصوفون بصفة الله وهو القرآن . والقرآن امان وشفاء ورحمة » . وامته ، صلى الله عليه وسلم ، من بعث اليهم . واهل بيته من كان موصوفاً بصفته . فسعد الطالح ببركة الصالح : فدخل الكل في رحمة الله . فانظر ما تحت هذه النقطة من الرحمة الالهية بأمة محمد ، صلى الله عليه وسلم . وهذا معنى قوله تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء » . ووصف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالرحمة فقال :

(يتبع)

م٣ + فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال ذلك اصاب كل عبد صالح لله في السماوات (السماء V) والارض V F .

LA VIE SOCIALE DES KURDES

I. Le mode de vie.

1. — Les différentes catégories de Kurdes: Nomades et Sédentaires.
2. — L'habitation kurde: la tente, la maison au village, à la ville.
3. — Les occupations: élevage, culture, artisanat. — En U.R.S.S.

II. — L'organisation tribale.

1. — Nombre et importance des tribus.
2. — Formation et composition de la tribu.
3. — Le chef de tribu: origine, fonctions, concurrents.
4. — Décadence de l'état tribal.

III. — La famille kurde.

1. — Le Kurde devant la femme et le mariage.
2. — Les fiançailles et les noces.
3. — Le mari, la femme et l'enfant.

IV. — Coutumes collectives des bons et des mauvais jours.

1. — *Sous le signe de la joie*:
   a) Rythmes et chansons.
   b) Fêtes et Saisons.
   c) Les plaisirs et les jeux.
   d) Chasse aux bêtes et course aux trésors.
2. — *Face à la souffrance quotidienne*:
   a) Les maladies et les blessures.
   b) Les remèdes: magiques, empiriques, scientifiques.
3. — *Sur le chemin de toute vie*:
   a) Mort et toilette du défunt.
   b) Les funérailles et le deuil.
   c) Cimetières et tombes.

Conclusion: Portrait du Kurde par Abovian.

LA VIE SOCIALE DES KURDES

PAR

THOMAS BOIS, O.P.

Il y a un quart de siècle, en 1935, l'Émir Soureya Bedir Khan, petit-fils du dernier prince kurde indépendant, constatait avec amertume devant un auditoire parisien: «Si un jour vous aviez la curiosité d'ouvrir le Larousse et d'y chercher le mot kurde, vous liriez: «Leur occupation favorite est le pillage à main armée». Et la Grande Encyclopédie vous indiquerait: «Peuple montagnard vivant de vol et de rapine». Je ne sais si les éditions récentes de ces célèbres dictionnaires ont conservé ces définitions sommaires, mais il est de fait que cette réputation de brigandage est bien ancrée dans l'esprit de certains écrivains occidentaux. Et il n'y a pas si longtemps que des journalistes, parlant de mouvements insurrectionnels où des Kurdes étaient engagés, affirmaient sans sourciller qu'il s'agissait de «tribus sauvages», de «bandits», et autres épithètes qui ne peuvent que plaire aux amateurs de westerns. Il va sans dire que la réalité est tout autre et que, si on trouve aussi des hors-la-loi chez les Kurdes, comme ailleurs, la masse ne ressemble en rien à ce que beaucoup d'ignorants pensent ou que quelques malveillants propagent. Qu'on lise les récits de voyageurs de la fin du XIX^{e} ou du début du XX^{e} siècle, en certaines régions du globe. On y verra d'autres horreurs. Il n'empêche que les représentants de ces peuples siègent aujourd'hui à part entière dans les assemblées des Nations-Unies. — Il s'agit donc de mettre les choses au point. Les pages qui suivent n'ont d'autre ambition que de faire connaître la vie sociale des Kurdes sous son triple aspect: économique, tribal et familial. Un dernier chapitre évoquera les coutumes collectives qui accompagnent, chez les Kurdes, les plaisirs de la vie et les tristesses de la mort (1).

I

LE MODE DE VIE DES KURDES

Comment vivent les Kurdes? Cela dépend. Les Kurdes, malgré leur caractère commun d'être de race montagnarde, se distinguent suivant leurs différentes classes économiques, qui entraîneront diversité d'habitations et d'occupations, avec pourtant des caractères propres, résultant de leur race et de leur histoire (2).

1. — *Les différentes catégories économiques kurdes.*

Le Dr. H. Christoff, dans son ouvrage sur les Kurdes et les Arméniens (3), distingue quatre groupes de Kurdes: — Le nomade éleveur de bétail du Taurus qui, en hiver, entre en contact avec le Bédouin dans les steppes de Syrie et de Mésopotamie. Ces Kurdes sont en lutte continuelle contre les intempéries et les pillards arabes. De Moltke fait remarquer: «Tous les deux ont du goût pour le brigandage, mais l'Arabe a en lui plus du voleur et le Kurde plus du guerrier». Ce serait la catégorie de Kurdes ayant le meilleur caractère. — Puis il y a le nomade éleveur des plateaux d'Arménie, où souvent il entre en conflit avec ses voisins arméniens, surtout en hiver, pour des questions de fourrage. Il y devient, paraît-il, plus rusé. — Une troisième catégorie est constituée par les tribus frontalières qui ne vivent que de butin et de l'exploitation des autres. — Enfin une quatrième catégorie est celle des semi-nomades qui ont souvent perdu leur courage personnel et laissé s'étioler leur amour de la liberté.

Ce tableau, à mon avis, ne reflète plus entièrement la vérité. Et d'ailleurs cet auteur semble oublier que depuis 1918 au moins, sauf en Arménie soviétique, les Kurdes ne cohabitent plus avec les Arméniens. Je classerai donc les Kurdes un peu différemment pour être plus conforme à la situation actuelle.

On peut et l'on doit distinguer chez les Kurdes les *Nomades* et les *Sédentaires*. Ces derniers comportent des paysans et des citadins.

Les nomades kurdes, *Koçer*, ressemblent peu aux Bédouins arabes. D'abord parce qu'ils sont montagnards et non hommes du désert et que leur occupation principale, l'élevage, se borne aux chèvres et aux moutons, aux buffles aussi, quelquefois aux chevaux, mais jamais aux chameaux. Les plus nombreux se rencontrent sur le haut plateau turco-arménien et dans le cours

supérieur de la Koura, c'est-à-dire du haut Araxe, du Mourad Sou, de l'Euphrate et du bassin du lac de Van, ainsi que sur le versant méridional du Taurus. Mais au vrai les Kurdes purement nomades ont aujourd'hui presque disparu. Ils sont donc, en fait, semi-nomades, car ils ont presque tous une demeure plus ou moins permanente, dans la plaine ou les vallées, qu'ils retrouvent en hiver (4). Les gouvernements d'ailleurs essaient de réduire le plus possible le nomadisme sans toujours y réussir facilement. Les semi-nomades de Perse sont ainsi décrits par Miss Lambton. «Pour la plupart, les tribus sont seulement semi-nomades: dans certains cas elles sont sédentaires, mais n'en gardent pas moins à certains égards leur organisation tribale. Les transhumances tribales varient considérablement quant à la distance et la part qu'y prend le groupe en son entier. Le plus souvent, quelques membres de la tribu restent en arrière au *qishlâq* ou quartiers d'hiver, quand a lieu la transhumance vers le *yaylâq*, ou quartiers d'été, afin de veiller sur les récoltes effectuées au *qishlâq*. Quelquefois il y a aussi quelques éléments permanents ou semi-permanents peu nombreux au *yaylâq*» (5). Les Kurdes de l'ouest utilisent plutôt le mot *zozan* pour désigner leurs quartiers d'été.

Les sédentaires, *demanî*, comme leur nom l'indique, ne se livrent pas à la transhumance. S'ils vivent dans des villages, ce sont des paysans qui peuvent être, soit d'anciens nomades que des raisons économiques, politiques ou sanitaires ont retenu dans la plaine. On les appelle *Bamirî* ou *Gamirî*, c'est-à-dire «pères morts» ou «bœufs morts», ou encore *Gawestî*, c'est-à-dire «bœufs fatigués» (6). C'est ce qui explique que certaines tribus comptent des fractions importantes dans les montagnes et d'autres dans les plaines. Ou bien ce sont des autochtones ou *Rayet* (7), chrétiens ou musulmans tout aussi bien, qui auraient été conquis par des gens de tribus ou *aşiret* aux temps jadis et qui sont taillables et corvéables à merci. A ces paysans de style ancien, si je puis dire, on doit ajouter une catégorie nouvelle, du moins chez les Kurdes soviétiques, à savoir les kolkhoziens. — Un autre groupe de sédentaires est formé des citadins qui ont pratiquement rompu tous liens avec leur tribu d'origine et se sont installés dans les petites villes, dont le nombre et l'importance se sont accrus depuis cinquante ans. En Turquie tout spécialement les Kurdes ont bien dû remplacer comme boutiquiers ou artisans les Arméniens disparus.

2. — *L'habitation.*

Les nomades vivent sous la tente. Celle-ci, *kon* ou *reşmal*, est ordinairement basse et trapue, fixée au sol par des cordes courtes

et nombreuses, et présente donc des différences frappantes avec la tente arabe (8). La couverture est faite de longues bandes noires en poils de chèvre. Le nombre de poteaux varie avec la prospérité du maître du logis. Chez les Yézidis, il est rarement supérieur à cinq. La tente de Nayef agha, chef des Miran, en 1935, en comptait onze (9). Mais, au siècle dernier, la tente d'Ibrahim Pacha, chef des Milli, possédait quinze piquets (10). La disposition intérieure est simple. Des tapis et des nattes jonchent le sol: une cloison de roseaux, *çît*, sépare l'appartement des femmes de la pièce de réception réservée aux hommes; au centre de laquelle se trouve chez les Yézidis, le foyer du café, creusé dans le sol (11). Certaines tentes de chefs, bien pourvues de coussins et de tapis de haute laine, ne manquent pas de confort et même de luxe (12).

La maison des villageois, *xanî*, est fort rudimentaire. Les plus simples comportent une grande pièce coupée en deux. Une partie est réservée aux bêtes, *yaxûr*, l'autre aux gens de la maison. Sur le côté, une construction plus légère sert à abriter les provisions de bois et les instruments du ménage. Les réserves de grains sont enfouies dans des trous creusés dans le sol, à l'extérieur des maisons, tapissés de terre et de paille hachée et recouverts de pierres et de terre (13). — Dans les plaines, les maisons sont construites en briques crues séchées au soleil, que les femmes ont elles-mêmes pétries avec de la terre et de la paille hachée. Le sol est en terre battue. Au centre de la pièce se trouve d'habitude le foyer ou *tendûr* qui a la forme d'une grande amphore enfoncée dans le sol. En hiver, on le recouvre du *kursî* et toute la famille s'installe autour pour bavarder et même pour dormir. Le long des murs, de chaque côté de la porte, un rebord de terre battue, recouvert de feutre, sert de siège (14). Il n'y a ni fenêtre ni cheminée. Le plafond bas et plat, noirci par la fumée du foyer, est formé d'ordinaire de poutres de peuplier non équarries. On y étend un matelas de broussailles, repaire assuré de scorpions et de serpents. Le tout est recouvert d'une couche épaisse de boue (15). Sur ces toitures en terrasse, on trouve toujours un rouleau de pierre qui sert à tasser la terre les jours de pluie.

Dans les montagnes, les Kurdes vivent parfois dans des grottes. Parfois aussi les maisons sont construites en étages, le toit de l'une servant de terrasse pour celle de dessus, et les murs sont en pierres plus ou moins bien équarries.

Dans les villes, les constructions sont évidemment plus vastes et plus confortables. Les pièces sont plus nombreuses, souvent séparées par un *îwan* ouvert qui sépare la chambre des femmes de la salle des hommes. Certaines habitations possèdent à l'étage des chambres pour les hôtes (16). Les chefs qui, autrefois, habitaient

A la campagne, les paysans cultivent les champs: blé, orge, riz. Mais les Kurdes sont aussi d'excellents jardiniers. Et, dans leurs montagnes, tout comme les montagnards libanais, ils s'ingénient à construire des terrasses, supportées par des murettes, où ils pourront semer maïs, millet et chènevis. Le tabac est une des richesses du pays. Rien que chez les Kurdes d'Irak, 9.000 tonnes en ont été récoltées en 1954. Et la vigne produit d'excellent raisin, dont, pour ma part, j'ai relevé le nom d'une vingtaine d'espèces. Signalons, en passant, que ce sont les princes kurdes qui, au X[e] siècle, ont introduit en Syrie la culture du coton (19 bis).

Dans les villes éloignées des centres kurdes, beaucoup de Kurdes viennent chercher du travail; ce seront souvent les besognes pénibles de terrassiers ou de portefaix. A Istanbul, beaucoup sont des maçons. Mais dans les petites villes du Kurdistan, les citadins seront commerçants. Les petits boutiquiers fournissent aux nomades les objets usuels dont ils ont besoin. Mais il existe aussi de gros commerçants, marchands de moutons, acheteurs de laine et de peaux, amateurs de beurre et de fromage, acquéreurs de noix de galle et de bois de chauffage, qui se chargent d'alimenter le marché des grandes villes et des pays voisins. A Istanbul même, les gros marchands de bestiaux et les bouchers sont Kurdes.

P. Rondot fait remarquer (20) que les Kurdes abandonnent l'artisanat aux femmes, aux Arméniens et aux Juifs. C'était peut-être vrai autrefois. Maintenant que les Arméniens ont disparu, en Turquie du moins, et que les Juifs ont dû quitter le Kurdistan irakien, les Kurdes ont bien été obligés de se mettre au travail. Bien sûr, ce sont les femmes qui filent et tissent la laine. Elles confectionnent d'ailleurs de jolis tapis (21). Mais les hommes fabriquent les feutres (22) et n'ignorent pas le travail du cuir, des métaux et du bois (23). Ils ont des orfèvres habiles dans l'art de ciseler des poignards ou des boucles de ceinture en argent (24). Ils ont eu autrefois des armuriers expérimentés, rien que 150 à Sulaimani pour fournir de Martinis les tribus des deux côtés de la frontière (25). Les Kurdes sont devenus aujourd'hui d'excellents ouvriers dans les barrages du Dokan ou les travaux du pétrole à Kirkuk. C'est parmi les citadins que se recrutent aussi les médecins et les avocats qui sont beaucoup plus nombreux qu'on le croit habituellement. Bien des officiers de valeur sont sortis également de la ville de Sulaimani et d'ailleurs.

La vie des Kurdes d'Arménie soviétique mérite une mention à part. Ils étaient Yézidis pour la plupart. Ceux qui n'étaient plus bergers étaient, avant la guerre de 1914, devenus hommes de peine, portefaix ou vidangeurs, à Tiflis ou à Érivan. Bref, ils étaient les

derniers des derniers. Aujourd'hui ils sont tous sédentarisés et embrigadés dans les kolkhoz. L'un d'entre eux, ancien portefaix lui-même, Emînê Evdal, nous a décrit en 1957 les *Mœurs et Coutumes des Kurdes de Transcaucasie* (26). Il insiste sur les progrès réalisés et les usages nouveaux. Bien des choses nuisibles d'autrefois ont été éliminées. Il n'y a plus désormais d'esclaves des cheikhs et des pirs, ni de serviteurs des aghas et des begs. Tout le monde vit heureux et libre. On ne dort plus sur des nattes ou des feutres pourris, mais sur des tapis de haute laine, avec couvertures et matelas de laine, recouverts de châles et de peluche. Dans la maison kurde d'aujourd'hui, on trouve radio, lits nickelés, commodes et pendules. Au lieu d'habitations souterraines, les Kurdes vivent maintenant dans des maisons lumineuses, construites en belles pierres de tuf et éclairées de lampes Ilitch. La propriété est devenue collective. Au lieu de la charrue et du chariot d'autrefois, les plaines des kolkhoz sont cultivées au tracteur et à la moissonneuse-batteuse. Ce genre de vie des habitants est donc pleinement transformé par la collectivisation de la culture et l'industrialisation de l'élevage. Des détails plus précis nous ont été donnés, en mars 1959, par un Kurde irakien, Asim Heyderî, dans un article du *Rizgarî*, écrit après un voyage en Arménie soviétique (27). Les Kurdes y sont au nombre de 40.000 environ, disséminés en trente-cinq villages en diverses régions. Le groupe le plus compact en compte sept. Notons en passant que sur ce total 324 Kurdes seulement sont membres du Parti communiste, ce qui fait un faible pourcentage, à peine 0,081 %. La proportion n'est d'ailleurs pas la même partout. On nous cite en effet un village modèle Ralkiz où se trouve la ferme coopérative Kirov. Elle a été fondée en 1929 et se compose de 700 maisons. La population s'élève à 300/350 habitants. Parmi eux 30 sont membres du Parti, 70 membres des Jeunesses communistes, 16 travaillent comme professeurs. On compte 170 élèves à l'école élémentaire et 84 à la ferme. Dans le village, il y a aussi une usine pour le lait et le lében, un cercle, une école secondaire, quatre bibliothèques publiques, deux coopératives, un hôpital de 15 lits avec deux médecins, dont un Kurde. La ferme coopérative possède 1.500 moutons, 400 vaches et 600 hectares, dont 500 réservés à la culture et 100 pour les pâturages. Il y a en outre 3 tracteurs, 2 moissonneuses et 3 camions. Jusqu'à présent 29 enfants de ce village sont sortis des Etablissements supérieurs. Une des filles du village est actuellement députée au Soviet de la Province. Le chef du village, le camarade Khido Miho adhère au parti communiste depuis trente ans et est chef de la ferme depuis vingt ans. Nous sommes loin, comme on on le voit, de la situation matérielle et sociale des Kurdes d'Irak, en général, par exemple.

II

L'ORGANISATION TRIBALE

Les Kurdes que nous avons vu vivre comme éleveurs dans les montagnes, paysans acharnés à la besogne et ouvriers expérimentés ont tendance à se regrouper par affinité, dont la plus claire semble bien être la tribu d'origine. C'est cette organisation tribale qu'il s'agit maintenant d'étudier.

1. — *Nombre et importance des tribus.*

Le régime tribal, qui n'est pas spécial aux Kurdes, est connu depuis la plus haute antiquité et n'a pas encore entièrement disparu. Il est extrêmement difficile de dénombrer les tribus kurdes. Un premier relevé assez complet avait été fait par Lerch, il y a un siècle (28), et avant la guerre de 1914, l'Anglais Mark Sykes (29) avait fait la liste de beaucoup de tribus de l'Empire Ottoman. Travail intéressant, mais malgré tout incomplet et parfois même inexact. J'ai moi-même plusieurs listes: aucune ne concorde. On prend parfois le nom d'une fraction ou d'un clan pour celui de l'ensemble. Et puis les tribus, comme nous le verrons, s'accroissent ou diminuent, changent ou perdent même leur nom, à la suite de bien des aventures. Certaines ne comptent plus que quelques tentes, d'autres en ont des centaines (30).

Signalons pourtant celles qui ont joué un rôle plus important dans l'Histoire et conservent aujourd'hui encore une certaine renommée. En Irak, les Baban, les Hamawend et les Herki; en Perse, les Chikak, les Moukri, les Ardalan, les Djaff, les Kelhour, sans parler des Lour et des Bakhtiari; en Turquie, les Hakkari, les Hartouchi, les Zirikan, les Djalali, les Heyderan; en Syrie, les Berazi, les Milli, les Miran, les Dakouri, les Hawerki, les Mersini, les Kiki et bien d'autres évidemment que je ne puis citer (31).

Voici en tout cas comment un Britannique W.R. Hay définissait la tribu kurde: «La tribu est une communauté ou une confédération de communautés qui existe pour la protection de ses membres contre une agression extérieure et pour le maintien des vieilles coutumes raciales et du genre de vie» (32). Il ajoutait que le membre de la tribu tire de cette allégeance non seulement profit mais fierté. Et P. Rondot relève alors les trois traits essentiels de la tribu montagnarde de l'Orient et plus particulièrement de la tribu kurde:

C'est un petit monde replié sur lui-même, un organisme de défense.

C'est une institution traditionnelle et conservatrice.

C'est une communauté qui, par rapport aux groupes n'ayant pas le même caractère, possède le sentiment fort de sa supériorité(33).

2. — *Formation et composition de la tribu.*

On a voulu faire de la tribu une famille élargie, un peu à la façon dont la Bible nous parle des tribus d'Israël (34). C'est trop simpliste, quoique bien des légendes soient plus ou moins en faveur de cette théorie. La tribu arabe s'y rattacherait plutôt, mais tout récemment un Kurde d'Irak, le Dr Chaker Khosbak (35) indiquait que si la colonne vertébrale de la tribu arabe est un lien de parenté (*neseb*), chez les Kurdes, c'est la terre (*erz*).

Plusieurs foyers (*mal*) forment un clan, *bavik*, à la tête duquel se trouve le *mezin* (grand) ou *makûl* (sage), conseillé par un ou deux *rîspi* (barbe blanche). Le *bavik* remonterait à un ancêtre commun. Plusieurs clans, installés dans la même région, constituent une tribu ou *aşiret*, qui peut compter plusieurs fractions (*bir*). Les tribus se divisent elles-mêmes en deux grandes fédérations: les *Milan* et les *Zilan* ou *Silivan*. D'après Mark Sykes, il faudrait voir dans les Milan et les Zilan des groupements foncièrement distincts à l'origine et ayant évolué de façon très différente: les Zilan, venus de l'Est, restés rudes et nomades sur les hautes montagnes, attachés aux vieilles traditions kurdes; les Milan, d'origine arabe, plus fins et plus intelligents et influents grâce à ces qualités. Ce dernier groupe se serait divisé en deux fractions: *Gamirî* et *Bamirî* à la suite de luttes intestines. A la première ressortissent les tribus Hasênan, Heyderan, etc. du Haut-Kurdistan; à la seconde la confédération tribale Mili, due à l'agrégation de forts groupements étrangers, Arabes Rouala en particulier. Sur d'autres points du monde kurde, on observe des sécessions et des agrégations analogues, bien difficiles à démêler dans l'état actuel de nos connaissances. Ainsi les Botan, qui sont un groupe de Zilan, se diviseraient, pour certains, en deux fractions. En tout cas, conclut Rondot, «l'origine, la nature et le développement des clans kurdes restent donc passablement mystérieux» (36).

Nous savons par ailleurs que telle tribu se désagrège par suite d'événements fâcheux: batailles, épidémies, tandis que d'autres se renforcent, grâce souvent au prestige d'un chef. C'est donc le rôle de celui-ci qu'il importera de bien saisir. En outre, à côté des éléments permanents, on distingue souvent, dans la tribu, des éléments flottants, composés d'étrangers qui sont venus s'intégrer pour

retrouver une cohésion perdue. Ce sera, par exemple, un meurtrier, poursuivi par la vendetta et banni de sa propre tribu. Isolé, il risque de perdre la vie, car il n'a plus personne pour le protéger.

Parmi les éléments ou membres constitutifs de la tribu, les observateurs distinguent plusieurs classes. Les écrivains arméniens, qui ont pu étudier à loisir leurs voisins, apportent sur ce point quelque lumière (37). Tous sont unanimes à reconnaître au moins deux classes: les nobles, *torun*, qui seraient nomades et éleveurs, et les sédentaires, *rayet*. Certains ajoutent une troisième classe, les *xolam*, qui sont la troupe armée du chef. Enfin Arakélian (1898) distingue quatre catégories: les *rayet*, ou plèbe qui travaille; les *xolam*, ou serviteurs armés du chef; les *axa*, ou familles de chefs; enfin les chefs religieux: *şêx* ou *mela*.

Ce dernier groupe doit être mis à part. Car ce sont les chefs religieux qui, très souvent, par l'influence qu'ils exercent sur le peuple, seront cause de conflits d'autorité au sein de la tribu. — Quant aux *xolam* que l'on a signalés, ils désigneraient en certains cas, d'après Nikitine (38), de véritables esclaves, jouissant de moins de liberté que les paysans *rayet*, qui passent précisément pour être des demi-serfs. Cet esclavage existait encore au début du XIX^e^ siècle et un Dominicain missionnaire au Kurdistan, le P. Campanile (1818) rapporte que certains aghas vendaient leurs sujets chrétiens lorsqu'ils avaient besoin d'argent (39).

Ce qu'il y a de certain en tout cas, c'est que, chez les Kurdes, tout le monde n'est pas mis sur le même pied. Il y a, tout comme chez les Assyriens d'ailleurs, les hommes des tribus et qui se disent libres ou *aşîret*, d'où sortent les chefs, et les autres, semblables aux serfs du Moyen-âge, qui ne participent pas aux combats de tribus et sont juste bons à travailler pour le profit des maîtres.

3. — *Le chef de tribu.*

Qu'il s'agisse d'un groupe de tribus ou fédération, comme on en a rencontré au cours de l'Histoire, qu'il s'agisse d'une tribu autonome proprement dite, ou qu'il s'agisse d'un simple clan, à la tête de chacun de ces groupements se trouve toujours un chef qui a pu porter, au temps des Ottomans, le titre de Pacha ou de Beg, mais que l'on nomme habituellement aujourd'hui *Agha* (40).

a) *Origine du pouvoir du chef.*

Mais qui sera le chef? Les modes d'acquisition du pouvoir du chef changent suivant les cas. Cela varie avec les tribus et aussi avec les époques (41). Ce sera donc: — ou la succession par l'hérédité; ou l'élection par la tribu; ou la nomination par l'autorité supérieure; ou aussi bien souvent la force du poignet.

L'*hérédité* joue évidemment souvent. A la mort du père, le fils aîné prend sa succession. C'est peut-on dire la forme normale de succession. Mais l'aîné peut être incompétent, sans influence. Il peut aussi ne pas désirer remplacer l'agha défunt et plus d'une fois on a vu des héritiers présomptifs préférer la voie de la piété à la charge de commandement d'une tribu. Il est moins rare de voir un cadet désireux de supplanter son aîné. Ce fut le cas du grand Bedr-Khan qui trouvait son aîné trop dévot (42). Si l'autre ne veut pas se désister, il est facile, au Kurdistan, de le faire disparaître. Si le nouveau chef sait se faire apprécier et aimer, on lui pardonne les moyens qu'il a utilisés pour acquérir le pouvoir. Il n'est pas rare non plus qu'un fils, s'estimant frustré, s'en aille ailleurs avec ses partisans et forme un nouveau clan. — On a connu des femmes qui, à la mort de leur mari, ont commandé à leur tribu, même sur les champs de bataille (43). La vieille Meyanê Khanoum des Yézidis, morte en décembre 1957, a toujours manœuvré de telle sorte que ce fût son fils préféré, puis le petit-fils qu'elle aimait le plus, qui devînt Émir de toute la secte (44). Ce qui oblige le nouveau chef à vivre toujours sur le pied de guerre, entouré de gardes du corps, de peur de se faire assassiner par un frère plus âgé. L'assassinat politique, en vue de la succession, est fréquent chez les Yézidis.

L'élection, le choix, par les chefs des différents clans, peut se rencontrer aussi parfois. Le cas a même pu se présenter où l'élection était due au hasard. En effet, si un oiseau se pose sur la tête d'un candidat, on considère ce dernier comme choisi par Dieu lui-même. Le folklore signale plusieurs cas, plus ou moins authentiques.

Si l'autorité vient au chef par *nomination* du Gouvernement, comme cela se produisit parfois chez les Turcs et les Persans, il fallait de toute façon que ce nouveau chef fût choisi dans la famille des chefs héréditaires, sinon il devait s'entourer de gendarmes pour se faire respecter et obéir.

b) *Fonctions et pouvoirs du chef de tribu.*

Maintenant que les Gouvernements modernes se sont implantés un peu partout, il va de soi que les fonctions et pouvoirs du chef de tribu ont bien diminué.

Autrefois, sous la féodalité (44 bis), le chef levait les contingents de troupes qui avaient à renforcer l'armée du Sultan ou du Chah et participer aux batailles. Aujourd'hui, où le service militaire est obligatoire, le chef n'a plus à convoquer les recrues, ce qui serait mal vu d'ailleurs. En effet, le Kurde qui aime la bataille n'aime pas nécessairement le service militaire. S'il est soldat, il veut l'être librement, il s'engage. Il déteste être enrôlé malgré lui et les cas

d'insoumission et de désertion sont fréquents. «Un Anglais demandait un jour à un Kurde, magistrat à Shaqlawah, s'il y avait là beaucoup de crimes. Le Kurde lui répondit: «Nous n'avons ici que deux sortes de crimes. Ni vol, ni mensonge... Ici les seuls crimes sont, ou des affaires de femmes, questions d'honneur ou d'amour; — ou bien, lorsque nos jeunes gens esquivent le service militaire» (45).

Même suppression d'emploi, si je puis dire, en ce qui concerne la levée des impôts pour le Gouvernement. Mais les hommes de tribus sont toujours assujettis à certaines redevances à leurs aghas qui ne se privent pas de pressurer leurs sujets. Ces redevances portent le nom général de *axalî*, droit de l'agha. L'essentiel provient du *zekat*, dime sur le blé et l'orge. Le supplément est fourni par le *meran*, une tête de mouton sur cinquante, ou son équivalent en argent; le *pûsan*, ou taxe de pacage et les multiples prestations en nature sur la plupart des produits fermiers, par exemple, le *rûnan*, sur le beurre, *hêlkan* sur les œufs, *hirmiyan* sur les poires, etc. Sans parler du *micêwer* ou contribution au salaire de la domesticité de l'agha. — A cela viennent s'ajouter les amendes, *cerîme* ou *dirav*, allant de quelques shillings à dix livres, pour méfaits accomplis ou calmer les disputes; le *sûran*, taxe de mariage et le *pîtek*; contribution aux frais de mariage d'un parent de l'agha ou d'autres cérémonies. Pour couronner le tout, les différentes corvées, *bêgar* ou *herewez*, c'est-à-dire deux ou trois jours de travail obligatoire pour le labour, *herewezê cot*, la moisson et le battage, *herewezê dirû û gêrê*, la corvée de fourrage et de bois, *herewezê gila û dar* (46). Le fait ne date pas d'aujourd'hui (47). Il va sans dire que les chrétiens, appelés par leurs aghas *zêr-xurlî*, c'est-à-dire achetés avec de l'or, selon le consul anglais Taylor, en 1860 (48), étaient, si possible, encore plus mal lotis que les sédentaires musulmans (49). Ces redevances au profit du chef étaient donc assez lourdes. Elles étaient dues souvent en nature, mais pas toujours (50). — Les «droits» des chefs religieux s'ajoutent, pour le paysan, aux taxes et aux impôts indirects des aghas de tribus. L'évêque chrétien lui-même rappelle la dime des récoltes, quand il le peut. Le mollah du village ne se laisse pas oublier au moment de la moisson et des fêtes, et des derviches itinérants, les *muftxwar* ou parasites, sous couleur de dévotion, veulent avoir aussi leur part de gâteau. Après l'installation des Assyriens en Irak, chaque soldat ou officier de la communauté enrôlé dans les *levies* britanniques donnait chaque année à son Patriarche nestorien, Mar Chamoun, l'équivalent d'une journée de sa solde par mois (51). Aujourd'hui encore, l'Emir des Yézidis perçoit de ses fidèles au moins 1/10 de leurs revenus, Kotlov dit même 1/7, sans parler des autres taxes (52). Mais ce que

l'homme des tribus n'est plus obligé de payer comme un droit pour son agha, il le lui apporte sous forme de cadeau, de *bahşîş* ou *pêşkêş*, à l'occasion des fêtes, des mariages, des visites, qu'on ne fait jamais les mains vides.

La seule fonction qui revienne encore au chef, sinon officiellement, est peut-être la fonction de justice, et encore! Au lieu de passer devant le tribunal des juges du gouvernement, *hakîm*, ou même des juges religieux, *kadî* ou *kazî*, pour l'application de la chari'a, le Kurde préfère souvent arranger les choses à l'amiable devant le chef de la tribu et suivant le droit coutumier, *irf* (53).

Voici quelques cas (54). Pour le rapt d'une jeune fille ou d'une femme non consentante, on pille, *talan*, la propriété du coupable. S'il y a eu consentement, on paiera une amende, *next*, de 10 à 100 livres. Pour d'autres crimes, ce sera l'incendie de la maison, *malsoti*, et l'abattage des arbres fruitiers, *rezbirî*. En cas de vol de bétail, on doit restituer l'équivalent au propriétaire et quatre pièces au chef; mais le chef n'aura que deux pièces, s'il s'agit de volaille. Au XIX[e] siècle, certains chefs s'étaient montrés si sévères dans la répression du vol sur leur territoire qu'aucun délit ne se commettait plus. Ainsi en fut-il chez Mîr Kor ou Bedr-Khan (55).

L'assassinat est jugé d'après la principe de vengeance, *tola* (56). Les parents de la victime acquièrent le droit de vengeance sur l'assassin qui, en même temps, est banni de la tribu pour une période de cinq ans ou plus. Si, dans ce laps de temps, les ayants-droit le tuent, la question est résolue; sinon, à l'échéance du terme, l'assassin peut revenir dans la tribu, après avis favorable des vieillards confirmé par le chef. Mais le droit de vengeance reste toujours acquis. On peut se mettre d'accord pour estimer le prix du sang: le versement de ce prix, qui n'atteint jamais celui que fixe la chari'a à cent chameaux, a la vertu d'arrêter le sang, *xwîn bestin*, car on croit que le sang coulera tant qu'il ne sera pas vengé. Mais cet arrangement à l'amiable n'est pas très en faveur chez les Kurdes qui préfèrent le coup de fusil ou le coup de poignard (57). Toutefois, si le coupable se présente chez l'ayant-droit avec son linceul et son sabre au cou, c'est-à-dire se livre à sa merci, l'arrangement par composition ne peut être refusé. Un bel exemple de pardon en même temps que de la loi d'hospitalité fut donné par un chef de clan, près de Malatia, Qadir Axa, dont le fils préféré avait été tué (58).

c) Les concurrents du chef et ses complices.

Les pouvoirs du chef, à l'heure actuelle, diminuent certainement; son autorité peut parfois être discutée, elle est aussi battue en brèche bien souvent par des concurrents qui, eux, n'ont rien de tribal.

Les premiers sont, à coup sûr, les *notables citadins* et *propriétaires fonciers*. Ce sont des sédentaires fixés. Ils possèdent des villages, des fermes et servent ainsi de juges aux gens des tribus, d'arbitres, d'intermédiaires auprès du Gouvernement, ainsi que d'employeurs et de bailleurs de fonds (59). C'est donc à eux qu'on aura recours, plutôt qu'au chef naturel de la tribu, souvent moins riche en numéraire et probablement moins instruit. Mais cela était peut-être vrai chez les Kurdes de Turquie, de la région de Diar-Békir. En Irak, certains chefs ont réussi à accaparer comme biens de famille les terrains traditionnels de pâturage de la tribu, si bien qu'ils sont devenus eux aussi propriétaires fonciers. Ainsi la famille des cheikhs de Barzandje de Sulaimani, depuis 1880 (60). De même les Djaff ont des propriétés qui s'étendent sur des dizaines de milliers d'hectares et également les Hamawend. Dans ce cas naturellement ces chefs de tribu, tout comme ceux de certaines familles princières d'Iran devenus aussi gros propriétaires, sont étroitement liés avec la bourgeoisie citadine et participent comme eux à des opérations commerciales, comme l'a signalé O.L. Viltchevsky.

Si les propriétaires terriens peuvent, en un certain sens, contrebalancer l'autorité morale du chef tribal, ils n'en soulagent pas pour autant la misère du paysan. Celui-ci en effet, déjà accablé sous les exigences de son agha, subit également celles du maître du sol. En tout cas, l'agha fait coup double quand il a réussi à s'attribuer la terre de labour ou les terrains de pâturage. Les études du régime agraire en Iran, par Miss Lambton (61), et dans le Moyen-Orient, par Miss Warriner (62), mettent à nu ses conséquences désastreuses pour le fellah. Le métayer finit son année avec des dettes et les mains vides, dit la première (63). En effet, ajoute la seconde, le propriétaire prend au paysan kurde, plus privilégié pourtant que le fellah arabe, la moitié des récoltes estivales: tabac et coton, et le 1/10 des récoltes d'hiver: blé, orge, etc. (64). Ajoutons à cela les taxes dues au régisseur, *serkal* (7,5 %), au Gouvernement (10 %), et autres bribes qui échoient à l'entourage domestique du patron (65). On comprend qu'avec un tel régime les jacqueries soient fréquentes et qu'il provoque un exode massif des serfs, dont les ressources atteignent à peine 500 à 1000 Fr par mois et par tête. Aussi une réforme agraire est-elle à l'ordre du jour et les Kurdes ne devraient pas être les derniers à en bénéficier (66). De fait, une *Loi de Réforme agraire* fut même publiée, le 1er octobre 1958, après la proclamation de la République irakienne. Cette loi, d'après l'exposé des motifs, a pour but: 1) de mettre fin au féodalisme en Irak et à l'influence des seigneurs féodaux; 2) de relever le niveau social de la grande classe des paysans; 3) de développer l'agriculture et, partant, le revenu national. Mais les féodaux gros propriétaires

essayèrent de tourner cette loi à leur profit. «Au nom des revendications de la population kurde», ils brandirent leur slogan: «La terre de la tribu à la tribu», ce qui revenait à l'abolition des actes de propriété et à l'abrogation des contrats de location pour la plupart des paysans (67). L'évolution est donc loin d'être achevée et elle ne se fait pas sans heurts. En Turquie, dans les régions kurdes, prédomine encore la grande propriété terrienne (67 bis).

Un second concurrent du chef, surtout chez les nomades, sera l'*oba-başî*, qui centralise les petits troupeaux de 20 à 25 tentes ou ménages pour en faire un gros troupeau de plusieurs milliers de têtes (68). L'oba-başî choisit les bergers à gages, indique les lieux de pacage, organise la transhumance. Chacun paiera au prorata de l'importance de son troupeau. L'oba-başî ne paie rien et, en outre, a droit à certains services: on transporte ses affaires, on dresse ou démonte sa tente (69). Ce système d'exploitation économique, remarque encore O.L. Viltchevsky, diminuait d'autant le pouvoir politique des chefs de tribu.

Enfin les chefs religieux, cheikhs de confréries surtout, parviennent souvent à éclipser l'autorité du chef de tribu. Aussi ce dernier n'aime-t-il pas souvent voir s'installer chez lui, dans son village, un tel personnage pour y ouvrir une *Tekké*, car, sous prétexte de religion, le cheikh ne tardera pas à s'arroger un rôle politique pas toujours bienfaisant (70). J'ai signalé ailleurs cette activité de ces hommes de religion (71).

4. — *Décadence de l'état tribal.*

S'il existe encore des tribus et des chefs de tribus reconnus officiellement et même appointés par les Gouvernements irakien et iranien, le fait est qu'en Turquie et en Arménie soviétique, toute autorité tribale a été supprimée et souvent de façon brutale. Chez les Soviets, aucun doute possible. En Turquie, il reste encore des traditions. Tous les chefs n'ont pas été pendus et, en tout cas, leurs fils sont bien vivants. Il reste sans doute chez le peuple, dans quelques régions, un certain respect pour les anciennes familles nobles. Ce prestige est reconnu même par des auteurs soviétiques, comme Kotlov ou Viltchevsky. Mais y a-t-il regret de la disparition de l'autorité ancienne? C'est moins sûr. Interrogé par moi à ce sujet, dans l'été de 1959, un jeune Kurde évolué d'Istanbul m'a répondu: «Il est bien entendu que les tribus ont perdu leur cohésion, mais les chefs essaient de reconquérir leur influence, non point pour des raisons de féodalité, mais au moyen de nouveaux services rendus dans le domaine social. Les fils des anciens chefs féodaux sont devenus avocats, médecins et se rendent ainsi utiles à leurs anciens subordonnés. Et ceux-ci d'ailleurs ne les oublient pas, par exemple, lors des

élections au Parlement». Il y avait en effet à Ankara, en 1959, une centaine de députés kurdes, soit démocrates, soit républicains. C'est donc une nouvelle noblesse qui se forme. Mais un Kurde de Beyrouth, dont je connais la tribu d'origine, et à qui je demandais s'il avait encore des obligations vis-à-vis de son agha, m'a répondu que tout cela était de l'histoire ancienne, et que si ce chef avait besoin de quelque chose, il n'avait qu'à travailler comme tout le monde! C'est vrai qu'il s'agit là d'un Kurde momentanément déraciné, mais on voit l'évolution qui s'amorce.

Dans les pays arabes, Irak et Syrie, la centralisation travaille aussi à la diminution du prestige et de l'autorité des chefs. Des fonctionnaires civils s'occupent de la justice et des impôts. La réforme agraire, surtout en Irak, accentue la rapidité de cette transformation sociale (72). Il semble que ce soit en Iran que les liens de la tribu sont encore les plus étroits. Mais là aussi, avec la sédentarisation des nomades et la centralisation gouvernementale, on peut prévoir la disparition, plus ou moins prochaine, de toute organisation tribale chez les Kurdes.

III

LA FAMILLE KURDE

Qu'il vive en tribu ou qu'il soit entièrement dégagé des liens tribaux, qu'il soit pasteur nomade, vivant sous la tente dans la montagne, ou complètement sédentarisé, installé comme boutiquier ou cultivateur au village, artisan dans la ville ou bien ouvrier plus ou moins spécialisé dans les travaux de barrage ou d'exploitation du pétrole, le Kurde ne vit pas seul. Il a sa femme et ses enfants. Il a sa famille. La famille du montagnard kurde ressemble-t-elle à celle du Bédouin arabe? Peut-on la comparer à celle du paysan ou du citadin chrétien près duquel il vit?

Essayons de pénétrer dans le foyer kurde, franchissons le seuil de la demeure du Kurde moyen et nous n'aurons pas à le regretter.

1. — *Le Kurde devant la femme et le mariage* (72 bis).

Remarquons d'abord que tous les Kurdes se marient et que le *célibat* n'existe guère au Kurdistan, conformément à leur proverbe:

Homme seul devient faible,
Femme seule devient chaude!

La *prostitution* est aussi chose inconnue des Kurdes. Ils n'en peuvent parler qu'en empruntant aux Turcs leur vocabulaire. Pas une seule maison close dans les petites villes kurdes d'Iran, comme le constate Viltchevsky. D'ailleurs, les Kurdes se marient souvent très jeunes: les garçons vers quinze ou seize ans, les jeunes filles vers douze ans. Aujourd'hui pourtant il y a tendance à retarder un peu l'âge du mariage, surtout lorsqu'il s'agit de jeunes gens qui poursuivent leurs études. L'amour lesbien n'a jamais existé chez les Kurdes, nous affirme K. Daghestani (p. 132).

Bien que Musulmans, les Kurdes ne sont point, pour l'ordinaire, *polygames*. Autrefois, et souvent dans des vues politiques, des chefs surtout épousaient plusieurs femmes et avaient de nombreux enfants. Le *Charef-Name* signale un certain Djan Bulad Beg, c'est-à-dire l'âme d'acier, ancêtre des Joumblat du Liban! qui avait soixante-dix fils (73). Le grand Bedr-Khan a eu quatorze épouses et quatre-vingt dix-neuf enfants. A sa mort, il ne lui restait plus que vingt et un garçons et vingt et une filles: c'est déjà toute une tribu! (74). Le fameux Ismail Agha Simko, de la tribu des Chekkak, assassiné par les autorités persanes en 1930, avait épousé lui aussi quatorze femmes. Mais c'est là malgré tout chose exceptionnelle. J'ai moi-même connu Saïd Beg, Émir des Yézidis, alors qu'il venait de prendre sa sixième femme, la jeune émira Wansa, élevée à l'Université Américaine de Beyrouth, et qui devait le quitter par la suite après lui avoir tiré un coup de revolver. Ce prince, au demeurant peu sympathique, devait avoir en tout dix femmes légitimes; mais c'est une bénédiction pour une fille de sa nation que d'être regardée par lui, dont l'origine passe pour être divine aux yeux de certains de ses sectateurs. Les gens du commun, eux, évitent les soucis et les tracas des ménages complexes, car «celui qui épouse deux femmes, fait le portier». Le *divorce* est également relativement peu fréquent. On se moque de qui voudrait répudier sa femme. Qui en aurait envie n'a qu'une seule ressource: quitter sa tribu. A moins de mettre en partique ce que dit la chanson:

«Les jolies femmes, de la part des hommes méchants,
Ne peuvent pas être abandonnées, mais tuées!»

C'est évidemment une façon radicale de résoudre un délicat problème. Si par ailleurs l'épouse est coupable, le mari assassin est protégé par tous.

Dans cette étude de la famille kurde, je voudrais rapporter les idées les plus courantes et les coutumes les plus usuelles concernant les fiançailles et les noces; le mari, la femme et l'enfant.

2. — *Les fiançailles et les noces* (75).

Le Kurde est ordinairement bon mari et bon père. Mais cette réussite familiale exige naturellement un bon choix, car l'affaire est d'importance. D'autres considérations que la personne ou la beauté de l'épouse vont donc entrer en ligne de compte: «Ne regarde pas la femme, regarde la parenté». — «Examine l'oncle maternel, puis conduis la femme à la maison». — Le meilleur choix sera souvent celui de la cousine, d'autant que le cousin a un droit de priorité sur elle, même si la dot qu'il propose est moindre que celle des autres prétendants. En tout cas, dit le proverbe: «Qui prend femme doit avoir un sac d'écus ou un ballot de mensonges!» Et aussi: «On ne peut épouser une princesse avec une dot de bouvier». Les travaux en plein air, chez les sédentaires, la vie des camps, chez les nomades, les fêtes saisonnières et les danses qui les accompagnent font que, non seulement il n'existe aucune séparation sociale entre garçons et filles, mais qu'il leur est très facile de se rencontrer chaque fois qu'ils le veulent. D'où ces amourettes et rendez-vous clandestins si souvent évoqués dans les chansons populaires. Après l'entente intime des deux jeunes gens connue et agréée de la famille, la mère ou la tante du jeune homme fait une démarche discrète chez les parents de la jeune fille; ou même un notable ami se présente chez la future fiancée et offre une arme ou un cheval. Si le cadeau est accepté c'est qu'on est d'accord: ce sont les accordailles, *herê kirin*. Quelque temps après, le père ou l'oncle ou le frère aîné fera la demande officielle du mariage, *xwezgîn*. A cette occasion il offre des raisins secs et autres sucreries, d'où le nom de *şîranî*, douceurs, qu'on donne à cette cérémonie. On fixe alors le montant de la dot, *qelen* ou *kelîm*, qui a déjà été discuté par les intermédiaires, pour éviter les brouilles familiales. Cette dot évidemment varie avec les régions et la situation des parents. Chez les Yézidis, elle s'élève à 40 dinars irakiens. Chez les Kurdes chrétiens d'Irak ou Chaldéens, l'évêque a dû fixer un montant maximum. De fait, cette dot au tarif trop lourd pour beaucoup de paysans leur rendait le mariage presque inaccessible. On sait la campagne menée contre elle chez les Kurdes d'Arménie soviétique (76). Après la demande officielle, les fiancés sont *xwestî*, promis. Après un délai de plusieurs mois où même d'un an, on célèbre les fiançailles, *destgîran*, ce qui est l'occasion d'un grand repas de famille, à la fin duquel les convives font un cadeau en argent. Désormais les jeunes gens sont *destgirtî*, c'est-à-dire fiancés et le fiancé a la permission tacite de venir voir sa fiancée chez elle. Quand la dot aura été versée, ils seront *delenda*. Alors les parentes de la fiancée commenceront à s'occuper du trousseau, *cihaz*.

Tout est donc prêt, mais on attendra le printemps ou l'automne pour la cérémonie nuptiale. Pourtant il ne faut pas encore chanter victoire. «La mariée est à cheval, nul ne sait à qui elle appartiendra!» Il arrive en effet qu'au moment où le cortège se met en route, un prétendant évincé s'avise d'enlever la jeune fille si elle est consentante. Cet enlèvement est considéré comme un acte chevaleresque, bien qu'il soit souvent à l'origine d'une «affaire de sang» entre clans ou entre familles. Les fugitifs vont se mettre sous la protection d'un chef voisin, assez puissant pour calmer les parents et arranger l'affaire (77). En tout cas, tant que le mariage n'est pas conclu, le jeune homme respecte la jeune fille. C'est là une question d'honneur (78). Des chansons prétendent que la jeunesse doit avoir un pareil souvenir et que ce souvenir arrive toujours à dissiper les malentendus même graves du ménage (79).

Mais voici le grand jour arrivé. Les amis réciproques ont veillé à la toilette des futurs époux. On n'a pas épargné le *henné*. Pour les noces, *dawet*, un cortège s'organise, à cheval ordinairement. Il est de bon ton que la fiancée verse ou fasse semblant de verser quelques larmes en quittant le logis paternel. D'ailleurs, pour la consoler les assistants lui chantent un épithalame, *hevalê*, que tout le monde reprend en chœur (80). Et ce sont des cris et des chants et de la musique, jusqu'a ce qu'on arrive à la maison du fiancé. Ce dernier ne se montre pas de suite. On doit le supplier de ne pas abandonner la pauvre petite, qui de son côté fait mine de ne pas vouloir descendre de cheval. Finalement tout s'arrange. Avant de franchir le seuil de sa future demeure, la fiancée doit enjamber les débris d'une cruche pleine de pièces de monnaie ou de sucreries, qu'on a brisé à ses pieds (81). Aussitôt après a lieu la cérémonie religieuse ou *mehr*. Le mollah demande par trois fois le consentement des futurs ou de leurs représentants. Quatre témoins sont obligatoirement présents. Tous les assistants doivent rester immobiles, les mains posés à plat sur les genoux, en sorte que nul ne puisse nouer l'aiguillette au fiancé durant l'accomplissement du rite. Puis, tandis que tout le monde s'amuse, la nouvelle mariée, installée sur son trône, comme disent les Yézidis, reste silencieuse, recouverte d'un voile, dans un coin de la pièce, un peu comme une idole.

Chez certains Kurdes de la région de Houleilan, dans la province de Kirmanchah, la cérémonie de mariage est assez simplifiée. Là-bas, certains Kurdes sont chiites, d'autres Nosairis, d'autres Ali-Ilani. Les Nosairi mangent du porc. Dans cette tribu, les *akhond*, c'est-à-dire les mollah remplacent les Kadi. Le jeune homme et sa fiancée viennent chez l'akhond et lui déclarent leur intention de se marier. L'akhond prend une hâche et, accompagné des deux fiancés, se rend sur la montagne de Zerdêlal, où croit

l'arbre *merdêlal*, entouré d'une enceinte comme un «*turbé*». L'akhond s'approche de l'arbre et dit en le frappant de sa hâche: «Oh! montagne Zerdêlal, oh! arbre Merdêlal, le mariage de cette jeune fille avec ce jeune homme est autorisé». Et ainsi se termine la cérémonie nuptiale (82).

Cette simplification du cérémonial est évidemment exceptionnelle. La fondation d'un nouveau foyer est d'importance dans toutes les parties du monde, mais, chez les Kurdes, l'amour de leur foyer, même matériel, revêt un aspect d'ordre mystique ou religieux, à moins qu'on ne dise superstitieux. Voici ce qu'en rapportait un Arménien Eguiazaroff, qui les avait examinés à la fin du siècle dernier dans la région d'Érivan:

«Les Kurdes professent à l'égard du foyer paternel et de celui de leurs cheikhs un respect absolu. Le foyer, composé de quelques pierres, est sacré et le feu qui y brûle est regardé comme un élément pur. Y cracher est un outrage sanglant. Le Kurde jure par son foyer. Le nouveau-né est promené tout autour. La fille qui se marie en fait le tour avant de le quitter pour celui de son mari. Une mère marie-t-elle son fils, elle vient elle-même préparer le foyer des nouveaux époux avec du feu pris au logis paternel» (83).

Mais revenons à nos jeunes mariés, *bûk û zava*. Les cérémonies sont terminées. On a bien festoyé, beaucoup chanté et dansé plus encore. Le *Brazava*, garçon d'honneur, posté à la porte de la chambre nuptiale, a tiré le coup de feu traditionnel, annonçant que le mariage est consommé, et chacun s'en retourne chez soi. La *pîrek* ou *berbûrî*, matrone qui accompagne la jeune mariée, montrera le lendemain aux parents et aux amies les «signes de la virginité», comme dit l'Écriture. Après quoi, son rôle est terminé (84).

3. — *Le mari, la femme et l'enfant.*

Voilà donc notre jeune ménage installé chez soi. La vie reprend... quotidienne, sans trop de heurts, si l'on se fie aux proverbes: «La femme est le pilier de la maison». «Femme vertueuse est de bonne prise; mauvaise femme, une chaîne! — La femme est une citadelle, l'homme est un prisonnier. — L'homme est une rivière, la femme un lac». Elle est, en effet, ordinairement du moins, plus conservatrice que son mari. Les voilà désormais unis à la vie à la mort. «*Jin û mêr, tevir û bêr*, c'est-à-dire Épouse et mari, pioche et bêche». Ce qui signifie que seules la pioche et la bêche qui creuseront leur tombe pourront les séparer. Ainsi d'accord, ils jouiront sans doute de bons moments: «Regards des yeux, contentement du cœur». Et le mari pourra rappeler à son épouse: «A cause d'une source, j'aimais une montagne». Pour autant il ne se laissera pas mener par elle. Chacun à sa place! «Une femme

modeste vaut une ville; un homme modeste ne vaut qu'un chevreau». Il n'est pas normal non plus que «l'homme soit au cellier et que la femme aille répondre à l'appel!», qu'il soit coq un jour et poule toute une année! Une bûche solitaire est pareille à un homme soumis à sa femme. D'ailleurs «ce n'est pas avec des prières que l'on gouverne sa femme». Mais n'exagérons rien. Contrairement à ce qu'on imagine couramment chez les peuples d'Islam, la femme, chez les Kurdes, est considérée comme l'égale de l'homme. Elle ne porte pas de voile. Elle dirige les affaires de la maison, tient souvent la bourse et règle les dépenses du ménage à son gré. Et si quelque étranger franchit le seuil de sa demeure, non seulement elle ne disparaît pas, mais elle peut très bien venir s'asseoir dans le groupe et prendre part à la conversation sans choquer personne (84 bis). Le Kurde a, en effet, confiance en son épouse, tout comme, d'ailleurs, il se fait une haute idée de la femme en général. Il jugerait indigne de lui de penser et d'agir autrement.

On voit déjà par là que la femme kurde n'est pas une esclave. Le mari aime sa femme et sait s'en faire aimer. La jeune Antaram de Trébizonde, cette Arménienne devenue l'épouse d'un chef kurde, le reconnaissait parfaitement (85). Sans parler des Européennes qui épousèrent des étudiants kurdes venus en Europe, il en est qui, au cours d'un voyage ou d'un séjour au Kurdistan, se laissèrent conquérir. Le cas n'est peut-être pas très fréquent, mais il n'est pas inouï. En 1891, une jeune Anglaise de 17 ans, Ketty Greenfield, fille d'un ancien consul d'Angleterre en Perse, tomba amoureuse d'un chef kurde de Saoudj-Boulak, devint musulmane et, malgré les exhortations du consul britannique et de sa mère, et les démarches du Gouvernement persan, elle voulut rester avec celui qu'elle avait choisi pour mari. Evidemment si ce dernier avait été une brute, à moins qu'elle-même ne fût dévoyée ou déséquilibrée, elle ne l'aurait pas rejoint (86).

Une histoire assez amusante illustre bien la manière avec laquelle une femme, kurde ou non, peut rendre heureuse son mari(87).

Ismail Pacha, qui fut le dernier chef héréditaire et indépendant d'Amadia (1842), avait pour conseiller un certain Issou, reconnu pour sa sagesse. Le Pacha lui posa donc un jour cette question: «Quelle est la meilleure femme du monde?» — «C'est celle qui est à la fois voleuse, passionnée et menteuse», répondit le sage. Comme le Pacha n'arrivait pas à comprendre cette réponse, Issou lui proposa d'aller faire un tour avec lui. Ils se déguisèrent donc en derviches et partirent.

Ils entrèrent dans une première maison, celle du benjamin de trois frères, et demandèrent l'hospitalité pour la nuit. — «Vous êtes les bienvenus, pères derviches». Ils s'assirent et remarquèrent que la barbe du maître de la maison était toute blanche et son dos tout voûté. Ils s'étonnèrent: «Comment peut-il en être ainsi chez un homme d'une quarantaine d'années?» — «Demain vous irez chez mon frère plus âgé, répondit-il, et vous comprendrez!» Là-dessus,

il appelle sa femme. Celle-ci s'écria: «Araignée rouge, venin de serpent, que me veux-tu?» — «Il faudrait préparer à manger pour nos hôtes les derviches». — «Est-ce que tu ne sais pas que dans ta maison ruinée il n'y a rien? Où puis-je prendre quelque chose?» Bref, à tout ce que disait son mari, elle répliquait grossièrement et effrontément. Quand vint le moment du coucher, le mari lui dit: «Nous avons deux couvertures et deux nattes; prenons les unes pour nous et donnons les autres aux derviches!» — «Puisses-tu devenir aveugle! Ne sais-tu pas qu'une fois par mois, je ne puis tolérer que quelqu'un touche à mes flancs? Prenez une couverture, je me couvrirai avec l'autre!» Ainsi le Pacha et Issou passèrent-ils une mauvaise nuit.

Le matin, ils partirent chez le frère cadet. Celui-ci avait une barbe poivre et sel, moitié noire, moitié grise. Le Pacha lui demanda: «Quel âge as-tu?» — «Je frise la soixantaine» — «Pourtant, observa le Pacha, à cet âge là la barbe est généralement presque toute blanche. Pourquoi n'en est-il pas ainsi chez toi?» — «Passez la nuit chez moi, soyez mes hôtes et demain vous irez chez mon frère aîné et vous le saurez!» Ils restèrent donc. Or, dans ce ménage, la femme tantôt exécutait les ordres de son mari, tantôt elle ne voulait rien savoir: elle était alternativement ou grossière ou polie!

Le jour suivant, ils se rendirent chez le frère aîné. Ils aperçurent que sa barbe était noire comme jais et pourtant il était âgé de quatre-vingts ans, à ce qu'il disait: «Ne vous étonnez pas, derviches. Restez chez moi et vous comprendrez». Ce frère était plus pauvre que les deux autres, mais sa femme lui obéissait en tout. Quand il s'adressait à elle: «Femme!» elle répondait: «Oui, je suis ta victime!» — «Y aura-t-il quelque chose à manger?» — «Mais bien sûr. Il y a de tout: des œufs, du riz, du beurre et du miel!» Et elle prépara un repas qui aurait pu convenir à la maison même du Pacha. Lorsque vint le moment de se coucher, son mari l'interpella: «Avons-nous de la literie?» — «Sous ton ombre, nous avons suffisamment de tout, comme chez un Pacha!» Elle sortit et se procura le nécessaire chez les voisins. «Femme, nous avons aujourd'hui des visiteurs, il ne convient pas de nous coucher ensemble, séparons-nous». «Non, non! Les derviches sont comme nos frères. Tu sais très bien que si je passe une nuit sans toi, mieux vaut ne pas vivre!»

Au réveil, le Pacha se renseigna auprès de cet homme: «Quelle est la meilleure femme?» — «Mais, c'est la mienne, répondit-il. Elle me cache des choses par-ci par-là et fait des provisions pour qu'ensuite nous n'ayons pas honte devant les invités: nous manquons de literie, mais elle en a emprunté chez les voisins; elle m'aime beaucoup. Avec une femme pareille, c'est bien sûr qu'on ne peut pas vieillir!»

Alors le Pacha comprit le sens des paroles d'Issou. Il lui fit des éloges et le récompensa. Puis il enrichit l'aîné des trois frères, fit divorcer le benjamin et trouva une seconde femme pour le cadet.

Si la femme kurde garde une telle place au foyer, il ne faut pas s'étonner de voir certaines d'entre elles acquérir une réelle autorité dans la tribu et la cité (88). C.J. Edmonds nous parle de Rabia Khan, qui était le chef des boulangers à Sulaimani. Au Kurdistan irakien, tout le monde a entendu parler de Adilé Khanim (m.1924), qui pendant quinze ans a dirigé les affaires de la grande tribu des Djaff. On pourrait multiplier les exemples (91). On sait aussi que, chez les Kurdes, se mettre sous la protection d'une femme, c'est trouver la sécurité (92).

Mais quelle que soit la valeur d'une femme aux yeux des étrangers, c'est à son foyer qu'elle est véritablement reine. «Dieu a créé la femme, la femme a créé le foyer», dit un proverbe. Et «quand la mère donne, c'est Dieu qui donne». Aussi son bonheur sera parfait lorsque l'enfant sera là (93). N'est-ce pas la raison pour laquelle on s'est marié jeune? — «Marie-toi jeune pour jouir en temps opportun de la présence de tes enfants». Ainsi donc, suivant la formule: «S'il plaît à Dieu, au bout de neuf mois, neuf jours, neuf heures et neuf minutes, le Très-Haut fera verdir le campement aride». Ou encore: «Le seigneur fera naître un enfant à la femme et répandra sur son visage trois gouttes de lumière!» Car vraiment «les enfants sont le fruit de la maison». — «Maison qui a de l'argent pour richesses peut se ruiner! Maison qui a des fils pour richesse ne le peut!» Et cette noble constatation fait taire tous les égoïsmes:

«Maison qui a un enfant, le Diable n'y va!» (94).

Quelle joie en effet pour le père et la mère, penchés sur le berceau, de saisir le premier sourire, la première caresse, le premier baiser, le premier mot! Le père lui-même, si rude parfois, se fait tendre et, les yeux clos, fumant sa longue pipe, au coin du foyer qui pétille écoute silencieusement la berceuse que la jeune maman chantonne pour endormir Bébé. Les berceuses kurdes, il y en a de très jolies. J'en ai déjà traduit et publié plusieurs. Chose curieuse, presque toutes celles que je connais ont été composées par les papas (95). Ce qu'on peut interpréter, je crois, comme une marque vivante d'amour paternel.

A Sulaimani, sous peine d'accidents possibles, la femme enceinte doit porter sur elle un *duabend*, sorte de talisman, sur lequel sont inscrits des passages du Coran. Mais il est connu que la femme de celui qui copie ces amulettes ne mettra pas d'enfants au monde.

Un médecin militaire français, A. Brunel, a fait une description poignante d'un accouchement, dans un chapitre intitulé: *Malédictions*, car l'événement n'a rien d'un conte ou d'une légende (96). La scène se passe à Dérik, en Djezireh syrienne. Mais je puis ajouter quelques détails. A Sulaimani, par exemple, s'il y a des difficultés, on va à la moqsuée chercher la «*dua*», qui est une pierre sur laquelle sont écrites certaines prières. On la pose sur le dos de la parturiente et tout se passe bien (97). Dans la tribu de Chamesdin, en pareille circonstance, c'est l'épée de Khano-lep-zerin, héros de l'épopée de Dimdim, que l'on dépose sur le lit de la future maman (98). Chez les Kurdes chrétiens de la région de Duhok, on dresse le rouleau de la terrasse de l'église (99). D'autre part, on doit bien faire attention à l'endroit où tombera le cordon ombilical, coupé par la

sage-femme. S'il tombe sur une arme, l'enfant sera un brave guerrier; si c'est sur une assiette ou sur un plat, il sera gourmand. En tout cas, nul n'ignore qu'un être malfaisant, *âl* ou *hal-anassi*, en Arménie soviétique ou en Perse, même chez les Arméniens, paraît-il (100), essaie d'arracher le cœur, ou le foie, et les poumons de la femme en couches. Chez les Yézidis, le *Reşê şevê*, le Noir de la Nuit, risque d'échanger le bébé ou de lui faire mal, ainsi qu'à sa mère (101). Chez les Moukri, c'est l'esprit *cheché* et, à Sulaimani, la goule *Chawa* qui voudrait étrangler le bébé. C'est pourquoi, disait déjà le Père Campanile:

«A peine une femme a-t-elle accouché, qu'on lui pose sur le lit un Coran, une épée, un poignard, un fusil, un pistolet, un bâton à bout recourbé, des clous de girofle et quelque relique venue de la mosquée de Médine. A la tête du lit, on place une longue broche sur laquelle on a enfilé, du haut en bas, de grosses ciboules blanches. Au milieu, une grande branche, formée de fleurs artificielles en soie ou en papier. Ils disent agir ainsi pour empêcher les sorts» (102).

Ces coutumes existent toujours. Et si l'enfant est un garçon, les hommes de la famille vont monter la garde, jour et nuit, durant une semaine, dans la chambre de l'accouchée. Il va de soi qu'il est interdit à toute femme en état d'impureté d'entrer dans cette chambre, car elle porterait malheur.

Des cadeaux nombreux sont offerts à la jeune maman, surtout si elle a mis au monde un fils. Ils varient suivant la coutume des tribus et la position des parents. A la mère, on offrira de l'or, un bélier à sacrifier. Au bébé, ce sera une jument, un pistolet, un poignard. De toute manière, la naissance d'un enfant est toujours célébré par un repas de fête.

C'est la mère qui donne le nom à l'enfant. Beaucoup de Kurdes portent des noms musulmans, cela va de soi. Mais il existe aussi des noms spécifiquement kurdes, portés par les héros de l'Histoire et de la légende nationales, ou qui désignent des vertus qu'on souhaite voir posséder par le nouveau-né, ou sont tout simplement des noms de fleurs, de fruits ou même d'animaux dont les qualités sont appréciées de tous (104).

A Sulaimani, il y a vingt-cinq ans, on circoncisait le garçon alors qu'il était âgé de sept à dix ans. Aujourd'hui, on procède à l'opération huit jours après la naissance. Le parrain n'est pas nécessairement de la famille; mais doit être de bonne renommée. Le plus recherché est celui «qui a bu l'eau de sept sources», symbole du Savoir et de la Sagesse. Les Yézidis acceptent, comme *kirîv* ou parrain, un musulman, mais jamais un chrétien ou un juif. D'autres Kurdes n'ont pas ce scrupule et n'hésitent pas à demander ce service, ou plutôt cette marque de confiance, à cause de la parenté de sang qui s'ensuit, à des chrétiens de leurs amis (105). L'excision des filles,

coutume barbare contre laquelle commencent à s'insurger les femmes musulmanes (106), est pratiquée à Sulaimani, mais pas avant que la fillette n'ait atteint l'âge de huit à dix ans. On fait remarquer, à ce propos, que la «*maman*», c'est-à-dire l'accoucheuse, qui procède à l'opération, doit être spécialement habile.

Le sevrage n'a lieu qu'assez tard. L'enfant en effet est allaité jusqu'à l'âge de deux ans et même davantage, chez les Bakhtiyari (107). Durant toute son enfance, il sera abondamment pourvu d'amulettes et de talismans, à l'épaule ou sur sa calotte, pour détourner le mauvais œil. Jusqu'à un âge assez avancé, les garçons portent sur leur bonnet rouge des porte-bonheur variés: dents de loup, clous de girofle, agates, solimans, onyx, racines de mandragore et autres morceaux variés de bois ou de pierre. Sur les bras, ils ont beaucoup de sachets, où sont écrits des versets du Coran ou autres papiers contenant des paroles de leurs saints personnages (108). Ainsi que le rapporte T.F. Aristova, une pince d'écrevisses, enveloppée dans un chiffon, et cousue sur le costume de l'enfant, est encore aujourd'hui très efficace contre le mauvais œil (109).

Ces coutumes féminines, malgré leur aspect folklorique, voire superstitieux, ne sont, somme toute, que la marque indirecte d'un amour maternel profond qui pousse la mère à chercher partout où elle croit pouvoir la trouver une protection pour son enfant.

IV.

COUTUMES COLLECTIVES DES BONS ET DES MAUVAIS JOURS

Nous avons jusqu'ici fait connaître la vie sociale des Kurdes telle qu'elle se présente d'abord sous l'aspect économique du genre de vie du berger, du paysan ou de l'artisan citadin. Le caractère tribal de l'organisation, avec ses contraintes d'allure féodale, nous est apparu en pleine décomposition. Les habitudes familiales nous ont permis de constater, chez les Kurdes, un amour du foyer plus profond que beaucoup ne se l'imaginaient. Il nous reste maintenant à voir tout un ensemble de coutumes collectives qui débordent souvent le cadre familial et même le cercle de la tribu et qui n'en sont pas moins bien caractéristiques du peuple kurde. Elles ont trait aux joies et aux souffrances de la vie, ainsi qu'à la mort, et c'est

pourquoi nous les avons intitulées: Coutumes collectives des bons et des mauvais jours.

1. — *Sous le signe de la joie.*

Parce que le climat du Kurdistan a fait de ses habitants des hommes sains et vigoureux, le Kurde est de tempérament optimiste, gai dans son comportement, spirituel en ses reparties et, ce qui peut paraître étrange, assez sentimental. Tous ces aspects se retrouvent en maintes coutumes.

a) *Rythmes et chansons.*

Toutes les fêtes familiales: naissance, circoncision et surtout mariage, sont accompagnées de danses et de chants. De fait, on ne conçoit guère, chez les Kurdes, de noces sans danser. C'est pour eux, en tout temps, un amusement très recherché. Leurs danses, évidemment, n'ont absolument rien de commun avec les trépidations occidentales modernes. Elles n'en sont pas moins multiples et portent le nom générique de *reqs*, qui est arabe, et surtout *dîlan*. Les variétés sont infinies et sont désignées souvent du nom de la région d'où elles sont originaires, par exemple: *Amûdî*, *Botanî*, *Dêrikî*, *Serhedî*, *Siwerekî*, *Rohayî*, *Şêxanî* qui correspond à la *dabké* libanaise. Mais on les nomme aussi d'après la forme des mouvements qu'elles font exécuter. On a alors la *govend* qui est plutôt une ronde, où jeunes gens et jeunes filles, se tenant par la main, ou bras dessus bras dessous, exécutent des pas, des chassés-croisés, des balancements fortement scandés, tandis que fifres et grosse-caisse en martèlent le rythme. Parmi les variantes, nous avons ainsi *sêgavî* ou *sêpeyî*, *çarpanî*, *giranî*, *xirfanî*, *teşiyok* ou encore *milanê*, où les partenaires dansent épaule contre épaule, *ayişok*, «petite Aïcha», quand les danseurs forment un cercle complet. Les étudiants ont une danse particulière qu'ils appellent *bêlîte* ou *bêlûte* (110). La danse *çopî*, très répandue, est une sorte de danse avec sautillement. Celui qui la mène, *serçopîkêş* (111), agite d'une main un mouchoir et de l'autre entraîne les danseurs, dont la ligne s'avance ou recule en oscillant de côté et d'autre. «Il y a un mouvement doux et ondulant du cercle entier en harmonie avec la musique, tout à fait comme la masse du blé qui ondoie quand elle est mise en mouvement par une brise légère» (112). C. J. Edmonds nous dit que lorsque les femmes se joignent à la *çopî*, ce qui est l'habitude dans les villages, on l'appelle *reşbelek*, la bigarrée. Les danses *bêriyo*, la laitière, et *temzara*, tout comme la *şêxanî* sont pratiquées aussi par les Assyriens.

Les chansons également sont aussi nombreuses que variées (113). «On chante une chanson... Elle n'est pas la même la nuit

que le jour. Si un enfant la chante, c'est autre chose, et autre chose si c'est une femme. Elle change, selon que jeunes ou vieux la chantent. Elle n'est pas la même dans la montagne et dans la plaine, dans la forêt et sur la mer. Chaque fois elle varie. Le matin, à midi dans l'après-midi ou dans la soirée, ce n'est pas la même» (113bis). Les épopées d'allure guerrière, *şer*, appelées *delal* dans la plaine et *lawiqê suwaran* chez les montagnards, sont souvent très longues. La fiancée ou la bien-aimée, restée à la maison, chante les péripéties de la guerre et les faits d'armes de son héros parti pour la bataille. Chaque tribu, peut-on dire, a son *delal* propre (114). De longs poèmes religieux, *lavîj*, à ne pas confondre avec les chants purement coraniques, sont également chantés sur une musique recueillie (115). Et puis, il y a les multiples chansonnettes qui agrémentent les mille et une occupations de la vie de tous les jours: les *berdolavî*, ou chansons de devant le rouet, que les jeunes filles fredonnent en filant leur étoupe ou en tissant leurs tapis et *kilim* multicolores; les chansons de moissonneurs; les *pehîzok*, chansons d'automne que jeunes gens et jeunes filles alternent en descendant du *zozan*, leurs lieux d'estivage; les *serêle*, chansons de printemps; sans parler évidemment des innombrables chansons de danse, les *dîlok*, qu'accompagnent la flûte et le tambourin. Nous avons déjà signalé les épithalames, *hevalê* ou *serêzavano*, ces chants qui accompagnent la jeune épousée en sa nouvelle demeure. Les *lorî* ou berceuses constituent un genre à part, remarquable surtout par sa fraîcheur et sa simplicité.

La musique kurde, inséparable des danses et des chansons, fait partie assurément de ce qu'il est convenu d'appeler musique orientale; mais on ne peut la confondre ni avec la musique arabe, ni non plus avec la musique arménienne. Il n'est pas rare d'entendre, sur les ondes d'Istanbul ou d'Ankara, des airs soi-disant turcs, mais qui sont kurdes en réalité, car la musique kurde a influé parfois sur les chants des peuples voisins (116). La vie musicale était très développée dans l'Empire des Sassanides (117) et la tradition s'est maintenue chez les Kurdes. C'est un Kurde de Mossoul, célèbre musicien et arbitre des élégances, Ziriyab (789-859), qui, après avoir commencé sa carrière à Baghdad, la continua avec un éclat exceptionnel à la cour d'Abd er-Rahman II, à Cordoue, où il fonda un Conservatoire. La musique orientale qu'il y introduisit prit un aspect original, rappelé dans les airs andalous que les Gitans ont conservé jusqu'à nos jours (118). L'histoire a conservé encore le nom, au IX^{e} siècle, de toute une dynastie de musiciens kurdes: Ibrahim ibn al-Mehdi, son fils Ishaq et son petit-fils Hammâd (119). Quoi qu'il en soit de ses origines et de ses gloires passées, la musique kurde d'aujourd'hui n'est point

savante, mais populaire, et ne connaît point l'harmonie. Ses mélodies, aussi nombreuses que variées, conservent un caractère pathétique, assez souvent mélancolique. Elle n'a guère été étudiée scientifiquement par les occidentaux qui n'en ont entendu parler que par quelques voyageurs (120). Il est assez curieux de constater que c'est un prêtre arménien, au sens artistique, le Vartabed Comitas (1869-1935) qui, le premier, a recueilli et noté certains chants populaires kurdes, récemment réédités en Arménie soviétique (121). Mais aujourd'hui, il semble que les Kurdes eux-mêmes s'intéressent à l'originalité de leur musique nationale et ont à cœur de ne pas laisser perdre ce trésor (122).

Les instruments de musique utilisés par les Kurdes sont souvent de fabrication rustique (123). Tout berger a sa *bilûr*, ou flûte champêtre, dans sa musette. Lors des danses, la *zirne*, flûte courte, accompagne l'*erbane*, tambourin, et le *dehol*, tambour ou grosse-caisse. Les cymbales, *xelîle*, scandent certains chants yézidis. La viole sur peau, *ribab*, et le violon, *keman* ou *kemance*, servent aussi à faire danser les paysans. La guitare, *saz*, n'est pas spécifiquement kurde, et la trompette, *borî*, n'est en usage que chez les militaires (124).

«Tout Kurde et même toute femme kurde est poète», a dit au siècle dernier le célèbre écrivain arménien Abovian. Il aurait pu dire aussi bien tout Kurde est musicien et aime chanter. Mais il en est parmi eux certains qui sont spécialistes. Les *stranvan*, chanteurs, et surtout les *dengbêj*, trouvères, et les *çîrokbêj*, conteurs, sont assez bien considérés par le peuple (125). Il n'en est pas de même des *mitirb*, sorte de tziganes sans attache avec les tribus et qui circulent partout pour divertir les gens (126). Chanteurs et trouvères, qui malheureusement sont en voie de disparition, acquièrent leurs connaissances musicales, parfois auprès d'un maître, comme Rahman, l'informateur d'O. Mann (127), ou le plus souvent auprès d'un autre conteur, ainsi que l'a raconté lui-même Ehmedê Ferman, ancien barde chez l'agha des Kîkan (128).

b) *Fêtes et saisons.*

A côté des fêtes strictement familiales, il y a des fêtes saisonnières célébrées par les bergers. Ereb Chamo nous a donnée la description de certaines de ces festivités: *serêpez*, lors des premiers agnelages; *berodan*, lors du départ pour le zozan ou pâturage d'été; *berxbir*, pour la tonte des brebis; et surtout la fête plus grande encore du *beran-berdan*, que les Turcs appellent *kasim*, lorsqu'à la fin de l'estivage on lâche les béliers au milieu des brebis (129). C'est l'occasion de ripailles et de réjouissances en tous genres et

peut-être aussi de futurs mariages. En effet, nous dit toujours Chamo:

«Les jeunes filles enlèvent de leurs coiffures les mouchoirs de soie et les jettent au cou de leurs moutons favoris, tandis que les jeunes gens s'approchent et s'emparent de ces mouchoirs pour signaler qu'ils aiment ces jeunes filles et veulent les épouser. Les pères et mères surveillent quel jeune homme a pris le mouchoir de leur fille; ils savent que la jeunesse s'est entendue en été et que leur fille est d'accord pour celui qui prendra son foulard. S'il n'y a pas d'obstacle de la part des parents, les fiançailles ont lieu et quelque temps après on célébrera les noces» (130).

Si les bergers seuls célèbrent ces fêtes en relation avec l'élevage, il en est d'autres que tous les Kurdes célèbrent à l'envi. Le *nevroz*, *norûz* ou *nûroj* est une fête antérieure à l'Islam. Elle a toujours été en honneur chez les Yézidis, qui passent pour avoir conservé la religion nationale (131), et qui la considèrent comme la fête du nouvel An, *Serêsal*. C'est, en effet, la fête du printemps, du renouveau. Les Kurdes d'Irak, qui l'avaient laissé tomber en désuétude, ou plutôt à qui on l'avait interdite, l'ont reprise depuis plusieurs années. Elle est devenue véritablement une fête nationale que les Kurdes célèbrent, à Sulaimani avec des feux de joie ou à Baghdad par des séances de poésie et de chants. A son occasion, les journaux kurdes publient des numéros spéciaux illustrés. Les étudiants kurdes, partout où ils se trouvent à l'étranger, à Londres, en Allemagne ou en Amérique, en profitent pour faire connaître leur Patrie (132). Les poètes y vont de leurs poésies de circonstance, les orateurs prononcent des discours et tout le monde saisit cette occasion de chanter et de danser sur des airs nationaux.

En liaison avec cette fête de l'année nouvelle, il faut mettre sans doute «la «*Samanî Pazan*» (cérémonie de la cuisson du Samani), qui est une forme d'évocation des célèbres jardins d'Adonis. On fait lever des grains de blé dans une sorte de panier plat. Les plants ayant atteint une certaine hauteur, sont coupés à une date donnée après la fête du «Norouz» (le jour de l'entrée du soleil dans Aries). Puis on les macère dans un mortier pour en extraire le suc: les résidus sont jetés dans une eau courante. Le soir du même jour, ce suc est employé à préparer une sorte de gâteau. Chaque famille convie ses amis et voisins à la célébration d'un «mewloud», et le soir des danses sont organisées autour du feu sur lequel cuit ledit gâteau. Une fois cuit, le gâteau est mis sur un plateau en même temps qu'un miroir, du kohl et du henné, qu'on place et qu'on ferme dans une pièce. Des personnes ayant à formuler des vœux allument des cierges autour du plateau. A l'aube, on ouvre la pièce et l'on soulève le couvercle du récipient contenant le gâteau. On cherche alors à découvrir l'empreinte d'une main sur le gâteau, ce qui donne l'occasion d'une grande réjouissance. Car on croit que 'Aicha ou Fatima', leur a rendu visite en esprit et a béni la cérémonie, en laissant l'empreinte de sa main comme preuve de sa visite. Cette pâtisserie est ensuite distribuée aux amis et voisins... A mon avis, cette cérémonie a ses racines dans un passé fort lointain. En provoquant, en forçant la végétation symbolique de quelques grains de céréales, la cérémonie devait avoir pour but d'aider, avec l'intervention de la déesse de la fertilité, à la réussite de la récolte.

De nos jours, elle est pratiquée dans le but d'avoir une progéniture ou de faire exaucer des vœux quelconques» (133).

Certains voyageurs de la fin du siècle dernier, de Morgan, par exemple, signalent, chez les Moukri de Saoudj-Boulak (aujourd'hui Mah-Abad) la fête, au printemps d'un faux émir, qui a tout à fait l'allure d'un Carnaval (134). T. Wehbi fait mention de cérémonies analogues:

«A Sulaymanieh, par exemple, des rites similaires sont encore pratiqués au printemps. A l'achèvement des préparatifs dont on a confié la surveillance à un comité spécial. Le jour fixé, les gens de Sulaymanieh quittent la ville pour le lieu désigné de la cérémonie. Un roi est intronisé, des courtisans et une garde lui sont assignés. Le roi chevauchant un bœuf, accompagné de sa cour, au milieu de la foule se rend au camp où des tentes et des «diwans» sont dressés et des chaudrons mis sur le feu. Des individus travestis en moutons et en chèvres miment les attitudes de ces animaux, durant toute la cérémonie qui dure trois jours. Le roi est obéi sans réplique. Il impose même des taxes aux personnes présentes ou non. Il jouit du titre jusqu'à la fête suivante et la nomination d'un successeur» (135).

c) *Les plaisirs et les jeux.*

A l'occasion de ces fêtes, saisonnières ou autres, les voyageurs, Rich, Millingen, de Moltke, ont signalé, chez les Kurdes, la pratique de certains jeux ou sports populaires (136). En tête vient le *cerîd*, sorte de fantasia qui trouve nécessairement place lors de toute fête nuptiale ou de toute autre réjouissance publique. Le *taghaleh* est de même un exercice à cheval très couru (137). La lutte, *zoran* ou *zoranê*, telle qu'elle est pratiquée en Turquie (138), ou en Iran (139), compte aussi des amateurs parmi les Kurdes. Si les combats de coqs ou de perdrix ne sont pas abandonnés, les combats de buffles sont plus spectaculaires et les batailles de béliers ne manquent pas de pittoresque. C'est au combat de ces derniers qu'un proverbe compare les luttes entre soufis musulmans et feqîrs yézidis. J'ai assisté à des parties passionnées de barres compliquées par des jeunes âgés de vingt à vingt-cinq ans. Les petits bergers ont aussi leurs amusements. Ereb Chamo nous a décrit le jeu du *zézé*. Chaque joueur met verticalement sur son pied un couteau ou un bâton et le lance au loin de toute sa force. Un joueur doit s'efforcer de ramasser tous les objets lancés, en répétant sans cesse zé zé zé, sans reprendre haleine. Sinon il a perdu (140). Un des jeux le plus populaire est le *hol* ou *gok*, qui correspond à notre hockey. D'ailleurs bien des jeux ressemblent aux nôtres: *baûtan* ou saute-mouton, appelé parfois *kerwanê xwê*, la caravane du sel; le jeu de barres ou *çire*; *apê-mûs* ou colin-maillard. Les billes, *qaq* ou *gule*, sont également populaires, de même que le jeu du bâtonnet, *talûl* et les divers jeux de poursuites : *Sora berda Mema*, *Dîk û mirîşk*, les coqs et les poules, *Doşek û balîf*, matelas et coussins. Si les enfants s'amusent

encore, en hiver surtout, comme tous les enfants du monde, à pigeon-vole, *çûkfirî*, ou à l'école, *dibistan* (sorte de jeu de la main chaude), à la marelle, *berdaq*, et surtout aux osselets, *kab*, les hommes, eux, se livrent à des jeux qui passent pour plus sérieux. Les cartes, *iskanbîl* ou *isqabil*, et les dés, *zar*, ont de nombreux amateurs parmi la «jeunesse dorée» des familles riches des Moukri, au dire de Vilchevsky. Le trictrac, *nerd*, est le passe-temps habituel de tous les piliers de *çayxane* ou cafés. Mais il est un jeu, noble celui-là, qui fait les délices des gens instruits et fait partie de la bonne éducation de tout agha qui se respecte: les échecs, *şetrenc* (141).

A ces amusements d'ordre privé, il en existe d'autres qui sont publics et intéressent la communauté. A l'occasion des fêtes de *achourâ*, les persans chiites avaient coutume d'organiser des séances théâtrales de caractères religieux, les *ta'ziyé*, analogues aux mystères de la Passion du Moyen-Age. Les Kurdes qui d'ailleurs ne sont pas chiites, à part de petites groupes, ne semblent pas avoir jamais pris grand intérêt à ces spectacles (142). Le *Karagöz* turc, ou théâtre d'ombres chinoises, d'une inspiration toute différente, n'a pas non plus fait école au Kurdistan (142bis). D'ailleurs si le théâtre est aujourd'hui encore presque inexistant chez les Arabes (143), on ne s'étonnera pas de sa pauvreté chez les Kurdes (144). A Sulaimani, en Irak, il y eut quelques essais scolaires (145), et lors du premier *Newrûz*, célébré après la proclamation de la République irakienne, «sur des tréteaux de plein air, des troupes d'amateurs interprétaient le vieux mythe iranien du forgeron Kâveh — symbolisant pour la circonstance le peuple kurde — révolté contre le monstre Zohâk, incarnation simultané de l'«impérialime américain» et du «fascisme nassérien» (146). De même, lors de la République kurde de Mah-Abad, en Iran (1945-1946), la jeunesse a joué certaines pièces patriotiques (147), et le Professeur Vilchevsky a publié la photographie d'acteurs en costumes et armements moyen-âgeux (148). Mais c'est en Arménie soviétique, à Érivan, qu'a été fondé le premier théâtre kurde soviétique, en 1934 (149). On signale également une troupe théâtrale formée au village d'Ali Koçek (150). J'ignore quelle en est la valeur artistique, son répertoire et le succès qu'elle peut obtenir auprès des spectateurs kurdes. D'autre part, certains groupes se sont fait entendre à la radio d'Érivan et y ont exécuté une pièce radiophonique de E. Avdal, *Gölizer*, avec musique du compositeur arménien Umr Chat (151). Ainsi qu'on le voit, l'art dramatique kurde est encore dans l'enfance et le poète soviétique arménien Nairi Zarian en a fait lui-même la remarque (152). Il est à craindre que, comme dans les autres pays d'Asie occidentale, l'engouement pour le cinéma ne tue le théâtre kurde

avant même sa maturité (153). Ce n'est donc pas dans les salles de théâtre que le Kurde occupe ses loisirs.

d) *Chasse aux bêtes et course aux trésors.*

Cela se conçoit aisément si l'on se souvient que le Kurde est un homme amoureux du grand air. C'est donc au dehors qu'il cherchera ses plaisirs, en tête desquels vient la chasse, *nêçîr*. Le Kurde est en effet un chasseur enragé et un tireur adroit. La chasse est son sport favori et un Kurde bien né invite facilement ses hôtes à une partie de chasse. Le pays, abondant en gibier de toutes sortes, à poils et à plumes, favorise ce passe-temps royal. On y poursuit donc les animaux sauvages, plus ou moins nuisibles, comme l'ours, *hirç*, le loup, *gur* ou *gurg*, l'hyène, *heftiyar*, le renard, *rovî*, le sanglier, *beraz* (154). Jadis, jusqu'au siècle dernier si l'on en croit certains récits, on chassait encore le lion, *şêr*, aujourd'hui complètement disparu. Mais on poursuit aussi le lièvre, *kevroşk*, et, pour leur chair, les bouquetins *pezkûvî*. Un proverbe rappelle que «pour faire la chasse aux aigles, il faut s'aventurer dans leurs régions». C'est vrai de même pour les mouflons. Le perdrix, *kew*, est également recherchée et maints procédés sont mis en œuvre, suivant qu'on veuille la tuer ou la capturer vivante: le fusil, *tifing*, le filet, *tor*, ou la chanterelle: *çatî*, *marî* ou *bestî*, selon le cas. Au temps des neiges, les perdrix sont prises à la main, *qemelax*: au printemps, on le tue à l'affût, *sokin*. Certains abris pour affûts sont si favorables que leur prix peut atteindre celui de la dot d'une femme (155). Les lévriers kurdes, *tajî*, sont aussi célèbres que leurs gros chiens de berger, *gemal* ou *gembul*. Les chiens d'Hewreman, de Pijder ou de Bilbas sont renommés. Certains faucons sont dressés pour la chasse: ainsi le faucon royal, *şahîn*, dont la valeur peut s'élever jusqu'à trente livres-or, est utilisé pour la chasse aux pigeons. Le *sipir* qui ne vaut que vingt livres-or, et le *doxan*, de moindre prix, servent à la chasse aux perdrix et aux pigeons (156). Comme dans tous les pays du monde, les chasseurs kurdes ont souvent une âme de Tartarin et les conteurs s'en donnent à cœur joie à narrer leurs prouesses ou leurs mésaventures (157).

La pêche, qui est certes un métier, n'en est pas moins un sport qui procure bien des joies à qui s'y livre. Elle est florissante aussi, car le poisson foisonne dans l'Euphrate et ses affluents, dans le Tigre et le Khabour, dans les deux Zab et les multiples rivières du Kurdistan. On la pratique au filet, *tor*, à l'hameçon, *çengel*, et aussi au harpon, *metran*, quand il s'agit de capturer les gros poissons, comme le poisson de Tobie dans le Zab, qui touche terre de la tête et de la queue quand on le met sur un âne pour le transport (158).

Il est une autre forme de sport au Kurdistan qui est en voie de disparition, s'il n'a pas entièrement disparu, et que l'on se doit de signaler, au moins à titre de souvenir. Les Kurdes, en effet, ont une réputation bien établie de coupeurs de routes. Il ne faudrait tout de même pas exagérer et, lorsqu'on a vécu longtemps en Asie occidentale, on est bien forcé d'avouer qu'au fond ils ne sont pas plus pillards que les Bédouins du désert. On connaît la réflexion de von Moltke: «Tous les deux ont du goût pour le brigandage. Mais l'Arabe a en lui plus du voleur et le Kurde plus du guerrier». Les nomades ont de tout temps razzié les troupeaux des sédentaires ou des tribus ennemies, à titre de revanche d'ailleurs. Maintenant les pays qui firent autrefois partie de l'Empire Ottoman sont plus policés et le brigandage, à l'intérieur des frontières du moins, a perdu de ses facilités. J'ai pourtant encore connu, peu avant la guerre de 1939, des Kurdes syriens qui passaient en bandes en Turquie pour y piller à leur aise et revenir ensuite à leur base de départ. Et puis les caravanes d'antan ont perdu de leur pittoresque. Les marchandises circulent aujourd'hui avec plus de sécurité et surtout de rapidité, en chemin de fer ou en camions. Les deux guerres mondiales ont aussi transformé la mentalité et les mœurs et il n'y a plus de place, du moins en périodes de calme, pour les chevaliers de l'embuscade aux caravanes.

Les voyageurs de la fin du XIX[e] siècle ou du début du XX[e], ne tarissent pas sur l'insécurité des routes. Quiconque s'aventurait sur les chemins de Turquie devait se faire escorter de *zaptié*, qui n'étaient souvent de nulle efficacité au moment du danger. En certaines régions, les bandes kurdes étaient un véritable cauchemar (159). Pourtant, en rapportant de nombreux faits de brigandage, ces voyageurs avouent bien simplement qu'ils ont affaire à des brigands peu ordinaires. Car le brigandage, *aşqîtî*, est aussi un sport et il a ses lois propres et son code d'honneur qu'un Kurde se garderait bien de violer. Ainsi il s'attaquera de préférence aux caravanes de riches marchands et laissera en paix le pauvre bougre qui porte sa fortune sur son dos ou sur son âne. La galanterie aussi garde ses droits: on abandonnera ses bijoux à une femme qui aurait trop de chagrin de les perdre et la fouille des femmes est réservée aux épouses des brigands. Cette occupation n'est pas le moins du monde considérée comme déshonorante par celui qui s'y livre et ce sera une chance pour le caravanier, s'il vient à passer à l'heure de la prière, car un bandit qui se respecte n'oublie pas ses devoirs envers Dieu (160). Mais tout cela est de l'histoire ancienne. Certes l'habitat des Kurdes, à cheval sur plusieurs frontières, favorise toujours la contrebande, *qaçax*, mais cela n'a rien de spécifiquement kurde, et les vagues de banditisme, *çete*, qui peuvent se rencontrer

encore parfois dans certaines régions, n'ont plus le caractère chevaleresque d'autrefois (161).

2. — *Face à la souffrance quotidienne.*

a) *Les maladies et les blessures.*

Mais la vie n'est pas qu'une partie de plaisirs et les épreuves, maladies et blessures, sont quotidiennes. La vie au grand air du nomade, les risques de la chasse, les aléas des bagarres entre bergers, vignerons ou boutiquiers, seront souvent causes de coups et blessures, car le Kurde a le sang chaud et son poignard est toujours à portée de la main. Le danger peut venir aussi des bêtes: morsures de chiens, sinon de loups; piqûres de serpents ou de scorpions; coups de corne de béliers ou de vaches. Le maniement des armes à feu occasionne aussi des accidents et les brûlures ne sont point rares.

La rigueur du climat et leur simple condition d'êtres humains exposent aussi les Kurdes aux maladies de toutes sortes. Ce seront évidemment celles des pays de misère et de manque d'hygiène. La sous-alimentation est responsable de 50% de la mortalité infantile (162) et, pour les adultes, l'espérance de vie est limitée à 30 ans environ, ou même à 28 (163). Les maux d'yeux, suppurations ou trachome, abondent. La tuberculose fait de nombreuses victimes, à l'opposé de la syphilis, inconnue au Kurdistan au début du siècle, d'après Mark Sykes (164). La malaria opère des ravages, mais des mesures énergiques l'ont presque éliminée de certaines régions du Kurdistan irakien (165). L'émir Celadet Bedir-Khan donne, pour la tribu des Jeliyan au Botan, une liste de quarante-sept maladies qui s'y rencontrent couramment (166). D'après un Rapport officiel, les maladies qui furent causes du plus grand nombre de décès, dans le liwa de Sulaimani en 1952, sont la pneumonie, la malaria et l'anémie (167).

b) *Les remèdes: magiques, empiriques ou scientifiques.*

Il n'y a certes rien de plus personnel que la maladie, bien qu'il y ait des épidémies; mais c'est bien la société qui nous fournit les moyens de la soigner. Chez les Kurdes, les procédés sont multiples: il y a en premier lieu le recours à Dieu ou à ses saints, à ses fidèles serviteurs, et l'utilisation de talismans ou de pratiques plus ou moins magiques; les remèdes empiriques et naturels sont également d'usage courant; enfin le Kurde commence à recourir aux services de médecins à diplômes.

La maladie vient de Dieu, et partant la guérison. C'est donc à Lui qu'on aura recours tout d'abord, suivant en cela l'exemple du Prophète lui-même (168). Boire de l'eau dans laquelle on a fait détremper un papier où est inscrit un verset du Coran est d'usage quotidien pour toute espèce de maladies. La visite au sanctuaire ou au tombeau d'un saint personnage est habitude populaire. Peu importe d'ailleurs qu'il soit musulman ou chrétien. Ainsi la tombe du Père Poldo (Leopoldo Soldini), ancien missionnaire dominicain, excellent botaniste, médecin et chirurgien, mort à Zakho, en 1779, est fréquentée aujourd'hui encore, pour se guérir de la fièvre, par les Kurdes, musulmans, chrétiens ou juifs (169). La terre de certains sanctuaires est efficace contre telle ou telle douleur. Ainsi, si l'on souffre de démangeaisons ou de maladie de peau, on va, chez les Yézidis, au *mazar* de Cheikh Musa-sor. On apporte avec soi un vase d'eau qu'on répand sur le sol du lieu sacré, on râcle cette moisissure et on l'applique sur la partie malade. On brise ensuite le vase. Certains cheikhs sont habiles à exploiter cette crédulité du peuple. Ils conservent en des boîtes de la poussière des différents sanctuaires, car chacun a sa spécialité: maux d'yeux, membres douloureux, constipation ou diarrhée. Bu dans l'eau, pour les souffrances internes, ou appliqué au dehors pour les douleurs externes, ce remède est efficace, surtout s'il est employé après sept jours de jeûne et de prières (170). L'émir Ismail Beg des Yézidis, homme sans scrupule s'il en fût, n'hésitait pas à utiliser son soi-disant pouvoir de guérisseur. Il faisait boire, par exemple, aux femmes crédules de la tribu des Jamaldin, sur la frontière turco-iranienne, de l'eau dans laquelle il avait craché. Les malades devaient guérir, les stériles concevoir et enfanter, et les délaissées retrouver l'amour de leur mari. Ailleurs il donnera de la terre du sanctuaire du grand Abd el-Qadir Gilani (terre qu'il a ramassée n'importe où), aux femmes dont les enfants ne vivent pas et, pour couper la fièvre, mettra un fil au cou ou au bras des enfants malades. Toutes pratiques qu'il reconnaît cyniquement être des blagues (171). Quant aux verrues, dues au contact des pieds nus avec de l'urine de grenouille (172), elles guérissent, à Bashiqa, au sanctuaire de Melik-Mêran, spécialiste en ce domaine (173).

Mais tous ces procédés à saveur magique ne sont pas les seuls qu'emploient les Kurdes. Ils n'ignorent pas les remèdes naturels empiriques dont les effets sont certains. Chaque tribu possède son médecin, *hekîmê kurdmancî*, à la science héréditaire, et qui connaît par expérience l'efficacité des simples. Ces guérisseurs en font la cueillette, ainsi que les vieilles femmes expertes en la matière, et les utilisent sous forme de tisanes ou de compresses. Au XVIII^{e}

siècle, les premiers missionnaires dominicains au Kurdistan étaient maîtres en ce domaine. Le P. Garzoni a, sur ce point, enrichi notre vocabulaire (174), et le P. Campanile nous a indiqué l'usage que les Kurdes faisaient des différentes plantes (175). Mais il n'y a pas que les herbes médicinales. Un médecin français a signalé, pour l'avoir constaté de ses yeux, que certaines bonnes femmes connaissaient le rôle bienfaisant de la moisissure du pain pour certaines plaies ou maladies: c'était déjà la pénicilline avant la lettre (176). — Pour les plaies, on a souvent recours aux cautérisations, *dax*. Le cautère, *kew*, est un mélange de sel et de jaune d'œuf, ou de sel et de beurre et de miel, appliqué bouillant sur la blessure. La mèche, *fitîl*, pour drainer le pus de certaines plaies, n'est pas inconnue. Pour les blessures par balle, le *kew* est composé d'herbe, *giya*, et de pulvérin, *dermanê spî*. Pour extraire une balle, on fend, *qelaştin*, la chair. Si l'os est brisé, le chirurgien, *cerah*, ou le rebouteur, *cebar* ou *dilşar*, s'en charge et le raccommode, *cebirîn*. Certains de ces praticiens sont habiles (177). Un cataplasme de petits poissons, maintenu jusqu'à décomposition, doit attendrir les os d'une fracture mal recollée et permettre de recommencer l'opération. En 1935, pour remédier aux douleurs lombaires après une chute de cheval, on entoure d'une peau de chèvre fraîchement écorchée les reins d'un confrère blessé. Il dut la garder jusqu'à putréfaction... et guérison! Quelques médecins amateurs ne manquent pas d'audace. Le Rev. Wigram a rencontré à Barzan un médicastre yézidi qui proposait à un Kurde souffrant de trachome de lui enlever la «moisissure superflue» qu'il avait derrière le globe des yeux, disait-il, en passant une brochette rougie à blanc d'une tempe à l'autre! Ailleurs un Kurde, qui s'était tiré une balle dans le gras de la jambe pour essayer son fusil nouvellement acheté, remplissait le trou, à l'aide d'une baguette, d'une mixture de beurre et de bouse de vache (178). On nous a amené un jour, à notre dispensaire de Mar-Yacoub, un bébé d'un an qui était tombé dans l'âtre et s'était brûlé le pied. Les bonnes femmes de son village avaient enveloppé le membre atteint d'une sorte de cataplasme de bouse et de goudron.

Mais de plus en plus, le Kurde a recours au médecin officiel que le Gouvernement met à sa disposition en des dispensaires dans les principales villes ou bien à des praticiens privés. Ce docteur, *bijîşk*, *diktor* ou *doxtir*, jouit d'un grand prestige; mais il ne doit pas se contenter de bonnes paroles. Il sera d'autant plus apprécié qu'il donnera plus de remèdes et un remède ne peut avoir d'effet que s'il est désagréable à prendre (179). Les piqûres et injections sont recherchées, car leur résultat ne se fait pas attendre (180). Le médecin tribal n'était payé que si son traitement réussissait.

Dans les dispensaires gouvernementaux d'Irak, les soins sont généralement gratuits, mais le Kurde guéri n'est jamais un ingrat (181). Beaucoup de Kurdes, tant en Irak qu'en Turquie, étudient aujourd'hui la médecine dans les Universités et pratiquent leur art au profit de leurs compatriotes. C'est pour certains descendants de familles de chefs, comme pour ceux qui sont devenus avocats, une façon de garder une influence réelle sur leur peuple.

3. — *Sur le chemin de toute vie.*

Quelle que soit la confiance qu'il avait mise dans les amulettes et talismans, quelle que soit l'efficacité des remèdes qu'il a pu utiliser, le Kurde, comme tout le monde, finit par passer de vie à trépas. Au lieu des chants de joie, ce sont alors les cris de deuil qui retentissent. A l'occasion de la mort et des funérailles, les Kurdes ont aussi des coutumes qui leur sont propres (182). Le Kurde, dur à mourir, d'après Wigram, sait affronter la mort avec courage, ainsi que le disent ses proverbes: «Qui connaît bien la vie, n'a pas peur de la mort», ou encore: «Quand la mort t'offrira sa coupe, porte sans regret cette coupe à tes lèvres: il n'y a que le temps pour te séparer de ceux que tu quittes». Mais le Kurde préfère la mort dans la bataille, plutôt que dans son lit, surtout après une longue maladie: «*Mirin hebe, pîrî mebe*; La mort soit, la vieillesse non». «*Mirin mirin e, xiraxir çi ye*? Mourir c'est mourir, mais pourquoi agoniser?»

Chez les Yézidis, le mourant doit être assisté de son frère de l'Autre Monde, *brayê axêretê*, qui l'aide au besoin à doubler ce cap tragique si la mort tarde trop. La *toilette du mort* est faite assez rapidement, tantôt par le laveur de cadavres professionnel, *mirîşo*, sur une planche spéciale, *mefşen*, tantôt par le *pîr* chez les Yézidis. Une fois lavé, on frotte le corps avec des plantes aromatiques et on l'enveloppe d'un ou de plusieurs linceuls de coton, sans couture. Chez les Yézidis, le cadavre est cousu dans le linceul. Autrefois, surtout lorsqu'il s'agissait d'un jeune homme, on dressait dans sa chambre une sorte de mannequin pour le représenter. On l'appelait l'arbre de deuil, *darê şînê*, et on le plaçait sur la monture préférée du défunt quand se formait le cortège funèbre (183). Une lumière doit brûler, trois jours durant, dans la chambre funéraire.

L'*enterrement* se fait habituellement le jour même de la mort, à moins que le défunt n'ait été assassiné. Dans ce cas, on ne l'enterrera qu'après que sa mort aura été vengée par la mort même de l'assassin (184). Le cadavre, mis sur un brancard, *darbestî*, et non dans un cercueil, *tabût*, est porté à bout de bras, par les amis, jusqu'au cimetière. Les parents et les voisins forment le cortège funèbre. Les femmes, qui se lamentent bruyamment, n'en sont point

exclues. S'il s'agit d'un personnage important son cheval drapé de noir l'accompagne à sa dernière demeure.

Le cadavre est déposé dans la tombe, *tirb* ou *gor*, couché sur le côté droit et le visage tourné vers la Mecque. La fosse est creusée à la profondeur de la taille d'un homme (185). Le mollah récite alors le *Talqîn*. Souvent aussi on chante des lamentations, *şîn*, ou on débite une oraison funèbre, *qewil* ou *ayin*, pour célébrer les qualités du défunt. Les Yézidis en ont de belles (186). Celles qui furent publiées, il y a quelques années, dans *Roja nû*, à propos de la mort de quelques cheikhs, sont la plupart assez banales (187). On dresse un tas de pierres, *şkêr*, là où quelqu'un a été tué, et les passants y ajoutent d'autres pierres pour sauvegarder le souvenir du mort (188).

Les cimetières, *goristan*, sont en général hors des villes et des villages, sur une colline. On aime à y planter des arbres, surtout des arbres de Judée, à l'ombre desquels reposeront les défunts, si bien que les cimetières n'ont rien de lugubre, au contraire. Les tombeaux varient avec les régions. On élève une coupole sur celui des riches, mais ordinairement deux pierres dressées, *kêl*, aux deux extrémités de la tombe, sont les seuls ornements. Il n'y a guère d'inscription. Pourtant les Yézidis du Cheikhan indiquent parfois, en arabe, qu'un tel a trépassé dans la miséricorde d'Allah à telle date (189). Habituellement on grave des dessins: poignards, fusils, outils de travail, aigles ou cercles signifiant le soleil, s'il s'agit d'un homme, surtout d'un guerrier. Pour rappeler le souvenir d'une femme, on sculptera des fleurs, des peignes, des bracelets. Y aurait-il dans ces dessins quelques survivances du culte zoroastrien, comme certains l'ont pensé? Cela ne me paraît pas évident(190). Le P. Campanile signale qu'il y a des Kurdes qui font sur les tombes de petits trous qu'ils remplissent d'eau, afin que les oiseaux ou les autres animaux altérés puissent boire à la santé du défunt. Fréquemment, ainsi que l'ont remarqué maints voyageurs, une veuve ou une fiancée sacrifie sa chevelure qu'elle accroche sur la stèle funéraire en gage d'affection envers celui qu'elle a perdu. Sur la tombe d'un saint homme on fixera une main de fer, symbole peut-être de la transmission de son étendard à la génération suivante(191). Certaines sectes se distinguent dans la façon d'honorer leurs morts. Ainsi il existe chez les Kurdes Sendjabi, fraction des Kalhour qui serait Ahl-é Haqq, un cimetière avec des pierres sculptées très curieuses. Les figures représentent les défunts. On voit, par exemple, une femme tenant deux enfants par la main ou un Kurde avec son fusil, entouré de mouflons et de gazelles (192). Chez les Bakhtyari, on dresse sur la tombe de l'homme courageux la statue d'un lion(193). Madame Chaghinian, dans son voyage *A travers l'Arménie*

soviétique (194), a été étonnée de trouver, dans le cimetière du village yézidi de Kandaksaz, «de hautes silhouettes d'énormes chevaux de toutes couleurs: roux, rouge, noir, blanc. Placés sur des piédestaux, ils galopent, les pattes d'avant et les pattes d'arrière repliées les unes vers les autres en forme de huit; la tête tirée vers le bas par de fortes brides s'appuie du menton sur le poitrail; leurs queues sont levées, arrondies comme des parenthèses; ces statues bizarres sont pleines d'intensité et de force». Il s'agit là de tombeaux kurdes. Mais cet usage, qui existait encore en d'autres villages, a disparu. Par contre, le tombeau des femmes n'était que de «simples dalles avec l'image d'un berceau». Cela donnait à ces vieux cimetières «un air fantastique et singulier».

Le deuil, *şîn*, en principe dure un an, Durant les trois premiers jours, les parents ne sortent pas de la maison, afin de rececoir les visites de condoléances, *serxweşîdan*. Les formules utilisées en ces circonstances reflètent soumission à la volonté de Dieu et souhaits de longue vie pour ceux qui restent (195). Par exemple: «*Serê te xweş e* ou *bit*» — Sois en bonne santé! «*Xwedê dilê te xweş kit*» — Que Dieu te réjouisse le cœur. A quoi l'on répond: «*Xwedê te parêzit*» — Que Dieu t'épargne. — «*Xwedê zêde dirêj kit*» — Que Dieu allonge ta vie! «*Bile hûn sax bin*» — Vous, du moins soyez en bonne santé! Si c'est un fils qui est mort, on dira: «*Xwedê xelêfê li we vegerîn*» — Que Dieu vous donne un remplaçant, et autres expressions analogues. Pendant la durée du deuil, on s'abstient de participer aux fêtes. On bannit de la maison tout ce qui est rouge. Même les voisins évitent de cuisiner le plat de riz que tous les Kurdes mangent avec plaisir. Des repas de deuil ont lieu le troisième, le septième ainsi que le quarantième jour. Ce jour-là, on égorge un mouton sur la tombe et on en distribue la chair aux passants. Au jour anniversaire, tout le village participe aux agapes. Chez les Yézidis, la veille du *norûz*, on fait la tournée du cimetière. Des *qawal*, jouant de la flûte et du tambourin, s'arrêtent une dizaine de minutes sur chaque tombe, tandis que les femmes se lamentent en se frappant la poitrine. On laisse sur chaque tombe de la nourriture que l'on distribue ensuite aux pauvres et à ceux qui passent (196). Les femmes kurdes aiment se rendre au cimetière le jeudi soir. Celles dont le deuil est récent s'y laissent aller à leurs lamentations. Une des plus pathétiques histoires de ce genre a été narrée par un Père Dominicain, qui en fut le témoin, il y a cent cinquante ans, dans les environs de Zakho. J'en donne ici la traduction, car on pourrait aujourd'hui encore assister à de pareilles scènes:

J'avais quitté Zakho depuis quelques heures à peine et je traversais des montagnes nombreuses et escarpées. En passant près d'un rocher sauvage,

j'entendis au loin une faible voix jamais interrompue qui me fit penser que quelqu'un se trouvait dans le malheur. «Suivez-moi», dis-je à mes compagnons et je lançai mon cheval dans la direction des lamentations de ce malheureux. Je m'embarrassai dans les broussailles, m'engageai à travers les rochers pierreux et tombai dans une petite vallée. Elle était presque entièrement parsemée de cénotaphes muets et trop parlants. Au-dessus de chacun d'eux, pendait quelque chose: ici une fleur, là un vêtement en lambeaux, ailleurs des cheveux coupés. Quels monuments émouvants! Au milieu d'eux, on distinguait une tombe fraîchement élevée. Près d'elle était assise une jouvencelle qui, à voir, atteignait à peine ses vingt ans. Cette pauvre créature était tournée, avec ses lugubres lamentations, vers cette froide pierre, aussi sourde que la creuse et sombre vallée.

«O mes yeux! Mon doux cœur! Où sont donc allés ces jours heureux, lorsque, en te lutinant comme une tourterelle amoureuse, j'étais assise, avec ton joli visage joyeux comme une pleine lune auprès de moi? J'entends, ô mon amour, encore bien vif à mon oreille, le doux son de ta voix, qui souventes fois me répétait: *Je suis ton Sacrifice*. Tu es mon plus doux repos, mon bonheur; ma plus parfaite félicité, c'est toi». — Et moi, alors, devenue languissante d'amour, je te baisais tantôt les yeux, tantôt le front, tantôt les joues rosées... Oh! malheureuse que je suis! Ah! que devenir à cette heure? Tu étais mon âme et j'étais ton cœur. Tu ne vivais que pour moi et j'étais toute en toi... Ah! mon cruel ami! Pourquoi m'as-tu abandonnée comme une chevrette au milieu des bois, parmi les cavernes des ours et des tigres! Ah! mon amour barbare! Toi qui entends la voix de ma plainte, pourquoi te réjouis-tu de me voir affligée et ne te lèves-tu pas à l'instant au moins pour embrasser ta bien-aimée?... De grâce, mon cœur, montre-toi, par cet amour dont ton sein était riche; montre-toi, une fois encore, une seule fois, à mes yeux, aux larmes de celle qui t'adore. Fais qu'elle te revoie un seul instant... Et comment tant de mes soupirs ne peuvent-ils réussir à ranimer ton corps! au moins à le réchauffer! ainsi qu'ils te ranimèrent tant de fois. Tu me le disais... Oh! mon amour? ... mon amour?... Lève-toi, lève-toi cette fois seulement pour recueillir mes tristes larmes désespérées et qu'ainsi me viennent en aide ces jours languissants et dolents sans toi qui étais mon âme. Mes yeux étaient à toi, et maintenant je te les rends défaits par mes larmes. Cette chevelure que je soignais si bien uniquement pour te plaire, je te la redonne: Sans toi, ô mon cher cœur malheureux perdu, elle m'est d'un odieux poids inutile».

Elle répéta cela plusieurs fois et appliquait son pâle visage sur cette poussière humide qui recouvrait le corps glacé de son époux. Puis elle coupa la plus jolie chevelure blonde qui, déroulée et flottante, pendait tout le long de ses reins. Elle avait à ses pieds un bouquet de narcisses frais qu'elle tressa avec beaucoup de grâce dans la chevelure coupée et le suspendit sur la pierre qui se dressait à la tête du cadavre. On voyait en elle une femme abandonnée au plus sensible transport. Elle m'aperçut, mais ne s'arrêta nullement de chanter sa plaintive poésie funèbre, tant elle était plongée dans sa douleur (197).

CONCLUSION

Notre étude de la vie sociale des Kurdes manifeste clairement l'âme de ce peuple. Certes les Kurdes ont été jugés différemment par les voyageurs ou autres étrangers qui sont entrés en contact avec eux. Si certains se sont montrés sévères à leur égard, allant même jusqu'à en faire un «type manqué» (198), il y en a d'autres, plus nombreux et non moins objectifs, qui se plaisent à reconnaître leurs vertus. Certains même qui les ont approchés de plus près, comme Soane, Hay, Hamilton, par exemple, et on pourrait en allonger la liste, ne craignent pas de dire qu'ils les estiment supérieurs à leurs voisins Arabes, Turcs ou Persans, et leur prophétisent un bel avenir (199). Je ne citerai qu'un seul témoignage qui me paraît assez caractéristique:

«On pourrait appeler les Kurdes chevaliers de l'Orient dans toute la conception du mot, s'ils menaient une vie plus sédentaire. Caractère guerrier, droiture, honnêteté et dévouement illimité à leurs princes, stricte exécution de la parole donnée et hospitalité, vengeance pour le sang et hostilité de clans. même entre les plus proches parents, passion pour la rapine et le brigandage et un respect sans borne pour les femmes, voilà les vertus et les qualités communes au peuple entier» (200).

Aujourd'hui encore il y aurait peu à retoucher à ce portrait idéal du peuple kurde tracé, au siècle dernier, en 1848, par Kh. Abovian (1805-1848), que Minorsky appelle le «père de la littérature arménienne». Il était juste de relever ce bel éloge. Si certains événements ont pu laisser parfois planer quelques ombres sur ce tableau, du moins ils n'ont pas réussi à rompre l'amitié de ces deux peuples frères, «frères de la terre et de l'eau», si bien faits pour se compléter.

Beyrouth, 25 *avril* 1962 Thomas Bois, o.p.

NOTES

(1) L'aspect religieux a été traité dans mon article *La Religion des Kurdes*, dans Proche-Orient Chrétien (Jérusalem) XI (1961) p. 105-136. Pour le côté culturel voir *Coup d'œil sur la littérature kurde* dans Al-Machriq (Beyrouth), 1955, p. 201-238 et *Les Kurdes: Histoire, Sociologie, Littérature, Folklore* dans Al-Machriq, 1958, p. 101-147, 266-299. Tiré à part 82 pp. Spécialement p. 117-128 (17-28). Les mots kurdes de cet article seront orthographiés suivant le système de la Revue *Hawar*. Cet alphabet est phonétique et les lettres ont la même prononciation qu'en français, sauf les voyelles: A = A long, E = A bref, I = E muet, U = OU; les consonnes: C = DJ, Ç = TCH, G et S ,toujours durs, Ş (S cédille) = CH, X = KH (arabe), X = ghain (GH) arabe.

(2) L'aspect économique et social de la vie kurde est signalé sur des points de détail par quelques voyageurs, mais a été peu étudié systématiquement. Signalons toutefois E. - R. Leach, *Social and economic organisation of the Rowanduz Kurds* (London, 1940); W. L. E. *Iraqi Kurdistan, a little-known region*, dans The world to-day (oct. 1956), p. 417-432. C. J. Edmonds, *The Kurds of Iraq*, dans The Middle-East Journal (XI, winter 1957, p. 52-62. Excellent résumé de ces deux articles par P. Rondot, dans l'Afrique et L'Asie, n° 43, juin 1958, p. 58-65.— L.N. Kotlov, *Le soulèvement de libération nationale de* 1920 *en Iraq* (Moscou, 1958); O.L. Viltchevsky, *Les Kurdes Moukri* (Moscou, 1958), 42 pages; T.F. Aristova, *Aperçu de la culture et du mode de vie des paysans kurdes de l'Iran* (ibid, 66 pages. C.R. de B. Nikitine dans l'Afrique et L'Asie, n° 46, avril 1959, p. 49-55 et excellent résumé par A.N. al-Saadi, *The Kurds in Iran*, dans Kurdistan, organe des étudiants kurdes en Europe (Ksse), n° IV, april 1959, p. 11-14; Emine Avdal, *Mode de vie des Kurdes de Transcaucasie* (en arménien) (Erivan, 1957). C.R. de B. Nikitine, L'Afrique et L'Asie, n° 49, janv. 1960; p. 61-66. cf. Th. Bois, *Les Kurdes* dans Al-Machriq, 1958, p. 112-113; Dr. Shakir Khosbak, *Les Kurdes et la Question kurde* (en arabe) (Baghdad, 1959) 92 pages. Analysé par P. Rondot dans Orient, n° 10, 2e trim. 1959, p. 53-58. — On trouvera aussi quelques petits renseignements dans Ali Seydo Gorani, *D'Amman à Amadia, ou tournée dans le Kurdistan méridional* (en arabe), Le Caire, 1939 et Ali 'Addin Sajjadi, *A journey in Kurdistan* (en kurde), Baghdad, 1956. Dr. Fredrik Barth, *Principles of social Organisation in Southern Kurdistan*, dans Universitetetets etnografiske Museum Bulletin (Oslo, 1953); H.H. Hansen, *The Kurdish Woman's Life. Field Research in a Muslim Society*, Iraq. (Kobenhavn, 1961); XII, 214 p.

(3) Dr. H. Christoff, *Kurden und Armenier*, Hambourg, 1935. cf. B. Nikitine, *Les Kurdes. Etude sociologique et historique* (Paris, 1956), p. 66. W.-D. Hütteroth, *Bergnomaden und Yaylabauern in Kurdischen Taurus*, dans Hamburger Geographiche Schriften, Heft 11 (1959).

(4) Khosbak, *op. cit.* p. 66, signale comme étant encore nomades en Iraq, des fractions des Bilbas; dans le liwa de Sulaimani; des Herki, dans le liwa d'Erbil, et des Surchi, dans le liwa de Mossoul.

(5) Miss A.K.S. Lambton, *Landlord and Peasant in Persia* (Oxford, 1954); cf. B. Nikitine, *op. cit.* p. 72.

(6) Une faute de lecture fait écrire à B. Nikitine, *op. cit.* p. 157, n. 1 *Ganûrî* et *Banûrî*, ce qui évidemment ne veut rien dire. Sur cette distinction entre diverses fractions de tribus unies à l'origine, voir *Notice* (manuscrite) *sur les tribus kurdes* « *Mili* » du Lt (alors, 1939) Paillot. Mais surtout dans Hawar, n° 52, 20 janv. 1943, Qedri Cemil Paşa, *Gawestiyan û koçerên kurdan*, p. 1/753; Osman Sebri, *Mirdêsan û gawestiyên wan*, p. 6/758 et p. 11-12/763-764.

(7) C.J. Edmonds, *The place of the Kurds in the Middle East scene*, dans Jrcas, vol. XLV, ap. 1958, p. 149, les appelle *miskên* ou *kirmanj* ou même *goran*, par opposition aux *Kurd* proprement dits qui sont d'origine tribale. Cf. aussi du même. *Kurds, Turks and Arabs* (Oxford Univ. Press, London, 1957), p. 12.

(8) D'après R. Lescot, *Enquête sur les Yézidis de Syrie et du Djebel Sindjar* (Beyrouth, 1938), p. 144-145. Une étude exhaustive sur *La Tente Noire* nous a été donnée par C.G. Feilberg (Kobenhavn, 1944), 262 pages, mais la bibliographie s'arrête à 1935. Il y traite spécialement des Kurdes aux pages 81-86. Voici comment il résume, p. 86, les caractéristiques de la tente kurde: «D'une manière générale, la tente des Kurdes se caractérise par les traits suivants: (a) Le grand toit noir en poil de chèvre qui, des nombreuses pointes du faîte, retombe en larges pentes sur les grands côtés et les pignons. (b) Les parois se composent presque toujours de clayonnés. (c) Les bandelettes et les liens à bâtons semblent entièrement inconnus. (d) La barre de faîte fait défaut sauf dans le groupe oriental. (e) Tout au moins dans certains cas, le toit est divisé en plusieurs parties qui sont jointes à l'aide de ganses et de petits bâtonnets». — Nomenclature de la tente, qui complète celle de R. Lescot: *Kon*, tente noire: *masîn*, faîte; *stûn*, poteau; *sing*, piquet; *şelît*. grande corde; *sixm*, tendeur; *xelek*, œillière; *çûk*, agrafe en bois; *parçe*, *tayîj*, *tej*, bande d'étoffe; *rîşî*, franges; *rewake*, grande cloison mobile en étoffe de tente; *perde*, rideau; *çît*, cloison de natte; *sinc*, broussailles; *koçik*, partie réservée aux hommes. Les mots *xîvet et çadir* désignent respectivement un pavillon et une tente blanche.

(9) Cf. Rondot, *Les Tribus montagnardes de l'Asie antérieure. Quelques aspects sociaux des populations kurdes et assyriennes*, dans Bulletin d'Études Orientales et de l'Institut français de Damas, t. VI (1936, p. 38.

(10) Pourtant M. Sykes, *The Caliphs' last Heritage. A Short History of the Turkish Empire (Macmillan, 1915)*, p. 317, dit qu'il fut reçu dans la grande tente du Pacha soutenue par plus de cent poteaux et mesurant 1500 yards carrés d'étoffe.

(11) R. Lescot, *op. cit.* p. 145. Cf. l'étude intéressante de Moh. Mokri, *Le Foyer kurde*, in l'Ethnographie (Paris, 1961), p. 79-95.

(12) Mme Chantre, *A travers l'Arménie russe* (Hachette, 1893), p. 305-306.

(13) R. Montagne, *Quelques aspects du peuplement dans la Haute-Djéziré*, dans Bulletin d'Études Orientales de l'Institut français de Damas, t. II (1932), p. 57. Dans sa description de la maison kurde, le Dr. Khosbak, *op. cit.* p. 56-57, insiste sur le manque d'hygiène, de propreté et de confort des villages où manquent l'eau et l'électricité. Sur la maison kurde et sa construction, cf. H. Hansen, *op. cit.* p. 21-58.

(14) Cf. B. Nikitine, *op. cit.* p. 88.

(15) Rev. Wigram, *The Cradle of Mankind* (Black, 2nd ed. 1922) p. 153.

(16) C. J. Edmonds, *Kurds, Turks and Arabs* (Oxford Univ. Press, London, 1957), p. 90-93, qui donne le plan d'une maison de ville. Autres plans de maisons kurdes, dans H. H. Hansen, *op. cit.*, p. 33, 40, 42; R. Lescot, *op. cit.*, p. 146-147. Au Botan, on donne aux maisons un nom spécial d'après le nombre d'étages : *Nawko (yektebeq)*, simple rez-de-chaussée ; *olî (dutebeq)*, maison à une étage; *qesir (sêtebeq)*, maison à deux étages. Cf. Hawar, n° 34 p. 534 note.

(17) Signalons simplement le château de Khoshab à Mahmoudieh, entre Bachkala et Van, qui n'a pas son pareil pour le pittoresque en Turquie et même sur les bords du Rhin, dit M. SYKES, *op. cit.*, p. 422-423. H. BINDER, *Au Kurdistan, en Mésopotamie et en Perse* (Paris, 1887) en fait une description complète, p. 122-129 avec une excellente photo, et F. BALSAN, *Les surprises du Kurdistan* (Paris, Susse, 1945) qui croit être le premier européen à visiter ces ruines (p. 254) en donne de magnifiques photos, p. 212 et 220.

(18) Cf. TH. BOIS, *L'âme des Kurdes à la lumière de leur folklore*, dans Cahiers de l'Est (Beyrouth), n° 5 et 6 (1946). Tiré à part, 37 pages. (Adrien-Maisonneuve, Paris), p. 16.

(19) B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 51. Ce regretté kurdisant m'avait envoyé la traduction française du texte russe du récit autobiographique de EREB ŞEMO, *Le Berger kurde*. Je revis cette traduction que je dactylographiai et en passai une copie à un ami kurde qui bientôt m'en offrit une traduction kurde, *Şivanê kurd*, imprimé à Beyrouth, en 1947. Pour une raison que j'ignore, erreur ou manque d'intérêt, le chapitre IX, *Ce que donne le lait*, d'où est extrait le passage cité, n'avait pas été traduit. Chose étrange, l'auteur, qui a donné à Érivan en 1958 une nouvelle édition revue et corrigée de son ouvrage et qu'il a intitulé *Berbang*, L'Aube, ne reproduit pas non plus ce chapitre. C'est bien dommage. Cf. aussi H. H. HANSEN, *op. cit.*, 45-48.

(19 bis) Cf. ALY MAZAHERI, *La vie quotidienne des Musulmans au Moyen-Age, du Xe au XIIIe siècle* (16e éd. Hachette, 1951), p. 272.

(20) *Art. cit.* p. 70.

(21) C'est dans toutes les régions du Kurdistan que les femmes tissent ainsi des tapis de haute laine, *xaliçe*, ou des tapis à poil ras, *lop* ou *ber*. En Iran, T. V. ARISTOVA distingue de nombreuses variétés. Dans la première catégorie: *xankift, emanî, sinne, mina-xanî*; dans la seconde catégorie: *zîlî* et *carcî* (*carcim*, au Kurdistan occidental). Elle donne aussi quelques modèles de dessins et explique par une légende celui si fréquent de l'araignée. — Au Botan, le métier est assez rudimentaire: un bâti de bois, *tevin*, avec les fils de chaîne, *tar*, et les fils de trame, *po*, entre lesquels passe la navette, *makok*. Un peigne de fer, *hepo*, sert à nouer les fils (cf. C. A. BEDR-XAN, *Ber Tevna mehfûrê*, dans Hawar, n° 4, p. 2-50). En ville, ce sont trop souvent des enfants très jeunes, de 8 à 9 ans, qui travaillent ainsi sur ces métiers pour un salaire de misère, «une soixantaine de francs par jour pour un garçonnet de huit ans». Cf. M. BONNEFOUS, *L'empire du milieu*, dans Orient, n° 10, 2e trim. 1959, p. 36. Sur le filage et le tissage, cf. H. H. HANSEN, p. 58-60, qui décrit minutieusement les deux espèces de métiers à tisser: le vertical à la Pénélope, et l'horizontal à pédale, déjà décrit par Leach et qui se retrouve aux Indes.

(22) La fabrication du feutre, *kolav*, s'il est d'une espèce grossière, *xorasanî*, s'il est plus fin, reste primitive. H. BINDER, *op. cit.*, p. 155, en a donné la description. J'ai moi-même assisté à ce travail. Sept ou huit hommes, en un rang, se tiennent par la main et sur la terrasse d'une maison, tout en chantant, piétinent et roulent en cadence des déchets de laines enroulés sur un bâton.

(23) Cf. B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 57. C. J. EDMONDS, *op. cit.*, p. 169-170, nomme aussi quelques métiers et décrit en particulier le travail d'un savetier.

(24) Lors des événements tragiques de 1933, beaucoup d'Assyriens d'Irak ont perdu leurs magnifiques poignards, dont la poingée et le fourreau étaient recouverts d'or finement ciselés. J'ai un poignard kurde, dont le manche et la gaine sont assez grossièrement plaqués d'argent; mais sa lame effilée donne l'impression de devoir pénétrer les vêtements et la chair aussi facilement que dans du beurre. — L'incrustation du cuivre est une ancienne technique kurde

qui fut importée en Europe par les artisans d'Orient. Venise eut pour cela des ateliers spécialisés et la signature d'un certain Mahmoud le Kurde figure sur nombre de pièces de Venise. Cf. H. Bammate. *Visages de l'Islam* (2e éd. Lausanne, Payot. 1958), p. 300.

(25) C. J. Edmonds. *op. cit.*, p. 80.

(26) On pourra lire un compte-rendu de cet ouvrage dans Th. Bois, *Les Kurdes...* dans Al-Machriq, 1958, p. 12-13 et B. Nikitine, dans l'Afrique et l'Asie, n° 49, janv. 1960, p. 61-66.

(27) Cet article a été traduit en arabe par Izeddin, dans le journal *Al-Hurriah* de Beyrouth; n° 41 du 14 avril 1959. — Après avoir lu cet article bien documenté, on reste perplexe à la lecture des impressions de voyage en Arménie soviétique de Jan van Wieringen, correspondant moscovite du journal *De Waarheid*, organe du parti communiste néerlandais, dans son n° du 30 juillet 1960. A Erivan, les balayeurs de rues, avec leurs habits nationaux de couleur pittoresque lui donnèrent «une impression purement touristique». Et son guide, l'Arménien léniniste Karnik Agopian, lui a alors expliqué: «En ce qui concerne les Kurdes: 50.000 se trouvent en Arménie et ont leur propre journal en langue kurde. Dans l'ensemble de l'Union Soviétique, vivent 6 millions de Kurdes et le balayage des rues est leur spécialité». Cité dans I.G.K. (devenu Kurdish Facts and West-Asian Affairs), organe de Société Internationale Kurdistan (Amsterdam), n° 1, nov. 1960, p. 4.

(28) P. Lerch, *Forschungen über die Kurden und Iranischen Nord-chaldaer*, (St. Petersbourg, 1857-1858), I, p. 63-121.

(29) M. Sykes, *The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire* (1908). Appendice à son ouvrage *The Caliphs' Last Heritage* (London, 1915), p. 553-592; avec une carte.

(30) Les listes des tribus publiées dans le journal kurde de Beyrouth, *Roja Nû* (n° 66 du 14 janvier 1946 et n° 68 du 4 février 1946): *Naskirina Kurdistané*, sont malheureusement presque inutilisables. Beaucoup de noms en effet sont estropiés et le nombre des membres n'est pas uniformément désigné. Parfois il s'agit d'individus, parfois de tentes ou de maisons, parfois même de villages. On ne peut donc en dégager des statistiques valables. — Pour les Kurdes de Syrie; *Les Tribus nomades et semi-nomades des Etats du Levant placés sous Mandat français* (Haut-Commissariat, Beyrouth, 1930), 261 pages. P. Rondot, *Les Kurdes de Syrie*, dans France méditerranéenne et africaine (1939), fasc. I, p. 81-126; *Handbook of the Nomad, Semi-nomad, Semi-sedentary and Sedentary Tribes of Syria* (E. M. de la 9e armée Britannique, febr. 1942), The Kurdish Tribes, p. 112-135. — Pour les Kurdes d'Irak: Abbas Azzawi, *The Kurdish Tribes of Iraq* (en arabe) (Baghdad, 1947), et aussi S. Damlooji, *Les émirats kurdes du Bahdinan, ou les émirats d'Amadiya* (en arabe) (Mosul, 1952). Pour les kurdes d'Iran, Moh. Mokri, *Ashâyer-é Kord*, t. I *Il-é Sandjâbi* Géographie, histoire et clans) Téhéran 2[e] éd. (1946).

(31) Il ne peut s'agir évidemment de nous étendre sur ces différentes tribus. B. Nikitine, *op. cit.*, a quelques renseignements sur les *Baban*, p. 163, les *Hamawend*, p. 163-164, les *Moukri*. p. 164-167, les *Ardelan*, p. 167-170, les *Djaff*, p. 170-174, les *Kalhour*, p. 174-175, les *Herki*, p. 122-123. Mais on trouvera beaucoup de détails historiques sur les *Baban*. dans Longrigg, *Four Centuries of Modern Iraq* (Oxford, 1925), p. 80-81; 158-159; 177-180; 278-279 et *passim*, avec l'arbre généalogique des Baban, p. 346. C. J. Edmonds, *op. cit.*, p. 53, a un autre arbre généalogique qui diffère de celui de Longrigg. Il a d'ailleurs tout un chapitre, p. 52-59, sur cette famille dont il parle à maintes reprises, ainsi que de ses principaux membres. E. S. Soane, *To Mesopotamia and Kurdistan*

in disguise (London, 2e éd. 1926) 410 pages, passe rapidement en revue l'historique des principales tribus kurdes: *Baban*, p. 371-372; *Hakkari*, p. 373-375; *Mukri*, p. 375-376; les *Beni Ardalan*, p. 376-379; *Jaf*, p. 379-381; *Guran* et *Ali-Ilahi*, p. 381-386; *Kalhur*, p. 386-387. La meilleure étude actuelle sur les Moukri est celle de O. L. Vilchevsky, *Les Kurdes Moukri. Essai ethnographique* (en russe), dans Recueil ethnographique de l'Asie Antérieure (Moscou, 1958), I, p. 160-222. — Mais l'ouvrage fondamental reste évidemment le *Charef-Name* (1596) de l'Émir Charaf Khan de Bitlis, édité par Veliaminof-Zernov, à St. Petersbourg en 1860-1862, avec une traduction française et commentaires par F. Charmoy (*ibid.* 1868-1875). Une édition persane plus accessible a été faite au Caire, en 1930, par M. Eli Ewni. Une bonne traduction arabe a paru à Baghdad en 1953, par les soins de Cemil Bendi Rojbeyani. L'Académie des Sciences d'Érivan en prépare une édition scientifique, dans une traduction russe et une traduction kurde, d'après A. Bennigsen, *Les Kurdes et la Kurdologie en Union soviétique*, dans Çahiers du monde Russe et Soviétique (Paris), t. III, avril-juin, 1960, p. 526.

(32) W. R. Hay, *Two years in Kurdistan* (London), 1921, p. 65.

(33) P. Rondot, *op. cit.*, p. 4-5.

(34) F. Millingen, *Wild life among the Koords* (London, 1870), p. 282.

(35) Dr. C. Khosbak, *op. cit.*, p. 68.

(36) *Art. cit.* p. 26-27. W.L.E., dans son *art. cit.* distingue (p. 432) trois types différents d'organisation sociale et économique de la population rurale: 1) Tribu classique sous un *agha*, se réclamant d'une origine commune et divisée en fraction, *tira*. C'est le cas des Ako, Balik, Girdi, Siyan et Surchi. 2) Tribu sous un chef «féodal» de lignée différente. Cas des Dizai, Khosnao, Jaf. 3) Chefs religieux: Sayyeds et cheikhs dont le pouvoir temporel se greffe sur une autorité religieuse. Tels les cheikhs Barzinja à Suleimani, cheikhs de Barzan, de Chamesdin, etc.

(37) Ils sont cités par B. Nikitine, *op. cit.*, p. 124-125, d'après une étude de N. Marr, *Sur le mot «Tchelebi»*.

(38) *Op. cit.*, p. 125, citant N. Bogdanova.

(39) G. Campanile, *Storia della regione del Kurdistan e delle sette religiose ivi esistenti* (Napoli, 1818), ch. II, art. 1 Ce même père dit également là que Bitlis était un vrai marché d'esclaves. — Mir Mohamed de Rewanduz, dit Mir Kor, qui s'était taillé un petit royaume (1825-1836) vendait lui aussi les prisonniers de guerre qu'il faisait au cours de ses expéditions, au dire de H. Huzni Mukriani, *Miran-é Soran*. Plus près de nous, Wigram, *op. cit.*, p. 317, signale que l'Agha de Chal gardait «a really large herd of domestic Jews» et lui a même proposé l'achat de l'un d'entre eux pour cinq livres! — Ce même auteur rapporte, p. 318, l'anecdote suivante: Un jour le frère du célèbre Bedr Khan Beg se présenta devant ce dernier vêtu comme un paysan et armé d'une pelle. «Qu'est-ce que cette mascarade?» lui demanda l'Émir: «Cher frère, c'est ce que nous aurons à faire, si tu continues à tuer nos *rayet* chrétiens; car tu n'en laisseras plus pour le travail de la terre!»

(40) Au dire de C. J. Edmonds, *op. cit.*, p. 223, ce titre d'*agha* est relativement récent et date du commencement du XVIIIe siècle, ou au plus tôt du milieu du XVIIe, c'est-à-dire, pour le Kurdistan méridional, postérieurement à la conquête de Baghdad par le Sultan Mourad IV, en 1637. En effet, le *Charef Name* (1596) utilise uniquement les titres de *Beg* et de *Khan*. «J'incline à croire, dit Edmonds, que les familles d'*agha* représentent en fait une nouvelle aristocratie devant leur position privilégiée à une nomination explicite par les différents princes kurdes autonomes».

(41) Cf. B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 126-127.

(42) D'après ce que m'a dit son propre petit-fils, le regretté Émir Celadet Bedr-Xan. — E. B. SOANE, signale (*op. cit.*, p. 374, note) une curieuse coutume. Si l'héritier présomptif est considéré comme inférieur au poste qui lui est destiné, on convoque une assemblée des principaux de la tribu. Si, après délibération, le chef est estimé indigne, alors on dépose devant lui une paire de souliers et on s'attend à ce qu'il les chausse et quitte la salle, signe qu'il accepte le transfert de la succession à un autre candidat. Mais ses terres et ses propriétés lui sont laissées.

(43) J'ai cité dans *L'âme des Kurdes à la lumière de leur folklore* (Beyrouth, 1946), p. 44-46, un certain nombre de ces femmes vaillantes. Voir aussi SUREYA BEDR-KHAN, *La femme kurde et son rôle social* (XVIe Congrès Intern. d'Anthropologie, Bruxelles, 1935).

(44) Cette princesse yézidie (+31 décembre 1957) a toujours fait montre d'une énergie et d'une souplesse peu ordinaire. On l'accusa même d'avoir fait assassiner son mari, Ali Beg, en 1913, pour le remplacer par son fils, Saïd Beg, qu'elle protégea contre tous ses compétiteurs. Elle agit de même à la mort de Saïd Beg (1944) pour qu'il fût remplacé à la tête de la secte par le fils cadet, Tahsin Beg, à peine âgé de 13 ans (Cf. S. DAMLOJI, *Al-Yazidiyya* (Mosul, 1949), p. 31-33). Son rôle de régente et de conseillère me fait penser à l'activité identique de Lady Surma, auprès de son neveu Mar-Chimoun Icheï, Patriarche des Assyriens, actuellement aux États-Unis.

(44 bis) Cf. B. NIKITINE, *La féodalité kurde*, dans RMM, 1925, 2e trim, p. 1-17.

(45) D. STEWART, J. HAYLOCK, *New Babylon. A Portrait of Iraq* (London, Collins, 1956), p. 227.

(46) Telles sont les redevances actuelles signalées, pour le Kurdistan méridional, par C. J. EDMONDS, *op. cit.*, p. 224-225. S. ŞAMILOV, *Berbang* (Érivan, 1958), p. 96 rapporte de son côté les exigences du gouvernement turc, au temps de son enfance: *xerc*, droits fiscaux, *qepç'ur* (?), *olam*, travail forcé, *bêgar*, corvée, *serê pez* et *serê dewêr*, taxe sur le bétail, *diş kirasî*, mot turc qu'il traduit par *k'iriya dirana*, prix des dents, c'est-à-dire frais d'entretien des fonctionnaires ou soldats de passage qu'il fallait nourrir aux dépens du village. De son côté, HEREKOL AZIZAN, dans son article *Jêliyan*, dans Hawar, n° 34 (15 oct. 1941), signale, p. 544-545, les revenus de l'agha de cette tribu : *Hatinên axê*. Au printemps, chaque village doit le *dosanî*, un mouton ou deux, suivant la richesse, et à l'automne, le *kêsim*, une charge ou deux de raisiné, de riz et de blé. Au moment des fêtes, le cadeau, *êdanî*, consiste également en produits des troupeaux et des récoltes. L'agha se réserve aussi le droit d'affermage des terres, *deman*, refusé aux citadins. Pour chaque lot, *tof*, de 3 à 500 peupliers, il reçoit une redevance, *spîndarî*, qui s'élève jusqu'à cinq *mêcîdî*. Lorsque les agents du gouvernement viennent recenser et percevoir le droit sur le bétail, l'agha aide à cacher le nombre exact des bêtes. En revanche, les paysans lui paient le *dûvikê qemcûrê*. — Les commerçants de passage sont taxés, *ticarî*, et paient un *çerxî* (5 piastres) pour toute tête de mouton ou tout *xunkarî* de beurre fondu, et un *qemerî* (piastre) sur chaque toison. (Le *xunkarî* vaut 7 ocques, *hoqe* pèse 400 *dirhem*, le *dirhem* équivaut à 3 gr. 21). — De même les nomades de passage sont astreints à payer le *pêrûya kozê* ou droit de bercail. — En tant que juge, l'agha impose différentes peines, *ceza*: pour vol, *dizî*, assassinat, *kuştî*, coups et blessures, *brîndar*: et pour tout procès, *dawa*, un droit de justice, *heqê qazîtiyê*.

(47) Cet état d'assujettissement a été étudié surtout par les kurdisants soviétiques, comme O. L. VILCHEVSKY, *Economie de la communauté agricole chez*

les Kurdes (1936) ; B. Bogdanova. *L'exploitation féodale des nomades* (1939); Petrouchevsky. *La féodalité en Arménie et en Azerbaidjan du XVIe au début du XIXe siècle* (Léningrad. 1949); L. N. Kotlov, *Le soulèvement de libération nationale de 1920 en Iraq* (Moscou, 1958), surtout p. 31-36. B. Nikitine les a largement utilisés, *op. cit.*, p. 140-143; 146-149.

(48) J. Taylor, *Travels in Kurdistan* (London. 1865).

(49) Après la révolution jeune-turque. un fonctionnaire ottoman du Gouvernement de Bitlis écrivait dans un *Rapport sur l'état du Kürdistan et le problème de la Réforme*: «Dans ces régions règne dans sa pleine acception l'adage tyrannique affirmant que la force prime le droit... Et même certains Arméniens, pour être à l'abri des persécutions, installèrent un *Agha kurde* pour vivre sous sa protection... En conséquence la population des villages, privée des droits naturels humains, était réduite à l'esclavage sous la main des tyrans. Tout ce qui appartenait aux paysans: terres, meubles, animaux domestiques. et même honneur et vie, était soumis au bon plaisir de l'*Agha*». Cité par J. Mecerian, s.j., *Tableau de la diaspora arménienne*, dans P.O.C. (Jérusalem), t. VIII (1958), p. 563-564. Tiré à part, p. 97.

(50) C'est ainsi, par exemple, que Mahmoud Beg, fils du célèbre Ibrahim Pacha des Mili, avait imposé des taxes à ses sujets, sur les ventes de leurs produits. Vers 1934, il exigeait 10 piastres par mouton vendu, 5 piastres pour une toison, 5 piastres pour un *oka* de beurre et 7 médjidiés pour un chameau.

(51) Avant la guerre de 1914, Mar Chimoun recevait de la Sublime Porte une pension annuelle de 500 livres-or. Il vivait somptueusement des revenus de ses troupeaux et des propriétés que possédait sa famille ab antiquo dans les montagnes du Hakkari. En outre, les évêques et les *méliks* (chefs des tribus assyriennes) faisaient pour lui parmi le peuple une collecte qui s'élevait à environ 3.000 dollars par an. (D'après une *Notice manuscrite sur l'Église assyro-chaldéenne nestorienne et les Nestoriens* (1923) de l'abbé J. Tfinkdji).

(52) *Art. cit.*, p. 35. D'après des renseignements fournis par Hassan Beg, son cousin, l'Emir Saïd des Yézidis aurait ainsi reçu de ses fidèles 80.000 roupies en 1922, sans compter les chevaux, juments, bœufs, brebis, etc. Mais il n'en avait reçu que 40.000 en 1926, parce que les Yézidis avaient alors 600 des leurs dans les *levies* britanniques, et le simple fait d'être soldat leur ouvrait les yeux et ils refusaient dès lors de payer les taxes rituelles ou tribales.

(53) Chez les Yézidis, les plaignants s'adressent plutôt à un vieillard dont la sagesse est reconnue ou à certains spécialistes de l'arbitrage. Cf. R. Lescot, *op. cit.*, p. 165-166.

(54) D'après B. Nikitine, *op. cit.*, p. 133-136. Voici quel était le tarif de Mahmoud Beg, cité, plus haut: Pour un meurtre 10 livres-or. Pour le meurtre d'un notable, 50 livres-or. Pour le rapt d'une femme, 10 livres-or payées par le ravisseur et 10 livres-or payées par le père de la fille.

(55) Un frère de Mir Kor avait en passant pris une grenade dans le jardin d'un pauvre homme sans sa permission. L'émir le fit venir, et avouer sa faute et, après lui avoir demandé de quel doigt il s'était servi pour cueillir le fruit, il fit couper ce doigt. C'est ainsi que J. B. Fraser, *Travels in Koordistan, Mesopotamia*, etc. (London, 1840), I, p. 66 raconte l'histoire. A Scher, *Episodes de l'histoire du Kurdistan*, J. A. (1910). p. 138, dit que c'est la main droite qui fut coupée. Et, en outre, l'émir fit couper la langue du jardinier qui avait accusé le voleur d'un si petit larcin. On ne prête qu'aux riches. D'après deux missionnaires américains, Bedr-Khan amputait aussi la main des voleurs. Cette sévérité supprima tout vol et tout meurtre sur son territoire. Cité dans A. Safrastian, *Kurds and Kurdistan* (London, 1948), p. 54-55.

(56) E. AVDAL. *La coutume de la vendetta chez les Kurdes de Transcaucasie.* Thèse en russe (Erivan, 1953).

(57) Chez les Yézidis, le prix du sang est de 550 medjidiés,... ou bien la la main d'une fille ou d'une parente, sans dot ! Cf. R. LESCOT. *op. cit.*, p. 161-162.

(58) L'histoire est racontée par O. SEBRI, *Warê min ne î kor e*, dans Hawar, n° 51. p. 745. J'en ai donné la traduction française dans *L'âme des Kurdes...*, p. 28.

(59) Cf. P. RONDOT, *art. cit.*, p. 42.

(60) E. S. SOANE, *op. cit.*, p. 190.

(61) Miss LAMBTON, *Landlord and Peasant in Persia* (Oxford, 1956).

(62) Dr. D. WARRINER, *Land Reform and Development in the Middle East* (London, 1957).

(63) *Op. cit.*, p. 306-307.

(64) *Op. cit.*, p. 137.

(65) KHOSBAK, *op. cit.*, p. 48. On trouvera dans cet opuscule, p. 43-51, des tableaux statistiques des richesses agricoles des liwa kurdes d'Iraq et, p. 51-55, leur richesse en cheptel.

(66) « 20.000 familles paysannes des Dizai se révoltèrent en 1954, demandant une réduction de rente de 1/20 de la récolte et la fin du travail obligatoire et des cadeaux spéciaux (cadeau de noces) à leurs propriétaires terriens», dans S. S. GAVAN, *Kurdistan: Divided Nation of the Middle East* (London, 1959), p. 19. D'après JAAFAR KHAYYAT, *The Iraqi Village*, cité dans GAVAN, p. 18, le revenu annuel par tête du paysan irakien du nord, donc Kurde, était avant la 2e guerre mondiale entre £ 6 et £ 10. Il était, en 1957, de £. 11 8. La situation du paysan du sud (arabe) est encore inférieure de moitié. — On lira avec profit sur ce problème l'article éclairant de P. ROSSI, qui vécut longtemps à Baghdad, *L'Irak devant la réforme agraire*, dans Orient, n° 7 (3e trim. 1958,) p. 81-93. On y ajoutera son pendant non moins instructif, *Pour une industrialisation de l'Irak*, dans Orient, n° 10 (2e trim. 1959), p. 59-78.

(67) Voir l'article *La Réforme agraire en Irak*, dans le journal communiste de Baghdad, *Al-bilad*, du 12 sept. 1960, traduit dans Documentation française, Articles et Documents. n° 0.1027, du 29 nov. 1960.

(67bis) P. P. MOISEIEV, *Le problème agraire en Turquie*, dans Sovietskoie Vostokovedenie (L'Orientalisme soviétique), 1956, n° 1. Trad. franç. dans la Documentation française, Articles et Documents, n° 0.369 (14 juin 1956), p. 8-15 Hans. E. TUTSCH, *Les plans de réforme en Turquie*, dans The New Leader du 9 janv. 1961. Trad. franç., *ibid.*, n° 0.1077 (30 mars 1961), p. 7; *Un projet turc de réforme agraire*, dans Vatan des 9, 10, 11 et 12 oct. 1961. Trad. franç., *ibid.*, n° 0.1174 (30 nov. 1961), p. 9-11.

(68) Ce système économique de l'*oba* semble avoir eu le plus d'extension chez les Kurdes de Transcaucasie. En effet, il est signalé d'abord par EGHIAZAROFF, *Essai sur les Kurdes et les Yézidis du gouvernment d'Erivan*, en russe (Kazan, 1888). Il est décrit également par EREB ŞEMO, *Le berger kurde*, en russe (Tiflis, 1935), éd. kurde, *Şivanê Kurd* (Beyrouth, 1947). p. 29; mais sauf erreur de ma part, l'auteur n'en reparle plus dans sa 2e éd., sous le titre *Berbang*, L'Aube (Erivan, 1958). Ce n'est pas la seule omission ou le seul changement caractéristique de cette refonte du travail de Chamilov. Enfin I. O. VILCHEVSKY, dans son étude sur *L'économie de la communauté agricole chez les Kurdes*, en russe (1936), nous affirme que la lutte des classes au Kurdistan se concentra autour de l'*oba*. Sur toute cette organisation, cf. B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 149-152. C'est probablement à l'*oba*, mais sans le nommer, que fait allusion F. BALSAN, *Les*

surprises du Kurdistan (Susse, 1945), lorsqu'il parle d'une « union de petits villages de montagnes », p. 218, et des gros troupeaux de Bay Nafi, p. 238, qui a un personnel de 150 bergers et ravitailleurs. Miss LAMBTON, *op. cit.*, p. 357, signale également que les paysans s'arrangent pour grouper ensemble leurs bêtes au pâturage, mais ne parle pas d'*oba* non plus.

(69) M. LAMBTON, *op. cit.*, p. 350, nous dit qu'il existe en Perse deux sortes de contrats de fermage: *dendanî*, où le berger restitue au propriétaire le nombre de bêtes confiées et garde le croît et *teraz*. Dans ce dernier cas, le propriétaire reçoit par an et par tête de buffle 4 à 6 *mann-i tebrizî* de beurre. En outre, on partage le croît par moitié. — Le droit de pâturage, *heqê mirtî*, s'élève à 50 rials par bête et par an.

(70) P. RONDOT, *art. cit.*, p. 42-47, y insiste en apportant plusieurs exemples. Cf. aussi C. J. EDMONDS, *op. cit.*, p. 59-79.

(71) Cf. *La Religion des Kurdes*, dans Proche-Orient Chrétien (Jérusalem t. XI (1961). Tiré à part, p. 9-15.

(72) Cf. NEGIB HADDAD, *L'économie et les finances des pays arabes*, dans Le Commerce du Levant (Beyrouth), n° du 7 janvier 1959. Cité dans Documentation française, Articles et Documents, n° 0.756 du 29 janv. 1959. — J. PECHEL, *Le régime Kassem, une anarchie dirigée*, dans Aussenpolitik (Stutgard) de janv. 1961. Cité dans Doc. franç. Art. et Doc. n° 0.1058 du 14 fév. 1961, signale que «la récolte de 1960 ne représente que le quart de celle de 1957, ce qu'il faudrait attribuer, non seulement aux conditions atmosphériques défavorables, mais à la mauvaise volonté des paysans déçus par la réforme agraire».

(72bis) K. DAGHESTANÎ, *La famille musulmane contemporaine en Syrie* (Paris Leroux, 1932), 226 pages. Dans son ouvrage déjà cité sur *La vie de la femme kurde* Mme HANSEN, et c'est ce qui fait l'originalité de son travail, distingue quatre milieux caractérisés où se déploie l'activité de la femme kurde: les milieux villageois: aristocratique et paysan, et les milieux urbains de province: instruit et illettré. Bien des coutumes varient suivant ces différents cas. Ainsi, par exemple (p. 138), la polygamie existe dans le milieu urbain illettré (Sulaimani, Kirkuk), mais les femmes ne sont jamais plus de deux; tandis que la monogamie domine dans le milieu paysan pauvre et le milieu urbain instruit, mais pas pour les mêmes raisons.

(73) *Cheref-Name*, éd. persane (Le Caire, 1930,), p. 292; trad. arabe (Baghdad, 1953), p. 233. C. J. EDMONDS, *op. cit.*, p. 218-219, cite, d'après Clément, Ba Bakr Agha de Pijder, qui, en 1856, alors qu'il était âgé de 30 ans, avait 18 frères et 20 sœurs en vie.

(74) Le fait m'a été rapporté par l'Emir Kamiran, lui-même petit-fils du célèbre émir.

(75) Sur les coutumes matrimoniales des Kurdes, en général, voir CAMPANILE, *op. cit.*, ch. IV, art. 4; Dr. K. BEDR-XAN, *La femme kurde*, dans Hawar, n° 19, p. 294-196; TAWUSPAREZ, *Le mariage chez les Kurdes*, dans Hawar, n° 42, p. 764-768. Chez les Kurdes de Transcaucasie, TCHOURSINE, *Les Kurdes d'Azerbaidjan* (Tiflis, 1926), cité par B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 108-111; EREB ŞEMO; *Şivanê kurd* (Beyrouth, 1947), ch. 13, p. 44-47 et *Kurdên Alagöz*, p. 114-118 et *Berbang* (Erivan, 1958), p. 87-95. Chez les Kurdes d'Ourmia, B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 113-115. Chez les Kurdes Yézidis, GIAMIL, *Monte Singar. Storia di un popolo ignoto* (Roma, 1900), ch. VI, p. 45-49; E. S. DROVER, *Peacock Angel* (London, 1941), p. 18-23; 276-288; S. DAMLOOJI, *Al-Yazidiyya*, en arabe (Mosul, 1949), p. 276-288. Chez les Kurdes d'Alamout, FREYA STARK, *La vallée des Assassins* (Paris, 1946), p. 270-279. Chez les Kurdes d'Irak, C. J. EDMONDS, *op. cit.*,

p. 225-226; H. H. Hansen, *op. cit.*, p. 115-138. — Chez les kurdes de Damas et du Kurd Dagh, K. Daghestani, *op. cit.*, *passim.*

(76) On pourra lire à ce propos, les poésies de Etare Şaro, que j'ai publiées dans *Les Kurdes...*, dans al-Machriq (1958), p. 59 du tiré à part. Mikaile Reşid a aussi plusieurs morceaux sur ce thème dans *Dilê min*, Mon cœur (Erivan, 1960), 122 pages. Qaçare Mirad, *Şewq*, Les Rayons (Erivan, 1951), p. 14-15.

(77) Cf. C. J. Edmonds, *op. cit.*, p. 225-226. Cf. aussi Dufresne, *Un conte kurde de la région de Söörd*, dans J.A. (1910), p. 107-118.

(78) La vertu des femmes kurdes est bien connue. E. Şemo, *Le berger kurde*, p. 47-49, rapporte l'histoire de cette kurde de Kêrik qui, lors de l'invasion de la Turquie par l'armée tzariste, montait la garde avec ses trois brus pour défendre leur honneur contre la soldatesque russe. Il est étonnant et dommage que, dans la seconde édition de son ouvrage, Chamo ait cru devoir supprimer cet épisode tout à l'avantage de ses compatriotes pour le remplacer par un couplet sur l'oppression des Turcs et la gentillesse des soldats russes, telle qu'elle fut la cause de l'émigration des Arméniens et des Kurdes au Caucase pour se mettre sous leur protection. Cf. *Berbang*, p. 95-97.

(79) Dr. K. Bedr-Xan, *Le Soleil noir. Coutumes du pays des Kurdes*, dans Hawar, nº 26, p. 415-418.

(80) Lire de ces chants de noces dans B. Nikitine, *op. cit.*, p. 113; Tawusparez, *art. cit.*, p. 766-767.

(81) En Azerbaidjan, une parente du fiancé jette quelques galettes de pain entre le seuil et les pieds de la fiancée. Celle-ci ramasse le pain et baise le seuil (B. Nikitine, *op. cit.*, p. 110). — Ailleurs, en franchissant le seuil, la fiancée élève les cierges allumés qu'elle tient en chaque main, tandis que le fiancé, debout sur la terrasse, lui jette de la menue monnaie, du blé, et du riz coloré (Fr. Stark, *op. cit.*, p. 276). — Chez les Yézidis, à l'arrivée de la fiancée, la future belle-mère lui jette du haut de la terrasse du sucre, des bonbons et des fleurs. Puis elle descend et donne à sa future bru une jarre pleine de sucreries que celle-ci devra briser sur le seuil avant d'entrer. Chacun se précipite sur les bonbons répandus, car ils portent bonheur. La fiancée pénètre alors dans sa nouvelle demeure en passant sur les débris de la jarre et le sang d'un mouton qu'on vient d'égorger à ses pieds (E. S. Drover, *op. cit.*, p. 21). D'après K. Daghestani, *op. cit.*, p. 46-47, «chez les Kurdes du Kurd Dagh, avant que la fiancée entre dans la maison conjugale, on s'empresse de briser en morceaux entre ses pieds une grande cuiller en bois. Nos interlocuteurs, dans la région du Kurd Dagh, se contentent toujours de nous dire que cela porte bonheur aux deux nouveaux mariés ». — A Topzawa (Irak), au moment où la fiancée franchit le seuil de sa nouvelle demeure, on fait s'envoler une volaille, tandis que le fiancé, du haut de la terrasse, donne un coup sur la tête de sa future avec une perche qu'il tient à deux mains. (H. H. Hansen, *op. cit.*, p. 130).

(82) V. Minorsky, *Notes sur la secte des Ahl-i Hakk*, dans RMM (1920-1921). Tiré à part (182 pages), p. 45.

(83) Cité dans Mme B. Chantre, *A travers l'Arménie russe* (Hachette, 1893), p. 258.

(84) Le coup de fusil est tiré par le mari à Ourmia, cf. B. Nikitine, *op. cit.*, p. 115; ailleurs, par le *brazava* ou *kerdaş*, qui garde la porte des nouveaux mariés. Tawusparez, *art. cit.*, p. 767, dit que cet usage est tombé en désuétude, mais je l'ai encore constaté chez les Kurdes et les chrétiens des environs de Duhok. De même en est-il de l'exposition du *pisivar*, ensanglanté de l'hymen. Coutume déjà connue des Juifs (Deuteronome, ch. XXIII, 15), universellement pratiquée par les Arabes, cf. E. Westermark, *Les cérémonies du mariage au Maroc*

(Leroux, 1921), ch. VII, p. 198-269), qui usent parfois de subterfuges, et en usage également chez les Kurdes (B. Nikitine, *op. cit.*, p. 109 et 115), ainsi que chez les Yézidis (Giamil, *Monte Singar*, n° 57, p. 49). Cf. aussi sur cette coutume, H. H. Hansen, *op. cit.*, p. 134, qui dit que, dans la famille de la jeune mariée, on conserve le 'bridal sheet' environ un an, c'est-à-dire jusqu'à la naissance du premier enfant

(84 bis) Mme Hansen, dans sa conclusion, *Position de la femme dans la communauté*, *op. cit.*, p. 163-186, nous oblige à nuancer quelque peu ces affirmations suivant les différents milieux.

(85) Paule H. Bordeaux, *Antaram de T... nde* (Paris, 1930).

(86) L'événement est raconté par un m... cin français qui se trouvait alors en Perse. Dr. Feuvrier, *Trois ans à la ... le Perse* (Paris, Juven, s.d.), p. 278, 284-285, 297.

(87) Elle est racontée par B. Nikitine, *op. cit.*, p. 102-103.

(88) Voir par exemple: N. A. *L'hospitalité kurde: une femme, chef de tribu*, dans Hawar, n° 6, p. 87-88; Diya Ferzo, sur Perixan, chef de la tribu des Reman, *Bavê Emîn, ibid.*, n° 40, p. 631; Fr. Stark, *op. cit.*, p. 185, apporte aussi quelques exemples typiques.

(89) C. J. Edmonds, *op. cit.*, p. 86.

(90) E. B. Soane, *op. cit.*, p. 219 et sv.

(91) Dans un autre ordre d'idées, plus moderne, dirais-je, ne pourrait-on pas citer Madame Rauchan Bedir Khan qui, depuis la mort de son mari, l'Emir Celâdet, en 1951, s'efforce, par ses écrits et ses démarches, d'en continuer l'œuvre littéraire et politique?

(92) Un exemple vivant nous est conté par E. Şemo, *Les Kurdes de l'Alagöz*, ch. III, p. 99-100.

(93) Nombreux sont les cas de manifestations d'amour maternel chez les Kurdes. Par contraste, Freya Stark, *op. cit.*, p. 119, nous rapporte, à propos d'une femme kurde du Lakistan, un fait vraiment barbare que lui raconta son guide de la tribu des Dusani: «Les femmes là-bas sont plus cruelles que les hommes, disait-il; l'année dernière quand la tribu était en guerre avec le gouvernement, l'une d'elles eut un bébé. Son mari demande à le voir, mais elle répondit: «Cette époque n'est pas faite pour les enfants!» et prenant le sien par les pieds, elle le brisa contre les rochers. Plusieurs d'entre elles portent un fusil et s'en vont à cheval avec la tribu comme des guerriers».

(94) E. S. Drover, *op. cit.*, p. 4, a entendu parler de nombreux «charmes» pour guérir la stérilité, mais jamais de moyens pour empêcher la conception ou provoquer l'avortement.

(95) On pourra voir une berceuse de Emin Aali Bedir Khan dans *L'Ame des Kurdes*, p. 41; une de Cesimê Celîl, dans *Coup d'œil sur la littérature kurde*, p. 231; une de Haciyê Cindî, dans *Les Kurdes...*, p. 51.

(96) A. Brunel, *Gulusar, Contes et Légendes du Kurdistan* (Paris, SPELT, 1946), p. 109-111. B. Nikitine, décrit comment cela se passe en Azerbaidjan, *op. cit.*, p. 105, et chez les Kurdes Moukri, 107, et Mme Hansen, *op. cit.*, p. 99, chez les Kurdes d'Irak. Elle rappelle, p. 100, que le nouveau-né repose les sept premiers jours sur un tamis, ce qui le préserve des mauvais esprits. Pour les Kurdes de Transcaucasie, E. Evdal, *op. cit.*, p. 62-73.

(97) Les détails pour la ville de Sulaimani m'ont été fournis par mon ancien élève, Monsieur Bakhos Rayes qui fut employé au barrage du Dokan, et pour qui j'avais préparé un questionnaire.

(98) Sur cette épopée de Dimdim on pourra se reporter à ce que j'ai écrit dans mon article déjà cité sur *Les Kurdes*, p. 77-79. Cf. aussi les étude en russe de ORDIXANÊ CELÎL, *Canevas historique de l'épopée héroïque Kurde « Zlatarûki Xan »*, in Bull. de l'Acad. Sc. d'Arménie (Erivan, 1960), n° 10, p. 53-64 et *L'Epopée héroïque Kurde « Zlatorûki Xan » (Dimdim)* (Leningrad, 1961), 20 p.

(99) Pour faciliter l'accouchement, le P. CAMPANILE, *op. cit.*, ch. III, art. 2. écrit qu'on utilise aussi l'eau qui a servi à laver les mains d'un hôte, car sa transpiration est, paraît-il, efficace en l'occurence.

(100) H. MASSE, *Croyances et Coutumes Persanes* (G. P. MAISONNEUVE, 1938), p. 44-46 et 356.

(101) E. S. DROVER, *op. cit.*, p. 32.

(102) CAMPANILE, *op. cit.*, p. 87-93.

(103) CAMPANILE, *op. cit.*, ch. II, art. 8.

(104) A Baghdad, en 1953, ELADIN SECADE a publié une brochure de 38 pages, *Navê kurdî*, qui est un catalogue de vrais noms kurdes à donner aux enfants. De son côté, BAVÊ CEMŞÎD Û SINEMXANE avait donné une longue liste de noms spécifiquement kurdes, *Navên Kurdmancî*, dans Hawar, n° 31 (1er août 1941), p. 42-43. Mme HANSEN, *op. cit.*, p. 108, dit que le nom est imposé par le mollah le septième jour.

(105) Cf. mon étude sur *Les Yézidis* (1961), p. 22 du tiré à part.

(106) Cf. les protestations des femmes égyptiennes dans la presse relevées par J. BERQUE, *Les Arabes d'hier à demain* (Paris, 1960), p. 169. Mme HANSEN écrit à tort, me semble-t-il, *op. cit.*, p. 193, note 58, qu'aucune référence à la «circoncision» des filles n'est faite par les Kurdes en Irak. C'est là preuve que certains sujets, comme aussi la prostitution, p. 197, note 10, restent tabou vis-à-vis des étrangères, même dans certains milieux féminins évolués. Les hommes ont moins de scrupules. Ainsi C. G. FEILBERG, *Les Papis* (Kobenhavn, 1952), p. 133, signale que cette coutume existe aussi chez les Lurs.

(107) H. MASSE, *op. cit.*, p. 503.

(108) CAMPANILE, *op. cit.*, ch. III, art. 2.

(109) T. F. ARISTOVA, *Aperçu de la culture et du mode de vie des paysans kurdes de l'Iran* (1958), cité dans B. NIKITINE, dans L'Afrique et l'Asie, n° 46, 2e trim. 1959, p. 55.

(110) Voici comment TAWUSPAREZ, *La Vie universitaire au Kurdistan*, dans Hawar, n° 53 (15 mars 1943), p. 775, décrit cette danse: «C'est une sorte de quadrille, qui se caractérise par la lenteur de son rythme et qui n'est en honneur qu'au sein de la corporation estudiantine. Les exécutants, se tenant par les mains, se rangent sur deux files parallèles qui se font face. Les deux groupes font simultanément les mêmes pas, de manière à s'avancer à la rencontre l'un de l'autre, puis à s'en éloigner. Les figures comportent: 1° Trois battements, jambe droite croisant la jambe gauche, puis la gauche croisant la droite, enfin la droite croisant la gauche. 2° Petits pas en avant, légèrement croisés. 3° Révérence, accompagnée d'une flexion du genou droit. 4° Petits pas en arrière, légèrement croisés. 5° Battements, pas en avant, révérence, etc. Ces évolutions sont guidées par des strophes que chante l'un des deux groupes, tandis que l'autre répond à chaque vers par un refrain». L'inspiration des anciennse *bêîtê* était parfois pieuse, les paroles étaient des poèmes de Melayê Cizrî ou d'Ehmedê Xanî. Mais aujourd'hui certaines sont assez réalistes.

(111) C. J. EDMONDS, *op. cit.*, p. 84.

(112) F. Millingen, *Wild life among the Koords* (London, 1870), p. 378-379, cité dans B. Nikitine, *op. cit.*, p. 139. De nombreux voyageurs au Kurdistan, comme Minorsky, de Sarcey, Binder, Müller-Simonis, Mme Chantre, etc. ont décrit eux aussi les danses auxquelles ils ont assisté.

(113) Sur les chansons kurdes en général, Celadet A. Bedir-Xan, *Le Folklore kurde*, n° 3, dans *Hawar*, n° 3, p. 42-43. Cette même revue a publié le texte, et parfois la traduction de nombreuses chansons. De même la revue *Roja nû* (Beyrouth, 1943-1946), ainsi que *Reya Taze* d'Érivan, depuis 1929, en contiennent une multitude. Également l'hebdomadaire *Kurdistan*, publié à Téhéran depuis 1959. J'ai donné quelques spécimens de chansons dans *L'Ame des Kurdes*, p. 32-41. B. Nikitine, *op. cit.*, p. 259-268, donne la traduction de 16 *lavij* de sa collection. Son texte aurait davantage mis en relief les beautés poétiques s'il avait été imprimé à la ligne, comme des vers, et si le traducteur n'y avait pas introduit ses explications et ses gloses. — M. Mokri a publié à Téhéran, en 1951, avec traduction persane, des *Chansons kurdes*, *Kurdish songs* (198 pages). Resul Bizar Gerdi a composé lui-même la musique de ses chansons, *Goranî*, publiées, p. 31-64, de son recueil *Bizar* (Baghdad, 1957), 106 pages. Maruf Xiznedar a donné, en arabe, la traduction de quelques chansons du Kurdistan, *Aghanî Kurdistan* (Baghdad, 1956), 64 pages. On peut trouver aussi de nombreux disques de chansons kurdes édités par La Voix de son Maître, Columbia, etc. Gerard Chaliand, *Poésie populaire des Turcs et des Kurdes* (Paris, Maspero), 1961, 148 p.

(113bis) Yachar Kamal, *Mêmed le Mince* (Éd. mondiale, Paris, 1961) p. 75. Ce roman à revendications sociales, écrit en turc par un Kurde, se passe dans le Kurdistan. On y peut lire les exactions de certains aghas et la vie mouvementée des bandits au début de ce siècle.

(114) *Le Beau de la Steppe* est un *delal* adapté à la tribu des Kîkan de Djézireh par le chansonnier Ehmed Ferman. Agé de 75 ans, il en a chanté le texte de 24 strophes (*Hawar*, n° 24 du 1er avril 1934, p. 376-377) à l'Émir Celadet Bedir-Xan qui en a donné la traduction française (p. 382-384) suivie d'un commentaire.

(115) L'Émir Celadet Bedir-Xan a publié et traduit en français un long *lavij* de 53 strophes qui décrit le jour du Jugement dernier et les châtiments réservés aux pécheurs. Ce poème aurait été chanté par Mgr Basile-Simon II, évêque jacobite du Tour Abdin, devant Mir Mihemed, prince de Botan (+ 1740), qui l'avait convoqué, parce que ce prélat refusait de marier à sa cousine le domestique syriaque d'un agha du voisinage. Cf. *Hawar*, n° 25 (19 août 1934). Texte, p. 394-398; traduction, p. 399-403. Ces explications historiques se trouvent, *ibid.*, p. 465-466. — B. Nikitine, *op. cit.*, p. 259-273, fait un long exposé sur le *lâwj* lyrique kurde, qu'il compare à la *qasîda* arabe. Les exemples qu'il donne n'ont rien de religieux et sont plutôt des chansons d'amour, courtes pour la plupart.

(116) Cf. S. Jargy, *Chant populaire et musique savante en Proche-Orient arabe*, dans *Orient*, n° 6 (2e trim. 1958), p. 107-122.

(117) Cf. Aly Mazaheri, *La vie quotidienne des Musulmans au Moyen-Age* (Xe-XIIIe s.) (Hachette, 16e éd. 1959), p. 159. Et aussi H. Bammate, *Visages de l'Islam* (Payot, Lausanne, 2e éd. 1958), p. 307.

(118) Cf. A. Christensen, *La vie musicale dans la civilisation des Sassanides* dans *La Civilisation iranienne* (Payot, 1952), p. 140-148.

(119) Aly Mazaheri, *ibid.*

(120) Il est assez curieux que V. MINORSKY n'en parle pas du tout dans son art. *Kurdes* de l'Enc. de l'Islam. B. NIKITINE, *op. cit.*, y fait allusion ,p. 136-137. Quelques brèves remarques par un Arménien P. G. MICHAELIAN, *A propos de la musique kurde*, dans *Hawar*, n° 10 (23 oct. 1932), p. 151 qui constate que les mélopées kurdes exercent sur les étrangers «un attrait et un charme très sensible». Le Dr. DIETER CHRISTENSEN a donné une Conférence sur la Musique kurde, lors des Kurdish Days à Oldenburg (Allemagne) le 8 mars 1961. D'après *Kurdish Facts*, n° 4, march 1961, p. 9. Pourtant pour Mme HANSEN, *op. cit.*, p. 128-129, la musique kurde, avec ses dix-sept tons et son manque de polyphonie et d'harmonie, paraît «plate et fausse». — Aucune allusion dans *La Musique soviétique* (Moscou, 1961), 190 p. de LUDMILA POLIAKOVA qui traite pourtant des autres musiques nationales d'U.R.S.S.

(121) COMITAS, *Recueil d'Emine* (Inst. Lazareff des Langues Orientales, Moscou 1904). Une courte biographie de Komitas par S. BRUTIAN, dans *Reya Taze*, n° 1099, du 1er oct. 1959. Sur son activité musicale, cf. S. G. GASPARIAN, *Komitas et la musique du peuple kurde* (en arménien). Traduit en kurde par EMERIKE SERDAR, dans *Reya Taze*, n°s 1270 et 1271 du 25 et 28 mai 1961.

(122) Ainsi, en Irak, BAKIR A. ALI, *An Approach to kurdish music*, dans *Kurdistan* (Organe des Étudiants kurdes en Europe), n° 1 (mars 1958), p. 3-6, préconise l'organisation de groupes pour la «preservation, standardisation and advancement» de la musique kurde. Une société de musique kurde aurait même été fondée à Baghdad (cf. S. S. GAVAN, *Kurdistan: Divided Nation of the Middle-East* (London, 1958), p. 15). Même souci chez les Kurdes d'Arménie soviétique où des jeunes filles s'intéressent à la musique nationale. Ainsi NURA CEWARI, après avoir terminé ses études à l'École de Musique Malikian d'Érivan, a donné un livre noté de *Chansons de danses du peuple kurde* (Erivan, 1968), 62 pages. Le livret contient 33 chansons. CEMILE CEMIL suit elle aussi les cours du Conservatoire gouvernemental d'Érivan (*Reya Taze*, n° 1248, du 9 mars 1961).

(123) E. S. DROWER, *Peacock Angel* (1941), donne la description d'un luth ou *tanbûr* (p. 38). En d'autres passages, elle cite d'autres instruments, comme le *daff*, tambourin et le *shebâb*, ou flûte en bois (p. 16 et 97); le *tabel*, grosse-caisse et la *zurnâ*, flûte à large embouchure (p. 129-130); enfin (p. 218-219), elle décrit et note un chant yézidi. H. LAYARD, *Niniveh and Babylon*, a de même publié trois chants yézidis, avec notation de la musique, n°s 667-669, édit. allemande (1853), p. 507.

(124) Lors d'un festival de danses folkloriques iraniennes à Istanbul, en 1959, où la troupe exécuta aussi plusieurs danses et chants kurdes, l'orchestre se composait d'instruments aux formes étranges, que je voyais pour la première fois et dont j'ignore le nom. — Les Kurdes montagnards que j'ai connus ne les utilisaient certes pas.

(125) Certains chanteurs et certaines chanteuses kurdes sont très appréciés des auditeurs. Autrefois les disques, aujourd'hui la radio ont fait connaître leur voix et leurs airs familiers à des milliers de compatriotes. Citons Meryem Xanim, de Botan, la Feyrouz du Kurdistan et, à Baghdad, Nesrin Sirwan, Faziya Mehmûd et Elmas Mihemed. Parmi les hommes, Qawiz Agha, qui célébra les gloires de Cheikh Mahmoud, et Hesan Cizrawi. Omar Amin Dizayee, né à Erbil en 1936, actuellement étudiant en Sciences-Po à Paris, est, paraît-il, capable de chanter en six langues, outre le kurde. A la radio d'Érivan, les *dengbêj* sont aussi des amateurs et non des professionnels. Les chanteuses préférées sont Sûsika Simo, qui commença à chanter en 1936, pour les Olympiades de la République, et Zadîn Şekir, qui n'a que dix-neuf ans et une voix d'or. Les jeunes Mecîtê et Efoê Esed sont également appréciés. Egîtê Cimo charme ses

auditeurs par ses morceaux de flûte et de chalumeau. Cf. K. Çaçanê, *Dengbêjêd me*, dans *Reya Taze*, nº 999, du 16 oct. 1958 et Nura Cewari, *Dengbêjêd meye cimae'tiyê, ibid.*, nº 1234, du 19 février 1961, qui, entre autres chanteuses, cite Köbara Xödo, dont la voix cristalline évoque les sources de l'Alagöz.

(126) Sur ces *mitirb* et leurs occupations, voir A. Brunel, *op. cit.*, ch. VII, *Les Gavandas de Kaniémeched, troubadours kurdes*, p. 177-181.

(127) Cf. O. Mann, *Die Mundart des Mukri-Kurden*, I. Berlin, 1906. p. XXVIII-XXX. Cf. B. Nikitine, *op. cit.*, p. 273-274.

(128) C. Bedir-Xan, *Le Beau de la Steppe*, dans Hawar, nº 24, p. 305.

(129) D'après A. Jaba, *Dictionnaire kurde-français* (St. Pétersbourg, 1879), le *berxbir* (p. 43), serait la Saint-Georges, en turc *Rûz-i Xizir*, qui se célébrait au mois d'août; le *beran-berdan* (p. 42), serait la Saint-Martin, fête que les Turcs appellent *Qâsim*. D'après D. Kelekian, *Dictionnaire turc-français* (Constantinople, 1911), p. 928, cette fête coïncidait avec la Saint-Démétrius, le 26 octobre (vieux style). Cf. Stig Wikander, *Ein Fest bei den Kurden und im Avesta*, dans Orientalia Suecana (Uppsala), vol. IX (1960), p. 7-10. Sur les différentes festivités, E. Evdal, *op. cit.*, p. 94 sv.

(130) E. Şemo, *Şivanê kurd* (Beyrouth, 1947), p. 37; *Berbang* (Érivan, 1958), p. 69. Cf. B. Nikitine, *op. cit.*, p. 53.

(131) Cf. Th. Bois, *Les Yézidis. Essai historique et sociologique sur leur origine religieuse*, dans *Al-Machriq*, LV, 1961, p. 109-128 et 190-244. Tiré à part, 74 pages.

(132) Le Bulletin, en langue anglaise, *Kurdistan*, organe de l'A.E.K.E. (Association des étudiants kurdes en Europe) a ainsi donné quelques détails sur ces festivités. Par ex., dans le nº 4 (april 1959), K. Fuad a traité, en allemand, *Newroz und Kurdistan*, p. 32-33. Le nº 6 (july 1960) publie, p. 15-16, des photos des danses folkloriques kurdes à l'occasion du Newroz à Munich. Le nº double 7/8 (1961) donne quelques renseignements sur la célébration du Newroz à Londres, et la traduction anglaise d'un joli poème de Salih Karadeghi, lu à cette occasion (p. 32). On peut regretter que, dans ces numéros ou dans les bulletins similaires en langue allemande, les costumes représentés dans les photos ne soient pas typiquement kurdes, ou soient incomplets. Cela ne peut donner qu'une fausse idée du magnifique costume national kurde. Il vaudrait mieux ne représenter qu'un seul costume authentique, plutôt que d'exhiber ce qui n'est qu'une mascarade!

(133) Tewfiq Wehbi, *The Rock Sculptures of Gunduk Caves*, dans *Sumer* (Baghdad), vol. IV (1948), nº 2. Traduction française dans *Bulletin du Centre d'Etudes Kurdes* (Paris, nº 7, mai 1949), p. 1-13, ici, p. 11-12. L'auteur ne s'estime pas loin de la vérité en identifiant «la visiteuse en esprit avec la reine «Anahita» des anciens Iraniens et «Ishtar» des Suméro-Babyloniens».

(134) De Morgan, *Mission scientifique en Perse* (1894-1904), II, p. 39. P. Beidar, *Grammaire kurde* (Paris, 1927) donne, p. 51-54, un récit kurde avec sa traduction, *Une royauté bizarre*, qui a trait sans doute aucun à cette coutume, où le monarque d'un jour est bafoué.

(135) T. Wehbi, *art. cit.*, trad. franç., p. 11. L'auteur croit pouvoir relier cette fête à la légende en l'Avesta où le héros céleste Thraetaona tue le dragon Azhi Dahaka, ennemi de l'humanité qui désirait priver la terre de la pluie et la rendre stérile. C. J. Edmonds, *op. cit.*, p. 184-185, citant d'ailleurs T. Wehbi, dit que cette fête était tombée en désuétude, durant ou peu avant la Première Guerre Mondiale et la met en relation avec le Nouvel An iranien.

(136) Voir sur ce point TAWUSPAREZ, *Les Jeux Kurdes*, dans *Hawar*, n° 42 (15 avril 1942), p. 654-656. Cf. aussi B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 139.

(137) G. E. HUBBARD, *From the Gulf to Ararat. An expedition through Mesopotamia and Kurdistan* (Edinburgh-London, 1917), décrit ainsi, p. 219, ce sport pratiqué devant lui par le fils du Khan d'Ushnu: «On choisit un terrain aussi uni que possible. Les cavaliers galopent séparément à fond de train. Quand ils arrivent à l'endroit voulu, ils lancent sur le sol, un peu devant le cheval et pointe en bas, un gros bâton d'environ trois pieds de long. S'il est bien lancé, le bâton rebondit en l'air et l'adresse du cavalier consiste à faire rebondir son bâton de telle sorte qu'il puisse ou bien passer par-dessous, ou bien l'attraper dans la main droite ou dans la main gauche. Inutile de dire que le coup est beaucoup plus difficile quand le bâton est lancé de travers (off-side)».

(138) A. FALK, *Turquie* (Petite Planète, 1956), p. 94-95.

(139) V. MONTEIL, *Iran* (Petite Planète, 1957), p. 72-75.

(140) Cité par B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 140. Le texte ne se trouve pas dans *Şivanê kurd*. Par contre dans *Berbang*, E. ŞEMO cite d'autres jeux: *hol*, la balle; *bez*, la course; *lepotaş* ou *'lepotaşo* (p. 62). D. N. MACKENZIE, dans son récent ouvrage *Kurdish Dialect Studies*, I (Oxford, 1961) cite lui aussi un certain nombre de jeux. Dans le dialecte de Sulaimani (p. 147): *Halûkên*, tip-cat, *fitbôlên*, football, *sartirinjên*, échecs, *topên* ou *topânê* (Erbil), jeu de balle, *zôrân* ou *zôrânê* (Erbil), lutte. Pour le dialecte d'Akra (p. 218): *hôlân*, polo, *camkâna*, hockey, *dâmânê*, dame, *gôlânê*, football, *katikânê*, «five-stones», *lukmânê*, boxe, *muhr-o-xatânê*, «heads or tails», *mâtânê*, billes, *sartirinjân(ê)*, échecs, *xô-lek-dâmânê*, lutte.

(141) Dans la célèbre légende de *Memê Alan*, publiée par R. LESCOT (Beyrouth, 1942), on décrit (vers 3091-3219) une partie d'échecs entre Mem et l'émir du Botan. Le texte et la traduction de ce passage avaient déjà paru dans *Hawar*, n° 36 (1er déc. 1941). p. 575-580. On y trouve le nom des différentes pièces: échiquier, *textê setrencê*; le roi, *şah*; la reine, *ferzîn*; le fou, *fîl* (éléphant); le cavalier, *hesp*; la tour, *rex* ou *birc*; les pions, *peyar* ou *peya*.

(142) Sur les spectacles iraniens d'aujourd'hui, voir les réflexions plaisantes de A. FALK, *op. cit.*, p. 72-75.

(142 bis) Cf. S.E. SIYAVUSGIL, *Karagöz, son histoire, ses personnages, son esprit mystique et satirique* (Istanbul, 1961), 38 p., 34 pl. en couleurs.

(143) C'est ce que constatait au récent Congrès Orientaliste de Rome, le critique irakien JABRA IBRAHIM JABRA, dans sa communication, *Pourquoi écrivons-nous?* publiée dans *L'Orient littéraire* (Beyrouth), n° 52 du 4 nov. 1961. Ces réflexions rejoignent celles de J. BERQUE sur le même sujet, dans *Les Arabes d'hier à demain* (Le Seuil, 1960), p. 180-182.

(144) On remarquera cependant que le génie théâtral n'est pas étranger au peuple kurde. En effet certains auteurs dramatiques de langue arabe, comme Jamil Sidqi Zehawi (1863-1936), sont des Kurdes authentiques; et bien des tragédies classiques ont été composées par le Prince des Poètes, Ehmed Chaouqi (1868-1932) qui était d'ascendance kurde également.

(145) Cf. TH. BOIS, *Les Kurdes*, *art. cit.*, p. 32.

(146) NEREVAN, *Notes sur la presse kurde d'Irak*, dans *Orient*, n° 10 (2e trim. 1959), p. 145.

(147) V. STEPANOV, *En visite chez les Kurdes*, dans *Temps nouveaux* (1949, nos 24-25), p. 26 et M. CHALLITA, *Le problème kurde dans l'Orient contemporain*, dans *Mondes d'Orient*, I (1951), p. 201.

(148) Dans *Les Kurdes Moukri*, p. 200.

(149) D'après un art. de H. Makhmudov, sur *Les Kurdes bâtisseurs d'une Vie Nouvelle*, dans le journal «*Kommunist*» d'Arménie soviétique du 5 mai 1961, cité dans *Kurdish Facts*, n° 8 (July-Aug. 1961), p. 5.

(150) M. Chaguinian, *A travers l'Arménie soviétique* (Moscou, 1955), p. 85.

(151) Cf. *Reya Taze*, n° 940 du 23 mars 1958. Les principaux interprètes de la pièce étaient Çila Mûsa, Emma Çaçan, Roza Emîn, Zadîna Keleş, Anûş Sahakian; Şehîdê Silo, Memedê Ezîz et Wezîrê Eşo.

(152) Cf. *Reya Taze*, n° 947 du 17 avril 1958.

(153) Il est difficile de prédire l'avenir du cinéma au Kurdistan. Personnellement je n'ai rencontré qu'un seul cinéaste kurde, et encore il était palestinien. Je n'ai vu en Irak aucun film kurde. Par contre la firme Armenkino a produit, en Arménie soviétique, plusieurs films sur la vie kurde: *Zare*, en 1926; *les Kurdes d'Arménie soviétique*, en 1947; *les Kurdes d'Arménie*, en 1959. Mais ce sont peut-être des documentaires, à l'usage des Arméniens plutôt que des Kurdes eux-mêmes. Ces renseignements proviennent de l'article de H. Makhmudov, signalé à la note 149. Dans *Les Kurdes et le Droit* (Paris, 1947), p. 111, L. Rambout signale, sans indication de source, un film sur Saladin et la mise en films des épopées nationales, comme Memozîn, Khani Dimdim et Siyabendê Sêliwan.

(154) Plus d'une fois des Kurdes qui, parce que Musulmans, n'en mangent pas la chair sont venus dire au couvent des Dominicains de Mar-Yacoub, près de Duhok, qu'ils avaient tué un sanglier, à tel endroit de la montagne, afin que nous puissions aller le chercher. F. Balsan, *Les surprises du Kurdistan* (Susse, 1945) rapporte que l'année de son voyage, 1200 sangliers ont été tués en trois mois, dans les environs de Bingol, où les ours aussi sont très abondants (p. 90-91), ainsi d'ailleurs qu'à Nebirnao, où ils ont 'table servie de juin à septembre'. Aussi tous les bergers sont-ils armés (p. 277). C. J. Edmonds, *op. cit.* p. 286, donne toute une liste de gibier à plumes chassé, dans le Kurdistan irakien, sur les rives du Sirwan: bécassines, malards, cailles, perdrix, francolins, canards sauvages. Il parle aussi d'une battue au sangulier, organisée par Said Agha, du village de Jafaran, dans le Qara Dagh. H. Layard, *Early adventures in Persia, Susiane and Babylonia, including a residence among the Bakhtyari and other wild tribes* (2 vol. London, 1887), I. p. 438-447, dit avoir assisté, chez les Bakhtyari, à plus d'une chasse au lion! — Sur le gibier qu'on trouve au Hakkari, une longue note de W.A. Wigram, *The cradle of Mankind* (London, 1922), p. 280-283.

(155) Osman Sebri, excellent conteur qui l'affirme, nous a laissé de précieux détails et de savoureux récits de chasse. Sur la chasse en général, à l'hyène, au renard, au lièvre: *Nêçîr*, dans *Ronahî*, n° 17 (1er août 1943), p. 317-319: sur la chasse à la perdrix, *ibid.* p. 320-322 et n° 18 (1er sept. 1943), p. 347-350; sur la chasse au mouflon ou bouquetin, *ibid.*, n° 17, p. 318; sur la chasse au sanglier, *Beraz û Berazî*, *ibid.*, n° 16 (1er juil. 1943), p. 291; sur la chasse au lion, *Şêrek bi darekî*, un lion d'un coup de bâton, *ibid.*, n° 14 (1er mai 1943), p. 248-249; sur la chasse à l'ours, *Nêçîra hirçan*, dans *Hawar*, n° 48 (15 août 1942), p. 716-718. J.B. Fraser, *Travels in Koordistan, Mesopotamia*, etc. (London, 1840), p. 97, raconte la façon pittoresque dont le fils du Khan d'Ushnou chassait les cailles.

(156) Certains voyageurs ont fait le récit de chasse au faucon auxquelles ils ont assisté, par ex. P. Campanile, ch. III, art. XII; Flandin, *Souvenir de voyage en Arménie et en Perse* (1845), dans Rev. des deux Mondes, 15 sept. 1852, p. 1122-1123; H. Norden, *Sous le ciel de Perse* (Payot, 1929), p. 66.

(157) Dans *L'Ame des Kurdes*, sous le titre Nemrods et Tartarins, p. 19-22, j'ai traduit certaines anecdotes et donné d'autres références se rapportant aux diverses chasses et à leurs procédés.

(158) Sur la pêche, voir encore O. SEBRÎ, *Nêçîr*, dans Ronahî, nº 17, p. 319-320. On trouvera la photographie d'un gros poisson du Zab dans A. M. HAMILTON, *Road through Kurdistan* (London, 1945), p. 48. Cf. aussi G. E. HUBBART, *op. cit.*, p. 249.

(159) Ainsi, par exemple, de TCHIHATCHEF, *Situation politique, militaire et financière de la Turquie* (1850), dans Rev. des deux Mondes, 1er juin 1850, p. 857-858, se plaint du banditisme des Kurdes Richvan; H. BINDER, *Au Kurdistan, en Mésopotamie et en Perse* (Paris, 1887), parle d'un consul turc dévalisé, p. 63; d'un village chrétien pillé, p. 84-85; lui-même et son compagnon de voyage furent complètement dépouillés et laissés entièrement nus par des cavaliers kurdes, p. 160-161. Les deux P. MÜLLER-SIMONIS, *Du Caucase au Golfe Persique* (Paris, 1892), ont de multiples pages sur le brigandage: on ne parle que de brigands, p. 118-119; on est toujours en alerte, p. 330. Ils rapportent les faits anciens, comme l'assassinat de Shultz, en 1829, p. 182, n. 1, ou des événements plus récents, comme ce chef de police, Dervich Agha qui se fait dévaliser en nov. 1888, p. 233, ou le P. Galland, dominicain, qu'on dépouille jusqu'à sa chemise, le 17 juin 1889, p. 365, n. 1. — On pourrait multiplier les exemples. Voici la tactique des brigands, telle que la rapportent ces deux voyageurs, p. 282-283. «Quand les Kurdes combinent le pillage d'une caravane, ils choisissent un défilé propice: chaque rocher cache un homme bien armé; le sentier reste libre, et sur le sentier un Kurde fume négligemment sa pipe. Arrive la caravane: le Kurde, de façon la plus polie, prie le chef de caravane de vouloir bien lui remettre, suivant le cas, partie ou totalité du chargement. Si le chef de caravane regimbe, le Kurde lui montre tout un cercle de carabines brusquement démasquées et braquées sur lui. Que faire? Il faut s'exécuter: on est surpris; on sait que le moindre geste suspect attirerait une balle; on sait aussi que les Kurdes n'en veulent point à votre vie; on se rachète donc en abandonnant son chargement».

(160) Dans les années 80 du siècle dernier, un certain Kérim eut son heure de célébrité. H. BINDER, *op. cit.*, p. 15, dit de lui que c'était un brigand chevaleresque qui « joue les fra Diavolo et ne s'attaque jamais aux femmes». P. MÜLLER-SIMONIS, *op. cit.*, p. 130, échappèrent au pillage, parce qu'un catholique chaldéen de Perse, autrefois membre de la bande, les a dépeints comme de «pauvres derviches français», alors que Kérim les croyait russes! C'est E. B. SOANE, *To Mesopotamia and Kurdistan in disguise* (London, 1926), p. 290, qui nous rapporte le fait de la délicatesse envers les femmes des Hamawend, bien connus pour être des pillards et qui cependant s'arrêtent aussi aux heures fixées pour se livrer ensemble à la prière.

(161) J'ai rapporté dans mon art. sur *Les Kurdes*, p. 9, le cas de ce déserteur kurde, Khola Pizé qui, avec toute une bande, sema la terreur dans le Caza de Chwarta, en Irak, de 1947 à 1955, en multipliant pillages et assassinats.

(162) La mortalité infantile est effrayante et s'élevait à 250-400 o/oo, d'après Miss D. ADAMS, *Current population in Irak*, dans *Middle East Journal*, vol. X (1956), nº 2. Et même, en 1952, elle atteignit la proportion de 43 % — cf. KHOSBAK, *op. cit.*, p. 88-89.

(163) Cf. P. ROSSI, *Pour une industrialisation de l'Irak*, dans Orient, nº 10, (2e trim. 1959), p. 61; S. S. GAVAN, *op. cit.*, p. 18.

(164) M. SYKES, *op. cit.*, p. 342. Au contraire les Arabes *Jubur*, qui vivent aussi sur les rives des deux Zab et du Tigre, sont tous atteints de '*bejel*' sorte de syphilis infantile acquise dès l'enfance, cf. C. J. EDMONDS, *op. cit.*, p. 275, n. 1.

(165) D'après Dr. ALI GHALIB, *Malaria and malaria in Iraq* (Baghdad, 1944), p. 33, cette maladie serait cause du quart de la mortalité en Iraq. — J. MANEVY,

Il est quatre heures. docteur. Malaria, dans *Réalités* (mars 1956), p. 48-55, avec de belles illustrations.

(166) Herekol Azizan, *Jêliyan*, dans *Hawar*, n° 34 (15 oct. 1941), p. 536-545. — Voici le nom de ces maladies, que les dictionnaires, par ex. de Bedir-Xan (BX, inédit), Jaba-Justi (JJ) ou Qanat Kurdoev (KK) ne mentionnent ordinairement pas, et citées p. 544.

Maladies identifiées : *argûşketin*, contraction des machoires; *arsim*, rhume; *ba*, rhumatisme: *bayê sor, bayê spî*; *cevhkulbûn*, ophtalmie; *devkulbûn*, stomatite; *devxwarî*, distorsion de la bouche; *dilêş*, maladie de cœur ; *eûr* (*e'ûr*, KK, 25), taie sur l'œil; *êşa zirav*, phtisie; *falinc*, paralysie; *gewrik* (KK, 276), calvitie; *gûhêş*, otite; *serêş*, mal de tête; *sermayî*, refroidissement; *sorik*, rougeole; *ta*, fièvre: *taya sêroje*, fièvre tierce; *titme* (JJ, 94), colique; *xilt* (JJ, 159), gale, éruption cutanée; *xurî*, gale (BX); petite vérole (JJ, 163); variole (KK, 379); *zerik*, jaunisse, ictère: *zerika reş*, *zerika spî*; *zikêş*, colique; *zam* (KK, 562), plaie.

Maladies présumées, d'après des explications d'un Kurde de Beyrouth qui ne sait pas le français et ne connaît pas le nom de ces maladies en arabe: *ava reş* (= eau noire, en turc, *karasu*), amaurose; *bûkik*, orgelet (?); *hêvketin*, épilepsie, lunatique; *haloq*, torticolis (?); *mîzavokî*, incontinence d'urine; *mûmar*, panaris(?); *nav* (= nombril. Les Kurdes et les Assyriens emploient l'expression: mon nombril est tombé, pour désigner une certaine douleur d'entrailles; un rebouteux tord alors le nombril pour tout remettre en place!) *xişrûk*, maladie infantile, de 3 à 10 ans.

Maladies non identifiées : *beqik*, *bijî*, *êşa giran* = maladie grave. Faut-il l'identifier avec *giranîtî*, sorte de fièvre spéciale signalée par Rich, *Narrative of a residence in Kurdistan* (London, 1838), I, p. 140? *-kulmêrû*, sorte de bouton, comme le bouton d'Alep? *-perde*, cataracte?; *qoft*, *sikutok mêkutok*; *şirsimak*.

(167) Voici d'après ce Rapport du Ministère de la Santé (1953), p. 59-61 et cité dans Ch. Khosbak, *op. cit.*, p. 60-61, le nombre de décès causés par les différentes maladies: pneumonie 69, malaria 66, anémie 57, maladies de cœur 34, inflammation des reins 30, fièvre pernicieuse 23, tuberculose 23, dysenterie 17, maladies non identifiées 264. — Ces statistiques sont d'ailleurs très sujettes à caution. Un de mes anciens élèves, devenu médecin, et à qui je faisais part de ma surprise devant certains chiffres de tableaux analogues, il y a une dizaine d'années, me répondit qu'en fait n'étaient enregistrés que les maladies — et les décès — signalés par le docteur officiel du district: ce qui laissait en dehors des statistiques un grand nombre, sinon la majorité des cas, dont le médecin n'avait pas eu connaissance.

(168) D'après un hadith qui remonterait à Aïcha «lorsque le Prophète souffrait en quelque point de son corps, *il récitait, dans sa paume droite*, le verset: 'Qul, huwâ Allahu ahadun...', puis les deux sourates de l'Assistance (*al-Falaq* et *al-Nâs*) et il en *massait l'endroit où il souffrait*... «Ce geste, efficace, ajoute le texte (11, 26-28) peut s'accompagner de souffle (*nafth*), mais l'usage en est déconseillé par les auteurs orthodoxes, parce qu'il participe de la sorcellerie, à la différence de la simple récitation des textes qui est licite et conforme»: A. Abel, *La place des sciences occultes dans la décadence*, dans *Classicisme et déclin culturel dans l'histoire de l'Islam* (Paris, 1957), p. 301.

(169) G. Campanile, *op. cit.* ch. II, art. 4. — Ainsi par exemple: «A la tombe du 'Père Poldo', à Zakho, les parents amènent avec l'enfant malade une galette de pain, un oignon, et un peu de sel qu'ils laisseront en offrande au 'saint', ainsi qu'une gargoulette d'eau qui servira à laver le malade et que l'on cassera sur la tombe après l'opération», dans J. Fiey, O.P. *Le mystère de la tombe de Jonas*, dans Bulletin du séminaire syro-chaldéen (de Mossoul), n° , p. 95-96.

(170) E. S. DROWER, *Peacock Angel* (London, 1941), p. 57.

(171) ISMA'IL BEG CHOL, *The Yazidis Past and Présent* (en arabe) (Beyrouth, 1943) p. 10.

(172) E. S. DROWER, *op. cit.* p. 182.

(173) Pour cela, on jette dans l'eau de la source un morceau de paille enveloppé d'un chiffon. Quand tout est pourri, la verrue est guérie. J. FIEY, *art. cité.*

(174) Voici quelques noms relevés dans M. GARZONI, *Grammatica e vocabolario della lingua kurda* (Roma, 1787), passim. La plupart de ces noms ne se trouvent pas dans le dictionnaire kurde-russe de Q. Kurdoev: absinthe, *mecewer;* absinthe pontique, *giya bend;* ail, *sîr;* anis, *anîsûn;* balsamine, *belesan;* bardane, *tehlegez;* basilic, *rihan:* bette, *selk;* betterave, *sêlim tirşiya;* buglosse, *zmanê ga:* camomille, *beybûn;* cannelle, *kekule;* câpre, *kabar;* casse *xiyarçenber;* céleri, *kerefis;* chicorée sauvage, *weselok;* coloquinte, *hendel;* concombre d'âne, *xiyar sa;* coqueret, *pekusk;* coriandre, *kişniş;* endive, *hendibe;* *giya girê:* épurge, *genekerçek;* genièvre, *êvrist;* gingembre, *zencîbîl;* girofle, *kerinfol;* gomme gutte, *rawentcînî;* guimauve, *hêro;* laitue, *xas;* marjolaine, *bizirengoş:* mauve, *tolik;* menthe domestique, *nana;* menthe sauvage, *pûnk;* millet, *garis, tale;* myrte, *mîtek;* moutarde, *xerdel;* opium, *efyon;* pavot, *botink* panic (ortie), *gezing;* plantain, *ewezar;* pourpier, *perpîna:* raifort, *tivir;* réglisse, *mekûk;* résine, *cawî;* rhubarbe, *rawent;* ricin, *genek;* rue, *sidap;* rue sauvage, *hermele;* safran, *zafiran;* séné, *sinamekî;* sésame, *kuncî;* sureau, *gira genî;* tragaganthe, *gûnî.*

(175) D'après G. CAMPANILE, *op. cit.* p. 118 et sv., les Kurdes mastiquent le galanga pour se fortifier les dents; la sauge provoque la sueur et prévient l'attaque d'apoplexie; les graines d'agnus castus sont efficaces pour les règles des jeunes filles; les feuilles d'anémone ouvrent les vésicatoires, celles de l'ammi rendent fécondes les stériles et celles de la jusquiame donnent un sommeil et des rêves tranquilles; la patience apaise l'acidité et excite l'appétit: la nymphéa éteint les chaleurs internes; la racine de saturione ou orchis accroît la vigueur naturelle. La verveine, assez rare, est appliquée avec profit sur la rate, au lieu de la ciguë qui est inconnue; le cerfeuil, rare aussi, est un stimulant du cœur. L'absinthe abonde et les Kurdes en abusent pour se fortifier l'estomac. Le ricin est aussi abondant. On fait usage de son huile en teinture, en onction pour les rhumes obstinés et aussi pour la colique. L'abrotone ou aurone aurait la vertu de tenir les poisons éloignés de l'eau près de laquelle on la garde. Enfin les bergers se servent comme purgatifs de suc de tithymale mêlé de moût cuit. Certains le remplacent par le suc de la coloquinte ou les graines d'épurge, ce qui n'est pas sans danger. — Le père s'étend ensuite sur les particularités de la mandragore, *giyabanok,* et les croyances qui y sont attachées. Sur ce point, cf. Th. BOIS, *La Religion des Kurdes,* dans P.O.C. (Jérusalem), XI (1961), fasc. II, p. 130.

(176) Dr. L. MARQUIS, *Chronique médicale,* dans *L'Orient* (Beyrouth), n° 6521 du 16 sept. 1948: «En vieillissant l'acidité du pain augmente et il finit par être envahi par des moisissures (penicillum glaucum, etc.). Ce sont des champignons qui ont donné naissance à la pénicilline. Mais l'utilité de ces champignons était connue et ils étaient employés empiriquement longtemps avant la découverte de ce miraculeux produit. J'ai souvent entendu de vieilles femmes, surtout en Arménie, mais aussi à Karpouth, à Arzeroum, à Diarbékir et à Baghdad, qui conseillaient du pain moisi très vert, pour des cas de maladies très graves. Et elles insistaient en assurant que plus le malade en absorberait, plus il avait de chances de guérir».

(177) HEREKOL AZIZAN, *art. cit.* p. 544. — Sur les maladies, les soins, la médication, la mort et l'enterrement chez les Kurdes de Transcaucasie, E.

EVDAL, *op. cit.* p. 98-106. Voici, à titre l'exemple, comment EREB ŞEMO, *op. cit.* p. 40-41, rapporte les soins prodigués à son frère qui se mourait de phtisie: «Mon père s'en fut chercher le *hakîm* qui lui conseilla de bien charger le foyer, d'égorger un mouton, de l'écorcher et, après avoir enveloppé mon frère dans la peau, de le tenir au-dessus de l'orifice du poêle et de répéter plusieurs fois l'opération. Mes parents exécutèrent minutieusement l'ordonnance. En outre, le rebouteux fit à mon frère plusieurs saignées, fit bouillir de la chaux dans du lait et, avec ce mélange, fit des cataplasmes sur la poitrine de mon frère. Mais cette médication se montra inefficace. Mon frère s'éteignait. Mon père, attristé s'adressa alors à plusieurs reprises aux *pir* et aux cheikhs, mais ceux-là non plus ne purent venir en aide au malade qui mourut bientôt». — Dans *Berbang*, p. 77, le récit est très abrégé et le recours aux cheikhs est supprimé.

(178) Rev. WIGRAM, *op. cit.* p. 146 et 133.

(179) Quand les Kurdes venaient à notre dispensaire de Mar-Yacoub, c'est sur place qu'ils prenaient leur dose de 'sel anglais', par exemple. WIGRAM, *op. cit.* p. 173, fait remarquer que le Kurde a besoin d'une médication énergique. Par rapport à la dose normale, le coefficient de médicament est 3 chez les Assyriens, mais 5 pour les Kurdes!.

(180) Ce que A. BENNAMOUN écrit sur *Les Musulmans devant l'hôpital moderne* (en Algérie), dans *L'Afrique et l'Asie*, n° 55 (3/1961), p. 23-30, se retrouve pour une part dans le milieu kurde et Mme Hansen signale à plusieurs reprises, p. 139 et 174, que le père de son interprète refusa de faire venir un médecin pour les malades de la famille, lors d'une épidémie de grippe, en 1957.

(181) Les Kurdes sont des gens reconnaissants. Les malades qui venaient consulter et chercher des remèdes à notre dispensaire de Mar-Yacoub, parfois à plusieurs et même jusqu'à douze heures de cheval, offraient toujours quelque chose, souvent des fruits ou des œufs en remerciement. Les Yézidis présentaient ordinairement un coq. Si le malade guérit sa reconnaissance se manifeste toujours et parfois de façon pittoresque et inattendue. WIGRAM, *op. cit.* p. 329, rapporte qu'ayant refusé les deux *mécîdî* (ou sept shillings) qu'un Kurde lui offrait comme prix d'une dent arrachée, celui-ci lui dit: «Vous êtes chrétien et moi musulman. Quand j'arriverai au Paradis, j'aurai droit à soixante-dix houris et vous à aucune, là où vous irez. Eh! bien, je vous en réserve deux sur ma part!» — De son côté, le P. CAMPANILE, *op. cit.* ch. IV, art. 4., qui avait guéri d'une maladie mortelle un agha kurde de Soran, se vit offrir en cadeau une des jeunes épouses de ce chef. Sur son refus, qui étonna fort le Kurde, il reçut une jument en échange. Par contre, le même père (chap. II, art. 3) signale comment le P. Ruvo missionnaire dominicain lui aussi fut tué de vingt-deux coups de poignard et jeté dans le Tigre, en 1785, par l'Emir de Djézireh, parce qu'il fut soupçonné d'avoir empoisonné le frère du Beg, qui mourut après avoir absorbé une cuillerée de compote de pomme que le père lui avait ordonnée.

(182) Sur les coutumes funèbres chez les Kurdes en général, G. CAMPANILE, *op. cit.* ch. III, art. I ; B. NIKITINE, *op. cit.* p. 115-118; chez les Kurdes Moukri, O. VILCHEVSKY, *art. cit.* 214-218; T.F. ARISTOVA, *art cit.*; chez les Yézidis, TH. BOIS, *Les Yézidis et leur culte des morts*, dans *Cahiers de l'Est* (Beyrouth) n° 7, 1947, p. 52-53 : R. LESCOT, *op. cit.* p. 154-156; E.S. DROWER, *op. cit.* p. 98-98 ; 105; 185-186, etc. : S. DAMLOOJI, p. 70-72; Funérailles d'enfants, H.H. HANSEN, *op. cit.*, p. 139-143.

(183) Ces détails pittoresques sont rapportés dans la fameuse légende *Memê Alan* (éd. R. LESCOT, Beyrouth, 1942), vers 3477-3489. Dans le même poème on signale également les tresses sur les tombes (v. 3461, 3631), le lavage des cadavres (v. 3548), les cérémonies de deuil (v. 3626-3632).

(184) Cf. CAMPANILE, *op. cit.* ch. III, art. 3. Après un siècle et demi, ces coutumes n'ont point changé. En juillet 1953, un ancien ministre libanais, originaire de la tribu kurde des Hasenan, Mohamed Abboud Abd ul-Rezzaq, fut tué à Beyrouth, sur le perron du Palais du Président de la République. Le père de la victime, Mahmoud Agha de Akkar, jura que son fils ne serait enterré avant la mort de l'assassin, un certain Mahmoud el-Cheikh, à la solde de Suleiman Ali, autre ex-ministre libanais. cf. Y. MALEK, *Crime du siècle de la ruse* (en arabe), Beyrouth, 1953.

(185) Chez les Yezidis, le fossoyeur, *tirbkol* ou *gorkol*, creuse la tombe jusqu'à la hauteur de son cou, s'il s'agit d'une femme; jusqu'à la hauteur de sa poitrine, s'il s'agit d'un homme. E.S. DROWER, *op. cit.* p. 185.

(186) Telle cette élégie dont l'émir C. Bedir-Xan avait publié le texte kurde et dont j'ai donné la traduction française dans mon art. *Yézidis*, p. 30.

(187) On pourra lire par contre, dans *Hawar*, n° 30 (1er juillet 1941) l'élégie de Hadjo Agha, *Diljiniya Haco Axa*, par EHMED NAMI, p. 473, et celle composée pour son fils, *Şîna Kurê minê Xurşîd*, par CEGERXWIN, *Sewra Azadî* (Damas, 1954), p. 170-171.

(188) Rev. WIGRAM, *op. cit.* p. 15-16.

(189) Cf. E. S. DROWER, *op. cit.* p. 37.

(190) Cf. mes articles sur *Les Yézidis*, p. 14-15 et *La Religion des Kurdes*, p. 28-30.

(191) G. HUBBARD, *From the Gulf to Ararat* (London, 1917), p. 222.

(192) V. MINORSKY, *Notes sur la secte des Ahl-é Haqq*, dans R.M.M. 1920-1921. Tiré à part (182 p.), p. 38.

(193) H. MASSE, *op. cit.*, p. 116-117 et 508.

(194) Moscou, 1952. Éd. française (Moscou, 1955), p. 190.

(195) Voir ces formules, par ex., dans M. GARZONI, *op. cit.*, p. 64-65; R. F. JARDINE, *Bahdinan Kurmanji* (Baghdad, 1922), p. 63-64. D'après WIGRAM, *op. cit.*, p. 278, durant ces jours, la famille est assise autour du foyer «littéralement dans les cendres», à se lamenter doucement. Parfois l'un d'eux se lève brusquement et pousse un cri. «Tout visiteur qui veut exprimer sa sympathie, prend du foyer une pelletée de cendres et la verse sur la tête de ceux qui sont dans le cercle». — Voici la formule de condoléances utilisée par la rédaction du journal *Reya Taze* d'Érivan: «*Kolêktîva gazêta «Reya Taze» serxweşiyê dide xebatçiyê rêdaksiya X, bona wefatbûna apê wî Y*». Ou encore: «*X, Y, Z serxweşiyê didin A, B, C X, bona wefatbûna babê wan D X*».

(196) E. S. DROWER, *op. cit.*, p. 97-98; R. LESCOT, *Enquête*, p. 72.

(197) G. CAMPANILE, *op. cit.*, ch. III, art 1, p. 85-86. Mme HANSEN, *op. cit.*, p. 140-141, considère ces lamentations funèbres comme des coutumes païennes, contraires aux préceptes de l'Islam.

(198) W. A. WIGRAM, *The Assyrians and their Neighbours* (London, 1929), p. 7.

(199) Ces différents témoignages ont été relevés par L. RAMBOUT, *Les Kurdes et le Droit* (Paris, 1947), p. 117-121.

(200) Cité par B. NIKITINE, *op. cit.*, p. 78.

تعريف عن الكتب

القديس اغوسطينوس: اعترافات

ترجمة الخوري يوحنا الحلو

المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٢ – مجموعة التراث الروحي – ٣٢٧ صفحة

يخاف الناقد عندما تقع بين يديه ترجمة كتاب ليقول فيها ما يراه، من حسنات وسيئات، فما القول عندما يكون ذاك الكتاب اعترافات اغوسطينوس الذي ضمّنه القديس اختباراته النفسانية وعصرة تفكيره اللاهوتي، فصار هذا الكتاب صورة سائر الكتب التي وضعها اسقف هيبون. ولذا فبدأنا بمطالعة هذه الترجمة وسرنا بها رويداً رويداً فاذا باسلوبها ودقة تعابيرها وصريح تسلسلها تعطي النص الأصلي بكل ما فيه من تحليل دقيق وسعة اطلاع؛ اما تلك الروعة التي نقرأها بين سطور وكلمات النص الأول اللاتيني فلا نجدها هنا، اذ في لغة الاصل رونق وروعة لا يتبدلان ولا يحملها الّا لغة المؤلف. ولكن ما توصل اليه المترجم، دون تردد، هو تلك السهولة، وكأني بالقارئ محمول على تيّار هادئ يفرّج قلبه ويجعله يفكر دون عناء. ويعود الى الباطن فيرى ان اختبار اغوسطينوس اختباراً انسانياً وان في ما قاله ليس من المبالغة من شيء. عندما يعود الخاطئ الى نفسه ويرى بانتباه وصلابة ما هو الله وما هي الخطيئة.

فنهنّئ المترجم على صنيعه ونودّ لو يتابع ترجمة أئمة الكتب لأئمة قادة الفكر العربي، فيكون خدم المكتبة العربية المسيحية، ويكون أدخل في التراث العربي ثروة لا تضاهى، وأدخل في كلماتها المعاني الجديدة. قد بدأ التمرين بكتاب صعب وابلى البلاء الحسن، فما عليه الّا ان يسير والنجاح نتيجة مسعاه.

ا. ع. غ.

مواعظ وتأملات

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

بيروت – مطبعة قلفاط ١٩٦٢ – ١٢٥ صفحة قطع وسط

كيف لا نقرأ هذه المواعظ بشغف وقد اسبغ عليها المؤلف ثوباً نيّراً من

الفصاحة الصادقة واوذع في اسلوب مرح شائق افكارًا واختبارات ونتيجة مطالعات عديدة . فتأملاته هذه ومواعظه ترثية يطالعها القارئ ولا يندم ، اذ الكسب بعد كل مقطع وبعد كل عظة لجدير بان تحمله على البتّ بامور الشخصية القيّمة وعلى العودة الى ما أثّر فيه ليستقي مرارًا ما كان ارتشفه عاجلًا.

تفتقر المكتبة العربية الى كتب مواعظ القاها اصحابها بالعربية ، ونحن نعلم ما في الترجمة من خيانة . ولذا فهذا الكتاب يحتلّ اليوم الصدارة بين الكتب العربية حتى التي ألّفها ادباء مسيحيون ، وكأني بهم لا يفقهون تمامًا ان الالهام الاصيل الذي يصل بالعقل الى قمة النجاح هو ما يستلهمه الاديب من دينه ومن ايمانه . هاكم باسكال وهالم كلودل وغيرهما ممن استقوا من ايمانهم ودينهم ، ومن كتاب الوحي الاول والاخير زبدة الهاماتهم وتفكيرهم . فنحن في هذه البلاد الشرقية بحاجة الى آداب مسيحية تنخرط بالعربية؛ وبهذا نكون قد وصلنا الى مجاراة تيّار التطور والتقدم : لا ترجمة فحسب ، ولكن تأليف وتفكير بالعربية.

ولذا ، فاننا نهنئ المؤلف على نشره مواعظه ، آملين ان تتبع هذا الكتاب كتب اخرى فيها تدقيق في مفردات دينية يعود اليها في التأليف يومًا.

يباع هذا الكتاب بليرة وربع ، في المكتبة الشرقية ، بقرب ساحة النجمة - بيروت . ا . ع . خ

جاورجيوس البطل الشهيد

بقلم الخوري يوحنا الكوكباني

المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٨ ، ٤٨ صفحة

تتأرجح بين الاسطورة والتاريخ ولا نعلم كيف نفرّق بينها. ولقد استخلص المؤلف بعض الحوادث واحبّ ان يؤلف منها مسرحية نجح باظهارها على ثلاثة فصول ومشاهد عديدة يتبعها القارئ بروية ويرى من خلالها سبكًا جميلًا واسلوبًا طريفًا ، وتبدو شخصية جاورجيوس مسيحية اصيلة لا ارتباك فيها ولا مواربة ، يرى الموت فلا يهابه وبمثله يجذب ليديا واباها . جوّ الرواية جوّ مسيحي عاش فيه البارحة ويعيش فيه اليوم من يؤثر الله والمسيح على مغريات الدنيا.

فمن خلال هذه المسرحية قد نال المؤلف ما توخاه : ابراز الآثار القديمة بصورة جذابة واضحة والفائدة منها .

ا. ع. خ

سلطانة العذارى

بقلم كرم البستاني

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٩ – ٧٢ صفحة

خط هذا الكتاب بقلب شغف بحب العذراء مريم ، وهذا الحب يتراءى لنا من خلال سطور ملأى علماً وتنقيباً وروحانية . كتب المؤلف كتابه للعديدين من الناس الذين ليس لهم ما يعودون به الى الكتب الضخمة والعلمية ليستقوا منها زبدة ما قيل بعد التفتيش الطويل . ولذا فانه احب ان يجمع حياة سلطانة العذارى في فصول ثلاثة : سنو العذراء في الهيكل ، مأساة الجلجلة وآلام مريم ، حياة العذراء بعد الصعود وانتقالها . غابت عن المؤلف في ذلك سني مريم التي قضتها مع المسيح الآله ايام حياته الخفية ، وكأني به يعطي لتلك السنين معناها في الفصل الذي تكلّم فيه على مأساة الجلجلة . كانت مريم في ايام يسوع الخفية تهيء النفس لتلك المأساة لتكون لها اهلاً وفيها قد تكون مع المسيح مخلّصة لانه ارادها عند اقدام صليبه .

اسلوب رشيق . حياة من خلال السطور ، روية في الاخبار ، استخلاص معنى الحوادث الروحي ، امانة في المبادىء : كل هذا يقرّب المنال ويعطي الكتاب هذا فائدة.

ا. ع. خ

المشرق

السنة السادسة والخمسون — تشرين ٢ – ك ١ ١٩٦٢

كتاب ختم الاولياء (تابع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن عليّ بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

« بالمؤمنين رؤوف رحيم ». وما من احد من الامة إلا وهو مؤمن بالله . وقد بيّنا فيما تقدم من هذا الكتاب في باب : « سلمان منا ، اهل البيت » ؛ فأغنى عن الكلام في اهل البيت ، طلبًا للاختصار .

قال تعالى ، لما وصف ووصّى ازواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله». ثم أعلمهن (الاصل : أعلمهم) ان ذلك كله بكونهن ازواجه ، صلى الله عليه وسلم ، حتى لا ينبعن الى قبيح فيعود ذلك العار على بيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم. فبركة اهل البيت وما اراد الله به من التطهير بقوله : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت » نقل الازواج ما اوصيناهن به « ويطهركم تطهيرًا » من دنس الاقوال المنسوبة الى الفحش وهو الرجس ، فإن الرجس هو القذر . فكان أهل البيت أمانًا لأزواج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الوقوع في المخالفات ، التي يعود عارها على اهل البيت .

فكذلك امة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، لو خلدت في النار ، لعاد العار والقدح في منصب النبي ، صلى الله عليه وسلم . ولهذا يقول اهل النار : « ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدّهم من الاشرار » — وهو من دخل النار من أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، التي بعث اليها في مشارق الأرض ومغاربها . فكما طهّر الله بيت النبوة في الدنيا بما ذكره مما يليق به ، كذلك الذي يليق بالآخرة ، انما هو الخروج من النار . فلا يبقى في النار موحد ممن بعث اليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . بل ولا احد ممن بعث اليه يبقى شقياً ، ولو بقي في النار فانها ترجع عليه «برداً وسلاماً» من بركة اهل البيت في الآخرة . فما أعظم بركة اهل البيت !

فإنه من حين بعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انطلق على جميع من في الأرض ، من الناس امة محمد الى يوم القيامة . فالمؤمنون به منهم يحشرون معه ، وغير المؤمنين يحشرون اليه ! وقد أعلم انه ما ارسل « إلا رحمة للعالمين » ولم يقل : للمؤمنين خاصة . وقد قيل له ، لما دعا في الصلاة على رِعْل وذَكْوان وعُصَيَّة : « ما بعثك الله سبّاباً ولا لعّاناً » أي طرّاداً ، اي لا تطرد عن رحمتي من بعثك اليه ، وان كان كافراً ؛ وانما بعثك رحمة وهو قوله : « وما ارسلناك إلا رحمة » .

فإذا حشروا اليه ، وهم أمته ، وهو بهذه المثابة من الرحمة التي فطر عليها والرحمة التي بعث بها ؛ فيرحم منهم من يقتضي ذلك الموطن ان يرحم : فإنه حكيم . والذي لا يقتضي ذلك الموطن ان يرحمه ، يقول فيه : سحقاً ! سحقاً ! أدباً مع الله ، حتى يتجلى الحق في صفة غير تلك الصفة مما يقتضي الاسعاف في الجميع . فعند ذلك تظهر بركته ورحمته ، صلى الله عليه وسلم ، فيسن بعث اليهم بما يرحمهم الله به وينقلهم من النار الى الجنان ، ومن حال الشقاء الى حال السعادة ، ان كانوا مخلّدين في النار .

فان الحكم يقضي بحكم الموطن كرجل مقرّب عند مليك رأى الملك في حال غضب على عبد من عبيده . فلا ينبغي له في الأدب ان يشفع فيه في تلك الحال . ولكن ينبغي له ان يقول : ازيلوه من بين يدي الملك ، واجعلوه في الحبس وقيّدوه . فإنه لا يصلح لشيء من الخير هذا العبدُ الآبقُ ، الكافر نعمة سيده . كل ذلك يجرئ ا (الاصل : يرءى) من سيده . فاذا تجلى ذلك السيد في حال بسط ورضى ، وزال ذلك العبد الى السجن والقيد وبعد عن الرحمة — وان كان في رحمة — حينئذ يليق بهذا المقرّب ان يقول للسيد : يا مولانا ، فلان على كل حال هو عبدك ، وما له راحم سواك ، والى من يلجأ ان طردته ؟ ومن يوسع عليه إن ضيقت عليه ؟ وهو محسوب عليك . وفي هذا من العار بالحضرة ان يقال فيه : انه لم يحترم سيده ، اذا رُئِيَ (الاصل : رئ) معاقباً ، والحضرة أجل من ان يقال عنها انها لم تحترم . فاذا عفوت عنه والحقته بالسعداء ، استتر الأمر . وأنا ، يا مولاي ، أغار ان ينسب الى هذه الحضرة ما يشينها .

ومثل هذا الكلام ، مع البسط الذي هو عليه السيد واقتضى الموضع الشفاعة فيه . فيأمر

(السؤال الحادي والخمسون ومائة) : وقوله : « آل محمّد »[١٩١] ؟

(السؤال الثاني والخمسون ومائة) : والقائم بالحجة ؟

السيد بتبديل حال الشقاء عنه بحال السعادة، وان يخلع عليه خلع الرضى . وإن بقي محبوساً، فيصير له ذلك الدار والمنزل ملكاً ويهبه له ربه ملكاً، ويرجع عذابه نعيماً ؛ وهو ابلغ في القدرة . هذا، ان كانت تلك الدار سكناه أو يأمر باخراجه الى منازل السعداء . – فهكذا الناس يوم القيامة في بركة اهل البيت ممن بث إليه، صلى الله عليه وسلم . فما أسعد هذه الأمة !

فان اعتبر الله البيت اعتبار الباطن، اذ كان كل شرع متقدم شرع محمد، صلى الله عليه وسلم، بمنزلة طلوع الفجر الى حين طلوع الشمس، فكان ذلك الضوء وترايده من الشمس – فتكون امة محمد، صلى الله عليه وسلم، من آدم إلى آخر انسان يوجد . فيكون الكل من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم . فينال الكل بركة اهل البيت . فيسعد الجميع . ألا تراه يقول يوم القيامة : « انا سيد الناس » ؟ فلم يخص ولم يقل : انا سيد أمتي . ثم انه ما ذكر بعد هذه اللفظة إلا حديث الشفاعة، فقال : « اتدرون بما ذاك ؟ » وذكر حديث الشفاعة يوم القيامة . وهو معنى ما اشرنا اليه آنفاً . فان فهمت ما أومأنا إليه، فافعل ما شئت : فقد غفر لك « انه واسع المغفرة » ! » . (فتوحات، ٢ : ١٢٦ – ١٢٧)

١٩١) « الجواب : المشاركة في الاختصاص الابد، من منازل التقريب » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٥٣ ب) .

« الجواب : قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : « لكل نبي آل وعدة ؛ وآلي وعدتي المؤمن » . ومن اسمائه تعالى « المؤمن » . وهو العدة لكل شدة . والآل يعظم الأشخاص . فعظم الشخص في السراب يسمى الآل . فآل محمد هم العظماء بمحمد . ومحمد، صلى الله عليه وسلم، مثل السراب يعظم من يكون فيه ؛ وانت تحسبه محمداً، العظيم الشأن، كما تحسب السراب ماء، وهو ماء في رأي العين . فإذا جئت محمداً، صلى الله عليه وسلم، لم تجد محمداً ووجدت الله في صورة محمدية ورأيته برؤية محمدية . كما أنك اذا جئت الى السراب لتجده كما اعطاك النظر، فلم تجده في شيئته ما أعطاك النظر ووجدت الله عنده . اي عرفت ان معرفتك بالله مثل معرفتك بالسراب انه ماء، فإذا به ليس ماء، وتراه العين ماء .

فكذلك اذا قلت : عرفت الله، وتحققت بالمعرفة – عرفت انك ما عرفت الله . فالعجز عن معرفته هي المعرفة به . فما حصل بيدك إلا انه لا يتحصل لأحد من خلقه . وكل من استند الى الله عظم في القلوب وعند العارفين بالله وعند العامة . كما انه من كان بالسراب عظم شخصه في رأي العين ويسمى ذلك الشخص آلاً . وهو في نفسه على خلاف ما تراه العيون من التضاؤل تحت جلال الله وعظمته . كذلك محمد يتضاءل تضاؤل السراب في جنب الله لوجود الله عنده . فهذا، اذا فهمت ما قلناه، معنى آل محمد » . (فتوحات : ٢ : ١٢٧ – ١٢٨)

(السؤال الثالث والخمسون ومائة) : ومن[٣٥] أين[٣٥] يكلم[٣٨] الخلق حتى يقيم حجة الله عليهم — فإن الله تعالى قد اقام الحجة عليهم بالعبودية، وجعل للقائم بها طريقاً إلى محل خزائن الكلام — ؟

(السؤال الرابع والخمسون ومائة) : وأين خزائن الحجة ، من خزائن الكلام ، من خزائن علم التدبير[١٩٢] ؟

(السؤال الخامس والخمسون ومائة) : وأين خزائن علم الله[و٣] ، من خزائن [ي٣] علم البدء. [١٩٣] ؟

---

١٩٢) « الجواب : خزاين علم التدبير : بين خزاين الكلام وخزاين الحجة » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٢ب — ٢٥٣أ) .

« الجواب : في قوله : « فلله الحجة البالغة » بكل وجه . فأوله تدبير ، وهي الخزائن العامة ، وهو قوله : « يدبر » ؛ وفي هذه الخزائن خزائن الكلام . لأن خزائن علم التدبير تحوي على خزائن شتى ، منها خزائن الكلام ، وهي قوله : «يفصل الآيات» بالكلام . وفي خزائن الكلام خزائن الحجة في مقابلة المعارض ، وهو الذي لا يعرف الله معرفة ذوق ، وهم اصحاب الأدلة العقلية . فإنهم لا يقبلون ما جاءت به الشرائع من صفات الحق ، التي لو قالها غير النبي ، جهله العقلاء بأدلتهم وكفره المؤمنون . وهو ما قال « الا ما قيل له » . فمتى ما لم يكن العلم ذوقاً لم يخلص خاطر سامعه من الانكار بقلبه من حيث عقله .

ثم خزائن الحجة خصوص في الكلام . وهو القول المعجز ، وهو قول الحق والصدق . وكذا رأيته في الواقعة ، مثل القرآن . فهو الحجة من الكلام : « قل : فأتوا بسورة من مثله » — « ولئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا » . لانه أتى من خزائن الحجة . وسائر الكتب والصحف ، من خزائن الكلام ؛ وسائر المخلوقات ، من خزائن علم التدبير » .

فتوحات : ٢: ١٢٨٠)

١٩٣) « الجواب : في المرتبة الأولى التي لا تقبل الثاني » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٣أ) .

« الجواب : في المساوقة الوجودية . لان الله لم يزل عالمًا بأنه الاله وان الممكن

ن٣ — ن٢ ان F ، ومن ان V .   ه٣ كلم V .

و٣ + عز وجل F .   ي٣ — F .

(السؤال السادس والخمسون ومائة) : وما تأويل أمّ الكتاب ؟ — فإنه ادخرها ، من [أ٤] جميع الرسل ، له [ب٤] ولهذه الأمة [(١٤٤)].

مألوه ؛ وان العدم للمكن نعت أزلي ؛ وانه لم يزل مظهرًا للحق ، فخزانة علم الله من علم البدء ، هو معرفة رتبة الاسم « الله » من الاسم « المبدئ » . كما يقال : اين خزانة علم المبدئ من علم المعيد . فان الظرفية لا تخلو إما أن تكون مكانية او زمانية ؛ ولا زمان ولا مكان؛فإنهما هما اللذان يعطيان المقدار . وأين كذا من كذا ، يطلب المقدار . فغايته (ما يمكن) ان يقال : (انه) في المرتبة الأولى التي لا تقبل الثاني ، وهي رتبة الواجب الوجود الذاتي . كما نقول في الممكن : انه في رتبة الوجوب الامكاني الذاتي . والعلم بهذا هو علم سر السر ، وهو الاخفى . وهو العلم الذي انفرد به الحق دون ما سواه . ولا يعلم هذا الا بالتحلي — بالحاء المهملة — » .

(فتوحات : ٢ : ١٢٨)

١٤٤) « الجواب : الأخذ عن الله بطريق الفهم ، فيكون كالتصريح . فمن حصل في هذا المقام ، كان أمًّا لجميع ما ينضم اليه ، وهو الكتاب ، اي : المضموم الى الأم » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٣ ا) .

« الجواب : الأم هي الجامعة . ومنه أم القرى ، والرأس أم الجسد . يقال : أم رأسه ، لانه مجموع القوى الحسية والمعنوية كلها التي للانسان . وكانت الفاتحة أمًّا لجميع الكتب المنزلة . وهي القرآن العظيم ، اي المجموع العظيم ، الحاوي لكل شيء . وكان محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قد أوتي جوامع الكلم . فشرعه تضمّن جميع الشرائع . وكان نبيًّا وآدم لم يخلق . فمنه تفرعت الشرائع لجميع الانبياء ، عليهم السلام . هم ارساله ونوابه في الأرض ، لغيبة جسمه . ولو كان جسمه موجودًا ، لما كان لاحد شرع معه . وهو قوله : « لو كان موسى حيًّا ما وسعه الا ان يتبعني » .

وقال تعالى : « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا » . ونحن المسلمون . وعلماؤنا الانبياء . ونحكم على اهل كل شريعة بشريعتهم ، فانها شريعة نبينا . اذ هو المقرر لها ، وشرعه اصلها . وارسل « الى الناس كافة » . ولم يكن ذلك لغيره من الناس (الاصل : والناس) : من آدم إلى آخر انسان . وكانت فيهم الشرائع ، فهي شرائع محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بأيدي نوابه . فانه المبعوث الى الناس كافة . فجميع الرسل نوابه ، بلا شك . فلما ظهر بنفسه ، لم يبق حكم إلّا له ولا حاكم إلّا رجع اليه . واقتضت رتبته ان تختص بأمر عند ظهور عينه في الدنيا ، لم يعطه أحد من

[أ٤] عن F . [ب٤] لهذا الرسول F .

(السؤال السابع والخمسون ومائة) : وما معنى المغفرة، التي ت٤ لنبينا وقد بشّر النبيين بالمغفرة(١٩٥) ؟

نوّابه. ولا بد أن يكون ذلك الأمر من العظم، بحيث إنه يتضمّن جميع ما تفرّق في نوابه وزيادة.

وأعطاه ام الكتاب. فتضمّنت جميع الصحف والكتب. وظهر بها فينا مختصرة، سبع آيات، تحتوي على جميع الآيات. كما كانت السبع الصفات الالهية تتضمّن جميع الاسماء الالهية كلها، ويرجع كل اسم الاهي الى واحد منها بلا شك. وقد فعل ذلك الاستاذ ابو إسحق الاسفرائيني في كتاب «الجليّ والخفي» له: فردّ جميع الاسماء الالهية اليها. وما وجد من الاسماء الالهية لصفة الكلام إلّا الاسم «الشكور» و«الشاكر» خاصة. وباقي الاسماء قسمها على الصفات، فقبلتها حيث تتضمنها بلا شك. فمنها ما الحقه بالعلم ومنها بالقدرة وسائر الصفات.

فكذلك أم الكتاب، الحق الله بها جميع الكتب والصحف المنزلة على الانبياء، نوّاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فادّخرها له ولهذه الامة ليتميز على الانبياء بالتقدم، وانه الإمام الاكبر، وامته، التي ظهر فيها، «خير امة اخرجت للناس»، لظهوره بصورته فيهم. وكذلك القرن الذي ظهر فيهم خير القرون، لظهوره فيه بنفسه؛ وقبل ذلك وبعده بشرعه». (فتوحات: ٢: ١٣٤-١٣٥)

١٩٥) «الجواب: الستر الذي اسدل بينه وبين ذنوبه، التي في مقابلة تكليفه، فحال ذلك الستر بينها وبينه، فلم تصبه. وكيف يصيبه ذنب، من جعله الله أسوة (حسنة)؟ وقوله: «ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، تنبيه على ان «ما تقدم» لم يقع، كما ان «ما تأخر» لم يقع منه قطعاً. ولما كان هو في الوسط من زمانه، كان التقدم والتأخر وبشراه للمرسلين بالمغفرة – اعلاماً (الاصل: اعلام) بالستر من غير مشاهدة». (الجواب المستقيم، ورقة $\frac{١}{٢٥٣}$).

«الجواب: الغفر، الستر. فستر عن الانبياء، عليهم السلام، في الدنيا كونهم نوّاباً عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وكشف لهم عن ذلك في الآخرة، اذ قال: «انا سيد الناس يوم القيامة». فيشفع فيهم، صلى الله عليه وسلم، ان يشفعوا. فإن شفاعته، صلى الله عليه وسلم، في كل مشفوع فيه بحسب ما يقتضيه حاله من وجوه الشفاعة.

فبشر (الله) النبيين بالمغفرة الخاصة، وبشّر محمداً، صلى الله عليه وسلم، بالمغفرة العامة. وقد ثبتت عصمته؛ فليس له ذنب يغفر؛ فلم يبق اضافة الذنب اليه إلا ان يكون هو المخاطب والقصد امته. كما قيل:

ت٤ + قد غفر F.

إياك أعني واسمعي يا جارة .

وكما قيل له : « فإن كنت في شك مما انزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » . ومعلوم انه ليس في شك ؛ فالمقصود من هو في شك من الأمة . وكذلك : « لئن اشركت ليحبطن عملك » . وقد علم انه لا يشرك ؛ فالمقصود من اشرك فهذه صفته . فكذلك قيل له : « ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » وهو معصوم من الذنوب . فهو المخاطب بالمغفرة ، والمقصود من تقدّم من آدم الى زمانه ؛ وما تأخر من الامة من زمانه إلى يوم القيامة : فإن الكل امته . فانه ما من أمة إلا وهي تحت شرع الله . وقد قرّرنا ان ذلك هو شرع محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من اسمه الباطن ، حيث كان « نبياً وآدم بين الماء والطين » ، وهو سيد النبيين والمرسلين ، فانه « سيد الناس » ، وهم من الناس . وقد تقدم تقرير هذا كله .

فبشّر الله محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » بعموم رسالته الى الناس كافة . وكذلك قال : « إنّا ارسلناك الى الناس كافة » وما يلزم الناس رؤية شخصه . فكما وجّه في زمان ظهور جسم رسوله علياً ومعاذاً الى اليمن لتبليغ الدعوة ، كذلك وجه الرسل والانبياء الى أممهم من حين كان « نبياً وآدم بين الماء والطين » . فدعا الكل الى الله . فالناس أمته من آدم الى يوم القيامة . فبشره الله بالمغفرة لما تقدم من ذنوب الناس وما تأخر منهم . فكان هو المخاطب ، والمقصود الناس . فيغفر الله للكل ويسعدهم . وهو اللائق بعموم رحمته ، التي « وسعت كل شيء » ؛ وبعموم مرتبة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حيث بعث « الى الناس كافة » بالنص . ولم يقل : انا ارسلناك الى هذه الأمة خاصة ، ولا إلى أهل هذا الزمان إلى يوم القيامة خاصة . وإنما أخبره انه مرسل « الى الناس كافة » . والناس من آدم الى يوم القيامة . فهم المقصودون بخطاب المغفرة لما تقدم من ذنب وما تأخر : « والله ذو الفضل العظيم » .

لكن ثمّ مغفرة في الدنيا وثمّ مغفرة في القبر وثمّ مغفرة في الحشر وثمّ مغفرة في النار : بخروج منها وبغير خروج . لكن يستر عن العذاب ان يصل اليه بما يجعل له من النعيم في النار مما يستعذبه ، فهو عذاب بلا ألم .

وقد انتهت سؤالاته ، رضي الله عنه . وانتهى ما ذكرنا من الاجوبة عليها من غير استيفاء . وما تركناه من ذلك في الجواب أكثر مما اوردنا بما لا يتقارب . فان الاختصار أولى من الاكثار . إذ باب النطق والإبانة عن حقائق الأمور لا يتناهى . فان علم الله أوسع ، فتطلبه لنا لا يقف عند حد . والله الموفق لا رب غيره ! » .

(فتوحات ، ٢ : ١٣٨–١٣٩)

(الفصل الخامس)

(علم الأولياء وعلم الأنبياء)

فهذا[ا]، واشباه هذا، هو علم الأنبياء[ب] وعلم الأولياء. بهذا العلم يطالعون تدبيره، وبهذا العلم يقومون بالعبودية[ت] له. لأنه[ث] من كشف له الغطاء عن هذا النوع من العلم، فإنما فتح له في[ج] الغيب الأعلى، حتى لاحظ ملك الملك، بعد ان قوم ثم هذب ثم أدب ثم نقى[ح] ثم طهر[خ] ثم طيب[د] ثم وسع[ذ] ثم عوّد. فتمت ولاية الله له، وصلح[ر] في المجلس الاعلى من مجالس الأولياء، بين يديه يناجيه كفاحاً، ويَلِجُ مجالسه سماحاً، ماله من حاجز[ز]. فيرجع[س] من عنده مع الغناء الأكبر، فيقوم به بالعبودية محارصة[ش].

فيقال لهذا البائس: إن كنت[ص] خلواً[ض] من هذا الذي ذكرناه، وفي عمى[ط] عنه[ظ]، فما دخولك في هذا الباب حتى تكدر الماء الصافي ؟ فأي جرم أعظم من جرم رجل يلتقط كلام الأولياء حرفاً حرفاً، ثم يخلطه[ع] فيصوغه[غ] حكايات، ثم يرمي بها[ف] إلى قوم يتزين بذلك عندهم، فيعمى عليهم طريقهم ويفسد عليهم سيرهم ؟

(فهذا البائس)، لا[ق] هو عالم بالطريق، ولا بالمكامن[ك] في الطريق[ل].

ا وهذا F .
ب + صلوات الله عليهم V .
ت العبودة V .
ث لا V .
ج – V .
ح طيب V .
خ وسع V .
د ربى V .
ذ شجع V .
ر فصلح V .
ز – ز – V .
س ويرجع V .
ش في روضة V .
ص + في VF .
ض خلو F ، خلق V .
ط عما VF .
ظ عن علمه VF .
ع خلطه V .
غ فيصيرها F ، فاضره V .
ف به V .
ق فلا VF .
ك المكان F .
ل +ولا هو من ذلك الرفيق F .

ولا ينتهي[م] القوم ومنازلهم ؛ من شغله بنفسه ، وانخداعه[ن] لها[ه] ، وإصغائه إليها ، وستره[و] ذلك عن خلقه . فهو أبداً[ي] في الاعتذار والتزين والتصد ؛ لِما يعلم أنه يكسب[ا] بذلك جاهاً عند الخلق . وأعظم المصائب عنده ، الوقت الذي يعمل فيه عملاً ينكسر[ب] به جاهه عند الناس .

فهذا[ت] عبد[ث] نفسه . فمتى يتفرغ[ج] لعبودية[ح] ربه[خ] ؟ ومتى يصلح هذا لله ؟ ومتى يصفو[د] طريقه الى الله تعالى[ذ] ؟

قال له قائل : صف لنا شأن الذين وصلوا ، فوقفوا في مراتبهم[ر] على شريطة[ز] لزوم حفظ المرتبة ؛ وما سبب اللزوم ؟ وصف لنا شأن الذين وصلوا فرفعت عنهم الشريطة ، وفوضت إليهم الامور . ومن[س] ولى[ش] حق الله ؟ ومن ولى الله ؟

قال : إن الواصل إلى مكان القربة ، رتب له محل[ص] ، فحل[ض] بقلبه هناك ، مع نفس فيها تلك الهنات باقية ، فإنه إنما[ط] الزم المرتبة ، لانه إذا توجه إلى عمل من أعمال البر[ظ] ، يتال[ع] في موضع القربة ، ليعتق من رق النفس[ع] ، ما زجه[غ] الهوى ومحبة محمدة الناس ، وخوف سقوط المنزلة . فعمله لا يخلو من التزين والرياء ، وان دقّ . أفيطمع عاقل أن يترك قلبه مع دنس الرياء [١٥٧ ا] والتزين فيحل محل القربة ؟

م منتهى VF .
ن والخدعة V .
ه جا V .
و ويستر F .
ي ابداي F .
ا يكسبه F .
ب يتكسر F .
ت فيهذا V .
ث عز V .
ج يتضرع F .
ح لعبودة V .
خ – V .
د يصف F .
ذ – F .
ر مقامهم F .
ز شرط F .
س + ذات V .
ش – V .
ص محلا VF .
ض – V .
ط وانما V .
ظ + مع عمل النفس V .
ع – ع – V .
غ فازجه VF .

(بل) يقال له : يشترط عليك ، مع العتق من رقّ النفس ، الثبات ههنا ؛ فلا تصدر الى عمل بلا إذن . فإن أذنّا لك ، اصدرناك مع الحرّاس ، ووكلنا الحق شاهدًا عليك ومؤيدًا لك ؛ والحرس يذبّون عنك .

قال له قائل : وما تلك الحرس ؟

قال : أنوار العصمة[ق] ، موكلة به ؛ تحرق[ق] هنات[ك] النفس ونواجم ما انكمن منها . وكل ما ينجم[ل] من مكامن النفس ، من تلك الهنات ، أحرقته تلك الأنوار ، حتى يرجع الى[م] مرتبته ولم تجد النفس سبيلًا إلى أن تأخذ بحظها من ذلك العمل . فيرجع[م] الى مرتبته طاهرًا كما صدر[ن] ؛ لم يتدنس[ه] بأدناس[و] النفس : من التزين والتصنع ، والركون إلى موقع[ى] الامور عند الخلق .

فهذا المغرور المخدوع، لما وجد قوة المحل[ا²] ونور القربة ، وطهارته[ب²] — ظنّ أنه استولى . ونظر إلى نفسه فلم يجد فيها شيئًا[ت²] في الظاهر يتحرك . ولا يعلم أن المكامن مشحونة بالعجائب ! روي عن وهب[١٩٦] بن منبّه ، رحمه الله ، أنه قال : « إن للنفس كمونًا ككمون النار في الحجر ؛ إن دققته

١٩٦) هو من اصل فارسي ، توفي عام ١١٤ للهجرة . وله كتاب « التيجان في ملوك حمير » . انظر ترجمته في طبقات ابن سعد: ٥: ٣٩٥ ؛ تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ : ٨٨ (éd. Fischer ZDMG 44, 434) ؛ ميزان الاعتدال : ٣ : ٢٧٨ ؛ التهذيب لابن حجر : ١٥ : ١٠٦ ؛ طبقات الحفاظ للسيوطي : ١ : ١٧ ; ارشاد الاديب لياقوت : ٧ : ٢٣٢ ؛ مرآة الجنان لليافعي : ١ : ٢٤٨—٥٠ ؛ شذرات الذهب لابن العماد : ١ : ١٥٠ ؛ وانظر ايضًا : (E. I.IV. 1142-44-Horovitz) و (Broch. S. I, 101).

ق العظمة V .
ق يحرقون VF .
ك هنات V .
ل نجم VF .
م – م – V .
ن انصدر V .
ه يدنس F .
و لادناس V .
ى موضع F .
ا² المحل V .
ب² ومهارتها V .
ت² – V .

لم تجد فيه شيئاً[ت٢] وإن قدحته أورى[ث٢] ناراً » .

فكان هذا نظراً من الله[ج٢] عز وجل ! أن رحمه فنقله ، في لحظة ، من محل الصادقين الى محل الصديقين : من بيت العزة، من سماء الدنيا الى عساكر حول العرش . فذهب (هذا المسكين) لشقاء جده ، فقال : أذهب فأطوف في البلاد ، وأدعو الناس الى الله تعالى . وأذهب فأعمل أعمال البر ، فإنما خلقت للعبودية .

(ولكن ، أيها البائس) هل أجابتك نفسك حين دعوتها ، حتى يجيبك الناس ؟ وهل صفا قلبك لله عز وجل ! حتى تصفو عبوديتك ؟ وهل خرجت من رق النفس ، حتى تدخل في رق الله ، عز وجل ؟ هيهات ، هيهات[س٢] ! ما أبعدك من الصدق ، فكيف من طريق الصديقين ؟

قال قائل : ومن أين تلك الأنوار ، التي توكل بالحراسة لهذا الذي ثبت في مركزه ولم يصدر[ح٢] عنه[خ٢] إلا بإذن ؟

قال : من مجالس الحديث .

قيل : وما مجالس الحديث ؟

قال : مجالس المحدثين ، أهل الله ونصحاؤه[د٢] : يحبون[ذ٢] أن يصل هؤلاء إلى ما وصلوا . فيقطع لهم[ر٢] قطعة من النور ، فيحرسهم[ز٢] ذلك النور ، ما داموا في تلك الأمور . فكل ما نجم من هنات[س٢] النفس ، في الصدر ، شيء ، وقت مباشرتهم تلك الأمور — ثار[ش٢] ذلك الشعاع في صدره فخفي على القلب والنفس ذلك الناجم[ص٢] وبطل ، فمرّ في أمره مستقيماً ، غير ملتفت الى أحد . ثم رجع[ض٢] إلى محله ومركزه نقياً .

ت٢ — V . ث٢ اروى VF .

ج٢ + بالمجانب عن وهب بن منبه ان للنفس كموناً ككمون الحجرين او الحجر ان دققته لم تجد فيه شيئاً وان قدحته اورى وان كان هذا نظراً من الله تعالى V .

ح٢ يتصور V . خ٢ عنها F .

د٢ ونصحائه VF . ذ٢ ويحبون F

ر٢ لهؤلاء F ، + اولا F . ز٢ فيحرجهم F .

س٢ هيهات V . ش٢ وثار F ، فان ثار V .

ص٢ الناج V . ض٢ يرجع F .

وإن صدر عنها[ط٢] ، بغير إذن؛ صدر عـلى غرور نفسه ؛ تلذذاً[ظ٢] بشهوة نفسه[ظ٢] في ذلك العمل ، وقلة صبره علي لزوم[ع٢] المرتبة. فانحرف[غ٢] بلا حرس، فمدت[ف٢] النفس اليه مخالبها فأعابته[ق٢] ، فرجع مخدوشاً محموشاً[ك٢] . ألا ترى الى قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: « لا تسل[ل٢] الامارة ، فإنك أن أعطيتها عن مسألة وكلت اليها ؛ وان أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها »(١٩٧) . وهذا[م٢] يحقق قولنا بعينه .

فهذا شأن[ن٢] وليّ حق الله ، وهو مع هذا قد يقال له : وليّ الله ، لأن الله قد ولي أمره ونقله[ه٢] الى محل القربة .

(الفصل السادس)

(وليّ الله)

وأما وليّ الله ، فرجل ثبت في مرتبته، وافياً[ا] بالشروط[ب] كما وفى بالصدق في سيره[ت] ، وبالصبر في عمل الطاعة[ث] ، واضطراره . فأدّى الفرائض ، وحفظ الحدود ، ولزم المرتبـة ؛ حتى قوّم وهذب ونقّى وأدّب وطهر وطيّب ووسع وزكّى وشجّع وعوذ[ج] . فتمت ولاية الله له[ح] بهذه الخصال العشر . فنقل من

١٩٧) هذا الحديث الشريف مروي في البخاري: كتاب الاحكام، الايمان ، الكفارات؛ وفي مسلم: كتاب الامارة ، الايمان ؛ وفي صحيح ابي داوود: كتاب الامارة ؛ وفي مسند ابن حنبل : ٥ : ٦٢ ؛ وعند الترمذي: ك. النذور ؛ وعند النسائي: ك. القضاء ؛ والدارمي = ك. النذور .

ط٢ غيرها F ، منها V .
ظ٢ – ظ٢ — F ، تلذذ الشهوات نفسه V
ع٢ ما الزم V .
غ٢ فان صدر F .
ف٢ مدت F .
ق٢ فيضه F ، بعينه V
ك٢ محموسا V .
ل٢ لا تسأل V .
م٢ فهذا V .
ن٢ بيان V .
ه٢ ونقلته F ، وانقلابه V .
ا + ثم V .
ب بالشرط V .
ت السير V .
ث انقطاعه F .
ج وعود V .
ح – VF .

مرتبته الى مالك الملك . فرتّب له بين يديه ، وصار[خ] يناجيه[د] كِفاحاً . فاشتغل به عمّن سواه ، ولها به عن نفسه ، وعن كل شيء. فصيّره في قبضته. فأيّ حصن أحصن من قبضته ؟ واي حارس أشد حراسة من عقله ؟

فهذا قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن جبريل عن الله ، عز وجل ، أنه قال : « ما تقرب اليّ عبدي ، بمثل أداء ما افترضت عليه . وانه ليتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه . فاذا احببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده : فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي ينطق ، وبي يمشي ، وبي يعقل ، وبي يبطش !»[١٩٨] . فهذا عبدٌ حُمِد عقله بالعدل الأكبر ؛ وسكنت حركاته الشهوانية لقبضته .

وهو قوله ، فيما يروي ، حيث قال موسى ، عليه السلام : « يا رب ، أين أبغيك ؟ — قال : يا موسى ، وأيّ بيت يسعني ؟ وأي مكان يحويني ؟ فإن اردت ان تعلم اين انا ، فاني في قلب التارك الورع العفيف[١٩٩]» .

فالتارك هو الذي تركه بجهده ، وفيه بقية ؛ ثم منّ عليه ربه بما وصفناه: فورعه هو ما عليه . ثم عفّ فلا يلتفت الى شيء . فهذا موافق لذلك .

وكلاهما[ذ] وَليا[ر] أمر الله بالصدق ، حتى وَلِيَ الله امرهما[ز] . فالأول خرجت له الولاية من الرحمة : فوَلِيَ الله نقله[س] من بيت العزة الى محل منزلة[ش] القربة ، في لحظة . والثاني خرجت له الولاية من الجود : فوَلِيَ الله[ص] نقله[ض] في لحظة ،

---

١٩٨) للحديث روايات مختلفة ، وهو مروي لدى البخاري : ك . الرقاق ؛ وابن حنبل ، مسند : ٦ : ٢٥٦ » وهو من اصول فكرة « التوحيد الصوفي » في الاسلام . انظر جر العاشقين (Intr. Franç. p.113, note I52.) .

١٩٩) هذا الحديث مروي في الاحياء ، مع فارق يسير في الرواية : ٣ : ١٠٥ وانظر تخريجه في المتني عن حمل الاسفار ، على هامش الاحياء ، نفس الجزء والصفحة ، ملاحظة رقم : ٢ ، ٣ .

خ فصار V .
ذ كلاهما F ، وكلاهما V .
ز ايصالها F .
ش — V .
ض انقلابه F .
د نجواه VF .
ر ولى F .
س انقلابه F ، بولاية V .
ص — VF .

منط ملكط الىظ ملكظ حتى مالك الملك . وهو قوله تعالى : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .﴾(٢٠٠) فالله وَلِيُّ إخراجهم من ظلماتغ النفس الى نور القربة ، ثم من نور القربة الى نوره .

ثم قال (تعالى) : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢٠١) وَلِيَّ الله امرهمف ، ووَلِيَ نصرهم على نفوسهم ، فتولواق [١٥٧ب] ايام الدنيا بنصرة حقوقه . ثم وَلِيَ اخذهم اليه ، وضمّهم الى المحل بين يديه ، فتولوا دعوة خلقه اليه والثناء عليه .

ثم وصف (عزّ وجلّ !) هؤلاء الأولياء ، فقال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ . أَلَا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ! ﴾(٢٠٢) اي : اطمأنوا اليه وكانوا يتقون . أي : يتقون ان يطمأنوا الى احد سواه !

(الفصل السابع)

(خصال الولاية العشر)

قال قائل : صف لنا الخصال العشر ، التي تمّت له ولاية الله بها : من التقويم والتهذيب ، وسائر الخصال ، التي ذكرت .

قال : نعم ! اقامه (الله تعالى !) في المرتبة ، على شريطة اللزوم لها . فلمّا وفر له بالشرط ، ولم يبغ عملاً في محل القربة — نقله منها الى ملك الجبروتع ليقوم بجبر نفسه ومنعها بسلطان الجبروت ، حتى ذلّت وخشعت . ثم نقله منها الى ملك السلطان ، ليهذّب ؛ فذابت تلك العزّة التي في نفسه ، وهي اصل الشهوات ، فصارت بائنة عنها . ثم نقله منها الى ملك الجلال ليزدب . ثم نقله

٢٠٠) سورة ٢ : ٢٥٧ .
٢٠١) 〃 ١٠ : ٦٢ .
٢٠٢) 〃 ١٣ : ٢٨ .

ط — ط ملكا F .
ظ — ظ ملكا F .
ع — V .
غ ظلمة F .
ف اخذهم F .
ق فتولو V .

منها الى ملك الجلال لينقّى. ثم الى ملك العظمة ليطهّر. ثم الى ملك الهيبة ليزكّى. ثم الى ملك الرحمة [ا] ليوسّع [ب]. ثم [ت] الى ملك البها. ليربّى [ت]. ثم [ث] الى ملك البهجة ليطيب [ث]. ثم الى ملك الفردانية ليفرد.

فاللطف [ج] يفرده [ج]، والرحمة تجمعه [خ]، والمحبة تقربه [د]، والشوق يدنيه. ثم يهمله. ثم يناجيه. ثم يبسط له. ثم ينقبض عنه! فأين ما صار فهو في قبضته، وأمين من امنائه. فاذا صار في هذا المحل، فقد انقطعت الصفات، وانقطع الكلام والعبارات. فهذا منتهى العقول والقلوب!

قال له قائل: فهل للقلوب منتهى؟ فإن ناسًا يقولون: انه لا منتهى للقلوب، لان القلوب تسير الى ما لا منتهى له. فكل وليّ يزعم انه قد انتهى الى مقام لا يتقدمه احد فهو مخطئ. ومن اين يبلغ احد عظمة الله، حتى يكون للقلوب منتهى؟

قال: بحق اقول لك، هذا قول احمق، صاحب كلام ومقاييس. يتفكر في نفسه باشيا. ويتوهمها، ثم يقيسها من تلقا. نفسه. فأحذرك ان تصغي اليه! فانه ينطق عن لسان الشياطين. وأنا اصف لك هذا الباب لتعرف غواره، ان شا. الله تعالى!

إعلم ان الله، سبحانه، عرّف العباد اسماءه. ولكل اسم ملك، ولكل ملك سلطان؛ وفي كل ملك مجلس ونجوى وهدايا لأهلها. وجعل الله للقلوب خاصته، من الأوليا.، هناك مقامات، (أعني) اولئك الأوليا. الذين تخطوا من المكان الى الملك.

فرُبّ وليّ مقامه في اول ملك، وله من اسمائه ذلك الاسم. ورُبّ وليّ مقامه التخطّي الى ملك ثان وثالث ورابع. فكلما تخطّى الى ملك أعطي ذلك

ا البهجة V . ب فيرغب F .

ت – ت ويقوى ويشجع ثم نقله الى ملك الهيبة ليربي V ، + ثم نقله الى ملك الرحمة ليرغب ويقوى V .

ث – ث – VF . ج فباللطف F .

ح – F . خ – F ، + ونكتنفه V .

د – F .

الاسم ؛ حتى يكون الذي يتخطّى[ذ] جميع ذلك الى ملك الوحدانية الفردانية[ر] هو الذي يأخذ بجميع حظوظه من الاسماء . وهو[ز] محظوظ[ز] من ربه . وهو سيد الأولياء ؛ وله ختم[س] الولاية من ربه . فاذا[ش] بلغ[ص] المنتهى من اسمائه ، فالى اين يذهب ؟ وقد صار الى الباطن الذي[ض] انقطعت عنه الصفات !

وهل[ط] تسمّى[ظ] (الله) لاصفيائه ، ووصف[ظ] نفسه لهم[ظ] ، إلا ليخلوا (منها) ؟ فحظوظ[ع] العامة من صفاته إيمانهم بها . وحظوظ المقتصدين وعامة الأولياء المقربين ، شرح[غ] الصدر[ف] لها واستنارة علم تلك الصفات في صدورهم ؛ كلٌّ على قدره ، وقدر نور قلبه . وحظوظ المحدَّثين ، وهم خاصة الأولياء ، ملاحظة تلك الصفات ، واشراق نور تلك الصفات على قلوبهم وفي صدورهم . ولذلك قال (تعالى) : ﴿ هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ[٢٠٣] ﴾ = فهل الظاهر إلا ما ظهر على القلوب ؟ وإنما يظهر بصفاته على قلوب خاصة أوليائه. فاذا انتهت الصفات ، صار الى الباطن الذي لا يدري. فقد استقر القلب . وكلما علم انه ليس وراء هذه صفة ، ووجد هناك محلّاً ، علم انه لا يتقدمه احد .

فَسَلْ هذا الزاعم : ما اول اسمائه ؟ وما الاسم الذي هو وليّ اسمائه ؟ فان كان يعجز عن علم هذا ، فكيف لا يخوض فيما هو أولى به ؟ — و (سَلْهُ ايضاً :) حدثني عن الانبياء ، كيف عرفوا مقاماتهم ؟ فإن قال : (عرفوا) هذا بالنبوة ، فقل : هذا عرفوه بالولاية : [ف١]فإن النبوة مع البرهان ، والولاية هي البرهان![ف١] أليست السكينة حقاً[ق] من الله ، ينزلها على انبيائه وأوليائه ؟ فكما صح له (= للنبي) الوحي بالروح ، فكذلك يصح الحديث لهذا (= للولي)

---

٢٠٣) سورة : ٥٧: ٣

ذ تخطى V .
ر الفردية V .
ز – ز وان حظوظه V .
س خاتم V .
ش مالي V .
ص مبلغ V .
ض + قد V .
ط – ط وبدل الاصفياء F ، واهل الاسماء F .
ظ – ظ وهل نسبت لهم V ، – F .
ع بحظوظ V .
غ بشرح V .
ف الصدور F .
ف١ – ف١ النص هنا غير واضح في VF وقد أثبتناه كما يُرى .
ق حق V .

بالسكينة . وسنوضح هذا ، ان شاء الله ، فيما بعد[ك] .

وأما قوله : فإن القلوب[ل] تصير[م] الى ما لا منتهى له ، فليس[ن] بحجة . وذلك أن القلوب جعل[ه] لها مقامات[و] ؛ وجعل المقامات[ي] منتهى[ا] تصير تلك القلوب اليها[ا] . والمقامات[ب] ايضاً لا منتهى اليها ، ولكن عدد المقامات[ت] معلوم متناه .

قال (قائل) : وما منتهاه (= القلب) ؟

قال : الواحد الفرد . فما وراء هذا ، ثمات (لا) تضبطه العقول ، هل[ث] يقدر أن يرد[ج] بشيء ؟ فانما تسير القلوب بعقولها الى محل يعقل ، وانما يعقل[ح] ما ظهر . فاذا انتهى الى المعلوم ، ووقف على من لا يعقل عنه وراء[د] ذلك شيء ، وقد بطن عنه ، فبأي اسم يدعوه ؟ ومن أي ملك يظهر له ويحدثه ؟

(الفصل الثامن)

(خاتم الأولياء وخاتم الأنبياء)

قال له[ا] قائل : وصفت لنا الأولياء ، وذكرت ان لهم سيدًا ، وان[ب] له[ب] ختم الولاية ، فما هذا ؟

قال : نعم ! فرّغ[ت] سمعك ، واشحذ[ث] عقلك في الافتقار الى الله تعالى ، في درك ما اريد ان اقول لك ؛ لعله يرحمك فيرزقك فهمه !

اعلم ان الله ، تبارك اسمه ! اصطفى من العباد انبياء وأولياء . وفضّل

ك + هذا V .

ل القلب F .

م تشر F .

ن + هذا V .

ه جعلت F .

و مقاوم V .

ي للمقاوم V .

ا – ا – F .

ب والمقاوم V .

ت المقاوم V .

ث فما F .

ج قد V .

ج يورد VF .

ح العقل V .

د وراى F .

ا – VE .

ب – ب وله V .

ت ففرغ V .

ث واسحل V .

بعض النبيين على بعض : فمنهم من فضّله بالخلة(٢٠٤)، وآخر بالكلام(٢٠٥)، وآخرج بالثنا. – وهو الزبور(٢٠٦) – وآخر بإحياء الموتى(٢٠٧)، وآخرح بالعصمة من الذنوبح وحياةخ القلب(٢٠٨)، حتى لا يخطئ ولا يهم بخطيئة . وكذلك الأوليـاء، فضلد بعضهمد على بعض . وخصّ محمداً (الاصل: محمد)، صلى الله عليه وسلم، بما لم يُؤتِ احداً منذ العالمينذ . فمن الخصوصية ما يعمى عن الخلق، إلا على اهل خاصته ؛ ومنها ما ليس [١٥٨ أ] لأحد عنه محيص ولا محيد .

وكان الله ولا شيء ! فجرىر الذكر . وظهر العلم . وجرت المشيئة. فأول ما بدأ، بدأز ذكره . ثم ظهر في العلم علمه . ثم في المشيئة مشيئته . ثم في المقادير هو الاول . ثم في اللوح هوس الاول . ثم في الميثاق هو الاولس . ثم هو الاول يومش تنشق عنه الارض. ثمص هو الاولص في الخطاب . والاول في الوفادةض . والاول في الشفاعة . والاولط في الجوارط . والاول في دخول الدار . والاول في الزيارة . فبهذا ساد الانبياء، عليهمظ السلامظ . ثم خص

(٢٠٤) هو ابراهيم عليه السلام، انظر سورة ٤: ١٢٥ .
(٢٠٥) هو موسى عليه السلام، انظر سورة ٤: ١٦٤، ٧: ١٤٣ .
(٢٠٦) هو داوود عليه السلام؛ انظر سورة ١٧: ٥٥ .
(٢٠٧) هو عيسى عليه السلام، انظر سورة ٣: ٤٩ .
(٢٠٨) هو محمد عليه السلام، انظر سورة ٨: ٢٤، ٤٨: (٢٠ .

ج والآخر F .
ح – ح – V .
خ وبحياة V .
د – د فضل بعض الاولياء V.
ذ – ذ – V .
ر فجرا V .
ز – F .
س – س – V .
ش ثم V .
ص – ص والاول V .
ض الوقار F .
ط – ط – V .
ظ – ظ – V .

بما لا يدفع : وهوع خاتم[٢٠٩] النبوةع. وهو حجة الله ، عزع وجلع ! على خلقه ، يوم الموقف . فلم ينل هذا احد من الانبيا. .

قال له قائل : وما خاتم النبوّة ؟

قال : حجة الله على خلقه ، بحقيقة قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٢١٠] فشهد الله له بصدق العبودية . فاذا برز الديان في جلاله وعظمته ، في ذلك الموقف ، وقال : يا عبيدي ، انما خلقتكم للعبودة ، فهاتوا العبودة ! فلم يبق لأحد حسغ ولا حركة ، من هول ذلك المقام ، إلا محمدًا ، صلى الله عليه وسلم . فبذلك القدم (الصدق) الذي له ، يتقدم على جميع صفوف الانبياء والمرسلين . لانه قد اتى بصدق العبودية لله تعالى . فيقبله الله منه ، ويمشه الى المقـام[٢١١] المحمود ، عند الكرسي . فيكشف الغطاء عن ذلك الختم ، فيحيطه النور وشعاع ذلك الختم يبين عليه. وينبع من قلبه على لسانه من الثناء ما لم يسمع به احد من خلقه ، حتى يعلم الانبياء كلهم ان محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، كان اعلمهم بالله ، عزف وجلف ! فهو اول خطيب ، واول شفيع . فيعطي لواء الحمد ، ومفاتيح الكرم .

فلواء الحمد لعامة المؤمنينق ، ومفاتيح الكرم للانبياء . ولخاتم النبوة بدء وشأن عميق ، اعمق من ان تحتمله ك . فقـد رجوت انه كفاك هذا القدر من علمه !

٢٠٩) انظر سورة ٣٣ : ٤٠ . اما ما يخص الاثار النبوية المتعلقة بختم النبوة ، فيراجع صحيح البخاري : المناقب ؛ تفسير سورة ١٧ : ٥ ؛ ومسلم : الفضائل ؛ ابو داوود : الفتن ؛ جامع الترمذي : الفتن ؛ الدارمي : الفصل الثامن ؛ ابن حنبل ، المسند : ٢ : ٣٩٨ ، ٤١٢ . - اما ما يتعلق بقدم « ذكر » محمد ، عليه الصلاة والسلام ، او وجوده او حقيقته ، فيراجع كتاب الشريعة للآجري ص ٤١٦–٤٢٨ ؛ و كتاب الشرح والابانة لابن بطة ص ٦٠ (نص عربي) والتعليق القيم للاستاذ الكبير لاووست في ترجمته لنص الابانة ص ١١٠ : ٢ . (نص فرنسي).

٢١٠) سورة ١٠ : ٢

٢١١) انظر الآثار النبوية الخاصة بالمقام المحمود في مسند ابن حنبل ٢ : ٤٤٤ ، ٤٧٨ ؛

ع – ع خاتم النبيين بالنبوة V   غ – غ – V .

ف – ف – V .   ق الموحدين V .

ك تحمله V ، + هذه F .

فصار محمد^ل^، صلى الله عليه وسلم، شفيعاً للانبياء والاولياء، ومن دونهم.
ألا ترى الى قوله^م^، عليه الصلاة والسلام، فيما يصف من شأن المقام المحمود^ن^:
« حتى ان ابراهيم، خليل الرحمن^ه^، يحتاج اليّ في ذلك اليوم[٢١٢] » . حدثنا^و^ بذلك الجارود[٢١٣]، عن النضر[٢١٤] بن شميل، عن هشام الدستواني[٢١٥]، عن حمّاد[٢١٦]، رفعه الى رسول الله، صلى الله عليه وسلم^ي^!

ألا ترى ان الله، تبارك وتعالى^ي^! ذكر البشرى في غير آية؟ فلم يذكرها^آ^ الا مع الشرط: ﴿ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [٢١٧] ﴾ وذكرها هنا ولم يشترط: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ [٢١٨] ﴾ = يعلمهم ان نجاة الجميع، في ذلك^ب^ اليوم^ت^، بهذا القدم الصدق.

---

٢١٢) انظر الاثار النبوية الخاصة بالشفاعة في صحيح مسلم: الايمان؛ في مسند ابن حنبل: ١:٥؛ ٤:٥؛ ٢٨١؛ ٢٩٥؛ في صحيح البخاري: زكاة، انبياء، توحيد؛ في صحيح النسائي، الغسل: ٨١؛ وفي كتاب الشريعة للآجري ص٣٣١-٣٤٤.

٢١٣) هو ابو جعفر، احمد بن علي بن محمد بن الجارود الاصفهاني. روى عن ابي سعيد الاشج وعمر بن شبة وهارون بن اسحاق، وغيرهم. توفي عام ٢٩٩ هجرية. راجع، تذكرة الحفاظ ٢:٢٨٥.

٢١٤) النضر بن شُمَيل المازني التميمي. مات سنة ٢٠٣ للهجرة. انظر ترجمته في ارشاد الاديب، لياقوت: ٧:٢١٨-٢٢٢؛ وفي مرآة الجنان لليافعي: ٢: ٨؛ وفي البغية للسيوطي: ٤٠٤؛ وفي (Brock. S. I. 161).

٢١٥) هو هشام بن ابي عبدالله، سَنْبَر الدَّسْتَوائي. توفي سنة ١٦٥ للهجرة. راجع ترجمته في خلاصة تذهيب الكمال: ٣٥١.

٢١٦) هو احمد بن سَلَمة بن دينار التيمي، من التابعين. توفي عام ١٦٧ للهجرة. انظر ترجمته في خلاصة تذهيب الكمال: ٧٨.

٢١٧) سورة: ٢:٢٥.

٢١٨) سورة: ١٠:٢.

ل - F .
ن - V .
و-و-V: يروى الحديث باسناده V . ي - ي - V .
آ يذكره V .
ت اظنه F .

م قول رسول الله V .
ه + صلى الله عليه وسلم F .
ب + الجمع F .

واماث الحجـة ، فكأنه يقول للانبيا. ، عليهم ج السلام خ : معاشر الانبيا. ، هذا محمد ج ا جاء في آخر الزمان ؛ ضعيف البـدن ، ضعيف القوة ، ضعيف المعاش ، قليل العمر . أتى خ بما قد ترون : من صدق العبودة ، وغزارة المعرفة والعلم . وانتم ، في قواكم وأعماركم وأبدانكم ، لم تأتوا بما د أتى . ويكشف ذ الغطا . عن الختم ، فينقطع ر الكلام ، وتصير ز الحجة س على جميع خلقه . لأن الشي . المختوم محروس ش . وكذلك تدبير الله تعالى ص لنا في هـذه الدنيا : انه اذا وجد الشي . بختمه ض زال ط الشك وانقطع الخصام ظ فيما بين الآدميين .

فجمع الله تعالى اجزاء النبوة لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، وتممها ع له غ ، وختم ف عليها ق بختمه . . فلم تجد ك نفسه ولا عدوه سبيلا الى ولوج موضع النبوة ، من اجل ل ذلك الختم . ألا ترى الى م حديث الحسن البصري ن ، رحمه الله (٢١٩) ، عن انس بن مالك (٢٢٠) ، رضي الله عنـه ، في حديث الشفاعة ،

٢١٩) الصوفي الشهير ، وامام البصرة ومن كبار التابعين . توفي ، رضي الله عنه ، عام ١١٠ للهجرة . انظر ترجمته في الخلاصة : ٦٦ وفي (L. T. 152—179; et Milieu Baserien, à l'index.) .

٢٢٠) خادم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن كبار علماء الصحابة ، رضي الله عنهم . توفي عام ٩٣ للهجرة روى احاديث كثيرة عن الرسول وتلقاها عنه التابعون . انظر ترجمته في البداية : ٩ : ٨٨–٩٢ ؛ وفي تذكرة الحفاظ : ١ : ٤٢ ؛ وفي التهذيب : ٥ : ٤٧١ ؛ وفي شذرات الذهب : ١ : ١٠٠–١٠١ ؛ وفي الخلاصة : ٣٥ ؛ و EI. F. (2e éd.) 350 .

ث فاما F . — ح – ج – V .
ج + صلى الله عليه وسلم F . — خ – V .
د + قد V . — ذ وينكشف V .
ر ويقطع V . — ز ويصير F .
س حجة F ، حجته V . — ش المحروس V .
ص عز وجل V . — ض مختوما V .
ط ما زال V . — ظ الخطاب V .
ع وتممه V . — غ – VF .
ف وختمها F . — ق عليه V .
ك يجد F . — ل – V .
م – V . — ن – V .

عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال: « فإذا أتوا آدم ، يسألونه ان يشفع لهم الى ربه ، قال لهم آدم: أرأيتم لو أن أحدكم جمع متاعه في عيبته. ثم ختم عليها ، فهل كان يؤتى المتاع الا من قبل الختم ؟ فاتوا محمدًا ، فهو خاتم النبيين » . ومعناه عندنا : ان النبوة تمّت بأجمعها لمحمد ، صلى الله عليه وسلم. فجعل قلبه ، لكمال النبوة ، وعاء عليها ، ثم ختم !

ينبؤك[هـ] (هذا) ، ان الكتاب المختوم والوعاء المختوم ، ليس لأحد عليه سبيل ، في الانتقاص منه ، ولا بالازدياد فيه مما[و] ليس منه . وان سائر الانبياء[ي] ، عليهم[ا2] السلام[ا2] ، لم[ب2] يختم لهم على قلوبهم ، (فهم غير آمنين ان تجد) النفس سبيلًا الى ما فيها .

ولم يدع الله[ت2] الحجة مكتومة[ث2] ، في باطن قلبه حتى اظهرها[ج2] : فكان بين كتفيه[ح2] ذلك الختم ، ظاهرًا كبضية حمامة[خ2] [٢٢٠/١] . و (هذا) له شأن عظيم[د2] تطول قصته .

فان الذي عَمِيَ عن خبر[ذ2] هذا ، يظن[ر2] ان « خاتم النبيين[ز2] » تأويله انه آخرهم[س2] مبعثًا[ش2] . فأي منقبة[ص2] في هذا؟ وأي علم في هذا؟ هذا[ض2] تأويل البله ، الجبلة !

[٢٢٠/١]) ما يتعلق بالظاهرة المادية لختم النبوة في جسم النبي ، عليه الصلاة والسلام ، (بين كتفيه) راجع كتاب الشريعة للآجري ص٤٥٧ .

[هـ] ينبك VF .
[و] ما V .
[ي] النبيين V .
[ا2] – ا2 – V .
[ب2] – F .
[ت2] + تلك V .
[ث2] مكتوما V .
[ج2] اظهره V .
[ح2] كتفي E .
[خ2] حمام V ، + مكتوب عليه محمد رسول الله V .
[د2] عجيب V .
[ذ2] – V .
[ر2] نظر V .
[ز2] + النبي عليه الصلاة والسلام V .
[س2] + آخر النبيين F
[ش2] معنا VF .
[ص2] مبقه VF .
[ض2] – V .

وقرأطٚ العامةظٚ « خاتم » بفتح التاء. واما ع٢ من قرأع٢ من السلف بكسر التاء، فانما تأويله انه « خاتم »غ٢ على معنى فاعل، اي : انه ختم النبوة، بالذي اعطى من الختم. ومما يحقق ذلك، ما روي في حديث المعراج، من حديث ابي جعفر الرازي(٢٢١)، عن الربيع بن ابي العالية(٢٢٢)، فيما يذكر من مجتمع الانبياء في المسجد الاقصى : « فيذكر كل نبي منَّة الله عليه. فكان من قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال : وجعلني خاتماً وفاتحاً. فقال ابراهيم، عليه السلام : بهذا فضلكم محمد ! »(٢٢٣).

(الفصل التاسع)

(النبوة والولاية)

قا النبوة هي العلم بالله، عزا وجلا على كشف الغطاء. وعلى اطلاع اسرارب الغيب. و(هي) بصرت نافذث في الاشياء المستورة بنور الله تعالى التام. فمن اجل هذا، قدر محمدج، صلى الله عليه وسلم ! انح يأتيخ بقدم الصدقد

(٢٢١) هو محمد بن احمد بن سعيد، ابو جعفر الرازي. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال : ٣ : ١٦٣.

(٢٢٢) هو ابو العالية الرياحي، فقيه ومفسر للقرآن الكريم، من مدرسة البصرة، توفي بعد عام ٩٠ للهجرة. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد : ٧ : ٨١ ؛ وفي تذكرة الحفاظ : ١ : ٥٨ ؛ وفي شذرات الذهب : ١ : ١٠٢ ؛

(cf. également Milieu Basrien 82; R. Blachère EI (2) I, 107-108.)

(٢٢٣) راجع هذا الحديث الشريف في البخاري : مناقب ؛ وفي مسلم : فضائل ؛ وفي ابي داوود : فتن ؛ وفي جامع الترمذي : فتن ؛ وفي مسند الدارمي : مقدمة ؛ وفي مسند ابن جنبل : ٣ : ٣٩٨ - ٤٠٢.

ط٢ تأويل V .	ظ٢ العام V .
ع٢ - ع٢ ومن قرأ V .	غ٢ + النبين V .
ا - ا - V .	ب + من F .
ت نظر V .	ث تافذ V .
ج قال V .	ح على ان V .
خ يانين V .	د صدق VF

فاذا استوت الأقدام، أقدام الانبياء، [١٥٨ب] في صفها[ذ] وسئل الصادقون عن صدقهم — احتاج[ر] الانبياء الى عفو الله تعالى . وتقدم محمد، صلى الله عليه وسلم، جميع[ز] الانبياء[ز] امامهم، يخطو[س] بالصدق الذي اتى به، بارزا على جميع الانبياء، بجود الله وكرمه : بأن اعطى النبوة وختم عليها . فلم يَكْلَمْهُ عدوّ، ولا اخذت النفس بحظها منه[ش] .

وذلك قوله (تعالى !) في[ص] تنزيله[ص] : ﴿ الرَ ! تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الحَكِيمِ ﴾[٢٣٤] . فالألف (رمزا) آلاؤه[ض]؛ واللام (رمزا) لطفه؛ والراء (رمزا) رأفته[ط] . — ﴿ أَكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أنْ أَوْحَيْنَا إلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ؟ ﴾[٢٣٥] — فقد علم سبحانه، ان[ط] قوله[ط] : « ان انذر الناس » مما يذهل عقول الصادقين المنتبهين[ع] — فقال، على إثر ذلك : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ . ﴾[٢٣٦] — اي[غ] : انذرتكم لقاني، ووقوفكم بين يدي عظمتي، وأني اقتضيتكم صدق العبودية . — ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ[غ] ﴾ وهو هذا الرجل الذي اوحينا إليه[ف] . فكما[ق] كان على لسانه الوعيد[ك] والنذارة، حتى ذهلت العقول — فله «قدم الصدق»، الذي يدرأ عنكم بصدقه يومئذ ما فاتكم من الوقاية[ل]، وما ضيعتم من حق النبوة .

٢٣٤) سورة: ١٠: ١ .
٢٣٥) سورة: ١٠: ٢ .
٢٣٦) سورة: ١٠: ٢ .

ذ صفتها V .
ز – ز – V .
ش منها F .
ض الاو F .
ظ – ظ – F .
غ – غ – F .
ق فما F .
ل الوفاله F .

ر احتاجت VF
س بخطوة F .
ص – ص – V ..
ط + ثم قال V .
ع المنهين V .
ف + بالنذارة F
ك الوعد F .

وكذلك روي لنا عن ابي سعيد(٢٢٧) الخدري م، في قوله : « قدم صدق » قال : محمد ، صلى الله عليه وسلم ! يشفع ن لهم ه يوم القيامة . وقول الرسول ، عليه الصلاة والسلام : « ان لي ، في ذلك اليوم ، مقاماً محموداً يحتاج الخلق فيه الي حتى ابراهيم خليل الرحمن ! »(٢٢٨) – وهذا و تحقيق ي ما قلناه .

ثم لما قبض الله ، عز وجل ، نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، صير في امته اربعين صديقاً . بهم تقوم الارض ، وهم ا̄ آل بيته ب̄ . فكلما مات واحد منهم ، خلفه من يقوم مقامه . حتى اذا انقرض عددهم ، وأتى وقت زوال الدنيا – ابتعث ت̄ الله وليا ، اصطفاه واجتباه ، وقربه وأدناه ، واعطاه ما أعطى الاولياء ، وخصَّه بخاتم الولاية . فيكون ث̄ حجة الله يوم القيامة ، على سائر الاولياء ، فيوجد عنده بذلك الختم صدق الولاية ث̄ ، على سبيل ما وجد عند محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من صدق النبوة . فلم ج̄ ينله ح̄ العدو ، ولا وجدت النفس سبيلاً الى الأخذ بحظها من الولاية .

فاذا برز الاولياء يوم خ̄ القيامة خ̄ واقتضوا صدق الولاية والعبودية – وجد الوفاء عند هذا الذي ختم الولاية تاماً . فكان حجة الله عليهم وعلى سائر الموحدين من بعدهم ، وكان شفيعهم يوم القيامة . فهو سيدهم : ساد الاولياء ، كما ساد محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الانبياء . فينصب له د̄ مقام الشفاعة ذ̄ ،

٢٢٧) هو سعد بن مالك بن سنان ، من المدينة (أنصاري) ، من قبيلة الخزرج ، مشهور في فقهه وفي رواية الحديث الشريف وفي فتاواه ، توفي سنة ٧٤ للهجرة . انظر ترجمته في البداية : ٩ : ٣ ، ٤ ؛ وفي الخلاصة : ١١٤ ؛ واسد الغابة : ٢ : ٢٨٩ ؛ والاصابة ٣ : ٥١٧ .

٢٢٨) انظر ما يتعلق بالمقام المحمود : التعليق القيم للاستاذ الفاضل المستشرق H. Laoust في ترجمته لابن بطة ، صفحة ٩٧ ، تعليق رقم ١ ، وانظر ايضاً .E. I. IV, 259-61 .

م + رضي الله عنه V .
ن شفيعهم F .
ه – F .
و + عما V .
ي يحقق V .
ا̄ فيهم F ، فهم V
ب̄ + وآله F ، وهم آله V .
ت̄ يبعث F .
ث̄ – ث̄ – V .
ج̄ لم V .
ح̄ يكلمه V .
خ̄ – خ̄ – V .
د̄ – V .
ذ̄ شفاعة V .

ويثني على الله [ر] تعالى [ز] ثناء، ويحمده بمحامد يقر [س] الاولياء بفضله عليهم في العلم بالله تعالى [ش] !

فلم يزل هذا الوليّ مذكورًا في البد. [ص] : اولًا في الذكر، واوّلا [ض] في العلم . ثم هو [ط] الاول في المشيئة. ثم هو [ظ] الاول في المقادير . ثم هو [ع] الاول اللوح المحفوظ . ثم الاول في الميثاق . ثم الاول في المحشر [غ] . ثم الاول في الخطاب. ثم الاول في الوفادة [ف] . ثم الاول في الشفاعة . ثم الاول في الجوار . ثم الاول في دخول الدار . ثم الاول في الزيارة . فهو في كل مكان اول الاولياء. [كما كان [ق] محمد [ك]، صلى الا عليه وسلم، اول الانبياء ! فهو من محمد، صلى الله عليه وسلم، عند الأذن والاولياء عند [ل] القفا .

فهذا عبد مقامه بين يديه في ملك الملك [م] . ونجواه هناك في المجلس الاعظم . فهو [ن] في قبضته . والاولياء من خلفه، دونه، درجة درجة : ومنازل الانبياء بين يديه [ه] .

فهؤلاء الاربعون في كل وقت، هم [و] اهل بيته . ولست أعني (آل بيته) في النسب، انما هم [ي] اهل بيت الذكر. بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لإقامة [أ٢] ذكر الله، وليبوأ له [ب٢] مستقرًا، وهو الذكر الخالص الصافي. فكل

ر ربه V .
ز — V .
س نفر F .
ش — V .
ص + اولا F .
ض اوك F .
ط — V .
ظ — V .
ع — V .
غ الحشر F .
ف الوقار F .
ق ان F .
ك محمدا F .
ل العفا F .
م الملكوت V .
ن + له V .
ه عينه V .
و + امثل F .
ي هو VF .
أ٢ لامة F .
ب٢ لهم V .

من آوى الى ذلك المثوى[ت٢] فهم آله[ث٢] . الا ترى الى[ج٢] قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :«اهل بيتي امان لامتي ، فاذا ذهبوا[ح٢] اتاهم[خ٢] ما يعدون[٢٢٩]». وانما[د٢] صار هؤلاء الاربعون امـاناً للامة (لان) بهم تقوم الارض ، وبهم يستسقون[ذ٢] الغيث . فاذا ماتوا اتاهم ما يوعدون . ولو كان (النبي عليه السلام) يعني به اهل بيته في النسب لكان يستحيل ان[ر١] لا[ر٢] يبقى منهم احـد ، فيموتوا[ز٢] عن آخرهم ، وقد كثّر الله عددهم حتى لا يحصون .

(الفصل العاشر)

(علامات الاوليا.)

قال له قائل[ا]: جميع ما وصفتَ من صفة هؤلاء [ب] هو في الباطن . فهل[ت] لهم علامة في الظاهر يعرفون بها ؟ وهل يلزم تصديقهم اذا ادعوا الولاية؟ وما الفرق بين النبوة والولاية ؟ وما [ث] المحدَّث من الاوليا. [ث] ؟

قال : الفرق[ج] بـين النبوة والولاية[ج] ، ان النبوة كلام ينفصل[ح] من الله وحياً ، معه روح من الله . فيُقضَى الوحي ويختم[خ] بالروح . فيه قبوله . فهذا الذي يلزم تصديقه ، ومن ردّه فقد كفر ، لانهُ ردّ كلام الله تعالى . والولاية لمن ولى الله حديثه[د] ، على طريق اخرى[ذ] ، فأوصله اليه. فله الحديث. وينفصل

٢٢٩) انظر هذا الحديث ، ورواياته المتعددة في جامع الترمذي : تفسير سورة ٨ : ٢ ومناقب وانظره ايضاً في مسند ابن حنبل:٣: ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩ ، ٥ : ١٨٢.

ت٢ المبوأ F .
ث٢ + واهله V .
ج٢ – V .
ح٢ ذهب V ، + اهل بيتي V .
خ٢ اتى امتي V .
د٢ فلما F ، فانما V
ذ٢ يسقون V .
ر١ – ر٢ الا ان F .
ز٢ فيموتون F .
ا القايل V .
ب – V .
ت فما V .
ث – ث – V
ج – ج – V .
ح منفصل V .
خ ويختمه F ، يختمه V .
د – V .
ذ اعزاني V .

ذلك الحديث من الله ، عز وجل ، على لسان الحق . معه السكينة . تتلقاه السكينةر ، التيز في قلب المحدَّث ، فيقبله ويسكن اليه .

قال قائل : وما الحديث من الكلام ؟ وما الفرق بينهما ؟

قال : الحديث ما ظهر من علمه الذي برز في وقت المشيئة . فذلك حديث النفس ، كالسرّ . واذا يقع ذلك الحديث من محبة الله تعالى لهذا العبد . فيمضي مع الحق الى قلبه ، فيقبله القلب بالسكينة . فمنس ردّ هذاس لم يكفر ، بلش يخيبص ويصير وبالًا عليه ، ويبهت قلبه . لأن هذا ردّ على الحق ما جاءتض به محبة الله ، من علم الله فيط نفسه ، فأودعه الحق وجعله مزيداًظ لهذا القلب ، والاول ردّ على اللهع كلامه ووحيه وروحه . فالمحدثونغ لهم منازل : فمنهم منف اعطي ثلث النبوة ، ومنهم من اعطي نصفها ، ومنهم منق له الزيادة حتى يكون اوفرهم حظاً في ذلك من لهك ختمل الولاية !

قال القائل : [١٠٥ ب] اني اهاب القول ان يكون لأحد من النبوة شيء ، سوى الانبياء .

قال : الم يبلغك حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال « الاقتصاد والهدى والسمت الحسن جزء من اربعة وعشرين جزءً من اجزاء النبوة »[٢٣٠] ؟ فاذا كان المقتصد له من اجزاء النبوة ما ذكرم فما ظنك بالسابق المقرّب ؟

---

٢٣٠) انظر جامع الترمذي : البر ؛ الموطأ : باب ١٧ ؛ ابو داوود : الادب ؛ مسند ابن حنبل : ١ : ٢٩٦ .

ر للسكينة V .

ز – F . ژ يرفع VF .

س – س – V .

ش ولكنه V .

ص عنت V ، يخيب F .

ض جات VF .

ط – V .

ظ مادبا V .

ع + لانه V .

غ فالمحدثين F ، فالمجدوب والمحدث V .

ف – V .

ق + نكون V .

ك – F .

ل + له F .

م ذكرنا V ، ذكرت F .

قال القائل: وما الروح، وما الوحي، وما الحق، وما السكينة، وما المحبة؟

قال: الوحي والروح، ما[ن] قال الله تعالى في كتابه[ه]: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[٢٣١] (وذكر السكينة) فقال[و] (عزّ اسمه): ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٣٢] والمحبة في[ي] قوله[آ] تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٢٣٣] والحق هو حقيقة التوحيد، الذي ورد على القلب.

قال له القائل: قد عرفت انه مذكور كله في التنزيل. وانما ابتغيت[ب] معرفة نفس[ت] هذه[ت] الاشياء، لا[ث] الاسماء[ث]!

قال[ج]: هيهات! انت تحتاج الى الصبر عن معرفة هذا! حتى اذا رَقِيَ بك طريق الارادة، الى محل القربة، فقربت هناك — فسل حينئذ عن هذه الاشياء[ج]. فان اولئك[ح] (= اهل القربة) بحاجة[خ] الى معرفة هذا، وهم على مكانتهم في مراتب القربة. هناك تشخص[د] ابصارهم الى من[ذ] يعرف[ر] هذا[ز]، عند سادات الاولياء المحدثين. فان علم هذه الاشياء عندهم. وهو الحكمة العليا، التي يقال لها: حكمة الحكمة.

---

٢٣١) سورة ٤٢:٥٢.
٢٣٢) سورة ٤٨:٤.
٢٣٣) سورة ٥:٥٤.

ن — F.
و وقال F.
ن — F.
و وقال F.
آ قول F، + الله F
ت — F.
ج — V.
خ الحاجة F، الحاجه V
ذ — V.
ز + من VF.

ه تنزيله V.
ي — V.
ه تنزيله V.
ي — V.
ب + منه F.
ث — ث — V.
ح فاولئك V.
د يشخص VF.
ر نعرف V.

قال له القائل : قد وصفتَ الفرق بين النبي والمحدَّث ، فما صفة هؤلاء الآخرين^س^ من الاولياء ؟

قال : ان اهل الطريق يناجون^ش^ ، والمحدثون^ص^ يحدثون^ض^ والحديث^ط^ من حيث أعلمتك . والنجوى^ظ^ من العطاء ، ترمى^غ^ اليه مقالات من بعد ، كأن قائلًا يقول كذا . ليس معه حرّاس النبيين ولا المحدثين : من الروح والسكينة وتولية^غ^ الوحي^ف^ . فصاحبه منه في ريب ، لا يأمن^ق^ ان يخالطه العدوّ بشيء ، او تمازجه النفس بخدعها ودواهيها . وكم^ك^ من مريد غلط ، استمع الى نجواه فركن اليها ، وقد مازجته النفس بدواهيها^ك^ ، فاذا هو ضحكة للشيطان ! تحدثه^ل^ نفسه بشيء ، فيحسبه من الله ، فركن اليها .

قال له القائل : وهل^م^ يأمن المجذوب^ن^ او المحدث^ه^ ان تكون نفسه تأتي بمثل ذلك ، او عدوّه ؟

قال : فأين الحق والسكينة^و^ ؟ وكما^ي^ ان النبوة من الله ، فكذلك الحديث من الله ، على جهة ما ذكرتُ لك : وكما ان النبوة محروسة بالوحي والروح ، فكذلك الحديث محروس بالحق والسكينة . فالنبوة يأتي بها الوحي ، والروح قرينه . والحديث يأتي به الحق ، والسكينة^ا٢^ قرينه . والسكينة مقدمة^ب٢^ النبوة . والحديث في قلب النبي . والمحدث ثابت^ت٢^ .

س الاخر V .
ش + وهم ومن في هذه المرتبة يناجي VF .
ص والمحدثين V .
ض يجدون F .
ط فالحديث V .
ظ والنجو V .
غ برقي V .
غ وقوله V .
ف + والحق تلك المقالات VF .
ق لا يثبت V .
ك – ك – V .
ل تحدث VF .
م هل V .
ن – V .
ه والمحدث F ، المحدث V .
و والسكر F ، + منه F .
ي فكما V .
ا٢ وسكينة V .
ب٢ متقدمة V .
ت٢ راتب V .

وانما سميت[ث٢] (السكينة) سكينة[٣٣] (١٣٣٣) ، لانها تسكّن القلب عن الريب[ج٣] والحرارة ، اذا ورد الحق بالحديث عن الله تعالى[خ٢] . وكذلك الروح يعمل[د٢] عمله[د٢] في[ذ٢] القلب ، اذا ورد الوحي عن الله تعالى . الا ترى ان[ر٢] بني اسرائيل لما اعطوا السكينة ، ووجدوا[ز٢] ثقلها ، وعلموا انهم يعجزون عن احتمالها[س٢] على القلوب — سألوا[ش٢] الله تعالى أن يجعلها لهم في التابوت. فكانت[ص٢] تنطق من التابوت ، وتسكن القلوب بنطقها[ض٢] ، فيعملون على ذلك .

ولما امر الله ابراهيم ، عليه السلام ، ببناء البيت ، قرن به السكينة؛ حتى اتى البقعة ، فالتوت السكينة حتى صارت بمقدار البيت . ثم نادت : أن ابنِ على مقدار ظلّي . فالسكينة مقدار من الله ، يلتوي وينتقص ويمتد بمقدار ما يريد الله . فهي حارس ما يورده الوحي ويورده الحق ، وقائل ومسكّن . فأي ريب ههنا مع هذا ؟

(الفصل الحادي عشر)

(إلقاء الشيطان ونسخ الرحمن)

قال له قائل : افليس[١] للعدوّ مع هذا سبيل ؟

قال : سبيله ههنا ، كسبيله في الوحي . أليس الله قد ابتلى[١] الرسل بذلك؟ فهل ترك الله ذلك الامر في لبس ؟ أليس قد[ب] نسخ[ت] ما ألقي الشيطان ،

(١٣٣٣) جاء ذكر السكينة في القرآن الكريم : ٢ : ٢٤٨ ؛ ٩ : ٢٦ ، ٤٠ ؛ ٤٨ : ٤ ، ١٨ ، ٢٦ — وما يخص معانيها المختلفة في الآثار الاسلامية وما يقابلها في الديانات المختلفة راجع M. Gaudefroy Demombynes. Mahomet, 302–305. B. Jœl, EI. IV. 81

ث٢ سمي V .
ج٢ الذنب F .
د٢ — د٢ تعمل عملها VF .
ر٢ — F .
س٢ + واستعمالها F .
ص٢ كانت F .
١ فليس VF .
ب — V .

ج٢ السكينة V .
خ٢ + يصل F .
ذ٢ على V .
ز٢ وجدو F .
ش٢ فسألوا VF .
ض٢ بنطقها V .
١ ابتلى V .
ت + الله V .

فأحكم[ث] اياته ؟ وانما كان ذلك مرّة واحدة . وقال[ج] (عز وجل !) في تنزيله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[٢٣٤] — فكان[خ] ابن عباس، رضي الله عنهما[د]، يقرؤها[ذ]: ﴿ولا محدّث﴾. ويخبر[ر] ان ذلك كان مما يتلى[س]، ثم ترك . حدثنا[ش] بذلك الجارود (٢٣٤ م) . وحدثنا سفيان بن عيينة[٢٣٥] عن عمر بن دينار[٢٣٦] عن ابن عباس[٢٣٧]، رضي الله عنهما[ص] !

كما ترك قوله[ض]: « لو ان لابن آدم واديين[ط] من ذهب[ظ] لا[ع] تبغي لها ثالثا[غ] » . او كآية الرجم ؟ واشياء كثيرة . وكان[غ] قرن الرسالة والنبوة

٢٣٤) سورة ٢٢: ٥٢ .

٢٣٤ م) انظر ترجمته في التعليق السابق رقم ٢١٣ .

٢٣٥) هو محدث من الكوفة، سكن مكة ومات فيها سنة ١٩٨، وهي نفس السنة التي مات فيها عبد الرحمن بن مهدي ويحيى القطان . وكان سفيان بن عيينه يعتبر امام الحجاز في وقته علماً وتقى، وهو احد مشايخ ابن حنبل . انظر ترجمته في طبقات ابن سعد: ٥: ٤٦٤؛ وتذكرة: ٢٨٩—٩٠ . وتذكرة الحفاظ: ١: ٢٤٢ — ٤٤ ؛ والبداية ١٠: ٢٤٤ ؛ وشذرات الذهب: ١: ٢٥٣ .

٢٣٦) ولد عام ٤٦ للهجرة وتلقى العلم على ابن عباس وابن عمر وجابر وانس بن مالك، رضي الله عنهم . توفي عام ١١٥/١٢٠ . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ: ١: ٨٠٦ .

٢٣٧) عبدالله بن عباس، ابن عم الرسول، صلى الله عليه وسلم . ترجمان القرآن . توفي في الطائف عام ٦٨ او ٧٠ للهجرة . انظر ترجمته في التهذيب: ٣٥١ — ٥٦ . تذكرة الحفاظ ١: ٣٧—٩ . و (L. Vecca Vaglieri 61. (2) I, 41—62) و (J. Schacht, Origins, à l'index.)

ث واحكم F .

ج + الله V .

ح — ح — V .

خ وكان V .

د — د — F .

ذ يقرءها F .

ر يخبر F .

ز — F .

س + به F .

ش + قراءة ابن عباس للمحدث ذكر في التنزيل الا انه تركت تلاوته F ، فلى قراءة . . . ان تلاوته V .

ض — F .

ط واديان V .

ظ مال V .

ع — ع — V .

غ فكانه V .

والحديث في طَلْقٍ واحد ، على قراءة ابن عباس ؛ فصيّرهم^ف من المرسلين .

قال له قائل : كيف صيّرهم من المرسلين ؟

قال : لم أعنِ المرسلين (من الله) الى الخلق ؛ انما عنيت المرسلين من الله ، عز وجل ! (لا إلى احد) . فكل من وَلِيَ الله امره واصطنعه واتخذه ، فهو مرسل الى الدنيا ومبعوث . الا ترى الى ما ذكر من اعدائه ، الذين كان اعدهم عقوبة لعباده ، من بني اسرائيل ؟ فقال : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا عَلَيْكُم عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[٢٣٨] وهو بعث في الشر والعقوبة . وهؤلاء بعثوا في الخير والغياث ، بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ... ﴾ اي : ما ارسلنا من نبي . فهل ارسل^ق نبي^ك الى احد ؟ فلو كان كذلك فهو الرسول . وأي^ل شيء الفرق بين الرسول والنبي ؟ الرسول هو^م الذي يتنبأ^ن ويرسل الى قوم يخبرهم ويؤدي الرسالة . والنبي هو^ن الذي يتنبأ ولا يرسل الى احد ؛ فاذا سئل اخبرهم^ه ؛ وهو^و في خلال ذلك ، يدعو^ي الخلق^ا الى^ب الله تعالى ، ويعظهم ويبين لهم السبيل في شريعة الرسول .

فالرسول^ت له شريعة ، قد اتى بها عن الله تعالى ؛ ويدعو القوم الى تلك الشريعة . والنبي هو^ت الذي لم يرسل (الى الخلق) . وهو يتبع شريعة ذلك الرسول ، ويدعو الخلق^ث [١٥٩ب] الى تلك الشريعة ، التي اتى بها الرسول ، ويدلهم عليها وكذلك^ج المحدث ، يدعو الى الله عز وجل على سبيل تلك الشريعة ويدلهم عليها^ج وما يرد عليه ، على لسان الحق عند الله تعالى ، هو

---

٢٣٨) سورة : ١٧ : ٥ .

ف فيصير كلهم V .

ك نبيا F .

م – VF .

ه اخبر F .

ي + الى F₁ .

ب لله F .

ث – F .

ق ارسلنا F .

ل فاي F .

ن – VF .

و – V .

ا الحق F .

ت – ت – V .

ج – ج – V .

بشري وتأييد وموعظة، ليست بناسخة لشيء من الشريعة، بل[ج] هي[خ] موافقة[د] لها. فما خالفها فهو[ذ] وسواس[ر]!

فهذا الرسول والنبي والمحدث. قد قرن[ز] ابن عباس([٢٣٨]¹)[س] رضي الله عنهما[س]، في تلاوة[ش] التنزيل[ص] ذِكْرَهم في طلقٍ واحد، بأنهم[ض] مرسلون من عند الله تعالى! وقد[ط] اخذ الله ميثاق كلّ واحد منهم على حدَته: ميثاق الرسول برسالته؛ وميثاق النبي بنبوته؛ وميثاق المحدَّث[ظ] بولايته. وهم[ع] كلهم يدعون الى الله تعالى. إلا ان الرسول[غ] يقتضي[ف] اداء الرسالة بالشريعة؛ والنبي يقتضي الخبر عن الله؛ ومن ردّهما فقد كفر. والمحدَّث، حديثه له تأييد وزيادة بينة[ق] في شريعة الرسول. فان انفقه[ك] على عباد[ل] الله، كان له[م] به الى الله تعالى وسيلة[ن] ورحمة[ه]. ومن ردّه[و] خاب عن بركته ونوره، لانه امر رشيد[ي]، يدعو الى الله تعالى ويدلّ عليه[١٢].

([٢٣٨]¹) انظر ترجمته في التعليق المتقدم رقم ٢٣٧.

ج – V.	خ هو V.
د موافق V.	ذ فهي V.
ر وسوسة V.	ز قرا V.
س – ش – V.	ش تلاوته V.
ص بالتنزيل V.	ض واتهم V.
ط فقد V.	ظ الحديث V
ع فهم F.	غ الرسل V.
ف تقتضي V.	ق تبين F.
ك انفقها F، انفقا V.	ل عبادة F.
م – V.	ن الوسيلة V
ه ووجهة F، والرحمة V.	و ردها F.
ي ورشو V.	١٢ + وينصح له في عباده F.

كما ب[٢] ذكر علي[٢٣٩]، رضي الله عنه ب[٢]، حين ت[٢] سئل عن ذي القرنين[٢٤٠]، فقال: عبد ناصح الله فنصحه. وكما ذكر الله تعالى ث[٢] لقمان في تنزيله، فقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ ﴾[٢٤١] ثم قال: ﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ج[٢] وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ج[٢] ﴾[٢٤٢] وقال: ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي. أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ اي: على معاينة — ثم قال: ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[٢٤٣] فالدعاة الى ح[٢] الله تعالى ح[٢] على بصيرة هم (الذين) تابعوا خ[٢] محمدا، صلى الله عليه وسلم، على طريق الصفا.. ومن لم يبلغ ذلك، فهو داعٍ د[٢] الى الحق.

عدنا ذ[٢] الى ما كنا فيه. فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا "ر[٢] إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ر[٢]" ﴾ الآية، الى قوله: ﴿ ز[٢] ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ ز[٢] ﴾[٢٤٤] وانما وجد الشيطان س[٢] سبيلا الى قلبه،

---

٢٣٩) ابن عم الرسول، عليه الصلاة والسلام وزوج فاطمة الزهراء، رضي الله عنها. استشهد عام ٤٠ للهجرة انظر ترجمته في ك. المناقب ١٦١–٦٤ . وك. الجامع ٧٩–١٠٢، ١٢٣–١٣٣ ؛ ك. السنة ١٨٦–٢٠٥ ؛ ك. المعتمد ٢٨٨–٩٤ . ٣٢٦–٣٣٤ .

٢٤٠) اما ما يخص المصادر والمباحث الاستشراقية الخاصة بذي القرنين فراجع:
Wensinck, *EI*. IV, 1204; Friedlander 192; Näldek. *Beiträge* 32; Dussaud. *arabes* 141; Haromitz, *le Coran* III; Demombynes, *Mahomet* p. 407.

٢٤١) سورة ٣١ : ١٢ . وراجع عن لقمان تفسير الطبري ١٧ : ٣٨ ؛ و Lods. in *Mélanges Dussaud*. 2, 653; Lods, in R. *Hist. et ph. rel*. 14 (1934) p. 26; Barton in *hastings* 4, 596; *EI* I, 223.

٢٤٢) سورة ٢ : ٢٦٩ .

٢٤٣) سورة ١٢ : ١٠٨ .

٢٤٤) سورة ٢٢ : ٥٢ .

ب[٢] – ب[٢] – V .
ت[٢] حيث V .
ث[٢] – V .
ج[٢] – ج[٢] – F .
ح[٢] – ح[٢] – V .
خ[٢] بايعوا V .
د[٢] داعي V .
ذ[٢] عندنا V .
ر[٢] – ر[٢] – F .
ز[٢] – ز[٢] – V .
س[٢] العدو V .

حتى ادرج وسوسة في الوحي ، بأمنية النفس . فأمنية النفس خطرات . فاذا ابتلى بخطرة واحدة ، وجد العدو سبيلاً الى قلبه بتلك الواحدة. لان الخطرة[ش٢] اذا التفت صاحبها اليها[ص٢] ، فقد فتق الباب المغلق[ض٢] . فرمي العدو كلمة في ذلك الفتق ، فمرّت الكلمة وصار الباب رتقاً ، كما كان. وجرت الكلمة مندرجة في كلام الله ، في غطاء الأمنية ، مخفية مستورة عن القلب حتى اذا انتبه القلب ، لما فيه[ط٢] ، وأخذه من الذهول والفزع ما لا يحاط به وصفاً [ظ٢] — عزاه الله بعظم المصيبة ، التي حلّت به[ظ٢] . من اجل ذلك قال[ع٢] (تعالى) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ... ﴾ حل[غ٢] به[غ٢] « هذا . فلستَ بأول من ابتلى بهذا[٢٤٥] .

واننا[ف٢] نبّه (الله عز وجل !) بما [ق٢] جرى[ق٢] ، لينسخ عن[ك٢] لسانه كلمة الشيطان ويحكم آياته . وهل[ل٢] كان هذا [م٢] إلا مرة[م٢] واحدة[ن٢]؟ أفليس[ه٢] قد قبل (النبي عليه الصلاة والسلام) من الوحي ما جاء بعد ذلك ؟ وهل اتهم نفسه وقلبه [و٢] فيما[ي٢] كان[ي٢] بعد ذلك ؟ بل[ا٣] قال[ب٣] : انه قد تبين من امري ما تبين ، فكيف لي بان لا[ت٣] اصدق ما يرد[ث٣] على قلبي بعد

٢٤٥) قارن تأويل الترمذي هذا بغيره من المفسرين بصدد هذه الآية الكريمة .

ش٢ الخطئة V . ص٢ — V .
ض٢ المرتق V . ط٢ نبه F .
ظ٢ — ظ٢ — F . ع٢ فقال F .
غ٢ — غ٢ جذبه V . ف٢ فانا V .
ق٢ — ق٢ لما حدث V . ك٢ على V .
ل٢ فهل V . م٢ — م٢ الامر V
ن٢ — V . ه٢ ليس V .
و٢ — V . ي٢ — ي٢ — F
ا٣ — V . ب٣ فقال V .
ت٣ — V . ث٣ + به F .

هذا ؟ فهل وقع[ج٣] في[ح٣] ريب مما[خ٣] جاء به الوحي[د٣] بعد ذلك ، بأثر[ذ٣] عمل الروح على قلبه حتى يصدر الوحي مقبولا ؟

وكذلك المحدَّث ، ان[ر٣] حل به مثل هذا[ز٣] ، لم[س٣] يتركه الله[ش٣] حتى يتداركه[ص٣] فينسخ[ض٣] عن قلبه ما اندرج في حديثه ، عن رمي الشيطان ؛ حتى يطمأن بعد ذلك ، الى ما يرد بعد ذلك من الحديث . (وإلا) فأين عمل السكينة ؟ واين حراسة الحق ، وأداؤه[ط٣] عن الله ، عز[ظ٣] وجل[ظ٣] ؟ فشأن المحدَّث ، إعظم من أن يستخف بحديثه . والرسول ، عليه السلام ، يقول : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله »[٢٤٦] . فاذا كانت الفراسة مما يتقي[ع٣] ، وهي جزء من اجزاء الحديث[غ٣] ، فكيف[ف٣] الحديث ؟ حدثنا[ق٣] الجارود عن الفضل بن موسى عن زكريا بن زائدة عن سعد بن ابراهيم[ق٣] عن ابي سلمة ([٢٤٦ أ]) ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « كان في الامم قوم يتكلمون[ك٣] ، من غير ان يكونوا انبياء ، فان يك في أمتي فعمر

---

٢٤٦) هذا الحديث الشريف روي في الجامع الصغير ١ : ٣٤ ؛ وفي جامع الترمذي ٢ : ٤١ ؛ وفي المقاصد الحسنة ٨-٩ ؛ وفي فتاوى ابن تيمية ٥ : ١٥ ؛ وفي الفرقان ٤٧ ؛ وفي الاحياء ٣ : ٢٦ ؛ وفي الحلية ١٠ : ٢٨١ ، ٢٨٢ ؛ وفي تاريخ بغداد ٣ : ١٩١ ، ٦ : ٩٤ ؛ وفي الفتح القدير ١ : ١٤٢ ؛ وفي رسالة القشيري ١٣٠ ؛ وفي صفة الصفوة ٢ : ٢٣٩ .

(٢٤٦ أ) صحابي ، انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ١ .

ج٣ – V .
ح٣ من F .
خ٣ فيما F .
د٣ + من F .
ذ٣ فاين V .
ر٣ اذا V .
ز٣ ذلك V .
س٣ ثم F .
ش٣ + وذلك F ، وذاك V .
ص٣ + الله V .
ض٣ ينسخ F ، وحتى ينسخ V .
ط٣ واداه V .
ظ٣ – ظ٣ – F .
ع٣ + ويحدث تحقيقه VF .
غ٣ + وانما نظر وليب بخير وكذا الالهام وهو قذف من الله في قلب العبد VF .
ف٣ وكذلك V .
ق٣ – ق٣ – V .
ك٣ يكلمون F .

منهم»[٢٤٧] يعني : عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ![٢٤٨] قوله : «يتكلمون»[٣ل]،
اي: عن الله تعالى. حدثنا"[٣م] عبد الجبار عن سفيان([٢٤٨ا]) عن ابن عجلان[٢٤٩]
عن سعد بن ابراهيم عن ابي سلمة ([٢٤٩ا])[٣م]" عن عائشة ، رضي الله عنها[٢٥٠]،
قالت: قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ا « قد كان في الامم محدّثون ،
فان يك في امن فعمر بن الخطاب »[٣ن] .

فالمحدّث له الحديث والفراسة والالهام والصديقية. والنبيّ له ذلك كله[٣ه]

---

٢٤٧) روي في البخاري: فضائل الصحابة، الانبياء؛ وفي صحيح مسلم: فضائل الصحابة؛ وفي جامع الترمذي: المناقب ؛ وفي مسند ابن حنبل: ٦: ٥٥ ؛ وفي الاحياء: ٣: ١٦-١٨ ؛ وفي اعلام الموقعين: ٢: ٢٢٦ ؛ وفي فتاوى ابن تيمية: ١: ١٠٦، ٣٩٣ ، ٥: ١٢٦ .

٢٤٨) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيّ العدوي ، ثاني الخلفاء الراشدين . تولى منصب الخلافة بعد موت ابي بكر وبنص تعيينه ، رضي الله عنهما ، انظر ترجمته في الخلاصة : ١٣٩ ؛ وفي كتاب الجامع ٨٨ – ٩٠ ؛ وفي المعتمد ٢٨٥ – ٨٦ ؛ وفي Laoust *Essai sur Ibn Taymiya* p. 210–212 ؛ وانظر ايضاً : Levi Della Vida *EI* III, 1050–1052 .

٢٤٨ا) سفيان الثوري فقيه محدث شهير ولد سنة ٩٥ - ٩٧ وتوفي سنة ١٦١ راجعه في تذكرة الحفاظ ١: ١٩٣-١٩٥؛ ميزان الاعتدال ١: ٣٩٦؛ تهذيب التهذيب ٤: ١١١-١١٥؛ وفيات ١: ٢٦٣ ؛ حلية ٦: ٣٨٧-٣٩٣ ، ٧: ١-١٤٤ ؛ .EI, IV, 523–26

٢٤٩) هو ثابت بن عجلان ، محدث مدينة حمص في وقته ؛ ويقال انه من ارمينياء . تلقى العلم عن سعيد بن المسيب وعطاء بن ابي رباح . وتاريخ وفاته غير معلوم. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: ٢: ١٠ (رقم ١٤) ؛ وانظر ايضاً :
(Ibn Baṭṭa, trad. Laoust, p. 51, note 2)

٢٤٩ا) ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عون ، تابعي محدث توفي بالمدينة سنة ٩٤ وهو ابن ٧٢ سنة انظر ابن سعد ، طبقات ٥: ١١٥=١١٧ .

٢٥٠) ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر رضي الله عنها . توفيت عام ٥٦ ، او ٥٧ ، او ٥٨ للهجرة. شهيرة في ذكائها وبروز شخصيتها وروايتها للحديث . انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد: ٨: ٣٩ ؛ تذكرة الحفاظ: ١: ٢٦-٢٨ ؛ وفي EI (2) I,317–318 ؛ وفي التنبة ١: ٨٨ ؛ وفي العقيدة الواسطية ١-٣٢ ؛ .

ل[٣] يكلمون F . م[٣] – م[٣] – V .
ن[٣] + رضي الله عنه F . ه[٣] – F .

والتنبؤ . والرسول له ذلك كله[د٣] والرسالة . ومن دونهم من الاولياء ، لهم الفراسة والالهام والصديقية .

روي عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال : « ان الله ضرب الحق على لسان عمر[ي٣] وقلبه ». حدثنا ابن ابي بكر العُمَري ، قال: حدثنا ابو بكر بن ابي ادريس ، [ا٤] حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ابي نُعَيم المقري عن نافع[٢٥١] عن ابن عمر[٢٥٢] ، قال [ا٤] : قال [ب٤] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ا « ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه ». ويروى[ب٤] عن[ت٤] ابن عمر انه قال: كنا نعد[ث٤] السكينة تنطق. وما حذر[ج٤] عمر شيئاً إلا نزل . وروي عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال: « ما لقي الشيطان عمر إلّا فر[ح٤] لوجهه »[٢٥٣] . فهل كان هذا[خ٤] ، إلا من سلطان الحق وحراسة الولاية ؟ ولهذا جاء عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال: « لو كان بعدي نبي

---

٢٥١) حدث المدينة ، كان ارسله عمر بن عبد العزيز الى مصر ليتشر الحديث هناك . توفي عام ١١٧ للهجرة . انظر ترجمته في التهذيب: ٥٨٩–٥٩٥؛ وفي تذكرة الحفاظ: ١: ٩٤–٩٥ ؛ وفي تاريخ الاسلام: ٥: ١٠ ، ١١ ؛ وفي تهذيب التهذيب: ١٠: ٤١٢ – ٤١٥ ؛ وفي شذرات الذهب: ١: ١٥٤ ؛ وراجع ايضاً (Origins, à l'index)

٢٥٢) عبدالله بن عمر بن الخطاب احد كبار فقهاء الصحابة ومحدثيها وعبادها ، رضي الله عنه ! توفي في مكة عام ٧٣ ، أو ٧٤ للهجرة. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: ٥: ٣٢٨–٣٣٠ ؛ وفي شذرات الذهب: ١: ٢٠–٢٢ ، وفي التهذيب: ٣٥٧–٣٦١ ، وفي تذكرة الحفاظ ١: ٣٥–٣٧ ؛ وفي البداية ٩: ٤–٥ ؛ وفي EI.(2) I, 55–56 ؛ وانظر ايضاً ملاحظات J. Schacht. *Origins*, à l'index

٢٥٣) انظر التعليق السابق رقم ٢٤٧ .

و٣ – F .

ي٣ على V .

ا٤ – ا٤ – V .

ب٤ – ب٤ – V .

ت٤ وعن V .

ث٤ نعد F .

ج٤ – ج٤ ما حدث V .

ح٤ حر V .

خ٤ – V .

لكان عمر !»(٢٥٤) د٤ حدثنا ذ٤ (بذلك) سليمان بن نصر ؛ قال: حدثنا المقري عن حَيْوَيْه(٢٥٥) عن شُرَيح(٢٥٦) ذ٤ .

قال له قائل : فان ورد على قلبه شيء لا يوافق الكتاب ?

قال : ان ولاية الله تعالى تغيثه ، كما أغاثت ر٤ الرسول في رسالته ، حتى نسخ ز٤ عن قلبه وحي الشيطان . ومحال ان س٤ يكون قلب ، موصوف بهذا ، ان يترك مخذولا . فلو جاز لهذا ان يدوم ، لبطلت اذن الولاية . وانما ش٤ يجوز هذا ص٤ التخليط ، ودوام ض٤ مثل هذه الاشياء لمثل هؤلاء المريدين الذين هم في هذا الطريق . [١٦٠ ، ١]

(الفصل الثاني عشر)

(أهل القربة)

و (أما) من[ا] وصل الى المرتبة ، ومعه نفسه مشحونة بدواهي[ب] مكامن[ت] النفس[ت] ، والزم[ث] المرتبة على شريطة اللزوم ليهذب[ج] — فهو كالمكاتب(٢٥٧)

٢٥٤) انظر التعليق السابق رقم ٢٤٧ .

٢٥٥) لعل هذا المحدث هو ابو العباس بن ابي حيويه الحضرمي ، الذي توفي عام ١٤٣ للهجرة . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ : ٣ : ١٢-١٣ .

٢٥٦) شريح بن الحارث الكندي ، قاضي الكوفة . تاريخ وفاته يختلف فيه كثيراً (بين : ٧٨ و٩٩ للهجرة !) . انظر ترجمته في التهذيب ٣١٣ ، ٣١٤ ؛ وفي تهذيب التهذيب ٤ : ٣٢٦-٣٢٨ ؛ وفي شذرات الذهب ١ : ٨٥ . وحول شخصيته الاسطورية ، راجع : (*Origins* 228.)

٢٥٧) بخصوص احكام المكاتب من الناحية الفقهية ، يراجع بصورة خاصة ابن قدامة ص ١٦٥ (trd. Laoust) وشرح المغني ١٢ : ٣٣٨-٤٨٧ . اما الابحاث المتعلقة بطبيعة المكاتبة فيراجع : (Laoust, *Méthodologie d'Ibn Taïmiya* p. 149–151)

د٤ + ابن الخطاب V .
ذ٤ — ذ٤ — V .
ر٤ اغاث F .
ز٤ ينسخ V .
س٤ — F .
ش٤ فانما F .
ص٤ لهذا F .
ض٤ وحرام F .
ا اوان F .
ب بدهاه F ، بتكان V .
ت — ت المكامن V ، + بدهات النفس V .
ث فالزم V .
ج — F .

الذي يعتق على مال : فهو عبد ما بقي عليه درهم . واما^س من اعتق^خ جودًا او رحمة^د عليه ، فقد صار حرًا لا تبعة^ذ عليه لمن كان يملكه . وكذلك هذا (الولي) اعتق^ر على شريطة لزوم المرتبة : فهو^ز كالمكاتب ، وهو عبد ما بقي عليه خلق^س من اخلاق النفس .

والمجذوب اعتقه الله تعالى من رق النفس . فجذبه^ش اليه^ص ، فصار حرًا . والزم المرتبة حتى هذب وادب وطهر وزكى . فاعتقه الله تعالى من^ض رق النفس^ض بجوده ، بلا تبعة ، فصار حرًا لم يبق للنفس فيه^ط مطالبة بخلق^ظ من اخلاقها . فهو ايضاً مجذوب من المرتبة . وقد^ع بين^ع الله تعالى في تنزيله ذلك، فقال: ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾[٢٥٨] فالمجتبي^غ من اجتباه^ف الله وجذبه^ف ، فهو من اهل اجتبائه^ق بالمشيئة^ك . والآخر ممن هداه الله^ل للوصول^م اليه^ن بالإنابة : فالاول من اهل مشيئته ، والثاني من اهل هدايته .

ولا^ه تخلو^ه الدنيا ، في هذه الامة ، من قائم بالحجة^و ، كما قال علي بن ابي طالب ، رضي الله تعالى عنه ! : « اللهم ، لا تخل الارض من قائم بالحجة ،

---

٢٥٨) سورة ٤٢ : ١٣ .

س فاما F .	خ اعتقه F .
د ورحمة F .	ذ لا بيعة V .
ر اعطى F .	ز هو V .
س حق F .	ش حتى جذبه F .
ص – F .	ض – ض – V .
ط منه F .	ظ خلق V .
ع – ع فقدر F .	غ والمجتبي F .
ف اختاره F .	ق جبايه F ، جدابه V .
ك من المشيئة VF .	ل – F .
م بالوصول VF .	ن – V .
ه – ه فلا تخلو F .	و بحجة VF ÷ لما V .

كي لا تبطل حجج الله وبيناته»[٢٥٩]. وقال، عزّ وجلّ، في تنزيله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ اي ي: على معاينة ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فلم يجعل الدعاء الى الله الا على بصيرة، ولم يجعلها ب الا لتابعه (= محمد عليه الصلاة والسلام). فتابعوه، من تابعه على جميع ت ما جاء به من عند الله قلباً وقولاً وفعلاً: وهم اهل هذه الطبقة.

قال له قائل: فما علامة الاولياء في الظاهر؟

قال: اولها ما روي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيث قيل له: «من اولياء الله؟ قال: الذين اذا رؤا ذكر الله». وما روي عن موسى، عليه السلام، انه قال: «يا رب، من اولياؤك؟ قال: الذين اذا ذكرت ث ذكروا، واذا ذكروا ذكرت!»[٢٦٠] الثانية ج ان ح لهم سلطان الحق، لا يقاومهم احد حتى يقهره خ سلطان حقهم. والثالثة، ان لهم الفراسة. والرابعة، ان لهم الالهام. والخامسة، ان من آذاهم د صرع وعوقب بسوء الخاتمة ذ، والسادسة، اتفاق الالسنة بالثناء عليهم ر، إلا من ابتلى بحسدهم. السابعة، استجابة الدعوة وظهور الآيات ز: مثل طي س الارض، والمشي على الماء، ومحادثة الخضر، عليه السلام، الذي تطوى له ش الارض، برّها وبحرها، سهلها وجبلها، في طلب مثلهم ص، شوقاً اليهم ض.

٢٥٩) انظر النص الكامل لهذا الاثر في تذكرة الحفاظ ١: ١٢.

٢٦٠) يوجد حديث شبيه بهذين الحديثين اللذين ذكرهما الترمذي، في مسند ابن ماجه: كتاب الزهد فصل ٤.

ي – ي – F . آ – F .
ب يجعله F . ت – V .
ث – ث ذكروا ذكرت واذا ذكرت ذكروا F .
ج والثانية V . ح – V .
خ بقر V . د ناواهم V .
ذ العاقبة F . ر عليه V .
ز الاثار V . س بطأ V .
ش – V . ص مثله VF .
ض اليه VF .

والخضر، عليه السلام، قصة عجيبة في شأنهم. وقد كان عاين شأنهم في البدء، ومن وقت المقادير فأحب ان يدركهم. فاعطي الحياة حتى بلغ من شأنه انه يحشر مع هذه الامة وفي زمرتهم، حتى يكون تبعاً لمحمد، صلى الله عليه وسلم! وهو رجل من قرن ابراهيم الخليل، وذي القرنين. وكان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاتته واصابها الخضر، في قصة[٢٦١] طويلة.

وهذه آياتهم وعلاماتهم. فأوضح علاماتهم ما ينطقون به من العلم من أصوله.

قال له قائل: وما ذلك العلم؟

قال: علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف. فهذه اصول الحكمة، وهي الحكمة العليا. وانما يظهر هذا العلم عن كبراء الاولياء، ويقبله عنهم من له حظ من الولاية.

واما شمائلهم: فالقصد، والهدى، والحياء، واستعمال الحق فيما دق وجل، وسخاوة النفس، واحتمال الاذى، والرحمة، والنصيحة، وسلامة الصدر، وحسن الخلق مع الله في تدبيره ومع الخلق في اخلاقهم.

قال له قائل: فهذا الذي يصفه بعض الناس: ان الولي لا يرى، وانه في قباء الله تعالى، وانه مبرقع في برقع الله تعالى، وانه يأكل

---

٢٦١) حول شخصية الخضر ومصادرها الاسلامية والاجنبية انظر: Wensinck, *EI*, 2, 912; Nöldek, *Beiträge zur Alexander romane* p. 30; Friedländer. die *Chadir-legende*; Gaudefroy–Demombynes, *Mahomet*, p. 402–407.

ط — ط . V .	ط ÷ ان يدركهم فاعطى الحياة V .
ء من V .	ء — ء ليكون V .
ق فهو V .	ق — F .
ل المقادير V .	ل + يوم V .
م — م — V .	ن — ن فلما نظر هذه العلوم F .
ه — ه جل ودق F .	و — و تصفه قال بعض الناس F .
ي — ي لانه في ثياب الناس F .	ي١ قباب V.

الحشيش ، ولا يرى من[أ٢] امر الدنيا إلا ما يستره[أ٢] ؟ وانه لا يكلم احدًا ، ويحسب في نفسه انه شر على الخلق ، ويمقت نفسه ؟

قال : هذا قول[ب٢] رجل احمق ! يتوهم اشياء من تلقاء نفسه[ت٢] . لم يخطر بباله قط[ث٢] شأن الولاية على وجهه . وهو[ج٢] قول[ح٢] رجل لم يشم[خ٢] من روح هذا الطريق ؟ ومعه اشتغال بنفسه . وهو يحسب انه قد بلغ المنتهى ، عتاهة وبلاهة . و(لا) يرى خدائع نفسه. فهو[د٢] يرى نفسه (ان) شأن الولي لايستقيم امره حتى يهرب من الخلق[د٢] ، ويعتصم بالمفاوز[ذ٢] ، ويكون غامضاً[ر٢] . لا يعرف ، ويجترى[ز٢] بالدون من المعاش . هــذا رجل يبتغي الولاية من طريق الجهد[س٢] والصدق . ولا[ش٢] يعلم ان لله ، عز وجل ، عبادًا نالوا ولايته من طريق المنة !

و(قد) يقويه[ص٢] ايضاً ، ما بلغه عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال[ض٢] ، عن ربه عز وجل : « ان أغبط اوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من صلاة ، احسن عبادة ربه ، وكان غامضاً في الناس . عجلت له منيته ، وقل تراثه[ط٢] وقلت بواكيه »[٣٦٢] . فيقوى[ظ٢] على مـا توهم في نفسه من هذا

---

٣٦٢) انظر ابن حنبل ، المجند ٥ : ٢٥٢ ، ٢٥٥ ؛ ترمذي ، زهد (٣٥) ؛ ابن ماجة ، زهد (٤ ١) .

أ٢ – أ٢ امر الدنيا الا ما يسره V ، من الدنيا الا ما يستره F .

ب٢ القايل F . ت٢ – F ، شيئاً V .

ث٢ + عندي F . ج٢ وهذا V .

ح٢ – V . خ٢ + شيئاً V .

د٢ – د٢ فهو يزور في نفسه شان الولي انه لا يستقيم امره على ما يرى في نفسه شان الولي حتى هرب من الخلق F ، فهو يرى في نفسه شأن الولي ان لا يستقيم امره عـلى ما يرى في نفسه حتى يهرب V .

ذ٢ بالمفارقة F .

ر٢ – V . ز٢ يجتري F .

س٢ الجهل V . ش٢ وما V .

ص٢ ويقونه F . ض٢ فيما يحكى V .

ط٢ ترابه V . ظ٢ فيقوا V .

الحديث . افلا يرجع الى عقله فيعلم ان اولياء[ع٢] الله[غ٢] بينهم[ف٢] تفاوت ؟

فان[ق٢] الولي الذي يطلب غموضاً[ك٢] في الناس ، ويخفي شأنه انما يفعل[ل٢] ذلك من اجل انه لم يصل الى الله ، فتحرق انوار الوصول شهوات نفسه[م٢] . وهذا مكان الضعفا . وحق للولي[ن٢] الضعيف ان يفعل ذلك ويكون على حذر من الادناس . فانه ان[ه٢] لم يفعل ذلك[ه٢] لم يحل محل القدس . وقد روي عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال : « مؤمن قوي ومؤمن ضعيف . والمؤمن القوي احب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف . وكلاهما يحبه الله ، عز وجل ! » وهذا هو الذي ذكرنا.

ولو [١٦٠ ب] كان كما وصف[و٢] من شأن الولي ، لكان له الفضل على الصديق والفاروق . فنعوذ[ي٢] بالله ان يكون كما وصف من شأن الولي وصفة الاولياء . وهذا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم[و٢] ، رأس الاولياء ، وبعده[ا٣] الصديق[٢٦٣] ، رضي الله تعالى عنه[ا٣] ، وبعده الفاروق[٢٦٤][ب٣] ، رضي الله عنه . فهل كان احد[ت٣] منهم غامضاً في الناس ؟ وفيما[ث٣] حكي الله تعالى[ج٣] في

---

٢٦٣) هذه هي صفة ابي بكر ، رضي الله عنه ، المميزة . انظر الجدل الذي اثير حول هذا اللقب بين اهل السنة والشيعة ، في منهاج السنة ٢ : ١٧٤ و Laoust, *Essai sur Ibn Taïmiya* 220; V. Vacca, *EI*, IV, 148.

٢٦٤) هذه هي صفة عمر ، رضي الله عنه ، المميزة ، انظر ابن بطة (trad. Laoust) ص : ١١٤ وك . الجامع ٨٨–٩٠ ؛ والمتمد : ٢٨٥–٢٨٦ ؛ انظر ايضاً : *Essai sur Ibn Taïmiya* 210–212; Levi Della Vida, *EI*. III, 1050–1052.

ع٢ الاولياء V .

غ٢ – V .

ف٢ فيهم V .

ق٢ وان V .

ك٢ عموما V .

ل٢ يخفي F .

م٢ النفس V .

ن٢ الولي F .

ه٢ – ه٢ – F .

و٢ – و٢ لكان الفضل على القصد من رؤوس الاولياء . V .

ي٢ فنعاذ F

ا٣ – ا٣ – V .

ب٣ عمر V .

ت٣ واحد V .

ث٣ وما لما V .

ج٣ – V .

تنزيله فقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[٢٦٥] الى ح٣ آخر الآيات ح٣ . وقال : خ٣ ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا د٣ قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[٢٦٦] فمن سأل ربه ، عز ذ٣ وجل ذ٣ ، الإمامة للمتقين ، هل يكون غامضاً في الناس ؟ اليس ر٣ الله قد أثنى عليهم وقال : هم اصحاب الغرف في علنين ، فقال : ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[٢٦٧] اي ز٣ : على هذه الخصال ، وعلى الكون بين يدي الله تعالى بقلوبهم ، فلم تقدر النفس ان تأخذهم .

والذي وصف هذا الرجل من شأن الولي ، انما قاسه على بلاء س٣ نفسه واشتغاله بها ش٣ . فظن ان الولي انما يكون ابداً هارباً من هذه الاشغال . ولا يعلم ان لله تعالى ص٣ عباداً قد قطع لهم من خزائن المنن قطائع ض٣ . فجاءت ط٣ تلك الانوار فطارت بقلوبهم الى العلا ظ٣ ، فجالت بهم في الملكوت ، ملكاً ملكاً ، الى ذي العرش حتى احرقت ع٣ جميع ما في نفوسهم من نواجم النفس غ٣ . ثم مالت الى نفوسهم فأحرقت ف٣ جميع ق٣ ما فيها ق٣ . ثم تتبعت المكامن التي منها النواجم فأحرقتها . فصارت نفوسهم كمفازة جرداء ، وقلوبهم زهر بمصباح الله تعالى ك٣ ، كما وصف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قلب ل٣

٢٦٥) سورة ٢٥ : ٦٣ .
٢٦٦) سورة ٢٥ : ٧٤ .
٢٦٧) سورة ٢٥ : ٧٥ .

ح٣ – ح٣ الى آخر القصة VF .
خ٣ فقال V .
د٣ وذريتنا V .
ذ٣ – ذ٣ – V .
ر٣ فليس V .
ز٣ – V .
س٣ بلا F .
ش٣ – V .
ص٣ – V .
ض٣ قطايا F .
ط٣ فجات V .
ظ٣ العلي F .
ع٣ احترق F .
غ٣ النفوس V .
ف٣ واحرقت F .
ق٣ – ق٣ – V .
ك٣ – V .
ل٣ – F .

المؤمن فقال : « قلبه[م٣] اجرد ازهر[٢٦٨] » . وكما وصفه[ن٣] في حديث آخر ، حيث قيل له : « أي المؤمنين[ه٣] افضل ? فقال: كل مؤمن محموم القلب . قيل له : وما محموم القلب? قال: التقي ، النقي ، الذي[و٣] لا إثم فيه[ي٣] ولا بغي ولا غِلّ ولا حسد[٢٦٩] » .

وانما يخفي شأن الولي على صنفين من الناس : على هؤلاء البله[ا٤] ، الذين[ب٤] قد تبلهت[ت٤] قلوبهم من الجهل ؛ والصنف الآخر على[ث٤] قوم في زي[ج٤] الاشكال. قد تنسموا[ح٤] من روح هذا الطريق شيئاً ، فأعماهم حسد[خ٤] نفوسهم عن شأنه[د٤] . فصار[ذ٤] مثلهم في ذلك ، كما حكى[ر٤] الله تعالى ، في تنزيله عن اهل عداوته ، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا: أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ?«[ز٤] أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ[ز٤]»﴾[٢٧٠] ? وقال[س٤] ، عز وجل[س٤] : ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ[ش٤] أَنْتُمْ

---

٢٦٨) راجع ابن حنبل ، مسند ٣: ١٧ ؛ الاحياء ٣: ١٢ ؛ طبراني ، المعجم الصغير (بحسب نقل العراقي في المغنى عن حمل الاسفار ؛ على هامش الاحياء ٣: ١٢) .

٢٦٩) يراجع الاحياء ٣: ١٥ ؛ والعراقي يثبت ان هذا الحديث مذكور في مسند ماجه وهو مروي عن عبدالله بن عمر بسند صحيح: المغني عن حمل الاسفار ، على هامش الاحياء ٣: ١٥ .

٢٧٠) سورة ٦: ٥٣ .

م٣ – F .
ن٣ وصف F .
ه٣ المؤمن V .
و٣ – V .
ي٣ – V .
ا٤ الله V .
ب٤ – V .
ت٤ سهات V .
ت٤ سهات V .
ث٤ – V .
ج٤ ومن V .
ح٤ تنسموا V .
خ٤ حفيظ F .
د٤ شانهم F .
ذ٤ + اعماله V .
ر٤ قال V .
ز٤ – ز٤ – V .
س٤ – س٤ – V .
ش٤ – ش٤ – V .

أجنة ﴾⁽²⁷¹⁾ ش الآية . وانما ص يكون المؤمن في عمى ض من شأن نفسه، حتى يلاقي ط طريق الرسول في حياته ظ ، او يفتح الله غ لقلبه الطريق اليه ع حتى يصل اليه ، فتقع مناجاته في مجالس الملك بين يديه .
وأين ف قول الله ، عز وجل: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ؟﴾⁽²⁷²⁾ فهل البينة إلا هؤلاء ؟ وهل الشاهد إلا الحديث، الذي يرد على قلبه والسكينة التي تقبله ؟

(الفصل الثالث عشر)

(خاتم الأولياء)

قال له قائل : وما صفة ذلك الولي، الذي له إمامة الولاية ورياستها وختم الولاية ؟

قال : ذلك من الانبياء قريب، يكاد يلحقهم ا .

قال : فأين مقامه ؟

قال ب : في أعلى منازل الاولياء، في ملك الفردانية ت ، وقد انفرد في وحدانيته ، ومناجاته كفاحاً في مجالس ث الملك ، وهداياه من خزائن السعي .

قال . وما خزائن السعي ؟

قال : انما هي ثلاث خزائن : المنن للاولياء ، وخزائن السعي لهذا الإمام

٢٧١) سورة ٥١ : ٣٢ .
٢٧٢) سورة ١١ : ١٧ .

ص⁴ فانما F .
ض⁴ بماية V .
ط⁴ الباقي F ، لا يتباق V .
ظ⁴ حيرته V .
ع⁴ — V .
غ⁴ الى الله عز وجل V .
ف⁴ فأين F .
ا + ولا V .
ب — V .
ت الفردية V .
ث منازل V .

القائد[ج] ؛ وخزائن[ج] القرب للانبيا. عليهم السلام . فهذا (= خاتم الاوليا.) مقامه من خزائن المنن ، ومتناوله من خزائن القرب : فهو في التسعي أبدًا . فمرتبته ههنا ، ومتناوله من خزائن الانبيا. ، عليهم السلام ! قد انكشف له الغطا. عن مقام الانبيا. ومراتبهم وعطاياهم وتحفهم[(٢٧٣)] [ج] .

قال له قائل : فهل تخاف هذه الطبقة من الاوليا. على انفسهم ؟

قال : خوف ماذا ؟

قال : خوف الله ، عز[ح] وجل[خ] !

قال : لو قسم[د] خوفهم[ذ] على اهل الارض لوسعهم[ر] ، وذلك ان خوف المنفرد لا يوصف : فكل[د] شعرة منه[ز] بحيالها[س] قد اخذتها هيبة الله عز وجل ! وكل عرق منه قد امتلأ من عظمة الله سبحانه ! وانفرد صدره وقلبه لوحدانيته . واكتنفته رحمة (الله) ، وشملته رأفته ، فبهما[ش] يتصرف في اموره ويتبسط .

حدثنا[ص] حفص بن عمر ، رضي الله عنه ، حدثنا محمد بن بشر العبدي[(٢٧٤)] ، حدثنا عمر بن اسد التميمي عن يحيى بن كثير[(٢٧٥)] عن ابي سلمة[ص] عن ابي هريرة ، قال :

---

٢٧٣) انظر الفتوحات : ٣ : ٣٦٠ وما بعدها .

٢٧٤) محدث كوفي تلقى الحديث عن هشام بن عروة واسماعيل بن ابي خالد وعبيد الله وسواهم توفي عام ٢٠٣ للهجرة . ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ ١ : ٢٩٥-٢٩٦ .

٢٧٥) توفي عام ١٢٩ للهجرة (او عام ١٣٢) ويعتبر من اكبر علماء المدينة بعد الزهري . وابن حنبل يرجح رأي يحيى على الزهري عند وجود التعارض بينهما . انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ٢٠٤ ؛ تذكرة الحفاظ ١ : ١٢٠-١٢١ ؛ تهذيب ١١ : ٢٦٨-٢٧٠ ؛ شذرات الذهب ١ : ١٧٦ ؛ تهذيب الكمال ٣٦٧ .

ج العابد V ، + فهو في السعي ابدا فمرتبته ههنا ومتناوله من خزاين القرب وخزاين القرب للانبياء عليهم السلام فهذا مقامه ومحطاه من خزاين المنن ومتناوله من خزاين القرب للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومراتبهم وعطاياهم وتحفهم F .

ح – ح – F . خ – خ – V .

د اقسم V . ذ خوفه V :

ر ولكان F ، ولو كان V . ز منها F .

س بحياله V . ش فيها V .

ص – ص – V .

رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: « سيروا ! سبق^ض المفردون. قالوا : يا رسول الله ، وما المفردون ؟ قال: الذين اهتروا^ط في ذكر الله . يأتون يوم القيامة خفافاً ، يضع الذكر عنهم اثقالهم»[٢٧٦] . وهم الـذين وصفهم في حديث آخر : حدثنا بذلك اي ، حدثنا الجاني ، حدثنا صفوان بن ابي الصهبا.[٢٧٧] عن بكر بن عتيق ، عن سالم[٢٧٨] بن عبدالله ، عن ابيه ، عن جده عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن ربه ، عز وجل ، قال: «من شغله ذكرة عن مسألتي ، أعطيته افضل ما^ظ أعطي^ظ السائلين»[٢٧٩] . والمشغول بذكره عن مسألته هذا محله منه^غ ونواله ، فكيف^غ بالمشغول عن ذكره به^ف ؟ إن هذا الامر اجل من ان يفهمه « الخطاميون »[٢٨٠] و« البالميون »^ق[٢٨١] !

---

٢٧٦) هذا الحديث مذكور في منازل السائرين للهروي (ص ١٢ ، ١٥ ط. المعهد الفرنسي بالقاهرة) . والشيخ عبد المعطي اللخمي ، شارح المنازل يذكر اسناداً آخر للحديث ، غير اسناد الترمذي وينص على ان هذا الحديث موجود في صحيح مسلم . انظر ايضاً الاحياء ٣: ١٢ والمغني عن حمل الاسفار للعراقي ، على هامش الاحياء .

٢٧٧) لعله صفوان بن عيسى الزهري ، المعروف بابي محمد البصري ؛ محدث توفي عام ١٩٨ للهجرة . انظر ترجمته في الخلاصة ١٤٧ .

٢٧٨) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب . فقيه ممتاز وصوفي يشار اليه بالبنان . توفي عام ١٠٦ للهجرة . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١: ٨٣ .

٢٧٩) حديث شريف مذكور في الاحياء ١: ٣٠٣ . وانظر تخريجه في المغني عن حمل الاسفار ، على هامش الاحياء ، نفس الجزء والصفحة تعليق رقم ٩ .

٢٨٠) لعل الحطاميين هم اهل « الحُطَمَة » المذكورة في القرآن الكريم سورة : ١٠٤ : ٤ ، ٥ .

٢٨١) في آية من آي الذكر الحكيم (سورة ٧ : ١٧٥-١٧٦) يضرب الله تعالى مثلاً من أراه الدلائل البينة فأعرض عنها وآثر هواه واتبع شيطانه . والمفسرون في هذا الموضع ، بناء على بعض الآثار النبوية ، يذكرون ان المعني بهذا المثل هو عالم ضال من علماء بني اسرائيل اسمه بلعم بن باعوراء . (انظر تفسير ابن كثير ٢: ٢٦٤-٩٨ ؛ وتفسير الطبري ١٧: ٣٨ ؛ ومقالة المستشرق الفاضل ڤاجدة (Vajda) في دائرة المعارف الاسلامية ، (نص فرنسي) ط. ثانية مجلد ١: ١٠١٤ .

ض – V .
ط اهتروا F ، اهتدو V .
ظ – ظ ١٠ اعطيت V .
ع – V .
غ وكيف V .
ف – V .
ق والملنميون V .

قيل له : وما[ك] « الحطاميون »[ك] وما[ل] « البلعميون »[ل] ؟

قال[م] : من أوتي ما أوتي من آيات الله وعلم هذا الطريق « فانسلخ منها وأخلد الى الارض » « واتبع هواه » . فهو يتأكل بهذا الاسم ، ويكدر[ن] هذا الماء الصافي بجهله[ه] . فهم عبيد النفوس لم يخرجوا عن[و] رقها . وتشدوا[ي] شيئاً من هذا الكلام ، التقاطاً وتوهماً ومقاييس[ا] . فهم علائق الشيطان[ب] ؛ يسبحون في ماء[ت] كدر ، ويتلوثون في حمأة منتنة . فالماء الكدر علمهم ، والحماة[ث] مأكلتهم التي يتناولونها[ج] بذلك العلم .

قال له[ح] قائل[خ] : فهل يخاف المحدثون سوء العاقبة ؟

قال : نعم ! ولكن[د] خوف[ذ] ذهول [١٦١ ا] وقلق . ويكون ذلك كالخطرات[ر] ثم يمضي ، فان الله تعالى ، لا يحب ان يكدر عليهم منته .

قال له قائل: في اي وقت يكون[ز] ذلك أعمل فيهم ؟

قال : اذا لاحظوا جلال الله ، ثم لاحظوا مشيئته[س] ، وذكروا سابق علمه[ش] فيهم — ذهلت منهم[ص] القلوب والنفوس . فاذا لاحظوا حظوظهم[ض] من الله تعالى[ض] ، التي خرجت لهم[ط] من الرأفة والرحمة والمحبة — سكنوا . فذلك زمام هذه الاشياء . فلولا بهتهم[ظ] في شأن العاقبة وذهولهم ، لكانت النفوس ،

ك - ك - V .
ل - ل وما البلعميون V . ،
م - F .
ن ونكل V .
ه لجهله V .
و من V .
ي وشدخوا V .
ا ومقاييسا VF.
ب الشياطين V .
ت - ت فيا V ؛ في ما F .
ث والحيوة V .
ج تناولوها F .
ح - V .
خ القائل V .
د - VF.
ذ - V .
ر كالخطوات V .
ز - F .
س مشيئة الله تعالى F .
ش علم الله V .
ص عنهم V .
ض - ض F .
ط تلك الحظوظ V .
ظ غيبتهم V .

في هذه الخطوط التي نالوها ، طلعة[ء] . ألا ترى الصبي العاقل[غ] ? يبره[ف] اقرباؤه وعشيرته ، وهو ، على تناول[ق] برهم ، منقبض[ك] عنهم : يهابهم[ل] ويحتشم[م] من الانبساط . فاذا عاين أبويه انبسط ورفع الحشمة ، واستبد واجترأ . فهل ذلك إلا بمعرفته بأبويه ، وبما عاين من رأفتهم به ورحمتهم عليه ، وبما ابدوه له من مكنون صدورهم من المحبة ? فكفى بهذا لك دلالة من شأن الطفل تعتبر به !

ولولا ان مع المؤمنين نفوساً شهوانية ، اذا اطلعوا على ما لهم عند مليكهم من الرأفة والمحبة والرحمة والمجد الرفيع ، فاستبدوا واجترأوا وافسدوا سبيلهم ورفضوا العبودية — لكانوا[ن] يبشرون[هـ] بذلك . ألا[و] ترى[و] من آداب[ي] الملوك ، كيف يعاملون[ا٢] خدمهم ? ترى الخادم يحل[ب٢] من الملك ، من أجل ادبه وحظوه ، محل الولد ؛ فيكتم ذلك عنه ويطوى خبره وينقبض له ، كي[ت٢] لا يفسد[ت٢] ولا تنقطع عنه هيبته[ث٢] . فاذا ادبه ، وراض نفسه ، وطالت[ج٢] صحبته — فوض اليه اموره وأفشى[ح٢] عنده اسرارا[خ٢] لم يكن يطلعه عليها قبل ذلك . وأبدى[د٢] له محبته ، وانزله[ذ٢] من نفسه منزلة الاحرار . [ر٢] وانما طوى الله العواقب[ر٢] عن المؤمنين نظرا لهم : كي لا تستبد نفوسهم ولا يأخذها الأشر والبطر بما اعطاهم من مننه .

ء طلعة F .	غ الطفل V .
ف يدبره F ، قدبره V .	ق – F .
ك مبصبص F .	ل يجالهم V .
م وتحتشم V .	ن فكانوا V .
هـ ما يبشرون V ، + الا VF .	و – و ماترى F .
ي ادب F .	ا٢ يعاملونه F .
ب٢ يحمل V .	ت٢ – ت٢ – F .
ث٢ + منه F .	ج٢ وطالب V .
ح٢ فانشأ F .	خ٢ امرا F .
د٢ وابدا V .	ذ٢ فانزله VF .
ر٢ – ر٢ فان الله تعالى حجب العواقب F .

قال له قائل[ز٢] : افيجوز ان يبشر الاوليا. بحسن العاقبة ؟

قال : اما اوليا. الحق ، فلا أحققه لانهم لم يصلوا اليه . وانما وصلوا الى مكان القربة ومكّن لهم على شريطة اللزوم ، مخافة خيانة النفس . واما المتصلون به ، المحدّثون فلا أبعده[س٢] .

قال له قائل : ولم ذلك ؟

قال : لما قد[ش٢] ذكرتُ : فانه[ض٢] لا يرد على قلوبهم الا ما يورده[ص٢] الحق وتقبله السكينة . والسكينة هي مقدار من الله وهو الذي قدر به حدود الكعبة لابراهيم خليل الرحمن ، صلوات الله وسلامه عليه ا حتى بنى على ظله . وهو الذي كانت بنو اسرائيل تعمل على كلامه من التابوت . (وقد) وصفه الله تعالى في تنزيله ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[٢٨٢] اي : طمأنينة في[ض٢] قلوبهم مع طمأنينتهم بذلك[ط٢] من[ظ٢] طريق الايمان . وبالسكينة[ع٢] تطمئن القلوب للخير[غ٢] الوارد عليها[ف٢] . فيجوز[ق٢] (إذن) ان يبشروا (بحسن الخاتمة) وتطمئن قلوبهم بالبشرى[ك٢] .

وأين[ل٢] قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا «م٢» وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[٢٨٣ م٢] .

---

٢٨٢) سورة ٤٨ : ٤ .

٢٨٣) سورة ١٠ : ٦٢، ٦٤ .

ز٢ القايل V . س٢ ابعد F .

ش٢ ــ F . ص٢ – ص٢ انما يورده F ، لزم لا يرد على قلوبهم انما يورده V .

ض٢ ــ V .

ط٢ يدلك V ، فذلك F . ظ٢ – F .

ع٢ فبالسكينة V . غ٢ الخير V .

ف٢ على قلوبهم V . ق٢ فيخبرون V

ك٢ بالنوال F . ل٢ فاين VF .

م٢ – م٢ – V .

روي[ن٢] عن ابي الدردا.[(٢٨٤)] ، رضي الله عنه ، انه قال : « سألت عنها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما سألني عنها احد. فتلك البشرى[ن٢] ، هي الرؤيا الصالحة يراها العبد او ترى له » [(٢٨٥)] . وجاء[ه٢] عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم[ه٢] : « ان رؤيا المؤمن كلام يكلمه الرب تعالى لعبده في منامه»[و٢] .

فتأتي البشرى على قلبه في اليقظة، فان القلب خزانة الله؛ وروحه يسري[ي٢] الى الله تعالى[ي٢] في منامه ، فيسجد له تحت العرش ؛ وقلبه يسير اليه فوق العرش في الحجب. فيلاحظ[ا٣] المجالس ، ويناجي[ب٣] ويبشر . وفيه[ت٣] توحيده[ت٣] والهامه وفراسته وسكينته . وهو اثبت وأوكد .

وانما قصد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، لذكر المنام لان النفس مزايلة للروح في ذلك الوقت ، فلا تقدر ان تلقي فيه شيئاً . والقلب الذي قد نال مجالس الحديث قد ماتت نفسه . وهو في قبضته أحصن وأوكد حراسة من الروح في منامه . ثم يرجع من حيث كان الى عقله فيعرض عليه .

وانما ذكر[ث٣] (الرسول ، عليه الصلاة والسلام !) الرؤيا عندنا ، لأن[ج٣]

---

٢٨٤) هو عمر بن زيد ، انصاري ، خزرجي . صحابي جليل ، « وحكيم الامة ». كان رضي الله عنه من قراء القرآن الاعلام ومن فقهاء الصحابة المبرزين . وهو اول من تولى قضاء دمشق ، بعد الفتح الاسلامي ؛ وهو رأس مدرسة الشام الفقهية توفي عام ٣٢ للهجرة. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ : ١ : ٢٣، ٢٤ ؛ وفي الخلاصة ٢٥٤ . وفي المصادر الاجنبية انظر : (L. T. de Massignon p. 136.)

٢٨٥) انظر تخريج هذا الحديث الشريف في جامع النسائي باب ٦٢ ؛ وفي مسند ابن حنبل : ٢ : ٢١٩، ٦٣٢، ٢٣٣، ٢٦٩ ؛ ٥ : ٣٢٥ ; وفي مسند ابن ماجة : ٢ : ٢٣٣ ، وابي داود ٢ : ٦٠٠ ؛ وتاريخ بغداد ٥ : ١٨٩ . وانظر معنى « الرؤيا الصالحة » في شرح الاحياء ١٠ : ٤٤٥ ، ٧ : ٣٦٢ ؛ وشرح جامع الترمذي (العارضة) : ٩ : ٢٦ ؛ ومدارج السالكين ١ : ٢٨ .

ن٢ – ن٢ – V ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي V .

ه٢ – ه٢ وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال V .

و٢ + فاذا كانت البشرى كائنة على روحه في منامه V .

ي٢ – ي٢ + يعرج V . ا٣ يلاحظ V .

ب٣ فيناجي F . ت٣–ت٣ وافيه وتوحيده F ، فيه بتوحيده V .

ث٣ ذكرنا F . ج٣ ان V .

الرؤيا أعم واكثر . والقلب الـذي في قبضته قليل في الخلق ، لا يبلغ عددهم عدد الاصابع . وابن[ر٣] قوله ، عز[خ٣] وجل[غ٣] : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ؟ ﴾[٢٨٦] وهل[د٣] البينة الا ما[ذ٣] انكشف[ذ٣] عنه[ز٣] من الغطاء[ز٣] ؟ وأورده[س٣] الحق ؟ فصار على بينة من ربه . وهل[ش٣] الشاهد[ش٣] الذي يتلوه الا[ص٣] السكينة[ص٣] التي ذكر الله تعالى[ض٣] في كتابه : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ؟ فقد اخبر الله[ط٣] عز وجل[ط٣] ، عن فعل السكينة في القلب : ان[ظ٣] يزداد بهـا طمأنينة[ظ٣] فان[ع٣] الحق يقبله (القلب) والسكينة يسكن اليها[ع٣] .

(الفصل الرابع عشر)

(البشرى)

قال له قائل[١] : وما صفة الولي الذي هذه بشراه ؟

قال : احفظ علينا حتى ينقضي ما نحن فيه !

ان الله ، عز وجل ، خلق هذا الآدمي وله قلب (هو) وعاء[ت] لتوحيده[ت] ، ونفس (هي) وعاء لشهواته . والصدر ساحة القلب والنفس . ولكل واحد[ث] منها باب شارع الى هذه[ج] الساحة . وللنفس[ح] مشاركة مع[ح] القلب فيما يرد على

---

٢٨٦) سورة ١١:١٧ .

ح٣ فاين F .

خ٣ – خ٣ – V .

د٣ فهل V .

ذ٣ – ذ٣ لمن انكشف F .

ر٣ نه V .

ز٣ + عنه V .

س٣ واورد V .

ش٣ – ش٣ وهذا الشاهد V .

ص٣ – ص٣ والسكينة V .

ض٣ – V .

ط٣ – ط٣ – V .

ظ٣ – ظ٣ ليزدادوا طمأنينة F .

ع٣ – ع٣ وان الحق يقبل والسكينة يسكن القلب اليها F ، وان الحق يقبل وان السكينة تقبله فسكن القلب اليها V .

١ القايل V .

ب نقصص V ، بتنقص F .

ت – ت وعا التوحيد F .

ث باحد V .

ج – V .

ح فالنفس V ، والنفس F .

هذا القلب في هـذا الصدر . فما[خ] دامت[خ] النفس حية ، في غطاء الشهوات لم تزمن من ان تلقى من حديثها في القلب ، كي يأخذ بحظها من البدن. (فبالنبوة) انكشف الغطاء. ولم يبق هناك شي يحتجب . فماتت النفس وحيي القلب. فان بشرت بالنجاة ، لم يكن هناك نفس تضيق (تعيق؟) وتضر وتستبد.

والاوليا. الذين اخذوا من اجزاء النبوة اكبرها ، وهم المحدثون ، قد قربوا من الانبيا. محلا ، (فـان بشروا بالنجاة لم يكن هناك نفس تضيق وتضر وتستبد . اما الذين) منعوا[د] البشرى ، نظرا لهم ، فمن[ذ] اجل ما بقي عليهم من حياة انفسهم[ر] ، لكي يقهروا[ز] هذا الخطر[س] العظيم الـذي ركبوا اهواله ، (وهو) هذا الذي بقي[ش] في نفوسهم . فاذا رفع[ص] ذلك [١٦١ب] عنهم ، ورفع[ض] عن قلوبهم حجاب البها.[ط] والمجد والبهجة والجمال ، فترددت[ظ] قلوبهم في ملك الملك ، وترائى[ع] لهم من عظيم[غ] رحمته .وسعة مغفرته ، ولاحظوا عزه[ف] وجلاله[ق] وجوده[ك] ـ عاشوا في كنفه متبسطين اليه. فان بشروا (حينئذ) جاز (ذلك لهم) ، لان عظمة الله قد ملأت صدورهم ، ووحدانية قد ملأت قلوبهم . وصفت[ل] ارواحهم[م] ، فأخذت[ن] بقسطها[ن] من حظوة[ه] الانبيا.[و] ، صلوات الله وسلامه عليهم !

خ — خ فمتى كانت F .
د ولمنعوا V ، ومنعوا F .
ذ من VF .
ر نفوسهم ٨ .
ز تقهر V .
س الحظ V .
ش نفى V .
ص رفه V .
ض ووقع V .
ط - F .
ظ فترددن V .
ع وترايا VF .
غ عظم V .
ف عزة F .
ق وجلالة F .
ك جوده F .
ل وصفة V .
م روحهم V .
ن -- ن بسطها V .
ه صفوة VF .
و الدنيا F .

وقد[ي] بشّر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تسعة من اجلّة[ا] اصحابه(٢٨٧)، وعاشرهم فقال[ب]: «ابو بكر(٢٨٨) في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان(٢٨٩) في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة(٢٩٠) في الجنة، والزبير(٢٩١) في الجنة، وسعد(٢٩٢) في الجنة، وسعيد(٢٩٣) في الجنة، وعبد الرحمن(٢٩٤) في الجنة». وقال في حديث آخر: «وعبيدة(٢٩٥) بن الجرّاح في الجنة». حدثنا[ت] بذلك احمد بن عبدالله المهلبي، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدَّراوردي، حدثنا عبد الرحمن بن حميد بن عوف، عن ابيه، عن جده: عبد الرحمن بن عوف، قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ابو بكر في الجنة...» وذكر مثلَه[ت].

وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من أنصح الخلق لله تعالى في عباده، فهل بشّرهم الا بعد معرفته انه[ث] لا تضرهم البشرى[ج]؟ وكلّهم صدّيقون.

---

٢٨٧) هذا مذكور في ابن بطة ٦٣ (النص العربي)؛ وعقيدة ابن حنبل: ٢٩٤، ٣٤٤، ٣١٢: ٥، ٣١٣؛ وكتاب الجامع ١٠٢–١٠٧. وانظر الجانب العقائدي لهذه المسألة في كتاب المستشرق العلامة الفاضل: H. Laoust: Essai sur Ibn Taimiya p. 206.

٢٨٨) يراجع ترجمة ابي بكر رضي الله عنه في دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الفرنسية الثانية) مجلد ١: ١١٢–١١٤ وفي ثبت المصادر الوافرة الملحقة بالمقالة.

٢٨٩) يراجع ترجمة عثمان ذي النورين، رضي الله عنه في المناقب ١٦١–١٦٢؛ وفي كتاب الجامع ٩٠–٩٧؛ وفي طبقات ابن سعد ٣: ٤١؛ وفي المسند ٢٨٦، ٢٨٨

٢٩٠) راجع التعليق القيم الخاص بترجمة حياة طلحة، رضي الله عنه ومصادرها في ترجمة كتاب ابن بطة للمستشرق الفاضل الاستاذ H. Laoust ص ١١٧ تعليق رقم ١ (من النص الفرنسي).

٢٩١) نفس المصدر السابق ص ١١٧ تعليق ٤.

٢٩٢) 〃 〃 〃 〃 ٤.

٢٩٣) 〃 〃 〃 〃 ٣.

٢٩٤) 〃 〃 〃 〃 ٥.

٢٩٥) 〃 〃 〃 〃 ٦.

ي فقد V. ا جملة F.

ب + رسول الله صلى الله عليه وسلم F.

ت – ت V. ث انهم V.

ج – V.

والصديق[٢٩٦] الاكبر فيهم والفاروق[٢٩٧] والمحبوب[ج][٢٩٨] والشهيد[٢٩٩] والحواري[٣٠٠] والوصي[٣٠١] والامين[٣٠٢]. وكلهم اولياء وصديقون. فكذلك[خ] من بعدهم من المحدثين من الاولياء.

قال له[د] قائل[ذ]: هذا خبر اورده الرسول، صلى الله عليه وسلم، فيهم[ر]؛ فليس في هذا ريب.

قال له: اني لم احتج بهذا الحديث[ز] لهذا الذي ذهبت اليه. انما جئت به محتجا[س] انه بشرهم. فلو علم[ش] انه تضرهم (البشرى) لطوى[ص] عنهم[ض] الخبر.

٢٩٦) هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه؛ انظر التعليق السابق رقم ٢٦٣ الخاص بهذا اللقب، وانظر التعليق رقم ٢٨٨ الخاص بترجمة حياته ومصادرها.

٢٩٧) هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر التعليق السابق رقم ٢٦٤ الخاص بهذا اللقب.

٢٩٨) هذا نعت اسامة بن زيد رضي الله عنهما؛ انظر مصداق ذلك في صحيح البخاري فضائل الصحابة الباب (١٨) والانبياء (٥٤) والحدود (١٢)، وفي صحيح ابي داوود: الحدود (٤)؛ والنسائي: الحدود (٦)، السارق (٦)؛ وابن ماجة: الحدود (٦)؛ والدارمي: الحدود (٥)؛ وابن حنبل، مسند: ٣: ٣٨٦. وانظر التعليق الخاص بترجمة اسامة، رضي الله عنه، ومصادر حياته، للمستشرق الفاضل هنري لاووست في ترجمته للسياسة الشرعية في ص ١٨٦ تعليق رقم ١٣.

٢٩٩) هذا نعت طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه؛ انظر مصداق ذلك في جامع الترمذي: مناقب الصحابة (٢١)؛ وابن ماجة: مقدمة (١١).

٣٠٠) هذا نعت الزبير بن العوام، رضي الله عنه. انظر مصداق ذلك في تذكرة الحفاظ ١: ٤٣.

٣٠١) هذا نعت سيدنا علي، كرم الله وجهه!

٣٠٢) هذا نعت عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، انظر مصداق ذلك في البخاري فضائل الصحابة (٥٣) وفي جامع الترمذي: مناقب (٣٢)؛ وابن ماجة: مقدمة (١١)؛ وابن حنبل، مسند: ١: ١٨؛ ٣: ١٢٥، ١٣٣.

ج المحبوب V.
خ وكذلك F.
د — V.
ذ النايل V.
ر — F، عليهم V.
ز — F.
س محتاجا VF.
ش علموا V.
ص لتغلوا V.
ض + هذا V.

أترى^ط انه لم يكن في^ع اصحابه من اهل الجنة غير هؤلاء العشرة ^غ؟ بئس ^ف الظن هذا ^غ ! انما بشرهم وطوى^ف عن غيرهم ، لانه لم يأمن على^ق نفوسهم من هذا الخبر^ك . والذين قربهم (الله تعالى !) وأوصلهم (اليه) ذهبت الخيانات عن نفوسهم ، وماتت شهواتهم^ل ، وحييت قلوبهم^م . فلم تضرهم البشرى .

الا ترى كيف وصفهم (الله تعالى) في تنزيله فقال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ . أُولَٰئِكَ كَتَبَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[٣٠٣]. فروي ان ابا قحافة نال من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فسمعه ابو بكر ، رضي الله عنه ، فصك صدره حتى وقع مغشياً عليه . ويقال : فيه نزلت هذه الآية وفي ابي عبيدة بن الجراح . وذلك أن الجراح سب^ن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فحمل عليه ابنه ، ابو عبيدة ، فقتله [٣٠٤].

وقال عبد الرحمن بن ابي بكر لأبيه : يا أبت ، لقد^ه كنت^ه وجدت إليك سبيلًا يوم بدر . فصفحت^و عنك . فقال : اما اني لو وجدت ذاك منك لما صفحت^ي عنك !

وروي ان[٣١] سرية مرّت على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! فلما

---

٣٠٣) سورة ٢٢:٥٨ .

٣٠٤) راجع تفسير ابن كثير ٤ : ٣٢٩ .

ط انتر V .
ع من V .
غ العرة V .
غ - غ وبئس الظن بظن بصاحب هذا F .
ف وطوا V .
ق عن F .
ك + والا فانهم كانوا من اهل الجنة فكذلك الاولياء من بعدهم انما طوى عنهم نظرًا لهم ثم تأمن نفوسهم على هذا الخبر V .
ل شهواتها V .
م - V .
ن ثب F .
ه - ه لئن كنت F .
و فصفت V .
ي صفت V .
٣١ عن V .

لقوا العدوّ، نال[ب٢] بعضهم من رسول الله، عليه الصلاة والسلام. فقال رجل من الأنصار، لذلك العدو: لي ابوان فاذكرهما بما شئتَ من السب، ولا تذكر رسول الله، صلى الله عليه وسلم. قال: فكأنما اغراه، فازداد سباً. فلم يصبر هذا الرجل، فحمل وحده[ت٢] عليهم، فألقى بنفسه بين[ث٢] أظهرهم[ج٢] فقتلوه. فلما رجعوا، ذكروا ذلك لرسول الله، عليه السلام! كأنهم توهموا انه القى بيده[ح٢] الى[خ٢] التهلكة[خ٢]. فقال[د٢] رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « فما[ذ٢] ظنكم[ذ٢] برجل لقي الله غداً متكياً[ر٢] فتغفر[ز٢] له »[٣٠٥].

فهذه صفة الاولياء، وهذا شأنهم في الظاهر. « لا يخافون في الله لومة لائم »[٣٠٦]. «يحبهم[٣٠٧] ويحبونه »[س٢]. « أذلة[ش٢] على المؤمنين، أعزة على الكافرين»[٣٠٨][ش٢]. أهل[ص٢] رقة ورأفة ورحمة ؛ لا رقة ملق وخداع واستمالة. أعزة على الكافرين[ص٢]. أهل غلاظة وحمية لله عز[ض٢] وجل[ض٢] ؛ لا«[ط٢] تحاسد ولا تجبر ولا صلف ولا استبداد[ط٢]». ووصف[ظ٢] الله تعالى[ع٢]، انه كتب الايمان[غ٢] في قلوبهم، وحببه[ف٢] اليهم[ف٢]، وزين ذلك ايضاً في قلوبهم.

---

٣٠٥) راجع تفسير ابن كثير ١: ٢٢٨-٢٢٩.
٣٠٦) سورة ٥: ٥٤.
٣٠٧) 〃 〃 〃
٣٠٨) 〃 〃 〃

ب٢ ونال V .
ت٢ – V .
ث٢ من V .
ج٢ ظهرانيهم V .
ح٢ بنفسه F .
خ٢ – خ٢ بالتهلكة F .
د٢ وقال V .
ذ٢ – ذ٢ فما ظنك V .
ر٢ متكيا F .
ز٢ فتمد F .
س٢ + الاية V .
ش٢ – ش٢ – V .
ص٢ – ص٢ – V .
ض٢ – ض٢ – V .
ط٢ – ط٢ – V .
ظ٢ ومفت F ، فوصف V .
ع٢ – V .
غ٢ – V .
ف٢ – ف٢ وقد حببه الى المكتوب لهم F .

ثمق٢ قالق٢ : ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ (٣٠٩) . (فهؤلاء) اهلد٢ لأن ل٢ يبشروا ل٢

قال له قائل : ولم ذلك ؟

قال : لأن الكتاب من المنة ، والكريم لا يرجع في المنة !

(الفصل الخامس عشر)

(الكتاب والروح)

قال (له قائل) : وما الكتاب ؟ وما الروح ؟

قال : كتاب رب العالمين ، في قلوب خاصته . والروح هو الحق !

قال : وما ١ الحق ١ ؟

قال : اقتصرب في السؤال على قدر طوقكت لاحتمالهث ، فانما القلوب اوعية وكل وعاء انما يحتمل بقدره ، فاذا حملته اكثر من ذلك انشقج وفاض وكانح فساداً . فليكنخ اقتصارك في شأن النفس حتى تطهرها فينشرحد صدرك . الا ترى الى قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتملذ السيل زبداً رابياً ﴾ الى قوله : ﴿ وكذلك يضرب الله الحق بالباطل ﴾ذ (٣١٠) .

٣٠٩) سورة ٥٨ : ٢٢ .

٣١٠) « ١٣ : ١٧ .

ق٢ – ق٢ فقال F ، + والعامة حبب في قلوبهم الايمان بالله والاولياء كتبه في قلوبهم فليس المحب المزين كالمكتوب في قلوبهم فقد حببه الى المكتوب لهم وزين ذلك في قلوبهم ثم قال V .

د٢ محقوق VF .

ل٢ – ل٢ بان يبشر F ، يبشره V .

١ – ١ + وما الكتاب VF .

ب استقصى F ، استقصر V .

ت ذوقك F .

ث واحتمالها F ، واحتماله V .

ج انبثق V .

ح فكان V .

خ ولكن V .

د حتى يتشرح VF .

ذ – ذ – V .

فهؤلاء اولياء[ر] الله[ر] تعالى[ز]! « كتب في قلوبهم الايمان »[٣١١] وجعل لهم[س] متعلقاً بقوله: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[٣١٢] وأوجب[ش] لهم « الرضى عنهم » فقال: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾[٣١٣] ووصفهم بأنهم اهل الرضى عنه فقال: ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[٣١٤] ثم وصفهم بأنهم حزبه فقال: ﴿ أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ ﴾[٣١٥] فهم رجال الله في ارضه، الذابون عن امره، الناصرون لحقه.

وقال (عز وجل!) في آية اخرى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ[ص] لَا « [ص] انفِصَامَ لَهَا » [ض] ﴾[٣١٦]. واذا ذكر الله المؤمن[ط]، فانما يذكر[ظ] المستكمل[ع] الايمان[ع]. فصيره مستمسكاً « بالعروة الوثقى، لا[غ] انفصام لها[غ] » (اي:) لا ينفصل من وليها[ف] [١٦٢ ا].

قال له[ق] القائل: وما العروة؟

قال: حق عليّ ان اؤخرها[ك] حتى اجد لها موضعاً، فانها حكمة الحكمة!

قال له القائل: فيجري[ل]! وأحتسب تعطفاً[م]!

قال: نعم! سَل[ن] مفتقراً الى ربك.

---

٣١١) سورة ٥:٥٦.
٣١٢) 〃 〃 〃
٣١٣) 〃 〃 〃
٣١٤) 〃 〃 〃
٣١٥) 〃 〃 〃
٣١٦) 〃 ٢:٢٥٦

ر – ر الاولياء لله F.
ز – V.
س له F، + فيهم F.
ش فاوجب VF.
ص + التي F.
ض – ض – V.
ط المؤمنين V.
ظ + الله V.
ع – ع الذي استكمل الايمان V لا انفصام لها VF.
غ – غ – V، + فوصف العروة انها (انما V)
ف ولي العروة VF.
ق – V.
ك احرمها V.
ل فنحن نسأل V.
م وتعطف F.
ن سأل V.

قال : ما العروة الوثقى ه ؟

قال : جلال الله تعالى ، لا انفصام لها من الله . فلما ابداهـا في صدور الاوليا. والمحدثين ، واشرق ي نور الجلال فيهم ا — علقت ب قلوبهم به ت ؛ فهامت في جلاله ، ولهت ث عنّ ج سواه ، واشتغلت ح به : فهم المستمسكون بالعروة الوثقى ، التي لا تنفصم من مبدئها . وأيدهم (الله تعالى) بروح الجلال فتعلقت بذلك التأييد بجلال الله تعالى !

وأتلفت قلوب الاوليا. حتى صارت كلها على قلب رجل واحد . وهو قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :« يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب ؛ قلوبهم على قلب رجل واحد » . وانما صاروا هكذا ، لان قلوبهم لهت عن كل شي. سواه ، وتعلقت بمتعلق واحد : فهي كقلب واحد . ولهذا قال ، عليه الصلاة والسلام ، فيما يذكر عن ربه ، عز وجل : « وجبت محبتي للذين يتحابون لجلالي خ ويتصافون خ لجلالي ! د ».

وهم ذ الذين ذ قال الله ، عز وجل ، عنهم ر في تنزيله : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [٣١٧] وروح الجلال اعظم شأناً من ان يوصف . فاذا وجدت قلوبهم نسيم روح الجلال ، كادت ز تطاير من اماكنها شوقاً اليه ، وهم محبوسون برمق س الحياة . وصاروا في اللقا. يهش ش بعضهم الى بعض ؛ يطفئون حرقة الشوق باهتشاش ش

٣١٧) سورة ٨:٦٣.

ه — F .
و صدقة F .
ي فأشرق V .
ا فيه V .
ب تعلقت F ، فعلقت V
ت بها V
ث فلهت VF.
ج عما F .
ح واستنت F .
خ بجلالى V .
خ ويتصادقون V .
د بجلالى V .
ذ — ذ فهو الذي F .
ر — F .
ز + ان F .
س برفق V .
ش بالاهتشاش V..

بعضهم الى بعض ، ائتلافاً وتبسماً وتلذذاً .

ومنه قوله ، صلى الله عليه وسلم ، لما ذكر ص العلماء : « بروح ض ائتلفتم ، وكتاب الله تلوتم ، ومساجد الله عمرتم ، أحبكم الله وأحب من يحبكم » .

ومنه قوله ، صلى الله عليه وسلم : « اذا التقى المؤمنان وتصافحا ط تحاتت ظ عنها ذنوبها كما تحاتت غ ورق الشجرة غ اليابسة » . فهذه صفة الاولياء .

حدثنا ق ابن ابي ميسرة ، حدثنا اسماعيل بن عيسى بن سورة (٣١٨) ق ، حدثنا عبد الله بن الحسين ، قاضي البصرة ، حدثنا سعيد بن إياس الجريري ، عن ابي عثمان النهدي (٣١٩) ق ، عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « اذا التقى المسلمان كان احبهما الى الله تعالى أحسنهما ك بشرا بصاحبه . فاذا تصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة : تسعين ل منها للذي بدأ بالمصافحة م ، وعشرة للذي صوفح » . فانما استوجب صاحب البشر والمصافحة ن لما في قلبه من هذه الاشياء ، التي وصفنا .

وقال عز ه وجل ه ، في شأن موته (= الولي) : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ و نَعِيمٍ و ﴾ (٣٢٠) .

وحدثنا ي بشر بن هلال الصواف ، حدثنا جعفر بن سليمان الضُبَعي

(٣١٨) انظر مصادر ترجمته في Brock. G. I, 169 et S. I, 219.

(٣١٩) من علماء البصرة ومحدثيها ، توفي عام ١٠٠ للهجرة ، انظر ترجمته من تذكرة الحفاظ ١ : ٦١ .

(٣٢٠) سورة ٥٦ : ٨٨ ، ٨٩ .

ص يذكر V .
ض روح V .
ط فتصافى V .
ظ تحاتت V ، تتحات F .
غ الاشجار V .
ق – ق – V .
ق سويده F .
ك – V .
ل تسعون V .
م – F .
ن والصفاح V .
ه – F .
و – و – V .
ي – ي – V .

الأشجعي[٣٢١] ، عن هرون الأعور ، عن عبدالله بن شقيق ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قرأ: « فَرُوحٌ »[ا٣] بضم الراء[ب٣] ، وهو الروح. ومن قرأ بفتح الراء فرجعه الى هذا ، لان ذلك الرَّوح له رُوح يكشف عنه كرب الموت وجهده وغمه وضيقه ، « وريحان » يدفع عنه غُصَّة[ت٣] الموت ومرارته . فهذا[ث٣] المقربين[ث٣] ، وهم اولياء الله . ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ[ج٣] فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ[ج٣] ﴾[٣٢٢] ، فليس هو[ح٣] من[خ٣] المقربين في[د٣] شيء . .

فقد اخبر الله تعالى انهم[ذ٣] قد تعلقوا « بالعروة الوثقى »[ر٣] التي « لا انفصام لها » وهو قوله: ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[٣٢٣] والتأييد هو ان يجعل لقلبه زماماً متعلقاً به[ز٣] .

فعبد[س٣] له من الله تعالى كل[ش٣] هذه الحظوظ ، ان بشره بفوز العاقبة ماذا يضره (ذلك) ؟ وقد[ص٣] بينا[ص٣] ان البشرى[ص٣] انما كانت ممنوعة من اجل الضرر ، وقلب هذا (الولي) في قبضته ، به ينطق وبه يسمع وبه يبصر وبه يعقل فلن[ط٣] تضره البشرى .

---

٣٢١) هو صوفي شيعي توفي عام ١٧٨ للهجرة ، انظر ترجمته في خلاصة تهذيب الكمال : ٥٦ .

٣٢٢) سورة ٥٦ : ٩٠ ، ٩١ .

٣٢٣) « ٥٨ : ٢٢ .

ا٣ وروح F ، + وريحان F .

ب٣ + فمن قرأ فروح فهو الروح F .

ت٣ رائحة F .

ث٣ - ث٣ فهذا من المقربين F .

ج٣ - ج٣ - V .

ح٣ م F .

خ٣ + ا ر V .

د٣ - V .

ذ٣ - V .

ر٣ + والوثقى VF .

ز٣ - V ، فلستقبل F .

س٣ فعد F .

ش٣ - F .

ص٣ - ص٣ - V .

ض٣ جعلنا لك F .

ط٣ ما F .

(الفصل السادس عشر)

(تفكير عامة المؤمنين وتفكير خاصة الأولياء)

فسائر الموحدين بعقولهم يعقلون الأمور، وهو[ا] (= الولي المقرّب) بالله يعقل. فلو عقل هذا، الذي الكبر[ب] في صدره، ما قال قوله: (كيف) يعقل بالله ؟ ولتعلم[ت] ان الذي ذهب اليه جهل كبير. ولقد قصّر[ث] بأمر الاولياء. وما[ج] أظن[ج] انه ينجو من هذا حتى يرديه[ح] مذهبه. وهو يرى في نفسه انه يعظّم امر الله بتحقير امر الاولياء: فاذا هو يبني من جانب ويهدم[خ] من جانب[خ] آخر[د] مايبني، حتى يقتل نفسه تحت الهدم!

وهذا (المنكر) شبيه[ذ] بأمر ذلك المخذول (المعطّل): ما زال ينزّه ربه حتى نفاه. والمخذول الآخر (المشبّه) (٣٣٣[١]: ما زال يثبت الصفات له، ردّاً على الآخر) حتى شبّهه بخلقه. فهذا[ر] كله[ر] من ظلمة نفوس[ز] أقوام لم يتطهروا من دنس القلوب، ولم يروضوا انفسهم حتى يتخلصوا من حجبها[س]. وانخدعوا لها، ووجدوا شيئاً من روح هذا الطريق فقعدوا. وبسطوا[ش] بساط الطبيب (المتحل للطب) الذي يعترض ممرّ الناس ببيع الأدوية، يصفها للناس بكلام منظوم، قد أعده لهم، لتأخذ دوانقهم، وهو خلو من علم الطب. فاذا

٣٣٣[١]) نفي الصفات عن الله هو مذهب المعتزلة، وقد عرفوا: «بالمعطّلة» واثبات الصفات له، على نحو ما هي ثابتة للمخلوقات هو مذهب الحشوية، وقد عرفوا: «بالمشبّهة». اما موقف اهل السنة والجماعة فهو وسط بين طرفي التنزيه الاجوف والتشبيه الاخرق. انظر التعليق القيم على هذه المسألة الهامة في ابن بطة للمستشرق الفاضل لاووست ٨٧ : ١ (ترجمة فرنسية).

ا + لا F .
ب بكتب V .
ت لعلم F ؛ يعلم V .
ث قصرنا V .
ج – ج فما ظن F .
ح يوديه F .
خ – خ ويعدم من اسس V .
د – VF .
ذ تشبيه V .
ر – ر فهذه كلها VF .
ز النفوس VF.
س حجبها V .
ش فبسطوا له VF .

تعرض له الحاذق بالطب وبعلم الطبائع (واختبره) تحير (أمامه وانقطع).

فهذه الطبقة التي يكبر في صدورهم بلوغ الاوليا. هـذا المحل من ربهم، فيدفعون هذا لجهلهم، — لا يعلمون ان لله عباداً غرقوا في بحر جوده، فجاد عليهم، بكشف الغطا. عن قلوبهم، عن عجائب؛ وأطلعهم من ملكه ما نسوا في جنبه كل مذكور، حتى تنعموا به في حجبه الربانية.

قال له[ص] قائل: قد فهمتُ عنك ما شرحتَ، (ولكن) كيف عجز هؤلا. الذين دفعوا هذا الامر، كما ذكرتَ؟

قال: لاعجابهم بصدقهم، وإكبابهم عليه وانقطاعهم [١٦٢ب] عن منن الله تعالى[ض] وكيف يعرفون مننه، وهم مشغولون[ط] بنفوسهم ودواهيها؟ ومتى يصلون الى قرب الله تعالى، وهذه احوالهم؟ فهم في غفلة عن الله، وفي[ظ] عمى عظيم. انما[ع] شغلتهم[غ] نفوسهم: فمرة[غ] مشغولون[ف] بقمع النفس وردها[ق] عمّا تريده[ك]؛ ومرة مشغولون[ل] بشهوة[م] قد خدعتهم نفوسهم فيها[ن]، حتى دسّتهم[ه] في التراب وهم في غرّة.

قال له قائل: مثل ماذا؟ وصفْ[و] لنا منه شيئاً.

قال: احدهم يخطر بباله شي. مما قد حُظِرَ عليه[ي]. فتنازعه نفسه. فيجاهدها[ا] حتى يردها، لانه "[ب] محرم عليه[ب]". فهو مشغول في ذلك. ثم تخدعه

ص — V.

ض — V.

ط مشتغلين V.

ظ — F.

ع — ع انما هم شغل V.

غ مرة V.

ف مشتغلين V.

ق ودواهيها F.

ك تريد V.

ل مشتغلين V.

م — V.

ن في تلك الشهوة VF.

ه تدسهم VF.

و صف VF.

ي — F.

ا فينازعها F.

ب — ب — V.

نفسه في ميلهات، مما قد أذن لهاث فيه. فتزين لهج ذلك حتى تجرهح الى الذي حرم عليه. فهوخ لاخ يزال كذلكد شأنه في السمع والبصر واليد والرجلذ والبطنذ. حتى اذا صارت الجوارح ذات تهمةر، كتمتز النفس القلب ذلكز. فاذا خافت النفس ان يشعر القلب بهذا، فينكر عليها وياخذ بيدها — وثبت الى منطق حسن، (مما) يوعظ الناس (به)؛ ووثبت الى المحراب تأخذ في العبادة، وتموّه على القلب وتزكي جوارحها لديه. فاذا كانوا (=منكرو احوال الاوليا.) بهذه الصفة، فمتى يصلحون لمكان القربة، فضلًا عن مطالعة شأن الملكوت وقرب الله تعالى ونجواه؟

وعامةس نجوى هؤلا. وسوسة وخدعةش للنفس. فاذا ذكر شأن الاوليا، قدروا احوالهمص على ما يرون من امور نفوسهم. فكذبوا نعم الله تعالى، ودفعوا منتهض، وجهلوا امرهط. فهذا من اعظم الفرية على الله تعالى!

قال له قائل: فانّ بعضهم احتج بقوله (تعالى): ﴿فَلَاع يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣٢٤]. — وقال: ان الامن (من مكر الله) اول ضلال هذه الطبقة؛ وهذا يؤدي إلى الزندقة[٣٢٥]. — وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٣٢٦] — وان الولاية

---

٣٢٤) سورة ٧: ٩٩.

٣٢٥) انظر التحديد الرائع للزندقة، الذي ارتضاه المستشرق الفرنسي، الذائع الصيت L. Massignon في: (E. I. IV, 1298—1299 et Passion 186—198). وانظر: (H. Laoust, *Ibn Baṭṭa*. trad. 56 note 2 et 59 note 2.)

٣٢٦) سورة ٢٧: ٦٥.

ت مثلها F . ث له F .

ج + من V . ح محره V .

خ – خ فلا F . د ذلك V .

ذ – ذ والنسق V . ر خمة F .

ز – ز والنفس قد كتمت القلب ذلك VF.

س عامة V . ش وخداع V ، + وخدشد V .

ص اموالهم F ، امورهم V . ض منن الله تعالى F .

ط امر الله تعالى F . ع فلا V .

والمحبة والسعادة والشقاوة غيب عند الله ء تعالى ، ءلا يعلم ء إلا ف هو ف ، — وزعم انك ق ناظرت يحيى (٣٣٧) بن معاذ ك في ذلك حتى بقي متحيرا ل . — وان هذه الطبقة تقدم نفسها م على الانبياء ن !

قال له : أما قوله تعالى ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ فهذا م قول الله ، لا ريب فيه ولا في قبوله . وهو د انه لا يعلم ما حاله عند الله تعالى . فان أَمِنَ فهو خاسر جاهل . كأنه حكم على الله من غير ان يحكمه . فأما من بشّره (الله) فرد بشراه فقد ي اجترم ، كما اجترم ذلك الآخر. فهذا من هذا الوجه ، وذلك من ذلك الوجه . فحَقٌ على من لا يعلم ، ان لا يأمن . وحق على من أُمِنَ أن يَأْمَنَ . فليس الانبياء ، عليهم السلام ، كانوا يَأْمَنُون (من انفسهم) . (ولكن) لما أُمِنُوا أَمِنُوا . والانبياء لهم عقدة النبوة ، والاوليا. لهم عقدة الولاية !

(الفصل السابع عشر)

(عقد الولاية وعقد النبوة)

قال له قائل : (وما عقد النبوة ؟) وما عقد الولاية ؟

قال : وَلِيَ الله الانبياء : بأن ا اخذهم من ب نفوسهم ب الى محل النبوة

---

٣٣٧) يحي بن معاذ الرازي ، شيخ الري وصاحب اللسان في الحقايق والقدم العالي في الاذواق والدقائق . توفي عام ٢٥٨ في نيسابور . انظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٠٧ — ١١٤ ؛ الحلية ١٠ : ٥١ — ٧٠ ؛ صفة الصفوة ٤ : ٧١ — ٨٠ ، طبقات الشعراني ١ : ٩٤ ؛ الرسالة للقشيري ٣١ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٢٩٦ ؛ تاريخ بغداد ١٤ : ٢٠٨ — ٢١٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ١٣٨ ؛ سير اعلام النبلاء ٩ : ٣ .

ء + قال F .
ء — ء ولا يعلمه VF .
ف — ف الا الله تعالى VF .
ق الى V ؛ انى F .
ك + رحمه الله V .
ل وتحير V .
م انفسها V .
ن انبياء V .
م فهو V .
د فهو VF .
ي وقد V .
ا ان VF .
ب — ب — V .

وكشف الغطاء. وولي هذا الصنف من الاولياء : بأن اخذهم من نفوسهم الى محل الولاية وكشف الغطاء . فهؤلاء في عقدة؛ وهؤلاء في عقدة : فلا يأمنون حتى يؤمنوا . وسائر الخلق ، من الموحدين ، في عقـدة التوحيد ؛ يتطاولون[ت] بقلوبهم (الى) ما عنده . وذانك[ث] الصنفان (في عقـدتي النبوة والولاية) ينجذبون[ج] بقلوبهم اليه[ح] .

فالذين[خ] عنده ينالون[د] مما لديه ؛ وعقد قلوبهم هناك . والعامة ، من الزهاد والعباد والمتقين والمخلصين ، ينـالون مما القى اليهم في ارضهم : فهم ارضيون واولئك عرشيون . هؤلاء[ذ] نفسيون؛ واولئك قدسيون . هؤلاء[ر] عبيد النفوس؛ واولئك[ز] عبيد الجواد[س] الكريم[س] !

وهؤلاء[ش] (هم) الذين قال (عنهم) عيسى[ص] بن مريم[ص] ، عليه السلام ، في خطبته : « فلا عبيد اتقياء ولا احرار كرماء »[٣٢٨] . فالعبيد الاتقيـاء . عبيد النفوس[ض] ، لم يفتح لهم الباب فبقوا مع مجاهدة النفوس؛ فهم الاتقياء . والاحرار الكرماء : (هم) الذين اعتقوا من رق النفوس ، بما فتح لهم من الملكوت . قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [٣٢٩] فهؤلاء اهل اليقين .

---

٣٢٨) لا يوجد هذا النص في الاناجيل المتداولة والمعتبرة لدى الكنيسة المسيحية . ولكن يوجد في انجيل لوقا مثل الفريسي (المرائي) والعشار الساذج ، الطيب القلب (وهو مثل العبد التقي) انظر انجيل لوقا الفصل ١٨ : ٩–١٤ . هذا ، وحديث عيسى ، عليه السلام ، الذي يرويه الترمذي مذكور في الاحياء للغزالي ٣ : ٤٤، ٤٦ ؛ والزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ١ : ٣٠١، ٣٦٣ ؛ ٨ : ٢١٣، ٣١٨ ؛ مكاشفة القلوب ١٧٧ ؛ فاتحة العلوم ١٨ ؛ محاضرة الابرار (لابن عربي) ٢ : ٢٠٣ ؛ العقد الفريد ١ : ٢٧٧ .

٣٢٩) سورة ٦ : ٧٥ .

ت ربما VF .
ث وهذان VF .
ج جذبا VF .
ح اليه الى ما لديه VF .
خ فاللذان VF .
د ينالان VF .
ذ وهولاء V ، واولئك F .
ر وهولاء VF .
ز وهولاء V .
س – من الجود والكرم V .
ش وهؤلاء VF .
ص – ص – F .
ض النفس V .

قال له قائل : من أيّ طريق يُؤْمنون ؟

قال : من طريق ما اخبرتك : الانبياء من طريق الوحي ، أورده عليهم فقبلوه بالروح ؛ والاولياء من طريق الحق ، اوردهم على قلوبهم فقبلوه بالسكينة. ولم يقبلوا شيئاً خالف الشريعة .

وانما قيل (الاولياء) بشراه ، بعد ان اعطاهم (الله تعالى) طهارة القلوب ، وعلم التوحيد ، ومعرفة الآلاء . فاطلع قلوبهم مُلكاً مُلكاً ، وقطعᵀ لهم منᵃ كل مُلك حظّاً . وأوصلهم الى نجواه ومجالسهᵋ القدسية . وأمات نفوسهم عنᵍ جميع الشهوات : دنيا وآخرة . فامتلأت قلوبهم من عظمة الوحدانية ! فأنّىᶠ يستفيقون لذكر النفوس؟

فاذا اماتهم (الله تعالى ، فهم) لا يلتفتون الى طلب فـايدة او علم او حكمة حتى يكون هوᶷ الذي يفيدهم ويدلّهم . ولا يلتمسون رياسة ولا ميل الخلق الى ما "ك جاءوا به" حتى (لا) يصيرˡ الالتفات حجاباً لهم عن خالقهم.— وبعدᵐ هذه الاشياء ، بشروا بفوز العاقبة .

فلو لم يكن في قلوب (الاولياء) إلا حسن الظن بعطاءⁿ (الله) لكان تحقيقُ ذلك: الخبرُ على قلوبهم . فكيف بالفراسة والالهام والحق والحكمة وروح الجلال وعجائب (مطويّة) في قلوبهم؟ (فـ) كلّهاʰ محقق ومصدق لهذا الخبر. ثم السكينة تلقي الخبر (في القلب) فيقبله (القلب) . فـ (كيف) يمكنه (= الولي) ردّه (= خبر البشرى) ؟

ط ويطلع V .

ع ومجالسة V .

ف فانا F ، فانا V .

ك – ك + التفات فيه F .

م فبعد VF.

ه كلنا F .

ظ في V .

غ من V .

ق هذا V .

ل يصل V .

ن العصامه V ، بعطاه F .

(الفصل الثامن عشر)

(منكرو أحوال الأوليا.)

وهذا الذي يدفع (مثل) هذا ، لا يعلم من هذه الاشيا.[ا] إلا اسماءها[ب]. ولا يعلم صنع الله على القلوب. وهم[ت] مقرون بهذه الاسماء ، فلو علموا ما هذه الاسماء التي ذكروها[ث] ، وما افعالها على القلوب — لكانوا لا يحتجون بمثل[ج] هذه الحجج. فهم يقولون: حكمة حكمة[ح] ! وفراسة ، فراسة ! والهاماً ، الهاماً ! وليس عندهم وراء هذا شي. . ألا[خ] ترى انك[خ] [١٦٣ أ] تجد في مسائلهم انهم يقولون: ما الفرق بين[د] الوسوسة والإلهام[ذ] ? وليت[ر] شعري هل يعرفون قصة الالهام[ر] وقذفه[ز] وصفته؟ من اين ، وكيف ، ومتى يكون ? فكذلك هان عندهم شأن الالهام !

وقد بلغ من سلطان الالهام ، ما[س] بلغنا[س] ان عمر[ش] بن الخطاب[ش] ، رضي الله عنه ، نطق على المنبر ، على[ص] الالهام[ص] : « يا سارية بن حصين[ض] الجبل[ط] ، الجبلَ ! »[ط] (٢٣٠) فسمع الجيش كلمته في ذلك ، وهم منه على[ظ]

---

(٢٣٠) اسم هذا القائد: سارية بن زُنَيْم (وليس حُصَيْن) بن عبدالله الكناني.. راجع تاريخ الطبري ١: ٢٥٦٩، ٢٧٠٠-٢٧٠٣ . وهذه الحادثة مروية في رسالة القشيري ١٨٦ ؛ والفرقان لابن تيمية ١١١ ؛ وتاريخ عمر لابن الجوزي ١٧١ ؛ والجليس الصالح لنفس المؤلف ٢١ ؛ والمقاصد الحسنة ٢٣١ ؛ وروض الرياحين ١٧ ؛ والاصابة ٣: ٥٢-٥٣ ؛ وجمهرة الانساب لابن حزم ١٧٣ ؛ وشفاء السائل لابن خلدون ص ٢٦ .

ا الاسماء V .

ب اسماوها F ، الاسماء V .

ت وهو V .

ث ذكر F ، ذكرت V .

ج لمثل V .

ح بحكمة V .

خ – خ الا انك V .

د – V .

ذ + اليس هذا من المسائل الثلاثة الذين لا يعرفون الالهام F .

ر – ر – V .

ز وفرقة V

س مبلغنا V .

ش – ش – V .

ص – ص عن الالهام F .

ض حصر V .

ط – V .

ظ – ظ مبرة F

مسيرة[ع] شهر ، كما روى في الخبر. فانحازوا اليه[غ]، وأعانهم[ف] الله بذلك النداء. فالمحدّث حديثه فيما بينه وبين ربه[ق]. فاذا صار[ك] (المحدّث) الى امور الغيب ، قذف اليه[ل] الخبر مع شعل الانوار . فلولا ان ذلك القذف موسوم بالرحمة لذابت له الجبال ، من هول السلطان الذي معه . فاذا صار (المحدّث) الى الفراسة ، نظر بنور الله التام ، فنفذ بصره فيما لم يخلق[م] بعد[ن].

وكل[هـ] هذا كان موجودًا في عمر ، رضي الله عنه ! أُلهِمَ حتى نادى : « يا سارية ، الجبلَ » ، من مسيرة شهر . وتفرّس في الاشتر (١[م٣٣]) حين دخل عليه . حدثنا بذلك يعقوب(٣٣١) بن شيبة ، قال : حدّثنا[و] بشر بن الحارث(٣٣٢) ، عن سعيد بن عمر بن مُرَّة[و] ، عن عبد الله(٣٣٣) بن سلمة ، قال : « دخلنا على عمر

(١[م٣٣]) مالك بن الاشتر النخعي ، كان احد الذين اهاجوا الفتنة على الخليفة الثالث ثم انضوى الى فريق الخليفة الرابع . مشهور المواقف في الحروب الاسلامية وخاصة في حرب المسلمين مع الروم والفرس . توفي عام ٣٧ للهجرة انظر مصادر حياته وترجمته في دائرة المعارف الاسلامية (ط. ثانية) ١ : ٧٢٥–٢٦ .

(٣٣١) يعقوب بن شيبة بن السلط بن عصفور البصري ، صاحب المسند الكبير ، توفي عام ٢٦٢ للهجرة . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٤١ .

(٣٣٢) بشر بن الحارث ، المعروف ببشر الحافي ، محدث وصوفي ، من خراسان . توفي في بغداد عام ٢٢٧ للهجرة موسس مذهب صوفي ثابت الدعائم ، وعريق في سنيته . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١ : ٤٤٤–٦٦٥ (رقم ٨١٨) والحلية ٨ : ٣٣٦–٣٤٦ ؛ ودائرة المعارف الاسلامية (النص الفرنسي) مجلد ١ : ٧٥٠ ؛ وفي .L. T. 62, 134, 152, 230 وفي طبقات الصوفية للسلمي ٣٩–٤٧ ؛ وطبقات الشعراني ١ : ٨٤–٩٦ ؛ ورسالة القشيري ١٤ ؛ والبداية ١٠ : ٢٩٧ ؛ وسير اعلام النبلاء ٧ : ٢٤٤–٢٤٥ .

(٣٣٣) عبدالله بن سلمة ، المعروف بابي عبد الرحمن الحارثي الزاهد عاش في البصرة وفي مكة ؛ وهو من اوائل رواة الموطأ عن الامام مالك ، مباشرة . توفي في مكة عام ٢٢١ للهجرة . انظر ترجمته في شذرات الذهب ٢ : ٤٩ .

ع فيما V .
ف فاعانهم V .
ك صاروا F .
م يخلو V .
هـ فكل V .

غ الى الجبل V .
ق الله تعالى F .
ل اليهم F .
ن – V .
و – و – V .

ابن الخطاب ، رضي الله عنه ، مع[ي] وفد[ي] مَذحِج . فنظر الينا ، حتى انتهى الى مالك[ا] الأشتر . فصعَّد فيه النظر وصوَّبه . ثم قال : أيهم هذا ؟ قلنا : مالك بن الحارث . قال: قاتله الله ! إني لأرى منه للمسلمين يوماً شرّاً عصيباً ».

وهذه وصية عظيمة شديدة عند العقلاء . تدل على انهم في صدقهم[ب] مدخولون[ت] ، حَسَدَة ، بغاة[ث] ، حب الدنيا في قلوبهم مشحون[ث] . يكبر[ج] في[ج] صدورهم[ج] ان يترأسهم[خ] أحد . فيقصدون قصد من الله تعالى فيدفعونها . فعلماء الظاهر يدفعون كرامات الاولياء : من نحو المشي على الماء ، وطي الارض . فينكرون هذه الاخبار ، ويقدرون[د] ذلك من تلقاء انفسهم . ويزعمون ان تلك (الكرامات) من آيات المرسلين ، (الخاصة بهم وحدهم.) فان[ذ] اثبتنا ذلك لمن دونهم ، ابطلنا حجج المرسلين . وما ابعد ما وقفوا[ر] معه[ز] ! فلم[س] يميزوا بين الآيات والكرامات[ش] ، ولم يعلموا ان الكرامات من كرمه والآيات من قدرته . فلم يقروا بالكرامات ليأسهم من هذه الكرامات ، لما هم فيه من الأدناس والتخليط .

وهؤلاء القرّاء ، اعني المدّعين للصدق ، يدفعون ما وصفنا من شأن المحدّثين والملهمين ، الذين[ص] هم خاصة[ض] الاولياء . يقدرون ذلك من تلقاء انفسهم ، ويزعمون «[ط] ان هذا لا يكون . وما وجدت عِلة (لِ) هذا الذي دهاهم ، حتى انهم انكروا (كرامات الاولياء) إلا انهم قدروا هذه الامور على ما رأوا من حظوظ نفوسهم منه[ط]» (= الله تعالى!) . فانما حظّهم منه التوحيد ، ثم الجهد في وفاء الصدق ، ثم الصدق في الجهد حتى ينالوا شيئاً من القربة . وهم في عمى

ي - ي وهو V .
ب + قوم V .
ث مشحونه F ، مصون V .
ج - ج في قلوبهم صدورهم V .
د يقدرون F .
ر وقفوا F ، وقعوا V .
س لم V .
ص الذي V .
ط - ط - V .

ا ملك V .
ت من علون V .
ج بكتب V .
خ يداهنهم V .
ذ فاذا V .
ز - V .
ش الكرمات V .
ض خاص VF .

عن علم مِن الله تعالى ، وحظوظه لخاصته ، ومحبته اياهم ورأفتــه لهم . فاذا سمعوا بشيء من هذا تحيَّروا وانكروه .

ثم هم يَرْوُون[ظ] الاخبار عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ان لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم[ع] النبيون والشهداء لمكانهم[غ] وقربهم من الله ، عزّ وجل ! »؛و « ليتمنين[ف] اثناق[ق] عشر نبيًا انهم كانوا من أمتي »؛ « لو أقسمت ، لبررت ، ان لا يدخل قبل سابقي[ك] امتي الجنة الا بضعة عشر منهم ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومريم ابنة عمران» . فاذا رأوا[ل] هــذه الاخبار سمعوا، واذا صاروا الى الاشارات[م] والى المنصوص[ن] من الناس جحدوا، فهل هذا إلا من الحسد ؟ فصار مثالهم في هذا ، كما قال الله تعالى في تنزيله: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [(٢٣٤)] كانوا[ه] يتحدثون فيما بينهم ببعث نبي يخرج[ي] على دين ابراهيم ، خليل[و] الرحمن[ر] صلوات الله عليه ، — فلما جاءهم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، جحدوه .

قال له قائل : اليس[ا١] في هذه الاخبار ما يدل على تفضيل من دون الانبياء على الانبياء ؟

قال : معاذ الله ان يكون كذلك ! (فانه) ليس لأحد ان يفضّل على الانبياء احدًا ، لفضل[ب٢] نبوّتهم وحلمهم .

قال (له قائل): لم فيغبطهم النبيون وليسوا بافضل منهم ؟

قال: قد فسره[ت٢] في الخبر ، وذلك : « لقربهم ومكانهم من الله » .

---

(٢٣٤) سورة ٦: ٣٣ .

ظ يردون F ، F + ، من V .
ع يغبطهم V .
غ لمكانتهم F .
ف وليتمنى V .
ق اثنى V .
ك سابق V .
ل رووا V .
م الاشارة F .
ن النصوص V .
ه وكانوا V .
و – و ١ – V .
ي خرج V .
ا١ ؤليس F .
ب٢ الا لينالهم V .
ت٢ تبين V .

فأما قوله (= المنكر لأحوال الاولياء) محتجاً (بقوله تعالى) : ﴿فلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخاسِرُونَ﴾[٢٣٥] ، فهل يدري قائل هذا القول ، ما المكر ، ليحتج به ههنا ؟ وتفسير المكر أغمض من ان يفهمه صاحب هذا الكلام . فالانبياء والرسل لم يأمنوا المكر بعد[ث٢] البشرى .. وليس المكر عندنا ما[ج٢] يعقله العامة[ح٢] ؛ (أعني المكر الذي) هو خوف التحويل ؛ فذلك غير حاصل ، (فانه) اذا أُمِن «[خ٢] وبُشِر أَمِنَ من[د٢]» المكر[د٢] . واما المكر الذي لا «[ذ٢] يجوز[ذ٢]» أمنه فاعظم شأناً (من ان يفسّر او يوضّح هنا) .

واما قوله : ان هذا يؤدي الى الزندقة[ر٢] ، فليت شعري هل يدري ما الزندقة ؟ او سمع الناس يذكرون اسماً قبيحاً (فطفق يردده كالببغاء !) فكل من تحرّك يريد التشنيع على غيره ، يقول : هذا[ز٢] زندقة[ز٢] ! فلو قال الآخر[ص٢] : بل «[ش٢] الذي[ش٢]» في يدك زندقة ، لأنك تزعم[ص٢] انك تعبد الله وانت[ض٢] تعبد نفسك وهواك . ونفسك صنم بين[ط٢] يديك[ط٢] ، وانت معنيّ بها — فماذا تقول له[ظ٢] ؟

وأما قوله : ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾[٢٣٦] — فعلم الغيب[٢٣٧] عند الله . وكم من غيب أَطْلَعَ عليه رسولَه ! فأية حجة في هذا؟

٢٣٥) سورة ٧ : ٩٩ .

٢٣٦) سورة ٢٧ : ٦٥

٢٣٧) تراجع المصادر الاسلامية لمعاني الغيب في التعليق القيم لترجمة ابن بطة للمستشرق الفرنسي المحترم الاستاذ لاووست ص : ١٠٥ : تعليق رقم ١ . ومن ناحية المباحث الاستشراقية راجع : Macdonald, EI, II,142—143 وايضاً : *La notion de «Ġarīb» dans le Coran*, in *Mélanges Massignon*, II, 245.

ث٢ – V .

ج٢ الذي VF .

ح٢ + والذي يعقله العامة VF .

خ٢ او من V .

د٢ – د٢ – V .

ذ٢ – ذ٢ يجوز V .

ر٢ + قلت F .

ز٢ – ز٢ هذا الزندقة VF .

س٢ احد F .

ش٢ – ش٢ + يذكرو والذي V .

ص٢ زعمت V .

ض٢ وانك V .

ط٢ – ط٢ + ومن اذاها واستقبلها بمكروه فحرجها قائم VF .

ظ٢ – F .

وانما يريد ان يروج بمثل هذا على الاغبياء . وكم من غيب أطلع الله عليه اهل الالهام حتى نطقوا به ، وأهل الفراسة ! ولِمَ قال ابو الدرداء ، رضي الله عنه : «اتق فراسة المؤمن ، فانها ، والله ، حق يقذفها الله [١٦٣] في قلوبهم وابصارهم»؟ ومن اين قال سلمان[٢٣٨] ، رضي الله عنه ، للحارث[٢٣٩] صاحب معاذ[٢٤٠] : «عرف روحي روحك» ؟ ومن اين قال أويس القرني[٢٤١] : «وعليك السلام ، يا هَرِمَ بن حيان ؟» (٢٤١م) قال : «ومن اين عرفت اني هَرِمُ بن حيان» ؟ قال : «عرف روحي روحك !»

فهذا عمل الروح ، الذي[٢] ليس[٢] له من حظوظ[١] القلب ومحله ومصيره الى

٢٣٨) سلمان الفارسي ، رضي الله عنه ، صاحب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، واحد آل البيت الطاهرين المطهرين ، بالتبني . انظر الدراسة الرائعة لهذه الشخصية العظيمة للمستشرق الفرنسي الذائع الصيت لويس ماسينيون :

(*Salmân Pâk et les prémices spirituelles de l'Islam iranien. Soc. Etudes iraniennes* No. 7. 1934, p. 52.

وقد ترجم هذا البحث الاستاذ عبد الرحمن بدوي في كتابه : «شخصيات قلقة في الاسلام» وقد حوت هذه الترجمة نصوص المصادر العربية التي اعتمد عليها الاستاذ ماسينيون في تحضير بحثه . وقد ترجم هذا البحث ايضاً الى اللغة الانكليزية بواسطة الاستاذ : Unniala, . Bombay 1955.

وانظر ايضاً للاستاذ ماسينيون بحثاً آخر عن سلمان الفارسي : «Salmân Pâk» وهو محاضرة كان القاها في «دار السلام» في القاهرة .

٢٣٩) لعله الحارث بن انس بن رافع الانصاري ، رضي الله عنه . انظر الاصابة ترجمة رقم ١٣٦١ .

٢٤٠) معاذ بن جبل ، صاحب الرسول ، صلى الله عليه . توفي في الشام عام ١٨ او ١٧ للهجرة . ويعتبر ، رضي الله عنه ، من كبار فقهاء الصحابة . انظر ترجمته في التهذيب ٥٠٩ — ٥٦١ ؛ وتذكرة الحفاظ ١ : ١٨ — ٢١ .

٢٤١) توفي اويس القرني شهيداً عام ٣٦ للهجرة في وقعة صفين مدافعاً عن علي ، رضي الله عنه . انظر ترجمته في صفة الصفوة ٣ : ٣٠ — ٣٢ ؛ وشرح الشفاء ٣ : ١٩٢ ؛ واللباب ٣ : ٢٥٦ ؛ وميزان الاعتدال ١ : ١٢٩ — ١٣١ . وكشف المحجوب (ترجمة انكليزية) ص ٨٣ — ٨٤ .

٢٤١م) انظر كشف المحجوب (ترجمة انكليزية) ص ٨٤ — ٨٦ وروح القدس لابن عربي ، مخطوط جامعة اسطنبول رقم ٧٩ : ٣٤[١] — ٣٨[٢] .

ع[٢] والذي F . غ[٢] — F .

المُلاَ[ف٢] شيء – فكيف بالقلوب التي[ق٢] وصفنا ؟ أليس هذا الذي تكلّم به أويس من الغيب ، ولم يعرفه قط ؟ أليس[ك٢] قد اطّلع[ل٢] عليه[ل٢] ؟ وقول[م٢] عمر ، رضي الله عنه ، للأشتر : « إني[ن٢] لأرى للمسلمين منه[ن٢] يوماً شرّاً عصيباً » ؟ وقوله : « يا[هـ٢] سارية[هـ٢] ، الجبل ! » ؟ وهو على المنبر . ومثل هذا اكثر من ان يحصى . وقول ابي بكر ، رضي[و٢] الله عنه[و٢] ، لعائشة ، رضي الله عنها : « اني كنت نحلتك جدار«[ي٢] نحل[ي٢]» بالعالية[ا٣] . ولم تكوني حُزتِه ، وانما هو مال الوارث ، وانما هو[ب٣] اخوكِ وأختاك . فقالت له : يا أبت ، انما لي اخت واحدة . فقال : اني ألقي في[ت٣] روعي ان الـذي في بطن بنت[ث٣] حارثة[ج٣] (هو) بنت . قالت[ح٣] : فولدت ابنة ! »[(٣٤٢)] أفليس قد حكم (ابو بكر) بما ألقى في روعه ، فقال : « انما هما اختاك » ؟ فأثبت[خ٣] بالقول ان الذي في بطنها من ولده وانها بنت . افليس هذا غيبا قد اطلع عليه من طريق الحديث او من طريق الالهام ؟

ويقال لهذا الزاعم : ان الغيب على وجوه . فهل علمت أيّ غيب هذا (الذي يعنيه الله في قوله :) ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا

(٣٤٢) راجع هذا ايضاً في الموطأ : ٣١٤ ؛ والاحياء ٣ : ١٧ ؛ وشرح الاحياء ٧ : ٢٦٠ ؛ والموافقات للشاطبي ٢ : ١٦٥ ؛ وتلبيس ابليس لابن الجوزي ٣٢٢ ؛ والبنت التي ولدت لابي بكر ، رضي الله عنه ، بعد وفاته ، هي ام كلثوم التي امها هي حبيبة بنت خارجة ، من المدينة ومن قبيلة الخزرج (الحارث بن الخزرج) انظر دائرة المعارف الاسلامية (النص الفرنسي) الطبعة الثانية ، مجلد ١ : ١١٢ .

ف٢ + يعلى F .
ق٢ الري F .
ك٢ فليس VF .
ل٢ – و٢ + ولم يعرفه V .
م٢ يقول V .
ن٢ – ن٢ ليرى المسلمون منك F .
هـ٢ – هـ٢ + بن حصن V .
و٢ – و٢ + عند مونه V .
ي٢ – ي٢ جدار نخلي V .
ا٣ بالعالم V .
ب٣ هما V .
ت٣ – V .
ث٣ – F .
ج٣ خارجه V .
ح٣ فقالت V ، فقال F .
خ٣ فثبت F .

الله ﴾[٣٤٣] . وقال في آية اخرى : ﴿ عَالِمُ الغَيبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾[٣٤٤] ثم نجد في الانبيا. من ليس برسول ، وقد أظهره الله على غيبه[د٣] من طريق الوحي. (فهناك) غيب عنده (تعالى) يكاد[ذ٣] يخفيه من نفسه : وهي الساعة . وغيب اظهره عند المحدثين والاوليا. . فهل ميزت بين هذه الاشيا. ؟ أم انت في خرف[ر٣] وعجرفة ؟ سمت[ز٣] باسم الغيب (فذهبت) تكرر[س٣] آية[ش٣] من عرض القرآن محتجاً بها !

فمالك يا مسكين، والتعرض لحرمة[ص٣] الاوليا. ؟ انت[ض٣] رجل عبد نفسه. لم تتخلص[ط٣] من غمة[ظ٣] الهوى ، فضلًا عن الهوى : ولكن[ع٣] هواك راجع اليك . فانت ، في علائق النفس[غ٣] والوساوس[ف٣] ، مأسور ، فاحذر ان تدخل في منازل الاوليا. وكلامهم ، فانت لست من علمهم في شي. !

(الفصل التاسع عشر)

(الولاية والسعادة والمحبة)

واما قوله : الولاية والسعادة[ا] والشقاوة غيب لا يعلمه إلا الله — أفليس قد اعلم الله تعالى كثيرًا من عباده ذلك[ب] ؟ وأعلم الله ، على لسان رسوله[ت] ، صلى الله عليه وسلم ، كثيرًا من عبيده بشقاوتهم وسعادتهم ، مثل ابي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، حيث شهد لهما بالجنة ؟

---

٣٤٣) سورة ٢٧: ٦٥.

٣٤٤) سورة ٧٢: ٢٦، ٢٧.

د٣ غيب F. ذ٣ + ان VF.

ر٣ خراف V ، جزاف F. ز٣ قد سمت V.

س٣ وتكون V ، وتكرر F. ش٣ انه V.

ص٣ لحرية F. ض٣ فانت F ، وانت V.

ط٣ تخلص F. ظ٣ جهة V.

ع٣ فيكن F. غ٣ الحية V.

ف٣ والوسواس V.

ا – V. ب – V.

ت الرسول F.

فاذا كانت الولاية من الله تعالى حقاً لعباده ، فبشراه[ث] لهم حق (ايضاً) . ولكن صاحب هذا القول خِلْوٌ من هذا العلم . فهو[ج] يحسب ان الولي هو الذي يصيّر نفسه وليا بصدقه . وهذا حمق ! كأنه لم ينتبه لقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم[ح] مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٣٤٥] وقوله[خ] تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم[د] مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٣٤٦]

ويقال (له ايضاً) : أليس قد أطلع الله مريم على الغيب من امر عيسى ، عليه السلام[ذ] ؟ فلمّا[ر] تعجبت ، وقالت[ز] : ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾[س][٣٤٧] قيل لها : ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ[ش] رَبُّكِ﴾[ش][٣٤٨] (فعندئذ) سكتت[ص] واطمأنت . فأثنى الله[ض] عليها[ض] في تنزيله ، فقال ، عز من قائل : ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[٣٤٩] . فانها لم تسأل آية على ما بشرت ، فأثنى الله عليها وسماها في تنزيله : ﴿صِدِّيقَةٞ﴾[٣٥٠] ، أليس[ط] قد وجدت رزقاً ، فقالت : ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٣٥١] ؟ أليس[ط] قد

---

٣٤٥) سورة ٣٣ : ٤٣ .

٣٤٦) سورة ٢ : ٢٧٥ .

٣٤٧) سورة ٣ : ٤٧ ؛ ١٩ : ٢٠ .

٣٤٨) سورة ١٩ : ٢١ .

٣٤٩) سورة ٦٦ : ١٢ .

٣٥٠) سورة ٥ : ٧٥ .

٣٥١) سورة ٣ : ٣٧ .

ث + ايام F .

ج هو VF .

ح – ح – V .

خ – خ وهو قوله F .

د – د – V .

ذ + وهي صديقة V .

ر فلا V .

ز قالت V .

س + فلا V .

ش – ش الله يفعل ما يشاء F .

ص فسكتت VF .

ض – ض + فقال وامر صديقة V .

ط افليس F ، اوليس V .

ط افليس F ، اوليس V .

وجدت شيئاً لا يعرف في الدنيا في ذلك الوقت ظ؟ وجدت فاكهة الصيف في الشتاء . . فكان يكون ذلك ممكناً ان يكون الشيطان يحمل اليها سرقة ، من عند الآدميين . فهل سبق الى قلبها قط ، ان هذا لعله من الشيطان ، يريد ان يخدعها بمثل هذا ؟ أليس ظ قد اطمأنت الى ذلك وقالت : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾(٣٥٢) ؟

فان قال : ان الذي خاطب مريم ، عليها السلام ، بمثل هـذا الخطاب ، من «ع الغيب ع» ملك . — قيل له : فانها لم ترَ ع الملك ف ، انما سمعت النداء . فأي شيء حقق عندها ان ذلك النداء من الملك ؟ فحديث ق الملك ق ، من حيث لا يرى ، ابعد ام كلام الله على قلب العبد اذا القى اليه حديثاً ك ؟ — وهو قول داود لابنه ، عليهما السلام ل : « يا بني ، ما احلى شيء ، وما أبرد شيء ، وما ألين شيء ؟ قال : اما م احلى شيء . فكلام الله عز وجل ، اذا قرع افئدة الاولياء ن . وأما ابرد شيء ، فروح الله تعالى بين المتحابين في الله . واما ألين شيء ، فحكمة الله تعالى اذا بشر بها اولياءه ه » . حدثني و بذلك ابي رحمه الله ، حدثنا اسماعيل ي بن صبيح اليشكري ، عن صباح بن وافد الأنصاري ، عن سعيد بن طريف ، عن عكرمة(٣٥٣) و ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما !»

---

٣٥٢) سورة ٣: ٣٧.

٣٥٣) عكرمة ، هو من التابعين ، مولى ابن عباس ، رضي الله عنهما ! توفي في المدينة عام ١٠٥ للهجرة او عام ١٠٧ . كان يتهم بميل نحو الخوارج ؛ ولكن الحسن البصري كان يجله جداً . انظر ترجمته في التهذيب : ٧: ٢٦٣-٢٧٣ ؛ وتذكرة الحفاظ : ١ : ٨٩-٩٠ ؛ وفي L. T. 171, 289.

ظ + اذا V.

ظ افليس F ، اوليس V.

ع – ع – V.

ع تره V.

ف – V.

ق – ق فحدثني عنك قول الملك V.

ك الحديث V.

ل + قال V.

م – V.

ن اولياء الله V.

ه اوليائه F ، اولياء الله عز وجل V.

و – و – V.

ي عن F.

ويقال (له ايضاً) : ما قولك في محدّث بشّر بالفوز والنجاة فقال : ربِّ اجعل لي آية تحقق لي ذلك الخبر الذي جاءني لينقطع الشك والاعتراض . فقال : آيتك ان اطوي لك الارض حتى تبلغ بيتي الحرام في ثلاث خطوات . واجعل لك البحر كالأرض تمشي عليه كيف شئت . واجعل لك التراب والجو في يديك ذهبا ! ففعل هذا . – هل ينبغي له ان يطمئن الى هذه البشرى ، بعد ظهور هذه الآية ام لا ؟ فان قال : لا ، فقد عاند واجترأ على الله وحلّت به دائرة السوء . وان قال : نعم ، فقد ذهب قوله واحتجاجه الظلماني !

ولا ينكر هذا إلا حاسد لنعم الله وتقديره ، محب للدنيا ، كاتم للمحبة ، مظهر للزهو ، [١٦٤] معجب بنفسه . وقد سترت نفسه المخادعة له هذه الاشياء ، فهو لا يراها من نفسه . ويحسب انه يذب عن الحق بقوله ، وغيظه في صدره يتلظى . ولا يعلم ان هذا غيظ الغيرة والحسد ، وانه لا يصل بجهده الى هذا . فهو يتغاظ ويحتنق على من اوصله الله تعالى من طريق المنن والمشيئة حتى يؤديه (ذلك الغيظ والحنق) الى تكذيبه ورميه بالزندقة . فاذا هو كما قال (الله تعالى لموسى عليه السلام) : « يا موسى ، لا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي فان الحاسد عدو لنعمتي ، ساخط لأمري ، مضاد لقضائي » .

ا وقال V .
ب – F .
ت – ÷ مع هذا F .
ث جاني VF .
ج يقطع VF .
ح انى F .
خ البيت V .
د او اجعل V .
ذ عليها F .
ر – ر ففعل V .
ز – V .
س – V .
ش وحجاجه V .
ص بجهد F .
ض وهو F .
ط يمتاض F .
ظ ويحتوي F .
ع – ع ما آتام V .
غ فضله V .

فهذه المسكين ، في"ق الباطن ق" يسخط قسمة الله"ق تعالى ق" ك ويضاد قضاءه ش ، ويعادي نعمه . وهو يحسب انه يذب عن الحق وينكر ل الباطل . ويقال له : ما قولك في عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ؟ فإنه م كانت ن رجفة عظيمة في عهده فقال : « ما هذا ؟ ما اسرع ما احدثتم ! والله ، لئن عادت لأخرجن من بين اظهركم» . فبأي شيء عرف عمر ، رضي الله عنه ، ان هذه الرجفة معاتبة (من الله) لهم دونه ه ؟ هل عرف هذا الامر إلا و من ؤ قبل ما وصفنا ؟ وإلا فكيف استجاز ان يبرئ نفسه من الحدث والمعاتبة ، فيقول : « لأخرجن من بين اظهركم » ؟

(الفصل العشرون)

(الولي والخطيئة)

قال له قائل : فما حال هذا الذي تصفه بهذه الصفة في وقت المقدور عليه من المعصية ؟

قال : حاله لا يوصف .

قال : وكيف ب لا يوصف ؟

قال : لأني لو صفت ، لم ت أصف ت جزءاً من عشرة آلاف مما يحل لصاحبه هذا ، اذا وقع في المقدور عليه من الخطيئة ثم انتبه منها . فكل ث شعرة منه ح تصرخ الى الله تعالى ندماً . وكل عرق ج يئن خ اليه د ألماً ذ . وكل مفصل

ق - ق - V .

ك قضاؤه VF .

م ان VF .

ه + وليس من اجله F .

ا - V .

ث - ت - V .

ج - V .

خ يأتي V .

ذ - V .

ق - ق - V .

ل ويزكي V .

ن كان V .

و - و - V .

ب فكيف F .

ث وكل VF .

ح + منه F .

د + تعالى F .

منه يتطاير[ر] هولًا وذهولا . ونفسه دهشة[ز] . وقلبه هائم . فاذا لاحظ جلاله، كادت نفسه تزهق . واذا لاحظ محبته ، أشتعل[س] نارًا فاحرقت[ش] مصارينه . ويكاد كبده يتقطع . ولكأن مصائب الدنيا كلها تراكمت على صدره . لا يطمأن الى شيء حتى يكون الله هو الذي يرحمه فيرفقه[ص] عنه[ض] ذلك . ولا يزال هذا[ط] كئيًا على قلبه . فمتى يزول عنه اثر ذلك الكئي ؟ كلما نظر الى اثر[ظ] هذا الكئي ، فاضت عبراته ، وجعا وحياء[ع] حتى يعطف الله عليه، فيطمس ذلك منه[غ] .

قال له القائل : انك لتصف امرًا على[ف] غير سبيل[ف] ما اشار اليه يحيى ابن معاذ ، رحمه الله !

قال : رحم الله يحيى بن معاذ ! قد عرفت مكان يحيى من هذا الامر. كان يحيي رجلًا من اولياء الله ، ممّن[ق] له حظ[ق] في هذا الامر . ولكن[ك] الله عز وجل[ك] ، فتح له في الغيب من مُلك الجمال ، ومُلك البهجة مقرون بملك الجمال . فكان إيّاه يلاحظ ، وعنه ينطق ، وكذلك الشيوخ الذين صحبهم.

وصاحب هذا المحل ، الأنس غالب على قلبه . والمأنوس منبسط . ويخرجه انبساطه الى الإدلال . فان لم يعصمه الله ويؤيده سقط . لان الجمال يذيبه فيفقده . والبهجة تجيش فترمي به . مثله كمثل قدر فيها من كل شيء من الأطايب ، ومن تحتها لهب النار . فاذا اشتد غليان القدر ، جاش بما فيها فرمت بأطايبه ودسمه . وفي هذا المقام ينقم القول. ومن اراد الله به خيرًا، قدمه[ل] من مُلك الجمال[م] الى ملك الجلال الى[ن] ملك الكبرياء[ن] الى[ه] ملك

ر + من مفصله VF.

ز دهشت V.

س اشعل VF.

ش فاحترقت F.

ص – ص فيرقه عند V.

ض ذلك VF.

ط كيا F.

ظ – F.

ع وكيا F، وحيا V.

غ عنه V.

ف – ف على سبيل F.

ق – ق ممن لاحظ له F.

ك – ك وانما الذي فتح له F.

ل فقدمه VF.

م الجلال F.

ن – ن وملك الكبرياء VF.

ه – ه وملك الهيبة VF.

الهيبة^ه ، حتى يقدّمه الى مُلك المُلك : الى ملك الفردانية. فهيهات أن يخطر ذلك الكلام ببال المقدّم وذكرهُ! وقد^ي عرفنا ذلك القول ، وهو قول سقيم ، غير مقبول ممّن قاله ، وان كان له حظ من الولاية.

واجمل لك القول^ا : انما انتخب^ب لله الولي ، وبلغ به هذه المنازل، ليجعله حجة على اهل الموقف ، وليرى الملائكة عيب قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ ؟ ﴾[٣٥٤] لما قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٣٥٥] ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣٥٦]. فأراد لمثل هذا الولي ان يجعل احواله^ت جلية على أعين الملائكة وحجة على الخلق، لا ليجعله عبرة في الذنوب. ثم قال^ث له : ارفع بال الذنوب عن قلبك ، فهذه^ج وسوسة الشيطان ، واياك^ح ان تصغي اذنك الى هذا القول.

فأي حبيب له صدق المحبة في قلبك (وأنت) تجهد نفسك على مخالفته ؟ فان بدت منك جفوة ، لا تسخو نفسك ان تستقر حتى تعتبه . ومثل^خ هذا يقلقك في الآدميين .

وكيف تتهنّى بطعام او بشراب قبل^د ان تعتب الكريم الجليل ؟ فانه لو لم يرفع ذلك (= ذكرى المعصية) عن قلبك ، بلطف رحمته ، بعد حين وبعد ما احترقت في حبه — فكيف^ذ تجد القرار ؟

---

[٣٥٤] سورة ٢ : ٣٠.

[٣٥٥] « « «

[٣٥٦] « « «

و - V. ي قد V.

ا + ان الدرة التي لا يبا جا احد هي اغفل عند قوم ممن لا يعرف ما هو ذا اشير اليه وما شرحه ممن سوا الوالي فهو عنده اعظم من الجبال F ، ان الدرة التي لا يبا جا احد ممن سوى الولي فهو عنده اعظم من الجبال V.

ب ايحت F ، استحب V. ت + وقلبه F.

ث يقول F. ج هذه F.

ح فاياك VF. خ بل VF.

د حتى VF. ذ كيف VF.

(الفصل الحادي والعشرون)

(الولي والأسرار الإلهية)

واعلم ان من اراد الله هدايته ، واكتنفته رأفته ورحمته ، ومنحه طريق محبته – فسبيله اذا فتح عليه هذا الطريق ان يرزقه خشيته .

وانما برزت الخشية من العلم به ؛ فاذا علمه[ا] القلب خشيه . وانما ينال العلم من الفتح[ب] ؛ فاذا فتح الله له ، شاهد الاشياء ببصر قلبه : فعلمه[ت] ، فخشيه . واذا التزم[ث] القلب الخشية حشاه[ج] (الله) بالمحبة . فيكون بالخشية معتصماً مما كره الله سبحانه ، (مهما) دقّ أو جلّ . (ويكون) بالمحبة منبسطاً في امور ، ذا[ح] شجاعة[ح] .

فلو ترك (الله العبد) مع الخشية ، لانقبض وعجز عن كثير من أموره[خ] . ولو تركه مع المحبة وحدها ، لاستبدّ وتعدّى[د] : لأن النفس[ذ] تهيج ببهجة[ر] المحبة . ولكنه ، تبارك اسمه ! لطف به : فجعل الخشية بطانته[ز] ، والمحبة ظهارته حتى يستقيم به قلبه . فيُرى التبسم والانطلاق والسعة[س] في وجه (العبد) وأموره ، وذلك لظهور المحبة على قلبه[ش] ؛ (ومع ذلك ، في داخله) امثال الجبال خشية ! فقلبه خاشع ، ووجهه منطلق . ثم يُرَقّي[ص] (الله العبد) الى مرتبة اخرى ، وهي الهيبة والأنس . فالهيبة من جلاله والانس من جماله . فاذا نظر الى جلاله هاب ؛ واذا «[ض] نظر الى جماله انبسط وطاب »[ض] . فلو تركه[ط] (مع الجلال))

ا علم VF . ب الفتحة V .

ت فعلم F ، V . ث لزمت V .

ج غشاه V . ح – ح + في اموره V .

خ امره V . د وتعدا V .

ذ التفسح F ، التنسم V . ر بهجة V .

ز بباطنه F . س – F .

ش ÷ وتحت ذلك VF . ص يرقيه VF .

ض – ض – V . ط + هكذا VF .

لعجز عن اموره : كثوب ملقى[ظ] او جثة بلا روح[ع]. ولو تركه[غ] (مع الجمال) لجاشت نفسه وتعدت[ف]. فجعل (الله تعالى) [١٦٢ب] الهيبة شعاره والانس دثاره، حتى[ق] تستقيم له نفسه[ق]!

ثم يرقيه (الله) الى مرتبة اخرى، وهي مرتبة الانفراد[ك]: مرتبة[ل] القربة العظمى. فكن[م] له (عز وجل!) بين يديه، ونقاه بنوره، وفتح له الطريق الى وحدانيته، وأطلعه على بدء الأمر من قوله: ﴿الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وأحياه بنفسه واستعمله. فبه ينطق هذا العبد، وبه يعقل، وبه يعلم، وبه يعمل. وهو قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيما يحكيه عن ربه: « فاذا احببت عبدي كنت فؤاده، فبي يعقل. وسمعه وبصره، فبي يسمع ويبصر. ويده فبي يبطش ».

فهذا سيد[ن] الاولياء، وامان اهل الارض، ومنظر اهل السماء. وخالصة الله، وموضع نظره. وسوطه في خلقه؛ يؤدب بكلامه، ويرد الخلق[ه] الى طريقه. ويجعل منطقه[و] قيدًا لقلوب الموحدين، وفصلًا بين الحق والباطل.

فهذا من الصنف الذين[ي] اجتباهم بمشيئته: لا من الصنف الذين ولي[ا] هدايتهم[ا] بإنابتهم. فانهم[ب] قد ذكروا[ت] في الكتاب، فقال عز من قائل: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[٣٥٧]. فالمجتبي هو عبد قد جذب الله تعالى قلبه اليه، فلم يعان جهد الطريق. ولما جذبه على

---

٣٥٧) سورة ٤٢: ١٣.

ظ ملقا V.

ع + واذا نظر الى جماله امتلأ كل عرق منه فرحاً وبهجة VF.

غ ترك F، + هكذا F.

ف تعدى F.

ق – ق حتى يستقيم به قلبه ونقربه نفسه V.

ك + بالله تعالى F.

ل قربة F.

م ومكن F.

ن سبيل V.

ه الحق F.

و – و ينطقه F.

ي الذي V

ا – ا ولاه الله هدايته V.

ب فشانهم V.

ت ذكره الله V.

طريق اصطفاء[ث] الانبيا. لأن حاله[ج] هذه[ج]، خرجت له من المشيئة[خ]. فأجراه (الله) على خزائن المنن. ثم اخذ بقلبه فجذبه اليه واصطفاه. فلم يزل يتولى تربيته، قلباً ونفساً — حتى رقى به الى اعلى درجات الاوليا، وأدناه من محل الانبيا، بين يديه.

واما المهتدي بالإنابة، فهو عبد اقبل الى الله تعالى يريد صدق السعي اليه، حتى يصل اليه. فبذل اصدق الجهد؛ فهداه (الله) اليه لما كان منه من الإنابة. فهذا عبدٌ، جهدُه نَصبَ عينيه ابداً؛ وهو حجاب له عن ربّه، عز وجل! وان سبق[د] لطفه[د] ان هذا منّة، ونطق بلسانه وتبرّى[ذ] من جهده — فان جهده نصب عينيه، لا يخرج علم ذلك من نفسه.

والمجذوب لم يعانِ شيئاً من هذا: فهو على اصطفاء الانبياء، يمر الى الله والله يذهب به. وهو لا يهتدي لشيء من الطريق. فهو صاحب الحديث والمبشر والمستعمل. فلا شيء يتعاظم عنده من هذه الاقوال.

(الفصل الثاني والعشرون)

(المُهتدي والمُجتبى)

وقد كان عندنا قوم يتكلمون في هذا النوع من العلم، على التوهم والمقاييس. وبلغ من جهلهم ان قالوا: ان هذا الواصل اليه (= الى الله) على طريق الجهد[ا]، اقل خطراً في[ب] السلب من هذا الذي أعطى من[ت] غير جهد. وذلك ان الذي اعطى على «[ث] جهد[ث]»، صيّر (الله تعالى) ذلك الوصول[ج] ثواباً لجهده[ح]. واذا أثاب الله العبد على شيء لم يرجع فيه. وهذا الذي اعطي على

[ث] صفوة VF.
[ج] فعله V.
[ج] — V.
[خ] مشيئة F.
[د] — [د] شق بطنه V.
[ذ] وسرا V.
[ا] الجهل V.
[ب] من VF.
[ت] + على F.
[ث] — ث من غير جهد V.
[ج] الموصل F.
[ح] من جهده VF.

على غير جهد ، هو عبد مبتلى ، وامتحن بالشكر : فهو غير مأمون ان يسلب ، وخطره[خ] في السلب اعظم .

فتعجبت من جهلهم حيث جعلوا الوصول الى الله تعالى عوضاً من جهة العبد. فعرفت انهم اصحاب مقاييس ، لا يعرفون ما الوصول ، ولا قدر الوصول . وهل وصل احد الى الله ، عز وجل ، إلا بالله ؟

فيزعمون انهم انما وصلوا بجهدهم . وكذبوا ، والله ! (فانه) ما وصل احد منهم الى الله ، عز وجل ، إلا بالله . ولقد كذبهم غيري[د] ؛ فان المؤمن يغار لله. فلقد ازدروا شأن الوصول ، فأبلغوا في الازدراء . لا جرم ان الله يزدري[ذ] بالجاهل المتكلف ! فليس من جهل وسكت ، كمن جهل فتكلف . فالمتكلف ممقوت ، ولا سيما في امر الله وصنعه .

(والقول الحق :) ان الصادق لما استفرغ مجهوده ، بقي منقطعاً عن الصدق في مفازة[ر] الحيرة. فاضطر[ز] فجأر الى الله تعالى ، صارخاً مستغيثاً ، فَرُحِمَ ! فانما وصل اليه به : من حيث رحمه . فكيف يكون وصوله ثواباً لجهده ؟ وقد شرحنا هذا بَدِيًّا . فهذا مرحوم بجهده ، والاول تمنون عليه من جوده وكرمه . فكيف يجوز ان يظن بالله الجواد الكريم ، القريب في جوده وكرمه ، ان يرجع في مِنّته ؟ ومن ههنا اخطأ هذا المتكلف : ان ظنَّ بربه انه اوصله الى قربه ومكَّن له بين يديه ليبتليه[س] . ويحك[ش] ! هــذا عبد متخذ[ص] لا[ض] مبتلى[ض] . وانما الابتلاء[ط] في شأن النفس لا في شأن القلب .

اما سمعت قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ان الله اتخذني عبداً قبل ان يتخذني رسولاً »[٣٥٨] ؟ فالمتَّخذ هو المأخوذ ، ومنه اشتقاقه . (فمحمد ،

---

٣٥٨) حديث شريف مروي في مسند ابن حنبل : ٢ : ٢٣١ ، وابي داوود ، الطمسة (١٧) ؛ وابن ماجة ، الطمسة (٦) .

خ خطره F .
ذ يزري VF .
ز فاتطر V .
ش ويحل V .
ض – ض – V .

د غيره V .
ر مفاوز V .
س ولا سلبد V .
ص محد F ، + منه V .
ط ابتلى V .

صلى الله عليه وسلم) هو المجذوب من بين[ظ] سائر[غ] الانبياء[ع]، خصه الله[ف] بهذا فاتخذه وجذبه . والانبياء ، من قبلـه ، أوتوا الحكمة والبيان والهداية[ق] ثم تنبؤا ، ثم ارسل اليهم . ورسولنا ، صلى الله عليه وسلم ، اخذ اخذا ، فجذبه (الله اليه) على طريق الاصطفاء[ن] . الا ترى الى قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [٣٥٩] ? فهل يكون الوجود إلا بعد الطلب ? فان الله تعالى طلبه ، من بين سائر العباد ، بالمنة التي سبقت له في[ل] المشيئة . فلما جاء الطلب وجـده كما[م] وصف[م] : ﴿ ضالًا فهَدَى ﴾ اي : مال به، فجذبه، فنبأه.

فكذلك شأن هؤلاء المجذوبين : يجذبهم الله اليه عـلى طريقه . فيتولى اصطفاءهم وتربيتهم حتى يصفي[ن] نفوسهم الترابية بأنواره، كما يُصفّى جوهر المعدن بالنار حتى تزول ترابيته ، وتبقى النفس صافية . وتمتد تلك التصفية ، حتى اذا بلغوا الغاية من الصفاء اوصلهم الى اعلى المنازل، وكشف لهم الغطاء عن المحل ، وأهدى اليهم عجائب[ه] من كلماته وعلومه . وانما يمتد ذلك ، لان القلوب والنفوس لا تحتمل مرة واحدة كل ذلك . فلا يزال يلطف بهم ، حتى يعودهم احتمال تلك الاهوال ، التي تستقبلهم من ملكه . فاذا وصلوا اليـه احتملوا الوصول والنجوى .

وقد نجد مثال هـذا في خلقه[و] . فان الملك يريد ان يختص بعض رعيته لقيادة[ي] او[١] ولاية[١] ، فيدعو به . فمن تدبير الملك ، انه اذا ذهب (بالعبد) (اليه)، التزم بابه . ثم يُمهَل (العبد وقتاً مـا) حتى يعتاد[ب] الباب وقواده ، وليطمئن ويهتدي الى امور الخدمة . ثم اذا قدم اليه ، تحوّل من مجلس الى

٣٥٩) سورة ٩٣: ٧ .

ظ — F.
غ + من F.
ق + دهرا V.
ل من F
ن اصطفى V.
و + عبيد الملك VF.
١ — ١ وولاية F

ع — F.
ف — F.
ك الصفوة VF.
م — م — F.
ه من العجائب VF.
ي بقيادة F.
ب يقتاد V.

مجلس ، حتى يسكن روعه ويخشع[ت] قلبه. ثم اذا قدم اليه ، أمهل ساعات ليطمئن . ثم يكلمه . ولهم تدبير أعمق من هذا ، (ما) قصدت[ث] الكم [١٦٥] وصفه . وانا[ج] علم[خ] الملوك هذا التدبير من مالك الملك ، اذ آتاهم من ملكه . وهو احق بالتلطف بعباده .

(الفصل الثالث والعشرون)

(المُدَّةُ وَالجَذْبَةُ)

فالسبب في المدّة بعد الجذب ، هو الذي ذكرتُ . الا ترى الى محمد ، صلى الله عليه وسلم ، لما نُبّئ أجاب[ا] فرقاً ووقع كالمغشى عليه ؟ فلم تزل النبوة تعمل فيه . ثم امر بأن يصدع بأمر الله . وقبض يده عن الحرب ، حتى هذّبه وأدبه ، في هذه السنين العشر . وسلط عليه اعداءه بألوان الاذى : من الضرب وسوء الجوار وفنون المكروه[ب] . وفي خلال ذلك يقول (له) : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٣٦٠] ، ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾[٣٦١] ، ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾[٣٦٢] ، ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾[٣٦٣] ، ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾[٣٦٤] ، ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[٣٦٥] ، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[٣٦٦] ، ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾[٣٦٧] الآية ،

٣٦٠) سورة ١٥ : ٩٤.
٣٦١) سورة ٤٣ : ٨٩.
٣٦٢) سورة ٨٨ : ٢١-٢٢.
٣٦٣) سورة ٦ : ١٠٧.
٣٦٤) سورة ١٣ : ٤٠.
٣٦٥) سورة ١٨ : ٦.
٣٦٦) سورة ٢٨ : ٥٦.
٣٦٧) سورة ٦ : ٣٥.

ت – ت F.
ج فانا F.
ا اجيب VF.
ث صيرت V.
خ على F.
ب المكر F.

الى قوله : ﴿ الجاهلين ﴾ يعنيت : ان من كانت له مشيئة مع مشيئة الله فذلك شعبةث من الجهل ، فيلزمه "ج اسم الجهل ج".

فهذه الآيات تأديب من الله له ، وموعظة لعبده : ليعلم ان النبوة اخذتـه والنفس حية تعمل عملها . فقبض يده ح عن (ولاية) قتل عبيده (بالعدل) ، والحكم فيهم بسلطانه (=سلطان الحق).فلم يوله ولاية السلطان (بالحق والعدل) حتى تمت له السنون العشر ،من يوم اظهر الدعوة. وذلك تمام العدد، وهي عشرة كاملة . فلما انتهت المدة ، اثنى الله عليه فقـال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣٦٨) .

وأي خلق اعظم من خ خلق خ من د ترك مشيئته ونبذها وراء ظهره حتى استقام قلبه على اخلاق الله ، وهي مائة وسبعة عشر خلقاً ؟ — حدثني ذ بذلك أبي ، رحمه الله ، حدثنا يحيى بن ابراهيم ، قال: حدثنا عبد الواحد بن زيد (٣٦٩) ، قال : حدثنا راشد ، مولى عثمان ، قال : حدثنا مولاي عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ذ : «ان لله مائة وسبعة عشر خلقاً ، من آتاه بواحدة منها دخل الجنة » .

فلما زالت عنه اخلاق النفس ، جاء الاذن بضرب السيف فجاءت النصرة. قال الله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ (٣٧٠) اي ر : في سبيل الله ر . ثم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٧١) فوعدهم ز النصرة ،

٣٦٨) سورة ٦٨ : ٤ .

٣٦٩) اسمه الكامل زيد (أو زياد) : عبد الواحد بن العبدي ، محدث مشهور وصوفي عريق . تلقى العلم عن ليث بن ابي عامر ويونس بن عبيد وآخرين . توفي عام ١٧٦ أو (١٧٧) للهجرة . انظر ترجمته في الخلاصة صفحة ٢٠٩ ، والحلية ٦ : ١٥٥ — ١٦٥ .

٣٧٠) سورة ٢٢ : ٣٩ .

٣٧١) 〃 〃 〃

ت بين V.

ث سمعه V.

ج — ج — V.

ح — V.

خ — خ + الله عز وجل F.

د — F.

ذ — ذ — V.

ر — ر — F.

ز فوعده V.

وبَوّأ لهم[س] مكان الهجرة . فأعطاه النصرة على ايدي الأنصار . وقع قطعة[ش] من الرعب تسير[ص] امامه مسيرة[ض] شهر[ط] ، فتذهل النفوس ، وتجزع القلوب، وتطير الأفئدة عن اماكنها من اجله [ظ] هذا ، بعدما هذّبه، وأدّبه، وقوّم نفسه[ع] .

واما[غ] منعه ذلك ، (في ابتداء النبوّة) ليطفى عنه نيران العجلة، ويسلب عنه مشيئآته بزجراته ومواعظه وبما يورده عليه من الانوار . فيعظه في الظاهر ويزجر[ف] نفسه ؛ ومع هذا يغذّيه في الباطن برحمته ويزيّنه بانواره فقال عز[ق] وجل[ق] : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[٣٧٢] الآية ، الى قوله: ﴿ اليَقِينُ ﴾ — ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[٣٧٣] — ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾[٣٧٤] — ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٣٧٥] ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ ﴾[٣٧٦] . ودعا (النبي) على قومه ، فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[٣٧٧] وروي في الخبر انهم أسلموا كلهم بعد ما[ك] دعا عليهم .

---

٣٧٢) سورة ١٥ : ٩٧.
٣٧٣) سورة ١٥ : ٩٩.
٣٧٤) سورة ٧٣ : ١٠.
٣٧٥) سورة ٧ : ١٩٩.
٣٧٦) سورة ٦٨ : ٤٨.
٣٧٧) ٣ : ١٢٨.

س له F.
ش قطيعة V.
ص تعبر V.
ض – V.
ط شهرا V.
ظ + ولو اطلق له هذا في ابتداء (مبتدا V) نبوته ومعه تلك العجلة المشيات لعام المشة (المتنبه V) لما كان (ما كان V) قبل ان (– V) يكون VF .
ع فاذا VF.
غ وسلب V.
ف ويجزر V.
ق – ق – V.
ك الذي VF.

فانما منعه القتال (دفاعاً) ولم يعطه سلطان ذلك ، من اجل هذه الاشياء.
فان هذا كله من عمل النفس ومشيئاتها . فهل يجوز، مع هذه الاشياء ، سلطان الحرب حتى[ل] يهتريق[ل] دماء عبيده ؟ الا ترى الى ما لقي موسى، صلى الله عليه وسلم، من قبل رجل من آل فرعون ، مشرك بالله تعالى ؟ ثم تاب الله عليه فقال : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [٣٧٨] ثم قال : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ - فغفر له ! ثم قال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [٣٧٩] م فعوقب[ن] بقوله : « فلن اكون»[و] حتى اذا كان من الغد كان ما قصه الله ، حيث قال: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ ﴾ الآية ، الى قوله: ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [٣٨٠] فانما صار مريداً لأن يبطش بالذي هو عدو لهما بقوله بالأمس : « فلن اكون» ، فان هذه كلمة اقتدار . روي في الخبر ، ان يوسف ، صلى الله عليه وسلم ، « لو قال» عندما راودته امرأة العزيز عن[م] نفسه[ه] : لا حول ولا قوة الا بالله لما هم بها ولسلم[و] من السجن ، ولعصم منها ولكن قال: معاذ الله ! وهي كلمة اقتدار ».

وطريق الانبياء ، عليهم السلام ، اعظم من ان يوصف . روي[ي] عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه جاءه[آ] وفد فقرأ عليهم : ﴿ وَالصَّافَّاتِ ﴾ الى قوله: ﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [٣٨١] . فجعلته دموعه تجري على خدّه[ب] . فقالوا : يا أبا القاسم ، أمِنْ خوف الذي بعثك تبكي ؟ فقال: إي ، والذي بعثني بالحق ! انه بعثني على طريق مثل حد

٣٧٨) سورة ٢٨ : ١٥.
٣٧٩) سورة ٢٨ : ١٧.
٣٨٠) سورة ٢٨ : ١٩.
٣٨١) سورة ٣٨ : ١-١٠.

ل - ل وان يريق V .
ن - ن - F .
و - و - V.
آ جاء F.
م - م - V.
ه - ه - V.
ي وروى VF.
ب لحيته V.

السيف ، ان زغت عنه هلكت ت، ثم قرأ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [٣٨٢] وهذا طريق الايمان بالله على النبوة وكشف الغطاء والتبري من الاسباب والنزاهة من العلائق ، وطريق الاسلام اوسع من السماء والارض، وهو الشريعة !

فهذا شأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، في تأديبه من لدن مبعثه الى عشر سنين . ثم امر بالهجرة . وابتعث ث له الانصار ج بالتأييد ح والايواء حتى رقت خ نبوته فأتمن على سفك الدماء وسبي الرقاب وأخذ الاموال (بالحق!). ولم يكن قبل هذا الرسول د ولا لأمة من الامم. بل خص الله تعالى به هذا النبي وهذه الأمة ، لفضل نبوته وفضل يقينها ذ . وبنو اسرائيل لم يؤذن لهم بذلك. وانما أمروا بالقتال من اجل الأرض المقدسة التي كانت لهم وراثة عن ابيهم ابراهيم. فانما قاتلوا عن ديارهم وأموالهم . [١٦٥ ب] فلم تحل لهم الغنائم ، وكانت نار القربان تأتي فتأكل غنائمهم .

وقد كان سبق من الله تعالى لهذه الامة من اليقين حظ وافر. فتقووا على قتال المشركين ، حمية لله تعالى لا لنصيب النفس . ولذلك قال (عليه الصلاة والسلام): « أنا نبي الحرب والملحمة» [٣٨٣] و«أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا:

---

٣٨٢) سورة ١٧ : ٨٦.وراجع مصداق ما يذكره الحكيم الترمذي في تفسير ابن كثير ٤:٢ وما بعدها .

٣٨٣) انظر تخريج هذا الحديث الشريف في مسند ابن حنبل: ١ : ٨١، ١١٣ .

ت قتلت F. ث والتمت V.

ج الابصار F. ح بالتبسل V.

خ وقت V. د + صلى الله عليه وسلم F.

ذ تقدمها F.

لا اله إلا الله »[٣٨٤] . فقاتلت هذه الأمة على إقامة هذه الكلمة العليا: «لا اله إلا الله »! لحب[ر] الله[ر] . ثم حبّب اليهم الايمان . فبفيضان[ز] المحبة غاروا له[س] ، وعملت فيهم الغيرة والحميَّة لله عز[ش] وجل[ش] . فقاتلوا عن الله تعالى[ص] ، وسبوا من اعرض عنه ، وغنموا اموالهم ، وقتلوا عبيده الاباق. وبنوا اسرائيل لم يقووا[ض] على هذا الأمر . الا ترى انهم قالوا : ﴿ وَمَا لَنَا أَنْ لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾[٣٨٥] ؟ فقاتلوا[ط] للديار والأموال . ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾[٣٨٦] . وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « اعطيت أمتي من اليقين ما لم تعط امة ». وذلك قوله تعالى : ﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ[ظ] إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ[ظ] ﴾[٣٨٧] الآية .

فاذا كان الرسول ، عليه السلام ، محتاجاً الى التأديب والتهذيب والمدة ، حتى يصلح لأمانة الله تعالى — فكيف بالأولياء ؟ فمن أجل ذلك يحتاج الوليّ الى مدة في جذبه ، كما يحتاج[ع] المجتهد (الى مدة) في صدقه . إلا ان هذا

---

٣٨٤) انظر تخريج هذا الحديث الشريف في صحيح مسلم، الايمان (٣٢، ٣٧)؛ والبخاري، الايمان (١٧، ٢٨)، الصلاة (٢٨)، الزكاة (١)، اعتصام (٢، ٢٨)، وابي داوود، جهاد (٩٥)، تفسير سورة ٨٨؛ والنسائي، زكاة (٣). هذا، وهل «أل» التعريف في «الناس» هي للعهد او للجنس ؟ وبتعبير اوضح: هل كلمة «الناس» المذكورة في الحديث تنصرف على البشر قاطبة ما عدا المسلمين او على مشركي العرب خاصة؟ ان الاخذ بهذا التفسير او بذلك سيحدد في النهاية طبيعة الحرب في الاسلام: هل هي دفاعية او هجومية وبالتالي صلة المسلمين بغيرهم: هل هي مبنية على الحرب الواقعة او المتوقعة او على السلام ؟ وفي نظرنا ان آيات القرآن بخصوص الحرب تقصد الحرب الدفاعية فقط .

٣٨٥) سورة ٢: ٢٤٦.

٣٨٦) 〃 〃 〃

٣٨٧) سورة ٣: ٧٣ . وانظر ايضاً تفسير ابن كثير ١: ٣٧٢.

ر – ر – F.

س لهم V.

ص – V.

ط + حمية V.

ع يحتاج V.

ز فبفضل V.

ش – ش – V.

ض تقوا V.

ظ – ظ – V.

تصفيته لنفسه ء بجهده ، وتصفية المجذوب يتولاه الله بانواره ق فانظر كيف صنع الله بعبده ، وصنع العبد بنفسه ؟ اما ترى آدم ، صلوات الله عليه ، كيف فات الخلق وبرز عليهم بما تولاه الله من فطرته ؟ وقال لسائر الخلق « كن فكان » .

فالمجذوب يجذب في كل موطن في طريقه (الى الله تعالى) ويخبر ويعرف المواطن ق .

(الفصل الرابع والعشرون)

(المجذوب)

قال له القائل : صف لنا شأن المجذوب ، من مبتدأه ا الى منتهاه الى آخر ب صفته ت وخبره .

قال : نعم ، ان شاء الله تعالى ! اعلم ث ان المجذوب ج في مبدأ أمره (هو عبد) صحيح الفطرة ، طيب التربة ، عذب الماء ، زكي الروح ، صافي الذهن ، عظيم الحظ من العقل ، سليم الصدر من الآفات ح ، لين خ الاخلاق ، واسع الصدر ، مصنوع له ، أعني د : محفوظاً عليه د . فاذا بلغ وقت الانابة ، هداه (الله) ووفقه للخير ذ ، حتى اذا بلغ وقت كشف الفتح ، فتح له . ثم أخذ بقلبه فمر به ر الى ز العلا ، الى المكان الذي رتب له بين يديه . ثم رجع به فصيره في قبضته . ثم جعل بينه وبين النفس حجاباً ، لئلا تشارك النفس القلب ز في عطاياه س .

ء على نفسه F ، عن نفسه V.

ق بنوره V.

ق مواطنه VF.

ا مبداه V.

ب آخره V.

ت صفه V.

ث – V.

ج + عبد F.

ح + والدواعي V.

خ لان V.

د – د – V.

ذ + وهداه F.

ر – ر + المكان V.

ز الحق V.

س عطاه F.

ووكل الحق بنفسه ليغذوها قليلاً قليلاً ، بقدر مـا تحتمله النفس من العطاء الذي يرد على القلب . و (هكذا) يزدبه[ش] (الله) ويسير به الى المحل الذي رتب له بين يديه .

فقلب[ص] (المجذوب لا يزال بَديًا) مسجوناً[ض] في القبضة (الالهية) لا يقدر ان يصل الى محله من الله تعالى من اجل أن النفس مشحونة بعجائب الانوار . والنفس يسار بها قليلاً قليلاً ، برفق حتى لا تعجز وتعيا . فيرد عليها من النور على قدر احتمالها من العطاء . ففي اول ما يرد عليهـا من العطاء ما[ط] يسكرها عن شهوات الدنيا . ثم بعد ذلك ، يرد عليها من العطاء ما يسكرها[ط] عن وجود حلاوة هذا العطاء . ثم بعد ذلك ، يرد عليها ما يسكرهـا عن وجود حلاوة القربة . ثم توصل الى مكان القربة . فتتغذّى[ظ] هناك وتؤدب[ع] مع القلب جميعاً . ويزيدها الحق : فيورد عليها الانوار ، انوار الملك حتى يقوّمها ويؤدّبها ويطهّرها !

قال له قائل : ما آخر تقويها ؟ أجمله لنا ، فان الوصف[غ] في هذا يطول على الامتحان والاستقصاء !

قال : ان المجذوب ملزم[ف] ، موكل بـه الحق ليحرسه ، حتى لا يقع في مهلكة فيسقط بها . والله يغذوه[ق] برحمته حتى لا تبقى في نفسه مشيئة تتحرك . فحينئذ[ك] تبدو له المشيئة العظمى[ل] ، من ملك الرحمة . فيكشف له العطاء ، ويؤمر[م] ان يقدم الى الفخر[ن] .

قال : وما الفخر[هـ] ؟

ش — F.
ص فالقلب VF.
ض مسجون F. مشحون V.
ط — ط — V.
ظ فتتمدا V.
ع ونادب V.
غ الصفة VF.
ف ملزوم VF.
ق يبدوه V.
ك فحين V.
ل العطا V.
م ويأمر V.
ن العجز F.
هـ العجز F.

قال: معرض المحدثين^و^ .

قال: وما صفته ؟

قال: قبة من نور القربة ، لها اربع طبقات ، مُرخىً عليها الحجب. فيرفع الحجاب الاول امام القبة ، فتبدو له عظمة الله . فتجيئه العظمة^ي^ فتكتنفه حتى يتحمّل ذلك . ثم يُمهل^١^ حتى يقوى . ثم يعاد . ثم تتجلّى له العظمة من الله. ثم تجيئه العصمة فتكتنفه فيقبله (الله) ويرضى عنه . ويأمر الله الروح الأمين ، عليه السلام ! ان ينادي من بطن العرش ، في السماوات: بالرضى عنه . فينادي جبريل ، عليه السلام : « ان الله قد احب فلاناً ^٧^ فأحبوه ! » فيوضع له القبول في الأرض . وقد جاءت الأخبار بهذا عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم[٣٨٨] . ثم يحيّيه (الله) له في كل يوم مجلساً ، وفي كل مجلس نجوى !

قال له القائل : كلّما طلبنا الاختصار ، وقعنا في بحر !

قال : نعم ، (ومع ذلك فاني) اجتهد ان اختصر لكم من كل شيء. شيئاً : فما هذا الذي وصفتُ لكم إلا كرأس إبرة من بحر لجّيّ ، في جنب ما للعبد بين يدي (الله تعالى) من الرعاية^ب^ والتنعم بوجهه الكريم . ففكّر في نفسك ، هل يلتفت هذا الموصوف بهذه (الصفة) الى كلام احد ، او ثناء احد ، او مدح احد ؟ وهل يعبأ بمكروه ؟

وأين هذا من هؤلاء الذين قد شغلوا بعذاب نفوسهم ؟ فزوابل النفس في صدورهم ، وعلائق الشيطان في كلامهم . تراهم الشهر والدهر في كلام مسلسل لا ينقطع . اذ ذكر العيب عابوه^ت^ وذكروا عيب^ج^ العيب^ح^ . وان لحظت (النفس) كذا فعيب ، وان لم تلحظ فعيب . ف (مثل) هذا متى ينقطع ؟ لو قعد أقلهم علماً ، ، يأخذ برأس هذا الجبل (لِيَقيسه) لقطع عمره ولم ينقطع هذا الجبل

٣٨٨) راجع ذلك في الموطأ ، شعر ١٥ .

و المجذوبين V.
ي العصمة V.
١ يمهله F ، يمله V.
ب المرعى VF.
ت جذا F.
ث عيب VF.
ج العيب F.
ح + ذيب F.

مقاساً خ وتشبيهاً د . وانما ذ يخفى هذا على المقاييس . فليس هذا يعلم : هذا موجود ر ! [١٦٦] .

وانما العلم علم المِنن ، ثم علم الصنع والتدبير ، ثم علم المقادير ، ثم علم البدء ، ثم علم الآلاء : الذي يبدأ مع المشيئة في الاحدية والفردية . فمن ز اخذ برأس جبل كل نوع من هذه العلوم وقع في بحر الله عز وجل ، فغرق فيه وأحياه الله به ! ومن اخذ برأس جبل علم النفوس وعيوبها وقع في بحر النفس فغرق فيه ، وقتلته النفس ز !

قال له القائل : ذكرتَ انه لا تبقى له مشيئة ، وكيف تنقطع عنه مشيئة الوصول اليه ؟

قال : لو تركه عمر نوح ، عليه السلام ، لم تنقطع عنه تلك المشيئة . ولكن الله لطيف بعباده ، حكيم في أمره . يلطف بعبده حتى يقطع عنه المشيئة . فحينئذ تطهر نفسه من جميع المشيئات س ويصح للقبول . فانه ما دامت له مشيئة واحدة فنفسه معه . فليس ش للقلب ان يتقدم الى الله تعالى في مقام العرض ليقبله ويتخذه عبداً ، بعد ان تولى سيره اليه بنفسه . ولا يكله (الله) الى نفسه حتى يجاهد . وليس لمثل هذا القلب ان يتقدم الى الله تعالى مع نفس فيها مشيئة . لان تلك المشيئة شهوة ص ، (وهي خيانة من النفس) وسوء أدب ؛ وليس للخائن ان يقرن بالأمين حتى يتقدما اليه (= الى الله تعالى) فيقبلها .

خ مقاييس F. د وتشبيهات F.

ذ فانما F. ر + كمن اخذ برأس هذا الجبل يقطع عمره ولا يقطع هذا الجبل مقاييس وتشبيهات ثم فرغ قلبه لمكايد النفس VF.

ز - ز فالآخذ برأس الجبل من كل نوع من هذا يقع في بحر الله عز وجل فيغرقه الله في بحره ويحييه به والاخذ براس جبل علم النفوس وعيوبها يقع في النفس فياخذ حذاقة النفس وكياستها فانى تصير بمثل هذه الدقايق عيوب النفس فيغرق فيه فتقتله VF.

س المشية VF. ش وليس VF.

ص + ولم تتبين له مشيئة الله تعالى فيها حتى يكون ذلك خيانة منها VF.

قال له قائل: فكيف لطف الله تعالى بعبده ن هذا المقام حتى انقطعت[ض] (عنه) مشيئته ؟

قال: لو ضننت[ط] (بالاجابة عن هذه المسألة) على الخلق أجمعين حتى[ع] أصيب لها اهلاً[ع]، لكنت محقاً[ء] بذلك. ولكن قلبي اجده يعطف عليك؛ واحسب[غ] ان فيك لله خشية[غ]. — اذا خرجت للعبد[ف] الرحمة[ق] من ملك الرحمة، سقاه ربه شربة يسكره بها عن هذه المشيئة[ق]!

قال (القائل): وما هذه الشربة ؟

قال: شربة الحب[ك].

قال: وما[ل] هي[ل] ؟

قال: كفاك[م] هذا! — فصار (العبد) بحال[ن] لم يعقل[ه] من هذه الامور شيئاً. فباطنه سكر، وظاهره حيرة[و] وبهتة. وأما المشيئة فمفقودة في هذا السكر. فان أفاق من سكره قليلاً صرخ الى الله تعالى، صراخ المضطر. فجاءت الرحمة فاحتملته ووضعته بين يديه.

قال القائل: ولم يصرخ ؟

قال: لانه لما افاق من سكره قليلاً وجد ريحاً.

قال: وما ذاك الريح ؟

قال: ألم تر الى الطفل اذا فقد أمه بكى وتحيّر في الوجوه وأخذته الغربة، لأنه لا يجد أمه: فلا ينام ولا ينيم. حتى اذا وجد ريح الأم تهلل وصرخ!

قال القائل: لقد جئت (يا شيخ!) بجلل عظيم! فما هذا ؟

قال: ويحك! ان العظيم في جلاله لما قرّب هذا العبد، خرجت له الدولة

ض لتنقطع VF. — ط ظننت V.
ع — ع — V. — ء مخفوقا VF.
غ — غ واحسب ان لله فيك حسبه F، فلا احسب ان الله فيك حسبه V.
ف + له F. — ق — ق — V.
ك الحجاب V. — ل — ل وما هو V.
م مقال V. — ن لما V.
ه + بها V. — و خيرة F، حيوه V.

من مشيئته على طريق المحبة والرأفة والتحنن عليه. فلمّا بلغ هذا المحل أفاق[ي] من السكر، وقد انطمست المشيئة عنه بسكره. وفيه بقية من السكر. وهو قلب غريب في مفاوز الحيرة[٢١]، منفرد في تلك الفردية. و (فجأة) وجد ريح الرأفة (الالهية) في قلبه، فصرخ الى وليّ الرأفة. فجاءت الرأفة فاحتملته. وبلّغته الرحمة، فأخذته فأدّته الى مولاه. فأوصله الى نفسه بلا مشيئة[ب٢]. فان هذه اقوى المشيئآت وأعظمها. ويستحيل ان تسقط عن النفس إلا من هذا الوجه، الذي لطف الله تعالى بعبده فيه.

(الفصل الخامس والعشرون)

(خاتم الأولياء)

قال (له) القائل: صف لنا هذا المجذوب، الذي وجبت له الإمامة[ا] على الاولياء، وان لواء الولاية[ب] بيده، وان الاولياء كلهم محتاجون اليه في الشفاعة كما يحتاج الانبياء الى نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم!

قال: (أمّا) صفته فهو[ت] الذي اعلمْتُك.

قال: فَبِمَ[ث] تقدم الأولياء فاحتاجوا اليه؟

قال: بأنه اعطى ختم الولاية: فبالختم تقدمهم، فصار حجة الله على اوليائه. وقد ذكرتُ في اول الكتاب سبب الختم: (وهو) ان النبوة اعطيت الانبياء، عليهم السلام، ولم يعطوا الختم. فلم تخل تلك الحظوظ من هنات[ج] النفس ومشاركتها. واعطي نبينا وختمت له نبوته. كالعهد الذي يكتب ثم يختم، فلا يصل احد الى ان يزيد فيه ولا ان ينقص منه، وقد وصفتُ شأنه فيما تقدم.

ي وافاق F.
ب٢ + بقيت في نفسه V.
ا الامانة V.
ت هو F.
ج بقيات V.

٢١ الحيره V.
ب الاولياء V.
ث فيهم V.

وكذلك^ح هذا الولي يسير^خ به^خ (الله تعالى) على طريق محمد،^د صلى الله عليه وسلم^د، بنبوته^ذ، مختوماً بختم الله. فكما كان محمد، صلى الله عليه وسلم، حجة على الانبياء. فكذلك يصير هذا الولي حجة على الاولياء: بأن يقول (الله تعالى) لهم: معاشر الاولياء، اعطيتكم ولايتي فلم تصونوها من مشاركة النفس. وهذا^ذ اضعفكم^ر واقلكم عمرًا قد اتى بجميع الولاية صدقاً، فلم يجعل للنفس فيها نصيباً ولا تلبيساً.

وكان ذلك في الغيب من منة الله تعالى على هذا العبد، حيث اعطاه الختم لتقر به عين محمد، صلى الله عليه وسلم في الموقف.^ز حتى قعد الشيطان بمعزل، وايست النفس^ز فبقيت^س محجوبة. — فيقر له الاولياء يومئذ بالفضل عليهم. فاذا جاءت تلك الاهوال لم يك مقصراً^ش. وجاء محمد، صلى الله عليه وسلم، بالختم فيكون أماناً لهم من ذلك الهول. وجاء هذا الولي بختمه فيكون اماناً لهم بصدق الولاية، فاحتاج الى الاولياء.

وللختم شأن عجيب! ولله في ولد آدم عجائب، وخلقهم لأمر عظيم. — ولما عرف العاقل ان^ص الله^ض وَلِي خلق^ط آدم بيده علم ان هذه خطة فيها امور عظام. ولما عرف أنه سماه «خليفة» علم ان ههنا عجائب: فان الخليفة له شعبة من ملك المستخلف^ظ ر.

ح فكذلك VF.

خ سيرنه F.

د + فضفى وهذب F.

ذ — ذ — F.

ر — ر — F.

ز + حتى V.

س بقيت V.

ش + فان دق تقصيره من ان ينال من ذلك الهول على قدر تقصيره V.

ص انه V.

ض — V.

ط حلق ادم V.

ظ الامين V، + فكلما جاء من خبر عن حظ الادمي من ربه صدقه فقد اثبته لمبتدا امره وان خلقا بلغ من قدره ان تولاه الله في مكنون امره المعجائب V.

(الفصل السادس والعشرون)

(أولياء الزُّور)

قال [ا] له القائل : قد انتهت مسألتي ومحاورتي [ا] ، وبقيت خلة اجلّك عن ذكرها ، وتحوك في صدري وتأبه نفسي تركها .

قال : هات ، اجلّك الحق !

قال (المريد) : انك تجري في كلامك ، حتى اذا وقفت على بعض هذه الطبقات التي تنعت كلامها ، تغيّرت لهم وغلظ كلامك عليهم ، كأن [ب] الرحمة لهم [ت] انتسفت [ث] من قلبك [ج] ، فما هذا ؟

قال (الشيخ) : نعم ، جاد ما سألت ! (إعلم) ان الله تعالى جعل الحق ليقتضي الوفاء بقيام التوحيد والانقياد للحق . فاذا وجدهم الحق معظمين له ، قائمين بوفائه رجع الى الله تعالى مثنياً عليهم . فيرجع من الله تعالى بالمدد اليهم من الانوار حتى يزدادوا قوة على القيام بذلك . ومن وجده الحق غير معظم له رجع الى الله تعالى يشكوه . فالرحمة تلقى الحق بين يدي الله تعالى وتراقبه [ح] . كلما جاء الحق يشكو التأذي من الخلق . حنت الرحمة في محلها بين يدي الله ، حنين الوالهة فيسكن السلطان . ولولا شأن الرحمة وحنينها لثار [خ] السلطان بمجيء الحق شاكياً ودمّر [د] العباد [ذ] .

فهذا شأن الله تعالى في العباد . فاذا جاء الحق يشكو [ر] معانداً ثار السلطان [ز] بالعقوبات [س] ، واعترات الرحمة ، فان المعاند مبارز [ش] . وَرُبَّ عبدٍ تحلّ به (العقوبة) في طرفة عين ، ورب عبد [ص] تطل [ض] العقوبة على رأسه [ض] الى مدة

ا – ا – F.

ب وكان F.

ت – F.

ث + من حالهم عندك F.

ج – F.

ح تراقب الحق VF.

خ ثار F.

د ليدمر على F ، لمرر على V.

ذ عباده V.

ر + مؤدبا F ، مويدا V.

ز سلطان F.

س المقوبات F.

ش مارر V.

ص + العقوبة مطلة (مظلة V) على راسه VF.

ض – ض – VF.

سنين ، حتى يؤذن لها فتحل به عند وقت ظهور فعل منط الاركان [٦٦ب] ، ليكون عذر الله ظاهرًا في حلول العقوبة . وقد مضت العقوبة على قوم لوط ط عشاء ، فحلّتع بهم عند الصبح . وكذلك حكى الله تعالى في تنزيله ، فقال : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا غ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (٣٨٩) غ وكذلك فرعون وقومه، مضت العقوبة عند اجابة ف الله تعالى لهاق في وقت الغرق .

فهذا المنتبه يأخذ عن الله . فان كنتَ وجدتني كذلك ، فانما وجدتني احتذي على مثال ما حكى (الله سبحانه) . فان المؤمن انما يعامل الخلق عن الله وبالحق ، وهو يقتضيهم ذلك . فان لم يجد هذا وجد في قلبه لهم من الرحمة ما يطفئ ذلك السلطان الذي في قلبه . فان مع الحق سلطاناً ، والسلطان كالنار. واذا وجد هذا العبد من الخلق أذى للحق وجد قلبه عليهم وثار السلطان فيه ، فتجيء الرحمة ، التي في قلبه فتطفئ تلك الثائرة ، فيلين كلامه . (ولكن) اذا جاءه معاند ، فهو رجل جبار (فيجب على المؤمن حينئذ ان) يجر نفسه وما فيها من الجسد والكبر ، ولا يتركه يعاند الحق . فاذا عاند الحق ، فكأنه بارز الله تعالى . فعندئذ يثور السلطان وتلين الرحمة. فحال ان يستعمل الصادق في أمره الرحمة على المعاند. وكيف يقدر ان يستعمل الرحمة ونفسه جبارة عنيدة؟

وقد قال الله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٣٩٠) فهل خاب الا من الرحمة ؟ فكيف يرحم (الصادق) عبدًا خيّبه الله من الرحمة ؟ إلا (ان يكون) عبدًا يريد ان يتزين للخلق ، ويتصنع تكلف الرحمة فيتكلفها بالاعراض واللين والسكون ؟ لا يحب ان تسقط عند الخلق مدحته ك . فان للنفوس خدائع ، تقول لصاحبها : متى اغلظت واظهرت الغضب يقال إنكل لستل بحليم . فهو

٣٨٩) سورة ١٧: ١٦.
٣٩٠) سورة ١٤: ١٥.

ط – ٧.
ظ + عليه السلام ٧.
ع فحل ٧.
غ – غ – ٧.
ف + الدعوة ٧.
ق + وحل جم ٧.
ك برحمته ٧.
ل – ل انه ليس ٧.

يتكلف الحلم ههنا ، في هذا الموضع مرآآةم وتصنعاً ، ابقاء على مدحته وجاهه عند من لا يملك ضراً ولا نفعاً .

فأولياء الله واهل صدقه ووفائه، قد طار عن قلوبهم رضى الخلق وسخطهم وقبولهم ونفيهم . وانماه شأنهمو استعمال الحق في اوانه ، واستعمال الرحمة في اوانها . فالحق كالنار ، لانه من السلطان وهو مقرون بـه . والرحمة كالماء . فاذاي جاء الحق ، واقتضاك النصرة وجاءت الرحمة فأطفأت سلطانه — فانت مغرور . واذا اقتضاك النصرة ، واعترلت الرحمة : فان تكلفت الرحمة فكففت عن النصرة ، ترفقاًن كترفقو النساء . — فأنت مراءه . وصاحب هذا ، لم يبلغ بعد نصرة الحق ، ولا اعطي سلطانـه . انما هو رجل تابع للحق في زعم نفسه١ .

و (أنا) انا اصف لك امر رجل مستعمل : قوّم الله سيرتـه ، وأدبه ، وجعل سلطان جيشه في استعمال الحق . او (أصف لك) رجلاً اعظم شأناً من هذا : فهو يستعمله والحق والسلطان على مقدمتـه ! فمتى يصل الى ما ذكرتَ فيعمل ما يهوى الناس ويحسن عند المداهنين المترينين ؟

والذي ذكرتَ شأنه (وأنكرته) هو رجـل يتبع الحق فيصيبه في بعض الامور بجهد . ومع ذلك تشاركه النفس ومزاجها قائم في الأمر . فيتكلف الرحمة . فهذا الذي يجتهد في اظهار الرحمة في فعله ، وقلبه ليس على وفاق من ظاهره . فلذلكب يتصنعت ويُرى من نفسـه الخشوع والهـدى . وليس ذلك خشوعاًث انما ذلك تماوتج . ألا ترى ان ابا الدرداء (١٩٠م) ، رضي الله عنه ،

(١٩٠م) اسم هذا الصحابي ، رضي الله عنه : عويمر بن زياد ، الانصاري ، توفي بدمشق في خلافة عثمان ، رضي الله عنه ، سنة ٣١ . راجع ابن سعد في الطبقات ٧ : ٢ : ١١٧ ودائرة المعارف الاسلامية (ط. ثانية) ١ : ١١٧ .

م مرايا V.
ه — ه V.
ي زوايا V ، روايا F.
ب فذلك F ، فكذلك V.
ث المشوع V.
ن — ن انما لهم V.
و — و ترق كترقق F.
١ أمره F ، + حتى يفر من عشرين واحداVF.
ت يصنع V.
ج التماوت V.

لما ت وصف الابدال ، قال : « ليسوا متماوتين ولا متخشعين خ » ? لان ذلك التماوت (هو) خشوع النفاق . وروى عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال : « نعوذ بالله من خشوع النفاق. قالوا : يا رسول الله ، وما خشوع النفاق؟ قال : ان يخشع البدن والقلب غير د خاشع ذ » (٣٩١) .

اما ترى ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان « اذا غضب لم يقم لغضبه شيء . ? وكان له عرق ، بين عينيه ، يرى د عنه الغضب . ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها . وكان من ارحم الناس ذ ، واحلم ب الناس س ، واصبر الناس على الاذى . فاذا جاء عناد او ظلم للحق ، لم يستقر حتى ينتصر له . وقد وسع الناس بسطه وخلقه . وصار لهم ابا ، وصاروا عنده في الحق سواء ش . مجلسه مجلس حياء وعلم وصبر وأمانة » (٣٩٢) . حدثنا ص بذلك سفيان بن وكيع ، حدثنا جُمَيْع بن عمر العجلي في حديثه في صفة النبي ، صلى الله عليه وسلم . قال ص : انما كان يستعمل الحلم والصبر في رقة لأهله . وكان موسى ، صلوات الله عليه : « اذا غضب اخرقت قلنسوته من شدة سلطان غضبه لله وجل ! »

فالذي يرى في كلامي من التغير ، عند ذكر هؤلاء المعاندين ، لان هؤلاء عندي اسوأ حالا من اولئك المخلصين من العامة . هؤلاء اهل نفاق ، ونافقوا في سبيل الله . قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ

---

٣٩١) انظر السيوطي ، الجامع الصغير ٢ : ٣٧١ .

٣٩٢) انظر مجموعة الاحاديث الشريفة الخاصة بشمائل الرسول عليه الصلاة والسلام : البخاري ، لباس (٦٨) ، مناقب (٢٣) ؛ جامع الترمذي ، مناقب (٣) ؛ الموطأ ، صفة النبي صلى الله عليه وسلم (١) ؛ مسند ابن حنبل : ٣ : ٢٤٠ .

ب انما V .
د ليس V .
ر يدر V .
س – س – V .
ص – ص – V .
خ متخاشعين V .
ذ + ولا يغرنك ما ترى من هذا الخلق VF .
ز + للخلق F .
ش – V .

عَلَيْهِم ! ﴾ (٣٩٣) وقال ضَ تعالى : ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (٣٩٤) ضَ .

ولقد سميتهم يوماً مجوس هـذه ط الطائفةط ، فيما جرى من كلام على رؤوس الملأ . فسألوني عنق تأويله ، فقلت : ما نطقتء به جزافاً ، لكني على بصيرة نطقت به . وذلك انء الدنيا شبهت بالمرأة الزانيـة ، التي تتزين للرجال ، وتعرض نفسها وتتبرج في زينتها . فالذي يفخر بها هو الذي ينخدع لها حتى ق يأخذهاق من حيث لم يؤمر له في ذلك . فهذا كلام جارك في الحكمة ، لان المرأة اذن للرجل ان يتناولها من حيث اذن له : عـلى رسم الكتاب والسنةل . فاذا تبرجت بزينتها وفتنته حتى تناولها من حيث لم يؤذن له م — فهين كالمرأة الزانية . واناه [٦٧ب] ذكرت ما ذكرت من حال و المجوس وشأنهم ، لان المجوس يتناولون محارمهم على جهة النكاح ، وهو اعظم من الزنا ، فقد جمعوا بين حرمتين ، لانهم يزنون بالأخت والبنت .

فرأيت هذه الطبقة ، قد عمدوا الى مذهب فشهروا فيه انفسهم عند الناس : من ترك الفضول ، وشيء من الزهد والتورع والتعبد ، وحكايات ملتقطة من هنا وهناك . ثم اتخذوها علماً ، لا يعرفون ما اولها وما آخرها . فنالوا به رياسة في ناحية من النواحي ، حتى اتخذوا بذلك جاهاً . وتمكنوا في الرياسة واتسعوا في نعمة المآكل والمشرب والملبس والمنكح والضيافات ، وغير ذلك من المرافق والنساء . فنظرت في ظواهر امورهم وبواطنها : فوجدت الأركان معطلة مـن

٣٩٣) سورة ٩ : ٧٣ .
٣٩٤) سورة ٤ : ٦٣ .

ض — ضَ — V .
ط — ط هذا الطريق V .
ط — V .
ء لفظت V .
ء + هذه V .
ق — V .
ق باخذ V .
ك جاري ٠ .
ل + فكذلك الدنيا اذن له ان يتناولها من حيث اذن له على رسم الكتاب والسنة VF .
م لك F .
ن فهذه F .
ه فاذا F .
و شان V .

العبادة، مشغولة بالقيل والقال والبقبقة! فقلت: (هؤلاء) ليسوا بمثال (حقا!)
ونظرت الى منازل الاولياء، فاذا قلوبهم عنها غائبة. فقلت: هم في الطريق يسيرون اليه. فوجدتهم قد تخطوا في الطريق خطوة او خطوتين، ما بلغوا ثلاث. حتى قامت عليهم نفوسهم، بما وجدت من اللذة والفرح بالعطايا، فاستأسرتهم. فاذا هم موتى، طرحا[ي] على مزبلة، يحسد بعضهم بعضا ويتأكلون الناس[أ١].

نفوسهم[ب٢] معلقة بأحوالهم[ب٢]. وقلوبهم مشغولة[ت٢] بتعلق نفوسهم. همّهم[ث٢] ظهورهم (= لباسهم؟) وبطونهم[ج٢]، واصطياد الأرامل. يعمد احدهم الى ارملة موسرة، فيغتنم رغبتها فيأكل أموالها ويذرها كالمعلقة. يبوّأ لنفسه[ح٢] رخاء العيش، والتحكم في[خ٢] اموال الناس[خ٢]، مخادعة بالتلطف[ث٢]. قد اتخذوا الملق دينا، والتأوت صناعة يحتلبون به دنياهم.

فلو قلت لأحدهم: الزم هذا البيت شهرا، فلا تخرج الى الناس — لرأيت به من الضيق والنفار ما يظهر لك، من مكنون ما في صدره، انه رجل بطال، قد ملكته نفسه. فهو يتكلم بكلام الاولياء التقاطا وحكايات. لا[د٢] تنجع فيه كلمة، ولا يوجعه انه خلو من ذلك. فلا عمل بالأركان، ولا وصول الى مكان، ولا سير في طريق. كلما وعظت واحدا منهم، اخذ يروغ يمينا وشمالا. فاذا ضبطته عاند وكابر. وعاد يرد الملامة على الخلق، ويذب عن نفسه وحاله. لا يتذلل للحق لكيلا يهتك ستر نفسه. فاذا حركته (أخيرا...) وأقمت عليه الحجة، أبدى نفاقه، وأظهر ما نطق به مكنون ما في نفسه: من انه يريد إبقاء حاله، وليس به شيء من هذه الأمور!

فهل يجوز ان يلان لمثل هذا في المقال؟ فاني أجرى في كلامي على سبيله

ي مطروحون V.
أ١ + ويتأكلون V.
ب٢ — ب٢ — V.
ت٢ منغلقة V
ث٢ — ث٢ — V.
ج٢ + وتخطي الكون واتخاذ المرقاء وهم في نقص حرب المجايز وتناول ذخايرهم F.
ح٢ + معادن المشو و F.
خ٢ — خ٢ اموالهم F.
د٢ ولعل F، ولعله V.

فاذا بلغت الى ذكر هؤلاء – تغير الكلام : فذلك حمة الحق وسنانه ، يطعن الله به اهل مخادعته ، المستهزئين بأمره ! وانما نسبتهم الى المجوسية ، في هذا الباب : لانهم ملكوا هذه (الدنيا) الزانية بالعطايا من الله. فلو كانوا يملكونها بشيء من عَرَض الدنيا ، او بغير ذلك من طريق علم الظاهر – لكان ايسر[ذ٢]. ولكن ملكوها من طريق العطايا من[ر٢] الله تعالى[ر٢] . فاستعملوا[ز٢] تلك[ز٢] (العطايا الالهية) بالاستيلاء على حطام الدنيا . فلما ظفروا بها تركوا السير الى الله تعالى . فانظر أية فضيحة هذه ؟ أليست[س٢] هذه[ش٢] مجوسية ، في هذا الطريق ؟

ثم اذا خاضوا في شيء من امور الاولياء ، يقولون : الولي لا يرى . والولي لا يعرف نفسه . وشبه عليه امره حتى لا يعجب بنفسه وأمره . وصاحب المشي على الماء وطي الأرض يأكل من نفسه . وذلك لضعفه يعطي ذلك . والعارف لا يلتفت الى مثل هذا ، انما همه ربه فهو يسأل ربه . هذا يموه على الناس : ان لم يكن هذا لي ، فاعلموا اني عارف ، وممن لا يلتفت الى هذا . . .

والحمقى يقبلون منه حمقه هذا ! فهذا قد خلا من أعمال البر لافساد القلوب وافساد الطريق على المريدين ؛ ويلبس امر الاولياء على أهل الارادة . فلذلك قلت : علمهم كدر ، ويتلوثون في حمأة منتنة ، وتلك مأكلتهم .

ذ٢ استر V.　　ر٢ – ر٢ – V.

ر٢ – ز٢ – V　　س٢ اقليس F.

ش٢ – F.　　ص٢ خاصموا V.

ض٢ ويشتبه F.　　ط٢ وهو V.

ظ٢ وهذا F.

تعريف عن الكتب

المنجد المصوّر

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٦١

جهد تشكر عليه المطبعة في تقريب مناهل اللغة للكبار وللصغار . فلقد عمدت على اغراء الصغار بما يروق عيونهم ويحرك ذوقهم وينهض بهمتهم الضعيفة الى حفظ اللغة بدون ملل . ولقد يعاني الاولاد ما يعانون من درس المبادئ وقد تعددت الطرق لتسهيل الوسائل ولتبويبها تبويباً لا ينفر منه من ليست له بعد جرأة على الدرس وصبر على الاستمرار . فبألوانه وصوره وتبويبه والذوق الذي نشر في صفحاته ، ان هذا المنجد ليفيد الكثيرين ويملّقهم بلغة عليهم ان يتقنوا درسها ويسبروا غورها . ا . ع . خ .

ابو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبدالرحمن الشادلي (ابن الزيات)

التشوّف الى رجال التصوّف

ـ نشره ادولف فور ـ

الرباط ١٩٥٨ – ٥٥٢ صفحة

كتاب ذو فائدة كبيرة حيث الاسماء تتلو الاسماء وحيث الروائع التصوفية تتلو الروائع فيظل القارئ لهفاً لغيرها وقد وجد فيها ثروة روح وثروة شعر . ولهذا فنشر هذا السفر القيم كان ضرورياً . وحسناً صنع المستشرق فور اذ جمع النسخ وعمل جاهداً على التنقيح والتنظيم فاتنا بنشرة صافية مع الفهارس التي يعود اليها القارئ آمناً .

واذ نحن نهنئ مكتبة كلية الآداب في المغرب الاقصى نتمنى عليها ان تعطينا من تراث المغرب ما لا يزال دفيناً في بطون المكتبات .

ا . ع . خ .

JEAN- PAUL BOURRET, *Histoire de Dieu*, traduit par le Père Georges Akl, en 2 vol. de 95 et de 70 pp. Imprimerie Catholique, Beyrouth 1958.

ما أجمل العنوان الذي خطّه المؤلف بالافرنسية وقد تُرجم الى العربية بـ«قصص من التوراة» . وقد غيّر هذا العنوان العربي معنى ما اراده المؤلف بتاريخ الله مع ما في العنوان العربي من ملابسات لن يرضى عنها من فهم أنَّ في كل قول من اقوال الله وفي كل تدخّل في حياة اسرائيل عناية سرمدية توجه وتساند وتقوّي . فتاريخ الله ليس تاريخاً زمنياً ولكنه حياة تبثّ ونور يضيء والهام يدلّ الى الطريق وأمل يقوّي في المسير . هذا ما نراه في تاريخ اسرائيل وتاريخ هذا الشعب تاريخ الله حيث ظهر بتدريب اناس كانوا المزمعين أن يعطوا العالم الخلاص .

اننا وان انتقدنا العنوان فلن نهمل المدح والتقريظ للترجمة . فلقد توصل المترجم الى لغة صافية رشيدة لا يُشعر من خلالها بالنصّ الافرنسي . وهذه فضيلة يُشكر عليها . واننا لنمدحه ايضاً على ثروة اللغة التي استعملها وفيها نور ووثبة لا يرسب القارئ عند منعطفاتها .

اما الكتاب بحدّ نفسه فهو تعبير عن روح انارت طريق المؤلف وهي الروح التي ارادت ان ترى الصلة بين العهدين القديم والجديد والتي احبّت أن تجذب نظر القارئ وانتباهه بصورة روائية صادقة غير مصطنعة فتوصل المؤلف في نصه والمترجم في ترجمته إلى درجة المرونة والحياة فكانت قراءة هذين المجلدين قراءة مريحة نافعة . ولهذا فعند مطالعة الكتاب ، بينا يغيب القارئ بين طيّات العهد القديم ومنحدراته ، بين تقلّبات شعب ذي الرقبة القاسية ، نرى ختام الفصل نوراً يشعّ من مسيح الله يُعطي كلّ ما سبقه معناه وقيمته .

ا . ع . خ .

JEAN-MARIE PAUPERT, *Quelle est donc cette bonne nouvelle?* Coll. Je sais, je crois. Librairie Arthème Fayard, Paris 1961, 160 pp.

لتمدّننا ولايماننا اساس واحد ، ذلك الكتاب الصغير الذي يُدعى الانجيل . وما نعني بهذا الكلام ؟ كان بودّ المؤلف ان يكتب مقدمة لقراءة الانجيل لا

تكون مجموعة مما كتب حتى الآن ان من جهة التفسير وإن من جهة التأريخ او من الجهة الروحية والاخلاقية .

رفض المؤلف كل حدود لموضوعه وكل ترداد واجب ان يكتشف الانجيل في مظهره الابدي من خلال فكرة الكنيسة منذ نشأتها الى اليوم . فقسم كتابه الى قسمين : الاول وفيه كنه الانجيل في ذاته وفي البيئة التاريخية وفي عالمه الجغرافي والاخلاقي والعقائدي . والثاني يؤول الى الغاية نفسها ويدرس ما صار اليه الانجيل في عصر الآباء وفي العصور الوسطى وفي عصور التجديد وفي عصرنا الحديث .

صورة جديدة يتبعها المؤلف لم تعطَ قبله وتميّز المؤلف بما يسديه للمؤرخ وللمفكر اليوم .

كتاب جديد في موضوع قديم . أ. ع. خ.

FRANÇOIS AMIOT, *Le Mystère de l'Autel, Aspects du Sacrifice de la Messe*. Coll. Ecclesia. Librairie Arthème Fayard, Paris 1961, 144 pp.

ان من يدخل كنيسة ، فخمة كانت او حقيرة ، يشعر بان رهبة تعتريه وتجذبه الى الصلاة والخشوع والتقوى . يخلص من الضوضاء وجعجعة الشارع ويوجّه نظره الى المذبح حيث تجتمع في باقة موحدة خيوط البناء فوق صحن الكنيسة . وان لم يكن الزائر مسيحياً فانه يقدّر ان هناك مذبحاً هو محور البناء كله وسبب وجوده :

لم تبنَ الكنيسة إلا لجمع المؤمنين في تقدمة الذبيحة المقدسة ولا نرى دورها وقيمتها كما نراه وقت تقديم الذبيحة اذ كل شيء فيها وضع ليشجع المؤمنين على مشاركة الكاهن الفعليّة في ذبيحة ليست إلا تجديد سرّي للذبيحة الاولى التي قُدّمت على الجلجلة ، في الزمن .

يرى الكاهن ويحق ان تلك الذبيحة اصل حياته الكهنوتية وانها الوسيلة الاكثر فاعلية لاعطاء النفوس حياة المسيح . فينظم عمله الرسولي حول هذه الذبيحة التي يرى في تقدمتها اليومية اجمل عمل يقوم به ويقول له ايمانه انها ذات قيمة لا تقدّر ، حتى ولو قلّت العاطفة الدينية وتضاءلت الحرارة التي كان يشعر

بها في اول ايامه الكهنوتية . وللمؤمنين العقيدة الراسخة ان القداس محور حياة الكاهن ، فهم ينتظرون منه ان يتفهم عظمته وان يقدم بالرعدة والرهبة ، تلك الرهبة التي يتطلبها اقدس عمل يقوم به رجل على هذه الارض .

يذكرنا المؤلف بان القداس هو قبل كل شيء ذكرى آلام المسيح وبان التفكير اللاهوتي في الايام القائمة سمحت بتفهم الذبيحة وبمشاركة الكاهن في القيام بمهاته المقدسة التي طالما قال عنها القديس بيوس العاشر : انها الينبوع الاول والضروري لتنمية الروح المسيحية .

ا. ع. خ.

Trophime Mouiren, *La Création*. Coll. Je sais, je crois. Librairie Arthème Fayard, Paris 1961, 144 pp.

ليس من مفهوم لاهوتي أقل وضوح من مفهوم الخلق. فإن العقائد الاساسية كالثالوث والتجسد والافخارستيا وان لم يعرف منها المؤمن البسيط شيئاً فانه يعرف على الاقل انها موجودة وانه لا يُسبر غورها بسهولة . اما الخلق فالجميع يفقهون ان معناه ان الله صنع العالم وما فيه . فلا شيء ابعد عن الحقيقة من هذه الخيالات: الله عامل ، الله صانع . ومع ذلك فهي تحتل الصدارة في العقل عند المؤمنين والملحدين . ولقد كتب الاب سرتلانج في هذه المدة الاخيرة كتاباً مطهّراً عن فكرة الخلق ودورها في الفلسفة نازعاً عن تلك الفكرة كل ما أدخل اليها عبر التاريخ من حسيّات .

ففي هذا التوجيه يقوم كتاب الاب مويرن الذي يعالج موضوعه بصورة لاهوتية اكثر منه فلسفية . فبعد أن اختصر أهم ما قاله الاب سرتلانج عن الخلق الصحيح اخذ يتوسع بالفكرة في العهدين القديم والجديد ، عند آباء الكنيسة ، في المجامع وعند اللاهوتيين : باقة من اللاهوت التاريخي والوضعي.

في هذه الثروة اللاهوتية يعود الخلق الى مبادئ سبعة : الايمان بالله الخالق هو الايمان بأن الثالوث يخلق ، هو الايمان بان الله يتميّز عن الخليقة وبان الخلق لا يضع شيئاً جديداً في الله ولا تبديلاً ، بان الله خلق العالم بحرية تامة. الايمان بالله الخالق هو الايمان بحكمة الله وبكرمه ، هو الايمان بان العالم خُلق من لا

شيء ، هو الايمان بان العالم خلق في بدء الزمن .

الفصل الاخير فصل روحي هو خلاصة مما سبق يحثنا على ان نعيش كخليقة . ا. ع. خ.

ANDRE DE BOVIS, *L'Eglise et son Mystère*. Coll. Je sais, je crois. Librairie Arthème Fayard, Paris 1961, 138 pp.

عمر الكنيسة عشرون جيلاً . ووجودها يتحدى الزمن . لم ينقصها عبر التاريخ اضطهادات او معاكسات . ففي الداخل ايضاً كادت الزوابع العظيمة تودي بحياتها . ولكنها ثبتت قوية . وكان على الانسان ان يتقصّى كنهها كما يفهم صورة تلك البلاد او تلك الاخرى على الصعيد الجغرافي والتاريخي. ولكن عبثاً . وباستطاعتنا أن نقول ان الكنيسة هي المجتمع البشريّ الذي لم يُعطه الانسان حقه وقد غابت عنه روحه وقال فيه ما هو غلط وما هو بعيد عن جادة الصحة والصواب .

فالبعض لا يرون في الكنيسة الا المجتمع البشري فيه حكومة أساسية ، وخليات رعائية ، والبعض الآخر لا يقف الاّ على حقيقة الكنيسة الغير المنظورة والفائقة الطبيعة ، بينما سرّ الكنيسة يقوم في تكاتف الظاهر والباطن ، في تكاتف التاريخ والابدية ، تكاتف الرجل والله ، تكاتف المنظور والغير المنظور .

أهناك اتفاق بين هذه المتناقضات ؟ اليست نتيجة تفكيرنا ان نيأس من توحيد ما لا يوحّد ؟ ان المؤلف لا يريد ان يحلّ مشكلة عقلية . ارادته ان يعرض امامنا سرّ الكنيسة ، أن يُحيط به كي يرى مختلف اشكاله .

فنرى معه الكنيسة الحيّة في تهيئتها قبل مجيء المسيح ، في تطويرها بقوة من يعمل فيها ويتكلم ويتقدّس ، وفي كل تاريخها الروحي ، وفي كل حياتها كجسم المسيح الحيّ والمقدّس ، وفي قوة سلطتها .

مع المؤلف نسير وكأننا نكتشف بيتنا . نسير بخطوات امينة وسط جمالات هي لنا لم نكن اعطيناها انتباهنا . وسيرنا هــذا يجعلنا في وسط السرّ لأن الكنيسة ، في اعضائها ، هي تلك التي تسير على هذه الارض وهي التي في الوقت نفسه وصلت الى الميناء . ا. ع. خ.

ROLAND CLUNY, *La Légende dorée de Martin des Gaules*. Coll. Ecclesia. Librairie Arthème Fayard, Paris 1961, 160 pp.

ليس القديس مرتينوس مؤسس اديرة فحسب من ليجوره الى مارموتيه ، ليس هو اسقف تور المنتخب فحسب ورسول فرنسا انما هو ايضاً وقت من اوقات تلك البلاد في بدء المسيحية قبل ان تنيرها شمس المسيح وتنشلها من ظلام الوثنية .

احبّ المؤلف أن يحيي مجتمعاً اوجده مرتينوس وكان من تربته فاحياه. فليس كتابه تاريخاً ولكنه صورة وصفيّة لاناس يروحون ويغدون في عصر نبتت فيه الاديرة واولى كنائس فرنسا .

يسرد علينا المؤلف قصة فيها وضع كل ما هنالك من امور حيّة ومن رسالة مرتينوس الصافية ولقد صوّر اطباعاً ودرس نفسانية وحلّل ميزات عصر كان مرتينوس يبلورها ليقدمها للسيد المسيح .

هناك صور ربما بالغ المؤلف بتصويرها ولكن الحقيقة تبدو من خلالها ناصعة صادقة. ا. ع. خ.

G. et B. CERBELAUD SALAGNAC, *Textes choisis sur l'Irlande, Ile des Saints*. Librairie Arthème Fayard, Paris 1961, 320 pp.

قصة ولا اروع منها قصة ولا يفهمها الا القليلون . كانت اوروبا الغربية قد روّعتها افتتاحات البرابرة. وكانت القوة والبطش والظلم على وشك ان يودوا بحياة المسيحية . قامت الاديرة فناضلت ، الاديرة تلك الابراج التي يلتجئ اليها الروح ولكن الخطر لم يزل. إذاك في جزيرة منعزلة ، محبّة كان الايمان حياً . اديرة عديدة ، قديسون لا يحصى عددهم . عند ذاك قام الايرلنديون بافتتاح القارة للمسيح وللانجيل . فنجحوا بين العذاب والآلام والمغامرات العديدة. كان قائدهم القديس كولومبان .

هذه القصة العظيمة التي يسردها علينا في هذه النصوص ج. و. ب. سربلو سلنياك . هي القصة حيّة في هذا الكتاب ، قصة تأخذ بمجامعنا وتعطينا صورة حقيقية عمّا يختبىء في المسيحية من قوة خلاقة جبّارة .

ا. ع. خ.

RAYMOND CHRISTOFLOUR, *Textes choisis des spirituels et mystiques du Grand Siècle.* Librairie Arthème Fayard, Paris 1961, 256 pp.

الجيل العظيم هو ما دعوه المؤرخون بجيل لويس الرابع عشر. ولكن من ينتبه الى هذا الاسم يجد فيه عدم الموافقة الكليَّة . فجيل النفوس والحياة الباطنية لم يبتدى. مع لويس الرابع عشر . هي السنون الستون الاولى من الجيل السابع عشر التي ضمَّت عصر الجمال والخصب العقلي والروحي، غنية كاغنى سني العصور الوسطى ، عصر فتوّة وتجديد لامع . هذا منصور ده پول يهيمن على عصره بوجهه المتعب من كثرة الاعطا. وبنظره الثاقب حيث الكرم والمحبَّة . ومعه الشرات يعتبرهم التاريخ كرملاء له يفلحون الحقل نفسه ويفتحون الاتلام العديدة كي ينمو الزرع في النفوس. حياتهم الى الله متجهة واعمالهم الى تطوير ملكوت الله سائرة . قليلة هي العصور التي تضمّ باقات كهذا العصر .

لا نوفي المؤلف حقه اذا ذكرنا اسما. اولئك الذين بنى عليهم ثروة كتابه . فعلينا ان نأخذ النصوص الواحد تلوَ الآخر لنحللها وندرسها ونتأملها وكأني بهذه النصوص حية، ومؤلفوها ، وان لم يكونوا من الرعيل الروحي الاصيل، يصلون الى ما وصل هذا اليه في مبادئه الاساسية. هم شعراء ، هم روائيون ، هم أدباء وكلهم أهل لأن يكونوا في صفّ الروحانيين العظام . وهذا ممَّا يشجع هنا ويقوّي ويحمل الى الامل.

ا. عُ. خ.

فهارس المشرق

للسنة السادسة والخمسين

١٩٦٢

فهرس اول

لمواد السنة السادسة والخمسين من مجلة المشرق ١٩٦٢

الجزء ١ — (كانون الثاني – شباط) : وثائق تاريخية عن حلب ، بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي (٣ – ٢٣) = الآثار المطوية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٢٤ – ٥٦) = كتاب ختم الاولياء نشره عثمان يحيى (٥٧ – ٩٦) = معجم البلاد والاماكن العربية لعيسى اسكندر المعلوف (✝) (٩٧ – ١٠١) = شعراء العربية واولادهم بقلم رياض معلوف (١٠٢ – ١٠٧) = الكتب (١٠٨ – ١٢٨) .

الجزء ٢ — (اذار – نيسان) : الآثار المطوية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (١٢٩ – ١٤٦) = الافخارستيا في الفرض الماروني بقلم الخوري فرنسيس البيدري (١٤٧ – ١٧٦) = كتاب ختم الاولياء نشره عثمان يحيى (١٧٧ – ٢١٦) = الرازي الطبيب الاكلنيكي بقلم الدكتور ا. ز. اسكندر (٢١٧ – ٢٨٢) = كتابة نورا الفينيقية بقلم الاب ا. فان دن براندن (٢٨٣ – ٢٩٢) = الكتب (٢٩٣ – ٣٠٤) .

الجزء ٣ — (ايار – حزيران) : فوائد طبية عربية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٣٠٥ – ٣٢٤) = معجم تحليل اسماء الاماكن في البلاد العربية بقلم عيسى اسكندر المعلوف (✝) (٣٢٥ – ٣٣٣) = الطريقة العملية الحديثة بقلم ارنست جموي (٣٣٣ – ٣٤٦) = LIH-JSA 269 et la Chronologie Lihyanite بقلم الاب ا. فان دن براندن (٣٤٧ – ٣٦٨) = الكتب (٣٦٩ – ٣٨٤) .

الجزءان ٤–٥ — (تموز – تشرين الاول) : ام ومعلمة بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٣٨٥ – ٤١٩) = الآثار المطوية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٤١٨ – ٤٤٤) = وثائق تاريخية عن حلب • بقلم الاب فردينان تونل اليسوعي (٤٤٥ – ٤٧٨) = الرياحات في القداس الماروني بقلم الخوري ميشال بريدي (٤٧٩–٥٠٨) = لمحة تاريخية عن اشهر مؤلفي الطقس الكلداني ومنظميه بقلم الخوري افرام بدي (٥٠٩ – ٥٣٨) = الفائت من شعر المتنبي والمتنبي وولاية صيدا بقلم امين نخله (٥٣٩ – ٥٤٣) = معجم تحليل اسماء الاماكن في البلاد العربية بقلم عيسى اسكندر المعلوف (١/٢)(٥٤٤–٥٤٨) = كتاب ختم الاولياء نشره عثمان يحيى (٥٤٩–٥١٩) = حياة الاكراد الاجتماعية بقلم الاب توما بوا الدومنكي (٥٩٧–٦٦١) = الكتب (٦٦٣ – ٦٦٤) .

الجزء ٦ — (تشرين الثاني – كانون الاول) : كتاب ختم الاولياء نشره عثمان يحيى (٦٦٥ – ٧٧٤) = الكتب : ٧٧٥–٧٨١ = فهارس الفهارس (٧٨٢–٧٨٨) .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

اسكندر (ا. ز.) : الرازي الطبيب الاكلنيكي ٢١٧ — ٢٨٣ .

بدي (الخوري افرام) : لمحة تاريخية عن اشهر مؤلفي الطقس الكلداني ومنظّميه ٥٠٩ — ٥٣٨) .

براندن (ا. فان دن) : كتابة نورا الفينيقية ٢٨٣—٢٩٢ — LIH-JSA 269 et la Chronologie Libyanite ٣٤٧ — ٣٦٨

بريدي (الخوري ميشال) : الرياحات في القداس الماروني ٤٧٩-٥٠٨ .

بوا (الاب توما الدمنقي) : حياة الاكراد الاجتماعية ٥٩٧ — ٦٦١

البيسري (الخوري فرنسيس) : الافخارستيا في القرض الماروني ١٤٧ — ١٧٦ .

توتل (الاب فرديان اليسوعي) : وثائق تاريخية عن حلب ٥، ٣—٢٣؛ ٤٤٥-٤٧٨ .

حموي (ارنست) : الطريقة العملية الحديثة ٣٣٣ — ٣٤٦ .

خليفه (الاب اغناطيوس عبده اليسوعي) : ام ومعلّمة ٣٨٥ - ٤١٧ .

شبلي (الاب أنطونيوس اللبناني) : الآثار المطوية ٢٤-٥٦ ؛ ١٢٩ — ١٤٦ ؛ ٤١٨ — ٤٤٤ — فوائد طبية عربية ٣٠٥ ٣٣٢ .

معلوف (رياض) : شعراء العربية واولادهم ١٠٣ — ١٠٧ .

معلوف (عيسى اسكندر) : معجم البلاد والاماكن العربية ٩٧ — ١٠١ ؛ ٥٤٤ — ٥٤٨ .

نخله (امين) : الفائت من شعر المتنبي والمتنبي وولاية صيدا ٥٠٩ — ٥٣٨ .

يحيى (عثمان) : كتاب ختم الاولياء ٥٧ — ٩٦ ؛ ١٧٧ — ٢١٦ ؛ ٥٤٩ — ٥٩٦ .

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السادسة والخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات الشرقية

ا

ابي نادر (الاب يوسف) : حياة الملث الرحمة المطران بولس موسى كتاب ٣٦٩ .

الامين (محسن)= اعيان الشيعة (الاجزاء ٣٧ و٣٨) .

ب

الباقلاني (القاضي) : كتاب البيان عن الفرق بين الكرامات والمعجزات ٢٩٧ .

البستاني (كرم) : اقصوصة الميلاد ١١٣ .

ج

جبري (شفيق) : محاضرات عن محمد كرد علي ٣٧٢ .

ح

الحاج (كمال يوسف) : فلسفة الميثاق الوطني ١١٠ :

الحسيني (عبد الرزاق) : تاريخ الوزارات العراقية ١١٣ — تاريخ الصحافة العراقية ٢٩٧ .

د

داغر (يوسف اسعد) : مصادر الدراسة الادبية وفقاً لمناهج التعليم الرسمية ٣٦٩ .

الداقوقي (حسين علي) : مبادئ علم الاجتماع ٢٩٣ .

ديب (محمد) الحريق ١١٦ — النول ١١٧ — صيف افريقي ١١٧ .

ذ

الذنون (حسن) : محاضرات في القانون العراقي ٣٧٥ .

ر

رستم (اسد): نحن وروما والفاتيكان ١١٤ .

ز

زرزور (فارس) : حتى القطرة الاخيرة ١٠٩ .

س

سبكتور (ايفار) : اربعون عاماً ١١٥ .

سميث ونولدين : خلاصة اللاهوت الادبي (ترجمة الاب طوبيا عون) ٣٧٤ .

ش

الشابي (عبده): دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها ١١٣ .

الشيباني (محمد بن الحسن) : شرح كتاب السير الكبير ٣٩٤ .

ص

صفوت (مصطفى) : مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية ٣٧٤ .

ط

طوقان (حافظ) : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ٣٧١ .

ع

عثمان (حسن ملّا) : أبناؤنا : وسائل العناية بهم صحياً وتربوياً ١١٨ .

العمر (قدري) : يحدثونك من القلب ١١٩ .

ق

قراعلي (عبدالله) : المصباح الرهباني ٣٩٦ .

ك

كرم (انطوان غطاس) : اعلام الفلسفة العربية ٣٩٤ .

الكوكباني (الخوري يوحنا) : مشاهد من الانجيل ١١٢ .

ل

لزاريني (اندره) : يوحنا الثالث والعشرون حياته شخصيته ١١١ .

م

مسكوني (امل) : شعراء هازلون ٣٩٣ .

موريتو (مارتينو ماريو) : المسلمون في صقلية ٣٩٦ .

موسى (محمد يوسف) : محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي ٣٧٣ .

موليير : البورجوازي النبيل ١١٦ .

ن

ناصر (محمد علي) : المبدأ الاول او الله ٣٧٦ .

نولدين وسميث : خلاصة اللاهوت الادبي (ترجمة الاب طوبيا عون) ٣٧٤ .

ي

اليازجي (كمال) : اعلام الفلسفة العربية ٣٩٤ .

اليونس (عبد اللطيف) : ثورة الشيخ صالح العلي ١١٨ .

٢ — مطبوعات اوروبية

A

ABDUL LATIF (SYED), *Bases of Islamic Culture.* 120
ABELE (JEAN), *Le Christianisme se désintéresse-t-il de la science?* 302
AYFFRE (A.), *Cinéma et foi chrétienne.* 303

B

BEARN (PIERRE), *A la conquête de la mer.* 378
BRUNEL (RENE), *Le monachisme errant dans l'Islam.* 382

C

CITA-MALARD, *Un million de Religieuses.* 108

E

EVDOKIMOV (PAUL), *L'Orthodoxie.* 125

F

FRISQUE (JEAN), *Oscar Cullmann.* 126

G

GATHIER (ÉMILE), *La Pensée hindoue.* 123
GHAZALI, *Ih'yâ' 'Ouloûm ed-Dîn, ou vivification des sciences de la foi.* 377
GOLVIN (L.), *Le Maghreb central à l'époque des Zirides.* 384
GUARDINI (R.), *La messe.* 380
GUELLY (ROBERT), *Vie, foi et tâches terrestres.* 122
GUELLY (R.), *A l'écoute de Dieu.* 122

H

HITTI (PHILIP K.), *Lebanon in History.* 298
» » » *Syria, a Short History.* 300

L

LAHBABI (M. A.), *Liberté ou libération à partir des libertés bergsoniennes.* 379
» » *De l'Etre à la Personne.* 381
LOMENIE (E. BEAU DE), *L'Eglise et l'Etat.* 304

N

NAREK (GREGOIRE DE), *Le Livre de prières.* 121
NEDONCELLE (M.), *Vers une philosophie de l'Amour et de la Personne.* 380

O

OLIVIER (CLEMENT), *Transfigurer le temps.* 123
ORAISON (MARC), *Amour, péché, souffrance.* 300

P

PICHON (CHARLES), *Le Vatican.* 129

R

RICARD (ROBERT), *Brefs conseils pratiques pour la transcription et l'impression des mots espagnols et portugais.* 378

T

TAPIERO (NORBERT), *Les idées réformistes d'al-Kawâkibi.* 383
THOMSEN (PETER), *Die Palestine - Literatur - Akademie Verlag.* 379
TREVETT (REGINALD F.), *Le sixième commandement.* 377

U

URTASUN (Mgr), *L'évêque dans l'Eglise et son diocèse.* 301

V

VAULX (BERNARD DE), *Les Missions. Leur Histoire.* 108

Z

ZIADE (JOSEPH), *La Hiérarchie maronite, son évolution, sa résidence.* 383

فهرس رابع

لجميع مواد السنة السادسة والخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

الآثار المطوَّية ٣٤ – ٥٦ ؛ ١٢٩ – ١٤٦ ؛ ٤١٨ – ٤٤٤ .

الافخارستيا في الفرض الماروني ١٤٧–١٧٦ .

ام ومعلّمة ٣٨٥–٤١٧ .

ح

حياة الاكراد الاجتماعية ٥٩٧–٦٦١ .

ر

الرازي الطبيب الاكلينيكي ٢١٧ ٢٨٢ .

الرياحات في القداس الماروني ٤٧٩–٥٠٨ .

ش

شعراء العربية واولادهم ١٠٣–١٠٧ .

ط

الطريقة العملية الحديثة ٣٣٣–٣٤٦ .

ف

فوائد طبية عربية ٣٠٥–٣٣٢ .

الفائت من شعر المتنبي والمتنبي وولاية صيدا ٥٣٩–٥٦٣ .

ك

كتابة نورا الفينيقية ٢٨٣–٢٩٢ .

كتاب ختم الاولياء ٥٧–٩٦ ؛ ١٧٧–٢١٦ ؛ ٥٤٩–٥٩٦ .

ل

LIH-JAS 269 et la chronologie libyanite ٣٤٧–٣٦٨ .

لمحة تاريخية عن اشهر مؤلفي الطقس الكلداني ومنظميه ٥٠٩–٥٣٨ .

م

معجم البلاد والاماكن العربية ٩٧ – ١٠٢ ؛ ٥٤٤–٥٤٨ .

و

وثائق تاريخية عن حلب ٥ ، ٣ – ٣٣ ؛ ٤٤٥–٤٧٨ .